الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

1

السنة الثامنة ــ يناير ١٩٧٢

- حسابات ١٩٧١ .. و آفاق ١٩٧٢
- موقف ثورى فى علم النفس الأمريكى : فيتنام
- « ظاهرة » الملك حسين
- الديموقراطية فى دولة العالم الثالث
- وثائق : أوراق حركات التحرر الوطنى العالمية المعاصرة

الأدب والفن

الفهرس

● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٢ - ٩٥٠١٠ - ٥٩٥٦٠ -

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده فكرة أصيلة .

من هـــذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد أختلف معك فى الرأى ولـــكنى على اســـتعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) ؟ .

الافتتاحية

«ظــاهــرة» الملـك حســين

اذا كنا قد درجنـا على أن نطرح على أنفسنا — من باب التقييم المستمر لحركة التحرير القومية فى كل مرحلة من مراحلها — سؤالين رئيسيين : **ماذا تريد اسرائيل؟** .. وماذا تريد أمريكا ؟ فان الواقع الراهن بحصيلته من التجارب الدامية ، يحتم علينا أن نلحق بالسؤالين ، سؤالا ثالثا ، يرتبط بهما ارتباطا عضـويا ، هو : **.. وماذا يريد الملك حسين ؟ ..**

لسنا نقصد — هنا — «**شخص**» الملك، وانما نتجاوز ذاته الملكية — **دون ما تغافل** عن حجم دور الفرد فى الحركة التاريخية — الى ما يمثله بمركزه وموقعه **من قوى** واتجاهات داخل الوطن العربى الجريح . وذلك فى اطـار المواجهة المعاصرة مـع العدوان الاسرائيلى — الامريكى . بمعنى أننا نتخطى «**الملك — الفرد**» الى « **الملك — الظاهرة** » .

وقد أتاح «**الملك — الفرد**» ، أخيرا ، «**للملك — الظاهرة**» أن يتجسـد ، عربيا ودوليا ، فى موقف محدد بدقة من قضية المواجهة المعاصرة للصهيونية بعد أربعـة أعوام ونصف العـام من الاحتلال . ففى الثانى عشر من شهر ديسـمبر الماضى ، صرح لجريدة « **النيويورك تايمز** » ، **قائلا :**

> **« ان الجانب العربى ليس مستعدا للحرب . وليس من حقى أن أجر أى انسـان الى الحرب ، كما أن احـدا لا يستطيع أن يجرنا اليها . ونحن لسنا على استعداد القيام حتى بمجرد خطوة واحدة الا اذا اقتنعنا بسبب مثل هـذه الخطوة ومنطقها » .**

وجاء هذا التحديد الدقيق لموقف «**الملك — الظاهرة**» على صفحات «النيويورك تايمز» الوثيقة الاطلاع والصلات بالقوى الحاكمة والمسيطرة بأمريكا ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه «أزمة الشرق الاوسط» مطروحة بناء على طلب مصر — ربما لاخر مرة — أمام الجمعية العامة للامم المتحدة ، ويمكن القول — دون مغالاة — أن مناقشة الجمعية العامة للازمة ، هذه المرة، كانت على درجة خطيرة من الاهمية . ذلك أنها كانت تجرى فى ضوء ما أصبح يعرف «**بسياسة عام الحسم**» . وهى السياسة التى تبناها الشعب المصرى وأكدها باستمرار الرئيس السـادات ، وتجاوبت معها القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى بصورة عامة . وصار من المتعارف عليه أن «**سياسة عام الحسم**»

تعنى نهاية **موقف الصمود السلبى** ، اثر هزيمة ١٩٦٧ ، وبداية **موقف الصمود الايجابى** . وبتحديد أدق استخدام الارادة والقدرة على التحرك ضد الاحتلال ، عسكريا ، جنبا الى جنب مع التحرك السياسى .

والتحرك العسكرى ، فى هذا الاطار ، يعنى ممارسة عملية تحرير وطنية للارض العربية المحتلة . وذلك حق مشروع — بصفة مطلقة — لكل شعب احتلت أرضه .

وهكذا كانت — وما تزال — رسالة مصر عام ١٩٧١ قاطعة فى مبناها ومعناها الى الرأى العام الدولى : شعوبا ودولا ، ورغم كل المحاولات التى بذلت لتلوين هذه الرسالة — أمام المجتمع الدولى — بألوان تطمس حقيقتها ، فان الغالبية الساحقة لمحت لونها الحقيقى ، وما يوحى به من أخطار . وشرعت — بدرجات متفاوتة — تتحسس مسئولياتها نحو أولئك الذين نفد صبرهم من استمرار الاحتلال ، وتشدد من أصابع اتهامها فى وجه المحتل .

من هنا نشطت القوى الصهيونية ، سجينة استراتيجية العدوان والتوسع .. والتى يلائمها الى أقصى حد استمرار الاحتلال ، الى « العمل المضاد » . وذلك بأسلوبين محددين :

الاسلوب الاول ، يستهدف تصوير عملية التحرير المشروعة للارض العربية المحتلة فى صورة «**حرب**» تستعد مصر لشنها مهددة « السلام العالمى » ، موضع الاهتمام الاول للانسانية المعاصرة . ذلك ان التهديد يتصل بموقع استراتيجى حساس من خريطة العالم ، هو بطبيعته مسرح محتمل لصدام دولى .

وانطلقت نغمة «**الحرب الصغيرة**» التى يمكن أن تتحول الى «**حرب كبيرة**» تتردد بألحان متنوعة ، خلال الاتصالات السياسية والدبلوماسية ، ومنابر الصحف ووسائل الاعلام المختلفة وتعليقات المراقبين الدوليين . وانصب الهدف على خلق «مناخ خاص» فى المجتمع الدولى يؤدى الى هزيمة مصر وسياستها الحاسمة الجديدة فى الامم المتحدة . وذلك على أساس أنها تحضر لحرب عدوانية . وأفرخت الاجهزة المعادية المدربة تدريبا جيدا « جوا هستيريا معاديا للعرب » يستحضر الى ذاكرة الانسانية « جو مايو ١٩٦٧ » ويطل من هنا وهناك حكماء العالم برؤوسهم الوقورة محذرين من أن أى قرار يصدر من الجمعية العامة فيه ادانة للاحتلال الصهيونى وسياسة العدوان الاسرائيلية ، من شأنه أن يشجع المصريين على «المغامرة» بشن حرب .

فى هذا الجو ، بالدقة ، ينفجر « **الملك — الظاهرة**» بقنبلته على صفحات «النيويورك تايمز» ، فيضج « الحكماء » فى اسرائيل وفى أمريكا وفى غير اسرائيل وأمريكا ، صارخين فى وجه العالم : «ألم نقل لكم ؟ ها هو شاهد من أهلهم ! » . وذلك على اعتبار أن «**الملك — الفرد**» عربى اللسان والموقع والصورة .

و « **الملك — الفرد** » يعلم علم اليقين أن أحدا فى مصر أو فى غير مصر من الوطن العربى ، لا يتحدث — فى اطار سياسة الحسم — عن حرب . وانما عن حركة تحرير قومية تستخدم فيها جميع الوسائل بما فى ذلك القوة العسكرية .

صحيح أن الحرب وحركة التحرير ، يشبه كل منهما الاخرى ، من حيث كونهما تعنيان القتال . لكن التشابه فى الحقيقة لا يعدو الشكل . تماما كالملح والسكر ، يتشابهان فى اللون ، غير أن كلا منهما يختلف اختلافا جذريا فى طبيعته ووظائفه وأهدافه . الحرب — مجردة — حركة عدوانية مدانة انسانيا ، أما حركة التحرير فهى حرب مشروعة تلقى التأييد والمساندة من شعوب العالم .

لكن «**الملك — الظاهرة**» — ككل ظاهرة سياسية اجتماعية — لم يتحرك بما يعلمه «**الملك — الفرد**» ، وانما بما يمثله. فاستخدم في تصريحه المخطط عن عمد ، اصطلاح الحرب مجردا حتى لايشذ فى عزفه عن النغمة المدونة فى « النوتة السياسية » الموزعة دوليا .

ولا يقف «**الملك — الظاهرة**» فى تصريحه عند حد عزف النغمة المطلوبة عن «الحرب» وانما هو يقوم بدور اعلامى خاص ، عبر عنه بقوله : « **ان الجانب العربى ليس مستعدا للحرب** » .

هنا نواجه **الاسلوب الثانى** ، للعمل المضاد الذى نشطت اليه القوى الصهيونية — الامريكية للحد من الاثر الدولى لسياسة عام الحسم المصرية ، وهو أسلوب اعتمد على بذر الشكوك فى سياسة الحسم ومحاولة تصويرها على أنها مجرد «نوع من الابتزاز العربى» لمشاعر وعواطف الانسانية المسالمة . وأن العرب — ومن بينهم مصر طبعا — غير قادرين أو غير راغبين فى خوض معارك قتالية . وبالتالى فليس هناك من خطر يستوجب التحرك والتعبئة العالمية من أجله .

ونلاحظ أول مانلاحظ أن التصريح الملكى استخدم تعبير «الجانب العربى» ، وليس الجانب الاردنى مثلا .

والسؤال — الان — لماذا أعطى «**الملك — الفرد**» لنفسه حق التحدث باسم العرب؟

الجواب المنطقى : انه أراد ان يقول ، لكل من يهمهم الامر ، انه لايصدر فى حساباته لاستعدادات العرب للحرب عن مجرد موقف ذاتى أو اقليمى ، وانما كممثل لقوى كامنة فى جيوب عربية ليست لديها الشجاعة — بعد — كى تعلن مثله عن حقيقتها . وبتعبير آخر فهو قد تحدث باسم «**الملك — الظاهرة**» ، ليقول ، أيضا ، لكل من يهمهم الامر : لا تتراجعوا عن مواقعكم التى تحتلونها أمام التهديد المصرى بسياسة عام الحسم. ذلك أن العرب غير مستعدين لمشاركة مصر مسئولية ممارسة سياسة الحسم .

ولكن ، ماذا لو مضى المصريون — رغم كل شىء — على طريق سياسة الحسم ؟ ثم تجاوبت معهم — خلال حركة الجماهير — قوى وطاقات عربية ؟

يسارع «**الملك — الظاهرة**» الى قطع العهد على نفسه ، أمام كل من يهمهم الامر بأن لايسمح لاحد بأن «يجره» الى هذا الطريق .

والترجمة الواقعية لهذا العهد الملكى ، تكاد تعلن : اطمئنوا . فلن يكون هناك تحرك ضد الاحتلال من الجبهة الشرقية . والجيش الذى أكونه — بمساعدة الولايات المتحدة — من مائة الف جندى ، سيقف موقف المتفرج . واذا قدر له أن يتحرك فسيتحرك فى كل اتجاه ، الا اتجاه تحرير الضفة الغربية والقدس .

و «**الملك — الظاهرة**» ، بهذا التصريح العلنى الدقيق — مضمونا وتوقيتا — لصحيفة النيويورك تايمز ، ينظر تنظيرا محددا للغاية موقفه الاستراتيجى الراهن والذى وصل اليه من خلال مواقف تكتيكية تراكمت على مدى السنوات الاربع الماضية عامة . ومنذ النصف الاخير من عام ١٩٧٠ بصفة خاصة .

من أبرز هذه المواقف التكتيكية ، ذلك الانقسام الذى أمكن زرعه ، بطريقة اللعبة التقليدية «فرق تسد» ، بين الجماهير الاردنية والجماهير الفلسطينية على الضفة الشرقية من شرق الاردن . الامر الذى أدى الى تفتيت وحدة نضال الشعبين

العربيين ، فى موقع استراتيجى من مواقع الصدام اليومي المباشر مع العدو : سياسيا وعسكريا . وقد مهد هذا الانقسام لشن حملة الابادة الدموية ضد المقاومة الفلسطينية المسلحة ، بغرض اضعاف وزنها وتأثيرها المادى والمعنوى ، محليا وعربيا واسرائيليا ودوليا . واشغالها بحماية كادرها ، بدلا من الاستمرار فى عملياتها المتصاعدة ضد العدو المحتل. هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ضرب وتصفية القوى الوطنية الاردنية وشلها عن الحركة وممارسة تأثيرها الصحى على نظام الحكم .

وقد أوصل هذا الموقف التكتيكى المعقد الى موقف تكتيكى آخر . هو العمل ، بمعدل سرعة غير عادى وبدعم صريح ومكثف من جانب الولايات المتحدة ، لبناء جيش مسلح بأحدث الاسلحة الامريكية ومشحون بالعداء للوطن العربى عامة والفلسطينيين خاصة .

ولم يفت جميع المراقبين السياسيين فى المنطقة ، حتى الغربيين منهم ، ملاحظة ان مثل هذا البناء الخاص لجيش اردني بالسلاح الامريكي ، لا يتصور أن يكون مع هذا الحجم الضخم الذى يقرب من مائة ألف جندى وتعجز موارد الاردن عن تغطية نفقاته ، من أجل مواصلة حملة الابادة ضد المقاومة الفلسطينية فحسب . كما أنه من المستبعد أصلا أن يستخدم هذا الجيش الخاص أسلحته الامريكية الحديثة ضد اسرائيل . ذلك لان اتفاق توريد الاسلحة الامريكي — الاردنى ، ينص صراحة على عدم استخدام « السلاح الامريكى » ضد اسرائيل سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

واذن فلماذا هذا الجيش الخاص ؟ يجيب المراقبون بأن اهدافه لابد وان تكون عربية . وأكثر هذه الاهداف احتمالا هى سوريا ، وخاصة فى الاوقات الحرجة . والاوقات الحرجة ، فى مفهوم المراقبين تحين بالضرورة اذا ما تحركت سوريا ضد الاحتلال الاسرائيلى من خلال معركة تحرير وطنية .

ولكن ، هل يعنى ذلك أن النظام الاردنى قد اكتفى بتقوقع المملكة داخل حدود الضفة الشرقية ، ولم يعد راغبا فى استرداد الضفة الغربية المحتلة ؟

بالطبع لا . هو راغب فى استرداد الضفة الغربية . ولكن ليس عن طريق حركة التحرير التى تطلق طاقات الجماهير وطموحها المكبوت فى التغيير ، حيث تلتحم من جديد القوى الوطنية الاردنية بالقوى الوطنية الفلسطينية .

بأى طريق اذن ، تسترد الضفة الغربية ؟ بطريق الاتفاق المباشر مع العدو تحت « المظلة الامريكية » .

بيد أنه لكى يتم ذلك لابد من ازالة ، او على الاقل اضعاف « القوى المعادية لابرام الصفقة » فى الاردن أولا . و «**الملك — الظاهرة**» يتصور أن هذا قد تحقق بالفعل وحين ذهب للقاء «**ايجال آلون**» نائب رئيسة وزراء اسرائيل ، على الحدود فى السيارة المرسيدس السوداء ، والذى أكدت الصحف الامريكية حدوثه أكثر من عشر مرات ، تبين أن نيران معارك ابادة المقاومة الفلسطينية لم تكن كافية لانضاج الطبخة .

وهكذا اتفق على القيام بعمل مشترك جديد . وهو المحافظة — بأى ثمن — على حالة اللاحرب واللاسلم الراهنة أطول مدة ممكنة . واغراق العالم العربى فى ضباب اليأس من الوصول الى «**حل عادل**» . سواء عن طريق سلمى بقوة الضغط الدولى أم عن طريق عسكرى بقوة التحرير العربية . . وأمام حالة «محلك سر» العاجزة ،

هذه ، يتقدم «**الملك — الظاهرة** » بشجاعة واقعية ينظم لها تهليلا دوليا واسع النطاق، ويتفاوض مباشرة ومنفردا مع اسرائيل ، التى ترد له أجزاء من الضفة الغربية . ويبدو الامر بالتالى — أمام جميع الشعوب العربية — أن طريق «**الملك — الظاهرة**» هو الطريق الوحيد والممكن واقعيا من أجل الوصول الى «حل» . وبتعبير اكثر دقة : «الاستسلام النهائى » .

والحق أن «**الملك — الظاهرة**» فى هذا كله منطقى تماما مع مصالح القوى التى يمثلها . يجب أن نصارح انفسنا بالحقيقة مهما كانت مرعبة وقاسية . فهذا أفضل من أن نحذو حذو النعامة المشهورة فى تراثنا الفلكلورى . والحقيقة ، التى تؤكدها مئات التجارب — تكشف عن ثمة قوى فى الوطن العربى ، ليس من صالحها أن يحسم الموقف الراهن ضد اسرائيل ، والغريب أن هذه القوى هى نفسها التى تبدو فى عداء عنصرى مقيت ضد اليهود واليهوية . لكن الغرابة تتبدد اذا انتبهنا الى أن استمرار قوة اسرائيل وقدرتها على العدوان ، ضمان موضوعى لها ، ازاء ما يمكن ان ينتج من آثار سياسية واجتماعية ، بفعل نمو وتفجر حركة التحرير العربية الوطنية خلال صدامها مع الاحتلال . وخاصة اذا سجلت انتصارات ، ولو تكتيكية صغيرة .

وبالتالى فان هذه القوى ، ذات المصالح المضادة لحركة التحرر العربية ، لاتحول عدائها العنصرى لليهودية واليهود ، الى عداء لاسرائيل ، كقاعدة عدوان امبريالى فى المنطقة . وليس فى هذا تناقض فالمصلحة أقوى من العداء العنصرى ، لذلك تبتلعه وتهضمه ، وتعود لاجتراره كلما شاءت . ويكفى مثلا حيا على ذلك ، ظاهرة اخرى هى ظاهرة « **الشيخ الجعبرى** » فى الضفة الغربية المحتلة ، يصب كراهيته العنصرية على اليهود واليهودية فى نفس الوقت الذى يتعاون الى أقصى حد مع سلطات الاحتلال الاسرائيلى ، حتى ليستحق بجدارة لقب « **كويسلنج العرب** » .

ورغم أن هذه « القوى الكويسلنجية » لاتمثل — من ناحية الكم — وزنا له اثره فى الوطن العربى ، الا أن حركة التحرير العربية ، وهى تتقدم بخطواتها ، على طريق الحسم اصبحت مطالبة اليوم ، وبالحاح يحتمه واقع المعركة ، أن تحسم موقفها معها ، بنفس الوقت والقدر ، الذى تحسم موقفها مع العدو .

وليس من شك فى أن حركة التحرير لا يهمها فى انطلاقها تعقب أفراد ، مهما كان وزنهم الذاتى . ذلك أن هذا الوزن نفسه يتحول الى لاشىء اذا ماأمكن القضاء على « الظواهر الموضوعية » التى تفرخ عناصرها الذاتية .

ومن هنا فان حركة التحرير العربية مطالبة بتشديد نضالها ضد ظواهر الانقسام الاردنى الفلسطينى ، وعزلة الجيش الاردنى عن أمته العربية ، وحالة محلك سر ، والاحتلال الاسرائيلى للارض العربية .

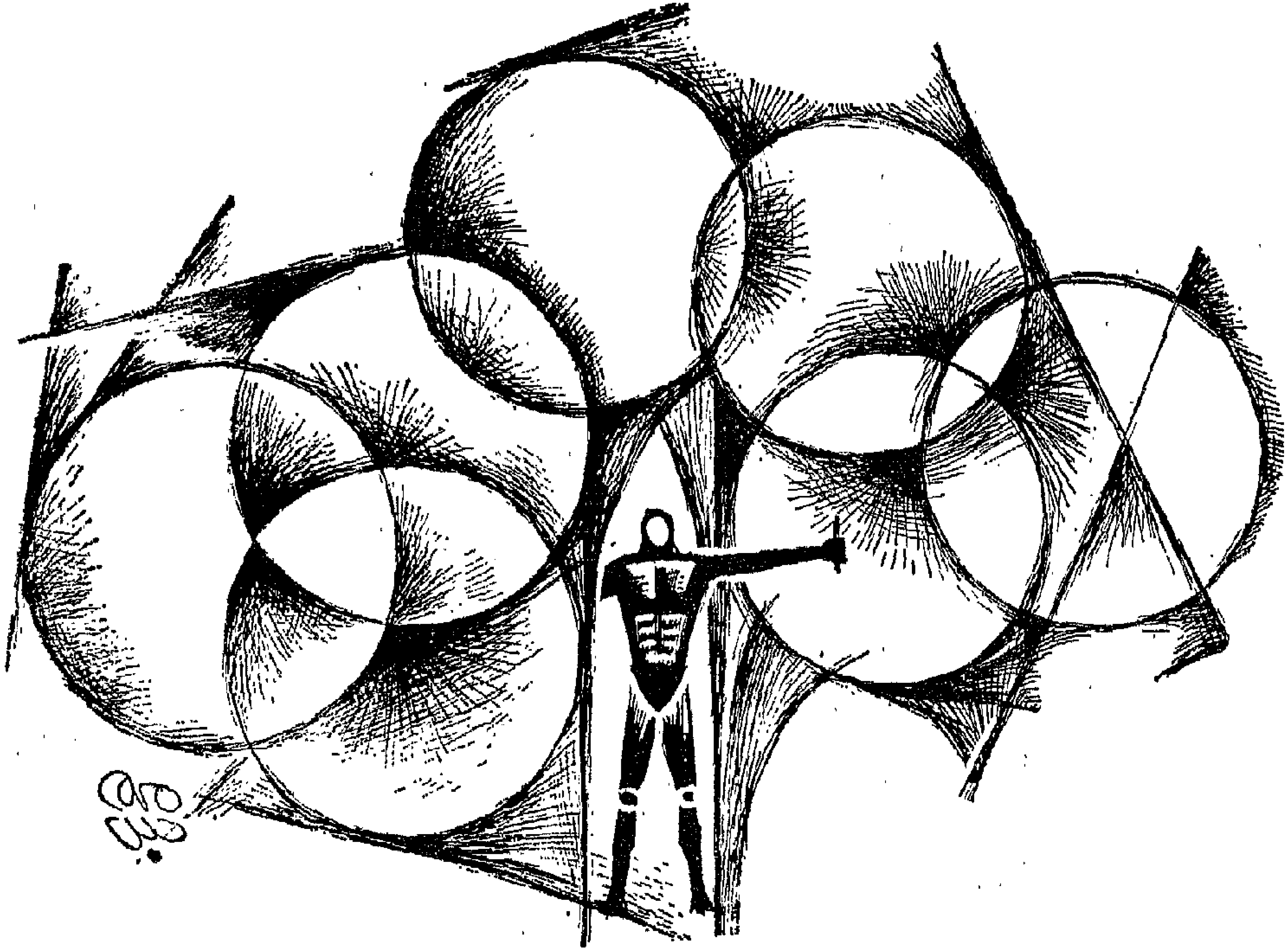
وحركة التحرير العربية ، قادرة بالفعل اليوم ، من خلال وحدة عمل مسئولة ، على خوض طريق الحسم ضد كل الظواهر المريضة فى الوطن العربى . بل وحتى ضد الظواهر السلبية فى قواها الذاتية نفسها .

لنحدد الهدف بدقة . ونتحرك فى اتجاهه بكل كثافتنا الواعية ماديا ومعنويا . ليس مهما أن يعمر «**الملك — الفرد**» مائة عام ، لكن المهم ان لا نسمح «**للملك — الظاهرة**» بالاستمرار او التكرار .

لطفي الخولي

حسابات ١٩٧١ ..
وآفاق ١٩٧٢ ..

- الابعاد الثلاثة فى الصراعات على النطاق الدولى
- حركة التحرر الوطنى من مواقع الانتصار ومواقع الهزيمة
- من الدفاع الى الهجوم على مواقع الاستعمار الجديد
- اعادة تنظيم الدولة ومشاكل البناء الديمقراطى
- حركة الوحدة والصراع فى التحالف الوطنى
- السياسة الاقتصادية وضرورة دعم الرقابة الشعبية
- وقفة ثقافية عند نهاية عام ١٩٧١



اعتادت « الطليعة » أن تقدم فى مستهل كل عام جديد تقييما شاملا وحسابا موضوعيا ، لواقعنا المصرى والعربى ، وللتطورات التى طرأت على المجتمع الدولى خلال عام مضى ، وتستكشف آفاق العام الجديد .

وقد حفل عام ١٩٧١ بالاحداث الهامة على المستويات الثلاث ؛ كما أن قضية الصراع العربى الاسرائيلى ، ونضالنا الوطنى من أجل تحرير الارض المحتلة يجتاز مرحلة حاسمة ، بعد أن أصبحت حالة «اللا حرب واللا سلم» مرفوضة من جانب الشعب والحكومة ، بعد مايزيد عن أربع سنوات ونصف من الدبلوماسية الدولية اللا مجدية ، استنفدت خلالها كل سبل ما أصبح يسمى بالمساعى السلمية .

وفى ظل الواقع الجديد بعد عام حافل بالتغييرات فى خريطة العالم وتضاريسها السياسية ، فان حركة الاحداث تنبىء بالمزيد من التغييرات الجذرية، بما يتسق مع هذا الواقع المتميز .

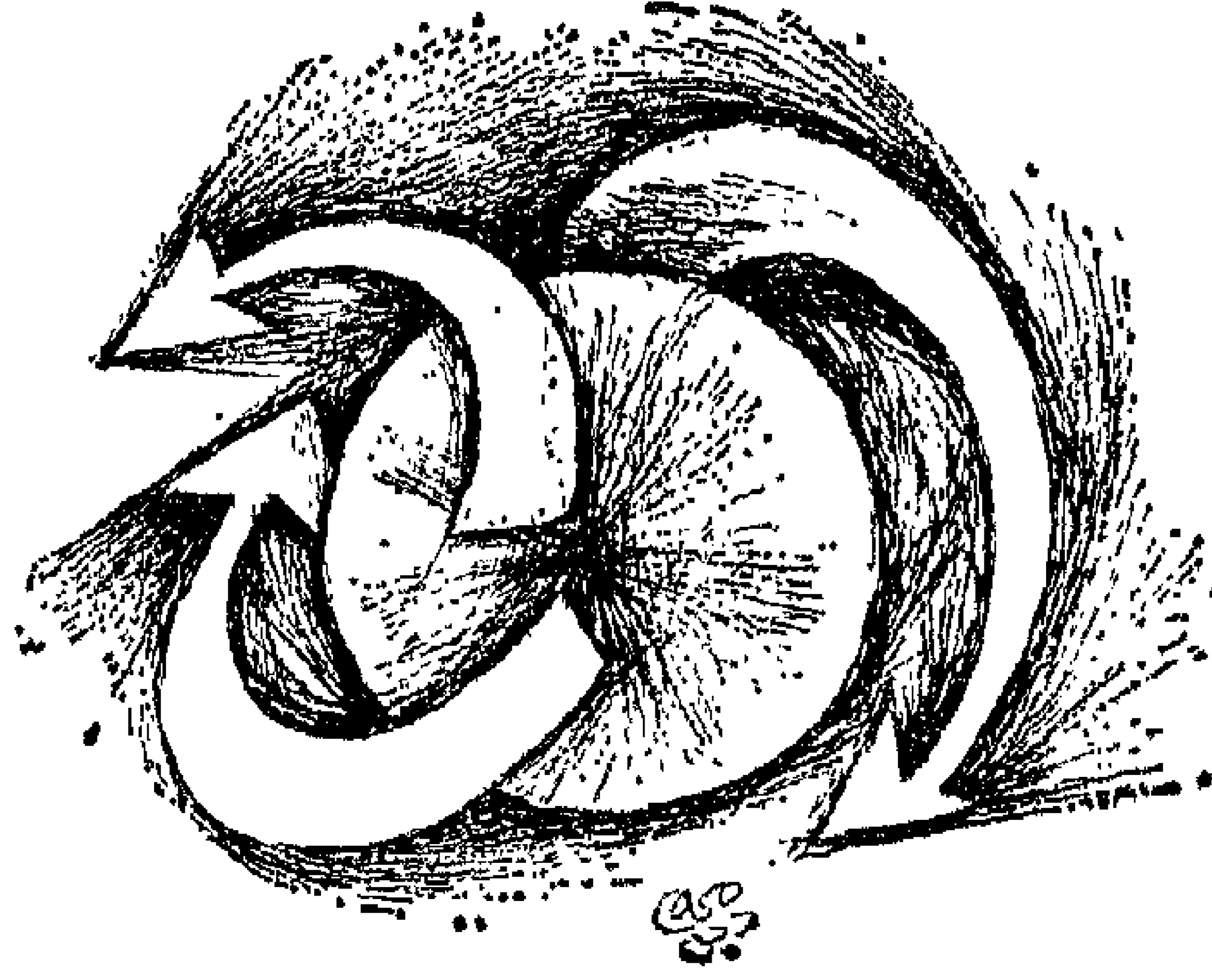
وتتضمن الدراسة آراء واستنتاجات كتابها ، فانها تطرح بعض المشكلات والتساؤلات ، وتثير عديدا من القضايا الخلافية . ولذلك فقد عرضنا المقالات على عدد من المختصين فى كل فرع ، للتعليق عليها ، اذا تراءى لهم اضافة جديد أو نقد اتجاه أو تطوير فكرة .

وتتعرض حسابات هذا العام بالرصد والتحليل لتطورات السياسة الدولية والعربية ، وتولى عناية خاصة لتطور الاوضاع المحلية فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

الأبعاد الثلاثة فى الصراعات



على النطاق الدولى



محمد سيد أحمد

اذا أردنا تحديد « الجديد » فى المجتمع الدولى ، يتعين علينا — منهجيا — ان نلتقط من مجموع الاحداث الجارية ، احداثا بالذات تتعدى دلالتها واثرها على بقية الاحداث ، ما تنطوى عليه من اهمية فى حد ذاتها ، لتطبع حركة الاحداث عموما ، فى صورة تبرزها « كحلقات رئيسية » فيها .

وفى تقديرنا ، هناك حدثان بالذات ، تلازما فى الزمن منذ بضعة اشهر ، رغم انه قد لا يبدو بينهما — للوهلة الاولى — صلة عضوية مباشرة هما :

١ — الزيارة السرية الاولى التى قام بها مستشار الرئيس الامريكى ، **كيسنجر** ، للصين الشعبية ، واتفاق الطرفين على زيارة نيكسون للصين فى بداية العام القادم ، ثم ما جاء بعد ذلك من قبول **الصين الشعبية** عضوا فى الامم المتحدة وفى مجلس الامن ، مع طرد فورموزا من المنظمة الدولية .

٢ — اتفاق الدول الاربع الكبرى على **الوضع الخاص ببرلين** ، الذى وقف حتى ذلك الوقت عقبة أمام التوصل الى تسوية حول المشكلة الالمانية — ووقوع هذا الحدث فى وقت يسجل مستشار المانيا الاتحادية — **فيللى برانت** — نجاحا مؤكدا فى «سياسته الشرقية » سياسة الانفتاح على دول أوروبا الاشتراكية ، بما فى ذلك جمهورية المانيا الديمقراطية . ومجموعة هذه الوقائع تنبىء بفرص مؤكدة لاحداث انفراج فى أوربا ، والتخفيف من حدة التوتر فى هذه المنطقة التى ما زالت تمثل اهم تركيز فى العالم لقوات عسكرية مزودة بأحدث الاسلحة تواجه

بعضها البعض ، وبالتالى تحمل اكثر من اية منطقة أخرى أخطار اشعال حرب عالمية ثالثة — وليس من شك فى أن هذه التطورات فى أوروبا تزيل عقبات رئيسية طالما حالت دون تنفيذ مطمع الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الاشتراكية فى توقيع معاهدة أمن أوروبى ، تمتد لكل دول القارة الاوروبية ، على اختلاف نظمها الاجتماعية .

وليس من شك فى أن هـذين الحدثين لهمـا أهمية « ذاتية » عظمى ، ذلك ان :

■ **الحدث الاول** ، هو أول اتصال مباشر بين **الولايات المتحدة والصين** ،وكانا طرفين أساسيين فى كل استراتيجية المواجهـة بين الاسـتعمار الامريكي — أقوى اسـتعمار معـاصر ، وحركة تحرير شـعوب آسيا ، وهى مواجهة بلغت حـد الحروب المتعاقبة طوال السنوات التى تفصلنا عن الحـرب العالمية الثانية ، (حـرب الصين الاهلية حتى انتصـار الثورة الصـينية ، حرب كوريا ، حرب فيتنام] .

■ **والحدث الثانى** ، هو أول انفتاح له مغزاه بين **المانيا الاتحادية ، ودول أوروبا الاشتراكيـة وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى** . ولتبيان كل ما ينطوى عليه هذا الحدث من اهمية ، يجدر بنـا أن نذكر بأن المانيا الاتحادية اصبحت الان اكبر قوة اقتصادية فى أوروبا الغربية ، وقد بلغت شأنها الحالى « برعاية خاصة » من دول أوروبا الغربية ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة ، لتقف فى وجه أوروبا الاشتراكية ، بعد هزيمة النازية، ومن المعلوم ان النـازية قـد شجعت أوروبـا الرأسمالية نشأتها ، وهيأت لها مقومات قوتها ، بأمل انتقف حاجزا دونانتشـار الثورة الاشتراكية التى اندلعت فى روسيا ، الى بقيـة القـارة الاوروبية .

أهميــة الحــدثين :

تفــوق أهميتهمــا « الذاتية »

ولكن أهمية الحدثين لا تقتصر على ما ينطويان عليه من « أهمية ذاتية » . وللتدليل على أنهمـا **مؤشران** عن تغييرات كبرى تجـرى فى الوقت الراهن خريطة التوازنات العالمية كلها ، وهياكل العالم وملامحه كمـا برزت فى اعقاب الحـرب العالمية الثانية ، فيجوز لنا أن نستخدم **كمقياس** لتبيان هذا التغيير ، ما يحمله الحدثان من تغيير فى **هيكل منظمة الامم المتحدة** ، باعتبارها الهيئة الدولية التى تعكس فى بنيانها خصائص المجتمع الدولى المعاصر ، وباعتبارها « الجهـاز » الذى يجسد « **الشرعية الدولية العصرية** » اى «الهيئة» التى تحـدد **ضوابط التعامل بين الدول** ، كتعبير عن **اشكال الصراع** بين التيارات الكبرى المجسمة لحركة القوى الاجتماعية والطبقية على اتساع كوكبنا .. ومنظمة الامم المتحدة فى انجازاتها ، وكذلك فى أوجه قصورها ، هى تعبير عن هـذه الصراعات . **واهميتها تكمن فى انهـا البـديل الوحيد — على ما تنطوى عليه من أوجه تصور — لاندلاع حرب عالمية ثالثة ، تهدد — مع تطور** أسلحة التدمير الشامل العصرية — بابادة البشرية بأسرها .

وعلى نطـاق المجتـمع الدولى ، يترتب على الحدثين :

١ — اسقاط العقبة (بعد قيام امريكا بالاتصال بالصين) التى طالما حالت دون دخول الصـين الشعبية الامم المتحدة .

٢ — اسقاط العقبة (بالاتفاق حول برلين) التىطالما حالت دوندخول الالمانيتين الامم المتحدة .

وبدخول الالمانيتين المنظمة الدولية ، سقطت عقبة لها أهميتها الكبيرة فى طريق حل آخر مشكلة معلقة فى تمثيل العالم بأسره داخل الامم المتحدة، وهو حل مشكلة الدول المقسمة (المانيا ، كوريا ، فيتنام) — وبذلك **تهيأت الظروف بشكل أساسى لتتسع المنظمة الدولية ، كى تشمل العالم بأسره جغرافيا ،ولتعكس داخلها كلتضاريس السياسة الدولية ، على الاقل فى الصـورة التى تعكس حكومات العالم ، وسياسات دول العالم رسميا وشرعيا .**

والواقع أن المنظمة الدولية باتساعها لتمثيل العالم كله جغرافيا تكتسب خواص تختلف نوعيا عن تلك التى ميزتهـا عنـد نشأتهـا فى اعقـاب الحرب العالمية الثانية مباشرة . ذلك ان منظمة الامم المتحدة ، عند تأسيسها ، كانت تجسيـدا « لتصور العالم » ، وللشرعية الدولية ، علىالنحو الذى **فرضه** انتصار الحلفاء علىالمحور فىالحرب العالمية الثانية، أىجسدت «شرعيتها» **القدر الذى أمكن الاتفاق عليه** بين كبار المنتصرين على انقاض **النازية** ، والمدلولات الاجتماعية والطبقية التى كانت تمثلها .بعبارة ادق ،كانت الشرعية الدولية على النحو الذى جسده **ميثاق الامم المتحدة** ، هو القدر من الاتفاق الممكن لتحديد مصائر عالم ما بعد الحرب بين **الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى**، اكبر المنتصرين فى الحرب ، وكان ينطوى هـذا الاتفاق على القدر من الاتفاق الممكن بين قطب **الراسمالية الاسـتعمارية** من جـانب ، وقطب **الاشتراكية** من جانب آخـر ، بعـد هزيمة اكثر اتجاهات الراسماليةالاستعمارية العصريةتعصبا ورجعية (**الفاشية**) ، وكان هـذا الاتفاق هو البديل المكن الوحيد لنشوب حرب جديدة — بعد هزيمة النازية ، بين قطبى **الصراع الايديولوجى** على اتساع كوكبنا .

وقد تحدد فى ميثاق الامم المتحدة المركز «الممتاز» المخول لهاتين الدولتين تحديدا ، بالاتفاق على تحديد **سلطات مجلس الامن** ، وحق **النقض** لدول خمس كبرى ، الاعضاء الدائمين فى المجلس ، كان بينهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وجسدا أكثر من غيرهما قطبى المواجهة فى عالم ما بعد الحرب .

عنصر « التكنولوجيا » يفرض قيدا أعلى على المواجهة « الايديولوجية »

وكان من شأن **المواجهة الايديولوجية بين** هذين القطبين ان تفضى الى **استقطاب مطلق** على اتساع العالم باسره فى أعقاب الحرب (**فترة** الحرب الباردة فى الاربعينات وبداية الخمسينات) بين قوى **الاستعمار العالمى** ، وقوى الشعوب فى نضالاتها التحريرية ، وان ينتهى الامر **بحرب عالمية ثالثة** تمزق بنيان المنظمة الدولية ، وتترك للقوى المتصارعة فرصة « الاندفاع الطليق » ، لولا تدخل **عنصر تكنولوجى** وضع **قيدا أعلى** على ممارسة هذه الصراعات **بكل** الطرق المتاحة ، بما فى ذلك **اسلوب الحرب الشاملة** . هذا العنصر الذى ينتسب فى طبيعته الى عنصر **التكنولوجيا** ، **لا الايديولوجية** ، وتكنولوجيا السلاح بالذات ، هو امتلاك طرف ، ثم الطرفين معا ، سر الاسلحة النووية ، ثم النووية الحرارية ، وهى أسلحة — اذا ما استخدمت — تحمل خطر ابادة ، لاطرفى الصراع فحسب ، بل البشرية باسرها كذلك .

وكان من شأن هذا **القيد الاعلى** انه قد الزم طرفى المواجهة الايديولوجية فى العالم ، بالبحث عن وسائل تجنبها التصعيد بالمواجهة بينهما الى حد الحرب النووية الشاملة . وكان لابد أن ينطوى هذا **الحد** من الاستقطاب بينهما ، على فرص أصبحت متاحة لقوى أخرى على مسرح السياسة الدولية ، كى تكتسب مزيدا من حرية الحركة ومن حرية المناورة السياسية . وبالفعل فقد لازم هذا الحد من الاستقطاب الدولى ، بروز « **منطلق عدم الانحياز** » ، وكذلك ، نشأت ظروف أكثر مواتاة كى تستعيد أوربا ، واليابان والدول عموما التى تعرضت لاهوال الحرب العالمية الثانية ، استقلالية سياسية نسبية ، تتناسب بشكل أدق نمو قوتها الاقتصادية ، والمركز الدولى الذى استردته كلما ابتعدت سنوات الحرب .

كما كان من شأن هذا الحد من الاستقطاب الدولى أن اكتسبت منظمة الامم المتحدة اهمية اكبر كمجال يمكن داخله تسوية اكثر النزاعات الدولية التهابا ، والبحث عن حلول لها تجنب الدول العظمى المواجهة الساخنة فيما بينها .

وقد انفتحت المنظمة الدولية لتضم اليها **الدول** الحديثة الاستقلال التى نالت استقلالها **مع انهيار** النظام الكولونيالى [فى افريقيا **بالذات**] ، **واتسعت** الشرعية الدولية لتستوعب داخلها **تغييرات هامة** طرأت على خريطة العالم **مع استمرار تدفق** الحركة الثورية (فى العالم **الثالث بالذات**) ، غير أن الولايات المتحدة ، بسبب تمتعها **بأقوى** مركز داخل المنظمة الدولية ، نجحت فى أن تحول دون دخول الصين الشعبية ، وكان بقاؤها خارج الامم المتحدة تجسيدا حيا « **للحدود** » التى ظلت تميز الشرعية الدولية ، وعجزها عن أن تتسع لتستوعب العالم بكل ما تنطوى عليه من منطلقات تجد تجسيدها فى دول العالم على تنوعها ومنها دولة تعدادها ربع البشرية .

ظهور « قطب ثالث »

وكان من شأن بقاء الصين خارج المنظمة الدولية ، بوزنها الذاتى الخطير ، ان استقطبت حولها قوى سياسية عديدة لا تجد فى الشرعية الدولية — كما هى قائمة — تمثيلا لها ، وبهذه الصفة ، برزت على مسرح السياسة الدولية **كقطب ثالث** متميز عن القطبين داخل المنظمة الدولية ، واستمرت تتسم بهذه الصفة خارج الامم المتحدة ، حتى لحقت — تكنولوجيا — وعلى انخفاض مستوى المعيشة فيها — بالدول الاخرى الاكثر تطورا التى تملك القنابل النووية ، والاقمار الصناعية ، وأصبح فى مقدورها ان توجه ضرباتها النووية الى أى مكان فى العالم ، بما فى ذلك الولايات المتحدة ، ووقتئذ لم تجد امريكا بدا من ان تفتح باب التعامل المباشر معها .

● لقد استقطبت الصين حولها — بالقدر الذى كان من شأنها ان تقف فى مواجهة القطبين الاخرين [**الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى**] داخل المنظمة الدولية ، منطلق التيارات السياسية والاجتماعية التى نشأت خلال سنوات ما بعد الحرب ، ولا تجد ما يمثلها فى الشرعية الدولية ، كما هى مقررة داخل المنظمة .

● كما ظل يرمز بقاء المانيا خارج المنظمة الدولية لاستمرار الادانة — بمنطق الشرعية الدولية — للقوى التى أقيمت هذه الشرعية على انقاضها .

ان دخول الصين الشعبية ، والمانيا ، المنظمة الدولية فوق ما ينطوى عليه من تغيير فى مركز الامتين الصينية والالمانية على الصعيد العالمى ، يسقط عن المنظمة الدولية صفتها « ككيان دولى » تتحدد « احداثياته » بمقتضى ما كان عليه العالم فى اعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة (كل التغييرات فى المنظمة التى تسبق **ما يجرى له من**

تغيير الآن تعتبر مجرد تغييرات « كمية » لم تنل من وضعية الامم المتحدة جوهريا].

ليكسب المنظمة الدولية « أحداثيات جديدة » ، احداثيات « عالم اليوم » ، بما جرى له من تغيير على المسرح العالمي خلال ربع القرن الذي يفصلنا عن الحرب العالمية الثانية ، ولذلك نقول أن الحدثين اللذين بدأنا بهما تحليلنا ، هما تعبير عن « طفرة كيفية » في العلاقات الدولية العصرية وفي مكونات وهياكل عالم اليوم .

سمات مميزة للموقف الجديد

ما هي السمات المميزة لهذه الطفرة الكيفية :

□ **أولا** — انها لا تأتي بعد حرب عالمية وقعت، كما حدث عند تأسيس الامم المتحدة منذ ربع قرن ، أي في أعقاب حدث انتهى ببروز طرف منتصر مجدد المعالم ، وطرف مهزوم محدد المعالم ، بل تبدأ هذه الرحلة الجدية في وضعية عالمية يسودها « السلم » عموما ، بلا منتصر حاسم فيها ، ولا مهزوم حاسم فيها ، حالة « سلم » لا بديل شامل لها — بالحرب — الا الابادة الشاملة لطرفي النزاع معا . ومن هنا كان من المحتم أن تكون المقاييس في استطلاع معالم المستقبل اكثر ميوعة ، واستكشاف الاحتمالات الأكثر ترجيحا لتطورات الموقف يحيطه قدر أكبر من الصعوبة .

□ **ثانيا** : اتسمت الفترة السابقة ، بالمركز **الاقوى** الذي تمتعت به الولايات المتحدة على اتساع المجتمع الدولي ، بأن **امريكا** استطاعت — بقدرتها على أن تحول دون انتماء **الصين** الى المجتمع الدولي ، على الأقل في كيانه الرسمي — أن تحدث تصدعا في صفوف القوى **الاشتراكية** العالمية ، دون ان يقابل هذا التصدع تصدعا مماثلا في **النظام الاستعماري العالمي** ، ذلك أن امريكا احتفظت طوال هذه الفترة بهيمنتها الاساسية وبمركزها القيادي على نطاق العالم الامبريالي كله ، أيا كانت التناقضات التي تلازم النظام الامبريالي ، وتنبع من صميم كيانه وطبيعته . الا أن فشل الولايات المتحدة في أن تبقى الصين بعيدة عن المجتمع الدولي ، بعد أن ثبت لها ضرورة اجراء اتصال مباشر بها ، وبعد أن سقطت قدرة امريكا على استمرار ابعادها عن الامم المتحدة كان مؤشرا عن أن امريكا قد فقدت قدرتها على أن تحتفظ بهيمنتها — في المواجهة **الايديولوجية** بين العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي — على كافة القوى الرأسمالية والاستعمارية في العالم .

وكما جرى تصدع في عالم الاشتراكية منذ عقد من الزمان ، فنشهد الان تصدعا مماثلا ، وتمايزا يتأكد بين أطراف ثلاثة في عالم الرأسمالية : الولايات المتحدة ، وأوروبا — كوحدة ، واليابان . وليست **أزمة النقد الدولية** وأزمة **الدولار** بالذات الا صورة من صور الصراعات التي أصبحت تحتدم بين الاقطاب الثلاثة ، كتعبير عن زيادة أوجه التباين بينهما ، وعن فقد امريكا مركزها كالقوة المهيمنة وحدها على مصائر الرأسمالية المعاصرة . وتغيير **انجلترا** موقفها من السوق الاوروبية المشتركة بدخولها السوق بعد تردد طويل ، مظهر آخر من مظاهر هذا الاستقطاب داخل نطاق العالم الرأسمالي ، وتعبير عن استحالة استمرار اعتماد انجلترا على « علاقاتها الخاصة » مع امريكا فقط ، مع بقائها بمعزل عن كيان أوربا الاوسع .

□ **ثالثا** : غير أن هذا التفسير في أبعاد المواجهات الاساسية في العالم ، باكتسابها سمة المواجهات بين اقطاب **خمسة** ، بدلا من **اثنين** في الاربعينات وبداية الخمسينات [**الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي**] **وثلاثة** في الستينات [الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين] ، وذلك بعلاقات معقدة في تعامل هذه الاقطاب الخمسة فيما بينها ، من شأنه **شد الانتباه العالمي الى القواعد التي تحكم العلاقات بين هذه الكيانات الدولية الجديدة** ، ويترتب على ذلك الخوف من أن تنتقل محاور التحرك في العالم الى « اللعبة الدولية » المحكومة بعلاقات هذه الكيانات الدولية فيما بينها .

ولما كان أربعة منها تنتمي الى العالم المتطور، فيخشى من هذه السمة الجديدة للتعاملات الدولية ان يترتب عليها **ارتداد** مشاكل ساخنة أخرى الى الخلف ، وبالذات المشاكل المتفجرة في العالم الثالث ، أي في قطاع العالم المتخلف **تكنولوجيا** ، ومما يستحق التأكيد في هذا الصدد ، مع زيادة البون اتساعا بين العالم المتقدم والعالم المتخلف أن المشاكل المستحكمة في العالم الثالث من شأنها أن تزداد التهابا خلال العقود القادمة ، ما لم تكتسب اهتماما مركزا من جانب المجتمع الدولي بأسره ، ومن الدول المتطورة بالذات . والتغييرات التي تعتري عالم اليوم ليس من شأنها أن تولي هذه المشاكل ما تستحقه من اهتمام . ولا أن تكتسب لها في الاولويات المكانة التي ينبغي أن تحتلها .

□ **رابعاً** : هذه الخواص الجديدة لعالم اليوم تضع المواجهة بين قضية **التكنولوجيا** وقضية **الايديولوجية** فى اطار جديد . ذلك ان الثورة **التكنولوجية** من شأنها زيادة التباعد بين العالم المتطور والعالم المتخلف ، وتؤكد تقسيم العالم حسب **خط افقى** يفصل — بشكل عام — بين الشمال والجنوب . (هذا بينما كانت الثورة الاجتماعية ، والمواجهة **الايديولوجية** فى العالم ، تحدد **خطا رأسيا** يفصل الشرق عن الغرب) .، والان ، بانضمام الصين الى الامم المتحدة ، وبانتمائها الى المؤسسات التى تجسد « **الشرعية الدولية** » . فينبغى أن نتوقع بروز « **بعد ثالث** » (بالمعنى الهندسى للكلمة ، بعد الخط الافقى ، والخط الرأسى اللذين حددناهما فيما قبل] « **بعد** ثالث » يفصل بخط **يمتد عمقا** ، بين خريطتين للعالم : خريطة العالم **كدول فى مستوى أعلى** ، ذلك بعد اتساع « الشرعية الدولية » لتحتوى داخلها كل سطح كوكبنا جغرافيا ، وخريطةأخرى للعالم **فى مستوى أدنى** ، ترسم تضاريس العالم وملامحه « **كحركات** » . أى بعبارة اخرى ، بدخول الصين الشعبية الامم المتحدة ، سقط القطب الدولى القادر على استقطاب كافة « الحركات » المتمردة على الشرعية الدولية ،التى لا تجد فيها ما يحقق لها « حقها » فى الوجود . وبسقوط هذا القطب الدولى على نطاق « **الدول** » أصبحت ملامح العالم « **كحركات** » تتحدد على مستوى منفصل ، ومتميز عن المستوى الذى تبدو فيه خريطة العالم « كدول » ، واصبحت « حركات التمرد » ، بدلا من أن تحتل قطاعات بالذات من خريطة العالم **جغرافيا** ، وتتواجد **متناثرة** على اتساع العالم ككل (وأن كان ذلك بتضاريس متفاوتة فى هذا القطاع أو ذاك منه) ، وفى مستوى يختلف عن مستوى التعامل بين الدول « كدول » .

طبعا ، لا يعنى ذلك انالصين ، بمجرد دخولها المؤسسات الدولية ، ستتخلى عن منطلقاتها السابقة التى وجدت فيها قوى سياسية مختلفة لم يعترف بشرعيتها دوليا ، عونا وتأييدا .وكذلك لا يعنى نشأة هذا « البعد الثالث » نفى تقسيم العالم الى « دول » تنتمى بعضها الى **ايديولوجية** تقدمية ، وينتمى بعضها الاخر الى ايديولوجية رجعية واستعمارية .. غير أنه أصبح من الممكن أن يقال أن هناك **مقابلة** بين المواجهات التى تتم على مستوى « **الدول** » وهى مواجهات **تحكمها** فى حساباتها **التكنولوجيا** (بما فى ذلك تكنولوجيا السلاح) ، كأساس لتحديد العلاقات المتبادلة فيما بينها ، ذلك بينما تتسم ملامح العالم على مستوى « الحركات » ، بأن العنصر الغالب فيها هو عنصر « **الايديولوجية** » ، والمواجهات الايديولوجية ، وليس شرطا ان يبرز هذا العنصر فى العلاقات بين دول ، بل قد يبرز بالذات فى صورة مواجهات داخل كل **مجتمع على حدة** ، أى فى صورة مواجهات فى العمق بين شرائح **وطبقات اجتماعية** داخل مجتمع واحد ، أو بين **الاجيال داخل مجتمع واحد** .. وعلى نحو نجد لها مقابلات تمتد **بالتماثل** على صعيد أكثر من مجتمع .

ان هذا « البعد الثالث » ذات اهمية بالغة فى التغييرات التى تعترى ملامح العالم اليوم ..

ويجوز هنا ان نشير الى حقيقة اضافية ينبغى أن تجذب انتباهنا ، وهى أن مجرد حدوث هذا التغيير الواسع علىالصعيد العالمى وبهذا الشكل المفاجىء يحمل فى طياته حقيقة أن « **حركات** » **عديدة ظلت خلال الفترة السابقة « نائمة » « ومكبوتة » بحكم « طغيان » الهياكل الدولية القائمة ، وتحت تأثير الاحساس . أو التصور باستقرار ورسوخ التوازنات بين القوى الدولية، يمكن لها ان تنطلق فى مرحلة التغيير دون أن تملك قوة السيطرة عليها .**

وليس من باب المصادفة ان تشهد هذهالمرحلة تفجر قضايا دولية متنوعة ، يصعب نسبتها الى نوعيات الايديولوجية التى اكتسبت الاعتراف بشرعيتها دوليا . وهى قضايا فى أغلبها تخص دولةبعينها، أو «مجموعة دول» كوحدة،أو بالذات قضية الدول التى تم تقسيمها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية [فلسطين بعد اقامة اسرائيل الهند وباكستان ، فيتنام ، كوريا ..] قبل أن تخص المواجهة بين أكثر من دولة متميزة كل التمايز .. هذا من صميم خصائص العصر، وليس من الظواهر « العرضية » التى يجوز اغفالها فى أى تحليل عام عن التغييرات التى تعترى عالم اليوم ..

تعليق

السباق التكنولوجي في خدمة الصراع الطبقي

الجديد فى المجتمع الدولى الذى كتبه الاخ محمد سيد احمد الطليعة تحت عنوان « الابعاد الثلاثة فى الصراعات على النطاق الدولى » . هو أن علاقات القوى العالمية او الصراع فى مجال العلاقات الدولية قد تخطت نتائج الحرب العالمية الثانية وهى فى طريقها الى تشكيل اشكال جديدة فى علاقات القوى العالمية .

واستند فى هذا الاستنتاج الى حدثين لهما آثار بعيدة فى المجال العالمى .

أولا : زيارة كيسنجر للصين ودخول الصين الامم المتحدة .

ثانيا : اتفاق برلين بين الدول الاربع واحتمال دخول الدولتين الالمانيتين الامم المتحدة اى قبول الامر الواقع فى أوروبا .

حقا ان تدعيم الامم المتحدة واتساع رقعة الشرعية الدولية المعاصرة لتشمل الاغلبية العظمى من الكرة الارضية هو حدث يترك بغير شك آثارا بعيدة على مستقبل العلاقات الدولية وانا أوافقه على ذلك ، وان كنت ارى أن الحدثين الهامين ليسا الا مظهرا أو تتويجا لكفاح طويل استمر منذ الحرب العالمية الثانية الى اليوم — واتجاه هذا الصراع او الكفاح سوف يحدد بلا شك شكل ومستقبل العلاقات الدولية الى حد كبير .

فزيارة كيسنجر ودخول الصين الامم المتحدة هو اقرار الولايات المتحدة بنجاح الصين الاشتراكية فى بناء مجتمعها وفق ظروفها الخاصة وبانها أصبحت احدى الدول العظمى النووية والمتقدمة وكذلك وبالتالى اعتراف مبدئى بهزيمة فكرة الحروب المحدودة والحروب الخاصة — اذ أن الحروب المحدودة منذ الحرب العالمية الثانية التى تمت فى آسيا لم تستطع ان تحقق غرضا واحدا للاستعمار الامريكى — ونضال الشعب الفيتنامى البطولى وشعوب الهند الصينية ، والشعب الكورى لعبت دورا كبيرا فى اثبات انه من الصعب هزيمة الحركة الثورية المسلحة فى اى بلد اذا تواجدت له قيادة ثورية استطاعت ان توحد اغلبية الامة وراءها ، وان الاسلحة المتعددة تكنولوجيا عجزت عن انزال الهزيمة بقوات التحرير الوطنية الثورية . بل ان أمريكا وحلفائها يواجهون هزائم متكررة فى الهند الصينية . وقد كانت مساعدات الاتحاد السوفيتى والصين لشعوب هذه البلاد احد العوامل الهامة فى تمكين هذه الشعوب من الصمود — اذن فالاعتراف بالصين ودخولها الامم المتحدة هو تتويج لصراع سوف ينعكس اثره على مستقبل العلاقات الدولية وخاصة بين أمريكا والامم الناهضة ، هذا بغير الجوانب الاقتصادية التى تحسبها أمريكا لعلاقاتها المستقبلة مع سوق الصين الواسع وهو أمر سوف يترك آثارا هامة على اسلوب العلاقات الدولية بلاشك .

اما اتفاق برلين فهو تكملة للمعاهدة الالمانية السوفيتية والالمانية البولندية وهو اعتراف بهزيمة السياسة الامريكية الالمانية منذ الحرب العالمية الثانية — سياسة الاطلنطى وسياسة الحرب الباردة وسياسة عدم الاعتراف بالامر الواقع الاشتراكى فى أوروبا ، سياسة القيود التجارية مع العالم الاشتراكى — وظلت هذه الامال تتراوح بين الصعود والهبوط فى مواجهة سياسة التعايش السلمى والتعاون الدولى والامن الاوروبى الشامل وحل المشكلة الالمانية التى كانت ترفعها البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى — حتى اقتنعت المانيا الغربية فى عام ١٩٧٠ بعد التدخل المسلح فى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ انه لا يمكن للقوة أن تغير الاوضاع الاشتراكية فى أوروبا . وأن المانيا الديمقراطية هى حقيقة حية متقدمة متطورة فهى سابع أو ثامن دولة صناعية فى العالم . وانه ليس امام اوروبا والمانيا الغربية سوى التعامل على قدم المساواة مع الواقع الاشتراكى الاوروبى — اذا ارادت أوروبا أن تحافظ على مصالحها الخاصة .

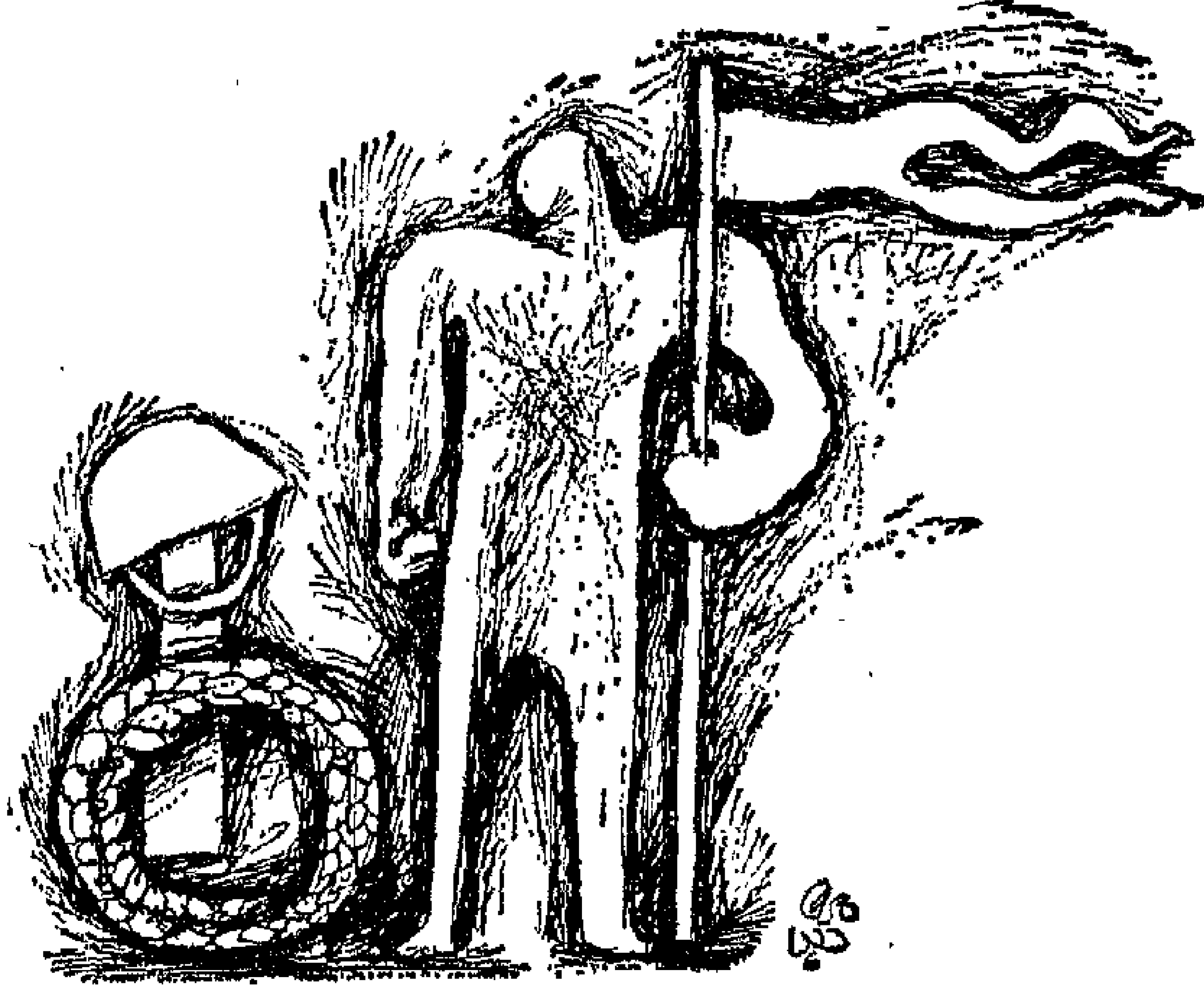
التعدد فى مراكز القوى الدولية الاشتراكية الصين والاتحاد السوفيتى مع أوروبا الاشتراكية والراسمالية أمريكا أوروبا الغربية واليابان هى حقيقة العصر . وسوف يخدم هذا بلاشك مستقبل العلاقات الدولية لانه قام على اثر نضال طويل ثبت نجاح سياسات وفشل بعضها ، سوف يؤثر ذلك كما قلت على مستقبل العلاقات الدولية اذ سوف ترى القوى الدولية مصلحتها بقدر الامكان والابتعاد عن استخدام القوة ، واللجوء الى اشكال أخرى من الصراع فى ظل الشرعية الدولية أى أن الصراع سوف يتخذ اساليب أخرى فى ظل تعايش سلمى وتعاون دولى . وهذا سوف يخدم كفاح شعوب العالم الثالث وحكوماتها من أجل تصفية آثار الاستعمار الباقية واللحاق بركب التقدم ، وتحقيق التقدم الاجتماعى أو تهيئة الظروف للثورات الاجتماعية .

أما الابعاد الثلاثة للصراع الافقى والرأسى والعمق فرأيى اننى لا أتفق مع وجهة نظر الاخ محمد سيد احمد فى كل كلامه — لتداخل عوامل الصراع بصورة تجعل هذا التحديد ليس سليما — فالمواجهة بين الايديولوجية والتكنولوجية ليست صحيحة تماما — فالملحوظ من تجارب الحقبة السابقة أن هناك سباقا وصراعا تكنولوجيا ، ولكنه أيضا يكون لخدمة الايديولوجيا أو لخدمة الصراع الطبقى على المجال العالمى بل والمحلى أيضا فنجاح الصين والاتحاد السوفيتى تكنولوجيا قوة للشعوب المكافحة — فتقسيم العالم أفقيا الى شمال متقدم وجنوب متاخر هذا صحيح ولكن الصراع لا يتم من الجنوب عموما والشمال عموما . فالاتحاد السوفيتى وأوروبا الاشتراكية والصين يخدم كفاحهم فى التقدم التكنولوجى شعب فيتنام ومصر والجزائر وكوبا وشيلى وكل بلاد العالم الثالث المتخلف ونوع العلاقات بينهما مختلف عن علاقات هذه البلاد مع أمريكا وأوروبا الغربية مثلا .

أما صراع العمق أو دور الحركات الاجتماعية خارج ما يسميه الاخ محمد سيد احمد بالشرعية الدولية ، فانى أرى أنه كان موجودا فى الفترة السابقة وأخذ دوره المتزايد . واعتراف العالم به ينمو حتى لقد صلنا اليوم الى حالة أصبح معها صراع العمق فى بلد معين أو فى مجموعة من البلاد يترك آثارا عالمية ، وتاييدا حيا من الشرعية الدولية ، والكفاح ضد العنصرية فى امريكا وأفريقيا يجد صدى من مجموعة الدول الافريقية والبلاد الاشتراكية ومجموعة عدم الانحياز وكل الامم المتحدة . كفاح شعب باكستان مثلا وان كان كفاحا قوميا الا انه — فى جوهره صراع اجتماعى على وشك الحصول على الاعتراف مع كل الصعوبات — كفاح شعب فلسطين يزداد عدد المعترفين به — بل ان النفوذ فى مراكز القوى الدولية واتساع رقعة الشرعية الدولية سوف يخدم هذا الصراع فى المدى الطويل . اذا فجوهر الصراع الطبقى على المجال العالمى يتخذ وسائل متعددة أولها الصراع تحت مظلة الشرعية الدولية وثانيا السباق العلمى والتكنولوجى . ثالثا : الصراع من أجل اخراج العالم الثالث من دائرة النفوذ . ورابعا : مساعدة نضالات العمق لتخدم اهداف التقدم الانسانى .

ومهما حدث من اتفاقات قومية بين بعض القوى الاشتراكية وبعض القوى الراسمالية قبل اتفاق وجهة النظر الصينية والامريكية فى بعض الامور فان هذه الاتفاقات ستبقى آثارها محدودة ولن توقف الصراع الطبقى على المجال العالمى أو اتجاه مسيرته . والا فان القطب الذى يقبل وقف اتجاه هذا الصراع فانما يعلن — تقريبا رغبة تخليه عن دوره العالمى ، وهذا كما هو واضح يستبعد حتى الان . ومهما برزت المصالح القومية فى المكان الاول للقوى المتعددة فستظل لعوامل الصراع الطبقى الاجتماعى قوة الشد الاقوى متفاعلة مع المصالح القومية على المدى الاطول للقوى المتعددة الاشتراكية والراسمالية على السواء .

خالد محى الدين



حركة التحرر الوطني

من مواقع الانتصار ومواقع الهزيمة

حسين عبد الرازق

تعرض مسار حركات التحرر الوطني على امتداد القارات الثلاث « افريقيا — آسيا — أمريكا اللاتينية » ، لعديد من التطورات والتغيرات خلال عام ١٩٧١ . وبقدر تنوع الدروب التي سلكتها على الطريق ، واختلاف القوى التي واجهتها وتعرضت لها ، تراوحت المحصلات بين السلب والايجاب .

ورغم انتماء كثير من الملامح الرئيسية لحركة التحرر الوطني خلال عام ١٩٧١ ، لنفس المسار خلال الاعوام السابقة ، الا أن هذا العام حمل معه بعض الظواهر الجديدة ، وان امتدت بدايات منها الى العام السابق أو أبعد من ذلك قليلا .

رياح التغيير في أمريكا اللاتينية

في عام ١٩٧١ اكتملت صورة الرفض والثورة في أمريكا اللاتينية .. وأثبتت الاحداث أن الدم عاد يتدفق من جديد في جسم الثورة ، بعد سنوات طويلة من الركود والفشل . لقد سادت امريكا اللاتينية مع نجاح الثورة في كوبا موجة من التفاؤل (الرومانسي) ، واصبحت كوبا **كاسترو وجيفارا** ، نموذجا لاغلب القوى الثورية النشطة في المنطقة . وسرعان ما تضاءلت الامال . ووصلت في لحظة الى حد التشبث بأن تبقى كوبا فحسب خاصة بعد انهيار بؤرة حرب العصابات الثورية في **بوليفيا**، وغياب أرنستوشي جيفارا الى الابد فوق ترابها .

ولكن الصورة عام ١٩٧١ تبدو مليئة بأضواء وظلال الرفض والتمرد والثورة . ومهما بدا الطريق مغايرا لملامح الحلم القديم ، فلاشك أن امريكا اللاتينية دخلت عام ١٩٧١ مرحلة جديدة في العمل من أجل تحررها الوطني .

ويسجل « **جون بارتز** » كبيرمراسلي **نيوزويك**، بعد حضوره الاجتماع السنوي لوزراء خارجية

دول أمريكا اللاتينية فى **كوستاريكا** فى شهر مايو الماضى ، هذه الحقيقة قائلا :

● ليست هذه أيام سعيدة لمواطنى **الولايات المتحدة** فى أمريكا اللاتينية . فابتداء من سفراء أمريكا المحكوم عليهم بالحياة فى ظل اعتقال وقائى حقيقى ، محاصرين بجيش من الحراس الخصوصيين ، الى الزوجات المحكومين بقائمة من الواجبات والمحظورات . والحق فى جانب الامريكيين اذا انتابهم شعور بأنهم قوم غير مرغوب فيهم من جانب جيرانهم اللاتينيين . لقد تعرض الرسميون الامريكيون للاختطاف والقتل، وانتزعت ملكيات الشركات الامريكية (أممت) ، وأسرت سفن الصيد ، وألقيت القنابل على المكاتب والمصانع الامريكية، وتتجه حكومة **شيلى الماركسية** بسرعة نحو تأميم صناعة النحاس التى تساهم فيها الولايات المتحدة الامريكية بسبع مائة مليون دولار . واستولت الانظمة العسكرية اليسارية فى بيرو وبوليفيا ، على أهم الاستثمارات الامريكية فى بلديهما ، وهى شركات البترول . وأصبح العداء لامريكا هو الشعار الذى يرفعه اليمين واليسار فى الارجنتين فى محاولة للوصول الى السلطة بعد انتهاء عدة سنوات من الحكم العسكرى . حتى جويانا البالغة الصغر ، وهى الدولة الوحيدة فى أمريكا الجنوبية التى تتكلم الانجليزية ، قررت وضع يدها على صناعة البوكسيت المملوكة لرؤوس أموال أجنبية (وتساوى عدة ملايين) وتدفع قيمتها من الارباح المستقبلة . والاستثناء الوحيد من هذه الظاهرة ، حيث يطمئن رجال الاعمال الامريكيين وساسة واشنطن ، الى عدم وجود مشاعر معادية لهم ، هى هذه البلاد المحكومة بانظمة تقوم على القمع والارهاب (كحكومة جنرال اميليو جاراستازو ميديكى فى البرازيل) ، وهى نتيجة محزنة وشهادة محرجة، لعشر سنوات و ١٢ بليون دولار كرست لبرنامج التحالف من أجل التقدم الامريكى ... » .

وتقف وراء هذه الصورة الواعدة مجموعة من العوامل الهامة :

● فبرنامج « **التحالف من أجل التقدم** » الذى طرحته أمريكا كعلاج حاسم لسحب التمرد والثورة ، فى أعقاب نجاح الثورة الكوبية ، انتهى الى فشل حقيقى . فلم يتحقق الهدف الاقتصادى الرئيسى للبرنامج ، وهو تحسين مستوى معيشة شعوب أمريكا اللاتينية ، وتحقيق معدل للنمو ٢ر٥٪ على الأقل كل عام . فطبقا للاحصاءات الرسمية لم تتجاوز الزيادة السنوية فى المتوسط ١ر٥٪ .

وازدادت شروط التجارة غير المواتية لدول أمريكا اللاتينية سوءا . فاتسعت الفجوة بين أسعار المواد الخام (التى تبيعها أمريكا اللاتينية) والمواد المصنعة (التى تشتريها من الولايات المتحدة) . وفقدت شعوب أمريكا اللاتينية نتيجة لذلك حوالى ٢٠٠٠ مليون دولار فى عام واحد فقط .

يقول الرئيس الارجنتينى السابق **روبرتو ليفنجستون** فى افتتاح اجتماع بنك التنمية فى الامريكتين الذى عقد أخيرا فى **بيونس آيرس** .. « يظهر التحليل الواقعى أن المعونة الاجنبية لدول أمريكا اللاتينية ، لم تكن غير كافية فحسب ، ولكن مراجعة حركة رؤوس الاموال تظهر بوضوح أن أمريكا اللاتينية — على العكس — هى التى ساهمت فى تنمية المناطق الاكثر تطورا (الشمال الامريكى) .. »

ويذكر **راؤول بريبسك** مدير معهد أمريكا اللاتينية للتخطيط الاقتصادى والاجتماعى التابع للامم المتحدة فى تقريره للبنك أنه « خلال عشر سنوات من التحالف من أجل التقدم ، تحققت عكس النتائج المفروضة تماما .. برز للوجود نماذج جديدة من تركيز الدخل . فأصبح المتربعون على قمة الهرم الاجتماعى أكثر رخاء ، ولم تمس ثمار التنمية الجماهير العريضة المنتمية الى ذوى الدخول المنخفضة » .

فاذا أضفنا الى ذلك استثمارات الولايات المتحدة الخاصة فى أمريكا اللاتينية وتعدل الى ١٣ بليون دولار ، يبدو منطقيا تصاعد الدعوة الى سيطرة دول أمريكا اللاتينية على اقتصادياتها ، وانتشارها بين العمال والطلبة والفلاحين ، والشريحة الجديدة من الاقتصاديين الشبان ، وضباط الجيش الوطنيين وشباب القساوسة .

ويعلق رئيس وزراء **بربادوس** على هذا الواقع قائلا : « اذا لم نلتفت الى نوع الاستثمار النشطفى بلادنا ، فربما استيقظنا فى أحد الايام لنفاجأ بأننا ما عدنا نملك وطننا ، فقد أصبح يخص مجموعة من الاجانب .

● وليست حقائق الاقتصاد وحدها وراء هذا المناخ الجديد . فالتغيرات الاجتماعية الجوهرية التى حدثت داخل الجيوش فى أمريكا اللاتينية ، بدورها المعروف فى الحركة السياسية (والانقلابات التقليدية) ، لعبت دورا كبيرا فى بعض بلاد القارة الامريكية . واهم هذه التغيرات ، تزايد ممثلى الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة فى سلك الضباط ، ودخول عدد كبير نسبيا من

العمال والفلاحين الى صفوف الجيش .. بحيث أصبح من الخطأ اعتبار كل الجيوش في أمريكا اللاتينية مجرد وحدات من مرتزقة الامبريالية الامريكية .

ويشير تقرير **روكفلر** الشهير الى وجود عدد كبير من ضباط الجيش في هذه البلاد ، أبناء عائلات الطبقة الوسطى ، يختلفون تماما عن الجيل السابق لهم المعارض تماما للاصلاح الاجتماعي ، ويؤكد وقوع بعض العسكريين تحت تأثير الافكار الوطنية والماركسية أيضا .

● ومن أهم عوامل التغيير ، الاتجاه الى تكوين تحالفات واسعة بين الاحزاب التقدمية في عدد من البلدان ، تلعب فيها أحزاب الطبقة العاملة دورا قياديا . ونجحت هذه التجربة في اقامة نظام تقدمي في شيلي ، وفي دعم النظام الوطني في **بوليفيا** قبل سقوطه .

● ومن القوى الجديدة التي دخلت الى ساحة النضال ، **رجال الدين المسيحي** . فبعض القساوسة ، قام بدور ايجابي في الكفاح ضد النظم القمعية في الداخل ، والسيطرة الامبريالية الخارجية . وهذا أمر له دلالة هامة في أمريكا اللاتينية ، حيث تلعب العقيدة الدينية دورا هاما في تحديد مواقف الناس واختياراتهم .

ولم يكتف القساوسة بمعارضة الدكتاتورية ، بل حمل بعضهم السلاح متبعين خطى « **كاميليو توريز** » الذي انضم لصفوف حرب العصابات منذ عام ١٩٦٦ .

وفرضت هذه الحقائق على الولايات المتحدة البحث عن منهج جديد لاحتواء (هذه التيارات الخطرة) ، وتبريرها . بعد أن اعترف **نيكسون** في رسالته للكونجرس الامريكي) ٢٥فبراير١٩٧١ بخطورة التحدي الذي تواجهه أمريكا قائلا .. « هناك غليان في أمريكا اللاتينية .والكاريبي. فالتطور حمل معه تغييرات وتناقضات حادة ومتكررة ، يصاحبها نمو للقومية . وينظر البعض في المنطقة للولايات المتحدة كعقبة وعنصر تهديد اكثر منها مصدر للمساندة . وفي الواقع فالقومية تبحث في جميع الاحوال عن استقلالية أكبر من تأثيرنا المحكم . وفي بعض المناطق اتخذت القومية موقفا معاديا للولايات المتحدة .. »

ورغم العلامات المشجعة في مسار حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية ، فمن المهم أن لا نخطئ في تقدير حجم واحتمالات تطور هذه الحركة ، كما حدث في بداية الستينات في أفريقيا. أن ريح التغيير التي اجتاحت افريقيا في بداية الستينات أثمرت — نتيجة لطبيعة قوى الثورة والقوى الدولية — أقل كثيرا من الاوهام والاحلام التي أسقطت عليها وليس من مصلحة الثورة في أمريكا اللاتينية أن تكرر في السبعينات خطأ الرفاق في أفريقيا .

حرب المدن .. تتأكد

وتأكد خلال هذا العام ملامح حرب العصابات المسلحة ، خاصة حرب المدن . ويهدف هذا النوع من الكفاح الوطني في أمريكا اللاتينية غايتين جوهريتين :

١ — التصفية الجسدية لـ[illegible] القوات المسلحة والشرطة

٢ — مصادرة الموارد الحكر العائدة الى كبار الرأسماليين ومـ[illegible] الكبار ، والامبرياليين « ليدفعوا تكـ[illegible] الثورية ، وهي تكاليف باهظة » .

وبلغت هذه الحرب أوجها في أور[illegible] حيث مارس رجال « **التوبا ماروس** » [illegible] بنجاح مذهل ، ابتداء من اغتيال العناصر [illegible] الفاسدة والتي تلعب دورا واضحا في [illegible] الحياة السياسية في الاوروجواي ، وانتهاء [illegible] على أموال البنوك . ولكن أشهر العملي[illegible] أثارت ضجيجا حول التوبا ماروس في [illegible] والداخل ، هي عمليات خطف الدبلوماسيين الاجانب ، والتي يعتبرها الثوار عملا من [illegible] « الدعاية المسلحة » . وتحقق هذه العمليات [illegible] من نتيجة ايجابية لرجال حرب المدن ...

١ — فسيخدم المخطوفون في المساومة [illegible] المسجونين السياسيين واطلاق سراحهم .

٢ — تعرى عمليات الخطف النظام الحاكم وتبين مدى ضعفه وعجزه ، مما يفقد الدول الاخرى الثقة في النظام .

٣ — تترك العمليات أصداء واسعة في الدول التي يخطف ممثلوها ، تشد أنظار الرأي العام في هذه البلاد الى ما يجري في أمريكا اللاتينية ، وتحرك بعضهم نحو مناصرة الحركة الثورية في مراحل تالية .

ولجوء الثوار وأغلبهم من خريجي الجامعات والطلاب السابقين الى حرب المدن ليس اختيارا ذاتيا ، بل يرتبط تماما بالتركيب الاجتماعي والسكاني في الاوروجواي .

فمن بين سكانها البالغ عددهم ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ نســمة ، يعيش ٨٤٪ منهــم في المــدن ، و ٥٠٪ من هؤلاء في العاصمة «**مونتفيديو**» وحدها وفيها أيضا ٢٠٠ ألف عامل ، بينما لا يتعــدى سكان الريف ٤٠٠ ألف نسمة ، من بينهم ١٠٠ ألف عامل .

وتتزايد تكاليف المعيشة في أوروجواي بشكل سريع ، وتتضاعف من عام لاخر . أما الاجور الحقيقية ، فقد انخفضت من ١٠٠ عام ١٩٥٧ الى ٥٣ عام ١٩٦٧ ، وتتزايد البطالة ، وتبلغ الافلاسات التجارية أرقاما مخيفة .

وعلى الجانب الاخر ، فان الاقلية المالية تتكون مما لا يزيد عن ألفي أسرة ، تحتل كل المراكز الهامة في الاقتصاد والحكومة ، وترتبط بصلات وثيقة برأس المال الامريكي، كشركات **روكفلر ومورجان**. وهي ظروف كلها مواتية للثورة .

ولكن التجربة — رغم بريقها وانتشارها — مازالت مرفوضة من عديد من القوى الثورية في أمريكا اللاتينية ، خاصــة الاحــزاب الشيوعية التقليدية .

دلالات التجربة في شيلي

ومن أهم العلامات البارزة في مسار حركة التحرر الوطني ، التجربة الثورية التي تجرى في **شيلي** . فانتصار **الجبهة الشعبية** ، وتولي « الليندي » السلطة ، تغيير يحمل دلالات هامة .

فلأول مرة في تاريخ القارة ، تختار الجماهير عن طريق صندوق الانتخاب ، حكومة يريدونها ويثقون فيها . وللمرة الاولى تقوم حكومة يرأسها زعيم ماركسي وتطرح الاشتراكية العلمية كمنهج للعمل والتغيير ، وبوســائل الديمقراطيــة البرلمانيــة التقليدية .

وأعتبر المعلقون الاشتراكيون هــذه التجربة « انتصارا يعود لتعاظم قوة العمال والحــركة الجماهيرية ، ولصلاحية الخط السياسي الذي اتبعته الاحزاب المكونة للجبهة الشعبية . ومن الواضح امكانية تجميد مقاومة الدوائر الرجعية، والتغلب عليها ، اذا نجحت الحركة الجماهيرية في تحديد أهدافها بوضوح وفي تطبيقها » ..

ولكي نستطيع الوصول الى رؤية صحيحــة وعملية ، لابد من اطلالة على ظروف التجربة ، انجازاتها وعثراتها .

لقد حددت الجبهة الشعبية أهدافها في خلق جمهورية للطبقة العاملة ، وتحقيق ثورة اجتماعية في شيلي . وعلى هذا الطريق حققت انجازات هامة في مقدمتها تنفيذ الاصلاح الزراعي وتأميم صناعة النحاس أهم ثروات شيلي الضخمة ، ودفع أجور العمال وتجميد الاســعار ، وتأميم البنوك .

وفي الناحية المقابلة ، واجهت شيلي ظروفا اقتصادية بالغة التعقيد . فوصلت البطالة الى حدود خطرة نتيجة تزايد البطالة التي ورثتها من العهد السابق والتي كانت تتجاوز المليون عاطل ، بصورة مفاجئة مع بداية السبعينات .

وتعود الازمة الى الدور الذي حاول اليمين المتطرف والشركات الاجنبية القيام به ضد الليندي .

وتركزت الجهود المعادية حول صناعة النحاس فبالاضافة الى الانخفاض الحاد في السعر العالمي للنحاس من ٧٥ سنت عام ١٩٧٠ الى ٤٠ سنت عام ١٩٧١ ، انخفض الانتاج في شيلي مما أدى الى انخفاض الدخل بنسبة ٤٠٪ . ويعود هذا الانخفاض في الانتاج الى حملة الاستقالة الجماعية المدبرة للمهندسين والفنيين العاملين في مصانع النحاس بعد التأميم . ففي شركة واحدة مــن الشركات الامريكية الثلاث الكبرى التي خضعت للتأميم (شركة كينكت للنحاس) ترك العمل أكثر من ٧٧٪ من كبار موظفيها .

ولم يكن غريبا ازاء ذلك انخفاض احــتياطي النقد الاجنبي من ٣٤٩ مليون دولار الى ٢٠٠ مليون خلال الثمانية أشهر الاولى من ١٩٧١ ، وظهرت علامات التضخم من جديد مما اضطر الحكومة الى تخفيض **الاسكيدو** (عملة شيلي) بنسبة ٥٠٪ .

ونفس المصاعب ظهرت في الزراعة نتيجــة لمقاومة كبار الملاك والمزارعــين ، ومحاولاتهــم لافشال الاصلاح الزراعي . فانخفض انتــاج المواد الغذائية والتموينية ، مما حمل الحكومة زيادة في استيراد المواد الغذائية بنسبة ٥٠٪ .

وعندما طلبت شيلي من بنك الاستيراد والتصدير (الامريكي) خلال شهر أغسطس ١٩٧١ منحها قرضــا قدره ٢١ مليون دولار لتغطية وارداتها وقرضا آخر لشراء ٣ طائرات نفاثة من الولايات المتحدة ، رفض البنك الاستجابة لطلبها مشهرا بأوضاعها الاقتصادية .

وتواجه الحكومة الاشتراكية فى شيلى مسئولية معالجة هذه الازمات الاقتصادية فى ظل متاعب وازمات سياسية داخل الجبهة نفسها ، ومن قوى يمينية ويسارية خارجها .

فى الداخل تعرضت الجبهة لانقسامات داخلية خلال شهر اغسطس الماضى . وبدأت الازمة مع نهاية شهر يوليو ، عندما انسحب عدد من اعضاء حزب المعارضة الرئيسى « **المسيحيين الديمقراطيين** » من الحزب احتجاجا على ارتباط الحزب بالجناح اليمينى من القوى الوطنية ، ووقوفهم معا وراء مرشح واحد فى الانتخابات الفرعية ضد مرشح الحكومة . وكون المنسحبون حزبا جديدا « اليسار المسيحى » ، واعلنوا مساندتهم للحكومة .

وفتح هذا الانقسام (الايجابى) الباب لانشقاق أوسع داخل الجبهة الشعبية الحاكمة . فبعض أعضاء الجماعة التى تسمى « مابو Mapu » وهى واحدة من الاحزاب الستة المكونة للجبهة ، تكون نتيجة انقسام سابق فى الحزب المسيحى الديمقراطى ، أعلنوا معارضتهم لتزايد الاتجاهات الماركسية لدى قيادة حزب (مابو) . وقرروا الانسحاب والانضمام لحزب « اليسار المسيحى » الجديد .

وتلى ذلك انسحاب ١١ من الاعضاء البرلمانيين (**الحزب الراديكالى**) المشارك فى الجبهة ، رافضين التعريف الذى أقره مؤتمر الحزب للبرجوازية الديمقراطية باعتبارها « أداة للسيطرة الاستعمارية الرأسمالية » .

وفقد حزب الرئيس الييندى نفسه ، عضوا برلمانيا ، استقال احتجاجا على ما أسماه فرق حرب العصابات التى تثير الارهاب فى جنوب شيلى .

وقدم ٥ وزراء استقالتهم من حكومة الييندى ، وكلهم من الاحزاب غير الماركسية الداخلة فى الجبهة .

ولجأ اليمين فى محاولته لافشال التجربة الاشتراكية الى كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة . فلجأ للاغتيال السياسى . وكانت آخر محاولاته ، اغتيال وزير الداخلية السابق . وهدد « **الحزب الوطنى** » الذى يمثل كبار الملاك بتخريب انتاج المواد الغذائية . وطالب باستخدام القهر ضد الفلاحين عن طريق فرض حكم عسكرى فى المناطق التى شهدت اضطرابات طبقية أثناء تطبيق الاصلاح الزراعى .

واستخدم كبار الملاك « **الحرس الابيض** » الذى نظموه أثناء الحملة الانتخابية ، لخلق مناخ من الارهاب فى الريف، بينما ممثلو اليمين فى البرلمان يركزون على اتهام الفلاحين بتكوين عصابات لحماية الاراضى التى استولوا عليها بقوة السلاح .

وفى نفس الوقت استفاد اليمين من طبيعة النظام القضائى فى شيلى . فاعترضوا أمام المحكمة العليا على رفع أجور العمال الزراعيين . وأصدرت المحكمة قرارها لصالحهم . وبدى الحكم منطقيا .. فثلاثة عشر من قضاة المحكمة ، هم أنفسهم من كبار الملاك . وعلق وزير الزراعة على قرار المحكمة بقوله « ان المحكمة لا تملك الحق للتدخل فى أمر يخص المحاكم العمالية .. وعلى المحكمة أن تتحمل نتائج تصرفاتها .. » . وهكذا فرض اليمين على الحكومة فى شيلى ضرورة المواجهة مع السلطة القضائية القائمة على نظريات تخدم مصالح الملاك ضد جماهير الشعب .

ولم يكن اليمين وحده فى الميدان . فبعض القوى اليسارية ألقت بثقلها أيضا ضد الحكومة الوطنية . وبدأت القصة عندما ثار المعدمين وحاولوا الاستيلاء على أراضى الملاك عنوة ، خاصة بعد قرار المحكمة العليا . فوقعت مصادمات مع الملاك والعناصر اليمينية . وقررت حكومة الييندى الاسراع بتطبيق الاصلاح الزراعى، ووجهت نداءات متكررة لانهاء عمليات الاستيلاء التى يقوم بها الفلاحون مباشرة ، ودعتهم للتحلى بالصبر ، والثقة فى حكومتهم الوطنية . وأيد **الحزب الشيوعى** الشيلى موقف الحكومة .. ولكن تنظيما يساريا يحمل اسم « **الحركة الثورية للفلاحين** » أعلن تأييده لعمليات الاستيلاء واستمرارها ...

« فنحن الفلاحين والعمال لن نقبل أبدا القيادة السياسية للايديولوجيين الذين يدعون أن على العمال أن لا يناضلوا أو يعبئوا أنفسهم ، ويتركوا مصالحهم الطبقية ومبادراتهم الثورية ، طالما هناك دولة ترعى مصالح العمال والفلاحين .. »

ووسط هذه الازمات والضرب من اليمين وبعض قوى اليسار . والشد والجذب داخل الجبهة الشعبية نفسها ، ومحاولات التصفية من الرأسمالية الأمريكية ، سواء عن طريق الضغوط الاقتصادية أو التآمر الداخلى أو تحريك نظم موالية فى المنطقة ، خاصة بوليفيا بعد سقوط الحكم الوطنى فيها .. تقف التجربة التقدمية فى شيلى فى مفترق صعب ، ليس من السهل

استشرافا نهايته ؟ تلك النهاية التي يتوقف عليها الكثير بالنسبة لحركات التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية وخارجها .

نهاية الانقلابات التقدمية

وشهد هذا العام تعثر ظاهرة الانقلابات العسكرية الوطنية في أمريكا اللاتينية . وقد أثارت هذه الانقلابات التي وقعت في **بوليفيا وبيرو** موجة من التفاؤل . فلأول مرة يتعدل دور الجيوش في أمريكا اللاتينية ، من جهاز قمع خاضع تماما لاحتكارات الولايات المتحدة الرأسمالية ، ليصبح جهازا وطنيا ، يطرح شعارات التقدم والتحول الاجتماعي . وقارن كثيرون بين الضباط الوطنيين في بوليفيا وبيرو ، وبين ضباط ثورة ٢٣ يوليو في مصر . وكانت المقدمات مبشرة واعدة .

ولكن هذا العام نعى للناس النظام الوطني في بوليفيا . كان الجنرال **جوان جوزيه توريز** قد أعلن أن نظامه يهدف الى تخليص بوليفيا من السيطرة الاستعمارية ، والسير في اتجاه الاشتراكية . وقطعت بوليفيا خطوات لا بأس بها على الطريق . فأممت البنوك والمناجم . وكان آخر خطواتها انشاء « جمعية شعبية » من ٢٤٠ عضوا ٦٠٪ عينتهم اتحادات العمال ، ٤٠٪ من قوى أخرى أساسها المنظمات اليسارية ورغم أن قرارات الجمعية غير ملزمة الا أنها شكلت مؤسسة هامة ، أثرت ايجابيا على حكم توريز . وأصدرت الجمعية عددا من التوصيات الهامة ، مثل طرد جيش السلام الامريكي ، ووضع قيود اضافية على الاستثمارات الاجنبية ، واقامة علاقات مع كوبا ، وانشاء جيش شعبي (ميليشيا) لمعاونة الجيش النظامي . ومع أهمية التوصيتين الاخيرتين لم يقدر لهما أن يريا النور .

والمشكلة أن توريز لم يكن قاطعا في انتمائه . وظل متأرجحا بين اختياراته التقدمية المعلنة وما تتطلبه من اجراءات ، وبين الخضوع لضغوط القوى اليمينية . ومنذ صعود توريز للسلطة ، حددت القوى الاجتماعية والسياسية موقعها بشكل حاسم ، ووقف عدد من رجال الجيش وتحالف قوى من العمال والفلاحين والطلبة والمنظمات اليسارية المعبرة عنهم وراء توريز . وفي مواجهتهم العناصر اليمينية القوية في الجيش ، والقوى الاجتماعية المرتبطة برأس المال الامريكي والمخابرات المركزية ورغم الحاح القوى اليسارية المؤيدة لتوريز بضرورة تصفية العناصر اليمينية المتمركزة في جيش بوليفيا المتخصص في الانقلابات التي وصل عددها ١٨٧ انقلابا منذ الاستقلال ، لم يستجب توريز لها في ظروف مواتية خاصة في البداية ، وتأييد شعبي واسع له لحظة استيلائه على الحكم ، وتردد في تجميد حركة العناصر العسكرية الفاشية وشل حركتها ، وعارض توريز في تكوين الميليشيا الشعبية السلاح الوحيد في يد الجماهير لمواجهة غدر مؤكد من الجيش المحترف .

واختار توريز معاونيه من عناصر أغضبت القوى المؤيدة له ، فمثلا وزير العمل للشئون الاجتماعية « **ايزاك ساندوفال** » كان على خلاف حاد مع المنظمات العمالية التي اتهمته بمحاولة تفتيتها واشاعة الانقسام داخلها .

ولم يحقق توريز وعوده باعادة العلاقات الدبلوماسية مع كوبا وشيلي .

ومن الغريب أن توريز وسط هذه التعقيدات والتأرجح الدائم بين الارتباط الكامل باليسار ، والحرص على عدم التصفية الكاملة لليمين ، كان يتخذ في لحظات معينة قرارات بالغة الخطورة ، وآخرها قراره بتصفية قاعدة الاتصالات الامريكية في « جوانتاناميتو » والتي تديرها المخابرات الامريكية والبنتاجون ، وهي مركز رئيسي لعمليات المخابرات المركزية في أمريكا اللاتينية ، واعتبرت العناصر اليمينية القوية في الجيش وخارجه ، هذا القرار الذي صدر في يوليو ٧١ ، بمثابة انذار بالتصفية النهائية للوجود الامريكي في بوليفيا . وبتنسيق كامل مع كبار رجال الاعمال وملاك الاراضي الاغنياء وعناصر المخابرات الامريكية ، وقع الانقلاب العسكري رقم ١٨٨ للاطاحة بالتجربة الوطنية .

وعندما حاولت جماهير الطلاب والفلاحين والعمال التصدي للقوات المسلحة التي سيطر عليها اليمين ، كانوا بلا سلاح أو تنظيم فقد تركها توريز مكشوفة في مواجهة يمين مسلح مدعوم بقوى المخابرات المركزية . وكانت النهاية المحتومة . سقوط توريز واستيلاء اليمين على السلطة في بوليفيا في ٢١ أغسطس ١٩٧١ .

ولم يختلف مصير الامال التي عقدت على تجربة **بيرو** ، عندما استولى **جوان فيلاسكو** على الحكم في ٣ أكتوبر ١٩٦٨ بانقلاب عسكري وطني . فالتطبيق تكشف عن واقع يختلف كثيرا عن الاحلام التي أسقطت على هذه التجربة ، متأثرة بتجارب أخرى خارج القارة .

صحيح أن نظام فيلاسكو ، نظام وطني قام باصلاحات هامة ، منها اصدار قانون متقدم للاصلاح الزراعى ، والزم الشركات الاجنبية ببيع نسبة لا تقل عن ٥١ ٪ من أسهمها لمواطني بيرو وحدد دورا متزايدا للدولة في الاقتصاد ، وأشرك العمال فى الارباح وملكية المشروعات الصناعية ، وأمم شركات البترول والبنوك الاجنبية واستولى على مزارع السكر وعدد من التوكيلات الاجنبية للسيارات . . ولكن فيلاسكو ورفاقه حرصوا منذ اليوم الاول على تأكيد هويتهم غير الاشتراكية ، وقدموا انقلابهم كحركة معادية للشيوعية ، موضحين أن هدفهم يتركز فى تحقيق تخطيط اجتماعى ماهر ينهى التناقضات الموجودة فى البناء الاقتصادي والسياسى لبيرو ، ويزيل الصراع الاجتماعى كخطر محتمل . وشرح أحدهم أيديولوجية النظام قائلا : انها « ليست رأسمالية ولا شيوعية ولكنها قومية انسانية » .

وفى الممارسة شكل المركز القيادى للقوات المسلحة والطبيعة المتعسفة الجسامدة للسلم الوظيفى فى المؤسسة العسكرية ضمانة أساسية، بأن التغيير لن يكون سريعا ولا جذريا . وأحست الطبقات التقليدية المسيطرة بالاطمئنان . وكان الخطر الوحيد بالنسبة لها هو الخوف من الصراع الذى قد يثيره التغيير الذى اندفع اليه النظام العسكرى » . وعجز العسكريون على السيطرة عليه . وتضاءل هذا الخوف عندما تفجر الصراع من تعاونيات انتاج السكر التى أقامها النظام نتيجة سعى العمال للسيطرة على تعاونياتهم ولجوئهم الى الاضرابات . فالسلطة العسكرية أصدرت أحكاما بالسجن على القادة ، مؤكدة أن السلطة ستتجه الى اليمين اذا تفجر مثل هذا الصراع .

ورغم تطبيق الاصلاح الزراعى فى المنطقة الساحلية حيث حولت مزارع السكر الضخمة الى تعاونيات لم تستقر الحكومة بعد على شكل البنية الزراعية التى تريدها . وبينما يأمل اليسار أن يأخذ الفلاحون المبادرة لأنفسهم ، ويحولون التعاونيات الزراعية الى مؤسسات تسيير ذاتى، انتعشت آمال اليمين فى حسم المشكلة لحساب (الوحدات العائلية) ، واقناع الحكومة بالضرورة العاجلة لزيادة الدخل الزراعى بالغاء تحديد أسعار المنتجات الزراعية .

ويتحرك النظام فى انجازاته الاقتصادية على أساس تشجيع القطاع الخاص ، وفتح كافة المجالات أمامه . ويطالب بعض الوزراء بضرورة الوصول الى تفاهم تام مع القطاع الخاص ، وتشجيع الاستثمارات الخاصة ؟ حتى لو كان ذلك يعنى تجميد بعض الاصلاحات الاقتصادية الاساسية التى حظيت بترحيب الجماهير . وتأكد هذا الاتجاه فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس جوان فيلاسكو فى ٢٨ يوليو ٧١ فى ذكرى استقلال بيرو . فالغزل للقطاع الخاص كان واضحا . وحدد للقطاع الخاص الدور الاكبر فى الخطة الخمسية الجديدة والتى تبلغ استثماراتها ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني . سواء فى ذلك الرأسمال المحلى أو الاجنبى .

وقدمت ضمانات كثيرة للرأسمال الاجنبى فى اثر قرارات التأميم ، وتزايد اطمئنانه بعد صدور قرارات تنظيم الصناعة والمصايد والمناجم . فأعلنت شركة (بيلكوبترولیام) استعدادها لانفاق ١٤ مليون دولار فى حفر ٥٦ بئر بترول ووقع عقد مع شركة SP.SS للنحاس لاستثمار ٤٠٠ مليون دولار .

فاذا أضيف الى ذلك أن بيرو هي الدولة الوحيدة من الدول الاربعة الكبرى المنتجة للنحاس التى لم تؤمم صناعة النحاس بها ، على عكس الدول الاخرى (شيلى — زامبيا — زائيرى) أصبح مفهوما اطمئنان رؤوس الاموال الامريكية وأجهزة الحكم الامريكية الى الوضع فى بيرو .

وبيرو بهذه السياسة التى فتحت فيها الباب أمام رؤوس الاموال الاجنبية والمحلية الخاصة رغم تحقيقها تقدما اقتصاديا يتمثل فى ارتفاع معدل التنمية الى من ١ر١ ٪ الى ٣ر٧٪ — كفت عن تمثيل دور الدولة الملهمة للحركات الوطنية فى أمريكا اللاتينية ، ولم تستطع حتى الان حل المشكلة الاساسية لجماهير أمريكا اللاتينية ، وهى سيطرة رأس المال الاجنبى والقوى المحلية المرتبطة به .

وتضاءلت الامال التى أسقطت على الانقلابات العسكرية الوطنية فى أمريكا اللاتينية . انتهت فى بوليفيا ، وأوشكت أن تنتهى فى بيرو وأن اختلفت الاسباب والنتائج .

البيض يتحدون أفريقيا

وعلى نطاق النظم العنصرية فى أفريقيا وقعا حدثين بالغا الاهمية فى روديسيا (زيمبابوى) ، واتحاد جنوب أفريقيا .

لقد شهدت روديسيا هذا العام تحركات ضخمة فى معسكر البيض،كان أبرزها سلسلة المباحثات بين

حكومة المحافظين فى بريطانيا وحكومة **ايان سميث** فى روديسيا والتى لعب الدور الاكبر فيهما « **لورد جودمان** » ثم « **سيرالك دوجلاس هيوم** الذى توج رحلته الى **سالسبورى** باعلان الاتفاق بين الطرفين على صيغة تضمن الوجود الابيض دون أن تقضى (**نظريا**) على احتمال الوصول الى حكم الاغلبية الافريقية بعد عدة أجيال .

ولم تكن الاتفاقية مفاجئة لاغلب المراقبين ، فهناك مجموعة من العوامل كانت تقطع بهذه النتيجة .

(١) تعانى روديسيا موقفا صعبا بالنسبة لوضع العملات الاجنبية المتوفرة لديها منذ شهر يوليو ٧١ ، وكان واضحا أن هذا العام أصعب عام تواجهه روديسيا منذ فرض القيود على الواردات منذ ستة سنوات .

وما زالت الصادرات عام ٧١ تقل ١٦٪ عما كانت عليه عام ١٩٦٥ ، ولم تختلف الواردات الا قليلا . وتوقفت فى الفترة الاخيرة الموافقة على أية مشروعات جديدة . يضاف الى ذلك مشكلة تزايد السكان الافريقيين بنسبة مرتفعة تصل الى ٣ر٦٪ فى العام ، وهذا يعنى أن عدد الافريقيين ازداد خلال عام ٧١ بحوالى ١٧٠٠٠٠ نسمة . وهو رقم مخيف بالنسبة لعدد البيض الذى لا يتجاوز ضعف هذه الزيادة (٢٤٣٠٠٠) وكان هناك توقع أن أى تسوية مع بريطانيا ستحمل حلا لمشكلة البطالة الافريقية المتزايدة بصورة متفجرة .

(٢) فى المقابل كان معروفا رفض ايان سميث رئيس وزراء الحكومة البيضاء فى روديسيا لمبدأ حكم الاغلبية الذى وصفه بأنه « مجرد حصر للماشية » .

ومنذ تولى حزب « **جبهة روديسيا** » للحكم عام ١٩٦٢ ، تتحرك روديسيا فى اتجاه مناقض تماما لفكرة حكم الاغلبية . فالدستور من الناحية النظرية يسمح فى النهاية بالوصول الى حكم متماثل بين ٢٤٣٠٠٠ أبيض و ٥ مليون افريقى (٥٠٪ لكل) ، اذا دفع الافريقيون ٥٠ ٪ من الضرائب ، وهى حالة مستحيلة فى ظل الاوضاع الحالية واحتمالات تطورها العادية . وأكدت روديسيا موقفا أثناء الجولة قبل الاخيرة من المباحثات بقرارها الخاص بزيادة مرتبات المدرسين البيض عن زملائهم السود الذين يحملون نفس المؤهل فى حدود ٤٠٠ جنيه إسترلينى للفرد .

ولم تكن المصاعب الاقتصادية سببا كافيا لتغيير الموقف الروديسى . ففى مقابل متاعب العملة والتصدير ، حققت الصناعة الروديسية خلال عام ٧٠ — ١٩٧١ نموا كبيرا يتراوح بين ١٩٪ ، ٢٠٪ . ودخلت أمريكا لاول مرة سوق الدخان الروديسى مشترية ، مقدمة بذلك حلا لازمته المستعصية . وقررت الحكومة الامريكية رفع الحظر على استيراد الكروم من روديسيا اعتبارا من أكتوبر ١٩٧١ .

(٣) يضاف الى ذلك موقف هيث المالىء للبيض فى أفريقيا .. والذى ظهر بوضوح فى موقفه (الحازم) من قضية بيع الاسلحة للحكومة العنصرية فى جنوب افريقيا ، و «برودة» وعدم اهتمامه بتحذيرات قادة أفريقيا الثوريين أمثال كاوندى ونيريرى ، واهتمامه بالسوق المشتركة أكثر من الكومنولث . وقد عبر سميث عن رأيه فى هيث فى ١٤ مارس قائلا » اننى لا أتردد لحظة فى القول بأن رئيس الوزراء الحالى فاق كل التوقعات المتفائلة التى كانت لدى البعض منا عند وصوله للحكم . لقد كان موقفه فى سنغافورة (مشيرا الى مؤتمر الكومنولث الذى بحثت فيه قضية السلاح لجنوب أفريقيا) رائعا ومثيرا للاعجاب » .

(٤) وبينما كانت الصورة منذرة فى جبهة البيض كان الصراع يتصاعد بين الحزبين الوطنيين ، اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى (زابو) واتحاد زيمبابوى الوطنى الافريقى (زانو) ويستغرق جهدهم أكثر من مواجهة المستوطنين العنصريين وأدى هذا الموقف الى اصدار لجنة التحرير المنبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية قرارا فى يناير ٧١ بوقف كل مساعدة لهما .

وزاد من مصاعب حركة التحرير فى روديسيا ، المتاعب التى واجهتها النظم المساندة لها فى قواعد انطلاقها الخارجية ، مثل **زامبيا** التى عاشت فترة من القلاقل السياسية والقبلية .

ويعمق هذه الظاهرة فى روديسيا ما حدث بالنسبة **لقضية الحوار مع جنوب أفريقيا** والتى هزت القارة بعنف .

وتعود بدايات هذه القضية الى العام السابق عندما تحركت حكومة جنوب أفريقيا التى كانت تعانى من احساس متزايد بالعزلة فى المجتمع الدولى وتحاول وصل خيوطها بالعالم الخارجى عن طريق التفتيش عن أنظمة متعاونة فى أفريقيا السوداء وتجميد معارضيها بتقديم عروض أحلاف عدم اعتداء ، والضغط على الدول الافريقية

بمساعدة عمليات التخريب فى داخلها ؟ وعينها على الحصـــول على الاعـــتراف بها وتقبلها . وكخطوة أساسية فى تحقيق هذه الاستراتيجية البيضاء ضغطت حكومة « **فورستر** » على بريطانيا لاستئناف مدها بالسلاح . تطبيقـــا للاتفاقـــية المعقودة بين البلدين عام ١٩٥٥ حول القـــاعدة البحرية فى [سيموتى تاون] ، كعـــامل تدعيم لتفوقها العسكرى فى جنوب القارة . وتحطيم قرار الامم المتحدة بحظر تصدير الاسلحة اليها ، وعلى نفس الدرجة من الاهمية ، هدم أسوار العزلة ووصل ما انقطع من علاقات بالعالم .

وسرعان ما استجابت **بريطانيا** لمطالب بيض جنوب أفريقيا . وعندما أثيرت فى بريطانيا ضجة حول قرار حكومة المحافظين ، دافع هيث عـــن مواقف حكومته ، وشرح الدوافع والاســـباب ، وكان من بينها التقليل من قيمة رد الفعل الافريقى ، استنادا الى أن (الافريقيين عاطفيين ، وستهدأ العاصفة بعد قليل) . ولم يكن هيث يراهـــن على جواد خاسر . ولعله كان مطمئنا الى وجود أكثر من جوكى ماهر قادرين على شد لجام بعض الجياد الافريقية فى اللحظة المناسبة وبصـــورة تثير اللخبطة فى صفوف القارة كلها ، وتدفعها الى التراجع بوقف هجومها على بريطانيا وحلفائها .

وبدأت الاحداث تتوالى مؤكدة صحة وجهـــة نظره . فاستقبلت **مدغشقر** الافريقية (السوداء) . وفدا برئاسة وزير خارجية اتحاد جنوب أفريقيا ، ووقعت اتفاقيات قروض ومعونات ، داعية للحوار مع البيض .

وبعد مدغشقر جاء دور **ساحل العاج** ، فدعا هوفيه بوانييه الى جمهوريتها الى عقد اجتماع قمة خاص لمنظمة الوحدة الافريقية لمناقشة فتـــح حوار مع حكومة جنوب أفريقيا (بدم بارد) ، توضع فيه كل الاوراق على المائدة ، وتتحاج الاطراف المختلفة بسلاح الكلمة » . وأيده «البرت يونجو» رئيس جمهورية **الجابون** وعدد من رؤساء الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية ، ودكتور **بوزيا** رئيس وزراء **غانا** ، وليسوتو ، وسوزيلاند ، وبوتسوانا .

وجتمت هذه المشكلة بعنف على الاجتماع الاخير **لمنظمة الوحدة الافريقية** ، وحاولت الدول المؤيدة جر المنظمة الى مناقشة القضية . وأوشكت هذه المشكلة أن تقسم المنظمة وتثير نزاعا لا ينتهى منها . ولكن المناورة انتهت الى رفض فكرة الحوار بأغلبية واضحة .

ورغم ذلك حقق طرح هذا الاتجاه نتيجة سلبية . فأكد للعالم الاستعمارى أنه حتى فى مثل هـــذه القضية الحيوية فأفريقيا ليست متحدة ؟ وأنه لا داعى لتقديم أى تنـــازلات لحـــركة التحـــرر الافريقية .. وأعطى الحركات الوطنية فى جنوب أفريقيا وزامبيا شعورا مريرا باستعداد بعض دول أفريقيا للتخلى عنهم . وقد أدان زعماؤهم اقتراح الحوار مع حكومة فورستر ، وطالبوا المنظمة بالاســـتمرار فى مســـاعدتهم بالمـــال والعتاد ... » « أو فلتتركونا وحدنا » .

مواجهة الانقلابات الرجعية

ومن الظواهر الايجابية التى عاشتها حركة التحرر الوطنى فى افريقيا هذا العام الاســـلوب الجديد الذى عاملت به الدول الافريقية انقلاب أوغندا العسكرى .

فبعد استيلاء الجيش بزعامة الجنرال **عيدى أمين** على السلطة فى ينـــاير ١٩٧١ ، ولجـــوء **ميلتون أوبوتى** الى تنزانيا ، أعلنت تنزانيا وزامبيا **والكونغو برازافيل والصومال** عـــدم اعترافها بالنظام الجديد ، مما دفع كثير من البلاد الافريقية الالتزام بالصمت وعـــدم المسارعة بالاعتراف بالسلطة العسكرية ، على عكس ما حدث من قبل عقب الانقلابات الرجعية فى غانا ومالى .

واتخذت منظمة الدول الافريقية موقفا جديدا تماما عندما عقـــد الاجتمـــاع الوزارى لوزراء الخارجية . فقـــررت نقـــل الاجتمـــاع الدورى لرؤساء دول المنظمة من **كامبالا** عاصمة أوغندا الى **أديس أبابا** . وأجلت الاعتراف بالوفد الذى ارسله عيدى أمين لحضور الاجتماع .

كان احساس غالبية الدول أن التغيير فى أوغندا لا يرتبط بأوضاع داخليـــة . صحيح أن أوبوتى اتبع فى الفترة الاخيرة لحكمه سياسة جديدة حولته من مصلح معتدل الى قائد أقرب لليسار بمقاييس اليسار فى أفريقيا ، وطـــرح كثير من الاتجاهات الاشتراكية ، مما أثار اعتراض كثير من القوى داخل حزبه وخارجه ، بالاضافة لمشاكل الصراع القبلى وميراث الحكم الاستعمارى .. الا أن بصمات القوى الاجنبية خاصة اسرائيل كان واضحا وراء الانقلاب . ولم يخف الغرب تبرمه بسياسة أوبوتى الخارجية التى تزايدت عداء للمعسكر الاستعمارى .

واستند المعارضون للاعتراف بنظام عيدى أمين ، الى وجود مقاومة للانقلاب العسكرى فى كثير من مناطق أوغندا ، وهى فى حد ذاتها ظاهرة جديده .

ولاشك أن هذا الموقف — وان لم يستمر الى نهايه الشوط — علامة صحية وتطورا ايجابيا لحساب حركة التحرر الوطنى ، سيأخذه فى حسابهم الذين يفجرون الانقلابات المعادية للاستعمار الغربى .

فشل الغزو المباشر

وواجهت حركة التحرر الوطنى تجدد أسلوب الغزو الاستعمارى المباشر وامتداده من **فيتنام وكمبوديا الى لاوس** ، واستخدامه فى أفرقيا **ضد غينيا** ، وسجلت هزيمة هذا الاسلوب .

فقد تعرضت **غينيا** لهجوم استعمارى سافر فى نوفمبر ١٩٧٠ ، وظل خطر العدوان قائما حتى نهاية ١٩٧١ ، وبدأ العدوان يتسلل الى عدد من السفن البرتغالية فى المياه الاقليمية الغينية فى مواجهة العاصمة **كوناكرى** . وقامت السفن بانزال عدد من المرتزقة البيض والافريقيين على شواطئها . وكان مفروضا أن يستولى هؤلاء على وزارة الدفاع بمعونة بعض الفنيين الموالين للغرب ، وقدر الغزاة ان هجومهم سيؤدى الى سحب القوات الغينية من الشمال والوسط ، وبالتالى فتح الباب أمام الجزء الاساسى من قوات الغزو للزحف من مواقعها فى غينيا بيساو الخاضعة للاستعمار البرتغالى . ولكن المقاومة التى واجهها الغزو فى كوناكرى من الجماهير أفشلت المحاولة كلها . وكان ذلك انتصارا للحزب الديمقراطى الغينى الذى نظم الجماهير وسلحها وقادها طوال هذه السنوات .

لقد عانت غينيا مثل غيرها من دول افريقيا من مصاعب اقتصادية ضخمة ، وامراض الطبقة الجديدة ، والرشوة وفساد الادارة ، والانحراف القيادى ، أو من التهديد المستمر من انقلاب القوات المسلحة ، وانعكس ذلك كله على الحزب واثار عديدا من المشاكل الداخلية .

ولكن وعى القيادات بكل النواقص والاخطار ، وقدرة الحزب على التجدد والاصلاح الوافى ، دفعهم فى ينساير ٦٩ الى اعادة تنظيم الحزب والجيش واتحاد العمال . ونتج عن هذه التنظيمات تشكيل لجان للحزب داخل معسكرات الجيش لربطه بالعمل السياسى ، وتكوين رئاسات منفصلة لاسلحة الجيش والطيران والبحرية والدرك والبوليس يضمهم مجلس أعلى للدفاع برئاسة **سيكوتورى** السكرتير العام للحزب . وربط الميلشيا الشعبية بالدرك من ناحية التدريب الفنى ، وبالحزب ايديولوجيا وسياسيا، ثم تحويل الجيش الى قوة منتجة يشترك فى عمليات البناء، وله نفس حقوق وواجبات الطبقة العاملة الغينية . وأصدرت القيادة قانونا يحدد قواعد صارمة لمواجهة الفساد والرشوة .

وهذه الاجراءات التى دعمت بناء ووحدة الحزب . تفسر صمود الجماهير ونجاحها فى هزيمة العدوان ، وهذا هو الدرس الحقيقى لهذه التجربة .

ولم تختلف النتيجة فى **لاوس** ، رغم اختلاف الظروف والملابسات ، وانتهى العدوان بالفشل . ويصف أحد اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى صورة الهزيمة قائلا .. وتخرج قوات **سايجون** من لاوس بسرعة أكبر من تلك التى دخلت بها . ويهرب المرتزقة الذين استأجرتهم فيتنام الجنوبية ، تاركين القاعدة تلو الاخرى ، بينما تخرج قواتهم ذاهلة ومشتتة من لاوس . وتظل طائرات الهليوكوبتر الامريكية عاجزة تماما عن التقاط القتلى والجرحى ، بسبب القصف الارضى العنيف . ويمتلىء الطريق رقم ٩ بأشلاء القتلى وحطام مئات الدبابات والعربات المدرعة ، وتنشط قوات **الباثيت لاو** فى مطاردة محمومة لقوات العدو عبر الحدود . وهناك مثال على ذلك ، ان احدى الشركات الامريكية للاخشاب رفضت ان تصل الى حدود المنطقة أو تقترب منها . ورفض طيارو الهليوكوبتر النزول فى لاوس لحمل وحدات سايجون المحاصرة . وقد قتل وجرح وسجن مايقرب من نصف القوات التى يصل تعدادها الى ٢٠ الف جندى ، وكان من بين الضحايا عدد من كبار القواد .

حروب داخلية فى آسيا

وجثم على **آسيا** شبح تكرار الحروب الداخلية بين دولها المستقلة . تلك الحروب التى يستفيدونها فى النهاية ، ومهما كانت الدوافع والنتائج ، الاستعمار الغربى .

ومشاهدة المأساة التى تمثل على الحدود المشتركة بين الهند وباكستان الشرقية ، تخلق شعورا بأن هناك يدا مجهولة تحرك كلا الطرفين وتدفعهم نحو مواجهة مخططة ، يخسران فيها كلاهما ، وحركة التحرر الوطنى .

وقد بدأت الأحداث فى باكستان الشرقية ، التى كانت تفور بالسخط ضد الحكومة المركزية فى **روالبندى** . وهو سخط يجد أسبابه فى تمتع أهالى **البنجاب** (غرب باكستان) بالاغلبية المطلقة فى أجهزة السلطة . بحيث لايتجاوز عدد موظفى الحكومة المركزية المنتمين الى الشرق ١٥ ٪ ، وعدد العاملين فى الجيش من البنغال ١٠ ٪ ، بالاضافة الى فجوة اقتصادية واسعة تفرق بين الاقليمين .

ففى خلال العشرون عاما الماضية ، وجهت الحكومة المركزية ١/٥ الانفاق القومى للاقليم الشرقى ، ٤/٥ للاقليم الغربى . ونال الشرق ١/٣ اعتمادات الاستثمار ، و ١/٤ البضائع المستوردة ، و ١/٥ المعونات الاجنبية . رغم أن سكان الاقليم الشرقى يزيدون ٢٠ مليونا عن سكان الاقليم الغربى ، ويعطى جوت الشرق للباكستان كل عملاتها الاجنبية تقريبا . وتبدو الصورة فى مجال الاستثمارات الخاصة اكثر خطورة . فهناك ٢٠ عائلة من غرب باكستان تسيطر على ٦٠ ٪ من رأس المال الصناعى ، ٨٠ ٪ من رأس المال المصرفى ، ٧٥ ٪ من رأس مال شركات التأمين .

ولم يكن غريبا فى ظل هذه الظروف أن تواجه باكستان اضطرابات اقتصادية وصفها رئيس الغرفة التجارية فى « دكا » بأنها أسوأ ماواجهته الباكستان فى تاريخها . والازمات الاقتصادية ، مناخ طبيعى لتفريخ القلاقل والاضطرابات الاجتماعية والسياسية . ورغم هذه الظروف ففوز **الشيخ مجيب الرحمن** فى انتخابات ديسمبر ١٩٧٠ بأغلبية المقاعد ، وفتح الباب أمام مشاركة واسعة لرجال الشرق فى السلطة المركزية .. كان من المفروض أن يخفف من حدة الازمة ، ويساعد على تهدئة الساخطين وعبور الفجوة بين جناحى الباكستان . ولكن تمسك الشيخ مجيب ببرنامجه الذى طرحه فى الانتخابات والذى يحول باكستان الى نظام فيدرالى ضعيف ، ويقصر دور الحكومة المركزية على النشاط الخارجى والدفاع . ورفض على بوتو زعيم حزب الشعب حضور اجتماعات المجلس الوطنى مالم تتأكد وحدة الباكستان ، ويتخلى الشيخ مجيب عن برنامجه وتتكون حكومة وحدة وطنية من القوى الرئيسية فى الشرق والغرب بصرف النظر عن نتائج الانتخابات .

وأصر كل من الزعيمين على موقفه ، متجاهلين أن الحل لكل المشاكل يكمن فيما يؤمنان به كلاهما من ضرورة الاشتراكية لباكستان . وانحاز الجنرال **يحيى خان** رئيس الجمهورية الى جوار على بوتو . وتطورت الاحداث الى مواجهة دموية بين الحكومة المركزية وسكان الاقليم الشرقى . ووقع مجيب الرحمن فى خطأ اعلان انفصال البنغال عن الباكستان تحت اسم جمهورية « بنجالاويش » ونتيجة للمذابح الدموية التى نصبها الجيش الباكستانى لاهالى الشرق ، بدأت عملية هروب جماعية بالملايين من البنغال الشرقية من باكستان الى **الهند** . وواجهت الهند التى أعلنت تأييدها لاهالى باكستان الشرقية ، مشكلة صعبة نتيجة لتصاعد عدد اللاجئين ومشاكل الايواء والتموين ، والمشاكل العنصرية المتفجرة .

وسرعان ما تحولت المشكلة الى مواجهة اعلامية ، ثم مواجهة عسكرية ساخنة بين الهند وباكستان تهدد بحرب شاملة بين البلدين .

مشاكل « اليسار » الجديد

ومن أغرب الظواهر التى تعرضت لها آسيا التمرد «اليسارى» الذى وقع فى سيلان ضد حكومة السيدة « سيرامانو بندرانايكا » فى أبريل ١٩٧١ ، بعد ٧ أشهر من صعودها للحكم فوق موجة ضخمة من الحماس الشعبى ، وانتصار ضخم فى الانتخابات .

ويطرح هذا التمرد قضية « **اليسار الجديد** » فى صفوف حركة التحرر الوطنى ، وضرورة التفرقة بين القوى العديدة التى يطلق عليها هذا الاسم . فالاختلاف والتناقض بينهم عميق بدرجة كبيرة ، والاتشاح بشعارات اليسار الجديد ، لا يكفى وحده لاعتبار هذه الحركة أو تلك حركة يسارية صحيحة . وبصرف النظر عن النوايا والاهداف ، فالطفولة تؤدى احيانا نفس الدور الذى يلعبه اليمين ضد حركة التحرر الوطنى . وليس هذا ادانة لكل فرق اليسار الجديد . بل ربما كانت التفرقة لازمة فى هذا المجال حماية لقوى اليسار الجديد الحقيقية ، والتى يرى فيها الكثيرون الطريق الوحيد لتحقيق ثورة كاملة فى **آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية** .

وتجربة سيلان درسا هاما ونافعا فى هذا المجال . وقدبدات نذر التمرد تلوح فى الافق منذ بدايات شهر أغسطس ١٩٧٠ ، أى بعد صعود بندرانايكا والتحالف اليسارى للحكم بثلاثة أشهر . وأصبح معروفا فى كولومبو ، وجود جماعة من الجيفاريين (أى هكذا أطلق عليهم) يتجمعون فى تنظيم يحمل اسم (جبهة التحرير الوطنى) ويطالب بتطبيق (اشتراكية نقية) ، وبأسلوب أكثر راديكالية فى الحركة السياسية .

ولم تتخذ بندرانايكا وحكومتها اى اجراء ضدهم ، نتيجة لضغط بعض عناصر حزبها (الجبهة المتحدة) الذين رغم ادانتهم لاسلوب التحرك ، وجدوا من الصعب معارضة أهدافهم المعلنة .

ولكن الصمت شجعهم على اللجوء الى هبة دموية استخدموا فيها تكتيك حرب العصابات والكفاح المسلح . وبدى الامر فى نظر كل العناصر التقدمية فى سيلان أمرا يدعو للريبة والشك .

فهؤلاء لم يفكروا فى التحرك ضد الحكومة الرجعية السابقة والتى تمتعت بسخط الجماهير ورفضها . بينما حملوا السلاح ضد حكومة بندرانايكا ، رغم اتجاهها الاشتراكى الواضح ، ومشاركة الشيوعيين والتروتسكيين فيها .

واهم من هذا ان بندرانايكا نفذت أجزاء هامة من برنامجها الانتخابى فى أقل من سبعة أشهر . فأممت الاحتكارات الاجنبية فى مجال البترول فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ (شل-اسو-كالتكس) وسيطرت على كل عمليات صناعة البترول ، الاستغلال والتكرير والتسويق الداخلى والتصدير . وضمنت للموظفين كل الحقوق السياسية والنقابية . وانشأت لجان استشارية ومجالس للموظفين فى عدد من الادارات الحكومية . وأعادت نسبة الارز التى خفضتها الحكومة السابقة . وسيطرت على أسعار عدد هام من البضائع الاستهلاكية . وأوقفت علاقاتها باسرائيل ، وأقامت علاقات مع ألمانيا الشرقية وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية ، واعترفت بالحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية وعبرت الجماهير عن تأييدها لممارسة الجبهة للحكم ، بمنحها الغالبية فى كل المجالس المحلية التى أجريت فيها الانتخابات ، وفقد الحزب المعارض وحلفاءه وجودهم تماما حتى فى المناطق التى تعتبر احتكارا لهم منذ عشرات السنين .

ورغم هذا وقع التمرد اليسارى ونجحت بندرانايكا فى هزيمته ، ولكن الثمن كان غاليا .

وهناك حقائق تثير الشك فى حقيقة انتماءات الحركة وارتباطاتها اليمينية ، فالمعارضة اليمينية سبقتهم ازاء عجزها عن الحصول على تأييد جماهيرى لمواقفها واهدافها الرجعية ، الى تبنى مطالب بالغة التطرف والراديكالية فى قضية البطالة مثلا . وحاولت الاستفادة من ضياع وتشتت الشباب واستخدامهم فى ضرب الحركة التقدمية .

ويشير بيان الحكومة الى عدة حقائق : « فبالرغم من أن أغلب أعضاء الحركة لا يأتون من عائلات ميسورة ، كان واضحا ان الحركة كانت تتدعم بمعونات مادية متزايدة مكنها من تسيير عدد من السيارات ، وتنظيم فصول دراسية وتجمعات مختلفة فى عديد من انحاء الوطن ، ونقل أعضائها من منطقة لاخرى ، ونشر وتوزيع مواد دعائية . وفى معسكرات التدريب الخاصة بها دربت الاعضاء على استخدام السلاح وطرق انتاج القنابل اليدوية واستخدام المسدسات والاسلحة المختلفة » وفى بيان آخر لبندرانايكا قالت « ان الارهابيين مدعومين بكبار الماليين ومنظماتهم الاجرامية » .

وقال أحد قادة الحزب الشيوعى : « انها حركة فاشية ارهابية تخدم اهداف ومصالح خفية لم تكشف عن نفسها بعد » .

وبصرف النظر عن المناقشة التى يمكن أن تدور حول حقيقة اهداف هذه الحركة ، وحول انتمائها لليسار أو اليمين ، فمن المؤكد أنها حققت خدمة كبيرة لليمين ، ودفعت سيلان وحكومة بندرانايكا الوطنية الى موقف حرج ، فعطلت كثيرا من خطط التطور الاشتراكى والتنمية الاقتصادية .

تعليق

قضايا أربعة رئيسية - هى موضع الخلاف

يمكن حصر النقاط التى تتباين حولها وجهات النظر فى العرض التحليلى الذى قدمه الاستاذ حسين عبد الرازق ، فى قضايا عامة رئيسية أربعة هى :

● يقوم العرض التحليلى على أساس مفهوم فكرى نلمسه بوضوح - على طول المقال - يقول بأن المهمة المطروحة أمام حركات التحرر الوطنى الان هى مهمة انجاز الاشتراكية . يبرز هذا المفهوم بشكل خاص عندما يتناول الكاتب تجربة حركة التحرر الوطنى فى شيلى .

وفى رأيى أن المطروح أمام حركات التحررالوطنى الان - تاريخيا وموضوعيا - هى مهمة تحقيق سلطة الديمقراطية الوطنية وانجاز مهامها ، وليس مهمة « خلق جمهورية للطبقة العاملة » أو اقامة « حكومة اشتراكية » - كما جاء فى العرض .

● فى الجزء الخاص بامريكا اللاتينية يبرز العرض - عن قصد أو عن غير قصد - دور « اليسار الجديد » باعتباره القوى الطليعية التى تقود حركة التحرر الوطنى فى نفس الوقت الذى يعمم فيه العرض - دون مبرر - قصور الاحزاب الشيوعية عن ادراك هذا الجديد وتفهمه وبالتالى عدم اتخاذ موقف تسليم منه . بينما يبرز العرض - عن قصد أيضا ، أو عن دون قصد - دور « اليسارالجديد» فى آسيا مطعونا فيه . وفى الحالتين « يغمز » العرش فى اليسار - والشيوعىمنه بشكل خاص - بشكل تعميمى، وبدون الدخول فى التفاصيل أو ابراز دور « اتجاه » على « اتجاه آخر » أو مناقشة « أخطاء » هذا أو «سلامة» مواقف ذاك ، يمكن القول بأن جذر المشكلة يبقى دائما عند ظاهرة حقيقية مفادها أن قوى التحرر الوطنى - فى القارات الثلاثة وفى غالبها الاعم وبمختلف اتجاهاتهـا الوطنية والديمقراطية والاشتراكية - فشلت حتى الان فى ايجاد صياغة قادرة للوحدة الوطنية الديمقراطية - والصراع داخلها فى اطار التناقضات الثانوية - تواجه بها الخطر الاعظم الذى يتهددها جميعا : تسـلل الامبريالية الى صفوفها وحزبها الواحدة بعد الاخرى . ولا ينبغى أن نتناول « اليسار » هنا على أساس أنه « مسيح العصر » « لتصلبه » على سلبيات البورجوازيات الوطنية وعدم عمق أصالة ثوريتها الاجتماعية ورغبتها الدءومة فى الانفراد بالسلطة بينما تتحدث عن سلطة كل القوى صاحبة المصلحة فى التغيير الثورى .

● عندما يتعرض الكاتب لفشل بعض تجارب حركات التحرر الوطنى سواء فىأمريكا اللاتينية - بوليفيا بالذات - او فى افريقيا - أوغندا مثلا - ..الخ ، ينبغى - فى رأيى - أن ينتهى العرض فى هذا المجال الى صياغة نتاج هذه التجارب وهو : فشل « قوى الوسط » أو مفاهيم « الطريق الثالث » أو « الطراز القومى » فى انجاز لامهام التقدم الاشتراكى فحسب بل وفى انجاز الدعامة الرئيسية لسلطة ومجتمع « الديمقراطية الوطنية » . هذا الفشل الذى يمكن أن نفسر فى ضوئه كثيرا من المآسى التى نفاجأ بها - بين يوم وآخر - فى مسار كثير من حركات التحرر الوطنى .

● عندما يتناول العرض قضية « النظم العنصرية » فى افريقيا ، يدور فى اطار مفهوم شائع يحصر القضية - أو يكاد - فى اطار خطر العنصرية والبعد الانسـانى للمشكلة . وقضية النظم العنصرية - فى رأيى - تجاوزت هذا الاطار وهذا البعد كثيرا ، وبخاصة فى جنوب أفريقيا. ان الخطر الذى يتهدد افريقيا اليوم - ويمس هذا أيضا قضية الحوار مع النظم العنصرية - هو خطر - الزحف او التسلل الاقتصادى الذى بدأ بالفعل وتجـاوز بالقضـية حـدودها « العنصرية » و « الانسـانية » الى حـدود « الاستقلال السياسى » و « الاستقلال الاقتصادى » لدول القارة تدريجيا .

على أننا يمكن ان نضيف بعض الملاحظات التفصـيلية الهامة ، نعتقد بضرورة رصدها :

● فعندما يتناول العرض العناصر الموضوعية التى أدت الى تصاعد حركة التحـرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية ، يتجاهل العرض أبراز الدور الهام الذى نتج عن بقاء كوبا وحماية المعسكر الاشتراكى لهذا « الوجود الثورى » ، فضلا عن دور كوبا نفسها . ولعـل الدور الذى قام به جيفارا - أحد الدعامات الاساسية لثورة كوبا - سواء فى بوليفيا أو فى غيرها ، يغنى عن أى تكرار .

● عندما فشل « برنامج التحالف من أجل التقدم » فى أمريكا اللاتينية ، لم يكن فشله فى « تحقيق الهدفالاقتصادى الرئيسى للبرنامج » أى « تحسين مستوى معيشة شعوب أمريكا اللاتينية ... الخ » . وانما يتمثل فشله الرئيسى فى تكريس دور وبرامج المفاهيم الاصلاحية كبديل لمفاهيم الثورة الاجتماعية .

● قول الكاتب بان زائيرى (الكونجو كينشاسا سابقا) وزامبيا قد أممت صناعة النحاس ، يفتقد الى الدقـة . فالمعروف أن هاتين الدولتين لم تؤمما صناعة النحاس وانما حولته الى صناعة وطنية بمعنى أن الدولة - فيهما - شاركت بنسبة تزيد عن النصف فى رءوس أموال وادارة هذه الصناعة .

حسـين شـعلان

من الدفاع الى الهجوم على مواقع الاستعمار الجديد



أبو سيف يوسف

عندما دخلت حركة الثورة العربية ، حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية والصهيونية ، والمناضلة من اجل التقدم الاجتماعى والاشتراكية ، عام ١٩٧١ ، كانت هذه الحركة قد بدأت تعانى من انحسار واضح ، بدأ بكيفية خاصة منذ تقديم امريكا لمبادرة **روجرز** ، وبلغ قمته فى مجازر سبتمبر ١٩٧٠ التى ادارتها الرجعية الاردنية ضدالعمل الفدائى الفلسطينى. ثم اتسع هذا الانحسار فى حركة الثورة العربية بعد وفاة الرئيس **جمال عبد الناصر** .

هكذا ، وجدنا انه بعد مبادرة روجرز حدثت انقسامات حادة داخل صفوف القوى والاحزاب التقدمية على صعيد البلاد العربية كلها ، وانقسامات وخلافات على صعيد الدول الوطنية والتقدمية . وانقسامات وخلافات على صعيد منظمات المقاومة . ثم بين المقاومة وبين بعض الدول الوطنية والتقدمية .

وتحت وطأة هذه الانقسامات والخلافات أخذت بعض التناقضات الثانوية داخل حركة التحرر العربية تنمو وتستفحل ، وتهدد بأن تتحول — رغم طبيعة الاشياء — الى تناقضات عدائية .

فى ظل هذه التطورات السلبية التى بدأت تظهر فى الثلث الاخير من عام ١٩٧٠ ضاعفت الامبريالية الامريكية هجومها على حركة التحرر العربية ، وركزت هذا الهجوم وواصلته معابتداء عام ١٩٧١ ، وعلى امتداده فى اتجاهين رئيسيين:

- ضد مصر بهدف عزلها عن حركة التحرر العربى، تمهيدا لاحداث انهيار داخلى فيها يصفى سياستها الوطنية والتقدمية .
- ضد الثورة الفلسطينية ، بتصفية النضال الفلسطينى المسلح ، تمهيدا لدفن قضية فلسطين الى الابد .

ماالذى حققه هذا الهجوم ، **وماالذى حققته** من نجاح ، وماهو — على وجه أصح — **موقف** قوى الثورة العربية ، وماهى آفاق **حركتها** ؟ هذا هو موضوع حسابات ١٩٧١ وآفاق عام ١٩٧٢ .

والاجابة على هذه الاسئلة تتطلب بداهة أن ندرس فى عام ١٩٧١ حركة الحلف الامريكى الاسرائيلى المعادى : استراتيجيته وتاكتيكاته فى المنطقة العربية .

عداء اصيل للثورة العربية

ان عداء الولايات المتحدة الامريكية لحركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية عداء أصيل يرتبط بطبيعة واتجاهات هذه القوة الدولية التى تتزعم قوى الامبريالية والاستعمار الجديد . ولن نعود هنا الى التاريخ ، والى التحليلات النظرية عن طبيعة الاستعمار . ولكن سنكتفى بما حدث خلال العام المنصرم .

ففى بداية ١٩٧١ اعلن وزير الدفاع الامريكى « ملفين ليرد » أن واشنطون قد توصلت الى صياغة تصور استراتيجى جديد فى المجال العسكرى يسمى « **بالاحتواء الواقعى** » واوضح « ليرد » ان هذه الاستراتيجية العسكرية هى الجانب التطبيقى لنظرية الرئيس نيكسون المعروفة باسم « **نظرية جوام** » . وبعد أن نقد « ليرد » نظرية **جون كيندى المعروفة** باسم نظرية « **الرد المرن** » اعلن أن التصور الجديد يقوم على ثلاثة مبادىء قدمها نيكسون وهى :

١ — مبدأ المشاركة

۲ ــ مبدأ القوة

۳ ــ مبدأ الاستعداد للدخول فى محادثات .

المبدأ الثانى هو مبدأ القوة،أو «القوى المجمعة أن كل أمة ــ حليفة لامريكا أو صديقة ــ يجب أن تقدم الامدادات البشرية ، اما امريكا فتقدم المعدات الحربية والذخيرة والخبراء .

المبدأ الثانى هومبدأ القوة، أو « القوى المجمعة أو المكثفة » . وهذايعنى أقصى وافضل استخدام لموارد « العالم الحر » . وهذا يعنىايضا انه يتعين على حلفاء امريكا أن تكون لهم تشكيلات عسكرية نظامية واحتياطية كافية . ونحن نعلم انه تحت عنوان افضل استخدام لموارد « البلاد الصديقة » ظهر تعبير فتنمة الحرب فى آسيا .

وتنفيذا لتصورها الاستراتيجى « الجديد » خصصت أمريكا فى ميزانية ۷۱ / ۷۲ اكثر من ۸۰ ألف مليون دولار للدفاع الوطنى بزيادةقدرها ۶۰۰۰ مليون دولار عن ميزانية ۱۹۷۰ .

ويعتبر السلاح الذرى العامل الحاسم فى نجاح استراتيجية « الاحتواء الواقعى » . وهذا يفرض على أمريكا أن تصل الى حد « الكفاية » فى صنع الاسلحة الذرية ، ويشرح العسكريون الامريكيون معنى تحقيق « الكفاية » فيقولون انه قد يتحتم علىامريكا أنتكون مستعدة«لتخوض حربا ونصف حرب » (۱) ومعنى هذا أن على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لان تخوض حربا عدوانية ضد البلدان الاشتراكية فى اوروبا او فى آسيا ، وان تخلق حالة طوارىء فى مكان آخر . وهذا المكان الآخر يعنى قمع حركة التحرر الوطنى فى اكثر من مكان (۱) .

ووفقا للنظرية الجديدة يتجه **البنتاجون** الى انشاء قوات مسلحة محترفة مائة فى المائةعلى اساس استئجار المتطوعين . وتعمل الولايات المتحدة وفقا لمخطط طويل المدى على خلقجيش من المرتزقة معزول عن الشعب ، أى مستعد لارتكاب أى جريمة من اجل الحفاظ على مصالح الراسمالية الامريكية .

واذا صح ان هذه النظرية الجديدة لاتختلف فى الواقع فى جوهرها العدوانى عننظرية **ايزنهاور** فى « الردع الشامل » ، ونظرية **كيندى** فى « الرد المرن » الا أن الجديد فيها هو أنها انما تؤصل على أعرض اسس تكنيكية وتنظيمية عسكرية .

والنتيجة الاساسية التىنخلصاليها هىأنخطر العسكرية الامريكية يتفاقم اكثر فاكثر ، وهذا يعنى انه يجب أن نتوقع اشتداد الاتجاهات العدوانية للامبريالية الامريكية ، وهو اشتداد يرتبط ارتباطا عضويا بتفاقم الازمة التى يتردى فيها الاقتصاد الامريكى .

فاذا نظرنا بعد ذلك الى واقع العلاقةالخاصة بين واشنطون وتل ابيب فى عام ۱۹۷۱ ، أمكن أن نرى الاستراتيجية العسكرية الامريكية فى التطبيق ، وفى دائرة الصراع العربىالاسرائيلى. فوفقالمبدأ المشاركة لميكفالمسئولون فىواشنطون (منذ بداية ۱۹۷۱ حتى زيارة **جولدا مائير** فى ديسمبر الماضى) عن التأكيد القاطع بانهم لن يسمحوا باختلال ميزان القوة العسكرية بين اسرائيل من ناحية وبين الدول العربية مجتمعة من ناحية اخرى .

واذا كانت اسرائيل ، تقدم العساكر (بل انها تضع المجتمع الاسرائيلى كله تحت السلاح) فأن امريكا خلال عام ۱۹۷۱ قد فعلت الاتى وفقا لمبدأ المشاركة :

● ساعدت اسرائيل على تطوير افرع معينة من الصناعات الحربية ، خصوصا الهندسة الجوية ، واحدث المعدات الالكترونية .

● قدمت لاسرائيل المساعدات الفنية لتحسين الطائرة المقاتلة سوبر ميراج .

● امدت اسرائيل بالمزيد من الطائراتالمقاتلة القاذفة من طراز فانتوم .

من هنا لانبالغ اذا قلنا انه وفقا لتعاظم المساعدات الامريكية العسكرية لاسرائيل فان برنامج العسكرة الشاملة للاقتصاد الاسرائيلى ينفذ بثبات واضطراد .

على ان المشاركة العسكرية الامريكية الاسرائيلية لم تقف فى عام ۱۹۷۱ عند هذا الحد وانما يمكن أن نرصد ــ ايضا ــ الوقائعالخطيرة التالية :

● سماح اسرائيل لطائرات التجسس الامريكية يو ــ ۲ باستخدام المطارات القائمة فى الارض العربية المحتلة . هذه الطائراتالتى تجمع المعلومات من سماء مصر وسوريا وليبيا.

● تعزيز التعاون والتنسيق بين المخابرات المركزية الامريكية ، وبين المخابرات الاسرائيلية . وكانت زيارة **رتشارد هيلمز** مدير المخابرات الامريكية لاسرائيل فى صيف ۱۹۷۱ موضعا لتعليقات شتى . أما مصادر اوروباالغربية فقد اشارت الى أن هذه الزيارة ترتبط بمسعى أمريكا الى ايجاد علاقات بين جهاز الحرب الاسرائيلى وبين حلف شمال الاطلنطى . أما **ديان** فقد دعا صراحة الى تعاون بين اسرائيل وبين حلف الاطلنطى قائلا : « كيف يمكن لمخططى الاستراتيجية الاطلسية ان يتجاهلوا قاعدةجوية

(۱) انظر : استراتيجية مآلها الفشل ــ للماجور جنرال سيمونيان ــ البرافدا ۱٦ اغسطس ۱۹۷۱ ــ الترجمة الانجليزية

كتلك التي يحتلها الاسرائيليون في سيناء (بئر جعفة) خلال تقييمهم للقوات السوفيتية في الشرق الاوسط مواجهة القوات الاطلسية » (٢)

● ولكن لما كانت مهمة خلق روابط بين جهاز الحرب الاسرائيلي وبين حلف شمال الاطلنطي لاتدخل بالمعنى المعروف في اختصاص رجال المخابرات «هيلمز»، بل انه يدخل ــ بالاحرى ــ في اختصاص رجال من أمثال روجرز وسيسكو .. الخ فان مدير المخابرات الامريكية الذى كان يرأس فيما مضى « قسم الدعاية السوداء » (٣) في وكالة المخابرات ، لابد وانه يكون قد بحث مع المخابرات الاسرائيلية قضايا محددة تستهدف مضاعفة عمليات التخريب داخل حركة التحرر الوطني ، والتركيز على ضرب علاقات الصداقة المتطورة بين الاتحاد السوفيتي وبين الدول التقدمية العربية . بل من الارجح أن اجهاض آثار معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية كان موضع عنايته الخاصة . وكانت الجارديان البريطانية قد اشارت الى أن الولايات المتحدة تحتفظ منذ مدة في بلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، وفي بلدان الشرق الاوسط بشبكة معقدة ومحكمة من شبكات الجاسوسية (٤) . ولم يكن من قبيل الصدفة انه بعد اسبوع من زيارة هيلمز لاسرائيل جددت قوات الملك حسين هجومها الدموى على الفدائيين ، ومن المعروف ــ وهذا مادللت عليه مجازر سبتمبر ١٩٧٠ ــ ان واشنطن وتل أبيب كانتا توليان اهتماماخاصا بمضاعفة اوجه النشاط الهدام في الاردن . ان أيلول الحزين عام ١٩٧٠ يحكي القصة كلها .

واذا كانت الحياة قد اظهرت أن اعمال الجاسوسية وأوجه النشاط الهدام الاخرى قد ارتفعت الى مستوى السياسة الرسمية للولايات المتحدة . واذا كان الدعم العسكري الامريكي المكثف لقوى العدوان الاسرائيلي لايزال سلاحا رئيسيا من اسلحة واشنطون لردع حركة التحرر الوطني العربية ، فان هذه الأساليب مجتمعة ، انما تضاف اليها، وتكملها المناورات الدبلوماسية التى قامت ولاتزال تقوم بها الولايات المتحدةضد الثورة العربية ، والتي بلغت ذروتها في عام ١٩٧١ ضد مصر بوجه خاص .

والواقع ، فانه كما اوضح الرئيس السادات في مجموع خطبه واحاديثه التي بدأت بخطابهفي مجلس الشعب (١١ نوفمبر ١٩٧١) وانتهت باجتماعه باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، وبتصريحاته الى مجلة نيوزويك الامريكية ... نقول ان القيادة السياسية في مصر قد صاغت تجربتهامع الدبلوماسية الامريكية في نتيجةمحددة وهي أن واشنطون قد ركزت كل جهودها من أجل ايجاد حل جزئي للقضية (فتح القناة) واسقاط القضية الرئيسية قضية الاحتلال .

كما اوضح أن الولايات المتحدة لاتريد ،وليست جادة في حل سلمي يطبق نصا وروحا قرارمجلس الامن رقم ٢٤٢ . والحقيقة ان كل ما سعت الولايات المتحدة اليه هو أن تجر مصر الى مائدة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، ليملي الغزاة الاسرائيليون ، ومن موقع القوة ، شروط الصلح كما يريدونها . ان الولايات المتحدة تريد بهذا ، وبايجاز ، ان تفرض الاستسلام على البلاد العربية .

ففي خلال عام ١٩٧١ جاء روجرز وذهب ، وجاء سيسكو وذهب ، وجاء موظفون من وزارة الخارجية الامريكية ثم ذهبوا ، وبعث نيكسون برسائله ، وقدم الدبلوماسيون اسئلة واستفسارات وتلقوا الاجابات عليها ، ثم وعود متكررة بأن واشنطون ستقوم بمبادرات ايجابية لزحزحة اسرائيل عن موقفها . الا أن جميع هذه المناورات الدبلوماسية قد كشفت ــ في النهاية ــ عن الاهداف الحقيقية المستترة وراءها ، هذه الاهداف يمكن تلخيصها فيما يلي :

ــ ارادت امريكا باستمرار أن تبعد قضية الصراع العربي الاسرائيلي عن المجتمع الدولي لتنفرد بتقديم حل امريكي أى اسرائيلي في المضمون .

ــ ارادت امريكا باستمرار أن تعزل مصر والدول العربية عن صديقها الاساسي الاتحاد السوفيتي .

ــ ارادت امريكا باستمرار أن تعزل مصر والنظام القائم فيها عن حركة الثورة العربية ، وأن تغذى في صفوف الوطنيين والتقدميين العرب أن مصر تتراجع عن خط ثورة يوليو ، خط النضال ضد الامبريالية ومن اجل التقدم الاجتماعي والوحدة العربية .

هذه الاهداف المباشرة لنشاط الدبلوماسية الامريكية ، اذا كانت القيادة السياسية فيمصر ــ بدافع من وطنيتها ــ لم تستجب لها ، وبالتالي لم تمكن الولايات المتحدة من تحقيقها ، الا أن هذا ــ على اهميته ــ لايمنع ونحن نقدمحسابات ٧١ وآفاق ٧٢ من أن نقول انها تركت آثارا سلبية على مجمل الوضع العربي ابرزها :

ــ ماحدث على الصعيد العالمي : عندماشرعت اجهزة الدعاية الامبريالية الصهيونية تقنع الرأى

---

(٢) جريدة النداء البيروتية ــ ١٩٧١/٧/١١ .
(٣) القسم المكلف بتنظيم اعمال التخريب داخل البلدان الاشتراكية .
(٤) سوفيتسكايا روسيا ــ ١ ــ ٨ ــ ١٩٧١ (الترجمة الانجليزية) .

العام الاوروبى وفى بلدان العالم الثالث بمازعمته من أن هناك اتفاقا « امريكيا مصريا » لحل قضية العدوان الاسرائيلى . ان ضرر هذه الدعاية لم يصب يقظة الرأى العام فحسب بل وصل الى دوائر واسعة فى اليسار الاوروبى .

— ما حدث على الصعيد العربى : اذ استفادت قوى الرجعية العربية من المظلة التى نشرتها الدبلوماسية الامريكية فنشطت هذه القوى القبلية وشبه الاقطاعية ، التى عزلتها الثورة العربية وشرعت مرة اخرى تحاول ان تزكى نفسها كقيادات كان التاريخ قد وضعها منذ زمن بعيد فى متحفه . ولقد تمكنت هذه القوى الرجعية من أن تعاود تاثيرها السلبى والضار على حركة التحرر العربية سواء بالعمل المكشوف والسافر الذى اتخذ شكل تدخل واعتداءات مسلحة على الثورة فى جنوب اليمن او سواء عن طريق التسلل الاقتصادى فى بعض البلدان العربية .

— وعلى الصعيد المحلى ، وفى اكثر من بلد عربى ، ساعد نشاط الدبلوماسية الامريكية على انعاش ملحوظ لقوى اليمين الاجتماعى . هذا اليمين الذى راودته ، ولا تزال تراوده الامال فى تصفية اتجاهات الثورة الاجتماعية . والذى يركز آماله على « تحسن » فى العلاقات الامريكية العربية ، يستطيع معه ان يحمى مصالحه الطبقية . غنى عن الذكر ، أن حركة اليمين الاجتماعى فى الوطن العربى هى الاساس المادى الذى تنمو وتترعرع عليه أيديولوجية معاداة الشيوعية ، والعداء للاشتراكية وللاتحاد السوفيتى ، هذه الايديولوجية التى هى سلاح رئيسى من اسلحة الامبريالية الامريكية والصهيونية .

حركة العدو الاسرائيلى

اذا صح أن الامبريالية الامريكية تدخل اسرائيل فى استراتيجيتها الشاملة باعتبارها قوة الردع الرئيسية ضد الثورة العربية ، فان حكام تل ابيب يدخلون فى استراتيجيتهم الشاملة . حقيقة أنه لاحياة لاسرائيل كدولة عنصرية وتوسعية الا اذا وثقوا ارتباط دولتهم بالعسكرية الامريكية ، والا اذا ضاعفوا من ارتباط الاقتصاد الاسرائيلى بالاقتصاد الامريكى الى حد التبعية . واحتياج كل طرف الى الآخر يتضاعف كلما تبينت أمريكا أن مواقعها فى مصالحها الوطن العربى تتآكل وتتقلص كما تآكلت وتقلصت معظم قواعدها العسكرية . وكلما تبين قادة اسرائيل — بمرور الايام — أن دون تحقيق أهداف عدوان يونيو صعوبات هائلة حقا .

وأيا ماكان نوع ودرجة « استقلال » حكام تل ابيب عن السياسة الامريكية ، فان طبيعة العلاقة التى تمت بين الامبريالية الامريكية وبين الدولة الصهيونية ، هى التى تفسر مواقف اسرائيل خلال عام ١٩٧١ من حل قضية الشرق الاوسط ، وهى التى تلقى الضوء على ماستفعله فى المستقبل .

● فاولا استمرت اسرائيل ترفض كل مسعى لتنفيذ قرار مجلس الامن .

ثانيا : لم يتوقف قادة اسرائيل فى تصريحاتهم الرسمية عن رفض العودة الى حدود ٤ يونيو وأعلنوا أن لهم مطالب فى الاراضى التى احتلوها .

ثالثا : استمر حكام تل أبيب يوطدون مراكزهم فى الارض العربية المحتلة فيزيدون من بناء المستعمرات الحربية فى المرتفعات السورية وفى سيناء ، والضفة الغربية . وكانت اشد جرائمهم بشاعة هذا العام طرد عشرات الألوف من اهالى قطاع غزة الى الضفة الغربية والى العريش .

أما القدس فيبدو أن عملية تهويدها قد اصبحت واقعا ماديا . . . لا لأن الأسرائيليين قد هدموا بيوت العرب واقاموا احياء جديدة فحسب ، بل لأنه لم يعد فى ١٩٧١ يسكن القدس غير سبعين الف عربى من ٣٠٠ الف عربى كانوا فى المدينة قبل عدوان يونيو (٥) . وفى موضوع القدس ترفض اسرائيل حتى أن تستمع الى اى اقتراح أو التماس ضعيف من قبيل السماح لممثلى يوثانت بزيارة المدينة المقدسة . ان هدف اسرائيل هو مواجهة الرأى العام العالمى بالأمر الواقع اى بانشاء القدس الكبرى ، بسكان اسرائيليين يبلغ تعدادهم فى المستقبل ٩٠٠ الف نسمة (٦) .

لكن عملية « التهويد » لاتقتصر على الاماكن ، وانما تتجه بالتدريج الى تهويد اقسام من السكان العرب انفسهم . وهكذا وافقت اللجنة المركزية للهستدروت بالاجماع فى ١٤ يونيو ١٩٧١ على القرار الخاص بربط الدروز بالهستدروت ربطا كاملا . وستعطى من الآن صفة العمال للجان العمال فى القرى الدرزية .

ثالثا : ان جميع هذه المواقف تقرنها السلطات الاسرائيلية بمظاهرات القوة المسلحة ، ففى الربع الاخير من عام ١٩٧١ توالت تصريحات القادة الاسرائيليين عن احتمال « نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط» (**بارليف**) . ودعا الجنرال **وايزمان** الى بدء عمليات عسكرية جديدة ، مطالبا «بتدمير شبكة الصواريخ المصرية» . واقترنت بهذه الصيحات عمليات تعزيز القوات الاسرائيلية فى منطقة قناة السويس ، وبمناورات تضم تشكيلات جوية ضخمة ، وتحويل قوات الاحتياطى من عمق اسرائيل الى المواقع المتقدمة .

(٥) ، (٦) : جريدة الازفستيا — ٣ اغسطس ١٩٧١ — الترجمة الانجليزية لوكالة نوفستى ..

ونحن اذا حللنا موقف المعتدين الاسرائيليين فسوف نجد تطابقا وتنسيقا كاملا بينهم وبين السياسة الامريكية فى الموقف من ازمة الشرق الاوسط .

فاسرائيل راغبة تماما فى الابقاء على حالة اللاسلم وحالة اللاحرب . اولا : لأن هذه الحالة تسمح بالتوسع فى الاراضى المحتلة، بفرض الامر الواقع . وثانيا : لأن هذه الحالة يمكن أن تساعد (فى تصور اسرائيل) على تآكل الانظمة الوطنية التقدمية . وثالثا : لأن هذه الحالة تستنزف الاتحاد السوفيتى الذى تعلم اسرائيل انه متضامن مع العرب فى ردع العدوان .

● وعلى اية حال ، فاذا كان لابد وأن تخلق اسرائيل الوهم فى صفوف الرأى العام العالمى بأنها تريد حلا للازمة ، فانها تقدم فى هذه الحالة **مبدأ المفاوضة مع العرب وقبول التسوية الجزئية . والمفاوضة هنا يجب أن تكون بدون قيد أو شرط ، اى من مركز القوة .** اما الحل الجزئى فانه طريق اسرائيل لفرض نوع من هدنة ١٩٤٩ تحقق فيه اهدافها التوسعية فى الارض المحتلة .

مما تقدم كله ، نخلص الى هذه النتيجة وهى **ان اسرائيل سوف تواصل عام ١٩٧٢ تصلبها المعتاد . ولكن لما كانت واشنطون تمدها — بدون توقف — بالاسلحة الهجومية ، فان هذه الاسلحة لاتطلبها اسرائيل للاحتفاظ بالارض العربية التى احتلتها بعد يونيو فحسب . بل للقيام فى المستقبل بالمزيد من الاعمال العدوانية .**

حركة الاحداث فى الوطن العربى

ربما كان من المتعذر أن نرصد فى هذا المقال بالتفصيل غالبية الاحداث التى مرت على الوطن العربى عام ١٩٧١ . غير اننا سنكتفى منها بأبرزها ، وبما يرتبط — خصوصا — بالصراع العربى الاسرائيلى ، وبالنضال ضد الامبريالية من اجل الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وبمستوى الوحدة والتضامن بين الفصائل الوطنية والثورية داخل حركة التحرر العربى .

ويمكن أن يقال أن رصيد حركة الثورة العربية فى الثلث الأول من عام ١٩٧١ كان — بشكل عام — ايجابيا .

ففى يناير احتفلت مصر باتمام السد العالى بكل مايرمز اليه سد اسوان من مقاومة عنيدة للامبريالية العالمية ومخططاتها ، ومن تمسك الشعب بخط التطور المستقل ، وبالصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

وفى فبراير اعلن الرئيس السادات أن مصر ستمد وقف اطلاق النار لمدة شهر . ولكن الرئيس عاد فى مارس واعلن ان مصر لاتلتزم بوقف اطلاق النار أو الامتناع عن وقف اطلاق النار . وكان هذا القرار يستجيب لضرورات رفض التسليم بالواقع الذى يريد ان يفرضه العدو فى المناطق المحتلة .

وفى الثلث الاول من عام ١٩٧١ وفى نطاق استمرار النضال ضد السيطرة الامبريالية ، خاضت الدول العربية المنتجة للبترول معارك ناجحة ضد الاحتكارات الدولية . ففى فبراير قامت الحكومة الجزائرية، من جانب واحد ، برفع اشتراكها فى شركات البترول الفرنسية العاملة فى البلاد الى ٥١ فى المائة ، وأممت تأميما كاملا كل مصادر الغاز الطبيعى وانابيب النقل فى اراضى الجمهورية . وبذلك وضعت الجزائر تحت السيطرة الوطنية كل قطاع البترول والغاز .

وفى ابريل استطاعت ليبيا أن تجبر الشركات المنتجة للبترول (غالبيتها شركات أمريكية) على أن ترفع سعر البرميل الخام الى ٣٫٤٥ دولار بزيادة ٩٠ سنتا . والزمت الشركات بدفع فروق الاسعار منذ عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٧٠ مع زيادة الاسعار سنويا بنسبة ٢٫٥ فى المائة . هذا فضلا عن تعهد الشركات العاملة باستثمار جزء معقول من الارباح فى عمليات البحث والتنقيب واقامة صناعة بتروكيمائية فى البلاد .

وعلى صعيد القوى الثورية شهد الثلث الاول من عام ١٩٧١ اجتماع الدورة الثامنة للمجلس الوطنى الفلسطينى . وترجع اهمية هذه الدورة الى انها اول دورة بعد مجازر سبتمبر ، وبعد حركة النقد والنقد الذاتى التى جرت فى صفوف منظمات المقاومة الرئيسية وتناولت اساليب المقاومة ، وعلاقتها بالحركة الوطنية الاردنية وبالقوى الوطنية والتقدمية على الصعيدين العربى والعالمى . وفى هذه الدورة اقر الاجتماع البرنامج السياسى للثورة الفلسطينية . وربما كان من أهم ماتحقق فى هذه الدورة هو اتساع الصفة التمثيلية للمجلس فقد حضر الاجتماع لاول مرة ممثل لقوات الانصار التى نظمها الحزب الشيوعى الاردنى وممثلين عن حركة الارض ، كما حضر الاجتماع فى الجلسة الثالثة ثلاثون من الشخصيات السياسية الاردنية والفلسطينية البارزة .

فاذا أردنا بعد ذلك أن نقيم هذه الفترة من عام ١٩٧١ امكن القول بأن الوقائع التى اشرنا اليها كانت تبشر بامكان انتعاش ملحوظ على الصعيد العربى كله ، ضد الامبريالية وضد اسرائيل وضد الرجعية العربية ، لكن المنطقة شهدت للاسف فى هذه الفترة بداية

نمو صراعات عدائية بين القـوى الوطنية والتقدمية في السودان . ففي فبراير دعاالنظام القائم في السودان الجماهير الى الهجوم على الحزب الشيوعي السوداني ، وتبع هذا اقصاء بعض أعضاء مجلس الثورة السوداني . وبالاضافة يمكن أن نرصد في هذه الفترة بعض الظواهر السلبية التالية :

- تمادي الرجعية الاردنية في حملاتها الدموية ضد المقاومة الفلسطينية .

- تزايد نشاط الأنظمة القبلية وشبهالاقطاعية المتعاونة مع امريكا في الشرق العربي ، وقد امتد هذا النشاط الى منطقة الخليج ، والىاليمن ليستكمل حلقات ابعادها وعزلها عن ركب الدول العربية الوطنية والتقدمية ، وليحولها الىقاعدة للهجوم على الثورة في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية .

الاستعمار الجديد يعاون هجومه

غير أن النهوض المأمول في الحركة المعادية للامبريالية والذي لاحت تباشيره في الثلث الاول من ١٩٧١ قد هددته تراجعات مثلث بداية ازمة ، بل نكسة عميقة ، في صفوف القوى الوطنية والتقدمية على النطاق العربي . وهذه النكسة بلورتها بكيفية حادة أحداث يوليو في السودان . ففي ١٩ يوليو قادت بعض القوى التي تنتسب الى الحزب الشيوعي السوداني ومعها بعض القوى القومية انقلابا عسكريا ضد حكم الرئيس جعفر النميري . غير ان هذا الانقلاب فشل بعد ثلاثة ايام من قيامه . واتبعت السلطة في تصفية آثاره أسلوب الاعدام الفوري لقيادات جماهيرية عمالية وسياسية لها تاريخها ووزنها في الحركة الوطنية السودانية . وادى اسلوب المحاكمات واعدام المعارضين الى حدوث صدع عميق في الحركة الوطنية والشعبية السودانية . وامتدت آثار هذا التصدع لتثير اعمق الخلافات في اكثر من بلد عربي في داخل القوى الوطنية . بل ان هذه الاحداث قد واكبها انحراف بعض القوى الوطنية في حملة بالغة العنف معادية للشيوعية وللاتحاد السوفيتي .

وربما زاد من قتامة احداث السودان انها جاءت ايضا في أعقاب مذبحتين مروعتين : أحدهما حدثت في الاردن في ١٣ يوليو ، والاخير في المغرب في ١٠ يوليو . ففي الاردن شنت قوات الملك حسين هجوما واسع النطاق بالدبابات والمدفعية والطائرات على قوات المقاومة الفلسطينية المتمركزة في الشمال . وقطعت خطوط الامدادات عن الفدائيين ، وحاصرت كثيرين منهم في أماكن تخلو من المياه وطرق المواصلات . وقتلت وجرحت المئات من المقاتلين ومن سكان المخيمات .

أما مذبحة المغرب التي ادارها الملك الحسن عقب فشل انقلاب الجنرال مدبوح ، فانها قد صدمت الرأي العام المتحضر لا لان اعدام انصار انقلاب تم في جو من الاجراءات الأستثنائية (فالمغرب يعيش باستمرار في هذا الجو)وانما لان قتل المواطنين قد تم بدون محاكمات .

واذا جاز لنا أن تلخص الاثار السلبية التي تركتها هذهالاحداثأمكن ان نقول :

١ — انها هددت بطمس التناقض الرئيسي بين حركة التحرر العربيوبين الامبريالية والصهيونية وفجرت تناقضات عدائية بين فصائل الحركة الوطنية .

٢ — انها أقترنت بمحاولات من قبل ممثلي الاستعمار الجديد خصوصا من الامريكان والالمان الغربيين الذينبداوا يتجولون في المنطقةويقدمون الوعود بالمساعدات الاقتصادية .

٣ — انه اذا كانت الحركة الوطنية قد استطاعت في الثلث الاخير من عام ١٩٧١ أن تبدأ في تجاوز آثار هذه الاحداث ، الا انها مع ذلك تركت في الواقع المحلي — في الاردن — بؤر خطر لاتزال تتفاقم :

وفي الاردن أدت المذابح المتتالية ضد شعب فلسطين وطلائعه الوطنية والثورية الى أنيحدث تقلص واضح في حجم العمليات الفدائية على الحدود الاردنية الاسرائيلية (٧) ، وهو الامر الذي يدخل في الرصيد السلبي لحسابات ١٩٧١ ، هذا من ناحية، كما أنه أكد من ناحية اخرى حقيقة انه لاسبيل الى اقامة مايسمى بالجبهة الشرقية طالما ظل الاردن تحت سيطرة عملاء الاستعمار الجديد .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من كل الرصيد السلبي للثلث الثاني من ١٩٧١ لانستطيع الا أن نسجل ان ثمة حدثا هاما في شهر يوليو قد رمى بثقله الكبير في كفة الرصيد الايجابي للعام المنصرم ، ونعني بهذا الحدث توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين مصر وبينالاتحاد السوفيتي . ان عقد هذه المعاهدة في جو الهجوم الذي بداه المستعمرون الجدد في المنطقة بقيادة الامبريالية الامريكية يمكن أن تتضحأهميته فيما يلي :

١ — فقد اكد التزام الاتحاد السوفيتي بدعم القوة العربية من اجل دحر العدوانالاسرائيلي .

٢ — لقد افسد كل المضاربات الاستعمارية وبدد كل التكهنات الرجعية عن ارتداد مصر عن خط الصداقة مع البلدان الاشتراكية .

(٧) حديث ياسر عرفات مع مجلةدى كونتننتال — سبتمبر سنة ١٩٧١ .

٣ — لقد ابرز لأول مرة وبوضوح تنبه القيادات الوطنية واعلانها ورفضها لطعم معاداة الشيوعية .

٤ — في جو البلبلة والتراجع الذي بدا انه يكتسح المنطقة العربية جاء توقيع هذه المعاهدة ليوقف اتساع الهجمة الامبريالية على حركة التحرر العربي .

في الثلث الاخير

فماذا استعرضنا بعد ذلك اهم الاحداث التي وقعت في المنطقة العربية في الثلث الاخير من عام ١٩٧١ امكن القول بأن ابرز الاحداث تدبدأ يمهد الطريق امام الثورة العربية لتنوى مراكزها الدفاعية ثم لتتهيأ — بعد ذلك (ووفقا لتوافر شروط معينة) لمعاودة الهجوم على اعدائها . وفي هذا الصدد يمكننا أن نرصد :

١ — الزيارة الهامة التي قام بها **الرئيس انور السادات** الى الاتحاد السوفيتي ، هذه الزيارة التي نجحت في تبديد سوء الفهم بين الجانبين المصري والسوفيتي ودعمت علاقات الصداقة والتعاون . واكدت استعداد الاتحاد السوفيتي لمد القوة العسكرية المصرية باحتياجاتها من السلاح .

٢ — قيام **الرئيس السادات** في خطابه الى مجلس الامة باسقاط القناع عن الدبلوماسية السرية للولايات المتحدة وادانة تواطئها مع المعتدين الاسرائيليين . بل ان اهم مافي هذا الصياغات الواضحة التي قدمها الرئيس تلخيصا لاهداف الامبريالية الامريكية في المنطقة وهي :

— ان امريكا تريد اخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة .

— ان امريكا تريد عزل مصر عن الامة العربية .

— ان امريكا تريد ضرب التجربة الاشتراكية في مصر .

وقد رفض **الرئيس** هذه الاهداف واكد على أن مصر تلتزم بخط ثورة يوليو خط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي او خط النضال من اجل الوحدة العربية ، والتمسك بطريق التطور المستقل .

٣ — ونضع ايضا في الرصيد الايجابي للثلث الاخير من ١٩٧١ الزيارة التي قام بها في اكتوبر ياسر عرفات الى الاتحاد السوفيتي . هذه الزيارة التي يمكن اعتبارها ثمرة لانتصار الاتجاهات الموضوعية والعقلانية في الدورة التاسعة للمجلس الوطني الفلسطيني . وهي بداية تحول ايجابي في علاقة المقاومة الفلسطينية بالاتحاد السوفيتي . أن المقاومة قد وعت دروس المحنة ، وانها تتغلب بالتدريج على كل الشعارات اليسارية المتشنجة التي تسببت في الاضرار بعلاقاتها بالدول العربية التقدمية ، هذا على الصعيد العربي ، وبقيادة المعسكر الاشتراكي الممثلة في الاتحاد السوفيتي ، على الصعيد الدولي .

٤ — ثم نثبت في الرصيد الايجابي لعام ١٩٧١ مافعلته الحكومة الليبية عندما أممت شركة البترول البريطانية في ليبيا، وماأعلنته من سحب ارصدتها الموجودة في انجلترا . تكمن الاهمية الخاصة لهذا الاجراء الوطني في انه جاء كضربة مضادة لتسليم بريطانيا جزر الخليج الى ايران. ان هذا الاجراء فوق انه يصفي مركزا احتكاريا للامبريالية ، يقدم الدليل على ان القوى الوطنية تستطيع ان ترد ضربات الاستعمار ، ولايزال امامها الكثير لكي تفعله في اتجاه تصفية مراكز الامبريالية والاستعمار الجديد .

وفي هذا الصدد ، ولتقييم المقاومة العربية ضد احتكارات البترول لابد وأن نشير ان المكاسب التي انتزعتها الدول العربية المشتركة في « الاوبك » قد وجهت في عام ١٩٧٠ — ١٩٧١ ضربة شديدة الى هيئة الكارتل الدولي للبترول هذا الكارتل الذي يتكون من غالبية من الشركات الامريكية والذي عرف في الشرق العربي كقوة جبارة خفية تنظم المؤامرات والانقلابات والاغتيالات . ولابد وان يتفق المرء مع تقدير جريدة « لوموند » تعليقا على تراجع شركات البترول أمام ضغوط الدول المنتجة بقولها : ان هذا رسخ في اذهان اوربا الغربية حقيقة أن الكارتل الدولي للبترول لم يعد قادرا على تأمين امداد اوربا بالبترول .

وعندما نرصد تلك الوقائع الاربعة السابقة في الثلث الاخير من عام ١٩٧١ يتحتم علينا أن نتوقف قليلا عند حدث هام من الاحداث التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة ، ونعني به اعلان الامارات العربية كدول مستقلة انضمت الى الجامعة العربية والى هيئة الامم المتحدة .وفي هذا يمكن أن نسجل مايلي :

١ — ان قيام دول عربية مستقلة من الناحية السياسية لاشك انه احد علامات عصرنا على انحسار ظاهرة الاستعمار . وهذه ظاهرة ايجابية .

٢ — انه بالنسبة الى الاوضاع الاجتماعية

والسياسية السائدة فى امارات الخليج لايمكن الا أن نلاحظ أن الطريقة التى اعلنت بهابريطانيا « الانسحاب » من هذه المنطقة ودعوتها للولايات المتحدة لتشارك معها فى اعباء الدفاع عنها ، والمعاهدات التى سبقت اعلان الاستقلال ، ووجود قواعد عسكرية ، والسيطرة الكاملة من قبل احتكارات البترول على الثروةالاساسية فى المنطقة كل هذا يبين ان بريطانيا قد لجأت فى تعاملها مع هذه الامارات الى استبدال الاستعمار الجديد بالاستعمار التقليدى .

٣ ـ انه اذا وضعنا جانبا الطبقة التيتتعاون مع الاحتكارات الاجنبية فى اقتسام عوائدالبترول فان للثورة فصائل مناضلة وممتازة لاتساوفى النضال ضد الاستعمار وهذه الفصائل تتكون اساسا من الطبقة العاملةالعمود الفقرى للحركة الوطنية ومن المثقفين الثوريين .،

آفاق المستقبل

عندما نتحدث عن آفاق الثورة العربية عام ١٩٧٢ لانقوم بعمل من أعمال السحر والعرافة ولكننا نتحدث عن توقعات قد تتحقق او لا تتحقق وفقا لتوافر الشروط الذاتية الخاصة بالثورة العربية .. هذه الشروط المتعلقة بوحدة وتضامن القوى الوطنية والتقدمية .

وبعيدا عن التشاؤم ، وبعيدا أيضا عن التفاؤل الساذج ، يتعين علينا أن نبدأ من منطلقات موضوعية فى الموقف .

أحد هذه المنطلقات أن حركة الثورة العربية فى خلال عام ١٩٧١ قد هددتها اخطار شديدة . ولاتزال تواجهها فى عام ١٩٧٢ مخاطر جدية كامنة فى اشتداد الهجمة الامبريالية الامريكية الصهيونية والرجعية . فاذا قلنا أن حركةالثورة العربية قد بدات فى اواخر العام تدافع عن نفسها ، فان عام ١٩٧٢ يلزمها بأن تعزز خطوط الدفاع ، بل الاصح انه يتعين عليها ان تنتقل الى خط الهجوم .

ولن يكون لهذا الهجوم غير استراتيجية محددة : هى خط الهجوم العام وعلى نطاق الوطن العربى ، وفى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، ضد الاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية . ان اى تردد ، واى فقدان للاتجاه ، واى وقوع فى معارك فرعية وجانبية بين فصائل الثورة ، ان هذا كله يساوى ردة مؤكدة .

اما المنطلق الثانى والاساسى فى هذا الصدد فهو أن يؤسس هجوم الحركة الثورية ضد الاستعمار الجديد على : العوامل التى تضمن تحقيق انتصارات مؤكدة فى هذه المعركة وفى مقدمتها :

ـ فهم علمى بطبيعة واتجاهات حركة التحرر الوطنى العربية ، وذلك من حيث انها حركة معادية للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، ومن حيث انها حركة ذات محتوى اجتماعى يجذب الطبقات الشعبية وفى مقدمتها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون للنضال من اجل التقدم الاجتماعى والاشتراكية .

ـ فهم علمى للانجازات العظيمة التى حققتها هذه الحركة خلال ربع القرن الاخير وثقة كاملة بقوة الثورة على انزال بالامبريالية وعلى حساب قوى الرجعية الداخلية . وفى نفس الوقت الثقة بأن حلفاء الثورة العربية على المستوى الدولى ثابتون فى مواقعهم على دعم هذه الثورة واسنادها .

وفى ضوء هذا كله نستطيع بالرجوع الى حسابات ١٩٧١ أن نؤكد أن ماتحقق من ايجابيات يمكن أن يدعم بما يسمح لقوى الثورة العربية أن تنتقل الى مواقع الهجوم . وهكذا رأينا ، وعلى سبيل المثال : خلال العام الماضى :

- ان قوى الجماهير الشعبية تحركت فى اكثر من مكان وفى اكثر من بلد عربى لتناضل من اجل حقوقها وتدافع عن مكاسبها الاقتصادية والاجتماعية وعن حرياتها الديموقراطية .

- ان قوى الثورة الفلسطينية قد صعدت عملياتها فى داخل الارض المحتلة ، وفى أكثر من مكان وفى داخل اسرائيل نفسها وهذا مااعترفت به وكالات الانباء الغربية .

- ان القوى الوطنية والتقدمية على صعيد الوطن العربى قد رفضت بحزم التصفيات الدموية التى جرت فى السودان وفى المغرب .،

- ان قوى الثورة فى الخليج لم تستسلم لمؤامرات المستعمرين الجدد . وكما ذكرت **لوموند** فى ٤ ـ ١٢ ـ ٧١ انه بعد استيلاء ايران على جزر الخليج قامت مظاهرات وطنية فى معظم احياء المنطقة . « وقد تحولت هذه المظاهرات فى الشارقة ، ورأس الخيمة ، الى ثورة الحقت بالمنشآت الايرانية خسائر كبيرة ».،

- ان القوى التقدمية والوطنية فى اكثر من مكان فى الوطن العربى تشعر رغم التمزق بحاجتها الى دعم وحدة الصف ، ومن هنا فان عام ١٩٧١ قد سجل رصيدا ايجابيا فى هذا الصدد . وعلى سبيل المثال الحوار والتعاون

القائم بين الحزب التقدمي وحزب البعث والحزب الشيوعي في لبنان ، والحوار القائم حول مفهوم الجبهة في سوريا ، والحوار الذي لم ينقطع بين الجبهة القومية في اليمن الجنوبية وبين القوى التقدمية والوطنية الاخرى .

وهذه في الواقع امثلة عما يحدث على مستوى الحركة الشعبية .

وعلى مستوى الدول الوطنية والتقدمية ، يتحتم أن نضع في الرصيد الايجابي لعام ١٩٧١ اعلان دولة الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا . فهذا الاتحاد التعاهدي بين دول مستقلة ، مدعو الى أن يرسي أسسه على مبادىء النضال الحازم والثابت ضد الامبريالية ، وضد قوى التخلف والردة ، ومن أجل الديمقراطية .

وعلى مستوى الدول الوطنية والتقدمية لابد من أن نضع في الرصيد الايجابي لعام ١٩٧١ صمود جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ضد كل أنواع التسلل والهجمات المسلحة التي قام بها المرتزقة على حدودها .

يبقى بعد ذلك القول بأنه أيا كانت الصعوبات والتعقيدات التي تعترض الثورة العربية ، فان كثيرا من هذه الصعوبات يمكن تخطيه اذا احسنت قوى الثورة العربية الاستفادة من الظروف الموضوعية المحيطة بها .

في مقدمة هذه الظروف التواجد السوفيتي في منطقة البحر الابيض المتوسط . واذا استشهدنا بما قاله معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن عام ١٩٦٩ فان هذا التواجد يعمل على « تحييد » قوة الاسطول السادس الامريكي العدوانية . واذا استشهدنا بما تقوله مجلة « **فورين أفيرز** » الامريكية فان التواجد السوفيتي في البحر المتوسط لا يسهل على مشاة البحرية الامريكية او قوات المظلات البريطانية أن يكرروا عمليات الانزال التي حدثت عام ١٩٥٨ في لبنان والاردن (٨) .

وفي الوقت نفسه فثمة ظرفا موضوعيا هاما يتحتم على قوى الثورة العربية أن تستفيد منه . ونعني به التناقضات المتزايدة الحدة بين أمريكا وبين أوربا الغربية .

ففي ظروف المنافسة الاقتصادية بين القوتين تظهر أوربا الغربية (دول السوق الاوربية) مقاومة متزايدة للسياسة الامريكية المتمثلة في التأييد الكامل لاسرائيل . فلقد أدت هذه السياسة الى أضرار حقيقية بالاقتصاد الاوربي ، وهذه الاضرار لا ترجع فحسب الى آثار اغلاق قناة السويس ، وانما ترجع الى أن هجوم الدول العربية على احتكارات البترول يحركها — فيما يحركها — سخط متزايد من قبل العرب على السياسة الامريكية الموالية لاسرائيل . لكن هذا الهجوم الذي تقوم به الدول العربية على الكارتل الدولي للبترول يدفع أمريكا الى أن تحمل أوربا الغربية — المستهلك الاول والرئيسي للبترول العربي — فروق الاثمان . ومن هنا عبرت دول السوق الاوربية المشتركة عن مقاومتها للسياسة الامريكية على مستويين :

— المستوى السياسي وهو المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (٩) .

— المستوى الاقتصادي وهو المسعى الى دخول عالم البترول العربي عن طريق الحصول على امتيازات .. الخ .. فوق أن تحسين العلاقات مع العالم العربي يمكن أوربا الغربية من الاستفادة من الامكانيات المتزايدة الاتساع للسوق العربية .

— على ان الاستفادة من هذا التناقض يجب أن يتم لا في نطاق الوقوع في شراك الاستعمار الجديد بل أساسا في اتجاه تعزيز النضال ضد الامبريالية الامريكية وضد الصهيونية . وهذا يتحقق باقامة العلاقات مع أوربا الغربية على أسس مبدئية وثورية تستهدف تقليص مواقع الاحتكارات الامريكية للبترول، وتحويل منطقة البحر المتوسط الى منطقة سلام لا مكان فيها للقواعد العسكرية .

فاذا اقتنعنا بعد هذا كله بأن الظروف الموضوعية التي تحيط بالثورة العربية هي في المدى القريب والمدى الاستراتيجي ملائمة لتحقيق مزيد من الانتصارات فان شرط النصر ، وشرط الاستفادة من هذه الظروف كامنة في هذه الحقيقة : وهي أن تكون القوى الذاتية للثورة العربية في مستوى الوحدة الذي يمكنها من قيادة نضال الجماهير العربية . وليست هناك مهمة ملحة سوى مهمة العمل على توحيد كل قوى الثورة العربية : قوى الاشتراكيين والوحدويين والبعثيين والشيوعيين .

وحتى تكون نقطة البدء هي بذاتها بداية تحقيق انتصارات حاسمة عام ١٩٧٢ ، فان هذه القوى التقدمية — خاصة تلك القوى التي تتواجد في السلطة — يجب أن تنطلق في تعاملها مع بقية فصائل الثورة من ضرورة احترام الاستقلال وحل التناقضات من خلال حوار ديموقراطي بين كافة القوى والطبقات الاجتماعية التي تقف في الجبهة المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية .

---

[٨] مجلة ميروفايا ايكونوميكا السوفيتية : مشكلات البحر الابيض المتوسط والاستراتيجية الامبريالية — الترجمة الانجليزية سبتمبر ١٩٧١ .

(٩) علينا أن نلاحظ هنا أن موقف المانيا الغربية يختلف بوضوح عن موقف فرنسا وهذا ما اظهرته زيارة والتر شيل وزير خارجية بون الى اسرائيل في صيف ١٩٧١ ، فقد اعلن انه يعطف على « مطالب اسرائيل في الحدود الآمنة » واكد استمرار التعاون الوثيق مع الدولة الصهيونية .

اعادة تنظيم الدولة

ومشاكل البناء الديمقراطى

طارق البشرى

عرفت مصر فى السنوات العشرين الماضية ، عددا من التنظيمات السياسية لمؤسسات الدولة تختلف عن بعضها البعض فى كثير من التفصيلات ، ولكنها تشترك جميعا فى أمر واحد جوهرى ، هو قيام نظام الحكم على محور واحد . فكان هذا المحور أولا مجلس قيادة الثورة منذ ١٩٥٣ ، ثم تركز فى رئاسة الجمهورية ويظهر ذلك جليا فيما صدر من دساتير واعلانات دستورية منذ ١٩٥٦ . ودارت أجهزة الدولة ومؤسساتها حول هذا القطب الثابت وحده ، الذى كان يمثل القوة الدافعة للنشاط العام بكل صوره وأشكاله التنظيمية . والتقت السلطات جميعا فى هذا المركز المفرد .

وكانت السلطة التنفيذية ، ببنائها الهرمى ومستوياتها المتعددة ، وما تتصف به العلاقات داخلها من الخضوع الرئاسى وهيمنة المستوى الاعلى على الادنى ، كانت هى الاداة الاساسية لتحريك الدولة والمجتمع بأسره . وتكون الهيكل القانونى فى المجتمع على صورتها . ان السلطة التنفيذية تعتبر فى مصر ذات قوة وهيمنة كبيرة ، فهى أقدم السلطات تاريخيا ، وهى صاحبة المؤسسات التى كتب لها فى التاريخ المصرى دوام واستمرار غير منقطعين ، فغالبت الزمان وما طرأ فيه عبر حقب التاريخ من تغييرات اجتماعية وسياسية عميقة . وكانت السلطة التنفيذية تقوى بهذه التغييرات ، ثم كانت هى السلطة التى تولت — فى غيبة ما عداها من السلطات والتنظيمات الشعبية — أمر التغييرات الاجتماعية والسياسية بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وأكسبها هذا مزيدا من النفوذ والقوة والايغال فى جميع تفصيلات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ثم اكتسبت دعما وقوة هائلة بنشأة القطاع العام ونموه ، حتى صارت ذات الثقل الذى لاينازع ، ولايجد بما تقبض عليه من أعنة أجهزة الامن ومؤسسات الانتاج والخدمات .

وبهذا صار هذا البناء التنفيذى الذى تقف فى قمته رئاسة الدولة ، صار مركزا لكافة أوجه النشاط السياسى والتشريعى والتنفيذى . واندمجت سلطة التشريع فى السلطة التنفيذية ، وهيمن النشاط الادارى للدولة على النشاط السياسى وكانت صفة النيابة الشعبية التى يتدثر بها النظام السياسى فى البلاد ، تتوافر للبناء الدستورى للدولة من دفقة التغييرات الاجتماعية والانتصارات الوطنية التى تحققت خلال هذه السنوات ، ومن مبدأ انتخاب رئيس الجمهورية بالاستفتاء العام المباشر ، بحيث أصبحت رئاسة الدولة — فى الادب القانونى والدستورى الشائع — هى ممثلة السيادة الشعبية والمعبرة عن الارادة الجماهيرية فيما يسلكه الجهاز التنفيذى من أساليب النشاط وما يتخذه من قرارات .

وخلال تلك السنوات أيضا ، عرفت مصر ثلاث تجارب للتنظيمات الشعبية ، كانت أولاها **هيئة التحرير**، ثم ظهرت ثانيتها باسم **الاتحاد القومى** الذى نص عليه دستور جمهورية مصر سنة ١٩٥٦ ثم كانت الثالثة هى **الاتحاد الاشتراكى** الذى بدا بناؤه عقب اعلان الميثاق فى سنة ١٩٦٢ ، وعرف

الاتحاد الاشتراكى عددا من صيغ البناء ؟ تكون أولا بطريق الانتخاب ، ثم أعيد تكوينه باليقين ، ثم بالانتخاب مرة ثانية فى ١٩٦٨ . وتكون على أساس أمانات نوعية ، ثم على أساس أمانات محلية ثم شكلت له لجنة مركزية ولجنة تنفيذية عليا . ولكن رغم كل هذه التعديلات التى طرأت على هيكله التنظيمى ، رغم كل ذلك كان يحظى بوضع سياسى ودستورى تتضاءل من دونه كافة المؤسسات التشريعية وغيرها . وكان الاتجاه السائد فى تعيين طبيعته السياسية يؤكد أنه من مؤسسات السلطة والحكم وأنه تجسيد للسلطة الشعبية أو هو السلطة العليا ازاء السلطات المختفة فى الدولة ، تنفيذية وتشريعية وقضائية . واسبغ هذا التصور على النشاط العام للدولة ما دعم تركز السلطة والتفرد الكبير فى ادارة العمل العام ، كما دعم ماهو حاصل من اندماج سلطتى التشريع والرقابة فى السلطة التنفيذية ، وامتصاص هذه الاخيرة للوظيفتين الاولتين ، اذ اعتبرت عضويته شرطا لازما للصلاحية فى الترشيح لمجلس الامة ولاى من الهيئات النيابية والنقابية . واستمر الوضع كذلك حتى جاءت احداث نكسة ١٩٦٧ وما طرحته من تساؤلات جذرية وعميقة تتعلق بمدى الخطأ والصواب فى البناء السياسى والتنظيمى للبلاد مجتمعا ودولة . وبعد النكسة بدأ ينكشف ما كان مستترا من قيام نظام الحكم على أساس مراكز القوى التى تعنى فيما تعنيه قيام حكومة الاشخاص بدلا من حكومة القانون ، وقيام التجمعات الشخصية داخل السلطة بدلا من التوزيع الموضوعى للسلطات بين المؤسسات المختلفة .

وقد انفجر الوضع عن هذه المراكز مرتين ؟ الاولى عقب الهزيمة مباشرة فى نهاية ١٩٦٧ ، والثانية فى ١٩٧١ . وفى المرة الاولى ارتفع شعار الديمقراطية وسيادة القانون كبديل للوضع التنظيمى القائم يقضى على ما اظهر من مثالب . وأعلن بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذى كان حجر الزاوية فيه ما تضمنه من وجوب بناء الدولة العصرية واشاعة الديمقراطية فى تنظيم الدولة ونشاطها وتحقيق سيادة القانون ، ثم جرى استفتاء عام على البيان أقر به كوثيقة رسمية واجبة التطبيق ، واعيد بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب وجرت انتخابات جديدة لمجلس الامة . وكان الظن ان تعاد صياغة ابنية الدولة بما يكفل تحقيق مبادىء ٣٠ مارس بتأكيد سيادة القانون وما توجبه من توزيع للسلطات والحد من تركزها واطلاقها ، وما توجبهمن تأكيد ضمانات الحريات الفردية والعامة . على أنه مالبث الوضع بصورته القائمة أن استتب وتساندت أسسه من جديد . وتجمعت أعنة السلطة ، وتمثل ذلك فيما تمثل فى الاعلان الدستورى الذى صدر فى ٧ يناير ١٩٦٩ الذى نص على أن فقدان عضوية الاتحاد الاشتراكى تعتبر سببا لفقدان عضوية مجلس الامة ، وهو أمر يعنى هيمنة الاتحاد كسلطة على السلطة التشريعية ، ثم صدرت قوانين الاصلاح القضائى فى نهاية أغسطس ١٩٦٩ التى تضمنت حل الهيئات القضائية واعادة تشكيلها مع اعادة تنظيمها بما يؤكد هيمنة السلطة التنفيذية على السلطة القضائية . وبدأت دورة جديدة من دورات تكوين ما اصطلح على تسميته بمراكز القوى ، وهى النتاج الضرورى لتركز السلطة .

ويمكن بشكل عام استعراض بعض أوجه النقص فى التكوين السياسى والدستورى خلال تلك المرحلة ، فى النقط الاتية :

— تركز السلطات جميعا وعدم توزيعها حسب الوظائف المختلفة لنشاط الدولة،التنفيذى والتشريعى والقضائى ، واندماج سلطتى التشريع والقضاء فى السلطة الاقوى ماديا وتاريخيا وسياسيا وهى السلطة التنفيذية .

— قيام السلطة الفردية المهيمنة على كافة مقدرات الدولة من خلال النشاط التنفيذى وحده

— اعتبار التنظيم السياسى بناء من أبنية السلطة فى الدولة ، واعتباره السلطة الام ، وسيطرة السلطة التنفيذية برجالها ورئاستها على مقدرات هذا التنظيم ، وما يؤدى اليه ذلك من تبعية النشاط السياسى للنشاط الادارى والتنفيذى للدولة .

— افتقاد مبدأ سيادة القانون ، وانطلاق النشاط التنفيذى من القيود التشريعية الكفيلة بضبطه ، وخروجه من الاطار القانونى القائم .

— نقص ضمانات الحريات الفردية والعامة .

اعادة النظر فى أسس بناء الدولة

وقد حدث فى مايو ١٩٧١ أن تفجر الوضع من جديد عن صراع لمراكز القوى ، وترتب على ذلك أن طرحت مشاكل تنظيم الدولة من جديد ، وطرحت مشاكل البناء الديمقراطى بها ، وكان طرحها فى هذه المرة أشد سفورا ووضوحا وأكثر حرصا على اعادة النظر الجاد فى أسس بناء الدولة من جانب أعرض الكتل التى تمثل الرأى العام المصرى بأغلب تياراته .

وقد أشرعت الأقلام تطالب فى تطلع مشوق باعادة بناء الدولة على مبدأ سيادة القانون وبتوزيع السلطات مع كفالة الضمانات الفعالة للحريات الفردية والعامة واشاعة الديمقراطية فى كافة مؤسسات الحكم وأجهزته . وشاهدت الاشهر التالية نشاطا سياسيا تمثل — بايجاز — فيما يلى :

— اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة ، بمستوياته المختلفة .
— اعادة انتخاب الهيئة النيابية — وهو — مجلس الشعب ، مع اجراء انتخابات جديدة فى جميع النقابات المهنية والعمالية ومع انتخاب الاعضاء المنتخبين فى مجالس ادارة وحدات الانتاج .

— اعداد الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية وطرحه للاستفتاء الشعبى العام .
— الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين .
— تأكيد سيادة القانون فيما نص عليه الدستور الجديد ، وفيما أصدرته المحكمة العليا من أحكام تقضى بعدم دستورية قوانين حظر التقاضى .
— تكوين المجالس الشعبية للحكم المحلى .
ولاشك أن أخطر هذه الاجراءات هو اصدار الدستور الجديد ، باعتباره القانون الاساسى للدولة الذى يحدد العلاقات بين المؤسسات المختلفة ، ويعين ضمانات الافراد تجاهها .

الاتحاد الاشتراكى العربى

يبدو أن الدستور الجديد قدحاول أن يعدل من النظرة الى طبيعة الاتحاد الاشتراكى ، بالنسبة لعلاقته بمؤسسات الحكم . فقد نص دستور ١٩٦٤ على أن الاتحاد يمثل سلطة تحالف قوى الشعب العاملة . أما المادة الخامسة من الدستور الجديد فقد نصت على أن الاتحاد هو التنظيم الذى « يمثل » التحالف وهو « أداة » التحالف ، ثم استطردت تقول « ويؤكد الاتحاد الاشتراكى **سلطة** تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسى الذى تباشره تنظيماته بين الجماهير وفى مختلف الاجهزة التى تضطلع بمسئوليات العمل الوطنى . » فهذه الصيغة أن لم تكن تختلف كثيرا عن صيغة ١٩٦٤ ، الا انها بالاقل تحمل بين طياتها أوجها للتفسير تتسع لعدد من وجهات النظر أكثر من سابقتها .

رئاسة الدولة

أوضح الدستور سلطات رئيس الدولة فى كونه حكماً بين السلطات يسهر على تأكيد سيادة الشعب واحترام الدستور وسيادة القانون وحماية الوحدة الوطنية ، ورعاية الحدود بين السلطات . وخولته المادة ٧٤ أن يتخذ ازاء كافة السلطات الاخرى ما يرى من اجراءات سريعة لمواجهة « خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستورى » ويتخذ هذه الاجراءات ببيان يوجه الى الشعب ثم يجرى الاستفتاء على ما اتخذ من اجراءات خلال ستين يوما من اتخاذها ، كما أن له أن يستفتى الشعب فى « المسائل الهامة التى تتصل بمصالح البلاد العليا » طبقا للمادة ١٥٢ .

واستعار الدستور الجديد من سلفه بيان طريقة اختيار رئيس الجمهوريه ، اذ يتم الترشيح للرئاسة من مجلس الشعب بناء على اقتراح ثلث الاعضاء ، وبعد موافقة ثلثى الاعضاء على الترشيح يعرض المرشح على الاستفتاء الشعبى العام وينتخب بالاغلبية المطلقة لمن اعطوا أصواتهم من الناخبين . ولا يرشح الا مرشح واحد يجرى عليه الاستفتاء بغير تنافس انتخابى . ويسبغ الاستفتاء العام على رئيس الجمهورية صفة التمثيل الشعبى التى تمكنه دستوريا من ممارسة سلطته كحكم بين السلطات المختلفة ، ومن اتخاذ مايرى اتخاذه من اجراءات لمواجهة ما يطرأ من الاخطار التى أشارت اليها المادة ٧٤ ، ومن طرح أية مسألة للاستفتاء العام ان اتصلت بمصالح البلاد العليا .

ورئيس الدولة هو من يتولى — فضلا عن كونه حكما بين السلطات — السلطة التنفيذية طبقا للمادة ١٣٧ ويمارسها طبقا للدستور ويضع سياسة الدولة بالاشتراك مع مجلس الوزراء . ويعين نائبا له أو أكثر يحدد اختصاصه ، كما يعين رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم ، ويعفى هؤلاء من مناصبهم .

ويمارس رئيس الدولة سلطته كحكم بين السلطات بما خوله الدستور من سلطة وقف جلسات مجلس الشعب وطرح الاستفتاء الشعبى لحل المجلس طبقا للمادة ١٣٦ ، وهو حكم يقيد سلطة رئيس الجمهورية فى حل المجلس بوجوب الاستفتاء على ذلك شعبيا ، وهو حكم مختلف عن دستور ١٩٦٤ الذى لم يضع هذا القيد . أما اذا تنازع مجلس الشعب مع رئيس الوزراء ، فيتعين على المجلس أن يقرر مسئولية رئيس الوزراء بالاغلبية ويرفع الى رئيس الجمهورية تقريرا بذلك ، ولرئيس الجمهورية أن يرد التقرير الى المجلس فان أصر المجلس على

موقفه جاز للرئيس طرح موضوع النزاع فى استفتاء شعبى خلال ثلاثين يوما ، ويتوقف الامر على نتيجة الاستفتاء . (م ١٢٧)

وللرئيس أن يصدر قرارات لها قوة القانون فى غيبة المجلس التشريعى . كما أن له أن يصدر هذه القرارات بتفويض يصدر من المجلس فى حالة الضرورة لمدة محددة ، وعن موضوعات معينة . وله حق الاعتراض على القوانين التى يوافق عليها المجلس فترد اليه ولاتنفذ الا بموافقة ثلثى الاعضاء .

سيادة القانون

نص الدستور على أن سيادة القانون هى أساس الحكم فى الدولة ، وعلى وجوب أن تخضع الدولة للقانون . ومن الجلى أن هذا الامر لم يكن فى الظروف العادية يستدعى « نصا » فى الدستور ، وهو أمر ينبغى أن يستفاد بالضرورة من حقيقة كون الدولة دستورية . ومن الجلى أن سيادة القانون هى مبدأ يحتاج الى « مسلك » لا الى «نص» فحسب ، لان المقصود به أن يكون النشاط العام صادرا عن القوانين والقواعد التشريعية الموضوعية المقررة ، وأن يكون التنفيذ فى اطار التشريع القائم وطبقا له دون أن توجد ثمة فجوة بين التشريع والتنفيذ وبين القول والفعل . والتحقيق الامثل لسيادة القانون تكون من خلال وضع الضمانات الكفيلة بعدم جنوح الفعل عن الاطار التشريعى القائم ، وذلك عن طريق التحديد المنضبط لاختصاصات السلطات والاجهزة المختلفة ووجود الرقابة الفعالة على نشاطها وفرض العقوبات الرادعة على المخالفين ، وتأكيد الضمانات العملية لحسن تطبيق القوانين . ولعل الدستور قد شاء بهذا النص العام عن سيادة القانون أن يذكر به لتستهدى به أجهزة الدولة مستقبلا فى تقنيناتها لتعيد صياغة البناء التشريعى وفقا له ، بعد أن اعترى البناء التنظيمى ما اعتراه من آثار شخصية الحكم ، وبعد ما أضنى التجربة الدستورية المصرية من اتساع الفجوة بين نشاط أجهزة التنفيذ والاطر القانونية الموضوعية .

وقد أورد الدستور النصوص التقليدية المتعلقة باستقلال القضاء والقضاة وعدم جواز تدخل أية سلطة فى القضايا وعلنية جلسات المحاكم وغير ذلك . ثم كان أهم ما أورده جديدا فى هذا الشأن هو النص على أنه يحظر حظرا مطلقا تحصين أى عمل أو قرار من أعمال الادارة وقراراتها من رقابة القضاء ، وتأكيد حق كل مواطن فى اللجوء الى قاضيه الطبيعى . على أنه أشار الى تنظيم « محاكم أمن الدولة » كتكوين قضائى يحدد له اختصاص خاص عن الهيئات القضائية العامة التى تمثل السلطة القضائية ».

وقد ترتب على ماتضمنه الدستور من حظر لمنع التقاضى ، ومن التزام مطلق بحرية التقاضى لجميع المواطنين ، ترتب على ذلك أن أصدرت المحكمة العليا أخيرا حكمين هامين ، يتعلق أولهما بعدم دستورية قانون حظر التقاضى بالنسبة للموظفين المفصولين بغير الطريق التأديبى ، ويتعلق الثانى بعدم دستورية ، حظر الطعن فى قرارات لجان تقدير ايجارات المساكن ، وأشاع هذان الحكمان مناخا عاما بأن التقاضى حق مطلق ، وأن هذا المبدأ المقرر يأخذ طريقه الى النفاذ فعلا فى الحياة العامة .

الحريات العامة

وقد تضمن الباب الثالث من الدستور الاحكام المتعلقة بالحريات والحقوق والواجبات العامة ، عن المساواة بين المواطنين وكفالة الحرية الشخصية لهم وحرمة المساكن وحياة المواطنين الخاصة وحرمة المراسلات وحرية الرأى فى حدود القانون ، وحرية الصحافة والطباعة والنشر الا فى حالة الطوارىء أو زمن الحرب وكل ذلك بالقيود القانونية الواردة بالدستور . ونص على أن «كل مواطن يقبض عليه أو يحبس أو تقيد حريته بأى قيد تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامة الانسان ، ولا يجوز ايذاؤه بدنيا أو معنويا ، كما لا يجوز حجزه أو حبسه فى غير الاماكن الخاضعة للقوانين الصادرة بتنظيم السجون » ، وأنه يتعين أن يبلغ كل من « يقبض عليه أو يعتقل بأسباب القبض عليه أو اعتقاله فورا ، وأن يكون له حق الاتصال بمن يرى ابلاغه بما وقع أو الاستعانة به على الوجه الذى ينظمه القانون » مع كفالة حقه فى التظلم الى القضاء من الاجراء الذى قيد حريته .

ومن الجلى ان هذه الاحكام ، وان ظهرت لغير من عايش التجربة المصرية ، كما لو كانت من المسلمات التى لاتحتاج الى تقرير خاص فى المجتمعات المتحضرة ، فان سابق معايشة هذه التجربة فى بعض تعقيداتها من شأنه أن يثير الاحساس بأن مثل هذه الاحكام على مستوى هام وخطير من الاهمية ، وهى من الضرورات الملحة لمعالجة ما أصاب الروح المصرية من جروح عميقة . ولا شك أن تقريرها صراحة لهو تسجيل شجاع لما شاه الحياة السياسية من أوضار ، على أن ما يستحق الاشارة أن الدستور قنن ما يمكن أن يلحق هذه الحقوق وضماناتها من اجراءات

الطوارىء ؟ وانسحب لذلك فى نصوصه افصاحا واضحا ، بحيث تجد هذه الاجراءات عند اتباعها أساسا لها فى الدستور ، سواء بالنسبة للقيود على الحريات الفردية، أو حرية الرأى والصحافة أو محاكم أمن الدولة او غير ذلك .

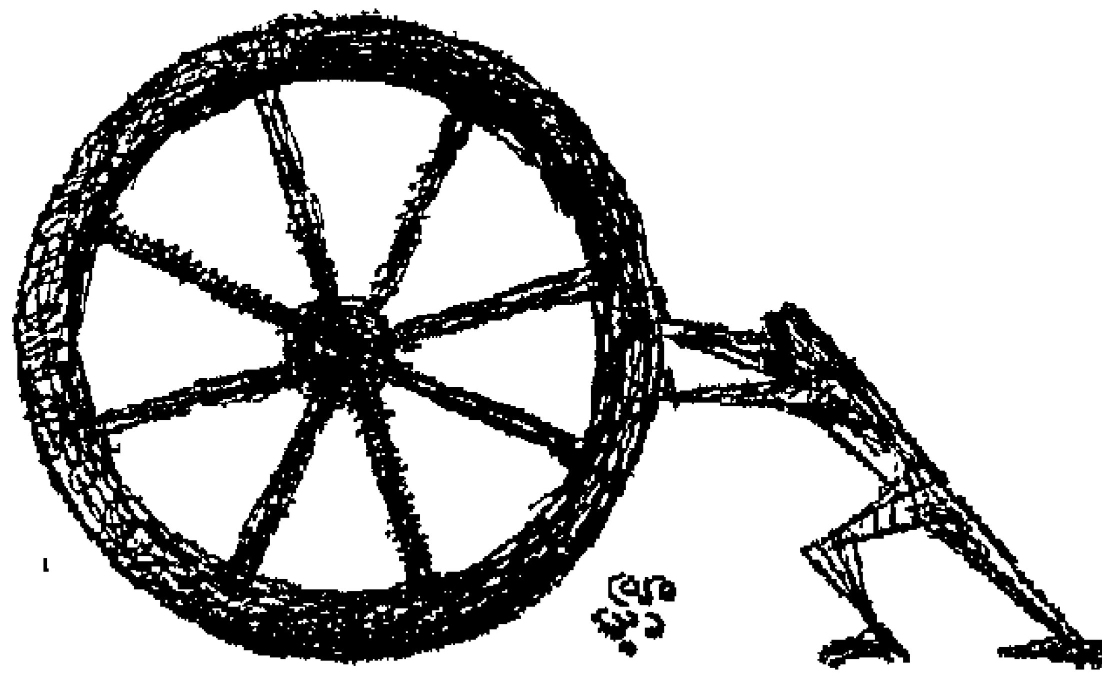
الحكم المحلى

اشار الدستور الى تقسيم مصر الى وحدات ادارية تتمتع بالشخصية الاعتبارية ، أى بالوجود القانونى المتميز عن الحكومة المركزية ، وذلك فى المحافظات والمدن والقرى . وأشار الى أن تشكل المجالس الشعبية المحلية تدريجيا على مستوى الوحدات الادارية وذلك بشرط أن تشكل بطريق الانتخاب المباشر (م ١٦٢) وان يكون نصف أعضاء المجلس الشعبى على الاقل من العمال والفلاحين شأنه فى ذلك شأن مجلس الشعب ، ثم نص الدستور على أن يكفل القانون نقل السلطة تدريجيا الى هذه المجالس . وأن يختار رؤساء ووكلاء المجالس بالانتخاب من الاعضاء .

ثم صدر فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧١ القانون ٥٧ بشأن الحكم المحلى نص على تشكيل المجالس الشعبية واختصاصاتها والمجالس التنفيذية واختصاصاتها والعلاقة بين النوعين من المجالس وطبقا لهذا القانون يشكل المجلس الشعبى للمحافظة برئاسة أمين لجنة الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة وعضوية أعضاء لجنة الاتحاد وأمناء المراكز والاقسام وممثلين اثنين عن كل من الشباب والنساء . ويختص المجلس بمتابعة خطط تنفيذ برنامج العمل الوطنى فى المحافظة ودعم الدفاع عن أرض الوطن واقتراح انشاء المرافق المختلفة بالنسبة للخدمات والانتاج واقرار مشروع موازنة المحافظة والهيئات التابعة لها . ويشكل المجلس التنفيذى برئاسة المحافظ ومساعده ان وجد وسكرتير عام المحافظة وممثلى المصالح الحكومية بها . ويتولى المجلس الاشراف على حسن سير المرافق وادارة المشروعات وانشاء المشروعات الجديدة . وللمجلس الشعبى أن يوجه أسئلة واستجوابات الى أعضاء المجلس التنفيذى وأن يحدد مسئوليتهم عما يقع من أعمال ويرفع قرار المجلس الى رئيس مجلس الوزراء لاتخاذ مايلزم .

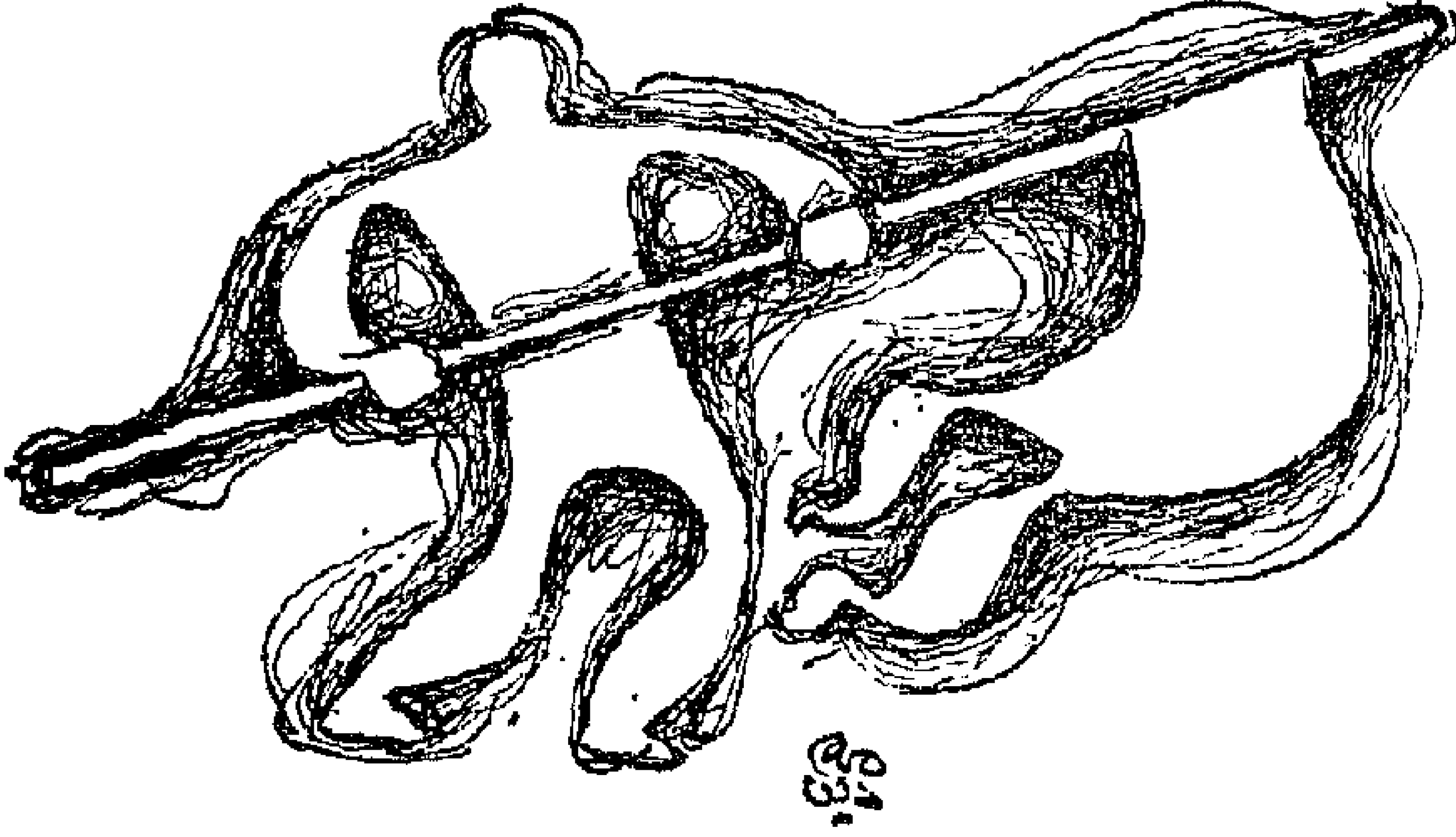
ومن الجلى أن نظام المجالس الشعبية بهذه الصورة التى تحقق نوعا من الرقابة الشعبية على الادارة المحلية ، نظام مستحدث يرجى منه أن تحقق تنفيذه فى جو من الديمقراطية بالمحافظات أن يشيع قدرا له أهميته من الممارسة الديمقراطية، على أنه من الواجب ملاحظة أن تشكيل المجالس بالصورة الواردة بهذا القانون يخالف ما نص عليه الدستور فى المادة ١٦٢ — التى أوجبت صراحة أن تشكل بطريق الانتخاب المباشر ، وأن يختار رئيس المجلس ووكيله بالانتخاب من بين الاعضاء ، فى حين يشكل القانون المجالس من أمناء وأعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى الذين تم انتخابهم داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، وبأكثر من درجة من درجات الانتخاب ، وقد ينص القانون ذاته (م٥٥) على أن يعمل بأحكامه حتى يتم تشكيل المجالس الشعبية طبقا للمادة ١٦٢ من الدستور .

تلك اشارات عامة وموجزة لما اسفر عنه عام ١٩٧١ من انجازات فى طريق الديمقراطية .



حـركة الوحدة والصراع

فى التحـالف الوطـنى



زكى مـراد

توج عـام ١٩٧٠ فى ربعـه الاخـير بمسـتوى عال من وحدة القوى الوطنية لا تشهد البلاد له مثيلا الا عند الملمات الكبرى أو المعارك الفاصـلة ..

كانت الوفاة المفاجئة للزعيم جمال عبد الناصر دافعا مباشرا وحاسما لقوى الثورة الشـعبية الاصيلة أن تنهض وتستعرض قوتها ووحدتهـا واستعدادها النضالى فى مواجهـة العدو الذى طالما منى نفسه بالاحلام والاوهام فى مثل هذا الظرف ..

ولقد نجح الاستعراض بالفعل ، وأدى دورا تاريخيا لا يمكن انكاره فى لحظة من أخطر لحظات التاريخ الثورى لمصر الحديثة . وكما يرجع الفضل الاول فى نجاح استعراض ٩ ، ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ الى القوى الشعبية الاصـيلة من عمال مصر وفلاحيها والمثقفين من أبنائهم ، يرجع الفضل الاول كذلك فى نجاح اسـتعراض الايام الثلاثة الممتدة من ٢٩ سبتمبر الى ١ أكتوبر ، الى قوى العمال والفلاحين وأبنائهم من المثقفين .

حول وحدة هاتين القوتين احتشـد التحالف الـوطنى العظـيم ، الـذى ضـمن استمرار المعركة . وحول الانطـلاقة الموحـدة الحزينة المصرة على الطريق ، من هاتين القوتين احتشد أيضا ذلك التحالف الوطنى العظيم الذى ضمن استمرار الثورة وتماسكها فى أكتوبر سنة ٧٠ . وهكذا كان التحالف الوطنى فى أوجه عند نهايات عام ١٩٧٠ ومداخل عام ١٩٧١ ...

وكان ذلك لازما وضروريا فى مواجهة عـدو شرس يتكون من تحالف ثلاثى مضاد من الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية .

وفى ظروف تلك المواجهة الحرجة بين الثورة من ناحية والثورة المضادة من ناحية أخرى ، كان طبيعيا وثوريا فى نفس الوقت أن يرتفع صوت التحالف والوحدة بين كافة القوى الوطنية وأن يخفت صوت التناقض والتنافس بين تلك القوى الطبقية .

ولقد استمرت الثورة فى اتجاهاتها الاساسية ، بفضـل ذلك الاسـتعراض العظيم ، ولم تمكن أعداءها من محاولة الانقضـاض . نجحت قوى الثورة الاساسية فى هذا ، وبقى عليها أن تنجح فى صيانة هذا النصر الجزئى لا بالمحافظة على التراث الثورى فحسب ، ولكن بتعزيز المسـار الوطنى والاجتماعى الثورى بخطى جـديدة فى الطريق الى التحرر والاشتراكية والغد الافضل لجماهير الشعب العامل .

تلك أولى المهام التى طرحتها بدايات سـنة ١٩٧١ على قوى شعبنا الثورية ، بعد أن غابت شخصية البطل الوطنى التاريخية عن الميدان ، وأصبح عليها أن تواجه هذا الامر الواقع .

ومن زاوية هذه المهمة سنعرض لتطورات قضية التحالف فى مجرى أحداث سنة ١٩٧١ .

الوحدة والصراع فى في التحالف الوطني

ينبغى منذ اللحظة الاولى أن نطرح جانبا أى فهم رومانتيكى لمسالة التحالف الوطنى أو الوحدة الوطنية . اعنى بالفهم الرومانتيكى ، ذلك التصور المجرد من فهم المحتوى الاجتماعى لقضية الوحدة والتحالف ، والذى يخيل لصاحبه أن الطبقات والقوى الاجتماعية يمكن أن تنصهر تماما وتنسى واقعها المادى وتتحد فى سبيل الوطن دون وضع الاسس الواقعية المتينة لتلك الوحدة ، ودون وضع مطالبها واحتياجاتها الواقعية فى الاعتبار. ذلك أن علاقة التحالف الوطنى نفسها ، ومهما بلغت من القوة والمتانة بحيث تبدو وكأنها وحدة مطلقة ، انما تتضمن فى جوهرها أشكالا وأنواعا من الصراع والتناقض فى نفس الوقت .

ان التحالف الوطنى نفسه هو فى الجوهر واحد من مقتضيات الصراع الرئيسى حول التناقض الرئيسى بين الامبريالية والرجعية فى جانب والقوى الثورية التقدمية فى جانب آخر . هو تحالف ضد الاعداء .. ولكنه يتضمن فى نفس الوقت تنافسا وتناقضا وصراعا داخليا بين الاصدقاء والحلفاء .

غير أن هذا التنافس والصراع الداخلى يظل محتفظا بطابع غير عدائى ، بحكم ادراك العناصر الواعية بين الطبقات المتحالفة ووعيها السياسى بخطورة الظرف من ناحية وبالاضرار البالغة بالوطن من ناحية أخرى فى حالة تحول التنافس غير العدائى الى صراع عدائى بين قواه الداخلية . هذه مسلمة نظرية لابد من البدء بها فى أى دراسة لحركة التحالف وتطوره . والاعتراف بالوحدة والصراع فى جسد أى تحالف ، لا يعنى التقليل من شأنه بقدر ما يضيف وعيا سليما بمكوناته ويؤدى بالتالى الى تعزيزه وتدعيمه على أسس علمية سليمة .

ان تبين عناصر الوحدة وعناصر الصراع داخل جسم التحالف هو الذى يساعد الطلائع والقيادات على تنمية التحالف ودعمه بتنمية عناصر الوحدة ودعمها على حساب عناصر الصراع . والغفلة عن تبنيها تؤدى بالقطع الى نمو عناصر الصراع نموا تلقائيا قد يصعب وقفه فيهدد التحالف تهديدا جديا .

فحينما تقدمت جماهيرنا فى زحفها الكبير فى الايام الثلاثة التالية لوفاة الرئيس الراحل تحت شعارات « هنكمل المشوار » ؟ « بالجيش والشعب .. بالروح والدم هنكمل المشوار » .. كانت تنمى عناصر الوحدة فى التحالف الوطنى الثورى ، وتحول الحزن العميق الى قوة دافعة للاستمرار الثورى . وارتفع بذلك صوت التحالف وخفت صوت أى تنافس أو صراع جزئى داخل قوى الشعب العامل .

الوحدة والصراع فى حسابات سنة ١٩٧١

وما كان لذلك الاستعراض الرائع للوحدة الوطنية أن يستمر على وتيرة واحدة بعد أن شعرت كل قوى الشعب أنها تغلبت على خطر اللحظة الحرجة وتلافت مخاطرها . ذلك أن الحياة سرعان ماتعود الى مجراها الطبيعى بعد زوال الخطر أو حتى تصور زواله ، ولو الى حين .

كانت كل الطبقات والقوى الوطنية متراصة كتفا الى كتف أمام خطر الانقضاض الاستعمارى الصهيونى الرجعى ، وفى خلال فترة قصيرة حقا كانت المؤسسات السياسية قد أمسكت بزمام الموقف فى البلاد بفضل ذلك التراص والمساندة الجماهيرية الهائلة .

وقبل أن ينتهى عام ١٩٧٠ كان هناك كل مايبرر الاحساس الذى شاع بين الجميع بأن القوى المعادية قد حرمت من اغتنام الفرصة .. وأن قوى الثورة السليمة قد خرجت ظافرة لا بفضل التحالف الثورى بين تلك القوى فى الداخل فحسب ولكن بفضل تحالف قوى الثورة العالمية والعربية مع قوانا المحلية كذلك .

بيد أن مجرد شيوع هذا الاحساس كان كفيلا بتحريك عناصر الصراع داخل صفوف التحالف الوطنى .. وبين القوى الطبقية المختلفة فيه .

ومن الطبيعى حين تتحرك عناصر الصراع أن تتحرك تحت نفس المظلة العامة للتحالف الوطنى ، أى تحت الشعارات العامة التى تقررها القيادة السياسية .

فحين أطلق **الرئيس السادات** شعارات سيادة القانون والديمقراطية والحريات بدأت كل طبقة أو فئة اجتماعية تعبر عن فهمها الخاص لهذه الشعارات ، وهو الفهم المتمشى مع مصالحها الخاصة بالطبع .

فمالك الارض أو العقار لا يرى فى سيادة القانون شيئا أقدس من سيادة حقه فى التملك .. وحامل السند أو السهم لا يرى فيها الا تأمين

حقه فى السند أو السهم وفيما يغله من ربح ؟ والعامل الكادح يرى فى سيادة القانون حقه الحر المطلق فى انتخاب ممثليه النقابيين والسياسيين وفى تأمين يومه وغده من غائلة الفئات الاستغلالية التى تحاول استنزافه . والفلاح المنتفع بالاصلاح الزراعى يرى فى سيادة القانون تأكيد حقه فيماحصل عليه من أرض وفى مطالبة الدولة بمساعدته فى استغلالها على أحسن وجه ، بينما يرى الفلاح الذى لم ينتفع بعد أن سيادة القانون تعنى امتداد الثورة الى منطقته .

هذا مجرد مثل على الفهم المتباين للطبقات المختلفة حول كل شعار عام للقوى الوطنية .

ولقد دخلت بلادنا عام ١٩٧١ وهذا التباين فى فهم الامور وتناولها يوجه نشاط القوى الطبقية المختلفة ويثير صراعات وتناقضات فيما بينها . فقد نشب مثلا صراع حول موضوع فرض الحراسة وتفسير سيادة القانون فى هذه المسألة ،واستمر هذا الصراع حتى صدر القانون فى صورة محاولة توفيقية تحسم المناقشة .

وأذكر أنه مع أوائل العام ، ثارت مناقشات حادة حول مشروع قانون مقدم لمجلس الامة يتعلق بحق المالك فى طرد المستأجر من الارض الزراعية فى حالة التصرف فيها بالبيع .. استشعر فقراء الفلاحين نوعا من الخطر عليهم فى المشروع وتحمس عدد من مثقفى الريف للتعبير عن معارضتهم الحادة بمختلف الوسائل من الكتابة فى الصحف الى النشاط فى صفوف الاتحاد الاشتراكى وانتهى الامر الى وقف عرض المشروع بتصريح من الرئيس بأن المكاسب الشعبية لن تمس (فى اجتماع السيد الرئيس برجال الاعلام) .

كانت تلك المناوشات الاجتماعية مع بدايات سنة ١٩٧١ مجرد ارهاص من ارهاصات النشاط الهائل الذى ساد فيما بعد على سطح الحياة الاجتماعية المصرية طوال عام ١٩٧١ .

كانت بداية تحرك العوامل الاجتماعية فى الاطار العام للتحالف الوطنى .. ان كل قوة من قوى التحالف تحاول ، بالطبع تعزيز مراكزها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتسعى الى ذلك بكل وسيلة ممكنة دون أن تخرج أو تنأى بنفسها عن الاطار العام للتحالف .. وتندمج كل قوة فى هذه المحاولة سواء بالوعى أو بالتلقائية .

لذلك لم يكن غريبا أو منافيا لطبيعة الامور ذلك النشاط الذى قامت به بعض فئات الرأسمالية الوطنية الزراعية والتجارية والصناعية لتعزيز أوضاع ملاك الارض فى مجال الزراعة وتدعيم مراكز القطاع الخاص فى مجالى التجارة والصناعة .

كذلك لم يكن غريبا فى وجه ذلك النشاط أن يتصدى له العمال والفلاحون الفقراء ومثقفو هذه الفئات فى حدود ما يستطيعون من وسائل وامكانات يتيحها لهم تواجدهم فى الحركة السياسية العامة للبلاد ، ومن خلال الاشكال التنظيمية المعترف بها للتحالف الوطنى العام .

ومن هنا ، كان ذلك الانطلاق النشط لحركة الطبقات والفئات الاجتماعية كلها تقريبا ، فى ظل شعارات « التصحيح » « والتجديد » « والديمقراطية » « وسيادة القانون » التى رفعها الرئيس أنور السادات فى حركته التصحيحية فى ١٤ مايو . لقد بدأت عملية اعادة ترتيب شامل فى البيت الكبير للتحالف الوطنى العام .. ان الاتحاد الاشتراكى يعاد انتخابه وكذلك النقابات المهنية والنقابات العمالية والنوادى ثم مجلس الامة الذى أصبح مجلس الشعب ، والدستور الدائم يعد بحيث يكفل الضمانات الدستورية للحريات الديمقراطية لقوى الشعب .

كل ذلك بعد فترة من الترقب بين مختلف القوى والفئات فى المجتمع .. فكيف لا تبدأ كل قوة أو فئة اجتماعية نشاطا جادا لتأمين اكبر قدر ممكن من النفوذ والتأثير فى هذا التشكيل الجديد لمختلف أوجه الحياة السياسية والنقابية والاجتماعية فى البلاد ؟!

الانتخابات مجال واسع لحركة القوى الاجتماعية

الانتخابات فى أى بلد مجال واسع لحركة مختلف القوى الاجتماعية ومرآة لاوجه الصراع الطبقى فى هذا البلد ، تستعرض فيه كل طبقة قدراتها وكفاءاتها . وقد فتحت حركة ١٤ مايو فى بلادنا بابا عريضا للانتخابات العامة فى مختلف الميادين السياسية والنقابية وامتدت هذه الانتخابات الى تشكيلات بعيدة تماما عن السياسة ، اذ شملت حتى النوادى الرياضية .

ولما كانت تلك الانتخابات قد أعد لها فى ظل جو اعلامى واسع من الحرية والديمقراطية وحيدة

الادارة ؟ لقد حزمت جميع القوى والفئات أمرها ونزلت المعركة محاولة تدعيم مراكزهـا وزيادة تأثيرها فى البناء الجديد للتحالف مع الحفاظ على وحدته العامة .

ومن هنا اشتد الصراع والتنافس فى النقابات المهنية بين مختلف فئات المثقفين ثم فى النقابات العمالية بين القديم والجـديد ، ثم فى الاتحـاد الاشتراكى بمستوياته المختلفة .. وتبلورت فى الواقع الفعلى اتجاهات يمينية واتجاهات يسارية ، وطرح كل شىء على مائدة المناقشة أمام الجماهير ، بما فى ذلك طريق التطور الاجتماعى وأشكال النضال لتحرير الارض المغتصبة وازالة آثار العدوان .

ولقد حاولت الاتجاهات اليمينية لبعض فئات الرأسمالية الوطنية ان تنتهز الفرصـة لتفرض نوعا من اعادة النظر فى الخطوط الاسـاسية للطريق الذى اختارته البلاد منذ امـد طـويل ، فارتفعت نغمات — مباشرة وغير مباشرة — معادية للطريق الاشـتراكى للتطور ومعارضـة بالتالى للدور الخاص للعمال والفـلاحين فى الحيـاة السـياسية ولتحالفنا الثورى مع حركة الثورة العالمية المعادية للاسـتعمار وحـركة الثـورة الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السـوفيتى ، وانتشرت دعوات الى الليبرالية المطلقة التى تؤمن كل حرية فردية بما فى ذلك حرية الاسـتغلال وحرية العدوان على مكاسب الشـعب العامل التى تحققت فى ظل قيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

بيد أن جماهير العمال والفلاحين والمثقفين فى البلاد كانت بالمرصاد لمثل هذه الاتجاهات الليبرالية ، فتصدت لها فكريا وسياسيا وعمليا حتى حملتها حملا على التراجع .

ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد دفاع الفلاحين عن حقوقهم الديمقراطية ومكاسبهم فى عدد من محـافظات الجمهورية آبان التمهيد لانتخـابات الاتحاد الاشـتراكى .. ونضال العمال لحماية اسـتقلالية حركتهم النقابية مع حرصـهم على تجديدها تجديدا هائلا وتطهير صفوفها القيادية من العناصر الانتهازية النقابية .

وحين حاولت الفئات الرأسمالية اليمينية أن تدخل فى روع الجماهير ان الموقف بعد ١٤ مـايو قد تغير لصالحها وانها ستستطيع بذلك أن تعيد النظر فى كل شىء ، فشلت المحاولة وكان بيان الرئيس السادات فى **١٠ يونيو سنة ٧١** قاطعا وحاسما ومرضيا للجماهير الوطنية التقدمية . ولعل ذلك البيان المنهجى كان له فضل خاص فى تمكين الطلائع والجماهير التقدمية من صد هجمات الرجعية والتخلف فى المعارك التالية .. وبقدر ما استقبل ذلك البيان باطمئنان غامر من الجماهير ، كان مثار قلق واضطراب فى أوساط اليمين التى خاب سهمها . ولكن تلك الاوساط لم تستسلم .. وخاضت بكل ما تملك من قوة معركتها فى الانتخابات . أما الجماهير فقد استبسلت فى الدفاع عن مكاسبها الثورية وطريقها الثورى وعن حرياتها الديمقراطية فى عملية اعادة التشكيل .

واذا عدنا اليوم بأبصارنا الى الوراء لنلقى نظرة على تلك العملية الكبيرة التى تمت فى سرعة غير عادية ، وفى حالة استعجال برزتها ظروف المعركة الوطنية ، لامكننا أن نسجل الملاحظات التالية :

أولا : اثبتت النتيجة حرص الشـعب العامل فى مجموعه على الاطار العام للتحالف الوطنى ، ادراكا منه للظروف الخاصة التى تمر بها البلاد .

ثانيا : لم تنجح قوى الرجعية الداخلية واليمين الراسمالى فى اضعاف مراكز القوى والعناصر التقدمية سواء فى مجال الفكر السياسى أو فى مجال التنظيمات الجمـاهيرية ، وذلك بفضـل ارتفاع الاستعداد النضالى بين الجماهير الواعية من الفلاحين والعمال والمثقفين .

ثالثا : أثبتت الطبقة العاملة أنهـا تسـتحق بجدارة دورا طليعيا فى قيادة التحالف الوطنى . ذلك أن انتخـابات الحركة النقابية التى طـال ارجاؤها قد اسفرت عن اكثر النتائج ايجابية برغم كل محاولات القوى اليمينية التى اتخذت أشكالا مختلفة للتأثير فيها . لقـد جدد العمال قياداتهم النقابية بمعدل يفوق الثمانين فى المائة وأتوا الى المراكز النقابية بعنـاصر نظيفة ومخلصـة على حسـاب عدد ممن اسـتمرأوا ملء تلك المراكز فترات طويلة بوسائل انتهازية وعلى حسـاب جماهير العمال .

رابعا : خاض الفلاحون المصريون نضـالات جادة دفاعا عن حقوقهم الديمقراطية فى اختيار أفضل ممثليهم . ولم تكن المعارك الانتخابية هذه المرة صراعا بين العائلات بقدر ما اتخذت صورة اجتماعية واضحة بين جموع الفلاحين الفقراء فى جانب والرأسماليين الزراعيين وبقايا الاقطـاع فى الجانب الآخر .

خامسا : برغم كل ما تعرضت له حركة الشباب والمرأة فقد فازت هاتان الحركتان بصوت مسموع فى كافة الانتخابات السياسية والنقابية ، ولعل صوت الشباب فى المؤتمر القومى الجديد كان أوضح وأقوى من أى وقت سبق .

وفى نهاية هذا القسم من حسابات عام ١٩٧١ ،

يمكننا أن نخلص الى أن الانتخابات الشاملة وان لم تسفر عن تغيير كيفي في الاجهزة السياسية للاتحاد الاشتراكي ، فانها لم تتح لقوي اليمين ما كانت تريده من تأثير أقوى ونفوذ أكبر ، ومع ذلك فان انتخابات النقابات العمالية بالذات أسفرت عن حركة نقابية أكثر تمثيلا للجماهير وأكثر قدرة بالتالي على العمل النقابي السليم سواء من الناحية الوطنية أو الناحية الطبقية . ولقد كان للاتحاد الجديد دور مستقل وقوى في حل مشاكل عمال حلوان التي حدثت في يوليو ثم في السيطرة على تحركات مثل حركة سائقي التاكسي الاخيرة والمبادرة الى تبنى ماهو جاد وعادل من المطالب العمالية ، تبينا لا يترك فرصة لاعداء العمال للعب على تلك المطالب . كما كان له دور مبادر في عدد من المواقف السياسية والوطنية الهامة فاجأته وهو ما يزال في بداية عهده .

ملاحظة أخيرة

أعطينا قدرا كبيرا من الاهتمام للانتخابات لكونها مرآة صراع .. ولكن هذا لا ينفى أن عنصرى الصراع والوحدة في جسم التحالف الوطنى الكبير يجدان دائما منفذا للتعبير عن وجودهما . ويؤكدان بذلك حيوية الحركة التاريخية في مجرى النضال الوطنى الاجتماعى الكبير الذى يخوضه شعبنا كقوة من قوى ثورة عالمية معادية للاستعمار والاستغلال .

واذا كنا نلاحظ من استعراضنا لعام ١٩٧١ نشاطا غير عادى لاشكال الصراع في ظل التحالف .. فان ذلك النشاط في جوهره يمثل ظاهرة ايجابية في نضال شعبنا لانه ينتهي بالقطع الى تحسين الاسس الرئيسية للتحالف ودعم قاعدته الفكرية والسياسية في الاتجاه المتوافق مع حركة التاريخ . ولقد تعرضت البلاد بعد انتهاء عمليات الانتخاب لحملة سياسية تستهدف الاساءة الى العلاقات السوفيتية المصرية من ناحية ، والتأثير على معنويات الشعب واستعداده النضالى من ناحية أخرى . كان هدف تلك الحملة أن تصور لشعبنا الامر وكأنه لاطريق امامه سوى الاستسلام أمام قوى الامبريالية الامريكية وحليفتها الصهيونية .

ولكن تلك الحملة بدورها قد فشلت على صخرة من نضال شعبنا وتضامن عالى الصوت من شعوب الاتحاد السوفيتى والشعوب الاشتراكية .

واذا كان لنا أن نستخرج من استعراض حسابات ١٩٧١ في شأن التحالف شيئا هاما ، فان أهم ما يلفت النظر هو تلك الظاهرة : ذلك انه قد يشكل استفزازا صارخا للجماهير فيهدد باحلال التناقض غير الرئيسى محل التناقض الرئيسى في الصراع العام ، ويجر البلاد الى صراعات جادة في وقت يستوجب تعبئة الجبهة الداخلية كلها وعلى الاخص جماهير الشعب العامل من العمال والفلاحين ، في وجه العدو الرئيسى الخطر المتمثل في التحالف الامبريالى الصهيونى .

ولاسبيل الى وقف مثل هذه الاخطار الا بمزيد من الديمقراطية والحرية للشعب العامل ولجماهير العمال والفلاحين والشباب بصورة خاصة .

ان بلادنا في ختام عام ١٩٧١ وبدايات عام ١٩٧٢ تدخل لحظات حاسمة من معركة التحرير الوطنى التى فرضتها نكسة سنة ١٩٦٧ . واذا كان ذلك يقتضى وحدة وطنية على مستوى عال ، وتعبئة جماهيرية كاملة للبلاد شعبا وجيشا .. فانه ينبغى الاعتراف بالدور الطليعى للطبقة العاملة في هذه العملية التاريخية الكبرى . وينبغى أن ينتهى الى الابد اى تصور بأن قيادة النضال الوطنى حكر خالص للفئات الراسمالية تنفرد به بعيدا عن جماهير الشعب التى تفرض عليها التضحية في صمت . ان التعبئة الشاملة بوسيلة الديمقراطية ، تعنى في جوهرها الايمان بحق جماهير العاملين في ادارة كافة شئون الحياة في وطنها بنفسها . وذلك وحده سلاح شعبنا الذى لايستطيع أعتى الاعداء أن يقهره .

تعليق — جوهر الصراع وجذوره الاجتماعية

قدم المقال عرضا سليما لنظرية الوحدة والصراع داخل التحالف كما تضمن المقال العديد من الامثلة الحية لظاهر الوحدة والصراع بين القوى الاجتماعية المختلفة التى يجمعها تحالف قوى الشعب العاملة .

الا أن هناك بعض ملاحظات لكي يصبح الحديث عن الوحدة والصراع داخل التحالف — حديثا متكاملا ، ويعطى صورة شاملة عن الموقف الراهن .

لقد طرح المقال العديد من الامثلة على موقف الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة من شعارات سيادة القانون والديموقراطية والحريات — وكذلك موقفها من الشعارات السياسية كالتضحية من اجل المعركة والمجهود الحربى — وانتهى الى ان التباين بين الفئات والطبقات الاجتماعية فهم الامور وتناولها يوجه نشاط القوى الطبقية المختلفة ويثير صراعات وتناقضات فيما بينها :

ووضع القضية على هذا النحو — انما ياخذ مظاهر وانعكاسات الصراع الاجتماعى فقط — ولكنه لاينفذ الى جوهر

هذا الصراع ودوافعه ـ هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فلا يمكن الحديث عن حركة الوحدة والصراع عام ٧١ دون الرجوع لحصاد السنوات السابقة على ٧١ ـ ولايغنى عن ذلك الاشارة العابرة لحركة الجماهير يومى ٩، ١٠ يونيو٦٧.

لقد اعلن الميثاق « ان الوحدة الوطنية التى يصنعهاتحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع ان تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة »

ومنذ ذلك الوقت وجوهر الصراع الدائر فى بلادنا هو محاولات متتالية لنقل سلطة الدولة الى تحالف قوى الشعب العاملة ـ هذه المحاولات التى فشلت واحدة بعد أخرى بسبب اصرار بعض التحالف على الانفراد بالسلطة وحرمان العمال والفلاحين من حقهم فى المشاركة الفعالة والطليعية فى هذه السلطة .

وبعد ان اخفق الاتحاد الاشتراكى الاول فى تحقيق الهدف الذى قام من اجله ـ وهو نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة شرع الزعيم الراحل فى محاولة جديدة لنقل هذه السلطة من خلال بيان ٣٠ مارس وذلك تحت شعارات اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالديموقراطية وسيادة القانون والدولة العصرية وانشاء المجالس الشعبية المنتخبة والمجالس القومية المتخصصة ، كل هذا من أجل تأكيد وتثبيت دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقيادتها وتمكينها من تحقيق سيطرتها بالديموقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته .

الا ان بيان ٣٠مارس جاء مثله مثل كل الانعطافات الحاسمة فى مسيرة ثورة ٢٣ يوليو ـ جاء دون تصفية للقوى الرافضة لتقدم الثورة ـ وادى هذا الى ان الثورة تقدمت الى مواقع امامية وفى صفوفها قوى عديدة رافضة لهذا التقدم عاملة من خلال مواقعها فى صفوف الثورة على تفريغ التقدم من مضمونه الثورى وتحويله الى تقدم شكلى .

وهكذا استطاعت فئات قوية من الرأسمالية الطفيلية التى لم تكون ثرواتها من المشاركة فى الانتاج وانما تكونت ونمت من أعمال السمسرة والمقاولات من الباطن ، واستطاعت ان تكون أعلى الطبقات صوتا داخل التحالف واكثرها نفوذا داخل الاتحاد الاشتراكى وجهاز الدولة .وقاومت كل مسعى لاشراك العمال والفلاحين اشتراكا حقيقيا فى السلطة .

هذه القوى الاجتماعية التى قاومت اى مواجهة جدية للاخطاء التى سببت كارثة ٦٧ ـ هى نفسها التى نجحت من خلال مواقعها التى تحتلها فى أجهزة الدولة والتنظيم السياسى ـ من أن تجمد بيان ٣٠ مارس وتفرغه من مضمونه الحقيقى وهو نقل السلطة بالديموقراطية الى تحالف قوى الشعب العاملة ..

وهكذا عجز الاتحاد الاشتراكى الثانى عن تحقيق الاهداف المحددة له فى الميثاق وبيان ٣٠ مارس ولم تشكل المجالس الشعبية ولا المجالس القومية المتخصصة وظلت قضية الديموقراطية السليمة مجرد شعارات لم تر سبيلا حقيقيا الى التنفيذ .

وكانت هذه هى حقيقة العلاقات الاجتماعية من فئات وقوى التحالف ـ عشية وفاة القائد .

وعدم وضع هذه الحقيقة فى الاعتبار هى التى جعلت الكاتب يرى « ان عام ١٩٧٠ فى ربعه الاخير » ؛ وبمستوى عال من وحدة القوى الوطنية لاتشهد البلاد له مثيلا وتجعله يؤكد ايضا التحالف الوطنى كان فى أوجه عند نهايات عام ١٩٧٠ ومداخل ١٩٧١ .

فالحقيقة ان العمال والفلاحين قد هبوا فى حركة جماهيرية عريضة ومذهلة رافعة شعار « حانكمل المشوار » ـ وانعكس ذلك فى الشعارات التى قدمتها الطلائع الواعية وهى شعار الاستمرار فى المسيرة عن طريق الشرعية الدستورية وباسلوب المؤسسات السياسية والدستورية ورفض اى شكل انقلابى مهما كان لونه وشعاراته ـ كان جوهر هذه الشعارات هو المحافظة على الثورة بتثبيت مواقعها وقفل الطريق على اى مغامرة .

اما القوى الاخرى فانها لم تستطع فى ذلك الوقت المبكر وأمام التيار الجارف للجماهير الشعبية ـ لم تستطع الاان تقدم أفكارها على صورة اقتراحات لاعادة تشكيل الدولة وقيادة الثورة وطرحت شعارات اعادة الاشكال القيادية التى تخلت عنها الثورة الى الاشكال الدستورية . كما طرحت شعارات حول هذا الشخص او ذاك ممن تجاوزتهم الثورة خلال مسيرتها .

وكان ذلك يتم ومنذ اللحظة الاولى لاعلان الوفاة المفاجئة لجمال عبد الناصر ـ كان يتم فى اطار هجمة استعمارية ضارية على المنطقة بشكل عام وعلى مصر بشكل أساسى ـ هجمة سلاحها الاساسى شعار مرحلة جديدة فى البناء الداخلى والعلاقات الدولية تحت زعم [سد الفراغ] ـ الا ان عمق واتساع حركة العمال والفلاحين والطلاب قد جمدت محاولة قوى الرأسمالية الوطنية التى ارادت انتهاز الفرصة التى اتاحتها الوفاة المفاجئة ومنعتها من ان تحقق اهدافها .

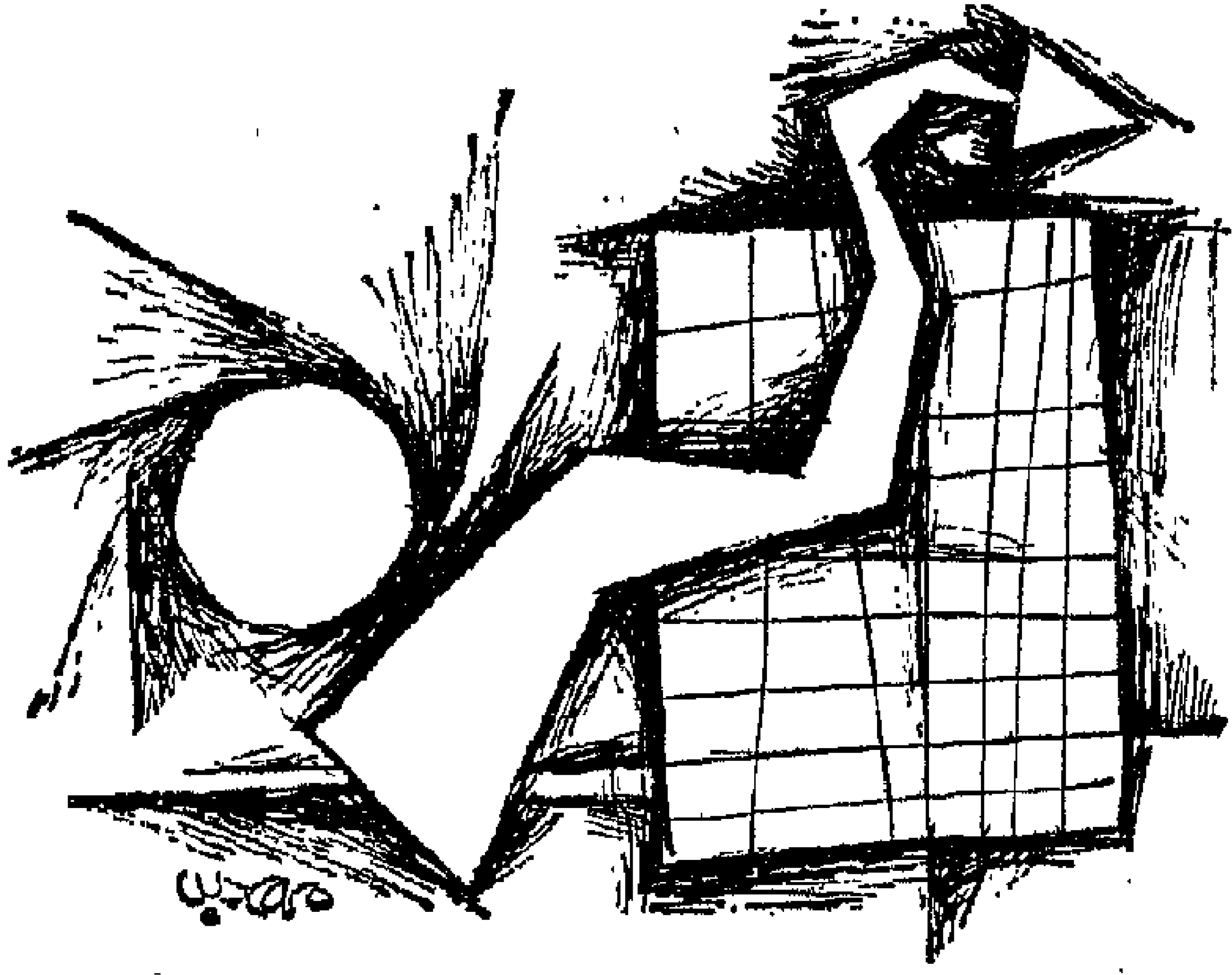
وبانتهاء المرحلة الاولى ونجاح المؤسسات السياسية والدستورية فى اعادة تشكيل القيادة طبقا للشرعية الدستورية بدأت القوى الرجعية تحركها للانقضاض على الثورة وصيغها الاساسية ـ وكانت تركز جهودها على محاولة استدراج القوى الاكثر قربا اليها طبقيا [فئات من الرأسمالية الوطنية] والى زعزعة ثقتها فى صيغ التحالف مستغلة اخطاء التجربة ونواقصها وكذلك تطلعات هذه الفئات وطرحت على الحياة السياسية للبلاد الشعارات والافكار التى اوردها المقال والتى تشكل فى مجموعها ضرب كل ماقام التحالف لحمايته .

وفى الايام القليلة التى اعقبت احداث ١٥ مايو لم يعد الامر همس أو اشاعات وانما حركة واضحة أفصحت عن نفسها فى كل مجال ولم يصبح الامر عندئذ تناقضات داخل الحلف الوطنى ، وانما أصبح واضحا ان هناك محاولة من جانب الرأسمالية الوطنية لفض التحالف ذاته .

وكان لابد للرئيس السادات من أن يعيد الامر الى نصابه ـ فكان بيانه التاريخى امام مجلس الشعب يوم ٢٠ مايو وبيانه للامة يوم ١٠ يونيو ـ وأكد الرئيس السادات للشعب ان حركة ١٥مايو هى حركة تصحيح لمسار ثورة ٢٣يوليو وأن المكتسبات التى حققتها الثورة باقية ويجب ان تتطور وأكد على نسبة ال ٥٠٪ للعمال والفلاحين وان صيغة التحالف مازالت صحيحة وقائمة، ورفض كل الشعارات التى رفعتها قوى اليمين على امتداد ثمانية شهور .

بقيت نقطة اخيرة وهى ان المقال لم يشر الى مستقبل حركة الوحدة والصراع داخل التحالف ـ اذ ان صدور برنامج العمل الوطنى ـ الوثيقة التالية لثورة يوليو ـ لاشك سوف يكون محور ومجال لاشكال الوحدة والصراع بين القوى الاجتماعية المختلفة ـ هل تستطيع القوى الثورية الاصيلة قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين أن تفرض ـ من خلال تبعية البرنامج ـ نقل السلطة لتحالف قوى الشعب العامل جميعا.

حلمى ياسين



السياسة الاقتصادية

وضرورة دعم الرقابة الشعبية

د. عبد الرازق حسن

يتسم عام ١٩٧١ بحدوث تغيرات كبيرة فى أوضاع البلاد السياسية والاقتصادية ،وتتوازن الى حد ما مع ما اسناه من أحداث العالم الخارجى ، فمن اتخاذ خطوات حاسمة وقوية لتصحيح مسار الثورة ، الى هز الكثير من المفاهيم الاقتصادية واتخاذ أسلوب يتميز بالتحرر الاقتصادى والسياسى معا .

وهناك علامات واضحة المعالم على طريق العام المنصرم ، كبرنامج العمل الوطنى الذى قدمه السيد رئيس الجمهورية الى المؤتمر القومى العام الثانى ، وقيم فيه مرحلة العمل الماضية بايجابياتها وسلبياتها ورسم فيه صورة الدولة الحديثة . ومن هذه المعالم اصدار تشريع لتشجيع رأس المال الخاص الوطنى والعربى والاجنبى الى الاتفاق على مد خط لانابيب نقل البترول من السويس الى الاسكندرية ، الى انشاء بنك مصرى يركز نشاطه على التعامل بالعملات الاجنبية ويسمح للاجانب بالمساهمة فيه ، الى اصدار صكوك على صندوق الاستثمار لاستخدام ودائع البنوك العاطلة لمواجهة المطالب الملحة ، الى انشاء هيئة عامة لكهربة الريف وضمان تنفيذ كهربة الريف فى أسرع وقت ممكن ، الى زيادة المعاشات والبدلات ودراسة حالة الفئات المنسية من العاملين فى الدولة .

ولعل من خلال تحليل سريع لبعض ما اتخذ من اجراءات يمكننا تصور الاتجاه العام واحتمالات المستقبل القريب منه اوالبعيد،ومهما تكن التوقعات أو التيارات المتباينة التى يمكن أن تقودنا اليها تحليل بعض الاجراءات ،الا أنه من المهم أن نشير الى ما أكده برنامج العمل الوطنى من أن ثورة التحرير الوطنى لا يمكن أن تحقق هدفها الاصيل فى تحرير الشعب ، الا اذا اختارت للتحرر طريق الاشتراكية وأن

الاشتراكية ليست شعارات تردد وانما هى منجزات محددة ترد للجماهير التى طال حرمانها من حقوقها المشروعة التى سلبت منها . ولسنا فى حاجة الى استعراض كل ما جاء فى البرنامج ويكفى أن نقتطف منه الاشارة الى اقامة دولة اتحاد الجمهوريات العربية، التى تمثل أملا أصيلا من آمال النضال العربى ووضع دستور دائم لحكم البلاد . وضرورة العمل على بناء الدولة الحديثة التى تتفاعل فيها قوى الشعب العاملة ، وليس فيها مجال للاستغلال ، وتزدهر فيها شخصية الانسان ، ويعم فيها الرخاء ، والعلم ولا تجد البطالة مكانا فيها ، وتسودها الديمقراطية ، ويشعر فيها الكل بقيمهم ودورهم . كما تضمن البرنامج المطالبة باعادة بناء قرى الجمهورية فى عشرين سنة ، وتطوير التجمعات الصناعية وشمول المرحلة الاولى من التعليم كل من سيبلغوا سن الالزام ، والعناية بصحة المواطنين وتخليصهم مما يصيبهم من أمراض تفت فى عضدهم ، وفى النهاية مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات وقيمة البرنامج هو العمل له ، وتحقيق أهدافه ويتطلب ذلك جهودا ضخمة ، وتغييرات أساسية ليس فى هيكل الادارة الحكومية من أعلى ، وانما فى العلاقات القائمة فى أجهزة الدولة والقطاع العام ، التى تكاد تطبعه بطابع كهنوتى يحد من الانطلاق . والمتصور أن العمل على تحقيق البرنامج يتطلب اذن اتخاذ خطوات حاسمة وجذرية لتغيير فلسفته ، ومفهوم الدولة بشكل عام .

ولا نبالغ اذا قلنا ان من أهم القوانين الاقتصادية التى هزت الفكر الاقتصادى والسياسى وتدعو الى التفكير المتأنى هو قانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى ، وانشاء المناطق الحرة . ويتضمن القانون اعفاء المشروعات التى يستثمر فيها المال الاجنبى والعربى فى مصر أو المناطق الحرة من ضريبة الارباح لمدة خمس سنوات ، وعدم اخضاع المبانى التى تقام بأموال اجنبية لنظام تحديد الايجارات ، والسماح بتحويل صافى أرباح المشروعات الخاضعة للقانون الى الخارج ، وبذات العملة التى وردت بها ، وانه لا تسرى على تلك الاموال قرارات التأميم أو الحراسة ، أو تلك التى تنظم الرقابة على النقد .

وليس هناك شك فى حاجتنا الى المال الاجنبى ، وحاجتنا اليه فى بعض المجالات كالصناعية والبترولية مثلا ، وان حاجتنا اليه تفرض منحه بعض ميزات وضمانات ، والملاحظ أنه كان قد صدر فى سنة ١٩٥٣ قانون لتشجيع رأس المال الاجنبى ، وعدل فى سنة ١٩٥٤ ومع ذلك فلم يفد من رأس المال فى خلال ثلاث سنوات من تطبيقه أكثر من مليونين من الجنيهات ، والامر الذى يدعو الى الملاحظة أن القانون لم يحدد نسبة الربح التى يسمح بتحويلها منسوبة الى رأس المال المستثمر ، وتكاد تتفق القوانين الصادرة فى البلدان النامية فى اشتراط تحديد النسبة التى يسمح بتحويلها ، وفرض ضرورة اعادة استثمار ما يزيد عن هذه النسبة . ومهما يكن من شىء فان ضمان حسن تنفيذ القانون دون اساءة استغلاله يتوقف على الهيئة العامة لاستثمار المال العربى التى عليها أن تدرس المشروعات التى يقبل تطبيق القانون عليها . ويتصل بالاتجاه السابق انشاء البنك المصرى الدولى للتجارة الخارجية والتنمية ، برأسمال قدره ١٠ ملايين جنيه، والسماح للاجانب بالمساهمة فيه ، ومنح الضمانات للاموال الاجنبية المساهمة ، وكذلك لما يضمه من ودائع، واعفائه من قوانين الرقابة على النقد ومن الضرائب . ولعل انشاء هذا البنك قد تم بعد أن لوحظ نجاح انشاء البنك العربى الفرنسى ، وما قام بعدها من دعوة البعض لانشاء بنك مماثل عربى ايطالى، وكذلك ما تحقق فى الاشهر الاخيرة لرأس المال العربى ان ما كان يتصوره من ضمانات فى العالم الغربى لم تكن الا سراب ، كشفها الانهيارات النقدية ، وصعوبة التحكم فيها ، حتى من دولة عظمى كالولايات المتحدة .

وقد اقتضى التمشى مع هذا الاتجاه ، تنمية البنك العربى الافريقى عن طريق اعفائه من الضرائب لمدة سبع سنوات ، وذلك على أرباحه وتوزيعاته وفوائد ودائعه .

وقد أدت المشاكل البترولية للدول العربية بعد اقفال قناة السويس ، وارتفاع أسعار بترول الدول المنتجة له الى الاتجاه نحو تنفيذ مشروع خط للانابيب بين السويس والاسكندرية بطاقة تقدر بحوالى ٨٠ مليون طن ، أو حوالى نصف الطاقة التى كانت تمر فى قناة السويس قبل العدوان الاسرائيلى الامبريالى ، وذلك بتكلفة قدرها ٢٨٠ مليون دولار منها ٢٢٥ مليونا بالعملات الاجنبية . ويقدر ريحه السنوى بحوالى ٣٠ مليون دولار ، وينفذ فى مدى ثلاث سنوات ، ويمكن زيادة طاقته الى الضعف بعد ذلك . والملاحظ أن هذا الخط كان قد فكر فيه بعد الاقفال الاول لقناة السويس وبالتحديد فى أوائل ١٩٥٧ ، ولكن صرف النظر عنه . وتشجيع بلاد غرب أوروبا المستوردة للبترول انشاء الخط ، وقد عرضت أغلبها المساهمة فى انشائه ، بل وجعل طاقته مضاعفة من المبدأ . ويشترك فى ضمان التمويل بنوك ٧ دول فى أوروبا الغربية وأمريكا . ومهما كانت ربحية الخط وضمانها ، الا أن قيمته الحقيقية ستتضح من خلال حل مشكلة الاحتلال الاسرائيلى ، وأنه اذا كانت الموافقة على انشاء الخط تدل بشكل قاطع على

حسن نية مصر ؟ وعملها على تخفيف أزمة البترول العالمية التى تهز اقتصاديات أوروبا الغربية ، فان ذلك لا يعنى اننا يمكن أن نتصور اننا نقبل أن يكون الخط بديلا لقناة السويس ، أو يكون وسيلة لتلكؤ الغرب فى العمل على حل مشكلة اقفالها ، ويطمئننا فى هذا المجال اصرار السيد الرئيس على أنه لا بديل هنا لانسحاب الاعداء من كل شبر من الارض العربية ٠

وفى مجال التيسيرات على القطاع الخاص التصريح له باستيراد بعض السلع دون تحويل عملة وذلك فى حدود ٧٥٠٠ جنيه وكذلك الحال بالنسبة لسيارات النقل ٠٠٠٠٠٠٠٠ الخ وهو اتجاه سليم ولعل التوسع فيه لا يثير أى اشكال لحاجتنا الى كل طاقة انتاجية ، وان كان علينا أن نزيد الرقابة على السلع الاستهلاكية والمعمرة ، التى تفد بشكل مثير وتصيب السوق المحلى بوباء ، وتخل بالهدف من التصنيع ٠٠٠

وقد اتخذ وزير الخزانة قرارا بتحديد أنواع السيارات التى تستعملها الدولة والقطاع العام بعد أن تبين أن هناك حوالى ٥٠٠ نوع مستخدم ٠٠٠ ولعل القرار يكون خطوة نحو قصر استخدام الاجهزة العامة على السيارات التى تنتج محليا ، لان ذلك كفيل بتدعيم هذه الصناعة الهامة ، ويرتبط بهذا الامر الاتجاه السليم نحو منع استيراد السيارات القديمة وكانت هذه السيارات تسبب الكثير من المشاكل ، وتزيد تكاليف الخدمة العامة ، وتواجهنا بمشكلة تخطيط الطرق ٠

وللقضاء على البيروقراطية والسلبية التى تفشت فى القطاع العام فى السنوات الاخيرة عدل قانون المؤسسات وشركات القطاع العام بما يمنح الوحدات الانتاجية سلطات ومسئوليات أكبر ، وعن هذا الطريق يمكن محاسبة أى مسئول عن التقصير ، وتقدير المجدين ٠

والاتجاهات السابقة جميعا والتى تتسم بالتحرر لا يقصد بها اضعاف الرقابة العامة ، الامر الذى يوضحه انشاء جهاز لتخطيط الاسعار ، الذى كانت قد طالت المطالبة بانشائه ، ومهمته اقتراح السياسات السعرية المناسبة لتخطيط التنمية ، وتحقيق أهداف الخطة العامة ، والعمل على رفع الكفاءة الاقتصادية للمشروعات ، وكذلك تشكيل لجنة للسلع الاستثمارية لبحث طلبات الاستيراد من تلك السلع ، حتى لا تجور السلع الاستهلاكية عليها ، أو لا تجد المخصصات الكافية ٠ وكذلك تنظيم حسابات العملات الاجنبية لمنع اساءة استخدامها وتصور البعض أن السوق قد أصبحت حرة بما يسمح بعمليات استغلال نقص العملة الاجنبية وبيعها للمواطنين بأسعار عالية ،

فضلا عن أن حالة عدم تنظيم استخدام العملات الاجنبية يؤدى الى تشجيع الانفاق الاستهلاكى ، واستنزاف الطاقات المادية للبلاد بشكل غير مقبول ٠

وكان هناك اهتمام واضح بالتنمية الاقتصادية التى زادت مخصصاتها فى الموازنة بنسبة ٨ر١٢ فى المائة مقارنة بالسنة السابقة ٠ ومن استثمارات القطاع العام التى قدر لها فى السنة المالية الحالية ٣٥٠ مليون جنيه ، خص الصناعة والبترول ١٢٢ مليون جنيه بنسبة ٣٥ فى المائة تقريبا . والصناعة هى قاعدة التحرر الاقتصادى ، وعن طريقها يتم تطوير الاقتصاد القومى ، والقدرة على التحكم فى مساره ، وهناك مشروع قيد التنفيذ لمجمع الصلب لزيادة طاقته . طاقة انتاج الصلب الحالية من ٣٠٠ر٠٠٠ طن الى ٥ر١ مليون طن وسيتم تماما فى خلال خمس سنوات ، والمجمع الفسفورى وينتج ٤ر١ مليون طن فوسفات ، وكذلك مشروع الالمنيوم الذى كان قد طال الجدل حوله منذ ١٩٦٥ ، ولم تغفل سياسة التصنيع الاهتمام بتوفير مستلزمات الانتاج اللازمة للحرفيين والسماح باستيراد ما يمكن من معدات الصناعة الصغيرة دون تحويل عملة ٠ وقد تطلب توسيع قاعدة الانتاج بشكل عام مع الاهتمام بتحرير الاقتصاد القومى اعطاء دفعة للاصلاح المالى والادارى ، سواء باعادة النظر فى طريقة حساب الضرائب ، أو تنظيم المشتريات والمخازن أو تنظيم معاهد الادارة المشتتة ، أو اعادة النظر فى تركيب أجهزة القطاع العام ، من مؤسسات وشركات ، وحسم لكثير من التناقضات التى كانت قائمة فيها ، وتصفية ما ثبت اتجاهه لاستنزاف الموارد العامة ٠ وفى هذا النطاق تمت عملية اعادة تنظيم العمل بين البنوك ، بما يضمن تحديد مجالات عمل كل واحد منها ، حتى يكون دعامة للخطة العامة للتنمية وأداة الدولة فى تبين ما يجرى فى الاقتصاد القومى بشكل عام ، وهذا الاتجاه كان هو النداء منذ خطونا خطوتنا الحاسمة نحو تحويل المجتمع الى المسار الاشتراكى فى سنة ١٩٦١ ٠

واقتضى تركيز الاهتمام بالتنمية مع عدم الاخلال بمتطلبات الدفاع القومى الى زيادة سلطة وزير الخزانة لتعبئة المدخرات المحلية ــ الى التيسيرات التى رأيناها لتشجيع الاستثمار الخاص والاجنبى ــ وذلك بالاذن لوزير الخزانة باصدار صكوك على الخزانة فى حدود ٢٥ مليون جنيه بفائدة ٥ر٣ فى المائة مدتها ١٠ سنوات مقابل الودائع السائلة بالبنوك وشركات التأمين واجهزة الادخار المختلفة ، وكذلك تفويض وزير الخزانة فى اصدار سندات الجهاد الوطنى للوفاء باحتياجات الجيش ومدتها ١٠ سنوات وفائدتها ٥ر٤ فى المائة . ونعتقد أنه من الممكن استخدام هذه

السندات فى تقرير نوع من الادخار الاجبارى وذلك بتحويل جزء من الزيادات السنوية فى مخصصات الاجور بالترقيات والعلاوات والمكافآت لهـذا الغرض لاسيما بعد تقرير زيادة المعاشات والبدلات وتحسين الحالة المالية لبعض الفئات العاملة فى الدولة مما يقدر الرصيد اللازم له بحوالى ٣٦ مليون جنيه ، وهو مبلغ ليس بالهين فى ظروفنا العامة ، التى تقتضى أن يخصص الجزء الاكبر من زيادة الانتاج القومى للتنمية من ناحية ولمطالب الدفاع من ناحية أخرى .

واذا نظرنا الى الموازنة العامة للدولة نجد أن المصروفات لسنة ١٩٧١ — ١٩٧٢ قدر لها ٢٦٤١ مليون جنيه بزيادة ٧ر١١ فى المائة عنها فى العام المـــاضى ، كانت أهمها الزيـــادة فى البندين الاساسيين فيها هما التنمية وزادت بنسبة ٨ر١٢ فى المائة والدفاع بنسبة ٥ر١٢ فى المائة ، ويبدو اننا فى حاجة الى اعادة النظر فى تشريعات الضرائب ، وطريقة توزيع الاعباء الضريبية ، بعد أن تبين البطء الكبير فى نمو الموارد الجارية والسيادية للدولة التى قدر لها فى الميزانية الجارية ٦٦٧ مليون جنيه بزيادة ٢ فى المائة عنها فى العام الماضى ، وهذا المبلغ يقرب من مخصصات الدفاع الوطنى ، مع أن المفروض الا تعتمد التنمية على فائض القطاع العام والقروض وحدهما ،بل يجب أن تساهم الضرائب العادية فى ذلك بقدر معقول .

وقد كان اعلان السوفيت استعدادهم للمعاونة فى كهربة الريف بعد انجاز السد العالى له أثره فى تصور غد مشرق للريف الذى حرم طويلا من الخدمات الحديثة ، وقد أنشىء لهذا الهدف هيئة عامة ويقدر تكاليف المشروع بحوالى ١٢٠ مليون جنيه تصرف على خمس سنوات ، بعد أن كان المقدر أن تتم كهربة الريف فى فترة تمتد من ١٥ الى ٢٠ سنة .

واذا كانت سنة ١٩٧١ قد نقلتنا الى خط يتسم بالوضوح والصراحة ، غير أن الكثير من المسائل لم تحســـم بعد وستحسمها المعركة الحـــربية أو السياسية من ناحية ، وكذلك ماتكشف عنه قيمة قرارات التيسير التى اتخذت سواء لزيادة الطاقة الاستثمارية أو لزيادة الانتاج وذلك على ما نعتقد خلال العام القـــادم .

واستنادا الى خبرتنا فى السنوات الماضية فانه لا يجب الاعتماد على القرارات التنفيذية فحسب ، لان هناك مجموعات متخصصة من الناس فى مختلف الميادين مهمتها استغلال هذه التغيرات لصالحها ، دون أن تبذل جهدا متكافئا مع التغيير ، كما أن بعض من يمســـهم التغيير يستخدمون أساليب تضعف من أثر التغيير ، ويقتضى الأمر متابعة ومساءلة كل من وضـــعوا فى مـــركز المسئولية ، ومحاسبة كل من يعوق حركة المجتمع ، مهما كان منصبه ، وسواء كان فى القيــادة الاستراتيجية أو فى قاعدتها .

ان تحرك القطاع العام ليكون أكثر فاعلية يتطلب دفع دم جديد اليـــه ، وقيـــام أجهزة الاتحـــاد الاشتراكى بقدر كبير من النشاط ، لا سيما وان البلاد ستواجه تحديا ضخما خلال العام القادم ، ليس فى ميدان المعركة فحسب ، وانما فى المجال الاقتصادى أيضا اذ ستمتص المعركة قدرا طيبا من الانتاج القومى ، مما يخشى معه ارتفاع كبير فى الاسعار ، ان لم يقابل ذلك الامتصاص زيادة فى الانتاج أو الحد من الاستهلاك ، أو اعادة توزيع الانتاج بشكل يضمن تغطية الاحتياجات الاولى لمطالب الجماهير .

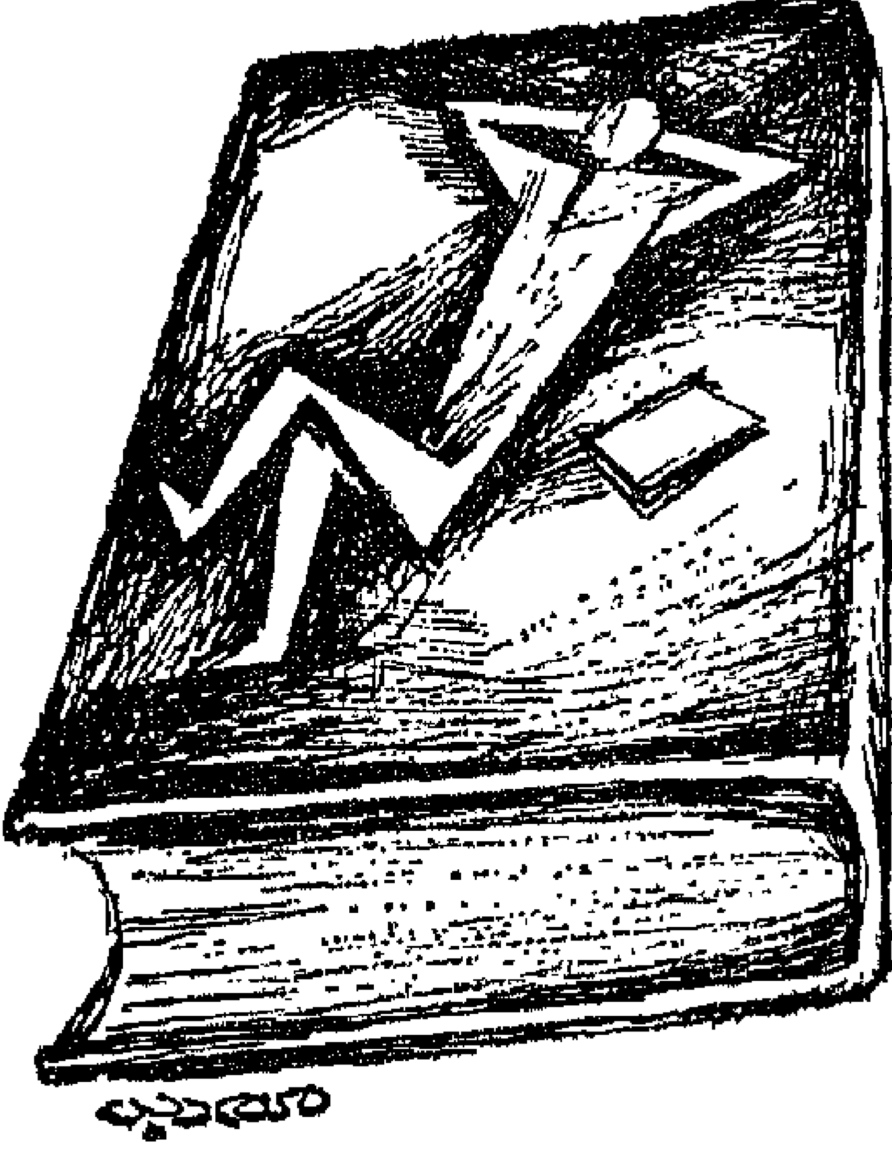
واستنادا الى الخبرة أيضا ، سواء فى بلدنا أو فى البلدان النامية ، علينا ألا نعلق آمالا كثيرة على مبـــادرات رأس المـــال الخاص أو الاجنبى ، فامكانيات الاول محدودة ، ومطالب الثانى كبيرة ، وكلاهما يحتاج الى منـــاخ لا يناسبه المنـــاخ الاشتراكى بشكل عام لتناقضها مع الفلسفة التى يقوم عليها ، هذا بالاضافة الى أن المرحلة التى نمر بها يجب أن تدعونا الى الحذر الكبير ، لان هناك اتجاها واضـــحا بضرب كل حركات التحرر ، واحتواء كل الثورات الوطنية التى قامت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والامثلة على ذلك عديدة فى آسيا وافريقيا بل والشرق الاوسط نفسه .

ومهما كانت الايديولوجية التى نأخذ بها ، فان علينا ان نبذل جهدا مضاعفا لفك الحصار الذى يريد أن يفرضه الاستعمار علينا ، سواء عن طريق استخدام اسرائيل ، أو اثارة التوتر فى منطقة الخليج العربى ، ويمكن أن تلعب دولة الوحدة العربية دورا له أهميته فى هـذه الظـروف . ان الظروف العالمية العامـــة تدعونا الى كثير من اليقظة ، فالعالم يمر بمقدمات حرب عالمية . فالموقف بين الهند والباكستان ، وفى جنوب شرق آسيا وفى الشرق الاوسط ، وفى القارة الافريقية يكشف عن محاولات لخلق نوع من الاستقطاب قد يؤثر فى مسارنا الاقتصادى والسياسى ، وبالتالى فان المعركة الاقتصادية لن تكون كل شىء ، ولكن كسبها لاشك سيعيننا كثيرا فى مواجهة مشاكل المستقبل .

ان تقديرنا أن عام ١٩٧٢ سيكون عاما هاما وحاسما فى حياتنـــا ، بعد أن مهدت له ظروف السنوات من ١٩٦٥ حتى ١٩٧١ وتبلور فيما نلمسه الان من وضـــوح أكثر للاتجاهات والتيـــارات المحيطة بنا .

وقفــــة ثقــــافية





عنــــد نهــــاية عام ١٩٧١

أمــير اسكندر

الزمن

تيار متصل ، لا يعرف التوقف أو الانقطاع . وكل لحظة من لحظاته هى فى ذاتهــا ماض وحــاضر ومستقبل . ولكننا نحتاج دائما ، بين الحين والآخر ، الى وقفة نتأمل فيها تجربتنا ، ونستخلص عصارتها ، ونستلهم دروسها . ومن غير هذه الوقفات الضرورية لا يمكن للانسان أن يتعلم ، ولا يمكن للحياة أن ترتقى وتتجدد . ومهما كانت قسوة أو مرارة بعض التجارب التى تختزنها الذاكرة الانســانية ، ، الفردية أو القومية ، فهناك على الدوام ذلك الامل الكامن فى الاعماق ، ذلك الجنين الجديد الذى يولد فى رحــم الارادة من صراع الحلم مع الواقع ، والذى يمنح الكائن البشرى ، مثلما يمنح المجتمعات ، القدرة على المواصلة والاســتمرار ، والايمان بأن اللحظــة التالية سوف تكون أفضل من سابقتها ، وأنها سوف تدفع بالخطوات أكثر فأكثر على الطــريق الذى لا نهاية له ..

أيمكن لعام واحد أن يمثل بمفرده وقفة من تلك الوقفات الضرورية ؟ ...

من الحق انها وقفة « مفروضة » ، لانها لاتمثل نهــاية أو بداية مرحلة تاريخية تقــوم بذاتها . فمراحل التــاريخ لا تبدأ أو تنتهى لان دورة من دورات الفصول قد بدأت أو أنتهت . ولكنها تبدأ مع التغيرات الكــبرى التى تصيب المجتمعات وتؤثر على مسارها . ومع ذلك فلقد كان العام الماضى حافلا بالاحــداث التى وان لم تشكل فى حد ذاتها تغيرا كيفيا جديدا فى مجــرى حياتنا الثقافية ، فهى تستحق وقفة خاصــــة لتأمل مغزاها ، وتلمس أبعادها ، وقياس تأثيرها على التطور الثقافى فى بلادنا . ومن الخير لنا — على أى حال — أن نرفع رؤوسنا من خضم الوقائع الجزئية اليومية ، وأن نحاول البحث عن الخيط الذى يربطها ببعضها البعض ، والعلاقة التى تحكم حركتها مع بعضها البعض ، وأن نجتهد فى الكشف عن طبيعتها ، أو عن القانون الذى تخضع له . وليست هذه المحاولة مجرد انســياق وراء البحث النظرى ، وابتعاد عن الــواقع العملى — كما يحب البعض هنا أن يقول — فالواقع يتضمن دائما حشدا هائلا من التفصيلات الجزئية المتناثرة التى تغرق بداخلها من لا يملك هــــذه

البوصلة النظرية . سيكون اشبه بانسان معصوب العينين اقتيد الى غرفة مغلقة ، فلما رفعت العصابة عن عينيه لم يعرف فى أى بيت هو ، ولا فى أى طريق ، ولا فى أى مدينة ، ولا فى أى بلدمن بلاد الارض !

واذا كان الامر كذلك ، فان ثمة بعض الاسئلة التى تحتاج الى اجابات محددة : أولها : ما هى أهم وأبرز الاحداث — ذات الدلالة — التى وقعت فى حياتنا الثقافية خلال العام الذى يوشك أن ينصرم ؟ : وثانيها : هل هناك مغزى خاص أو دلالة محددة لتلك الاحداث ، وما هو هذا المغزى أو هذه الدلالة ؟ وثالثها : نحو أى أفق نسير أو بتعبير آخر ما هى صورة المستقبل التى يمكن التنبؤ بها بناء على استقراء المغزى الخاص لتلك الاحداث ؟ .

مؤشرات على الطريق

غير انه من المفيد لنا ، قبل أن نحاول الاجابة على هذه الاسئلة أن نتسلح ببعض المؤشرات الهامة التى تعيننا على فهم هذه الاحداث التى وقعت ، وتساعدنا على تقييمها . وهذه المؤشرات ليست أكثر من مجموعة المفاهيم التى تحكم التطور الثقافى السليم فى أى بلد متخلف يندرج تحت ما يسمى فى الكتابات الجارية بالعالم الثالث ، مع الالتفات بالطبع الى الظروف الخاصة فى بلادنا والتى تضفى عليها سماتها المميزة .

● **وأول هذه المؤشرات هو : ديمقراطية الثقافة** ، والمقصود بديمقراطية الثقافة هو أن تصبح الثقافة فى متناول كل جماهيرنا ، وليس قطاعا واحدا منها . واذا جاز فى هذا المجال استخدام التعبيرات السياسية أو الاقتصادية .. فاننا نقول أن تؤمم الثقافة تأميما شاملا . ومعنى هذا فى الواقع العملى هو أن يكون بوسع الجماهير المصرية ، فى كل بقعة من أرض الوطن، استهلاك السلع الثقافية المعروضة — أو بتعبير آخر — الاستمتاع بالخدمات الثقافية المتاحة . أن تكون الثقافة لكل الشعب . لكل الجماهير . ولا يعنى هذا — كما يفهم البعض أحيانا — صب كل الالوان الثقافية فى قالب واحد . لا يعنى قضاء على التعدد والتنوع والخصوبة . ولكنه يعنى أن كل ثقافة سوف تنبع من منابعها الحية ، وهى تجربة الشعب المتعددة والمتنوعة والخصبة، وستنصب بين يديه . انه يعنى أن الاعمال الثقافية تعكس فى محتواها النبض الاجتماعى والنفسى لقطاعات الجماهير المختلفة ، وأن تكون قادرة ، **فى نفس الوقت** ، على الوصول اليها .

● **وثانى هذه المؤشرات هو : الحرية الفكرية** ، الحرية الفكرية التى تستمد انطلاقها من حتمية اللحاق بالعصر الجديد الذى تخطو فيه الانسانية كلها خطواتها الواسعة . الحرية الفكرية التى لاتنسى أبدا أن هذا العصر هو عصر العلم ، أى عصر العقل، عصر المنطق الواقعى ، عصر التحرر الحقيقى فى بقاع كثيرة من العالم بدومنيوس من كل اغلاله . وليست هذه الحرية — كما لاحاجة الى القول — هى فوضى الاتجاهات والمذاهب والتيارات ، وانما هى الفهم العلمى السليم لضرورات الواقع المحلى والعالمى ، وهى امكانيات الاستجابة لمنطق التطور التاريخى ، وهى القدرة على استلهام تلك الضرورات والامكانيات وقيادتها بحيث تتحقق احلام الانسان المصرى فى ثقافة وطنية وقومية ، اشتراكية وانسانية فى نفس الوقت .

● **وثالث هذه المؤشرات هو : وحدة المثقفين .** وهذه الوحدة لها وجهان : وجهها الاول هو وحدة المثقفين مع شعوبهم وجماهير بلادهم . ففى كل مجتمع حى ، لا يمكن لمثقفيه أن يعيشوا بمعزل عن المصادر الغنية الوحيدة للابداع وهى الشعوب التى تمارس تجاربها النضالية . فلا أحد يمكنه أن يسمع فى بلاد كفيتنام من يتحدثون عن الاغتراب وازمة الانسان المعاصر .. ليس هناك اغتراب الا فى أعماق أولئك الذين لايقفون فى صف الثورة . انهم جزر منعزلة سوف تغطيها أمواج الفيضان اليوم أو غدا . أما الآخرون فانهم يستشعرون دائما تلك الرابطة العضوية الوثيقة التى تربطهم بشعوبهم وجماهيرهم وتسدفع فى وجدانهم بتلك الدماء الحارة الدافئة ذات الصدق الانسانى . أما وجهها الثانى فهو وحدة المثقفين مع بعضهم فى اطار الاستراتيجية الوطنية للمرحلة .. وغنى عن البيان أن هذه الوحدة لا تعنى الغاء أو طمس الخلافات أو حتى التناقضات الفكرية فيما بينهم مادامت فى اطار هذه الاستراتيجية الوطنية ، وطالما انها تستهدف الوصول الى افضل السبل لتحقيقها .

ولعله يمكن بعد ذلك أن نتقدم لمحاولة الاجابة على الاسئلة السابقة . نبدأ بالسؤال الاول الذى يتعلق بأبرز وأهم الاحداث — ذات الدلالة — التى وقعت فى حياتنا الثقافية خلال العام الذى يوشك أن ينصرم .

أهم الاحداث الثقافية لعام ١٩٧١

كانت أهم هذه الاحداث بغير شك أو تردد هى دمج وزارة الثقافة مع وزارة الاعلام . وما ترتب على هذه التصفية من

تشكيل هيئات جديدة ؟ والغاء مؤسسات ؟ وتعطيل بعض النشاطات الاخرى . فبعد ان ترك الدكتور ثروت عكاشة وزارة الثقافة ، تولى أمرها الاستاذ بدر الدين أبو غازى ، ثم اعقبه الدكتور اسماعيل غانم ، ثم تولى — بعد عمليات الضم — الدكتور عبد القادر حاتم مهمة الاشراف على الثقافة الى جانب الاعلام .

واذا اردنا أن نفصل فى هذا الحديث الهام فاننا يجب أن نقول — كمجرد تسجيل هنا — أن ما حدث يتمثل فى النقاط الآتية :

- الغاء الديوان العام لوزارة الثقافة .
- ضم هيئة المسرح الى مؤسسة السينما وتشكيل هيئة جديدة تسمى الهيئة العامة للمسرح والسينما والموسيقى .
- الغاء هيئة النشر وما يتبعها من شركات وتشكيل هيئة الكتاب التى تضم الى جانب الهيئة السابقة دار الكتب أيضا .
- ضم الثقافة الجماهيرية الى الحكم المحلى، وما ترتب عليه من تبعية نشاطها الاقليمى للمحافظات .
- ضم المعاهد الفنية المختلفة فى اطار اكاديمية الفنون أو الهيئة العامة للفنون .
- وقف المجلات التى كانت تصدرها وزارة الثقافة مؤقتا حتى تتم دراسة اوضاعها ، وهى : المجلة ، الفكر المعاصر ، الكاتب ، الفنون الشعبية، الفنون، تراث الانسانية.
- الاعلان عن سياسة جديدة للانتاج السينمائى تتلخص فى قصر الانتاج العام الذى تشرف عليه الهيئة الجديدة للسينما والمسرح والموسيقى على ثلاثة أو أربعة أو خمسة أفلام فقط فى العام ، وترك المجال مفتوحا أمام القطاع الخاص حتى يغطى الاحتياجات الباقية للسوق المحلى . وتشجيع هذا القطاع الخاص على الانتاج عن طريق تخفيض الرسوم الجمركية على الافلام الخام ، وتخفيض اجور الاستوديوهات ، ومنح كل من ينتج فيلما مصريا حق استيراد ثلاثة أفلام أجنبية ، وتشجيع بناء دور العرض السينمائى فى القاهرة والاقاليم .
- وبالاضافة الى هذا كله فقد وقعت بعض الاحداث الاخرى التى لا تقل أهمية ، لعل ابرزها :
- صدور برنامج العمل الوطنى والنص فيه على بنود ثقافية محددة أهمها : تشكيل اتحاد للكتاب والفنانين ، وكسر احتكار العاصمة للثقافة، وتوصيل الخدمات الثقافية الى الاقاليم ، والاتجاه الى تشكيل المجالس القومية المتخصصة ؟ ومن بينها المجلس القومى للثقافة .
- احتراق دار الاوبرا المصرية بعد ان صمدت فى وجه الزمن أكثر من مائة عام [١٠٢ عام] ، والاعلان عن بناء دار أوبرا جديدة فى نفس المكان الذى كانت تشغله الدار القديمة طبقا لنص قرار الرئيس أنور السادات .
- وفضلا عن هذين الحدثين البارزين يمكن الاشارة الى بعض الاحداث الاخرى التى تقل عن ذلك أهمية مثل : زيارة المسرح القومى السورى للقاهرة فى نطاق التبادل الثقافى بين البلدين ، وبدعوة من وزارة الثقافة المصرية [قبل ضمها الى الاعلام]، والاحتفال بمرور مائة عام علىأوبرا عايدة، واقامة صندوق خاص لاعانة الكتاب والفنانين [مازالت تقام الحفلات حتى الان لتدعيمه) .

هذه هى ابرز أحداث عام ١٩٧١ الثقافية ، بلا زيادة أو نقصان . وهى أحداث هامة ومؤثرة بغير شك على مجرى التطور الثقافى فى بلادنا ، وسوف يكون لها آثارها البعيدة كذلك فى السنوات المقبلة . وقبل أن نتعرض لهذه الآثار المقبلة ينبغى أن نعود الى السؤال الثانى الذى طرح فى البداية وهو : هل هناك مغزى أو دلالة لتلك الاحداث ، وما هو هذا المغزى أو هذه الدلالة ؟

ماوراء هذه الاحداث

يجب أن يقال بادىء ذى بدء أن مجرد ضم وزارة الثقافة الى وزارة الاعلام لا يمثل فى حد ذاته حدثا كبيرا مادامت المؤسسات أو الهيئات التى كانت تتشكل منها وزارة الثقافة السابقة ما زالت موجودة بصورة من الصور . فوزارة الثقافة — فى جوهرها — ليست هى ديوان عام الوزارة ، وانما هى المؤسسات والهيئات التى تنتج الثقافة أو تنظم انتاجها . ويجب أن يقال ثانيا أن « الاعلام » فى البلدان المتخلفة أو النامية يلعب دورا مزدوجا . فحيث ينخفض المستوى التعليمى ، وتنتشر الامية ، لا تصبح وسائل الاتصال الجماهيرية مجرد ادوات لنقل الغذاء الثقافى للجماهير الواسعة فى مواقعها البعيدة، فى الاقاليم والقرى والكفور والافنات القصبية . فليس هناك اذن تناقض مبدئى بين الاعلام كوسيلة أو كأداة والثقافة كمحتوى أو كمضمون. ويجب ان يقال ثالثا أن كلمة الثقافة فىاستخدامها العام فى بلادنا تشير الى مجموع الانتاج المسرحى والسينمائى ، وما تخرجه مؤسسات النشر

نفسه . وهذا الاستخدام قاصر بغير شك ، ذلك لان ثمة وسائل أخطر في تأثيرها من مجموع هذا الانتاج ، وهي الاذاعة والتليفزيون وما يتضمنان من برامج وأحاديث تصل بطبيعتها الى آفاق أبعد مما تصل اليه الوسائل الاخرى كالمسرح والكتاب وحتى السينما . ولابد اذن من أن نضع في اعتبارنا مضمون ما تقدمه الاذاعة والتليفزيون من اعمال مؤثرة ثقافيا ، ومؤثرة وجدانيا وفكريا على الجماهير الواسعة ، خصوصا في ظل الاوضاع المتخلفة التي يتسم بها المجتمع المصرى، وهي التي اشير اليها في البداية ، من انخفاض المستوى التعليمي العام ، وانتشار الامية .

غير ان هذا التفسير الذى نقدمه ، ويمكن فهم عملية الضم في اطاره على أسس منطقية ومعقولة ، ليس هو التفسير الوحيد الذى قدم لذلك . ذلك أن بيانات كثيرة قد صدرت تشير الى « الخسائر الفادحة » التي منيت بها اجهزة وزارة الثقافة ، وترتب عليها الاتجاه الى هذا الضم ، وأهم من ذلك ، الاتجاه الى « الانكماش » في بعض القطاعات الثقافية مثل السينما والنشر . وهنا ينبغي أن نتوقف لحظة لنناقش هذه القضية بشيء من التفصيل .

لن نتحدث عن فلسفة المكسب والخسارة في العمل الثقافي . ولن نقول ان الثقافة في مجتمع يتحول من سيطرة الراسمالية الى مجتمع يرفع على أعلامه مبادىء الاشتراكية كأهداف له ، هي « خدمة » عامة ، لا سلعة تخضع لقوانين العرض والطلب ، فمثل هذه الاقوال تصطنع تناقضات مفتعلة في كثير من الاحيان ، وتظل تدور في اطارها أو في اسارها ولا تحاول الكشف عن أسبابها الحقيقية . والاعتراف بالواقع الحقيقي في بلادنا الذى يشير الى مثل هذه الخسائر المادية ليس رزيلة على اى حال ولكن السؤال الذى يترتب عليه هو : لماذا خسرت وتخسر ويمكن أن تخسر في المستقبل أيضا — برغم الاستحكامات التنظيمية الجديدة — هذه المؤسسات الثقافية في بلادنا ؟

الاجابة تتلخص في مجموعة من العوامل الواضحة التي لا تحتاج الى جهد خارق لاكتشافها :

أولها — الانفجار الوظيفي : فالمؤسسات الثقافية تعاني تضخما وظيفيا يصل الى حد الانفجار . والذى يتحمل نفقات وأجور هذا الجيش الجرار من الموظفين هو الانتاج الفنى نفسه ، والانتاج الثقافي نفسه ، الصادر عن القطاع العام دون غيره .

ثانيها — ضعف كفاءة التشغيل ! والانفجار الوظيفي ، لايسهل عمليات الانتاج كما قد يبدو لاول وهلة . فالعدد الضخم يساعد على زيادة حدة البيروقراطية في المؤسسات الثقافية ، عن طريق خلق الادارات المصطنعة والمكاتب الوهمية التي لاتقوم بعمل حقيقي ، أو تقوم بعمل يمكن ببساطة الاستغناء عنه . وفضلا عن ذلك فان سيادة منهج العمل الروتيني الحكومي في مؤسسات انتاجية — كمؤسسة النشر على سبيل المثال — أدى الى عدم الاستفادة من الامكانيات الفعلية المتاحة بالفعل . ان مطبعة هيئة النشر تعمل من الساعة الثامنة حتى الثانية ظهرا وكأنها مصلحة حكومية . ومعنى ذلك أن هذه المطبعة التي يمكن أن تعمل بطاقة ثلاث ورديات ، تعمل بطاقة وردية واحدة . وهذا ضياع واهدار للمال العام . ونفس الامر في هيئة المسرح . فمسرح مثل مسرح الجمهورية يضم أكثر من سبعين ممثلا وممثلة ، لم يعتل خشبته سوى قلة من هذه المجموعة الكبيرة ، ويبقى الجانب الاكبر منهم بلا عمل داخل مسرحه لمدة تبلغ عدة سنوات .

ثالثها — عدم ترشيد الانتاج : فكثير من القرارات التي تتعلق بالانتاج الثقافي كانت تتخذ بغير دراسة حقيقية ، وتخضع للتلقائية والارتجال ، فلا تصدر دون دراسة للسوق الثقافي ، ولا دراسة لاتجاهات القراء ، بل ولا دراسة للاحتياجات الحقيقية للبناء الثقافي في مجتمع يتطور وينمو في اتجاهات معينة . ومسرحيات تعد ، وتبدأ بروفاتها ، ويتم تنفيذ ديكوراتها ، ثم لا ترى النور أبدا . وأفلام تنتج ثم لاتجد دورا للعرض فتظل حبيسة المخازن . وهكذا . بل أن الامر وصل الى حد البدء في مشروعات لم يكن لها ما يبررها وبعضها أعمال فنية مثل « الاوبرا المسماة حياة فنان » وقد تكلف انتاجها ما يزيد عن سبعة وثلاثين الفا من الجنيهات ثم لم تستطع أن تحصل على عائد يزيد عن الالف جنيه .. وبعضها الاخر مؤسسات وابنية مثل مسرح الجليد الذى عدل عن تنفيذه بعد ان قطع شوطا كبيرا في عمليات التنفيذ . التلقائية والارتجال هما اذن الاساس في فقدان هذا الترشيد للانتاج ، وتخبطه وسط متاهة لا معالم لها .

رابعها — غياب الرقابة الحقيقية : ان الخسائر التي أعلن عنها في الصحف منذ أسابيع قليلة والتي لحقت بالمؤسسات الثقافية ، لم تتحقق في عام واحد بالطبع . وهي قد واصلت تراكمها وصعودها عاما بعد عام . وثمة ملفات مغلقة في المؤسسات الثقافية عن عمليات اختلاس وسرقة للمال العام .

واذا كان من الممكن القول بأن الاسباب

السابقة تمثل القاعدة العامة للخسائر فى كل المؤسسات الثقافية ، فان ثمة أسبابا أخرى فى بعض القطاعات الثقافية تؤدى الى الخسائر التى تلحق بها . ونظرة سريعة على ميزانيات بعض المؤسسات ، وأسلوب عملها ، توضح هذه الحقيقة ، وتلقى ضوءا على الاسباب الحقيقية لخسائرها .

● مثلا ميزانية هيئة التأليف والنشر حوالى مليون ومائتى الف جنيه فى السنة . تدفع الوزارة — أو الدولة — منها حوالى نصفها — أى ستمائة الف جنيه — والباقى يأتى من دخل الهيئة عن طريق التوزيع ومعارض الكتب ، ودخل المطابع التى تملكها ومن بينها حوالى مائة وعشرين الفا من الجنيهات يدفعها المجلس الاعلى للفنون والآداب لنشر الكتب التى يصدرها ضمن المكتبة العربية ، وهو ما يسمى بالتمويل الذاتى . وكل ما تدفعه الوزارة أو الدولة للهيئة اى الستمائة الف جنيه ، هى مرتبات الموظفين الذين يعملون فى الهيئة ! وميزانية النشر وقدرها حوالى ثلثمائة الف جنيه تأتى كلها من ذلك التمويل الذاتى . وهذه الميزانية هى كل ماينفق على عمليات النشر . واذا أضفنا حصة المجلس الاعلى للفنون والآداب يصبح الحاصل حوالى نصف مليون جنيه . وبعملية قسمة بسيطة على عدد سكان الجمهورية المصرية ، يكون نصيب الفرد الواحد من ميزانية النشر هو « قرشين صاغ » فقط لا غير كل عام ! ...

وحتى اذا قيل أن ثلثى الامة أميون لا يقراون ولا يكتبون لا تكون النتيجة أسعد حالا ، لانها لن تزيد عن قطعة من ذات الخمسة قروش !

● مثال آخر ، ميزانية هيئة المسرح حوالى مليون وربع مليون جنيه فى السنة . تدفع الوزارة — أو الدولة — منها حوالى ثمانمائة الف من الجنيهات مرتبات موظفين . والباقى وهو لايكاد يصل الى نصف مليون جنيه ، هو كل ميزانية الانتاج الفنى كل عام .

هذان مثلان فقط ، يمكن أن نجد لهما نظائر كثيرة فى سائر المؤسسات الثقافية الاخرى . والاسباب توشك أن تكون واحدة .

غير ان الطريف فى الامر ان هيئة النشر تعانى أسبابا خاصة فى خسائرها — بالاضافة الى الاسباب العامة — منها ارتفاع ثمن الورق ، لان الهيئة لا تشترى كل الورق الذى تحتاج اليه من وزارة التموين ، بل عن طريق ما يسمى بالقطاع الخاص أو السوق الحرة أو بتعبير أدق السوق السوداء . وثمنه هنا ضعف ثمنه العادى الذى تحدده وزارة التموين ! ومنها أرباح شركة التوزيع التابعة لها أو التابعة للوزارة التى تبلغ عمولتها حوالى ٣٠٪ من ثمن ما تقوم به بتوزيعه من مطبوعات الهيئة !.. ومنها بالطبع ارتفاع تكاليف الطباعة ، نظرا لعدم تشغيل طاقة المطابع بكاملها وهو ما اشرنا اليه فى البداية .

ومثلها فى ذلك هيئة المسرح ، التى تقتصر نشاطها على القاهرة ، ولا تكاد تطل على خارج اسوارها ، الا فى فصل الصيف ولمدة محدودة حيث تزور بعض فرقها الاسكندرية أو مرسى مطروح او راس البر . والامكانيات الكبيرة التى تملكها — فنانين وعمال وريبيرتوار — تتجمد أو تتعطل أو تضيع فى النهاية هدرا ، لان أحدا لم يفكر فى الاستفادة من كل هذا بخلق شعب كثيرة للمسارح المختلفة تعمل فى المحافظات أو حتى فى الاحياء البعيدة عن وسط القاهرة كشبرا الخيمة أو حلوان وغيرهما !

ان هذه الكلمات السابقة كلها ، تمثل الخلفية الواقعية التى يجب ان ننظر من خلالها الى الاجراءات الجديدة التى اتخذت فى الشهور الاخيرة .

فهل يمكن أن تتخطى المؤسسات الثقافية الجديدة هذه الاسباب ؟ . سؤال هام ينبغى التعرض له فى شىء من الوضوح والصراحة :

ويجب ان يقال من البداية ، بغير لف أو دوران ، ان الحل الحقيقى لا يمكن أن يكون بأى حال من الاحوال ، هو « الانكماش » .

ان مؤسسة السينما — التى تمثل القطاع العام السينمائى فى البلاد — لا يمكن أن تسلم نفسها للقطاع الخاص الذى نعرف طبيعة انتاجه ومواصفاته . واذا أضفنا الى ذلك ماهو معروف عن ضعف التمويل المصرى فى القطاع الخاص السينمائى ، ادركنا أن النتيجة سوف تكون استيلاء الموزعين اللبنانيين على سوق الانتاج السينمائى المصرى . فهل يجوز هذا فكريا وسياسيا ، بل وفنيا ؟ وهل هذا هو الحل ؟ ان يتقلص الانتاج المصرى ، أو يخضع فى النهاية لمتطلبات السوق العربى المتخلف ، وينسى دوره الفنى ودوره السياسى لا فى بلادنا وحدها ، بل فى البلدان العربية كذلك ؟ . لقد كان الحل الطبيعى لخسائر المؤسسة — مهما كانت درجتها كبيرة أو محدودة — هو التوسع فى الانتاج السينمائى لا الانكماش . وهو غزو الاقاليم المصرية التى لم يشاهد أكثر من ٨٠ ٪ منها الافلام السينمائية قط ! . ان الفيلم الامريكى

فنية ذا الشهرة العالمية يعتمد في تغطية تكاليفه على السوق المحلية وكل ما عداه ربح خالص . كان ينبغي علينا أن نمنح التسهيلات الكبيرة لبناء دور العرض في الاقاليم . ولاقامة دور عرض أخرى بسيطة ومحدودة التكاليف في المدة الصغيرة والريف . وكان هذا جدير بأن يفتح سوقا محلية ضخمة أمام الفيلم المصرى ، ولا يجعله خاضعا لسيطرة ونفوذ التمويل الخاص الباحث عن الربح من أقصر طريق . بل وربما كانت التسهيلات التى منحت للقطاع الخاص فى السينما المصرية والعربية جديرة هى أيضا بأن تقلل خسائره ، وتفك كثيرا من القيود المغلل بها . وليس الحديث هنا عن جيش الموظفين ، وغياب الرقابة ، وكفاءة التشغيل ، وترشيد الانتاج ، الا تكرارا لما سبق .

والنقطة الثانية الهامة فى هذه القرارات هى الحاق الثقافة الجماهيرية بالحكم المحلى . فما من شك اننا نطمح جميعا الى أن يكون الحكم المحلى فى بلادنا بديلا حقيقيا من المركزية المطلقة التى عاشت فيها مصر قرونا طويلة ، غير أن الامر يحتاج الى تمحيص أدق لهذه القضية ، خاصة وأن البوادر تنذر ببعض المتاعب للعمل الثقافى فى الاقاليم ، مثلما حدث فى محافظة بنى سويف عندما رفض المحافظ عرض مسرحية « بغل البلدية » بعد أن منحها فى البداية مائتين وخمسين جنيها ، بحجة أنها مسرحية متطرفة ! والمسرحية المشار اليها اجازتها الرقابة ، وعرضت فى أكثر من اقليم ، وعرضت فى مهرجان المحافظات . ان مغزى ذلك هو ما نريد الاشارة اليه هنا : فخضوع الثقافة الجماهيرية المحلية لا يعنى — ولا ينبغى أن يعنى — خضوعها فنيا وسياسيا لاشراف المسئولين الاداريين هناك . فالثقافة شأن التعليم والصحة وسائر الخدمات الاخرى تخضع للحكم المحلى اداريا ولكنها لا تخضع له من ناحية المضمون . فالمحافظون لا يتدخلون فى مناهج التعليم او اساليب الوقاية من الامراض مثلا . هذه أمور تخضع للاشراف والتوجيه المركزى فى القاهرة ، واذا كان لابد من رقابة ، فهى رقابة الدولة العامة المتمثلة فى « الرقابة على المصنفات الفنية » فقط ، وليس جديرا بكل مسئول ادارى فى أى محافظة أن يقيم من نفسه رقيبا سياسيا وفنيا . وليس المفروض فيه أنه خبير فى شئون الفن ، وليس المفروض كذلك انه يملك سلطة رقابية أعلى من السلطة الرقابية المركزية !

ان الثقافة الجماهيرية ، لعبت دورا بغير شك فى حدود امكانياتها التى اتيحت لها فى نشر الثقافة فى الاقاليم . أخطأت قليلا او تعثرت فى بعض الاحيان ؟ ليكن . ولكن المبدأ ينبغى أن يظل قائما . ولتقوم الاخطاء ، ولتمتد لها اليد ، بدلا من دفعها دفعا الى أيد قد لا تكون فى كثير من الاحيان على انهاضها والتقدم بها .

واذا انتقلنا الى نقطة أخرى تمثل حدثا بارزا فى حياتنا الثقافية هذا العام ، وهى صدور برنامج العمل الوطنى ، وما نص عليه من تشكيل اتحاد للكتاب والفنانين ، وكسر احتكار العاصمة للثقافة ، والاتجاه الى تشكيل المجالس القومية ومن بينها المجلس القومى المتخصص للثقافة ، فاننا نتصور أن هذه النصوص جميعا تمثل استجابة حقيقية للاحتياجات الموضوعية فى حياتنا الثقافية التى طال امد الاستجابة اليها .

فلقد ظلت بلادنا — لامر غير مفهوم — من بين البلدان القليلة ، التى لا ينتظم كتابها وفنانوها فى اتحاد يضم صفوفهم ويعبر عن اتجاهاتهم الفكرية والفنية والسياسية . وليس ثمة حاجة تدعو الى الحديث عن أهمية مثل هذا الاتحاد ، ولا عن الدور المنوط به . وربما أمكن أن نكتفى بالاشارة الى أن مثل هذه الاتحادات تلعب فى البلدان المتقدمة — وخاصة ذات النظام الاشتراكى — دورا بارزا فى الحياة الثقافية والسياسية معا . وتشكيل مثل هذا الاتحاد سيرد الاعتبار للمثقفين المصريين الذين كانوا دائما — وما زالوا — كتيبة أمامية من كتائب النضال الوطنى .

وبقى أن نبدأ . فهذه مسئوليتنا جميعا . ولنبدأ البداية الصحيحة بأن نناقش طبيعة هذا الاتحاد الجديد ، ومناهج تشكيله ، وأساليب عمله واطاره ، وشروط عضويته ، ومصادر تمويله ، وعلاقاته بالدولة ، وبالاتحاد الاشتراكى العربى .. وغيرها من القضايا التى سوف يتعرض لها فى حياته المقبلة .

أما عن كسر احتكار العاصمة للثقافة ، فهذه القضية هى محور القضايا الثقافية جميعا فى مثل ظروفنا التى تتركز فيها كل المؤسسات الثقافية والاعلامية فى العاصمة وحدها ، وتعيش الاقاليم فى ظلام كثيف قاتل . ولكن كيف ؟ . ان هذا يعود بنا الى ما سبقت الاشارة اليه . المسارح الدائمة فى الاقاليم . دور العرض السينمائى فى المدن الصغيرة والقرى ، قصور الثقافة فى كل مدينة صغيرة ، وكل مجموعة متقاربة من القرى . وغيرها من الوسائل التى تمهد لكسر الاحتكار « العاصمى » ، وتخطو الخطوات الاولى للقضاء عليه .

وليست قضية المجالس المتخصصة جديدة ، فقد أشار اليها بيان ٣٠ مارس ، أو بتعبير أدق

نص عليها . وبقى مرة أخرى أن نبدأ . ولانتوقف عند مجرد اصدار القرار . فهذه المجالس ليست ترفا ينبغي الانتظار حتى تنتهي المعركة مع اسرائيل حتى نبدأ في بنائها أو تشكيلها . انها حاجات ضرورية واقعية . وتكوينها ضرورة ملحة لاتحتمل التأجيل .

نحو أى أفق نسير

والآن ينبغي ان نتوقف لنسأل : وماذا بعد ؟ . . نحو أى أفق نسير ؟ ماصورة المستقبل في ضوء هذه الاحداث ، وعلى هدى تلك المؤشرات التى الحنا اليها فى البداية ؟

ان القاعدة البديهية هى ان التنظيم يخدم السياسة . وفى كل ميادين العمل الوطنى العام ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فان أى تنظيم ليس مقصودا لذاته ، وليس هدفا فى حد ذاته ، وانما هو اداة أو وسيلة لتحقيق أهداف سياسة معينة ، والوصول الى غايات محددة .

والتنظيمات الجديدة التى تمت فى الميدان الثقافى ، ليست هدفا فى حد ذاتها أيضا . وانما هى — كما قيل اكثر من مرة — وسيلة للانطلاق الثقافى ، وكسب مواقع جديدة أكثر تقدما للثقافة فى بلادنا . ولكن يبدو أن هذه الاهداف تعانى بعض العقبات فى طريقها . وأول هذه العقبات وأهمها هى مشكلة التمويل وما يسمى بفلسفة المكسب والخسارة . ومن غير المعقول أن نبخل على الثقافة — ودورها معروف ومعترف به — ببضعة ملايين من الجنيهات تضيع فى ميادين أخرى دون أن يعلم بها أحد ! .

ولا سبيل الى الانطلاق الثقافى الحقيقى بدون تخطيط علمى مدروس لكل مجال ، بعيدا عن التلقائية والارتجال والمشروعات الوهمية . وهذا التخطيط قادر على أن يحقق ما نصبو اليه جميعا من توازن بين المكسب والخسارة . وتعادل بين النفقات المادية ، والعائد المادى والنفسى والسياسى والفكرى الذى لا يقدر بثمن .

هذا هو جوهر المشكلة الان ، وهو مفترق الطريق الذى تقف عنده حياتنا الثقافية أمام اختيارات صعبة . اما الانكماش أو التقلص . واما التوسع الافقى والامتداد على نطاق الجمهورية كلها . اما تسليم الثقافة فى بلادنا لاتجاهات القطاع الخاص ، وأذواق ورغبات المسئولين الاداريين فى المحافظات ، واما حقن القطاع العام بدماء جديدة ، وبعث الروح مرة أخرى فى قطاعات ثقافية عانت طويلا من الاختناق :

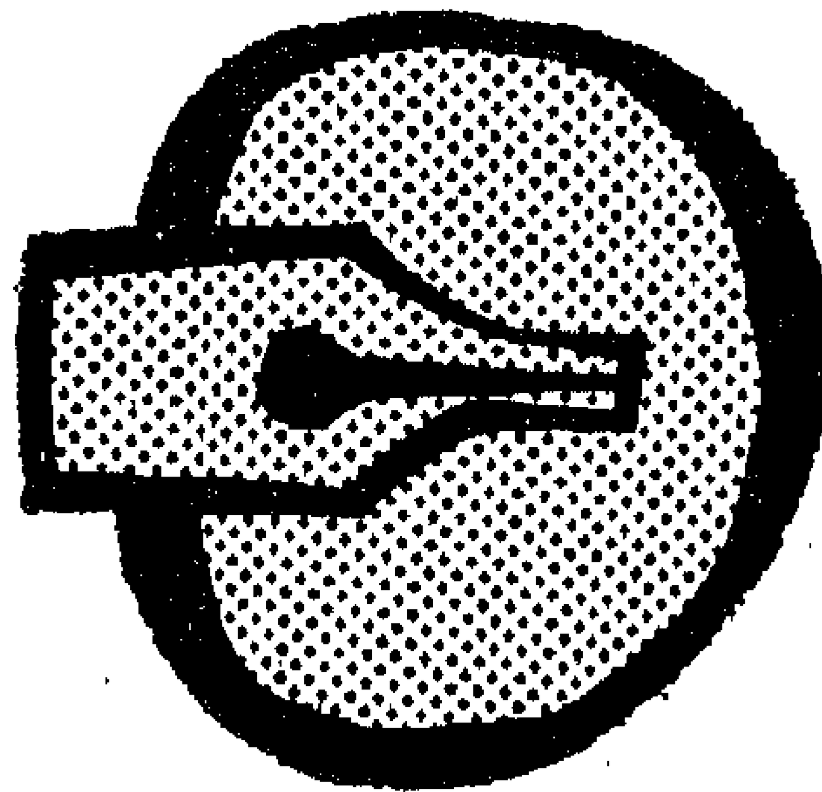
ان حريق الاوبرا يهدف رغم فداحته ، اذا قورن باحتراق الامل فى ثقافة وطنية وقومية ، اشتراكية ، انسانية ، تنطلق من مصر مركز الاشعاع ، وبؤرة الضوء . وكل الاخطاء التى ارتكبت فى الماضى يمكن لهـا أن تراجع ، وكل النواقص التى فتحت أفواهها فى الماضى يمكن أن تسد ، وكل الاسباب التى عملت على الركود والتجمد والانكماش فى حياتنا الثقافية يمكن لها أن تدرس وأن يتجاوزها المستقبل .

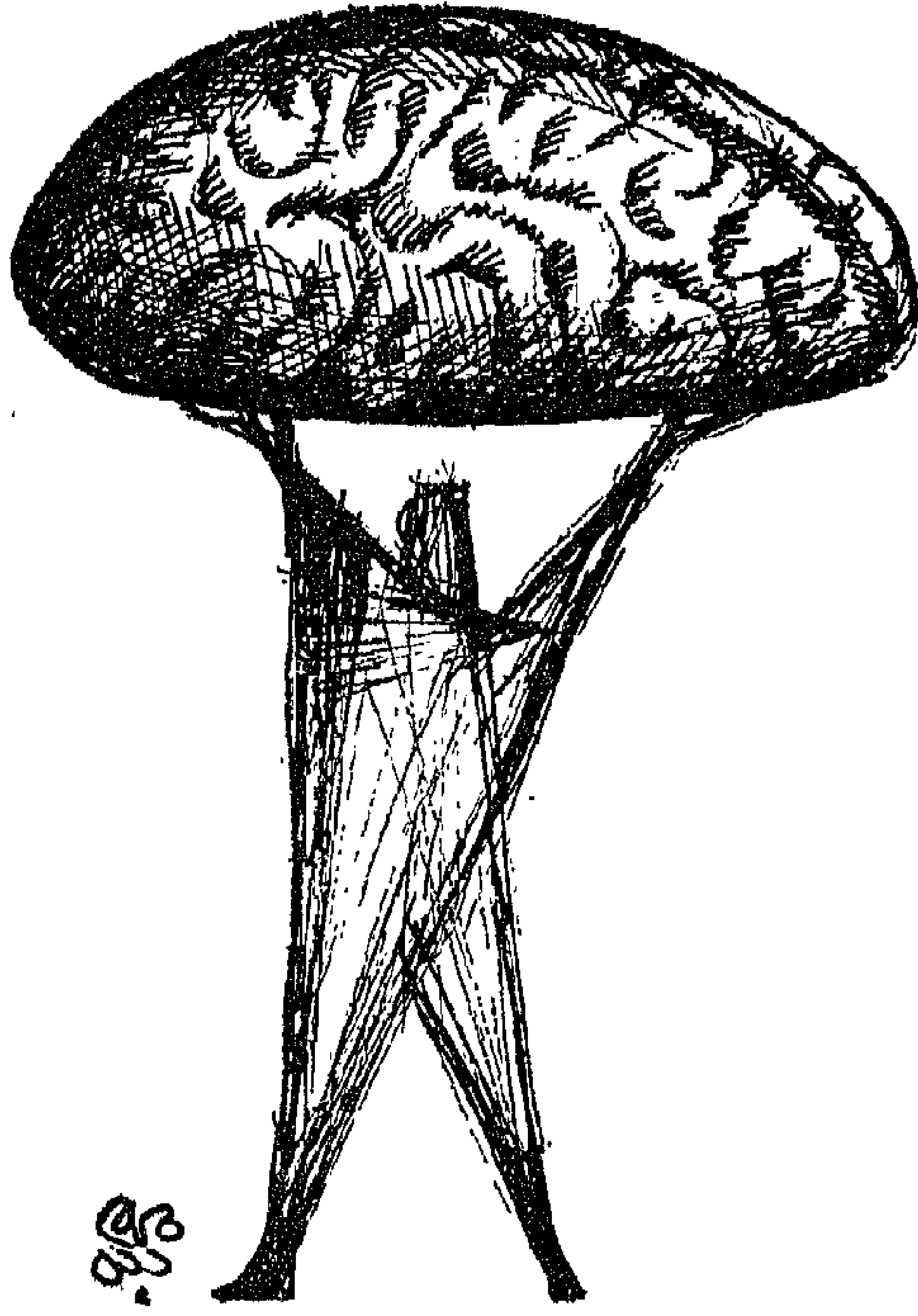
ونحن ينبغى علينا أن ندافع عن الامل .

ونحن ينبغى أن نساعد على تقديم الحلول الايجابية .

هكذا تريد جماهيرنا نفسها ، لان الانطلاق هو التعبير الوحيد الممكن عن احتياجاتها فى هذه المرحلة .

وهكذا ينبغى أن نواجه تحديات المستقبل أيضا ! (•)





موقف ثورى فى علم النفس الأمريكى :

فيتنام

قدرى حفنى

يقوم العلم على التعميم ، والتعميم يقتضى بالضرورة تجاوزا عن الكثير من التفصيلات ، ولكن ذلك لا يعنى اهمالا للتفصيلات جميعا ، ومن هذا المنطلق بالتحديد تبرز مشكلة تواجه العلماء جميعا وعلماء الانسانيات على وجه الخصوص .. الى أى حد يجوز التعميم . والى أى حد ينبغى التخصيص .او بعبارة اخرى اى التفصيلات نأخذ وايها ندع . وقد يتفق العلماء جميعا على انه لابد وأن يولى قدر من الاعتبار للتفاصيل ، خاصة تلك التى تتناقض مع الخط العام للتعميم العلمى حيال ظاهرة معينة باعتبار أن تلك التفصيلات بالتحديد تكون عادة بمثابة البدايات الاولى لتغير الظاهرة موضع البحث ، وبالتالى لتغير التعميمات العلمية الخاصة بها . قد نتفق على كل ذلك ولكننا كثيرا ما نغفل عنه او نتغافل خاصة اذا ما كنا بصدد ظاهرة تدخل فى نطاق العلوم الانسانية حيث تشعرنا التعميمات بدرجة قد تلهينا تماما عن ادراك الكثير من تفصيلات الظاهرة خاصة تلك التى تتعارض مع تعميماتنا المسبقة . وقد يرجع ذلك الاغفال او التغافل الى العديد من الاسباب : منها المتعلق بتاريخ العلوم الانسانية ذاتها ، ومنها المتعلق بطبيعة موضوعاتها وما تثيره احيانا من أحاسيس قومية أو شخصية .

ولقد كنت حتى اسابيع قليلة فى اسار أحاسيس من هذا النوع حيال علماء النفس الامريكيين المعاصرين . كنت اشعر بالاسى - ولا أقول بالخجل - وابناء مهنتى من علماء النفس الامريكيين يضعون معرفتهم بالانسان ، وهى معرفة على قدر كبير من التقدم التخصصى ، فى خدمة اهداف الامبريالية الامريكية سواء فى داخل الولايات المتحدة أو خارجها . كان يبدو لى وكأنهم جميعا مشتركون فى هذا الموقف حتى أن الاستثناءات القليلة او الاستثناء الوحيد الذى اذكره فى هذا الصدد وهو ايريك فروم عالم النفس التقدمى الامريكى المعروف قد ترك مهنة علم النفس وتفرغ للنضال السياسى تماما . وكان كل ذلك امرا مفهوما لدى تماما . وان كان الفهم لا يحول دائما دون الاسى والخجل .

وفى خضم تلك الاحاسيس كنت ذات يوم من ايام الشهر الماضى اتصفح المجلد الاخير من « **الملخصات السيكلوجية** » وهى مجلة شهرية تصدرها

الرابطة السيكلوجية الامريكية وتتضمن ملخصات لغالبية البحوث السيكلوجية المنشورة فى كافة انحاء العالم • واستوقف انتباهى عنوان لمقال نشره عالم نفسى امريكى فى صيف عام ١٩٦٩ هو **شسترو • فيورشتاين** وكـان العنـوان **« الحـالة : الولايـات المتحـدة • المظهـر المرضى : فيتنام »** • ولم يكن المؤلف من الاسماء المعروفة لى فى علم النفس الامريكى • كذلك فان المجلة لم تورد تلخيصا لذلك المقال مكتفية بالاشارة الى عنوانه •

وخطر للوهلة الاولى ان المقال لن يعدو أن يكون محاولة جديدة لتقديم مزيد من الخـدمات السيكلوجية للسلطة الامريكية ، واعادت النظر فى العنوان • انه يتخذ الاسلوب الذى يتبعه الاطباء فى تسجيل المرضى الذين يعالجونهم • وخطر لى آنذاك أن المقال قد يكون جزءا من تلك اللعبة القديمة المستهلكة التى استخدمها ـ وما زال يستخدمها ـ علماء النفس الامريكيين وغيرهم بمحاولة تمييع كافة قضايا الصراع الاجتمـاعى والدولى وعلى رأسها قضية الحرب بارجاعها الى أسـباب سيكلـوجية خـالصة وبـذلك يتحول « المعتدون » الى مرضى ينبغى معالجتهم بدلا من محاربتهم •

وحاولت ـ دون توقع لجديد ـ ان اختبر صحة ما انتهيت اليه فارسلت الى كاتب المقال اطلب نسخة من مقاله ، ولم يمض وقت طويل حتى تلقيت المقال مصحوبا بخطاب رقيق يطلب منى فيه أن أرسل له برأيى فى مقاله • وتحفزت وبدأت القراءة فاذا بالمقال يبدأ هكذا :

« يكفى أن يتحدث المرء الى مناضل زنجى من أبناء الجيتو ، أو الى طالب ثائر ، أو الى أحـد المترددين على هيئات المعونات الخيرية ، أو الى أحد الرافضين لاداء الخدمة العسكريـة ، لكى تتضح له ضآلة ما قدمه علم النفس لتلك القطاعات الكبيرة من أبناء امتنا • ترى أين كانت جهود علم النفس والعنصرية تتفشى لعشرات من السنين قبل صدور قرارات المحكمة العليا بشأن التفـرقة العنصرية ؟ ترى ما طبيعة الدور الذى لعبه علم النفس من أجل محاربة الفقر ، والعنصريـة ، والعسكرية ، ومن أجل أعادة ما اختل من تدريج للمصالح القومية حسب اهميتها ؟ ترى ماذا فى مقررات علم النفس التى نضعها ونقوم بتدريسها قد أدى الى مثل ذلك العجز عن التمكن من التأثير الفعال على المشكلات الاجتماعية المعـاصرة الكبرى « ليست تلك سوى نماذج قليلة من تساؤلات عديدة تواجه علم النفس المعاصر » •

« ان علماء النفس لا يحتلون مكانة بارزة بين قادة التحرك من أجل تقوية ودعم النضال ضد تفشى الظلم الاجتماعى • بل انهم أكثر ميلا الى العمل والتعاون مع المؤسسات التعليمية غيـر الديمقراطيـة ، والنظم الاجتمـاعيـة المتعصبـة عنصريا ، والسلطة النامية للتحالف الصناعى ـ العسكرى المعادى لتحالف الجماهير الشعبية ، دون وعى أو اهتمام كبير بما يتضمنه كل ذلك من أبعاد اجتماعية • ولعل الوقت لم يفتنا بعـد ، ولعلنا ما زلنا نستطيع أن نتحرك لمجموعة من أجل تحسين الاستفادة بما لدينا من معرفة سيكلوجية بحيث تصبح تلك المعرفة أكثر صلاحية لتلبية كافة احتياجات المجتمع الملحة ، وبالتالى من أجل الكف عن تدعيم ومؤازرة تلك البرامج والممارسات التى تؤدى فى النهاية الى اهدار الانسانية أو مجافاة العمل سيكلوجيا أو أخلاقيا ،ولعلنا بذلك نستطيع ادراك دلالة آلاف الاجبارات القهرية التى تمارس فعاليتها داخل مجتمعنا المعاصر ، شأننا فى تقدير وفهم الاجبارات السيكلوجية التى تجرى داخل الفرد •

وقبل أن امضى فى قراءة المقال احسست بأن تحفزى آخذ فى الخفوت ، واننى حيال لغـة سيكلوجية جديدة غريبة تماما عما أعرفه عن علم النفس الامريكى • لغة تدعو علمـاء النفس الامريكيين الى ضرورة اتخاذ موقف ثورى حيال قضايا المجتمع • ووجه الغرابة أنها صادرة من عالم امريكى • ويمضى كاتب المقال مؤكدا دعوته مقررا ، ان علماء النفس لديهم بالفعل قدرا كبيرا من المعرفة بالاثار المدمرة للظلم والجور ، والمناخ غير الديموقراطى وما الى ذلك • صحيح أن تلك المعرفة قد لا تكون متوفرة بالقدر المأمول ، ولكنا نستطيع استخدامها الان فى الاسهام فى السعى من اجل ارساء مجتمع عادل وانسانى » •

واضح اذن ان فيورشتاين لا يدعو علماء النفس الى اتخاذ موقف ثورى بوصفهم مواطنين فحسب ، بل اساسا بوصفهم علماء نفس • وتلك قضية هامة وخطيرة حقا • فهى تعنى أن علماء النفس بحكم تخصصهم وخلال ممارستهم لعملهم يتخـذون بالضرورة موقفا ما من قضايا الصراع الاجتماعى فى مجتمعاتهم • وسواء كانوا على وعى بموقفهم هذا أو على غير وعى ، مدركين له أو متجاهلين اياه ، راغبين فى اتخاذه او عازفين عنه ، فهم يتخذونه بالفعل خـلال ممـارستهم لعملهـم كمتخصصين فى علم النفس • ويبحث فيورشتاين عن مثال عملى يسوقه تدليلا على قضيته فاذا به يلتمسه من مجال العلاج النفسى • واهمية اختياره لذلك المجال بالتحديد لا ترجع فيما نرى الى كونه شخصيا احد المشتغلين بالعلاج النفسى بقدر ما ترجع الى طبيعة الموقع الخاص الذى تشغله قضية العلاج فى مجال علم النفس • لقد وقر فى اذهان الكثيرين أن العلاج النفسى على تعدد مدارسه

واختلافها أمر عملى » فى المقام الاول • يبدأ ، وينتهى ، ويدور حول محور واحد هـو المريض ، شفاؤه أو عدم شفائه • ووفقا لهذا الفهم فانه اذا كان لنا أن « نقحم » القضايا الايديولوجية فى فرع كعلم النفس الاجتماعى مثلا فان تلك القضايا تبدو بعيدة كل البعد عن مجال العلاج النفسى • ويعرض فيورشتاين مثاله كما يلى : « ان الحاجة الى توافر فهم عام للمحيط الاجتماعى والاقتصادى وما يترتب **على طبيعة ذلك المحيط من نتائج تعد أمرا لا غنى عنه بالنسبة للمعالجين النفسيين ، وكمثال على مدى أهمية تلك القضية يمكن ان نســوق ذلك التساؤل الذى أثاره بعض نقاد التحليل النفسى ومؤداه :** الم يسهم المحللون النفسيون عمليا فى شل النشاط السياسى للعديد من المثقفين فى المانيا خلال بزوغ النازية ، وذلك بتناولهم لـلاخطار الاجتماعية الواقعية تماما فى ذلك الوقت من خلال نظريات وتفسيرات تتعلـق بـداخلية النفس وديناميتها ؟ أن المعالج النفسى الامريكى الـذى تعوزه اليقظة الاجتماعية يمكن أن يضع نفس الشىء بحجبه للتقييم الواقعى للحـرب ، وللتهديد النووى ، وللعسكرية ، ولغير ذلك من الافـات الاجتماعية كالعنصرية والتمييز الاجتماعى •• ان العلاج النفسى ليس كما كان يفترض بسذاجة فى البداية بعيد عن اتخاذ موقف قيمى أو أنه يتخذ موقفا محايدا من القيم ، بل انه فى الحقيقة جزء متكامل من سيكلوجية أشمل للضبط السلوكى أو التأثير السلوكى » •

ولا يفوت فيورشتاين أن يستمد من خبرته الشخصية كمعالج نفسى ما يدعم به وجهة نظره فى العـلاج النفسى وموقعـه من قضـايا الصراع الاجتماعى • فيشير الى دراسة اجراها عام ١٩٦٥ بالاشتراك مع أحد زملائه اتضح فيها « انه اثناء تصاعد النذر ببدء مرحلة جديدة فى العدوان على فيتنام بالشروع فى قصف فيتنام الشـمالية بالقنابل ، وما يسببه ذلك الموقف من تهديد بالغ الخطورة والواقعية ، فى ذلك الوقت لم نجد سوى قلة بالغة الضآلة من المرضى ، يشعرون انه من المناسب مناقشة مخاوفهم ، او همومهم حيـال تلك الامور خلال علاجهم ، لقد قرر ١٦ مريضا فقط من بين ٣٩٩ مريضا انهم يشعرون بأهمية مثل تلك المناقشات ، رغم وجود ١٢٤ مريضا من بين هؤلاء يشعرون ان هناك احتمالا قويا بأن يؤدى تصاعد عمليات الولايات المتحدة فى فيتنام الى حرب نووية شاملة ! » •

الى هنا والامر لم يخرج فى تصورى عن كونه دعوة ثورية حقا ولكنها لابد وأن تكون دعوة فردية • مجرد وجهة نظر يسوقها ذلك العالم الامريكى او موقف شخصى يتخذه ولا يلتزم به سواه • مجرد استثناء من بين علماء النفس الامريكيين يمكـن أن يضـاف مثلا الى أريك فروم استثناءين بدلا من استثناءواحد • امر طيب حقا، ولكن ليس بالامر الخطير •

ولكن ما ان مضت بى القراءة حتى ادركت أن الامر أضخم واخطر من ذلك بكثير • ان فيورشتاين لا يعبر عن نفسه كفرد فحسب ، بل ان مقاله تعبير عن اتجاه منظم وعن حركة اجتماعية واضحـة الخطوط محددة الاهداف • حركة لها تنظيمها الفعلى الذى يعبر عنها ، وهو « **منظمة علماء النفس الامريكيين من اجل النضال الاجتماعى** » ويعرف فيورشتاين هذه المنظمة بقوله :

« **ان منظمة علماء النفس الامريكيين من أجل النضال الاجتماعى تعد تعبيرا عن محاولات علماء النفس الانطلاق من ذلك البـرج العـاجى الذى يفرضه انعزالهم نسبيا او كليا عن مجال احتياجات المجتمع المتصارعة • وتهدف المنظمة الى تجميع علماء النفس الذين يشعرون بأنه فى تلك الحقبة المضطربة الحاسمة بما تتضمنه من تهـديدات واقعية تماما باندلاع الحرب النووية ، وبمـا تتضمنه من اتساع لنطاق الفقر ومن عنصرية ، ومن الاف الافات الاجتماعية ، فى تلك الحقبة ينبغى على علماء النفس أن يصنعوا شيئا أكثر من مجرد الوقوف عند حد الدراسة والتفكير • ان اعضاء تلك المنظمة التى تنمو بسرعة فـائقة يشعرون أنه ينبغى علينا أن نبحث عن طرق لتطبيق معرفتنا وخبرتنا وهى على ماهى عليه من نقص فى اتجاه حل المشكلات الملحة لعصرنا** » •

ويمضى فيورشتاين بعد ذلك موضحا أنه فى ضوء اهداف المنظمة قام كل من **هـوارد جروبر** استاذ علم النفس فى مركز الدراسات المصرفية بجامعة روتجرز ، ونائب رئيس المنظمة، بالاتفاق مع **أيثيل توبـــاخ** رئيســة فــرع نيويورك من المنظمة بدعوة فروع المنظمـة فى كافة انحاء الولايات المتحـدة الى عقد وتنظيـم مجموعة من المؤتمرات لبحث الجوانب السيكلوجية والاجتماعية المتعلقة بانهاء الحرب فى فيتنام • وقد وجهت الدعوة فى يناير عام ١٩٦٩ على أن تعقد تلك المؤتمرات فى يوم السبت الاول من مارس فى نفس العام • وقد اختير ذلك اليوم بالتحديد تدعيما لقرار بالاضراب المؤقت عن البحوث اتخذه عدد كبير من العلماء الاجتماعيين والطبيعيين من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا ، ومن جامعات يال وكورنل وغيرها احتجاجا على « سوء استخدام المعرفة » • وعلى « الاستخدام غير المسئول للبحث العلمى » وكان قد تحدد لذلك الاضراب يوم ٤ مارس وبالتالى فقد كان عقد المؤتمرات فى الاول من مارس تعبيرا من المنظمة عن تضامنها وتأييدها للاضراب •

ان تنظيم مؤتمر كبير فى نيويورك يضم العديد من الحلقات الدراسية ، والمناقشات العامة • فضلا عن توفير التيسيرات اللازمة لحضور عدد كبير من علماء وطلبة علم النفس ، ثم تنسيق كل تلك الجهود لم يكن بالامر اليسير بل كان « مغامرة بالغة الصعوبة » • ورغم ذلك ،فبعد مرور فترة لا تجاوز الشهر ، كان حجم وتشكيل المؤتمر المنعقد حدثا مذهلا من كافة النواحى • بل انه كان فى حد ذاته تعبيرا ملموسا عن مدى اهتمام وانشغال العديد من علماء النفس والمناضلين الاجتماعيين المساهمين فى المؤتمر بوسائل انهاء الحرب الوحشية الظالمة وتحقيق سلام انسانى وعادل • ويرى فيورشتاين أن برنامج المؤتمر يعد فى حد ذاته تشخيصا عاما لحالة الولايات المتحدة بأعتبار أن مرضها هو فيتنام •

الحالة : الولايات المتحدة

المظهر المرضى : فيتنام

مكان انعقاد المؤتمر : المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية

فى أول مارس عام ١٩٦٩ •

جلسات المناقشة العامة :

خطاب رئيس فرع نيويورك لمنظمة علماء النفس من اجل النضال الاجتماعى ويتضمن ترحيبا بالحاضرين وعرضا موجزا لاهداف وغايات المؤتمر •

ندوة :

«حرب فيتنام المظهر المرضى الذى تعانى منه الولايات المتحدة » •

ندوة :

« النضالات من اجل التحرر : معناها ، ومشاكلها ، وفرص نجاحها »

الحلقات الدراسية :

١ ـ العنصرية •

٢ ـ العنف : موقف القمع الذى يتخذه القانون والنظام الاجتماعى •

٣ الفقر : كسبب ، وكمظهر مرضى •

٤ ـ الصحة العقلية والمرض العقلى •

٥ ـ القيم فى المجتمع الامريكى •

٦ ـ التربية فى مدارسنا

٧ ـ فيتنامات أخرى : اليونان مثلا

٨ ـ التمويل الحكومى للبحوث العلمية •

٩ ـ التجنيد العسكرى

١٠ ـ اتفاقيات السلام

١١ ـ حركات المقاومة

١٢ ـ الحريات المدنية

١٣ ـ الاسبقيات القومية •

١٤ ـ تمرد الشباب

١٥ ـ الصراعات العنصرية

ويشير فيورشتاين الى أن أبواب المؤتمر كانت مفتوحة لكل المهتمين من علماء النفس بحيث كان فى استطاعة أية مجموعة من هؤلاء العلماء مهما كان اتجاهها الاجتماعى أن تشترك فى المؤتمر • ورغم ذلك فان الاتجاه السائد لدى كافة المجموعات التى حضرت المؤتمر كان يشير بوضوح الى ضرورة ايقاف الحرب الفيتنامية بأسرع وسيلة ممكنة ، والى أن تلك الحرب فى حد ذاتها انما تدل على حالة غير صحية ـ اذا لم تكن مرضية ـ يعانى منها مجتمع الولايات المتحدة •

ويمضى فيورشتاين فى نبرة لا تخلو من فخر واعتزاز مقررا « ان الذين تبنوا الدعوة الى عقد المؤتمرات عن فيتنام فى طول البلاد وعرضها انما يعبرون عن تزايد الاهتمامات الاجتماعية لعلماء النفس البارزين على نطاق الامة بأسرها • ومن بين قائمة تضم ٦٥ اسما نجد : هاريت بار من جامعة نيويورك ، ومارتن دويتش من جامعة نيويورك أيضا ، واريك اريكسون من جامعة هارفارد ، وجيروم ك • فرانك من جامعة جون هوبكنز ، وهربرت س كلمان من جامعة ميتشجان ، وكينيث كينستون من جامعة يال ، ودافيد كرتش من جامعة كاليفورنيا بيركلى ، وروبرت ج • ليفتون من جامعة يال ، وزيلا لوريا من جامعة تفت ، وروبرت ب . ماكلويد من جامعة كورنل ، ومونرو ميللر من جامعة كولورادو ، وهنرى ا • موراى من جامعة هارفارد ، وهارولد بروشانسكى من جامعة سيتى ـ نيويورك ، وبرنارد ف • رايس من مركز الدراسات العليا للصحة العقلية ، وميلتون روكيتش من جامعة ولاية ميتشيجان ، وجون ج . سوليفان من جامعة نيويورك ، و هـ.ا. ويتكين من جامعة ستيت ـ نيويورك » •

ولقد حرصنا على عرض تلك الاسماء جميعا لسببين : الاول انها تشير بوضوح الى أن المنتمين الى « منظمة علماء النفس الامريكيين من اجل النضال الاجتماعى » ينتمون الى كافةاتجاهات ومدارسوفروع علم النفس تقريبا . .منهمعلماء النفس الاجتماعى، وعلماءنفسالطفل ،ومنهمابناء مدرسة التحليل النفسى ، وأصحاب نظريات شهيرة فى الشخصية والقياس السيكلوجى • اما السبب الثانى فهو أن هؤلاء العلماء لا ينتمون الى جامعة واحدة ولا الى منطقة جغرافية واحدة فى الولايات المتحدة • والسببين معا يشيران بوضوح الى مدى شمول واتساع حركة تلك المنظمة • وبالفعل فلقد انعقدت مؤتمرات مماثلة لمؤتمر نيويورك فى عديد من الجامعات الاخرى ، من لوس انجيلوس ، وكاليفورنيا ، وايوجين واوريجون ، الى

شيكاغـــو ، والينـــوس ، وبـــوستون ، وماساشوستس ، وواشنطون ، وكولومبيا ، الى روثرفورد ، ونيوجرسى ، ونيوهافن ، وكونكتيكت •

جهاز تكنولوجى صناعى

يفلت من السيطرة

كانت الندوة الصباحية للمؤتمر بعنوان « حرب فيتنام » المظهر المرضى الذى تعانى منه الولايات المتحدة • وقد ضمت الندوة عددا من علماء النفس المعروفين ، الذين كرسوا وما زالوا يكرسون الكثير من وقتهم فكرا ونضالا من أجل المشكلات المتعلقة بالحرب الفيتنامية •

كان أول المتحدثين فى الندوة هو مورتون دويتش استاذ علم النفس بجامعة كولومبيا والمتخصص فى ديناميات الجماعة والعلاج النفسى وقد عرض وجهة نظره قائلا « يبدو لى أن ما يميز موقفنا هو أننا قد طورنا الجهاز التكنولوجى الصناعى الهائل بدرجة تمكننا — اذا ما احسنا استخدامه — من تحرير العالم من الجوع ، وتحرير الانسان من الشقاء • ولكن ذلك الجهاز لم يعد فى وسعنا السيطرة عليه ، ولم يعد فى خدمة الحاجات الانسانية ، لقد أصبحت الحاجة الانسانية تتشكل لكى تلائمه • وهكذا فقد خلقنا بالفعل ما يميز مناخ مجتمعنا المعاصر من تفشى للقلق ولعدم الاستقرار وللاحساس بالعجز • ان الحرب تخلق أولئك الذين يفتقدون أية سيطرة حقيقية على بيئتهم أو على المجريات الرئيسية لحياتهم •

ويعقب ا • روى جون استاذ علم النفس الصناعى قائلا « فيما قاله الدكتور دويتش ما يشير الى أن مصدر مشكلتنا انما يكمن فى تطويرنا للتكنولوجيا • وأظن أن ذلك أمر ثانوى تماما • وانى اميل الى تشخيص المشكلة باعتبارها مشكلة مجتمع مريض • وان ذلك المرض يتسبب فى اثارة وايلام جوانب معينة من المجتمع أكثر من غيرها • فهو يتسبب فى اثارة الشباب الذين لا يرون لحياتهم معنى ، وفى اثارة الزنوج الذين لا يرون سوى البؤس والشقاء • وهؤلاء هم الذين يقاتلون المرض ويواجهونه ، وتلك علامة على الصحة • ولكن مشاكلنا ترجع حقيقة الى أسباب متعددة • فمنذ الحرب العالمية الثانية ومقاليد توجيه امور ذلك المجتمع فى أيدى اقلية صغيرة ضخمت من حجم المخاطر الخارجية التى تتهددنا ، ومن ضرورة التحرك لمواجهتها مما يجعل الامر فيما يبدو لى أشبه بحالة البرانويا » •

أما ستيفان كوروفر الاستاذ بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا ، والمتخصص فى علم النفس الفسيولوجى ، فينظر الى الامر من زاوية مختلفة قائلا « لم تعد الحرب هى المشكلة بل المشكلة هى ازدهار جهاز الدولة ، وازدهار جهاز الدولة يعتمد حاليا على الاستعدادات للحرب ، وبالتحديد على مقتضيات ما يسمى بالحروب المحدودة • وذلك هو السبب فيما نعانيه من ضياع للامكانيات الاقتصادية الهائلة للولايات المتحدة فى سبيل ذلك الحفاظ على استمرار ازدهار جهاز الدولة من خلال الاستعداد للحرب •

ويتناول روبرت هولت استاذ علم النفس فى جامعة نيويورك والمتخصص فى قياس الشخصية افكار زملائه معقبا بقوله « اخشى أن يكون الدكتور جون قد اقتفى خطى الكثيرين من زملائنا الاطباء العقليين فى استخدام مصطلحات مثل المرض والبارانويا مما قد يوحى بأن ثمة شيئا مرض فى المجتمع نفسه . واعتقد أن الدكتور كوروفر قد طرح بعض حقائق بالغة الفائدة والاقناع ، وهى تشير الى أن الدافع الكامن وراء ذلك الاتجاه نحو التركيز الشديد على الدماعى مواقف يكون فيها المرء قويا بالفعل — وهو السلوك المميز لحالات البارانويا — انما هو دافع اقتصادى فى جوهره • بمعنى أن القوى غير المنظورة التى تحركه انما تتمثل فى دافع الربح لدى صانع الاسلحة الذى يحتل مكانة مرموقة فى المجتمع » •

أما روبرت آلن المعالج النفسى واستاذ علم النفس والتربية فى جامعة ميامى فانه يقدم نقدا ذاتيا ثوريا حقيقيا حين يقول « لا أظن أن الذين يشاركون بوعى فى قتل تلك الاعداد الهائلة من الرجال ، والنساء والاطفال فى فيتنام سوى قلة ضئيلة من أبناء هذا الوطن • ورغم ذلك فاننا نحن جميعا الذين اعددنا لذلك الذى يحدث • ان ما يجرى اليوم انما يتم باسمنا وبتدعيمنا وبدولاراتنا التى ندفعها كضرائب ، وباصواتنا الانتخابية ، ولم يكن ممكنا أن يحدث كل ذلك بدوننا • انه لم يكن ليحدث الا اذا أعددنا الناس ، واعددناهم جيدا ، بحيث يرون انفسهم مجرد اشياء تؤثر فى أشياء اخرى • واعتقد أن علماء النفس ، والاطباء العقليين ، واولئك المشتغلين بالعلوم الانسانية قد اسهموا اسهاما جوهريا فى هذه العملية ، وذلك عن طريقين : الاول من خلال المشاركة الفعلية • والثانى وهو الاكثر أهمية من خلال الصمت والاذعان •

حركة ثورية فى العلوم الانسانية

وكان موضوع الندوة المسائية « النضالات من اجل التحرر » معناها ، ومشاكلها وفرص نجاحها ، ويصف فيورشتاين من ضمتهم الندوة بأنهم « من الذين لم يعطوا لقضايا نضالهم وقتهم ،

وطاقتهم ، وجهدهم فحسب ، بل الذين كثيرا ما غامروا بحريتهم الشخصية وبسلامة اجسامهم ، بل وحتى بحياتهم نفسها فى بعض الاحيان » ·

ولقد اتفق المتحدثون فى تلك الندوة على ادانة حرب فيتنام ، وعلى ادانة الممارسات غير العادلة والتمييزية السائده فى المؤسسات الاجتماعية القائمة · ولكنهم اختلفوا كثيرا فى اقتراحاتهم للحلول التى تراوحت من التغييرات الفردية الجزئية الى ضرورة تغيير النظام بكامله تغييرا ثوريا ·

واستهل الندوة فرانك كولينز وهو من علماء النفس العاملين فى مجال الخدمة المدرسية ومن المتخصصين فى سيكولوجية النمو بكلمة بالغة العنف قال فيها « انكم يا علماء النفس قد بعتم انفسكم لشارع ماديسون افينيو · لقد بعتم انفسكم لكى يتمكن الجيش من دفع الشبان الصغار الى الشعور بأنهم على ما يرام بعد استدعائهم للتجنيد ووضعهم انفسهم كلية فى خدمة العسكرية · لقد آن الوقت بالنسبة لنا جميعا لكى ندخل مرحلة سؤال النفس لنتبين ما الذى نفعله ، ولماذا نفعله ، ولنتأكد من أن ما نفعله يسهم حقا فى بناء عالم أفضل » ·

ولم تكن هذه الندوة قاصرة على علماء النفس المتخصصين ، فلقد ضمت عددا من المهنيين والطلبة . ولقد وقف الطالب جيف جوردون قائلا « انني اريد السلطة · لا أريدها لنفسى ، بل اريدها باعتبارى جزءا من الجماهير الشعبية فى هذا العالم بأسره · اعتقد أن العالم ينقسم الى معسكرين رئيسيين : معسكر العمال ، ومعسكر مضطهديهم · وأظن انه يجب على علماء النفس التحالف مع الطبقة العاملة ومن خلال ذلك التحالف يمكن الاستيلاء على السلطة وتدمير المضطهدين · ان ذلك يعنى أنكم تقاتلون من أجل السلطة ليس على الناس أن يتوافقوا مع هذا المجتمع بل يجب عليهم القضاء عليه ·

واشتركت فى المناقشة فلورانس كيندى وهى محامية مدنية ، فقالت « اذا ما كان الجانب الاكبر من النقود يذهب الى غير مكانه الصحيح كفيتنام مثلا ، فانها لمضيعة للوقت أن نجلس لنتحدث بحثا عن المكان الصحيح الذى ينبغى أن تذهب اليه تلك النقود · ان علينا جميعا أن ننصرف الى البحث عن وسيلة تمكننا من قلب النظام بحيث يمكن أن تذهب الـ ٣٠ بليون دولار التى يأخذها البنتاجون الى مكان آخر أكثر ملاءمة · وانى لامل شخصيا أن يتزايد سعى الطلبة نحو السلطة أكثر فأكثر ، وان يستخدموا قوتهم فى قلب ذلك النظام الذى يخضعهم للقمع ولغسيل المخ » ·

ويتحدث الطالب فيل براون قائلا « ان جذور الاعراض المرضية انما تكمن فى الرأسمالية وشكلها الامبريالى المتطور · ان مناقشة الاشياء قد تكون امرا رائعا ، ولكنكم ما لم تضعوا كل ذلك فى صيغته الاقتصادية والسياسية فانه يصبح بلا جدوى على الاطلاق واذا ما كنا سيكلوجيون حقا ، فلنتجمع ولننظر معا الى الامور نظرة شاملة · ان الحل هو اسقاط النظام عن طريق الثورة ، وجعل المجتمع صالحا للحياة ، بدلا من البقاء فى مجتمع غير صالح للحياة · ان على المجتمع أن يتوافق مع الناس وليس العكس ·

ويختتم المؤتمر اعمـاله وينفض اعضاءه، ويختتم فيورشتاين مقاله قائلا « ما زلنا فى حاجة الى تقييم دقيق لذلك المؤتمر التاريخى · ولعله من السابق لاوانه تقييم نتائجه تقييما دقيقا ، فليس لدينا حاليا سوى اسماء ما يقرب من ٢٥٠ مساهما من علماء وطلبة علم النفس الذين ابدوا تفهما للحاجة الى الربط الوثيق بين القضايا الاجتماعية الهامة كحرب فيتنام وبين القضايا والمشكلات السيكلوجية والاجتماعية الاخرى ، وللحاجة الى وضع معرفتهم فى خدمة الاستخدام البناء والمسئول من أجل صالح الجماهير · وفى وقت كتابة هذا المقال تستمر مجموعات دراسية عديدة فى مناقشاتها ، أو فى وضع الخطط لتنظيم قاداتها ، او فى تنفيذ مشروعات تتراوح من معارضة نظام الصواريخ المضادة للصواريخ الى النضال ضد العنصرية فى المدارس وفى المجتمع » ·

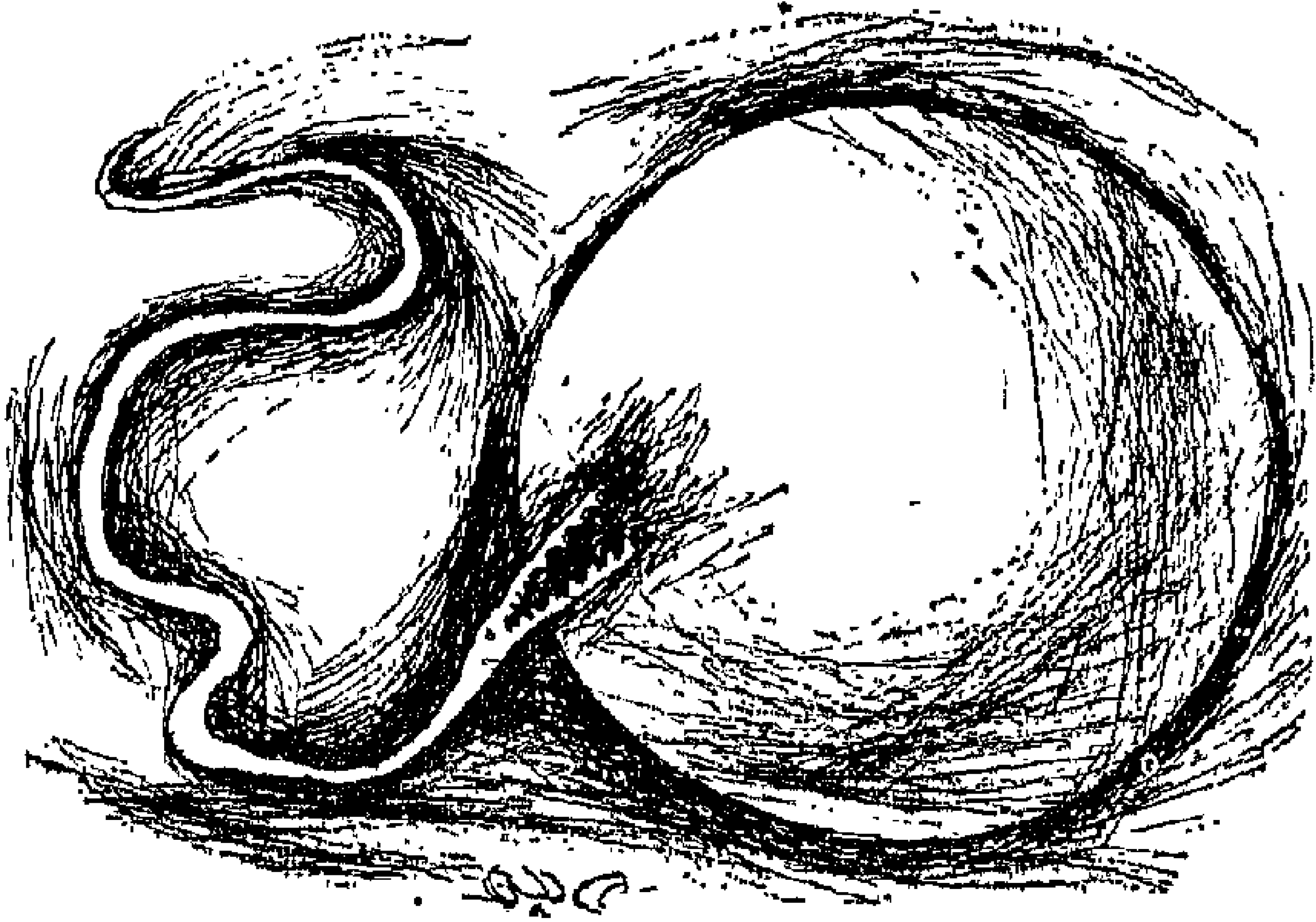
بقيت ملاحظات ثلاث :

اولا : ان تلك الحركة الثورية داخل صفوف علماء النفس الامريكيين لا يمكن فهمها اطلاقا بعيدا عن النضال الثورى المسلح للشعب الفيتنامى · ذلك النضال الذى مازال يستنزف الولايات المتحدة دما ومالا · فمن الاحساس بعبء ذلك الاستنزاف انطلقت تلك الحركة الثورية وغيرها أيضا ·

ثانيا : ان تلك الحركة الثورية داخل صفوف علماء النفس الامريكيين انما هى جزء من حركة ثورية أوسع نطاقا تشمل العلوم الانسانية جميعا وتسير على نفس النهج تقريبا ·

ثالثا : ان ذلك كله لايعنى بحال ان أعضاء منظمة علماء النفس الامريكيين من أجل النضال الاجتماعى يمثلون اتجاه علماء النفس الامريكيين جميعا · فهم ليسوا سوى قلة ضئيلة منهم على اى حال ولكنها قلة تمثل ظاهرة تتعارض مع ما يمكن ان يكون لدى بعضنا من اتجاه نحو اطلاق التعميمات الشاملة على علم النفس الامريكى كله وعلى علماء النفس الامريكيين جميعا ·

اسرائيل والنظام الدولى الراهن :



المغزى الحقيقى لوثيقة السوق حول مشكلة الشرق الأوسط

د. جميل مطر
رئيس الوحدة السياسية
بمركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية
بالاهرام

تعددت الاراء والتعليقات حول النقاط الاربع التى اقرها مجلس السوق الاوربيـة المشتركة فى ١٤ مايو سـنة ١٩٧١(١) ، وهى النقاط التى تعرض الراى الموحد لدول السـوق تجاه مشـكلة الشرق الاوسـط . فمن اتجاه يرى أن الوثيقة تعد نصرا سياسيا لوجهة النظر العربية(٢) دفعت الى تبنيها المواقف الايجابية للسياسـة الخارجية المصرية ، الى اتجاه يمثله رجال الحكم فى اسرائيل وأجهزة الاعلام فيها ، ويقول بأن الوثيقة مزعجة وتأتى فى وقت غير مناسب(٣) وأنها من ايحاء وضغط فرنسا(٤)

---

(١) نشرت صحيفة « دى فيلت » التى تصدر فى المانيا الغربية فى عددها الصـادر بتاريخ ٣١-٧-١٩٧١ النص الفرنسى لما اسمته بوثيقـة السـوق الاوروبية المشتركة ، وقالت ان الدول الستة قد اتفقت على النقاط الاساسية التالية : -

ا - انشاء مناطق منزوعة السـلاح بين اسرائيل وجاراتها .. ومناطق عازلة فى بعض المناطق ، ومرابطة وحدات من قوات الامم المتحدة على أن يحدد مجلس الامن تشكيلها وأماكن مرابطتها فى هذه المنطقة لفترة اولية لا تقـل عن خمس سنوات .

ب - انسحاب القوات الاسرائيليـة من الاراضى التى احتلت فى النزاع الاخير على أن تجرى تعديلات طفيفة فى الحدود التى كانت قائمة قبل هـذا النزاع فى حالة توصل الاطراف المختلفة الى اتفاق.

ج - الموافقة على التدويل الادارى لمدينة القدس داخل الاسوار والاماكن المقدسة .

د - اتخاذ اجراءات بصدد حل مشكلة اللاجئين وخاصة انشاء لجنة تعمل على أن توفر للاجئين حرية الاختيار بين العودة وبين الاقامة فى دول اخـرى وتشرف فى الحالة الاولى على شروط قبـولهم فى اسرائيل وفى الحالة الثانية على دفع التعويضات على أن يتم فى الحالتين تعويض اللاجئين عن الاضرار التى لحقت بهم .

[راجع باب الوثائق - الطليعة عدد ديسمبر ١٩٧١ - مناقشات الجمعيـة الاستشارية للمجلس الاوروبى] .

[٢] انظر على سبيل المثال شوقى مصطفى « فرنسا تتعرض لحملة صهيونية عاتية بعد وثيقة السوق المشتركة عن الشرق الاوسط « الاهرام » القـاهرة ١٣-٨-١٩٧١ ص ٤ .

[٣] من تصريح لابا ايبان [لوموند باريس ١٤-٥-١٩٧١] .

(٤) انظـر دافار ١١-٥-١٩٧١ ، ٢١-٥-١٩٧١ ، هاتسوفيه ١١-٥ ، ها آرتس ٩-٥-١٩٧١ ، معـاريف ١٢-٥-١٩٧١ .

الى اتجاه يقـــولّ بأنها جاءت نتيجة تسوية Compromise تمت بين محور ايطاليا وفرنسا من جهة ومحور المانيا ودول البنيلوكس من جهة اخرى . لعبت فيها قضيتا الامن الاوربى وانضمام بريطانيا الى السوق دورا هاما (٥)

الا أن الاخذ بواحد أو أكثر من هـــذه الاراء وحدها كأساس لشرح وثيقة السوق قد يؤدى الى استبعاد أو تجاهل اعتبارات أخرى لا تقل اهمية ، وبدونها قد يصبح من المتعذر تقييم جملة الدوافع والنتائج بالنسبة لجميع الاطراف التى يتعلق بها هذا القرار . لذلك يصبح من الضرورى لمن يبحث فى الابعاد الحقيقية لوثيقة دول السوق أن يتجاوز حد النظرة الضـــيقة والتفسيرات المبسطة ، رغم أهميتها فى كثير من الاحيان ، وأن يقوم بدراسة دوافع صدور الوثيقة وأبعادها فى اطار مجموعة التغيرات والتحـــولات التى يجتازها النظـــام الدولى والدور الذى تسعى المجموعة الاوربية لتحقيقه داخل هذا النظام ، وهو نوع من الدراســـة يسهل للباحث التكهن بتحديات وبدائل الموقف الذى سيواجه اسرائيل نتيجة بزوغ هذا النظام الجديد . وبالتالى يساعد على اكتمال صورة الاوضاع المقبلة أمام المسئولين عن عملية صنع القرار السياسى فى مصر .

تطور النظـــام الدولى

النظام الدولى هو تعبير يطلق على مجموعة التفاعـــلات والقواعد الدولية(٦) . والنظـــام الدولى كغيره ، من الانساق الاجتماعية نسق تتكامل وتترابط أجزاؤه ، وبالتالى فأى تغيير جذرى يطرأ على أحد اجزائه يتبعـــه بالضرورة تغير فى بقية الاجزاء اى فى النظام ككل ، وبقدر حدة التغير فى هذا الجزء يكون عمق التحول فى النظام الدولى ، فتغير ما فى جزء من الاجزاء قد يؤدى الى تغير وقتى فى النظام يعود بعدها الى حالته السابقة ؟ بينما يؤدى تغيير اشـــد عنفا الى تحول كامل للنظام الدولى(٧) . ويقدم القرن التاسع عشر العـــديد من الامثـــلة عن الحالة الاولى ، فقد ظل نظـــام توازن القوى الدولى قائما رغم حدوث عشرات من التغيرات فى كثير من أجزائه كالثورة الفرنسية وحروب نابليون والثورة الصناعية والتحولات الاجتماعية الكبرى(٨) . هذا بينما تضرب الحـــرب العالمية الاخيرة المثل على الحـــالة الثانية حين تبعها تحول كلى فى النظام الدولى ، من نظام توازن القوى الى نظام الاستقطاب الثنائى الدولى ، وقد مر هذا النظام بمرحلتين ، مرحلة الحرب الباردة ومرحلة التعايش السلمى ، الاولى : بدأت مـــلامحها الرئيسية تبرز بأزمـــة برلين عام ١٩٤٨ وانتهت بانتهاء أزمة كوبا عام ١٩٦٢(٩) وتتميز المرحلة **الثانيـــة** بتقارب واضـــح بين القطبين الكبيرين ، وبـــدء ظهـــور عـــلامات تشير الى أن النظام الثنائى قد دخل مرحـــلة تحول هامة . من هـــذه العـــلامات حدوث الصدع الخطير فى العلاقات الصينية السوفيتية ونجاح عملية التكامل الاقتصادى لدول السوق الاوربية المشتركة وتفكك دول عـــدم الانحياز وبدء الانحسار الثورى فى دول العالم الثالث .

ومنذ ذلك الحين والجدل مستمر بين علماء السياسة حول مؤشرات مرحلة التحول التى يمر بها العالم بين نظامين وحول طبيعة النظام الدولى الناشىء . وقد دار أغلب الحوار فى شكل دراسات نظرية اهتم بها علماء السياسة الذين رفضوا الدراســـة الكلاسيكية للعلاقات الدولية القائمـــة على منهج القـــوة والتوازن والنظريات الاخلاقية والواقعية ، الا أنه بمرور الوقت ، وباقتناع صانعى السياســـة فى دول الغرب بأن نظاما دوليا جديدا يوشك أن يبزغ وأن عددا من الدراسات النظرية قد استطاعت

---

[٥] لمعلـومات مفصلة عن المراحل التى مرت بها مناقشـــات ممثلى دول السوق ومؤسسات المجموعة الاوروبيـــة بهدف الوصول الى راى موحـــد حـــول أزمـــة الشرق الاوسط انظـــر الاهرام [القاهرة] ١٩ــ١٢ــ١٩٧٠ . والوثائق المنشورة بالطليعة ــ عـــدد ديســـمبر ١٩٧١ .

Jewish Chronicle (London), 21/5/1971.

[٦] راجع :
Morton Kaplan, System and Process in International Politics. (New York : 1957) ; ; Oran Young, Systems of Political Science. (Princeton : 1958).
Charles Mclelland, Theory And The International System (NeW York : 1966) .

[٧] انظر Kaplan, op. cit.

[٨] انظر Richard Rosecrance, Action and Reaction in World Politics : International Systems in Perspective. (Boston : 1963).

[٩] Oran Young, The Politics of Force (New Jersey ; 1968).

التنبؤ بالظروف التى ستدفع لنشأته اندفعوا يشجعون هذا النوع من الدراسات بهدف التنبؤ بأهم ملامح النظام الناشيء للاستعداد له ولتكييف سياستهم الخارجية وفقا لما قد يتطلبه هذا النظام .

ولا شك أن من أبرز الامثلة على هذا التطور هو تحول كيسنجر ، عالم العلاقات الدولية ومستشار الرئيس نيكسون ، كمنظر ومناصر للحرب الباردة واستراتيجياتها(١٠) ، وأكثر المحذرين من خطورة تحول النظام الدولى القائم على الاستقطاب الثنائى ، ليصبح ليس فقط كعالم سياسة بل ايضا كواضع سياسة داعية لدخول الصين النظام الدولى مقدما بذلك الدليل الحاسم على اعتراف الولايات المتحدة ببدء تحول النظام الدولى .

النظام الدولى ومشكلة الشرق الاوسط

يلفت النظر أن علماء السياسة العرب ، وخاصة هؤلاء الذين كتبوا عن أزمة الشرق الاوسط ، لم يحاولوا دراسة مشاكل المنطقة فى ضوء مجموعة التفاعلات الدولية والتحولات التى تجرى فى النظام الدولى . والهدف الذى يمكن الحصول عليه من هذا النوع من الدراسة لا يكون بالضرورة البحث عن أنماط سلوك دولى تساعدنا على التنبؤ بالمستقبل بقدر ما هو محاولة فهم وشرح الابعاد الحقيقية لمشاكل المنطقة ووضعها الصحيح ضمن اطار التفاعلات الدولية والاقليمية الاكثر شمولا واتساعا . فقد لا يختلف علماء السياسة فى أهمية دراسة أوضاع النظام الدولى العربى وقت قيام دولة اسرائيل ، أو دور بريطانيا فى هذا المجال ، الا انه من المهم أيضا دراسة طبيعة النظام الدولى الذى نشأت فى ظله اسرائيل وكان نظاما فى دور النشأة وملامحه الرئيسية لم تكن قد برزت بعد . وبنفس الاهمية وبمقارنة هذا النظام الناشيء بشكله المكتمل خلال الخمسينات والذى حدثت فى ظله احداث عام ١٩٥٦ ، يتضح للدارس الان أن عدم اكتمال شكل النظام الدولى خلال ظروف قيام دولة اسرائيل كان من أهم العوامل التى ساعدت على قيامها . اذ من ناحية لم توجد فى ذلك الحين مجموعة الدول الصغرى التى لم تحصل على استقلالها الا فى الخمسينات والتى لعبت دورا هاما فى الحقبة التالية .

ومن ناحية أخرى كان الاعتقاد السائد هو أن النظام الدولى الذى انبثق عن الحرب العالمية الثانية سيأخذ شكل نظام القطب الواحد Unipolar International System ، وهو الاعتقاد الذى ساد حتى تأكدت حيازة الاتحاد السوفييتى للقنبلة الذرية وقامت النظم الاشتراكية فى دول شرق أوربا .

ان أحد الاخطاء الجسيمة التى ارتكبتها كل من فرنسا وبريطانيا فى عام ١٩٥٦ ، هو أنهما خرقتا قواعد نظام دولى محدد وواضح المعالم ، فتجمعت ارادة القطبين الدوليين لاجبار الدولتين « المنحرفتين » على احترام هذه القواعد (١١) ، الامر الذى دفع اسرائيل لان تعيد على الفور رسم سياستها الخارجية لتتفق وقواعد النظام الدولى ملقية بثقلها تجاه الولايات المتحدة أحد القطبين العملاقين فى ذلك النظام . ولم تمض أعوام قليلة حتى بدأ تغير فى التفاعلات الدولية بين العملاقين وحل التعايش محل الحرب الباردة ، وهو التغير الذى أضر بشكل غير مباشر بالحركة الثورية العالمية التى كانت تجتاح دول العالم الثالث ، فبدأ مع بداية سياسة التعايش تقهقر تدريجى لارادات الدول الصغرى وضعفت مجموعة دول عدم الانحياز وانهار عدد من قياداتها تحت ضغط الولايات المتحدة التى انتهزت فرصة سياسة التعايش

---

[١٠] Henry Kissinger, «American Strat egic Doctrine and Diplomacy» in Michel HoWard. ed. The Theory and Practice of War (London: 1965).
— Nuclear Weapons and Foreign Policy (New York 1969);
— The Necessity for Choice: Prospects of American Foreign Policy (New York, 1961); The Troubled Parlnership (New York, 1966).
— A Reappraisal of the Atlantic Alliance (New York, 1965).
Kaplan, op. cit. E. Haas «Toward Contr olling International Change: A Personal Plea» World Politics 17 (Oct. 1964) 1-12.

[١١] فى هذا المعنى انظر « محمد حسنين هيكل » تأملات حول الصراع الكبير .
[٢] التضاريس فى الطبيعية وفى السياسة ــ الاهرام [القاهرة] ٥ مارس سنة ١٩٧١ .

وتفكك الكتلة الاشتراكية فى اعقاب الصدع الذى أصاب العلاقات السوفيتية الصينية(١٢) ».

فى ظل هذه الظروف المواتية ضربت اسرائيل ضربتها ضد مصر والاردن وسوريا فى عام ١٩٦٧ كما فعلت فى فلسطين فى عام ١٩٤٨ أى تحت نظام دولى يمر فى مرحلة النشأة ، وهى مرحلة تتسم بالسيولة والميوعة ، مرحلة تنعدم فيها او تكاد ارادات الدول الصغرى وتنشغل فيها الدول الكبرى فى محاولات لتحديد اطارات التفاعلات الدولية والاهداف السياسية ، ويسود العلاقة بين القطبين خليط من المنافسة والتواطؤ(١٣) ، تصعب عنده تحديد حقوق والتزامات أى منهما .

المعنى الحقيقى لوثيقة دول السوق الاوروبية المشتركة

اختلفت الاراء حول مدى نجاح دول السوق الاوربية المشتركة فى تحقيق الوحدة السياسية وفى ابعاد بزوغها كقوة سياسية مؤثرة فى النظام الدولى . وترجع هذه الاختلافات فى الرأى الى اختلاف المناهج والتعاريف السياسية التى يأخذ بها أو يستعملها كتاب السياسة . فمن ناحية يصل عالم السياسة الامريكى كارل دوتش Karl Deutsch فى دراسته عن غرب أوروبا الى نتيجة مؤداها أن عملية التكامل الاوربى قد توقفت نهائيا فى عام ١٩٥٨(١٤) وذلك لان التكامل فى نظره هو خلاصة التعاملات Transactions التجارية والسياحية والثقافية ، اى ان التكامل حسب رايه هى مسألة علاقات تتم فى اطار مغلق الأمر الذى لا يتفق وطبيعة العلاقات الدولية التى تتم داخل اطار أوسع من التأثيرات والتفاعلات المتبادلة والمتشابكة . من ناحية أخرى هناك علماء سياسة درسوا الوحدة الاوروبية بمقاييس مختلفة ، منها توحد تصور Unified Perception صانعى السياسة بالنسبة للمشاكل الدولية(١٥) أو تزايد الشعور بالاوربية بين القادة السياسيين والجيل الناشىء (١٦) ، أو بمدى الاحساس بوجود خطر خارجى مشترك(١٧) ».

ويقدم عالم السياسة الألمانى Dahrednorf مقياسا جديدا ، وهو درجة التأثير فى النظام الدولى(١٨) ، أى تأثير مجموعة التكامل أو الوحدة على جملة التفاعلات الدولية وانماط السلوك الدولى ، ويضرب « داهر ندورف » المثل على ذلك بالاعلان الصادر عن دول أمريكا اللاتينية فى بوينس أيرس ، والذى يوضح أن هذه الدول تجد فى توثيق علاقاتها بدول مجموعة السوق ضمانا

---

[١٢] عن احتمالات الانتقال من مرحلة الحرب الباردة الى مرحلة من التقارب والتعايش السلمى من الخطاب الذى القاه الرئيس جمال عبد الناصر فى المحلة الكبرى فى ٨-٨-١٩٥٩ والذى قال فيه : « .. نحن حينما نامل ان تنتهى الحرب الباردة .. من اجل الانسانية ومن جل مساعدة الدول المتخلفة نرحب باى تقارب بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى على الا يكون هذا التقارب على حساب الدول الصغرى » مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر [القسم الثانى] فبراير ١٩٥٨ - يناير ١٩٦٠] القاهرة ١٩٦٠ ص ٦٣٢ .

[١٣] Couve de Murville, « A Role for Europe in the Shadow of the Giants », The Times (London), 8/3/1971.

[١٤] Karl Deutsch et al, France, Germany and the Western Alliance, (New York 1967); Political Community Organization in the Light of Historical Experience (New Jersey, 1957).

[١٥] Amitai Etzioni, « A Paradigm for the Study of Political Unification» World Politics, (15 Oct. 1962), 44-74 ; Stanley Hoffman «Obstinate or Obsolete» in J.S. Nye, International Regionalism, (Boston : 1968).

[١٦] Inglehart, « An End to European Integration ? » APSR, 61, No. 1 (March 1967), 91-105.

[١٧] Stanley Hoffman, op. cit., E. Hass, The Uniting of Europe : Political, Economic and Social Forces 1950-1957 (Stanford : 1958); K. Deutsch et al, Political ...op. cit.

[١٨] R. Dahrendorf, « Possibiliteas and Limits of an European Community's Foreign Mlicy world Today (April 1971)' 148 — 161 ,

وتأكيدا لاستقلالها ؟ والمتتبع لعـلاقات السوق بدول العالم الثالث بالذات يلحظ أن المثل الذى ساقه العالم الالمانى ينطبق على كثير من دول هذه المناطق ، فهذه الدول ترى فى ظهور أوربا كقوة دولية وفى توثيق علاقاتها معها تحقيقا لهدف أساسى وهو الهروب من واقع الثنائية الدولية والسعى من أجل بزوغ نظام دولى جديد يحقق لهـذه الدول حرية الحـركة والأمـن والاستقلال(١٩) ، ومما لا شك فيه أن مجموعة السوق قد استطاعت أن تؤثر بايجابية وفاعلية ليس فقط فى السياسات الخارجية لدول كثيرة بل فى سياساتها الداخلية أيضا ، فقد اتخـذ صانعو السياسة ومخططو اقتصاديات هذه الدول عدة قرارات تتعلق بالتركيب الاقتصادى لدولهم حتى يتمشى مع تطور اقتصاديات السوق، والامثلة كثيرة على هذا التدخل غير المباشر، وقد تكفى هنا الاشارة الى « السياسة الاقتصادية الجديدة » NEP التى نفذتها حكومة اسرائيل فى عام ١٩٦٢(٢٠)، وأثار محاولة انضمام بريطانيا الى السوق فى داخل بريطانيا ذاتهـا والتغـيرات الاقتصادية الأخـيرة فى استراليـا ونيوزيلنده ويوغوسلافيا ورومانيا والارجنتين والبرازيل .

خلاصة القول ، أن مجموعة السوق كقوة دولية ذات تأثير قد أصبحت حقيقة واقعة ، وأن السوق كوحدة صار له من القوة والنفوذ الدولى ما يفوق بمراحل قوة ونفوذ الأعضاء المكونين له . الا أنه ظلت تنقصه حتى وقت قريب وحدة التصور ووحدة الرأى بالنسبة للمشكلات الدولية الراهنة، وهى الصعوبة التى عانى منها السوق طويلا بسبب اختلاف وجهات النظر لقادة ألمانيا الغربية وقادة فرنسا ، اذ بينما لعبت ألمانيا دور «المستسلم» Resigner للسيطرة الامريكية، وما يتبع ذلك من اعتناق لمبادىء واستراتيجيات الحرب البـاردة وسياسات التكتل والأحلاف العسكرية لعبت فرنسا دور « المقاوم » Resister (٢١) لكلا المعسكرين المتضادين ورسم قادتها سياستهم الخارجية على أساس ضرورة أحداث تحول جذرى فى النظام الدولى يضمن استقلال أوروبا ويجعل لها صوتا فى المجال الدولى .

لقد كان تصور القادة السياسيين الاوربيين الداعين لفكرة أوربا الموحـدة ، وعلى راسـهم **ديجول** ، يدور حول الاعتقاد بأن مصلحة أوروبا هى فى أضعاف نظام الاستقطاب الثنائى الدولى خاصة بعد دخوله مرحلة التعايش السـلمى ، وهى مصلحة تتفق مع مصالح الدول الناشئة فى العالم الثالث . ولذلك فلم تكن سياسة فرنسا فى منتصف الستينات ، سواء بالنسبة لشروط فرنسا لانضمام بريطانيا أو بالنسبة لدور ونفوذ حلف الاطلنطى ، أو بالنسبة لانفتاحها على دول العالم الثالث ، سوى انعكاس لهذا التصور . لم تدع للاستغراب اذن الحملة السياسية التى شنتها الولايات المتحدة على سياسة ديجـول وتعاظم الخلاف بين ساسة الديموقراطية المسيحية الالمانية الايطالية من جهة والديجولية من جهـة أخرى ، ولم يكن مستغربا كذلك تلاقى وجهات نظر الديجولية مع الكثير من الاتجاهات السياسية فى العالم الثالث .

الا أن افتقار المجموعة الاوروبية الى وحـدة تصور بالنسبة للنظام الدولى لم يستمر طويلا ، وبدأت وجهات نظر دول السوق تلتقى تدريجيا خاصة خلال العامين المنصرمين ، وساعد على ذلك استقالة **ديجول** من جهة وتولى **فيلى براندت** الحكم فى ألمانيا الغربية من جهة أخرى . الامر الذى خلق نوعا من تشابه التصـور بالنسبة للنظام الدولى بصفة عامة ، وبالتالى مهد الطريق نحو وحدة الرأى بالنسبة لاهم المشكلات الدولية الراهنة(٢٢) ، وفى مقدمتها مشكلة فيتنام والأمن الاوربى والشرق الاوسط . ولم يكن مـن قبيل الصدفة أن تـكون أزمـة الشرق الأوسط هى

---

(١٩) Ibid.

(٢٠) انظر : S.Z. Abramov. « Israel's New Economic Policy » Midstream 8 (Spring 1962), 3-15 ; Shaul Zarchi, « Israel's New Economic Policy » New Outlook, (5 June 1962), 112-117.

انظر ايضا ترجمة لنص خطاب ليفى اشـكول فى الاذاعة الاسرائيليـة فى ٩-٢-١٩٦٢ عن السياسة الاقتصـادية الجـديدة وعلاقتها بالسوق الاوروبيـة المشتركة فى : Middle Eastern Affairs (13 March 1962), 84-89.

(٢١) انظر : S. Hoffman, op. cit.

(٢٢) مازال فكرة الحرب الباردة تسيطر على عدد من القادة السياسيين فى ألمانيا الغربية بالذات فى الوقت الذى تم انحسارها او كاد فى أغلب دول الغرب ، انظر على سبيل المثال : F.J. Strauss, « Assymetry and Inequality Beetwoen the Forces of East and West Europe ». The Times (London) 29/3/1971.

المشكلة التي يختارها قادة ومفكرو السوق ليتخذوا بشأنها موقفا محددا يكون بمثابة الاعلان عن بدء مباشرة المجموعة الأوروبية لمسئولياتها في النظام الدولي بايجابية ، وفي نفس الوقت يكون بمثابة اثبات واقع ، أن النظام الدولي يتجه فعلا نحو تحول جذري سيغير من جملة قواعده وتفاعلاته . لقد تغيرت بالفعل الكثير من التفاعلات والقواعد الدولية خلال الاعوام الاخيرة، وهي التغيرات التي أدت الى أن تصبح مشكلة فيتنام مشكلة ثانوية بالنسبة للمجموعة الاوروبية وأن تخطو مشكلة الأمن والتفاهم الاوربي خطوات سريعة نحو الحل ، هذا بينما يزداد تعقدمشكلة الشرق الاوسط مقترنا في نفس الوقت بتبدل في اسبقيات اهتمامات القطبين الكبيرين في النظام الدولي ، اذ تفرض طبيعة مرحلة التحول أنيتركز اهتمامهما بصفة اساسيةحول التفاعلاتوالقواعد الدولية الناشئة .

اسرائيل والنظام الدولي الناشيء

ان عداء اسرائيل للتجمعات الاقليمية اقتصادية كانت او سياسية أمر طبيعي . فاسرائيل نفسها لا تنتمي الى أي تصنيف دولي أواقليمي أوحضاري واضح . ومحاولتها الانتماء الى تصنيفات متعددة ومتباينة في آن واحد يكشف هذه الحقيقة ، فقد حاولت وتحاول أن تنتمي حضاريا الى مجموعة الدول بالغة النمو ، في نفس الوقت الذي تقدم نفسها للدول النامية كدولة ناشئة في طريق النمو(٢٣)، وبينما تحاول أن تثبت أحقيتها في عضوية نظام اقليمي يضم دول الشرق الأوسط تطرح نفسها على مجموعة السوق الأوروبية كدولة أوروبية (٢٤) . ومن ناحية أخرى رسمت اسرائيل سياستها الخارجية على أساس مبدأ الضغط على كل دولة من داخلها أو باستخدام الولايات المتحدة كقطب دولي له نفوذ واسع على توابعه في النظام الدولي . هذا المبدأ يصعب تنفيذه بالنسبة للعلاقات مع المجموعات الاقتصادية والسياسية الدولية ، فهذه المجموعات تفرض بطبيعتها والأساليب المتبعة فيها في صنع القرارات على مستوى المنظمة أو المجموعة قيودا وقواعد تحد من نفوذ عناصر الضغط المحلية داخل كل عضو من الأعضاء المكونين للمجموعة،وتنشيء بدلا عن ذلك جماعات ضغط جديدة مرتبطة بمصالح المجموعة ككل ، وهي مصالح غالبا ما تكون أكثر شمولا وابعد مدى عن المصالح داخل الدولة العضو(٢٥) وبالتالي يتركز اهتمام الدول الخارجة عن المجموعة على سياسة الكل وليس الجزء ، الأمر الذي يحتم بالضرورة انشاء مجموعات تكامل سياسي واقتصادي بين الدول الخارجية تستطيع بامكانياتها أن تعمق قوة تأثيرها وضغطها .

لذلك فأيا كانت طبيعة النظام الدولي الناشيء(٢٦) ، ومهما قيل عن قوى الضغط الصهيونية في دول غرب أوروبا فالنظرة الأولى تؤكد أن التحول في النظام الدولي لن يكون في صالح اسرائيل . ان لمحة سريعة على الدول الخارجية التي سترتبط بمجموعة السوقاقتصاديا أوسياسيا بشكل مباشر أوغير مباشر تكفيللدلالة على أهمية هذا التحول بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط. فاليجانب الدولالست أعضاء السوق

---

[٢٣] Michael Brecher, The New States of Asia, A Political Analysis, (London : 1968).

[٢٤] أنظر مثلا تصريح بنحاس سابيروزير التجارة والصناعة أثناء حفلأقيم تكريما للوفد الالماني الاوروبي في عام ١٩٦٢ ومنه قوله « ان روابطنا معأوروبا روابط سياسية ، فسلوك حياتناواتجاهاتنا الثقافية والاجتماعية تجعلنا جزءا من أوروبا .

Israel Digest, 2/3/ 1962.

[٢٥] L.M. Lindberg, «Decision-Making and Integration in the European Market» in Nye. op. cit., — ThePolitical Dynamics Economic Integration. (New Haven, 1963)

Andrew Shonfield, «Europe as a World Power», Daily Telegraph, (London) 10/8/1971, p. 12.

[٢٦] بالنظر الى طبيعة وديناميةالمرحلة التي يمر بها النظام الدولي حاليايمكن التكهن — بحرص شديد — بشكل النظام الدولي الناشيء . لقد اندفعالكثير من المعلقين السياسيين اليالكتابةعن هذا النظام تحت تصور أنه نظام متعدد الاقطاب يشبه بشكل او باخرنظام توازن القوى الذى صار حتى بدايةالحرب العالمية الثانية . ولكنا نميل الى تصور هذا النظام كنظام يجمع بينملامح نظامي الاستقطاب الثنائيوالاستقطاب المتعدد . يسند هذا التصور عدة اعتبارات أساسية أهمها ضخامةالمخزون من الاسلحة النووية والصواريخعابرة القارات لدى كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبعد المسافةالتقنينية التي تفصلهما عن الاقطابالناشئين . ان مدى ونوعية استقرار النظام الدولي الناشيء او احتمالاتتحوله ستحددها عوامل حاسمة أهمهاقدرة الاقطاب الناشئين على تضييق هوة التسلح والتقدم العلمي والتقنيني ،والدور الذي سيسمح به الاقطاب للدول الصغرىان تلعبه او تفرضه .

المؤتمشين تنضم بريطانيا والدانمرك وايرلنـدة والنرويج وهؤلاء سيربطون بدورهم بعجلة السوق بقية أعضاء منظمة التجارة الحرة ، يضاف اليهم ٢١ دولة أفريقية منتمية الى السوق طبقا لاتفاقيتى ياوندى الموقعة فى ٢٩ — ٧ — ١٩٦٩ واروشا الموقعـة فى ٢٤ — ٩ — ١٩٦٩ . كل هؤلاء بالاضافة الى ٨ دول من الكومنولث ودول فى منطقة البحر المتوسط حصلت على اتفاقيـات تفضيلية مع السوق أى بمجموع كلى يزيد عن ٥٨ دولة (•).

وليس أدل على أهمية هذه القوة الناشئة من تتبع الحوار الذى دار فى بريطانيا حول مسألة الانضمام . اذ بينما كانت الحكومات البريطانية السابقة تدعو للانضمام مستخدمة حججا اقتصادية لتكسب تأييد الرأى العام البريطانى ، نرى حكومة المحافظين الحالية تركز على المزايا السياسـية للانضمام(٢٧) . ان صانع السياسة البريطانى فى هذه الفترة الحاسمة التى يجـتازها النظام الدولى ليدرك تمـام الادراك أن النظام الدولى الناشىء كنظام دول أو مجموعات « عملاقة » لن يحسب لبريطانيا المنعزلة حسابا ، وأنه من الأفضل لبريطانيا أن تصبح جزءا من مجموعة « عملاقة » عن أن تسيرها وتحكم تصرفاتها وسلوكها الدولى قواعد نظام لابد لها فى وضعه او المشاركة فيه . لا غرابة اذن فى موافقة بريطانيا المسبقة على وثيقة السوق بشأن أزمة الشرق الاوسط قبل اقرارها فى مجلس وزراء السوق .

خاتمة

ان الضجة التى تثيرها اسرائيل حول وثيقـة السوق اذا نظرنا اليها كرمز لمبـاشرة أوروبا لمسئولياتها الدولية فى ظل نظام دولى متطـور ضجة لهـا ما يبررها للاسباب التالية :

(١) ان الوثيقة تضعف — ان لم تـكن قـد قضيت فعلا على — أمل اسرائيل فى الانضـمام الكامل أو المنتسب الى المجموعـة الأوروبية ، فدخول اسرائيل السوق يجعل المجموعة الاوروبية طرفا فى نزاع مع مجموعة اقليمية (مجموعة الدول العربية) لها وزنها الدولى مهما قيل عن عدم نضجها السياسى والاقتصادى .

(٢) انها تعنى بدء عهد جديد فى العـلاقات الدولية وهو عهد الدول « القارية » أو المجموعات السياسية « العملاقة » ؟ كما أنه يعنى بالنسبة لاسرائيل بدء النهاية بالنسبة لعهد سيادة العلاقات الدولية الثنائية التى كانت ولازالت أساس من أسس سياسة اسرائيل الخارجية ، واسرائيل فى ظل هذه الظروف تصبح فى وضع لا تحسد عليه، فعضويتها مرفوضة لأسباب أساسية من النظم الاقليمية الدولية ، وخاصة النظام العربى الدولى وهو النظـام الذى تنتمى اليـه جغرافيا . ومن جهة أخرى فان نوعية علاقاتها الثنائيـة بدول ستصبح أو صارت بالفعل طرفا فى مجموعـة اقليمية ستأخذ مركزا ثانويا تحت ضغط المصالح الكلية لهذه المجموعة . والمثل الذى يقفز الى الذهن فورا هو الجدل الدائر فى المانيا حول مستقبل العلاقة القائمة بين اسرائيل والمانيا الغربية .

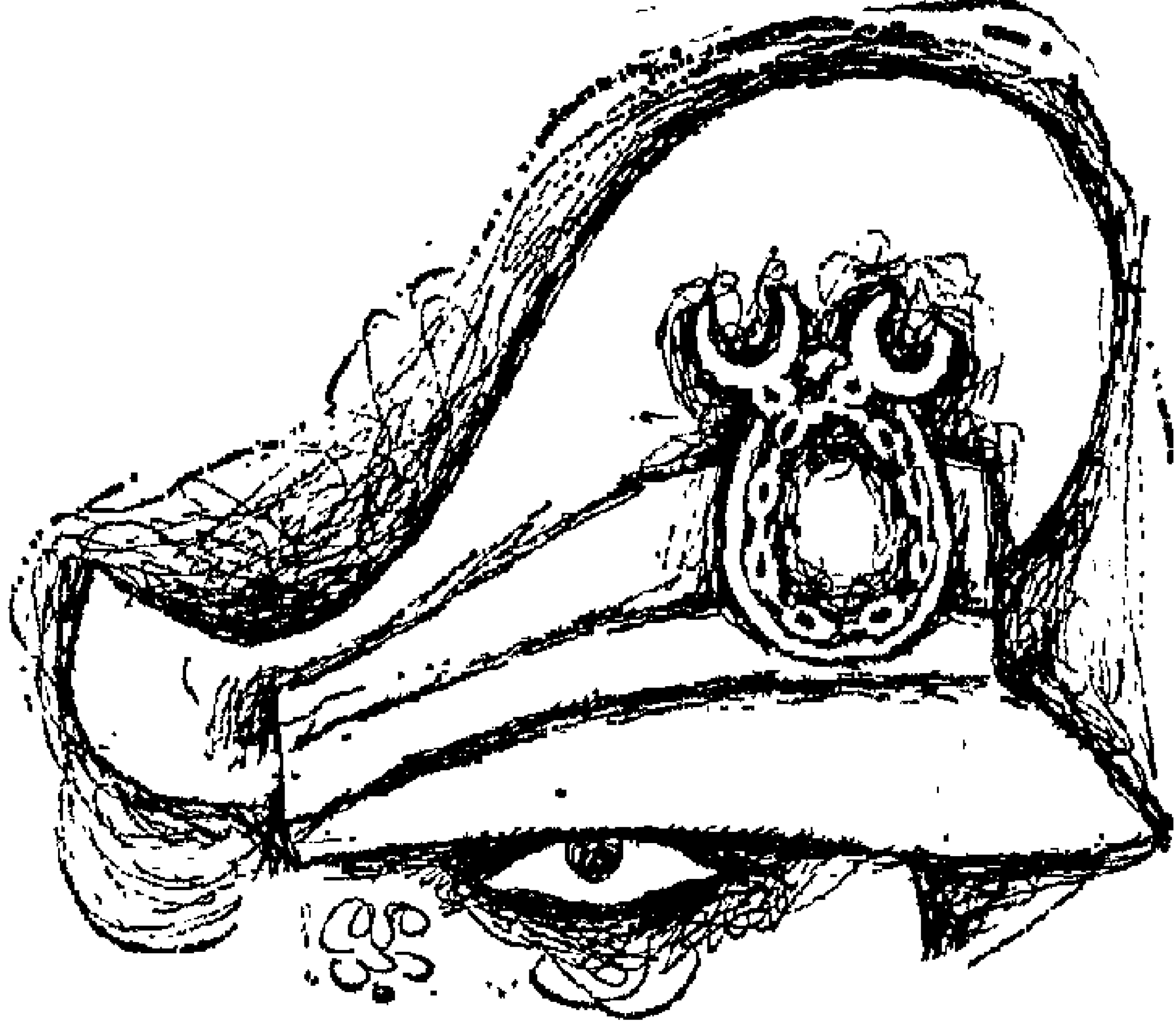
(٣) ان الوثيقة فى حالة تأخر حل أزمة الشرق الاوسط — تمثل سابقة بالنسبة للقوى «العملاقة» الاخرى التى تشق طريقها الى مراكز الاقطاب فى النظام الدولى الناشىء فلن تتوقف الصين أو اليابان عند حد ابداء الرأى فى المشاكل الدولية بل سيطالبان بحقهما فى المشاركة الايجابية، فهذه المشاركة تعنى بالنسبة لهذه الدول أمرين فى وقت واحد ، الامر الاول اثبات مركزها الدولى . والامر الثانى كسب امكانيات ومجالات نفوذ جـديدة بين دول العالم الثالث . والنتيجة الطبيعية لهذا الاتجاه هو نقل مشكلة الشرق الاوسط من اطارها الحالى الى اطار جديد تخضـع فيه لعمليـات تسوية وتراض على نطاق أوسع من النطـاق الراهن فى ظل نظام الاستقطاب الثنائى .

(٤) انها تجسد فشل محاولات اسرائيل ليس فقط فى كسب أوروبا الى صفها فى الصراع العربى الاسرائيلى ، بل حتى « تحييدها » بمعنى حرمانها الحق فى المشاركة الفعلية فى حل النزاع، وهو الأمر الذى فشلت أيضا فى تحقيقه مـع مجموعة الدول الافريقية .

لهذه المعانى والاعتبارات — وغيرها — حاولت اسرائيل قدر طاقتها أن تمنع صدور وثيقة دول السوق المشتركة حول أزمة الشرق الاوسط والتى رأت فيها من الدلالات ذات الخطورة ما يتعدى ما احتوته من مبادىء وعبارات ، ليمس بصورة مباشرة مستقبل الكيان الاسرائيلى فى عالم يتجه نظامه الدولى نحو الكيانات السياسية الـكبرى وما يستتبعه من تغيرات فى التفاعلات والقواعد الدولية .(•)

---

(٢٧) Daily Telegraph (London), 24/7/1971



الديمقراطية في دولة العالم الثالث

د. رفعت السعيد

برغم كل ما كتب وما قيل حول تجربة الديمقراطية في دولة العالم الثالث ، تظل هذه القضية بكل ما تحمله من تعقيدات محط الاهتمام والتركيز ، ومحورا للكثير من النقاش .

ذلك ان استقراء النتائج ـ السلبية والايجابية ـ التي توصلت اليها الكثير من تلك الانظمة التي اصطلح على تسميتها بالعالم الثالث تدفعنا الى الاعتقاد الجازم بأن قضية الديمقراطية وتفهم السلطة لها وقدرة هذه السلطة على معالجتها معالجة صحيحة تمثل العنصر الحاسم في مستقبل هذه التجارب ، وتؤثر تأثيرا بالغ الخطر في مدى قدرة هذه الانظمة على اداء مهامها سواء الوطنية او الثورية

وثمة عوامل تاريخية وموضوعية قد جعلت من قضية الديمقراطية محطا لتعقيدات شديدة في دولة العالم الثالث :

● فالكثير من هذه الانظمة **قامت اما في مجتمعات خالية تقريبا من تقاليد العمل السياسي والحزبي والممارسة الديمقراطية** ، مثل تلك الدول التي تفرزت مباشرة من مستوى دولة مستعمرة او تابعة الى دولة تقدمية وثورية تحاول أن تبني طريقا جديدا للتقدم الاجتماعي مثل بعض الانظمة التي قامت في افريقيا . **واما ذات تقاليد للعمل السياسي والحزبي والديمقراطي تجسد بالنسبة للجماهير صورة أليمة ومليئة بالتشوهات .**

مثل مصر ... التي بالرغم من ان تاريخها الحديث يتضمن تجارب وخبرات غاية في الخصوبة والثراء حول الممارسة الديمقراطية ، وبالرغم من ان التيار الليبرالي فيها قد خط لنفسه ـ في وجه صعوبات بالغة ـ تقاليد هامة لحرية الصحافة وحرية الانتماء الفكري والحزبي والعقائدي الا ان عزلة هذه التقاليد عن جماهير الشعب المصري واقتصارها على دائرته الخاصة ، بالاضافة الى ما ارتكبه الكثير من الساسة القدامى من اخطاء على المستوى الشخصي والسياسي معا كل ذلك ادى الى نشوء احساس لدى البعض بالنفور من تجربة الماضي ـ محاولة لوصمها بالعقم والتنكر لما حققته من منجزات

● كذلك فان الكثير من هذه التجارب قد قام **كنتاج لتمرد ثوري في البناء الفوقي للمجتمع** ، اقصد أنها قامت من خلال انقضاض على شكل

السلطة القديم قامت به احدى مؤسسات هذه السلطة وهى القوات المسلحة .

ومثل هذا التكوين يفرض بذاته على القائمين عزله نابعة — ليس فقط من تكوينهم العسكرى وانما أيضا من انفرادهم بالقيام بالانتفاضة الثورية وتحملهم لمخاطرها وأعبائها وحدهم دون مشاركة من الجماهير أو من أى من القوى والاحزاب السياسية الاخرى .

● **ثم ان الكثير من هذه الانظمة كانت تتمرد على القوالب القديمة للحكم وترفض الانخراط فى سلكها ، لكنها وفى نفس الوقت — وربما بنفس القدر — لا تتقبل التطوير الجذرى والحقيقى لانظمتها .**

وينجم ذلك عن المنطلق الطبقى لقادة هذه الانظمة ، فهم ضد الاقطاع وكبار الملاك العقاريين وكبار الرأسماليين وضد أسلوبهم فى الحكم وضد « ديمقراطيتهم » — ان صح هذا التعبير — وضد تسلطهم الطبقى ، **لكنهم أيضا ليسوا من أبناء الطبقة العاملة** ومن ثم تقوم لديهم — وهذا طبيعى تماما — تحفظات عديدة ضد أسلوب الطبقة العاملة فى الحكم وضد « ديمقراطيتها » .

ان مسافة — ما — تفصل بين قادة هذه الانظمة وبين الطبقات الاستغلالية القديمة ، لكن ثمة مسافة أيضا تفصل بينها وبين الطبقة العاملة .

ولسنا بحاجة الى الاشارة الى انه كلما تباعدت المسافة بينهم وبين الطبقات الاستغلالية كلما اقتربوا من فكر ومنهج واسلوب الطبقة العاملة . والعكس صحيح تماما .

ومن هذا الوضع الطبقى ، تنجم كل التعقيدات والتنظيرات التى تلف هذه التجارب وتحوطها بهالات من التعقيد والغموض .

● **ولان قادة هذه الانظمة يشعرون بالغربة عن الطبقات الحاكمة القديمة** ، فانهم يزيحونها من السلطة ويطاردونها ويصفون نفوذها السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، لكنهم وفى **نفس الوقت يشعرون بنوع من « الالفة » و « التقارب » مع الكثير من « العناصر المساعدة »** داخل الجهاز القديم .

ذلك ان التناقض الذى يبدو حادا وعنيفا ضد الطبقات الاستغلالية تخبو حدته **امام الجهاز البيروقراطى — الذى لا يختلف فى تكوينه الطبقى كثيرا عن القادة الجدد ، والذى اكتسب مهارات خاصة فى التلون ومسايرة كل جديد او التظاهر بمسايرته .**

ونبع من ذلك ؟ ان كثيرا من قادة هذه الانظمة لم يدركوا الفارق الموضوعى بينهم وبين جهاز الدولة القديم واكتفوا بترميمه او ترقيعه ، بضم اعداد من العسكريين السابقين الى صفوفه ، غير ان مثل هذا الضم — الذى يتم تحقيقا لاهداف شتى ليس من بينها على اية حال اصلاح الجهاز الادارى او تطويره — لا يؤدى الى اصلاح الجهاز القديم ، وانما يؤدى الى تحويل هذه العناصر الوافدة اليه الى بيروقراطيين جدد كل اختلافهم عن البيروقراطيين القدامى انهم محصنون ، تحميهم علاقاتهم وارتباطاتهم القديمة .

وهكذا وفى ظل غيبة العمل السياسى المخطط والمنظم بهدف تغيير الجهاز الادارى تغييرا جذريا ، اكتسب هذا الجهاز حصانة ومناعة ضد اية محاولات جماهيرية لاصلاحه او تطويره ، ومن ثم فانه وفى كثير من الاحيان يصبح واحدا من الحواجز التى تعوق التطوير الديمقراطى لهذه الانظمة .

● كذلك فان عددا من العوامل التى سبقت الاشارة اليها ، وخاصة قصور التجارب الحزبية القديمة ، وطبيعة تكوين قادة الانظمة الجديدة قد دفعت كثيرا من هؤلاء القادة الى **عدم ادراك الاهمية القصوى للعمل السياسى بين الجماهير .** لقد رفعوا شعارات جيدة ، وقاموا بأعمال مجيدة ، ولكن من خلال « **قرارات سلطة** » وليس من خلال **تحركات جماهيرية .**

ولقد ظلت مسألة العمل السياسى الجماهيرى وتحريك الجماهير على الدوام المحور الذى تحوم حوله كثير من هذه الانظمة محاولة دوما ان تتفاداه

وفى بعض الاحيان كان **تشكيل هياكل بديلة** توحى بوجود النشاط السياسى دون ان تسمح بوجوده فعلا هو الحل الامثل فى نظر عدد من هؤلاء القادة . ذلك ان هذا البعض قد وجد ان قيام مؤسسات سياسية او تشريعية فعالة وذات نفوذ حقيقى سوف يسلبه — الى حد ما — حرية اتخاذ القرار .

ولما كان القرار — الذى يتخذه هو فى اغلب الاحيان — قرار ثورى — فقد كان من اليسير ان يقنع القائد نفسه بأنه انما يطبق **نوعا جديدا من « الديمقراطية »** تفنن الكثيرون فى اطلاق تسميات مغرية عليه ، لكنه ظل على الدوام نوع شاذ من الديمقراطية **يرفض التفاعل مع القوى الطبقية القائمة .**

ولقد شاع هذا النوع من « الديمقراطية » واغمض الكثيرون اعينهم عن انتقاده بل تفننوا فى

ايجاد المبررات النظرية له طالما ان ما يقرره من قرارات كان ثوريا وتقدميا .

وهكذا تردد الدفاع عن هذا النوع من « الديمقراطية » كثيرا على السنة العديد ممن افترض فيهم الدفاع عن ضرورة ارساء قواعد ديمقراطية حقيقية ، ناسين ان مثل هذا الاسلوب « **اللاديمقراطى** » وان افرز فى بعض الاحيان قرارا او قرارات ثورية ، فانه وبالضرورة **سوف يفرز مناخا فاسدا سوف يؤثر على الشكل العام للسلطة وعلى علاقاتها بالقوى الثورية وبالجماهير وسوف يؤثر ايضا تأثيرا سلبيا على هذا « القرار الثورى » ذاته وعلى امكانيات تطبيقه** . ذلك ان اهم اركان اى قرار ثورى هو المشاركة الحية للجماهير فى صنعه ، وفى حمايته وفى وضعه موضع التطبيق .

نخلص من ذلك الى ما نتصور انه القانون الاول الذى يحكم قضية الديمقراطية فى دولة العالم الثالث وهو « **ضرورة تواجد المؤسسات وممارستها لسلطاتها الكاملة كبديل لفردية التصرف والحكم** » .

لكن هذا القانون يطرح تساؤلا هاما هو **مؤسسات لمن ؟**

والجواب النظرى الذى يقدم على الفور ومن كافة الاطراف واضح وموحد « **مؤسسات تمثل طبقات التحالف ، أى الطبقات المناهضة للاستعمار والرجعية والراغبة فى بناء دولة حديثة ومتقدمة ومتطورة دوما فى طريق التقدم الاجتماعى** » .

لكن التعريف النظرى شيء والتطبيق العملى شيء آخر ...

ذلك أن التكوين العام للسلطة الجديدة قد أتاح الفرصة فى بعض التجارب لفئة من فئات هذا التحالف أن تستولى دون غيرها على كل أو معظم ثماره وأن تمد نفوذها وسطوتها وتفرض ممثليها على السلطتين التنفيذية والتشريعية والاجهزة السياسية والادارية معا .

والحقيقة أن الاسلوب الذكى والبالغ الدهاء الذى انتهجته الطبقة الوسطى فى كثير من هذه الانظمة يستحق دراسة متأنية وعميقة ، فهى لم تكن تقبل اسلوبا ولامنهجا ولاقرارات السلطة لكنها لم تقاوم ولم تعارض وانما اكتفت بالتظاهر بالرضاء والثناء وترديد كل شعارات السلطة الجديدة ، مدركة بذكاء نادر ان اية مقاومة منها لن تثمر الا المزيد من الالتحام بين النظام الجديد والجماهير الكادحة .

وهكذا كبتت الطبقة الوسطى معارضتها مكتفية بتسلق الجديد ومحاولة احتوائه .

وبدأ الامر وكأنه سباق غريب ...

« السلطة الجديدة بكل ما يجيش به صدرها من رغبة فى التغيير تستصدر القرارات الثورية تلو الاخرى وتقترب بذلك اكثر فاكثر من الجماهير الكادحة ، والطبقة الوسطى تتسلم هذه القرارات بين يديها لتفرغها من مضمونها أو لتحولها الى مكسب خاص بها وحدها » .

وهكذا وفى البداية بدا ان هناك تناقضا خطيرا هو ان السلطة الجديدة تدعو للاشتراكية وتحاول اقامة عدد من المنجزات المتلائمة مع دعوتها هذه لكن تسلط الطبقة الوسطى على أجهزة الادارة والتنفيذ والحكم والسياسة قد جعل المحاولة وكأنها « **بناء للاشتراكية بغير الاشتراكيين** » ...

ثم استمر السباق .. **ومع كل تقدم تحرزه الطبقة الوسطى تنعزل عن صفوف التحالف اكثر فأكثر جموع العمال والفلاحين اكثر فئات هذا التحالف ثورية وايجابية وحرصا على مكتسبات النظام ، وتؤدى هذه العزلة بدورها الى مزيد من تفرد الطبقة الوسطى بالنفوذ الاكبر فى المؤسسات ، الامر الذى يؤدى بدوره الى مزيد من احساس جماهير العمال والفلاحين بالغربة عن هذه المؤسسات** ...

بل ويتطور الامر الى درجة ان كثيرا من القرارات الثورية التى اتخذتها السلطة قد اصبحت مرتعا خصبا لتحقيق مزيد من الثراء غير المشروع وغير المنطقى لهذه الطبقة الوسطى ، وهكذا تدرج الامر ليصبح اشبه بمحاولة « **لبناء الاشتراكية لغير الاشتراكيين** »

وهكذا نصل الى ما نتصور أنه القانون الثانى فى هذه القضية وهو « **ضرورة ان تكون المؤسسات جميعا بما فى ذلك المؤسسات التنفيذية والادارية ممثلة تمثيلا حقيقيا لقوى التحالف ، كل بقدر ثقلها الاجتماعى وبقدر مصلحتها فى عملية التغيير الثورى** » .

ويعنى ذلك بالتحديد المزيد من التمثيل للعمال والفلاحين الحقيقيين فى مختلف منابر السلطة .

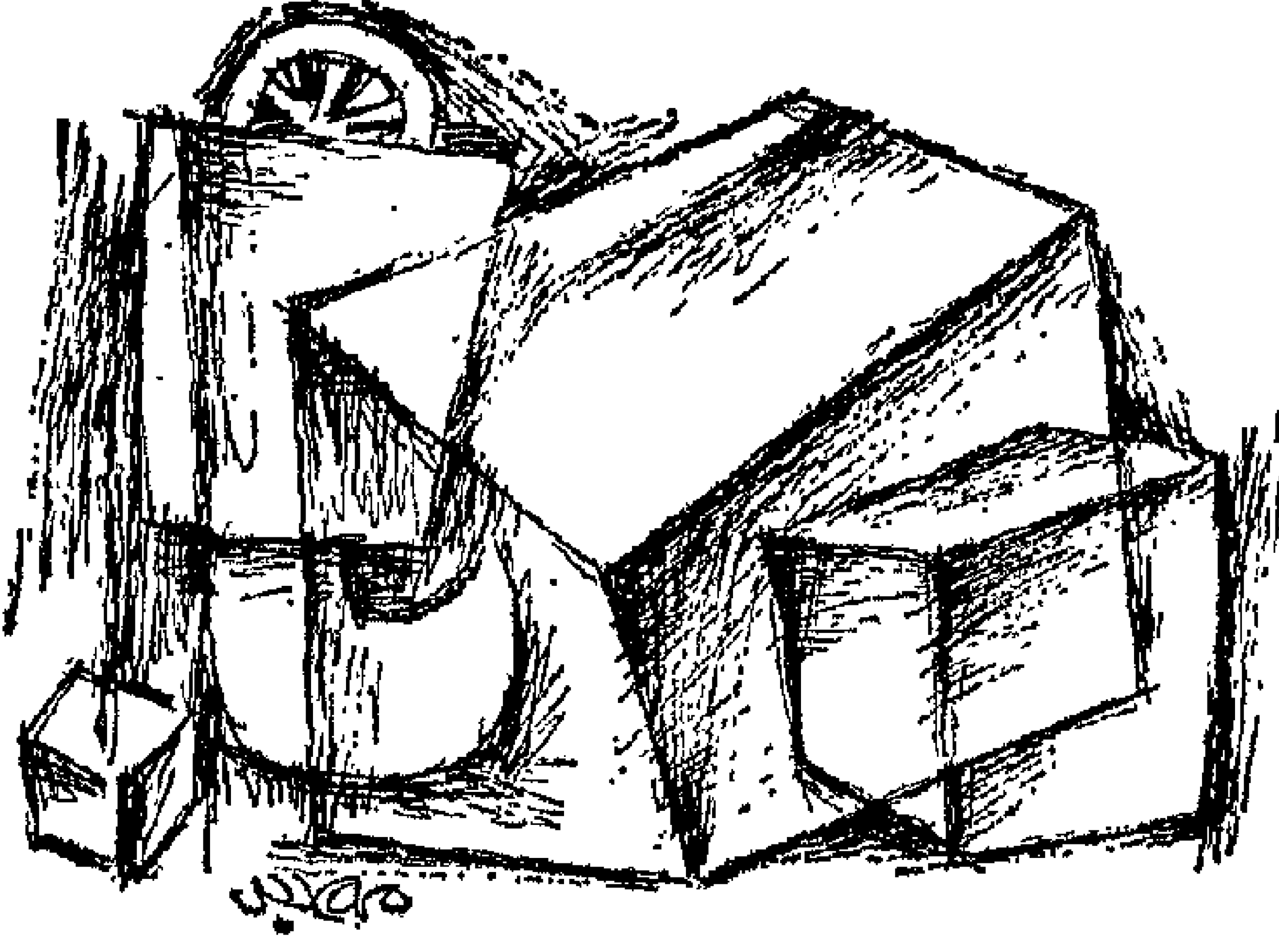
ولست اعتقد اننا بحاجة الى تكرار كلمات سبق ان قيلت اكثر من مرة حول ضرورة « **التمثيل الحقيقى للعمال والفلاحين** » والا كان ذلك تعزيزا لمواقع الطبقة الوسطى .

وبعد ...

فان مناقشة قضية الديمقراطية لم تعد ترفا فكريا يتداوله المثقفون فيما بينهم ، وانما اصبحت مسألة ملحة وحاسمة ومطلبا جماهيريا واسعا ، ذلك انه على الموقف منها يتحدد الى درجة كبيرة مستقبل الكثير من انظمة العالم الثالث ، وقدرتها على البقاء فى الطريق الصحيح . □

خطة

مضاعفة الدخل القومي



في ضوء الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية

عادل حسين

تنشط الان دراسات حول تفاصيل الخطة العشرية لمضاعفة الدخل القومي . وفي الحقيقة كان قرار مضاعفة الدخل القومي خلال السنوات العشر من أبرز الاهداف التي حددها برنامج العمل الوطني ، وهو هدف ضروري وممكن ، رغم ظروف العدوان .. ولكن من الحقائق المعروفة أن التنمية المخططة ليست مجرد مجموعة من المشروعات المتكاملة ، وليست مجرد حسابات متوازنة ، على الورق . فالبحث في خطط التنمية ثم ممارسة التنمية بالفعل ، مسألة لها جوانبها الاجتماعية والسياسية والايديولوجية .. ومالم تتناول نظرتنا ، ومالم يتناول نضالنا ، كل هذه الجوانب ، فان الاهداف الاقتصادية للتنمية تظل آمالا نقصر عن الوصول اليها .

فكيف ستكون نظرتنا الشاملة لكل هذه الجوانب خلال السنوات العشر القادمة ؟

● هناك نظرة تعبر عن نفسها في اسلوب التنمية الراسمالية التقليدي .. وهي نظرة لا تدعو الى التوقف طويلا ، فقد حسم في مصر هذا الامر ، وزالت ركائزه المادية والطبقية المتمثلة في الاحتكارات الامبريالية ، وفي كبار الملاك وكبار الراسماليين المحليين .

● والنظرة الثانية لمسألة التنمية هي من خلال الاسلوب الاشتراكي . واصحاب هذه النظرة يزدادون اصرارا على نظرتهم وموقفهم مع القفزات المذهلة للثورة العلمية والتكنولوجية في العالم . فهم يدركون آثارها الكبيرة على تطور الانتاج والادارة في الدول المتقدمة .. وهم يدركون أن تقاعسنا عن اللحاق بهذا الركب سيزيد الهوة بيننا وبين عالم الثلث الاخير من القرن العشرين .. وهو بالتالي يؤثر تأثيرا شديدا على قدرتنا في مواجهة التحديات الخارجية ، وعلى اسهامنا الحضاري .. وأخيرا على مستوى المعيشة .

وقد استخدمت كلمة « أخيرا » بالنسبة لمستوى المعيشة [رغم أهميته] ، لانه من الواجب أن نذكر ان ارتفاع متوسط الدخل السنوي للفرد لا يصلح

ـــ وحده ـــ دليلا على اننا بلغنا مستوى الدول المتطورة . ففى العالم العربى توجد بعض الدول المصدرة للبترول ، التى تنافس الولايات المتحدة فى ارتفاع متوسط الدخل السنوى للفرد .. ولكن لا يعنى هذا انها أقرب الى الدول المتطورة من مصر أو الهند .. بل الصحيح اننا أكثر اقترابا من هذه الدول .

فالدخل المرتفع فى الدول العربية المصدرة للبترول لا يتحقق بجهد انتاجى وتنظيمى ، ولكن باستنزاف الثروة القومية .. وهو أمر يشبه حال صاحب الارض الذى يحيا فى مستوى معيشى مرتفع من خلال بيعها فدانا فدانا .. انه لا يعيش على دخله ، ولكنه يأكل راسماله !

نحن نهدف الى الارتفاع بمستوى معيشة شعبنا ، ولكن من خلال استخدام مواردنا القومية فى استثمارات تزيد انتاجنا ودخلنا الحقيقى .

والان .. اذا كان الاسلوب الراسمالى عاجزا عن تحقيق هذا .. فلماذا ينجح الاسلوب الاشتراكى ؟ .. المسألة ببساطة اننا نواجه نقصا فى رؤوس الاموال المتاحة ، وفى الخبرة الفنية ، كما نواجه ضغوطا خارجية [عسكرية وسياسية واقتصادية] ، تسعى الى اعاقتنا ومحاصرتنا .

١ ـــ واذا كان الفائض الاقتصادى ـــ بحكم دخلنا المنخفض ـــ محدودا .. فاننا لا يمكن ان نزيد معدلات الاستثمار الا باجراءات تمنع تبديد جزء من هذا الفائض المحدود فى أوجه الانفاق الترفى .

ومن المفروض ان اجراءات التأميم والاستيلاء على أراضى كبار الملاك تساعد على تحقيق هذا الهدف ، لان هذه الطبقات كانت مسئولة عن تبديد جزء من الفائض الاقتصادى ، فى أوجه انفاق ترفى (قصور ـــ حفلات ـــ أسفار ـــ تحف .. الخ) ولذلك فانه من المفروض أن يؤدى استيلاء الشعب على المصادر الاساسية للثروة ، واسترداده لعوائد تملكها .. المفروض أن يؤدى ذلك الى زيادة الفائض الاقتصادى المتاح للاستثمار .

٢ ـــ ولا شك ان الراسماليين لم يكونوا مجرد اناس يبنون القصور .. فقد عملوا أيضا لاقامة مشروعات انتاجية وخدمية ، ولكن اختيار هذه المشروعات كان يلهث خلف الربح السريع ، ولذلك تم التوسع ـــ فى معظم الحالات ـــ فى اتجاهات غير مطلوبة أو غير ملحة . واذا ظلت سلطة اتخاذ القرارات لتحديد مشروعات التنمية فى يد أصحاب رؤوس الاموال ، أو خاضعة لتأثيرهم ..

فان هذا الاتجاه لن يتغير تغيرا جذريا ، بحيث تحدد أولويات الاستثمار وفق نظرة قومية بعيدة المدى .. والطريق الاشتراكى ـــ من خلال التأميم والقطاع العام ـــ هو القادر على خلق مركز واحد يقرر ويطبق استراتيجية قومية للتنمية ، تتجه الى المشروعات الكبيرة والصناعة الثقيلة ، رغم مصاعب التنفيذ والتشغيل .. وبغض النظر عن احتمالات الربح والخسارة فى المدى القصير .

٣ ـــ ولا ينبغى ان ننسى انه حتى ـــ فى حالة تعبئة كل المدخرات للتنمية ـــ يظل حجم هذه المدخرات محدودا ، وفى حالة تعبئة واستخدام كل الكادر الفنى والادارى استخداما كاملا ، سيظل حجم هذا الكادر قليلا ، وهذا يؤكد ضرورة التخطيط الشامل والدقيق ، فهو وحده الذى يؤدى الى ترشيد الاستخدام للموارد المحدودة ، ويقلل الفاقد الى أدنى حد .

وأسلوب التخطيط الشامل لا يمكن تنفيذه بدون نظام اقتصادى يضع فى يد الدولة امكانيات القيادة الفعلية لكافة أوجه النشاط الاقتصادى . وعلى راس هذه الامكانيات قطاع عام يتحكم فى مفاتيح الاقتصاد القومى .

٤ ـــ تعبئة المدخرات وزيادتها لن يتحقق فقط من خلال التأميم والاستيلاء على أرض كبار الملاك .. ولكن ينبغى ان تفرض قيود على زيادة الاستهلاك ، سواء أثناء اجراءات نقل الملكية وما يصاحبها من اعادة لتوزيع الدخول ، أو أثناء التوسع الاقتصادى بالتنمية .. فاذا زاد الدخل القومى بمعدل سنوى قدره ٧ ٪ [على سبيل المثال] ، ينبغى ان يدخر جزء كبير من هذه الزيادة ويتجه الى الاستثمار .

ويعنى هذا [على سبيل المثال أيضا] ان معدل الاستهلاك السنوى لن يزيد أكثر من ٤ أو ٥ ٪ ، واذا أخذنا فى الاعتبار ان المعدل السنوى للزيادة السكانية ٢,٨ ٪ ، فان معنى هذا ان الزيادة السنوية لاستهلاك الفرد لن تكون كبيرة .. وهو اعتراف قاس لاننا نبدأ من مستويات استهلاكية بالغة الانخفاض ، بالنسبة للجماهير الكادحة . ولكن لا يوجد حل لهذه المسألة الا بأن نحتمل .. بل ان شرح هذه الحقيقة امام الجماهير المتطلعة الى تحسين معيشتها ، سيؤكد اقتناعها بأنها مطالبة بمضاعفة الجهد .. لانه بدون تنمية سريعة ، لا يمكن ـــ بالحساب الواضح والارقام القاطعة ـــ ان تحسن مستواها المعيشى تحسينا جذريا .

ومن الحقائق المعروفة ان كافة المجتمعات لم تعبر « عنق الزجاجة » فى التنمية ، الى « مرحلة

الانطلاق » ؟ بغير ضغوط على الاستهلاك ».
والفارق فى تجارب المجتمعات هو : هل يتحمل الجميع — بدرجة أو بأخرى — مشاق هذه المرحلة ، أم تتحملها الجماهير الكادحة وحدها ؟
.. ان نوع الاجابة المقدمة لهذا السؤال حاسم فى تحديد المسار . وهل هو اشتراكى أم رأسمالى [تقليدى أو غير تقليدى — وسأعرض لهذا الاخير بعد قليل] ، ذلك انه اذا كانت الاشتراكية تعنى الان فى المجتمعات المتقدمة المشاركة فى الرفاهية وفى ثمار مجتمع « الاستهلاك الكبير » فان الاشتراكية فى الدول النامية تعنى المشاركة فى احتمال المصاعب وفى ثمار كل تقدم يتحقق — مهما كان صغيرا فى المرحلة الاولى — حسب جهد كل فرد وعمله .

هذا المبدأ جزء لا يتجزأ من الاسلوب الاشتراكى فى التنمية ، والاخلال به يمنع التنمية السريعة ، رغم أى تأميمات ، ومهما كان حجم القطاع العام ، ورغم أى محاولات للتخطيط .

× فهذا المبدأ له أهمية معنوية ، والاهمية المعنوية طاقة تتحول الى مزيد — يمكن حسابه — من الانتاج المادى .. فمرحلة التنمية الصعبة — كالمعارك العسكرية — تلعب المعنويات دورا أساسيا فى حسمها .. فالايمان بأن معركة التنمية معركة وطنية مصيرية .. والاحساس بالعدالة ، والتقدير الموضوعى لكل جهد يبذل .. عناصر بالغة الاهمية لاندفاع الجماهير الى الخلق والابداع والتضحية بلا حدود .. ولا يعنى هذا تحقيق مساواة كاملة ، هذه خرافة ، بل هو ظلم .. ولكن المطلوب هو ان يكون التفاوت فى الدخول والامتيازات فى نطاق معقول . ومن المطلوب كذلك ان يكون التفاوت فعلا على أساس الكفاءة والجهد .

× وبالاضافة الى الاهمية المعنوية لهذا المبدأ .. فانه هام أيضا لتحقيق الاستقرار الاجتماعى والسياسى اللازم للتخطيط الطويل المدى .. بل وهو ضرورى فى مواجهة المؤامرات الخارجية التى لا تغفل أبدا ، والتى تتربص لاى ثغرة من القلق والتوتر بين طبقات الشعب العامل ، كى تنفذ الى جبهتنا الوطنية وتخربها .

× ومن ناحية ثالثة ، فان الاخلال بهذا المبدأ يعنى عودة تدريجية الى خلق طبقة تستأثر بجزء كبير من الفائض الاقتصادى لانفاقه فى أوجه الترفيه ، وهو أمر يعجزنا عن احداث التراكم المطلوب للتنمية السريعة [رغم أى تأميمات] ، وستسعى هذه الطبقة الجديدة الى التأثير فى كل المجريات السياسية .. ويصبح الحديث عن الطريق الاشتراكى عندئذ مجرد كلام يقال ».

الطريق الثالث

● وقد ظهرت فى مصر — خلال الستينات ، أى بعد التأميمات — نظرة تختلف لمسألة التنمية ، وقد أعلن أصحاب هذه النظرة عن أنفسهم تحت اسم « الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا » ، أو « الطريق الثالث » .

وأصحاب هذه النظرة من روافد مختلفة ، واستبعد منهم هنا بعض حسنى النية الذين رفعوا شعارى « الاشتراكية العربية » و « الطريق الثالث » دون وعى بأهداف الاصحاب الحقيقيين لهذه الشعارات .. وقد حاول هؤلاء تصوير الخلاف بينهم وبين أصحاب النظرة الاشتراكية العلمية ، على انه يكمن — أساسا — فى الخلاف حول دور القطاع العام ، فزعموا ان الاشتراكيين العلميين يطالبون بتأميم كل شىء ، بينما يطلبون هم بقاء مجال لنشاط القطاع الخاص .. وفى الحقيقة لم يكن هذا أبدا محلا لخلاف ، فالاشتراكيون العلميون لم يتكلموا أبدا عن تأميم الارض الزراعية ، وتصفية كل النشاط الخاص فى الصناعة والتجارة . والخلاف الحقيقى يكمن فى فهم طبيعة العلاقة بين « الانظمة » التى تحكم النشاط الاقتصادى ، وتتعايش فيه جنبا الى جنب .

دعاة الطريق الثالث كانوا قلقين — بدرجة أو بأخرى — لتزايد الحجم والدور الذى مارسه القطاع العام ابتداء من شهر يوليو سنة ١٩٦١ .. وقد عملوا بأشكال مختلفة لتمييع الدور القيادى للقطاع العام .. وعملوا بالتالى على اعاقة التخطيط الشامل للتنمية .. والحقيقة أن مثقفى هذا الفريق يدركون بمطالعاتهم ومشاهداتهم مدى التخلف الاقتصادى الذى يعيشه العالم النامى ، ومن بينه مصر ، ولكن رغم أنهم قد يجترون حديثا مليئا بالاسى عن خطورة التخلف الاقتصادى ، فانهم يصرحون باننا لا نستطيع — من الناحية العملية — تحقيق معدلات التنمية التى نتحدث عنها [٢ر٧ ٪ سنويا] .. وقد عبروا عن هذا الرأى صراحة ، وتحت ضغوطهم ، وضغوط ممثليهم فى الدولة ، سادت اتجاهات انكماشية فى التنمية ، بعد الخطة الخمسية الاولى لعدد من السنوات .

ان ما يجمع هؤلاء الناس فى نظرة واحدة — بعيدا عن التفاصيل التى قد يختلفون حولها — هو أنهم بأسلوب انتاجهم الفردى (فى القطاع الخاص) أو بأسلوب حياتهم وتفكيرهم (فى القطاع العام وبين المثقفين) لا يقدرون — من تلقاء أنفسهم — على احتمال مشاق الطريق الطويل للتنمية الجادة ، وهم ينظرون الى القضية من

زاويتهم الضيقة .. من زاوية الحل السريع لمشاكل فئات محدودة .. ومع مرور الزمن ثبت أن الدعوة الى الطريق الثالث لا تخرج عن كونها محاولة لان يحل أصحاب هذه الدعوة محل الطبقات التى صفيت أثناء تطورنا الاجتماعى .. ولو حدث هذا .. فان الطريق الثالث لن يكون الا طريقا رأسماليا غير تقليدى ، وهو غيرتقليدى لان به قطاعا عاما كبيرا .. ولكن من المعروف أن ملكية الدولة لكثير من وسائل الانتاج لا يحدد - وحده - اتجاه المجتمع ، فملكية الدولة يمكن أن تقوم فى مجتمع اقطاعى وفى مجتمع رأسمالى وفى مجتمع اشتراكى .

ان أصحاب النظرة الثالثة لمسألة التنمية ، دعوا منذ اليوم الاول الى زيادة معدلات الاستهلاك .. ومن الناحية العملية كان هذا يعنى مع مرور الزمن ، زيادة معدلات الاستهلاك لفئات معينة (لان الموارد المحدودة كما أوضحت لاتكفى لرفع مستوى المعيشة لـ ٣٣ مليونا رفعا حقيقيا) .. وطالما أن هذه الفئات تزيد دخولها ، وتستمتع بكل كماليات مجتمعات الاستهلاك الغربية ، فان الوضع فى نظرها قد ازدهر .. واذا تعارض هذا مع ضرورة رفع معدلات الادخار ، فلتذهب التنمية ومعدلاتها السريعة الى الجحيم !

ولقد تذرع أصحاب « الطريق الثالث » بحجتين لتبرير الاندفاع نحو أنماط الاستهلاك الترفية :

الحجة الاولى : هى ماجاء فى الميثاق من أن مضاعفة الدخل القومى فى أقل من عشر سنوات ، مهمة ممكنة التحقيق « بالتخطيط الاقتصادى والاجتماعى ، ودون ما تضحية بالاجيال الحية من المواطنين لمصلحة الاجيال التى لم تولد بعد » .

الحجة الثانية : هى انفجار الامال والتطلعات - وقد أساء المتطلعون الى خلق طبقة جديدة مميزة ، تفسير عبارة الميثاق ، فالجيل الحالى هو كل أفراد قوة العمل الحالية ومن يعولونهم . والميثاق نفسه قال أن « الانتاج كله للمجتمع ، فى خدمته ولتحقيق سعادته ولتأمين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيه » .. « ان المجتمع هو كل فرد يعيش على تربة الوطن وترتبط آماله مع آمال غيره من المواطنين من أجل غد عزيز لهم جميعا ، وللاجيال القادمة من أبنائهم وأحفادهم » . وبالتالى فان المقصود من عبارة الميثاق ، التى أسيء استخدامها ، هو أن ظروفنا فى التنمية أسهل نسبيا ، اذا قورنت بالتجارب الاشتراكية السابقة ، فنحن لا نعيش تحت حصار اقتصادى كهذا الذى عاشته التجربة السوفيتية ، بل ان عالمنا يتيح لنا الان أن نحصل على قروض وتسهيلات وخبرات فنية تخفف أعباء التنمية ، وتمكن جيلنا الحالى من الاستمتاع ببشائر نتائجها أثناء حياته .

ولكن مهما كانت الظروف .. فان الميثاق لم يصور التنمية أبدا على أنها نزهة سهلة ، وأن من حق البعض أن يحصل على كل الكماليات التى يتطلع اليها .. لان واضعى الميثاق كانوا يدركون أن الغالبية العظمى تنقصهاسلع وخدمات ضرورية .

- أما مسألة انفجار التطلعات والامال ، أو رغبة الافراد الملحة فى الدول النامية فى أن يزيدوا استهلاكهم ، وأن يتشبهوا فى معيشتهم بمعيشة الافراد فى الدول المتقدمة . فقد قيل انها نتيجة حتمية للسهولة الكبيرة فى عصرنا الحالى للنقل والمواصلات والى سهولة التعرف على طريقة الحياة للسكان فى كل جزء من أجزاء الارض ، وهذا يؤدى الى توسع سكان الدول النامية فى الاستهلاك واعراضهم عن زيادة مدخراتهم ، رغم الاهمية البالغة للمدخرات المحلية لتمويل عمليات التنمية .

هذه الحجة - رغم أن بها جانبا من الصحة - لا تعنى أن هناك مانعا لا يمكن تجاوزه أمام الاتجاه الاشتراكى للحد من تطلع بعض الفئات الى أنماط الاستهلاك الترفية ، طالما أن هناك قواعد تطبق على الجميع ، وطالما أن هناك ضرورات موضوعية مقنعة أمام الجميع .. وفى كوبا - على سبيل المثال - يتقبل الناس هذا المفهوم ، رغم أنهم مطلعون - باستمرار - على نمط الحياة الامريكية القائم الى جوارهم .

وفى أوربا الغربية - بعد الحرب العالمية الثانية - تقبل الناس التقشف ونظام البطاقات ، وكانوا يعلمون كافة التفاصيل عن مستويات الحياة فى الولايات المتحدة .

ولكن بعض الفئات استخدمت حجة وسائل المواصلات والنقل للتذرع بأنها لاتستطيع الانتظار الطويل .. ونسيت هذه الفئات أن الجماهير الواسعة ، تطلع كلها - عن طريق أجهزة الاعلام - على طبيعة الحياة فى الدول المتقدمة .. فماذا لو قلنا جميعا أننا لا نستطيع الانتظار ؟ ليس أمامنا - فى هذه الحالة - الا أن نترك القضايا الوطنية المشتركة ، ونتقاتل مع بعضنا البعض ، لكى نحدد من الذى يفوز ومن الذى ينتظر !

اجـــراء الســـتينات

كمـا كانت فى البداية

ينبغى أن نقول الان انه رغم وضوح الوثائق النظرية عندنا الى جانب الاسلوب الاشتراكى العلمى

فى التنمية والحياة ... فان المسألة لم تحسم بهذه البساطة فى واقع المجتمع .. فأصحاب « الطريق الثالث » حاولوا أن يحرفوا المسيرة ، وبذلوا كل جهد فى هذا السبيل ، ومن الواجب أن نعترف بأنهم حققوا بعض النجاح ، فعطلوا كثيرا من نتائج التغييرات الاجتماعية المحققة أثناء الخطة الخمسية الاولى .

لقد تم فى هذه الاجراءات نقل ملكية ثروات بلغت قيمتها ألف مليون جنيه (١) . وقد أدى هذا الى اعادة توزيع الدخل القومى بطريقة تختلف على طبقات الشعب العامل ، باعادة توزيع الثورة (عن طريق الاصلاح الزراعى ، أو نقل ملكية أدوات الانتاج الى القطاع العام ، أو نقل ملكية بعض العقارات السكنية الى القطاع العام ، أو عن طريق الحراسة والمصادرة) .

كذلك تتضح اعادة توزيع الدخل عن طريق تقليل عوائد حقوق التملك وزيادة عائد العمل (عن طريق تحديد ايجارات الاراضى الزراعية ، أو بتحديد حد أدنى وحد أقصى للاجور ، أو عن طريق اقرار نصيب للعمال فى أرباح المنشآت ، أو بتخفيض الايجارات السكنية) .

وكذلك تمت اعادة توزيع الدخل بواسطة السياسة المالية (سواء من خلال الضرائب ، أو بتوجيه الانفاق العام نحو توفير الخدمات المجانية لطبقات الشعب المحرومة) .

ويقرر الدكتور حسين الغمرى ان المستفيدين من اجراءات اعادة توزيع الدخل كانوا أساسا من الفئة التى يقل دخلها عن ١٠٠٠ جنيه سنويا . فهو يرى أن هذه الفئة حصلت على ٦ر١٤٢ مليون جنيه من اعادة توزيع الدخل ، التى تمت فى صورة نقدية مباشرة .. أما الفئة التى يزيددخلها السنوى عن ١٠٠٠ جنيه ، فقد حصلت على ١٠ ملايين جنيه فقط (٢) .

ولاشك ان دراسة الدكتور الغمرى تعتمد على كثير من الاجتهاد فى التقدير بسبب نقص البيانات الرسمية ، ولكنها مؤشر حقيقى لنتائج اعادة توزيع الدخل فى تلك الفترة .

ويمكننا أن نقول ان اعادة توزيع الدخل تمت بأسلوب منع تحقيق هدف أساسى فى معركة التأميمات . وهو الارتفاع بمعدلات الادخار . وكذلك فان سياسة التوسع غير المخطط للاستهلاك ، والتى عصفت بأى تقديرات مستهدفة ، أدت هذه السياسة الى ابقاء المدخرات المحلية (فى نهاية الخطة وبعد التأميمات) بنفس النسبة التى بدأت بها ، قبل الخطة ، وقبل الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية .

لقد أدت السياسة الاقتصادية التى سادت فى هذه الفترة الى زيادة كبيرة فى معدلات الاستهلاك النهائى ، فقد بلغ معدل النمو السنوى لهذا الاستهلاك ١٠ فى المائة (بالاسعار الجارية) فى حين أن معدل الزيادة فى الناتج المحلى الاجمالى ٥ر٨ فى المائة سنويا (بالاسعار الجارية) (٣) .

وبالتالى كان طبيعيا أن تكون نسبة المدخرات المحلية الى الناتج القومى ٣ر١٤ فى المائة عام ٦٠ ـ ١٩٦١ . وكانت النسبة ٦ر١٠ فى المائة فى عام ٦١ ـ ١٩٦٢ ـ ثم ١ر١١ عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ ـ و٧ر١٢ فى المائة عام ٦٣ـ١٩٦٤ (٤) .

ولكن اذا كانت سياسة الاستهلاك قد امتصت جزءا كبيرا من النتيجة المستهدفة ، وهى رفع معدل الادخار المحلى .. فان هذه البداية من النظرة البورجوازية لم تلبث أن نمت . صحيح أن الطبقات المحدودة الدخل استفادت فائدة ملحوظة فى الفترة التى تلت التأميمات مباشرة ، ولكن كما سبق أن ذكرت،هذه الطبقات لن يتحسن مستواها المعيشى بشكل جذرى فى المدى القصير ..والحل للمدى البعيد فى تنمية جادة ذات معدلات مرتفعة . فاذا لم يتبع هذا الخط بشكل حاسم واذا فتحنا الشهية لزيادة عاجلة فى الاستهلاك فان مواردنا لن تتمكن من سد الحاجات المتزايدة لكل الناس ، وبالتالى « فالشاطر اللى يلحق » . وتبدأ الفئات الساعية الى التمايز والارتفاع تضغط وتتبلور ، وأكثر الناس فرصة ، هم فى العادة من أصحاب الدخول الاعلى ، فى القطاعين الخاص والعام .. وهذا ما حدث فعلا منذ الستينات .

اتجاهات خطيرة

فى السنوات الاخيرة

ومنذ عدوان ١٩٦٧ أضيفت مصاعب اقتصادية جديدة الى المصاعب التقليدية للتنمية . وبينما عبرت

---

[١] جمال عبد الناصر : خطاب افتتاح مجلس الامة [٢٥ـ٣ـ١٩٦٤] .

(٢) د . حسين الغمرى : دراسة الطلب وتقدير الاستهلاك خلال خطة التنمية والتحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة ص ١٣٥ ـ ٢٢٠ .

[٣] و [٤] بيانات وزارة التخطيط .

الجماهير عن استعدادها لاحتمال الاعباء الاضافية التى تفرضها المعركة الوطنية بلا شكوى أو تذمر كانت فئات الطبقة الوسطى تضاعف سعيها من أجل مزيد من الدخول والامتيازات على حساب باقى طبقات الشعب العامل ·· ولا شك أن هذه الفئات استفادت من القيود التى فرضتها مراكز القوى على حياتنا السياسية ، والتى منعت تعريض هذه الاتجاهات المنحرفة للنقد والكشف ·

● فى عام ٦٧ ـ ١٩٦٨ فرضت الدولة رسوم انتاج وفروق أسعار وزيادات وأتاوات على بعض السلع · وقد حصلت الدولة ـ نتيجة هذه الاجراءات ـ على حوالى ١٥٠ مليونا من الجنيهات، تضاف اليها حصيلة الزيادة فى ضريبة الدفاع والامن القومى ، وقد بلغت حوالى ٥٠ مليونا ·· أى أن الدولة حصلت من المواطنين ٢٠٠ مليون جنيه زيادة عما كانت تحصله قبل عام ٦٧ ـ ١٩٦٨ (٥) ·· وقد أدى هذا الى نقص الاموال الموجهة الى الاستهلاك فى يد الجماهير ·· وينعكس ذلك فى نقص نصيب الفرد فى اليوم من المواد الغذائية · ويمكن تقدير ذلك بالنقص فى متوسط النصيب اليومى للفرد من السعرات الحرارية وهو منخفض ـ أصلا ـ وبشكل كبير عن الدول المتقدمة) فقد انخفضت من ٢٩٤٢ سعرا (عام ٦٤ ـ ١٩٦٥) الى ٢٨٩١ سعرا (عام ٦٨ ـ ١٩٦٩) ، ويدخل فى هذا الرقم أن السعرات الحرارية اليومية للفرد من الحبوب انخفضت من ٢١٣٠ سعرا (عام ٦٤ ـ ٦٥) الى ٢١٠٨ سعرا (عام ٦٨ ـ ١٩٦٩) · والسعرات الحرارية اليومية للفرد من السكر والمواد السكرية انخفضت من ١٩١ سعرا (عام ٦٤ ـ ١٩٦٥) الى ١٧٥ (عام ٦٨ ـ ١٩٦٩) وفى اللحوم والدواجن من ٥١ سعرا الى ٤٨ ، وفى الاسماك الطازجة من ٢٠ الى ١٠ (٦) ·

ومن البديهى أن نتصور أن معدل الانخفاض فى السعرات الحرارية للفرد كان بدرجة أكبر عند الطبقات المحدودة الدخل ·· رغم أنه كان ـ أصلا ـ بالغ الانخفاض فى سنة ٦٤ ـ ١٩٦٥ ·

● ويؤكد هذا أن الارقام القياسية لاسعار المستهلكين (وهى تمثل التغير فى نفقة المعيشة) شهدت فى السنوات التالية لحرب يونيو ارتفاعا غير مخطط ، فاذا كان الرقم القياسى العام لاسعار المستهلكين فى كل الموارد يساوى ١٠٠ (عام ٦٦ ـ ١٩٦٧ فقد ارتفع الى ١٠٢ (عام ٦٧ ـ ١٩٦٨) والى ١٠٦ر١ (عام ٦٨ ـ ١٩٦٩) والى ١٠٩ر٢ (عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ ·· وآخر رقم متاح (حتى كتابة هذا المقال) هو لشهر مارس ١٩٧١ · وعند مقارنته بالشهر المقابل عام ١٩٧٠ نجد ان الرقم القياسى لاسعار المستهلكين فى عام ١٩٧٠ يساوى ١١٠ر٢ ، وفى مارس ١٩٧١ اصبح الرقم ١١٥ر٨ بزيادة ٥ر١ فى المائة ·

وفى الطعام والشراب (وهما يمثلان الجزء الاكبر من استهلاك الفئات محدودة الدخل) كان ارتفاع الرقم القياسى لاسعار المستهلكين أكثر وضوحا ، ففى مارس ١٩٧٠ كان الرقم القياسى يساوى ١١١ر٢ (على أساس أن ٦٦ ـ ١٩٦٧ يساوى ١٠٠) وقد ارتفع فى مارس ١٩٧١ الى ١٢١ر١ ·· أى التغير هنا (فى الطعام والشراب) زائد ٩ر٨ فى المائة مقابل زيادة ٥ر١ فى المائة فى الرقم القياسى لكل المواد (والذى يشمل مواد الاستهلاك الضرورية والكمالية) ·

وعلى سبيل المثال فان السلع المعمرة (الثلاجات والتليفزيونات والبوتاجازات الخ) ·· والتى لا يشتريها أصحاب الدخول المحدودة بطبيعة الحال كان الرقم القياسى لاسعار المستهلكين فى مارس ١٩٧٠ يساوى ٩٠ر٥ (بدلا من ١٠٠ عام ٦٦ ـ ١٩٦٧) ثم انخفض فى مارس ١٩٧١ الى ٨٩ر٦ (٧)

● والحقيقة ان السنوات التالية للعدوان شهدت توسعا كبيرا فى مظاهر الانفاق الترفى ، وقد تبدو العبارة متناقضة أو غريبة ولكنها للاسف حقيقة ·· لقد استطاعت الطبقة الجديدة بفئاتها المختلفة أن تحصل على دخول وتسهيلات أكثر كثيرا من تلك التى كانت تطالب بها قبل العدوان ·

وهناك مثل ملموس وان كان الاحصاء فيه مستحيلا ·· واقصد ظاهرة السلع الكمالية « المهربة ! » فقبل العدوان كان بعض البائعين يتاجرون ـ على استحياء ـ فوق الارصفة فى سلع من غزة ·· اما الان فان البضائع المتنوعة مكدسة فى محال كبيرة فى أهم الشوارع · واذا كان حجم هذه السلع يقدر بملايين الجنيهات فان هذا لا يعكس الحجم الحقيقى للسلع الكمالية التى يجلبها البعض بشكل رسمى للاستعمال الشخصى ويبدو فى كل هذا قسم هام من مواردنا وبالنقد الاجنبى ·

(ولكن هناك جانب يمكن قياسه ويقدم بالتالى مؤشرا جيدا عن هذا الاتجاه فعدد سيارات الركوب

---

[٥] د. فؤاد مرسى: مضبطة الجلسة الخامسة لمجلس الامة المعقود فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ ·
[٦] استهلاك السلع فى ج. ع. م ٦٥ـ١٩٦٩ ـ دراسة للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ·
[٧] عن النشرة الشهرية للارقام القياسية لاسعار المستهلكين [الصادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء] ـ اعداد عام ١٩٧٠ وعدد مارس ١٩٧١ ·

الخاصة المستوردة عام ٦٧ ـ ١٩٦٨ كان ٥٦٩ سيارة ، فارتفع الرقم عام ٦٨ ـ ١٩٦٩ الى ٣١٩٨ سيارة ، وارتفع فى عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ الى ٨٧١٩ سيارة ، وفى عام ٧٠ ـ ١٩٧١ وصل الى ١٣٥٦٠ سيارة ٠٠ ومن يوليو الى سبتمبر ١٩٧١ كان الرقم ٢٦٥٩ سيارة (٨)

وقد نذكر هنا أنه حدث فى نفس الفترة أن تفاقمت أزمة المواصلات العامة ، ووصلت الى درجة مقلقة للافراد وللانتاج ٠

● وفى الاسكان هناك مثل آخر فهو مجال مجسد للنظرة البورجوازية التى تحصر اهتمامها بفئة محددة ٠ ان الاسكان مشكلة فى كل بلاد العالم ، ولكنها مشكلة اكثر حـدة فى البـلاد النامية ، حيث نضطر الى تركيز الاستثمارات فى قطاع الانتاج السلعى ، وحيث لانستطيع بالتالى أن نوفر لكل مواطن مسكنا صحيا ٠

وعلى ذلك فمن المسلم به أن مشكلة توفير السكن الملائم ستظل مشكلة تعايشنا فترة طويلة ٠ ولكن فى نفس الوقت ينبغى أن نرسم خطة بعيدة المدى لمواجهة هذه المشكلة ، وينبغى أن تستهدف هذه الخطة خلق وحدات سكنية لاكبر عدد من الناس ووفقا لاولويات موضوعية مفهومة ٠ وبهذا الفهم لا يتصور أننا سنوجه الاهتمام الاكبر للفيـلات والعمارات الفاخرة ٠٠ واذا جاز أن نسمع ببعض التوسع فى هذا النوع من الاسكان فلا يمكن أن يتم هذا بأموال القطاع العام ، أو بقروض البنوك التابعة للقطاع العام ٠

وهناك رقم يوضح حقيقة الوضع الحالى ٠٠ هذا الرقم يقول أن حوالى ١٤٠ ألف أسرة (فى القاهرة وحدها) تعيش كل اربعة منها فى غرفة واحدة (وهى غرفة على سبيل التجاوز بطبيعة الحال) (٩) ولاشك أننا مطالبون بوضع أولوية لحل مشكلة هذا القسم الكبير من شعبنا العامل ٠٠

بالاضافة الى عشرات الالاف الجدد الذين يضافون كل عام ٠

ولكن النظرة البورجوازية لم تبحث الامر على هذا النحو ، فهى لا تنتظر ، وهى تفضل أن تنفق الاموال فى المساكن الفاخرة ٠٠ حتى ولو أدى ذلك الى بقاء الاغلبية العظمى من المواطنين فى كهوف أو مبان آيلة للسقوط ٠٠ الى أجل غير مسمى ٠٠

وقد زاد بروز هذه النظرة فى السنوات الاخيرة وبالارقام :

فاذا كان عدد الوحدات السكنية المحققة (فى الاسكان الاقتصادى عام ٦٥ـ١٩٦٦ = ١٠٠ فان العدد المتحقق عام ٦٨ ـ١٩٦٩ انخفض الى ٧٤ ٠

واذا كان عدد الوحدات السكنية المحققة (فى الاسـكان المتوسـط وفوق المتوسـط) عـام ٦٥ ـ ١٩٦٦ = ١٠٠ ، فأن العدد المتحقق عـام ٦٨ ـ١٩٦٩ قفز الى ١٦٨

وفى الاسكان فوق المتوسط بالذات تطور الرقم القياسى من ١٠٠ (عام ٦٥ ـ١٩٦٦) الى ١٢٥ فى جنيها فى السنة (بمتوسـط ١١٠ جنيهات) يمثل عام ٦٨ ـ١٩٦٩ (١٠) ٠

● وبشكل عام فان الجدول التـالى يشرح صورة مجتمعنـا (عام ١٩٧٠) والتى تشكلت نتيجة للضغط المتواصل من القوى التى تسعى الى تشكيل طبقة جديدة مرفهة (١١)

ـ ارقام الجدول الاتى تدل على أن الاسر التى تمثل ادنى درجات الانفاق ، اى التى تنفق اقل من ٢٥٠ جنيها فى السنة (بمتوسط ١١٠ جنيهات) يمثل أفرادها ٧٧٫٦ فى المائة من مجموع المواطنين ٠

ـ والاسر التى تنفق من ٢٥٠ الى ١٠٠٠ جنيه سنويا يمثل أفرادها ٢١٫٥ فى المائة من مجموع المواطنين ٠

والاسر التى تنفق سنويا اكثر من ١٠٠٠ جنيه يمثل أفرادها ٠٫٩ ٪ من مجموع المواطنين ٠

	الـريف		المـدن		المجمـوع	
الاسر حسب انفاقها السنوى	عدد أفراد الاسر بالملايين	نسبة افراد الاسر الى سكان الريف	عدد أفراد الاسر بالملايين	نسبة أفراد الاسر الى سكان المدن	عدد أفراد الاسر بالملايين	نسبة أفراد الاسر الى مجموع المواطنين
اقل من ٢٥٠ جنيها	١٧٫٩	٪ ٨٧٫٨	٨٫٤	٪ ٦٢٫٢	٢٦٫٣	٪ ٧٧٫٦
من ٢٥٠ الى ١٠٠٠	٢٫٥	٪ ١٢٫٢	٤٫٨	٪ ٣٥٫٦	٧٫٣	٪ ٢١٫٥
اكثر من ١٠٠٠	آلاف		٠٫٣	٪ ٢٫٢	٠٫٣	٪ ٠٫٩

[٨] الارقام الرسمية لادارة الاستيراد فى وزارة الاقتصاد ٠

[٩] بيانات الجهاز التخطيطى والتنفيذى للقاهرة الكبرى ـ دراسة لجمال الشرقاوى : جريدة الاخبار ـ عدد ٩ سبتمبر ١٩٧١ ٠

[١٠] الارقام القياسية محسوبة بناء على بيانات الكتاب السنوى للاحصاءات العامة للجمهورية العربية المتحدة [٦٢ ـ ١٩٦٩] ـ ص ١٧٤ ٠

[١١] الجدول عن دراسـة للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ٠

وفى الحقيقة ينبغى أن نطيل التأمل فى هذه الارقام لانها تمثل الصورة القاسية لاوضاع مجتمعنا . فاستخدام متوسط الدخل السنوى للفرد (لا يصل الى ٧٥ جنيها) واضح الدلالة .. ولكن هذا المتوسط هو حاصل قسمة الدخل القومى على عدد أفراد الشعب .. وهو بهذا المعنى متوسط حسابى يخفى الفوارق فى توزيع الدخل بين مختلف الطبقات ، ومن ناحية أخرى فان الدخل القومى يشمل ارقام الاستثمار الى جانب أرقام الاستهلاك ، التى تشمل الاستهلاك الحكومى والاستهلاك العائلى .

وبالتالى فمهما كان الرقم الدال على متوسط الدخل للفرد منخفضا ، فهو لا يعطى الصورة الحقيقية لمستوى معيشة طبقات الشعب . انه لا يعطى صورة رقمية عن المبلغ الذى تنفقه الاسر المصرية لاشباع حاجاتها .

ووفقا للارقام السابقة عن انفاق الاسر اتضح أن متوسط انفاق الفرد (بين ٦ر٧٧ فى المائة من المواطنين) لا يتجاوز ٢٢ جنيها فى السنة ، أى أقل من جنيهين فى الشهر ، يغطى بها احتياجاته من غذاء وملبس ومسكن الخ .. هذا اذا اعتبرنا أن الاسرة تتألف من ٥ أفراد فى المتوسط .

هذه الحقيقة المفزعة ينبغى أن تؤرق ضمائرنا ، وينبغى أن تدفع الطبقة الوسطى (بفئاتها المختلفة) الى الحد من تطلعاتها .. فأمامنا طريق طويل من التنمية قبل أن يصبح التطلع الى الكماليات أمرا مشروعا .

● وفى دراسة اخرى لوزارة التخطيط (١٢) يتضح أن الاسر التى تنفق أكثر من ٤٠٠ جنيه سنويا يبلغ عدد أفرادها ٣ ملايين ، والاسر التى تنفق أكثر من ٨٠٠ مليون جنيه سنويا يبلغ عدد أفرادها ٧٠٠ ألف .

وهذه الارقام ، بالاضافة الى المقارنة مع أرقام الجدول السابق ، تمكننا من أن نفصل أصحاب المراتب العليا من الانفاق تفصيلا ادق :

١ ـ فالاسر التى تنفق سنويا من ٤٠٠ الى ٨٠٠ جنيه يبلغ عدد أفرادها ٣ر٢ مليونا .

٢ ـ والاسر التى تنفق من ٨٠٠ الى ١٠٠٠ جنيه يبلغ عدد افرادها ٤ر مليونا (٤٠٠ ألف) .

٣ ـ والاسر التى تنفق أكثر من ١٠٠٠ جنيه يبلغ عدد افرادها ٣ر مليونا (٣٠٠ ألف) .

الا أن دراسة وزارة التخطيط أضافت حقيقة هامة وهى أن الاسر التى تنفق أكثر من ٤٠٠ جنيه سنويا (الثلاث مجموعات السابقة) والتى يشكل افرادها معا حوالى ١٠ فى المائة من مجموع المواطنين ، تستهلك ٤٥ فى المائة من استهلاكنا السنوى كله .

والاسر التى تنفق أكثر من ٨٠٠ جنيه (المجموعتان ٢و٣) والتى لا يتجاوز عدد افرادها ٧٠٠ ألف (٣ر٢ فى المائة فقط من عدد السكان) تستهلك ٤ر٢٣ فى المائة أى حوالى ربع الاستهلاك السنوى تقريبا !

ولا ينبغى أن ننسى أن الاسرة التى تنفق ٨٠٠ جنيه سنويا تنفق ٦٧ جنيها شهريا تقريبا .. والاسرة التى تنفق ١٦٠٠ جنيه سنويا لا يتجاوز انفاقها الشهرى ١٣٤ جنيها .. واذا كانت هذه الاسر تتألف فى المتوسط من أربعة أشخاص فانه لا يبدو أن مثل هذه الاسرة تحيا فى بذخ شديد ، ومع ذلك فان الانتشار النسبى لهذه الفئة أدى الى اختلال كبير فى توازن الاستهلاك بين طبقات الشعب . وهى نتيجة تؤكد أن أوضاعنا تفرض تحديد سقف منخفض للاستهلاك . فيكفى فى مثل ظروفنا أن تمتلك الاسرة ثلاجة وتليفزيونا وتذهب الى السينما مرة فى الاسبوع ، كى تصبح من الفئة التى تلتهم ربع الاستهلاك لكل الشعب !

ويبدو اننا كنا نستشعر هذا المعنى بقوة منذ سنوات .. فحين نوقشت فى مجلس الامة (عام ١٩٦٥) مسألة السلع المعمرة ، وحين قال المجلس أنها سلع ضرورية ، ثارت ضجة كبيرة فى مختلف الاوساط ، ولكن أمام ضغوط الطبقة الجديدة ، أصبح الاندفاع نحو استهلاك هذه السلع (بل واستيرادها) أمرا عاديا ، وأصبح الاندفاع نحو الحصول على امتيازات كبيرة مسألة تمر بدون مراجعة أو حساب .. وقد عاد البعض ـ من جديد ـ الى بناء الفيلات التى تشبه القصور ، والمليئة بالتحف والاثاث المستورد ، وتزايد الانفاق الترفى فى الحفلات والاسفار .. ولا حول ولا قوة الا بالله !

ايضاحات ونتائج

نضيف الان الى العرض السابق بعض الايضاح ونخلص الى بعض النتائج :

١ ـ الانحراف فى المسار الاقتصادى والاجتماعى ، لم يصل بعد الى نهاية خطيرة ..

---

[١٢] نقلا عن د. فؤاد مرسى [جلسة مجلس الامة ـ مرجع سابق] .

ولكن لا ينبغى أن نتهاون فى النضال ضد الاتجاه نحو اتساع التمايز الطبقى داخل التحالف الوطنى أن تصحيح المسار ضرورى جدا للتحول الى التنمية الاشتراكية .. وليس ضروريا أن يتم التصحيح طفرة واحدة ، ولكن المهم أن ننتبه ونبدأ فى التصحيح .

٢ - انفجار الامال والتطلعات يحدث بمعدل يتسارع فى الفترة الاخيرة ، ولم يحدث الانفجار بسبب سهولة وسائل النقل والمواصلات ، هذه ذريعة .. لم يحدث الانفجار لاننا « نقلد » ما يحدث فى الخارج .. ولكنه حدث - فى المقام الاول لاننا نقلد ما نراه داخل بلدنا ، فليس معقولا ان نطلب من أى انسان أن يضحى بجانب من تطلعاته اذا كانت كل الشواهد من حوله تدعو الى غير ذلك .. واذا كانت بعض القيادات الداعية لاحتمال المشاق لا تقدم نموذجا ومثلا .

وفى الحقيقة فان الدعاية لانماط الاستهلاك فى المجتمعات المتقدمة لم تتسلل الينا من النافذة ، ولكننا فتحنا أمامها كل الابواب ، وعبر كل وسائل الاعلام .

٣ - واذا كان من نتائج « انفجار الامال والتطلعات سعى بعض الفئات الى الاستئثار بجزء كبير من الكعكة ، فان نتيجة أخرى هى ما نشاهده الان من سعى الى ترك الوطن فى ظروفه الصعبة .

وهذا طبيعى فما دامت التطلعات مشروعة بلا حدود .. وما دام الكل يتسابق من أجل حل مشكلته بطريقة خاصة ، ولو على حساب الاخرين ، فمن الطبيعى الا تسود نظرة التعاون لبناء الوطن وحل المشاكل بطريقة اجتماعية .. ومن الطبيعى أن تتجه الجهود الى خارج الوطن سعيا خلف حل عاجل وفردى لمشاكل انخفاض مستوى المعيشة .

يتضح هذا فى أرقام المهاجرين (هجرة دائمة) ، كان العدد عام ١٩٦٥ = ١٤٧٩ مهاجرا ، وفى عام ١٩٦٩ وصل الى ١٥٧١٣ .. وبينما كانت نسبة أصحاب الكفايات العلمية عام ١٩٦٤ تساوى ١٢,٥ فى المائة من مجموع المهاجرين ، ارتفعت هذه النسبة الى ٥١,٤ فى المائة عام ١٩٦٨ ، وكان بينهم فى عام ١٩٦٩ : ١٣ يحملون الدكتوراه أو ما يعادلها و ٣٥ من الحاصلين على الماجستير و ٧٤ من الحاصلين على الدبلومات العليا (١٣) .

وتعلق نشرة الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء على ذلك بأن استمرار هذه الظاهرة بالمعدل المتزايد الذى تتقدم به يشكل استنزافا خطيرا لكافة البلاد من الكفايات العلمية الممتازة .

ونفس الظاهرة تمتد الى المسافرين عن طريق الاعارة وعقود العمل . ففى عام ١٩٦٦ كان عدد الموظفين الحاصلين على تراخيص عمل بالخارج (جديدة أو مجددة) ٥٢٤٢ ، وفى عام ١٩٦٨ ارتفع الرقم الى ٩١٦٧ .. وفى عام ١٩٧٠ وصل الرقم الى ١٧٦٢٥ .. ويتوقع أن يبلغ الرقم عام ١٩٧١ حوالى ٢٨ ألفا ، أى بزيادة ٣٦٪ عن عام ١٩٧٠ (١٤) .

ولست أطلب اجراء بوقف الهجرة ، أو الاعارة فالمسألة لا تحل بقرار .. كما أن بعض المسافرين للعمل فى الخارج يؤدون مسئوليات مهمة .. ولكننى أشير الى أن المسألة بدأت تتخذ شكل تيار جارف لا يخضع لاى ضابط ..

ومنذ سنوات كان هناك من يقول أن الشعب انفق أموالا طائلة لتربية الكوادر الفنية ، وأن من حق الشعب العامل أن يستفيد بعائد المبالغ التى أنفقها .. ومثل هذا الكلام كان يجد آذانا تصغى فى أوائل الستينات .. أما الان فقد تحول الكلام الى نصح سخيف . حتى حين تقول الارقام اننا فقدنا ٤٥٠٠ طبيب ، وأدى هذا الى عجز خطير فى أداء الخدمات الصحية .. وحتى حين تقول الارقام أيضا أن ١٠ آلاف مدرس قد غادروا مصر عام ١٩٧٠ ، دون اعداد وترتيب ، وأن هذا قد أثر فى مستوى الخدمة التعليمية فى مدارسنا .

وامتدادا لنفس الظاهرة سنجد الهجرة الداخلية الى القاهرة والمدن الكبرى . والسبب هو نفس السبب : التطلع الى المعيشة السهلة .. حتى الشباب الذى يملك الطاقة على تحمل الصعاب ، والذين نحتاجهم فعلا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى المناطق النائية وفى الريف .. لا يتحمسون لاحتمال الجهد والتضحية ، فيتكدسون بلا عمل مفيد فى العاصمة والمدن ، والمناخ العام

---

(١٣) نشرة التعبئة العامة والاحصاء - العدد ٧٥ : تطور حركة الهجرة للخارج خلال عام ١٩٦٩ والسياسة الجديدة لتنظيمها .

(١٤) الارقام الرسمية لوزارة الداخلية .

الذى يلهث خلف التطلعات السريعة ؟ ويبعد عن مشاق التنمية الجادة ، لا يشجع على الزجر أو حفز الهمم .. فكيف نضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات ، فى مثل هذه الظروف ؟

٤ ــ لا أعتقد انه يفهم من السرد السابق أننى أطالب باجراءات تأميم جديدة .. فأنا لا أعتقد أننا نحتاج فى المرحلة الحالية الى اجراءات تأميم جديدة ، أو على الاقل حل المشاكل التى تواجهنا الان لا يدعو الى ذلك .. والصحيح أننا نحتاج الى جهد البورجوازية الوطنية (القطاع الخاص) كقوة أساسية من قوى التحالف الوطنى . ونحن نحتاج الى مدخراتها وقدراتها الفنية والتنظيمية لرفع مستوى التنمية .

ولكن ينبغى أن نسلم بأن هناك تناقضا وخلافات داخل التحالف الوطنى . والقوى الاشتراكية تناضل من أجل كسب جهد البورجوازية الوطنية فى اطار لا يؤدى الى سيادة فكرها ومصالحها ، وانما يؤدى الى قيادتها فى اتجاه التحول الاشتراكى ، وهذا يعنى اقناع البورجوازية الوطنية من خلال الحوافز الايجابية والسلبية ، بأن اندفاعها المشروع لتحقيق الارباح ، ينبغى أن يتحقق بجهد حقيقى يضيف الى الدخل القومى، وليس عن طريق الغش أو المضاربة أو السمسرة أو استغلال العمال .

القطاع الخاص ينبغى أن توفر له الامكانيات والحماية .. ولكن أيضا ينبغى أن يوجه وفق الخطة الشاملة للتنمية .

ومفروض هنا أن يكون القطاع العام وسيلة أساسية لتنظيم اقتصادى يحقق هذا الهدف . وهو دور لا يتأكد الا اذا استطاع القطاع العام تمثيل استراتيجية متميزة للتنمية وبناء المجتمع ، والا اذا أصبح القطاع العام نفسه تنظيما اجتماعيا أرقى ، يمارس دوره وفق تخطيط علمى يزيد كفاءته ، ويرفع انتاجيته ، كما أن القطاع العام ينبغى أن يعمل من أجل مصالح الشعب كله ، وليس من أجل مصالح جزئية ضيقة .. وأخيرا يجب أن تسوده علاقات داخلية ديمقراطية .

والنضال السياسى والفكرى من أجل دور متميز نوعيا للقطاع العام لا ينبغى أن يتوقف .. لان البورجوازية لا تتوقف بدورها عن محاولة التسلل الى داخل القطاع العام .. والاستيلاء عليه من الداخل ، بحيث لا يصبح الفارق بينه وبين القطاع الخاص الا فارق كمى . والبورجوازية لم تتوقف فعلا عن محاولات الغزو .. ونجحت بالتحالف مع كثيرين من رجال الادارات العليا ، فى الانحراف بالمسار على النحو الذى أوضحت بعض شواهده .

٥ ــ التجارب الاشتراكية شهدت ــ فى معظم الحالات ــ ظاهرة نمو البيروقراطية كفئة متميزة ، تحتكر قدرا كبيرا من السلطة ، بحكم هيمنتها المباشرة على أجهزة التخطيط ومفاتيح الاقتصاد القومى .. وقد تسىء هذه البيروقراطية استخدام ما تملكه من مراكز المسئولية ، فتفرض جوا ارهابيا ، يكبت التعبير الديمقراطى ، وتحتمى بأسوار السلطة ، بعيدة عن النقد والحساب .

وقد شهدت مصر بعد التأميمات ، واتساع القطاع العام بالتنمية ، نموا هائلا فى حجم البيروقراطية وفى سلطاتها ، والدراسة التى نشرتها « الطليعة » عام ١٩٦٨ قدمت مؤشرا ذا دلالة واضحة . فعدد الوظائف العليا فى الحكومة زاد فى الفترة من ٦٢ــ١٩٦٣ الى ٦٦ــ١٩٦٧ بنسبة ٦١ ٪ بينما زادت الوظائف الادنى فى نفس الفترة بنسبة ٣٢ فى المائة (١٥) . ورغم أن الارقام لا تدخل فيها وظائف الكادرات الخاصة أو الشركات التابعة ، فان الدلالة واضحة ، ويمكن أن تمتد الى هذه القطاعات .

ولا يمكن أن يقال هنا أن هذه الزيادة تحققت لحاجة التوسع فى العمل ، لان حاجة العمل لا يمكن أن تدعو الى زيادة عدد «الجنرالات» بمعدل يزيد عن معدل الزيادة فى عدد « الجنود » . ان هذه الزيادة تحققت رضوخا لاصحاب التطلعات لزيادة دخولهم وسلطاتهم (ولا ينبغى ان ننسى أن اجر الدرجة العليا فى سلم الاجور يساوى الحد الادنى أربعين مرة) .

لقد شهدت بلادنا اذن ظاهرة النمو البيروقراطى عددا ونفوذا ، بل وبشكل يزيد عن المعدل المتوقع .. ولكن اذا كنا قد أخذنا عن بعض التجارب الاشتراكية هذه الظاهرة السلبية ، فقد أضيف اليها هنا جانب سلبى آخر .

فبيروقراطية القطاع الاشتراكى ، فى الدول الاشتراكية رغم كل التحفظات كانت ملتزمة بتوجيهات القيادة السياسية ، وبالتالى فهى تعمل

---

(١٥) عادل غنيم : حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر ـ العدد الثانى ـ السنة الرابعة (فبراير ١٩٦٨) .

مع الجماهير الكادحة لاتمام التحول الاشتراكي ، وتحاصر مع هذه الجماهير احتمالات عودة ونمو الاسلوب الراسمالي في التنمية ٠

اما هنا فان بيروقراطية القطاع العام والاجهزة الحكومية جاءت ـ في كثير من الاحوال ـ من أصول بورجوازية ، وبثقافة بورجوازية ، فكانت أقرب في العلاقات والتفاهم الى رجال القطاع الخاص ٠٠ وليس الى الجماهير العاملة ٠٠ وقد تحصنت هذه البيروقراطية في مواقعها قبل تشكيل تنظيم طليعي اشتراكي ، وحين أعلن عن تشكيل مثل هذا التنظيم ، كان طبيعيا بحكم مواقعها في السلطة أن تضعه تحت سيطرتها ٠٠ رغم أن جهدا بذل في عكس هذا الاتجاه ٠

وبالتالي تشكل ما يشبه المحور القوي داخل التحالف الوطني ٠٠ هذا المحور يتألف من قطاع كبير من البيروقراطية السياسية وقطاع كبير من بيروقراطية القطاع العام بالاضافة الى الرأسمالية الوطنية ٠٠ وتجاوز الامر مجرد التجاوب الفكري ٠٠ فأساس المحور تكامل وتبادل المصالح ٠ فالقطاع الخاص (في المقاولات والتجارة الداخلية والمكاتب الاستشارية ومكاتب الخبرة والسمسرة مع الشركات الاجنبية ٠٠ الخ كون علاقات مريبة داخل القطاع العام ، وقد لقيت هذه العلاقات رعاية وحماية من البيروقراطية السياسية (مراكز القوى) التي حمت الاستغلال بحكم مواقعها في السلطة ، فبطشت بمن يتكلم ويكشف ٠

٦ ـ التصحيح المطلوب في المسار الاقتصادي والاجتماعي ، لا يعني اذن مزيدا من التأميم ، ولكنه يعني شيئا أفضل واعمق ٠ وهو تصحيح ضروري لدعم التلاحم في الجبهة الوطنية ، ولمضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات (*) التي تتطلب اول ما تتطلب رفع نسبة المدخرات المحلية الى ٢٠ في المائة على الاقل من دخلنا القومي بدلا من النسبة الحالية (١١ في المائة تقريبا) ٠

والتطور المطلوب لا يتحقق بوثيقة نظرية جديدة تحدد وتشرح ، وهو لا يتحقق كذلك بنصح يوجه الى المتطلعين لخلق طبقة جديدة ٠٠ ولكن الطريق الى التصحيح هو أن يرتفع صوت ووزن الطبقات التي طال حرمانها ٠٠ فهي الطبقات صاحبة المصلحة الاصيلة في تنمية جادة بعيدة المدى ٠٠ وهي بضغطها السياسي تستطيع أن تحاصر التطلعات ، وتوقف المنحرفين عن الانحراف ٠

ومن أجل هذا المعنى تقرر مبدأ الـ ٥٠ في المائة للعمال والفلاحين ، ولكن بقي ان يتمكن أصحاب هذه النسبة من ممارسة دورهم على نحو ايجابي مؤثر ، كتيار وليس كأفراد ٠٠ والشرط الاول لنجاح اي تخطيط بعيد التوازن بين طبقات الشعب العامل ٠٠ هو أن يحتفظ ممثلو العمال والفلاحين بجذورهم ضاربة بين ابناء طبقاتهم ٠٠ فمن الظواهر التي سادت في المرحلة الماضية أن كثيرين من ممثلي العمال والفلاحين فقدوا روابطهم الطبقية ، واستوعبوا ـ فكرا ومعيشة ـ في صفوف الطبقة الوسطى ٠

هذه المسائل ينبغي أن تبحث وتقرر مع الدراسات حول خطة مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات ٠ فتحقيق الخطة هو ـ أيضا ـ نضال فكري واجتماعي وسياسي ٠٠ وهو أمر لا ينعزل عن معركة التحرير بأي حال ٠ فطريق المعركة ، هو طريق اقتصاد الحرب ، وهو نفسه طريق التنمية الجادة ٠



٨٠ شهـــرا من حيـــاة الطليعة

تقدم ((الطليعة)) فى هذا العدد عرضا للاتجاهات الاقتصادية التى عالجها مجموعة من الكتاب على مدى ٨٠ شهرا ٠

وقد دارت معظم الموضوعات حول :

(١) الاقتصـــــــاد والاشـــــتراكية ٠
(٢) التخطيط ٠ (٣) التعاون ٠ (٤) التعبئة الاقتصـــــادية (٥) البتـــرول العـــربى ٠
(٦) الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية
(٧) الاقتصاد الاسرائيلى ٠

وقد ســبق أن نشرنا ملخصــا للاراء والاتجاهات حول قضـــايا ((حركة التحرر الوطنى)) ، ((القضية العربية)) ((القضية الفلسطينية)) ، ((الفكرة الصهيونية)) ، ((طبيعة المرحلة الحالية من الثورة)) ٠



السياسة الاقتصادية والفكر الاشتراكى

عرض : محمد فتحى عافية

شغل الاقتصاد بكل فروعه ودروبه حيزا لا بأس به من مجلة الطليعة فيما يقرب من الف ومائتى صفحة فى مائة واحدى وستون مقالة او تعليق او ندوة. ولقد كان الاهتمام الاكبر بالمجال الاقتصادى فى السنوات الثلاث الاول ، فكتب من الصفحات ما يقرب من ثلثى كل ما كتب خلال الفترة . ولم يحتل الاقتصاد نفس الاهمية فى سنتى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ اذ لم يزد ما كتب فيهما عن ٢١٥ صفحة .

وتنوعت دروس الموضوعات التى دارت حولها المقالات المختلفة ، كان أهمها على الاطلاق التخطيط فاحتل ما يقرب من اربعمائة صفحة فى أربعة وخمسين موضوعا، ثم يليه الاقتصاد والاشتراكية فاحتلت مائتين وثمانية عشرة صفحة فى ستة عشر مقالا . فالتعاون فى مائة واحدى وخمسين صفحة فى أربعة عشر مقالا، فالحرب والتعبئة الاقتصادية فى مائة وخمسة صفحات فى سبعة عشر مقالا كما عالجت موضوعات أخرى تناولت السياسة الزراعية ، البترول العربى ، الوحدة العربية ، اقتصاديات اسرائيل، وتناولت اقتصاديات بعض الدول العربية والقرية على السواء بالتحليل

وقد جمع بين ما كتب جميعه على اختلاف كتابه وتنوع موضوعاته وتباعد الفترات الزمنية ما يمكن أن يسمى بوحدة الهدف ، فالاشتراكية هى محور الدراسات ، اذ تطرح بأعتبارها ضرورة لمجتمع يسعى الى تحقيق تنمية تفوق معدل السكان ، ولا يمكنه ان يعيد عجلة الزمن فيستغل عماله وفلاحيه او يستعمر دولا اخرى خارجيا . ولا تستطيع فيه الرأسمالية الكبيرة الا ان تكون فى خدمة الامبريالية وضالعة معها أو محققة لمصالحها ، وهى مصالح طفيلية تهتم بزيادة الارباح اكثر مما تهتم بـزيادة الانتاج ، تهتم بالرسوم التى تحول دون المنافسة الاجنبية اكثر مما تهتم بتحسين الانتاج وتخفيض التكاليف .

وأبرزت كل المقالات أهمية التخطيط القومى المركزى المسيطر الذى لا يمكن أن يعيش وينمو ويحقق تطوير الاقتصاد وتنميته الا بالقضاء على المصالح الاقتصادية الاجنبية . وبالقضاء على الرأسمالية الكبيرة عن طريق تأميم ما يسمى بالقمم المسيطرة .. ويستند التخطيط أساسا على قطاع عام كبير وقطاع تعاونى وكلاهما يمثل الملكية العامة . اما القطاع الخاص والرأسمالية الصغيرة فلا تعمل الا من خلال الخطة ، وبما يضمن عدم الانحراف عنها . ولكن الخطة تصبح مجرد ارقام على الورق ما لم تتوفر الديموقراطية المركزية حيث تتفاعل القيادة مع القاعدة وتكون الخطة تعبيرا عن هذا التفاعل الخلاق ، فتضمن بذلك المشاركة والتأييد والرقابة وفى النهاية النجاح فى تحقيق الاهداف .

ووقفت الطليعة الموقف المنتظر منها ضد الاستعمار والامبريالية والرجعية ، فكشفت تاريخ الاستعمار بكل سيئاته ، وبينت كيف سيطر على الاقتصاد المصرى والعربى خاصة عن طريق اعوانه ورجالاته ،وعن طريق بنوكه امناء الاستعمار ،وكيف حول الاقتصاد الى اقتصاد تابع يعمل فى خدمة الاقتصاد الاستعمارى ولمصالحه . وكشف عن النهب الذى كان بالنسبة لمصر ، والنهب الذى مازال بالنسبة للبلاد العربية بصورة تستنفر العرب ليهبوا — وعلى الاخص قوى الشعب العاملة — لتنقذ بلادها من الاستعمار الذى يعوق تقدمها ، وينهب ثروتها .

ولم تكن عملية تلخيص وعرض المقالات والتعليقات والندوات التى جاءت فى الطليعة خلال ثمانين شهرا بالعمل السهل فى نطاق الحيز المطلوب ، لكنه ايضا لم يكن بالعمل الصعب حيث سادت وحدة الهدف وتقارب الاساليب . ولقد دارت معظم الموضوعات حول العناوين الرئيسية التالية : ١ — **الاقتصاد والاشتراكية ٢ — التخطيط ٣ — التعاون ٤ — التعبئة الاقتصادية ٥ — البترول**

العربى ٦ ـ الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية ٧ ـ الاقتصاد الاسرائيلى . وتحت كل عنوان جمعت أهم الاتجاهات والافكار واختصرت المكرر منها وربطت بينها . فكل ما سيرد هنا من صنع كتاب الطليعة وهم أصحابه

الاقتصاد والاشتراكية

اوضحت المقالات كيف انتقلت البلاد ـ وهى تسعى الى التحرر ـ الاقتصادى وتنمية الموارد ـ من اقتصاد يتحرك وفقا لمصالح أجنبية وبرءوس أموال اجنبية متعاونا فى ذلك مع الرأسمالية الكبيرة والاقطاع الى اقتصاد مخطط يؤمن بأن الاشتراكية هى حتمية تاريخية . كما أوضحت المقالات الى أى حد تعرضت البلاد للنهب الاستعمارى قبل الثورة ، وكيف وقف الاستعمار متحديا فى مواجهة الثورة حتى تحقق لها النصر . وقد أثبتت التجربة أن رأس المال الخاص والاجنبى لا يشارك الا فيما يعود عليه بالربح الوفير والسريع . ولا يهتم بأعمال التنمية ان لم يكن ـ وهذا هو شان رأس المال الاجنبى ـ معيقاً لها . وبينت المقالات جميعها كيف أن الطريق الرأسمالى فى التنمية طريق مسدود (١) .

وتدور المقالات حول محاولة التعرف على القسمات الرئيسية للمجتمع الذى يحقق معدلا عاليا من النمو ، وهو ـ حينئذ ـ لابد وأن يكون مجتمعا رافضا للرأسمالية وسالكا الطريق غير الرأسمالى للوصول الى الاشتراكية (٢) .

اولا : لابد من القضاء على المصالح الاقتصادية الاجنبية والرأسمالية الكبيرة الكومبرادورية التى تتعاون مع الامبريالية وتعمل لحسابها . كما يلزم ضرب الاقطاع الذى يعيش معتمدا على حماية اجنبية والذى يستغل الفلاحين ابشع الاستغلال ويحقق فائضا ينفقه على الوان الاستهلاك المترف . وهنا تكشف المقالات كيف مارست الاحتكارات الاجنبية متحالفة مع الاقطاع والرأسمالية المستغلة استغلالها للكادحين ، وفى المحل الاول الفلاحين على مدار السنين . وكيف استولت الاحتكارات الاجنبية على جزء كبير من الدخل القومى ، فى شكل ارباح ذات معدل مرتفع زاد معها التبادل غير المتكافىء ، ثم كيف صدرتها الى الخارج ، وقد قدر ل . فريد مان الباحث السوفيتى الخسارة فى نسبة التبادل مابين ١٨٨٣ الى١٩١٤ وبين ١٩٢١ الى ١٩٣٨ بـ ٣٦٧ مليون جنيه ، وهو قدر يفوق رءوس الاموال الاجنبية (٣)

أما البورجوازية فقد استخدمت ما حققته من فائض فى الاستهلاك المترف ، وشراء اكبر قدر ممكن من الاراضى الزراعية ، غير عابئة بتدعيم قوى الانتاج القومى ـ كما أنها كانت ذات طبيعة طفيلية ، اذ هدفت الى تحقيق أقصى ربح احتكارى عن طريق سيطرة الاحتكارات على السوق ، وليس عن طريق تطور الانتاج . ومن هنا كان طابعها الطفيلى . وأخذ عبود كمثل انيضارب على اسهم شركاته ويجنى من وراء ذلك ارباحا طائلة على حساب صغار المدخرين . وشب صراع بين البورجوازية المصرية والامبريالية انتهى باستيلاء الرأسمالية الكومبرادورية على بنك مصر وذلك قبل الحرب العالمية الثانية (٤)

ثانيا : التخطيط واقامة الملكية الاشتراكية فى كافة فروع الاقتصاد القومى . كانت الرغبة فى التنمية بمعدل يفوق معدل الزيادة السكانية ، ويمكن معه اللحاق بالدول الاخرى التى اوصلت المجتمع الى التخطيط ثم التأميم ، وأوضحت المقالات ، كيف تعثرت الخطة بسبب كبر القطاع الخاص ، وسيطرة الرأسمالية الكبيرة على المواقع الاقتصادية الهامة حتى بعد تمصير ثم تأميم رأس المال الاجنبى . وكان من أبرز مظاهر افلاس الطريق الرأسمالى ، طريق المشروع الخاص فى ميدان التنمية الاقتصادية هو انخفاض وتدهور معدل تكوين رأس المال الثابت بواسطة المشروع الخاص . فقد هبط معدل تكوين رأس المال الثابت فى القطاع الخاص فى الفترة من ٥٣ ـ ١٩٥٦ ، بينما ارتفع نصيب القطاع العام فى تكوين رأس المال الثابت من ١٧ فى المائة فى السنوات الاربع السابقة على الثورة الى ٣٥ فى المائة فى السنوات الاربع التالية لها (٥) .

كما أن القانون الذى يحكم حركة الانتاج الرأسمالى (قبل تأميمات ١٩٦١) تناقض

---

(١) مفهوم وطريق الاشتراكية فى الميثاق ـ ميشيل كامل ـ يناير ١٩٦٥
(٢) التطبيق العربى للاشتراكية فى الواقع المصرى ـ د . فؤاد مرسى ـ يوليو سنة ١٩٦٥
(٣) المميزات العامة للتركيب الطبقى فى مصر عشية ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ـ د . جمال مجدى حسنين ـ ابريل سنة ١٩٧١
(٤) المصدر السابق .
(٥) أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية ـ عادل غنيم ـ يونيوسنة ١٩٦٦.

وتعارض مع التنمية ، لانه يستهدف تحقيق أقصى ربح احتكارى ، عن طريق سيطرة الاحتكارات على السوق ، لا عن طريق تطوير قوى الانتاج . واخذت تتحول قطاعات متزايدة من البورجوازية المصرية بعد سنة ١٩٥٧ من معسكر الثورة الى معسكر اعداء الثورة . واخذت تنمو التناقضات الطبقية والسياسية بين القوى الثورية التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، وتلك الاقسام من البورجوازية التى لها مصلحة فى استمرار الثورة . وكانت مؤامرة الانفصال عاملا على وضوح الرؤية بالنسبة للمضمون الاجتماعى للصراع القادم فى سبيل التنمية . وتكشفت الاهمية المتزايدة للتأميم ، لا باعتباره عامل رئيسى فى سبيل النجاح فى انجاز خطة التنمية عن طريق السيطرة على المواقع الاستراتيجية للاقتصاد القومى فحسب ، بل لكونه ضرورة يمليها الصراع الطبقى ، لانتزاع سلاح الرأسمالية الذى تستخدمه بدهاء ومثابرة فى سبيل المحافظة على مراكزها ومصالحها المتناقضة مع مصالح الجماهير : قوى الشعب العاملة (٦)

واستهدف التأميم احداث تغيير اساسى فى علاقات الانتاج ، حتى تزول التناقضات فى المجتمع ، ويرتقى معدل التنمية ، ويوزع فائض الانتاج الاجتماعى بشكل عادل . لهذا ارتبطت قوانين التأميم بخلخلة لمراكز الطبقات المستغلة فى الريف ، وبالقضاء على عوامل التفاوت والتفرقة فى المجتمع ، بتعديل الحد الاعلى للملكية فاصبح ٥ أفدنة للفرد ، ولقد غدا القطاع العام التجسيد المادى لانتصار النضال الوطنى حتى ضم اليه الجزء الاكبر من أدوات الانتاج ، مقتحما بذلك عصر الثورة الاجتماعية . ويعتبر القطاع العام ظاهرة وطنية واجتماعية معا ، فهو بداية لظاهرة استمرار الثورة وتطورها من ثورة وطنية الى ثورة ذات مضمون اجتماعى متعاظم ، واصبح قاعدة للتنمية ، فيقدم ٩٠ فى المائة من حجم المدخرات المستثمرة . وقاعدة اقتصادية حاسمة للتحول الاشتراكى ، يقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ويؤمن بمبدأ مشاركة العاملين فى الادارة وفى ثمار الانتاج ، وهو بالتالى اساس لتحقيق أمل الشعب فى تحولات اجتماعية جذرية (٧) .

ثالثا : التحذير من الاستعمار الجديد : وفى سبيل تحديد الاستعمار الجديد عرف بأنه استغلال التفوق التكنولوجى والسيطرة المطلقة على السوق العالمية والتحكم فى اقتصاديات البلاد المتخلفة ، من خلال هذا السوق . وهنا يرى الكاتب أن سبيل الدول المتخلفة هو تنمية الصناعة الثقيلة ، والتخلص من أشكال العلامات المشوهة التى فرضتها الامبريالية ، كما أنه يطالب بأن يكون التعاون مع الدول الاشتراكية وثيقا (٨)

ويحذر كاتب آخر العرب من السوق الاوربية المشتركة التى يعتبرها أداة الاستعمار الجديد . ويكشف عن محاولات هذه السوق للاستغناء عن البترول العربى ما امكن ، وتوزيع مصادر الطاقة المحركة ، والحصول على البترول بأرخص الاسعار . ويؤكد أن هذا الاتجاه يحتاج تنفيذه الى أمد زمن أطول ، الا أنه يشكل منحى معينا ، ينحاه هذا السوق بازاء مادة أساسية من منتجات البلاد العربية ، كذلك يكشف ان لدى السوق إتجاه لخفض أو الاستغناء نهائيا عن قمح سوريا وشعير العراق وتخفيض السوق الواردات من ارز مصر ، بسبب فرض ضريبة على الارز الوارد من الخارج ثم ينهى الكاتب هذه الفقرة محذرا من أن احد مكامن الخطر تتمثل فى محاولة الدول الاستعمارية استغلال التسهيلات داخل السوق المشتركة كضواغط سياسية واقتصادية على الدولة المستغلة الغنية (٩) .

وتتطلب معركة الشعوب العربية ضد الاستعمار الجديد أكثر من أى وقت مضى توحيدا للجهود الكفاحية فى كل البلاد النامية التى تقع فريسة للنهب الاستعمارى وللضغط الغربى الاقتصادى . والمعركة ضد الاستعمار الجديد ، هى آخر معركة يخوضها النظام الاستعمارى برمته على أرضنا العربية ، وهى أكثر ضراوة بما لا يقاس مع المعركة السابقة المكشوفة ضد الاستعمار القديم ، لان الكفاح الحالى هو فى الحقيقة كفاح ضد قوى استغلالية أكثر تسترا ، ضد عدو أكثر خفاء ، وذلك يلقى فى الواقع مسئوليات كبرى على عاتق القيادات الثورية للشعوب العربية (١٠) .

التخطيط

نال التخطيط من جانب الطليعة الاهتمام الاكبر ، وعلى الاخص فى سنتها الاولى . ولا غرو فقد كانت سنة ١٩٦٥ بداية خطة خمسية ونهاية الخطة الخمسية الاولى ، وأثير فيها كل قضايا التخطيط ومشاكله وايجابياته وسلبياته وما حققه

---

(٦) مفهوم وطريق الاشتراكية فى الميثاق — ميشيل كامل — يناير سنة ١٩٦٥
(٧) جمال عبد الناصر وطريق التحول الاشتراكى — د . فؤاد مرسى و د. محمد عجلان — نوفمبر سنة ١٩٧٠.
(٨) الاشكال الجديدة للاستقلال — محمد عبد الفتاح ابو الفضل — اغسطس ١٩٦٦ .
(٩) الاستعمار الجديد .. واقتصاد الوطن العربى — خيرى عزيز — مارس سنة ١٩٦٧
(١٠) المرجع السابق .

من نجاح وما اعترض طريقه من عقبات ، وقد اسهم في ذلك العديد من الكتاب ـ ومنهم اقتصاديين عالميين لهم خبرة عالمية بمشاكل التخطيط وفي الوقت نفسه يدينون بالاشتراكية العلمية وهما **اوسكار لانج وشارل بتلهيم** ـ في مناقشة الاطار النظري والعلمي للتخطيط ، والاطار العام والخاص • واتسمت المناقشات بالصراحة والوضوح والموضوعية •

عرف اوسكار لانج (١١) التخطيط بأنه « ضمان قدر من الاستثمار الانتاجي يكفي لرفع الدخل القومي ، بمعدل يزيد كثيرا عن زيادة السكان بحيث يرتفع الدخل القومي في المتوسط لكل فرد من السكان •• والعامل الحاسم هنا هو الاستثمار او بتعبير أدق الاستثمار الانتاجي • وينتج عن ذلك ان مشكلة تخطيط التقدم تقتضي ضمان قدر كاف من الاستثمار الانتاجي ، وبعد ذلك توجيه ذلك الاستثمار الانتاجي الى تلك السبل التي تكفل اسرع معدل لنمو قوة الانتاج للاقتصاد القومي » •

وبتلهيم (١٢) واضح تماما عند الكلام عن التخطيط وتعريفه • فهو يصر من البداية على ان الفروق الاساسية بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي ، او المتجه الى الاشتراكية ، لابد وان تنعكس على شكل التخطيط ومضمونه ، اذا استخدم المجتمعان اللفظة نفسها • ويرى أن المجتمع الذي يعتمد على القطاع الخاص الذي يحركه الربح في عملية التنمية لا تخرج عن كونها « برمجة » ولايمكن أن تقوم بدور حاسم في مجرى الحياة الاجتماعية .. أما المجتمعات التي تعتمد على القطاع العام ولا تركن الى السوق ، فهنا يقوم التخطيط • ويستهدف اشباع الحاجات الاجتماعية للجماهير • وأكد في تفرقته بين التخطيط الاشتراكي والرأسمالي أن المسألة لا تتوقف على أفكار ونوايا حكامه ، والقائمين بالامر فيه ، وانما بحسب تركيبه الاجتماعي الذي يتميز به ، وبحسب طبيعة الطبقات التي تقوم بالعمل بالدور القيادي فيه •

ويعرف التخطيط بأنه نشاط تنسيقي ، عن طريقه يحدد العاملون في بلد اشتراكي الاهداف التي يريدون بلوغها • كما أنه يضمن ـ من جانب آخر ـ تحقيق هذه الاهداف في أحسن الظروف الملائمة ، وذلك مع اعتبار القوانين الاقتصادية الموضوعية وأولوية مجال على آخر من مجالات التطور الجماعي • وقد وضع مجموعة من الشروط للتخطيط الاشتراكي :

اولا : التخطيط الاشتراكي لا يمكن ان يتم الا في اطار تركيب اجتماعي لايوجد فيه أناس يعملون واناس لايعملون، ولايوجد فيه مستغلون، وتكون وسائل الانتاج والتبادل الاساسية في أيدي المجتمع لا في أيدي الافراد •

ثانيا : وجود المقومات التي تتيح امكانية مشاركة الجماهير بشكل ايجابي في وضع وتنفيذ ومتابعة الخطة • وهنا يؤكد هو وغيره من الكتاب على ضرورة تهيئة الظروف الملائمة لاقامة ديموقراطية حقيقية ، ولاتاحة التداول الحر للافكار والاقتراحات • على ان تكون الجماهير مسلحة ايديولوجيا ، كما يؤكد على نشر الاشتراكية لانها اساسية في هذا الصدد •

كما يؤكد هو وغيره من الكتاب أن قضية التخطيط ليست قضية تكنيكية ، وليست قضية اقتصادية فحسب ، وانما هي قضية سياسية واجتماعية من الدرجة الاولى ، وتتطلب :

١ ـ اشراك الجماهير في وضع الخطة وتنفيذها •• وتلك وسيلة توفير أعظم استخدام للفائض الاقتصادي (١٣)

٢ ـ مشاركة التنظيم السياسي في جميع مراحل الخطة ، ولابد أن نحصل من الجماهير نفسها على أرائها وافكارها ومبادئها •

٣ ـ مصارحة الجماهير بالحقيقة حتى لاتقع ضحية للاشاعات •

٤ ـ وأوصى في الجانب التكنيكي على ضرورة تحقيق تنمية متكاملة لتوفير الكادر المؤهل لادارة الاقتصاد ، والانتقال من تخطيط الاستثمار الى التخطيط الشامل ، وضرورة اجراء حساب قومي يعتمد على الاساليب الاشتراكية ، ويجب الا يكون التخطيط الشامل تخطيطا لاهداف الاستثمار والانتاج ، بل يجب ان يشمل الاسعار والدخول النقدية •

التخطيط في مصر

وقد نالت الخطة المصرية على مدار الثمانين شهرا اهتماما من جانب الطليعة في تحليل وتقييم وتقدير الجهود التي بذلت في اعدادها وتنفيذها

(١١) النماذج الثلاث للتطور الاقتصادي المعاصر ـ أوسكار لانج ـ يناير سنة ١٩٦٥
(١٢) التخطيط الاشتراكي والتخطيط الرأسمالي ـ شارل بتلهيم ـ فبراير سنة ١٩٦٥
(١٣) كيف تشارك الجماهير في اعداد الخطة (تعليق) ـ د. اسماعيل صبري عبد الله ـ ابريل ١٩٦٦ •

وكان واضحا من ذلك التقييم ، والنقد الموضوعي أن الخطة حققت انجازات ضخمة ، واستطاعت أن تنقل البلاد من معدل متذبذب ومنخفض للنمو ، الى معدل يصل الى ٧ فى المائة سنويا • كما أبرزت الطليعة الدور القيادى الذى قام به القطاع العام فى تحقيق ٩٠ فى المائة من الاستثمارات التى بلغت فى متوسطها فى الخطة الاولى ٣٠٢ مليون جنيه سنويا بما يصل الى ١٩ فى المائة من الدخل . وقد لخصت المقالات الصعاب التى اقتحمتها الخطة فى النقاط التالية :

١ ـ سدت الصناعة حاجة الاستهلاك المحلى من السلع الاستهلاكية العادية •
٢ ـ اقتحمت بعض الاسواق الخارجية
٣ ـ تمكنت من القضاء على جانب من البطالة
٤ ـ تغيير العقلية الزراعية

اما السلبيات التى اعترضت طريق الخطة فيمكن تلخيصها فى النقط التالية : (١٤) •

على المستوى القومي :

١ ـ اعدت الخطة مكتبيا ولم يسبقها حصر دقيق وشامل للامكانيات ولا تعبئة للجماهير لتكون على وعى بأهدافها •

٢ ـ الاتحاد الاشتراكى لم يلعب دورا ايجابيا •

٣ ـ لم يصاحب الاجراءات تغييرا ثوريا وجوهريا فى أجهزة الدولة المختلفة •

٤ ـ التضييق على الحريات الديموقراطية للجماهير الشعبية وضعف تعبئتها ، وظهور تيار مكافحة الشيوعية ، وتخلف الوعى الاجتماعى والسياسى

٥ ـ توزيع المبالغ المخصصة للتراكم ما بين الانتاجى وغير الانتاجى فى غير صالح الانتاجى •

٦ ـ السوق السوداء التى تعتبر من اخطر الاسلحة التى تشرعها الرجعية فى وجه الثورة •

على مستوى الوحدة :

١ ـ التخطيط لم يكن ناضجا ، ومن الامثلة على ذلك نقص قطع الغيار

٢ ـ سوء توزيع المواد الخام ، ونقص بالذكر القطاع الخاص ، وكيف تتسرب المواد الاولية لغير المنتجين وعن طريق السوق السوداء •

٣ ـ مخلفات العقلية الفردية فى القطاع العام الصناعى وأثرها على اخفاء الحقائق عن الطاقة والمخزون •

٤ ـ الجهاز المصرى ليس من النضج ليقوم بمهمته فى عملية التنمية •

وعلاجا لهذه السلبيات اقترح رفع دور مساهمة الطبقة العاملة ، ضرورة وجود حزب ثورى ذو نظرية ثورية ، اطلاق الحريات الديموقراطية ، ورفع وتطوير المنظمات الجماهيرية ، وتحسين التعاون مع القوى الثورية فى الوطن العربى • وبالنسبة للشروط الاقتصادية فيلزم تعزيز دور القطاع العام ، وتوزيع واستخدام أمثل للدخل ، وأن تحتل الصناعة المركز الاول للتنمية ، اجراء تغيير ثورى فى اجهزة الدولة وتحويلها من جهات خاضعة لافكار البورجوازية الكبيرة وتقاليدها وللفئات الجديدة التى تنعم بخيرات المكاسب المحررة الى جهاز يخدم عملية التحويل الاجتماعى (١٥)

التعاون (١٦)

حملت الطليعة راية الدفاع عن التعاون باعتباره صورة من صور الملكية الاشتراكية • وانتقدت بصراحة الاخطاء وتقدمت بمقترحات للعلاج وفى كل تلك المراحل كانت مع التعاون ضد المؤامرات التى تحاك من حوله ، والتى تريد أن تفرغه من مضمونه ، ليصبح باخطائه سوط عذاب على الفلاح الصغير ، ويصبح باخطائه فى خدمة الفلاح الراسمالى • وقد وقفت الطليعة ضد كبار الفلاحين فى محاولتهم السيطرة على الجمعيات التعاونية عن طريق مجالس اداراتها ، وعن طريق المشرف الزراعى ، ووقفت الطليعة ضد محاولة كبار الفلاحين الاستفادة من القروض التى تقدم مجانا للفلاح الصغير الذى لا تزيد ملكيته عن خمسة افدنة ، وأسهمت فى حل هذه المشاكل •

وابانت كيف أن الملكية التعاونية فى النظام الاشتراكى لا توزع الارباح وفقا للقاعدة الرأسمالية ، ولا يتحقق فيها لرأس المال الا فائدة محدودة ، وتوزع الارباح على شكل خدمات اجتماعية وثقافية • وتوزع أرباح التعاونيات الانتاجية على العاملين حسب عملهم ، والاموال الاحتياطية غير قابلة للتجزئة أو التوزيع • وتوضع الجمعيات التعاونية فى خدمة الاشتراكية : النهوض بالانتاج الزراعى ، حل مشاكل عمال

(١٤) حسابات ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ فى التصنيع ـ عبد التواب سليمان ـ يناير سنة ١٩٦٦
(١٥) كيف نواجه خطر الانحراف البيروقراطى للمديرين ـ د . محمد عجلان ـ يناير سنة ١٩٦٥
(١٦) التعاون .. النظرية .. التطبيق ـ سبتمبر سنة ١٩٦٥

التراحيل والحرفيين ، تقوم بالتأمينات الاجتماعية للمزارعين ، وخدمات التأمين الزراعية كالتأمين على المحاصيل والماشية والقطاع التعاونى مطالب فى ظل الاشتراكية أن يراعى احكام الخطة الاقتصادية • ومن هنا أدت الاشتراكية الى خلق رابطة مستديمة بين الحركة التعاونيـة والدولـة بمقتضاها تشرف الدولة على توجيه القطـاع التعاونى بما يتفق وتحقيق اغراض التخطيط الاقتصـادى •

واوضحت الطليعة دور التعاونيات فى التطور غير الرأسمالى ، وركزت على الزراعة • وجاء فى ذلك : تطوير الزراعة وتحويلها من زراعة متخلفة الى زراعة متقدمة عالية الكفاءة ، تشكيل العـلاقات الاجتماعية التى تعد من اكثر المهام الحاحا فى كل البلاد النامية ، نظرا لاهمية الزراعة التى تعتبر المصدر الرئيسى لتراكم الموارد اللازمة لبنـاء اقتصاديات غالبية البلاد النامية • ولا يعنى ذلك استنزاف الفلاحين • ان النظرية المـاركسية اللينينية للطريق غير الرأسمالى للتطور ، تبدأ من حقيقـة ثابتة هى أن تطور المشروع الفردى أى تطور العلاقات الرأسمالية فى الزراعة ، لا يمكن أن يحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد النامية • كما لايمكن أن يكفل مستقبلا مأمونا لسكان الريف فى هذه البلاد • وهناك امكانيات تطوير الـزراعة على اسس اقتصادية واجتماعية تقدمية : أولها : تحويل الارض الى ملكية عامة ، أى ملكية الدولة ، وانشاء مزارع حكوميـة يعمـل فيها الفلاحـون • والثانى : انضمام الفلاحين معا ليكونوا جمعيـات تعاونية ، أو اقامة زراعة تعاونية حيث يحتفظ لكل فلاح بملكيته أوتسود شكل الملكية التعاونية للارض •

ولقد ثار نقاش فى مقالتين متتابعتين (١٧) حول الديموقراطية والحركة التعاونية ودافعت المقالة الاخيرة (١٨) دفاعا حارا عن الديموقراطية حتى فى فترة الانتقال • لان غير ذلك يعنى بالضرورة أن يظل جهاز الدولة الادارى لا تحالف قوى الشعب العاملة ـ اداة التغيـير الاجتمـاعى • وأن يبقى الاسلوب الادارى لا العمل السياسى والنضـال الطبقى لقوى الشعب العاملة سبيل التحـول الاشتراكى لبلادنا • وهذا يعنى عدم ثقة بالجماهير وبقدرتها على صنع الثورة ، اذا ما سلحت بالوعى والتنظيم الثورى • وقد أبرز الكاتب أن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر اعتذر فى خطابه بمجلس الامة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ من أنه كان مضطرا الى الاستعانة بجهاز الدولة الادارى لغيبة التنظيم السياسى • وأكد أننا لن نستطيع ان ننتقل آليا من المجتمع الراسمالى أو من الراسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية • كما أكد أنه لا يمكن أن يتم الانتقال من الرأسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ، وعن طريق نضـال الطبقة العاملة والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ، ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تغييرا كاملا •

الجمعيات التعاونية فى مصر

قبل الحرب كانت الجمعيات استهلاكية زراعية ، يسيطر عليها كبار الملاك • أما فى ظل الثورة فلقد اصبحت تضم صغار الفلاحين وأغراضها : تنظيم زراعة الأرض ، تسويق المحاصيل ، امـداد الاعضـاء بالماشيـة ورعايتها ، وامـدادهم بالالات الميكانيكية، مقاومة الافات الزراعية ، توفير البذور والتقاوى والاسمدة والعلف والسلف النقـدية لاغراض الزراعة ، الاشراف على العـلاقات الايجارية ، تطبيق نظام الزراعة المـوجهة ، التسويق التعاونى ، وعمل بطاقة جديدة للحيازة .

وقد نص القانون على ضرورة اشتراك المنتفعين الجدد فى جمعيات تعاونية ، تقوم بما يلزم من عمليات التمويل ؛ وتنظيم الاسـتغلال الزراعى وتوفير وسائل الزراعة وبيع وتسويق المحاصيل الرئيسية ، والعمل على تقديم مختلف الخدمات الزراعية والاجتماعية للتعاونيات الزراعيـة ، وبالرغم من أن هذا الشكل من التعاون الزراعى ، لم يصل الى مستوى المزرعة التعاونية الانتاجية التى تنظم التعاون فى كل نواحى الانتاج والعمل ورأس المال والتسويق وتوزيع الدخل ، الا أنها لا شك كانت بمثابة قفزة هامة بالنسبة للتعاونيات الائتمانية التى كانت قائمة قبل الثورة (١٩) •

ولخطورة الدور السياسى للملكية التعاونية فمن الضرورى العمل على تطوير العمل التعـاونى والتنظيمات التعاونية بما يكفل لها القيام بالدور الخطير الذى أسنده اليها ميثاق العمل الوطنى لتقوم المنظمات التعاونية بتحريك الجهود الانسانية فى الريف ، لمواجهة مشـاكله •• ولتصـبح

(١٧) التعاون الزراعى ـ سعيد الخيال ـ يناير سنة ١٩٦٦

(١٨) الديموقراطية .. والحركة التعاونية ـ عادل غنيم ـ

(١٩) المؤسسات الجماهيرية وحركة الجماهير ـ فتحى عبد الفتاح ـ مارس سنة ١٩٧١

التعاونيات بحق : الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد ، وتضع منسها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة ٠

ولم تستطع الجمعيات أن تلعب دورها ، بسبب الوقوف موقف التردد ازاء اعطاء صفة انتاجية كاملة للجمعيات التعاونية مع ما يتطلبه ذلك من تكييف شكل الملكية الفردية ٠ وبالرغم من كل هذا فمن الواضح أن شكل الملكية التعاونية لوسائل الانتاج وخاصة الارض هى المخرج الوحيد لاضفاء فاعلية حقيقية على العمل التعاونى ، وهو شكل يحافظ على الملكية الفردية من ناحية وأسس الانتاج والعمل الجماعى من ناحية اخرى (٢٠) ٠

وبالنسبة لاشراف الدولة علىالتعاونياتفالامر يتطلب اعدادا وخبرة واسعة ، وتطوير الاجهزة المشرفة على العمل التعاونى ، تحقيقا لاغراضه وأهدافه ، مع التضييق من دور المشرف ٠ بينما المفروض ــ نظريا ــ انيكونتدخلالدولةواشرافها مرتبط بمد الجمعيات التعاونية بعديد من الامكانيات الفنية والالية ، لزيادة فاعلية العمل التعاونى . تحول الاشراف التعاونى نتيجة للتراث البيروقراطى الضيق فى تعامل أجهزة الدولة مع الفلاح ، الى قيد على العمل التعاونى نفسه ، مما أفقد الكثير من الفلاحين الثقة فى تعاونيات الائتمان الزراعى ، وأفقدهم الحماس الضرورى لدفع العمل التعاونى ٠ ولم يوفق الى ايجاد مجالس ادارة قوية وفعالة ، والامل معقود على الاتحادالتعاونى المركزى. ويجب انيفرقعندتقديم الخدمة بين الفلاح الكبير والفلاح الصغير ، كما يجب أن يطور التعاون بحيث يوفر امكانيات لزراعة مساحات كبيرة .

التعبئة الاقتصادية

اذا كاناقتصاد السلم يهدفاساسا الى اشباع الحاجات الاجتماعية فى المجتمع الاشتراكى ، فيهدف اقتصاد الحرب فى المقام الاول الى تحقيق النصر ٠ ومن ثم يصبح المجهود الاقتصادى أساس المجهود الحربى ، ويتعين الاسراع فى بناء هذا الاساس ليخدم أهداف حرب التحرير فى المرحلة الحالية ، ثم يصبح خادما لاهداف التطوير عندما يصبح (فيما بعد) المشكلة الاساسية . والهدف العريض اذن لاقتصادنا هو التطور الاقتصادى من خلال حرب التحرير . وذلك يستلزم بالدرجة الاولى وضوح الهدف وبلورته وتعبئة النشاط الاقتصادى لتحقيقه ، وهذا ما يجعل اقتصاد الحرب اقتصادا مخططا بطبيعته ، مما يستلزم وجود جهاز تخطيطى قادر وخاصة على مستوى المركز حيث تستلزم حالة الحرب درجة أكبر من المركزية (٢١) ٠

ان نقطة البدء فى اقتصاد الحرب ، هى اننا نواجه معركة طويلة ضارية ، العدو فيها هو الامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة ، والاداة المباشرة فيها هى اسرائيل ، التى تمثل أوقح صور العمالة فى خدمة الاستعمار الجديد والقديم ٠ وتحتل جزءا من أراضينا وتستولى أو تعطل بعضا من مواردنا الطبيعية والبشرية (٢٢) ٠

وعند الكلام عن العلاقة بين الكليات الاقتصادية ودعائم السياسة الاقتصادية فى اقتصاد الحرب ، أوضح أن الامر يستلزم زيادة الانتاج والحد من الاستهلاكوزيادة ايراداتالدولة ،وانقاص الانفاق العام ، وتحقيق استقرار الاثمان وقيمة النقود وتنظيم تجارة الجملة ونصف الجملة ٠ واتباع سياسة تدريجية لتنظيم القطاع الزراعى ٠ وتهدف الزيادة فى الانتاج ، الى زيادة الجزء من الفائض الاقتصادى اللازم لمواجهة احتياجات المجهود الحربى فى الداخل ، ولزيادة الصادرات لمواجهة احتياجات الحرب من الموارد المستوردة والمستلزمات العادية للجهاز الانتاجى ٠

ويطالب الجميع بالتعبئة العامة الشاملة وخاصة للفلاحين ، لضمان تعبئة الفائض الاقتصادى ٠ والتركيز على نوعين من الاجراءات لتعبئة الفائض الزراعى لخدمة الحرب التحريرية : النوع الاول يتمثل فى الاجراءات الاقتصادية من سياسة تجارية الى سياسة مالية ، ضريبة واحدة أو ضريبتين ، احداهما على الايراد الناتج من ملكية الارض الزراعية ، والثانية من الاستغلال الزراعى ، وتكون كلاهما تصاعدية ٠ والنوع الثانى يتمثل فى مجموع الاجراءات التى تستهدف التعبئة السياسية والوطنية لجموع الفلاحين وهناك أهمية لتعبئة الفلاحين سياسيا ، واشراكها اشراكا فعليا فى المعركة كجماهير واعية ٠

(٢٠) المصدر السابق .
(٢١) حول اقتصاديات حرب التحرير ــ د . محمد دويدار ــ اغسطس ١٩٦٧.
(٢٢) مهام التحول الى اقتصاد حرب ــ د . فؤاد مرسى ــ يوليو ١٩٦٧.

والقضـــاء على الامية في الريف ، ولابد ونحن نتحرك بهذه الصورة أن نعى أن نجاح الاجراءات اللازمة في الريف رهينة باتخاذها في جو من الثورية ، وليس في جو من البيـروقراطية والتعقيد (٢٣) .

وعند الكلام عن تخطيط التجارة الخارجية في اقتصاد الحـرب ، أوضح المقال انه من الضرورى الاخذ بأشكال فعالة للتعاون الاقتصادى الدولى مع الدول الصديقة في ميدان الانتاج وليس فقط في مجال التبادل . ويمكن أن يجنبنا هذا الاسلوب من التعاون الكثير من الاختناقات ، ويعزز امكانيات كسب الحرب والمضى فى التنمية . وهنا تركيز على سـياسة احـلال الواردات بدلا مـن زيـادة الصادرات ، لان ذلك يؤدى الى وقوع البلاد في قبضة الدول الاستعمارية ، كما تزيد من حساسية الاقتصاد القومى . وهذا لا يعنى اهمـال الصادرات . وتنتهى المقال بأنه يمكن التوفيق بين الاعتبارين ، وهو احـلال الواردات وزيـادة الصادرات ، وذلك باتباع اسـتراتيجية احلال الواردات بالنسبة لبعض السلع الرئيسية التى تستورد من البلاد المؤيدة للعدوان ، واتبـاع استراتيجية تنمية الصادرات بالنسبة لصناعات تصدير يمكن توجيهها للبلاد الصديقة ، واشار الى التعاون الاقتصادى الدولى المتمثل فى اتفاقيات الحصص ، الانتاج المشترك ، اتفاقيات التجارة والدفع طويلة الاجل (٢٤) .

ان تهيئة البلاد للحرب فى مثل هذه الظروف لا يعنى الاختيار بين التنمية واقتصاد الحرب ، وانما يعنى توجيه التنمية والانتاج لصالح المجهـود الحربى . وعلى العكس من ذلك فان هـذه الظروف ، بما تثيره من حماس للقضية الوطنية والقومية ، تعتبـر أنسـب الظروف لمواجهـة التضحيات الضرورية لمعالجة المشاكل التى تواجه اقتصادنا الذى نضعه مرة أخرى على طريق النمو والتقدم . وتسمح بالتالى بعد انتهاء معركة تحرير الارض المحتلة بمواصلة النضال من أجل تحقيق الرفاهية والتقدم . ان تحقيق الاقتصاد النهائى على اسرائيل يتطلب اذن تحقيق دولة عربية عصرية متطورة ، قادرة على المواجهة الاقتصادية ، وقادرة على القضاء على النفوذ الاستعمارى فى المنطقة ، وتحقيـق الاسـتقلال الاقتصـادى والتطـور الاجتماعى (٢٥) .

البترول العربى

يلعب البترول العربى دورا كبيـرا فـى اقتصاديات بعض الدول العربية . كما يلعب دورا متعاظما يزداد تأثيره على اقتصـاديات الـدول الاوروبية والامريكية والاسيوية . وتكشف مقالات الطليعة عن هذا الدور ، كما تفضح الارباح غير المقبولة التى تحصل عليها الاستثمارات الاجنبية وعلى الاخص الامريكية حيث تصل نسبة الارباح الى رأس المال فى المتوسط ٨٥ فى المائة ، فى الوقت الذى لا تزيد فيه عن ١٣ فى المائة فى البلاد الاخرى (٢٦) . كما أنها تبين المخطط الاستعمارى فى نهب هذه الثروة واستنزافها مع حـرص الامبريالية الامريكية على الا تستفيد البلاد المنتجة للبترول الا فى أدنى الحدود . كما تحرص على عدم اقامة الصناعات المرتبطة بالبترول كصناعة التكرير ، والصناعات البتروكيماوية . كما تبين كيف تسـاعد موارد البترول على تحسين مراكز موازين المدفوعات فى الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة .

وقد قامت منظمة الاوبك بدراسة حول ثمن برميل البترول تكشف عن الاستغلال ، واتضح منها ما يأتى : متوسط تكلفة انتاج البرميل (فى دول الاوبك) ٢٨,٥ سنت ، متوسط سعره الى الدول المستهلكة ٦٨ سنتا ، متوسط تكلفة تكرير البرميل ٣٥ سنتا ، متوسط تكلفة التـوزيع والتسويق ٢٧٩ سنتا ، صافى ربح الشركة المنتجة ٦٨ سنتا ، متوسـط عائد الدول المنتجة ٨٥,٣ سنت ، متوسط الضرائب على برميل البترول ٥١٠ سنتا . نتيجة لذلك يدفع المستهلك الاوربى ثمنا لبرميل البترول ١٠ دولارات ، وحوالى أربعـة وسبعون سنتا ، بينما لا تحصل الدول المنتجة منها الا على ٨٥ سنتا (٢٧)

ويزداد الغبن على البلاد العربية اذا ما اخذنا فى الاعتبار انخفاض تكاليف البترول الخام فيها عنها فى أى بلد آخر من دول العالم :

---

(٢٣) الزراعة واقتصاد الحرب ـ فؤاد الدهان ـ سبتمبر سنة ١٩٦٧
(٢٤) العلاقات الاقتصادية الخارجية فى مواجهة الحرب ـ د . الفونس عزيز ـ مارس سنة ١٩٦٨
(٢٥) الحرب والتنمية ـ د . ابراهيم سعد الدين ـ ديسمبر سنة ١٩٦٨
(٢٦) البترول فى خدمة التطور السياسى والاقتصادى للوطن العربى ـ د . امين حافظ ـ يناير سنة ١٩٦٥
(٢٧) معركة الاوبك وشركات البترول ـ ولماذا حتمية انتصار الدول المنتجة فيها ـ مارس سنة ١٩٧١

تكاليف البرميل بالسنت : الولايات المتحدة ١٧ ، فنزويلا ٦ر٥ ، ليبيا ٢ر٢ ، الجزائر ٣ر٩ ، نيجيريا ٢ر٧ ، ايران ١ر٠ ، العراق ١ر٢ ، الكويت ١ر٨ ، السعودية ١ر٥

وناقش أكثر من مقال كيف أن الدول العربية لا تستفيد من بترولها الفائدة الكافية ، فمعظمه ينقل خاما ، والمصافى الموجودة قليلة ، وتستهدف الشركات الاجنبية الابتعاد عن البلاد العربية حيث تستحوذ اوروبا على ٥٠ فى المائة من هذه المصافى ، وحتى شرط اقامة مصاف تعالج مابين ١٥ الى ٣٠ فى المائة من الانتاج التى أخذت بها فنزويلا لم تطبق فى البلاد العربية · وبين كيف ان عملية التصافى توفر مجالات عمل بنسبة أكبرمن استخدام البترول الخام · ففى الوقت الذى يبلغ انتاج الفرد من البترول الخام فى اليوم ٢٠٠٠ طن يصل الى ٥٠ فى المصفى . والمسألة هنا هى انشاء مصاف فى البلاد العربية واقامة صناعات بتروكيماوية ، وانشاء اسطول لنقل ورفع اسعار النقل بالانابيب ، ذلك هو الضمان لاستفادة العالم العربى من بتروله ·

وعند الكلام عن التخطيط لمستقبل البترول العربى برزت خمسة مشاكل فى طريق التأميم وهى : اختلاف الرأى بين الدول العربية ، ضخامة رأس المال المستخدم فى البترول ، ندرة الكادر الفنى الادارى ، عدم توفر وسائل النقل ، مشاكل التسويق · وتحدد كمهمة عاجلة اقامة معهد للبترول العربى ، تكوين شركات عربية للتنقيب عن البترول واستخراجه ، وأخرى لنقل البترول (٢٨) · وفى النهاية « لابد من رسم سياسة بترولية تلائم مصالحنا الوطنية فى مختلف مراحل الانتاج والتكرير وتحديد الاسعار والنقل وانشاء الصناعات البتروكيماوية ، الصناعات الاخرى المتفرعة عن صناعة البترول والغاز او المكملة لها .

الوحدة الاقتصادية

تعتبر الوحدة الاقتصادية ضرورية فى عالم التكتلات لمواجهة هذه التكتلات من ناحية ولتوفير الاسواق اللازمة للصناعات ، ولتحقيق التنمية السريعة للمنطقة · ومن الرأى ان الوحدة لن تتحقق الا فى اطار اشتراكى . وتتمثل الوحدة من واقع قرارات مؤتمر الاقتصاديين العرب الثانى المنعقد فى بغداد فى الفترة من ٨ الى ١٣ مارس سنة ١٩٦٩ (٢٩) فى :

ا ــ تكامل عناصر انتاج الصناعة على المستوى القومى ب ــ التنسيق الصناعى بين البلاد العربية · جـ ــ التنسيق الصناعى على المستوى القومى للتغلب على التفاوت · د ــ التعاون المشترك بين الاقطار العربية ·

وتهدف الوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة الى حرية انتقال الاشخاص ورءوس الاموال ، حرية تبادل البضائع والمنتجات ، حرية الاقامة والعمل ، حرية النقل والترانسيت ، حرية التملك والهبة · ويلزم لتحقيق هذه الاهداف انشاء منطقة جمركية واحدة ، توحيد سياسة التصدير والاستيراد ، توحيد انظمة النقل والترانسيت ، عقد اتفاقات تجارة ، تنسيق السياسات المختلفة ، تنسيق تشريع العمل والضمان الاجتماعى ، تنسيق السياسات المالية والنقدية والتشريعات الضريبية (٣٠) .

وأهم احكام السوق المشتركة هى : تثبيت القيود ومختلف الرسوم ، الغاء الرسوم على المنتجات الوطنية ، اعفاء المنتجات الزراعية ، تخفيض الرسوم الجمركية ، تحرير تبادل المنتجات · وبالنسبة للتنسيق الصناعى يقوم مركز التنمية الصناعية للدول بدراسات جادة فى هذا الموضوع .

ويرى الكاتب ان تنسيق الانتاج والاستثمار هو جوهر التعاون الاقتصادى الاقليمى ·

وفى هذا الصدد يلاحظ ما يأتى (٣١) :

● ما اتخذ من قرارات حتى الان بخصوص انشاء السوق لم يتعد بعد مرحلة انشاء منطقة تجارة حرة ·

● وحتى الجهود التى بذلت فى مجال تنسيق السياسة الجمركية ، من اعفاءات وتخفيضات متدرجة لم يظهر لها بعد اى اثر على تنمية التبادل التجارى بين البلاد العربية . بل أظهرت

---

(٢٨) التخطيط لمستقبل البترول العربى ــ د . اسماعيل صبرى عبد الله ــ مايو سنة ١٩٦٥
(٢٩) مؤتمر الاقتصاديين العرب الثانى ــ تقارير الشهر ــ ابريل سنة ١٩٦٩
(٣٠) نقطة الانطلاق .. نحو تعاون اقتصادى حقيقى بين البلاد العربية ــ د . الفونس عزيز ــ يوليو سنة ١٩٧٠
(٣١) المرجع السابق .

بعض الدراسات ان حجم التبادل لم ينخفض فقط بين البلاد العربية بشكل عام، بل انخفض ايضا حجم التبادل التجارى الخاص ببعض المجموعات السلعية، التى تقرر تحريرها من القيود الجمركية، بعد سنة ١٩٦٥ بالمقارنة بما كان عليه الوضع قبل ذلك التاريخ .

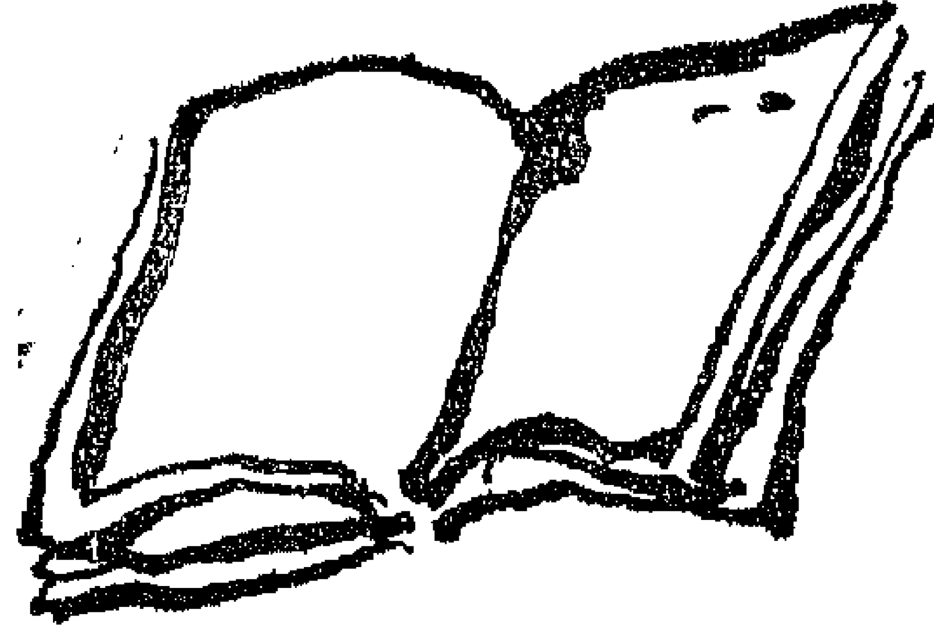
● لا يمكن فى الواقع البدء بالتنسيق بين تيارات التجارة الخارجية لتحقيق النتائج المرجوة الا اذا سبقها تنسيق بين خطط الانتاج وانماط الاستثمار . ولا يخفى الكاتب صعوبة ذلك حتى بالنسبة للبلد الواحد .

الاقتصاد الاسرائيلى

كشفت الدراسات والمقالات والتعليقات التى تناولت هذا الموضوع ان الاقتصاد الاسرائيلى ذو طابع طفيلى . وتتزايد فيه القيمة المطلقة للعجز فى ميزان المدفوعات، رغما عن زيادة نسبة الصادرات الى الواردات، التى تراوحت من ١٤ فى المائة سنة ١٩٥٠ الى ٤٢ سنة ١٩٥٨ الى ٤٨ فى المائة سنة ١٩٦١ مع تزايد العجز من ٢٨٢ الى ٣٢٣ ثم ٣٧٥ مليون دينار على التوالى . ويعتبر الاقتصاد الاسرائيلى اقتصاد غير منتج، فالزراعة لا تمثل الا ١٨ فى المائة قوى عاملة و ١١ فى المائة من الدخل، والصناعة ٢٢ فى المائة قوى عاملة، و ٢٢ فى المائة من الدخل، والبناء ١٠ فى المائة قوى عاملة و ٧ فى المائة من الدخل، والخدمات ٥٠ فى المائة قوى عاملة و ٥٩,٥ فى المائة من الدخل . وتعتمد فى علاقاتها التجارية على الولايات المتحدة بالدرجة الاولى، حيث تبلغ صادراتها ١٥ فى المائة ووارداتها منها ٢٩ فى المائة ثم تليها دول أوربا الغربية حيث تبلغ صادراتها اليها ٥٥ فى المائة ووارداتها منها ٢٦ فى المائة (٣٢) .

وتعتمد اسرائيل على الاغتصاب من حروبها التوسعية . وقد حصلت بهذه الطريقة على مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية، وتعتمد على المعونات، وهى من نوعين غير مستردة وتبلغ ٣٧٠٦ مليون دولار، وقروض واستثمارات وتبلغ ٢٢٥٦ مليون دولار، اى باجمالى ٧ آلاف مليون دولار بعضها جاء من المؤسسات المالية ذات الطابع الاحتكارى ويمثل رأس المال الامريكى ٦٠ فى المائة (٣٣) .

واقتصاد هش وتابع بهذه الصورة لا يمكن الا أن يكون فى خدمة الامبريالية وتابع لها، ومنفذ لسياستها سواء كانت تسللا كما هو الحال فى الدول الافريقية وغيرها أو حربا واغتصابا كما يحدث فى البلاد العربية (٣٤) .



---

(٣٢) اقتصاديات اسرائيل واجهه مدنية لمؤسسات عسكرية — سعد زهران — مايو سنة ١٩٦٦
(٣٣) خريطة الاقتصاد الاسرائيلى — أحمد صادق سعد — يناير سنة ١٩٧١
(٣٤) المصدر السابق .



• الجمهورية مصر العربية •

القرار الحاسم يعنى
أولا الحسم مع أنفسنا

• الخليج العربى •

العالم العربى
يواجه عدوانا جديدا

• السودان •

اتفاقيات وعلاقات
اقتصادية جديدة

• فرنسا •

برنامج الحزب الشيوعى
من أجل حكومة ديمقراطية

• كوبا •

انهيار أسوار
العزلة حول كوبا

■

تقارير خاصة :

(١) الحساب الختامى لوصفى التل
(٢) الحرب بين الهند وباكستان

■ جمهورية مصر العربية ■

« القرار الحاسم يعنى أولا الحسم مع أنفسنا »

قبيل اعلان الرئيس **السادات** لقرار مصر بالقتال لتحرير الارض وتحقيق السلام — اذاعت الامانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى بيانا سياسيا للشعب — استعرضت فيه حقائق الموقف السياسى على ضوء حصيلة جهود اربعة سنوات من العمل المضنى على كافة الجبهات والمستويات ، وأعلنت للشعب « أن محاولات السلام لم تحرك القضية قليلا ولا كثيرا وان الامة مدعوة الى أن تتحمل مسئوليتها التاريخية »

وابرزت أمانة اللجنة المركزية فى بيانها للشعب سبعة عناصر اساسية يتشكل منها اطار الموقف السياسى الراهن :

١ — ادانة العالم كله ممثلا فى الامم المتحدة للعدوان الاسرائيلى

٢ — الجهود التى بذلتها مصر للوصول الى حل سياسى

٣ — جهود اسرائيل لعرقلة مهمة يارنج ، ورفضها تنفيذ قرار مجلس الامن

٤ — دور الولايات المتحدة فى محاولة احتكار أو احتواء الجهود المبذولة للوصول الى حل سلمى مع استمرار تزويدها لاسرائيل بكل ما من شأنه أن يدعم عدوانها واحتلالها للاراضى العربية ودفعنا الى الاستسلام ، والرضا بالهزيمة .

٥ — موقف الاتحاد السوفيتى من الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى

٦ — رفض مصر رغم كل الضغوط قبول حلول جزئية لا تكون جزءا من برنامج زمنى لتحقيق الانسحاب الكامل المنصوص عليه فى قرار مجلس الامن

٧ — رفض مصر التخلى عن اى قدر من الحق العربى أو حق الشعب الفلسطينى

ودعت الامانة العامة للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى ختام بيانها — كافة القيادات السياسية والشعبية والتنفيذية واجهزة الاعلام ببذل جهد مكثف وصدر يعمق فى وجدان الجماهير النقاط الجوهرية فى الموقف الراهن مؤكدة « ان الخلافات أو الاختلافات فى المجالات الفكرية لا تحول ولن تحول دون قيام تعاون وطيد ومشترك بين مختلف الاتجاهات وهذا درس التاريخ وطنيا وقوميا ودوليا » .

وفى اطار التحرك السياسى عقدت الامانة العامة للجنة المركزية سلسلة من الاجتماعات الموسعة مع أعضاء المجلس التنفيذى لاتحاد العمال ورؤساء النقابات العامة ومع أعضاء مجالس ادارات النقابات العامة ثم اجتماع ثالث مع اعضاء اللجان النقابية ثم رابع مع مجالس ادارات النقابات المهنية

وحضر الامين العام **عبد السلام الزيات** وأعضاء الامانة العامة عدة مؤتمرات شعبية — وفى كل هذه الاجتماعات قدمت الامانة تحليلها للموقف السياسى وتقييمها للمرحلة الحالية مؤكدة على ان « اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية يقومان الآن بحملة تضليل واسعة لايهام العالم باننا نحن الذين نريد الحرب وهم الذين يريدون السلام ولفتح الطريق لمزيد من الاسلحة الامريكية لتكريس الاحتلال الاسرائيلى ، وان « اسرائيل مستندة الى التأييد الواسع من الولايات المتحدة الامريكية تريد أن تعيد شريعة الغاب وان تعيد عصر الاستعمار والاحتلال الاجنبى لاراضى الشعوب الاخرى »

وركز الامين العام فى كلماته على أهمية وحدة وتماسك الجبهة الداخلية « فالقوات المسلحة سلاحنا الاول فى المعركة لابد وأن تعمل ومن خلفها قوة شعبية واعية ومنظمة، وقادرة فى جميع الاوقات على صيانة الجبهة الداخلية وعلى تأكيد ارادة الصمود تحت كل الظروف — وحذر عبد السلام الزيات « من أن العدو سيحاول ان ينال من جبهتنا الداخلية وسيضرب بعنف لينشر بيننا الخوف والفزع — ولكنه أكد أن العدو لن ينال من صلابة جبهتنا الداخلية واننا سنكيل له الضربة ضربات وان المحنة ستزيد تماسكنا »

وعلى مستوى العمل التنظيمى — أقرت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى خطة العمل التى قدمها الرئيس **أنور السادات** — بعد مناقشة اشترك فيها ٣٠ عضوا يمثلون مختلف المستويات والمراكز والقوى الاجتماعية المشتركة فى تحالف قوى الشعب العاملة — وأكدت اللجنة فى قرارها انه لا تفريط فى شبر من أرض مصر أو أى أرض عربية محتلة ، أو المساومة على حقوق شعب فلسطين .

وأعلنت اللجنة المركزية « ان القرار الحاسم فى الموقف يعنى أولا وقبل كل شىء الحسم مع أنفسنا ، بضرورة ممارسة حقنا المشروع فى استخدام جميع الوسائل لتحرير الارض واننا يجب أن نشكل كل أجهزتنا وعلاقاتنا بما يخدم معركة التحرير داخليا وعربيا ودوليا — متيقظين كل اليقظة لمسئولياتنا تجاه العدل والسلام فى الشرق الاوسط » .

وفى اجتماع **الرئيس السادات** مع الامانة العامه وامناء المحافظات — تقرر اعتبار كل لجنة

من لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى لجنة للمعركة — على ان يضم اليها كل العناصر التى ترى اللجنة ضرورة الاستفادة بخبراتها مع فتح باب التطوع لجميع أعضاء الاتحادالاشتراكى بالوحدة للانضمام لعضوية اللجنة لخدمة المعركة .

وقد تقرر أن تكون لجنة المعركة على مستوى المحافظة مشكلة من لجنة المحافظة للاتحاد الاشتراكى وينضم اليها امناء لجان المراكز أو الاقسام واعضاء اللجنة المركزية عن المحافظة وممثلون عن الشباب والتنظيم النسائىوالنقابات المهنية والعمالية والجمعيات التعاونية وممثلون للاتحادات الطلابية وجمعية النقل بالسيارات .

أما فى الوحدة الجماهيرية فتشكل لجنة المعركة من لجنة وحدة الاتحاد الاشتراكىومجلس ادارة المؤسسة الجماهيرية — ومجلس ادارة اللجنة النقابية بالمؤسسة ورؤساء الاقسام الانتاجية بالوحدة وممثلة للنشاط النسائى

وفى اتجاه اعداد الدولة للحرب،تم اتخاذ عدد كبير من الاجراءات استهدفت فى الاساس — تخطى المركزية والروتين وتوفير كافة متطلبات مواجهة المعركة .

وقد أعطى الرئيس السادات المحافظين — كل المسئولية والسلطات للتصرف فى ميزانية المحافظة دون الرجوع الى المركزية لمواجهة كافة المطالب التى تحتاج اليها المعركة داخل المحافظة .

ويشكل كل محافظ بالاشتراك مع امين الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة مجلس حرب لمحافظتهما ولهما اتخاذ الاجراءات اللازمة لاعداد خطط الدفاع المدنى والشعبى طبقا لمتطلبات المعركة — واقترن ذلك بدراسة الموقف بالنسبة للمخزون الاستراتيجى من كل سلعة وبشكل خاص المواد التموينية والبترولية وذلك لاستكمال اى نقص .

وتم تعيين مسئول عن الدفاع المدنىوالشعبى بكل محافظة لديه سلطات كاملة لحماية المرافق العامة والنهوض بها ومواجهة أية طوارىء .

كما تم تعيين وكيل مسئول من وكلاء كل وزارة لمتابعة خطة الوزارة وتم تفريغ نائب لمأمور كل قسم أو مركز للدفاع المدنى

وقد تم أجراء حصر شامل لجميع المواطنين الذين سبق تدريبهم على خدمات الدفاع المدنى لإعادة التدريب على مستوى متخصص — كما تتجه النية لاختيار نوعيات اقدر من المتطوعين تستطيع استخدام المعدات الحديثة التى لم يسبق استعمالها — كما يتم لاول مرة توعية المتطوعين بكل الحالات النفسية التى تنتاب الناس اثناء الغارات حتى يمكن لمتطوع الدفاع المدنى أن يحتويها فلا تتحول الى تصرفات ضارة

وبدأ فى خمس محافظات (**القاهرة — الاسكندرية — الغربية — الجيزة — أسيوط**) تدريب طلاب المدارس الثانوية — أما فى الجامعات فقد تم تعيين مدير للتربية العسكرية بكل جامعة ، وسوف تختلف برامج التدريب فى الجامعات من كلية لاخرى حسب التخصصات .

وأعلن **ممدوح سالم** وزير الداخلية أن الشرطة سوف تتعاون مع قيادة الدفاع الشعبى بتدريب ١٢ الف طالب تدريبا عسكريا الى جانب تدريبهم على أعمال الدفاع المدنى حتى تتكون منهم قوة احتياطية تضاعف صمود الجبهة الداخلية

وفى **بور سعيد** تقرر فتح باب التطوع للموظفين والعاملين المستبقين بالمدينة لانشاء « قوة حماية الشعب » على أساس غير متفرغ ويطبق على المتطوعين جميع الميزات المقررة لرجال القوات المسلحة والدفاع الشعبى بشأن المعاشات والتعويض اثناء الحرب

هذا وقد صدر قرار جمهورى باعتبار أى اصابة لاحد المتطوعين فى فرق الدفاع المدنى اصابة حرب يعوض عنها

وبدأت كافة التنظيمات الشعبية والمساعدة تحرك بين قواعدها على ضوء خطط تمتدراستها وتنسيقها فى اطار الخطة العامة التى وضعتها الامانة العامة للجنة المركزية .

وتضمنت خطة **الاتحاد العام للعمال** — تشكيل لجان لقيادة وتنفيذ واجبات العمال فى خدمة المعركة على مستوى الجمهورية وتتلخص هذه الواجبات كما حددتها الخطة — فى استمرار العمل من أجل زيادة الانتاج وتحسين نوعهوالحد من الاستهلاك وتحقيق الاستخدام الامثل للمواد والخامات والاسراع فى اصلاح الاعطالوالتعاون مع ادارة المنشأة فى وضع وتنفيذ الخطط البديلة للانتاج فى حالة تعرض المصنع للعمليات العسكرية .

كما تتضمن خطة **اتحاد العمال** واجبات محددة فى مجالات الدفاع المدنى ومواجهة الحرب النفسية والتبرع بالدم ورعاية المصابين من العمال وأسر الشهداء — كما تقرر تشكيل لجنة فى كل مؤسسة لرعاية أسر المجندين من ابنائها .

وبدأ **الاتحاد العام** فى عقد سلسلة من المؤتمرات فى مختلف المحافظات ومناطق التجمع العمالى — لتوعية الجماهير العمالية بابعاد المعركة .

كما قرر **المجلس التنفيذى لاتحاد العمال** اعادة تشكيل مجلس ادارة « صندوق التضامن العمالى » لرعاية العمال واسرهم فى المعركة، كما سيحدد انصبة النقابات واللجان النقابية فى ميزانية هذا الصندوق الذى كان قد انشىء فى

اعقاب العدوان الاسرائيلى على مصنع أبى زعبل عام ١٩٦٩ .

وأعدت **أمانة الفلاحين** باللجنة المركزية خطة شاملة للتدريب فى المجال التعاونى والتوعية الفكرية للعاملين فى مجالات الدفاع المدنى والشعبى اثناء التدريب

وقررت **أمانة الشباب** تشكيل فرق من الشباب للخدمة العامة كل فرقة من ٤٠ شابا للمشاركة فى أعمال صيانة الطرق والكبارى وتوصيلات المياه وفرق أخرى بالوحدات الانتاجية تتولى مهمة المحافظة على وحدات الانتاج وتنفيذ خطة الطوارىء وقت الحرب .

ودعت **أمانة المرأة** الى انشاء لجان لرعاية أسر المقاتلين والمهجرين والدفاع المدنى الذى يتناسب مع النساء كالاسعاف والتمريض . ولجنة للمشاركة فى العناية لمعيشة الجنود ونظافة المستشفيات وأخرى لقضاء مصالح الجرحى

وقرر مجلس الشعب أن يعمل كمجلس حرب مركز على حل مشاكل الجماهير ويتجه المجلس الى سرعة اصدار التشريعات الخاصة بالمعركة والتشريعات الخاصة بالقضاء على الروتين ، وسوف يركز المجلس جهوده على اصدار التشريعات التى طال انتظار الجماهير لها وفى مقدمتها قانون العمل وقانون الاجراءات الجنائية والقانون الجنائى والقانون التجارى وقانون التعاون الزراعى والتسويق التعاونى ، والعمال الموسميين .

وقررت **نقابة المحامين** أن تقوم بعقد اجتماعات جماهيرية تتخللها عروض سينمائية حول الحرب وتطورات الاحداث

ويشترك **رجال الدين** فى توعية الجماهير بواجباتهم فى المعركة وحثهم على الاشتراك فى الفداء والتضحية ومواجهة شائعات العدو .

واعلن **مؤتمر جامعة القاهرة** الذى ضم الطلبة والاساتذة « ان الجامعة تضع امكانياتها البشرية والعلمية فى خدمة المعركة والجماهير لبناء دولة العلم والايمان — وقرر تشكيل كتائب تشارك بعملها وخبراتها فى الاعمال الفنية التى يحتاج اليها المقاتلون .

حجم المعركة المقبلة ومسئولياتها

اقتضى تطور الاحداث خلال الاسابيع القليلة الماضية . ان يتفرغ الرئيس **أنور السادات** تفرغا كاملا لاعباء مسئولياته الدستورية ومسئولياته بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة ولذلك فقد فوض الرئيس نائبه **حسين الشافعى** فى القيام ببعض المهام المخولة له والمتصلة بمراسم الدولة .

وفى حديثه للضباط والجنود على خط المواجهة فضح الرئيس السادات أهداف أمريكا معلنا «أن هدف الولايات المتحدة أن تعطى اسرائيل ما لم تستطع الحصول عليه بالقتال — فأسلوبهم ومحاولاتهم وسياستهم — ان تحصل اسرائيل على مالم تحصل عليه عام ١٩٦٧ » . وأوضح الرئيس السادات أنه «خلال الثمانية أشهر الماضية بذلنا أقصى جهد ممكن من أجل ١٪ أمل — أن تعبر قواتنا القناة بدون معركة اقتحام وبعدها تكون المعركة ونوفر الخسائر فى الارواح — كنا مقتنعين أن المعركة قادمة وايماننا بذلك لم يتغير حتى تأكد لنا أن الـ ١٪ مات ولم يعد هناك مناقشة حوله . بعد أن عادوا الى النقطة التى بدأوا منها بمبادرة **روجرز** وتراجعوا عن كل محاولاتهم وبعد أن نجحوا فى تجميد مجلس الامن واجتماعات الاربعة الكبار » . وأعلن الرئيس للضباط والجنود الرابضين على خط المواجهة — أن قرار مصر هو القتال لاسترداد الارض المحتلة .

وفى حديثه للطيارين فى احدى القواعد الجوية المتقدمة أعلن **الرئيس السادات** « أن الولايات المتحدة كانت تراوغ طوال هذه الفترة وكنا نعلم أنها قد حددت موقفها مسبقا فهى دولة منحازة لاسرائيل وانها تسعى بكل الاساليب لتحقيق أهداف اسرائيل — ولقد انتهى كل أمل لنا فى الحل السلمى ولم يعد أمامنا سوى القتال لاستعادة أرضنا وشرفنا وكرامتنا » .

وبعد اعلان قرار مصر بالقتال ، عقد الرئيس السادات سلسلة من الاجتماعات الهامة — كان أولها مع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى وأمناء المحافظات والمحافظين ثم رأس اجتماعا لمجلس الوزراء ثم اجتماعا آخر للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى التى تضم كل أعضاء مجلس الامة واجتماعا رابعا مع رجال الاعلام والصحافة واجتماعا مع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى واختتم هذه الاجتماعات بلقائه مع أعضاء اللجنة المركزية ومجلس الشعب مجتمعين .

وفى كل هذه الاجتماعات قدم الرئيس السادات عرضا مفصلا للجهود التى بذلت من أجل الوصول الى حل سياسى وأجاب على كل الاسئلة — وأوضح سيادته بالوثائق حقائق الاتصالات الامريكية التى بدأت فى ٢٤ ديسمبر عام ١٩٧٠ برسالة من **الرئيس نيكسون** الى **الرئيس السادات**

ثم التأييد الامريكي للمبادرة المصرية وزيارة روجرز لمصر التي قال فيها أنه لا يستطيع أن يطلب من مصر شيئا آخر . ثم ما انتهى اليه كل هذا بتصريح روجرز الذي يطالب فيه مصر بتنازلات جديدة . الامر الذي أوضح بما لايقبل الشك ـ أننا يجب أ ن نفقد الثقة في أمريكا ـ وأكد الرئيس أنه ليست هناك اتصالات الان مع الامريكيين وأن الامريكيين هم الذين يشيعون ذلك لتمييع الموقف » ونفى الرئيس السادات في أحاديثه ما أشيع عن سفره الى الولايات المتحدة لمقابلة نيكسون وأكد الرئيس السادات على أنه لم يعد ممكنا العودة لاتصالات يارنج الا اذا قدمت اسرائيل ردا ايجابيا على **رسالة يارنج** وحددت موقفها من الانسحاب من الاراضي المحتلة ».

وناقش الرئيس السادات في كل الاجتماعات حجم المعركة المقبلة ومسئولياتها وأسلوب مواجهتها والسلوك الذي يجب أن يسود حركتنا في مواجهة كل هذه المسئوليات وعلى كل المستويات ».

والى جانب هذا الجهد في توعية وتعبئة المستويات القيادية والسياسية والتنفيذية ـ وجه الرئيس السادات حديثين للرأى العام الامريكي والعالمي عن طريق **النيويورك تايمز والنيوزويك الامريكيتين**. وكشف الرئيس في حديثه للصحيفتين الامريكيتين مدى المرونة التي ذهبت اليها مصر ومحاولات التسويف والمراوغة الامريكية .

وأكد الرئيس في أحاديثه «أن الولايات المتحدة وصلت الى نفس نقطة البداية التي اتخذتها الحكومة الامريكية في عهد جونسون وهي أن على اسرائيل أن تحصل على ما تشاء ولها أن تفرض ماتشاء وأعني بذلك أن تستخدم احتلال أراضينا والاراضي العربية كوسيلة لتحقيق ذلك»

وألمح الرئيس أنه « واثق أبلغ الثقة من أن هناك ثمة اتفاقا أو شيئا «طبخ» بين حكومة جونسون واسرائيل وسوف ينكشف لنا ونعرفه بعد بضع سنوات » .

واستعرض الرئيس تطور المراوغات الامريكية قائلا « لقد كان كبار المسئولين الامريكيين يقولون لي دائما نرجو أن تثق فينا وأن تصبر معنا فنحن قوة عالمية وسوف نتحمل مسئولياتنا بصفتنا كذلك » ولكنهم بعد ثمانية شهور كانوا يلعبون معنا لعبة «الاستغماية» » .

وأوضح الرئيس السادات في حديثه للصحافة الامريكية مدى المرونة التي اتسم بها الموقف المصري من أجل الوصول الى حل سياسي ـ فخلال مرحلة الاتصالات مع المبعوثين الامريكيين أبدى الرئيس السادات استعداده في المرحلة الاولى من الانسحاب الاسرائيلي أن يكون مستوى التسليح متساويا على الجانبين واستعداده لقبول قوات تابعة للامم المتحدة أو للدول الاربع الكبرى بين خطى القوات ـ كما أبدى استعداده لمد فترة وقف اطلاق النار لمدة سنة بدلا من ستة شهور . كما أكد في أحاديثه أن المعاهدة المصرية السوفيتية ماهي الا اطار جديد للعلاقات القائمة وأن الاطقم السوفيتية سوف تعود بعد المرحلة الاولى من الانسحاب وأن العلاقات مع أمريكا يمكن أن تعود بعد المرحلة الاولى أيضا . . وأن مصر وافقت على ارسال مندوب على مستوى عال الى أمريكا للاشتراك فيما سمى المحادثات عن قرب التي أزمعت أمريكا أن سيسكو سوف يقوم بها ».

« كل هذا وافقنا عليه بشرط واحد هو أن يكون عام ١٩٧١ هو عام الحسم وأن تكون المرحلة الاولى للانسحاب جزء من تسوية شاملة ولكن أمريكا عادت لتطلب منا تنازلات جديدة ».

■ ■

■ ليبيا ■

قرار ثوري لحماية استقلال الدول العربية



ان القرار الثوري الذي اتخذه العقيد **معمر القذافي ، بتأميم الشركة البريطانية للبترول « بريتيش بتروليام »** وسحب الارصدة الليبية من بنوك بريطانيا يعتبر ضربة جديدة لاساليب الاستعمار في المراوغة والخداع : ويؤكد حق الدول العربية في الرد على أي موقف عدواني يتخذ ضدها ، وأن تحدد الدول العربية سياستها تجاه الدول الاخرى طبقا لمواقف هذه الدول من القضايا العربية .

لقد جاء هذا القرار ردا على مسئولية بريطانيا

فى احتلال ايران للجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى . لان التوقيت الذى احتارته ايران لاحتلال الجزر العربية كان من الواضح انه بالاتفاق بينها وبين الحكومة البريطانية ، فالمعاهدة التى كانت تربط بريطانيا بدول الخليج كانت لاتزال سارية المفعول عند احتلال ايران للجزر العربية ، وهذه المعاهدة تحمل بريطانيا مسئولية الدفاع عن كل شبر عربى فى الخليج حتى يتسلمه اصحابه الشرعيون .

وتمتلك الحكومة البريطانية ٤٨ فى المائة من اسهم هذه الشركة وتحصل سوق البترول فى بريطانيا على ٢٠ فى المسائة من احتياجاتها من الشركات البريطانية والشركات الاخرى العاملة فى ليبيا ، أما بالنسبة لارصدة ليبيا فى بريطانيا فتصل الى ٩٩٣ مليون جنيه استرلينى بخلاف ودائع النقد الاجنبى والاحتياطى الخاص بليبيا المودع فى البنوك البريطانية . وجاء رد الفعل المباشر للقرار الليبى فى انخفاض قيمة اسهم الشركة البريطانية المؤممة ، كذلك انخفضت اسعار أسهم شركات البترول البريطانية الاخرى . وتعتبر هذه الشركة ثالث اكبر شركة بترول أجنبية تعمل فى ليبيا بعد شركتي « ستاندرد أويل أوف جيرسى » و « كالتكس » . وقد اصبح اسم الشركة البريطانية بعد تأميمها « شركة الخليج العربى للاستكشاف » .

ويعتقد بعض المعلقين الغربيين ان قرار ليبيا سحب أرصدتها من بنوك بريطانيا يمكن انيكون البداية بين بعض الدول العربية المصدرة للبترول لتكوين مجموعة تمويل مشتركة تكون اداة قوية للمساومة داخل منظمة « الاوبك » .

وقد استقبلت الشعوب العربية القرار الثورى الليبى بالتأييد الواسع ، واشاد الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى برقية بعث بها الى العقيد معمر القذافى بالموقف الثورى الليبى وجاء فى البرقية « ان الامانة العامة لاتحاد العمال العرب تهنئكم على القرار البطولي الذي اتخذتموه ضد بريطانيا لمواقفها المتآمرة على عروبة الجزر العربية والخليج العربى »

■ ■

■ الســـودان ■

اتفاقيات وعلاقات اقتصادية جديدة

بدأت السودان فى وضع مخططات اقتصادية جديدة ، وفى الشهور الاخيرة عقدت اتفاقية مع **البنك الدولي** خاصة بشق الطرق وتمويل بعض المشروعات التى كان البنك الدولى قد توقف عن تمويلها. ووافقت الكويت على اقراض السودان ٥٠ مليونا من الجنيهات لتمويل مشروعات اللحوم والغزل والنسيج، على ان يكون جزءا من هذا القرض هو انتاج مصنع سماد الكويت المنتج من مخلفات البترول ، وقد تم الاتفاق على انشاء شركة لانتاج هذا السماد مع شركة لون رود وهى شركة روديسية براسمال انجليزى .

وتجرى مفاوضات مع سويسرا للحصول على استثمارات تقدر بحوالى ٥ ملايين دولار ، وكان قد تم الاتفاق فى سبتمبر الماضى مع **الحكومة البريطانية** لتمويل مشروعات بـ ١٠ ملايين جنيه استرلينى ، وتدرس الحكومة السودانية الان عروضا من **الدانيمرك واليابان** .

وقدمت **الصين** قرضا قدره ٤٠ مليون جنيه ، وستقوم بانشاء الطريق البرى — الخرطوم — بور سودان . ويقوم وفد التنمية الكويتى الان بدراسات ميدانية لتمويل الزراعة الالية بالسودان، وفى نفس الوقت صدر قرار جمهورى باعادة سواقى ومشاريع وادشريفى والسبيل لاصحابها سواء كانوا افرادا او عائلات أو شركات . وعقدت مؤخرا اتفاقيتين مع **بنك التنمية الافريقى** لتمويل شراء عربات سكة حديد بمبلغ مليونى وثمانمائة الف دولار وتمويل المشروعات البيطرية واقامة ثلاث كرنتينات لتطوير تصدير الماشية فى كل من بور سودان ووادى حلفا والخرطوم بحرى .

■ ■

■ الخليج العربى ■

العالم العربى يواجه عدوانا جديدا

قامت **ايران** فى ٣٠ نوفمبر باحتلال جزيرتى **طنب الكبرى وطنب الصغرى** التابعتين **لراس الخيمة** وجزيرة **أبو موسى** التابعة **للشارقة** ، متحدية بذلك مشاعر الجماهير العربية وقوانين الامم المتحدة التى تحرم الاستيلاء على اراضى الغير بالقوة . وقد لقى ٦ من رجال الحرس فى جزيرة طنب الكبرى مصرعهم على ايدى قوات الغزو الايرانية التى قامت بهدم منازل السكان العرب وطردهم من الجزيرة .

وقد بدات ايران تطالب بالجزر العربية الثلاث منذ عام ١٩٦٩ ، وفقا للمخطط البريطاني الامريكى لترتيب الاوضاع الاقتصادية والعسكرية وتأمين المصالح البترولية الانجلو أمريكية فى منطقة الخليج ، وذلك قبل الغاء بريطانيا المعاهدات الثنائية القديمة مع حكام الامارات ، وتوقيع اتفاقيات اخرى مع دولة اتحاد الامارات الجديدة فى الخليج .

وكان حاكم الشارقة قد وقع اتفاقية مع ايران بناء على طلب بريطانيا تنص على التنازل عن نصف جزيرة أبو موسى لاقامة قواعد وموانى عسكرية وتطبيق القوانين الايرانية عليها ، كما

تنص على استثمار البترول فى الجـزيرة وفى مياهها الاقليمية على ان تدفع شركة البتـرول الانجليزية عائدات البترول مناصفة الى ايران والشارقة ، ومقابل ان تدفع ايران مبلغ ٥ر١ مليون جنيه استرلينى لمدة تسع سنوات لحاكم الشـارقة .

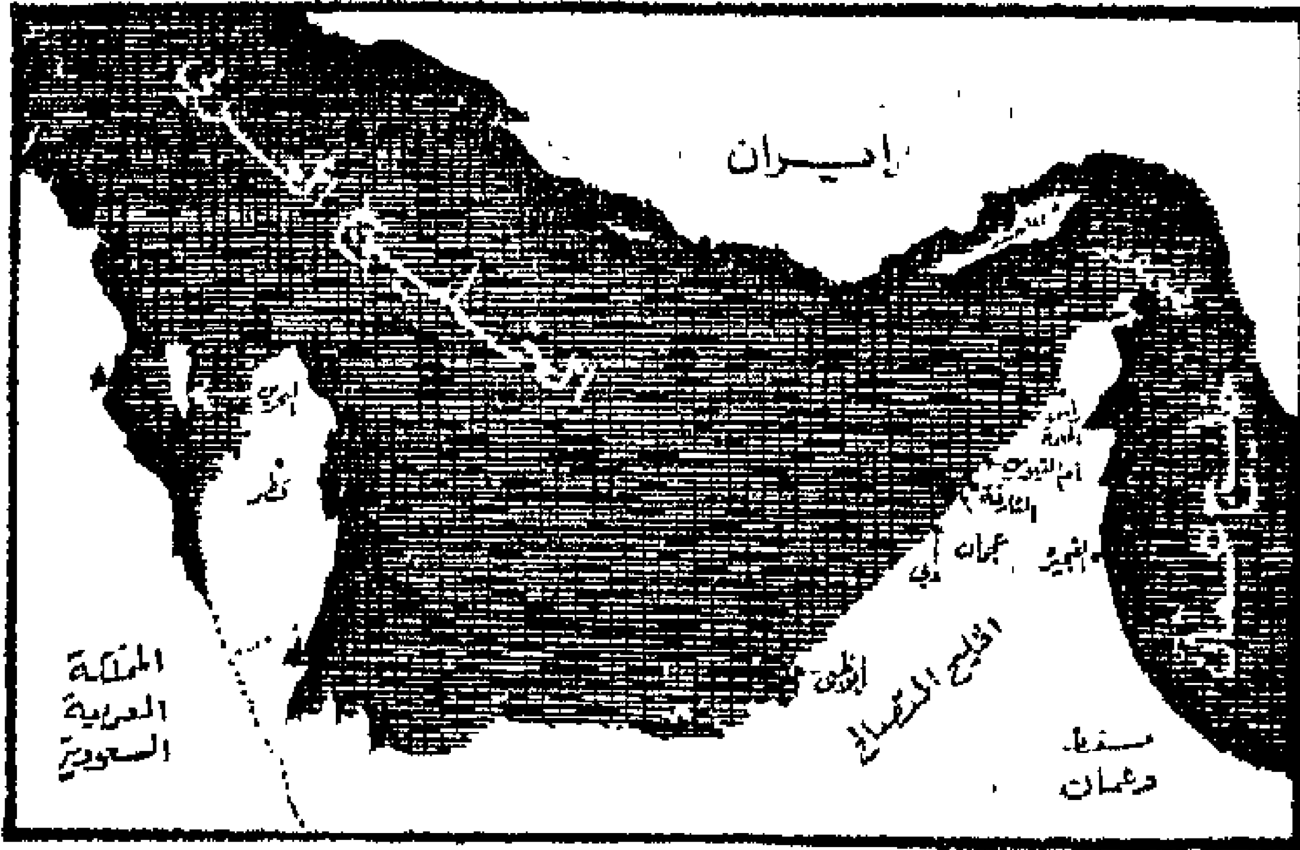
ويختلف الامر بالنسبة لحاكم رأس الخيمـة الذى رفض باصرار الضغط البريطانى لبيـع الجزيرتين أو تأجيرهما لايران كشرط لتأييدايران لاتحاد الامارات العربية الجديد . ولقد كـان الدافع وراء رفض حاكم رأس الخيمة هو انـه كان يتوقع اكتشاف البترول فى اراضيه أو فى المياه الاقليمية ، مما يضعه على قدم المساواة بالنسبة لحاكم ابو ظبى الذى يرأس الاتحـاد.

وامام اصرار حاكم رأس الخيمة على موقفه ، لم تجد بريطانيا مفرا من السماح لايران باحتلال الجزيرتين بالقوة العسكرية ، وذلك قبل موعد الاعلان عن قيام دولة اتحادالامارات فى ٢-١٢، وحتى تتجنب بريطانيا تعريض الاتحاد الجديد للخطر أو الاحراج . وهو ماكشفت عنه صحيفة **الجارديان البريطانية** فى عددها بتاريخ ٢٠ ـــ ١١ ومن دعوة الصحيفة لايران الى احتلال الجـزر العربية لاسباب استراتيجية باعتبارها الدولـة الجديدة الكبيرة التى تسيطر على الخليج بعـد انسحاب بريطانيا ..

وترجع اهمية هذه الجزر الى موقعها عنـد مدخل الخليج ، مما يكفل لايران امتيـازات استراتيجية سوف تستخدمها فى المخططالمرسوم لها للقيام به فى منطقة الخليج والذى تعد لـه منذ سنوات طويلة فى الاستراتيجية الامبريالية لمواجهة حركة الثورة العربية .

وقد اثار احتلال القوات الايـرانية للجـزر العربية ردود فعل شديدة فى الامارات العربية، اذ قام المتظاهرون بتدمير فرعى البنك الايرانى والممتلكات الايرانية فىرأس الخيمة، وفى الشارقة اطلق المتظاهرون الرصاص على نائب حاكم الشارقة الذى كان فى استقبال القوات الايرانيةفىجزيرة ابو موسى ، كما شهدت **ابو ظبى وعجمـان** مظاهرات جماهيرية ضخمة وتدمير المؤسسات الايرانية فيهما ، وذلكردا على التواطؤالبريطانى الايرانى المكشوف .

وشملت ردود الفعل للغزو الايرانى بقيـة البلدان العربيـة ، ففى مصر اعلن المتحـدث الرسمى احتجاج **مصر** على الغزو الايرانى واتهام بريطانيا بالتفريط فى الاراضى العربية قبل ان يتم استقلالها وتسليمها الى اصحابها ، ودعوة ايران الى سحب قواتها من الجزر العـربية الثلاث . وفى **سوريا** هاجم حزب البعث الحاكم وكافة الاحزاب الوطنية والتقدميـة التـواطؤ البريطانى الايرانى ، كما شهدت **دمشق وبيروت**



مسيرات جماهيرية ضخمة استنكارا للغـزو الايرانى للاراضى العربية . وفى **العراق** اعلنت الحكومة قطع علاقاتها بكل من بريطانياوايران، وفى **ليبيا** اعلن الرئيس **معمر القذافى** تأميمشركة البترول البريطانية وسحب الاموال الليبية من البنوك البريطانية ردا على تسليم بريطانياالجزر العربية لايران .

ويقارن المراقبون بين موقف بريطانيا الحالى وموقفهـا فى عام ١٩٤٨ ، وتسـليم الاراضى الفلسطينية الى العصابات الصهيونية قبلنهاية الانتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين بمدة اسبوعين ، بدلا من تسـليم الاراضى الى اصحابها الفلسطينيين .

ولايتوقع المراقبون ان تؤدى الجهود التى تبذلها الجامعة العربية الى حمل ايـران على الجلاء عن الجزر العربية فى المستقبل القريب. وهناك احساس عام لدى الجماهير العربيـة فى الخليج بالخوف من تزايد الاطماع الايرانية فى الاراضى العربية ، خاصة وان الصـحف الايرانية وهى تحتفل بهذه المناسبة اخذتتحدث عن ماتدعيه بحقوق ايران التاريخية فى منطقـة شط العرب التابعة للجمهورية العراقية والواقعة عند مدخل الخليج من الشمال ، مما يشير الى خطوة ايران القادمة فىمنطقة الخليج العربى .

■ ■

■ لبنـــان ■

القوى التقدمية واليسارية وتحـديد طبيعة ومهـام المـرحلـة القــادمـة

فى هـذه الايـام التى تسـتعد فيها لبنان لمعركة الانتخـابات البرلمانية ، وتسرع مختلف القوى والتجمعات السياسية والحزبية والطائفية باستعدادها للمعركة من خلال اتصالات وجبهات وصراعات وتحالفات عـديدة ، تشـهد بيروت

استعدادا من نوع آخر تقوم به القوى التقدمية واليسارية اللبنانية فى محاولةلتحديد معالمطريق نضالها ومن أجل وضوح أفضل لرؤيتها لطبيعة المرحلة القادمة سواء على الصعيد العربى عامة أو اللبناني خاصة .

ففى يومى ٢١ ـ ٢٢ تشرين ثانى (نوفمبر) الماضى عقد **الحزب التقدمى الاشتراكى** مؤتمره السنوى الثانى والعشرين وقد القى **كمال جمبلاط** تقرير الرئاسة فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر وقد تناول فيه سلسلة من القضايا الهامة مشيرا فى البداية الى اهمية النقاش الحر فى صفوف الحزب ، والى ضرورة التمسك بالنقد والنقد الذاتى كسبيل ديمقراطى لتصحيح الاخطاء .

وفى القسم الخاص بالسياسة الدولية أشار **جمبلاط** الى العديد من القضايا الهامة مثلالحرب الفيتنامية ودخول الصين الشعبية الامم المتحدة ، ثم تناول قضية الدول النامية وضرورة تنظيم علاقاتها بالدول الغنية على أسس أفضل ، فكرر اقتراح حزبه بانشاء صندوق دولى عام للمساعدات التى تتقدم بها الدول الغنية الى الدول المتخلفة بغية تحرير هذه المعونات من الطابع الاستغلالى ، كما اقترح انشاء صندوق مماثل على الصعيد العربى .

ثم تناول **جمبلاط** الصراع الهندى الباكستانى فقال ان سببها هو قضية ((**بنجالاديش**)) والعنف المسلح الذى وجهته السلطات الباكستانية ضد شعب باكستان الشرقيةواعتقال ممثليهالحقيقيين وهجرة أكثر من تسع ملايين من سكانها ..

ومضى **جمبلاط** قائلا « هذا مثال لما قد تجلبه من مصائب الانقلابات العسكرية ، وقد رأينا نتائجها المؤسفة المريرة فى العالم العربى ، حيث يتأكد فى كل مكان أن لا خلاص للشعوب ولا ضمان للمواطن الفرد الا بالحرية السياسية »

وبعد أن تناول **جمبلاط** فى تقريره أحداثالعالم العربى مركزا فى الاساس على الاحداثالاخيرة فى المغرب والسودان تحدث عن الاردن منددا بالتصفيات التى قامت بها السلطات الاردنية ضد المقاومة ، وأعلن تأييده الكامل « **للمقاومة الفلسطينية وحرصه علىحريةعملهاضمنالانضباط المشترك ، كوجه للشعب الفلسطينى الحقيقى ، وكعامل أساسى لاحباط جميع المؤامرات على القضية الفلسطينية ، وكقوة ، محررة وطليعية للارض المغتصبة))**

ثم حيا تصاعد المقاومة فى غزة والارضالمحتلة ودعا الى توحيد منظمات المقاومة والى قبول متطوعين فى صفوف المقاومة .

واختتم **جمبلاط** حديثه عن القضية الفلسطينية قائلا ((**وندرك أخيرا انه يجب أن يكون لكلنشاط نضالى أهداف وشعارات اجتماعية يدعمهااليسار والتقدميون فى جميع أنحاء العالم .. لان اليسار هو القوة الفاعلة فى مصير الدنيا والتاريخ**)) .

وحول ضرورة تلاحم الثورة العربية مع الثورة الاشتراكية العالمية أكد **جمبلاط** ((**انه لا يمكن فصل الثورات العربية عن الثورة الاشتراكية العالمية وعن الحقيقة العلمية الجدلية .. والا وقعت هذه الثورات العربية فى مصيدة الحركات الاصلاحية** ، ثم اكد ((**أهمية احترام حقوق وحريات الانسان العربى كاملة غير منقوصة)) مسترشدا بما قاله ماركس وانجلز من أن الهدف الاخير من الاشتراكية هو رفع كل قيد جائر عن الانسان** » .

وحول الوضع الداخلى فى لبنان وجه **جمبلاط** انتقادا شديدا لسياسة الحكومة الراهنة مشيرا الى قيام ما أسماه ((**بالالتزام بسياسة المحور الامريكى**)) سواء فى قضية التأخير فى الاعتراف بالصين الشعبية أو المحاولات اليائسة لتأجيل التوقيع على صفقة السلاح السوفيتى أو منع « الوطنى والخبير الكبير **الشيخ عبد الله الطريقى** من العودة الى لبنان .

ثم تحدث **جمبلاط** عن الوضع الداخلى فى الحزب مشيرا الى النمو المضطرد فى صفوفه مؤكدا ضرورة ان يسعى الحزب لضم « عدد أوفر من العمال والفلاحين والطلاب لتكريس يسارية الحزب واشتراكية قاعدته بشكل ثابت » .

واختتم **جمبلاط** تقريره الى المؤتمر قائلا ((**وفى النهاية أعلن أننا نلحظ بغبطة نجاح تعاوننا مع الاحزاب التقدمية ، وخاصة الحزب الشيوعى اللبنانى .. والتعاون بين الحزبين فى مناسبات معينة وقرارات ظرفية هو أساس سياسة الاشتراكيين المدركين لما يكمن فى هذا التعاون منقوة ومن تعجيل فى نشر الفكرةالاشتراكية**)) .

ومن الناحية الاخرى يقوم **الحزب الشيوعى اللبنانى** باستعدادات واسعة لعقد مؤتمره الثالث ، وقد طرح للنقاش وثيقة أساسية بعنوان ((**موضوعات المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى اللبنانى**))

والجديد فى الامر أن الحزب لم يكتف بطرح وثيقته للنقاش فى صفوف قاعدته واصدقائهوانما طرحها للنقاش العام وبالذات فى صفوفالاحزاب الثلاثة : الحزب الشيوعى والحزب التقدمى الاشتراكى وحزب البعث . وتعقد الان سلسلة اجتماعات عديدة بين كوادر وأعضاء وجماهير الاحزاب الثلاثة لمناقشة هذه الوثيقة .

وتتضمن الوثيقة ثلاثة أقسام ـ الوضع

العالمى ـ الوضع العربى ـ الوضع الداخلى .

وعلى الصعيد العالمى تسجل الوثيقة احترام الصراع بين المجموعة الاشتراكية والطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى العالمية من جهة وبين الامبريالية والرأسمالية من جهة أخرى مشيرة الى ان تفاقم هذا الصراع ناتج « **عن تعاظم قوة ونضال الحركة الثورية العالمية بفصائلها الثلاث والى تعمق أزمة نظام الاستثمار والنهب الرأسمالى** » .

ثم تحدثت الوثيقة تفصيلا عن كل فصيلة من فصائل الحركة الثورية العالمية .. وفى حديثها عن حركة التحرر الوطنى العالمية أشارت « الى دورها المتعاظم فى العملية الثورية العالمية » **وقالت « ان هذه الحركة كانت حركة للتحرر السياسي ومن ثم تطورت وأخذت تغتنى بمضامين اجتماعية جديدة »** .

وأشارت الوثيقة الى ان البرجوازية الصغيرة التى تشكل الاغلبية الساحقة فى بلدان العالم الثالث قد تسلمت الحكم فى معظم هذه البلدان وهى تتصدى لمهمة الاستقلال الاقتصادى بعد ما تحقق الاستقلال السياسى سائرة بالمجتمع فى طريق تقدمى للتطور يستجيب لمصالح البرجوازية الصغيرة ويلتقى مع مصالح الطبقة العاملة والفلاحين والجماهير الشعبية الاخرى ويفتح الآفاق للتحويل الاشتراكى للمجتمع .

ثم مضت الوثيقة لتعدد الثغرات والنواقص والاخطاء التى يرتكبها ممثلو البرجوازية الصغيرة فى السلطة والناجمة فى الاساس عن الطبيعة الطبقية المزدوجة المتناقضة للبرجوازية الصغيرة ، وقالت أن هذه النواقص والاخطاء هى السبب فى النكسات والتراجعات التى تحدث أحيانا فى قلب حركة التحرر الوطنى .

وحول هذه النواقص قالت الوثيقة أنه رغم اقتناع فئات واسعة من البرجوازية الصغيرة بأن التطور الرأسمالى لبلدانها لا يمكنه أن يخلصها من أوضاع التخلف فانها شديدة التأثر بضغط الاستعمار الجديد سياسيا وفكريا واقتصاديا ، وتلعب بعض اجنحتها على حبال التوازن الدولى ، وتتخذ مواقف انتقائية تجريبية لا تستند الى أى أساس علمى ، وتتميز بحذر خاص من أحزاب الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين ، ومن النظرية الماركسية اللينينية والاشتراكية العلمية ، وتخشى اطلاق الديمقراطية للجماهير الشعبية وانشاء تنظيمات سياسية ونقابية طليعية لتعبئة الجماهير وتحقيق مهام بناء الدولة الوطنية المستقلة .. الامر الذى يؤدى الى انتعاش الاجنحة اليمينية وانتهاجها خطا يشكل خطرا على تطور هذه الانظمة نفسها .

وتحدثت الوثيقة عن التناقض الاساسى فى المنطقة العربية قائلة انه التناقض بين حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية كجزء من حركة التحرر والتقدم العالمية وبين الاستعمار الامريكى خاصة والصهيونية والرجعية . وقالت **أن المهمة الاساسية فى المرحلة الراهنة هى اجبار المعتدى على التراجع وازالة آثار العدوان وصيانة الحقوق القومية للشعوب العربية وفى مقدمتها الحقوق القومية للشعب العربى الفلسطينى . وهذا يتطلب اوسع جبهة نضال تضم القوى الوطنية والتقدمية على الصعيد العربى وعدم طغيان التناقضات الثانوية بين فصائل حركة التحرر الوطنى العربية على التناقض الاساسى** .

وحول طبيعة النظام القائم فى لبنان قالت الوثيقة انه نظام راسمالى تابع للامبريالية يتميز بهيمنة قطاع الخدمات وضعف القطاعات المنتجة فيه وهو وسيط بين الدول الامبريالية .

وبعد أن حددت الوثيقة تصورها للبنان الاشتراكى اكدت انه من أجل الوصول الى هذه المرحلة فانه لابد من المرور بمرحلة حتمية هى مرحلة الحكم الوطنى الديمقراطى التى تزول فيها سيطرة الطغمة المالية على الحكم وتحل محلها سلطة التحالف الوطنى الديمقراطى التى تمثل **« الطبقة العاملة والاجراء وكادحى الريف واوسع اوساط البرجوازية الصغيرة والفئات المتوسطة فى المدينة والريف والمثقفين الثوريين وفئات البرجوازية المرتبطة بالانتاج الوطنى والسوق المحلية والعربية »** .

والمهام الاساسية المطروحة أمام هذا الحكم هى فك تبعية الاقتصاد الوطنى للاستعمار الجديد ، ووقف هيمنة رأس المال الاجنبى ، وضمان تطوير متناسق لاقتصاد وطنى مستقل يقوم اساسا على القطاعات المنتجة فى الصناعة والزراعة وتطوير السياحة ، وتصفية الشركات الاجنبية الاحتكارية ، وحصر التجارة الخارجية بالقطاع العام ، وتأميم مؤسسات التمويل والتأمين ، وتقوية القطاع الصناعى وتعزيز قطاع الدولة والقطاع المشترك وتشجيع الرأسمال الوطنى وتحقيق الاصلاح الزراعى وتأمين ديمقراطية متطورة فى الحكم والادارة .

■ ■

■ العـــراق ■

ميثاق العمل الوطني بين النص المعلـــن والتطبـــيق العملي

تثير التطورات التي تجرى في العراق حاليا انتباه المراقبين بخصوص المحاولات التي يبذلهـا حزب البعث الحاكم للخروج من سياسة العزلة الطويلة التي فرضها على نفسه داخليـا وعلى الصعيد العربي .

وكان الرئيس العراقي **احمد حسن البكـــر** قد أعلن في شهر نوفمبر المـاضي عـــن **مشروع ميثاق العمل الوطني** ، دعا فيه الى بدء صفحة جديدة في تاريخ العراق ، وانهاء الظـــروف الاستثنائية التي ظل ينفرد فيها بالحكم منذ انقلاب ١٧ يوليو عام ١٩٦٨ ، والالتزام بتحقيق الوحدة الوطنية في الداخل ووضع الدستور الدائـم وتشكيل المجلس الوطني والمجالس الشعبية ، والانفتاح على القوىالوطنية والتقدمية في العالم العربي .

وقد أوضح الرئيس البكر في المؤتمر الصحفي الذي عقده لشرح النقاط الاساسية في الميثاق « ان ميثاق العمل الوطني هو بمثابة صـــيغة جبهوية » تشكل حجر الاساس في الانقـلاب الوطني المنشود ، وأن الجبهة الوطنية ستتسع لكل الفئات الوطنية والقومية والتقدميـــة التي توافق على ميثاق العمل الوطني باعتبارهالبرنامج العام للجبهة بعد ان تقر صيغته النهـــائية ويستكمل حوله الحـــوار الديمقراطي والنقاش الحر من الجماهير وقواها الوطنية والتقدميةومن خلال اجهزة الاعلام المختلفة » .

وقال الرئيس البكر « .. ولقد انصبت مبادرتنا القومية الاخيرة على ضرورة خلق الاجـــواء الملائمة لقيام مواجهة عربية موحدة تصد أطمـــاع واعتداءاتأعداء العروبةوتحقق النصر الكامل» .

وقد عبر كل من الحزب الشيوعي والحـــزب الديمقراطي الكردســـتاني (وهما القوتـــان السياسيتان الاساسيتان في العراق الى جانب بعض الاحزاب والتنظيمات الوطنيـــة الاخـــرى الصغيرة) عن ترحيبهما المبدئي بالميثاق . واعلن الحزب الشيوعي في ملاحظاته بشأن الميثـــاق المقترح « ان التعاون بين الاحزاب والقـــوى الوطنية واقامة جبهة موحدة بينها بات ضرورة لاتحتمل التأجيل وذلك لمجابهة العدوانالاسرائيلي والمخططات الامبريالية والصهيونية والرجعيـــة التي تفاقمت مخاطرها مؤخرا سواء على صعيد حركة التحرر الوطني العربية ككل ام حركتنـــا الوطنية وبلادنا ولانجاز المهمات الصعبة والمعقدة التي تواجه شعبنا العراقي وأمتنا العربية ..

وان النضال الظافر ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية يتطلب تصفية كل مظاهر الاضطهـــاد ضد الجماهير ومؤسساتها السياسية وخصوصا احزابها الوطنية ، اذ لايمكن الجمع بين الدعـــوة الى الكفاح ضد الامبريالية وبين اضطهاد أيـــة قوة وطنية معادية للامبريالية ... وان الحـــزب يهمه جدا ان يرى خاتمة نهائية وحاسمة لكل مظاهر الاضطهاد ضده وضد أية قوة وطنيـــة اخرى .. وانه لكي يتحقق تعاون وطني كفاحي وفعال يتطلب الامر بداهة ضمانات باطـــلاق كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشـــعب وقواها الوطنية والتقدمية بما فيها حرية الاحزاب السياسية والجمعيات الاجتماعيـــة والمهنيـــة والنقابات وحرية الصحافة والرأى والمعتقـــد وغيرها من الحريات الاساسية ».

وتبدو نقطة الخلاف الاساسية بين الحـــزب الشيوعي والاحزاب الوطنية والتقدمية الاخرى من جهة وبين حزب البعث الحاكم حول وضـــع الجيش العراقي . وقد اعلن الرئيس البكـــر بصراحة : « أنه لن تكون في الجيش صيغجبهوية أو تنظيمات حزبية فيما عدا تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي ، ويمكن ان يكون هنـــاك أفراد كانوا ينتمـــون الى بعض الحركـــات السياسية واننا نقبلهم في الجيش بصفتهـــم عسكريين افـــرادا وليس بصفتهم الحزبيـــة أو السياسية ولن يسمح لاحد غير حـــزب البعث بالقيام بأى شكل من اشكال النشاط السياسي أو التنظيمي » . الامر الذي يعارضه الحـــزب الشيوعي العراقي . وتتلخص وجهة نظره في « ان الجيش العراقي الذي لعب دورا مجيـــدا في تفجير ثورة يوليو عام ١٩٥٨ ، قد ســـخر احيانا في انقلابات واعمال ضد مصلحة الشعب والزج به في اعمال قمع عسكرية،وشن الحروب المتكررة ضد الشعب الكردي . وانه من اجـــل تحويل الجيش العراقي الى جيش ديمقـــراطي ثوري يدين بالولاء للشعب والوطن ، يجبضمان حرية النشاط السياسي لابناء الجيش ، واطلاق سراح السجناء والمعتقلين من رجـــال الجيش الوطنيين واعادة المفصولين منهم لاســـباب سياسية ، ووضع حد لعسكرة الجهاز الحكومي والحياة السياسية وتأكيد مهمـــة الجيش وهي الدفاع عن استقلال الوطن وحرية الشعب ».

والجدير بالذكر ان حزب البعث قـــام بتعيين مسئول سياسي حزبي للجيش اخيرا ، كما حرص دائما على تحويل القوات المسلحة الى جيشيدين بالولاء لحزب البعث ، أى تحويله الى تنظيـــم حزبي .

وأيا كان الامر ، فان حل مثل هذه الخلافات متروك للحوار الذي سيتم في الفترة القـــادمة

بين حزب البعث الحاكم وبين الاحزاب الوطنية والتقدمية للوصول الى اتفاق حول صيغة الجبهة الوطنية التقدمية ، بعد تنفيذ التعهدات التى قطعها حزب البعث الحاكم على نفسه بتوفير الحريات السياسية والمناخ الديمقراطى اللازم ، والعمل على تنقية الجو من آثار الماضى نتيجة سياسة الارهاب التى سادت العراق فى الفترة الماضية وتدبير حوادث الاغتيالات والتصفية الجسدية التى استهدفت العناصر القيادية من كافة الاحزاب الوطنية والتقدمية ، كما أدت من ناحية اخرى الى تدهور العلاقات بين الاكراد وبين حزب البعث فى الفترة الاخيرة ، باتهام **الملا مصطفى البرزانى** زعيم الحزب الديمقراطى الكردستانى لحكومة العراق بالتسويف والمماطلة فى تنفيذ البنود الاساسية فى اتفاقية ١١ مارس عام ١٩٧٠ ، ومحاولة اغتياله فى ٣١ ــ ٩ الماضى والتى يعزوها كثير من المراقبين الى تدبير من السلطة الحاكمة . ثم ما اشيع عن اغتيال **فؤاد الركابى** فى السجن قبل أيام من تاريخ الافراج عنه بعد تنفيذ مدة العقوبة التى اصدرتها ضده محكمة الثورة العراقية وهى ٣ سنوات .

ومما يثير قلق القوى غير البعثية والمتحالفة معها أن يقع الحادث الاخير بعد اعلان الميثاق والوعد بفتح صفحة جديدة من التعاون والعلاقات الايجابية مع القوى الوطنية الاخرى . ولاشك ان التجارب المريرة التى عانت منها هذه القوى تدعوها الى التحفظ فى علاقاتها مع البعث ، والشك فى نواياه ، فالكلمات لاتعنى شيئا والبرامج مهما كانت صياغتها براقة ، الا أن الممارسة العملية هى المحك الاساسى لجدية السلطة الحاكمة فى تشكيل تحالف حقيقى وتغيير منهجها فى العمل ونبذ أساليب الارهاب والتصفية الجسدية .

ان الخبرة بالمنهج التقليدى للسلطة الحاكمة تدعو البعض الى التشكك فى أن القيادة البعثية تلجأ الى التحالف المؤقت مع طرف وطنى لضرب طرف آخر . ولكن القوى التقدمية تمد يدها الى هذه القيادة على أساس الميثاق المعلن مع الاعتماد على الجماهير الشعبية كصمام أمن ضد الاتجاهات السلبية للحكم .

■ ■

■ فرنسا ■

برنامج الحزب الشيوعى من أجل حكومة ديمقراطية

تواصل الصحف الفرنسية مناقشتها للمبادرة التى اتخذتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى فى ٩ أكتوبر ١٩٧١ باقرارها لبرنامج الحزب الشيوعى بشأن اقامة حكومة ديموقراطية للاتحاد الشعبى فى فرنسا . ويعد البرنامج الشيوعى الجديد فى نظر اغلب المراقبين السياسيين ــ اكثر تطورا من البرامج السابقة التى قدمها هذا الحزب ، من ناحية معالجته للقضايا العملية الاساسية التى تمس حياة المواطن الفرنسى كفرد والشعب الفرنسى كمجموع ، فبينما نجد أن **الوثيقة الانتخابية التى اصدرها الحزب فى فبراير ١٩٦٧** لم تخصص سوى ١٠ صفحات للمسائل الاقتصادية والاجتماعية، كما لم يخصص لها « **بيان شامبينى** » الصادر فى ديسمبر ١٩٦٨ سوى ٥ صفحات ، نجد ان أكثر من ثلثى البرنامج الحالى مخصص لهذه المسائل .

وأوضح **جورج مارشيه** السكرتير العام المساعد ، أن مختلف قوى البرجوازية الفرنسية واحزابها السياسية سواء كانت تتخذ شكل « **الليبرالية الاجتماعية** » او « **الوسط** » أو « **الاصلاحية** » تستهدف فى نهاية الامر نفس الهدف الذى يعمل من اجله الحزب الحاكم « **الاتحاد الديموقراطى الجمهورى** » الا وهو المحافظة على النظام الاحتكارى ومواصلة ودعم سياسة الشركات الراسمالية الكبرى ، وتوفير أساس اجتماعى أكثر اتساعا لمساندتها، واذا كانت هذه الاحزاب تختلف فيما بينها ، فان ذلك يتم حول **اختيار المناهج والرجال القادرين على تحقيق هذه السياسة !!**

واشار « **جورج مارشيه** »السكرتير العام المساعد للحزب الشيوعى الفرنسى الى ان نضال الحزب من أجل حياة افضل للشعب الفرنسى يفترض القيام بمجموعة من الاجراءات الاجتماعية العاجلة التى تتعلق بزيادة القوة الشرائية وتحسين ظروف العمل ، وأمن العمال ، وضمان العمل ، وزيادة الرعاية الاجتماعية . كذلك فأن الديموقراطية السياسية ، والاقتصادية ، المتقدمة المطلوبة ، تحتاج أولا وقبل كل شىء ، الى **تصفية السلطة الشخصية** . وأول واكثر التحولات الاقتصادية اساسية هو **تاميم القطاعات الاستراتيجية فى الاقتصاد بما فيها البنوك وشركات التامين** . ودعا مارشيه فى مقدمة البرنامج الى عدم انضمام فرنسا لاى كتلة عسكرية واوضح أن البرنامج لا يقدم ليقبل كله أو ليرفض كله، وانما أوضح استعداد الشيوعيين الفرنسيين لمناقشته فى أى وقت مع **الحزب الاشتراكى ومع الاحزاب الديموقراطية الاخرى** من اجل التوصل الى اتفاق سياسى صلب ، والى « **برنامج حقيقى مشترك للحكم** » .

فوضع مثل هذا البرنامج ينزع من السلطة

السلاح المتمثل في عدم وجود انفسان دائم بين التنظيمات الديموقراطية . كما انه في صــالح تنمية حركة الاغلبية الكبرى القادرة على ضرب سلطة رأس المال الكبير . ومن هــذه الزاوية أوضح مارشيه «أن حزبنا لم **يجعل لكفاحه قط مشروطا بسير المناقشات في «القمة» بين الزعماء، وانمـــا في تطوير العمــل في القــاعدة في المؤسسات والاحياء والمدن والقرى لان ذلك هو الذى سيشد عضــد وحــدة القوى العمــالية والديموقراطية ووحدة كل القوى الشعبية** »

وقد أوضح برنامج الحزب من أجل الحكم ، **ان الكفاح من أجل الحياة الافضل للشعب تعنى أولا وقبل كل شيء امتلاك وسائل تلك الحــياة الافضل** . واشار بهذا الصدد الى ان الاجــور المنخفضة سوف تزاد على الفــور ، ولن يكون هناك أى اجر يقل عن ١٠٠٠ فرنك شهريا ،كما سيعاد النظر في المنح العائلية،وستخفض نفقات العــلاج الطبى واثمــان الادوية الى ٨٠٪ من اسعارها الحالية على الاقل . أما بالنســبة للعمال فسيعهد بصناديق الضمان الاجتماعى الى ممثليهم المنتخبين بالاقتراع العــام والنسبى . كذلك نص البرنامج على تخفيض سن التقــاعد الى ٦٠ بالنسبة للرجال و ٥٥ بالنسبة للنساء وبالنسبة لساعات العمل قرر البرنامج العودة الى ٤٠ ساعة عمل خلال خمسة أيام دون تخفيض في الاجــر . كما نص على توفــير العمــل ، وامتصاص البطالة ، ونقص الاستخدام كأهداف دولية ، وعلى الغاء أى تمييز بين الشــباب ، والنساء ، والعمال المسنين ، والعمال الزراعيين، والمهاجرين . كما نص على زيادة الحقوق النقابية لمندوبى العاملين . وأوضــح البرنامج كذلك **أن** الحياة الافضل تعنى بالنسبة للنساء والشباب **احتلال دورهم فى المجتمع** . ولذا سيضمن البرنامج للنساء حقوقا مساوية للرجال في التشريع والعمل وبالنسبة للاسرة والمجتمع ، وتحســين ظروف عمل المرأة وحياتها . كما منح الشــباب **حق التصويت في سن الثامنة عشرة ، وحق الترشيح في الانتخابات في سن الواحد والعشرين** . ونص البرنامج أيضا **على ان الحياة الافضل للجميع تتطلب توفير أوسع الامكانيات للتعليم ، والتأهيل والارتقاء** . ولذا ســتقوم الحكومة باصــلاح ديموقراطى وحديث للتعليم الوطنى من الحضانة حتى الجامعة على أساس الهجــوم على مبــدأ التفرقة الاجتماعية . وسيكون أول الاجراءات في هذا المجال هو **المجانية الحقيقية التى** تضــمنها الدولة للتعليم كله ، أى نفقات الدراسة والكتب ..الخ . واوضح البرنامج كذلك **ان الحياة الافضل تعنى امتلاك الوســائل الجمــاعية التى لا غنى عنها فى الحياة الحديثة** . وبناء عليه يتعين أن يكون لكل فرنسى في المدينة والقرية مسكن مريح على اساس بناء ٧٠٠٫٠٠٠ مسكن كل عام ، وان تقدر الايجارات بشكل ثابت على اســاس معقول .

واوضح البرنامج ان الحكومة الديموقراطية وحدها هى التى ستكون قادمة على ضــمان الاشتراك المتزايد للعمال فى تحديد الاهــداف والوسائل .. وسيكون ذلك تجــديدا كبيرا فى الحــياة القومية ، اذ **سيشــترك العمــال فى المؤسسات المؤممة فى الادارة اشتراكا فعليا . وسينالون حقوقا اكثر اتســاعا فى المؤسسات الخاصة** . كما نص على **ان الاقتراع النسبى هو الوحيد السليم** الذى يضمن لكل حزب تمثيلا يتفق مع قوته الحقيقية . «

ونص البرنامج على **أن اجراءات القمع التى تقررت منذ ١٩٥٨ سوف تلغى** وستصدر قوانين جديدة تضمن للجميع ممارسة حقوقهم وحرياتهم. ولن ينتاب اى شــخص القــلق بسبب ارائه أو معتقداته الفلسفية أو ايمانه أو وضعه الاجتماعى أو جنسيته . وسوف يمنع أى نشاط أو تصرف عنصرى أو معاد للسامية كما سيحظر القيــام بأى نشاط أو تأسيس منظمات فاشستية . وسوف **يكون تعدد الاحزاب وحرية الترشيح للانتخابات من عناصر الديموقراطية الفرنسية** . وستضمن الحكومة الديموقراطية الحــرية التــامة للعمل النقابى وحق الاضراب فى القطــاعين العــام والخاص .

وستتبع الحكــومة الديموقراطية **ســياسة زراعية جديدة لصالح صغار ومتوسطى الفلاحين** وســـتخفض الاســتقطاعات من دخـــول العمال ، وستفرض ضرائب عادلة على صــغار الصناع والتجار . وستعمل الحكومة الديموقراطية على وضع حد للمضاربة وارتفاع الاســعار والتضخم . وتجميد بعض الاسعار الاســاسية مثل المساكن والسلع ذات الاستهلاك الواســع والادوية والنقل وســـتفرض رقابة عامة على اسعارها .

كذلك نص البرنامج على ضمان حقوق الجنود والكوادر بلوائح ديموقراطية ، وان تكون مدة الخدمة العسكرية قــريبة من الفــترة اللازمة للتدريب العسكرى وتقدر عامة بستة أشهر ، واعلن أن الحكومة فى الديموقراطية ستتخلى عن القوة الضاربة النووية ، وســتوقع على الفور المعاهدات الدولية التى تستهدف وقف ســباق التسلح والتدمير الشامل للاســلحة النووية ، وستتخذ الاجراءات التى تهدف الى انســحاب فرنسا من حلف الاطلنطى كلية . وستساهم فى

خلق نظام أمن جماعي في اوربا عن طريق معاهدة أمن أوربية عامة . كما ستعترف الحكومة الديموقراطية على الفور بجمهورية المانيا الديموقراطية ، وجمهورية فيتنام الديموقراطية ، والحكومة الثورية المؤقتة في فيتنام الجنوبية ، وجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية وستعترف بحق تقرير المصير للمتلكات الفرنسية فيما وراء البحار . وستتعاون مع الدول النامية بتقديم مساعداتها لها في الكفاح ضد التخلف والفقر والمرض والامية .

وجاء في ختام البرنامج ان تطبيقه سيكون خطوة في مسيرة فرنسا نحو الاشتراكية ، وان تحقيق ذلك لن يتم سوى بتجميع كل العاملين في مجال العمل اليدوي والعقلي في المدن والريف ، وبعملهم المشترك ، وباتحاد كل الفئات الاجتماعية التي تعاني من النظام القائم وتأمل في التغيير والتقدم ، وفي حياة حرة سعيدة ، وباتحاد كل الاحزاب والمنظمات الديموقراطية حول برنامج مشترك للحكم يوضع بشكل مشترك وينفذ بطريقة مشتركة ..

■ بولندا ■

زيادة الاجور والاستهلاك والديمقراطية بعد المؤتمر السادس

عقد في ٢٠ ديسمبر الماضي في **وارسو** الاجتماع الموسع الثاني للجنة المركزية لحزب العمال البولندي المتحد برئاسة **ادفارد جيريك** سكرتير اول الحزب لبحث نقطة واحدة هي : المهام التنظيمية لتنفيذ قرارات المؤتمر السادس ، وتسوية عدد من المشكلات التي اثارها مندوبو مؤتمر الحزب بالنسبة لادارة الحزب والدولة .

وكان حزب العمال البولندي المتحد قد عقد مؤتمره السادس في ٦ من نفس الشهر في قاعة الاجتماعات الكبرى بقصر الثقافة بوارسو اشترك فيه ١٨١٥ مندوبا عن اعضاء الحزب الذين يزيد عددهم عن ٢ مليون ، وممثلون لستين حزبا شيوعيا ، ماعدا الحزبين الصيني والالباني من الاحزاب الحاكمة . وقد دعى المؤتمر

تعليق
تخفيض الدولار .. والطبيعة العدوانية للاقتصاد الأمريكي

في ١٦ اغسطس الماضي اتخذ الرئيس نيكسون عدة اجراءات لحماية الدولار ، وكانت اهم تلك الاجراءات والقرارات وقف تحويل الدولار مؤقتا الى ذهب والبدء في مشاورات لتغيير معدل التحويل بين الدولار والعملات الاخرى دون المساس بسعر الدولار بالنسبة للذهب ، وفرض رسوم جمركية اضافية بنسبة ١٠٪ ، هذا بالاضافة الى عدة اجراءات داخلية أهمها تجميد الاجور والاسعار تجميدا تاما لمدة ٩٠ يوما ، وتخفيض نفقات الحكومة الاتحادية .

وقد كان هدف نيكسون من تلك الاجراءات مواجهة مشكلتي التضخم وعجز ميزان المدفوعات الامريكي مع محاولة تجنب تخفيض سعر الدولار الى المستوى الذي يعكس قيمته الحقيقية ، وبعد ان كانت قد فشلت مساعي الولايات المتحدة لاقناع بعض حليفاتها برفع قيمة عملاتها رسميا بالنسبة للدولار

ولقد احدثت تلك الاجراءات ردود فعل عنيفة ، وعقد المسئولون سواء في المؤسسات المالية الدولية او في وزارات الخزانة والبنوك المركزية في البلاد « العشر الغنية » اجتماعات عديدة لمحاولة الوصول الى أسس مستقرة يتحدد بمقتضاها اسعار تحويل العملات بما يعكس قيمها الحقيقية ولحسم المشاكل النقدية والمالية التي تهدد استقرار النظام النقدي الدولي ، ولكن جميع تلك الاجتماعات فشلت ولم تحقق اى تقدم . واستمرت الاحتجاجات على الولايات المتحدة لفرضها الرسوم الجمركية الاضافية وخاصة من جانب فرنسا وكندا واليابان .

ازاء هذا الوضع المضطرب للنظام النقدي الدولي واحتمال تزايد الموقف تعقيدا واصرار الدول الغربية على ضرورة تخفيض الولايات المتحدة لقيمة الدولار واعادة النظر في سياستها الجمركية ، تم الاتفاق — في لقاء نيكسون وبومبيدو في جزر الازور — على خفض قيمة الدولار والغاء الرسوم الاضافية على الواردات بنسبة ١٠٪ وغيرها من الاجراءات التي كان قد اعلنها نيكسون في اغسطس الماضي وذلك على شرط ان تقوم الدول صاحبة « العملات القوية » بتعديل اسعار التحويل لعملاتها . وفي ١٧ ديسمبر بدأ وزراء مالية الدول العشر اجتماعهم في واشنطن للتوصل الى اتفاق لتعديل اسعار التحويل لعملات هذه الدول . وفي اليوم التالي توصل وزراء المالية الى اتفاق لاعادة تحديد اسعار الصرف . وعلى اثر ذلك الاتفاق قررت الولايات المتحدة رفع سعر اوقية الذهب من ٣٥ دولارا الى ٣٨ دولارا والغاء الرسوم الجمركية الاضافية وذلك بمجرد بدء العمل بالاتفاق الجديد . ويعني رفع سعر الذهب بالنسبة للدولار المشار اليه خفض سعر الدولار بنسبة ٧ر٩٪ . وبناء على الاتفاق الذي تم التوصل اليه ارتفع سعر الين الياباني بنسبة ١٦ر٨٨٪ وسعر المارك الالماني بنسبة ١٢ر٦ ٪ . أما سعر الفرنك الفرنسي وسعر الجنيه الاسترليني فلم يتغيرا مما يعني أن سعر العملتين بالنسبة للدولار سيرتفع بنسبة ٨ر٥٧ ٪ .

والواقع ان تخفيض الدولار كان حتميا وكان يجب ان يتقرر قبل ذلك . ان قوة عملة دولة ما تتوقف على الطاقة الانتاجية لهذه الدولة واثر ذلك على صافي حركة تعاملها مع الخارج ، فاذا زاد الطلب الاجنبي على منتجات وموارد بلد ما بنسبة اكبر من زيادة الطلب المحلي على المنتجات والموارد الاجنبية فان عملة هذا البلد تزداد قوة ومتانة والعكس صحيح .

ولقد كانت قوة الدولار طوال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية حتى اوائل الستينات تعكس متانة مركز الاقتصاد الامريكي في الاقتصاد العالمي ، ولكن مع تعاظم دور قوى اقتصادية اخرى (كاليابان والمانيا الغربية والبلاد الاشتراكية) تراجع مركز ووزن الاقتصاد الامريكي في الاقتصاد العالمي ، الامر الذي لابد وان ينعكس على مركز الدولار . فمثلا في اعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة كانت الصادرات الامريكية تمثل حوالي ٢٢ ٪ من الصادرات العالمية وكان لديها

للانعقاد وقبل حلول موعده بعام ؟ ربما لمعالجة الاثار الناجمة عن الاضطرابات التى وقعت على ساحل بحر البلطيق فى ديسمبر ١٩٧١ ، او تمهيدا لجعل موعد مؤتمرات الحـزب متفقا مع موعد انتهاء الخطط الخمسية، وهو ما اتفق عليه فى المؤتمر الاخير ، أو تنفيذا لمبدأ الممارسـة الديموقراطية الواسعة ، أو ربما لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة .

وبحث المؤتمر مسألة اساسية هى مستقبل الاقتصاد البولندى الذى اصبح يواجه بعد ٢٥ عاما من اعطاء الاولوية للصناعة الثقيلة بمطلب جديد هو زيادة انتاج السلع الاستهلاكية لتوفيـر احتياجات الشعب المتطلع الى المزيد من الرفاهية، خاصة بعد ان اعلن جيريك فى المؤتمر ، **ان الهدف الاساسى لسياسته ، هو أولا تحسين ظـروف معيشة الشعب .**

والحقيقة ان القادة البولنديين الحاليين بزعامة جيريك استطاعوا منذ حوالى عام ان يخلقـوا المناخ الملائم لاقامة حوار قومى ، على نطـاق واسع . وقد بدأ التحول منذ ان قام سكرتير أول الحزب بزيارة العمال المضربين فى مصانع بناء السفن فى شتيتين فى يناير الماضى . ومنذ ذلك الوقت ، اجريت المناقشات الواسعة فى المؤسسات ومختلف التنظيمات ، وفى كل مكان، حول كافة المشاكل الاقتصادية والاداريـة والايديولوجيـة والثقـافية ، واشـتركت الصحف نفسها فى هذا الحوار .. وفيه اكـد **جـيريك ، وياروشفيتش** رئيس الـوزراء على الدور الذى يلعبه غير الحزبيين فى ادارة الدولة والاقتصاد وأوضح جيريك ان المعيار الوحيد هو القيمة المهنية ، كما بذل مجهود كبير من أجـل ازالة الحواجز بين المؤمنين وغير المـؤمنين ، وتحسين العلاقات مع الكنيسة التى اعيدت اليها ممتلكاتها فى اراضى الشرق والشمال ، واجرت الحكومة محادثات مع الفاتيكان فى روما فى ابريل الماضى ، وفى وارسو فى نوفمبر ، سـهلت التطورات المطلوبة .

وقد بذل الحزب والحكومة مجهودا ضخما هذا العام لتحسين ظروف معيشة وعمل الشعب ، فازدادت الاجور المنخفضة والمعاشات والمنح العائلية . وفى منتصف فبراير المـاضى الغت الحكومة الزيادات فى الاسعار التى تقررت فى

حوالى اربعة اخماس الذهب النقدى فى العالم ، ولكن حاليا هبط نصيب الصادرات الامريكية الى حوالى ١٢٪ من الصادرات العالمية ، هذا بالاضافة الى انخفاض الرصيد الذهبى للولايات المتحدة تدريجيا حتى وصل الى ١٠ مليار دولار فقط فى العام الماضى . وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ظاهرة استمرار العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى ، والذى تجاوز اخيرا ١٠ مليار دولار ، هذا بالاضافة الى ظهور عامل جديد يتمثل فى ان الميزان التجارى والذى كان يحقق فائضا باستمرار ظهر فيه عجز خلال عام ١٩٧١ وذلك لاول مرة منذ حوالى ٤٠ عاما .

ولتقييم تخفيض قيمة الدولار نتناول اثر ذلك على :مواجهة العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى ــ استقرار النظـام النقدى الدولى .

فبالنسبة لمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات فمن المعروف ان تخفيض قيمة عملة دولة ما قد يحسن من موقف ميـزان المدفوعات ولكن تحقيق ذلك يتوقف على مجموعة من العوامل وليس هنا المجال لمناقشتها ولكن نكتفى بالاشارة فى هـذا الصدد الى النقاط التالية :

ـــ هل نسب تخفيض الدولار ورفع بعض العملات كالين [المارك هى النسب الصحيحة والكافية التى تحقق النتيجة المرجوة من تخفيض الدولار ؟

ــ مدى مرونة الطلب الخارجى على مختلف السلع الامريكية المصدرة ومدى مرونة الطلب المحلى الامريكى على السـلع المستوردة .

ــ طبيعة السياسات الجمركية ومختلف سياسات التجارة الخارجية والصرف الاجنبى التى تتبعها الدول التى تتعـامل مع الولايات المتحدة .

ــ مدى استمرار الدول وخاصة اليابان والمانيا الغربية فى الاحتفاظ بمعدلات التحويل الجديدة للعملات التى اتفق عليها اخيـرا .

ــ مدى نجاح الولايات المتحدة فى تخفيف حدة الضـغوط التضخمية ، وهذا امر مشكوك فيه طالما استمرت الطبيعة العدوانية للاقتصاد الامريكى . ومالم تنجح الولايات المتحدة فى مواجهة تلك الضغوط التضخمية فان استمرار ارتفـاع الاسعار فى الداخل سيضيع الاثر المتوقع على تخفيض اسعار الصادرات الناجم عن تخفيض قيمة العملة . هذا ويجب ان نأخذ فى الاعتبار ايضا ان تخفيض قيمة العملة فى حد ذاته ومايترتب عليه من تنشيط للصادرات واثر ذلك على احـداث زيادات متتالية فى الانتاج والانفاق ، يحمل فى طياته عناصر تضخمية .

لكل هذه الاعتبارات فانه من المشكوك فيه ان يؤدى تخفيض قيمة الدولار الى تحسين موقف العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى ، ونؤكد مرة اخرى ان استمرار الطبيعة العدوانية للاقتصاد الامريكى والسياسة العدوانية وماينجم عن ذلـك من استمرار للانفاق العسكرى المتزايد خارج الولايات المتحدة يزيد من الاعباء على ميزان المدفوعات الامريكى مما يلغى أى اثر حسن على ميزان المدفوعات يمكن ان ينجم عن تخفيض قيمة الدولار .

وبالنسبة لاستقرار النظام النقدى الدولى ، فان تخفيض قيمة الدولار وما صحب ذلك من تعديل لاسعار بعض العملات قد يساعد جزئيا على اشاعة جو من الاستقرار للنظـام النقدى الدولى ولكن ذلك لن يدوم الا لفترة قصيرة ، ذلك لان الازمات النقدية المتعاقبة للعملات « القوية » والتى تعبث باستقرار النظام النقدى الدولى ان هى الا انعكاس لتزايد حدة التناقضات فى النظام الراسمالى العالمى . ان ازمات النظام النقدى الدولى هى احد جوانب المظهر النقدى لتلك المتناقضات التى هى جزء من طبيعة النظام الراسمالى

د. الفونس عزيز

نوفمبر ١٩٧٠ ،وجمدت اسعار السلع الغذائية لمدة عامين ، وازدادت الدخول بنسبة ٩ فى المائة ، والاجور الحقيقية للعمال بنسبة ٥ فى المائة خاصة بعد ان أوضح **جان زيدلاك** عضو المكتب السياسى امام تنظيم الحزب فى كاتوويس « **ان تحقيق زيادة فى الاجور الحقيقية والاستهلاك اصبح هدفنا الرئيسى** » .

وقد رسم **ياروسفيتش** رئيس الوزراء فى المؤتمر الخطوط العريضة للخطة الخمسية الجديدة التى تستهدف تلبية احتياجات الشعب، واشار الى الجهود التى بذلت فى مجال الاستثمارات التى سوف تزداد بنسبة ٤٢ فى المائة فى الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٧٥ ، كما سيزداد الدخل القومى بنسبة ٤٠ فى المائة ، وقد أشار الى ان بولندا سوف تستخرج فى عام ١٩٧٥ — ١٥٧ مليون طن من الفحم ، وسيبلغ انتاجها من الطاقة الكهربائية ٩٦٫٠٠٠ مليون كيلو وات ساعة اى بزيادة قدرها ٤٩ فى المائة مع عام ١٩٧٠ ، وسيصبح انتاج الصلب ١٤٫٧ مليون طن ، اى بزيادة قدرها ٢٥ فى المائة وستنمو حمولة البحرية التجارية من ١٫٩ مليون طن الى ٣٫٥ مليون طن وسيزداد انتاج سيارات الركوب الى ١٣٥٫٠٠٠ سيارة سنويا . كما سيصل مجمل الزيادة فى الاستهلاك الى ٣٨ فى المائة على الاقل فى السنوات الخمس القادمة، وسيعنى ذلك زيادة بالنسبة للفرد قدرها ٣٣فى المائة ، وقد خطط لزيادة الاجور الحقيقية بنسبة تتراوح ما بين ١٧ و ١٨ فى المائة ، كما سيزداد الدخل القومى بنسبة تتراوح مابين ٣٨ و ٣٩ فى المائة بالمقارنة مع الزيادة السابقة وقدرها ٣٤ فى المائة، وسيتحقق ذلك على أساس زيادة فى العائد الصناعى تتراوح مابين ٤٨ الى ٥٠ فى المائة ، وفى العائد الزراعى تتراوح مابين ١٨ الى ٢١ فى المائة ، كذلك يتمثل احد التغيرات الملموسة فى الانتاج الصناعى فى زيادة انتاج السلع الاستهلاكية من المجموعة « ب » ، فيما بين ١٩٧١ و ١٩٧٥ بنسبة ٤٢ فى المائة على الاقل ، بينما كانت الزيادة فى الخطة السابقة لاتتجاوز ٣٦ فى المائة .

وقد اجرى المؤتمر تغييرات ضخمة لا فى قيادة الحزب فحسب وانما فى كيانه العام ايضا . اذ أسقطت اللجنة المركزية عضوية مكتبها السياسى عن « **جوزيف سيرانكيفيتش** رئيس الدولة ،الذى تولى رئاسة الوزارة طوال ٢١ عاما ، **واستيفان بيدريكوفسكى** وزير الخارجية ، **وميتشيسلاف موتشزار** رئيس لجنة الرقابة الحكومية ، الذى يحبذ اتباع « **الاساليب الرقابية** » . كما بلغت نسبة الاعضاء الجدد فى اللجنة المركزية حوالى ٥٠ فى المائة وهى نسبة ضخمة وقد حصل على عضوية اللجنة ٦٧ عضوا جديدا ، واعيد **انتخاب** ٤٦ عضوا من اعضاء اللجنة القديمة ، كما دخل اللجنة الجديدة ٢٢ من الاعضاء الاحتياطيين باللجنة المركزية القديمة ، هذا فضلا عن زيادة عدد اعضاء اللجنة المركزية من ٩١ عضوا الى ١١٥ عضوا ، كذلك حدث تجديد على نطاق واسع فى لجنتى الرقابة والمتابعة ، وفى اجهزة الحزب فى الاقاليم .

وفى مجال العلاقات الخارجية . دعا جيريك الى اقامة اشد انواع التنسيق بين السياسات الخارجية للدول الاشتراكية . واعتبر المسألة المحورية ، هى دعم المجموعة الاشتراكية على اساس المعيار الاساسى وهو الصداقة مع الاتحاد السوفيتى ، وادان الحزب البولندى بشدة الموقف الصينى ، كما اتخذ المؤتمر موقف الادانة الحازمة للمراجعة فى نفس الوقت الذى عبر فيه بحرارة عن مشاعر الصداقة تجاه الاتحاد السوفيتى . وعلى اية حال فقد لفت المراقبون السياسيون النظر بصفة خاصة ،الى الطريقة الودية الحارة التى عبر بها **ليونيد بريجنيف** سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى فى المؤتمر عن تقدير الحزب السوفيتى لجيريك والعاملين معه وكذلك للبرنامج الماركسى اللينينى

تعليق

المكان : استاد القاهرة .. الزمان : الرابعة والثلث **من** بعد ظهر يوم الجمعة الماضى .. الموضوع : **ضربة جزاء ضد النادى الاهلى** ، والسؤال : ما معنى ذلك كله ؟

كنت هناك ... سعيت الى مكانى مبكرا وتذكرت أيام كنا نهرب من المدرسة فى الحادية عشرة صباحا لنشاهد مباريات الاهلى والزمالك ... و ... وانطلقت صفارة الحكم محتسبة ضربة الجزاء ... وفى ثوان تطورت الاحداث سريعة .. نظرت الى اعلى : وجدت شابا نصف جسده فى الهواء يريد فى غيبة من وعيه أن يلقى بنفسه من شرفة الدور العلوى بالاستاد التى تبعد عن المتفرجين تحتها بما لا يقل عن عشرة أمتار .. كان يريد النزول لضرب الحكم ، ولكن العشرات من حوله أمسكوا به ومنعوه بحزم من محاولاته الجادة « للانتحار » ثم بدأت الموقعة حامية بين رجال الامن المركزى وبين الجماهير ... وسقط الجرحى من الجانبين .. وانطلقت سيارة الاسعاف الى داخل الملعب تحمل الجرحى من رجال الشرطة .

والان يثور السؤال : **ما معنى ذلك كله ؟**

لست مع الذين قالوا « انزلوا أقصى العقوبة بمروان حارس مرمى **الاهلى** » سواء كانوا من محترفى الكرة او من محترفى مشاهدتها ؛ أو حتى ممن ليس لهم فى هذا أو ذاك ولكنهم يملكون أقلاما يكتبون بها وينشرون عن كل شيء وفى كل موضوع .. حتى فى كرة القدم .. فأى لاعب يمكن أن يخطىء ،وهناك حكم المباراة وحده الذى يمكن أن يطبق عليه قانون اللعبة : من لفت النظر الى الايقاف عن اللعب ثلاث مباريات تالية .

ولست أيضا مع الذين يقولون : « الحكم اخطأ وهو السبب » .. فمنذ بدأ الارسال التليفزيونى فى مصر عام

الذين يعتزمون تطبيقه .

ومن الجدير بالذكر كذلك ان جيريك **اكد على ضرورة تعميق الديموقراطية الاشـتراكية فى بولندا ، جنبا الى جنب مع زيادة النظـام فى المجتمع .** وقد دعا **الى زيادة دور المجـــالس العمالية** ، على ان تقوم باعادة توزيع المكافآت ، وتهتم بالمشاكل الاجتماعية فى المؤسسات ،ودعا جيريك الى « **تحديد عدد مؤسسات الرقابة** » والتقليل من اهميتها لصالح « الرقابة الذاتية فى المؤسسات والادارات . وفى المجال الايديولوجى دعا جيريك الى ماأسماه « **باعادة التســلح الايديولوجى** » ورفض « **اى وقف لاطلاق النار فى مجال الكفاح الايديولوجى** » واكد فيه على مواصلة عملية التجديد الجارية ، الا انه اشــار بوضوح فى تقريره ، الى حقيقة هامة ، وهى:ان التجديد الذى يقوم به لاعلاقة له « بربيع اكتوبر ١٩٥٦» اى:ببعض التطبيقات التى تمت:ممارستها فى بولندا فى اعقاب المؤتمر العشرين للحــزب السوفيتى . اذ حلل جيريك نواحى الضـــعف الاساسية التى انتابت الحزب فى تلك الفتــرة وبخاصة من ١٩٥٦ الى ١٩٥٩ فقال : « **ان الضعف الاساسى للحزب فى تلك الفترة ينبــع من ان الاستبعاد الضرورى لبعض لبعض اخطاء الجمود العقائدى والخلفية ، وكذلك اعـــــادة توطيد الشرعية الاشتراكية التى انتهكت مـــن قبل ، كان مصحوبا بالتساهل مع المراجعـــــة والاتجاهات الايديولوجية التى انتهكت من قبل ، كان مصحوبا بالتساهل مع المراجعة والاتجاهات الايديولوجية الاخرى الغريبة عن بلادنا** » وابرز جيريك حقيقة ايجابية لا بالنسبة:لتطور الحزب الشيوعى فى بلاده فحسب، وانما بالنسبة لتطور الاحزاب الشيوعية الاخرى فى اوروبا الشرقية عامة وهى ان « **الكفاح ضد الجمود ، لاينبغى ان يقود الى المراجعة** » .

■ ■

■ كـــوبا

انهيار أسوار العزلة

لم تشعر الولايات:المتحدة الامريكية ــ والدول التى تتبع سياسة الانقياد الاعمى على طول الخط لدبلوماســيتها وأهدافها فى أمريكا اللاتينية ــ بفشل سياسة عزل كوبا الاشتراكية ومحاصرتها اقتصاديـــا وسياسيـــا ــ بقدر مـــا شعرت به خلال

الشــعب فى مباريـــات الكـــرة ... ظـــاهـــرة اجتماعيـــة

١٩٦٠ ، ومعلقنا الرياضى محمد لطيف يحرص على ان يذكرنا بأن الحكم هو سيد الملعب ، وهو صاحب الكلمة الوحيد فيه ، وهو الميقاتى الاول الخ ... الى درجة أن كل متفرج ــ حتى الهواة منهم ــ أصبح يعى ذلك تماما ، وهو ان لم يسمعه خلال الدقائق التسعين للمباراة فانه يبدأ فى التشكك فى شخصية مذيعها .

لسنت مع هؤلاء او اولئك لان الموقعة التى جرت على أرض استاد القاهرة منذ أيام لها دلالات أبعد وأعمــق من مجرد البحث فيها عن « الفاعل » .. والسبب بسيط : **فالفاعل ليس شخصا محددا .**

ان هذه الموقعة ــ بكل الاسف الذى تثيره فى النفوســ تطرح مجموعة من الاسئلة يجب أن نجيب عليها قبــــل أن نستطرد فى أى اتهام أو نتمادى فى اى اجراء ، أو حتى ــ وهو الاخطر ــ فى عدم اتخاذ أى اجراء :

(١) لـــماذا أصبحت المباريات الهامة تتحــول ــ بثورة المتفرجين ــــ الى مواقع عسكرية ؟ لسنا أول المتحمسين لاندية ، ولا نحن أكثر المتحمسين لفرقها .. ففى أوروبا مثلا من هم أكثر حماسا منا .

(٢) هل انطلاق المشاعر الى الفوضى ــ دفعة واحدة ـــ هو تعبير نفسى عن أوضاع عامة لها مظاهرها الاجتماعية والنفسية المعينة ؟

(٣) اذا ثبت أن ذلك عنصر له تأثيره الرئيسى ، أفـــلا يكون من واجب المسئولين مراعاة المبدأ العلمى فى الحرب النفسية الذى يقول : ان أهم وأخطر مشكلات الحـــرب النفسية هو السيطرة على درجة الحشد المعنوى والنفسى للجماهير وفق الهدف السياسى للدولة بحيث نتجنب الشحن المفاجىء ثم التفريغ السريع لدرجات الحماس القومى ؟

(٤) ألم يحن الوقت لمراكز البحوث الاجتماعية فى:بلادنا أن تهتم بالظواهر الجارية فى مجتمعنا وخاصة فى ظروف المعركة ؟ فمع اهمية أبحاثها عن مدمنى المخدرات ، ومنع النسل الخ ... مما نعانى وسنظل نعانى منه الى سنوات، ألا يجدر الاهتمام بظاهرة اجتماعية خطيرة ولو كان ميدانها مباراة فى كرة القدم ، ثم أن تقدم نتائج دراساتها الى من يرسمون السياسات فى الداخل والخارج ، أم أن مهمة مراكز الدراسات هى أن يبدو لمن يتقاتلون نقاشا حول:قدرة للملائكة على المرور من « خرم الابرة » بينما الاعـــداء يدقون أبواب بيزنطة ؟

[٥] لـــماذا لا نقبل ــ نحن المواطنين ـــ وفى كثير من الاحيان ، ما لا يعجبنا من قرارات ويكون موقفنا منها هو الانفعال الخاطف فقط ؟ لـــماذا ينقصنا عنصر الانضباط : ضبط النفس ، والالتزام بقواعد أية لعبة ... بينما الحياة كلها ــ وفى مقدمتها الامور السياسية ــ هى لعبة لهـــا قواعد تحكمها ؟

والسؤال الاخير فى رأيى هو أخطر الاسئلة .. أقدمه لابائنـــــا الفاضلين المسئولين عن تربية وتعليم أجيـــــالنا والاجيال القادمة : المسئولين عن مصر المستقبل : هـــــل **التدريب والتعليم مع « الانضباط » تقل أهمية عن شحن العقول بمكونات الذرة ؟ وألا تتطور سياسات التعليم حقـــــا الا بالتغيير الموسمى فى مناهجه ؟**

يكفى أن نذكر أن دولة أرادت أن تبنى نفسها عظيمة ، وأن تقيم الصناعات الثقيلة والخفيفة ــ مثل اليابان ــ وجدت أن أول خطواتها نحو القوة هى : تدريب النشء **على النظام ، والاشراف عليهم حتى وهم يعبرون الطـــرق العامة ليسيروا على الخطوط المحددة لسير المشاة .**

جمال صادق



كاسترو

فترة تغيب كاسترو رئيس وزراء كوبا عن وطنه في زيارته الطويلة والمدوية لشيلي وزيارتيه القصيرتين لبيرو واكوادور في طريق عودته .

واذا كانت آراء « المراقبين » (الغربيين) قد اجمعت على ان زيارة **كاسترو** لشيلي كانت نهاية لعزلة كوبا الدبلوماسية في أمريكا اللاتينية ، فان الحقيقة التي يتجاهلها هؤلاء المراقبون هو أن **اصوات المطالبة بوضع نهاية لهذه السياسة قد ارتفعت داخل منظمة الدول الامريكية نفسها قبل أن يقوم الزعيم الكوبي برحلته العميقة الاثر الى شيلي . بل أن أصوات المطالبة باعادة العلاقات مع كوبا واتباع سياسة أكثر موضوعية وواقعية تجاهها قد ارتفعت داخل الولايات المتحدة نفسها قبل ذلك بوقت طويل .**

واذا كان هذا يعني شيئا فهو أن القوة الفعلية للثورة الكوبية قد فرضت نفسها على مدى لسنوات الماضية رغم الحصار وحملات التشكيك والضغط الاقتصادي والدبلوماسي التي لم تنقطع عنها الولايات المتحدة طوال تلك السنوات .

وجاءت زيارة كاسترو لشيلي — حيث «**فاق استقباله كل التوقعات** » (على حد تعبير وكالات الانباء الغربية نفسها) فأضافت الكثير الى شعور الامريكيين في الشمال وفي الجنوب بعدم جدوى تجاهل قوة الحقيقة الثورية الكوبية بعد فشل المحاولات المتوالية لضربها من الداخل او الخارج والنتيجة الموضوعية التي يمكن الخروج بها أن زيارة كاسترو لشيلي والنجاح الجماهيري الهائل الذي صاحبها كانت تعبيرا عن شعبية كاسترو في أمريكا اللاتينية ، وتعبيرا في الوقت نفسه عن التأييد الجماهيري العريض لحكومة شيلي الاشتراكية برئاسة الزعيم الماركسي سلفادور الليندي . وبالتالي فان الزيارة كانت نتيجة — وليست مقدمة — لانهيار جدران العزلة حول كوبا . كما أنها كانت تاكيدا بأنه لا وجود لاية تناقضات اساسية أو متصارعة بين النظام الثوري الكوبي الذي يمثله كاسترو والنظام لاشتراكي البرلماني الشيلي الذي يمثله الليندي

ولقد جاء وقت حاولت فيه القوى اليمينية في أمريكا اللاتينية — ووراءها الولايات المتحدة بالامكانيات وبالتوجيهات — أن توحي بوجود تناقضات أساسية وحادة بين القوى الثورية اليسارية في شيلي ، أو بين العناصر البرلمانية بزعامة سلفادور الليندي والعناصر الثورية ذات الاتجاهات الكاستروية المتطرفة (كما يحلو لليمين ان يصفها) . **ولكن لقاء كاسترو والليندي أكد أنه لا وجود لمثل هذه التناقضات الاساسية وان الوقت في أمريكا اللاتينية الان هو وقت توحيد قوى وجهود الثورة واليسار في وجه الامبريالية الامريكية وضد قوى اليمين المتشبثة بالبقاء .**

وقد عبر كاسترو بنفسه — في احد لقاءاته الجماهيرية العديدة في شيلي بالعمال وبالطلبة — عن معنى هذا اللقاء حين قال « **ان هذا الالتقاء يمكن أن يوصف بانه التقاء رمزي بين عمليتين تاريخيتين** » . وهو يعني أن الالتقاء يرمز الى الالتقاء بين الثورة الكوبية كعملية تاريخية تسير في اتجاه تقدمي محدد والثورة الشيلية كعملية تاريخية أخرى تسير في اتجاه تقدمي محدد آخر .

وقال كاسترو أيضا — في آخر أحاديثه الصحفية خلال زيارته لشيلي — « **لقد حاولت الامبريالية بكل قوتها طوال ١٢ عاما ان توقفنا أن تسحق الثورة الكوبية ولكنها فشلت . ان تعريفنا للاستقلال حقيقة لا يمكن تحطيمها** » .

ولم تكن طائرة كاسترو قد هبطت بعد في ارض شيلي حين كتبت صحيفة «نيويورك تايمز» لامريكية تقول « **ليس هناك شك في ان كثيرا — وربما معظم — حكومات أمريكا اللاتينية تشارك الان الرئيس الليندى الرغبة القوية في أن تعود كوبا الى النسق الامريكي** » . وفي الوقت نفسه أشارت الصحيفة الى أن زيارة كاسترو لشيلي ثم اكوادور وبيرو جاءت في وقت تشترك فيه كوبا في مؤتمر ليما لمجموعة لدول الـ ٧٧ النامية . وقد اشتركت كوبا في هذا المؤتمر بموافقة اجماعية من دول أمريكا

اللاتينية ، بما فيها الدول التى تسيطر عليها حكومات مناهضة للاشتراكية وللكاستروية على وجه الخصوص . وقد عقب دبلوماسي من بيرو على هذا بقوله « **ان كوبا جزء لا يتجزأ من أمريكا اللاتينية ، وعلى الولايات المتحدة أن تدرك هذا** »

ولقد عبر كاسترو عن حقيقة هامة حين قال فى مؤتمر صحفى فى السفارة الكوبية فى هافانا ((**أن العزلة حول كوبا قد بدأت تتكسر حينما انتخب الليندى رئيسا لشيلى**)) . فالواقع أن حكومة شيلى ساهمت فى عام ١٩٦٤ مع الولايات المتحدة فى قرار فرض الحصار الدبلوماسى والتجارة حول كوبا ، واليوم بوجود حكومة اشتراكية فى شيلى نفسها يظهر للامبريالية الامريكية **الى أين يتجه مؤشر التطور فى قارة أمريكا اللاتينية** . وهذا هو المعنى نفسه الذى عبر عنه الرئيس الليندى — فى حديث لمراسل اذاعة كوبا — حين قال « **ان مظاهر الصداقة والتضامن الرائعة التى أبداها الشعب الشيلى تجاه فيدل كاسترو هى تأكيد حى لان شعب شيلى يفهم جيدا أهمية كوبا الثورة فى حركة تحرير أمريكا اللاتينية**)) .

ان القلق يستبد الان بالدوائر الرسمية الامريكية المعنية بشئون أمريكا اللاتينية . أنها تعرف — بعد اعترافها بانتهاء عزلة كوبا فى أمريكا اللاتينية — أن الولايات المتحدة ستواجه فى أول اجتماع لمنظمة الدول الامريكية موجة من المعارضة ضد استمرار فرض الحصار الدبلوماسى والتجارى والاقتصادى حول كوبا . وتجد الولايات المتحدة نفسها فى انتظار هذه الموجة أمام اختيارين كلاهما مر : **اما أن توافق على أن تبتلع اصرارها السابق على استمرار الحصار حول كوبا ، واما أن تتهيأ لهزيمة داخل منظمة الدول الامريكية شبيهة بهزيمتها داخل الامم المتحدة عند التصويت على عضوية الصين الشعبية** .

■ ■

■ **هيئة الامم المتحدة** ■

المجتمع الدولى وقضية الصراع العربى الاسرائيلى

فى ديسمبر الماضى حققت الدبلوماسية العربية نجاحان متلاحقان فى الامم المتحدة .

ففى أول ديسمبر ، تقدم الاتحاد السوفيتى ، الى اللجنة السياسية الخاصة المتفرعة من الامم المتحدة ، بمشروع قرار يقضى بضرورة **منح الشعب الفلسطينى حق تقرير المصير** ، واشراكه فى أية تسوية خاصة بالوضع فى الشرق الاوسط وتقدمت ، فى نفس الوقت ، بعض الدول الاسلامية (**أفغانستان ، الصومال ، باكستان ، واندونيسيا**) الى اللجنة ذاتها بمشروع قرار يقضى بدعوة اسرائيل الى الكف عن نسف مساكن الفلسطينيين وطردهم خارج ديارهم .

وفى اليوم التالى اتخذت هذه اللجنة أربعة قرارات ضد اسرائيل . وصدقت عليها الجمعية العمومية . اذ وافقت اللجنة — بأغلبية ٧٥ صوتا ضد صوتين (اسرائيل ومالاوى) وامتناع ٢٥ دولة عن التصويت — على قرار يدعو اسرائيل الى **اتخاذ خطوات فورية وفعالة لتسهيل عودة اللاجئين الفلسطينيين** .

ويدعو القرار الثانى اسرائيل الى **وقف تدمير مساكن اللاجئين والكف عن نقل اللاجئين من معسكراتهم** . وقد اتخذ هذا القرار بأغلبية ٦٦ صوتا ، ضد أربعة أصوات (اسرائيل ، هايتى ، اكوادور ، سانتو دومينجو ، وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت .

وصدقت اللجنة على «**ضرورة مراعاة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين لاقرار سلام دائم وعادل فى الشرق الاوسط**» وأعرب القرار عن « القلق الشديد ازاء حرمان الشعب الفلسطينى من هذه الحقوق ومنعه من ممارسة حقه فى تقرير المصير » .

وأعربت اللجنة فى قرارها الرابع عن اسفها العميق لعدم **اعادة اللاجئين الى ديارهم أو تعويضهم** . وفى هذا القرار كانت اسرائيل هى الدولة الوحيدة التى امتنعت عن التصويت . كما اقر — بالاجماع — ضرورة تعزيز المساهمات المالية فى **وكالة غوث اللاجئين** .

اما النجاح الثانى فقد حققته الدبلوماسية العربية فى الجمعية العمومية للامم المتحدة ، حين أصدرت الجمعية المذكورة قرارها الذى « يؤكد من جديد أن الاستيلاء على الاراضى بالقوة أمر لا يمكن قبوله ، وانه بناء على ذلك يجب أن تعاد الاراضى التى احتلت بهذه الطريقة الى أصحابها» وتطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها فى نزاع يونيو ١٩٦٧ ، وبالرد ايجابيا على مذكرة السفير يارنج .

وقد سبق القرار المذكور تحركات متعددة الاطراف ... ففى السابع والعشرين من نوفمبر الماضى وصل **محمود رياض** ، وزير الخارجية المصرية ، الى نيويورك . وكان قد صرح اثناء مروره بمدريد لمندوب الاسوشيتدبرس ، أنه « **اذا فشلنا فى استعادة أرضنا بالوسائل السلمية ، فلن يكون أمامنا بديل للحرب** » .

وعكست تصريحات المسئولين الاسرائيليين القلق البالغ من الاتجاه السائد فى الدورة الحالية للامم المتحدة ، اذ أجمعت هذه التصريحات على أن الامم المتحدة لن تتخذ قرارا موضوعيا بشأن أزمة الشرق الاوسط .

وحاولت اسرائيل تجميع المناقشات الدائرة فى الجمعية العمومية ، بنشر الاوهام عن استعدادها للعودة الى اتصالات **يارنج** .

وفى الثامن والعشرين من نوفمبر ، وفى مدينة لندن ، ابدى **أبا ايبان** ، وزير الخارجية الاسرائيلى **لسير دوجلاس هيوم** ، وزير الخارجية البريطانية استعداد حكومته لتوقيع شروط مسبقة ، ورفض أى تفسير جديد لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وعشية مناقشة أزمة الشرق الاوسط ، أكد **محمود رياض** أن مصر لا تعتزم التقدم بأى مشروع قرار .

وفى أول ديسمبر أدلى **يوثانت** ــ السكرتير العام للامم المتحدة ــ بتقريره حول الازمة ، أمام الجمعية العمومية . وقد طالب يوثانت اسرائيل بتقديم رد ايجابى على **يارنج** ، كما أشار الى رفضها التعهد بالانسحاب ، ودعا الى ضرورة احياء مهمة المبعوث الدولى .

وقد تأجلت المناقشة يوما واحدا ، فى انتظار وصول ممثلى اللجنة الافريقية .

وواصلت اسرائيل مناوراتها ، فنشرت الشائعات حول موقف الصين من قضية فلسطين مدعية أن ليس لدى الوفد الصينى تعليمات من حكومته حول الموقف الواجب عليه اتخاذه ازاء الازمة .

ومن خلال وفد كوستاريكا ، تقدمت اسرائيل بمشروع قرار الى الجمعية العمومية لا يخرج فى جوهره عما قاله **ايبان لهيوم** .

وفى الثالث من ديسمبر ألقى **رياض** خطابه أمام الجمعية العمومية ، والذى طالب فيه بفرض عقوبات على اسرائيل ، بعد ان رفضت تنفيذ قرار مجلس الامن وكل المبادرات لحل الازمة . وأكد أن **«مصر مصممة على مقاومة عدوان اسرائيل كما فعلت مع الغزاة طوال تاريخها»** .

وعقب خطاب **رياض** ، اصدر الوفد الاسرائيلى لدى الامم المتحدة بيانا اتهم فيه وزير الخارجية المصرية بوضع شروط لا يمكن لاسرائيل قبولها . وان خطابه يؤكد رغبة مصر فى القتال بعد استصدار قرار من الامم المتحدة يبرر لها استئناف القتال .

وقد تقدمت **اللجنة الافريقية** بتقرير الى **يوثانت** بينت فيه أن اسرائيل رفضت استئناف مهمة يارنج بشروط مسبقة ،وانهااشترطت أن يتم **(التفاوض)** حول شروط **الانسحاب الجزئى والحدود الامنة** **وحرية الملاحة فى** مضيق **تيران** . واحتمال تواجد قوات دولية فى شرم الشيخ . فى حين وافقت مصر على استئناف مهمة يارنج ، وعقد اتفاق مؤقت لاعادة فتح قناة السويس ، شريطة أن تلتزم اسرائيل بالانسحاب الكامل ، وان تتضمن التسوية الكاملة مسألة الحدود الامنة وحرية الملاحة فى مضيق تيران وامكانية تواجد قوات دولية فى شرم الشيخ .

ومعروف أن هذه اللجنة كانت قد انبثقت عن **منظمة الوحدة الافريقية** وأوفدتفىنوفمبر الماضى أربعة من رؤساء الدول الافريقية الى اسرائيل ومصر لجمع المزيد من حقائق الموقف ، الا أن مهمة الرؤساء الاربعة باءت بالفشل .

وفى ٦ ديسمبر ألقى **أبا ايبان** خطابه فى الجمعية العمومية كرر فيه مطالبه الى **هيوم** . وانذر بأنالامم المتحدة ستخسر **(الفرصة الذهبية)** اذا هى اكتفت بتطبيق (قوة الاغلبية) .

وفى يوم ٨ ديسمبر هاجم مندوب الصين **شن سياوكوان هوا** ، بعنف كل من اسرائيل والولايات المتحدة . فى حين طالب **بهاء الدين طوقان** ، مندوب الاردن ، باعادة تنشيط مهمة يارنج وتطبيق قرار مجلس الامن . وطالب **لازارمويسوف** ، مندوب يوجوسلافيا بمنع تزويد اسرائيل بالاسلحة الهجومية .ووصف **عبدالرحمن بازواك** ، مندوب افغانستان أطماع اسرائيل بالاستعمار الدينى .

وفى اليوم التالى تقدمت أربع دول افريقية (نيجيريا والسنغال والكاميرون وموريتانيا) بمشروع قراريطالب اسرائيل بالانسحاب وتنشيط مهمة **يارنج** ، وتسوية مشكلة اللاجئين .وسرعان ما تبنت ٢٧ دولة هذا المشروع .مما دفع اسرائيل للتحرك وسط بعض دول امريكا اللاتينية فى محاولة منها لتقديم مشروع مضاد لا يلزمها بالانسحاب .وعندما فشلتجهود امريكاواسرائيل فى هذا الصدد ، أدلى **ايبان** بتصريح عصبى قال فيه انه اذا أقر المشروع الافريقى فان اسرائيل لن تنفذه ، مما يؤدى الى فقدان الامم المتحدة لكل دور لها فى الازمة .

وفى صباح ١٤ ديسمبر جرى التصويت فى الجمعية العمومية ونجح المشروع الافريقى بأغلبية ٧٩ صوتا ضد ٧ أصوات وامتنعت ٣٦ دولة عن التصويت،ومما تجدر الاشارة اليه امتناع أربعة دول عربية عن التصويت وتغيبالوفد العراقى .

وهذا القرار هو ــ على حد تعبير **السيد محمود رياض** ــ تأكيد لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويبقىأن «تستعمل مصر حقها المشروعفى تحرير الارض» كما قالوزير الخارجيةالمصريةفى معرض رده على أسئلة الصحفيين فى المطارات

التى مر بها فى رحلته الاخيرة من القاهرة الى نيويورك . وعندها فقط سيكتسب هذين النجاحين قيمتهما الحقيقية . وبدون ذلك ستضاف هذه القرارات الى اكداس القرارات والاحتجاجات والادانات ضد اسرائيل ، فى حين يبقى الواقع الاليم على ما هو عليه .

●

■ مجلس السلام العالمى ■

لقاءات دولية لمجلس السلام العالمى

يمارس المجلس العالمى للسلام فى الآونة الاخيرة سلسلة من النشاطات الهامة من اجل شرح وجهات نظر انصار السلام فى العالم فى مختلف القضايا الهامة .

ومن بين هذه النشاطات الهامة المقابلة التى تمت مؤخرا بين **أليكسى كوسيجين** رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى وبين **روميش شاندرا** السكرتير العام للمجلس العالمى للسلام ، حيث ناقشا عددا من أخطر القضايا التى تجابه الانسانية المعاصرة .

وفى الوثيقة التى اصدرها المجلس العالمى للسلام حول هذه المقابلة اثبت **شاندرا** عديدا من أجوبة **الرفيق كوسيجين** على عدد من التساؤلات الهامة المتعلقة بقضايا الحرب والسلام .

فحول القضية الفيتنامية قال **كوسيجين** « **ان شعوب الهند الصينية مستعدة لتسوية المشكلة سياسيا ، كذلك فان شعور الولايات المتحدة بوطأة الحرب يزداد ، وقد بدأ المعتدى يؤمن باستحالة فرض نفسه بواسطة القوة أو الخديعة على شعوب الهند الصينية الشجاعة .** المشكلة اذن هى تحويل الامكانيات الى حلول ملموسة ، وأكد كوسيجين أيضا « ان الاتحاد السوفيتى يعمل من أجل السلام فى فيتنام ونحن مستعدون لبذل كل الجهود فى سبيل حل هذا النزاع » .

وحول أزمة الشرق الاوسط قال كوسيجين «**ان اسرائيل لا تبحث عن السلام العادل والدائم ، ولكنها تريد المحافظة على استمرار الوضع الراهن معلقة آمالها على أن «تعتاد» الدول العربية مع مرور الزمن على احتلال اسرائيل للاراضى العربية وهذه الاوهام التى آدانتها كل الدول تجد صدى فى واشنطن .. ومن الواضح أن شعوب الدول العربية لا يمكن أن توافق على اعطاء أجزاء من أراضيها لدول معتدية** »

ومن بين النجاحات الكبيرة التى حققها المجلس العالمى للسلام مؤخرا تلك الزيارة التى قام بها وفد منه لمقابلة **يوثانت** السكرتير العام للامم المتحدة ، وفى المقابلة أكد **يوثانت** على أهمية قيام تعاون وثيق بين الامم المتحدة وبين المجلس العالمى للسلام وغيره من المنظمات العالمية الجماهيرية » . واعرب **يوثانت** « أن ثقته الكاملة فى الدور الكبير الذى يلعبه المجلس العالمى للسلام فى اعادة صياغة المجتمع الانسانى وفى تحديد الاتجاهات السياسية العالمية والمحلية »

وقد اشار **يوثانت** فى حديثه الى حقيقة هامة وهى أن ميثاق الامم المتحدة يبدأ كلماته بعبارة « **نحن شعوب العالم** » بينما كان ميثاق عصبة الامم السابقة يبدأ كلماته بعبارة « **نحن الاطراف السامية المتعاقدة** » وخلص من ذلك الى حقيقة أن شعوب العالم ومنظماتها الجماهيرية وكل انصار السلام فى العالم مدعوون لممارسة نضال جاد من أجل اقرار السلام والامن الدوليين » .

وتطرق **يوثانت** فى حديثه الى عدد من القضايا الهامة ، فاشار الى تصميمه على عدم الاستمرار فى عمله كسكرتير عام للامم المتحدة ، وقال انه يعتقد انه قادر على مواصلة خدمة السلام من خلال نشر عدد من الكتب والدراسات والمذكرات التى يستطيع أن يكشف فيها بعضا من الحقائق التى لا يمكنه أن يتحدث عنها الآن .

وقال **يوثانت** انه يعتقد أن من واجب الامم المتحدة لكى تصبح منظمة عالمية بالفعل أن تدعم علاقاتها بالمنظمات الجماهيرية وخاصة المجلس العالمى للسلام . ذلك انه يعتقد أن للمجلس العالمى للسلام أهدافا نبيلة يتفق — هو شخصيا — معها تمام الاتفاق ، ذلك أنها تسعى فى النهاية الى اقامة مجتمع دولى يسوده السلام والعدل والتقدم » .

هذا وقد قام الوفد بعد ذلك بحضور عدد من اجتماعات اللجان الفرعية للامم المتحدة وعرض فيها وجهة نظر انصار السلام فى المسائل المطروحة . كما وجه الدعوة الى عدد من هذه اللجان كى توفد مندوبين عنها لحضور اجتماع رئاسة المجلس العالمى للسلام المقبل ، بحيث يمكن اقامة جسور مستمرة وتعاون مثمر بين منظمات ولجان الامم المتحدة ، وبين حركة أنصار السلام العالمية . وقد قابلت هذه اللجان الدعوة التى وجهت اليها بترحيب شديد .

ثم طرح وفد المجلس العالمى للسلام فكرة الدعوة الى عقد اجتماع فى جنيف يضم ممثلى المنظمات العالمية الجماهيرية ومندوبين عن الامم

المتحدة ولجانها المختلفة لبحث وسائل التعاون فيما بينها ، وقد تمت الموافقة أيضا على هذا الاقتراح .

كذلك تقدم الوفد بعدد من المقترحات الهامة من بينها أن يرسل **يوثانت** رسالة خاصة الى اجتماع رئاسة المجلس العالمى للسلام المقبل يحدد فيها موقف المنظمة الدولية من القضايا الهامة . واقتراح بأن يتم نوع من التنسيق المستمر بين الجهاز الدائم للأمم المتحدة وبين سكرتارية المجلس العالمى للسلام . وقد استقبل السكرتير العام هذه المقترحات بترحيب شديد .

هذا وقد قدم الوفد الى **يوثانت** والى السكرتارية الدائمة للامم المتحدة مذكرة تفصيلية حول اهداف ومبادىء الحركة العالمية للسلام ، شرحت فيها بالتفصيل دور المجلس العالمى للسلام ومنظماته القومية فى النضال من أجل السلام وموقف أنصار السلام من مختلف القضايا الدولية الهامة .

والذى لا شك فيه أن مثل هذا النشاط المتسع من جانب حركة السلم العالمية يمثل خطوة هامة فى سبيل تعزيز الحركة العالمية للسلام وفتح آفاق جديدة أمام نشاط أنصار السلام فى مختلف انحاء العالم .

كذلك فان التعاون المفيد الذى يقوم الآن بين الامم المتحدة وبين المجلس العالمى للسلام هو بذاته دليلا كافيا وواقعيا على أن حركة السلام العالمية قد اصبحت بالفعل قوة فعالة وايجابية فى دعم السلام العالمى ، وانها قد أصبحت ذات نفوذ عالمى واسع سواء على النطاق الجماهيرى أو الحكومى .

تقرير خاص

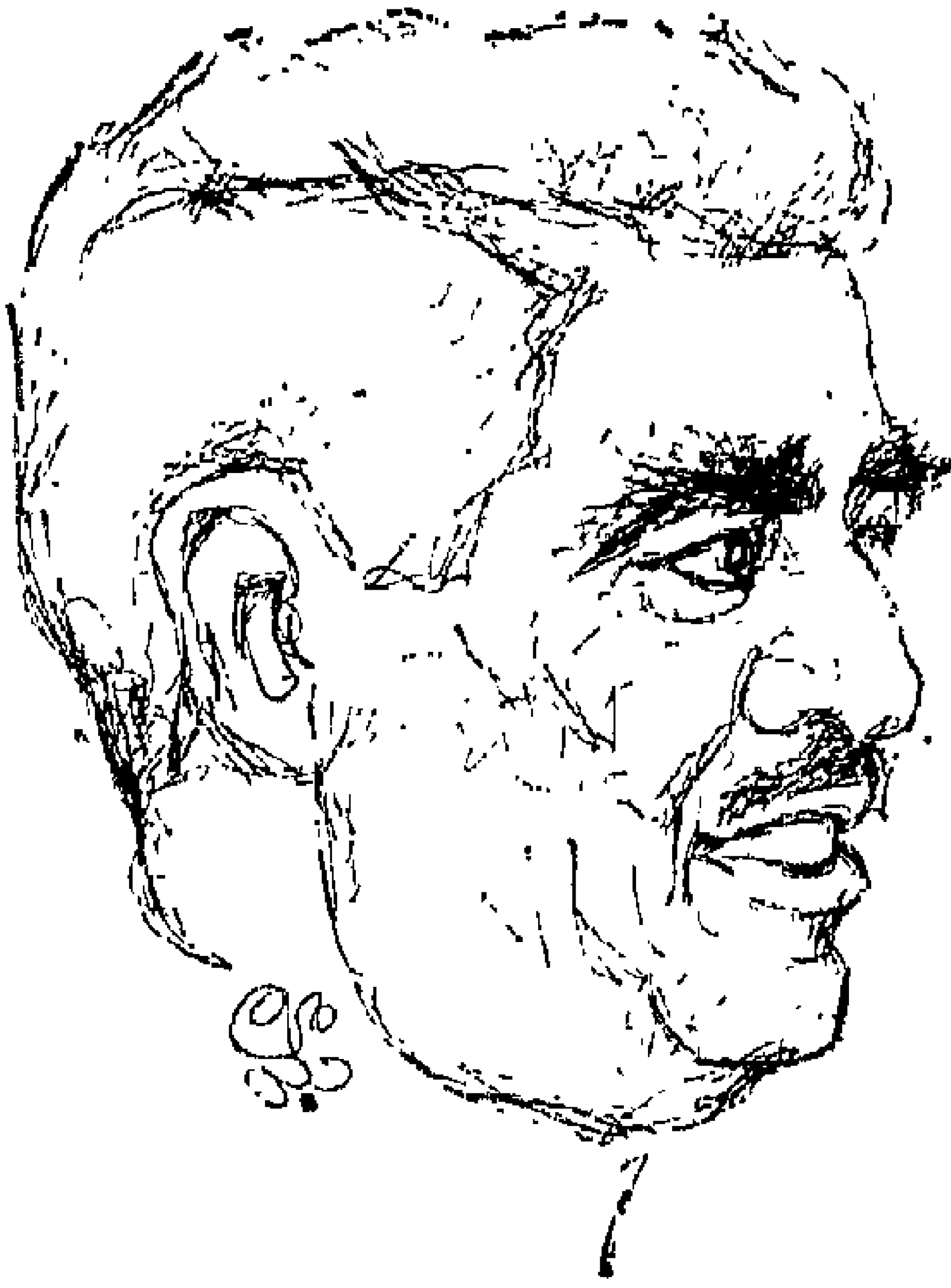
الحساب الختامى لوصفى التل

فى تمام الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين من بعد ظهر الاحد ، الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ ، وأمام فندق **شيراتون** بالقاهرة ، وضع أربعة من الشبان الفلسطينيين حدا لحياة **وصفى مصطفى وهبه التل** ، رئيس وزراء الاردن وصاحب التاريخ الدامى الطويل مع حركة المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى .

والشبان الاربعة هم : **منذر خليفه** ، **عزت رباح** ، **جواد بغدادى** ، **زياد بدران** .

وبعد الاغتيال بقليل ، اتصلت فتاة بوكالات الانباء فى بيروت ، تليفونيا ، لتخبرها أن (**منظمة ايلول الاسود**) هى التى نفذت عملية اغتيال التل .

وقد تسمت المنظمة بهذا الاسم نسبة لايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهو الشهر الذى نظمت فيه السلطة الاردنية المذبحة الشهيرة ضد العمل الفدائى والشعب الفلسطينى فى الاردن ، والتى راح ضحيتها نحو عشرين الف شخص . وهى المذبحة التى لعب فيها **وصفى التل** دورا رئيسيا سواء فى التمهيد والتخطيط لها او متابعة تنفيذها . فرغم عدم اشتراكه فى وزارة محمد داوود العسكرية ، التى كانت قائمة فى الاردن اثناء تنفيذ المذبحة ، الا ان الوسطاء العرب ، الذين ذهبوا الى عمان لوقف المذبحة المذكورة ، شاهدوا **وصفى التل** فى **قصر الحمر** الملكى بعمان ، وهو



القصر التى كانت تدار منه المعارك ضد الفدائيين ، حيث كان يشارك فى ادارة ومتابعة المعارك من غرفة العمليات الموجودة فى القصر .

تاريخ أسود

ولد **وصفى التل** عام ١٩٢٠ ، فى قرية من ضواحى **اربد** ، شمال الاردن . وبعد أن تخرج

من الجامعة الامريكية فى بيروت عام ١٩٤١ ، حاملا بكالوريوس العلوم والفلسفة ، عمل مدرسا فى الاردن، ثم سرعان ماهجر التدريس ليلتحق بمدرسة صرفند العسكرية فى فلسطين، والتيكانت تديرها سلطاتالانتداب البريطانى ! وتخرج منها ليعمل ملازما فى الجيش البريطانى عام ١٩٤٢ ، ثم عين ياورا ومستشارا سياسيا لكلايتون ، ضابط المخابرات البريطانية والمسئول غير المعلن عن السياسة البريطانية فى الشرق العربى .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عام ١٩٤٥ ، انتقل التل الى قبرص ليعملفيالمخابرات البريطانية هناك . ثم عاد منها ليعمل فى (المكتب العربى) فى فلسطين ، والذى اقيم عام ١٩٤٦ بمبادرة من الجامعة العربية ، وكان على رأسه موسى العلمى ، وكان المكتب يضم عناصر مثقفة مؤمنة بضرورة الارتباط بالغرب والتعامل معه فى سبيل الحصول على الاستقلال والحرية !!

ثم كانت المفاجأة عندما انضم وصفى التلالى (جيش الانقاذ) ، الذى دخل فلسطين عام ١٩٤٨ بقيادة فوزى باشا القاوقجى ، بحجة مؤازرة عرب فلسطين فى قتالهم ضدالعصابات الصهيونية . وتولى التل منصب مسئول التحركات الحربية ، ثم قيادة الفرقة الرابعة فى الجليل .

وبعد انتهاء حرب فلسطين انضم وصفى التل الى الجيش السورى . وفى عام ١٩٤٩ القى حسنى الزعيم القبض عليه ، وقدمه للمحاكمة بتهمة التجسس ، وقد تدخل السفير البريطانى فى سوريا وحال دون اعدامه ، وتمكن منالافراج عنه ! حيث عاد الى عمان ، ليعمل موظفابدائرة الاحصاء ثم مساعداً لمدير ضريبة الدخل . وفى ١٩٥٥ عين مديرا للمطبوعات ، فمستشارا للسفارة الاردنية في بون بالمانيا الغربية ، وفى عام ١٩٥٧ عين مديرا للبروتوكول فى القصر الملكى الاردنى ، ثم قائما بالاعمال فى طهران. وفى عام ١٩٥٩ عين مديرا للتوجيه الوطنى ، ثم سفيراً للاردن فى بغداد . وفى ١٩٦٢ تولى رئاسة الوزارة الاردنية للمرة الاولى . وبلغت المرات التى تولى فيها رئاسة الوزارة الاردنية خمس مرات .

وهذه هى المرة الثالثة التى يتعرض فيها وصفى التل لمحاولة اغتيال . وكانت المرةالاولى فى اغسطس ١٩٦٦ ، والثانية فى اكتوبر من نفس العام .

وكان التل بعد عدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ يبدى تبرمه وسخطه ، من حين لاخر ،من نمو العمل الفدائى على ارض الاردن . وذهبت محاولاته باقامة علاقات مع حركة المقاومة الفلسطينية ادراج الرياح ، ذلك انه حاول التقرب من الحركة الفدائية والارتباط بها ، الا ان رغبته هذه قوبلت بالصد من قبل المقاومة .

واذكر انه كان يتباهى فى مجالسه الخاصة، بأنه القادر الوحيد على عقد صلح معاسرائيل ، وانه سيفعل ذلك بمجرد توليه الوزارة !

وبعد انتهاء مذبحة سبتمبر ١٩٧٠ ، استقالت الوزارة العسكرية . وكلف الملك حسين وصفى التل بتشكيل الوزارة ، فى اكتوبر ١٩٧٠ . وبكل ماعرف عنه من شراسة ومعاداة لحركة الشعب ، بدأ وصفى التل فى تنفيذ المخططالرامى الى استثمار نتائج مذبحة سبتمبر ، والعملعلى التصفية التامة لحركة المقاومة .

وفى ٢٠ يناير ١٩٧١ ، أصدر وصفى التل باعتباره الحاكم العسكرى للاردن — قرارا ، ضمن تشريعات الطوارىء ، تضمن الاعدام والسجن لمدد طويلة لكل من يحرز متفجراتاو أسلحة . ثم سرح المئات من الفلسطينيين من دوائر الحكومة ، وفرض قيودا مشددة على تعيينهم فى الوظائف ، واشترط أن لايتم التعيين فى الوظائف العادية الا بموافقة شخصية منه. وذلك بهدف التضييق على الفلسطينيين . ثم أصدر التل قرارا يقضيبضرورةعودةابناء غزةالى القطاع . وكان هذا القرار يعني اخراج ابناء قطاع غزة من الاردن الى الدول العربيةالاخرى، حيث من المعلوم أن اسرائيل ترفض عودتهم الى قطاع غزة .

وفى اليوم " التالىلاغتيال التل تضاعفت عمليات المقاومة العسكرية في المناطق المحتلة ، وشهد قطاع غزة ليلة مجيدة من أيام المقاومة ، وصفتها المصادر العسكرية الاسرائيلية بأنها « أحلك ليلة فىتاريخاحتلالالقطاع » . وبعد اقل من أسبوع شهد القطاع معركة اخرى لاتقل عنفا عن سابقتها .

وفى الخامس عشر ديسمبر الماضى، تعرض زيد الرفاعى ، سفير الاردن ، الى محاولة لقتله بالرشاشات . ونسبت [منظمة أيلول الاسود] المحاولة لنفسها .

وفى اليوم التالى انفجرت عبوة ناسفة فى مركز البعثة الاردنية لدى المقر الاوربى للامم المتحدة فى جنيف بسويسرا . وتحملت [حركة التحرير الوطنية الاردنية) مسئولية هذه العملية .

وبعد ..

لقد وقع مالم يكن يتوقعه التل نفسه ، ففى أعقاب مذبحة يوليو ١٩٧١، سأله أحد الصحفيين عما اذا كان يخشى قتله على أيدى الفدائيين ؟ فرد التل ببيت الشعر المعروف :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
أبشر بطول سلامة يا مربع

الا ان الاهم من ذلك كله أن نشاط المقاومة وعملياتها العسكرية في تصاعد وتزايد مستمرين، في الاراضي المحتلة بقطاع غزة والجليل بشكل خاص .

وأخذت معدلات المضايقات في الارتفاع . مما اضطر المقاومة الى سحب اسلحتها ومقاتليها من عمان في مارس ١٩٧١ . ثم بدأ التل حملة شرسة للتفتيش عن الاسلحة في المدينة ، قام خلالها الجنود الاردنيون بنهب منازل المدينة وحوانيتها . ويوم تم انسحاب الفدائيين من عمان ، قال **وصفي التل** « ان هذه الخطوة تساوي في قيمتها وأثرها خطوة انطلاق العمل الفدائي »!!

وفي فبراير ١٩٧١ . انسحبت **اللجنة العسكرية العربية** من الاردن احتجاجا على تصرفات السلطة الاردنية ، وهي اللجنة التي كانت قد عينت بقرار من **مؤتمر القمة** الذي عقد في القاهرة أثناء مذبحة سبتمبر (أيلول) الدامية .

ثم نظمت السلطة الاردنية — في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١ — غارة غادرة ضد الفدائيين المتواجدين في الاغوار على خط المواجهة مع القوات الاسرائيلية . وخرج التل في أعقاب انتهاء الحملة ليتباهى بأن العمل الفدائي قد انتهى ! !

منظمة أيلول الاسود

وفي الثاني من ديسمبر الماضي ، اصدرت **منظمة أيلول الاسود** ، بيانها الاول ، تحملت فيه مسئولية اغتيال **وصفي التل** . وقد وجهت المنظمة بيانها « **الى جماهير شعبنا الفلسطيني المناضل .. الى جماهير أمتنا العربية المجيدة** » واعتبر بيان المنظمة اغتيال التل بمثابة « **تنفيذ حكم الاعدام الذي أصدره شعبنا الفلسطيني** » وحيت المنظمة « **أبطال المجموعة الشرفاء** » ووعدتهم « **بملاحقة قضيتهم التي تبنتها جماهير شعبنا وأمتنا** » **وحذر البيان** « **كل من تسول له نفسه أن يضع نفسه في خدمة الخونة والعملاء** »

وقد حاولت بعض الاوساط الصحفية الربط بين (**منظمة أيلول الاسود**) و (**فتح**) ، واعتبرت هذه الاوساط الاغتيال مجرد ازدواجية في الاسلوب تمارسه **فتح** . وقالت جريدة **النهار** البيروتية اليمينية — في عددها الصادر يوم ٣٠ — ١١ — **أن منظمة ايلول الاسود** هي في الواقع جزء من حركة **فتح** ، لكنه جزء غير معلن عنه رسميا .

وفي تفسير تبني **فتح** للفدائيين الاربعة ، قالت (**حصاد العاصفة**) النشرة الناطقة بلسان فتح — ان فتح لاتستطيع أن تتخلى عن دورها في تبني كل مناضل فلسطيني ، مهما كانت هويته ومهما كان اجتهاده .

أصداء الاغتيال

وبمجرد اعلان نبأ الاغتيال تسارع الناس في عمان الى منازلهم . وبدت شوارع المدينة وكأنها خالية من الحياة . وساد التوتر المشوب بالخوف المدينة . ومرت اكثر من اربع ساعات ، قبل أن يوجه **الملك حسين** خطابه الذكي ، في الساعة الثامنة مساء نفس اليوم من اذاعة عمان ، مهدئا النفوس التي ظلت تتوقع رد فعل عنيف وشرس لمقتل التل . وعاد للاهالي بعض الاطمئنان .

وفي اليوم التالي عين الملك حسين **اللواء محمد رسول الكيلاني** مستشارا لشئون الامن ، وهو الرجل المعروف بعدائه لحركة المقاومة والشعب الفلسطيني والاردني . والصقت السلطات الاردنية صورا كبيرة لوصفي التل على جدران عمان ، واصفة اياه بـ « الشهيد البطل ، كما دعت السكان الى رفع الاعلام السوداء . واشترك حوالي ١٥٠٠ فرد في تشييع جنازة القتيل، وسط اجراءات أمن مشددة .

وفوجيء الناس صباح يوم ١٦ — ١٢ — ١٩٧١ ببيانات تشيد بمقتل التل ، وقد الصقت على جدران عمان .

وفي بيروت اصدرت الاحزاب التقدمية (**التقدمي الاشتراكي ، الشيوعي ، البعث ، وحدة القوى الناصرية**) بيانا مشتركا ، في ٣٠ — ١١ ، قالت فيه « أن تاريخ حكام الاردن الرجعيين هو تاريخ العداء للقضية الفلسطينية » وبعد أن عدد البيان جرائم الحكم الاردني ، حذر من محاولة استغلال حادث الاغتيال لفرض جو من الارهاب ضد الفدائيين في لبنان . واعتبر البيان « توحيد صفوف المقاومة الفلسطينية » هي المهمة الاكثر الحاحا في الظروف الراهنة .

أما **تجمع الاحزاب والقوى التقدمية** فقد اصدر في بيروت بيانا ، في نفس اليوم ، اعتبر اغتيال **وصفي التل** هو تنفيذ « **لحكم الجماهير العربية والتاريخ بحق عميل أمضى حياته في التآمر على قضاياها ، والذي بلغت ذروة عمالته في تنفيذ مجازر ايلول والاحراش ، محاولا تصفية الثورة الفلسطينية وتوقيع الصلح مع اسرائيل** » **وانتهى البيان الى المطالبة بالافراج عن الفدائيين الاربعة** .

أما **كميل شمعون** ، فقد ادلى بحديث خاص لجريدة (**الشمس**) — عدد ١ — ١٢ — ٧١ — قال فيه « ان مثل هذه الاعمال تدفع عجلة العرب الى الوراء ، وتحطم كل المنجزات الوطنية التي تهيئها الطاقات العربية من أجل الحرب لتحرير الاراضي العربية المحتلة ، وهي بالتالي تشوه السمعة العربية في الخارج الذي يتحسس امورنا بشكل ايجابي لم يعهده العرب من قبل

ان العرب أمام صراع وطنى ، يجب عليهم نبـذ خلافاتهم على مذبح جهودهم المثمرة .. »

وفى فلسطين المحتلة استقبل العرب هناك نبأ اغتيال التل بالابتهاج .

وفى لندن قال أبا أيبان ، وزير خارجية اسرائيل « أن موت وصــفى التل يشــكل ضربة عنيفة للملك حسين »

أما جريدة التايمز اللندنية فقد قالت ـــ فى عددها الصادر فى ٣٠ ـــ ١١ ـــ أن اغتيـــال وصفى التل « ســـيوقد جمر حـــركة الفدائيين الفلسطينيين » وعزت الجريدة ابتهاج العرب الى أنهم رأوا فى مقتل التل « نهاية رجعى معروف ». وترى (الديلى تلجراف) اللندنية المحافظة ان اغتيال التل « سيبقى الخلاف العربى فى حالة غليان » وقد جاء قولها هذا فى اليوم التالى لاغتيال التل.

وفى واشنطون أبدى الرئيس نيكسون حزنه على فقد وصفى التل . واعتبرت جريدة نيويورك تايمز ـــ فى عددها الصادر فى ٣٠ ـــ ١١ مقتل التل بمثابة « ضربة خطرة للملك حسين الذى كان التل يخدمه بأخلاص وتصميم غير عاديين ، ان لم يكن دوما بحكمة كاملة » واعترفت نيويورك تايمز بأن التل كان « يسعى الى تسوية عملية مع اسرائيل » وأبدت الجريدة الامريكية تخوفها من « أن يزدهر التطرف من جديد بين الفلسطينيين مهددا السلام والامن للعرب والاسرائيليين على السواء » . و (التطرف) الذى تعنيه نيويورك تايمز ليس الا (العمل الفدائى)

أما فى القاهرة فقد استعرضت اجهزة الاعلام الحادث وملابساته وتاريخ القتيل ، فى موضوعية كاملة . أما جريدة الاخبار فقد نشرت كلمة لرئيس تحريرها ، موسى صبرى ، فى صفحتها الاولى ، فى اليوم التالى للحادث ، رأى فيها بأنه « ليس عملا فدائيا بحال من الاحوال ، اطلاق الرصاص على انسان أعزل ، مهما كانت آراؤه السياسية ، ومهما كانت تصرفاته ، ومهما كانت الاتهامات الموجهة اليه .. » وانهى موسى صبرى كلمتـه بقوله « نستنكر هذا الحادث » !!

ويعمد النظام الاردنى اليوم الى تشديد الهجوم على مصر ، كما يلجأ الى محاولة اقامة منظمـة موازية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بهدف شق وحدة الشعب الفلسطينى ، وقد دفع النظام الاردنى بعملائه للتحرك فى هذا الاتجاه ، مستغلا الهبوط الملحوظ فى حركة المقاومة . ولخدمـة هذا الغرض جرى تخفيف أحكام الأعدام الصادرة بحق ٦٠ فدائيا فلسطينيا ، كما جرى الافراج عن آخرين .

وقد نشرت جريدة (جيروساليم بوســت) الاسرائيلية أن الدكتور قاسم الريماوى رجـل وصفى التل ـــ كان قد وصل الى الضفة الغربية واتصل بوجهائها ، كما أجرى مشاورات مع بعض وجوه التجمعات الفلسطينية الاخرى ، لتكوين المنظمة الموازية . وقد كشفت (اذاعة العاصمة) فى نشرتها الاخبارية يوم ٨ـــ١٢ ، هذه المحاولة والقائمين بها ، وحذرت الشعب منه .

عبد القادر ياسين

تقريــر خـــاص

الحــرب التى قررت المصــير « وســـرقت الكامـــيرا » وغـــيرت مـــوازين القـــوى

بعد مضى ١٣ يوما على القتال ، منها ٣ أيام وقعت فيها مدينة ((داكـــا)) تحت الحصـــار ، استسلمت قوات باكســـتان الشرقية (٩٣ الف جندى) أمـــام القوات الهندية ، ووقع الجنرال نيازى ـــ القائد الباكستانى ـــ وثيقة الاستسلام ، بدون قيد ولا شرط ، فى يوم ١٦ ديسمبر من عام ١٩٧١ ، بينما كان عـــلم ((البنجالاديش)) يرفعه أحد الجنود فوق مقر القائد الباكســـتانى حيث وقعت الوثيقة .

ولم تكد تمضى ساعات على بدء اجراء القوى المعنية لحساباتها عن الآثار المحلية والدولية المترتبة على نتائج الحرب ، حتى كانت المظاهرات الغاضبة تملأ شوارع باكستان الغربية بينما تمتلىء صحفها بالافتتاحيات ساخطة تهاجم نظام الحكم وتتهمه «بخيانة البلاد بشكل مهين» مما أجبر يحيى خان على الاستقالة ، ليتولى بعده ذو الفقار على بوتو رئاســـة الدولة حيث أجرى عـــدة تغييرات فى قيادات الجيش أعقبهـــا خطوات تمهيدية انتهت بالافراج عن الشيخ مجيب الرحمن زعيم رابطة عوامى على أســـاس اجراء حوار معـــه حول مستقبل التطورات فى باكستان .

فهل كان الرئيس يحيى خان يتصور فى ابريل الماضى عندما حل رابطة عوامى وحارب انصارها وسجن الشـــيخ مجيب الرحمن ، أنه كان بذلك يحطم نظام حكمه نفســـه ويحـــارب « الحـــرب الاخيرة » ـــ على حد تعبيره ـــ بالفعل ويسجن نفســه فى خانة لا تزيد عن مساحة غرفة مكتبه لينتقل بعدها ـــ كما هـــو متوقع ـــ الى منزله

ويبقى فيه دون حراك سياسي الى الابد ؟

وهل كانت **انديرا غاندي** ـــ رئيسة وزراء الهند ـــ تتصور أنها بمساندة حركة البنجالاديش ، سوف تتحمل عبء اقامة ومعيشة ١٢ مليون لاجيء وتدخل من أجلهم ـــ وبسبب عداوات قديمة وتاريخية ـــ الحرب ؟

وأيا كانت حسابات كل منهما وتصوراته ، فان ذلك هو الذى حدث بالفعل .

ومع تداعي تطورات الاحداث وتوتر الموقف على الحدود الهندية الباكستانية ، وصدور البيانات السياسية العصبية من كلا الطرفين واتهاماتهما المتبادلة عن « تسلل بعض القوات » أو « تحليق بعض الطائرات فوق الاجواء المحلية »، طرحت نتائج انتخابات ديسمبر ١٩٧٠ في باكستان الشرقية ـــ والتي الغيت بعد ذلك ـــ طرحت نفسها بالحاح حاد ، لا على باكستان والهند فحسب بل وعلى المجتمع الدولي . وسرقت المشكلة « الكاميرا » من عدد من المشاكل الدولية المتفجرة الاخرى .

« المتاريس السياسية »

بادرت كل من الدولتين الى دعم « متاريسها السياسية » ، بعد أن فشلت جهود ووساطة الرئيس السوفيتي **بودجورني** والرئيس اليوغوسلافي **تيتو** ، في حصر الخلاف في اطار العمل على حله بالوسائل السلمية وبكل طرق التفاهم الممكنة .

ونشطت التحركات السياسية في مختلف الاتجاهات .

فاعلنت حكومة الرئيس **يحيى خان** عن عزمها على اجراء انتخابات في ديسمبر وأسرعت بعد ذلك بتعيين **نور الامين** (من باكستان الشرقية) رئيسا لوزراء باكستان . ثم قام وفد منها برئاسة **ذو الفقار على بوتو** - زعيم المعارضة ـــ بزيارة الى **بكين** ، حيث نجح الوفد في أن يعود الى بلاده بتأييد الصين لباكستان واعلان المسئولين في بكين عن أن الصين سوف تقف الى جانب باكستان وتساندها وتقدم لها كل المساعدات اذا قامت الحرب بينها وبين الهند . ولم تغب عن حسابات الرئيس يحيى خان ، حقيقة أن بلاده عضو في **الحلف المركزي**، ومن ثم فان بلاده سوف تلقى مساعدة وتأييد أعضاء الحلف ، فضلا عن تأييد الولايات المتحدة الامريكية بحكم مصالحها من جهة وبحكم ارتباطات حلف جنوب شرقي آسيا من جهة أخرى .

وعلى الجانب الاخر ، قامت وفود سياسية هندية بزيارة كثير من العواصم العالمية ،ونشطت انديرا غاندي ـــ على رأس وفد على مستوى عال ـــ بزيارة كل من **واشنطن ولندن وبون وبروكسل وفينا وموسكو** . وبرغم أن الصحف الغربية كانت توحي بأن هدف رحلة رئيسة الوزراء هو « تأكيد أن الهند لم تتحول عن سياسة عدم الانحياز : السياسة التقليدية للهند ، برغم توقيعها لمعاهدة الصداقة الهندية ـــ السوفيتية » ـ في أغسطس الماضي ـ غير أن تعليقات هذه الصحف بعد ذلك ، قد أجمعت على أن موضوع « البنجال الشرقية » كان الموضوع الرئيسي لمحادثاتها .

ويقول المراقبون أن انديرا غاندي كانت تهدف الى توضيح وجهة نظر الهند واقناع رؤساء هذه الدول بها لكي يتخذوا موقفا محايدا أو بعيدا عن التورط في ركاب أي من الطرفين . وقد صاحب هذا النشاط الدبلوماسي للهند ، التأكيد على « **الدور الشرعي** » لقوات البنجالاديش التي شكلتها حكومتهم في المنفى ـــ بكلكتا . هذا بالاضافة الى أن هجرة نحو ١/٣ السكان ، ثمانون بالمئة منهم من المسلمين أبرز الطابع القومي لمشكلة البنجال الشرقية . ومن جانب آخر ، كانت الحكومة الهندية تضع في حساباتها الضمانات التي توفرها لها معاهدة الصداقة .

أما حركة البنجالاديش ، فبرغم أن أخطار مجريات الاحداث واصدائها الدولية قد غطت على تصريحات حكومتها في المنفى حول « شرعية مطالبها باستقلال البنغال الشرقية بعد أن فشلت كل المساعي التي بذلت من قبل لكي تحظى بقدر من الحكم الذاتي يلائم المصالح القومية لشعبها المضطهد اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا من قبل باكستان الغربية » ،الا انها لم تضيع الوقت في العمل السياسي فحسب بل وفي تدريب قواتها وتنشيطها والتنسيق بينها وبين انصارها داخل باكستان الشرقية .

وعلى المستوى الدولي ، اتخذت **أمريكا** موقف الترقب الحذر ـــ قبل القتال ـــ على الرغم من علاقاتها بباكستان وانحيازها لها لاكثر من اعتبار وكما كشفت علانية عن ذلك بعدئذ . ويعتقد المراقبون أن ترقب الولايات المتحدة الحذر ، لم يكن سوى « تمنية للنفس » بأن تخلى الساحة مؤقتا انتظارا لصدام متفجر في المواقف بين الاتحاد السوفيتي والصين ، يهيىء لها بالتالي هامشا أوسع من الحركة بالنسبة للمشكلة بشكل عام ويوفر لها عناصر نجاح أكبر لمحادثات نيكسون المرتقبة في كل من بكين وموسكو بعد أن يتعمق الخلاف الصيني السوفيتي الى أوسع دائرة ممكنة .

أما **فرنسا وبريطانيا** ، فقد اكتفيا بالمطالبة بايجاد حل للمشكلة عن طريق اجتماع الدول الكبرى .

أما دول العالم الثالث ودول عدم الانحياز ،

فقد تباينت مواقفها — لاعتبارات عديدة — على أنها حاولت جميعها أن تدعو كلا الطرفين الى ضبط النفس والصبر حتى لا تقع الحرب .

وبينما اتخذت بكين موقف التأييد الكامل لباكستان منذ اللحظات الاولى لتوتر المشكلة ، اتخذ الاتحاد السوفيتي — بعد أن فشلت كل جهوده من أجل ايجاد حل سياسي رسلمي للمشكلة — موقف تأييد الهند ومساندتها .

حرب الفقراء .. والمجتمع الدولي

وبقيام الحرب ، كان واضحا منذ أيامها الاولى تفوق القوات الهندية على القوات الباكستانية ، حيث اخترقت بسرعة واضحة مواقع الثانية . مما اضطر باكستان الى دفع قواتها في باكستان الغربية الى حدود كشمير (المنطقة المتنازع عليها بين البلدين) لتستولى على مساحة من الارض تساوم بها الهند لفك أسر الاراضى التى احتلت فى باكستان الشرقية .

وفشل مجلس الامن — الذى اجتمع فى جلسة طارئة — فى اتخاذ قرار لمواجهة الازمة التى انفجرت . وكانت مشروعات القرارات التى تقدمت بها الدول الغربية أو الصين ، تدعو الى وقف اطلاق النار وانسحاب القوات الى حدودها الاصلية دون أن تتضمن أية اقتراحات لحل المشكلة التى تسببت فى الحرب . وقد استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو ضد هذه المشروعات أكثر من مرة ، لأنها تسوى — ايضا — بين الجانب الباكستانى « سبب المشكلة » وبين الجانب الهندى ولا تتضمن حلا لمصالح شعب البنجال القومية . وبفشل مجلس الامن ، احال المشكلة على الجمعية العامة التى شهدت عشرات من المناقشات الحادة وبخاصة بين مندوب الصين الذى طالب « بادانة الهند » « والامبريالية السوفيتية » ، وبين مندوب الاتحاد السوفيتي الذى طالب « بايجاد تسوية سياسية فى باكستان الشرقية وأن توقف باكستان كل أعمال العنف » والذى وصف تعبير المندوب الصينى بأنه « تعبير سخيف » . ثم تمكنت الجمعية العامة من اصدار قرار [بأغلبية ١٠٤ اصوات] يدعو الى وقف اطلاق النار والعودة الى الحدود الدولية والعمل على ايجاد الظروف الملائمة لعودة اللاجئين وفقا لاختيارهم . لكن الهند رفضت تنفيذ القرار على أساس أنه « لا يحقق شيئا لباكستان الشرقية » . وكان الواضح أن قوات الهند على وشك أن تدخل « داكا » .

وخيم على الرأى العام العالمى ، شبح اخطار حرب عالمية ، عندما تحركت قطع من الاسطول السابع الامريكى بالقرب من سواحل باكستان الشرقية ، ثم اضطرار قطع من الاسطول السوفيتي الى الاقتراب من المنطقة فى ضوء التزامات اطراف معاهدة الصداقة مع الهند .

ومن الجدير بالذكر أن **كوزنتسوف** النائب الاول لرئيس الوزراء السوفيتي قد زار الهند اثناء اشتباكات الحرب ليجرى مشاورات مباشرة مع الحكومة الهندية بشأن الموقف وفق نصوص مواد معاهدة الصداقة .

وعشية سقوط « داكا » واستسلام القوات الباكستانية فيها ، أعلنت حكومة الهند اعترافها بدولة بنجالاديش وحقوق شعبها القومية . ويقول المراقبون أنه — بذلك — تكون الخريطة السياسية لعلاقات القوى فى شبه القارة الهندية قد تغيرت تماما .

حسابات جديدة

وعلى الرغم من الآلام التى صاحبت الحرب والخسائر المادية التى تكبدتها شعوب المنطقة ، وعلى الرغم من تحفظات بعض المراقبين حول قضية نصرة قومية مضطهدة عن طريق مساعدات خارجية « الى هذا الحد » ، الا أن المراقبين يجمعون على أن حركة البنجالاديش من جهة والهند من جهة اخرى والاتحاد السوفيتي من جهة ثالثة ، قد حققوا نجاحات كبيرة من وجهة نظرهم .

فقد مكنت الحرب حركة بنجالاديش من تقرير مصير شعبها واعلان دولة مستقلة .

أما الهند ، فبالاضافة لما تعنيه نتائج الحرب من اقامة دولة مستقلة للبنجالاديش يعود اليها اللاجئون دون اضطهاد ، فانها قد وجهت ضربة الى « الجار المتخاصم » — الصين فى سياستها تجاه شبه القارة الهندية تضعف منه ، فضلا عن أنها ضمنت انكماش باكستان — الجار المتخاصم التقليدى ايضا — الى حدود « لا تخيف » ، وضمان وجود دولة على حدودها الشرقية — بنجالاديش — تحمل لها « جميل » المساعدة على اقامتها . وضمنت بذلك استقرارا معقولا فى منطقة المتاعب « البنجال الهندية » التى كانت موطن ارهاصات الكفاح المسلح التى شنتها حركة «الناكلارست» المناوئة لحكومة أنديرا غاندى والتى تتبنى الفكر الصينى .

وأما الاتحاد السوفيتي ، فقد استعاد — بمواقفه وبنتائج الحرب — زمام المبادرة الدولية حيث أن أمريكا — التى كانت ترفض من قبل الاستجابة الى الشرعية — اصبحت هى التى تطلب اجتماع مجلس الامن بناء على طلب نيكسون للحديث عن الشرعية . كما أن نتائج الحرب تعنى اهتزاز وضع حلف جنوب شرقى آسيا والحلف المركزى وتدهورهما . وفضلا عن ذلك بروز اخفاق السياسة الصينية فى تقديراتها

وسمعتها الدولية . ويضيف المراقبون العسكريون أن من أهم النتائج التى عنت الاتحاد السوفيتى هى استعادة سمعة السلاح السوفيتى أمام السلاح الامريكى فى وقت كان ذلك فيه ضروريا .

ويعتقد المراقبون أنه ــ رغم أية تحفظات ــ فان النتاج العام للموقف يضيف الى عناصر الاتجاه التقدمى ، عناصر جديدة تتمثل فيما سيترتب عليه من انهاء للشكل العنصرى للدولة فى باكستان القائم على أساس فعلى ، والتغيرات السياسية والاجتماعية المرتقبة للصراع الاجتماعى الذى سيحتدم كانعكاس للمشاكل الاقتصادية المترتبة على فقدان « الجزء الغنى » من البلاد ، وما يترتب على ذلك من تغيير فى الهياكل التى أقامتها القوى القديمة والقوى الاستعمارية . ويضيف المراقبون ، أن القوى التقدمية سواء داخل باكستان أو الهند ــ سوف تستفيد الى حد كبير من مواقف التضامن التى ترتبت على معاهدة الصداقة والتى تبددت أمامها دعاوى قوى اليمين والرجعية المناوئة لحكومة انديرا غاندى بسبب عقد هذه المعاهدة .

٢٤ عاما من الصراع

ويعود الصراع بين الهند (٥٥٧ مليون نسمة) وبين الباكستان (١٣٧ مليون نسمة) الى ٢٤ عاما مضت أى منذ الاستقلال فى عام ١٩٤٧ حينما قسمت بريطانيا شبه القارة الهندية الى الهند وباكستان عشية الاستقلال ، وتركت ولاية كشمير ليدور الصراع بين الدولتين حولها . وقد احتلت كل منهما نصف الولاية . وفى عام ١٩٦٥ قررت الهند تطبيق دستورها على الجزء التابع لها من كشمير وعارضت باكستان هذا القرار ولجأت الى مجلس الامن الذى اصدر عدة قرارات حث فيها الحكومتين على التفاوض لفض المشكلة . ولكن الهند رفضت مناقشة « مسألة كشمير » مع الباكستان ، وأوقفت اطلاق النار الذى كانت قد تبادلته مع باكستان ، لكن باكستان عادت الى اطلاق النار على ولاية جامو فلجأت الهند الى مجلس الامن الذى أصدر قرارا آخر بوقف اطلاق النار ولكن القتال كان قد اتسع حتى أعلنت الحرب الشاملة بين البلدين فى ٦ سبتمبر ١٩٦٥ . وفى يناير ١٩٦٦ نجح الاتحاد السوفيتى فى عقد اتفاق بين الهند وباكستان سمى « **باتفاق طشقند** » وقعه كل من **شاستري** رئيس وزراء الهند وقتها (الذى مات بعد ١٢ ساعة من توقيع الاتفاق) **وأيوب خان** رئيس جمهورية باكستان وقتها .

وقد سبق هذه الحرب ــ بشهور ثمانية ــ حرب أخرى قامت فى يناير ١٩٦٥ ولمدة ثلاثة شهور حول منطقة « **دان الكوتش** » ثم تدخلت بريطانيا لدى الحكومتين ورسمت خطا للحدود فى المنطقة وافقت عليه البلدان . ومن اهم المشاكل الباردة والتى لم تشتعل حتى الآن ، مشكلة « سد فرلكا » الذى اوشكت الهند على استكمال بنائه على بعد ١١ ميلا من حدود باكستان الشرقية . وترى باكستان أن هذا السد سوف يحول باكستان الشرقية الى صحراء لانه يقضى على مصدر حيوى للمياه التى تعتمد عليها فى الرى . هذا فضلا عن المناطق الصغيرة التى تختلف البلدان حول تبعيتها لاى منهما .

اما داخل باكستان نفسها ، فان سكان باكستان الشرقية التى تبعد ١٢٠٠ ميل عن باكستان الغربية ، يقيمون وجهة نظرهم على اساس انهم مضطهدون قوميا . فهم يشكلون قومية مختلفة عن تلك التى تجمع سكان باكستان الغربية . وبرغم ان ارضهم هى المصدر الاساسى لصادرات المواد الخام الزراعية التى تدر النقد الاجنبى (صادرات باكستان الشرقية منها ١٥٠ مليون جنيه استرليني فى السنة) الا انهم يعاملون كمجرد سوق لمنتجات باكستان الغربية التى لا تستطيع الصمود فى المنافسة مع المنتجات الاخرى فى الاسواق الخارجية . فبينما كان الفرق فى نسبة الدخل الفردى بين المواطن فى باكستان الشرقية وبين المواطن فى باكستان الغربية تبلغ ٩ ٪ فى الخمسينات ، أصبح يبلغ الان ٦٠ فى المائة . وبينما يشكل سكان باكستان الشرقية أكثر من نصف تعداد سكان البلاد كلها (٧٥ مليون نسمة) الا أن ٨٠ ٪ من المناصب الحكومية فى أيدى سكان باكستان الغربية . وقد تفجرت المشكلة فى الداخل عندما أسفرت انتخابات ديسمبر ١٩٧٠ عن فوز رابطة عوامى (فى الشرق) بالاغلبية . وفى مارس ١٩٧١ واجهت حكومة يحيى خان موقفا فى غاية الحرج ، بفوز **مجيب الرحمن** (زعيم عوامى) الذى لم يكن يخفى مطالبه فى توفير قدر ملائم من الحكم الذاتى لباكستان الشرقية . وبعد تردد قصير استخدم يحيى خان القمع العسكرى العنيف لتحطيم حركة عوامى وقطع الطريق على اى محاولة للحكم الذاتى . وعلى اثر اعمال القمع والبطش فى ملايين اللاجئين الى الحدود الهندية حتى وصل عددهم الى ١٢ مليون لاجىء كما تقول الهند .

وهكذا بين يوم وليلة ، انتقلت المشكلة الى داخل الهند نفسها لتصبح مطالبة بتوفير ٧٠٠ مليون دولار سنويا لاعاشة اللاجئين ، بينما حصلت على ٢٠٠ مليون دولار فقط من المعونات الدولية . وتوفير المبلغ الباقى يعنى الغاء برامج التنمية وفرض ضرائب على السكان الهنود . وهذا ما حدث بالفعل .

حسين شعلان

مكتبة الطليعة

الاستعمار الايطالى لليبيا

If they Come in the morning

« اذا أتوا فى الصباح »

الاستعمار الايطالى لليبيا

بواعثه وأسبابه التاريخية ـ أعماله ونتائجه

■ تاليف :

مفتاح السيد الشريف

■ عرض :

مصطفى سامى

■ الناشر :

دار النشر الليبية

ـ طرابلس ـ ١٩٧٠

يقدم المؤلف فى هذا الكتاب ـ الذى صدر بعد عام من قيام الثورةالليبية ، ويعتبر من أهمواعمق الدراسات عن ليبيا ـ دراسة لعهد الحكم الاستعمارى الايطالى لليبيا ، ومن خلال هذه الدراسة يكشف حقائق كثيرة زيفها الاستعمار متعاونا مع بعض الحكام فى هذه الفترة ، من اجل بعث وتأكيد امجاد هذا الشعب وبطولاته متحديا أعنف قوى استعمارية كانت تريد سحقه وابادته . وقد تجنب المؤلف فى دراسته التاريخية **أسلوب السرد والتقرير ، وعمد الى استخلاص** العبر والاستدلال بسيرته وقوانينه الموضوعية **والجدلية ، والتصدى لمعالجة القضايا المعاصرة بربطها بجذورها القديمة وأصولها وأسسها التاريخية . واعتمدفى بحثهعلى التحليل العلمى التاريخي لاسباب ثورة الفاتح من** سبتمبر ١٩٦٩ التى جاءت نتيجة للمواقف الثورية التى أعلنتها الجمهورية العربية الليبية ، بتصفية جيوب الاحتلال الاستعمارى الايطالى وأدواته الباقية فى أرض ليبيا لامتصاص خيراتها بعد أكثر من نصف قرن من الاغتصاب .

وبدأ الكتاب بعرض لوثائق تتحدث عن طبيعة

العلاقات الليبيةالايطالية والمراحلُ التى مرت بها، وهى علاقات – بحكم صراع القوى والنهم الاستعمارى الذى كان مسيطرا على القـــارة الاوروبية وعلىالبحر الابيض المتوسط – اتسمت دائما بطابعالعنف والوحشية للغزاة المتكررة التى كانت تشنها الدويلات الايطالية على الشواطىء الليبية .. ومن بين هذه الوثائق القانون الــذى أصدره **الدوق بيترو كانديافو** الرابعحاكم البندقية سنة ٩٧١ م والذى فرض فيه على تجارهاالذين كانوا يترددون على موانى افريقيا ومن بينهـــا ليبيا ، حظر بيع المواد التى يمكن ان تتحول الى أسلحة ، وبما أن هؤلاء التجار كانوا يبيعـــون الاخشاب والمجاديف ، فقد نص القانون « على ان لايتعدى طول هذه الاخشاب ٢٥ سنتيمتـــرا حتى لاتكون صالحة للاستعمال فى بناء القوارب» كما حرم القانون بيع الاوانى والكئوس للاستعمال المنزلى وكذلك التهريب والتعامل مع ســـكان ليبيا الذين وصفهم القانون بأنهم « غير مخلصين » وأخضـــع للعقاب الشديد كل من يخالف هـــذه الاوامر ويزود الليبيين بأية وسائل تساعدها على محاربة المسيحية .

وقد ارتبط اتجاه ايطاليا الى الغزو الخارجى بظهور تطلعات ومطامع البرجوازية النامية فيها الى التوسع وفتح اسواق جديدة فى الخـــارج وموارد لتغذية صناعاتها ومصارفها ، وحلمشكلة ازدياد السكان عندها كغيرها من البرجوازيات الاوروبية الاخرى وخاصة فى بريطانيا وفرنســـا والمانيا ، وقد ساعد على تشجيع هذه الاطماع **انهيار الحكم العثمانى** الذى سيطر على الوطن العربى ، والذى ادى الى الصحوة القومية التى شـــهدتها الشـــعوب العـــربية حيث بدأت تتململ تحت وطـــأة الاســـتبداد الـــتركى واســـتهتار الولاة العثمانيين وتفريطـــهم فى شئون الادارة والحكم مستسلمين للنـــزوات الشخصية دون نظر لمطالب الجماهير العربية .

وبينما تسللت بريطانيا الى مصر ، وسيطرت فرنسا على الجزائر ، فقد بدا لايطاليا منذ عام ١٨٧٨ أن الوقت قد حان لكى تتسلل هى تحت ضغط البورجوازية النامية فى الداخل حتى يمكنها الحصول علىجزء منغنيمة وأسلاب الامبراطورية العثمانية المريضـــة ، ودخلت محاولة التسلل الايطالى فى سلسلة التطاحن الاوروبى للاستيلاء على الولايات العثمانية ، وكان الهـــدف بالنسبة لايطاليا هو ليبيا .

ويشرحالمؤلف – وهومن أبرز الكتابالوطنيين فى ليبيا – مراحـــل هـــذا التســـلل ومواقعه فى نطاق المساومات الدولية ، ويـــكشف تواطؤ الامبريالية الاوروبية مع المطامع الايطالية فى لعبة المساومات ، واقتسام مناطقالنفوذ والاحتواءبين الدولَ الاســـتعمارية الاوروبيـــة للبلاد المتخلفـــة والشعوب الضعيفة . وتمثلت عمليات التسللَ الايطالى لليبيا قبل القيام بحملتها الكبيرة لغزوها فى عدة أمور :

١ – نشاط شبكات التجسس :

بدأت الحكومة الايطالية فى ايفاد جواسيسها، وبث عيونها فى ليبيا وحول حدودها ، وقدكشفت أخيرا وثائق سرية عن دور شـــبكات التجسس داخل البلاد وخارجها ، وكانت على صلة ببعض العناصر الليبية بما فيهم الزعماء السنوسيون .. وقد نشرت هذه الوثائق عام ١٩٦٥ فى روما فى كتاب الفه المحامى « **كارلو بورشيناري** » وضمنه الاوراق والمراسلات السرية للدكتور « **انريـــكو انساباتو** » الطبيب والمستشرق الايطالى الذى لعب دورا خطيرا فى التمهيد للغزو الايطالى – باعتباره مخبرا لرئيس الحكومة الايطالية جوليتى – وفى هذه الوثائق المصورة توجد مراسلات بينه وبين الشيوخ السنوسيين ، وكذلك بينهم وبين صديقه المخبر الاخر لرئيس الحكومة الايطالية ، **محمد على علوى بك** ذلك الجـــاسوس الخطير الذى قام بالتجسس والتآمر وجمع المعلومات ، كما قام بدور التوسط لكى تستسلم البلاد للغزو والاستعمار مستترا وراء مسوح الدين .

قبل اقامة شبكات التجسس الرسمى ، كانت هناك حركة استكشاف واسعة النطاق للبـــلاد وأهميتها وأوضـــاعها التاريخيـــة والجغرافيـــة والاقتصادية والاجتماعية ، ويمكن اعتبار الكتابات والتقارير التىكتبها الرحالةالايطاليون والاوربيون تحريضا واضحا للاستعمار ، واغراء للبرجوازية الايطالية نحو التوســـع والاستعمار والاستيطان فى ليبيـــا .

فمنذ اكثر من مائة سنة كتب **جوزيبنى مانزينى** مذكرا الايطاليين « بأهمية طرابلس وتونس كمنفذ لا يقدر بثمن للتوســـع والامتداد » . وقد كانت اعمال هؤلاء الرحالة وتقاريرهم مصادر غنيـــة للكتاب الرجعيين الايطاليين الذين بدأوا حملتهم للتحضير لعملية الغزو .

وقبيل الحملة الايطالية بســـنوات قليلة قـــام فوج من الصحفيين والكتاب الاستعماريين برحلة الى الاراضى الليبية من بينهم الصحفى **اندريكو كوراديمى** الذى زار برقة ايضا وتجول فى مدنها وقراها بالاضافة الى طرابلس وأصـــدر كتـــابه الشهير بعنوان « ساعة طرابلس » ليلة الحملة على ليبيا ، وكذلك **جوزيبى بيفيون الذى سافر** الى طرابلس قبل الحمـــلة بأيـــام ومعـــه بعض الصحفيـــين الايطاليين وأخـــذ يراسل جـــريدة

Laseambg في تورينو ؟ وجمع بعد ذلك هـذه المراسلات في كتاب أصدره عام ١٩١٢ بعنوان « لماذا ذهبنا الى طرابلس » وقـد استطاع ان يصف كشاهد عيان بدء عمليات الغزو بدقة .. وكل هذه الكتابات كانت تنادى صراحة بضرورة الاحتلال وتوطين الاستعمار الايطالى فى أراضى « الشاطىء الرابع » كما لقبوا ليبـيا ، وكانت تصورها للجهـات الاسـتعمارية وللبرجوازيين الايطاليين بأنها مليئة بالخيرات لخضرواتها وفواكهها وبقولها وخصوبة أرضها ، بالاضافة الى أهميتها الاسـتراتيجية والجغـرافية لامتداد ايطـاليا وتوسعها .

وانضم لهذه الحملة ايضا مجموعة من كبـار أصحاب المصارف والرأسماليين الذين شـجعوا القيام بالغزو للتخلص من خطـر حـدة الصراع الطبقى الذى سيسببه انتشار البؤس والبطالة .

٣ ــ بعثات الاستطلاع :

سعت الحكومة الايطالية منذ عام ١٩٠١ لايفاد بعثات استطلاعية للتنقيب عن المعادن الليبية ، ومن أوائل تلك المحاولات بعثـة الدكتـور هالبر والبروفسور دى سانتس من معهـد البحـوث العلمية فى روما ، وعندما اتصلت بالاستانة طالبة السماح لها بأداء مهمتها وافقت الاستانة على أن يكون البحث فى نقطة محـددة على الشـاطىء الليبى ، ولكن الحكومة الايطالية لم تقتنع بذلك وفى سنة ١٩٠٩ عندما قامت بعثة امريكية بزيارة مناطق الاثار الليبية سـارع «سان جوليانو» الذى كان سفيرا لايطاليا فى لندن بمقابلة أعضاء البعثة الامريكية وفهم منهم الامكانيات المتوفرة فى ليبيا وابلغ وزير خارجيتـه بذلك ، وبدأت بعـد ذلك الحكومة الايطالية ضغوطها على الاستانة للسماح بايفاد البعثة ، وفى ٥ يونيو ١٩١٠ نزل العالمان الايطاليان فى بنغازى وزارت بعثتهما كل انحاء برقة لا سيما على الساحل من بنغازى حتى درنة وقد عاينت الصخور خاصة فى مناطق الاثـار وحصلت على نتائج علمية هامة ناقشها البرلمان الايطالى فى ٢ ديسمبر ١٩١٠ ، وقد وصلت هذه المعلومات الى الدوائر الاستعمارية الايطاليـة واستغلتها فى تعميق الاعتقاد بثروات ليبيا وضرورة الاستيلاء عليها بطريق القوة .

التسلل الاقتصـادى فى ليبيا

وبنك رومـا ونشـاطـه

كان التسلل الاقتصادى لليبيا هو القاعدة التى استندت عليها الجهات الاستعمارية لخلق الاسباب والحجج لاحتلال البلاد ، واجمعت المصادر الايطالية على أن الدور الذى لعبه بنك روما فى موجات التسلل الاقتصادى كان دورا رئيسيا بارزا ، وانطلق هذا المصرف فى نشـاطه نحو ليبيا بعد أن فتح مركزه بالاسكندرية سنة ١٩٠٥ ودعم نشاطه فى ذلك الوقت عن طريق مشـاركته فى بنـك الحبشة سنة ١٩٠٦ وكذلك بنك الدولة فى مراكش ثم أقام فروعه فى طرابلس وبنغازى وبقية المدن الليبية فى ابريل ١٩٠٧ ، وكتبت مجلة **راسينا ايتاليانا** عن نشاط المصرف وصورت نجـاحه : « لصناعاته العديدة ولمغازله ومحاجر مواد البناء التابعة له وبأكثر أهمية للحلفاء والحبوب والاسفنج وريش النعام والعـاج والصـوف ، وللمطحن الكهربائى ومرسم الخرائط الفنى فضلا عن معاصر الزيت فى الخمس ، ومسلاته التى جلبت فوائد نتيجة ادخال الميكنة على صناعة عصر الزيتون حيث كانت هذه الصناعة بدائية .. »

وقد شرح العميل الايطالى الدكتور **انسابانو** ــ فى تقرير بعثه من طرابلس بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩١٠ الى رئيس الحكومة الايطالية ــ وضـع بنك روما ونشاطه فى مضاربات الاراضى والعقارات وبقية المشاريع فقال : « انه فى اعتقـاد الاتراك وكثير من العرب أن بنك روما هو مؤسسة انشئت وقامت بتمويلها الحكومة الايطالية من أجل التحضير لاحتلال طرابلس وليس للقيام بأعمال مصرفيـة ونشر النفوذ الايطالى فقط ، ودليل على هذا .. وعلى حد قول الاتراك ــ ان القنصليات قامت دائما بدور المحامين عن بنك روما حتى ولو كان ضد رعاياها ، والدليل الثانى ان المصرف يحاول دائما ان يغير ويستولى على جميع النشاطات والمشروعات والاعمـال ، وأعماله كانت دائمـا موجهة بصفة خاصة لتبتلع وتقضى على التجارة والمشروعات ذات الحجم الصغير سواء كانت لعرب أو ايطاليين .. »

بدأت السودان فى وضع مخططات اقتصادية جديدة . وفى الشهور الاخيرة عقدت اتفاقية مع **البنك الدولى** خاصة بشق الطرق وتمويل بعض المشروعات التى كان البنك الدولى قد توقف عن تمويلها . ووافقت **الكويت** على اقراض السودان

مطامع صهيونية فى برقة

لجعلها مستعمرة صهيونية

وسط المطامع الايطالية ، والخطط التى كانت تدبر لغزو ليبيا ، كانت هناك محاولات من عدة دول اوربية اخرى للتسلل الى ليبيا ، ساعد عليها حـالة الضعف الشـديد الـذى وصلت اليـه الامبراطورية العثمانية فى ذلك الوقت ، ومن أخطر هذه المطامع التى اشارت اليها المصادر الايطالية فى محاولة بحث أسباب التعجيل بالغزو ، هو البعثة الصهيونية التابعـة لمنظمـة I.T.O.

(المنظمة اليهودية للاراضي) ومقرها لندن التي جاءت الى برقة تبحث امكانياتها الزراعية في نطاق مخططات الصهيونية العالمية للحصول على وطن قومي لليهود كبديل اذا فشلت مساعيها في اغتصاب فلسطين ! .

لقد وصلت البعثة الى بنغازي في ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٩ وكانت تضم بعض أساتذة جامعة جلاسجو ومولتها المنظمة الصهيونية وبعد زيارتها لمنطقة الجبل الاخضر والشريط الساحلي المصاحب له عادت الى لندن في ٢٦ اغسطس من نفس العام وأصدرت تقريرها في ١٢ صفحة كتبت فيه انطباعاتها والمعلومات التي جمعتها ، وقسمت التقرير الى عدة اجزاء تناولت مهمة البعثة وحالة السكان وامكانيات استعمار المنطقة ثم خاتمة بآرائها ونتائج دراستها . وقد اشير الى هذا التقرير في عدة مراجع ايطالية ، ولكن مؤلف كتاب «**كيف ذهبنا الى طرابلس**» شرح خفايا هذه البعثة ، ورد على ما كتبته في تقريرها من ان ليبيا شحيحة المياه وان النتائج التي وصلت اليها كانت سلبية،ونقد في كتابه — وهو أحد المتحمسين للغزو — ما استخلصته من نتائج وبيانات ، وقال ان دراستها جاءت غير عميقة ،لأنها قامت بمهمتها بسرعة خاطفة كأنها في أجازة، ثم ان هذه البعثة مولها اليهود الذين «لم يحبذوا ايجاد أرض أفضل تضارع فلسطين . . » ! .

الجالية الايطالية قبل الغزو

في فبراير ١٩٠١ جاء في تقرير لقنصل ايطاليا العام في طرابلس أن عدد الايطاليين هناك يبلغ ٧٠٤ شخصا يكونون جالية مقيمة ويمتلك حوالي ٥٠ منهم بيوتا وحدائق قدرت قيمتها بمليون ومائتي الف فرنك ، وفي برقة يقل عددهم عن طرابلس ، ويقول القنصل في تقريره : « ان السلطات المحلية لا تفضل هجرة الاجانب الى البلاد .

وقد كانت الدوائر الاستعمارية الايطالية تبدي اهتماما خاصا بجاليتها هناك فافتتحت لابنائهم المدارس الخاصة ، وارسلت البعثات التبشيرية من الفرنسيسكان للاشراف على هذه المدارس ، وانتشرت هذه المدارس بعد ذلك في كل من برقة وطرابلس ووصل عدد تلاميذها (الى ستة آلاف تلميذ أغلبهم من اليهود من رعايا الدولة العثمانية) . وهذه الظاهرة تصور ان الطائفة اليهودية كانت منذ البداية هدفا للمخططات الايطالية لكي ينخرط افرادها تحت الرعاية الايطالية ويدينون بالولاء لايطاليا،كما قامت الحكومة الايطالية بفتح ملجأ لليتامى من بنات جاليتها ، ومركزا طبيا للجراحة والعلاج نص في أهدافه على أنه « من أجل الفقراء من كافة الجنسيات والاديان ، كما أنشئت « لجنة دانتي اللجيري » بهدف « توسيع انتشار اللغة الايطالية واعطاء الكساء لابناء المدارس الملكية » أي أبناء الجالية الايطالية .

كل هذه المشروعات كان المقصود منها ترسيخ دعائم وجود الجالية الايطالية واكسابها — مع الطائفة اليهودية — صبغة مميزة عن بقية أهالي البلاد .

الاستعداد لتفجير الموقف وصداه في أوروبا وليبيا

ازداد التوتر في العلاقات بين ايطاليا وتركيا ، واجتاحت روح الكراهية ايطاليا بفعل الحملات الصحفية والتحركات القومية المتطرفة ، وتعالت اصوات كثيرة داخل ايطاليا تطالب باعلان الحرب، ووجدت الدوائر الاستعمارية أنه من الافضل جس نبض الدول الاوربية الحليفة لتأمين التأكيدات السابقة لها قبل الاقدام على العدوان . ومن ناحية اخرى فان دول التحالف الثلاثي اتفقت (على صيانة الوضع الراهن لتركيا الاوربية) ولذلك فان نشوب اي اشتباك مسلح مع الامبراطورية العثمانية قد يقرب نار الحرب نحو دول البلقان مما يخل بالاوضاع التي نشأت بعد اتفاق برلين لسنة ١٨٧٨ وتم بموجبها اقتسام أسلاب الامبراطورية العثمانية في أوروبا ، وعلى هذا فقد نشطت الدبلوماسية الايطالية لتأمين كافة الاحتمالات وتهدئة روع الدول الحليفة تجاه هذه المخاوف ، وبعد ذلك لم يبق أمام ايطاليا غير اعلان الحرب وفي ٢٦ سبتمبر ١٩١١ أرسل الانذار النهائي لتركيا عن طريق السفارة الايطالية في الاستانة لتسليمه لحكومة الباب العالي موقعا من سان جوليانو وزير الخارجية الايطالية . . ومنذ يوم ٢٨ سبتمبر أطلت الاساطيل الايطالية على المياه الليبية ، وبدأت في قصف المدن ثم انزال الجنود الغزاة على الشواطيء الليبية ، وبدأوا بطرابلس ثم طبرق ودرنة واخيرا بنغازي فاحتلوها يوم ١٨ اكتوبر، وخاض الشعب الليبي كفاحا دمويا طويلا ومريرا استمر بلا انقطاع اكثر من عشرين سنة ، وقاد هذا الكفاح أبطال شعبيون جاءوا من الصحاري والوديان والمدن والقرى ، وأذهلوا ببطولاتهم المعلقين والمراقبين واوقعوا بالجنود الغزاة خسائر كبيرة .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك من خلال بعض المراسلات والوثائق السرية ـ عن جانب هام من تاريخ كفاح شعب ليبيا ، وهو موقف «الزعامات» التى قال المؤرخون أنها قادت نضال الشعب ضد العدوان منذ بدء الغزو ، وتكشف هذه الوثائق والمراسلات الستار عن حلقة التجسس ودور العملاء فى ليبيا وتدقاموا بتضليل الشعب والتعاون مع الاستعمار الايطالى وحبك المؤامرات داخل البلاد .

قوات الغزو فى مواجهة المقاومة الشعبية المسلحة

مر الاستعمار الايطالى فى ليبيا بفترتين اختلفتا من ناحية الشكل ولكنهما اتفقتا فى الجوهر .. وهو اخضاع ليبيا وتحويلها الى مستعمرة مملوكة لايطاليا ملكية مطلقة كولاية من ولاياتها .

أولا : من سنة ١٩١١ ـ ١٩٢٢ :

● **الوضع العسكرى** ●

وتبدأ هذه الفترة من ايام الغزو الاولى حتى وقوع الانقلاب الفاشستى فى ايطاليا واقامة نظام موسولينى الديكتاتورى ، واتسمت فى نهايتها بتوغل القوات الايطالية فى المناطق الرئيسية المصاحبة للشريط الساحلى وبعض مناطق الجنوب ، وقد صادفت القوات النازية فترات من التقهقر والاندحارات أمام حركة المقاومة الصلبة ، ولم تكن القوات الايطالية بامكانها تحقيق النصر لو لم تستسلم تركيا منذ البداية وتترك أبناء الشعب العزل يواجهون جحافل الغزو الذى جاء ومعه أحدث الاسلحة الميكانيكية ، وبلغ خنوع الدولة العثمانية قمته بتوقيع معاهدة أوشى (لوزان) فى اكتوبر ١٩١٢ بين ايطاليا وتركيا التى نصت على أن تسحب تركيا قواتها من ليبيا (حوالى ٥ آلاف جندى) وتنهى حالة الحرب مع ايطاليا (التى لم تعلنها فى الواقع) .

● **الموقف السياسى** ●

عند خروج تركيا من البلاد رأت وفى مخيلتها مطامع المستقبل أن تبقى لها جيوبا داخل البلاد ، ووقع اختيارها على الطريقة السنوسية لكى تقوم بهذا الدور ... وعندما بدأت الحرب العالمية الاولى ، وانضمت ايطاليا فيها للحلفاء ، أوفدت تركيا وحليفتها المانيا بعض الضباط لاقناع السيد احمد الشريف لشن هجمات على القوات البريطانية على الحدود المصرية لفتح جبهة ضدها ، وفعلا قام السيد احمد الشريف بعملية عسكرية بمساعدة بعض الضباط الاتراك تمكنت من احتلال السلوم ومرسى مطروح فى نوفمبر ١٩١٥ ، ولكن القوات البريطانية استطاعت فى مارس ١٩١٦ أن تلحق الهزيمة بهذه القوات وأن تردها ، ولم تحاول القوات البريطانية التوغل بعد ذلك فى الاراضى البرقاوية محافظة على علاقتها مع صديقتها ايطاليا من ناحية ، ثم تمهيدا للعبة سياسية حبكت نسجها فى لقاء سرى بين ادريس السنوسى وكتشنر فى القاهرة ، واستطاعت تنفيذها بعد ذلك بالتعاون مع ايطاليا ، وتولى ادريس السنوسى زعامة عائلته بعد ذلك وبدأ يمارس سلطانه واتفاقاته مع سلطات الاحتلال ، وبعد التفاوض فى «عكرمة» بالقرب من طبرق فى ابريل ١٩١٧ وقع اتفاق مبدئى على هدنة وتصالح تراعى فيه مصالح كافة الاطراف ، وادى هذا الاتفاق بعد ذلك الى معاهدة «الدجمة» المعروفة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٢٠ وهى تعطى « الشرعية » لايطاليا لاحتلال البلاد مع تجريد المجاهدين من سلاحهم ، أما بالنسبة لادريس السنوسى فانها منحته لقب أمير «رمزى» ونصبته شيخا على اجدابيا والجغبوب وجالو وأوجلة والكفرة مع مبلغ من المال دفع له منه ٢٠ مليون ليرة ذهب . أما فى طرابلس فقد اشتدت حركة المقاومة الشعبية بانتصارات رمضان السويحلى الجبارة حتى تم اعلان الجمهورية الطرابلسية فى ١٦ نوفمبر ١٩١٨ بمدينة مسلاته ، وكان على راسها قادة النضال الوطنى البارونى ـ والسويحلى ـ والمريض ـ وبالخير . وحاول المستعمرون التقرب من الحركة الوطنية ومحاولة احتوائها بالدخول معها فى مفاوضات ولكنهم لم ينجحوا .

ثانيا : من سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٣٢

شهدت هذه الفترة اعنف معارك التحرير الشعبية وتبلورت خلالها قيادات وطنية صلبة استطاعت ان تصوغ أروع ملاحم الفداء ، كما كانت هذه الفترة تأكيدا لايقبل الجدل ان « **الطريقة السنوسية** » التى لعبت دور المهادنة والمساومة مع الاستعماريين بقيادة « ادريس السنوسى » لم تكن تمثل قيادة النضال الوطنى .. بل تمثلت هذه القيادة فى عدد من أبناء الشعب بزعامة عمر المختار الذى دخل مع المستعمرين فى عدة معارك

وكبدهم خسائر كبيرة الى أن تربصوا به واعدموه فى النهاية بعد أن رفض الاتفاق معهم بأية وسيلة .

الاستعمار والاستيطان السكانى

لقد كان البطش والتقتيل والتشريد الوحشى للسكان تصحبه ضمن الخطة التى أعلنها الفاشيست لابادتهم مصادرة أملاكهم وأراضيهم ومواشيهم ، وقد نشرت احدى الصحف الفرنسية تصريحـــا لقائد قوات الغزو الايطالى جراتزيانى المعـروف « بالســـفاح » فقـد قال « حتى بداية ١٩٣٢ وقعت فى برقة فى عهـدى ـ ثلاثة وخمسون معـــركة مهمـة و ٢١٠ معـــركة ثانوية ، وقد قتل خلالها ١٦٠٢ « متمردا » وتم الاستيلاء على ٢١٫٥٠٠ جمل ، وما يعادلها من الاغنام ، أما عدد الخيل التى أصيبت أو نهبت من قبل قواتنا فقد زادت عن ٦ آلاف حصان » ، وتقول الاحصاءات الرسمية الايطالية أن عدد المواشى فى برقة عشية الغزو الايطالى سنة ١٩١١ كان قد بلغ اكثر من مليون و ٤٠٠ الف رأس ، فى سنة ١٩٣٣ هبط هذا العدد الى ١٣٩ الف رأس .

والواقع أن مخططات ابادة السكان وسحق وجودهم لتنفيذ برامج الاستعمار والاستيطان الايطالى مرت بعدة مراحل فى كافــة مجـــالات الحيـــاة وشملت جميـــع المرافـق الادارية والاجتماعية .

■ ■

« اذا أتـــوا فى الصـــــباح »

If they come in the morning

■ تأليف :

انجيلا ديفيز

■ عرض :

جـوزيف نادر

■ الناشر :

دار نشر أوربا آندتشمبرز

ـ لنـدن ـ ١٩٧١

خلال شهر اكتوبر الماضى قامت لجنة الدفاع عن انجلا ديفيز ، المناضلة الزنجية ، بالاشتراك مع دار نشر اوربا أندتشمبرز بلندن ، باصدار هـــذا الكتاب الذى يكشف عن واقع اضـــطهاد السلطة الامريكية للزنوج . ويضم الكتاب مجموعة من المقالات بقلم عدد من المناضلين والمسجونين السياسيين السود فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتبين المقدمة عمليات القمع والاضطهاد التى يتحمل عبأها الاساسى السود والملونين ، وتفضح عمليات الرقابة على تليفونات اعضاء الكونجرس ، وتبرز أن ذلك كله يكشف عن الازمة العميقة التى يتعرض لها النظام الاجتماعى فى الولايات المتحدة . وتطالب بأن تتخذ الحركة الجماهيرية موقفا هجوميا من السلطة ، تكون قضية اطلاق سراح المسجونين السياسيين نقطة البدء فيه لانها قضية دقيقة تثير حرجا شديدا للحكومة . وتطالب بالغاء نظام السجون فى شكله الحالى . وتفضح ازدياد حدة عمليات القمع التى تكشـــف عـــن الاتجاهات الفاشية الموجودة فى قلب السلطة . وتطالب المقدمة كذلك بوحدة جميـــع القـــوى الديمقراطية والراديكالية مع الطبقة العاملـــة

والاقليات القومية من أجل سد الطريق أمام ازدياد نفوذ الفاشية فى أمريكا . وتبين أن الحركة الشعبية حققت انتصارات جزئية عندما نجحت فى اسقاط تهم القتل والتآمر ضد عدد من قادة الفهود السود، كما تطالب بربط حركة المقاومة الشعبية داخل الولايات المتحدة بحركات التحرير والحركات الثورية والديموقراطية فى العالم . اما فى الداخل فتطالب بتكوين جبهة وطنية متحدة من كل العناصر والقوى المعادية للفاشية .

ويضم الكتاب خطابا مفتوحا من **جيمس بولدوين الى انجلا ديفيز** ، يؤيد فيه مواقف الجيل الجديد من الزنوج الذين بدأوا ينتقلون من المقاومة السلبية الى المقاومة الايجابية بعد ان خيم اليأس على الاجيال السابقة التى جعلها الارهاب القائم تحتقر نفسها . كما يفضح القادة الامريكيين الذين يتلاعبون بارادة الشعب ويتدخلون فى الهند الصينية ، ويحذر من حرب اهلية تنشب بين البيض والسود اذا استمرت السياسة العنصرية ، ويختتم خطابه المفتوح موجها كلماته الى انجلا قائلا : « اذا عرفنا ، عندئذ لابد وان نناضل من اجل حياتك ، كما لو كانت حياتنا .. لانهم لو اخذوك فى الصباح ، فسوف يأتوا ليأخذونا فى مساء نفس اليوم » .

ومن ابرز مقالات الكتاب مقالة انجلا ديفيز عن « **المسجونين السياسيين والسجون ، وتحرير السود** » وتستعرض فيها تاريخ نضال السود ضد العبودية فى الماضى وضد العنصرية فى العصر الحالى . ثم تتعرض لقضية السجين السياسى ، وتفرق بين خرق القانون من اجل مصلحة فردية ، وبين خرقه من أجل مصلحة الجماعة . وتوضح كيف تلجأ السلطات الى الصاق الجرائم بالمسجونين السياسيين للالقاء بهم فى السجون كمجرمين عاديين كما كان يحدث مثلا مع مارتن لوثر كنج .

وتكشف فى مقالتها دور البوليس والاجهزة القضائية فى ارهاب الاقليات القومية . وتحذر من الاتجاهات الفاشية فى البلاد ، وكذلك من الاتجاهات الانعزالية بين الزنوج . وتنادى بحركة جماهيرية موحدة وعريضة لمقاومة ازدياد النفوذ الفاشى فى المجتمع الامريكى ، مع التركيز على محاربة العنصرية .

وفى مقالتها عن « دور السجون الاجتماعى » تقول « **بتينا ابثكر** » ان عددا من علماء النفس الامريكيين يدعون ان سبب الجريمة نفسى وليس اجتماعى ، وعلى هذا يجب عزل المجرم عن المجتمع ، كما اقترح احد الاطباء البارزين ، وهو صديق شخصى لنيكسون ان يتم مسح شامل



انجيلا ديفيز

للاطفال من سن ٦ الى ٨ لمعرفة اذا كان لديهم اتجاهات اجرامية ، ثم اقترح اقامة معسكرات علاجية لمثل هؤلاء الاطفال . والمقالة تقسم المسجونين السياسيين الى اربعة اقسام : ١ — القادة السياسيون الذين دخلوا السجن بسبب نشاطهم السياسى ، ٢ — عناصر سياسية خرقت القانون المدنى ورفضت مثلا الاشتراك فى حرب فيتنام ، ٣ — عناصر حكم عليها فى بعض الجرائم وهى بريئة منهـا تماما ، ٤ — عناصر ارتكبت فعلا بعض الجرائم .

وتبرز المقالة ازدياد وعى الجماهير ونمو حركتها لتحرير المسجونين السياسيين والوقوف ضد العنصرية والاتجاهات الفاشية . .

اما هوى ب . نيوتن ، وزير دفاع الفهود السود ، فيقسم فى مقالته المسجونين الى قسمين : ١ — هؤلاء الذين يحاولون الاثراء فى ظل النظام الراسمالى القائم بطرق غير مشروعة ، ويسميهم « راسماليين غير شرعيين » ، ٢ — اولئك الذين يرفضون اسس النظام القائم على الاستغلال ، وهم المسجونون السياسيون . ويبين ان السجن ، وان كان يضم جسد السجين السياسى ، الا انه لايستطيع ان يحبس افكاره التى تتخطى الاسوار والقضبان وتعيش بين الناس .

كما يشمل الكتاب نص بيان مسجونى الفولسوم الذى لايعكس فقط مجرد احتجاجهم على ازدحام السجون وقذارتها ووحشية الحراس فيها ، بل يعكس وعيا سياسيا بالنظام الذى يخلق هذه الظروف ، والقائم على التمييز العنصرى . ويعرف

البيان المسجون بأنها « معسكرات فاشية فى امريكا الحديثة » .

ويرى فليتا درمجو فى خطابه المنشور ان الشعب الامريكى يعيش فى ظل عبوديةفاشية، كذلك يعبر جورج جاكسون ، وهو شيوعى مستقل ، عن وجهة نظره بأن امريكا دخلتمرحلة ثبتت فيها الفاشية اقدامها . وان كانت هذه الاراء تختلف عن رأى انجلاديفيز التى ترى ان المجتمع الامريكى لايعيش فى ظل الفاشية ولم تنجح الفاشية بعد فى تثبيت اقدامها فيه ، وان كان مجتمعا يتجه نحو الفاشية .

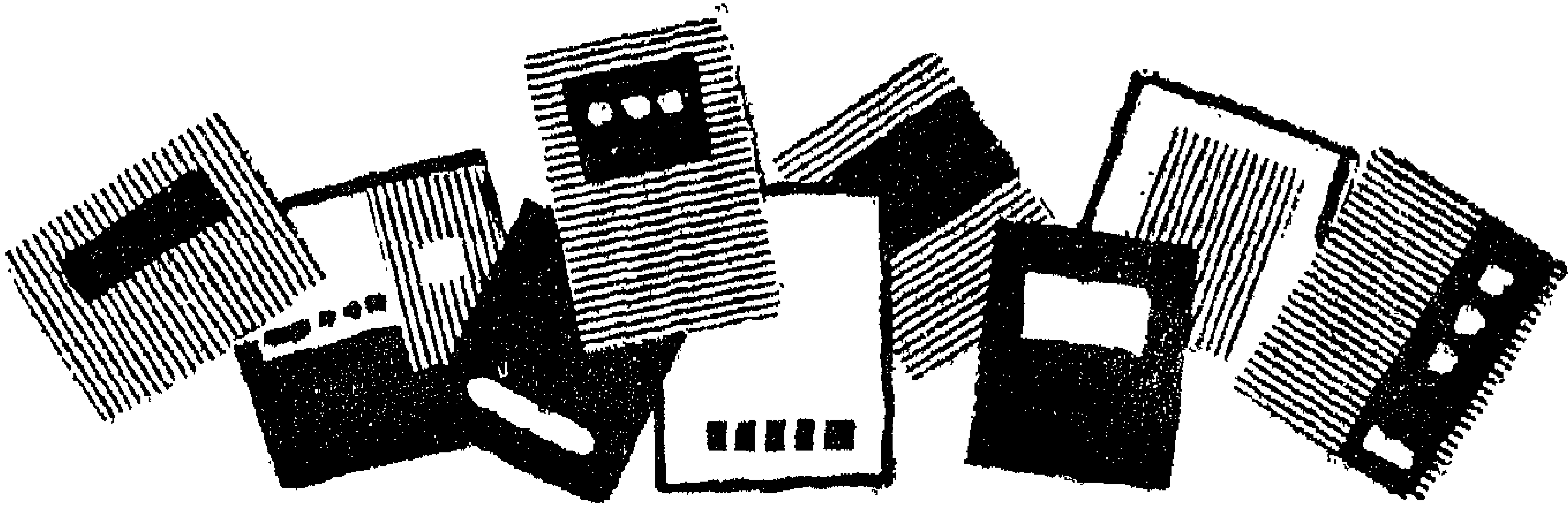
وينادى جورج جاكسون فى مقالته « نحو جبهة متحدة » بضرورة توحيد كل القوى المعادية لرأس المال الاحتكارى بغض النظر عناختلافاتهم الايديولوجية ، وضرب مثالا على الوحدة التى تسود المسجونين السياسيين بل والمسجونين العاديين رغم اختلاف موقفهم الفكرى والتنظيمى واصلهم العنصرى . وطالب القوى اليسارية فى الولايات المتحدة بتوحيد جهودها ، على ان تكون تضية الدفاع عن المسجونين السياسيين هدفهم المباشر ، والصراع ضد العنصرية محور نشاطهم .

وتذكر جسيكا متفورد فى مقالتها عن سجون كاليفورنيا ان نسبة غير البيض بين المسجونين تصل الى ٤٥ فى المائة وان سياسة الاحكامغير المحددة تستخدم للابقاء على المسجون السياسى اطول مدة داخل جدران السجن . كما تعرض لشكوى المسجونين من عدم العناية الصحيةبهم، ومن المعاملة الوحشية التى يلقونها من حراس السجن ، ولقد ادانت بعض المحاكم مايجرى داخل عدد من السجون كما حدث بالنسبة لسجن سولدار فى كاليفورنيا .

وتلاحظ المقالة ان شكوى المسجونين من اوضاعهم السيئة داخل السجن بدات تتحول الى هجوم على الدولة وسياستها والاحكام غير المحددة ، وغير ذلك من القضايا ذات الطابع السياسى .

كما يضم الكتاب بعض الاحاديث الصحفية التى دارت مع انجلاديفيز . وتعلن فيها انها انضمتالى الحزبالشيوعى الامريكى لانه يناصر قضية تحرير الزنوج ويهدف الى القضاء على أسس الاستغلال الرأسمالى فىالمجتمع الامريكى. وتقول انها استفادت من جولاتها خارج الولايات المتحدة قبل ان تسجن ، ففى باريس قابلتالعديد من الجزائريين الذين كانوا يناضلون وقتذاك (١٩٦٢) من اجل استقلال بلادهم ، وفىالمانيا الغربية شعرت بضرورة المساهمة فى معركة تحرير السود فى امريكا من خلال اشتراكها فى مظاهرات « عصبة الطلبة الاشتراكيين » . وفى كوبا شاهدت مجتمعا ثوريا فى مرحلة البناء .

ويعرض الكتاب لعدد من برقيات وخطابات التأييد التى تصل الى انجلا ديفيز فى سجنها ، ومن بينها رسالة عليها توقيعات السيدة سيزا نبراوى ودكتورة حكمت ابو زيد ودكتورة عائشة راتب والسيدة امينة السعيد والسيدة مفيدة عبد الرحمن والسيدة نفيسة الغمراوى ،وغيرهم من الشخصيات المصرية والسودانية المعروفة .





هجرة أساتذة الجامعة ..
من الجنوب الى الشمال

كتب الدكتور توفيق محمود بركات — رئيس قسم الكيمياء وعميد كلية التربية بقنا — جامعة أسيوط :

ان جامعة اسيوط لتختلف عن بقية الجامعات فى أنها تقع على بعد ٤٠٠ كيلو متر الى الجنوب من العاصمة وهى مسافة ليست بالقصيرة فى ظل استخدام المواصلات المتاحة — وهى القطار هذا الى جانب أن المهمة التى تضطلع بهاهى مهمة كبيرة وصعبة . فهى تقوم بنشر التعليم الجامعى فى جنوب الوادى كله . وقد انتشرت كلياتها الاقليمية ابتداء من محافظة المنيا شمالا حتى محافظة قنا جنوبا .

فاذا أخذنا فى الاعتبار ضآلة الامكانيات لديها من جهة المال والضيق الذى تعانيه من جهة المبانى والقلة التى تعمل بها من جهة القوة البشرية — واعنى بها أعضاء هيئة التدريس الذين على أيديهم يقوم كل العمل التعليمى فى الجامعة — لادركنا الى أى مدى تعانى هذه الجامعة . فالجامعة لا تقوم بعملها الامثل فى تخريج الاجيال المستوعبة لكل آفاق العلم الحديث الا اذا توفر لها المال اللازم لتدعيم وتأكيد الابحاث العلمية والا اذا توفرت لها المبانى التى تتسع لهذا العمل وتتسع الى جانبه للنواحى التعليمية والا اذا توفر لها أعضاء هيئة التدريس فى كل التخصصات التى تتطلبها الدراسة فى كل كلياتها .

ولما كانت القاهرة بامكانياتها الضخمة كعاصمة للجمهورية — حيث يتواجد فيها ثلاث جامعات كبيرة بالاضافة الى المركز القومى للبحوث وحيث تنتشر بيوت الاجهزة العلمية والمواد الكيماوية — تجتذب معظم المتخصصين للعمل فى جامعاتها أو بالقرب منها (فى الاسكندرية ، طنطا ، المنصورة ، الزقازيق) حتى تتاح لهم فرصة الاستمرار فى البحث والانتاج العلمى — وهو الذى يؤدى الى الترقى فى وظائف السلم الجامعى — فقد ظهر العزوف جليا عن العمل فى جامعة أسيوط . ودليل ذلك الهجرة الواضحة من داخل الجامعة الى فروع جامعات الشمال فى طنطا والمنصورة والزقازيق . ولا اغالى عندما اقول أن أكثر من نصف أعضاء هيئات التدريس الحاليين فى فروع جامعات الشمال هم أصلا من جامعة أسيوط نقلوا للعمل فى هذه الفروع المشار اليها ، ولا اغالى ايضا عندما اقرر أنه يندر أن يمر مجلس من مجالس جامعة أسيوط دون أن تحتوى قراراته على أحدها خاصا بالموافقة على نقل عضو أو آخر الى مثل وظيفته فى الازهر أو المنصورة أو طنطا ، وكذلك لايخلو الامر من قرار للندب الكامل لاحد الاعضاء مع تحمل الجامعة للمرتب اثناء الندب . وواجب الامانة يقتضى أن اقرر أن الجامعة غير مخطئة فى اتخاذ مثل هذه القرارات اذ لا يعقل الا تكافىء الجامعة من قضى فيها أكثر من ثمانى سنوات تعب وحرمان من متابعة البحث الحقيقى لقلة الامكانيات المتاحة دون أن يتميز بأى شيء عن زميله فى جامعات الشمال سواء كان

هذا التميز ماديا أو كان تميزا أدبيا . وهو الامر الذي يؤدي بطبيعة الحال الى استهلاك كل عضو هيئة تدريس يكون من نصيبه أن يعمل في جامعة أسيوط ولم تمكنه الظروف من التعيين في الجامعات الواقعة شمال الجمهورية وأصبح كل عضو هيئة تدريس في هذه الجامعة ينوء بما يحمل من ساعات عمل طويلة يوميا لان الظروف تفرض عليه الغاء الراحة الاسبوعية فجداول التدريس تمتد على طول الاسبوع لتشمل ايام الجمع والاحاد .

ولم تقف الصورة عند هذا الحد بل طولبت الجامعة تحت الحاح الظروف بفتح كليات اقليمية في المنيا وفي سوهاج وفي قنا وافتتحت بالفعل كليات جامعية في هذه المحافظات بجرأة منقطعة النظير وزادت الاعباء على هيئة تدريس الجامعة وأثبتوا حتى الان قدرة وقوة نادرتين وعملوا باخلاص في كفاح غريب وصبر طيب في أصعب ظروف وأصبح لزاما على كل عضو أن يسافر أسبوعيا بين المنيا شمالا وقنا جنوبا يدرس تخصصه في الشمال والجنوب دون أن تبقى لديه فرصة لاى مجال بحث أو حتى الاشراف عليها . ويرجع السفر والعمل في هذه الكليات الى انشاء هذه الكليات دون أو يعد لها مسبقا أعضاء هيئة تدريس في التخصصات المختلفة اللازمة لها .

لم يعط المسئولون جامعة أسيوط الفرصة المالية أو الاتساع اللازم في البعثات لتجهيز العدد الكافي من أعضاء هيئة التدريس الذي به تتمكن الجامعة من مجابهة الزيادة المضطردة في اعداد الطلاب الذين يلتحقون بها سنة بعد أخرى . وبدلا من ذلك يطلبون منها في السنوات الاخيرة فتح كليات اقليمية في المحافظات المشار اليها فتكون النتيجة وجود كليات خالية تقريبا من أعضاء هيئة التدريس ويتكبد العدد القليل الموجود بالجامعة الام مشقة السفر والتدريس في هذه الكليات الى جانب عمله في أسيوط . وبعد ذلك ترتفع الاصوات في الصحافة وبعض المجلات تقول مسميات لا تليق باستاذ الجامعة فمن قائل يقول « استاذ التاكسي » وآخر يقول « استاذ الشنطة » وتحت هذه العناوين كلام كثير وهم معذورون وذلك لانهم بعيدون كل البعد عن المجال الجامعي ولا يهم بعضهم الا مجرد الكتابة عن أى شيء دون استيعاب وبحث في هذا الشيء .

الى متى يسير الحال على هذا المنوال ! ؟ أليس لصبر هؤلاء الجنود ــ الذين يبذلون من راحتهم ووقتهم ما لا يبذله مثيل لهم في أى عمل آخر من أعمال الدولة على اتساعها ــ حدود ! ؟ أنهم بشر من لحم ودم . والحكمة تقتضينا الا نسألهم الاستمرار في هذا الجهد المضني ولنبحث عن مخرج يزيد من عددهم ويزيل عنهم هذه المعاناه ويحقق لهم الاستقرار ويعطيهم فرصة العمل المثمر في التدريس والبحث فلهم على الدولة حق التكريم ازاء ما بذلوا في الماضي وما يبذلون في الحاضر دون ما كلل ولا شكوى .

وانني لاتقدم بالحلين التاليين :

الاول منهما عاجل وفوري ، وفيه تعمل الدولة على اجتذاب أعضاء هيئة تدريس لجامعة أسيوط عن طريق منح شهرية مالية مغرية اذ لا يعقل أن يتساوى عضو هيئة التدريس في أسيوط بزميله في الكليات الاقليمية المنشأة في طنطا والمنصورة والزقازيق على أساس من الفهم أن كلها جامعات اقليمية وهو الاسلوب المعمول به في الوقت الحاضر والذي يساوي بينهم في كل شيء حتى في المدد اللازمة للترقية الى الوظائف الاعلى . واذا كان صدور اعلان في صحفنا اليومية عن حاجة دولة عربية شقيقة الى اعضاء هيئة تدريس لجامعاتها يجتذب اعدادا كبيرة من متخصصينا لتأكد لنا أن الاعلان عن منح مالية مجزية لمن يعمل في جامعة أسيوط سوف يجذب اليها اعدادا غير قليلة على أن يراعى أن تتفاوت المنح حتى يصل اقصاها في قنا .

الثاني طويل يؤخذ على خطط خمسية للبعثات على أن يخصص فيه لجامعة أسيوط العدد الاكبر والاوفر مع كتابة عقود تلزم العائد منهم بالعمل في الجامعة وعلى أن ينفذ العقد بطريقة جدية لا استثناء فيها لاحد ليتحقق الغرض منه مثلا لا يقبل العائد في أى عمل آخر بالدولة اذا اعتذر عن العمل في جامعة أسيوط وهي الجامعة الموفدة الى جانب الالتزامات المالية التي يجب ان يدفعها للدولة نظير ما صرفته عليه في الخارج ، بالاضافة الى مبالغ أخرى تدفع كتعويضات لما سببه من خسارة تنتج عن عدم قبوله العمل في الجامعة .

وأود أن أشير الى أن توفر أعضاء هيئة التدريس سيزيل عنهم الارهاق الناجم من كثرة العمل فيعطون من وقتهم القدر الكافي من الارشاد والنصيحة لطلابهم ويتيح لهم فرصة البحث والاستمرار فيه والاطلاع على ما يدور في بلاد العالم من أبحاث فيزول التخلف الراهن في معامل ابحاثنا ويساعد ذلك على تخرج المتخصصين محليا فتستغنى بهم عن البعثات الى الخارج ويتحدد السفر الى الخارج عند اذن بالمشاركة في المؤتمرات الدولية لتظل الصلة العلمية بيننا وبين كل بلاد العالم قائمة .

انها نظرة أطالب المسئولين أن يشملوا بها جامعة أسيوط — أولى الجامعات الاقليمية في جمهورية مصر العربية .



التسويق التعاوني للقطن

كتب عبيد الله صابر قطب الطنساوي الموظف بشركة النيل لحليج الاقطان بالمنيا تعقيبا على قرار مجلس الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي في ٦ أكتوبر ١٩٧١ الخاص بتغيير التسويق التعاوني للقطن .

قرر مجلس الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي في اجتماعه يوم ٦—١٠—١٩٧١ تغيير نظام التسويق التعاوني للقطن اعتبارا من الموسم القادم ، وهو ان تقوم شركات التصدير بتسويق القطن من المنتجين رأسا وارتكن مجلس الاتحاد في تغيير هذا النظام الحالي على سبب وجيه وهو فتح باب المنافسة لصالح المنتج وايضا رفع مستوى الرتبة .

وحيث ان النظام الحالي للتسويق التعاوني للقطن فعلا به اخطاء ومما لاشك فيه ان مستوى الرتبة قد انخفض فعلا ولكن هذا يرجع الى ان المنتج اصبح وفي نظام التسويق المعمول به الان يهتم بالكم فقط ولايهتم بالكيف مطلقا لان ثمن الاقطان الذي يصرف له عند توريد الاقطان يكون عن الكمية التي ترد منه دون النظر الى رتبتها . يضاف الى هذا عدم كفاية جرعة الوعي التي يأخذها المنتج من مراقبة الارشاد الزراعي بوزارة الزراعة وهي المختصة بذلك .

وحيث ان القرار الجديد الصادر من مجلس الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي يوم ٦—١٠—١٩٧١ له عيوبه ايضا والتي منها انه في حالة تطبيق هذا النظام سوف تتسع رويدا رويدا تجارة القطن ويظهر المستغلون ثانية بعد ان تكبدت الدولة مبالغ طائلة في سبيل اخفائهم تماما من طريق المنتج . حيث قامت الدولة بتوظيف جميع تجار وسماسرة القطن في الشركات والهيئات والمؤسسات .

ورغم هذا فهو نظام لم يوصلنا الى الهدف المطلوب وهو رفع مستوى الرتبة .

لذلك واذا اردنا حلا لمشكلة هبوط مستوى رتبة القطن المصري والابقاء على الاطار العام لنظامنا الاشتراكي اقترح الاتي :

١ — ضم شركات الحليج الى شركات التصدير كما كانت عليه وهذا يوصلنا فعلا الى رفع مستوى الرتبة لان شركات الحليج بوضعها الحالي تضع كل امكانياتها على رفع مستوى انتاجها كما ولاتهتم بالكيف لان عائد الربح لشركات الحليج يرجع الى حلج اكبر كمية من القطن وليس الى حلج أعلى رتبة من القطن ، وان العاملين بهذه الشركات يعملون بكل جهد لرفع مستوى الانتاج كما لكي يضمنوا لانفسهم ارباحا تحقق لهم السير قدما مع سياسة ربط الاجر بالانتاج .

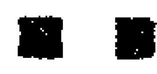
اما اذا كانت شركات الحليج مندمجة مع شركات التصدير يتغير هذا المعنى تماما ويتحول رفع مستوى الانتاج الى كم وكيف ، وتقوم المحالج بالعمل على رفع مستوى الرتبة اثناء الحليج وهذا معروف جدا وواضح الان بالمحالج .

٢ — يقوم المنتج بتوريد اقطانه الى الجمعية التعاونية وتصرف له السلفة المبدئية عن كل قنطار بعد فرزه وتحديد رتبته بمعرفة لجنة من فرازي بنك التسليف الزراعي وهيئة التحكيم . وفي هذه الحالة سوف يهتم المنتج بنظافة اقطانه قبل توريدها .

٣ — تقوم شركات القطن بمعاينة اقطان كل جمعية ثم تتقدم لمشتراها عن طريق جلسة مزاد علنية ممثل فيها بنك التسليف الزراعي ووزارة الزراعة وهيئة التحكيم .

وهذا يوصلنا الى فتح باب المنافسة حقيقة وهو المطلوب .

٤ — اضيف الى ذلك عامل مهم جدا وهو ان شركات تصدير الاقطان عند دمجها مع شركات الحليج نكون قد قمنا بتوفير مبالغ كبيرة للدولة حيث سيكون بكل شركة اقطان مجلس ادارة واحد وعمالة واحدة وسيارة واحدة وتليفون واحد وبدل سفر واحد ، واستراحة واحدة ، وساع واحد بدلا من ازدواج كل هذا ولا عائد لكل هذا سوى القطن .



دولة لا أمية فيها

كتب ابراهيم عبد الله المسلمي .. بكالوريوس تجارة بالزقازيق ، وممثل التنظيم الشبابي بالاتحاد الاشتراكي بالزقازيق ، تعليقا على ماجاء في عدد الطليعة عن برنامج العمل الوطني :

نحن ننادي بدولة عصرية ؟ وبدون القضاء على الامية فان الاساليب والوسائل المعدةلرفع مستوى البحث العلمي والتكنولوجيا وزيـــادة مستوى انتاج العامل والوحدة الانتاجية — كل ذلك يعتبر ضربا من ضروب الخيال . ومهمةمحو الامية لايمكن أن تتولاها اجهزة الدولة وحدها أو يمكن تركها للمجهود الفردي للجماهير . ومن هنا كان واجب الاتحاد الاشتراكى كبيرا وقوميا وثوريا .

١ — على الدولة اولا ان تقوم بحصر اعداد الاميين واماكن تجمعاتهم ثم تقدم الامكانيات من مدارس وكتب وأدوات للمتطوعين لمحو الامية .

٢ — على وحدات الاتحاد الاشتـــــراكى الاساسية وضع خطة زمنية — سنوية او اقل — وتقوم على تطوع الشباب المخلص للقضية . ويكون تقييم أعضاء الوحدات الاساسية نظير ماقدموه من خدمات في هذا المجال .

٣ — وحدات الاتحاد الاشتراكى بالقـــرى والمصانع تقع عليها مسئولية اكبر من تلك الواقعة في المدن نظرا لان الغالبية العظمى من ســـكان الريف والعمال أميين .

٤ — المسئولية العظمى لتنفيذ هذا البرنامج تقع على طلاب وطالبات الكليات الجامعيـــة والمعاهد العليا — نظرا لان معظم هؤلاء ينتمون بحكم الموقع السكنى او الانتماء الاسرى الى قرى مصر .

٥ — وفي المنازل . تعيش الامية والعلم في مكان واحد . فبينما يتعلم ابناء الاسرة ، فان « الشغالين » يرزحون تحت عبء الخدمةالمنزلية — والاميـــة . وهكـــذا في بيت واحـــد يعيش الجهل ، مع التكنولوجيا الحـــديثة : الثلاجـــة والتليفزيون .. الخ . فهل من الممكن وضـــع برنامج لمحو أمية هؤلاء الشغالين والشغالات ؟ .

٦ — يشترط لتعيين العاملين في الدولة قضاء فترة محددة في فصول محو الامية .

٧ — مضاعفة توعية العمـــــال الزراعيين والقرويات على الانضمام لفصول محو الامية . ويثور التساؤل ، هل يستحسن كي يؤخذ الامر مأخذ الجد أن تكون هناك غرامة يدفعها الفـــلاح أو زوجته او اولاده في حالة الانقطاع ..

لقد نادى عبد الناصر .. « يد تبنى .. ويد تحمل السلاح ... » وأعلن انور الســادات : « ... دولة لا اميةفيها .. » واذا كانت الاشتراكية في معنى من معانيها تقول انها « بيت ســـعيد لكل اسرة » فان محو الامية هو احد عوامل تحقيق هذا الهدف . لان السعادة الحقيقية لايمكن ان تقوم مع الجهل والامية .



منظمة الشباب في سوريا

كتب خالد عز الدين ، طالب في ثانوية عبد الحميد الزهراوى حمص . سوريا يقول : ان صلاح زكي وهو يدرس المظاهر السلبيـــــة والايجابية لمنظمةالشباب الاشتراكى (الطليعة، سبتمبر ١٩٧١) قال وهو يتحدث عن المستوى العربي انه من الملاحظ في اغلب التنظيمـــات السياسية العربية عدم وجود تنظيمات سياسية خاصة بالشباب .

ويعلق خالد عز الدين على ذلك بأنه يود أن يشير الى وجود منظمة تربوية سياسية نضالية تابعة لحزب البعث السورى تضم الشباب بين ١٤ — ٢٧ سنة من مختلف قطاعات الشعب بما اى تمثل وحدة الشعب وقواه المنتجة . وهي فيهم الطلاب . وتضم العامل والفلاح والطالب والمرأة والمهندس والطبيب والمعلم والحـرفى ، منظمة تعمل تحت قيادة الحزب واشرافه .



دعوة الى مساندة الشباب الاسرائيلى فى مقاومة التجنيد للخــــدمة العســـــكرية

في الثاني من اغسطس ١٩٧١ اصدر اربعة من الشبان الاسرائيليين ، فتاة وثلاثة شبان ، كانوا على وشك التجنيد للجيش بيانا اعلنوا فيه :

« **اننا لم نولد أحرارا لنصبح ظالمين . اننـــا نرفض أن ننزل بشعب آخر ماأنزل بابائنـــا وأجدادنا** » وقد تراجع اثنان من الاربعة تحت الضغوط العاطفية الشديدة من قبل آبائهـــم وأصـــدقائهم ومدرسيهم . وسجن ثـــالثهم — **جيورا نيومان** — في ١٨ نوفمبر الماضى . ومن المحتمل أن يقضى مدة عقوبة طويلة .

وحول هذه القضية أصدر **نوم تشومسكى** مع آخرين النداء الثانى الذى وصلنا بالبريد من لندن وننشر نصه فيما يلى :

« نحن الموقعين على هذا نرقب باحترام وأمل النزوع المتزايد لدى عدد كبير من المواطنين في كثير من دول العالم نحو اتخاذ مواقف نقدية

واصدار احكام سياسية مستقلة والالتزام بمواقف شخصية وسياسية . بوحى من ضمائرهم الفردية .

وهذه الانتقادات والالتزامات ترتبط غالبا بمشاكل المجتمعات التى يعيش فيها هؤلاء الناقدين . وهى موجهة فى المحل الاول ضد مؤسسات السلطة التى يعيش فى ظلها هؤلاء الرافضين للوضع القائم ، والذين ينظر اليهم — لاول وهلة — باعتبارهم خطرا يهدد سعادة مواطنيهم الاخرين . الا ان اللجوء للضمير الفردى والالتزام الجماعى يبدو شيئا لامناص منه اذا اردنا القضاء على المظالم واحترام كرامة الفرد والجماعة . وهو أمر ضرورى أيضا لتشجيع اتخاذ مواقف مماثلة فى اماكن اخرى .

من هنا فاننا نحن الموقعين على هذا ، نؤيد تأييدا كاملا الاسرائيليين الاربعة الرافضين لتأدية الخدمة العسكرية فى بيانهم الذى اصدروه لمقاومة التجنيد بالجيش الاسرائيلى . وهم يصدرون فى هذه المقاومة عن معارضتهم للسياسة التى تنتهجها المؤسسة الصهيونية بوجه عام . والسياسة المتبعة فى المناطق المحتلة بوجه خاص . وعلى سبيل المثال — الاعتقالات التى تقوم بها الادارة ، ومصادرة الاراضى المملوكة للعرب ، ونسف المنازل ، وعمليات الطرد الجماعية للسكان الفلسطينيين ، والتعذيب ، والاجور التى تقل عن حد الكفاف فى غزة ، وعدم كفالة الحقوق السياسية والمدنية الكاملة للجميع على قدم المساواة .

ان الخطوة التى اتخذها مقاومو التجنيد العسكرى خطوة شجاعة وضرورية لاحداث تغيير اجتماعى جذرى ولتحقيق عدالة اجتماعية كاملة بالنسبة لليهود الاسرائيليين والشعب العربى الفلسطينى وكذلك بالنسبة لكل شعوب الشرق الاوسط عامة .

وانا لنأمل مخلصين أن كل هؤلاء الذين يدفعهم ضميرهم ووعيهم السياسى لمقاومة السياسات الخاطئة ، وسياسات التهر من قبل حكوماتهم — ان يفعلوا ذلك — وسريعا سواء من بين اليهود الاسرائيليين او الفلسطينيين العرب وكذلك من بين الشعوب العربية الاخرى .

(بوسطن ١٩ اغسطس ١٩٧١)

ضد العنصرية

ثمة تساؤل هام ترى « **الطليعة** » انه من الضرورى أن تطرحه فى هذه المرحلة من تطور صراعنا ضد اسرائيل .

والسؤال هو : « هل نسمح لانفسنا بأن نقع فى أخطائنا السابقة ونحن نتحدث عن عدونا ؟ هل نسمح لانفسنا لان نستدرج الى أسلوب السباب والدعاوى العنصرية البغيضة .

ان حرب الكلمات والمتاجرة بها ، ليست فقط سلاح العاجز ولكنها بالدقة سلاح يرد الى صدر من يستخدمه ، ولقد جربنا هذا السلاح يوما ، وجربنا نتائجه ، وما جره علينا من خسارة .

ان الكلمات التى تطل برأسها الان فى كتابات البعض واضعة عدونا بانه « **الشعب الملعون** » وبانه « **بلد العاهرات والبغايا وفتيات الليل** » وان المجتمع الاسرائيلى هو « **مجتمع البغاء واللصوصية . . . ان البغايا واللصوص لا يمكن ان يكونوا مختارين من الله** » هى كلمات ضارة غاية الضرر ، فضلا عن انها غير موضوعية .

هل من المفيد أن نردد مثل هذه المهاترات ، نحن الذين نصمم الى آخر حد أن معركتنا ضد الصهيونية الاسرائيلية ليست معركة عنصرية ، ولا هى معركة ضد شعب ملعون وانما هى ببساطة معركة ضد عدو يحتل جزءا من أراضينا .

ان « **الطليعة** » بكل الحرص على المعركة التى نخوضها ، وبكل الحرص على شرف الكلمة العربية تدعو الى استخدامها كأداة فى معركة شريفة ، وسلاحا للبناء والتوعية ، ليس لبث الروح العنصرية والدعاوى المتخلفة التى يروجها بعض اتجاهات وأقلام يستغلها العدو أسوأ الاستغلال ، وتسىء الى موقفنا وقضيتنا ابلغ اساءة .

فلنكف عن ترديد الشعارات البالية المضادة التى لا يستفيد منها ويجنى ثمارها المسمومة غير العدو الامبريالى الصهيونى .

« **الطليعة** »

وثائق

أوراق حركات التحرر الوطنى العالمية المعاصرة



« توباماروس »

تنشر «الطليعة» ابتداء من عدد يناير ١٩٧٢ ، أوراق عن برامج حركات التحرر الوطنى والمنظمات الثورية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، المعاصرة .

ونبدأ فى هذا العدد بنشر ثلاث وثائق لواحدة من أشهر المنظمات الثورية فى أمريكا اللاتينية وهى منظمة «توبا ماروس» حركة التحرر الوطنى بأورجواى .

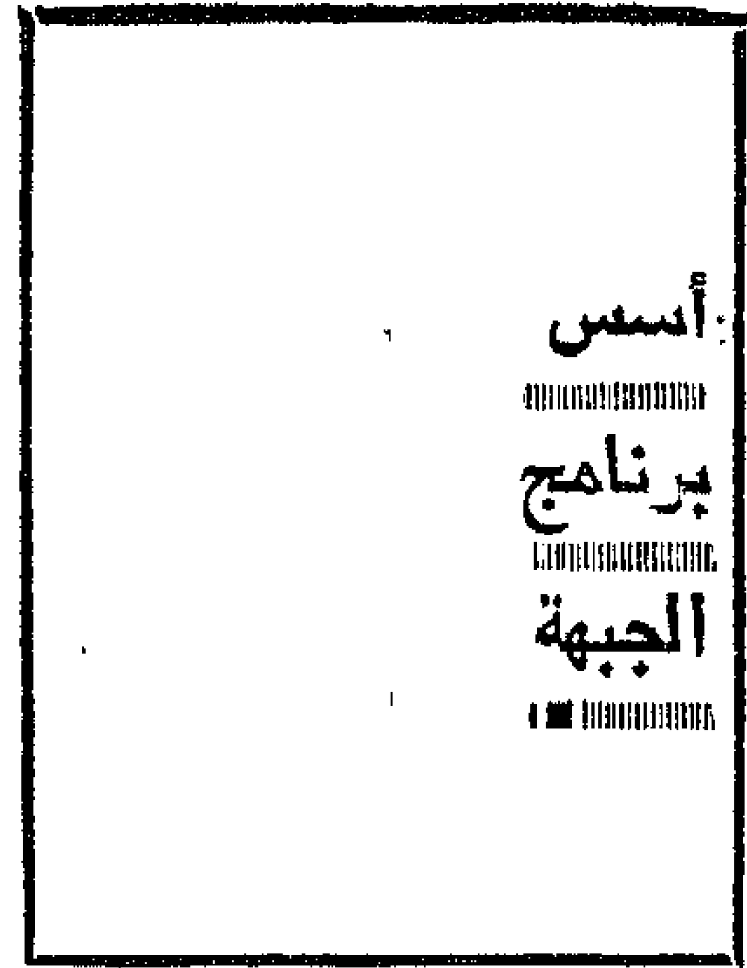
- اسس برنامج الجبهة ..
- برنامج الجبهة المقدم من منظمة توباماروس
- برنامج الحكومةالثورية لحركة التحرر الوطنى «توباماروس»

وسوف تواصل الطليعة فى أعدادها القادمة تقديم عدد من برامج المنظمات الثورية الهامة ، بما يتيح للقارىء العربى التعرف على المواقع الثورية والنضالية لكثير من الحركات الوطنية التقدمية كسبيل لتفهم منطلقاتها الفكرية والنظرية واستراتيجيتها وتكتيكها السياسى .

[١] أسس برنامج الجبهة

[٢] موقع حركة التحرر الوطنى فى الجبهة

[٣] برنامج الحكومة الثورية لحركة التحرر الوطنى



الحريات والحقوق والضمانات :

❶ الدعم الكامل للحريات والحقوق والضمانات الدستورية المشروعة . وضمان اتاحة كافة وسائل النشر المناسبة ، الرتسمية منها والخاصة ، دون استثناء أو ضغط من أى نوع ، وبخاصة الضغوطالسياسيةوالاقتصادية.

الالتزام الدقيق بمراعاة الاحكام الدستورية التى تنظم شئون التعليم والثقافة والحياة الدينية .

احترام الحقوق والحريات النقابية احتراما كاملا وتطويرها تطويرا شاملا .

انشاء سلطة ضبط قضائية مستقلة استقلالا عضويا فعالا اقتصاديا ووظيفيا. مع مراعاة الاولويات التالية :

(أ / الغاء اجراءات الامن الطارئة.

(ب) ويتصل بهذا ، اعادةالذين فصلوا الى أعمالهم مع اعطائهم كل حقوقهم ورد اعتبار من وقعت عليهم عقوبات .

(ج) الغاء وسائل العنف التى لازمت النظام الحاكم ، وتطبيق العفو السياسى كوسيلة تتيح لكافة قطاعات المجتمع العودة الى ممارسة حياتها النياسية المشروعة ، وذلك تسهيلا لتحقيق التطور الطبيعى للحياة السياسية والاجتماعية للبلاد . وتحقيقا لهذا الهدف ، ينبغى أن يشمل العفو كل أولئك الذين اتهموا — أو اقترنت اسماؤهم — بجرائم سياسية ارتكبت بغرض التخفيف من وطأة الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة .

(د) وضع حد للتدخل فى التعليم العام وتوفير الشرعية لكيانه الخاص .

والغاء كافة الاجراءات التعسفية التى اتخذت ضد المعلمين والطلاب خلال فترة هذا التدخل .

(هـ) اعادة الحقوق والضمانات الكاملة للصحف والاحزاب السياسية والجماعات التى حظر نشاطها بالمرسوم الذى أصدرته السلطة التنفيذية القائمة .

السياسة الدولية

❷ الدفاع عن السيادة القومية . والتطبيق — بغير حدود — لمبادىء تقرير المصير وعدم التدخل .

المشاركة فى المنظمات الدولية وفقا لمقتضيات الدفاع عن مبدأ انتهاج سياسة خارجية مستقلة . وادانة الدور الذى مارسته فى الماضى وفى الحاضر منظمة الدول الامريكية كأداة للامبريالية ، والنضال من أجل استقلال وتكامل دول امريكا اللاتينية وعملها المشترك من أجل التخلص من التبعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

تأييد قبول جميع الدول فى هيئة الامم المتحدة ' واقامة العلاقات مع كافة بلدان العالم على أساس الاتفاق الحر بين الاطراف المعنية ' .

التضامن مع كافة شعوب العالم ، وبخاصة شعوب امريكا اللاتينية ، التى تناضل من أجل تحرير انفسها من قهر الاحتلال والامبريالية والاستعمار الجديد.

وتأكيد حق الالتجاء السياسى عملا بالتقاليد والقواعد المرعية فى جمهوريتنا .

اعادة النظر فى كافة المعاهدات والاتفاقيات والقرارات الدولية التى تتناقض مع المبادىء السالفة الذكر والغائها .

اعادة تنظيم أجهزة وزارة الخارجية لتكون فى خدمة المصالح الحقيقية للبلاد.

❸ توجيه السياسة الاقتصادية الخارجية للبلاد ، بما يتلاءم مع المصالح القومية والشعبية .

ورفض سياسة صندوق البنك الدولى وغيره من المنظمات الدولية التى تنتهج نفس سياسته .

وادانة سياسة التكامل التى تنتهجها منظمة التجارة الحرة لدول أمريكا اللاتينية التى تؤدى الى تفاقم تبعية هذه الدول . ومراجعة هذه السياسة وتغييرها بحيث تتجاوب مع مصالح الشعب .

والتفاوض من أجل تعديل الشروط الاحادية الجانب لاتفاقيات الديون الخارجية وتأجيل الدفع ، وذلك للفترة التى يقتضيها ضمان تحقيق قدرة ميزانية الدولة على مواجهة الاهداف الاقتصادية والاجتماعية لهذا البرنامج .

وفى حالة تعذر تعديل هذه الشروط ، تتخذ الدولة — من جانب واحد — الاجراءات الكفيلة بتحقيق هذه الاهداف.

مطالبة المؤسسات التى تعمل فى اراضى البلاد ، بن تستثمر ارباحها فى الداخل .

مراقبة وحظر ارسال العائدات والارباح والديون المستهلكة الى خارج البلاد .

واتخاذ الاجراءات التى تحول دون هروب رءوس الاموال .

اقامة علاقات اقتصادية وتجارية مع كافة بلدان العالم .

اصلاح البناء الاقتصادى والاجتماعى

❹ تخطيط الاقتصاد القومى المستقل ، فى اطار الاهداف الاجتماعية التى تستهدف المساهمة فى احداث التحولات الضرورية لتطوير البلاد تطويرا متكاملا . وذلك مع التأكيد على دور القطاع الخاص .

انشاء جهاز لتوجيه التخطيط تشارك فيه النقابات والمنتجين والفنيين وتمثلي السلطة السياسية . على أن تشارك الجامعات فى تحديد استراتيجية التخطيط والتطور .

ويمكن أن تأخذ سياسة التأميم شكل ملكية الدولة للصناعة وغيرها ، أو شكل مشاركة منتجى القطاع الخاص والعمال ، ويتوقف اختيار أى من الشكلين على مدى ما يقدمه أى منهما من فوائد من ناحية كفاية الانتاج وديناميكية الاقتصاد .

الدفاع عن استقلال قطاع الدولة فى الصناعة والتجارة وتدعيمه وتطويره ، واشتراك العمال فى ادارة الصناعات التى تتمتع بالاستقلال الذاتى فى اطار الخطة وأجهزة الخدمات غير المركزية ومؤسسات القطاع المختلط فى الاقتصاد ، والرقابة عليها .

❺ تحقيق اصلاح زراعى يبشر بتحول متكامل فى الهيكل الزراعى للبلاد ، يتمشى مع التخطيط العام . وسيؤدى الاصلاح الزراعى الى القضاء على نظامى اللاتيفونديا (الملكية الكبيرة للأرض) والمنيفونديا (الملكية الصغيرة للأرض) ، واستبدالهما بنظام عادل لملكية الارض واستغلالها ، يساهم فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى ويؤدى الى رفع مستوى الانتاج وزيادة الانتاجية ويزيد من أرباح المنتجين والعمال ، ويضمن تحقيق العدالة الاجتماعية بحيث تصبح الارض لمن يفلحها وذلك كأساس لاستقرار ورخاء الانسان وضمان لحريته وكرامته . كما يوفر الاصلاح الزراعى ضمانا لحماية الملاك الصغار والمتوسطين .

مع مراعاة أولوية :

(أ) تقديم المساعدات والحلول التى توفر الاستقرار للمنتجين الصغار والمتوسطين والمستأجرين ، والتى تضمن لهم الاسواق وتحديد الاسعار وتوفير القروض لهم والمساعدات الفنية والتعليمية ، والقضاء على الوسطاء .

(ب) وضع نظام للاجور ومستوى المعيشة والعمل ، يساهم فى تطوير التقدم الاجتماعى فى أنحاء البلاد .

(جـ) تطوير انشاء مزارع تعاونية زراعية ولتربية الحيوان ، وتقديم التسهيلات لاقامة المنشآت وتوفير الالات والبذور والسماد وغيرها من الاحتياجات وتوفير امكانيات تسويق منتجاتها .

(د) تطبيق القانون الذى يحظر قيام شركات لتملك واستغلال الارض .

❻ تطبيق سياسة نشطة للتصنيع ، والحفاظ على الاعمال القائمة وزيادة مصادرها وتأمينها — اذا دعت الضرورة تحقيقا لهذا الغرض — ومشاركة الدولة فى الصناعات الاساسية التى لا يشملها التأميم .

تصنيع المواد الخام والمنتجات الزراعية

ومنتجات الالبان التى تتجها مزارع الدولة الى اقصى حد ممكن وعلى نطاق البلاد كلها ، وبخاصة تصنيع اللحوم والصوف والالبان والجلود وغيرها من منتجات تربية الحيوان . وتوفير رقابة شعبية واضحة على هذه العملية والقضاء على كل اشكال التروستات والتغلغل الاجنبى ، وتأميم عمليات صناعة اللحوم .

ولسوف يوفر التخطيط الاقتصادى توزيعا متسقا للنشاط الصناعى على نطاق الامة كلها ، يكون اساسا لتطوير اقتصاد الجمهورية .

تطوير وتنسيق نقل الركاب والبضائع وفقا للاحتياجات المحلية والقومية واعتبارها من وسائل الخدمة العامة واسترداد AFE وانشاء بحرية تجارية قومية .

(٧) تأميم البنوك والاحتكارات الكبرى والفروع الاساسية للتجارة الخارجية تخليصا لها من عمليات الربا والمضاربة . والقضاء على المجموعات المالية المتحكمة القومية والاجنبية ، ووضع حصيلة الضرائب والائتمان والنقد الاجنبى فى خدمة التطور الوطنى .

(٨) النهوض بالنظام التعاونى كأداة تهدف الى المساهمة فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى ، سواء فى مجال الصناعة وتربية الماشية والسلع الاستهلاكية والخدمات . وتأسيس نظام مالى واقتصادى عادل وقواعد للتكامل والرقابة التى تضمن الدفاع عن الطابع الشعبى والتقدمى للنظام وتجنب امكانية الانحراف عن هدفه .

(٩) تطوير السياسة السكانية وفق تخطيط حكيم للتنقل والهجرة الداخلية والخارجية ، بحيث تتوفر القوى البشرية التى لا غنى عنها فى تطوير البلاد ، على اساس تحسين مستوى المعيشة وشروط العمل واستبعاد محاولات تنظيم النسل وتحديده .

(١٠) اصلاح جذرى للنظام الضرائبى بحيث يؤثر تأثيرا فعالا على تراكم الثروة والراسمال الطفيلى ، والراسمال ذا الانتاجية المنخفضة والنشاطات المخربة للاقتصاد وآفاتها الاجتماعية والارباح الطائلة ويحد بشكل متزايد من الضرائب المباشرة .

تبسيط وتوحيد وتجانس النظام الضريبى ووضع سياسة منظمة لا كمجرد اساس لموارد الدولة ولكن كأداة للتنشيط الاقتصادى ومن أجل توزيع أكثر عدالة للارباح .

وضع نظام خاص لمعالجة الثروات المكتسبة عن طريق العمل وأيلولتها عن طريق الأرث .

السياسة الاجتماعية والتعليمية

(١١) وضع سياسة جديدة وعادلة للاجور العامة والخاصة ، على اساس مبدأ الأجر المتساوى للعمل المتساوى وعلى نحو يتلاءم مع تكاليف المعيشة . على أن تشارك القطاعات المعنية فى تخطيط هذه السياسة وتحديد الاسعار والارباح ، وينبغى أن تؤدى هذه السياسة الى توزيع عادل للارباح ، بما يتلاءم مع حاجات الشعب ومتطلبات الاستثمار .

وذلك مع مراعاة الاولويات الاتية :

(أ) الغاء قانون COPRIN

(ب) وضع حد أدنى للاجور على المستوى القومى .

(١٢) وضع نظام معقول لمعدلات المعيشة يوجه نحو ضمان رفاهية واستقرار الفرد الذى لا غنى عنه فى تطوير شخصيته تطويرا متكاملا يشمل دورة حياته من الميلاد الى الوفاة وتوسيع نطاق نظام التأمين الاجتماعى للعمل المأجور وللفلاحين .

مع مراعاة اولوية النضال من أجل :

(أ) تطبيق الاتجاه الدستورى الى فرض تكامل ادارة بنك التأمين الاجتماعى بمشاركة ممثلين عن الاطراف المسئولة والمستفيدة . على أن يقوم المساهمون فى تمويل البنك بسداد التزاماتهم فورا . كما تقوم الدولة والمؤسسات بسداد ديونها للبنك . واتخاذ الاجراءات التى تكفل القضاء على فرص التهرب من دفع الحصص ، والتى تكفل المساواة فى المسئولية والعناية بأداء الخدمة دون منح المولين الامتيازات أو التأجيل لهم . وضمان ربط المعاشات على اساس مرتبات العاملين .

(ب) توفير الامن فى مجال الصحة

أورجواى

المساحة : ١٨٣ر٩٢٦ر١٨٣ كم٢

عدد السكان : ٢ر٥٩٢ر٥٦٣ نسمة .

العاصمة : مونتفيديو .

اللغة : الاسبانية .

التطور التاريخى : فى سنة ١٥١٥ غزاها الاسبان وقضوا على معظم سكانها من الهنود ، وبدأ الاستعمار بعد ذلك بحوالى قرن وشكل الجزويت والفرنسسكان باقناع الهنود بالخضوع . واسس الاسبان العاصمة فى ١٧٢٦ واهتموا بتربية الماشية وقد اتخذ النضال من أجل الاستقلال ، شكل الحركة الريفية التى يقودها مربو الماشية . وقاد جوزيه ارتيجاس وهو من المولدين النضال للقضاء على الحكم الاسبانى حتى قضى عليهم فى سنة ١٨١٤ ، وأصدر عدة قوانين متقدمة ووزع الاراضى . ولكن البرتغال غزت البلاد ، واستولت على العاصمة فى سنة ١٨١٧ . ولكن النضال استمر ، وأعلن الاستقلال فى ٢٥ أغسطس سنة ١٨٢٥ . وقامت الجمهورية بمقتضى دستور يوليو ١٨٣٠ . وبدأت الحرب بين « القسم الابيض » ويمثل القطاع الريفى و « القسم الاحمر » ويمثل سكان المدن ، واستمرت حتى سنة ١٨٥١ بسيادة ممثلى سكان المدن ، وزاد تركز ملكية الارض وتسرب رأس المال الانجليزى ، وبدأت التنمية الراسمالية والهجرة الاوروبية ، وتطور التعليم ونفذت بعض اصلاحات ديموقراطية .

وفى سنة ١٩٠٣ تولى الرئاسة جوزيه باتل من حزب كولورادو « الاحمر » ، وفى هذه الفترة نشبت أولى معارك العمال ، وظهر الحزب الاشتراكى . وعاد باتل فى انتخابات سنة ١٩١١ حيث قرر حق الانتخاب السرى ومقرطة الحياة السياسية وفصل الكنيسة عن الدولة ، وتأميم الخدمات العامة ، وكثير من الصناعات والبنوك والتأمين ، ووضع نظاما للتأمين الاجتماعى ، وفى فترة ما بين الحربين حصل رأس المال الامريكى محل الانجليزى ، وتأسيس الحزب الشيوعى فى سنة ١٩٢٠ ، وسيطرت حكومات الحمر ، وظل البيض فى المعارضة ، واتخذوا بعض المواقف المعادية للامبريالية .

وفى سنة ١٩٥٠ عرضت الولايات المتحدة على أوروجواى سياسة القروض وتخفيض العملة

العامة ؟ الذى يضمن العناية المناسبة لكافة قطاعات الشعب وبخاصة الجماعات الفقيرة فى المدن والريف .

(د) انشاء دور الحضانة ومراكز رعاية الاطفال فى المناطق السكنية وفى المؤسسات الخاصة والعامة فى الحالات التى يبلغ فيها عدد السيدات العاملات حدا يفرض ضرورة انشائها .

(١٣) الاصلاح الديمقراطى للتعليم بهدف رفع مستواه الانسانى والعلمى والفنى بما يتلاءم مع الضرورات التى تفرضها التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المترتبة على تطبيق هذا البرنامج ، مع اعطاء عناية خاصة للارتقاء بالتعليم فى الريف . واتخاذ الاجراءات التى تيسر اتاحة العلم للجميع على أساس هذه التحولات والقضاء على كل اشكال التسلل الاستعمارى فى مجال التعليم .

حماية المؤسسات التعليمية وتدعيم استقلالها الذاتى وتنسيق العمليات التعليمية وتمثيل المدرسين عن طريق الانتخاب المباشر فى مجالس ادارة المؤسسات التعليمية الابتدائية والثانوية والتعليم الجامعى للعمال ومؤسسات التربية البدنية . على أن تقوم الدولة بسداد مديونيتها فورا وأن تولى ميزانية التعليم قدرا ملائما من العناية .

الدعم الفعال لجهود الجامعات فى الاضطلاع بدور قيادى فى مجال البحث العلمى ونشر الثقافة والتعليم وتقديم خدماتها للشعب كله .

حماية ودعم وتطوير الثقافة الوطنية وسيادتها . وتوفير الحوافز المادية والمعنوية لتطوير العلوم والفنون ومشاركة الجماهير فى الخلق الثقافى والتمتع بانجازاته .

تشجيع وتطوير التربية الرياضية والمشاركة الجماعية فى كل المجالات الرياضية .

المؤسسات السياسية :

(١٤) التطبيق المتكامل للديمقراطية على أساس تعدد الاحزاب السياسية . ووضع قانون انتخابى ومنهاج لعمل الاحزاب السياسية بما يضمن احترام الارادة الحرة للناخب ، والمشاركة الحرة والرقابة الفعالة للمواطنين وتوسيع نطاق الدور الذى يمكن أن تلعبه مؤسسات المبادرة الجماهيرية عن طريق الاستفتاء العام .

(١٥) توسيع وتطوير الاستقلال الذاتى — الادارى والسياسى والمالى — للمجالس البلدية والمنظمات المحلية على الاسس العامة التالية :

(أ) التحديد الدقيق لرقابة المجالس البلدية من أجل دعم وتوسيع التزاماتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

(ب) تقنين وتطوير لجان الاحياء ومجالات العمل فى المدن والريف باعتبارها أجهزة للنشاط العام فى خدمة المجتمع .

(جـ) تنشيط المؤسسات الديمقراطية المباشرة وتمثيل العمال والمتخصصين والمستهلكين فى مختلف أجهزة المجالس البلدية .

(د) اختيار أعضاء المجالس المحلية عن طريق الاقتراع العام المباشر ، وبحيث تتم انتخابات هذه المجالس فى تواريخ مختلفة من تاريخ الانتخابات القومية العامة .

(هـ) تحقيق التجانس والتناسق بين عمل الاجهزة الفرعية .

(١٦) وضع ضوابط قانونية للحيلولة دون قيام أى شكل من العلاقة بين أداء الواجبات العامة وتحقيق المصالح الشخصية مثل استخدام الوظائف العامة لتحقيق المنفعة الشخصية .

(١٧) الاصلاح الادارى : تطبيق نظام عادل وفعال للاجور والترقيات والسلم الوظيفى وتأهيل الموظفين العموميين . وتشكيل أجهزة على أسس عصرية .

(١٨) قصر مسئولية البوليس على الحيلولة دون وقوع الجريمة أساسا .

(١٩) تأكيد الطابع القومى للقوات المسلحة ، واحياء التقاليد التى أرساها ارتيجاس والسير على هداها ، على أن تركز القوات المسلحة عملها الاساسى فى الالتزام بالدفاع عن السيادة القومية ووحدة أراضى الجمهورية واستقلالها وكرامتها . ويتكامل دور القوات المسلحة فى مجرى عملية التحرر الوطنى والتطور

مما أدى الى تدهور أحوال العمال والفلاحين ، ومع اشتداد الصراع الطبقى زاد ارهاب الحكام . وفى سنة ١٩٥٨ انتصر البيض فى الانتخابات ، وزال حكم الحمر الذى استمر ٩٠ عاما وفى ظل البيض زادت الديون الخارجية والتسلل الراسمالى ، وعاد الحمر فى ١٩٦٢ ، وتزايد تاثير اليسار تحت تاثير الثورة الكوبية وفى ١٩٦٥ نشبت أزمة نقدية ، وتعددت الاضرابات واستحكمت الازمة .

الاحزاب : يوجد بأوروجواى الحزب الوطنى « حزب البيض الحكومى » وهو يضم عدة أقسام متعارضة ، خاصة قسمين : اتحاد البيض الديموقراطى ويسانده سكان الريف ، والحزب الابيض ذو الاتجاه الفاشى ، ويمثل الرجعية الموالية للامبريالية

ويمثل حزب كولورادو «الاحمر» مجموعة اتجاهات ، تبدأ من البرجوازية الكبيرة الرجعية ، الى البرجوازية الوطنية ، وكذلك مجموعة من البورجوازية الصغيرة اللابرالية ، وبحظى بتأييد جماهيرى .

وهنالك أيضا «قائمة الـ ١٥» وهى حركة ذات اتجاه وسط ، ثم « اتحاد كولورادو » وهى حركة يمينية .

أما « قائمة الـ ٩٩ » فتضم بعض اتجاهات يسارية .

والحزب الديموقراطى المسيحى ممثل فى البرلمان ويعمل على محاولة جذب الجماهير .

أما أكبر تجمع فهو الحزب الشيوعى وسكرتيره رودنى اريزمندى وارتباطاته وثيقة بالطبقة العاملة وقد شكل جبهة اليسار من أجل التحرر الوطنى .

الاقتصاد : برغم سيادة القطاع الزراعى ، فان ٨٢ ٪ من السكان يقطنون المدن ، وتبلغ نسبة العمالة ٤٠ ٪ من السكان يعمل ٢٨ ٪ منهم فى الزراعة و١٨ ٪ فى الصناعة ونسبة البطالة مرتفعة ، وميزان المدفوعات مختل مما أدى الى اغلاق عدد من المصانع ، وبلغ الدين الخارجى ٤٤٧ مليون دولار

وتستثمر أمريكا فى أوروجواى ٥٧ مليون دولار ، ٤٥ ٪ منها فى الصناعة التحويلية . والزراعة هى أساس الاقتصاد ، وتتميز بالتركز فى رأس المال والارض فهناك ١١٥٢ مالكا يملكون ٦٥ مليون هكتار أى ٣٥ ٪ من مساحة الارض . وأهم المنتجات فى أوروجواى القمح والبطاطس وبوجه عام يعتبر نصف أوروجواى فى حوزة ٤٠٠ مالك كبير للارض

الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للبلاد . والارتقاء بهذه المؤسسة الى أعلى مستوى من الكفاءة المهنية والاخلاقية وفق المفهوم القومى لانجاز التزاماتها هذه .

[أقر فى الاجتماع الموسع للجبهة فى ١٧ فبراير ١٩٧١]

موقع « حركة التحرر الوطنى » توباماروس فى الجبهة

❶ خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، اغلقت دكتاتورية الاوليجاركية فى اورجواى الصحف وحلت الاحزاب السياسية وخفضت اجور العمال وقذفت بآلاف المواطنين فى السجون والمعسكرات الحربية وضربت واغتالت - بوحشية - الطلبة والعمال وقننت الارهاب كوسيلة عادية جارية ، وفرضت الرقابة على النشر والاجتماعات أو الاشارة الى مقتطفات من أقوال البطل القومى ارتيجاس . ومنعت الخطب والاغانى وفرضت اسلوبا ارهابيا فى التعليم وكل وسائل الثقافة وقيدت البرلمان والدستور والحقوق الشخصية والعامة وباعت البلاد - بثمن بخس - للاجانب . واغلقت مقار النقابات ومنعتها من مزاولة نشاطها . وقد أقدمت دكتاتورية الاوليجاركية على ذلك كله باسم « القانون » ، قانونها . قانون امتيازات الملاك العقاريين ورجال المال وكبار رجال الاعمال . وفى خدمة هذا « القانون » توظف الاوليجاركية كل أجهزة القمع وكل قوات المرتزقة .

وفى كل مرة يضرب العمال من اجل ادخال تحسينات متواضعة على حياتهم الاجتماعية ، او من أجل رفع اجورهم التى جار عليها « قانون » أصحاب الامتيازات ، يكون الجواب الوحيد الذى تردده الدكتاتورية . القهر . واليوم ، فى مواجهة العنف الذى يمارسه النظام ، كان رد الشعب هو : العنف . عنف الطلبة والعمال فى حشودهم الجماهيرية ومواجهتهم بالشارع واحتلالهم المصانع . عنف القوات المسلحة التابعة لحركة التحرر الوطنى . العنف الناجم عن الصراع الطبقى المتفاقم عندما يطالب العمال بزيادات متواضعة لاجورهم التى لا تفى باحتياجاتهم . ترى ما الذى سيحدث عندما يصر هذا الشعب على تغيير أبنية المجتمع ، على أخذ أراضى « اللاتيفونديا » ، على الاطاحة بالرأسماليين الاحتكاريين من البنوك والصناعة والتجارة ؟ ما الذى سيحدث عندما يصر الشعب على تصفية ، لا مجرد تحديد أو تخفيض ، أرباحهم المحرمة ؟ ترى ما الذى سيحدث عندما يصر الشعب على أن يستبدل سلطة القهرة بسلطة المقهورين ؟ ما الذى سيحدث عندما يرى الشعب أن يستولى على السلطة لا ان يجرى مجرد تعديلات فى السلطة ؟ ان هذه الاوليجاركية التى تسجن وترهب وتقتل دفاعا عن أرباحها ، سوف لا تسلم اراضيها وبنوكها دون قتال . ولا سبيل امام المقهورين لكى يهزموا السلطة سوى الكفاح المسلح فقط .

❷ والاكثر من ذلك ، فاننا لا نؤمن - مخلصين - بأن الثورة فى اورجواى اليوم يمكن أن تتحقق من خلال الانتخابات . ان خبرة البلاد الاخرى ليست قانونا ملزما لنا كى نطبقها .

ففى اورجواى اليوم ، تسيطر الرأسمالية على الاذاعة والتليفزيون و ٩٠ فى المائة من الصحف . وتخضع الصحف جميعها (١٠٠ فى المائة) لرقابتها . فالحكومة هى التى تقرر ما الذى ينشر والذى لا ينشر .

والاوليجاركيون هم الذين يسيطرون على مصادر تمويل الحملات الانتخابية ، هؤلاء هم الذين يستطيعون من مواقع السلطة أن يقرروا مصير الالاف بعزلهم من وظائفهم ، وهم الذين يستطيعون ان يغرروا بارادة الجماهير بشعاراتهم الزائفة . وكل هذا يجعل تعبير الجماهير عن ارادتها الحرة أمرا مستحيلا

❸ أن الحكام الحاليين ، الذين لم يتوانوا عن ضرب وقتل أبناء الشعب ، وهم الذين خرقوا الدستور مئات المرات ، وهم الذين سجنوا أكثر من ٥٠٠٠ عامل فى عام واحد لانهم مارسوا حقوقهم ، ان هؤلاء الحكام ليسوا على استعداد لان يسلموا الحكومة دون مقاومة الى هؤلاء العمال فى حالة كسبهم الانتخابات . فالدكتاتورية تقدم على اجراء الانتخابات من أجل اعادة الحياة الى حكومة مفلسة وسوف توافق حتى على تغيير الحارس بين صفوف الاوليجاركيين . ولكننا نشك أنها سوف تسلم الحكومة دون مقاومة الى مسجونيها أو الى أولئك الذين تعرضوا للارهاب على يدها بالامس .

حركة التحرر الوطنى «توباماروس»

نعتبر فى الوقت الحالى أكثر منظمات حرب العصابات تماسكا وفعالية فى أمريكا اللاتينية بعد النجاحات المشهورة التى حققتها وقد احيط ثوارها « بهـالة أسطورية » لوفائهم بالوعود الثورية التى يقطعونها على انفسهم ضد الحكومة . صحيح أنهم يواجهون أضعف قوى القمع فى امريكا اللاتينية ، لان القوات المسلحة فى أوروجواى لا تزيد عن ١٢٫٠٠٠ رجل ، تسليحهم واعدادهم رديئين ، الا أن هذا لا يكفى وحده لتفسير الاحكام المذهل فى العمليات المدوية التى يقومون بها .

وقد استمدت حركة « توباماروس » اسمها من « توبوك امارو » زعيم الانكا الذى قاد عام ١٨٧٠ تمردا زراعيا طالب فيه باستقلال شعبى بيرو ، ولكن المستعمرين الاسبان قبضوا عليه ، ومثلوا بجثته . وتنسب زعامة هذه المنظمة الى راؤول سنديك طالب القانون والعضو السابق فى الحزب الاشتراكى بأوروجواى والذى ترك حياته كطالب ليشارك العمال الزراعيين حياتهم وأصبح بالفعل واحدا منهم . ولم يتخذ نضاله فى البداية الطابع المسلح . اذ نظم فى سنة ١٩٦٢ أول مسيرة لعمال قصب السكر الى العاصمة ولكنها ووجهت بالرصاص . ومن هنا نشأت الحاجة لدى عمال السكر لضمان دفاعهم الخاص ، ولذا يقال ان حركة توباماروس نشأت بواسطة حركة عمال قصب السكر .

وترى منظمة توباماروس فيما يتعلق بالكفاح المسلح أن المقاتل لا يمكن أن يخلق ارتجالا ، لان النضال المسلح ظاهرة تكنيكية تتطلب معرفة فنية وتدريبا وموادا واعدادا نفسيا . وهى تعمل على توثيق علاقاتها ببعض تنظيمات اليسار والنقابات فى أوروجواى وقد أشارت فى بياناتها الاخيرة الى حتمية المواجهة بين الطبقة العاملة من ناحية ، والاقليات التى تستحوذ على السلطة ووسائل الانتاج من ناحية أخرى .

برنامج الحكومة الثورية
« لحركة التحرر الوطنى »
تـوبـامـاروس

وعلى هدى هذه الايديولوجية ، استلهمت حركة التحرر الوطني (توباماروس) ملخصا للنقاط الاساسية لحكومة ثورية .

ان تخطيط هذا البرنامج لا يعنى اننا قد كففنا عن تأييد اى برنامج آخر انتقالى يستهدف نفس الاغراض ، كالبرنامج الذي تبناه CNT (مركز العمال) وبعض القوى الشعبية الاخرى .

لقد اقرت حركة التحرر الوطنى (توباماروس) خطة صغيرة من نقاط ست يمكن تطبيقها ، وقد رفضتها الحكومة وتتضمن الخطة . استعادة الحريات وعدم تجميد الاجور واعادة المفصولين لاسباب تتعلق بالامن الى وظائفهم واطلاق سراح المسجونين السياسيين .. الخ .

والنقاط الاساسية لاعادة بناء البلاد على ايدى حكومة ثورية ، هى :

الاصلاح الزراعي :

١ ـ نزع ملكية المراعى الكبيرة لتربية الماشية والمزارع الكبيرة ومعامل الالبان الكبيرة ، على ان يدير العمال عملية استغلالها .

٢ ـ وبناء على فهم ان الزراعة هى الثروة الرئيسية للبلاد ، يجب تمويل عمليات استغلال الريف على اساس « ميكنته » من اجل مضاعفة انتاجه سريعا .

٣ ـ الابقاء على الصناعات الريفية الصغيرة من اجل اولئك الذين يعملون بها كاجراء : العمال الزراعيون الذين تبدو حقوقهم فى الارض اليوم مزعزعة وغير مستقرة على ان يعطى العمال والفئات المتوسطة حقوقا ايجابية على اساس مبدأ « الارض لمن يفلحها » .

٤ ـ تقديم افضل المساعدات الفنية للمنتجين فى الريف ، بما فيها المخصبات والبذور وتسوير الارض وكل الوسائل لتحسين الانتاج .

الصناعة :

١ ـ ملكية الشعب للمصانع الكبيرة على ان يديرها العمال .

٢ ـ دعم الصناعات الوطنية وحمايتها ، وبخاصة تلك الصناعات التى تستخدم المواد الخام المحلية (اللحوم الصوف ، الجلود ، الزيوت النباتية .. الخ) وتلك الصناعات التى لها مستقبل فى مجالات السوق الداخلى والخارجى .

التجارة :

١ ـ ان تدير الدولة مباشرة عمليات التصدير والاستيراد والتجارة الخارجية عموما .

٢ ـ ملكية الشعب لتجارة الجملة و « السوبر ماركيت » الكبيرة ومحلات البقالة الكبيرة ومخازن اللحوم .. الخ وادارتها بواسطة عمالها .

الائتمان :

تخضع المدخرات والقروض للادارة المركزية للدولة التى توجه استثماراتها الى مجالات الانتاج او البناء

اصلاح المدن :

١ ـ نزع ملكية المساكن الضخمة من الذين يحوزونها والتى تزيد على احتياجات عائلاتهم الضرورية وتاكيد حق المأوى للذين يعوزهم السكن .

٢ ـ نزع ملكية القصور الفخمة واستخدامها فى الاغراض الثقافية او فى المصالح العامة الاخرى .

٣ ـ اعطاء الاولوية فى التخطيط الاقتصادى لبناء المساكن الصحية للعائلات التى تعوزها مثل هذه المساكن .

. وأن يعنى تخطيط الصناعة والتجارة والائتمان والاقتصاد بشكل عام ، بتسهيل الانتاج والحد من المنافسة والقضاء بشكل كامل على عمليات الوساطة والمضاربة •

رأس المال الاجنبى :

مصادرة الصناعات الكبيرة والبنوك والتجارة التى يسيطر عليها – كليا أو جزئيا – رأس المال الاجنبى دون تعويض •

مكافآت العمل :

١ – رفع مستوى معيشة كل العمال على أسس من التوزيع المتساوى لثروة البلاد وزيادة الانتاج القومى •

٢ – التوزيع العادل للانتاج بالقدر الذى تسمح به زيادة الانتاج وفق مبدأ « من كل حسب عمله الى كل حسب حاجته » •

التعليم :

١ – توفر الدولة مجانية التعليم ونفقات ومستلزمات الدراسه للطلاب حتى يستكملوا دراساتهم •

٢ – توجيه التعليم الى التخصصات التى تكفل رفع المستوى الفنى للانتاج •

٣ – اختيار الادارة التعليمية من بين المعنيين بالتعليم كما يحدث فى كافة مجالات النشاط الاخرى •

الصحة العامة :

تكريس خبرة الوسائل الفنية للعناية بالمرضى من أبناء الشعب دون تمييز • وعلى سبيل المثال الاستيلاء على المصحات الخاصة ومعامل الادوية الكبرى •

رعاية الشيخوخة والمرضى :

توفير احتياجات كل شخص غير قادر على مزاولة العمل

القضـــــاء

١ – استبدال النظام القضائى الحالى الذى تحكمه قوانين تحمى حقوق الملكية الخاصة للرأسماليين بوجه عام ، بقوانين تضع فى اعتبارها القيم الانسانية فى الاساس •

٢ – تأهيل المنحرفين للعمل قبل وبعد الافراج عنهم •

٣ – مراجعة الاحكام التى أصدرها القضاء البورجوازى ضد الاشخاص الذين نسبت اليهم بعض الجرائم ، مراجعه شاملة ، ومحاسبة المسئولين فى النظام عن الجرائم التى ارتكبوها •

٤ – معاقبة كل أولئك الذين تعاونوا مع الثورة المضادة ومحاكمتهم وحبسهم وفقا لخطورة ما ارتكبوه من جرائم • وعلى سبيل المثال هؤلاء الذين ارتكبوا جرائم الاغتيال وغيرها من الجرائم خدمة للنظام ، أو هؤلاء الذين استغلوا أجهزة الصحافة فى نشر الاكاذيب والدعاوى الزائفة ضد قضية الشعب •

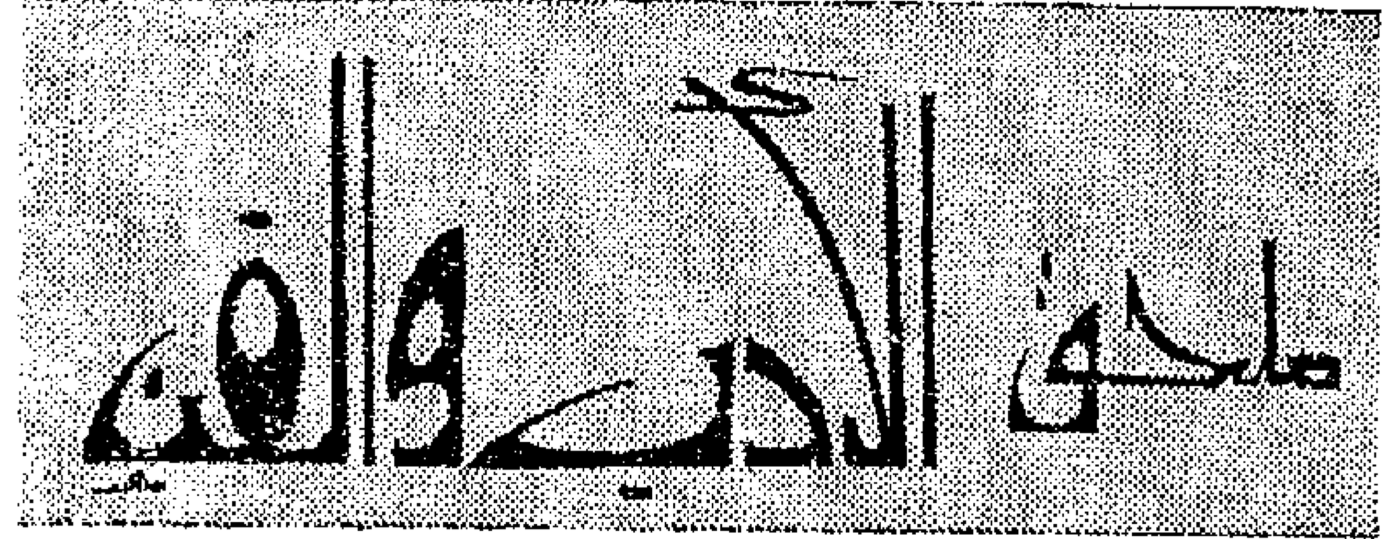
الدفاع المسلح عن الثورة :

لا يمكن الوصول الى السلطة وتحقيق أهداف الثورة الا بتسليح الجماهير دفاعا عن ثورتها ومصالحها •

مونتفيديو ٢٠ مارس ١٩٧١
حركة التحرر الوطنى
(توبا ماروس)

النصر أو الموت •

الطليعة



العـــدد الأول ــ ينــــاير ١٩٧٢

الدولــــة والكتــــاب

من المســئول عن كســاد الكتــاب المصرى :؟
القطاع العــام – المؤلفــون – الجمهــور

يشرف على التحـــرير :

د. لطيفة الزيات
غـالى شـكرى
محمـود درويش
سـمير فـريد
صبرى حـافظ



نجيب محفوظ
اكتشاف المواهب



د. عبد الرازق حسن
أين الاقتصاد ..؟



شادى عبد السلام
.. والموميـاء

فى هـذا العدد

ملاحظــــات

رغيــف الخــبز . .
ورغيــف الفــن . .

لطفى الخولى

أخيرا ، يولد « الملحق الادبى والفنــى للطليعة » . لم تكن ولادة سهلة ، استهلكت سبع سنوات كاملة كى يخرج المولود من رحم الفكرة الى واقع الصفحات المطبوعة .

منذ حملنا — زملائى وأنا — مسئوليــة اصدار « الطليعة » فى ينـــاير ١٩٦٥ ، وفـــكرة تخصيص حيز للاهتمام بقضــايا الادب والفن : دراسة ونقدا وابداعــا ، تلح على رؤوس عدد من الزمــلاء ، كنت واحدا منهم . لكننا ظللنا ، طوال هــذه السنوات السبع ، سجناء دائرة الاقلية . وفى كل مرة طرحت الفكرة للنقاش خلال اجتــماعات مجلس التحـــرير ومجلس المستشارين ، كانت **الاغلبية** بزعامة زميلنا **الدكتور عبــد الرازق حسن** ، تفوز على أقلية تتزعمها زميلتنا **الدكتورة لطيفة الزيات** وكونت الاقلية النشطة « تكتلا ضاغطا » للعمل على تجنيد بعض الزملاء المترددين بين الاغلبية وبين الاقلية ، مثل الزملاء « ميشيل كامل » ، وهو كاتب مسرحى « خفى » ، و د . « اســماعيل صبرى عبــد اللــه » و « أبو سيف يوسف » ، وهمـــا ناقدان فنيان « فى السر » وعمد « تكتل الاقلية » الى تكتيك التسرب من « الباب الخلفى » ، مع استمرار الطرق على « الباب الامامى » الذى ظل صــامدا فى حراســة ديدبان الاقتصاد والسياسة العتيد ، « عبد الرازق حسن » ، مسلحا بحراب الاغلبية .

وبطريق التسرب من الباب الخلفى ، قمنا بنشر دراسات ومقالات نقدية تتناول مشكلات الفن والادب ، ولــكن كظواهر اجتماعية — ثقافية لها مدلولاتها السياسية ، بمعنى ان السياسة كانت المدخل الى الفن لا العكس . ومن هنا ظلت قضايا الادب والفن التكنيكية والجمالية ، فضلا عن أعمال الخلق والابداع بعيدة عن اهتمام الطليعة .

بيد أنه من الامانة أن نسجل ، أن الاغلبية بديدبانها ، لم تكن معادية للفن والادب بشكل مطلق . كانت تسلم معنا — نحن الاقلية — بدورها البناء فى حياة الانسان والمجتمع . لكنها من ناحية ، درجت على تقييم هــذا الدور تقييما ثانويا بالقياس لدور الاقتصاد والسياسة والفلسفة : فــكرا وتطبيقا . وتبلور رأى الاغلبية عن خــط يقول : اذا كانت « الطليعة » قد استهدفت الاسهام فى عملية شق طريق الاشتراكية العلمية داخل المجتمع العربى المعاصر ، فعليها ان تركز كل جهودها على القضايا الفكرية والتطبيقية الاساسية لهذا الطريق . وعلى حد تعبير عبد الرازق حسن فى احدى جلســات النقاش : « **كيف نوفر رغيف الخبز للمواطن دون اســتغلال** ؟ ســؤال اكثر الحــاحا ومسئولية من سؤال : **كيف نوفر موسما للاوبرا الايطالية فى القاهرة** ؟ » .

وكان للاغلبية — من ناحية ثانية — حجة اخرى ، تتلخص فى أن الادب والفن يجدان متنفسا فى عدد من المجلات المتخصصــة والاسبوعية فضلا عن الصحف اليومية . فى حين أن هذه المنــابر ما برحت تضيق بالدراسات المعمقة حــول قضايا الفــكر والتطبيق الاشتراكى ، وتعتبرها « سلعا » غير رائجة صحفيا . فالى أن تتيقظ هذه المنابر لمسئولياتها نحو الاشــتراكية : فكرا وتطبيقا . فعلى « الطليعة » أن تكثف طاقتها لاثبات عدم صحة نظــرية « السلع غــير الرائجة صحفيا » . وباختصار فلا أدب أو فن فى « الطليعة » حتى يصيح ديك اليقظة الاشتراكية من فوق المنابر التقليدية .

لكن « الاقلية النشطة » لم ترفع راية التسليم ! كانت تنطلق فى دفاعها عن ضرورة اهتمام الطليعة بالادب والفن ، من نظرتها الشاملة نحو قضايا ومشاكل الحياة والمجتمع باعتبارها « كل لا يتجزأ » تتبادل العناصر المكونة له التأثير المتبادل باستمرار ، واذا كان الادب أو الفن عنصرا من هذه العناصر ، فكيف يمكن أن نتجاهله، ونزعم فى نفس الوقت اننا اشتراكيون علميون . بل ان الاشتراكية العلمية نفسها هى التى صكت ذلك الاصطلاح الديناميكى عن دور الادب أو الفن عندما وصفته بأنه « **هندسة الوجدان الانسانى** » .

ومن هنا كانت « **لطيفة الزيات** » تصيح فى « **عبد الرازق حسن** » ، كلما لوح لها برغيف الخبز : « ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ، انه يعيش افضل ويحصل على رغيف حقيقى للحياة ، بالفن والادب » .

وكانت الاقلية ترى — ايضا — أن الادب أو الفن ، الذى يستحق كل ما فى الكلمة السحرية من ابعاد ، لا يجد فى واقع الامر منبرا مفتوحا له — على حد تعبير **غالى شكرى** بحماسه المطلق المعروف — أو على الاقل ليس أمامه مجالات كافية للتعبير . بل ان نظرية «السلع غير الرائجة صحفيا» تنطبق ايضا — فى الميدان الصحفى — على الادب الجاد والفن الحقيقى ، مثلهما مثل الفكر الاشتراكى فى السياسة والاقتصاد والفلسفة والاجتماع . ومن هنا يأتى دور « الطليعة » فى حقل الادب والفن .

لكن رأى الاغلبية ظل مسيطرا زمنا طويلا ثم راحت الاغلبية تفقد سيطرتها فى مجلس التحرير أمام خطابات الاصدقاء والقراء التى نعت على « الطليعة » استمرار اهمالها للجانب الادبى والفنى . وجاءت هزيمة ١٩٦٧ بكل أبعادها . وتفجرت ينابيع النقد واعادة النظر ، بشكل جذرى ، فى كل المسلمات التقليدية والابنية المادية والمعنوية فى المجتمع . وكان ينبوع الفن والادب من أبرز الينابيع التى تفتحت بالتمرد والنقد والعطاء معا . وخلال ذلك كله قفزت من القاع الى السطح ، تيارات متلاحقة من ابداعات الشباب الجديد تصفع وتدين وتخلق وتحاول ، بصدق وحرارة ، التعبير عن الوجدان الجماهيرى . ربما صاحبها ضجيج التمرد حينا ، لكنه — على أية حال — التمرد الذى يشكل نواة التفجير لطريق ثورى .

باختصار ، فرض هذا الوضع الجديد نفسه ، وبالضرورة ، على الطليعة . وارتفع صوت الاقلية النشطة من جديد يطالب الاغلبية بعدم الهروب من مواجهة المسئولية . وهكذا أصدرت الطليعة عددين ، خصصت الدراسة الرئيسية فيهما عن « **هكذا يتكلم الادباء الشباب** » فى مصر والوطن العربى . وتغيرت موازين القوى فى الطليعة ، وتعادلت تماما كفة المطالبين بالاهتمام بالادب والفن مع كفة المعارضين . وكان يمكن لرئيس التحرير أن يرجح بصوته احدى الكفتين . بيد انه ازاء اتهام ديدبان السياسة والاقتصاد العنيد له بالانحياز المسبق عن عمد وترصد ، لم يستخدم رئيس التحرير حقه ، وطرح الموضوع كله للاستفتاء فى « ورقة الرأى » التى قدمتها الطليعة فى عددى أغسطس وسبتمبر ١٩٧١ .

وكان **السؤال التاسع** فى «ورقة الرأى» يتجه الى الاصدقاء والقراء بصورة مباشرة قائلا : **هل توافق على قيام الطليعة بنشر أعمال أدبية وفنية كالقصة القصيرة والشعر والنقد .. الخ ؟**

وجاءت النتيجة بالايجاب الكامل بنسبة ٤٧٪ ، وبالايجاب بتحفظ بنسبة ١٨٪ ، اما المعارضون فلم تزد نسبتهم على ٣١٪ فى حين امتنع ٤٪ عن الاجابة .
(راجع عدد ديسمبر ١٩٧١ من الطليعة)

وقفزت هذه النتيجة بأقلية الامس الى أغلبية . وهكذا يصدر الملحق الادبى والفنى من خلال معاناة ديمقراطية عنيفة . وطوى « ديدبان السياسة والاقتصاد » حرابه . وانطلقت الدكتورة لطيفة الزيات مع الزملاء محمود درويش وغالى شكرى وسمير فريد وصبرى حافظ ، يقتحمون باب الطليعة الامامى ، ويعانقون مسئولية المشاركة فى هندسة الوجدان الانسانى فى عالمنا العربى .

غير أن صدور الملحق ، لا يجب أن يحجب عنا هذه الظاهرة المخيفة ، التى نرى بصماتها بوضوح على نشاط عدد كبير من مناضلينا الاشتراكيين — فكرا وعملا — فى وطننا العربى . ونعنى بها ظاهرة الخصام الغريب للادب والفن ، واعتبارهما نوعا من

الترف ، لا يجوز للمناضل من أجل الحرية والاشتراكية ان يضيع فى سبيله وقتا أو يصرف جهدا . وأعرف مفكرين اشتراكيين ومناضلين ، أكن لهم احتراما كبيرا فى مجتمعنا العربى ، لا يتوقفون لحظة تأمل أمام لوحة أو تمثال . ويحسبون قراءة رواية أو قصيدة شعر أو التسمر فى مقعدلمدة ساعتين أمام عرض مسرحى ، نوعا من العبث الذى لا طائل من ورائه .

لماذا ؟

بصدق لا أستطيع أن أمسك باجابة محددة وأحيانا أقول لنفسى : ربما لان «الفن الرائج » فى بلادنا مازال يبدو فى « هز البطن » والميلودرامات السخيفة والابتذال فى الأداء التمثيلى . وربما لان «الادب الرائج» فى مجتمعنا ما برح يدور من حول محاور القصص البوليسية والادب المسطح بلا أعماق سيسيولوجية ، أو أدب الجنس الرخيص .. أقول الرخيص لا المفنن . ربما .. لكن هذا ليس بحجة مقنعة ، فثمة وجود لادب وفن حقيقيين نستطيع أن نستمتع بهما ونغتنى روحيا ، سواء فى التراث أو فى أعمال المعاصرين .

ماذا اذن ؟ .

مازلت أفكر بصوت مسموع ، دون أن أصل الى تحديد واضح . واتساءل : هل ورث اشتراكيونا ضمن ما ورثوا من تاريخهم نوعا من الجاهلية ، فيقبلون على كل ما هو « سياسى » كأنه الولد . ويعرضون عن كل ما هو « فن أو أدب » ، فيأدونه كأنه البنت؟

لكن الجاهلية أورثتنا ايضا فيما أورثتنا أبدع فنون الشعر وأعذبها . بل ومن خلالها تعلمنا عروضها وموسيقاها .

هل يتنافى مع الثورية ان نحلم مع الموسيقى ونشرد مع صورة شعرية ونتفعل بقصة أو مسرحية . اذن لم يكن « لينين » ثوريا حينما كان يعد لاول ثورة اشتراكية فى التاريخ ويهتم فى نفس الوقت بنقد وتقويم أعمال تولستوى ويناقش جوركى وينقد شعر مايكوفسكى ، ويحذر الثوار ليلة الثورة — من المساس بأى لوحة من لوحات رمبرانت فى قصر الشتاء . كذلك « هوشى منه » و « ماوتسى تونج » عندما غردا بشعرهما وسط أتون المعارك الضارية . من ناحية أخرى هل نستطيع أن ننفى ثورية قاص كجوركى أو نجيب محفوظ أوميخائيل نعيمة .. مسرحى كبريشت وتوفيق الحكيم .. رسام كبيكاسو وحامد عبد الله .. شاعر كايلوار ومحمود درويش والشرقاوى .. كل فى مرحلته التاريخية . .

ان الثورة الاشتراكية .. ثورة شاملة تستهدف الانسان اولا واخيرا ، كى يصبح سيد الحياة .. سيد نفسه .. سيد مصيره . من هنا تنبت السياسة الاشتراكية والاقتصاد الاشتراكى . وكذلك ينبت الادب والفن وينبت الاديب والفنان ايضا .

والثورة الاشتراكية ، تظل ثورة ناقصة ، خاوية الروح ما لم تمنح الجماهير أدبها وفنها ، وتثور — ان صح التعبير — أدبائها وفنانيها .

وما لم تستطع الثورة الاشتراكية ان تنجز هذا التثوير الفنى — شكلا وموضوعا — للابداع والخلق ، فسيظل فن وادب البرجوازية بقيمه المتخلفة ، حضاريا واجتماعيا ، وبصياغاته الرتيبة المكررة ذات الايقاع النائح الهزيل ، مسيطرا على وجدان الجماهير . وبالتالى نواجه هذا التناقض الذى نحسه جميعا . جماهير منفتحة ، عملا ، على الاشتراكية ، لكن وجدانها ما برح سجين العطاء الروحى للبرجوازية ، ويتعثر الانسان فى حركته خلال مسارنا الثورى بين التعلق بقيم الاشتراكية الجماعية وبين الاسترخاء الذاتى الانانى فى أحضان القيم البرجوازية الفردية .

بل واحيانا تبدو الاشتراكية وكأنها تصادر حق الانسان فى استمتاعه الحر الصحى بالحياة .. معادية للحب .. ناقمة على الجمال ، وذلك رغم ان هدفها الاول والاخير هو أن يمتع الانسان نفسه بخلقه الفنى وبكل ما تزخر به الحياة من حب وجمال . والا فقدت مبرر ثورتها على البرجوازية التى تحصر المتع الفنية فى دائرة ضيقة من الممتازين طبقيا . فتحرير رغيف الخبز يعنى فى نفس الوقت تحرير رغيف الفن .

وبعد .. اذا استطاع الملحق الادبى والفنى للطليعة أن يجذب الى حقل الفن والادب ديدبانات السياسة والاقتصاد الثوريين .. اذا أمكنه أن يعالج ظاهرة الخصام الغريب بين المناضلين فى مجتمعنا وبين الفن والادب .. أقول اذا حقق الملحق شيئا من هذا ، فان المعاناة الطويلة من أجل اخراجه الى الحياة ، لم تذهب عبثا .

الكلمة وحرب التحرير

حين تدب الحياة فى شرايين شعب بأكمله ، وهو يخوض معركة من معارك التحرير ، أو يتأهب لخوض هذه المعركة ، يواجه صاحب القلم الحر اختيارا من اختيارين : أما أن يهجر الكلمة الى الفعل ، وأما أن يحول الكلمة الى فعل . والاختيار الاول ، اذا ما توافرت الظروف الموضوعية المواتية ، أسهل من الاختيار الثانى ، بالرغم مما يبدو فيما أقرره من غرابة .. فالاستشهاد يكون أحيانا أسهل من الشعور الممض بالعجز والقصور .

لطيفة الزيات

وكل من يشتغل بالادب ، وربما بالكلمة عامة ، يعرف هذا الشعور المضنى الذى يلازم الكاتب والبلد تعانى أزمة من الازمات أو تمر بمعركة من المعارك : الشعور بأن الكلمة تقصر عن الفعل ، وأن الكلمة أيا كانت قيمتها تبدو شاحبة وباهتة وعديمة الجدوى الى جانب الفعل . وربما يستند هذا الشعور الى واقع موضوعى ، وربما لا يستند ، وربما كان الفعل على المستوى الفردى أكثر فاعلية من الكلمة ، وربما كانت الكلمة على المستوى العام اكثر فاعلية من الفعل الفردى ، ولكن تبقى الحقيقة قائمة ، حقيقة الشعور الذى يلازم الكاتب ما اضطرمت الاحداث من حوله : الشعور بأن الكلمة تقصر عن الفعل .

وما أكثر ما يسقط القلم ، وصاحب القلم يتساءل عن جدوى هذا الذى يكتبه ، وعن معنى وجوده فى ذلك المكان المغلق ، والناس من حوله تتحرك . وما أكثر ما يضيق صاحب القلم بالكلمات أيا كانت قيمة هذه الكلمات ، والنار تتفجر من الارض والسماء ، والناس تدفع عن حقها فى الحرية والخبز والسلم والحياة ، تحارب وتنتصر وتنهزم ، وتموت وتعيش ، وتحيا وهى تموت وتعيش ، تشيد وتعيد تشييد ما تهدم ، تحول دون الجراح وتضمد الجراح ، تعلى سنابل القمح فوق سعير النيران ، وتدشن بالدم انتاج المصانع .. وتعيد حراثة الارض لغد أفضل .

وتحت وطأة هذا الشعور بقصور الكلمة عن العمل هجر آلاف الكتاب فى أنحاء العالم الكلمة ، وانضموا الى معارك التحرر الوطنى والاجتماعى ، فى الحرب الاهلية الاسبانية ، وفى المقاومة الاوربية ضد النازى ، وفى معارك التحرير الوطنى والاجتماعى ، فى آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينية . وتحت وطأة هذا الشعور سيهجر بعض كتابنا القلم بهدف الاشتراك بالفعل فى معركة تحرير الارض من المحتل الاسرائيلى .

وطوبى لمن يملك ، لمن يستطيع ، لمن تواتيه الفرصة الموضوعية ليتخفف من هذا

الشعور . وطوبى لمن يستطيع أن يحول الكلمة الى قذيفة .

على طول الجبهة كان الجنود السوفيت يتلقفون مقالات **ايليا اهرنبرج** الادبية والسياسية كما يتلقفون امدادات جديدة من القذائف النارية . ولمقـــالات **اهرنبرج** وانطبـــاعاته نفس فاعلية القذائف . وما كان أشد حاجة الجنـــود فى الجبهـــة السوفيتية اذ ذاك الى القذائف !

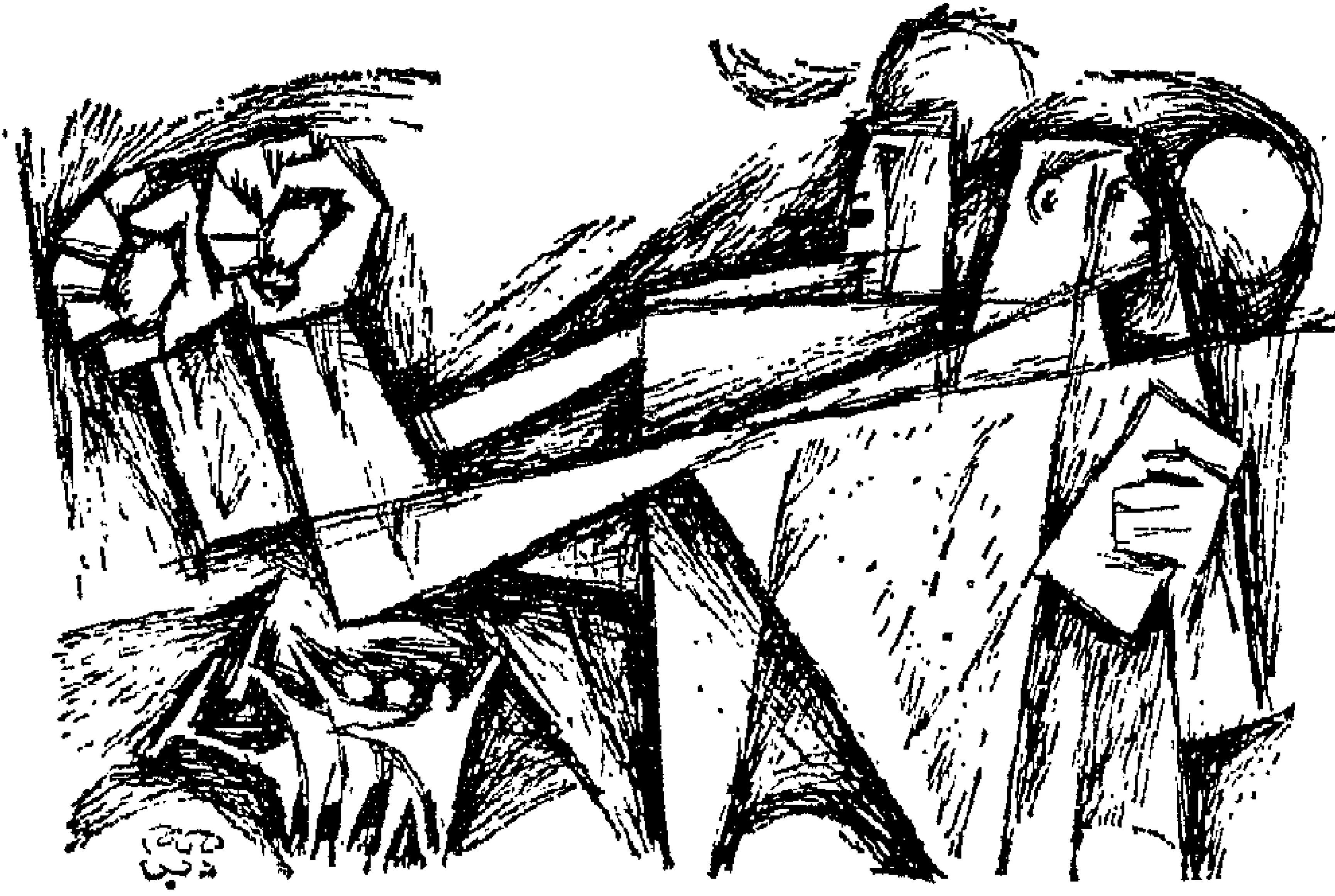
كان **اهرنبرج** قد تخلى عن الرواية الى المقال ، عن اللا مباشرة ، الى المباشرة ، عن التجسيد الى التقريرية ، عن الحيـــادية الى الذاتية ، عن الهمس الى الصوت القاطـــع كحـــد السيف ، عن التركيب الى الغنائية .

ما أتفه ما تبدو المعايير الفنية التى نقدسها وقت الســـلم فى وقت الحرب !

امنحـــونى وقتا لاتأمل بلا انفعال ، لاتباعد عن الاحداث ، لانظر الى الاحـــداث من أعلى كالآلهة ، لاكتب بحياد ، لاسجل الحقيقة بكل ابعـــادها المتداخلة المتشابكة المتناقضة المعقـــدة ، لاخلق فنا : يقول الفنان وقت السلم . ويحق له أن يقـــول ، ويملك رفاهية أن يفعل ، ونفخر بما يفعل ، ولا نعترف بغيره فنا

ولكن ما أتفه ما تبدو هـــذه الرفاهية وأرض الوطن تتفجر بآلام المخاض ، ومصير شعب بأكمله فى الميزان !

أعطونى قلما لاتغنى : يقول الفنان وقت المعركة ، بصرخـــة المحارب يستشهد ، بشهقة الطفل من الرماد يولد ، بزغـــرودة أم



الشهيد تخنق الصرخة ، برعشة الخوف ، بنشوة القـــوة تولد والقامة فوق الخوف ترتفـــع ، بالسواعد الملفوفة تدس بالقذيفة فى المدافع ، برغيف الخـــبز فى الافران ، بالحديد فى المصاهر ، ببذور القمح فى التربة ، بأنة أرضى بآلام المخاض تتفجـــر ، بتباشير الخضرة تمســـح على حمرة الدم والنار ، ببسمة عينى الولد العسلية ، بهذه الضفيرة السوداء للبنت الشقية ، بالقيم الجـــديدة تنزرع فى أرضى مع دانات القنابل ، بقرن ينطـــوى فى سنين ، بالانســان الجـــديد يولد من المعاناة . ولتكن أغنيتى وحشية .

لتكن أغنيتى وحشية . بمدى ما أحمل من حب لارضى وللارض ، وللانسان على الارض ، بمدى ما اضطرم بالكراهية لحاصدى رؤوس الاطفال ، لحارقى خضرة الزرع ، للصوص لقمة الخبز ، لمصاصى دم العمال والفلاحين ، لنخاسى الشعوب ، لتجار الموت ، لقتلة الكلمة .. ، لاعداء الانسان على الارض فلتـــكن أغنيـــتى وحشية . لاتعلم كيف أكـــره . لاتمرس فى فنون الكراهية أنا الذى غنيت الحب عمرى . مزيدا من الكراهية لاعداء الانسانية . ولتتفجر الكلمة كالقذيفة ..

ولكن أما من مجال للفن كفن ، بكل معاييره الفنية التى تواضعنا عليها ، فى وقت المعركة ؟ قـــد يسأل سائل .. وعلى السؤال أجيب . نعم كتب عباقرة الفن الكثير من الروائع الفنيـــة فى فترات اضطرام الازمات . ولكن لسنا كلنا بعباقرة .

وعن نفسى أقول : لو خيرت بين أن أكتب رائعة تخـــلد على مدى الاجيال ، وبين أن أطـــلق كلمة فى فاعلية القذيفة ، لمـــا ترددت لحظة فى الاختيـــار . فالمواطن فى والانسان ، يغلب بلا أدنى صراع الفنان .

إشتهاء الملكة

شعر : محمد عفيفي مطر

■ محمد عفيفي مطر أحد الشعراء المصريين الشباب الذين برزت كتاباتهم منذ أواخر الخمسينات ، كان يقوم بتدريس الفلسفة بالتعليم الثانوي الى أن تفرغ لرئاسة تحرير مجلة « سنابل » التي تصدرها محافظة كفر الشيخ • صدر له ديوانه الاول « من دفتر الصمت » عن وزارة الثقافة السورية ، وديوانه الثاني « ملامح من الوجه الانبادوقليسى » عن دار الاداب اللبنانية •

حينما أدخلني اليأس بلاط الأمراء
والقصور الملكية
كنت وحدى ، برعما في ورق الفقر ، أغنى
في القرى والمدن الدامية القلب وفي
أرصفة الثلج على باب الموانى الداخلية
ظلمة البحر رفيقي ، والبكاء
لقمتى قبل طلوع الشمس ، وجهى ، وسريرى ،
غربتى ، أرض بلادى •
— حينما أدخلني اليأس بلاط الأمراء —
فتشهيت سرير الملكة
[كنت أمشى في الدهاليز وأبواب الجوارى
جسدى يسترق السمع على صوت الدماء
وهى تغلى في الحقول الدموية
وعلى صوت الثياب
حينما تنفرط العقدة عن أرض الحقول المرمرية
والزوايا والنتوءات ،
وموسيقى السفر
في أقاليم الحواس ••]
خطوتى كانت حروفا في كتاب الاشتهاء
كلما نقلت أقدامى تدلت كرمة الجوع وأمطار الظما
وهى خلفى مهرة الرعب أمامى غابة مشتبكة
[كانت الارض كباقى الوشم ، أمشى
في مساحات السطوح
مقشعر الكف من مس الزغب
آخذا من كل شىء بذرة الكون وميعاد الفساد
آخذا من غليان الدم في ورد الجروح
كلمة السر الى أرض الشقوق
وأخاديد العطاء ••]
كل شىء كان — من عنف النزوع
طائرا نحوك — في عمق الزمان الداخلى
علّه يسقط ما بين يديك
زهرة راحلة في سحب اللون وأطياف التداخل
وأنا أبكى اليك
علنى أدخل شباكك صوتا أو فراشة ••
[كنت مسحورا بما في جسد العالم من
بذر الطلوع
وصهيل الصيف بالخضرة اذ تغلى ،
وتيجان العناقيد ••
وأبكى
من نوافير اللقاح المختبىء
في حبيبات الحصى والريح ، في ديمومة
الصخر وأصوات السقوط] •

● ● ●

وأنا أبكى اليك
لابسا أقنعة الاشياء في رحلتها
خارجا حيا من الميت أو منسكبا بين توابيت الهيولى
راحلا فوق خيول الحلم •
[أمتد بأصوات الثياب
حينما تنفرط العقدة عن أرض الحقول الدموية
أبدأ الرحلة مابين أقاليم الحواس
كل صوت نخلة مثقلة ، كل شهيق وزفير
نجمة تفتح عينى على كنز المساحات
وأفياء الرؤى بين صعود وهبوط
كل تاريخ الازاميل على طرف الاصابع
واعش يبدأ خلق الكائنات الوثنية •
كل مهوى من مهاويك مدينة
نسجت راياتها وارتحلت تحت شموس الانتظار
أقبلت منها الكتابات وأسرار القرابين الدفينة
وتواريخ النبيذ الحى في صمت الجرار
وأنا ألبس من ماء ونار
وتراب وهواء
وجهى الاول ، أغدو نطفة منعقدة •]
وأنا أبكى وأبكى
نازفا بين الدهاليز وأبواب الجوارى
خطوتى تعويذة في صلوات الاشتهاء
سفر تكوينى سرير الملكة ••



مِن المسئول عن كساد الكتاب المصرى : ؟
القطاع العام – المؤلفون – الجمهور

لا ريب أن أجهزة النشر التابعة للقطاع العام من أهم منابر التعبير الفكرى فى بلادنا ، ذلك ان هذه الاجهزة بما لديها من قوى وامكانيات تملك ناصية التأثير على الكادر الثقافي والرأى العام الجماهيرى فى نفس الوقت . لذلك يخصص « الملحق » دراسته الرئيسية فى هذا العدد لبحث عينة نموذجية من اصدارات الهيئة المصرية العامة للتأليف ـ هيئة الكتاب الان ـ هى خطة النشر لعام ١٩٧١/٧٠ . وبالرغم من ان دراسة عينة جزئية بصورة تفصيلية يمنح البحث طابع التخصيص ، الا اننا عمدنا الى تقديم الدراسة بمدخل تاريخى يضع أيدينا على حدود الاطار العام للنشر المؤمم . كذلك فقد حرصنا بعد تبيان الاتجاهات الفكرية السائدة على الخطة ، ان نضعها تحت أعين أربعة من كتابنا تختلف مجالات تخصصهم بهدف الحصول على شهاداتهم الواقعية حول ما جاء فى الخطة . واخيرا فقد اختتمنا الدراسة بتحليل موقع الخطة المصرية بين الماضى والمستقبل .

حركة النشر العام .. فى سطور

١٩٤٤ – ١٩٧١

● فى البدء كان الفراغ .. فلم تعرف مصر النشر الحكومى للكتاب قبل ثورة ١٩٥٢ الا فى أضيق الحدود .

● ففى عام ١٩٤٤ أخذت الادارة الثقافية بوزارة المعارف فى ترجمة بعض الكتب والمراجع الهامة ، بدأتها بكتاب كلوديرنار (مدخل الى الطب التجريبى) . ثم واصلت اصدار بعض الكتب من هذا المستوى الرفيع ، ولكن ببطء شديد ، فلم يتجاوز ما أصدره هذا المشروع حتى قيام الثورة العشرين كتابا .

● كانت أمور النشر فى هذه الفترة موكلة الى الناشر التجارى .. ومن ثم فقد عانت الكتب الثقافية والادبية كثيرا خلال هذه المرحلة .. ويكفى أن نعرف أن يحيى حقى انتظر ما يقرب من عشرين عاما حتى أصدر كتابه الاول ، وأن نجيب محفوظ انتظر تسع سنوات بعد اكتمال مجموعته الاولى حتى تمكن من نشرها ، وبتمويل خاص منه هو وبعض زملائه .

مشروع الألف كتاب

● فى عام ١٩٥٥ ظهرت أول مبادرة حكومية بعد الثورة للاسهام فى التخطيط للكتاب ونشره . وهى المبادرة التى عرفت باسم (مشروع الالف كتاب) .

● ظهر ذلك المشروع أيضا داخل الادارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم

● أراد تخطيط المشروع أن ينشر ٧٠٠ كتاب مترجم و ٣٠٠ كتاب مؤلف فى خمس سنوات تكتمل بعدها مكتبة من ألف كتاب فى شتى فروع المعرفة

● اعتمد تمويل المشروع على ميزانية مكتبات المدارس التى بلغت عام انشائه ٩٤ ألفا من الجنيهات خصص له منها ٢٤ ألفا كل عام .

● استمر المشروع حتى عام ١٩٦٨ حيث توقف قبل أن ينجز كتبه الالف . وان كان قد أصدر ٦٧٠ كتابا مترجما و ٨١ كتابا مؤلفا .

● كتب المشروع جيدة فى معظمها ، وموزعة على شتى فروع المعرفة الانسانية بصورة شبه عادلة . استطاعت بحق أن تسد فراغا ملحوظا فى ميدان الترجمة على وجه أخص .

المكتبة العربية .. مشروع طموح ولكن ؟ !

● كان المشروع الثانى للثورة فى مجال التخطيط للكتاب هو مشروع (المكتبة العربية) الذى كلفت لجان المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب عام ١٩٦٢ بالتخطيط له والاشراف على تنفيذه مع وزارة الثقافة .

● استهدف المشروع تقديم مكتبة عربية كاملة ، تسد الفراغات الواضحة فى مختلف فنون المعرفة من خلال الترجمة والتحقيق والتاليف حتى تقدم للقارىء العربى كل الاصول الهامة التى شاركت فى صياغة العقل الحديث .

● أعدت لجان المجلس المختلفة قوائم طموحة بالكتب التى يجب ترجمتها أو تحقيقها وبالموضوعات التى يجب التاليف فيها ، كل لجنة فى مجال تخصصها ، وكانت هذه القوائم فى حد ذاتها عملا جيدا .

● رصد لهذا المشروع ميزانية كبيرة للغاية – اذا ما قيست بميزانية الالف كتاب – فقد رصد له فى العام الاول من أعوام تنفيذه (١٩٦٣) مبلغ ١٢٠ ألف جنيه . واتيحت له هذه الميزانية كل عام منذ بدايته وحتى اليوم .

● لم يقدم هذا المشروع منذ انشائه حتى اليوم ، وبرغم هذه الميزانية الكبيرة – سوى ١١٨ كتابا ، بعضها اعادة طبع . وأغلب هذه الكتب لايدخل فى نطاق الخطة الطموحة التى قدمها من قبل .

● واجهت المشروع عند التنفيذ صعوبة الوفاء بالخطة ، فانحرف عن خطته الموضوعة وتحول الى اصدار ما يقدم له من كتب . ولم يصدر من الكتب التى أزمع تقديمها سوى عدد محدود للغاية .

بعد التخطيط .. يجىء دور التنفيذ

● لم يكن التخطيط للكتاب والمساهمة فى الاتفاق عليه هو السبيل الوحيد الذى انتهجته الدولة فى هذا المجال .

● اقترن التخطيط فى المشروع الثانى بالتنفيذ . لان مشروع المكتبة العربية قد بدأ بعد أن أصبحت الدولة ناشرا .

● فبعد مشروع الالف كتاب الذى مولته الدولة لدى ناشرين من القطاع الخاص ، ظهرت عدة مبادرات من جانب الدولة للدخول الى ميدان النشر بصورة كاملة . وقد تبلورت هذه المبادرات فى عدة صور أو عدة أجهزة .. ولكل جهاز من هذه الاجهزة قصة ومسار وتحولات وأطوار .

قصة الدار المصرية للتأليف والترجمة

● فى عام ١٩٥٨ انشئت أول وزارة مستقلة للثقافة فى مصر .. وبدأت الوزارة الجديدة فى جمع اختصاصاتها من الوزارات القديمة .

● خلال عملية الجمع تلك انتقلت اليها أغلب اختصاصات ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم وانتقل معها أغلب موظفيها .

● اختصت هذه الادارة الجديدة التى سميت بالادارة العامة للثقافة بنشر الكتاب وتمويله بالخسارة لدى الناشر الخاص .

● خصص لهذه الادارة فى ميزانيتها الاولى (٥٨ – ١٩٥٩) مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه ، حاولت أن تمول منها لدى ناشرى القطاع الخاص مجموعة من السلاسل الثقافية الجادة التى تشرف بنفسها على ترجمتها واختيار مادتها .

● فى نوفمبر عام ١٩٥٩ بدأت أولى هذه السلاسل فى الظهور وهى سلسلة (المكتبة الثقافية) .

● فى عام ١٩٦٠ – ١٩٦١ تبعتها بقية السلاسل الاخرى وهى (روائع المسرح العالمى) ثم (أعلام العرب) ثم (تراث الانسانية) .

● انتظمت هذه السلاسل فى الظهور طوال ستة أعوام لتقدم فى معظم الاحوال خدمة ثقافية جادة . وتعثر انتظامها بعد ذلك وان لم تتوقف كلية .

● فى عام ١٩٦١ – عام ظهور المؤسسات – تحولت هذه الادارة الثقافية الى الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر .

● اخذت ميزانيتها فى النمو والاتساع من ٢٠٠ ألف جنيه عام ١٩٥٩ ، الى ٥٠٠ الف جنيه عام ١٩٦٠ ، الى ٥٥٠ ألف عام ١٩٦٢ ، الى ٨٥٠ ألف عام ١٩٦٤

● أخذت تصدر الى جانب السلاسل مجموعة من الكتب المفردة ، مترجمة ومؤلفة ، تتوخى فى اختيارها الدقة والاهتمام بالكيف الثقافى قبل الكم . وذلك ابتداء من عام ١٩٦١ .

● أصدرت مجموعة من السلاسل غير الدورية مثل سلسلة (من الفكر السياسى والاشتراكى) و (كتب افريقية) و (الجوائز العالمية) وهى سلاسل ترجمت فيه مختارات من كتب الفكر السياسى والاشتراكى ودراسات عن القارة الافريقية وبعض الروايات الحائزة على كبريات الجوائز العالمية .

● انفقت خلال الاعوام الستة الاولى من انشائها ٣,٥ مليون جنيه . واصدرت خلال نفس الفترة ٣٥٠ كتابا وأعادت طبع ٦٠ كتابا من كتب التراث ، وبلغ عدد صفحات هذه الكتب مجتمعة ٨٨ الف صفحة .

● بلغت تكاليف نشر الصفحة من كتب هذه الدار ٣٠ جنيها فى مقابل جنيهان تتكلفهما الصفحة منفس المستوى الثقافى لدى الناشر الخاص • (راجع د • لويس عوض (الثورة والادب) ص ٢١٤)

الدار القومية للطباعة والنشر

● انشئت الدار القومية للطباعة والنشر كشركة من شركات القطاع الخاص عام ١٩٥٩ برأس مال قدره ٢٠٠٠ جنيه

● حاولت أجهزة الاعلام أن تكون لها دارا للنشر تصدر من خلالها بعض مطبوعاتها فوقع اختيارها على هذه الشركة المتواضعة •

● أخذت وزارة الارشاد القومى تمول لدى هذه الدار مجموعة من السلاسل التى صدرت عنها تمويلا كاملا من خلال ميزانية الاذاعة • خلال أعوام ٦٠ ـ ١٩٦١

● اتاح هذا النظام الذى يمول الكتاب كاملا لدى الدار القومية ويترك لها عائد توزيعه للدار أن تنمو بسرعة باهظة ، فما أن انتصف عام ١٩٦٢ حتى تجاوز راسمالها ٧٠٠ ألف جنيه •

● فى أول يوليو ١٩٦٢ كان من الطبيعى أن تتحول هذه الدار الى شركة من شركات القطاع العام •

● تحت ادارة القطاع العام وفى مرحلة الادماج التى بدأت مع ادماج وزارتى الثقافة والارشاد القومى مرة أخرى عام ١٩٦٢ واصلت الدار نشاطها بتوسع تحت شعار كتاب كل ست ساعات

● حاولت الدارجاهدة أنتطبق بالفعل هذا الشعار ولكنها لم تتمكن من الوفاء به اذ أصدرت خلال الاعوام الستة الاولى من انشائها (٥٩ ـ ٦٥) ٣١٤٠ كتابا فى نحو ٣٢٠ الف صفحة بواقع كتاب كل يوم •

● كانت تصدر الىجانب ذلكمجموعة من المجلات الشهرية والاسبوعية ،بالعربية والانجليزية والفرنسية •

● بلغ عدد السلاسل التى تصدرها ١٧ سلسلة أغدق عليها بسخاء • اذ يكفى أن نعلم أنها دفعت فى عام واحد ٦٤ ـ ٦٥ فى الاعلان عن هذه السلاسل وحدها ٨٠ ألف جنيه • لكنها ظلت دون رواج •• اذ بلغ المطبوع من هذه السلاسل فى (٦٥ ـ ٦٦) ٦٩١ر٧٩٦ر١ لم يوزع منها سوى ٥١٠٧٩٩ كتابا •

الادماج •• وسياسة التوسع

● فى عام ١٩٦٢ ادمجت وزارة الثقافة فىوزارة الارشاد القومى واختلط ما هو اعلامى بما هو ثقافى • ووجدت الوزارة الجديدة أن لديها أجهزة للنشر تابعة للاعلام واخرى تابعة للثقافة ، فأدمجت كل هذه الاجهزة فى مؤسسة كبيرة •

● وفى عام ١٩٦٤ انشئت المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر ، وضمت هذه المؤسسة مجموعة من شركات القطاع العام هى :

ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة والتى كانت تسمى حتى هذا الوقت بالمؤسسة المصرية للتاليف والترجمة فى الوزارة الاولى للثقافة •

ـ الدار القومية للطباعة والنشر ،والتى استمرت فى التوسع وضم المطابع اليها حتى تواصل تحقيق شعارها (كتاب كل ست ساعات) فبلغ ما تملكه من المطابع عام ١٩٦٦ ما قيمته ربع مليون جنيه • وتجاوز رأسمالها العامل المليونين بقليل

ـ دار القلم ، وقد ضمت الى المؤسسة عام ١٩٦٦ نهائيا بعد أن كانت تشرف فقط عليها منذ عام ١٩٦٤ •

ـ الشركة القومية للتوزيع ، وقد ضمت للمؤسسة عام ١٩٦٤ حينما ظهرت الحاجة لجهاز دائم لتوزيع هذا الانتاج الكبير من الكتب

ـ وضمت المؤسسة الى جانب ذلك كله وكالة انباء الشرق الاوسط •

الى وزارة الثقافة من جديد

● فى عام ١٩٦٦ فصلت وزارة الثقافة عن وزارة الارشاد القومى وبدأت الوزارة الجديدة عهدها باعادة النظر فى موقف الكتاب وعقدت مؤتمرا لدراسة قضاياه •

● بعد الدراسة أخذت الوزارة تغير من شكل مؤسسات نشرها واكتفت بشركة واحدة للنشر سمتها (دار الكاتب العربى للطباعة والنشر)عام ١٩٦٧ وشركة واحدة للتوزيع هى الشركة القومية للتوزيع •

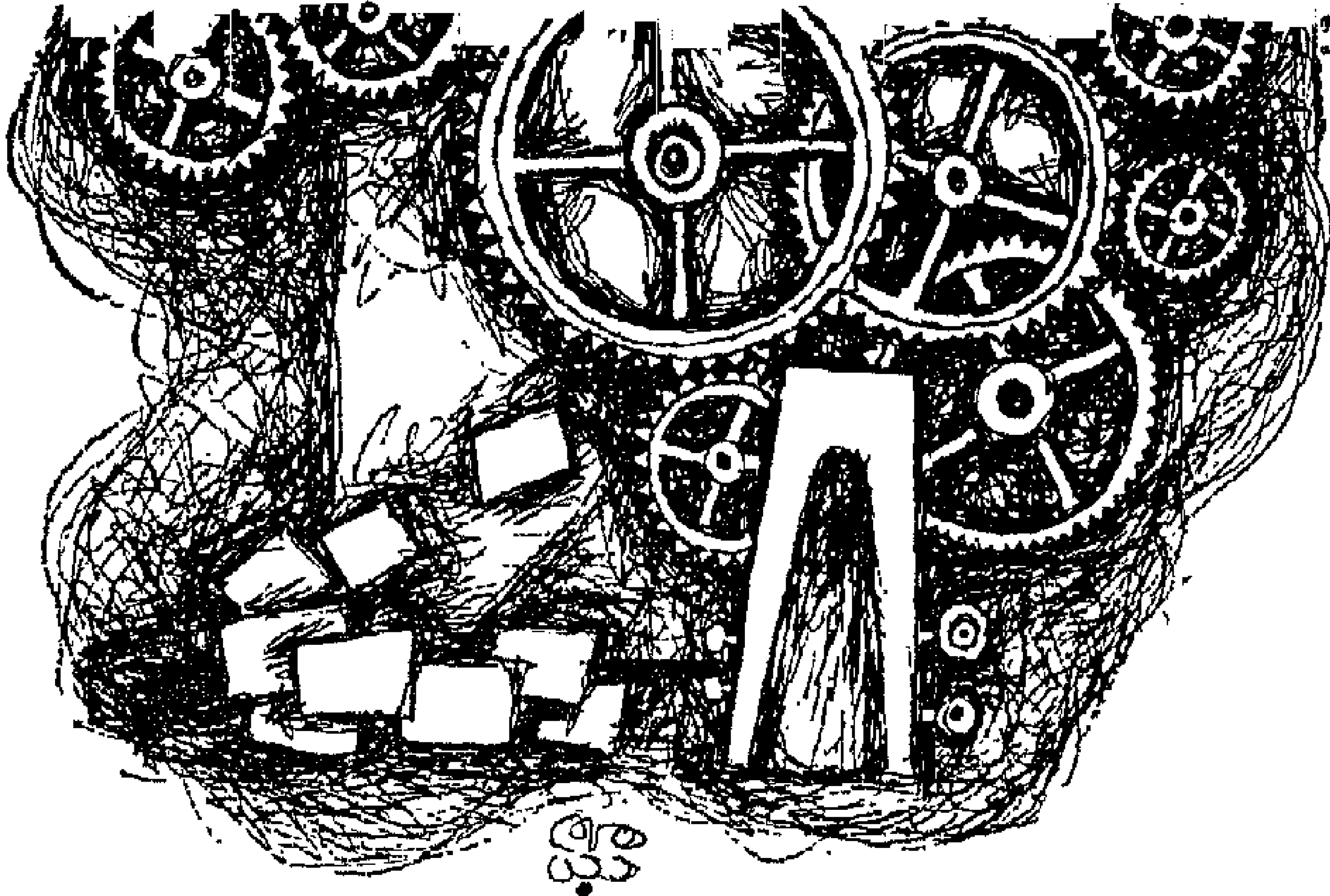
● وبدأت لاول مرة فى وضع خطة عامة للنشر عام١٩٦٧ راعت فيها مجموعة من الاولويات والتوازنات بين فروع المعرفة وان لم تتمكن من الوفاء بها كاملة •

● ظلت هناك ، فوق شركة النشر وشركة التوزيع المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ، بعد أن تخلصت بالطبع من وكالة انباء الشرق الاوسط • وظل وجودها اشارة الى التضخم الهيكلى الذى لا مبرر له والى مشكلة العمالة الزائدة

● ورثت مؤسسة النشر الجديدة وشركتاها ميراثا هائلا من الكتب البائرة بلغ أكثر من تسعة ملايين نسخة وميراثا أكبر من البيروقراطية والديون والعمالة الزائدة •

● فقدالقارىء المثقف ثقته بمطبوعات القطاع العام الذى كان يمول بالخسارة كتبا لا تخدم سياسة الحركة الثورية المصرية ولا اتجاهها الفكرى •

● ولما كانت الهزيمة عام ١٩٦٧ ، تقلصت ميزانية وزارة الثقافة بصورة حددت قدرة الدولة على تمويل نشر واسع بالخسارة • وأخذت العمالة وحدها تستنفد معظم الميزانية المخصصة للكتاب [illegible]



ثقة القارىء ـ من تزويد المؤسسة بما يمكن دولاب العمل من الاستمرار ولو بايقاع بطىء •

● ازاء تهديد حقيقى بالتوقف والانهيار حولت الدولة مؤسسة النشر عام ١٩٦٩ الى هيئة عامة هى (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

● حاولت الهيئة بعد صدور قرار التحويل من مؤسسة تخضع لقوانين الربح والخسارة الى هيئة عامة تستهدف خدمة الكتاب ، أن تتخلص من أعباء المواريث القديمة •• فعمدت الى :

● الاكتفاء بعدد محدود من المطابع الهائلة التى آلت اليها وتحولت بقية المطابع الى شركة ذات طابع تجارى لا علاقة لها بالنشر الثقافى للكتاب ، ولا تتبع وزارة الثقافة فى شىء •

● الاكتفاء بعدد محدود من الموظفين ، تفصل رواتبهم فى باب مستقل عن ميزانية النشر التى تستهدف الانفاق على الكتاب الثقافى ولو بالخسارة •

● وضع خطة للنشر فى حدود ميزانيتها تحقق من خلالها مجموعة من الاهداف الفكرية والثقافية الواضحة

● عملتالهيئة وفق هذه الاسس خلال عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ وأصدرت ١٦٤ كتابا من خطتها للنشر •

الهيئة العامة للكتاب

● مع اعادة تنظيم الدولة فى سبتمبر ١٩٧١ أعيد من جديد ادماج وزارتى الثقافة والاعلام •

● وأدى هذا الادماج الى اعادة النظر فى تقسيم مؤسسات وزارة الثقافة وادماج بعضها فى البعض الاخر • وخلال ذلك أصبحت هيئة التاليف والنشر شيئا آخر هو : الهيئة العامة للكتاب •

● والهيئة العامة للكتاب ، تضم وحدتين هما •• دار التاليف والنشر ، وهى التى الت اليها كل اختصاصات وممتلكات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر • ودار الكتب والوثائق القومية ، وهى التى كانت وحدة مستقلة من وحدات وزارة الثقافة •

● أوقفت الهيئة العامة للكتاب العمل بالخطة التى أعدتها الادارة السابقة للهيئة العامة للتاليف والترجمة والنشر وأخذت تعيد النظر فى كل ما هو مكدس لديها من كتب متعاقد عليها ، أو كتب مقدمة للنشر ولم يبت فيها تمهيدا لاعداد [illegible] أسس جديدة •

[١]

خطة ٧١/٧٠

بين الفكر والتطبيق

صبرى حافظ

اذا كان النشر الحكومى فى مصر قد مر بعدة مراحل منذ اضطلاع الدولة بالنشر على نطاق ضيق فى الاربعينات وحتى الان ، فان قرار تحويل المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر الى هيئة عامة للتاليف والنشر فى أواخر عام ١٩٦٩ كان لابد أن يكون نقطة هامة فى تاريخ النشر الحكومى فى مصر ، لان هذا القرار ينطوى على الاعتراف بخطورة النشر ، وباهمية قيام الدولة به كخدمة من الخدمات التى تقدمها هيئاتها العامة . فهو قرار يحرر مؤسسة النشر من العمل وفقا لقوانين الربح والخسارة .

والتخلف من قيود السوق لايعنى الانفلات الكامل من كل قيد مسئولة بالدرجة الاولى أمام الضمير القومى والرأى العام الادبى والثقافى عامة .

من هنا كان لابد ان يكون تساؤلنا لاول خطة وضعتها هذه الهيئة بعد ان صدر قرار تحويلها من مؤسسة الى هيئة عامة ، أو بالاحرى لاصدارات هذه الخطة الفعلية على مستوى هذه المسئولية . وقد أصدرت الهيئة فى أول عام مالى — ١٩٧١/٧٠ — من تكوينها حصادا غريبا بحق ، لايمكن قبوله من حيث الكم ولا من حيث الكيف ، به بعض الكتب الجيدة . لكن السمة الغالبة عليه هى التخبط والرداءة . لايمكن استشعار سياسة عامة خلفه ، أو الاحساس بانه جزء من خطة كبيرة طموحة تسعى الهيئة لتنفيذها ، على عدة مراحل . فحينما سئلت الهيئة من خطط المستقبل اتضح انها لا تخطط لنفسها الا فى حدود عام واحد . وليس لديها تصور قريب او بعيد لما تريد أن تفعله خلال أعوام خمسة ولا أقول عشرة . وهذا القصر فى مدى التخطيط يترك طابعا من الارتجال على اصدارات الدار . ويدع للصدفة وحدها الدور الاساسى ، ان لم يكن الدور كله ، وهذا الاعتماد على الصدفة وحدها لا ينجب غير الارتجال والازدواج والتكرار وفقدان الهدف . وتكون النتيجة هذا الحصاد الهزيل .

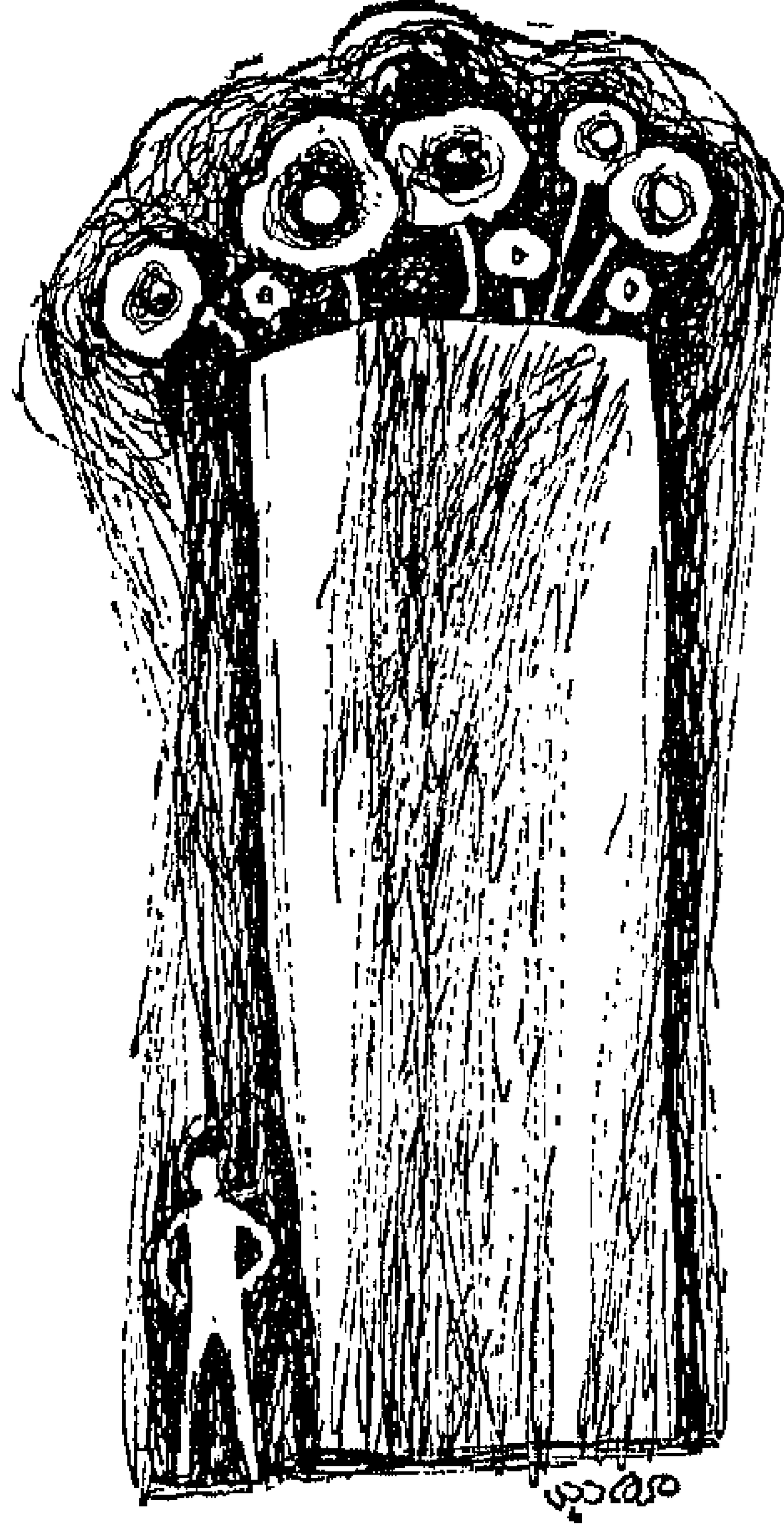
ويمكننا أن ندرك مدى هزاله ، اذا علمنا ان الهيئة العامة للتاليف والنشر ، وقد بلغت ميزانيتها ما يقرب من مليون و ٤٠٠ الف جنيه عام ١٩٧١/١٩٧٠ لم تصدر فى نفس العام سوى ١٥٢ كتابا من الكتب العادية والرديئة .. ليس بينها قاموس كبير او موسوعة يستنفد الانفاق عليها والاعداد لنشرها مبالغ كبيرة من المال .. صحيح أن الباب الاول — المرتبات والاجور — يستنفد من هذه الميزانية الكبيرة ما يقرب من ٤٠٠ الف جنيه . لكن يبقى بعد ذلك مليون جنيه للاستثمارات والمشروعات ، كان يمكن لو احسن استثمارها ان تقدم أضعاف اضعاف هذا العدد من الكتب كما وكيفا . هذا بالاضافة الى ١٢ كتابا اصدرتها الهيئة لحساب مشروع المكتبة العربية ، وهو مشروع لا يقل عن مشروعات الهيئة تبذيرا للاموال وهزالا فى الانتاج . فقد بلغت ميزانيته خلال العام [١٩٧١/٧٠] الذى أصدر فيه ١٢ كتابا فحسب ، ١٢٠ الف جنيه . اى أن الهيئة قد اصدرت ١٦٤ كتابا هى جملة اصداراتها هى ومشروع المكتبة العربية ، فى العام الذى انفقت فيها اكثر من مليون ونصف مليون جنيه . أى انها أنفقت ٩٥٠٠ جنيه فى مقابل كل كتاب أصدرته .. فاذا علمنا ان بعض هذه الكتب ردىء واغلبها عادى ، وان ليس فيها كلها كتاب واحد قد يعجز اى ناشر فردى عن نشره ، وان كان فى منشوراتها كتب لا يغامر اى ناشر فردى أو عام بنشرها ، لا لضخامة تكاليفها ولكن لرداءتها .

فاذا تناولنا خطة النشر او بالاحرى اصداراتها بشىء من التفصيل لوجدنا ان هذه الخطة قد بدىء بتنفيذها بعد أكثر من ثمانية اشهر من صدور قرار تمويل المؤسسة الى هيئة .. وقد كان هذا وقتا كافيا لاعداد خطة تتناسب مع طبيعة المرحلة الجديدة ، بانطلاقها من قيود الربح والخسارة ، واتجاهها نحو الاضطلاع بدور ثقافى يشارك فى تكوين الانسان المصرى القادر على مواجهة شتى التحديات الحضارية والفكرية التى نعيشها فى ظل ظروفنا كبلد يستعد لخوض معركة التحرير ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، لان الهيئة لم تطرح على نفسها

هذا التساؤل .. ماذا على أن أفعل بعد أن تحولت الى جهاز للخدمة العامة ؟!.. ما هو الهدف الكبير الذى الذى على أن أعمل له ؟!.. وما هى هذا الهدف ؟ وبدلا من أن تطرح الهيئة المهام العاجلة والاجلة التى ينطوى عليها على نفسها مثل هذه التساؤلات وتحاول أن تجيب عليها بعقلية علمية وعصرية معا .. آثرت أن تعمل بالعقلية الروتينية السقيمة . ولم تفهم من قرار تحويلها الى هيئة عامة سوى أنه خلصها من التفكير المزعج فى تدبير الخسائر وتوفير ضمانات الاقتراض من البنك ، ومن التهديد بالعجز عن دفع مرتبات الموظفين . وقد كان هذا عبئا أحست الهيئة أنه انزاح عن كاهلها فاستنامت للكسل .

ماذا فى حقل الترجمة «

ولم تفكر فى التخطيط لميدان من أخطر الميادين التى عليها أن تغامر بالعمل العلمى المبرمج فيها ، وهو ميدان الترجمة . بل ان عملها فى هذا الميدان ظل متسما بالتخبط والهزال كما سنوضح فيما بعد . وقد كان على الهيئة أن تستفتى بعض الهيئات العلمية والتخطيطية ومراكز الابحاث المختلفة — كالجامعات ومراكز البحوث القومية والمجالس العليا والوزارات العاملة فى ميادين التربية والعلم والانسانيات — فى شأن احتياجات المكتبة العربية لترجمات أساسية فى مختلف الميادين . وأن تكلف هذه الهيئات باعداد قوائم مقترحة للكتب الكبيرة والكتب العاجلة التى ينبغى ترجمتها .. ثم تحاول من مستوى عال من الخبرة والتخصص أن خلال لجنة من أكبر العقول التى على تضع سلما للاولويات . وأن تشرع الهيئة فى تنفيذه ولو على مراحل متعددة . فهناك بعض الكتب التى تحتاج ترجمتها الى سنوات ، بينما لا تحتاج الاخرى لغير شهور . واذا لم تضطلع مثل هذه الهيئة بترجمة ونشر كتاب مثل (وصف مصر) لعلماء الحملة الفرنسية فمن تراه يفعل ذلك ؟!.. واذا شرعت فى ترجمة ونشر النسخة المختصرة من (الغصن الذهبى) لفريزر فهل ستترك للناشر الخاص ترجمة ونشر نسخته الأصلية ؟! واذا لم تترجم وتنشر النسخة الكبيرة من (دراسة فى التاريخ) لتوينبى ، فهل تراها كانت تطمع فى نشر النسخة المختصرة منه والتى نشرها ناشر خاص . وهناك عشرات الكتب من هذا النوع ومن هذا الحجم .. لقد شرعت دار نشر خاصة هى (لجنة التأليف والترجمة والنشر) بترجمة ونشر كتاب كبير مثل (قصة الحضارة) قبل عشرين عاما .. وبدأت المشروع وحدها وان عاونتها فيه بعد ذلك الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .. فهل من العسير على الهيئة العامة للنشر أن



تطمح الى مشروعات كتلك التى شرعت دار نشر خاصة فى تنفيذها منذ عشرين عاما ؟

أقول كان على الهيئة عقب صدور قرار تكوينها أن تشرع فى تغيير العقلية التى تفكر بها والاسلوب الذى تسير وفقا له . وأن تنتهج سياسة علمية وأسلوبا عصريا فى التفكير والتنفيذ معا وأن لا تترك للمصادفة وحدها الحق فى صياغة كل شىء فيها . ولا يعنى هذا أن تغلق الباب فى وجه ما يقدم لها من أعمال . ولكنه يعنى أن تفرد الجيد مما يقدم اليها مكانا الى جوار ما تمليه هى على الكتاب والمترجمين من مشروعات . فاذا كان فى استطاعة الهيئة أن تعد خطة محكمة للمترجمات فانها لا تستطيع أن تفعل ذلك فى مجال التأليف بنفس الدرجة . والابداع منه بصفة خاصة . بل كل ما تستطيع فعله فى هذا الصدد هو تخير النماذج الجيدة من كتابات الشبان . والاعراض كلية عن أعمال الكتاب الذين رسخت أقدامهم فى مجال التأليف دراسة وابداعا فهؤلاء عليها أن تترك أعمالهم للناشر الخاص . لان نشر مثل هذه الاعمال يدخل فى باب التجارة لا فى باب الخدمات .

.. وعلى الهيئة وقد تحررت من قبضة الربح والخسارة أن تعمل على اكتشاف الطاقات الجديدة والوقوف بجانبها حتى يشتد عودها ويتكون لها جمهور يستطيع أن يمول أعمالها فتتركها للناشرين التجاريين لتبحث عن طاقات أخرى جديدة وهكذا .

ولننظر الان فى اصدارات أول عام عملت فيه الهيئة بعد تحويلها لهيئة عامة وهو عام ١٩٧١/٧٠ بشىء من التفصيل

.. صحيح اننا لن نجد فى هذه الاصدارات بعض الكتب الزاعقة ككتاب روبرت مكنمارا وزير الدفاع الامريكى السابق [جوهر الامن] والذى ترجمته الهيئة ونشرته فى العام الاسبق ٦٩ / ١٩٧٠ .. ومثل هذا الكتاب كان باستطاعة الهيئة أن تحصل عليه بالمجان مترجما ومطبوعا ومغلفا بالسلوفان لو طلبته من الاسطول الامريكى السادس . لكنها رأت أن تترجمه بنفسها وتنفق على ترجمته ونشره من المال العام ما يقرب من عشرة آلاف جنيه وهى متوسط ما ينفق مقابل اصدار كل كتاب كما ذكرنا من قبل .. فعلت المؤسسة هذا وبين أمريكا ما لا يخفى على رجل الشارع ، فما بالك برجل الفكر والثقافة الذى يشرف على مثل هذه المؤسسة .. أقول اننا لن نجد فى اصدارات هذا العام كتبا زاعقة من هذا النوع وان وجدنا كتبا لبالغة الرداءة فكرا وموضوعا .. لكى لنترك المجردات ولنتحدث من خلال المحسوسات .

أول فقرة فى اصدارات الهيئة هى تلك الخاصة بمشروع المكتبة العربية .. حيث نجد اثنى عشر كتابا ، منها خمسة كتب فى تحقيق التراث وكتابان مترجمان وخمسة كتب مؤلفة . واذا ما قارنا أيا من هذه الكتب ، وخاصة كتب الترجمة وتحقيق التراث بالقوائم الطموحة التى نشرت أكثر من مرة كاعلانات على ثلاث صفحات فى الصحف اليومية الثلاث فى بداية ظهور هذا المشروع ، لتعجبنا لتنائى المسافة بين الحلم والواقع .. فها هى قوائم المترجمات الكبيرة تتمخض هذا العام عن كتابين هزيلين ، أحدهما مدرسى سقيم عن التمثيلية التليفزيونية والاخر عن السينما .. أما كتب التراث الخمسة فاننا نعثر بينها على كتاب تافه الشأن عن [البئر] يرفض أى من ناشرى التراث فى أى مكان فى الوطن العربى أن يعيره أدنى اهتمام لرداءته البالغة نصا وتحقيقا . ولا نجد فيها من الكتب الجديرة بالنشر سوى جزء من كتاب [الشفاء] لابن سينا . وأما الكتب المؤلفة الخمسة فمنها واحد [جماعة أبولو] سبق نشره من قبل ولم يضف اليه كاتبه شيئا يستلزم اعادة طبعه فى مشروع كهذا . ولكنها العلاقات الشخصية قبحها الله . وآخر [محمد تيمور ، حياته وأعماله] كان الاوفق أن تنشره لجنة المؤلفات التيمورية ضمن مطبوعاتها الخاصة . أما الكتب الثلاثة الباقية فهى كتب عادية ومتوسطة واذا ما استثنينا « الشفاء » لم نجد فى أى مكان من الكتب الاثنى عشر ما يستحق النشر فى مثل هذا المشروع الذى أغرقت عليه الدولة بلا حساب هذا اذا ما صدقنا ما جاء فى ديباجة انشائه من أسس وأهداف لم يعمل بأى منها حتى اليوم .

وإذا ما تركنا مشروع المكتبة العربية ونظرنا في مطبوعات الهيئة سنجد أن كتبها تفتقر الى الموقف الواضح أوالاتجاه الفكرى المنسق مع اتجاه دولة تحارب أشرس أنواع الاستعمار الاستيطانى . صحيح أنها خصصت ، ذرا للرماد فى العيوم ، سلسلة لكتب المعركة علقت عليها لافتة زاعقة بعنوان «فى المعركة» لكنها لم تصدر فى هذه السلسلة سوى خمسة كتب ما بين ردىء ومتوسط . وإذا بحثنا فى هذه السلسلة بعد ذلك عن اى كتاب يبحث فىطبيعة الاستعمار الاستيطانى أو فى قضايا بعض نماذجه المختلفة فى روديسيا أو جنوب أفريقيا لما وجدنا شيئا .

وربما قال قائل أن اعداد المواطن للمعركة لا يتم كله من خلال الثقافة السياسية والنضالية ، ولكن من خلال تكوين انسان واع مثقف قادر على امتلاك الاسلوب الحضارى والرؤية الفكرية الصحيحة اللذين يتناول بهما مختلف قضاياه بما فى ذلك قضية المواجهة الشاملة مع العدو ، فكره وجيشه ودعايته . وأن الهيئة ترى أن جرعة سياسية صغيرة شىء كاف ما دامت قد قدمت لقارئها جرعات فكرية وثقافيةأخرى لان السياسة فى منهجها الثقافى العام لون واحد ضمن مجموعة متكاملة من الالوان .. لو قال قائل هذا لقلنا له ليت الهيئة فعلت شيئا من هذا أو فكرت باسلوب كذاك . غير أن هذا لم يحدث .. ولو حدث لكنت أول المرحبين به والعارفين بفضله . وحتى لا يكون حديثنا تجريديا علينا أن نعود منجديد الى بقيةبنود الزاد الثقافىالهزيل الذى قدمته الهيئة .

الهدف من الدوريات المسلسلة

تنقسم اصدارات الهيئة الى مجموعة من السلاسل ومجموعة من المشروعات ذات الطابع الخاص وعدد من الكتب التى يطلق عليها اسم البرنامج العام . وعدد السلاسل التى تصدرها الهيئة تسع ، وأما مشروعاتها ذات الطابع الخاص فتنقسم الى أربعة اقسام بينما يندرج برنامجها العام تحت تقسيم مكون من خمس اقسام كبيرة ينقسم بعضها الى عدد آخر من الاقسام الصغرى . وإذا بدأنا بالسلاسل سنجد أنها « المكتبة الثقافية » و « أعلام العرب » و « الادب العالمى المعاصر » و « فى المعركة » و « مسرحيات عربية » ، و«العلم للجميع » و « مكتبة الطفل » و « روايات عالمية » . ومن هذهالسلاسل التسع سلسلتان لم تصدر فيهما الهيئة اى كتاب هما « الادب العالمى المعاصر» و « مكتبة الطفل » بالرغم من أنها كانت تزمع اصدار أربعة كتب فى الاولىوثمانية كتب فى الثانية . أما بقية السلاسل التسع فان اكثرها احتراما — وربما لهذا السبب أكثرها توزيعا — هىسلسلة « المكتبة الثقافية » ففى هذه السلسلة اصدرت الهيـ ..ربعة وعشرين كتابا ، موزعة بصورة شبه عادلة بين شتى فروع المعرفة . فيها العلم والادبوالفكر والموسيقى والسياسة والفنون الشعبية والديانات والتاريخ والقانون وغير ذلك من المعارف المفيدة • وأما سلسلة « أعلامالعرب » فلم تصدر سوى ست كتب ،وإذا قورنت الكتبالتى صدرت فى هذهالسلسلة هذا العامبالكتبالتى كانت تصدر فيها فى سنواتها الاولى ، لوجدنا أن انتاج هذه السلسلة له يتدهور كميا فحسب ، ولكن كيفيا أيضا .

وإذا انتقلنا الى سلسلتى المسرحيات سنجد أن الهيئة اصدرت فى سلسلة المسرحيات العربية تسع مسرحيات بينما كان المقرر أن تصدر ستا فقط والمسرحيات الثلاث الزائدة هى [عسكر وحرامية] و [يا سلام سلم] ، وإذا كانت مسرحيات الفريد فرج وسعد الدين وهبه فى حاجة الى أن تصدرها هيئة النشر ، فما هى يا ترى المسرحيات التى نترك أمر نشرها للقطاع الخاص ؟ هل نترك له نشر الاعمال الجيدة للكتاب الشبان ؟ .

وإذا انتقلنا الى السلسلة المسرحية الثانية وهى (مسرحيات عالمية) فاننا سنجد أن الهيئة لم تصدر منها سوى ست مسرحيات . بينما تضمنت الخطة ضعف هذا العدد . ومن المسرحيات الست أربع فقط هى التى كانت واردة بالخطة فأى خطة تلك التى تنتهك لمجرد أن أنيس منصور ترجم بعض المسرحيات وليس على استعداد لانتظار ادراجها فى الخطة القادمة ؟!..

بعد ذلك يجىء دور العلم .. وللعلم سلسلة واحدة هى « العلم للجميع » . لا نعرف ان كان اسمها هذا ينطوى على هدفها وهو تقريب العلم للجميع أم أنها سلسلة تخاطبالقارىء المتخصص، فالكتب التى صدرت فيها وعددها تسعة كتب تتأرجح بين مخاطبة القارىء العادى والتوجه الى القارىء المتخصص . ولقد كانت الخطة تزمع اصدار أربعة وعشرين كتابا فى هذه السلسلة ، لكنها خفضتها بعد سبعة اشهر الى اثنى عشر كتابا ثم تعثرت حتى فى الوفاء بالخطة المخفضة فلم تصدر سوى تسع كتب . تبقى بعد هذا غير سلسلة المعركة التى تحدثنا عنها من قبل سلسلة واحدة هى « روايات عالمية » وينتهى حديثنا عن السلاسل . وقد كانت هذه السلسلة فى بداية صدورها تستهدف اشباع نهم القاعدة العريضة من القراء الى قراءة القصص الانسانى فى ملخصات وافية وبسيطة معا . ولذلك فقد كانت تصدر عددا كل أسبوع . لكن المؤسسة غيرت من سياسة هذه السلسلةوحاولت فى عام ١٩٦٧ أن تجعلها سلسلة ثقافية محترمة تقدم ترجمات كاملة للروايات الانسانية القصيرة والمتوسطة الطول بدلا من سيل الروايات البوليسيةالسقيمة الذى انجرفت فيه السلسلة . وقد كانت هذه الفترة التى لم تتجاوز العام الا بقليل من ازهى الفترات فى عمر هذه السلسلة . لكن حصاد السلسلة فىالعام الماضى يشير من جديد الى تعثرها . فبعد أن فقدت السلسلة طابعها الشعبى والدورى معا ، وجنحت الخطة الى تحويلها لسلسلة شهرية تصدر اثنتىعشرة مرة فى السنة ، لم تتمكن من اصدار غير ست روايات . منها واحدة هى [كليوباترا] لاميل لودفيج سبق أن ترجمت ونشرت بصورة أجود من هذه الترجمة بكثير وبقلم كاتب عربى مشرق العبارة تخصص فى ترجمة أعمال لودفيج هو عادل زعيتر . وقد صدرت هذه الرواية عن دار المعارف فى مصر حتى لا يقال أنها طبعت فى مكان خارج مصر مما سوغ اعادة طبعها من جديد فى مصر ولو بترجمة أقل مستوى .

المشروعات الكبيرة

وعندما ننتقل بعد ذلك الى المشروعات ذات الطابع الخاص سنجد انفسنا ازاء اكثر اقسام الخطة أو الاصدارات جدارة بالاحترام . والقسم الاول من هذه المشروعات هو [دوائر المعارفوالقواميس والقوائم البيليوجرافية] وهى فىالواقع أشياء من صلب عمل هيئة عامة للنشر وان كان حصاد هذا القسم ضئيلا فان ما صدر فيه جدير بالتشجيع .

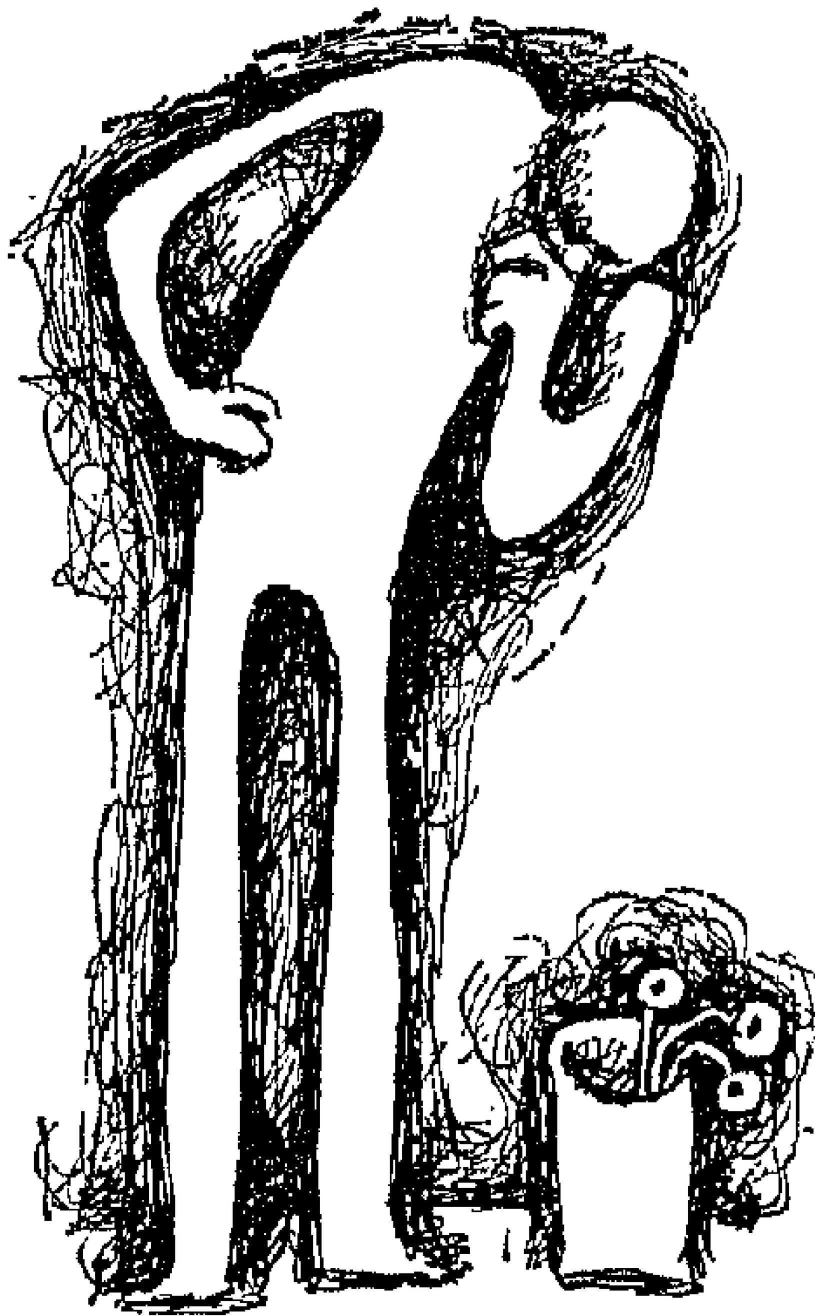
اما القسم الثانىمنهذه المشروعاتفهو [الاعمال الكاملة فى الفكر العالمى] وهذا شىء آخر من صلب عمل هيئة عامة للنشر . وقد صدر فيه ثلاثبدايات لاعمال كاملة لافلاطون وفيرجيليوس وبرجسون ثم استمرار فى اصدار بعض أجزاء من أعمال ديستويفسكى التى بدأتها الهيئة قبل سنوات . وإذا كنا نعترف باهمية اصدار الاعمال الكاملة لافلاطون وفيرجيليوس فاننا لاندرى ما هو سر اختيار برجسون بالذات .. ربما لان الهيئة قفزت على عدد كبير من الفلاسفة الكبار فكان عليها أن تتريث عن صاحب القفزة الحيوية . لكن السر فيما يبدو هو أن الدكتور سامى الدروبى مولع بهذا الفيلسوف ومترجم لاهل أعماله وهى صادرة بالفعل فى مطبوعات « الاوابد » بدمشق . لكن هذا مبرر يحسب على الهيئة ولا يحسب لها . وقد كان على الهيئة وهى تختار فيلسوفا حديثا لاصدار أعماله الكاملة أن تفكر قليلا فى هذا الامر . وأن تضع فىهذا المجالنوعا منالاولويات التى تستمدها من اتجاه الدولةنحو السير فى طريق التنمية والتطور الاجتماعىصوب الاشتراكية .

أما القسم الثالث من المشروعاتذات الطابع الخاص وهو المخصص لنشر الاعمال الكاملة فى الفكر العربى فلم يصدر فيه شىء ، بحجة أن الكتب لم ترد من السادة المكلفين بتحقيقها . ولا يبقى بعد ذلك فى هذه المشروعاتسوى

الكتب الخاصة . وهى مترجمات من طراز ثقافى ثقيل . أصدرت الهيئة فيها أربعة أجزاء من أربعة كتب كبيرة ، وكتاب خامس . وهى الجزء الاول من الطبعة المختصرة من [الغصن الذهبى] والجزء الثانى من المجلد السادس من [تاريخ البشرية] ، والجزء الاول من كتاب مونرو [تطور الفنون] ، والجزء الثانى من كتاب هاوزر (التاريخ الاجتماعى للفن] والذى ترجمته بالعنوان الخاطىء [الفن والمجتمع عبر التاريخ] هذا بالاضافة الى كتاب باشراف اليونسكو عن [أثر العرب والاسلام فى النهضة الاوروبية] .. واذا كان لدينا من تعليق على هذا القسم فهو التقاعس والضمور فلا ندرى مثلا ما هو سبب عدم اصدار الهيئة لجميع أجزاء كتاب مثل [الغصن الذهبى] دفعة واحدة ما دامت تترجم الطبعة المختصرة منه . وتكلف أكثر من مترجم واحد بترجمتها . فقد اشترك فى ترجمة الجزء الاول ثلاثة مترجمين . هذا بالاضافة الى كل ما طرحته حول موضوع المترجمات فى بداية هذه الدراسة من أفكار .

تراث العالم .. وتراثنا

ننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث والاخير من اقسام الخطة والمسمى بالبرنامج العام . وينقسم هذا البرنامج العام بدوره الى خمسة أقسام كبيرة .. أولها بعنوان [فى الاقتصاد والسياسة وعلم النفس والفلسفة] أصدرت فيه الهيئة ثمانية كتب [فى الاقتصاد والسياسة] منها كتابان كان الاولى أن يظهرا فى سلسلة « فى المعركة » .. ومنهما أيضا كتاب ليس واردا بالخطة . وأصدرت سبع كتب فى [علم النفس والفلسفة] وكتب هذا القسم جيدة فى معظمها . وخاصة الكتب الخمسة المترجمة .. فبين هذه الكتب نعثر على كتاب لهربرت ماركوز عن هيجل هو (العقل والثورة) تحاول به الهيئة أن تثبت أنها تواكب أحدث تيارات الفكر الفلسفى . هذا بالاضافة الى كتاب ليندازى عن [نظريات الشخصية] وهو من الكتب الهامة فى مجاله . واذا انتقلنا الى القسم الثانى من البرنامج العام وهو [التاريخ والاثار] سنجد أنه ينقسم بدوره الى ثلاثة أقسام .. أولها [الحضارة والاثار المصرية] وقد صدرت فيه ثلاث كتب ليست فى مستوى خطورة هذا الباب وأهميته .. فالكتب الثلاثة تبحث فى جزئيات تغطيها كتب أخرى بصورة أشمل .. ومن هذه الكتب الثلاثة كتاب واحد مترجم والباقيان مؤلفان . وقد كنت أطمع فى أن يترجم هذا الباب بعض أمهات كتب الحضارة المصرية المعروفة .. أو يقدم بعض نصوصها



التى ترجمت الى مختلف اللغات ولم تترجم الى العربية مثل [كتاب الموتى] أو [نصوص الاهرام] . أما القسم الثانى [التاريخ والاثار القبطية والاسلامية] فقد صدر فيه أربعة كتب: منها كتاب كان الاولى به أن يصدر فى القسم الاول وهو (انقاذ آثار النوبة) لان آثار النوبة التى جرى انقاذها فيما أعلم جزء من الحضارة المصرية ، وأما القسم الثالث فهو (الدراسات والتاريخ الحديث) ويضم أربعة كتب مترجمة ، بعضها سياسى وبعضها ديموجرافى ولكن الهيئة شاءت أن تنشرها تحت هذا العنوان أو تصنفها تحت هذا القسم .

ننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث فى البرنامج العام وهو بعنوان [الفنون والموسيقى والسينما] وهو قسم ينقسم بدوره الى قسمين : أولهما [الفنون] وكانت تزمع اصدار سبعة كتب فيه لكنها لم تصدر فى الحقيقة سوى كتاب واحد . والقسم الثانى [الموسيقى والسينما] وكانت تزمع أن تصدر فيه سبعة كتب أيضا لكنها لم تصدر شيئا .. كفانا حسن نيتها .

القسم الرابع فى البرنامج العام هو (الاداب العربية والعالمية) وسأضم له [كتابات جديدة] حتى أمنع ذلك الازدواج فى التقسيم .. فى هذا القسم وخاصة الجانب العربى منه كان على الهيئة كجهاز يضطلع بالمسئولية الثقافية العامة أن يقدم دون تحيز النماذج الجيدة من كتابات الكتاب الجدد وأن يترك أعمال الكتاب الذين رسخت أقدامهم فى عالم الكتابة للناشرين الخاصين لكننا نجد أنه يقدم فى باب الدراسات الادبية كتبا لمحمود العالم ورجاء النقاش وهما كتاب يرحب أى ناشر تجارى بنشر أعمالهم . وينشر فى باب الشعر ديوانا لسلوى حجازى باللغة الفرنسية لا أدرى لماذا .. فمن يجيد قراءة الفرنسية لن يقرأ شعر سلوى حجازى ، والقارىء العام الذى تتوجه اليه الهيئة فى المحل الاول لا يقرأ الفرنسية .. فما معنى طبع مثل هذا الديوان بمال الدولة العام . وفى باب الشعر أيضا يبدو الى جانب هذا الخطأ الفادح خطأ آخر يحتوى من نفس المنبع . فقد انتهجت الهيئة حيال الشعراء الشبان أسلوب اصدار ديوان مشترك لكل ثلاثة أو أربعة من الشعراء، لكنها حادت عن هذه القاعدة مع الشاعر الناشىء حسن توفيق ، فأصدرت له ديوانا مستقلا . وان كنت أزعم أن بعض الذين أصدرت لهم دواوين مشاركة يفوقونه شاعرية وموهبة .

وفى الوقت الذى تصنف فيه رواية جيدة مثل [الصمت والصدى] ضمن باب الكتابات الجديدة أو بالاحرى الناشئة .. يوضع ديوان حسن توفيق [أحب أن أقول لا] ضمن باب [الاداب العربية والعالمية] وجنبا الى جنب مع ديوان ناظم حكمت [أغنيات فى المنفى] .

يبقى بعد هذا القسم الخامس من البرنامج العام وهو [التراث] وكان الاولى بهذا القسم أن يقدم بعض أمهات كتب التراث فى طبعات علمية وشعبية معا . لكنه لم يقدم من الكتب الثمانية التى أزمع اصدارها سوى كتابين جديدين وكتاب ثالث اعادة طبع أو بالاحرى اعادة تصوير وهو [الاغانى] .. والحقيقة أن اختيار الكتب التى مازالت حية ومعاصرة من كتب التراث وتحقيقها ونشرها بأسعار تتيح للقارىء الاطلاع على ذخائر تراثه من أهم الادوار التى ينبغى أن تضطلع بها هيئة عامة للتأليف والنشر .

وفى النهاية فاننى أحب برغم كل هذه الملاحظات أن أشيد باهمية وجود هيئة عامة للنشر فى بلدنا .. تخلص الثقافة من ربقة التجارة . وتقدم للقارىء من الخدمات الثقافية ما يجعلها طاقة يطل منها الانسان المصرى على المعرفة الانسانية الرحيبة . وان قسوة ملاحظاتى لا يمكن ولا ينبغى أن تفسر على أنها هجوم على الهيئة لانها فى الواقع بنت حلمنا جميعا بنشر ثقافى من طراز رفيع ، وهو حلم لا يمكن وان يمكن أن يتحقق الا من خلال هيئة عامة للنشر . تحول بامكانيات الدولة الكبيرة أمننا وصبواتنا فى مكتبة عربية متكاملة وعلى مستوى المكتبات المتوفرة فى اللغات الاخرى الى حقيقة ملموسة . يطل عبرها الانسان المصرى بحق على كل منجزات العقل البشرى فى مسيرته العظيمة منذ فجر الحضارة المصرية وحتى اليوم .

شهادات واقعية [٢]

نجيب محفوظ



● ٦٠ عاما

● يكتب القصة القصيرة والطويلة منـــذ خمس وثلاثين عاما ، ويعده النقاد مرحلة كاملة في تاريخ الرواية المصرية • من بين اهم أعماله « ثلاثية بين القصرين » و « أولاد حارتنا » و « ثرثرةفوق النيل » •

● كان رئيســا لمجلس ادارة مؤسسةالسينما ، فمستشارا فنيا لوزير الثقافة حتى انتهت مدة خدمته الحكومية آخر العام الماضي • وقــد انضم مؤخرا الى هيئـة تحرير « الاهرام »

أول شيء نلاحظه على هذه الخطة أن بها مجموعة من الكتب المفيدة في أبوابها المختلفة ، تسيطر عليها فكرة تقديم ثقافة عامة في كافة المستويات • وهي تقدمها على أساس أنه في كل كتاب تقـرأ تستفيد • فلا يخلو كتاب منها من قيمة وفائدة للقارىء • واذا كانت هذه الكتب ميسرة من حيث الثمن فتكون الهيئةبذلك قد قدمت خدمة ثقافية جليلة يجـب الاعتراف بها •

وأما الملاحظة الثـانية ، فهـي أن التقسيمات في هذه الخطة ليست حاسمة وكثيرا ما تكون متداخلة •

واذا انتقلنا الى الجانب الفكرى فانه من الصعب أن نستبين وجود منهج فكرى واضح وراءها • بل أكثر من هذا أنه ليس هناك توافق بينه وبين فكر الدولة المفروض أنه فكر اشتراكى • ولم يكن ثمة مانع من ان يكون هناك منهـج اشتراكى أساسا مع فتح النوافذ الاخرى لما هو انساني، والا كنا سنبدأ ثقافتنا من منتصف القرن التاسع عشر • وكان يمكن أن يظهر هذا المنهج الاشتراكي في اختيار التراث والادب العالمي والمحلى • وليس ثمة بأس بعد استكمال الاشياء الاساسية من فتح النوافذ وخاصة أنها صدرت عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، اذ يجب أن تعمل المؤسسة على تربية المواطن بصورة تجعله منسجما مع الدولة •

وعندما نظرت في الخطة فانني لم احس بأن هنـاك خطة بعيدة المدى وأخـرى عاجلة ، انما هناك خلط واضح وعشوائيه بادية •كما أن العناوين أحيانا تكون أكثر من الموضوع بدون مبرر • مثال ذلك أن تقدم روائع المسرح العالمي أو الرواية •

واذا بي لأجد ، لا روائع ولا مسرح ولا رواية • ومن هنا يجب ان تكون المسميات في حدود الطاقة • ولا أحد يطالب الهيئة بأكثر من ذلك • كما ألاحظ كذلك ضعف الجانب النظرى والتطبيقي السياسي في هذه الخطة ضعيف للغاية • ولست في حاجة الى الاشارة الى الاهمال الواضح للطفولة •

وأنا شخصيا يهمني بالدرجة الاولى وضع خطة بعيدة المدى للثقافة تضع تحت يد القارىءكل أساسيات التراث الانساني الكبير بصورة تمكن القارىء الذى لا يعرف غير اللغة العربية من استيعاب المجهود البشرى الذى وصل بالانسان الى الحضارة الحديثة • ولا يتاتى هذا الا من خلال لجان مختلفة تـوصلنا الى كل أساسيات الفكر في شتى فروع المعرفة من أدب أو علم وفلسفة وحضارة •• الخ • وذلك بلجان من المتخصصين من كبار أساتذة الجامعة أو من في حكمهم • تضع كل الاساسيات الموجهة والعلامات البارزة التى بلورت هذه المادة • بصورة يلخص من خلالها التراث الانساني في عدد من الكتب عليك ان تترجم في كل خطة عدد منها ، بحيث انه في عدد محدد من السنين تكون قد انجزت كل هذه الخطة التى يستطيع القارىء العادى ان يتعرف من خلالها على منجزات العقل الانساني • وبالطبع فان التراث العربي او الاسلامي يندرج ضمن هذه الخطة •• وعلى وجه التحديد الكتب التي اسهمت على هذا المستوى في صياغة العقل الانساني •• اما ما عدا ذلك فيدخل في نطـاق التخصص •

هذه هي أول سلسلة على الهيئـة اصدارها •• أما السلسلة الثانية فهي سلسلة للمترجمات ايضا تكون مهمتها ملاحقة كل الكتابات المعاصرة والجديدة في الفنون والفكر ما دامت مكتبتنا العربية مغلقة نسبيا في وجه استيراد الكتب الحديثة •ولا أطالب الهيئة باكثر من هذا لانى أريدها أن تقوم اساسا على الترجمة كما حدث في عصر المامون او بالتاليف ان تعذر الترجمة في هذا • انى اريدها أساسا هيئة ترجمة ، ولا يحل التاليف فيها الا وقت تعذر الترجمة في موضوع ما •

اما التاليف فتقتصر فيه على نشر مؤلفات الاجيال الحديثة بغية اكتشاف المواهب وتدعيمها في مختلف اوجـه النشاط من أدب وفكر وفن خاصة وأن التاليف في العلم والانسانيات ليس فيه شيء اسمه ناشيء ، وأن تـكون لهذه الاجيال الجديدة عدة سلاسل أحدها في الشعر والاخرى في القصة وهكذا •• وهذا هو سبيل تثقيف القارىء المصرى ثقافة عالمية •

د. عبدالرازق حسن



مدير عام وعضو مجلس ادارة بنك مصر • وشغل فى السنوات الاخيرة عدة مراكز هامة في مجال النشر والسينما ، اذ كان عضوا بمجلس ادارة مؤسسة التاليف والترجمة والنشر ورئيسا لمجلس ادارة شركة القاهرة الانتاج السينمائى ، كما يواصل التدريس فى الاقتصاد فى الجامعة حاليا كعمل اضافى •

من دراسة خطة النشر لسنة ٧١/٧٠ لهيئة التأليف والنشر ، يتبين انه ليست لها أهداف واضحة فالموضوعات مشتتة ولا يبدو أن هناك فكرة فيها أكثر منطبع ما يقدم من كتب او ما سبق أن اتفق عليه بغض النظر عن وحدة الهدف او حتى الوحدة الفكرية . والخطة بهذا الوضع أوفى مما يمكن ان تقوم به دار نشر خاصة تهتم على الاقل بموضوعات الساعة لانها لا تكترث بطبع الا مايكون عليه طلب ملح حتى يدور راسمالها .

والملاحظ ان اكثر من ثلثى الموضوعات المنشورة ادبية ويقل نصيبالموضوعات العلمية والاقتصادية والاجتماعية عن الخمس مما يحدد اتجاه المشرفين على الخطة .

وبعض الموضوعات سبق أن قتل دراسة وبحثا ولا يبدو فيما صدر انهاتى بجديد مثل أعمال افلاطون ورجسون والمسرح الاغريقي وكليوباترا والحج الى بيت الله الحرام .

وبعض المسرحيات والقصص كانيمكن لكتابها ان يصدروها على حسابهم او تتولى ذلك دور نشر القطاع الخاص ولا نعتقد انها تتردد فى ذلك كمسرحيات فاروق خورشيد ونعمان عاشور والفريد فرج وسعد وهبه ومعين بسيسو،الااذا كان الهدف طبع المسرحيات التى تخرجها هيئة المسرح .

وهناك مجالات قد خلت تماما من الخطة كمكتبة الطفل التى تزخر بما يصدره فيها القطاع الخاص أو تبعثبها جهات اجنبية مشحونة بآراء وافكار متعارضة مع فلسفتنا العامة . كما خلت من الموضوعات التى تتصلباوضاع العالم العربى وما يدور فيه منصراعات وارتباطاته بالعالم الخارجى ، وموضوعات البترول والدول النامية والاستعمار الجديد والافكار السياسية والاقتصادية المعاصرة ومشاكل افريقيا الخ ..

وقد ثارت فى السنوات الاخيرة مشكلة نقص أو عجزالدراساتالتاريخية المصرية والعربية ومشاكلنا التربوية والاسكانية والنفسية وهناك من يمكنه معالجتها بكفاية لو رجعنا الى القسم الادبى فى اهرام الجمعة .

والاتجاهات الفكرية التالية فى خطة النشر هى الاتجاهات التقليدية وهى نفسها الاتجاهات السائدة فى القطاع الخاص . ولا يلمس الانسان فيالكتابات حتى الادبى منها الا أطيافا من الفكر التقدمى وبغض النظر من الموضوعات المعالجة فنعتقد أنه كان يمكن ان تعالج بفكر عصرى تحليلى .

ولعله لولا الكتب الست فى « سلسلة فى المعركة » لكان شكل الخطة غريب ، لا يعرف الانسان هلهى خطة في السبعينات او الثلاثينات ؟ وهل تصدرها هيئة عامة او مشروع خاص .

وبعض الكتب المنشورة كانيمكن ان تتولاها بدرجة اكبر من الكتابة اجهزة اخرى كالمجلس الاسلامى او الجمعية التاريخية .

واذا كان الامر كذلك فلنا ان نقدر الناقدين فى الخارج اذا تصوروا انه لم يحدث تغيير نتيجة التحول الاشتراكى او ان القطاعات الثقافية تتحكم فيها عناصر بعيدة عن اسلوب العصر فى المعالجة ولا نقول فلسفته الجديدة .

والآن ما هو حجم الدراسات الاقتصادية فى الخطة ؟

الكتب التى تعالج الموضوعات الاقتصادية والسياسية فى الخطة ضئيلة بشكل ملحوظ والقسم الاكبر منهاترجمة وليست تاليفا ولم يراع حتىالانتقاءفيما ترجم ليكون افضل او انسب ما تقومبه هيئة عامة فى مرحلة تحول اشتراكى وفى ظروف معركة مصيرية .

ولا نجد الا موضوعا متواضعا عن القطن فى الاقتصاد المصرى وهوموضوع قتل بحثا ونماذج من القطاع العام فى الاقتصاديات المتخلفة وكان يمكن أنيفيد ذلك فى اوائل الستينات وليس الان . اما دراسة الصناعة فى مصر ومشاكل التنميةالاقتصادية والتخطيط واقتصاديات العالم العربى واقتصاديات الحرب فهى موضوعات يبدو كما لو أنها غريبة على هيئة النشر العامة .

ويبدو لنا ان هناك خطأ فى تصور أن مهمة هيئة النشر العامة هى طبع الاعمال الادبية او التاريخية او التراث وتجنب الموضوعات المعاصرة او انها جهاز لتشجيع الكتاب المبتدئين او طبع ما يعده بعض الكتاب ولا يتمكنون من نشره او لمواجهة طلب كبير على نوع من القصص لا تحكمه فكرة ويبدو لنا ان المشكلة ترجع الى عدم وجود لجان متخصصة فى الهيئة على مستوى يمكن ان تقترح ما يكتب او يترجم من موضوعات وتعتبر مسئولة مسئوليةادبية عما يصدر لان هيئة النشر فى بلدتعمل لتحقيق الاشتراكية ليست مكانا مناسبا لشغل وظائف ودرجات .

ولا يهم العاملين فيها الا ضمانالعمل المربح او استغلال المنصب لاغراض ليس منها التقدم الفكرى على أى حال.

د. شكرى عازر



ـ من مواليد سبتمبر سنة ١٩٣١

ـ يعمل اخصائيا لامراض الصدر بمستشفى صدر العباسية

ـ شارك فى الحركة الوطنية والاشتراكية المصرية منذ ١٩٥٠

ـ مهتم بالقضايا الفكرية والسياسية ، فقد شارك فى ترجمة كتاب « المخ والعمل » فى سلسلة العلم للجميع بدار الكاتب العربى ، وكتب سلسلة من المقالات عن حقيقة اسرائيل والصهيونية بمجلة الكاتب ، وشارك فى اعداد وكتابة دراسة تحليلية حول قضية الصراع العربى الاسرائيلى للمركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية بمؤسسة « الاهرام » وقد نشرت « الطليعة » ملخصا له أخيرا •

ـ يساهم فى تحرير « تقارير العلوم » بمجلة الطليعة

من الصعب تحديد اتجاه فكرى معين يسود هذه الخطة ويرجع ذلك فى المحل الاول الى عدم تحديد هيئة النشر لهدف واضح تسعى لتحقيقه . فمن الملاحظ أنالخطة تحتوى على الكثير منالسلاسل والابواب ولم يتحدد لكل سلسلة أو مكتبة مقاييس معينة

وكذلك يلاحظ تخلف الخطة عن نشر احدث ما توصل اليه العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وحتى الجديد فى الادب والفن والمسرح . فاذا كان هناك اتجاه غير منظم لنشر التراث القديم فى الادب والتاريخ والفكر فيجب أن يسير الى جوار هذا الاتجاه كل ماتفيض به الانسانية من فكر جديد فى كافة جوانبه

الحياة العلمية والفنية والثقافية وهذا نادر الوجود فى الخطة .

● حول النشر العلمي

وينعكس نفس الكلام السابق على الجزء الخاص بالعلم . فحجم العلم فى الخطة لا يتناسب مع ما للعلم اليوم من أهمية عالمية ودور هام وخطير بالنسبة لدول العالم وشبابها . هذا الى جانب عدم وجود هدف واضح أو تخطيط ثابت للمكتبة العلمية ، فهل تناقش مثلا طالب الثانوى أم الطالب الجامعى أم الرجل العادى فى القرية أو المدينة أم القارىء المتخصص أم تخاطبهم جميعا ؟

ومشكلة النشر العلمي فى بلادنا مشكلة كبيرة ومعقدة تحتاج الى دراسة جادة . ويجب على دور النشر أن تخصص أكثر من سلسلة تخاطب الفئات المختلفة تبدأ من الطفل وتقدم له القصص العلمية المسلية . وسلاسل اخرى مبسطة تقدم للشباب تربط بين دراساتهم فى المدارس والجامعات وبين أحدث التطبيقات العلمية في علوم الطبيعة والرياضة والكيمياء والطب وغيرها .

والجانب الاخر هو نشر المعرفة العلمية المتخصصة فى الفروع المختلفة وتوفيرها للمتخصصين عن طريق تلخيص الابحاث العالمية المتخصصة ونشر الابحاث العلمية المحلية التى تزخر بها المعاهد والجامعات ولا تجد مكانا فى دور النشر رغم أهميتها وارتباطها بكثير من مشاكلنا التى تبحث هيئات أخرى محلية عن حل لها فضلا عن جماهير القراء المهتمين بهذه المشاكل .

● هل هناك تخطيط واضح ؟

لاأعتقد أن هناك تخطيطا واضحا وراء الخطة ، ولو كان هناك تخطيط لكان أبسط مافيه أن يساير الاتجاه العام الذى يشغل جماهير القراء وهو تحرير الارض وبناء الاشتراكية وتخدم هذا الهدف كل ابواب الخطة من أدب وفن وموسيقى وعلم نفس وتراث وتاريخ وعلم الخ ..

وبينما يكثر الكلام هذه الايام عن العلم والتكنولوجيا وضرورتهما لبناء الدول الحديثة نجد أن الخطة لا تقدم شيئا ذو ثقل فى هذا الاتجاه كما لو كنا نعيش فى واد والعالم كله فى واد آخر .

من هذا نرى أن الخطة ليست خطة بمعنى أنها مشروع مدروس طبقا للاحتياجات الفعلية للبلاد فى هذه المرحلة بالذات ، ولكنها مجموعة من الكتب التى تيسر جمعها ونشرها وفقا للظروف . هذا بينما تزخر مكتبات الدول المتقدمة بالكتب القيمة التى يمكن أن تقدم جديدا للقارىء العربى وتطلعه على آخر ماوصل اليه الفكر الانسانى فى المجالات المختلفة .



سيد ياسين

● ٣٧ عاما

● باحث اجتماعي بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ورئيس وحدة البحوث الاجتماعية بمركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالاهرام .

● من مؤلفاته « أسس البحث الاجتماعي » و « دراسات في السلوك الاجرامي » و « التحليل الاجتماعى للادب » .

ليس من اليسير فى الواقع ، اذا اطلعنا على قائمة الكتب التى أصدرتها هيئة التأليف والنشر أن تستخلص الاسس التى قامت عليها خطة النشر . فتلك مهمة تحتاج الى الاطلاع على المذكرات والتقارير التى وضعت الخطة على أساسها . ولذلك فملاحظاتنا على الخطة أشبه ماتكون بالتعليق على قانون بغير الاطلاع على مذكرته الايضاحية .

ومع ذلك نستطيع ببعض الجهد أن نضع أيدينا على الاعتبارات الاساسية التى وضعتها الخطة فى الاعتبار .

١ - يبدو أن أول هدف للخطة كان محاولة التوفيق بين الاهتمام بالانتاج العالمى وبالتراث العربى . وبالانتاج العربى المعاصر .

ويبدو الاهتمام بالانتاج العالمى من تخصيص سلسلة للادب العالمى المعاصر (وان كان لم يقدم منها للنشر سوى كتاب واحد هو أ . أ . كمنجز تأليف د . زاخر غبريال) وسلسلة مسرحيات عالمية وقد صدر منها سبع مسرحيات من ١٢ مسرحية كان مقدرا لها الصدور ، وسلسلة روايات عالمية التى صدر منها ٦ روايات من ١٢ رواية كان مخططا لها .

كل ذلك بالاضافة الى الاعمال الكاملة فى الفكر العالمى والتى نرى فيها اسماء أفلاطون وفرجليوس وهنرى برجسون ودوستويفسكى .

فاذا انتقلنا الى مجال الاهتمام بالتراث القومى نجد أن الخطة اهتمت بكتاب الاغانى فاعادت طبع الاجزاء من ١١ الى ١٦ وطبعت الاجزاء من ١٨ الى ٢١ وكذلك نجد كتاب لطائف الاشارات للقشيرى ومختصر تفسير الطبرى ، والنجوم الزاهرة .

ويبدو الاهتمام بالانتاج العربى المعاصر فى سلسلة مسرحيات عربية التى نشر منها تسع مسرحيات أى أن الخطة قد نفذت بالكامل . ويعنينا بوجه خاص بالنسبة لهذا الهدف الاول من أهداف الخطة مناقشة مسألتين : الاولى ترجمة ونشر الاعمال الكاملة ، والثانية الخاصة بالتراث .

وفيما يتعلق بنشر الاعمال الكاملة نجد أسماء دوستويفسكى وبرجسون ، ويثور هنا التساؤل : هل هناك تصور واضح لما ينبغى أن يكون عليه موقفنا من مسألة نشر الاعمال الكاملة للادباء والمفكرين بوجه عام ؟

لقد تأخرنا تأخرا ملحوظا فى نقل الاثار الفكرية والادبية الكبرى التى أثرت بالفعل فى مجرى تاريخ الفكر الانسانى . فما هى الخطة المثلى التى ينبغى اتباعها بالنسبة لترجمة هذه الاعمال . هل تكون الوحدة التى تعتمد عليها هى المؤلف بمعنى انتقاء المفكرين البارزين ايا كان معيار هذا الانتقاء أم يكون الاساس هو المدرسة الفكرية وبالتالى نقنع بعرض الاعمال البارزة الشاهدة على فكر المدرسة أم نعتمد على فكرة الحقب التاريخية التى شهدت التطورات ذات الدلالة فى مجرى الفكر الانسانى .

كل هذه أسئلة تثار على الفور بالنسبة لمسألة نشر الاعمال الكاملة للادباء والمفكرين ، وان لم يوضع اطار نظرى واضح يحكم عملية ترجمة ونشر هذه الاعمال ، فمن السهل اثارة الاعتراضات على نشر الاعمال الكاملة لروائى دون آخر ، أو لفيلسوف دون غيره . اذ يمكن أن يقال لماذا دوستويفسكى مثلا ، ولم لا يكون بلزاك ؟ ولماذا برجسون على وجه التحديد تنفق الجهد فى ترجمة كل أعماله مع أنه يمثل فترة من فترات أزمة الروح الاوروبية وهبوطها ؟

قد يكون من الانسب — من وجهة نظر البعض - الاكتفاء بالترجمة الكاملة لابرز عمل من أعمال الاديب أو الفيلسوف مع الاهتمام بتأليف دراسة تحليلية تتناول بالعرض النقدى كل أعماله ، وذلك حتى يمكن الاحاطة بآثار عشرات الادباء والمفكرين الذين يستحقون التعريف بهم وبأعمالهم .

ليس هناك اجابات جاهزة على كل هذه التساؤلات ، والمسألة تحتاج الى وضع قواعد واضحة تحكم هذه العملية ، حتى لا تخضع للمزاج الفردى ، أو لتحمس المترجمين لمفكر أو لاديب دون آخر .

أما مسألة التراث فمن الصعب - من مجرد قراءة عناوين الكتب التى صدرت - معرفة ما هى المعايير التى تحكم الاهتمام بمؤلف دون غيره أو بكتاب معين لمؤلف دون سائر كتبه . وهى - كما أشرنا - فى صدر هذا المقال لابد أن تعتمد على الموقف النقدى الذى ينبغى بلورته مبدئيا ازاء التراث قبل الخوض فى عملية النشر .

٢ - ويبدو أن الهدف الثانى من أهداف الخطة كان هو الجمع بين التعمق من ناحية والتبسيط من ناحية أخرى .

ويكشف عن محاولة الموازنة بين ثقافة الصفوة وثقافة الجماهير • تخصيص المكتبة الثقافية لتكون سلسلة جماهيرية ، وكذلك سلسلة العلم للجميع • بالنسبة للمكتبة الثقافية اذا اطلعنا على الموضوعات التى غطيت نجد من بينها موضوعات هامة بالفعل ، مثل : علم اللغة الحديث للدكتور محمود فهمى حجازى ، والنقد الانجليزى المعاصر لماهر شفيق فريد ، وعبد الرحمن شكرى للدكتور أنسى داود ، والقانون والقيم الاجتماعية للدكتور نعيم عطية ، والتعبيرية فى الشعر للدكتور عبد القادر مكاوى ، ومع الموسيقى للدكتور فؤاد زكريا •

أما سلسلة العلم للجميع فقد صدر منها ١٢ كتابا تتضمن التعريف ببعض الموضوعات العلمية الهامة ، غير أنها توقفت للاسف نتيجة للتعثر فى اصدارها •(كان مقررا أن يصدر منها ٢٤ كتابا) •

٣ ـ وكان من بين أهداف الخطة مراعاة نوعية الجمهور ومحاولة اشباع الحاجات الثقافية للراشدين والصغار ، ويبدو ذلك من مكتبة الطفل التى كان مقررا أن يصدر منها ٨ كتب غير انه لم يصدر منها ولا كتاب •

٤ ـ ويظهر أن الخطة هدفت الى مراعاة التكامل فى النشر فحرصت على اقامة التوازن بين نشر المسرحيات المترجمة والمصرية وكذلك دواوين الشعر ومجموعات القصص والروايات والاهتمام بالنشر فى مجال الفلسفة والاقتصاد وعلم النفس •

واذا نظرنا للخطة نظرة اجمالية يمكن القول انها أغفلت الاهتمام بدراسات علم الاجتماع اغفالا واضحا ، مع أن هناك رسائل ماجستير ودكتوراه عديدة فى هذا العلم الذى يتطور فى بلادنا بصورة ملموسة ، وكان يمكن السعى لنشرها توسيعا لدائرة الفهم العلمى لحركة مجتمعنا ولاتساقه ولقيمه فى المرحلة التاريخية الحاسمة التى يمر بها فى الوقت الراهن •

ولا نجد من ناحية آخرى اى اثر للاهتمام بمشكلات العصر كالثورة العلمية والتكنولوجية وقضايا العالم الثالث المتعددة •

غير أننا لكى نكون منصفين ، فلابد أن نؤكد أن خطة النشر فى القطاع العام للدولة ينبغى أن تبنى على سياسة ثقافية مدروسة يشترك فى وضعها أعلام المفكرين والمتخصصين فى بلدنا ، من خلال جهاز له سلطة التخطيط على أعلى مستوى ، ولعل ذلك الهدف يمكن تحقيقه من خلال المجالس القومية المتخصصة التى نامل أن تستطيع أن تسد الثغرات الواضحة بين التفكير والتخطيط والتنفيذ •



محمد أبو سنه

- ٣٤ عاما
- أحد شعراء المدرسة الحديثة الشباب ، صدر له ديوانان « قلبى وغازلة الثوب الازرق » و « حديقة الشتاء » ومسرحية شعرية « حمزة العرب » وكتاب « فلسفة المثل الشعبى » •
- يعمل محررا بالهيئة العامة للاستعلامات •

اننى افترض دائما ان اية خطة قومية لنشر الثقافة العامة والخاصة فى بلادنا لابد ان تستجيب لالحاح الظروف الاستثنائية التى نعيشها ولكن فى اطار من الشمول يستوعب مفهوم هذه الظروف لا من جوانبها السياسية والعسكرية فحسب ، ولكن من جوانبها الحضارية بشكل أساسى ولقد نظرت لخطة وزارة الثقافة للنشر لعامى ١٩٧٠ و ١٩٧١ كمواطن اولا قبل أن أحاول اشباع طموحى كأحد المهتمين بنوع متخصص من الانواع الادبية وهو الشعر ـــ وقد لاحظت الفقر الواضح فى هذه الخطة فيما يتعلق بالجوانب الملحة من ظروفنا وموقفنا الصعب .. فرغم ان البند الخاص بكتاب المعركة يضم ٦ كتب الا ان الكتب التى ينتمى موضوعها مباشرة الى هذا البند لاتزيد عن ثلاثة كتب . وقد راعنى مثلا ان البند الخاص بكتب الاطفال لم ينفذ منه شىء ، وكذلك الاعمال الكاملة فى الفكر العربى باستثناء « الطهطاوى » وكذلك البند الخامس بالموسيقى والسينما . ولانكاد نعثر على اكثر من كتاب واحد فى الفنون العسكرية حيث ورد بالخطة كتاب « اصول المعرفة العسكرية » ولنا ان نسجل فى اول ملاحظاتنا ان الخطة تفتقر الى التوازن الذى يملا جوانب احتياجاتنا الاساسية ولعل الملاحظة الثانية هى العجز الواضح فى تنفيذ ما التزمت به الخطة ، فبالاضافة الى وجود بنود كاملة لم ينفذ منها شىء ، فان معظم البنود الاخرى تعجز عن الوفاء بالحد المقرر لها . ولعل البنود الاتية اوضح مثال على ذلك وهى « العلم للجميع » ، و « روايات عالمية » و « الدراسات الادبية » و « القصص العالمية » . ونلحظ التداخل كذلك بين ابواب هذه الخطة ، فنجد أن المكتبة العربية وهو باب يفترض فيه انه يختص بالموضوعات ذات الطابع العربى تضم كتبا مثل « التمثيليات التلفزيونية » ، و « السينما اليوم » ، رغم وجود بند للموسيقى والسينما والفنون لم يصدر منه شىء . ولعل الحاجة ملحة كذلك فى خطة شاملة للنشر فى البلاد الى التعبير عن حيوية الثقافة الجديدة التى يبدعها الشباب ، هذه الثقافة التى تمثل رؤية للواقع اقرب ماتكون الى حقيقته ، لانها رؤية مثقلة بالاهتمام به والطموح الى نقله الى ارفع مستوى له . وهذه الثقافة الجديدة تتطلع الى التعبير الحر عن نفسها ، وذلك من خلال ابداعها لاشكال وانماط جديدة لابد من طرحها على الوجدان القومى حتى تعثر هذه الاعمال على حياتها الحقيقية . ومن ناحية اخرى فان حركة الثقافة الحديثة تنتظر من الخطة تلبية وافية لحاجات نموها ونضجها .. فاذا نظرنا الى النسق الاول نرى ان الخطة قد لجأت الى التراكم الكمى عن طريق الجمع بين المجموعات القصصية المتقاربة فى المستوى او السن ، وهذا الاسلوب قد طمر الملامح الاساسية والجيل الذى حظى بهذه الفرصة ولايتناسب العدد الضئيل الذى صدر من المجموعات القصصية سواء المشتركة او المفردة مع حجم الحركة القصصية الشابة فى مصر بل أن ضغط هذه الحركة فى نماذج قليلة كان يراد به كبح جماحها أكثر مما قصد به التعبير عنها . وفى الشعر تروعنا هذه القلة من الدواوين الشعرية التى صدرت للشعراء المصريين وهى ٧ دواوين منها ثلاثة مشتركة واربعة مفردة وديوان واحد مترجم رغم أن حركة الشعر الحديث فى حاجة ملحة لروافد شعرية متجددة ولا تنقطع . أن الشعر رغم انه كان الفن الاول الذى استوعب آلام المرحلة التى نعيشها منذ ١٩٦٧ ، ومايزال قادرا على أن يشحن وجداننا بعزيمة الصمود . هذا الشعر يعانى من اهمال هذه الخطة التى كان اجدر بها أن تعتنى به . ورغم ما تعانيه الخطة من ذبول فى الجوانب الاساسية منها ، الا انها حاولت أن تغنى وتؤصل ثقافتنا باصدار الاعمال الكاملة لكبار كتاب العالم وبالمشروعات الخاصة بالادب اليونانى والفلسفة اليونانية والموسوعات والمعاجم : وكتب التراث ولكن اذا كانت الخطة قد قصرت فى الوفاء بالتزامات طموحها فقد عجزت كذلك عن ارضاء طموحنا •

موقعه الحطة المصرية بين الماضى والمستقبل

[٣]

سعيد

غالى شكرى

لعله من البديهيات المقررة سلفا ان تاميم الدولة لقطاع ما من النشر ، يعنى بالضرورة انحيازا من هذه الدولة لنوع معين من الثقافة ، ترى أن القطاع الخاص لا يستطيع او لا يرغب أو يعارض فى القيام بدوره نحوها . ومن البديهيات أيضا ، أن البديل للحس التجارى عند القطاع الخاص هو التخطيط عند القطاع العام .. فالناشر الفردى ، أيا كان اتجاهه الفكرى وارتباطه الاجتماعى يستهدف الربح ويتعامل مع قوانين السوق بما يملك من قرون استشعار ، يتحسس بها التيارات الرائجة . ويتفاوت الامر بين ناشر وآخر حسب حجمه التجارى فى السوق وامكانياته الشخصية فى التعرف على اتجاهات القراءة ، وملكاته الخاصة من حيث طول النظر أو قصره فى رؤية الظواهر الجديدة والمتقلبة . أما الدولة الناشرة فانها تواجه بقطاعها العام مسألتين متوازيتين : الاولى هى أن الكتاب فى البداية والنهاية سلعة كبقية السلع ، تشترك فى صنعها وتقديمها للناس أطراف متعددة ، منها شركات الورق والمطابع والتوزيع . والمسألة الثانية هى أن تاميم النشر الذى يعنى انحيازا ضمنيا من الدولة لنوع معين من الثقافة ، يستوجب النظر الى الكتاب على أنه ليس سلعة فحسب ، وانما هو خدمة عامة أيضا . وقد عمدت الى استخدام تعبير « نوع معين من الثقافة » فيما تنشره الدولة ، لانى لا اقصد بانحيازها تبنى اتجاه فكرى وحيد ومحدد ، وانما أقصد بالضبط ذلك النوع من الثقافة الذى لا يستطيع الناشر الخاص أن يتحمل أعباءه المادية كالمراجع الكبرى فى تاريخ الثقافة الانسانية ، وذلك النوع من الثقافة الذى لا يرغب الناشر الخاص فى تحمل مخاطره التجارية كالاعمال الادبية عموما وكتابات البراعم الشابة خصوصا ، وذلك النوع من الثقافة الذى يرفض الناشر الخاص ويعارض نشرها لانها لا تلتقى مع تفكيره السياسى ولا تتفق مع وجدانه الشخصى .

والناشر الخاص رغم الحس التجارى الذى يعمل كالرادار فى التقاط الظواهر القريبة والبعيدة ، فانه لا يستبعد « التخطيط » من ادوات عمله التجارى ، لان عشوائية السوق من وجهة نظره تتطلب خطة سريعة الحركة تواجه الثابت والمتقلب من ظواهر القراءة . وهو الى جانب اعتباره الكتاب سلعة أساسا ، فانه فى واقع الامر يقدم من زاوية أخرى خدمة عامة لجماهير الاتجاه الذى يتبناه . أما الدولة الناشرة فان التخطيط لديها يتخذ لنفسه مجرى آخر ، لا تتحكم فيه — رغم الجانب السلعى — قوانين السوق تحكما كليا ، فالربح والخسارة فى تخطيط القطاع العام للنشر لا يضع صوب عينيه سيولة راس المال ، والعائد الى الخزينة ، بقدر ما يضع فى اعتباره شيوع الثقافة التى يستهدف الوصول بها الى اوسع رقعة جماهيرية قارئة من ناحية ، واكتمال لوحة الفكر الانسانى وتراث الضمير البشرى فى مخيلة العاملين فى كافة ميادين الفكر .

وتخطيط الدولة ، تبعا لذلك ، لا يأبه كثيرا بقوانين العرض والطلب فى اشكالها الموروثة والمعدلة عن الاقتصاد الراسمالى وانما يخضع التخطيط فى القطاع العام للنشر ، للدراسات الميدانية الواسعة التى يقوم بها المتخصصون فى العمل الاحصائى ، بحيث يرصدون اتجاهات القواعد القارئة واحتياجاتها ، واتجاهات الابداع المحلى فى مختلف مجالات المعرفة واتجاهات الفكر العالمى المعاصر ، واتجاهات المكتبة المحلية القائمة بالفعل ، ثم تقدم نتائج هذه الدراسات والاحصائيات الى لجان فعالة يشارك فيها المثقفون وممثلو الشعب والدولة : أمامهم جميعا صورة تقريبية للواقع الخام بكافة عناصر الانتاج والاستهلاك ، وعليهم جميعا اتخاذ « القرار الثقافى » المتفق مع الاهداف العليا للتخطيط ، وهى انحياز الدولة هذه الناحية أو تلك من نواحى الفكر والحضارة .. فالتخطيط ليس تلبية عاجلة لما تقوله الارقام والوقائع وانما هو ثمرة التفاعل الديموقراطى بين الراى والتوجيه والواقع الخام . هذا التفاعل وحده هو الذى يحدد لنا قبل التخطيط لعام واحد ، أو حتى لخمسة أعوام ، استراتيجية القطاع العام للنشر فى بلادنا . وعلى ضوء هذه الاستراتيجية ذات الرؤية الشاملة لواقعنا المحلى والقومى والعالمى ، تتحدد مراحل التنفيذ فى اطار بالغ المرونة لاستيعاب الجديد فى دنيانا الدائبة التغير ، وامتصاص الابداعات الفنية الخالقة التى لا يمكن ضبط ايقاعها المتوتر دوما ، والملهم ببصائر ترى احيانا ما هو أبعد من اللحظة العابرة

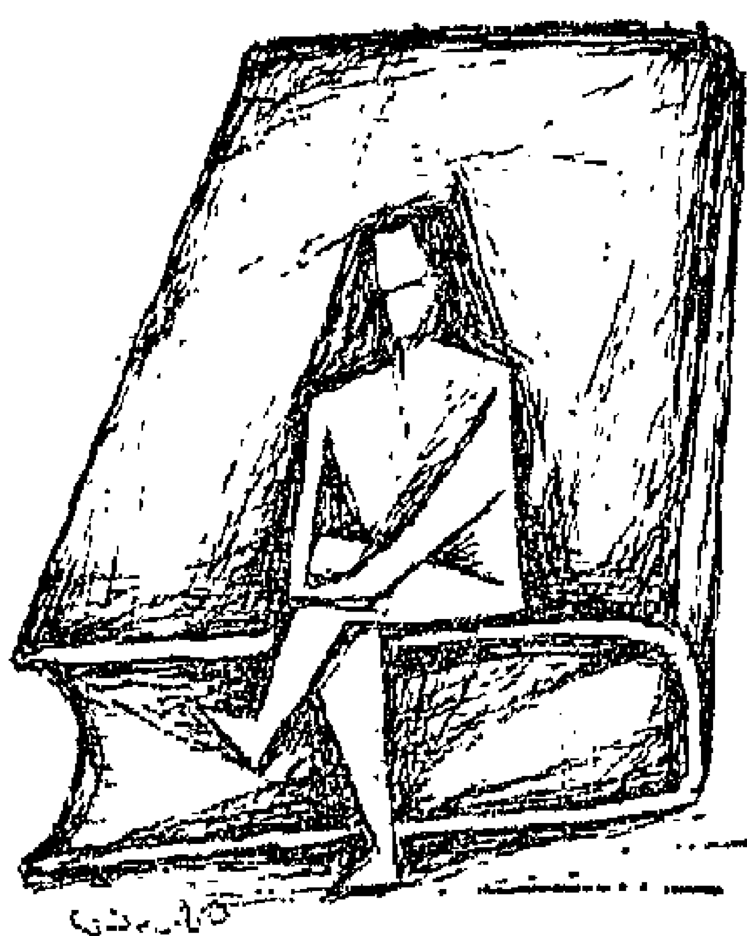
حوار الارسال والاستقبال

والفكر المصرى الحديث فى عصره الليبرالى مدين بثماره العظيمة للناشر الخاص ، ولكن هذا الفضل للقطاع الخاص فى النشر قبل عام ١٩٥٢ أو حواليها يرجع بالدرجة الاولى الى مجموعات المثقفين الذين أشرفوا أو شاركوا أو مولوا دور النشر الخاصة بهم أو بالاحزاب والهيئات التى ينتمون اليها .. وبالتالى فقد كانت أهم الاعمال الفكرية والفنية التى صدرت ابان تلك الاونة ، حصادا لتلك الجهود الجماعية المتضافرة من أجل هدف ما وغاية معينة . أما النشاط الفردى الخالص فى حقل النشر ، فقد كان — وما زال الى الان — أسيرا للنظرة التجارية الخالصة التى توجهه الى المطبوعات المدفوعة مقدما كالكتب الجامعية أو الكتب المضمونة على الدوام : فى الدين والجنس .

والدولة التى جاءت لتحل بتنظيمها السياسى الواحد وأجهزة اعلامها ونقافتها مكان الاحزاب والهيئات والجماعات القديمة مرشحة بالضرورة لان تقوم بذلك الدور الكبير والخطير معا ، وهو انجاز مهام المرحلة التاريخية التى قامت خلالها، على صعيد الفكر والفن . واذا كانت الدولة القديمة قد ساعدت ولو بقدر ضئيل فى نشر الثقافة الرفيعة عن طريق الادارة الثقافية التابعة آنذاك لوزارة المعارف ، فان هذه المساعدة كانت على احد الوجوه ترفا وديكورا اجتماعيا ، كما كانت على الوجه الاخر ابرازا للفكر الليبرالى وحماية للثقافة البرجوازيه . أما الدولة الجديدة فلا تحتاج لاية ديكورات ولا لاى شكل من اشكال الترف والزينة الاجتماعية ، وانما هى تحتاج فى مرحلة نضالها ضد الاستعمار القديم والجديد ، ثم فى مرحلة تاسيسها القواعد المادية للتقدم الاجتماعى الى ذلك البناء العلوى من الافكار والقيم التى تعكس من ناحية التكوينات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، وتدفع بها من ناحية أخرى فى طريق التطور .

ولا شك أن خلطا كثيرا قد وقع نتيجة الفهم المغلوط لفكرتى «الانعكاس» و « التوجيه » اللتين تصاحبان دوما قيام الدولة الجديدة — من هذا النوع — بدورها الثقافى .. فالانعكاس لا يعنى مطلقا أن هناك مرآة مصقولة معلقه فى الفراغ تلتقط صورا تلقائية لما يحدث أسفلها فوق الارض ، والتوجيه لا يعنى على وجه اليقين أن هناك آلة خفيه كالعقل الالكترونى تصدر أوامرها غير القابلة للنقض ، وما على البشر سوى الامتثال والتنفيذ الفورى الاعمى . أن عمليتى الانعكاس والتوجيه هما ذلك الحوار الحى الخلاق بين طرفين : اولهما جماهير الثقافة ومبدعيها — أى عنصرى الانتاج والاستهلاك — والطرف الاخر هو وسائل الاتصال بينهما . وعندما تصبح الدولة هى ذلك « الطرف الاخر » فان هذا يستلزم منها تجنيد كافة ما تملكه من امكانيات فى تشخيص ميدان عملها ، وهو الطرف الاول . ويستلزم منها ثانية توفير كل ما تستطيعه من امكانيات فى تسليح ذلك الميدان بما يكفل له النصر فى المعركة التى تتصدى لها . هذه المعركة التى هى فى نهاية الامر معركتها ، ومن ثم فالنصر هو فى الحقيقة نصرها .

ولقد واجهت بلادنا خلال السنوات العشرين التى تنتهى فى يوليو القادم ، مجموعة من التحديات الكبيرة فى الداخل والخارج . وبالرغم من أن التناقض الرئيسى طيلة هذه الفترة ظل بيننا وبين الاستعمار ، الا أن تفريعات شديدة لهذا التناقض تحتم علينا ألا نتصور هذه السنوات العشرين وكأنها مرحلة تاريخية واحدة . انها بغير شك عدة مراحل تتداخل فيما بينها ، ولكنها تتمايز



الواحدة عن الاخرى ببعض السمات الجزئية والعامة . وقد كانت الثقافة التى تنشرها الدولة مدعوة بجدارة لان توضح لنا العام والخاص فى هذه المرحلة وتلك المراحل ، لو أنها كانت انعكاسا دقيقا للبناء الاقتصادى والاجتماعى ولو أنها كانت دفعا وتوجيها لنا فى هذا الطريق من طرق التطور . ولكن الاحصاءات الدقيقة تدلنا للاسف ، على أن بعض ما نشر عام ١٩٧١ على سبيل المثال ، كان يتوجب نشره عام ١٩٥٢ ، وأن ما نشر عام ١٩٥٦ كان خليقا بالنشر عام ١٩٦٤ ، حتى تستقيم الصورة العاكسة للواقع المعكوس ، من وجهة نظر الدولة ذاتها ، وحتى يستقيم التفاعل والحوار بين الافعال وردودها ، بين الاصوات والاصداء . غير أن الحقيقة المؤلمة هى أن الدولة انفقت أموالا بغير حساب على اجهزة للنشر لم ترتبط بالحدود الدنيا لفكرة القطاع العام للنشر ، فانحازت أحيانا كثيرة لافكار وقيم تتعارض مع طبيعة المرحلة التاريخية التى تجتازها وشجعت من أصبح تشجيعهم عبئا ثقيلا على كاهل المال العام ، وتجاهلت من تحلق بصيرتهم الشابة الى آفاق أكثر رحابة وعمقا ، واخفقت فى تنظيم العقلية المصرية بالتراث القومى والمكتبة العالمية وتهاونت فى حقها الادارى حين يتطلب هذا الحق التمحيص والمراجعة ، وتمسكت بحقوقها البيروقراطية حين أتاحت لها هذه الحقوق المنح والمنع . وأخيرا فقد أهملت من حسابها تماما ذلك الهدف المقدس من كل ثقافة مصرية : الشعب المصرى .

هكذا خلت كل تنظيمات «النشر العام» من أية وثيقة استراتيجية لعملها ، على هديها يمكن أن نفسر — أو حتى ننقد — هذه الخطة أو تلك ، وهكذا أيضا خلت معظم الخطط السنوية من ذلك التصور الذى يحتم على الدولة أن تكون ناشرا . ولقد حانت بعض اللحظات الخاطفة التى تصور فيها المثقفون ؟ أن «هذه الخطة» تكاد تكون تحقيقا لامالهم وتجسيدا لاحلام جماهير الثقافة ، ولكن هذه اللحظات سرعان ما كانت تخبو كالبرق ، لاتخلف وراءها سوى الحسرة والياس .. نعم فقد كانت تنقلات رؤساء مجالس ادارات النشر قريبة الشبه بلعبة الكراسى الموسيقية ، كما كانت تنظيمات هذه الادارات المتقلبة من دور الى مؤسسات الى هيئات ، كنشرة جوية من مرصد متعطل .

فى ظل هذه الفوضى المخيفة والعشوائية الضاربة أطنابها والارتجال ، تتكدس بطبيعة الحال ملايين النسخ من الكتب فى المخازن العامرة بالفئران ، ولا تولد فى النور الباهر مئات الاعمال التى تدق قلوبها مع نبض جماهيرنا ، وتموت فى المهد أفكار ما أخصبها . ومن هنا تنشأ المسافة ، بل الهوة الواسعة ، بين الثقافة والحياة . ويبزغ شبح ذلك الفصام فى وضح النهار عندما تمر بنا لحظة صفاء عقلى وصدق مع النفس ونقارن بين « واقع » حياتنا والصورة الذهنية التى تشكلت فى أدمغتنا عن هذا الواقع ، أى بين الحقيقة الموضوعية والصيغة النظرية التى نتعامل بها معها .

بالطبع هناك عشرات الكتب الرائعة التى صدرت عن قطاعنا العام فى النشر طيلة الفترة الماضية ، ولا أقول أنها من الندرة بحيث تمدنا بدليل جديد على ذلك المسافة المروعة بين ثقافتنا وحياتنا ، وانما أقول أنها كانت هى الاخرى ثمرة العشوائية ، وأحيانا العلاقات الشخصية للاسف ، وأحيانا للصدفة اليتيمة التى جاءت بهذا أو ذاك من الرجال الذين أتيح لهم البقاء فى غرفة رئيس مجلس الادارة شهورا معدودة .

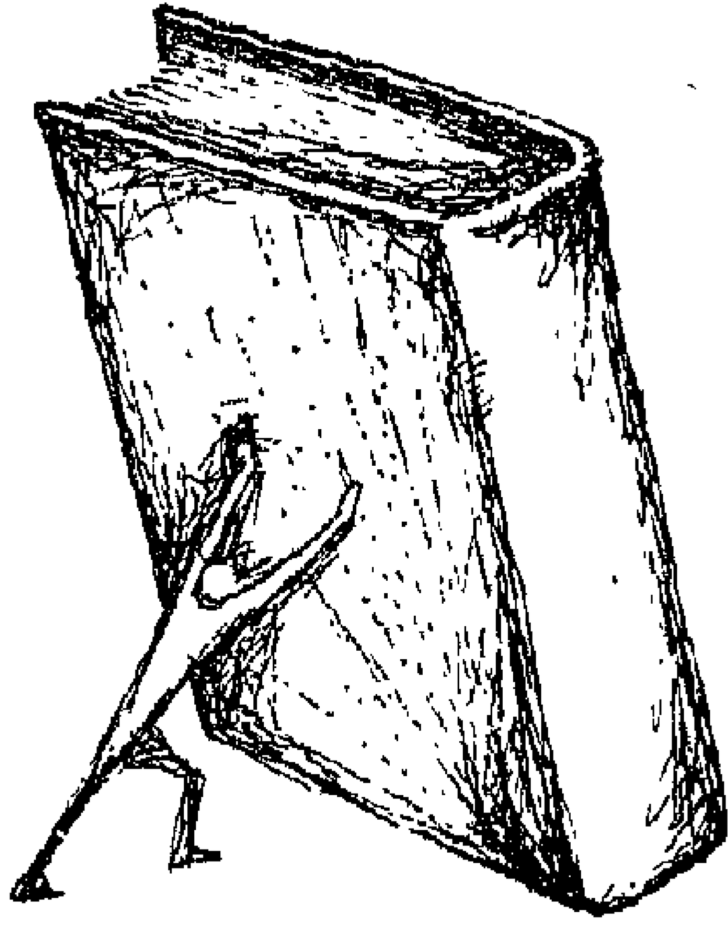
وليس من شك فى ان الاضطراب الذى أصاب التفكير السياسى لنظام ٢٣ يوليو سواء من طبيعته الداخلية أو من جراء تلاحق الاحداث المحلية والقومية والعالمية ، وكذلك حرية الفكر والتعبير التى غابت آمادا طويلة ، قد تسبب هذان العاملان كلاهما فى شل حركة النشر التى تقوم بها الدولة عن أن تكون تجسيدا حقيقيا لعقل الشعب وضميره .. ذلك أن البديل الحتمى لمناخ الفكر المنظم وحرية التعبير هو الديماجوجية والنظرة الوحيدة الجانب والتفاهة . بالديماجوجية اغرقت الاسواق بآلاف الكتب تحمل خاتم الدولة بالشعارات الاشتراكية ، ومن داخلها العداء المتطرف للفكر الاشتراكى ، وآلاف الكتب التى تحمل عناوين الديموقراطية ، وبداخلها كافة صفوف الفكر المعادى للديموقراطية ، كان المهم أولا هو اغراق القارىء بكم هائل من الكتب ، تبلبله وتزدرى عقله وتمزق وجدانه ، ولكنها تضيف الى

امجاد المسئولين عن النشر آمجادا بالارقام وكان الاغراق يتم فى الاغلب الاعم من مياه بحر واحد تجهد المذاق والبصيرة فى اتجاه ريح واحدة فتستحيل على العين المصرية حرية المقارنة وموضوعية التقييم . وكان هذا الاغراق أخيرا من أسباب « الارتزاق » السريع ، وما يتسبب عنه من هرولة وسطحية

لنحرص على القطاع العام

على أنه رغم ذلك كله ، فان القطاع العام فى النشر بشتى الاسماء التى اتخذتها شركاته ودوره ومؤسساته وهيئاته طيلة السنوات الماضية ، قد أنجز من حيث الكم والكيف ما يزيد أضعافا مضاعفة عما أنتجه الناشر الخاص فى بلادنا .. ان « القتامة » الغالبة على الصورة التى قدمناها ، هى نتيجة المقارنة بين مسئوليات نشر الدولة ، وبين واقع هذا النشر ، لا بينه وبين انجازات القطاع الخاص التى اتجهت فى معظمها الى الكتب الجامعية المربحة ، والكتب الدينية والجنسية الرائجة ، والى الكتب التى مولتها الخزائن الاجنبية وفى مقدمتها مؤسسة فرانكلين . ان الكتب القليلة الجيدة التى أصدرتها أجهزة وزارات الثقافة والاعلام المتعاقبة لا تلبى مجمل الاحتياج الفعلى لجماهيرنا ، ولكنها تشير بالقطع الى سلامة الاتجاه الوطنى والتقدمى للذين أصدروها من ناحية ، وتدين من ناحية أخرى القطاع الخاص فى النشر الذى أكتفى بأن يكون تاجرا غايته تبرر اية وسيلة ، ومن ثم كان تقاعسه عن أداء الدور الوطنى الواجب أن يقوم به ، حتى من وجهة نظره الخاصة . ومن هنا كانت النتيجة الاولى التى يمكن استخلاصها ولا ينبغى أن تغيب عن بالنا قط هى أن القطاع العام فى النشر ضرورة قومية وانجاز وطنى لا سبيل الى التخلى عنهما مهما كانت الظواهر السلبية كثيرة ومهما كانت العقبات أمام التغيير متراكمة . ان فشل احدى الشركات المؤممة ، ليس فشلا لمبدأ التأميم ، الا عند أولئك الذين يعسكرون — بالتساوى — فى الطريق الرأسمالى .

والنتيجة الثانية ، هى أن استراتيجية شاملة للنشر مهمة عاجلة أمام وزارة الثقافة والاعلام والمجلس القومى الاعلى للثقافة المقترح انشاؤه واتحاد الكتاب المفترض قيامه قريبا . ان هذه الاستراتيجية يجب أن تعفى — على المستوى الاقتصادى — من التزامات كشوف توزيع القوى العاملة حتى لا يضاف الى سعر غلاف الكتاب الواحد مرتب موظف طفيلى فى عام . ويجب أن تعفى هذه الاستراتيجية — على المستوى السياسى — من الرقابة القصيرة النظر والمريضة بعمى الالوان او الاسقاط الشخصى ، وانما تشارك فى صياغتها لجان متخصصة تجد تحت احدى يديها « الواقع الثقافى الخام »



ممثلا فى الدراسات الميدانية الواسعة لاحتياجات ومستويات واتجاهات شعبنا الثقافية ، كما تجد تحت اليد الاخرى احصاء دقيقا بالامكانيات الفنية والعلمية والادارية المتاحة ، بحيث يصبح قرارها اقرب التجسيدات الموضوعية لاحلام جماهيرنا ، وبحيث يصبح انعكاس ثقافتنا للحياة ودفعها لتطوير هذه الحياة ، حوارا حرا وخلاقا حقا . ولا بد لهذه اللجان من أن تخرج عن الاطار الروتينى لاختيار أعضائها « بحكم وظائفهم » او « بحكم شهرتهم » ، وانما يجب أن تتشكل فى صيغة أقرب ما تكون الى الديموقراطية ، وذلك بأن يشترك فى صنع القرار الثقافى جماهير الثقافة ومبدعوها ولا تقتصر على أولئك الذين لا يتجاوز دورهم « همزة الوصل » بين أجهزة الارسال وأجهزة الاستقبال .

ولا بد لهذه الاستراتيجية أن تضع تخطيطا بعيد المدى ، حتى ليصل الى عشرين عاما ، وتخطيطا آخر متوسطا ، وتخطيطا ثالثا سنويا .. وذلك حتى تتوفر لدينا الرؤية الشاملة التى لا نحيد عنها ، والمرونة الكافية لاستقبال كل جديد . ومن ثم يتطلب الامر اعدادا ببلوجرافيا صبورا لتراث المكتبة العربية قديما وحديثا ، مؤلفا ومترجما ، حتى لا نقع فى تكرار يصعب تداركه ، كما حدث بالفعل أحيانا كثيرة ، يكلف الميزانية الفقيرة ما لا تطيق . ولا يبقى أمامنا — وأمام الاستراتيجية المرجوة — الا بعض الخطوط العامة .

● بالرغم من أن نسبة الامية فى بلادنا تزيد على السبعين فى المائة ، الا أن هذا يعنى ببساطة أن لدينا أحد عشر مليونا من البشر يعرفون القراءة والكتابة . هؤلاء يشكلون — موضوعيا — قاعدة القراءة فى مصر وحدها ، فاذا اتسعت هذه القاعدة لتشمل الوطن العربى بأسره ، لاصبح الرقم مغريا حقا باعادة النظر فى هذا السؤال : لماذا لا يبيع الكتاب العربى فى أكثر السلاسل الشعبية رواجا ، أكثر من خمسة عشر ألف نسخة ؟ ! سوف تتداخل الاجوبة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية ، وسوف يتداخل جوابنا المحلى مع أجوبة غيرنا فى بقية أرجاء الوطن العربى . ولكن علينا فى جميع الاحوال أن نجد صيغة الجواب الاكثر شمولا وموضوعية فعلية سوف تتحدد مهام وحسابات دقيقة .

● من التفريعات الرئيسية على التناقض بيننا وبين الاستعمار واختيارنا لطريق التقدم الاجتماعى ، تلك السمة التى نشترك فيها مع معظم بلدان العالم الثالث . وأعنى بها « التخلف الحضارى » الذى ترسب فى وادينا مع أهوال الغزو الاجنبى وظلمات انظمة الحكم الرجعية ، والتغلب عليه يحتاج — ثقافيا — الى سلاح مزدوج : يحتاج من جهة الى البحث عن الذات الحضارية المفقودة أو الغائبة عن الوعى ، ويحتاج من جهة أخرى الى أوثق الروابط والصلات بروح العصر الذى نعيش فيه . وتطرح هذه النقطة — باهتمام جاد — قضيتين على درجة كبيرة من الحساسية ، ومع هذا تتطلبان درجة مماثلة من الشجاعة والصراحة ، وهما : قضية التراث القومى وقضية التراث الانسانى العام ، وخصوصا أحدث مراحله الوافدة من الغرب [الاشتراكى والراسمالى] . بالنسبة للقضية الاولى ، فانه قد آن الاوان — ولعله من زمان — فى أن نغربل هذا التراث غربلة دقيقة مسلحين بالرؤية الموضوعية وحدها دون احتفال كبير بما تمليه العواطف الموروثة ، أو الانحيازات السياسية الموقوتة والسريعة الزوال . انه تاريخنا بكل ما فيه من بياض وسواد . وعلينا أن نقول للعالم ولانفسنا ولابنائنا من بعدنا : هذا أبيض وذاك أسود ، وعلينا أن نحتفل بكل ذرة ايجابية بناءة لروحنا مهما كانت تنتسب لاقدم الاسلاف . أما القضية الثانية فتقابل بالحساسية — حسب الهوى — اما بدافع سياسى او بدافع عنصرى ، وكلاهما لا يتصل بالتقدم الحضارى من قريب أو من بعيد .. فالذين يريدون فعلا ردم الهوة بينهم وبين التقدم . عليهم الاتصال بأسبابه ونتائجه وخبراته وتجاربه . قد لا نأخذ من الغرب هذه الرؤية أو تلك النظرة الى الامور ، ولكننا لا نملك الاستغناء عن معرفة أصول هذه النظرة وجذور تلك الرؤية . وبخاصة ونحن نعيش فى عالم سريع التغيير ، لا يترك فرصة للسلحفائيين من أبنائه أن يعطلوه عن سيره . لقد تعرفت الحضارة العربية فى أزهى عصورها على حكمة غيرها من الاقدمين كاليونان والرومان . فما بالنا نحن الذين تخلفنا أكثر من عشرة قرون عن ركب الحضارة الانسانية ؟

● اننا ننتمى — خارج حدودنا — الى أمة عربية تناضل شعوبها مع بقية

كافة أشكال الامبريالية والاستعمار الجديد ان « اسرائيل » من أكثر هذه الاشكال ضراوة وشراسة ، ولكنها تنتمي في خاتمة المطاف الى ذلك المعسكر المعادي للانسانية والتقدم . ومن ثم كانت تجاربنا المحلية وتجارب أمتنا العربية وتجارب العالم الثالث بأجمعه زادا نضاليا لا ينفد كلما أوغلنا في نقل ثقافة غيرنا من المناضلين الينا ، وبالمثل كلما نقلنا اليهم ثقافتنا .

● واذا كانت حركة التحرر الوطني بأكملها حليفا للمعسكر الاشتراكي ، فان ثقافة التجربة الاشتراكية في النظرية والتطبيق ، تصبح رصيدا غنيا ما أحوجنا اليه ، طال حرماننا منه ، ولا يجوز الابطاء في الحصول عليه بكافة الوسائل غير البيروقراطية ، وتقديمه لجماهيرنا بأيسر الاساليب المتاحة لديها . ان الاشتراكية ليست بديلا اقتصاديا فحسب للبؤس في ظل الرأسمالية ، وانما هي أيضا درع ضد التخلف .

● واقعنا الوطني هو الالف والياء هو البداية والنهاية ، هو المنطلق وخاتمة المطاف . لذلك تصبح دراسته على كافة المستويات ومن مختلف الزوايا وعبر العصور هي مهمة المهام الملقاة على عاتق استراتيجية الدولة في نشر الثقافة . ودراسته على ضوء أحدث منجزات العلم وفي ظل مناخ ديموقراطي حقيقي هما الضمان الوحيد لان نقول : لقد خلفنا الصفر وراءنا ، وبدأنا السير على الرقم الصحيح .

الوجه الاداري للاستراتيجية :

ليست استراتيجية النشر مجرد أهداف فكرية عامة ، على هداها يتم اختيار المؤلفات والمترجمات التي ينبغي توفيرها للقارىء .. وانما لابد وأن تشتمل هذه الاستراتيجية على أقدر الوسائل والاساليب التي يمكن بواسطتها انجاز المهام الفكرية . على ذلك ، فاني أقدم هنا خطوطا عريضة لما يمكن أن يكون عليه الوجه الاداري للاستراتيجية .

١ — أن فصل ادارة المطابع عن ادارة النشر مهمة أولية وعاجلة ، فالتوحيد بينهما قد أضر في الماضي وما زال يضر في الحاضر ، بكليهما معا . هذا لا يعني بأية حال أن نلغي « المطبعة » من بين أجهزة الثقافة والاعلام ، فلابد أن تكون هناك مطابع للدولة . ولكن هذه المطابع — في نفس الوقت — يجب أن تستقل بميزانيتها وادارتها وقواها العاملة . انه من غير المعقول أن تتبع هذه المطابع ادارة النشر تبعية مطلقة فتعمل ست ساعات كأي مصلحة حكومية وتحقق بالتالي خسارة مؤكدة ، في الوقت الذي يمكن للماكينات أن تعمل يوما كاملا ، وأن تستوعب من العمال أربعة أضعاف حجمهم الراهن . ومن ناحية نتيجتين ايجابيتين : الاولى هي أن ادارة النشر لن تكون حينئذ مطالبة باشباع نهم آلات الطباعة ، لدرجة التفريط في الخطة وملء الفراغ بأية مطبوعات حتى لا يتوقف العمل ، ومن ثم يزداد الكم على حساب الكيف ، وتخسر المطبعة ويخسر النشر ، ويخسر قبلهما وبعدهما الفكر والثقافة . في حالة الانفصال بين النشر والطباعة لن تقدم ادارة النشر الى المطابع التابعة لوزارة الثقافة الا ما حددته الخطة سلفا ، وبالتالي لن يضاف الى سعر الكتاب نفقات الساعات الضائعة ولن يكون هناك مبرر لاضافة كتاب واحد رديء . والنتيجة الايجابية الثانية هي أن التشغيل الكامل للمطبعة سوف يستقبل أعمالا تجارية من الافراد والهيئات والوزارات الاخرى — خصوصا التربية والتعليم — من شأنها أن تحقق أرباحا عالية ، تعوض ، بنظرية الاواني المستطرقة ، الخسائر المحتملة في النشر مادام الكل ينبع ويصب في البداية والنهاية من والى ميزانية وزارة الثقافة والاعلام .

٢ — ينبغي أن نتعلم من بعض المؤسسات الاجنبية ، حتى المعادية لنا ، بعض الدروس النافعة في هذا المضمار . وأولها ذلك الدرس الذي نعرفه عن مؤسسة فرانكلين ، فهي تتعامل مع بعض دور النشر الخاصة وفق التخطيط الفكري الذي تضعه هي لنفسها . انها حينئذ لا تفعل أكثر من أنها تتعاقد مع الناشر على شراء عدد من النسخ المطبوعة يبلغ حوالي الف نسخة ، وتتحمل المكافأة المالية للمؤلف أو المترجم ويضمن الناشر بذلك تغطية الجانب الاكبر من نفقات الطبع . لو أن ادارة النشر الحكومية تستطيع أن تختار بعضا من مخطوطاتها للنشر المشترك مع القطاع الخاص ، فانها تستطيع أن تجذب بعض الناشرين الى دائرتها الفكرية ، وهي بذلك تفسح المجال للجنة التخطيط في التوسع تفكيرا وانتاجا ، كما تتيح للقاعدة القارئة أكثر من نافذة تطل منها على الثقافة الجادة ، حيث أن خبرة الناشر الخاص وتجربته العريضة ، تفتح من النوافذ ما لا يخطر على بال المكاتب الحكومية المغلقة . وحبذا لو امتدت نظرتنا في هذا الصدد الى الناشر العربي في بيروت وبغداد ودمشق ، وبقية أرجاء الوطن العربي . اننا بذلك لا نحقق فحسب احدى درجات الوحدة الثقافية ، ولا نحقق فقط احدى درجات التنسيق التي توفر علينا التكرار ، وانما نحقق للكتاب المصري أرضا واسعة الارجاء ، لان الناشر اللبناني — على سبيل المثال — يتقن أدوات التوزيع ووسائله أكثر كثيرا من ادارتي النشر والتوزيع الحكوميتين

٣ — تشتمل الاتفاقيات الثقافية بين جميع الدول ، على بنيد هام يقول

عن طريق الثقافة ، وأن كل دولة ستقوم من جانبها بتقديم ما تستطيع للدولة الاخرى من أجل تحقيق هذا الهدف النبيل . ولقد سلكت بعض الدول الرأسمالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية طريقا شاذا « لتعريف الشعوب بعضها بعضا » فأسست بموجب الاتفاقيات الثقافية المبرمة بينها وبين الدول الاخرى ، دورا للنشر تخصصت في اهدار كافة القيم الثورية وتحطيم مختلف السبل المؤدية الى حياة أفضل لشعوب هذه « الدول الاخرى » وبخاصة ما يقع منها في هذا الجزء من العالم المسمى بالعالم الثالث . وقد سلكت الدول الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي طريقا طبيعيا حين تعاونت مع بعض دور النشر الوطنية في اصدار الكتب التي من شأنها أن تدعم العلاقات الثورية بين الشعوب . ولكن هذا التعاون ظل دوما في أضيق الحدود ، اما للصعاب التي تصادف الثقافة الاشتراكية في بعض البلدان ، وأما بسبب التركيز على القضايا السياسية التي يحتاجها النضال في هذه المرحلة أو تلك ، واما بدافع الحرص على الدقة فيفضل الناشر السوفيتي أن يطبع كتبه في موسكو مباشرة .

وتستطيع ادارة النشر الوطنية في هذا الصدد بالاشتراك مع لجنة العلاقات الثقافية الخارجية أن تصوغ موقفا موحدا من بنود الاتفاقيات التي من هذا القبيل ، فتعمد الى اختيار مجموعة من المؤلفات التراثية أو المعاصرة التي تنتمي الى هذه الدولة أو تلك ، بحيث لا تخرج على الاطار العام لخطتنا الثقافية .. ثم نعرض على الدولة صاحبة هذا التراث أن تقوم بتمويل طبعه ونشره وتوزيعه ، أما في مقابل المعاملة بالمثل ازاء بعض المختارات من فكرنا القديم والحديث ، أو في مقابل كسبها العائد من الربح ان وجد .

٤ — اذا كانت وزارة الثقافة والاعلام وزارة خدمات حقا ، فلا بد أن تنظر الميزانية العامة الى نشر الثقافة نظرة جديدة تحررها من قيود الاستيراد والتصدير في الحدود التي لا تتعارض مع ظروفنا الاقتصادية . غير أن « الظروف الاقتصادية » التي ظلت أمدا طويلا مشجبا نعلق عليه كافة العوائق ضد الكتاب المصري ، يجب أن تتحول الى « قوة دافعة » لهذا الكتاب الذي يستطيع أن يؤدي الكثير في الحرب والسلم . ارحموا الكتاب من القيود التي لا تفرضوها على سلع الرفاهية والترف ، يرحمكم المستقبل من حكم التاريخ .

تلك خطوط عريضة ، يعوزها التفصيل ولكن يعوزها قبله ، أن ندرك جسامة المسئولية وشرف حملها .



المومياء ..

نقطة تحول فى الفيلم المصرى



انهض .. فلن تغنى

منذ فيلم «العزيمة» الذى أخرجه كمال سليم عام ١٩٣٩ ، لا يوجد فيلم مصرى يمكن أن نعتبره نقطة تحول الا « المومياء » وهو الفيلم الذى اخرجه شادى عبد السلام عام ١٩٦٩ ، فبعد ثلاثين عاما من بذور الواقعية التى غرسها كمال سليم فى فيلمه وتطورت ونضجت فى بعض افلام صلاح ابو سيف ويوسف شاهين وتوفيق صالح وبركات ، ها هو شادى عبد السلام يغرس بذور سينما ما بعد الواقعية فى الفيلم المصرى او سينما الواقعية بلا ضفاف على حد تعبير جارودى . ولقد كان من الطبيعى أن يكون أول فيلم يتجاوز الواقعية فى الفيلم المصرى هو ايضا اول فيلم يتجاوز سينما المخرج الى سينما المؤلف أو سينما فنان السينما ، وكان من الطبيعى أيضا أن يكون أول فيلم ينتمى الى سينما المؤلف ، هو أول فيلم يعبر مخرجه عن رؤيته للعالم بأسلوب سينمائى خاص متميز .

ووراء عبارة « فنان السينما الذى يعبر عن رؤيته للعالم بأسلوب خاص متميز » تقف كل انجازات الفكر السينمائى المعاصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم . فقد ادرك منظرو السينما ومفكروها ونقادها من استقراء تاريخ تطورها ، أن السينما لم تصبح فنا الا عندما كانت سينما المؤلف ، اى عندما كانت لغة يعبر بها الفنان مثل لغة الادب ولغة التصوير ولغة الموسيقى : مستقلة وليست تركيبة من الفنون ، ووسيلة للتعبير ، وليست وسيلة لترجمة الادب او تنفيذ افكار الادباء . وادرك منظرو السينما ومفكروها ونقادها ايضا ، أن السينما لا تصبح فنا عندما تكون مجرد مجموعة من الفنون المتجاورة ، ومجرد وسيلة لترجمة الادب أو تنفيذ أفكار الادباء ، وهذه هى سينما المخرج الذى ولدت فى مطابخ ستديوهات هوليود الكبرى وانتشرت فى العالم كله بعد ذلك بحكم الارتباط العضوى بين الابداع السينمائى ورأس المال .

وانطلاقا من نظرية سينما المؤلف او فنان السينما ، قامت كل حركات التجديد فى السينما المعاصرة منذ الواقعية الجديدة فى ايطاليا ، الى الموجة الجديدة فى فرنسا ، الى السينما الحرة فى بريطانيا ، الى السينما السرية فى نيويورك . وهذه الاخيرة هى اقرب تلك الحركات الى هذه النظرية ، وهى لم تتحرر فقط من اللغة الملفقة وترجمة الادب وتنفيذ افكار الادباء ، وانما تحررت ايضا من جيش الحرفيين الذى يقف وراء كل فيلم ، ومن الالات الضخمة التى تحتاج الى عدة أشخاص لحملها ، وابتدعت فيلم المجموعة البسيطة التى تتكون من ثلاثة أو خمسة اشخاص على اقصى تقدير ، والكاميرا الصغيرة الخفيفة التى تلتقط الصوت والصورة معا . وبهذا أصبحت الكاميرا بالفعل مثل قلم الاديب وريشة الرسام وازميل النحات ، وتحققت الدعوة التى نادى بها المخرج الفرنسى الكسندر استروك فى مجلة « كراسات السينما » الفرنسية عندما قال « لتكن الكاميرا قلما » .

وكما حدث بالنسبة لكل حركات التجديد فى السينما المعاصرة ، كان لابد أن يتحرر رأس المال المستخدم فى انتاج الفيلم المصرى حتى توجد فى مصر سينما المؤلف أو فنان السينما ، ولهذا لم يكن من الممكن أن ينتج فيلم «المومياء» الا باموال القطاع العام ، وأن يكون من الممكن أن تستمر حركة التجديد الوليدة فى الفيلم المصرى وتنضج وتؤتى ثمارها الا بأموال القطاع العام .

وفيلم « المومياء » هو « عودة الروح » ولكن فى السينما ، فمن خلال أزمة شاب ممزق بين تراث اجداده والمستقبل الممتد أمام بصره يدعو شادى عبدالسلام الانسان المصرى ليقوم من جديد : انهض فلن تغنى . لقد نوديت باسمك . لقد بعثت . هو يعبر عن رؤيته هذه بأسلوب سينمائى متميز ، يستخلص من الواقع جوهره ويخاطب عقل المتفرج اكثر مما يخاطب قلبه ، وان كنا نشاهده بالعقل والقلب وكل الحواس معا .

وقد هوجم الفيلم الذى ظل فى مخازن مؤسسة السينما ما يقرب من ثلاث سنوات هجوما ضاريا عندما عرض للمره الاولى عرضا خاصا فى قاعة ريفولى ، وكان لنقاد أوروبا فضل اكتشافه فى مهرجان فينيسيا عام ١٩٧٠ مما رد له الاعتبار فى القاهرة بعد ذلك ، وقد كنت مع شادى عندما ذهب مع فيلمه الى فينيسيا خائفا مذعورا ، وعاد وفرحة النجاح تملأ صدره . ولم يلبث أن فاز الفيلم بجائزة جورج سادول لاحسن فيلم اجنبى عام ١٩٧٠ ، كما فاز بجائزة النقاد فى مهرجان قرطاجنة ، وبجائزة خاصة من اكاديمية الفيلم البريطانى ، وأخيرا فاز بجائزة خاصة من المركز الكاثوليكى الدولى عام ١٩٧١ .

سمير فريد



محمد ٠٠ وهؤلاء

تـاليـــــف : الشاعر احمد عبد المعطى حجازى

النـــــاشر : مؤسسة روزاليوسف

عرض وتعليق : محمــد عمــارة

في العقد الاخير من القرن التاسع عشر كتب الشيخ محمد عبده «مشروعا» لاصلاح التربية في مصر . وتحدث فيه ضمن ما تحدث من صلة « التربيــة والتعليم » بالدين .. ورغم ان الرجل كان يود — وفق كتاباته في غير هــذا المشروع — ان يكون التعليم مدنيــا خالصا ، وان تكــون للتعــليم الديني اماكنه الخاصة بالراغبين فيه ، الا ان رايه في طبيعة المصريين والشرقيين قــد جعلته يدعو الى ان يكون الدين وسيلة التربية ، فكتب في «مشروعه» : « أن انفس المصريين اشربت الانقياد الى الدين ، حتى صار طبعا فيها . فكل من طلب اصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التي أودعــه فيها ، فلا ينبت ، ويضيع تعبه ، ويخفق سعيه ... » .

وعندما اراد الدكتور محمد حسـين هيكل تفسير اهتماماته الاســـلامية ودراساته التي بعث بها جوانب مــن التراث العربي الاسلامي بعثـا عقليا وعصريا ومستنيرا ، اشار الى ان الهدف من وراء ذلك انما هو استخدام الاداة المثلى التي يستطيع المفكر من خلالهـا ادخال ثقـافة العصر الى عقــول الجماهير . وقيادة هذه الجمــاهير الى العالم الفكري للقرن العشرين . فكتب يقول : انني « حاولت ان انقل لابناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية ... لكنني ادركت ... انني اضع البذور في غير منبته ... فرايت ان تاريخنا الاسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر . ففيه حيــاة تحرك النفوس ... » .. ولذلك فان الدكتور هيكل عندما وجد سلطات الاستعمار البريطاني تقود حملة من التبشير ضــد الاســـلام مستهدفة زعزعــة ايمان الشعب بقيمه ومعتقــداته ، وعنــدما راى في هذه الحركة موقفا منافيــا لحرية الراى والضــمير ، لم يجــابه هذه الحملة بالهجوم المباشر عليها والتنديد الصريح بها . وانما عاد بفكره الى التراث الاسلامي فعرض لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام « عرضا يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم » . فجاء كتابه عن (حياة محمد) اول عمل فكري حديث يتناول سيرة النبي تناولا لا يعتمد على الخوارق والمعجزات . ولا على القصص الخرافي الذي اضافه القصاصون الى تاريخ الرسول وتراث الاســـلام .. والتزم الدكتور هيكل — وهو المثقف البرجوازي المستنير — جانب العقل ، وانحــاز لمعطياته ، فقدم نبي الاسلام الى العقل ، باعتبار ان العقل هو معجزته الكبرى .. وكما يقــول الشاعر احمد حجازي ، فان الدكتور هيكل قد راى في «محمد» « اكمل مثــال للرجــل الطبيعي » مقتفيا في ذلك ما تعلمه من « جان جاك روســو » من ان الانسان خير بطبيعته « وانه يقترب من فطرته الخيرة كلما اقتــرب من الطبيعة » (ص ٣٨) « فمحمــد يمثل الحق الذي يأتي عن طريق الاتصال المباشر بالكون والطبيعة » (ص ٤٤) .. وفيما عدا القرآن لم يطمئن عقل الدكتور هيكل الى خارقة من الخوارق ولا الى معجزة من المعجزات .. ففتح بذلك بابا جديدا في ادب السيرة التي تتناول حيــاة الرسول .. ومن هذا الباب دخلت كوكبة من جيل الرواد . ومن اتى بعد هــذا الجيل د. طه حسين . والعقاد . والحكيم ثم عبدالرحمن الشرقاوي .. وهم الذين تناول الاستاذ حجازي أعمالهــم التي عرضت لسيرة الرسول بالعرض والنقد في كتابه (محمد وهؤلاء) ..

ورغم التنوع الذي جعل لكل واحــد من هؤلاء المفكرين والكتاب منهجه الخاص في كتابة السيرة والترجمة ، وموقفه المتميز من القصص الخرافي والخــوارق والمعجزات التي شك في حدوثها بعض مؤرخي الاسلام . الا ان الكتاب الخمسة قد التزموا الموقف العقلي المستنير الذي لا غناء منه لمفكر وكاتب يعيش في القرن العشرين .

صحيح ان الدكتور طه حسين قد حفل في كتابيه [الوعد الحق] و [على هامش السيرة) بايراد الكثير من الخوارق والمعجزات والقصص والحكايات ، ولكنه لم يقدمها تقديم المقتنع بها عقليــا ، وانما عرض لها عرض الاديب الذي يرى فيها مادة بكرا للعمل الادبي .. فهو لم يكن مؤرخا ولا دارسا ولا محللا . وانما كان الاديب الذي يسوق هذه المادة ، لا للعقل ، وانما هو « يقدمها الى القلب والشعور على انها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر ، معينة على انفاق الوقت واحتمال اثقال الحياة وتكاليف العيش » [ص ٦٤] .. اما معجــزة محمد الحقيقة عند الدكتــور العميد ، فهي أنه كان ثمرة لتجربته ، واستجابة للعالم ، ومكملا لرسالات من ســبقوه [ص ٧٩] وهو قد استطاع ان ينجز ما انجز بسبب قيادته لثورة الفقــراء ضد الاغنياء ، والارقاء ضد السادة ،

والمثقفين ضد الجهل والجهلاء [ص ٦٨]

ونفس موقف « الاديب » ، هذا الذى وقفه د. طه حسين من الخوارق كان موقف « الفنان » الذى وقفه توفيق الحكيم فى مسرحيته عن [محمد] .. فهو يتناول سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيعالجها معالجة الفنان المؤمن الذى يقبل كل مافيها مما يقبله العقل اويمده من الخوارق على السواء . وكل مادة فى النهاية صالحة لتكون موضوعا الفن [ص ١٠١] .. فهو هنا فنان يحتضن حتى الخرافات ، لانه يكتب فنا صادرا من القلب ، وهى منطقة متميزة عن العقل ومغايرة لثمراته فى العلم والتفكير . فالمعرفة الدينية ، كالجمال الفنى ، مكانهما القلب عند « الحكيم » وهى « معرفة حدسية تعصف بالقلب مرة واحدة ، فهى ليست وليدة تأمل فكرى أو خلاصة نظر عقلى ، وانما هى قبل كل ذلك يقين يتجلى للقلب كلما يتجلى الجمال (ص ٩٩) .

اما العقاد فلقد كانت ترجمته لحياة الرسول فى [عبقرية محمد] نموذجا لمذهبه فى البطولة والابطال ، فليست الخوارق والمعجزات هى التى ترجح كفته على كفة سواه من البشر ، ولا استجابة تعاليمه للعقل ومنطقه وثمراته ، ولا تعبيره عن عصره ومجتمعه . بل ان بطولته كامنة فى تحديه لعصره ومجتمعه ، ومتجلية فى « ملكاته النفسية ، وطبيعته التى فطر عليهما .

والتى ظهرت فى قوله وعمله كما انطبعت فى صورته المادية » (ص٧٩) .. والاستاذ حجازى ينقد موقف العقاد هذا ، ويرفض مذهبه الذى « يقدم شخصية الرسول مقطوعة الصلة بالزمان والمكان » [ص ٩٥] ويرى « ان العصر. أى عصر ، لا يمكن تبسيطه فى كلمة او كلمات . فلا يوجد عصر خلا من الشىء ونقيضه » [ص ٩١] وينحاز الى الذين يرون ان الاسلام قد سبقته وعاصرته محاولات ايجابية للاصلاح المادى والروحى وانه كان « العقيدة المثلى التى استوعبت هذه الاتجاهات الجديدة الناشئة وخلقتها خلقا جديدا .. وكان محمد هو البطل الفذ الذى استوعب العصر ، وحقق احلامه » [ص ٩٣] .

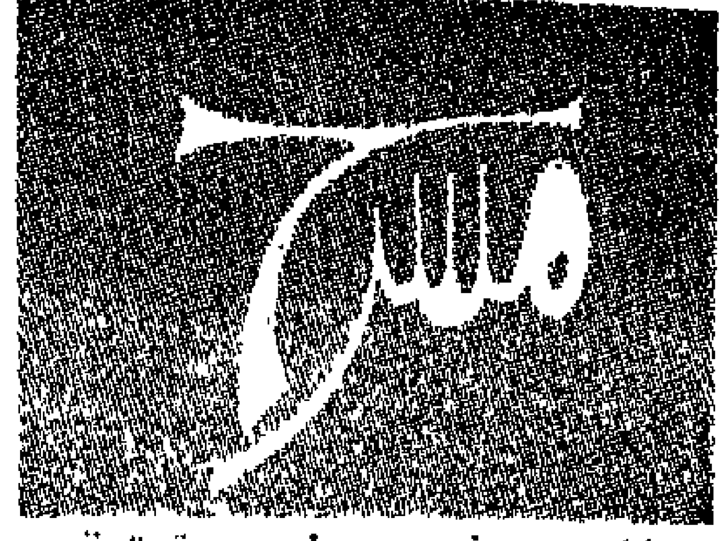
اما كتاب الشرقاوى [محمد رسول الحرية] فان الاستاذ حجازى يرى فيه. بحق « اول معالجة عربية للسيرة من وجهة نظر اشتراكية » (ص ١١٩) .. وان لم يمنعه ذلك من الاستفادة الكبيرة من جهود الرواد الذين سبقوه الى هذا الميدان ، على الرغم من تميزه الفكرى والمنهجى عن هؤلاء الرواد .. فلقد وقف ، مثل هيكل ، مع العقل ضد القصص والخرافات ، واستفاد كثيرا من جهود طه حسين ، وكان التطور الاشتراكي لموقف الدكتور العميد الذى قرر العلاقة الوثيقة بين انتصار الاسلام وقيادة رسوله للفقراء فى الثورة «على الاغنياء ، والعبيد على السادة ، والمثقفين على الحمقى والجهلاء ، والمؤمنين بوحدة العرب ووحدة الجنس البشرى على المتعصبين المتخلفين .ومحمد بهذا ليس فى حاجة الى خارقة تعينه فى اقناع الناس بما يقول ، لانه بما يقول انما يستجيب لامال الناس واحلامهم» [ص ١٢٢] .. وليست هذه هى كل اضافات الشرقاوى الى مدرسة جيل الرواد فى ميدان السيرة النبوية. فهناك تصويره للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمجتمعى «مكة» و« المدينة » (يثرب) ، وهو التصوير الذى يفسر لماذا كانت الهجرة مفتاحا للنصر (ص ١٢٧ ، ١٢٤) .. بل ويحول هذه الهجرة الى عمل عبقرى فى السياسة والنضال ، بعد أن ظل الناس يفهمونها ، ولا يزالون ، كرحلة اضطرارية تقرب من عمليات الفرار ؟!

وبعد .. فان الفصول الخمسة التى عقدها حجازى فى كتابه [محمد وهؤلاء] . وكذلك المقدمة المستفيضة التى قدم بها لهذه الفصول قد قاربت الوفاء بحق المهمة الكبرى التى اشار اليها عندما قال : اننى اكتب عن «سيرة الفكر العربى المعاصر فى مصر من خلال تعرضه لسيرة النبى » .. اذ بالاضافة الى الموقف الفكرى الصائب تماما الذى وقفه المؤلف من القضايا التى عرض لها د. هيكل ، ود. طه حسين ، والعقاد ، والحكيم ، والشرقاوى .. يتجلى لنا حجازى عن ناقد ادبى ، وهى صفة تضاف الى ما اشتهر به كشاعر بين الناس .

فى العــــدد القــــادم

قامت الدكتورة لطيفة الزيات وغالى شكرى من هيئة تحرير « الملحق الادبى » الطليعة بحضور المؤتمر الثامن للادباء العرب الذى عقد فى دمشق خلال الفترة من ١١ الى ١٥ الشهر الماضى . ولضيق الوقت وأهمية الموضوع ، فان « الملحق » سيقدم فى العدد القادم تقييما شاملا للمؤتمر ، مع دراسة للمؤتمرات السابقة والصيغة التى يمكن توفيرها للمؤتمرات القادمة .

كذلك سينشر الملحق « رسالة من الموصل » حول مهرجان « أبى تمام » الذى أقامته وزارة الاعلام العراقية وحضره صبرى حافظ .



«بعض الأشياء تتحقق بالفعل»

المسرح شعر وليس ثرثرة . شعربمعنى : لغة خاصة ، مختصرة تعبر عنرؤية شاملة · المقصود هو : روح الشعر ، وليس ذلك الكلام المنغم الذىينتشر فىبعض منمسرحياتنا [الشعرية] والذى لاعلاقة له بالشعر او بالمسرح . لغة المسرح لايمكن ان تتطابق مع اللغةاليومية · لغة تحاول باستمرار انتضعيدها على [الجوهرى] عندئذ تكون على طريق الوضوح والفهم والمعرفة والتأثير·وعلىالمسرح انيحاول القفز فوق حواجز اللغة العادية ، حتى يكشف لنا ذلك الطريق . وفى الحقيقـة ، احسستمفارقة غريبة عند مشاهدة مسرحيـة [نور الظلام] للدكتور رشاد رشدى ، فمند مشاهدة العرض احسستان الحوارحوار عادى يكتظ بالثرثرة ، وعندما قرأتالنص كان الانطباع مختلفا — وجدت فيه الكثير من اللغة المسرحية الحقيقية ءالتى كان بامكانها ان اديت بفهموحساسية اكثر ، ان تصل بسهولة وعمق . اين ضاع الشعر ؟ اغلب الظن ان الشـعر قد ضاع على يد المخرج .

والمسرحية تعرض خطوطا متعددة ، متوازية ومتقاطعة ومتداخلة لمجموعة من الافراد يعيشون فى حالة اجهاض دائمة — تلك الخطوط التى رسمت بعناية ودقة، ونفذت بنفس العناية والرشاقة ، كانت تكرارا لفكرة او ازمة يعيشها الجميع — فكرة [استحالة الحب] واسـتحالة التواصل واللقاء . ذلك التكرار الـذى منع الكاتب من الخروج للفكرة العـامة التى اختارها كاطارللعمل الفنى ، وكسبب مباشر وغير مباشر لذلك الاجهاض المستمر للحلم البشرى ؟ كما منعه من الدخـول فى صميم ذلك الخطأ الجوهرى ، الذى رأينا انعكاسه على تلك الارواح التائهة، لكننا لم نتعرف على ذلك الخطأ نفسه . تكلم الكاتب كثيرا عن الحب ، واكد لنا استحالته ، ورأينا الاحلام المحبطة ، والانسان الذى يعجز أن يعيش الواقع، ليعيش فى مسـتوى آخـر من واقـع كاذب وهمى خلقـه لنفسـه ، أو فى مستوى اللاواقع ، الذىسرعان مايتهشم. ورغم كل محاولات الانسان التى يحاول فرضها على الواقع ، فان الواقع يجبره على الرضوخ لمقاييسه العادية الرديئة ، والاستمرار فى الكذب والخـداع حتى النهاية .

قلعوا الاشجار والورود . قطعـوا شجرة الصفصاف التى كانت تظال حبنا ، انقطع صوت الـكروان الذى كان يملأ حياتنا بالنغم . ردموا الحديقة ، واقاموا مكانها حائطا حجريا عاليا لامعنى له .. الفندق الجديد حجراته مريحة ومودرن ، لكنها مهجورة ولا لزوم لها . الجـديد يحجب الشمس : الضـوء ، الرؤية والمعرفة والفهم والقديم يحجب النيل : الخصوبة والحركة .

الصراع بين الجديد والقديم ، والخطأ الذى ارتكب ·

مرة أخرى : ما هو ذلك الخطـأ ؟ وما هى طبيعته ؟ واين نقف نحن ؟ واين يقف الكاتب ؟ اسئلة لا اقول لم نجـد اجابتها ، ولكنى أقول أسئلة لم تطرح اصلا . وهنا يتحدد الخلل الفنى فى ذلك الانفصال القائم بين الاطار العام ومحاولة تحميله دلالات سياسية غير



يوسـف وهبى فى مشـهد من مسرحية « نور الظلام » ..

لمتنبت ، كماحلم بها الانسان انيصنعها بيديه ، لكنها نبتت من تلقاء نفسهـا ، صدفةعرضية ، النخيلوالورود ، ساخرة بكل محاولات الانسان وحلمه ، ملقية بها فى وعاء ذلك التلخيص الفلسفى الغريب ان [لاشىء يتحقق] . الواقع ردىء — حسنا . احتياجنا للحلم باستمرار ضرورة . محاولة السيطرة على الطبيعة

لكن ماهو دور الانسان ؟

محاولة فهم الطبيعة الخارجية والطبيعة البشرية المعقدة ، حتى يمكننا ان نفهم معنى حياتنا . هذه هى المشكلة وليست [لاشىء يتحقق] فبعض الاشياء تتحقق بالفعل ، وبالفعل تتحقق ·

د· يسرى خميس

قصة قصيرة

الشيخ والسراج

عبد الحكيم قاسم

■ عبد الحكيم قاسم احد كتاب القصة الطويلة والقصيرة الذين تميزت اعمالهم بطابع خاص بين انتاج الجيل الادبي الجديد في مصر . روايته الاولى «ايام الانسان السبعة » لفتت انظار النقاد من مختلف الاتجاهات لما تقدمه من رؤية جديدة لواقع الريف المصرى جمع قصصه القصيرة في كتاب عنوانه « الاشواق والاسى » تحت الطبع . ■

● الليل

.. والمصباح على الدكة الواطئة الممتدة لسان اصفر مضيء تنعكس خيالاته على الزجاجة الشفيفة الغبشة ، وعلى خزان الكيروسين الخزفي الابيض ، والمرتلون يقدمون عبادة اليمة تحت اقدام الليل الهابط ، ليل هاتور البارد العارى النجوم .

في امان هم داخل جدران المسجد الغليظة ، لكن القلوب تدرك لذعة الريح السارية في غلائل الظلمة ، وتسمع الوشيش الكامن في هامات الشجر وحطب عرائش الدور ، والعيون تطرف ناحية اجتماع العتامة الباردة تحت السقف العالي ، يكبسون الطواقي الصوفية على الرؤوس الحليقة ، ويحكمون الملافح حول الوجوه الزيتونية المهولة الملامح بالظلال ويلفون الاقدام بفضول الجلاليب ، ويتضامون حتى تتراكب السيقان المطوية ويقربون من العيون نسخ بردة الاباصيرى ،

لكن ذبالة المصباح تهوى ، والعتامة الباردة تهبط آتية من السقف العالي ، تتحشرج الاصوات متكسرة حتى تنتهي الى بحات قلوب متزاحمة ، يتصافحون في همس موجز ، تمتد الايدى تبحث عن النعال مترددة .

وحارت قدمه عمياء تبحث عن المداس ، حتى اذا اصطدمت به تسللت تطأ مستقرة ، ذائقة لذعة البرد الكامن في النعل ، يستند على عصاه ناقلا قدمه الاخرى من على حصير المسجد عابرا العتبة العالية ، عيناه تصعدان وجلتين على جدار العتمة ، وقدماه تزحفان تتحسسان ارض الطريق وعصاه تهمس في الارض همسا معدنيا خافتا ، يحتضن عقفتها في كفه احتضانا قويا .

فالليل حل ، لم الحياة والدفء والضوء حبسها في القيعان ، باحات الدور والغرف المصمتة الحيطان ، وانبهمت اواخر التسابيح في افواه الرجال الايبين يخبون في الجلاليب ، يقرئون السلام عجلانين مخافتين ، يعرف اشخاصهم من هياكلهم الحالكة المرسومة على القامة ، لكنهم يغيبون في الحارة المكبوسة بالليل .

قلبه ساكن سكون الماء في قناة صغيرة ، يحمل على صفحته لمعان نجمات مخافته بعيدة ، متوجس كانما ثمة جندب يحفر مثواه في طين الشط ، فالمبيدات الحشرية قتلت الطيور ، واعشاش مالك الحزين على فروع الجميزة القديمة باردة مهجورة ، وبين السماء والارض تحلق كآبة ساهمة ، وحول كومة الدور يترسل امتداد الحقول الشاسع صامتا كقاع الجب ، والرطوبة تتسلل الى جذور العيدان القديمة تهلكها ، ومن المثاوى الطينية تهجم جحافل الدود ، تدفع امامها رؤوسا سوداء قارضة مبيدة .

الافق الغربى ينوء باحمال الغيوم الداكنة الجهمة ، لكن نجمات طفلة تفلت تنتثر على صفحة السماء ، يتملى البريق الخافت ، وعلى الجانبين تستخفي واجهات البيوت ، وتبين رسوم الابواب والكوى ، اشراف ليلى اسيان تزحم القلب . مشى وسن العصا المعدنى يضرب قلب السكة في وقع متحسس وئيد .

هذه العصا .. منذ متى يضرب سنها في الارض موقعا علاماته الميقاتية على مسرب الزمن المتطاول ، كم توغل البداية بعيدا في غبش النسيان ، لكنه ــ بهذا القلب المثقل ــ يرى الشيخ ، حدبته متدفعة في عتامة المغرب ، وهو يتبعه ــ هزيل الجرم ــ في يقظة حذرة متشوقة ذليلة ، يسيرون نحو المسجد ، وشيش الجلابيب ووقع الاقدام يحيط بنقرات عصا الشيخ الموجزة الحاسمة .

رحم الله الشيخ رحمة واسعة ، كان شيخه واباه ومولاه ، كان يقرأ البردة في ليالي الحضرة بصوت يشق القلوب كسلاح المحرات ، وهو يجلس قبالته يتامل جسامته الراسخة كمجذوب منسحق ازاء بهاء قبة السلطان .

رحمه الله ، يوم مات طار الفزع في قلوب العيال والانفار والنساء ، كما تطير النار في الحطب القصيم ، وجثمان الشيخ مسجى في الغرفة المعتمة البعيدة ، والعصا ملقاة مغبرة بتراب الارض في ناحية من نواحي الدار ، التقطها ، مسح عقفتها الناعمة ، اخذها لنفسه .

لم يذرف في الجنازة دمعة ، كان قلبه مزدحم بهزيم انفعال مضطرم غريب وهو يرى النعش الهائل يثقل اعناق الرجال ، يتبادلون حمله منفلتين من تحته سراعا ، والقرية كلها خلفه ، النعال في الايدى وذيول الجلابيب تحت الاباط ، الناس ذاهلون مضطربون حول النعش الذى يمخر الجمع مترجحا ثقيلا .

وحينما ادخل القبر قفز قبله يستقبله وفي الجوف المعتم الرطب الطنان سجاه تحسس الجثمان الذى مازال طريا ، حل منه الاربطة وفك الحياكة ، تطلق الكيان الجسيم مفترشا الثرى في جلال تهدج صوته بالقراءة كانه بين يدى الشيخ في ليلة من ليالي الحضرة ، تقدم منه ــ تهمى من قلبه الدموع ــ ركز كفيه في الثرى على جانبي الرأس ، هتك الكفن عن الوجه ، مغمض العينين مطبق الشفتين اكتسبت ملامحه صلابة جرانيتية لا تقهر ، نهض وئيدا ، مثقل الروح والقلب بيقين راسخ ، عليه ان يخرج من هذا القبر يعتقل العصا ويمشي في الارض تلك الخطى الثقال ، فما يجعل الثرى يتطامن في مواطن اقدام العلوج سوى خطو الرجال ذوى العزائم .

وها هو ينفذ العمامة ويشتمل عباءة الكشمير ويعتقل العصا ويندفع في عتامة الليل الرصاصية ، يتوثق العزم في حدبة ظهره وعضلات بطنه ، وتثقل القوة



ساعديه وترسخ فى ساقيه ، والسكة تسرب بين صفين من واجهات الدور ، واجهات رمادية منصرفة صامتة .

الافق الشرقى زحام من النجوم ،نجوم متلالئة فرحةكعيال العيد ، تولدفى القلب البغتة الخافقة ، تطير الاشواق خيوط عنكبوت متلمسة ، يستيقظ التوق الراجف فى نويات الخلايا ، وعلى البعد قطة تموء شوقا ، او كلب يعوى وحده على سطح دار ، امرأة تنادى نداء مبحوحا مستطيلا على جديها الابق .

لكن الوضوء بحصره،يثقل على عرائس جنينية فى رحم اشتهائه تريد أن تتخلق تطلق اجنحتها وتحلق ، مال يبول عند أسفل الجدار ، واذ يتعرى تسفع وركيه نسمة باردة ، وكركرة سيال البول فى التراب توقظ فى جنبيه وشوشة داعرة مسرورة .

رحم الله الشيخ ، كان تيسا فحلا داعرا ، ظل يولد نساءه الاربع الى آن مات ، ملا الدار الكبيرة بالعيال ،يجوس فيها يسلط على لحوم النساء ـ زوجاته أو نساء الخدمة ـ نظرات كسواطير الجزارة ، ثم يزأر فيوزع المرعب على القلوب وينطلق خارجا .

وكانت أمه واحدة من نساء الخدمة، امرأة شامخة لحيمة بيضاء ، اترى ركبها الشيخ ذات ساعة ساخنة فى كبد الليل أو فى صميم الظهيرة ، اتراه سحق لحمها الوثير الابيض بثقلجسده العضلى العارم فى عتامة قاع من قيعان الدار هل كان أن ابعد الشيخ أياه الضرير القمىء المعلول بيمينه الهائلة ودس فى رحم الام نطفة تخلقت هذا الكيان الجسيم ذى الحدبة العضلية واليدين المقردتين الباطشتين .

ما أغرب ليل هاتور ، حينما تندفع النسائم الباردة فى غلائل الظللمة اندفاع اوائل الماء تبرق عيونه فى شقوق الارض الشرقة ، اشتمل عباءته ، لفها على جسده ، ادخل يده فى جيب جلبابه ، باردة تتلمس الدفء فى طيات الثياب التحتية ، تنفرش على سخونة لحم بطنه تنتصب العضلات متصلبة فى قشعريرة يلقى بنفسه متحمسا فى عتامة الليل الصموت .

ما كان الشيخ بالرجل الذى يزنى بنساء الخدمة فى نواحى الدار ، كان يكبح رغائبه كما يكبح الرجل الشديد سطوة الثور العارم ، كانت جهامته هيبا غارقا على شموس فحولته . لكن جسد الام الشامخ كان يتطامن ذليلا بين يديه ، تتعلق نظراتها به مفرجة الشفتين مفرجة الساقين ، يتمزق ثوبها الوحيد عن كنوز لحمها المباحة العريانه ، يزأر بها الشيخ كظيما ثم ينطلق خارجا .

وتبقى المرأة قعيدة ركن قصى تئن على

الشيخ اعضاؤها ؟ فاذا ما تسلل اليها الاب في هداة الليل يسيل لعاب شهوته على صدره ، أسلمت له لحما ساخنا بلهيب العذاب يزفر آهات حرى شوقا للشيخ .

زنى الشيخ بالام أن شوقا وانمخالطة عرقانة ، أسلمت المرأة رحمها للشيخ أن تمنانا وأن انسحاقا تحت سخونة لافحة مجتاحــة ، وفى الحالين تخلقت نطفته من زنى نجس حرام ، وها هو يتخذ العمامة ويشتمل العباءة ويعتقل العصا ويخطو على الارض تلك الخطــا الثقال ، لكنه فى نهاية الامر فقيه القرية الدائر بالقرآن على باحات الدور فى الاصابيح ، هو فى نهاية الامر مؤذن الجامع وحارس دورة المياه .

هذا الليل يحنى الهامة ويثقل على القلب كسجن ذى طيقان عالية بعيدة ، والنجوم مرتجفة كعيون العيال المرعوبين

كان ابوه يجرجره الى احتفالات القراءة الذليلة فى المآتم وليالى النذور ، وجمع الفقهاء العميان محبوسون فى الغــرف المفروشة بالحصير ، يمسحون على رأسه يباركونه بأيد عرقانة ، يدسون فى روحه خنوعا ، ثم يفرقون ، يطنون بالقــرآن كالذنابير الحمرالمسمومة ، يتلفتون توقعا وتوجسا ، تسيل رغباتهم الصفراء على صدرهم ، الى أن يأتى صاحب الليلة يودع فى ايديهم القــروش ، والى أن تاتى صوانى الطعام ، يقبلون عليهــا اقبال الكلاب الضالة على الجيفة المطروحة .

كان عليه أن يفر يلحق بالشيخ فى حقله الممدد تحت الشمس يبقر بطنه بسلاح المحراث ويسوط بالصراخ ثورية المعلمين لكن ذلك مقدور ، قدرا نجسا خالط نطفته ابتداءً من ساعة زنى اسلمت فيها الام رحمها للاب القمىء فى حلال ذليل رغيم أو اسلمت رحمها للشيخ فى حرام وحشى ملعون .

قدر كفله جثث الموتى يغمضها ويغسل منها نجاستها ، كفله دورة مياه المسجد ينظفها من روث قطيع البشريين الصفر الممعودين ، قدر دار به حطه تحت شواهد القبور يقرأ القرآن بثمن قليل كعكات أو حفان تمر ، زوجه بتلك المرأة — بنت رفيق ابيه الفقية الاعمى — امرأة شاحبة هلوع زائغة العينين مخرقة ، مضبقة الحوض بعيدة المأتى بلا رحم كالنحلة الشغالة .

لكنه ابدأ ما خاف ، ما قبع ذليلا تحت اقدام الحيطان ، ماضغ للكلمات الجوفاء الحكيمة ما شبع من لحم المآتم ككلب الجيف ما مشى حول القرية متضعضعا كسيرا فى ثوب الفقهاء الطاهر الناضح بالعرق الدسم عند الاكتاف ، لطخ بروث الدنيا ثوبه وروحه ، حفر الارض باظافره ، حصد بيده واسنانه ، حاش عن معاشه بمخالبه كالحداة ، ملا مخازنه بالغلال وطيقان الدار بالقروش ، ختم عليها بالطين وبات الى جوارها قميصا .

أصبحت له عباءة وصدار وحذاء ، وحينما ورثه ابوه دارا فى حارة الفقراء هدمها واعاد بناءها ، رفع عتبتها من غورها ، وتسع باحتها وغرفها ، ضوء جوانبها ، عمرها بجاموسة وطفل وشياه ودجاج .

فقد تزوج امرأة سوداء شامخة لحيمة هائلة الانف والفم ، جسيمة الفخذين ، يمخر عبابها فى الليل مبهورا بنخيرهــا العارم الكظيم ، ابنة عبد هى ، ربما كان ان ملك فى تلك البلاد السوداء البعيدة واذا كانت روحه قد تمزقت بسـوط النخاس وورثت المرأة هذا التمزق الاليم فانه هو يعانى تشوه جرثومته بفعـل نجس قـديم .

وله حقل ممدد فى الشمس يبقر بطنه بسلاح المحراث زائرا يسوط بهيمتيه ، بالصراخ ، اسمه الشـيخ أحمـد ، اسم جهم المحتـوى ، مكتوم الرنين ، عالق بدار وحقل وجاموسة فحلة ، مكتوب على بطاقة الحيازة ، مرصود فى دفاتر الصراف .

وهو يرتل الايات فى الليل ، فـان خضمها ليزخر بقوة يعلو هزيمها علـى شموس قلبه الابق القديم ، وهو يصرخ فى عيال الكتاب بالقرآن ، تملاه خدودهم الفضة المذبوحة بالعصا احساسا داهما بأبوة متعالية دفيئة .

وهو يدور بالتلاوة على بيوت حـارة الفقراء ، وان قوة القراءة لتاتيه بالنساء خوانع ذليلات ، تأتيه بعسل ، طفلـة الوجه والقلب والعيون .

— وريني يا بت

وكشفت عن صدرها ، انزاحت خشونة القماط عن خدود الاثداء الطفلية ، ثديان أدعجان ، حلمتان دقيقتان يدور حولهما الاعراء والزغب ، أمسكهما الشيخ أحمد ملء كفـه طراوة ونعومة ، وملء قلبه حنانا .

— بت ... انت حبلى .

— يا فضيحتى

— هوا مين

— ....

— فين

— فى الغيط

— يا هبله

وبكت عسل ، بكت وبكت ، أخذها فى حضنه ، ضمها اليه ، صارت له ، تساله وتنصت له مرتجفة وهو يقول .

وها هو يدب فى العتامة مكينا وثيقا له هذا الليل ، الليل حقله المـروى ، زريبته العامرة بانفاس البهائم الساخنة .

مال على الشباك المضىء المقسم باعمدة الحديد فى صدر الحائط الرمادى المعتم تشبث بالحديد البارد الصدىء ، أطل على الغرفة الخالية المدهوكة الحيطـان بالطين ، المضواة بشعاع اصفر كاب ومن أسفل عتبة الشباك انبعث رأس سليمان ، ومن وراء قضبان الحـديد أطل ، تتقطر ملامحه الرمادية بـكاءا اخرسا ذليلا ، وجه أحرقته السـنون والثكل ، صوحته كانما هو شاهد طينى منصوب على جدث قديم .

تناول سليمان القرشى ، آسـقطه فى العلبة ، مد يده الرقيقــة المرتعشــة بالسيجارة ، تناولها الشيخ أحمــد ، وأراد سليمان أن يعــود الى رقوده على الدكة اسفل الشباك ، لكن عينا الشيخ احمد الشائهتين بالعمر والمرض — ظلتا عليه ، بادله سليمان نظرات تعبى ، متكسرة الجفن ، تثقل هامته على رقبته النحيلة الواهنة ، وتهوى مع رتابة انفاس قلبه .

أغمض الشيخ احمد عينيه على همهمة تترسل فى صدره ، تهجى مترتلة كبكائية الثكلى ، تشبث بالحديد أن يتداعى ، أن يبقى عند أسفل الشباك مضعضعا ذليلا ، محدودبا منكمشا على نفسه ، جلسته القديمة يرتل القرآن تحت شواهد القبور

لــكنه تماسك ، وبصــوته المشروخ بهواء الليلة الباردة طلب كبريتا ، أشعل له سليمان سيجارته ومضى توا الى رقاده المطمئن ، ومشى الشيخ أحمد ، تتسلل صكات العصــا على الارض متعثرة ، بتتابع جذب الانفـاس وزفر الدخان فى تنهدات كسيرة .

الخطى تلقى بالسارى فى الخـافقة الممتدة ، والليل مقبرة راكدة الصـمت والظلال ، ووقــع الخطى يعصر القلب بالقهر ، يحل وثاق الاطمئنان ، ينهــار العزم انهيار كومة الرمل الناعم . ورث سليمان عن أبيه حقل وبهيمة ودار ، وولدت له امرأته عيالا ، لــكنه ابــدا مارقد على عشه ليدفئه ، أبدا ماسمد جذور عيدانه الفضة ، ماأحاطها بقلبه ليذود عنها الرياح ، كان دائما عزوفا منصرفا شــاردا متفكـرا نظيف الثـوب واليدين ، والحيوان الطفلة تموت فى حقله السبخ وداره الصامتة التى تمرق من منافذها الاهواء .

مات سليمان من يوم أن شب ، من يوم أن عزف عن الحياة ، من يوم أن أعرض عن توسيخ يديه وقلبــه بروث الدنيا ، كيف يبقى فى هذه الدار الصامتة الرطبة الطنانة كشاهــد طينى مقبض ، كيف تبقى عيناه مفروستان فى القلب .

لم لايموت الرجال كما تموت الثيران منحورين بسكاكين الجزارة ، يصارعون حتى تتفجر الرقاب بالدم القانى ، لم لايندرس الرجال كما تندرس الثيران ، أليس نظاما فاسدا أن تنام شواهد الطين على الاجداث وتبقى مطلة فى الليل كعيون مكبوسة بالعمى ، وأن يحق هزيم قرى الاحياء بصمت القبور الباردة الرمادية ، تكبس على القلوب والارواح ، على لغط النــاس وسـخونة تخــالطهم وتزاحمهم بالرغائب والشهوات .

لــكن النــاس يعيشــون ، يخبون بالجلابيب وحفيف الاقدام فى البهمة ، راجعون فى الليــل كسـباع الطير ، مسارعين ، يقرئون السـلام مخافتين ، يسرى الهمس خلف غلائل العتمة يبصبص كلحظ السارقين ، كومض عيون القطاط الخطافة ، وسوسة يعرفهـا قلبــه ، تومض فى عينيه جسارة تستأنس الظلمة ،

يتوثق فى كيانه تحولا لم ينكسر تحت وطأة الايام المجدبة ٠

يتسمع فيدرك قلبسه مفادا طفليـا بعيدا ، كأنما غيابة البهمة وجار كلبة سوداء والدة تعبق بأنفاس الحياة الجديدة ، انه مخاض بهيمة ، انه عجل جنين يتقلب فى رحم الام يجهد ليخرج ، يسعى بخطمه الاسود المبلول على ريح ليل هاتور الدسم الرطيب .

ياليل هاتور الجهم الملامح كوجه الرجل الحكيم ، العامر بالثراء كقلب الرجل الحكيم ، الطرى كثدى الرضع ، الحافل كثدى الرضع ، يالبل اغتذى على الاوائل الشتوية ، فحملى كورق البرسيم ، ودسم كورق البرسيم ، مخلوط النسائم برائحة دم الولادة ٠

ياليل نائم تحت بطون الجواميس الحبالى ، راضع فى أخلاف الجواميس الوالدة ، مباركة رؤوس العجول العمياء الباحثة عن فتحة الرحم لتخرج ، مباركة الاخلاف الثرة ، مباركة رائحة سوائل الولادة ، وعبق الطبيخ ، ولزوجة السناج وجشاد الشبعى ٠

مباركة الدار العالية الحيطان وسط الدور القميئة ، مباركة الكوى المدخنة وأعلى الباب السود ، مبارك الدخان المنفصد من الفجاج وخلل الجدران وحزم الحطب على السطوح ٠

ارقد ياليل على الدار والقلب كدجاجة أم مقرقرة فواحة بالنتن ، ضم فى حضنك الناعم الزغب النائمين بقلوب صاحية ، المراة الغارقين فى العرق ، الاثداء الناشع من حلماتها اللبن ، أحلام البيع والشراء والشبع ٠

دفع باب داره انفتح ، امتلأ قلبه بالباحة الدافئة المضيئة ، باختلاط الروائح والاصوات المبغمة من البنانى والافنسان والزريبة والمفزق التى آوى اليها العيال ، ابتهج ابتهاجا غضوبا ، رسخ فى مكانه راكزا عصاه متلفتا حواليه ، أقبلت عليه امرأته القديمة تطلع ، تهرف تولول ، لكزها فى صدرها شاتما ، انقلبت تجرى متخبطة الى الغرفة الداخلية ، صفقت الباب الثقيل وراءها ، انحبس صخبها الابيين .

زفر مرتاحا ، القى بالعصا والعباءة والعمامة والجلباب على وتد الحائط ، توترت طاقتا أنفه تتشمما ، يدفعه خيشومه المرهف ناحية الزريبة ، مشى اليها حافيا عارى الرأس فى سرواله وصداره ، تفعم الرائحة رئتيه ، يحدق فى تهاويل الظلام وشحوب الضوء حتى يتبين له هيكل الجاموسة ، والمراة السوداء تحمل على رأسها اللمبة ذات الشعلة ، تراجع الى الوراء قليلا ، مشت المراة مفسحة له ، تهتز اللمبة على رأسها فتتخالط الظلال ومناطق الضوء ٠

بطن البهيمة تتدلى ، والضرع مزدحم ، تكاد الاخلاف المنتصبة المحمرة أن يتفجر منها اللبن ، والجاموسة تباعد بين خلفيتيها ، وقف ازاءها يتأملها محدودبا كعباد البهائم القدامى ، والمراة السوداء فى مكانها جهمة لاتريم ٠



أغمض عينيه ، توشك أن تتحدر على وجهه دموع فرحة طفلية ، فغد او بعد غد تلد الجاموسة ويرتجف قلب الدار على نعار العجل الوليد ، يتدفق سيل اللبن وتتمرغ الابدى فى الدسامة ٠

فتح عينيه ضاحكا ضحكة وانية قريرة ، فان ملامح المراة السوداء ضخمة غير متناسقة كأنها قطع من الطين القيت على عجل ودونما اعتناء ، غير أن لمعة عرينها وومض عيونها معبأ بأنفة عنيدة .

مشت أمامه ، ترتدى قميصا وحيدا يبدى تلاطم لحمها ، تبعها يفرس نظراته فى عجيزتها ، عند باب الزريبة مالت عن طريقه ليسبقها ، اذا هاذاها قبض على ثنيات لحم بطنها ، أنشب فيه أصابعه ، نحت يده بقوة متثنية فحلة ، قد تدلت شفتها السفلى وتحول سواد عينيها مسفرا عن لمعة بياضهما فى الضوء الخابى ، مشت وعرامة تكوينها مفضوحة تحت قميصها الخفيف ٠

تبعها يحدق فيها بعينين محمرتين ورأسه نازلة عما بين كتفيه كالمكلب ، تحس سخونته وراءها لكنها لاتبالى به ، تدور فى الدار ، ترفع الاوانى والمكاتل والحبال من بعثرتها ، تعيدها الى آماكنها المعلومة ، تطل على الارانب فى الاخنان ، تملأ مساقيها وتزيد علفها ، تعد الدجاج فى الصوامع ٠٠

زفر مغيظا محنقا ، ثم قفز على ظهرها حزم ساعديه حول بطنها معتصرا لحمها الوثير وقلبه يضرب كالطبل ، لكنها انفلتت من وثاق هجمته متمددة ، عاود الهجوم لاهثا ، وهى تنافح شرسة ، طردهما المكتوم وفحيح أنفاسهما المبهور يضطرد فى اطار من همس الحمائم وتنهدات الفراخ فى الصوامع ووثبات الارانب الصارخة فى الاخنان .

والرقصة الليلية الساخنة تزداد سعارا ، يلاحقها ، تناضل مراوغة ، يدخلان مناطق الظل ، يندفعان الى شرائح النور ، يتلاطمان ، يرتطمان بالحيطان ، تند عنهما الشهقات أو الزفرات أو الصرخات المبترة ٠

كلما كبشها زاغت ، أصبح وجهها بشما ، وشعرها هائش منكوش ، القى متفسة عليها منشبا أصابعه فى لحم جنبيها ، ملقيا بها على المصطبة ، يسحق صدرها بصدره ، انقض على شفتيها مغمضا يعض كتلتهما بأسنانه ، ريقهما يخالط ريقه مخالطة مبلولة ٠

انفلتت من تحته ساقطة على الارض ، لحق طرف قميصها ، لواه على قبضته ، جرها وراءه لاهثة الى الغرفة ، تمشى ملقاة الرأس الى الخلف ، تعمل فى ظهره وأكتافه بأصابعها ، عارية حتى خاصرتها ، ساقاها أسودان يدقان الارض ، ترتج كتل لحمها فى سيرها المقاوم الرغيم ٠

دفع بها الى داخل الغرفة ، رفس الباب صفعة وراءه ، التفت اليها كالنمر وهى تخربش وجهه وتعضه وتشتمه بهمهمتها الوحشية ، حمل ثقل جسمها والقى بها على ظهر الفرن ، قفز لحقها ، ركبها كحجر الطاحون يلبس محكما فى مجاله ، وجهها يتحرك يمنة ويسرة وساقاها يتبادلان رفس الهواء وهو فوقها لايفلتها ، حتى بدأت تلين له ، تجاوبه ، تعطيه ٠

ثم جن جنونها ، لفت ساعديها الجسيمين حوله ، تدفع صدرها الى حضن صدره ، تمرغ وجهها فى وجهه ، تقمص تحته ، تعض رقبته تحتضنه بساقيها ، تضطرم عارية ساخنة غارقة فى العرق ٠

انتابته رعدة ٠٠ رجع ٠٠ فتح عينيه على وجهها ، حائلة بياض العينين ، ملتوية الشفتين ، متقلصة الملامح بشعة ، أمسكت براحتيها وجهه الذى نبا عن صدرها ، ضمته اليها بقوة ، مفعمة العينين بوله مجنون ، طاوعها عائدا ، يريح خده على نعومة ثدييها ، لحظة حنان لم يجرب عمقها ابدا ٠

● النهار

٠٠ مقدور أن نقوم ، ان ننتزع من حضن الليل بأيد النهار البرصاء التى تلج كل الغرف من فرج الشبابيك ، مقدور أن نقوم ، تدفعنا من أعماقنا مخافة الفوت ، نحمل قلوبا مدفونة فى الصدور كضفادع مدفونة فى طين الشطوط ، تنق نقيقا ضارعا أخيرا ، وبعد أن سوف يعلو وضح النهار وتضيع ضراعة القلوب فى الصخب المختلط ٠

يثقل الهم روحه وجسمه ، متوجس من الصبح توجسه من بهسامة الليل ، يحدق فى شقوق الشباك المفضضية ، اشتبهت وضاءة الشروق بكآبة الغسق ، وجفت دماء القلب ، اسود كجلدة كير الحداد ٠

يعرف قدومهم مع الليل البارح ، قطع من الظلمة ساخنة الانفاس ، مثقلة عواتقهم وظهور دوابهم ، ركضهم اللاهث الساخن ناشب فى عروق العتمة ، واصل الى كل قلب كأنهم الذئاب الغبراء ، والليل يراكم على ظهورهم وحزم بضائعهم بلولة الطل ، لكن قلوبهم تفور كصفائح الشاى المسودة فى حضن نيران غريبة ٠

واذا يعلو الضحى تحتشد القرية فى الباحة أمام المسجد دائخة مخدرة كسيرة ،

شاة ضربها ذئب السوق فى أم رأسها بنابه ، فى وجوه الناس نشوة خوف ، وفى ضحكاتهم رجفة ، يحملون أشياءهم بأيديهم، تنوشهم لعبة الموازين والصراخ والعيون •

وفى العصر ، عند أقدام الحيطان ، فى الحسارات وباحات الدور ، تتكسر القامات والظلال ، وتتكسر الكلمات ، فى جرسها غنة أنثى كسيرة ، يحكون عن الســوق ، عن البيع والشراء ، مستطعمين لذة الخضوع للافتراس •

لازال المصباح على الرفالطينى يضىء العتمة ، لــكنه عجوز منكسر ، وبقايا الظلام معلقة ، من أرجلها فى الاركان القصية ، وبساط النهــار يفرش أرض وسط الدار ، تتمدد حواشيه تزحفعلى الحيطان أكيدة باردة •

ينصنت ، يسمع سيال اللبن يشخب فى الشلية، يسمع شمشمة العيال والفراخ والبهائم ، القلوب الملهوفة على الصبح تنقر شرانق الظلام ، بعد آن تأتى المرأة السوداء تطلقهم من الغرفة والاخنان ، تطلق نهارها الذى تملكه لنفسها ،تطعمه وترعاه ، تحيط به وتحوش عنه ، وفى المساء تحبسه ، تغلق عليه وتنام •

المرأةالقديمة تتحدر نازلة على درجات السلم الطينى ، يداها ملوثتســان الى المرفقين ، جهمةنكدة تولول وتهرفوتشتم كل شىء ، ماعاد ينهاها ، أصبح يعرف امتلاء القلب بالذعر ، وكيف تخف رأس البشرى حتى يشابه دجاجة طائشــة ، ماعاد ينهاها ، انما يلقى اليها سمعه وهو قائم يراقب نوبة هيــاجها حتى تستفرغ طاقتها ، تنحدر دموعها وتتكوم على الارض يهزها النشيج •

والبنت الـكبيرة تدور فىوسط الدار، تبــدر الحبوب للدجاج النهــم المتزاحم الصخاب ، تأملها ، استراحت عينــاه على نماء ثدييها واســتدارة بطنهــا ، وانسحاب فخذيها فى قميصــها الخلق الخفيف ، خطوط جسمها تنسرح فى حزن لين رقيق ، وجهها أسود قبيح ، لكن ملامحها تنطق بذلة تربت على القلب ، كم يحبها ، ابنته البكر الفضة ، صمتها هامس منعزل فى صخب الدار ، وسط ضــجيج الذكور الخــارجين من الغرف مطموس العيون بلطخات الشمس الابيض

اشتمل عباءته واستند على عصاه ، لايريد أن يقوم ، لــكن ثمة يوم فىحياة الرجل يخرج فيه من داره راغمــا ، مدفوعا من دبره كالعجل •

وقف على الباب يتأمل الشمس المفروشة على الاشياء ، ذهبية متهدبة كريش معارف الديوك ، دافئة ناعمة الحضن كالزغب فى بطن دجاجــة أم ، من ذلك الســكن الهدائم الخوافة .

الدفىء يخرج المتسولون ، جــرذان ربمــا أفجع ما فى الصباح متسولو الصباح ، الاغانى السكذيرة ، دفوف المداحين ، المذلة الدامعــة فى عينى الحمار ، الشراسة الحقودة فى دعــاء المجذوب ، ينقر الباب ويمشى ،والاسئلة تنزع فى صمم القلب المبسوط كراهــة اليد .

يسال عن اسماعيل ، طلاع النخيل القديم ، يدور بالابواب يجمع أرغفــة الصدقات الصبحية ، باب ثمباب ثمباب، ملق على العكاز ، تبربش عيناه من تحت الاثمال ، هل يمشى ناحية الدار ، هل تدب خطواته تجاهه .

ــ حسنة لله يا سيادى .

روعت الشيخ خشخشة الصــــوت المكسور .

ــ صباح الخير يا سماعين

نكس اسماعيل عينيه ، خنفساءان تبحثان تراب الارض .

ــ حسنة لله

ــ انت مش غريب

ــ أنا ماش

استطالت رقبة الشيخ احمد من بين كتفيه مندفعة نحو اسماعيل ، يهتف به هتافا حارا .

ــ ليه.. هو ايه.. هى الدنيا ماتت

واسماعيل يتململ فى مكانه ، مذعور العينين ، يخفى ابتسامة جنونية تحــت شاربه الاغبر الكثيف ، زفر الشيخ يائسا لا شىء يشغل اسماعيل ســوى قرص الخبز ، ناوله الرغيف ، اختطفه وانطلق يظلع .

اسماعيل سقط ، طلاع النخيل القدم غدرت به النخلة الحمراء العــالية فى الجرن بظاهر البلد ، وكم طلعها خفيفا عارفا يمرق شفتيه عقب سيجارته ويطلى شاربه الكثيف بالصفار .

وعسل طالعة ، تتريث قليــلا على العتبة ، مطلية بالشمس الذهبيــة ، الشال والكحل والابتسام ، عقد باب دارها العالى مقوس حول بهاء وجهها واكتمال كتفيها .

ــ صباح الخير يا شيخ أحمد

ــ خير يا عسل

والقلب لا يزال ، وفى القلب ماتزال يوم جاءته ، رسوم اللحظة على امتداد جسده كالوشم لا يزيله مرور الاوقات .

لكن عسل ما عادت تسأل ماذا تفعل تزوجت الوغد ، لوحت فى وجه الناس بالوثيقة ، ثم طلقته وعاشــت بنفسها تسرح وتئوب ، تبيع وتشترى ، تعلى حيطان دارها قبالة داره ، تحب التلاميذ تضاحكهم على قارعة السكة ، تشرب سخونة أنفاسهم فى ظلمة الاركان، وهو ها هنا تقرئه السلام فى الصباح والمساء

انشجبت كل الاشياء ، انشــعبت الحقائق ، وعلى الفروع السارحة فى كل اتجاه يتراكم التراب ، وتعمر مابينها كآبة الغربة ، ويغبش صفاء التعــارف لكنها الصبحية ، وذلك الحنين اللاهف المتسائل .

ــ بعت عجلك يا شيخ احمد

الرجال تهرم ، والكلمات كالرجــال تهرم ، يخبو بريقها وتتغضن ، وتصير حاقلة بالندوب مشحونة بالكراهية .

ــ مستنى التجار .. وربنا كريم

ولو انصنت له لبــكى ، وحلف حتى ترضى ، حتى تعود لعيونهــا طفولتهما وينفك من حول قلبه اسار الرعب .

لكن عسل تضحك بلا سرور ضــحكا مريرا ، يوجع ندوب القلب كأظافر القطة

عرف خروج المرأة السوداء من باب الدار خلف ظهره ، استدار لها دونما ارادة ، جمدا متقابلين لجزء من الثانية ثعبانان يترامنان بمقل عارية من الجفون زوجان متعارفان الى الزهد الموات الذى لا تنبض فيه رغبة ، لا يتكلمان منذ أن كف الكلام عن أن يكون اكتشافا ، ونضب من البداهة ومن رقراق الطلاوة ، يموت مودودا فى القلب وتولد بينهما لغــــة خرساء صموت كلغة النمل .

الرجال يمرون بــــه محملة ملامحهم بكآبة العزم ، ممتلئون صمتا ومخــافة وذاهبون الى السوق ، والنساء يبصمن على السكة أقداما لينات كمخالب القطط ريح السوق الزخمة التربة ، القســوية كدفوف الزار ، تنشب فى أعماق الحارات والدور ، توقظ فى القلوب تحبا قديما ، تزقزق فيها صرخات واعرة لا تسمع .

يتقبل التحيات الصبحية ، ويخــانت كارها بالاجابة ، ويعرف اقبال التجار ناحيته ، يحشون اشــداقهم ضحكا ، ويلوون وجوههم فى الجوانب ، تتجاوز عيونهم قلقة المتصام المكتوم ، طاوين جوانحهم على أكياس نقودهم المنتفخة .

يروعك الرجل الذى يشيل ثراءه كله فى حافظة نقوده ، هى حقله وبهيمته ، مبذولة بين يديه كالفخ ، حاضرة مرهفة كالمخلب ، تخالس اليقظة والحرص ، وهو كالصقر طائر محوم منقض .

ــ سلام عليكم يا شيخ أحمد

ــ عليكم السلام

لكنهم لن يسرقوه ، ولن يعرفوا عن مخافة قلبه .

وهكذا استوثق لجلسته فاسند ظهره الى حائط وسط داره ، وركز عصــاه فى الارض محتضنا ركبتيــه بساعده ، والتجار يفحصون العجل الطفل بغلظة وبلا تحرز ، ثم يعودون يتملقون حول الشيخ تبتسم العيون والشفاه فى فتور

وفجأة يمتد واحد منهم ويطعن العجوز بكلمة كالخنجر

ــ انت هتبيع

تتحذى فرائصه ويحدق فىوجه المتكلم الغاضب غير فاهم شيئا .

ــ امال هلعب

يتدخل آخر شارحا حينا هادئا باردا كالسم

ــ أصل انت يا شيخ احمد مرجعانى .. ومالكش كلمة .

ينحل وثاق جلسته ، يتربع مفترشا الارض ، والعصا ملقاة أمامه ، هكذا .. يشتمونه بلا مواربة ، وتحــاصره وجوههم بالجهامة .

ــ جرى ايه يا جماعة

يضحك أحــدهم مادا يده للشيخ ، ودون وعى تمتــد يده ، خــائف ككلب

مبلول تحاصره العيال
ــ ثمانية جنبه .. بعت
ــ لا
وأصابعه تتملص فى ارتباك من أسار اليد القابضة ، والرجل يعصر اليد الهرمة بقسوة ثم يلقى بها زاهدا قرفانا
ــ الراجل ده مش بياع
ويترسن آخر فى الكلام فاترا حالمـ يتأمل أصابعه تلف ورقة البفرة حول حبة الدخان .
ــ ايوه .. حاجته غالية عليه .. عين فى الجنة وعين فى النار .. والبيمة اللى زى دى مافيهاش رياح .. ويضيف آخر
ــ وبتاخد فى سكتها
والعجل واقف قبالة الشيخ هشا نعبسا مفرق القوائم ، متدلى الهامة جاحظ العينين ، والبنت تدور من بعيد ترا من اباها بعينين باكيتين ، يستطيع أن يطردهم خارجا ، وينادى ابنته البه ، ويقول لها أن تعنى بالعجل ، وسوف تفهم وتلزم الحيوان الطفل ، ولا تخرجه من قلبها ابدا ، لكن كابوسا يقهر ارادته بالجمود .
يتودد اليه أحدهم :
ــ العجل هزلان يا شيخ أحمد .. مراتك ما بتخليش فى قمه حفان ابن يقوته
يعرفون عن سطوة امرأته فى الدار من شحها على بهائمه ، وهوان حزمه عليها ، يشيرون الى عورة حياته باصبع همجية
ــ مانيش بايع
ويقهقه واحد
ــ ولا بتسعة
وكاد يبكى حقا وهو يقول
ــ لا
وقاموا يخرجون تنسحب الضجة مع خطوهم ويفرش على اعقابهم الفراغ
لكن على العتبة رجع احدهم وحافظته فى يده يقول فى حزم صادق رصين
ــ اسمع .. العشرة آهه .. فيها جنيه مش بتاعك .. هيه .. قلت ايه ؟
ويتبعه آخر ممتلىء الفم بالضحك ممتلىء الكيان بالرقص يكلم زميله
ــ معلهش .. يقرا به سورة البقرة على أبوك .
لكن المتكلم لا يبالى بالفكاهة ويصرخ بالشيخ أحمد
ــ بعت .. ؟ قول يا أخى بقى .. ينعل ابو دى بيعه
وينصهر العجوز فى لفحة الغضب
ــ بعت
يأتى الابه الثالث كأنما هو موشك على تمزيقه
ــ بعت دى كمبياله .. ترجع فى الكلام لا .. احنا مش عيال
والجنيهات العشرة فى يده لا يمير جوابا ، وهم يأخذون العجل ، يدفعونه من دبره خارجين ، واذا يصمت وسط الدار بعد خروجهم يدرك الشيخ انه سرق ، سرق بدناءة وبلا رحمة

انطلق يجرى على آثارهم ، زوبعة من الاصوات تحمله كورقة ، تعصف به عصفا ، تعلو فى صخبها المختلط الغاضب قهقهات عسل كفرقعات سوط ، وقهقهات عيال الكتاب الذين كبروا واخذوا عسل الى كل الاركان ، قهقهات آتية من شقوق الارض ، من ابعد ايام العمر ما عاد شىء ، ما كان شىء ، كل الايام خرائب ينعب فيها اليوم ، يوم على راس كل يوم ، كان يجب أن يعرف أنه لا جدوى فيأخذ حبله وسكينه ويسرق ؛ الان يسارك السارقين بصراخ مخلوط بالدم من قلب هرم ، هرم ، لكنه قادر على أن ينشب اظافره فى حلقوم رجل ، ويموت وعلى نواجيزه أمشاج من لحم ودم .
وحالما تميزت ملامح تاجر البهائم فى عينيه انشب مخالبه فى حلقومه ، تفور فى غضاره لحم الرقبة ، والرجل المذعور أهوى على وجهه بصفعة هائلة فجرت برقا فى عينيه ، وصفرت فى اذنيه صفيرا حادا مستطيلا كأنما فى داخله بئر بلا قرار .
الناس محدقون ، وجوههم صفراء عطل من طلاوة القساوة ، بلبت ملامحها كما تبلى دهاكة الحيطان ، موصولة بقلوب عليلة ، تندفن الرؤى فى اغوارها السحيقة تحت ركام ألف عام من القهر والمخافة .
لكن الحدث فعل فعله ، نشب فى نويات الخلايا قبل أن يلحقه الادراك ، ارتعدت الفرائص فى غيبة الوعى ، تفجرت الرؤى من أعماق القلوب العليلة دامية شرسة ، عاوية متعاركة كذئاب جياع فى ظلمة راثمة أعمت البصائر وأطلقت هبائس الامكانيات الجارحة .. الساقطة .. كبروق الليل الموجزة .
وغمر الضحى هذه الكيانات البشرية الهزيلة وجلابيبها المتسخة ، أمنساء الوجوه الكابية تحت الطواقى الصوفية ، يصنع لهم ظلالا متكسرة متفرقة ، قياما متباعدين أو قعودا مبعثرين على دكك المقهى ، يبصرون بالرجلين دقفان متقابلين على وجه الاول صفعة وعلى رقبة الاخر آثار أصابع خانقة ، ينظرون اليهما ذاهلين ، غير فاهمين شيئا .. انما
ــ حصل خير .. حصل خير
ويدفع الشيخ بعيدا ويدعى تاجر البهائم الى الجلوس وتناول الشاى ، الحركة والكلام بثقلهما وجوم ، فقد كان حلما باهظا صحوا منه مشلولى الايدى والارادة .
والشيخ يجرى ، يحمل موته على عاتقه مبتعدا ، مرتعدا ككلب مسموم يبحث عن ركن قصى يموت فيه ، تدور بعينيه فى الجوانب ، يروعه صخب السوق ، تتساقط على رأسه الصيحات والصرخات ، تلكزه فى جنبه الاندفاعات الفجائية ، وتهمم عليه بشاعة الملامح وتشنجات حوار الايدى والاصابع
دفع الباب ، الدار صامتة كالقبر ، دخل الغرفة ، كافح بكل طاقته ليصعد ظهر الفرن ، سقطت عمامته وعصاه ، كافح بأظافره وأسنانه ، لحقت به ابنته الكبيرة ، أعانته حتى رقد ممددا على الحصير ودائرة فضية من كوة الحائط تسقط على وجهه .
ابنته تطل عليه ، وجهها غائم بلهفة خرساء وهى ترى تقلص ملامحه الاليم تأخذ يده بين يديها ، جامدة باردة كالثلج ، تنشج منادية أباها ، تمرغ وجهها فى بسطة راحته الباردة ، تدعكها فى دفء لحم رقبتها ، تدفنها فى صدرها مغمضة العينين هالعة ، يدور وجهها فى الجوانب جزعا على أبيها ، تحضن يده اليها ، تعطيها بكل طاقتها من دفء ثدييها الطفلين
وراحة اليد متصلة بخفقان قلبها وحر صدرها ، مبللة بدموعها ، تدفأ ، تمشى فى عروقها حياة مرتجفة ، تدب الانامل الواهنة ، تحيط الراحة الكبيرة بتكور الثدى .
ودائرة الضوء ساقطة على الوجهين المتقاربين ، على يدى البنية مضمومتين الى صدرها تحتضنان اليد الهرمة المدسوسة بين ثدييها فى ضراعة مرتعبة سخونة تلهب وجهها ، تضرم فى عروقها نارا لم تعرفها أبدا ، مخافة مضرجة بالمسرة ، تكاد تجحظ عيناها فى قبضة عماء مفزع .
لكن ملامح الوجه الهرم تسترخى من قبضة التقلص الايمة وتستريح ، ويستضىء الوجه برضى قرير ، تنزل دموعها دفيئة ، وتحتضن اليد الابوية فى حنان وتحكم بسطة راحتها على جماع ثدييها وتستسلم لحرقة البكاء .
وفجأة يقسو الوجه ، تتصلب الملامح تتسع حدقتا العين فى تركيز باتر غير مبصر ، تعبير لم تره على وجه بشرى أبدا ، تتدفق مخافتها منه آتية من أغوار عروقها ، تحس الالم الموجع لقبضة اليد المتشنجة على ثدييها ، تصرخ صرخة فزعة .
من صوت انحطام عذرية البكر الباقى فى قلب كل رجل ذكر ، من صراخ البنات بصنع الوهج الحامى فى أضاحى الاسواق الرجفة والترويع والجنون فى صدر النهار المترب المنصوبة فيه قدامى الحيطان مجللة الرؤوس بالحطب المصوح ، النهار الباهر الشرس الواصل الى اطواء السرائر والهواجس .
والشمس قحبة ، لطخت نفسها بالطلاء وازدهت فى ضحى هذا اليوم من أيام هاتور ، أنشبت مخالبها فى الناس الدائخين ، الخائفين سحائب الغبار ، المعذبين بالقلق والرغبة فى البيع ، تلك الرغبة الانثى المهيضة المغرقة الساقين فى ساحة السوق .. فى عرس اللواط ، والشمس تضحك اذا تتخضب أيدى التجار وصدورهم كما يتخضب الحاصدون بدماء البرسيم .
نجست الشمس والارض ، نجست السكك وذيول الجلابيب ، نجس التراب والقتام ، نجس البيع والشراء .

كشاف الموضوعات لعام ١٩٧١

الأمم المتحـــدة :

اوروبا — عام :

بريطانيـــا

فرنســـــا :

تاريـــخ

قـــــبرص :

المـــانيا الاتحادية : (الغربية)

المـــانيا الديمقراطية :

مالطــــة :

تاريخ : أنظر : فرنسا

ثقافة — أدب — فنون — علوم — (العالم)

أدب

فنـــون

العالم العربي — أدب

■ جمال عبد الناصر :

■ سياسة دولية — عام :

■ معاهدات :

■ الصراع العربي الاسرائيلي :

العـالم الشيوعى — عـام

■ المانيا الديمقراطية :

انظر : أوروبا — المانيا الاتحادية

■ الاتحاد السوفييتى :

■ استكشاف الفضاء :

■ تنظيم سياسى :

■ سياسة خارجية :

— أنظر أيضـا :
سياسة دولية — مشـاهدات

علاقات خارجية

الهنـــد :

— أنظر أيضـا :
ج. م. ع.
علاقات خارجية :

■ بلغـــاريا :

■ بولنـــدا :

— أنظـر :
سياسة دولية — مشـاهدات

■ تشيكوسلوفاكيا :

■ رومانيـــا :

■ الصـــين :

فييتنام الديمقراطية :

كوبا :

كوريا الديمقراطية الشعبية :

المجر :

يوجوسلافيا :

العالم العربى — عام :

انظر أيضا :

اتحاد الجمهوريات العربية

بترول :

انظر أيضا :

الخليج العربى

■ الأردن :

— انظر أيضا :

فلسطين — المقاومة

■ الجزائر :

■ جمهورية مصر العربية :

انظر : رأس موضوع مستقل .

■ الخليج العربى :

السودان :

سوريا :

عدن :

العراق :

فلسطين :

المقاومة :

— أنظر أيضا :

الاردن

الكويت :

لبنان :

ليبيا :

المغرب :

اليمــــن :

اليمن الديمقراطية :

جمهورية مصر العربية — عام :

■ الاتحاد الاشتراكي العربي :

— أنظر أيضا :
دستور
— أنظر أيضا :
تنظيمات جماهيرية .

اقتصاد — عام :

■ بتــرول :

■ تخطيــط :

■ زراعــة :

■ تاريــخ :

تنظيمات جماهيرية :

ثقافة — أدب — فنون — علوم — عام

■ ثقافة :

■ أدب :

فنـــون :

علـــوم :

دستـــور :

دين :

أنظر : قيم روحية

السد العالى :

أنظر ج.م.ع. — اقتصاد

سياسة خارجية :

شئون داخلية :

— المؤتمر السنوى للمجلس القومى للسلام . ((تقارير الشهر)) . ٤ ١١٢

— [كتاب] حرية الصحافة وفق تشريعات الجمهورية العربية المتحدة . د. جمال الدين العطيفى . ((مكتبة الطليعة)) . ٤ ١٣١

— اتجاهات العمل والمستقبل . (بعد حركة تصحيح ١٤ مايو) ((تقارير الشهر)) . ٦ ١١٣

— التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية فى البرنامج . (برنامج العمل الوطنى)

— مفاهيم أساسية للحكم المحلى. د. وليم سليمان قلادة . ١٠ ٥٧

شئون عسكرية :

— أنظر أيضا :

تاريخ

— مواجهة العدو لتحقيق النصر ، (وسيلة الردع العسكرى) . ابراهيم سعد الدين . ٣ ١٦

— أنظر أيضا :

قضايا عسكرية (العالم)

علاقات خارجية — عام :

— رسالة من بودابست . (حول رسالة الرئيس السادات الى المؤتمر العام للمجلس العالمى للسلام) رفعت السعيد . ٦ ١٣١

■ الاتحاد السوفييتى :

— أنظر أيضا :

العالم العربى — عام

— اهمية معاهدة الصداقة والتعاون العربية السوفييتية . د. محمد على الشهارى ٧ ٦٦

— معاهدة الصداقة العربيةالسوفييتية قاعدةطويلة للتعاون الشامل ((تقارير الشهر)) . ٧ ١١٤

الموقع الفكرى والاجتماعى والسياسى للبرنامج (برنامج العمل الوطنى) .

— الصداقة العربية السوفييتية سلاح مشترك للنضال ضد الامبريالية والعدوان . عبد اللطيف حنفى . ١٠ ٣٢

— خطوات مشتركة لازالة العدوان الاسرائيلى . (حول زيارة الرئيس السادات لموسكو) ((تقارير الشهر)) . ١١ ١١٥

عمال التراحيل :

— أنظر :

ج.م.ع — قضايا اجتماعية

قضايا اجتماعية — عام

— موقع السد العالى من نضالنا الوطنى والاجتماعى ((الافتتاحية)). ٢ ٥

— المميزات العامة للتركيب الطبقى فى مصر عشية ثورة يوليو ١٩٥٢ . د. مجال مجدى حسنين ٤ ٥١

— شهادة الخدمة الاجتماعية قبل تعيين خريج الجامعة ((مناقشات مفتوحة)) . ٥ ١٤٩

— تعليق على مقال : ((المميزات العامة للتركيب الطبقى فى مصر)) ((مناقشات مفتوحة)) . ٦ ١٤٦

بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .

— بناء المستقبل فى ((برنامج العمل الوطنى)) . عبد التواب يوسف . ١٠ ١١٢

— حول مفهوم ((القيم)) فى البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .

بنـاء الانسان الجديد . لطفى فهيم . ١٠ ١١٩

— نحو فهم أفضل للمراهق . د. عزيز أحمد رياض ١٢ ٧٢

أجـور :

— الدرجة الحادية عشرة . (رسالة من مواطن يناقش عدم ملائمة دخل المعين على الدرجة الحادية عشرة) . ((مناقشات مفتوحة)) . ٩ ١٧٠

تعليم :

— انظر ايضا :

قضايا اجتماعية (العالم)

— ماذا يعنى الغاء الامتحان فى المواد القومية ؟ تعليق بقلم ممدوح عبد الرحمن . ١ ١٢١

— وظائف التعليم الجامعى وسياسته العامة . د. رشدى لبيب . ٢ ٩٦

— ملف خاص عن التعليم ، محو الامية ، التعليم الابتدائى، التعليم الثانوى، التعليم الجامعى، عن تجارب الدول الاشتراكية . ٢ ٧٩

— مبادىءأساسية فى تخطيط التعليم. د. اسماعيل صبرى عبد الله . ٢ ٨٠

— التعليم الابتدائى قضايا ومشكلات . ممدوح عبد الرحمن . ٢ ٨٧

— نحو مدرسة ثانوية مصرية شاملة . ابراهيم الابيارى . ٣ ٩٢

— نافذة على تجارب الدول الاشتراكية .
أولا : نظام التعليم العالى فى الاتحاد السوفيتى
ثانيا : المدرسة البوليتكنيكية فى المانيا الديمقراطية .
ثالثا : التعليم الثانوى فى المجر .
رابعا : بعض قضايا التعليم فى رومانيا .
خامسا : التعليم العام فى بولندا .
سادسا : الصين الشعبية والثورة البروليتارية فى التعليم . (من اعداد الطليعة) . ٣ ١٠٢

— حول قضية ((التعليم فى مصر)) . (مناقشات مفتوحة) . ٣ ١٣٢

— مؤتمر التعليم فى الدولة المصرية بين التنظيم السياسى والهيئات الفنية ((تعليق)) ممدوح عبد الرحمن . ٤ ١١٤

— ايضاح أكثر .. لقضية التعليم .

— المدرسة الثانوية الشاملة . (تعليقان على ما اثارته الطليعة عن التعليم فى مصر) ((مناقشات مفتوحة)) . ٤ ١٥٢

— الفلسفة والثورة . ((تعليق)) (حول مؤتمر مدرسى الفلسفة مع امانة القاهرة) د. مراد وهبة . ٥ ١٢٠

— الاساس الاجتماعى للتعليم الخاص . ممدوح عبد الرحمن . ٧ ٨١

— قضية التعليم الخاص والدستور . « كتابات جديدة » . ٨ ١٥١

— بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .

— مشكلة التعليم وقضية التقدم الاجتماعى . أديب ديمترى . ١٠ ٨٣

■ الـريف :

— من أجل حماية مكاسب الفلاحين . د. على النويجى ، د. جلال رجب. ٢ ٤٧

— خطوات حاسمة فى مشروع كهربة الريف . « تقارير الشهر » . ٣ ٩٣

بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطنى .

— اعادة بناء القرية : معركة سياسية وجماهيرية . حسنى حسين . ١٠ ١٠٧

— اعادة بناء القرية ، القضية والخطة د. جمال حمدان . ١٢ ٥١

عمال التراحيل :

— عمال التراحيل ، المشكلة والحل . (دراسة اشترك فيها حسن معاذ رميح ، حسنى حسين، عطية الصيرفى ، كمال السيد) . ١ ١٩

— حول مشكلة « عمال التراحيل » — تعليق رفعت السعيد . ٢ ١١٩

— قضية ملحة وحلول مطروحة — « من المجلات الفكرية العالمية » ٣ ١٢٥

المـرأة :

— أنظر :

تنظيمات جماهيرية

محو الامية :

بعض الاسئلة التى يطرحها البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .

— محو الامية : مهمة لا تحتمل التأخير ممدوح عبد الرحمن . ١٠ ٧٩

المهجرون :

— المهجرون .. والعمل السياسى . (مناقشات مفتوحة) . ٣ ١٣٢

— مسئوليات مباشرة . (رسالة من مواطن مهجر) « مناقشات مفتوحة » . ١ ١٤٨

هجـرة :

— « هجرة العقول » ما هو الحل ؟ د. توفيق محمود بركات . « كتابات جديدة » . ٧ ١٣٨

■ قيم روحية :

— أنظر أيضا :

ج.م.ع. — تاريخ

— انتخابات البطريرك والتراث الديمقراطى المصرى د. وليم سليمان . ٨ ٦٧

— انتخابات البطريرك . « مناقشات مفتوحة » ٩ ١٧١

— حول مفهوم « القيم » فى البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .

— ارض مشتركة للقيم الروحية والاشتراكية . محمد عمارة . ١٠ ١٢٥

حول مفهوم « القيم » فى البرنامج . (برنامج العمل الوطنى) .

— القيم المسيحية وقضية الاشتراكية . القمص : جرجس متى . ١٠ ١٣٠

النص الكامل لكتاب الشيخ على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ، بحث فى الخلافة والحكومة فى الاسلام . « وثائق » . ١١ ١٣٧

■ نقـابات :

— أنظـر :

ج. م. ع. — شئون داخلية .

تنظيمـات جماهيرية

■ قضايا اجتماعية : (العالم)

— التقاليد وعملية تكوين التقاليد نموذج مراكش — د. عبد الله العروى . ٣ ٦٥

— المعلم والتربية الاشتراكية . د. عزيز حنا داود ٨ ٧٦

— ثغرات فى جبهة الرأسمالية العالمية ، من المطلب الاقتصادى الى التغيير السياسى والاجتماعى . عبد المنعم الغزالى . ٥ ٨٨

— أصل البورجوازية . ريجين برنو . « مكتبة الطليعة » . ٥ ١٣٨

— التطور غير الرأسمالى فى آسيا وأفريقيا ، ماله وما عليه .. مشاكله .. وأبعاده . لوثر راثمان ، هارتموث شيلنج . ١١ ٥٧

■ قضايا اقتصادية : (العالم)

— معركة الاوبك وشركات البترول ، ولماذا حتمية انتصار الدول المنتجة فيها ؟ صلاح منتصر . ٣ ٣٦

— الازمة البترولية العالمية وصحوة الاوبك . مصطفى النجار . ٤ ٧٠

— الامبريالية تغير جلدها وتتشكل فى مواجهة الاوضاع التاريخية الجديدة . « من المجلات الفكرية العالمية » . ٤ ١٤٣

— حول بعض المسائل النظرية فى الاقتصاد الاشتراكى . كيم ايل سونج « مكتبة الطليعة » . ٢ ١٢٧

— (كتاب) مدخل الى الاشتراكية . ليوهيوبرمان ، بول سويزى — مقدمة : البرت اينشتين — عرض كمال السيد . « مكتبة الطليعة » . ٧ ١٢٦

— جذور ازمة النقد فى العالم الرأسمالى . يوسف الحجاجى . ٦ ٨٧

— انقاذ « الدولار المريض » .. بدماء الاخرين . « تقارير الشهر » . ٩ ١٥٦

— بيرو : اخفق مؤتمر « الفقراء » فى توحيد صفوفهم . [تقارير الشهر] . ١٢ ١٢٧

قضايا عسكرية : (العالم)

قضايا فكرية وايديولوجية :

الولايات المتحدة الأمريكية — عام :

استكشاف الفضاء :

اقتصـــــاد :

شئون داخلية :

شئون عسكرية :

قضايا اجتماعية :

وثـائق

كشاف الأسماء لعام ١٩٧١

حسن صعب :

— رؤية عصرية للمشروع الوحدوى العربى . ٣ ٥٤

حسن فـؤاد :

— رسالة من نيقوسيا : مشكلة التوازن بين حقوق الاقلية التركية وفاعلية الحكومة . ٢ ١٣٠

حسن معاذ رميـح :

— اشترك فى دراسة عن عمال التراحيـل ، المشكلة والحل . ١ ١٩

حسنى حسـين :

— [اشترك فى دراسة عن] عمال التراحيل ، المشكلة والحل . ١ ١٩
— اعادة بناء القرية : معركة سياسية وجماهيرية. ١٠ ١٠٧

حسـين شـعلان :

— (اشترك فى اعداد ملف احداث العالم الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسـابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ » . ١ ٧٢
— التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية — موزمبيق . ٣ ٣٠
— حركة التحرر بين الدعوة الى « حوار افريقى » مع جنوب افريقيا والدعوة الى « حـوار عربى » مع اسرائيل . ٧ ٧٨
— ٨٠ شهرا من حياة الطليعة
١ — حركة التحرر الوطنى . « عرض » ٩ ١٠٧
— فخ العمالقة ، رد على الدكتور بطرس بطرس غالى (٨٠ شهرا من حياة الطليعة) . ١١ ٨٨

حسـين طلعت :

— (اشترك فى ملف احداث « أمريكا اللاتينية » الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ » . ١ ١٠٢

حمدى عبد الجواد :

— (اشترك فى ملف احداث « الولايات المتحدة » « الذى قدمته الليعة تحت عنوان) حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ » . ١ ٨٠
— (اشترك فى ملف احداث « الشرق الاوسط » « الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ » . ١ ٩٠
— الصهيونية ، التاريخ — الحركة — الافكار — المصالح (دراسة موسعة مع آخرين) . ١١ ١٠
— [اشترك فى دراسة موسعة عن] اسرائيل ، الكيان ، الايديولوجية ، الاستراتيجية . ١٢ ١٠
— طبيعة المرحلة الحالية من الثورة ، قوى الثورة — موقعها من العملية الثورية . [٨٠ شهرا من حياة الطليعة ، المواقف والاتجاهات] . ١٢ ٨٠

(خ)

خروشوف ، نيكيتاس. :

— موسكو : خروشوف .. بين الاصدقاء والاعداء « تقرير خاص » سمير كرم ١٠ ١٥٥

خيرى حمـاد :

— حول القضية الفلسطينية ، انها قضية العصر حتى تجد الحل الامثل . [٨٠ شهراً من حياة الطليعة ، المواقف والاتجاهات] . ١٢ ٨٦

خـيرى عزيز :

— (اشترك فى اعداد ملف أحداث العالم الذى قدمته الطليعة تحت عنوان) « حسابات ١٩٧٠ وآفاق ١٩٧١ » . ١ ٧٢
— (عرض كتاب) حول بعض المسائل النظرية فى الاقتصاد الاشتراكى . ٢ ١٣٧
— التعبئة الشعبية : خبرات وتجـارب ثورية — فيتنام . ٣ ٢٦
— الانجازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكوميونة باريس . ٦ ٣٩
— « تيتو لم يصـبح بندقيـة فارغة » « تقـارير الشهر » . ٦ ١٢٣
— كوريا الشمالية : البلد الذى يعيش فى ساعة الصفر . ٨ ٩٧
— برلين : من الذى خسر الجولة ؟ « تقـرير خاص » . ١٠ ١٦٠
— الخطأ الذى وقع فيه المراقبون السياسيون (تقرير خاص) . ١٢ ١١٠

(د)

دوستويفسكى ، (فيودور) :

— رسالة من موسـكو : ١٥٠ عاما على ميـلاد دوستويفسكى . فيصل حورانية . ١١ ١٢٧
— رسـالة من موسكو : من بيكاسـو .. الى دوستويفسكى .. الى يفتشنكو ، دوستويفسكى وروح العصر . سعيد حورانية . ١٢ ١٣٠

ديفيز ، أنجيـلا :

— انجيلا ديفيز .. والهجوم الدموى الجديد . « تقارير الشهر » . ٢ ١٢٩

دينيكين ، [ايفانوفيتش]

— [ترجمة عنه] ١٢ ٣٩

(ر)

راثمان : لوثر :

— التطور غير الراسمالى فى آسيا وأفريقيا . ١١ ٥٧

زاوية المنسترلى

— ماذا يقول العاملون فى الحقل المسرحى . ٦ ١٠٢

رجب البنـا :

— اسرائيل وجنوب افريقيا . ٤ ١٤٧

أعد الكشاف : عز الدين شوكت

جريدة الاهرام ، قسم المعلومات

الثمن ١٠ قروش

مطابع الأهرام التجارية



٢

السنة الثامنة ــ فبراير ١٩٧٢

- المشكلة الرئيسية التى تواجه حركة التحرر العربى
- الذكرى الخامسة عشر للاتحاد العام للعمال
- حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية
  «خبرات فى الفكر والعمل السياسى»
- جبهة الزراعة فى معركة التحرير والبناء

ملحق
الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الثانى ـ السنة الثامنة ـ فبراير ١٩٧٢

● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاءالقاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٩٥٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.٤.م دول اتحاد البريد العربى ودول السداد البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده فكرة أصيلة .

من هـــذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد أختلف معك فى الرأى ولـــكنى على اســـتعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) ؟ .

الافتتاحية

تفسح « الافتتاحية » مكانها في هذا العدد للكلمة التي القاها لطفي الخولي باسم وفد الاتحاد الاشتراكي العربي في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني الذي انعقد في بيروت من ٧ ــ ٩ يناير ١٩٧١

المشكلة الرئيسية التي تواجه حركة التحرر العربي

أيها الاصدقاء :

يسعدنا ــ زملائي وأنا ــ أن نقف اليوم على منبركم ، فوق أرض لبنان وتحت سمائه حاملين اليكم من القاهرة ــ باسم اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ــ تحية النضال المشترك على طريق التحرر الوطني والديمقراطية والاشتراكية والوحدة .

لقد اثبتت التجربة التاريخية لحركة التحرر العربية ، وما تزال ، ان هذا الطريق يتسع برحابة لزمالة صحية ومثمرة بين كل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والعنصرية والتخلف . وذلك على الرغم من اختلاف المنابع الاجتماعية والفكرية لهذه القوى . بل ان التجربة ، ما برحت تؤكد مع شروق كل انتصار وغروب كل هزيمة ، أن مواصلة التقدم على هذا الطريق ــ كما وكيفا ــ يتوقف بالدرجة الاولى على مدى وحدة العمل التي يمكن أن تستقطب ، بوعي ومسئولية ، جميع قوانا الوطنية والتقدمية ، سواء على مستوى البلد الواحد ، أم على مستوى الوطن العربي كله .

والحق ان اصرار شعبنا المصري ــ العربي على السير بثبات على هذا الطريق ، متخطيا كل الصعاب والازمات ، هو الذي قاد خطواتنا اليوم الى مؤتمركم .. هذا المؤتمر الذي يهيء لقاء من أهم اللقاءات في تاريخ النضال العربي ، بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وما صاحبها وتلاها من صراعات واحداث اليمة ودامية في الوطن العربي . فلاول مرة يتم مثل هذا اللقاء في وضح النهار ومن خلال الابواب الطبيعية ــ دون ما عقد أو حساسيات ــ بين تنظيمات وطنية تقدمية كالاتحاد

الاشتراكي العربي ، وبين تنظيمات ماركسية لينينية كالحزب الشيوعي اللبناني . لكل منها منطلقاته الفكرية ، وتكويناته الاجتماعية المتمايزة . لكن نقاط الاختلاف لم تمنع من الجمع بينها في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والعدوان الصهيوني والتخلف الاجتماعي والاقتصادي للشعوب العربية .

واذا كان المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ، بتفتحه — اليوم — تحت الضوء في أحضان الشعب اللبناني بتراثه الديمقراطي العريق ، يجسد ظاهرة ايجابية على جبين الكيان اللبناني المعاصر ، فان انعقاده — على هذه الصورة — يكشف في نفس الوقت عن علامة صحة لمسيرة حزبكم التاريخية ، الذي كان — وما يزال — وطنا لبنانيا ، بقدر ما هو عربي في قوميته ، وانساني شجاع في أمميته . وأثبت حزبكم ان مثل هذه المعادلة السياسية للوطنية والقومية والأممية ، على عكس كل تصورات الفكر اليميني المتخلف أو اليساري المغامر ، ممكنة التحقيق نظريا وعمليا على السواء ، وخاصة في بلاد كبلادنا العربية .

أيها الاصدقاء :

ان شعبنا يقدر تقديرا عاليا ، اسهام حزبكم مع مجموع الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والتقدمية في الحقل السياسي اللبناني ، مواقفكم الحاسمة والشجاعة في تأييد نضاله الوطني والقومي ، ترجمة للاخوة التاريخية العميقة الجذور بين الشعبين اللبناني والمصري . وهي الاخوة التي تشكل أرضية العلاقات الصحية الراهنة بين قيادة كل من البلدين ، بتقدير واع لظروف لبنان الخاصة ، كبلد عربي في حوض البحر الابيض المتوسط .

ونأتي لبيروت اليوم للقائكم ، ولقاء الشعب اللبناني كله ، ونحن ملتزمين بالقرار الحاسم الذي اتخذته القيادة السياسية في مصر — رئيسا ولجنة مركزية — في الثامن من ديسمبر ١٩٧١ ، بانه لا بديل — بعد كل الجهود السياسية — عن خوض معركة الشعب والجيش لتحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلي ، مع تقدير واقعي لجميع العوامل والظروف المعقدة وما تستلزمه المعركة من تضحيات جسيمة وشاقة ، وفي ضوء المساندة العالمية من الشعوب المحبة للسلام والحرية ، والشرعية الدولية ، والمصلحة القومية والصداقة الفعالة — ماديا ومعنويا — مع البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي .

وهو القرار الذي أعاد تأكيده مؤتمر كل السلطات في المجتمع المصري ، الذي انعقد لاول مرة في تاريخنا ، تجسيدا للعمل الجماعي الشعبي والرسمي ، في الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٩٧١ .

وكلنا يعلم ، **أيها الاصدقاء** ، ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وان أدت الى ذلك الاحتلال العنصري لارض عربية جديدة ، الا أنها كشفت بوضوح أيضا عن النواقص والسلبيات الخطيرة في البناء السياسي والاجتماعي لحركة التحرر العربية . ومن هنا انطلقت القوى الاصيلة وصاحبة المصلحة في التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ترفض الهزيمة وتعري النواقص والسلبيات في نفس الوقت . وتركز أساسا على ضرورة الديمقراطية من أجل البناء التقدمي داخليا ، ومن أجل التعبئة القتالية ضد العدو المحتل . وكان رفعها لشعار تحرير الارض ، يعني في نفس الوقت التحرر من السلبيات والنواقص السياسية والاجتماعية .

ونستطيع أن نقول أن صمود مصر والتضحيات الغالية التي قدمها الشعب

البسيط بابنائه . ومن ماكله وملبسه وراحته ، كانت العامل الرئيسى فى الصمود . كما أن وطنية الجنود والضباط قد الهمتهم أن يبذلوا كل جهد ويتحملوا كل مشقة من أجل أن يعيدوا بناء القوات المسلحة فى زمن قياسى . وكان لهم ما ارادوا .

وبفضل هذا كله ، وبفضل تضامن قوى الاشتراكية والتحرر والسلام ، تمكن شعبنا من احباط الاهداف الرئيسية من وراء عدوان يونيو ، والتى تركزت فى تصفية حركة التحرر العربية باهدافها الحرية والديمقراطية والاشتراكية والوحدة . غير ان احباط هذه الاهداف لا يشكل فى الواقع الا المقدمة اللازمة لمعركة تحرير الارض وتحرير حركتنا السياسية والاجتماعية من سلبياتها . ولقد بذلت قيادة البلاد الوطنية ، على المستوى السياسى والدبلوماسى ، كل جهد ممكن لتصل الى حل وفق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . لكن الامبريالية والقوى الصهيونية الاسرائيلية التوسعية العنصرية احبطت جميع المساعى السلمية ، وصممت على مواصلة العمل من اجل تحقيق أهداف العدوان ، وفى سبيل هذا لجأت الى كل الوسائل : تحويل اسرائيل الى ترسانة مسلحة بأحدث الاسلحة الامريكية ، الحرب النفسية ، غارات العمق ضد المدنيين ، أعمال التخريب ، بناء المستعمرات والمؤسسات العسكرية فى سيناء وشرم الشيخ والمرتفعات السورية .

لكن الهجمة القوية لهذه القوى ، بعد عدوان يونيو ، كانت تلك الهجمة التى بدأت فى صيف عام ١٩٧٠ . فبينما أعلنت أمريكا استعدادها لحل سلمى يتفق مع قرار مجلس الامن ، كان الامريكان فى الواقع يضعون مخططا جديدا ضد حركة التحرر العربية ، وذلك فى اطار ما اسموه بالدبلوماسية الهادئة . وعلينا أن نعترف بان هذا المخطط قد لقى بعض النجاح فى بادىء الامر . لكن الذى يعنينا هنا أن الهجمة الامريكية التى اشرنا اليها ظلت تشتد وتتفاقم . وقد اتجهت فى المسارات الرئيسية التالية :

الاول : تمزيق وحدة الصف الوطنى العربى ، واثارة الانقسامات بين الدول الوطنية التقدمية من ناحية ، وبين الاحزاب والفئات الوطنية والتقدمية من ناحية أخرى .

الثانى : عزل مصر عن حركة التحرر العربى ، باعتبار انها تمثل فى هذه الحركة ثقلا موضوعيا خاصا ، بشريا وقدرة سياسية واجتماعية ، تقف ضد كل الحلول الانهزامية التى ترمى الى التفريط فى الارض أو المساومة على حقوق شعب فلسطين .

الثالث : تصفية المقاومة الفلسطينية ، تصفية مادية وبدنية ، بهدف تصفية قضية شعب فلسطين الى الابد .

الرابع : اجهاض معاهدة الصداقة المصرية ــ السوفييتية ، وبالتالى عزل حركة التحرر العربية عن حلفائها الطبيعيين من البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفييتى بوجه خاص ، وقوى التقدم والتحرر فى العالم كله بوجه عام .

وعلينا أن نقرر مرة أخرى اذا كنا جادين فى مواجهة التحديات الموضوعية الراهنة ــ ان هذه الهجمة الامبريالية قد حققت نجاحات مؤقتة ما تزال تعانى منها حركة التحرر العربى الى اليوم . وتمثلت هذه النجاحات فى التصفيات الدموية الاجرامية التى مارستها الرجعية السوداء فى الاردن ضد ثوار فلسطين . كما تمثلت فى الانقسامات والتناقضات الضارة التى استشرت بين الدول العربية الوطنية والتقدمية من ناحية ، وبين فصائل الثورة العربية على اختلاف تنظيماتها واحزابها من ناحية أخرى . وفى ظل هذا كله انتعشت آمال قوى اليمين المتخلف عن حركة التقدم

العامة فى مجتمعه وعصره معا ، وأخذت تحشد اسلحتها بأمل الاجهاز على النظم التقدمية أو احتوائها أو التسرب اليهما بمخططات الاستعمار الجديدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

واخذت هذه القوى تلبس ثيابها الجديدة لكى تلتقى بالسيد الامريكى ، على صفقة جديدة تهزم بها حركة التحرر الوطنى . وربما بدا للامبريالية وحلفائها المحليين ان الاحداث التى شهدتها مصر فى صيف العام الماضى ، قد انضجت الثمرة . لكن ثورة الشعب المصرى اثبتت مرة اخرى ، كما اثبتت مرات عديدة من قبل ، ان عداءها للامبريالية والاستعمار الجديد والرجعية عداء اصيل يرتبط بالمصالح الحيوية للعمال والفلاحين والمثقفين . ومن هنا كانت مبادرة السادات من موقعه القيادى فى تاريخ ثورة يوليو والابن لحركة التحرر المصرى منذ الاربعينيات ، يفضح فى خطابه الافتتاحى لمجلس الشعب الاهداف الحقيقية للمخطط الامريكى — الاسرائيلى فى ثلاث نقاط محددة :

أولا : ضرب التجربة الثورية للشعب المصرى واستمرارها على الخط التحررى والاشتراكى والوحدوى ، فى مناخ ديمقراطى .

ثانيا : عزل مصر عن الوطن العربى .

ثالثا : تخريب العلاقات المصرية ـ السوفيتية ، وبالتالى اضعاف القوة العربية فى مواجهتها لتحدياتها .

وقبل ذلك كان الرئيس ، ترجمة لارادة الشعب المصرى ، قد بادر الى قطع الطريق على كل الدعايات التى حاولت بنغمات متعددة الالحان ، أن تصور مواقف السادات باعتبارها مناقضة لاهداف ثورة يوليو الاجتماعية ، وفى هذا المجال ، أقر المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى فى يوليو ١٩٧١ برنامج العمل الوطنى الذى قدم مشروعه رئيس الاتحاد الاشتراكى . ان هذه الوثيقة ، التى ترتبط موضوعيا وتاريخيا بميثاق العمل الوطنى وبرنامج ٣٠ مارس ، تقدم برنامجا واقعيا وأهدافا محددة لتوسيع البناء الاقتصادى والاجتماعى والثقافى على أسس تخدم الغالبية العظمى من الشعب .

ولقد كانت هذه المواقف بداية جادة لوقف التدهور الحادث منذ منتصف ١٩٧٠ ، فى الوضع العربى . ولصد الهجمة الأمريكية الصهيونية التى ما زالت مستمرة . ونعتقد أن مصر قد خطت خطوة هامة الى الامام فى سبيل افشال المخطط الامريكى وتعريته امام كل وطنى ، بقى حسن الظن بالسياسة الأمريكية فى الوطن العربى . وذلك حين اتخذت القيادة السياسية قرارها الحاسم بخوض معركة التحرير بعد أن قدمت للرأى العام العالمى كل الادلة المادية على تعذر تحقيق ما سمى فى المجال الدولى « بالحل السلمى » ، نظرا لمواقف التوسعيين الاسرائيليين ، واهداف حماتهم فى واشنطون .

نعم ، **أيها الاصدقاء**، انى استاذنكم فى ان اكرر هنا ، ان المواقف العامة والاساسية، التى اتخذتها القيادة السياسية لبلادنا ، من خلال مشاركة فعلية وأساسية للاتحاد الاشتراكى ، تشكل عاملا هاما فى سبيل صد الهجمة الامبريالية الصهيونية . لكن علينا أن نعترف أن المعركة الدائرة فى الشرق الاوسط ، هى — بحكم طبيعتها وظروفها — احدى المعارك المصيرية فى تاريخ عالمنا . لانه على نتيجتها ستتحدد لفترة طويلة آفاق التطور التقدمى والديمقراطى والعصرى فى العالم العربى . ومن هنا لا خيار امام القوى الوطنية والتقدمية الا ان تخوضها لكى

تكسبها . والمعركة ليست معـــركة مصر وحدها، وانما معركة كل الشـــعوب العربية . وهى ايضا معـــركة كل القوى الوطنية والتقدمية العربية بوجه خاص ».

والسؤال الان : كيـــف الســـبيل الى كسبها ؟ طبعا يمكن تقديم اجابة بسيطة وصحيحة فى نفس الوقت . وهى اننـــا سنكسب المعركة اذا أوقفنا حركة الجذر من مسار حركة التحرر العـــربى ، ووفـــرنا الشروط اللازمة لكى تنتقل حركة التحرر بالتدريج — وفى أقصر وقت — الى معاودة الهجوم الفعال علـــى العدو الامريكى — الصهيونى ».

بيد ان هذه الاجابة البسيطة والصحيحة شىء ، ووضعها موضع التنفيـــذ شىء آخر . اذ يقف دون ذلك تناقـــض غريب وشاذ فى وضع حركة التحرر العربية ».
ويتضح هذا التناقض بعرض مجمـــوعتين متقابلتين من الوقائع :

المجموعة الاولى «نلاحظ من ناحية ان حركة التحرر قد احرزت منذ عام ١٩٥٦ ، انتصارات متوالية علـــى الامبـــريالية الامريكية . ويكفى أن نشير الى انه لم يعد هناك — تقريبا — قاعدة عسكرية فـــى جميع البلدان العربية الواقعة فى حوض البحر الابيض المتوسط . **ثم نـــلاحظ أن عدوان يونيو ١٩٦٧ ، قد ردت عليه حركة التحرر فى البلاد العربية بالمضى خطوات أكبر فى تصفية المزيد نسبيا من المصالح الامريكية ، حتى بدأت أمريكا تعـــانى — سياسيا — من عزلة شديدة لم يسبق لها أن واجهتها فى وطننا ».**

ان هذه الوقائع ، اذا كانت قد اثبتت ان الامبريالية الامريكية — على جبـــروتها الظاهـــرى — ليست قوة لا يمكن انزال الهزيمة بها والتغلب على مخططاتها ، فقد اقترنت فى أيامنا هذه على الصعيد العالمى ، بوقائع وتطورات تؤكـــد هـــذه الحقيقة :

— لقد هزمت السياسة العـــدوانية الامريكية هزيمة تاريخية بالفعل فى فيتنام ، نتيجة النضال البطولى للشعب الفيتنامى .

— يتردى الاقتصاد الامريكى فى هوة الازمة الدورية ، وليست هناك قوة تستطيع أن تنقذ هذا الاقتصاد من استفحال هذه الازمة .

— تتزايد التناقضات بين غرب أوروبا وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بدأت تظهر بالفعل — وهذا ما أظهرته المواقف الاخيرة من الصراع العربى الاسرائيلى — علامات هامـــة على نوع من الانفصال ، ستكون له آثار بعيدة المدى دوليا .

ثم نلاحظ ، **ايها الاصدقاء** ، انه بعد عـــدوان ١٩٦٧ مـــارست السياسة السوفييتية دورها بكثافة متزايدة فى اتخاذ مواقف عملية لردع العدوان الاسرائيلى ، ولجم القوى العسكرية للولايات المتحدة فى البحر الابيض .. هذه القوى التى هددت أكثر من مرة بالتدخل المسلح فى البلاد العربية .

هذه المجموعة من الوقائع التى ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر ، تضعنا أمام حقيقة هامة : **وهى ان النضال العربى التحررى تحيط به اليوم ظروف موضوعية مواتية لدعمه وتطوره وانتصاره** ، وهى **الظروف التى كانت موضع الحساب فى رسم مصر للسياسة التى عرفت بـــاسم « عام الحسم »** .

غير اننا اذا جئنا الى **المجموعة الثانية المقابلة من الوقائع** ، فلابد لنا مـــن أن نلاحظ :

— مواصلة الرجعية الاردنيـــة تنفيـــذ مخططها لتصفية المقاومة الفلسطينية دون

أن تستطيع قوى التحرر العربية أن تقوم بعمل حاسم حتى اليوم لشل هذا المخطط تماماً .

— غياب وحدة العمل الاستراتيجي التي تنسق مواقف القوى العربية الوطنية والتقدمية ونظمها . وهذا ما ينعكس على المواقف التكتيكية بالنسبة لاتخاذ مواقف مشتركة ازاء حركة الاحداث اليومية .

— ضعف الوحدة الداخلية اللازمة لمنظمات العمل الفدائي ، رغم الخطوات المحدودة التي تمت في هذا الاتجاه .

— التحفظات التي تبديها بعض القوى الوطنية بالنسبة للحلفاء الطبيعيين لحركة التحرر العربية وخاصة الاتحاد السوفييتي . وعدم تمييز هذه القوى بين واقع انها ليست شيوعية وبين الوقوع في المصيدة التي تنصبها القوى المعادية لحركة التحرر العربية .. مصيدة العداء للشيوعية .

ان هذه المجموعة الثانية من الوقائع تضعنا أمام حقيقة هامة أخرى ، وهي : **ان النضال العربي التحرري تحيط به ظروف ذاتية غير مواتية تحد من تطوره وتضع العقبات في طريق تحقيق النصر .**

امام هذا التناقض الصارخ بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي في حركة التحرر العربية ، يجب أن تحشد كل الجهد لحله حلا سليما وواقعيا للخروج من مأزق خطير تتحمل مسئوليته التاريخية كل قوى التقدم في الوطن العربي .

ولابد ان نعترف ، ايها الاصدقاء ، ان حل هذا التناقض لمصلحة حركة التحرر ، ليس من الامور السهلة التي تكفي فيها النيات الحسنة ، أو الشعارات الحادة الرنين والمغامرة في مضمونها . ولكن ليس أمامنا من خيار سوى التصدي الشجاع والموضوعي لهذه القضية . فان فشلنا في حل هذا التناقض ، يحمل خطر ردة مؤكدة .

ونعتقد — أيها الاصدقاء — انه لا يستعصي على القوى الوطنية والتقدمية أن تعثر على نقطة البدء . ونقطة البدء الصحيحة في رأينا ، ليست في أن نضع مخططات جميلة وضخمة على الورق عن واجبات ومهمات ، بقدر ما هي في الاتفاق على منهج مشترك لمواجهة التحديات .

اما المنهج ، فلن يكون سوى فتح حوار ديمقراطي وجاد بين القوى والتنظيمات والاحزاب الوطنية والتقدمية على اختلاف منابعها ومدارسها الفكرية والاجتماعية . والحرص على أن يتصل هذا الحوار دون انقطاع ، حتى وان ظهر ان نقاط الاتفاق العملية — في بادىء الامر — قليلة ومتعثرة .

ووفق هذا المنهج فانه يمكن ان نبدأ في تقرير مواقف عملية محددة — مشتركة في جميع أرجاء الوطن العربي حول النقاط التالية :

— ما هي المهمة المحددة للقوى الوطنية والتقدمية في هذا البلد العربي أو ذاك خلال ممارسة معركة تحرير الارض التي لا بديل عنها ؟

— ما هي المساعدات السياسية والمادية التي يمكن أن تقدمها هذه القوى للبلدان التي ستخوض المعركة وتتحمل تضحياتها الكبرى ؟

ـ ما هى المهمة المحددة للقوى الوطنية والتقدميه فى هذا البلد العربى أو ذاك ، لمساعدة ودعم العمل الفدائى وتمكينه من أداء دوره التاريخى كجزء لا يتجزأ من حركة التحرر العربى .

وانطلاقا من حوار ديمقراطى يحترم استقلالية كل تنظيم وحزب وطنى تقدمى يغلب عوامل الوحدة ، عوامل التفرقة . . واضعين فى الاعتبار الظروف الخاصة لكل بلد عربى ، نستطيع أن نخطو خطوة كيفية الى الامام . وهى الخطوة التى يمليها تطور الاحداث . فالامر المؤكد أن مواقف الاعداء تفرض علينا لا أن نوسع العمل السياسى المشترك فحسب ، بل وان نقوم بالتعبئة الواقعية اللازمة لخوض معركة التحرير .

أيها الاصدقاء :

هذه النقاط التى أقدمها الى مؤتمركم ، تشكل أهم النقاط السياسية التى تشغل اهتمام التنظيم السياسى فى بلادنا . واذا كنت قد أطلت فيها بما لا يحتمله عادة تقاليد القاء الخطب فى هذه المناسبات ، فان عذرى هو أن التنظيم السياسى فى بلادنا يرى « اخطارا جدية » تحيق بحركة التحرر العربية وبكل فصائلها ، دون ما تفرقة بين وطنيين واشتراكيين وبعثيين وقوميين وشيوعيين .

أيها الاصدقاء :

اسمحوا لى أن اقدم شكر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي على دعوتكم الاخوية لحضور مؤتمركم الثالث . ونتمنى لكم كل نجاح فى خدمة الشعب اللبنانى وحركة التحرر العربية . واسمحوا لى ، أيضا قبل أن اغادر منبركم ، أن أوجه الى الشعب اللبنانى الشقيق تحية الاعزاز والتقدير من الشعب المصرى ، فان تاريخ العلاقات العميق الجذور بينهما يؤكد أن حب مصر للبنان الموحد المستقل الحر لا يعادله الا حب لبنان لمصر التى تعى مسئولياتها وواجباتها القومية نحو الوطن العربى : حاضرا ومستقبلا .

لطفى الخولى

برغم الدور البارز الذى تلعبه اليوم حركة التحرر الوطنى بأمريكا اللاتينية ، بالنسبة الى حركة التحرر الوطنى العالمية المعاصرة ، فكريا وتنظيميا ، الا انها لم تلق — حتى الان — حجم الاهتمام والمتابعة الملائمين من صحافتنا وأجهزة أعلامنا المصرية .

وتقديرا من « الطليعة » لهذا الدور البارز ولاهمية استكشاف حركة الثورة الوطنية الديمقراطية لامريكا اللاتينية ، تقدم فى هذا العدد ، دراستها عن حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية .

وبرغم أن قضية الثورة الكوبية ودورها والنموذج الذى قدمته وطرحته على شعوب القارة ، واردة بأقسام الدراسة جميعها تقريبا ، الا أن القارىء سوف يلحظ بوضوح خلو

حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية

خبرات فى الفكر والعمل السياسى

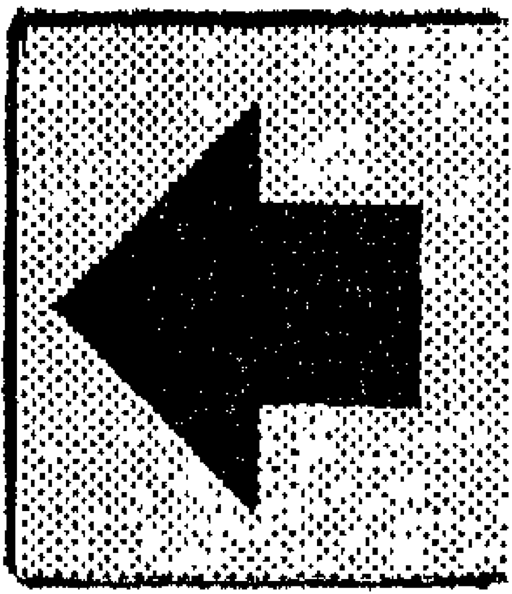
١ الصراع ضد السيطرة الامريكية من « مبدأ مونرو » حتى « التحالف من أجل التقدم »

٢ « البرلمان » .. كطريق الى سلطة « الديمقراطية الوطنية » « تجربة من شيلى »

٣ سلطة وطنية فى شكل عسكرى « تجربتان من بيرو وبوليفيا »

٤ أمريكا اللاتينية .. بين « البندقية » .. « والانجيل » .. « والمنشور السرى »

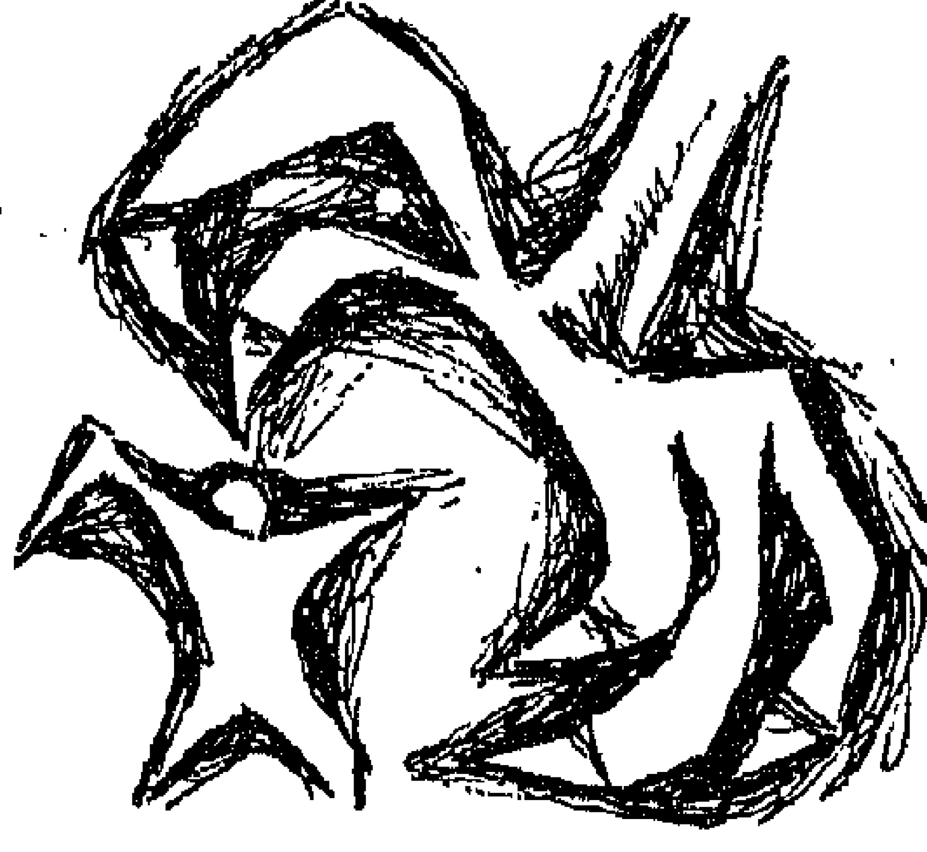
٥ قاموس سياسى واقتصادى



الدراســـة عن قســـم خاص بثورة كـــوبا •فقد قام تخطيط واعداد الدراسة على أســـاس معالجة قضايا حركة التحـــرر الوطنى لامريكا الـــلاتينية فى وقتنـــا الراهن • ومن ثم فان الثورة الكوبية وكل مايتعلق بها ، لم يكن واردا بحكم أن كوبا قد أنجزت مهام ثورتها الوطنية الديمقراطية ـــ باختيـــارها الماركسية اللينينية طريقا لتطورها ـــ لتصـــبح بذلك واحـــدة من أسرة المعسكر الاشتراكى العالمى •

واذا كانت دراسة « حركة التحرر الوطنى فى أمريكا الـــلاتينيـــة » تتعرض بالتحليـــل لمسيرتها الراهنة وقواها الاجتماعية ونماذجها السياسية وحركات الكفاح المسلح على أرضها فانها تخصص قسمهـــا الاخير لرصـــد مختلف المعلومات والارقام التى تتعلق بكيان كل دولة من دول القارة على حدة •





الصراع ضد السيطرة الأمريكية

من « مبدأ مونرو » حتى

« التحالف من أجل التقدم »

سمير كرم

اذا كانت بدايات الستينات قد تميزت بهبوب « **رياح التغيير** » على أفريقيا ، متمثلة فى حركة الاستقلال السياسى الواسعة النطاق التى شملت عشرات من دول القارة ، وتساقطت معها أعمدة الاستعمار القديم فيها ، فاننا يمكن الان أن نقول أن **بداية السبعينات** تتميز بهبوب « رياح التغيير » على قارة أمريكا اللاتينية ، ليس فى صورة حركة الاستقلال السياسى هذه المرة ــ فان استقلال دول أمريكا اللاتينية السياسى قد أتى مبكرا عن ذلك فى القرن الماضى ، وانما متمثلا فى حركات التغيير الاجتماعى فى وجه سيطرة الامبريالية الامريكية ، وهى فى الاساس سيطرة اقتصادية بالدرجة الاولى ·

ان قارة أمريكا الجنوبية تموج اليوم بطاقة حركة التحرر الوطني من الاستعمار الامريكي على نحو لم يسبق له مثيل منذ بدايات حركاتها الاستقلالية فى القرن التاسع عشر · وهو أمر يؤكد أن حركة التحرير الوطنى فى أمريكا اللاتينية قد دخلت مرحلة جديدة فيها وجهى النضال ضد سيطرة الامبريالية الامريكية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية :

١ ــ نضال كل دولة من دول القارة **على حدة** ــ وهو نضال من مواقع الحكم فى بعض هذه الدول مثل **بيرو وشيلى** ، أو من خارج مواقع الحكم والسلطة مثل **بوليفيا وكولومبيا وأوروجواى والارجنتين والبرازيل** ·

٢ ــ **النضال الجماعى** أو الاقليمى لمجموعة أو مجموعات متكاتفة من دول القارة ضد هذه السيطرة الامريكية ·

ولعل من أهم وأخطر مؤشرات النضال ضد الامبريالية الامريكية فى امريكا اللاتينية ، امتداد مظاهر مقاومة السيطرة الامريكية الاقتصادية والنفوذ الامريكى على سياسة القارة الى داخل منظمة الدول الامريكية نفسها التى كانت حتى

أواخر الستينات أداة هذه السيطرة نفسها فى الاساس .

تحرك جديد لليسار

ومع انفجار واتساع حركة الصراع التحررى فى القارة ضد السيطرة الامريكية ، بدأت قوى اجتماعية جديدة تنضم الى صفوف هذا النضال للاضطلاع بدورها فيه ، أو حتى لاتخاذ مواقع القيادة الطليعية له فى بعض الحالات . واذا كان من المستحيل القول بأن دور اليسار فى أمريكا اللاتينية الان هو دور جديد — نظرا للتاريخ الطويل لنضال اليسار الماركسى والشيوعى بالذات فى أكبر دول القارة وأكثرها أهمية مثل الارجنتين والبرازيل وشيلى ، الا أنه يمكن القول الان بأن تحرك اليسار فى دول القارة أصبح مرتبطا بحركة الجماهير الواسعة فى بلادها أكثر مما كان فى أى وقت مضى . ويرجع ذلك الى أن الفترة الحاليه من الصراع السياسى والاجتماعى فى القارة ، تتميز بتحرك قطاعات عريضة من جماهير العمال والفلاحين — بتأييد واضح من المثقفين الثوريين — لتأكيد ارادتها وقوتها الاجتماعية وتأثيرها على مجريات الصراع الراهن .

فى البدء كانت كوبا

بدات قارة أمريكا اللاتينية تتحرك فى الاتجاه العام الذى تتميز به حركة الصراع العالمى بين قوى الامبريالية وقوى التحرر العالمية فى الوقت الحاضر ، وهو اتجاه التحول من النظام الراسمالى الى الاشتراكية ، واذا كان هذا التحول قد بدأ منذ سنوات فى دولة واحدة من دول القارة هى كوبا ، الا أنه فى الوقت الذى تصورت فيه الامبريالية الامريكية أنها نجحت فى حجز تيارات الاشتراكية داخل كوبا ومنعتها من الامتداد بتأثيراتها الى باقى دول القارة طوال السنوات الماضية ، فان الولايات المتحدة تفاجأ الان بتطورات تؤكد أنها كانت واهمة فيما اعتقدته من اختناق التيار الاشتراكى فى القارة . وطبيعى أن تحرك أمريكا اللاتينية مع الاتجاه العالمى التحررى نحو الاشتراكية لم يحدث بين يوم وليلة . وهذا يؤكد أن كل الوسائل التى لجأت اليها الامبريالية الامريكية — التى انفردت بالسيطرة على القارة سياسيا واقتصاديا طوال قرنين كاملين وأكثر — لم تفلح فى قتل حركة التحرر الوطنى وتعويق تقدمها نحو هذه المرحلة الهامة التى تشهدها القارة الان . وذلك برغم أن القوى الاجتماعية التى وحدت مصالحها مع مصالح الامبريالية الامريكية



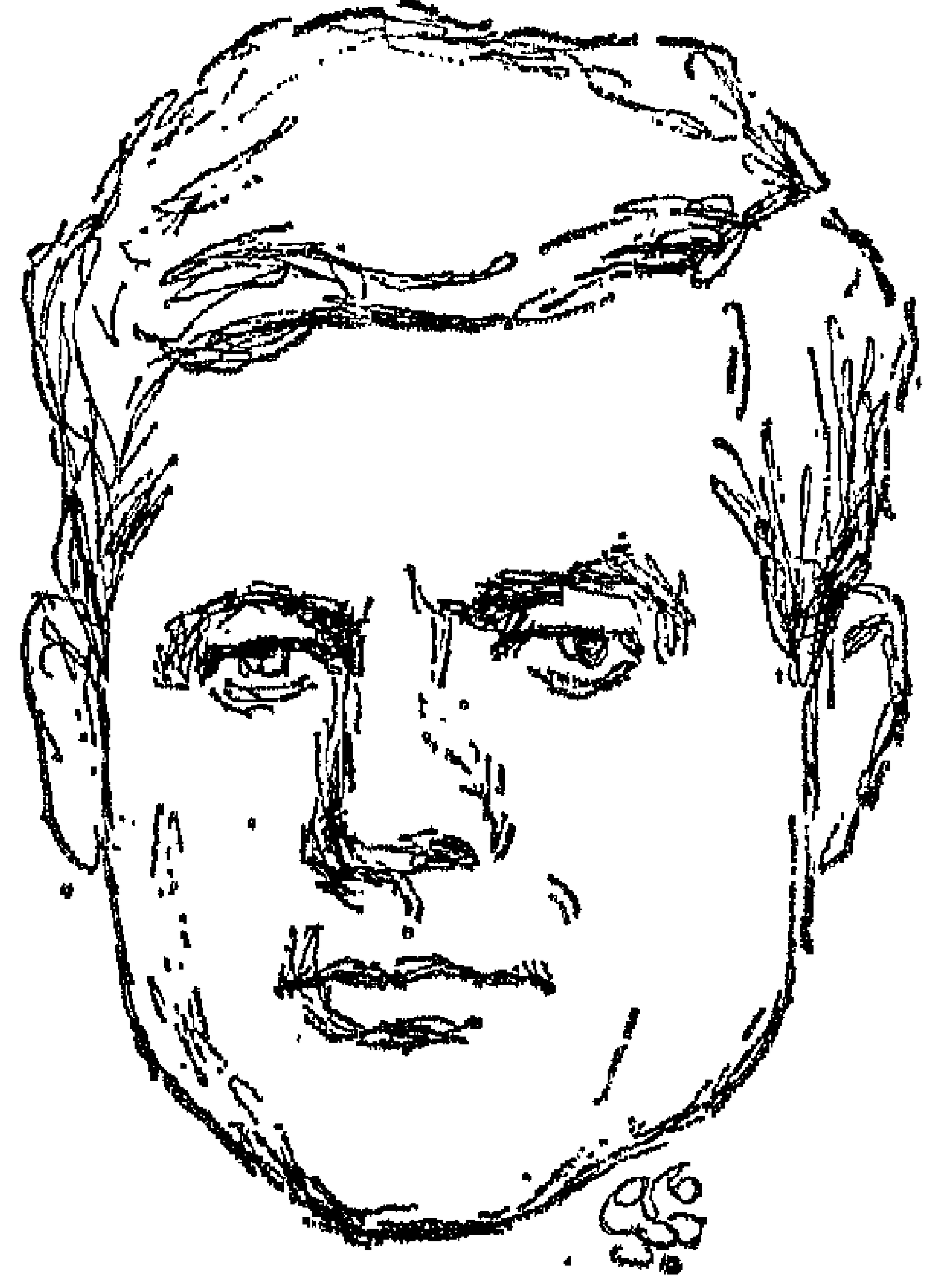
لا تزال تتنازع السلطة فى معظم بلاد القارة ، وبرغم أن الولايات المتحدة تمكنت خلال هذه الحقبة الطويلة من سيطرتها من أن تملك مفاتيح الضغط الاقتصادى والسياسى والعسكرى — فى كثير من الاحيان — لصالح هذه القوى والطبقات الاجتماعية الملتقية مع مصالحها وضد القوى والطبقات الاجتماعية المناهضة لها والتى تلتقى مصالحها مع التحرر والتغيير الاجتماعى الجذرى .

من مبدأ مونرو . . .

الى التحالف من أجل التقدم

وربما اعتقدت الولايات المتحدة انها نجحت فى فرض العزلة على أمريكا اللاتينية القريبة منها بامتداد الارض من أمريكا الشمالية الى الجنوبية والبعيدة عن باقى أنحاء العالم القديم بوجود المحيطين الاطلنطى والهادى على جانبى القارة . ولكن انتصارات حركة التحرر المتوالية فى العالم طوال السنوات الماضية والهزائم المتوالية التى لحقت بالامبريالية ، وخاصة فى آسيا على يد حركة التحرر الثورية الفيتنامية التى تقودها القوى الاشتراكية وتؤيدها القوى الاشتراكية العالمية ، قد استطاعت أن تعبر بتأثيراتها الحواجز الجغرافية المحيطة بأمريكا اللاتينية ، واستطاعت ايضا أن تكسر حواجز العزلة التى ارادت الولايات المتحدة فرضها على القارة . حدث ذلك ابتداء من انتصار ثورة كوبا الاشتراكية ، وحدث على نطاق أوسع منذ التقاء القوى التحررية الاشتراكية فى مؤتمر القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية الذى عقد فى هافانا عام ١٩٦٦ .

لقد ظلت سياسة الولايات المتحدة تجاه أمريكا اللاتينية — بكل دولها بغير استثناء — مبنية على أساس التدخل المباشر أو غير المباشر فى شئون هذه الدولة من ناحية ، وعلى اقامة نظم حكم دكتاتورية فيها تحمى السيطرة الامريكية عليها من ناحية أخرى . ومنذ عام ١٨٢٣ بنت الولايات المتحدة سياستها اللاتينية على أساس « **مبدأ مونرو** » كحجر زاوية فى سياسة التدخل تحت شعار عدم السماح بالتدخل فى شئون نصف الكرة الغربى . وكانت السياسة الامريكية تتلاعب بهذا



كينـدى



جوان بوش

المداكماتشاء ، فهي تستخدمه مرة بأسلوب **العصى الغليظة** ضد شعوب القارة أو حركات التحرر فيها ، ومرة أخرى تستخدمه تحت شعـــار زائف من « حسن الجوار » وكان الهدف الاساسى الواضح مع اختلاف الاساليب منع أو على الاقل تعويق ، حدوث أية تغييرات فـى سيطـرة الاحتكارات الامريكية على ثـروات أمـريكا اللاتينية ٠

والواقع ان الرأسمالية الامريكية تنبهت فى وقت مبكر الى بوادر التغييرات فى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى القارة التى تهدد سيطرتها على ثرواتها ٠ وفى ظل حكومة جون كيندى عام ١٩٦١ أعدت فخا جديدا لامريكا اللاتينية تضمن بـه استمرار سيطرة الاحتكارات الامريكية عليها ،

فكان ظهور برنامج « **التحـالف من أجل التقـدم** » ايذانا بأسلوب جديد فى المحاولات الامـريكيـة لمواصلة السيطرة ، ولكنه كان فى الوقت نفسه ـ وكما أكدت تطورات القارة طوال السنوات العشر التالية ـ ايذانا بوهن قبضة السيطرة الامريكية على القارة ، اذ اضطرت الولايات المتحدة من خلال هذا البرنامج الى الاعتراف بتطلع القوى الاجتماعية الكبرى فى القارة الى تحرير بلادها من بقايا الاقطاع التى كانت تقف عقبة أمام التنمية الاقتصادية الوطنية فى كل دول القارة تقريبا والتى كانت تفرض البؤس والفقر والتخلف على الطبقات التى تمثل الاغلبية فى تكوينها الاجتماعى ٠ وحتى فى داخل الولايات المتحدة نفسهـا لم تسـتطع الرأسمالية ان تتخذ موقفا موحدا متجانسا ٠ فعلى حين كان كيندى متحمسا لمناورة اقامة « **التحالف من أجل السـلام** » كـانت دوائـر « **البنتاجون** » (وزارة الدفـاع) تقف منهـا مـوقف المعارضة لانهـا تعتبـر السـيطرة من خـلال الحكومـــات العسكرية وسـيلة أكثـر فاعليــة ٠ ومن هنـا فان الولايات المتحدة اضطرت فى الواقع الى انتهاج السبيلين معا ٠٠ **برنامج التحالف من أجل التقدم من ناحية ، وتدبير الانقلابات العسكرية باستمرار ضد الحكومـات التـى تبدى قدرا من الديمقراطية** ، **أو قدرا** من الاستعداد للالتقاء مع الامانى الجماهيرية فى التخلص من بقايا الاقطاع أو انتهاج سياسة خارجية ، استقلالية ، أو سياسة تنمية اقتصادية حقيقية داخلية ٠ حتى ان الفترة التى أعقبت مباشرة بدء تنفيذ برنامج التحالف من أجل التقدم ـ وهى الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٣ شهدت ثمانية انقلابات عسكرية متتالية فـى القارة ٠ بل أن فترة حكم كيندى القصيرة نفسها شهدت المحاولة الفاشلة لغزو كوبا لضرب القاعدة الوحيدة ـ فى ذلك الوقت ـ للاشتراكية فى أمريكا اللاتينية ٠ واذا كانت فترة كيندى تميزت بمحاولة اسلوب الدخول فى اتفاقات مع الحكومات القائمة فى القارة على اساس برنامج التحالف من أجل التقدم ـ جنبا الى جنب مع أسلوب الانقلابات العسكرية والانقلابات المضادة التى تخطط لها وتمولها وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، فان فترة ما بعد كيندى ـ أى فترة حكم الرئيس السابق ليندون جونسون ـ قد شهدت استمرار الانقلابات العسكرية لفرض حكومات دكتاتورية تسير بأمرة الولايات المتحدة ٠ وشهدت هذه الفترة حادثين على اسس بالغة من الاهمية أسهما بالدور الاكبر فى اقناع شعوب القارة بزيف كل ادعاء امريكى بالعمل من أجل تقدم القـارة أو نمـوهـا الاقتصادى ٠٠

أولا ـ الاحداث الدموية فى منطقة قناة بنما فى يناير عام ١٩٦٤ حيث تصدت القوات الامريكية بوحشية لهبة الجماهير الوطنية ـ التـى كان

ثانيا ــ العدوان الامريكى المسلح على جمهورية الدومينيكان ضد الثورة الشعبية فيها فى ابريل عام ١٩٦٥ ٠ هذا الانقلاب الدكتاتورى الذى اطاح بحكومة **جوان بوش**. فعندما كانت الثوره ترمى الى استعادة الدستور ومواصلة العملية الديمقراطية التى كانت قد وضعت نهاية لحكم الدكتاتور **تروجيللو**، لم يكن ذلك مرضيا للولايات المتحدة على الاطلاق، وكان ذلك كافيا لكشف نواياها ضد التحرر السياسى والاجتماعى فى القارة، وكشف خوفها من اندلاع شرارة الاشتراكية ــ على النحو الذى حدث فى كوبا قبل ذلك ــ واندلاع نيران الثورة الشعبية على نطاق واسع فى القارة كلها ٠ لقد رفضت الولايات المتحدة أن تقبل انتصار الديمقراطية فى جمهورية الدومينيكان، فقررت التدخل ضد الثورة، واستخدمت ٤٠ الف جندى فى احتلال هذا البلد الصغير فى منطقة البحر الكاريبى، واغرقت احلام الثوره فى بحر من الدماء، ولكنها اغرقت فى الوقت نفسه أحلام واشنطن نفسها فى أن تستمر فى خداع شعوب أمريكا اللاتينية عن حقيقة نواياها . واضطر **جونسون** وقتها لان يعلن عن نوايا امريكا سافرة بالرغم بأن حكومته تحتفظ لنفسها بحق منع قيام «كوبا أخرى» فى القارة ٠

دور القوات المسلحة

ومن أصرار أمريكا على استخدام القوة ضد كل حركة تحررية فى أمريكا اللاتينية، ينبع اصرار شعوب القارة على مقاومة السيطرة الامريكية التى كانت قد نشرت اجهزتها فى أنحاء القارة متمثلة فى النظم العسكرية والمؤسسات والمعاهد الامريكية والمنظمات الفكرية الرجعية والوسائل العسكرية والبوليسية للرقابة على الشعب ٠

وقد بذلت الولايات المتحدة اقصى جهودها لتجعل من القوات المسلحة فى دول أمريكا اللاتينية ليس فقط عميلا خاضعا لها مرتبطا بمصالحها، وانما لكى تكون العامل الاقوى بين كل العوامل المتصارعة فى الحركة السياسية والاجتماعية للقارة، فقد كان الهدف أن تسيطر القوات المسلحة فى كل بلد على الشعب، وتسيطر الامبريالية الامريكية على هذه القوات المسلحة، **ولهذا عملت طوال الستينات على نشر نظم الحكم الدكتاتورية العسكرية فى أمريكا اللاتينية** على أوسع نطاق، أو على الاقل ضمان تدخل الجيش فى السياسة والسيطرة على مجرياتها حتى فى البلاد التى توجد بها حكومات بورجوازية دستورية ٠ ولهذا لم يكن غريبا أن تبلغ قيمة النفقات التى وضعتها الولايات المتحدة فى برامج عسكرية فى أمريكا اللاتينية خلال الفترة من عام ١٩٥٢ الى ١٩٦٤،



أكثر من ٨٠٠ مليون دولار ٠ وقد أنفقت هذه الاموال على البعثات العسكرية الامريكية فى دول القارة، وتملك هذه البعثات الخاصة سيطرة كاملة على جيوش دول أمريكا اللاتينية (طبعا باستثناء كوبا وشيلى، وباستثناء المكسيك وبيرو أيضا) ٠

ويتضح لنا من خلال هذا أن قارة أمريكا اللاتينية تواجه نوعا واحدا متجانسا من السيطرة هو سيطرة الامبريالية الامريكية، أى انها تواجه نفس الاساليب والوسائل من عدو يسعى لتحقيق نفس الاهداف ٠ ومع ذلك فان الظروف النوعية فى دول القارة تختلف .. تختلف بين المجموعات الاقليمية المتجاورة فيها، كما تختلف بين كل دولة وأخرى من دول أمريكا اللاتينية على حدة ٠ ومن هنا اختلفت خصائص كل من حركات التحرير فى بلاد القارة المختلفة ٠ كما اختلفت وسائل هذه الحركات التحررية ــ ابتداء من النضال البرلمانى كما حدث فى شيلى الى النضال المسلح على طريقة حرب العصابات الحضرية فى مدن اوروجواى (توباماروس) وجيش التحرير الشعبى فى بوليفيا ٠

ابعاد الواقع السياسى

وبمعنى اوضح فان الواقع السياسى والاجتماعى الذى يدور فيه النضال التحررى لامريكا اللاتينية واقع متنوع، وان كانت تجمعه سمات مشتركة تمثل واقعا سياسيا عاما نتيجة لاوجه التشابه فى ظروف القارة ككل، ونتيجة لوحدة القوى الامبريالية المسيطرة عليها ٠

ولابد أن نبدأ بمحاولة تحليل الواقع السياسى والاجتماعى العام للقارة ٠

وكنقطة بداية لابد أن نستثنى الاقاليم الصغيرة فى شمال امريكا اللاتينية التى لا تزال فى وضع المستعمرات، وهى بالتحديد سورينام وهندوراس وبورتوريكو (ومنطقة قناة بنما) وعدد من جزر الكاريبى الصغيرة ٠ أما باقى دول القارة فانها نالت استقلالها السياسى من الحكم الاسبانى أو البرتغالى خلال الفترة من عام ١٨١٠ الى ١٨٢٥ ٠ ولقد تعرضت هذه الدول بعد ذلك فى مسار تاريخها كجمهوريات مستقلة لمد الاستعمار الجديد الذى عمل فى النهاية على افقادها استقلالها معظمها من العمال والطلبة التى كانت تطالب باعادة القناة الى سيادة بنما ٠

الحقيقى وتحويل استقلالها السياسى ـ من خلال السيطرة الاقتصادية والهيمنة الثقافية ـ الى استقلال اسمى وشكلى تماما • واصبحت آمريكا اللاتينية داخل شبكة من السيطرة الامريكية الاقتصادية المتشعبة النواحى،والتى تهيمن بالتالى على سياسات دول القارة وتوجهها مستخدمة كافة الوسائل لتظل معتمدة على الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، وهو ما تطلب تعويق النمو الاقتصادى للقارة والتصدى لكل حركة تحررية فيها ، حتى وان اتخذت شكل الديمقراطية البورجوازية او الليبرالية •

وقد كانت ذروة السيطرة الامبريالية الامريكية على أمريكا اللاتينية تتمثل فى انشاء منظمة **الدول الامريكية** عام ١٩٤٨ • فقد كان انشاء هذه المنظمة بمثابة وضع القارة داخل اطار الاستراتيجية الامريكية العالمية لما بعد الحرب العالمية الثانية • والملاحظ أن المنظمة انشئت بعد عام واحد من توقيع « معاهدة ريو » (١٩٤٧) وهى معاهدة المساعدة المتبادلة الامريكية التى كانت تهدف الى اقامة « تحالف عسكرى للدفاع عن القارة ضد العدوان او التهديد بالعدوان » • وظهرت حقيقة دور منظمة الوحدة الامريكية فى خدمة أهداف الولايات المتحدة ضد شعوب القارة فى اضفائها الطابع الشرعى على التدخل الامريكى فى جواتيمالا فى عام ١٩٥٤ ، والعدوان العسكرى على جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥ ،وقبل ذلك موقف المنظمة السياسى والاقتصادى من حكومة الثورة الكوبية الذى انتهى بابعادها من المنظمة عام ١٩٦٢ •

وقد أعقب « طرد » كوبا من منظمة الدول **الامريكية** ــ وفى ديسمبر من نفس العام على وجه التحديد ــ انشاء **قوة السلام الامريكية المشتركة**، وكان من الواضح أن الولايات المتحدة انشأت بهذا جهاز قمع « رسمى » فى اطار المنظمة استعدادا لضرب أية حركة تحررية أو ثورية تتخذ « **طريق كاسترو** » الذى سارت فيه كوبا فى ثورتها ضد الدكتاتورية ، وضد الاحتكارات الامريكية •

ويمكننا الآن أن نقول أنه اذا كان الرئيس الامريكى الحالى نيكسون قد ابتدع « **مبدأ جوام** » الذى يهدف الى تخليص الامريكيين من مهام القتال فى آسيا شيئا فشيئا ،ودفع الاسيويين الى محاربة الاسيويين فان نفس المبدأ كان وراء انشاء قوة السلام الامريكية المشتركة لدفع دول امريكا اللاتينية الى مقاتلة بعضها لصالح الاحتكارات الامريكية وضد مصالح هذه الدول نفسها على وجه التحديد •

وقد كانت الولايات المتحدة ترمى فى الحقيقة الى انشاء جيش كبير تحت قيادتها وتحت تصرفها فى القارة وليس مجرد قوة اغلبيتها من الامريكيين ، على النحو الذى جرى فى كوريا فى أوائل الخمسينات ولكنها فشلت فى تحقيق هذا الهدف رغم تكرار محاولاتها ، واضطرت الى الاستعاضة عن هذه الفكرة ببث اجهزة مخابراتها العسكرية فى جميع دول القارة لتدريس « **وحدات خاصة** » على مقاومة « حرب العصابات » للتصدى للحركات الشعبية بأحدث الاسلحة الامريكية وتكنيكاتها ، ولارهاب الجماهير فى تلك البلاد،بل واغتيال زعماء الحركات الشعبية والزعماء الديمقراطيين •

انتصارات حركة التحرر

ورغم هذا فان الحركة المناهضة للامبريالية حققت عددا من الانتصارات الهامة فى نضالها ضد السيطرة الامريكية خلال السنوات العشر الماضية ، فان ثورة كوبا قد خلقت تيارا قويا فريدا فى نصف الكرة الغربى لم تستطع السيطرة الامبريالية الامريكية أن تحجز تأثيراته على باقى أنحاء القارة ،او أن تعزله فى الجزيرة الصغيرة • لسبب محقق هو أن أمانى شعوب القارة فى التنمية وتحقيق التغيير الاجتماعى والتخلص من السيطرة من الاستغلال الاقتصادى الامريكى كانت تلتقى مع الاهداف التى من أجلها كانت ثورة كوبا ونجحت ونمت وانتصرت فى معاركها ضد الامبريالية • ان ثورة كوبا تمثل علامة هامة على طريق حركة التحرر فى أمريكا اللاتينية لانها أثبتت لاول مرة بشكل قاطع أن التخلص من السيطرة الاجنبية لا يكتمل الا بالتخلص من الاقلية الممسكة بالثروات الاقتصادية للبلاد وباحداث التغيير الجذرى فى البنية الاقتصادية الاجتماعية فيها •

وقد وجدت الثورة الكوبية استجابات حقيقية مختلفة فى انحاء أمريكا اللاتينية ، برغم تصدى الامبريالية بكل الوسائل ، ابتداء من محاولة الغزو الى العزل الاقتصادى والسياسى وحرب الدعاية والحصار البحرى والدبلوماسى ، فقد اسهمت الثورة الكوبية فى حركة حرب العصابات فى كثير من دول القارة ، وشهدت أمريكا اللاتينية فى أوائل الستينات موجات اضراب عمالية عارمة بلغ عدد العمال وغيرهم المشتركين فيها فى عام ١٩٦١ أكثر من ٢٠ مليونا • على أننا يمكن أن نعتبر أن أكبر تأثيرات الثورة الكوبية على حركة الصراع ضد السيطرة الامريكية خلال السنوات العشر الماضية **هو فشل برنامج التحالف من أجل السلام فى تحقيق أى من أهدافه** • فخلال السنوات العشر نفسها ظهرت نظم حكم تقدمية فى بيرو وشيلى وبوليفيا ، وتعرضت الاخيرة فى شهر أغسطس

الماضى لانتكاسة خطيرة بانقلاب عسكرى يمينى انكشف فيه دور المخابرات الامريكية واعترفت بهذا الدور دوائر واشنطن نفسها ، وهو ما نشرته صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية فى آخر اكتوبر الماضى حينما تحدثت عن تحسن العلاقات بين الولايات المتحدة وبوليفيا بعد استيلاء اليمين العسكرى على السلطة .

بروز دور الطبقة العاملة

على أن هذه التطورات التى نضجت فى بداية السبعينات نضوجا جعل أمريكا اللاتينية كلهـا مهيأة لمرحلة هامة جدا فى تطور حركة التحرر فيها ـ **هو بروز دور الطبقة العاملة فى حركة التحرر فى معظم دول القارة بصورة لم يسبق لها مثيل ، الى جانب المثقفين التقدميين والتنظيمات الحزبية والسياسية التقدمية .**

لقد برز هذا الدور بشكل خاص فى انتصار الاشتراكية فى **شيلى** ، وأن كان هذا الانتصار قدتم بحكم ظروف شيلى الديمقراطية الخاصة ـ بالطريق الانتخابى ، وبرز ايضا فى الاتجاه التقدمى الذى انتهجته حكومة بيرو التقدمية فى السنتين الاخيرتين لاستخلاص ثروات بيرو من بين براثن الاحتكارات الامريكية . وبرز دور العمال بالمثل فى قرارات حكومة فنزويلا ـ رغم عدم حدوث تغيير فى السلطة الخاصة ـ بتأميم البترول فيها على مدى طويل ، والخاصة بخفض أرباح الشركات الامريكية ، وتقوم الطبقة العاملة بدور يزداد قوة وتأثيرا فى الارجنتين والبرازيل وكولومبيا واكوادور والمكسيك .

واذا كانت أحداث بوليفيا الاخيرة قد نبهت الى حقيقة هامة ، فهى أن أمام حركة التحرير فى أمريكا اللاتينية مهمة عاجلة هى ضم جماهير الفلاحين ـ بقوتها الاقتصادية والسكانية فى معظم بلاد القارة ـ الى القوى المناهضة للامبريالية الامريكية ، لتقوم بدورها كاملا الى جانب الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين . ومن ناحية أخرى فان العمل السياسى فى أوساط الجيش أصبح مهمة عاجلة أخرى أمام حركة التحرر فى معظم دول أمريكا اللاتينية ، لانه يحقق تجريد الامبريالية الامريكية من أهم أسلحتها فى السيطرة على بلاد القارة والامساك بمفاتيح السلطة فيها . ولا شك أن موقف الجيش فى كل من شيلى وبيرو يعطى نموذجا واضحا لتحول جذرى هام ومؤثر فى التكوين الاجتماعى للجيوش فى امريكا اللاتينية . ويعطى فى الوقت نفسه مؤشرا الى ان الامبريالية الامريكية لن تستطيع الاعتماد على الدوام على اعتبار « كل » جيوش أمريكا اللاتينية جيوشا مرتزقة فى خدمة أهدافها .



دور الكنيسة ... اليوم

ولقد امتد تأثير حركة التحرير الوطنى ـ بوجهيها السياسى والاجتماعى ـ **الى الكنيسة** التى تقوم ـ تاريخيا ـ بدور مؤثر فى الحياة السياسية والاجتماعية فى معظم دول القارة . فظهرت بين صفوف زعماء الكنيسة ورجالها عناصر تقف فى صف التغيير التقدمى الذى تطالب به الجماهير ، عناصر تؤيد حركة النضال باشكالها المسلحة والسياسية والبرلمانية ، ولم يعد الامر قاصرا على الصورة التقليدية للكنيسة التى تقف ضد الحركة الثورية وضد الافكار التقدمية على طول الخط . ولا شك أن وجود نموذج بطولى مثل **كاميلو توريز** القسيس الكولومبى الذى انضم الى حركة حرب العصابات وسقط قتيلا فى احدى عملياتها ضد الحكومة الدكتاتورية فى فبراير عام ١٩٦٦ له تأثيراته الواسعة النطاق ليس فى اطار الكنيسة وحدها وانما على الجماهير الكاثوليكية العريضة فى أنحاء أمريكا اللاتينية .

ونتيجة لاتساع قاعدة القوى المناهضة للامبريالية ، والواقفة فى صف حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية فان الاحزاب البورجوازية التقليدية تجد نفسها فى محنة حقيقية منذ سنوات . ليس فقط لان الجماهير الشعبية تنصرف عنها أكثر وأكثر ، وانما لان الامبريالية الامريكية نفسها لم تعد تجد فيها أحصنة قوية تلعب عليها لكسب السباق الى السيطرة على الحكم والابقاء على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة . فقد أصبحت هذه الاحزاب عاجزة تماما فى واقع الامر عن الوفاء بأى مطلب وطنى سواء فى التنمية الاقتصادية أو فى العدالة الاجتماعية حتى بمعناها العام .

نضال من أجل الاشتراكية

ونتيجة لهذا الوضع السياسى ، فان امكانية نشوب أزمات حادة فى دول القارة أصبحت كبيرة للغاية فى الفترة الاخيرة ، لان بلاد أمريكا اللاتينية تشهد بروز واتساع دور قوى اجتماعية جديدة قوية تسعى للتغيير وقادرة على تحقيق المطالب الشعبية .. وتدهور قوى اجتماعية قديمة أصبحت لا تستطيع أن تستمر ـ فضلا عن أن تزدهر ـ فى الظروف الموضوعية الراهنة فى القارة أو فى العالم . ولما كانت ظروف الازمة السياسية لا يمكن أن تستمر ولابد أن تحل ، وأن تحل معها تناقضات

الاوضاع الراهنة ، فان الامر مرهون بمقدرة حركة التحرر الوطني ـ بالقوى المشتركة فيها وطليعتها الطبقة العاملة ـ على التقدم لحل هذه التناقضات بالثورة ٠

وتنبيء التطورات الاخيرة في أمريكا اللاتينية بأن التطور المستمر للحركة المناهضة للامبرياليـة بقواها الاجتماعية المختلفة ، تسير جنبا الى جنب وبسرعة مماثلة مع التطور نحو حركة التنمية الاشتراكية باعتبارها الوسيلة الحتمية الوحيدة لحل أزمات اقتصاد أمريكا اللاتينية الذى يعانى من تناقضات التخلف والسيطرة الراسمالية الاجنبية ووجود بقايا النظم الاقطاعية والانخفاض الخطير في معدلات النمو الاقتصادى نتيجة لذلك كله ٠ واذا كان لا بد من التسليم بوجود تناقضـات او نوعيات مختلفـة بين اليسـار في دول امريـكا اللاتينية المختلفة ـ بين الاتجاه نحو العنف أو نحو العمل السياسي اليومى المنظم ـ الا أن اليسار في أمريكا اللاتينية يجمعه كله فكرا ايديولوجيا يؤمن ايمانا علميا اكيدا بحتمية السير في طـريق الاشتراكية لحل التناقضات الاقتصادية الاجتماعية ولضمان التحرر من السيطرة الاجنبية في الوقت نفسه ٠

وهكذا يتضح في حركة التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية عدم انفصال حركة الصراع الطبقى في المجتمع عن أهدافه الوطنية في التخلص من سيطرة الامبريالية الامريكية خاصة مع استمرار هذه الامبريالية في محاولات التخريب ضد مكاسب التحرر الوطني في بيرو وشيلى وبوليفيا (حيث نجحت كما أوضحنا من قبل) ٠ ولهذا فان حركة التحرر الوطني قد تبدأ بمرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية كما حدث في شيلى ، ولكن استمرار حركة الصراع الطبقى يدفع هذه الثورة الى تقـديم مكاسب اشـتراكيـة لجمـاهير العمال والفلاحين تتمثل في تكوين قطاع عام كبير ، واشتراك العمال في ادارة المصانع وأرباحها ، وتطبيق نظم الاصلاح الزراعى في الريف ٠

ومن شأن هذا التطور في مرحلته الاولى أن يساعد على ازدياد قوة حركة التحرر الوطني ونموها وتقدمها نحو أهدافها ، مع توفر الظروف الموضوعية الفردية لهذا النمو :

١ ـ طبقة عاملة أكبر وأشد وعيا وأكثر التزاما ايديولوجيا بأهداف تحقيق الاشتراكية ، ونمـو اقتصادى منظم ، وخروج حثيث من سيطـرة الاحتكـارات الاجنبية او سيطرة الدكتـاتوريــات البورجوازية ٠

٢ ـ تحالف قوى بين الطبقة العاملة والفلاحين الذين يشكلون اكبر الجماعات السكانية في معظم دول القارة ٠

٣ ـ استمرار جذب الفئات الثورية من المثقفين والطلبة الى صفوف حركة التحرير الوطنـى واتجاهها الاشتراكى ٠

٤ ـ نمو العلاقات الطبيعية بين قوى التحرر في أمريكا اللاتينية ـ وخاصة تلك التى تصل الى السلطة ـ والقوى الاشتراكية المؤثرة في العالم بأعتبارها الدرع القوى المدافع عن حركة التحرير الوطني في العالم والذى يقدم لها التأييد الكامل بكل اشكاله في نضالها ضد الامبريالية من ناحية ، ومن أجل تحقيق التقدم الاقتصادى من ناحية

« البرلمـــــان »

كطريق الى سـلطة

« الديموقراطية الوطنيـة »

تجربة من شيلى

حسـين شعـلان

ظلت امريكا اللاتينية لفترة طويلة ،مسرحا للانقلابات العسكرية تقوم بمعظمها القوى الرجعيةداخل القوات المسلحة مدفوعة بتأييد الامبريالية الامريكية ،اجهاضا للثورة فى حـالات المد الثورى للحركة الوطنيةالديمقراطيـة ، أو لتقـويض النظم التى لا تسايرمطامع السياسة الامريكية وأهدافها .

وفى الحـالتين ، غـالبا ما كانت تسـساير هذه الانقلابات عن اقامة نظم فاشية ودكتاتورية سواء فى شكلها المدنى أو شكلها العسكرى .

لكن ذلك لا يلغى أن القوى الوطنية الديمقراطية فى بعض الاحيان، قد لجأت الى « الانقـلاب العسكرى » من أجل تسلم السلطة وتحقيـق اهدافها ، وبرغم قلة هذه « الانقلابات » الوطنيـة التى سرعان ما تصبح « ثورة » تواجه مهامها ، الا أنها كانت أحد أساليب « العمل الوطنى » فى هذه القارة .

ولفترة طويلة ايضا ، ظل نموذج « الكـفاح المسلح » هـو النموذج السـائد فى فكر الحركـة الثورية فى أمريكا اللاتينية ، كطريق للخلاص من النـظم الدكتـاتورية .. وكنتاج لمناخ « العنف العسكرى » الذى ساد القارة طويلا .

ثـم شقت ثـورة شيـلى ، اخيرا ، طريقـا فريدا ونادرا لم تشقه ـ حتى الان ـ ثورة أخرى فى

أمريكا اللاتينية • وذلك حين تمكنت « جبهة الاتحاد الشعبى » ، التى تضم القوى الوطنية والديمقراطية والشعبية ، من أن تتولى السلطة فى البلاد عن طريق « البرلمان » • ومن المتوقع أن يكون لهذا « الاسلوب الشيلى » ـ اذا صح التعبير ـ آثاره السياسية والفكرية على تطورات نضال حركة التحرر الوطنى فى القارة وربما فى غيرها من القارات •

ولا يعنى ذلك بالتأكيد ـ ان « البرلمان » اليوم هو « بديل » القوات المسلحة او « قوات الكفاح المسلح » فى أمريكا اللاتينية • فلكل بلد ظروفه الموضوعية الخاصة ، التى تفرض على حركة التحرر الوطنى فيه ممارسة هذا « الاسلوب » أو ذاك ، والاعتماد على « المؤسسة المدنية » أو « المؤسسة العسكرية » ، أو خلق « مؤسسة جديدة » ، من أجل تسلم السلطة وانجاز أول خطوة فى طريق اعادة بعث « الوطن » المعادى للامبريالية ، والنهب الاجنبى والاقطاع •

ويخطىء من يظن أن « البرلمانية » ـ كطريق يمكن الجبهة الشعبية من الاستيلاء على السلطة ـ طريق سهل • بل العكس تماما هو الصحيح • لان نجاح هذه التجربة ، انما يعنى قبل كل شىء النجاح المقتدر فى تنظيم الجماهير وحشدها الى الحد الذى يصبح فيه ثقلها وحجمها السياسيين هما بديل « المؤسسة العسكرية » التى أكدت التجربة التاريخية حجم الدور والاهمية الذى تلعبه فى حياة دول العالم الثالث • هذا الحجم الذى فاق ـ بشكل مطلق ـ حجم الدور الذى لعبته حتى الان المؤسسات الاخرى فى هذه الدول ، ونستطيع أن نتصور صعوبة هذا الطريق ومشاقه بكيفية ملائمة ، اذا عرفنا أنه مطالب بأن تقوى حركة تنظيم الجماهير ونشاطها الى الحد الذى نستطيع معه أن تشل قدرات « المؤسسة العسكرية » اذا ما فكرت ـ فى ظل قيادة رجعية ـ فى العمل على التدخل لتغيير مسار الاحداث وفق ما ترغب فيه هذه القيادة •

فما هو هذا « الواقع الخاص » فى شيلى الذى نسج من أحداثه معالم هذا الطريق ، فصعب على الامبريالية والقوى الرجعية ممارسة أسلوبها التقليدى : الانقلابات ، وسهل على القوى الثورية استخدام المؤسسة المدنية ـ البرلمان ـ لتسلم السلطة ، واتخاذ الاجراءات الثورية بعد ذلك ؟

« دراماشيلى »

يندر ان نجد بلدا واحدا فى امريكا اللاتينية وقد نجا فى تاريخها الحديث والمعاصر من وقوع انقلاب به أو الغوص حتى الاعماق فى هذه البئر ـ الانقلابات ـ التى « بلا قرار » • لكن تاريخ شيلى الحديث ، يوضح أنها كانت هذا « البلد النادر » •

فمنذ عام ١٨٣٠ وجميع رؤساء جمهورية شيلى يكملون فترات رئاستهم المقررة فى الدستور ، الا بأستثناء حالات نادرة كندرة ظهور « رئيس دكتاتورى » بها • ومنذ عام ١٩٣٨ ترسخت التقاليد الدستورية والقانونية بالبلاد ، الى حد أن البرلمان قد أصبح من حقه ـ تقليديا ـ أن يؤكد انتخاب الشخص الذى حصل على أغلبية أصوات الناخبين • وتبلغ سلطات البرلمان فى شيلى الحد الذى يصبح من حق البرلمان معه ألا يلتزم باختيار صاحب أغلبية الاصوات رئيسا • اذ فى استطاعته ان يختار واحدا من بين المرشحين اللذين حصلا على اكبر اصوات تلى ما حصل عليها المرشح الاول •

هكذا كان طابع الحياة السياسية فى شيلى • وحتى فى أكتوبر من عام ١٩٦٩ ، عندما استحكمت أزمة النظام الحاكم وقتها ، ونضجت الحركة الجماهيرية الثورية الى الحد الذى « ينذر بالخطر » ، حاولت قوى اليمين الرجعى فى الجيش ـ مستغلة مطالب الجيش المهنية التى لم تتحقق منذ عام ١٩٦٨ ـ القيام بانقلاب عسكرى على السلطة المحافظة وقتها • لكن وقفة الحركة الجماهيرية ومؤسساتها بقيادة الاحزاب الوطنية والديمقراطية والشعبية ، وأدت محاولة الانقلاب هذه ، بأن شنت اضرابا شاملا شل الحياة الاقتصادية فى البلاد الى الحد الذى لم تستطع معه القيادة العسكرية لليمين ، الا أن تسلم بعدم القدرة على « السباحة ضد التيار » •

التاريخ • نفوذ البرلمان التقليدى • قوة الحركة الجماهيرية • تلك هى مفاتيح الموقف الثلاثة فى شيلى •

لقد كانت الفترة فى عام ١٩٦٩ ، هى قمة « دراماشيلى » فالقوى الامبريالية واليمين الرجعى ، قادرة على التأثير فى الاحداث بقدر • لكنها غير قادرة على تغيير مسار الاحداث لصلحتها ، والقوى المحافظة قادرة على الاحتفاظ بالسلطة ، لكنها غير قادرة على الاستمرار فيها بنفس النهج • والقوى الديمقراطية والشعبية قادرة التأثير الى حد شل حركة الاخرين ورغبتهم فى السيطرة ، لكنها غير راغبة فى استمرار الاوضاع على ما هى عليه ، وتستجمع طاقاتها لاحداث التغيير الذى تطلبه •

الجميع هنا ـ وبنسب مختلفة فى القدرة ـ حريص على البقاء ، والتمسك بأسباب « التواجد » • لكنه حريص أيضا ، وبنسب مختلفة كذلك ، على عدم وضع البلاد على حافة البئر التى بلا قرار : طريق الانقلابات •

حالة توازن القوى العام والمؤقت .. هذه كانت نتاج أزمة المنهج الاصلاحى التى بدت بوادر فشله التام واضحة فى أفق شيلى كلها .

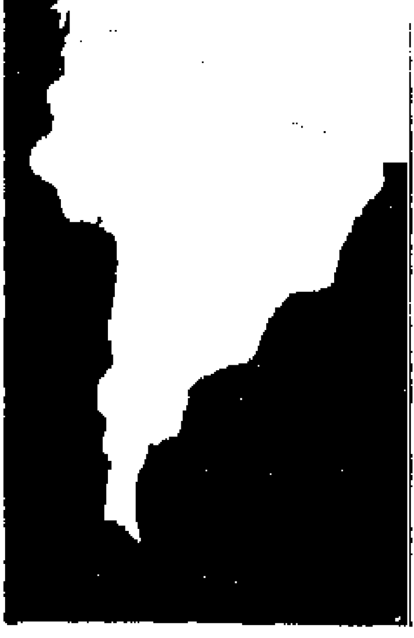
« الاصلاحية » أجرأ محاولة

منذ انتصار ثورة كوبا الاشتراكية ، والامبريالية الامريكية لم تتخل عن أعز أمانيها وهدفها الاساسى لاستراتيجيتها تجاه أمريكا اللاتينية : خنق الثورة الكوبية ، وعدم السماح لاى دولة اخرى بانتهاج نفس الطريق ، مع المحافظة على استثماراتها الضخمة وأرباحها الطائلة فى القارة . ولا تقتصر مساعى الولايات المتحدة من أجل تحقيق استراتيجيتها فى القارة ، على العمل العسكرى وحده ، بل تشمل ايضا جبهة العمل الفكرى والسياسى ، وخاصة بعد ثورة كوبا .

ولقد تميز تاكتيك الامبريالية الامريكية فى شيلى عن غيره فى بلاد أخرى كفنزويلا وكولومبيا — مثلا — فالعنف الذى مورس فى هذين البلدين غير تكريس السياسة الاصلاحية فى شيلى . والاصلاحية هنا هى الاحتياطى الاستراتيجى والتاكتيكى معا . وهنا كان شعار « التحالف من أجل التقدم » أجرأ محاولة للامبريالية فى امريكا اللاتينية من أجل رفع أسهم أمريكا فى القارة — وهنا ايضا كان تبنى بعض القوى المحافظة لشعار « الاصلاحية » بهدف تزيين النظام الرأسمالى ورتق ثغراته التى لا حل لها .

وعند تولى حكومة ادواردو فراى (الحزب الديمقراطى المسيحى) السلطة (من ١٩٦٤ وحتى سبتمبر ١٩٧١) ، قدمت الصحافة الامريكية والمحافظة برنامجه الاصلاحى ، كبديل للطريق الذى سلكته ثورة كوبا ، وكحماية للرأسمالية من خطر « الحل » الكوبى ، ولحماية شعب شيلى من النظم الدكتاتورية كتلك التى فى البرازيل والاكوادور مثلا .

وقد وصل الديمقراطيون المسيحيون الى السلطة فى شيلى ، فى وقت كانت فيه القوى الوطنية والديمقراطية ، وبخاصة العمال وهم أكثر القوى الاجتماعية نشاطا فى الحياة السياسية فى البلاد ، ترغب فى التغيير خروجا من الازمة العامة للحكم فى ذلك الوقت . ولم يكن أمام كبار ملاك الاراضى والاوليجاركية المالية ورجال المال الامريكيين ، الا أن يساندوا اتجاه « الاصلاح » للحزب الديمقراطى المسيحى باعتباره « أفضل الحلول السيئة » . ولكى تنجح هذه المساندة وتمر دون ما شبهة ، شنت دوائر هذه القوى مجتمعة حملة ضخمة ضد الشيوعية ، وتلقف الحزب الديمقراطى المسيحى



الخيط ، ودخل الانتخابات وقتها تحت شعار « الثورة على أسس من الحرية » رغم أنه ليس لمسانديه الاقوياء اية مصلحة لا فى « الثورة » ولا فى « الحرية » ولا فى أية تغييرات .

فالزراعة فى البلاد قائمة على علاقات شبه اقطاعية . اذ يسيطر كبار ملاك الاراضى على ٨٠ فى المائة من الاراضى . ومن بين ٣٨ الف مالك أرض ، نجد ٦٣٢٦ مالكا يملكون ٤٠ فى المائة من مجموع الاراضى المنزرعة (تبلغ نسبة الاراضى المنزرعة فعلا ٧٥ فى المائة من مجموع الاراضى القابلة للزراعة) . وبينما انفقت الحكومة فى عام ١٩٦٤ — مثلا — مبلغ ١٦٠ مليون دولار على الواردات الزراعية ، لم تجن البلاد الا ٣٩ مليون دولار فقط من الصادرات الزراعية .

وأمام هذه الوضعية ، وعد الحزب الديمقراطى المسيحى « باصلاح زراعى . لتغيير نظام الملكية شبه الاقطاعى .. للاراضى .

والصناعة فى شيلى ، تقوم أساسا على انتاج النحاس ، العمود الفقرى لاقتصاديات البلاد — التى تحقق أكثر من ٧٠ فى المائة من الدخل القومى بالدولار . فشيلى واحدة من أولى ٥ دول منتجة للنحاس فى العالم وثانيتها من حيث الاهمية . اذ تنتج سنويا ٦٨٦ الف طن قيمته ٨٠٠ مليون دولار . ومن هنا فان أى تغيير فى السعر العالمى للنحاس — وتتحكم فيه الاحتكارات الاستعمارية — بسنت واحد ، زيادة أو نقصا ، انما يعنى زيادة أو نقص ٨ ملايين دولار من الدخل القومى لشيلى . ولان الدخل من النحاس يمول التجارة الخارجية للبلاد ، فان اهتزاز اسعاره يعنى أيضا مشاكل معقدة لحاجة البلاد من الاغذية والماكينات وقطع الغيار ، فضلا عن تأثيره على سياسات الاجور والمرتبات وخطة التنمية .

وتسيطر على عملية انتاج النحاس فى شيلى ، مؤسسة « ناكوندا » — وهى خليط من الشركات الاجنبية غالبيتها أمريكى . وتستثمر هذه المؤسسة ١٦ فى المائة من استثماراتها العالمية (١٩٩ر١٦٦ر١ مليون دولار) فى شيلى . وكان مجموع أرباحها العالمية فى عام ١٩٧٠ وحده ، ٠٠٠ر٣١٣ر٩٩ دولار ، منها ٠٠٠ر٦٩٢ر٧٨ دولار من شيلى . أى انها تجنى

٨٠ فى المائة من مجموع أرباحها من شيلى مقابل ١٦ فى المائة من مجموع استثماراتها ٠

والى جانب انتاج النحاس ، تقوم عدة صناعات أخرى كالنسيج والجلود والسكر والزيت والحديد ، فضلا عن انتاج الفحم ونترات الصوديوم ، وهناك عشر شركات مساهمة رئيسية تسيطر على هذه المجالات ، وتملك أكثر من ٩٠ فى المائة من رأس المال فى كل الحالات تقريبا بالاضافه الى مجال التجارة الخارجية ٠

وتحصل المؤسسات الاجنبية ـ ومعظمها أمريكي ـ على ٣٠٠ مليون دولار سنويا فى صورة أرباح ٠ ومن مجموع ارباح مؤسسات التعدين والصناعة والتجارة الخارجية والبنوك ، يذهب ٦٣ فى المائة منها الى الاحتكاريين الاجانب ورجال المال المحليين ، بينما لا يزيد نصيب المرتبات والاجور والخدمات الاجتماعية عن ٣٧ فى المائة منها ٠ وطبقا لاحصاء ١٩٦٩ ، يتضح أن ما يحصل عليه ٢٤٠ شخصا من الماليين كل شهر يوازى ما يزيد على أجور ٦٧٠ ألف عامل فى البلاد ٠

وأمام هذه الوضعية ، وعد الحزب الديمقراطى المسيحى باتخاذ اجراءات ضد الاحتكارات وفق مفهوم دخول الحكومة كمساهمة فى هذه المجالات لاضفاء الطابع الوطنى على الاقتصاد (CHILEANIZATION) الى العمل على اقامة علاقات مع كل الدول ، واحراز تقدم صناعى وبناء مدارس واتباع سياسة اسكانية لحل مشكلة الاسكان ٠

تحت وطأة معطيات هذا الوضع الاقتصادى لسيطرة الاحتكارات الاجنبية ورجال المال المحليين وكبار ملاك الاراضى ، برز اتجاه « الاصلاح » فى صفوف الحزب الديمقراطى المسيحى وقيادته ٠ هذا الاتجاه الذى كان تعبيرا ـ على نحو آخر ـ عن فكر وصياغة « الرأسمالية الشعبية » السائدة فى برامج الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية فى أوربا ٠ يزيد من شكله « اليسارى » عند الحزب الديمقراطى المسيحى فى شيلى ، حقيقة أن هذا الحزب قد شارك طويلا مع الحركة الجماهيرية من أجل عدد من القضايا العامة ٠

ويمكن أن نقول أن الحزب الديمقراطى المسيحى يجمع خليط من الطبقات ، فكل الفئات الاجتماعية ممثلة فيه ٠ ففى صفوفه نجد بعض ملاك الاراضى الى جانب احتكاريين صناعيين ورجال بنوك ، وأساتذة جامعات ومهنيون والبورجوازية المتوسطة والصغيرة والمدرسون والعمال المهرة وفلاحون ٠ ولكن يقود هؤلاء جميعا : البورجوازية القومية بفكرها ومفاهيمها ونظرتها السياسية والاجتماعية ٠ ونفوذه الاساسى بين صفوف المهنيين والبورجوازية المتوسطة والصغيرة وبعض الصناعيين ٠

وقد بدأت البورجوازية تلعب دورا فى مجالات الاقتصاد فى شيلى منذ بداية القرن الماضى ٠ وبرغم ارتباطاتها بالامبريالية ، الاأن مصالحها الخاصة تتناقض معها ٠ وفى ظل الحركة الوطنية المعادية للاستعمار ، تدعم الدور الوطنى لها وخاصة فى صفوف البورجوازية المتوسطة والصغيرة وعلى الرغم من مخاوفها من تنامى الطبقة العاملة ٠ هذه المعادلة التى انعكست فى نهج « الاصلاحية » من جهة ، ومساومة الامبريالية من جهة اخرى ٠

الحركة الجماهيرية ٠٠ هى الاساس

ان الحركة الجماهيرية وقوتها هى اساس تطورات كل أحداث تجربة شيلى والنتائج التى اثمرتها ، فاذا اضفنا الى ذلك حقيقة حرص كل القوى على عدم تعطيل المؤسسات السياسية والاجتماعية أو النيل من سلطاتها ـ وهو حرص اساسه قوة الحركة الجماهيرية ويقظتها ـ لوصلنا الى المعادلة التى قادت شيلى الى سلطة « الديمقراطية الوطنية » : حركة جماهيرية قوية + تقاليد ديمقراطية راسخة ٠

فالصراع الذى حكم المجتمع فى شيلى هو التناقض بين الامبريالية والاحتكارات وكبار ملاك الاراضى والاوليجاركية المالية من جهة وبين العمال والفلاحين والموظفين والطلبة والمثقفين وصغار ومتوسطى التجار وأصحاب الصناعات الصغيرة والمتوسطة من جهة أخرى ٠

ففى خلال هذا القرن نمت **الطبقة العاملة** فى شيلى نتيجة لنمو التجارة وما تبعها من نمو سريع فى صناعات وانتاج النحاس والفحم التى خلقت سوقا كبيرا للعمل ٠ ونتيجة لضرب البورجوازية الوطنية فى نهاية القرن ١٩ على ايدى التحالف بين الامبرياليين وبين ملاك الاراضى ورجال المال ، لعبت الطبقة العاملة فى شيلى دورا بارزا فى الحياة السياسية للبلاد كقوة رئيسية معادية للاستعمار ٠

وقد خاضت الطبقة العاملة منذ نشأتها عددا من المعارك التى دعمت من تنظيمها على ضوء الخبرات التى استخلصتها من انتصاراتها وهزائمها ٠ حتى ان البورجوازية الوطنية لم تنجح ـ برغم محاولاتها المتكررة ـ فى أن تحول دون

تأسيس اتحاد مركزى للعمال، له تأثير غالب فى البلاد • وقد استرشد هذا الاتحاد بخط ثـــابت فى سياسته يتلخص فى الدفاع المستمر عن المطالب الاقتصادية والاجتماعية للعمال وربطها — فى نفس الوقت — بالحركة العامة لنضال شعب شيلى من اجل احداث تحولات اقتصادية واجتماعية فى البلاد • وقد طبق الاتحاد المركزى للعمال سياسته هذه على اساسين . **أولا**: العمل الدائب على تطوير سياسته الوحدوية بين النقابات المتعددة ، وتطبيـق اوسـع ديمقراطية نقابية • **ثانيا** : العمل على المحافظـة على استقلال الاتحاد عن الحكومـات والاحزاب السياسية •

ولكى نعطى نماذج لنضال الطبقة العاملة فى شيلى ، فاننا نركز على نضالها فى السنوات الاخيرة فحسب كمثال • ففى سبتمبر ١٩٦٩ وعندما لم تستجب مؤسستى « سومار » (للنسيج) و « فينسا » (للتعدين) لمطالب عمالها فى رفـع الاجور ، قام العمال « بمسيرة الجوع » الشهيرة والتى فرضت على المؤسستين الاستجابة لمطالب العمال •

وعندما رفضت مصانع الجلود والاحذية تحقيق مطالب عمالها الاقتصادية فى فبراير ١٩٧٠ ، احتل عمال احد المصانع (كاروزى) مصنعهم وتوقف عمال بقية المصانع عن العمل ، وتم فى نفس الوقت تعبئة آلاف من المتقاعدين فى كل مدن شيلى ، تطالب بزيادة معاشاتهم • وشاركت اتحـادات الفلاحين ، مطالب الطبقـة العاملة ، فشنت معارك مماثلة فى عدد من الاقاليم (كوريكو — نوبل — مجلان) ، ولم تلبث هذه المعارك ، أن ضمت لها — فى مارس — عمال مناجم الفحم الحجرى وعمال الموانى والعمال الزراعيين • ولم يقدم شهر ابريل حتى أضرب ٩٠٠٠ آلاف عامل فى مصانع الصلب والمناجم • وجنبا الى جنب ، اجتاحت كل انحـاء شيلى مسيرات من النساء للتضامن مع المضربين •

أما الفلاحون فى شيلى ، فيمثلون ثلث شعبها الا أنهم يحصلون فقط على ٨ فى المائة من الدخل القومى • ولان معظمهم يعمل من ١٨٠ الى ٢٠٠ يوما فى السنة فقط، فقد كانوا مصدرا دائما لزيادة صفوف الطبقة العاملة بهجرتهم الى المدن هربا من البطالة • حتى انه هاجر من عام ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ ، اكثر من ٥٠٠ الف فلاح الى المدينة •

ومنذ عام ١٩٣٤ نجح الحزب الشيـوعى والحزب الاشتراكى فى تأسيس « الاتحاد الوطنى للفلاحين والهنود » الذى أصبح يضم اليوم ما يزيد عن ٣٠ الف فلاح ، وقد ظل الاتحاد يشن نضاله من حول مطلب محورى : « الارض لمن يفلحها » • ذلك



الشعار الذى رفعه وطالب به الحزب الشيوعى فى شيلى منذ أربعين عاما •

ولكى نعطى نموذجا لنضال هذا الاتحاد ، فاننا نذكر — كمثال — نشاطه بعد تطبيق حكومة فراى لبرنامجها فى الاصلاح الزراعى الذى اسس بعض مزارع القطاع العام ، كانت من أهمها مزرعـة سانتا ماريا • فقد نجح بعض كبار ملاك الارض فى دفع الحكومة الى التراجع ، على ان تكـون هذه المزرعة قطاعا عاما وتطرح من جديد للملكية الخاصة . ونجح الاتحاد فى أن يشن الفلاحون فى هذه المزرعة اضرابا لمدة اربعين يوما ، وتسيير مظاهـرة من ١٥٠٠ مضرب ، الى سـانتياجو (العاصـمة) مطالبين الحكومة بالتدخل لحل المشكلة •

وقـد نظم اتحـاد العمـال المركزى مؤتمـرا جماهيريا للتضامن مع مسيرة الفلاحين ، وأعد الترتيبات اللازمة لاقامة أفراد المسيرة فى صالة اتحاد العمال تعبيرا عن التحالف بيـن العمـال والفلاحين • وأجبر اتحاد الفلاحين — بمشاركة اتحاد العمال — هيئة الاصلاح الزراعى على أن تجيب مطالب الحركة الجماهيرية بالابقاء على مزرعة سانتا ماريا كقطاع عام •

كان ذلك التحالف بين العمال والفلاحين ، هو محور التضامن بين مختلف القوى الشعبية والديمقراطية فى نضالها من أجل تحسين مستوى معيشتها والمشاركة فى الحياة السياسية للبلاد •

ولعل ابرز نجاحات هذا التحالف هو شـلل محاولتين لاحداث انقلاب فى البلاد — الاولى فى اكتوبر ١٩٦٩ التى سبق الاشارة اليها • والثانية فى اكتوبر ١٩٧٠ — بعد نجاح الليندى — عندما نظمت المخابرات المركزية الامريكية وحلفائها فى شيلى ، محاولة لاستبعاد النائب السابق لرئيس الجمهورية من المسرح السياسى ، باغتياله ، وهو من الشخصيات الاساسية فى الحزب الديمقراطى المسيحى معروفة بمواقفها الرجعية • وكان هدف المؤامرة هو تحميل قوى اليسار التى تولت السلطة مسئولية اغتياله واجبار الحـزب الديمقـراطى المسيحى على الدخول فى معركة حادة مع الحكومة الديمقراطية الوطنية وخلق الظروف الملائمة لوقوع

انقلاب • ولكن التحالف الشعبي أحبط كل هذه المحاولات بتعبئة جماهيره ، وخاصة الطبقة العاملة

فشل « المحاولة الجريئة » للاصلاح

عندما سقط ادواردو فراى فى انتخابات الرئاسة كان ذلك يعنى سقوط « الاصلاحية » البورجوازية وفشلها •

فالبرنامج الاصلاحى للحزب الديمقراطى المسيحى كان يقوم على أساس محورين : أولا : اتخاذ اجراءات ضد الاحتكارات لشق طريق بناء اقتصاد وطنى ورفع مستوى معيشة السكان • ثانيا : تنفيذ اصلاح زراعى لازاحة النظام شبه الاقطاعى للملكية الارض وتنمية الريف •

وعدم اتخاذ اجراءات جذرية فى هذين المجالين — أساسا — كان مصدر ركود الحالة الاقتصادية فى البلاد وشل زيادة الانتاج وانخفاض الاجور . فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل بشكل كامل فى شيلى فى حكم الحزب الديمقراطى المسيحى : ٣٠٠ ألف شخص • وارتفعت أسعار ومستوى المعيشة ١٥٤ فى المائة عن عام ١٩٦٥ ، بل ان الاسعار ارتفعت فى الفترة ما بين ديسمبر ١٩٦٩ واكتوبر ١٩٧٠ وحدها ١ر٣٤ فى المائة وعانت شيلى من مشاكل التضخم حتى أنها أصبحت ثانى بلد فى العالم يعانى من هذه المشكلة بعد فيتنام الجنوبية •

وبدلا من تأميم صناعة النحاس ، عقدت حكومة فراى اتفاقا مع مؤسسة (ناكوندا) أهم مؤسسة لاستثمار النحاس فى شيلى — تشارك الدولة بمقتضاه ملكية المؤسسة . لكن احزاب اليسار رفضت هذه الاتفاقية فى البرلمان فى أغسطس ١٩٦٩ ، وطالبت بتأميم النحاس .

وفى الريف لم تحقق الحكومة وعدها باصلاح زراعى ، بل ابقت من حيث الجوهر على نظام الملكية شبه الاقطاعى القديم مكتفية بتحقيق اصلاح زراعى « مبتور » مما آثار سخط قطاع الفلاحين عليها

والواقع ان شعار « الاصلاح » يولد آمالا لدى الطبقات الشعبية ومن ثم تصبح هذه الامال نفسها قوة فعلية تؤثر على تطورات الاحداث لتتجاوز — بعد ذلك — اطار « الاصلاحية » وتساهم فى تقدم الثورة • فالديماجوجية « الاصلاحية » تبعث لدى الفلاح « الامل فى الارض » ولدى العامل « الامل فى التخلص من الاستغلال » ولدى مختلف الفئات الديمقراطية والوطنية « الامل فى رفع مستوى معيشتهم » •

أما « القشة التى قسمت ظهر البعير » فهى اقدام حكومة فراى على محاولة « تجميد الاسعار » فى وقت تميز بتنامى العمل المشترك بين المنظمات الجماهيرية والاحزاب اليسارية . وكلما تعمقت أزمة السلطة ، زادت جبهات العمل المشترك اتساعا بين العمال وفى الريف ، وحتى بين ربات البيوت اللاتى خرجن الى مسرح العمل السياسى •

كانت الحلقة الرئيسية للموقف فى شيلى — وقتها — هى وحدة التقدميين فى صفوف المعارضة لمواجهة الرجعيين والمعارضة اليمينية لتحقيق انعطافة نحو اليسار فى السياسة الوطنية للبلاد توقف السير نحو اليمين الذى يمكن — بل حاول بالفعل — أن يقود مغامرات عسكرية وانقلابات •

« جبهة الاتحاد الشعبى »

ظلت صياغة « الجبهة الشعبية » موضع جدل كبير فى أمريكا اللاتينية وبخاصة بعد انتصار ثورة كوبا • وبشكل عام يمكن أن نقول ان اتجاهين اساسيين قد عما الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية حول « الجبهة الشعبية »

● فمع قيام الانقلابات العسكرية الدكتاتورية ، اخطأت بعض الاحزاب اليسارية — وبخاصة الشيوعية — فى القارة فى استنتاجاتها الخاصة بمعطيات ، حركة الاحداث وتقديراتها • ورفعت هذه الاحزاب شعار اسقاط الحكومات الدكتاتورية واليمينى الرجعى ، **لاقامة الاشتراكية** • وبهذا عزلت هذه الاحزاب نفسها عن البورجوازية الوطنية المعاد للدكتاتورية ، بل وعن قطاعات البورجوازية الصغيرة والفلاحين وقطاعات من العمال المتأثرين بايديولوجية البورجوازية عموما ، والصغيرة منها بشكل خاص • هنا ساد هذه الاحزاب والحركة الثورية بشكل عام ، منطق « كل شىء أو لا شىء » • وفى غمرة حماس هذا المنطق ، غاب التحديد القاطع للعدو المشترك : الدكتاتورية واليمينى الرجعى فى خدمة الاحتكارات الاجنبية هذه القوى التى أسقطت — فى بعض المواقع — العناصر الراديكالية من السلطة .

وبذلك وجدت أرضية رفض أى تحالف مع اليسار الراديكالى •

● وبعد سيطرة الاتجاه الانعزالى هذا ثم انحساره ، ظهر اتجاه آخر تناسى دور الطبقة العاملة وحزبها الطليعى فى «وحدة عمل» القوى الشعبية والديمقراطية . ولم ير هذا الاتجاه فى تاكتيك الجبهة الشعبية ، سوى« انحياز» و«ذوبان» فى الديمقراطية البورجوازية ، انتهى بتسليم هذاالاتجاه باستبعاد الاحزاب الشيوعية، من الجبهة نفسها، ففقدت الجبهة — بذلك — طبيعتها ومحتواها ، وأصبحت مجرد اداة للانتخابات .

لكن السنوات الخمس الماضية — بالذات — فى أمريكا اللاتينية ، كانت قد خلقت مناخا جديدا فى القارة جدير بأن يفتح آفاقا عريضة أمام مستقبل الحركة الثورية بها ، وامام صياغة الجبهة الشعبية

ففى خلال هذه السنوات كانت الاشتراكية قد انتصرت نهائيا فوق جزء من أراضى القارة (فى كوبا) وفى خلالها أيضا، وجدت فى كل بلدان القارة احزاب شيوعية وعمالية ، لبعضها وزن كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية بالبلاد .

فى ذلك الوقت ، وبينما تتردى « الاصلاحية » — على ايدى حكومة فراى — فى سلسلة أزماتها التى انتهت باستحكام أزمتها العامة وسقوطها ، كانت احزاب اليسار الوطنى والاشتراكى والشيوعى فى شيلى ، تعيش تجربتها الخاصة .

فالحزب الراديكالى ، ونفوذه بين صفوف الموظفين والمدرسين والقطاعات الوسطى والارستقراطية العمالية، ظل حتى سنوات عشر ماضية ، يتحالف مع الحزب الديمقراطى المسيحى وانغمس معه — بعد صدامه مع الحزب الشيوعى — فى سياسة العداء للشيوعية . لكن هذه السياسة بالاضافة الى مشاركته اليمين السلطة فى حكومة جورج اليساندرى ، تركت انطباعا لدى الجماهير بأن الحزب قد وقع تحت سيطرة رجال المال ، ونظر اليه العمال باعتباره حزبا بورجوازيا . وسرعان ماوجد هذا الحزب أن السياسة التى انتهجها تفقده جماهيره بالتدريج وبات من الصعب عليه أن يكسب عن طريقها ، فتبنى الحزب سياسة اكثر ديمقراطية .

والحزب الاشتراكى ، المتأثر بالفكر الماركسى، رفض دائما الوقوع فى خطأ سياسة العداء للشيوعية ونتائجها وكان يتبنى دائما مطالب العمال والفلاحين واستطاع أن يكون ركيزة هامة بينهم . ولان قيادته وقاعدته معادين للأمبريالية وللنظام شبه الاقطاعى فى ملكية الاراضى ولسيطرة الاوليجاركية المالية ، فقد عملوا دائما مع صفوف الحزب الشيوعى ونسقوا معها . وفى المؤتمر



العام الذى عقده الحزب فى يونيو ١٩٦٨ أكد ضرورة المساهمة مع الحزب الشيوعى فى تحقيق شعار« الجبهة الشعبية » الذى رفعه هذا الاخير كطريق لانقاذ البلاد من المأزق التى يجرها الحزب الديمقراطى المسيحى اليه وحيث تتربص دوائر الامبريالية واليمينى الرجعى الفرصة للانقضاض على كل المكاسب التى حققتها الحركة الجماهيرية .

أما الحزب الشيوعى الذى يعد أقوى قوات الجبهة ، وهو اقوى حزب شيوعى خارج الدول الاشتراكية بعد الحزب الايطالى والحزب الفرنسى ، فقد استطاع بنضال شاق أن يواجه سياسة العداء للشيوعية التى شنتها قوى اليمين الرجعى بمساندة الامبرياليين . ونجح فى دعم مراكزه الجماهيرية سواء فى الريف أو بين صفوف الطبقة العاملة فى المدن . ويتمتع هذا الحزب بجماهيرية واسعة فى الريف كثمرة للتضحيات التى قدمها الشهداء من أعضائه فى صدامهم مع كبار ملاك الاراضى بالريف عندما عملوا على تنظيم الفلاحين حول شعار « الارض لمن يفلحها » . ويسيطر هذا الحزب على ٥٠ فرعا من فروع اتحاد الفلاحين من القرى ، وعلى ١٢ فرع اقليمى من الاتحاد (٨٢ فرع وعضوية ٢٥ الف فلاح) . وقد ظل هذا الحزب يدعو الى وحدة القوى الديمقراطية واليسارية لعزل الرجعية والامبريالية ويمارس من أجل ذلك سياسة نشطة يدعو بها الى معارضة ونقد حكومة فراى فى كل اجراء رجعى ومحافظ تقدم عليه ، وفى نفس الوقت يدعو الى تأييد أى اجراء ايجابى تقدم عليه كنشاطها من أجل السلام العالمى ونزع السلاح والتعايش السلمى ونقدها للعدوان على الدومينيكان . وقد اطلق الحزب على السياسة التى دعا قوى اليسار الى انتهاجها ازاء حكومة فراى اسم : « معارضة نشطة ولكن ليست معارضة عمياء » . وفى المؤتمر الثلاثين للحزب (١٩٦٨) وجه نداء الى قوى اليسار من أجل تشكيل « الجبهة الشعبية » وفى كلمات لقد استطاع الحزب الشيوعى فى شيلى أن يتجنب — تاريخيا — خطأ غيره من الاحزاب الشيوعية فى القارة بصدد الجبهة الشعبية كما سبق وأشرنا .

ومن خلال المعارك اليومية التى خاضها العمال

والفلاحون وسائر الديمقراطيين والتقدميين ، كرست هذه الاحزاب الثلاثة « الاعمال الوحدوية » بين قواعدها الحزبية والجماهيرية • وسرعان ما دعا الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الى ضرورة وضع « برنامج ثوري ، يكون مرشدا للنضال من أجل سلطة جبهة القوى الشعبية •

ومع تحديد هذا البرنامج من خلال حوار هذه الاحزاب الثلاثة ، انضم الى « جبهة الاتحاد الشعبي » مع هذه الاحزاب ـ الحزب « الاشتراكي الديمقراطي » و « حركة العمل الشعبي المتحد » بالاضافة الى مجموعة من العناصر المستقلة •

أقوياء طالما وعينا الحقيقة

نجحت قوى اليسار في اقامة الجبهة الشعبية • وكان ذلك يعني عزل قوى اليمين والامبريالية والحزب الديمقراطي المسيحي • ولم تكن الجبهة الشعبية هنا ، مناورة تاكتيكية لاى من هذه الاحزاب ، ولكنها عنصرا ضروريا أملته معطيات الوقف ومتطلبات حاجة شعب شيلي الى تغييرات تقدمية • وقد حرصت احزاب الجبهة الشعبية على التاكيد في وثائقها السياسية على طريق النضال بكل الاساليب الملائمة والضرورية من خلال البرلمان والمجالس البلدية والاجتماعات العامة « كقنوات » ملائمة في واقع شيلي الخاص • وقد فشلت كل المحاولات التي بذلتها الصحافة وأجهزة الاعلام البورجوازية اليمينية والامبريالية والمحافظة ، في احداث انقسام بين صفوف الجبهة وخاصة محاولات بعث الحياة ـ التي خمدت ـ في سياسة معاداة الشيوعية •

وفي خضم هذا المناخ الثوري الذي هيأته حركة الجماهير الشعبية ، وقياداتها اليقظة استطاعت « جبهة الاتحاد الشعبي » ان تكسب الى صفوفها قطاعا من شباب الحزب الديمقراطي المسيحي ، وما هو اهم ، الاتجاه الجديد بين رجال الدين الكاثوليك وغيرهم الذين كانوا قد تورطوا من قبل في سياسة العداء للشيوعية • ففي خلال انتخابات عام ١٩٧٠ للرئاسة التي انتهت بفوز الدكتور سلفادور الليندي ـ مرشح جبهة الاتحاد الشعبي ـ سعت الكنيسة الى تأمين نجاح الحزب المسيحي الديمقراطي • وهنا اختلط رجال الدين بجماهير الناخبين ودخلوا في حوار مع قوى الجبهة الشعبية حيث لعب الشيوعيون والاشتراكيون دورا بارزا • وبدأ الجميع ـ رجال الدين ورجال الجبهة الشعبية ـ يدخلون من نفس المدخل : مساندة مطالب الجماهير وآمالها •• ودعت قوى الجبهة رجال الدين الى مساندة بعض المسيرات التي نظمتها والتي تطالب برفع مستوى المعيشة وبالمساكن ومن خلال الحوار والاقتراحات بعمل مشترك أمام الجماهير ساند كثير من رجال الدين جبهة الاتحاد الشعبي التي نجحت في أن تتولى السلطة • وقد بلغ نفوذ الجبهة بين صفوف الجماهير التي التفت حول شعاراتها ان الحزب الديمقراطي المسيحي نفسه تحت وطأة ثقل الحركة الشعبية ـ لم يجد بدا من الحديث عن « الطريق غير الرأسمالي » و « العداء للاستعمار » و « التقدم الاجتماعي » •

الجبهة ممثلة في السلطة

عندما تسلم الليندي الرئاسة ، القى اول خطاب له قائلا : « لقد تحقق النصر بفضل كفاح العمال • بفضل كفاح الشعب الذي ظل يتطلع ، منذ قرن ونصف ، الى الاستقلال ، وظل يعاني الاستغلال على ايدي طبقات حاكمة غير قادرة على تحقيق التقدم • واخيرا جاء اليوم الذي نستطيع أن نقول فيه : كفى • كفى استغلال اقتصادي • كفى لا مساواة اجتماعية • كفى قهر سياسي • لقد ملك الشعب مستقبله بين يديه من أجل التقدم خلال طريق الديمقراطية نحو الاشتراكية » • ثم اضاف : « **اننا أقوياء طالما وعينا حقيقة أننا نمثل كل قوى اليسار في البلاد ، وطالما اكدنا وحدة هذه القوى وتمثيلها في الحكم** » ، وقد تشكلت الحكومة على النحو التالي : وزارات الداخلية والخارجية والاسكان والتعمير ووزارة دولة للحزب الاشتراكي الذي يتزعمه الليندي ، ووزارات المالية والعمل والنقل والشئون الاجتماعية للحزب الشيوعي ، ووزارات الدفاع والمناجم والتعليم للحزب الراديكالي ، ووزارات الاراضي والصحة للحزب الاشتراكي الديموقراطي ، ووزارة الزراعة لحركة العمل الشعبي المتحد . ووزارة العدل للمستقلين •

ويتلخص برنامج « جبهة الاتحاد الشعبي » في الوصول الى السلطة وضمان وتوسيع الحقوق الديمقراطية وضمان حرية العقيدة والرأي وحق التنظيم ووضع دستور جديد وتنظيم جديد للدولة على أن يكون مجلس الشعب (البرلمان) هو السلطة العليا في الدولة ، وضمان استقلال القضاء ، والا تستخدم القوات المسلحة في القمع وانتهاج سياسة خارجية على أساس السلام والصداقة بين الشعوب •

وفي مجال الاقتصاد تتلخص اهداف البرنامج في : اقامة قطاع دولة يشكل من المؤسسات التي تسيطر عليها الدولة حاليا بالاضافة الى المؤسسات

التى تؤمم ، مع اقامة قطاع مختلط من رأس المال الخاص والحكومى .

وفى مجال الزراعة ، تحقيق اصلاح زراعى جذرى وتنمية الريف .

كما تضمن البرنامج اهدافا اخرى خاصة بسياسة الاسكان والصحة والتأمينات الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة .

وفى التطبيق — بتولى حكومة الجبهة السلطة — حرصت قوى الجبهة على التأكيد على « ضرورة احترام القانون والتراث الديمقراطى للبلاد » . حتى أنها استولت على شركة امريكية لصناعة الالات بموجب قانون صدر فى عام ١٩٤٥ يسمح للحكومة بالتدخل لمنع اغلاق أى مصنع » . وكانت هذه الشركة قد اغلقت أبوابها بمجرد تولى حكومة الجبهة السلطة .

ثم أقدمت حكومة الجبهة — وهذا طبيعى — على تأميم صناعة النحاس فى البلاد بل وأعلنت بعد ذلك عن عدم تعويض بعض الشركات الأجنبية القائمة فى هذه الصناعة على أساس أن ديونها للدولة تساوى تقريبا نسبة التعويض المفترضة كما أممت مناجم الفحم الاساسية ومناجم الحديد والمصنع الرئيسى لانتاج الاسمنت والمصنع الرئيسى للمنسوجات واعادت الحكومة شراء أسهم البنوك الاجنبية حتى أصبحت تابعة للدولة وسيطرت على أهم بنوك القروض الزراعية فى حملتها بهدف تأميم الاراضى الزراعية الخاصة التى تزيد مساحتها على ٨٠ هكتارا . وشكلت الحكومة « مجلساوطنيا للفلاحين » لاشراكهم فى التحضير لوضع « سياسة زراعية » للبلاد . وعلى أواخر عام ١٩٧١ ستكون الحكومة قد أتمت بناء ١٠٠ ألف مسكن للمساهمة فى حل مشكلة الاسكان من جهة وكوسيلة لتخفيض عدد العاطلين حيث استوعبت حركة البناء هذه ٣٥ ألف عامل كانوا بلا عمل .

وعلى صعيد السياسة الخارجية ، اقامت حكومة الجبهة علاقات دبلوماسية مع كوبا واعترفت بالصين الشعبية .

وقد نجحت الجبهة الشعبية فى أن تقاوم « رد فعل » الامبرياليين والرجعيين لانتصار سلطة جبهة الاتحاد الشعبى ، على نفس الاسس التى نجحت بها : الاعتماد على الحركة الجماهيرية ونشاطها ويقظتها .

ففى مواجهة اعمال التخريب التى وصلت الى حد تفجير القنابل فى البنوك وبعض المؤسسات



العامة التى قامت بها القوى الامبريالية والرجعية شكلت حكومة الجبهة فى القطاع العام لجانا لحماية المؤسسات ولرفع الانتاج هى « لجان اليقظة » سواء فى المدن أو فى الريف .

وعندما اجريت الانتخابات البلدية فى أبريل ١٩٧١ وكنتيجة للتغييرات الهامة التى أقدمت عليها حكومة الجبهة حصلت قوى الجبهة على ٥٠٫٣ فى المائة من الاصوات بينما كان الليندى قد حصل على ٣٦٫٢ فى المائة فى انتخابات الرئاسة مما يعنى زيادة رصيد الجبهة الجماهيرى .

وبقدر ما تترسخ أقدام سلطة « الديمقراطية الوطنية » فى شيلى وتحرز انتصاراتها بقدر ما تتزايد الاخطار من حولها ، لقد كانت قوة الجماهير — حتى الان — هى حامية التطور الثورى العظيم الذى حدث فى شيلى ، لكن الامبرياليون واليمينيون الرجعيون سوف يظلوا دائما يسعون من أجل تربص الفرصة للانقضاض على المكاسب الثورية لشعب هذه البلاد ، وهنا يكمن مغزى كلمات لويس كارفالان سكرتير الحزب الشيوعى فى شيلى : « ان المعارك الكبرى سوف تبدأ الان فقط . ومن المتوقع حدوث صدامات طبقية . ان تأميم صناعة النحاس ووضع البنوك فى أيدى الدولة ، وليس هذا الا مثالين سيشدد من حدة الصراع الطبقى ضد الامبريالية والاوليجاركية ومن المحتمل أن تحاول الامبريالية والاوليجاركية القيام بانقلاب لاجبار الشعب على مواجهة بعض اشكال الكفاح المسلح . وذلك هو الذى يدعونا قبل كل شىء لان نعمل كل مستحيل لتقييد الرجعيين » .

لقد ضيقت تجربة انتصار سلطة الديمقراطية الوطنية فى شيلى — عن طريق البرلمان — ضيقت الخناق حول عنق الامبريالية الامريكية للمرة الثانية ، بعد أن ضيقته من قبل ، وللمرة الاولى ، انتصار ثورة كوبا الاشتراكية ، فى المرة الاولى جربت الامبريالية الامريكية استخدام السلاح فى خليج الخنازير — وفشلت فى ضرب ثورة كوبا وانتصار قوى التقدم ، وفى المرة الثانية جربت أسلوب « الاصلاحية » وفشلت فى اعاقة انتصار قوى التقدم ، من هنا توقع « التربص » الامريكى بتجربة شيلى بعد أن ضاقت عليها هوامش العمل المضاد لمسار حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية وانتصارها .



سلطة وطنية في شكل عسكري

تجربتان من بيرو وبوليفيا

حمدى عبد الجواد

شهدت بلدان امريكا اللاتينية فى تاريخها الحديث من الانقلابات العسكرية ما لم تشهده اى منطقة اخرى فى العالم ، فعادة ما كانت أى ازمة سياسية فى معظم بلدان امريكا اللاتينية تحسم عن طريق تدخل احدى الفرق ، أو المجموعات العسكرية كى تقصى خصومها وتتربع هى على حكم البلاد . وقد ارتبطت هذه الانقلابات العسكرية التى لا حصر لها فى مختلف ارجاء القارة بالقطاعات العليا بين العسكريين ، وكقاعدة عامة ، باشد الاتجاهات يمينية ورجعية وممالأة للامبريالية . وغالبا ما لجأت الولايات المتحدة الى هذه الانقلابات العسكرية أو مساندتها للخروج من أزمة سياسية تهدد بفتح الطريق امام انطلاق القوى الوطنية أو بالقضاء على مصالحها الاستغلالية فى هذا البلد أو ذاك من بلدان امريكا اللاتينية .

الا أن تجربتى **بيرو وبوليفيا** (أيام حكم توريز) كانتا خروجا على تلك القاعدة العامة لطبيعة واتجاه الانقلابات العسكرية. فقد أوضحت تلك التجربتين أنه من الممكن للضباط الوطنيين ذوى المثل الديموقراطية والمعادية للامبريالية ، اذا ما تمكنوا من السيطرة على جهاز الدولة ، ان يقاوموا التدخل الاجنبى ، وان يدعموا من سيادة البلاد على مواردها الاقتصادية ، وان ينتهجوا سياسة التنمية الاقتصادية المستقلة ، وأن يعبروا عن أهداف القوى الوطنية ويجروا تغييرات هامة فى الهيكل السياسى والاقتصادى والاجتماعى لبلدانهم تتفق ومطامع شعوبهم .

وتبدو تجربة الحكم العسكرى الوطنى فى بيرو اكثر تحديدا ووضوحا فى الاتجاه بالمقارنة مع تجربة بوليفيا التى لم تدم طويلا والتى انتهت الى الفشل .

كان يوم ٣ اكتوبر ١٩٦٨ هو بداية التجربة البيرونية . ففى صباح ذلك اليوم استيقظ شعب بيرو على انقلاب عسكرى جديد ،ورغم ما أعلنه قادة الانقلاب فى بيانهم الاول من أن الجيش يريد أن يضع حدا لسياسة خيانة المصالح الوطنية التى سارت فيها كل الحكومات السابقة ، كان رد الفعل هو عدم مبالاة كاملة من جانب جماهير الشعب العريضة التى سئمت الانقلابات العسكرية وبياناتها التى لم تغير شيئا فى حياة

بيرو طوال مائة وخمسين عاما من تاريخها الحديث ، والتى لم تكن اكثر من ثورات قصور .

غير انه فى ٩ اكتوبر حدث ما شد اهتمام الشعب بأسره ففى ذلك اليوم احتلت القوات المسلحة منشآت شركة **انترناشونال بتروليم** الامريكية الملحقة **بستاندرد اويل أوف نيو جرسى** ، وأعلنت الحكومة العسكرية الجديدة تأميم الشركة الامريكية والغاء كل العقود التى وقعتها الحكومات السابقة معها . وكان ذلك الاجراء ضربة قاصمة لاقوى احتكارات البترول الامريكية التى نهبت البلاد لخمسين عاما .

وقد استخدم النظام الجديد العنف فى الاطاحة بحكومة بيلوند اليمينية ، الا أنه قد تميز عن كل الانقلابات العسكرية التى سبقته فى انه لم يتخذ اى اجراءات للقمع السياسى وسمح لكل الاحزاب السياسية فى بيرو بما فى ذلك الاحزاب اليمينية والممالئة للامبريالية بان تعمل بحرية ، كما سمح للحزب الشيوعى ، والنقابات ، والمنظمات الديموقراطية التى كانت محرمة من قبل أن تعمل بشكل مشروع . وهكذا بدأت القوى الوطنية فى بيرو تلتف حول النظام الجديد وبدأت تدرك أن ما حدث فى ٣ أكتوبر ١٩٦٨ يختلف عن كل الانقلابات العسكرية السابقة . بدأت القوى الوطنية تدرك أن ما حدث لم يكن مجرد انقلاب عسكرى وانما كان تعبيرا عن بداية مرحلة جديدة فى ثورة بيرو الوطنية ، وصفحة جديدة فى تاريخ نضال القوى الوطنية من أجل تحرير البلاد واستعادة سيطرتها على ثرواتها . وهكذا جاءت حكومة **فيلاسكو الفارادو** تعبيرا عن مطامح الجماهير العريضة لشعب بيرو وكمخرج طبيعى للثورة العارمة التى كانت تموج بها البلاد طوال عامى ٦٧ ، ٦٨ .

فخلال عامى ٦٧ ، ٦٨ واجهت بيرو أزمة اقتصادية وسياسية حادة ، وكشفت حكومة بيلوند القائمة حينذاك عن عجزها عن مواجهة الظروف الصعبة بل وسارت فى اتجاه التضحية بالمصالح الوطنية . وبدأت كل القوى السياسية فى البلاد تدرك الحاجة الملحة الى اجراء تغييرات عميقة للخروج من هوة الازمة الخانقة . غير أن القوى السياسية والشعبية لم تكن منظمة بما فيه الكفاية ،وبالصورة التى تسمح لهابالقيام بالتغيير المطلوب . وفى ظل تلك الظروف تمكن الضباط الوطنيون من أن يأخذوا زمام المبادرة بين ايديهم ويقوموا على راس الجيش بالاطاحة بنظام بيلوند الرجعى ليدفعوا بثورة بيرو فى طريق حل المهام التى تواجهها .

فما هى العوامل التى ساعدت العسكريين الوطنيين على راس القوات المسلحة من قيادة



الثورة الوطنية فى هذه المرحلة من تاريخ البلاد ؟

● ان تصاعد النضال الوطنى الجماهيرى ضد الاستعمار والاقطاع والرأسمالية قد امتد الى صفوف القوات المسلحة . وانضم بعض ضباط الجيش الوطنيين الى نضال الشعب المتعاظم ويكفى أن نشير الى ان احد القادة العسكريين كان أول رئيس لجبهة الدفاع عن البترول ، ثم رئيسا مساعدا لجبهة التحرير الوطنية وعضوا فى جبهة اليسار الموحد . وفى سبتمبر ١٩٦٨ احتج الجنرال فيلاسكو الفارادو باسم القوات المسلحة على تجديد امتياز شركة انترناشونال بتروليم .

● ان مبدأ « **الحدود الايديولوجية** » الذى فرضته الولايات المتحدة على القوات المسلحة فى بلدان امريكا اللاتينية واهتمامه بالقضاء على حركات التحرر الوطنى بالقوة قد جذب اهتمام اعداد واسعة من ضباط الجيش بالسياسة وبدراسة المشاكل والقضايا الوطنية ، وادى الى اثارة مشاعر الضباط الوطنيين ضد هذا «المبدا» .

● أدى اشتراك القوات المسلحة فى برنامج الاعمال المدنية (بناء الطرق والمدارس والمستشفيات) بالاضافة الى اشتراكه فى العمليات المعادية لرجال العصابات عام ١٩٦٥ الى اعطاء العسكريين صورة واقعية واضحة عن فقر الفلاحين وما يعانون من اضطهاد .

● تدهور مكانة العسكرية الامريكية بعد فشل التدخل فى كوبا والهزائم المتكررة فى فيتنام .

● ان معظم ضباط القوات المسلحة ينتمون الى البرجوازية الصغيرة مما ساعد على ان يكون انعكاس كل الظروف السابقة عليهم فى اتجاه تعاطفهم مع حركة الشعب .

● وكان العامل الحاسم والهام هو عجز القوى الشعبية عن أن تأخذ زمام المبادرة بين ايديها كى تخرج بالبلاد من الازمة الكامنة التى تردت فيها نتيجة لسياسة الحكومات الرجعية الممالئة للاستعمار .

● ولقد كانت بيرو حتى انقلاب اكتوبر ١٩٦٨ بلدا متخلفا ،يخضع تماما لسيطرة الولايات المتحدة وتعتصر الاحتكارات الامبريالية ارباحا طائلة من استغلال ثروات البلاد ، وتتحكم شركتان

امريكيتان كبيرتان همـا شركة بيرو الجنـوبية الملحقة بشركة امريكان سملتنج أند ريفيننج ، وشركة سيرو دى باسكو للنحاس على ٨٠ فى المائة من انتاج النحاس فى البلاد . كما تسيطر الشركة الاخيرة على حوالى ٥٠ فى المائة من انتاج الرصاص والفضة والزنك ، بينما تتحكم شركة ملدكانو للتعدين فى كل خامات الحديد ، وفى نفس الوقت كانت شركة انتر نـاشونال بتروليم الملحقة بامبراطورية روكفلر البتـرولية تتحكم فى ٨٠ فى المائة من استخراج البترول ، ٧٠ فى المائة من تصنيعه .

● فى عام ٦٧ــ٦٨ كانت البلاد تحصل على نصف دخلها من العملات الاجنبية من صناعة التعدين . وقد اصيبت بخسائر فادحة نتيجة لتدهور أسعار المواد الخام داخل الولايـات المتحدة .

● بلغت الاستثمارات الاجنبية فى بيرو ٦٤٥ مليون دولار يخص الاحتكارات الامريكية وحدها ٧٥ فى المائة منها . كما تملـك الاحتكارات الامريكية ٥٠ فى المائة من اصول صـناعة السكر ، ٣٦ فى المائة من اصول صناعة السمك ومنتجاته ، ١٥ فى المائة من استثماراته الاجنبية فى الصناعات التحويلية . وقد استنزف رأس المال الاجنبى ثروات البلاد ففى الفترة ما بين ١٩٥٠ ، ١٩٥٩ حصلت الشركات الاجنبيـة وارسلت الى الخارج ١٧٠٠ مليون دولار كفوائد وارباح على رؤوس اموالها .

● كانت الملكية الفردية هى السائدة فـى الزراعة وكانت ٩٢ فى المائة من المزارع لا تزيد مساحتها عن ١٠ هكتار اى اقل من ٨ر٦ فى المائة من كل الاراضى المزروعة ، بينما ٤ر٠ فى المائة من المزارع تزيد مساحتها عن ٥٠٠ هكتار وتصل الى ٧٥ر٦ فى المائة من الاراضى المزروعة . ورغم ان مزارع السكر كانت تقوم على اسس رأسمالية فان ملكية الاراضى والايجار كانت تتسم ببقايا اقطاعية فى معظم انحاء البلاد .

برنامج فيلاسكو

وفى اعقاب استيلاء الجيش على السلطة وتأميم شركة انترناشونال بتروليم اعلن الرئيس فيلاسكو الفارادو « أن جيش بيرو لم يستـول على السلطة كى يتاجر بالسياسة ، وانما كى يغير تغييرا جذريا النظام القائم فى البلاد ، وكى يحطم الاوضاع التقليدية ويدافع عن مصالح الشعب الذى كان يخدعه الحكام السابقون » . وسرعان ما حدد الرئيس فيلاسكو برنامجه فى اربع نقاط رئيسية :

● الثروات الرئيسية والموارد الطبيعية يجب أن تملكها الدولة .

● التنميـة الاقتصـادية يجب أن تتفق مع المصالح القوميـة ، وليس مع مصـالح أرباح مجموعات أو افراد .

● يجب أن تخضع الاستثمارات الأجنبيـة للمصالح القومية .

● يجب أن تتجه كل هذه الاجراءات نحو تدعيم استقلال البلاد ورفع مستوى معيشة الشعب .

وسرعان ما تتابعت اجراءات الحكومة الوطنية فى اتجاه تنفيذ برنامجها الذى أعلنته . ففى يونيو ١٩٦٩ صدر قانون الاصلاح الزراعى الذى وجه ضربة قوية الى ملاك الاراضى الاقطاعيين وقضى على الاقطاعيات الكبيرة **وأعاد توزيع الارض على الفلاحين** ، وقد تم انتزاع اكثر من ٣ ملايين هكتار من أيدى كبار الملاك وتم توزيعها على الفلاحين . وطبقا لقانون الاصلاح الزراعى نقلت ملكية زراعة السكر وصناعته الى التعـاونيات (تعاونيات عمال الزراعة وعمال التكرير) ، وبذلك تم طرد الاحتكارات الامريكية والالمانية من صـناعة السكر ، كما حرمت الشركات الامريكية مـن التحكم فى أسواق القطن والسكر التى تسيطر عليها الان هيئة الاصلاح الزراعى .

وفى ديسمبر ١٩٦٩ أصدرت الحكومة قانون حرية الصحافة الذى حرم على غير البيرونيين بالمولد والذين يعيشـون فى البـلاد ويتمتعون بكامل الحقوق المدنية حق اصدار الصحف والمطبوعات . كما فرضت رقابة صارمة على أموال دور النشر حتى لا تؤثر الشركات على سياستها . ووفقا لهذا القانون اممت الحكومة صحيفتى اكسبرسو واكسترا اللتين يملكهما رجل الصناعة الكبير لويس اولاد واصبحت هاتين الصحيفتين نواة لدار نشر تعاونية يملكها ويديرها العاملون بها .

وكانت صناعة الاسماك وهى من أهـم الصناعات فى البلاد فى أيـدى الشركات الاجنبية . وفى بداية ١٩٧٠ انشأت الحكومة وزارة للاسماك بهدف احتكار الدولة لصـناعة الاسماك وشركات الدولة ، وقد عاد ذلك بفوائد حكومية للسيطرة على تجارة وتصدير الاسماك ومنتجاتها وبدأت العمل على تطوير المصـايد والصناعات السمكية عن طريق تنظيم تعاونيات الاسماك وشركات الدولة . وقد عاد ذلك بفوائد ضخمة على البلاد ، اذ بلغ دخلها فى عام ١٩٧٠ من تصدير منتجات الاسماك ٣٤٠ مليون دولار وتستفيد الحكومة من دخل هذه الصناعة لتطوير فروع الصناعة الاخرى وخـاصة صناعة التعدين .

وأصدرت الحكومة قانونا لاصلاح التعليم يتمشى مع الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ويساعد على تدعيم الاستقلال وبناء بيرو الجديدة (*)

وفى ربيع ١٩٧٠ فرضت الحكومة رقابتها على العمليات المالية والمصرفية لمنع المضاربة وتهريب النقد الاجنبى ولوضع الاساس المالى لتنفيذ مشاريع التنمية . وحددت الحكومة رأس المال الاجنبى فى بنوك بيرو بما لا يزيد عن ٢٥ فى المائة كما استبعدت ممثلى البنوك التجارية من مجلس ادارة البنك المركزى وساعدت البنك الوطنى على منافسة البنوك التجارية . وامتلكت الحكومة ٨٥ فى المائة من اسهم بنك الشعب الذى يعتبر البنك الثانى فى البلاد . وادت تلك الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الى أن اجتمع اكثر من ٦٠ فى المائة من اصول البنوك والعمليات المصرفية تحت سيطرة الدولة ممهدة بذلك الطريق نحو احتكار الدولة للقطاع المصرفى .

وفى يوليو ١٩٧٠ اصدرت حكومة فيلاسكو الفارادو قانون الصناعة الذى وضع الصناعات الرئيسية فى البلاد تحت ملكية الدولة . ويهدف هذا القانون الى « تشجيع التنمية الصناعية والاسراع بنقل السلطة الاقتصادية والسياسية الى الاقسام العريضة من الشعب وتحسين وزيادة توزيع الفوائد » . ويحدد القانون نصيب رأس المال الاجنبى فى المؤسسات الصناعية بما لا يزيد عن ٣٣ فى المائة كما ينص على ضرورة أن توزع المؤسسة ١٠ فى المائة من أرباحها سنويا على العاملين بها .

وفى يونيو ١٩٧١ اصدرت الحكومة قانون المناجم الذى نص على أن الحكومة وحدها هى التى تستغل المناجم وتصدر منتجاتها ، كما نص كذلك على انشاء « جماعات المناجم » فى المؤسسات بهدف اشراك العمال فى ادارة المؤسسات وفى توزيع الارباح .

وقد ساعدت الاجراءات التى اتخذتها الحكومة على تدعيم استقلال البلاد وعلى تحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية . ففى عام ١٩٧٠ زاد الناتج القومى ٧ر٣ فى المائة مقابل ٤ر٣ فى المائة عام ١٩٦٩ . وانخفض الدين القومى كذلك لدرجة كبيرة ، كما انخفض العجز فى ميزانية الدولة من ٥٠٠٠ مليون مسول عام ١٩٦٧ الى ١٣٨ مليونا عام ١٩٧٠ (*)

وبدأت الحكومة فى تنفيذ مشروع السنوات الخمس ١٩٧١ ـــ ١٩٧٥ بهدف الاسراع فى



تطبيق الاصلاح الزراعى ونقل ملكيه الارض لمن يزرعونها ، واعادة تنظيم التعليم ، وزيادة الانتاج الى اقصى حد ، والتوسع فى استخدام الموارد الطبيعية وترشيدها والتوسع فى البحث العلمى .

الا انه رغم كل ذلك لا تزال اثار الازمة الخانقة التى واجهت البلاد عام ٦٧ ـــ ٦٨ قائمة لم تحل بعد . فنتيجة لتأميم البترول ومنتجات التعدين وللاجراءات المصرفية والمالية التى اتخذتها الحكومة تم القضاء على العجز فى الميزان التجارى وميزان المدفوعات لاول مرة منذ ست سنوات . وبلغت احتياطيات النقد الاجنبى ٤٠٠ مليون دولار ، لكن لا يزال هناك حوالى نصف مليون عاطل يعانون من البطالة الجزئية أو الكاملة ، كما أن مستوى المعيشة قد انخفض فى الفترة ما بين ١٩٦٧ ، ونوفمبر ١٩٦٩ .

ولقد أدت سياسة الحكومة الى دعم نفوذ البلاد فى الخارج واثارت فى نفس الوقت غضب الاحتكارات الامبريالية . واستخدمت الولايات المتحدة كل وسائل الضغط والابتزاز ضد بيرو من التهديد الى المقاطعة الاقتصادية الى التدخل فى الشئون الداخلية من طريق العملاء بهدف اسقاط الحكومة . وتحاول الاحتكارات الامريكية تخريب اقتصاد بيرو . فمنذ فترة مضت اقترحت لجنة الزراعة والغابات بمجلس الشيوخ الامريكى تخفيض كمية السكر المستوردة من بيرو من ٣٩٩ الف طن الى ٣٥ ألف طن فى السنة وبذلك تفقد بيرو ملايين الدولارات .

لكن لا مؤامرات الولايات المتحدة وابتزازاتها ولا مؤامرات الرجعية المحلية بقادرة على وقف تقدم بيرو فى الطريق الذى اختارته ، وقد قال الرئيس فيلاسكو اخيرا « اذا ما كان لى أن اقدم النصح لمستر نيكسون فمن الافضل له أن يكف عن تهديد أمريكا اللاتينية . ان أمريكا اللاتينية اليوم منطقة ثائرة لا يجدى التهديد بالنسبة لها » .

وهذا الموقف الثابت لحكومة بيرو تسانده كل القوى الديمقراطية فى البلاد ويتزايد التحالف وضوحا وعمقا بين كافة قوى الشعب الوطنية وبين ضباط الجيش الثوريين لمساندة نظام فيلاسكو الفارادو وتطويره . ويتشكل عصب تلك الجبهة من اتحاد العمال ، والمركز النقابى الجديد ، واتحاد الجنود والبحارة ، واتحاد

الفلاحين ، واتحاد التعاونيات ، وكتيبة متطوعى الاصلاح الزراعى ، واتحاد الصحافة التعاونى ، كما ينضوى تحت لوائها كافة الاحزاب السياسية الوطنية واليسارية فى البلاد .

تجربة بوليفيا

تلك هى تجربة بيرو ، فماذا عن تجربة بوليفيا التى لم يقدر لها أن تعيش لاكثر من عشرة شهور .

فى أوائل اكتوبر ١٩٧٠ بدأ الجنرال **ميراندا** رئيس اركان حرب الجيش البوليفى واليمينى المتطرف يتحرك للاطاحة بحكومة **اوفاندو** بغرض اقامة دكتاتورية عسكرية خاضعة للاستعمار فى بوليفيا . وتخاذل اوفاندو فى وجه الانقلاب فاستقال ، واعلن ميراندا نفسه رئيسا لبوليفيا . لكن سرعان ما تجمعت العناصر الوطنية فى القوات المسلحة حول الجنرال **توريز** الذى اخذ زمام المبادرة لمقاومة الانقلاب العسكرى اليمينى ، واعتمد على تأييد العمال والجماهير العريضة . ونجح الجنرال توريز فى القضاء على محاولة الانقلاب اليمينى وهرب الجنرال ميراندا من البلاد وتمكن بذلك الجنرال توريز من أن يصبح رئيسا للبلاد بعد أن وعد الشعب البوليفى باجراء تغييرات ثورية فى أوضاع البلاد .

وعندما قام حكم توريز لقى تأييد كل القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد أملا فى أن يفى ذلك النظام بما وعد به الجماهير من تغييرات جذرية وشاملة فى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية تخرج ببوليفيا من أزمتها الطاحنة . **غير أن جيش التحرير الشعبى البوليفى الذى أسسه تشى جيفارا وحارب بين صفوفه كان هو القوة السياسية الوحيدة التى تحفظت فى اعطاء تأييدها لحكم توريز الوطنى واستطاع فى البيان الذى أصدره فى أعقاب وصول توريز الى السلطة أن يتنبأ بدقة بالمصير المؤلم الذى انتهت اليه تجربة الحكم الوطنى فى بوليفيا . وجاء فى بيان جيش التحرير الشعبى البوليفى :**

« هل سيكون فى مقدور الجنرال توريز وحكومته احداث تغييرات جذرية فى البلاد ؟

ان كل الدلالات التى تحت ايدينا تجيب على هذا السؤال بالنفى ...

ان انعدام وجود تحديدات واضحة للتغييرات الهيكلية التى يريدونها ، وانعدام المحاولات الجادة لتحطيم مراكز الرجعية واعداء الشعب والعسكريين المتطرفين لكاف فى نظرنا للدلالة على أن التدهور الذى عانت منه البلاد فى ظل حكومة اوفاندو سيستمر على الارجح فى ظل حكم توريز الحالى . ان الرجعية التى لم تمس مراكزها الاقتصادية والعسكرية سترفع رأسها من جديد لتضغط على حكومة توريز لتجبرها اما على التخلى عن مبادئها واما لتطيح بها عندما ينحسر الحماس الشعبى نتيجة لتلكؤ الحكومة فى الوقوف بصراحة الى جانب الشعب .

والدرس الذى يقدمه لنا التاريخ فى هذه المسألة حاسم . فالانظمة الاصلاحية دون استثناء عاجزة عن أن تحطم الرجعية . وهكذا فانها تنتهى اما الى السقوط واما الى خيانة مطامحها الاصلاحية . ولدينا امثلة كافية على ذلك : بيرون فى الارجنتين وفارجاس فى البرازيل ، وباز استنسورو فى بلادنا ، واربنز فى جواتيمالا ، وبوش فى الدومينيكان ، ونكروما فى غانا ، وسوكارنو فى اندونيسيا وسيهانوك فى كمبوديا . لقد واجهوا جميعا نتائج قصر نظرهم السياسى » .

ان بوليفيا رغم تخلفها وفقر شعبها تعتبر من اهم بلاد العالم انتاجا للقصدير الخام الذى يعتبر كذلك ثروة البلاد الرئيسية وتوفر صادراته ٧٦ فى المائة من دخل البلاد من العملات الاجنبية . وكانت مناجم القصدير فى حوزة ملوك القصدير المحليين المرتبطين بالاحتكارات الامريكية والانجليزية . وقد اممت تلك المناجم عام ١٩٥٢ على اثر هبة شعبية وسلمت لشركة التعدين الوطنية البوليفية .

ولم يؤد التأميم الى النتائج المتوقعة خلال حكم الجنرال بارنتوس الرجعى الموالى للولايات المتحدة . فلقد حالت المصالح الاجنبية دون أن تقف تلك الصناعة المؤممة على قدميها . وامتنعت الولايات المتحدة عن شراء القصدير للعمل على تدهور اسعاره ، كما امتنعت من تقديم الالات والمعدات لتجديد الصناعة واتبعوا سياسة الاغراق لضرب الصناعة البوليفية .

وعندما وصل الجنرال توريز الى الحكم فى أوائل اكتوبر ١٩٧٠ بمساندة القوى التقدمية اتخذت حكومته عددا من الخطوات الهامة لحماية مصالح بوليفيا القومية . فقد وضعت مناجم ماتيلد التى تستغلها الولايات المتحدة والتى تعتبر أكبر مناجم فى أمريكا الجنوبية تحت سيطرة الدولة ، كما عملت على تدعيم صناعة القصدير وبناء صناعة صهر القصدير ببناء مصنع صهر القصدير فى فينتو ويهدف تطوير صناعة صهر

القصدير الى صهر ثلث القصدير البوليفى حتى يصبح فى الامكان تصدير المعدن بدلا من تصدير الخام مع ما يترتب على ذلك من فارق فى الدخل لصالح البلاد . كما طردت حكومة توريز فرق السلام الامريكية وطلبت من الولايات المتحدة سرعة سحب القاعدة العسكرية التى تقع على التلال المشرفة على العاصمة والتى يستخدمها ذوى البيريهات الخضراء والمخابرات المركزية الامريكية فى كل المؤامرات التى دبرت ضد الحركة الثورية فى بوليفيا وفى المؤامرات التى دبرت ضد حكومة الجنرال توريز كذلك .

وطوال الشهور العشر لحكم توريز لم تكف القوى اليمينية داخل القوات المسلحة من تدبير المؤامرات ضد الحكم الوطنى خاصة بعد الاجراءات التقدمية التى اتخذها ،وقدشن اليمين حملاته ضد توريز تحت شعار « النضال ضد العدوان على مبدأ المؤسسات الخاصة » .

وفى مواجهة محاولات الانقلاب المتعددة لم يتخذ توريزاجراء جادا من أجل تعبئة الجماهير الشعبية أو تصفية مراكز الرجعية وترك العناصر المناصرة فى مراكزها الحصينة داخل القوات المسلحة تحت دعوى تجنب اراقة الدماء . ورغم أن النقابات قد أعلنت تعبئة الطبقة العاملة وكونت ميليشيا شعبية مسلحة، ورغم ان الجماهير العريضة أعلنت تأييدها لحكومته واستعدادها للدفاع عنها راوغ توريز فى تسليح الجماهير ودعاها الى مواجهة الانقلابيين عزلاء من السلاح ولم يتخذ خطوات جدية فى هذا السبيل الا بعد بدء الانقلاب الذى اطاح بحكمه أى بعد فوات الاوان وحينما لم يكن أمام الجماهير الفرصة الكافية لتنظيم نفسها لمواجهة القوات المسلحة تحت قيادة الجنرالات اليمينيين .

ودفعت حكومة الجنرال توريز ثمن ترددها حينما أطاحت بها قوات الكولونيل **بانزر** الذى كان يشغل منصب الملحق العسكرى فى واشنطن والذى سبق له أن قام بمحاولة انقلاب فاشلة فى بوليفيا فر بعدها الى الارجنتين ثم عاد الى بوليفيا ليشترك فى الانقلاب الاخير .

ويرجع فشل تجربة الحكم الوطنى الذى تزعمه الجنرال توريز فى بوليفيا الى :

● محاولته التهادن مع القوى اليمينية ورفضه اتخاذ مواقف حازمة ضد الجنرالات اليمينيين فى القوات المسلحة رغم تآمرهم عليه لاكثر من مرة تحت دعوى تجنب اراقة الدماء . لقد كان توريز يعمل باستمرار من أجل تجنب المواجهة مع الجنرالات اليمينيين مما اتاح لهم الفرصة كاملة كى ينظموا صفوفهم من أجل الإطاحة بحكمه .



● مقاومة حكومة توريز المستمرة لاى محاولات لتسليح الشعب تحت دعوى عدم توفر السلاح . بل انها دعت العمال والشعب الى مقاومة محاولات الانقلاب الرجعية بزجاجات مولوتوف . وكانت معارضة حكومة توريزا تسليح الشعب نابعة من خوفها من الجماهير الشعبية وترددها فى اتخاذ موقف صريح وحاسم الى جانبها وضد القوى الرجعية فى البلاد ، مما افقد الجماهير حماسها فى الدفاع عن الحكومة وتركها فى حالة لا تسمح لها بمواجهة حقيقية للمؤامرات الانقلابية .

● كان بين مؤيدى الجنرال توريز عدد من القادة العسكريين المعروفين بتاريخهم المعادى للشعب والملطخ بدماء الشعب البوليفى .

● كان أعضاء حكومة توريز من عناصر غير معروفة للشعب ، كما كان بينهم عناصر معروفة باتجاهاتها الرجعية .

● كان الجنرال توريز نفسه من بين الضباط الذين اشاعوا الاوهام فى صفوف الرأى العام عند استيلاء اوفاندو على الحكم ، وهذا ما جعل كثير من القوى الشعبية تتحفظ كثيرا فى تأييدها لحكمه .

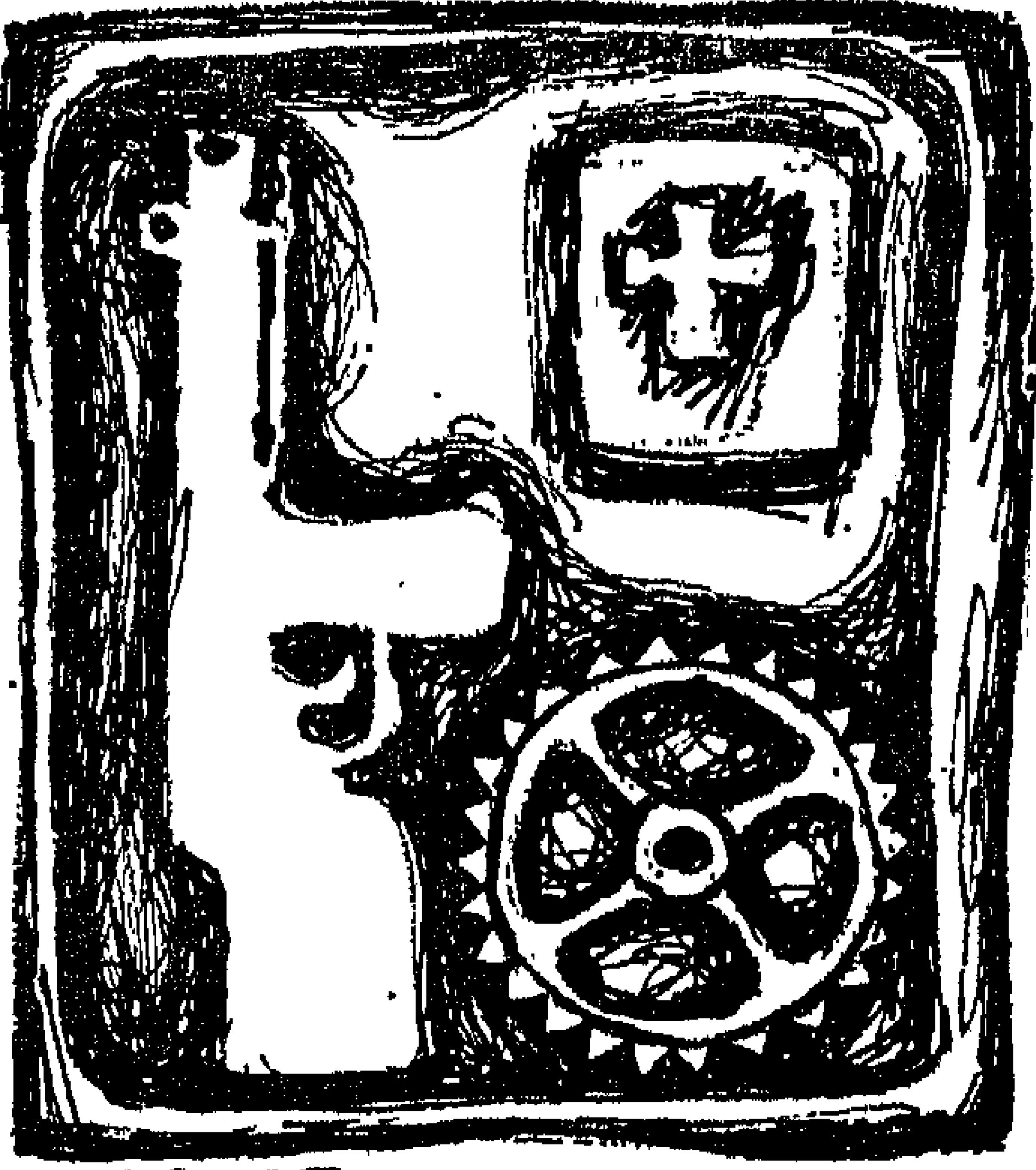
● لم تتمكن الاجراءات التى اتخذتها حكومة الجنرال توريز خلال حكمه القصير من احداث تغيير جذرى فى وضع البلاد ، أو ان تخفف من عبء الازمة الاقتصادية والاجتماعية التى تعانى منها بوليفيا .

وحينما بدأ الانقلاب العسكرى الرجعى يطبق على لاباز فى أواخر أغسطس ١٩٧١ سارع الجنرال توريز واعضاء حكومته الى الهرب، بينما دعت المنظمات السياسية والجماهيرية الوطنية الى المقاومة المسلحة ، وتصدت للانقلابيين دفاعا عن ثورة الشعب البوليفى . وفى خضم النضال المسلح ضد الانقلاب اليمينى تشكلت وتدعمت جبهة القوى اليسارية التى أعلنت فى أعقاب نجاح الانقلاب العسكرى اليمينى « **ان الوسيلة الوحيدة لفتح الطريق الى الاشتراكية فى بوليفيا هو النضال المسلح والثورة** » .

الا يعيد هذا الدرس الذى خرجت به جبهة القوى اليسارية صرخة جيفارا لتدوى من جديد فى أحراش بوليفيا .

أمريكا اللاتينية

بين «البندقية» و«الانجيل» .. و «المنشور السرى»



خيرى عزيز

لقد اثار نشاط الحركات الثورية المسلحة فى امريكا اللاتينية والموقف منها ، صراعا سياسيا وايديولوجيا ، بين من يطلق عليهم اسم « الكاستروبين » و « الجيفاريين » من جانب. وبين الاحزاب الشيوعية المكافحة فى القارة من جانب آخر . وكان لهذا الصراع الحاد والخصب في الوقت نفسه امتداداته داخل صفوف قوى الثورة العالمية ، وبوجه خاص فى القارات الثلاث ، آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التى تتركز فيها عواصف الثورة العالمية فى الفترة التاريخية الحالية والمقبلة .

واخطر مهاوى الانزلاق بعيدا عن اى حكم موضوعى فى هذه القضية ، هو ان يتخذ المرء **موقفا احادى الجانب ، يقوم على اصدار « قرارات الحرمان »** بالنسبة للاخرين ، وعلى الاخلاص للذات والافكار المسبقة ، اكثر من الاخلاص للحقيقة الموضوعية وللجديد الذى يمكن ان يسفر عنه التطور . وليس ثمة شك فى ان هذا المظهر الدرامى المرير الذى عانت منه الحركة الثورية العالمية فى الفترة الاخيرة ، يعتبر اكثر بروزا وانطباقا على قارة امريكا اللاتينية بالذات ، عن اى قارة اخرى فى العالم ، لاننا نجد من ناحية ان مناضلى الاحزاب الشيوعية فى هذه القارة ، واغلب هذه

الاحزاب بصفة عامة ، يدينون الحركات الثورية المسلحة هناك ، ويعتبرون نشاطها :

« مغامرات بلا مستقبل » و « انتهازية يسارية » و « ثورويه بورجوازية صغيرة » وينفون عنها أى صفة ثورية اصيلة » ومن الناحية الاخرى ، يتهم المناضلون فى صفوف الحركات الثورية المسلحة، الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية بأنها فقدت ثوريتها ، ازاء النظم العسكرية الفاشية العميلة للامبريالية الامريكية ، ويعتبرون **اعتماد هذه الاحزاب على النضال السياسى ، قبولا بلعبة البرجوازية البرلمانية الزائفة ، ووقوعا فى براثن العمل التكتيكى الدائم ، الذى لن ينجز ثورة ، وتضييعا للاستراتيجية التى تستهدف الوصول الى السلطة ، وبالجملة ، تخليا عن مبدأ تحقيق الثورة** •

والحقيقة ان هذا الصراع الدرامى المرير الذى استفحل فى السنوات الاخيرة فى امريكا اللاتينية ، انما هو صراع بين قوتين تنتميان فى جوهر الامر الى معسكر واحد ، هو معسكر الثورة المعادية للامبريالية **والاوليجاركيات الدكتاتورية** الحاكمة فى القارة ، ويسود لدينا الاعتقاد فى الفترة الاخيرة انه من خلال صراع ووحدة هاتين القوتين فى النضال المشترك ، سوف تبرز الى الوجود الصيغة الاكثر اكتمالا وملائمة لمواجهة متطلبات الوضع الجديد فى امريكا اللاتينية ، بعد نجاح الثورة الكوبية ، وتبنيها للماركسية اللينينية من ناحية ، وبعد ظهور الانقسام فى الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، ووقوع الخلاف العقائدى الصينى ــ السوفيتى من ناحية أخرى •

والواقع ان اكثر مشكلات الثورة فى امريكا اللاتينية الحاحا انما هى مشكلة **ايجاد العلاقة الاكثر فعالية ، والاكثر اتساعا باستمرار بين الطبقات المضطهدة المقهورة ، وطلائعها السياسية الثورية بما فيها تلك التى بادرت الى الكفاح المسلح** • فبدون ذلك لن يكون لاى كفاح معنى ، ولن يكتسب اى كفاح قيمته الحقيقية ، بل انه يخشى فى هذه الحالة ان يؤدى العمل المسلح مثلا لا الى تشجيع الجماهير على النضال ضد انظمة الحكم الديكتاتورى وزيادة ثقتها فى امكانية النصر عليها ، وانما الى شعور لديها بالعجز فى مواجهة قوى القمع •

وليس ثمة شك فى الواقع فى أن الحركة الثورية بعامة فى هذه القارة ، تشهد طورا انتقاليا عنيفا صعبا من اطوار تطورها ،وليس بوسعنا أن نحدد سلفا ، ومن موقعنا هذا ، الشكل الكفاحى الذى يتعين على الثوار فى القارة بعامة ،أن يتبعوه ،أو



على الثوار فى هذا البلد أو ذاك ان يتبعوه، حتى وان كنا اكثر ميلا ، من الناحية النظرية على الاقل ــ وبحكم رؤيتنا للتطور الفاشى لنظم الحكم فى هذه القارة ــ الى شكل من هذه الاشكال اكثر من الشكل الاخر • لكن الفيصل الحاسم بالنسبة لهذا الشكل أو ذاك ، أو لهذا الاختيار الثورى او ذاك ، لن يكون فى الحقيقة ، سوى التطور التاريخى نفسه •

ضد الموقف الاحادى الجانب :

ونحن ــ كنقطة بدء لبحث مشكلة هذا الصراع المستعر الدائر ــ لا يمكن بحال ان نقبل الموقف الاحادى الجانب الذى يصف حركات الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية بالمغامرة والانتهازية والثوروية البورجوازية الصغيرة ، وان يكن من الممكن لبعض هذه الحركات او لفصائل الكفاح المسلح فى هذا البلد او ذاك ان تقع ، او ربما تكون قد وقعت بالفعل فى مثل هذه الاخطاء أو بعضها • لكن ذلك لن يكون قط فى نظرنا ، مبررا لادانة خط الكفاح المسلح كشكل للتحرير ، لان هناك حقيقة بالغة الاهمية فى التطور الثورى لامريكا اللاتينية ، وهى ان البلد الوحيد الذى استطاعت القوى الثورية انتزاعه انتزاعا من القبضة الوحشية للامبريالية الامريكية ، والدكتاتوريات الاوليجاركية الحاكمة ، واقامت فيه نظاما ثوريا ماركسيا لينينيا ،هذا البلد الوحيد ــ كانت الثورة فيه وليدة حركة كفاح مسلح ، ولم تكن وليدة تطبيق خط الحزب الشيوعى المحلى ، واقصد بهذا البلد كوبا طبعا •

ان حركة الكفاح المسلح ، « حركة ٢٦ يوليو » التى قادها « **كاسترو** » و « **جيفارا** » و « **كاميلو** » و « **المبدا** » و « **راؤول** » ضد ديكتاتورية باتيستا فى كوبا ، هى التى فتحت طريق الثورة الماركسية اللينينية لا فى أمريكا اللاتينية فحسب ، وانما فى نصف الكرة الغربى عامة . ولم يكن الحزب الشيوعى الكوبى القديم (الحزب الاشتراكى الشعبى) الذى وصف حركة كاسترو بالمغامرة ، وثوروية البورجوازية الصغيرة ، واعتبر « الظروف لم تنضج بعد للقيام بالثورة » فى الوقت الذى كانت طوابير كاسترو تمزق فيه اوصال الديكتاتورية ، نقول انه لم يكن لا هذا الحزب ولا الاحزاب الشيوعية الاخرى فى أمريكا اللاتينية التى عملت فى القارة وفق أساليب

واشكال كفاحية أخرى طول ٣٠ أو أربعين عاما هى التى نجحت فى اقامة أول بلد اشتراكى ماركسى لينينى فى نصف الكرة الغربى ، وليس معنى هذا أصدار حكم ادانة ضد هذا الحزب ، او هذه الاحزاب ، لان الحزب الاشتراكى الشعبى (الحزب الشيوعى الكوبى القديم) شارك بعد ذلك كفصيلة ثورية نشطة مع حركة ٢٦ يوليو ، وحزب التوجيه الثورى فى تأسيس « حزب الثورة الاشتراكية المتحدة » الذى أصبح حاليا « الحزب الشيوعى الكوبى » الحاكم • كما أن كاسترو نفسه اشاد بمناضلى الحزب الاشتراكى الشعبى الذين تربوا بروح بناء الاشتراكية » • وأشاد بعدد من الشباب الثورى فى هذا الحزب الذين انضموا الى قواته فى جبال سييرا مايسترا أيام الكفاح ضد ديكتاتورية باتيستا •

وانما ما نريد قوله وابرازه هنا من المثال المذكور ، فهو ناحية هامة من نواحى عظمة النظرية الماركسية اللينينية كمرشد للعمل ، ذلك ان الاحزاب الماركسية اللينينية الموجودة فى المجتمعات البشرية ، كادوات للصراع الطبقى ، لا يمكن أن تكون هى نفسها طبقا للتطبيق الحى لهذه النظرية بمنأى عن القوانين العلمية الحتمية للماركسية • أن الاحزاب الماركسية اللينينية معرضة هى الاخرى ، لقسوة قوانين الجدلية فى هذا العالم وأنه اذا أصبح أحد هذه الاحزاب ، أحد هذه الادوات للصراع الطبقى ، غير قادر على التعبير عن المتطلبات التاريخية الضرورية التى يحتمها الصراع الطبقى ، أو هو بمعنى أدق ، اذا تخلف عن القيام بدور طليعة الشعب ، فى مكان ما ، فان الصراع الطبقى لا يتوقف بأى حال من الاحوال وانما يخلق لنفسه أداة جديدة تكون تعبيرا تاريخيا جديدا عن الطليعة ، وأداة جديدة لتحقيق مهماتها • تلك هى الاضافة الحية التى اضافتها الثورة الكوبية الى الماركسية اللينينية ، فليس هناك اذن تعادل ميتافيزيكى مقرر سلفا يفرض القول بأن الطليعة = الحزب الشيوعى المحلى ، وانما توجد فى نهاية الامر ، حقيقة علمية اكيدة وهى أن هناك تشابكا جدليا محتما حقا بين مهمة معينة ، هى مهمة الطليعة فى التاريخ ، وبين شكل تنظيمى معين لابد أن تؤول اليه الحركات الثورية الشعبية الاصيلة ، الا وهو شكل الحزب الماركسى اللينينى ، وهو الشكل الذى آل اليه تطور حركة الكفاح المسلح التى بداها فيدل كاسترو فى كوبا •

كما لا يمكن أن نقبل من ناحية أخرى الموقف الاخر الاحادى الجانب ، ونصادر بجرة قلم الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية على أساس دعاوى القائمين على بعض حركات الكفاح المسلح ونعتبرها أحزابا فقدت ثوريتها ، وننفى عنها أى صفة ثورية أصيلة ونلقيها فى متحف تاريخ حركة الثورة فى أمريكا اللاتينية ، فى حين تكون هى حية نابضة مؤثرة على أرض الواقع السياسى والاجتماعى • ان أى نظرة ثورية منصفة لجماع التطور الثورى فى أمريكا اللاتينية لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تعزله عن النشاط الثورى للاحزاب الشيوعية هناك ، وخبراتها المكتسبة عبر سنى الكفاح الطويلة وتجاربها العميقة وتضحياتها الجمة . ولا يمكن لاى مخطط لثورة قادمة على مستوى القارة أو عدد من بلدانها ، او احد بلدانها ، أن يتجاهل تلك الاحزاب ، والجماهير التى تلتف حولها والتى تثقفت بروح بناء الاشتراكية والكفاح من أجلها • قد يكون أحد أو بعض هذه الاحزاب قد أظهر عجزا ، أو قصورا عن القيام بالمهمة التاريخية التى يتعين عليه أو عليها القيام بها ، كطليعة للشعب ، لكن ذلك لا يمكن ان يكون مبررا للمصادرة التاريخية المتعسفة لكل النضال الكبير الذى حققته وتحققه هذه الاحزاب ، وعدم قبول هذا التبرير لا ينبع قط من موقف عاطفى مسبق ، بقدر ما ينبع من ادراك للقيمة الكبرى للنشاط الجماهيرى الصبور الدائب المتأصل ، والطويل المدى الذى قامت وتقوم به هذه الاحزاب والذى لايمكن ان يكون هناك غنى عنه لمن يريد أن يقوم فى أمريكا اللاتينية ، لا بمجرد مغامرة عسكرية انتحارية معزولة ، وانما بثورة شعبية حقيقية لا يمكن قط ان تستغنى عن الانتفاضة الشعبية الهامة التى اضحت قانون كل ثورة جذرية أصيلة • وبعد فان البندقية والمنشور السرى كأداتان للنضال السياسى لا يتعارضان على أرض أمريكا اللاتينية ، وانما هما يقفان على نفس الجانب من المتراس من أجل التحويل الثورى لهذه القارة • فليس قط بمحض الصدفة ، أن عددا كبيرا من مناضلى وقادة الحركات الثورية المسلحة فى أمريكا اللاتينية قد نبعوا من صفوف الاحزاب الشيوعية ، احزاب الطبقة العاملة فى هذه القارة •

وعلى أية حال ، فان تجربة حكم **الاتحاد الشعبى** فى شيلى بزعامة سلفادور الليندى ، وبمشاركة الشيوعيين ، انما تقف دليلا من هذه الزاوية على المغزى التاريخى الذى يمكن أن يترتب عن قوة حزب الطبقة العاملة الشيوعى فى بلد من البلدان ، وعلى ما تستطيع هذه القوة أن تحققه فى مضمار تقدم الثورة المعادية للامبريالية والاوليجاركيات الحاكمة • كما تثبت هذه التجربة من ناحية أخرى قصر نظر الموقف الاخر الاحادى الجانب الذى يقوم على التعميم ومصادرة الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية •

الا أنه لا ينبغى أن يغيب عن نظرنا قط ، أن هناك خواص مميزة لشيلى هى التى اتاحت الفرصة

لاتباع هذا السبيل ولوصول الاتحاد الشعبى الى الحكم ، مثل : التقاليد البرلمانية ، وغياب دور الجيش ، وهامشية الاقطاع الزراعى · لكن مايحدث فـى شيـلى لا يعدو حتى الان كـونه فى نطـاق التجربة التى تتابعها كل قوى الثورة فى العالم باهتمام وحدب ·· ولا يمكن لاحد الان أن يأخذ على عاتقه المسئولية النظرية ويقول بأن سلطة الشعب ، دكتاتورية البروليتاريا قد قامت بالفعل فى هذا البلد الان ·

تصـــاعد الفاشـــية

ليس ثمة شك فى أن التعرف على الطبيعة العامة للانظمة السياسية التى تسود القارة يتسم بكل أهميته هنا ، لان الاساليب والمناهج التى يتعين على الحركات الثورية اتباعها ، انما تكون عادة ، مرهونة بالاساليب والمناهج التى يستخدمها العدو ضدها · ولقد اوضح كل القادة الماركسيين الكبار دائما أن الثوار الاشتراكيين لا يفضلون قـط استخدام العنف لذاته ، وانما هم يضطرون الى سلوك سبيله ، بعد أن تذيقهم الرجعية كؤوس ويلاته · وفى هذه الحالة لا يكون العنف الثورى الا رد فعل العنف المضاد للثورة ·

ان المناهج التى يتعين على الثوار اتباعها انما تكون بداءة من تحديد العدو نفسه ، قبل أن تكون من اختيارهم هم ، لان الطريق السلمى يكون عادة أقل تكلفة ومشقة وقسوة وأكثر نعومة بالنسبة لاى ثائر · ولا يمكن لمن لا يعانى بشاعة القهـر والتعذيب والقمع الدموى ، أن يسدى لمن يعانون النصح بالعمل السلمى ، لانه عندما يكون التعذيب والاغتيال والقتل مصيرا يوميا ينتظر أى مناضل وثائر ، فلا يمكن ـ الا من قبيل الرخاوة الثورية التى نالت من لينين أعنف انتقاد أن يدعو أحد لاتباع سبيل آخر غير العنف الثورى ، للرد على العنف المضاد للثورة ، سبيلا آخر لن يعدو كونه فى حقيقة الامر سبيلا تولستويا للمجابهة · وفى نهاية الامر « **فان الثائر التولستوى لا يضرب أبداً ، وانما يسمح لنفسه بأن يكون مضروبا** » · ان صورة المناضل من أجل عقيدته السياسية الذى يتقبل عذاب السجن وآلامه بترحاب من أجل مثلـه الاعلى ، هذا المسيح الاعزل فى صورة عضو الحزب الذى يقاد فى طواعية جبرية الى مصيره الذى قد ينتهى بالموت أو الاغتيال فى العديد من الاحيان لم تعد هى الصورة المثلى المطلوبة بين ثوار أمريكا اللاتينية اليوم ، لم تعد هى الصورة القـادرة على تحقيق التحرر للشعب المضطهـد المظلوم ، وتصدر حركته وسط عصابات حاكمة من المجرمين وقتلة الشعوب · ان تحمل عـذاب السجون وآلامها قد يكون شكلا بطوليا من أشكال



التضحية بالنفس ، لكنه لن يعدو كونه شكلا سلبيا ازاء الايجابية الاجرامية لقتلة الشعوب ومستعبديها وظالميها فى أمريكا اللاتينية · ومن هنا يكون للكلمات الاخوية التى وجهها شى جيفارا الشهيد العظيم للثورة فى أمريكا اللاتينية والعالم ، الى الرفاق الحزبيين من أعضاء الحزب الاشتراكى الشعبى (الحزب الشيوعى الكوبى القديم) لها مغزاها الكامل : حين قال « **باستطاعتكم أن تخلقوا كوادر تتمزق فى ظلام السجون دون البوح بكلمة ، ولكن ليس باستطاعتكم أن تشكلوا كوادر تستولى على مركز للمدفعية الرشاشة** » · وهذه الملاحظة ليست حكما قيميا ، وانما هى فيما نحن بصدده ، تقييم سياسى · فليس الامر متعلقا فى نظر « شى جيفارا » باستبدال جبن بشجاعة ، ولا استبدال ايديولوجية بأخرى ، وانما هو استبدال شجاعة ، بشكل آخر من الشجاعة ، واستبدال أسلـوب من العمل والتطابق النفسى ، بأسلوب آخر ·

وان ما نشاهده فى واقع أمريكا اللاتينية اليوم ، فهو تصاعد الفاشية ، حيث تحـكم الانظمـة الدكتاتورية العسكرية الفاشية اليمينية السافرة فـى الارجنتيـن والبـرازيل ، وجـواتيمالا ، وكولـومبيا ، واكوادور ، وبـاراجواى ، ونيكاراجوا ، وهايتى : وحيث تحكم ديكتاتوريات أخرى أكثر تغطية بالواجهات الليبرالية الزائفة ، وان كانت لا تقل عنفا عن مثيلاتها الاولى فى اوروجواى وفنزويلا · وهذه الفاشية الجديدة التى انبثقت فى أمريكا اللاتينية ، هى فى الواقع تعبير عن أزمة الانظمة الاجتماعية والاقتصـادية ، والتناقضات التى تفجرت داخـل الطبقـات البورجوازية · والحقيقة التى يجدر الاشارة اليها هنا هى أنه اذا كانت الفاشية فى اوربا قد نشأت نتيجة لازمة الرأسمالية الاحتكارية ، وفى الوقت الذى هز فيه شبح ثورة اكتوبر السوفيتية السلطات البورجوازية الاوروبية ، فان الفاشية الجديدة فى امريكا اللاتينية قد تطورت بعد الثورة الكوبية ، وفى الوقت الذى أدت فيه الانظمة الاقتصادية والاجتماعية الى ازدياد سخط شعوب القارة وبدء تحرك جماهيرها · وهناك فى الحقيقة عامل هام من العوامل التى ساعدت على ظهور هذه الفاشية الجديدة فى أمريكا اللاتينية هى أن القوات المسلحة قد برزت فى أمريكا اللاتينية كقوة قمع داخلى أكثر منها كقوة مواجهة لاى عدوان خارجى محتمل نظرا لان هـذه البلدان ليست عرضـة لخطر الغزو من الخـارج ، أو لهجـوم مفـاجىء مـن جيرانها ، ولذا فان جل نشاط القوات المسلحة لدول

هذه القارة التى تحتفظ بما يقرب من ٦٠٠٫٠٠٠ جندى فى الخدمة تنفق عليهم أكثر من بليون دولار سنويا يضاف اليهم ٧٧٦ مليون دولار مساعدة من الولايات المتحدة للاغراض العسكرية، انما ينصرف الى أعمال القمع والارهاب الداخلى، وبدون مثل هذه الاعمال سوف تعانى كل هذه القوات الضخمة من البطالة المزمنة • ولذا يقال فى نهاية الامر وهذا أمر طبيعى أن أكثر من ٣ اشخاص من كل أربعة أشخاص فى أمريكا اللاتينية يعيشون فى ظل الحكم الديكتاتورى •

ومن المظاهر الدالة على الفاشية فى أمريكا اللاتينية، النمو المتزايد للسلطة التنفيذية، وضعف السلطتين التشريعية والقضائية، وقد استلزمت التحولات الفاشية المتزايدة فى القارة فى الفترة الاخيرة اعداد جماعات خاصة للقهر بدأت تحل تدريجيا محل أدوات القهر السابقة .. أو هى تعمل معها جنبا الى جنب مثل جماعات «تونتس» و «ماكوتس» فى هاييتى، و «اليد البيضاء» فى جواتيمالا، و «فرقة الموت» فى البرازيل، تلك الجماعات التى كانت سرية الى حد ما فى البداية الا أنها فقدت مع الوقت قناعها السرى واعلنت عن ارتباطها الوثيق بوكالة المخابرات المركزية الامريكية، كذلك تقوم كلية التدريب ضد النشاط الثورى فى بنما بتخريج آلاف من الضباط الشباب من شرطة أمريكا اللاتينية سنويا، كما تقوم البعثات العسكرية الامريكية بتدريب الافواج من القوات المضادة لحرب العصابات فى كولومبيا، ومن المظليين فى الاكوادور، والكوماندوز البيرونيين والشرطة الارجنتيين (المجهزين بأسلحة ثقيلة) وغيرهم من الوحدات العسكرية التى تقوم بأعمال القمع والارهاب • وكانت كل هذه القوات فى حالة بدائية قبل انتصار الثورة الكوبية، أما اليوم فأصبحت على درجة عالية من التدريب والتجهيز • لكن السيطرة الارهابية للولايات المتحدة أصبحت أقوى ما تكون فى حقل الاعلام والتسلل بوجه خاص، ففى البرازيل مثلا لم يجرؤ أحد على ادانة سيطرة مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكى، ووكالة المخابرات المركزية الامريكية، على الملفات السرية للشرطة السياسية البرازيلية، حتى فى أوج حكم يمثل «البورجوازية الوطنية». أما الارجنتين فلديها سبع تشكيلات مختلفة ومتنافسة للشرطة السياسية، وفى فنزويلا تتنافس أجهزة «السوتوبول» و «الديجيبول» فيما بينها على أعمال القمع، فضلا عن استخدام العملاء المباشرين لوكالة المخابرات المركزية الامريكية الخ ••

٨٠٫٠٠٠ معتقل يسارى

ويوجد فى سجون ١٥ دولة من دول أمريكا اللاتينية حوالى ٨٠٫٠٠٠ معتقل سياسى يسارى •

وقد أصبحت أساليب التعذيب والتنكيل وقطع الرؤوس شائعة مألوفة فى بعض هذه الدول حيث يعارض الحكام أدنى تغيير يطرأ على الوضع الراهن للاقتصاد والمجتمع • وقد بلغ عنف السلطات ضد الجماهير والحركة الثورية أبعادا وحشية، فى دول مثل جواتيمالا، حيث تعادى الطبقات الحاكمة أى اصلاح، أو فى الدومينيكان التى تسيطر عليها الولايات المتحدة منذ انتفاضة ١٩٦٥، أو فى نيكاراجوا حيث تتولى اسرة «سوموز» الحكم منذ ما يزيد على ٣٠ عاما، أو فى هاييتى حيث تحكم اسرة «دوفالييه» بتعسف لمدى الحياة •• وقد أوضحت مجلة الايكونوميست البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ١٣ ـ ٨ ـ ١٩٧١ «أن معدل الخسائر فى الارواح فى جواتيمالا والارجنتين نتيجة للصراع مع الثوار المحليين، يزيد بنفس معدل خسائر الحروب الصغيرة فى (بورنيو، والفلبين، وماليزيا، والبنغال الشرقية، واريتريا، وانجولا، وتشاد، وغينيا بيساو) •

« خطف شعوب بأكملها »

وفى مواجهة عمليات القتل والتعذيب والعنف من جانب السلطات، تقوم الوحدات الثورية بأعمال خطف الدبلوماسيين الغربيين والمستشارين العسكريين الامريكيين، وكبار موظفى الحكومات الاوليجاركية، كما تقوم بمصادرة أموال المؤسسات الرأسمالية، والاستيلاء على بعض أموال البنوك، واغتيال ضباط وعملاء الشرطة السياسية، وعملاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية، والمسئولين عن البعثات العسكرية الامريكية الذين يشرفون على تدريب الوحدات المقاتلة ضد حرب العصابات، كما تقوم الوحدات الثورية كذلك بمصادرة قوافل المواد الغذائية، وتوزيعها على سكان الاحياء والقرى الفقيرة، واحتلال محطات الاذاعة لفترات محدودة واخلائها بعد اذاعة عدة بيانات ثورية الى آخر ذلك من أساليب ثورية • وقد برهنت هذه الاساليب على جدواها ضد أنظمة الحكم الفاشية فى القارة، اذ أدت فى العديد من المرات الى انقاذ حياة عشرات من الثوار، والافراج عنهم من سجون الديكتاتورية، وأثبتت فى أكثر من مناسبة أنها وسيلة فعالة لاذلال نظم الحكم العميلة، وكشف مدى عجزها واهتزازها أمام الجماهير • يقول أندريه فونتينى المعلق الشهير فى صحيفة «لوموند» الفرنسية معلقا على عمليات الاختطاف فى أمريكا اللاتينية «انها سلاح الثوار المعزولين، ضد أنظمة حكم عزلت وخطفت شعوب بأكملها» يقول فونتينى «أنظمة حكم خطفت شعوبا بأكملها» • كما أشارت نفس الصحيفة فى احدى

افتتاحياتها ، اشارة مشوبة بالعطف حين قالت « ان كل ثورة حقيقية فى العالم ، هى بالدرجة الاولى انسانية ، ولكن البعض يعتبرون ان قتل سفير جريمة ، بينما قتل عشرات من الثوار عملا مشروعا ، وليس هذا دفاعا عن قتل أى انسان » •
وعلى أية حال فان النضال السرى يتعاظم فى القارة ، لان العمل السياسى الثورى فى ظل الانظمة السياسية الفاشية التى تعتمد على القمع ، غالبا ما لايجد أمامه الا طريقا واحدا هو طريق النضال المسلح ، أو السرى .

ازدياد الهجوم على الكفاح المسلح

لكن الامر الذى لوحظ بشكل واضح فى الفترة الاخيرة ، هو ازدياد الهجوم بشكل عنيف على خط الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية وبخاصة بعد استشهاد تشى جيفارا فى بوليفيا ١٩٦٧ ، ووصول الاتحاد الشعبى الى حكم شيلى سنة ١٩٧٠ • فبدلا من أن يكون استشهاد تشى جيفارا مثلا بطوليا ملهما لمقاومة أنظمة الحكم الاستبدادية الديكتاتورية ، اذ به يستخدم كحجة لمصادرة وتخطئة الخط الاستراتيجى الفعال لتصفية أنظمة الحكم الدموية الفاشية التى تغلق فرص النضال السلمى ، وكأن استشهاد بعض المناضلين الكبار فى التاريخ ، يغدو دليل ادانة للسبل البطولية الشجاعة التى اتبعوها • لقد تحققت الثورتان السوفيتية والصينية نتيجة عمل مسلح ناجح قطعا ، ولكن وقوع شهداء عظام على طريق كفاح الحزب البلشفى والحزب الشيوعى الصينى على سبيل المثال لم يعن أبدا فى تاريخ هذين الحزبين العظيمين • انهما كانا يسيران باتجاه ثورة فاشلة ، أو انهما كانا يتبعان خطا فاشلا • كذلك لا يمكننا من ناحية أخرى ونحن نبحث مصير قارة تسودها أنظمة الحكم الفاشية أن نعتبر ما تحقق فى شيلى هو القاعدة ، وانما هو فى الحقيقة محض الاستثناء ، وهو بالفعل استثناء فى الواقع السياسى والاجتماعى لدول أمريكا اللاتينية وأنظمتها الدكتاتورية الفاشية المتباينة •

والمؤلم أن عددا محدودا من العناصر الماركسية والتقدمية فى بلادنا وفى مناطق أخرى من وطننا العربى ، تنسى فى انكارها النظرى لخط الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية ومعارضتها له ، تلك الحقيقة الرئيسية التىينبغى تدبرها جيدا وهى : ان الخط الرئيسى فى انجاز الثورات ، كان هو ــ حتى الان ــ خط العمل المسلح • لقد كانت الثورة السوفيتية نتيجة انتفاضة مسلحة • وكانت الثورة الصينية نتيجة عمل مسلح • وكانت الثورة الكوبية نتيجة عمل مسلح . والثورة الفيتنامية الان هى



نتيجة عمل مسلح • صحيح أن امكانية الانتقال السلمى الى الاشتراكية قد طرحت دائما كموضوعة نظرية يمكن تحقيقها فعلا ، الا ان الاعتراف بتلك الامكانية لاينبغى أن يتحول فى نهاية المطاف الى اتجاه مناقض للاتجاه الرئيسى لانجاز الثورات الأشتراكية ، والذى ثبت نجاحه • لا ينبغى للامكانية والاحتمال أن تصبح هى القانون الرئيسى الملزم والسيف المسلط على رقاب من يجرؤون بالعمل وحده لا بمجرد القول على مقاومة أنظمة الحكم الديكتاتورية ودق المسامير فى نعوشها • أفلا تؤكد الحقيقة التالية ما أوضحناه من قبل وهى : انه حتى مع تعاظم قوة المعسكر الاشتراكى فى الظروف العالمية الراهنة ، فان الدول الجديدة التى اختارت طريق الماركسية اللينينية فى السنوات العشر الاخيرة ، كانت ثوراتها هى الاخرى نتيجة عمل مسلح (كوبا ــ الفيتنام) •

دروس لينين وستالين

ان هؤلاء الرفاق فى بلادنا وفى المناطق الاخرى من وطننا العربى الذين يأبون على من يجابهون القمع الدموى ، ان يقاوموه بالعنف الثورى ، اكثر الوسائل عدالة وملاءمة له ، أنما ينسون الدروس المليئة بالعبر للثورة السوفيتية العظيمة التىيحلو لبعضهم ان يتشدق فى الكثير من الاحيان بأسمها • انهم ينسون ان عمليات مصادرة أموال البنوك الرأسمالية ، واغتيال عملاء الشرطة السرية ، والجواسيس ، ومضطهدى الشعب ، وكافة أشكال العنف الثورى الاخرى التى تتبع فى امريكا اللاتينية اليوم ليست جديدة ، ولم تكن قط جديدة على الاطلاق على من أنعموا النظر فى وقائع تاريخ التمهيد للثورات العظمى • ذلك أنه قبل قيام ثورة اكتوبر السوفيتية باثنى عشر عاما ، كانت العصابات المسلحة للحزب البلشفى تقوم بأعمال مماثلة تقريبا فى كافة ارجاء روسيا القسيحة •

فبعد فشل ثورة ١٩٠٥ ، طرح لينين فى لندن مسألة « الانتفاضة المسلحة » وأوضح « ان القيصرية لن تتخلى عن الحكم بملء ارادتها ، لذا ينبغى الاطاحة بها عن طريق الانتفاضة المسلحة » • وكان عدد من الاشتراكيين الذين

الزراهم لينين ووصفهم بانهم «نواحي الثورة الرومانتيكيين »»، يعتبرون الانتفاضة تمردا شعبيا عفويا لا يمكن تهيئته أو التخطيط له ، مثلما لايمكن التهيئة أو التخطيط لشروق الشمس أو غروبها • أما لينين فكان يرى على عكسهم تماما « ان الانتفاضة فن ينبغي تعلمه وممارسته » ولذا حث انصاره على تأسيس فروع عسكرية خاصة بالحزب •

وقد ردد الرفيق ستالين نفس دعوة لينين في مجلة « كفاح البروليتاريا » وقال:«ان عددا كبيرا من منظماتنا قد حل المشكلة عمليا ، بتوجيه قسم من قواه وموارده نحو تسليح البروليتاريا • ان نضالنا ضد الحكم الاستبدادي الفردي قد بلغ مرحلة يعترف فيها الكل بضرورة تسليح انفسنا ، ولكن الاعتراف بهذه الضرورة ليس كافيا ، ينبغي طرح المهمة العملية بصراحة أمام الحزب ، ينبغي ان تعمل لجاننا فورا على تسليح الشعب وتوكل ذلك لفرق خاصة ــ وان تنشيء مراكز المناطق لتجميع السلاح ، وتؤسس المعامل لصنع كل انواع المتفجرات وترسم الخطط للاستيلاء على الاسلحة والذخيرة من مستودعات الدولة والمخازن الخاصة » •

وقد شارك الرفيق « ستالين » بالفعل في تأسيس وتوجيه المنظمة العسكرية للحزب البلشفي التي كانت تمتلك معملا سريا بالغ الفعالية لصنع المتفجرات ، وبعد ذلك تقدمت الفرق المسلحة الصفوف في الانتفاضات غير المنظمة التي اندلعت عام ١٩٠٥ • وفي القوقاز ، قاومت هذه الفرق ، عصابات « المائةالسود » ، وحمت المناطق العمالية من التقاتل العشائري ، وظلت على اتصال بمقاتلي الريف •

اقلا يقدم لنا تاريخ الحزب البلشفي نفسه ، مؤشرا بليغا فيدلالته، كذلك عندما نعلم ان لينين بالذات كان هو الذي تصدى في المؤتمر الرابع للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (١)، وكانت اللجنة المركزية فيه يسيطر عليها المنشفيك) للاستنكار الذي طالب به « بليخانوف » والمناشفة للغارات التي تشنها الفرق المسلحة على المصارف ، وأموال الخزينة ، والقوات الحكومية أنه يقدم لنا ذلك بكلتأكيد، فلقد قاوم لينين المناشفة بكل قوة واوضح ان الغارات التي يشنها الانصار ، هي افضل طريقة لتدريب الفرق المسلحة على خوض الانتفاضة العامة المنتظرة • ولم يستطع مؤتمر ستوكهولم ان يصدر حكما مبرما بصدد الغارات المسلحة • وحرم كل أنواعها باستثناء تلك الهادفة الى الاستيلاء على الاسلحة والذخيرة • وقد استغلت الفروع الفنية في الحزب هذه الثغرة الى ابعد مدى ، واستمرت في شن الهجوم تلو الآخر على الموظفين القيصريين الكبار ، والمصارف ، ومصادرة أموال الخزينة ، فضلا عن غاراتها على مخازن الذخيرة • ويرى عديد من المؤرخين للثورة السوفيتية ان هذا الفصل كان هو الاكثر غموضا بين فصول الثورة الاولى ، وربما كان الاكثر رومانتيكية ايضا • فقد غص بالاحداث الفاجعة والاعمال الخارقة ، وكان ابطاله مثاليين لا يهابون شيئا ، وقديسين ومغامرين جسورين • • أفلا يذكرنا ذلك بالرومانتيكية الثورية المشهودة لابطال الكفاح ضد الديكتاتوريات الفاشية في امريكا اللاتينية هذه الايام • انه ليذكرنا بالقطع •

وبالنسبة للحزب البلشفي في تلك الفترة فان القوقاز كان هو المجال الرئيسي لنشاط الفرق المسلحة التي أحاطت بها من البدء هالة من الرومانتيكية • وفي الفترة ما بين ١٩٠٥ و ١٩٠٨ قامت هذه الفرق في القوقاز بـ ١١٥٠ عملية مسلحة اشهرها الاستيلاء على أموال الخزينة في أحد ميادين تفليس الرئيسية في ٢٨ يونيو ١٩٠٧ ، وعملية أخرى ليست أقل شهرة من الاولى على متن الباخرة « نيقولا الاول » في ميناء باكو • وكانت حصيلة غارة تفليس ربع مليون روبل نقلت فورا الى الخزينة البلشفية في الخارج •

والحقيقة التي تحفل بمغزاها التاريخي الكامل ، انه عندما أثارت هذه القضية ضجة في الصحافة الروسية والاوربية ، كان المناشفة هم أيضا الذين شنوا حملة على لينين بشأنها ، كذلك عندما طرح الموضوع على محكمة حزبية ، كان تروتسكي هو الذي تولى الادعاء على لينين في الصحف الاشتراكية الديمقراطية الالمانية • أما ستالين ، فكان يعمل كضابط اتصال بين المكتب البلشفي في القوقاز ، وبين الفرق المسلحة • وكان القائدان الرئيسيان الاسطوريان للفرق المسلحة من تلاميذه واتباعه وهما تير بتروسيان (الملقب بكامو) وكوتي تسينسادزة (وكلاهما ضخم الجثة ، طيب القلب ، رومانتيكي محنك ، لا يعرف الكلل • وقد لقيا أفظع تعذيب من البوليس السري القيصري بعد القاء القبض عليهما دون أن يفشيا

---

(١) المنعقد في استكهولم في ابريل سنة ١٩٠٦ •

اسرارهما) • وقد حاول المناشفة ، القوقازيون استصدار حكم من المحكمة الحزبية ضد ستالين لخرقه قرار المؤتمر الاخير القاضي بمنع الغارات المسلحة ، الا أنه تمكن بطريقة ما من أن يتحاشى المثول امام المحكمة ، وانتقل من تفليس الى باكو . أما لينين الذى تعرض لتهجم مارتوف ــ المنحرف ــ عليه بهذا الصدد فى عام ١٩٠٧ ، ولاستنكار تروتسكى الشديد لحرب الانصار ، فقد امتنع حتى النهاية عن التصويت على قرار منع الغارات والمصادرات المسلحة • وبعد : أفلا يوجد ولو بقدر يسير شىء من التماثل التاريخى ، مع الفارق طبعا ، بين هذا الصراع الذى دار فى صفوف الحزب البلشفى ، وبين بعض الصراعات الدائرة اليوم فيما نحن بصدده •• يا له من موقف بليغ الذي حدده الزعيمان العظيمان للثورة لينين وستالين • "

مصاعب جديدة

بعد ثورة كوبا

ليس ثمة شك فى أن حركات الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية عامة واجهت صعابا متزايدة منذ نجاح الثورة الكوبية وفى السنوات الاخيرة بصفة خاصة • ويرجع ذلك فى الحقيقة الى عدة عوامل منها : ان نجاح الثورة الكوبية دفع بغتة بالصراع الطبقى فى أمريكا اللاتينية الى مستوى أرفع لم تكن الطبقات المضطهدة ولا طلائعها مستعدة له ، ولذلك جاء انعكاسه لديها متسما بالتسرع والارتجال والافتقار الى النظرة الاستراتيجية • اذ تشكلت بعد الثورة الكوبية ــ ودون تدبير من كوبا ــ خمسون منظمة ثورية على هامش الاحزاب الشيوعية ، كلها مصممة على العمل المباشر • بيد أن عدة سنوات من العمل الثورى بعد ذلك أوضحت أن البطولة ليست كافية بمفردها ، وان هذه المنظمات كانت تفتقر الى النضج العقائدى ، والى الحس السياسى بالدرجة الاولى ، فضلا عن التحرر من التزمت ، والجدية فى الاعداد للكفاح المسلح • وكان أحد المضار الكبرى التى أضيرت منها هذه المنظمات بدرجة كبيرة انها حاولت بدرجات متفاوتة تقليد النموذج الكوبى ميكانيكيا • والاصح أن يقال أنها عجزت عن أن تصنع فى بلادها كوبا أخرى لانها لم تستطع لظروف ذاتية ، وموضوعية

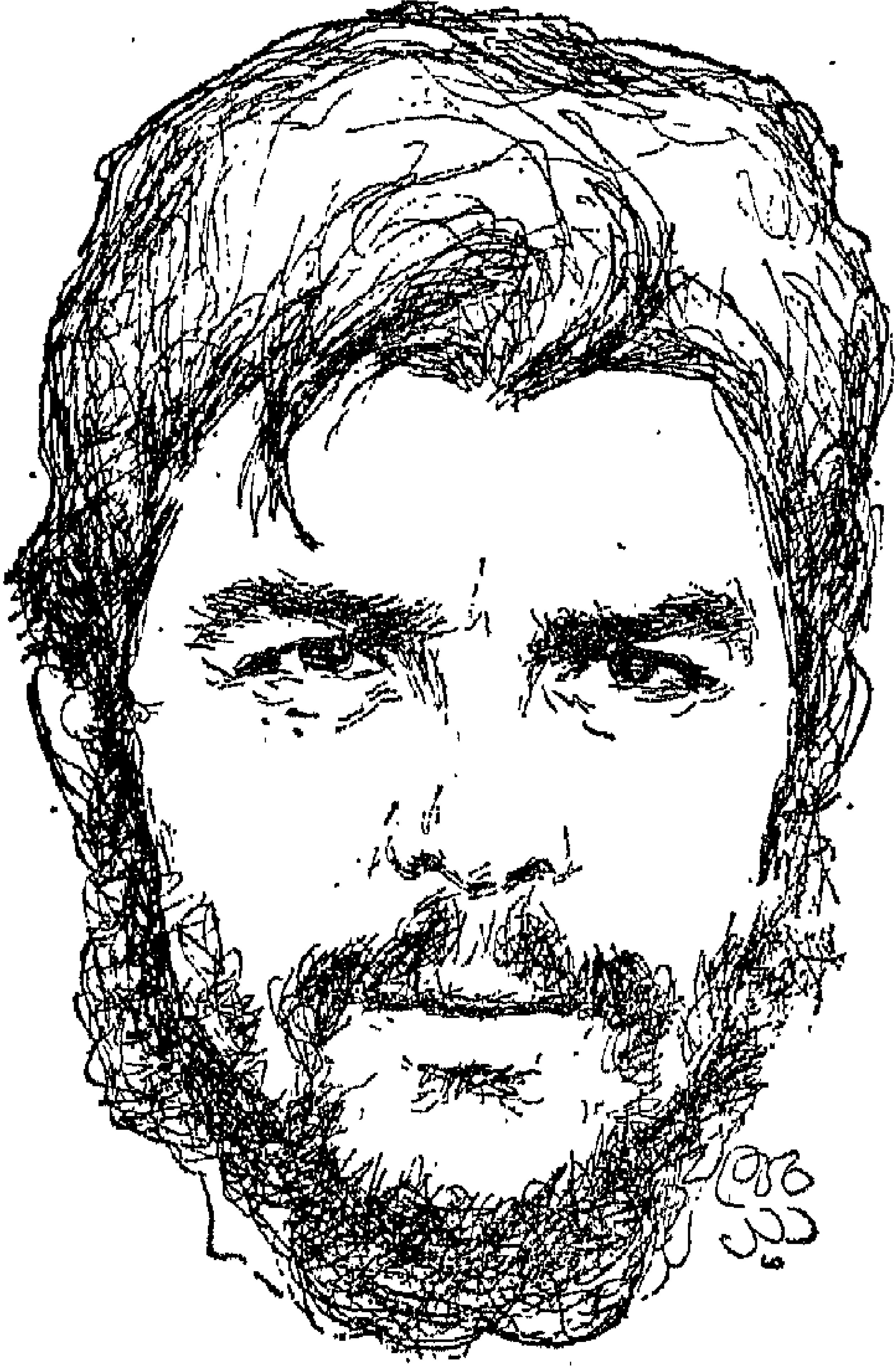


مختلفة أن تحقق الضمانات السياسية والعسكرية التى استطاعت حركة كاسترو أن توفرها للنضال الثورى فى كوبا • وكانت النتيجة أن تلاشت هذه المنظمات أو تغير تشكيل بعضها مثل « الحركة العمالية الطلابية الفلاحية » فى كولومبيا ، و « الاتحاد الثورى للشباب الاكوادورى » فى الاكوادور و « حركة اليسار الثورى » و « جبهة اليسار الثورى » فى بيرو ، و « اشتراكية الطليعة » فى الارجنتين ، و « حركة تضامن الفلاحين » ويسار الحزب الاشتراكى فى أوروجواى • والخلاصة أن الجبهة الثورية لا زالت حتى الان قاصرة سواء فى داخل الاحزاب الشيوعية باستثناء فنزويلا وكولومبيا حيث اخذ الحزب الشيوعى فى كولومبيا ، بعد مباشرة النضال المسلح فى منطقة ماركيتاليا يتخلى عن الخط السلمى ، ردا على الارهاب الذى يتعرض له ، وباستثناء شيلى أيضا التى نجح حزبها الشيوعى بتوحيد قواه مع الاشتراكيين فى تمكين الاتحاد الشعبى من الوصول الى الحكم) ، نقول أن الجبهة الثورية لا زالت قاصرة سواء داخل الاحزاب الشيوعية أو فى هذه المنظمات الجديدة التى لا ماضى لها ، عن الاستجابة الى الارتفاع الموضوعى الذى وصل اليه مستوى النضال الثورى بعد نجاح الثورة الكوبية • ولذا تحتفظ ملاحظة فيدل كاسترو التى أبداها فى المؤتمر النسائى سنة ١٩٦٢ بكل قيمتها عندما قارن بين « توفر الظروف الموضوعية » فى جميع دول أمريكا اللاتينية تقريبا ، وبين انعدام الظروف الذاتية التى تسمح للطلائع الثورية ، بأن تستغل الفرصة السانحة التى يقدمها الوضع التاريخى » •

كذلك اوضح الفيلسوف الفرنسى الثورى ريجيس دوبريه فى البحث الذى اعده بعنوان « قضايا الاستراتيجية الثورية فى امريكا اللاتينية » ان احدى المصاعب التى واجهتها الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية فى الفترة الاخيرة انما ترجع الى أن بعض المنظمات الثورية فى امريكا اللاتينية ، لا تزال واقعة تحت النفوذ العقائدى للحركة العمالية الاوروبية التى غالبا ما تعكس اوضاعا مختلفة عن الاوضاع الحقيقية فى القارة اللاتينية •

كذلك ترجع المصاعب الضخمة التي واجهتها الحركة الثورية المسلحة في امريكا اللاتينية بعد نجاح الثورة الكوبية الى حقيقة بالغة الاهمية وهي **ان كوبا قد رفعت من المستوى المادي والعقائدي للردة الإستعمارية باسرع مما رفعته عند الطلائع الثورية** • واذا كان الاستعمار، على المدى القصير، وبالنسبة لحركات النضال المسلح الاخرى في امريكا اللاتينية، قد استفاد بشكل اكبر من ردة الفعل المترتبة عن نجاح الثورة الكوبية أكثر مما استفادته القوى الثورية الاخرى، فليس مرد ذلك طبعا في نظر ريجيس دوبريه ـ ذكاء الاستعمار المتفوق، وانما لان الاستعمار في وضع أفضل يسمح له بأن يضع الدروس التي تعلمها من الثورة الكوبية موضع التنفيذ العملي الفوري، لانه يسيطر على جميع الوسائل المادية للعنف المنظم، فضلا عن شراسته العصبية التي تحفزها باستمرار غريزة الدفاع عن النفس عنده • وقد قام الاستعمار بتعزيزات مذهلة لاجهزة القمع ابتداء من عام ١٩٦٠ • وفي يوليو عام ١٩٦١ تقدم «**جون كينيدي**» الى الكونجرس الامريكي «بمشروع عسكري جديد يستهدف **ضمان الامن الداخلي لامريكا اللاتينية ضد أعمال الشغب**» • وتقول صحيفة نيويورك تايمز في ٤ يوليو ١٩٦١ ان هذا المشروع «**يشكل تحولا جذريا بالنسبة للمشاريع العسكرية السابقة في نصف الكرة الغربي**، فلقد كان الهدف الرئيسي حتى الان هو تزويد الحكومات الموالية ببعض الوحدات الجوية والبحرية من أجل الدفاع المشترك عن الغرب **ضد هجوم خارجي**، **أما الان فان الدفاع ضد اعمال الشغب يولي أهمية متزايدة**»، وسبق ان اشرنا الى أجهزة القمع الخاصة التي استحدثها المستعمرون الامريكيون الشماليون والاوليجاركيات التابعة لهم لدعم اجهزة الارهاب والقهر في القارة بأسرها •

أما في المجال السياسي، **فان انتصار الثورة الكوبية ادى الى دفع مختلف تيارات البرجوازية الى التطرف والى تعبئة قواها وتوحيدها في جبهة موحدة ضد الثورة، بوتيرة اسرع من الوتيرة التي دفع بها المنظمات الثورية الى توحيد وتعبئة وتكتيل قواها ضد الثورة المضادة** • فقد استغلت الدعاية الاستعمارية تحول كوبا السريع نحو بناء دولة اشتراكية ماركسية، من أجل نشر الذعر في أوساط البرجوازية الوطنية والقطاعات المثقفة من الطبقات الوسطى • وادى ذلك بالطبع الى تزايد الصعوبات امام القادة السياسيين الذين يسعون الى التحالف مع البرجوازية الوطنية من أجل توجيه «الضغط الشعبي» باتجاه «الجناح التقدمي» من الحكومات البرجوازية •



جيفارا

ويرى «**ريجيس دوبريه**» في التحليل الذي قدمه في كتابه «**ثورة في الثورة**» (٢) للوضع الذي آلت اليه الحركة الثورية في امريكا اللاتينية «**ان التقويم العكسي للقوى الحالية** (أي دفع الطبقات المسيطرة في أمريكا اللاتينية الى أقصى اليمين، والطبقات المقهورة الى اقصى اليسار) **يفيد الاستعمار في المرحلة الراهنة بسبب التغييرات التي طرأت على التيارات التاريخية الثلاثة** (**تيارات القادة البرجوازيين للاحزاب الجماهيرية**، والقادة **الشيوعيين**، **والحركة الكاستروية الفتية** بعد نجاح الثورة الكوبية اذ نجد: **اولا**: ان القادة البرجوازيين للاحزاب الجماهيرية السابقة (**كالتحالف الشعبي الثوري** الاميري ـ ابرا» في بيرو، وحزب العمل **الديموقراطي** في فنزويلا، **والحركة الوطنية الثورية في بوليفيا وغيرها**) قد التحقوا عدة وعتادا بالمعسكر الاستعماري، حاملين معهم اليه قطاعات واسعة من الفلاحين ومن العمال احيانا. **وثانيا**: ان القادة الشيوعيين لفترة «ما قبل الثورة الكوبية» الذين عجزوا في أوج تطور الاحزاب البورجوازية الصغيرة الجماهيرية، عن منافستها

---

(٢) في الفصل بعنوان «قضايا الاستراتيجية الثورية في امريكا اللاتينية



كاسترو

على السيطرة على الحركة الشعبية لافتقارهم الى الوسائل النظرية والعملية لذلك ، لازالوا حتى الان عاجزين عن ذلك لاسباب شتى · **وثالثا :** لان الحركة الكاستروية الفتية التى انبثقت بسرعة ، وحاولت بشكل عفوى ، عقب الثورة الكوبية مباشرة ، ملء الفراغ الذى احدثه غياب القيادات الثورية ، نادرا ما تمكنت من الوقوف على رجليها · فالعفوية واستصغار التدريب ، والاستعداد والدراسة النظرية ، والمشكلات التنظيمية ، والثرثرة ، هى اسباب الفشل السريع الذى منيت به حركة « **ابرا رييلدى** » فى بيرو ، و « **الحركة الطلابية الفلاحية العمالية** » فى كولومبيا ، و « **العصبة الفلاحية** » فى البرازيل ، و « **اشتراكية الطليعة** » فى الارجنتين ، لكن العديد من هذه المنظمات الكاستروية بعد ان تعلمت من اخفاقها الاول ، وبسبب احتفاظها بالاندفاع الثورى ، تعمل الان لبلوغ مستويات جديدة من العمل » ·

لا مساندة ليبرالية

وثمة صعوبة اخرى ، تبرز اليوم امام حركات الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية ، وتتمثل فى ان الثورة الكوبية قد كشفت بتحويل كوبا الى الشيوعية ، الهدف الاستراتيجى لكل نضال مسلح اصيل فى القارة اللاتينية كشفته امام كل البورجوازيين الليبراليين الامريكيين ، الشماليين **منهم او الجنوبيين** · وبذا تكون الثورة الكوبية ـ



من حيث لا ترغب ولا تريد ـ قد حرمت الحركات الجديدة من ظرف هام توفر لها هى سلفا وكان احد الشروط التى ساعدت ـ دون شك ـ على نجاحها · ذلك ان **الثورة الكوبية استطاعت ان تحظى بدعم مادى ومعنوى من السياسيين الليبراليين التقليديين ، الذين كان كاسترو يبدو لهم كمناضل من اجل الديموقراطية ضد نظام باتيستا الدكتاتورى** ، ولم يدر بخلدهم قط انذاك انه سوف يتحول الى الماركسية والشيوعية · فقد استطاعت حركة « ٢٦ يوليو » فى اشد فترات النضال السرى شراسة ان تجمع التبرعات فى نيويورك باسم « حقوق الانسان » ، وان تتلقى المعونة المالية « من **بيبى فيجويريس** » رئيس جمهورية كوستاريكا ، باسم الدفاع عن الديموقراطية ، ومن فنزويلا المتحررة لتوها من دكتاتورية **بيريز جيمينيز** ، وان تتسلم طائرة محملة بالاسلحة من **لارا زابال** زعيم الانقلاب الديموقراطى ، وان تؤمن لنفسها دعاية عالمية ايجابية عن طريق صحف عالمية مثل « **لايف** » و « **بارى ماتش** » · أما الان ، فقد أصبحت كل هذه الظروف مفتقدة أمام أى حركة ثورية مسلحة فى القارة ، وليس أبلغ فى التعبير عن الظروف الراهنة التى تحيط بالحركات الثورية المسلحة من هذا التساؤل الذى قدمه **لريجيس دوبريه** ، قائد جمهورية فلاحية مستقلة فى كولومبيا : « **هل تعتقد ان صحفيا مثل هيوبرت ماثيوز سيأتى لاجراء تحقيق صحفى معنا** ، أو أن **امثال فيجويريس يرسلون لنا المسدسات** » ؟ وكان الفلاحون آنذاك ، يتأهبون لصد هجوم يعده الجيش النظامى منذ سنوات بالتعاون مع البعثة العسكرية الامريكية وهم يفتقرون الى كل شىء · والمراكز العالمية القادرة على مساعدتهم بعيدة جدا ، والمال والسلاح ينقصهم ، والحملات المنظمة تشن عليهم من قبل الصحافة المحلية والعالمية لتشويه أهدافهم ، ومعنى نضالهم ، والعزلة والجوع · تلك هى ملامح الوجه المرير الاخر لنداء الشجاعة المفروض حتما ، على الثوريين المعاصرين « اعتمدوا على قواكم الذاتية » ·

وهكذا ازدادت بعد الثورة الكوبية ، **التضحيات** بالارواح ، وطالت أماد الحرب الثورية وازدادت تعقيدا · **وأصبح من الصعوبة بما لا يقاس تشكيل جبهة تحرير عريضة ، حيث يوصم كل عمل مناوىء للاستعمار بتهمة « الكاستروية الشيوعية » فيضطر الى اللجوء الى النضال السرى · كما ازدادت الان صعوبة بناء الجيوش الشعبية** ، لان كل الجيوش

النظامية فى القارة تتدرب عسكريا ونفسيا منذ سنوات عديدة على خوض حرب العصابات وتتسلل قوى الشرطة الى المنظمات السرية مكثفة نشاطها التجسسى والقمعى .

ضمانات وفرها كاسترو

وقد قدم الصحفى الشيوعى الفرنسى « **جاك ارنو** » (٣) تحليلا عميقا آخر للظروف الموضوعية والذاتية التى ادت الى نجاح الثورة الكوبية من ناحية والى تعثر أغلب حركات الكفاح المسلح التالية لها ، وتزايد المصاعب امامها من ناحية أخرى ، وذلك بعد قيامه بجولة واسعة ، فى بلدان امريكا اللاتينية . وكانت النتيجة التى وصل اليها **جاك ارنو** هى ان الشباب فى أغلبية الحركات الثورية المسلحة فى أمريكا اللاتينية نسقوا أعمالهم مع الاحزاب الشيوعية فى هذه البلاد ، لان هذه الاحزاب كانت قد فكرت منذ وقت طويل بحل القضايا وتحقيق الاهداف التى خاض هؤلاء الشباب ، الكفاح من اجل تحقيقها . الا أنه أوضح ان هؤلاء المناضلين حاولوا اتباع طريق قصير للتحرر اعتقدوا انه يتمثل فى الكفاح المسلح على غرار الثورة الكوبية . وسار أغلب القائمين بهذه الحركات الثورية على النهج الماركسى اللينينى — وأهم القادة الذين تصدروا الحركات الثورية المسلحة وقتلوا فى ساحة المعركة هم « **لويس دى لابونت** » و « **جافييه هيرو** » و « **جيليرمو لوباتون** » فى بيرو ، و « **جورج ريكاردو مازيتى** » فى الارجنتين ، « **وكوكو** » و « **روبيرتو بيريدو** » فى بوليفيا ، و « **كاميلو توريس** » فى كولومبيا ، و « **لويس توركيو ليما** » فى جواتيمالا ، و « **فابريشيو او جيدا** » فى فنزويلا وغيرهم ، وهؤلاء جميعا كانوا من المثقفين وفى طليعة المجموعات المسلحة . ويعتبر السبب الرئيسى فى فشلهم سياسيا بالدرجة الاولى ، بالنظر الى عدم لجوئهم لخطط التحليل السياسى الذى تم فى كوبا . ذلك ان كاسترو لجأ الى استغلال التوتر السياسى الذى كان سائدا فى كوبا ، وانضمت اليه مجموعة صغيرة من البورجوازية الصغيرة واعترفت به ، وتمكن بعد ذلك من الحصول على دعم مجموعة أخرى من البورجوازية التى استطاع عزلها عن البورجوازية الوطنية الكبيرة فى كوبا . وكانت هذه المجموعة تعمل مع بورجوازية استغلال مشروب الروم ، واستغلال السكر ، وتربية الماشية وزراعة البن ، وتمكن كاسترو من دفعها الى موقف العداء لحكم باتيستا وديكتاتوريته ، والاتجاه الى دعم موقفه هو بالذات دون أى قوة سياسية أخرى فى البلاد . ويشير جاك ارنو اشارة لها مغزاها حين يقول « **اننا لم نجد آنذاك فى اتجاه فيدل كاسترو أى أثر لليسارية** » وذلك لئلا يخيف البرجوازية ، بل على العكس كانت تثق به تماما . وحدد كاسترو برنامجه بعد سقوط باتيستا على اساس تشكيل حكومة مؤقتة من ممثلين عن المنظمات المدنية (**ليونز كلوب وروتارى كلوب**) وعن اتحاد المهندسين والاطباء والجمعيات الدينية .. الخ .

وكان الهدف الرئيسى لهذه الحكومة هو الاشراف على الانتخابات العامة بعد مرور عام واحد فقط . كما لجأ كاسترو فى نفس الوقت الى التحويل الاقتصادى والاجتماعى التقدمى ، دون ان يخرج عن نطاق النظام الاقتصادى الرأسمالى . واعطى أهمية بالغة للرأسمال الوطنى ، دون ان يمنع الرأسمال الاجنبى من الدخول الى البلاد مع تمتع هذه الاموال الاجنبية بالضمانات وبحرية التدفق الى البلاد ، وانطلاقا من هذه القاعدة تمكن الرئيس كاسترو من **عزل الولايات المتحدة** أيضا . وقد دقق حينذاك فى حساب خطواته السياسية والاقتصادية على ضوء المناخ السياسى الذى ساد الولايات المتحدة بعد سقوط الدكتاتوريين **مانويل أودريا** عام ١٩٥٥ ، **وروجاس بينيلا** عام ١٩٥٧ فى كولومبيا ، **وبيريز جيمينيز** عام ١٩٥٨ فى فنزويلا ، واصرار الولايات المتحدة على عدم السماح بمس مصالحها بعد اى تغير سياسى جديد ، يمكن ان يطرأ فى احدى دول القارة .

هذا ، وكان « **شى جيفارا** » الشهيد العظيم للثورة فى العالم ، قد تعرض فى كتابه « **المثال الكوبى** » الذى صدر فى عام ١٩٦٠ ، لتحليل المصاعب الجمة التى واجهت حركات الكفاح المسلح فى القارة بعد الثورة الكوبية فأوضح « ان الفشل الذى منيت به المجموعات المسلحة يعود أيضا الى أسباب خاصة من وجهة نظر سياسية بحتة ، اذ لم تتمكن اية مجموعة من أن توفر الضمانات السياسية الخاصة بحصولها على دعم البورجوازية الصغيرة ، وعلى دعم مجموعة صغيرة من البورجوازية ورجال الدين ، وما لهذه الفئات من أهمية ، وتأثير فعال ، واعتبارها عاملا رئيسيا فى نجاح المهمة » .

ويستكمل « **جاك ارنو** » فى بحثه السالف الذكر ، الصورة العامة للمصاعب التى واجهت الحركة الثورية بعامة فى القارة فيشير الى ان **كفاح الاحزاب الشيوعية يتم فى دول أمريكا**

---

(٣) فى مقالة « التمرد والثورة فى بلدان امريكا اللاتينية » الذى ترجمته صحيفة — الثورة السورية فى ١٤—٩—١٩٦٩ .

اللاتينية ضمن شروط صعبة ، فمن الوجهة العملية تمكن الحزبان الشيوعيان فى شيلى وأوروجواى فحسب ان يعملا بمستويات عادية من النشاط ، أما الاحزاب الشيوعية فى كولومبيا ، وبيرو وكوستاريكا ، وبناما ، فكان نشاطها يتحدد حسب العراقيل التى تفرضها السلطات هناك ، فى حين كافحت الاحزاب الشيوعية بشكل سرى فى البرازيل ، والارجنتين ، وباراجواى ، وبوليفيا ، ونيكاراجوا ، وهندوراس ، وسلفادور ، وجواتيمالا ، بسبب الحظر الذى فرض عليها من قبل حكومات هذه الدول » .

وأشار كذلك الى رغبة منظمات عديدة فى بعض دول أمريكا اللاتينية ومحاولاتها لان تحل محل الاحزاب الشيوعية فى هذه الدول ، وكيف باءت هذه المحاولات بالفشل ، بسبب التجارب السطحية لتلك المنظمات اذا ما قورنت بتجارب الاحزاب الشيوعية الطويلة فى البلاد ، وما لها من جذور تاريخية . وأشار الى ان المقاومة المريرة التى لقيتها هذه المنظمات من النظم الديكتاتورية التى تعمل بتنسيق مع أجهزة القمع والمخابرات الامريكية كانت هى السبب الرئيسى فيما جابهته من صعاب وعوائق ، ولم يكن السبب كما تعتقد هى ، قلة عدد الرجال الذين انضموا الى صفوفها وكافحوا تحت لوائها .

وأوجز الصحفى الشيوعى الفرنسى « جاك ارنو » فى ختام رحلته الطويلة فى أمريكا اللاتينية النتيجة التى توصل اليها من تعرفه واطلاعه المباشر على أوضاع الحركة الثورية فى تلك القارة بعامة ، وقال فى نهاية المطاف : « وهنا يمكننا الاجابة على أصحاب الرأى القائل بعدم اللجوء الى العنف ، والذين يصرون على عدم القيام بالثورة ، ويعتقدون أن مثل هذا العمل ليس فى صالح السلام ، لان الولايات المتحدة لن تسمح أبدا باجراء تغييرات اجتماعية جذرية فى بلدان أمريكا اللاتينية . أقول ان هذا يتنافى مع التعاليم الحديثة فى عصرنا الحاضر . واذكر بصورة خاصة الحرب الفيتنامية التى أكدت امكانية نجاح شعب متحد فى القيام بالمقاومة المسلحة الامر الذى وضع الولايات المتحدة فى موقف حرج بسبب تدخلها العسكرى فى فيتنام ، ومغامراتها ، والاضرار التى لحقت بها . ان الظروف الثورية الجديدة وخاصة عندما تتطور فى بلدان امريكا اللاتينية ستشكل أفضل ضمان للشعوب ضد كل مغامرة جديدة ، وهذا لا يعنى أن تدخل الولايات المتحدة فى فيتنام وفى سان دومينجو سيكون منطلقا لتدخل جديد فى مكان آخر ، كما يذكر بعضهم ، ولكن على العكس من ذلك ، فان وضع الظروف الجديدة فى الاعتبار ، سوف يؤكد للولايات المتحدة أن تدخلها فى المستقبل فى بلدان



اخرى من بلدان امريكا اللاتينية سيغدو أصعب فأصعب ، خاصة وأن قادة الحركات الثورية قد غدوا يعلمون اليوم أكثر من أى وقت مضى أن نجاحها انما يتعلق بتجهيز مجموع الطاقات الشعبية وتعبئتها وتوجيهها نحو المجرى العام للحركة الثورية .

أمريكا والعسكرية

القومية الصاعدة

واذا كنا قد بحثنا ونبحث فى هذا المقال ، القضايا المتعلقة بالكفاح المسلح وحرب العصابات فى أمريكا اللاتينية ، نحب أن نشير هنا الى النتيجة ذات الدلالة التى توصل اليها ارثر شليزنجر المستشار السياسى للرئيس الامريكى السابق جون كيندى والتى أوردها فى مقال « سياسة الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية » الذى نشره فى مجلة « اتلانتيك » فى يناير ١٩٧٠ ، والذى قدم فيه موجزا لحصيلة النتائج العامة التى توصل اليها من الجولة الاستطلاعية التى كان الرئيس كيندى قد كلفه بالقيام بها فى دول أمريكا اللاتينية بهدف تقديم صورة صادقة عن الاوضاع فى هذه القارة تسمح لواشنطون بوضع سياسة لاتينية جديدة .

وكانت النتيجة التى توصل اليها شليزنجر من بحثه المباشر لاوضاع أمريكا اللاتينية هى أن هناك تراجعا لكل من اتجاهى اليمين التقليدى واليسار التقليدى ، فى هذه القارة ، وتقدما للاتجاهات القومية فيها . وأوضح أن نمو القومية فى دول أمريكا اللاتينية سوف يؤدى الى اعادة صياغة العلاقات بين الولايات المتحدة والقارة اللاتينية ، سواء ارادت حكومة واشنطون ذلك أم لم ترد ، وان على الولايات المتحدة أن تقابل هذا التيار الصاعد فى القارة اللاتينية بمزيد من الذكاء والكرم ، كى ننجح فى اقامة تضامن جديد أقوى واسلم من كل ما عرف فى تاريخ امريكا حتى الان » . ومعنى ذلك ان شليزنجر الذى توصل فى نفس مقاله « الى أنه لا مكان فى هذه القارة للثورة السلمية » يسعى على هذا النحو الى توجيه النصح للحكومة الامريكية بدحر الحركات الثورية المسلحة ، لا باستخدام اليمين التقليدى المفضوح الذى يتراجع باضطراد ، وانما بالتنسيق مع البورجوازيات الوطنية الصاعدة (وهل يمكن تحقيق ذلك فعلا ؟) .

التى ستواصل اتباع الاسلوب الدكتاتورى العسكرى فى الحكم . وعندئذ كما يرى شليزنجر سوف تنجح الولايات المتحدة فى « اقامة تضامن جديد مع أمريكا اللاتينية أقوى واسلم من كل ما عرف فى تاريخ أمريكا حتى الان » والسبيل المباشر المحدد الى ذلك هو التنسيق مع الجناح العسكرى القومى الذى يضم فى صفوفه ضباطا انحدروا من الطبقات الفقيرة « وتلقوا تعليمهم وتدريبهم فى الاكاديميات العسكرية بالولايات المتحدة واكتسبوا افكارا متشبعة بالمثل الامريكية عن الحياة العصرية والمسئوليات المدنية الخ .. ولكنهم فى الوقت نفسه ، عكفوا عقب رجوعهم الى بلادهم على دراسة وسائل النمو ، واهتدوا الى أن الحل الوحيد الذى سيسمح لهم بالقضاء على حرب العصابات ، هو ضرورة الحصول على المساندة والتأييد الشعبيين ، فأخذوا يطالبون بالبرامج الاصلاحية على المستوى القومى » مع العمل على أبعاد السيطرة الامريكية المكشوفة كى يكتسبوا صفات الزعامة القومية .

وعلى أية حال ، فلا يمكن على الاطلاق ، استبعاد قيام القوى القومية بدور أكثر أهمية وفعالية فى مستقبل أمريكا اللاتينية القريب . وفى هذه الحالة سوف تواجه الحركة الثورية بصعاب من نوع آخر ، لانها سوف تكافح تبعا لهذا الوضع ضد أنظمة حكم ترتدى المسوح الوطنية ، وتعمل ، بالطرق الاصلاحية ، لتمييع الاستقطاب السياسى فى هذه البلاد بين طبقات الاقلية المالكة ، وبين الاغلبية الشعبية المحرومة من ناحية ، ولتضييع معالم التوزيع الاستراتيجى لقوى الثورة وقوى أعدائها ، يخلق كتلة طبقية وسيطة من ناحية أخرى ، يضاف الى ذلك أن مثل هذه الانظمة الوسيطة تنجح عادة ، والى حين ، فى ضم قطاعات جماهيرية أكثر اتساعا ، الى صفوفها مما سيزيد دون شك — والى حين أيضا — من صعوبة العمل الجماهيرى أمام رجل العصابات أو مناضل الحزب الثورى — فى تلك البلدان .

ازدياد بروز دور الرهبان

هناك ظاهرتان ازداد بروزهما فى صفوف الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية فى الفترة الاخيرة . أولاهما : هى ازدياد بروز دور الرهبان والاكليروس الكاثوليكى بوجه عام ، فى صفوف الحركة الثورية ، وحركة الكفاح المسلح بوجه خاص . اذ يقوم قسم من الاكليروس الكاثوليكى بدعم فعال لحركة التحرر وللكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية ؟ ولا يتعلق الامر بحالات منعزلة ؟ وانما هو يعبر عن تيار عميق متزايد القوة ، يتطور الى الامام على الرغم من المعارضة ، ويدل بوجه من الوجوه ، على نضج الازمة الثورية . ففى ساو باولو يشترك رهبان دومينيكان فى حرب العصابات بالمدن . وفى مونتفيديو يقود أحد القساوسة مجموعة ثورية يسارية ، وفى بوليفيا ساند خمسون راهبا ، الكفاح المسلح مساندة علنية ، وفى ليما ، يوجد راهب عضو فى قيادة جبهة التحرير الوطنية ، وفى بوينس ايريس هناك راهب آخر ، يربط حب المسيح بانتفاضة المسحوقين ، وفى جبال كولومبيا قاتل خورى اسبانى فى صفوف جيش التحرير ، وفى كل مكان فى أمريكا اللاتينية يساهم الاكليروس الكاثوليكى فى الثورة الاجتماعية . الا أن الرهبان الثوريين لا يزالون يشكلون اقلية برغم انتشارهم المتسع المتزايد فى بلدان القارة . وهذه الظاهرة على أية حال ليست خاصة بأمريكا اللاتينية ، ذلك لان قسما من الاكليروس الكاثوليكى فى العالم يهتم بالنضالات الاجتماعية التى يخوضها المسحوقون ، ولكن هذا الاهتمام لا يتجاوز فى أغلب الاحيان ، حدود تقديم العون للطبقات الفقيرة ، أما فى أمريكا اللاتينية فقط ، فقد وصلت الاقلية الثورية من الاكليروس الى مستوى المناداة علنا بالثورة المسلحة .

وظاهرة ثورة الرهبان الكاثوليك مع الفقراء ، ليست جديدة فى أمريكا اللاتينية ، ففى غضون الحقبة الاستعمارية ، قاتل رهبان من امثال « كاميلو هنريكو » و « انطونيو اوريهنلا » ، و « مورلوس هيدالجو » الى جانب الثوار .

ويعتبر الفيلسوف الفرنسى « أمانويل مونيه » من أبرز ممثلى الحركة المسيحية الجديدة ، فهو يرفض ادانة الماركسية مسيحيا ، وينادى بفتح حوار بين المسيحيين والماركسيين ويتنبأ بفشل كامل للاحزاب الديموقراطية المسيحية الاوربية ، لانها عاجزة عن ادراك السمة الاجتماعية للمسيحية .

والرأى الذى يقول به « مونيه » ، ينشد التقدم نحو ملكوت الله من خلال المساهمة فى كفاح أفضل أبنائه : الفقراء والجوعى والمسحوقين ، وهو يرى أن التزاما كهذا لا يكون ممكنا الا بواسطة تجسيد مسئولية الانسان الاجتماعية ازاء أخيه الانسان ، أى بواسطة الاشتراكية .

وقد أثر فكر مونيه وعمله على عدد من المثقفين الكاثوليك ، ولكن حركات التحرير المتزايدة النمو لدى شعوب « العالم الثالث » هى التى حركت بصورة خاصة تفكير وضمائر الصفوف الدنيا من رجال الاكليروس الذين يعيشون فى هذه المنطقة من

العواصف والبؤس . فلاحظ الرهبان والمبشرون أن الشعوب تعانى قمعا متواصلا متزايدا من جانب الرجعيات المحلية والامبريالية الاجنبية ، وبدأوا ينـددون بـ « الفسـاد القـائم » الـذى يسود « النظام » ، وأكثر فأكثر بشروا بأن الظلم الذى يسود حولهم ، انما هو ظلم ضد الله . ولم يكن موقفهم هذا سهلا ، لانه بدأ يعرضهم لردود فعل عنيفة من جانب الرجعيات الاوليجـاركية الحاكمة ، ولكنهم تحملوا أعباء الخطر والمسئولية وبدأوا بمساندة الاضرابات الشعبية القائمة ضد التروستات والاحتكارات المحلية والاجنبية .

وازاء هذا التطور الانسـانى المشرق لبعض رجال الاكليروس فى هذه القارة الغريبة ، لم يعد محلا للاستغراب قط أن تسمع أحد الرهبـان الكاثوليك ـ (الاب نجيريوس) ، يخاطب ابنـاء كنيسته فى منطقة سانت كروز بشمال شرقـى البرازيل قائلا : « انكم تربون عنزة لتعطوا حليبها لصغاركم ، واذا أقدم المالك على قتل عنزتكم فانه يهدد حياة صغاركم ، فلا تتركوه يقتل عنزتكم ، اقتلوه أولا » .

وقد بلغت مشاركة الرهبان فى الحركة الثورية بأمريكا اللاتينية ذروتها فى كولومبيا على يد الراهب كاميلو توريس ، الذى ولد فى بوجوتا العاصمة لاسرة بورجوازية ، وانطلق فى طريق الكفاح المسلح لتحرير بلده ، كراهب وعالم اجتماع وسياسى ثورى . وكان لتوريس شعبية كبيرة للغاية وسط طلاب جامعة بوجوتا التى عمل بها . وقد عين عميدا لمعهد علـم الاجتمـاع والادارة الاجتماعية ، فاتاح له ذلك فرصة أكبر للتعرف على واقع كولومبيا ، فوجد أن ٦ر٣ فى المائة من الملاك يستحوذون على ٢ر٦٤ فى المائة من الاراضى المشجرة ، و٥٦ فى المائة من الفلاحين يملكون ٢ر٤ فى المائة فقط من الاراضى . وكان الموقف الذى اتخذه كاميلو ثوريا حقا ، اذ نادى بتكوين جبهة موحدة مع اليساريين على أساس برنامج عمل واضح وقال : « ان الاخلاق تأمرنا باستخدام العنف للقضاء على العنف الذى تمارسه الاقطـاعيات الاقتصادية على شعبنا » والتقى كاميلو فى يوليو ١٩٦٥ « بفابيو فاسكز كاستانو » القائد الاعلى لجيش التحرير الوطنى فاتفقا على استراتيجية وتكتيك موحدين .. واهتم الاب كاميلو بانشاء الجبهة الموحدة ، فاتصل بالعمال والطـلاب والفلاحين والشباب الكاثوليكى والليبرالى . وقد اعتقله البوليس أكثر من مرة . وطاف كاميلو انحاء كولومبيا وأسس وحدات لحرب العصابات ، وغادر بوجوتا فى عام ١٩٦٥ والتحق بصفوف القوات الثورية المسلحة ، واستشهد فى فبراير



١٩٦٦ ، خلال معركة حامية بين فصيلته وبين قوات الاوليجاركية الكولومبية .

وقد أعلن الاب « كارلوس بيريز هريرا » خورى « سانتا أنا » حينذاك « أن الراهب توريز فتح الطريق التى سيلتزم بها الان عدد من المثاليين المتعطشين للعدالة » ، وأكد الراهب الارجنتينى جارسياالوريو الذى انشـأ مجلة اسمـاها « المسيحية والثورة » : « ان موت كاميلو جعلنى أدرك أننى اذا لم أحارب الى جانب شعبى ، فلن أكون الا مرتدا » . وقد جاء فى أول مقال افتتاحى لهذه المجلة : « نحن جميعا فى حالة حرب . والامر هو أن نعرف فى أى معسكر نحن ، فليس ثمة طريق ثالث .. ينبغى مواجهة العنف الذى تستخدمه الحكومة لقمع انتفاضة الشعب ، واننا نعلن تحت راية كاميلو ، الحرب الشاملة على الاسـتغلال والامبريالية والتخلف ، وعلى جميع أولئك الذين يخونون وطننا هنا وفى الخارج . اننا نـؤكد ضرورة الثورة ـ الوسيلة الفعالة الوحيدة لتحقيق العالم الاخوى الذى بشرت به المسيحية » ، وجدير بالذكر ، أن جيش التحرير الوطنى فى كولومبيا ، اذاع فى ١٤ فبراير ١٩٧٠ بيانا للاب دومينجو لايين يعلن فيه : « لقد اخترت طريق الكفـاح المسلح ، لانه لا يوجد فى مواجهة القمع والعنف الرجعى من جانب الانظمة القائمة فى كولومبيا وأمريكا اللاتينية حل آخر ، سوى العنف الثورى والتحررى » . وعلى هذا النسق ، يواصل الرهبان ورجال الاكليروس الثوريون فى أمريكا اللاتينية ، وبشكل متزايد ، تأييدهم ومساندتهم بل ومشاركتهم المباشرة المشرقة فى حركة النضال الثورى فى القارة .

انتقال حرب العصابات الى المدن

والظاهرة الثانية التى ازداد بروزها فى صفوف الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية فى الفترة الاخيرة ، هى ازدياد نشاط حرب العصابات فى المدن على حساب الريف ، ذلك أن حوادث الفترة الاخيرة ، وتطور الكفاح الثورى المسلح فيهـا فرض بالفعل مزيدا من الانتباه والاهتمام الى الدور الذى تضطلع به وحدات العصـابات

والجماهير في المدن ، في العملية الثورية في أمريكا اللاتينية ، خاصة وان الانتصارات الاخيرة التي تحققت لحركات الكفاح المسلح في هذه القارة ، قد تحققت في المدن • تشهد على ذلك النجاحات الدوية المشهودة التي حققتها حركة « توباماروس » في أوروجواي • وليس ثمة شك أن هناك تركز ملحوظ الان لنشاط حرب العصابات في المدن ، بالمقارنة مع نشاطها السابق في الريف في الفترة التي تلت نجاح الثورة الكوبية مباشرة وحتى استشهاد شي جيفارا سنة ١٩٦٧ ، وقد أجمعت تقارير المخابرات الامريكية على أن « حرب العصابات قد انتقلت الى المدن » ، ووافق على هذا الرأي مؤتمر رؤساء أركان حرب جيوش أمريكا اللاتينية في ريو دي جانيرو مؤخرا ، وبدأ انطلاقا منه ، تنظيم حملات العنف والمواجهة الدموية للطلاب والعمال والمثقفين في المدن ، مثال على ذلك ما حدث في نوفمبر ١٩٦٨ في مكسيكو حيث قامت قوات الامن المكسيكية بمهاجمة اجتماع نظمته لجنة الاحزاب الوطنية ، بالدبابات ونار القناصة فأردت في الاجتماع حوالي ٦٠ قتيلا ومئات الجرحى ، وهو الحادث الذي اشتهر باسم « مجزرة ساحة الثقافات الثلاث » ، وغيره من الحوادث المماثلة كثير •

على أنه اذا كان عدد من المراقبين السياسيين يرون أن النجاحات التي حققها ثوار أمريكا اللاتينية في المدن في الفترة الاخيرة ، ستعيد من جديد الاعتبار للامكانيات التي تقدمها المقاومة المدنية لقضية الثورة ، فان العدد الاكبر منهم يبدون تشككهم مع ذلك في المدى العملي لهذه الامكانيات • ويرون انها لا تزال ضمن حدود النضال السلمي الذي يواجه بأقصى درجات العنف وسفك الدماء من قبل الانظمة العميلة للولايات المتحدة ، كما يرون أن مجزرة ساحة الثقافات الثلاث ، ليست شهادة للامكانيات التي تقدمها المدينة ، لان مئات الضحايا راحوا لمجرد المبادرة والدعوة الى عقد اجتماع عام يندد بالحكومة مما يؤكد دون شك عبارة كاسترو الشهيرة : « المدينة مقبرة الثوار والموارد » •

وعلى أية حال ، فالسؤال الجوهري بالنسبة لهذه النقطة هو انه اذا كانت كافة أشكال النضال الوطني التحرري في أمريكا اللاتينية لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار مجتمعة ، فان ما يبقى أساسيا دائما ، فهو تحديد الاسلوب أو الشكل الحاسم الذي عن طريقه فقط يمكن للثورة أن تنتصر ،ذلك أنه مهما كانت النكبات والنكسات المؤقتة التي أصيب ويصاب بها الكفاح في الريف ، فانها لا يمكن مطلقا أن تلغي تجربة عشرات السنين من النضال الثوري في العالم ، وسنوات طويلة من النضال الوطني في أمريكا اللاتينية بالذات ، كما أنه مهما كان النجاح الملحوظ الذي تحقق في المدن في الفترة الاخيرة ، فانه لم يصل بعد مطلقا الى حد وضع اسلوب الكفاح المسلح المنطلق من الريف موضع الشك ، حيث لا تستطيع قوى القمع محاصرة الثوار ودك مواقعهم كما تفعل في المدن التي تعتبر القلاع الرئيسية للحكومات •

وبعد •••

فان الامبريالية الامريكية تلعب في أمريكا اللاتينية آخر أوراقها ، الورقة الحاسمة التي ستحدد نهايتها ، « وان ضرب الامبريالية الامريكية في امريكا اللاتينية يعد بالنسبة لها ، اصابة في صميم وجودها ، كامبريالية دولية • فبعد أن تطرد غدا من آسيا ، لن تجد أرضا تشهد نهايتها غير امريكا اللاتينية » (٤) • ولعل ذلك هو الذي يفسر ضراوة النضال الثوري في تلك القارة التي دار ويدور وسيدور فيها هذا النضال ، في ظروف بالغة الحدة والقسوة ، وأكثر الامور أهمية في هذا الصدد هو ألا يكون الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية مجرد مغامرات فردية معزولة بلا مستقبل وانما يكون حقا جزءا من التجهيز الاستراتيجي العام للثورة المقبلة الشاملة في هذه القارة •

وعلى أية حال ، فهذا هو واقع هذه القارة ومستقبلها ، والتفسير لما دار وسيدور عليها من صراع عنيف عات ، هو قاسم مشترك أعظم، في نهاية الامر ، في عمليات التحول التاريخي الكبرى كافة ، لانه كما قال الزعيم العظيم للثورة الصينية ، موجزا كل حكمة الثورة وخبرتها : « ليست الثورة مأدبة ، ولا كتابة مقال ، ولا رسم صورة ، ولا تطريز ثوب ، فلا يمكن أن تكون بمثل تلك اللباقة والوداعة والرقة ، أو ذلك الهدوء واللطف والادب والتسامح وضبط النفس • ان الثورة انتفاضة ، وعمل عنف تلجأ اليه احدى الطبقات للاطاحة بطبقات اخرى » (٥) ..

---

(٤) شي جيفارا : رسالة الى شعوب العالم « فلنخلق اكثر من فيتنام واحدة »

(٥) ماوتسي تونج : تقرير عن تحقيقات في حركة الفلاحين في خونان ـ مارس ١٩٢٧ ـ المؤلفات المختارة ـ المجلد الاول •

شــهادتان

وفى النهاية ، فاننا سوف نقدم هنا شهادتين واقعيتين تلونهما العاطفة ، وان كانتا تحفلان فى الحقيقة بمغزاهما السياسي الكامل بصدد القضايا التي طرحها هذا المقال .

الشهادة الاولى ، فقرة من رسالة بعثت بها السيدة ليما بينا ساتاميني التي تعمل مترجمة في الولايات المتحدة الى البابا بولس السادس ، والثانية رسالة بعثت بها السيدة ديلمــا بيرجيس فييرا زوجة الصحفى البرازيلى الثورى الشهير ماريو الفيس فييرا الى زوجة الوزير دياز جوميد ، قنصل البرازيل فى اورجواى ، الذى اختطفه ثوار توباماروس .

وقد بعثت السيدة الاولى ليما بينا ساتاميني التي تعمــل مترجمة بالادارة الدولية في الولايات المتحدة برسالتها الى البابا بولس السادس عن طريق الاب « كولوفيسى » مدير القسم الامريكي اللاتيني فى المؤتمر الكاثوليسكى بالولايــات المتحدة . وهذه السيدة تعيش فى امريكا الشمالية منذ اثنى عشر عاما . وقد القى بوليس ساوباولو فى البرازيل القبض على ابنها العالم الجيولوجي الشاب (ماركوس ارودا) (٢٩ سنة) فى مايو ١٩٧٠ ، وبعد أن ترددت على عدة سجون ، وصلت فى النهاية الى وزارة الحربية حيث استطاعت ان ترى ابنها . وتقــول فى رسالتها الى البابا : « كانت ساقه اليمنى مشلولة . وعينه اليمنى مغمضة تماما ، وعينه اليسرى نصفه مفتوحة . ويهتز جسمه باستمرار بتشنجات قصيرة . ويجد صعوبة فى ابتلاع الطعام . وقد استشرت اخصائيا فى الامراض العصبية قال لى انها اعراض نزيف فى المخ بسبب الضرب » وبعد ذلك طلبت مدام ساتاميني مساعدة المحــامين للافراج عن ابنها . وقد جاء فى رسالتها « قال لى المحامون ان هناك حوالى ١٢٫٠٠٠ حــالة مثــل ابنى ، تحفظ البوليس على معظمهم دون ابلاغ المحاكم كما يقضي بذلك القانون » (٦) .

أما السيدة الثانية ديلما بيرجيس فييرا زوجة الصحفى الثورى فقد قالت فى خطابها الى زوجة القنصل البرازيلى المخطوف (٧) :« بوسعنا جميعا ان ندرك مدى شعورك بالالم والقلق . ان التقارير الصحفيــة اليوميــة المكتــوبة والمنطوقة عن ماساتك ، وعن زوجك الذى يتولى وظيفة عامة ، ويعمل فى خارج البلاد قد اقحمت على احداث ذات طبيعة سياسية ، ولكنك لا تصرخين بمفردك » .

« أما آلامى انا ، وما اشعر به من اسى . فان احدا لا يكتب عنها شيئا . بل اننى أصرخ وحدى ، فلست املك الوسائل التى تجعل صوتى مسموعا مثلك ، كى اقول للصحف ان الما كبيرا قد امض قلبى ، واننى اريد ان يعــود زوجى » .

« ان زوجك على قيد الحياة ولاشك انه سوف يعود . ولكن زوجي ذبح ولقى مصرعه تحت وطاة تعذيب شرطة الجيش ، واعدم دون اجراءات قانونية ، دون محــاكمة . واننى اطــالب على الاقل بجثته . وحتى اللجنة البرازيلية لحقــوق الانسان لم تعرنى اذنا صاغية ، ولست أدرى ما الذى فعله البوليس بزوجى ، ولا أين ألقوا بجثته » .



« لقد كان اسمه « ماريو الفيس دى سوسا فييرا » ، وهو صحفى ، القى القبض عليه فى ١٦ يناير ١٩٧١ فى جوانيبارا بريو دى جانيرو ، بواسطة الجيش وحمل الى مقر قيادة البوليس الخامس ، وضرب بوحشية ليلا ، وطعن بهراوة ذات اسنان ، وسلخ جلده بفرشاة من السلك لانه رفض الاجابة على اسئلة وجهها اليه معذبوه من رجال الجيش والبوليس السرى » .

« ان بعض المسجونين الذين كان عليهم ان يتوجهوا الى غرفة التعذيب لمسح الارض ، راوا زوجي يحتضر ، وقد سالت الدماء من فمه وانفه ، وهو ممدد على الارض ، ويطلب بعض الماء ، فى حين كان معذبوه من العسكريين يضجون بالضحك ولا يسمحون لاحد بمساعدته » .

« اننى ادرك انك لست فى موقف يسمح لك بتقدير مدى ما احس به من الم ، لان الالام التى يعانيها كل منا ، لهى اشد على الدوام من الالام التى يعانيها الاخرون . ولكن ، يحدونى الامل فى انك سوف تتفهمين الظروف التى أدت الى اختطاف زوجك ، والى تعذيب زوجى الى ان مات » .

« فنحن نحس بنفس الالام ، والمهم هو ان نتحقق مما اذا كان «العنف» فى صورة الجوع ، والبؤس ، والقمع، والتأخر، والتعذيب ، ليس هو السبب فى العنف الذى يأخذ صورة الخطف ، والارهاب ، واعمال رجال العصابات . وانه لامر بالغ الاهمية ان نكتشف من الذى يتسبب فى العنف . أهم اولئك الذين يعيشون بمنأى عن البؤس ، ام اولئك الذين يقاتلون ضده ؟ » .

« ان ماتعانينه من ياس والم يدل على ان زوجك ، كان رجلا صالحا ، وانه كان مطلوبا ، وانه كانت له اهمية كبيرة فى حياتك .

ولقد كان زوجي ماريو الفيس ، رجلا صالحا ايضــا ، ولقد افتقدته كثيرا ، وكانت له ابنة يعبدها ، وكان ذكيا ومثقفا ، ولم يصب اى انسان باذى ، .

« لقد مات من اجل اولئك الذين عانوا من الاضطهاد ، واولئك الذين يطالبون بالعدالة ، ومن لايستطيعون التعبير عن ارائهم ، ومن لايملكون الفرصة لذلك . لقد ناضل من اجل ان تستغل الموارد البشرية والمادية الهائلة فى بلادنا للمنفعة المشتركة . واننى اتمنى خاتمة سعيدة لهذه الحادثة ، لكل من زوجك وثوار « توباماروس » .

ديلما برجيس فييرا

وكما هو معروف الان ، فان القنصل البرازيلى دياز جوميد ، قد عاد الى منزله ، الى زوجته وبنيه ، بعد ان اطلق ثوار « توباماروس » سراحه أما الصحفى الثورى ماريو الفيس فلم تعثر له على جثة ، حتى تقــام لــه جنازة ، .

---

(٦) عن مجلة « الحركة النقابية العالمية » عدد مارس ١٩٧١ .
(٧) عن صحيفة « تريبيون » البريطانية بتاريخ ١٩ـ ٣

قاموس سياسي واقتصادي

أمريكا اللاتينية

الأرجنتين

■ المساحة : ٢٧٫٧٦٦٫٦٥٦ كم
■ السكان : ٢٣٫٣٧٥٫٧٠٥ نسمة .
■ العاصمة : بوينس ايرس .
■ اللغة : الاسبانية .

■ التطور التاريخي : اكتشفها الاسبان في ١٥١٦ وبدأ استعمارها في ١٥٣٧ . استقلت في يوليو ١٨١٦ . تأسس الحزب الشيوعي في ١٩١٨ . وفي ١٩٤٦ وصل جوان بيرون الى السلطة بتأييد من العمال ، واستمر في الحكم حتى ١٩٥٥ حيث اطيح به في انقلاب . وفي ١٩٦٣ انتخب ارتوريو ايليا وسمح لانصار بيرون بالاشتراك في الانتخابات لاول مرة وظهر نفوذهم واضحا . وفي ١٩٦٦ حدث انقلاب يميني بقيادة جوان اونجانيا الذي الغى البرلمان والاحزاب .

■ **الاحزاب** : تعتبر البيرونية او « الحركة العدلية » اكبر قوة سياسية في البلاد ، وهي ليست حزبا بالمعنى الحرفي ، اذ تضم عدة اتجاهات سياسية ، وتدخل الانتخابات باسماء مختلفة مثل الاتحاد الشعبي . اما اهم احزاب الوسط هي : الاتحاد المدني الراديكالي للشعب ، والاتحاد المدني الراديكالي ، وحركة التكامل والتنمية وقائده فرونديزي . اما احزاب اليمين فهي : الاتحاد القومي لاحزاب الوسط [وهو محافظ تقليدي] واتحاد شعوب الارجنتين والحزب الديمقراطي المسيحي [يمين] . وقد انبثق عن الحزب الاشتراكي القديم : الحزب الاشتراكي الديمقراطي [يمين] والحزب الاشتراكي الارجنتيني (وسط يسار)واهم المجموعات الماركسية هي الحزب الشيوعي .

■ **النقابات** : يضم الاتحاد العام للعمال ٣٫٥ مليون .

■ **الاقتصاد** : الارجنتين بلد زراعي يعتمد على تربية الماشية والصوف والحبوب ، وتنتج الماشية لسد حاجة اوربا الغربية . والقمح هو المحصول الرئيسي . والصناعة تتركز اساسا في تعليب اللحوم ، وترتفع اسعار الحياة بصورة مضطردة فقد زادت ستة اضعاف في ١٩٦٩ عنها في ١٩٦٠ .

بوليفيا

■ المساحة : ١٫٠٩٨٫٥٨١ كم .
■ السكان : ٤٫٥٦١٫٠٠٤ نسمة .
■ العاصمة : سوكر . لاباز مقر الحكومة .
■ اللغة : الاسبانية .

■ التطور التاريخي : بدأ الاسبان في استعمارها في ١٥٣٥ مع اكتشاف مناجم الفضة فيها وفي ١٨٠٩ نشأت بها حركة الاستقلال بتأثير افكار الثورة

الفرنسية ولكنها لم تتحرر الا مع وصول جيوش بوليفار ، وأعلنت الاستقلال فى اغسطس ١٨٢٥ باسم جمهورية بوليفار وتولى الحكم المولدون أصحاب المناجم والمزارع وتكونت عدة حكومات محافظة دخلت فى صدام مع الليبراليين الممثلين للتجار ، واستولى الاجانب على ثرواتها بعد اغراق البلاد فى الديون . فقد زاد تسرب رأس المال الامريكى فى عشرينات القرن الحالى وفى ١٩٥٢ وصل استنسرو للحكم بتفويض شعبى وأمم مناجم التصدير وقام ببعض الاصلاحات. وعاد الى الحكم فى ١٩٦٠ و١٩٦٤ ولكن حزبه « الحركة القومية الثورية » فقد تأييد الشعبى . وفى ١٩٦٧ بدأت حرب العصابات بقيادة شى جيفارا ولكنه قتل بمؤامرة امريكية . وفى ١٩٦٩ قتل رئيس الجمهورية وتولى نائبه وحاول القيام بعدة اصلاحات اجتماعية . وفى سبتمبر ١٩٦٩ اشتدت حرب العصابات، وتم انقلاب ذى اتجاه متقدم بقيادة اوفاندا ، صادر وأمم شركات البترول الأمريكية . وحاول اليمين فى ١٩٧٠ القيام بانقلاب ولكن الضباط اليساريين استولوا على السلطة بقيادة جوان توريز . وفى اكتوبر ١٩٧١ نجحت المخابرات الامريكية فى الاطاحة بحكمه.

■ **الاحزاب : اهم الاحزاب الشعبية** الحركة القومية الثورية ونفوذه قوى فى الاوساط الزراعية ، والحزب الثورى لليسار الوطنى ونفوذه الاساسى بين جماهير العمال وجانب من الفلاحين . والحزب الشيوعى ونفوذه الاساسى بين بروليتاريا المناجم وعمال الصناعة . أما القوى البرجوازية فتتجمع فى حزب الفالانج الاشتراكى البوليفى .

■ **النقابات :** التنظيم الاساسى هو اتحاد عمال بوليفيا ويضم ٢٥ الفا من **عمال المناجم ويتعرض لمطاردة الحكومات العسكرية .**

■ **الاقتصاد :** الانتاج الاساسى هو التصدير ويمثل ٨٠٪ من الصادرات ويستخرج أيضا الرصاص والفضة والزنك والبترول . وتبلغ نسبة العمالة ٦ر٥٠٪ من مجموع السكان . يعمل ٧ر٦٥٪ منهم فى الزراعة وتربية الماشية و٣ر٧٪ فى المناجم ، ٧ر٢٪ فى الصناعة وتبلغ البطالة ٤ر١٢٪ من العاملين ، وتبلغ الاستثمارات الاجنبية ٢٠٦ ملايين دولار تملكها الولايات المتحدة فى الاساس.

البرازيل

■ **المساحة :** ٩٦٥ر٥١١ر٨ كم مربع .

■ **السكان :** ٧٥٧ر٢٢٣ر٩٠ نسمة .

■ **العاصمة :** برازيليا .

■ **اللغة :** البرتغالية .

■ **التطور التاريخى :** نزل بها البرتغاليون فى عام ١٥٠٠ وبدأوا استعمارها فى ١٥٣١ وزرع بها كبار الملاك العقاريين قصب السكر بواسطة العبيد الذين تم جلبهم من افريقيا . وفى القرن السابع عشر اكتشف بها الذهب وحل استغلال المناجم محل الزراعة . وفى ١٧٨٩ هبت حركة الاستقلال . قوية عنيفة ، واعلن الاستقلال فى ١٨٢٢ . واعلنت الامبراطورية فيها برئاسة **بدرو الاول** الذى استقال فى ١٨٣١ . وفى نوفمبر ١٨٨٩ الغيت الملكية واقيمت الجمهورية الاولى التى استمرت حتى ١٩٣٠ وتميزت بالفساد وخضعت البلاد من ١٩٣٠ الى ١٩٤٥ لدكتاتورية فارجاس . وناضل ضدها الشيوعيون والاشتراكيون . واعيد فارجاس فى ١٩٥١ ولكنه انتحر فى ١٩٥٥ . وتولى كوبتشيك الذى بنى برازيليا واعقبه كوادروس ثم الاصلاحى جولارت الذى اطاح به برانكو فى ١٩٦٤ وتولى دى سيلفا الحكم فى ١٩٦٦ . وفى ١٩٦٨ تولى الرئاسة داكوستا دى سيلفا ، واصدر دستورا يخوله كل السلطات ، وأعلن حالة الطوارىء فى ١٩٦٩ واغتيل فى عهده ٣٠٠ مناضل . وقام الجيش بانقلاب ضده . وفى ١٩٧٠ اتسعت حرب العصابات خاصة فى المدن.

■ **الاحزاب السياسية :** يساند **الاتحاد الديمقراطى القومى** الذى تقوده بورجوازية الاعمال وتؤيده الطبقة المتوسطة ، الدكتاتورية العسكرية .وفى ظل فارجاس نشأ فى ١٩٤٦ **الحزب الاشتراكى الديمقراطى** الذى يمثل كبار الملاك . اما **الحزب العمالى البرازيلى** فيمثل البروليتاريا الصناعية تحت قيادة شعبية . وتسيطر هذه الاحزاب الثلاث على ٧٠٪ من الناخبين وهناك **١٢ حزبا آخر .**

أما الحزب الشيوعى فقد تأسس فى ١٩٢٢ وحصل على ٥٠٠ الف صوت فى انتخابات ١٩٤٥ واحتل المكانة الرابعة وقد تمتع بحرية نسبية فى ظل حكومتى كوبتشيك وجولار .

■ **النقابات :** يشترك العمال فى النقابات والاتحادات بمقتضى القانون . ولكل خمس نقابات أن تكون اتحادا .

■ **الاقتصاد :** يقدم الانتاج الزراعى ٢٥ فى المائة من الدخل القومى و ٧٠ فى المائة من الصادرات ، ويعتمد أساسا على البن والكاكاو ، ويستخرج الحديد والمنجنيز ، وهناك صناعة النسيج والبترول والنحاس .

وتبلغ نسبة العمالة ٠٧ر٣٠٪ من السكان يعمل بالزراعة ٨٧ر٤٨ فى المائة، وفى النقل والمواصلات ١٢ر٣٣٪ ، والصناعة ١ر١٨٪ . وتصل البطالة الى مليون . وتبلغ الاستثمارات الاجنبية ٣٦٧٢ مليون دولار منها ١٣٥٠ مليون دولار تملكها أمريكا .

كولومبيا

■ **المساحة : ٣٣٨ر١٣٨ر١ كم .**

■ **السكان : ٠٠٠ر١٥٦ر٢١ نسمة .**

■ **العاصمة : بوجوتا**

■ **اللغة : الاسبانية**

■ **التطور التاريخى : اكتشفت فى الفترة من ١٥٠٠ الى ١٥٣٨ ووزعت الارض على الغزاة والتجار والاعيان . ونشب الصراع بين المولدين والاسبان فى ١٧٨١ . واطلقت بها " صرخة الاستقلال " فى يوليو ١٨١٠ خلال هبة شعبية ، واعلن الاستقلال فى ١٨١٣ ولكن أعيد حكم الاسبان فى ١٨١٧ . وحررها بوليفار واعلنت الجمهورية فى ١٧ ديسمبر ١٨١٩ . واختير بوليفار رئيسا ومات فى ١٨٣٠ . وصدر الدستور فى ١٨٨٦ . وتميز القرن ١٩ بالحروب الاهلية بين الليبراليين والمحافظين وزاد تسلل انجلترا التى سيطرت على البن المحصول الاساسى . ولكن سرعان ماحلت أمريكا محلها .**

وبين ١٩٤٨ ، ١٩٥٧ احتدمت الحرب الاهلية بين الليبراليين والمحافظين وفى ١٩٥٧ تكونت حكومة تضمهما معا . وتم تعديل الدستور ١٩٥٩ بما يقضى بتبادل الرئاسة بين الحزبين كل أربع سنوات. وقد أعلنت الطوارىء فى ١٩٦٥واستمرت حتى ١٩٦٨ . وفى عام ١٩٦٩ زادت الاضطرابات السياسية وانفجرت حرب العصابات .

■ **الاحزاب : فى ١٩٥٧ وقع ميثاق بين الحزبين الليبرالى والمحافظ يقضى بتبادل الحكم بينهما حتى عام ١٩٧٣ وهذان الحزبان هما الوحيدان الذى يعترف بهما القانون .**

اما الحزب الشيوعى فقد تكون فى ١٩٣٠ وهو شبه شرعى فى المدن ولكن أعضاءه مطاردون فى الريف . ويمثل الحزب المحافظ الذى أسس فى القرن التاسع عشر ، مصالح كبار الملاك والرأسماليين وينقسم الى ثلاث تيارات اما الحزب الليبرالى فيمثل القسم الاقل تخلفا من البورجوازية .

■ **النقابات : يشترك العمال فى ثلاث اتحادات هى : الاتحاد المركزى لعمال كولومبيا المرتبط بالحكومة ، واتحاد عمال كولومبيا ، والاتحاد النقابى للعمال .**

■ **الاقتصاد : تبلغ العمالة ٣٣٪ من السكان يعمل مايزيد عن نصفهم فى الزراعة وحوالى ١٠٪ فى الصناعة . وتعتمد الحياة الاقتصادية على البن .**

كوستاريكا

■ **المساحة** : ٥٠٫٧٠٠ كم٢ .
■ **السكان** : ١٦٫٦٤٥ر٠٨١ نسمة .
■ **العاصمة** : سان جوزيه .
■ **اللغة** : الاسبانية .
■ **التطور التاريخي** : اكتشفها كولمبس في رحلته الرابعة في ١٥٠٢ . وبدأ الاسبان غزوها في ١٥٠٩ وفي ١٥٣٩ الحقوها بجواتيمالا ثم استقلت في ١٨٢١ ، وفي ١٨٢٢ ضمت للمكسيك ، وفي ١٨٢٣ ضمت لاتحاد وسط امريقيا ، واستقلت في ١٨٣٨ . وزادت مساحة زراعة البن بها ، وبدأ التسرب الامريكي . وفي ١٨٥٧ غزاها وليام ووكر الامريكي بتحريض ملاك العبيد في جنوب الولايات المتحدة الذين أرادوا الحاقها باراضيهم لتدعيم موقفهم في مواجهة الولايات الشمالية . وفي بداية القرن العشرين زاد التدخل الامريكي واشتد النضال العمالي . وأصبح الموز يمثل ٤٦٪ من الصادر والبن ٢٨٫٩٪ منه . وفي ١٩٤٨ أدى تزوير الانتخابات الى الحرب الاهلية وتولى الحكم جوزيه فيجوير رئيس الحزب الاشتراكي للتحرر الوطني ، الذي تولى أيضا في ٥٣ ـ ١٩٥٨ ، وفي ١٩٧٠

■ **الاحزاب** : احزاب البرجوازية هي : **الحزب الليبرالي الوطني ، والحزب الجمهوري الوطني ، والحزب الاتحادي الوطني ، والديمقراطي المسيحي .**

أما القوى الثورية فمتظمة في حزب الطليعة الشعبية الذي تكون في ١٩٤٣ وحزب **العمل الديمقراطي الشعبي** الذي تشكل في ١٩٦١ واشترك في انتخابات ١٩٦٢ مؤيدا من الشيوعيين ، وحزب **التحالف الشعبي الاشتراكي** الذي تأسس في ١٩٦٥ ، والحزب **الاشتراكي الكوستاريكي تكون في ١٩٦٢** . وهو حزب غير شرعي .

■ **النقابات** : الاتحاد العام لعمال كوستاريكا ، وتكون في ١٩٤٣ وهو اقوى التنظيمات .

■ **الاقتصاد** : تبلغ نسبة العمالة ٣٠٪ من مجموع السكان يعمل نصفهم في الزراعة وتربية الماشية ، ١١٪ منهم في الصناعة ، و٣٪ منهم في المناجم و١٥٪ في الخدمات وتبلغ الاستثمارات الاجنبية ٦٣ مليون دولار معظمها تملكه أمريكا . والانتاج اساسا زراعي .

كوبا

■ **المساحة** : ١١٤٫٥٢٤ كم ٢ .
■ **السكان** : ٨٫٥٥٣٫٣٩٥ نسمة
■ **العاصمة** : هافانا .
■ **اللغة** : الاسبانية .
■ **التطور التاريخي** : نزلها الاسبان في ١٤٩٢ ووجدوا بها حوالي ١٠٠ الف من السكان المحليين اخضعوهم للعبودية وانخفض عددهم الى ٥ آلاف فحتب فجلب الاسبان الافريقيين .

وقد احتلت انجلترا هافانا في النصف الثاني من القرن ١٨ ، وبدأ الصدام بين المولدين الذين نما وعيهم الوطني وبين الاسبان ، وقد ساهمت حركة الاستقلال التي تفجرت في أمريكا الاسبانية في القرن التاسع عشر في بعث المقاومة في كوبا وانفجرت حرب الاستقلال في ١٨٦٨ ثم تفجرت مرة أخرى في ١٨٩٥ وعندما اتضح أن أسبانيا ستهزم اعلنت امريكا الحرب عليها . وعندما انتصرت أمريكا احتلت كوبا في ١٩٠٢ وحصلت على امتياز قاعدة جوانتانامو . وفرضت امريكا بالتعاون مع البورجوازية سيطرتها الاقتصادية وفي ١٩٢٥ تكون الحزب الشيوعي . وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بدأ التمرد ضد باتيستا بقيادة كاسترو وعندما قبض عليه القى في المحكمة خطبة عرض فيها البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي لحركة ٢٦ يوليو وخلال النضال توحدت حركة ٢٦ يوليو وحركة الادارة الثورية وحركة ١٣ مارس ، والحزب الاشتراكي الثوري وانسوا بعد النصر «**الحزب الموحد للثورة الاشتراكية في كوبا**» . وقد نظم كاسترو في ١٩٥٦ مجموعة مسلحة في المكسيك نزل بها على شاطيء جراغا وجبال سيرامايسترا وسقط باتيستا في اول يناير ١٩٥٩ وفي ابريل ١٩٦١ دبرت امريكا عملية خليج الخنازير لغزو كوبا ولكن الشعب قضى عليها في ٧٢ ساعة .

■ **الاحزاب** : وتم حل الاحزاب الرجعية وتكوين الحزب الموحد للثورة الاشتراكية الذي أصبح حاليا **الحزب الشيوعي الكوبي** وهو قائد الدولة والحكومة . أما التنظيم النقابي فهو اتحاد عمال كوبا الثوري ويضم ٢ مليون عضو .

■ **الاقتصاد** : يبلغ عدد العاملين ٢٫٥ مليون . وليس هناك بطالة . وتبلغ نسبة العاملين بالزراعة ٣٣٫٤٪ وبالخدمات ٣٣٫٢٪ ، وبالصناعة والمناجم ١٥٪ ، وبالتجارة ١٠٪ ، وبالبناء ٤٫٧٪ . والاقتصاد اساسا زراعي تنظمه الدولة . وفي ١٩٦٨ تم تأميم تجارة التجزئة وكثير من المشروعات الخاصة .

شيلي

■ **المساحة** : ٧٤١٫٦٧٦ كم ٢ .
■ **السكان** : ٨٫٨٣٤٫٨٢٠ نسمة .
■ **العاصمة** : سانتياجو .
■ **اللغة** : الاسبانية .
■ **التطور التاريخي** : اكتشفها ماجلان البرتغالي في ١٥٢٠ ، وفي ١٥٤٠ غزاها الاسبان وأبادوا معظم سكانها من الهنود وبدأوا في استغلال الاراضي والمناجم وتربية الماشية . وفي القرن الثامن عشر نمت بها طبقة تجارية هامة من المولدين . وناضلت هذه البورجوازية التجارية في سبيل حرية التجارة . وتأثر شبابها بأفكار الثورة الفرنسية واتجهت حركتهم الى المطالبة بالاستقلال . واعلن اول حكومة في ١٨١٠ وتم تدمير الجيوش الاسبانية وبدأ التسلل الانجليزي بمنح القروض للدولة الجديدة والسيطرة على التجارة ، وحذت حذوها أمريكا . وعقب الحرب العالمية الاولى تضاعف التسلل الامريكي وبدأ نضال العمال وتمت مواجهته بقسوة ففي ١٩٠٦ ذبح ٢٠٠٠ عامل في احد الاضرابات ، مما ادى الى قيام تنظيمين : الاتحاد العمالي والحزب العمالي الاشتراكي والذي تحول الى الحزب الشيوعي في ١٩٢٢ ، وتوالت الانقلابات وتبادل الحكم بين الليبراليين والمحافظين وفي ١٩٣٨ انتصرت الجبهة الشعبية المكونة من الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين وأوصلت مرشحها لرئاسة الجمهورية . وبعد ذلك بعشر سنوات أيد الشيوعيون والاشتراكيون جونزالير في الانتخابات وعندما وصل الى الرئاسة طاردهم . وفي ١٩٥٢ عادت الحركة الشعبية للازدهار . وفي ١٩٥٨ تكونت جبهة العمل الشعبي من الاشتراكيين والشيوعيين والديمقراطيين . واستمرت الجبهة تقوى صفوفها وانضمت اليها تنظيمات أخرى حتى اوصلت مرشحها سلفادور الليندي الى الرئاسة في سبتمبر ١٩٧٠ .

■ **الاحزاب** : هناك احزاب كبيرة منها : الحزب **المحافظ ويمثل اصحاب** الاقطاعيات الاشد رجعية ، **والحزب الليبرالي** ويمثل البورجوازية المالية المرتبطة بالمستثمرين الاجانب والبنوك وقد سيطر على الحكم منذ ١٩٢٨ ، والحزب **الراديكالي** ويضم البيروقراطيين وبه تيار يساري قوى ، **الحزب الديمقراطي المسيحي** وهو انقسام من الحزب المحافظ ، وهو حزب اصلاحي به تيار يميني قوى . أما الحزب **الشيوعي** فقد ولد خلال نضال العمال ويسارك

المناجم وهو أكبر حزب شيوعي في القارة . الحزب **الاشتراكي** وغالبية اعضائه من العمال خاصة عمال النحاس والموظفين والمثقفين ، **حزب جبهة العمل** الشعبي .

■ **النقابات** : يضم اتحاد العمال ٦١٥ الف عامل وهو الاتحاد الوحيد .

■ **الاقتصاد** : تبلغ العمالة ٣٢٪ من مجموع السكان ، يعمل ربعهم في الخدمات ، وثلثهم في الزراعة ، و١٧٪ في المناجم . وقد بلغت الاموال الاجنبية — قبل التأميم مليار دولار معظمها من أمريكا ، ٢٠٠ مليون دولار منهما في المناجم ، ويعتمد الاقتصاد أساسا على استخراج المعادن من باطن التربة ، اما الانتاج الزراعي فهو غير كاف ، مما يجعلها تستورد أغذية سنويا بمبلغ ١٢٠ مليون دولار .

اكوادور

■ **المساحة** ، ٢٧٠ر٦٧٠ كم ٢

■ **السكان** : ٤ر٨٧٧ر٠٠٠ نسمة .

■ **العاصمة** : كيتو

■ **اللغة** : الاسبانية

■ **التطور التاريخي** : غزاها الاسبان في ١٥٦٣ . وفي بداية القرن ١٩ بدأ الملاك المولدين نضالهم لازاحة الاسبان . وتم الحصول على الاستقلال في ١٨٣٥ واحتدم الصراع بين المحافظين الذين يمثلون كبار الملاك العقاريين وبين الليبراليين الذين يمثلون البورجوازية التجارية . وتعاقبت عليها عدة دكتاتوريات طويلة الأجل مثل دكتاتورية جوان جوزيه ودكتاتورية جارسيامورينو استمرت كل منهما ١٥ سنة . وقد انتصرت الاتجاهات الليبرالية في ١٨٩٥ بعد ٣ سنوات من النضال وتولى الحكم الفارو ، الذي أصلح المؤسسات الاجتماعية وان أبقى على الهيكل الاقطاعي وساند كوبا في نضالها الاستقلالي واغتيل في ١٩١٢ . واستولت أقلية الماليين المرتبطة بمصدري الكاكاو على الحكم وملاك الارض والامبريالية . وفي الثلاثين عاما الاخيرة سيطر عليها فيلاسكو ايبارا . ثم جاء العسكريون المرتبطون بالترستات البترولية الامريكية .

■ **الاحزاب** : يمثل الحزب المحافظ مصالح كبار الملاك والكنيسة . اما **الحزب الليبرالي** فيتحدث باسم التجار والبنوك . وقد اختفى التناقض بينهما وضمن رأس المال والملاك استمرار حكمهم .

أما الحزب الاشتراكي فقد تكون في ١٩٢٥ وفي ١٩٣٢ انفصل عنه الجناح اليساري واسس الحزب الشيوعي وهو غير شرعي . كما انفصل عنه أيضا « الحزب الاشتراكي في اكوادور » وهو حزب يميني وكذلك **الحزب الاشتراكي** الثوري وهو حزب ماركسي .

■ **النقابات** : خلال المد الثوري في ١٩٤٤ تأسس اتحاد عمال اكوادور ويسيطر عليه الشيوعيون والاشتراكيون وهناك اتحاد عمالي كاثوليكي .

■ **الاقتصاد** : يبلغ عدد العاملين ١ر٥ مليون . يعمل نصفهم في الزراعة و١٤٪ منهم في الصناعة التحويلية ، و٢٧٪ في الخدمات . اما العاطلين فنصف مليون .

السلفادور

■ **المساحة** : ٢١ر٣٩٣ كم ٢

■ **السكان** : ٣ر٣٢٤ر٥٥٠ نسمه .

■ **العاصمة** : سان سلفادور .

■ **اللغة** : الاسبانية .

■ **التطور التاريخي** : نزل بها الاسبان في ١٥٢٢ ، وفي ١٥٣٩ تأسست العاصمة . وقد نزع الغزاة الارض وكونوا اقطاعيات واتبعوا سياسة المحصول الواحد ، واعلن استقلالها في ٢١ سبتمبر ١٨٢١ .

وفي بداية القرن ٢٠ سيطرت رؤوس الاموال الامريكية على اقتصادها ، وفي ١٩٣٢ اغرق الجنرال مكسيميليانو ارناندير الحركة الشعبية في حمام من الدم وقتل ٢٠ الفا بينهم عدد من القادة الشيوعيين : فرابوندومارتي ، ماريوزاباتا ، الفونسو لونا . وتعاقب عليها العسكريون الذين فتحوا الباب على مصراعيه للولايات المتحدة .

■ **الاحزاب** : تأسس الحزب الشيوعي في ١٩٢٩ ويعمل سرا منذ ١٩٣٢ . ويدعو لوحدة قوى المعارضة للنضال ضد السيطرة الاجنبية والاوليجاركية المحلية . وهناك « حزب ابريل ومايو الثوري » ويضم التقدميين وهو حزب غير شرعي . وكذلك الحزب الراديكالي الديمقراطي ويضم صغار الفلاحين واقسام من البورجوازية المتوسطة وهو غير شرعي . والحزب الديمقراطي المسيحي وهو حزب رجعي موال للامبريالية ويمثل كبار الصناعيين .

■ **النقابات** : التنظيم الاساسي هو الاتحاد العام لعمال سلفادور ، ولكن هناك نقابات قوية مستقلة .

■ **الاقتصاد** : يبلغ عدد العاملين ٨٠٦ آلاف ، يعمل ٦٠ر٢٪ منهم في زراعة المحصول الواحد وهو البن . ويصل عدد العاطلين الى ١٠٠ الف . والاستثمارات الاجنبية معظمها مملوك للولايات المتحدة ■

جواتيمالا

■ **المساحة** : ١٠٨ر٨٨٩ كم ٢

■ **عدد السكان** : ٤ر٨٦٣ر٥٢٠ نسمة

■ **العاصمة** : جواتيمالا .

■ **اللغة** : الاسبانية .

■ **التطور التاريخي** : وجد بها الاسبان حضارة « المايا » الزاهرة التي شملت جنوب شرق المكسيك وشمال هندوراس ، وحصلت على استقلالها دون حرب في ١٥ سبتمبر ١٨٢١ . ولم يؤد الاستقلال الى اي نوع من الاصلاح بل تدعمت علاقات الاقطاع ، وسيطرت الملكية الكبيرة ، واستغل الهنود سكان البلاد الاصليين . تولى الحكم فيها من ١٨٧٣ الى ١٨٨٥ جوستورو فينو وادخل عدة اصلاحات اجتماعية واقتصادية هامة . وبعد جاء عدة طغاة فتحوا الباب لرأس المال الامريكي . وفي ١٩٣٠ تولى الرئاسة الجنرال جورج أوبيكو واستمر ١٤ عاما حول البلاد فيها الى ضيعة له وطرده الشعب في ١٩٤٤ . وفي ١٩٥٠ تولى الرئاسة الكولونيل جاكوبو أربنز جوزمان احد قادة النضال ضد الديكتاتورية . واتخذ اجراءات ثورية ، خاصة الاصلاح الزراعي وتوزيع الاراضي على ١٢٠ الف أسرة ، فأثار معارضة أمريكا لانه اضر بمصالح « شركة الفواكه المتحدة » . فاتفقت وكالة المخابرات المركزية والبنتاجون احد العسكريين وهو كارلوس كاستللو آرماس ، وقلبت اربنز . وفي ١٩٥٧ اغتيل كاستللو آرماس على يد شركائه . وتكررت الانقلابات من ذلك الحين ، وفي ١٩٦٤ اشترك الحزبان الرسميان وهما الحزب الثوري وحزب حركة التحرير الوطني ، وتسودها القلاقل فمن نوفمبر ١٩٧٠ الى فبراير ١٩٧١ وقع بها ٧٠٠ حادث اغتيال سياسي . وفي مارس ١٩٧٠ فاز في الانتخابات ممثل اليمين الكولونيل كارلوس آرانا أوسورو ، والذي قضى على ثورة الفلاحين في ١٩٦٦ و ١٩٦٨ .

■ **الاحزاب** : احزاب اليمين هي : الحزب الدستوري الديمقراطي وحزب حركة التحرير الوطني ، والحزب الديمقراطي المسيحي ، والحزب الثوري .

أما اليسار فيتكون من حزب الوحدة الثورية وهو غير شرعي . وحزب الاتحاد الثوري الديمقراطي وهو يسار وسط . حزب العمل الجواتيمالي [شيوعي] وقد تأسس في ١٩٤٩ من قوى النضال المسلح وهو غير شرعي .

■ النقابات : حاول آرماس تحطيم الاتحاد العام لعمال جواتيمالا ولكنه لم ينجح ■

■ **السكان والاقتصاد :**
الاقتصاد : أساسى زراعى ــ القطن والذرة والبن والخشب .
يتكون السكان من ٦ر٥٣٪ من الهنود ، ومن ٤ر٤٦٪ من المخلطين . وتبلغ نسبة العاملين ٦ر٣٣٪ من مجموع السكان ، يعمل ٦٨٪ منهم فى الزراعة و ٥ر١١٪ فى الصناعة ، وعدد العاطلين ٣٠ الفا . وقد بلغت الاستثمارات الاجنبية ١٢٢ مليون دولار اساسا فى الخدمات العامة والبترول .

هايتى

■ **المساحة :** ٧٥٠ر٢٧ كم ٢

■ **عدد السكان :** ٠٠٠ر٥٥١ر٤ نسمة

■ **العاصمة :** بورأوبرنس

■ **اللغة :** الفرنسية

■ **التطور التاريخى :** اكتشفها كولمبس فى ٦ ديسمبر ١٤٩٢ ، واسماها هسبانيولا واستاصل الاسبان سكانها البدائيون من هنود الكاريبى ، وبدأوا فى استخدام العبيد من الافريقيين اليها . بدأت فرنسا تنشىء بها متاجر فى ١٦٢٦ واحتلتها فى ١٦٩٧ ، واستوطنها زراع القطن والقصب والبن الذين اعتمدوا على العمل الافريقى ، وفى ١٧٩١ تمرد هؤلاء العبيد وتدفقوا من الجبال واحرقوا مزارع المستوطنين الفرنسيين الذين هربوا الى كوبا وطوروا بها زراعة البن . وأعلن الاستقلال فى يناير ١٨٠٤ واختير جان جاك ديسالين حاكما مدى الحياة ولكنه قتل بعدها بسنتين وتوالت عدة حكومات مستبدة منها حكومة جان بيير لوبير التى الغت العبودية فى ١٨٢٢ وغزت سان دومنجو . وتميز النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين باحتدام الصراع الداخلى وتعاقب على البلاد ٢٢ رئيسا منهم ١٠ جنرالات فتحوا الباب لرأس المال الامريكى . وقد غزتها الولايات المتحدة فى ٢٨ يوليو ١٩١٥ وظلت بها ١٤ عاما ونصبت عليها عملاءها

■ **الاحزاب :** حزب الوفاق الشعبى [شيوعى] وهو أقوى التنظيمات الشعبية وهو غير شرعى . وهناك ايضا حزب التحالف الشعبى ، والحزب الشعبى للتحرر الوطنى . وقد كونت هذه الاحزاب فى يوليو ١٩٦٣ الجبهة الديمقراطية الموحدة للتحرر الوطنى . وهناك ايضا الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى وهما ممنوعان .

■ **النقابات :** الاتحاد القومى لعمال هايتى ، وتسيطر عليه الحكومة .

■ **الاقتصاد :** عدد العاملين ٥١٪ من مجموع السكان ، يعمل ٢ر٨٣٪ منهم فى الزراعة ، ٩ر٤٪ فى الصناعة ، وهناك حوالى مليون عاطل . وقد بلغت رؤوس الاموال الاجنبية التى دخلت الى البلاد من ١٩٥١ الى ١٩٦٠ ، ٥ر٢١ مليون دولار . وتسيطر الاحتكارات الامريكية على الاقتصاد والانتاج اساسا زراعى : البن والقطن والكاكاو والسيسال .

هندوراس

■ **المساحة :** ٠٨٨ر١١٢ كم٢ .

■ **السكان :** ٠٠٠ر٠٢٨ر٢ نسمة

■ **العاصمة :** تيجوسيجاليا .

■ **اللغة :** الاسبانية .

■ **التطور التاريخى :** نزل بها الاسبان فى ١٤٩٨ ، ووجدوا سكانا يعيشون فى «كميونات» زراعية ، وتربى الماشية فاستولوا على الارض ، وحولوا السكان الى عبيد ، وهرب هؤلاء الى الجبال من نظام العبودية فالغتها اسبانيا وانشأت نظاما اقطاعيا . بدأ الاستعمار الفعلى فى ١٥٢٤ ، وتدعم فى ١٥٧٨ بعد اكتشاف الفضة . واستقلت فى ١٨٣٨ وخلال النصف قرن التالى بذلت عدة محاولات للاتحاد ، ودخلت فى حرب مع كل من جواتيمالا ونيكاراجوا ، وفى الحرب التى خاضتها بلدان وسط امريكا ضد المغامر وليام ووكر الذى دعمته امريكا لغزوها . وقد بدأ التسرب الرأسمالى الامريكى اليها فى بداية القرن ، واحتلتها القوات الامريكية فى ١٩٢٤ . وتوالت عليها الانقلابات والحكومات العسكرية ، او التنظيمات الرجعية مثل الحزب القومى الليبرالى . وفى انتخابات مارس ١٩٧١ فاز الجنرال ازوالدو لفير .

■ **الاحزاب السياسية :** يحتكر العمل السياسى الحزب الليبرالى ، وهو حزب وسط يمينى ، وكذلك الحزب الوطنى وهو يمينى متطرف وكذلك حزب الحركة الاصلاحية الوطنية وهو يمينى ، والحزب الجمهورى الارثوذكسى الليبرالى ، والحزب الشعبى التقدمى ، والحزب الشيوعى وهو حزب غير شرعى ، وان استطاع رغم قسوة المعارضة نشر الوعى بين صفوف العمال . وقد تكونت جبهة المنظمات المتحدة للمعارضة وتضم منظمات سياسية ونقابية مختلفة .

■ **التنظيم النقابى :** اهم التنظيمات هو الاتحاد المركزى لنقابات العمال الحرة ويديره الليبراليون .

■ **الاقتصاد :** يمثل العاملون ٣٤٪ من مجموع السكان ، يعمل ٦٦٪ فى الزراعة و ٧ر٧٪ فى الصناعة و ٣ر٠٪ فى المناجم ، ونسبة المتعطلين ٦٪ والانتاج اساسا زراعى . والاستثمارات الاجنبية معظمها من الولايات المتحدة .

جمايكا

■ **المساحة :** ٩٦٢ر١٠ كم

■ **السكان :** ٠٠٠ر٧٢٨ر١ نسمة

■ **العاصمة :** كنج ستن

■ **اللغة :** الانجليزية

■ **التطور التاريخى :** اباد الاسبان سكانها الاصليون . ثم احتلها الانجليز فى ١٦٥٥ وقاومهم العبيد حتى ١٧٤٠ . وفى معاهدة مدريد ١٧٦٠ بين اسبانيا وانجلترا أصبح لهذه الاخيرة السيادة على الجزيرة . واستخدموا العبيد الافارقة فى زراعة قصب السكر ، ثم الغيت العبودية فى ١٨٦٦ ، وصدر قانون من البرلمان البريطانى بجعلها مستعمرة من مستعمرات التاج لها حكومة داخلية . ويساعد الحاكم البريطانى لها مجلس تشريعى كان فى البدء يعين بالكامل ثم أصبح يشكل بالتعيين والانتخاب ، وصدر دستور جديد وفى ١٩٦١ تم استفتاء اختارت فيه الاغلبية الاستقلال ، وتم الاستقلال فى اغسطس ١٩٦٢ .

■ **الاحزاب :** فى أول انتخابات عامة بموجب دستور ١٩٤٤ تنافس فيهما حزبان : حزب عمال جمايكا والحزب الوطنى الشعبى ويقودهما قريبان ونسيبان لبعضهما وهما الكسندر بوستاونت ونورمان مانلاى ، وهما يتبادلان الحكم دون ان يكون بينهما اى تمايز سياسى .

■ **النقابات :** هناك ٢٠٠ الف عامل منظمون فى نقابات اهمها : اتحاد عمال الصناعة ، والاتحاد النقابى العمالى ، واتحاد النقابى واتحاد عمال جمايكا .

■ **الاقتصاد :** تبلغ نسبة العاملين ٠ر٤٠ فى المائة من مجموع السكان ، يعمل فى الزراعة والصيد ٤٨ فى المائة منهم ، وفى الخدمات ١٧ فى المائة وفى الصناعة التحويلية ٣ر١٢ فى المائة . والاقتصاد أساسا زراعى .

المكسيك «الولايات المتحدة المكسيكية»

■ **المساحة :** ٥٤٦ر٩٧٢ر١ كم٢

■ **السكان :** ٠٠٠ر٦٤٣ر٣٩ نسمة

■ **العاصمة :** مكسيكو

■ **اللغة :** الاسبانية

■ التطور التاريخي : اكتشفت في عـــام ١٥١٧ وتـــم غـــزوها فـــي العـام التالي • وثبتت اقـدام الاستعمار في القرن ١٧ ، وزادت عملية الاختلاط والتوالد وظهر المولدون كطبقةاجتماعية . وافتتحت فيها أول جامعة في القـارة وأول مطبعة . وفي القرن ١٨ بـدأ المولدون يشكلون مجتمعا اصيلا يزداد وعيه القومي • وأعلن الاستقلال فـي ١٨٢١ • وفـي العـام التـالي أعلـن اتوربيد الـذي تـولى الحكـم واعلن قيـام امبراطورية مكسيكية ولكن السخط الشـعبي أجبره على التنازل واستغلت أمريكا حالة عدم الاستقرار لتستولي في ١٨٤٦ على تكساس التي كانت جزءا من المكسيكوكذلك ولاية اويزونا ،وانهارت الملكية فـي ١٨٦٧ ولكن العنف تجـدد حتـى ١٨٧٦ حيث قـامت دكتـاتورية الجنرال بورفيرو دياز التي دعمتمراكز الملكية العقارية ، وفتحت البـاب لرأس المال الامريكي . ولكن اطاحت به«الثورة المكسيكية » وهي الثورة البرجـوازية الديمقراطية المعادية للامبرياليـــة في ١٩١٦ ــ ١٩١٧ والتي لعب دورا كبيـرا في الإعداد لها الحزب الليبرالي المكسيكي والحركة العمالية التي اسست النقابات الحمراء • كما تمرد الفلاحون لعـدم تحقيق الاصلاح الزراعي بقيادةايميليانو زاباتا الذي طالب بمصادرة الاقطاعيات والاصلاح الزراعي . ونظمت الولايـات المتحدة انقلابا عسكريا في ١٩١٣ ، وغزت البلاد في ١٩١٤ ، واجتـاحت حدودها الشمالية في ١٩١٦ . ولـم يطبق الاصلاح الزراعي الا في ١٩٣٤ في ظل رئاسة لازار الذي طور التعليم وصادر ملكيات ترستات البترول الاجنبية في ١٩٣٨ وامم السـكك الحديدية . وتدعمت حركة الطبقة العاملة بانشـاء اتحاد عمال المكسيك . وتوالت عليهـا الحكومات العسكرية الموالية لامريكا .

■ الاحزاب : هنـــاك الحـــزب الثوري الدستوري الذي خلف الحـزب القومي الثوري الذي تكون في ١٩٢٨ ، وحزب العمل الوطني اليميني الذيتأسس في ١٩٤٠ ،والحزب الاشتراكي الشعبي ، والحزب الشيوعي الذي تاسس في ١٩١٩

■ النقابات : تأسس اتحاد عمال المكسيك في ١٩٣٦ وهو اقوىالاتحادات، ثم الاتحاد الاقليمي للعمال والفلاحين•

■ الاقتصاد : تبلغ نسبة السـكان العـاملين ٣٤ في المائة من مجمـوع السكان يعمل ٥ر٥٢ في المائة منهم في الزراعة ، ٤ر١٢ في المائة في الصناعة و ٢ر١ في المائة في المناجم ،ويبلغ عدد العاطلين ١٨٨ الفا ، ويبلغ رأس المال الاجنبي ١٥٠٠مليون دولار ، ١٣٠٠مليون منها من الولايات المتحدة ، تتركز أساسا في الصناعة التحويلية •

نيكاراجوا

■ المساحة : ٧٠٠ر١٣٩ كم٢

السكان : ٠٠٠ر٥٩٧ر١ نسمة

■ العاصمة : ماناجوا

■ اللغة : الاسبانية

■ التطور التاريخي : بدأ استعمارها فـي ١٥٢٣ ، والحقهـا الاسبانيـون بجـواتيمالا ، وأصـبحت مستقلة فـي ١٨٢١ ، وتوحدت مـع المكسيك أولا ثم في اتحاد وسط امريكا واستقلت مرة أخرى في ١٨٣٨ • ولكن الصراع الداخلي احتدم بين الليبراليين والمحافظين • وفي ١٨٥٥ غزاها المغامر الامريكي وليـام ووكر ونصب نفسه رئيسا لها وفرض العبودية واعترفتبحكمه الولاياتالمتحدة ولكن الشعب طرده في ١٨٥٧ ، وقد سيطرت الولايات المتحدة في بداية القرن على اقتصادها،وغزتها في ١٩١٢واحتلتها حتـى ١٩٢٥ ، وحصلت منهـا بامتياز على حفر قناة في ١٩١٤ لمدة ٩٩ عاما ، وبناء قواعد بحرية . وفي ١٩٢٦ احتلتها من جديد واستمر النضال ضدهـــا ٧ سنوات حتى ١٩٣٤ . ونصبت امريكا عملاءها حكاما لها •

■ الاحزاب : الاحزاب التقليدية : الحزب الليبرالي القومي،وهو حزب حكومي يمثل البرجوازية المرتبطة بالاحتكـارات الامريكية ، والحزب المحـافظ التقليدي ويمثـل كبـار المـلاك العقـاريين ، والحزب الليبرالي المستقل وهـو حـزب البرجوازية المعارضة .

الاحزاب التقدمية : الحزب الاشتراكي النيكارجوي تاسس في ١٩٣٠ باسـم حزب عمال نيكارجوا ، ويضم الماركسيين وهو غير شرعي .

■ النقابات : تاسس الاتحاد القومي لعمال نيكارجوا في ١٩٥٣ ، والاتحاد العام للعمال في ١٩٤٩ ، واتحـــاد النقابات الحرة في ١٩٥٩ ، واتحـــاد نقابات المعلمين في ١٩٤٧ .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٣١ في المائة من مجموع السكان ، يعمل في الزراعة ٢٢٢٤١٠ عاملا وفي الصناعة التحويلية ٥٤٢٩٠ عاملا والصــناعة الاستخراجية ٤٦٧٢ عاملا . والبلـد اساسا زراعي وقد بلغت الاستثمارات الاجنبية التي دخلت اليه من ١٩٥١ الى ١٩٦٠ ، ٤ر٤٦ مليون دولار . ويسيطر على الاقتصاد مشروعين امريكيين هما « شركة الفواكه المتحدة » و « امريكان ريز » •

بنمـــا

■ المسـاحة : ٦٥٠ر٧٥ كم٢

■ السكان : ٦٢٤ر٢٤٣ر١ نسـمة

■ العاصمة : بنما

■ اللغة الاسبانية

■ التطور التاريخي : تحولت لمركز تجـاري ابتـداء مـن القـرن ١٧ لتوزيع العبيـد على أيدي التجـار الانجليز • وفـي ١٨٢١ انضمت الى كولمبيا وفـي ١٨٧٨ حصلت فرنسا على امتياز حفر قناة بها ولكنها فشلت فحصل الامريكيون على الامتياز في ١٩٠٣ ورفض برلمان كولمبيا ، فحرضت امريكا الاوليجاركية المحلية على الانفصال عن كولمبيا واعلن الاستقلال في العام نفسه ، وكبلت امريكا الدولة الجديدة بمعـاهدة ، وبدأت حفر القناة في ١٩٠٦ حتـى ١٩١٤ • كمـا استولت على مساحة تبلغ ١٤٣٢ اقامت بها قاعدة عسكرية يحكمها حاكم امريكي بعينـه الرئيس الامريكي ويتولى كـل السلطات حتى العدالة مقابل ايجار قدره ٢ مليون دولار ، ولكن القناة وحـدها تدر لامريكا ١٠٠ مليون دولار سنويا • وقد حكمها من ١٩٠٣ حوالي ٤٠ رئيسا تربطهم صلة القرابة ويعملون في خدمة امريكا •

■ الاحزاب : تعددت الاحـــزاب اخيرا لاغراض انتخابية [اكثر من ١٨ حزب) بينها الحزب الليبرالي الوطني ، والجمهوري والوطني •

وهناك اكثر من اتحاد نقابي اهمهـا الاتحاد النقابي لعمال جمهورية بنمـــا الذي تأسس في ١٩٤٧ .

■ الاقتصاد : تبلغ العمالة ٢٨ في المائة من مجموع السكان وهم ٣٣٠ الفا ، يعمل١٥٣ الفا منهم فيالزراعة ، و٢٢في الصناعة ويمثل العاطلين ٢ر٩ في المائة والانتاج الزراعي هو الاساسي •

بـــارجـــواي

■ المساحة : ٤٥٢ر٤٠٦ كم٢ ■

■ السكان : ٠٠٠ر٩٤٩ر١ نسـمة ■

■ العاصمة : اسومبسيون ■

■ اللغــة : الاسبانية .

■ التطـــور التـــاريخي : في ١٥٣٧ أسس الاسبان مدينة اسومبسيون،فيها، واخضعوا سكانها للعبودية ، وانتبنوا طرقهم في الزراعة وتربية الماشية ،وقد

لعبت بعثات الجيزويت دورا استعماريا واضحا ومباشرا ، وقامت بها اول ثورة برجوازية ديمقراطية في القارة في ١٥ مايو ١٨١١ للتخلص من سيطرة اسبانيا وحكومة الارجنتين التي حاولت بعد استقلالها في ١٨١٠ ضمها اليها . وقد اقام جاسبارفرنسيادكتاتورية وطنية ثورية في برجواي في ١٨١٢ معتمدا على البرجوازية الريفية ، وناضل من اجل الاستقلال والتقدم الاقتصادي ، وصادر الاقطاعيات ونشر التعليم ونظم حملة لمحو الامية . وحكمتها عصابات عسكرية عملت على اذلال الفلاحين وكبت العمال ، وبين ١٩٢٠ و١٩٣٠ تدفق عليها رأس المال الامريكي . وفي ١٩٣٦ قام تمرد شعبي اوصل الى السلطة الكولونيل رافاييل فرانكو ، صاحب البرنامج الاصلاحي البرجوازي ، الذي تردد ازاء الامبريالية ولم يعتمد على الجماهير . وفي ١٩٣٧ ولمدة عشر سنوات قامت عدة حكومات رجعية ثم قامت هبة شعبية نظمها الشيوعيون ولكنها سحقت . وفي ١٩٥٤ تولى الحكم الجنرال الفريد سترونسر بانقلاب بمساعدة كولورادو وعمل لخدمة امريكا التي سيطرت على الاقتصاد والسياسة الخارجية . ونشبت اضرابات العمال والفلاحين في ١٩٥٩ ، وفي ١٩٦٠ بدأت بها حرب العصابات ، واستمرت القلاقل والحكومات العسكرية .

■ **الاحزاب** : ينفرد حزب كولورادو الرجعي الحكومي بالعمل السياسي ، اما باقي الاحزاب فممنوعة ، وهناك ايضا الحزب الليبرالي وهو ثاني حزب للاوليجاركية ويعمل سرا . وحزب فبراير الذي تكون بعد خيانة قيادة الحزب السابق وهو معاد للامبريالية ، اما اليسار فيمثله حركة كولورادو الشعبية والحزب الشيوعي الذي تأسس في ١٩٢٣ وهو ذو نفوذ قوي ويعمل سرا ويشترك مع حزب فبراير الثوري في الجبهة الموحدة للتحرر الوطني .

■ **النقابات** : اتحاد عمال براجواي ويخدم الحكومة .

■ **الاقتصاد** : تبلغ العمالة ٣٤٪ من مجموع السكان ، يعمل ١٥،٣٪ منهم في الصناعة ، و ٥٢٪ في الزراعة ، و١٪ في المناجم . والانتاج اساسا زراعي وتبلغ الاستثمارات الامريكية ٤٠ مليون دولار .

بيرو

■ **المساحة** : ١،٢٨٥،٢١٥كم٢ .

■ **السكان** : ١١،٣٥٧،٠٠٠ نسمة .

■ **العاصمة** : ليما .

■ **اللغة** : الاسبانية .

■ **التطور التاريخي** : نزل بها الاسبان في ١٥٣١ واستولوا على الارض والمناجم وتمردت الجماهير عليهم في ١٧٨٠ وتم الحصول على الاستقلال في يوليو ١٨٢٢ بفضل بوليفار . وبعد رحيله نشب الصراع بين المدنيين والعسكريين وتأكدت سلطة كبار الملاك العقاريين المولدين . وتولى المارشال رامون كاستيلا الحكم ٣ مرات بين ١٨٤٥ و ١٨٦٢ وحقق بعض الاصلاحات كالغاء العبودية والدستور . وفي ١٩١٩ زاد تسرب رأس المال الاجنبي وفي ١٩٢٤ اسس هايا دي لاتوز [وهو موال لامريكا] حزب «الابرا» الوطني وله برنامج اجتماعي وقاعدة شعبية . وقد هجرته الشخصيات الثورية عندما كشف انه موال لامريكا ومعاد للشيوعية واسسوا في ١٩٢٨ الحزب الشيوعي . وتعاقبت سلسلة حكومات عسكرية .

■ **الاحزاب** : اهم الاحزاب البرجوازية هي : حزب العمل الشعبي ، والاتحاد الوطني ، والابرا . والاثنان الاخيران متحالفان في البرلمان . وفي ١٩٤٥ نشأ حزب ديمقراطي مسيحي . وهناك في اليسار الحزب اليساري ذو النضال الطويل . وهناك ايضا جبهة اليسار الثوري وجبهة التحرر الوطني .

■ **النقابات** : يسيطر اتحاد عمال بيرو الذي يسيطر عليه الابرا على الحركة العمالية .

■ **الاقتصاد** : تبلغ العمالة ٣٧٪ من السكان . معظمهم يعمل في الزراعة ، و١٩٪ منهم في الصناعة و١،٨٪ في المناجم ، وعدد العاطلين ٩٩٠ الفا . واهم قطاعات الاقتصاد وهي المناجم في ايدي الامريكيين وتستخرج الفضة والنحاس والبترول .

بورتوريكو

■ **المساحة** : ٨،٨٩٧كم٢ .

■ **السكان** : ٢،٥٠٠،٠٠٠ نسمة .

■ **العاصمة** : سان جوان .

■ **اللغة** : الاسبانية .

■ **التطور التاريخي** : اكتشفها كولمبس في ١٤٩٣ . واباد الاسبانيون سكانها من الهنود في القرن ١٦ . وتم جلب الزنوج للعمل في المناجم والمزارع ، ونشأ جيل من المولدين . وفي بداية القرن ١٩ تكررت هبات العبيد . وقد حاول بوليفار انتشال السلطة الاسبانية منها ليضمها الى اسرة الشعوب التي حررها . واعلنت الجمهورية في سبتمبر ١٨٦٨ . ولكن الاسبان هزموها وفي ١٨٩٧ سمحت لها اسبانيا بالحكم الذاتي ، وغزتها امريكا واقامت نظاما عسكريا مازال ساريا . وفرض الكونجرس الامريكي عليها احتكارا تجاريا خاصيا في البن . ومنذ ذلك الحين تغرق امريكا تطلعات الشعب للحرية في حمامات الدم . وفي ٢٥ يوليو ١٩٥٢ اعلنت امريكا تحويلها الى الولاية الحرة المتحدة .

الاحزاب : يمثل الراغبون في الانضمام الى امريكا الحزب الحكومي الجمهوري . أما الحزب الشعبي الديمقراطي فيرفع شعار الخبز والارض والحرية ويتعاون مع الادارة الاستعمارية . ويضم الحزب الاستقلالي البورتوريكي الذي اسس في ١٩٤٨ المعتدلين . أما الحزب الشيوعي البورتوريكي الذي يدافع عن مصالح البروليتاريا فيطالب بالاستقلال ويطارده المستعمرون .

■ **النقابات** : ليس لعمال بورتوريكو نقاباتهم الخاصة ، اذ تسيطر التنظيمات النقابية في امريكا عليها كاتحاد العمال الامريكي .

■ **الاقتصاد** : عدد العاملين ٧٥٤ الفا أي ٣٠٪ من السكان ، منهم ١٥٦ الفا في الزراعة وعدد العاطلين ٨٠ الفا . والبلد بأكملها في ايدي رجال الاعمال الامريكيين وتقدر الاستثمارات الامريكية بالف مليون دولار تكسب ٢٠٠ مليون دولار سنويا . والبلد اساسا زراعي .

الدومينيكان

■ **المساحة** : ٤٨،٧٣٤كم٢ .

■ **السكان** : ٤،٣٢٤،٧٦٠ نسمة .

■ **العاصمة** : سان دومنجو .

■ **اللغة** : الاسبانية .

■ **التطور التاريخي** : اكتشفت الجزيرة في ١٤٩٢ بواسطة كريستوف كولمبس وأسماها هيسبانيولا . وفي ١٤٩٦ تأسست العاصمة سان دومنجو وهي اقدم مدينة في العالم الجديد .

وفي القرن السادس عشر تم جلب العبيد الافريقيين لزراعة قصب السكر وفي ١٦٩٧ وبموجب معاهدة رايسفيك منحت اسبانيا فرنسا جزءا من الجزيرة التي انقسمت الى سان دومنجو الاسبانية

وهايتى الفرنسية ». وفى ١٨٢١ أعلنت الدومينيكان الاستقلال ولكن غزاها سكان هايتى واستمر احتلالها حتى ١٨٤٤، حيث تم طرد الغزاة ، وتم اعلان الجمهورية بقيادة الحركة الثورية التى حاكما عليها من ١٩٣٠ الى ١٩٦١ . احتلتها البحرية الامريكية حتى ١٩٢٤، عندما أقيمت حكومة دستورية جديدة ، استمرت أمريكا فى ظلها تسيطر على الاقتصاد . وفى ١٩٤١ أصبحت أمريكا تدير الجمارك فيها وفرضت رفائيل تروجيالو حاكما عليها من ١٩٣٠ الى ١٩٦١ .

وفى ١٩٦٣ تكونت بها حكومة دستورية برئاسة جوان بوش وبعد ذلك بعام قام انقلاب عسكرى وجهته السفارة الامريكية، وفى ١٩٦٥ قاد البيكولونيل فرانشيسكو كامانو انقلابا وأراد تطبيق دستور ١٩٦٣ ولكن أمريكا أنزلت بحريتها واحتلت البلاد فى ١٩٦٥ بحجة حماية مصالحها فيها . وتم تكوين حكومة دستورية برئاسة كامانو ».

وفى ٣١ اغسطس وقع كامانو ممثلا للدستور والعسكريين وأعضاء منظمة الدول الامريكية ميثاق الصلح وميثاق الدستور أنشىء بموجبه فى ٣ سبتمبر حكومة مؤقتة برئاسة هكتور جارسيه جودى وزير الخارجية . وفى انتخابات ١٩٦٦ جاء بلاجوير ، واعيد انتخابه فى مايو ١٩٧٠ .

■ **الاحزاب السياسة :** الحزب الشيوعى الدومنكى أنشىء فى ١٩٤٥ .

وفى ١٩٥٦ أنشئت مجموعة تقدمية أخرى هى الحركة الشعبية الدومنكانية،

اما أحزاب الاوليجارية : فمن اهمها الحزب الديمقراطى الثورى ، والحزب الاصلاحى ، والحزب الثورى الاجتماعى المسيحى .

■ **النقابات :** اتحاد عمال الدومينيكان أنشىء فى ١٩٢٠ وناضل ضد الاحتلال وفى ١٩٦١ نظمت الجبهة العمالية للنقابات المستقلة .

■ **الاقتصاد :** يعيش ٧٠ ٪ من السكان فى مناطق ريفية ، وفى ١٩٥٠ كانت نسبة العاملين تمثل ٣٨٫٧ ٪ من السكان ٥٦٫٥٠ ٪ منهم فى الزراعة ، و ٧ ٪ فى الصناعة التحويلية .

وبلغ الاستثمار الاجنبى من ١٩٥١ – ١٩٦٠ دخل ٥٦ مليون دولار استثمار أمريكى مباشر وفى ١٩٦٢ بلغ مجموع المستثمر من الاموال الامريكية ١٤٣ مليون دولار ».

أورجواى الشرقية

■ **المساحة :** ١٨٣٫٩٢٦ كم٢ .

■ **السكان :** ٢٫٥٩٢٫٥٦٣ نسمة ».

■ **العاصمة :** مونتفيديو ».

■ **اللغة :** الاسبانية ».

■ **التطور التاريخى :** فى ١٥١٥ غزاها الاسبان وقضوا على معظم سكانها من الهنود . وبدأ الاستعمار بعد ذلك بحوالى قرن وتكفل الجيزويت والفرنسسكان باقناع الهنود بالخضوع .

وقد اتخذ النضال من أجل الاستقلال شكل الحركة الريفية التى يقودها مربو الماشية ، وقاد جوزيه ارتيجاس وهو من المولدين النضال للقضاء على الحكم الاسبانى حتى تغلب عليهم فى ١٨١٤ ، واصدر عدة قوانين متقدمة ووزع الاراضى ولكن البرتغال غزت البلاد واستولت على العاصمة فى ١٨١٧ ، ولكن النضال استمر واعلن الاستقلال فى ٢٥ اغسطس ١٨٢٥ ، وقامت الجمهورية بمقتضى دستور يوليو ١٨٣٠ ».

وفى فترة ما بين الحربين حل رأس المال الامريكى محل الانجليزى وتأسس الحزب الشيوعى فى ١٩٢٠ ، وفى ١٩٥٠ فرضت عليها الولايات المتحدة سياسة القروض وتخفيض العملة مما أدى الى تدهور أحوال العمال والفلاحين ، ومع اشتداد الصراع الطبقى زاد ارهاب الحكام .

■ **الاحزاب :** يضم الحزب الوطنى وهو «حزب البيض» الحكومى عدة أقسام متعارضة ، ويمثل حزب كولورادو «الاحمر» مجموعة اتجاهات تبدأ من البرجوازية الكبيرة الرجعية ، الى البورجوازية الوطنية وكذلك مجموعة من البرجوازية الصغيرة الليبرالية ويحظى بتأييد الجماهير الشعبية .

واكبر تجمع شعبى هو الحزب الشيوعى وسكرتيره رودنى ارزمندى وارتباطاته وثيقة بالطبقة العاملة ، وكون جبهة اليسار من أجل التحرر الوطنى .

■ **النقابات :** تتبع معظم النقابات العمالية ونقابات الموظفين اتحاد عمال أورجواى الذى يتعاون أيضا مع النقابات المستقلة . وفى ١٩٦٤ أقيم اتحاد « الاتفاق الوطنى للحركة النقابية » .

■ **الاقتصاد :** رغم سيادة القطاع الزراعى فان ٨٢ ٪ من السكان يقطنون المدن . وتبلغ نسبة العمالة ٤٠ ٪ من السكان ، يعمل ٢٨ ٪ منهم فى الزراعة و ١٨ ٪ فى الصناعة . وتستثمر امريكا فيها ٥٧ مليون دولار ، ٤٥٪ منها فى الصناعة التحويلية ، والزراعة هى اساس الاقتصاد ، وتتميز بالتركز فهناك ١١٥٢ مالكا يملكون ٣٥٪ من مساحة الارض ».

فنزويلا

■ **المساحة :** ٩١٢٫٠٥٠ كم ».

■ **السكان :** –

■ **العاصمة :** كاركاس .

■ **اللغة :** الاسبانية .

■ **التطور التاريخى :** نزل بها كولمبس فى ١٤٩٨ . وبدأ الاسبان استعمارها فى ١٥٢١ ، وقد منح ملك أسبانيا امتياز استغلالها لبنك ويلسر الالمانى ، مقابل مساعدته ، وترك الاسبان البلاد فى سنة ١٨٢١ .

وشهد القرن ١٩ زيادة التدخل الاوربى ثم تدخل الولايات المتحدة خاصة فى رئاسة جوميز [٢٢ – ١٩٣٥] التى منحت للترسنات الامريكية امتيازات لمدة ٥٠ عاما . وتوالت الانقلابات العسكرية وزاد التدخل الامريكى فقد منح جيمينيز فى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، ٨٠٠ ألف هكتار للشركات الامريكية . وتم الانقلاب عليه فى ١٩٥٨ وتوالى عليها عملاء أمريكا .

■ **الاحزاب :** بعد أن ناضل حزب العمل الديمقراطى الذى يقوده بيتانكور ضد جيمينيز تولى السلطة وتنكر للديمقراطية

وهناك الجبهة الديمقراطية القومية وهى عضو فى التحالف الحكومى ويدافع عن احتكارات البترول الامريكية ، والاتحاد الجمهورى الديمقراطى التقليدى كان فى البدء قريبا من الجماهير ثم تباعد منها ».

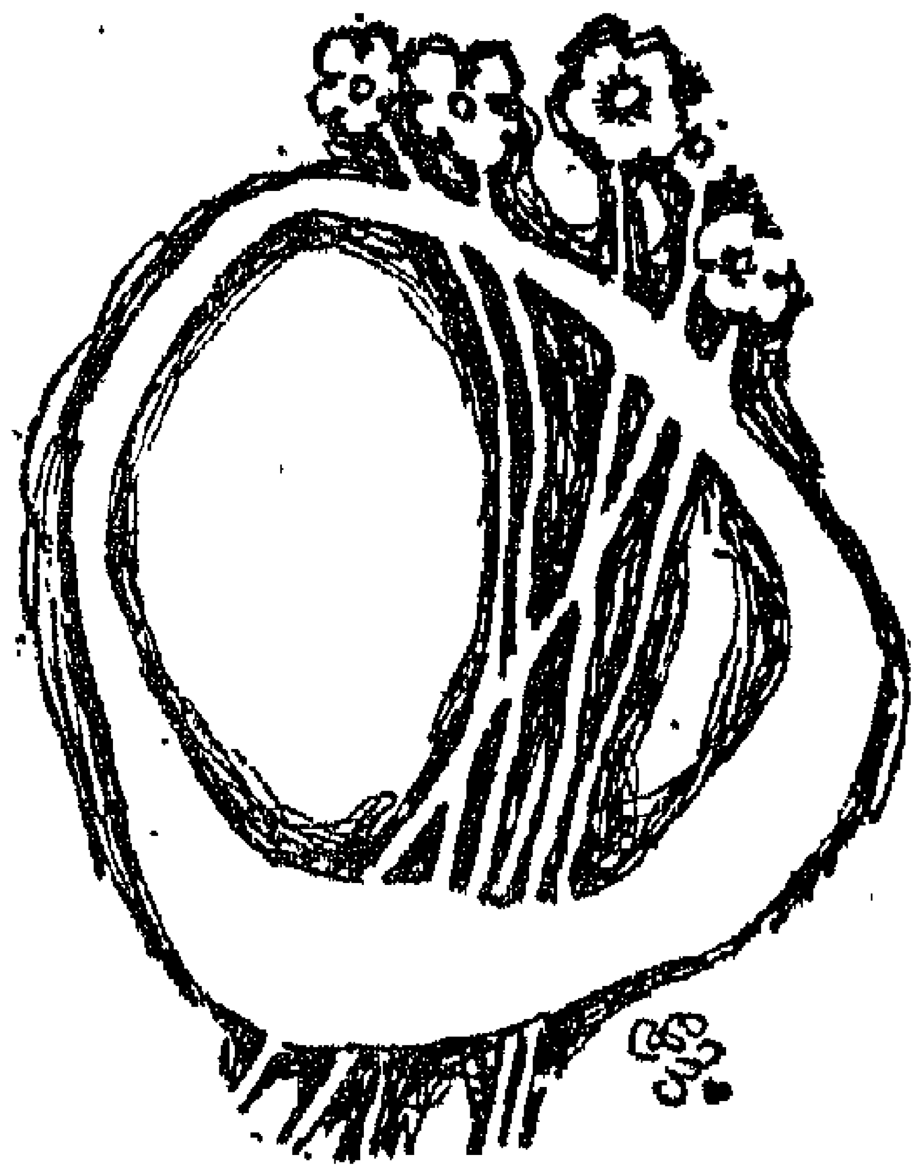
وفى المعارضة يوجد الحزب الشيوعى الذى حرمه بيتانكور وغالبية لجنته المركزية فى السجن بما فيهم السكرتير العام جيسوس فاريا . ويشترك فى جبهة التحرر الوطنى .

■ **النقابات :** يخضع اتحاد عمال فنزويلا ، وهو الاتحاد الرسمى ، لحزب العمل الديمقراطى ».

■ **الاقتصاد :** تبلغ نسبة العمالة ٣٢٫٣ ٪ من السكان . تستخدم الزراعة منهم ٤١٫٣٪ ، و ٢٠٪ فى الخدمات و ١٠٫١ ٪ فى الصناعة التحويلية ». وتقدم المناجم ٩٠ ٪ من الدخل القومى وتستخدم ٢٫٦ ٪ من اليد العاملة وتبلغ البطالة ١٤ ٪ من العمال .

بلغت الاستثمارات الامريكية المباشرة ٢٨٠٤٠٠٠٫٠٠٠ دولار تستثمر أساسا فى البترول ٢١٦٦ مليونا ، وفى الصناعة التحويلية ٢٠٣ ملايين من الدولارات .

الذكرى الخامسة عشرة للاتحاد العام للعمال



عبد المنعم الغزالى

خمسة عشر عاما مضت على تأسيس اتحاد العمال المصرى منذ عام ١٩٥٧ . وتقييم هذه الحقبة من حياة الحركة النقابية المصرية على جانب كبير من الاهمية، خاصة بالنسبة للتنظيم النقابى الحالى ، وقد حاولت قاعدته أن تجدد الدماء فى شرايين قياداته، منذ ستة شهور مضت و هذه السطور تمثل محاولة لمناقشة . قضية التخلف الفكرى والسياسى والتنظيمى والنضالى للحركة النقابية المصرية ، منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ ، وتطبيق قانون النقابات الذى صدر فى ١٩٦٤ .

الحركة النقابية وطريق التطور غير الرأسمالى

منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ ــ وجدت ظروف جديدة بالنسبة لتطور الثورة الوطنية الديمقراطية المصرية عندما اعلنت قيادتها فى ميثاق العمل الوطنى ١٩٦٢ انتهاج طريق التطور غير الرأسمالى . وهذه الظروف الجديدة تطلبت من الحركة النقابية المصرية تحركا جديدا سواء من ناحية استراتيجيتها أو تاكتيكاتها . على أن يكون الاساس فى هذه الحركة انطلاقها من واقع المصالح الطبقية للطبقة العاملة فى كافة مجالات حياتنا الاجتماعية ، على أساس .الاتحاد مع السلطة الوطنية الثورية الديمقراطية فى ظل السياسة الاقتصادية الجديدة حيث اصبح القطاع العام هو محور وقلب التطور الاقتصادى ، وحيث سادت الاتجاهات المعادية للتطور الرأسمالى . أى أنه بدخول الثورة المصرية المرحلة الثانية من حركة التحرر الوطنى أصبح التنظيم النقابى للطبقة العاملة مواجه بتبين طريقه الجديد فى ظل اوضاع جديدة مختلفة عن مرحلة الحصول على الاستقلال السياسى وعن مرحلة تمصير الاقتصاد بعد العدوان . ان التنظيم النقابى فى المرحلة الجديدة أصبح فى مركز المشاركة فى المسئولية الاجتماعية وحركة المساهمة فى بناء الدولة الجديدة ــ وذلك باستخدام أشكال نضال نقابية

غير الاشكال التقليدية القديمة . وكما أعلن ميثاق العمل الوطنى : « ان الوضع الجديد لا ينهى دور التنظيمات العمالية وانما هو يزيد أهمية دورها ، انه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة فى عملية الانتاج الى الحد الذى يجعل منها قاعدة طليعية فى عملية التطوير »

والذى حدث فى الواقع ـ أن التنظيم النقابى المصرى لم يكن مستعدا لتقبل هذا الوضع الجديد سواء من الناحية الفكرية ، أو السياسية ، أو العملية . وسبب عدم القدرة على مواجهة مثل هذا الوضع يمكننا أن نرجعه الى مجموعة من العوامل: أ ـ ضعف التكوين الفكرى والسياسى للحركة النقابية . ب ـ قصور دور التنظيمات الثورية فى حركة الطبقة العاملة المصرية ، وفقدان هذه الطبقة لقيادة سياسية موحدة لفترة طويلة سواء قبل حصول البلاد على الاستقلال أو بعده .
ج ـ ان قيادة الحركة النقابية كانت فى أيدى عناصر بورجوازية صغيرة أو عناصر من المثقفين غير المرتبطين بحياة الجماهير العمالية العريضة .
د ـ ان قطاعات رئيسية من القيادة النقابية والتى فرضتها الاوضاع السائدة والتى من بينها غياب تنظيم طليعى ثورى قائد للثورة وممثل للقوى الاجتماعية المطحونة ـ العمال والفلاحين والمثقفين ـ ان هذه القطاعات الرئيسية عرقلت عملية التوضيح الفكرى لدور الطبقة العاملة ، وتنظيمها النقابى الجديد ، لان توضيح هذا الدور كان يستلزم اشراك الجماهير العريضة فى البناء الجديد اشراكا حقيقيا مما يهدد استمرارها فى مراكز القيادة والمسئولية ، وكما قامت هذه القطاعات « بمدغ » التعبير الجديد للميثاق عن دور الميثاق وترديده كشعارات للتضليل ، وعملها على اغلاق العملية الثورية ، والمحافظة على «التركيبات التقليدية » للبناء النقابى ، أبقت وحافظت على المبادىء «النقابية البحتة» والاصلاحية ، واستمرت فى الدعوة الى طريق ثالث وسط بين الاشتراكية العلمية والرأسمالية الليبرالية ـ طريق يمثل كل فكر البورجوازية الصغيرة بكل اتجاهاتها المحافظة وتطلعاتها الطبقية ، فى نفس الوقت الذى ترفع فيه شعارات الميثاق الثورية التقدمية دون تحويلها الى منجزات فى التطبيق . وبذلك استمر التنظيم النقابى المصرى طيلة السنوات الماضية وبتأثير ونفوذ القيادات البورجوازية الصغيرة مركزا لتلقى التعليمات والتوجيهات وببغاء « بيروقراطيا » لا يقدم شيئا للثورة المصرية ، ولم يعد مركزا يعطى الثورة المصرية ويهبها كل قدراته وطاقات جماهيره الخلاقة المبدعة ، وضاعت كلمات الميثاق التى ارادت له ان يكون « قاعدة طليعية فى عملية التطوير » وبذلك فشلت وعجزت هذه القيادات فى وضع برامج نقابية محددة للتنظيم النقابى ، وعاشت فى عزلة تامة عن جماهيرها وتعالت عليها ـ وحتى عندما أخرجت فى عام ١٩٦٥ لتعلن عن موقفها من معركة الانتاج صاغ لها أحد المثقفين الليبراليين ما سمى بدستور أو ميثاق العمل النقابى ـ والذى أعلنته القيادة النقابية دون ارادة الجماهير العمالية العريضة ودون الرجوع اليها ومناقشته معها أو حتى مع القيادات فى المستويات الدنيا ـ فولد ميتا ـ وسريعا ما لقى حتفه فى أرشيف اتحاد عمال مصر ، شأنه شأن وثائق العديد من المؤتمرات العلوية التى نظمها الاتحاد لابداء الرأى فى قضايا الانتاج وتشريع العمل .

ان القيادات العمالية النقابية ـ وهى تردد الشعارات عن العمل والانتاج و . . و . . لم تضع فى اعتبارها أن جماهير العاملين ليست على استعداد لان تضع قواها فى خدمة « تقدم عام » دون أن يحقق لها مطالب اقتصادية واجتماعية ودون احداث تحسينات فى وضعها ومستوى معيشتها وظروف عملها . وهو الامر الذى تنبه اليه ميثاق العمل الوطنى واستشعره عن وعى عندما قال : « ان **النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئوليتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى وتنظيم الاستفادة الجدية صحيا ونفسيا وفكريا من أوقات الفراغ والاجازات بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة** » .

وسجل السنوات الخمس عشرة الماضية منذ تأسيس الاتحاد العام المصرى للعمال خال من «**الاسهام الجدى** » فى مجال الخدمات ، وفى مجال ممارسة مسئوليتها « **لصيانة حقوق العمال ورفع مستواهم** » . ووفقا لمفهوم هذه القيادات الليبرالى ـ البورجوازى الصغير ـ أن كل شىء قد تحقق للعمال فى يوليو ١٩٦١ ، وأنه قد تم الوصول الى الهدف ـ فان هذه القيادات لم تعمل فعلا من أجل تحويل التنظيم النقابى الى قوة دافعة ، وافتقدت البرامج النقابية الشاملة الواضحة لتحويل ما استهدفه ميثاق العمل الوطنى الى منجزات ، واتسمت بعدم النضج فلم تحدد الخطوات التالية للتخلى عن الرأسمالية ، فتحفظت «**عمليا**» من آفاق التطور غير الرأسمالى لبناء دولة الوطنية الديمقراطية ، وبلغ هذا التحفظ قمته فى موقفها من دعوة الميثاق الى تبنى **الاشتراكية العلمية** » ، فخلقت « **جوا من الهدوء الاجتماعى** » المحافظ ، وتجاهلت أفكار الجماهير وتطلعاتها ورفضت اقتراحاتها بدون مبرر أو نشاط للتوعية ، وجمدت الوعود التى

تعهدت بها أمام الجماهير . وبدلا من العمل مع القوى المتقدمة عن طريق الاقناع والعمل الدعائى الجماهيرى الواسع من أجل حل كل المشاكل والقضايا المعقدة المتشابكة ، استخدم أسلوب « الفرض» والسيطرة على الحياة الداخلية للتنظيم النقابى بأساليب ووسائل علوية وبيروقراطية ، وقد ساعد على سيادة هذا المنهج فى العمل ، الضعف الداخلى للنقابات وانعدام الديمقراطية النقابية .

الحركة النقابية وصراع الطبقات

نقابات العمال هى منظمات طبقية خاصة بالطبقة العاملة ـ تعبىء هذه الطبقة فى حياتها اليومية ونضالها اليومى ودفاعا عن حقوقها ـ وهى تنظم اهم قاعدة طبقية فى الثورة الاجتماعية ، بصفتها القوة الاجتماعية الرئيسية المناضلة من اجل التقدم الاجتماعى ، ومن أجل التحرر الوطنى والديمقراطى ومن أجل نجاح التطور غير الرأسمالى . وهى على هذا الاساس قائمة فى مجتمعنا المصرى كمؤسسة لها دورها الطليعى فى بناء المجتمع الجديد ، وهى ليست مجرد أداة فى جهاز الإنتاج كما تريد القيادات النقابية البورجوازية الصغيرة ، أو كما تتصور قيادات مؤسسات الطبقات الوسطى ، والتى حاولت وتحاول دائما أن تجعل النقابات العمالية تتحرك بلا فكرية خاصة ، وان تتبنى واجبات غير سياسية وان تصبح حيادية اجتماعيا . وهذه تنطلق من منطلق يزعم بأنه لم يعد هناك مجال لوجود الطبقات فى مجتمعنا ، وأن الصراع الطبقى قد أمم ، وهى بذلك تتعارض حتى مع فكرية الميثاق ـ حيث يحدد الميثاق حتمية الصراع الطبقى وان ما وجه من ضربات لكبار ملاك الارض والرأسمالية الكبيرة لم يزل المتناقضات بين بقية طبقات الشعب .

ان الحوار البورجوازى الصغير عن دولة خالية من التمايز الطبقى وعن الديمقراطية الحيادية طبقيا جعل النقاش حول دور الطبقة العاملة الطليعى لاداعى له ، وكذلك يؤدى الى انكار حقيقية ان اجراءات النمو غير الرأسمالى والتطور الوطنى الديمقراطى تخلق وتوجد ظروفا سياسية ملائمة للنشاط النقابى وتزيد من دور التنظيم النقابى فى بناء الدولة والسلطة الوطنية الديمقراطية ـ يقول ميثاق العمل الوطنى : « ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة . ان هذه التنظيمات لا بد أن تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ، وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التى تلمس أصابعها مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها » .

● الى أى وضع قادت الاتجاهات البورجوازية الصغيرة التنظيم النقابى بعد أن تربعت على كراسى القيادة النقابية ؟

أولا : الى قيام تنظيم نقابى بلا برامج ومناهج بناءة خاصة بالنقابات وبالمجتمع . ولقد أدى هذا الوضع الى عدم التوصل الى صيغة ملائمة للعمل المشترك بين التنظيم السياسى والنقابات ، واصبح التنظيم النقابى مركزا للتلقى ، يردد الشعارات ويهتف ويرغى ويزبد بها ، ولم يعد مركزا للاعطاء ، يعطى الثورة ويمنحها ، ويهبها طاقات الجماهير الخلاقة وقدراتها المبدعة .

ثانيا : الى ـ ابتلاع التنظيم النقابى بواسطة أبناء الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة والعناصر الليبرالية الغير عمالية ـ فكانت قيادة افندية المكاتب ، الامر الذى أدى الى أن يفتقد التنظيم الطبقى للطبقة العاملة . (أى تنظيمها النقابى) استقلاليته الحقيقية فى العمل ، ونتيجة فقدان هذا التنظيم استقلاليته أصيب تحالف قوى الشعب العامل بضعف ، وانعدم الدور القيادى للتنظيم النقابى داخل الحركة الثورية العامة بشقيها : التحررى الوطنى الديمقراطى والاجتماعى ، وانعدم التوازن بين المصالح الطبقية والمصالح الوطنية العامة الحقيقية وبين المطالب النقابية الضرورية المشروعة . وقد ادى ذلك الى انعدام دور التنظيم النقابى العمالى فى الريف ـ من أجل خلق قواعد قوية لتكون ثمار التحالف فى الريف ليست لصالح طبقة الملاك الزراعيين المتوسطين (الرأسمالية الزراعية) ولكن لصالح مجموع الطبقات الكادحة التى من أجلها كان الاصلاح الزراعى ، وبذلك جاءت نقابات عمال الزراعة فى ريفنا غير ممثلة تمثيلا حقيقيا للعمال الزراعيين ، اذا تسلم زمام قيادتها كتبة الجمعيات التعاونية ومقاولى الانفار والعناصر الطفيلية فى العمل الزراعى . ولم تتحقق الوحدة بين العمل الصناعى والعمل الزراعى مما أضعف التركيب الداخلى للطبقة العاملة ، وحال دون بروز دور هذه الطبقة القيادى فى ثورة تتم وتتحقق فى بلد اكثريته الساحقة من الفلاحين ، الامر الذى أدى الى عدم تعبئة وتنظيم القوى البشرية صاحبة المصلحة الحقيقية فى التغيير والتى تستطيع على حد تعبير ميثاق العمل الوطنى ـ بدورها تغيير شكل الحياة

فيه تغييرا ثوريا حاسما . يقول ميثاق العمل الوطنى : « ان التعاون سوف يخلق المنظمات التعاونية القادرة على تحريك الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله . كذلك نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيب جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة المقنعة وأهدرت بالسلبية طاقاتهم . ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة » .

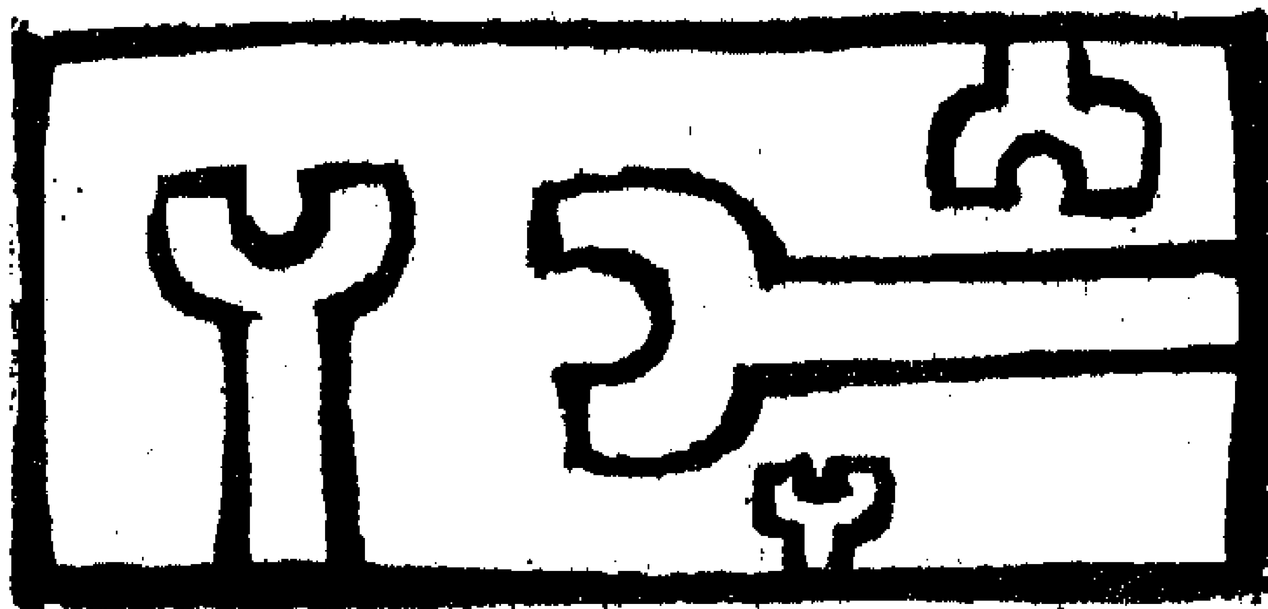
ثالثا : والى شكلية العضوية النقابية ، فانه رغم نمو العضوية العددية للتنظيم النقابى فان المستوى التنظيمى ضعيف والصلة بالجماهير العمالية غير قائمة حقا . ويوضح الجدول التالى هذا النمو العددى « الدفترى » للنقابات :

السنة	العضوية
١٩٥٢	١٥٩ر٦٠٨
١٩٥٥	١٩٤ر٢٤٥
١٩٥٦	٤٥٩ر٠٢٩
١٩٦٢	٣٠١ر٣١٠
١٩٦٣	٤٠٦ر٥٩٥
١٩٦٥	١ر٢٩٠ر٨١١
١٩٦٦	١ر٣٦٥ر٩٨٦
١٩٧١	حوالى ١ر٥٠٠ر٠٠٠

ان هذا النمو « الشكلى » لعضوية النقابات **والذى جاء نتيجة لتطبيق القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤** والذى استهدف قيام نقابات قوية ، ونتيجة لاشتراك العمال كتلة واحدة فى أغلب مشروعات القطاع العام بطريقة روتينية « تحصيل الاشتراك جملة عند تسليم المرتبات » – أى من الشباك – دون جهد نقابى أو نضالى ، والتسجيل الدفترى البحت لعمال الزراعة فى الريف – تماما مثلما يسجلون فى دفاتر الصحة – لقد أدى هذا النمو الشكلى الى تفشى البيروقراطية فى العمل النقابى وسيادتها . وانه كنتيجة مباشرة لسيادة البيروقراطية والعناصر الليبرالية بكل تطلعاتها الطبقية الغير عمالية – انعدمت الديمقراطية النقابية ، وفقدت الجماهير ثقتها فى النقابات وأصبحت تعامل المسئولين والقادة فيها كما تعامل الموظفين وكتبة المحاكم والمكاتب الحكومية . ان العامل البسيط وحتى النقابى من المستوى الادنى عندما يتعامل مع رئيس نقابة عامة ، أو مع عضو مكتب تنفيذى للاتحاد العام بتعبير « يا سعادة البك » انما يعبر عن هذه الحقيقة بواقعية مرة يصف بها حقيقة هذه القيادة .

والان ماذا بعد فى **الذكرى** الخامسة عشر لتأسيس الاتحاد العام للعمال ؟ اننا نريد من تنظيمنا النقابى أن يكون تنظيما طبقيا حقيقيا للطبقة العاملة – فى الصناعة والزراعة والخدمات – وأن يكون له برنامج وأهداف من أجل دعم التطور غير الرأسمالى وبناء الدولة الوطنية الديمقراطية ، وأن يكون مركزا للدفاع عن حقوق العاملين وعاملا لرفع مستوى حياتهم ، ومناضلا ضد كل تشويهات البيروقراطية وضد الاخطاء والسلبيات وضد المطامع الطبقية للرأسماليين ، وعاملا لاحداث تطور سياسى حقيقى للجماهير الكادحة والقضاء على تأخرها الثقافى ، ومركزا لنشر الفكر الاشتراكى العلمى – فكر الطبقة العاملة وسلاحها لبناء مصر الوطنية الديمقراطية – غير الرأسمالية .

ان مصر تريد التنظيم النقابى اليوم ديمقراطيا حقيقيا حتى يمارس دوره الطليعى فى أشرف معركة نخوضها لتحرير الارض من رجس الاحتلال الصهيونى الاستعمارى ، ولبناء مجتمع الرفاهية للكادحين .





جبهــة الزراعــة

فى معـــــركة
التحرير والبناء

د. علـى النويجى
د. جــلال رجيــب

يقطن الفلاحون المصريون البالغ عددهم نحـــو ١٨ مليونا ــ ٤٠٤٠ قرية و ٢٨٣٨١ عزبة ، كمـــا يتـــولى هؤلاء الفلاحـــــون زراعـــــة ٥٫٩٧٤٫٠٠٠ فدان ، ويقدر الزراعيون المســـاحة المحصولية التى يزرعها الفلاحـــــون المصريون بـــ ١٠٫٧١٦٫٠٠٠ فدان موزعة كالتالى :

٤٫٨٤٩٫٠٠٠ فدان محاصيل حقلية وخضرشتوية
٥٫٠٤٥٫٠٠٠ فدان محاصيل حقلية وخضرصيفية
٥٩٠٫٠٠٠ فدان محاصيل حقلية وخضر نيلية
٢٣٢٫٠٠٠ فدان حدائق

اما عن الارض القابلة للزراعة فقـــد اختلف تقديرها باختلاف الاجهزة التى قدرتها واختلاف العهود التى جرى فيها ذلك التقدير :

ففى سنة ١٩٢٠ قدر خبراء وزارة الاشغال أن الحـــد الاقصى للاراضى القابلة للزراعة يبلغ ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان ــ على اساس ان الصلاحية الـــزراعية لن تكون الا فى الاراضى المكـــونة من رواسب طمى النيل . وفى ســـنة ١٩٤٢ قدرت لجنة الخبراء فى مشروعات الرى الكبرى بوزارة الاشغال ان الحد الاقصى للأراضى القابلة للزراعة يبلغ ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان . اما الهيئة الدائمة لاستصلاح الاراضى فقد قدرت الارض القـــابلة للزراعة بـــ ١٣٫٥٠٠٫٠٠٠ فدان ، وهكذا تتغير مساحة الارض القابلة للزراعة بأزدياد القدرة على الدراسة والتقدم العلمى والفنى فى مجالات الزراعة .

وينتج الفـــلاحون المصريون بعمـــلهم الكثيف طوال العام الذى لاتتخلله اجـــازات ولو كانت مرضية ما قيمته ١٠٠٠ مليون جنيه ، أو ما يعادل ٥٥٪ من الانتاج القومى الحقيقى ، كما انه من الصادرات التى بلغت جملتها عام ١٩٧١/٧٠ حوالى ٣٣٣ مليون دولار كانت الصـــــادرات من المواد الزراعية الخام ونصف المصنعة والمواد الزراعية التامة الصنع تبلغ ٢٥٠ مليون جنيه اى حوالى ٧٣٪ من جملة الصادرات .

وهكذا يحقق الفلاحون المصريون بعملهم الشاق طوال العام المنجزات التى تصـــــورها بعض المسئولين عن السياسة الزراعية حينما اعلنوا

أن على الزراعة المصرية — دون مجرد ذكر الفلاحين المصريين — أن تحقق اهدافا ثلاثة :

- توفير الغذاء للشعب .
- توفير الخامات اللازمة للصناعة المحلية .
- توفير فائض للاستثمارات الخاصة بالتنمية .

وقد تم ذلك في ظروف بالغة الدقة والصعوبة .. فالشعب المصرى يتعرض الآن لعدوان استعمارى صهيونى يهدف الى استبعاد الشعب المصرى والشعوب العربية ، وقطع الطريق عليها في محاولتها بناء حياتها المستقلة وتحقيق استقلالها الوطنى . ولا شك ان الفلاحين المصريين بما حققوه ، وما يحققونه قد جعلوا الصمود امام العدوان الامريكى الصهيونى ممكنا كما انهم بما يحققونه سيجعلون الانتصار محتما . غير ان الانتصار على العدوان وبناء الحياة الوطنية المستقلة والخروج عن التقسيم الدولى الاستعمارى للعمل لا يمكن أن يتم بالامانى والتمنيات ، وانما هو حصيلة عمل شاق يقوم به الشعب — يستجيب الى متطلبات الحياة اليومية ويخطط للمستقبل القريب منه والبعيد ، وذلك كله لا يمكن ان يتم دون استعراض الواقع ونقده نقدا أيجابيا يحاول نفى سلبياته فى الوقت الذى يدعم فيه أيجابياته ، يقدم الاساسيات قبل الفرعيات ويهتم بالجذور دون التشبث بالفروع ويوضح أساس تطوير حياته . ذلك أن الانتصار على العدوان الامريكى الصهيونى لا يتطلب تطوير الاسلحة والمعدات التى تستخدم فى القتال فقط ، بل انه يستوجب بالدرجة الاولى تغييرا جذريا فى علاقات الانتاج وأساليبه كما يتطلب أقصى حد من القدرة على العمل ومواكبة التقدم .

فلنحاول هذه النظرة فى جبهة الزراعة والانتاج الزراعى — التى تشكل أوسع اقسام الجبهة الداخلية وأعمقها . ويمكن استعراض جبهة الزراعة والانتاج الزراعى من دراسة اقسامها الثلاثة :

١ — الارض وعلاقات الانتاج السائدة .

٢ — التسويق الداخلى والخارجى للمحاصيل ومشاكل الائتمان والتعاون الزراعى .

٣ — الخدمات .

الارض وعلاقات الانتاج السائدة

سبق أن ذكرنا أن المساحة المحصولية فى مصر تبلغ ١٠٫٧١٦٫٠٠٠ فدان ، وأن المساحة الفعلية تبلغ ٥٫٩٧٤٫٠٠٠ فدان ، غير أن الصورة لا تكتمل اذا اكتفينا بالبيانات السابقة فالارض المصرية تعانى من أمراض أساسية تقعد بالانتاج الزراعى عن بلوغ الاهداف التى يمكن ان يحققها الفلاحون المصريون بعملهم الشاق المتوالى طوال العام ، كما أن علاقات الانتاج السائدة تهدر عمل الفلاحين وتعوق الانطلاق نحو الافاق التى لابد من ارتيادها حتى يتحقق النهوض الشامل بحياة الشعب المصرى وتدعيم مستقبله . وسنتناول فيما يلى ما يمكن أن نسميه بالامراض الاساسية دون الاهتمام بالفرعيات المترتبة على هذه الامراض :

أولا — فى مجال الارض :

— **تفتيت الارض** : تعانى الارض الزراعية المصرية من تفتيت مبالغ فيه ، ويكفى للدلالة على ذلك أن نذكر ان حصر المكلفات الزراعية والتكاليف المشتركة فى ٤٠٩٨ قرية مصرية قد أوضح حقيقتين خطيرتين :

— بلغ عدد المكلفات ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ مكلفة .

— أن ثلاثة ملايين مكلفة تقل مساحة كل منها عن ثلاثة أفدنة .

وهذا يعنى أن ارض مصر المزروعة التى تبلغ نحو ستة ملايين أفدنة تنقسم الى مزارع صغيرة للغاية عددها — ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ مزرعة — منها ثلاثة ملايين مزرعة تقل مساحة كل منها عن ثلاثة افدنة . واذا كنا جادين فى تطبيق الزراعة العلمية الحديثة فلا نظن أن هذا التفتيت يتيح أى فرصة لذلك فالزراعة الحديثة وهى تعتمد على استخدام الآلة تتطلب حجما للمزرعة لا يمكن بأى حال أن يقارن به الحجم الحالى ، وعلينا ان نتذكر فى هذا الصدد أن صغر حجم المزرعة ليس ظاهرة جديدة وانما هى من تراث الاقطاع المصرى الذى كان يقسم ملكياته الى قطع صغيرة لتأجيرها للفلاحين المصريين ، كما أنه علينا أن نذكر أن التفتيت فى الارض المصرية سيستمر بعجلة متزايدة نتيجة لعمليات البيع والميراث وتزايد السكان فى الريف .. أن ادخال الزراعة الحديثة التى تكلم عنها السيد المهندس نائب رئيس الوزراء قائلا [... تطوير الزراعة وفق أحدث الاساليب العلمية والتكنولوجية ومسايرة التطور العلمى والعالمى] فى عرضه للتنظيم الجديد لقطاع الزراعة والاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى ، لا يمكن أن يتحقق فى اطار هذا التفتيت البالغ للارض الزراعية . لقد عالجت الرأسمالية مشكلة تفتيت الارض بالمزرعة الرأسمالية الكبيرة ، كما عالجت الاشتراكية المشكلة بالمزرعة التعاونية — فماذا قدمنا نحن لمعالجة هذه المشكلة . أن ما

يتبسمى بالزراعة المنظمة لا يعدو تنظيم دورات زراعية على نطاق واسع وهو ما سبق الفلاحون المصريون الى عمله من تلقاء انفسهم ، وهذه الزراعة المنظمة لم تستطع أن تقدم حلولا صحيحة لمشكلة تفتيت الارض وتخلف الزراعة المصرية .

ــ تدهور خصوبة الارض المصرية : نشر الاهرام الاقتصادى بالعدد ٣٣١ فى اول يونيو ١٩٦٩ ــ التقرير التالى : ... اظهرت عمليات الحصر والفحص الميكانيكى والكيماوى التى شملت ٥٫٢٥٠٫٠٠٠ فدان ، والتى استمرت خمس سنوات النتائج التالية :

أ ــ أراضى درجة أولى عالية الخصوبة ٩٫٤٪
ب ــ أراضى درجة ثانية متوسطة الخصوبة ٢٫٥٪
جـ ــ اراضى متوسطة الخصوبة ٣٫٣٤٪
د ــ أراضى ضعيفة درجة رابعة ٤٫٨٪
هـ ــ اراضى درجة خامسة يمكن أصلاحها ٣٫١٩٪
ز ــ باقى المساحة منافع وأراضى غير صالحة للزراعة .

وعلى سبيل المثال فقد ذكر التقرير أن محافظة كفر الشيخ لا يوجد فيها فدان واحد يصلح أن يكون فى عداد الاراضى الممتازة ، بينما تبلغ الاراضى المتوسطة ٢٩٦٫٠٠٠ فدان ــ والاراضى البور والضعيفة ٢٠٠٫٠٠٠ فدان فى المساحة الكلية للمحافظة التى تبلغ ٨٤٠٫٠٠٠ فدان .

ولا شك أن تدهور خصوبه الارض المصرية مشكلة يجب ان تجند لها الكفاءات العملية والعلمية للتعرف على اسبابها ومعالجتها غير أن السيد نائب رئيس الوزراء للزراعة والاصلاح الزراعى قد اشار الى أحد الاسباب الرئيسية أن لم يكن السبب الرئيسى فى تصريحه للاهرام الاقتصادى بالعدد ٣٧٢ الصادر فى ١٩٧١/٢/١٨ ــ فقد لاحظ سيادته فى جولة شملت ٧٢٫٠٠٠ فدان بكوم أمبو سوء حالة الصرف الخطيرة وقال أن ما شاهده وما تلقاه من تقارير عن حالة الزراعات فى الوجه القبلى يشير فى مجموعه الى أن الحاصلات آخذة فى التدهور ، كما ذكر انه طلب اجراء دراسات عاجلة عن حالة الصرف فى أراضى الصعيد بوجه عام لصلة مشكلة الصرف بتدهور حالة الانتاج الزراعى ــ كما ذكر ان مركز كوم أمبو أصبح يعوم على بحيرة من المياه الجوفية كما ذكر أيضا أن اللجنة الوزارية للزراعة والرى فى اجتماعها الاخير قد كلفت هيئة الصرف المغطى باعادة دراسة مشروعات الصرف على مستوى الدولة كلها خلال برنامج زمنى يستغرق ٥ سنوات . ولعل ذلك يوحى بأن مشكلة المياه الجوفية ــ وهى مشكلة رئيسية ــ لم تكتشف الا فى السنة الاخيرة ، غير أن الحقائق تشير الى أن مشكلة الصرف العام والحقلى ظلت منذ أمد بعيد تشغل أذهان الفلاحين ، والفنيين الزراعيين ، كما ان مشكلة الصرف الحقلى المغطى قد بدأت معالجتها بعد فشل المصارف المكشوفة بتجربة الصرف الحقلى المغطى منذ ١٩٤٢ حتى ١٩٤٥ . وبدأت التجربة فى مساحة تقدر بـ ١٨٫٥٠٠ فدان ، وفى سنة ١٩٥٣ أعيد تقييم هذه التجربة بالاستعانة بالتحليل الاحصائى للمحاصيل الزراعية ، وقد وجد حينذاك انه بعد ١٠ سنوات من بداية التجربة بلغت الزيادة فى المحاصيل ٤٧ فى المائة للقطن ، ٦٧ فى المائة للأذرة ، ٤٥ فى المائة للقمح ، ٥٠ فى المائة للارز ــ مع توفير فى الارض يبلغ ١٥ فى المائة . وقد اشار وزير الرى الاسبق السيد المهندس عبد الخالق الشناوى فى محاضرته التى نشرت فى المجلة الزراعية عدد مارس ١٩٦٦ الى مساهمة هيئة المعونة الفنية للامم المتحدة فى الدراسات التى تقوم بها الوزارة لمشروعات الصرف الحقلى المغطى ، وتم تنفيذ تجربة شبكات الصرف ابتداء من ١٩٦٢ فى ٢٥٠٫٠٠٠ فدان موزعة على بعض المحافظات الشمالية والوسطى والجنوبية ، واستعملت طريقة التنفيذ الميكانيكى فى بعض حقول التجارب ، وبلغت التكاليف من ٢٧ ــ ٣٣ جنيها للفدان ، وذكر السيد الوزير الاسبق فى محاضراته الخلاصة التالية :

١ ــ الصرف المغطى سيكسبنا زيادة فى الانتاج الزراعى تعادل انتاج مساحة لاتقل عن ثلاثة ملايين فدان دون أية زيادة فى تكاليف الانتاج والخدمات .

٢ ــ يسهل العملية الزراعية الحديثة .

٣ ــ يوفر مياه الرى التى تذهب عبثا للمصارف المكشوفة .

٤ ــ ان الزيادة المتوقعة فى الانتاج الزراعى اذا نفذت مشروعات الصرف الحقلى المغطى تبلغ ٢٢٠ مليون جنيه .

ومن هذا نرى ان الامر لم يعد فى حاجة الى دراسات جديدة كتلك التى أشار اليها السيد نائب رئيس الوزراء ، ولا الى دراسات خبراء البنك الدولى للانشاء والتعمير التى اشارت اليها جريدة الاهرام يوم ١٩٧١/٥/٨ ــ حينما ذكرت أن خبراء البنك الدولى سيدرسون على الطبيعة مناطق مشروع الصرف فى الوجه القبلى ، تمهيدا لتقديم تقرير عنها تتم على أساسه مساهمة البنك فى تمويل المشروع . ولا نعتقد أن سياسة البنك الدولى التى يديرها روبرت ماكنمارا ستختلف عن سياسة البنك الدولى سنة ١٩٥٦

حينما ظل يرسل وفودا للدراسة ويبعث بالبعثات حتى انتهى الى رفضه المشهور للاشتراك في تمويل السد العالي في ظروف بالغة الصعوبة لا تختلف عن ظروفنا اليوم .

ان تدهور خصوبة الارض التي أشارت اليها الاحصائية التي سبق ذكرها ستظل بدون حل حتى يتم حل مشكلة الصرف الحقلي المغطى التي اثبتت التجارب انها الحل الوحيد لها ، كما ان جميع المحاولات الاخرى الخاصة بمعالجة خواص التربة او اضافة المخصبات الصناعية والطبيعية ستظل بدون جدوى طالما ظل مستوى المياه الجوفية بما يحمله من أخطار مرتفعا الى هذا الحد .

مشاكل الارض الجديدة

حسم السيد المهندس نائب رئيس الوزراء سيد مرعى المشكلة التي طال الجدل حولها وهي كيفية التصرف في الارض الجديدة ، والتي سبق أن قرر اتجاه حسمها القائد جمال عبد الناصر حينما اشار بان ما استصلح بأموال الشعب يجب أن يعود الى الشعب كله وذلك بتكوين قطاع عام في الزراعة . وقد قدم السيد نائب رئيس الوزراء الى مجلس الوزراء مذكرة بانشاء ١١ شركة زراعية فيالاراضي المستصلحة الجديدة في اوائل نوفمبر ١٩٧١ غير أن القرار الذي قدم لمجلس الوزراء قد ترك ثغرات واسعة تؤدي الى مزيد من تفتيت الارض المصرية تقطع الطريق على تكوين قطاع عام قادر وقوى في الزراعة يوجه الزراعة المصرية ، ويفتح أمامها الطريق نحو استخدام الاساليب الحديثة والعلمية في الانتاج الزراعي — فقد اشار القرار الى ان تركز ٤ من الشركات المصرية الكبيرة على التصرف في الارض الجديدة بالتأجير والتمليك ، وهي شركات الحفير واختصاصها ٥٥٫٠٠٠ فدان ، والحامول واختصاصها ٣٩٫٠٠٠ فدان ، والمنصورة الزراعية واختصاصها ٤٢٫٠٠٠ فدان ، وصان الحجر الزراعية واختصاصها ٣٥٫٠٠٠ فدان .

ان الزراعة الآلية هي البديل الوحيد للشقاء البالغ ، والمجهود البدني غير الانساني الذي يبذله الفلاحون المصريون ، وهذه الزراعة الآلية غير ممكنة في المزارع الصغيرة التي ستؤدي اليها توزيع الاراضي الجديدة ، ولذلك فان المفهوم الوحيد للنص على التركيز بالايجار والتمليك هو استمرار تخلف الزراعة المصرية ، وازدياد شقاء الفلاحين المصريين .

الميكنة

لاتعدو الميكنة الحالية للزراعة المصرية استخدام الجرارات في حرث الارض أو تمهيدها واستخدام الجرارات بطريقة بدائية وغير علمية في دراس القمح والارز ، واستخدام ماكينات الري ذات الاداء المنخفض ، كما لا يعدو التخطيط لاستخدام الآلة في الزراعة انشاء اللجان واجراء التجارب غير عابئين بالحقيقة التي تقول أن الزراعة الالية اصبحت من حقائق الحياة الزراعية وكان جهد وزارة الزراعة في هذا الشأن أن انشأت لجانا لدراسة خطة تطوير وتعميم الآلات الزراعية وقد اختارت هذه اللجان محلة موسى بمحافظة كفر الشيخ وقرية الجسرن بمحافظة البحيرة لتكون مثلا أعلا في الميكنة الكاملة ، كما قامت كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية بعمل تجارب مختلفة على الميكنة الكاملة . وعلى أي حال علينا أن نذكر في هذا الصدد أن نتائج أحدى التجارب قد أثبتت أن الميكنة الكاملة في مصر ممكنة وأن نتائجها لا تختلف عن نتائج الميكنة في أي بلد آخر : ففي قرية محلة موسى بمحافظة كفر الشيخ زراعة النطاف ثان كانت زراعة القطن آليا ناجحة كما تقول الارقام التي أذاعتها الهيئة العامة للانتاج الزراعي :

١ — متوسط محصول الفدان بالزراعة الآلية ٧٫٠٢ قنطار ، بينما المتوسط في المنطقة لا يعدو ٤٫٦ قنطار .

٢ — تكاليف الزراعة الآلية [العمل] ١٨٫٦٧٥ جنيها للفدان ، بينما ترتفع تكاليف الزراعة اليدوية في نفس المنطقة الى ٣٢٫٥٣٠ جنيها للفدان .

هذا ما تقوله بعض هيئات وزارة الزراعة بينما نجد بين فينة واخرى الدعوات التي ترتفع داعية الى استخدام الاساليب البدائية مثل استخدام الايدي في مقاومة الافات الزراعية كتنقية دودة القطن بالايدي محتجين بالعلم المزيف حول مضار المبيدات الحشرية التي قد تخل بالتوازن البيلوجي بين الآفة واعدائها الطبيعية ومثل ذلك من الخرافات وتستغل بعض التطبيقات السيئة وهي مسئولة عنها في التدليل على افضلية الوسائل البدائية في الزراعة .

ثانيا — في مجال علاقات الانتاج السائدة :

من الارض المصرية البالغة ستة ملايين فدان مزروعة يزرع ٤٫٣٠٠٫٠٠٠ فدان بالايجار مشاركة ونقدا ، وقد كان اتجاه ثورة يوليو ١٩٥٢ هو ضمان حق الفلاحين المصريين في الاستقرار بحمايتهم من الطرد مع ضمان حقوق الملاك ،

والاتجاه فى التشريع نحو تفضيل علاقة الايجار بالنقد على علاقة الايجار بالمشاركة ، وقد حاول الملاك مرات متعددة التحايل على القوانين التى تكفل استقرار الفلاحين المصريين مرة بالتهرب من تنفيذ القوانين بالثغرات الموجودة بالقوانين ذاتها، واخرى صريحة بمحاولة تعديل القانون ذاته — ذلك أن الزيادة فى تعداد الفلاحين المصريين تغرى الملاك بمحاولة الحصول على عملهم بأقل الاجور للتنافس الشديد على الارض الضيقة الرقعة ، ويفضل الملاك المصريين فى الوقت الراهن علاقة الايجار بالمشاركة وهى علاقة اقطاعية فى جوهرها نبذتها جميع الدول حتى تلك الانظمة العميلة التابعة للولايات المتحدة الامريكية كفرموزا والفلبيين التى حرمت فيهما المشاركة واعتبرت مخالفة للنظام العام للدولة . ولاشك أن الايجار بالمشاركة يهدر قدرات الفلاحين المصريين ويجهض عملهم ، ويقلل من مساهمتهم فى زيادة الانتاج الزراعى . وقد حاول الملاك المصريون تعديل القوانين المنظمة للعلاقات بين المالك والمستأجر لصالحهم بمشروعات تعديل القوانين التى اشارت اليها جريدة الاهرام فى ١٩٧٠/١٢/٨ عن طريق لجنة التنمية الزراعية بمجلس الامة فى دورته الاخيرة — ورغم الفشل الذريع الذى لقيته هذه المحاولة فأن الانباء تشير الى محاولة أخرى مجهولة الهوية فقد اشارت جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ — ٥ — ١٩٧١ — الى أن السيد حسين فهمى البدوى وزير العدل قد اصدر قرارا بتشكيل لجنة لتعديل قانون الاصلاح الزراعى فيما يختص بتحقيق العدالة بين المؤجرين والمستأجرين على أن تنتهى اللجنة من مهمتها قبل نهاية شهر يونيو، ولا يعرفه أحد على اى وجه اتجاه التعديل ولا ما تم فى ذلك . وكل الذى نستطيع أن نقوله فى هذا الشأن هو أن المستأجرين وهم المنتجون الحقيقيون للثروة الزراعية يجب أن يتمتعوا بأقصى الضمانات — كما أن علاقة الايجار بالمشاركة تعتبر سبة القرن العشرين فهى تعيد الفلاحين المصريين الى قيود العبودية من جديد . ولم يعد فى العالم كله وجود لمثل هذه العلاقة الشاذة المتخلفة بين الملاك والمستأجرين . وعلينا ان نذكر فى هذا الصدد أن موضوع علاقة الايجار بالمشاركة والنقد وما يدور حولها من مناقشات لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالاشتراكية ولا تدخل فى أبوابها .

ومن ذلك نرى أن هناك اربع محاور رئيسية يجب أن يدور حولها البحث لمواصلة التقدم والنهوض بالانتاج الزراعى فيما يختص بالارض وعلاقات الانتاج السائدة وهى :

١ — معالجة تفتت الارض المصرية وصغر وضيق وحدة الانتاج الزراعية الذى يجعل الزراعة العلمية فى حكم الخرافة .

٢ — معالجة تدهور خصوبة التربة المصرية .

٣ — ضمان استقرار المستأجرين وحمايتهم بتوجيه التعديلات نحو تفضيل علاقات الايجار بالنقد .

٤ — الاتجاه الجدى نحو خلق قطاع عام فى الزراعة فى الشركات الجديدة .

التسويق ومشاكل الائتمان التعاونى الزراعى

التسويق الداخلى :

يرتبط التسويق الداخلى للمحاصيل الزراعية بالائتمان الزراعى أو تمويل الانتاج الزراعى ارتباطا وثيقا — وليس ذلك ظاهرة حديثة ، بل انها ملاحظة حتى قبل أنشاء وتعميم الجمعيات الزراعية فان المرابين الذين كانوا يمولون الانتاج الزراعى فى الفترة السابقة على تعميم الجمعيات التعاونية كانوا لا يستردون نقودهم بعد احتساب سعر فائدة نقدا ، وانما كانوا يحصلون على مستحقاتهم وفوائدها التى كانت تصل الى ٦٠٪ فى مدة لاتتجاوز ثلاثة شهور مبادلة بالمحاصيل وحتى لايقع المرابى تحت طائلة القانون فان العملية تدبر وكأنها عملية بيع وشراء فيتعاقد الفلاح مع المقرض على بيع محصوله أو جزء منه، ولما كانت البضاعة غير حاضرة لانها لم تنضج بعد فان ثمن البيع كان يتراوح بين ٥٠٪ أو ٦٠٪ من السعر الاصلى ، وعند نضج المحصول يكون لدى الفلاح مسئوليات آخرى هى مطلوبات الحكومة ومتطلبات الحياة اليومية فيعجز عن توريد ما تعاقد عليه ، وللخلاص من هذا المأزق يتم بين المقرض والفلاح عملية تسمى بالتدبير ، وهى أن يقيم ما كان مفروضا أن يحصل عليه المشترى بالسعر الحقيقى ، ويكتب عقد جديد يبيع فيه الفلاح محصول السنة القادمة للمشترى السابق، وفى هذه الحالة نظرا لطول المدة التى سينتظرها المشترى لايزيد الثمن عن ٥٠٪ من الثمن الحقيقى، وبهذه الطريقة لا يتجاوز الثمن الذى يبيع به الفلاح ٢٥٪ من الثمن الاصلى . وبهذه الطريقة يكبل الفلاح بديون لا يستطيع التخلص منها الا ببيع ما يملكه من ماشية أن كان يملك ماشية أو أرضا أن كان يملك منها شيئا . ذلك هو معنى ارتباط التسويق بالتمويل فيما قبل الائتمان الزراعى وذلك يضع قاعدة هى [أن من يمول المحصول هو المالك الحقيقى له وليس من ينتجه] وجاءت الجمعيات التعاونية ثم [جاء التسويق التعاونى لحماية الفلاح من المرابى الذى استنزف جهد الفلاح ، ثم ما لبثت الشكوى أن ارتفعت من التسويق التعاونى ، مرة من الفرز وأخرى من تاخير الحصول على ثمن المحصول وثالثة من تضخم أعباء الانتاج والمديونية ، وسمعنا عن

فلاحين انتجوا وسلموا محصولاتهم ثم عند المحاسبة قيل لهم لم يعد لكم شيء .

لقد تعددت أسباب الشكوى كما تعددت مظاهرها وكان آخر المتكلمين هوالاتحاد التعاوني المركزي الذي اذاع في جلسته يوم ١٩٧١/١٠/٦ — أن نظام التسويق الحالي لا يحقق مصلحة الفلاح ولا الدولة . ولا يعرف أحد جهة درست المشكلة وانما كل الذي نشر كان عفو الخاطر وقد قرر الاتحاد التعاوني المركزي أخيرا في اجتماع ١٩٧١/١٠/٦ — أن تدخل الشركات متنافسة في شراء القطن من الفلاح ، كما قرر في نفس الوقت قرارا مناقضا بانشاء جمعية تعاونية عامة ، متخصصة في تسويق القطن . ذلك في الوقت الذي يشيد فيه السيد نائب رئيس الوزراء بما سمي بالتجربة الرائدة في تسويق القطن في جمعية سنديون الزراعية التي دعت السيد رئيس الوزراء لزيارة الجمعية ومعاينة عملها على الطبيعة ، وقد نشرت المجلة الزراعية في ابريل ١٩٧١ — الميزانية التي عرضت على السيد رئيس الوزراء وكانت خلاصة التجربة التي أشاد بها السيد نائب رئيس الوزراء لشئون الزراعة هي : أن الجمعية قامت بعمليات التسويق للمحاصيل وخصوصا القطن كجمعية تعاونية فأصبح مركز التجميع تابعا للجمعية وهي التي تقوم بالصرف عليه وتخزن القطن في مخازن الجمعية ، وهي التي تتولى استلام ثمن القطن وصرف الثمن والفائض للفلاحين وحققت أرباحا قيمتها ٣٨٨٩ جنيها و ٦٨١ مليما ، كما اصبح حسابها الجاري بالبنك ١١٫٣٢٧ جنيها و ٧٠٠ مليم . وفي نفس الوقت يعلن المسئولون عن الاستعداد لالغاء التسويق التعاوني اذا تبين انه لا يحقق مصلحة الفلاح وقد قيل هذا صراحة في اجتماع الاتحاد التعاوني المركزي الذي سبق ذكره ، ولم يذكر المسئول الذي صرح بذلك شيئا عن البديل الذي لانشك في أنه النظام السابق على التسويق التعاوني بما يحمل من اخطار للفلاح . ومن واد آخر ارتفعت صيحة في قرارات وتوصيات مؤتمر الارز الذي عقد في ١٩٧٠/٥/٧ — للاسترشاد بتجربة تسويق القطن في تسويق محصول الارز — وفي نفس الوقت أرتفعت اصوات المدافعين عن القطاع الخاص حتى تقرر أن تطرح الاسمدة الكيماوية في الاسواق الحرة بزعم توافر انتاجها فاذا بها تختفي فجأة من الجمعيات التعاونية لتعاود ظهورها في متاجر القطاع الخاص ، واضطر الفلاح الذي لا يملك نقودا كالعادة الى شراء الاسمدة من القطاع الخاص لا نقدا ولكن مبادلة بمحصوله كما سبق أن بينا ، وبدأت الرأسمالية الزراعية وتجار المحاصيل يستعدون لاستئناف نهبهم المنظم للفلاح يساعدهم في ذلك القائمون على شئون الزراعة بوعي أو بغير وعي . وهكذا تضيع الحقيقة بين عدم الاكتراث وبين الطامعين في استنزاف الفلاح . ان تضارب تصريحات المسئولين وتعارض ما يذكر حول نجاح وفشل التسويق يؤكد الحاجة الى القيام بدراسة جادة لكل جوانب المشكلة واشراك جماهير الفلاحين الذين ترتكب بأسمهم كل عمليات السلب والنهب المنظم في دراسة مشكلتهم .

ان حقائق التاريخ القريب والموقف الراهن تحتم علينا الالتزام بالقيود التالية :

١ — الا يعود القطاع الخاص بأية طريقة أو بأية نسبة الى المعاملات الخاصة بتمويل العمليات الزراعية أو تسويق محاصيل الفلاحين . ان أزمة الفول وهو غذاء شعبي اساسي لتلقي الضوء على دور تجار القطاع الخاص ، لقد تسرب محصول الفول الى أيديهم ، ووصل بهم الامر الى حد تهديد وزير التموين السابق في اجتماع علني في الاتحاد الاشتراكي بالامتناع عن بيع ما لديهم من مخزون الفول الا اذا ألغيت تسعيرة الفول أو رفع سعره الى ١٩ جنيها للاردب في حين تعرض وزارة التموين تسعة جنيهات للاردب ، مع العلم بأن السعر الذي اشترى به التجار محصول الفول هو ٦٫٥ جنيهات . ولا نستطيع بعد ذلك تحت أي دعوى أن نترك تجار القطاع الخاص يتحكمون في محصول الفلاح وفي قوت الشعب .

٢ — ان تشترك جماهير المنتجين الفلاحين في دراسة وتقرير السياسة الملائمة للتسويق الداخلي .

التسويق الخارجي :

رغم كل المناقشات التي دارت في العام الماضي حول حق الشركات المتعددة في الاستقلال بسياسة تصديرية خاصة بها ، ورغم كل التفاصيل التي وردت في هذه المناقشات حول دول الاتفاقيات ومنطقة التجارة الحرة والعملة الصعبة وغيرها من المسائل التي تعرض على الشعب في تعبيرات غامضة — رغم ذلك فان حقيقة هامة اغفلت أو تغافل عنها الجميع وهي أن استقلالنا الوطني مرتبط أشد الارتباط بالطريقة التي نشترك بها في سوق التجارة الدولية . ان الاستعمار ليس معناه وجود قواعد عسكرية ، وانما هو في صورته الحديثة ارغام الامم الفقيرة والنامية على الاشتراك في التقسيم الدولي للعمل بحيث تنتج الخامات وتستورد السلع المصنعة — وبذلك تبقى دائما أسيرة فقرها وتخلفها . لقد كانت المقولة الرئيسية لبيير جاليه في كتابه

« مكانة العالم الثالث فى الاقتصـــاد العالمى » هى (... أن دمج البلدان الراسمالية غيـر المتطورة تطورا كافيا فى السوق العالمية بصفتها منتجة للخامات من شأنه أن يجعلها خاضـــــعة للاحتكارات الكبرى ولمراقبتها الدائمة) . وقـد نقلت جـــريدة « لوموند » عن دايورى هامـــانى رئيس النيجر تعليقه على اتفاقية ياوندى بين الدول الافريقية الــ ١٨ والســـوق الاوربيـــة المشتركة بالعدد الصادر فى ١٩٦٦/١١/١ قوله أنه لاحظ هبوطا مستمرا فى أسعار الحاصلات الزراعية المصدرة الى السوق الاوربية وصـــل من ١٠٠ الى ٧٤، بينما ارتفعت أسعار المنتجات الصناعية من ١٠٠ الى ١٢٣ فى خلال أربـــع ســـنوات . ولعل المفاوضـــــون المصريون فى المفاوضات مع السوق المشـــتركة يتذكرون أن المفاوضات كانت تتعثر حينما كانوا يقتربون من مناقشة موضوع المنسوجات المصرية ، بينمـــا لم يكن هناك اعتراض على تصـــدير الخامات . أن ذلك يحمل فى حقيقته الرغبة فى أبقاء البلدان النامية ومنها مصر فى أســـار الفقر والتخـــلف بقسرها على التخصص فى انتاج الخـــامات وتصديرها . وسبق أن أوضح « أجناتسى زاكس » فى « التجارة الخارجية والتنمية الاقتصـــادية » [... أن أهم العوامل المميزة لمثل هذا النموذج من « الاقتصاد التصديرى» هو جيب من رأس المال الاجنبى المنتج للســـــلع الاولية المعـــدة للتصدير ، ومجموعة صـــغيرة من مســــــتهلكى الواردات الكمالية] . ولعل القــــائمين على تصدير الارز يعلمون لماذا تعرض المانيـــا شراء الارز الشعير بسعر الارز الابيض ، ذلك لان القاعدة الاساسية للاستعمار ليس بالدرجة الاولى فى اسعار المواد الخام — وأن كانت مهمـــة — وانما فى ابقائنا خارج حلبة التصنيع والتقـــدم الحقيقى (*)

لقد جاء فى المجلة الاقتصادية التى يصدرها البنك المركزى المصرى — المجلد التاسع عـــدد ١ و ٢ عــــام ١٩٦٩ عن صـــــادرات القطن والمنسوجات الارقام التالية :

قطن خـــــام	١٢٠٫٠٨٠٫٠٠٠ جنيه (*)
خيـــوط قطن	٢٩٫٨٥٥٫٠٠٠ جنيه (*)
منسوجات قطنية	١٤٫٤٨٧٫٠٠٠ جنيه (*)
ملابس جـــاهزة	٤٫٢٧٠٫٠٠٠ جنيه (*)

وذلك رغم أن المســـتهلك الاوروبى يفضـــل الملابس الجاهزة لارتفاع أسعار التجهيز . ومن المثال السابق يتضح أننا نشترك فى التجـــارة الدولية بطريقة تحقق خسائر مؤكـــدة — فاننا يجب أن نستغل كل الخامات المتـــوفرة لدينـــا بتصنيعها ، وبذلك تنشأ لدينا صناعة قوية وتقدما تكنولوجيا مؤكدا . أن دولة كاليـــابان لا تملك مصـــادر للخامات ولا مناجم للطاقة ومع ذلك فقد اشتركت فى معركة ضـــارية ضـــد الاحتكارات الامريكية فيما يسمى بحرب المنسوجات . وعلى سبيل المثال لا الحصر فان محصـــول الارز الذى نصدر منه ما يربو على ٥٠٠٫٠٠٠ طن يجـــرى تجهيزه بطريقة بدائية . فنحن ننتج من رجيـــع الكون ١٢٠٫٠٠٠ طن كناتج جانبى لضرب الارز، نصدر منه جزءا ونصنع الباقى فى علف الحيوان، بينما تستطيع صناعة ضرب الارز الحديثة فى أوروبا أن تستخلص منه نوعين يضاف أحدهما الى الخبز لتحسين مواصفاته ، بينما يســـتخدم الآخر فى علف الحيوان . وقد أوصى مؤتمر الارز الاول فى ١٩٧٠/٥/٧ باجراء دراسة حول فصل رجيع الارز ناتج الكونين الاول والثانى كما أوصى بالتوسع فى استخدام أجهزة التنقية الالكترونية وطرق الضرب الحديثة وخاصة طريقة الاذابة والاستخلاص التى ما زالت تحتـــكرها الشركة المنتجة لها ، نظرا لما تبين من تنوع منتجاتها ذات القيمة العالية مع أنتاج أرز خال من الكسر .

ونكتفى بهذا القدر من ذكر محصـــولاتنا التى نصدرها بشكلها الخام ونخسر من جـــراء ذلك خسائر فادحة ، ونخلص الى الحقائق التالية :

١ — أن تقدمنا الصناعى والفنى مرتبط أشد الارتباط بتصنيع خاماتنا الزراعية .

٢ — ان المحافظة على اســـتقلالنا الوطنى ترتبط بالخروج من التقسيم الدولى الاستعمارى للعمل — وذلك بتصنيع خاماتنـــا واعـــدادها للاستهلاك المباشر تفاديا للاختناقات والتحـــكم الذى تسببه الاحتكارات الصناعية الاستعمارية .

٣ — ان معركة الصمود تستدعى أن يحقق أقتصادنا الوطنى استقلالا عن تأثير الاحتكارات الاستعمارية التى تشارك عدونا بأبقائنـــا فى حلقة التخلف .

التعـــاون الزراعى

ادت التعديلات التى ادخلت على التعـــاون الزراعى بصدور القانون الجديد فى ١٩٦٩/٨/١٨ — الى ثلاث نتائج :

١ — سيطرة أغنياء الريف على مجالس ادارة الجمعيات التعاونية وما يليها من مســــتويات قيادية بعد الغاء النسبة المنصـــوص عليها فى القرار الوزارى الصادر عام ١٩٦١، وهى ضمان

٨٠٪ من اعضاء مجلس الادارة لصغار الفلاحين مالكى وحائزى خمسة أفدنة فاقل .

٢ ــ دخول فئات جديدة لا صلة لها بالزراعة كالتجار والمهنيين فى مجالس الادارة .

٣ ــ اهدار حق الفلاحين المصريين فى الاشتراك فى التخطيط لما يخصهم . على أن النتائج السابقة اصبحت لا قيمة لها بعد أن وقعت الجمعية التعاونية فى قبضة الجهاز الحكومى ، ويكفى أن نشير الى موضوع الرقابة المفروضة على مجالس الجمعية حتى نرى كيف افرغ التعاون الزراعى من مضمونه ففى نص القانون نرى :

١ ــ وجوب اعتماد قرار الجمعية لدى مفتش التعاون التابع للهيئة العامة للتعاون الزراعى .

٢ ــ وجوب اعتماد قرار مجلس الجمعية من المشرف الزراعى الممثل لوزارة الزراعة .

٣ ــ وجود لجنة رقابة من اعضاء الجمعية العمومية لا تختارهم الجمعية ، وانما يختار الاتحاد الاشتراكى اثنين ، ويختار الاتحاد التعاونى واحدا ، كما تختار المؤسسة التعاونية ومجلس المحافظة المختص عضوين آخرين .) مادة ٥٤ من قانون التعاون اليراعى)

٤ ــ جهاز المراقبة المعين من قبل الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى . (مادة ٥٧)

ان تعدد أجهزة الرقابة واختلاف الجهات المسئولة عنها يجعل من مجلس ادارة الجمعية وهو الممثل الشرعى لاعضاء الجمعية العمومية مجلسا صوريا . وادى ذلك فى الواقع الى تجريد التعاون الزراعى من صبغته الجماهيرية ، وعلى الطبيعة نجد ان مجلس الجمعية يقرر قرارا يغير بعضه مفتش التعاون ، ويغير بعضه الاخر المشرف الزراعى ــ ثم يتولى التنفيذ رئيس الحسابات وهو موظف تابع لمؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى (بنك التسليف سابقا) وبهذا اجهض عمل الجمعية التعاونية تخطيطا وتشريعا وتنفيذا . لقد تم ذلك كله بحجة حماية الفلاحين من السرقة والاهمال وعدم الخبرة ، وهى صفات تتصف بها بالدرجة الاولى المؤسسات المشرفة والمراقبة للتعاون الزراعى على وجه العموم .

ان ذلك يطرح ثلاثة محاور يجب أن تدور حولها الجهود من أجل ايجاد نظام تعاونى للفلاحين المصريين ،

١ ــ استقلال الفلاحين فى ادارة تعاونياتهم بصفتهم منتجين ــ مع ضمان حق فقراء الفلاحين فى التمثيل الصحيح بتحديد أربع اخماس العضوية فى مجلس الجمعية لهم . وقصر المحاسبة والرقابة على القضاء والمحاكم .

٢ ــ اشتراك الفلاحين فى التخطيط للدورة الزراعية والانتاج الزراعى بوجه عام .

٣ ــ ان تمارس الدولة رقابتها واشتراكها مع الفلاحين من خلال الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى .

ونكتفى بهذا القدر من محصولاتنا التى نصدرها عامة بشكلها الخام وبكميات ضئيلة للغاية بشكلها المصنع . ونخلص الى الحقائق التالية :

١ ــ ان تقدمنا الصناعى والفنى مرتبط أشد الارتباط بتصنيع خاماتنا الزراعية المنتجة .

٢ ــ ان استقلالنا الوطنى مرتبط بالخروج عن التقسيم الدولى الاستعمارى للعمل ــ وذلك بتصنيع خاماتنا واعدادها للاستهلاك المباشر تفاديا للاختناقات والتحكم الذى تسببه الاحتكارات الصناعية الاستعمارية .

٣ ــ ان معركة الصمود تستدعى أن يحقق اقتصادنا الوطنى استقلالا عن تأثير الاحتكارات الاستعمارية التى تشارك عدونا بابقائنا فى حلقة التخلف .

الخدمات

سبق أن اشرنا الى أن الفلاحين المصريين البالغ عددهم نحو ١٨ مليونا يقطنون فى ٤٠٤٠ قرية ، ٢٨ر٣٨١ عزبة ، ولاشك أن ذلك يؤثر تأثيرا بالغا على نوع وقدر الخدمات التى يمكن أن تؤدى لهم . وعلينا أن نشير هنا الى العوامل التى أدت الى هذا التشتت السكانى المبالغ فيه ــ لقد نشأ ذلك التشتت تحت تأثير عاملين :

١ ــ أدى تجريد الفلاحين المصريين من حيازتهم للارض بالتسويق المرابى للمحاصيل ، والتمويل المرابى للانتاج الزراعى الى انتزاع المرابين والتجار والمهنيين عموما الارض من الفلاحين ، وكون كل من الملاك الجدد نواة لتوسعه فى المستقبل ، وذلك بنقل الاجراء والمستأجرين الى وحدات سكنية بعيدا عن القرى الكبيرة التى كانوا يقطنونها . وادى ذلك بالضرورة الى اضعاف الحركة السياسية والاجتماعية للفلاحين .

٢ ــ أدى التسلط والارهاب الذى أوقعه كبار الملاك والاقطاعيين على الفلاحين الى هروبهم ، بانشاء وحدات سكنية جديدة بعيدا عن مراكز التسلط والارهاب .

وأيا ما كان السبب فان النتائج التى ترتبت على هذا التشتت كانت وستظل بعيدة الاثر فى حياة

الفلاحين المصريين ـ ذلك انها ستعمل بالضرورة على الاقلال من حجم ونوع الخدمات التى يمكن أن تؤدى اليهم ـ كما انها تشكل العائق الاساسى فى حركة الجماهير الفلاحية من أجل المشاركة فى الحركة السياسية العامة للشعب المصرى •

ويمكن لنا أن نتصور ما يجرى من خدمات للفلاحين المصريين اذا تذكرنا الارقام التى أذاعها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ فقد قسم البيان المحافظات الى محافظات حضارية ، هى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس قبل التهجير ـ أما باقى المحافظات ـ فقد أطلق عليها المحافظات غير المتحضرة •

١ ـ المحافظات المتحضرة يعمل بها ٩ر٨٧ فى المائة من الحقوقيين ، ٨٧ فى المائة من التجاريين ، ٤ر٦٥ فى المائة من الزراعيين ، ٦٠ فى المائة من البيطريين ، ٧١ فى المائة من خريجى العلوم ، ٢ر٧٣ فى المائة من المهندسين •

٢ ـ محافظات الريف ونسبها كالتالى : ١ر١٢ فى المائة من الحقوقيين ، ١٣ فى المائة من التجاريين ، ٦ر٣٤ فى المائة من الزراعيين ، ٤٠ فى المائة من البيطريين ، ٢٩ فى المائة من خريجى العلوم ، ٨ر٢٦ فى المائة من المهندسين •

ويمكننا أن نقسم الخدمات الاساسية بالنسبة للفلاحين الى :

١ ـ الخدمات الصحية : من البديهيات أن الغذاء الصحيح يمثل السور الاول الواقى من الامراض وبخاصة البروتينات ، وتشير احصائية مصلحة الاقتصاد الزراعى لعام ١٩٦٨ أن نصيب الفرد المصرى من البروتين الحيوانى بكل مصادره ، وهى اللحوم والالبان محلية ومستوردة ، والدواجن والاسماك محلية ومستوردة ، والبيض تبلغ ٣ر١٠ جرام يوميا ، وهى نسبة ضئيلة للغاية ـ فان الحد الوقائى الصحى اللازم توفره للفرد فى اليوم هى ٣٢ جراما ، غير ان نصيب المصرى وهو ٣ر١٠ جرام فى اليوم تنخفض فى الريف حتى تبلغ ٢ جرام ، وهى نسبة عديمة الاثر ـ ومن أجل ذلك فان المستوى الصحى فى الريف المصرى آخذ فى التدهور ، ولا يقف الامر عند هذا الحد فقد صرح السيد الدكتور أحمد السيد درويش وزير الصحة فى ١٦ ـ ١٠ ـ ١٩٧١ ان عدد الاطباء الواجب توافرهم على مستوى الجمهورية هو ١٠ر٠٠٠ طبيب ـ الموجود فعلا ٥٢١٤ ـ اما عدد الممرضات الواجب توافرهم ١٤ر٠٠٠ ـ يوجد منهم فعلا ٤٠٠٠ • واستطرد السيد وزير الصحة يقول « على أن أقول أن هذه الارقام قد تتغير غدا الى الاسوأ ـ لان عملية استنزاف الاطباء مستمرة فامريكا تستورد منا كل عام ١٢٠٠ طبيب الى جانب الاطباء الذين يخرجون الى العمل فى البلدان العربية والافريقية ، فقد أدى ذلك الى نتائج بالغة الخطورة منها أن نسبة الاطباء فى الريف المصرى قد انخفضت الى حد بعيد ـ فالاحصاءات الرسمية التى أذاعها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ ونشرت بالاهرام الاقتصادى ـ العدد ٣٨٦ فى ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧١ تقول أنه فى القاهرة يوجد طبيب لكل ٩٠٠ من السكان ـ أما فى ريف الوجه البحرى فيوجد طبيب لكل ٣٤٢٠ من السكان ، وفى الوجه القبلى طبيب لكل ٢٩٩٠ من السكان ، غير ان الواقع يقول غير ذلك ، ففى محافظات ريف الوجه البحرى يوجد طبيب واحد لكل ٤٠٠٠ من السكان •

على أن هبوط الخدمات الصحية فى الريف المصرى ليس سرا من الاسرار ، فقد نشرت جريدة الاهرام فى ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٧١ أن اللجنة الصحية بمجلس الامة تعد تقريرا ليناقشه المجلس عن مشاكل العلاج فى الريف ، والصعاب التى تعترض سبيله بعد أن تبين أن هناك أكثر من ٥٠٠٠ سرير شاغرة بالاقسام الداخليةفى المجموعات الصحية ، ٥٧٥ حجرة عمليات معطلة بسبب نقص عدد الاطباء

التعليم

رغم كل المجهودات التى بذلت على مدار السنوات الماضية فاننا لا نزال نحافظ على نسبة من الامية تبلغ ٧٥ فى المائة من السكان وترتفع هذه النسبة فى الريف حتى تبلغ ٩٠ فى المائة وتشير الاحصائيات التى نشرتها جريدة الاهرام فى ٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٧١ ان عدد الذين يتلقون التعليم من المرحلة الاعدادية الى الجامعة يقل عن ٥ ملايين بينما عدد المواطنين فى سن التعليم المذكور يبلغون ١٥ مليونا يوجد منهم ٧ ملايين بالريف المصرى لا يتلقون اى نوع من انواع التعليم ، فى الوقت الذى اتهمت فيه مجانية التعليم بأنها من الاسباب الرئيسية فى تدهور التعليم ، وذلك فى مؤتمر التعليم العصرى الذى انهى مناقشاته غير المجدية حول التعليم فى مصر فى ٢٠ ـ ١ ـ ١٩٧١ • ولعله من المفيد أن نذكر فى هذا الصدد النقص البالغ فى عدد المدرسين الذى يلاحظ فى قرى الريف المصرى نتيجة لتهجير ٣٠ الف مدرس من ذوى التقارير الممتازة بحجة حاجة البلدان العربية اليهم ، واستجلاب العملة الصعبة التى لا يرى الفلاحون آثارها او يسمعون عنها •

الارشاد الزراعى

انشئت الوحدات الزراعية بمقتضى القانون رقم

٣٠ لسنة ١٩٤٤ (قانون الاصلاح الريفي) ونص القانون على انشاء وحدات زراعية في دائرة مساحتها ١٥٠٠٠ فدان ، وتعمل على النهوض بالريف ورفع مستوى الانتاج وتنويعه ، وفي عام صدور القانون انشئت ٣ وحدات • وفي عام ١٩٤٦ اعتمد مبلغ ربع مليون جنيه لانشاء ٢٥ وحدة لم تنفذ لعدم وجود اعتمادات ،ثم في سنة ١٩٤٧ انشأت الحكومة اللجنة العليا لمكافحة الفقر والجهل والمرض ، وسمى الاعتماد الذى كان مخصصا للوحدات الزراعية باعتماد « مكافحة الفقر والجهل والمرض » • وكانت اللجنة العليا مكونة من الزراعة والصحة والشئون الاجتماعية ، وذلك لانشاء الوحدات الزراعية والمراكز الاجتماعية ، والوحدات الصحية — كل في دائرة اختصاصه ، وبدىء سنة ١٩٤٧ في انشاء وحدة رئيسية كبرى في سرس الليان ، وعدلت سياسة الانشاء فتقرر ان تنشأ في عواصم المراكز فقط • وبعد ثورة يوليو تقرر تعميم المراكز وخاصة بالوجه القبلي •

وتتكون الوحدة الزراعية من : حقل ارشادى مساحته من ٦ — ١٢ فدانا ،ومشتل لانتاج شتلات الفاكهة • ومشتل لانتاج شتلات الخضر • ومشتل لانتاج الاشجار الخشبية • وحظائر للطلائق ، وحظائر لانتاج السلالات الجيدة من الدواجن ، والارانب ، ومنحل تعليمي وتربية دودة القز •

وفيما يختص بالارشاد الزراعي لا توجد أية بيانات عن النتائج التى ادى اليها ذلك التنظيم الطموح ،غير انتخلف الزراعة والانتاج الحيوانى يسمح لنا بالقول ان الارشاد الزراعي يؤدى الى نتائج رمزية مثلها مثل العلاج •

اما عن الاسكان والثقافة وخدمات الحكم المحلى فان ذلك ترف لا يصح الخوض فيه • ان الخدمات الاساسية التى يمكننا ان نطالب بها وبتوفير حد ادنى منها تتلخص في الرعاية الصحية والتعليم وفي هذا الصدد يمكننا ان نطالب بالحيلولة دون استنزاف الاطباء والمعلمين المصريين الذين وضعت الخطط لتعليمهم وتدريبهم وانفق عليهم من أموال الشعب الذى يكون الفلاحون الجزء الاكبر منه تحت أى دعوى من دعاوى الحصول على العملة الصعبة او مساعدة غيرنا من الدول المتخلفة •

خاتمة

مما سبق يتضح لنا ان عام ١٩٧١ والاعوام التى سبقته ستطرح على عام ١٩٧٢ عديدا من المشاكل والمسائل التى لا مفر من مناقشتها او محاولة الاقتراب من حلها • ويمكننا أن نجمل هذه المسائل والمشاكل على الوجه التالى :

١ — في مجال الارض وعلاقات الانتاج السائدة :

١ — مشكلة تفتيت الارض وصغر حجم الوحدة الانتاجية الزراعية •

٢ — مشكلة تدهور خصوبة الارض ومشاكل الصرف الحقلى التى اثبتت التجارب عجز الجهود الفردية في مواجهتها •

٣ — الميكنة الصحيحة للزراعة واستخدام الاساليب العصرية في الانتاج الزراعي •

٤ — مشاكل الارض الجديدة ومواجهة المهام التى يجب أن تتحملها الشركات الزراعية الجديدة •

٥ — علاقات الانتاج ومواجهة الهجوم الذى يشنه كبار الملاك على الفلاح المصرى ووجوب تأمين مستقبل الفلاحين المصريين بالاتجاه نحو العلاقات الارقى وهى التاجير بالنقد مع تحريم طرد الفلاح •

٢ — في مجال التسويق الداخلى والخارجي والائتمان الزراعي :

١ — التسويق الداخلى ووجوب المحافظة على التسويق التعاوني وابعاد القطاع الخاص عن كل ما يتعلق بتسويق المحاصيل ، وتمويل الانتاج الزراعي ووجوب الاحتفاظ بالتمويل التعاونى مع اشراك الفلاحين اشراكا حقيقيا في معالجة المشكلات التى يتعرض لها الانتاج الزراعي •

٢ — تصنيع الانتاج الزراعي والعمل على الحد من تصدير المواد الخام الزراعية والاتجاه نحو تصنيع كل ما يمكن تصنيعه من منتجاتنا الزراعية •

٣ — اعادة صياغة قانون التعاون بحيث يؤدى الى اشراف صغار الفلاحين ، وهم المنتجون الحقيقيون للثروة الزراعية على التعاون الزراعي ، ووقف العبث الذى تسببه الاجهزة البيروقراطية في مؤسسات الفلاحين التعاونية باسم التجارب الرائدة •

٣ — في مجال الخدمات :

١ — الرعاية الصحية للفلاحين بصفتهم المنتجين الحقيقيين للثروة القومية ، ووضع الحلول الصحيحة لمشاكل الوقاية والعلاج الحقيقى •

٢ — مشاكل التعليم التى تفاقمت نتيجة للتهجير المبالغ فيه للكوادر العلمية المصرية •



الخريطة السياسية والاجتماعية لنشأة جمهورية بنجلاديش

حسين عبد الرازق

كثيرة هى محاولات الانقسام والانفصال التى شهدها العالم، خاصة فى أفريقيا وآسيا ، فمازالت بعض الكيانات السياسية ، تحمل العديد من عوامل التناقض والاختلاف ، بين مجموعاتها البشرية المختلفة . يفرق بينها التكوين القبلى والجنس والدين والانتماء الطائفى والماضى الحضارى والمصالح الاقتصادية ، كلها مجتمعة أو بعضها فحسب .

ولكن هذه المحاولات التى تصدت لها أقليات مختلفة هنا أو هناك لم يصادفها النجاح . استسلمت متراجعة أمام منطق القوة فى يد السلطة المركزية ، وأمام تيار الوحدة الذى تجاوز فى بعض الاحيان منطق الدولة القومية ، الى آفاق أرحب وأشمل .

وتبدو المحاولة الناجحة التى وقعت فى باكستان الشرقية وأثمرت قيام « **جمهورية بنجلاديش الديمقراطية** » استثناء واضحا .

ولا شك أن هناك ظروفا مختلفة داخلية وخارجية صادفت أهالى البنجال ، كتبت لعملهم مصيرا مغايرا لمصائر الجماعات الاخرى التى رفعت شعار الانفصال أو الاستقلال فى مراحل مختلفة . فكون اهالى البنجال الشرقية غالبية سكان باكستان (٧٥ مليونا من ١٢٠) ليس وحده سببا كافيا ، بل لابد من البحث عن أصول القضية فى واقع باكستان نفسه ، وفى العوامل الخارجية التى لعبت دورا مساعدا ولكنه حاسم .

الحرس القديم

ولدت باكستان ولادة دموية عسرة . خرجت للوجود نتيجة انفجار مشبوه للتعصب بين المسلمين والهندوس فى الهند . ومنذ اللحظة الاولى تنازعها تياران ..

رجال الحرس القديم فى حزب العصبة الاسلامية ، وكلهم من الاقطاعيين وأمراء المسلمين ، وكبار الموظفين والضباط المتقاعدين المتعاونين مع بريطانيا ، .. « يريدون باكستان للحفاظ على ثرواتهم الشاسعة وعلى سلطة الحكم التى تمتعوا بها طويلا ، وعلى ولائهم الذى قارب العقيدة للبريطانيين .. » .

والقادة « الجدد » نسبيا الذين تطلعوا الى باكستان « الحلم » .. « دولة جديدة ثورية تقدمية اشتراكية اسلامية . تفوق ما سوف يحققه البورجوازيون والرأسماليون الهنود . وتضرب مثلا فى الديمقراطية والتسامح والثورة الاجتماعية . وترتبط بكل الشعوب الاسلامية الثائرة ، وبكل الحركات التحررية فى العالم .. » .

وواجه القادة الجدد - خاصة بعد موت محمد علي جنة فى سبتمبر ١٩٤٨ - تصاعد نفوذ رجال الحرس القديم ، وتحركهم من أجل تصفية كل العناصر (المشاغبة) ، وضم باكستان الى الكتلة الغربية • وانطلق المثقفون الثوريون فى باكستان ، بزعامة شاعرها الكبير « فايز أحمد فايز » فى محاولة يائسة لوقف الانهيار ، واتجهوا الى الجيش • وكان الجيش الباكستانى هو الاخر ميدان صراع لتيارين : الضباط التقدميون بقيادة « أكبر خان » ، وضباط الجيش البريطانى بقيادة « أيوب خان » • وتحالف المثقفون الثوريون والضباط التقدميون للقيام بانقلاب عسكرى ينقذ باكستان « الحلم » من الوقوع فى يد الاقطاع والاستعمار •

وأكتشف الانقلاب قبل التنفيذ ، كل المشاركين فيه ، ولولا ليأقت على خان رئيس الوزراء ، الذى كان يقف فى الوسط بين التيارين ويحاول ممارسة لعبة التوازن حفاظا على باكستان ، لواجه كل المشتركين فى المحاولة ، حكم الاعدام مشمولا بالنفاذ •

ولكن لياقت على خان رحل هو الاخر • اغتيل عام ١٩٥٥ ، وأحاط بالحادث كثير من الغموض وعلامات الاستفهام • وبدأ الجيش الباكستانى بعد تطهيره من العناصر الوطنية ، يمارس السلطة من وراء ستار • وتوالى على الوزارة ستة رؤساء خلال سبع سنوات •• نظام الدين ، محمد على ، وشودرى محمد على ، سهرواردى : شندريجار ، ميروز خان ، وخلال هذه السنوات السبع ، أصبحت باكستان ناضجة تماما للسلطة المطلقة وحكم العسكريين المباشر ، وسيادة أبناء البنجاب ، الذين كونوا ثروات ضخمة من التجارة والصناعة ، وركزوا وجودهم فى الحكومة والادارة • فالفساد السياسى ، والسرقات المنظمة والاستغلال ، وتعميق التخلف ، والصراعات الاقليمية التى هددت وحدة الباكستان ، والارتباط بالاحلاف العسكرية فى غرب آسيا وجنوبى شرقى آسيا « حلف بغداد ، والسنتو » ، خلقت مناخا ملائما •

ودعا الرئيس اسكندر ميرزا فى عام ١٩٥٨ ، قائد جيشه « أيوب خان » ، ليفرض النظام ويسهر على تطبيق قانون الطوارىء ، وسرعان ما استولى الجيش على السلطة ، وتولى أيوب خان رئاسة الجمهورية ، مسجلا بداية الفصل الثانى من المأساة •

العسكريون فى السلطة

أصبح واضحا رغم وجود أحزاب سياسية فى



مجيب الرحمن

باكستان ، أن السلطة الفعلية فى يد تحالف من العسكريين وموظفى الحكومة وحزبهما الخفيان •

ونجح التحالف بزعامة أيوب خان فى تحقيق انجازات هامة • فى المقدمة ، الاستقرار السياسى لمدة ١٠ سنوات متواصلة ، وتحقيق معدل للنمو فى الدخل القومى يصل الى ٦ فى المائة سنويا (فى عام ١٩٦٧ وصل الى ٣ر٨ فى المائة)وزيادة فى الدخل الفردى ٢٠ فى المائة ، وفى الانتاج الصناعى ١٥٠ فى المائة ، وفى الصادرات ٢٠٠ فى المائة ، وزيادة ضخمة خلال عامى ٦٧ ، ١٩٦٨ فى انتاج المواد الغذائية • ولكن هذه الانجازات التى تلالات على السطح لم تنجح فى اخفاء عورات النظام • وتحققت نبوءة ماركس التاريخية • فازداد الاغنياء غنى ، والفقراء فقرا • وتباعدت المسافة بينهم فى ظل حكم أيوب خان • وسيطرت ٢٢ من الاسر الغنية فى غرب باكستان على ٦٦ فى المائة من الثروة الصناعية فى باكستان ، و ٨٠ فى المائة من الودائع المصرفية ، و٧٥ فى المائة من رأس مال شركات التأمين • وساعدت اجراءات الجمارك والسياسة الضريبية والمالية والنقدية على نمو الاحتكارات الضخمة ، واتسعت الفجوة بين اقليمى الباكستان لحساب الاقلية فى الغرب •

وفشلت سياسة « ديمقراطية القاعدة » التى تعطى ٨٥٠٠٠ فقط يمثلون أقل من ١ر٠ فى المائة

من سكان الباكستان، حق التصويت المباشر، فى استيعاب الحركة السياسية لاهالى الباكستان • وتحول اعضاء مجالس ديمقراطية القاعدة فى المدن والقرى، الى لصوص (منتخبين) ، مارسوا كل انواع الاستغلال والنهب والسلب •

وجاءت الحرب الهندية الباكستانية حول كشمير فى سبتمبر ١٩٦٥ ، ونقص المعونات الاجنبية ، وزيادة الانفاق العسكرى ، لتحمل معها زيادة حادة فى الضرائب والاسعار ، وقع عبئها على الطبقات الفقيرة والوسطى • وأثارت المتاعب الاقتصادية موجة واسعة من المطالبة بالحريات السياسية فى صفوف الطبقة الوسطى الحضرية •

ولخص الجنرال أشقر خان ، القائد السابق لسلاح الطيران، وأحد المعارضين لايوب خان، الموقف بعد عشر سنوات من حكم الجيش قائلا •• « لقد لاحظ الجميع تدهور الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد منذ فترة •• وتأثرت حياة الملايين وسعادتهم بالفساد والتعفن والتسلط وعدم الكفاءة الادارية • وتعمقت الفروق الاجتماعية، وازداد التدهور الاقتصادى والفجوة بين الاغنياء والفقراء •• وانتزع حق التعبير وحرية الصحافة، ولم تبق الحكومة فى السلطة الا باستخدام القوة •• » •

نهاية ايوب خان

لم يكن غريبا انفجار الباكستان فجأة ضد نظام ايوب خان • وكالعادة ، كانت البداية حادثة صغيرة متواضعة تبدو بعيدة عن الاهتمام العام ، ولكنها سرعان ما مزقت ستار الهدوء الكاذب الذى يغلف السخط الكامن فى باكستان •

اضرب الطلاب فى روالبندى نتيجة بعض مشاكل محلية ، مطالبين باصلاح النظام التعليمى • وسرعان ما تحولت المظاهرات الطلابية الى مظاهرات شعبية معادية للنظام • ورد أيوب خان على تحرك الجامعة باغلاقها واعتقال عدد من قادة الحركة الطلابية • والقى القبض على وزير خارجيته السابق « ذو الفقار على بوتو » ، الذى استقال من الحكومة عام ١٩٦٦ نتيجة معارضته لاتفاقية طشقند والتفاهم مع الهند ، وكون حزبا جديدا معارضا « حزب شعب الباكستان » فى نوفمبر ١٩٦٧ • واتهم أيوب على بوتو بالمسئولية غير المباشرة عن التحرك ضده •

واستفادت مجموعة احزاب معارضة من هذا المناخ • تجمعت ثمانية منها ذات تكوين واتجاهات محافظة فى « لجنة العمل الديمقراطى » • وحددت أهدافها فى ضرورة الغاء حالة الطوارىء ، ونظام ديمقراطية القاعدة ، واقرار نظام برلمانى تقليدى على النمط الغربى •

وتجددت الاضرابات والمظاهرات ، بشكل أعنف بعد اعادة فتح الجامعة التى ظلت مغلقة لمدة ١٤ اسبوعا ، ووصلت قمتها فى الاضراب العام الذى دعت اليه كافة القوى المعارضة ، فى منتصف فبراير ١٩٦٩ • وأشعل المتظاهرون خلال الاضرب النار فى جريدتين حكوميتين • وشارك العمال فى الاضراب بصورة تفوق اى مساهمة فى الحركات السابقة • ورفعت مظاهراتهم شعارات تنادى بسقوط الرأسمالية والاقطاع ، وسقط عشرات من القتلى والجرحى •

وبدأ ايوب خان سلسلة من التراجعات • فأفرج عن « على بوتو » وعدد من الشخصيات السياسية المعارضة ، وأعلن عزمه على الغاء حالة الطوارىء • ودعا زعماء المعارضة للاجتماع للتشاور فى وسيلة للخروج من الازمة السياسية التى تعانى منها البلاد ، مستبعدا حزب الشعب الذى يتزعمه « على بوتو » ، وحزب رابطة عوامى بزعامة « الشيخ مجيب الرحمن » الذى أودع السجن منذ منتصف ١٩٦٦ •

ولم تنجح محاولة الامتصاص • تزايدت موجة الاضرابات والعنف • وشارك فى المظاهرات طبقات مختلفة ابتداء من عمال الموانى الى الاطباء •• « وللمرة الاولى يضطر المحامون فى باكستان للنزول الى الشارع احتجاجا على سياسة القمع التى تتبعها الحكومة » •• كما قال دكتور اقبال نجل الشاعر الكبير محمد اقبال • وفى يوم واحد أضرب ٢٥٠٠٠٠٠ موظف وتركوا اعمالهم •

واضطر ايوب خان الى مزيد من التراجع ، فدعا على بوتو الى حضور اجتماع أقطاب المعارضة ثم اعلن فى ٢١ فبراير تخليه عن فكرة ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة المقبلة • وفى اليوم التالى ، أطلق سراح الشيخ مجيب الرحمن ، واعلن أن جدول أعمال اللقاء مع زعماء المعارضة يتضمن نقطة واحدة •• كيفية نقل السلطة الى من يخلفه • والاسس السياسية العامة التى يقوم عليها هذا الانتقال •

ولكن المناخ السياسى فى باكستان كان يفوح برائحة غريبة وبدأ الحديث يقوى ويشتد عن احتمالات تدخل الجيش وعن ترشيح أشقر خان ، أو يحيى خان قائد الجيش كبديل مأمون للرئيس أيوب خان •

وازداد العنف فى باكستان الشرقية « بنجلاديش » ولم يقتنع الشيخ « مجيب الرحمن » ولا « مولانا عبد الحميد بها شبانى »

الزعيم اليسارى العجوز « ٦٧ عاما » بالتنازلات التى أعلنها أيوب خان ٠

وأعلن « مجيب الرحمن » الاضراب العـام فى باكستان الشرقية لمدة ٢١ يوما خلال شهر مارس، وبدأ مركز الثقل ينتقل من قصور المدن ومنازل الساسة الى اكواخ القرى حيث يعيش افقر فلاحى العالم وأتعسهم ٠ وسيطر الفلاحون المـوالون لبهاشانى على الريف وازالوا وجود أى سلطة للحكومة المركزية وتشكلت محاكم شعبية أصدرت أحكامها باعدام رجال أيوب خان وأعضـاء مجالس « ديمقراطية القاعدة » الذين مـارسوا أبشع أنواع الاستغلال والسرقة والارهاب ٠ ونفذ حكم الاعدام فعلا فى ٦٠ منهم على الاقل ، واحرقت مراكز البوليس والقصور وفى « دكا » نفسـها حرقت ٤ من دور السينما وتوقفت الحياة التجارية تمـاما ٠لقد سيطـر العـوام علـى الحيـاة فى « بنجلاديش » بأكملها

وفى صباح ٢٥ مارس استولى الجيش على السلطه مرة اخرى ٠ وأصبح الجنرال يحيى خان قائد الجيش رئيسا للجمهورية ، وفرض على باكستان حكم العسكريين مرة ثانية وأخمدت الهبة التى كادت تغير وجه باكستان ٠

وبدأ فصل جديد ٠

التحرك الى الديمقراطية

منذ اللحظة الاولى لاستيلاء يحيى خان على السلطة باسم القوات المسلحة أعلن عزمه على تحقيق الديمقراطية بعد فرض النظام والامن فى البلاد ، وتشكك اغلب الزعماء اليساريين — أو المتشحين برداء اليسار فى الحكام الجـدد ووعودهم ، خاصة زعماء البنجال الذين شاهدوا حلم الثورة الشعبية يجهض على يد يحيى خان وجماعته ٠

ولكن « على بوتو » رحب بالانقلاب وقال « ان ما حدث كان لابد من وقوعه وهو شيء لابأس بهفى الجملة ، لقد تخلصنا على الاقل من ايوب خان والاسرة المالكة (وهو مصطلح اطلق على أيوب خان واقاربه العديدين) ، ومـالم يسـتمتع العسكريون بمذاق السلطة ولا أظن هذا متوقعا فان احتمالات العودة للديمقراطية تبدو طيبـــة ٠ ان دكتاتورا ثانيا يكون دائما أكثر ضعفا لقد كان أيوب يملك حزبا ، بينما يحيى خان ليس عنده أى تنظيم سياسى وكان أيوب حاكما مطلقا لمدة ١١ عاما ، وقاد أيوب باكستان بينما شعبها لم يكن مستنيرا كما هو الان،زادت القوة العاملة فىالمدن، تضاعفت قدرة القوى التقدمية ٠ وفى النهاية فان أيوب خان عندما استولى على السلطة عام ١٩٥٨، لم تكن باكستان قد رأت دكتاتورا بعد ٠٠٠ ،وشرح بوتو موقفه ، مؤكدا أنه لا يقوم على ايمان بدور العسكريين (الديمقراطى) ولا بامكانية تنـازل حاكم عن سلطة مطلقة اكتسبها بقوة السلاح لمجرد تحقيق الديمقراطية ولكن قام على تقدير لطبيعة الظروف فى باكستان ومدى عمق الرفض الشعبى للدكتاتورية مهما كان اسمها وشكلها ٠

فالمناخ العام فى باكستان أيام استيلاء يحيى خان على الحكم يختلف بصورة أساسية عنه عام ٥٨ ، عندما خرجت الجماهير المرهقة من الساسة والسياسيين ، تهتف فى الشوارع لايوب خـان وقانون الطوارئ فالجو السياسى منذ تولى يحيى خان السلطة كان مشحونا بالمواجهة بين اليمين واليسارى والنزاع الايديولوجى بين الاشتراكيين وأنصار حزب « جماعة الاسلام » اليمينى والذى يمكن أن يتحول فى أى لحظة الى قتال شوارع على النموذج الاندونيسى ، مالم يتم استيعاب العواطف الحادة الكامنة خلال الوسائل الديمقـراطية بالاضافة الى حدة الصراعات الاقليمية والقضايا السـياسية المختلفـة التى جمدت مؤقتـا بعـد الانقلاب ٠

ورغم الهدوء الذى ساد باكستان بعد الانقلاب ، فان البلاد كانت تموج بالقلق والسخط ، وأضاف الوضع الاقتصادى المتدهور ، وعجز الجيش عن اتخاذ اى قرار حاسم لحل المشاكل الاقتصادية المتزايدة ، والارتفاع المستمر فى أسعار الحاجيات الاساسية للمعيشة ، والنقص الحاد فى المواد الغذائية عاملا جديدا للتوتر والقلق ٠

وكما قال أحد المراقبين ٠٠ « الوقت يمـر بسرعة ، ولا بد من الوصول الى مخرج قبل ديسمبر ١٩٧٠ ذكرى مرور عام على ثورة أهالى البنجال ضد الحكم السابق بما تحمله هذه الذكرى واحتمال الاحتفال بها من صدام لا يمكن تجنبه بين البنجاليين والجيش الذى ينتمى أغلب أفـراده وقياداته الى البنجاب » ٠ ويبدو ان يحيى خان لم تخدعه المظاهر ، ولم يغتر بقوة دباباته وطائراته ، واستطاع أن يرى السخط والثورة الكامنة فى أكثر من مكان ٠ فأعلن فى يناير ١٩٧٠ عن تنفيذ المرحلة الاولى من برنامجه لتطبيق الديمقراطية فـى باكستان ويقوم البرنامج على اباحة الاجتماعات العامة ، والنشاط السياسى للاحزاب اعتبارا من اول يناير وفى ٣١ مارس يصدر القرار القانونى المؤقت الذى تتم على أساسه الانتخابات ، وفى يونية يتم اعداد جداول الانتخابات الجديدة التى تضم ٦٠ مليون ناخب من سن ٢١ على أن تجرى الانتخابات العامة فى أكتوبر لاختيار ٣٠٠ عضو للجمعيـة العامة « ولجنة الدستور » وتنتهى اللجنة من وضع

الدستور خلال ۱۲۰ يوما ٠ وإذا فشلت فى ذلك تجرى انتخابات جديدة وعندما يتم اقرار الدستور تشكل حكومة جديدة وتتحول اللجنة الى جمعية وطنية وطبقا لهذا البرنامج فسيتم اختيار أعضاء الجمعية للمرة الاولى فى تاريخ الباكستان ،عن طريق التصويت المباشر طبقا لقاعدة صوت واحد لكل شخص ، وهذا الوضع يعطى اهالى البنجال قوة أكبر فى تسيير الامور فى البلاد فاذا أضفنا الى ذلك ما أعلنه يحيى خان من عزمه على تطبيق اللامركزية فى باكستان ومنح الاقليم الشرقى أكبر قدر من الاستقلال الاقليمى وتقسيم غرب باكستان الى اقاليمها الاربع السابقة وهى السند ، وبالوشستان ، واقليم الحدود الشمالى الغربى واقليم البنجاب ٠٠٠ لبدى الامر وكأنه تصفية كاملة لسيطرة أهالى البنجاب على الحياة المدنية والسياسية والنشاط الاقتصادى فى باكستان ٠

الا أن يحيى خان وقادة الجيش المنتمين لهذه النخبة حرصوا فى تخطيطهم على تحقيق توازن بين التيارات المختلفة التى تنازعت الباكستان وهددت استمرار وحدتها ٠ لقد ووجه هؤلاء ببذور تحالف قوى نمى وتأكد خلال اشهر الاضطرابات الشعبية الخمس بين الاقاليم الثلاثة الصغرى فى الغرب وشرق الباكستان ٠ وخشى زعماء البنجاب أن يؤدى هذا التحالف الى اضعاف سيطرتهم على الحياة السياسية والتأثير على موقف باكستان من قضية كشمير التى يرتبط بها اهالى البنجاب عاطفيا اكثر من غيرهم ، وليس هناك شىء يوقف نمو هذا التحالف مثل الاستجابة لمطالب أقاليم الغرب الثلاثة فتحقيق مطالبهم يمنع تطلعهم الى الشرق بحث عن التأييد وسيكون عامل توازن فى أى مجلس تشريعى جديد ٠

فوز رابطة عـوامى

كان الفصل الجديد يبدو مغايرا تماما لكل ما سبق ٠٠فيحيى خان يوفى بوعوده وتجرى الانتخابات فى موعدها ولكن النهايات اختلفت تماما عن المقدمات ٠

فى ٧ ديسمبر ۱۹۷۰ أجريت الانتخابات متأخرة شهرا عن موعدها وانتخب ۳۰۰ عضو للجمعية الوطنية وفى ۱۷ ديسمبر تمت انتخابات الجمعيات الاقليمية الخمس ٠

وفاز حزب رابطة عوامى بزعامة الشيخ مجيب الرحمن بأغلبية الاصوات ٧٥ فى المائة ، و ۱٦٧ مقعدا من ۱٦٩ فى الشرق ، ولم يفز بأى مقعد فى الغرب ٠ وحصل حزب الشعب بزعامة على بوتو على ۸۲ مقعدا من ۱۳۸ ، ارتفعت الى ۸۸ بعد انضمام بعض المستقلين اليه،ولم يفز بأى مقعد فى الشرق وفى الانتخابات الاقليمية فاز حزب رابطة عوامى ب ۲۸۸ مقعدا من ۳۰۰ وفاز حزب الشعب فى اقليمى البنجاب (۱۱۳ من ۱۸۰)، والسند (۳۲ من ٦۰)ولم يحصل أى حزب على الغالبية فى اقليمى الحدود الشمالى الغربى وبالوشستان ٠

وقاطع حزب عوامى الوطنى بزعامة مولانا بهاشانى الانتخابات مطالبا بالاستقلال عن باكستان الغربية ٠

واعلن مجيب الرحمن فى خطابه له فى ۳يناير ان نتائج الانتخابات بمثابة استفتاء بالثقة على المبادىء الستة التى صاغها وأعلنها حزبة منذ عام ۱۹٦٦ وتنص هذه المبادىء على :

١ ـ يجب أن يقوم الدستور على أساس اتحاد فيدرالى لاقاليم الباكستان بالمعنى الحقيقى ، وحكومة برلمانية تستند الى سيادة مجلس تشريعى منتخب انتخابا حرا مباشرا على أساس التصويت العام ٠

٢ ـ يقتصر اختصاص الحكومة المركزية على الدفاع والشئون الخارجية فقط ، وتنقل كافة الاختصاصات الاخرى للوحدات الفدرالية ٠

٣ ـ يكون لكل من الشرق والغرب عملة خاصة به ، أو عملة واحدة بغطاء نقدى موزع بين الاقليمين ٠

٤ ـ مسئولية تحصيل الضرائب والدخل مسئولية الوحدات الفدرالية ، وتتلقى السلطة الفدرالية نسبة تغطى مصروفاتها ٠

٥ ـ علاج الفروق الاقتصادية بين شرق باكستان وغربها من خلال سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والمالية والقانونية حتى تختفى نهائيا ٠

٦ ـ تكوين وحدات عسكرية أو شبه عسكرية فى شرق باكستان لعلاج حرمانها الحالى من أى قوات دفاعية خاصة بها ٠

وطالب الشيخ مجيب أن يتطابق الدستور مع هذه المبادىء وباشتراك متساو للبنجاليين فى الجيش والحكومة الفدرالية والتجارة والصناعة وقال « نحن نريد العيش فى سلام مع الدول المجاورة لنا ٠ نريد التعايش السلمى والسلام العالمى ، ونستطيع تسوية المشاكل مثل كشمير وغيرها ، وحذر من العناصر اليسارية المتطرفة النشطة فى المناطق الريفية فى شرق باكستان ، والمؤيدة لبهاشانى ٠٠ « فالثورة لا تنجز بالسرقة وقتل شخص برىء أو اثنين » ٠ وأكد أن برنامجه ليس موجها ضد أهالى باكستان الغربية وانما ضد هؤلاء الذين استغلوا جماهير الاقليمين ٠

انفجـار الخـلاف

ورغم انتماء الشيخ مجيب الرحمن وعلى بوتو لتيار سياسى واحد يمكن تسميته (يسار الوسط)

واتفاق حزباهما على ضرورة تحقيق قدر من الاجراءات الاشتراكية واقامة اقتصاد مختلط ، تتحول فيه القطاعات الرئيسية للملكية العامة ٠٠ كان الخلاف بينهما حول قضية الحكم الذاتى ، وطبيعة العلاقة مع الهند واضحا ،وكذلك اختلفت جذورهما ٠ فعلى بوتو الذى انتقل من العمل فى المحاماة فى كراتشى الى الوزارة عام ٥٨ بعد استيلاء أيوب خان على السلطة ، وعمل معه كوزير للتجارة فوزير للبناء الوطنى ، فالاعلام فشئون كشمير وشئون الاقليات ، فالطاقة والوقود والمناجم ، وأخيرا وزيرا للخارجية عام ١٩٦٣ ٠ ثم استقال عام ١٩٦٦ ،واتخذ موقف المعارضة للنظام انطلاقا من معارضته لاتفاقية طشقند ورفضه الصليبى للتفاهم مع الهند ٠

وعلى العكس فان مجيب الرحمن ، دخل الحياة السياسية عام ٤٨ كزعيم طلابى متحمس للبنجال ، وقاد حركة جماهيرية ضد أيوب خان لمساندة برنامج الحكم الذاتى ، ووضع فى السجن فى منتصف عام ٦٦ بتهمة التآمر مع الهند لفصل باكستان الشرقية عن طريق التمرد المسلح ٠

وبعد الفوز الكاسح لحزب رابطة عوامى فى الانتخابات ، بادر على بوتو باعلان معارضته للمبادىء الستة خاصة النقطة المتعلقة بالضرائب وجبايتها ٠ وطالب بحكومة مركزية قوية ، ووزارة وحدة وطنية من الحزبين الرئيسيين فى الشرق والغرب ٠

ولم تؤد المباحثات التى جرت بين الزعيمين خلال شهر يناير واستمرت ٣ أيام ، الى تقريب وجهات النظر بينهما ٠

وعندما حدد يحيى خان فى ١٣ فبراير ٧١ يوم ٣ مارس موعدا لاجتماع الجمعية الوطنية فى « دكا » ، أعلن على بوتو بعد ٤٨ ساعة بالضبط مقاطعته لاجتماع الجمعية ٠ وحذر قادة الاحزاب الغربية الاخرى من الذهاب الى دكا قائلا : « على كل شخص يذهب الى دكا ، سواء كان يرتدى اللباس الكاكى (من العسكريين) أو اللباس الاسود والابيض (من المدنيين) ، تحمل مسئولية عمله ٠٠ ان قرار حزب الشعب بمقاطعة الجمعية قرار نهائى لارجعة فيه » ٠كان على بوتو يخشى لعبة الديمقراطية التى بدأت تنقلب عليه ٠ فالشيخ مجيب الرحمن فى طريقه لفرض تصدره لباكستان المستقبل ، بعد ان تأكد حصول حزبه على أغلبية الثلثين فى الجمعية الوطنية نتيجة تأييد ما بين ٣٠ و٤٠ عضوا من أحزاب الغرب لبرنامجه ٠

ولجأ بوتو لاستخدام ورقة العداء بين باكستان والهند ، واللعب على هذه المعزوفة الخطرة ، واتخاذها ذريعة لعدم الذهاب الى « دكا » عاصمة باكستان الشرقية ! فقال فى ١٩ فبراير ٠٠ « تقف باكستان والهند كل فى مواجهة الاخر ٠ وقد يؤدى ذلك الى عدوان هندى آخر ٠ ان الموقف بين الهند وباكستان بالغ الخطورة ٠ ولقد وقع العدوان الهندى سافرا فى الماضى على حدود باكستان الغربية ، وليس حدود باكستان الشرقية ٠٠ وبسبب التوتر مع الهند على حدود باكستان الغربية ، فمن سوء التقدير أن يذهب أعضاء الحزب بعيدا عن عائلاتهم لحضور اجتماع الجمعية الوطنية فى ٣ مارس بمدينة دكا ٠ »

الشرق والغرب

ويبدو أن « **على ذو الفقار بوتو** » كان واثقا تماما من ورقه ٠ فسرعان ما استجاب يحيى خان لضغوطه وأعلن فى أول مارس – ودون مشاورة حزب الاغلبية (رابطة عوامى) – تأجيل اجتماع الجمعية الوطنية ٠ وسبق اعلان القرار تغيير الحاكم العسكرى للاقليم الشرقى ٠ ورد الشيخ مجيب الرحمن بالدعوة للاضراب العام فى الشرق ، والعصيان المدنى مع عدم استخدام العنف ٠ ووجه نداء لزعماء الاحزاب بالاجتماع فى دكا فى ٨ مارس ٠ واستجاب لندائه كافة أحزاب الغرب باستثناء حزب الشعب ، وعصبة المسلمين (جناح نيوم) ٠

واثارت هذه التطورات كل عوامل السخط الكامنة فى « بنجلاديش » ٠ فجماهير البنغال يفصلهم عن شركائهم فى الغرب ١٢٠٠ ميل ، ويعانون منذ الاستقلال عملية استغلال قاسية ٠ فالاقلية المنتمية للبنجاب الغربية ، سيطرت على السلطة السياسية و٨٠ فى المائة من الوظائف الحكومية ، و٨٥ فى المائة من العاملين فى القوات المسلحة ينتمون اليها ٠ وتتحكم ٢٢ من اسر البنجاب الثرية فى ٦٠ فى المائة من رأس المال الصناعى ، ٨٠ فى المائة من رأس المال المصرفى ، ٧٥ فى المائة من رأس مال شركات التأمين ٠

ومن هذا الموقع القابض عملت الاقلية فى البنجاب الغربية لزيادة المسافة بين الشرق والغرب ، وتعميق الفجوة الاقتصادية ٠ ففى خلال العشرين عاما الماضية ، وجهت الحكومة المركزية خمس الانفاق القومى للاقليم الشرقى واربعة اخماس للاقليم الغربى ، ونال الشرق ثلث اعتمادات الاستثمار ، ربع البضائع المستوردة وخمس المعونات الاجنبية ٠٠ رغم أن جوت الشرق يمنح باكستان كل عملاتها الاجنبية تقريبا ٠

ولم يكن غريبا انفجار الموقف فى اليوم التالى لقرار الرئيس الباكستانى بتأجيل افتتاح الجمعية الوطنية ٠ فسار فى شوارع « دكا » مجموعات من الطلاب والعمال والمحامين وموظفى الحكومة يحملون العصى ويلوحون باللافتات ، معلنين استقلال البنجال ٠ واشعل طلبة جامعة دكا النار فى العلم الباكستانى وفى دار للسينما ومصنع للمثلجات ومحلات للازياء فى قلب المدينة ٠

وهاجموا المؤسسات المملوكة للباكستانيين الغربيين .

وتدفقت قوات الحكومة المركزية من مطار كادتشي الى دكا ترتدى ملابس الميدان ،واعلن حظر التجول لمدة ١١ ساعة وفرضت الرقابة العسكرية على الصحف في دكا . وأعلن الشيخ مجيب .. « ان الجيش يسلك كجيش احتلال . لقد اطلقوا نيران مدافعهم على الجماهير العزل .. » وبلغ عدد القتلى في بنجلاديش حتى ٤ مارس ٧٠٠ ، والجرحى ٤٠٠٠ . ولم تعترف السلطات العسكرية الا بـ ١٧٢ قتيلا ، بينما أقرت الحكومة بـ ٣٠٠ قتيل .

اعلان الاستقلال

تراجع يحيى خان عن موقفه ، فاعلن في ٦ مارس دعوة الجمعية الوطنية للانعقاد في ٢٥ مارس ، دون تحديد للمكان .. وقبل على بوتو حضور الاجتماع هذه المرة . ولكن الشيخ مجيب الذى لم يستشر في تحديد الموعد الجديد ، حدد ٤ شروط لمشاركة حزبه في هذا الاجتماع ..

١ - رفع قانون الطوارىء والغاء الاحكام العرفية

٢ - عودة الجيش الى الثكنات

٣ - عودة الحكم المدنى .

٤ - التحقيق في عمليات القتل أثناء الاضطرابات .

وقال انه بالرغم من كل ما حدث لا نستطيع العيش كأخوة وحل مشاكلنا سلميا . وهكذا حول الشيخ مجيب من مواجهة بين الشرق والغرب ، الى مواجهة بين الحكم العسكرى وحزب الاغلبية .

ومارس الشيخ السلطة في بنجلاديش وأصدر ٣٥ مرسوما تغطى كافة جوانب الحياة . وأعلن « ان ما نريده هو ضمانات دستورية تنهى الاستغلال الاقتصادى الى الابد . اننا نكون الجزء الاكبر من سكان الباكستان . فكيف تنفصل الغالبية عن الاقلية » .

وخطى يحيى خان خطوة أخرى للامام سافر الى دكا يوم ١٥ مارس . وبعد سلسلة من المحادثات المرهقة أوشك الطرفان على الخروج من الطريق المسدود الذى سادت الامور فيه منذ قرار الرئيس يحيى خان بتأجيل اجتماع الجمعية الوطنية . وأعلن يحيى خان أن المباحثات حققت تقدما ، وانه وافق من حيث المبدأ على اقتراحات الشيخ مجيب بشرط واحد ، وهو موافقة كافة الزعماء السياسيين على مشروع الاتفاق . وهكذا قذف يحيى خان الكرة الى زعماء الاحزاب في غرب باكستان .

وتلقف على بوتو الكرة . سارع للاجتماع مع بعض العسكريين من (الصقور) . وأعلن بعد وصوله الى دكا يوم ٢١ مارس رفضه لمقترحات الشيخ مجيب الرحمن . والقى عرض الحائط بتحذير أشقر خان الزعيم الغربى الذى قال انه ما لم تسلم السلطة بسرعة الى رابطة عوامى ، فسيعلن الشرق الاستقلال .. «فالشيخ مجيب الرحمن هو الحلقة الوحيدة الباقية في سلسلة تختفى بسرعة تربط شرق الباكستان بغربه » .

وعلى الناحية الاخرى ، كانت جماهير البنجال ترفع علم « بنجلاديش » وتطالب بالاستقلال متحدية ٧٠٠٠٠ جندى من باكستان الغربية تمركزوا في البنجال .

ومرة أخرى استجاب يحيى خان لضغط على بوتو والجنرالات المتحالفين معه ، وغادر دكا يوم ٢٥ مارس بعد أن أصدر أوامره للجيش الباكستانى بفرض سيطرته على باكستان الشرقية .. وفى فجر ٢٦ مارس وصل ١٠٠٠٠ جندى آخر عن طريق البحر كانوا قد أرسلوا سرا من قبل ، واعتقل الشيخ مجيب وعشرات آخرين .

الهند .. الهند

كانت مراكز نشاط المثقفين هى الهدف الرئيسى للقوات الباكستانية . فبعد تحطيم جامعة دكا في أول أيام العمليات ، قصف الجيش جامعة راجشاهى وقتل ٥٠ مثقفا من بينهم أساتذة جامعة دكا .

وحتى أول ابريل كان هناك ٥٠٠٠ قتيل من الرجال والنساء والاطفال على يد الجيش والطيران والبحرية واستخدمت القوات الجوية قنابل « النابالم » وحطمت مصانع الجوت الرئيسية وتصف بعثة دولية الصورة المفزعة لهذه المواجهة غير المتكافئة بين ٨٠٠٠٠ جندى من باكستان الغربية وجماهير البنغال فتقول « ان تخريب المنازل في جيسور كان رهيبا لدرجة ان السلطات الباكستانية قدرت وجود ٤٥٠٠٠٠ دون مأوى ونصف مليون رحلوا الى الهند و٢٠٠٠٠ قتيل من سكان المدينة وعددهم ٢٫٥ مليون وانخفض عدد السكان في مدينة أخرى من ٤٠٠٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ وفى مدينة ثالثة من ٢٢٠٠٠ الى ١٠٠٠ ، وفى كوشتيا حطمت ٩٠ في المائة من المنازل والمحال والبنوك . وتبدو المدينة كواحدة من المدن الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية أو في الصباح التالى لهجوم ذرى .

ولم يكن هناك أمام أهالى البنجال الشرقية الا طريقين : اللجوء الى الهند وهو ما اختاره ٩٥٨٨٠٠٠ من أبنائها ، أو الالتحاق بجيش تحرير البنجال الوليد ، وهو الطريق الصعب الذى سار عليه عشرات ألوف آخرين .

وأعلن زعماء باكستان الشرقية الذين أخطأهم جيش الباكستان استقلال اقليمهم في ١٠ أبريل ١٩٧١ تحت اسم « جمهورية بنجلاديش الديمقراطية » وأيد مولانا بهاشانى زعيم حزب

عوامى الوطنى الاستقلال • وأرسل برقية الى كل من نيكسون وماوتسى تونج فى ٢٢ أبريل يدعوهم للاعتراف بحكومة بنجلاديش ومساعدتها • ووقف عدد من مثقفى الغرب الى جوار اخوانهم فى البنجال • فأذاع ١٠٠ من الصحفيين والفنانين وزعماء النقابات واتحادات الطلبة ، بيانا الى ٢٨ مارس يؤيدون فيه نضال أبناء بنجلاديش •

واختار على بوتو موقف التأييد ليحيى خان والعسكريين والهجوم على الهند والاتحاد السوفيتى • فقال فى مؤتمر صحفى عقده يوم ٢٧ مارس انه يؤيد القرارات التى أعلنها الرئيس يحيى خان للقضاء على الحركة الاستقلالية فى البنجال •• « فكل الخطوات التى اتخذها الرئيس تحقق أفضل مصلحة للوطن » • واتهم الشيخ مجيب الرحمن بأنه حاول اقامة « نظامفاشى عنصرى مستقل » فى شرق باكستان •

وعاد فى ١٥ أبريل لممارسة عادته المفضلة ، فهاجم الهند « التى مزقت كل القواعد المعادية والمعترف بها للقانون الدولى • ولكن — وكما حدث فى الماضى — سنقاوم ونرفض التدخل والعدوان الهندى • انى أعرف أن شعبى قادر على مواجهة هذه التحديات مرة أخرى •• »

الحــرب والنهــاية

كانت هذه بداية النهاية • فالمتصرفون فى أمور باكستان الغربية ، عجزوا عن رؤية الواقع الذى أصبح يفصل بينهم وبين أهالى البنجال • وبدلا من مواجهة الحقيقة والتعامل معها ، أجريت انتخابات جديدة فى الاقليم الشرقى بعد حظر نشاط حزب رابطة عوامى • وفاز حزب نور الامين بالاغلبية • وكان عدد المقاعد التى حصل عليها فى الانتخابات السابقة مقعد واحد مقابل ١٦٧ لرابطة عوامى • وواصلت السلطة تجاهل الواقع ، فاختير نور الامين رئيسا للوزارة وعلى بوتو وزيرا للخارجية •

وتصاعدت نغمة الهجوم على الهند ، لتضيف عوامل دولية مساعدة لحركة بنجلاديش الاستقلالية • فاستفادت عناصر عديدة فى الهند من الحملة الباكستانية ، ومن تدفق لاجئى البنجال الى الهند ، والاثار الضارة التى تحملها الاقتصاد الهندى نتيجة تكاليف اعاشتهم • واستيقظت كل رواسب العداء الهندى الباكستانى ، خاصة بعد اعلان أنديرا غاندى ، تأييد وتعاطف حكومتها مع نضال شعب بنجلاديش •

ووجدت الهند فى استقلال البنجال تحقيقا لهدفين متكاملين :

١ — اقامة دولة علمانية فى باكستان الشرقية تضم الجزء الاكبر من مسلمى باكستان ، على علاقة صداقة وتفاهم مع الهند بحكم المساعدة السياسية والعسكرية التى قدمتها وتقدمها الهند لها • خاصة والحركة الاستقلالية فى باكستان الشرقية (بنجلاديش) تطرح منذ البداية ضرورة التعايش مع الهند •

٢ — تحويل الباكستان الى دولة صغيرة مجبرة على العيش مع الهند فى سلام ، بعيدا عن أى تهديد بالحرب ، او صدامات دينية عنصرية ، غارقة فى مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ، والتى ستفرض عليها نتيجة لغياب الدخل الناتج عن ثروات الشرق •

ولكن أنديرا — رغم ضغط اليمين الهندى — لم تلجأ الى استخدام القوة ، ومرة اخرى تتجاهل السلطة فى باكستان حقائق الامور • وتغامر بشن هجوم مفاجىء على الهند ، فجر يوم ٣ ديسمبر • وكان واضحا أن النتيجة لن تكون لصالح باكستان •

فبالاضافة لتوقع الهند لمثل هذه المغامرة واستعدادها لها عسكريا ، وتفوقها على باكستان خاصة فى الاقليم الشرقى حيث تحارب قواتها فى أرض صديقة ، بينما الجيش الباكستانى يواجه شعبا معاديا له •• نجحت الهند فى الحصول على التأييد الحازم للاتحاد السوفيتى • فالسوفييت أيدو الهند وقضية « بنجلاديش » على اساسين : أساس مبدئى يرتبط بحق الشعوب فى تقرير مصيرها • وأساس عملى يرتبط بالاستراتيجية السوفييتية فى آسيا والعالم الثالث • خاصة والهند جذبت الاتحاد السوفيتى التورط فى الحرب •

وعلى العكس عجزت باكستان عن الاستفادة من التأييد الامريكى والصينى لها • فالولايات المتحدة التى امدت باكستان بأكثر من ٨٠٠ مليون دولار أسلحة لبناء جيشها ، ورفضت وقف شحنات الاسلحة اليها عقب انفجار أزمة بنجلاديش ، لم تكن فى وضع يسمح لها بالتدخل فعجز الجيش الباكستانى أمام التفوق الهندى ، والتكتيك السوفييتى الناجح ، لم يترك أمام أمريكا خيار • فاما التراجع ، أو الانخراط فى حرب جديدة على النمط الفيتنامى •

ولا يختلف موقف الصين عن أمريكا • فمهما كانت درجة التأييد الصينى للباكستان ، فالصين لا تغامر بمواجهة جديدة مع الهند وحلفائها •

وهكذا ومع استسلام قوات باكستان فى بنجلاديش ، ووقف اطلاق النار فى ١٦ ديسمبر ١٩٧١ •• كانت جمهورية البنجال الديمقراطية حقيقة واقعة • ولم يمض وقت طويل حتى كان الشيخ مجيب الرحمن فى « دكا » يقود المسيرة •

ووقع على « على بوتو » فى روالبندى عبء معالجة أخطاء عشرين عاما من الاستقلال فى باكستان الغربية •• فهل ينجح ؟ !

٨٠ شهر
من حياة الطليع

تقدم « الطليعة » فى هذا العدد ملخصا للموضوعات التى عالجت قضية « الثقافة والمثقفين » على مدى ٨٠ شهرا .

وقد سبق أن نشرنا ملخصا للاراء والاتجاهات حول قضايا « حركة التحرر الوطنى » ، « القضية العربية » و « القضية الفلسطينية » « الفكرة الصهيونية » ، « طبيعة المرحلة الحالية من الثورة » ، ثم « السياسة الاقتصادية والفكر الاشتراكى » .



الثقـــافة والمثقفـــون

أ - الوضــع الثقــافى العــام

ب- قضــايا الأدب والفــن

عرض : غالى شكرى

على مدى ثمانين شهرا ، ومنذ العدد الاول ، عنيت « الطليعة » بقضية الثقافة ومشكلات المثقفين ففى ٥٨ مقالا فرديا و ١٢ ملفا و ٨ دراسات رئيسية و ٣ لقاءات فكرية مع ثلاث شخصيات عالمية فى الفكر الانسانى المعاصر ، تصدت « الطليعة » من وجهات نظر مختلفة للغالبية العظمى من المسائل المثارة فى ميدان الثقافة ، سواء بالنسبة لمصر ، او الوطن العربى عامة ، او العالم الخارجى · وسوف نعمد هنا فى عرض التيارات الثقافية التى سادت على صفحات الطليعة خلال الثمانين شهرا الماضية الى التمييز بين الموضوعات التى تناولت الوضع الثقافى العام والموضوعات التى عالجت قضايا الاداب والفنون ·

ا ـ فى الوضع الثقافى العام

يتفق كتاب « الطليعة » منذ البداية حول أن المثقفين لا يشكلون فيما بينهم طبقة اجتماعية متجانسة ، ولكنهم فى نفس الوقت قوة اجتماعية ذات طبيعة متميزة هى اهتماماتهم العقلية بما يتجاوز حدود حرفتهم الخاصة ، غير أن هذه الاهتمامات بغاياتها ووسائلها هى التى تعود فتفرق بين فئات المثقفين وفق انتماءاتهم الطبقية وبيئاتهم الفكرية · الا ان خلافا ينشأ بعد هذا التعريف العام ، حين يطرح الكاتب على نفسه هذا السؤال القديم الجديد « من هو المثقف » فبينما يرى البعض ان « المثقف ليس بالضرورة عالما ، ولا العالم بالضرورة مثقفا · فدنيا العلم تتميز عن دنيا الثقافة » ، و « قد يتفوق عالم فى مجال تخصصه بدون أن تتسم نظرته الى باقى نواحى الحياة بالوان الثقافة وتهذيباتها » (١) بينما يرى اتجاه آخر أنه اذا كنا نتفق اليوم على أن المثقف هو فعلا هذا الانسان الذى لا يتقوقع بعلمه ومعارفه فى اغوار ذاته ومهنته وتخصصه ، وانما يتجاوب سلبا وايجابا مع حركة الحياة وقضايا العالم وهموم العصر « الا أنه فى الواقع والحقيقة لم يعد هناك اليوم امكانية بسبب طبيعة وظروف عصرنا الحالى- وجود انسان حصل على قدر كبير أو صغير من العلم والمعرفة يسجن ذاته وتفكيره ونشاطه فى حدود المهنة والتخصص فحسب · وانما هو بحكم موضوعية الظروف المعاصرة يتخذ فى الواقع وباستمرار موقفا من حركة الحياة والعالم والعصر ، أيا كانت طبيعة هذا الموقف ومداه. أقصد- بتعبير ادق- انه فى عالمنا المعاصر، أصبح كل صاحب علم أومعرفة أو تخصص- مهما كانت درجته ـ مثقفا بالضرورة » (٢) ، وتعليل ذلك عند صاحب هذا الرأى يرجع الى المتغيرات التى يمور بها عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كحركة التحرر الوطنى المعاصرة، وانهيار وحدانية النظام الرأسمالى والثورة التكنولوجية المعاصرة وتقدم وسائل المواصلات .

وبالنسبة للنقطة الاولى برز اتجاه

(١) النصان عن مقال محمد سيد أحمد «ثورة يوليو والمثقفون» عدد ٧ عام ١٩٦٥ .

(٢) لطفى الخولى فى مقاله «المثقفون والعمل السياسى » عدد ٥ عام ١٩٦٧ .

في «الطليعة» ينادي بحصر نفوذ المثقفين في التنظيم السياسي لانهم شغلوا داخله حجما أكبر من الحيز الموضوعي الذي يشغلونه في المجتمع ، وذلك بواسطة تعريف لجنة المائة في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية الذي سمح للمثقفين باحتلال قطاع كبير من النسبة المخصصة للعمال والفلاحين . ويعود هذا الحجم كذلك الى القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي الذي جعل للمركز الوظيفي وزنا يفوق اعتبارات الكفاية والوعي السياسي ويعود هذا الحجم اخيرا الى تخلف النشاط السياسي والوعي الاشتراكي الذي يبرز دور « المتعلمين » وشاغلي المراكز الاجتماعية المتفوقة على حساب القوى العاملة (٣) وهؤلاء « المتعلمين » عند صاحب هذا الرأي - اكثرهم من ابناء البرجوازية الصغيرة وهم مصدر الاشعاع الرئيسي للسلبية « مما مكن هذا التيار من أغراق معظم القوى العاملة بدورها في براثن السلبية».

ولقد ركزت « الطليعة » على ما يجب أن يكون عليه دور المثقفين في مرحلة التحول الاشتراكي ، وكان تركيزها على الجوانب السلبية التي اتضحت خلال التجارب السابقة بارزا في معظم الدراسات الرئيسية والمقالات الفردية التي تناولت هذا الموضوع .. فبالنسبة للنقابات المهنية التي تضم رقعة واسعة من المثقفين وفق تعريفهم السياسي ، رأى البعض أن يتحول دور النقابات المهنية في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية من مجرد الدفاع عن المصالح الفئوية الضيقة الى المشاركة في تدعيم اسس التحول الى الاشتراكية ، فمنذ ان قامت الدولة - عند صاحب هذا الراى - بدور النقابة من الناحية الاقتصادية ، لا يبقى امام النقابات المهنية الا تخصيص الجزء الاكبر من نشاطها للعمل السياسي (٤) . . والعمل السياسي بالنسبة للمثقفين هو في جوهره « عملية التوعية بالاشتراكية » وهي الغاية التي اتفقت عليها اقلام « الطليعة » اتفاقا تاما من زوايا متعددة تعدد التفاصيل النوعية، اى أساليب التوعية وطرق ممارستها والضرورات التي تواكبها والقضايا التي تطرحها ، الى غير ذلك مما اختلف حول كتاب « الطليعة » يقرر احد الاراء في البداية أن الوعي الاجتماعي ليس انعكاسا سلبيا للواقع وانما له درجة من الاستقلال النسبي بحيث يمكن أن يكون متقدما على الواقع دافعا له ، او متخلفا عنه منتكسا به . ثم ينادي بمنع الاراء الرجعية الضارة بمرحلة التحول والتي من شانها اثارة البلبلة حول فكرة القطاع العام مثلا . وكذلك لابد من كشف وادانة الدعوة الى الحرية المطلقة ، لانها تعبر عن اتجاه ليبرالي لا يقل ضررا عن الاتجاه الرجعي . ولكن مواجهة هذه الافكار او تلك يتم عن طريق الحوار والجدل حتى يمكن تصفيتها فكريا لا عن طريق القرارات ، جنبا الى جنب البناء الخلاق للافكار الجديدة « والفكر الرجعي يتشكل بصورة تناسب الظروف التي ينشأ فيها ، فهو رغم التمسك بمفاهيم معينة الا أنه يرددها بأساليب جديدة لتأخذ مظهر التغيير دون مضمونه »ومن هنا يبرز دور الكادر الاشتراكي في استكشاف مظاهر ردود الفعل الرجعية ضد الاجراءات الثورية ، والتعرف على الاشكال الايديولوجية التي يصطبغ بها الفكر الرجعي للتخفي في كافة المجالات السياسية والانتاجية والثقافية .. فالفكر الرجعي لا يعادي الاشتراكية صراحة ، بل يحاول النيل من الانجازات الاشتراكية بطرق غير مباشر »(٥). ومن هنا كان لابد من تعديل البرامج التعليمية الموضوعية في ظل السيطرة الاستعمارية وبقيادة الادمغة الفكرية الرجعية ، وكذلك النظر في أجهزة الاعلام المتخلفة عن مستوى التطور الاجتماعي ، رغم ما قامت به الدولة - على الصعيد الاقتصادي - من تأميم للصحف وتوسيع لمجالات الاذاعة والتليفزيون . وفي هذه النقطة يرى كتاب « الطليعة » أن أجهزة الثقافة والاعلام في ظروفنا الحالية تحمل فوق كاهلها مسئولية كبرى « فوحدة الفكر والهدف الصادرة منها هي سبيل انجاح التعبئة الجماهيرية في اتجاه خط الثورة ، وقبل أن نشكو من سلبية هذه الفئات أو تلك يجب ان نتأمل ما نقدمه من وسائل تاثيرنا الفكري والمعنوي من مواد لهذه الفئات .. والسؤال عن أسباب تخلف ثورتنا الثقافية ، أي عن بطء تحول جماهيرنا الفكري مع واقع المجتمع الثوري ، ينبغي أن يسبقه البحث عن طبيعة القوى المحققة لهذا الغرض .. فالثورة الثقافية تفترض وجود اجهزة ثورية تقود خطاها . وما دمنا لم نحقق هذا الهدف ، ستظل حياتنا المعاصرة تعاني هذا الانفصال والازدواج ، فالمجتمع يساير قواه الاقتصادية وعلاقاته الاجتماعية ، يندفع ثوريا في اتجاه آفاقه العظمى ، وبنائه العلوي بسائر مكوناته الفكرية ومختلف وسائله الاعلامية يعيش عالما آخر » (٦) .

---

(٣) ميشيل كامل - العدد ٧ عام١٩٦٥ والعدد ٣ من عام ١٩٦٦.
(٤) د. ابراهيم الشربيني - العدد٢ عام ١٩٦٥.
(٥) ميشيل كامل - العدد ٦ عام١٩٦٥ .
(٦) مجدي فهمي - العدد ٣ - عام١٩٦٦.

ولا تغفل « الطليعة » عن انه فى فترة الانتقال حيث يتجاور القديم والجديد وحيث يضطرم صراع مرير بينهما ، وحيث تعيش القيم القديمة جنبا الى جنب مع القيم الجديدة الوليدة « لا مناص من أن يتدخل المفكرون الثوريون بوعى فى دفع عجلة التغيير • وهذا التدخل لن يكون من قبيل أعمال التبشير بأخلاق مجردة ، ولن يكون من قبيل الوعظ والارشاد ، ولكنه عملية نضـــالية » (٧) . ثم تدعو « الطليعة» الى حملات جماعية للتوعية تكمن فى انها تخلق المناخ والبيئة السياسيين الملائمتين لتفاعل المثقفين الثوريين مع قطاعات العمـال والفلاحين وغيرها «وهو تفاعل ضرورى وحيوى ليقضى على سلبية المثقفين وانعزالهـم فى اطـار العمل النظرى والثقافى وعدم تطعيمـه بمشـاكل الواقع والعرق الانسانى » (٨) . وتنفيذا لهـذه الدعـوة نشرت الطليعـة دراسـة رئيسيـة عنوانها « المثقفون والفلاحون » (٩) حول ثلاث تجارب لتفاعل المثقفين مـع الفلاحين فى سندوب ودرنكة ومريوط • وقد طرحت هذه الدراسة للرأى العام بعض الصعاب التى تقيمها المصالح والارتباطات والعلاقـات والقيـم والمؤسسـات الرجعية فى وجه التقدم ، كما انتهت الى أن كهربة الريف ومكننته من أهم الاولويات فى دفع القرية على طريق التطور الاجتماعى ، وكذلك اهمية تولى الفلاحين بأنفسـهم الاجهزة العامـة كالجمعيـات التعاونية ، وضرورة تأسيس جهاز شامل للتخطيط والتنفيذ للارض الجديدة •

على أن نضال المثقفين الثوريين لا يتحدد فحسب باندماجهم فى المشكلات « العملية » ، وانما هو أولا نضال فكرى مرير بين التقدم والرجعية بشكل عام ، ثم بين فكر كل طبقة فى التحالف وبقية الطبقات وذلك بتوفير أرضية للصراع واعتماد الاسلوب العلمى فى التفكير ، و « ضرورة منح كل طبقة من الطبقات المندرجة فى صفوف الاتحاد الاشتراكى فرصا متكافئة للاسهام فى الصراع الفكرى داخل نطاق الاتحاد الاشتراكى، والا استعصى استكمال مثل هذا الصراع ، واستعصى بالتالى الوصول الى الوحدة الفكرية المطلـوبة •• فـالرأسماليون الوطنيون ، والمثقفون الذين ينتمون فى معظمهم الى الطبقة الوسطى احتكروا فى الماضى الخـدمات التعليمية والثقافية التى حرم منها العمـال والفلاحون ومازالوا يحتكرون الى حد كبير بعض الخدمات الثقافية الى اليوم » (١٠) .

وقد خاضت « الطليعة » صراعاً فكريـاً فـى مختلف مجالات الثقافة ، وكانت « الاشتراكية » ، فى مقدمة موضوعات هذا الصراع ، حيث كانت مرحلة الانتقال ولا تزال سببا رئيسيا فيما نالته مفهوم الاشتراكية من تحريفات مصدرها : التخلف العام فى الوعى الطبقى ، تحول القادة الوطنيين الى الاشتراكية وهم فى قمة الحكم ، تنوع القوى المؤمنة بالاشتراكية • وكانت أهم التحـريفات للاشتراكى هى : أنكار القوانين العلمية ، انكـار الصراع الطبقى ، انكار نضج مصر للاشتراكية ، صياغـــة الحرية والضرورة (أو التلقـائية والقصد) صياغة غير علمية، وأخيرا القـول بالاشتراكية الخاصة ، فى هذه الظـروف يبرز المثقفون كممثلين أساسيين للرأسمالية الصغيرة فى الريف والمدن • ويلعب هؤلاء المثقفون فى المدن دورا أساسيا كقيادة فكرية وسياسية وادارية • وبينما يعتنق عدد منهم قضية الاشتراكية العلمية باخلاص وأمانة ، ينزلق متحذلقوهم الى مواقع اصلاحية بحيث يخشون الانفصال عن الرأسمالية ، يقفون عند حدود الثورة الوطنية أو حـركـة الفلاحين ، ويغطون اصلاحيتهم أو نفاد ثوريتهم باستخدام العبارات الطنانة التى لا تعنى شيئا • وينتقل هذا الفكر بالعدوى الى صفوف الطبقة العاملة ذاتها •• فهى تتلقى كل يوم بين صفوفها أعدادا لا تنتهى من الفلاحين ، وهى تتلقى قوتها الفكرى على ايدى المثقفين أبنـاء الرأسـمالية الصغيرة وحملة أفكارها » (١١).

الصراع على جبهة العلوم الانسانية

واذا كانت « الاشتراكية » هى البلورة النهائية لمختلف اوجه الصراع بين التقدم والرجعيـة ، فان « الطليعة » قد أولت عنايتها للخلفية الفكرية التى تبطن هـذا الصراع فى ميدان العلـوم الانسانية • فى الفلسفة وعلم الاجتماع وعلـم النفس وعلم الجمال ، تابعت « الطليعة » كشفها لكامن الخطر الفكرى بين جدران الجامعات وعلى أرصـفة الطـرقـات علـى السـواء • هكذا بدأت « الطليعة » صراعها فى الفكر الفلسفى بأن عرضت لمفهوم الفلسفة عبر التاريخ ، وعـلاقـة الفلسفـة بالعلم والمجتمع والانســان والوجود بأكمله ، وانتهت فى هذا الصدد الى أنه دوما وفى كل عصر كان هناك اتجاهان فى الفلسفة : أحدهما

(٧) أبو سيف يوسف — عدد ٦ عام١٩٦٦
(٨) لطفى الخولى — العدد ٣ —عام ١٩٦٦
(٩) عدد ١٠ — عام ١٩٦٩ شارك فى الدراسة د. أحمد حجى ورضا اسكندر — محمد حسنى محمد حسيق
(١٠) د. لطيفة الزيات — عدد ٦ —عام ١٩٦٦
(١١) د. فؤاد مرسى— «انعكاسات الصراع الاجتماعى فى الفكر الاشتراكى» — عدد ١٠ — عام ١٩٦٦

يعبر عن القوى النامية واتجاهها المتقدم نحو المستقبل ، والاخر يعبر عن القوى المنتكسة واتجاهها المتخلف .. تتباين أساليب الفلاسفة من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ومن فيلسوف الى آخر ، وتبقى قضية الارتباط بمستقبل الانسان على ظهر هذا الكوكب هي « المحك » لثورية الفيلسوف أو رجعيته . حتى أولئك الذين يبدون كما لو كانوا محايدين يصوغون في حيادهم الموصوم موقفا اجتماعيا محددا . وكذلك فان الذين تبدو رؤاهم الفلسفية كما لو كانت فلسفات علمية لانها تنهض على التجريب والحس ، فأن تجزيئها لمعطيات العلم وعزلها هذه المعطيات عن الخبرة الانسانية يضعها في خانة معاداة العلم لانها واقعيا فلسفات غير علمية . ولقد كانت الفلسفات البرجوازية المتعددة يوما ما تعبيرا ثوريا عن ميلاد القوى الاجتماعية الجديدة المعادية للاقطاع والكنيسة ، ولكن أزمة المجتمع الرأسمالي المعاصرة ولدت هي الاخرى فلسفة مأزومة ، اما أنها تخنق الانسان بحبال التشاؤم ، أو أنها تسكره بخمر التفاؤل السطحي الساذج . وهي في كلا الحالين تنشد الحرص على نظامها المأزوم ماديا وروحيا . غير أن هذا العصر الجديد هو عصر انتصار الانسان والاشتراكية ، عصر انتصار الفلسفة التي وضع ماركس وانجلز ولينين اسسها الاولى . وهي الفلسفة المؤمنة بالعلم وحركة التاريخ وتطور الوعي الانساني . ولكن هذه الفلسفة في موازاة المتغيرات المتلاحقة على عصرنا تتطلب جهدا كبيرا يضيف اليها ثمار هذا التغير حتى تصبح ــ كما كانت البذور الاولى ــ الصياغة الفلسفية الاكثر اقترابا من روح العصر ومتطلبات الانسان ، والاكثر ارتباطا بحركة التاريخ حقا « وفي تقديري أن الفلسفة في البلاد الاشتراكية لم تتمكن بعد من استيعاب خبرة العصر ، خلاصة انتصاراته الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية » « أن الثورة الاشتراكية التي تقوم على أسس فلسفية وعلمية لم تتمكن بعد من تجميع حصيلة هذا العصر الثوري ، سواء من الناحية الاجتماعية أو العلمية أو التكنولوجية » (١٢) غير أن هذا الجزء من الرأى المنشور في « الطليعة » عام ١٩٦٥ يصيبه التغيير من واقع المشاهدة الحية لتجارب البلدان الاشتراكية في حقل الفلسفة وغيره من حقول المعرفة الاجتماعية والنفسية ، فقد دلت الخبرة المباشرة على ان ثمة انجازات حقيقية في العلوم الانسانية المختلفة بالبلدان الاشتراكية منذ أواسط الخمسينات ونهاياتها ، أي على أثر ذوبان الثلوج وانتهاء فترة الجمود العقائدي (١٣). على أية حال فان بلادنا لم تصل بعد الى مرحلة البناء الاشتراكي للمجتمع بحيث تصبح المشكلة هي « تطوير معارفنا الفلسفية » وانما المشكلة الرئيسية في هذا الصدد ، وكما طرحتها « الطليعة » هي مشكلة المناهج الفلسفية الرجعية السائدة على جامعاتنا وبرامج دور النشر الرسمية . ولقد حددها اكثر من مقال في « الطليعة » بأنها الوضعية المنطقية والبراجماتية والوجودية والواقعية الجديدة والجوانية والطبيعية والعقلية المعتدلة والتكاملية « ومكمن الخطأ في كل هذه الفلسفات انها لا تعترف بالعمل المنتج مصدرا للفكر والوعي ، فالمعرفة لا تتم خلال الادراكات الجزئية، والانطباعات السلبية، ولاردود الافعال المعزولة كما تدعي الفلسفات البرجوازية الرجعية ، بل من خلال العمل وهو بطبيعته اجتماعي وايجابي . من خلال العمل والانتاج الاجتماعي يدخل البشر في علاقات انتاج ضرورية وتقوم طبقات ونظم سياسية واجتماعية، من خلالها ينبع الوعي والفكر والفهم ، ومن هنا فأن التفكير بالضرورة انعكاس طبقي يعبر عن مصالح طبقية ، وسمة بارزة في كل الفلسفات الرجعية اخفاء وطمس هذه الحقيقة الطبقية والمدلول الطبقي للفلسفات ، حتى تخفي حقيقة الافكار والقيم التي تخدم مصالحها الاستغلالية ، والتي تقف عقبة في طريق تحرير العمل الانساني ، تعوق المنتج من امتلاك الوعي الكفيل بتحريره » (١٤). وقد كان المثل البارز على الموقف الرجعي الذي تتخذه جامعاتنا في ميدان الفلسفة تشبها ببعض الجامعات الغربية هو تجاهلها لتراث لينين الفلسفي . كتجاهلها تراث ماركس وانجلز . وكان العدد الخاص الذي أصدرته « الطليعة » في الذكرى المئوية لميلاد لينين مناسبة هامة لاثارة هذه القضية وايضاح الموقف الطبقي المتخلف الذي يتخذه البعض منها . لقد اهتم لينين بدراسة الكلاسيكيات الفلسفية ، جنبا الى جنب مع دراسة الفلسفات المعاصرة ، ولعل الدرس الاكبر الذي ينبغي أن نعيه من « كراساته الفلسفية » و « المادية والنقد التجريبي » هو أنه اهتم بمواجهة الفلسفات المثالية في وقت واحد مع مواجهته للمادية المبتذلة و « الماركسيات » المغشوشة (١٥) .

---

(١٢) محمود أمين العالم ــ «ماهي الفلسفة» ــ عدد ٢ ــ عام ١٩٦٥

(١٣) راجع مقالات د. مراد وهبة و د. سيد عويس ولطفي فطيم بالعدد ١٢ ــ عام ١٩٧٠

(١٤) النص منقول عن مقال أديب ديمتري «الفكر الفلسفي وصراعنا الاجتماعي» عدد ١٠ ــ عام ١٩٦٦ وفي نفس الموضوع كتب د. مراد وهبة «الفكر الفلسفي في جامعاتنا المصرية» عدد ١٢ ــ عام ١٩٦٩.

(١٥) راجع مقال ابو سيف يوسف « لينين والفلسفة » بالعدد ٤ ــ عام ١٩٧٠.

وقد خصصت « الطليعة » دراسة رئيسية كاملة حول « الاشتراكية والعلوم الانسانية » ثم أدارت في الاعداد التالية حوارا خصبا حول أهم القضايا التي طرحها كتاب هذه الدراسة • وقد تبنى الكتاب والمعلقون افكارا تقاربت حينا وتباعدت فيمسا بينها احيانا لدرجة التضساد • وكانت الافكار المتقاربة على النحو التالي : ● ان الموضوعية والحياد لا مكان لهما في العلوم الانسانية ، لان السوسيولوجيا أحد أشكال الوعي الاجتماعي ، فعالم النفس او الاجتماع هو عضو في الاسرة الاجتماعية للوطن والطبقة والعصر (١٦) • ● ان موقف الباحث الاجتماعي في الغرب منحاز بشكل عام الى المجتمع الرأسمالي ، تستثنى من ذلك قلة قليلة انسلخت فكريا عن قيـم هذا المجتمع ، والباحث الاجتماعي في الشرق منحاز بشكل عام الى المجتمع الاشتراكي • والباحث الاجتماعي في العالم الثالث أمام هذين الاختيارين الفكريين ولا مفر من أن يختار بينهما ، فهو اما مع التقدم الاجتماعي لوطنه وامـا مع التخلف (١٧) ● ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يشذ عن غيره من العلوم فلا يستخدم بصورة أو بأخرى فـي الصراع الايديولوجي الدائر بين الرأسمالية والطبقـات العاملة المستغلة في العالم الرأسمالي • ولا يجوز في بلادنا ان نروج لنظريات علم الاجتماع الغربية أو نعمل على هديها كما يفعل معظم المشتغلين بعلم الاجتماع في مصر ، بل يجب أن نحدد موقفنا منها بوضوح ، اذ ليس هناك علم اجتماع واحد منفصل ومستقل عن أية ايديولوجية (١٨) • ولكن تيارا آخر كان يقول بغير ذلك ، ففي رأيه أنه ليست هناك علوم اجتماع متعددة سواء باسم القومية أو الطبقية أو الحدود الجغرافية ، وانما هناك علم اجتماع واحد • وان الواقع المصري هو الاصل في موضوعية علم الاجتماع في بلادنا ، بمعنى أن تكون الحقائق المدروسة ميدانيا في مجتمعنا هي البداية قبل تعميمها فيشكل نظرى مستعينين بكافة ما وصل اليه علم الاجتماع عند الاخرين (١٩) • وكان هناك تيار ثالث يقول بأن لاضرورة للقول بأن هناك « علم اجتماع ماركسي » وانما يمكن القول بأن هناك اتجاها ماركسيا في علم الاجتماع • ويسلم هذا التيار « بالانجازات العبقرية للماركسية في فهم المجتمع » غير أنه يأخذ على الداعين المصريين الى الرؤية الماركسية في تحليل المجتمع وفهمه أنهم « لم يقوموا هم باختبار سوسيولوجي للقضايا السوسيولوجية الماركسية في مجتمعنا • وبالرغم من أن قضية الايديولوجية وتأثيرها كانت الشغل الشاغل لانصار هذا الموقف فقـد عالجوها علاجا عاما دون أن يبينوا لنا بوضوح المجالات التي يفصح فيها هذا التأثير عن نفسه » ثم يقترح أن يكون الاطار النظرى مستندا بالضرورة الى تاريخ المجتمع المصري، فاستقرائه وتحليلـه يساعدان في بناء اطار نظرى للبدء في الدراسات السوسيولوجية ، اذا صيغ بدقة يمكنـه تـوجيه البحوث والوصول الى شواهد واقعية تحقـق هدفين : احدهما محلي يساعد في فهم المجتمـع المصري ، والثاني عالمي لان المادة المجموعة سوف تتيح فرصة الاختيار بين الاتجاهات النظـرية المعاصرة ، ومن ثم نسهم في التراث العـالمي باختباره وتحقيقه دون أن نتخلف عنه تماما • ونستطيع أن نختار بعد الاختبار من بين هذه الاتجاهات أو نرفضها » (٢٠) •

وقد رد الاتجاه الاولى على كلا الاتجاهين الاخرين بقوله « ان غموض وقائع المجتمع المصري وعدم وجود الابحاث التي تكشفها لا يبرر الاقبال على الوقائع (بقلب نقي) وليس الامر مسألة اختبار قبل الاختيار ، المسـألة أنه في العـلوم الانسانية لا انفصال بين موقف الباحث أو المفكر الطبقي وبين موضوع دراسـته ، لذلك اصطبغت هذه العلوم بصبغة صراعية » (٢١) ، وما صدق على الفلسفة وعلم الاجتماع يصدق على علم النفس في « المعرفة العلمية » ، وفق النظرة المادية معرفة مادية ، أى أنها تكتسب من خلال الالتقـاء المادي بالعلم ، وهي ايضا اجتماعية اقتصادية ، أى أنها تكتسب من خلال العمل المنتج والمشبع لاحتياجات المجتمع ، أو بعبارة أدق احتياجات الطبقة المسيطرة اقتصـاديا • كما انهـا كذلك تاريخية ، فلكل عصر من عصور التاريخ ولكل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي الاقتصادى معارفها العلمية ، والتي تمثل تطورها ، والتي لا ينتقل منها المجتمع الى معرفة أرقى وأكثر تطورا الا بانتقاله التاريخي الى مرحلة اجتمـاعية جديدة •

قصة التعليم •• والثورة

لا موضع لمناقشة الوضع الثقافي العام لبلادنا

(١٦) أمير اسكندر « الايديولوجيا والعلوم الانسانية » ـ عدد ١٢ ـ عام ١٩٧٠
(١٧) السيد ياسين « الباحث الاجتماعي والاختيار الايديولوجي » ـ عدد ١٢ ـ عام ١٩٧٠
(١٨) د• سمير نعيم أحمد « علم الاجتماع بين الرأسمالية والاشتراكية » ـ عدد ٢ ـ عام ١٩٧١
(١٩) د• محمود عودة « علم الاجتماع بين الوحدة والتعدد » ـ عدد ١ ـ عام ١٩٧١
(٢٠) عبدالباسط محمد « علم الاجتماع وضرورة العودة الى المنبع » ـ عدد ٢ ـ عام ١٩٧١
(٢١) لطفي فطيم « الايديولوجيا والانسان والمجتمع » ـ عدد ١ ـ عام ١٩٧١

اذا لم يحتل التعليم فى كافة مراحله مركز المقدمة من هذا الوضع ، وعلى ذلك نالت قضية التعليم من « الطليعة » اهتماما كبيرا فى دراساتها الرئيسية وملفاتها ومقالاتها الفردية · بل انها عنيت على وجه الخصوص بقضيتين متمايزتين وان كانتا متوازيتين مع قضية التعليم عامة ، وهما ثقافة الطفل ومحو الامية · ففى دراستها الرئيسية « نظرة اشتراكية لعالم الطفل » دعت الى تأسيس جهاز مركزى لثقافة الاطفال تنتشر اداراته داخل كل مؤسسة لها علاقة بتكوين هذا الوافد الجديد الى دنيانا واعداده تربويا وثوريا للغد والمستقبل ، كمؤسسة السينما والمسرح ودور النشر ، كما دعت الى اعداد العيون الفنية الكبرى فى أدبنا الحديث اعدادا يتناسب مع الاطفال ومستواهم العقلى والوجدانى ، مثلما يفعلون فى أوروبا شرقا وغربا وبعض بلدان آسيا وأمريكا اللاتينيةحين يبسطون شكسبير وجوركى ومولك راج أناند ، بل ان بعض الكتاب العالميين توجهوا بادبهم مباشرة الى الطفل · وكذلك لابد من العناية بتراثنا من الحكايات الشعبية التى تستهوى الخيال الغض لاطفالنا ، بحيث نعتمد فى اعادة صياغتها على الاسلوب العلمى الذى يستبعد ويضيف ويعدل فى الحكاية الشعبية بما يتلاءم مع الهدف الثقافى الذى نبتغيه للطفل · كما أن العناية القصوى بصحافة الطفل واجب وطنى عاجل وملح فى مواجهة المرايا الاستعمارية الوافدة الينا باسم صحافة الاطفال حيث لا يرون فيها أنفسهم وبلادهم بل جيمس بوند وزورو وطرزان وغير ذلك من « الابطال » الذين يحتلون أدمغة أطفالنا هذه الايام فى غياب صحافتنا الوطنية الاشتراكية، وفى غياب « أبطال » شعبنا عن أذهان الاجيال القادمة · وقدمت الطليعة فى هذه الدراسة عرضا وتحليلا واسعا لبرامج الاطفال فى الاذاعة والتليفزيون ، وكيف أنها رغم التقدم النسبى الذى أحرزته الا أنها لا تزال بحاجة الى مزيد من التطور والدعم الفكرى والفنى من الاقلام الواعية بقيمة الكلمة المسموعة والصورة المرئية فى تربية العقل الغض والوجدان الرهيف · كما نالت افلام الكرتون ومسرح العرائس عرضا مماثلا ، تبينا منه أن السينما عندنا لم تعترف بعد بعالم الطفولة لارتباطها القديم بتقاليد القطاع الخاص الذى لم يفكر يوما فى هذا الموضوع ، ولا حتى من زاوية تجارية كما تفعل السينما الامريكية · والنتيجة الحتمية أن أطفالنا يظلون نهبا لافلام الكرتون الامريكية ، اذا لم يبادر القطاع العام السينمائى الى دراسة هذه المشكلة الحيوية ، مشكلة بناء انساننا الجديد · ويكاد الامر لا يختلف كثيرا فى الموسيقى ، فلا تزال موسيقى « الكبار »لها الغلبة على وجدان الصغاروآذانهم · وليست القضية هنا أن للكبار موسيقاهم وللصغار موسيقاهم ، بل ان المشكلة هى ان موسيقى الكبار أو « الموسيقى » عندنا لا تستطيع بحكم أشياء كثيرة القيام بدور ثورى فى بناء انساننا عموما فضلا عن الطفل الذى يستجيب للنغم بسرعة مذهلة تطبع أعماقه بهذا الايقاع أو ذاك من ايقاعات اللحن الردىء · ويصعب من ثم حين يشب عن الطوق أن يتخلص من هذه الرواسب اللعينة · والحل هو التخصص فى تقديم موسيقى جديدة لاطفالنا لا علاقة لها بالاشكال النغمية السطحية والساذجة التى تملا برامج الاطفال فى الاذاعةوالتى تحشو كيانهم الروحى بتصورات أبعد ما تكون عن العلم · وفى مجال الفنون التشكيلية لا ينبغى الاكتفاء بالصدفة قانونا لاكتشاف الموهبة الفنية عند الطفل أو تربية الحاسة الفنية لتذوقه ، بل يتطلب الامر جهدا واعيا مدروسا فى حقل التربية الفنية وادارة الفنون الجميلة (٢٢) ·

أما محو الامية ، فقد رأت « الطليعة » أن مجتمعا تزيد نسبة الامية بين أبنائه على السبعين فى المائة لهو مجتمع يصعب طريق تحوله الى الاشتراكية أضعافا مضاعفة · فهذه النسبة المروعة من الاميين هى دليل موقف طبقى من قضية الثقافة طيلة المرحلة الماضية ·· فالاميون ليسوا أبناء الطبقة المتوسطة بشرائحها المختلفة ، وانما هم أبناء العمال والفلاحين والجنود · وليس موقفا ثوريا ان نتركهم فريسة سهلة لوسائل الاعلام الميسورة · أو للبرامج الترفيهية لمحو الامية · ان هذه الاساليب كلها ، وفى أحسن حالاتها هى أساليب «اصلاحية» من شأنها دوما أن تجعل القضية معلقة · اننا حين « قرر » نسبة لاتقل عن الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين فى كافة المجالس التشريعية والتنظيمات الشعبية ، يجب أن «نوفر» لجماهير هذه النسبة وعيا حقيقيا وموضوعيا بمصالحها لا وعيا براجماتيا وتجريبيا ، وعيا استراتيجيا ، لا وعيا موقوتا · ولن نتحقق هذه الرؤية العميقة للفلاحين والعمال الا بالثقافة الجادة والعميقة ، ولن تتوفر هذه الثقافة الا بمحو ثورى للامية لا من خلال النزهة والارتجال · ان هناك برامج بورجوازية لمحو الامية هى فى جوهرها ــ خصوصا فى البلدان المستعمرة والحديثة الاستقلال ــ برامج اصلاحية

(٢٢) راجع نظرة اشتراكية لعالم الطفل» من اعداد :د· نجيب اسكندر ، و د· على الراعى ، ونعمان عاشور ، وجميلة كامل ، وعبد القادر التلمسانى وراجى عنايت ، وسليمان جميل ،وحسين جمعة ــ عدد ٤ ــ عام ١٩٦٦.

كما أن هناك أيضا برامج اشتراكية لمحو الامية هي في جوهرها – خصوصا في البلدان المستقلة والتي اختارت الاشتراكية طريقا لشعوبها – برامج ثورية • ونحن محتاجون في هذه القضية الخطيرة بالذات ، أن نستعين بالخبرات الثورية للبلدان الاشتراكية التي قضت على أمية الملايين من عمالها وفلاحيها بعمل سياسى منظم وفق جدول زمنى محدد (٢٣) هذا بالاضافة الى أن محو الامية ضرورة اقتصادية ، فالعامل او الفلاح الـذى يقرأ ويكتب سوف يزيد العائد الانتاجى ، كما أنها ضرورة تربوية ، فمحو الامية يخلق بيئة صالحة للتعليم واستنبات العلماء الممتازين • وليس صحيحا أن اقتصار التعليم على الصفوة يخلق العباقرة ، لان هؤلاء ما لم يجدوا مناخا مهيئا لاستقبالهم بالادراك والفهم والتلقى لن تثمر عبقريتهم شيئا • والاسرة الامية لاتشجع اولادها على التعليم ،وعلى العكس من ذلك فمحو أمية الكبار يشجع الصغار على التعليم النظامى • ومحو الامية معركة شعبية على الصعيد القومى ، وليس معركة فنية من اختصاص وزارة التربية والتعليم • الاتحاد الاشتراكى يقود هذه المعركة بالتعاون مع الادارة واللجان النقابية فى المصانع والمصالح الحكومية والجيش ، وعن طريق الجمعيات التعاونية ومنظمات الشباب فى الريف والمدن الصغيرة (٢٤) •

فاذا انتقلنا من عالم الاطفال ومحو الامية الى عالم المدرسة والمعهد والجامعة لم نر سـوى اجراءات جزئية اتخذت فى تفرق ، يناقض بعضها البعض احيانا ، تتوالى كل سنة فى غير منطق ظاهر ، مما أدى الى عدم استقرار نظم التعليم ، وبقاء شعارات ديموقراطية التعليم واشتراكيته وربطه باحتياجات المجتمع مجرد شعارات تردد ولا تترجم الى واقع عملى (٢٥) •

وقد اوضحت « الطليعة » مرارا أن العقبات الاساسية أمام تطور التعليم هى قصر مدة الالزام وقصر القبول بالجامعات على خريجى الثانوية العامة • وأن ٢٠ فى المائة فقط من خريجى الاعدادية هم الذين يقبلون فى الثانوى • والواقع أن هذه القيود والسدود هى بقية من خوف قديم وفكر طبقى خاطىء فى المجتمع القديم ، فقد كان الشائع أن المثقف لا يعمل بيديه ، فاذا علمنا الجميع فمن يبقى اذن ليعمل فى المصانع والحقول ؟ وكانت المدرسة القبانية الرجعية على وجه الخصوص تروج لهذا المفهوم لتبرير نظمها وفلسفتها فى حرمان الاغلبية الساحقة من أى فرص للتقدم الى أعلى السلم •• بينما المفروض أن المجتمع الاشتراكى يقلـب الصورة تماما ، فقد أصبحت القيمة كلها للعمـل وللعامل المنتج ، بينما المثقف الذى يترفع عن العمل ولا يضع ثقافته فى خدمة العمل والانتاج لا سعر له • والمفروض أن يستجيب نظامنا التعليمى لهذا المفهوم الثورى ويتيح كل الفرص وأرقاها للشعب العامل فى مختلف ميادين الانتاج ويجند المثقفين من صفوف الشعب العامل » (٢٦) • ان المهام الاستراتيجية فى ميدان التعليم كما يـراها كتاب « الطليعة » هى : ١ – الارتفاع بـالمستوى الفكرى والثقافى والروحى للشعب العامل فـى مجموعه • ٢ – فى ظل الثورة التكنـولوجية المعاصرة يقوم التعليم بدور رئيسى فى زيـادة معدلات الانتاج وتطوير أدوات وقوة العمل ٣٠ – التعليم سلاح طبقى ، وفى ظل تحـولنا الى الاشتراكية لابد من اشاعة الديمقراطية الحقيقيـة فى انظمة التعليم (٢٧) ويتم ذلك فيما لو قمنـا اولا بتقييم تاريخ التعليم فى مصر ، وتقييم المناهج التربوية السائدة على رجـال التعليـم ، وتقييـم التجارب التى تمت فى مجال التعليم بعد الثورة • ان تقسيـم نظـامنا التعليمـى وتصـنيفه الحالى (التعليم الابتدائى – التعليم الفنـى – التعليم الثانوى فالعالى – التعليم الخاص) يطابق التحديدات التى وضعها اللورد كرومر للتعليـم المصرى فى ظل الاحتـلال البريطـانى (٢٨) : ويجمع كتاب « الطليعة » فى هذه القضية على ضرورة احداث ثورة فى مناهج ونظم وفلسفة التعليم فى بلادنا تساير التحول الاجتماعى ان لم تسبقه وتمهد له ، فمن غير المعقول أن تظل هذه المناهج الى الان اسيرة الفلسفة الاسـتعمارية والنظم الرجعية التى اودت بوطننا فى مهـاوى التخلف ، ولن يتم ذلك الا باعادة النظر فى التعليم الفنى الذى ينظر اليه على انه مأوى اولاد الفقراء ، واعادة النظر فى التعليم الخاص الذى انشىء اصلا بدافع التمايز الطبقى (٢٩) •

---

(٢٣) غالى شـكرى « الديمقراطية والثقافة » – عدد ٧ – عام ١٩٧١
(٢٤) د• اسماعيل صبرى عبدالله « مبادىء أساسية فى تخطيط التعليم » عدد ٢ – عام ١٩٧١
(٢٥ المصدر السـابق •
(٢٦) أديب ديمترى «الميثاق والسياسة التعليمية الجديدة» – عدد ٦ – عام ١٩٦٦
(٢٧) راجع دراسة «قضية التعليم والثورة» من اعداد زينب محرز وأحمد تـركى وفاطمـة زكى وأديب ديمتـرى ومحروس سليمان – عدد ١٠ – عام ١٩٦٨
(٢٨) ممـدوح عبد الرحمن « حول تطوير التعليم فى مصر » – عدد ١٢ – عام ١٩٧٠
(٢٩) المصدر السابق ••

ولم تغفل « الطليعة » عنصرا هاما من عناصر قضية التعليم فى هذه المراحل هو عنصر « المعلم » فطالبت بأن يكون لوزارة التربية والتعليم الاولوية المطلقة عند توزيع الخريجين عن طريق ادارة القوى العاملة « وخريجو كليات الاداب والعلوم والتجارة والزراعة يمكن أن يصبحوا جميعا معلمين اذا تلقوا القدر المناسب من علوم التربية » (٣٠) ٠ واذا توفرت لهم الحوافز المادية والمعنوية كاعتماد « بدل طبيعة عمل » لهم وتيسير سبل التحصيل فى الدراسات العليا أمامهم ٠

وبالنسبة للتعليم الجامعى ، فقد حددت « الطليعة » وظائفه الحيوية عند وضع سياسة عامة يتطور بمقتضاها على النحو التالى : اعداد الفنيين المتخصصين فى أوجه النشاط المختلفة ، نشر الثقافة الانسانية وتطويرها ، الربط بين متطلبات البحث العلمى وبين الفلسفة العامة للتعليم ، تقديم الخدمات العامة على المستوى الرفيع ، تربية طلاب الجامعات على نظرة شاملة للحياة الانسانية ، ضمان حقيقى لتكافؤ الفرص التعليمية خاصة لابناء العمال والفلاحين ، التخطيط لهذا النوع العام من التعليم بما يكفل له الاتساق وأهداف مرحلة التحول الاجتماعى لبلادنا (٣١) ٠ وقدمت « الطليعة » نماذج عملية لنجاح النظم الاشتراكية فى التعليم بالاتحاد السوفيتى والمانيا الديمقراطية ورومانيا وبولندا والصين ، تصلح فى مجموعها « خبرة ثورية » لتأسيس المدرسة الاشتراكية والجامعة الاشتراكية ، اى تربية الانسان الاشتراكى ٠

فى مواجهة الثقافة الاستعمارية

كانت « الطليعة » واحدة من اهم المنابر التى تصدت للسيل العارم من الثقافات الاستعمارية التى ازدحمت بها أسواق القراءة والنشر العربية خلال الفترة الماضية ٠ وقد رأت أنه اذا كان من المستحيل أن يتحقق تعايش سلمى بين قوى الشعب التقدمية وبين قوى الاستعمار والرجعية ، فانه من الطبيعى إذن « أن تكون فكرة التعايش السلمى بين الثقافة التقدمية سلاح الشعب والثقافة الرجعية سلاح أعدائه ، هى أيضا خرافة وخدعة مهما إختلفت الصيغ التى توضع فيها والعبارات المنمقة التى تصطنع لاخفاء حقيقتها » (٣٢) وقد ادركت القوى الاستعمارية والرجعية هذه الحقيقة منذ وقت طويل ووضعت الخطط البارعة لفرض سيطرتها فى هذا الميدان عن طريق امكانياتها المادية الضخمة ، وعدم اكتمال الوعى التقدمى وبعض جوانب الضعف الانسانى تجاه المغريات كالمال والشهرة ٠ لقد تكونت هيئات ضخمة ساهمت فيها الشركات الاحتكارية بسخاء بالغ ، ونظمت نفسها تحت شعارات براقة ، فهذه مؤسسة للدفاع عن حرية الفكر ، وتلك للصداقة مع العرب ، وثالثة لتطوير البحث العلمى ، وأخرى لنشر الثقافة الانسانية ، وما الى ذلك من واجهات وأسماء مستغلة فى ذلك انبل دوافع الانسان من قيم دينية وقومية وحتى انسانية ، هذا بالاضافة الى عشرات الاذاعات والجرائد والمجلات المفضوحة ، التى تنفث سمومها جهرا فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار حتى تصل الى ملايين القراء والمستمعين ٠ وكان الشكل الاول الذى نفذت بواسطته الخطة الاستعمارية فى مجال الثقافة هو التعاون على الصعيد الرسمى مع الحكومات والمؤسسات الرسمية التى ترتبط بها عن طريق اتفاقيات التبادل الثقافى ٠ وكان الشكل الثانى والاكثر خطورة هو العمل خارج النطاق الرسمى عن طريق المؤسسات المالية الكبرى مثل روكفلر ٠ وفرانكلين وفورد ٠ واذا كانت الظاهرة الاقتصادية والسياسية للاستعمار الجديد هى « تبعية » الدول الحديثة الاستقلال ، ودورانها فى فلك الامبريالية ، فأن المؤسسات الفكرية والثقافية للاستعمار الجديد هى الاجهزة التنفيذية المتخصصة فى الترويج لايديولوجية « التبعية » ، والدوران فى فلك الامبريالية ٠ وهى أجهزة تختلف عن مؤسسات الاستعمار القديم الدعائية شكلا ومضمونا ٠ وكان عام ١٩٥٦ نقطة تحول خطيرة فى التاريخ العربى الحديث ، بل ان هذا العام من زاوية أخرى كان يمثل بداية المرحلة الجديدة فى علاقة الاستعمار بالدول المتحررة حديثا ، والتابعة على السواء ٠ فقد بادر الاستعمار الى « خطة عمل جديدة » تخفى الانياب السامة فى أقنعة من ذهب ، والمخالب الوحشية فى قفازات حريرية ٠ وأقبل التخطيط « الفكرى » للاستعمار الجديد يقدم « حلولا » لبعض الظواهر والازمات التى صادفت مسارنا الثورى فى لقائه بالمثقفين ٠ ولم تكن هذه « الحلول » سوى الشباك والطعوم التى ألقت بها أجهزة الاستعمار فى مرحلته الجديدة ، لتحاول الصيد فى الماء العكر ٠ كانت ولا تزال لدينا العديد من الازمات التى يعانى منها المثقفون

(٣٠) د٠ اسماعيل صبرى عبد الله ـ المصدر السابق ٠

(٣١) د٠ رشدى لبيب « وظائف التعليم الجامعى وسياسته العامة » ـ عدد ٢ ـ ١٩٧١ ٠

(٣٢) د٠ صلاح خالص « خطاب مفتوح الى المثقفين العرب » ـ عدد ٦ ـ عام ١٩٦٧٠

كأزمة الديمقراطية والتخلف الحضاري " وكانت مؤسسات الثقافة الاستعمارية على وعى كامل بهذه الازمات فقدمت لها الحلول البراقة اللامعة من شعارات حرية الفكر والتقدم العلمى التى أخفت من ورائها المعانى الاعمق ، فهى تقصد حرية الفكر البرجوازى والاستعمارى ، وتحييط التجربة الاشتراكية فى مهادها ، أو فى الاراضى المهيأة لاستقبالها بهالة العداء للحرية عموما ، ولحرية الفكر خصوصا ، وأصبح التقدم العلمى مقصورا فيما تقدمه من مواد على التقدم الامريكى ، على أشكال التقدم التكنولوجية دون مضامينهما الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (٣٣) .

وقد دعت « الطليعة » فى مقالات كتابها حول هذا الموضوع الى موقفين يتكاملان فيما بينهما ، ويشكلان « جبهة عمل مضادة » لخطة الاستعمار الجديد فى مجال الثقافة : الموقف الاول هو امتناع المثقفين العرب ، كتابا وفنانين وناشرين وموزعين عن التعامل مع المؤسسات الثقافية الاستعمارية . أما الموقف الثانى وهو الموقف الايجابى ، فهو العمل على قيام وحدة ثقافية عربية حقيقية ، بالتيسيرات الاقتصادية فى تسويق المطبوعات وحركة الفرق المسرحية والمعارض التشكيلية والافلام السينمائية والندوات الدورية للادباء والفنانين العرب ، وقيام مؤسسات النشر والاعلام الوطنية بواجبها القومى نحو قرائها وكتابها (٣٤) .

مسيرتنا الثقافية : التاريخ والمستقبل

وقد شاركت « الطليعة » فى تقييم المسيرة الثقافية لوطننا سواء من خلال ذلك المسح التحليلى الذى قامت به كل عام من أعوام صدورها ، للانتاج الثقافى عموما ، والانتاج الادبى والفنى خصوصا .. أو من خلال الملفات الفكرية التى عرضت فيها لبعض صفحات تراثنا القومى ، كما تتمثل فى فكر ونضال بعض الوجوه المشرقة فى ثقافتنا كرفاعة رافع الطهطاوى وجمال الدين الافغانى وشبلى شميل وأحمد شوقى وسلامة موسى وعباس محمود العقاد ومحمد مندور وعصام حفنى ناصف . كذلك عمدت « الطليعة » الى تقييم عام بين الحين والاخر للثقافة المصرية فى مدهـا وجزرها خلال المرحلة الواقعة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى الان . وقد اختلف كتاب « الطليعة » فى تقييمهم لهذه المرحلة ، ويمكن أن نرصد حول هذا الاختلاف تيارين واضحين : الاول يرى أن لحظات التحول الاجتماعى الكبرى تحدث ما يشبه الفجوة أو الهوة بين المثقف الثورى والثورة ، فالاوضاع الجديدة لم تكن مدرجة فى التصور المسبق للثورة عن المثقف الثورى . وقد كان المنـاخ المعاصر للحظات التحول الاجتماعى الكبرى المعاصرة يتكون من : ا ـ انهيار النظام الاستعمارى بالاستقلال المتزايد للشعوب . ب ـ نهاية مرحلة الجمود فى النظام الاشتراكى . جـ ـ تفـاقم التناقضات داخل النظام الاستعمارى . د ـ الثورة التكنولوجية المعاصرة . وقد جاءت ثورة يوليو ـ عند أصحاب هذا الرأى ـ نموذجا للعلاقة المعقدة بين المثقف الثورى ولحظة التحـول الاجتمـاعى الكبير غير المسبوق . وقد كانت علاقة المثقفين بالمجتمع السابق على الثورة علاقة هامشية ، لان تحالف القوى الرجعية والاستعمارية لم يتح لهم أن يلعبوا دورا فى قيادة مجتمعهم ، اذ كانت دائرة المثقفين فى مختلف المراحل دائرة محدودة اتساعا وعمقا ونوعا . وكان التناقض بين أحلام المثقفين (أو نظرياتهم) ومنهج الثورة الجديدة الرائدة ـ وهو منهج قائم على التجربة والخطأ فى عالم يتحول ـ هو السبب فى اخفاق الغـالبية الساحقة من المثقفين فى تفهم الثورة واستقبالها بما هى جديرة به من الترحيب . غير أن المنجزات الايجابية للثورة فى مرحلتيها : التحرر الوطنى والتحول الاشتراكى كانت الاساس الموضوعى للقائها بالمثقف الثورى وتناقضها مع الرجعية (٣٥) ويحدد هـذا الاتجاه المنجزات الايجابية العـديدة لثورة يوليو فى مجال الثقافة بأنها : ١ ـ تحرير التعليم من الامتيازات الطبقية وتطوير المؤسسات التعليمية بشتى مستوياتها ٢ ـ الانفتاح الواعى على كل منابع الفكر الثورى العالمى . ٣ ـ خلق مراكز جديدة للثقافة العامة والثقافة الجماهيرية والثقافة العمالية وتوسيع دائرة النشر والاعـلام كما وكيفا . ٤ ـ عزل الفئات الرجعية من قطاعات المثقفين . ٥ ـ تحرير النقابات المهنية من التبعية للرأسمالية كنظام اقتصـادى وسـياسى (٣٦) وبالرغم من أن هذا التيار يرى أن الطريق أمامنا الى «الثقافة الوطنية الحرة» ما زال طويلا ، الا أن تقييمه العام للتغيرات التى حدثت بعد الثورة هو أنه « مما لا شك فيه أيضا أننا نجتاز نهضة ثقافية فى كل المجالات الفكرية والفنية والادبية ، نهضة لم نعرف لهـا فى العصور الحديثة مثيلا » (٣٧) .

---

(٣٣) غالى شكرى « استراتيجية الاستعمار الجديد معركة الثقافة العربية » ـ عدد ٧ ـ عام ١٩٦٧ .

(٣٤) حسين مروة « قضايا التعاون الثقافى بين البلاد العربية » ـ عدد ٣ ـ عام ١٩٦٧

(٣٥) محمد سيد أحمد «ثورة يوليو والمثقفون» ـ عدد ٧ ـ عام ١٩٦٥

(٣٦) مصطفى طيبة «جمال عبدالناصر والمثقفون» عدد ١١ عام ١٩٧٠

(٣٧) د. لطيفة الزيات « حصيلة الصراع الفكرى نواة الثقافة الجديدة » عدد ٦ ـ عام ١٩٦٦ .

يتفق الاتجاه الثانى مع الاتجاه الاول فى أن المجتمع السابق على ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد اتخذ موقفا محافظا من المثقفين ، وأن الجذر الديموقراطى هو السمة الرئيسية لذلك المجتمع • ولكنه يعود فيختلف معه فى الحصاد الفكرى والثقافى لتلك المرحلة • ذلك أن الثغرات الدستورية والقانونية فى البناء السياسى للنظام القديم قد أتاحت ـ رغم الجذر ـ للثقافة المصرية ان ترسخ مجموعة من التقاليد ، أتاحت بدورها ازدهارا نسبيا للفكر العلمانى ، وتطورا نسبيا للفكر الدينى المستنير ، وظهورا نسبيا للفكر الاشتراكى،واستيعابا نسبيا للاشكال الفنية الوافدة من الغرب كالمسرح والرواية والقصة القصيرة • ويتفق الاتجاه الثانى مع الاتجاه الاول فى ان نظام ٢٣ يوليو قد أنجز بعض الظواهر الايجابية التى أشارت اليها أقلام الاتجاه الاول ، ولكنه يضيف فى هذا الصدد نقطتين : الاولى هى أن هذا الجانب الايجابى ظل الى حد كبير « شكليا » فالفلسفة السياسية للتعليم والثقافة ـ رغم انشاء المؤسسات واتساعها ورغم التيسيرات الاقتصادية ـ لم تتغير بعد جذريا لتخلق مناخا فكريا جديدا مشبعا بروح الثورة • ومازالت الرموز البشرية والعقلية للفلسفات الرجعية القديمة على رأس التنظيمات والمؤسسات والقرارات الجديدة • والنقطة الثانية هى أنه الى جانب الايجابيات « الشكلية الى الآن »ظهرت فى الحقل الثقافى سلبيات كثيرة (٣٨) •

ب ـ قضايا الادب والفن

أولت «الطليعة » منذ تأسيسها عناية كبيرة بقضايا الادب والفن باعتبارها قضايا الوجدان الانسانى الذى تهدف الى تغييره الى مرحلة أرقى كافة الاجراءات المادية للتحول الاجتماعى ، فاذا كان دور الكاتب السياسى والباحث الاجتماعى أن يقوما بدور الربط بين الفكر والممارسة بحيث يحققان توازنا عقليا بين الاجراءات الثورية والتصورات الايديولوجية ، فان دور الاديب والفنان هو نقل هذه الصياغة التجريدية للواقع الى المستوى التفصيلى للحياة اليومية ، انهما يقدمان « صورة الواقع فى حركته بتفاصيل الحياة وهى تتصارع » فى القلب (٣٩) • ولعل مراحل التحول الاجتماعى هى أكثر عصور الادب والفن احتياجا للتحليل العلمى المنظم ، ذلك أن عديدا من الاخطاء قد حدثت فى ظل التجارب الاشتراكية الاولى باسم هذا التحول ، وبخاصة فيما يمس حرية الكاتب والفنان فى الابداع • لذلك حرص كتاب « الطليعة » حتى الليبراليين منهم (٤٠) الى ايضاح الفروق الدقيقة بين الالزام والالتزام ، وسجلوا اعتراضهم على المرحلة الجدانوفية فى الفن الاشتراكية ، واكدوا على البعد الانسانى والحضارى العام للفنون ، وأننا لا ينبغى أن نخاطب الجماهير العريضة ـ باسم الاشتراكية ـ من موقع الاسفاف وابتذال المعنى السامى الرفيع للفن ، ذلك أن الفن العظيم ، وهو الفن الحقيقى ، يخدم التقدم الاجتماعى حتى ولو لم يقصد صاحبه الى ذلك •وقدواكبت « الطليعة »الصراع الدائر حول الواقعية الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث ناقشت المؤتمرات والجامعات مشكلات البحث فى قيم جديدة للجمال فى ظل الاشتراكية ، وضرورة ادراك القوانين الداخلية للابداع الفنى الجديد ، ذلك ان هناك ـ بالضرورة ـ تناقضات جديدة داخل الاشتراكية تنعكس بدورها على العمل الادبى (٤١) • وظل الرأى الغالب على كتاب « الطليعة » هو أن قضايا الادب والفن بما تتسم به من تعقيد بالغ وخصوصية بالغة ، لا ينبغى ان تعامل من جانب السلطات السياسية بالقهر والمصادرة لما يمكن أن يراه الرقيب او يسقطه من معادلات سياسية يصعب فى واقع الامر استخلاصها بسهولة من داخل العمل الفنى •• ولقد كانت السلطة الاشتراكية الاولى بقيادة لينين مثلا رائعا على الموقف الديموقراطى من مشكلات الادب والفن ، وقد كان هذا الموقف عاملا رئيسيا فى ازدهار الفنون والاداب فى عصره ، بينما العكس كان صحيحا فيما تلاه من فترات الجمود العقائدى (٤٢) •

ثم ناقشت « الطليعة » بعض القضايا النوعية الخاصة بفنون تتمتع بانتشار واسع بين الجماهير كالسينما ، او بفنون تعانى نوعا من العزلة فى المجتمع كالفنون التشكيلية ، والتفرقة اللازمة بين الفن الذى تدخل عمليتا الصناعة والتجارة فى صلب انتاجه ، والفن الذى يعتمد أساسا على الموهبة الفردية •• فالسينما ـ وهى فن جماهيرى واسع الانتشار ـ لها تأثير خطير على الوعى الاجتماعى للشعب • وقد ظلت السينما المصرية

(٣٨) غالى شكرى « الديموقراطية والثقافة » ـ عدد ٧ ـ عام ١٩٧١
(٣٩) صبحى شفيق « دور الادب والفن فى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية »ـ عدد ١ ـ عام ١٩٦٥
(٤٠) د. حسين فوزى « الفن فى المجتمع الاشتراكى » ـ عدد ٣ ـ ١٩٦٧
(٤١) د. سعاد محمد خضر «حول الادب والفن فى المجتمع الاشتراكى »ـ عدد ٥ ـ ١٩٦٧.
(٤٢) غالى شكرى « الموقف اللينينى من الادب والفن » ـ عدد ٤ ـ ١٩٧٠.

امدا طويلا فى خدمة الايديولوجية البرجوازية فى اكثر اشكالها تخلفا ٠ وقد آن لها – فى مرحلة التحول الاشتراكى – أن ترتبط فكريا وجماليا بجماهيرها الحقيقية التى تتطلع الى وعى سينمائى مثقف (٤٣) ٠ وبالنسبة للفنون التشكيلية ، فانها بازاء تغير حقائق الامس ، فانها بدأت تغير من اساليبها ورؤاها ٠ ولكن المشكلة هى ان الاكتشاف العلمى يمكن التثبت منه ، أما الاكتشاف الفنى فان معاييره تولد معه ٠ ولا شك ان الجديد ثورة على القديم ، ولكنه مولود من صلبه وليس من الفراغ ، هكذا الامر فى العلم والفن معا ٠ غير أن وحدة رد الفعل ازاء الاكتشاف العلمى يقابلها تعدد ردود الفعل ازاء الاكتشـــاف الفنى ٠ وكذلك تتعدد استجابات الفنانين للموقف أو الظاهرة الواحدة ، بينما لا يختلف العلماء فى تحديد موقفهم من نتيجة برهنت عليها التجربة ، ومن هنا كانت اطلاقية الحكم على العمل العلمى ونسبيته على العمل الفنى وتدلنا مسيرة الفنون التشكيلية الحديثة على أن اصطدامها بالذوق التقليدى كان سببا فى عزلتها حتى فى بعض البلدان المتقدمة ، ولكن هذه العزلة فى تلك البلدان كانت مؤقتة فسرعان ما يلتقى الذوق العام من الخلق الفنى الجديد ، وذلك لرسوخ التقاليد العريقة فى محبـة الفن والتجاوب معه ٠ ويصبح الجديد هو لغة العصر ، سابقا عليه او مواكبا له ، فالمعـــاصرة فى الفن التشـــكيلى هى « تجانس وتناسق مع مظاهر العصر فى كل الميادين العلمية والفنية الاخرى » ، فالمعاصرة اسلوب وليست موضوعا ، والفنان المعاصر « مطالب بالكشف عن وجهة نظر وفلسفة ومضمون تســاير آخــر المكتشفات العلمية والفنية الاخرى » (٤٤) ٠

من الهزيمة الى المقاومة

على أثر هزيمة ١٩٦٧ بدت فى الحقل الادبى مجموعة من الظواهر الفكرية والجمالية ، بعضها امتداد للمرحلة السابقة على الهزيمة مباشرة ، وبعضها الاخر من نتائجها السلبية والايجابية ٠ وقد كانت أهم هذه الظواهر ، هو الاجيال الجديدة الشابة من الادباء ، وكانت الظاهرة الثانية هى أدب المقاومة ٠ لذلك سادت أعـداد « الطليعة » التالية لهذا التاريخ الدراسات الرئيسية والمقالات الفردية حول هاتين الظاهرتين ٠

وفى البداية رصدت « الطليعة » ارهـاصات الهزيمة فى الادب السابق على وقوعها ، ذلك ان روائيا كنجيب محفوظ استطاع ان يرى الكثير مما كان يشكل مناخ السقوط ، ففى روايته « ثرثرة فوق النيل » و « ميرامار » على سبيل المثال قد احاط بالجو السلبى المهيمن على الحياة المصرية ٠ وكذلك بعض الاعمال المسرحية التى كتبها تـوفيق الحكيم « السلطان الحائر » والفريد فرج » « حلاق بغداد » وسعد الدين وهبه « بير السلم » وعبد الرحمن الشرقاوى « الفتى مهران » وميخـائيل رومـان « الدخـان » وغيرهـم من الكتاب الذين استشرفوا الهول قبل وقوعه ٠ وفى الشعر نلاحظ أن اعمالا قليلة لصلاح عبد الصـبور « مأساة الحلاج » وبعض قصائد محمد ابراهيم ابـو سنة « غزاة مدينتنا » و « امل دنقل » « حديث مع ابى مـــوسى الاشعرى » كانت نبـوءات فنية بمـــا حدث ٠ ولم يتغير الامر كثيرا عند هؤلاء الكتاب بعد الهزيمة ، فقد ظلت غالبيتهم ترى ان الحال لا يزال كما هو عليه ، بالاضافة الى المرارة التى سدت الحلوق بطعم العلقم ، حتى أن اللون الاسود أصبح سيد الموقف الفنى ، ومن هنا كانت التأثيرات الواضحة عند ادبائنا بكتاب العبث واللامعقول فى الادب الغربى المعاصر ٠ ولكى يقول كتابنا كلمتهـم السوداوية الغاضبة هذه ، لجأوا الى استعـارة اشـــكالهم الفنية من التراث الشـعبى والتاريخ والرموز المغمورة فى جوف الاساطير ٠ ومع هذا فقد برز الهدف السياسى والاجتماعى لهـذه الاعمال ، مما أدى فى أحيان كثيرة الى تعطيلها رقابيا (٤٥) ٠ على ان القصة القصيرة من بين كافة الاشكال الفنية هى التى عرفت ما يشبه الثورة على القوالب الفنية التقليدية فى موازاة التجديد الامـر الـذى أصـاب رؤى الكتاب وأخيلتهـم الفكرية ، سواء كان هؤلاء الكتاب من أجيال سابقة كنجيب محفوظ ويوسف ادريس أو من الاجيال الجديدة كجمال الغيطانى وابراهيم أصـلان ومحمد روميش ومحمد البساطى ومجيد طوبيا ٠ ان كل القلق والمحاولة والتجريب فى تحـولات القصة القصيرة المصرية ، ليس سوى الخطوة الاولى ٠٠ الشرط الاول للخلاص من كل ندوب وتآكل الركود الفكرى الذى يعانيه لحد ما أدبنا الحديث ، غير أنها فى النهاية ادراك واستبصـار لكل الامكانات المحدودة لحاضرنا من أجل تخطيها الى واقع أرحـب اكثـر انسـانية وبكارة ونقاء » (٤٦) ٠

(٤٣) صلاح أبو سيف « نحو فن سينمائى اشتراكى » – عدد ٦ – ١٩٦٥
(٤٤) مختار العطار « الفن التشكيلى والمعاصرة » – عدد ٤ – ١٩٧١
(٤٥) غالى شكرى « الادب المصرى والخامس من يونيو » – عدد ٥ – ١٩٦٩
(٤٦) عبد الرحمن أبو عوف « ظلال أزمة ٥ يونيو والقصة القصيرة المصرية » – عدد ٣ – ١٩٧١

أما ادب المقاومة فقد نالّ من « الطليعة » عناية كبيرة ، سواء من الناحية النظرية بتعريف الاصول الفكرية والجمالية لهذا اللون من ألوان الادب عبر التاريخ ، أوبتقديم دراساتتطبيقية لهذا الادب عند مختلف الشعوب وبخاصة فى التراث العربى القديم والمعاصر . فى الجانب النظرى حدد أحد كتاب « الطليعة » أبعاده بأنها ثلاثة هى البعد القومى والبعد الاجتماعى والبعد الانسانى ، ثم فرق بين ثلاثة أشكال لادب المقاومة هى : الادب الذى « يقاوم » قبل حدوث المحنة وهو الادب الذى يرتفع الى مستوى النبوءة ، والادب الذى يقاوم « اثناء » المعركة ، وبعد الهزيمة ، والادب الذى « يؤرخ » للازمة بعد وقت طويل ، أى عندما تصبح هناك مسافة موضوعية بين الكاتب والحدث (٤٧) ، وفى معرض التطبيق قدمت « الطليعة » عدة مقالات متتابعة ، ناقشت الابعاد القومية والاجتماعية والانسانية فى أعمال مالرو وشتاينبك واهرنبورج وشولوخوف وايفواندريتش فى الاداب الغربية ،وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبدالقدوس ويوسفادريس ولطيفة الزيات فىالادب المصرى الحديث ، وفى السير الشعبية المعروفة فى تراثنا القومى كأبى زيد الهلالى وذات الهمة والظاهر بيبرس وحمزة البهلوان وغيرهم ، وفى الادب الجزائرى عند محمد ديب ومالك حداد وكاتب ياسين ، وفى الاعمال المسرحية المصرية عند لويس عوض والفريد فرج وعبد الرحمن الشرقاوى وسعد الدين وهبة ويوسف ادريس .

هكذا يتكلم الادباء الشباب

تحت هذا العنوان خصصت « الطليعة » دراستين رئيسيتين قوامها « الشهادات الواقعية » التى أجاب فيها الادباء المصريون والعرب من أبناء الجيل الادبى الجديد على ثلاثة أسئلة هى : ١ ــ متى قامت العلاقة بينك وبين فنك الذى تمارسه الان ، ومتى بدأت الانتاج فيه . ٢ ــ ماهو المناخ الذى يسيطر على ممارستك لفنك من حيث (ا ــ العلاقة بينك وبين زملائك الفنانين والاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن ب ــ العلاقة بينك وبين المجال الذى تعملفيه سواء كان مجالا فنيا أو غير ذلك . جـ ــ الموقف من الاجيال الفنية السابقة على جيلك وعلاقتك بها) ٣ ــ ما هى المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تشارك فى ابداعك الفنى . وأين بهذه المؤثرات من قضية التغيير الاجتماعى فى بلادك بشكل عام ، وقضية العدوان الاسرائيلى ، وقضايا العالم المعاصر . وبالنسبة للادباء المصريين تفاوتت التعليقات على اجاباتهم بين التعاطف والرفض والتحفظ .. فقد رأى معلق ينتمى الى هذا الجيل بأن الفقر المادى وطبيعة العمل والوضع الوظيفى وصعوبة الحصول على الثقافة المتخصصة وظاهرة الشللية هى أهم السمات التى يتصف بها هذا الجيل (٤٨) . بينما انقسم المعلقون من الاجيال السابقة الى اتجاهين على وجه التقريب : أحدهما يرى أن هذا الجيل ليس تيارا فنيا ويفتقر الى الثقافة وانه فى غالبيته زوبعة فى فنجان (٤٩). والثانى يرى بأنه ليس جيلا منقطع الجذور ، وهو جيل ملتزم ويتميز بأنه يرى الفن فى وحدة مع بقية الفنون (٥٠) . وان التخاصم مع الحياة هو دافعهم الى الكتابة ، وأن خطيئتهم فى رفض القديم هى التعميم فهم لا يميزون كثيرا بين الاجيال والكتاب ، ذلك أن التجديد لا يرتبط بسن معينة ، وأن تفاعل التراث مع الثقافة الاجنبية هو مصدر الاصالة الحقيقية التى ينبغى أن تميز التجارب الجديدة ، جنبا الى جنب الالتزام الذى لا يتعارض [illegible] وقد فصل هذا [illegible]

فى تعليق حول الوضع الاجتماعى للجيل بأنه الانتماء الطبقى الى البورجوازية الصغيرة الريفية . وأن ذلك الانتماء هو الاب الشرعى لتضخيم « الانا » والتجريد المثالى للوسائل والغايات والالتزام الذى يتراوح بين الماركسية والوجودية . وهو ــ عند صاحب هذا الرأى ــ جيل متطور عن جيل الخمسينات وامتداد له ، ولكن الجيلان يشتركان فى الرؤية التقدمية للمجتمع . وما زال الجيل السابق قادرا على أداء دور لا يقل أهمية عن دور الشباب ، ولكن بينما كان دور الجيل الماضى هو ارساء دعائم نظرية الوحدة بين الشكل والمضمون (من الناحية النظرية فقط) الا أنه فى الواقع كان يميل الى النغمة الزاعقة ، أى التركيز على المضمون .. فان الجيل الجديد ــ على العكس ــ رغم اتفاقه النظرى مع الجيل السابق يركز على الاشكال والاساليب الفنية . ويتفق صاحب هذا التعليق فى أن التكوين الثقافى للجيل ناقص ، ولكنه قد أحدث رغم هذا النقص تغييرا كيفيا فى بناء القصة القصيرة . وهو يرجع

(٤٧) غالى شكرى «ادب المقاومة» ــ عدد ٣ ــ ١٩٦٧
(٤٨) سامى خشبة ــ عدد ٩ــ١٩٦٩
(٤٩) د. سهير القلماوى و د.لويس عوض ــ عدد ٩ ــ ١٩٦٩.
(٥٠) د. على الراعى ــ عدد ٩ــ ١٩٦٩
(٥١) د. لطيفة الزيات ــ عدد ٩ ــ ١٩٦٩.

الغضب الظاهر فى انتاج الجيل الى عدة مصادر أهمها : هزيمة ١٩٦٧ ، غياب الحياة الادبية والفنية ، الشعور بالعجز عن المشاركة فى بناء الحياة الجديدة ، الشعور بالتخلف عن مستوى العصر ، خيبة الامل فى بعض نماذج الجيل الماضى التى بدأت حياتها بالفكر الثورى وانتهت براجماتية (٥٢) . ويقترب من هذا الاتجاه رأى يقول بأن تساقط الاحلام القديمة وانقطاع الحوار بين الاجيال من الاسباب الهامة فى غضب هذا الجيل ، وأن شهاداتهم الواقعية لا تعبر تماما عن رؤاهم الجديدة التى ينبغى البحث عنها فى انتاجهم الفنى . ولا ينبغى ان ننتظر منهم منهجا فكريا متسقا فى الوقت الحاضر لان رؤاهم ما زالت فى مرحلة التخلق والتكوين ، وهى رؤى لا تمت بصلة قرابة حميمة الى رؤى الاجيال السابقة . ولا ينبغى أخيرا أن نفرض عليهم انسجاما مفتعلا مع الواقع ، ولنبق لهم على بكارة الرؤيا وشرف المغامرة (٥٣) .

تراثنا المعاصر : المشكلات والتقييم

رأت « الطليعة » أن كثيرا من قضايا آدابنا وفنوننا تحتاج الى تغطية تحليلية من وجهة نظر جديدة . وقد رأت أيضا أن هذه التغطية يجب أن تتم فى « دراسات رئيسية » شاملة الى جانب المقالات الفردية التى تتناول بين الحين والحين هذه الجزئية أو تلك . لذلك خصصت ابان تلك المرحلة دراستين لكل من المسرح المصرى والرواية العربية ، الى جانب المقالات المتفرقة حول هذين الفنين .. فحول قضية فلسطين عرضت « الطليعة » لما تم تقديمه على خشبة المسرح المصرى من أعمال الشرقاوى ومعين بسيسو وسهيل أدريس وألفريد فرج ، وهى أعمال تشترك فى ظاهرة سلبية واحدة « هى جهود الشخصيات الفنية على لون واحد من ألوان السلوك والفكر والتعبير ، فغالبيتها شخصيات وحيدة الجانب ، سواء فى رؤيتها للحياة أو رؤية الاخرين لها » (٥٤) . وحول « المسرح وقضايا الشعب » تناول كتاب « الطليعة » بعض المشكلات الخاصة بالمسرح المصرى . وقد عرض أحد الكتاب لتطور حركتنا المسرحية ، وانتهى الى أن مستقبل المسرح المصرى - كماضيه وحاضره - مرهون بحركة المجتمع كله ، مرهون بتقدم الطبقات الادنى كى تأخذ مكانتها الحقيقى فى تحالف الطبقات (٥٥) .

وعرض مقال آخر لاتجاهات الفكر والفن فى « حاضر المسرح المصرى » فكانت قضايا العدل الاجتماعى والصراع ضد القهر وضد عزلة السلطان وضد الاغتراب والتعبئة من أجل المعركة الوطنية هى القضايا التى شغلت أهم كتاب هذا المسرح . وكذلك كانت قضايا اللغة والشكل المسرحى والعودة الى التاريخ والتراث هى القضايا الفنية التى شغلت معظم هؤلاء الكتاب وهم يبحثون عن قالب جديد يتواءم مع رؤاهم من ناحية ، ويفلتون به من عمليات « الاسقاط » السياسية التى طاردت أعمالهم سواء من جانب النقد القصير النظر ، أو النقد الاستعدائى ، أو الرقابة (٥٦) .

وعرض مقال ثالث لمشكلة قديمة جديدة هى علاقة فننا المسرحى بتراثنا القومى - الشعبى على وجه أدق - فقال أن مصر كانت مهيأة أكثر من غيرها من البلاد المجاورة لتقبل فكرة المسرح عامة ، والمسرح «البشرى» بصفة خاصة ، حين أخذت الفرق المسرحية والافكار المسرحية ذاتها ترد الى بلادنا ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر « ان خيال الظل قد دار دورة كاملة من مصر الى تركيا الى سوريا الى مصر قبل أن يحقق الاتصال المباشر بالتمثيل البشرى ، أى قبل أن يخطو الخطوة المنطقية التالية لقيام فن تمثيلى متكامل عن طريق الدمى أو الخيال ، وهى : نبذ التمثيل بالوساطة ، وبروز الفنان المحرك للدمى أو الصور ، ليمثل بالاصالة عن نفسه وليس نيابة عن احد » (٥٧) .

وعرض مقال رابع للطبقة المتوسطة فى البناء الفكرى والفنى للمسرح المصرى عبر تاريخه الحديث ، حيث انتهى الى أن « هذه الطبقة فى مسرحنا ، وربما فى حياتنا الثقافية كلها هى المشكلة ، مثلما انها هى المشكلة فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والمشكلة لا تنبع من وجودها ، ولا من كيفية الافلات منها ، وانما فى كيفية الوصول الى ما ورائها ، أو الى ما تحتها فى الحقيقة الاجتماعية ، وفى العناصر التى يمكن أن تصل الى ذلك الجمهور - البعد المطلوب - لا أن تعبر عنه فقط ، وانما أن تجتذبه ، وأن تؤثر فيه » (٥٨) . وعرض المقال الاخير لنغمة الغضب

---

(٥٢) لطفى الخولى - عدد ٩ - ١٩٦٩
(٥٣) غالى شكرى - عدد ٩ - ١٩٦٩
(٥٤) غالى شكرى «فلسطين على خشبة المسرح المصرى » - عدد ٦ - ١٩٧٠
(٥٥) فاروق عبد القادر « حركة المسرح المصرى من الماضى الى المستقبل» - عدد ٥ - ١٩٧١
(٥٦) امير اسكندر « اتجاهات المسرح المصرى المعاصر : الفكرية والفنية » - عدد ٥ - ١٩٧١
(٥٧) د. على الراعى « المسرح المصرى وتراث الشعب » - عدد ٥ - ١٩٧١
(٥٨) سامى خشبة «المسرح المصرى والطبقة المتوسطة » - عدد ٥ - ١٩٧١

الزاعقة فى الانتاج المسرحى لمؤلفينا فقال أنه بالرغم من الهموم السياسية الواضحة فى تفكير كتابنا ومخرجينا ، الا أن أبنيتهم المسرحية لا تخرج عن كونها استعارات مشتتة من مختلف عصور واتجاهات المسارح الغربية والشرقية ، لانهم لا يطابقون بين الفكر العاكس والفن المنعكس .. وانما هم يحاولون صياغة فكر بسيط صياغات بالغة التعقيد ، وأحيانا ، الافتعال « هذا لاينفى أنهم بهذه الاستعارات المشتتة جددوا الى حد ما فى بنية الفن المسرحى ، ولكن هذا التجديد ما يزال بحاجة الى التأصيل (٥٩) .

وقد اهتمت « الطليعة » بالفن الروائى اهتماما مماثلا لعنايتها بالفن المسرحى ، فقدمت بعض المقالات الفردية حول بعض الروائيين العرب ، سواء تم ذلك فى السياق العام لادب الهزيمة وأدب المقاومة ، أو فى السياق التفصيلى لانتاج هذا الكاتب أو ذلك .. فحول الروائى المصرى الراحل محمد عبد الحليم عبدالله نشرت مقالا استعرضت فيه الكاتب مراحل تطوره وانتهى الى أن محمد عبد الحليم عبد الله فى مرحلته الاخيرة كان أكثر تقدما من حيث البناء الروائى المتماسك ولغة التخصيص التى مال اليها ، ولن يجد فيها طلبة المدارس « مقتبسات » يردون بها على رسائل حبيباتهم . ذلك أنه فى آخريات حياته كان يلتمس جمهورا جديدا جذبته خيوط الاتجاهات الواقعية الجديدة جذبا شديدا ، حيث مال الخط البيانى لجدول التوزيع لمصلحة هذه الاتجاهات منذ أواسط الستينات ، على أن هذا لا ينفى الاثر الجاد والحقيقى لتجارب عبد الحليم عبد الله وأبناء جيله من كتاب الرواية (٦٠) . وحول أدب الروائى السورى حنا مينة نشرت « الطليعة » مقالا تابع فيه الكاتب تطور الرواية العربية فى سوريا ، حيث لا تزال عملا فرديا مبعثرا لا ينتظمه تيار أدبى يسود أو يصارع ضمن بقية تيارات الحركة الفنية .. فالشعر والقصة القصيرة يستحوذان على اهتمام الاجيال والاتجاهات المختلفة ، بينما تظل الرواية فى الادب السورى الحديث عملا أقرب الى الهواية بالنسبة للبعض ، وعملا ثانويا بالنسبة للبعض الاخر ، وعملا جادا بالنسبة للقلة القليلة . ولكن جدية هؤلاء تلازمها ندرة فى الانتاج تبلغ أحيانا درجة الانقطاع سنوات طويلة « ولعل حنا مينه فى مقدمة أولئك الذين لا ينتمون الى جيل روائى ، ولكنه لا يتخذ من الكتابة الروائية احدى هواياته ، ولا يجعل منها عملا ثانويا ، رغم اقلاله الشديد فى الانتاج وتباعد الزمن بين رواية وأخرى . فروايته الاولى « المصابيح الزرق » صدرت عام ١٩٥٤ وروايته الثانية « الشراع والعاصفة » ظهرت عام ١٩٦٦ ، وروايته الثالثة « الثلج يأتى من النافذة » عام ١٩٦٩ . ومن المفيد القول ـ تفسيرا لهذه الظاهرة ـ أن العمل الادبى فى حياة حنا مينه جزء لا ينفصل عن هذه الحياة ، فهى تمده بالخامة البكر وهو يمدها بالمعاناة ، والفكر ، والنتيجة هى هذه الوحدة العميقة والاصيلة بين الكاتب وأدبه . ولكنها ليست وحدة من ذلك النوع الذى يدفعك الى تبين تفاصيل الحياة الشخصية للفنان بين سطور فنه ، أو تبين خريطة الواقع الحرفى فوق الصفحات . كلا ، فان حنا مينة ليس ناقلا فوتوغرافيا ولا كاتب ذكريات ، وانما هو فنان واقعى بأرحب معانى الواقعية وأكثر صورها خصوبة وغنى : انه يعانى الواقع بكل ذرات دمه ، الواقع بأبعاده الخفية والظاهرة ، الحية والمتطورة . ثم هو يعانى فى الوقت نفسه رؤيته لهذا الواقع بكل ما تشتمل عليه هذه الرؤية من تقليب لكافة وجهات النظر ومحصلات المعرفة وخبرات الثقافة ، ثم هو يعانى أخيرا مشقة الحصول على همزة الوصل بين الفكر الذى اطمأن اليه والواقع الذى أقلقه وأرقه ، همزة الوصل الواعية واللاواعية ، أو ذلك الرباط غير المرئى بين العقل والمخيلة الذى يصل بين الفكر والواقع فى صياغة جمالية واحدة نسميها الابداع الفنى » (٦١) .

ثم قدمت « الطليعة » تحت عنوان « الرواية مرآة الشعب » دراسة رئيسية احتوت على ثلاث مقالات عالجت بعض محاور الرواية المصرية ، ومقال عن الرواية العربية الجديدة التى تناولت أبعاد الهزيمة فى حزيران ١٩٦٧ . وقد كان المحور الاول الذى عولج فى القسم الخاص بالرواية المصرية هو « الفلاح » كما رآه كتابنا الروائيون ابتداء من محمود خيرت ومحمود طاهر حقى (بين عامى ١٩٠٣ و ١٩٠٦) الى أعمال الدكتور هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الحليم عبد الله ويحيى حقى وفتحى غانم ويوسف ادريس وثروت أباظة وعبد الرحمن الشرقاوى وشوقى عبد الحكيم وعبد الحكيم قاسم ومحمد خليل قاسم وعبد الوهاب الاسوانى .. وقد انتقلت الرواية المصرية ـ عبر هذه الاجيال والعصور ـ بصورة الفلاح المصرى من مجرد الملامح الرومانسية الى المعالم الواقعية لهذا الانسان الكادح المقهور على مر الزمان (٦٢) . ودار المحور الثانى من هذا القسم حول المقاومة الوطنية فى الرواية المصرية حيث

---

(٥٩) غالى شكرى «أين الغضب فى مسرحنا الغاضب ؟» ـ عدد ٥ ـ ١٩٧١
(٦٠) غالى شكرى «محمد عبدالحليم عبدالله وتطور الرواية المصرية» عدد ٨ ـ ١٩٧٠.
(٦١) غالى شكرى «الغربة والانتماء فى أدب حنا مينه» ـ عدد ١٠ ـ ١٩٧٠
(٦٢) فؤاد دوارة «صورة الفلاح فى الرواية المصرية» ـ عدد ٨ ـ ١٩٧١.

تناول الكاتب نموذج المقاومة الفدائية فى رواية احسان عبد القدوس « فى بيتنا رجل » ونموذج المقاومة بالكلمات فى رواية عبد الرحمن الشرقاوى « الشوارع الخلفية » والتأرجح الذى أصاب يوسف ادريس بين روايتيه « قصة حب » و « البيضاء » ، التارجح بين الايجابية ، والاستسلام ، والريادة الفدريه والفنية فى «عودة الروح» لتوفيق الحكيم ، والبانوراما الاجتماعية الهائلة التى تمت المقاومة فى أطارها بثلاثية « بين القصرين » لنجيب محفوظ، والرؤيا التاريخية لمقاومة الثورة العرابية كماتجسدت فى « عبد الله النديم » البطل الروائى عند أبو المعاطى أبو النجا فى روايته « العودة الى المنفى » (٦٣) • وكان المحور الاخير فى القسم الاول حول الاتجاهات الجديدة فى أعمال الروائيين المصريين الشباب والكهول ، وهى اتجاهات تتمثل فيما أسماه الكاتب « اسقاط الميراث التاريخى » و « الوعى الحاد بالذات » ، و « وطأة الصمت والرعب » ولكن هذه السمات لا تتحقق فى الغالبية الساحقة — الروايات الجديدة الا فى صورة باهتة تفتقر الى الخبرة بالحياة والنضج الفنى والعمق الفكرى • غير أن هذا لا ينفى تحققها فى قلة ممتازة من هذه الروايات مثل « أيام الانسان السبعة » لعبد الحكيم قاسم ، و « الصمت والصدى » لامين العيوطى ، و « تلك الرائحة » لصنع الله ابراهيم ،و«العودة الى المنفى» لابى المعاطى أبو النجا » (٦٤) •

وكان القسم الثانى من الدراسة فى مقال واحد حول الرواية العربية الجديدة والهزيمة •• وقد رأى كاتب المقال انجازات الروائيين العرب فى هذا الصدد ، نجحت الى حد كبير من المأزق التقليدى الذى يحاصر الكاتب غالبا وهو يكتب عن « مناسبة » أو « حدث سياسى » • وربما كان من الاسباب الهامة لنجاة الرواية العربية من هذا المأزق أنها ظلت طيلة الستينات ، تحاول برفقة القصة القصيرة أن تثور على المفاهيم التقليدية للفن الروائى •• فلما اقبلت هزيمة عام ١٩٦٧ لم تكن فى انعكاساتها الوجدانية والعقلية اكثر من امتداد علنى لما كانت تكتوى به الصدور فى السر قبل هذا التاريخ بزمن طويل • وظلت الرواية العربية الجديدة بعد ٦٧ تنادى حزيران بين الحين والاخر ، تفتش بين الانقاض عن حقائق الماضى ، وتتوقف طويلا على أرض الحاضر الخراب ،تستعير احيانا عينى زرقاء اليمامة تكتشف بهما آفاق المستقبل • وهى تجد نفسها فى ذلك كله مضطرة لان تخرج عن نطاق الجاذبية للرواية التقليدية ، فتجرب من أدوات التكتيك ورؤى الفكر ما يتواءم مع الاحاسيس والمدركات الجديدة التى تطارد وجدانات الكتاب وعقولهم بلا هوادة ، وهم يحلقون فى أجواء محفوفة بكل مخاطر المجهول • ومن الطبيعى أن تختلف انجازات الرواية الجديدة من كاتب الى آخر اختلاف التجربة والثقافة والفطرة ، ولكنهم — أولئك الروائيين — يعودون فيلتقون فى انحزيران كان نبع رؤياهم ، من قبل أن يقع وبعد أن وقع • ثم يعودون فيلتقون فى أن حسم الهزيمة المشترك بينهم قد شارك بنصيب فعال فى صهر الوعى القومى للرواية العربية •• فربما كانت هذه الاعمال التى اتخذت من ماساة ٦٧ محورا لها هى اكثر الاعمال الروائية التى رسخت كيانا « عربيا » للفن الروائى ، لا بمعنى الانفصال عن مؤثرات القرب الفنية ، ولا بمعنى البحث عن أصول تاريخية لهذا الفن فى كهوف التراث القديم • ولكن بمعنى وحدة العقل والوجدان بين الكاتب المصرى والكاتب السورى والكاتب الفلسطينى والكاتب الاردنى والكاتب اللبنانى تجتمع غالبية اولئك الروائيين ايضا ، مهما اختلفت أعمارهم وتواريخهم الفنية ، حول ناحية التجديد فى بنية الرواية العربية تجديدا ثوريا من شأنه أن يتجاوز بهذا الفن الجماهيرى أعتاب المرحلة التقليدية • ويقسم الكاتب مجموعة الروائيين العرب الذين تناولوا رؤيا الهزيمة بالتعبير الفنى الى تيارين رئيسيين : اولهما وصلت به تخوم التجربة الى تخوم اليأس المطلق نتيجة قصور فى تصور الحركة التاريخية ، ونتيجة انتماء فكرى متعال على الحركة الاجتماعية ، ونتيجة تكوين طبقى بالغ القلق والذبذبة والتأرجح • والى هذا التيار تنتمى بشكل عام رويات حليم بركات وتيسير سبول وامين شنار • أما التيار الثانى فقد وصلت به التجربة الى حدود الامل المطلق نتيجة استبصار واع بالحركة التاريخية ، ونتيجة انتماء فكرى مرتبط بالحركة الاجتماعية ، ونتيجة تكوين طبقى مرتبط بالاتجاه القومى ومدغوم فى المجرى الرئيسى للوجدان الانسانى • والى هذا التيار تنتمى بشكل عام روايات اميل حبيبى وغسان كنفانى وأديب نحوى وممدوح عدوان • وربما كانت نقطة اللقاء السلبية بين هذين التيارين هى المطلق » الذى يتوزعهما بين اليأس والرجاء ، رغم أنهما على طرفى نقيض •• لقد اكسب هذا « الاطلاق » أعمالهم بدرجات متفاوتة قدرا من السكونية فى تمثل ابعاد الهزيمة بحيث جاءت الرؤيا اليائسة بأرض خراب لا يعرفها واقعنا على وجه التمام ، كما جاءت الرؤيا المتفائلة بيوتوبيا الفردوس الارضى الذى لم يعرفه واقعنا — بعد — على وجه التمام (٦٥) •

---

(٦٣) احمد محمد عطية «الرواية المصرية والمقاومة الوطنية» — عدد ٨ — ١٩٧١.
(٦٤) صبرى حافظ «الموجة الجديدة فى الرواية المصرية » — عدد ٨—١٩٧١.
(٦٥) غالى شكرى «الرواية العربية تنادى حزيران» — عدد ٨ — ١٩٧١.

ملف خاص

المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى اللبنانى

في بيروت ، وفى صباح يوم الجمعة ٧ يناير ١٩٧٢ انعقدت أولى جلسات المؤتمر الثالث **للحزب الشيوعى اللبنانى (١)** .

وكان لانعقاد المؤتمر ، بشكل علنى ، وفى فندق من أشهر فنادق العاصمة اللبنانية ، أصداء بعيدة المدى فى لبنان ، وفى البلدان العربية ، وفى كثير من عواصم العالم .

ويعزى اهتمام أوساط الرأى العام المحلى والعربى والدولى بهذا الحدث الى أنه :

١ ـ أول مؤتمر يعقده الحزب بعد أن أجيزت علنيته رسميا فى أغسطس عام ١٩٧٠ ، وبعدأن فرضت عليه حياة السرية لمدة ٢٥ عاما .

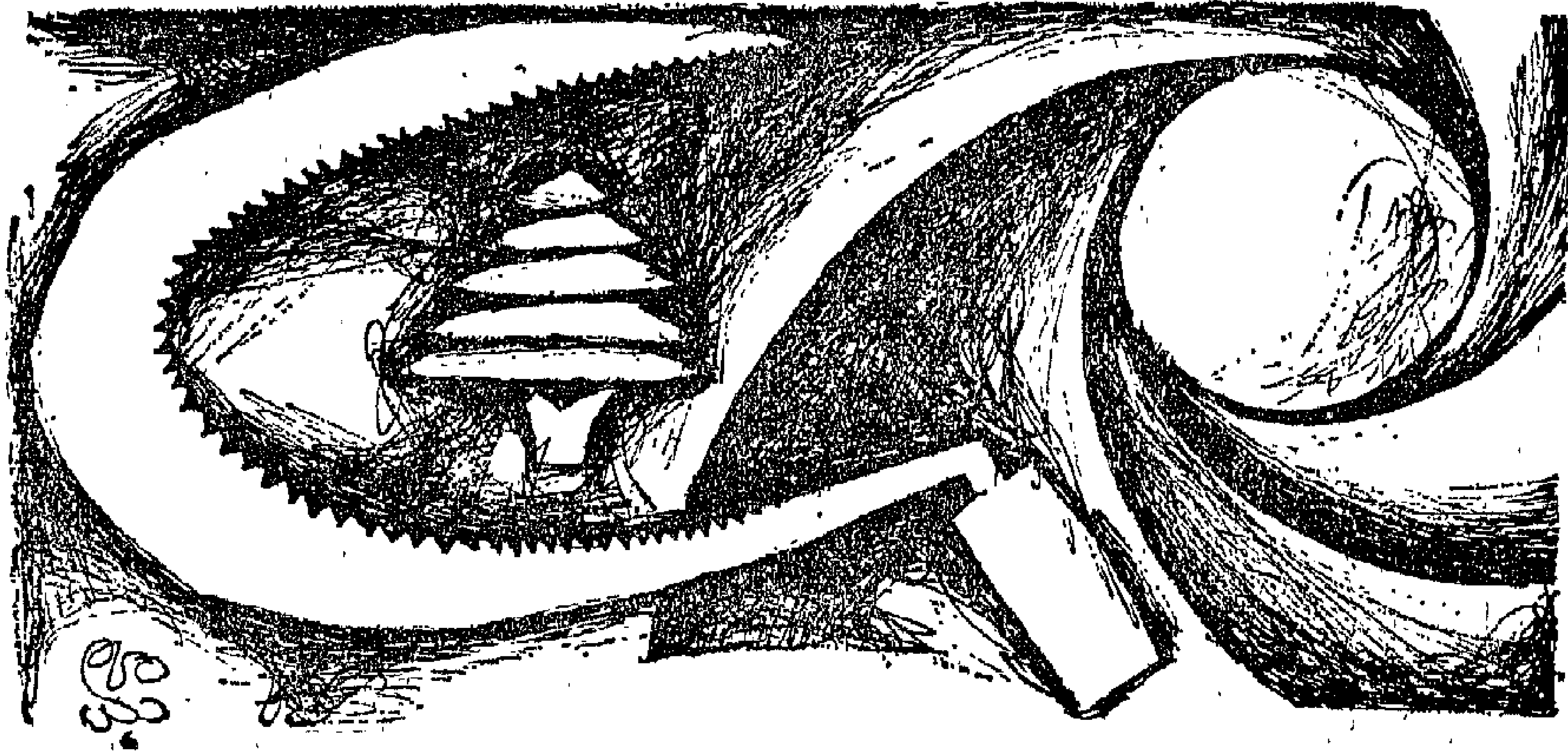
٢ ـ انه أول مؤتمر يعقده حزب ماركسى لينينى فى البلاد العربية ويدعى اليه ، ويحضر جلساته عدد ضخم لامن ممثلى الاحزاب الشيوعية والعمالية والاجنبية فحسب (اكثر من ٢٥ حزبا) . بل وعدد كبير من الاحزاب والتنظيمات العربية غير الشيوعية (٢٥ حزبا وتنظيما) وعدد ضخم من النقابات العمالية والمهنية والمنظمات الاجتماعية الوطنية والتقدمية . كما حضر جلساته عدد من الشخصيات السياسية المؤثرة فى حياة لبنان من رؤساء وزارات ووزراء ونواب سابقين وحاليين .

٣ ـ ان المؤتمر ينعقد فى ظروف بالغة الدقة تحيط بالقضية الرئيسية التى تواجه حركة التحرر الوطنى العربية قصة العدوان الاسرائيلى ، وما يفرضه من ضرورة دعم وتنسيق العمل بين مختلف فصائل الثورة العربية المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية .

٤ ـ ان المؤتمر ينعقد فى ظروف بالغة الدقة تحيط بلبنان داخليا حيث تنضج فى المجتمع اللبنانى ، وبكيفية متزايدة السرعة ، عملية استقطاب واسعة ، سياسية واجتماعية ، تتحدد فيها الجبهات التى يقف فيها معسكران : معسكر القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية التى تطالب بسياسة عربية شكلا ومضمونا للبنان تربطه بشقيقاته العربيات ، وتباعد بينه وبين علاقات التبعية للمصالح الامبريالية ، وتضعه على طريق التطور والبناء الاقتصادى المستقل ، وبين معسكر الاحزاب والقوى التى تعمل على ابقاء اقتصاد لبنان وسياسته فى فلك التبعية للسياسات الامبريالية .

لهذه الاسباب وغيرها أحدث انعقاد المؤتمر دويا واسعا . وحول انعقاده تعددت وتباينت الاراء فى الاوساط الرسمية وغير الرسمية . فبينما صرح **الرئيس فرنجية** بانه « لا ضرر من انعقاد المؤتمر بغض النظر عن الناحية العقائدية ، وبينما رحب

(١) عقد المؤتمر الاول عام ١٩٤٤ فى ظروف العلنية ، والثانى فى ١٩٦٨ فى ظروف السرية .



رئيس لبنان بالضيوف ، رفض رئيس الوزراء أن يحضر جلسات المؤتمر • وبينما أطلقت الصحف الناطقة بلسان أقصى اليمين فى لبنان صرخات الحرب ضد المؤتمر • وهدد حزب الكتائب باستخدام القوة لمنعه ، وطالب زعيمه بيير الجميل بمنع انعقاده ، وحذر الرئيس السابق شمعون من أن العواصم الغربية بدأت تنظر الى لبنان نظرة الريبة والحذر •• نقول بينما حدث هذا ، أخذت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والصحف المستقلة موقفا معاكسا : فكتبت « الدنيا » فى مقال افتتاحى تقول « ان القول بأن الدول الغربية مستاءة من انعقاد المؤتمر الشيوعى على أرض لبنان هو قول يعطى أقوى الحجج بأن الدول الغربية الاستعمارية تفرض « وصاية » سياسية ونوعا من الحجر الفكرى على النظام اللبنانى وأربابه » وكتبت « بيروت » « أن المؤتمر ينعقد وسط ترحيب كافة القوى التقدمية وتهجمات القوى الرجعية واليمينية » • بل ان جريدة «النهار» رغم رفضها التام للماركسية ، ورغم أنها تنطق بلسان البورجوازية الليبرالية ، كتبت تقول « أيها الشيوعيون ، أهلا وسهلا بكم • فالانسان الذى فيكم ، الانسان الذى لابد فى النهاية أن تؤمنوا به معنا أكثر من أيمانكم بالنظريات التى تخترع » .

فى هذا الجو عقد المؤتمر الثالث وتابع جلساته العشرة على مدار ثلاثة أيام كاملة . والقى كلمة الافتتاح نقابى قديم ومعروف ، هو مصطفى العريس فرحب بالضيوف • ثم وقف المؤتمرون حدادا على ارواح شهداء الحزب والحركة الشيوعية والثورية العربية والعالمية وكبار القادة الثوريين الذين غابوا فى السنوات الماضية وفى مقدمتهم الرئيسين هوشى منه وجمال عبد الناصر • وقدم الرفيق جورج حاوى الوفود التى اشتركت ، وعرض جدول الاعمال وطريقة عمله • واقر المؤتمر بالاجماع تشكيل هيئة رئاسة المؤتمر ، وهيئة التفويضات ، ولجنة سياسية •ثم قدم رئيس الجلسة الرفيق نقولا شاوى الامين العام للحزب الذى القى تقرير اللجنة المركزية عن نشاطها من المؤتمرين الثانى والثالث •ثم تتالى على الكلام طوال ثلاثة ايام ممثلون عن الاحزاب والمنظمات التى دعيت الى المؤتمر واعضاء ومندوبون منتخبون من الحزب الى المؤتمر ، واعضاء من قدامى المجاهدين فى الحزب، كما نعت قرينة الشهيد فرج الله الحلو فى اليوم الثالث ــ كلمة تحية مؤثرة وجهتها الى الحزب والى مؤتمره •

وقد استرعى المؤتمر انظار الوفود المشتركة بفضل العناية والجهود الضخمة التى بذلت من أجل اعداده وانجاحه • وكان ابرز ما فى هذا كله ، أن جميع الاعمال قد تمت على أساس من التطوع الاختيارى من قبل أعضاء الحزب فى جميع المستويات • فالسيارات التى كانت تقل الوفود كان يقودها اصحابها من اعضاء الحزب ، واعمال الترجمة الفورية الى اللغات الفرنسية و الانجليزية

والروسية وغيرها قام بها شباب الحزب • ونفقات المؤتمر قدمها الاعضاء فى شكل تبرعات مادية وعينية • وهكذا

واذا صح التقدير القائل بأن المؤتمر قد نجح فى اعماله فان هذا يعزى الى عدد من الاسباب فى مقدمتها :

١ ـ الخط العام الذى عكسته التقارير الرئيسية، والتى قامت على دراسة علمية ومتعمقة فى الواقع اللبنانى •

٢ ـ الخط الذى التزمه الحزب فى النضال ضد الامبريالية ، ومواقفه فى الدفاع عن مطالب الجماهير اللبنانية ، وكفاحه لاسناد المقاومة الفلسطينية ، ونزول اعضائه فى الكفاح المسلح على الحدود الجنوبية التى تتعرض لاعتداءات اسرائيل •

٣ ـ خط توحيد القوى والاحزاب الوطنية تختلف ايديولوجيتها عن ايديولوجية الحزب • وموقف الحزب العملى فى الحياة اليومية المتمثل فى حرصه على تعزيز الجو الديموقراطى فى لبنان وحرصه على حرية التنظيم ، وحرية المعتقد ، وحرية القول •واحترامه للتقاليد القومية ، والخصائص المميزة للبنان •

٤ ـ اهتمام الحزب بتطوير الديموقراطية وتعزيزها فى حياته الداخلية ، وحرصه الشديد على تشجيع الحوار ، والاستماع الى الاراء المختلفة ، ومناقشتها والرد عليها • واستعداده العملى لنقد اخطائه امام الرأى العام ، ودعوته المستمرة للقوى والاحزاب الوطنية ، واشراكها فى مناقشته ، ونقد خطه السياسى •

٥ ـ نضاله الذى لا يتوقف مع الاحزاب الوطنية والتقدمية فى لبنان من اجل ربط حركة الجماهير اللبنانية بحركة الجماهير العربية فى كل انحاء الوطن العربى ، على اساس واضح من الدفاع عن قضايا الاستقلال الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، والوحدة العربية .»



الاتجاهات الرئيسية فى تقرير اللجنة المركزية

يقدم تقرير اللجنة المركزية الذى القاه نقولا شاوى الامين العام للحزب عرضا للفترة التى انقضت منذ المؤتمر الثانى للحزب (١٩٦٨) حتى انعقاد المؤتمر الثالث (يناير ١٩٧١) •

ويبدأ التقرير بتأكيد صحة الاستنتاج الذى توصل اليه مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية (موسكو ١٩٦٩) والقائل بأن الحركة الثورية تواصل سيرها الى الامام ، رغم المصاعب والنكسات التى منى بها بعض فصائلها ، وذلك فى عصر ميزته الاساسية هى الانتقال الى الاشتراكية ، كما أن الوزن السياسى والاقتصادى والعسكرى للبلدان الاشتراكية قد تعزز الى درجة كبيرة ، كما تعزز بالمثل تاثير هذه البلدان •

وتطرق التقرير الى تقييم نتائج المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، والى الجهود الايجابية التى بذلتها بعض البلدان الاشتراكية فى التغلب على صعوباتها الداخلية (تشيكوسلوفاكيا وبولندا) ، وهى الصعوبات الناشئة اثناء تطبيق الاشتراكية •

وبالمقابل ، عرض التقرير للازمات التى شهدتها البلدان الرأسمالية والامبريالية ، فأشار الى أنها « ازمات من أعمق ما مرت به فى تاريخها الحديث ، أزمات اقتصادية ، واجتماعية وسياسية » • وتحت وطأة هذه الازمات قامت الامبريالية الامريكية بهجمات ضارية على حركة التحرر الوطنى فى مختلف البلدان • ولابد من الاعتراف بأن هذه الهجمات قد حققت بعض النجاحات • لكن نجاح قوى الامبريالية والرجعية فى هذه المنطقة أو تلك لا يعنى انهيار الحركة

الثورية وتدهورها ، وانما يعزى الى السياسات اليسارية المغامرة التى تزعمها القادة الصينيون وشارك فيها الفوضويون والتروتسكيون • ورغم كل شيء فقد حافظت الحركة الثورية فى مسارها العام – على المكاسب الاساسية ، بل استطاعت أن تحقق مكاسب جديدة (تقدم الحركة الثورية فى بلدان امريكا اللاتينية – تدعم مواقع أحزاب الطبقة العاملة فى أوربا الغربية – انتصار سياسة البلدان الاشتراكية فى فرض الوضع الناشيء بعد الحرب العالمية الثانية – الضربات التى يتلقاها المعتدون الامريكان فى فيتنام) •

وعرج التقرير بعد ذلك على مواقف الصين فاكد أن مواقف قيادة بكين بأعمالها الانقسامية لم تلحق الضرر بمجمل الحركة الثورية العالمية فحسب ، ولكنها انتقلت من حيز الشعارات الطنانة الى حيز الالتقاء العملي والتقارب مع الامبريالية الامريكية •

الوضع العربي

ولكن كيف استجابت بعض الفصائل الوطنية فى العالم العربي لهذه التطورات الكبرى ؟ اجاب التقرير على ذلك بأن هذه الفصائل لم توفق فى حل القضايا التى طرحها تطور العملية الثورية فى العالم ، وذلك بسبب الاخطاء التى وقعت فيها ويمكن تلخيص هذه الاخطاء فيما يلي :

● ان بعض القوى الوطنية عالجت قضية التناقض الاساسي على اعتبار انه بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة ، على الصعيد العالمي • وبين الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة على صعيد كل بلد من بلدان العالم الثالث •

● وطرحت فصائل اخرى مهمات لم تكن الحركة التحريرية ، لا ذاتيا « ولا موضوعيا » ، قادرة على تنفيذها ، عن طريق الكفاح المسلح بصفته الاسلوب الوحيد للكفاح •

● وبعض الفصائل وضعت سياستها على اساس اللعب على تناقضات الدول الرأسمالية ، وعلى التناقضات بين المعسكر الامبريالي وبين المعسكر الاشتراكي ، وعلى الخلافات بين الاتحاد السوفيتي من جهة وبين الصين من جهة أخرى • وفى هذا تغافلت عن حقيقة أن حركة التحرر الوطني العربية لا يمكن الا أن تكون طرفا فى هذه الخلافات والتناقضات •

وعاد التقرير ليؤكد على أن الرؤية الصحيحة انما تبدأ انطلاقا من الاقتناع بأن التناقض الرئيسي على الصعيد العالمي هو بين المعسكر الامبريالي وزعيمته امريكا ، وبين المعسكر الاشتراكي وفى مقدمته الاتحاد السوفيتي • واشار التقرير الى ان الحزب ، منذ مؤتمره الثاني ، وهو يضع يديه على المفاتيح الرئيسية لنجاح كفاح الشعوب العربية • هذه المفاتيح هي : (١) موقف واضح وصريح وثابت ضد الامبرياليين ، ولاسيما ضد الامبريالية الامريكية حامية اسرائيل (٢) موقف واضح وصريح وثابت في التعاون والصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وسائر قوى التحرر والتقدم فى العالم (٣) موقف مبدئي وعملي لصالح قضية وحدة القوى الوطنية والتقدمية فى كل بلد عربي وعلى صعيد العالم العربي ، مع الاخذ بعين الاعتبار جميع الفروق والخلافات بين هذه القوى ، ومع التأكيد على أن هذه الخلافات تظل تناقضات ثانوية لا يجوز دفعها الى مستوى التناقض الرئيسي •

واشار التقرير الى ان هذه المنطلقات قد مكنت الحزب من أن يوسع ويوطد صلاته ، فى العالم العربي مع عدد كبير من الاحزاب والقوى والتنظيمات الوطنية والتقدمية ، وذلك بهدف توحيد النضال التحرري المعادي للاستعمار والصهيونية • وقد ساعدت هذه اللقاءات على تعزيز التعاون والتفاهم بين الحزب وبين هذه القوى • وتأكيدا لاهمية تطوير اللقاءات مع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية ، دعا التقرير جميع هذه القوى الى تشكيل لجنة تحضيرية لبحث كيفية مواصلة العمل لايجاد صيغة للتعاون والعمل المشترك فيما بينها • (اقرأ نص النداء الذى وافقت عليه التنظيمات والاحزاب التى حضرت المؤتمر) •

الموقف من أهم القضايا المطروحة

ثم عرض التقرير لمواقف الحيب المبدئية من أهم القضايا التى تشغل حركة التحرر الوطني العربية : من الانظمة الوطنية التقدمية ودورها – والوحدة العربية – والمقاومة الفلسطينية – وتصفية آثار العدوان الاسرائيلي ، وتحرير الارض المحتلة • واستعادة الحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين •

وفيما يتعلق بالانظمة الوطنية والتقدمية قيم التقرير تقييما ايجابيا نشوء هذه الانظمة ، والانجازات الاقتصادية والاجتماعية التى حققتها بالتعاون مع البلدان الاشتراكية ، وفى معاركها ضد الاستعمار الجديد • كما قيم الخط العام المعادي للامبريالية فى سياستها الخارجية • فى الوقت نفسه وضح التقرير الثغرات والنواقص فى هذه الانظمة • وفى مقدمتها : انفراد ممثلى

البرجوازية الصغيرة بالسلطة ، ومــا ســببته الطبيعة المزدوجة لهذه الطبقة من فتح الطريق أمام انتعاش الاجنحة اليمينية في المجتمع • هــذه الاجنحة التي تعززت مواقعها ، واتجهت الى عرقلة وتجميد التحولات الاقتصادية والاجتمـاعية ، وتقديم تنازلات للامبريالية ، والتشكيك فـي الصداقة العربية السوفيتية ، وانتهاج سيـاسة العداء للشيوعية • على أن التقرير قد لاحظ أنه ايا ما كان نشاط الاجنحة اليمينية ، فان مظاهر احتـدام الصراع الطبقي في البلدان العربية ، واتساع القاعدة الاجتماعية التي استفادت من الانجازات الاقتصادية والاجتماعية ، كل هذا يؤكد اكثر فأكثر على أن الاتجاه اليميني يمكن وقفه ورده ، لاسيما وان العوامل الذاتية تنضج سياسيا وفكريـا وتنظيميا لمجابهته وضربه ، وتعميق الخط التقدمي •

● **وفيما يتعلق بقضية الوحدة العربية ، أوضح** التقرير ما سبق أن أكده الحزب من قبل ، وهي ان « طموح الجماهير العربية الواسعة الى الوحدة هو وليد الواقع الموضوعي لتطور العالم العربي ، وللروابط التاريخية بين مختلف اجزائه » وانها انطلقت مع بدء الحركة المعادية للسيطرة الاجنبية وكان مفهومها يتطور مع تطور هذه الحركة في مختلف مراحلها • وأشار التقرير الى أن برنامج الحزب ينص على « أن الوحدة العربية تعبر عن تطلعات جميع الفئات الشعبية الطامحة للتقـدم الاجتماعي والاقتصادي التي تنعطف اكثر فأكثر نحو الاشتراكية ، وهذه القوى أخذت تصـبح العنصر الاساسي المحدد لعملية تطور العالم العربي نحو الاشتراكية والوحدة » • ثم عرض التقرير لتقييم الحزب لتجارب الوحدة التي تمت ، وعند الحديث عن الاتحاد الثلاثي اكد التقرير على ان الحزب رحب بقيامه ودعا الى أن يبنى الاتحاد بالطريقة التي تجعل منه تجسيدا لاماني الجماهير في العداء للاستعمار وفي الديموقراطية •

● وفيما يتعلق بموقف الحزب من المقاومة الفلسطينية • فقد شرح التقرير المبادىء التـي حكمت نظرته الى المقاومة • وتتلخص في (١) أن حركة المقاومة جزء لا يتجزأ من حركة التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم ، ومن ثم فان لها جوهرا تقدميا معاديا للامبريالية (٢) نقد الحزب اخطاء المقاومة ، والخلل الخطير في تـركيبها الطبقي البرجوازي الصغير ولكن نقده كاد يتم من موقف التعاطف معها ومساندتها (٣) رفض الحزب باستمرار اعتبار المقاومة طليعة لحركة التحرر العربية ككل ، أو اعتبارهما بديلا عن هــذه الحركة (٤) نقد الحزب بجرأة المسئولية التـي يتحملها الشيوعيون في عدم تأديتهم منذ البداية دورا أكثر ايجابية في هـذه الحركة (٥) صـحح الحزب هذا الموقف بتعاونه مع الاحزاب في سوريا والعراق والاردن لتشديد التضامن مع المقاومة والمساهمة في صفوفها بما في ذلك انشاء قوات الانصار •

● **وفيما يتعلق بالقضية الرئيسية التي تواجه** حركة التحرر العربي وهي تصفية آثار عدوان يونيو • فقد انطلق الحزب في تحليله لعدوان يونيو من واقع انه مظهر من مظاهر ازدياد عدوانية الامبريالية التي استهدفت ، ولاتزال ، حزب حركة التحرر العربية ، وتصفية الانظمة التقـدمية ، واضعاف مواقع القوى التقدمية العربية ، وضرب الصداقة السوفيتية العربية ، وتحقيق مطــامع اسرائيل في التوسع وتصفية القضية الفلسطينية • وانطلاقا من أخذ الواقع الموضوعي بعين الاعتبار ، وتقدير الحزب لعلاقات القوى على صعيد المنطقة ، واخذا للوضع الدولي المعقد في الحسبان فقد وافق الحزب على قرار مجلس الامن (نوفمبر ١٩٦٧) • وأيد الحزب عددا من جهود مصر ومبادراتها • وأكد أن هذا القرار لا يتناقض مع النضال من أجل استعادة الحقوق القومية للشعوب العربية ولا سيما حقوق شعب فلسطين • غير أن الحزب أعلن أن تحقيق هذا كله مشروط بتعزيز القدرة القتالية للدول العربية التقدمية ، وتحقيق التنسيق فيما بينها ، والاعتماد على الجماهير ، وتمكينها من ممارسة حرياتها ، وتنظيمها وحشدها في المعركة ، ودعم ومساندة المقاومة الفلسطينية • وأن يتم هذا كله في اطار سياسة حازمة معادية للامبريالية الامريكية لتصفية مواقعها السياسية والاقتصادية في المنطقة وتوطيد علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية •

على ضوء هذا كله ، نظر التقرير الى مجمل الاحداث والمواقف التي شهدتها المنطقة العربية • فبالنسبة لمشروع روجرز وقف الحزب موقفا متميزا ففضح أهداف المشروع الاستعماري والنـوايا الخبيثة للاستعمار الامريكي من وراء تقديمه • ودعا الحزب الى نبذ الخلافات التي بدات تمزق الصف العربي بعد تقديم مشروع روجرز ، وحذر المقاومة من الانزلاق في تعميق الانقسامات ، الامر الذي يوقعها في مخططات الامبريالية الامريكية • الا أن هذا لم يمنع أن الانقسام كان قد وقع فعلا في حركة التحرر العربي • ودفعت حركة التحرر ثمنا باهظا لهذا كله تمثل في مجازر أيلول ، وما أعقبها من مجازر ضد المقاومة في الاردن ، ثم فيما بعد في مجازر السودان •

● **وبالنسبة لوفاة عبد الناصر فقد قدر الحزب** تقديرا موضوعيا الدور الذي لعبه هذا القائد العربي خلال ١٨ عاما من المعارك التي خاضتها الشعوب العربية ضد أعدائها • وأشار التقرير الى أن مجموعة من المكاسب التي حققتها حركة التحرر قد ارتبطت بأسمه • وتوقع الحزب أن غيابه سيترك

انعكاساته على الوضع في ظروف الازمة التي تجتازها كل حركات التحرر العربية ٠

وازاء هذه الازمة المستحكمة طالب الحزب في كل مواقفه باقامة تحالف واسع ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، تحالف يشمل كل فصائل حركة التحرر على اختلاف انتماءاتها الطبقية والسياسية ٠ وفي الوقت نفسه فضح الحزب اتجاهين خطرين في حركة الترر : اتجاه المساومة مع امريكا والاتجاه الذي حاول عزل الشعوب العربية عن حلفائها واصدقائها ٠ أما الاتجاه الاخر فهو الاتجاه اليساري المغامر الذي يدفع الى اصطناع معركة بين قوى طبقية لها مصلحة في التحالف : الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، ويدفع حركة التحرر العربي الى معارك غير ناضجة ، يمكن أن تؤدي الى هزائم أشد خطورة من هزيمة يونيو ٠

وكانت أحداث السودان النتيجة الطبيعية لهذا الوضع الذي تنبأت به قيادة الحزب في أكتوبر ١٩٧٠ ٠ وهذه الاحداث هي ثمرة العداء للديموقراطية والشيوعية والتقدم الاجتماعي ٠ أما المجازر التي حاقت بقيادات الحزب السوداني والقيادات العمالية فقد عارضتها وأدانتها أحزاب وقوى وطنية وتقدمية عديدة وجماهير واسعة لما رأت فيها من مخاطر على الكفاح المعادي للامبريالية والصهيونية ، وعلى الديموقراطية بالذات ٠

ولخص التقرير نتائج تلك الهجمة الامبريالية والرجعية على حركة التحرر الوطني العربية فأشار (١) الى أنها ــ رغم شراستها لم تحقق أهدافها في اسقاط الانظمة التقدمية ٠ (٢) وأن الظاهرة التي برزت على الصعيد العربي هي اشتداد عزلة الامبريالية الامريكية في العالم العربي ٠ (٣) واظهرت الوقائع أن سياسة ممالاة أمريكا والبحث عن حل أمريكي لقضية الشرق الاوسط سياسة قصيرة النظر ٠ (٤) أكدت الاحداث أن الصداقة العربية السوفيتية لها أسس وطيدة تستطيع معها أن تتغلب على الازمات العارضة ٠

وفي ختام تحليل الوضع العربي أكد التقرير على عدد من القضايا المتعلقة بدعم وحدة النضال بين كافة فصائل حركة التحرر العربية ، وفي هذا :

ــ طالب بتطوير ودعم التعاون والتنسيق مع أحزاب الطبقة العاملة العربية ودعم وحدة العمل بينها كأساس يضمن نجاح وتقدم التعاون والعمل بين جميع القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية ٠

ــ دعا التقرير كافة القوى التقدمية الى ندوة مفتوحة ، لبحث قضايا التعاون وايجاد عمل مشترك لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية من اجل استعادة الاراضي العربية المحتلة ، ودفع عملية التطور في طريق التقدم الاجتماعي ٠

الوضع الداخلي

في ختام تحليل الحزب للوضع الداخلي يذكر التقرير أنه خلال الثلاث سنوات ونصف سنة الماضية اتخذ النضال الوطني والاجتماعي في لبنان صفة الاستمرار ، بحيث أنه لم يمر أسبوع بدون مظاهرة او اضراب او معركة مطلبية او سياسية ٠ وهذه الحقيقة تلقي الضوء على طبيعة التناقضات التي تحكم المجتمع اللبناني والازمة العامة التي تنشب في النظام السياسي والاقتصادي ٠ أما التناقضات ففي مقدمتها **التناقض** الاساسي بين البورجوازية الكبرى وبين الطبقة العاملة اللبنانية ٠ **والتناقض الثاني** هو بين العلاقات الراسمالية القائمة وبين القوى المنتجة في المدينة ٠ وهذه العلاقات الرأسمالية تعرقل نمو الصناعة وتفسح المجال أمام نمو أسرع وأكثر اتساعا لقطاع الخدمات ٠ **والتناقض الثالث** هو بين هذه العلاقات الرأسمالية التي تتميز بالتبعية للامبريالية وبين متطلبات الاستقلال الاقتصادي ، الامر الذي يقيم الحواجز أمام أي تنمية حقيقية اقتصادية واجتماعية وفقا لاقتصاد مخطط ٠ **والتناقض الرابع** هو بين هذه العلاقات الرأسمالية وبين القطاع الزراعي ٠ وهنا يمثل ارتباط سياسة البورجوازية الكبرى بالسوق الرأسمالية العالمية عائقا دون تصريف المنتجات الزراعية ٠ فضلا عن أن احتكار الطبقة البورجوازية الكبرى لتجارة الادوية والاسمدة والتسليفات يعوق تطور الانتاج الزراعي ويزيد من اعبائه ٠ **والتناقض الخامس** هو بين هذه العلاقات الرأسمالية وبين القضايا القومية ، فالرأسمالية اللبنانية الكبرى ترتبط مصالحها بالامبريالية ، وهي تلعب دور الشريك الصغير للامبرياليين ومن ثم فان من مصلحتها بقاء النفوذ الاجنبي في المنطقة ، ومن الطبيعي أن تكون ضد أي حركة وطنية وتقدمية تمس مصالح الامبريالية ٠

« الحلف » و « النهج »

ومع أن هذه البورجوازية الكبرى تقبض على السلطة الحقيقية، ومع ان اقسامها تعمل على اتخاذ مواقف مشتركة ضد حركة الجماهير بالاعتماد المتزايد على الاجهزة ، الا أن في داخل هذه الطبقة اكثر من تناقض يعضها راجع الى ارتباط اقسامها

المختلفة بالدوائر الامبريالية المختلفة (الامريكية والفرنسية والالمانية الغربية واليابانية والانجليزية) • وبعضها راجع الى التناقض بين كبار التجار وكبار الصناعيين ، والى الخلافات الناجمة عن الصراعات التقليدية العائلية •

وفى مواجهة سياسة البورجوازية الكبرى تصاعد النضال الشعبى • فعلى صعيد النضال الاقتصادى اتسع النضال المطلبى اتساعا لم يسبق له مثيل سواء فى المؤسسات الخاصة أو العامة ، من أجل تنفيذ الضمان الصحى ورفع الحد الادنى للاجور ، ومن أجل خفض ايجارات المساكن وتخفيض أسعار الكهرباء ، ومن أجل المطالب الخاصة بهذه المنطقة ، أو تلك من مناطق لبنان •

وعلى صعيد المواجهة السياسية خاضت الجماهير بقيادة قواها التقدمية معارك واسعة ضد الاتجاهات المعادية للديمقراطية والمعادية للمقاومة الفلسطينية ولحركة التحرر العربية وضد الاتحاد السوفيتى • وطالبت الحركة الشعبية بوقف الاعتماد على حماية الدول الامبريالية ، وبالتعاون مع الدول العربية التقدمية ، وبتسليح الشعب وتحصين قرى الجنوب واشراك ابنائه فى الدفاع عنه • وحاولت الرجعية اللبنانية بمجزرة ٢٣ ابريل أن تغرق البلاد فى خضم الحرب الطائفية ، ولكنها لم تفلح • وبفضل انتفاضة ٢٣ أبريل ، واصرار الحركة الشعبية على اقامة حكم وطنى ، تشكلت حكومة جديدة اشترك فيها **كمال جنبلاط** حيث لعب كوزير للداخلية دورا هاما فى حماية المقاومة ، وتحقيق مكاسب هامة فى مجال الحريات الديموقراطية ، والحد من أرهاب الاجهزة العسكرية • ولكن هذا التقدم لم يستمر • ذلك أن ظروف المجتمع اللبنانى لم تتضح بعد لاحداث تغييرات عميقة وجذرية • هذه التغييرات التى تتم بفضل نضال الجماهير لتعديل ميزان القوى لصالح القوى التقدمية •

الا أن هذا كله لا ينفى حقيقة أن الوحدة المتعاظمة بين الحزب وبين القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان وفى مقدمتها الحزب التقدمى الاشتراكى قد سجلت على صعيد الحركة الشعبية المدافعة عن الحريات الديموقراطية أكثر من نجاح ، كان من بين نتائجه تفكك التكتلين الرئيسيين للبورجوازية الكبرى « الحلف » و « النهج » الامر الذى ظهر بوضوح فى انتخابات رياسة الجمهورية •

وفى غمرة النضال الذى تخوضه الجماهير الشعبية سجل تقرير اللجنة المركزية الوزن والدور المتزايدين اللذين تلعبهما الطبقة العاملة ، واتخاذ نضالها طابعا وطنيا شاملا يعكس تبلور ونضوج كيانها المستقل كطبقة اجتماعية ، كما سجل ازدياد الميل نحو وحدة الحركة النقابية والعمالية •

وتتضح أهمية حركة الطبقة العاملة اللبنانية فى أن نضالها يتخذ أبعادا سياسية ، ويتعزز دورها القيادى فى الحركة الجماهيرية بفضل دفاعها عن مصالح ومطالب الفئات الاخرى التى تعانى من وطأة الازمة الاقتصادية •

وعلى أساس تحليل حركة الطبقات الاجتماعية المختلفة يؤكد التقرير على عدد من المهام التى يلتزم الحزب بالنضال من أجلها ، فى مقدمتها : النضال من أجل صيانة وتطوير الحقوق الديمقراطية وفى هذا يطالب الحزب بدستور ديموقراطى علمانى وتقدمى يلغى الطائفية ، ويقر حق التنظيم السياسى والنقابى للجماهير كما يقر الحقوق والحريات الديموقراطية والضمانات الاجتماعية • وعلى أساس هذا الدستور يجب أن يتم تعديل قانون الانتخاب بما يكفل للقوى الشعبية تمثيلا فى البرلمان وفى المجالس البلدية •• الخ •

وفى مقدمة المهام التى يحددها التقرير : النضال من أجل صيانة استقلال لبنان وتعزيزه ويتطلب هذا دعم علاقات لبنان مع الدول العربية الشقيقة ، واحداث تغيير جذرى فى سياسة لبنان الخارجية تقطع ارتباطه بسياسة التبعية للامبرياليين وانتهاج سياسة تحرر وطنى تنسجم مع اهداف حركة التحرر الوطنى العربية ، وتساند حركة الشعب العربى الفلسطينى ، وتقييم أوسع علاقات التعاون مع الاتحاد السوفيتى وبلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية •

على أن تحقيق هذه الشعارات الوطنية والديمقراطية منوط فى النهاية بنوع الوحدة والتحالف الذى يجب أن يقوم ويتعزز بين جميع القوى الوطنيه والتقدمية فى لبنان • ويعتبر التقرير ان التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعى اللبنانى وبين الحزب التقدمى الاشتراكى يشكل قاعدة رئيسية لتحالف القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان • وتقع على عاتقهما المسئولية الرئيسية فى صياغة برنامج حد أدنى للقاء القوى الوطنية والتقدمية • وفى الوقت نفسه يؤكد التقرير على حرص الحزب على تطوير تعاونه مع حزب البعث فى لبنان ، ومع الناصريين التقدميين ، ومع سائر القوى الوطنية والتقدمية ، كل ذلك فى اطار جبهة وطنية ديموقراطية •

وفى النهاية فان التقرير اذ يجدد الاتجاه العام لنشأة الحزب للسنوات المقبلة ، يؤكد الاستنتاج الاساسى فى برنامج الحزب السياسى ، وهو الاستنتاج القائل بأن أى حلول جدية للازمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لا تتم الا باحداث تغييرات تتناول البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للنظام الرأسمالى

القائم . والشرط الاول لاجراء هذا التغيير يكمن في ازالة سيطرة البورجوازية الكبرى عن الحكم ، من أجل اقامة حكم وطني ديمقراطي يمثل تحالف الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدينة ، والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصناعية والزراعية المرتبطة بالانتاج المحلي .

أما القسمات الاساسية في برنامج هذا الحكم فتتلخص في : تصفية الشركات الاحتكارية الاجنبية ـ تاميم مؤسسات التمويل والتأمين ـ وضع التجارة الخارجية في مؤسسات تابعة للقطاع العام ـ دعم القطاع الصناعي ـ اصلاح زراعي لصالح العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار ، لا يمس الملكيات الصغيرة بل يصفي الملكيات العقارية الكبرى ، ويضمن تطور القطاع الزراعي .

■ ■ ■



البرنامج الزراعي

استهل التقرير الزراعي بنقد ذاتي لسياسة الحزب فيما يختص بالعمل في الريف الذي كان « يتسم بالكثير من العفوية ، وعدم الاستمرارية ، وغياب الخط الواضح للنضال وأهدافه » لذلك فان المؤتمر الثاني للحزب اتخذ قرارا بتشكيل لجنة خاصة وضعت مشروع البرنامج الزراعي .

وفي اطار تنفيذ الشعار الاساسي بتحويل الحزب الى حزب جماهيري ، واعمالا لمبدا الديمقراطية والتفاعل مع أوسع قطاعات من الجماهير طرح هذا المشروع (٧٢ صفحة) على مختلف المستويات وبين جميع الشيوعيين ، كما نوقش على نطاق واسع مع العاملين في قطاع الزراعة على تباين منطلقاتهم الفكرية وانتماءاتهم الحزبية .

ويرى الحزب أن القضية الزراعية في لبنان هي من القضايا الاساسية التي يرتبط بحلها مجمل قضايا استقلال لبنان وتطوره وتقدمه .

ويؤكد البرنامج في مقدمته ان ما يعانيه القطاع الزراعي والطبقات والفئات الاجتماعية المرتبطة به من أزمات وصعوبات هو النتيجة الحتمية للقوانين الاقتصادية الاجتماعية في علاقات الانتاج لنظام الاقتصاد « الحر » السائد في لبنان .

لقد حافظت الرأسمالية اللبنانية على العلاقات الاقطاعية وشبه الاقطاعية في الريف ، فأبقت على العقبات أمام الانطلاق الحر لتطور القوى المنتجة في الريف ، كما ولدت تناقضات جديدة في هذا القطاع تكبح تطوره .

فبسبب احتكار ملكية الارض الكبرى تبقى مساحات شاسعة دون استصلاح ولا استثمار ، وتفرض الملكية الاحتكارية على المجتمع جزية الريع العقاري التي تمثل حوالي نصف الانتاج الزراعي .

وبسبب تغلغل اسلوب الاستثمار الرأسمالي الى القطاع الزراعي وربطه بالسوق الرأسمالية تزداد وتتفاقم شدة استثمار العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار والمتوسطين (٥)

وفى ضوء هذا كله يرى الحزب الشيوعي اللبناني أن الحل الجذري للقضية الزراعية هو اجراء اصلاح زراعي بتوخى : ضرب احتكار الملكية الكبرى للارض والعمل من أجل استثمارها لصالح العاملين عليها ولصالح المجتمع كله .

ويرفض الحزب الحلول «الاصلاحية » الجزئية ، ولان أساس القضية اقتصادى — اجتماعي — سياسي — فلا يمكن أن تحل جذريا الا « بازالة السيطرة الطبقية لتحالف الطغمة المالية وكبار الملاك العقاريين » بقوة الجماهير ، و « اقامة سلطة وطنية ديمقراطية حقيقية » وبذلك تأخذ القضية أبعادها الكاملة » بوصفها قضية جميع اللبنانيين . وعلى هذا الصعيد « يجد التحالف بين العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار ، وجميع كادحي الريف وبين الطبقة العاملة وشغيلة المدن أساسه الموضوعي » .

والبنية الحالية للزراعة اللبنانية هي وليدة الظروف التاريخية الاقتصادية — الاجتماعية والسياسية التي حددت وجهة تطور الاقتصاد اللبناني بمجمله ، لذا اهتم التقرير بتقديم لمحة تاريخية عبر القرنين الاخيرين مرت خلالها القضية الزراعية بأربعة مراحل رئيسية : أزمة النظام الاقطاعي السائد بفعل التغييرات التي طرأت على وضع القوى المنتجة — عهد المتصرفية الذى تميز بأحكام ربط لبنان واقتصاده بالاحتكارات العالمية — فترة الانتداب الفرنسي — مرحلة ما بعد الاستقلال — وتزايد التطور وحيد الجانب للاقتصاد اللبناني ، بازدياد تخلف القطاعات المنتجة بالمقارنة مع قطاع الخدمات .

ويحدد التقرير السمات الاساسية لبنية الاقتصاد الزراعي الراهنة بالاتي :

● تشابك واسع لعلاقات الانتاج شبه الاقطاعية على علاقات الانتاج الرأسمالي .

● تحول أسلوب الانتاج الرأسمالي الى أسلوب سائد في الزراعة دون اجراء تطور ديمقراطي جدى لصالح كادحي الارض وسكان الريف عامة .

● خضوع الزراعة والعاملين فيها لنير مثلث من الاستثمار أطرافه كبار ملاك الارض وشبكة الرأسمال المحلي والاحتكارات الاجنبية نتيجة كون الرأسمالية اللبنانية رأسمالية مرابية أساسا ومرتبطة بعلاقات تبعية مع الاحتكارات الامبريالية .

● تعرض القطاع الزراعي لضغط مستمر باتجاه رفع معدل الريع العقاري ومعدل ربح الرأسمال الموظف في الزراعة .

ومن بين جميع التناقضات يبقى التناقض الاساسى فى الزراعة من احتكار ملكية قسم هام من أجود الاراضى الزراعية ، من قبل حفنة من كبار الملاك العقاريين ، وحرمان عشرات الالوف من الفلاحين والعمال الزراعيين من الارض . ويؤكد ذلك ما جاء فى التقارير الرسمية لعام ١٩٧١ من أن ٥١٫٩ فى المائة من المزارعين يملكون فقط ٣٫٧ فى المائة من مجمل المساحة الزراعية وأن ٤٫٢ فى المائة من المزارعين يملكون ٤٠ فى المائة من الاراضى الزراعية .

ان الريع العقارى الذى يبتزه كبار الملاك العقاريين يبلغ فى لبنان حوالى ٤٠ فى المائة من انتاج القطاع الزراعى كله ، وهو ضريبة طفيلية بكل معانى الكلمة .

ويشير التقرير الى ارتفاع تكلفة الانتاج رغم انخفاض اجور العاملين مما يعرقل تصريف المنتجات الزراعية فى الداخل والخارج . وتتفاقم هذه المشكلة نتيجة التطور العفوى الفوضوى للزراعة فى ظل سياسة الاقتصاد « الحر » . كما تتسع الشقة باستمرار بين حاجات لبنان الغذائية الاساسية وما يغطيه الانتاج المحلى منها (يستورد لبنان الان ٧٥ فى المائة من حاجته من الحبوب و٨٠ فى المائة من اللحوم، و٦٠ فى المائة من الحليب (ومشتقاته) .

ويتطرق التقرير الى معالجة تفصيلية لمشكلة الغابات والرى والتكنيك الزراعى ، ويخلص الى نتيجة أن أزمة الاقتصاد الزراعى شاملة وانها جزء من أزمة الاقتصاد العامة ، ولذلك نجدها تبرز فيما يلى :

● الذين لا يقومون بأى عمل ملموس فى الزراعة يستأثرون بالقسم الاكبر من عائدات الزراعة . ومنتجى الغذاء أقل الناس تغذية .

● الاف الناس بلا أرض وآلاف الهكتارات مهملة دون اصلاح او استثمار .

● مصادر هائلة للمياه ومساحات هزيلة تروى .

● ودائع نقدية بمئات الملايين والزراعة تحرم من التوظيفات الضرورية .

● المزارع يعانى أزمة انخفاض الاسعار وكساد الموسم ، والمستهلك يعانى ارتفاع الاسعار الجنونى .

ويتناول الفصل الثاني سياسة الدولة في الميدان الزراعي ويوضح أشكال تدخل الدولة ونتائجها، ويفضح المحتوى الطبقي لسياسة الدولة الضرائبية وفي ميادين التسليف واستصلاح الاراضي والري وموقفها من حماية المواسم من ضربات الطبيعة . ويعالج بالتفصيل مشكلات التجارة الخارجية وتصنيع المنتجات الزراعية . ويعرض لهذه السياسة بصورة تكشف عن تعارضها مع مصالح تطور هذا الفرع من الانتاج ومع المصالح الحيوية للعاملين في الزراعة .».

ويتضمن الفصل الثالث دراسة للفئات الاجتماعية والنضال الطبقي في الريف وتأثير الرأسمالية على البنية الطبقية للعاملين في الزراعة وقضايا البطالة والهجرة والاوضاع الصحية والتعليمية ويشمل تحديدا للخريطة الاجتماعية ومطالب الفئات المختلفة ، وينتقل الى تتبع النضال الطبقي في الريف في مراحله المتتابعة وذلك كأساس لصياغة البرنامج الزراعي في الفصل الرابع من البرنامج .

والبرنامج المطلبي هو المشمول بحيث يتناول معظم القضايا التي تواجه العاملين في الزراعة ويقدم اقتراحات متكاملة لتحسين أوضاعهم وللنهوض بالاقتصاد الزراعي ، ويقترح أسسا عامة لتشريع خاص بالعمال الزراعيين ولتشريع ديمقراطي للعلاقات الزراعية .».

كما يقدم البرنامج سلسلة من الاقتراحات للحد من التطور العفوي للزراعة واستصلاح الاراضي ولزيادة الانتاج الزراعي وخفض تكلفة واستخدام التكنيك الحديث وحماية المواسم الزراعية وتطوير الثروة الحيوانية وتصريف المنتجات .. الخ .».

والفصل الاخير مكرس لسبل وأشكال النضال لتحقيق البرنامج ، ويدعو الى تعزيز التعاون والتحالف بين الاحزاب الوطنية والتقدمية كشرط لتحقيق — مزيد من السرعة — النضال المطلبي والديمقراطي العام .».

ويتعهد الحزب بأن يكافح من أجل تأمين الشرطين الرئيسيين الضروريين لكي يصبح نضال كادحي الريف قوة مادية فاعلة ومؤثرة : **اولا** بنشر الوعي الطبقي بينهم وتبيان وحدة المصالح التي تربط العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والصغار والمتوسطين ، والتغلب على جميع العقبات الفكرية والطائفية والعشائرية التي تقسم صفوفهم وتطمس مصالحهم الحقيقية . **ثانيا** ايجاد الاشكال التنظيمية الملائمة لتوجيه نضالات كادحي الريف المتدافقة مع مستوى وعيهم الطبقي واستعدادهم الكفاحي .».

■■■

تقارير عن الأوضاع الداخلية

بعد أن استمع المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني الى تقرير اللجنة المركزية، استمع الى مجموعة من التقارير الخاصة من بينها التقرير العمالي ، وتقرير عن الوضع الداخلي وسياسة الحزب الانتخابية، وتقرير عن الطائفية ، وتقرير عن الحزب وقضايا الشباب .

وقد استعرض **التقرير العمالي** انطلاقة الحزب في الميدان العمالي خاصة بعد أن كان المؤتمر الثاني للحزب قد انتقد بجرأة نواقص العمل في

هذا الميدان • وأشار التقرير الى نضوج الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى لبنان من أجل توحيد الطبقة العاملة اللبنانية وحركتها النقابية : ١ ـ النضالات السياسية والديمقراطية والوطنية العامة التى خاضها الشعب اللبنانى وفى مقدمته قواه التقدمية ، والتى أدت الى تعزيز الحريات العامة • ٢ ـ تفاقم الازمة الاقتصادية والاجتماعية وشمولها مختلف القطاعات الامر الذى أدى الى ادراك الطبقة العاملة والمستخدمين ، فى القواعد بوحدة المصالح التى تربط بينها • ٣ ـ تعزيز التعاون والتنسيق بين القوى التقدمية فى الحركة النقابية ـ الشيوعيين والتقدميين الاشتراكيين والناصريين المستقلين والكادرات النقابية الشابة • ٤ ـ تجربة النضالات المشتركة والتى ساعدت على ازالة بعض أجواء التشكيك المتبادلة بين قوى نقابية وعمالية مختلفة • ٥ ـ فقدان بعض القوى السياسية التى استمرت فى الحكم مدة طويلة الكثير من تأثيرها فى القيادات النقابية •

وقد أكد التقرير ـ على ضرورة العمل من أجل قيام حركة نقابية موحدة على أسس سليمة وطيدة الجذور بين العمال ، الامر الذى يتطلب الخلاص من الشكل التنظيمى الراهن الشديد التخلف للحركة النقابية واستبداله بهيكل تنظيمى جديد يعتمد على الديمقراطية والتمثيل الحقيقى للعمال والمستخدمين • الامر الاخر هو ضرورة العمل فى صفوف العمال الزراعيين ، والسعى لايجاد تنظيم نقابى خاص بهم وربط نضالهم بنضال كادحى المدينة ـ واعتبار هذه القضية ـ من أهم القضايا •

وأكد التقرير أهمية توحيد الحركة العمالية والنقابية فى لبنان كعنصر يساهم فى تعزيز وحدة الطبقة العاملة العربية ، وأهمية تحقيق هذه الوحدة لتقوم الطبقة العاملة العربية بدورها الاساسى فى المعركة الكبرى ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية •

وناقش التقرير الخاص **بالوضع الداخلى وسياسة الحزب الانتخابية** ، اتجاهات البورجوازية اللبنانية الكبيرة تجاه المعركة الانتخابية والتى يبرز منها اتجاهان اساسيان : الاتجاه الاول يدعو الى قيام ما يسمى بـ « **الحكم القوى** » ، أى حكما ديكتاتوريا سافرا أو مقنعا • والاتجاه الثانى ، يدعو الى شىء من الليبرالية ، تستند الى المحافظة على حد ادنى من الحريات الديمقراطية •

ويؤكد التقرير على أهمية النضال من أجل الحريات الديمقراطية وتعزيزها ليس من وجهة نظر تكتيكية تمليها ظروف النضال الآنى ، بل كقضية ترتبط مباشرة بنضاله الاستراتيجى من اجل حكم وطنى ديمقراطى ، ولذلك يدعو التقرير الى وحدة كل القوى التقدمية الوطنية والديمقراطية حول برنامج عام لتحقيق مجموعة من المهام الاساسية :

أولا : عدم تمكين أبرز غلاة الرجعية من الوصول بقوة الى المجلس النيابى مع التركيز على أركان « الحلف الثنائى » الطائفى والعناصر الاخرى العميلة للاستعمار والرجعية العربية •

ثانيا : الوصول الى زيادة ملحوظة لتمثيل الاتجاه الوطنى التقدمى داخل المجلس النيابى •

ثالثا : تمثيل الحزب الشيوعى اللبنانى فى المجلس •

رابعا : وصول عدد واسع نسبيا من العناصر المستقلة والديمقراطية •

ومن التقارير ذات الاهمية الخاصة التى عرضت على المؤتمر تقرير وفد جبل لبنان عن **الطائفية** • فباثارة النعرة الطائفية منذ القرن التاسع عشر تمكنت قوى التخلف والظلم وبالتعاون مع الاتراك ومع الدول الاوروبية من ضرب الانتفاضات الشعبية ـ مثل علمات أطانيوس شاهين ـ للحفاظ على امتيازاتها الطبقية والاستعمارية • وأصبح النظام الطائفى بما يحمله من دستور متخلف وفساد ادارى وملاكات يجرى اختيارها على أساس التوزيع الطائفى والمحسوبية والعائلية بدلا من الكفاءات العلمية والادارية • وأن هذا النظام كان ولا يزال عقبة جوهرية فى طريق تفتح وازدهار كفاءات اللبنانيين وحاجزا فى وجه الشباب وفى وجه العمال والحرفيين ومتوسطى الحال • كما كان هذا النظام ولا يزال ، بأزماته المستعصية ، مصدرا لتخلف الريف وضعف الصناعة وهزالة ميادين التوظيف فى قطاع الخدمات الضخمة •

ويسجل التقرير التطور الايجابى ضد اثارة الفتن الطائفية ، وادراك الجماهير لحقيقة التحالف الشيطانى الذى يجمع بين قوى الظلم والاستثمار والعدوان ، من مختلف الطوائف ، فى العمل لضرب كل نسمة تحررية وكل عمل مطلبى أو فكرى ايجابى تقوم به جماهير الكادحين والمثقفين

المتحررين · لقد زاد الانطلاق أكثر فأكثر من الفهم العلمي لحقيقة الصراع الاجتماعي ، ولكيفية تغيير الواقع الذي تعيشه ، وبناء مجتمع لا يعرف التفرقة والتعصب لانه لا يعرف الاستقلال الطبقي ·

ويؤكد التقرير على مجموعة من الحقائق التي تجيب على كل التساؤلات وترد على جميع التشويهات التي تحاول أن تطمس أو تحرف حقيقة الصراع الاجتماعي وطبيعته :

أولا : أن منطلق الحزب في العمل ضد الطائفية ليس ضد الايمان الديني ، انما هو ضد استقلال الايمان الديني لتحويله الى تعصب طائفي تستفيد منه قوى الظلم والفساد وان الايمان الديني حق لجميع المواطنين ، ثم انه لا يعرقل اطلاقا النضال الشعبي والفكر التقدمي

ثانيا : ان الوحدة المتزايدة للجماهير المحرومة والمضطهدة من جميع الطوائف في مقابل الوحدة بين رجالات الاقطاع والرأسمالي من جميع الطوائف ، تكسب الصراع مضمونا طبقيا اجتماعيا ·

ثالثا : ان التطور الموضوعي لحياة المجتمع اللبناني ونمو الوعي الاشتراكي أظهر ان الطائفية لم تستطع ان تقف حجر عثرة في طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي

رابعا : ان النظام القائم يمكن ان يتغير ، وان يتغير بنسبته الطائفية ، دون ان يزول لبنان ·

خامسا : ان الحياة أصبحت تفرض ان يكون للبنان دستور عصري ، تقدمي ، وان يكون التوجيه العام ولاسيما التوجيه التعليمي والاعلامي ، معتمدا على أسس اجتماعية علمية لا على أساس زرع التنابذ والتفرقة على أساس طائفي ، وعلى اساس برامج موروثة عن المستعمرين ·

وعن « **الحزب وقضايا الشباب** » اشار التقرير الخاص بالشباب الى أن ظروف العالم الجديدة التي تسهل مجيء الشبيبة الى الفكر الاشتراكي : الرأسمالية بتناقضاتها وأزماتها ، وعدوانها المتكرر على الشعوب (العدوان على فيتنام والعدوان الامبريالي الصهيوني على البلدان العربية) وعجزها عن اعطاء الحلول لقضايا الشبيبةوعن الرد على تساؤلاتها وأمانيها،كمنجزات المعسكر الاشتراكي في حقول التعليم والاعداد والعمل والثقافة والضمانات الاجتماعية التي تعطي بشكل مستمر ودائم دليلا على افضلية النظام الاشتراكي ·

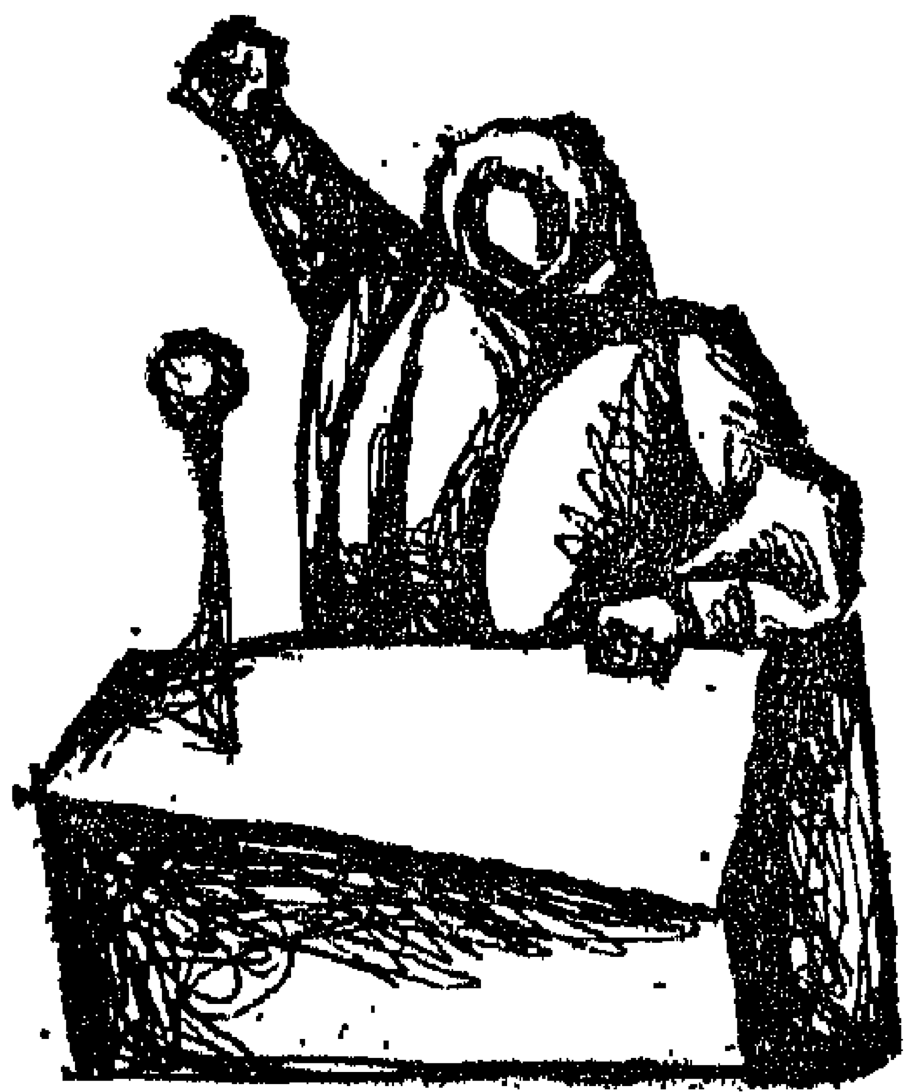
وقد أشار التقرير الى أن البورجوازية حريصة على تطويق حركة الشبيبة في الحياة الاجتماعية والسياسية ، واقامة وصايتها عليها وسلخها عن مجتمعها ، وطمس الصراع الطبقي تحت ستار « ازمة الشباب المعاصر » ونزاع الاجيال ·

ثم استطرد التقرير الى توضيح ان برنامج الحزب قد حدد بوضوح قطاع الشبيبة كقطاع جماهيري له استقلال نسبي يحدده بالاساس عامل السن ، وتنعكس فيه بنية المجتمع الطبقية ، كما لحظ فيه محورين أساسيين : الشبيبة العاملة ، والطلاب والتلامذة والقضايا الاساسية الكبرى لهذا القطاع ترتبط بقضايا الجماهير الشعبية ، والنضال في سبيل قضايا الشبيبة الفئوية هو جزء من البرنامج الديمقراطي العام للحزب · وأشار التقرير الى ان الحزب قد واجه خلال السنوات الاخيرة ، الهجوم الايديولوجي الذي شنته البورجوازية على حركة الشبيبة بنشرها نظريات « صراع الاجيال » و « الثورة الطلابية » وان الحزب قد رفض التيارات اليسارية المغامرة والتي استهدفت استبدال التنظيم الطلابي الجماهيري ذو الطابع النقابي ، بما سمته « النقابة الطلابية الثورية » ·

واكد التقرير : ان العمل الديمقراطي في صفوف الشبيبة ينطلق بالاساس منمصالح جماهير الشبيبة الواسعة ، وتبرز في هذا المجال ضرورة التوجه الى قضايا الشبيبة الخاصة · حقوقها السياسية والقضايا الاجتماعية منبطالة وسكن وتمييز في الاجور وغيرها ، والنشاطات الثقافية والرياضية والترفيهية ، والسياحة الجماهيرية للشباب ، والاهتمام بتطوير النشاطات الفئوية من خلال صياغة برامج خاصة لكل فئة من فئات الشبيبة (شبيبة عاملة ، شبيبة ريفية ، مثقفين شباب ، تلامذة ، طلاب ، شباب] .

واكد التقرير ضرورة ابراز أهمية التركيز على الديمقراطية في العمل الجماهيري المستقل في صفوف الشبيبة ، وعلى اشتراك الجماهير الواسعة في كل النشاطات وفي مناقشة البرامج واقرارها ، وذلك من خلال تشجيع الاشكال التنظيمية الجماهيرية الواسعة التي تتجنب الوقوع في التزمت والجمود وتساعد على اطلاق المبادرة وحب العطاء لدى الشبيبة ·

كلمات الوفود العربية فى المؤتمر



والقيت فى المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى اللبنانى ، كلمات وفود الاحزاب والمنظمات والهيئات العربية التى بلغت مجموعها ٢١ حزبا ومنظمة وهيئة وطنية وديمقراطية وتقدمية وشيوعية .

فقد حضر المؤتمر مندوبون عن كل من :

الإتحاد الاشتراكى العربى (مصر) – حزب البعث العربى الاشتراكى (سوريا) – الحزب الشيوعى السورى (سوريا) – الاتحاد الاشتراكى العربى (سوريا) – الحزب التقدمى الاشتراكى (لبنان) – حزب البعث العربى الاشتراكى (القيادة القومية فى بيروت) – وحدة القوى الناصرية (لبنان) – اكراد لبنان – حزب البعث العربى الاشتراكى (العراق) – الحزب الشيوعى العراقى (العراق) – الحزب الديمقراطى الكردستانى (العراق) – حزب العمل الاشتراكى العربى (العراق) – الحزب الشيوعى السودانى (السودان) – منظمة التحرير الفلسطينية (فلسطين) – الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (فلسطين) – الاتحاد العام لعمال فلسطين (فلسطين) – اتحاد طلاب فلسطين (فلسطين) الحزب الشيوعى الاردنى (الاردن) – اتحاد عمال الاردن (الاردن) – الحزب الشيوعى التونسى (تونس) – حزب الطليعة الاشتراكية (الجزائر) . كذلك حضر وفد يمثل مجلة الطليعة المصرية

وقد تناولت كلمات الوفود – فى مجموعها وبشكل عام – قضايا رئيسية ثلاثة :

● **تقييم انعقاد المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى اللبنانى ودور الحزب :**

– انه أول ندوة سياسية فى العالم العربى منذ ما يزيد على ١٠ سنوات تحقق هذا اللقاء الواسع بين ممثلى الاحزاب والمنظمات الوطنية والتقدمية والديمقراطية فى الوطن العربى .

– يكتسب قيمته من حقيقة أنه لاول مرة منذ أكثر من ربع قرن ينعقد مؤتمر علنى لحزب شيوعى عربى على أرض عربية يحضره هذا العدد الكبير من ممثلى الاحزاب الوطنية والتقدمية والاشتراكية والشيوعية من الوطن العربى والعالم .

– ان انتزاع علانية الحزب وانعقاد المؤتمر ، مكسبان ثوريان يتعديان اطار الحزب ليكون لهما أثرهما العربى . هذه العلانية التى كانت نتيجة لنضال الحزب فى مصاحة الجماهير ، ومن اجل تحقيق المهام الوطنية المطروحة أمام البلاد .

– ان حزبا يبقى ٢٤ عاما يناضل بلا هوادة قبل أن يستطيع الوصول الى حقه المشروع فى النضال العلنى ، والتعبير عن رأيه بكل الوسائل ..ان حزبا كهذا لجدير بأن يوضع فى مقدمة المناضلين من ابناء الامة العربية

● **تقييم الظروف الراهنة لحركة التحرر العربى :**

– يعيش الوطن العربى – وحركة التحرر العربى – ظروفا دقيقة للغاية . فالعدوان الاسرائيلى الامبريالى لا يزال قائما ، ولازالت اسرائيل تتمسك بالمواقع التى احتلتها مدعمة بشكل متزايد من الامبريالية العالمية وخاصة الامبريالية الامريكية .

– لقد كشفت الامبريالية الامريكية عن نفسها نهائيا بصفتها عدوا للشعوب ولطموحها المشروع فى التحرر والتقدم . واكدت بكل الاشكال عداءها لحركة التحرر الوطنى العربية . ومازالت

الامبريالية الامريكية تشدد هجومها على حركة التحرر العربي ٠ ولابد من ان تضع الامة العربية معركتها معها في موقعها الصحيح ٠

ــ بعد نجاح الهجمة العسكرية في يونيو ١٩٦٧ ينشط الاستعمار الجديد من خلال تغلغل رءوس الاموال الغربية والامريكية وتنشيط القوى اليمينية وتغذية السياسات المعادية للجماهير وللقوى التقدمية والديمقراطية ٠

ــ ان المهمة الرئيسية أمام حركة التحرر العربي اليوم ــ وخاصة النظامين التقدميين في مصر وسوريا ــ هي مجابهة الهجمة الامبريالية الصهيونية ، واجبار المعتدي الاسرائيلي على التراجع وازالة آثار العدوان وصيانة الانظمة الوطنية والتقدمية ومنجزات حركة التحرر العربية وتوطيدها واسترداد الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ٠

ــ ان الصراع القائم في الوطن العربي ، جزء من الصراع العالمي بين قوى التحرر والاشتراكية والسلم في جانب ، وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية في الجانب الاخر ٠

ــ ان واقع التناقض على النطاق المحلي العربي ، يضع القوى الوطنية والتقدمية في جانب ، والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية في الجانب الاخر ٠

ومثل هذا التحليل هو الذي يجعل حركة التحرر العربي قادرة على تحديد القوى الحليفة والعدوة ــ عالميا ومحليا ــ وعلى تحديد المهمات التي تواجهها ٠

ــ ان معركة ازالة آثار العدوان وتحرير الارض المحتلة لا تنفصل عن معارك البناء والتقدم التي تخوضها حركة التحرر العربي في المجالات الاخرى ٠

ــ ان هزيمة يونيو ووفاة القائد العظيم جمال عبد الناصر وضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن ، اضطرت حركة التحرر العربي للانحسار في بعض مواقعها ٠ لكن الازمة ليست في المبادىء أو الاهداف بل في الاداة الثورية قوى وأسلوبا وظروفا ٠

ــ يدل التاريخ المعاصر على انه عندما كانت تتوحد جميع القوى الوطنية والتقدمية على نطاق كل بلد عربي وعلى نطاق الوطن العربي وعندما كانت تتوثق صداقتها وتحالفها مع قوى السلام والاشتراكية في العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، كانت تنجح في هزيمة أعدائها وفي تحقيق أهدافها العادلة ٠ وكان العكس يحدث في كل مرة ارتفع في سماء الوطن العربي راية العداء للاتحاد السوفيتي وللشيوعية ٠

ــ ان الحلقة الرئيسية في عملية المواجهة هو وحدة القوى التقدمية في المنطقة وتشكيل جبهة قومية على اساس من جبهات وطنية على مستوى الاقطار يناضل فيها جنبا الى جنب الناصريون والقوميون والاشتراكيون والشيوعيون والبعثيون وسائر الفئات الوطنية والديمقراطية ٠ وتعزيز هذا التحالف الثوري مع حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة كمحور للتحالف ٠

ومن هنا تستوجب الظروف تلاحم اليسار العربي من جهة وقوى اليسار العالمي من جهة أخرى

وأشارت كلمات الوفود الى المقاومة الفلسطينية على أساس :

ــ ان أزمة المقاومة لو أمعنا النظر فيها لوجدنا انها أكثر ما تكون تأصلا في حركة التحرر العربي والعالمي منها في المقاومة الفلسطينية ٠

ــ لابد أن نعترف بأنه كان ثمة أخطاء تكتيكية وتنظيمية ارتكبتها حركة المقاومة في السنوات الاخيرة ، لكن هذا لا يمكن أن يوضع في مقابل المؤامرة البشعة المخططة التي اشترك في حياكتها أكثر من طرف أجنبي وعربي عميل ٠

ــ ما كان للمؤامرة الامبريالية والرجعية على حركة المقاومة لتنجح بهذا الشكل وبهذه السهولة، لولا غياب وحدة القوى الثورية وتغرق فصائل المقاومة ولولا بعض الشعارات والممارسات المغامرة والخاطئة التي تبنتها وحيث وجدت نفسها في تعارض مع القوى الاساسية لحركة التحرر والسلام والاشتراكية ٠

● **تقييم لبعض أوجه الاوضاع الداخلية :**

ــ ففي كلمة وفد الحزب الديمقراطي الكردستاني (العراق) أشار المتحدث الى بروز بوادر سلبية ــ « نأسف لها ونرغب في التجاوز والحل » ــ في العلاقة مع حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم « نتيجة لازدياد نشاط العناصر التي ترغب في الحد من تطلعات الشعب الكردي الديمقراطية » ونسف أعظم مكتسبات « سني عملنا المتمثلة في اتفاقية آذار ٠٠ واعادة القتال مما يستدعي العمل الجدي الجاد من كل الاطراف المؤمنة بالديمقراطية » لتدارك الكارثة ٠

وفي كلمة وفد الحزب الشيوعي العراقي (العراق) أشار الى أن البلاد ماتزال تعيش أوضاعا داخلية صعبة وطريق الخروج منها هو طريق وحدة كل الاحزاب والمنظمات والقوى الوطنية والتقدمية ــ عربا واكرادا ــ المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، ولقد اتخذ الحزب موقفا ايجابيا من الميثاق الذي أعلنته قيادة حزب البعث والذي تعلن فيه « الانحياز الكامل والحازم الى معسكر الشعوب » ويرسم برنامجا تقدميا للتحولات الاقتصادية والاجتماعية ويرفض الرأسمالية ٠ وان اهم مستلزمات النضال في العراق

اليوم هى تصفية كل مظاهر الاضطهاد ضد الجماهير ومؤسساتها السياسية وخصوصا احزابها الوطنية واطلاق كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب بما فيها حرية الاحزاب والنقابات وحرية الصحافة والرأى والمعتقد • وفى مجال القضية الكردية اقدمت السلطة على بعض الخطوات التى لا تنسجم وروح مشروع الميثاق ومن هنا يسود القلق الاوساط السياسية بسبب الفتور الذى أصاب العلاقات بين حزبى البعث والحزب الديمقراطى الكردستانى وينبغى تجاوز هذه الصعوبات •

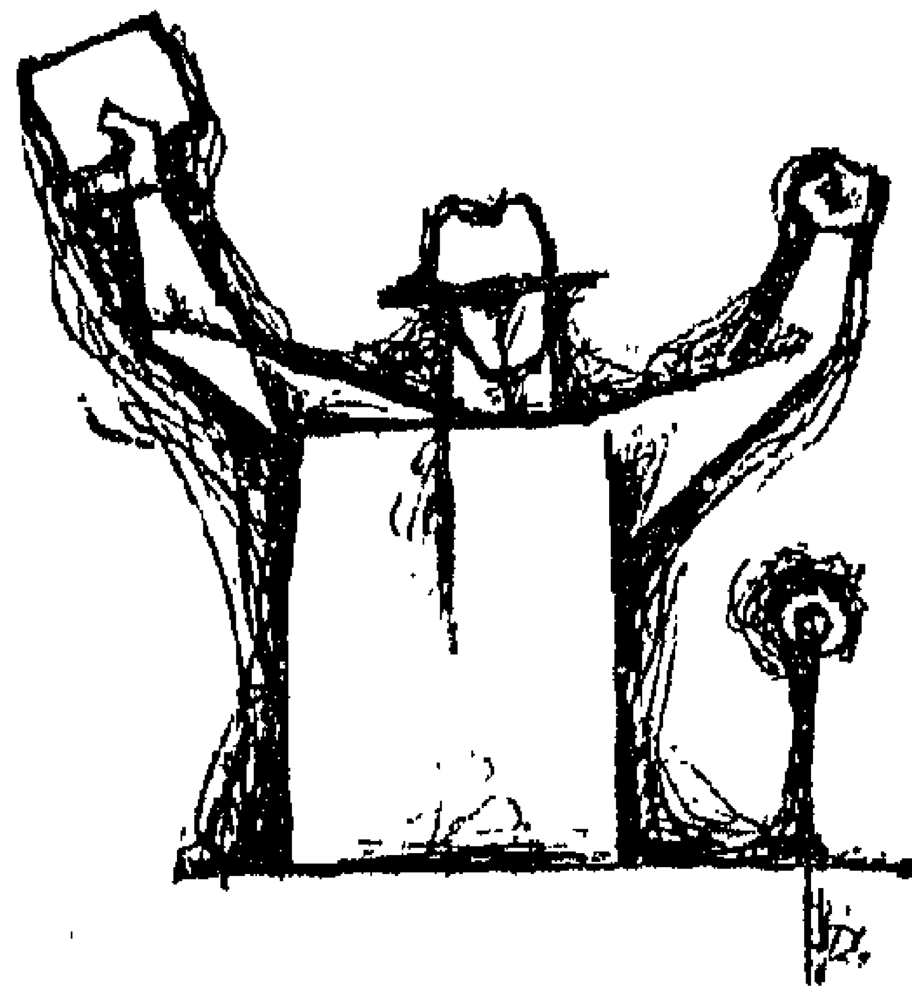
– ومن الاردن أشار وفد اتحاد عمال الاردن الى الظروف القاسية التى يعانيها العمال هناك وتعرضهم للفصل والسجن وسائر أعمال البطش والارهاب •

– ومن الجزائر تحدث مندوب حزب الطليعة الاشتراكية عن أن البلاد تعمل من أجل تشييد اقتصاد وطنى مستقل على أساس تعزيز قطاع الدولة • وفى هذه المهمة يلاقى وتلاقى الاوساط الحاكمة التقدمية ، عراقيل جدية ومعقدة تحدثها الامبريالية والرجعية الداخلية ويسهلها عدد من العوامل الموضوعية والذاتية » • ولهذا مازال من الضرورى بذل مزيد من الجهود لتوحيد وتجنيد الجماهير للتغلب على هذه العراقيل واحباط محاولات التضليل والاستفزاز الامبريالية والرجعية •

– وأشار وفد الحزب الشيوعى السورى الى اهمية دفع التنمية الصناعية وحماية القطاع العام وتعميق الاصلاح الزراعى ونشر التعاونيات وتحقيق المطالب الاساسية للعمال والفلاحين والجماهير الشعبية » باعتبار أن تلك مهام أساسية فى مجال الاقتصاد • وقد حققت اللجنة المكلفة بانجاز الجبهة الوطنية التقدمية وبناء وحدتها ، نجاحات هامة بفضل روح التعاون بين حزب البعث والاتحاد الاشتراكى العربى والوحدويين والاشتراكيين العرب والحزب الشيوعى السورى وتتعاون هذه الاحزاب الان من أجل انجاز « ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية » •

■ ■ ■

كلمات وفود الأحزاب الشيوعية والعمالية غير العربية



وحضر المؤتمر عديد من وفود الاحزاب الشيوعية العمالية ، وعلى رأسها وفد الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى • وقد جاء فى خطاب رئيس الوفد السوفيتى فى المؤتمر « ان الاعتراف بشرعية الحزب الشيوعى اللبنانى ، جاء نتيجة لنضال الشيوعيين اللبنانيين ، وجميع القوى الديموقراطية فى البلاد ، ودليلا على الاعتراف بدوره الايجابى الهام فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، وعلى زيادة تلاحم صفوف القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان » • وعرض رئيس الوفد السوفيتى لموقف الاتحاد السوفيتى الثابت والحازم من مشكلة الشرق الاوسط القائم على مساندة الشعوب العربية لازالة آثار العدوان الصهيونى ، ومساندة الشعب الفلسطينى لاستعادة حقوقه المشروعة ، كما عرض لمنجزات المؤتمر الرابع والعشرين للحزب السوفيتى من

ناحية ازدياد الدخل الوطني في الخطة الخمسية السابقة بمقدار ٤١ في المائة والانتاج الصناعي بمقدار ٥٠ في المائة وانتقال أكثر من ٥٠ مليون شخص الى شقق جديدة ومجانية السكن ، وبدل الايجار والخدمات البلدية (الغاز الكهرباء التدفئة المياه بما فيها المياه الساخنة) التي لا يـزيد متوسطها عن ٤ في المائة من مجمل نفقات العائلة كما أوضح رئيس الوفد السوفيتي ان السياسة الخارجية اللينينية للاتحادالسوفيتيانماتجمع ابدا ودائما بين الرد الحازم على الامبريالية ومساندة الحركة الثورية التحررية ، وبين النهج المنسجم الهـادف الى التعـايش السلمي بين الدولذات الانظمة الاجتماعية المختلفة • كما أشار الى حقيقة هامة تتعلق بالبلاد العربية وهي « ان وحدة البلدان العربية على اساس العداء للامبريالية وتلاحمها، وتضافر جهودها ، انما هي شرط لاغنى عنها للنجاح في النضال، من اجل تصفية عواقب عدوان اسرائيل الامبريالي •

أما رئيس وفد الحزب الاشتراكي الالماني الموحد فقد أشار فيما يتعلق ببلاده الى انطلاقهم من مبدأ أساسي هو « ان عملنا سيزداد تأثيره الدولي ، فيما لو جمعنا كل قوانا من أجل تقوية جمهورية المانيا الديمقراطية سياسيا واقتصـاديـا وعسكريـا » واعرب عن شكره للرفاق اللبنانيين لمساعدتهم النشيطة من أجل اقامة علاقات عادية بيـن الجمهـورية اللبنـانية وجمهـورية المـانيا الديمقراطية» • وعن « اقتناعه بأن تحالف جميع القوى الوطنية والتقدمية في جبهة وطنية على رأسها الحزبالشيوعياللبنانيسيتوطد وسينتصر في النهاية » •

واشار وفد حزب العمال البولندي المتحد الى أن علنية الحزب الشيوعي في لبنـان جـاءت نتيجة « نضال صعب تطلب صلابة ايـديولوجية مجربة وحكمة سياسية في الحزب ومنـاضليه وقيادته » . كما أشار الى البرنامج الذي رسم المؤتمر السادس للحزب البولندي الذي يجمع ما بين النمو الديناميكي للاقتصاد الوطني والارتفاع في مستوى حياة الشغيلة » • وأوضح رئيس وفد الحزب البولندي ان « قاعدة التطور في العالم المعاصر هي أن معاداة الشيوعية ومعاداة قوى التقدم يؤديان موضوعيا الى اضعاف الجبهـة المعادية للامبريالية ، وبالتالي الى ضرب المصالح الحيوية للشعوب ويسهل تحركات الامبـرياليين اعداء حرية واستقلال الشعوب واعداء السلام وان معاداة الشيوعية لا تتفق ابدا مع النضال الحقيقي ضد الامبريالية » •

أما وفد الحزب الشيوعي التشيكوسـلوفاكي فأشار في كلمته الى اسباب ازمة ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا التي تتمثل في نجـاح بعض الانتهازيين اليمينيين في التسلل الى قيادة الحزب وبقاء الطبقة العاملة والشعب لفترة بدون موجه سياسي • كما أشار الى المصاعب التي يلاقيها الشيوعيون العرب في نضالهم • والى أن القيادة الجديدة فيتشيكوسلوفاكيا منذ١٩٦٩ اخذت على عاتقهاالنضال في جميع الميادين ضد القـوى المعادية للاشتراكية والقوى اليمينية » •

وأعرب وفد حزب العمال الاشتراكي المجري عن رفض حزبه « للمفهوم القائل بأن العداء للامبريالية والعداء للشيوعية يمكن التوفيق بينهما » وأوضح ان الذي يحارب الشيوعيين لايقوي ابدا النضال ضد الامبريالية وانما يضعف هذا النضال ،وهو يمد يده للعدو المشترك قصد ذلك أم لم يقصد ، وأشار وفد الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الى الازمة التي تعاني منها الامبريالية الامريكية في جميع الميادين ، والى ازديـاد الملايين من العاطلين ، وتجميدالاجور ، وانخفاض مخصصات الصحة ، والتعليم ، والضمان الاجتماعي ، وعجز ميزان المدفوعات اعلى من أي وقت خلال ٧٧ عاما • وأشار الى الاضرابات العمالية المتزايدة والى التناقضات المريرة لدى المثقفين ، وغضب الاجيال الشابة والاقليات المضطهدة وبروز ظواهر جديدة مثل الاحتجاج داخل القوات المسلحـــة ومقاومة العسكرية • والقى وفد الحزب الشيوعي الفرنسي كلمة أشار فيها الى الازمة العنيفة في فرنسا والى برنامج الحزب الفرنسي من أجل حكم ديموقراطي للوحدة الشعبية وأشار الى مواقف الحزب الفرنسي وتضامنه مع الشعوب العربية منذ كانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي كما القيت كلمات تحية وتضامن ايضا من وفد رابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، وحزب الشعب التقدمي القبرصي ، والحزب الشعبي الثوري المنغولي •كما تحدثفيالمؤتمركذلكوفد جبهةتحريرارينريا ،ووفد مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » وبعث اكراد لبنان برسالة تحية وتقدير الى المؤتمر ، الذي تحدث فيه أيضا مندوب الحزب الشيوعي الهندي الذي أشار الى دور حزبه في تدعيم المجهود الدفاعي لحكومة الهند واعطاء الحد الاقصى من المساعدات لحركة النضال التحرري لشـعب بنجلاديش • والى ان الانتصار الذي تحقق ضد العدوان الامبريالي الامريكي في شبه القـارة الهندية ، قد فتح ظروفا جديدة في الهند لتوحيد اليسار والاحزاب والقوى الديموقراطية بما في ذلك اولئك الذين يعملون في حزب المؤتمر الحاكم الذي تقوده انديرا غاندي رئيسة الوزراء »

تقارير الشهر

● غانا ●

الانقلاب :
فشل سياسة الهجوم
ضد الاشتراكية

● مالطة ●

مؤامرات الاستعمار
للضغط على سكان الجزيرة

● بنجلاديش ●

« ارادوا شنقى يوم
الاستيلاء على دكا »

تقارير خاصة

(١) البترول والخبرة الفنية
ودورهما فى تنمية
الاقتصاد الوطنى

(٢) برنامج سياسى من قلب المعركة

■ غانا ■

الانقلاب : فشل سياسة الهجوم ضد الاشتراكية

برغم اتجاه المراقبين الافريقيين الى الاعتقاد بأن ما حدث فى غانا ، فى منتصف الشهر الماضى ، هو تغيير لا يخرج كثيرا عن اطار النظام السابق ، الا انهم يتحفظون فى ابداء استنتاج اخير ، ويميلون الى مراقبة التطورات ، وما يمكن ان تسفر عنه من مفاجآت .

والملاحظ ان وكالات الانباء والصحافة فى كثير من بلدان العالم ، قد آثرت متابعة تغطية انباء الانقلاب الذى تزعمه الكولونيل **اشيا مبونج** ، دون تعليق يلقى الضوء على اتجاهه السياسى . وبرغم ان الدوائر الافريقية تعتقد انه من السابق لاوانه تحديد الاتجاه الحقيقى للحكم الجديد فى **اكرا** ، الا انهم تلقوا باهتمام ، تصريح اشيا مبونج حول تبنيه لسياسة « الحياد الايجابى وعدم الانحياز » . كما لفت انتباههم انباء ارتفاع سعر العملة المحلية فى غانا فى الايام القليلة التى اعقبت الانقلاب ، بعد ان تدهورت فى خلال السنوات الاخيرة ، بعد الانقلاب الذى قام ضد حكومة **نكروما** فى ابريل سنة ١٩٦٦ .

ومن المعروف انه قد تم القبض على **كواسى افريفا** [قائد الانقلاب ضد نكروما] ، وعلى عدد من المسئولين الاخرين . كما جمدت اموال بوزيا [رئيس الحكومة السابقة] ، وأموال زوجته ، وأموال أعضاء حكومته وزوجاتهم ، وأموال مديرى مكاتب الوزراء ، ومعظم المديرين الاخرين وكبار زعماء **حزب التقدم** ، الذى يتزعمه بوزيا ، وأموال نائب رئيس البرلمان . وقد تم الانقلاب الاخير ، بينما كان بوزيا يتعالج فى لندن ثم باريس ، وانتقل منها — فى تكتم شديد — الى **ابيدجان** [عاصمة ساحل العاج] . ولم يلق الانقلاب اية مقاومة الا فى منطقة كوماسى ، التى سرعان ما استسلمت . وشكل اشيا مبونج **لجنة للاصلاح الوطنى** برئاسته وتتكون من ٦ ضباط جيش ومدنى واحد ، تقوم بأعمال الحكومة . وكانت وكالة **اليونايتدبرس الامريكية** قد اشارت — فى عجالة — فى احدى برقياتها الى أن مبونج « كان احد الذين لعبوا دورا هاما فى الانقلاب ضد نكروما » .

ومن الجدير بالذكر ان غانا قد عانت خلال الفترة بين عامى ١٩٦٦ — ١٩٧٢ ، أزمات سياسية واقتصادية ضخمة .. فقد تعرضت البلاد لعدد من محاولات الانقلاب الفاشلة على أيدى قائد الطيران ، ثم قائد المظلات وغيرهما ، حيث استحكمت أزمة النظام ، بسبب ثبوت تهمة « **الفساد السياسى والانحراف المالى** » على رئيس الدولة السابق **جوزيف انكراه** ، فاستقال . وكانت هناك مطالب عامة وجماهيرية تطالب باجراء تحقيق شامل فى الظروف المحيطة باستقالة الجنرال انكراه ، الذى اعترف فى استقالته بأنه تلقى أموالا « من عدة شركات أجنبية لاغراض سياسية » . كذلك تكررت اشتباكات قوات البوليس بعمال المناجم [عام ١٩٦٩] ، حين قاموا بعدة مظاهرات يطالبون فيها بأجورهم التى لم يتسلموها منذ ٣ أشهر . وكان عام ١٩٦٨ قد شهد عدة مظاهرات عمالية اخرى ، احتدمت عام ١٩٧١ ، حين انضم الى العمال قطاعات الطلبة والمزارعين . وفى المجال الافريقى الغيت كل المساعدات التى كانت تقدمها غانا لحركات التحرير الافريقية ، بل ونادت الحكومة باجراء حوار مع حكومة جنوب افريقيا .

أما على المستوى الاقتصادى ، فقد انخفض الدخل الفردى من ١٠٨ جنيهات استرلينية عام ١٩٦٥ [فى ظل حكومة نكروما] ، الى ٩٩ جنيها استرلينيا عام ١٩٦٩ . وذلك برغم ارتفاع السعر العالمى للكاكاو [الانتاج الرئيسى] ، واكتشاف كمية كبيرة من الذهب فى يوليو عام ١٩٧٠ .

لكن حكومة بوزيا فشلت فى تحقيق وعودها بالاصلاح الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة . وعلى العكس من ذلك ، الغيت التأميمات والاجراءات التقدمية التى كانت حكومة نكروما قد اتخذتها ، وارتفعت نسبة البطالة ، ليصبح هناك عامل متعطل من كل ٤ عمال ، فضلا عن زيادة الاسعار . وقد ارتفعت الديون الخارجية حتى وصلت الى ٢٥٠ مليون جنيه استرلينى . وعلى العكس من المصاعب الاقتصادية للجماهير ، نمت الطبقة المتوسطة والفئات الجديدة ، بسبب استشراء الفساد والرشوة والاختلاسات .

وقد اثارت كل هذه التطورات — وقتها — نقد النقابات والطلاب والتعاونيات والمثقفين ، واقدمت الحكومة على مطاردة العمال والنقابيين ، واستصدرت القرارات التى تحد النشاط العام ، واعتقلت عناصر المعارضة .

وترى الدوائر التقدمية فى افريقيا ، انه ايا ما كانت ستتطور اليه احداث غانا ، فان الانقلاب فى حد ذاته ، دليل على فشل الاتجاه الذى يتردد فى بعض الدول النامية ، القائل بأن سياسة اقامة القطاع العام والتخطيط والتأميم ... الخ ، سياسة خاطئة . وتلك هى وجهة النظر التى رددها مدبرو الانقلاب ضد نكروما . وها هى التجربة تثبت ان اعادة تمليك القطاع العام للراسمال الخاص ، وتشجيع النشاط الرأسمالى وتطبيقاته السياسية ، لم تنجح على الاطلاق فى حل مشاكل غانا ، برغم ارتفاع أسعار الكاكاو ، وبرغم اكتشاف الذهب .

■ مالطة ■

مؤامرات الاستعمار للضغط على سكان الجزيرة

احتلت أخبار الجزيرة الصغيرة ، التى لم تتعد مساحتها ٢٤٦ كيلو مترا ، ولا يتجاوز عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة ، أعمدة كثيرة من الصحف ، خلال هذا الشهر ، فالانذار الذى وجهه رئيس مالطة دوم منتوف الى حكومة بريطانيا ليلة عيد الميلاد ، بأن تسحب قواتها من الجزيرة قبل ١٥ يناير ، اذا لم تدفع بقية المبلغ المطلوب منها ، وهو حوالى ١٨ مليون جنيه ، يؤكد حق الجزيرة الشرعى فى استخدام أراضيها ، دون التقيد أو الخضوع لاى دولة أو لاى حلف .

وقد بدأت حكومة المحافظين فى بريطانيا محاولة جديدة ، لممارسة ضغط شديد على مالطة ، ولندن — وهى ترفض تلبية طلب شعب مالطة بزيادة حجم التعويض عن استخدام القاعدة — ترفض فى نفس الوقت المطالبة باجلاء القوات البريطانية من الجزيرة .. وهى تهدف بذلك الى احراج الحكومة العمالية فى مالطة ، التى يرأسها دوم منتوف ، والمعروف أن الحزب القومى المعارض فى مالطة ، والذى يعتبر مواليا لبريطانيا ، أثار فى البرلمان مسألة عدم الثقة فى حكومة منتوف ، وأحبطت الغالبية العظمى من الاصوات فى البرلمان هذه المناورة التى أوعزت بها الدوائر البريطانية .

ويرفض أعضاء حلف الاطلنطى تقبل الهزيمة التى الحقها بهم ممثلو شعب مالطة الصغير ، الذى يرغب فى أن يعيش فى سلام ، بعيدا عن المناورات ، ويؤيد العلاقات الطيبة مع جميع الدول .

وللدلالة على درجة الهزيمة التى منيت بها لندن فى البحر المتوسط ، فان صحيفة « الديلى اكسبريس » كتبت ، بلهجة التحريض ، عندما طالبت سكان الجزيرة وأعضاء البرلمان بالتمرد

تعليق

هزيمة الاستعمار من صنع الشعوب

كشفت التطورات الاخيرة بشان الاتفاق السرى بين امريكا واسرائيل فى شهر نوفمبر الماضى لانتاج بعض الاسلحة الامريكية الكبيرة فى اسرائيل ، وماتبعها من قرار امريكا فى اوائل يناير باعطاء اسرائيل ٤٠ طائرة من طراز فانتوم و ٨٠ طائرة سكاى هوك ، بما لا يدع مجالا للشك خدعة « الوساطة الامريكية » بين العرب واسرائيل .

وفى الواقع أن هذه التطورات لم تكن مفاجاة بالنسبة للمراقبين فى سياسة الامبريالية الامريكية ، التى تعتبر صاحبة المصلحة الاولى فى استنزاف ثروات الشعوب العربية ، وتحطيم حركة التحرر الوطنى والاجتماعى فى العالم العربى وان خدعة الوساطة الامريكية طوال الفترة الماضية لم تكن سوى لكسب الوقت لتمكين قبضة اسرائيل على الاراضى العربية المحتلة .

ان كل الدلائل تشير الى المخططات التى يتم تنفيذها حاليا لربط اسرائيل باستراتيجية حلف الاطلنطى الذى تتزعمه الولايات المتحدة ، بعد تزايد الدعوة داخل مجلس الشيوخ الامريكى فى اواخر عام ١٩٧٠ لقبول اسرائيل فى عضوية الحلف الاستعمارى وهو ما كشفت عنه زيارات روجرز وزير خارجية أمريكا ومساعده سيسكو لاسرائيل فى شهر مايو عام ١٩٧١ وزيارة ريتشارد هيلمز مدير المخابرات الامريكية لاسرائيل فى أوائل شهر يوليو ، ثم تصريحات موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى ١٠-٧-٧١ عقب مغادرة هيلمز لاسرائيل عن الاهمية الخاصة للقواعد الجوية فى سيناء بالنسبة لحلف الاطلنطى واهتمام الصحافة الاسرائيلية بابراز هذا المعنى وقد ذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » فى أول أغسطس الماضى ان البيت الابيض يدرس امكانية تجديد السلاح الجوى الاسرائيلى خلال السنوات الاربع القادمة ثم ما كان أخيرا بشان الاتفاق السرى الخاص بانتاج الاسلحة الامريكية فى اسرائيل وتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم والسكاى هوك .

ولا يمكن النظر الى هذه التطورات بعيدا عن ما يجرى حاليا فى الاردن ، وما تقوم به امريكا من تزويد الجيش الاردنى بالاسلحة الحديثة ، وتوسيع قواته المسلحة والوصول بها من ٦٥ ألف الى ١٠٠ ألف جندى ، وتصفية العناصر الوطنية التى تعطف على المقاومة الفلسطينية ، مما لا علاقة له بتحرير الاراضى العربية المحتلة بل يعتبر تهديدا لسوريا وبعد أن فرغ الجيش الاردنى من تصفية العمل الفدائى من الاراضى الاردنية ثم ما تكشف من اعترافات رجل المخابرات الاردنية الذى قبض عليه فى لبنان فى الشهر الماضى عن دور المخابرات الاردنية فى خلق « مذبحة سبتمبر » ضد المقاومة الفلسطينية فى لبنان .

اننا مقبلون ولا شك على معركة طويلة الامد وهو ما أوضحه الرئيس أنور السادات أخيرا من أن المعركة شاقة وعنيفة « وان التحدى الامريكى لا يخيفنا ولا يجعلنا نتردد فى مواجهته»

ان العامل الاساسى فى المعركة والذى تخشاه الامبريالية الامريكية نتيجة تجاربها السابقة فى فيتنام وكوريا الشمالية ولاوس وكمبوديا وكوبا الخ وتعمل له ألف حساب هو الجماهير العربية التى لم يتح لها حتى الانطلاق من قوة كامنة الى طاقة متفجرة لاستخلاص حقوقها بنفسها . ولقد كان هدف المخطط الاستعمارى الصهيونى الرجعى حتى الان هو ضرب الحصار حول الجماهير العربية وعزلها عن المعركة وشل طاقاتها النضالية ، والوقيعة بين القوى الوطنية والتقدمية فى أجزاء الوطن العربى وتبديد طاقاتها فى معارك ثانوية بهدف عرقلة مسيرة الثورة التحررية والاجتماعية فى العالم العربى ، ولا شك أن خلق الظروف التى تسمح للجماهير التى يتهددها الخطر بالاشتراك فى المعركة للدفاع عن أرضها ومصيرها ومكاسبها من شانه ان يزيد من فاعلية الجماهير ويضاعف من قدرتها وصمودها

ان كل ما يحدث الان كفيل بان يدعونا نحن العرب الى التفكير والتعلم من تجاربنا السابقة ، وهو أن اعداءنا لا يعملون منفردين ويعرفون ما مايريدونه ويخططون له ويسعون الى تنفيذه عن طريق التنسيق وتوزيع الادوار بين اسرائيل وامريكا ومن استخدام الرجعية العربية فى التمهيد له تدريجيا .. ولكن الشىء المهم فى مقابل ذلك هو أن نعرف نحن العرب ما نريده ونخطط له ونسعى الى تحقيقه وان ننتهى وضع استراتيجيتنا الواضحة المحددة والمعلنة والعمل بكل الوسائل على تحرير الاراضى العربية المحتلة وتحقيق التلاحم بين القوى الوطنية والتقدمية والاشتراكية فى الوطن العربى . الامر الذى من شانه أن يكفل للمعركة رصيدها الثورى الكفاحى على المدى القريب والبعيد ، والكفيل بتحقيق النصر النهائى .

وديع امين

على سياسة الرئيس دوم منتوف ، ووصفته بانه متطرف . .

لقد وصلت حكومة العمال فى مالطة الى الحكم فى يونيو الماضى ، بعد الانتخابات التى أجريت ، وأدت الى هزيمة الحزب القومى الذى كان يحكم قبلها ، والمعروف باتجاهاته الموالية لحلف الاطلنطى ، والحكومة الجديدة ، وهى تنفذ برنامجها الانتخابى ، أصرت على جلاء القوات العسكرية البحرية المتحالفة التابعة لحلف شمال الاطلنطى ، ومنعت زيارة سفن الاسطول السادس الامريكى لميناء « لافاليتى » والغت اتفاقية « الدفاع المشترك » مع بريطانيا ، كما طالبت باعادة النظر فى الاتفاقيات التى تقيد حركتها .

ويرى شعب مالطة ان انجلترا ، التى فرضت سيادتها على الجزيرة خلال ١٧٠ عاما ، يجب أن تزيد ما تدفعه لقاء استخدام اراضيها ، وهى تعتزم استخدام هذه الاموال من أجل تنمية مواردها ، وفى نفس الوقت تحاول حكومة مالطة اتخاذ اجراءات تهدف الى خروجها من عزلتها ، واقامة علاقات مع الدول الاخرى . ففى الشهور الاخيرة عقدت عدة اتفاقات تجارية مع الاتحاد السوفيتى ورومانيا وبولندا وكوريا الشمالية .



■ ايطاليا ■

السنوات السبع القادمة بعد انتخاب ليونى

ظل المرشح الاشتراكى الذى أيده الحزب الشيوعى الايطالى فى المقدمة بين كل المرشحين للرئاسة الايطالية طوال ٢٢ اقتراعا ، وكان فارق الاصوات بينه وبين مرشحى الاحزاب الاخرى كبيرا باستمرار . ومع ذلك فان الاحزاب اليمينية اتخذت موقفا استطاعت من خلاله ان تحول دون حصول **فرانشيسكو دى مارتينو** على الاغلبية اللازمة لانتخابه ـــ وهى ٥٠٥ أصوات من مجموع ١٠٠٨ اصوات لاعضاء المجمع الانتخابى الايطالى (الذى يضم جميع اعضاء مجلسى البرلمان والمجالس الاقليمية) .

واستطاعت الاحزاب اليمينية فى النهاية أن تتغلب على ذلك الاحتمال « **الخطير** » بان يرقى كرسى الرئاسة فى ايطاليا «مرشح الاشتراكيين والشيوعيين » . وقد قيل أن **شبح تجربة شيلى التى وصل فيها مرشح الاشتراكيين والشيوعيين دكتور سلفادور الليندى بالطريق الانتخابى الى رئاسة شيلى كان يلوح لليمين** . ولكن على حين كانت الجماهير مباشرة هى صاحبة الاختيار فى شيلى ، فان الأمر فى ايطاليا كان فى أيدى البرلمانيين انفسهم .

أما كيف كان **جيوفانى ليونى** المنقذ من مأزق انتخابات الرئاسة الايطالية ، والمنقذ من «خطر قدوم رئيس يسارى » ، فقد حصل ليونى على ٥١٨ صوتا بزيادة ١٣ صوتا فقط عن عدد الاصوات اللازمة لانتخابه . بينما حصل **بنرونيني** ـــ المرشح البديل للاحزاب اليسارية الذى حل محل دى مارتينو فى الاقتراع الاخير ـــ على ٤٠٨ اصوات ، وهو نفس العدد من الاصوات التى ظل دى مارتينو رئيس الحزب الاشتراكى ونائب رئيس الوزراء يحصل عليه ـــ فى المتوسط ـــ خلال عمليات الاقتراع الاحدى والعشرين الاولى .

وكما نرى فان **العامل الاساسى الذى تحكم فى نتائج كل الاقتراعات الفاشلة الاثنين والعشرين، وايضا فى الاقتراع الناجح الاخير الذى انتهى بانتخاب ليونى ، هو تكتل الاحزاب اليمينيه والمعتدلة ـــ من أقصىتطرفها الى أقصى اعتدالها ـــ للحيلولة دون صعود مرشح اليسار الى الرئاسة** .

وقد كان الشىء المؤكد ـــ طوال الوقت الذى استغرقته عمليات الاقتراع على مدى ١٦ يوما ـــ انه لا أمل لمرشح اليسار فىالفوز بالرئاسة رغم انه ظل متقدما على جميع المرشحين الاخرين بفارق كبير فى الاصوات . وكان هذا التأكيد يعكس **المقاومة العنيفة بين اليمينيين ضد تقديم اى تاثير يلزم مرشح اليسار دى مارتينو ليحصل على الاغلبية التى يقتضيها الدستور** . واصدر الحزب الديمقراطى المسيحى اوامره الى اعضائه (٥٢٣ عضوا) . بالامتناع عن التصويت طوال ٢٤ عملية اقتراع ، وبعدها رشح ليونى بدلا من امنتورى فانفانى الذى أخفق فى أن يكون منافسا قويا لمرشح اليسار دى مارتينو .

الا أن انتخابات الرئاسة الايطالية كانت **مناسبة لائتلاف قوى بين الحزب الاشتراكى مع الحزب الشيوعى** ، أما الاحزاب الاخرىاليمينية والمعتدلة : الحزب الليبرالى والحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الجمهورى ، وكذلك حزب الحركة الاجتماعية الايطالية (الحزب الفاشيستى الجديد) فقد أعطت اصواتها فى النهاية لجيوفانى ليونى .

٣

وقد أكد جيورجيو الميرانتى زعيم الحزب الفاشيستى الجديد ـــ بعد انتخاب ليونى ـــ أن حزبه أسهم بدور كبير فى انتخاب ليونى ، وهى ظاهرة ملفتة للغاية ، ومن الطبيعى ان تحدث

آثارا عنيفة فى تكوين الائتلافة الحكومى الراهن فى ايطاليا، لان الاحزاب اليسارية بوجه عام لن تفتقر صعود سياسى الى الرئاسة بتأييد الفاشستيين الجدد.

ان الدوائر السياسية فى ايطاليا تبدى منذ فترة مخاوفها من **أن يؤدى استياء الجماهير من ضعف الحكومات الائتلافية المتتالية وعجزها عن حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية العديدة التى يعانى منها الشعب الايطالى، الى حدوث تحول يحقق خلاله الفاشستيون الجدد مكاسب انتخابية كبيرة فى الانتخابات العامة التى ستجرى فى عام ١٩٧٣** • وهذا فى الواقع واحد من أكبر الاخطار السياسية التى تواجه الجماهير الايطالية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية •

ولهذا فان **صعود دور النقابات العمالية الايطالية فى الحياة السياسية فى الفترة الاخيرة يشكل الضمان الاساسى** لاستجابة الاحزاب السياسية لحاجات الجماهير الايطالية فى قطاعاتها العريضة — العمال والفلاحين والمثقفين — التى تطالب بالتغيير الجذرى.

لقد اصبحت نقابات العمال — خاصة فى غضون السنوات الثلاث الاخيرة من توالى الحكومات الائتلافية الضعيفة — أكثر مظاهر الحياة السياسية الايطالية ديناميه ، واصبحت هذه النقابات أقوى تنظيمات العمال فى اوروبا الغربية على الاطلاق • ولاشك ان **الحزب الشيوعى الايطالى** يقوم بدور قيادى كبير فى اضطلاع نقابات العمال بهذا النشاط الكثيف من أجل حياة افضل لملايين العمال الايطاليين — ليس فقط داخل اسوار المصانع — وانما خارجها وخاصة فى مجالات الاسكان والتعليم والرعاية الصحية والنقل .

وهكذا يمكن القول بان فترة رئاسة جيوفانى ليونى — على مدى السنوات السبع القادمة — ستكون فترة صراع اجتماعى متبلور بين القوى المتقدمة للشعب الايطالى ممثلة فى طبقته العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية ، وبين القوى الرجعية التى تجد مصلحتها اما فى تجميد الاوضاع على أحوالها الراهنة ، بكل التناقضات والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تعانيها ايطاليا ، واما فى محاولة دعم قوة اليمين المتطرف المتمثل فى حركة الفاشيستيين الجدد والاعتماد عليها مرة والتهديد بها مرة أخرى .

■ ■

تعليق

الدورة الـ ٢٦ للجمعية العامة

نجاح للقوى الاشتراكية رغم النزاع الكبير

كانت الدورة السادسة والعشرون للجمعية العامة للامم المتحدة واحدة من ابرز الدورات التى عقدتها المنظمة الدولية فى السنوات الاخيرة • وان كانت هذه الدورة قد تميزت فحسب بانها الدورة التى شهدت استعادة الصين الشعبية حقوقها المشروعة فيها . وطرد ممثلى حكومة تشيان كاى تشيك (فورموزا) ؛ لكان ذلك كافيا لاضفاء أهمية كبيرة عليها • ولكن الواقع ان الدورة السادسة والعشرين حملت قدرا أكبر من الايجابيات •

ومن وجهة نظر أهداف الدول المحبة للسلام والقوى المناهضة للامبريالية العالمية ـ وعلى رأسها الامبريالية الامريكية ـ فان كل القرارات التى اتخذتها الجمعية العامة فى هذه الدورة تمثل غلبة الاتجاه المعادى للامبريالية والتمييز العنصرى والمناهض لسياسة استخدام القوة • وبتعبير ادق فان الدول الاشتراكية ومعها الدول المتحررة والمؤيدة للاتجاهات التحررية فى العالم قد تركت بصماتها على كل قرارات الجمعية العامة

وقد كان قرار الجمعية العامة فى ٢٥ اكتوبر برد حقوق جمهورية الصين الشعبية وطرد ممثلى فورموزا اهم هذه القرارات جميعا • وكان ـ برغم كل التفسيرات الملتوية اللاحقة ـ ضربة عنيفة لسيطرة الولايات المتحدة ونفوذها الضاغط على الامم المتحدة ، وفى الوقت نفسه انتصارا للدول الاشتراكية والقوى المعادية للامبريالية فى العالم الثالث •

كذلك فقد انعكست آراء الدول الاشتراكية والمناهضة للسيطرة الامريكية فى قرار الجمعية العامة الاخير الخاص بالشرق الاوسط ، والذى دعا الى اتخاذ كل الاجراءات الضرورية لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ • وقد وصف هذا القرار بانه قد زاد من عزلة اسرائيل عن الرأى العام العالمى ، وأظهرها على حقيقتها باعتبارها القوة التى تعوق اقرار السلام فى منطقة من أخطر مناطق التفجر فى العالم •

وهكذا فان الجمعية العامة فى دورتها السادسة والعشرين قد عكست ازدياد نفوذ وقوة العالم الاشتراكى وجبهة الدول المناهضة للامبريالية والمحبة للسلام ووعى معظم دول العالم لمسئولية التصدى لمحاولات القوى التى ترتبط مصلحتها بالنفوذ الامبريالى وبسياسة استخدام القوة والعدوان

وقد اتضح ازدياد نفوذ هذه الجبهة العالمية التى تقودها ـ بحكم قوتها وموقعها فى ميزان القوة العالمى ـ الدول الاشتراكية ، برغم ما شهدته الدورة السادسة والعشرين لاول مرة من انتقال مشاحنات الخلافات السوفيتية الصينية الى الامم المتحدة وما شهدته ـ أكثر من ذلك ـ من وقوف الولايات المتحدة والصين الشعبية معا فى جانب ضد الاتحاد السوفيتى فى بعض المناقشات وخاصة ابان ازمة الحرب الهندية الباكستانية •

وقد تجاوز دور الدول الغربية فى مواجهة مظاهر الصدام السوفيتى الصينى داخل الامم المتحدة مجرد دور المتفرج ـ الذى حاولت أن توحى بانها تلتزمه • فان كل ما تردد عن « صراع على زعامة العالم الثالث » بين موسكو وبكين ليس سوى جزء من حملة اذ كان نيران الصراع السوفيتى الصينى لحساب القوى الامبريالية وضد مصلحة كل الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى والصين ـ وايضا ضد مصلحة دول العالم الثالث •

واذا كانت محاولة القوى الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة لاستعادة نفوذها قد فشلت حتى الآن ، الا ان كل الدلائل تشير الى انها سوف تستمر • وان استمرار المصادمات السوفيتية الصينية فى الامم المتحدة يوفر لها تربة خصبة للعمل ضد السلام وضد تقدم الشعوب وحريتها •

سمير كرم

■ بنجالاديش ■

« ارادوا شنقى يوم الاستيلاء على دكا »

رفض الشيخ **مجيب الرحمن** ، رئيس وزراء بنجالاديش ، ما اقترحه الرئيس الباكستانى **على بوتو** ، من التنازل له عن الرئاسة لانقاذ وحدة باكستان ، وأوضح له ان بنجالاديش أصبحت واقعا ، وانه يريد ان تظل الدولة الجديدة مستقلة . وما يشغل بال الشيخ مجيب الرحمن الان فى الواقع ، هو اعادة تنظيم بلاده فى الحقل الداخلى ، ودعم مركزها الدولى ، بعد ان اعترفت بها حتى الان تسع دول ، ويتردد ان لندن على وشك ان تتخذ قرار الاعتراف بها ، وان الاتحاد السوفيتى قد يعلن اعترافه ببنجالاديش فى وقت قريب .

وقد أشاد الشيخ مجيب الرحمن بالاتحاد السوفيتى ، للمساعدة التى قدمها لقضية بلاده ، كما وجه الشكر للمسئولين السوفيت ، على مساعيهم من أجل اطلاق سراحه من سجون باكستان .. وقال الشيخ مجيب الرحمن لمراسل وكالة « تاس » فى دكا ، فى ١٦ يناير الماضى :

« اننى باسم خمسةوسبعين مليونا — هم سكان بنجالاديش — أعرب عن شكرى لشعب وحكومة الاتحاد السوفيتى ، لمساندتهم لقضية بنجالاديش العادلة . كما يجدر التنويه **بالدور العظيم الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى مجلس الامن ، دفاعا عن كفاح التحرر الوطنى فى بنجالاديش »** . وقال : « لقد علمت بعد خروجى من السجون الباكستانية ، ان الزعماء السوفيت ، ومن ورائهم الهيئات والعمال فى الاتحاد السوفيتى ، طالبوا باطلاق سراحى .. واننى أعرب عن شكرى لهم وعن ايمانى بأن الصداقة بين شعبى بنجالاديش والاتحاد السوفيتى ، ستزدهر بنجاح وقوة . وأوضح الشيخ مجيب الرحمن الخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية لبنجالاديش ، التى تتمثل فى عدم الاشتراك فى الاحلاف العسكرية والحياد والتعايش السلمى ، على أساس الاستقلال والالتزام بمبادىء الصداقة بين الشعوب » .

هذا ، ومن ناحية اخرى ، أعلن **أوتو فينزر وزير خارجية المانيا الديموقراطية** : أثناء زيارته لبنجالاديش ، التى استغرقت يوما واحدا ، انه اكد للمسئولين فيها **ان بلاده ستقدم لهم كل ما يمكنها من معونة للتغلب على المشاكل التى نجمت عن « الاعمال التخريبية التى قام بها الجيش الباكستانى فى بنجالاديش »** ، كما أوضح أن لبنجالاديش وجمهورية المانيا الديموقراطية وجهات نظر متطابقة فيما يتعلق بغالبية المشكلات الدولية والثنائية .

ويعمل الشيخ مجيب الرحمن فى الفترة الحالية على اعادة الاوضاع الى حالتها الطبيعية فى بنجالاديش ، وحل المشكلات الصعبة التى تواجهها ، وبخاصة من الوجهة الاقتصادية . وقد قرر أخيرا نزع سلاح التشكيلات المسلحة فى بنجالاديش ، والتى ساعدت على تحرير البلاد ، وفى مقدمتها جيش التحرير « الموكتى باهينى » ، الذى يطلق عليه أيضا « مجيب باهينى » ، والذى انبثق عن الرابطة السابقة للطلبة ، والموالية لرابطة عوامى ، بالاضافة الى منظمتين يساريتين اقل اهمية ، تتكونان من العمال الشباب ، ومنح الشيخ مجيب الرحمن هذه القوات جميعا مهلة عشرة أيام لتسليم ما فى حوزتها من أسلحة وذخيرة ..

هذا ، وقد بدأ المهاجرون البنغاليون طوال الشهر الماضى فى العودة الى بلادهم ، بمعدل مائتى ألف لاجىء يوميا ، وبخاصة النصف الثانى من يناير الماضى ، وقد عاد الى بنجالاديش — حتى كتابة هذا التقرير — ٤ ملايين لاجىء .

ويعتقد المراقبون انه حتى نهاية الاسبوع الاول من الشهر الحالى ، سوف يكون جميع مهاجرى البنغال الشرقية قد عادوا الى بلادهم ، وبذا تحل المشكلة التى واجهت الهند فى موعد ملائم . وقد طلب وزير زراعة بنجالاديش من جميع دول العالم تقديم مساعدات كبيرة لبلاده لتعويض المنتجات الزراعية التى تلفت فى بلاده ، والتقى بالقنصل العام للاتحاد السوفيتى ، الذى عرض عليه تقديم مساعدات بلاده بهذا الصدد .

وفيما يتعلق بالفترة التى قضاها الشيخ مجيب الرحمن فى المعتقل ، أوضح فى حديث أدلى به فى ١٧ يناير الماضى الى **وكالة الانباء الهندية** ، أن الرئيس الباكستانى السابق « **يحيى خان** » كان قد دبر مؤامرة لاغتياله بعد فشل المفاوضات التى دارت بينهما يوم ٢٥ مارس الماضى . وأورد الشيخ مجيب الرحمن تفاصيل هذه المؤامرة . كذلك أوضح فى نفس الفترة لمراسل مجلة « **نيوزويك** » الامريكية ، ان الرئيس الباكستانى السابق **يحيى خان** كان يريد شنقه فى نفس يوم الاستيلاء على دكا ، « ولكن بوتو تدخل ، وقال ان هذا غير ممكن ، طالما ان هناك اسرى باكستانيين فى أيدى الهنود » . وأضاف الشيخ مجيب الرحمن قائلا : « ولا أنكر ان بوتو حاول حمايتى ، وان الله قد أنقذنى » . ولكى يضمن بوتو حماية الشيخ مجيب الرحمن ، فانه قام باخراجه من السجن ليلا ونقله الى شاليه بالقرب من روالبندى فى ٢٦ ديسمبر الماضى ، والتقى مجيب الرحمن بعلى بوتو فى اليوم التالى » .

وعلى اية حال ، فقد عقدت بنجالاديش والهند اتفاقية أخيرا ، تقدم بمقتضاها الهند لبنجالاديش ما قيمته ٣٤ مليون دولار من السلع الاستهلاكية لسد احتياجاتها العاجلة ، وقرضا بخمسة ملايين جنيه استرليني ، لتنشيط مبادلاتها التجارية الخارجية . وجدير بالذكر ان سكرتير أول وزارة الخارجية الهندية قد اشار في ١٧ يناير الماضى اشارة لها مغزاها ، بالنسبة لمحاولات استقطاب القوى في القارة الاسيوية وفى جنوبها وجنوب شرقها بصفة خاصة ، وأوضح انه « لو أدركت اسلام أباد [باكستان] حقيقة الموقف فى شبه القارة الهندية ، لامكن ان ينفتح منذ الان أمام **الهند وباكستان وبنجالاديش** ، عهد جديد يسوده السلام والتعاون . وأضاف **ان هذا الاتحاد الجديد يمكن أن يمتد ، فيما بعد ، فى اطار من التعاون الاقتصادى ، ليشمل بلادا أخرى فى المنطقة** .



■ الهند الصينية ■

الفعلة الاستعمارية .. والفعل الثورى المضاد

خلال خمسة أيام من ٢٥ الى ٣٠ ديسمبر الماضى ، وباستخدام نحو **٣٥٠ طائرة** قاذفة مقاتلة وصل مجموع طلعاتها على امتداد تلك الفترة الى أكثر من ألف طلعة ، هاجم سلاح الجو الامريكى فى فيتنام الجنوبية قواعد ومراكزالدفاع الجوى لجمهورية فيتنام الديمقراطية فى محاولةهستيرية، لتدمير مقدرة الدفاع الجوى الفيتنامى . وبلغت ضراوة هذا الهجوم الامريكى حدا دفع وكالات الانباء الى وصفه بأنه : « **هجوم لا يفوق القوة التدميرية التى استخدمت فيه الا استخدام الاسلحة الذريه** » وبأنه يمثل كما قالت مصادر البنتاجون ذاتها « **أقصى مجهود ممكن** » للقوات الامريكية الموجودة فى فيتنام الان .

وبينما كان الكثير من المراقبين ما يزالون حائرين فى تفسير مغزى هذه الفعلة الاستعمارية الامريكية منقسمين على بعضهم فى تحديد اهدافها كان الفعل الثورى المضاد من جانب ثوار الهند الصينية قد جاء واضحا وحاسما ، متمثلا فى سلسلة من الهجمات الفعالة شنها الثوار خلال يناير الماضى ضد القواعد الامريكية وقواعد القوات الحكومية العميلة فى كل من لاوس وكمبوديا وفيتنام الجنوبية . وقد كبدت هذه الهجمات العدو خسائر كبيرة فى المعدات والجنود وأدت الى سقوط اكبر وأهم القواعد الاستراتيجية فى شمال لاوس ـ قاعدة « لون تشيذ » والمنطقة المحيطة بها فى أيدى الثوار .

ويميل بعض المراقبين الى تفسير مغزى تلك الغارات الامريكية المكثفة ضد فيتنام الديمقراطية استنادا الى اراء المصادر العسكرية فى سايجون فيقولون انها تعتبر ردا على التحدى الذى اظهرته طائرات الميج « ٢١ » الفيتنامية خلال النصف الاخير من ديسمبر الماضى ضد التفوق الجوى الامريكى فى سماء الهند الصينية حيث اسقطت « الميج » فى غضون يومين فقط ثلاث من طائرات الفانتوم الامريكية المغيرة على مناطق الحدود الفيتنامية .

ويضيف المراقبون أن ضراوة هذه الغارات الامريكية تعود الى أن عنصر التفوق الجوى الامريكى هو ركن اساسى من اركان السياسة الامريكية الجديدة فى الهند الصينية المعروفة باسم سياسة الاحتواء الواقعى أو « **مبدأ جوام** » . ومن‌ثم فمن الطبيعى ان يعد الامريكيون اى اهتزاز فى عنصر التفوق الجوى بمثابة أشارة خطر تهدد سياستهم الجديدة بأكملها .

ويدعم المراقبون هذا الرأى بقولهم أن تحدى طائرة « الميج » للطائرات الامريكية قد مكن بالفعل ثوار لاوس من اجتياح منطقة سهل القوارير خلال النصف الاخير من ديسمبر الماضى اى‌قبل‌ايام قليلة من الاحتفال بالذكرى السادسة عشرة لتأسيس الجبهة الوطنية اللاوسية « **لاوهاكسات** » فى ٦ يناير الاخير .

وينظر بعض المراقبين الى تلك الغارات الامريكية من زاوية أخرى هى زاوية الانتخابات المقبلة للرئيس الامريكى فى نوفمبر القادم وعلاقة هذه الانتخابات بالزيارتين اللتين ينوى نيكسون القيام بهما الى كل من بكين وموسكو فى فبراير ومايو من هذا العام .

فمن المعروف ان كثيرامن الخبراء الامريكيين قد انتقدوا نيكسون لانه خطط زيارته لكل من بكين وموسكو مدخلا فى اعتباره المعركة الانتخابية وهذا يجعله الطرف الاكثر احتياجا الى نجاح هاتين‌الزيارتين ، كمايعطى للاطراف‌الاخرى فرصة الضغط عليه . ويرى المراقبون أن نيكسون أراد بهذه الغارات ان يذهب الى بكين ثم الى موسكو بعدها من موقع قوى .. موقع الطرف الذى يضرب بعنف ، ويفاوض فى آن واحد ، وهوما‌يعد امتدادا لسياسة الاحتواء الواقعى التى تحدثنا عنها منذ قليل .

ومن زاوية ثالثة يرى بعض المراقبين أن ثمة علاقة هناك بين الحرب الهندية ـ الباكستانية وبين تلك الغارات الامريكية على فيتنام الديمقراطية . فهى من ناحية تعويض عن الفشل الذى منيت به

السياسة الامريكيةفى شبه القارة الهندية ، وهى من ناحية أخرى اشارة أمان الى حلفائها الاسيويين بأنها لا تنوى التخلى عنهم ، وبأن ماحدث بالنسبة لفرموزا وباكستان منذ عدة أسابيع لـم يكن مقصودا كله ٠

واذا كان هذا هو مجمل آراء المراقبين فى تحليل هدف الفعلة الامريكية ضد فيتنام الديمقراطية ، فان للمراقبين أيضا آراء حول الفعل الثورى المضاد الذى قام به ثوار الهند الصينية خلال الاسابيع القليلة الماضية ٠ فيرى المراقبون ان هجمات الثوار قد جاءت دليلا على وحدة العمل المتينة بين القوات الثورية فى كل من لاوس وكمبوديا وفيتنام وهى الوحدة التى أرست دعائمها منذ مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية الذى انعقد فى جنوب الصين الشعبية فى ابريل عام ١٩٧٠ ، كما يرون أيضا أنها دلالة على فشل الارهاب الامريكى فى الحد من عمليات الثوار بل ويرون ان العكس هو الصحيح تماما ٠ ويرى بعض المراقبين منجهة ثالثة آن هجمات الثوار هذه ليست الا مقدمة لهجمات اكبر واشمل سوف يقومون بها خلال هذا العام بل وربما خلال الاسابيع القليلة القادمة بهدف احراج مركز نيكسون فى انتخابات الرئاسة المقبلة ٠ وذلك بفضح النتائج الهزيلة التى حققتها سياسة فتنمة الحرب امام الرأى العام الامريكى واقناعه بأنه اذا كانت فتنمة الحرب قد مكنت نيكسون من سحب جزء كبير من الجنود الامريكيين فى فيتنام فان الحرب الفيتنامية ما تزال تستنزف الاقتصاد الامريكى الذى اصبح من المحتم عليه ان يمول الحرب فى منطقة الهند الصينية بأكملها وليس فى فيتنام فحسب ٠



■ علـوم ■

مستقبل التحام الذرة يعد البشرية بطاقة هائلة

تجرى الجهود دائبة من أجل الحصول على مفاعل ذرى عملى ــ لا فى مجال انشطار الذرة ــ وانما فى مجال اخطر اثرا ، وهو مجال الطاقة الناتجة عن الالتحام الذرى ٠ ومن المتوقع أن تحقق الطاقة الناتجة عن هذا الالتحام مصادر جديدة سيكون لها أبلغ الاثر على كل نواحى النشاط الانتاجى والصناعى والحضارى للمجتمع البشرى ٠ ومصدر الحرارة الرئيسى لكل المجتمعات هو الشمس ٠ واذا كانت المجتمعات المتخلفة تبذل الكثير من الجهد فى تحويل طاقة الشمس ــ عن طريق الزراعة ــ الى طعام يقيم أودها ، فان المجتمعات المتطورة تستعين «بطاقة زائدة» تمكنها من الاستخدام الامثل لطاقة الشمس مما يمكن السكان من العيش فى مدن متحضرة وبذل جهد أقل فى انتاج أكبر يرفع مستوى المعيشة الى وضع أرقى ، كما يمكن الحصول على وسائل تكنيكية أحدث بأستمرار تساعد على حسن استعمال الطاقة الزائدة المتاحة ٠ وتأتى هذه الطاقة الزائدة حتى الان من البترول ومساقط المياه والانشطار النووى ، وكلها لها حدودها النهائية التى يمكن أن تنفذ ، ويسير الانتاج الصناعى فى العالم الان فى «اتجاه مستقيم» سيؤدى بمرور الوقت الى نفاد جزء كبير من ثروة المجتمع بالحدود الاجبارية التى تضعها الطبيعة ، ولا يبدو لاول وهلة أن هناك حلا الا بتقليل الانتاج والاستهلاك ، ولكن الذى يحدث فعلا هو زيادة هائلة فى الانتاج ، ذلك أن مصدر الانتاج يأتى من الطبيعة المحيطة مما يؤدى الى الجدب ، وكذلك فان العادم الناتج عن العملية الانتاجية يصب فى الجو المحيط مما يؤدى الى التلوث ، كما أن العادم الناتج عن استخدام الطاقة نفسه يؤدى الى مزيد من التلوث ٠

ويفكر العلماء الان فى استحداث الوسائل الصناعية التى تقوم بتشغيل «مجتمع دائرة المواد الانتاجية المقفلة» الذى تدور فيه المنتجات بين الاستخدام واعادة الاستعمال وباستعمال الطاقة التى لا ينتج عنها عادم يحدث كثيرا من التلوث ٠

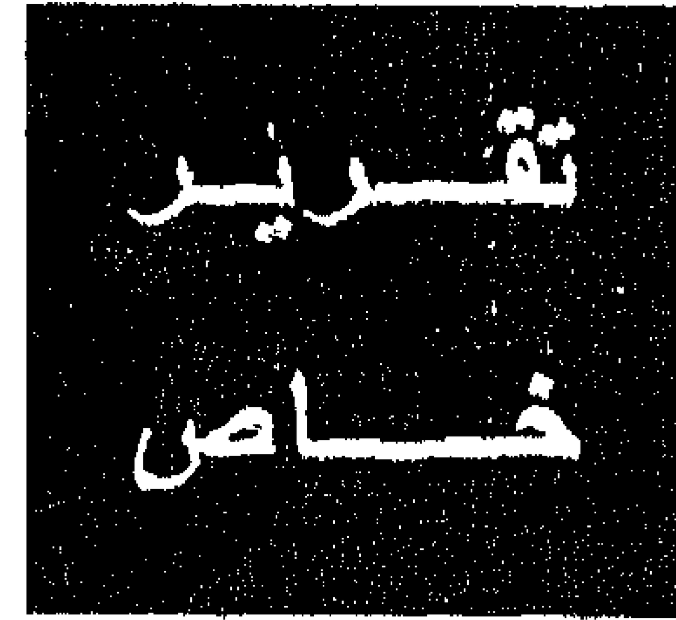
ومن الطريف ان عملية الطاقة الرئيسية التى تدور فى الافلاك والنجوم تعتمد على «الالتحام النووى» ، وقد تم التوصل اليها على الارض سنة ١٩٣٢ لاول مرة أثناء تجربة تناولت الاصطدام بين نوايا ذرات عنصر الديتيريوم المعجل ٠ ثم حدث ان تفجرت طاقة من الالتحام النووى مرة ثانية فى سنة ١٩٥٢ اثناء احدى تجارب التفجير الذرى ، فأثبت ذلك امكانية احداث «طاقة التحام» على نطاق واسع ، وذلك برفع درجة الحرارة لاحد الغازات ذات الكثافة العالية (ويسمى البلازما) الى حوالى خمسين مليون درجة مئوية ، على احتمال أن يؤدى ذلك الى التحام بين ذرات الغاز ٠ وبالوصول الى التفجير الهيدروجينى اندفع العلماء فى امريكا وفى الاتحاد السوفيتى وبريطانيا نحو العمل على الوصول الى طاقة التحام نووى «منظمة ويمكن التحكم فيها والاستفادة منها» واتجهت البحوث الى ابقاء البلازما ذات الكثافة المنخفضة فى درجة حرارة من الارتفاع بحيث تكون الطاقة الناتجة عن الالتحام اكثر من الطاقة المستعملة فى تسخين البلازما ٠ ولما كان البشر لا يملكون عناصر صلبة تستطيع ان تتصدى لارتفاع فى الحرارة يصل الى مائة مليون درجة مئوية فقد ركزت البحوث على استعمال المجالات المغناطيسية للتحكم فى البلازما ٠

وقد اتجهت معظم البحوث على أصناف الوقود اللازمة لاحداث هذه الدرجات العالية من الحرارة الى استعمال مزيج من الديتيريوم والتريتيوم كوقود • وتصدر الطاقة الناتجة عن الالتحام داخل البلازما على هيئة نيوترونات ذات طاقة عالية يمكن امتصاصها فى درع من سائل الليثيوم الذى يدور بهذه الطاقة الهائلة الى جهاز يستبدل الحرارة ويقوم بتسخين الماء وتحويله الى بخار يدير بدوره مولدا بخاريا معقولا يعمل بدوره فى ادارة محطة للطاقة الكهربائية !!!

بل انه يمكن استعمال النيوترونات المعجلة (الرخيصة) المنتجة بهذه الطريقة فى تصنيع ذرات ثقيلة قابلة للانشطار ، أى أن جهاز الالتحام النووى يصبح « محصنا » نربى فيه عملية الانشطار النووى !! ويمكن أيضا باستعمال النيوترونات الرخيصة الجديدة « حرق » العادم الناتج عن الانشطار النووى ، وتقليل اخطار المولد الذرية الملوثة • وكذلك فان استعمال « الالتحام النووى » لا يحتاج الى حرق مصادر الاكسوجين والمواد الهيدروكربونية اللازمة للبشر ، وبالتالى لا ينتج عنها غاز ثانى أكسيد الكربون أو غيره من منتجات الاحتراق التى تلوث الجو • ولا يحدث عن الالتحام النووى أى امكانية (لحادث نووى مروع) على عكس الانشطار النووى المدمر • أما التريتيوم المستعمل فى الالتحام النووى فهو ذو أثر سام بالغ الضعف اذا قورن بالنظائر المشعة المستعملة فى الانشطار النووى ، والتىتعتبر من اقوى السموم •

ان الطريق الى ترويض واستئناس وتشغيل عملية الالتحام النووى لا يزال طويلا ، ولكنه طريق تسلكه الدول الكبرى باصرار وببرامج طويلةمكلفة من أجل الحصول على مصادر للطاقة ستغير من كثير من أساليب حياة البشر فى مستقبل ليس بعيدا •





برنامج سياسى من قلب المعركة

فى احد عشرة صفحة من الحجم الصغير ، صدر (البرنامج السياسى للحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة) متضمنا ستة أبواب ، تتحدث عن (طبيعة قضيتنا الوطنية) و (قوى الثورة) و (معسكر الاعداء) و (الاهداف المرحلية) وأهداف الحزب وتكتيكاته فى المجالين العربى والعالمى .

ومن المعروف أن هذا هو البرنامج الثانى الذى يصدره الحزب فى الفترة التى أعقبت عدوان ١٩٦٧ ، اذ كان قد اصدربرنامجه الاول فى ديسمبر ١٩٦٧ ، كما كان قد شارك قوى سياسية أخرى (البعث وجبهة تحرير فلسطين) فى اصدار (مثاق الجبهة الوطنية المتحدة فى قطاع غزة) فى اول سبتمبر ١٩٦٧ •

والبرنامج الحالى هو اكثر وضوحا وتحديدا من برنامج ديسمبر ١٩٦٧ ، كما انه اكثر تقدما من ميثاق الجبهة •ومنذ البداية يحدد البرنامج طبيعة القضية الفلسطينيةبأنها قضيةتحرر وطنى « تتميز عن غيرها من قضايا التحرر الوطنى ، بكون الاستعمار فيها استيطانيا ، ويقوم فى نفس الوقت على طرد السكان وتشتيتهم » • ويؤكد البرنامج على كون الحركة الوطنية الفلسطينية جزء من حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية •

وبعد أن يتحدث البرنامج عن سمات حركة التحرر الوطنى العالمية اليوم ، يحدد الاسس التى ينطلق منها الحزب فى تقييمه للقضية الفلسطينية وفى مقدمتها كون « اسرائيل دولة قامت على الاغتصاب وهو أمر لا يمكن تبريره » ومن هذا المنطلق يستخلص الحزب هدفه الاستراتيجى وهو « التحرير ، وبناء فلسطين المستقلة الديمقراطية » •

وينبه البرنامج الى ضرورة « ألا تصرفنا قضية عدوان عام ١٩٦٧ عن قضية التحرر الشامل » معتبرا « الوجود الاسرائيلى هو المحور الاصلى للمسألة » •

ويرى الحزب فى برنامجه أن « الصهيونية عميلة للامبريالية وشريكة لها ، واسرائيل كيان استعمارى كما أن التلاحم بين المصالح الامبريالية والصهيونية لا ينفى وجود مصالح وأهداف ذات استقلال نسبى • خاصة بعد ان استكملت دورتها ، وأصبحت بدورها دولة استعمارية » ومن هذا يصل

الحزب الى ضرورة « عدم فصل النضال ضد الصهيونية عن النضال ضد الامبريالية » .
وبالنسبة للصهيونية يرى البرنامج انهما « كايدولوجية ، وحركة ، عنصريتان توسعيتان وفاشيتان . ويلفت الحزب الشيوعى النظر الى ضرورة « التمييز بين الصهيونية والديانة اليهودية » ويحذر من « الانزلاق الى مناقشة ما اذا كان اليهود يمثلون قومية أم لا . فحق تقرير المصير لاى شعب لا يجب أن يكون على حساب أرض ومصالح أى شعب آخر ، هذا اذا سلمنا — جدلا — بكون اليهود يمثلون قومية » .

(أما عن تصفية هذا الكيان المغتصب » فيرى البرنامج أنه لا يمكن أن تتم « الا عبر معارك سياسية واقتصادية وعسكرية وفكرية مستمرة ، متصلة وطويلة الامد مع الملاءمة والمزاج الصحيح بين أشكال النضال المختلفة مع التسليم بأن هناك حتمية للكفاح المسلح ، الذى سيكون له ، فى النهاية حسم المسألة » .

ولدى تحديده قوى الثورة يشدد البرنامج على كون « قضيتنا الوطنية هى قضية عربية حسمها من مهام قوى الثورة العربية ، بأنظمتها الوطنية ، وتنظيماتها التقدمية وشعوبها وفى مقدمتها شعبنا العربى الفلسطينى ، الذى يأتى العمل الفدائى تعبيرا عن طليعيته فى التحرير . ويضيف البرنامج الى هذه القوى « مساندة دول وشعوب المعسكر الاشتراكى — والرأى العام التقدمى فى العالم »

أما الاعداء « فالامبريالية العالمية ، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية ، عدونا الرئيسى . والصهيونية وربيبتها اسرائيل — عدونا المباشر ، والرجعية العربية ركيزة للامبريالية وعميلة لها بين صفوفنا » .

ثم ينتقل البرنامج الى تحديد الاهداف المرحلية للحزب ، وهى : انتزاع الحرية للعمل الفلسطينى والتمسك بأستقلاليته فى اطار حركة التحرر ، وتحقيق وحدته .

ويلح البرنامج على ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية ، المستندة « الى أساس طبقى عريض ... من العمال والفلاحين الكادحين والمثقفين والجنود والرأسماليين الوطنيين . وان كان هذا لا يعنى ايصاد الباب فى وجه أى عناصر من فئات أخرى عصف الاحتلال الاسرائيلى بمصالحها ، أو تستشعر مهانة الاحتلال ، وترغب فى النضال ضده » وكضمان لاستمرار هذا التحالف ونجاحه يطالب البرنامج ان تكون « قيادة هذا التحالف فى أيد تقدمية واعية ، وقادرة على حماية أهداف العمل الوطنى بوعى وحسم » . ويزيد البرنامج هذه النقطة وضوحا حين يذكر أن « وحدة العمال والفلاحين الكادحين هى النواة الصلبة التى تستقطب حولها الشرائح الاجتماعية الاخرى » .

أما أسس هذا التحالف الوطنى فهى « الحوار والصراع المحكوم والديمقراطى ، حول برنامج مشترك » ويتحفظ البرنامج فى هذا الشأن حين يطالب بأن « لا يقيد هذا التحالف حق التنظيمات اليسارية الفلسطينية فى التعاون وفق (برنامج أقصى) »

ويرى الحزب ضرورة تدعيم التحالف « بالعمل السياسى القائم على أساس ديمقراطى شعبى ، بتوسيع مشاركة الجماهير فى قيادة العمل الوطنى بجميع اشكاله ، وتحميل الجماهير مسئولية اوسع ، وفتح باب المناقشة الحرة فى كافة مستويات التحالف ومؤسساته » .

وفى تحديده للهدف الأستراتيجى لهذا التحالف ، يؤكد البرنامج على أن « يكون هذا التحالف ملتزما بالمضى فى طريق التحرير والكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية » .

اما وعاء هذا التحالف ، فيرى الحزب ان يكون منظمة التحرير الفلسطينية « على الاقل لاكتسابها المشروعية فى البلدان العربية » وبعد ذلك يطالب الحزب ، ضمن اهدافه المرحلية « بوضع شعارى (الحرب للجميع)و (الشعب المسلح) موضع التطبيق . وتعبئة الشعب الفلسطينى سياسيا وعسكرياوتنظيميا وفكريا ، وكفالةالحقوق الديمقراطية للجماهير الفلسطينية ، وحل سليم للمسألة الزراعية بعد التحرير بتطبيق شعار (الاراض لمن يحررها) » .

وعند حديثه عن التسوية السلمية يرى برنامج الحزب أنها « مرفوضة ، مالم تتضمن ما يضمن عدم نسف وتصفية قضيتنا الوطنية أولا ، وعدم الاعتراف باسرائيل ثانيا . وهى مقبولة مرحليا مادامت — ثالثا — تحقق ازالة عدوان ١٩٦٧ وتصفيته » وينبه الحزب الى أن التسوية السلمية لن تتحقق فى هذا الاطار « الا باستشعار العدو الامبريالى الصهيونى للخطر من جدية استعداداتنا وقدراتنا » وفى اطار مثل هذا الحل ، فأنه يمكن لحركتنا الوطنية تحويل الواقع الجديد الى منطلق لافاق ابعد ، مستفيدة من وجودها على أرضها ، ومن التلاحم مع حركة التحرر الوطنى العربية والعالمية ، ومن الميل المضطرد فى ميزان القوى — عالميا — لصالح قوى التقدم والاشتراكية » .

ولا يهمل البرنامج الحديث عنالشئون العسكرية ، اذ نجده يقول فى احدى فقرات الباب الرابع أنه « فى مواجهة الحرب النظامية ، الخاطفة ، والمحدودة ، التى دأبت اسرائيل على شنها ضدنا ، علينا ان نلجأ الى الحرب الشعبية ، طويلة الامد ، والشاملة ضد كل مصالح الاستعمار

فى وطننا العربى ، وتدعيم الارتباط بين العمل العسكرى والعمل السياسى ، مع بناء وتطوير قواتنا العسكرية والسياسية والميليشيا والعصابات ، والموازنة بشكل سليم بين الحكم والكيف ، كل ذلك بهدف الوصول بالنضال الى مستوى الحرب الشعبية المتسمة بالتنسيق الوثيق بين الجيش والشعب ، وبين المدينة والريف حربا شعبية تتواءم مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لفلسطين .

وفى المجال العربى يرى البرنامج انه « مادام انتصارنا مرتبط بحدوث تغيير جذرى فى الاقطار العربية فاننا مع كل خطوة تقدمية تتم فى أى بلد عربى ، ومع اية خطوة وحدوية عربية ديمقراطية تتصدى للمهام الوطنية والقومية والاجتماعية التى تواجه الامة العربية . هذا مع العمل بدأب من اجل التلاحم مع كافة القوى التقدمية العربية ، لتحريك الطاقات العربية واشراكها فى المعركة » .

وينتهى البرنامج الى ما يجب اتخاذه فى المجال الخارجى ، فى « تعزيز التحالف مع اليسار العالمى وشل ذبذبة الوسط والعمل على كسبه ، مع عزل اليمين ، ومساندة « جهود كافة الشعوب والحكومات التى تسعى الى صيانة السلم » ؛ و « تطوير علاقات الصداقة بين جميع البلدان » . ويمنح الحزب تأييده لكل « النضالات المعادية للاستعمار والاستغلال فى العالم » وينادى بضرورة مضاعفة الجهود الرامية الى اعادة الوحدة للمعسكر الاشتراكى عن طريق اجراء حوار رفاقى بين الاحزاب الشيوعية المختلفة بهدف رأب الصدع الذى أصاب المعسكر الاشتراكى » .

وبالرغم من كون هذا البرنامج اكثر ثورية ووضوحا من سابقة ، الا ان مصدروه قد خصصوه لمعالجة القضية الفلسطينية فى حين كان يجب عليهم أن يبدأوا بالاهتمام بقطاع غزة ، مادامو قد اصدروا برنامجهم فيه ، ثم الانتقال الى تحليل المسألة الفلسطينية ، فالوضع فى الاردن باعتباره اكثر الدول العربية تاثرا وتأثيرا على فلسطين . ومن الاردن ينتقل البرنامج الى البلدان العربية مبتدئا بالمحيط منها بفلسطين ، وينتهى بالوضع العالمى . ومن كل ذلك يستخلص النتائج والمواقف .

ومن الناحية الاخرى نكاد نرى البرنامج خلوا من البعد الطبقى هذا اذا استثنينا مسألتى التحالف الوطنى و (الارض لمن يحررها) وكان ينتظر لمثل هذا البرنامج أن يخاطب طبقات قطاع غزة صناعها ، ومزارعيها ، وطلابها ، ومثقفيها ، وتجارها ، ويحدد لكل طبقة مهامها فى مرحلة الاحتلال الاسرائيلى على الاقل .

ومهما يكن من أمر فان هذا البرنامج يتميز عن غيره من برامج فصائل اليسار الفلسطينى بالثورية والجرأة مما جنبه السقوط فى الانحراف اليسارى وجعله ، بحق ، مؤهلا ليصبح الاستراتيجية السياسية للثورة الفلسطينية فى فترة الاحتلال الاسرائيلى .

ثروت كاتبة

دراسات اشتراكية

تلقت الطليعة صدور العدد الاول من مجلة « دراسات اشتراكية » ـ فى أول يناير ـ بترحاب عميق .

فهى أولا : اضافة تقدمية الى مجال الفكر التقدمى فى مصر .

وهى ثانيا : دلالة على الانفتاحة الديمقراطية التى أقدم عليها الفكر السياسى المصرى سعيا منه ـ وبمثابرة ودأب ـ الى مواكبة روح العصر وآفاقه : الفكر الاشتراكى التقدمى .

وهى ثالثا : اضافة جادة من كتاب مصريين ـ شرفاء وجادين ـ الى تراث الفكر الثورى المصرى .

أن صدور « دراسات اشتراكية » ، التى يتعاون على اصدارها مجلة السلم والاشتراكية [براغ] ودار الهلال [مصر ويرأس تحريرها ابراهيم عبد الحليم ، جديرة بترحيب كل وطنى وثورى من أبناء شعب مصر العربية الذى يتوق دائما الى التعرف على كل ما هو تقدمى وشريف فى الفكر الانسانى .

تقرير خاص

البترول والخبرة الفنية ودورهما فى تنمية الاقتصاد العربى

عقدت جمعية **مهندسى البترول والمناجم والفلزات** فى ديسمبر الماضى ، ندوة عن دور البترول والخبرة الفنية فى تنمية اقتصاديات الدول العربية • وتضمن جدول الاعمال البنود التالية :

- دور البترول كمصدر اساسى للتنمية الاقتصادية •
- الصناعات البترولية المباشرة •
- الصناعات التى تستخدم البترول كمورد للطاقة ومادة خام •
- الخبرة الفنية والايجابيات والسلبيات التى عاقت استخدامها بين الدول العربية •
- دور البترول كمحرك سياسى وادة للضغط •
- التوصيات والقرارات •

واشترك فى اعمال الندوة خبراء البترول والاقتصاد ورجال السياسة والصحافة • فقد اشترك فيها الدكتور **عبد الفتاح نجيب** مستشار وزارة الصناعة الجزائرية ، والدكتور **مصطفى شعبان** مستشار وزارة الصناعة فى مصر ، والدكتور **حلمى مراد** رئيس اتحاد الاقتصاديين العرب ، والمهندس **مصطفى موسى** مستشار شركة سوناتراك الجزائرية ، والدكتور **عبد الرازق حسن** عضو مجلس ادارة بنك مصر ، والاستاذ **لطفى الخولى** رئيس تحرير الطليعة ، والمرحوم الدكتور **عزت سلامة** مدير المنظمة العربية للتنمية الصناعية ، والدكتور **عبد المحسن حموده** المستشار بمؤسسة البترول ، والمهندس **تونى شوقى** عضو مجلس ادارة شركة بترول خليج السويس ، والدكتور **مصطفى العيوطى** نائب مدير عام مؤسسة البترول ، والدكتور **محمد على صالح** استاذ الكيمياء الصناعية بهندسة القاهرة ، والدكتور **محمود امين** رئيس مجلس ادارة شركة ويبكو ، **ومحمد الامين عرابى** مدير ادارة البترول بالهيئة ، والدكتور **يوسف اسماعيل** مفوض مشروع الالمونيوم والدكتور **سمير طاهر** رئيس الدلتا للانابيب ، والخبير السعودى عبد الله الطريقى •

كما حضر جلسات الندوة الدكتور **صلاح هدايت** مستشار رئيس الجمهورية للبحث العلمى ، وسفير الجمهورية الجزائرية ، **واديب الجادر** وزير النفط العراقى السابق ، **وعبد اللطيف الشواف وزير الاقتصاد العراقى السابق** ، **واكرام ديرى** الوزير السورى السابق •

وفى افتتاح اعمال الندوة اكد الدكتور عبد المحسن حموده : « **ان اهمية وضخامة مواردنا** البترولية ، تقرر ليس مستقبل بلدنا فحسب ، **وانما** مستقبل المنطقة العربية ككل من الناحيتين الاقتصادية والصناعية • **وهذا هو ما دفع جمعية** مهندسى البترول والمناجم **والفلزات الى بحث** ومناقشة موضوع الثروة البترولية ودورها » •

والواقع ان دور البترول واهميته لم يتم بحثهما بالعمق الكافى على النطاق العربى ، بالقدر الذى يتم به فى البلاد الاوربية غير المنتجة للبترول • ومع ذلك فقد كان انشاء منصب وزير دولة للبترول ، وكذلك انشاء جمعية مهندسى البترول والذى تواكب معه فى الوقت نفسه ، بداية اهتمام حقيقى بمشاكل البترول والتعمق فى بحث مجالات وامكانيات استخدامه فى مجال تحقيق التقدم الاقتصادى للعرب وحماية استقلالهم الوطنى •

وقد شارك فى اعمال الندوة المهندس **على والى** وزير البترول واسهم كثيرا فى التعليق على كل ما اثير من مناقشات • وفى بداية اعمال الندوة اكد : « ان المخاطر التى تحيط بالوطن تفرض على الفنيين ان يكرسوا جهودهم للنضال الوطنى بشقيه ـ القتالى على الحدود والانمائى فى الداخل • والبترول هو اكثر العوامل اهمية فى الاقتصاد العربى ، كمنطلق لتحقيق التطور والتعاون والاستثمار ، بنقل منطقتنا الى مرحلة تنمية تتكافأ مع ضخامة هذا المورد الضخم والهام » •

وطرح وزير البترول سؤالا حول الطريقة التى

يمكن بها تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الفنيين اللازمين لاستثمار البترول العربي ، وكذلك توفير الاموال اللازمة لاستغلاله ذاتيا ٠ واعلن الوزير ان طريق الاستثمارات الاجنبية يحفزه احتياج الدول المتقدمة للطاقة ، وعدم وجود رؤوس الامـوال المنتجة لدى دول البترول ٠ ولكن يعوقه خوف الدول الغنية من الثورات الوطنية ، وترددها في استثمار رؤوس أموالها ٠ اما استغلال البترول بالاستثمارات الداخلية ، فيقف دونه سوء توزيع الدخول بين سكان الوطن العربي ، وتدفق الدخول الكبيرة الى الغرب ، وكذلك ضعف القـدرة الاستيعابية للسوق العربي ، ونقص الكوادر ٠اما الاستثمار الاشتراكي فقد اكد المهندس على والى انه « يخفف من مظاهر الاستغلال المباشر الناشيء عن ضعف الجهاز الانتاجي في البلاد العربية ، كما انه يساعدها في بناء قاعدة صناعية ثقيلة » ٠ وللتغلب على نقص الاستثمارات اللازمة لاستغلال البترول دعا وزير البترول الى التنسيق المالى والاقتصادي وتحقيق التكامل الانتاجي بين البلاد العربية ، وأورد احصائية نشرها صندوق النقد الدولي عام ١٩٧٠ عن الاموال العربية المستثمرة في الخارج ٠ وهذه الاحصائية تبين ان هـذه الاموال كافية تماما للتغلب على مشكلة ندرة رؤوس الاموال المنتجة في البلاد العربية ، وهي على النحو التالي :

٧٥٠ مليون دولار ودائع مصرفية ومستندات وعقارات وذهب للافراد في سويسرا ٠

١٤٢٠ مليون دولار ودائع فردية في امريكا وبريطانيا ٠

٣٥٠ مليون دولار استثمارات عربية خاصة أخرى ٠

٧٠٠ مليون دولار لدى الشركات الخاصة ٠

١٥٠٠ مليون دولار لدى المصارف العربية ٠

٤٣٠٠ مليون دولار لدى الحكومات والمصارف المركزية ٠

٩٠٠٠ مليون دولار قيمة الاجمالي ٠

وفي الندوة تحدث المهندس مصطفى شعبان عن دور الاسمدة والبتروكيماويات من النـاحيتين المباشرة وغير المباشرة ٠ وقال ان هناك عـدة وسائل يمكن عن طريقها زيادة عائد البترول ، منها الاستفادة عن طريق تصنيع الخام قبل تسويقه ، ثم عن طريق التصنيع الكيماوي لبعض المنتجات ٠ وطالب بالتركيز على الغازات الطبيعية ، واستغلال مجال انتاج الاسمدة وهو مجال رحب وواسع أمام الدول العربية ٠ واكد انه ان لم تهتم الدول العربية بتنمية الخبرات الفنية اللازمة ، فانها لن تحقق تقدما اقتصاديا حقيقيا ٠ واقترح انشاء اقسام متخصصة في الجامعات لخدمة انتاج البترول ٠

وأكد لطفي الخولي ان الخبرة المصرية قد اثبتت فاعليتها وجدواها عند تصديرها الى البـلاد العربية ٠ وقال اننا لم نستطع حتى الان لاسباب كثيرة منها تباين النظم الاجتماعية والسياسية في المنطقة ، ان نستخدم البترول كأداة للعمـل السياسي ، رغم كل ما رفعناه من شعارات في هذا الصدد ٠ وتساءل عن السبب في انه رغم توافر البترول بكميات هائلة وتوافر الخبـرة الفنيـة العربية ، لم تتم تنمية علمية مخططة لهذه الصناعة الهامة والحيوية ، وطالب بتكوين كتلة بترولية عربيـة واحدة ٠ وركز طويـلا على اهميـة دور الفنيين وضرورة الوصول الى الصيغة التي تكفل تفاعل الفني مع الادارة في الوصول الى افضـل القرارات ، وتتيح التوفيق بين اهمية توفير مناخ صحي يردهر فيه الفني ويتقدم ، وجسـامة التضحيات المطلوبة من كل العاملين ٠ ونادى بدعم الرجل الفني حتى يستطيع مواجهته كل السلبيات بشجاعة ٠

والغريب انه في بداية الندوة عدد الدكتور عبد المحسن حمودة المتاعب التي يعاني منها الباحثون في مجال البترول بسبب ندرة البيانات أو حجب الهيئات المسئولة لها ٠ ولكنه في نهاية الندوة عاد فقال بتوافرها ، والسبب في ذلك أن الهيئـات العاملة في مجال البترول قدمت مع سير اعمال الندوة كثيرا من البيانات ووعدت بالمزيد ٠

وركز المهندس مصطفى موسى على أن الثروة الاساسية هي الانسان ، والح على ضرورة البحث العلمي وقال أن امريكا تصرف على البحث العلمي ٢ مليار دولار سنويا ٠ واعلن أن عمل الخبراء المصريين في البلاد العربية لا يدخل تحت باب تأجير الخبرة ، بل انه اداء لدور تفترضه الاخوة ولمصلحة المنطقة كلها ٠ وطالب مصطفى موسى بالتكامل الاقتصادي لتلبية الاحتياجات العربية ، فالقمح الذي تستهلكه المنطقة يمكن توفيره من زراعة المساحات المهملة في العراق وسـوريا والسودان ٠ واكد الدكتور طاهر الحديدي ان التفاهم العربي يجب أن يتم في مستويات ثلاث هي مستوى الدولة والمؤسسات والافراد ٠ وقال ان استغلال كافة طاقات البترول يفيد المجـالات الاقتصادية الاخرى ، فالاستزراع مثلا يعتمد في

نجاحه على البترول ومنتجاته • وطالب **وفيق عبد الرحمن** بانشاء بنك عربى للانشاء والتعمير ومنظمة عربية للبترول • واكد الدكتور **عبد الفتاح نجيب** ، ان كل العرب حتى التجار منهم مؤمنون فعلا بضرورة الوحدة الصناعية بين البلاد العربية واهمية التعاون العربى ، على الرغم من تباين اتجاهات حكوماتهم •

واعلن المرحوم الدكتور **عزت سلامة** – الذى توفى بعد الندوة – ان الموقع الجغرافى المتميز للعرب ، وموقعهم البترولى الممتاز لن يؤتى ثماره الا بالتجمع • وفى هذا الصدد قال الدكتور **حلمى مراد** أن التجمع العربى لابد وان يقوم على اساس المصالح لا العواطف • وتساءل عن السبب فى ان علاقاتنا ومصالحنا العربية تتأثر كثيرا بخلافاتنا السياسية ، فى حين ان علاقاتنا الخارجية تظل رغم الخلافات السياسية • وحذر من سعى شركات البترول الاجنبية للايقاع بين الدول العربية واثارة التنافس بينها ، واكد اهمية التفاهم والتعاون العربى فى مجال استخراج البترول •

والواقع ان القرارات التى توصلت اليها الندوة ، تصلح اطارا سليما وفعالا لسياسة بترولية يمكن أن تسهم حقا فى تحقيق تقدم العرب ورفعتهم ، وقد نصت هذه التوصيات على مايلى :

■ **فى مجال صناعة البترول :**

١ – توجيه العناية نحو تصنيع خامات البترول ، والاستفادة من الغازات بدلا من حرقها •

٢ – النظر الى البترول باعتباره مصدرا للنشاط الاقتصادى فى الاقطار العربية المنتجة له وليس مجرد مصدر للتمويل •

٣ – المبادرة باقامة الصناعات البترو كيماوية •

٤ – وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب فى صناعة البترول •

٥ – الاستماع الى راى المتخصصين وطرح المشروعات الهندسية للمناقشة فى نقابة المهندسين والجمعيات الهندسية وكليات الهندسة ، ومناقشة الجوانب الاخرى غير الهندسية خاصة الصناعية •

■ **فى مجال البحث العلمى :**

١ – تخصيص نسبة من ارباح شركات البترول للبحث العلمى •

٢ – توجيه البحوث العلمية نحو المشكلات التطبيقية التى تخدم صناعة البترول •

٣ – الربط بين معهد بحوث البترول التابع لاكاديمية العلوم والتكنولوجيا ، وبين وزارة البترول وبين الكليات والمعاهد الفنية المعنية بهندسة البترول •

٤ – اصدار نشرة علمية تضمن آخر البحوث المحلية والاجنبية فى البترول •

٥ – تشجيع الباحثين وتمكينهم من حضور المؤتمرات الدولية •

٦ – تيسير استيراد الكتب والدوريات العلمية فى شتى الموضوعات البترولية •

■ **فى مجال اعداد الاطارات الفنية :**

١ – يقوم قطاع البترول بتحديد احتياجاته من مهندسى البترول والفنيين العاملين فى مجاله وفقا لخطة موضوعة لمرحلة قادمة •

٢ – اعادة النظر فى وضع اقسام هندسة البترول والتعدين بالجامعات والمعهد العالى للبترول بما يكفل دعمها بالامكانيات اللازمة لحسن اعداد الخريجين ، ويقترح فى هذا الشأن انشاء معهد متكامل يتولى تدريس كافة جوانب صناعة البترول : الجيولوجية والالية والاقتصادية ، والتكرير والتصنيع والبتروكيماويات على غرار معهد باكو للبترول بالاتحاد السوفيتى :

٣ – الحرص على الحفاظ على الثروة البشرية الفنية بتوفير المناخ الملائم لانطلاقها لخدمة التنمية •

٤ – ضرورة مشاركة الجهات القائمة على صناعة البترول فى تخطيط برامج التعليم فى الكليات والمعاهد التى تعد المهندسين والفنيين فى البترول •

٥ – عقد ندوة لدراسة مشكلات التعليم الفنى بكافة مستوياته فى مصر العربية ، واسباب تزايد هجرة الكفايات الفنية وعلاجها •

٦ – اعتبار تدريب الكوادر الفنية من العاملين فى البترول ، وطلبة اقسام هندسة البترول بالجامعات والمعاهد ، من مسئولية شركات البترول •

٧ – محو الامية لاعداد العمال المؤهلين للعمل فى مجال البترول وغيره •

■ في مجال التعاون البترولي العربي :

١ ـ استخدام رأس المال العربي في اقامة المشروعات البترولية العربية بدلا من الاقتراض الاجنبي على ان يكفل له عائد لا يقل عما تقدمه له المصارف الاجنبية وتامينه من المخاطر غير الاقتصادية .

٢ ـ التنسيق العربي في مجال تسويق البترول ومنتجاته .

٣ ـ اقامة مركز لبحوث البترول على مستوى الدول العربية ، يدعم بنسبة من عوائد البترول العربي .

٤ ـ ابعاد تاثير الاعتبارات السياسية عن ميدان التعاون الفني والاقتصادي بين البلاد العربية .

٥ ـ التوصية بتكوين لجنة تحضيرية مؤقتة تقوم بالعمل على استمرار الحوار وتوسيعه .

وقد شكلت هذه اللجنة بالفعل ، وبدأت اجتماعها . كما قررت جمعية مهندسي البترول عقد ندوة أخرى في اوائل الشهر القادم لبحث مشاكل الطاقة عموما .

أحمد حجى .. وداعا

فقدت « **الطليعة** » في أول العام الجديد ، واحدا من زملائها المناضلين الشباب ، هو **الدكتور أحمد حجى** . وقد اقترن اسم أحمد حجى بالتجربة الثورية التى عرفتها قرية « **سندوب** » ، المتاخمة لمدينة المنصورة .. وهى تجربة العمل السياسى وسط الفلاحين ، عن طريق محو الامية .. فقد رأى أحمد حجى فى وقت مبكر أن امية الملايين من الفلاحين المصريين تشكل عقبة ضخمة أمام وعيهم بدورهم الثورى .. كذلك رأى أن هناك أسبابا اجتماعية وطبقية لنشأة هذه الظاهرة وتطورها الخطير . ومن ثم فقد وضع فى اعتباره منذ البداية ان العمل السياسى بين الفلاحين ، لابد وأن يبدأ بمحو جاد للامية ، اذا أريد لهذا العمل أن يكون ثوريا .

وقد كان من الطبيعى ان تصطدم تجربة احمد حجى بكثير من الصعاب التى تمتد جذورها الى أعماق التكوين البيروقراطى للقرية فى مختلف الاجهزة الادارية المهيمنة على مصائر الفلاحين . ولكنه ، بنضاله الدؤوب ، وايمانه الذى لا يكل ، افتتح بسندوب مدرسة لتعليم الرجال ، ضمت ١٥٠ دارسا ، ومدرسة اخرى للنساء ، ضمت ٣٠٠ دارسة ، ومدرسة ثالثة للعمال ، ضمت ٧٥ دارسا .. وبعد فترة من مواصلة التعليم ، أصدر أحمد حجى مجلة حائط طولها ٢٠ مترا ، وعرضها ٣ أمتار ، وقد ظلت توالى الصدور من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٩ ، حين أمر سكرتير عام محافظة الدقهلية السابق بوقف هذا النشاط بالقوة .

وكان الدكتور احمد حجى ، الذى ولد عام ١٩٤١ ، وتخرج فى كلية الطب البيطرى عام ١٩٦٧ ، قد جند بالجيش عام ١٩٦٨ ، ولكن دوره العسكرى كجندى خدمات طبية ، لم يشغله عن متابعة القضية التى نذر لها عمره ، فلم يكف عن دراستها وتعبئة الشباب من أجلها فى كتاباته المستمرة عن القرية ومحو الامية فى معظم منابر الصحافة المصرية ، وفى مقدمتها « الطليعة » .



ولقد كان « محو الامية » مجرد مدخل ـ عند أحمد حجى ـ للعمل الثورى ، ولكنه فى نفس الوقت اهتم اهتماما كبيرا بالادب والفن الذى يغذى وجدان الملايين من أبناء الشعب بروح الثورة . وقد ترك أحمد حجى قبل وفاته أربعة مخطوطات ، ندعو الى سرعة نشرها ، هى : « كلمات حول الادب والفن » ، و « دراسات حول محو الامية ومجلة الحائط » ، و « أدب الحرب » ، و « مذكرات جندى » .. ولكنه ترك قبل وبعد ذلك كله ، المثال الفريد الذى ضربه فى حياته حتى الموت

« **الطليعة** »

مكتبة الطليعة

■ النقابات والصراع الطبقي

■ نظريات الرأسمالية الموجهة

النقابات والصراع الطبقي

■ تأليف :

هنرى كراسوكى

■ عرض :

كمال السيد

■ الناشر :

المنشورات الاجتماعية

باريس ١٩٦٩

لكتاب هنرى كراسوكى اهمية خاصة فى توضيح كثير من المفاهيم الاساسية التى يحاول « الثوريون جدا » طمسها والمزايدة عليها ، بما يؤدى فى نهاية الامر الى اشاعة البلبلة ،وحرمان الطبقة العاملة من وضوح الرؤيا ومن تنظيماتها القوية والقادرة فعلا على اجراء تغيير حقيقى فى المجتمع وقطع الطريق على تلك التغييرات الشكلية التى تؤدى فى التحليل الاخير الى تخليد الاوضاع القائمة .

وفى المقدمة التى كتبها **جورج سيجوى** ، السكرتير العام للاتحاد العام للعمال الفرنسى ، يوضح أن البرجوازية كانت تعتمد من قبل على العنف أساسا لسحق النضال العمالى ، ولكنها الان لم تعد قادرة على اللجوء الى مثل تلك الوسائل، وبالطبع لايعنى هذا ان الطبقة العاملة وتنظيماتها قد أصبحت بمنجاة من التعرض .

« لاختبارات مأساوية تؤدى الى دكتاتوريات فاشية وعسكرية » .

ومع ذلك فانه فى ظروف الصراع الطبقى ، تكسب « **معركة الافكار** » أهمية متزايدة فى وقتنا الراهن . ذلك ان القابضين على السلطة ، فى دفاعهم عن ايديولوجيتهم القائلة بتعاون الطبقات، يهتمون كثيرا بوسائل الاعلام الحديثة ، خاصة

المسموعة والمرئية مثلما يهتموت بوسائل القمع التقليدية : البوليس والجيش ، الخ ..

ويؤكد سيجوى أن البرجوازية خوفا من التفاف الجماهير المقهورة حول افكار الصراع الطبقى والاسهام فيه ، تحاول استخدام من يسمون باليساريين ، حيث انها لا تستطيع استخدام اليمين ابان المد الثورى ، فتجند الفوضويين والتروتسكيين ومن على شاكلتهم ، كعملاء استفزازيين ومخربين لصفوف العمال. ويكفل هذا لها مكسبا مزدوجا ، اذ يؤدى الى اشاعة البلبلة بين العمال ، وتقسيم صفوفهم ، وجرهم الى الاستفزازات وعزلهم عن الفئات الاخرى من السكان العاملين . وهكذا رفعت شعارات مثل : السلطة العمالية ، والادارة المشتركة ، والذاتية ، والمشاركة ، وتم تصوير المطالب الاقتصادية العمالية بأنها « رذائل جبانة» لمجتمع الاستهلاك . واستخرجوا من أرشيف النقابية الفوضوية ، افكارا كانت قد أدينت فى حينها ، تقول بأن النقابات يمكن أن تنهض بكل المهام ، السياسية والاقتصادية ، وأن الاقلية المتحركة يمكن أن تحل محل الاجهزة النقابية المتحجرة .

ولكل هذا يصبح توضيح المفاهيم السليمة مهمة أساسية لانتصار الطبقة العاملة . وفى هذا الصدد تعتبر المقالات التى كان قد نشرها **هنرى كراسوكى** فى « الحياة العمالية » و « الوضوح الجديد »، نموذجا للاسلوب الذى يمكن به تناول الموضوعات الاساسية بأسلوب سهل ، ومفهوم للجماهير التى تفكر فى هذه الموضوعات وتتساءل حولها وتسعى لفهمها . ورغم أن الموضوعات التى تناولها الكاتب ذات أهمية خاصة ، فان الحجج التى ساقها وطريقة الشرح ، هى فى متناول الجميع وخاصة العمال والطلاب. ويؤكد **سيجوى أن هذا الكتيب . يرد على عديد من** الاسئلة التى تشغل بال العمال فى الفترة الراهنة ، ومن هنا تتأكد اهميته ، حيث إن مستقبل الحركة النقابية يتوقف على تطور الوعى الطبقى للعمال الذى يؤدى الى القضاء على العقبات التى مازالت تعوق توحيدهم .

وفى القسم الاول من كتابه وعنوانه «**الكلمات والاشياء**» يؤكد **كراسوكى** أن الازمة قد دفعت كثيرا من العمال وغيرهم من الفئات الاجتماعية ، الى أن يفكروا فيما يتجاوز المطالب الاقتصادية الفئوية ؟ وأن يبحثوا عن حلول أطول اجلا لمشاكل مجتمع رأوه مريضا ليس له شفاء .

وازاء هذا روجت البرجوازية وعملائها لشعارات مثل « **السلطة النقابية** »، بل وصف البعض **ديجول** بأنه ثورى على طريقته الخاصة» . وعلى أية حال فان كل هذا يبين ان المجتمع الرأسمالى ، قد أصبح وجوده ذاته محل بحث ونقاش عام ، باعتباره مسئولا عن كافة المظالم والصعوبات والخوف من الغد .

ولكن كما يقول **كراسوكى : لا يكفى أن يزعم احد الناس انه يغير المجتمع ليصبح هذا حقيقيا، ولا يكفى ان يقول انسان عن نفسه انه ثورى ليصبح كذلك . فالامر الجديد والاكثر اهمية والذى يتعين ابرازه ليس هو البلبلة التى يحاولون اثارتها ، وليس افتقاد الرؤيا الواضحة لدى كثيرين ممن بدأوا يكتشفون الواقع الاجتماعى كما هو . وانما الامر الاكثر أهمية هو انه ليست الاقلية المتقدمة وحدها هى التى تهتم بهذه المسائل ، ولكن جماهير عريضة تبحث وتنقب عن طريقها .**

واذا كانت قضية تغيير المجتمع ، قضية يطرحها الجميع فالسؤال هو : تغييره الى أى شىء ، وكيف ، وعن ؟

وفى فصل عن « **الصراع الطبقى** » يؤكد الكاتب **الحاجة الى وضوح المفاهيم الاولية والتعريفات ، فقد كثر الحديث عن المجتمع الصناعى ، وعن مجتمع الاستهلاك ، والاسم الحقيقى لهذين هو : المجتمع الراسمالى « فمن الجنون ألا تسمى القطة باسمها »** . والنقد الموجه اليه من « **الثوريين جدا**» يقتصر على انه يفرط فى الاعلان ، والتأثير فى الروح وانه حضارة ميكانيكية . وكل هذا حسن ولكن يجب أن نضيف انه يشمل ايضا : البطالة ، الغبن الاجتماعى ، الحرب ، الخ ، فالامر الذى يحدد نظاما اقتصاديا واجتماعيا ما ، هو ملكية وسائل الانتاج والتبادل ، ومن ثم طبيعة العلاقات الانتاجية القائمة فيه . فالذى يميز الراسمالى ، ليس انه طيب أو شرير ، مؤدب أو وقح ، بل « وظيفته » فى النظام. اذ لا يمكنك أن تكون راسماليا دون استغلال للعمال أو أن تستغلهم بقدر، بل بأقصى ما تستطيع .

كذلك يروج البعض لافكار تثير البلبلة حول الطبقة العاملة . فالبعض يقول انها لم تعد

قائمة ؟ ويقول آخرون انها « تبرجزت » وذلك لانها « انتقلت من استخدام مصباح البترول الى استخدام المصباح الكهربائى » . ولكن الذى يميز الطبقة العاملة هو دورها ووضعها فى الانتاج ، انها طبقة محرومة من ملكية وسائل الانتاج ومضطرة الى أن تبيع قوة عملها لكى تعيش ، وثمرة جهدها لا ترجع لها ، أو للمجتمع . بل ترجع لاقلية من المستغلين .

ويوضح **كراسوكى** أن الصراع الطبقى ليس اختراعا أو اختيارا ، بل انه واقع قائم ، انه أسلوب حياة حتمى فى مجتمع مقسم الى طبقات ومصالح متعارضة .

ومع تسليم الجميع بضرورة التغيير ، يقدم البعض فكرة « المشاركة » ، خاصة أولئك الذين فى السلطة . ويمكن تلخيص مقولة **ديجول** وخلفائه فى هذا الصدد كالاتى : الرأسمالية ليست طيبة (وهذا اعتراف حديث) والاشتراكية ليست أحسن حالا منها (وليس فى هذا ما يدعو للاندهاش) ومن ثم يتعين البحث عن طريق ثالث ، وهو « المشاركة » . ولكن الرأسمالية والاشتراكية نظامين اجتماعيين واقتصاديين يقوم أولهما على الملكية الخاصة ، والثانى على الملكية الجماعية ، فما الذى تقوم عليه « المشاركة » ؟ اننا جميعا نعرف أنه المستوى القومى ، تتحدد أمور الاقتصاد بواسطة ممثلى الشركات الرأسمالية وممثلى السلطة ممن يعملون لحسابهم . ولا يختلف الامر كثيرا على نطاق المشروع . فالمشاركة على نطاق المشروع حسب تصريحات **ديجول** ، هى نظام للحوافز التى تحددها لائحة ، واستطلاع رأى العاملين ، وحق تقديم الاقتراحات « وهذا الاختراع الجميل موجود منذ مدة طويلة فى أمريكا ، لقد أصموا به آذاننا منذ ما يزيد عن عشرين عاما . انهم يدعونه « الرأسمالية الشعبية » أو « الديمقراطية » و« العلاقات الانسانية » فماذا كانت النتيجة ؟ . هل أصبح الرأسماليون الامريكيون اقل رأسمالية ؟ واقل سيطرة ؟ هل أصبح العمال ملاكا ومديرين للمشروعات ؟ » كذلك ليس هناك مايسمى استطلاع الرأى ، فالعمال فى هذا لن يكونوا أحسن حالا من المساهمين ، وأيضا فان حق تقديم الاقتراحات مجرد لغو وكلام ، ما دام الرأسماليون هم المسيطرون وهم الذين يقررون . أما الحوافز فهى ان وجدت تكون تافهة وضئيلة ومعقدة . وفيما يتعلق بمكافأة العاملين ، فان الشىء الاساسى هو الاجر نفسه ، ذلك هو موضوع الصراع والنضال . لا المكافآت الاضافية أو ما يسمونه حوافز .

وعن **الاشتراك** فى الادارة يقول الكاتب أنها تعنى « **الادارة مع ..** » **مع من** ؟ ذلك هو السؤال : بالطبع مع الرأسماليين . وفى فرنسا يتحدثون كثيرا عن « **سلطة أرباب الاعمال** » ووجوب تأكيدها ، بحجة ضمان وحدة القيادة (السلطة لا تنقسم) وبحجة ضمان مبادرة المشروع . ان « **الادارة مع أو الادارة المشتركة** » لا تكون بين العمل والرأسماليين ، بل بين هؤلاء الاخيرين وبعضهم البعض ، ليتمكنوا من السيطرة على الاقتصاد كله . **وليس هناك** مجال للاشتراك فى الادارة الا بعد القضاء على الملكية الخاصة ، مصدر الانفراد : بالارباح وبالادارة وباتخاذ القرارات ، الخ .

كذلك يكثر الحديث عن « **الادارة الذاتية** » . ففى مايو — يونيو ١٩٦٨ ، قامت حملة ضد الاتحاد العام للعمال تلومه على الاهتمام بالمطالب « الغذائية » و « الكمية » ، أى ما نسميه تحسين مستوى معيشة العامل . واشتد النقد لذلك التنظيم الذى يهتم بهذه التفاهات .

واذا كانت الادارة المشتركة تعنى الادارة مع الرأسماليين ، فان الادارة الذاتية تعنى الادارة **بدون** هؤلاء الرأسماليين ، ولكن كيف يتسنى هذا والمشاريع ووسائل الانتاج جميعا مملوكة لهم بأكملها ، فضلا عن سيطرتهم على جهاز الدولة والحكم ؟ هل بأن نرجوهم أن يدعونا نفعل ذلك ؟

ان انصار الادارة الذاتية صم بكم لا يسمعون هذا السؤال . ان المشكلة الحقيقية هى تغيير النظام كله ، لاترقيعه بحلول غير واقعية . ان الامر لا يتعلق بطرح **أسلوب الادارة** ، بل بمسألة ملكية وسائل الانتاج الرئيسية وسلطات الدولة ، « **ان المجتمع منذ أن يكف عن أن يكون خاضعا لقلة من السادة تسيطر عليه ، يتحول تدريجيا الى مجتمع يدير نفسه ، ويدبر شئونه بنفسه ، بطريقة جماعية ، أى مجتمع يدير نفسه ذاتيا** » **وحتى فى مجتمع اشتراكى متطور ، قد لا تكون هناك ادارة ذاتية حقيقية للمشروعات ، بمعنى ادارتها بطريقة مستقلة تماما بواسطة الذين يعملون بها ، لان الاقتصاد الحديث لن يرتد الى التجزئة . ومن ثم فعلى نطاق المجموع يمكن الحديث ذات يوم عن الادارة الذاتية للمجتمع .**

ويوضح الكاتب أن هناك عبارات يعتبر ترديدها من قبيل « **الموضة** » ، مثل كلمة

السلطة . والسلطة هى أو لا سلطة الدولة ؟ أى ادارة الجهاز السيــاسى، والادارى ، والقمعى والايديولوجى ، والاقتصادى والمالى . وسلطة الدولة هى الوسيلة الحاسمة فى اقامة نظام اجتماعى محدد والحفاظ عليه. ولقد اضفت البورجوازية على الدولة درجة من الكمال والفاعلية لم يكن لها مثيل من قبــل ، وذلــك بهدفين : سحق الاغلبية ، ومواجهة مقتضيات التــدخل الاقتصــادى . واعتراض بعض الرأسماليين على أفعال للدولة ، ليس موجها الى الجهاز ذاته ، وانما الى تضحيتهــا بمصالحهم لحساب رأســماليين آخــرين . **وانفــراد الرأسماليين بالسلطة السـياسية ، يؤدى الى تجميع قوى معارضــة كبـيرة تبــدأ فى الوعى بمصالحها المشتركة فى التصدى لهذه السلطة . وليس هناك اى مجال للحديث عن تغيير المجتمع دون تغيير السلطة فيه .**

اما الاشتراكية فقــد اصبحت « **مطلبا** » **للجميع** . لقد أصبحت هى الفكرية الشــعبية السائدة ، واكتسبت انتشارا واسعا . ولكن هذا ليس سببا لاعتبار « ان كل ما له رنين نقودا» .

ويذكر الكاتب انه فى صــباه أيام الجبهــة الشعبية كان يشاهد لافتات مثل « محل أنتل ضد غــلاء المعيشــة » يبيــع بنفس الاسعار طبعا . « ففى النضال الاجتماعى هناك دائما تجار التضليل والبلبلة ، على استعداد لتبنى اى شعار « ليكونوا فى الصورة » ولكن على العمال فضح هؤلاء »

ان الاشتراكية الحقيقية مرحلة ضرورية فى مسيرة المجتمع ، لابد وأن تخلف الرأســمالية والشرط الاساسى لقيام الاشتراكية هو الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والتبادل وتولى الطبقة العاملة لسلطة الدولة فى تحالف مع غيرها من الفئات الاجتماعية التى لها مصلحة فــى الاشتراكية ، وبدون هذا لن تقوم لها قائمة ، ومن المفهوم طبعا أن طرق واساليب بنائها لابد وأن يتفق تماما مع الظروف السائدة فى البلد الذى يأخذ بها ومع تقاليده . ويقول الكاتب انه رغم الايمان بالاشتراكية فــان اتحــاد العمال هو « تنظيم نقابى جماهيرى ، لايشــترط اعتناق الاشتراكية للانضمام اليه . وان كنا ندرك جيدا أن الحركة النقابية الفرنسية ، بأصالتها وطابعها المستقل ستساهم حتما فى بناء ذلك المجتمع »

اما فكرة « السلطة العمالية » فلها عنــده معنيان : فهى تعنى عنــد البعض الســلطة العمالية فى المشروع الى جانب السلطة الطلابية فى الجامعة ، الخ . وعند البعض الاخر لها معنى اكثر عمومية . وهو أن تكون سلطة الدولة عمالية ، وعمالية فقط ، وهذا هو ما يركز عليه فيقول ان الاشتراكية وان كانت سلطة الطبقة العــاملة ، لكنها ليست ســلطتها وحــدها . والقول بهذا يؤدى الى تجاهل واقــع المجتــمع المعــاصر وشروط وضرورات الاســـتيلاء على تلك السلطة . أن المجتمع يضم فئات أخــرى **عاملة ، غير العمال ، فعدد الاجراء يتزايد دوما، انهم يمثلون ثلاثة ارباع العاملين فى البلاد فقد تزايد عدد الذين يخشون الرأسمالية والذيــن يضطرد استعدادهم العمل ضــدها ، من المهنيين والموظفين والمثقفين وكذلك صغار الفلاحين** ومتوسطيهم . **والطبقة العــاملة هى القــوة** الرئيسية فى عملية التغيير التقدمى للمجتمع ، **وفى تحويله الاشتراكى ، ولكنها ليست القوة الوحيدة التى تهتم بهذا . فالطبقة العــاملة فى مواجهتها للاحتكارات ودولتها لن تســتطيع وحدها ، وهى معزولة عن بقية السكان العاملين ، أن تصل الى هدفها . لقــد تحــدث ماركس عن ضرورة التحالف للطبقة العــاملة مع « كورس دونه يصبح عزفها المنفرد اغنيــة جنائزية** » كما تمكن **هتلر** بالاعتماد على الطبقة المتوسطة ، فى مواجهة طبقة عاملة مقسمة من ان يقيم نظامه الفاشى . **أن الهدف ليس اقامة** سلطة عمالية منفردة بل سلطة مشــتركة ديمقراطية شعبية قائمة على أساس الوحــدة الضرورية لا الاستيلاء على السلطة فحسب بل للبناء المشــترك »

وعندما يتحدث **ديجول** ومن بعده **بومبيدو** عن ضرورة تغيير المجتمع ، يقــدمون حلولا علــى حساب الطبقــة العــاملة ، طالما بقى الاقتصاد خاضعا لقلة من الرأسماليين .. وهناك سؤال جوهرى ، لماذا تصــادر أقلية ضئيلة كــل هذه الثروات والطاقات وتستخدمها لحسابها ؟ ان المجتمع لا يستطيع دون الاستيلاء على « هذه الروافــع » أن يصــبح سيد نفســه . ولهذا السبب يطالب الاتحــاد العام للعمال بالتأميم ، حتى يصبح فىمقدور الامة أن تدير الاقتصاد وفق خطة حقيقية تكفل لها التقدم الاجتمــاعى والاقتصادى. ومن المفهوم طبعا انتأميم القطاعات القــائدة لا ينفصــل عن ادارتهــا ديمقراطيا ؛ يمكن أن تقوم ادارة ثلاثية تمثل الدولة والعمال والمستهلكين . كذلك لابد من مقرطة الخطة ، مقرطة وضعها وتنفيذها ومتابعتها ، وضــمان مشاركة فعالة للنقابات . ويقول الكاتب انه لمنع الاحتكارات الراسمالية من السيطرة ، يتعيــن ايضا منعها من التسلط على الحياة السياسية ،

واقامة سلطة موجهة لخدمة الجماهير ومعتمدة عليها وفى رأيه أن مثل هذا التغيير متاح فمن زاوية القوى الاجتماعية هناك الطبقة العاملة ، بعمـــالها اليـــدويين والذهنييـــن ، والطبقات الاجتماعية التى تقهرها السـياسة الحالية ــ والطبقة المتوسطة فى المدينة وفى الريف .. أما التعبير السياسى لتحقيق ذلـك ، فيتمثل فى تحالف الاحزاب اليسارية والنقابات وهذا أمر ممكن تماما وضرورى للانتصار وللبناء ، وهذا التحالف يتم على أساس برنامج مشترك لا لبس فيه ولا غموض ، موجه ضد الاحتكارات الرأسمالية ومن أجل سياسة اجتماعية تخدم العمال ويؤكد كراسوكى ان الاتحاد العام للعمال على استعداد تام للمشاركة فى هذا الحلف ، بل انه فى هذا لا يدخر جهدا أو طاقة .

وفى فصل عن **الاتحاد العام للعمال الفرنسى، يقول الكاتب ، انه تنظيم جمـاهيرى ، تنظيم طبـــقى ، تنظـــيم ديمقراطى أســـاس وجوده هو المصالح المشتركة وليس الاشتراك فى عقيدة . ومن البديهى أن المصالح المشتركة تقوم على أساس الصراع الطبقى ، أنه علـى خـلاف الحزب السياسى ، الذى لا يريد ولا يستطيع أن يضم فى صفوفه كل أو غالبية الطبقـة يحاول تجميع كل من لهم نفس المصلحة حتى ولو كانت بينهم خلافات أيديولوجية »** .

وبالطبع هناك جوانب أيديولوجية فى عمل النقابة فهى تعبر عن المصالح التى قامت عليها فالنقابة العمالية مثلا ، عليها أن تدافع عـن المطالب الاقتصادية للعمال أولا .. وهذا يقتضى الماما بواقع المجتمع الرأسمالى ، صراع الطبقات فيه، وعـلاقات الانتاج الخ.. كذلك فان للعمل النقابى جوانبه السياسية ، فالنضال ضد أرباب الاعمال يقتضى التصدى لدولتهم والنضـال فى سـبيل المطالب الاقتصـادية لا يؤدى بذاتـه الى الغاء الاستغلال .

والحق أن الكتاب ملىء بنشـاط المناقشـة والجدل ، التى توضح بحق وبعمق كثـيرا من المفاهيم الاساسية ، التى تسعى الرأسـمالية الفرنسية بكل طاقتها لطمسـها مسـتعينة فى ذلك « باليساريين جدا » .



نظـريات الرأسـمالية الموجهـة

مجمـوعة دراســات بأشراف أ. غ . بليـومين
الحاصل على درجة الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية

■ ترجمة :

م.م طبيخة

■ عرض وتحليل :

اسعـد صموئيل

■ الناشر :

دار الفارابى ١٩٦٩

ان نقـد ودحض النظـريات الاقتصـادية الميتافيزيقية يشكلان عنصرا من أهم عناصر النضال ضد الايديولوجية المعادية للعلم .

فالنظرية المتعلقة باقتصاديات الرأسـمالية الراهنة تتمتع برواج كبير ليس فقط لـدى البورجوازيات بكل شرائحها الكبيـرة منهـا والصغيرة ، بل هى ايضا منتشرة بين قطاعات من الطبقة العاملة عبر نشـاطات الاشـتراكيين اليمينيين . ومثل هذه النظريات تروج على نطاق واسع فى البلدان الرأسمالية ، وتغذى أوهاما تزعم بأن البطالة الكثيفة والازمات الاقتصادية لفائض الانتاج هى شىء من متاع الماضى ، وان تغييرا « أساسيا » قد حدث فى توزيع الملكية ، وخاصة فى « انتشارها » و « اشاعة الديمقراطية »

فيها ، وان الدول البورجوازية الراهنة تهدف الى ايجاد « الرفاهية العامة » الخ ٠

وهذا الوهم يبنى على التجاهل والتحريف الواعى للوجه الاساسى والاهم للرأسمالية المعاصرة ، لاشد جذورها الاقتصادية عمقا وهو سيطرة الاحتكارات ، وان مختلف النظريات الاقتصادية الموجودة فى الكتابات البورجوازية ، تخدم فقط هدفا عاما واحدا هو تبرير وتزيين الرأسمالية الراهنة من أجل تضليل وعى الطبقة العاملة وتقويض نشاطها وارادتها فى النضال دفاعا عن حقوقها وحريتها ٠

ان احدى الوسائل الاساسية لتزيين الصورة التى تعطيها الرأسمالية المعاصرة هى اطراء التدخل الاقتصادى للدولة البورجوازية ٠

فى فترة رأسمالية ما قبل الاحتكارية ، أى حوالى نهاية القرن ، اجمع مادحو الرأسمالية ، بصورة أساسية ، على تمجيد القوة الداخلية للرأسمالية ٠ وقد اعلنت الاغلبية الكبرى للاقتصاديين البورجوازيين أن المنافسة الحرة تشكل أفضل ضابط تلقائى للانتاج ٠ وقد صورت الازمات والبطالة بأنها اضطرابات عرضية فى عملية الالية « المثالية » للرأسمالية ٠ وكانت غالبية الاقتصاديين البورجوازيين تنظر الى تدخل الحكومة فى الاقتصاد باعتباره شرا يجب أن يحصر الى أدنى حد ٠

وقد أفلست النظرية المتفائلة افلاسا تاما فى مواجهة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية التى لم يسبق لها مثيل ، تناقضات فترة الازمة العامة للرأسمالية ، وهى فترة وقع فيها النظام الاقتصادى العالمى فى عزلة ٠ وفى مثل هذه الظروف اصبح من المستحيل اخفاء ظاهرات وخيمة العواقب مثل الازمة الاقتصادية والبطالة ٠ واضطر الاقتصاديون البورجوازيون للاعتراف بأن العملية التلقائية للقوى الداخلية للرأسمالية لا تستطيع القضاء على الازمات والبطالة ٠ وقد اضطروا للتخلى عن الاراء السابقة التى نادى بها مادحو الرأسمالية ٠ وكان عليهم ايجاد مبالغات جديدة لا تمجد القوى الداخلية للرأسمالية ، بل دور الدولة البورجوازية كمنقذ للاقتصاد الرأسمالى ٠ وقد أصبح الثناء على تدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية واحدا من اكبر الاتجاهات فى السياسة الاقتصادية للبورجوازية الحديثة ٠

ان اللجوء الى الدولة باعتبارها قوة قادرة على ايجاد تطور طبيعى للاقتصاد الرأسمالى ، يشكل بحد ذاته دليلا واضحا على الازمات التى تمسك اليوم بخناق السياسة الاقتصادية للبورجوازية ٠

ويبين التاريخ ان البورجوازية قد استخدمت استخداما واسعا تدخل الدولة فى الاقتصاد فى فجر التطور الرأسمالى ، فى فترة التراكم الرأسمالى الاولية ٠ ولم تكد تنشأ القواعد المادية والتكنيكية المرتبطة بالرأسمالية ، ولم تكد البورجوازية تتحصن بقوة ، حتى نبذت الاشكال القديمة لتدخل الدولة التى اتسمت بها فترة المتاجرة ، واتجهت نحو سياسة ترك الامور تجرى على طبيعتها (سياسة التجارة الحرة) ، وقد كانت معارضة السياسة الاقتصادية الكلاسيكية لتدخل الدولة فى الاقتصاد انعكاسا ليقين البورجوازية بأنها تستطيع ادارة شئونها بصورة جيدة تماما دون اللجوء الى مساعدة الدولة ٠ وقد عكس الدفاع عن سياسة ترك الامور تسير فى مجراها ، "اليقين فى تفوق القوانين الاقتصادية للرأسمالية التى كانت تتحقق فى التنافس العفوى للرأسمالية ، وعملت بصورة مستقلة عن السياسة الاقتصادية للدولة ٠

وفى عهد الامبريالية والازمة العامة للرأسمالية ، اعادت البورجوازية النظر فى الوظيفة الاقتصادية للدولة ٠ وقد ضربت عرض الحائط بمعارضة تدخل الدولة ولجأت الى تدخل أعظم من قبلها ٠ ان اعادة النظر هذه هى دليل ضعف أكثر مما هى دليل قوة ، لانها برهنت على أن البورجوازية لم تعد تعتبر نفسها قادرة على التغلب على مصاعبها الاقتصادية بمفردها ، بل يتوجب عليها اللجوء الى تدابير استثنائية ٠

وتشكل النظريات الاقتصادية الراهنة محاولة لتنسيق السياسة الاقتصادية البورجوازية مع ظروف رأسمالية الدولة الاحتكارية ٠ ويشكل ذلك انعكاسا مباشرا لوظيفة الدولة البورجوازية التى اتسعت اتساعا كبيرا ٠ ومع ذلك فان الاقتصاديين البورجوازيين يزيفون هذا الاتجاه الحقيقى ٠ فهم يخفون الواقع الاساسى والحاسم : الصلة بين التدخل المتعاظم للدولة فى الاقتصاد وبين الاحتكارات الرأسمالية الكلية القدرة ٠ ولا يقول مادحو الرأسمالية شيئا عن استخدام الاحتكارات لمكنة الدولة من أجل تشديد استثمار (الشغيلة) داخل بلدانها وخارجها ٠ وهم يتجنبون أية اشارة الى استخدام الطغمة المالية لميزانية الحكومة باعتبارها مصدرا اضافيا للارباح الاحتكارية الضخمة بوساطة الضرائب والاعانات ٠ وفضلا عن ذلك فهم يتغاضون عن الممارسات الامبريالية النموذجية فى التوسع الخارجى فى البلدان

التابعة ، كفرض شروط اعتمادات مجحفة وشروط تجارة قاسية ، وكذلك انتزاع تنازلات وامتيازات اخرى .

ان ايديولوجيي الراسمالية المعاصرين يعطون للدولة البورجوازية وظيفة غريبة عنها تماما : ادارة الاقتصاد كله . وهم يزرعون الوهم بين الجماهير بان الدولة ودعوة الى اصلاح « نواقص » العملية التلقائية للالية الرأسمالية .. أن الاقتصادي الامريكي هـ . باتون يعطي للدولة المهمة التالية : « يتوجب على الدولة أن تأخذ على عاتقها وظيفة التعويض عن نواقص الاقتصاد الخاص بنشاطات تقوم بها مثل زيادة دينها بوساطة الانفاق ، وتوظيف مبالغ اكبر مما يمكنها الحصول عليه من دخلها العادي (١) . ويشير الاقتصاديون البورجوازيون بصورة خاصة الى أنه يتوجب على الدولة أن تعالج العجز في القوة الشرائية بالنسبة للانتاج ، بوساطة زيادة النفقات . وقد كتب جون . م . كلارك مثلا : « .. إذا كان الانفاق الخاص غير كاف » ، فان أبسط واوضح وسيلة هي أن « تسد الحكومة الثغرة بأن تنفق مبالغ أكبر

ويعتقد عدد كبير من الايديولوجيين البورجوازيين أنه يتوجب على الدولة أن تتكفل بالخسائر الناتجة أثناء الازمة،وبصورة عامة تلك التي تنتج عن فوضى الانتاج الرأسمالي . وقد ذكر الاقتصادي الامريكي جورج ستاينر ، في بحث خاص ، حول دور الحكومة في الحياة الاقتصادية ، أن أهم وظيفة للدولة البورجوازية هي : « تحميل الاخطار للمجتمع » . وهو يعني بذلك « تحمل الحكومة بدلا من الافراد الخطر المرتبط بعملية النظام الاقتصادي » (٢) .

ويرسم الايديولوجيون البورجوازيون صورة مشوهة تماما لتدخل الدولة في الاقتصاد ، فهدف مثل هذا التدخل بزعمهم هو القضاء على البطالة ، وتحقيق «الاستخدام الكامل»، وتخفيض اللامساواة في الملكية ، ومكافحة الاحتكارات . ويصور تدخل الدولة كوسيلة من أجل « إتقان » الرأسمالية ، والقضاء على تناقضاتها ، و« تحويلها » الى نظام اجتماعي اكثر عدلا .

ويعلق الاقتصاديون البورجوازيون أهمية كبيرة على التوجيه الاقتصادي للدولة من أجل التغلب على أزمات فائض الانتاج . وهم حين يعتبرون رغباتهم كحقيقة واقعة ، ويصورون « القضاء » على الازمة الاقتصادية باعتباره « الانجاز » الرئيسي لراسمالية اليوم ، الانجاز الذي يميزها حسب زعمهم عن رأسمالية الماضي . وهم يعلنون حلول عهد جديد لراسمالية « بلا ازمات » . ويقدم ر . حفيظوف في الدراسة الاولى من هذه الدراسات نقدا للاقتراحات النظرية التي تستند اليها مختلف البرامج المضادة للازمات في دراسة بعنوان « انتقاد لبعض الاقتراحات الاساسية التي تستند الى نظريات « الراسمالية الموجهة » .

وبالاضافة الى الخطر الذي تشكله أزمات فائض الانتاج ، فان رأسمالية اليوم تواجه قضية التضخم النقدي . فان الاوجه العامة في الحياة البورجوازية اليوم تقع بين نارين ، نار الازمة ونار التضخم النقدي . وفي أوقات مختلفة (وفقا للظروف الاقتصادية) فان البرامج المضادة للازمات ، والبرامج المضادة للتضخم النقدي،تعطى الاولوية بالتناوب .

وتقدم اي . اوساد شايا في الدراسة الثانية دراسة بعنوان « قضايا وقف التضخم النقدي كما يعالجها الاقتصاديون الامريكيون ، نقدا للنظريات البورجوازية حول التضخم النقدي وحول البرامج المضادة للتضخم النقدي .

ويعطي الاقتصاديون البورجوازيون اولويةكبرى في برامجهم للتداول النقدي ولميزانية الحكومة . وهم يشددون بصورة خاصة على نفقات الحكومة من أجل التعويض عن الطلب غير الكافي من قبل الافراد ، باعتبار ذلك وسيلة اساسية لمكافحة الازمات الاقتصادية . ان المسائل المتعلقة بالنقد وسياسة الموازنة تعطى اليوم الاولوية الكبرى . فان هانش مثلا ، يصف السياسة المالية والضرائبية باعتبارها « جهاز القيادة » في المجتمع الحديث (٣) والبرامج النقدية والضريبية

---

[١] هـ . باتون ، الاقتصاد الامريكي١٩٥٣ ص ٣٦٥ .

[٢] ج . ا . ستاينر ، دور الحكومة في الحياة الاقتصادية ، نيويورك ،١٩٥٣ ، ص ١٣٧ .

[٣] هـ . هـ . هانش ، نظرية النقد والسياسة الضريبية ، نيويورك ١٩٤٩ ، ص ١٨٣ .

مناقشات مفتوحة

التكنولوجيا والخطوط المتقاطعة

فخرى لبيب

جاء فى مقال للاستاذ محمد سيد أحمد تحت عنوان « الابعاد الثلاثة فى الصراعات على النطاق الدولى » بعض الافكار ، التى وجدت أنه يجب تناولها بالمناقشة ، حيث أنها تشكل من وجهة نظرى ، منطلقا منهجيا أو فلسفيا جانبه الصواب ٠

انه يبدأ تحليلــه للاحداث بمنهج الالتقــاط او الالتقاط بطريقة منهجية ٠ وفى ذلك الصدد يلتقط حدثين : هما دخول الصين الشعبية والمانيا المنظمة الدولية » ، ثم يتناول « السمات المميزة لهــذه الطفرة الكيفية » على انها تتم فى « وضعية عالمية يسودها السلم عموما بلا منتصر حاسم فيها ، ولا مهزوم حاسم فيها » ٠ أى حالة تحكمها « الميوعة » والضباب فلا تبين منها احتمالات ترجيح التطورات المستقبلية ٠

ومنهج الالتقاط ينتزع الحدث قسرا من بيئته ، يمزق مقدماته ومكوناته وينهى امتداداته المقبلة ، أى يلغى حركة الحدث ، وهو بذلك يقدمه بطريقة تعسفية تخدم فكرة مسبقة ، بدلا من المنهج الجدلى الذى يقوم على التحليل العلمى للحقائق القائمة بالفعل فى حركتها وترابطها ٠

وبذلك تبدو أمــامنا « طفرة كيفيــة » دون مقدمات ، أى تغيير كيفى دون تغييرات كمية أدت اليه ٠ ثم تظهر هذه « الطفرة الكيفية » فى ظروف شديدة الميوعة ، فى حين ان التغيير الكيفى يتم عندما تبلغ العوامل المحيطة قمة مواتاتهـا حتى تصل التغييرات الكمية الى مستوى التغييـر الكيفى ٠ وحدوث التغيير الكيفى انتصار ، انتصار للقوى التى ادت اليه وهزيمة للقوى التى حاولت تعويقه ٠ وتحقيق التغيير الكيفى ، لا يعنى نهاية العوامل التى ادت اليه ، بل انه هو نفسه يغدو اضافة جديدة وهائلة ، تدفع بتيار التغييـرات الكمية الى التقدم ، أى أنه مؤشر للمستقبل ٠

وعلى ذلك فان دخول الصين الشعبية الامم المتحدة ، كذا التوصل الى حل مشكلة بـرلين وقضايا الحدود ، انما هى بعض ثمار نضالات لم تتوقف منذ انتهت الحرب العالمية الثانية ، واعلان قيام الصين الشعبية عام ١٩٤٩ ٠ ان نهاية الحرب العالمية الثانية لم تكن نهاية للصراع الحاد العنيف بين قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى فى مواجهة القوى الاستعمارية ٠ لقد توقفت هــذه الصورة من صور الصراع ، وبدأت صور متعددة تعبر عنه ٠ من كوريا الى فيتنام ، الى مصر عام

١٩٥٦ الى المجر الى سقوط حلف بغداد الى كوبا ، الى الجزائر ، الى اليمن شمالا وجنوبا ، الى الشرق الاوسط عام ١٩٦٧ الى تشيكوسلوفاكيا . من باندونج الى مؤتمرات التضامن للشعوب الاسيوية والافريقية ، الى دول عدم الانحياز والحياد الايجابي . والعرض في هذا المجال متشعب بلا حدود ، تنبثق روافده العميقة من كل انحاء المعمورة ، تتجمع تتساند تتماسك لتواصل العراك ، هناك المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، بما يملك من قوة اقتصادية وعسكرية ورصيدسياسييردع به القوىالاستعمارية ويحبط مخططاتها ، والصين الشعبية بما حققته من انجازات مبهرة ، ودور متزايد الفعالية في المجال الدولي . وهناك حركة التحرير الوطنية الممتدة من آسيا عبر أفريقيا حتى أمريكا اللاتينية . وهناك حركات النضال الطبقي كذا النضال الديمقراطي التقدمي والسلامي داخل المجتمعات الاستعمارية ذاتها . يضاف الى كل ذلك ازمة النظام الرأسمالي العالمي ، وازدياد التناقضات بين القوى الاستعمارية .

ان هذا يوضح بشكل قاطع أننا لسنا في « حالة من السلم عموما بلا منتصر حاسم فيها ، ولا مهزوم حاسم فيها » . اننا نمر بمرحلة من الصراع الحاد العنيف الذي تستخدم فيه القوى المتصارعة كل أسلحتها المختلفة التي تتناسب وموقع الصراع . وليست القنابل الذرية وحدها هي التعبير عن عنف الصدام أو اتساع رقعته . وان حل مشكلتين من المشاكل الجوهرية المدرجة في جدول أعمال القوى الثورية التقدمية ، انما يعني أن هذه القوى قد حققت انتصارا على القوى المعادية التي عارضت وعرقلت حل تلك المشاكل . كما أن هذه الانتصارات تعطي للقوى التي ناضلت من اجل تحقيقها مواقع اكثر تقدما في مسيرتها النضالية ، وبالتالي فهي تضيف لصورة المستقبل خطوطا جديدة تحدد اتجاهه بمزيد من الوضوح ، وليس بمزيد من الميوعة والضبابية .

ويعمق منهج الالتقاط ذاته بتقديم فقرة أخرى من قوانينه . انه يعطي لصور النضال العالمي أبعادا آلية ، ميكانيكية ، جغرافية :

١ـ خط أيديولوجي يفصل الشرق عن الغرب ، وهو خط رأسي « كان » مرتبطا بالثورة الاجتماعية .

٢ ـ خط تكنولوجي ، يفصل الشمال عن الجنوب ، وهو خط أفقي يمثل« الخواص الجديدة لعالم اليوم » .

٣ ـ خط العمق أو البعد الثالث وهو يفصل بين « الدول » كمستوى أعلى ، و « الحركات» كمستوى أدنى .

ويميز هذا الخط أن التكنولوجيا هي أساس المواجهة بين « الدول » ، في حين أن الايديولوجيا هي التي ترسم ملامح عالم « الحركات » .

لقد الغى منهج الالتقاط في فقرته الاولى حركة الحدث وتطور هذه الحركة ، وفي فقرته الثانية هذه يلغي ترابط الاحداث وتفاعلها .

فلم يحدث أبدا خلال العراك التحريري العالمي ، ان وجدت مثل هذه الخيوط الوهمية ، انها مرة أخرى خطوط مفروضة قسرا على الواقع وليست منبثقة منه .

فمثلا هذا الخط الايديولوجي الذي يفصل الشرق عن الغرب والذي يمتد رأسيا من الشمال الى الجنوب من أين بدأ واين انتهى ؟ حيث أنه « كان » مرتبطا بالثورة الاجتماعية . هل بدأ على حدود حلف وارسو وحلف الاطلنطي شمالا ، والى أين جنوبا ؟ وماذا عن الحركات الثورية الاجتماعية التي أوقعها الخط غربه ؟ ماذا كان يحكم نضالها ؟ وكيف يمكن أن يوجد خط ـ ولو وهمي ـ يحكم النضالات في أرجاء الكرة الارضية، وهي جميعا نضالات مترابطة تحكمها أيديولوجيات ، حتى وان اختلفت ، فهي تجمع على موقف معاد للاستعمار . كما أن القوى الاستعمارية والرجعية والعميلة تدين بنفس الايديولوجية في أي موقع تحتله على سطح الكرة الارضية .

متى وجد هذا الخط ؟ وكيف ولماذا ومتى أصبح في خبر « كان » ؟

ثم الخط التكنولوجي وهو الذي يعكس «« الخواص الجديدة لعالم اليوم » . ويتضح فهم هذا الخط عند الحديث عن مجلس الامن الذي به « أربعة دول تنتمي الى العالم المتطور » ، والدول المقصودة هنا هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وانجلترا . ويعني هذا الخط أن المواجهة العالمية تتم اليوم بين دول متخلفة ودول متطورة . وبذا وضع الاتحاد السوفيتي في نفس السلة التي وضعت فيها الولايات المتحدة ، على أساس تكنولوجي بحت . وبذا يتضح كم يخالف هذا الفهم الواقع والحقائق .

ان هذه الدول الأربع متقدمة ومتطورة تكنولوجيا ، وهذا حق • ولكن الوقوف عند هذا الحد منطق شكلى بحت • فالقوى التى تتحكم فى التكنولوجيا فى كل من هذه الدول ، تحكمها هى نفسها فى ذات الوقت ايديولوجية معينة هى التى تحدد توجيه هذه التكنولوجيا • ولهذا كانت التكنولوجيا الاشتراكية معنا ، والتكنولوجيا الاستعمارية - وخاصة الامريكية - ضدنا •

ان الحكومات ليست أشياء معلقة فى الفضاء يحكمها التقدم أو التخلف التكنولوجي وفقط • فكل حكومة فى العالم تحكمها ايديولوجية معينة ، هى التعبير السياسى والاجتماعى والفلسفى الذى يعكس مصالح الطبقة أو الطبقات التى يمثلها هؤلاء الحكام • وهذه المصالح هى التى تحدد الخط الاستراتيجى العام لهذه الدول ، فتتحدد مواقفها على هداه ، معطية لنفسها حق المناورة السياسية أو مرونة الحركة التكتيكية ولكن فى اطار لا يتعدى الخط العام • وهذه المصالح والايديولوجيات والخطوط السياسية العامة هى التى تؤدى الى التقاء قوى الاشتراكية بقوى التحرر الوطنى بالقوى التقدمية الديمقراطية السلامية داخل الدول الاستعمارية والراسمالية ذاتها وهو التقاء أساسى ، فى مواجهة التقاء أساسى آخر يجمع القوى الاستعمارية بالقوى الرجعية والعميلة • وهذه اللقاءات تتداخل فى العالم كله من شماله الى جنوبه ، من شرقه الى غربه • وليس هناك من خطوط طولية أو عرضية ، أفقية أو رأسية ، تحدد حدوده ، وتشكل بديلا افتراضيا عن الواقع الموضوعى الذى نعيشه بالفعل •

ويستمر هذا المنهج فى تحديد معالمه ، فيتقدم خط العمق او البعد الثالث ، وعلى ضوئه يقسم العالم الى « دول » و « حركات » . الدول تتصارع بالتكنولوجيا ، والحركات تتصارع بالايديولوجية — وهنا يثور سؤال هام : اذا كانت الدول تتصارع بالتكنولوجيا ، وانها هى القيد الاعلى على الايديولوجية ، فعلام تتصارع هذه الدول المتطورة ؟ لابد وأن يكون الجواب الصريح ، أنها تتصارع على مناطق نفوذ لها فى الدول المتخلفة وليس هناك خلط أشد هولا من هذا الخلط • فبخطوط هندسية وهمية وبالنتائج التى لابد وأن تترى خلفها ، تداخلت الجبهات العالمية وزالت ملامحها •

ويعمق هذا المنهج ذاته مرة أخرى ، فيضفى على الحركات النضالية سمات الايديولوجية ولكن ماذا يحدث عندما تصبح هذه الحركات حكومات ودول ؟ هل تتنازل عن الايديولوجية التى ناضلت من أجلها وانتصرت بسببها ؟ وربما ظلت هذه الحكومات « حركات » حتى تمنح الشرعية الدولية ، بدخول الامم المتحدة ، وهنا تنضم الى بند « الدول » • ويدرك صاحب المنهج غرابة هذا الخلط فيحاول التقليل منه « طبعا لا يعنى ذلك ان الصين بمجرد دخولها المؤسسات الدولية ، ستتخلى عن منطلقاتها السابقة •• » أى أنها ستظل ، ربما بدافع القصور الذاتى ، فترة ما تحمل سمات الايديولوجية ، ثم تدخل فى باب « الدول » والمواجهات التكنولوجية •

وبذلك يطرح هذا المنهج محوره وجوهره . ان الالتزام العقائدى مجرد وسيلة فى يد الثوار ، يتلاشى ويزول عندما يصبحون رجال سلطة ودولة • الايديولوجية شىء ما مرتبط « بالحركات » قاصر عليها ، يزول بانتصارها وتحولها الى « دول » ، هنا للتكنولوجيا القيد الاعلى على الايديولوجية • اى لم يعد الالتزام الطبقى والاجتماعى هو الاساس • واذا كان الامر كذلك ، فأى رباط يحكم البشر لاشىء هذا غير رباط الناب التكنولوجى القوى أيا كان يأكل الضعيف أيا كان ، السمك الكبير يأكل السمك الصغير • والدول المتطورة تكنولوجيا أيا كانت تلتهم الدول المتخلفة تكنولوجيا أيا كانت •

ان منهج الخطوط الثلاثة يحاول ان يقدم بديلا لنظرية الجبهة العالمية المعادية للاستعمار بقواها النضالية الثلاثة • .

١ — الدول والحركات الاشتراكية •

٢ — الدول والحركات الوطنية التحررية •

٣ — حركة الطبقات العاملة والحركة التقدمية الديمقراطية السلامية فى الدول الاستعمارية والراسمالية •

ان فرضية الخطوط الثلاثة بدلا من نظرية القوى الثلاث ، تقود بالفعل الى عملية تداخل يختلط فيها الحابل بالنابل ، وتملأ الطريق بغبار كالخماسين يجعل النهار ظلاما أصفر - يدمى العيون فلا تبصر ، ويخنق الانفاس فتضيق بكل شىء •

ان الشعوب خلال نضالها الباسل والبعيد عن التعقيدات والتركيبات الذهنية ، تصل الى شعار بسيط ، هو أنها « تصادق من يصادقها ، وتعادى من يعاديها » • وعلى درب نضالها تتشابك أيديها مع من يلتقون بها خلال مسيرتها — سواء بامكانياتهم التكنولوجية والعقائدية ، أو حتى بمجرد قبضاتهم الصديقة ، — لاستكمال مقوماتها الانسانية الحضارية التقدمية • هو نهر واحد متعدد الروافد والمنابع ، يشق مجراه خلال ركام من القديم ، حتى وان ارتدى ثوبا صنع على احدث طراز تكنولوجى •

وصلنا من السيد علي يعته الامين العام لحزب التحرر والاشتراكية الرسالة التالية التى أرسلها الى المؤتمر الخامس لحركة تضامن شعوب أفريقيا وآسيا •

ايها الاصدقاء الاعزاء :

علمنا عن طريق الوكالات الاخبارية بانعقاد المؤتمر الخامس لحركة تضامن شعوب افريقيا وآسيا بمدينة القاهرة •

وقد اثلج خبر انعقاد لقائكم هذا صدورنا نظرا لما تتسم به المرحلة الراهنة من تعقيدات وأحداث على الصعيد العالمى •

اننا لنتمنى من صميم قلوبنا لمؤتمركم أن ينجح نجاحا تاما ، وأن تتوج أعماله بملتمسات واضحة ، تنير الطريق للمكافحين ، وترفع من معنوياتهم ، وتزيد فى نشاطهم ، حتى يتمكنوا جميعا من تسديد أقسى الضربات للامبريالية والرجعية العالميتين ، ويضمنوا تحرير بلدانهم تحريرا كاملا •

لقد طرأت تغيرات عديدة فى العالم منذ المؤتمر الرابع لحركة التضامن الافروآسيوى ، وبرزت عناصر جديدة فى ساحة النضال ، ولاسيما فى قارتى آسيا وافريقيا الشاسعتين ، ولكن الشىء الذى بقى ثابتا هو أن العدو الاساسى لشعوب هاتين القارتين مازال هو الامبريالية الدولية ، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية ، التى تسخر لخدمة مطامعها والذود عنها كلا من الصهيونية والرجعية •

فالحرب الطاحنة التى تدور فى الهند الصينية ، فى عقر بيوتات الشعوب البريئة الامنة ، ما كانت لتندلع لولا الامبريالية المعتدية ، هذه الامبريالية نفسها التى تصر على استمرار الحرب لابقاء المنطقة تحت نفوذها الاستغلالى البشع ، رغم البطولات الاسطورية التى أظهرتها شعوب الهند الصينية وحركات تحررها الوطنى ، وفى طليعتها الشعب الفيتنامى الباسل •

وحرب المشرق العربى هيأت لها ، وشنتها الامبريالية الدولية أيضا ، معتمدة على حليفتيها وعميلتيها ، الصهيونية ، والرجعية العربية • ولقد رأت هذه القوى الغاشمة ان أول ماينبغى البدء به فى المشرق العربى هو تشريد شعب فلسطين ، وطرده من دياره ، معتقدة انها بذلك ستحصل على قاعدة قارة فى قلب العالم العربى • لكنها إصطدمت ، ومازالت ، تصطدم بمقاومة عنيفة ، لا من قبل الشعب الفلسطينى وحده ، بل ومن سائر الشعوب العربية •

والحروب التى تجرى هنا وهناك فى القارة الافريقية ، انما الامبريالية هى التى تشجع عليها ، وتدفع لها ، مستعينة بالاستعمار البرتغالى وبعنصريى جنوب افريقيا وروديسيا • وهل يتصور أحد أن الاستعمار البرتغالى المحتضر كان بامكانه أن يبقى فى موزمبيق ، وأنغولا ، وغينيا بيساو ، لو لم تكن وراءه الامبريالية العالمية ، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية •

وان الصحراء المغربية لينطبق عليها نفس الواقع ، فالعدو الاساسى المشترك لكل الشعوب العربية ، وكل شعوب العالم ، الامبريالية ، هو الذى يأبى أن يرى المغرب مستكملا لوحدته الترابية ولسيادته الوطنية ، وانه ليقف بمختلف الاساليب خلف الاستعمار الاسبانى ، يسانده ويدعمه عسكريا وسياسيا واقتصاديا •

وهكذا ترون ، ايها الاصدقاء المؤتمرون ، أن الامبريالية الدولية تشكل فى ظروفنا الحالية عدونا الاساسى جميعا ، عدوا لابد من اعداد العدة ، والتحلى بالحزم والقوة والاتحاد ، لمواجهته وتشطيبه من خارطة الوجود • وليس ذلك حلما : ان قوة الشعوب لفى وحدتها وتضامنها • واذا ما اتحدت ، وتضامنت ، وانطلقت للنضال ، فلن تقوى على قهرها اية قوة على الاطلاق •

ونحن نملك من ضمانة للنصر ، والتغلب على علمية موحدة ، توجه ضربتها الرئيسية الى العدو المشترك ، الامبريالية العالمية وأعوانها ، وفى مقدمتها الامبريالية الإمريكية • وواضح كل الوضوح ان الاجهاز على العدو الاساسى الشرس لن يتحقق ما لم تتكتل الجهود ، جهود كل القوى المعادية للامبريالية والرجعية ، والمحبة للسلام والحرية والعدالة ، بغض النظر عن تركيباتها الاجتماعية ، وخلافاتها الايديولوجية ، وما لم تنسق الاعمال النضالية تنسيقا متقنا وناجعا •

ونحن نملك اكثر من ضمانة للنصر والغلب على العدو الامبريالى ، ضمانة يوفرها لنا حلفاؤنا الاوفياء ، الذين يحسب لهم حساب فى ميدان القوة فى العالم ، وهم : البلدان الاشتراكية ، والحركة العمالية ، وجميع أعداء الامبريالية •

اننا نعبر لكم ولمؤتمركم الخامس من جديد عن شعورنا بالغبطة بمناسبة انعقاده ، وتأمل أن تكون

أعماله فى مستوى خطورة ودقة المرحلة التى نعيشها •

ونحييكم تحية أخوية حارة •



جاءتنا الرسالة التالية من محمد سعيد دووين موجهة الى والده وزير العمل والشئون الاجتماعية ، والامين العام المؤقت للاتحاد الوطنى الاردنى :

لا اريد أن اتطرق هنا الى التاريخ الاسود للعرش الهاشمى فى عمان ، فالشعب العربى الاردنى يعرفه كل معرفة ، وتاريخ هذا الشعب وثيقة نضال للاطاحة بهذا النظام العميل •

تحاول حكومة عمان — بعد انقضاضتها الاخيرة على القوى الوطنية فى الاردن وطلائعها المسلحة — أن تخرج من العزلة المشددة التى فرضها الشعب العربى الاردنى على اعدائه •

وما الاتحاد الوطنى الاردنى واللقاءات التى يسميها النظام « شعبية » الا نتائج لهذه المحاولات اليائسة •

والمحرك الاساسى لهذه المحاولات هو أنت يا والدى •• تقف اليوم أمام ابناء شعبك لتقول وباسم حكومة العملاء « ان التناقض لا يكون بين الاهل » وانه « لن يصل الى درجة التناقض المصيرى كالتناقض القائم بيننا وبين الصهيونية » •

حقيقة : ان طبيعة التناقض بين حكومة العملاء فى عمان والشعب العربى الاردنى يختلف عن طبيعة التناقض القائم بينه وبين الصهيونية قاعدة الاستعمار الاساسية على الارض العربية •

لكن هذا لا يغير من كونه تناقضا مصيريا لا لانه قائم بين طبقتين من المستغلين وطبقات الشعب المستعبدة وحسب بل وقبل هذا لان حكومة العملاء فى عمان جعلت منه تناقضا مصيريا •

— فهى التى حرمت الشعب الفلسطينى فى الضفتين الغربية من السلاح وسلمته بذلك الضفة الغربية لقمة سائغة للغزاة الصهاينة •

— وهى التى قامت بعمليات الابادة الجماعية لخيرة ابناء الشعب العربى الاردنى ، لطلائعه المسلحة •

— ويد النظام العميل هى التى اغتالت نقابات عمال الاردن والتنظيمات الوطنية •

ان عشرات الاف القبور ، اعداد المشانق ، عنابر السجون رمزا حيا ابدا للتناقض المصيرى القائم بين النظام الذى تمثله أنت وبين الشعب العربى فى الاردن والذى أملك شرف الانتماء اليه •

وتصرح يا والدى بأن « الاردن على استعداد لان يفتح كل أراضيه وبيوته لمن يريد أن يقاتل الاستعمار والصهيونية •

انسيت يا وزير اعداء العمال أن المكان الوحيد الذى تفتحه حكومة الاردن العميلة لابناء الاردن المناضلين ضد الصهيونية والاستعمار — هو القبور والسجون

أنا لن أنسى ذلك •

والشعب العربى فى الاردن يعرف اعداءه •• فلتخرج من صفوف اعداء الشعب ••

عاشت الوحدة الوطنية الاردنية
عاشت المقاومة الفلسطينية •

محمد سعيد مصطفى دووين

دبلوم العلوم السياسية

برلين الغربية



رسالة من الصديق المقاتل محمد الكاشف من القوات المسلحة

هاأنا اكتب ثانية الى مجلتكم العزيزة الى نفسى •• وأقول ثانية لاننى قد كتبت اليكم — أيام ان كنت طالبا بقسم الصحافة بكلية آداب القاهرة — تعليقا حول حادثة كمشيش فيما أذكر الان فى ابريل من عام ٦٥ نشرتموه لى تحت باب « صوت من القاعدة » •• وبعدها فى عام ٦٦ كنت قد أنهيت دراستى بالجامعة وأصبحت جنديا من جنود الصحافة من العاملين بمؤسسة دار التعاون بقسم التحقيقات الصحفية ••

واذ اكتب الآن من موقع فى النضال أصبح مختلفا منذ نحو اربعة أعوام مضت بدخولى جنديا فى القوات المسلحة أشارك مباشرة فى معركة تحرير الوطن ، الا اننى أشعر أن المعركة واحدة فى النهاية معركة تحرير الوطن والمواطن أيضا •

ان جماهير الامة العربية وفى طليعتها الشعب المصرى تواجه فى وطننا العزيز مسئوليات المرحلة

المقبلة من النضال وأمامها ذلك السؤال المصيرى : حرب أم لا حرب ؟ وحين تواجه الشعوب مسئولياتها المصيرية لا يكون أمامها الا أن تعد العدة الكاملة حتى تختار طريقها الحاسم الذى لا مناص منه ، حتى تصل الى مرحلة النصر النهائى على عدوها .

واذا كانت البيانات التى أعلنتها القيادات السياسية تؤكد على أنه لم يعد هناك من سبيل لقهر العدو وارغامه على الانسحاب سوى المعركة العسكرية واللجوء الى قوة الحديد والنار فانه لابد ان تكون واضحة تماما فى اذهاننا جميعا البداية الطبيعية لمرحلة النصر النهائى على العدو . هذه البداية تتمثل فى أساسين :

● الاعداد المتواصل الشاق للقوات المسلحة .. نوعيا وعدديا .. فنيا ومعنويا واداريا ، وفى النهاية قتاليا بحيث يكون لدينا أكفأ القادة وأشجع المقاتلين الذين يتفوقون على العدو من جميع النواحى .

● تنظيم قوى الشعب ومؤسساته واقتصاده واعداده نفسيا وماديا لمواجهة متطلبات الحرب وتضحياتها .

واذا حاولنا أن نقيم الجهد الذى بذلناه خلال الاعوام الماضية نجد أننا قطعنا شوطا طويلا على الطريق فى هذا الصدد ، وان كان هناك فى رأيى ـ ما ينبغى أن نعمل على استكماله قبل وصول المعركة الى نقطة الصدام الحاسمة .

ـ فمن ناحية اعداد القوات المسلحة استطعنا بشهادة الاعداء قبل الاصدقاء أن نصل الى اعداد أقوى جيش فى تاريخ مصر من الناحية الفنية ومن ناحية نوعية المقاتل ومن ناحية العدد أيضا .

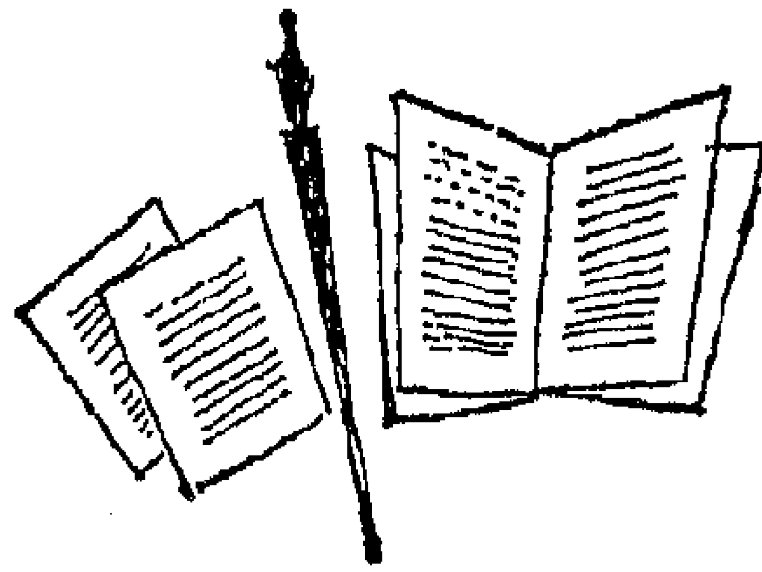
لكن مع ذلك ..

ينبغى على القيادات المسئولة ـ ان تتحرى وتتابع النواقص لديها فى وحداتها لتستكملها وان تعمل على اشاعة روح القتال الشرسة لدى الجنود ، وان تقيم علاقاتها وأسلوب عملها دائما على أساس علمى لا ينظر الا الى مصلحة الوطن والامة .

ـ ومن ناحية اعداد الشعب للمعركة ، نرجو من تكون حركة التصحيح التى جرت فى أرجاء مصر قد أشاعت جوا من الديمقراطية الحقيقية والاحساس بالطمأنينة حيث الان قد زالت الرقابة البوليسية التى كانت سيفا مسلطا على رقاب وحريات المواطنين .

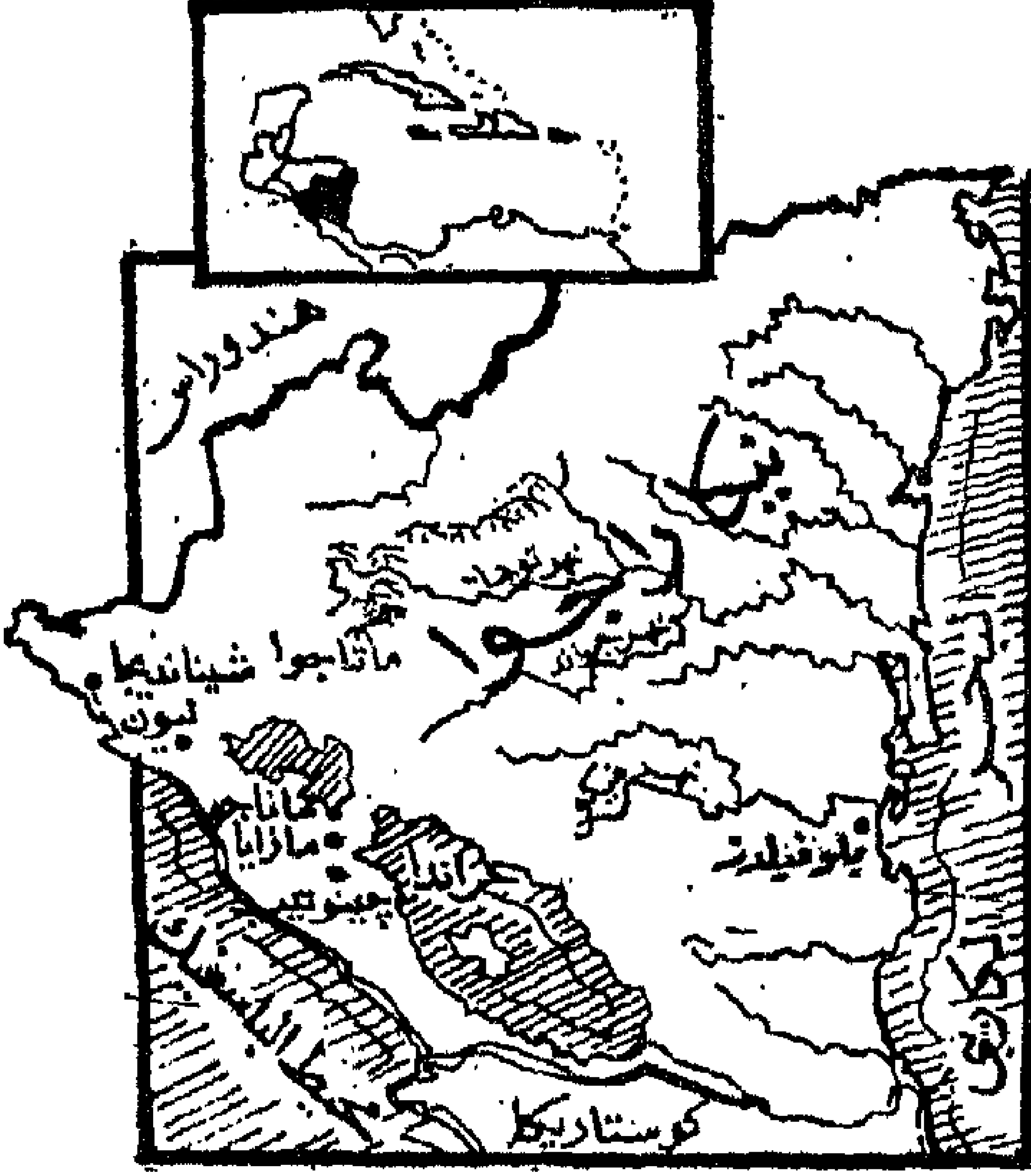
ولعل هذا يؤكد تلك الحقيقة التى تقول : ان الشعب الذى يدخل حربا لابد ان يشعر بالامان فى داخله أولا .. فهو لا يستطيع ان يواجه العدو من الامام وهو ينظر خائفا الى الخلف متطلعا الى طعنات من الظهر ..

ان المواطن وهو يدافع عن حرية وطنه لابد ان يستشعر بالحرية فى ذاته ، فالمواطن الحر هو الذى يناضل ويحارب ويموت مؤمنا بوطنه وهو مطمئن . اما المواطن المستغل والمستعبد فهو فى الحقيقة لا يحارب انما يحرب .. يدفع الى الحرب .. الاحرار فقط يحاربون . أما العبيد فلا يمكن ان يكسبوا حربا . أما عن كيفية هذا الاعداد ونوعيته فاننى اعتقد ان المؤسسات الفكرية والشعبية وكافة المواطنين مطالبون جميعا بأن يطرحوا فكرهم حول هذا الموضوع .



وثائق





برنامج جبهة التحرير الساندينية [نيكاراجوا]

استقلت جمهورية نيكاراجوا عام ١٨٣٨ ، ولكنها ظلت مسرحا لصراع طويل وحاد بين القوى « الليبرالية » في مقاطعة ليون والقوى المحافظة المسيطرة في مقاطعة جرانادا . **وتعتبر معاهدة برايان - شامارو التي وقعت بين نيكاراجوا والولايات المتحدة في ٥ أغسطس عام ١٩١٤ الوثيقة الاساسية للسيطرة السياسية والاقتصادية الامريكية على نيكاراجوا** ، فقد حصلت الولايات المتحدة بمقتضاها على حق السيطرة بصفة دائمة على منطقة تمر بها قناة « لابرا » في نيكاراجوا وحق السيطرة لمدة ٩٩ عاما على قاعدة بحرية في خليج « فونسيكا » المطل على المحيط الهادى وعلى جزيرة كورن المطلة على المحيط الاطلنطى ، وذلك كله مقابل ٣ ملايين من الدولارات .

وتبلغ **مساحة نيكاراجوا** ١٤٨ الف كيلومتر مربع (تشمل البحيرات) ويقدر عدد السكان بنحو مليونى نسمة . ومعظم السكان من أصول اسبانية وهندية مخلطة عاصمتها ماناجوا ، ويبلغ عدد سكانها ٣٠٠ الف نسمة .

يقوم « **الحرس الوطني** » في نيكاراجوا بدور الجيش والبوليس معا ، ويضم نحو ٥٦٠ ضابطا و ٤٨٥٠ من الرتب الاخرى ، الى جانب ٤ آلاف احتياطى . ويمارس « الحرس الوطنى » سلطات ارهابية ضد السكان ، وهو يعد اداة الحكم الرئيسية .

مقدمة :

نشأت جبهة التحرير الوطني الساندينية من حاجة شعب نيكاراجوا الى تنظيم طليعي يكون قادرا - عن طريق الصراع المباشر مع اعدائه - على أن يستولى على السلطة السياسية وان يقيم نظاما اجتماعيا يمحو الاستغلال والبؤس اللذين عانت منهما بلادنا طوال وجودها •

وجبهة التحرر الوطني تنظيم سياسى - عسكرى هدفه الاستيلاء على السلطة السياسية عن طريق تحطيم الاجهزة البيروقراطية والعسكرية للدكتاتورية ، واقامة حكومة ثورية مبنية على أساس تحالف العمال والفلاحين وتاييد جميع القوى الوطنية المناهضة للاستعمار في البلاد •

لقد عاني شعب نيكاراجوا تحت نير العصبة الرجعية والفاشية التي فرضتها الامبريالية الامريكية منذ عام ١٩٣٢ وهو العام الذى عين فيه أناستازيو سوموزا جارثيا مديرا لما يسمي بالحرس الوطني • فلقد حولت عصبة سوموزا نيكاراجوا الى حالة مستعمرة جديدة تستغلها الاحتكارات الامريكية وجماعات الاقلية الوطنية المتسلطة •

ان الحكم القائم حكم غير شعبي من الناحية السياسية وغير شرعي من الناحية القانونية • وأن الاعتراف به ومساعدته من جانب الامريكيين الشماليين شكل دليلا لا يدحض على التدخل الاجنبى فى شئون نيكاراجوا •

لقد حللت جبهة التحرير الوطنى الموقف الوطني تحليلا جادا ومسئولا وقررت مواجهة الدكتاتورية بالسلاح في اليد طالما اننا توصلنا الي نتيجة بان ثورة الشعب الساندينى وتحطيم الحكم المعادى للشعب سوف يحدثان نتيجة لتطور حرب شعبية شاقة وطويلة •

وأيا كانت المناورات والاساليب التى تستخدمها الامبريالية الامريكية ، فان دكتاتورية سوموزا محكوم عليها بالفشل في مواجهة النمو المطرد والسريع للقوى الشعبية بقيادة حركة التحرير الوطنى الساندينى •

وفي مواجهة هده الفرصة التاريخية فان الجبهة قد وضعت خطوط هذا البرنامج السياسى بهدف تقوية وتطوير تنظيمنا ، والهام وتنبيه شعب نيكاراجوا للتحرك قدما نحو القتال حتى اسقاط الدكتاتورية ، ولمقاومة تدخل الامبريالية الامريكية من اجل خلق امة حرة يسودها الرخاء وثورية •

١ - الحكومة الثورية : سوف تقيم الثورة الساندينية الشعبية حكومة الشعب الثورية ، وسوف تخلق امة بلا استغلال : وبلا قهر . وبلا تخلف ، بلدا حرة ومستقلة وتقدمية ، وسوف تتولى الحكومة الثورية الاجراءات التالية ذات الطابع السياسى :

ا - سوف تصفى بنيان الدولة الرجعية القائم على المهازل الانتخابية والانقلابات العسكرية ، وتقيم نظاما للمشاركة الكاملة لكل الشعب ، على أساس وطني وأساس محلى (للمحافظات والبلديات والاقاليم) •

ب - سوف نحرم من الحقوق السياسية أولئك الافراد الذين يحتلون مراكز عامة عليا نتيجة للمهازل الانتخابية والانقلابات العسكرية التي تمت فى البلاد ، بعد نشرهذه الوثيقة ••

جـ - سوف تقيم ممارسة كاملة لحقوق الانسان وجميع الضمانات الفردية •

د - سوف تضمن حرية التعبير عن الافكار التي تؤدى قبل كل شيء الي اطلاق نشط لحقوق الشعب وللمسئوليات الوطنية •

هـ - سوف تضمن حرية تنظيم حركه النقابات العمالية في المدينة وفي الريف حرية تنظيم الحركات الثقافية الفلاحية

و - سوف تضمن حق المهاجرين والشبابية والطلابية والنسائية وغيرها • والمنفيين النيكاراجويين فى العودة الى البلاد •

ز - سوف تضمن حق اللجوء لرعايا البلاد الاخرى الذين يتعرضون للاضطهاد بسبب اشتراكهم في نضال ثورى •

ح - سوف تعاقب بشدة الجلادين المسئولين عن اضطهاد الثوريين والشعب أو الابلاغ عنهم او تعذيبهم أو اغتيالهم •

٢ - اقتصاد اساسى ومستقل : سوف تتخذ الحكومة الثورية الاجراءات الاقتصادية التالية :

ا - سوف تؤمم ممتلكات شركات التعدين والتشجير •• وغير ذلك من الثروات التى اغتصبها الاحتكاريون الامريكيون فى نيكاراجوا •

ب - سوف تؤمم ملكيات الاراضى الضخمة والمصانع ومعامل السكر ووسائل المواصلات وغيرها من الممتلكات التى اغتصبتها أسرة سوموزا •

جـ - سوف تؤمم ملكيات الاراضى الضخمة والمصانعووسائل النقل وغيرها من الممتلكات التي اغتصبها الساسة والعسكريون وجميع المتواطئين فى الفساد والادارة الذى كرسه الحكم المعادى للشعب •

د - سوف تؤمم البنوك وتضعها فى خدمة التنمية الاقتصادية للبلاد دون غيرها •

هـ - سوف تفرض رقابة الدوله على التجارة الخارجية بالوسائل التى تكفل تنويعها وجعلها مستقلة •

و - سوف تخطط الاقتصاد الوطنى وتزيل بذلك الفوضى التى تحكم الانتاج فى ظل الحكم الراهن •

ز - سوف تراقب التنقيب عن المصادر الطبيعية واستغلالها ، وتنشيء لهذا الغرض المؤسسات الحكومية الخاصة • وسوف تحتل الكهرباء مكانة خاصة فى التنمية المتكاملة للبلاد •

حـ - سوف تفرض رقابة ومشاركة من العمال في ادارة الصناعة وغيرها من الممتلكات المؤممة (المصانع والمناجم الخ)

ط - سوف تحمى صغار ومتوسطى الملاك الذين امممت ممتلكاتهم (المنتجون والحرفيون) •

ى - سوف تطور خطوط الاتصال (وسوف تمدها الى الطرق التي اممت فى الماضى نتيجة نضال ثم خربها الحكم الخائن) •

ك - سوف تضمن نقدا مستقرا ومستقلا •

ل - سوف تنتهج سياسة مالية عادلة ومتوازنة •

م - سوف ترفض الاعتراف بالقروض المنطوية على الاغتصاب والتى فرضها الاحتكاريون الامريكيون على البلاد •

٣ - الثورة الزراعية : سوف تضع ثورة الشعب الساندينية .وضع التطبيق سياسة زراعية تصفى الملكيات الضخمة والصغيرة عن طريق توزيع عادلللارض على الفلاحين الذين يفلحونها •

ا - سوف تصادر الصناعات الزراعية الرأسمالية وجميع اوجه « اللاتيفونديا » بهدف تصفية السيطرة الطفيلية على الارض من جانب المستغلين •

ب - سوف تسلم الارض للفلاحين دون مقابل وفقا للمبدأ القائل بان الارض لمن يفلحها •

جـ - سوف تحفز وتتبنى تنظيم التعاونيات فى الريف •

د - سوف تسهل كل نوع من المساعدة للفلاح ، وسوف تقدم له القروض بفوائد قليلة لشراء المعدات الزراعية والالات والحبوب والاسمدة ، الخ •

هـ - سوف تلغى كل الديون التى وقع الفلاحون عليها لملاك الاراضى وغيرهم من المغتصبين •

و - سوف تقوم بثورة تكنيكية فى الانتاج الزراعي عن طريق ميكنة معقولة، واستخدام للنظم الحديثة (الهوائى ، والتبخير والتلقيح الصناعى ، والرى ، الخ) • • • •

ز - سوف تنوع الزراعة بهدف انهاء زراعة المحصول الواحد التى تسود الزراعة فى نيكاراجوا • وسوف تدعم انتاج وتنويع الماشية فى الريف طبقا لخصائص كل منطقة •

حـ - سوف تحمى صغار ومتوسطى ملاك الاراضى الذين صودرت أراضيهم •

ط - سوف تحمى ملاك الاراضى الذين يتعاونون مع النضال الثورى المسلح، وسوف تشترى منهم اراضيهم التى تتجاوز الحد الذى تنص عليه القوانين الزراعية التى تصدرها الثورية لتوزيعها على الفلاحين المحتاجين اليها •

ى - سوف تصفى موقف العمل الاجبارى الذين يقاسى منه الفلاح معظم أوقات السنة وسوف تخلق مصادر عمل لسكان الريف •

و - سوف تضمن اسواقا للمنتجات الزراعية ومنتجات اللحوم والالبان •

٤ - تشريع العمل والضمان الاجتماعى : ان ثورة الشعب ستضع نهاية للظروف غير العادلة للحياة والعمل التى يعانيها العمال تحت الحكم الراهن •

أ - سوف تصدر قانون عمل وقوانين اخرى للضمان الاجتماعي لفائدة الجماهير العريضة من العمال دون غيرها •

ب - سوف تضع موضع التنفيذ حرية نقابات العمال في انشاء الفروع والتنظيمات •

جـ - سوف تفرض احتراما مطلقا لكرامة العامل وتمنع المعاملة غير العادلة له خلال عمله •

د - سوف تصفي البطالة التاديبية •

هـ - سوف تمد الضمان الاجتماعي بحيث يغطي كل العمال والمستخدمين في البلاد ، وسوف تشمل أيضا المرضى والحوادث ، والعجز البدني والتقاعد ، الخ • • •

و - سوف توفر الرعاية الطبية المجانية للشعب كله ، وسوف تبنى العيادات والمستشفيات في جميع أنحاء الاقليم الوطني •

ز - سوف تقضي على التسول المهين عن طريق تطبيق المبادىء المنصوص عليها في هذا البند •

حـ - سوف تصدر قانونا للاصلاح البلدي لمنفعة جماهير الحضر •

ط - سوف توفر الاسكان الكافي لكل أسرة • وعلاوة على ذلك سوف تضع الخطط للاسكان الحضري والخطط لانشاء المساكن لسكان الريف •

ى - سوف تخفض الضرائب على الماء والكهرباء والصرف والمرافق العامة وسوف تضع البرامج لمد هذه الخدمات الى كل المناطق الحضرية •

٥ - خطة خاصة لشاطىء الاطلنطي : سوف تضع ثورة الشعب موضع التنفيذ خطة خاصة لشاطىء الاطلنطي والمناطق الاخرى من نيكاراجوا المهجورة تماما •

أ - سوف تنفذ برنامجا خاصا يطبق على شاطىء الاطلنطي - وهي المنطقة من البلاد التي عانت باستمرار من الاستغلال الامريكي القاسي • وفي الوقت نفسه سوف تمد هذا البرنامج الى مناطق البلاد التي تشارك في موقف شاطىء الاطلنطي • وتضم مثل هذه المناطق جزءا كبيرا من سيجوفياس وشونتاليس وريوسان جوان •

ب - سوف تنمي صناعة التعدين لتحول الى كابوس ينتمي للماضي ، ويركز التعدين في شاطىء الاطلنطي التي لم تكن شيئا يقل عن معسكرات ابادة امريكية •

ج - سوف تعد الاراضي في هذه المنطقة الصالحة للتنمية الزراعية ولتربية الماشية •

د - سوف تستفيد من الظروف الملائمة لتنمية صناعة صيد الاسماك •

هـ - سوف تستفيد أيضا من ظروف هذه المنطقة الملائمة لتنمية صناعة الاخشاب •

و - سوف تعمل من أجل ازدهار الثقافة المحلية على شاطىء الاطلنطي النابعة من التقاليد التاريخية للمنطقة •

ز - وعن طريق هذه الاجراءات المذكورة سوف تزيل التمييز المخزي الذي يتعرض له الوطنيون الموسكينو والسومو والزامبو والسود وكل قطاعات الشعب في شاطىء الاطلنطي •

٦ - تحرير النساء : ان ثورة الشعب سوف تزيل التمييز البغيض الذي عانت منه النساء بالمقارنة بالرجال وسوف تقيم مساواة اقتصادية وسياسية وثقافية بين النساء والرجال •

١ - ستقر مبدأ ان المرأة مساوية للرجل في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية •

ب - ستضع نهاية للتمييز الذي عانت منه المرأة والذي ينعكس في التخلي عن الطبقة العاملة الام •

جـ - سوف تولى اهتماما خاصا للام والطفل •

د - سوف تمنح اجازة وضع لمدة شهرين قبل وبعد الوضع للنساء العاملات •

هـ - سوف تقر حق الحماية المتساوية من المؤسسات الثورية للاطفال المولودين خارج اطار الزواج •

د - ستقيم حضانات ومراكز اخرى لرعاية الاطفال والاهتمام بهم •

ز - سوف تصدر قوانين تقدمية فيما يتعلق بالاسرة والزواج •

جـ - سوف تقضي على البغاء وأشكال الشرور الاجتماعية الاخرى لترفع كرامة النساء

ط - سترفع المستوى السياسي والثقافي والمهني للمرأة خلال اشتراكها في العمليات الثورية •

٧ - نزاهة الادارة : ان ثورة الشعب سوف تزيل الفساد الاداري الحكومي التقليدي وستقيم نز... ادارية حازمة •

١ - ستزيل حرفة الرذيلة الاجرامية (الدعارة والمقامرة وبيع المشروبات الكحولية والعقاقير المخدرة الخ) التي يستغلها الحرس الوطني بوضعه المميز • (وهو ما يتم احيانا بتواطؤ الطفيليين الاجانب) •

ب - سوف تفرض رقابة دقيقة على جميع الضرائب التي تجبى بهدف منع الموظفين الحكوميين من تحقيق الارباح وهو ما سينهي الوضع السائد بين معظم الادارات الرسمية في ظل الحكم المعادي للشعب •

ج - ستضع نهاية للعمل التعسفي لاعضاء الحرس الوطني الذين يجلدون الشعب عن طريق فرض الضرائب المحلية •

د - ستضع نهاية للاعمال التي ينهب عن طريقها القادة العسكريون اعتمادات الميزانية المخصصة لرعاية المسجونين العاديين ، وسوف تنشىء مراكز رعاية هدفها تقويم الجانحين •

هـ - سوف تزيل أعمال التهريب التي تمارس على نطاق واسع عن طريق العصبة السياسية والعسكرية وغيرهم من المتواطئين في الحكم المعادي للشعب •

و - سوف نعاقب بشدة الافراد الذين يشتركون في جرائم ضد النزاهة الادارية (الاختلاس والتهريب والربح من وراء استغلال الرذيلة ، الخ) ؟ ، وستكون شدة العقوبة أكبر عندما يكون أحد مناضلي الثورة مشتركا •

٨ - الثورة في الثقافة والتعليم : ستضع ثورة الشعب الاساس لتطوير الثقافة الوطنية وتعليم الشعب والاصلاح الجامعي •

أ - ستحفز النهوض بالثقافة الوطنية وستضع نهاية للتغلغل للامبريالية الامريكية •

ب - سوف تقضي على الامية •

جـ - سيكون التعليم مجانيا في جميع مراحله (ويشمل ذلك الحاجات المدرسية والغذاء والنقل) • وسوف تقدم المنح الدراسية لتلاميذ المدارس الابتدائية والعليا في كافة المستويات التي تعيش في مستوى اقتصادي منخفض •

د - سوف تمد كل المدرسين الذين يحتاج اليهم تعداد الطلاب في المدارس لانهاء موقف العبث الذي يوجد فيه طلبة بغير مدرسين ومدرسين بغير طلبة ، وفي الوقت نفسه فانها ستعمل على تشييد وانشاء المراكز المدرسية الضرورية •

هـ - سوف تكيف البرامج التعليمية مع احتياجات البلاد ، وسوف تطبق المناهج التجريبية والعلمية في التدريس •

و - سوف تخلص برامج التدريس من تغلغل الاستعمار الجديد لتلقي الضوء على النضالات الوطنية والعالمية من أجل العدالة والحرية ولتوجه الشباب بروح المثل العليا النبيلة وضد الاستغلال والقهر •

ز - سوف تخرج المثقفين التقدميين من على النسيان الذي دفنهم فيه الحكم المعادي للشعب وكذلك أعمالهم التي ظهرت خلال تاريخنا الوطني الماضي •

جـ - سوف تحرر المثقف من القهر الرجعي حتى يمكن وضع عمله الخلاق في خدمة الامة والشعب •

ط - سوف تنفذ اصلاحا جامعيا ثوريا - يتضمن - بين ما سيتضمنه من اجراءات ما يلي :

- تحرير الجامعة من سيطرة الطبقات المستغلة حتى تخدم المبدع والمنتج الحقيقي للثقافة وهو الشعب ؟ وينبغي دفع الجامعة الى وضع التعليم في خدمة الانسان ، ان الجامعة لا ينبغي أن تستمر في العمل كجهاز تفريخ للبيروقراطيين المتقوقعين على أنفسهم •

- تصفية التمييز الذي قاسى منه الشباب من أبناء الطبقة العاملة والفلاحين وغيرها من الجماعات الفقيرة فيما يتعلق بالالتحاق بالجامعة ، وتصفية هذا التمييز عن طريق تقديم المنح الدراسية واقامة البيوت وقاعات الطعام للطلبة •

- زيادة ميزانية الدولة للجامعة حتى يمكن أن تمول المشكلات المختلفة التي تواجهها •

- اقامة تمثيل لاغلبية الطلبة في اجتماعات الكليات والاعتراف بأن الطالب هو القطاع الاساسي بين الجامعيين •

- تصفية تغلغل الاستعمار الجديد في الجامعة وخاصة ذلك الذي يمارسه من خلال التبرعات التي تقدمها المؤسسات الخيرية الزائفة التابعة للاحتكاريين الامريكيين

- دعم البحث الحر التجريبي العلمي حتى يسهم في حل المشكلات الوطنية والعالمية •

- تقوية وحدة الطلبة والاساتذة والباحثين مع كل الشعب وتاكيد النموذج السامي للطلبة والمثقفين الذين يضحون بحياتهم من اجل المثل الاعلى الثوري •

٩ - احترام المعتقدات الدينية : ان ثورة الشعب سوف تضمن للشعب حرية التعبير الديني •

ا - سوف تحترم حق المواطنين في الانتماء لاية عقيدة دينية •

ب - سوف تؤيد عمل القساوسة وغيرهم من رجال الدين الذين يؤيدون الشعب العامل •

١٠ - سياسة خارجية مستقلة : سوف تصفي ثورة الشعب سياسة الفزع للامبريالية الامريكية وسوف تقيم سياسة خارجية وطنية لتأييد الاستقلال الوطني والسلام العالمي الحقيقي •

ا - ستضع نهاية للتدخل الامريكي في مشكلات نيكاراجوا الداخلية وسوف تنتهج سياسة احترام متبادل وتعاون اخوي مع شعوب جميع البلاد الاخرى •

ب - سوف تطرد البعثة العسكرية الامريكية وما يسمى بفرق السلام (الجواسيس الامريكيون متخفون في صورة فنيين) والعناصر العسكرية والسياسية المماثلة التي تشكل تدخلا سافرا في البلاد •

ج - سوف تقبل المساعدة الاقتصادية والفنية من اي بلد طالما انها لا تنطوي على اية شروط سياسية •

١١ - الغاء معاهدة شامورو - برايان

- سوف تلغي ثورة الشعب معاهدة شامورو - برايان التي وقعتها حكومة الولايات المتحدة وحكومة ايميليانو شامورو ، والتي صدق عليها الحكام دييجو مانويل شامورو ، وجوزيه ماريا مونكادا ، وجوان بوتيستاساكاسا ، واناستازيو سوموزا جارثيا ، ولويز سوموزا ، ورينيه شيك ، واناستازيو سوموزا ديبايلي • ان هذه المعاهدة المنهكة تحول نيكاراجوا وبلاد امريكا الوسطى الاخرى الى مستعمرات للامبريالية الامريكية عن طريق منحها حقوقا استثنائية لبناء قناة تربط بين المحيطين (الهادي والاطلنطي) وحق انشاء قواعد عسكرية •

١٢ - جيش الشعب الوطني : سوف تزيل ثورة الشعب القوات المسلحة المعادية للشعب المعروفة باسم الحرس الوطني وسوف تخلق جيشا شعبيا ثوريا ووطنيا •

ا - سوف تلغي الحرس الوطني . القوة المسلحة عدوة الشعب التي خلقتها قوات الاحتلال الامريكية في عام ١٩٢٧ لاضطهاد واغتيال الوطنيين الساندينيين الذين حملوا الاسلحة دفاعا عن السيادة الوطنية • وسوف يحل محل الحرس الوطني جيش شعبي ثوري ووطني ، وفي الجيش الجديد يمكن أن يشترك الجنود المحترفون من الحكم القديم :

- اولئك الذين أيدوا حرب العصابات الشعبية •

- أولئك الذين ايديهم نظيفة من دماء الثوريين والذين لم يدانوا باضطهاد الشعب •

ب - سوف تسلح العمال والفلاحون والطلبة والقطاعات الاخرى التي يمكن تنظيمها في ميليشيا شعبية . للدفاع عن الحقوق التي اكتسبت ضد الهجمات الحتمية التي ستشنها الطبقات المستغلة عندما يطاح بها • ولن نكرر نزع السلاح الذي فرض على المقاتلين الشعبيين في عام ١٩٢٧ بواسطة الامريكي هنري ل • ستيمسون والخائن الليبرالي جوزيه ماريا مونكادا ، والمحافظ المتخاذل أدولفو دياز •

ج - سوف تحصن جيش الشعب الجديد ، وتوسع قدرته القتالية ومستواه الفني والتكتيكي •

د - سوف تؤكد في وعي اعضاء جيش الشعب مبدأ الاعتماد على قوتهم الذاتية لتنفيذ المهام القتالية وتطوير مبادرتهم الخلاقة •

هـ - سوف تعمق المثل العليا الثورية داخل جيش الشعب بهدف توسيع الروح الوطنية وتعزيز التصميم على القتال حتى النصر والتغلب على العقبات وتصحيح الاخطاء •

و - سوف تحسن نظام جيش الشعب باستمرار وسوف تقيم علاقة وثيقة واخوية بين الجنود ، وكذلك بين المقاتلين والشعب •

١٣ - التضامن بين الشعوب : سوف تمارس ثورة الشعب تضامنا قتاليا حقيقيا مع الشعوب المناضلة من أجل تحررها •

ا - سوف تؤيد ايجابيا نضال شعوب امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد •

ب - سوف تؤيد نضال السود الامريكيين الشماليين لكسب حقوقهم الانسانية •

ج - سوف تؤيد نضال كل الشعوب ضد اقامة القواعد العسكرية الامريكية في البلاد الاجنبية •

١٤ - وحدة شعوب آمريكا الوسطى : سوف تناضل ثورة الشعب من اجل الوحدة الحقيقية لشعوب امريكا الوسطى في بلد واحد •

أ - سوف تؤيد وحدة اصيلة مع الشعوب الشقيقة في أمريكا الوسطى • وسوف تبدأ هذه الوحدة بتعاون القوى من أجل تحقيق التحرير الوطني واقامة نظام اجتماعي جديد دون سيطرة امبريالية او خيانة وطنية •

ب - سوف تصفي ما يسمى بالتكامل الذي يسعى الى مضاعفة خضوع أمريكا الوسطى للاحتكارات الامريكية والطبقة المحلية الرجعية •

١٥ - تخليد الشهداء : سوف تنشر ثورة الشعب العرفان بالجميل والتبجيل الخالد لشهدائها • وسوف تواصل ضرب مثل البطولة والكرم المشع الذي خلفوه •

ا - سوف تعلم العمال والفلاحين والطلبة وقطاعات الشعب الاخرى العرفان بالجميل والتبجيل الابدي لاولئك الذين سقطوا شهداء حتى تصبح نيكاراجوا وكل الشعوب حرة •

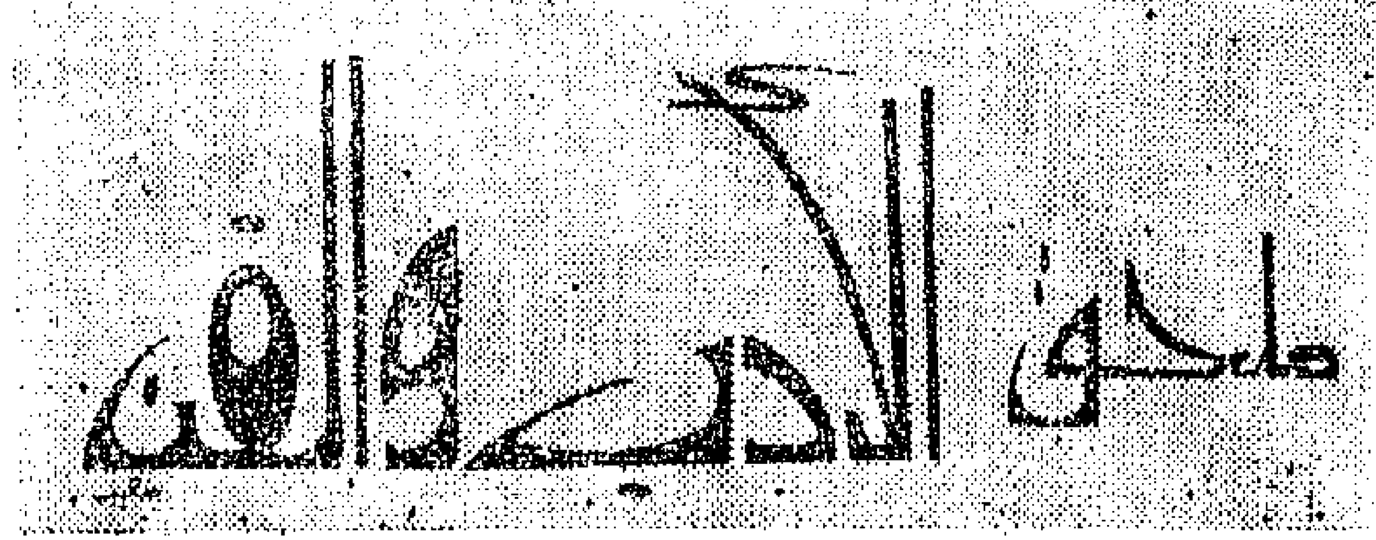
ب - سوف تظهر عرفانها وتبجيلها للشهداء المقدسين بالدفاع عن المثل العليا الثورية حتى انتصارها •

الوطن الحر او الموت

جبهة التحرير الوطني الساندينية

من مكان ما في نيكاراجوا

الطليعة



العدد الثانى — فبراير ١٩٧٢

مؤتمرات الأدباء العرب

التاريخ .. والمستقبل

يشرف على التحرير

د. لطيفة الزيات
غالى شكرى
محمود درويش
سمير فريد
صبرى حافظ



د. عبد القادر القط
الاصالة والتجديد



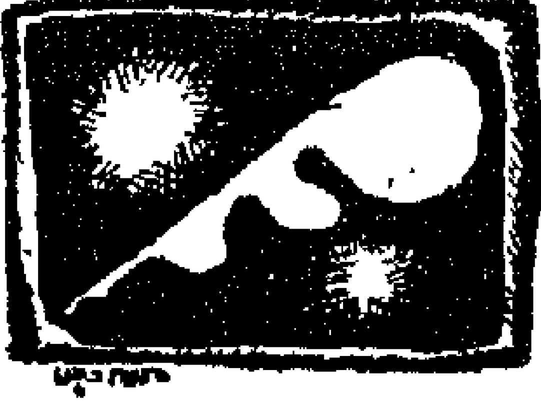
أبو تمام
التراث المعاصر



د. سهير القلماوى
.. ومسئولية النشر

فى هذا العدد

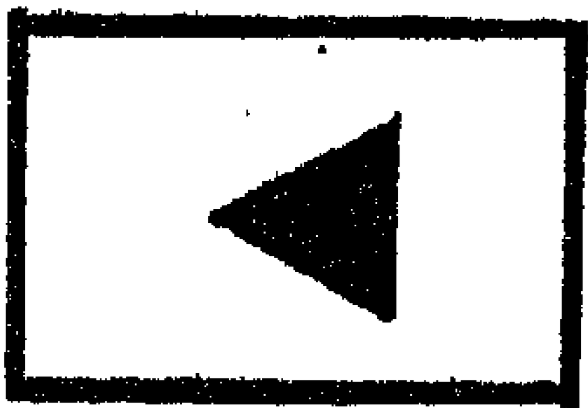
نحو صيغة جديدة لمؤتمرات الأدباء العرب



يفرد « الملحق » دراسته الرئيسية فى هـــذا العـــدد ، لبحث الصيغة الراهنة لمؤتمرات الادباء العرب على ضـــوء الواقع التـــاريخى لهـــذه المؤتمرات ، ووثائق المؤتمر الثامن على وجـــه الخصوص .

لقد طرح المؤتمر الاخير ثمانى موضوعات ، اخترنا منها هنـــا الموضوعات الرئيسية الثلاثة ، وهى « **الاديب العربى بين الحرية والالتزام** » و « **الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير** » و « **الاديب العربى بين التراث والمعاصرة** » .. وذلك لانها كانت أكثر القضايا جذبا للانتباه ومدعاة للنقاش . والتقليد المتبع نظريا حتى الآن هو أن يقدم كل وفد بحثا فى كل موضوع ، ولكن من الناحية العملية لم يتيسر هذا فى أغلب الموضوعات . لذلك فنحن نناقش هنـــا مجموعة البحوث التى قدمت فعلا فى هذه القضايا الثلاث .

ومن جهة أخرى، فقد رأينا أن نسبق تقييمنا التفصيلى لبعض ما أثير فى المؤتمر الثامن الذى عقد بين ١١ و ١٣ ديسمبر عام ١٩٧١ بدمشق ، بمدخل تاريخى يطل على المؤتمرات السابقة، ويستشرف آفاق المؤتمرات القادمة .



نظـــرة على التـــاريخ ورؤيـــة للمســـتقبل

غالي شكرى

في المؤتمر الاول للادباء العرب ، الذى عقد فى لبنان عام ١٩٥٤ ، تمنى الدكتور سهيل ادريس « لو أن المؤتمر قصر أعماله هذا العام على موضوع حرية الفكر ، الذى هو أخطر موضوع نواجهه ، لا سيما وأنه يتصل اتصالا وثيقا بعدد من قضايانا الكبرى ، ومعنى هذا أن دراسته دراسة تفصيلية مدققة ، كان جديرا بها أن تيسر لنا كثيرا من هذه المشكلات الاخرى » .. وفى المؤتمر الرابع الذى عقد فى الكويت عام ١٩٥٤ ، قال الدكتور محمد يوسف نجم : « من الغريب أن نبحث فى مؤتمر أدبى عن كل شىء .. عن القومية ، عن المجتمع ، عن التاريخ ، ثم نضن على الادب نفسه ، بمعناه الحقيقى الاصيل ، معناه الفنى ، باشارة واحدة » .

والحق ان هذين الرايين اللذين جاءا مصادفة فى معرض التعليق ، لا فى صلب الدراسات المقدمة لهذا المؤتمر او ذاك ، يستحقان التأمل الطويل ، لانهما يصوغان نقطتى الارتكاز الرئيسيتين لرؤيه تاريخ مؤتمرات الادباء العرب ومستقبلها ايضا .

التجمع وسيلة لا غاية

كان امرا طبيعيا أن « يتحرك » الادباء العرب مع بداية الخمسينات ، حركة جماعية موحدة ، فالوطن العربى كله كان يمور بصراعات حادة من أجل الاستقلال القومى .. وقد انتظمت هذه الصراعات منذ أواخر الاربعينات ، التى توجتها مأساة فلسطين فى شكل تيارات فكريه مبلورة فى مجموعة من الصور الحزبية والهيئات السياسية . وكان بديهيا أن يفكر الادباء من كافة الاتجاهات فى « التجمع » كحركة ثقافية على الصعيد القومى ، فى موازاة الحركة السياسيه المضطرمة ، وفى « تفاعل » معها ايضا وجاء المؤتمر الاول للادباء العرب ، بين ١٨ و ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٤ فى لبنان ، تجسيدا لفكرة « التجمع » هذه ، وتعبيرا من رغبة حقيقية وأصيلة فى « فعل شىء ما » . ولم يكن من المتوقع أن تكتمل «صيغة» مؤتمر عام للادباء من اجتماعه الاول الذى أقيم بدعوة من جمعية « أهل القلم » اللبنانية . ولكن الغريب حقا أن « تستقر » هذه الصيغة المرتجلة ـ أو غير المقصودة بمعنى ادق ـ طيلة المؤتمرات الثمانية التى عقدت خلال السبعة عشر عاما الماضية . فى ذلك المؤتمر الاول « القيت » عدة أبحاث على المجتمعين ، تدور حول « الادب العربى وازدواجية اللغة » ، « الاديب والدولة والمجتمع » و « المصطلحات العربية وحاجات المجتمع » و « الفنان بين الواقع والالهام » و « حرية الفكر » و « توثيق العلاقات بين أدباء الاقطار العربية » . وهكذا خلا المؤتمر من محور واحد تدور حوله الابحاث ، ولكنها ، بالرغم من ذلك ، كانت وثيقة الصلة بموضوع « الادب » . الا ان غياب « المحور الواحد » ، كان مثارا لاعتراض الدكتور سهيل ادريس ، الذى رأى ان قضية « حرية الفكر » تستحق ان يفرد لها مؤتمر بكامله ، يناقش تفاصيلها المرتبطة بالادب والادباء . وربما كان اختيار « حرية الفكر » بالذات مجرد مثال أملته ظروف المنطقة المرهقة بالبطش والقهر والسجون والمشانق وأحدث آلات التعذيب . غير ان الحقيقة من زاوية اخرى ، هى أن مؤتمرا يعقد لايام معدودة يتحمل أكثر من قضية واحدة يناقشها المؤتمرون تفصيلا وبرحابة وموضوعية .

على أية حال ، كان المناخ الذى ولد فيه التجمع الاول للادباء العرب ، هو الاب الشرعى لهذه المجموعة من الظواهر الايجابية والسلبية . كان المؤتمر مدعوا للانعقاد من قبل « جمعية » أدبية ، وكان المؤتمرون مدعوين بصفتهم الشخصية ، وقد أثمر ذلك ان « تتعدد » الموضوعات المطروحة للبحث ـ وهذه هى الظاهرة السلبية الرئيسية ـ وأن تقترب الابحاث من روح الادب ومعناه ـ وهذه هى الظاهرة الايجابية الرئيسية ـ وان تمثل الشخصيات المدعوة الحياة الادبية فى أكثر رموزها شهرة وذيوعا ـ وهذه هى الظاهرة التى يتجاور فيها السلب والايجاب ، ولكنها فى جوهرها ظاهرة موضوعية تجسم الى حد كبير « واقع » حياتنا الادبية ـ فشخصيات كطه حسين ومحمد حسين هيكل ، وفؤاد الشايب ، وعمر ابو ريشة ، لا يختلف حول قيمتهم أحد ، الى جانبهم ـ بطبيعة الحال ـ شخصيات أخرى ، تحتمل النقاش والتساؤل : لماذا هم وليس غيرهم . ولعل المعيار البديل هو مدى صلاحية هذه الشخصية او تلك لقيادة الحوار فى الموضوع المثار ، الا ان هذا المعيار تلده الظروف التى احاطت بالمؤتمر الاول .

وقد جاءت توصيات ذلك المؤتمر امتدادا لتكوينه وصيغته المشار اليها ، فهى توصيات « عامة » حول حرية الفكر والتعبير ، والنضال من أجل فلسطين ، وتيسير اللغة ، وتدقيق المصطلحات ، ونشر المخطوطات .. والغاء الضرائب الجمركية على المطبوعات الادبية ؛

وتعميم المكتبات ، وحماية حق الملكية الادبيـة ، وتنظيم الحركات الادبيـة فى الوطن العربى ، بتأسيس اتحـادات مهنية للادباء .. وهى توصيات بعضها موجه الى الادباء ، وبعضها الاخر الى الحكومات . وقد كان أهمها جميعا هو الدعوة الى قيام اتحادات فرعية للادباء ، ينبثق عنها فى المستقبل الاتحاد العام للادباء العرب كانت هـذه أهم التوصيات فى تقديرى ، لانها من ناحية ، هى المدخل السليم لعقد مؤتمرات الادباء العرب ، ولانها من ناحية أخرى « مهمة قابلة للتنفيذ » ، فهى تدخل فى اختصاص الادباء ومقدورهم .

« حركة » أدبيـة أم حركة أدباء ؟

اذا كان المؤتمر الاول تعبيرا عن « حركة » الادباء الموازية لحركة الواقع الاجتماعى والسياسى ، فقد اقتصرت هذه الحركة على مجرد التجمع . وكان لابد من الشروع الجـاد فى التحرك الفعال من اجل مؤتمر حقيقى للادباء العرب ، تسبقه فى الاغلب مؤتمرات اقليمية تمهد له وتخطط وتعد . على ان المفارقة المؤسية هى أن أهم التوصيات التى اتخذت منذ سبعة عشر عاما ، لم تنفذ الى الان ، فلا زالت الغالبية الساحقة من الاقطار العربية خالية من اتحادات فرعية للادباء . والمفارقة ليست « بسيطة » الى هذا الحد ، فبينما هناك اتحاد عام قانونى للادباء العرب ، تقول مادته الثانية : « يتكون الاتحاد العام للادباء العرب من اتحادات الادباء المعترف بهـا فى البلاد العربية » ، لا نجد أثرا لهذه الاتحادات فى معظم أرجاء الوطن العربى ومن هنا لا تزال الدعوات الشخصية من جهة والتمثيل الرسمى للدولة من جهة ثانية (حتى ان احدى الدول أبرقت للمؤتمر الثامن بان مندوبها سيكون وكيل الوزارة لشئون الاثار دون ان تسميه) ، والتوازنات العربية من جهة ثالثة هى الصفات الغالبة على تشكيل الوفود وتكوين اللجان وصياغة القرارات .

لقد تبقى من المؤتمر الاول أكثر نتائجه سلبية ، وضاعت اكثر ظواهر ايجابية ، بالرغم من غيـاب الظروف التى خلقت السلبيات ، وكثافة الظروف التى صنعت الايجابيات . كان عام ١٩٥٦ ، مثلا — حين عقد المؤتمر الثانى — من الاعوام ذات الدلالة فى تاريخ المنطقة ، وقد انعكس ذلك الى حد كبير فى تشكيل الوفود ، حيث أقبلت الى ساحة المؤتمر فى « بلودان » ، بين ٢٠ و ٢٧ سبتمبر وجوه جديدة ، كبدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، ويوسف ادريس ، والفريد فرج . ولكن الموضوعات المطروحة لم يكن بينها رابط داخلى عميق ينسج من حولها راية قضية معينة تحتاج الحياة الادبية الى مناقشتها . كان هناك بحث « الاديب والناقد » لميخائيل نعيمة ،



د. سهيل ادريس

و « الاديب والدولة » لفؤاد الشايب ، و « الادب والفنون الجميلة » لمحمود أمين العالم ، و « تعريف العرب بنتاجهم الحديث » لبدر شاكر السياب ، و « الادب العربى بين الاداب العالمية » لطه حسين . وكان من الطبيعى ان تتادى توصيات مثل هـذا المؤتمر بالتعاون بين الاديب والناقد ، وحرية الكاتب ، وضرورة الاهتمام بالتراث ، واعتبار اللغة العربية الفصحى هى الاساس فى مناهج التعليم ، والاهتمام بوسائل نشر الفنون الادبية ، وتكرار الدعوة الى قيام جمعيات أدبية — لا اتحادات ! — فى كل قطر عربى . وكأن المؤتمر لم ير فائدة من الالحاح على تأسيس اتحادات فرعية ، فاكتفى ، متواضعا ، بالدعوة الى قيام جمعيات أدبية ، وهذا أضعف الايمان . وكان المؤتمر متسقا مع نفسه ، فلم ير ثمة فائدة فى الالحاح على قيام اتحاد عام للادباء العرب ، فاكتفى متواضعا بانشاء مكتب دائم للادباء العرب يتكون — طبعا — من رؤساء الوفود الحاضرة !

كان قد مضى عامان على المؤتمر الاول حين انتهى المؤتمر الثانى الى هـذه التوصيات التى تؤكد ان أحدا لم يشغل باله طيلة العامين فى أن حركة « التجمع » وحدها لا تكفى ، وانه لابد من حركة جديدة نحو صيغة مؤتمرات الادباء العرب . ان التغير الذى أصاب الواقع المحيط بالادباء ، والتغير فى ظروف ومناخ المؤتمر الاول ، لم يصب المؤتمر الثانى ، بل انه ، رغم الوجوه الجديدة التى أشرقت على « بلودان » ، جاء المؤتمر فى واقع الامر تكريسا لصيغة المؤتمر الاول التى لم تكن الا جنينا قابلا للتشكيل والتعديل والاضافة . تلك الصيغة المرتجلة الباكرة هى التى رافقت للاسف خطوات الادباء العرب نحو مؤتمراتهم التالية .. حتى الظواهر الايجابية القليلة التى صاحبت الميلاد الاول لفكرة المؤتمر فى اجتماعات « بيت مرى » ، أخذت فى التضاؤل بالتدريج ، وآذنت بالتلاشى . ومن ثم تكونت الصيغة الحالية من العناصر التالية :

(١) استبعاد « المحور الواحد » استبعادا تاما .. وقد أضيفت احيانا كثيرة من قبيل التمويه ، بعض الشعارات السياسية الى البحوث المقدمة كموضوع « الادب والقومية العربية » فى المؤتمر الثالث المنعقد بالقاهرة ، بين ٩ و ١٦ ديسمبر عام ١٩٥٧ ، وموضوع « البطولة فى الادب العربى » فى المؤتمر الرابع المنعقد بالكويت ، بين ٢٠ و ٢٨ ديسمبر عام ١٩٥٨ ، و « دور الادب فى معركة التحرير والبناء » ، فى المؤتمر الرابع المنعقد ببغداد ، بين ١٥ و ٢١ فبراير عام ١٩٦٥ .. الى غير ذلك من عناوين » المؤتمرات التالية . ولكن الواقع هو انه لم يكن هناك موضوع واحد ، بل كان كل باحث مهتما بموضوع ما ، وقد « الصق » فى نهاية العنوان شعار المؤتمر ، حتى لا يقال انه خرج على الموضوع المدعو من أجله .

(٢) استبعاد « الادب » من قضايا المؤتمر ومحاور اهتمامه .. فلقد أدى تعدد الموضوعات المطلوب مناقشتها فى أيام معدودة ، الى استسهال التعميم والثرثرة السياسية .. ولا شك أن المؤتمرات الثمانية قد حظيت ببعض البحوث الادبية الجادة والعميقة والمسئولة ، ولكن هـذه البحوث القليلة لم تنل ما تستحقه من انتباه ومتابعة وحوار ، فى غمرة المزايدات والمناقصات والتوازنات السياسية التى يحتمها الشعار السياسى المرفوع على أعلى لافتات المؤتمر .. بل لقد أدى طوفان الشعارات السياسية الى غرق الباحثين مؤتمرا بعد مؤتمر فى لجة التكرار المميت . فهو ليس تكرارا لنفس المعانى فى المؤتمر الواحد من عدة باحثين فى موضوع واحد ، وانما هو تكرار الالفاظ والتعبيرات من مؤتمر الى آخر . وماذا يفعل الكاتب حين تكلفه هذا العام ببحث « الادب والقومية العربية » ، وفى العام الذى يليه « الادب ومكافحة الامبريالية » وفى العام الثالث « الادب ومعركة التحرير » ، وفى العام الرابع « الادب ومحاربة الصهيونية » ، وفى العام الخامس « الادب وقضية فلسطين » ... ان تكرار الشعار بالفاظ متقاربة من عام الى آخر ، ينتهى حتما الى هذا الفقر والعقم والبوار . ان تاريخنا الادبى القديم والحديث مليء الى حد التخمة بالقضايا الحية التى تحتاج الى حوار علمى مستفيض . ان كافة الاجناس الادبية فى لغتنا تحتاج الى مؤتمرات عديدة لبحث مشكلاتها . وحين نلتقى حول قضية النقد أو المسرح أو الشعر او الرواية ، فاننا لا نبتعد كثيرا عن السياسة ، ولكن السياسة فى الفن أحد عناصره وليست عنصره الوحيد . والادباء — كجميع البشر — سياسيون ، ولكن وظيفتهم فى الحياة هى الابداع الفنى . وكتاب السياسة ومفكروها أولى وأجدر منا وأكثر قدرة على مناقشة قضاياها

المبـاشرة . وليس كريمـا للمؤتمر يعقده الادباء ان يزوغ من مناقشة قضايا الادب والفن الحقيقية نشدانا لليسر والراحة فـي ظـل الشعـارات السـياسية لاننـا حينئـذ نخسر الادب ولا نكسـب السياسة .

③ ولعل التوصـيات التي مررتها المؤتمرات الثمانية هي أبلغ الشـواهد على أننـا ندور في حلقـة مفرغة .. فالدعوة الى الاهتمـام بالتراث والترجمه واللغة الفصحى وقضية فلسطين وحرية الفكر ، هي القاسم المشترك الاعظم بين هذه التوصيات . وفي كل مؤتمر يوجه الجميع هذا النقد : لمـاذا لم تنفـذ التوصيات : وفي كل مؤتمر لا يجيب أحـد : لانهـا غير قابلة للتنفيذ ، لانها تدخل في نطـاق اختصـاصات غيرنا ، لان غالبيتها شعارات عامة يتصل تنفيذها من عـدمه بوضـع المجتمعـات العربية وحكوماتها . وما كان في مقدورنا القيام به نغفله من حسابنا . فللثالث مرة ينادي المؤتمر عام ١٩٥٧ ، بانشاء اتحاد عـام للادباء ، ولم تنفذ التوصية الا عام ١٩٦٨ تنفيذا ناقصا ، لأنه لم يتم انشاء اتحادات فرعية سابقة عليه . منذ عـام ١٩٥٤ ، نادى المؤتمر الاول بحرية الفـكر ، ولم يجرؤ مؤتمر واحد على تشريح وضـع الحريات في الوطن العربي ، لم يعط مثلا واحدا من مئات الامثلة الحسية المباشرة على غيـاب الحرية في هـذا القطر أو ذاك ، لم يقـدم نموذجا واحدا لاغتيال حرية الفكر والتعبير ، لدرجة التصـفية الجسدية لبعض الكتاب والفنانين . لقد وصلت بعض التوصيات الى حد الاهانة للادباء انفسهم ، كان يوصي المؤتمر بأن يأخذ الاديب في اعتباره ـ وهو يكتب ـ قضايا التحرر الوطني ، وان يكون تعبيرا صادقا عن الامة العربية ، وان يحرص على محاربة الصهيونية الى غير ذلك من وصـايا ـ ولا أقول توصيات ـ لا يمكن أن تقال لكاتب لم يفقد بعد قواه العقلية .. ان هذه التوصيات البلهاء هي البديل السلبي للمناقشات الخصبة المثمرة فيما لو كان هناك « موضوع » حقيقي مطروح للبحث على مائدة الادب والفن ، لا على بساط السياسة وسجاجيد الشـعارات المزركشة .

④ وقد كان التجسيد البشري لصيغة مؤتمرات الادباء العـرب ، وما يزال هو هذه الوفود التي تتشكل وفق الوضـع السياسي لكل بلد على حـدة . من نقطة البداية هذه ، فان التشـكيل العام لاى مؤتمر لا يمثل « الحركة الادبية العربية » وانما هواقرب مايكون الى التمثيل الرسمي للحـكومات . لذلك فان وجوهـا مشرقة تضيء فجـأة في هـذا المؤتمر ، وتختفي فجـأة في مؤتمرات تالية ، لمجـرد ان الوضع السياسي في القطر الذي تنتمي اليه هذه الوجوه قد تغير . ويحـدث العكس ايضا ، فتستقر بعض الاسـماء في لوحات جميع المؤتمرات ، بالرغم من



د. محمد يوسف نجم

ان العصر قد تجاوزها ولم تعد بقـادرة على تحمل اعبـاء العصر الجديد ، ولكن « التقليـد » و « العـرف » في احسن الظروف ، و « العلاقات الشـخصية » « المجاملات » و « المصـالح » ، في أسوأها ، لا تعترف بالزمن ، وتجيء مرة أخرى وأخـرى ، رغـم أنف المؤتمـر والمؤتمرين .. والنتيجـة هي ان تكرار الموضـوعات ، وتكرار التوصـيات ، وتكرار الشخصيات ، جعل من المؤتمر الاخير مسـخا مشوها لكافة المؤتمرات السـابقة . وبسـبب سـيطرة النغمة السـياسية في جميع المؤتمرات ، فانها تشبه عند القاء البحوث والمناقشات قاعة جامعة الدول العربية .. كل وفد يعرف مقدما ما سيقوله الوفد الاخر ، فيتحرش أو يصـمت أو يصـفق حسب العلاقات السياسية بين بلديهما . وليس هذا بأية حال ، الوضع الراهن لاتجـاهات الادب العـربي . ولـكن اين هـو « الادب » العربي في مؤتمرات الادباء العرب ؟

رؤية للمسـتقبل

غـير ان ذلـك كله لا ينفي الاهمية البالغة لفكرة مؤتمرات الادباء العرب ، ولا ينفي أن ثمـة انجـازات حقيقيـة للمؤتمرات التي عقـدت بالفعل ، أهمها تأسيس الاتحاد العـام ، والقلة القليلة من البحوث الممتازة ، والكيـان المعنوي للادباء كقوة لها أثرها الفعال في المجتمع والتعارف الشـخصي بين أجيال لم يكن لتتاح لها ان تلتقي دفعة واحدة . كذلك كانت هـذه المؤتمرات ـ رغم السلبيات والثغرات التي شابتها ـ تجمعا وطنيا ، مهما كان الاختـلاف بين تيـارات هـذا التجمع واتجاهاته . الا انه يتبقى بعد ذلك كله وقبله ، ان الصـيغة الراهنـة لمؤتمرات الادباء في حاجـة ماسـة الى تغيير جذري في بنائها ورؤيتها حتى تصبح قادرة على انجاز المهام والاهداف المرجوة من حشـد مجموعة هائلة من ادبائنا في مكان واحـد وزمـان معين . ومن واقع الاخفـاقات التي منيت بهـا المؤتمـرات السـابقة ، تبرز العلامات التـالية نحو ايجاد صيغة جديدة لها :

● ان قيام اتحادات فرعية للادباء في كافة أرجـاء الوطن العربي ، ضرورة عاجلة ، لان هذه الاتحادات تكفل الحد الادنى من تمثيـل الحركة الادبيـة تمثيلا ديموقراطيا لا يخضع ـ غالبا ـ لاهواء العلاقات الشخصية والرسمية . وبمجرد ارتباط هـذه الاتحادات بالاتحاد العام ، تصبح عضويتها فيه هي الصورة الشرعية الوحيدة لتمثيلها في المؤتمر .

● اختيار موضوع واحد للمؤتمر قبل انعقاده بعام كامل .. تناقشه الاتحادات الفرعية على مراحل طيلة العام ، بحيث تجيء « ورقة العمل » التي يتقدم بهـا الاتحاد الفرعي الى المؤتمر العام تجسيدا موضوعيا أمينا للرأي العام في هـذا الاتحاد ، وبحيث يلتزم جميع أعضاءالوفد بالرأي المعلن في ورقة عملهم . لذلك من الافضل أن يمثل الاتحـاد الفرعي في المؤتمر أعضاؤه الذين شاركوا بابداعهم الفكري في ورقة العمل ، بالانتخـاب الحر المباشر من جانب بقية الاعضاءالذين حضروا مناقشة الموضوع في الاتحـاد الفرعي .

● ان « ورقة العمل » هي البديل الاكثر قدرة على الوفاء بمتطلبات المؤتمر من البحوث المتعـددة التي تتقـدم بها الوفود المختلفة .. فهي تتيح لكل وفد فرصة التركيز على نقاط محددة ، تصلح مدخلا الى النقاش الواسع داخل المؤتمر، على أن توزع ورقة العمل الخاصة بكل وفد على جميع اعضاء المؤتمر العـام قبل عقده بشهر واحد على الاقل ، وذلك حتى يتسنى لهم تدوين ملاحظاتهم عليها بعد طول تأمل وامعان للنظر . ولا يبقى أمام المؤتمر حينئذ سوى حصر نقـاط الاتفاق ونقاط الاختلاف من ناحية ، والحوار الموضوعي العميق والواسع حول القضايا المختلف حولها ، أن هـذا الحوار ـ وليست كلمات الافتتاح ، أو التوصيات ـ هو الذي يستحق مجـلدا في نهـاية المؤتمر ، يطبع وينشر ويوزع على نفقته ، لانه يعطي صورة شاملة وأقرب الى الدقة لفكر الادباء العـرب حول القضية المطروحة في ورقة العمل .

● يجب أن تكون هـذه القضـية « ادبية » من ناحية ، ومثارة من ناحية أخرى . ان الثورات والمشكلات والقضايا السياسية والاجتمـاعية والاقتصـادية توازيها ثورات ومشكلات وقضايا ادبية لها نوعيتها وخصوصيتها . ان ترابط جميع الاشياء وتفاعلها الجدلي لا يمنع ، بل يؤكد ، استقلال كل منها نسبيا . لهذا فان الشعر الحديث والرواية الجـديدة والقصة القصيرة والنقد والمسرح العربي كلها قضايا بحاجة الى دراسات «نوعية» خاصة بها . ومؤتمر الادباء العرب هو الساحة العظمى لادارة حوار حي وخصب وخلاق حول كل منها على انفراد .

وبعد ، فان هذه المؤشرات ليست اكثر من عينة لمقترحات كثيرة يختزنها أولئك الذين لا يرون في مؤتمرات الادباءالعرب مجرد نزهة سياحية أو مظاهرة سياسية .

المؤتمر الثامن



[١] الأديب العربى بين الحرية والالتزام في معركة المصير

في مؤتمر يمثل الادباء تمثيلارسميا ، وتحتعنوان يحمل تناقضا وشبهة ارهاب : « الاديب العربى بين الحرية والالتزام في معركة المصير » ؛ يعني : أن الاديب اما أن يكون حرا أو يلتزم.. وفي وجه معركة المصير من يجرؤ على الجهر بعدم الالتزام ؟

فاروق عبد القادر

فى مؤتمر كهذا ، وتحت عنوان كهذا طبيعى أن تتقدم الافكار المكرورة والكليشيهات وكلمات الباطل تلبس اردية الحق ، وطبيعى ان يمد الكتاب ايديهم لبداية كرة الخيط فتتداعى الكلمات : ان قلت الالتزام قلنا نعم ، اما الالزام فلا . وان قلت الحرية تعني بهــا توفير الظروف الملائمة للابداع قلنــا نعم ، أما غيرهــا فلا . (يجب أن نستثنى من البداية بحث الكاتب السورى صدقي اسماعيل) . واذا كان كتاب السياسة يستخدمون كلمة « التبرير » بمعنى تنظير أعمال السياسة اليومية فاننا نستطيع أن نستخدم الكلمة نفسها لاسباغ تعبيرات ومصطلحات ادبية على تبعية الكتاب والادباء لمــا يحدث ، ووقوفهم «بعد» الحادث او النظام او الموقف .

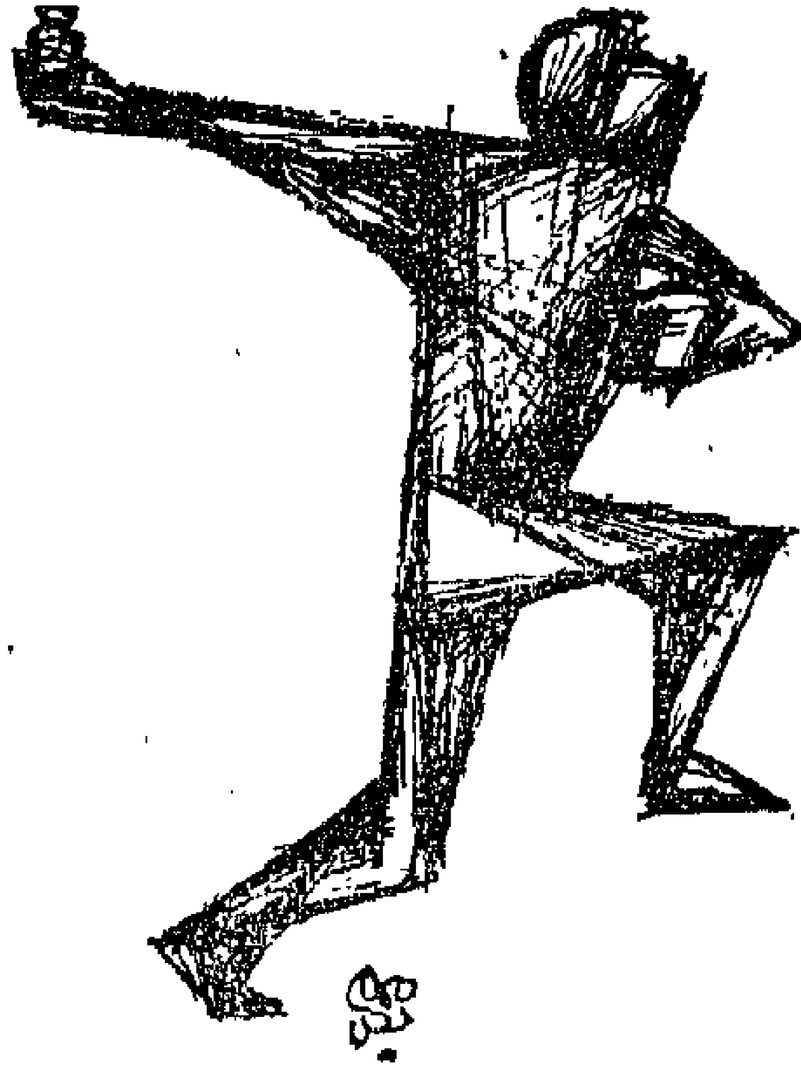
والدهشة التى اصابت الكتاب بعد ٦٧ أحد وجوه هذا التبرير : تنادوا فاسرعوا يعقدون المؤتمرات ويكتبون الابحــاث يحللون ويناقشــون أدب الهزيمة أو ادب النكسة ـ الشاطر من يتسبق غيره ـ ، وبالغ الشعراء فى انفعالهم (وهذا متوقع) فلطموا الخدود وشقوا الجيوب وادانوا الذات والاخرين والامة كلها ، ورغب بعضهم فى التبرؤ منها : تاريخا وتراثا ولغة وحضارة . واليوم ، بعد ستة وخمسين شهرا ، وبعد تسويد آلاف الصفحات عما حدث وكيف حدث ولماذا حدث لازالت الدهشة قائمــة تطالعنا بين الحين والحين . تطالعنا هنا فى بحث **الدكتورة سهير القلماوى** التى لا تجد تبريرا لحقيقة اننا لم ننتصر بعــد ســوى أن المعــركة «مراوغة» وأن السياسة الدولية لــم تعد تعترف بحق أو عقل ، ولا تتحكم فيهــا «معطيات علم السياسة كمــا عرفناه» . وجه آخر هو علو الصوت وارتفاع النبرة .. ومن ثم «المزايدة» هكذا يتحول بحث **الكاتب الفلسطيني عودة بطرس عودة** الى بيان سياسى لايضيف لنا شــيئا : يبــدأ بأن يطرح السؤال : هل المعركة ضــد العــدو الصهيونى معركة دولة عربية واحــدة ام هى معــركة الدول العربيــة دون تمييز ؟ ويتبعه بسؤال آخــر : هل يمكن للواقع الراهن ـ المتمثل فى تعدد الاقطار ـ مواجهة المعركة أم لابد من استبداله بواقع «وحدوى تقدمى» قادر على تحمل المسئولية والانتصار ؟ رغم بداهة الاجابة الا أن الكاتب يبدأ من اليوم الاول فى سفر التكوين (وهــو هنا وعــد بلفور) ويستعرض « أبرز الوقائع » كى ينتهى الى ان فلسطين ـ ارضا وشعبا ـ هى جــزء من الــوطن العربى ، والعدوان الواقع عليها واقع بالتالى على الوطن كله ، وهو كذلك يستهدف هذا الكل ، ويؤكد الــكاتب ذلك من خلال الوقائع ايضــا . فرغنا من الجزء الاول الخاص بمعــركة المصير وجاء الجــزء الثــانى الخاص بالاديب العربى : انه مواطن قبل ان يــكون اديبا ، وهو من ثم مطالب بالالتزام ، **التــزام ان يكون أدبه فى خدمة المعركة برفض واقع التجزئة والاقليمية والتحكم الطبقى القهرى المســتغل والدعــوة باســتمرار الى التغيير الثورى التقدمى ... الخ** » ، واقامة دولــة عربيــة وحدوية اشــتراكية هى السبيل للانتصار فى معركة المصير (وهذه أيضــا بحاجة لتدليل من خمس نقاط) ، لكن نتــاج الادب العربى كله كان «**دون المستوى المطلوب**» ، ولدى هذا الكاتب وصفة لتلافى هذا فى المــرة القادمة : أن يلتزم الاديب خط الثورة وأن يتبنى الكفاح المسلح الفلسطينى ، وأن يتفهم **القضية الفلسطينية وأن يلتحم** بالجماهير ..

رصد ظواهر الواقع — موضوع البحث — ثم محاولة تحليلها فى اطار « فكر ثورى » . امام البيان السياسى الذى يكتب على عجل ، ويلقى أمام من يعرفون كل مافيه — فليس فى معرفته عناء لقارىء متوسط المعرفة — فلن يضيف شيئا : يأتى ويمضى دون أثر .

●

وعلى العكس بدأ الكاتب السورى احمد على حسن يتغنى بالحرية : فهى الربيع الاخضر وهى الواحة الظليلة وهى كلمة مطربة ضاحكة .. الى آخره .. ومن السطور الاولى لاتملك نفسك من الابتسام : هذا رجل لا ينقصه حس الفكاهة ، يعيش فى بلهفية هادئة ، فلنستمع اليه : «أما فلسفة الحرية — وقد اختلفت الاراء فيها — فما زالت من التعقيد بحيث لا يتجلى فيها الوضوح ولا ينجلى عنها الاشكال » — شكرا ياسيدى ، أفادكم الله — لكنها تنقسم الى ماهو عام وماهو خاص ، وما هو موضوعى وما هو شكلى . وسنكتفى من هذه التحديدات بمعرفة ماهو عام وماهو خاص : «هى فى لغة السياسة ترك الشعوب تمارس حقها فى السيادة والاستقلال بحرية تامة .. والمناخ الصالح لها هو استعداد الشعوب لتقبلها ، والجو الاخلاقى والحضارى الذى يتوفر لها » . الست ترى هنا مدى الفكرة الاستعمارية البالية : ان ثمة شعوبا ليست على استعداد لتقبل الحرية ؟ ، «وهى عند الافراد قاصرة على مايحلمون به من رغبات ، كأن يترك الفرد لممارسة أمور تخل بالاعراف والتقاليد» واذا كنا شددنا على الاخلاق فى كل شىء فلاننا نؤمن انها مقياس حضارة الشعوب وعنوان رقيها ونهضتها» — مرة أخرى : نشكرك لهذه الوعظة — ، أما عن حرية الاديب فهو يقول : « ان الاديب الحر هو المنارة التى أركزهاالله فى الشعوب لتستهدى بها فى ظلمات الحياة ، واذا اشار الاديب باصبعه الى موطن العلة شعر بأنه عاش الحرية فى أعلى درجاتها» !

كفانا فكاهات . فلننظر فيما قدمته الدكتورة سهير القلماوى . هنا موقف فكرى متسق ومتكامل ، يبدو واضحا وراء الصياغات الذكية والاستطرادات والجمل الاعتراضية . فبعد أن عرضت الدكتورة بعض هذه الدراسات التى تناولت ادب ما بعد ٦٧ طرحت السؤال : « كيف يمكن للادباء والشعراء أن يقوموا بدور أقوى وأشد فعالية فى معركة المصير ؟ » ، ثم بدات اجابتها بحديث عن هذا الذى يدعونه بالسلام ، والنقش



المحفور على قاعدة نصب فى هيروشيما وشعار منظمة اليونسكو « ما دامت الحروب تنبت أصلا فى عقل الانسان ففى عقل الانسان يجب أن نبنى معاقل السلام » ، هكذا يجب أن تكون عالمية الجهاد من أجل السلام هى نبراس الاديب العربى . بعد براعة الاستهلال دخلت الدكتورة صلب القضية : أما قضية الالتزام فقد حسمها النقاد شرقا وغربا لكنهم ما زالوا مختلفين : من الذى يبلور القضية ؟ ومن يضع الاهداف القريبة والبعيدة ؟ الاجابة : انهم المفكرون [والادباء بعض منهم] ، « أما حين تختفى القوة التى توحد بين الناس وتبدو تناقضات المجتمع وكأن لها كيانا مستقلا تتضخم بمرور الزمن ومسلبيه أفراد المجتمع تنشأ الحاجة الى فلسفة للتغيير » .

فلنتوقف لحظة قبل أن نرى ماتقوله الدكتورة عن مجتمعنا العربى وأدبنا العربى ، ولنحتفظ بهذه الملاحظات : ان الحديث عن السلام هنا أمر مدهش حقا ورغم انه شعار اليونسكو — وهى منظمة تعليمية ثقافية علمية — الا انه قابل للمناقشة : هل تنشأ الحروب حقا فى عقل الانسان ؟ وحربنا هذه : هل نشأت فى عقولنا وعقول اعدائنا ام نشأت فى أرض الواقع بمعطياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية — الحضارية بوجه عام ؟ ثم : ما هذه القوة التى توحد بين الناس والتى اذا غابت تبدو تناقضات المجتمع ؟ ثم الالغاز هنا ولاى هدف ؟ وهل تنشأ الحاجة لفلسفة ما أم تنشأ الحاجة لحفر دعائم مجتمع ما وتقويضها ؟ .

فلنواصل . ومجتمعنا العربى مملوء بالتناقضات [لا بد أن هذه القوة التى لا تعرف لها الدكتورة اسما قد اختفت منه] ، وهو من ثم بحاجة لفلسفة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة هى « خلاصة فكر المفكرين العرب » يتفاعل فى تكوينها التراث والواقع « فلا يمكن لاية أيديولوجية مستوردة أن تقوم مقام الايديولوجية المستوحاة من واقعنا » [من جديد : هذا الغمز للايديولوجيات المستوردة : أية أيديولوجية هذه ؟ .. سنرى أية ايديولوجية تعود الدكتورة لغمزها دون أن تسميها] .

ان شعارات الكفاح والهاب الحماس الجماهيرى — جملة اعتراضية : على أهميتها وخطرها — ليست كل شىء . استدراك : صحيح انها ليست مما يترفع عنه الاديب أو المفكر ، لكنها وحدها لن تؤدى [الا] الى أعمال موقوتة ومحددة وانجازات صغيرة مشكوك فى فعاليتها . ماذا اذن ؟ لابد أن ننتظر تكامل الفلسفة العربية التى تنتظم هذه الاعمال الانية فى كل شامل .

هل يمكن أن يرد أحد ويقول ان ثمة فلسفة انسانية متكاملة أثبتت خبرات الشعوب وتجارب الثوار فى عصرنا صلاحيتها لمعارك الداخل والخارج .. ويمكن أن تكون عربية كذلك ؟ لكن الدكتورة سهير تسارع فتؤكد اختلاف تاريخنا — الوسيط والحديث — من حيث علاقة الانسان بوسائل الانتاج — عن تاريخ أوربا الوسيط والحديث [هكذا تسقط دعوى القائلين بنظرية ما تقوم على الربط بين المجتمع ووسائل الانتاج] ولا بد من دراسة الواقع العربى ، تفصيلا ، كى نصل مستفيدين « بكل الفلسفات المثالية والايديولوجيات المختلفة — لاحظ التعمية المقصودة — « الى فلسفتنا العربية » .

هذا هو الاساس النظرى . هيا الى التطبيق . نتابع الدكتورة فكرتها : ان التطورات التى حدثت فى آداب العالم « لا تمت الى واقع ادبنا الا بصلات محدودة » وتضرب مثالا يهدف لاسقاط الايديولوجية نفسها التى تربط الادب بالطبقة السائدة فى مجتمع ما : « حقا كانت عندنا مذاهب أدبية تتبنى الفن البرجوازى وتدافع عنه ، فهل كانت عندنا ثورة برجوازية على الاقطاع أوجدت رومانسية ثائرة ثم تداعت القيم البرجوازية أمام واقع جديد ؟ » .

وتصل أخيرا الى نقطة من أخطر نقاط بحثها هى العلاقة بين الادب والدعاية . تقول الدكتورة سهير : « ان المباشرة التى ظهرت على أعمالنا الفنية عقب النكسة — بل قبلها أيضا — مسئولة ولا شك عن تعطيل دور الادب وفقدانه السحر الذى يجب له ليؤثر فى الجماهير » ، ثم تورد أسماء نعمان عاشور والفريد فرج ويوسف ادريس وعبد الرحمن الشرقاوى ، ومعين بسيسو ، ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وفدوى طوقان كنماذج [شىء واحد غير المباشرة التى

تعتبها الدكتورة يجمع بين كل هـذه الاسماء : انهم جميعا ــ رغم التنوع والتفاوت ــ هم الواقفون تحت لافتة الفن للحياة أو للناس] ، لكن هـذا لا يعني انصراف الادباء العـرب عن الدعاية ، بل هم مطالبون « بأن ينزلوا بكل ثقلهم ليطوروا اساليب الـدعاية وأشكالها على أن يعرفوا ويعترفوا بان هذا ليس هو الادب المتعارف عليه » وهم مطالبون بأن ينتج الواحد منهم لـونين من الادب : أدب الـدعاية [= التـاكتيك = أدب الجماهير] والادب الخالص [= الاستراتيجية = أدب الخاصة] ، وعلى هـذا الادب الخالص أن يطور اسلوبه : لبدل أن كان الفنان يهرب من تناقضات مجتمعة الى الطبيعة عليه أن يهرب منها أيضا .. لا الى الطبيعة بل الى أخيه الانسان أو حبيبته .. واقعية كانت أو متخيلة .

هذا ما تقوله الدكتورة سهير القلماوي عن الاديب العربى أمام معركة المصير : يجب أن يضع الاديب نصب عينيه عالمية النضال من أجل السلام ، ومجتمعنا العربى بحاجة لفلسفة متكاملة تنبع عن تراثنا وواقعنا،وهى تغمز الايديولوجيات المستوردة ، وتعارض بوضوح نظرية تربط بين الانتاج والمجتمع ، وبين الادب من ناحية والمجتمع وتطلعات الجماهير من الناحية الثانية ، وترى أن ثمة أدبا للخاصة وأدبا للدعاية ، وتنصح الادباء بأن ينتجوا الاثنين معا وان يلقوا بكل ثقلهم فى انتاج أدب الدعاية « على أن يعترفوا بانه ليس الادب المتعارف عليه»

ان الدكتورة سهير تريد أن تعـزل الاديب العربى عن معركة المصـير ، وتحتفظ له بالدور « الفوغائى » برغم انه لا شك أفضل من المذيعين ومقدمى البرامج ! .

[●]

من عمد جعلت التعرض لبحث **الاستاذ صدقى اسماعيل** فى النهـاية ، لانه سيتولى الرد على كثير من النقاط التى اثارتها الابحاث السابقة . يبدأ الاستاذ صدقى بحثه بوضوح : **ليس هناك كاتب الا وهو ملتزم على نحو ما .** اليس يكتب بلغة قومه ويعمل على تطويرها ؟ **لكن هناك حوارا دائما بين الحرية والالتزام فى الادب العربى ، ولا بد من تحـديد الجوانب الجـديدة التى تتيح طرح الموضوع القديم .**

أولى هذه الجوانب هى « محنة اللغة العربية أمام الحضارة الحديثة» او هى : كيف يجسد الاديب العربى تجربة الانعتاق من بنى الاداء اللفظية أو الشكلية أو المتحجرة أو الركيكة ، ورغم ما تحقق فى هذا المجال الا ان المحنة لا تزال قائمة



د. سهير القلماوى

على وجهين : **الاول هـو الاغتراب اللغوى الكامل فى بعض الاقطار العربية والثانى هو هـذا التيار الجارف من « الهجنة والارتباك » فى الاداء الفنى فى بعضها الاخر . أزمة التعبير** أحد جناحى الموضوع ، الجناح الاخر هو التعرف على « **الارضية الاجتماعية التى تتحرك فيها المبادرة الادبية** » ، أو هى بتعبير أكثر تحديدا « **علم اجتماع الادب العربى** » ، والدراسـات القليلة التى أجريت فى مباحث هـذا العلم تنتهى دائما الى غياب « النظرية » النقدية او « المنهج » النقدى أو « الناقد » الكبير .. لـكن النظرية أو المنهج لن ينبثق من فراغ ، ان أيا منهما هو امتداد موقف عقـائدى تمليه الرؤية الشاملة للحياة العربية .

هكذا يضعنا الكاتب مباشرة أمام كل مظاهر الفراغ فى حياتنا الثقافيـة . والبداية عنده هى البحث عن خصائص الادب العربى فى هذه المرحلة ،وبعدها يمكننا أن نبحث مسـائل الادب فى علاقتها بالقضايا المصيرية أو الكبرى ، والحوار حول قضية الحرية والالتزام عند صدقى اسماعيل يجب أن يأخـذ شكل « الصراع الثقافى الجاد » ، **الصراع لا الحوار ، لان الحوار يؤدى فى النهاية الى « مساومة الواقع »** ، وهكذا يتم التنصل من مسئولية الالتزام فى العمل الادبى [راجـع ما تقوله الدكتورة سهير عن الادب والدعاية ــ نموذجا لمساومة الواقع] ، وما هو أخطر : التجاهل التام للشرط الوحيد الذى يفرضه المنـاخ الثقـافى الراهن كنقطة انطلاق لحـرية العمل الادبى والتزام المصير القومى فى الوقت نفسه : « الايمان العميق بأن هذا المناخ يحمل روح الثورة قبل كل شىء » ، **فـدور الاديب بتجاوز دور المثقف أو السياسى أو المناضل العقائدى** [راجع قائمة الشروط التى يتطلبها الاستاذ محمود بطرس فى الاديب العربى] ، لان حدود الممارسة قد تقف بهؤلاء عند حد ما هو مرحلى وراهن ، أما العمـل الادبى والفنى « **فيمارس وظيفة الكشف الجرىء عن كل الجـذور الدفينة فى الواقع التاريخى الذى تعمل الثورة على تعرية تناقضاته وتبديل بنيته الاجتماعيـة من الاساس** » .

لكن ما هو مصيرى لا يمكن أن يكون كذلك الا بقدر صلته بما يتبـدل فى مصائر الناس المعاصرين . هكذا تسقط دعاوى الالتزام الكاذبة : المعاناة ، الحفاظ على أصالة التراث ، التجديد فى الاداء .. الخ . فما يحدد الجدارة الحقيقية للاديب هو الارتباط الوثيق بين تجربته الفنية وبين ما يمكن أن تعنيه فى صنع المصير الثقافى فى المرحلة الراهنة . وفى واقع ذى طابع مرحلى يزدحم بصراع المتناقضات تبقى مسألة الحرية على الصعيد الادبى « مسألة معلقة » شأنها فى ذلك شأن الحقـوق السياسية فى حياة الشعب . والرؤية الموضوعية لموقـع الاديب الاجتماعى الراهن وتاريخية واقعة الادبى يكتشف الصيغة الاساسية لازمته الحقيقية مع الحرية والالتزام . هذا يعنى ضرورة اعادة النظـر فى كثير من التساؤلات المألوفة : **الحرية لمن ، ولماذا ؟**

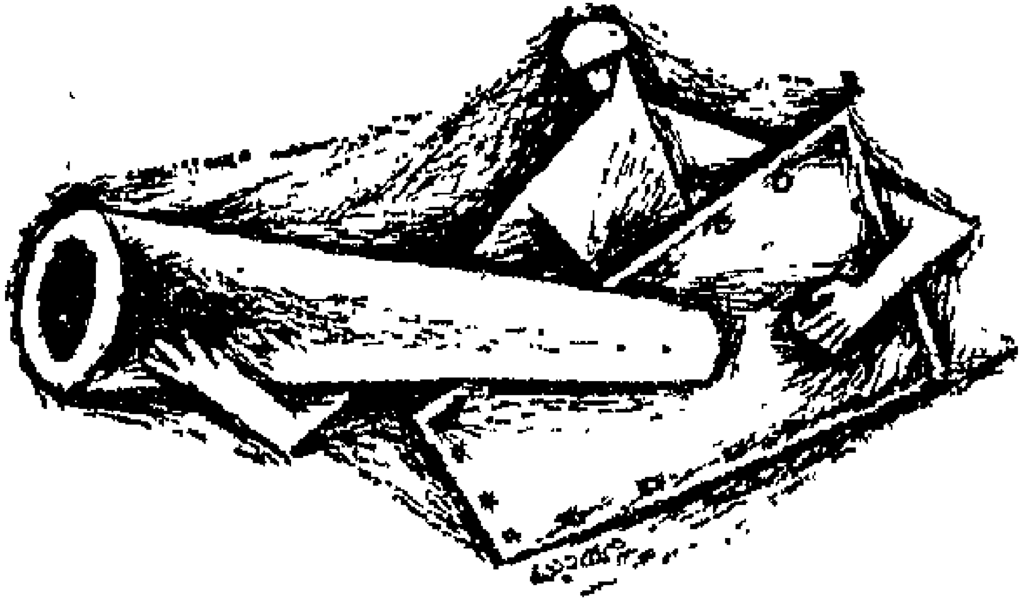
أما الحرية لمن فهذا هو الجـواب الذى يفرضه المناخ الثقافى : « الحرية للذين يكتبون عن الشـعب فى معاناته المريرة لشروط الواقع ، أو للـذين يرسمون بالقصة والرواية رؤية انسانية جديدة للحياة العربية ، أو للذين يضعون ايقاعات شعرية صادقة للتجارب التى تحمل ارادة التحرر فى الكفاح القومى والجدارة الانسانية والحب والاحساس الفنى بالطبيعة وما الى ذلك .. » .

أما الحرية لماذا ، فالاجابة من واقع شروط المرحلة الراهنة : « كى تلعب الكلمة دورها المزدوج : بناء **الصيغة** المعاصرة الجديدة لاداء اللغة العربية ، ثم امتلاك الرؤية المصيرية للواقع العربى من عن طريق **المعرفة الفنية** » .

ان بحث الاستاذ صدقى اسماعيل أفضل البحوث الاربعة ، من حيث طرحه للقضية بجانبيهـا الفنى والاجتماعى ، ومن حيث الاجابات التى يقدمها كذلك الى آخر مايمكن أن نطالب به أى مواطن عربى يريد أن يفهم ماحوله ويكون له دور فيه .

فى هذا البحث خلط واضـح بين ما نطلبه من الكاتب ومايمكن أن يؤديه المثقف والمناضـل السياسى والمنظم الجماهيرى والمواطن العادى. ان الثورية ليست حشدا اكبر قدر ممكن من كلمات الثورة والنضال ومرادفاتها ، لكن المهم هـو

[٢]



الاداء والتعبير الفنى في معركة المصير

د٠ لطيفة الزيات

تقدمت كل من العراق ولبنان وسوريا للمؤتمر بأبحاث فى موضوع « الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير » ٠ ألقى البحث الاول باسم وفد العراق الاستاذ الفريد سمعان ، وقدم البحث الثانى الاستاذ محمد دكروب (لبنان) تحت عنوان « نقاط وملاحظات حول دور الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير » ، بينما كتب البحث الثالث الاستاذ خلدون الشمعة (سوريا) تحت عنوان « فى حرية التعبير » .

وبينما ينفرد كل بحث من الابحاث بصفته المميزة وبقيمته الموضوعية الخاصة ، يتشابه البحثان العراقى واللبنانى من حيث التركيز على العلاقة بين العمل الفنى والمتلقى ، أو على مشكلة الايصال ، وينفرد البحث السورى بمناقشة المشكلة من زاوية مختلفة ، وهى علاقة الفنان بالعمل الفنى ، ومدى ما تتيحه أشكال التعبير المستخدمة فى الوطن العربى للفنان من فرص للتعبير الحقيقى عن الذات ، ومن حرية فى هذا الاتجاه ٠

ويقر البحث العراقى ، كما يقر البحث اللبنانى ، بالدور الذى يمكن أن يقوم به الادب فى التغيير الاجتماعى ، آخذين المنطق الماركسى كنقطة انطلاق ويقران بضرورة التغيير فى أنماط وأشكال التعبير كضرورة حتمية لخدمة متطلبات كل مرحلة وكل بيئة على حدة ، وذلك فى اطار التطور العام للادب ومتطلبات الثورة العالمية المتجددة ، كما يريان فى التجديد اكتشافا وفى ذات الوقت امتدادا ، أى اضافة واسهام فى تراث حى دائم التجدد والحيوية ٠

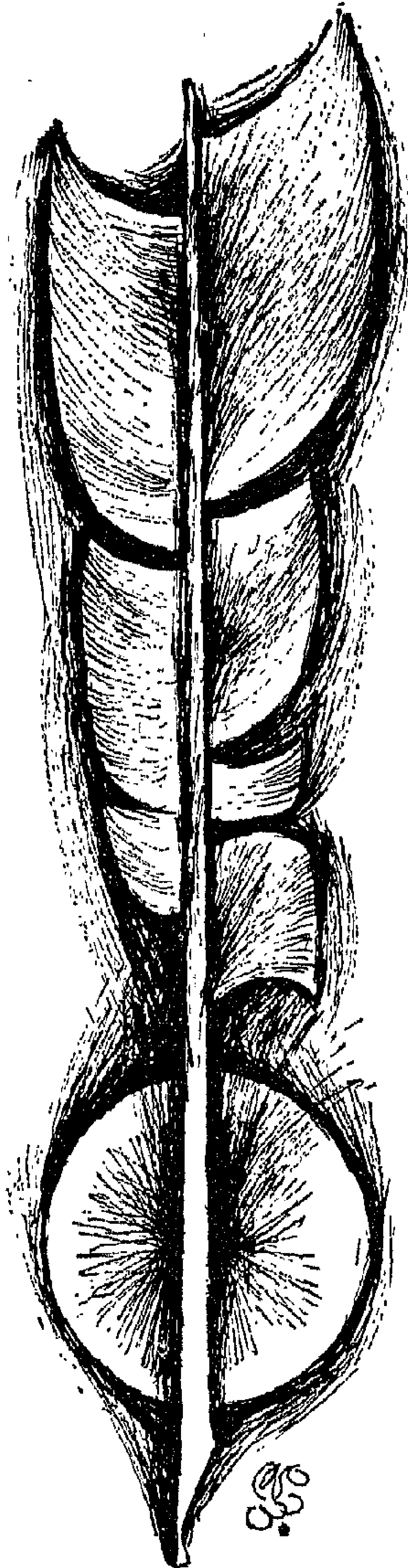
ويرى بحث الوفد العراقى أن الادب قد استطاع فى الوطن العربى الوفاء بمتطلبات المرحلة ، لا فى المضامين فحسب بل فى الصيغ والاشكال أيضا ، فالشعر الحديث كظاهرة انما جاء تعبيرا عن رؤية جديدة أكثر تركيبا وأكثر شمولا من تلك التى عبر عنها الشعر العمودى ، كما أن مفرداته التى تميل الى البساطة والنأى عن التغريب انما هى فى الواقع تسعى الى توسيع دائرة التفاعل بين الفنان ومجموعة المتلقين ، وتوسيع دائرة المتلقين ذاتها ٠ ويتوقف البحث عند اللغة التى تستخدم حاليا فى الشعر وغيره من الوان التعبير الادبى ، ويرى فيها ظاهرة ايجابية ، من حيث انها تقترب من واقع الجماهير ولا تعمق فى ذات الوقت واقع تجزئة الوطن العربى ، ومن ثم فهى كلغة عربية فنية بسيطة وسليمة تفى بالواقع الجماهيرى والواقع القومى العربى ٠ ويسجل البحث ازدهار المسرحية والفن القصصى كواحدة من ايجابيات المرحلة ، فالفن المسرحى والروائى بما يتيحه من

تركيبة ومن موضوعية فى الرؤية قد خدم متطلبات المرحلة ، بل ان الشعر نفسه قد أدرك قصور التعبير الذاتى عن الوفاء بهذه المتطلبات ، فاتجه الى استخدام العنصر الروائى والدرامى • ويرى البحث فى استخدام الوان الادب للبطل الفعال الذى يرى فى نفسه امتدادا للاخرين ، وجزءا لا يتجزأ من الاخرين ، دون البطل الوجودى الذى يقف وحيدا منفيا ، ظاهرة أخرى من المظاهر الصحية فى الادب العربى • ولا يدين البحث التعبير عن القلق والتغرب فى الادب العربى المعاصر بل يعتبره تعبيرا ثوريا من حيث هو يرفض الواقع بقصوره • غير أنه يحذر من الاتجاهات العالمية المعاصرة التى تتبدى فيما يسميه « بالعدمية والنهلستية والميكانيكية » وتاليه الشكل على حساب الموضوع ، أو فيما يعبر عنه أحدهم بقوله بأن مهمة الادب هى تفجير الثورة داخل اللغة لا أكثر ولا أقل •

ويعتبر البحث أن الدعوة الى المدارس الشكلية انما هى فى الواقع دعوة الى اسقاط دور الفن والادب وسلب الثورة سلاحا من أهم أسلحتها • وينتهى برفض هذه الاتجاهات الشكلية ، كما ينتهى برفض التجمد أيضا ،

ويعتبر ان قبول أيهما انما هو انتقال من اليمين الى اليمين •

وبينما يرسى الباحث العراقى عموميات ، يقصر دون الدخول فى الخصوصيات ، وبينما يشير الى ظاهرة الابهام والتغريب والتجديد المحموم فى التجريب الشكلى فى الوطن العربى ، ويقف منها موقف التحفظ ، فهو لا يردها الى جذورها فى الواقع العربى • وبينما يرسى الجانب السياسى والاجتماعى للمشكلة يقصر عن التركيز على المشاكل التكنيكية للفنان ذاته ، تلك المشاكل التى تتصل برؤيته الخاصة للحقيقة الموضوعية وبتطورات هذه الحقيقة



الموضوعية • ونحن باختصار نفتقد فى هذا البحث العلاقة الجدلية بين الظواهر الفنية والاجتماعية ، تلك العلاقة التى تكاد تبلغ مرحلة الاكتمال فى البحث الذى قدمه الاستاذ محمد دكروب (لبنان) .

يرى الاستاذ دكروب أن التفاعل المنشود بين الادب من جهة وبين القوى الاساسية للثورة من جهة أخرى تفاعل يحول بينه وبين التكامل ضيق الدائرة القارئة (الامية) ووجود ظروف معينة تحول دون تحقق الاتصال بين الادب من ناحية وبين الجانب المحدود القارىء من ناحية أخرى • ويركز البحث على العامل الثانى ، حيث أن العامل الاول وهو ارتفاع المستوى الثقافى للجماهير الواسعة لن يتحقق الا فى المدى الطويل •

ويتوقف الكاتب عند العامل الثانى الذى يتمثل فى الظاهرة التى تفشت فى أدب السنوات العشر الاخيرة ، وهى ظاهرة الابهام والتجريب المحموم والاغراق فى الرمز والتركيب والرؤيا الضبابية والاشكال الكابوسية وأجواء الرعب والضياع ، ويرجع هذه الرؤيا الى محتواها فى تطور أدبنا وذلك فى نطاق الادب العالمى ككل . ولكنه يعزو تفاقم هذه الظاهرة فى المقام الاول الى التغييرات العميقة التى اجتازها الوطن العربى فى الفترة الاخيرة • تلك التغييرات التى شكلت انهزامات بدت كانتصارات ، وتبدت فى ألوان من القهر والعسف انتهت بهزيمة يونيو ١٩٦٧ •

ويطالب الاستاذ دكروب الناقد الادبى بالقيام بدوره تجاه هذه الظاهرة من حيث ارجاعها الى أسبابها فى الواقع العربى ، ومن حيث تفسير العمل الابداعى ذاته والقيام بدور همزة الوصل بين الكاتب الابداعى والمتلقى ، وهو يعتقد أن التمهيد لتغيير ذوق المتلقى بحيث يتقبل الاشياء الاكثر تركيبية وبحيث ينفض عنه حالة التعود السهلة على الاشكال التقليدية يشكل مهمة من المهام الاساسية للنقد الادبى فى المرحلة الحالية •

ويرى الاستاذ محمد دكروب أن ظاهرة التجريب المحموم التى اتضحت فى أدب السنوات العشر الاخيرة تطرح عدة قضايا :

١ ـ أن الاصالة من عدمها هى المقياس الحقيقى لقيمة هذا الادب ، فالادب اكتشاف وما دام يمثل اضافة حقة ، وبالتالى امتدادا لتراث حى متجدد فهو أدب جيد ، أيا بلغت درجة ابهامه • ومثل هذا الادب يؤدى دورا فى المرحلة الحالية من حيث

هو يمد الادب الذى يصل الى الجماهير بالادوات التعبيرية الجديدة ، كما أن من شأن هذا الادب أن يؤدى دوره مستقبلا فى نطاق تطور الادب ككل ، وذلك فى ظل ارتفاع المستوى الثقافى للقارىء ، وارتفاع قدرته على تذوق الادب الاكثر تركيبية وتعقيدا •

٢ ــ وبالرغم مما فى ادب الستينات من صعوبة وغموض ، فانه من العسف القول بأن هناك تناقضا بين الحداثة فى التعبير وبين الوصول الى الجماهير العريضة ، فقد تمكنت فعلا بعض الاعمال الفنية التى تعتمد على أشكال جديدة ومعقدة من الوصول الى الجماهير والتاثير فيها • وهذه الاعمال كتبها رواد من بين أدباء الخمسينيات وأدباء الستينيات على السواء •

٣ ــ ان الرؤيا الكابوسية فى الادب ليست مجرد ولسوع بالتجديد ،ولا بالتقليد ، وانمالها جذورها الثابتة فى الادب العربى ، ومن ثم فهى تعبر عن واقع صحي من حيث هى تشكل صيحة غضب ودعوة مقاومة واعلان رفض للواقع القائم • على أن هذا النزوع الى الاغراق فى الرمز والفانتازى والغموض أدى بكثير من هذه التجارب شعرية كانت أم قصصية أم مسرحية الى الوقوع فى دائرة شبه مغلقة على الجماهير وانتقص بالتالى من الدور الذى كان يمكن أن تقوم به فى معركة المصير •

والسؤال الذى يثيره هذا الوضع وفقا لمحمد دكروب هو : ما هو موقف الاديب المبدع من الاحداث ومن معركة المصير ؟ ان هذا الاديب يعبر عن الغربة والضياع ، وهذا فى حد ذاته شيء صحى ولكنه احيانا يؤكد لنا بطريق أو آخر : انالاوضاعهكذا وانها ستبقى هكذا دائما ، أى لاسبيل الى تغييرها • وليس المطلوب من الكاتب ان يعطينا حلولا للمشاكل ويكفى أن يفتح أعيننا على السلبيات • وهذا فى حد ذاته عمل ثورى • ولكن تأكيد الفنان على أن الطريق مسدود هو فى الواقع ينبع من قصور فى رؤية التاريخ فى حركته الدائبة والصاعدة دائما وأبدا رغم ما يشوب هذه الحركة من تعثرات •

ويرى الكاتب أن فى ارتفاع وعى الفنان الفلسفى والسياسي الى مستوى موهبته خروجا من هذا المأزق ، فتسلح الكاتب بالوعى الفلسفى والسياسى يمكنه من تجاوز الحاضر الى امكانيات المستقبل • ولو تحقق مثل هذا الوعي لانتقل أدب الشباب فى مجموعه من مستوى التمرد الى مستوى الثورة ، أو من مستوى الفردية الى الافق الجماعى • ولتغير وضع الابداع لا كموقف فحسب ، بلكمضمون اذ أن الابداعسيصدر لاعن رؤية ذاتية فحسب بل عن رغبة ملحة فى توصيل هذه الرؤيا الذاتية الى أكبر دائرة ممكنة من المتلقين •

وبصدد معالجة ظاهرة التعقيد فى الادب ، يبدى الكاتب ملاحظة على جانب كبير من النضوج والتفهم ، فهو يعتقد أن احادية النظرة فى ادب الخمسينات التى تقوم على تفاؤل غير مبرر جدليا لا توازيها الا احادية النظرة فى ادب الستينات التى تقوم ايضا على تشاؤم غير مبرر جدليا • وهذه الاحادية تعبر عن قصور فى النظرة الجدلية الى الامور فى الحالتين فادب الستينات ليس فى الواقع الاالوجه الاخر لادب الخمسينات

ويرى الكاتب ان ثمة تباشير لظهور حركة ادبية جديدة تعبر عن الرؤية الجدلية المتكاملة للامور ، غير ان هذه الظاهرة فى اعتقاده ما زالت ظاهرة محدودة للغاية •

وربما كان شمول بحث محمد دكروب وامتيازه يدعونا الى اضافة نقطة تساهم بعض المساهمة فى هذا الشمول • ودكروب يحمل الكاتب كل الالتزامات ، ويهمل الى حد كبير التفاعل الضرورى بين الكاتب من جهة وبين الواقع الذى يعيش فيه من جهة أخرى • ان الكثير من المهام التى تقع على المناضل الثورى والشعوب والقيادات والمنظمات الثورية تلقى على كاهل الكاتب ، فالتعبير الاصيل للكاتب يرتبط ارتباطا لا ينفصم بمدى تصاعد المد الثورى وانحساره وضبابية الرؤية وتعقيدها تتزايد بمدى ما ينحسر هذا المد الثورى، وتتناقص بمدى ما يتصاعد • ووعى الكاتب الفلسفى والسياسى ذاته مرتبط بمدى هذا التصاعد • فتصاعد المد الثورى كفيل بأن يجر المزيد من الكتاب الى دائرة الالتزام، وان يخرجهم من الدائرة الفردية الى دائرة المجموع •

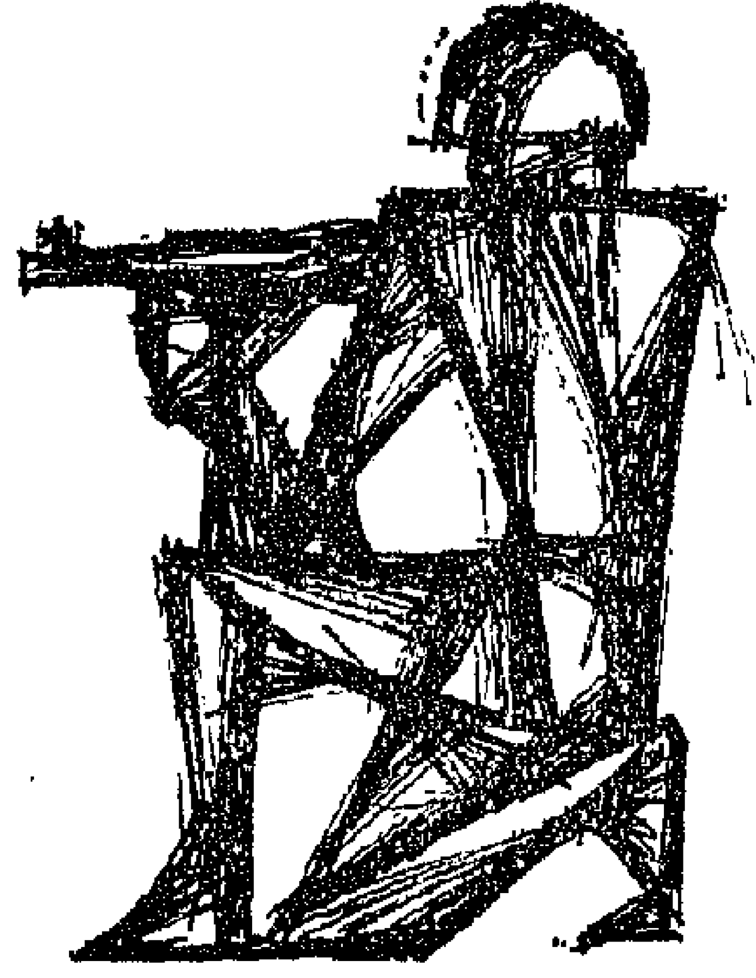
ان انعدام دور الكثير من الاعمال الادبية فى التاثير فى معركة المصير انما هو نتيجة حتمية لعزلة الكاتب ، ولانحسار المد الثورى فى الواقع العربى • يقول محمد دكروب : « ان الفنان الاصيل يستطيع ان يوازن بين المعاصرة وبين ضرورة الوصول الى الجماهير •• خصوصا اذا انطلق اصلا من الايمان بضرورة الاتصال ، وضرورة ان يؤدى العمل الفني دوره فى المعركة الشرسة التى تجابهنا الان جميعا فى مختلف الاصعدة الوطنية والاجتماعية والفكرية معا » • ومطلب الاستاذ دكروب ليس رهنا بارادة الفنان وحده •• فالفنان الاصيل يعبر عن رؤيته الذاتية الاصيلة ، وهذه الرؤيا هى حصيلة التفاعل بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الموضوعية او بين الفنان والمجتمع الذى يعيش فيه •

ووقت ان تهيء للفنان المناخ الثورى الذى تتضح فيه الرؤية ويتضح فيه هدف الحركة يتأتى لنا أن نسائل هذا الفنان كيف ولم تخلف عن الركب • ان الفنان المسلح بالرؤية الاشتراكية يرى التاريخ فى حركته الصاعدة رغم

ما قد يعترى هذه الحركة من تعثرات • ولكننا من خلال تهيئة المناخ الثورى ، نهىء لمزيد من الكتاب سهولة تبنى الرؤية الاشتراكية ، ونمهد لكثير من الكتاب امكانية التصالح اللازم للخلق الابداعى ، اى التصالح بين الرؤية الذاتية وبين الواقع • واعنى الواقع لا فى تخبطه بل فى خطه الثورى الصاعد •



أما بحث الاستاذ خلدون الشمعة « فى حرية التعبير » فيتطلب انطلاقا لا حدود له لمخيلة الفنان • غير أن تصوره لهذا الانطلاق تصور غريب للغاية • والكاتب يحلم بمدينة أدب عربى حديث ، « لا يبهظ روحها الفنى عسف المعايير التاريخية والسياسية والسيكولوجية ، ولا تمنح نفسها الا لمفاتيح الموهبة ، والخلق والابداع » • وكأنما مخيلة الفنان هى نبت شيطانى معزول عن بيئته ، وكأنما الابداع الفنى ليس هو حصيلة التفاعل بين المخيلة او الحقيقة الذاتية من ناحية والحقيقة الموضوعية من ناحية أخرى التى تتمثل فى عدة عوامل منها المعايير التى يشير اليها الكاتب . ان مدينة خلدون الشمعة المثالية ليست مدينة مستحيلة فحسب، بل هى ايضا مدينة لا انسانية ، مدينة أصنام لا تفعل ولا تتفاعل • وبداية من هذا المنطلق يذهب الكاتب الى أن الاشكال التعبيرية التى يستخدمها الاديب العربى انما تشكل قيودا على مخيلته وتحول بينه وبين حرية الابداع • ويرجع الكاتب هذه الدعوة الى اسبابها فى نوعية المخيلة العربية اولا • وفى طبيعة الاشكال التعبيرية التى تستخدمها هذه المخيلة • والمخيلة العربية وفقا لخلدون الشمعة تتسم بالخيال الجامح وبالعفوية وبالاضطراب وبالميل الى المغامرة • وهو يدعم دعواه بالاستشهاد بالفيلسوف كانط وكأنما رأى كانط فى المخيلة العربية



يشكل الحجة التى لا تدحض فى وصف هذه المخيلة •

وتنبت المفارقة التى تسم الادب العربى الحديث ، وفقا لكاتب البحث من اصطدام مثل هذه المخيلة بالاشكال الفنية التى تستخدمها فى التعبير •• فهذه الاشكال تتمثل فى صيغ مستقرة لم تصنعها المخيلة العربية ، بل فرضت عليها من الخارج فرضا وهى أشكال جردت من مهادها التاريخية والاجتماعية ، وذلك بالرغم من أنها اكتسبت الان طابع التقنيات العالمية • واكتساب الاشكال المستخدمة فى الادب العربى للطابع العالمى قد يحد من الاستحياء الذى يستشعره الكاتب العربى وهو يستخدمه غير أنه لا يغير بحال من حقيقة أنها تمثل خبرة ناجزة ليست من صنع الكاتب العربى وانها نتاج حضارة لا يمكن بحال أن تعتبر امتدادا لحضارته • كما أن هذا الوضع لا يغير من حقيقة أن هذه الاشكال تتعارض تعارضا كليا مع نوعية المخيلة العربية التى تتسم بالعفوية والجموح والاضطراب على حد قول الكاتب •

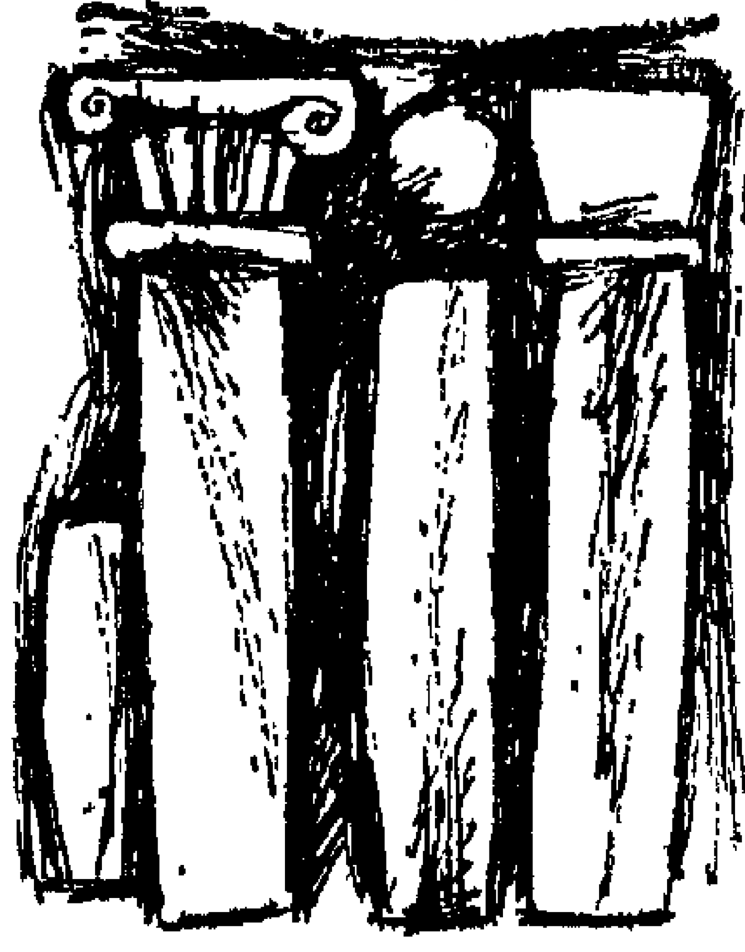
ويكتسب الادب العربى نتيجة لهذه المفارقة ذلك الطابع الذى يسميه الكاتب « بالطفولة المكتهلة » ويصبح الكاتب العربى وفقا له « طفل مستحوذ تماما على المخيلة المنطلقة بالاضافة الى انه خبير مكتهل حذق القالب الفنى الذى تعرف عليه ولم يصنعه ، استوعبه ولم يكتشفه ، رزق فيه من حيدته السائبة ولم يمارس اكتشاف حريته من خلال تجربته البديعية فى تشكيله ... أنه يرزح تحت وطأة طغيان (الصيغة) على الرغم من أنه لم يمتلك بعد مفاتيح هذه الصيغة وطريقة السيطرة عليها • وهكذا ينفصم معنى حرية التعبير لديه عن معنى الحرية الفنية من حيث هى نشاط عفوى » •

ولما كان الكاتب يرى أن هدف الادب هو اكتشاف الذات ، ولما كان يرى أن كل الاشكال المستخدمة فى أدبنا العربى الحديث تحد من انطلاق عملية الابداع ، وبالتالى من تحقيق الهدف من الادب وهو اكتشاف الذات ، فهو يقترح حلا معينا للخروج من هذا المأزق ، اذ يطالب الفنان العربى أن « يقصى آفاق التزامه على استغوار طريقة معينة فى النظر الى العالم » • ويرى فى « الاسلوب » الطريق الى التوصل الى تحقيق الذات أو تحقيق مهمة الادب • وبالاسلوب يعنى كاتب البحث العفوية الكاملة فى التعبير والتحرر تحررا كاملا من الاشكال الادبية المتعارف عليها • والاسلوب بهذا المعنى لازم فى الفترة الانتقالية التى يمر بها أدبنا العربى ولا ينبغى أن تخيفنا العفوية المطلقة طالما لا تتحول الى التزام سياسى تدفع بالكاتب الى التوتر المشحون •

ولا يبين لنا كاتب البحث على وجه الدقة أن كان التحلل المطلوب من الاشكال الفنية تحللا يقتصر على الشعر أم يتجاوزه الى ألوان الخلق الاخرى من فنون قصصية ومسرحية ، وان كانت الامثلة التى يقودها تدعونا الى الاعتقاد انه يدعو الى رفض نظرية الانواع الادبية والتمهيد لنظرية جديدة للتعبير تعتمد على الاسلوب بالمعنى المبين أعلاه (وهو نفس الموقف المعلن لادونيس) •

والملاحظ أن البحث يتنـاول الموضوع من زاوية واحدة هي علاقة الفنان بعمله الفني متجاهلا لبقية العوامل المتشابكة التـي يطرحها هذا الموضوع ، وأن هذا العلاج القاصر يقصر بدوره عن تناول هذه المشكلة الاحـادية . فالفنان قبل أن يكون فنانا انما هو انسان ، وهو كانسـان لا يعيش فى جزيرة معزولة بل فى بيئة يتفاعل معها ، وابداعه هو حصيلة التفاعل بينه وبين هذه البيئة ، او محصلة التفـاعل الدائم بين الحقيقـة الذاتيـة والموضوعية . وليس ثمة فن أو ابداع دون هذا التفاعل . وأن نحـرر الفنـان مـن « المعايير التاريخيـة ، والسياسـية ، والسيكولوجية » لعصره يعني أن نحرم الفنان من الوجود ذاته ، وأن نجرب فى اللغة وأن نفجر فيها الثورة بشىء ، وأن نقصر الابداع الفنى على هذا او على ما يسميه الكاتب بـالاسلوب شىء آخر . فالتفجير فى اللغة انما يستهدف ايصال صورة معينة أو فكرة معينة الى المتلقى . وأن يطمح الفنان الى العفوية فـى التعبير شىء وأن يتحول « بمخيلة طفل» الى انسان يجرب فى اللغة لاكتشاف ذاته والحوادث تضطرم من حوله شىء آخر . انه شىء غير مستحب بل لعله مستحيل ، لان الابداع الفنى كمـا قلت حصيلة التفاعل بين الحقيقـة الذاتية والحقيقة الموضوعية .

والاستاذ خلدون الشمعة يقطع بأن هدف الادب هو اكتشـاف الذات ، وكأنما هذه مسلمة من المسلمات . والواقع أن اكتشاف الذات قد يشكل طبيعة الادب لا مهمته .. فالفنان يعيش فى مجتمـــع معين ، وفى عالم معين ، واكتشافه لذاته هـــو فى نهاية الامر اكتشاف لرؤية ذاتية معينة لهذا المجتمع أو العالم المعين الذى يعيش فيه . وهذه الرؤية المعينة والفـريدة تؤرق الفنان وتدعوه الى اشراك الاخرين فيها ، حتى تصبح للرؤية الفريدة رؤية عـامة .



وهذه الحقيقة تشكل الحافز الى الخلق ، ومن ثم فطبيعة الادب هى اكتشاف الرؤية الفـريدة ، ومهمة الادب هى اعادة خلـق العالم وفقـا لهـذه الرؤيـة الفريدة . ولا أحسب أن التجارب العفوية للمخيلة ، (أو الاسلوب كما يسميه الكاتب) كفيلة بتادية هذه المهمة . أن دعوة الاستاذ الشمعة تشكل بدورها صيغـة مسبقة ، مجردة بدورها مـن مهادها التاريخية والاجتماعية . ان الدعوة الى تفريغ الادب من محتـواه بحيث يقـتـرب من الموسيقى ، والى تفجير الثورة فى الادب كالهدف الاوحد للادب ، دعوة بدأت بفلوبير ومـازالت تطفو الى السطح فى العـالم الغربى من حين الى حين .

وفكرة الاستاذ خلدون الشمعة عن الاشكال الفنية المستخدمة فى الادب العربى ، فكرة تسـتحق بدورها المناقشة ، ونحن لا نعرف على وجه التحـديد ان كان يستهدف محاربة نظرية الانواع الادبيـة ، كالمسرح والقصـة والرواية الـخ ، أم الاشكال المختلفة التى تدخل فى نطاق هذه الالـوان الادبيـة ، وان كان الاحتمال الاول أرجح . ويدعونا هـذا الشـك الى منـاقشة الاحتمالين . ولست أحسب أن من صالح احد ان تحارب نظرية الانواع الادبية فـى الوطـن العربى ، بعد أن قضينا ما يقارب القرن فى ارسائها ، وبعـد أن أصبحت تشكل لغة مشـتركة ومؤثرة ، يتعارف عليها الجميع ، ويتعامل على أساسها الجميع .

أى أن نظرية الانواع الادبية قد أصبحت نقطة تثبيت واستمرار لتراث قد لا يكون أصلا تراثنا ، ولكنه أصبح بمرور الزمن جزءا لا يتجزأ من تراثنا . واضـافة وامتدادا لهذا التراث .

ومفهوم الاسـتاذ خلدون الشمعة عن الشكل أو الاشكال التعبيرية داخل النـوع الادبى الواحد مفهوم متخلف أيضـا ، فالشكل يعد قيدا اذا ما شـكل صيغة مسـبقة ، ولكن الشكل بمعناه الحق لا يشكل أبـدا قيدا (حتى لو دخل فى نطـاق الانواع الادبية) وهذه حقيقـة يستشعرها كل من يمارس الخلق الفنى ، فالشكل ليس بقـوالب تصب فيه الرؤية ، وانما هو وسيلة الكاتب لاكتشاف هـذه الرؤية ، وللتعرف على ابعادها ، وهو وسيلته الى تقييمها ايضا ، فالشكل هو وسيلتنا الموضوعية لاكتشاف وتقييم رؤيتنا الذاتية والشكل هو عملية خلق تتجدد مع كل عمل فنى جديد ، ولكل عمل فنى شكله الفريد المميز ، عن بقية أعمال الكاتب ، وعن بقية الاعمال الفنيـة قـاطبة ، وأيـا كانت اجتهـادات النقـاد لتصـنيف الاشكال فى مدارس ، فهـذه الاجتهادات تبقى محصورة فى نطاق التبسيط والتقريب . ولست اعرف ولا غيرى يعرف عملا فنيا واحدا يشترك مع آخر فى شكل واحد .

ان بحث الاستاذ خـلـدون الشمعة ينصب كما يقول على السؤال « من أين نبدأ » ؟ ولكن البحث فى اعتقادى يمهد الطريق الى الاجابة على السؤال : من أين وكيف ننتهى ؟ ان دعـــوة الاستاذ خلدون الشمعة لا تشكل حتى دعوة كدعوة الفن للفن ، بل هى تتجاوزها الى مرحلة اسقاط كامل للفن .

ان هذه الدعوة لا تشكل حتى رفاهة ، بل استحالة ، طالما الفنان انسان حى لايملك سوى التفاعل مع المجتمع الذى يعيش فيه .

[٣] الأديـــب العـــــربى

بين

الـــتراث

والمعاصرة

د. عبد القادر القط

القيت فى هذا الموضوع أربعة أبحـاث للاسـتاذ عبد العزيز الدسوقى من مصر ، والاستاذ أحمد يوسف داود من سورية، والاستاذ حنفى بن عيسى من الجزائر، والدكتور عباس الجرارى من المغرب .

وكان من الطبيعى أن يقدم كل باحث صورة لمفهومه الخاص للتراث تكون أساسا لمناقشة القضية المطروحة، فلا شك أن كثيرا من الخلاف بين الدارسين حول هذه القضية ينبع فى جوهره من خـلافهم حـول مفهوم التراث . لذلك كان تعريف هذا المفهوم ضروريا كنقطة انطلاق تجنب الكاتب كثيرا من التشعب والمتاهات ..

والتراث عند الاستاذ عبـد العـزيز الدسوقى هو « أكمل وأنضج ماورثنا عن الاباء والاجداد فى مجال الادب والفن والعلم والحضارة » . وهو عند الدكتور عباس الجرارى « .. ليس كل الماضى او ما صدر عن الاجداد دون تحديد ، ولكنه الجـانب المضىء منـه الذى يكشف عن الظواهر الثقافية والحضارية التى وصلت على مر الاجيال عبر فترات طويلة تطوريه كانت تتجذر فيها وتتجدد وتتغير بخصوبة وتلقائية متاثرة بما تعانق او يعانقها من ظواهر ثقافية وحضارية أجنبية » أما الاستاذ حنفى بن عيسى فيقول رابطا بين « بناء » الفعل الماضى فى النحو العربى وطبيعة التراث العربى « وكما ان الفعل الماضى فى عرف النحاة مبنى — اى ملازم لحالة واحدة — فكذلك التراث الثقافى ، يمثل القيم الثابتة التى لا تتغير ، ومن واجب الانسان أن يحافظ عليها وان يقاوم كل محـاولة لطمس معالمها ، لانها بمثابة الاساس فى بناء صرح الحضارة .. » . واما الاستاذ احمد يوسف داود فيرى ان تراثنا « كان صورة صادقة عن المعطيات التاريخيـة المستجدة والعقلية المتراكبة من جماع التأثيرات الناجمة من تلك المعطيات ، وليس ينبغى لنا ان نفهمه الا فى ضوء مراحل انجازه .. » .

ومن هذه المفاهيم الاربعة مفهومان ينسبان الى التراث صفة الثبات والانتهاء فى الماضى ، على اختلاف بينهما فى الدرجة — ولعلهذه الفكرةأوضح مايكون هى تعـــريف الاستاذ حنفى بن عيسى الذى يرى أن التراث يمثل « القيم الثابتة التى لا تتغير » وتتضح الفكرة — بمرونة أكثر — فى رأى الاستاذ عبد العزيز الدسوقى الذى يقول بان التراث « اكمل وانضج » ماورثنا عن الاباء والاجداد .

وكلا الرأيين لا يصلح — فى رأيى — نقطة بدءصالحة لعرض القضية .. لانهما يفترضان وجودا مستقلا ثابتا للتراث غير متصف بالحركة والامتداد والتجـدد . وكأن الاديب المعاصر يجد نفسه مشدودا بين قطبين مختلفين أحـدهما التـراث والاخـر المعـاصرة • وعليـــه ان ينجح فى الوصول الى وضع ملائم بينهما . ومع أن تعريف الاستاذ الدسوقى للتراث بانه « أكمل وانضج » ماورثنا عن الاباء والاجداد يوحى بضرورة الاختيار . فان التعبير نفسه يدل على الانتهاء فى الماضى ولا يلح على ضرورة الامتداد والحركة والتجدد . فما قد يكون كاملا ناضجا عند الاجداد قد يصبح فى عصر من العصور واضح الفجاجة او النقص . وقد يجـد الاديب المعاصر فى بعض جـوانب التراث — مما لا ينطبق عليه « غاية الكمال والنضج» — عناصر أصلح لعصره من الجوانب التى بلغت فى الماضى تلك الغاية .

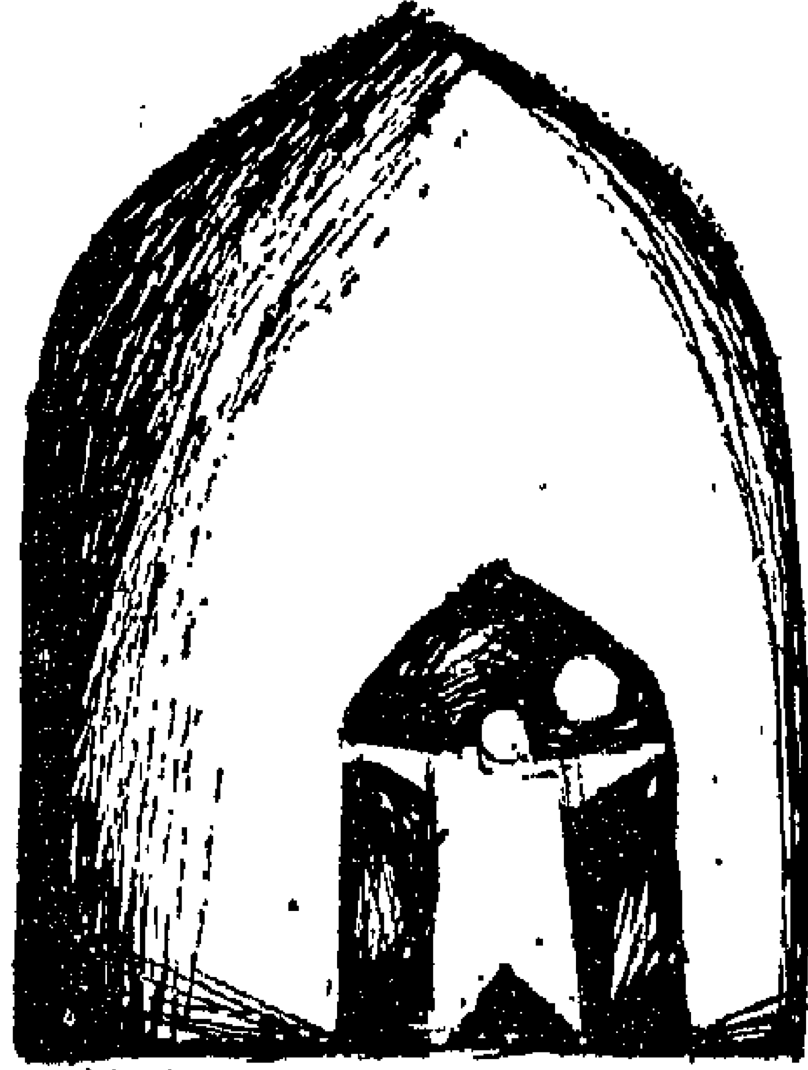
ومن الانصاف للاستاذ عبـد العـزيز الدسوقى أن نذكر أنه لم يقتصر فى رسم مفهومه للتراث على هذا التعـريف بل اضاف اليه ما يوضح الصورة وينص على مدلول التجدد والامتداد فيقـول « .. فالصراع بين القديم والجديد قد حسم فى الماضى بانتصار هذه التيارات التى كانت تجمع بين الماضى والحاضر فى مركب جديد متطور ، وانتهت كل البدع الشـاذة والنزوات المنحرفة ، وتجمـدت كل الدعوات التى حاولت وقف الحياة بكل مظاهرها الحضارية ، واختفى كل ذلك فى قبو الزمن الرهيب ، وسار الفكر العربى فى طريقة المتجدد ، وسارت الاداب والفنون فى طريق التطور الخلاق الذى قاده هؤلاء المبدعون والمفـكرون الذين يتذوقون تراث الماضى ويدركون عمق ما فيه من كنوز ، وفى الوقت نفسه

يقفون على ثقافة العصر ويدركون ما يجيش به من تيارات واتجاهات » .

وبرغم هذا الرأى السليم الذى ردده الاستاذ الدسوقى فى اكثر من موضع ، فانه انساق بدافع من فكرة « النضج والكمال » بمفهومها المطلق الى « تبسيط » القضية اكثر مما ينبغى ورأى أن « الاديب المبدع مجهز بحاسة فنية تمزج الماضى بالحاضر وتصهر ماينفعل به من ثقافة العصر وقيمه بصورة دائمة لاشعورية فتتحول الاصالة والمعاصرة الى مزاج جديد يصوغه عقله وذوقه وشعوره .. وقد عرفت الحياة العربية على امتداد تاريخها الطويل أدباء وشعراء يملكون تلك « الحاسة الفنية » التى تمزج الماضى مع الحاضر وتصهر التراث مع الثقافة المعاصرة فيخرج من ذلك مزاج جديد ... فالحياة العربية كانت دائمة التجدد والتنوع والغنى بفضل هؤلاء المبدعين الذين كانوا يمتصون من رحيق الماضى ما يشبع شوقهم الفكرى ويروى ظمأهم الروحى ثم يتحول من خلال حاستهم الى زاد فنى يتفاعل مع ثقافتهم العصرية ... هؤلاء جميعا جددوا ولم يقفوا حائرين بين التراث والمعاصرة لان الله زودهم بتلك « الحاسة الفنية » التى تعمل بطريقة لا شعورية . هذه العملية المعقدة المستمرة وهى مزج الماضى بالحاضر واستخراج مركب جديد مختلف عن الاثنين » .

والقول بأن مزج الماضى بالحاضر يتم من خلال حاسة فنية بطريقة لاشعورية قد يصح فى لحظة الابداع الفنى عند الاديب ، ولكن الاتجاه الى التجديد نفسه والى خلق هذا التركيب الجديد من التراث وروح العصر لابد أن يقوم على وعى بطبيعة التراث واختيار ما يصلح منه لطبيعة العصر الذى يعيش فيه الاديب بغض النظر عن وضع ذلك التراث وقيمته فى المرحلة التاريخية التى وجد فيها . أما هذا المزج اللاشعورى فقد يتحكم فيه مزاج الاديب وطبيعة تعليمه وثقافته التى قد تقوده الى تأثر غير صالح بجوانب عتيقة من ذلك التراث . لذلك لا نستطيع أن نقر الباحث على رأيه أن الخصومة بين القديم والجديد « قضية وهمية » .. أثارها أناس لم يتذوقوا التراث ولم يدرسوه بعمق ، ولم يدركوا تيارات العصر وثقافته ادراكا حقيقيا ، أو أناس تنقصهم القدرة على مزج ثقافة الحاضر بتراث الماضى أو لا يدركون النسب التى تشكل المركب الجديد الذى يضم عناصر الماضى والحاضر والمستقبل » .

فالخصومة بين القديم والجديد خصومة حقيقية ومعركة تحتدم كلما اجتاز المجتمع مرحلة من مراحل تطوره الحضارية الحاسمة تتجمع فيها تيارات التطور الممتدة حتى تقف وجها لوجه أمام التيارات القديمة تحاول أن تكتسحه من



طريقها . وليست هذه التيارات مع ذلك خالية من عناصر التراث ولا ثائرة على كل ما فيه ، ولكنها تختار منه — فى مرحلة صراعها الاخير مع القديم على الاقل — ما تراه صالحا لروح العصر . ولاشك أن التلقائية واللاشعورية لا يمكن أن تكون وسيلة فى معركة ابدية دائمة التجدد فى المجتمع الانسانى ، بل لابد أن يكون هناك وعى كامل بطبيعة التراث والمعاصرة ووسائل « المزج » بينهما .

ولاشك أن ما ورد فى حديث الاستاذ عبد العزيز الدسوقى ينطبق على بعض « المتطرفين » فى هذه الخصومة ، ولكن الخصومة فى صورتها العامة تنشأ من اصطدام مفهومين حضاريين يلتقيان وجها لوجه فى نهاية مرحلة طويلة من مراحل التطور . ومع تسليمنا بصحة قول الباحث بأن « الحاضر ليس منفصلا عن الماضى وليس منقطعا عن المستقبل فالجميع تيار متدفق دائم الجريان » فاننا لا نستطيع أن نفترض قيام المعاصرة على نوع من الاستسلام التلقائى اللاشعورى لذلك التيار الذى قد يجرف الانسان اذا لم يدرك طبيعة سيره واتجاهه الى بحار من التيه والتخبط .

أما رأى الاستاذ حنفى بن عيسى الذى يقول بأن التراث «يمثل القيم الثابتة التى لا تتغير » فانه يحبط القضية منذ البداية . وهو مفهوم ظاهر البطلان على ضوء التطور الحضارى للمجتمعات الانسانية ، فان تلك القيم ليست قيما « توقيفية » مفروضة على المجتمع الانسانى ولكنها حصيلة تطور حضارى عبر التاريخ . وهى لذلك دائمة التراكم والتجدد ممتدة بين الاجداد والابناء أو السلف والخلف خلال صلات قد نسميها أحيانا روحية أو وجدانية أو فكرية أو غير ذلك ، ولكنها جميعا أسماء ترمز الى جوهر ما يتسرب من الماضى الى الحاضر من قيم ، على اختلاف المظاهر المادية والمدنية فى الحياة من عصر الى عصر . والا فمتى بدأت هذه القيم ومتى ثبتت ؟ ان مجرد الانتقال من البداية نحو الثبات هو فى ذاته حركة ونمو وليس فى طبيعة الحياة ما يجعل مرحلة ما فى تاريخ الانسانية نهاية حاسمة تتحدد فيها القيم وتثبت على صورة لا تقبل التغيير .

وقد اكتفى الاستاذ حنفى بن عيسى بهذا التعريف الحاسم للتراث وركز بحثه حول بعض ما يراه فى حياتنا الادبية المعاصرة من عيوب لان مثل هذا التعريف يحسم القضية منذ البداية .. فمادام التراث قيما ثابتة لا تقبل التغيير فليس يملك الاديب المعاصر الا الخضوع المطلق لها والانتفاع بها بلا وعى ولا اختيار .

وخلاصة رأى الباحث ان الامة العربية تقف فى هذا العصر موقف « المستهلك » من الحضارة الاوربية ، وهذا الموقف له عواقب وخيمة فى مجال الادب . فهذه العقلية السائدة فى التباهى بمصنوعات غيرنا والتنافس على كسبها جعلت منا شعبا يستهلك منتجات الحضارة . وقد أصبح سلوكنا خاضعا فى كثير من مظاهره لهذه العقلية الاستهلاكية . وأخوف ما أخافه أن يكون الادب نفسه قد تحول الى أدب استهلاكى بأتم معنى الكلمة ... ان الشىء الاهم بالنسبة الى عقلية المستهلك هو اللحظة الراهنة . فكما ان الجائع مشغول باشباع بطنه فكذلك الكاتب يتحول الى شخص همه الوحيد حشو الادمغة ، ويعنى بالسفاسف من القول والنوادر من الحكايات التى ليس القصد منها سوى التسلية وقضاء الوقت فيما لا يعنى !! والترجمة هى الاخرى عند الباحث « لا تخلو من جانب استهلاكى ، لانها عملية استيراد للفكر الاجنبى بقصد الاستهلاك المحلى على غرار ما نستورد السيارات تماما !! » .

والحل الامثل للخروج من هذا الوضع — فى رأى الباحث — ان يتجه الادباء الى ما يسميه « أدب الظروف الطارئة . أو أدب الاحداث الجسام » فان المؤكد « ان معركة المصير فى حاجة الى ان يساندها الكتاب والشعراء والفلاسفة والمفكرون لان الاحداث التى يمر بها الوطن العربى تحتم على الاديب أن ينهض بمسئولية عظمى فى التوعية ، وفى معركة المصير بالذات » .

ويكاد الكاتب يلغى مفهوم المعاصرة واللحظة الحاضرة قاصرا طبيعة التطور بين الماضى والمستقبل « ان مفهوم المضارعة عند العرب شىء طريف حقا ، وذلك أن العرب لايقيدون أنفسهم بالحاضر ما دام هذا الحاضر صائرا الى المستقبل بموجب حتمية التاريخ الزاحف وبمقتضى الفلك الدائر والزمان المتجدد السائر ! .. فالواحد منا لا يكاد يعى نفسه فى اللحظة الراهنة حتى تكون اللحظة قد انقضت وحلت محلها اللحظة التالية . ومعنى ذلك أن فلسفة العرب قائمة على الصيرورة أى على تحقيق

المصير ؟ انطلاقا من الماضي الذي يحمل القيم الثابتة وانطلاقا كذلك من الحاضر الذي يتضمن المستقبل وينصب فيه ، على ان الحاضر انما يمثل في عمر الزمان نقطةتحفز الى المستقبل لان العربي انسان لا يرضى بحاضره .... » .

وقد شغل الباحث نفسه بالحديث عن عيوب الادب العربي في العصر الحاضر وتطلع العربي الى مستقبل أفضل وافتراض أن الانتفاع بالتراث وقيمه الثابتة أمر مفروغ منه فلم يناقش قضية البحث الاساسية وهي « موقف الاديب العربي بين التراث والمعاصرة » واستنفد الجانب الاكبر من بحثه في معنى المعاصرة المطلقة ورأى انها « تفرض علينا أن نتتبع باستمرار ما يجري في العالم من أحداث وأن ندرس القضايا المعروضة علينا وأن نستزيد من العلم حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة ، وأن نرفه عن أنفسنا بمطالعات جذابة !! ..

وهكذا ترى الواحد من أبناء هذا العصر يطالع الجرائد والمجلات وينكب على دراسة التقارير والملفات ويقرأ القصص والروايات والمسرحيات ويقبل على كتب الثقافة والعلم . أضف الى ذلك كل ما نتلقاه من رسائل وما نصادفه في الطريق من لافتات وما نراه ملصقا على الجدران من اعلانات فلا يجد مناصا من قراءة كل ذلك . وهذا الامر يستوجب على من يريد أن يكون ابن عصره ان يتوخى طريقة في القراءة تمكنه من أن يطالع اكبر قدر ممكن !! » .

وواضح أن معالجة المعاصرة — حتى بمعزل عن قضية التراث — تستلزم دراسة أكثر تعمقا ووعيا من هذه الاراء . واذا صح أن المشكلة الاولى للاديب المعاصرة ضخامة ما يطرح للقراءة فلعل الحل الافضل أن « يتوخى طريقة » لاختيار الصالح وقراءته قراءة واعية لا قراءة « تمكنه من أن يطالع أكبر قدر ممكن » .

أما المفهومان اللذان قدمهما الدكتور عباس الجراري والاستاذ أحمد يوسف داود للتراث فانهما يضعانه في اطاره الحضاري الدائم الحركة والتطور تطورا يجمع بين التلقائية التي ركز عليها الاستاذ عبد العزيز الدسوقي وعيا من الفرد بطبيعة الواقع الذي يعيشه ووجوده الفردي والاجتماعي عبر التاريخ . يقول الدكتور الجراري « ... وهو كذلك الجانب الذي يمثل أنماطا من وعي الانسان العربي ومراحل من واقعه ووجوده الفردي والاجتماعي خلال التاريخ . ويعبر عن الذات العربية وتجربتها ويعطيها مميزاتها ويذكر بوجودها ويبرز ملامح شخصيتها واصالتها الذاتية ، ويحدد منظورها القومي الخاص . هو بهذا ملك للامة وجزء من وجدانها ، به نستطيع التعرف الى التغيرات التي طرأت عليها والى الشروط التي يمكن أن تصنع فيها تاريخها أو تستمر في صنعه » .

ويقول الاستاذ احمد يوسف داود « ان التراث الذي هو حصيلة الماضي موجود فينا ومستمر الوجود ولكن ليس بكل حيثياته وجزئياته . والتراث الادبي لم يتكون بمعزل عن بقية اشكال التراث . انه مرتبط جدليا بالمراحل التاريخية المختلفة التي تكون من خلالها العقل العربي . والعقل العربي حر في الاساس حتى سيطرت عليه الارستقراطية وسخرته لمصالحها . ومع ذلك فقد ظل هذا العقل ينتفض دائما محاولا ازاحة القيود التي فرضت على حريته ، معبرا عن حريته من خلال الحركات الشعبية الكثيرة التي قامت في الماضي ، ومن الوعي الكامل بالارتباط الوثيق « بين الماضي والحاضر والمستقبل في علاقة جدلية حتمية تجعل الماضي منعكسا على الحاضر ومؤثرا في المستقبل ، وتجعل بذلك حركة التاريخ حركة كلية لا تتجزأ » يحاول الدكتور الجراري أن يوضح معالم الطريق للملاءمة بين التراث والمعاصرة فيقترح أن نعي ذاتنا ونعرف من نحن ونحصر قدراتنا وامكاناتنا ونرسم على ضوء ذلك الاهداف والوسائل الى تحقيقها من خلال تحليل فكري لواقعنا وللمرحلة التاريخية والحضارية التي تجتازها امتنا ، ومن خلال البحث من الاصيل من تراثنا ، « ليس بما يجعله عامل تجميد لنمونا الحضاري والثقافي ، بل لدعمه وتطويره وادماج الصالح منه مع حاضرنا في وحدة نكيف بها المستقبل ونشرف منه عليه » . وكذلك يرى الكاتب أن نأخذ من فكر الغرب ومن جميع ثقافات العالم وحضاراته القديمة والحديثة ما هو ايجابي ، وما من شأنه أن يقوي فكرنا الثوري ويدفع بنا الى الامام » . ويمضي الكاتب فيتحدث عن معوقات التقدم في أدبنا وفكرنا المعاصر ، فيذكر منها اننا لم نستطع بعد ان نجد نقطة التقاء تكون في الوقت نفسه نقطة توازن بين فكرنا والفكر الاوربي والعالمي ومنها اننا منعزلون بعضنا عن بعض وعن الجماهير « منقسمون سياسيا وفكريا » . وينتهي الباحث الى أن السبب الاول لكل هذه المعوقات اننا « لم نتمكن بعد من الحرية الكافية لمعاملة تراثنا والاختيار من الفكر العالمي نفسه » لوقوعنا تحت تأثير « القوى الاجنبية التي تسيرنا من قريب أو بعيد » .

ويخلص الباحث من هذا الى أن « الحرية ينبغي أن تكون هي الهدف الاول الذي يجب ان نناضل من أجله ، وأن تكون قضايانا المصيرية مرتبطة بالتحرر من الاستعمار والتبعية الاجنبية ومن الانظمة الرجعية والدكتاتورية » . وينبه الباحث الى ما في تراثنا من عوامل ايجابية لاذكاء روحها في نفوسنا افرادا وجماهير . وفي هذا التراث كثير من الفكر الثوري الذي يلائم طبيعة التغير الثوري في عالمنا الحديث « وليس من شك في أن الكشف عن التراث الفلسفي والفكر السياسي والنظريات الديمقراطية وعن العقلية العربية واطوار تجربتها لما يعطي هذه الايديولوجية منطلقات ويضفي عليها ملامح أصيلة .

أما الاستاذ أحمد يوسف داود فيتحدث حديثا طويلا قبل أن يصل الى موضوع التراث والمعاصرة في الادب عن تاريخ الانسان العربي ، وما قاساه من « استلاب مادي ومعنوي » عبر العصور رابطا ذلك بالاوضاع الطبقية في العالم العربي من وجهة نظر ماركسية واضحة . وحين ينتهي الى لب القضية المطروحة يركز حول مفهوم المعاصرة اكثر من اهتمامه بمفهوم التراث فيرى أن « المعاصرة ليست موضة . انها ابداع مستمر لقيم جديدة اصيلة دافعة لمسيرة التقدم الى الامام . ان كلمة المعاصرة لا تعني العيش في مرحلة زمنية بشكل مجرد بل تعني ببساطة استيعاب هموم المرحلة المعاشة انسانيا وقوميا وفرديا والتعبير عنها بالاسلوب المناسب . انها ليست اطلاقا ارتداء ثياب الاخرين وبالتالي ليست سرقة قيم الاخرين ومفاهيمهم وأساليبهم الادبية والفكرية وحشرها في أمكنة لم تخلق لها .. » ويمضي الباحث فيقول « انني أؤكد على توظيف الادب ضد كل شكل من اشكال الجمود والتخلف ولصالح حركة البشرية الناهضة وفلسفتها المستقبلية » .

ثم يعرض الكاتب لظهور الاسلام وكيف جاء محققا لمشاعر التوحد السائدة في الجزيرة العربية ، ولروح العدالة التي كان يطمح اليها الانسان فيما أسماه « مجتمع العبيد » . ويبرز بعض جوانب من التراث الاسلامي تدعو الى قيم انسانية صالحة ينبغي أن ننتفع بها في حاضرنا ، وان اختلفت صور التطبيق المادية بين الماضي والحاضر .

والابحاث الاربعة — على اختلاف في الدرجة — تؤكد أن حياة الانسان لا يمكن أن تقتصر على الحاضر وحده بل هي امتداد للماضي والحاضر والمستقبل ، وتدين كل من يتعصب للقديم وحده أو للحاضر وحده ، وتدعو الى اقامة توازن نافع بين الماضي والحاضر . على أن هناك إبحاثا قد التفتت الى حقيقة ينبغي أن نؤكدها مرة اخرى ، هي أن هناك فرقا واضحا بين الماضي والتراث ، فالماضي هو كل ما وقع لامة في تاريخها وحضارتها ، والتراث هو ذلك الجزء الباقي الممتد الصالح لان يكون جزءا من الحاضر ، وان اختلفت صورته المادية باختلاف أنماط المدنية على مر العصور . ومما يغتبط له القارىء أن هذه الابحاث — باستثناء بحث الاستاذ حنفي بن عيسى — قد قدمت مفهوما عصريا للتراث لايتمثل فيما شاع على أقلام بعض من تعرضوا لقضايا التجديد في أدبنا المعاصر من أنه « اطار ثابت لا يقبل التغير » فجعلت مفهومه على قدر كبير من المرونة والحركة والامتداد المتجدد ، شأنه في ذلك شأن كل نشاط انساني .

ابنـــة رايـــان

آخـــر أفـــلام الانتـــاج الكبيـــر فى هوليــــود

« ابنة رايان » هو أحدث أفلام المخرج البريطانى دافيد لين ، وآخر افـلام الانتاج الكبير فى هوليود ، اذ بلغت تـكاليفه ١٢ مليون دولار فى الوقت الذى أدى فيـه فشـل « دكتور دولتيـل » و « نجمـة » و « هـالو دوى » وغيرها من أفـلام الانتاج الكبير الى أزمة اقتصادية عنيفة فـى مـدينة السينمـا الامـريكية المشهورة ، قـررت على اثرها الشركات الكبرى التوقف عـن انتاج هذا النوع من الافلام ، وقد قيل أثناء انتاج هذا الفيلم أنه اذا فشل فسوف تكون هذه آخر مرة نسمع فيها زئير اسـد مترو ، وهو شعار الشركة التى أنتجته •

و « ابنة رايان » هو الفيلم الخامس عشر لدافيد لين الذى ولد فى لندن عام ١٩٠٨ ، وبدا حياته الفنية مونتيرا ، وأخرج أول أفلامه « هنـــاك حيث تخدم » عام ١٩٤٢ ، وهو من ناحية اخرى فيلمه الرابع خلال خمسة عشر عاما بعـد « جسر علـى نهـر كواى » ١٩٥٧ ، « لورانس العـرب » ١٩٦١ ، و « دكتور جيفاجو » ١٩٦٦ ، وكلها من افلام الانتاج الكبير التى تكلف كل منها ملايين الدولارات ، وربحت اضعاف ما تكلفته ، بل ان « جيفاجو » الان هو الفيلم الثالث فى تاريخ السينما الامريكية من حيث كثرة الارباح بعد « ذهب مـع الريح » و « صوت الموسيقى » ، وقد حصلت أفلام لين الاربع هذه على ٢٥ جائزة من جوائز الاكاديمية الامريكية المعروفة باسم الاوسكار منها جائزتان فاز بهما مدير التصوير فريدى يونج والممثل جون مايلز عن « ابنة رايان » وهو اقل عددا من الجوائز يحصل عليها واحد من هذه الافلام •

و « ابنة رايان » هو الفيلم الثالث الذى يخرجه لين على التوالى عن سيناريو للكاتب المسرحى والسينمائى الامـريكى روبـرت بـولت بعـد « لورانس » و « جيفاجو » • وهو من ناحية أخرى اول سيناريو يكتبه بولت للسينمـا مباشرة ، وفى هذه الافلام الثلاثة تعاون لين مع مدير التصوير فريدى يونج ومؤلف الموسيقى موريس جار مما جعل هؤلاء الاربعة (لين - بولت - يونج - جار) يشكلون مجموعة فنية متجانسة من اهـم المجموعات الفنية فى السينما المعاصرة •

فى « ابنة رايان » يعبر دافيد لين مرة ثالثة عن موقفه المتخلف من الثورات الشعبية من خلال تناوله للثورة الايرلندية ضد بريطانيا أثناء الحرب العـالمية الاولى ، تماما كما فعل من قبـل فى « لورانس » عندما تناول الثـورة العربية وكما فعل فـى « جيفاجو » عندما تناول الثورة السوفيتية • وقد عبر لين عن موقفه هذا من خلال قصة حب روزى حسناء القرية المراهقة وأستاذها مدرس القرية الارمل الذى يعشق الموسيقى ويهوى جمع الزهور ، وهى قصة حب تتحول بالزواج الى مأساة ، اذ يعجز تشارلس عن ممارسة الجنس منذ ليلة الزفاف مما يدفع روزى الى خيانته مع ضابط بريطانى شاب أصيب فى ساقه أثناء الحرب فنقل الى القرية للراحة والعلاج ، وفى النهاية ينتحر الضابط الشاب هربا من حياة يحياها عاجزا ، ويغادر المدرس القرية مع زوجته تلاحقهما لعنات أهل القرية الذين لا يعرفون غير أن روزى أخطأت ، ولا يعرفون أن ظروفها الخاصة هى التى دفعتها الى ذلك الخطأ دفعا •

هذا هو « الخط العاطفى » • اما الخط السياسى فيتمثل اول ما يتمثل فى شخصية ريان والد روزى الذى يعمل لحساب القوات البريطانية ضد حركة المقاومة التى يقودها تيم اولارى • ونحن نتعرف على اولارى فى مشهد عنيف يقتل



حركة الجماهير .. هل هي عمياء ؟!

فيه احد الجنود البريطانيين فى الخلاء ، ثم يتقدم نحوه وهو يزحف على الارض جريحا ويطلق عليه رصاصة ثانية ، ثم يلقى بجثته فى بئر عميق . وفى الثلث الاخير من الفيلم ينقل اولارى الى القرية مجموعة من الاسلحة الالمانية ، ولكن عاصفة هوجاء تغرق السفينة فيربط صناديق الاسلحة الى الشاطىء ويلجأ الى الحماقة منه الى الشجاعة ، ولا قيمة رجلا لانقاذ الاسلحة ، وهنا يبلغ رايان القائد البريطانى ، ويخرج اهل القرية جميعا تحت قيادة قسيس القرية وينقذون الاسلحة الا انهم يجدون القوات البريطانية فى انتظارهم فى النهاية ، ويحاول اولارى ان يهرب ولكن الضابط البريطانى الشاب يصيبه فى ساقه ، ويقبض عليه ويمضى فى سيارته . ويتحول اهل القرية الى روزى ويتهمونها بأنها وشت بهم الى عشيقها البريطانى ، وفى مشهد هو اكثر مشاهد الفيلم تعبيرا عن رؤية دافيد لين يتجمع اهل القرية حول الحسناء البائسة يمزقون ملابسها ويقصون شعرها بعنف ووحشية بينما يجثمون فوق زوجها ويضغطون بأحذيتهم على جسده وعلى وجهه ، يحدث هذا كله تحت سمع وبصر والدها الخائن ، ولا ينقذها من الموت غير وصول قسيس القرية . فى اللحظة المناسبة وهو الوحيد الذى يودع الزوجين التعيسين فى النهاية مع مايكل الكسيح المشوه الذى لا يسمع ولا يتكلم ويحب روزى دون أمل .

ان « ابنة رايان » هو اوضح الافلام السينمائية تعبيرا عن الفكرة القائلة بان حركة الجماهير حركة عمياء اشبه بحركة القطيع ، فحركة الجماهير فى هذا الفيلم مثل حركة القطيع سواء وهم ينقذون الاسلحة او وهم يعاقبون روزى على خطأ دفعتها ظروفها اليه ، وعلى جرم لم ترتكبه وانما ارتكبه والدها الذى يثقون فيه كل الثقة ، اما قائد المقاومة فهو اقرب الى الحماقة منه الى الشجاعة ، ولا قيمة له اذا قورن بالقسيس ، فهو القائد الحقيقى لاهل القرية .

ويمتزج الخطان الدراميان العاطفى والسياسى فى هذا الفيلم ليقدما رؤية متخلفة وقاتمة الى اقصى درجات القتامة فى نفس الوقت . فالكل عاجز فى « ابنة رايان » الحب متمثل فى مايكل والفن متمثل فى تشارلس ، والجنس متمثل فى الضابط البريطانى الشاب ، والثورة متمثلة فى اولارى ، والى حد ما الدين متمثل فى قسيس القرية فهو كسيح مثل مايكل ومثل الضابط البريطانى الشاب — ولايعبر لين عن هذا العجز من خلال المواقف الدرامية فقط ، وانما من خلال العجز الجسدى ايضا .

ان « ابنة رايان » من اكثر افلام الانتاج الكبير اكتمالا من حيث السيناريو والاخراج والتصوير والموسيقى والديكور والتمثيل بل انه يكشف عن عبقرية ساره مايلز — وهى زوجة روبرت بولت فى دور روزى ، وعن غنى موهبة روبرت ميتشوم فى دور تشارلس رغم الادوار العديدة التى مثلها من قبل ، ويؤكد من جديد عظمة تريفور هاوارد فى دور القسيس وجون مايلز فى دور مايكل وليو ماكيرن فى دور ريان ، ويقدم ممثلا جديدا موهوبا هو كريستوفر جونس فى دور الضابط البريطانى الشاب ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من ان نرفض رؤية الفيلم المتخلفة .

سمير فريد



« فى هذه الرسـالة لا يعرض الكاتب لمهرجان أبى تمام من جميع زواياه ، وانما هو يقتصر على تقييم الحصاد الشـعرى للمهرجان »

أبو تمـــام التراث المعاصر

صبري حـافظ

لاشك ان وزارة الاعلام العراقية قدوفقت خير التوفيق فى اختيار الشاعر العربى الكبير حبيب بن أوس الطـائى المعروف بابى تمام للاحتفال بـذكراه الالفية ... فابو تمام واحد من أعظم الشعراء العرب القدامى . لمع كالشهاب فى أفق العصر العباسى الاول فاثار من حوله أخصب حركة واوسع نقاش فى تاريخ النقد العربى القديم • وطـرح بشعره وباختياراته معا مجموعة من اهم قضايا الشعر والتجديد فيعصره وفي كل العصور. يتصل بعضها بجماليات الشعر وبعضها الاخر بدوره وماهيته . وليس هذا بغريب على ابى تمام فقد كان مثقفا من طراز فريد ، اطلع على الفلسفة اليونانية وعلى ميراثها العقلى ، والم بالشعر العربى حتى قيل أنه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة عدا المقاطع الشعرية والقصائد ، وحتى قال الحسن ابن رجاء « ما رأيت قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمـام » .

واستطاع ان يرفد شعره بخير مافى هذا الثقافة العقلية وهذا الموروث الشعرى الوفير . فتفرد شعره وتميز واثار من حوله اللغط والخلاف لمدة قرون . فرفع الى مصاف الالهة حتى قال عنه ابن الاثير فى [المثـل السـائر] انه « لاث الشعر» وخفض الى حضيض المدعين حتى قيل عنه أنه مجرد « مداحة نواحة » واستمر اختلاف النقاد والشعراء حوله مستعرا طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ولم ينطفىء بعد ذلك لزمن طويل .

وهكذا الحال مع كل شاعر عظيم يخلص لابداعه ويعكف على رؤاه واكتشافاته فيثير من حوله الزوابع . وابو تمام شاعر عظيم بحق ، استطاع بـرغم سنوات عمره التى لم تتجاوز الاربعين أن يبدع عددا كبيرا من القصائد الجيدة . فقد ترك ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة من الشعر الجيد .. والردىء منه انما هو شىء يستغلق لفظه فقط على حد تعبير ابـن المعتـز فـى [طبقات الشعراء] .. وتمكن أبو تمام من أن ينجز هذا الكم الوفير من الشعر بالرغم من أنه أنفق قسطا كبيرا من عمره في البحث عن عمل وعن طريق ، وانفق قسطا آخر فى التحصيل الدائب والعمل المستمر على تجويد انتاجه الشعري . لانه كان دائم الاحتكاك باعمال فطاحل الشعراء والانصات الى اصـواتهم . دائم الرغبة فى تجـاوزهم وفى تخطى مفهومهم للشعر والابداع • وهو من هذه الناحية واحد من اكبر المجددين فى تاريخ الشعر العربى القديم، ومن اكبـر الثائرين على عمود الشعر ، وان أنجز ثورته داخل اطاره. طرح مجموعة كبيرة من القضايا الجمالية والمضمونية فـى الشعر العربى ، عن الاغراب وبعـد الاستعارة والجمال والقبح وثقل الالفاظ

وتوحشها والمماثلة والجناس والطباق وحسن الابتداء والعقلانية والتشبيه والتعمل والسرقات وأغراض الشعر والمعانى المبتدعة وغير ذلك من القضايا .

أقول : كان توفيق وزارة الاعلام العراقية فىاختيار أبى تمام للاحتفال به كبيرا . لانه احتفال بشاعر عربى يتميز بالعمق والحيوية ويطرح العديد منقضايا الشعر والواقع • واحتفاء بقيمة التجديد والثورة التى يمثلها أبو تمام ،وتكريم للحركات التجديدية فى الفن والثقافة ، وتأكيد على أن الاعتراف بها آت حتى ولو بعد حين من الدهر - كما يقول الاستاذ عبد الجبار داودالبصرى فى تقديمهلجريدة المؤتمر - ثم جاء توفيقها الثانى فى اختيارها لمجموعة طيبة - اذا استثنينا أغلب ممثلى الوفد اللبنانى - منالكتاب والشعراء العرب للمشاركةفى هذا المهرجان الذى عقد فى الموصل - مثوى رفات أبى تمام من ١١ - ١٤ ديسمبر الماضى . وهى مجموعة من كتاب وشعراء مصر والسودان وسوريا ولبنان واليمن والكويت والمغرب . يتميز عدد كبير منهم بالاصالة والجدية ، وشارك معهم فى المهرجان رهط من الادباء والشعراء العراقيين . وقد أتيح للمشاركين فى هذا المهرجان أن يتعرفوا على الوجه الحقيقى للحركة الثقافية فى العراق بتياراتها المتعددة وطابعها التقدمى الواضح . وأن ينجزوا مهرجانا ثقافيا ناجحا فى الوفاء بأغلب الامال المعقودة عليه . أتاح لمجموعة من الكتاب المؤمنين بقيمتى الثورة والتجديد الفرصة للتعارف وتبادل الاراء وتعميق الصلات . وأعطى قيمتى الثورة والتجديد بعض حقهما المفقود فى عالمنا العربى . وأثار جدلاعميقا وحوارا ناضجا حولعدد من قضايانا وهمومنا الراهنة • فقد كانت القصائد التى تحفل بقيمةثورية أو تجديدية كقصائد حجازى والفيتورى وخورى ومطر من أكثر قصائد المهرجان حظوة بالتقدير والاهتمام .

الاتجاهاتالشعرية فىالمهرجان:

ولقد ألقيت فىالمهرجانمجموعة كبيرة من القصائد على مدى أمسياته الثلاثة ، حاول بعضها أن يحتفى بقيمتى التجديد



تمثال
أبى تمام

والثورة التى نحتفى بهما فى شخص أبى تمام . وحاول بعضها الاخر أن يبلور مجموعة من الخصائص الشعرية المميزة التى ابتدعها أبو تمام وجدد بها القصيدة العربية القديمة . بينما حاول بعضها الاخير أن يشد المهرجان الى حماة المظاهرات السقيمة والمنظومات الشعرية الفارغة .. لكن المهرجان استطاع أن يفلت من قبضة هذا البعض الاخير فى أمسيتيه الاولى والاخيرة وان وقع فىقبضته فىالامسية الوسطى التى خصصت برمتها لشعراء الموصل .

أما الامسية الاولى فكانت قصائدها المتميزة ثلاث هى [مرثية للعمر الجميل] لاحمد عبد المعطى حجازى ، و (أبو تمام وعروبة اليوم) لعبد الله البردونى و (قلبى على وطنى] لمحمد الفيتورى . . . وكانت (مرثية للعمر الجميل) لحجازى هى أول قصائد الامسية الاولى المتميزة •• فقد احتوت هذه القصيدة الى جانب رؤاها الفكرية الناضجة على مجموعة من القيم البنائية الجديدة . غامرت بها مع شكل القصيدة الحديثة. ثم خرجت من المغامرة وقد بلورت رؤية جيل ومعاناة شاعر قطع مع جيله رحلة الحلم والامنية وساخت أقدامه فى رمال الواقع وحاول الخلاص من أحبولة الانسياق مع السراب لكنه فوجىء بان كل محاولة للتملص لا تزيده الا اشتباكا بحبال الشراك الخادعة ، ثم صحا على الخواء والخديعة وظل يكتوى بنيران السؤال الدامى الملح ..

من ترى يحمل الان عبء الهزيمة فينا

المغنى الذى طاف يبحث للحلم عن جسد يرتديه

أم هو الملك المدعى أن حلم المغنى تجسد فيه

هل خدعت بملكك حتى حسبتك صاحبى المنتظر

أم خدعت بأغنيتى وانتظرت الذى وعدتك به ثم لم تنتصر

أم خدعنا معا بسراب الزمان الجميل ؟ !

وهو يعلم أن الاجابة على السؤال صعبة ومراوغة . لان تشابك المصائر فى رحلة العمر جعل من الصعب أن نقذف فى وجه واحد بعبء الدينونة الثقيل وبقتامتها الفادحة .. فكلنا مشارك فى الذنب وعلى أصابعنا جميعا خيوط من دماء ، لنيستطيع أى منا معها أن يدعى لنفسه حق الشهادة . فالشهادة براءة وكلنا ينوء كاهله بعبء الجسد المستباح ، وتبقى القضية بلا شاهد ولا دينونة .. الجميع فيها يبغى لنفسه الخلاص . ولن يكون ثمة خلاص بغير الانفلات من قبضة الخديعة . وتطابق الحلم مع حقيقة الجسد الذى يرتديه . والعودة الحقيقية الى القيثارة التى توقع أصفى الالحان فى مناخ من المبادرة والحرية . وقصيدة حجازى تلك قصيدة طويلة . تضم بين سطورها عالما مكتملا من الرموز والرؤى . بنى بطريقة شعرية خالصة ، وصيغت مادته من نسيج مفارق لعالم الواقع ولكنه قادر على استيعاب كلتفاصيله والاستحواذ على كلصبواته

ونزوعاته . وهو عالم مثقل بالاحالات الى سقوط غرناطة آخر دويلات الاندلس أيام بنى الاحمر ، والى ماســاة العرب المـوريسكيين وتجـرعهم لعــذابات المنفى . والى مأساة الشاعر المعاصر وهو يعيش اغترابا أقسى من غـربة العرب الموريسكيين واشد مرارة .

البردونى .. صوت أبى تمام

واذا انتقلنا بعد ذلك الى قصيـدة الشاعر اليمنى الضرير عبدالله البردونى [ابو تمام وعروبة اليوم] فاننا سنجد أنها كانت أبرز القصائد العمودية التى ألقيت فى المهرجان وأكثرها اقترابا من جوهرالشعر . لانهاكانت أخلصها لروح أبى تمام الشعرية ولمنهجه فى بنـاء القصيدة ولطريقته فىالتعامل مع الالفاظ والمعاني . وقد نظمها الشاعر علـى غرار قصيدة أبى تمام الشهيرة عن فتح عمورية والتى مطلعها :

السيف اصدق انبـاء من الكتب
فى حدة الحد بين الجد واللعب

وأجرى فيها مقايلةتمامية ناضجة بينما دار أيام المعتصم بن الرشيد وما يدور الان . وقدم فيها مجموعة من الصور الشفيفة المرهفة . وان أثقلها ببعض المماثلات الساذجة والصياغة الواضحة التعمل .

اما القصيدة الثالثة التى تميزت فى قصـائد الامسية الاولـى فهى قصـيدة [قلبى على وطنى] للشاعر السودانى محمد الفيتورى ، وهى قصيدة تحتفى بقيمة الثورةوتتسم بالجسارة . يتحدث فيها الشاعر عن البطل الثائر فى تخطيه الدائم للقيود وفى تجاوزه الابدى للمحن وفىديمومته الثورية التى يرتفع فيها الى مصاف الظاهرة الطبيعية ...

خطوت على القيد
لا تحفروا لى قبرا
سأصعد مشنقتى
وسأغلق نافذة العصر خلفى
واغسل بالـدم رأسى
واقطع كفى
واطبعها نجمة فوق واجهـة العصر



نزار قبـانى



أحمد حجازى

فوق حوائط تاريخه المائلة
وابذل قمحى للطير والسابلة

وعن رعب الطغاة وهم يشهدون روح الشهيد وقد صحت من جديد تواصل المسيرة وتعبر الفصول ، ناثرة بذور الثورة فى رحم الارض الجديبة ، متعهدة اجنتها حتى فى كن الطغاة انفسهم . فالشاعر يوحد فى قصيدته بين الشهيد والقضية . ويرى أندماء الشهيد لاتذهب بددا بلتتسرب فى عروق القضية فتزيدها توهجا وقوة .. ومن هنا فانه يصرخ مندهشا .

لماذا يظن الطغاة الصغار
وتشحب الوانهم
أن موت المناضل مـوت القضية ؟ !

فالعلاقة بين المناضل والقضية أكثر تعقيدا وثراء من مجرد الترابط الطردى الذى يحسب ان الاجهاز على المناضل اجهاز على قضيته ... وقصيدة الفيتورى توضح هذه العلاقة بطريقة شعريا ناضجة .

العام والخاص في القصيدة الجديدة

أما الامسيةالاخيرة للمهرجان فلمتقدم لنا سوىقصيدتين بعد أنعجزت الامسية الوسطى عن تقديم شىء ، هما قصيدة خليل خورى التىقدمها علىشكل رسالة او اعتراف ذاتى الىأبى تمام . وقصيدة محمـد عفيفى مطر [وشم النهر على خرائط الجسد] . أما قصيدة خليـل خورى فقد كانت اعترافا شعريا على درجة عالية من الكثافة والتعقيد. تنطوى نبرته الذاتية علىرؤية سياسية وحضارية تمزج بين معاناة الشاعر ومعاناة الجيل والوطن ، وبيـن الرفض والتمـرد واستشراف المستقبل ، وبيـن الصـوت الخاص والصوت العام . وبين الموقف السـياسى والموقف الانسـانى .. ان الشاعر يقدم منخلال اعترافه قصة جيل بأكمله عاش التمزق وذاق مـرارة المعاناة . واكتوى بنيران الهـزيمة والغربة والنكران . لكنه لم يفقد أمله فى النصر والعودة والتحقق لانه لم يفقـد شجاعته ولا اقتداره على التحدى والمبادرة ، ولم يفقد حلمـه بمستقبل يبتغيه ورغبته فىتجاوز حاضرلايرضى عنه .. ولذلك فانه يقول :

أأقول لكم ؟ !
الشـاهد حى ولتسـقط كتـب التاريخ
الشـاهد حى ولتذهب للنوم قصائدنا
أأقول لكم
ان لم يجتمع الفقــراء ، الايتام ، الجوعى
المحـــرومون ، الـبرص ، الملعونون
ان لم يأتلف الاطفال
ان لم نرفض شوق المحروم الى الترف القتال
ان لم ينقسم البيت الى بيتين
ولم يقم الابناء على الاباء
ان لم نهدم هذا الجسد الواهى بين القصر وبين الكوخ
ان لم نرجع للينبوع الاول،
فلندفن أنفسنا أحياء

في هذه الابيات البالغة الحدة والوضوح يقدم لنا خليل الخوري رؤياه وحلمه وصورة الواقع المرتجى . وهو لا يقدم لنا هذه الصورة — الرؤيا الا في نهاية قصيدته وبعدما يقودنا تشابك عالمه الشعري الى هنيية بلوغها وتكون لهفتنا اليها قد صاغتها تفاصيل الواقع الطافح بالتمزق والعذاب المشوق الى حل وخلاص . وخليل الخوري بذلك يؤكد لناانه شاعر محنكيجمع الىوضوح رؤيته الشعرية والفكرية مقدرة بنائية واضحة .

كون شعري خاص

قصيدة محمد عفيفي مطر هي آخر القصائد الجيدة التي القيت في المهرجان .. وهي تجوس في نفس الارض التي غامر فيها حجازي والخوري ولكن بطريقتها الخاصة ، واسلوبها المتميز ، ومن خلال مجموعة فريدة من الرموز المثقلة بالدلالات . فعفيفي مطر مغرم باحالة جزئيات الحياة المألوفة الى مفردات كونية تسبح في مدارات متعددة حتى توسع من افق القصيدة دون ان تنأى بها عن الواقع الذي صدرت عنه والذي تبغي ممارسة فعاليتها فوق ارضه . فالشعر عند عفيفي مطر ليس تعبيرا عن الواقع بقدر ماهو رؤيا له ، وليس تعليقا على ماحدث أويحدث كل يوم تحت نظر الشاعر ، ولكنه سبر لاغوار هذه الاحداث والوقائع بغية استشراف المستقبل . لذلك فشعره يطرح أول ما يطرح قضية علاقة الشعر بالواقع لانه يقدم حلا جديدا لهذه القضية . وقصيدته في مهرجان ابي تمام واحدة من قصائده التي تطرح حلا جديدا لهذه القضية دون أن تلتغي علاقتها بالواقع .. فعندما يقول:

وأنا فزاعة الطير بأرض الفقراء

علني آخذ رأسي بعد أن يضربه السيف وأمضي

خارجا من ملكوت الخوف ، من أرض مماليك الدم الواحد

أطوي في خلاياه بساط الارض

أبني وأقيم

وطنا ، انشر ما يحمل من كنز النقوش الدموية

أطرد العالم ، أمحو زمن الصوت وأمحو طينة الموت

وشوك الابجدية

أنشيء القلعة بين الشفتين



أشحذ الرمح على تقطيبة الجبهة ، أرمي

ظبية الشهوة والذكرىوأرمي

بومة الرؤية ، أنشق على

الرأس عدوا وصديقا .

لا يمكن أبدا أنننكر على هذه الابيات تحويمها بالقرب من وجه الواقع دون أن تلجأ الى الالتصاق اللزج به ، ودون أن تضحي برغبتها في صياغة عالم له استقلاله الخاص عن تفاصيل اللحظة الموقوتة وله قدرته على ديمومة الفعالية والاستمرار .

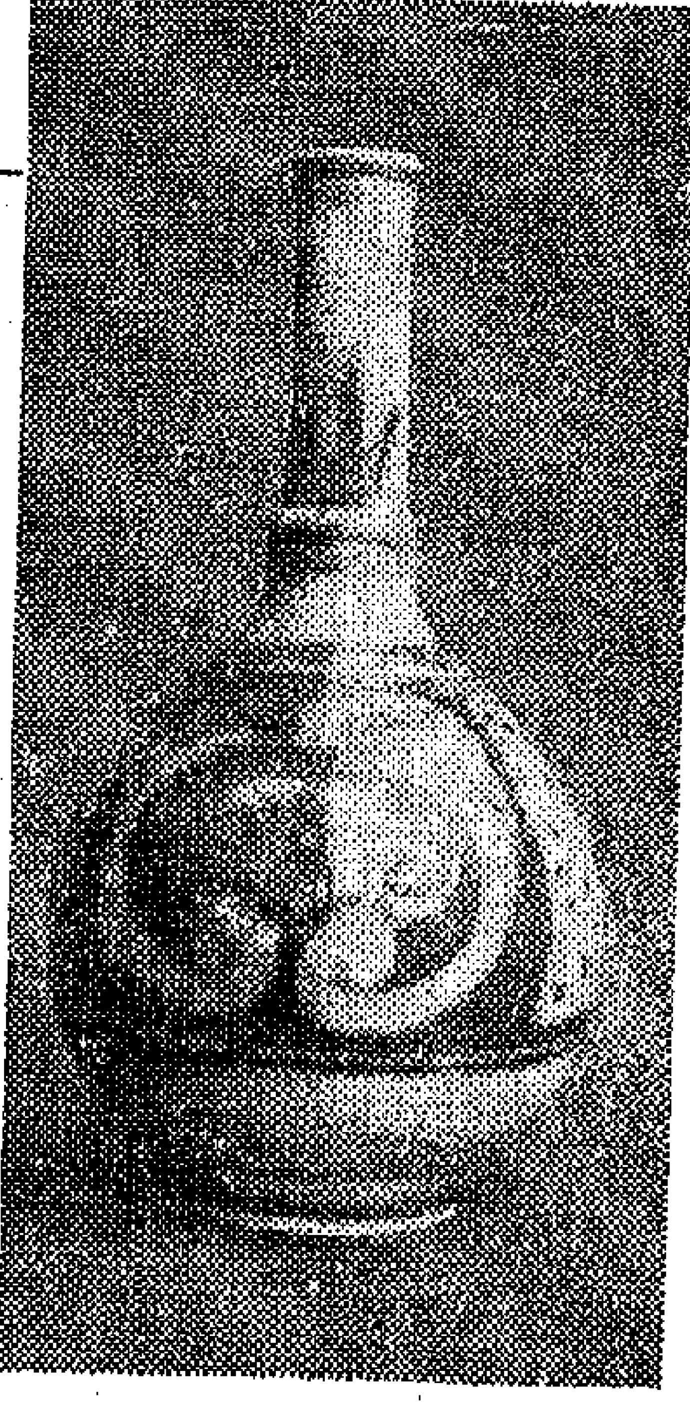
حصاد المهرجان

هذه هي القصائد التي القيت في المهرجان — بالطبع القيت عشرات القصائد التي لا ترقى لان تكون شعرا — وخمس قصائد جيدة في مهرجان شعري ليست بالشيء القليل. خاصة وان المهرجان لم يقتصر على القصائد فحسب ، بل قدم مجموعة من المقالات والابحاث النقدية عن حياة أبي تمام وشعره .. وقد نشرت معظم هذه الدراسات في العددين الخاصين من مجلتي [الجامعة] التي تصدرها جامعة الموصل و (آداب الرافدين) التي تصدرها كلية الاداب بنفس الجامعة . لكن أهم المطبوعات أو الدراسات التي قدمها المهرجان كانت الدراسة الببليوجرافية الجيدة [ابو تمام الطائي — حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية] التي أعدها كوركيس عواد وميخائيل عواد ، والتي كان على المشرفين على المهرجان أن يبعثوا بها الى المشتركين في المهرجان من الدارسين والنقاد قبل موعد المهرجان بشهر أو شهرين حتى يتمكنوا من الاستفادة بها في أعداد دراساتهم عن ابي تمام . لان هذه القائمة كانت ستضع تحت أيديهمكل ماكتب عنأبي تمام وكانت ستدعوهم الى عدم تكراره أو اجتراره وتحفزهم الى ابداع شيء جديد قادر على ان يكون في مستوى الشاعر العظيم الذي نحتفي به . غير أن المشرفين على المهرجان لم يفعلوا ذلك . وجاءت الابحاث أو بالاحرى المقالات السريعة التي قدمت في قاعة المؤتمر ، أو في جامعة الموصل هزيلة ورديئة ولم تضف الى الدراسات القديمة عن أبي تمام أي شيء ذا بال . وافتقدت فيها الدراسة الخلاقة التي تعيد قراءة شعر أبي تمام أو تكشف عن منهجه الشعري من خلال دراستها لاختياراته في الحماسة] أو [الوحشيات] .

وكان مقررا أن يزاح الستار في اليوم الاخير من المهرجان عن تمثال لابي تمام أقيم في احدى ميادين الموصل لكن ذلك تأجللاسباب فنية . وفكرةاقامة التماثيل لشخصياتنا الادبية الكبيرةفكرة جميلةفي حد ذاتها . وهي في العراق مظهر من مظاهر الحركة التشكيلية الناشطة التي بلغت ذروتها في الجدارية المدهشة التي أقامها جواد سليم في ساحة التحرير ببغداد والتي تعبر عن قيمة تشكيلية وفكرية ناضجة . والتي يلمسها الزائر للعراق منذ الوهلة الاولى في واجهات العمائر وتخطيطات الميادين ودور العبادة والتماثيل العديدة المتناثرة في كل مكان .

واذا كان المهرجان قد احتفى في شخص أبي تمام بقيمتي الثورة والتجديد .. فانه قد أتاح لمجموعة طيبة من الكتاب والشعراء أن يتعرفوا على الوجه الحقيقي للتيارات الثقافية التقدمية في العراق . وعلى الشواهد الحية للتاريخ الحضاري للعراقي القديم وهي تحكي قصته مع العراقة والتقدم في بابل، وسنحاريب والحضر والنمرودوسلمان باك والنجف وكربلاء وغيرها من بلدان سهل كلديا الفيفي العريق . ولكن اكثر ما أدهشهم هو تلك الشهوة العارمة للمعرفة وذلك التفتح المتابع لكل ما يدور في واقع الثقافة العربية عامة والمصرية بصفة أخص والذي تلمسه في قطاع عريض من الشباب .. وذلك الانتشار الجماهيري للفكر الثوري والتقدمي بتياراته القومية والانسانية . كما أتاح المهرجان فرصة طيبة للقاء حي وتعارف بناء بين عدد من الكتاب والشعراء الشباب .. وهذا في حد ذاته شيء كثير يحسب للمهرجان ويدعم عوامل نجاحه وتوفيقه .

[] فن تشـــكيلي



محيي الدين حســــــين وقمـــــة الــــــتراث

عندما تحول الانسان ، من جامع للغذاء الى منتج له ، كان لابد له ان يكتشف صـــــناعة الفخار . فلا بيضة النعامة التي اســتعملها الانســـان في مصر كوعاء، ولا الجمجمة بكافية أن تفي باستعمالاته وخزن طعامه وشرابه .. وربما كان اكتشـــاف حرق الفخار قد أتى بالصـــدفة مع احتراق سلة مكسوة بالطـــين .. وكثيرا ما كان الانســـــان البدائي يغطي ســـلته بالطين ، حتى لايتسرب الماء اليها . هـــذا الاكتشاف جعله يحصـــل على وعاء يقاوم الحرارة ويحتـــوى الماء ويختزن الحبوب ، وعاء يحافظ على شكله سيان كان مبتلا أو جافا . اذن شـــكل الانســـان قطعة الطين وأعطى لها البقاء الابدى بحرقها .

وصناعة الفخار والخزف لـم تكن بالسهولة التي نتصورها ، وكان على أجدادنا أن يحسبوا مدى التغيير الذى سيحدث في الالوان حتى يضمنوا أن تخرج رسومهم واضحة • ثم كان الدولاب والافران التي تتزايد حرارتها يوما بعد يوم ، ويتكامل فن الخزف مرتبطا بحياتنا اليومية وباحتياجاتنا •

قد يتعلم الرجل البدائي كيف يصنع شيئا أو يبدع أشكالا . لكنه يبقى بدائيا ويظل تفكيره واحساسه كما هو ، أما الانسان الذى يشعر دائما بالظمأ للتغيير فهو على استعداد كي يتقبل أى تعليم في سبيل أن يصل الى الشيء الخاص به والذى يعبر ويفي بـاحتياجاته • وان استطاع أن يحقق ذلك ففي هذه الحالة سيستطيع أن يعبر عن ذاته وأن يخلق أشكاله الخاصة به والناتجة عن ثقته بنفسه ووعيه بأسرار صنعته وأدراكه لقدرته وهكذا كان الخزاف المصرى عبر التاريخ • ومحى الدين حسين خزاف ينطبق عليه ذلك التقييم الذى يمتاز به الفنان القديم في وادى النيل • وميزة أخرى تربطه بالتقليد المصرى للفخار عبر التاريخ ، هى الاحساس بـاليد : أى شعورنا أن هذا الفخار صنع باليد لكى تستعمله اليد •

الحضارة في مجموعها تيار فني او عمل موحد ، حقيقة أن الاعمال الفنية يبدعها أفراد لكن الحضارة يصـنعها مجتمع بأسره ، لانها في النهاية نتاج عدد لا يحصى من الافراد والاجيال • فالحضارة عمل ينتج عن نشاط اجتماعي واى نشاط اجتماعي ينبني علـى النـاس فـى مجموعهم ، فلا يوجد عمل فني دون أن يكون خالقه مدينا بالكثير للاخرين ولمن سبقوه • ولا غرابة أن نجد اذن في آنية محى الدين امتدادا للتقاليد المملوكية في الاشكال ـ ونحن حينما نقول آنية محى الدين حسين فقد حددنا هنا ذلك الاناء الذى في الامكان أن تمسكه في يدك وقد تستعمله أو لا تستعمله ولكنك تشعر به كأنه جزء منك • تشعر مع آنية محى بنفس ذلك الحس المرهف الرقيق ، والنبالة التى نجدها في الانية المملوكية ولا أثر على الاطلاق لبداوة أو غلظة • فـالعصر المملوكي هو الذى بدأ فيه الفنان المصرى يستمتع بتذوقه لاسرار صنعته بعد أن انتهى من تطويعه لبيئته وفقا للعقيدة الاسلامية وامتداده الحضارى فحـول عقيدته الى مثالية فنية • وكذلك نجده قد تجاوز مشـاكل الصـنعة مسـتوفيا للاحتياجات التى من أجلها يشكل الخامة بسهولة وليونة • والفن حينما يكون كاملا ومتكاملا يتعدى أى عصر كتيار متدفق مستمر والاناء لدى محى الدين لا عصر له لكنه مصرى صميم •

. ولدى بعض الخزافين قد نجد الاناء كشكل يلتصق بالفراغ لا ثقل له ولا ابعاد ، أما بالنسبة لمحى فالاناء كتلة تنبثق من الفراغ وكأنها تتصاعد من العدم ، تنبثق متماسكة ومتكاملة وكأنك تشعر بحركة الدولاب ومرونة أصابعه رافعا الاناء الى أعلى ، بالضبط كصورة تنبض بالحياة وحرارة الانفعال ولم تتلفها الصنعة • معه تشعر بالنمو الطبيعي للشكل ، يضايقه التماثل فيقضي عليه بضغطة بسيطة من أصابعه هنا أو هناك ، يقضي عليه برفق وحنو دون أن يجرح هذا التماثل يحتفظ به دون أن يدع له الفرصة كي يقضي على حرية الحركة في الخط الخارجي للاناء • أما الزخرفة واللون في الاناء فهي كالوشي الهامس ، تتماسك مع الحجم وتدع للخط الخارجي المتصاعد الى أعلى ، تدع له الفرصة كي يقول كل شيء متممة له لا متناقضة •

بقيت اذن المشكلة : كيف نستطيع ان نربط فنانا مثل محي الدين بالشـــعب والجماهير • والطبقة المتوسطة لازالت عندها عقدة الخواجة ، نريد كل شيء مستوردا حتى آنيتنا كنوع من الحذلقة والادعاء والتطلعات • ان المسألة عرض وطلب واحتياج كيف يتأتى لنا أن نخلق جيلا من الطبقة المتذوقة يفكر تفكيرا مصريا ، شرقيا ، صميما ، وفي الوقت ذاته متطورا مع اندفاعة القرن العشرين .

حسن سليمان



□ السفينة « رواية »

□ الرعد « مجموعة قصص »

■ عرض وتحليل : سامي خشبة

السفينة

تاليف : جبرا ابراهيم جبرا
الناشر : دار النهار — بيروت

هذه رواية ممتازة ؟ رغم كل ما قد تثيره من خلاف ، أوما قد يثور حولها من علامات الاستفهام او ما قد تستدعيه احيانا من رفض أو شكوك •

الاعترافات المتبادلة ، تلقائية أو منتزعة ، هي نسيج رواية « السفينة » لجبرا ابراهيم جبرا . ولهجة الاعتراف هي ما تحكم نغمة لغتها ودرجة الحدة في انفعالاتها . بل انها تتخلق بالفعل من خلال ما كتبه « عاصم السلمان » و « وديع عساف » اساسا ، ثم « اميليا فرنيزي » عن انفسهم واعترافاتهم وتأملاتهم ، وعن رفاقهم الاخرين وما يعترفون به أو يبوحون به من أفكار، في اثناء رحلة السفينة اليونانية « هيركيولبز » البطيئة بين موانئ البحر الابيض المتوسط ، حيث تجمعوا بتدبير أقرب الى تدابير القدر الاغريقي القديم ، الذى يبدأ بالنبوءة وينتهي بالموت ! .

ان ما قد يدفع الى التساؤل والشك حول رواية « السفينة » هو « الاحتمالات » المتعددة سواء لمضمونها الفكرى أو لموضوعها ، أو لمعاني الخطوط النفسية الحادة فيكل من شخصياتها ، أو للطريقة « المتباعدة » عن عمد التي دفع المؤلف شخصياته الى التعبير بها عن أزماتها المتعددة • ولكن ألا تكمن اسباب قوة الادب الدرامي دائما في قدرته على إحتواء أكثر من بعد واثارة اكثر من احتمال ؛ تدفع كلها — على الاقل — الى التفكير في امكانية صدقها مع الواقع من خلال صدقها الفني المؤثر والمتماسك ؟ وسيكون من العبث أن نبحث عن موقف صريح للمؤلف في رواية لا يعترف هو فيها أبدا بشيء ، وان كان يدفع شخصياته دائما الى الاعتراف .

ان أحد الصوتين الرئيسيين في الرواية ، لوديع عساف ، الفلسطيني الذى حارب دفاعا عن القدس واستشهد صديقه بين يديه فأقسم على جثته ان يعود : « غازيا او متسللا .. » . ولكنه ذهب الى الكويت واصبح تاجرا وجمع ثروة . وها هو يشرع في العودة بشراء مزرعة بجوار القدس [واضح ان الزمن الفني للرواية قبل حزيران ١٩٦٧] وبذلك « يضرب بجذوره في الارض من جديد » ، علاوة على انه ، فيما يبدو ، يشارك في عمل فدائي من نوع ما . ولكنه لا يملك اى تصور عن كيفية عودة « شعبه » وليس عودته هو ، ولا مضمونها . ولكن هذه الرواية ليست عن فلسطين ، ولا عن وسائل الكفاح العربى ، كما أنها لا تدين هذا « المتبرجز » الذى لم يعش مأساة شعبه في خيام اللاجئين ، وهى ايضا لا تدافع عنه ! .

واحد الشخصيات الرئيسية في الرواية لطبيب عراقي لا يؤمن بغير العلم ، ومن اسرة عريقة اقطاعية . ولكنه يرفض الواقع المؤلم الذى يعيشه شعبه من فقر وفوضى . ورغم هذا فهو يسكر باستمرار ولا يرى جدوى من اى عمل .« ارفض زمن القتل. ارفض زمن الخيبة . ارفض اليأس . وها انا اخيرا ارفض الامل » . مع هذا فالمؤلف يحذرنا على لسان الطبيب نفسه — من انه لا يمثل الطبقات القديمة التي اذ ترى عالمها ينهار ومستقبلها تجلله الظلمة ، فانها تعلن انتهاء العالم وانهيار الحضارة وتدعو الى الانتحار . ورغم هذا فان الحكم الاخير على هذا الطبيب المنتحر يصدر على لسان صاحب الفكر الطبقي ، المفكر في الثورة والمدبر لمستقبلها في اثناء اقامته الطويلة كاستاذ جامعي في امريكا ! . ولكن هذه الرواية ليست عن « جيل الضياع العربى » أو مايشبه ذلك من تسميات . وهى أيضا ليست مجرد رواية فلسفية أو سيكولوجية تطرح قضية تمزق أصحابها في « هذا العصر » ! .

انها ببساطة رواية « اعترافات » صادقة وكاذبة ، يتبادلها هاربون يحتاجون الى الاعتراف ، الى تعرية وجوههم الحقيقية لمن لايعرفونهم ، والى التظاهر بامتلاك وجوه من نوع معين أمام من لا يعرفون وجوههم الحقيقية . انهم « سواح» في بحر غريب على سفينة غريبة. يحملون معهم مآسيهم وعذاباتهم وما يطاردهم في الواقع الحقيقي : خيبات الحب والرعب من السلطة واليأس من البشرية والرغبة في انهاء موقف اختيار مميت لا مفر منه .

هناك عاصم السلمان • المهندس العراقي ، عاشق الهندسة الحديثة ، وعاشق « لمى » القديم . الهارب من وطنه ومن عشقه . اللامنتمي دون رغبة . العاجز قبل المحاولة . الذى لم يقف في وجه شيء وهرب قبل المواجهة .

وهناك الدكتور فالح .الذى أخذ ما لم يكن له حين تزوج « لمى » ، وحصل على ما لم يكن يرغبه حين ادرك عتامة مصير الانسان وحلكة عصره بالوعي ، وتبنى بالرفض المطلق ما كان سبب دماره ، وخاض بعد تمنع في البحر الذى كان لابد مغرقه حين لعب لعبة الاعتراف والكشف . ولذلك كان لابد أن يعدم نفسه ، تاركا ما لم يكن له ان يأخذ ، معرضا عما كان قد أصبح موقفا له مساويا لذاته ، منسحبا من المعركة التى فرض نفسه عليها .

وهناك لمى زوجة فالح • عاصفة الجنس والحب والتطلع الى التمتع بالمحسوس وبالمجردات . بحيرة الخواء

الخالية من أى صيد ، وهى نفسها صيد ثمين . فقدت زوجها ولم تكن تملكه ، ولم تأخذ عاصم الذى وهبها نفسه وكان يفر منها رغم أنها طاردته عبر البحر .

أما ما دون ذلك من شخصيات الرواية فهى كالحواشى التى لا يكتمل البناء ، ولا تنفجر الاحداث بدونها . اميليا وجاكلين كانتا كالزناد المستعار لقدح الشرارة التى ستلهب مأساة عاصم وفالح ، والتى نسلى « وديع » حتى تملنه حبيبته اللبنانية المترددة باستعدادها للحاق به . وكان محمود ، الثورى الراحل الى آمريكا لكى يعمل فى جامعة ويفكر فى خطط الثورة اضافة بصوت موضوعى يلجأ الى التعميم الخاطىء [ويثبت — فى الوقت نفسه — خطأ التعميم الموضوعى] فى وسط كل الاصوات الذاتية التى يقدمه كل منها — باعترافاته — جانبا من الحقيقة. وكان صديقه الشاعر « يوسف » موردا للبطانة الوجدانية التى يحتاجها المؤلف لتكثيف مجموعة الخيوط المتشابكة عن طريق الشعر . وهؤلاء الاربعة هم من سيبقون على السفينة : المرآتان الاجنبيتان لمصيرهما بعد أن شاركا لومضة خاطفة فى مأساة قصيرة لا يدركان أبعادها . والرجلان العربيان الى طريقهما الغامض المشكوك فى نهايته وجدواه .

كان على المؤلف أن ينتهى بسفينته الى الغرق . ولكنه دفع أكثر أبطاله حدة ومرارة ، الواعى الرافض المتشائم ، دفعه الى الانتحار . فانتحر بذلك « الصوت النقدى » الوحيد من بينهم . مات آخر نذير . وهرب الباقون الى البحر ينتظرون الجثة ويسمرون ويتذكرون « الرقص على السفينة » . فهل يقصد المؤلف أن « زمان الرقص » قد انتهى بالنسبة لهؤلاء الذين طهرتهم المأساة أو تحقق لهم التوازن بالحب أو باللقاء والمشاركة فى أحزان واحدة ، بصرف النظر عما يمثلونه وما يحملونه فى عقولهم ومشاعرهم؟

هنا تنتهى الرواية ، بعد أن فقدت فى صفحاتها الاخيرة [بعد انتحار فالح] بنيانها « اللاروائى » حين أصر المؤلف على أن يقول قصة كامله . ففقدت توازن بنيانها اللاروائى ، ولكنها لم تفقد ثراء معناها وتعدد أبعادها وقدرتها على اثارة المزيد من الاسئلة ، وأثارة الرغبة فى مطاردة الكثير من الشكوك ، والبحث عن معنى لبقاء من بقوا على قيد الحياة ، ولموت من آثر أن يعدم نفسه ! •

الرعـــــد

تأليف : زكريا تامر
الناشر : اتحاد الكتاب العرب بدمشق

« ... وكانت الصحراء آنئذ فى مخيلة الطفل أرضا فسيحة جدا ، تغطيها رمال صفراء ، ولا يعيش فيها سوى الغزلان والصيادين » .

بهذه السطور تنتهى آخر « الحواديت » التى وضعها زكريا تامر فى مجموعته القصصية الثالثة : « الرعد » تحت عنوان : « الاطفال » . وهذه السطور نفسها هى ما نعتقد أنها تلخص نظرة زكريا الى العالم والى سكانه : نظرة تجمع عالم الواقع السورى ومخلوقاته ، عالم الفرائس والصيادين ، تلخصه عينان ، يجعلهما الخوف والدهشة والتصور الساذج أقرب الى عيون الاطفال ، الخائفة ، المندهشة ، الساذجة .

العالم صحراء ، فى قصص مجموعة « الرعد » . صحراء ذهنية ، الاشياء فيها متشابهة حتى ليمكن أن تصبح الريح « يدا مرتعشة الاصابع » أو يصبح الحزن « حمامة ترتدى ثياب الحداد وتطير هلعة تحت أمطار غزيرة » ، والخطوط حادة والجفاف طبيعى غير مصطنع . وليس هناك واقع بعينه فى هذه القصص ، وليس هناك مفتاح جمالى أو فكرى لذلك التصور الذهنى عن عالم الناس فيها ، رغم أنه تصور يجعلك تشعر باحتمال التشابه مع أى واقع مفترض ، دون أى واقع حقيقى . والعالم الصحراء يسكنه فرائس وصيادون . وليس من الضرورى أن يكون السكان جيرانا ، رغم سكناهم عالما واحدا .

ربما كان بناء الحكاية الشعبية أو « الحدوتة » وأسلوبها السردى ، هو المفتاح الى عالم « الرعد » ، لا من حيث التقييم الجمالى لاستعارة زكريا لقالب الحكاية يصب فيه قصصه . فهذا القالب يكتسب قيمة جمالية جديدة حينما يتم تطويعه لموقف المؤلف من عالمه « الحقيقى » . بل ان استعارة قالب الحكاية ربما لا تمدنا — حتى من الناحية الجمالية — باكثر من تلك الهزة العاطفية حين تفاجأ بذلك الموقف العنيف الذى تعبر عنه أشكال حكاياتنا الطفولية القديمة .

مفتاح عالم زكريا فى قصص « الرعد » مفتاح عاطفى ، وربما كان هو الاحساس بالعنف ، فاذا كان العالم صحراء رملية لا يسكنها سوى الفرائس والصيادين ، فان العنف هو جوهر هذا العالم الذى يسيل منه الدم وقانون القتل ، والقتل ، بمعناه المباشر ، أو بالمعنى الذهنى الذى تفرضه كل حكاية ، عمل شائع وخاتمة طبيعية لكثير من قصص زكريا تامر . ان الحرمان من الحياة لا يعنى الا الحرمان من كل ما هو حسى ، ومن الحرية ، ومن دعة البيوت الدافئة ، ومن الرغبات البسيطة .

وفى قصص مثل « السجن » و« الصقر » ، « الذى أحرق السفن » و « المتهم » يقع القتل كأنه اغتيال ، ويقع باسم حماية النظام والقانون والعرف السائد . فحقيقة الانسان ، بكونها كذلك ، تتناقض مع النظام والقانون ومع المؤسسة الاجتماعية التى تستند اليهما . وحقيقة الانسان ، تتحدد نسبيتها فى هذه القصص : انه فى « الحقيقة » الفنية ، جائع أو مريض أو حزين أو حافى القدمين أو مجرد راغب فى قراءة الكتب أو كتابة الاشعار أو الاستمتاع بحضن زوجته . وهذه الحقيقة النسبية تتناقض مع مؤسسة الدولة التى تؤكد الجوع أو المرض أو تخلق الجفاء أو ترى فى الحزن أو فى قراءة الكتب وكتابة الشعر خطرا يهددها .

ومع هذا فهناك قصص تحاول أن تستوعب من حياة الانسان علاقة أعمق من علاقته بالمؤسسة الاجتماعية . ففى قصة « الشرطى والحصان » يكون الموت جزاء التمرد والحلم بالحرية . والقتل فى قصة « آخر الرايات » جزاء لتجاهل الحقيقة الاجتماعية نفسها الى حد الغباء . وفى قصة « خضراء » يقع الموت جزاء للعقم ، أو يبدو العقم مساويا للموت . والحياة فى قصة « الكذب » هى — وليس هذا النخاع الدهنى فى تجويف الدماغ — أثمن ما يملكه الانسان ! .

ولكن المدهش أن قصة « الرعد » نفسها تعلن أن « الكراهية » المطلقة لكل ما فى العالم وما يتكون منه العالم ، هى الموقف الذى تستند اليه رؤية العنف كجوهر لهذا العالم الصحراء . ان المبرر الوحيد لهذه العلاقة بين عنف العالم وكراهيته ، بين الرؤية والموقف ، هى التصور الغنائى الذى يغلف بنيان الحكاية فى قصص المجموعة كلها . فالفنان لا يكره العالم فى الحقيقة بقدر ما يكره تصوره الذهنى عن هذا العالم ، وهو التصور الذى رسمه فى خطوطه التجريدية ولم يملاه بلحم الحقيقة الخام ، ولخص فى رسمه ما أحب أن يحتفظ به ، ولفظ منه ما لم يتفق مع عالم الفرائس والصيادين فى الصحراء . فالفرائس أيضا ، يستحقون عنده ما نزل بهم ، بصرف النظر عن أنهم ضحايا العنف والغباء الذى يدينه المؤلف بعد أن يسلم بأنه هو « جوهر الحقيقة » فى صورة العالم التى رسمها ، ثم صب عليها كراهيته ونقمته ! .

■ ينشر « الملحق » في هذا العدد قصتين قصيرتين ، تعبر كل منهما عن وجهة نظر مختلفة عن الاخرى في الفكر والتعبير الفني .. القصة الاولى **لابراهيم أصلان** أحد الكتاب المصريين الشباب ، صدرت له مجموعة « بحيرة المساء » عام ١٩٧١ ، والقصة الثانية للكاتب الفلسطيني **محمود الريماوي** ، وهو ايضا من أبناء الجيل الجديد ، وقد نشرت معظم قصصه في المجلات اللبنانية .

رياح الشمال

ابراهيم أصلان



في تلك الايام ، كنت قد ارتديت حلتي الوحيدة ، ووقفت وراء نافذة حجرتي الارضية التي استأجرتها قبل أن يصيبني المرض ، هناك عند الطرف البعيد من المدينة ، ورحت أرى الميدان الصغير الذي خلفته الامطار عابقا بالرطوبة والصمت ، وأسفلت الشوارع القليلة المتقاطعة الذي بدا مبتلا ومتألقا في ذلك الضوء الغارب . وكان البخار يتصاعد فوق سطح النهر ، وقليل من العربات الخشبية وأقفاص الخضر والبرتقال مغطاة بقطع الخيش ومهجورة على الطوار ، عند انحرافة السور الحجري القصير ، الذي يعلو الجسر المنحدر .

لقد كنت أفعل ذلك ، وبينما كنت افعله ، رأيته وهو يلوح هناك في الجانب الاخر من الميدان ، وسمعته وهو يصيح صياحا مبهما ويطوح بذراعه الاخرى . تحسست العصا التي اتكىء عليها ، وفكرت أن في مقدوري الان أن أتراجع وأغلق النافذة ، وأراه من فتحات الشيش المطلي باللون الازرق . الا انه بدأ يواصل خطواته ، ولم يلبث أن صعد الطوار الموحل الضيق ، ووقف أمامي وهو يمسك في يده اليمنى زجاجة مائلة ، ورفع جفنيه الثقيلين عن عينيه الكبيرتين الصافيتين ، وأتاني صوته العميق الواضح :

ـ « مساء الخير يا محترم » .

قلت :

ـ « أهلا » .

هز رأسه الضخم الذي يغطيه الشعر المبتل الابيض ، ثم ابتسم :

ـ « ياسلام » . وصمت : « تريد أن تنام ، فتنام . ولا تريد أن تنام ؟ فلا تنام » . وقرب وجهه من وجهي : « لم تعد هناك فائدة . سلام عليكم » .

وظل واقفا . قلت وأنا أبتعد بوجهي قليلا :

ـ « عليكم السلام ورحمة الله » .

وضع الزجاجة على قاعدة النافذة ، وأخرج جريدة أجنبية من جيب سترته وقربها منى :

— « ما هذه ؟ »

قلت :

— « جورنال » .

تراجع قليلا وقد رفع حاجبيه الكثيفين :

— « غريبة . هل تعرف اللغة الانجليزية ؟ »

قلت :

— « آه » .

قال :

— « خسارة » . وراح يمزقها ويلقى بها الى الارض : « خسارة فعلا » . واتكأ بمرفقه على قاعدة النافذة : « لو كانت المانية كنت قرأتها لك » . وهمس : « انني أتحدث الالمانية » . ومال برأسه قليلا ، وبدأ جلد رقبته متراخيا : « هل تعرف اللغة الالمانية ؟ »

قلت :

— « المانى ؟ لا » .

قال :

— « خسارة » . وفكر قليلا : « تريد أن تقول ، فتقول . ولا تريد أن تقول ، فلا تقول » . ومد ذراعيه أمامه : « لم تعد هناك فائدة . سلام عليكم » .

وتركني وانصرف .

ملت وراءه . كان يبتعد بقامته المديدة المنثنية وهو يتكىء بيسراه على الجدار المبتل . وعندما رأيته وهو يختفي هنالك داخل الدرب الصغير ، أرحت نفسى . لقد هبط الظلام الان . ولم يكن هنالك سوى نقطة ضوء تنبعث من لمبة صغيرة معلقة فى طرف احد الاعمدة الخشبية المائلة . وكان الجفاف قد عاود شفتى ، وبدأت الحرارة تحرق عينى وتثقلهما ، ورحت أغفو فى انتظار الرعشة الدقيقة التى دأبت على المجىء من داخلى . وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشعر بالوهن ، وبأن دقات بعيدة قد ارتفعت على مدخل حجرتى الارضية التى استأجرتها قبل أن يصيبنى المرض ، وبأننى آخذ عصاتى تحت ابطى وأتقدم الى الخارج ، وبأن الرجل طويل القامة يقف أمامى ويقول :

— « السلام عليكم » .

— « عليكم السلام ورحمة الله » .

انحنى قليلا :

— « لو سمحت ، أريد الزجاجة » .

ابتعدت وهو يأتى الى . كان الهواء الذى يأتى باردا وله رائحة مقابرة ، ولكنى ظللت فى مكانى . ومرت فترة من الوقت قبل أن أسمعه يزفر ، ثم يقول :

— « تريد أن ترى ، فترى . ولا تريد أن ترى ، فلا ترى » . ثم استدار : « لم تعد هناك فائدة » . وقصد الى الفراش العالى : « هل تريد ان تعرف كيف تعلمت الالمانية ؟ »

كنت ما أزال فى مكانى . قال :

— « لماذا لا تجلس ؟ »

اتجهت الى السور الحجرى القصير وجلست ، ثم أرحت العصا الى جوار ساقى الاخرى . كان يجلس هناك وقد أدلى ساقيه ، وأراح يديه على ركبتيه ، تأملنى قليلا ثم قال :

— « يا سلام . كانت أيام . معك سجاير ؟ »

اخرجت علبة سجائرى المعدنية وفتحتها . رفع رأسه المغطى بالشعر الابيض :

— « لا . انها سيجارة واحدة ، يجب أن تحتفظ بها » . وأخرج علبة سجائره ، وأشعل واحدة ، وأعاد العلبة الى جيبه : « لا تعط سيجارتك الاخيرة الى أحد ، أبدا ، حتى لو كنت أنا » . وعندما نظرت الى حذائه المغطى بالاوحال ، قال : « لا مؤاخذة » . وخلع الحذاء ، وأراح جسده كله على الفراش : « هل تريد الان أن تعرف كيف تعلمت اللغة الالمانية ؟ »

ونظر الى ساقى الاخرى ، قلت :

— « هل تعلمتها ؟ »

— « طبعا » . وثنى ذراعه تحت رأسه ، وتطلع الى أعلى ، وقال بصوته العميق الواضح وهو يميل ناحيتى بعينه القريبة الواسعة ويسرالى : « أتريد أن تعرف كيف ؟ » هززت رأسى موافقا ، قال : « تعلمتها من زملائى الالمان » .

وجذب نفسا من السيجارة ، وصمت .

— « هل زملاؤك من الالمان ؟ »

— « ضرورى . عندما كنت أعمل فى السفارة الالمانية » .

— « كنت تعمل فى السفارة الالمانية ؟ »

— « كثيرا جدا » . وربت بيده على صدره : « الا ترى هذه البدلة ؟ انها من المانيا » . ومضت فترة : « وعندى قبعة أيضا » .

— « قبعة ؟ »

— « بيضاء » .

— « هل ترتديها ؟ »

جذب نفسا أخيرا من السيجارة ، ومال بجسده ، وألقى بها فى المكان البعيد ، ثم اعتدل :

— « انني احتفظ فيها الان بالاوراق والرسائل الهامة » . وثقل صوته : « ولكنني طبعا كنت أرتديها ، عندما كنت أعمل فى السفارة الالمانية » . وشبك ذراعيه على صدره ، وأغمض عينيه : « فى يوم ، عندما كنت أعمل فى السفارة الالمانية ، وجدت واحدا قد طب علينا ، ياسلام . أيام . هل تعرفنا من هو ؟ »

— « لا » .

— « لقد كان هتلر » .

— « هل جاء هتلر عندكم ؟ »

— « جاء ياسيدى ، ولم يكن وحده . هل تعرف من الذى كان معه ؟ »

— « من ؟ »

— « ايفا » .

— « من ؟ »

— « ايفا ، حبيبته » .

فردت يدى على السطح المبتل الناعم ، وضم هو ذراعيه الى صدره أكثر :

— « ياسلام . كانت حلوة جدا ، وأنا كنت شابا وصغيرا ، وكان هتلر قد حلق شاربه حتى لا يعرفه أحد ، وراح يتجول فى مصر ويقوم بعمله . ولما كان يعرف أننى لست من هؤلاء ، فقد قال لى خذ ايفا وفرجها على البلد . وقد أخذتها وفرجتها على البلد . وفى هذه الاوقات كنا قد حكينا لبعضنا عن كل شىء . وأخيرا ذهبنا الى النيل وركبنا قاربا ، وسبحنا ، وكان شعرها ذهبيا فى الليل ، وجسدها مثل الفضة الصافية » .

ورفع نصفه الاعلى قليلا ، وراح يقرأ من الورقة البالية :

انى استنشق الهواء العذب الخارج من فمك ..

وأتأمل كل يوم فى جمالك ..

وأمنيتى هى أن أسمع صوتك الحبيب ..

الذى يشبه حفيف ريح الشمال ..

ان الحب سيعيد الشباب الى أطرافى ..

اعطنى يدك التى تمسك بروحك ..

وسوف احتضنها وأعيش بها ..

نادنى باسمى مرة أخرى ، والى الابد ..

لن يصدر نداؤك أبدا دون اجابة عنه

وطوى الورقة ، وشرع يبكى كثيرا . وقبل أن يذهب ، كان يدعك عينيه بقبضته ، مثلما يفعل الاطفال ، وفى ذلك الحين كان على أن أقول ، ولكن الجفاف كان قد عاود شفتى ، وبدأت الحرارة تحرق عينى وتثقلهما ، وكانت الرعشة الدقيقة التى دأبت على المجىء من داخلى قد جاءت الان ، وأخذت الأشياء تتأرجح عبر ستارة رقيقة من الدموع ، وانعكست نقطة ضوء بعيدة داخل مقلتى . وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشعر بأننى وحيد ، وبأنه يجب على الان أن أتناول عصاتى وأتكىء عليها وأعود . ولقد فردت أصابعى على السور الحجرى القصير ، الا أننى انحدرت ، وقبل أن أغيب ، شعرت بجسدى الملقى وهو ينبض بقوة ، وبأن مياه الأمطار ، كانت ماتزال تقطر على من أوراق الاشجار المائلة ، على حافة الشاطىء .



لمن الحب .. لمن الوطن

محمود الريماوي

١ ـ فى هذه الاثناء

« سيدى • ارجوك سيدى ، لا تفعل ذلك » •

ولم يسمع العسكرى • اطلق رصاصة واحدة ، فسكت الطفل • وظل الرصاص يزخ على الطفولة التى تتلو الضراعة، فخجل الاباء حتى استثيرت فيبعضهم الرجولة ، ولم تبق قابلة الا وأحست الاثم •

وفى هذه الاثناء ••

فى هـذه الاثنـــاء ، التقط الاب الصيحة ، فدخل ملهوفاشاعرا انه اصبح اثنين ، فمسح على الطفل بقبلة ، وجبين المرأة • تطلع اليها بتحنان ، وتطلعت هى الى الطفل الذى صارت به اثنتين ، فغمغمت بانتشاء ، ثم قال لها :

ـ كان ذلك شاقا ؟

ـ ذلك لا يكون الا شاقا •

فضاحكها •

ـ ففعلها ثانية ؟ •

فضحكت •

ـ ليكن الحب دائما •

ثم حدق بها •

ـ تحملت الالم بشجاعة ، حقا ؟

فرفعت عنه عينيها •

ـ كانما تكتب قصة ، تحب كتابتها •

فابتسم الصمت بينهما •

وهنا جاء الاعداء ، فحمل بندقيته ، وذهب الى الحرب ثلاثين يوما ، رجع منها متعبا وفارسا ، فاستراح فـى احضانها •

ـ اشتقته كثيرا ؟ •

ـ كان يكبر فى خاطرى كل يوم •

ـ كنت تخاف الموت ؟

ـ من اجله •

ـ كان ذلك مروعا ؟

ـ ذلك لا يكون الا مروعا •

ـ وتفعلها لو جاءوا مرة اخرى ؟ •

ـ ليكن الوطن دائما •

فسكنت اليه مشدوهة ، وفى عينيها سؤالات •

ـ اقدمت عليها حقا ؟ •

فاخفض عنها عينيه •

ـ كانما تقدمين على لوحة ، ترغمك عليها •

فنظر صوب الطفل ، واتجهت الى وجهة اخرى •

ـ لكنها قتل •

فجاءت الى ذاكرته صور الجثث والموتى ، فتنهد ببطء •

ـ كنت لا اتمنى ذلك •

فضاقت ملامحها •

ـ كنت لا اتمناك عسكريا •

فشعر بفداحة اللغة • شرع الطفل يبكى ، فاخذه اليه ونغنغه ، ثم وضعه فى السرير الصغير • ونام الجندى مع امرأته ، اصبحا واحدا •

وفى الصباح روت له الحلم : انها فى شوارع المدينة رأت رجالا بملامح صلفة ، ينبثقون من كل مكان ، لا ينتسبون الى مكان ، ولا تنتظرهم النساء فى البيوت • مدججين بـالرصاص ويطـاردون كل الاشخاص ، وهم فى عجلة من أمرهم ، وانهم قتلوا لها صغيرها •

وفى هـذه الاثناء ••

« فى هذه الاثناء ضربت القابلة ، خد الطفل الوليد بقوة ، وقالت له : هذا هو العالم » • فسمع منها وقال :

ـ ذهبت اليهم ثلاثين يوما ، وفى المرة القادمة لن اتردد • !

فقالت ملهوفة :

ـ سيكبر الصغير •

فأطرق الرجل وقد اتسعت عيناه •

ـ انهم يصلون الى السرير ايضا ، بيننا ••

فتشبثت به المرأة ويدها على القلب ، وكانما سمعت فى داخلها « اذن •• هذاهو العالم ؟ » •

تتوجه هيئة تحرير «الملحق» بالشكر الى جميع الاقلام التى رحبت بصدوره فى الصحافة العربية والاذاعات والرسائل ، وترجو فى ظل التعاون المشترك بينها وبين اصدقاء « الملحق » من الكتاب والقراء ان تحقق الاهداف المرجوة من صدوره •

حول رغيف الخبز ورغيف الفن

د• عبد الرازق حسن

يثير الاستاذ لطفى الخولى فى افتتاحية للملحق الادبى للطليعة ـ عدد يناير سنة ١٩٧٢ الكثير من القضايا التى تحتاج منا الى دراسة وتامل ، وليست المسالة مسالة اقلية كانت تريد الانطلاق ليكون للطليعة دور فى الادب ، واغلبية عنيدة ، حالت دون ذلك لسبع سنوات ، وان الاقلية تحقق لها ما تحقق بصبرها وجلدها وضغطها المستمر ، ولا أريد أن ادخل فى الوسيلة الفعالة لاتخاذ قرار ما حتى يكون هذا القرار ممثلا لمطلب عام ، او محققا لامل مرغوب • وهل يتم ذلك باستفتاء ، واذا كان فما هى نوعيته ؟ وطريقة اجرائه ؟ وكيف نحلل نتائجه ؟

وليسمح لى الاستاذ لطفى لاذكره ببعض الوقائع ، فقصة مناقشة قضايا الادب فى الطليعة كانت مرحلة لمناقشة سابقة عليها حينما وافقت جريدة الاهرام مشكورة على تخصيص صفحة للرأى الحر يشرف عليها مجموعة متطوعة ، لا تسعى الا لمناقشة قضايا مجتمعنا وكان فى حالة مخاض سبقت ميلاد مرحلة من تطورنا نحو الاشتراكية ، وكان الرد على المطالبة بمناقشة قضايا الادب فى صفحة الرأى أن فى ذلك تضييق على مجال الدراسات الملحة التى لا تجد لها سبيلا آخر لا سيما ان الادب يجد الكثير من المنابر والاجهزة التى تخدمه فضلا عن ان الكثير من قضايا الادب كثيرا ما تنحو النحو الفردى فيطول فيها الجدل دون الوصول الى نتيجة وأذكر فى هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر ، قضايا الكتابة بالعربية أو العامية ؟ والتمسك بموازين الشعر أو التخلص منها ؟ والواقعية أو الرمزية والالتزام أو الحرية ؟

ولم يمنع الاقتناع بوجهة النظر هذه أن يدور الحوار بين مستشارى صحيفة الرأى حول بعض القضايا الادبية بل وتاييدهم لبعض الخطوات البناءة كانشاء مسرح الحكيم تكريما للاديب الكبير ومجالا للمسرح الطليعى ، واصدار مجلة المسرح •

وقد جرى وقتذاك حوار صريح بينى وبين الاستاذ لطفى اذكر اننى قلت له فيه انه مع تقديرى للادب فهو ليس محرك التاريخ ، وعلينا ان ندرك وزنه الحقيقى فى مراحل التطور ولا نغالى فى ذلك • وما كان يلقى على اسماعنا ونحن صغار حول دور بعض الادباء لا يستند الى أساس علمى او واقعى فكتابات جان جاك روسو وفولتير ومونتسيكو لم تعد للثورة الفرنسية كما لم تؤد كتابات ديكنز الى ثورة المجتمع الانجليزى ، ولم تمهد كتابات تولستوى ودستويفسكى وجوركى للثورة السوفيتية ، ونقد المجتمع المصرى فى مسرحيات الريحانى ومسرحيات الحكيم وقصص نجيب محفوظ • لم تكن هى العنصر الفعال فى اشعال ثورة ٢٣ يوليو • لان الثورات انما تنشب كنتيجة لتناقضات معينة وتحتاج الى تجمعات مادية ذات مصلحة فى التغيير تعمد للسيطرة على السلطة لتطبيق النظام الذى يتمشى مع فلسفتها فى العمل والحركة •

لقد كانت اول مسالة تعرضت لها صفحة الرأى فى ربيع سنة ١٩٦١ هى أزمة المثقفين العرب ودار الحوار فيها أساسا حول بعد غالبية المثقفين عن واقعنا المعاش وعدم ادراكهم للتغيرات التى تصيب المجتمع وطبيعة التفاعلات التى تتم وكانت الحجة وقتذاك ان العمل الثقافى يحتاج الى مناخ معين وان المثالية التى يعيش البعض أو الخيالات المنطلقة من ابراج عاجية انما ترجع لضالة ما يصل اليه ومع ذلك فاننا لا ننكر ان هناك مجموعة من الادباء تدرك مشاكل المجتمع ومطالبه، وتعمل جهدها لاثارة الفكر نحوها من خلال ما يكتب للمسرح ، او للصحف وما تؤلفه من قصص ، امثال توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى ولويس عوض ولطفى الخولى ، ونعمان عاشور ورشدى صالح وغيرهم ممن تلمع اسماؤهم فى مختلف المجالات الادبية •

غير أن المشكلة فى رأيى التى يواجهها غالبية كتابنا هى نقص الدراسات والكفايات التى تكشف وتحلل واقع المجتمع المصرى ، بل والمجتمع العربى ، وشكل التغيرات التى تحدث فيه واتجاهاتها ، الامر الذى أدى الى شعورنا بالضعف حينما نحاول ان نتصدى لتحديد علاج ما ولعل اقربها الى ذهننا هذه الازمة التى واجهتنا بها الاستعمار وتكاد تخنق انفاسنا • واننا بالرغم من منادااتنا بالوحدة العربية لا نعرف عن اوضاع العالم العربى ، وتركيبه الاجتماعى ما يمكننا من ادراك صعوبات الوحدة العربية ، وبالرغم من مطالبتنا بان نكون دولة عصرية قوامها العلم فان الكثيرين منا لا يدرك ، طبيعة هذه الدولة العصرية وشكل العلاقات فيها ، اذ ليست المسالة مسالة مكننة أو تعليم الرياضيات الحديثة ، فى الوقت الذى تتسم فيه معاملاتنا باساليب لا تتفق مع التطور والمجتمع الحديث فى شىء •

واذا كنا فى مجتمع مخطط ، وما يعنيه ذلك من تحديد هدف يسعى لتحقيقه وبرنامج واضح المعالم تعبىء له الامكانيات والموارد وتحدد فيه مجالات الانتاج والاستهلاك بل ودور الاجهزة الثقافية ايضا • ويرجع ذلك اساسا الى أن المطالب عادة كثيرة والموارد محدودة والطاقة محدودة •ومطالبة الجماهير بالانتظار امر له حدوده ايضا • وعلينا ازاء ذلك ان نستفيد بكل ما هو تحت ايدينا ولا نعمل على تبديده وليس هناك جديد اذا قلت ان هناك حالة من عدم التوازن فى المجتمع يبدو مظهرها من الاختلاف البين فى مستوياتنا المعيشية والحضارية ، وفى مجال الصحافة والاعلام مثلا يمكن أن نلمس هذه الحالة

من تركيز اهتمامها بالمسائل الادبية دون الاهتمام المتوازى بمجالات العلم والفلسفة والاجتماع وعلم النفس والسياسة ، ونظرة واحدة الى رئاسة تحرير الصحف والمجلات ومجالس ادارات اجهزة الاعلام المختلفة لتدرك هذه الحقيقة ، وليس هناك شك في ان تغلب عنصر معين في الاشراف على مجالات الاعلام يؤدى بشكل لا شعورى الى توجيه نشاطها نحو اهتمامات هذا العنصر المعين ·

وحينما وافق مجلس ادارة الاهرام مشكورا على اصدار الطليعة وكان ذلك من خلال جدل طويل مضن يدركه الاستاذ لطفى الخولى أكثر منى ، كان المتصور انها لن تنجح ، ولكنها نجحت بالرغم من كل المعوقات ويرجع نجاحها الى قيامها بتغطية مجالات فكر كانت شبه خالية · ومع ذلك فانها لم تسلم من تركيز الهجوم عليها ، ولعل ذلك لانها تفرض نوعا من الجدية الفكرية والالتزام لا يحبذه الكثيرون · ولست أدرى هل أذيع سرا اذا قلت انه بعد سنة واحدة من صدور الطليعة اعترض أحد كبار المسئولين وقتذاك عليها بقوله ان موضوعاتها ثقيلة ، وليست سهلة الهضم ، وذكرني هذا الاعتراض بمقال طيب كتبه في أواخر الثلاثينيات الاستاذ أحمد أمين حينما اعترض على ما سماه « أدب السندويتش» وكان هذا المسئول المعترض على « ثقل » مقالات الطليعة هو نفسه الذي اعترض على الموضوعات النظرية التي اعطاها معهد الدراسات الاشتراكية بعض اهتماماته · وحينما اتجهت الطليعة الى التخفيف دون البعد عن الهدف بالاهتمام بالدراسات الواقعية ، اعترض البعض أيضا لانها تفتح مجالا لفئة يمكن أن تثير آراؤها متاعب لا سيما وهي تتكلم من مواقع محددة ·· وأكثر من ذلك حينما قامت محاولة لدراسة التغير المادى والفكري الذى اصاب المجتمع المصرى بعد التشريعات الاشتراكية ، فان هذه المحاولة اجهضت لسبب غير معروف بعد ان اعدت كل الامكانيات اللازمة لها · وأكثر من ذلك فانه حينما أعلنت الطليعة ولسنة كاملة عن مشروع كتابها ، وانتظره الكثيرون غير انه لم ير النور ، ولا اعتقد أن عنصر التكلفة هو السبب في ذلك على اى حال ·

وليسمح لى الاستاذ لطفى الخولى أن أقول له : ان تحويل جزء من طاقة الطليعة نحو الادب هو انحراف بها عن الهدف الذى انشئت من أجله وهو معالجة القضايا الاشتراكية التي لا تجد لها مكانا كافيا في اجهزة الاعلام ، ولست بمدع هنا اذا قلت ان الطليعة تعتبر المنبر الاساسى للفكر الاشتراكي والتحول الاشتراكى ليس في مصر فحسب وانما في العالم العربى أيضا ، وهذا لا يمنع أن يكون هناك مقال عن الادب بين الحين والحين ·

ان وجود اهتمامات معينة لفرد منا يجب ألا تصرفه عن ادراك مبدأ الاولويات وقضايا الادب تجد من يخدمها في كل مجال ، ولا خوف على الادب اذا لم تعالج الطليعة موضوعاته ، ونظرة بسيطة في اطار الثقافة حولنا يمكننا من ادراك هذه الحقيقة· فمجال الادب يعج بقطاعات الادباء الذين يمثلون كل التيارات الفكرية ·من يمينية او يسارية او وسطية ، وكلهم بلا استثناء لديهم كل الاجهزة والوسائل التى يمكن أن يعبروا بها ، ومنهم من يعبر عن رايه في أكثر من جهاز وفي أكثر من مجال ، كالصحافة والنشر والاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما ، سواء في مصر أو في لبنان وهما مركزى الاشعاع الفكرى في العالم العربى ·

وقد يقل عدد قراء الطليعة لان موضوعاتها صعبة ، او معالجتها للدراسات ليست شيقة ، وذلك في رأيي ليس مهم ، فالتحول نفسه عملية صعبة لا يرضى بها غالبية من تعودوا على نظام معين ، ومع ذلك فالعبرة فيما يكتب انما ينصب على قيمته ، ونوعية القارىء ، وقدرته على التصرف والعمل ، ونحن ندرك من خلال تجاربنا أن أكثر الكتب او الصحف انتشارا ليست بالضرورة أفضلها اجتماعيا الا اذا كنا نعتبر السوق بعرضه وطلبه هو العامل المحدد لاهمية الاشياء وهو أمر حتى المجتمع الرأسمالى الحديث لا يوافق عليه على اطلاقه ·

وهناك ظاهرة لا يمكن ان نتجاهلها في البلدان النامية والمتخلفة وهي اعطاؤها وزنا أكبر للادب أكبر من اعطائها للقضايا الاجتماعية والاقتصادية · وها نحن نلمس من واقعنا المعاش مشكلة خريجي الكليات النظرية كالاداب والحقوق والتجارة وزيادتهم عن الحاجة بالمقارنة بالكليات العملية كالطب والهندسة والزراعة · ومن بحث اعده د · مصطفى مشرفة نشر في أواخر الاربعينيات عن اتجاهات البعثات الدراسية لاحظ أن الاتجاه الغالب كان للدراسات الادبية والقانونية بعد الاحتلال الانجليزى لمصر ، بعكس الحال قبل الاحتلال · ومن الطريف في هذا المجال أن أذكر انه حينما تشابك موعدى افتتاح مؤتمر الادباء الثامن ومؤتمر الاقتصاديين العرب الثالث في دمشق في منتصف شهر ديسمبر الماضى قدم المؤتمر الاول على الثاني ولم تهتم الصحف السورية باعمال المؤتمر الاخير الا حينما نبه السيد رئيس الوزراء لهذا الامر ·· وقد ملئت الصحف السورية بمختلف التفاصيل عن مؤتمر الادباء ، ولم تعط لمؤتمر الاقتصاديين الا اهتماما ضئيلا ، بالرغم من أهمية القضايا التى كان يثيرها ذلك المؤتمر ، وهى مشاكل الوحدة الاقتصادية العربية من خلال التجارة بين البلدان العربية وبعضها وبينها والعالم الخارجي ، وما يكشف طبيعة العلاقات المادية والمصالح الكامنة وراء التباين المثير الذى نلمسه في المجتمع العربى ، وما حدث بالنسبة للجرائد ووسائل الاعلام السورية حدث ما يشبهه بالنسبة لهذين المؤتمرين في مصر أيضا ·

ان هناك قضايا مصيرية تواجهنا وتحتاج منا الى الدراسة والبحث المتأني ، الواقعي العميق كقضايا الإنتاج والتخطيط والاسكان والعمالة ، وتخطيط المدن والامية والتصنيع والتنظيمات السياسية والجماهيرية والمشاكل النفسية في مراحل التحول ·· الخ · وكلها قضايا لا تجد المجال الكافي لدراستها وما يصدر منها في نشرات متخصصة لا يصل منه الى الجمهور الا النذر اليسير ، ومن خلال مجالات محدودة الانتشار · ان الرقي الاجتماعى يرتبط بنمو مختلف القطاعات انتاجا وعلما ، وموسيقى وتربية ·· الخ · ولا يعتبر المجتمع راقيا لمجرد نمو قطاع من هذه القطاعات · وهذا النمو هو الرصيد الذى يغرف منه الاديب ليكون لادبه وزنه ، وليكون أدبا يخدم المجتمع في حركته ·

ان الامثال المتواترة والمقبول بها لا يعني عدم مناقشتها ولو بحثنا في الامثال لوجدنا الكثير منها يتناقض بعضها البعض وما قد يصلح في مناسبة قد لا يصلح في مناسبة اخرى · ان قول السيد المسيح بدون الخبز لا يعيش الانسان وبالخبز وحده لا يعيش قمة في الفلسفة علينا ان ندرك معناه ولا نستعمله بشكل تجريدى · والقول السابق لا يعنى أولوية اى شىء على الخبز او لقمة العيش ، لا يحيا الانسان لان حياته تقوم على تغذية اجزائه ولكن هذه التغذية لا تكون بغير وعى لان الانسان يختلف عن الحيوان ، وارتفاع مستواه المادى لا يغنيه عن الغذاء الروحى الذى يرتكز على قيم معينة تهم المجتمع اشاعتها لمعاونته في البناء والملاحظ مع الاسف ان قول السيد المسيح كثيرا ما يساء استخدامه ، ويرفعه بعض المناهضين للاشتراكية يتصور أنها لا تهتم الا بالقيم المادية دون ادراك لطبيعتها ·

ومع ذلك فهل يمكننا ان نتصور انسانا يفكر وهو جائع أو عار او لا يجد ماوى وحينما يبدأ الانسان في تحقيق رغباته الا يضع أولوياته يرتبها تبعا لدرجة احتياجاته لها ، والا نلاحظ أن المجتمع الجائع هو الذى تسود فيه الخرافات .

ويكون اقبل لحكم الفرد ، ويكون مهينا للثورات • ان الثورات الفرنسية والروسية والمصرية لم تقم الا لضمان رغيف العيش وليس لرغيف الفن ، والفن هو كالجاتوه الذى تساءلت مارى انطوانيت عن سبب عدم أكل الناس له وهم يصيحون يطلبون الخبز • والخبز فى مفهومنا هو العيش الكريم ، من مأكل وملبس ، ومسكن ورعاية صحية وتعليم يناسب العصر ، وما يزيد عن ذلك فهو غير مرفوض وانما يأتى فى الدرجة الثانية فى الاولوية واذا كان نقاش الادب هو كيف توفر رغيف الخبز بهذا المعنى فاهلا به ، لانه فى صميم المعركة ولنفتح له الابواب على مصاريعها •

خطاب من الدكتورة سهير القلماوى الى لطفى الخولى

تحية طيبة وبعد :

فلقد قرأت الاعلانات عن الملحق الادبى لمجلة الطليعة فاستبشرت خيرا ورجوت أن يكون للادباء والمثقفين منبر جديد يلتقون فوقه ليقولوا كثيرا مما يجب أن يقال وليفتحوا أمام الكلمة العربية الحرة مجالها الحق لتحريك جماهير القارئين نحو الثورة التى ستغير حال الامة العربية الى ما نرجوه لها .

ولكن خاب ظنى بعض الشيء لما وجدت محكمة منصوبة لا يحضرها أحد عن المتهم تحاكم الهيئة العامة للتأليف والنشر التى شرفت بالعمل رئيسا لمجلس ادارتها أعواما ، فلقد كان المتهم بادىء ذى بدء سيزيل الكثير من الفروض التى فرضتها حسن النية . وأول هذه الفروض هى أن الهيئة فى لحظة من لحظاتها قد تحررت من السيف المسلط عليها وهو سيف الربح والخسارة . انها مازالت كما كانت منذ نشأتها والى اليوم تعامل كشركة تجارية أو اقتصادية معانة . ولقد تضاءلت الاعانة عاما بعد عام حتى وصلت الى أقل من مرتبات العاملين بها بخمسين الف جنيه عدا ما هى مكلفة بسداده من ديون .

والعاملون بها ظاهرة فذة فى تورم العمالة الزائدة وتضخمها وعدم الدراية أو الكفاية . ولقد تفضل بعض المهاجمين المتحيزين بشكل واضح دون مبرر الى عمل عملية حسابية عجيبة وهى أن ميزانية الهيئة مليون جنيه واربعمائة الف فما دامت الاجور تبتلع أربعمائة الف جنيه فأين ذهبت المليون مضحك والله • ان المليون ليست موجودة لتذهب ، انها ميزانية خاضعة للتمويل الذاتى أى خاضعة لحصيلة بيع الكتب وايراد المطبعة التى لم تنته بعد من مراحل الانشاء والتخبط فى رسالتها فمرة هى مطبعة لاتقان اخراج الكتاب الثقافى وعلى هذا الاساس تأسست ، وهى تارة اخرى تجارية لابد من أن تعطى للهيئة ايرادا تقدره الخزانة بحساباتها كما تشاء .

ان الهيئة باعت فى آخر عام حضرت ميزانيته وهو ٧٠/٦٩ بنصف مليون جنيه كتب ، وللامانة نصفها كتب أجنبية أو كتب الغير مما يشترى ليباع ترويجا لكتاب المؤسسة وتوخيا للربح • وبذلك تكون الهيئة قد باعت من كتبها بما يساوى مائتين وخمسين ألفا على الاقل مع العلم بأنها رخصت الكتاب بحيث أصبح متوسط ثمن الكتاب أو المجلة بين العشرين والخمسة وعشرين قرشا • ماذا يمكن فى ظروفنا [الامية والحال الاقتصادية ومصادرة الكتب فى بعض البلاد العربية] ان نبيع بأكثر من هذا . ولا ننسى انها هيئة حكومية خاضعة لقوانين التصدير التى يعرف القطاع الخاص كيف يتحلل منها .

أما تحليل الخطة فما أفدح المظالم الذى منيت به الهيئة . وما كان يجدر بهذا الحشد الطيب الذى جمع أن ينال منها قبل أن يعرف وان يتحرى . هجوم اننا لم ننشر الاصل لكتاب الغصن الذهبى لفريزر والمتهمة تقول اقرأوا المقدمة • ان الكتاب الاصلى أصبح لخاصة الخاصة الذين يعرفون الانجليزية دون ريب . والمختصر وهو أكثر من الف وخمسمائة صفحة هو الذى يقرؤه المثقف فى كل البلاد ذلك أن الكتاب بعد التقدم الهائل فى علم الانثروبولوجيا أصبح متخلفا لا يعنى به الا العلماء . وكم هم فى العالم العربى !

هجوم آخر على أن الخطة لم تعن بكتب الاطفال والمتهمة تقول : هل اطلعتم على محصول ما نشرت الهيئة فى هذا الصدد وخاصة عام ٧٠/٦٩ لقد كانت أول دار نشر تتبنى فكرة الموسوعة الجميلة الطبع للاطفال [٥٦ مجلدا صغيرا] فهل رأى المهاجمون كيف ارتقى كتاب الطفل المحلى والمطبوع عربيا فى الخارج ؟ ألم يروا أن دور نشر كثيرة منها الاهرام والمعارف قد التقطت الخيط ونشرت على نفس النهج بل بالتعاون مع نفس الناشرين الاجانب . المهم أن الطفل العربى أصبحت عنده مكتبة لا تقارن بحال من الاحوال بما كانت لديه قبل اقتحام الهيئة الميدان بكل ما استطاعت لقد ارتقى كتاب الطفل كما وكيفا واخراجا وتسويقا .

أما الهجوم الساعق على كتاب جوهر الامن لمكنمارا وزير الدفاع الامريكى فلقد كان من حسنات الهيئة البائسة انها كانت أول من اقام معرضا للكتاب الذى يعرفنا باسرائيل « اعرف عدوك » ولقد نشرت الهيئة أول كتاب روسى عن فكرة وزراء دفاعها وخبرائها عن الحرب بعنوان « الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية » تأليف مجموعة من القادة وترجمة العقيد محمد عبد الحليم أبو غزالة • غير كتب أخرى كثيرة تعرف القارىء كيف يفكر المسئولون عن الحروب دفاعا وهجوما فى عالمنا المملوء بالحروب المحلية • ولقد تفضل الكاتب مشكورا بأن دلنا على مصدر كنا نستطيع أن نحصل منه على نسخة عربية فى سلوفان كما يقول ، ولكنا لم نجد الكتاب يقينا فى هذا المصدر . وان يكن الكتاب قد ترجم ترجمة رديئة فى بيروت فلقد ظهرت والكتاب فى المطبعة .

وتعرض الكاتب لديوان صغير للسيدة سلوى حجازى تعاقد عليه معها الاستاذ محمود العالم من باب الدعاية لادبائنا الذين يكتبون بلغة أجنبية . وقد تكلف أقل من ثلث ألف [ثلاثمائة] لا تسعة الاف كما تفضل المهاجم بحساباته الطيبة النية ولكنها للاسف جاهلة . كذلك هاجم ديوانا صغيرا لشاعر ناشىء وما كان أجدره أن يشجع شابا شاعرا تنطق أرقام التوزيع بأن الهيئة لم تكن مخطئة انها شجعته .

والهيئة المتهمة تعترف بالنقص وبالتقصير الكبير فى ميادين كثيرة أهمها عجزها عن ايجاد الطاقة البشرية التى تقوم بالاعمال الهامة التى كان يجب رغم ظروف الميزانية أن تقوم بها مثل ما يسمى بمفاتيح العلوم والقواميس ودوائر المعارف يكفى أن تعرف انها بدأت قاموسا انجليزيا عربيا للمترجمين لا للقارىء العادى وسارت ثلثى المسافة فى انجازه رغم نزوح هيئة الترجمة فيه الى الكويت ولبنان مرات ومرات . والهيئة فرغت من اعداد بيلوجرافيا لجميع الكتب

الترجمة بدأت بعشر سنوات ٥٨ - ١٩٦٨ في المطبعة بدأنا فيها الطبع وارجو ألا يكون قد توقف لأى سبب . هذا عدا قواميس أصدرتها ومعجم تيمور فى العامية الذى اصدرته ليكون وثيقة أمام دارسى هذا الموضوع الخطير فى أدبنا وثقافتنا وهو ثنائية اللغة .

اما الترجمة فاين المترجمون الذين على مستوى ، وترجمة كتب التبادل الثقافى حسب ما يقترح الاستاذ غالى شكرى لها قائمة على أساس افضل استقيناه من التجربة الفعلية وهو ينفذ فعلا وروسيا تدفع ثمن الترجمة ويوغوسلافيا تشجع وتركيا اشترت نسخا من كتاب عن أدبها المعاصر الخ .. الخ .

لقد اطلت وما اردت ان اطيل ؟ فقد حقق الملحق بصدوره املا نؤمن به كلنا ، وهو بقاء القطاع العام فى النشر لابقاء الحرج وانما البقاء اللائق برسالته بحيث يقتنع وزراء الخزانة ان القطاع العام فى النشر خدمة أساسية وليس ربحا او تجارة فالربح والتجارة بل الخدمة الثقافية بمفهومها غير الثورى قد حققها القطاع الخاص واصبحنا فى ثورتنا فى مرحلة تتطلب نزول القطاع العام فى النشر والثقافة بعامة الى ارض الواقع بكل ثقله ليحرك ويغير ويضىء لنا من جديد افق الامال . قطاع عام لا يسألنى عنه وزير الخزانة متى سيتوقف عن الحاجة الى اعانة لاضطر ان ارد بصوت غير زاعق كما كنت افعل مع كل منهم ولكنى ياسيدى الوزير اسألك متى ستزاد الاعانة ومتى ستخلصنى من العمالة الزائدة ومتى ستتيح لى تدريب العمالة الصالحة الخ .. »

نعم متى ، ثم متى نجد الكادر الصالح ولو نصف صلاحية للعمل ومتى نبرأ من العمالة العاطلة والزائدة وغير المدربة . ومتى نخلص من القول بانه لايمكن تحقيق هذا [مثل دائرة المعارف العربية] لانه لا ميزانية هناك .. نعم متى ..

مرة اخرى لقد اطلت ولكن اليس من حق المتهم أن يرد بعشر ما قد هوجم به دون حضوره ولك ياسيدى اخلص التحيات واصدق الدعاء بالتوفيق

سهير القلماوى

ملاحظات على الرد

ينطلق الرد من تصور خاطىء ، باننا نهاجم شخص الكاتبة ، باعتبار انها كانت رئيسة لمجلس ادارة الهيئة فى الفترة التى تناولناها بالدرس •• لكن هذا لم يكن هدفنا ، ولم يخطر لنا على بال • فلم نتصور - كما تزعم - اننا قضاة وانها متهمة •• بل كل ما نستطيع ان ندعيه ، هو اننا نحاول جميعا ان نشارك بجهد متواضع فى خدمة بلادنا ، وفى تصويب بعض الاوضاع الخاطئة التى تدور فى مجال اهتمامنا •• وهو اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب • لكن الكاتبة تصورت المسألة وكأنها محاكمة ، فحاولت ان تنفض يدها من اتهامات تتصور اننا نوجهها لها • وهى فى ذلك تسوق ما تشاء من الحجج ، وتلوى عنق ما تريد من الحقائق •

فلما لم تستطع ان تخطىء الارقام التى ذكرناها حول ميزانية الهيئة ، عمدت الى تفسيرها وفق هواها • وهو تفسير يتعارض مع أبسط الحقائق عن تاريخ الهيئة وعن واقعها • ثم عمدت بعد ذلك الى اتهامى بأننى أردد الاسطورة الحبيبة لكل تغير فى الرئاسة ، وهى أسطورة الخسائر ، وذهاب الكتب من المطابع الى المخازن • ومن يقرأ مقالى يعلم اننى لم أشر الى هذه الفكرة • ولا أريد أن أقول ان السيدة الكاتبة هى التى بالغت فى ترديد هذه الاسطورة ، ومن يرجع الى تقريرها المقدم الى لجنة تقييم أعمال وزارة الثقافة فى مجال الانتاج الثقافى والنشر منذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٧ ، والتى كانت هى مقررتها ، يجد انه مبنى كلية على هذه الاسطورة •• وربما كانت مغالاتها فى ترديد هذه الاسطورة ، حينما تسلمت مقاليد الامور فى الهيئة ، هو السبب فى توهمها ان السلاح الذى بدأت به عهدها فى المؤسسة قد ارتد اليها •• وربما لهذا لجأت الى المفاخرة بمبيعاتها من الكتب ، لتؤكد لنا انها تاجرة ماهرة وهذا شىء لم نطعن فيه •

وربما لهذا السبب ايضا قالت انها رخصت الكتاب ، وانا ازعم ان كتاب القطاع العام لم يرتفع ثمنه كما ارتفع فى عهدها •• واى مقارنة بين ثمن طبعة [الاغانى] أو [صبح الاعشى] أو [النجوم الزاهرة] ، التى اصدرتها الدار المصرية للتأليف ، وثمن الطبعة المشابهة من كتاب [الاغانى] أو [الجامع لاحكام القرآن للقرطبى] التى اصدرتها المؤسسة فى عهدها ، يؤكد ما فى هذا الادعاء من مغالطات واضحة •

بعد ذلك تجاهلت الكاتبة كل اعتراضاتى على ما نشر فى مشروع المكتبة العربية ، مع انها كانت عضوا باللجنة التنفيذية للمشروع ، ثم بدأت ترد على اعتراض على نشر جزء واحد من الطبعة المختصرة للغصن الذهبى ، بأن الطبعة الكاملة اصبحت لخاصة الخاصة •• وان خاصة الخاصة هذه تجيد الانجليزية ، لكنها بعد ذلك بسطور ؛ لا ترى بأسا من ان تنشر ديوانا بالفرنسية لخاصة الخاصة التى تجيد الفرنسية ، وهى اقل عددا ممن يجيدون الانجليزية • والقول بأن هناك كتابا للخاصة وآخر للعامة ، تماما كالقول بان هناك كهرباء للخاصة واخرى للعامة ، أو مياه صالحة للشرب للريف واخرى للمدينة •

وعندما نورد حقيقة استقيناها من قائمة اصدارات الهيئة التى حصلنا عليها مكتوبة على ورق الهيئة المطبوع ، ومن الهيئة نفسها •• وهى انها لم تصدر أى كتاب فى مكتبة الطفل •• ترد علينا بانها اصدرت كتبا فى العام الماضى • وكأن اصدار كتب للاطفال فى العام الماضى يبرر التوقف عن اصدارها هذا العام •• وعلى هذا لقد اصدرت الهيئة كتبا فى العام الماضى ، فلماذا تصدر كتبا هذا العام ؟

وتسمى اعتراضى على ترجمة كتاب [جوهر الامن] ، لوزير الدفاع الامريكى روبرت مكنمارا « الهجوم الرخيص الزاعق » ، لاننى اعترضت على ترجمة كتاب يستهين بمصر ، ويشكك فى أصدقائها ، ويتحيز لاسرائيل •• وهو كتاب ملىء بالسموم لا بالحقائق ، حرصت السيدة الكاتبة على أن تصدره الهيئة فى عهدها قبل ان تمول المخابرات الامريكية ترجمته فى بيروت • ولكنها خسرت السباق مع المخابرات الامريكية فصدرت طبعتها العربية وطبعة الهيئة فى المطبعة كما تقول • وتساوى الكاتبة فى ترجمتها لكتاب يبرر حروب أمريكا العدوانية ، وينفث فى عقل القارىء سموم دعايتها بكتاب عن الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية • وكان علينا ان نكيل للاصدقاء والاعداء بنفس المكيال ، أو كأن الحروب الاستعمارية تتساوى مع حروب التحرير ••

ثم ترد الكاتبة على اعتراضي على نشر ديوان بالفرنسية ، بان الاستاذ محمود العالم هو الذى تعاقد عليه ، وكأنها بذلك قد ألقمتنى حجرا . فانا أعترض على المبدأ ، سواء أكان الذى عمل به الاستاذ العالم أو غيره من الاساتذة ..

ولكن الم يكن الاستاذ العالم يعمل تحت رئاسة الكاتبة ؟ .. ثم تقول ان الكتاب تكلف [ثلاثمائة جنيه] ، لا « تسعة آلاف كما تفضل المهاجم بحساباته الطيبة النية ، ولكنها للاسف جاهلة » .. هى تسمينى طوال الوقت بالمهاجم ، وها هى تصف حساباتى بالجهل .. وحساباتى للاسف ليست جاهلة .. ولكنى أرجو منها ان تستشير أى تلميذ يعرف مبادىء الحساب ليقسم لها اجمالى ميزانية الهيئة ومشروع المكتبة العربية ، وهى مليونا و ٥٢٠ الف جنيه ، على عدد الكتب التى أصدرتها ، وجملتها ١٦٤ كتابا ، ليعرف كم أنفقت الهيئة مقابل كل كتاب أصدرته . ولكن حديث الكاتبة عن التكاليف الحقيقية للكتاب يفتح بابا لا احتسبها ارادت له أن ينفتح ، لان الروائح التى تهب منه تزكم الانوف ..

وترد السيدة الكاتبة على اشساري لعدم أمانة الهيئة عندما حادت عن سياستها فى تشجيع الكتاب الشبان بنشر دواوين مشتركة ، ونشرت ديوانا كاملا للشاعر الناشيء حسن توفيق ، لا فى باب الكتابات الجديدة ، ولكن فى باب [الاداب العربية والعالمية] ، وجنبا الى جنب مع ديوان ناظم حكمت ، بقولها ما كان أجدره بأن يشجع شابا شاعرا .. ودراستى تنادى فى أكثر من مكان بتشجيع الكتاب الشباب وتدعيم الموهوبين منهم . ولكن الكاتبة تجاهلت المعنى الذى قصدته ، والذى تعرفه هى جيدا من اشارتى لواقعة الشاعر الناشيء .. فالهيئة لم تنشر ديوانه تشجيعا لشاب شاعر كما تدعى . فلو كانت هذه سياسة الهيئة ، لشجعت من هم أفضل منه من شعراء الشباب ، وفى أدراج الهيئة دواوين لشعراء موهوبين ، مثل محمد عفيفى مطر ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد وشوقى خميس ، ومحمد أبو سنة ، ومحمد العزب ، وغيرهم ممن يفضلونه عشرات المرات . لكن الهيئة لم تشجعهم لان أيا منهم ليس سكرتيرا لمدير النشر كحسن توفيق ، وليس خدوما مثله . ولو كان أيهم كذلك لنشرت له الهيئة شعره مهما كان رديئا ، وكتبه النقدية مهما كانت ساذجة ومليئة بابشع الاخطاء والمغالطات كما فعلت مع السيد حسن توفيق هذا .

وأخيرا ، تشير الكاتبة الى افتقاد الهيئة للكفايات البشرية ، ولكن كيف أفسر موقفها من الشاعر الموهوب كامل أيوب عند تقسيم الهيئة الى شركة تجارية وهيئة عامة والحاقها اياه بالشركة التجارية .. ولو كانت الهيئة تهتم ساعتها بالطاقات البشرية ، أما كان الاجدر بها ان تحتفظ بطاقة كهذه ، بدلا من جيوش الموظفين الذين لا علاقة لهم بالادب أو الثقافة ، والذين احتفظت بهم الهيئة لاسباب لا تدريها .. ثم بعد ذلك تستمر فى الشكوى من تورم العمالة وتضخمها .

صبرى حافظ

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

٣

السنة الثامنة ـ مارس ١٩٧٢

- الخليج العربى : التاريخ الحديث · النضال الوطنى · الصراعات الاجتماعية
- مذكرات « طالب بعثة » حول اقتصاديات الحرب
- الطبقة الوسطى .. ودورها فى المجتمع المصرى
- النفخ فى قرية مثقوبة
- الصراع الثقافى فى لبنان
- معركة موسكو : الهزيمة الأولى للحرب الخاطفة

ملحق الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الثالث — السنة الثامنة — مارس ١٩٧٢

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٩٥٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده فكرة اصيلة .

من هـــذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الراى ولـــكنى على اســـتعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) ؟ .

الافتتاحية

النفــخ فى قــربة مثقــوبة

أتيح لى ، فى منتصف فبراير الماضى ، أن اشارك من خلال عضويتى بالاتحــاد الاشتراكى ، فى أعمال مؤتمره القومى ــ غير العادى ــ ومناقشــات لجنتــه السياسية العسكرية .

وطرحت على المؤتمر ــ وهو تجمع وطنى فى جوهــره ــ مجموعة الحقــائق الاساسية للوضع الراهن، ونتائج الرحلة الاخيرة التى قام بها الرئيس السادات الى موسكو ، وتفاصيل قضيــة المنشورات المعادية التى أصدرتها الجبهة الامبريالية الاسرائيلية الرجعية بهدف توزيعها فى مصر عن طريق بعض العملاء الاجانب .

وانطلاقا من هذه الارضية ، كان المؤتمر ، معبرا عن ارادة جماهيره الوطنيــة ، دقيقا وحاسما فى تحديده لموقفه تجاه كل من الولايات المتحدة الامريكية من ناحية ، والاتحاد السوفيتى من ناحية اخرى ، وذلك فى ضوء معركة التحرير ، التى قيمها المؤتمر بأنها « **الوسيلة الطبيعية والحتمية لاسترداد جميع الاراضى المحتلة وانهاء حالة اللاحرب واللاسلم التى حاولت ــ وما تزال ــ كل من اسرائيل والولايات المتحدة اغراق مصر والامة العربية كلها فى دوامتها** » .

عن موقفه من الولايات المتحدة ، قرر المؤتمر القومى : « ان الولايات المتحــدة **الامريكية قد القت بكل تأييدها ودعمها السياسى والعسكرى والاقتصادى بصورة تجاوز كل ما قدمته لها من عون وتأييد فى مراحل الصراع السابقة ، وتقف الولايات المتحدة اليوم موقف الخصم** » .

وعن موقفه من **الاتحــاد السوفيتى** ، أكد المؤتمــر القومى : « **ان الاتحــــاد السوفيتى ، فى مقدمة الدول الاشتراكية والقوى المعادية للامبريالية العالمية ، قد وقف منذ الساعات الاولى للعدوان الاسرائيلى وحتى الان، الى جانب الحق العربى، ومازال يدعمنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا . وهو موقف لم تفرضه فلسفته ومبادئه**

فحسب ، **بل عززه ايمان مشترك بقضية السلام الدولى وعداء مشترك للامبريالية العالمية »** .

ولم يكتف المؤتمر بهذا التأكيد العام بل حرص — على وجه خاص — بأن يقرر فى وضوح خطه فى : « **ان الصداقة العربيــة السوفيتية ، قاعدة صلبة تمثل موقفــا استراتيجيا لا مرحليا . ويجب أن نتسلح بكل اليقظة والوعى ضد محاولات الاعداء للتشكيك فى هذه الصداقة أو النيل منها** » .

ماذا يعنى هذا ؟ ..

اذا تمثلنا بالقاعدة العامة التى تقول ، بأن مامن شيء فى الحياة ، الا وله جوانبه الايجابية والسلبية معا وفى نفس الوقت . فان سلوك اسلوب ما سمى « بالحل السلمى لازمة الشرق الاوسط » ، طوال مايقرب من خمس سنوات ، كان له بجانب آثاره السلبية — وطنيا وقوميا — آثاره الايجابية أيضا . وخاصة فى مجال تعميق الوعى القومى باستراتيجية وابعـــاد مجمل الصراع والمعـــركة ، لدى الجمـــاهير الوطنية . وخاصة القطاعات الوسطية منها .

ولعل قمة هذه الاثار الايجابية ، تتركز فى تصفية أفــكار وشعارات وقواعــد تلك « القوى » التى نشطت فى المجتمع المصرى وبقية المجتمعات العربية ، بعــد هزيمة ١٩٦٧ لتبشر بامكانية تصفية احتـــلال توسعى عنصرى — كالاحتــلال الاسرائيلى — عن طريق الدبلوماسية الهادئة ، او الصاخبة .. الثنائية او الجماعية ، دون ما حاجة الى قتال هذا الاحتلال .. او تلك « القوى » التى راحت تؤكد على أن « **باب حل القضية الوطنية** » وطرد الاحتلال يقع — جغرافيا وســياسيا — فى «**واشنطون**» . وأن العقل والحكمة يحتمان الحصول على مفتاح هــذا الباب ، بأى ثمن ، ولو كان بعضا من الاستقلال السياسى والاقتصادى . وبلغ المدى ببعض اصوات هذه « القوى » الى « تأصيل حكمتهم سياسيا » ، على اساس أن الشعوب العربية فى مجموعها شعوب صغيرة ، فقيرة ومتخلفة . وبالتالى فان جموحهــا نحو الاستقلال الكامل وطموحها نحو تخطى فقرها وتخلفها على طريق التنمية الوطنية ذات الافاق الاشتراكية ، اشبه ما يكون بعملية « **النفخ فى قربة مثقوبة** » . ومن هنا فلابد لنا من صديق كبير ، قادر على أن يعطى أنفاسه معنا فى نفخ القربة ، بعد أن يساعدنا على رتق ثقوبها ، مقابل شروط معقولة « **فالدنيا : مهما تغيرت ، تظل دنيا تجارة ، بيع وشراء وسمسرة** » . وانه اذا كان علينا ان نختار هذا الصديق فليس هنـــاك غير « أمريكا» .. **لماذا** ؟ لانها اكبر واغنى قوة اقتصادية فى العالم ، ولانه ليس لها تاريخ استعمارى قديم معنا مثل بريطانيا . هذا فضلا عن وجود سوابق لها فى مساعدة بلدان مقهورة او متخلفة حتى وصلت بها الى درجة عالية من التقدم مثل المانيا الغربية واليابان واليونان . واخيرا — وهذا هو المهم فى راى هذه الاصوات — فان جذب أمريكا الينا يبعدها عن اسرائيل وبالتالى يقوى موقفنا ويضعف موقف العدو .

وطرحت هذه القوى — تأييدا لرأيها — معادلة سطحية ومبسطة للامور ، تقول أن هزيمة ١٩٦٧ ، كشفت عن أن اسرائيل مع امريكا كسبت .. والعرب مع الاتحـــاد السوفيتى ، خسروا .

والواقع ان طرح هذه المعادلة ، كانت محاولة ذكية ، لحجب الحقيقة الجوهرية فى الهزيمة والتى تتصل اتصالا وثيقا بأفكار ومصالح هذه القوى ، صاحبة نظرية «النفخ فى قربة مثقوبة » . ونعنى بهذه الحقيقة ، سلبيات الواقع العربى . سياسيا واجتماعيا ، واخطائه الرهيبة فى ادارة الحرب والصراع مع الامبريالية والصهيونية ، واقصاء الجماهير العربية عن توظيف طاقاتها ومبادراتها فى المعركة .

واذا كانت اسرائيل قد استفادت الى أقصى حد من الدعم الامريكى ، فاننا أهدرنا الى أقصى حد ، العون السوفيتى .

ولعله ، لم يعد سرا ، ذلك التقرير الرسمى للجيش المصرى عن هزيمة ١٩٦٧ ، الذى شدد على اهمال وجهل وانهيار اعصاب القيادة العسكرية فى ذلك الوقت وعدم ثقتها فى جنودها . كما أن التقرير اكد على ان استمرار القتال فى ١٩٦٧ ، لانزال خسائر جسيمة بقوات العدو ، كان ممكنا على الرغم من افتقاد الغطاء الجوى .

بيد ان حركة الاحداث فى المنطقة — على مدى خمس سنوات تقريبا — قد تكفلت بالرد العملى ، على حجج وآراء اصحاب نظرية « النفخ فى قربة مثقوبة » . وتعرى الوجه القبيح والدموى للامبريالية الامريكية أمام الجماهير الشعبية فى الوطن العربى ، حتى لمن كان يعير بعض آذانه لاصوات هذه القوى — بين حين وآخر — نتيجة الاثار المادية والنفسية المعقدة التى يولدها استمرار الاحتلال .

ان ابسط مواطن عربى ، اليوم، قد راى رأى العين بصمات امريكا على جثث آلاف الشباب الفلسطينى الذين قتلوا فى الاردن لمنعهم من مقاومة الاحتلال الاسرائيلى . فنتيجة للمخطط الامريكى ، وبقوة السلاح الكثيف الذى أمد به نظام حكم الملك حسين — النل ، نصبت المذابح البشعة لقتل المقاومة الفلسطينية ومعنويات وشرف الامة العربية كلها .

وبسبب التخريب الامريكى ، الظاهر والخفى ، جنبا الى جنب مع القوى الصهيونية الاسرائيلية ، ضربت كل الجهود الانسانية التى حاولت أن تحقق السلام فى منطقة الشرق الاوسط على اساس الانسحاب من الاراضى المحتلة والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى . وأهدرت كل فاعلية لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن ، حتى فيما يتعلق بقراره المطاطى رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ . وانطلقت امريكا فى مؤامرتها الدبلوماسية الجديدة منذ عام ١٩٦٩ تفكك ما سمى بالحل السلمى الشامل ، كصفقة واحدة — حسب التعبير الامريكى نفسه — الى حل منفرد يفرض على كل دولة عربية ، ثم الى حل جزئى مع مصر بهدف عزلها عن امتها العربية ، وأخيرا استقر بها المطاف الى حل جزئى للحل الجزئى ، ينحصر فى اعادة فتح قناة السويس .

ولم تكتف الولايات المتحدة بما قدمته بالفعل من دعم اقتصادى وسياسى وعسكرى لاسرائيل ، بل مضت فى اوائل هذا العام ، وبعد الصراع الهندى الباكستانى الذى انتهى بانتصار بنجالاديش ، الى زيادة القدرة العدوانية للسلاح الجوى الاسرائيلى بما يوازى ثلث قدرته المعلنة حتى نهاية عام ١٩٧١ . فضلا عن عقد اتفاقية تصنيع الاسلحة الامريكية فى اسرائيل ، وبذلك أصبح جهاز العدوان الاسرائيلى امتدادا صريحا ومباشرا لجهاز الحرب الامريكى . وتم هذا كله ، رغم اعتراف البيت الابيض — رسميا — بأن ميزان القوى العسكرية فى المنطقة ما زال فى صالح اسرائيل .

وهكذا جف «**غصن الزيتون الامريكى**» وتساقطت اوراقه من بين ايدى القوى التى ظلت تحمله فى المجتمع العربى . وصار المواطن العربى العادى ، على يقين عميق ، بأن باب واشنطون ، لا يؤدى الى الاستسلام والموت البطىء لحركة التحرر العربية فحسب ، بل للانسان العربى نفسه كانسان . وأن الولايات المتحدة الامريكية ، فى واقع الامر ، تضع البلاد العربية — بدرجات متفاوتة — أمام الخيار بين أمرين محددين : ان تقبل التحول الى بلاد تابعة من نوع فيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية فى آسيا ، وهايتى والاكوادور فى أمريكا اللاتينية .. والا فان العدوان الصهيونى والاحتلال الاسرائيلى قائمان ومستمران ، بقوة الدعم الامريكى ، لاستنفاد كل الطاقة

العربية ومنعها من البناء والتطوير لمجتمعاتها ، وخاصة تلك المجتمعات التى انتهجت طريق الاستقلال السياسى والاقتصادى وترنو نحو الاشتراكية .

وهكذا ضيقت الولايات المتحدة الامريكية ــ بنفسها ــ الخناق على القوى المرتبطة مصالحها بها فى الواقع العربى ولم تعد بالتالى قادرة ــ بعد فترة انتعاشها النسبية منذ اطلاق مبادرة روجرز المشهورة فى أواخــر ١٩٦٩ ــ على استمرار العــزف على نغمات « الكاوبوى » الصريحة . ومن هنا عمدت الى قلب «الاسطوانة» على الوجه الاخر : التشكيك فى صداقة واخلاص الاتحاد السوفيتى للقضية العربيــة عامة، ومصر بصفة خاصة .

ويبدا الوجه الاخر للاسطوانة ، ببكائية تنوح على « مصر المسكينة » التى اعتمدت على الاتحاد السوفيتى فاذا به لا يمدها الا بالنذر اليسير من السلاح والذى لا يكفى لمواجهة السلاح الوفير الذى تغدقه الولايات المتحدة على اسرائيل نتيجة اعتمادها عليه .

ويصفع هذه البكائية بدموعها الزائفة ، حقيقة ان الاتحاد السوفيتى قد امد مصر ــ خلال الاربع سنوات الماضية بسلاح بلغت قيمته ــ يوميا ــ ما يقرب من ٢ مليون جنيه استرلينى .

وتتحول « الاسطوانة » الى العزف على نغمة ان السلاح السوفيتى فى مجموعه سلاح دفاعى وليس هجوميا . بمعنى انه لايفيد فى معركة تحرير الارض وانما يقتصر اثره فحسب ، على توقى هجوم اسرائيلى جديد . وتستغل اسطوانة « التشكيك » فى ذلك عدم ذيوع الثقافة العسكرية بين الجماهير ، وبالتالى امكانية اقامة تصور زائف يفرق فى عملية الحرب بين سلاح دفاعى مجرد وآخر هجومى مجرد .

ولقد تصدى الرئيس السادات بنفسه لهذه النغمــة فى المؤتمر القـومى عندما قال : « **يا ناس ! هل المدفع سلاح دفاعى .. هل الدبابة مجرد آلة دفاعية .. هل الطيارة الميج لا تستطيع الا الدفاع » .. !**

وفى مناقشات اللجنة السياسية والعسكرية بالمؤتمر حرص الفريق أول محمد صادق على ان يوضح بجلاء ان القيادة السياسية والعسكرية قد «**قطعت شوطا كبيرا فى انتقاء الفئة القادرة من أبنائنا لاستيعاب الاسلحة الجديدة التى يمدنا بها صديقنا الاتحاد السوفيتى ، نتيجة التغير الجذرى فى معدات القتال ــ واضعين فى اعتبارنا المعدات الجديدة التى يحصل عليها العدو من أمريكا وكذلك قدراته المتطورة** » .

وترتد « الاسطوانة » امام ثقل ووزن حقائق كم السلاح السوفيتى ومدى دفاعيته او هجوميته ، الى التشكيك فى نوعه ، وكيف انه اقل مستوى من السلاح الامريكى .. ولكن هذا التشكيك سرعان ما ينهار أمام الانتصارات المتوالية التى يحققها الكفاح الفيتنامى المسلح بالاسلحة السوفيتية ضد السلاح الامريكى . وعدم قدرة هذا السلاح الاخير على الرغم من كثافته وحداثته على تسجيل نصر عسكرى، منذ ان تورطت العسكرية الأمريكية فى حربها ضد الشعب الفيتنامى المستبسل فى القتال دفاعا عن حريته ووحدته وتقدمه الاجتماعى ..

وتعود « الاسطوانة » ــ بعد شحوب نغماتها التقليدية عن التأثير ــ لتدور بكلام كثير عن أن سياسة الاتحاد السوفيتى ــ فى الشرق الاوسط ــ تقوم على أساس استمرار حالة اللاحرب واللاسلم .. لماذا ؟ لان ذلك هو السبيل الوحيد لاستمرار

التواجد السوفيتي في المنطقة . أما اذا انتهت الازمة سلما أو حربا ، فانه يخسر تواجده ، ولذلك فان من مصلحة الاتحاد السوفيتي بقاء الوضع الراهن في الصراع العربي — الاسرائيلي ، على ما هو عليه ليحفظ تواجده . ومن هنا فانه يحول بين القوى العربية الوطنية وبين خوض معركتها لتحرير الارض المحتلة .

والواقع أن جانبا من هذا التشكيك موجه في حقيقته الى القوى العربية الوطنية وقيادتها ، قبل أن يكون موجها الى الاتحاد السوفيتي . ذلك ان هذا التشكيك يحاول الايهام بأن قرار خوض معركة التحرير لم يعد ملكا خالصا للقوى الوطنية وقيادتها تتخذه بملء حريتها ومسئولياتها بعد حساب لجميع الاعتبارات والظروف والاحتمالات المحلية والقومية والعالمية .

اما بالنسبة للتواجد السوفيتي في المنطقة ، فان اول ماتثيره هذه النقطة هو تحديد طبيعة هذا التواجد وماهيته واهدافه . من الواضح ان التواجد السوفيتي يختلف اختلافا جذريا عن التواجد الامريكي حاليا أو التواجد البريطاني والفرنسي من قبل . فالتواجد الامريكي مثله مثل التواجد البريطاني أو الفرنسي القديم ، تواجد استعماري ، وان كان بصور جديدة ، يتحدد في عدد من القواعد العسكرية العدوانية وفي احتكارات بترولية ، وغير بترولية تستحلب الموارد الوطنية وتخرب الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلاد . وهذا طبيعي لانه يتصل بدولة امبريالية في كيانها واهدافها . اما التواجد السوفيتي فهو تواجد دولة اشتراكية بهدف مساعدة بلدان المنطقة على تحقيق استقلالها السياسي والاقتصادي في مواجهة الاطماع الامبريالية واستغلالها وعدوانها . ولذلك فهو «تواجد» متطهر من اية قواعد عسكرية ، وعامل على بناء وتقوية الجيوش الوطنية لمواجهة الهجوم العدواني من القوى الامبريالية والعنصرية . وهو « تواجد » يدعم القدرات الاقتصادية للبلاد الوطنية وينميها لصالح شعوبها ، وبدلا من الاحتكارات يبني مع القوى الوطنية السد العالي ومصانع الحديد والصلب والصناعات الثقيلة .

والتواجد السوفيتي ، قادر بحكم قـوة الاتحـــــاد السوفيتي نفسه ، على القيام والاستمرار في أي بقعة من بقاع العالم ، مهما كانت الصعاب أمامه . ولكنه يركز تواجده ، في المناطق المهددة بالعدوان الامبريالي ، وبناء على طلب القوى الوطنية نفسها . كما هو الوضع في منطقة الشرق الاوسط عامة وحوض البحر الابيض المتوسط خاصة . وبالتالي فالتواجد السوفيتي ، ممكن في المنطقة ، حتى اذا لم نطلبه أو نرضى به . تماما مثل التواجد الامريكي عن طريق أسطوله السادس في البحر الابيض المتوسط ، برغم عدائنا ورفضنا له .

المهم في النهاية ، أن التجربة الحية ، تثبت أن التواجد السوفيتي مثمر وبناء ، وذلك على عكس التواجد الامريكي المدمر العدواني .

ورغم هذا كله يبقى التساؤل : **هل يتفق وسـياسة — اي مصلحة — الاتحـاد السوفيتي استمرار حالة اللاحرب واللاسلم في منطقة الشرق الاوسط ؟**

لا اعتقد ان من مصلحة الاتحاد السوفيتي استمرار وضع يثقل كاهله بمعـونات عسكرية — مالية متزايدة الى مالانهاية ، نتيجة تصعيد حرب التسلح التي تشنها كل من اسرائيــل وامريـكا في المنطقــة . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فـان استمرار حالة اللاحرب واللاسلم معناه استمرار هزيمة ١٩٦٧ . وفي هذا اضعاف خطير لحركة التحرر العربية عامة ولوزن التجربة المصرية ذات الافاق الاشتراكية خاصة . الامر الذي يؤدي الى تزايد النفوذ الامبريالي — الصهيوني في منطقة حساسة من العالم وتمثل استراتيجيا « بطن الاتحاد السوفيتي » . وهو وضع يهدد امنه ، فضلا عن آثاره السلبية على مجمل حركة التحرر العالمية ككل .

ومن هنا تتفاعل مصلحة الشعوب العربية فى حسم موقف اللاسلم واللاحرب ، مع مصلحة الاتحاد السوفيتى تماما . وذلك بوأد بؤرة العدوان وانهاء الاحتلال واقرار حقوق شعب فلسطين . وهذه كلها أهداف تشكل الخط السياسي للاتحاد السوفيتى مع جماهير شعوبه ، وازاء العالم الخارجى ، اكدتها اكثر من مرة وثائق حزبه وحكومته وبيانات مندوبيه لدى الامم المتحدة .

واذا ما اتضحت كل هذه « الحقائق الموضوعية » ، فان «الاسطوانة» تهرب منها الى اثارة الزوابع حول ما يسمى بسماح الاتحاد السوفيتى بهجرة واسعة النطاق منه الى اسرائيل . الامر الذى يزيد من القوة البشرية القادرة على العدوان أو على الاقل انماء الخبرات الصهيونية فى حربها ضد العرب .

ومن الحق ان نقرر هنا ان اثارة هذه القضية لا يصدر فحسب عن القوى صاحبة نظرية « النفخ فى قربة مثقوبة » ، وانما أيضا عن بعض القوى الوطنية التى اغرقتها الصحف والاذاعات الامريكية والغربية عامة بالاضافة الى الاسرائيلية ، بطوفان من البيانات والاحصاءات تتزايد بلا انقطاع .

ولعل أول ما يثير الملاحظة فى هذه القضية ، هو أن هجرة يهود الخارج أو الشتات — على حد التعبير الصهيونى — تعتبر من المسائل ذات السرية المطلقة فى اسرائيل ، التى تحرم الحكومة الاسرائيلية نفسها اذاعتها باعتبارها فى حكم المسائل العسكرية . ولكن الحكومة الاسرائيلية تراعى السرية تماما فى كل ما يتعلق بهجرة يهود العالم الى اسرائيل ، فى حين تعمد الى الاعلان والتهويل فيما يتعلق بهجرة اليهود السوفيت . وليس لهذا من تفسير الا انه جزء من المخطط الدعائى لتخريب الصداقة العربية — السوفيتية .

ورغم التضخيم المصطنع حول هجرة اليهود السوفيت ، فالثابت ، ان ٥ر. فى المائة فقط من اليهود السوفيت ، الذين يتراوح مجموعهم بين ٥ر٢ و٣ مليون نسمة ، هاجروا الى خارج الاتحاد السوفيتى ، سواء لاسرائيل او لغيرها من البلدان الاخرى . وذلك على مدى السنوات العشر الاخيرة . وهذا ما يفسر الحملة الواسعة النطاق التى تشنها اسرائيل والصهيونية ضد الاتحاد السوفيتى ، والتى وصلت الى حد تكوين عصابات مسلحة فى امريكا برئاسة الحاخام الارهابى « **كاهن** » للاعتداء على الرعايا السوفيت فى الخارج ، وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية .

ومما يزيد الحملة الصهيونية ضراوة ضد الاتحاد السوفيتى ، هو اتساع وعمق الحملة السوفيتية ضد الصهيونية باعتبارها أداة الامبريالية وحلا عنصريا غير انسانى للمشكلة اليهودية ، واقتناع غالبية اليهود السوفيت بهذا الموقف المبدئى ، وتمسكهم بالبقاء فى وطنهم السوفيتى . بل وتأييدهم لحركة التحرير العربية ضد العدوان الاسرائيلى .

واذا كان الاتحاد السوفيتى ، كدولة اشتراكية ، تسمح لمن يريد الهجرة بمغادرة البلاد بغض النظر عن أصوله الدينية ، الا انه اشترط ، فى الظروف الراهنة للصراع العربى — الاسرائيلى — بالنسبة لليهود شرطين أساسيين :

الاول : ان تكون الهجرة لدافع انسانى بحت هو جمع شمل الاسر المبعثرة .

الثانى : أن لا يكون المهاجر فى سن وقدرة تسمحان له بحمل السلاح والقتال فى الجيش الاسرائيلى العدوانى ضد العرب .

ولكن الخبراء الاسرائيليين يزيفون الواقع عن طريق الاعلان بأن متوسط عمر المهاجر السوفيتى هو ٣٢ عاما ليصوروه فى صورة القادر على حمل السلاح ، وهم

يصلون الى هذه النتيجة عن طريق جمع عمر المهاجر العجوز الذى يبلغ الستين عاما مع عمر الطفل ابن اربع سنوات الذى صحبه فيكون المتوسط فعلا — احصائيا — هو ٣٢ عاما . والاحصاءات المجردة عن الواقع الموضوعى خادعة ومضللة . فبنفس الاحصائيات يمكن ان تصنع « فيلا » كما يمكن أن تصنع « فأرا » .

وقد صرح « **كوسيجين** » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي بالتزام هذين الشرطين — للصحفيين ، خلال زيارته لكندا فى العام الماضى . مؤكدا بذلك وفى قلب العالم الغربى سياسة الهجرة السوفيتية .

على ان الضغط الصهيونى من أجل السماح بهجرة اليهود السوفيت قد بدأ يتحول — وهذه هى الظاهرة الجديدة والتى لاتقلل بعض الصحف الاسرائيلية نفسها من خطرها — الى ضغط من اليهود السوفيت المهاجرين الى العودة من جديد الى الاتحاد السوفيتى ، بعدما تكشف لهم ان احلامهم فى اسرائيل كانت سرابا خادعــا . ونشرت الصحف الامريكية أخيرا أن « عشرات من الاسر اليهودية السوفيتية » قد بعثت برسالة الى « **بودجورنى** » رئيس مجلس السوفيت الاعلى تطلب فيها العودة الى وطنها من جديد . وتناشده انقاذها من « جحيم اسرائيل » . وعاد بالفعل الى الاتحاد السوفيتى بعض من كانوا قد هاجروا . وعقدوا مؤتمرات صحفية وتليفزيونية على أوســع نطاق ، كشفوا فيها حقيقة المجتمع الاسرائيلى العنصرى ، حتى فيما يتعلق بالطوائف اليهودية نفسها .

بل لقد اعترفت الصحف الاسرائيلية نفسها بان احد المهاجرين السوفيت الذين رفضت السلطات الاسرائيلية طلبه بالعودة الى الاتحاد السوفيتى اقتحم مكتب وزير الهجرة الاسرائيلى «**ناتان بيليد**» محاولا الاعتداء عليه بسكين . وعندما سأل مندوب صحيفة « **تريبيون دى جنيف السويسرية** » (عدد ٢ فبراير ١٩٧٢) الوزير عن هذه الواقعــة قال : — كان يريد أن ينتحر أمامى . . لا أن يقتلنى (!)

ووصف الوزير الاسرائيلى هجرة اليهود السوفيت بأنها « هجرة صعبة » . وعندما سأله الصحفى السويسرى :

— هل عثرتم على الذين حرروا رسالة الى بودجورنى يطالبونه فيها بانتشالهم من جهنم الصهيونية ؟

أجاب الوزير الاسرائيلى :

— لقد عثرنا على اثنين من الموقعين على هذه الرسالة ، وأنكرا بشدة مسألة التوقيع هذه ، وقالوا أن هذه مسألة من عمل المخابرات السوفيتية . وقد عبرت عائلتان فقط من بين الموقعين على الرسالة عن عدم رضائهما عن الحياة فى اسرائيل .

والواقع أن حديث « **ناتان بيليد** » الوزير الاسرائيلى المسئول عن الهجرة ، يكشف بين سطوره عن أن هناك جوانب خفية ذات خطر على اسرائيل نفسها من هجرة اليهود السوفيت . بيد أنه لا يوضح بدقة ماهية هذا الخطر ، ويكتفى بتوجيه اتهام الى المخابرات السوفيتية .

ولعل آخر ما فى جعبة « اسطوانة التشكيك » من نغمات ، هى تلك النغمة التى تلح على ما تسميه بالخطر السوفيتى على طريق حركة التحرر العربية عامة والتجربة المصرية خاصة نحو التحرر والاشتراكية ، وعلى القيم الروحية والدينية للجماهير الشعبية .

ومن الامانة أن نسجل أن جانبا من القوى الوطنية المخلصة فى عدائها للامبريالية والصهيونية والتخلف الاقتصادى والاجتماعى يساورها ايضا بعض هذه الهواجس ، التى يساعد عليها مناخ التشكيك .

ونقطة البدء فى طمأنة هذه الهواجس وتبديد ضباب الشك ، هو فى اللجوء الى واقع التجربة التاريخية . وهذا الواقع يؤكد — نظريا وعمليا — أن حركات التحرر الوطنى تنفجر أساسا ضد الامبريالية والاستعمار وتلقى المساندة والتأييد من الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية .

ومعنى هذا ، أن البلدان الاشتراكية تقبل وتتعاون معحركات التحرر الوطنى ، كما هى ، والى المدى الذى تستهدف هذه الاخيرة الوصول اليه . فى حين أن البلدان الاستعمارية هى التى ترفض وتعادى حركات التحرر الوطنى وتعمد الى العدوان عليها ومحاولة خنقها .

فالواقع الموضوعى لحركة التحرر الوطنية ، هو الذى يحدد لها منذ خطواتها الاولى ، جبهة الاعداء وجبهة الاصدقاء .

واذا كانت حركات التحرر الوطنى فى سعيها نحو الاستقلال الاقتصادى والتنمية بمعدل سريع ومكثف تعوض به حيـاة التخلف الطويلة ، بالضرورة تنبذ طريق التطور الرأسمالى وتلجأ الى الطريق المعادى للرأسمالية والمنفتح نحو الاشتراكية .

والذى يتصور ان بناء الاشتراكية فى بلد كمصر أو أى من بلاد حـركة التحرر الوطنى ، سوف يحاكى النموذج السوفيتى ، فانه لا يخطىء فحسب خطأ فادحا بالنسبة للتجربة الاشتراكية فى بلده . وانما هو — وقبل كل شىء — يرتكب جرما فى حق الاشتراكية نفسها . ذلك انه، اذا كانت القواعد العلمية للاشتراكية واحدة ، الا انها عند التطبيق تتجسد فى نظم متعددة ومتنوعة ، بلا حصر .، وذلك نتيجة اختلاف الظروف الخاصة والتراث القومى والنفسى والروحى للمجتمعات . وقد أكدت الاحداث فشل نقل تجربة أو نظام اشتراكى من مجتمع الى آخر . فالنظام السوفيتى — ككل نظام آخر — ليس صالحا للتصدير خارج الاتحاد السوفيتى .، وان كان هذا لا يعنى الاستفادة من خبراته وتجاربه ، مثلها مثل كل الخبرات والتجارب فى عالمنا المعاصر ..

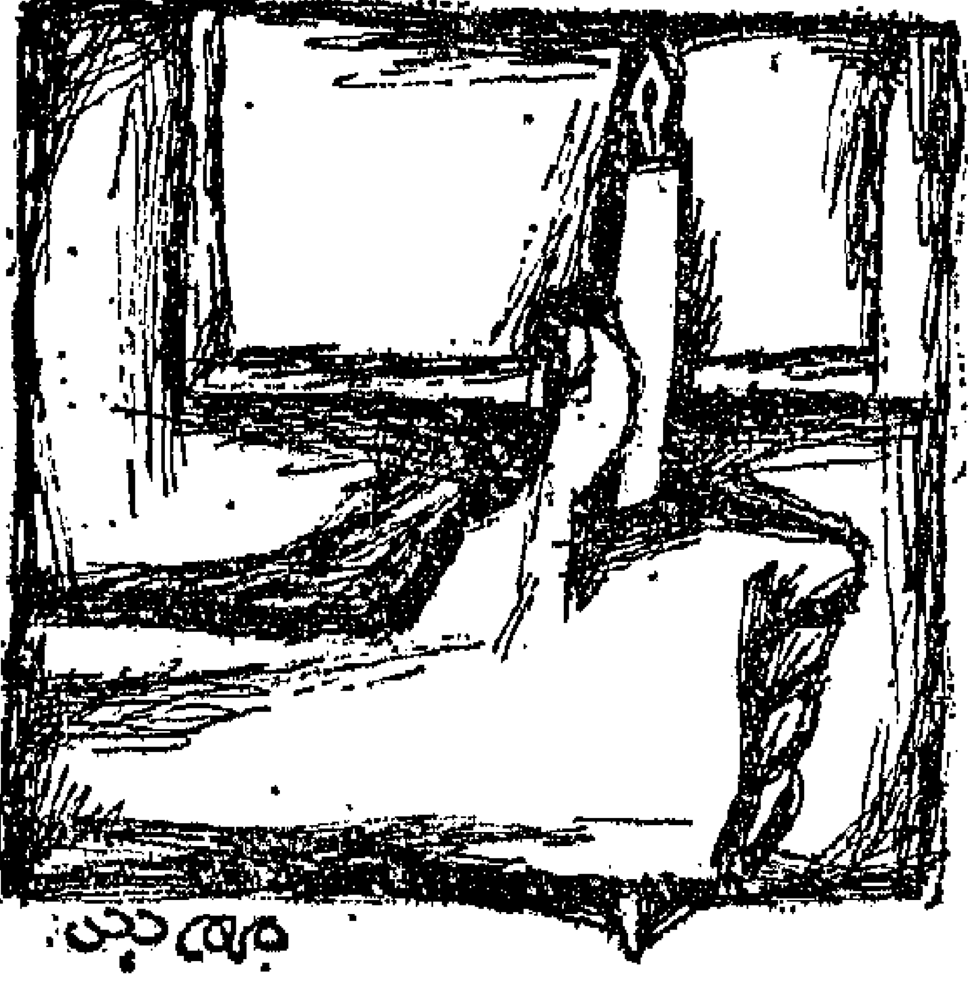
والاشتراكى المصرى أو العربى الذى لا يحترم ولا يقدر القيم الدينية والروحية التى تعمر وجدان الملايين من الجماهير ، والتى لا يمكن بناء الاشتراكيـة بدون ايمانهما وارادتهما ، يتحول فى الحقيقة الى عدو فعلى للاشتراكية العلمية . ذلك ان العقيدة الدينية التى تؤمن بها الجماهير ، هى قوة مادية قادرة بقيمها النضالية والتقدمية ان تدفع — فى جو صحى وديمقراطى — حركة البناء الاشتراكى الى الامام ، وتثريها ..

فالمسلم أو المسيحى ، المخلص لاستقلال وطنه وتقدمه ، ولحق جماهير شعبه فى حياة انسانية متطهرة من الاستبداد والاستغلال ، يستطيع أن يكون ، فى الواقـع الحى ، اشتراكيا حقيقيا ، بقدر ما هو مسلم حقيقى أو مسيحى حقيقى .

من هنا ، يغدو اصرارنا على السير ، رغم كل التضحيات — على طريق التحرر الوطنى بآفاقه الاشتراكية ضد الامبريالية والصهيونية والتخلف ، وفى تحالف الند للند مع الاتحاد السوفيتى وبقية البلدان الاشتراكية ، ليس نفخا فى قربة مثقوبة ، بل قهر للتخلف وتصفية للعدوان والاحتلال ..

لطفي الخولي

■ عاش الدكتور عبد الرازق حسن مواجهة المجتمع البريطاني لفترة ما بعد الحرب في المرحلة ما بين ديسمبر ١٩٤٥ حتى يوليو ١٩٥٢ ، وهو يروي هنا ذكرياته عن الخطوات التي اتخذت لتعبئة المجتمع البريطاني واعداده للحرب ■



من مذكرات طالب بعثة حول

اقتصاديات الحرب

د. عبد الرازق حسن

ليس الهدف من كتابة هذه المذكرات اجترار الماضي ، ولكن اعطاء صورة سريعة عن مفهوم اقتصاديات الحرب في بلد متسم بالصراعات الاجتماعية نتيجة تركيبه الراسمالي ، وهو بريطانيا التي عاشت اكثر من عشر سنوات ما بين حرب ضروس ، واعادة بناء ما خربته هذه الحرب وقد دعاني الى كتابتها كثرة الجدال في مجالسنا العامة والخاصة ، حول ما يجب وما يمكن اتخاذه من اجراءات لمواجهة معركتنا المصيرية تجاه الصهيونية والامبريالية ، اللتان تهدفان الى تقويض بنياننا الاجتماعي ، والتهام اجزاء من بلدنا ، ومن وطننا العربي .

وكسب معارك الحرب على مدى التاريخ كانت تتركز حول الايمان بالقضية التي تقوم من أجلها الحرب . والقدرة على تحمل ما تفرضه من تضحيات مادية وبشرية . واني فيما أكتب لادرك تماما أن القدرة على تحمل أعباء أي حرب تزيد كلما قلت التناقضات الاجتماعية ، والصراعات الطبقية ، وحينما يتملك المجتمع الاشتراكي مثلا أدوات الانتاج فيه ، تكون قدرته على ادارة هذه الادوات لمواجهة هذه الحرب اكبر منها في مجتمع راسمالي .

وسأعتمد في كتابتي على الذاكرة التي ارجو الا تخونني ، وعلى بعض ما كنت قد دونت من ملاحظات يرجع بعضها الى ربع قرن مضى ، حينما كنت طالب علم في بريطانيا ، وكان على أن أتفهم طبيعة الحياة حولي ، لعلي استفيد من خبرة الغير ما يفيد البلد الذي تحمل في سبيل تعليمي الكثير .

فى جو الحرب

وقد يكون من المناسب أن أرجع بالذاكرة الى ما اتخذ من اجراءات فى مصر حينمـا نشبت الحرب العالمية الثانية ، لمواجهة النتائج المترتبة عليها ، وما زال بعضها قائما حتى وقتنا الحاضر ، ولو ان مصر لم تشترك فى تلك الحرب بشكل مباشر ، اذ لم يكن ــ كما صرح أحد كبار المسئولين فى ذلك الوقت ــ لا ناقة لنا فيها ولا جمل ــ ٠ ومن تلك الاجراءات فرض قيود على انتاج بعض المواد وتداولها واستهلاكها ، كتحديد المساحة المنزرعة قطنا ، ووضع أحكام لاستخراج الدقيق وصنع الخبز ٠ وتنظيم استهلاك وتسعير السلع التموينية كالحبوب الغذائية ، واللحـوم والسكر والزيت وورق الجرائد ووضـع قواعـد لتداول الخيـوط والاقمشة قطنية كانت او صـوفية ، وتسعيرهـا وتسعير الملابس الداخلية ، وضمان وجود مخزون سلعى فى مختلف المديريات والمحافظات ، ووضع قيود على نقل مواد التموين فيما بينها ، وفرض نظام للرقابة على النقد فى دخوله وخروجه من البلاد والاحتفاظ بحسابات أجنبية ، وتنظيم عمليتى الاستيراد والتصدير وتحديد الايجارات ٠٠ الخ ٠

وفى المجال الضريبى زيدت اسعـار الضرائب على فروع الدخل والدمغة ، التى كانت قد فرضت قبل الحرب بشهور ، زيدت أسعار ضريبة الارباح الصناعية والتجارية والقيم المنقولة من ٨ فى المائة (الذى كان مقدرا فرضه فى سنة ١٩٤٠) الى ١٠ فى المائة ثم الى ١٢ فى المائة بعد ذلك بسنتين ، وفرضت ضريبة اضافية للدفاع فى سنة ١٩٤٠ ، زيدت فى السنة التالية ، ثم تزايدت بالتدريج ، وبعد أن كانت ١ فى المائة من الضرائب على فروع الدخل والاطيان والرسوم الجمركية تراوحت بين ٥ فى المائة من الضريبة على كسب العمل ، الى ١٠ فى المائة على ايرادات القيم المنقولة والارباح ، وتدرجت بالنسبة لضريبة المبانى ما بين ٨ فى المائة على الـ ٢٠ جنيها الاولى من الضريبة الى ٥٠ فى المائة على ما يزيد عن ١٠٠٠ جنيه من الضريبة وذلك فى سنة ١٩٤٤ . كما فرضت ضريبـة استثنائية على الارباح الصناعية والتجارية فى سنة ١٩٤١ وزيدت بعد ذلك فى سـنة ١٩٤٣ وتدرجت من ٢٥ فى المائة الى ٧٥ فى المائة من الربح الاستثنائى ٠ كما فرضت اتاوة خاصة على الربح الناتج من عمليات القطن فى سنة ١٩٤٢ تمتص نصف ما يزيد عن ١٢ فى المائة من الربح وقبل انتهاء الحرب بستة أشهر فرض رسم ايلولة على التركات وكان قد طال الاخذ والرد بالنسبة لها ٠

ولم تغفل الحكومة خلال الحرب بعض النواحى الاجتماعيـة ، فـفرضت نظامـا لغلاء المعيشـة لصالح عمال الصناعة والتجارة ، وحتمت تقديم وجبات لهم بأسعار مخفضة ، والزمت ملاك الارض بدفع حدود دنيا لاجور عمال الزراعة ، وذلك بالاضافة الى تخصيص بنود فى الميزانية لخفض تكاليف المعيشة ومنح اعانة غلاء للموظفين ٠

ولسنا فى مجال الحديث عن مدى فاعلية كل هذه الاجراءات ، فى الحد من التفاوت فى الثروات والدخول الذى ترتب نتيجة ظروف الحرب ، ولكن ما يهمنا الاشارة اليه هنا ، انه كان هناك تحرك ما ، وادراك بأن ظروف الحرب تقتضى اجراءات غير عادية فى مختلف المجالات الاقتصـادية والاجتماعية .

فى الطريق الى أحد ميادين الحرب

لم تكد تنتهى الحرب حتى عملت الحكومة على ارسال بعض المبعوثين لاستكمال دراساتهم فى الخارج ، وبالاخص بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وكان من نصيبى السـفر الى البلد الاول ٠

وقد أحسست بمعنى الحرب حينما ركبت حاملة الجنود « باستير » وعليها بضعة آلاف من الجنود العائدين الى وطنهم ، من النوم على « الهاموك » وهو شبكة من الخيوط السميكة تعلق من طرفيها بخطافين ، الى تناول وجبات من الطعام يصعب تحديد نوعهـا الى شرب الشـاى دون سكر من جردل ، الى استعمال دورات مياه مكشوفة ، ولم يكن هناك من مجال للنشاط على ظهر السفينة غير دعوتنا من وقت الى آخر للاصطفاف وقد تمنطقنا بأحزمة النجاة ، وكانت تقفل الابواب الحديدية بين الادوار الدنيا من وقت الى آخر ولم أكن أدرى الحكمة من ذلك الا حينما وصلت الى لندن وعرفت ان السبب كان مرور السفينة فى حقل الغام ، ولو حدث وأصاب السفينة لغم فيمكن التضحية بمن وما فى القاع لسلامة الاخرين ٠

كنا فى منتصف ديسمبر سنة ١٩٤٥ حينما وصلنا الى لندن ، والمسـاء مظلـم الا من اضواء خافتة وكانت الحرب لم تنته بعد ، والجو ممعن فى البرودة ، وكنـا فى المحطة كاليتامى ، ليس هناك من ينتظرنا ، ولا نعرف الى أين نتجه ، ولم ينقذنا

مما نحن فيه الا مندوبين من بلدية لندن ، عرفت بعد ذلك أن مهمتهم استقبال القادمين من الجنود او المدنيين لارشادهم الى اين يتجهون ، او توجيههم الى استراحات مؤقتة يبيتون فيها ليلتهم حتى يكتشفون امرهم ، فقد تكون الغارات قد دمرت مساكنهم ، وقتلت او شردت اسرهم .

وكان قد اتبع فى اثناء الحرب نظام محكم لتهجير الاطفال وكبار السن من مناطق الخطر الى داخلية البلاد ، أما العمال فكان عليهم أن يواجهوا مصيرهم فلا تثنيهم الغارات عن العمل والانتاج ، ولا يلجأون الى المخابيء عادة حتى لا يتأثر الانتاج وهو عنصر اساسى فى الصمود لكسب المعركة .

وحينما أصبح علينا الصباح ، أدركنا معنى الحرب ، فالتدمير قد شمل الكثير من المناطق ، وأقيمت مساكن مؤقتة فى بعض الحدائق لايواء من دمرت مساكنهم ، وكانت أغلب الاسوار الحديدية للمنازل والحدائق منزوعة لان الدولة قد استخدمتها فى الصناعة . وكانت بعض المساكن المدمرة قد حولت الى احواض للمياه لتكون بمثابة خزانات للمعاونة فى عمليات اطفاء الحرائق .

تنظيم الاستهلاك بين اجراءات الدولة ووعى الافراد

كان أول هم للمبعوث منا بعد وصوله ، الاطمئنان على مكان مناسب يقيم فيه ، ثم استخراج بطاقة التموين التى تمكنه من الحصول على بعض المواد الاساسية . فلم يكن من المتصور مثلا أن تترك للسوق الحرية فى ظروف المجتمع غير الطبيعية ، لان ذلك كان يمكن ان يؤدى الى فوضى واختلال فى المجتمع .

كانت بطاقة التموين فى شكل دفتر يوزع بمقتضاه الجبن والمواد الدهنية والبيض والسكر والحلوى والشاى واللحم ، وكلما زاد عدد صفحات الدفتر كان ذلك ايذانا بتوقع ادخال أى سلعة يشح المعروض منها فى البطاقة ، وكان يلحق بدفتر التموين دفتر آخر به عدد من الكوبونات تستخدم للملابس والاحذية .

ودفتر التموين يجدد سنويا ، ويضم عددا من الصفحات ، كل واحدة لمادة تموينية ، والصفحة مقسمة الى ١٣ قسما ، وكل قسم يضم أربع خانات ممثلة للاسابيع .

ولم يكن مفهوم عدالة توزيع مواد التموين شيء مطلق ، وانما يراعى بعض الظروف ، فقد كانت مقررات الزبد والجبن واللحم للعمال أعلى منها بالنسبة للفئات الاخرى من الشعب . وكان يمكن للنباتيين الاستعاضة عن اللحم بالفول السودانى واللوز مثلا ، أما الرضع والاطفال فقد كانت امهاتهن يحصلن بالاضافة الى التموين العادى على قدر أكبر من اللبن بسعر أرخص ، والالبان الصناعية ، وعصير البرتقال ، وحينما كان يصل الى البلاد بعض البرتقال والموز نجد أن الفاكهى أو بائع الخضر لا يبيعه الا بقدر للاطفال والمسنين .

وكانت المقررات التموينية تتغير من فترة الى أخرى وتأخذ الحكومة فى اعتبارها ضمان حد ادنى من المخزون فى البلاد حتى لا تتعرض البلاد الى مشاكل . وقد اضيف الخبز الى التموين الذى يوزع بالبطاقة فى أغسطس سنة ١٩٤٦ حينما تبين ان المخزون السلعى لم تزد كميته عن حاجة البلاد فى ٨ أسابيع .

وكان النظام المتبع بالنسبة للملابس هو نظام الكوبونات ، فيحدد لكل فرد عدد معين ، فتمثل ياقة القميص أو الكرافت كوبون ويمثل الجورب ٣ والفانلة ٦ والقميص ٨ والبنطلون ١٢ وهكذا . ولم تكن الكوبونات المسموح بها للفرد فى السنة بكافية لتمكنه من شراء واحدة من كل بند من بنود الملبوسات، وبالتالى كان على الفرد ان يفاضل بين احتياجاته ، او ينسق بينها وبين اسرته . ولهذا كان من الطبيعى ان نجد المحلات تعرض رقعا من الجلد لتغطية الاجزاء المعروضة للتلف من البدل التى تمثل أكبر رقم فى الكوبونات . وفى نفس الوقت كانت هناك حرية تامة فى شراء الاقمشة غير أن الاستفادة بها كان محدودا فالمعروض من الاقمشة محدود الاصناف والاسر التى تمتلك ماكينات خياطة كانت قليلة وتكاد تخلو البلاد من الترزية .

لم تكن مقررات التموين بكافية لتغطية الاستهلاك الكامل للافراد ، وكان من الطبيعى أن يلجأ الناس الى المطاعم لتناول بعض الوجبات ، ولم يكن الفرد فى هذه المطاعم حرا فى طلب ما يشاء وانما عليه أن يتناول ثلاثة أطباق فقط . وليختارها بين الحساء والمكرونة والخضار مع شريحة صغيرة من اللحم أو السجق والسمك والحلوى ، واعتبر الخبز بمثابة طبق حينما نقصت كميته كما ذكرنا . ومن المتصور نظريا أن

الشخص كان يمكنه أن يتناول أكثر من وجبة فى أكثر من مطعم ، غير أن طول المدة التى كانت تمر بين الوقوف فى الطابور ، وتناول الوجبة والفترة المحددة فى المطاعم لتناول الغذاء كانت تجعل من غير الممكن عمليا الانتقال من مطعم الى آخر لتناول أكثر من وجبة وبالتالى كان على الفرد ان يوازن فيما يطلب من غذاء بين ما يعطيه أكبر قدر من الطاقة الحرارية .

كان نصيب الفرد فى الاسبوع لا يتعدى نصيب رطل من المارجرين « الزبد الصناعى » وربع رطل من الزبد ، وأقل من ذلك من الشحم ، وشريحة من اللحم تعادل ما يتناوله الانسان العادى فى وجبة واحدة فى القاهرة ، ولا يصيب الواحد غير بيضة واحدة فى الاسبوع ، وان كان يمكنه الحصول على باكو من مسحوق البيض . واذا كانت الاسرة تربى دواجن فى الريف أو فى أطراف المدينة فتحرم من مقررات البيض مقابل منحها قدرا من الحبوب كغذاء لدواجنها .

وكان يسمح للوافدين من بلاد حارة بالحصول على عدد كبير نسبيا من كوبونات الملابس وقد أثار هذا الامر بعض النواب فى مجلس العموم ، باعتباره ميزة تتناقض مع عدالة التوزيع ، وأذكر أن وزير التموين رد على ذلك بأن الهدف الاكبر هو زيادة تصريف الملابس مقابل الحصول على نقد أولئك الوافدين وذلك بمثابة صادرات .

وقد اخضعت السلع المختلفة لنظام التسعيرة لضمان عدم العبث بالسوق ، واستغلال نقص السلع بتكوين أرباح استثنائية ، واثارة مشاكل اجتماعية لا داعى لها . وان كانت التسعيرة تتغير من وقت الى آخر تبعا لتغير التكاليف ، وقد يحدث أن ترفع الدولة سعر سلعة ما ، وفى هذه الحالة لم يكن ليسمح للتاجر أن يرفع أسعار ما قد يكون لديه من مخزون ، بل عليه أن يبيع ما يبقى لديه بالاسعار القديمة . وللحد من التلاعب فى الاسعار ، فرضت التسعيرة أيضا على ما قد يعرض للبيع من الملابس القديمة .

ولم يكن من السهل أحيانا ادخال بعض السلع التى يصيب عرضها نقص مؤقت فى البطاقة وكان يعتمد فى عدالة توزيعها على التجار أنفسهم الذين كانوا يدركون معنى حسن التصرف . فعند نقص السجاير فى بعض الاوقات مثلا ، لم تكن تجد من يخفى السلعة بهدف بيعها فى السوق السوداء لانه كان من الصعب أولا وجود من يشتريها بأعلى من سعرها المحدد ، ورعاية لمصالح المشترين كنا نجد البائع يوزعها بمعدل ٥ سجاير على كل مشتر وله الحق فى رفض البيع لفرد يعتقد انه سبق أن حصل على نصيب منها . وكان يسىء الناس تشدق بعضنا بالقول انه يمكنه أن يحصل على نصيب أكبر عن طريق دفع « بقشيش » للبائع لانهم كانوا يعتبرون أن ذلك عمل غير أخلاقى .

واعتمدت الحكومة على حسن ادراك المواطنين حينما ووجهت بأزمة الفحم فى شتاء سنة ١٩٤٦ اذ أدى تساقط الجليد لاسابيع طويلة الى نقص المستخرج من الفحم وصعوبة نقله ، فطلبت الحكومة من الناس الاقتصاد فى استعمال الوقود بايقاف استخدام وسائل التدفئة والطبخ بضع ساعات فى النهار لتوفير حاجة المصانع من طاقته ، ولم تكن الحكومة فى حاجة الى اجراءات تفتيشية أو بوليسية لضمان طاعة الناس لقرارها .

وكان يطبق نظام التموين على ترميم المساكن وبنائها ، بمعنى أن يحدد للفرد قيمة ما يمكنه القيام به من اصلاحات خلال السنة ، فاذا كان المبلغ المقدر له لا يكفى لاتمام العملية فيكنه ترحيل المستحق من سنة الى أخرى ، أى يجمع ما يسمح له ليكون رصيدا يسمح بالاصلاحات المطلوبة . ومن الطريف مثلا ان القصر الملكى كان قد طلب التصريح بترميم جناح كان قد دمر من قصر باكنجهام ولكن الطلب لم يحظ بالموافقة لان اللجنة رأت أن ذلك غير هام ، وصدر حكم بالحبس والغرامة على ابن لاحد الوزراء كان يشغل مديرا لمحطة كهربائية عامة ، كلف مقاولا باقامة مبان للمحطة بمبلغ اكبر من المخصص لها .

وحتى مع السماح للفرد بقدر من السلع التموينية ، الا أنه لم يكن مطلق الحرية فى العبث بها ، فقد حوكمت بعض طالبات جامعة لندن بتهمة تبديد مواد التموين لانهن أردن اثبات ارتفاع درجة الحرارة بشكل غير عادى فى شهر أغسطس عن طريق كسر بيضة على سور بناء وبيان ان الحرارة ستنضجها ، وكان مما قاله القاضى فى حكمه ان هناك وسائل علمية معروفة لمعرفة درجة الحرارة ، وليست منها مواد التموين التى تعتبر غذاء للشعب ومن لا يريد ما خصص له عليه أن يتركه لغيره . وحذر وزير التموين سكان أحد المناطق ذات الدخل العالى حينما نشرت الصحف صورة لاكوام من فضلات الخبز ضمن القمامة ، هذا فى نفس الوقت الذى كانت تجمع فيه فضلات الطعام لتقديمها غذاء للمواشى .

وبالرغم من صرامة نظام البطاقات الذى استمر خمس سنوات بعد نهاية الحرب ، الا انه قد خفف كثيرا من المشاكل التى كان يمكن أن تترتب لو

تركت الحرية لعوامل السوق وقد عاون النظام فى استخدام الاسلوب العلمى فى تنظيم الحيـاة ، وتحديد أولويات السلع فى الاستهلاك ، واذكر اننى كنت ارفض ان ترسل لى اسرتى اى اغذية من مصر خلال تلك المدة ، التى تحسنت فيها صحتى كثيرا ٠
توزيع أعباء الحرب

توزيـــع أعبـــاء الحـــرب

بين الضرائب والقروض

يعتمد الفكر الاقتصادى الانجليزى فى تمويل الحرب اساسا على الضرائب ، وعدم اللجوء الى القروض المحلية الا فى أضيق الحدود ، والاعتماد فى الاحتياجـات الخارجيـة على حق الدولـة فى السيطرة على ما يملكه مواطنوها فى الخارج بالدرجة الاولى ، وعلى القروض الاجنبية بالدرجة الثانية ٠ ويستند هذا الفكر على مبدأ العدالة فى توزيع أعباء الحرب ٠ ففى الحرب المصيرية يعتبر ما يفيض عن الحاجة الضرورية للاستهلاك أو لتدعيم أجهزة الاستثمار والحرب فى المجتمع هو الرصيد الاساسى الذى يمكن السحب عليه لمواجهة مطالب الحرب المتزايدة ، وليس من الطبيعى أن تحمل أجيال المستقبل بأعباء نتيجة ظروف أو مواقف ليس لهم يد فى خلقها ، فضلا عن انه ليس هناك من يعرف كيف ستكون مطالب وأعبـاء المستقبل للجيل القادم ٠ وبالتالى فأن الاعتماد فى تمويل الحرب على القروض لا يعنى علميا الا تدعيم مركز القلة ممن لديهم فائض على حساب الغالبية التى تكون وقود المعركة ٠ والتحكم فى فائض الدخل بعد تحديد الاستهلاك يعطى قدرة أكبر للدولة على توجيه الانتاج للمعركة ، فضلا عما يشيعه من احساس بالمساواة فى تحمل أعباء الحرب ٠

ومن هذا المنطلق يمكن أن ندرك السر فى كثرة الضرائب التى فرضتها بريطانيا خلال الحرب ، وفى سنوات التعمير التالية لها ، وارتفاع أسعارها بشكل يبدو لنا انه غير عادى ٠ فنجد أن أسعار ضريبة الدخل من العمل كانت تتراوح عند قيام الحرب بين ١ فى المائة على الدخل البالغ ١٥٠ جنيها فى السنة ، ويرتفع السعر الى ١١ فى المائة حينما يصل الدخل الى ٥٠٠ جنيه ، ويزيد الى ٢١ فى المائة اذا بلغ الدخل ٢٠٠٠ جنيه والى ٦٧ فى المائة اذا كان الدخل ١٠٠٫٠٠٠ جنيه ، ونتيجـة لرفع أسعار الضريبة عند نهاية الحرب نجد أن النسب تراوحت بين ١٢ فى المائة ، ٣١ فى المائة ، ٤٣ فى المائة ، ٩٤ فى المائة من الدخول السابقة على الترتيب ، مع ملاحظـة ان القيمة الحقيقيـة للدخـول قد انـخفضت كنتيجـة طبيعية لارتفـاع الاسعار ، هذا وتزيد معدلات الضريبة عن ذلك اذا كان مصدر الدخل رأسمال ٠

وفرضت ضريبة على المشتريات تراوحت بين ٣/٢٣١ فى المائة على الاجهزة الكهربائية والثلاجات و١٠٠ فى المائة على أدوات التجميل والسجاد وغيرها من السلع غير الضرورية ٠ وزيدت هذه المعدلات عن ذلك بعد الحرب ٠ وبالاضافة الى ذلك تضاعفت الرسوم الجمركية أو الانتاج علـى السجاير والبن والشاى والكاكاو والبيره وغيرها وحرمت الدولـة استيراد بـعض السـلع او حتى ميزها كهدايا كالسيارات الكبيرة ٠

وكان منطق وزير الخزانة حينما اثير الجدل حول رفع أسعار الضريبة على السجاير انه اذا كانت الضريبة لن تحد من الاستهلاك فان ايراد الخزانة سيزيد والقوة الشرائية للافراد ستقل ويخف بذلك طلبهم على السلع الاخرى ٠ واذا ادت الضريبة الى انخفاض الاستهلاك ففى ذلك مصلحة عامة لانه يساعد على توازن ميزان المدفوعات لانه يقلل المستورد من الدخان ٠

ولم تكتف الدولة بالضرائب التى يتحملهـا الاشخاص ، بل فرضت ضريبة على الاربـاح الاستثنائية وهى التى تزيد عن نسبة معينة الى رأس المال ، أو الربح المتحقق قبل الحرب وكان سعر الضريبة ١٠٠ فى المائة أى المصـادرة ، وحينما خشيت الحكومة أن يؤدى ارتفاع سعر هذه الضريبة الى لجوء اصحاب الاعمال الى رفع أجور العمال أصدرت قرارا بتجميد الاجور ، ولم تسمح بزيادتها الا اذا ترتب على ذلك زيادة فى الانتاج ٠

ولم تترك الدولة أولئك المستفيدين من الهبات أو الميراث فزادت أسعار الضريبة على التركات حتى بلغت عند نهاية الحرب ٣ فى المائة اذا كانت قيمة التركة ٣٠٠٠ جنيه ، ويصل السعر الى ٥٨٫٥ فى المائة للتركات التى تصل الى ١٫٥ مليون جنيه ٠

وبالرغم من الارتفاع الواضح فى أسـعار الضرائب الا انه كان من الواضح بعد انتهاء الحرب أن هناك من افاد نسبيا منها وبالذات أولئك الذين لم تصب استثماراتهم أى تدمير ، ولهذا فرضت الحكومة فى سنة ١٩٤٨ ضريبة خاصة تدفع لمرة واحدة وذلك على الربح المتولد من عملية استثمار ، وتراوح سعرها بين ٥ فى المائة اذا كان الدخل ٥٠٠ جنيه ، ويصل الى أكثر من ٤٨ فى المائـة اذا وصـل الدخـل ٥٠٫٠٠٠ جنيه ، وذلك بالاضافة الى ضريبة الدخل ٠ وبحسبة بسيطة اذا جمعت الضريبتان فاننا نجد ان مجموع ما يسدده الشخص يبلغ ٦٨ فى المائة من الدخل اذا كانت

قيمته ٢٥٠٠٠ جنيه ، ويصل السعر الى ١٠٠ فى المائة اذا بلغ الدخل ٨٠٠٠ جنيه ، ويقفز الى ١٣٨ر٥ فى المائـة اذا وصل الدخل الى ٥٠ر٠٠٠ جنيه ، ومعنى ذلك ان على الفرد ان يبيع جزءا من رأسماله ليسدد الضريبة ويواجه مطالب المعيشة .

ولم تكتف الحكومة بذلك بل رفعت أسعار ضريبة التركات لتصل بحدها الاقصى الى ٨٠ فى المائة اذا بلغت قيمة التركة ١ر٥ مليون جنيه وذلك فى سنة ١٩٥٠ . وقد حبذ كثير من الاقتصاديين رفع هذه الضريبة ، ليس لتأييدهم اهمية تضييق الفجوة بين الطبقات فحسب ولكن لاضعاف شأن الطبقات التى تعتمد على ثروة ليس لهادور فى تكوينها ، وكانت الفئة التى تعتمد على ايراد ليس مصدره العمل فتسمى « بالقراصنة » .

وقد لجأت الحكومة البريطانية فى تمويل حوالى نصف الانفاق خلال الحرب بالقروض المحلية او الخارجية ، ولم تكن القروض المحلية مشكلة فكان يصدر اما سندات حرب او سندات على الخزانة . وكانت المشروعات وشركات التأمين والبنوك تكتتب فى الجزء الاكبر منها . وبالنسبة للقـروض الاجنبية لجأت فى ذلك الى حلفائها وبالاخص الولايات المتحدة ، او باصدار سندات سحبت عليها من المستعمرات او البلدان التى كانت تفرض نقودها عليها كأستراليا وكندا . اما بالنسبة للهند ومصر وغيرهما ، فكانت تغطية الديون يتم عن طريق السندات الاولى .

وقد بلغ مجموع الدين العام المحلى فى مارس ١٩٤٧ حوالى ٢٥ بليون جنيه أما الدين الاجنبى فلم يتعد ٧٦٩ مليونا .

وبالرغم من الحرب وأثرها التدميرى والضرائب العالية الا ان الحوافز على الانتاج كمقاومة النازية كان كبيرا فزاد الدخل القومى بين سنتى ١٩٣٨ ، ١٩٤٥ بنسبة ٧٢ فى المائة ، ومكن ذلك الدولة من زيادة عبء الضريبة التى امتصت ٣٠ فى المائة من الدخل القومى بعد أن كان عبئها لا يتعدى ٢١ فى المائة .

بين التقشف وترشيد الاستهلاك :

لم يكن اقتصاد الحرب والتعمير بعدها مجرد اجراءات لتنظيم الاستهلاك ، او ضرائب تفرضهـا الدولـة لتضمن تمويل مطـالب الحرب واعـادة التعمير، ولكن تعدى ذلك الى اثارة الاهتمام بتغيير انماط الاستهلاك وأسلوب الحياة ، بما يؤدى الى حسن استغلال الموارد والامكانيات المتاحة دون اسراف او تبديد .

حينما قامت الحرب توجهت الحكومة للناس لاستخدام الحدائق لزراعة الخضر ، ويسرت عليهم الامر باصدار كتيبات عما يمكن زراعته ، وطريقة الزراعـة وكـانت المحـلات مستعدة لبيـع البذور وادوات الزراعة .

واعدت مواصفات لبعض المنتجات بما يمكن يمنع اى تبديد فى المواد ، فالتعليمات لترزية البدل بالغاء ثنية رجل البنطلون والثنيات الجانبية فيه واستخدام قلابة ياقة الجاكت من قماش رخيص ، وعدم استخدام أزرار فى اكمام الجاكت ، والحد من عدد ما هو موجود منها فى الصدر . وملاحظة الا تزيد طول كعوب أحذية السيدات عن طول معين ، وقد وفرت مثل هذه الاجراءات البسيطة ملايين الجنيهات سنويا .

وشملت المواصفات طبع الكتب ، تحدد بموجبه عدد الكلمات فى الصفحة ونوع الورق ، وللجنة الفنية والعملية المسئولة فى المطبعة تحديد العدد المناسب ، من الصفحات بمعنى ان الكاتب لم يكن حرا فى تصميم حجم الكتاب . اما الجرائد فكانت فى اربع صفحات فقط ، فيما عدا ذات الحجم الصغير فكانت فى ٨ صفحات على الاكثر .

وكانت التوجيهات والتنبيهات تواجـه الانسـان فى كل مكان من المدينة مما كان يثير ضيقنا بالمبدأ وتشعرنا كما لو كنا فى ثكنة عسكرية ، ثم لم يمض الوقت حتى تعودنا هـذه الحيـاة لما تعنيه من تنظيم . فى أماكن تجمع الناس وركوب الاتوبيس او شراء مواد التموين او دخول السينما لوحة تنبه بضرورة الوقوف فى صف ، وفى محطة المترو تواجه الانسان يافطة بضرورة السير على الشمال وفى الفنادق والاماكن العامة تتعدد اللـوحات الموجهة ، فجوار صنبور المياه تنبيه بعدم ترك الماء يجرى دون ضرورة واقفال الصنبور فور الانتهاء من استخدامه ، وفى دورة المياه تنبيه بعدم القاء اعواد الكبريت او امواس الحلاقة المستعملة فيها والى جوار مفتـاح الكهرباء اشـارة الى ضرورة اطفاء النور عند الخروج . امور قد تبدو عادية ولكنها توفر الكثير من المواد والطاقة التى يحتاجها المجتمع فى حربه ، وفى حركة التعمير .

كانت دور الملاهى تستمر حتى العاشرة مساء ، ووسائل المواصلات العادية تسير حتى الحادية عشرة ، ثم تتوقف الا من نظام خاص تسير بموجبه بعض سيارات الاتوبيس كل ساعة . ولم يكن

يسمح بفتح البارات او تقديم المشروبات الروحية الا بين الساعة الخامسة والحادية عشرة مساء ٠

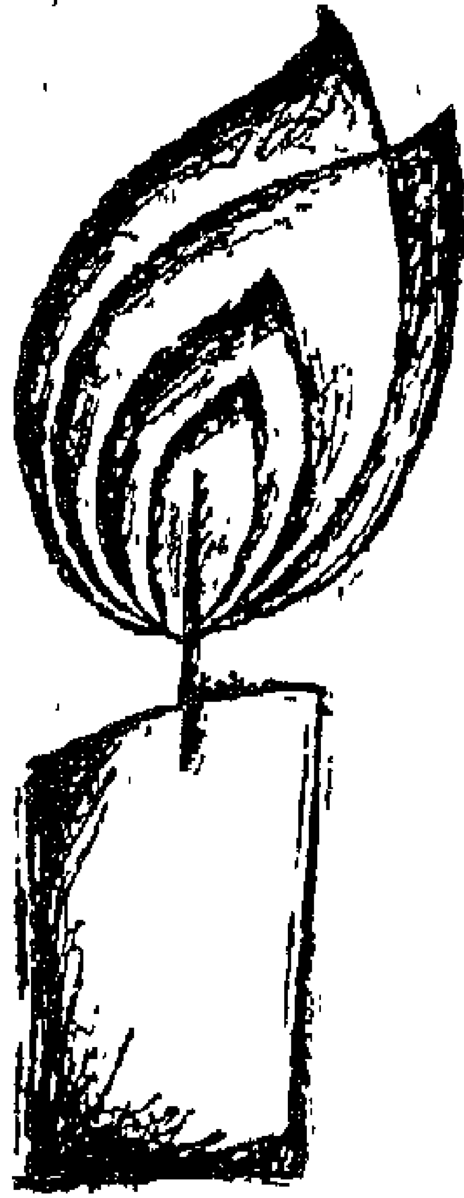
ويرتبط بذلك الاخذ بالتوقيت الصيفي بتقديم الساعة ٠ وحينما كان يحلو لنا ان نناقش البعض في هذه القيود كان الرد الحاسم انه لصالح الانتاج ان يذهب الناس الى بيوتهم في وقت مقبول لينـاموا ويستيقظوا لاداء اعمالهم مبكرين نشطين .

ونتيجة لقلة مواد التموين ضاق نطاق الحفلات العامة والخاصة واذكر انه حينما اقيم احتفال النصر في سنة ١٩٤٦ ، واحتفال تتويج الملكة في سنة ١٩٥٢ كانت هناك اسئلة في مجلس العموم عن تكاليف تلك الحفلات ، ونصيب الدولة فيها ٠ وفي حفلات الجامعة كان على كل فرد يشترك فيها ان يدفع تكاليفها التي لم يكن ليتعدى ما يناله الفرد أكثر من كوب من الشاي وقطعة من الكعك ٠ وكان من العادي اذا دعي فرد لزيارة ان يطلب اليه ان يحمل معه حاجته من السكر ، وكانت الوزارات المختلفة توالي الناس بالنشرات عن الموضوعات المختلفة ليكون الناس على بينة من امورهم ، نشرة عن مشكلة الخبز حينما حدثت ، دراسة عن الدخل القومي وتوزيعه قبل وبعد ضريبة الدخل سنويا ، مشاكل ميزان المدفوعات ، التعاون الاوربي ٠

وركزت وزارة التموين على ارشاد الناس كيف يطبخون اطباقا من الخضر المتوفرة ، وكيف يطهون السمك ولحم الحوت وهكذا ٠

وبشكل عام كان الانسان منا يحس **ان الاسلوب العلمي** هو السمة البارزة في تصرفات الناس وان الدولة تبذل جهدها لتضمن **عدالة توزيع الاعباء العامة في اطار النظام الاجتماعي ، وبشكل يقلل التناقضات** ، لان ظروف الحرب ومرحلة اعادة البناء كانت تتطلب جهدا خاصا ، ولم تكن تسمح بترف الصراعات ٠ ومن الطبيعي ازاء ذلك ان نجد أن التفاوت في الدخل خلال تلك الفترة كان ادنى نسبة في أي فترة سابقة ٠ وقد مكن هذا التنظيم من الاحتفاظ للناس بالجزء الاكبر من الطاقة الحرارية في طعامهم ، فلم يتعد النقص في نهاية الحرب عنه عند قيامها على ٥ في المائة مقابل نقص بلغ ٦٧ في المائة في القسم الاكبر من المانيا ، وبالرغم من أن الاخيرة كانت تتميز بكبر الاجزاء الزراعية فيها ٠

وقد خرجت من هذه التجربة بايمان صادق ان كسب أي حرب يقتضي تنظيم علمي وبذل وتضحية وعدالة في توزيع الاعباء ، وان الحيـاة تكتب لمن ترخص في حسابه ما فيها من ماديات ٠



الخليـــج العـــربى

التـــاريخ الحـــديث

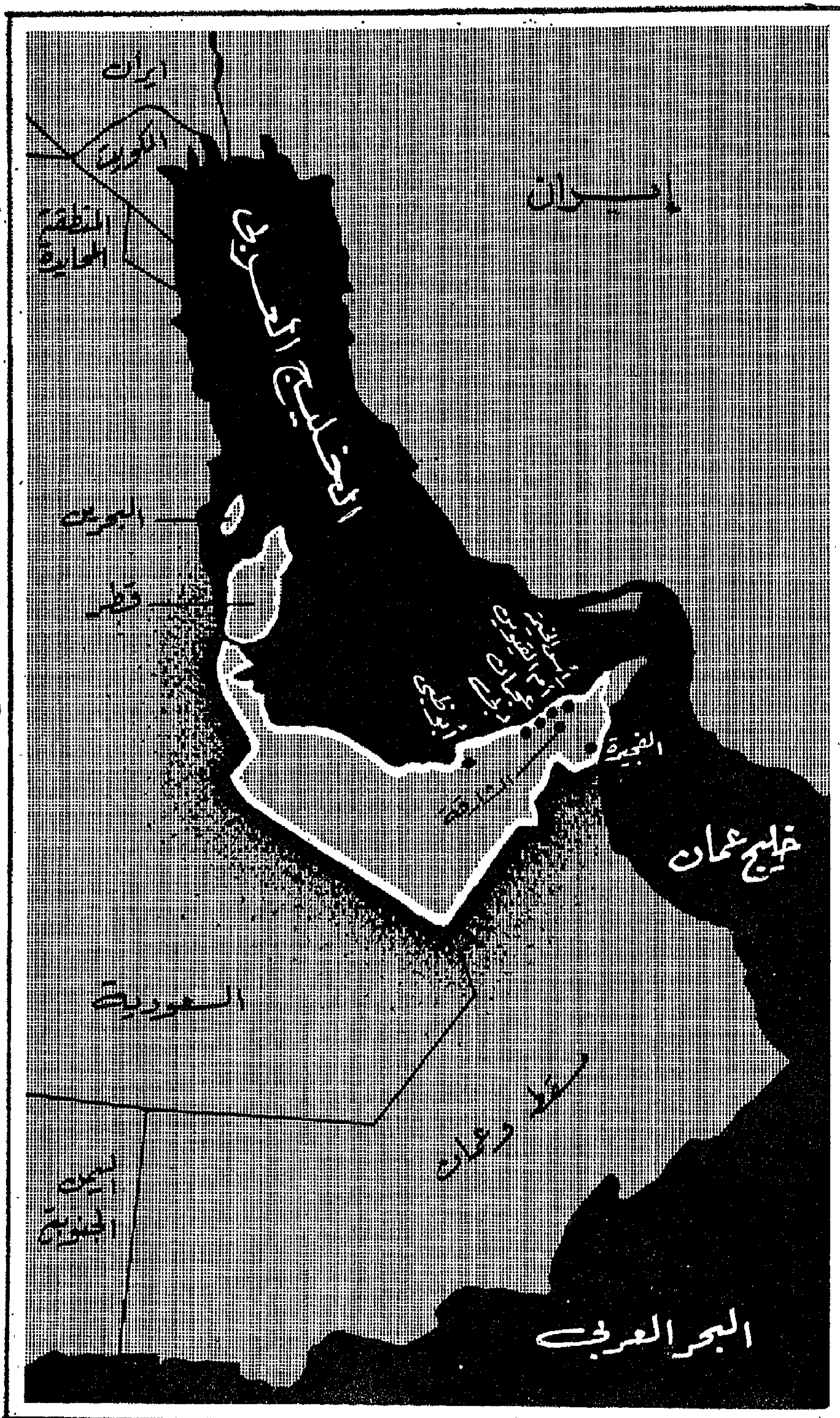
النضـــال الوطنى

الصراعات الاجتماعية

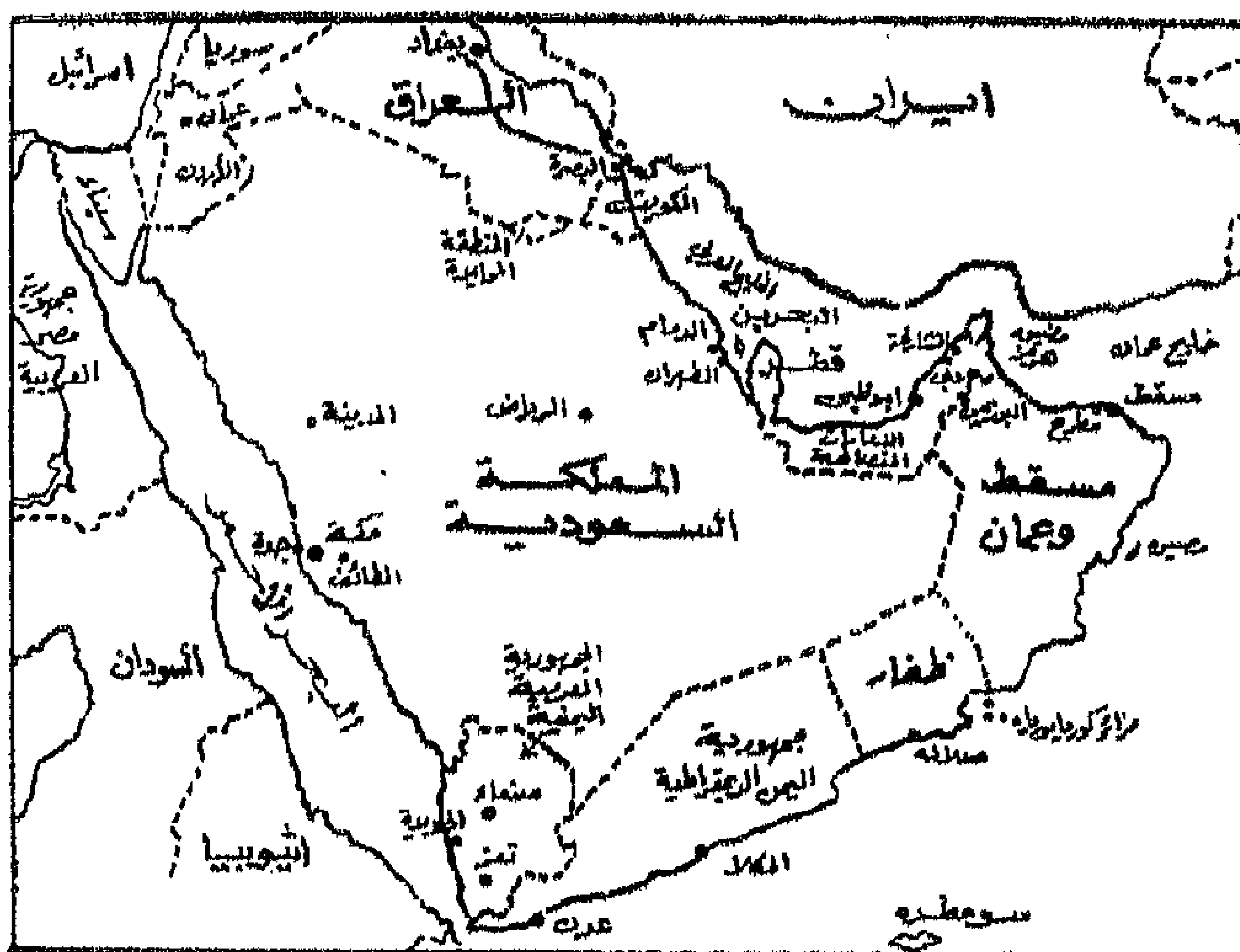
قضـية الخليج العربى تشـد انتباه جميع القوى الثورية العربية ، خاصة بعـد أن تفجر الموقف بالعدوان الايرانى على الجزر العربية الثلاث .

والواقع أن الرجعية العـربية والدوائر الرجعية فى الشرق الاوسط بالتعاون مع الامبريالية العالمية استغلت أزمة الصراع العربى الاسرائيلي وانشغال القوى الوطنية بمهام تصفية آثار العدوان الاسرائيلي وسـياسة التهـادن مع الرجعيات العربية والتفكك داخل تيار الحركة الوطنية الثورية عامة ، استغلت كل ذلك لتوجيه ضربات فى منطقة الخليج تستهدف تصفية القوى الثورية وتدعيم مراكز التحالف الامبريالى فيها .

((والطليعة)) تقدم هـذه الدراسـة بهدف فضح المخططات المعادية والخطرة ، والدعوة الى دعم الوحدة داخل حركةالتحرر العربية الواحدة والتصـدى للمؤامرات الاسـتعمارية واليقظة تجاه تحركات الرجعية العربية .


ايران
الكويت
المنطقة المحايدة
إيـــران
الخليج العربي
البحرين
قطر
أم القيوين
عجمان
دبي
أبو ظبي
الفجيرة
الشارقة
خليج عمان
السعودية
مسقط وعمان
اليمن الجنوبية
البحر العربي

المطامع الاستعمارية في الخليج



وديع أمين

ظلت منطقة الخليج العربي الى فترة قريبة مجهولة لدى الجماهير في بقية انحاء العالم العربي . وكان لا يذكر اسم الخليج الا مقرونا بالغموض . ولقد نجح الاستعمار البريطاني في اسدال ستار من العزلة حول المنطقة ، وفي قطع كل علاقة لها ببقية أجزاء العالم العربي .

وتشمل منطقة الخليج تلك الاراضي الواقعة داخل الشريط الساحلي الذي يحيط بالجزيرة العربية جنوبا وشرقا ، وتبدأ من اقليم ظفار في جنوب عمان الواقعة على حدود جمهورية اليمن الجنوبية الديمقراطية الشعبية ، وتمتد شرقا فشمالا على بحر العرب ثم داخل خليج عمان فالخليج العربي ، حيث تقوم **عمان** بأقسامها الطبيعية الثلاث وهي **مسقط وتوابعها** ، **وعمان الداخل** ، وامارات الساحل المهادن بماراته السبع وهي : [**رأس الخيمة** ، **الشارقة** ، **عجمان** ، **أم القيوين** ، **الفجيرة** ، **دبي** ، **ابو ظبي**] ، ثم يمتد شمالا حيث **امارة قطر وجزر البحرين واقليم الاحساء السعودي حتى دولة الكويت** عند حدود العراق الجنوبية ، وتعتبر منطقة الخليج الحدود الشرقية للعالم العربي وتبلغ مساحتها اكبر من مساحة الهند .

وقد احتلت منطقة الخليج مركزا هاما في العالم القديم ، واستخدم **السومريون والبابليون والاشوريون والاغريق والرومان والفرس** هذه

البحار في ملاحتهم . وكانت موانيها مراكز هامة وملتقى الحضارات القديمة ومراكز التبادل الفكرى والفنى [١] وهي تشغل الان بموقعها الفريد أهمية استراتيجية كبيرة لوقوعها عند ملتقى الطرق البحرية والبرية ومركزا حيويا في خطوط المواصلات والتجارة العالمية البحرية والجوية الرئيسية الى العالم الاسيوى الافريقى .

اقتصاديات الخليج

وعلى عكس ما يعتقد الكثيرون تعتبر منطقة الخليج من اغنى المناطق العربية بثرواتها الطبيعية وكانت الزراعة تعد موردا رئيسيا لبعض امارات الخليج ، قبل ظهور البترول . وتعد عمان الداخل من أهم المناطق الزراعية فى الخليج وتتميز بسهولها ووديانها الخصبة وتعتبر مراعى طبيعية لتربية الماشية ، وتشتمل على أجود الاراضى الزراعية فى العالم العربى نظرا لمناخها الملائم ووفرة المحاصيل وتنوعها مثل الحبوب والفاكهة والخضروات والنباتات العطرية والقطن والتبغ وقصب السكر . كما توجد مناطق زراعية أخرى فى البحرين ورأس الخيمة والشارقة وان كانت تشتمل على مساحات صغيرة .

وتعتمد الزراعة فى عمان ومناطق الخليج الاخرى على الرى أساسا وتوفر المياه الجوفية . وهى تقوم على الاساليب البدائية . « ومعظم المساحات المزروعة تأخذ شكل بساتين [اقطاعيات] يملكها أفراد الاسر الحاكمة والاقطاعيين » (٢) .

وتحتوى أراضى عمان على ثروات هامة من المعادن المتنوعة التى تأكد وجودها بوفرة فى باطنها ، فضلا عن البترول الذى يتفجر الان بكثرة فى معظم انحاء المنطقة . وتشمل هذه المعادن الذهب ويوجد فى منطقة الجبل الاخضر ، والفحم الحجرى ويوجد فى جوار مسقط ورأس الخيمة وجعلان وجبال الحجر والمناطق المتاخمة للربع الخالى على حدود السعودية ، والنحاس [ويستخرج الان قليل منه بالوسائل اليدوية] ، ويوجد الحديد بالقرب من حضرموت ، وفى أماكن أخرى من عمان الداخلية ، والرصاص والكبريت والقصدير ، واكسيد الحديد ويوجد فى الجزر التابعة لامارة الشارقة . والسماد الطبيعى ويوجد فى مناطق متعددة وخاصة فى جزائر كوريا موريا على بحر العرب . والملح ويوجد فى مناطق متعددة وخاصة فى جزيرة الصبر ، والمياه المعدنية فى منطقة خيت التابعة لرأس الخيمة وعين غمور التابعة للشارقة ، كما تحتوى سواحل عمان والخليج العربى على كميات هائلة من الاسماك واللؤلؤ والاسفنج والاصداف والعنبر [٣] .

أما الصناعة فى معظم مناطق الخليج باستثناء البحرين ، التى تعد من أرقى مناطق الخليج بوجه عام . فهى صناعة يدوية بدائية بسيطة مثل ، صناعة غزل خيوط القطن والصوف التى تستخدم فى صنع العباءات والملابس وغطاء الرأس ، وشباك الصيد ، واشرعة السفن ، والخيام ، وصناعة الحلى والاوانى وأباريق القهوة النحاسية ، والسيوف والخناجر المعقوفة وصناعة الخزف ، وبناء السفن الخشبية الشراعية ..

وهذه الصناعات البسيطة توشك على الانقراض بسبب منافسة البضائع الاجنبية ، وعلى الاخص صناعة الخزف فى عمان الذى كان يصدر منه الى الخارج فى الماضى ، وكذلك صناعة السفن الشراعية حمولة [١٠٠ — ٣٠٠ طن] التى كانت تنتشر على طول ساحل عمان وفى رأس الخيمة والشارقة ودبى ، بمنافسة صناعة السفن الحديثة [٤] .

ان وضع منطقة الخليج الجغرافى جعل منه مركزا تجاريا هاما على مر التاريخ . وكانت التجارة تشكل موردا اقتصاديا رئيسيا من موارد المنطقة وحكرا خاصا لابنائها من التجار وهم اصحاب السفن كذلك ، الذين كانت تربطهم علاقات تجارية واسعة مع الهند وباكستان وجنوب شرقى آسيا وشرق افريقيا وايران وسواحل البحر الاحمر . وان هناك موانى هامة مازالت تتمتع بنفس المكانة القديمة مثل **مسقط ومطرح والبحرين وراس الخيمة والشارقة ودبى** ولقد أخذت هذه العلاقات التجارية تضعف على مر الزمن ، نتيجة السيطرة الاستعمارية ، وتحطيم بريطانيا لاسطول عمان التجارى الضخم ، ومنافسة السفن البريطانية الحديثة التى تحتكر الان معظم عمليات الشحن الى البلدان الاسيوية الافريقية .

---

[١] عمان قديما وحديثا ، تاليف : محمد على الزرقا ، ج ١ ، كتب سياسية ص ١٢

[٢] ماذا يجرى فى خليجنا العربى ، مطبوعات الاتحاد الوطنى لطلبة الكويت مارس ١٩٦٧ ، ص ٤٥

[٣] عمان قديما وحديثا ، تاليف : محمد على الزرقا ، ج ١ ، كتب سياسية ص ٢١ — ٢٢

[٤] المصدر السابق ص ٢٢.

وأهم صادرات امارات الخليـج هي التمور والفواكه والتبغ وقصب السكر والقطن والعطور والاسماك واللؤلؤ والصدف ، ومن المعـادن أكسيد الحديد والملح والفحم والبترول ،والماشية والسماد الطبيعي [٥] .

حملات الغزو وراء قوافل التجارة

ان تاريخ الاحتـلال الاجنبي لمنطقة الخليج يرتبط أوثق ارتباط بتاريخ تطور النظام الراسمالي في اوروبا . ولقد احتل الخليج أهمية بالغة في استراتيجية الدول الاوروبية منـذ فجر العصر الاستعماري . وبعد الاكتشافات الجغرافية التي عجلت من قيام الثورة التجارية في اوروبا . فقد كان الباعث وراء حركة الاكتشافات الجغرافية وارتياد البحار المجهولة للمستكشفين أمثـال « **فاسكو دى جاما** » البرتغالي ، « **وكريسـتوف كولومبس** » الاسباني وغيرهما هو البحث عن مجالات وأسواق تجارية خارج حوض البحـر الابيض المتوسط ، الذي كان في ذلك الوقت حكرا خاصا لتجار البندقية .

وبعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصـالح حول افريقيا في عام ١٤٩٩ الى الهند وبلدان الشرق الاقصى والخـليج العـربي ، أخـذت الـدول البحـرية التي تملك الاسـاطيل التجـارية تتطلـع بنـهم الى ثـروات الشرق ، فكانت سـفن التجـار البرتغـاليين وغيرهم من الاوروبيين تأتي حاملة البضـائع الى البلدان الاسيوية وتعود محملة بالسـلع والمنتجات الشرقية الى أوروبا ، ثم سرعان ما كانت تعود وراء هذه القوافل التجارية حملات الغزو العسكرية الاوروبية للسيطرة على الموانى التجارية ومراكز الثروات في الشرق ، الامر الذي ساهم بدرجة كبيرة في نمو وازدهار الطبقـة الراسمالية التجارية في أوروبا .

وكان المستعمرون البرتغاليون هم أول من وضعوا أقدامهم من الاوروبيين على شـاطىء الخليج في عام ١٥٠٨ ، حيث قاموا باحتـلال **مضيق هرمز** وبعض الجزر عند مدخل الخليج ، وبنوا القلاع الحربية هناك ، غير أن نشـاط القراصنة الاوروبيين الذين اجتذبتهم الغنـائم الكثيرة على هذا الطريق البحري التجـاري الجديد ، جعل من اقامة البرتغاليين في الخليج أمرا متعذرا غير مستقر ، وشـهدت ميـاه الخليج بعد ذلك صراع رهيب بين الهولنديين والفرنسيين والبريطانيين من أجل السيطرة على الخليج .

ومنذ بداية القـرن السـابع عشر اخـذت « **شركة الهند الشرقية التجارية البريطـانية** » ترسل بعثاتها التجارية الى سواحل اليمن ، وكانت السفينة « **اسنشن** » البريطانية هي اول سفينة تأتي الى اليمن في عام ١٦٠٩ ، وتمكنت بريطانيا من أن تقيم لها وكالة تجارية في «**المخاء**» أهم ميناء في اليمن ، وان تحتكر الشطر الاكبر من تجارة اليمن وبالذات البن . وكان ذلك قبل أن تتمكن بريطانيا من احتلال عدن بالقوة بـ ٢٣٠ سنة [٦] .

ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخذت بريطـانيا تبسـط نفوذها وسـيطرتها الاستعمارية رسميا على المنطقـة ، وان تقيم المراكز التجارية في الموانى الهامة وتزرع القواعد العسكرية الى جوارها لحراسة وتأمين عمليات النهب التي تمارسها شركاتها ، وذلك على امتداد الساحل الجنوبي والشرقي لمنطقة الخليج ، بما في ذلك جزر البحرين .

ولم يأت القرن العشرين حتى كانت بريطانيا قد تمكنت من القضاء على كل أثر للمنـافسين الاستعماريين البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والاتراك والايرانيين وأن تنفرد بالمنطقة . وأن تبسط سـلطانها على امتـداد الطـريق الى امبراطوريتها التي تضم الهند وسيلان وبورمـا وماليزيا وسنغافورة والفيليبين حتى هونج كونج في الشرق الاقصى .

احتلال عسكرى ومعاهدات هزلية

ففي عام ١٧٩٨ قامت بريطانيا باحتلال دولة عمان الكبرى وتوقيع معاهدة مع **سلطان بن أحمد ابن سعيد آل بوسعيد سلطان مسقط** . وفي عام ١٨١٠ وقع سعيد بن سلطان تنازلا بدون مقابل عن ملكيـة جزائر **كوريا موريا** للملكة فيكتوريا ولمن يخلفها . وفي عام ١٨٢٠ تمكنت بريطانيا نتيجة تفوقها البحري من احتلال ساحل عمان واخضاع قبائلها بعد حروب طويلة استمرت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وانتهت بتحطيم اسطولها البحري الضخم ، وتفتيت دولة عمان الكبرى الى سبع امارات صـغيرة هي

[٥] المصدر السابق ، ص ٢٤
[٦] صحيفة « ١٤ أكتوبر » العدنية ١٩٧١/١/١٩

[رأس الخيمة ، والشارقة ، وعجمان ، وام القيوين ، ودبي ، وأبو ظبي ، والفجيرة] وفرض الهدنة على شيوخها وتوقيع معاهدات منفردة مع كل منهم، واصبحت محميات بريطانية . وفي سنة ١٨٩٨ وقعت بريطانيا معاهدة دفاعية مع حاكم مسقط ، وتضمنت عدم منح امتياز الفحم لغير بريطانيا ، وفي سنة ١٩٠٥ حصلت شركة بريطانية على امتياز صيد الاسفنج ، وفي سنة ١٩٢٣ حصلت بريطانيا على امتياز استغلال البترول . [٧] . وفي عام ١٨٣٩ قامت بريطانيا باحتلال ميناء عدن عند مدخل البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وذلك ضمن استراتيجية السيطرة على الموانئ والممرات البحرية واستخدامها كقاعدة عسكرية لتأمين تجارتها مع امارات الخليج وشرق افريقيا وسائر البلدان الواقعة على البحر الاحمر [٨] .

وفي عام ١٨٩٩ وقعت معاهدة بين المقيم السياسي البريطاني في ايران وبين حاكم الكويت يتعهد بموجبها حاكم الكويت بعدم استقبال اي وكيل أو ممثل لاي حكومة في منطقته او التنازل او البيع أو التأجير أو الرهن او اعطاء اي امتيازات لاي حكومة اخرى بدون موافقة الحكومة البريطانية . وفي عام ١٨٨٨ وقعت بريطانيا معاهدة مماثلة لمعاهدة الكويت مع شيخ البحرين وفي عام ١٩١٦ وقعت بريطانيا معاهدة مماثلة اخرى مع قطر [٩] . واصبحت جميع امارات الخليج بموجب هذه المعاهدات والاتفاقيات الجائرة محميات بريطانية ، وتضمن لبريطانيا حق الاشراف عليها وتصريف شئونها واحتكار ونهب ثرواتها الاقتصادية وسوقا لتصريف منتجاتها . وقد ظلت المنطقة حتى الى ما بعد الحرب العالمية الثانية تابعة من الناحية الادارية لمكتب الحاكم العام البريطاني في الهند .

وقد اخذت اهمية الخليج السياسية والاقتصادية والعسكرية تتزايد بعد افتتاح قناة السويس ثم ظهور البترول في الشرق الاوسط في ايران والعراق والكويت في مطلع القرن الحالي ، فشهدت المنطقة صراعا حادا في مجال المنافسة على البترول بين الاحتكارات الامبريالية الامريكية والبريطانية والفرنسية ، وخاصة في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، وهزيمة الامبراطورية العثمانية ، ودخول الدول الامبريالية الثلاث المنتصرة مجال المساومة والصراع الخفي فيما بينهم حول تقسيم التركة العثمانية .

وقد شهدت هذه الفترة تنازل فرنسا عن حصتها في ولاية الموصل التي عثر فيها على البترول وفي عمليات البترول المستقبلة ، في مقابل سحب بريطانيا تأييدها للامير فيصل في تولي عرش سوريا . ومن ناحية اخرى كانت الدولتان في حاجة الى تأييد الولايات المتحدة وموافقتها على انتداب بريطانيا على العراق وفلسطين ، وانتداب فرنسا على سوريا ولبنان . وكانت الولايات المتحدة من ناحيتها تتهم بريطانيا بأنها تحاول السيطرة على بترول العراق ، وطالبت الولايات المتحدة بأن تشترك معها على أساس المساواة بناء على مبدأ [الباب المفتوح] وانتهى الخلاف بدخول شركة ستاندارد أويل الامريكية في بترول العراق وغيرها من المناطق [١٠] .

ولم تكن هذه سوى البداية ومنذ ذلك التاريخ اخذت الولايات المتحدة ترمي بثقلها في منطقة الشرق الاوسط ، وفي وقت أخذ يشتد الطلب فيه على البترول كمصدر جديد للطاقة في العالم . وتداضطرت بريطانيا فيما بعد الى تقديم تنازلات وامتيازات الاستغلال الخالصة للولايات المتحدة من أجل وقف المنافسة بينهما ، وفي مقابل تأييد الولايات المتحدة للسياسة الاستعمارية البريطانية في الخليج العربي ، كما استطاعت الولايات المتحدة أن تحصل في ذلك الوقت على امتياز استغلال البترول في السعودية . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتراجع بريطانيا عن زعامة الاستعمار العالمي وحلول الولايات المتحدة محلها ، وخروج بريطانيا من الحرب مدينة للولايات المتحدة ، تم توقيع اتفاقية أخرى للبترول في نهاية عام ١٩٤٥ بين بريطانيا والولايات المتحدة وتعديل أنصبة البترول لصالح الاحتكارات الامريكية .

وتجمع تقارير خبراء البترول العالميين على أن منطقة الخليج تقوم فوق بحيرة من البترول ،

[٧] مطبوعات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل .
[٨] صحيفة « ١٤ اكتوبر » العدنية ١٩٧١/١/١٩
[٩] مطبوعات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل .
[١٠] البترول والاستعمار في الشرق تأليف د. م. بروكس ، ترجمة د. محمود الشنيطي . الناشر : مكتبة الانجلو المصرية الحديثة ص ٩٨ - ١٠٣ .

وانهـا تعتبر المسـتودع الرئيسى لاستخراج البترول فى العالم الراسمالى ، ويتركز فيها ما يزيد عن ٦٣٪ من احتياطى البترول فى العالم كله ، وان احتياطى البترول فى الخليج ليس من المنتظر ان ينفذ قبل ٧٠ او مائة سنة اخرى ، فى حين ان معدل البترول المستخرج حاليا فى الولايات المتحدة سيبدأ فى الهبوط بعد ١٢ او ١٥ سنة القادمة على الاكثر حسب تقدير الخبراء الامريكيين

ويقدر حجم المصالح البترولية الامريكية فى منطقة الخليج [حسب كمية البترول المنتج فعلا] **حاليا كالاتى :**

- ١٠٠٪ من بترول السعودية .
- ٤٠ ٪ من بترول ايران
- ٢٣٫٧٥ ٪ من بترول العراق
- ١٠٠٪ من بترول البحرين
- ٥٠ ٪ من بترول الكويت
- ٢٨ ٪ من بترول المنطقة المحـايدة [بين الكويت والسعودية] .
- ٥٠ ٪ من بترول دبى .
- ٢٣٫٧٥ ٪ من بترول ابو ظبى [المناطق البرية والمياه الاقليمية
- ١٣٫١ ٪ من بترول قطر .

وتبلغ حجم المصـالح البترولية البريطـانية فى الخليج كالاتى :

- ٢٣٫٧٥ ٪ من بترول العراق .
- ٤٠ ٪ من بترول ايران .
- ٥٠ ٪ من بترول الكويت .
- ٣٣٪ من بترول قطر .
- ٦٦ ٢/١ ٪ من بترول ابو ظبى [المناطق البحرية المغمورة] .
- ٨٥ ٪ من بترول مسقط وعمان .

ويوجد بالمنطقة مصالح بترولية اخرى تختلف من حيث الحجم حسب ترتيب البلدان التالية : وهى فرنسا وهولندا وايطاليا واليابان والمانيا الغربية .

والجدير بالذكر أن مدة عقد الامتياز لاستغلال البترول فى السعودية تمتد الى سنة ١٩٩٩ ، وفى الكويت والعراق الى عام ٢٠٠٠ ، وبشكل عام فان معظم امتيازات الشركات تمتد الى ما بعد سنة ٢٠٠٠ .

وفى خلال السنوات العشر الماضية كان اكثر من ٩٠٪ من البترول المستخرج من المنطقة يخضع لسيطرة الاخطبوط العالمى المتمثل فى الشركات الثمانية الامبريالية وهى : « شركة ستاندارد أويل أوف نيوجرسى » الامريكية و « شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » الامريكيـة . و « شركـة تكساس أويل » الامريكية . و « شركة سوكونى موبيل أويل » الامريكية . و « شركة جولف أويل كوربوريشن » الامريـكية . و « شركة بريتش بتروليوم » البريطانية . و « شركة أويل دوتش شل » البريطانية ــ الهولنـدية . و « شركـة البترول الفرنسية » .

ووفقا للبيانات الرسمية لوزارة التجـارة الامريكية ، فان حجم الاستثمارات الامريكية فى بترول الخليج عام ١٩٦٨ بلغ **١٦٥٤ مليون دولار** فى حين بلغ صافى الارباح من عوائد البترول فى نفس العام **١٠٧٩ مليون دولار** . وان الشركات البريطانية قد حققت أرباحا فى نفس العام تقدر بحوالى ٣٠٠ جنيه استرلينى .

وقد ارتفعت قيمـة اسـهم شركات البترول الامريكية فى عام ١٩٦٨ بمعدل ١٦ دولارا للسهم الواحد ، أى بنسبة ٢٦٪ بينما لم تحقق اسهم الشركات الصناعية الاخرى عموما ارتفاعا اكثر من ٥٫٣٪ فقط [١١] .

وقد ذكر « **جيمس اى . اكنز** » رئيس مكتب الوقود والطاقة فى وزارة الخارجية الامريكية فى حديث له أمام احدى لجان مجلس النواب الامريكى « ان احتياطى البترول فى السعودية حسـب تقديرات وزارة الخارجية الامريكية [٣٠٠ بليون برميل] ، وفى العراق [٧٥ بليون برميل] ، وفى ايران [٦٠ بليون برميل] ، وفى الولايات المتحدة بما فيه احتياطى الاسكا [٤٠ بليـون برميل] . وان الاكتشافات الحديثة من كميات النفط فى الاسـكا . وبحر الشمـال لا تجعلنا نستعيض بهذه المناطق عن نفط الخليج ، ولن نستطيع اجابة الزيادة فى طلب النفط فى البلاد الخارجة عن مدار المعسكر الاشتراكى ، وسنظل نعتمد على نفط الشرق الاوسط وخصوصا البلاد العربية لمدة طويلة . وأوضح اكنز أن تكلفة انتاج برميل النفط فى الشرق الاوسط بعشرة سنتات ، وفى الولايات المتحدة بـ ٢٥٠ سنتا [١٢] .

[١١] مجلة « بتروليم بريس سيرفيس » البريطانية . يناير ١٩٦٩ .
[١٢] مجلة « اويل اندجاز جورنال » الامريكية ١٩٧١/٨/٢ . نقلا عن « نفط العرب » عدد سبتمبر ١٩٧١ .

وتبلغ نفقات الاجور فى حقول البترول فى منطقة الخليج أقل بكثير عن مثيلاتها فى العالم كله ، اذ أن أجر العامل العربى يقل ١٤ مرة عن العامل الامريكى .

والمعروف أن الولايات المتحدة لا تستفيد من بترول الخليج ، أو النفط العربى عموما فى احتياجاتها الخاصة بخلاف تموين أساطيلها الحربية مثل الاسطول السابع فى المحيط الهندى والاسطول السادس فى البحر الابيض المتوسط وان معظم البترول العربى لسد حاجة الطلبات العالمية على البترول [خارج المعسكر الاشتراكى] وتجنى من ورائه الارباح الخيالية .

ان الاستغلال الذى تمارسه الاحتكارات الامريكية والبريطانية فى الامارات العربية ومعظم مناطق الخليج ، لا يقتصر على البترول وحده ، فان البنوك والشركات البريطانية والامريكية تهيمن على كافة مقدرات الامارات بالخليج وتسيطر على المجالات المالية والاقتصادية سواء التجارة والنقل البحرى والطيران والمواصلات والبريد والتلغراف والتليفون ، والاعمال المصرفية ، والانشاءات والصيانة ، كما تعد المنطقة سوقا هاما لتصريف السلع والمنتجات البريطانية والامريكية .

جزيرة أبو موسى

تتبع الجزيرة امارة الشارقة ، وتبلغ طولها حوالى ٥ أميال وعرضها ٣ أميال وهى محاطة بمياه عميقة نسبيا وتصلح لرسو السفن . وعدد سكانها حوالى ٨٠٠ نسمة معظمهم من العرب . وأراضيها صالحة للزراعة ، وتكثر فيها الينابيع العذبة ، ويعيش سكانها على الزراعة وخاصة النخيل وتربية الماشية ، ويوجد بها مناجم أكسيد الحديد الاحمر ، ويستخدم فى صناعة الاصباغ والطلاء غير القابل للصدأ وتحتكر استغلاله « شركة ألوان الوادى الذهبى » البريطانية منذ أكثر من ٨٠ عاما ، كما تشير الابحاث الى احتمال وجود البترول ، حيث تتولى احدى الشركات الامريكية البحث عن البترول فى أراضى الجزيرة ومياهها الاقليمية .

جزيرتا طمب الكبرى والصغرى

تتبع الجزيرتان امارة رأس الخيمة ، وأراضيهما صخرية ، ويبلغ عدد سكان طنب الكبرى نحو ٢٠٠ نسمة ويشتغلون بصيد الاسماك . أما طنب الصغرى فهى قاحلة لا يسكنها أحد ، وتلجأ اليها سفن صيد اللؤلؤ والغواصون طلبا للراحة أثناء موسم الصيد .

استراتيجية شرقى السويس

اختراع أمريكى

ان النهوض الجديد لحركة التحرر الوطنى فى قارات آسيا وافريقيا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وظهور المعسكر الاشتراكى ، وحصول كثير من الدول على الاستقلال ، قد ساهم بدرجة كبيرة فى بلورة الوعى القومى المعادى للاستعمار والرجعية فى الخليج ، كما أن غزو الافكار التقدمية والاشتراكية لعقول المثقفين والعمال ، زاد من احساس شعوب المنطقة بمدى الاستغلال والتخلف الاجتماعى . وقد انعكست هذه التطورات العالمية على الحركات الوطنية التى شهدتها المنطقة خلال هذه الفترة ومن الاصطدام العنيف بالوجود الاستعمارى البريطانى والامريكى والذى شمل منطقة الخليج والجزيرة العربية ، مثل الانتفاضات العمالية والشعبية فى البحرين عام ١٩٥٦ و١٩٦٥ ، وفى عمان عام ١٩٥٧ ، وفى عدن عام ١٩٥٦ ، وفى السعودية عام ١٩٥٦ ، وفى الكويت عام ١٩٥٩ و١٩٦١ ، وفى قطر عام ١٩٦٣ ، وقيام الثورة فى اليمن الشمالى عام ١٩٦٢ ، واندلاع الثورة المسلحة فى اليمن الجنوبى عام ١٩٦٣ .

وكانت ثمة أسباب قوية تدفع القوى الامبريالية والرجعية الى الفزع ، حيث ادركوا أن الاراضى التى عاشوا فوقها عشرات السنين يستنزفون ثرواتها وعرق أبنائها ، أخذت تميد من تحتهم ايذانا بزوال عهد السيطرة والنهب الاستعمارى الطويل . وقد تجلت هذه الحقيقة فيما تفتقت عنه عقلية خبراء الاحتكارات والمخابرات الامريكية فيما اصطلح على تسميته بـ « استراتيجية شرقى السويس » وكان ذلك فى عهد الرئيس الامريكى جون كيندى وحكومة المحافظين فى بريطانيا . والمقصود بشرقى السويس هو : شرق افريقيا والجزيرة العربية وجنوب آسيا ،

وتوحيد السياسة الاستعمارية الانجلو – أمريكية في هذه المناطق ، والتعاون بين الدولتين في نفقات الدفاع ، وذلك بهدف تطويق وتهديد الاتحاد السوفيتي ، ومحاصرة وتحطيم حركات التحرير الوطنية في آسيا وافريقيا بما في ذلك الخليج العربي .. غير أن ذهاب المحافظين على أثر الانتخابات العامة في بريطانيا وحلول العمال محلهم في الحكم في اكتوبر عام ١٩٦٤ قد عرقل المضي في دراسة المشروع واستكمال عناصره .

ولم ترفض حكومة العمال المشروع من حيث المبدأ ، وان كانت قد أبدت تحفظا فيما يتعلق بالوجود البريطاني شرقي السويس ، شرط أن تتحمل الولايات المتحدة العبء الاكبر من النفقات الدفاعية ، وعلى هذا الاساس تكونت لجنة مشتركة تمثل الجانبين لوضع التفاصيل النهائية للمشروع ، وقد استمرت اللجنة في عملها لمدة عام ونصف تقريبا ، وانتهت من وضع الاسس العامة النهائية لاستراتيجية شرقي السويس ، وذلك على النحو التالي :

● تخفيض نفقات الدفاع البريطانية بحوالي ١١٠٠ مليون دولار ، عن طريق تصفية والغاء عدد من القواعد الكبيرة وتعديل البعض الاخر بما يتلاءم مع متطلبات التسليح الذري الحديث .

● فرض الحصار حول الصين الشعبية والحيلولة دون انتشار نفوذها في المناطق المجاورة . وتصفية حركات التحرير الوطنية من الداخل عن طريق الانقلابات والاضطرابات الداخلية بالاستناد الى قوى الثورة المضادة في الداخل ، من اجل المحافظة على المصالح الاستعمارية وفي مقدمتها البترول . وتقوية الانظمة الرجعية التي تعيش أيامها الاخيرة ، وحثها على اجراء اصلاحات داخلية لكي تطيل من اجلها ، وتقوية العلاقات فيما بين الانظمة الرجعية العربية وجذب بلدان اخرى اليها .

● الاعتماد على الجزر القليلة السكان القائمة في البحار كخط دفاع أول ، بقصد الابتعاد عن القواعد الارضية الثابتة وسط الكثافة السكانية مما يجعلها محاطة بالعداء من كل جانب ، وتكون في وضع يسمح لها بمراقبة الحركات الثورية والتحرك السريع لضربها .

وقد تقرر التركيز على مجموعة الجزر العربية مثل جزيرة مصيرة وجزر كوريا موريا في جنوب الجزيرة العربية ، وبعض الجزر الاخرى في مدخل الخليج العربي . وكذلك مجموعة الجزر التائهة في المحيط الهندي التي تستعمرها بريطانيا وتقع في منتصف الطريق بين كينيا على الشاطىء الشرقي لافريقيا وبين سنغافورة في جنوب آسيا ، وهي جزر **شاجوس وفاركوار وديروش والدابرا ودييجو جارسيا** ، وهذه الجزر يجري اعدادها في الوقت الحالي لتكون قواعد انجليزية وأمريكية مشتركة ومراكز للمواصلات والتدريب على الطيران والصيانة والتموين للاساطيل البريطانية والاسطول السابع الامريكي في المحيط الهندي ، واعداد جزيرة دييجوجارسيا لاقامة احدث قاعدة للطائرات والغواصات الذرية ، ومحطة لاسلكية وأجهزة رادار ، وذلك بهدف تعزيز الحزام العسكري الذي يمتد من القواعد الامريكية في الحبشة داخل البحر الاحمر شرق القارة الافريقية ويحيط بالجزيرة العربية وجنوب القارة الاسيوية حتى القواعد البريطانية في هونج كونج في الشرق الاقصى . وأيضا العمل على ربط شرقي السويس بالاستراتيجية العامة لحلف الاطلنطي [الحلف الام] وبقية الاحلاف العسكرية الاخرى لمحاصرة البلدان الاشتراكية وحركات التحرير الوطنية في العالم .

الازمة الاقتصادية في بريطانيا

لقد ارتبط مولد استراتيجية شرقي السويس بتفاقم الازمة الاقتصادية في بريطانيا ، والتي تمثلت في التدهور المستمر في قيمة الجنيه الاسترليني في أسواق النقد العالمية ، والعجز في ميزان المدفوعات ، وذلك نتيجة تفتت الامبراطورية البريطانية القديمة ، وازدياد قوة النظام الاشتراكي العالمي ، ووجود السوق الاشتراكي ، وحصول عدد كبير من المستعمرات السابقة على الاستقلال ، وكذلك العزلة التي أرغمت عليها بريطانيا ، وحيل بينها وبين الانضمام الى مجموعة السوق الاوربية المشتركة .

وكان على حكومة العمال الجديدة أن تبحث عن حلول للمشاكل والازمات الداخلية التي أخذت تلاحقهم ، ومعالجة أمراض شيخوخة النظام الرأسمالي الاستعماري . وقد اضطرت قبل مضي شهر واحد على استلام الحكم أن تمد يدها لاستجداء أكبر قرض دولي حتى الان وقدره [٣٠٠٠ مليون دولار] لانقاذ الجنيه الاسترليني . وكان الاتجاه العام داخل حزب العمال يرى أن الوسيلة الوحيدة أمام حكومة ويلسون للخروج من الازمة هو : التخفف قدر المستطاع من تركة وأمتعة الامبراطورية القديمة ، وتخفيض النفقات العسكرية في الخارج التي ترهق الاقتصاد البريطاني ، وان مصلحة بريطانيا

الاساسية تكمن فى أوروبا ، وأنه لم يعد هناك ما يبرر تحمل نفقات نحو ٥٥ الفا من العسكريين فى آسيا ، خاصة بعد زوال الخطر الكبير الذى كان يمثله الرئيس الاندونيسى السابق سوكارنو فى سياسة المواجهة العسكرية ضد ماليزيا .

غير أن تلاحق الازمات الاقتصادية فى بريطانيا جعل الولايات المتحدة تسارع فى ١٩٦٦/٩/١٣ بتقديم قرض كبير الى حليفتها قيمة ٦٠٠ مليون دولار فى محاولة أخرى لانقاذ الجنيه الاسترلينى. ولكن تصاعد أزمات الامبريالية البريطانية نتيجة اغلاق قناة السويس ، وهزيمتها العسكرية على أيدى الثوار فى الجنوب اليمنى ، وفشلها فى تحطيم الثورة المسلحة فى اقليم ظفار ، كانت أكبر من أن تفيد معها المقويات وحقن القروض الأمريكية فى بعث القوة والنشاط فى الكيان الاقتصادى البريطانى المريض ، فقد جاءت القروض الامريكية أقل من التى وعدت بها حليفتها من قبل ، وذلك بسبب ما يعانيه اقتصادها هى الاخرى من أخطار التضخم نتيجة تماديها فى الحرب الفيتنامية وتقلص رصيدها من الذهب ، وقد اضطرت بريطانيا فى ١٩٦٧/١/٢٥ الى خفض سعر الفائدة على الجنيه الاسترلينى من ٧٪ الى ٥ر٦ ٪ ، ثم الى خفض قيمة الجنيه الاسترلينى فى ١٩٦٧/١١/١٨ بنسبة ٣ر١٤٪ بالنسبة للدولار الامريكى ، وكذلك تخفيض نفقات الدفاع بما يزيد عن ١٠٠ مليون جنيه فى العام ، كما حصلت على قرض كبير من منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الاوروبية قيمته ١٤٠٠ مليون دولار لمواجهة أزمتها المالية والاقتصادية .

ووسط هذه الظروف أعلنت حكومة هارولد ويلسون العمالية رسميا بتاريخ ١٩٦٨/١/١٦ برنامجا يقضى باعادة تقييم دور بريطانيا فى العالم ، على ضوء تعهداتها المالية ، واعتزامها سحب القوات العسكرية البريطانية من شرقى السويس ومن الخليج العربى ، والتأكيد فى نفس الوقت على الاحتفاظ بقوات عسكرية فى المناطق الاستراتيجية .

أمريكا تحاول ملء الفراغ

وبعد أيام من اعلان انسحاب بريطانيا من شرقى السويس ، كشفت الولايات المتحده عن أطماعها فى الخليج بصراحة وذلك فيما أعلنه « **يوجين روستو** » مستشار البيت الابيض فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٩٦٨/١/٢٠ عن « دعوة الولايات المتحدة دول الخليج العربى والشرق الاقصى لانشاء حلف عسكرى لملء الفراغ الذى سينشأ عن انسحاب بريطانيا .. وفيما يتعلق بالخليج فهناك دول قوية ونشطة تبدى اهتماما بأن تتحمل مسئولية الامن الاقليمى مثل ايران وتركيا وباكستان والسعودية والكويت ، وانها سوف تكون النواة التى تقوم من حولها تنظيمات أمن اقليمية ، وأن الاجراءات التى تتخذ من أجل عقد اتفاق للامن تتم بالتعاون بين الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض دول أخرى فى هذه المناطق » [١٣]

وقد أثار تصريح روستو وقتئذ ردود فعل شديدة فى أوساط الجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، بسبب استمرار المؤامرات الامريكية الصهيونية المشتركة ضد الشعوب العربية — مما اعاد الى الاذهان **مشروع ايزنهاور** فى مطلع سنة ١٩٥٧ لملء الفراغ فى الشرق الاوسط ، وكذلك مشروع الحلف الاسلامى المشبوه فى عام

قاعدة الجفير البحرية

تنص المعاهدة بين البحرين وامريكا على تسليم قاعدة الجفير البحرية الى الاسطول الامريكى . وحلول القوات الامريكية محل القوات البريطانية ، كما تعطى المعاهدة تسهيلات للاسطول الامريكى باستخدام القاعدة لمدة ٣٠ عاما . وقد أكدت صحف الكويت النبأ معززا بالقرائن

وقد زاد عدد خبراء القاعدة من ٣٠٠ خبير أثناء وجود الانجليز الى ٦٦٠ خبيرا أمريكيا فى الوقت الحالى .

وقد رافقت عملية تسليم القاعدة حركة كبيرة لانشاء البنوك الامريكية . ويشاهد عشرات الامريكيين وهم يتجولون يوميا فى شوارع وأسواق البحرين .

[١٣] الاهرام — ١٩٦٨/١/٢١

١٩٦٥ لاستقطاب القوى الرجعية في المنطقة لمواجهة حركات التحرر الوطنية والقوى الاشتراكية في الشرق الاسط ، الا أن المقاومة العنيفة التي ووجه بها الحلف الاسلامي من جانب الجماهير العربية ، وتصدى الزعيم الراحل **جمال عبدالناصر** لفضح ابعاد هذا المخطط الرجعي الاستعماري الذي يتستر بالدين ادت في النهاية الى تراجع أصحابه في انتظار فرصة أخرى — وكانت أن سارعت كل من باكستان والكويت وتركيا والسعودية باستثناء ايران ، الى الاعلان عن عدم اعتزامها الاشتراك في هذا الحلف العسكري المقترح .

وتكشف هذه الخطوة الامريكية في الواقع عن الصراع بين الاحتكارات الامريكية والبريطانية في مناطق معينة من الخليج، وهو شيء لا يدعو الى الغرابة ، بل هو أمر طبيعي داخل النظام الرأسمالي، الا أن هذا الخلاف الثانوي والتنافس في المصالح الاقتصادية يقابله من الجانب الاخر اتفاق تام في الهدف الرئيسي الا وهو المحافظة بكل الوسائل على استمرار نهب بترول الخليج . وهو ما أوضحه الرئيس الامريكي **جونسون** عقب اجتماعه **بهارولد ويلسون** رئيس الحكومة البريطانية في واشنطن بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٠ بقوله : ان الولايات المتحدة وبريطانيا لا يزالان وثيقي الصلة ببعضهما رغم الخلافات العائلية [١٤] .

الاستعمار الجديد ..

الرحيل من اجل البقاء

وحين أعلنت حكومة ويلسون العمالية عزمها على سحب القوات البريطانية المرابطة شرقي السويس ، لم تكن تعني في الواقع الانسحاب التام من استراتيجية شرقي السويس ونفض يدها منها نهائيا كما تصور البعض ، فقد كانت حكومة العمال تبني حساباتها ، وتخطط لما يجب القيام به في اطار استراتيجية الدفاع عن المصالح الاستعمارية ، وذلك في حدود مواردها الفعلية والاستفادة من تطور تكنيك الحرب الحديثة الذي ادى الى خفض المسافات . وعلى هذا الاساس فقد تقرر تصفية بعض القواعد الكبيرة في الشرق الاقصى والخليج العربي واستبدالها بفرق طوارىء تتكون من قوات بحرية وجوية متحركة ، وفي نفس الوقت الاحتفاظ ببعض القواعد في المناطق الاستراتيجية مثل قاعدة **تنجه** الجوية والبحرية وقاعدة **بترووث** الجوية في سنغافورة ، وقاعدة **سلتار** الجوية وقاعدة **شانجي** الجوية ، وقاعدة جان الجوية والبحرية في جزر المالديف ، وشبكة الرادار **في جزيرة بينانج** في ماليزيا . وهذه القواعد ضرورية كمراكز للتدريب على الطيران والنقل والصيانة للاسطول في الشرق الاقصى ، على ان يعهد بالاشراف عليها وادارتها لعشرات من الخبراء والعسكريين لتكون في حالة استعداد لاستخدامها في أي وقت .. كما تقرر كذلك ان يكون لبريطانيا وجود عسكري من نوع معين بعد عام ١٩٧١ عن طريق اشتراك بريطانيا في ادارة مدرسة التدريب على حرب الغابات التابعة للكومنولث في جوهور في سنغافورة بحيث يرسل اليها سنويا ٣٠٠٠ جندي بريطاني للتدريب ، ومركز التدريب على حرب الغابات في **سونجي باتاني** في شمال ماليزيا ، وكذلك زيادة الوجود العسكري والبحري البريطاني في هونج كونج [١٥] .

وهذا التعديل والتغيير الشكلي كما يتبين فرضته الظروف والاوضاع العالمية الجديدة وتغير ميزان القوى العالمي لصالح النظام الاشتراكي ، واشتداد ساعد حركة التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، واستبدال الوجود العسكري البريطاني المباشر الذي يستفز المشاعر الوطنية ، وذلك عن طريق التمويه والتخفي وراء صورة الاستعمار الجديد، وضمان مواصلة استغلال الشعوب المستعمرة سابقا تحت شعار الاستقلال الصوري .. اما بالنسبة للخليج العربي فقد تقرر تجسيد صيغة الاستعمار الجديد على النحو التالي :

● قيادة المجتمع العربي في الخليج في الاتجاه الرأسمالي ، واعداد المنطقة لاستقبال رؤوس الاموال البريطانية والامريكية لاستغلال الموارد والثروات الطبيعية بطريقة منظمة ، والاستعانة بالفئات البورجوازية المحلية لتلعب دور الشريك الاصغر لرأس المال البريطاني والاجنبي ، واستخدامها كواجهات وطنية لعمليات الاستغلال الاستعماري ونهب موارد المنطقة وجهود ابنائها.

---

[١٤] اضواء على مايجرى في الخليج، اعداد : سيف بن علي ، مارس ١٩٦٨ .
[١٥] الفايناشيال تايمز البريطانية ١٩٧٠/٦/٢٦.

وهو ما أفصح عنه وقتئذ : « بأن الهدف تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية في الامارات لمواجهة النشـــــاط التخريبي الذى تقـوم به القـــوى الاشتراكية » [١٦] .

● تجميع الامارات الصغيرة في وحدة سياسية أكبر ، وتكوين منظمة الدفاع الاقليمي . وتكشف صحيفة **الصنداى تايمز** البريطـــانية النقاب عن تعاون الولايات المتحدة وبريطانيا بهذا الخصوص بقولها : « أن هناك الحاح مستمر من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا فى اقناع أمراء الخليج **بأن يكونوا نظام أمنهم الخاص** متحدين كى يعملوا لليوم الذى يجب على بريطانيا أن ترحل فيه ، وأن هناك علامات على أى حال تدل على أنهم أخذوا الفكرة بجدية أكثر » [١٧] .

● تكوين جيش اتحادى تكون نواته « **فرقة كشافة ساحل عمان** » ، بناء على الخطة التى وضعها « **الجنرال سير جون ويلوبى** » المستشار العسكرى البريطانى لاتحاد الامارات ، ومركزها حاليا امارة الشارقة ، وهى تتكون من **البلوش** الذين ينتمون الى أصـــول ايرانيـــة وباكستانية وغيرهم من المرتزقة ، وهذه القوة يبلغ عـــدد أفرادها الان ١٧٠٠ جنـــدى وتقوم بريطانيـــا بتسليحها والانفاق عليها ، ويمكن أن تتحرك بحرية فى أى من امارات الساحل السبع ، وهى تعمل على تسوية منازعات الحدود وتنهى عمليـــات القتال بين القبائل ، وتتأكد من صيانة وحسن سير استغلال آبار البترول ، وضباط هذه الفرقة يبلغ عددهم ٩٢ ضابطا وصف ضـــابط ، وهم جميعـــا من البريطانيين » [١٨] . ويتضـــح أن هدف بريطانيا من وراء ذلك هو تحميل الامارات أعباء وتكاليف الدفاع عن المصالح الاستعمارية ، وتشجيع الامارات الغنية على تكوين قـــوات مسلحة خاصة بها ، مما يساعد بريطانيا على التخلص من أسلحتها القديمة وبيعها الى الامارات ، وقد باعت بريطانيا الى أبو ظبى فى عام ١٩٦٩ أسلحة قيمتها ٥٠ مليون جنيه استرلينى .

وفى ١٩٦٨/٢/٢٧ ، أعلن حـــكام امارات الخليج التســـع تأسيس « **الاتحـــاد الفيدرالى لامارات الخليج العربية** » وقد تضمن الاتفاق على تشكيل مجلس أعلى من الحكام التسعة ، ويختص بوضع دستور الاتحاد ورسم سياسته العليا ويصدر القوانين الاتحادية ، وأن مهمة الاتحاد المحافظـــة على الامن والاستقرار فى المنطقة .

وبعد أن انتهت بريطانيا من هذه الترتيبات واعلان قيام اتحاد الامارات ، قرر مجلس العموم البريطـــانى فى جلســـته بتاريخ ١٩٦٨/٧/٢٦ الموافقة على مشروع انسحاب القوات البريطانية من شرقى السويس ، وكذلك الانسحاب من منطقة الخليج العربى ، وذلك فى موعد أقصاه نهاية عام ١٩٧١ .

الاتفاقيات والمعاهدات

— ١٧٩٨ معاهدة الدفاع والهجوم بين مسقط وشركة الهند الشرقية .
— ١٨١١ معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة بين بريطانيا ومسقط . [١]
— ١٨٢٤ الصك الذى أصدره سلطان مسقط بالتنازل عن جزر كوريا موريا .
— ١٨٣٩ اتفاق تجارى وملاحة بين بريطانيا ومسقط .
— ١٨٤٥ اتفاقية الرقيق بين بريطانيا ومسقط
— ١٨٩١ الاتفاق المتعلق بالتنازل عن المناطق الذى أبرمه سلطان عمان فى ٢٠ مارس ١٨٩١ .
— ١٩٠٢ تعهد سلطان عمان تجـــاه العميد السياسى البريطانى فى مسقط فيما يتعلق بخصوص البترول فى صور .
— ١٩٢٣ الالتزام الخاص بالبترول الذى اتخذه على نفسه سلطان مسقط .
— ١٩٣٧ معاهدة التجارة والملاحة بين بريطانيا ومسقط .
— ١٩٥١ معاهدة صداقة وتجارة وملاحة بين بريطانيا ومسقط . [٢]
— ١٩٥٣ معاهدة صداقة وتجارة وملاحة بين بريطانيا ومسقط . [٣]
— ١٩٥٨ تبادل رسائل بين المملكة المتحدة وسلطان مسقط ، المتعلقة بقوى السلطان الجوية بالطيران المدنى وبتوطيد القوى الجوية الانجليزية فى عمان .
— ١٩٥٨ الاتفاق بشأن قاعدتى مصيرة وصلالة ومنحهما لبريطانيا لمدة ٩٩ سنة .

[١٦] « جلاسجو هيرالد » البريطانية ١٩٦٨/٥/٢٩ .
[١٧] « الصنداى تايمز » البريطانية ١٩٦٨/١/١٤ .
[١٨] الديلى تلجراف البريطانيـــة ١٩٧١/٢/١٢ .

استراتيجية شرقي السويس

بين حزبي المحافظين والعمال

ولكن حدث بعد ذلك ما لم يكن متوقعا ، اذ ان المحافظين الذين كانوا يعارضون استراتيجية شرقي السويس ، ويعتبرونها تصفية للبقية الباقية من الامبراطورية البريطانية القديمة ، انقلبوا فجأة الى مدافعين بشدة عن هذه الاستراتيجية .

ان النظرة الفاحصة الى الخطوات التى اقدمت عليها حكومة العمال سواء فى التخلص من القواعد العسكرية الكبيرة فى الشرق الاقصى والخليج او تجسيد صيغة الاستعمار الجديد فى الخليج ، لا تمثل فى الواقع خروجا على استراتيجية شرقي السويس ، بل هى تتم فى نطاق الترتيبات اللازمة لتحقيق هذه الاستراتيجية ووضعها موضع التنفيذ العملى ، ذلك ان الانسحاب مع البقاء هو جوهر استراتيجية شرقى السويس . ولقد كان من الواضح ان الخلاف بين المحافظين وبين العمال لا يتعلق بجوهر استراتيجية شرقى السويس ، انما الخلاف كان على التفاصيل وكيفية توزيع الوحدات العسكرية المختلفة فى اطار المخطط العام للتحالف الغربى ، الامر الذى لا يتناسب مع الضجة الشديدة التى اثارها المحافظون فى ذلك الوقت . وهو ما يوضحه جيوفرى ريبون عضو البرلمان عن حزب المحافظين : « ان الاستراتيجية البحرية جزء اساسى فى الدفاع عن شواطئنا وحماية طرق تجارتنا ومصالحنا التجارية ، ولم يعد فى استطاعتنا ان نحرس البحار وحدنا ولكننا نستطيع ويجب علينا ان نقوم بمساهمة كبيرة فى حلف الاطلنطى والعالم الحر عن طريق القوة البحرية ، وفقا لذلك فان الحكومة المحافظة سوف تستفيد أقصى فائدة وتستند على اتفاقية سيمونستاون مع جنوب أفريقيا والاحتفاظ بوجود بحرى بريطانى فى جنوب الاطلنطى والمحيط الهندى والشرق الاقصى وفى الخليج العربى » [١٩] .

أما وجهة نظر المحافظين بشأن الخليج فيعرضها **ادوارد هيث** زعيم حزب المحافظين بنفسه فى مقال له بعنوان « **العودة الى الخليج** » وذلك عقب جولته فى منطقة الخليج العربى فى شهر ابريل عام ١٩٦٩ ، يقول فيه : « ان فكرة انشاء دولة عصرية موحدة فكرة جديدة وغريبة على هؤلاء القوم ، وفى الوقت الحالى تقوم فرقة كشافة عمان الى حد كبير بالاشراف على الامن الداخلى ، وتتمتع هذه القوات بدرجة عالية من الكفاءة والتدريب . ان التزام بريطانيا بالانسحاب لن يكون معقولا ورادعا لمثيرى القلاقل الا اذا احتفظت بريطانيا بقوات متواضعة فى مكان ما من المنطقة ، كما يريد كل من شاه ايران والملك فيصل التأكد من أن مثيرى الاضطرابات لن يقيموا لانفسهم قواعد فى الخليج بعد انسحاب بريطانيا ، وبعد محادثاتى الطويلة مع الشاه والملك فيصل ، اقتنعت بأن أية حكومة للمحافظين سوف تكون قادرة على التعاون بصورة مرضية مع هذه البلاد ، طالما اننا نشترك جميعا فى هدف واحد ، وهو المحافظة على الاستقرار » [٢٠] .

وفى ١٩٧٠/٦/١٨ ترك حزب العمال الحكم اثر سقوطه فى الانتخابات العامة فى بريطانيا وفوز حزب المحافظين . ومع حلول المحافظين فى الحكم أخذت تتضح حقيقة الخلاف بين المحافظين والعمال حول موضوع استراتيجية شرقى السويس ، بعد اتجاه المحافظين الى تبنى خطة العمال مع ادخال بعض التعديلات البسيطة فى الشكل ، وذلك على عكس موقفهم السابق خارج الحكم من خطة العمال ، ذلك ان معارضة المحافظين لم تكن فى الواقع سوى تكتيك سياسى بارع المقصود به ، تمرير المشاريع الاستعمارية ، والضغط على الحكومات الرجعية والعميلة لتقبل التعديلات التى تدخلها بريطانيا على سياستها فى الشرق الاقصى والخليج العربى واجبارهم على تحمل العبء الاكبر من نفقات الدفاع عن المصالح الاستعمارية البريطانية ، وكذلك الضغط على حكام الخليج العربى لتصفية الخلافات فيما بينهم والتعجيل ببناء اتحاد الامارات .

وقد أخذت الصحافة الاستعمارية فى بريطانيا تمهد لهذا التراجع من جانب المحافظين وتبرره مما أسمته « **بالموقف الجديد** » الذى ووجه به المحافظون بعد مجيئهم الى الحكم والتأييد الذى اكتسبه اعلان بريطانيا الجلاء عن الشرق الاقصى والخليج لدى الرأى العام العربى والعالمى : « وانه من الصعب الان تعديل خطة الانسحاب

---

[١٩] الديلى تلجراف البريطانية ١٩٧٠/٤/٢٣ .
[٢٠] الصنداى تايمز البريطانية ١٩٦٩/٤/٢٧
[٢١] الفيناننشيال تايمز البريطانية ١٩٧٠/٦/٢٦ .

بعد الدفعة التى اكتسبها منذ عام ١٩٦٨ ، وأن حزب المحافظين سيقلب فى حقيقة الامر سياسة العمال . ولكنه لن يرجع فيها » [٢١] .

وهذا التعديل او الاضافة الى المشروع الاصلى وفقا لاسلوب المحافظين : « ان تقام فى جنوب شرقى آسيا قوة دفاعية تتالف من خمس دول [استراليا ، وماليزيا ، وسنغافورة ، ونيوزيلاندا] كما تشترك معها بريطانيا ، وبذل محاولة للتوصل الى تفاهم افضل مع القوى البيضاء فى جنوب أفريقيا » [٢٢] .

وقد بادرت حكومة المحافظين بتعيين **السير ويليام لوس** الحاكم السابق لعدن كممثل شخصى لدوجلاس هيوم وزير الخارجية البريطانية ليبحث مع حكام الامارات الاجراءات الخاصة بترتيب الاوضاع فى منطقة الخليج قبل انسحاب بريطانيا فى نهاية عام ١٩٧١ . وكانت النقطة الاساسية فى مهمة ويليام لوس هى : « العمل على اقناع مشايخ الامارات باقامة الاتحاد الذين ظلوا يختلفون عليه طوال مايزيد على سنتين » [٢٣] .

تطور مشروع اتحاد الامارات

وقد قام **ويليام لوس** بزيارات عديدة الى المنطقة وأجرى مشاورات واسعة مع حكام الامارات ، بهدف التوصل الى صيغة مناسبة لاستمرار الوجود البريطانى فى المنطقة بعد عام ١٩٧١ . ولقد اظهرت زيارات ويليام لوس حرص بريطانيا على تدعيم مصالحها الخاصة فى الاسراع بقيام اتحاد الامارات ، باعتباره البديل للوجود البريطانى فى تحقيق أمن المنطقة.

كذلك اهتم الرئيس الامريكى نيكسون بارسال « **ايرون** » مبعوثه الخاص الى منطقة الخليج فى شهر يناير عام ١٩٧١ ، للدعوة الى ملء الفراغ بعد انسحاب بريطانيا ، وتأييد الولايات المتحدة لكل من ايران والسعودية بالنسبة للدفاع عن الخليج ، باعتبارهما الدولتان القويتان فى المنطقة ، كما أن الدولتين تعارضان استمرار الوجود البريطانى فى المنطقة بعد عام ١٩٧١ .

وقد تمخضت محادثات ويليام لوس فيما أعلنته حكومة ادوارد هيث فى مجلس العموم

عدد السكان

البحرين	٢١٦٠٠٠	نسمة
قطر	١٠٠٠٠٠	نسمة
دبى	٦٠٠٠٠	نسمة
ابو ظبى	٥٠٠٠٠	نسمة
الشارقة	٣٠٠٠٠	نسمة
رأس الخيمة	٢٠٠٠٠	نسمة
الفجيرة	٩٠٠٠	نسمة
عجمان	٤٠٠٠	نسمة
أم القيوين	٤٠٠٠	نسمة
المجموع	٤٨٣٠٠٠	نسمة

البريطانى فى ١٩٧١/٣/١ عن اعتزام بريطانيا الغاء معاهدات الحماية السابقة مع امارات الخليج التى تنص على مسئولية الدفاع عن امارات الخليج التسع قبل نهاية عام ١٩٧١ — وتحتفظ بريطانيا فى الامارات التسع بحوالى ٦ آلاف جندى — كما تمت الموافقة بين جميع حكام الامارات والحكومات المجاورة على المشروع البريطانى ذى النقاط الخمس ، ويتضمن عقد اتفاقية صداقة مع الامارات ، وتنص على تقديم المعونات العسكرية لها والابقاء على بعض القوات بهالقيام بمهام الاتصال والتدريب [٢٤] .

وقد عرضت مجلة «**أخبار دبى**» للمشروع البريطانى الذى تم الاتفاق عليه بشىء من التفصيل وذلك على النحو التالى :

١ — معاهدة صداقة تتضمن تعهدا بالتشاور المتبادل عند الحاجة .

٢ — بريطانيا مستعدة لتقديم الضباط والموظفين

[٢٢] **الفينانشيال تايمز البريطانية** ١٩٧٠/٧/١٠

[٢٣] **الديلى تلجراف البريطانية** ١٩٧١/٢/١٢ .

[٢٤] **جريدة الاهرام** ١٩٧١/٣/٢ .

على سبيل الاعارة لقوات الاتحاد وللمساعدة على تزويدها بالاسلحة.

٣ — يمكن لعناصر من القوات البريطانية بما فيها فرق تدريب ان توضع هناك على اساس مستمر اذا رغب الاتحاد فى ذلك بغية القيام بدور ارتباط وتدريب .

٤ — مناورات تدريبية منتظمة تشترك فيها وحدات من الجيش وسلاح الطيران البريطانية.

٥ — زيارة منتظمة للمنطقة من قبل سفن الاسطول البريطانى [٢٥] .

ولقد كان من المقرر أن يتم تكوين دولة اتحاد الامارات العربية من الامارات التسع فى الخليج ، حسب الاتفاق السابق فى ١٩٦٨ . ولكن تجربة السنوات الثلاث الماضية أظهرت أن هناك عديدا من المشاكل والخلافات بين الامارات ، وبعض هذه المشاكل والخلافات قديم قدم الاستعمار البريطانى فى المنطقة نتيجة سياسة « فرق تسد » ، وبسبب المنازعات على بعض المناطق لعدم وجود تقسيمات ومعالم واضحة للحدود بين امارات الساحل ، وكذلك الخلاف بين الامارات وبين الدول الكبرى فى المنطقة مثل الخلاف بين السعودية وأبو ظبى حول واحة البوريمى ، ومطالبة السعودية بطريق برى الى الخليج عبر أراضى أبو ظبى ، والخلاف بين البحرين وقطر على ملكية احدى الجزر الصغيرة، وكذلك الخلاف بسبب ما تدعيه ايران من ملكية بعض الجزر العربية الواقعة بين امارتى رأس الخيمة والشارقة ، كما كانت تطالب من قبل بجزر البحرين .

وقد أخذت هذه الخلافات تظهر على السطح بعد أن بدأ البترول يتفجر فى بعض امارات الساحل ونشوء امارات غنية وأخرى فقيرة ، مما زاد من مشاعر الحسد والريبة بين حكام الامارات أنفسهم ، ومن ناحية أخرى خوف أبو ظبى من أن تبتلعها السعودية ، وخوف حاكم الشارقة من فقدان مبلغ الـ ٤٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى الذى تدفعه له بريطانيا قيمة ايجار للقاعدة الجوية البريطانية ، كما أن الامارات الصغيرة مثل **الفجيرة وعجمان وأم القيوين** ترى فى الوجود البريطانى ضمانا لاستقلالها واستمرار الحصول على المعونات الاقتصادية والمالية من بريطانيا . ولكل هذه الاسباب والدوافع المختلفة كان اصرار جميع الامارات على استمرار الوجود العسكرى البريطانى فى المنطقة ، الى درجة أن عرضت امارة أبو ظبى فى أوائل عام ١٩٦٨ على بريطانيا مبلغ ٢٥ مليون جنيه قيمة نفقات الوجود العسكرى البريطانى ، وذلك من اجل تشجيعها على البقاء .

ولقد انعكست كل هذه المشاكل والخلافات بشكل غير مباشر أو صريح داخل الاجتماعات التى عقدت بين حكام الامارات التسع لاستكمال مشروع الاتحاد ، وكانت وراء الخلافات بينهم حول منصب الرئيس ونائب الرئيس للاتحاد وتوزيع المقاعد الهامة فى وزارة الاتحاد ، وحول مقر العاصمة الدائمة للاتحاد ، ونسبة مساهمة كل منهم فى ميزانية الاتحاد ، وكذلك حول نسبة التمثيل فى مجلس الاتحاد ، كما طالبت امارة البحرين بنسبة تمثيل اكبر داخل مجلس الاتحاد يتناسب مع حجم سكانها ويقدر بحوالى ٢٠٥ آلاف ، أى أكبر من تعداد الامارات الاخرى مجتمعة . ثم عادت البحرين وأعلنت بعد ذلك تخليها عن فكرة الاتحاد بعد ان حلت مشكلتها مع ايران وتخلى الاخيرة عن المطالبة بجزر البحرين فى نظير حصولها على امتيازات اقتصادية وافتتاح فروع **لبنك ملى الايرانى** فى البحرين . وأعلنت البحرين أنها تستعد لاعلان الاستقلال ، ثم تبعتها قطر فى الخروج من الاتحاد ، وأن تحذو حذو البحرين فى الاستعداد لاعلان الاستقلال، واتباع طريق مستقل ، وتدعيم علاقات الامارتين بكل من السعودية وايران .

وقد اعلنت كل من البحرين وقطر استقلالهما فى الفترة الاخيرة وحصولهما على عضوية الجامعة العربية وعضوية الامم المتحدة ، كما حصلت سلطنة عمان كذلك على عضوية الجامعة العربية والامم المتحدة .. وكانت أن اضطرت بريطانيا الى تركيز جهودها على امارات الساحل السبع الصغيرة لتكوين اتحاد مصغر ، وتم الاتفاق على أن تتولى امارة أبو ظبى وهى من أغنى امارات الساحل الاشراف على قيادة الاتحاد الجديد ، الامر الذى لم تعارضه امارة دبى ، كما تؤيده الامارات الاخرى مثل الشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة التى تعتمد فى حياتها الى حد كبير على المعونات المالية التى تقدمها لها أبو ظبى . هذا ولم يتخلف عن توقيع ميثاق الاتحاد فى ٧/١٨ الماضى سوى امارة رأس الخيمة ،

[٢٥] مجلة « أخبار دبى » نقلا عن صحيفة « الشرارة » العدنية ٧١/٤/٢٩

بسبب مطالبتها بأن يكون لهـا حق الاعتراض [الفيتو] داخل مجلس الاتحاد اسوة بأبى ظبى ودبى — ثم عادت رأس الخيمة بعد قيام الاتحاد فى ١٩٧١/١٢/٢ واعلنت عن رغبتها فى الانضمام الى الاتحاد وتنازلها عن شروطها السابقة .

الرجعية الايرانية والخليج

وكانت آخـر حلقـة فى هـذه الترتيبـات الاستعمارية هو قيـام ايران فى ٣٠ نوفمبر باحتلال جزيرتى طنب الكبرى وطنب الصغرى التابعتين لرأس الخيمة وجزيرة أبو موسى التابعة للشارقة فى مدخل الخليج ، وتدمير منازل الاهالى العرب وطردهم من جزيرة طنب الكبرى بالقوة .

وكان حاكم **الشارقة** قد وقع بناء على طلب **وليم لوس** المبعوث البريطانى فى الخليج اتفاقية مع ايران تنازل بموجبها عن نصف أراضى **جزيرة أبو موسى** ، وذلك لاقامة قواعد وموانى عسكرية وتطبيق القوانين الايرانية عليها ، وأيضا اقتسام عائدات البترول المكتشف فى الجزيرة والمياه الاقليمية .

وكشف هـذا الحادث عن تلاعب بريطانيـا بمصير الاراضى العربية التى كانت تحتلها . وقد أعاد هذا الحادث الى الاذهان ذكرى تاريخ تسليم بريطانيا أراضى فلسطين العربية للصهيونيين ، وذلك قبل موعد انتهاء الانتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، بدلا من تسليم الاراضى الى أصحابها الفلسطينيين ، والتى كانت مقدمة لاحتلال اسرائيل لبقية أراضى فلسطين والاراضى العربية الاخرى فيما بعد .

ويثير موضوع الاحتلال الايرانى تاريخ وحقيقة الاطماع الايرانية المتزايدة فى الاراضى العربيـة بالخليج ، والـدور الـذى تقـوم به ايران فى خـدمة المخططـات الاستعمارية ، والـذى لا يمكن مقـارنتـه الا بالاطماع الاسرائيلية التوسعية فى الاراضى العربية ودورها هى الاخرى فى خدمة المخططات الاستعمارية .

ومن المعروف أنه فى الوقت الذى كانت بريطانيا تعد فيه لاغتصاب وتجزئة الاراضى العربيـة فى أعقاب الحرب العالمية الاولى والتمكين لاحتلال الصهيونية لفلسطين ، فانها قـد قامت فى نفس الوقت بتمكين ايران من غزو واغتصـاب اقليم **عربستان** الغنى بالبترول والثروات المعدنيـة والحاصلات الزراعية ، والذى يعد امتدادا طبيعيا للاراضى العراقية الجنوبية ويقطنـه حوالى ٣ ملايين من القبائل العربية ، وذلك بمسـاعدة القوات والاسطول البريطانى فى عام ١٩٢٤ ، وقام حينئذ بحملة ابادة رهيبة ضد الاهالى ومذابح ضد زعماء القبائل الوطنيين ، وعمل على طمس المعالم العربية فى الاقليم واحلال اللغة الفارسية فى المدارس وفى التخاطب واستبدال أسـماء البلاد والقرى والانهار بأسماء فارسية . ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف الثورات العربية فى البلاد ، وتتولى اليوم « **جبهة تحرير عربسـتان** » التى تكونت فى عام ١٩٥٦ قيادة الثورة المسـلحة لتحرير البلاد من الاستعمار الايرانى .

ومنذ بدأ الاعداد لتنفيذ استراتيجيـة شرقى السويس عام ١٩٦٥ ، أخذت الولايات المتحـدة تعد ايران العضو فى الحلف المركزى [بغـداد سابقا] لكى تلعب دورا أساسيا فى الخليج وقامت بتسليح ايران بأحدث أنواع الاسلحة ، حتى أن ايران تملك اليوم أكبر سلاح جوى وبحرى فى المنطقة مزود بطائرات الفانتوم والمدمرات حاملات الصواريخ والغواصات، وقد قامت ايران خلال السنوات الاخيرة بتوسيع وبناء القواعد الجوية والبحرية فى **بندر عباس** ، **وجاسك** ، **وبوشير** المواجهة للاراضى العربية فى الخليج .

وقد سعت ايران خلال السنوات الماضية الى مد نفوذها الى داخل الامارات العربية ، عن طريق توسيع مصالحها الاقتصادية وفتح فروع لبنوكها مثل « **بنك ملى ايران** » و « **بنك صادرات ايران** » وشركات التأمين ، وتشجيع رأس المال الخاص على غزو المنطقة . وقد حصل رأس المال الايرانى خلال عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ على ٧٣٤ تصريحا لاقامة منشآت صناعية تبلغ تكاليفها نحو ١٥٠٠ مليون دولار ، والعمل على غزو الاسواق بالبضائع الايرانية .

وتقوم ايران بتسريب رجال مخابراتهـا الى كافة أجزاء المنطقة ليلعبوا أدوارا خطـيرة بين المهاجرين الايرانيين الى المنطقة بحثا على العمل وخاصة بين الجاليات الايرانية الكبيرة العدد فى بعض الامارات لتجنيدهم للعمل لحساب المخابرات الايرانية ، ويشغل بعضهم الان مناصب كبيرة فى أجهزة الامن والجيش والمصـالح فى عـدد من الامارات .

ويقدر عدد الايرانيين فى الخليج العـربى ، وامارات ساحل عمان ، وفقا لاحصائيات عام ١٩٦٨ ، بحوالى ٩٠ ألفا موزعين على الشكل الاتى : الكويت وبها حـوالى ٣٥ ألف ايرانى ، والبحرين ٢٠ ألفا ، وقطر ٢٠ ألفا ، وفى امارات ساحل عمان السبع بحوالى ١٥ ألف ايرانى .

وتتضح الاسباب الحقيقية لهـذا التواطؤ

البريطاني الايراني المكشوف فيما ذكرته احدى الصحف الايطالية اليمينية بقولها : « ان التوقعات الخاصة بأن تسحب بريطانيا كل قواتها العاملة في المنطقة خلال العام الحالي ترتبط بأن بريطانيا تنظر الى القوات الايرانية الموجودة في الجزر العربية الثلاث على أنها بداية معركة ضد التيارات الثورية المتولدة في الخليج » [٢٦] وتؤكد هذه الحقيقة مرة اخرى احدى الصحف البريطانية بقولها : « ولهذا السبب كغيره من الاسباب فان بريطانيا وأمريكا يسعدهما أن تريا ايران والعربية السعودية توسعان في هدوء دوائر نفوذهما ويقتسمان الخليج ، وذلك بشرط أن تظل ايران والسعودية على ماهما عليه من استقرار ، وبشرط أن يظل اى نظام مقبل فيهما صديقا للغرب » (٢٧)

اسرائيل واستراتيجية شرقي السويس

لقد أدت هذه التطورات الى خلق وضع متفجر في الخليج ، تمثل أخيرا في الغضبة الجماهيرية العنيفة التي شملت معظم الامارات العربية ، وتدمير فروع البنوك الايرانية في راس الخيمة ، واطلاق المتظاهرين الرصاص على نائب حاكم الشارقة وهو شقيقه في نفس الوقت واصابته في صدره ، والذي كان في استقبال القوات الايرانية في جزيرة **أبو موسى** ، واصطدام المتظاهرين بقوات الامن في أبو ظبي ودبي وعجمان .

وفي الواقع أنه لا يمكن النظر الى الاحتلال الايراني للجزر العربية أو مايجرى في الخليج عموما ، بعيدا عن المخطط الامريكي الاسرائيلي الذي يجرى تنفيذه حاليا عند « باب المندب » للسيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر . وقد اوضحت زيارة **حاييم بارليف** رئيس أركان الجيش الاسرائيلي للحبشة في أغسطس الماضي أنها كانت بهدف استئجار وشراء بعض الجزر لاقامة قواعد اسرائيلية في الاراضي الاريترية الواقعة تحت النفوذ الحبشي ، كما كشفت هذه الزيارة عن وجود قواعد عسكرية لاسرائيل في جزيرتي « حالب ، وفاطمة » وتعمل هذه القواعد الاسرائيلية بالاشتراك مع القواعد الامريكية في **مصوع ، وأسمرة** بالقرب من مضيق باب المندب للسيطرة على باب المندب وتهديد الاراضي العربية وتحويل البحر الاحمر الى بحيرة اسرائيلية أمريكية .

وتكمن خطورة وابعاد هذه المؤامرة في الاعتماد على اسرائيل لتدعيم استراتيجية شرقي السويس ومد السيطرة الاستعمارية من الاراضي الحبشية جنوب البحر الاحمر حتى اسرائيل ، وانه عن طريق سيطرة اسرائيل على مدخل البحر الاحمر في الشمال وتواجدها في شرم الشيخ ومضايق تيران حتى باب المندب في الجنوب ، وكذلك وجود ايران وسيطرتها على الحدود الشرقية للوطن العربي ، تستطيع الولايات المتحدة وبريطانيا ان تضعا شبه الجزيرة العربية داخل كماشة ومحاصرة حركة التحرر العربية واجهاضها وتهديد الاراضي العربية الواقعة في شرق القارة الافريقية حتى جمهورية مصر العربية .

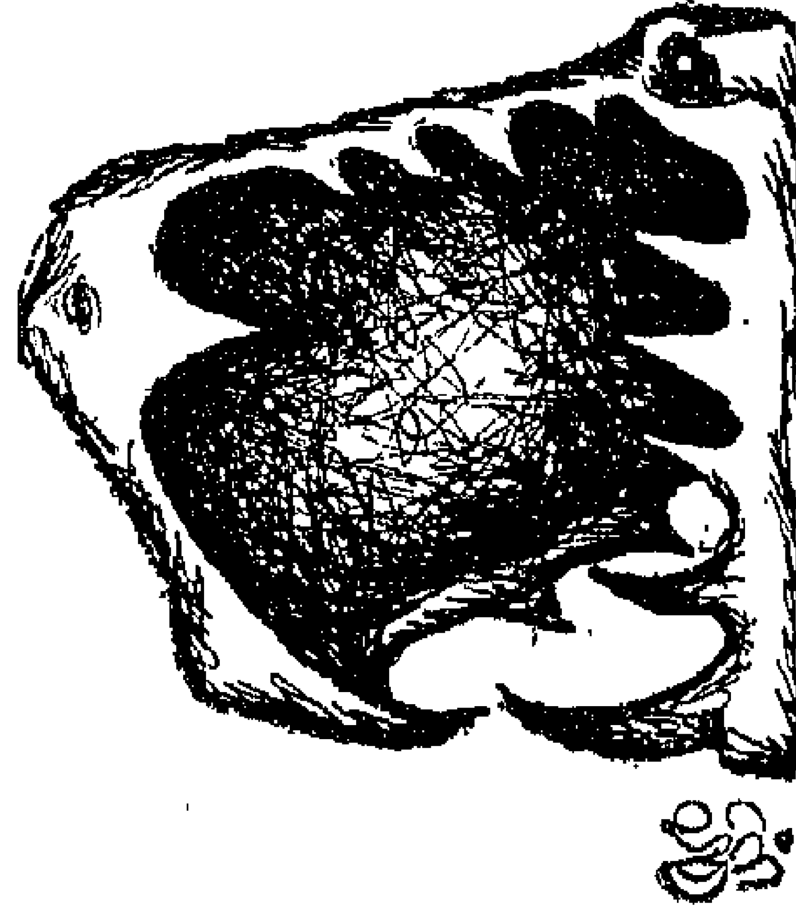
ان كل الترتيبات التي قامت بها بريطانيا حتى الان في الخليج لا تخدم في الواقع سوى بريطانيا نفسها ، وتوفير الامن والاستقرار لمصالحها هي وحليفتها الولايات المتحدة ، ولكنه لن يوفر الاستقرار والامن لاستقلال الامارات العربية ، أو يفتح الطريق أمام التطور المستقل لشعوبها طالما بقي هناك ظل لعسكري بريطاني أو أمريكي واحد في المنطقة . ومن الملاحظ كذلك أن بريطانيا ما زالت حتى الآن تتجنب الاشارة الى قواتها وقواعدها ، مثل **قاعدة مسقط البحرية والجوية ، وقاعدة البوريمي الجوية ، وفي رأس الجد ، وصحار ، ونزوى ، وعبرى ، وفي جزيرة مصيرة وجزر كوريا موريا في مسقط وعمان** ، والى قواتها التي تشن الهجمات ضد الثوار في اقليم ظفار من قواعدها العسكرية في **صلالة** عاصمة الاقليم ، وهو ماتتحدث عنه صحيفة الاوبزرفر البريطانية فتقول : « ومن الناحية العملية لاتزال بريطانيا متورطة بصورة غير مباشرة في نشاط عسكري في الجزيرة العربية ، فالبريطانيون يقدمون الاسلحة والضباط والجنود للتدريب بل وقيادة القوات العربية المحلية في اتحاد الامارات وامامة مسقط وعمان . كما أن سلاح الجو الملكي البريطاني **في جزيرة مصيرة** يقدم تسهيلات بهذا الشأن . وأن وزير دفاع سلطان عمان بريطاني ، والضباط والموظفون السابقون البريطانيون يشكلون جزءا قويا من حاشيته . ومع ذلك لاتوجد بعد معاهدة دفاع رسمية بين

[٢٦] كورييرا ديلاسيرا الايطالية ٣/ ١٢/ ١٩٧١ .
[٢٧] الديلي تلجراف البريطانية ٢/ ١٢/١٩٧١ .

بريطانيا وعمان ، وانما توجد معاهدة صداقة وتعاون يرجع تاريخها الى عام ١٩٥١ » [٢٨]

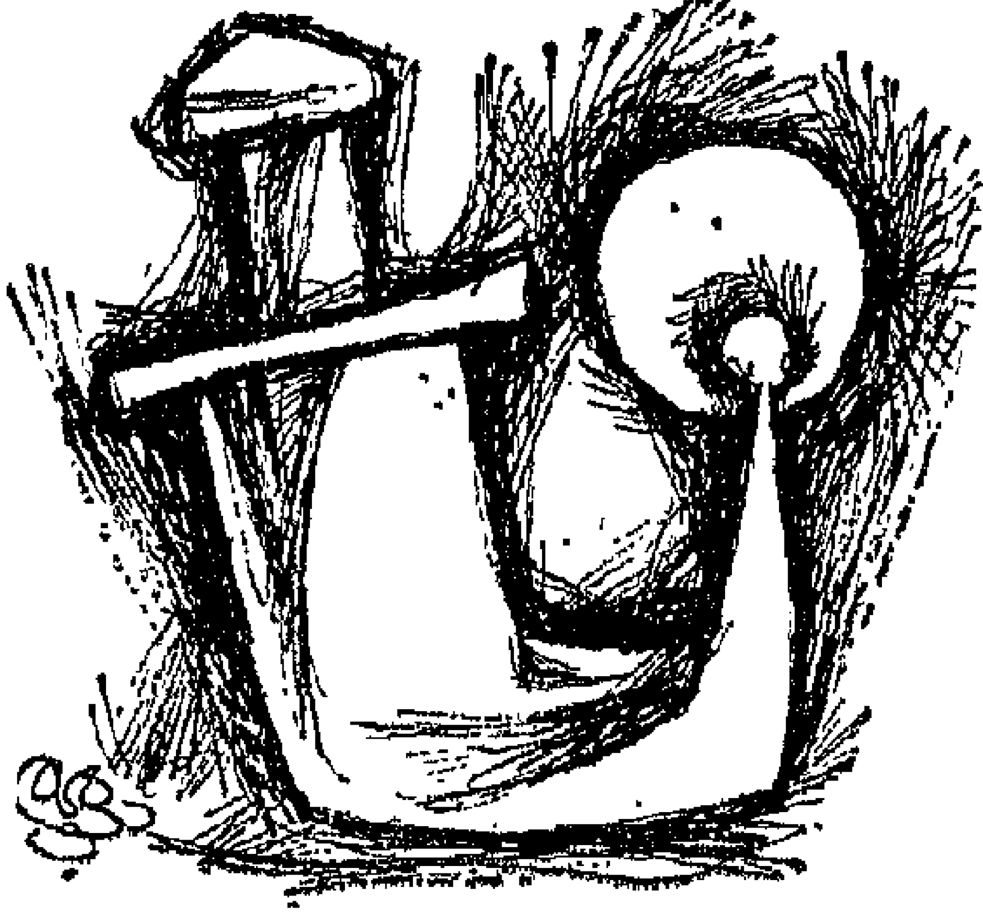
كذلك اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ، أنه تم توقيع اتفاق مع حكومة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين — فى ٢٣ ديسمبر الماضي — تقضى بالابقاء على قوة بحرية تتكون من طائرة بحرية ومدمرتين فى احدى الجزر التابعة للبحرين [٢٩]

ان حصول الامارات على الاستقلال السياسى، ليس سوى مرحلة أولى على طريق التحرر الكامل من السيطرة الاستعمارية ، ولقد أظهرت تجربة البلدان النامية التي سقطت في براثن الاستعمار الجديد ، أن تحقيق الاستقلال الاقتصادى هو الضمان الحقيقى لتعزيز الاستقلال السياسى وتدعيمه ، الامر الذى لن يتحقق الا بتصفية كافة مظاهر الوجود الاستعمارى واستعادة الاراضى العربية المغتصبة ووضع حد لعمليات النهب التي تمارسها الاحتكارات الامبريالية للثروات الوطنية .. باعتبار أن الثروات الوطنية هى السبيل للقضاء على أسباب التخلف الاقتصادى والاجتماعى .



[٢٨] الاوبزرفر البريطانية ١٩٧٢/١/٩ .
[٢٩] الاهرام ١٩٧٢/١/٧ .

الواقع الاجتماعي والنضال السياسي



أحمد الذوادي

كان مجتمع الخليج العربي مجتمعا قبليا لفترات طويلة من التاريخ ، وكانت العلاقات القبلية هي التي تتحكم في علاقات الانتاج التي كانت تتركز في ثلاث نواحي : هي الرعي والزراعة والبحر ٠

والرعي والزراعة محدودان ولا يكاد انتاجهما يسد رمق السكان ، وتمارس الرعي قبائل البدو التي تعيش في الصحراء ، وتتنقل بين الواحات القليلة المتناثرة في تلك الصحارى القفراء ، مثل واحة « البريمي » في أبو ظبي ، وواحة « المسافي » في رأس الخيمة ، وواحة « الذيد » في الشارقة ٠

وتكاد هذه القبائل أن تعيش على هامش الحياة ، وبسبب وضعها الانتاجي ، الذي لا يساهم في حياة المجتمع الا بالقدر الضئيل جدا ، فانها لا تؤثر بشكل محسوس في تطور المجتمع ٠٠ وتستغل السلطات الحاكمة كون هذه القبائل تعيش على هامش الحياة فتستخدم بعضها كأدوات قمع ضد الفئات الاخرى من السكان

والزراعة يمارسها الفلاحون ـ وهم ايضا من القبائل الا ان العلاقات القبلية قد ضعفت على مر السنين ـ في الاراضي الخصبة المتواجدة في مناطق محدودة لا تتعدى الشريط الضيق المحصور بين الجبال والبحر على ساحل عمان وفي ساحل الباطنة وفي الجزء الشمالي من جزيرة البحرين وفي أجزاء من امارتي رأس الخيمة والفجيرة ٠

ولا تشكل الاراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة الا نسبة ضئيلة من مساحة أراضي منطقة الخليج ، وهي ملك للاقطاعيين من الشيوخ وأتباعهم ٠ وأهم المزروعات هي أشجار النخيل والخضروات والتبغ وبعض أنواع الفواكه ٠

أما البحر فانه كان يمثل مركز النشاط الانتاجي ٠ وقد كان هذا النشاط واسعا ومهما بقدر اتساع وأهمية منطقة الخليج ٠ فموقع الخليج المركزي على أحد الطرق الرئيسية بين الشرق والغرب ، ووجوده كأحد الامتدادين العظيمين للمحيط الهندي ، حيث يشكل البحر الأحمر الامتداد الاخر ، جعل منه أهم طريقين يوصل بين

نصفي العالم ويربط بينهما وينقل خيرات وتقدم كل منهما للاخر .

لقد كان حرير فارس وتوابل الهند ولؤلؤ البحرين يجذب أنظار التجار والمغامرين باستمرار ، وكانت القوة الشرائية التي يشكلها الشرق ، من سواحل افريقيا الشرقية الى القارة الهندية وجزر الهند الشرقية والصين مرورا بجزيرة العرب والخليج .. مركز اهتمام تجار الغرب من برتغاليين وهولنديين وفرنسيين وانجليز .. الخ .

وكانت كل تجارة الشرق والملاحة ، قبل الاحتلال البريطاني ، تحت سيطرة عرب الخليج ، وكانوا يديرونها على أحسن ما يكون . وبرعوا في تحديد الممرات المائية والطرق البحرية البعيدة المدى . وكانوا أول من ثبت العلامات البحرية ، المضاءة ليلا ، لتأمين سلامة الملاحة (١) .

وقد استخدم عرب الخليج خبرتهم الواسعة في شئون البحر والملاحة في المواجهة العنيدة للغزاة على اختلاف أجناسهم وقدراتهم .

وقد تكبدوا في مواجهتهم للاحتلال البريطاني الخسائر الفادحة في الارواح والسفن والمعدات ، التي سببها القصف المدفعي الكثيف . وفيما بين ١٨٠٠ ـ ١٨٢٠ فقط ، أحرقت البوارج البريطانية موانيء الخليج في رأس الخيمة ولنجة والمنامة عدة مرات ودمرت وأغرقت مئات السفن (٢) .

وقد تمكن الغزاة الانجليز الذين تحصنوا في مداخل الخليج ، واستخدموا على نطاق واسع البوارج الحربية ، تمكنوا من فرض احتلالهم على المنطقة ، والاستسلام على حكامها ، والتسلط والقهر على سكانها . ساعدهم في ذلك التخلف المريع الذي كانت شعوب المنطقة تعيشه سواء في مجالات الانتاج أو العلم أو الثقافة .

ولم تكن الطبقات الاجتماعية في ذلك الوقت قد تبلورت ، ذلك لان علاقات الانتاج لم تتعد شكل العمل من أجل الحفاظ على الحياة . وتركز ذلك كما ذكرنا في الرعي بالنسبة القبائل البدوية والزراعة البدائية في بعض أجزاء المنطقة وركوب البحر بالنسبة لاجزاء أخرى .

كان النشاط البحري سواء في نقل البضائع أو في صيد اللؤلؤ هو الذي جذب أوسع قطاعات المجتمع (٣) وباتساع سوق اللؤلؤ التي شملت العالم وخاصة القارة الهندية وأوروبا تطورت واتسعت عمليات صيد اللؤلؤ (٤) .. وبالتبعية اتسعت وتطورت علاقات الانتاج في هذا المجال ، بل بمعنى أدق تحددت علاقات الانتاج وأخذت شكل علاقات الرق بين أصحاب السفن مالكي أدوات الانتاج وبين البحارة الذين لا يملكون الا قوة عملهم . وقد حلت هذه العلاقات الانتاجية محل العلاقات القبلية التي كانت سائدة في هذا القطاع .

ورغم أن من المتعارف عليه في توزيع الدخل من اللؤلؤ ، أنه كان يتخذ شكل المحاصصة ، حيث يذكر النبهاني في « التحفة النبهانية » أنهم « يجعلون جميع ما يتحصلون عليه من اللؤلؤ عند النوخذا (صاحب سفن صيد اللؤلؤ) وهو يتولى بيعه ويأخذ من جميعه الخمس ثم يقسم الباقي عليهم بعد أن يخرج منه قيمة ما أكلوه من الطعام زمن الغوص فيعطي الغايص ٦٠ في المائة والسيب ٤٠ في المائة والرظيف ٢٠ في المائة أي أن كل رظيفين يعد عن سيب واحد » (٥)

الا أن هذا النظام بقي اسميا ، والذي حصل أن النوخذا يستحوذ على كل انتاج الغوص ويتصرف فيه حسب هواه ، ويدعي باستمرار أن انتاج الموسم لم يغط مصاريفه .

---

[١] أرنولد ويلسون « الخليج الفارسي » ص ١٢٣

[٢] ج.ج. لوريمر « دليل الخليج » ص ٢٨٤ و٩٧٩ و٩٨٤ و١٠٠٧

[٣] يذكر محمود بهجت سنان في كتابه « البحرين درة الخليج العربي » ص ٢١٤ أن سفن الغوص في القرن التاسع عشر كانت تقدر ب ٢٠٠٠ سفينة وفي العشرينات [حوالي ١٩٢٣] من هذا القرن كانت تقدر ب ١٠٠٠ سفينة وبظهور اللؤلؤ الصناعي وظهور البترول انخفضت اعدادها باستمرار . ففي عام ١٩٣٠ كانت ٥٠٨ سفينة يعمل على ظهرها ١٩٫٣٠٠ بحار ، في ١٩٤٠ صارت ١٩١ سفينة عليها ٧٥٠٠ بحار ، حتى وصلت في عام ١٩٥٤ الى ١٢ سفينة يعمل عليها ٤٥٠ بحارا .

[٤] يورد لوريمر في كتابه « دليل الخليج » ـ طبعة عربية ص ٢٥٨ أن قيمة تجارة اللؤلؤ التي كان مركزها جزر البحرين بلغت نصف مليون روبية سنة ١٧٩٠ ومليون روبية سنة ١٨٠٠ . بينما يذكر النبهاني في « التحفة النبهانية » [ص ١٣] أن دخل الخليج من اللؤلؤ [بما فيه دخل الساحل الشرقي من السعودية ـ حاليا ـ الكويت] يقدر ب ٧٠ مليون روبية ودخل البحرين وحدها ٣٠ مليون روبية .

[٥] السيب : هو البحار المخصص لسحب الغايص [أو الغيص كما هو معروف في المنطقة] من البحر متى مايشد الحبل الذي يتدلى به لقاع البحر لجمع الصدف . والرظيف : مساعد للغيص والسيب . وعند توزيع الدخل يحتسب نصيب كل رظيفين عن سيب واحد .

ويبقى البحارة الذين استدانوا من النوخذا مبلغا من المال لتموين عوائلهم طيلة فترة غيابهم فى البحر ، والتى تستغرق حوالى الخمسة أشهر ، يبقون مدينين للنوخذا ، وتتراكم الديون موسما بعد موسم .

وبهذا الاسلوب حولّ أسياد الغوص البحارة من مشاركين وبائعين لقوة عملهم الى عبيد لهم ، لا يستطيع الواحد منهم الحراك أو حتى الانتقال من سيد الى آخر .

لقد صار الغواص والسيب والتباب عبيدا للسادة أصحاب السفن ، وصاروا يعملون ولا يتحصلون على اى أجر مقابل عملهم سوى ذلك المبلغ الضئيل الذى يستلفونه من السادة فى بداية الموسم لتموين عوائلهم ، ويضاف الى مجمل الديون التى تراكمت وتحولت الى قيود ثقيلة تشدهم الى « اقطاعيى البحر » .

ولكى يحافظ « اقطاعيو البحر » على ابقاء هؤلاء الناس أسرى عبوديتهم وبالاضافة الى التسلط الرهيب الذى لا مثيل له الا فى عصر العبودية فى تاريخ البشرية والمتمثل فى التحكم الكامل بحياة الفرد من هؤلاء بما فى ذلك حياته الشخصية (كان اقطاعيو البحر يقتلون ويسجنون ويلقون بالناس الى البحر وهم أحياء .. الخ) . بالاضافة الى ذلك ابتدعوا لهم اللهو المطلق فى غير موسم الغوص .

كانت هذه الجماهير فى غير موسم الغوص تقضى وقتها بين العمل طوال النهار تقريبا فى الاعداد للموسم القادم وذلك بتجهيز معدات الغوص من اصلاح السفن ودهنها ونسج الاشرعة وترميمها وصناعة معدات صيد الاسماك .. وبين قضاء الليل فى اللهو فى أماكن أعدت خصيصا لذلك وتسمى « الدور » حيث يغنون ويرقصون حتى وقت متأخر من الليل .

وهذا اللهو هو المتنفس الوحيد الذى يجدونه أمامهم ، وهو الوسيلة التى وجد فيها اقطاعيو البحر السلاح ذا الحدين — بل فى الواقع ذو الحد الواحد — وهو الهاء هؤلاء المستغلين الى أبعد حدود الاستغلال بالطريقة التى تريحهم فى نفس الوقت .

وبعد ظهور البترول وانتقال أغلبية البحارة للعمل فيه ، ظلوا يسددون الديون شهريا طوال عشرات السنين منذ الثلاثينات وحتى سنين قليلة مضت . وفى حالة وفاة أحدهم تنتقل أعباء تسديد الديون الى أبنائه .

الغوص

وهذه الكلمة تطلق على عمليات صيد اللؤلؤ . وكان الغوص يشكل العامل الاساسى فى مقومات الحياة الاقتصادية فى الخليج . ويقدر تاريخ الغوص بحوالى أربعة آلاف سنة . وحتى الثلاثينات من هذا القرن كان يشتغل فى أعمال الغوص حوالى ١٩٫٣٠٠ بحار يعملون على سطح ١٠٠٠ سفينة ، وبسبب الازمة المالية العامة (١٩٢٩) واكتشاف اليابان طريقة عملية ضئيلة التكاليف لزراعة اللؤلؤ وانتاج أنواع شبيهة تماما باللؤلؤ الطبيعى ، واجهت صناعة اللؤلؤ كسادا وتدهورا . وجاء ظهور البترول ليوجه ضربة قاصمة أخرى لعهد الغوص .

الانتقال من البحر الى الآبار

لقد جاء عصر البترول ليجد أمامه أيدا عاملة فقيرة رخيصة ومحطمة .. فقد جهزها عصر اللؤلؤ بكل عبوديته وتحطيمه للجماهير الفقيرة .

وقد شعر هؤلاء المسحوقون باشتغالهم فى استخراج البترول بقفزة فى حياتهم ، فصاروا يحصلون على جزء أكبر وثابت من قيمة عملهم وان كان هو الاخر جزءا يسيرا — اذ لم يكن يدور فى خلدهم أن يحصل الانسان على جزء من نتاج عمله .

وقد استغلت شركات البترول الاستعمارية والسلطات الاستعمارية البريطانية هذا الواقع الى أبعد حدود الاستغلال ، وشغلت « عبيد البحر » هؤلاء بأزهد الاجور ، وفى أكثر ظروف العمل سوءا ، فكانت أجرة العامل فى بداية العمل فى البترول لاتتعدى ١٠ آنات اى مايعادل ستةقروض مصرية .

واتبعت شركة نفط البحرين « بابكو » ، وهى أول شركة نفط عملت فى المنطقة ، سياسة الابقاء على هذا الشكل من الاستغلال لاطول مدة ممكنة . وذلك بعدم فتح المجال أمام أبناء البلاد

لدخول هذه الصناعة الا في حدود معينة وتحت الحاح حاجتها لتسيير عمليات الانتاج ، وبالقدر الذي يوفر عليها الاجور الباهظة للايدي العاملة الاجنبية ٠

وحتى الان ، فان العامل الفني البحراني في شركة بابكو يتقاضى خمس الراتب الذي يتقاضاه الاجنبي نظير نفس العمل ، وفي أحسن الحالات يتقاضى الربع ٠

وتسير مختلف الشركات الاحتكارية العاملة في منطقة الخليج على نفس النهج ٠ وعلى سبيل المثال فان أحدث شركة احتكارية وصلت الى المنطقة وهي « شركة الومنيوم البحرين » (آلبا) ، وهي احتكار يضم شركات بريطانية والمانية غربية وامريكية وسويدية ، تعطي عامل المصهر وهو يواجه درجة حرارة تصل الى ٣٠٠٠ درجة فرنهايت ، ويعمل في ظروف عمل تنعدم فيه تماما شروط الامن الصناعي ٠٠ وتعطيه أجرا مقداره ٤٥ دينارا ٠ وهذا المبلغ في قيمته الفعلية يعادل ١٥ جنيها مصريا ٠٠ اي انه لا يوفر من الحاجيات الامقدار ما يوفره الـ ١٥ جنيها في مصر بسبب ارتفاع نفقات المعيشة وغلاء أجور السكن والمواد الاستهلاكية الضرورية ٠

ان الخريطة الاجتماعية لمجتمعات الخليج ، تتغير بسرعة متزايدة ٠ ففي أهم مناطق الخليج ، مثل البحرين وقطر ودبي تلاشت العلاقات القبلية ، وانعدمت تماما في البحرين ٠ وصارت الطبقة العاملة الفتية تحتل الجزء الاكبر من الخريطة الاجتماعية ، وبدأت تعي حقيقة وضعها ، وتناضل بصبر وجلد من أجل وضع حد لاستغلالها الرهيب ، ومن أجل تحسين شروط العمل ورفع مستوى الاجور ٠

ومنذ الستينات شهدت منطقة الخليج اتساعا كبيرا في عدد الاضرابات التي يشنها العمال في مختلف الشركات وفي مختلف أجزاء المنطقة ٠ وفي بداية هذا العقد شهدت عمان أول اضراب عمالي في تاريخها ٠ وضربت البحرين رقما قياسيا في عدد الاضرابات في عام واحد ٠ ففي العام الماضي ١٩٧٠ وحده شهدت البحرين أربعة اضرابات كبيرة في شركة طيران الخليج وشركة البرق واللاسلكي ولدى مقاولي انشاء مصنع الالومنيوم وفي دائرة الصحة ٠ وكان أهمها اضراب شركة طيران الخليج والالومنيوم ، اللذين تميزا بمستوى مرتفع من التنظيم وبوحدة العمال وتماسكهم ، وقبل كل شيء بوعي الطبقة العاملة الذي مكنها من افشال كل عمليات الاستفزاز والتخريب التي مارستها السلطات الحاكمة والشركات الاحتكارية ضد حركتها ووحدتها ٠

وأهمية هذا التطور تتمثل في كونه يعطي الدلالة على أن الطبقة العاملة ، وهي العمود الفقري لحركتنا الوطنية ، قد بدأت تلعب دورها في مقارعة الوجود الاستعماري واحتكاراته ٠ ومن ناحية أخرى فانه يثبت القدرة على افشال مخططات المستعمرين لابقاء هذه المنطقة ـ كما كانت ـ خاضعة لنفوذهم وأسيرة للتخلف والقهر ٠

فطوال السيطرة الاستعمارية البريطانية على منطقة الخليج والممتدة لاكثر من قرن ونصف من الناحية الرسمية ، أي منذ توقيع ما سميت بمعاهدة الصلح الشاملة في عام ١٨٢٠ ، حاولت سلطات الاستعمار البريطاني الحفاظ على تخلف هذه المنطقة بكل طاقاتها ، ووقفت بحزم وبعنف ضد اي محاولة مهما كانت صغيرة ، لتطويرها ٠ وكانت تضيق بأي من الحكام اذا ما حاول مجرد مناقشتها فتسارع الى استخدام « دبلوماسية البوارج » ٠ وكانت القاعدة التي على أساسها أن يتصرف الحاكم ويجب أن يفهمها جيدا هي « **الخضوع التام يعني التحسن في العلاقات مع بريطانيا ، وعدم الخضوع التام يعني القطيعة** » ٠

وتعني القطيعة في سياسة بريطانيا ، أن تخلع الحاكم الغير خاضع تماما وتأتي بآخر يفهم هذه القاعدة أحسن من سابقه ويتصرف بمقتضاها ٠ وهكذا استجمعت السلطات الاستعمارية كل زمام الامور وكل مقدرات هذه المنطقة وشعوبها في يدها ٠ ولا يستطيع أحد من عملائها أن يتحرك قيد أنملة الا بأوامر المقيم البريطاني أو المعتمد البريطاني ، ووفق مخططات الاستعمار البريطاني ٠

ومحرم على المواطنين الاتيان بأي عمل يفتح ولو ثغرة بسيطة في جدار تجميد الاوضاع ٠ وهكذا حاربت بريطانيا محاولة الاهلين لاقامة مدارس لتعليم ابنائهم القراءة والكتابة ٠

وعندما نجح أهالي البحرين في اقامة أول مدرسة اهلية بعد نضال شاق ، لم تنج هذه المدرسة الابتدائية من ملاحقة السلطات الاستعمارية فقامت باعتقال مدرسيها السوريين ، ونفتهم خارج البحرين ٠ واحتجاجا على هذا الاعتداء السافر على حق المواطنين في التعليم قامت أول مظاهرة

في تاريخ البحرين ، وكان ذلك عام ١٩٢٨ (٦) .

ان شعب الخليج العربي ، والبحرين نموذج حي له ، ومنذ بدء الاحتلال البريطاني ، كان يقاوم هذا الاحتلال بكل ما يملك من امكانية وتحت ظل التخلف والقهر والتسلط .

وفي عام ١٩١٠ بدأت مقاومة هذا الشعب تأخذ طابعا منظما ومدروسا ، ويروي الريحاني في « ملوك العرب » قصة هذه الحركة وكيف أن المعتمد البريطاني كان ضد أي مطلب من مطالب الاهالي التي يصفها الريحاني بأنها ولا شك عادلة وعندما اضطر الشيخ عيسى بن علي على الموافقة على هذه المطالب لم يغفر له الانجليز اضطراره فعزلوه ونصبوا ابنه مكانه .

ان عام ١٩١٠ يحق لنا أن نصفه بأنه عام بداية قيام الحركة الوطنية في الخليج العربي . وقد شهد هذا العام عقد أول مؤتمر وطني من نوعه يشهده الخليج ، عقد في البحرين ، وأجمع الحاضرون فيه على عدة قرارات كان من بينها المطالبة بانتخاب مجلس شورى من عموم أهل الوطن ينظر في مصالح البلاد ، وتشكيل محكمة من أربعة أعضاء ، عالمين بأمر الغوص للنظر في جميع دعاوى الغوص ، ووقوف القنصل عند نص الاتفاق بين الحكومة البريطانية وحكومة البحرين فلا يتدخل في الامور الداخلية . وانتخبوا لجنة من ١٢ شخصا « لاجل القيام بهذا الامر والمطالبة بتحقيقه بكل الوسائل المشروعة » (٧) .

وكان أول رد فعل للاستعمار البريطاني أن اعتقلت سلطاته الشيخ عبد الوهاب الزياني زعيم الحركة وأحمد بن لاحج ونفتهما الى الهند دون محاكمة .

وفي عام ١٩٢٤ أتت الحكومة البريطانية الى البحرين باستعماري عريق ، خدم في واحة سيوه وفي جنوب السودان وتنجانيقا في أفريقيا الشرقية هو تشارلس بلكريف واخترعت له منصبا جديدا هو مستشار حكومة البحرين . وعممت الفكرة بعد ذلك على بقية الامارات .

وسرعان ما أصبح هذا المستشار الحاكم المطلق ، مستلما في يده جميع شئون البلاد ، فهو

معاهدة ١٨٢٠

وتسمى هذه المعاهدة بالمعاهدة العامة مع القبائل العربية وقد فرضتها بريطانيا على شيوخ الخليج بعد قيام الاسطول البريطاني بقذف رأس الخيمة وحرق السفن العربية الراسية في مينائها ، وبموجب هذه المعاهدة وتحت ستار مكافحة القرصنة ، اخضعت بريطانيا مشايخ الخليج بشكل نهائي ، وفرضت عليهم العلم الاحمر بالحاشية البيضاء ، وأن تشرف السلطات البريطانية على كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالبحار .. وقد فتحت هذه المعاهدة الباب لفرض عشرات المعاهدات الاسترقاقية الاخرى فيما بعد .

قومندانا للشرطة ورئيسا للمالية ورئيسا للقضاء في المحاكم ومشرفا عاما على جميع الدوائر الاخرى كالصحة والمعارف والاشغال العامة والقاصرين والاوقاف والجمارك والبلديات ... الخ .

واتجه الاستعمار البريطاني ، ممثلا في المستشار ، نحو تطبيق سياستهم العتيدة « فرق تسد » فعمل على بذر بذور التفرقة بين الطائفتين الطائفة السنية والطائفة الشيعية ، وكانتا قبل ذلك تعيشان في وئام وسلام .

لقد أجج الاستعمار البريطاني الصراع الطائفي ، فتطور الى « حرب » طائفية لعينة وصلت لحد الاصطدامات الدموية في الاعوام ٥٠ - ١٩٥٤ . وكان المستعمرون الانجليز يعتقدون أن الحرب الطائفية ستشغل الجماهير وستحرف أنظارها عن الاوضاع السيئة التي تعيشها والظلم والنهب الذي تعانيه في البحر والبر (في البحر على ايدي اقطاعيي البحر ، وفي البر على ايدي اقطاعيي البر من آل خليفة وأشكالهم ، والذي وصل في البر لحد تعميم السخرة) .

واذا نجح المستعمرون مؤقتا في زرع وتطوير الصراع الطائفي ، معتمدين على التخلف الاجتماعي ، وتدني الوعي ، وانعدام القيادة

[٦] يوسف الفلكي « قضية البحرين بين الماضي والحاضر » ص ٦١
[٧] يوسف الفلكي « قضية البحرين بين الماضي والحاضر »

السياسية لدى الجماهير ، فانهم قد غفلوا عن حقيقة أساسية وهي أن أسس هذا الصراع واهية ومختلفة وانه كان على نقيض تام مع المصالح الاقتصادية والحياتية لكلا الطائفتين · فالمصالح الاقتصادية لابناء الطائفتين متداخلة ويكمل بعضها البعض فهذا يزرع وهو من طائفة ، ومستهلكو انتاجه من الطائفة الاخرى ، وهذا تاجر من طائفة وزبائنه من الطائفة الاخرى · ويلتقى أبناء الطائفتين في العمل الواحد ويواجهون نفس الاستغلال والاضطهاد ، ويجلس أبناؤهم على نفس المقاعد فى المدارس ، أضف الى ذلك أن أبناء الطائفتين وخاصة في المدن يتجاورون فى السكن · ان ذلك كله حتم على الجميع التساؤل لمصلحة من يجرى هذا الصراع ؟!

وقد لمس الكل أن الاستعمار البريطاني هو الذي وراء هذا الصراع وهو الذي يغذيه ويؤوره·· وشعروا أن مصيرهم ومصير وطنهم مهددان بالخطر والدمار ·

ونتيجة لاجماع الشعب على ضرورة وضع حد للصراع الطائفي وكذلك للاستبداد الاستعماري ، قامت حركة ٥٤ – ١٩٥٦ المعروفة باسم « حركة الهيئة » ·

فعقد اجتماع شعبي كبير في احد مساجد العاصمة « المنامة » « أقسم الحاضرون فيه يمين الاخلاص للوطن ونبذ التفرقة والطائفية والتضحية لنيل المطالب مهما كلف الثمن » (٨) · وتمخض هذا الاجتماع عن اختيار مائة من أفراده لتمثيله فى هيئة تأسيسية دائمة · وانتخبت هذه الهيئة ، هيئة تنفيذية عليا من ثمانية أعضاء · ومن هنا جاء اسم الحركة « حركة الهيئة » نسبة الى قيادة هذه الحركة وهى « الهيئة التنفيذية العليا » التى تغير اسمها فيما بعد الى « هيئة الاتحاد الوطني » ·

لقد كانت حركة الهيئة ممثلة لكل طبقات الشعب البحراني ، وهى وان كانت تتربع على قمتها طبقة البورجوازية الا أن جميع الفئات الاخرى كانت مشاركة فيها ، ومدعمة لها ·

وبرغم التفاف الشعب بكامله حول الهيئة ودفعه لها لاتخاذ مواقف أكثر ثورية وأكثر تحديدا فى معاداة الاستعمار ، الا أن قيادة الهيئة بتركيبها الطبقي لا يمكنها الا أن تكون حركة اصلاحية ، ففى أول خطوة اتخذتها وهى ارسال رسالة لحاكم البحرين ضمنتها مطالبها ، جاء فيها « نود أن نؤكد أن المطالبة بهذه الاصلاحات لا ترمى الى المس بمركز حاكم البلاد ، كما أنها لا تتعارض مع مصالح الدولة البريطانية والعلاقات الودية معها » ، وكانت مطالب الهيئة تتلخص فى تأسيس مجلس تشريعي ، ووضع قانون عام للبلاد جنائي ومدني واصلاح المحاكم ، وتأسيس محكمة عليا للنقض والابرام وتأليف مجالس للصحة والمعارف والبلديات ·

ولكن السلطات الاستعمارية رفضت هذه المطالب رفضا باتا منذ البداية · وأمام وحدة الشعب واصراره والتفافه حول حركة الهيئة ، وقد عبر عن ذلك في الاضرابات الشاملة التى نفذها بناء على طلب الهيئة ، تراجعت السلطات الاستعمارية قليلا وأخذت تنهج أسلوب المراوغة والتسويف تجاه قيادة الهيئة التنفيذية العليا ، فيستقبلهم الحاكم ويحيلهم على المستشار بلكريف ، ويستقبلهم بلكريف ويحيلهم الى الحاكم وهكذا ··

وأمام تزايد الضغط الشعبي ، اضطرت السلطات الاستعمارية الى التراجع قليلا ، فاعترفت بالهيئة كمنظمة سياسية على أن تغير اسمها فغيرته الى « هيئة الاتحاد الوطني » واستمرت فى المماطلة والمراوغة بالنسبة لتحقيق مطالب الحركة بهدف كسب الوقت لاعداد أجهزة قمعها وتهيئتها للمواجهات الساخنة مع حركة الشعب الوطنية ·

وانتهز الاستعمار البريطاني ظروف العدوان الثلاثي على مصر ، وانفجار حقد الشعب ضد المصالح الاستعمارية البريطانية ، فقام بانزال عسكري واحتل مدن وقرى البحرين ، فقامت قوات الاحتلال بحملة اعتقالات واسعة شملت المئات من الوطنيين وفى مقدمتهم قيادة هيئة الاتحاد الوطني · فنفوا ثلاثة منها الى جزيرة « سنت هيلانة » وسجنوا اثنين آخرين لمدة عشر سنوات ودفوا عشرات آخرين الى المناطق المجاورة ·

وهكذا ضربت حركة الهيئة ، وانتهى بذلك عهد المطالبات العلنية ·· أو النضال العلني ، وبدأت تقوم فى البحرين المنظمات السرية ·

لقد كانت حركة الهيئة ، بكل سلبياتها ، حركة وطنية ، مؤيدة تأييدا كبيرا من قبل أوسع جماهير الشعب · وكونها حركة وطنية ومؤيدة شعبيا ، فرض عليها ان تكون معادية للاستعمار سواء أعلنت ذلك أم لم تعلنه ، وبالرغم من تصريحات بعض قادتها – بل وبيانها رقم ١ – بأنها حركة سلمية وغير معادية لبريطانيا ·

[٨] يوسف الفلكي « قضية البحرين بين الماضي والحاضر » ص ٨٨

ان التفاف الشعب المعادى للاستعمار حولها ، قد حولها رغما عنها الى حركة معادية للاستعمار ، وعرضها للتغيير وهيأها لان تلعب أدوارا تختلف عن تلك التي رسمتها لنفسها ، وكان ممكنا أن تستلمها عناصر أخرى ، تكون أكثر تعبيرا عن موقف الشعب المعادى للاستعمار • وقد بدأ هذا التطور يأخذ مجراه ، وذلك بالاتصال بمصر وبالارتباط بشكل أو بآخر بالثورة العربية ، وبمظاهرات ١٩٥٦ التى فقدت الهيئة سيطرتها عليها تماما منذ اليوم الاول •

ومن هنا أحس الاستعمار البريطاني بأن الامور بدأت تأخذ منحى آخر ، وتتجه فى الطريق الذى يصعب عليه بعد ذلك منعها من المضى فيه • ولكى لا تتطور الامور وتخرج من أيدى القيادة الحاليين « الغير خطرين نسبيا » بالنسبة للاستعمار ، فالمهمة العاجلة هى ضرب هذه الحركة •• ووجد فى ظروف العدوان الثلاثى الفرصة الملائمة لتحقيق ذلك •• وفعل •

وبالاضافة لهذا السبب الرئيسى فى ضرب حركة الهيئة ، فان هناك عدة أسباب أو عوامل ذاتية ساعدت على ضربها ، مثل عدم الوضوح الفكرى وعدم وجود برنامج سياسى ، وعدم وجود خطة عمل حتى لاسبوع قادم ، ثم الخليط فى قيادة الهيئة • تلك التشكيلة — التى ضمت فيما ضمت عناصر على اتصال بالمخابرات أو بالسلطات الاستعمارية •

وعلى اى حال ، فان حركة الهيئة هى ابنة مرحلتها •• ففى تلك المرحلة من نضال شعبنا لا يمكن أن تكون الا حركة الهيئة بتكوينها وطبيعتها وبالطبقة التى تربعت على قمتها وهى البرجوازية السمسار للامبريالية (الكمبرادور) •

ولذلك فانه فى أحداث عام ١٩٦٥ التى شهدتها البحرين والمعروفة بانتفاضة مارس ، لم تقم « حركة هيئة » أخرى • بل قادت انتفاضة مارس الشعبية الواسعة ، المنظمات الوطنية السرية التى قامت على أنقاض حركة الهيئة •

وان من عايش الحركتين ليدرك بكل وضوح الفرق الكبير بينهما • فمع أن الفاصل الزمنى بين ١٩٥٤ و ١٩٦٥ أكثر من عشر سنوات ، ومع أنه خلال هذه السنوات عاشت البحرين فى ظل حالة الطوارىء — وحتى الان — مارس جهاز القمع خلالها شتى أنواع الارهاب والقمع والتشريد والتنكيل ضد الشباب الوطنى البحرانى ، وظن أنه تمكن من القضاء على الحركة الوطنية وقتل الحس الوطنى •• مع كل ذلك فان انتفاضة مارس جاءت أكثر نضجا وأعمق وعيا ، وكان الدور الاول فيها للشباب من الطلاب والعمال ، وكانت المشاركة الشعبية فيها أوسع بكثير عن ١٩٥٦ • وقد شاركت فيها بشكل نشط وواسع — ولاول مرة — الفتاة والمرأة البحرانية • وكانت رؤيا هذه الانتفاضة وأهدافها أكثر وضوحا ، ومعاداتها للوجود الاستعمارى والحكم القبلى أكثر تحديدا وحسما • وأظهرت بوضوح تخلى البرجوازية التى تحولت كاملا الى برجوازية كمبرادورية • عن الحركة الوطنية •

ان حديثنا عن الحركة الوطنية فى البحرين لا يعنى ان الاجزاء الاخرى من الخليج لم تقم فيها حركات وطنية ، وانما لان الحركة الوطنية فى البحرين كانت أوضح من غيرها وتوفر المعلومات عنها كان أكثر •

ولقد شهدت كل أجزاء الخليج انتفاضات وهبات وطنية لم يسجل منها الا تلك الحركات الكبيرة مثل **حركة المجلس فى الكويت ، وحركة ١٩٦٣ فى قطر ، وثورة الشعب العمانى ودفاعه المسلح المستميت أمام الغزو البريطانى المسلح فى عام ١٩٥٧ • وثورة التاسع من يونيو سنة ١٩٦٥ والتى لاتزال تتحدى الوجود الإستعمارى وتناضل من جبال ظفار •**

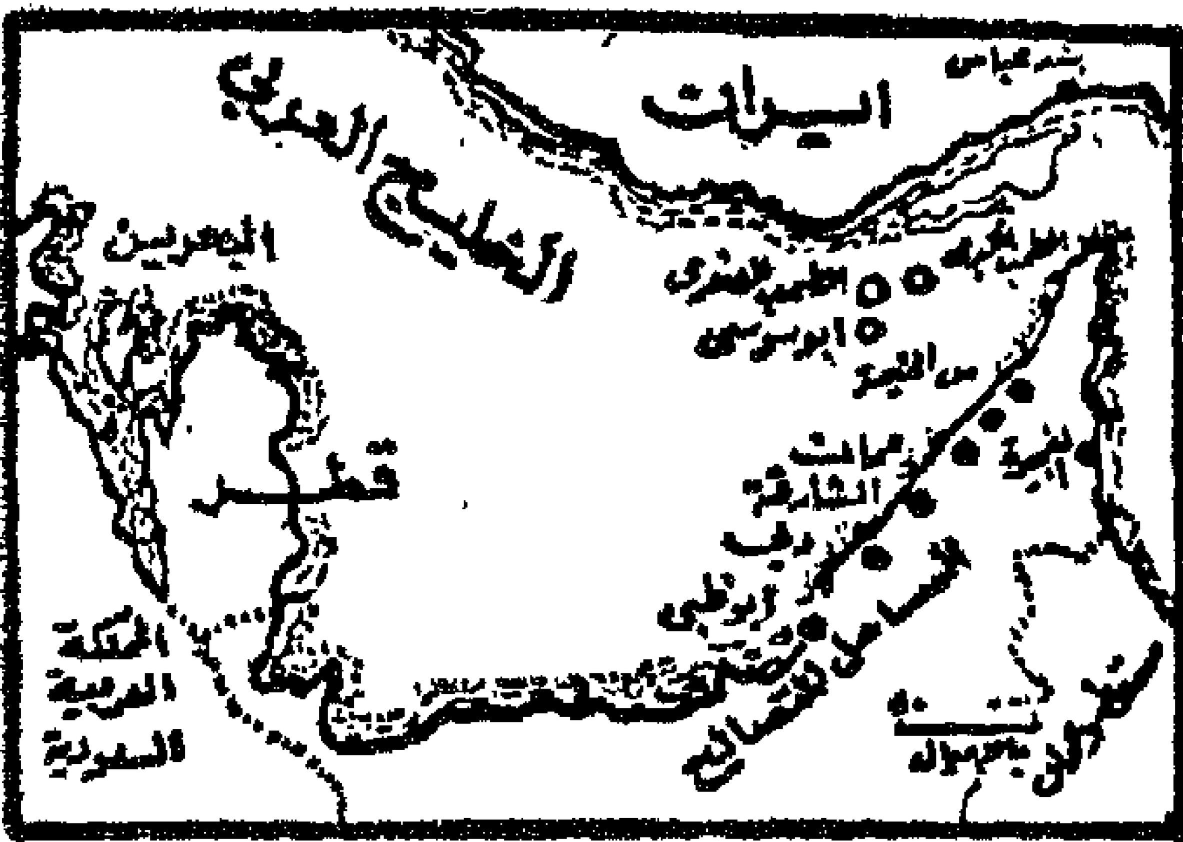
اما حركة قطر فى عام ١٩٦٣ والتى قادها **ناصر المسند** ورفاقه فانها شبيهة لحد كبير بحركة الهيئة فى البحرين •• نفس الطبقة •• نفس العقلية ويكاد يكون نفس الاسلوب ، مع فارق أن الانجليز قد استفادوا من تجربة حركة الهيئة ، على عكس قادة حركة قطر الذين لم يستفيدوا من هذه التجربة ، فضربت حركتها بسرعة ، وأجهضت فى فترة زمنية قصيرة ، فى الوقت الذى امتدت فيه حركة الهيئة فى البحرين الى ثلاث سنوات • مع فارق جوهرى آخر وهو مدى التفاف الشعب حول الحركة فكان فى البحرين أوسع بكثير عنه فى قطر •

وحركة المجلس فى الكويت هى الاخرى تماثل حركة عبد الوهاب الزيانى فى البحرين عام ١٩٢٨ •

وان التفاوت فى قوة واتساع اى من هذه الهبات والانتفاضات يرجع الى التفاوت فى درجة تطور كل جزء من أجزاء المنطقة • وقد لعبت التجزئة التى فرضها الاستعمار البريطانى على المنطقة ، وعزل بعضها عن بعض ، لعبت الدور الاول فى ايجاد التفاوت والاختلاف فيما بين أجزاء منطقة الخليج •

التوسـع الايرانى فى الخليـج العـربى

المخـطط والأساليب



امارات الخليج العربى مبعثرة على الساحل المتصاحل ، وامالها على الجانب الاخر ، ايران بكل ما تمثله من طموح وامل فى السيطرة والتوسع • وفى مدخل الخليج الجزر العربية الثلاث التى احتلتها ايران : ابو موسى والطمب والصغرى والكبرى •

فهمى هويدى

منذ اكثر من قرن ونصف قرن من الزمان وعيون ايران على أمارات الخليج العربى ، لم تغمض مرة واحدة • بل كلما مضت السنوات، كلما ازدادت هذه العيون تركيزا على منطقة الخليج ورصدا لما يجرى فيها • ويكفينا هنا أن نستعيد بعض كلمات المذكرة التى قدمتها ايران الى بريطانيا فى سنة ١٨٤٤ ، على لسان رئيس وزرائها « حاجى ميرزا » ، أثناء جدل أثير بين « فارس » والمملكة المتحدة ، حول ملكية امارة البحرين • يكفينا ان نستعيد بعض هذه الكلمات ليتحدد أمامنا بوضوح ، الموقف الايرانى من امارات الخليج •

تقول المذكرة : « ان الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة ان الخليج الفارسى من بداية شط العرب الى مسقط ، بجميع جزائره وموانيه بدون استثناء ينتمى الى فارس ، بدليل ان الخليج يسمى بالفارسى » !

منذ ذلك الوقت ، وقبله ، والرصد الايرانى لما يجرى فى الخليج متصل ، يتحين الفرص لاقتناص جزر الخليج والوثوب عليها ، ولا تمر مناسبة الا وتعلن ايران عن « حقوقها التاريخية » فى تلك المنطقة العربية •

ولفترة طويلة ، ظلت هذه الادعاءات الايرانية

تلاحق جزر البحرين بالحاح واصرار ، وبعد ما سقطت كل ادعاءات ايران فى البحرين ، اضطر الشاه لان يعلن أن بلاده « تنازلت » عن حقوقها فى جزر البحرين ، ثم انتقل التركيز الايرانى الى الجزر الثلاث فى مدخل الخليج (أبو موسى ـ وطومب الصغرى وطومب الكبرى) . وبدا ان ايران مصرة على أن تثبت حقوقها التى زعمتها فى تلك الجزر ، وبلغت المأساة ـ بل المهزلة ـ ذروتها عندما قامت القوات الايرانية باحتلالها وسط مظاهرة عسكرية كبيرة فى يوم ٢ ديسمبر الماضى ، عشية اعلان قيام دولة اتحاد الامارات العربية .

ماذا تريد ايران من الخليج العربى ؟ وماذا وراء هذا الاصرار الغريب على ادعاء « الحقوق » والمطالبة بفرض السيادة على جزر هذه المنطقة ؟

ان كل المصادر ـ حتى الغربية منها ـ تجمع على أن ايران تطمع فى مزيد من النفوذ والثروة ، وتريد فوق ذلك ، أن تشغل الرأى العام الداخلى بقضايا ومنازعات خارجية ، لتلهيه عن واقعه ، الذى يئن تحت وطأة الاقطاع واستغلال الاحتكارات الغربية والامريكية .

تريد ايران ايضا أن تؤمن نفسها ، والمداخل المؤدية اليها ، من التأثر بتيارات الثورة الزاحفة فى منطقة الخليج ، وخاصة تلك الرياح التى تهب على منطقة **مسقط وعمان** ، حيث يتجمع الثوار فى **ظفار** ويسعون الى تحرير بلادهم من حكم السلاطين ، والتبعية الاجنبية . وتعتبر ايران هذه التيارات خطرا **ينبغى أن تصده** ، خاصة وأنها ليست بعيدة عن مضيق هرمز ـ فى مدخل الخليج العربى ـ الذى تمر فيه كل ١٢ دقيقة تقريبا ناقلة بترول ايرانية . ومنه يعبر كل عام حوالى ٢٢٠ مليون طن من « الذهب الاسود » الايرانى الى العالم الخارجى .

وربما كان هذا الاعتبار ، هو الذى دفع **صحيفة « آين دنيا »** الايرانية الى ان تقول فى اليوم التالى لاحتلال الجزر العربية الثلاث : ان ايران تملك الان فى يديها مفتاح « الخليج الفارسى » .

وبهذا التصور لاهداف ايران فى الخليج العربى ، فاننا نستطيع أن نقول ، بيقين لا يرقى اليه شك ، ان اطماع ايران فى منطقة الخليج لن تقف عند حد . وان احتلالها للجزر الثلاث لن يشبع رغبتها او يرضى طموحها . بل ان السهولة التى تمت بها تلك المهزلة ، قد تشجعها على تنفيذ مخططاتها بغير ابطاء .. اين ؟ ومتى ؟ .. ذلك ما ستكشف عنه الشهور او السنوات المقبلة .

هزيمة ٦٧ وانعكاساتها على الموقف فى الخليج

غير أن هناك ظروفا اخرى ينبغى أن نضعها فى الاعتبار ، شكلت فى مجموعها « اغراءات » لايران لكي تنفذ مخططاتها ، وتكشف جانبا من أوراقها ، بغير حرج ولا تردد . وهذه الظروف هى :

اولا : الهزيمة التى لحقت بالعرب فى يونيو ٦٧ ، والتى ترتب عليها أن شغلت القوى العربية الحقيقية ـ وعلى رأسها مصر ـ بالاعداد والسعى لتحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلى . وبقدر ما كان ذلك عملا ايجابيا هنا فى المنطقة التى تواجه العدو الاسرائيلى ، فقد اعتبر انشغال القوى العربية بالاعداد لمعركة التحرير ، عاملا سلبيا فى منطقة الخليج .

ونعنى بذلك أن الهزيمة فضلا عن انها ايقظت اطماع ايران فى الخليج ، فانها ادت فى الوقت نفسه الى غياب الوجود العربى الحقيقى فى تلك المنطقة البعيدة عن ساحة الصراع العربى الاسرائيلى .

ثانيا : عدم وجود سياسة عربية واضحة تجاه قضايا الخليج العربى ، ليس فقط لان بعض الدول العربية لها مصالح وآمال فى منطقة الخليج (مثل المملكة العربية السعودية) ولكن أيضا بسبب تفتت الجبهة العربية ، واختلاف مواقفها .

ثالثا : انسحاب القوات البريطانية من منطقة الخليج ، تنفيذا للعهد الذى قطعته حكومة العمال على نفسها ، بأن يتم الانسحاب قبل نهاية عام ٧١ . وقد تصورت ايران ان الانسحاب البريطانى سوف يترك فراغا فى المنطقة ، يتعين عليها أن تسده على الفور ، باعتبارها اقوى الدول المطلة على الخليج العربى .

وقد اعتبرت صحيفة « **الفاينانشيال تايمز** » البريطانية فى عددها الصادر يوم ٢ ديسمبر ٧١ ، ان ايران باحتلالها للجزر العربية الثلاث قد « سبقت بمدافعها مدافع الاخرين » .

رابعا : التزام بريطانيا بتنفيذ السياسة التى اتبعتها فى معظم المناطق التى احتلتها . ونعنى بذلك « **مسمار المشاكل » الذى تدقه بريطانيا قبل رحيلها** ، والذى رأيناه فى كل بلد تركته بريطانيا .. من الهند الى نيجيريا ، الى فلسطين ، الى قبرص .

خامسا : التفتت العربى الظاهر فى منطقة

الخليج العربي ، حيث يوجد ١٢ كيانا سياسيا ، سواء كانت هذه الكيانات امارات صغيرة ، او دولا أكبر منها بقليل · وليت هذه الكيانات منفصلة فحسب ، بل انها مختلفة ومتنازعة فوق ذلك ·

لم ندخل فى التقدير هنا اتحاد الامارات العربية، الذى يضم الان ٧ امارات، باعتبار أنه حديث التكوين ومحدود التاثير نتيجة لذلك ، خاصة وان اعلان قيامه قد تم فى ٣ ديسمبر الماضى) ·

فلا زالت هذه الامارات على خلاف فيما بينها بالنسبة للحدود . ذلك أن ظهور البترول فى الخليج أثار مشكلة جديدة فى المنطقة ، الا وهى ملكية مئات الجزر غير المسكونة التى كان يتردد عليها الصيادون والغواصون ، دون أن يهتم أحد باثبات حقه فى ملكيتها · بعد البترول أصبح من الضرورى تحديد ملكية كل شبر فى منطقة الخليج ، لان بئرا واحدة غنية فى ذلك الشبر يمكن ان تغير من حال أية امارة ، وتقلب أوضاعها ·

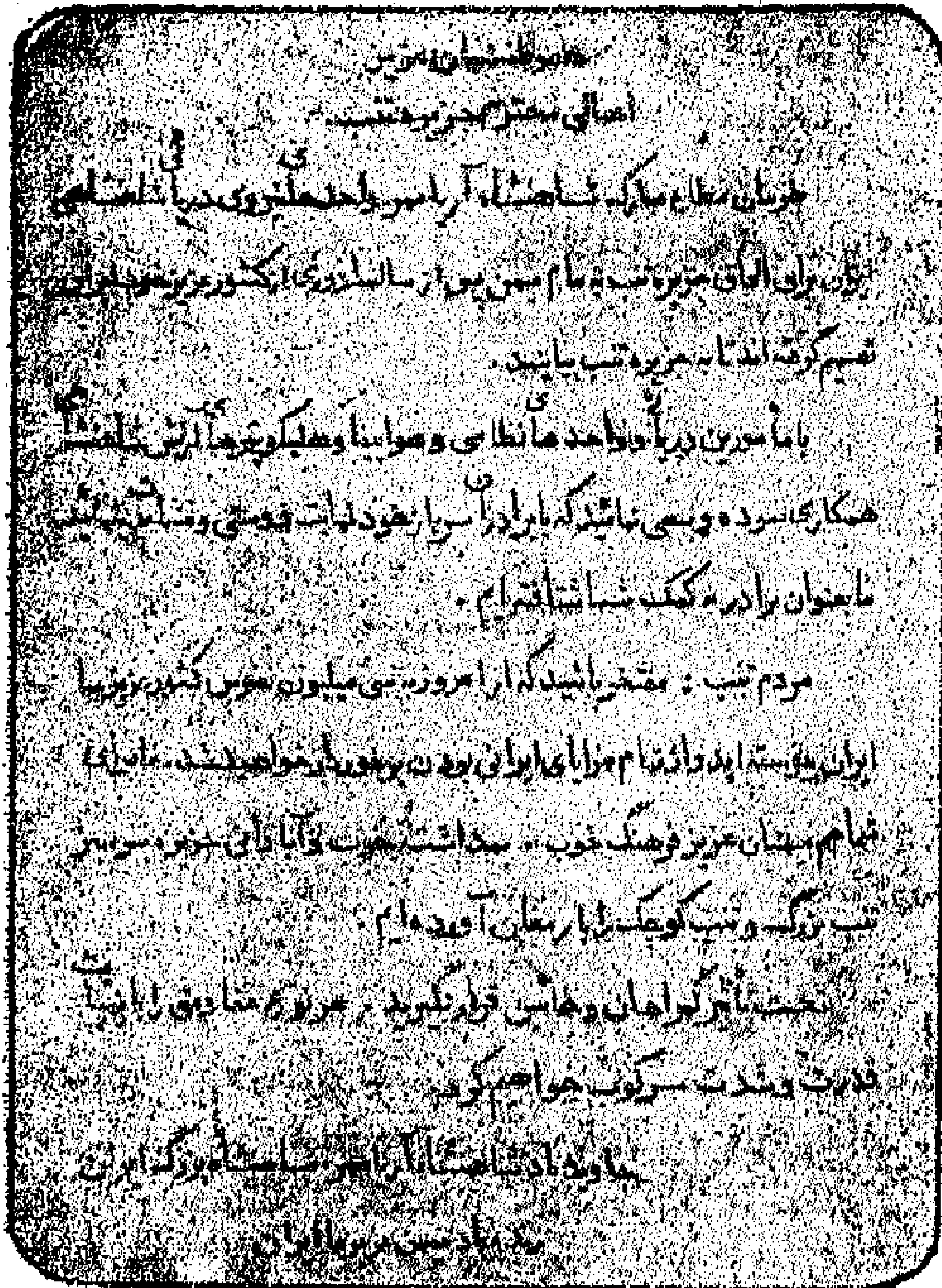
مثلا ، هناك نزاعات بين **البحرين وقطر** حول جزيرتى **زيارة وحوار** · وثمة نزاعات وحزازات قديمة بين **أبو ظبى ورأس الخيمة** · وقطر تطالب أبو ظبى بمنطقة **خور العديد** ، بينما تطالبها دبى **بخور غناتة** ·

أيضا هناك نزاع لم يحسم بين السعودية وابو ظبى حول **واحة البوريمى** ، بل ان السعودية اعدت خريطة جديدة ـ عرضتها فى آخر مفاوضات جرت مع أبو ظبى ـ تطالب فيها بحوالى ٦٠ فى المائة من مساحة الامارة الحالية · (النزاع له صلة بالمنافسة بين شركة ارامكو الامريكية التى تنقب عن البترول فى السعودية ، وشركة بابكو الانجليزية العاملة فى أبو ظبى ، حول مناطق التنقيب وحدود امتياز كل منها) ·

الخلاصة : انه فى مواجهة هذه الكيانات السياسية المتعددة بل والمتنازعة تقف ايران ككيان سياسى واحد ، محاولة الاستفادة من هذا الوضع الممزق لصالحها ·

وينبغى هنا ، أن نسجل دور بريطانيا فى الابقاء على هذه الكيانات الممزقة ، بل وتعميق خلافاتها ، طوال ١٥٠ عاما ، هى عمر الاحتلال الانجليزى لتلك المنطقة ·

سادسا : ثمة اعتبار آخر له قيمته فى « اغراء » ايران بتنفيذ مخططاتها التوسعية فى الخليج ، الا وهو القوة الايرانية ذاتها · فقد تلقت ايران من الولايات المتحدة عددا من طائرات الفانتوم يزيد على العدد الذى حصلت عليه اسرائيل ، وهى الدولة الوحيدة ـ الى جانب فورموزا ـ التى حصلت على هذا النوع من قاذفات القنابل · وقد وضعت واشنطن ، التى تزود الطيران الايرانى بكل احتياجاته ، وكذلك القوات البرية بكل لوازمها



المنشور الذى القته طائرات الهليكوبتر الايرانية على الجزر الثلاث قبل انزال القوات .. بالايرانية كتب ، ولا احد فى الجزر يعرفها ·

تقريبا ، تحت تصرف الشاه ما يزيد على ٥٠٠ ضابط ، أكثرهم من كبار العسكريين . وذلك فضلا عن أن بريطانيا بدورها قد وافقت على التنازل لطهران عن الف دبابة تقريبا من مختلف الاحجام · وهى الدبابات التى رفضت بيعها للجمهورية الليبية · وقد خصصت ايران فى العام الماضى نصف دخلها من البترول ، أى نحو مليار دولار ، للنفقات العسكرية (لوموند الفرنسية ـ عدد ٢ ديسمبر ٧١) ·

هذه القوة الايرانية ، التى تستعرض نفسها فى كل مناسبة أمام حكام امارات الخليج ، او فى أثناء زياراتهم لطهران ، عززت بغير شك الاتجاه التوسعى لايران فى الخليج . حيث لن تواجه أكثر من بنادق من بقايا الحرب العالمية الثانية ، او مدافع رشاشة ، او طائرات « هنتر » البريطانية ، على أحسن الفروض ·

بصمات التواطؤ الأمريكى البريطانى مع ايران

على أن هذه الاعتبارات كلها فى جانب ، و « **التصريح** » **الامريكى البريطانى لايران** « **بالعمل** » **فى الخليج ، فى جانب آخر** ·

وقد كانت صحيفة **لوموند** الفرنسية صريحة فى

كشف هذا الموقف ، عندما كتبت فى عددها الصادر فى ٢ ديسمبر أيضا ، ما نصه : ان المساندة القوية التىتقدمها امريكا والدول الغربية لايران ، لاتمليها اعتبارات اقتصادية تتعلق بايران ذاتها ، بقدر ما تنبع من مصالح اقتصادية وسياسية للندن وواشنطن فى منطقة الخليج .

ويشير كاتب المقال الى تصريح لاحد كبار الدبلوماسيين الامريكيين قال فيه : ان منطقة الخليج « الفارسى » تعد أكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة ، مما كانت عليه منطقة السويس فيما مضى » .

والمعروف أن منطقة الخليج تحتوى على أكبر احتياطى من البترول فى العالم · وتضمن لاوروبا واليابان امكانيات الحفاظ على صناعاتها · (تنتج المنطقة حوالى ٢٧ فى المائة من بترول العالم اذا اضفنا اليها انتاج السعودية) · ومن الخليج تحصل الشركات التى تتمتع بامتياز التنقيب عن البترول ـ ومعظمها امريكية ـ على أرباح مذهلة · خاصة وان تكاليف التنقيب عن البترول تقل عشر مرات عن تكاليفها فى المنطقة الغربية ، وذلك فضلا عن انامارات الخليج تقدم للدول الصناعية الكبرى عوائد كبيرة من العملات على هيئة استثمارات وشراء المواد الاستهلاكية ·

وتضيف « **لوموند** » : ان امارات الخليج العربية قليلة السكان ، وضعيفة من الناحية العسكرية والسياسية (يلاحظ هنا أن الدعم العربى لامارات الخليج لم يوضع فى الاعتبار) وذلك يعرض الامارات للوقوع تحت سيطرة « حركات سياسية معادية لهذا النوع من الوجود الغربى » · الامر الذى تطلب دعم ايران ، الدولة الوحيدة فى تلك المنطقة ، التى لها الابعاد والموارد و « الرغبة » اللازمة للقيام بدور الحرس بعد انسحاب القوات البريطانية ·

وما جرى فى شأن الجزر العربية الثلاث ، التى احتلتها ايران مؤخرا ، يؤكد وجود التواطؤ البريطانى بالذات مع ايران ، واتفاقهما الكامل على كل الخطوات التى تمت .

فى أواخر نوفمبر الماضى ـ قبل احتلال الجزر بحوالى أسبوع ـ اشارت الانباء الواردة من لندن وطهران ، الى ان وليام لوس ، المبعوث البريطانى الخاص الى الخليج ، قد توصل الى اتفاق بشأن مستقبل الجزر الثلاث مع شاه ايران ، بعد ان قام بدور الوسيط بينه وبين حاكمى امارتى الشارقة ـ التى تتبعها جزيرة ابو موسى ـ ورأس الخيمة ، التى تتبعها جزيرتا طومب الصغرى والكبرى .

وقال احد المعلقين الغربيين ، وهو يعقب على هذه الانباء ويشير بطرف خفى الى ما سوف يجرى بعد ذلك ، ان بريطانيا التى اشتهرت طويلا بأنها مثال لدبلوماسية البوارج الحربية ، تفسح الطريق الآن لدولة جديدة يبدو أنها آثرت ان تتولى الدور نفسه !

وقد تم احتلال الجزر العربية الثلاث ، بواسطة القوات الايرانية ، وبالصورة التى تناقلتها وكالات الانباء ، والتى سنقف امامها بعد قليل ·

ولسنا بحاجة الى ان نؤكد ان بريطانيا كانت تعلم مسبقا بما ستتخذه ايران من خطوات ، سواء كان ذلك نتيجة للاتفاق مع حاكم امارة الشارقة ، أو رغما عن حاكم رأس الخيمة ، الذى رفض صيغة الاتفاق الذى عرضه وليام لوس ·

وفى تقدير كل المراقبين ، فان بريطانيا بموقفها هذا قد خرقت التزاماتها تجاه الامارتين ، خاصة وان اتفاقية الحماية لم تكن قد الغيت بعد . وبمقتضى هذه الاتفاقية ، فقد كان عليها ـ نظريا على الاقل ـ ان تمنع القوات الايرانية من احتلال جزيرتى طومب بالقوة ، لو انها ارادت ذلك · ذلك ان حاملة الطائرات البريطانية « **ايجل** » وعلى ظهرها وحدات من الكوماندوز ، كانت تقف غير بعيدة خارج الخليج ، وبصحبتها الطراد الانجليزى « **اكيبون** » وكلاهما جاء قادما من الشرق الاقصى · وفى « البحرين » ايضا تقف احدى سفن الاسطول البريطانى · كما ان فى « الشارقة » نصف سرب من طائرات « هنتر » .

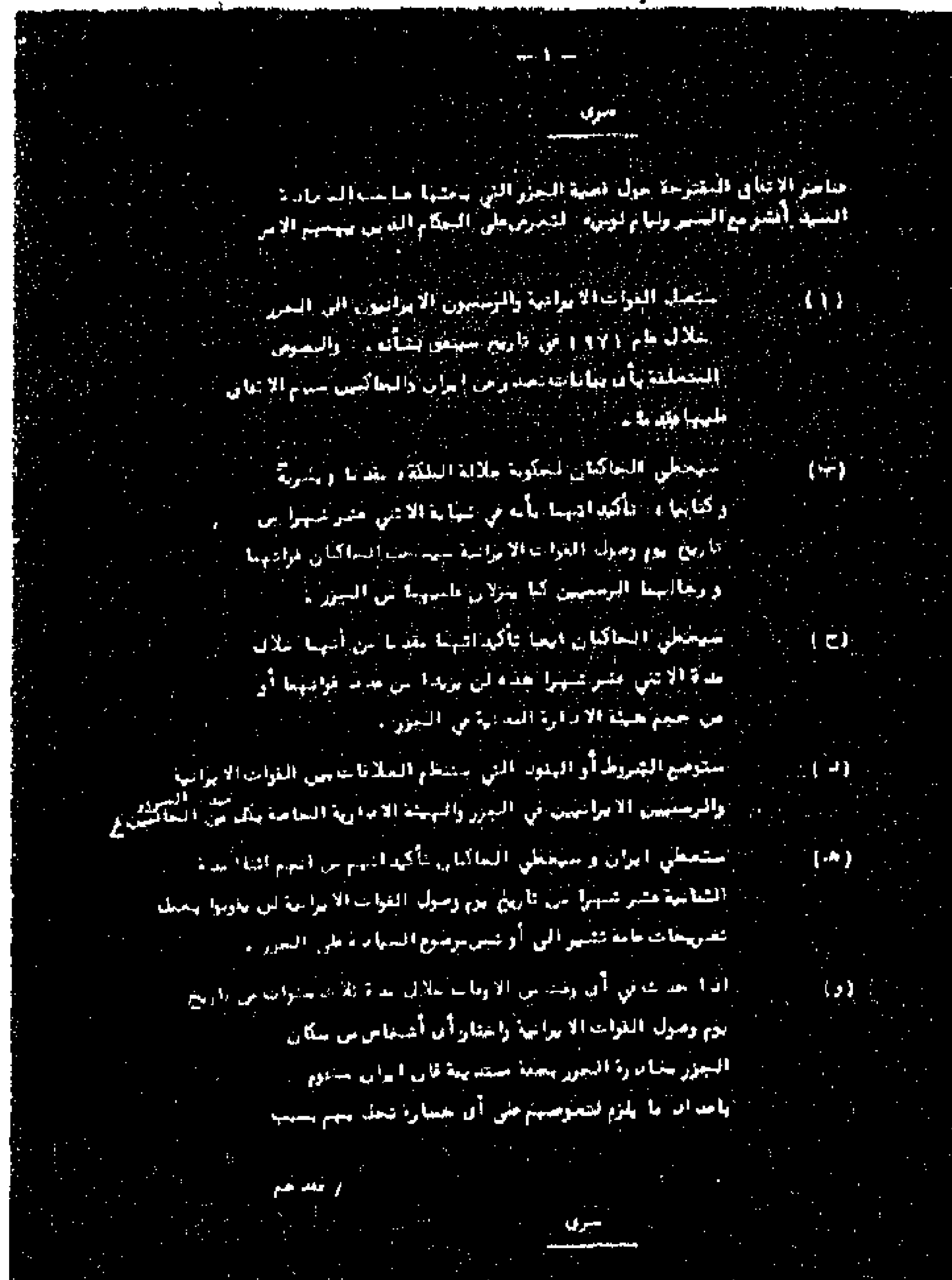
على مرأى ومسمع من ذلك كله ، تقدمت القوات الايرانية ، فدخلت جزيرة أبو موسى ، واقتحمت بالقوة المسلحة جزيرتى طومب !

هل نحن فى حاجة ، بعد ذلك ، لندلل على التواطؤ البريطانى مع ايران ؟!

وبغير الاطمئنان الى هذا التواطؤ ، هل كان يستطيع شاه ايران ان يعلن صراحة قبل شهر من احتلال الجزر : « اننى سأرسل عند الضرورة مدفعية البحرية لاحتلال الجزر الثلاث ، لان ذلك ضرورى لامن ايران ، ولحماية مضيق هرمز الذى تتحكم هذه الجزيرة فى مدخله » . والمدهش هنا أن شاه ايران لم يستند فى مطالبته بالجزر الى أية ادعاءات تاريخية أو جغرافية ، تعطى قدرا من الشرعية لمطالبه امام المجتمع الدولى ، ولكنه كشف عن بعض دوافعه بصراحة ، وقال أن احتلال الجزر مطلب مرتبط بأمن ايران !

الجزر بين التبعية ونصف الاحتلال

وتحتاج منا قصة الاحتلال هذه الى متابعة متأنية لوقائعها ، فضلا عن ملابساتها التى تثير



— ١ —

سري

عناصر الاتفاق المقترحة حول قضية الجزر التي بحثها صاحب السعادة السيد [illegible] السير وليام لوس لتعرض على الحكام الذين يهمهم الامر

(١) ستصل القوات الايرانية والرسميون الايرانيون الى الجزر خلال عام ١٩٧١ في تاريخ سيتفق بشأنه . والنصوص المتعلقة بأي بيانات تصدر من ايران والحاكمين سيتم الاتفاق عليها مقدما .

(ب) سيعطي الحاكمان لحكومة جلالة الملكة ، مقدما وبصورة [illegible] تأكيداتهما بأنه في نهاية الاثني عشر شهرا من تاريخ يوم وصول القوات الايرانية سيسحب الحاكمان قواتهما ورجالهما الرسميين كما [illegible] من الجزر .

(ج) سيعطي الحاكمان ايضا تأكيداتهما مقدما من أنهما خلال مدة الاثني عشر شهرا هذه لن يزيدا من عدد قواتهما أو من حجم هيئة الادارة المدنية في الجزر .

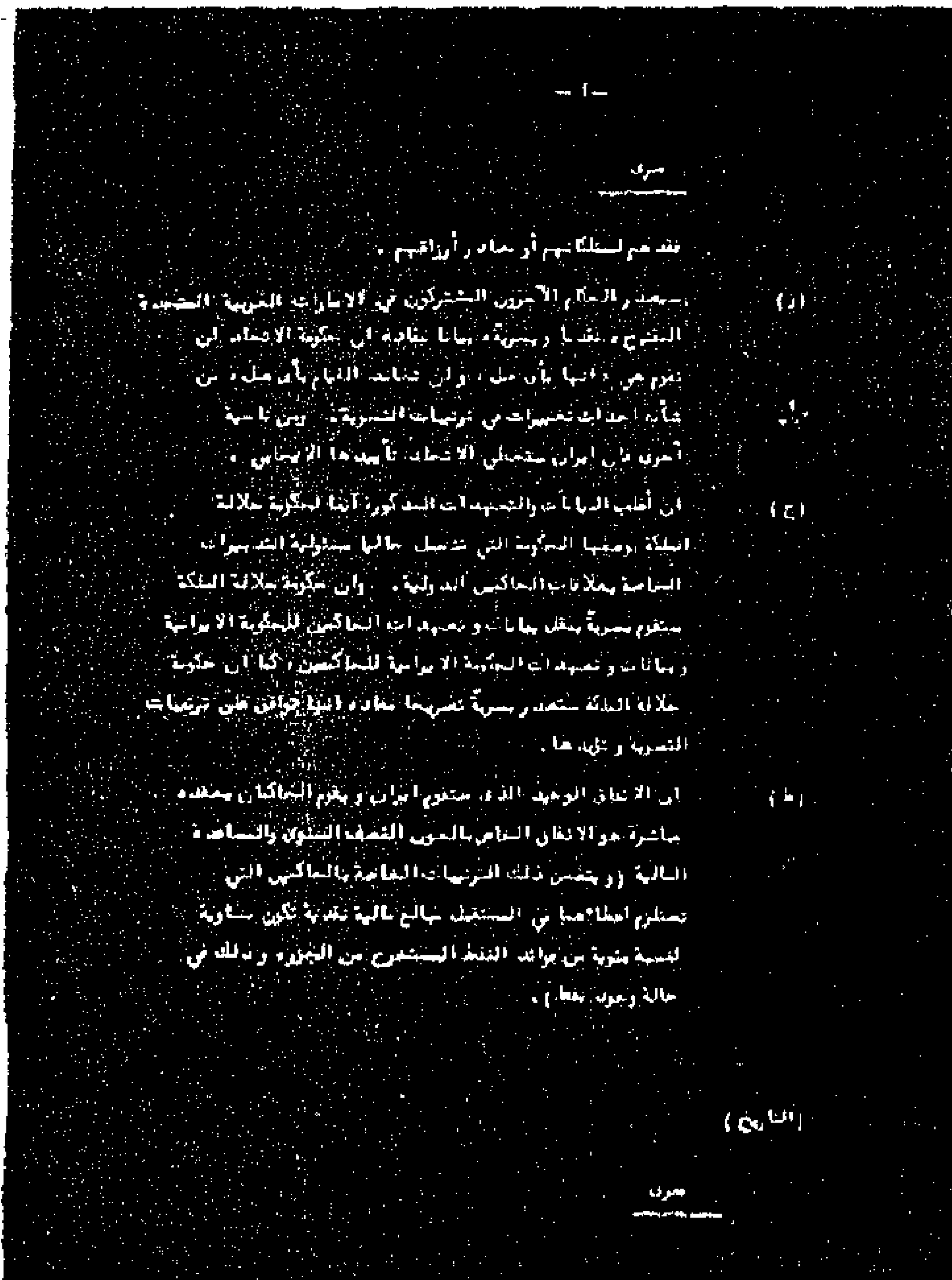
(د) ستوضع الشروط أو البنود التي ستنظم العلاقات بين القوات الايرانية والرسميين الايرانيين في الجزر والهيئة الادارية الخاصة بكل من الحاكمين .

(هـ) ستعطي ايران و سيعطي الحاكمان تأكيداتهم من انهم اثناء مدة الثمانية عشر شهرا من تاريخ يوم وصول القوات الايرانية لن يدلوا بتصريحات عامة تشير الى أو تمس موضوع السيادة على الجزر .

(و) اذا حدث في أي وقت من الاوقات خلال مدة ثلاث سنوات من تاريخ يوم وصول القوات الايرانية واختار أي أشخاص من سكان الجزر مغادرة الجزر بصفة مستديمة فان ايران ستقوم باعداد ما يلزم لتعويضهم عن أي خسارة تحل بهم بسبب

/ تقدمهم

سري



— ١ —

سري

تقدمهم لممتلكاتهم أو مصادر أرزاقهم .

(ز) سيعطي الحكام الآخرون المشتركون في الامارات العربية المتحدة المقترحة مقدما وبصورة سرية بيانا [illegible] الى حكومة الاتحاد لن تقوم هي ذاتها بأي عمل ، ولن تشجع القيام بأي عمل من شأنه احداث تغييرات في ترتيبات التسوية . ومن ناحية أخرى فان ايران ستعطي الاتحاد تأييدها الايجابي .

(ح) ان أغلب البيانات والتعهدات المذكورة آنفا لحكومة جلالة الملكة بوصفها الحكومة التي تتحمل حاليا مسؤولية التعهدات الخاصة بعلاقات الحاكمين الدولية . وان حكومة جلالة الملكة ستقوم بصورة سرية بنقل بيانات وتعهدات الحاكمين للحكومة الايرانية وبيانات وتعهدات الحكومة الايرانية للحاكمين ، كما ان حكومة جلالة الملكة ستصدر بصورة علنية تصريحا [illegible] على ترتيبات التسوية و [illegible] .

(ط) ان الاتفاق الوحيد الذي ستقوم ايران و يقوم الحاكمان بعقده مباشرة هو الاتفاق الخاص بالعون النصف السنوي والمساعدة المالية (ويتضمن ذلك الترتيبات الخاصة بالحاكمين التي تستلزم اعطاءهما في المستقبل مبالغ مالية نقدية تكون مساوية لنسبة مئوية من عوائد النفط المستخرج من الجزر وذلك في حالة وجود نفط) .

(التاريخ)

سري

صورة للاتفاق الذي وقع بين حاكم الشارقة السابق وبين حكومة ايران .. هل يمكن ان يقال حقيقة ان الرجل انقذ نصف جزيرة ابو موسى ؟

قضية الحلول التي تستطيع الكيانات السياسية الصغيرة التي تقبلها ، حلا لنزاعاتها مع الدول الاقوى ، وخشية الدخول معها في مواجهة غير متكافئة .

فمنذ أعلنت ايران عزمها على احتلال الجزر الثلاث بالقوة . قام المبعوث البريطاني وليام لوس بعملية الوساطة بين شاه ايران وحاكمي أمارتي الشارقة ورأس الخيمة .

وانتهت هذه المحاولات بتوقيع اتفاق مع الشيخ **خالد القاسمي** ، حاكم الشارقة الذي قتل قبل أسابيع ، في محاولة استعادة ابن عمه المخلوع لحكمه في الامارة . بينما رفض الشيخ صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة ـ وابن عمه أيضا ـ توقيع هذا الاتفاق . وقال الشيخ خالد في تبريره لقبول الاتفاق ، انه « اضطر » الى توقيعه في النهاية لانه لا يستطيع ان يواجه ايران ، التي كانت مصرة على احتلال جزيرة ابو موسى بالقوة المسلحة .

ثم قال حاكم الشارقة في مؤتمر صحفي عقده ، انه بعث الى كل الدول العربية من المحيط الى الخليج يستشيرها فيما يفعل ، ويطلب منها العون ، لكنه لم يجد تجاوبا من أكثر هذه الدول . فلم يجد مفرا من قبول توقيع الاتفاق ، كحل وسط للمشكلة . واضاف الشيخ خالد : لقد حرصت على ان يظل علم الشارقة مرفوعا ، على الجزيرة ، وان يظل أهلها تابعون للامارة ، وان يكون ترخيص التنقيب عن البترول فيها صادرا عن حكومة الشارقة .

وقال حاكم الشارقة أيضا : دبروني ماذا كان بوسعي ان أفعل ؟ ان الاحتفاظ بالسيادة على البعض أفضل من خسارة السيادة على الكل . ان الدول العربية لم تساعدنا حتى نستطيع مواجهة تهديدات ايران ، وكان علينا ان « نقلع اشواكنا باصابعنا » ، ان البعض يتهمنا بأننا أضعنا نصف جزيرة ابو موسى . وانا أقول اننا انقذنا نصف الجزيرة .

هذا ما قاله الشيخ خالد ، المعروف بميوله التقدمية نسبيا بين حكام الامارات .

لكن موقف حاكم رأس الخيمة لا يزال محل شك من جانب الكثيرين . ومصدر الشكوك ان الشيخ صقر القاسمي مؤكد الولاء لبريطانيا ، ومعروف بارتباطاته الخفية مع ايران ، رغم كل الادعاءات التي تحيط به . وبالاضافة الى ذلك فان امارته فقيرة ، ليست لها اية موارد طبيعية بترولية أو غير بترولية . وهي تعتمد الى حد بعيد على المساعدات العربية ، خاصة من السعودية وقطر وابو ظبي والكويت . فهل يعقل ان يرفض العرض الايراني بدفع مساعدة مالية تبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرليني سنويا لمدة ٩ أعوام ، عن جزيرتين مهجورتين ، ولا بترول فيهما الى الان .

وعلى كلّ ، فاننا اذا أخذنا كلام حاكم رأس الخيمة بظاهره ، الذي اعلن فيه تمسكه بعروبة جزيرتي طومب ، وحتى تتكشف لنا أية أسباب خفية أخرى ، فينبغي ان نقرر ان الرجل اختار موقفا شريفا ، وجديرا بالتقدير .

المهم ، ان الاتفاق وقع من جانب الشارقة ، ورفض من رأس الخيمة

وقبل ٢٤ ساعة من الانزال الايراني في الجزر العربية الثلاث ، أعلن حاكم الشارقة الشيخ خالد القاسمي اتفاقه مع الحكومة الايرانية بالنسبة لجزيرة أبو موسى . ونص الاتفاق ، وفقا لما جاء في بيان حكومة الشارقة ، على انه « لا يمس نظرة الشارقة في سيادتها على جزيرة أبو موسى ، حيث يبقى علم الشارقة مرفوعا عليها . وبحيث يبقى كذلك على مركز الشرطة ، وعلى الدوائر الحكومية . كما يبقى المواطنون تحت سلطة واختصاص حكومة الشارقة » ، ونص ايضا على ان تقوم شركة « **بيوتس جاز آند اويل** » بالكشف والتنقيب عن البترول والمصادر الطبيعية في جزيرة ابو موسى ومياهها الاقليمية البالغ ١٢ ميلا بحريا ، حيث يجرى تقسيم دخل المصادر الطبيعية المستخرجة من هذه المنطقة مناصفة بين الشارقة وايران :

ونص كذلك على ان تدفع ايران للشارقة مساعدات مالية سنوية قدرها مليون ونصف مليون جنيه ولمدة ٩ سنوات ، على ان تتوقف هذه الدفعات عندما يبلغ دخل الشارقة من البترول ثلاثة ملايين جنيه استرليني سنويا .

ثم يأتي النص المهم في هذا الاتفاق ، وهو يقضي « بأن تصل القوات الايرانية الى منطقة متفق عليها في الجزيرة بين الطرفين » .

وقبل قليل من انزال قوات المظلات الايرانية في الجزر الثلاث ، القت طائرات الهليكوبتر الايرانية منشورات فوق جزيرة طومب الكبرى (طومب الصغرى مهجورة) ، تدعو السكان الى « ان يفخروا بأنهم سيصبحون جزءا من أمة من ثلاثين مليونا ، وليس من ثلاثين الفا » .

وتعمدت ايران كتابة المنشورات باللغة الايرانية . مع انها تدرك تماما انه لا يوجد احد من السكان يفهم هذه اللغة .

والواقع ان بعض مشايخ الجزيرة كانوا في الاصل من سكان جزيرة « قشم » التي تملكها ايران في الوقت الحاضر ، والتي تقع في مدخل خليج هرمز (سميت الجزيرة بهذا الاسم نسبة الى القواسم الذين ينحدر منهم حاكما رأس الخيمة والشارقة ، عندما كانت دولتهم تشمل غرب ايران على طول ساحل الخليج الشمالي الشرقي) . وبعد ان احتل الايرانيون جزيرة قشم ، هاجر بعض سكانها العرب الى طومب الكبرى .

تتابعت الاحداث بعد ذلك :

تم انزال قوات المظلات الايرانية في الجزر الثلاث ، في الساعة الخامسة والنصف من صباح الثلاثاء ٣١ نوفمبر ١٩٧١ .

لم يحدث قتال فيجزيرة أبو موسى ، التي يعيش فيها الف نسمة ، يعملون بالصيد . فقد كان دخول القوات الايرانية متفقا عليه . وتوجهت الى الجزيرة لجنة من حكومة الشارقة ، للتأكد من المواقع التي ستشغلها القوات الايرانية .

ووسط استقبال « حار » من جانب القوات الايرانية ، جرى تحديد المواقع التي للشارقة ، والتي للقوات المحتلة .

لكن الصورة اختلفت في جزيرة طومب الكبرى ، التي يعيش فيها ٦٠٠ شخص . فقد قاومت حامية الجزيرة التي تضم ٦ جنود ، قتل اربعة منهم ، وجرح الخامس ، وأسر السادس وهو عامل اللاسلكي . بينما قتل أربعة جنود ايرانيين ، أحدهما ضابط .

ودمرت القوات الايرانية المحتلة مركز الشرطة بالمدفعية . كما هدمت المدفعية الايرانية عددا من منازل الجزيرة بينها « المدرسة القاسمية الابتدائية للبنين » ، الامر الذي اضطر سكان الجزيرة الى اللجوء الى امارة رأس الخيمة .

ثم اعلنت الحكومة البريطانية ان جزيرتي طومب ، اصبحتا جزءا من « الامبراطورية الايرانية » !!

وكان رد فعل الموقف الايراني عنيفا في امارات الخليج العربي ، التي اجتاحتها موجة من المظاهرات ، هاجمت المؤسسات الايرانية ، وحاولت احراق بعضها . وفي العالم العربي تفاوتت اصداء الاحتجاج ، ولعل أشدها كان قرار مجلس الثورة الليبي بسحب الارصدة الليبية من البنوك البريطانية . احتجاجا على مسئولية بريطانيا فيما جرى . ثم قرار الحكومة العراقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا . وأصدرت بقية الدول العربية بيانات الاحتجاج ، التي طالبت فيها بانسحاب قوات ايران من الجزر .

ولم تنته القصة بعد .

البحرين : فريسة افلتت من قبضة الشـــــاه

منذ عام ١٨٢٢ ، وايران تحاول عبثا ادعاء تبعية البحرين لها ، ولكن هدفها في السيطرة على البحرين لم يتحقق ، ولم تعدل ايران عن موقفها الا في عام ١٩٧٠ ، عندما اعترفت بحق شعب البحرين في تقرير مصيره ، ولم يكن الوجه العربي للبحرين محل شك ، فاعلنت استقلالها في العام التالي ٠

وقد كان لاصرار شعب البحرين العامل الاول الذي ادى الى هذه النتيجة ٠ يضاف الى ذلك الضغط الذي مارسته الحكومة الامريكية على ايران ، لتفسح المجال للمخططات الامريكية في المستقبل ، التي كان من بين أهدافها اتخاذ البحرين كقاعدة بحرية للاسطول الامريكي ٠

وخلال القرن ونصف قرن الذي انقضى ، كانت بريطانيا تسعى الى صد الاطماع الايرانية في البحرين ، لا حرصا على عروبتها ، ولكن دفاعا عن مصـــالحها ، وابقـــاء على الوضع الراهن في المنطقة ٠

ففي سنة ١٩٢٩ ، اصدرت الحكومة البريطانية قانونا يلزم الفرس الذين يزورون البحرين بحمـــل جوازات سفر ٠ وقابلت ايران ذلك بأن ألزمت البحـــارة الذين ينزلون الى اراضـــيها بحمـــل الجنسية الايرانية ٠ ولم تترك ايران مناسبة دولية الا وحاولت اثبات حقها في ملكية البحرين ٠ ففي سنة ١٩٢٧ ، عندما وقعت معاهدة « الصـــداقة » البريطانية السعودية وذكرت البحرين على انها امارة عربية - في معرض تأكيد السعودية بعدم التدخل في شئون امارات الخليج - احتجت ايران لدى عصبة الامم ، وقدمت مذكرة تثبت أسانيدها ٠

وعندما حصلت احدى الشركات الامريكية على امتيـــاز التنقيب عن البـــترول فـــي البحرين عـــام ١٩٣٣ ، قدمت ايران احتجاجا الى واشنطن على هذا التصرف ٠

وفي سنة ١٩٤١ ، تعرضت البحرين لغارة جوية ايطالية ، بسبب وجود وحدات من قوات الحلفاء فيها أثناء الحرب الثانية ، فأقحمت ايران نفسها في المشكلة ، وقدمت احتجاجا الى روما ! بل انه عندما أمم الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء ايران البترول في بلاده سنة ١٩٥١ ، تذكر « حقوق ايران في البحرين » ، فاعلن ان قرار التأميم يسري على الشركة العاملة هناك ٠ وأثيرت القضية أمام الامم المتحدة ٠

وبعد ما ارتبطت ايران بحلف بغـداد في سنة ١٩٥٧ ، وتصورت أن ذلك قد يخفف من معارضة بريطانيا لها في الخليج ، أعلنت أن البحـرين اصبحت المديرية الرابعة عشرة في «الامبراطورية» وخصصت لها مقعدين في مجلس النواب بطهران!

وفي العام التالي أعلنت حكومة ايـران أن المراسلات والبرقيات المتبادلة مع البحـرين ، ستعامل معاملة المراسلات الداخلية ، من حيث القيمة !

وقد سقطت كل ادعاءات ايران - من الناحية القانونية - منذ سنة ١٩٧٠ ، وان كانت فاقدة القيمة من الناحية الواقعية ، قبل ذلك بسنوات طويلة ٠

هل يصبح «تسللا عربيا» الى دبي؟!

لكن الاطماع الايرانية في امارات الخليج لا تقف عند حد ٠ فمـازالت أفواج المتسللين الايرانيين تتدفق في صمت الى مختلف الامارات ٠ ويثير الانتباه في هؤلاء المتسللين أن معظمهم مـن الشبان ، الذين قضوا مدة التجنيد في الجيش الايراني ، ثم « سرحوا » - وتوجهوا الى امارات الخليج ٠ وتثير الشك أيضا هذه الظاهرة ، اذ أن بعض الذين يتابعون تحركات الايرانيين في الامارات يشيرون الى أن هؤلاء الشباب يمكن استخدامهم في تنفيذ أية اهداف بعيـــدة مســـتقبلا ، وهم مدربون عسكريا على كل حال ٠

ان ٩٠ في المائة من الايرانيين الذين يعيشون في الخليج من المتسللين ، الذين جاءوا في قوارب بحرية تحت الظلام ، والقتهم القوارب علـى الشاطيء ، ثم اختفت لتعود بغيرهم ٠ وكانت ذروة اعداد المتسللين في السنتين الاخيرتين ، عندما لاحت في الافق بوادر انسحاب القوات البريطانية من الخليج ٠ ومن الثابت أن عمليات التسلل لا تتم بصورة عفوية ، وان الايرانيين في الامـارات تربطهم صلات وثيقة ، وهم منظمون الى حد بعيد ، كما سنرى بعد لحظات ٠

بالتسلل اذن تحاول ايران أن تفرض وجودها في الامارات ٠٠

وثمة محاوله أخرى عن طريق الزحـف الاقتصادي ، الذي يقف في طليعته بنك الصادرات الايراني ٠ ويمول هذا البنك نشاط التجـار الايرانيين بصفة دائمة ، وبصورة تمكنهم مـن مواجهة أية منافسة من التجار العرب ٠ ولهذا

البنك ٣ فروع فى منطقة الساحل : فى دبى ، والشارقة ، وفى المنطقة بين امارتى رأس الخيمة والفجيرة المتلاصقتين ٠

ويتمثل ابرز وجود للايرانيين فى الخليج فى امارة دبى ، حيث السواحل مفتوحة ، ولفتـرة ليست قصيرة كان هناك تساهل كبير من جانب الشرطة المحلية ، مع المتسللين ٠ وتكاد تصل أفواج المتسللين بمعدل ثلاث مرات كل أسبوع ٠

وحاكم دبى ـ الشيخ **راشد المكتوم** ـ على علاقة وثيقة بالحكم الايرانى، وهو يذهب مع أولاده بمعدل أربع أو خمس مرات سنويا الى ايران فى رحلات للزيارة ، أو القنص وهناك يلقى ترحيبا وحفـاوة بالغين . لا تخفى اهدافهما على احد .

فى دبى تتعدد مظاهر الوجود الايرانى ، ومن أبرز هذه المظاهر :

ـ الكميات الهائلة للسلع الايرانية التى تملأ الاسواق ٠

ـ أقاموا مدرسة للبنين تضم أكثر من ألفى طالب ، وكان يشرف عليها حتى قبل اعلان الاتحاد والغاء معاهدة الحماية ، سفير ايران السابق فى لندن ! واسمه **مستر فاروقى** ٠ وللمدرسة أتوبيس خاص ينقل أبناء الايرانيين المقيمين فى امارة الشارقة ، التى تبعد بحوالى ١٧ كيلومترا عن دبى ٠ وأغلب الظن أن الايرانيين قد انتهوا الان من بناء مدرسة أخرى للبنات ٠

ولا يخفى على أحد سر تعيين سفير سابق لايران لدى دولة كبرى مثل بريطانيا ، مديرا لمدرسة فى امارة صغيرة كدبى !

والحقيقة ان هذه المدرسة كانت تقوم مقام السفارة ، فى الظاهر ، فقد كان مديرها هو الذى يمنح تأشيرات الدخول الى ايران ٠ والمدرسة تقدم الطعام بالمجان للتلاميذ ٠ واليها يذهب العمال الايرانيون كل مساء ، لتناول وجبة عشـاء مجانية ٠

ـ بنوا أيضا مستشفى كبيرا بلغت تكاليفه حوالى مليون جنيه استرلينى ، وهو يعد أضخم مستشفى فى منطقة الساحل كلها ٠

ـ فى كل الدوائر الحكومية توجد أعداد كبيرة من الايرانيين ، الذين يحصلون على جنسيـة الامارة ، ويرتدون العقال ، ولا يعرفون حـرفا باللغة العربية ٠ وعلى سبيل المثال فان مكتب البريد الرئيسى فى دبى ليس فيه شخص واحد يعرف اللغة العربية ٠ كلهم ايرانيون ٠

آثار هذا التغلغل الايرانى الواضح تساؤلات عديدة فى الاوساط العربية فى دبى والامارات المجاورة ، وفى أحد اللقاءات التى ناقشت هذه القضية قال أحد الشخصيات العربية فى الامارة ، انه اذا استمر التغلغل البشرى والاقتصادى بهذه الصورة ، فليس مستبعدا بعد سنوات أن يصبح العرب أقلية فى دبى ، ويثور الحديث حول « تسلل عربى الى الامارة » ! ٠

ومن دبى يستمر الزحف الى الامارات الاخرى المجاورة لها : **الشارقة ـ رأس الخيمة ـ عجمان ـ والفجيرة ـ وأم القيونى** ٠ وتعد دبى هى المنفذ الطبيعى الى هذه الامارات ، التى يربطها بها طريق برى ممهد ٠

وقد أقام الايرانيون مستشفى آخر فى امارة عجمان ، يمنح الادوية بـالمجان لـلاهالى ٠ ويحاولون انشاء مدرسة فى الامارة أيضا ٠ لتعد المستشفى والمدرسة وفرع بنك الصادرات ، ركائز التغلغل فى بقية الامارات ٠

وفى أبو ظبى يحتـكر الايرانيون كـل تجـارة الاغذية ، بينما يشتركون مع الهنود والباكستانيين فى الاعمال الصغيرة والحرف ٠ غير أن تسللهم مستمر ، ومحاولات فرض سيطـرتهم علـى اقتصاديات الامارة مازالت فى بدايتها ٠

بقيت بعد ذلك قطر والبحرين والكويت :

فقطر تضع قيودا شديدة على دخول الايرانيين اليها عن طريق البر ، بينما يصعب التسلل اليها عن طريق البحر ٠ ولذلك فان الوجود الايرانى محدود من حيث العدد ٠ لكنهم يسيطرون أيضا بشكل بارز على معظم تجارة الامارة ، والاعمال الحرفية فيها ،التى يأنف العرب من ابناء الامارة من الاشتغال بها ٠

والبحرين تضع قيودا مماثلة ٠ لـكن أعـداد الايرانيين فيها أكبر ، ربمـا لان تعـدادها أكبر (حوالى ٢٥٠ ألفا) ٠ ويقدر عدد الايرانيين بعشرة آلاف نسمة ٠ لهم وجودهم الاقتصـادى الملموس ، وبينهم أعداد كبيرة حصلت علـى الجنسية البحرينية ، واقتحمت دوائر الحـكومة ومصالحها ٠

ونفس الوضع فى الكويت ، حيث توجد جالية ايرانية غنية وقوية ، لها من يمثلها فى مناصب الحكومة ، بل ان اثنين من ذوى الاصل الايرانى دخلا مجلس الامة الكويتى السابق بالانتخاب ٠

ومنذ سنوات قليلة ، عندما أعلن عن زيارة شاه ايران للكويت ، عرض التجار الايرانيون هناك أن يغطوا المسافة بين المطار ومدينة الكويت بالسجاد ترحيبا بالشاه ٠ وتبلغ هذه المسافة حوالى ١٥ كيلو مترا ٠ ولكن الحكومة الكويتية سألتهم عما

اذا كان ذلك تقليد سيتبع مع كل الرؤساء الذين يزورون الكويت . وعندئذ فقط عـدل التجار عن اقتراحهم . وأقاموا أقواس نصر على طول الطريق من المطار الى العاصمة ، وقيل وقتئذ أن هذه الاقواس تكلفت ٢٠ ألف دينار كويتي . أي حوالي ٣٥ ألف جنيه مصري .

تذكرنا هذه الصورة بما جرى في فلسطين ، عندما قدمت اليها « طلائع » المجموعات الصهيونية في الثلاثينات ، تسللا ، وفرضت في البداية وجودا بشريا واقتصاديا - مدعما من الخـارج - ثم استطاعت في النهاية أن تفرض بالقوة والاغتصاب وجودا شرعيا في المجتمع الدولي .

« المحمرة » .. امـارة عربية ابتلعتهـا ايران

ويفيدنا هنا بغير شك ، ونحن نسترجع الماضي ، أن نذكر أول امارة عربية استولت عليهاايرانفي القرن الماضي ، وبذلت - ومازالت تبذل - جهدا مركزا لطمس معالمهاالعربيـة . ونعني بذلـك امارة « المحمرة » ، التي أطلقت عليها ايـران اسم « عربستان » ، ثم « خوزستان » . ثـم جرى لها ما جرى .

فقد أسست قبيلة كعب العربية هذه الامارة في الشـمال الشرقي للخليـج العربي . وحدودهـا تمتد شمالا حتى جبال روستان ، ويحدها من الشرق مجموعة سلال جبال كردستان التي تشكل حدودا طبيعية فاصلة عن ايران . وتمتد صـوب الغرب حتى شرقي شط العرب . أي جنوبي شرق العراق ، وتبلـغ مسـاحة هذه الامارة العربية حوالي ٣٩ ألف ميل مربع ، وتعداد سكانها الان حوالي ٣ ملايين نسمة .

وهي بلاد شديدة الخصوبة ، باعتبارها سهولا رسوبية شاسعة ، غنية بمواردها المائية . فضلا عن انها غنية بحقول البترول ، وتقـع فيها حقـول عبدان التي تعتبر اغنى حقول ايران البترولية .

اتخذت امارة المحمرة شكلا واضحا في القرن التاسع عشر ، وكانت بمثابة قطر حاجز بين دولتين كبيرتين هما فارس والدولة العثمانية .

وقد استطاع بنو كعب طوال حكمهم أن يصدوا كل المحاولات التي بذلت للسيطرة على بلادهم ، والتي كانت تصدر في ثلاث قوى ائتلفت ضدهم في حملات عديدة . وهذه القوى هي : الايرانيون ، والعثمانيون ، والاسطول البريطـاني في الخليج العربي .

وفي عهد الحاج جابر يوسف احـمـد حـكام المحمرة - تطورت الامارة تطـورا عظيمـا ، وازدهرت الحياة فيها ، مما آثار أطماع الايرانيين والعثمانيين . فحاولوا بشتى الطرق الاطـاحة باستقلال هذه الامارة الفتية المتطورة . فقامت القوات العثمانية عام ١٨٣٧ م بتجريد حملـة عسكرية على الامارة ، وأنزلت بها خسائر فادحة رغم صمودها الباسل .

وأثار ذلك الذعر في قلوب الايرانيين ، الذين خشوا ان تطوقهم القوات العثمانية في الغرب والجنوب معا . فبادرت بالاحتجاج ، وطالبت بتأييد من الحاج جابر ، بالتعويض عن الخسائر التي الحقها الجيش التركي بالامارة العربية . وكانت النتيجة ان اجتمع أطراف النزاع بالاشتراك مع ممثلين من الحكومتين الروسية والبريطانية ، وتمخضت المفاوضات التي استمرت ثلاث سنوات عن عقد معاهدة « أرض الروم » التي وقعت سنة ١٨٤٧ م ، و « خصت فيها المحمرة وعبدان وبعض المناطق الاخرى بالدولة الايرانية ، وألحقت مدينة السليمانية وتوابعها بالدولة العثمانية » .

وبذلك تكون الدولتـان الكبيرتان قد قسـمتا الامارة الى منطقتي نفوذ ، وكانت الدولة العثمانية تدعي أنها تابعة لاقليم البصرة ، ردا على ادعاء ايران بانها جزء من أراضيها .

ومنذ ذلك الوقت أطلق الفرس على امـارة المحمرة اسم « عربستان » التي ظلت محتفـظة بكيانها الذاتي .

وفي عام ١٨٥٧ ، تحرك الاسطول البريطاني للسيطرة على « عربستان » ، مما دفع الشـاه الايراني الى الاعتراف باستقلال الامارة العربية . وتعهدت كل من فارس والامارة أن تقفا صفا واحدا ضد كل اعتداء أجنبي .

وبلغت عربستان أوج عظمتها في فترة حـكم الشيخ خزعل ، ابن الحاج جابر ، الذي تولى الحكم سنة ١٨٩٧ . اذ بسط نفوذه على كافة ارجاء الاقليم ، وكانت قوتهالعسكريةتفوق قوى الدولة الايرانية .

وعزز الشيخ خزعل استقلال عربستان ، مما أثار حفيظة شاه ايران وقتئذ - أحمد القاراجي - وحساسيته .

وفي عام ١٩٣٦ ، أرسل الشاه رسالة الى الشيخ خزعل ، يطلب فيها السماح لوفد ايراني برئاسة وزير الدفاع الجنرال رضا بهلـوي ، الامبراطور الحالي ، بزيارة عربستان ، لفتـح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين .

رحب الشيخ خزعل بضيوفه ، واستقبلهم في ميناء المحمرة ، الذي وصلوا اليه على متن طراد بريطاني . وأمضى الوفد الايراني في ضيـافة

الشيخ خزعل ثلاثة أيام ، لقي خلالها حفاوة بالغة ، وحمل بالهدايا الثمينة ٠

وعندما حان موعد الرحيل ، تعمد الشيخ خزعل مرافقة ضيوفه حتى ميناء المحمرة تكريما لهم ٠ وعلى رصيف الميناء ، دعاه الجنرال رضا بهلوى للصعود الى الطراد ، والقيام بجولة تفقدية في ارجائه فلبى الشيخ الدعوة شاكرا ، الا انه ما كاد يدخل احدى الغرف حتى اعتقله الجنود الايرانيون ٠ وبدأت مدفعية الطراد تقصف المودعين ورجال الحرس الذين اصطفوا لوداع الضيف ٠

وفي اليوم التالي اقتحمت قوات ايرانية عربستان واحتلتها . واعتقلت الشيخ مزعل شقيق خزعل ، ونقلته الى طهران ، وبقي معتقلا حتى اعدم هو وشقيقه في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٦ .

توالت الاحداث بعد ذلك ، اذ رفض اهل عربستان الخضوع للحكم الايراني ٠ وتمردوا أكثر من مرة ، وثاروا أكثر من مرة ، ولكن ثوراتهم كانت تقمع بكل قسوة وعنف ٠

والمثير هنا ان ابن الشيخ خزعل واسمه حاسب حمل الوثائق التي تثبت استقلال بلاده في اوائل الاربعينات ، وقرر ان يعرضها على الامم المتحدة في نيويورك ، وتوقف في لندن وهو في طريقه الى المنظمة الدولية ٠ وهناك اختطف وقتل وضاعت الوثائق ، وقالت مصادر اسكوتلانديارد انها آسفة لانها لم تتمكن من معرفة الفاعلين ، أو المحرضين على هذه الجريمة ٠

وفي عام ١٩٤٦ تكون في عربستان حزب « السعادة العربي » الذي رفع لواء الدعوة الى الاستقلال الذاتي ، ومارس الحزب نشاطه سرا ثم علنا ٠ ولكنه ضرب بعد قليل وأعدم قادته ٠

وفي سنة ١٩٥٦ شكلت جبهة تحرير عربستان ، التي ما زالت تمارس نشاطها حتى الان ، والتي أعدم الكثيرون من اعضائها ، ولكنهم يواصلون نضالهم لتحرير بلادهم ٠

اللغة العربية ممنوعة

في « عربستان »

من بين عمليات الاعدام التي تمت ، ذلك الحكم الذي صدر ضد ثلاثة من قادة جبهة تحرير عربستان ، واعدموا على آثره في ١٤ يونيو سنة ١٩٦٤ ، والثلاثة هم : عيسى منخور البضاري ودهراب شميل الناصر ، ومحيي الدين الناصر ٠

بعد هذه العملية ، اراد الشاه أن يقضي على اي طابع عربي في عربستان ، فدعا الحكومة الى وضع خطة تهدف الى نسف كل جسر يربط بين عربستان وماضيها العربي ٠ واجتمع مجلس الوزراء الايراني برئاسة حسن علي منصور ، وقرر اتخاذ الاجراءات العشرة التالية :

● **الغاء التعليم باللغة العربية** ، واغلاق المدارس الاهلية العربية في عربستان ، ومنع التحدث باللغة العربية ، او القاء الخطب بها في المناسبات او المهرجانات ٠

● **الغاء اعطاء جوازات السفر الدراسية التي تمنحها وزارة التربية والتعليم الى الطلاب العرب** الراغبين في اتمام دراستهم العليا في المعاهد الاجنبية أو الجامعات العربية ٠ ومنع الطالب العربي من متابعة دراسته الاعدادية والعالية ٠ وانما عليه فقط التوقف عند نهاية المرحلة الابتدائية فقط ، علما بان هذه الدراسة باللغة الفارسية .

● **يمنع اعطاء جوازات سفر للمواطنين العرب في عربستان ، خاصة اذا كان احدهم يرغب في السفر الى احدى الدول العربية ، ماعدا المملكة العربية** السعودية وفي موسم الحج فقط ٠ وتحدد صلاحية الجواز بشهر واحد ٠ ويلزم كل حاج بان يدفع تامينا ماليا قدره ٢٠ الف ريال تودع في البنك المركزي الايراني ٠

● **تعطى جوازات السفر للمواطنين العرب اذا ارادوا السفر الى احدى الدول الاوروبية او الامريكية او الافريقية** ــ غير الاسلامية ــ ويؤشر على الجواز انه ممنوع على حامله دخول احدى الدول العربية ٠ ولا يعطى الجواز الا بعد موافقة اجهزة المخابرات ٠

● **اذا كان المتقدم لطلب الجواز من ابناء عربستان عمره اكثر من ٦٠ سنة ، يسمح له بزيارة العتبات المقدسة في العراق ، لمدة ٢٥ يوما فقط** ٠٠ ويشترط الا يكون صاحب الجواز او احد افراد أسرته ينتمون الى « جبهة انفصال خوزستان الارهابية » ٠ ويقصد بها جبهة تحرير عربستان ٠

● **تعطى جوازات السفر للتجار العرب الى جميع الدول العربية والاجنبية باستثناء مصر** ٠ ويجب ان يحدد التاجر الدولة التي يقصدها ، ومدة اقامته فيها ٠ وبعد ذلك يقدم تعهدا مكتوبا بان سفره لاهداف تجارية لا سياسية ٠ وفي حالة المخالفة ، يكون متنازلا عن امواله المنقولة وغير المنقولة ويحال الى المحاكم الجنائية ٠

● **ممنوع على العرب شغل الوظائف** الحكومية ، او الانتساب الى الكلية الحربية ، كما يسرح كل موظف يشتبه في عروبته ٠ اما العسكريون من ضباط وصف ضباط ، فيجري تسريحهم أو احالتهم الى التقاعد دون تعويض ٠

● تمنع قراءة القرآن باللغة العربية . كما يحظر على حاملي شهادة الحقوق ممارسة المحاماة امام المحاكم أو الدوائر باللغة العربية .

● ينقل الضباط العرب غير المشبوهين سياسيا من المنطقة العربية الى الولايات الفارسية . كما يطرد من الجش ٣٠٠ من الضباط العرب دون تعويض أو معاش .

● يمنع اعطاء جوازات سفر الى العرب الفارين خارج البلاد ، والذين لم تتمكن الحكومة الايرانية من القبض عليهم ، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين .

والغريب انه بينما كانت الدول العربية تواجه نكسة ١٩٦٧ ، أصدرت الحكومة الايرانية قانونا جديدا اعتبرت بموجبه « جميع الاراضي المزروعة وغير المزروعة ، وكذلك الاراضي السكنية في منطقة عربستان ، ملكا للدولة الشاهنشاهية » ودعا القانون الى تغيير جميع المستندات الرسمية للملكية الملغاة .

والزم القانون اصحاب المنازل والاراضي في عربستان بالحصول على سندات ملكية جديدة ، بعد ان تكون لجان خاصة قد قدرت أثمانها ، لسداد هذه الاثمان مقابل الحصول على السندات الجديدة .

معنى ذلك ان القانون فرض على سكان عربستان ، دفع ثمن ما يملكون من عقارات واراض ، والا جردوا منها !

وقد اضطر كثيرون هجرة اراضيهم ، لانهم لم يستطيعوا دفع المال الكافي ، لسداد قيمة المنازل والاراضي التي يملكونها !

آخر الاسئلة : ما العمل ؟

حقيقة ، ما العمل ؟

اننا لم نعد بحاجة الى دليل يؤكد ان لايران مخططات واطماعا لا تقف عند حد في منطقة الخليج العربي ، وانها ترصد كل حركة في تلك الساحة العربية الغنية بالبترول ، المليئة بكل عوامل الاغراء ، الايجابي منها والسلبي .

أيضا لم نعد بحاجة الى ما يثبت لنا ان ايران ماضية في مخططاتها ، سواء استخدمت في ذلك اسلوب الاستعمار القديم او الجديد ، ونعني بذلك الاحتلال العسكري او السيطرة الاقتصادية .

كذلك فان كل الشواهد تشير الى ان ايران برغم مطامعها الخاصة — فانها ليست « اللاعب الوحيد » في المنطقة . شركات البترول الامريكية والبريطانية ما زالت موجودة ، ولها مصالحها وارتباطاتها ، « المستشارون » الانجليز الحكام ما زالوا يؤدون دورهم ، خصوصا في قيادة وحدات القوات المسلحة — التي يطلق عليها هناك وصف « قوة الدفاع » وفي الشرطة .. بل ان الوجود العسكري الامريكي قد تسلل واختار له موقعا في البحرين ، التي وقعت اخيرا اتفاقية مع الحكومة الامريكية بمقتضاها حصل الاسطول الامريكي على قاعدة هناك .

هؤلاء جميعا لهم مصالح ومطامع ، وهي كلها تقف في خط معاكس تماما لمصالح وطموح الشعب العربي في الخليج ، ان لم تكن الامة العربية كلها

وينبغي ان نقرر هنا ان ما يجري في الخليج العربي لم يأخذ مكانه في اطاره الصحيح ضمن خطوط السياسة العربية . لم تعالج اطماع ايران ومخططاتها باعتبارها قضية عربية ، تضاف الى قائمة القضايا التي تشغلنا وعلى رأسها احتلال الارض العربية ، واطماع اسرائيل التوسعية في العالم العربي .

وربما كان رد الفعل العربي ، والمتفاوت الاصداء لاحتلال ايران للجزر العربية الثلاث ، دليل على ذلك .

ان اهتماما عربيا مركزا ينبغي ان يوجه لما يجري في تلك المنطقة يبدو ذلك الاحساس الذي يراود الطامعين ، بأن الوجود العربي غائب عن الخليج ، والاهتمام العربي قد اسقطها من حسابه انشغالا بما هو أهم .

في هذا النطاق أيضا فان المعالجة العربية لاسلوب دعم اتحاد الامارات العربية الوليد ، ربما تسهم في تثبيت احد الحواجز التي يمكن ان تصد احلام الطامعين ، حتى ولو بعد سنوات

ومن السابق لاوانه الان ان نقول ان جبهة تحرير الخليج تستطيع ان تفعل شيئا في مواجهة الخطر الزاحف ذلك ان الجبهة ذاتها ما زالت تخوض معركة في ظفار ، ضد السلطان قابوس حاكم عمان ومسقط . فضلا عن ان ملامحها السياسية وامكانياتها كقوة ثورية ، لم تتضح بصورة يمكن ان تفرض وجودها المؤثر في ساحة الصراع .

لكن الثابت في كل الاحوال ان الشوط مازال بعيدا ، سواء في اساليب الزحف الى الخليج العربي ، او في وسائل صد هذا الزحف وايقافه .

ونحن مطالبون بان ندرك حدود الخطر وذلك اضعف الايمان !

الاتجاهات الرئيسية في برامج التنظيمات الوطنية والتقدمية في الخليج

تشهد منطقة الخليج العربي منذ عدة سنوات حركة وطنية نامية ضد الوجود الاستعماري الانجلو ـ امريكي المتمثل في احتكارات البترول ومئات الشركات الراسمالية ، التي تستنزف ثروات المنطقة ، وتجعل منها سوقا لتصريف منتجاتها ، كما يتمثل ايضا في وجود القواعد العسكرية الموجهة لكبت وقمع شعوب المنطقة .

وهذا الصراع ضد الوجود الاستعماري يتخذ شكل الكفاح المسلح في أجزاء عديدة من المنطقة ، كما يتخذ شكل النضال السياسي في أجزاء أخرى كما هو الحال في البحرين ، ونضال شعوب الخليج في جوهره انعكاس للنمو والتصاعد المستمر في حركة التحرر العربي وتطورها والتفاعل معها ، كما يتخذ المضمون الذي يتفق والابعاد الوطنية والاجتماعية التي يتخذها التطور العام للمجتمع العربي .

وفي هذا المجال نعرض للاتجاهات الرئيسية في برامج القوى الوطنية ، ومواقفها تجاه مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتصوراتها حول آفاق ومستقبل المنطقة .. وفي مقدمة هذه القوى الوطنية : الجبهة الشعبية لتحرير الخليج ، والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج ، وجبهة التحرير الوطني بالبحرين .

وهناك اجماع بين كل القوى الوطنية والتقدمية في المنطقة على : « رفض الوجود البريطاني الذي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية ، ويواصل النهب المنظم لخيرات المنطقة وتحويل البلاد عن طريق زرع القواعد العسكرية الى بؤرة توتر بالنسبة لشعوب المنطقة ، وتهديد الشعوب الاخرى ، والسعي بكل الوسائل غير المشروعة لضمان استمرار تدفق النفط ، واستمرار السيطرة

السياسية والاقتصادية والعسكرية على هذه المنطقة الحساسة من العالم ، بالنظر لما تمثله من أهمية استراتيجية في حربها العدوانية ضد الشعوب المناضلة في آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية » .

« ... وان الاستعمار البريطاني راح يدخل في السنوات الاخيرة أساليب جديدة للتمكين من قبضته على شعوب المنطقة والقوى الوطنية والتقدمية تعتمد على اجهزة القمع البوليسية والجاسوسية ، والمطاردات والاغتيالات للعناصر الوطنية والتقدمية ، وشن حملات الاعتقال الجماعية ، والسعي الى شق صفوف الجماهير بجميع وسائل التأثير الفكري ، ومحاولة زرع روح العداء للافكار الوطنية والتقدمية » ..

وتشير برامج القوى الوطنية بالمنطقة الى : « اشتداد هجمات رؤوس الاموال الاستعمارية وخصوصا الامريكية والبريطانية على المنطقة في الفترة الاخيرة لبناء المشاريع الاستغلالية » . وتسوق جبهة التحرير الوطني بالبحرين الامثلة على ذلك مثل : « مشروع مصنع الالمنيوم الذي أنشيء في البحرين اخيرا برأس مال ٦٠ مليون جنيه استرليني وتشترك فيه بشكل أساسي رؤوس أموال أمريكية وبريطانية ، وزيادة عدد البنوك عن عشرة كالبنك الشرقي . والبنك البريطاني للشرق الاوسط ، وتشيس مانهاتن بنك ، وهيرست ناشونال بنك الذي نقل مركزه الرئيسي من بيروت الى البحرين اخيرا . وباكستاني حبيب بنك ، ويونايتدبنك ، وبنك صادرات ايران ، عدا شركات التامين وورش تصليح البواخر وشركات الطيران « بواك » وغيرها ، وشركات البواخر والمشاريع الفندقية (هيلتون - مون بلازا - الخليج) .. » .

كما تشير الجبهة الشعبية لتحرير الخليج الى : « افتتاح خمسة فروع جديدة للبنوك الاستعمارية في امارة راس الخيمة في السنوات الاخيرة وهي . بنك صادرات ايران . والبنك العربي المحدود . وناشيونال اندجرينلدس بنك وباكستاني حبيب بنك ويونايتد بنك باكستاني بالاضافة الى البنك البريطاني للشرق الاوسط القديم » .. وتنبه القوى الوطنية الى الدور النموذجي للبنوك الباكستانية كوسيطة للاستعمار الجديد » .

وتحذر القوى الوطنية من : « الاخطار الناجمة عن فتح الباب على مصراعيه امام الشركات الامبريالية ، الذي يعطي مقدرات البلاد للاستعمار الجديد ، وان تصبح الشركات الاستعمارية المالك الاساسي للبلاد ، كما سيؤدي من ناحية اخرى الى نمو الطبقة البورجوازية الكومبرادورية (التي تقوم باعمال التوكيلات وتصريف المنتجات الاستعمارية) . ذلك أن مجتمع الخليج بثرواته النسبية ، وبوجود طبقتين (اقطاعية ، وكومبرادورية) يخلق شرائح المجتمع التي تستهلك البضائع الاجنبية ، وينمي الطبقة الكومبرادورية المرتبطة بالاستعمار والمستعدة للدفاع عنه بشراسة ، ويضغط باستمرار للحفاظ على وضع اقتصادي يعتمد على السوق الرأسمالية العالمية ويرتبط بها » .

وتتفق وجهات النظر للقوى الوطنية المختلفة حول الاسباب الحقيقية التي دفعت بالامبريالية البريطانية : « الى انتهاج سياسة استعمارية جديدة تتمثل في تحديث وجودها الامبريالي في الجزء الشمالي من المنطقة ، عن طريق سحب بعض قواعدها وقواتها من الامارات الشمالية وخداعها باعطائها استقلالا شكليا زائفا كدول مستقلة قائمة بذاتها . وان الباعث من وراء دعوة بريطانيا لانشاء اتحاد الامارات العربية ، هو خدمة مصالح القوى الامبريالية والرجعية » . كما تعتبره الجبهتان الشعبية والديمقراطية : « تشويه فظ لرغبة جماهير الشعب ونضالها من أجل انهاء مأساة التمزق وتحقيق الوحدة بين شعوب المنطقة . وان كل ادعاءات ومظاهر الانسحاب البريطاني العسكري من الاجزاء الشمالية من الخليج . وكذلك المحاولات والمخططات الامبريالية الرامية الى اضفاء الطابع الوطني والديمقراطي على الاقاليم المحتلة وشبه المحتلة ، فان القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية تحاول ان تشدد قبضتها أكثر على هذه الاقاليم باشكال وطرق متعددة . وانهم في الوقت الذي يمهدون فيه لسحب بعض القواعد العسكرية المكشوفة والفرق العسكرية ، يعززون ويوسعون الجيوش المرتزقة ويخضعونها للتربية العسكرية الاستعمارية ، وكذلك زيادة وكثافة القوات البحرية الامريكية في مياه الاقاليم ، وتعزيز الامبريالية الامريكية للجيوش والقواعد العسكرية في ايران والعربية السعودية » .

وتحدد القوى الوطنية والتقدمية طبيعة المجتمع في الخليج . بأنه ، مجتمع مستعمر في الاجزاء الجنوبية ، وشبه مستعمر وشبه اقطاعي في الاجزاء الشمالية » كما تحدد : « اعداء الحرية

والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي هم طبقة الاقطاعيين والبورجوازية الكومبرادورية ، وجميع عملاء الاستعمار من كبار الموظفين والجواسيس والخونة الذين يشتركون في عمليات النهب والاثراء على حساب الجماهير وممارسة القمع والارهاب ضد المواطنين » .

وحول تحديد من هي الطبقات الوطنية ، ترى الجبهتان الشعبية لتحرير الخليج والوطنية الديمقراطية : ان طبقتي العمال والفلاحين اللتين تمثلان الغالبية الساحقة من الشعب (حوالي ٨٠ في المائة) والتي تعاني أكثر من غيرها من اضطهاد واستغلال الامبريالية والاقطاعيين والبورجوازية الكومبرادورية ، هما القوة الإساسية المحركة للثورة وتشكلان جسمها الاساسي والغالب ، وان البورجوازية الصغيرة في المدن والريف تعاني من الاستغلال والاضطهاد ، ولذا فهي تعتبر حليفا أساسيا للعمال والفلاحين » .

وان كانت جبهة التحرير الوطني في البحرين ترى : « بالنظر الى الظروف الخاصة ، والتطور النسبي المتميز للبحرين عن بقية الامارات الاخرى - فان العمال والفلاحين والمثقفين والبورجوازية الصغيرة ، هم القوى الاساسية للثورة صاحبة المصلحة في التقدم » . كما توضح « ان طبقة البورجوازية الوطنية بالمعنى التقليدي ليس لها وجود في البحرين » .

تعدد اشكال الكفاح

اما بالنسبة لشكل وأسلوب الكفاح من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية ، فيختلف الرأي ووجهة النظر بين القوى الوطنية في المنطقة ، اذ

ظفار

تقع ظفار على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وتشكل الجزء الغربي لسلطنة مسقط وعمان ، كما تربطها بجمهورية اليمن الجنوبية حدود مشتركة ، وتبلغ مساحتها حوالي ٥٤ ميلا مربعا ، ويقدر تعداد السكان بحوالي ٣٠٠ الف نسمة .

وفي عام ١٨٨٠ سقطت ظفار تحت سيطرة بريطانيا التي ضمتها الى سلطنة مسقط وعمان الخاضعة للاحتلال البريطاني ، وقامت بريطانيا بعزل ظفار عزلا تاما عن بقية الامة العربية ، والصراع السياسي والاجتماعي والفكري للتخلص من السيطرة الاستعمارية ، وحجبت عن الرأي العام العربي حقيقة الاوضاع السيئة في المنطقة .

والمجتمع الظفاري هو مجتمع زراعي يتميز بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي والفكري الشديد ويرتكز اقتصاده على الزراعة والرعي والصيد والتجارة ، بالاعتماد على وسائل انتاج بدائية ، مع استمرار ظاهرة الرق والعبودية التي ترجع الى التخلف الشديد في الانتاج ووسائله ، ويشكل الكادحون من عمال المباني والطرق والدراسة والعمال الزراعيين ، والفلاحين والصيادين والرعاة الغالبية الساحقة من الشعب .

وقد ادت هذه الاوضاع الى هجرة الكثيرين من شباب ظفار الى مناطق الخليج العربي والمملكة السعودية بحثا عن لقمة العيش ، حيث أتيح لهم الاتصال بالعالم الخارجي ، والتفاعل مع الاحداث السياسية والتحررية والقضايا العربية .

وفي عام ١٩٦٤ تكونت جبهة تحرير ظفار ، بالتقاء التنظيمات السرية الثلاثة من بين الشباب التقدمي الظفاري وهي : حركة القوميين العرب ، وجمعية ظفار الخيرية ، ومنظمة الجنود الظفاريين ، بهدف التحضير للثورة المسلحة ضد الاستعمار البريطاني .

وفي ٩ يونيو عام ١٩٦٥ ، أعلن بدء الكفاح المسلح من فوق جبال ظفار ، بقيادة جيش التحرير الشعبي الظفاري ضد الاستعمار البريطاني وحكم السلطان سعيد بن تيمور . ويعتمد جيش التحرير في كفاحه على استراتيجية حرب التحرير وتكتيكات حرب العصابات ، والانطلاق من الريف والجبال ومحاصرة المدن وتطويقها .

وقد استطاع ثوار ظفار خلال السنوات الماضية الصمود في مواجهة القوات العسكرية والطيران البريطاني ، وكتائب المرتزقة الاجانب من قوات مسقط وعمان بقيادة الضباط البريطانيين ، ونجحوا في تحطيم جدار الصمت الذي فرضته بريطانيا على المنطقة . وتبلغ نسبة المناطق المحررة حتى الان ثلثي الاقليم ، ويتولى حمايتها فصائل مليشيا الفلاحين .

بينما ترى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج : « انه في مواجهة أعداء شرسين متعددين كالامبريالية البريطانية والامريكية وحلفائهما الرجعيين ، لابد للثورة ان تكون ثورة شعبية واسعة طويلة الامد ، وتبنى استراتيجيتها وتكتيكاتها السياسية والعسكرية على هذا الاساس ، ولابد للثورة ان تكون ثورة مسلحة ، تستخدم بشكل جيد العنف الثوري في تحطيم العنف الامبريالي الرجعي . ان طريقة الحرب الشعبية الطويلة الامد تستطيع تحويل قوة العدو المؤقتة الى ضعف ، وضعفنا المؤقت الى قوة متعاظمة باستمرار ، وان التأكيد على خط الكفاح المسلح باعتباره الشكل الاساسي والاستراتيجي في النضال في كل الاقاليم لا يعني اطلاقا الاعراض عن الاشكال الاخرى في النضال »

كذلك ترى الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان الداخل : « ان تصفية الاستعمار والاوضاع المرتبطة به واقامة سلطة الشعب تعتمد أولا وأخيرا على آلاف البنادق التي تحملها آلاف الايدي المخلصة والثورية » .

وكما يتبين ، لا يوجد ثمة خلاف بين الجبهتين فيما يتعلق بهذه النقطة ، غير ان الامر يختلف في رأى جبهة التحرير الوطني بالبحرين . اذ تقول : « ان شعبنا يناضل من أجل ايجاد حكومة وطنية تمثل جماهير شعبنا ، وتطهير جهاز الادارة من الاداريين الانجليز واعوانهم وتقيم نظام ادارة وطني ديمقراطي ومؤسسة ديمقراطية تكفل الحريات الديمقراطية لمجموع الشعب البحريني (برلمان ومجالس ادارة وبلدية ينتخبها الشعب وتمثله حقا) وتضع دستورا يقوم على أساس ديمقراطي يأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية لوطننا . وكذلك تصفية جهاز المخابرات البريطانية والمتعاملين معه ومغادرة البلاد بدون رجعة ، وان لا يسمح شعبنا مرة أخرى بوجود (القسم الخاص) وان تلغى حالة الطوارىء التي أعلنت منذ ١٩٥٦ واطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين والمعتقلين وارجاع جميع المنفيين واعادة الجنسية لمن سحبت منهم » .

ان هذا الخلاف الواضح في وجهتي النظر لا يعد خلافا نظريا ، بل ينبع من الخط الاستراتيجي العام ، لكل من هذه القوى الوطنية ، ومن نظرتها التحليلية الشاملة للاوضاع ، والظروف الخاصة ، ومن ثم تحديد طبيعة المرحلة والمهام المطروحة والطبقات الاجتماعية صاحبة المصلحة في التقدم والدعوة لاحداث التغيير المنشود .. الامر الذي يفسر موقف الجبهتين الشعبية لتحرير الخليج الوطنية الديمقراطية اللتين تعتمدان اسلوب الكفاح المسلح في اقليم ظفار وعمان الداخل ، وتدعوان اليه في بقية اجزاء المنطقة ، وموقف جبهة التحرير الوطني في البحرين التي تقصر نشاطها فقط داخل حدود بلادها وتعتمد اسلوب النضال السياسي لتحقيق أهدافها .

ومن هنا تتفق وجهتي النظر للجبهتين (١) بشأن طبيعة المرحلة وهي : « ان الثورة في الخليج هي ثورة ديمقراطية شعبية ، ولابد من حل مهام الثورة الديمقراطية من مداخل اكثر تقدمية واكثر جذرية . وان الديمقراطية التي تناضل من أجلها الثورة ، هي ولا شك ديمقراطية من طراز جديد وديمقراطية جديدة وثورية » .

وعلى العكس تعتبر جبهة التحرير الوطني في البحرين ، ان طبيعة الثورة في المرحلة الحالية والدعوة لاحداث التغيير المنشود ... الامر الذي الاستقلال والتحرر الوطني وتدعيمه ، والنضال من اجل ان يصبح الاستقلال الذي أعلن في ١٤ اغسطس ١٩٧١ استقلالا حقيقيا » .

ولقد انعكس هذا التباين في وجهتي النظر حول طبيعة المرحلة وبالتالي المهام الاساسية في هذه المرحلة وخاصة على الصعيد المحلي ، وهذه المهام حسب رأى الجبهتين الشعبية والوطنية الديمقراطية هي : « تحرير المنطقة من كافة أشكال الوجود الاستعماري وتحقيق الاستقلال الناجز ، والقضاء على أنظمة الحكم العشائرية الاوتوقراطية ، والقضاء على التجزئة وتحقيق وحدة المنطقة السياسية والقضاء على الاقطاع بكافة أشكاله ، والقضاء على العبودية وتصفية بقايا علاقات الرق ، وبناء نظام سلطة الديمقراطية الشعبية ، وانهاء سيطرة استغلال الطبقة الكومبرادورية وتصفية الاحتكارات الاجنبية ، وتحرير السوق الوطنية من الارتباط بعجلة السوق الراسمالية العالمية ، وبناء اقتصاد وطني مستقل وقاعدة زراعية وصناعية ثقيلة ، واطلاق حريات ومبادرات الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في

---

(١) اعلن في الفترة الاخيرة انه تقرردمج الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي في جبهة واحدة باسم «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي » .

الثورة ،وتعبئة طاقات الشعب سياسيا وعسكريا، وبناء جيش ثوري قوي ، والعمل على الغاء فوارق التخلف بين الريف والمدينة ، ومكافحة الثقافة الاستعمارية والرجعية وبناء ثقافة وطنية ثورية ، وتحرير المرأة من كافة أشكال الاضطهاد السياسي والاجتماعي والعائلي، والقضاء على الظلم الاجتماعي وتوفير العيش الكريم لكل مواطن ومحاربة أسباب الفساد الخلقي والاداري والسياسي ومحاربة الفقر والجهل والمرض وكافة أسباب التخلف في المجتمع وضمان الحقوق الكاملة للاقليات والجاليات الاجنبية وحرية العقائد والمذاهب الدينية » .

كذلك فان المهام على الصعيد المحلي كما تراها جبهة التحرير الوطني في البحرين هي : « تنمية الاقتصاد باقامة صناعة وطنية لاستثمار مواردنا وثرواتنا الطبيعية لغرض سعادة ورفاهة شعبنا، واقامة نظام ضرائبي يحمي الصناعة الوطنية وتخفيض الضرائب غير المباشرة عن كاهل الشعب ، وتخليص شعبنا من شركات الاحتكار الاجنبية وبنوكها ، وضد سيطرتها الاحتكارية على تجارتنا الخارجية ، وحل مشكلة التموين بالضرب على أيدي المضاربين والمحتكرين لقوت الشعب وتمكين الشعب من شراء قوته بأثمان تناسب دخله ، وان لا يكون ثلث الدخل خاص بفئة صغيرة ، والسماح للعمال بانشاء نقابات للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والثقافية ، ومن أجل ضمان اجتماعي يقيهم عوز المرض والبطالة والشيخوخة وتطوير الانتاج الزراعي ، واقامة اصلاح زراعي يكفل المصالح الحقيقية للفلاحين البحرانيين ، وتخليص شعبنا من الاقطاع ، وايقاف نهب الاراضي من قبل الشيوخ وأعوانهم ، وتوزيع الاراضي الزراعية والقابلة للزراعة على الفلاحين مباشرة وبدون بدل ، ومساعدة الفلاحين ومنحهم القروض الحكومية من نقدية وبذور وماكينات زراعية ، وتطوير التعليم ورفع مستواه واقامته على اسس وطنية تستلهم تراث الشعب البحراني ولكلا الجنسين وبدون تمييز ، ورفع مستوى الشعب الصحي وتأمين الخدمات الصحية لكافة افراد الشعب ، ومساواة المرأة البحرانية بالرجل في كافة الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية » .

وفيما يتعلق بالمهام على الصعيد العربي والعالمي ، فان وجهات النظر بين القوى الوطنية المختلفة تكاد تكون متطابقة تماما وهي : « النضال تحت راية النضال المشترك لحركة التحرر الوطني العربية من أجل تحرير جميع الاقطار العربية ، ومن أجل استقلالها وسيادتها الوطنية وحرياتها الديمقراطية ، ومن أجل انتصارات جديدة لحركة التحرر العربي ضد الاستعمار والصهيونية والوقوف الى جانب المقاومة الفلسطينية والعمل على توحيد كافة القوى الوطنية والتقدمية في الساحة العربية . واعتبار الثورة في منطقة الخليج العربي جزء من حركة الثورة الوطنية العالمية ، والوقوف الى جانب القوى الاشتراكية والتقدمية العالمية في صراعها التاريخي ضد قوى الامبريالية والرأسمالية العالمية » .



الطبقة الوسطى

ودورها

فى المجتمع المصرى



د . رفعت السعيد

لعل تسمية ما ، لم تشغل اذهان الباحثين مثل اسم « **الطبقة الوسطى** » والذى يعنينا الان هو تحديد **ما نقصده** بالضبط من هذه العبارة التى **فقدت مضمونها** القديم فقدانا يكاد ان يكون تاما ، وتحولت من حيث تعبيرها عن موقع اصحابها فى سلم الطبقات الاجتماعية فى مصر لتصل بهم الى أعلى درجات هذا السلم ٠

ومن هنا فان عبارة « **الوسطى** » تصبح غير ذات مدلول ، بل ومضللة في أحيان كثيرة ٠

كذلك فاننا لا نستطيع ان نسميها « بالبرجوازية الكبيرة » فهى أيضا تسمية توحى بمدلول مختلف تمام الاختلاف من حيث القدرة الاقتصادية و لقدرة على تحقيق التراكم الراسمالى والاهم من ذلك **هو** المقدرة على تحويل هذا التراكم الى استثمارات رأسمالية ٠

ان عصر « البرجوازية الكبيرة » بمعناها العلمى قد اختفى من أفق مصر بصدور قرارات التأميم عام ١٩٦١ ٠ ولسنا نعنى بذلك اختفاء « الاثرياء الكبار » فثمة عناصر برجوازية تستطيع الان ومن خلال مسالك مأمونة وقانونية أن تحقق ثروات ضخمة قد تصل بها من حيث « المظهر » والقدرة على التظاهر بالثراء سواء فى المسكن أو مستوى المعيشة أو الملبس او كمية الانفاق الى حد قد يدنو بها الى مستوى قريب من المستوى الذى كانت تعيش فيه بعض فئات البرجوازية المصرية الكبيرة القديمة ٠ لكن ذلك لا يكفى على الاطلاق كى تسميها « بالبرجوازية الكبيرة » **فهى .ومهما بلغت من ثراء لا تزال**

محكومة بقيود قوانين تمنعـها من « الانطـلاق الرأسمالى » وتفرض عليها التمسك بطابع الانتاج الصغير خوفا من مخاطر مستقبلة .

وقد يلجأ البعض للتحـايل فيقيم عـددا من الوحدات الصغيرة المتناثرة بدلا من وحدة انتاجية كبيرة واحدة ، لكن ذلك لا ينفى ان طابع « **الوحدة الصغيرة** » **يظل مسيطرا على عملية الانتـاج ذاتها .**

وباختصار فان المجتمع المصرى يحتوى الان من **القيود القانونية والقيود السياسية ، بل والقيود الطبقية ما يعوق من نمو هذه العناصر البرجوازية** الاستغلالية الى مرتبة البورجوازية الكبيرة . كذلك فان تسمية « الرأسمالية الوطنية غير المستغلة » هى مجرد تسمية سياسية .

فمن الناحية النظرية المجردة يصعب تصور قيام اى استثمار رأسمـالى « كبير كـان أم صـغير ، وطنى آم غير وطنى » مع نفى صفة الاستغلال عنه .

فالاستغلال من الناحية النظرية والعملية صفة ملازمة لعملية الاستثمار الرأسمالى .. كذلـك فان عبارة الرأسمالية الوطنية غير المسـتغلة « هى عبارة عامة وغير محددة من ناحية المضمون **الاجتماعى** ، ويبدو ان الميثاق « قد تعمد التعميم مؤملا ان يفسح المجال أمام المزيد من التغييرات الاجتماعية المتقدمة فى المستقبل من ناحية ، ومن ناحية أخرى كى يحدد الاطار السياسى للجبهة الوطنية نافيا عن اى طرف من أطـرافها حق « الاستغلال » الاقتصادى للاخرين .

لكن هذه التسمية السياسية العامة والمتقدمة لم تنف من الناحية الموضوعية قيام أشكال مـن الاستغلال الرأسمالى فى المجتمع ، كما انها فى غيبة الحرص الطبقى والسياسى لم تنف امكانية انطلاق فئات عديدة سريعا فى طريق تحقيـق تراكمات رأسمالية لا بأس بها وابتكار أشكال مختلفة ومسارب مختلفة لتحقيق ارباح غير قليلة .

كذلك يفضل البعض اطلاق اسـم « **الطبقة الجديدة** » أو « **الفئات الجديدة** » **وهذه التسمية تصلح اسـاسـا للاشـارة الى فئـات البيروقراطيين الجـدد الذين احتـلوا مـراكز** القيادة فى قطاعات الاقتصاد والانتاج عقب التاميمات ، وربما عبرت أيضا عن جماعات ممن استفادوا من صلاتهم وعلاقاتهم للانخراط فى سلك العمولات والتوكيلات والتصدير محققين أرباحا خيالية ..

لكنها تتجاهل بشكل اساسى عناصر الطبقـة الوسطى التقليدية وفئات المنتجين الصغار القدامى الذين كانوا يعيشون حياتهم تحت وطاة قهـر ومنافسة وضغوط المشاريع الرأسمالية الكبيرة ، ثم فجاة وبعد التاميمات وجدوا انفسهم فى أعلى درجات سلم « القطاع الخاص » محققين أرباحا كبيرة سواء من خلال تعاملهم بوسائلهم واساليبهم الخاصة مع القطاع العام أو من خلال انفرادهم بانتاج مفردات سلعية قد تبدو تافهة لكنها تحقق ربحا عاليا ، او من خلال استمتاعهم بتشجيع وتمويل الدولة وبنكها الصناعى لمشاريعهم ... أو من خلال عشرات الوسـائل والاساليب الاخرى القانونية وغير القانونية ..

وهذه الفئة قديمة - كما قلنا - ومتواجدة منذ ما قبل الثورة واستمر تواجدها حتى الان مع المزيد من التوسع فى حجم نشاطها والمزيد من الارباح ومن فرص الربح .

ان النشرة الاقتصادية للبنك الاهلى تشيـر الى ان القطاع الخاص « لا يزال يلعب **دورا هاما فى النشاط الصناعى على العكس من الظن الشائع** »

ثم هى تقدم الاحصائية التالية تدليلا على صحة وجهة النظر هذه .

الحصة النسبية للقطاع الخاص من اجمالى الانتاج الصناعى (١)

القطاعات	عام ٦٢/٦٤	عام ٦٤/٦٥	عام ٦٥/٦٦	عام ٦٦/٦٧	عام ٦٧/٦٨
	٪	٪	٪	٪	٪
صناعة الغزل والنسيج	٢٧ر٤	٢٩ر٣	٣٠ر٨	٥٧ر٨	٥٣ر٩
الصناعات الغذائية	١٨ر٥	١٧ر٧	٢٠ر٥	٢٣ر٦	٢٥ر١
الصناعات الكيماوية	١٥ر٦	١٤ر٧	١٤ر٢	١٣ر٤	١٢ر٧
الصناعات الميكانيكية	—	٢٢ر٣	٢٣ر٨	٢٤ر١	٢٥ر٦
الصناعات الخشبية	٨٥ر٠	٨٥ر٠	٨٤ر٠	٨٦ر٠	٨٧ر٠

[١] البنك الاهلى - النشرة الاقتصادية - العدد الرابع [عام ١٩٦٩] مقال آفاق النمو الصناعى الحديث فى ج.ع.م ص ٣٦٣ - نقلا عن - الجهاز المركزى للتعبئة العـامة والاحصاء - نشرة احصاءات عامة ودراسات تحليلية رقم ٦٨ - سبتمبر ١٩٦٩ .

ان نظرة واحدة على هذه الاحصائية توضح على الفور حجم الدور الذى تلعبه هذه الفئات فى عملية الإنتاج الصناعى . بل وتوضح أيضا مدى الازدهار الذى تحققه . ذلك انه بالرغم من تزايد المشاريع الصناعية العامة سواء من ناحية العدد أو الضخامة أو الانتاجية ، فان الحصة النسبية للقطاع الخاص من اجمالى الانتاج الصناعى تتزايد فى أكثر من موضع .

ولا شك ان احصائيات أعوام ٦٩ ـ ٧٠ ـ ١٩٧١ سوف تحمل هى أيضا مزيدا من مؤشرات الزيادة .

فاذا أضفنا الى مجالات الصناعة المجالات الاخرى مثل الزراعة والمقاولات وتجارة الجملة ونصف الجملة والتجزئة وهى مجالات كلاسيكية بالنسبة للطبقة الوسطى منذ أمد طويل يتضح لنا مدى الخطا الذى يمكن أن نقع فيه لو اكتفينا باطلاق اسم الطبقة « الجديدة » على هذه الطبقة المكونة من فئات متعددة وغير متجانسة من بينها فئات واسعة تمثل « الطبقة الوسطى القديمة » بكامل صفاتها الكلاسيكية المتعارف عليها فى حقل الدراسات النظرية وفئات واسعة أخرى نشأت وتكونت من خلال عملية التحول الاقتصادى والاجتماعى والسياسى التى شهدها المجتمع المصرى منذ قيام ثورة يوليو . وهى فئات جديدة بالفعل من حيث منطلقاتها الفكرية والسياسية ودورها فى مجالات الانتاج ومن ثم فانه يتعين اخضاعها لمقاييس نظرية مختلفة عند تناول دورها بالتحليل .

نخلص من ذلك كله ان التسمية الاكثر دقة والاكثر علمية لهذا القطاع من الفئات الذى يصطلح سياسيا على تسميته أحيانا باسم « الطبقة الوسطى » وأحيانا اخرى باسم « الرأسمالية الوطنية غير المستغلة » ، وأحيانا ثالثة باسم « الطبقة الجديدة » هى « الفئات الاجتماعية العليا فى المجتمع المصرى الجديد » .

وعبر هذه الدراسة فاننا عندما نتحدث عن « الطبقة الوسطى » فانما نستخدم مجرد اصطلاح سياسى متعارف عليه يعنى من الناحية العلمية هذه « الفئات الاجتماعية العليا فى المجتمع » .

ملاحظات حول التكوين الاجتماعى

ممن تتكون اذن هذه المجموعة .. من « الفئات العليا فى المجتمع » ؟

فى الريف .. تتكون من :

● الشرائح العليا من متوسطى الفلاحين وخاصة هؤلاء الذين تمكنوا من تكوين ثروات ليست بالقليلة من خلال السيطرة على الجمعيات التعاونية فى القرى وتحويل مشاريع الدولة لخدمة الفلاح ، والتيسير عليه الى مجالات للربح غير المشروع .

● أغنياء الريف وهى فئة استفادت من ازاحة كابوس كبار الملاك عن كاهلها لتحتل هى مكان الصدارة فى القرية وتهيمن بنفوذها على مختلف مجالات العمل السياسى والتعاونى والاقتصادى فى القرية .

وهى الفئة التى تجثم الان « سياسيا » و « اقتصاديا » الى حد ما على كاهل القرية المصرية، مستفيدة من كل ما يقدم للريف من خدمات ، فهذه الفئة تعتبر أنها وحدها المعنية بكل ما تحدث عنه الميثاق وبرنامج العمل الوطنى والدستور والقوانين من ضرورة تمثيل الفلاحين فى العمل السياسى والتشريعى . وهى فئة لا تكتفى بما تملكه من اراض زراعية ، لكنها تمارس الان نشاطا « تجاريا » و « ربويا » « وانتاجيا » واسعا . فهى تتجر فى المحاصيل الزراعية وخاصة بعد أن أتاحت لها ذلك بعض التعديلات الاخيرة من فرص الافلات من قوانين التسويق التعاونى وهى تفرض على سوق القرية نوعا من الاحتكار فى عدد من الضروريات الاساسية مكونة سوقا سوداء تنهب الفلاحين الفقراء نهبا حقيقيا ، والفئات المستنيرة منها تشتغل الان باعداد محاصيل للتصدير ، وبعضها بدأ ينتهز أيضا بعض التعديلات التى طرأت على القوانين ليقوم بعمليات « ربوية » وشراء المحاصيل مقدما الخ . وبعضها ينشط فى مجالات تربية الماشية ، والصناعات الغذائية المختلفة ... الخ .

وباختصار فانها فئة نشيطة شديدة النهم تتحرك فى مجالات مختلفة وعديدة وتمارس نشاطا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا واسعا . ومن هذه الفئة تبرز الغالبية الساحقة من ممثلى « الفلاحين » سواء فى مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكى وفى مجلس الشعب وفى المجالس الشعبية المحلية وتستفيد هذه الفئة من تواجدها فى هذه الاماكن ، ومن علاقاتها الاسرية وصداقاتها مع قيادات الاجهزة الحكومية المحلية لتحقيق المزيد من المكاسب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

فى مجال الانتاج الصناعى

تقدم لنا الاحصائية السابق الاشارة اليها صورة كافية عن مدى نشاط القطاع الخاص فى مجال الصناعة ، وعن مدى الاتساع المستمر لهذا

النشاط بحيث يبدو القطاع الخاص فى بعض المجالات فى وضع المسيطر سيطرة شبه تامة على هذه المجالات

وثمة بيانات أخرى بالغة الاهمية توضح حقيقة الدور الذى تلعبه هذه الفئة فى مجالات الصناعة المختلفة .

فاذا أخذنا قطاعا محدودا من هذه الفئة وهم أصحاب المشاريع الصناعية التى تستخدم عشرة عمال فأقل (واضعين فى الاعتبار الضعف النسبى للاوضاع الاقتصادية لهذه الفئة من المستثمرين وأن هناك وحدات للقطاع الخاص كثيرة العدد تضم عمالا يزيدون عن عشرة ومن ثم تحقق ربحية أعلى وأنتاجية أزيد) ، فاننا نجد أمامنا الحقائق الرقمية التالية : (٢) .

- عدد المنشآت ١٤٤٫٥٥٦ منشأة
- يعمل بها ٢٨٥٫٠٠٠ مشتغل
- تستخدم ٣٣ فى المائة من القوة العاملة فى قطاع الصناعة كله .
- قيمة الانتاج الاجمالى الذى تحققه ١٤٢٫٤ مليون جنيه .
- القيمة المضافة التى تحققها هذه المنشآت ٥٦٫٥ مليون جنيه .

وهذه الارقام كافية بذاتها للدلالة على حقيقة الثقل الاقتصادى ومن ثم الثقل الاجتماعى لهذه الفئة .

لكننا يتعين علينا أن نلفت النظر الى حقائق غاية فى الخطورة نجمت عن هذا « الثقل الاقتصادى » **ففى الوقت الذى تحقق فيه هذه الفئات أرباحا كبيرة فانها تفرض على عمالها اجورا منخفضة الى حد يثير الدهشة ، بل وتثير التساؤل أيضا حول مدى تطبيق قوانين الحد الادنى للاجر .**

والجدول التالى يوضح مقارنة بين الاجر الشديد الانخفاض الذى يحصل عليه عامل القطاع الخاص وبين ارتفاع القيمة المضافة التى يحققها بجهده وعرقه ...

ونظرة واحدة على الاحصائية المبينة فى الجدول التالى نوضح أن ثمة عاملا مصريا لا يزال حتى الان يتقاضى اجرا **قدره ١٦ جنيها سنويا أى بالتحديد (١٣٣ قرشا فى الشهر)** بينما يحقق المشروع الذى يعمل فيه قيمة مضافة قدرها ٢٤٫٤ فى المائة ....

كذلك تستخلص الدراسة المشار اليها عددا من الحقائق الهامة :

- فهذا القطاع يحقق حوالى ١١ فى المائة من القيمة المضافة التى يحققها قطاع الصناعة ككل بينما لا تزيد الاجور المدفوعة فى هذا القطاع عن ٢٠٫٤ فى المائة من اجمالى الاجور فى قطاع الصناعة (٤) .
- ونلاحظ أيضا أنه بينما يتراوح نصيب الاجور فى القيمة المضافة بين ٩٫٣ فى المائة و١٤٫٨ فى المائة فان نصيب عوائد التملك فى هذه القيمة بين ٨٥٫٢ فى المائة و ٩٠٫٧ فى المائة (٥)

ويهمنا أن نلاحظ أن **فئة المنتجين الصناعيين فى**

الاجر والقيمة المضافة فى وحدات القطاع الخاص (عشرة عمال فاقل) (٣)

القطاع	متوسط الاجر السنوى بالجنيه	متوسط نسبة القيمة المضافة الى راس المال
صناعة المواد الغذائية وتشمل المشروبات والتبغ	٤٤	٢٠٫٦ ٪
صناعة الاحذية والملابس والمصنوعات من الاقمشة	١٦	٢٤٫٤ ٪
صناعة الاثاث والتركيبات	٢١	١٠٫٥ ٪

[٢] الاحصاءات التالية نقلا عن — المجلة الاقتصادية — البنك المركزى المصرى — العدد ٣ — ٤ لعام ١٩٦٩ — دراسة — العمال والانتاج فى الصناعات الصغرى .
[٣] المرجع السابق ص ١٧٣ ، ١٧٤
[٤] المرجع السابق — ص ١٦٨ — [محسوبة على اساس بيانات عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧] ومشتقة ايضا من دراسة المختارات الاحصائية — الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء — عام ١٩٦٨ .
[٥] المرجع السابق — ص ١٧٦ .

القطاع الخاص وبرغم كل ما تحققه من أرباح وما تفرضه من استغلال على عمالها ، فانها أيضا تستحوذ بنهم شديد على كل ما تحققه الدولة من تسهيلات أو خدمات في مجالها ، مثلها تماما مثل أغنياء الفلاحين في الريف • والنموذج الحي على ذلك هو عملية «الاستحواذ» المنظمة والمتزايدة التي تقوم بها فئة المستثمرين الصناعيين في القطاع الخاص على معظم مخصصات البنك الصناعي •

ويشير الدكتور فؤاد مرسي ـ وكان في ذلك الحين ـ رئيس مجلس ادارة البنك الصناعي الى هذه الحقيقة قائلا : « وهكذا ظلت قروض البنك وتسهيلاته تلعب دورا انشائيا بالنسبة للقطاع الخاص ، فتمويل هذا القطاع لم يكن يعني مجرد تقديم أموال التشغيل بل كان يعني ايضا تمكينه من الاستثمار الجديد وذلك بالمساعدة على اقامة الورش والمصانع وشراء الالات الجديدة ، ونتيجة لذلك ارتفعت جملة التسهيلات الائتمانية المقدمة للقطاع الخاص من ٠٠٠ر١٦٧ جنيه في عام ٦٤ ـ ١٩٦٥ الى ٨ر٥ مليون جنيه في عام ٦٩ـ١٩٧٠ بنسبة ٦ر٧١ في المائة من جملة تسهيلاته ، وانكمش بالتالي نصيب القطاع العام منها، هذا عدا عمليات بيع الالات بالتقسيط التي ذهبت بالكامل للقطاع الخاص » (٦) •

ويوضح الجدول التالي مدى السرعة التي زاد بها القطاع الخاص من استحواذه على مخصصات البنك الصناعي على حساب كل من القطاع العام والقطاع التعاوني •

وهكذا فان القطاع الخاص لم يكتف بكل ما يحققه من أرباح وما يفرضه على عماله من أساليب وعلاقات استغلالية ، بل انه يمارس عملية استيلاء منظمة على كل ما تقدمه الدولة من فرص ومساعدات لدعم التطور الصناعي في مصر •

والغريب في الامر ان هذه الفئة لا تكتفي بذلك كله بل أنها ترفع صوتها باستمرار مطالبة بمزيد من « **التشجيع** » و « **التسهيلات** » ، و « **الاعفاءات** » ••• وكلما قدمت لها الدولة « مساعدة » ما ، كلما رفعت عقيرتها مطالبة بالمزيد •

وقد وصل الامر ببعض الباحثين الذين تولوا الدفاع عن مصالح هذه الفئة المطالبة باعفائها من الضرائب لمدة ٥ أو ٧ سنوات (في بعض المجالات السياحية (٨) •

في مجال الاسكان والتشييد

نلاحظ نموا متزايدا وسريعا لفئة المقاولين وخاصة المقاولين من الباطن الذين يعملون من خلف لافتات القطاع العام • ان كثيرا من شركات المقاولات في القطاع العام تستسهل عملية الحصول على مقاولة ما ثم منحها من الباطن لواحد أو أكثر من مقاولي القطاع الخاص مقابل عمولة • وكأن كل الهدف من انشاء شركات المقاولات في القطاع العام هو الحصول على بعض العمولات، وليس تقديم نماذج ايجابية في الاداء والتشغيل والانتاجية وعلاقات العمل • واذا كنا لا نملك احصاءات وافية عن نسبة ماحصل عليه القطاع الخاص من مقاولات فاننا نقطع بأن النسبة عالية بل وأكثر مما يتوقعه الكثير من الباحثين •

التسهيلات الممنوحة من البنك الصناعي بحسب القطاعات (بملايين الجنيهات) (٧)

السنة	جملة التسهيلات	القطاع العام		القطاع الخاص		القطاع التعاوني	
		المبلغ	النسب المئوية	المبلغ	النسب المئوية	المبلغ	النسب المئوية
٦٧/٦٦	٦ر٤	٨ر٣	٤ر٨٢	٦ر٠	٩ر١٢	٢ر٠	٧ر٤
٦٨/٦٧	٩ر٣	٤ر٢	٨ر٥٩	٣ر١	٢ر٣٤	٢ر٠	٠ر٦
٦٩/٦٨	٩ر٥	٣ر١	٢ر٣٢	٦ر٤	٧ر٧٦	٠٦ر٠	١ر١
٧٠/٦٩	٢ر٨	٣ر٢	٨ر٢٧	٨ر٥	٢ر٧١	٠٨ر٠	٠ر١

[٦] د• فؤاد مرسي ـ مقال ـ تطوير البنك الصناعي ـ مجلة مصر المعاصرة ـ ابريل ١٩٧١ ـ ص ١١

[٧] المرجع السابق ـ ص ١٢

[٨] سيد امام محمد ـ مدير بحوث التمويل بوزارة الخزانة ـ مقال ـ الاعفاءات الضريبية بقصد تشجيع الاستثمار والانتاج ـ مجلة مصر المعاصرة ـ يوليو ١٩٧١ ص ٢١٤.

كذلك لابد لنا أن نشير الى أن اقتحام مقاولى القطـاع الخاص لهذا الميدان قـد فرض بالضرورة **المنطق الرأسمالى** فى السعى للحصول على أقصى حد من الربح ، دون ما نظر للالتزام بدقة المواصفات أو حسن الاداء ·

وفى مجال الاسكان يحقق المستثمرون ارباحا خيالية ، وسوف نكتفى فى هذا الصدد بنموذج واحد يوضح حجم هذه الارباح · وهذا النموذج **هو اعلان صغير نشرته الاهرام يقول : « مـطلوب مالك أرض ، موقعها مهم يشترك معنا بالارض فقط لانشاء عمارة للتمليك ، يصـل الربـح الى ٨٠ فى المائة » (٩)** ؛ ولكى لا يشك القارىء ان ثمة خطأ مطبعيا فان الربح كما يقول الاعلان يصل الى ثمانين فى المائة من رأس المال) ·

ولعل هذا الربح الكبير هو الذى دفع كثيرا من تراكمات رأس المال المصرى للاتجاه الى الاسكان بحيث تزايدت الاستثمارات فى قطاع الاسـكان محققة دخو لا مرتفعة لأصحابها ·

وتوضح الاحصائية التالية حجم الدخول المحققة فى قطاع الاسكان وسرعة تزايد هذه الدخول بصورة ملفتة للنظر ·

ولعلّ هذه الارقام كافية بذاتها للدلالة ليس فقط على ضخامة استثمارات القطاع الخاص فى مجال الاسكان وانما أيضا على مدى الثراء الذى حققته الطبقة الوسطى عموما بحيث أصبح بامكان فرد من أفرادها أن يشترى عمارة قيمتها ٠٠٠ر٢٠٠ جنيه أو فيلا قيمتها ٠٠٠ر١٠٠ جنيه ··· ولعلها أيضا دليلا على الجراة التى بدأت هذه الطبقة تتسم بها فى تصرفاتها فلقد مضت فترة من الزمن كان هؤلاء الذين يمتلكون مبالغ كهذه يترددون كثيرا قبل الافصاح عن ملكيتهم لها ···· كذلك فان كثيرا من المستثمرين فى مجال الاسكان يلجأون الى تمليك الشقق او تأجيرها مفروشة محققين أيضا أرباحا خيالية ·

فى مجـال التجـارة والتوكيـلات

وهو واحد من المجالات التقليدية التى ساد فيها نفوذ مستثمرى الطبقة الوسطى لفترة طويلة من الزمن بغير منافسة تذكر من القطاع العام ····

ان ضخامة حجم الاستثمارات الخـاصة والارباح التى تحققهـا فى هذا المجـال تتضح من أرقام مستقاه من مصدر رسمى تقول : « أنه فى عام ١٩٦٧ كان » **هناك ٢١٩ تاجرا يتجـرون وحدهم فى بضائع لا تقل أثمانها عن ١٣٠ مليون**

تقدير الدخل المحلى من قطاع الاسكان بالاسعار الجارية (مليون جنيه) (١٠)

عام ٥٩/٦٠	١٩٦٥/٦٤	١٩٦٦/٦٥	١٩٦٧/٦٦	١٩٦٨/٦٧	١٩٦٩/٦٨
٧٢ر٠	٧٤ر٩	٧٦ر١	٧٩ر٠	١١٣ر١	١١٥ر٦

ولعل ضخامة رؤوس الاموال التى يستثمرها القطاع الخاص فى مجال الاسكان تتضح من نظرة سريعة أخرى على الاعلانات المبوبة ·

فالشركة الاشتراكيه (!) لتقسيم وبيع الاراضى تطلب شراء عمارات على النيل قيمة كل منها من ٠٠٠ر١٠٠ الى ٠٠٠ر٢٠٠ جنيه · (١١) ·

ونفس هذه الشركة الاشتراكية (!) تطلب فى اعلان آخر شراء فيلات · قيمة الفيلا الواحـدة ٠٠٠ر١٠٠ جنيه (١٢)

جنيه كل سنة ، ولا تقل أرباحهم منها عن ٢٥ مليون جنيه كل عام » (١٣) ·

ولم تكن المسألة مجرد ارباح فـاحشة ، او استثمارات كبيرة ، بل لقد تعدت ذلك الى ان هذه الفئة قد أقامت **سوقا سوداء تستند الى نوع من الاحتكارات الصغيرة** التى تستحوذ على معظم المتواجد من سلعة ما فى السـوق ، ثم تضـارب بأسعارها صعودا الى غير ما حد ···· وفى تصريح صحفى ادلى به وزير التموين قال « لقد

[٩] الاهـــرام : ١٩٧٠/٦/٢٩ [الاعلانات المبوبة] .
[١٠] البنك الاهلى المصرى — النشرة الاقتصادية — العدد الثانى لعام ١٩٧١
[١١] الاهـــرام ١٩٧١/١١/٢٣ [الاعلانات المبوبة] .
[١٢] الاهـــرام ١٩٧١/١١/١٢ [الاعلانات المبوبة] .
[١٣] الاهرام — ١٩ اكتوبر سنة ١٩٦٧ — سوق الجملة بكل اسراره — تحقيق عبد الوهاب مطاوع

تبين أن تاجرا يختزن بنصف مليون جنيه قطع غيار سيارات بينما السوق فى أشد الحاجة اليها ، وتاجر آخر يختزن بـ ١٢٠ الف جنيه أقمشة شعبية ، وآخر عنده بـ ٢٣٠ الف جنيه أدوات كهربائية وهو يبيع القطعة التى ثمنها أربعة قروش بأربعين قرشا » (١٤) .

وحتى بعد تصفية نفوذ هذه الفئة فى بعض مجالات تجارة الجملة ، فانها قد استمرت فى استغلالها بصورة أو بأخرى مستطيعة دوما أن تجد لنفسها طريقا للربح غير المحدود . **وبعض هذه الطرق هو سوق البضائع المهربة** .. وقد بدأت فى أول الامر كنوع من جس النبض ، فعندما أغمض المسئولون أعينهم عنها تحولت الى تجارة كبيرة منظمة أعيت الحيل فى مطاردتها . وتشير تصريحات المسئولين أيضا الى أنه خلال عامى ٦٧-١٩٦٨ « تدفقت على مصر كميات من البضائع المهربة تقدر دوائر وزارة الاقتصاد قيمتها بعشرة ملايين جنيه ، ويؤكد مدير جمارك القاهرة من خلال مراقبته لمحاولات التهريب أنها تزيد كثيرا عن هذا الرقم » (١٥) .

وتشير هذه التصريحات أيضا الى وجود ٤٢ ملكا لسوق البضائع المهربة يتعاملون فى ١٠ ملايين من الجنيهات والى أن ٩ فقط من هؤلاء التجار تصل اليهم كل شهر بضائع قيمتها ٥٠ الف جنيه (١٦) .

ولنا أن نتخيل حجم الارباح التى تجنى من عمليات التهريب هذه والتى يقطع الكثير من المختصين بأن نسبتها تزيد على ١٠٠ فى المائة وانها تصل أحيانا الى ٢٠٠ فى المائة .

ولنسمح لانفسنا بان نقطع الطريق على الحديث بالارقام لنشير اشارة عابرة الى المخاطر المعنوية التى تهدد المجتمع من سيادة الاتجاه للبحث عن المصنوعات الاجنبية ، واعتبارها معيارا وحيدا ولا بديل له للاحترام والارستقراطية والثراء ، منبهين أيضا الى خطر ذلك على سوق المنتجات المحلية .

وحتى فى مجال العلاقة بالقطاع العام وبرؤوس أموال قليلة نسبيا يمكن للانسان أن يحقق نسبا عالية من الربح .

ولنكتف فى هذا الصدد باعلان صغير يقول : « لسعة العمل - **مطلوب شريك بالنصف** لتوكيل شركة مصر للالبان والاغذية قطاع عام .. **يحقق التوكيل ربحا صافيا أكثر من ٦٠٠ جنيه شهرى ، والتعاقد مع الشركة مقابل ٨٠٠٠ جنيه ، تحصلها الشركة لحساب الوكيل** » (١٧) أى أن الربح السنوى = ٦٠٠ × ١٢ = ٧٢٠٠ جنيه ، أى ما يعادل كل رأس المال المستثمر تقريبا ، ونعتقد أن فى هذا المثال الكفاية .

فى مجال الاستيراد والتصدير

وهنا نصل الى مجال تحقق فيه الرأسمالية المصرية أرباحا تفوق الوصف ، ومرة أخرى أود أن أكرر ان الوقائع والحقائق الرقمية تفوق الحصر ، واننا سنكتفى فقط ببعض النماذج ، والارقام الرسمية وحدها تكفى دليلا على نسبة الربح العالية فى مجال تصدير الحاصلات « ثمن طن الثوم فى أسواق ميونخ وباريس وروما ٨٠٠ جنيه استرليني ، بينما ثمنه فى القاهرة لا يتجاوز ١٧٠ جنيها مصريا ، وثمن طن دهن الياسمين فى مصر ٥٠٠ جنيه مصرى بينما تشترى فرنسا الطن منه بـ ٩٠٠ جنيه استرليني ، والطن من زهور البابونج ثمنه فى ألمانيا الغربية ٧٠٠ جنيه استرليني وفى القاهرة ٢٨٠ جنيها مصريا » (١٨) . **ان هذه النسب العالية من الارباح قد اجتذبت الكثيرين من أبناء هذه الطبقة الى مجال التصدير والاستيراد بادئين فى أول الامر فى التحايل للحصول على الحصص المخصصة للقطاع العام عن طريق تقديم رشاوى ضخمة لبعض موظفيها** ....

ولنتامل - كالعادة - نموذجا واحدا هى قضية التلاعب فى أذون الاستيراد المعروفة باسم **قضية بسيونى جمعة ، فقد كشفت التحقيقات فيها** عن حقائق خطيرة سواء فى كمية الارباح التى يحققها المشتغلون فى هذا المجال ، أو كمية الافساد الذى ينشروه .... ولنر الامثلة :

●● « **استطاع المتهم العشرون الحصول على** نسبه ٥ فى المائة من مليون جنيه قيمة أذون حصل عليها من شركة لتجارة السيارات لصالح بسيونى جمعة ، ثم عاد بسيونى جمعة فاعطاه فوق هذه الخمسة بالمائة مبلغ ١٥ الف جنيه هدية متواضعة » .

---

[١٤] الاخبار - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٧ - حديث مع وزير التموين - أجراه أحمد زين
[١٥] الاهرام - ٨ ديسمبر ١٩٦٨ - تحقيق عبد الوهاب مطاوع وآدم النواوى .
[١٦] الاهرام - ٧ ديسمبر سنة ١٩٦٧ - تحقيق عبد الوهاب مطاوع .
[١٧] الاهرام - ١١ نوفمبر سنة ١٩٧١ - الاعلانات المبوبة .
[١٨] الاهرام - ٨ أكتوبر ١٩٦٧ - تحقيق عزت السعدنى

● ● « حصلت شركة واحدة (قطاع خاص) على عمليات بمليون ونصف جنيه ، وقد اشترك شخص يعمل لحساب بسيوني جمعة في العمليات نظير عمولة قدرها ٤٥ في المائة من الارباح » (١٩) .

● ● « موظف في شركة قطاع عام وافق على منح تراخيص استيراد أدوات كهربائية قيمتها عشرة آلاف جنيه مقابل عمولة قدرها ١٥ في المائة من أصل المبلغ » .

● ● « مسعد شلباية كاتب في مصلحة الاستيراد حاصل على الابتدائية مرتبه الشهري سبعة جنيهات ، استقال من عمله وعمل في الاستيراد ، واذا به ينتهي بثروة تصل الى مليون جنيه وعزبة مساحتها ٢٠٠ فدان » (٢٠) .

وبعد عام واحد من هذه القضية تنشر الصحف خبرا يقول : « القبض على أربعة موظفين في شركة حصلوا على ٦ آلاف جنيه رشوة ، الموظفون تلاعبوا في أذون الاستيراد ومكنوا تاجرا من تحقيق ٥٠٠٠٠ جنيه ربح » (٢١) .

وبرغم ذلك فان الدولة قد واصلت تقديم تسهيلات متتالية للقطاع الخاص في هذا المجال ، واذا جاز لنا أن نستخدم أسلوب السينما فاننا سنكتفي باستعراض شريط سريع من عناوين الصحف كلها تؤكد اهتمام الدولة بمنح تيسيرات وتسهيلات وخدمات لهذا القطاع من المصدرين والمستوردين .

● « فتح باب التصدير للمنتجين في القطاع الخاص » (٢٢) .

● « الغاء نظام تفضيل القطاع العام عند التسويق أو التصدير » (٢٣) .

واذا كانت المسافة الزمنية بين نشر هذين الخبرين عاما كاملا فان المسافة الزمنية تتقارب بعد ذلك بحيث تكاد تجد في كل يوم خبرا جديدا لصالح القطاع الخاص ...

● « تذليل مشاكل القطاع الخاص لضمان انطلاقه في التصدير » (٢٤) .

● « تسهيلات ائتمانية للمصدرين والمنتجين بالقطاع الخاص » (٢٥) .

● « السماح للقطاع الخاص باستيراد آلات وخامات في حدود ١٠٠٠٠ جنيه بدون تحويل عملة » (٢٦) .

● « تسهيلات جديدة لتشجيع تصدير منتجات القطاع الخاص ـ السماح بسفر المصدرين لاعادة العلاقات مع عملائهم » (٢٧) .

● « جميع السلع المصرية تصدر للخارج بغير رسوم ولا تراخيص » (٢٨) .

● « فتح باب التصدير أمام القطاع الخاص ومنحه الخامات للتشغيل . تعويضه عن العمليات الخاسرة واعفاؤه من تصاريح التصدير » (٢٩) .

● « اعفاء المصدرين من رسوم الفحص والنظر » (٣٠) .

● « زيادة المبالغ المعتمدة لمصانع القطاع الخاص لاستيراد الخامات أو مستلزمات الانتاج من ١٠٠٠ الى ٥٠٠٠ جنيه لكل مصنع » (٣١) .

● « اصحاب مصانع القطاع الخاص يطلبون شراء خامات ومستلزمات انتاج قيمتها مليون جنيه بدون تحويل عملة » (٣٢) .

● « القطاع الخاص يقوم بتصدير الموالح دون شروط » (٣٣) .

---

[١٩] الاهرام ـ ٤ ، ٦ سبتمبر ١٩٦٣
[٢٠] الاهرام ـ ٤ ، ٦ سبتمبر ١٩٦٣.
[٢١] الاهرام ـ ٨ نوفمبر ١٩٦٤
[٢٢] الاهرام ـ ٢٦ اكتوبر ١٩٦٦
[٢٣] الاهرام ـ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٧
[٢٤] الاهرام ـ ١٣ نوفمبر ١٩٦٧
[٢٥] الاهرام ـ ١٩ نوفمبر ١٩٦٧
[٢٦] الاهرام ـ ١٧ ديسمبر ١٩٦٧
[٢٧] الاهرام ـ ٥ مارس ١٩٦٨.
[٢٨] الاهرام ـ ٨ مايو ١٩٦٨
[٢٩] الاهرام ـ ١٩ أغسطس ١٩٦٨.
[٣٠] الاهرام ـ ٩ نوفمبر ١٩٦٨
[٣١] الاهرام ـ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٨
[٣٢] الاهرام ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٨
[٣٣] الاهرام ـ ١ ديسمبر ١٩٦٨.

● « زيادة صادرات القطاع الخاص الى خمسة امثالهـا ، بحيث تصـل الى ١٠ ملايين من الجنيهات قبل يونيو القادم » (٣٤) •

● « القطاع الخاص سوف يصدر هذا العام ما قيمته ١٠ر٤ مليون جنيه بينما كان رقم العام الماضى ٤ر٣ مليون جنيه ، والعام الذى قبله ٢ مليون جنيه فقط (٣٥) •

● « رفع حد الاستيراد بدون تحويل عملة الى ٣٠٠٠ جنيه للافراد » (٣٦) •

● « رفع حد الاستيراد بدون تحويل عملة للمصانع الى ٧٥٠٠ جنيه » (٣٧) •

● « بلغت صادرات القطاع الخاص فى العام المالى ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، ١٦ر٢ مليون جنيه بعد ان كانت فى العام الماضى ١٢ر٣ مليون جنيه » (٣٨) •

والذى نود أن نؤكده هنا هو أننا لسنا ضد بعض ما اتخذ من اجراءات اقتصادية للتيسير على بعض مستثمرى الطبقة الوسطى فى هذا المجال او ذاك ، لكننا فقط نسجل ملاحظات عامة مؤكدين أن مثل هذه التيسيرات يتعين عليها أن تضع فى الاعتبار حقيقة ما تتمتع به الفئات من امتيازات ، ومقدار ما تحققه من ارباح •

كـــبار الموظفين

وليس لنا هنا ان نتحدث طويلا ، فان ارقام المرتبات معروفة للجميع ، والجديد فى الامر هو مضاعفة بدلات التمثيل التى يحصل عليها كبار الموظفين • واذا ما تجاهلنا القمة العليا فى الجهاز الادارى وهبطنا درجة او درجتين بحيث نصل الى مستوى رئيس مجلس ادارة شركة من شركات قطاع الاقتصاد وجدنا أن مرتبه الشهرى كما يلى :

	مليم جنيه
المرتب الاصلى	١٦٦ر٦٦٧
بدل التمثيل	١٢٥ر٠٠٠
بدل انتقال	١٥ر٠٠٠
مكافأة سنوية	٥٠٠ر٠٠
ارباح سنوية	١٠ر٠٠٠



وثمة فئات اخرى تتدرج فى اطار هذه الطبقة منها على سبيل المثال كبار المهنيين أطباء ومحامين ومحاسبين وصحفيين ومهندسين •• الخ ومنها عدد كبير من أساتذة الجامعة وهؤلاء بالرغم من انهم لا يلعبون دورا مباشرا فى عملية التراكم الرأسمالى لهذه الطبقة ، الا انهم يمثلون طلائعها المثقفة ومحور آمالها فى فرض وخلق مناخ فكرى وسياسى ملائم لنمو عملية التراكم هذه •

وكان طبيعيا بعد ذلك كله أن تتضاعف ثروات هذه الطبقة وأموالها السائلة ، وأن تبرز على سطح المجتمع نتوءات رأسمالية صرفة تتميز بمستوى معيشى مرتفع غاية الارتفاع بالنسبة لظروف المجتمع المصرى •

واذا أردنا نماذج لهذا الثراء الفاحش فان الامثلة عديدة وأكثر من أن تحصى ، لكننا سنكتفى ببعض المؤشرات :

وأهم هذه المؤشرات هو **تزايد عدد السيارات الخاصة** ، وتزايد عدد السياراتلدى الاسرة

[٣٤] الاهرام ـ ١٢ ديسمبر ١٩٦٨
[٣٥] الاهرام ـ ١٧ مايو ١٩٦٩
[٣٦] الاهرام ـ ٤ سبتمبر ١٩٦٩
[٣٧] الاهرام ـ ٢٣ مايو ١٩٧١
[٣٨] الاهرام ـ ٢٩ يوليو ١٩٧١

الواحدة بحيث أصبح طبيعيا أن نجد لدى الاسرة الواحدة سيارة للزوج واخرى للزوجة وثالثة وربما رابعة للاولاد ".

ان تزايد عدد السيارات الخاصة (بما تعنيه السيارة الخاصة من أعباء مالية مستمرة) يوضح مستوى الثراء الذى وصلت اليه هذه الطبقة ويوضح أيضا اتساع قاعدة هذه الطبقة ، ويوضح ثالثا ، **كيف استطاعت أن تفرض على المجتمع ككل تطلعاتها الطبقية بحيث أصبحت مهيمنة على فكرية قطاعات كاملة من المجتمع .**

ولنعد مرة اخرى الى الارقام ، ففيها دلالات كافية ...

الذى بلغ فى عام واحد ٧٠ ـ ١٩٧١ مليون جنيه (٤٢)

كذلك تقرر مضاعفة انتاج سيارات الركوب رمسيس بحيث يتم انتاج ألف سيارة سنويا ابتداء من هذا العام (٤٣) .

وهكذا وفى ظل اقتصاديات الحرب فان الطبقة الوسطى قد ضاعفت مقتنياتها من السيارات عدة مرات ، ونجحت فى ان تجعل من قضية استيراد السيارات وتيسير استيرادها مشكلة تشغل قطاعات كاملة من أجهزة الدولة ...

ولم تكن السيارات هى المظهر الوحيد ... فهناك البذخ والانفاق اللامحدود على الكماليات ، وبروز تقاليد جديدة كانت قد اختفت

سيارات الركوب المستوردة (٣٩)

السنة	عدد السيارات	الثمن بالالف جنيه
١٩٦٦	١ر٨١١	١ر٤٦٤
١٩٦٧	١ر٠٢٣	٠ر٦٢٩
١٩٦٨	٣ر٥٣٨	١ر٦٦٦
١٩٦٩	٥ر٩٤٤	٢ر٥١١

وفجاة تتضاعف حمى استيراد السيارات ، وخاصة بعد التيسيرات القانونية المتتالية لتصل الى ارقام تبدو أرقام الاحصائية السابقة ـ برغم ضخامتها ـ متواضعة تماما اذا ما قورنت بها ...

وتكتب الجمهورية فى ٢ يونيو ١٩٧١ « ان متوسط السيارات الجديدة التى يستقبلها ميناء الاسكندرية كل يوم قد وصل الى ٥٥٠ سيارة (٤٠) .

ويبلغ عدد السيارات التى تم استيرادها فى ثمانية أشهر فقط من عام ١٩٧١ من يناير حتى أغسطس عشرة آلاف سيارة (٤١) .

هذا بالاضافة الى انتاج شركة النصر للسيارات

او على الاقل توارت من المجتمع المصرى منذ تصفية الطبقات المالكة القديمة ...

فقد راينا كيف أن هناك اعلانا يطلب شراء فيلا ثمنها ٠٠٠ر١٠٠ جنيه ، وثمة اعلان آخر يعرض شقة واحدة للتمليك ثمنها ٠٠٠ر١٩ جنيه (٤٤) .

والخطير فى الامر أن هذا الثراء ليس ناتجا عن نمو اقتصادى صحى فى المجتمع ككل ، بل هو على العكس نتيجة لتشوهات والتواءات صاحبت تطبيق الخطط الاقتصادية .. انه ثمرة التحايل والافساد لمشاريع الخطة ، وليس ثمرة صحية لها .

لكن المخاطر الاقتصادية ليست هى كل ما تجنيه مصر من تزايد ثراء الطبقة الوسطى وانتشار تطلعاتها الطبقية وسيادتها فى المناخ العام لفئات البورجوازية الصغيرة والوسطى ..

---

[٣٩] نقلا عن النشرات الاقتصادية للبنك المركزى اعداد أعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠
[٤٠] الجمهورية ـ ١٥ يوليو ١٩٧١ ـ تحقيق فوزى دسوقى
[٤١] الاهرام ـ ٤ سبتمبر ١٩٧١ ـ تحقيق سامى دسوقى .
[٤٢] الاهرام ـ ٧ اغسطس ١٩٧١ تحقيق عبد الوهاب مطاوع
[٤٣] الاهرام ـ ١٢ فبراير ١٩٧١
[٤٤] الاهرام ـ ٢٢ نوفمبر ١٩٧١ [الاعلانات المبوبة] .

ان التطلعات الطبقية البورجوازية قد فرضت نفسها فى المناخ العام للمجتمع واصبح الطموح الى الفيلا والسيارة والاصطياف بالخارج وهو العملة السائدة بين أفراد الفئات البورجوازية عموما .

ولسنا بصدد دراسة الجانب الاخلاقي لمثل هذه التطلعات فى مجتمع فقير مثل المجتمع المصرى ، يجابه احتياجات التطور الضرورية بصعوبة بالغة ويعد نفسه للقتال ، لكننا نشير فقط الى ان انتشار الفساد والرشوة والانحراف هى بعض الانعكاسات الطبيعية لمثل هذه التطلعات ماذا يمكن ان يفعل الشباب والصبية ازاء مثل هذه التطلعات ؟ لا سبيل سوى الجريمة . ان سجل الحوادث لدى أجهزة الامن يشير الى تزايد الجرائم التى يرتكبها الشباب من أبناء الاسر الغنية ، تلاميذ صغار كل ما يريدونه هو المال لكى ينفقوا بكميات متلائمة مع مقاييس الطبقة التى ينتمون اليها او يتطلعون للانتماء اليها . « وتشير الدراسات الى ان الكثير من مرتكبي الجرائم فى الفترة الاخيرة ابناء عائلات طيبة وثرية .. ولهم اقارب فى وظائف كبيرة ومحترمون » (٤٥) .

واذا أردنا نماذج من الفساد الذى يعكسه مثل هذا المناخ على نشاط القطاع العام فاننا نقدم نموذجا واحدا لعله كافيا بذاته للدلالة على الانعكاسات على القطاعات الاخرى ..

والنموذج السافر هو مدى الافساد الذى غرسه القطاع الخاص وعلاقاته واساليبه فى صناعة السينما المصرية ومؤسستها العامة . فقد استولى منتجو القطاع الخاص على ٢١١ الف جنيه من أموال المؤسسة (وهى اموال عامة) لحساب انتاج أفلام لم تنتج .

ولقد بلغ اجمالى الديون المشكوك فيها التى حصل عليها القطاع الخاص من مؤسسة السينما ٧٧٣ ألف جنيه .

وهناك ١١ شخصا مدينون للمؤسسة بمبلغ يصل الى ١٢٠ ألف جنيه ومع ذلك لم تطالبهم المؤسسة بتسديدها واستمرت فى التعامل معهم مانحة اياهم سلفيات جديدة (٤٦) .

واذا أردنا نموذجا آخر للافساد الذى يغرسه القطاع الخاص عند احتكاكه بالقطاع العام فان هناك سلسلة القضايا الشهيرة والخاصة بعمليات التصدير والاستيراد . وقد أشرنا الى القضية المعروفة باسم قضية بسيوني جمعة . لكننا لم نشر الى كل ما تضمنت من حقائق ، واذا اردنا المزيد فاننا نجد ان موظفا عاما كان يشغل منصب مدير ادارة الاستيراد كان يحصل من مجموعة من التجار المستوردين رشوة أسبوعية قيمتها ٥٠٠ر٥ جنيه ، وان مجموع المبالغ التى حصل عليها منهم خلال ثلاثة أشهر فقط تزيد على ٥٠٠ر٥٠ جنيه (٤٧) .

ويشير قرار الاتهام الذى أصدرته النيابة العامة فى هذه القضية ضد ٢٠ متهما منهم ٧ موظفين الى أن هؤلاء الموظفين قد تلقوا رشاوى قيمتها ٠٠٠ر١٥٠ جنيه فى عمليات غير شرعية تقدر قيمتها بحوالى ٤ ملايين من الجنيهات (٤٨) .

واذا كانت هذه التطلعات الطبقية الضارة قد دفعت البعض الى الانحراف فأنها قد دفعت بآلاف من الاطباء والصيادلة والمهندسين والمدرسين الى الهجرة للخارج بحثا عن التطلعات التى يعجز مرتبهم عن تحقيقها ..

ان هذه الالاف من المهاجرين هى ثروة قومية تتبدد على صخرة التطلعات الطبقية البورجوازية فالجميع يهاجرون بحثا عن المال والسيارة والفيلا .. الخ .

ولسنا بطبيعة الحال ضد الهجرة ، ولكن ان يصل الامر الى حد يشبه الرغبة فى الهجرة الجماعية او الافلات الجماعى من المجتمع المصرى فان ذلك يتحول الى كارثة قومية ..

ولنأخذ مثالا مثيرا هو مثال المدرسين الذين هاجروا باعداد غفيرة مسببين أزمة قومية بالفعل .

ولم يكن من الممكن دعوة هؤلاء المدرسين للبقاء حفاظا على مصالح الوطن ، فلماذا يقع عبء مصالح الوطن عليهم وحدهم .. ولماذا يحرمون هم وحدهم من حقهم فى السيارة والثروة .. الخ .

وهكذا فان ما يزيد عن ٠٠٠ر٢٠ مدرس قد أعيروا الى الدول العربية ، وقد ادى ذلك ان اضطر

---

[٤٥] الاهرام – ٢٣ نوفمبر ١٩٧١ – تحقيق – محمود مراد
[٤٦] لمزيد من التفاصيل راجع الاهرام ٢٣ نوفمبر ١٩٧١ – ازمة السينما – ابراهيم عمر
[٤٧] الاهرام – ٤ سبتمبر ١٩٦٣ – تحقيق – القصة الكاملة لقضية التلاعب فى أذون الاستيراد .
[٤٨] الاهرام – ٦ سبتمبر ١٩٦٣ .

نظار المدارس الى ضم الفصول المتشابهة فى فصل واحد حتى يستطيع سد الفراغ فى المدرسين ويصل عدد تلاميذ الفصل الواحد الى سبعين تلميذا • والشكوى عامة من نقص المدرسين نقصا خطيرا يهدد المستوى التعليمى كله بالتدهور •• والسبب هو هجرة العشرين الف مدرس .. (٤٩)

والنماذج عديدة ، بل هى كما قلت أكثر من أن تحصى ، ولهذا فاننا نكتفى بهذا القدر ، كذلك فان تراكم الثروة فى جانب ونزوحها عن الجانب الاخر يضع هؤلاء الاثرياء فى مواقع تمكنهم من الاستحواذ على مزيد من السلطة •••

ان الدستور يكفل ـ على سبيل المثال ـ نسبة الخمسين بالمائة للعمال والفلاحين فى مجلس الشعب •

ولعل الانتخابات الاخيرة قد أتاحت الفرصة سياسيا ونظريا للكثيرين من ممثلى العمال والفلاحين لدخول ميدان الانتخابات ، لكن نتيجة المعارك الانتخابية قد تتشكل فى بعض الاحيان نتيجة لكمية انفاق المرشحين وامكانياتهم المادية •• لقد روى الدكتور جمال العطيفى تجربته الخاصة كمرشح خاض انتخابات مجلس الشعب الاخيرة بنجاح فقال : « ويعنى هذا ان اقل نفقات ممكنة هى سبعمائة وخمسون جنيها ، وقل تصل الى ألف وخمسمائة جنيه ، كما انها تتضاعف حتما فى الحالتين اذا اعيدت الانتخابات لعدم حصول أحد المرشحين على الاغلبية المطلقة فى المرحلة الاولى ، او نتيجة ولع بعض المرشحين بالدعاية والاعلانات •

وأود أن أنبه الى أن هذه النفقات هى النفقات المشروعة اللازمة للدعاية الانتخابية ولتمثيل المرشح فى اللجان المختلفة ، ولا تدخل فيها النفقات غير المشروعة التى قد يلجأ اليها بعض المرشحين لشراء أصوات الناخبين وهى وسائل أثبتت انها لم تنجح فى هذه الانتخابات » (٥٠) •

كذلك فانه يتعين علينا أن نشير الى المخاطر الايديولوجية التى يعكسها نمو هذه الطبقة وتواجدها فى مختلف القمم من أجهزة السلطة ، ذلك أن هذه الطبقة لا تعلن عداءها لبرامج وشعارات ثورة يوليو ، لكنها تلتف حولها ، وقد استطاعت أن تحقق من حركات الالتفاف هذه نتائج خطيرة •



وبعد • • •

فان هذه الدراسة قد استندت فى الاساس على الارقام والاحصاءات الرسمية والوقائع المحددة • دون ما نزوع الى التحليلات ، أو الاستنتاجات الشخصية ، بهدف تقديم الصورة الواقعية لوضع الطبقة الوسطى فى اطارها الحقيقى دونما مبالغة أو اسراف ••

كذلك فان الكاتب يهمه فى ختام هذه الدراسة أن يؤكد أن ما جمعه من معلومات وأن ما ساقه من أدلة على تزايد ثراء الطبقة الوسطى لا يعنى على الاطلاق أنه يقف موقف العداء من هذه الطبقة أو من ممثليها ، وهو لا يشك قط فى أن هذه الطبقة لا زالت تمثل قطاعا من التحالف الوطنى المناهض للاستعمار والاقطاع والتخلف ، ولا زالت قادرة على أن تلعب ـ فى اطار محدد ـ دورا بناء فى التجربة المصرية ، بشرط أساسى هو أن نفهم حدود هذه الطبقة ، وأن تفهم هذه الطبقة حدود نفسها • وان نتوصل معا الى صياغة ملائمة ومعقولة للتحالف الوطنى المناهض للاستعمار والصهيونية والرجعية ، والذى يسعى لبناء مصر الاشتراكية الناهضة •

---

[٤٩] الاخبار ـ ٢١ اكتوبر ١٩٧١

[٥٠] الاهرام ـ ٩ نوفمبر ١٩٧١ ـ د. جمال العطيفى ـ : «الدروس المستفادة من تجربة الانتخابات الاخيرة »

قدم حسين مروة الموضوع التالي كتقرير عن الثقافة للمؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني . ننشره فيما يلي للاهمية التي يمثلها في تشخيص الاوضاع الثقافية ومشكلاتها في لبنان

الصراع الثقافي في لبنان

حسين مروة

ربما صار من بديهيات الثلث الأخير للقرن العشرين أن نقول أن النضال الايديولوجي أصبح وجها من الوجوه البارزة للنضال الطبقي . فانه منذ بدأ عصرنا يتخذ سمته الاساسية سمة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، ومنذ احتل التناقض بين قوى التقدم وقوى الرجعية ، بين قوى الاشتراكية وقوى الامبريالية ، مكان التناقض الاول والرئيسي في عصرنا ، منذ ذاك برزت الظاهرة الكبرى لهذا العصر ، ظاهرة احتدام الصراع الطبقي أكثر فأكثر على صعيد واحد يشمل العالم بأسره ، بذلك كان لابد أن يزداد الصراع الايديولوجي احتداما وحدة على صعيد العالم كله كذلك — فأصبحت الثقافة بمختلف أشكالها وظاهراتها [الادب والفن والفلسفة وسائر العلوم الانسانية] هي الميدان الذي يجري الصراع الايديولوجي على صعيده . ومن هنا ازدادت المكانة الفعلية للثقافة في مجال النضال الثوري وأصبح الدور الذي يؤديه المثقفون في هذا المجال ، أكبر حجما وأبعد تأثيرا .

وفي لبنان وجد الصراع الايديولوجي ميدانا نشيطا يسر له شروطه وضع لبنان الخاص في المنطقة دون أن نعني هنا — طبعا — ما يعنيه الانعزاليون اللبنانيون بما يسمونه الوضع الخاص للبنان بل نعني بذلك ان طبيعة النظام القائم هنا ، مع طبيعة العلاقات التي تربط أهل هذا النظام اقتصاديا وسياسيا وثقافيا بالعالم الخارجي ، قد اتاحت لمختلف التيارات الفكرية

ذات المحتوى الايديولوجي أن تجسد لها مكانا في لبنان ، وأن تجد لها فيه دعاة وممثلين واحزابا .

وهذا الواقع أوجد للنضال الايديولوجي مكانة هامة في هذا البلد الصغير . ولذلك نجد على الصعيد اللبناني جملة من القوى المتنوعة ، وجملة من القضايا المعقدة فهنا على هذا الصعيد قوى وقواعد فكرية لمختلف دول الامبريالية ولمختلف الدول العربية ، وحتى لمختلف الاحزاب السياسية العربية ، فضلا عن القوى الرجعية المحلية والقوى التقدمية والوطنية والديمقراطية — وهنا على هذا الصعيد ذاته تنعكس قضايا الصراع العالمي كلها تقريبا، فالهجمة الاستعمارية على المنطقة ، مثلا تجد لها هنا من يدعمها ويخدم قضيتها باشكال من التوجيه الخفي والمعلن . والمشاريع الاستعمارية التي تدبر ضد شعوب المنطقة تلتقي بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحتى النفسية ولا سيما منها ، المشاريع التي تتآمر على القضايا العربية التحررية بالذات . وفي الوقت نفسه ، وعلى هذا الصعيد بعينه ، تجد قضايا التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والفكر الثوري مكانا تتحرك فيه وقوى تدعمها ، ونضالات تشق أمامها الطريق الى صفوف الجماهير .

وخلال هذا الوضع المتناقض بلبنان ، تقف البورجوازية اللبنانية الكبيرة ، المهيمنة على النظام الاقتصادي — الاجتماعي ، موقفا متناقضا كذلك : فهي من جهة تكابد بعناء شديد هموم الازمة التي يعانيها هذا النظام ، دون أن تستطيع علاجا شافيا لازمته ، ولا أن تستطيع دفاعا حاسما عنه بوسائل مادية كرفع مستوى الحياة المعاشية للجماهير الشعبية .. وهي — من جهة ثانية — تداري عجزها عن حماية نظامها ذلك باللجوء الى السلاح الايديولوجي تتخذ منه وسيلة لتبرير نظامها المتأزم ومنطلقا لمجابهة نظامها ، الافكار التقدمية والاشتراكية بمفاهيم أيديولوجية تحاول أن تقدمها للناس بأشكال جذابة قادرة على التضليل .. وهي تستعين في فرض أيديولوجيتها بما تملك من سيطرة سياسية واقتصادية ، ووسائل ارهاب أو اغراء في شئون العيش والتشغيل وغيرها . ولكن جو الازمة الحادة التي يعانيها النظام الاقتصادي — الاجتماعي القائم ، كشف كل ما يمكن من مفاهيم أهل هذا النظام وتقاليدهم البورجوازية والاقطاعية من عجز فاضح عن فرض الهيمنة التامة الايديولوجية الطبقة المسيطرة في هذا النظام .

غير أن هذا العجز لايعني أن المفاهيم الايديولوجية التي تقدمها البرجوازية اللبنانية ، وفي الحقبة الاخيرة بالاخص ، لاتجذب اليها ، أو لاتخدع بها ، كثيرا من الناس ، في أوساط المثقفين وغير المثقفين ، ولا سيما ذوو النزعات الليبرالية ، وذوو الاتجاهات الوطنية المثالية الفاقدة للوعي الطبقي .. ومصدر هذه الظاهرة كون البرجوازية اللبنانية المسيطرة تحاول ، في الممارسة الايديولوجية لصراعها الطبقي ، اظهار مصلحتها الطبقية الخاصة وكأنها المصلحة الوطنية العامة **هذا أولا** .... **واما ثانيا** ، فان البرجوازية هذه ، اذ تدرك أن سيطرتها الايديولوجية ضرورية لاستمرارسيطرتها الطبقية، تحاول ، بكل مالديها من وسائل ، اخفاء واقع **الصراع الطبقي** من جهة ، وتحاول من جهة ثانية — قطع **تبلورالوعي الطبقي** لدى الفئات والطبقات الخاضعة لسيطرتها الطبقية ، رغم أن قاعدة تحرر هذه الفئات والطبقات من تلك السيطرة تتسع الآن بصورة موضوعية .

وهنا لابد من الاشارة ، دون تفصيل ، الى ابرز المفاهيم الايديولوجية التي تستخدمها البرجوازية اللبنانية المسيطرة طبقيا في محاولتها السيطرة أيديولوجيا كذلك :

١ — مفهوم الطائفية :

تستخدم البورجوازية المسيطرة هذا المفهوم سلاحا ايديولوجيا تواجه به الفئات والطبقات الكادحة ذات الانتماءات الدينية المختلفة ، لابقائها جميعا في اطار السيطرة الطبقية لهذه البرجوازية ، التي تحاول أن تظهر التقسيم الطائفي بلبنان وكأنه مرادف للانقسامات الدينية، مع ان الامر ليس كذلك ، وان كان قائما على اساس تلك الانقسامات من الناحية الفكرية المحض .

٢ — مفهوم التميز اللبناني :

يدخل في اطارهذا المفهوم العامعددمن المفاهيم الخاصة ، مثل الفينيقية ، والمتوسطية [نسبة الى حوض البحر المتوسط] ، والقومية اللبنانية والازدواجية اللغوية [العربية — الفرنسية ، واللهجة اللبنانية المحلية] الخ ..

اما الوظيفة الايديولوجية لهذا المفهوم بمختلف وجوهه المشار اليها ، فهي اظهار كون لبنان مغايرا لكل بلد آخر في العالم العربي .. وذلك بغية استخدام هذه المغايرة المزعومة في تبرير

عزل لبنان عن حركة التحرر العربية . وأصحاب هذا المفهوم يحاولون الايهام بأن الاختلاف في الظروف التاريخية بين لبنان والبلدان العربية الاخرى ، هو اختلاف في الجوهر لافي الظروف التاريخية المتحركة دائما .. مع أن هذا الاختلاف في الظروف التاريخية هذه قائم بين كل بلد عربي وآخر غير لبنان .

٣ — مفهوم العصرنة والحداثة :

يقوم هذا المفهوم — عند البورجوازية — على ركنين :

تحسين ادارة الاعمال أولا ، والتنمية والتخطيط ثانيا .. فالاول يعني عندهم ضرورة اسناد المسئولية الى افراد من الاختصاصيين ذوي الكفاءات العالية ، والثاني يعني عندهم شكلا من التنمية الاقتصادية الخالصة المحدودة غير الشاملة .

اما الوظيفة الايديولوجية لهذا المفهوم ، فيمكن ايجازها بما يلي :

أ — الايحاء بأن أزمة النظام الرأسمالي الاقتصادية ترجع الى أسباب ذاتية فردية .. وهذا مما يؤكد عند المثقفين الفنيين وهما بأنه اذا تحقق مفهوم العصرنة بالمعنى البورجوازي المشار اليه ، يمكنهم الوصول الى المراكز اللائقة بكفاءاتهم ، ان ذلك لا يتطلب أكثر من ان يتاح لبعض رجال السياسة القيام باصلاحات ادارية .

ب — محاولة توجيه الوعي العلمي لدى المثقفين الفنيين نحو **أفق التفكير الذاتي** القائم على فقدان رويتهم الموضوعية لحركة تطور المجتمع من جهة .. ونحو **أفق التفكير الاصلاحي الاداري**، القائم على طمس التناقضات الاقتصادية الحقيقية ، وعلى ابقاء النظام القائم ، أي علاقات الانتاج الرأسمالية المحتضرة ، من جهة ثانية .

جـ — ايجاد التبرير النظري للوهم الذي يعزل التنمية الاقتصادية عن الصراع الطبقي وعن ضرورة التحويل الاجتماعي في علاقات الانتاج القائمة .

د — الايهام بأن أزمة السيطرة الطبقية للبرجوازية اللبنانية ، ليست سوى ازمة عارضة — لاتتجاوز نطاق البناء الفوقي للنظام القائم، وليست تمس البناء التحتي بشيء ؟ وان اصلاح البناء الفوقي كاف لمعالجة ازمة البرجوازية بكاملها .

هـ — اما في الميدان الثقافي ، فان مفهوم العصرية — عند البرجوازية الكبيرة اللبنانية — لا يتناول مسألة تجديد انتاج الثقافة الوطنية، أو اعادة امتلاك تاريخنا الثقافي ، او مسألة مجابهة الايديولوجيات الاستعمارية المعادية لروح الثقافة الوطنية والقيم الحية من تاريخنا الفكري .. بل انه اذا كان من علاقة لمفهوم العصرنة عند هذه البرجوازية بقضية أحياء الماضي الوطني الثقافي ، فان هذه العلاقة تتجه الى احياء ما هو رجعي وميت من ذلك الماضي ، وطمس ما هو تقدمي . وعلى هذا الاساس نجد أن العصرية في هذا المفهوم موجهة لتشويه التراث الوطني اللبناني الخاص بقدر كونها موجهة لتشويه التراث القومي العربي على الصعيد الثقافي . وفي سياق هذا المفهوم ينبغي الاشارة الى محاولة هذه البرجوازية الظهور بمظهر كونها تدعو الى الانفتاح على الحضارة العالمية ، وادعاء ضرورة هذا الانفتاح الذي يتميز به لبنان عن العالم العربي .. والواقع ان البرجوازية لاتقصد سوى الانفتاح على الايديولوجية البرجوازية الامبريالية ، وعلى كل ما هو رجعي في الحضارة العالمية ، في حين تبذل جهدا محموما للانغلاق على كل ما هو تقدمي في هذه الحضارة نفسها .

٤ ـ مفهوم العدمية :

لهذا المفهوم البورجوازي وجود تاريخي بعد في لبنان . غير انه أخذ يزداد انتشارا بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، اذ استغل دعاة العدمية من صنائع البورجوازية المسيطرة أثر الهزيمة وردود فعلها العفوية في مشاعر الجماهير العربية . فأخذوا يضللون هذه الجماهير بارجاع الهزيمة الى أسباب طبيعية قائمة في تكوين الانسان العربي، لا الى الشروط والظروف التاريخية المعنية التي يمر بها الانسان العربي في هذه المرحلة .

وقد حاولت البورجوازية المسيطرة استخدام مفهوم العدمية ، ايديولوجيا ، بتحويل عداء الجماهير العربية للامبريالية، ولا سيما الامريكية، من كونه عداء طبيعيا تابعا من وطنية هذه الجماهير ، الى كونه عداء غير طبيعي نابعا من مرض مصابة به الذات العربية .. ان البورجوازية اللبنانية المسيطرة تتوجه بمفهوم العدمية هذا — بالاكثر — الى فئات البرجوازية الصغيرة

ولا سيما المثقفين منها ؟ .. اما يحمله هذا المفهوم من معنى « الرفض » الذى يبدو أن .. ه ظاهـرا « ثوريا » وان كان ينطوى — فى الواقع — على مضمون فوضوى تخريبى ، لا « ثورى » ذلك بقصـد ابعاد هذه الفئات عن الحركة الثورية الحقيقية ، وصرف انظارها عن العـدو الطبقى الحقيقى ، المتمثل بالامبريالية وبالطبقية المحلية المسيطرة التابعة للامبريالية .»

٥ — مفهوم صراع الاجيال :

يبذل مفكرو البورجوازية اللبنانية الكبيرة ، واجهزتها الاعلامية ، جهدا جاهدا لاشاعة هـذا المفهوم فى أوساط الشبيبة والطلبة ، فى الوقت الذى تشـتد أزمة نظامها ويشتد كذلك ضغط هـذه الازمة على الطبقـات والفئـات الاجتماعية الكادحة ، وتنضج الظروف الموضوعية لاحتدام الصراع الطبقى اكثر فأكثر .. ومن هنا تصبح الوظيفة الايديولوجية لمفهوم صراع الاجيال ، كما لمفهوم « الثورة الطلابية » هى محاولة هذه البورجوازية صرف الانظار عن واقـع الصراع الطبقى الموضوعى وطمس هذا الواقع ، واحلال صراع الاجيال محـله . ولاينكر ان فئـات من البورجوازية الصغيرة » فى أوسـاط المثقفين بخاصة ، قد خدعتها أجهزة الاعلام الرسـمية الخاصة ، والبورجوازية بهذا المفهوم المعـادى بروحه ومضمونه للحركة الوطنية الشعبية فضلا عن الحركة الثورية .

٦ — مفهوم العداء للشيوعية والسوفيات :

اذا صح اطلاق صفة « المفهوم » على تيار العداء للشيوعية والسوفيات ، فان البورجوازية المسيطرة تتخذ منه الاطار العام الذى يجمع فى داخله كل ما سبق من مفاهيم أيديولوجية . ان العداء للشـيوعية هو — بالطبع — عـداء طبقى مباشر يحمل فى مضمونه كل الحقد الطبقى لدى البورجوازية المسيطرة . أما العداء للسوفيات فهو الى جانب كونه يحمل العداء للشـيوعية بصورة مضاعفة لكون الاتحاد السوفيتى يمثل طليعة الحركة الشيوعية ، يحمل مع ذلك جـزءا من حقد الطغمة المالية على حركة التحـرر العربية لكون الاتحاد السوفيتى هو الصـديق الاوفى لهذه الحركة والسند القوى لها لمساعداته الاقتصادية والعسكرية والسياسية والفنية لها .

هذه هى — بايجـاز — أبرز المفاهيم التى تستخدمها البورجوازية اللبنانية فى ممارسـتها الايديولوجية للصراع الطبقى .. أما الادوات التى تستعين بها على هذه المفاهيم ونشرها فى أوساط المواطنين ، فهى سلسلة من الاجهزة الايديولوجية التى يمكن القول أنها مراكز الانتاج الايديولوجية المسيطرة وتجديدها .. ونذكر من هذه السلسلة على سبيل المثال ، ما يلى :

— أجهزة الاعلام : [من اذاعـة وصحافة ، وتليفزيون ، ومسرح ، وسينما الخ ..] فهـذه الاجهزة تكمن اهميتها فى كونها تتوجه — بوعى وتنظيم — الى الوعى واللاوعى الاجتماعيين فى وقت واحد لتصهرها فى ايديولوجية البورجوازية المسيطرة ، مسـتندة الى قدرتها المـادية فى استخدام أحدث الوسائل الفنية التى توصـل اليهـا الاعـلام فى البـلدان الراسمالية الامبريالية . فى حين أن القـوى التقـدمية والديمقراطية لاتستطيع منافسـة البرجـوازية الكبيرة بأجهزتها الاعلامية المتطورة .

— أجهزة التعليم : هـذا النوع من الاجهزة الايديولوجية يقوم بالدور الرئيسى فى بناء الهيكل الجهازى للبورجوازية اللبنانية ، ذلك ان نظـام التعليم فى لبنان يقوم على مبدأين اساسيين :

أ — مبدأ التصفية الطبقية فى مراحل التعليم ، مرحلة مرحلة لمنع وصول ابناء الطبقات الكادحة الى مواقع يؤدى وصولها اليها أن يقع الخـلل فى عملية تجدد علاقات الانتاج انتاج الراسمالية القائمة .

ب — مبدأ أخضاع الوعى الاجتماعى ، خـلال تطوره ، لسيطرة الايديولوجية البرجـوازية المسيطرة .. لان ذلك شرط ضرورى للابقاء على السيطرة الطبقية لهذه البرجوازية .

ولكن ، لابد من القـول أن أجهـزة التعليم ، بالرغم من كونها ذات دور رئيسى فى سـلسلة الاجهزة الايديولوجية للبورجوازية — هى ، مع ذلك تعد الحلقة الضعيفة فى هذه السلسلة كما أن المدرسة الرسمية بالذات هى حلقة الضعف فى أجهـزة التعليم الايديولوجيـة .. ذلك أن التوسع النسبى فى نشر التعليم الرسمى ، بضغط متزايد من نضالات الجماهير الشعبية ، قد أوجد داخل أجهزة التعـليم قاعدة بشرية بامكانها فى شروط تاريخية معينة ، أن تؤدى دورا معاكسا لمـا تريده البورجوازية المسيطرة .. بامكانها أن تقف فى مواجهة بعض المفاهيم الايديولوجية البورجوازية ، وأن تعرقل آلية العملية القائمة الان ، أى اعادة انتاج علاقات الانتاج الراسمالية الحاضرة .»

المثقفون وأوضاعهم

فى خضم هذا الصراع الايديولوجى المحتدم ، الذى يعتمد الثقافة ميدانه الاساسى بل الاوحد ، لايمكن اغفال المادة البشرية للثقافة ، نعنى المثقفين انفسهم . فما شأنهم فى المعركة ؟ وما مواقفهم ؟ . وما أوضاعهم الاجتماعية والمعاشية ؟ . وما مكانهم فى عملية الانتاج الايديولوجى والابداع الثقافى ؟

أ ــ النشأة التاريخية للمثقفين :

للاجابة عن هذه الاسئلة نحتاج أولا الى عرض لمحة تاريخية موجزة لنشأة فئة المثقفين فى لبنان :

يمكن القول بايجاز أن بدء التكون الاجتماعى لفئة المثقفين كفئة اجتماعية متميزة يرجع الى بدء التكون التاريخى للبورجوازية اللبنانية بوصف كونها طبقة نامية ارتبط تكونها ونموها بعامل تطور نظام الانتاج من جهة ، وبعامل الاتصال التاريخى بين مرحلة نشوئها والمرحلة السابقة من مراحل تطور الانتاج والمجتمع اللبنانى ، من جهة ثانية . ذلك لانه لم يكن لفئة المثقفين وجود خاص متميز فى المجتمع الاقطاعى الذى سبق نشوء الراسمالية فى لبنان . بل كان الطابع الغالب للمثقفين ، فى المجتمع الاقطاعى كذلك ، هو كونهم من رجال الدين اساسا .. ولذا كانت الثقافات الدينية هى العنصر الغالب فى تكونهم الثقافى .

بعد نشأة فئة المثقفين ، تبعا لنشأة البورجوازية اللبنانية ، يمكن أن نلحظ ، خلال المسار التاريخى لتطور هذه الفئة ، اربع مراحل متميزة مر بها هذا التطور . اذ نلحظ أن كل مرحلة منها تميزت بأحداث وظاهرات وعلاقات طبعت وضع فئة المثقفين بطابعها المتميز . أما هذه المراحل الاربع فهى :

١ ــ مرحلة ما قبل ١٨٦٠
٢ ــ مرحلة مابين ١٨٦٠ ــ ١٩٢٠
٣ ــ مرحلة مابين ١٩٢٠ ــ ١٩٤٣ [الاستقلال الوطنى] .
٤ ــ مرحلة ما بعد ١٩٤٣ حتى اليوم

ان فضل المرحلة الاولى من هذه المراحل كونها احتضنت أول فوج من المثقفين اللبنانيين واكب النهضة العربية الحديثة التى بدأت أوائل القرن التاسع عشر ، وعبر عن هذه الدعوة الارتباط بالتراث الثقافى العربى ، الى جانب الدعوة للاخذ بعلوم الغرب الحديثة وبالافكار والمفاهيم الاجتماعية التى جاءت بها الثورة البورجوازية الكبرى الفرنسية تكون هذا الفوج الثقافى الطليعى المؤسس من اليازجيين والبستانيين وأمثالهم .

وميزة **المرحلة الثانية** كونها شهدت انقسام المثقفين : احداهما الفئة التى كانت جزءا من البورجوازية الوطنية المرتبطة بالانتاج الصناعى الحرفى الوطنى التى انقطع عليها طريق التطور فى ظل التغلغل الاستعمارى بعد قيام نظام البروتوكول [١٨٦٤] . والفئة الثانية ، هى التى ارتبطت بالطبقة البورجوازية التجارية الجديدة التى أصبحت وسيطة للبعثات التجارية الرأسمالية فى الغرب ، ثم الشركات الصناعية الراسمالية والاحتكارية .

غير أن انقسام المثقفين الى هاتين الفئتين فى تلك المرحلة لم يكن انقساما حاسما ، لان عوامل ثقافية عدة ، غير العامل الاقتصادى ، كان لها دورها فى تحديد اوضاع المثقفين . وذلك جعل مكانهم غير ثابت وغير نهائى من حركة تطور المجتمع ، وغير تابع تبعية حاسمة ومطلقة لاصول انتماءاتهم الطبقية ، أو لاصول ارتباطاتهم بعملية الانتاج .

وفى المرحلة الثالثة ، مرحلة الانتداب بكاملها ، فرض تطور الرأسمالية بشكلها اللبنانى المتميز تطورا معينا فى حاجاتها ، ومنها الحاجة الى نوع من المثقفين لا لادارة أعمال البورجوازية الوسيطة وحسب ، بل للتعبير كذلك عن مطامحها وأفكارها وأيديولوجيتها على الصعيد الاجتماعى والسياسى والثقافى ، كما أن أجهزة سلطة الانتداب احتاجت الى خلق نوع آخر من المثقفين المحدودى الثقافة لملء كادراتها الصغيرة والدنيا . وبسبب هذه الحاجات كلها حدث توسع **كمى** من فئة المثقفين رافقه ــ بالطبع ــ مزيد من الارتباط النوعى بين البورجوازية الوسيطة وبعض المثقفين ، وهم الذين ارتبط تكونهم بتكوينها هى ذاتها ، كما ارتبطت تبعيتهم للايديولوجية الامبريالية بتبعيتها هى أيضا ، اقتصاديا وسياسيا وايديولوجيا .

وفى المرحلة الرابعة ، مرحلة الاستقلال الوطنى ، توسعت حاجة البورجوازية الوسيطة الى المثقفين ، فتوسع ــ لذلك ــ التعليم الرسمى لسد هذه الحاجة ولكن التوسع بقى كميا ، لان البورجوازية المسيطرة لم تأخذ بسياسة التوسع النوعى فى حقل التعليم ، بل ــ بالعكس ــ فرضت على التعليم نوعا معينا محدودا من الثقافة بواسطة البرامج التعليمية لمختلف مراحل

التعليم وذلك بقصد صهر المثقفين بهـذا النوع المعين من الثقافة ، ليتكونوا فكريا وفق ما تقتضيه المصالح الطبقية للبورجوازية المسيطرة ومصالح تبعيتها للامبريالية ...

في عرض هذه المراحل لتاريخ تطور وضع المثقفين في لبنان ، ينبغي أن نذكر واقعا تاريخيا آخر هاما ، هو أنه لم تخل مرحلة واحدة من هذه المراحل من المثقفين الوطنيين والديموقراطيين المناضلين ضد الايديولوجية البورجوازية أو الاقطاعية أو الاستعمارية ، أمثال فرح أنطون وجبران والريحاني وعمر فاخوري ورئيف خوري وأبي شبكة الخ ...

ب - الوضع الحاضر للمثقفين :

أولا - يتميز المثقفون في مجتمعنا بصفة نثوية فقط ، لانهم ينتمون بالاصل الى أكثر من طبقة واحدة ... وهم من حيث وضعهم - بوجه عام داخل علاقات الاستثمار الطبقي ، يخضعون غالبا - ولاسيما جماهيرهم الصغيرة لاستثمار البورجوازية المسيطرة .. فهم - بغالبيتهم - جزء من القوى المنتجة الكادحة بادمغتهم التي تستثمرها البورجوازية الكبرى في سياق عملية الاستثمار العامة لمختلف القوى الاجتماعية المنتجة ، سواء بقوتها الجسدية أم بقوتها العقلية .

وفي ظروف المرحلة الحاضرة ، اذ يخضع تطور الانتاج الرأسمالي للمصالح الطبقية الانانية للطغمة المالية ، يتجلى بوضوح ، أكثر فأكثر ، أن ذلك يشكل قيدا رئيسيا يلجم تطور فئة المثقفين من حيث الكم والنوع معا . واظهر ما يتجلى هذا القيد في حقل التعليم بوجه خاص ... وعلى هذا يتضح أن أزمة تطور المثقفين ستبقى في حدتها مادامت أزمة النظام القائم أو أزمة الطبقة المالية تزداد حدة وتفاقما .. وهذه الازمة تنعكس على أوضاع المثقفين اللبنانيين باشكال مختلفة ، فهي مثلا بشكلها البارز في الوضع التعليمي ، وفي وضع المثقفين الاقتصادي والمعاشي ، وفي أزمة التشغيل الحادة ، وفي حرياتهم الديموقراطية ، وفي انعدام التشجيع المادي لحياتهم العلمية والفنية وفقدان تشجيع البحث العلمي . .وهذه الاشكال كلها تتعاون على كبح دوافع الابداع الفكري ، والادبي والفني ، والعلمي . فضلا عن تأثيرها العميق في سحق شخصية المثقف من حيث هو انسان ومثقف معا ، وفي اشاعة أسباب الاغتراب الروحي والمادي في صفوف المثقفين .

ثانيا - أن أشكال انعكاس الازمة هذه على غالبية أوساط المثقفين قد هيأت الشروط الملائمة لان يتلاقى قطاع واسع من المثقفين ، على اختلاف اتجاهاتهم وتياراتهم الفكرية ، عند اطار عام من القضايا الرئيسية ، اللبنانية أو العربية بعامة . ويمكن أن يكون الموقف من الطبقة المسيطرة هو الاطار العام الذي يجمع هذا القطاع الواسع من المثقفين ، بما يتضمنه هذا الموقف من الوعي بضرورة تغيير ما - بأقل تقدير - في السياسة الطبقية التي تمارسها هذه الطبقة تجاه الثقافة والمثقفين ، بالمعنى الحقيقي للثقافة ، أي المعنى المرتبط بالمعرفة الحضارية البناءة وبالابداع الانساني الحر الخلاق .

ويمكن أن نحدد ذلك الاطار العام أيضا بالموقف من الحريات الديموقراطية ، أو من حرية الابداع الفكري والفني .. بل يمكننا القول أن ظروف أزمة النظام القائم تخلق ظروفها لبلورة مفاهيم عامة لكثير من القضايا الاخرى ، يلتقي عندها أوسع فئات المثقفين ، ومنها - مثلا - القضايا القومية والاجتماعية التي تضعها الظروف اللبنانية والعربية الراهنة قيد البحث والمعالجة بالحاح .

على أن هذا التلاقي بين المثقفين عند هذه القضية العامة أو تلك ، وعند هذا المفهوم العام أو ذاك ، لا يعني التلاقي المطلق الذي يتجاوز الفروق القائمة بين تيارات المثقفين بل لابد أن يكون في الحسبان أن هناك منظورات مختلفة لكل من هذه القضايا والمفاهيم ، وأن هناك منطلقات طبقية تتحكم في هذا الاختلاف ، وهو اختلاف جدي أحيانا ، ولكنه يبقى في اطار التناقضات الثانوية ، وتبقى نقطة التلاقي هي نقطة التناقض الرئيسي بين المثقفين بوجه عام وبين الطغمة المهيمنة على النظام القائم .. هذا التناقض الذي يصل بغالبية المثقفين الى استنتاج أن النظام اللبناني هذا يسد أمام المفكرين والبحاثين والموهوبين طريق الابداع والمبادرات الخلاقة ، كما يقف حاجزا دون تطور الثقافة الوطنية ، واتساعها لصالح تطور المجتمع كله ، ويقيم العقبات أمام المطالب الاجتماعية لجماهير الشعب ، بقدر ما يمارس سحق شخصية المثقف تحت ضغط الحاجات المادية والمعاشية ..

ثالثا - ان الظروف التي سبقت الاشارة اليها ، والتي أخذت تبلور بعض المفاهيم العامة لدى المثقفين الى حد جمع الكثيرين منهم حول هذه المفاهيم ، رغم الفروق بين تياراتهم المختلفة

هي نفسها الظروف التي أوجدت بعض الظاهرات الجديدة بين المثقفين في بلادنا ، وهي بجملتها ظاهرات ايجابية هامة . نذكر منها — على سبيل المثال — تراجع نظريات المثالية والانعزالية غير الواقعية. واذا كان قد رافق هذا التراجع بروز تيار التحليل النفسي الذي يدعو لتفسير الواقع الاجتماعي تفسيرا نفسيا ، فانه ينبغي تحديد الموقف من هذا التيار النفسي ، لا على أساس الرفض المطلق له ، بل على أساس التفريق بين التحليل النفسي بقصد عزل الذات الانسانية عن الواقع الموضوعي كليا ، وبين التحليل النفسي بقصد بحث القضايا النفسية من حيث هي أحد الاشكال المعقدة لانعكاس الواقع الاجتماعي في الحياة النفسية للانسان . فما كان من قبيل القصد الاول لابد من رفضه ، وما كان من قبيل القصد الثاني ليس من الصحيح رفضه ، بل هو جدير بالاهتمام والتطوير ، وهو ما يدعى اليوم بعلم النفس الاجتماعي .

وفي سياق الظاهرات الجديدة لدى المثقفين اللبنانيين ، نذكر أن هناك نماذج عدة من الابداعات العلمية والفنية والادبية والفكرية ترتبط أكثر فأكثر بحياة المجتمع سواء في ميدان الشعر أم القصة والمسرح أم الرسم والتطوير الموسيقي، على اختلاف وتفاوت في كيفية هذا الارتباط .

ان مصدر هذه الظاهرات هو أن المشكلات الاجتماعية ، تحت وطأة النظام القائم أخذت تفرض نفسها على المثقفين ؟ وأن المثقفين هؤلاء ليسوا هم اليوم من كانوا — قبل — يعدون الفئة المنعزلة المتعالية على يوميات الحياة العامة ، بل هم الذين يعانون مشكلات هذه الحياة ويومياتها معاناة مباشرة ، كما وصفنا أوضاعهم فيما سبق .

وفي هذا السياق نفسه ، نجد مجالا لتسجيل ظاهرة أخرى ، هي أن كثرة المثقفين ، ولاسيما المثقفين الفنانين ، لم تبق علاقاتهم بالمشكلات الاجتماعية القائمة وبالحركات الثورية ، علاقات تأثر بها وحسب ، أو كعلاقة المرآة بالاشياء ، تعكس صورتها وحسب ، بل أصبحت هذه العلاقات في الغالب ، تتجه شيئا فشيئا الى أن تكون علاقة فاعلة ، وأن يكون المثقفون والفنانون جزءا حيا اراديا من العملية الثورية .

وهذا الواقع يطرح أمام المثقفين اليوم جملة من القضايا الراهنة : منها مثلا ، نضج نوع من العلاقات التنظيمية بين المثقفين ، كما نرى في قيام « اتحاد الكتاب اللبنانيين » وتتابع ظهور كثير من الاندية والمجالس الثقافية والتجمعات الفنية ولاسيما المسرحية الخ.. ومنها ما أشرنا اليه سابقا من نضج الظروف لبلورة مفاهيم عامة حول أهم القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية يتلاقى عندها قطاع واسع من المثقفين رغم وجود الفروق بينهم في النظر الى هذه المفاهيم تبعا لاختلاف الاصول أو المنطلقات الطبقية .



معـــركة موســكو ١٩٤١

الهزيمة الأولى للحرب الخاطفة

محمود عزمي

في شـــهور اكتوبر ونـــوفمـــبر وديسمبر عام ١٩٤١ دارت عند مشارف « موسكو » معركة من أكبر معارك التاريخ العســـكري الحديث وأكثرها تأثيرا في مجرى الحرب العالمية الثانية بما ترتب عليها من نتائج عالمية . فقد تم في هـــذه المعركة الحاق الهزيمة للمـــرة الاولى بجحافل جيش « هتلر » النازي الذي شاعت عنه أسطورة الجيش الذي لا يقهر !

عند أبواب « موســـكو » في خريف وشـــتاء ١٩٤١ تمت الهزيمة الاولى الحاســـمة لنظرية « الحـــرب الخـــاطفة » الالمـــانية المســـماة « البليتز كريج » بعد أن شاع اعتقاد عالمي كبير بشـــبه استـــحالة هزيمتها ، نتيجة لسلســـلة الانتصارات السهلة المدوية التي حققتها الجيوش الهتلرية في « بولندا » و « النرويج » و « هولندا — بلجيكا — فرنسا » عام ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، وفي البلقان وليبيا عام ١٩٤١ .

واليوم رغم انقضاء ثلاثون عاما على أحداث هذه المعركة فان الدروس والخبرات المستفادة منهـــا مازالت لها قيمتهـــا الثمينة الجوهرية من النواحي العسكرية والسياسية ، خاصة بالنسبة لاساليب الحرب المعتمدة على الاسلحة التقليدية (أي غير الذرية) ، رغم ما طرأ على مثل هذه الاسلحة من تطورات تكنيكية حديثة . وعلى وجه اكثر خصوصية واهمية تمثل « موسكو » وغيرها من معارك المرحلة الاولى من « الحرب الالمانية — السوفييتية » خبرة تاريخية تستحق الدراســـة

معركة الدفاع عن موسكو
٣٠ سبتمبر - ٥ ديسمبر ١٩٤١

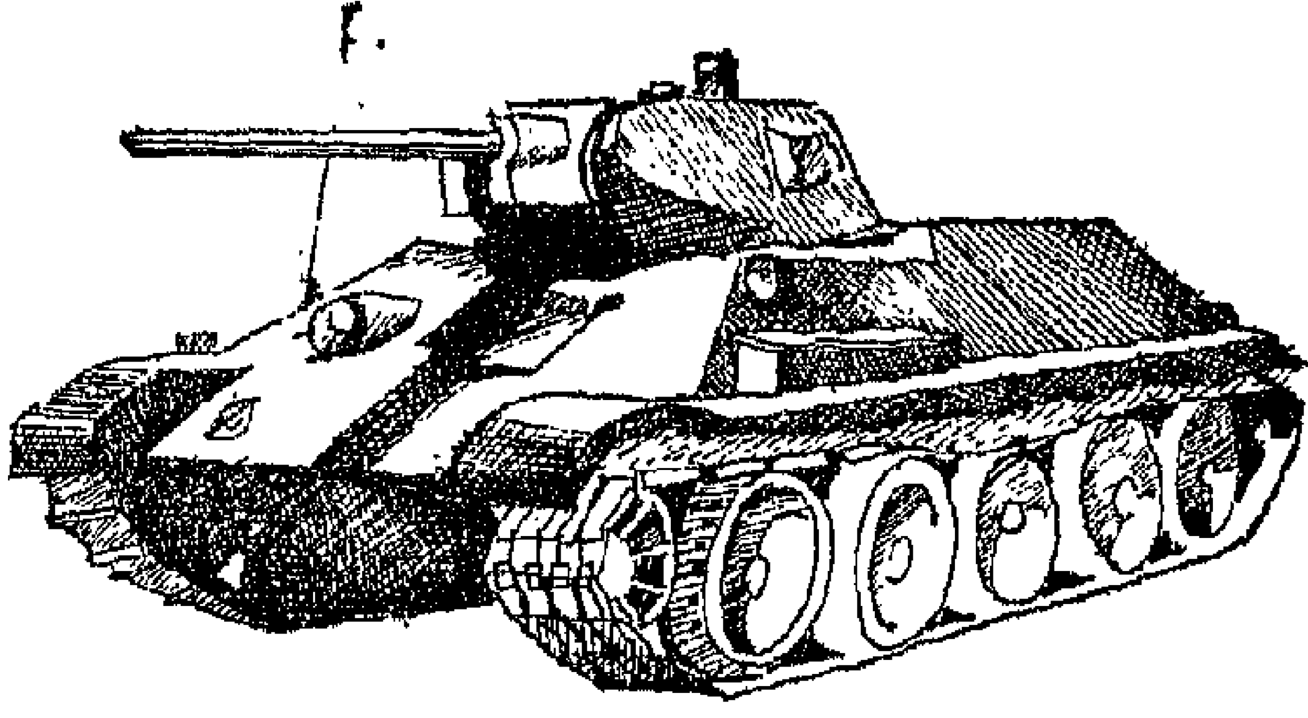
الجادة بالنسبة للشعوب والجيوش التى تواجه عدوا يتبنى أسلوب « الحرب الخاطفة » كمعقيدة استراتيجية ضرورية له ، وكتكتيك يلائم قواته فى معاركه الجزئية أيضا ».

عملية « باربا روسا » فى التطبيق

فى ١٨ ديسمبر عام ١٩٤٠ أصدر « هتلر » التوجيه رقم ٢١ الذى أطلق عليه الاسم الرمزى « عملية باربا روسا » (*) بادئا اياه بقوله « على القوات الالمانية المسلحة ان تستعد لسحق « روسيا السوفييتية » فى حملة سريعة قبل انتهاء الحرب ضد انجلترا .. ويجب تدمير الكتلة الاساسية من الجيش الروسى فى غرب روسيا بواسطة عمليات جريئة تتمثل فى دفع أسنة الدبابات مدرعة عميقة ، والحيلولة دون تراجع أى قوات سليمة قادرة على القتال الى داخل مساحات روسيا

(*) نسبة الى فريدرك الاول احد الاباطرة الالمان القدامى من أسرة « هوهنشتاوفن » [١١٥٢ — ١١٩٠ م] وقد اشتهر باسم « باربا روسا » . وقد دفن فى الشرق ، وقد اتخذ اسمه رمزا لعملية الهجوم على الاتحاد السوفيتى لاعطاء الحرب ضده طابع الحروب الصليبية .
(Seaton, Albert «The Russo» — German War 1941 — 45». London, Arthur Barker, 1971, p. 59).

الواسعة »(١) وهكذا قرر « هتلر » تحت نشوة انتصاراته الخاطفة فى الغرب أن يشن حربا خاطفة أخرى فى الشرق تخضع الاتحاد السوفييتى ، أو على الاقل الجزء الاوروبى منه حتى الاورال تقريبا ، لسيطرته الكاملة وبالتالى تصبح المانيا النازية سيدة أوروبا كلها بلا منازع ، وتضطر بريطانيا أيضا فى هذه الحالة الى قبول الصلح معها بشروطها . وكان لابد له أن يلجأ الى أسلوب « الحرب الخاطفة » هذه المرة أيضا حتى يتسنى له تحطيم القوة العسكرية الضخمة للاتحاد السوفييتى فى وقت سريع قبل أن تعبىء قواها ومواردها البشرية والاقتصادية بالكامل ، وحتى لا يضطر الى خوض حرب طويلة فى جبهتين مثلما حدث فى الحرب العالمية الاولى .



الدبابة الروسية « ت ــ ٣٤ » . وكانت تزن نحو ٢٨ طنا من الصلب ويبلغ سمك درعها الامامى ٤٧ مم ، ومسلحة بمدفع عيار ٧٦ر٢ مم تزن طلقته ١٤ رطلا ورشاشان عيار ٦٢ر٧ مم ، وتبلغ سرعتها ٣٣ ميلا فى الساعة ، ويتألف طاقمها من ٤ أفراد .

وتحقيقا لذلك فقد تم حشد قوة عسكرية ضخمة لتنفيذ أهداف هذه العملية الخاطفة الهائلة بلغ مجموعها ١٥٣ فرقة المانية من بينها ١٩ فرقة مدرعة ، ١٤ فرقة مشاة ميكانيكية تضم ٣٧١٢ دبابة ومدفع مدرع ذاتى الحركة ، ولديها جميعا نحو ٢٦٠ر٤٧ مدفع وهاون من مختلف الانواع ، وتدعمها قوة جوية تتألف من نحو ٤٩٥٠ طائرة من مختلف الانواع من بينها نحو ٢٠٠٠ طائرة للخط الاول . بالاضافة الى ١٤ فرقة رومانية و ١٨ فرقة فنلندية وفرقتان مجريتان ، وجميعها كانت دول حليفة لالمانيا النازية وقتئذ . (٢)

وقد كانت الـ ١٥٣ فرقة المانية هذه تمثل نسبة ٧٠ر٣ ٪ من جملة عدد فرق الجيش الالمانى البالغ عددها حينئذ ٥ر٢١٧ فرقة ، ولم يكن لهذا الجيش قوات تقاتل فى جبهات أخرى فى ذلك الوقت سوى فرقتين فى ليبيا مع « روميل » ضد البريطانيين ، وكانت الـ ٥ر٦٢ فرقة المتبقية موزعة فى أنحاء المانيا وأوروبا المحتلة . (٣) وقد قسمت هذه القوات الى ثلاث مجموعات جيوش رئيسية بالاضافة الى قوات الجبهة الفنلندية (وكان ملحقا بها ٨ فرق المانية) تبعا للتقسيم الذى فرضته الظروف الجغرافية والطبوغرافية والتنظيم الادارى والسياسى للمناطق المتاخمة لحدود الاتحاد السوفييتى الغربية .

مجموعة جيوش الشمال بقيادة الماريشال « فون ليب » وكانت مؤلفة من جيشين مشاة يضمان ٢٠ فرقة ومجموعة مدرعة « البانزر ٤ » بقيادة الجنرال « هوبنر » وتتألف من فيلقين مدرعين يضمان ٣ فرق مدرعة و ٣ فرق مشاة ميكانيكية . ويعزز المجموعة الاسطول الجوى الاول البالغ عدد طائراته من الخط الاول نحو ٤٠٠ طائرة (وفقا لتقدير المؤرخين الغربيين) . (٤) وكان هدف هذه المجموعة تحطيم الجيوش السوفييتية فى الشمال واحتلال دويلات البلطيق و « لينينجراد » . مجموعة جيوش الوسط بقيادة الماريشال « فون بوك » (وهى التى تعنينا فى هذه الدراسة المتعلقة بموسكو) وكانت مؤلفة من جيشين مشاة ، التاسع بقيادة الجنرال « ستراوس » والرابع بقيادة الجنرال « فون كلوج » ، ويضمان معا ٣٣ فرقة مشاة ، بالاضافة الى مجموعة « البانزر ٣ » بقيادة الجنرال « هوث » وتعمل تحت قيادة الجيش التاسع ، وهى مؤلفة من الفيلقين المدرعين ٣٩ ، ٥٧ ويضمان ٤ فرق مدرعة و ٣ مشاة ميكانيكية . ومجموعة « البانزر ٢ » بقيادة الجنرال « جوديريان » وتعمل تحت قيادة الجيش الرابع ،

Shirer, William, «The Rise and Fall of the Third Reich», New York, Cest Book, [١] 1964, p. 1063.

[٢] ، [٣] هذه البيانات مأخوذة من مذكرات الماريشال زوكوف « ذكريات وافكار » ــ الترجمة العربية ــ القاهرة ــ دار التحرير ــ صفحة ١٧٤ ومن «Soviet Military Review, june, 1969 p. 42»

وتتفق معظم الارقام المذكورة مع مثيلاتها الواردة فى المراجع الغربية تقريبا باستثناء عدد الطائرات فان الاخيرة تذكر انه كان ٢٠٠٠ طائرة فقط للخط الاول .

وهى مكونة من الفيالق المدرعة الثلاثة ٤٠، ٤٦، ٤٧ وتضم ٥ فرق مدرعة، ٣ مشاة ميكانيكية. (٤)

ويعزز جيوش الوسط هذه، البالغ جملة عدد فرقهـا ٥٠ فرقة من بينهـا ١٥ فرقة مدرعـة وميكانيكية، الاسطول الجوى الثانى البالغ عدد طائراته من الخط الاول نحـو ١٠٠٠ طائرة. وتهدف هـذه المجمـوعة الى تحطيم القـوات السوفييتية الموجودة فى « بيلوروسـيا » غرب « الدنيبير » و « الدفينا الغربى » والاستيلاء على « سمولنسك » تمهيدا للزحف بعد ذلك نحو قلب البلاد ومركزها الرئيسى العاصمة «موسكو».

ثم مجموعة جيوش الجنوب بقيادة الماريشال « فون رونشتد » وكانت مؤلفة من ثلاثة جيوش مشـاة المانية وجيشين رومانيين، وتضـم هذه الجيوش جميعا ٤١ فرقة المانية، ١٤ رومانية، فضلا عن مجموعة « البانزر ١ » بقيادة الجنرال « فون كليست » وتضم ٥ فرق مدرعة و٣ فرق مشاة ميكانيكية. ويدعم هذه المجموعة الجنوبية الاسـطول الجوى الرابع وكان لديه نحو ٦٠٠ طائرة من الخط الاول. وتهدف هـذه المجموعة الى تحطيم الجيوش السوفييتية الموجودة هناك غرب « الدنيبر » والاسـتيلاء على « كييف » و « أودسا » تمهيداً لاحتلال أوكرانيا كلها وشبه جزيرة القرم وحوض « الدونتز » ثم « القوقاز » وحتى الفولجا.

وبالاضافة الى ذلك كانت هناك ٢٤ فرقة مشاة وفرقتان مدرعتان وفرقتان ميكانيكيتان فى الاحتياطى العام، فضـلا عن الجبهة الفنلندية التى كانت تضم ١٨ فرقة فنلندية، ٨ فرق المانية كما سبق أن ذكرنا. وقـد بلغت جملة القـوة البشرية الالمانية المعدة « لباربروسا » نحو ٣ مليون، ٢٠٠ الف جندى وضابط (٤). وكان يواجه هذه القوات من الجانب السوفييتى وقت وقوع الغزو الخاطف المفاجىء فجر يوم ٢٢ يونيو ١٩٤١ وفقا لما أورده « زوكوف » فى مـذكراته .. وكـان يشغل منصب رئيس هيئة اركان الحرب وقتئذ ١٤٩ فرقة ومجموعة من ألوية المشـاة المستقلة موزعة على النحو التالى :

— فى منطقة البلطيق ١٩ فرقة مشاة، ٤ فرق مدرعة، فرقتان ميكانيكيتان ، ومجمـوعة الوية واحدة.

— فى المنطقة الغربية (بيلوروسيا) ٢٤ فرقة مشاة و ١٢ فرقة مدرعة، ٦ ميكانيكية، وفرقتان خيالة.

— فى منطقة « كييف » (أوكرانيا) ٣٢ فرقة مشاة، ١٦ مدرعة. ٨ ميكانيكية، ٢ خيالة.

— فى منطقة « أودسا » (أقصى الجنوب عند البحر الاسـود) المواجهة لرومانيـا ١٣ فرقة مشـاة، ٤ مدرعـة، ٣ خيـالة، وفرقتـان ميكانيكيتان. وهذا بالاضافة الى ٢١ فرقة مشاة ومجمـوعة الوية مشـاة كانت ترابط فى أقصى الشمال المواجه لفنلندا على جبهة طولها ١٢٧٥ كيلو مترا. أما طول الجبهة الممتدة من البلطيق حتى البحر الاسـود عند « أودسا » فكان يبلغ نحو ٢١٠٠ كيلو متر. (٥)

وبهذا يكون مجموع القوة السوفييتية الموجودة فى المناطق التى تعرضـت للهجوم الالمانى ١٧٠ فرقة ومجموعتان الوية، منها ١٤٩ فـرقة فى المناطق الرئيسية للهجوم والمتدة من « البلطيق » حتى «أودسا»، تضم ٨٨ فرقة مشاة، ٣٦ فرقة دبابات، ١٨ فرقة ميكانيكية، ٧ فرق خيالة. ومن بين الـ ١٤٩ فرقة هـذه كانت ٨ فـرق ترابط فى خط الدفاع الامامى الممتد على مسافة تتراوح بين ١٠، ٥٠ كيلو مترا مـن الحـدود (المشاة فى النسق الاول والدبابات فى الثانى) أما القوات الرئيسية المتبقية فكانت ترابط على مسـافة تتراوح بين ٨٠، ٢٠٠ كيلو متر مـن الحدود. (٥) أما على الحدود نفسـها فكانت توجد وحدات صـغيرة نسبيا من حرس الحدود التابع لوزارة الداخلية. ولكى تكون الصـورة موضوعية وواضحة لاجراء مقارنة سـليمة بين القوى العسكرية المتجابهة فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ وطوال الشهور الاولى من الحرب، لابد لنا أن نوضح ان التشكيلات السوفييتية لم تكن موازية لتشكيلاتها الالمانية سواء من حيث عدد الجنود أو كمية ونوعية الاسلحة فى معظم الحالات، وكذلك من حيث درجة اسـتيعابها للاسـلحة الحديثة والتنظيم المـلائم للحرب السريعة، فضـلا عن

---

[٤] بيانات توزيع القوات الالمـانية واجمالى قوتها العددية ماخوذة اساسا من عديد من المراجع الغربية واهمها :
«Seaton, Albert. «Russo — German War 1941 — 45», London, Barker, 1971, p. 61, 62»
F

وهى تتفق مـع مـا ورد فى المراجـع السوفيتية باستثناء اجمالى القوة البشرية اذ تقدرها الاخيرة بخمسة ملايين رجل بما فى ذلك قوى حلفاء المانيا.

[٥] زوكوف — المرجع السابق — صفحات ١٥٧، ١٧٣ ــ ١٧٤، ١٦٠

اختلاف مستوى تدريبها وبطبيعة الحال خبراتها العملية وتفهمها لاساليب القتال الحديث . فلقد فاجأت الحرب الجيش السوفييتي وهو في حالة اعادة تنظيم وتسليح كاملة لم تتم بعد . والاكثر أهمية من ذلك أيضا أن هذا الجيش لم يكن في حالة تأهب للقتال الفورى ولم يكن لديه انذار مسبق بوقت كاف لاحتمال وقوع هجوم ألمانى ، اذ أن أمر التأهب والاستعداد التام للحرب الذى أصدرته وزارة الدفاع وهيئة أركان الحرب ليلة ٢٢ يونيو (على اثر وصول ضابط صف ألمانى عبر الحدود مساء ٢١ يونيو عند منطقة « كييف » وتأكيده بشدة استعداد القوات الالمانية للهجوم) والذى أورد « زوكوف » نصه فى مذكراته لم يكن قد وصل الى كثير من الوحدات فى الوقت المناسب بسبب قلة أجهزة اللاسلكي والاتصال المباشر . (٥)

وقد ساهم بطبيعة الحال سوء تقدير الموقف سياسيا من جانب ((ستالين)) لاحتمالات الحرب مع ألمانيا النازية فى هذا الوقت بالذات ، على مضاعفة آثار عدم التأهب للقتال هذه (٦) ، وبالتالى ضخم من آثار عنصر المفاجأة الذى تحقق بالكامل تقريبا وعلى النحو النموذجي المطلوب لاسلوب « البليتز كريج » . وكانت النتيجة أن أحرزت القوات الالمانية المهاجمة تفوقا كبيرا فى نقاط الهجوم سواء كما أو كيفا أو معنويا . فانطلقت مجموعات البانزر الضخمة فى هجومها المركز الهادف الى تحقيق اختراق استراتيجي عميق الى مؤخرة القوات السوفييتية تسبقها غارات الطيران الذى أحرز تفوقا جويا كاملا فى الايام نتيجة لتدمير نحو ١٢٠٠ طائرة معظمها على الارض فى الضربة الاولى للهجوم وخلال اليوم الاول فقط ! كما يقول « زوكوف » فى مذكراته (٧). وسهل لها مهمتها اضطراب القيادات السوفييتية وعدم معرفتها السريعة لحقيقة تطورات القتال بسبب عمليات التخريب لخطوط التليفون والتلغراف وقتل راكبى الدراجات البخارية حاملى الرسائل بواسطة جماعات خاصة معظمها من العناصر الاوكرانية والليتوانية البيضاء (٨) ، وقلة أجهزة الاتصال اللاسلكي لدى الوحدات . (كانت نسبة نقص الاجهزة لدى هيئة أركان الحرب ٦١ ٪ وفى منطقة « كييف » ٦٨ ٪ وفى منطقة البلطيق ٤٨ ٪) . وحققت عمليات البانزر نجاحا أكبرفى قطاع مجموعة جيوش الوسط فى « بيلوروسيا » نظرا لان القيادة الالمانية كانت قد حشدت قوتها الرئيسية هناك بينما لم تكن القيادة السوفييتية تتوقع ذلك فى مخططاتها قبل الحرب وانما توقعت فى حالة نشوب حرب مع ألمانيا أن تكون الضربة الرئيسية فى « أوكرانيا » حيث الثروة الزراعية والصناعية ضخمة ولذلك حشدت فى مواجهة جيوش الجنوب فى منطقتى « كييف » و « أودسا » ٤٥ فرقة مشاة ، ٢٠ فرقة مدرعة ، ١٠ ميكانيكية ، ٥ خيالة ، ولذلك تعثر زحف « فون رونشتد » هناك فترة أطول نسبيا من باقى القطاعات . أما فى الوسط فلم يكن لها سوى ٢٤ فرقة مشاة ، ١٢ مدرعة ، ٦ ميكانيكية ، ٢ خيالة فى مواجهة ٣٣ فرقة مشاة ألمانية ، ٩ فرق بانزر ، ٦ فرق مشاة ميكانيكية . ورغم التقارب فى عدد التشكيلات المدرعة والميكانيكية لدى الطرفين فقد كان للالمان ميزة التفوق فى أسلوب استخدام المدرعات فى حشود مركزة تعمل فى تعاون تام بينها وبين الطيران (خاصة طائرات الهجوم الارضى مثل « شتوكا ») ومع بقية الوحدات المعاونة لها من مدفعية متحركة ومشاة ميكانيكية ، فضلا عن تفوق دباباتهم نوعيا بالنسبة لمعظم الدبابات الروسية وقتئذ والتى كان جزء كبير منها من أنواع قديمة مثل الـ ت ٢٦، ت ٢٧ ، ت ٣٧ ، ت ٦٠ ، ب.ت ـ ٥ ، ب.ت ٧ الخ (٩) ، بينما كانت الانواع الحديثة القوية والمتفوقة على الدبابات الالمانية وهى الـ « ت ٣٤ » و « ك.ف ١ » لم ينتج منها بعد سوى ١٨٦١ دبابة فقط (١٠) ، تسلمت منها الوحدات قبل نشوب الحرب نحو ١٠٠٠ « ت ٣٤ » ، ٥٠٠ « ك.ف » فحسب وكانت الوحدات لاتزال تتدرب

[٦] سبق لنا ان اوضحنا تفصيلا بعض جوانب سوء التقدير السياسى هذا من جانب ستالين وعوامله المختلفة فى دراستنا عن « حرب الهوب فى الاتحاد السوفيتى » المنشورة بمجلة « الطليعة » ـ العدد ٤ سنة ١٩٦٨ ـ صفحات ٤٩ ، ٥١

[٧] زوكوف ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢١٨ ، ١٣٩ . هوجمت ٦٦ قاعدة جوية سوفيتية فى يوم ٢٢ يونيو ١٩٤١ وتذكر المراجع السوفيتية أنه نتج عن ذلك تدمير ١٢٠٠ طائرة حتى الظهر منها اكثر من ٨٠٠ طائرة على الارض ، بينما تذكر المراجع الالمانية ان جملة خسائر اليوم الاول للسلاح الجوى السوفيتى كانت ١٤٨٩ طائرة دمرت على الارض و٣٢٢ طائرة أخرى أسقطت من الجو بواسطة المقاتلات والمدفعية فتكون الجملة ١٨١١ طائرة مقابل ٣٥ طائرة ألمانية وقد وردت هذه الارقام فى كتاب
«Bekker, Cajus: «The Luftwaffe War Diavies», London, Macdonald, 1967, p. 221»

[٨] Seaton, Albert. «The Russo — German War 1941 — 45», p. 98.

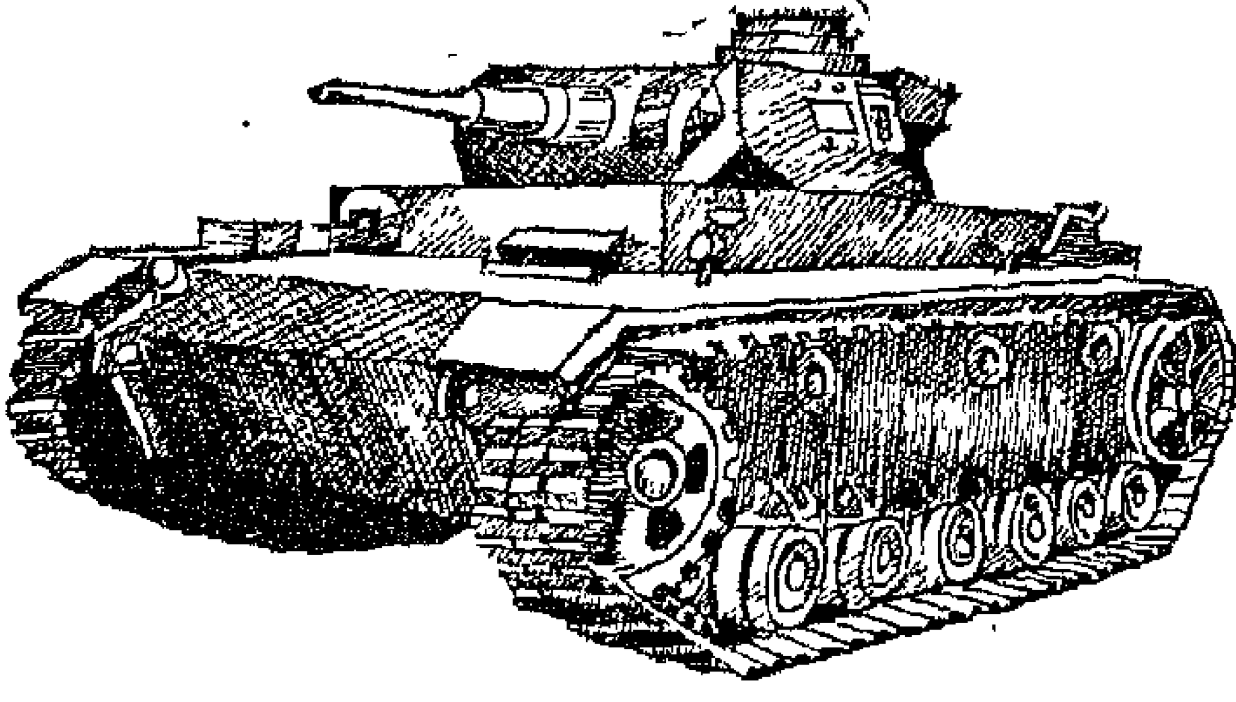
[٩] Eremenko A. «The Avduous Beginning», Moscou, Progress Published, 1966, p. 56.

[١٠] زوكوف ـ المرجع السابق ـ صفحة ١٣٧.

عليها، ولذلك لم تستخدم في الايام الاولى ولم تظهر فاعليتها المرجوة الا فيما بعد . ولذلك كله احرزت قوات ((**فون بوك**)) سلسلة من الانتصارات والنجاحات الكبرى في بدء الامر بواسطة عمليات التطويق المزدوج التي قامت بها مجموعتي البانزر ٣ ، ٢ بقيادة ((هوث)) و ((جوديريان)) والتي أدت الى احتلال ((مينسك)) عاصمة ((بيلوروسيا)) في ٢٩ يونيو وأسر عدد كبير من قوات الجيش ١٠ ، ٣ حولها وحول ((بيلوستوك))، ثم واصلت تشكيلات المدرعات الالمانية زحفها نحو ((الدنيبير)) فبلغته يوم ١٠ يوليو وعبرته أيضا وحدات ((**جوديريان**)) في نفس اليوم ، وفي يوم ١٥ يوليو كانت ((سمو لنسك)) الواقعة على عمق ٤٠٠ ميل تقريبا داخل الحدود السوفييتية مهددة بالحصار . ولكن رغم خطورة هذه الهزائم بالنسبة للجيش السوفييتي الا أن روح المقاومة كانت تتزايد ولم تنقطع محاولات الهجوم المضاد على أجنحة طرفي الكماشة الالمانية . ولم تؤد عمليات التطويق الضخمة الى انهيار معنوي كبير للقوات المحاصرة بل كانت تصمد وتقاتل وتفلت أجزاء منها من حلقة الحصار . وحول هذه الظاهرة الجديدة بالنسبة للجيش الالماني يقول المؤرخ العسكري الالماني ((**والتر جورليتز**)) ((لقد وجد الالمان الآن ، على النقيض من تجربتهم الفرنسية الحديثة ، ان عدوهم لا يميل الى التأثر الا قليلا بتهديدات الدبابات لاجنحته ومؤخرته ، وأنه بالرغم من هذه التهديدات يبذل مجهودات كبيرة حتى لا يفقد المبادأة . وانه قد يخلي الارض ، ولكن فقط كي يكسب الوقت ويعاود الهجوم ، وأنه يقوم بمهاجمة الدبابات من كافة الجوانب . وهو بهذه الطريقة يستطيع عادة اختراق حركة التطويق الالمانية)) !

((سمولنسك)) تكسب الوقت ((لموسكو))

بعد سقوط ((منسك)) والحاق خسائر ضخمة بقوات الجبهة الغربية خلال الاسبوعين الاولين من الحرب الخاطفة ، وفشل سلسلة الهجمات المضادة التي تمت على عجل وبدون تنسيق سليم وفي ظل عدم احاطة دقيقة بحقيقة الموقف العسكري الناجم عن الضربة المفاجئة في ٢٢ يونيو ، اضطرت القيادة السوفييتية العليا الى اتباع مبدأ الدفاع الاستراتيجي على طول الجبهة حتى يمكن أن تجنب قواتها مضار القيام



الدبابة الالمانية المتوسطة الرئيسية ((مارك ٣)) . وكانت تزن نحو ٢٠ طنا من الصلب ويبلغ سمك درعها الامامي ٣٠ مم ، ومسلحة بمدفع عيار ٥٠ مم قصير الماسورة تزن طلقته ٤ر٥ رطل ورشاشان عيار ٧ر٩٢ مم ، وتبلغ سرعتها ١١ ميلا في الساعة ، ويتألف طاقمها من ٥ أفراد ..

بهجوم لا تستطيع القيام به فعليا ، وحتى يمكن لها أن تحشد قواها الاحتياطية الكاملة . واختيار اللحظة المناسبة للتحول الى الهجوم المضاد العام لانتزاع المبادأة الاستراتيجية من أيدي العدو . ولضمان نجاح خطة الدفاع الاستراتيجي هذه حددت القيادة العليا أهم أهداف الدفاع في ((وقف القوات الالمانية على الخطوط الدفاعية أطول زمن ممكن لكسب أكبر قدر من الوقت تنقل اثناءه القوات الموجودة في أعماق البلاد الى منطقة القتال ويتشكل خلاله الاحتياطي الجديد ويتم توزيعه بالطريقة المناسبة . وتكبيد العدو أفدح الخسائر وانهاكه بهدف تحقيق التوازن في القوى الى حد ما . وضمان التدابير التي اتخذها الحزب والحكومة لاجلاء السكان والمنشآت الصناعية الى أعالي البلاد وكسب الوقت اللازم لتحويل الصناعة الى احتياجات الحرب)) . (١٢)

لقد قامت مغامرة الحرب الخاطفة الالمانية ضد الاتحاد السوفييتي على أمل تحطيم قوته العسكرية الاساسية والقضاء على روح القتال والرغبة في الاستمرار فيه بسرعة ، قبل أن يستطيع الشعب السوفييتي وحكومته تعبئة قواه بالكامل المادية والمعنوية ، ورغم عنف الضربة الغادرة الاولى وشدة الخسائر المادية والبشرية المترتبة عليها ، وظهور بعض حالات الانهيار النفسي وعدم التماسك لدى بعض الوحدات والافراد في الايام الاولى ، فقد فقدت ((البليتزكريج)) أحد مقومات نجاحها وهو الانهيار المعنوي . اذ اشتدت روح المقاومة والعناد في القتال . وساعد ذلك فضلا عن توفر العمق الجغرافي الكبير الذي انهك

(١٢) زوكوف - المرجع السابق - صفحة ١٨٧

حركة المدرعات المتقدمة بسرعة في تدفقها الى المؤخرات ، ساعد القيادة السوفييتية على دفع أجزاء كبيرة من احتياطيها العام ، والبـدء في تعبئة ٥ ملايين و ٣٠٠ الف رجل للقوات المسلحة في الفترة من ٢٣ يونيو حتى ١ يوليو ١٩٤١ (١٣) وهكذا تمكنت هـذه القيادة من الحاق خمسة جيوش مشاة (*) من احتياطياتها بقيادة الجبهة الغربية (التي أصبح « تيمو شينكو » وزير الدفاع يرأسها) في الفترة من ٢٧ يونيو حتى ١٠ يوليو ١٩٤١ ، كما قامت بالبـدء في اعداد سلسـلة متوالية من خطوط الدفاع في اتجاه « موسكو » منذ منتصف يوليو وصل عمقها الى ٢٥٠ — ٣٠٠ كيلو متر من « الدنيبر » حتى خط موجايسك ، وفي اتجاه « لينينجراد » في الشمال بلغ عمق الخطوط الدفاعية ١٠٠ — ١٢٠ كيلو مترا (١٤) . وصاحب ذلك كله شن بعض الهجمات المضادة الاكثر اعدادا وتنسيقا من قبل الامر الذى اكسب الدفاع الاستراتيجي العام ايجابية وفعالية اكثر . ولذلك كله انخفض معدل تقدم الجيوش الالمانية المهاجمة ، فبعد أن كان معدل هذا التقدم يبلغ في المتوسط اثناء الـ ١٨ يوما الاولى من الحرب ٢٠ — ٣٠ كيلو مترا في اليوم ، أصبح هذا المعدل بعد ذلك في سـبتمبر واكتوبر من نفس العام ١٩٤١ ٥ كيلو مترات في المتوسـط يوميـا في اتجاه « لينينجراد » ، ٥ر٢ كيلومتر / يوم في اتجاه « موسكو » ، ٦ كيلومتر / يوم في اتجاه الجنوب الغربي ، بعد أن كان هذا المعدل في الجبهـات الثلاث ٢٠ ، ٣٠ ، ٢٠ كيلومترا على التوالي (١٤) وقد كانت سلسلة المعارك الدفاعية الشديدة ، والتي تخللتها مجمـوعة قوية مـن الهجمـات المضادة التي دارت عند وحول « سمولنسـك » في الفترة من ١٠ يوليو حتى ١٠ سبتمبر ١٩٤١ أحد النماذج البارزة الناجحة في تحقيق الهدف العام المتمثل في كسب الوقت وارهاق العدو ، رغم الخسائر التي تحملتها القوات السوفييتية في هذه المعركة وسقوط عدد كبير من الاسرى في حصار المدينة بعد تطويقها بقوات « هوث » ، و «جوديريان» المدرعة ، وفشلت محاولات استرداد المدينة بعد سقوطها في ١٦ يوليو . وذلك نظرا للتفوق الذى كان لدى القوات الالمانية المهاجمة والذي بلغت نسبته ٢ الى ١ في عدد الرجال ، ٤ر٢ الى ١ في عدد المدافع ، ٤ الى ١ في عدد الطائرات عند بدء المعركة في ١٠ يوليو (١٥) ، وبالنسبة للمدرعات فقد كان لدى الالمان تفوق واضح فيها مكنهم من حشد ٣٠ دبابة أو مدفع ذاتي الحركة في كل كيلومتر في مناطق هجماتهم المدرعة الاسـاسية . وقد اسـتخدمت القوات السوفييتية في هجماتها المضادة اثناء هذه المعركة بعض بطاريات المدفعية الصاروخية (*) الجديدة التي عرفت باسم « الكاتيوشا » لاول مرة ، وكان لها تأثير شـديد على جنود العـدو في منطقة « رودينا » الذين فوجئوا بسقوط ٣٢٠ قذيفة من قذائفهـا عليهم خلال عشر ثواني فقط فانطلقوا هاربين من مواقعهم ! (١٦) ويعلق « زوكوف » على معركة « سمولنسك » فيقول « لقد لعبت معركة « سمولنسـك » دورا هاما في المرحلة الاولى من الحرب على الرغم من أن قواتنـا لم تسـتطع تحطيم قوى العدو طبقا للخطة التي وضعتها القيادة العليا .. ولكنها استطاعت أن تكبد العدو خسـائر فادحة ، فطبقا لاعترافات الجنرالات الالمان فقد الهتلريون في « سمولنسك » ٢٥٠ الف جندي وضابط . وفي ٢٣ يوليو أمرت القيادة الالمانية مجموعة جيوشها بالقطاع الاوسط أن تتخذ مراكز دفاعية في مواجهـة الجيوش السوفييتية التي كانت ترابط على خط « فيليكي لوكي — يارتسفو — كريشف » . لقد اظهرت قوات الجيش الاحمر التي كان يعاونها سكان مدينة « سمولنسك » خـلال المعـركة بسـالة وصلابة ، فكانت المعارك تدور عند كل دشـمة وفي كل شارع وفي كل منزل وكل قرية ، وقد حققت قواتنا التي كانت تدافع عن «سمولنسك» نجاحا استراتيجيا كبيرا ، فأتاحت بذلك الفرصة

---

(١٣) مجلة انباء موسكو — ملحق العدد ١٩ (١١٠) — ١٩٧١ — صفحة ٩

(١٤) سوكولوفسكى وآخرون — الاستراتيجية الحـربية السـوفيتية — القاهرة — الكاتب العربي — صفحة ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠

(*) كان جيش المشـاة السـوفيتي (وجيش الاسلحة المشتركة كما صار يعرف بهذا الاسم بعد تلك) يتكون في صيف ١٩٤١ ، بعد حل نظام تشـكيل الفرق في فيالق مؤقتا ، من ٦ فرق فحسب بدلا من ٩ ، ١٢ فرقة سابقا ، وكانت فرقة المشاة مفروض ان تبلغ قوتها — وفقا للتنظيم المقترح قبل الحرب — في ظروف الحرب ٥٠٠ر١٤ جندى ، ٧٨ مدفع ميدان ، ٥٤ مدفعا مضادا للدبابات عيار ٤٥ مم ، ١٢ مدفعا مضادا للطائرات ، ٦٦ مدفع هاون عيارات ٨٢ — ١٢٠ مم ، ١٦ دبابة خفيفة ، ١٣ عربة مصفحة ، ٣٠٠٠ حصان [زوكوف — صفحة ١٣٦] ولكن ظروف الحرب الاولى جعلت عدد الفرقة لا يزيد عن ٨٠٠٠ جندي فقط ، بينما كانت الفرقة الالمانية تضم نحو ١٥ الف جندي في تلك الوقت .

(١٥) Kurochkin, p. «Battle of Smolensk», Soviet Military Review, April 1968, p. 41.

(١٦) Eremenko, A. «The Arduous Beginning», Moscou, Progress Publishers, 1966, p. 163.

(*) كانت المدفعية الصاروخية ابتكار سوفيتي جديد وتمت تجربتها قبل نشوب الحرب ولكن انتاجها على نطاق واسع لم يبدأ الا في يونيو ١٩٤١ ولذلك استخدمت لاول مرة في ١٥ مايو ١٩٤١ في معـركة سمولنسـك ، وكان النوع المستخدم يسمى « ب.م — ١٣ » وهي من عيار ١٢٢ مم وعبارة عن مجموعة متعددة من المواسير المركبة على سيارة وتنطلق منها الصواريخ دفعة واحدة ويصل مداها الى ٧٠٠٠ ياردة تقريبا

لقواتنا الاحتياطية الاستراتيجية لاقامة وسائل الدفاع عن (موسكو) » . (١٧)

وقد قاد « زوكوف » بنفسه أكبر هجوم مضاد خلال هذه المعركة ، وهو الهجوم الذى قام به الجيش الرابع والعشرين أساسا ابتداء من ٢٠ أغسطس حتى ٦ سبتمبر من أجل ازالة رأس الجسر القوى الذى أقامته القوات الالمانية عبر نهر « دسنا » حول مدينة « يلينا » استعدادا للزحف نحو « موسكو » ، وقد تمت فعلا تصفية رأس جسر « يلينا » هذا ، واستردت المدينة يوم ٦ سبتمبر ، نظرا لان الهجوم اعد له جيدا لمدة ١٢ يوما قبل البدء فيه ، كما أن معظم الوحدات المدرعة الالمانية كانت قد حولت لمساعدة مجموعة جيوش الجنوب والشمال كما سيأتى ذكره فيما بعد . ويقول « زوكوف » أن الالمان فقدوا فى خلال معارك « يلينا » هذه عددا يتراوح ما بين ٤٥ — ٤٧ الف جندى ما بين قتيل وجريح وأسير (١٧) . وقد اعترف الجنرال الالمانى « بلومنتريت » مدير عمليات الجيش الرابع وقتئذ فى كتابه « قرارات هتلر المميتة » بعد الحرب بشدة وطأة معارك « سمولنسك » و « يلينا » حيث قال « ولعدم وجود مساندة قوية من المدرعات اضطررنا لاتباع طريقة الخنادق بحذاء نهر « الديسنا » مما أرهق قواتنا للغاية ، فقد هاجمنا الروس بعنف ونجحوا فى اختراق خطوطنا المفتقرة للعمق ، مما اضطرنا لاستدعاء وحدات من الدبابات لسد الثغرات الناجمة عن الاختراق ، وقد تعلمنا من هذه العمليات أن المشاة فى الحرب الحديثة لا تحتاج لمعاونة المدرعات فى الهجوم فقط وانما فى الدفاع ايضا . وعندما اقول ان خطوطنا كانت رقيقة فان هذا أقل من الواقع بالفعل فقد خصصت للفرق مواجهات تزيد عن عشرين ميلا ! ويضاف الى هذا انه خلال تقدمنا تكبدنا خسائر مما أدى الى أن الفرق أصبحت غير كاملة المرتب من حيث الافراد وتفتقر تماما لاى قوات تعمل كاحتياطى تكتيكى . واثناء القتال وخاصة فى المنطقة المحيطة (بيلينا) تكبدت تشكيلاتنا خسائر جديدة فادحة » ! (١٨)

وقد أدت معارك « سمولنسك » وغيرها من المعارك الدفاعية العنيفة التى كانت تدور فى نفس الوقت عند « كييف » و « أودسا » وفى منطقة البلطيق على مشارف « لينينجراد » الى زيادة خسائر الالمان الى حد كبير هدد باستنزاف احتياطياتهم بالكامل تقريبا من الرجال والتشكيلات القتالية والوقود وكثيرا من العتاد . وبالتالى أصبحت مقامرة « البليتز كريج » على حافة هاوية الفشل لان ميزان القوى فى الموارد البشرية والمادية بدأ يميل تدريجيا لصالح الجيش السوفيتى ، بعد أن فشل سباق الزمن الذى بنيت عليه عملية « بارباروسا » فى منع أو عرقلة بناء واعداد الاحتياطيات البشرية والمادية أو فى تحطيم قوى الانتاج الحربى الرئيسية التى جرى نقل معظمها الى المؤخرة البعيدة لتدعيم القاعدة الصناعية الموجودة أصلا هناك من قبل الحرب . ذلك لان هذه الخسائر أدت الى أن يصبح العجز فى عدد الجنود اللازم فى تشكيلات المشاة فى أوائل سبتمبر ١٩٤١ كالآتى : أكثر من ٤٠٠٠ رجل فى ١٤ فرقة مشاة (بالنسبة لكل فرقة) واكثر من ٣٠٠٠ فى ٤٠ فرقة أخرى ، وأكثر من ٢٠٠٠ فى ٣٠ فرقة ، وأقل من ٢٠٠٠ فى ٥٨ فرقة (بالنسبة لكل فرقة فى الجميع) وقد انخفض احتياطى القيادة العامة من ٢٨ فرقة الى ٣ فرق عند نهاية صيف ١٩٤١ . وبلغت جملة خسائر الافراد فى ٢٦ أغسطس ١٩٤١ ، ٤٤٠ الف رجل من بينهم ٩٤ الف قتيل ، تم استبدال ٢١٧ الف رجل منهم فقط فى نهاية أغسطس من جملة الـ ٤٠٠ الف رجل الذين كانت تتكون منهم قوات احتياطى الاستبدال فى ألمانيا التابعة للجنرال « فروم »(١٩) . كما بلغت نسبة قوة الدبابات الصالحة للقتال بالنسبة لقوتها المفترضة الاصلية فى نهاية أغسطس ١٩٤١ ، ٥٣٪ فى مجموعة البانزر الاولى (فى الجنوب) و ٢٥ ٪ فى المجموعة الثانية ، ٤١ ٪ فى المجموعة الثالثة (فى الوسط) و ٧٠ ٪ فى المجموعة الرابعة (فى الشمال) وتزايد هذه النسب بنفس الترتيب على التوالى عند نهاية سبتمبر ١٩٤١ الى ٧٠ —

---

[١٧] زوكوف المرجع السابق —صفحة ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٢

[١٨] بلومنتريت ، جونتر ، «قرارات هتلر المميتة » الجزء الثانى — معركة روسيا — ترجمة فتحى النمر — القاهرة — ١٩٦٩ — صفحة ١٤٤ ، ١٤٥

[١٩] Seaton, Albert. «The Russo-German War 1941 — 45», p. 171, 172.

٨٠ ٪ ، ٥٠ ٪ ، ٧٠ — ٨٠ ٪ ، ١٠٠ ٪ ! (١٩) وذلك كله وفقا للارقام الالمانية التى أوردها « هالدر » رئيس هيئة أركان حرب الجيش الالمانى وقتئذ . ويذكر « جوديريان » فى مجال شكواه من شدة الاجهاد والخسائر التى لحقت بتشكيلات البانزر (*) التابعة له ، ان الوحدة المدرعة السادسة بقيادة « مونزل » على سبيل المثال ، قد انخفضت قوة دباباتها الصالحة للقتال فى ١٤ سبتمبر ١٩٤١ الى ١٠ دبابات فقط من جملة نحو ١٥٠ دبابة كانت لدى تشكيلها الاصلى ! (١٩) كما أن سرايا المشاة الميكانيكية أصبحت تتكون من ٥٠ رجلا فحسب ! ولقد أدت شدة معارك « سمولنسك » واستمرار صمود « كييف » فى الجنوب و « لينينجراد » فى الشمال الى انتهاء مرحلة الزحف السريع الخاطف ، وفشل الهدف الرئيسى لعملية « بارباروسا » وهو تحطيم الكتلة الرئيسية للجيش السوفييتى غرب « الدنيبير » . فكان لابد لهتلر أن يعيد النظر فى حساباته الاستراتيجية وضرورة الاهتمام بمراعاة بعض الاعتبارات الاستراتيجية التقليدية والضرورية والتقليل الى حد ما من نزعات المقامرة فى المراحل التالية من الحملة . ولذلك أظهر « هتلر » ترددا شديدا بشكل واضح فى تقرير استمرار الزحف نحو « موسكو » عندما اجتمع بكبار قادة مجموعة جيوش الوسط فى مقر قيادة المجموعة يوم ٤ أغسطس ١٩٤١ فى « بوريسوف » (٢٠) ورأى ضرورة التوقف قليلا — بناء على رأى « براوخيتش » القائد العام للجيش — لاصلاح المدرعات واستكمال بعض النقص الذى لحق بقوتها ، ثم التركيز على تصفية المقاومة السوفيتية فى « كييف » و « أوكرانيا » عامة ، بالاضافة الى تشديد الهجوم على منطقة « لينينجراد » لتطويقها والالتقاء بالقوات الفنلندية الزاحفة من أقصى الشمال ، وبذلك يأمن تهديد الجيوش السوفييتية لاجنحة مجموعة الوسط قبل الاندفاع الى موسكو ، خاصة جناحها الايمن من ناحية الجنوب ، ويوفر لها فى نفس الوقت امكانية تدعيمها بقوات اضافية من الجنوب والشمال تساعدها على اختراق خطوط الدفاع القوية التى تواجهها فى الطريق الى « موسكو » خاصة وأنه لم يعدهناك اية احتياطيات عامة ذات قيمة . وقد عارض قادة مجموعةالوسطفكرة « هتلر » الاستراتيجية هذه لانها كانت تفرض عليهم توجيه مجموعة « جوديريان » الثانية المدرعة الى الجنوب للاشتراك فى حركة كماشة ضخمة مع مجموعة « فون كليست » المدرعةالاولى ، فضلا عنتوجيه بعض قوات مجموعة « هوث » الثالثة المدرعة الى الشمال لمعاونة مجموعة « هوبنر » فى تطويق « لينينجراد » . وانضم كل من « براوخيتش » و « هالدر » أيضا الى هذاالرأى الاخير واستمرت المناقشات فترة تزيد عن أسبوعين ، ثم حسمها « هتلر » بتوجيهه رقم ٣٤ الذى أصدره يوم ٢١ أغسطس مقررا فيه أولوية « كييف » مؤقتا عن « موسكو » . وقد شعرت القيادة العليا السوفييتية بخطورة حشود « جوديريان » فى الجزء الجنوبى من الجبهة الغربية عند « موجلييف » ، وخشيت أن توجه هذه القوات ضربة قوية تجاه « بريانسك » لتزحف نحو « أوريل » ثم « موسكو » من الجنوب الشرقى . ولذلك سارعت بتشكيل مجموعة جيوش جديدة ذات قيادة مستقلة عن الجبهة الغربية أطلقت عليها اسم « جبهة بريانسك » فى ١٤ أغسطس وتولى الجنرال « يرمنكو » قيادتها . وكلفتها بالقيام بهجوم مضادلاحباطنوايا « جوديريان » فى المنطقة ، الا أن الهجوم الذى شنته الجبهة المذكورة فى ٢ سبتمبر لم يؤت نتائجه المطلوبة لنقص القوى اللازمة لانجاحه خاصة من المدرعات ولاصطدامه بمقاومة الجيش الرابع الشديدة الذى كان مكلفا بحماية جناح ومؤخرة « جوديريان » ، الذى انطلق فى ٩ سبتمبر فى طريقه نحو الجنوب والتقى فعلا « بكليست » عند نقطة تبعد ١٥٠ ميلا شرقى « كييف » يوم ١٦ سبتمبر ، وقد سقطت المدينة نفسها يوم ٢٠ سبتمبر ووقع نحو ٤٥٠ الف جندى سوفييتى (٢١) فى الاسر من قوات الجيوش ٥ ، ٢١ ، ٣٧ ، ٢٦ ولم يتمكن من الفرار من التطويق سوى ١٥٠ الف تقريبا . وكان اصرار «ستالين» والقيادة العليا بصفة عامة على الاحتفاظ بكييف

(*) كانت الفرقة المدرعة الالمانية « البانزر » فى بدء الحملة على روسياتتالف اصلا من وحدة دبابات « الاى » يضم ٣ كتائب بها جميعا نحو ١٩٠ دبابة ، وملحق بها لواء مشاة ميكانيكية محمل فى عربات مدرعة نصف جنزير او لوريات عادية ويضم هذا اللواء الايين كل منهمايتالف من كتيبتين بكل منهما نحو ٦٠٠جندى ، بالاضافة الى وحدات معاونة من المدفعية بمختلف انواعها بعضها ذاتى الحركة وكتيبة مهندسين واخرى من راكبى الموتيسكلات . اما فرقة المشاة الميكانيكية فكانت تتالف من الايين بكل منهما ٣ كتائب ولديها مدفعيتها ووحداتها المعاونة . وكان الفيلق المدرع يضم فرقتين مدرعتين وفرقة ميكانيكية ، والمجموعة أو الجيش المدرع يتالف من فيلقين او ثلاثة

[٢٠] Eremenko, A. «The Arduous Beginning», Moscow, Progress Publishers, 166, p. 204.

[٢١] Seaton, Albert. «Russo-German War-1941—45», London, Barker, 1971, p. 147.

أطول فترة ممكنة هو سبب هذه الهزيمة الكبيرة . (٢٢)

«الاعصار» في طريقه الى موسكو

قبل أن تنتهي معارك « أوكرانيا » والشمال أصدر « هتلر » التوجيه رقم ٣٥ الذي تضمن الاوامر الخاصة باعداد الهجوم الجديد على « موسكو » ، ذلك الهجوم الذي أعطى الاسم الكودي « عملية الاعصار »! « Typhoon » «» والتيفون كما نعلم هو اسم يطلقه الجغرافيون على اعصار استوائي شديد يهب على بحر « الصين » و « الفلبين »! وحتى يكون للهجوم قوة اندفاع « التيفون » فعلا ، كان لابد للتنفيذ العملى ان ينتظر حتى تتم تصفية « كييف » في ٢٠ سبتمبر وتطويق « ليننجراد » تقريبا في ١٥ منه، حتى يمكن سحب مجموعة «جوديريان» من الجنوب ومجموعة « هوبنر » من الشمال خاصة وانه لم تكن توجد تعزيزات احتياطية لدى القيادة العامة بعد أن ارتفع رقم جملة الخسائر الالمانية البشرية الى ٥٣٤ الف رجل في ٢٦ سبتمبر وهو رقم يمثل نسبة نحو ١٥٪ من جملة القوات الالمانية في الجبهة كلها(٢٣)! هذا وقد بلغت قوة مجموعة الوسط عند بدء تنفيذ العملية في ٣٠ سبتمبر ١٩٤١ ، المؤلفة من جيوش المشاة ٩ ، ٤ ، ٢ ومجموعات البانزر ٢ ، ٣ ، ٤ (باستثناء فيلق مدرع واحد من المجموعة ٤ بقى في الشمال) ، بلغت في جملتها ٧٧ فرقة من بينها ١٤ فرقة مدرعة ، ٨ مشاة ميكانيكية تضم جميعا نحو ١٧٠٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة مدرع ، ولديها نحو ١٤٫٥٠٠ مدفع وهاون ، وتعززها قوة جوية تشمل الاسطول الثاني والفيلق الثامن المأخوذ من مجموعة الشمال تبلغ جملتها نحو ١٠٠٠ طائرة من أصل الـ ٢٤٠٠ طائرة التي كانت موجودة في الجبهة الروسية كلها(٢٣) ولم يكن لدى قيادة « الوسط » سوى فرقتين احتياطيتين من هذه الفرق ، أما القيادة العامة فلم يكن لديها أي احتياطي ! وقد بلغت أطوال خطوط المواجهة التي حشدت فيها هذه القوات ابتداء من « أندريابول » في الشمال حتى « كونوتوب » في الجنوب اكثر من ٤٠٠ ميل ، كما بلغ مجموع عدد رجال هذه القوات نحو مليون جندي وضابط(٢٣) .

هذا ولقد تم حشد هذه القوى بفضل سحب بعض قوات « فون ليب » في الشمال (٥ فرق مدرعة ، ٢ مشاة ميكانيكية وفيلق جوى) وبعض قوات « فون رونشتد » في الجنوب ايضا بخلاف مجموعة جوديريان (٢ فرقة مدرعة،٢ ميكانيكية، ٥ فرق مشاه) . وهكذا قام « هتلر » باضعاف قواه الضاربة في الشمال والجنوب على أمل كسب « موسكو » بضربة سريعة ! وكان يواجه هذه القوى في ٣٠ سبتمبر من الجانب السوفيتي ثلاث مجموعات جيوش « جبهات » هي كالاتي :

« الجبهة الغربية » بقيادة « كونيف » وتتألف من الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٩ ، ١٦ ، ٢٠ التي ترابط بهذا الترتيب من الشمال عند « أوستاشكوف » — نقطة اتصالها بالجبهة الشمالية الغربية — حتى « يلينا » تقريبا في الجنوب .

و « الجبهة الاحتياطية » (التي كان قد بدىء في تشكيلها في مؤخرة الجبهة الغربية منذ ١٤ يوليو اثناء معركة « سمولنسك ») بقيادة « بوديني » وكانت تتألف من الجيوش ٣١ ، ٤٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٤ ، ٤٣ وكان هناك جيشان فقط من جيوشها هذه يرابطان على خط القتال الامامي وهما الـ ٢٤ ، ٤٣ عند « يلينا » والى الجنوب منها حتى نقطة الاتصال بالجبهة الثالثة « جبهة بريانسك » وتوزع الباقي في عمق مؤخرة الجبهة الغربية .

ثم « جبهة بريانسك » بقيادة « يرمنكو » وتتألف من الجيوش ٥٠ ، ٣ ، ١٣ ومجموعة «يرماكوف» وكانت ترابط من شمال « بريانسك » حتى نقطة مواجهة « لكونوتوب » في الجنوب حيث نقطة اتصالها بالجبهة الجنوبية الغربية . وقد بلغت القوة الاجمالية للجبهات الثلاث ٩٥ فرقة من بينها ٨٣ فرقة مشاة ، ٩ فرق خيالة ، ١٣ لواء دبابات وكانت تضم نحو ٨٥٠٫٠٠٠ جندي مقاتل « Effectives » ، ٧٨٢ دبابة ، ٦٨٠٨ مدفع وهاون وقاذف صاروخي (يقصد دائما في احصاء عدد المدافع الهاون المدافع عيار ٧٥ مم فأكثر فقط) و ٥٤٥ طائرة . وذلك على مواجهة طولها ٤٥٠ ميلا . وقد كانت هذه القوى تمثل نحو ٤٠٪ من مجموع جنود الجيش السوفيتي وقتئذ ، و ٤٠٪ من مدفعيته ، ٣٥٪ من مجموع دباباته وطائراته في ذلك الوقت ، الذي كانت فيه المصانع الحربية المنقولة الى الاورال وغيرها من أماكن المؤخرة البعيدة لا تزال في طور التركيب والاعداد، ولذلك

[٢٢] زوكوف — المرجع السابق — صفحة ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥

[٢٣] ارقام القوة الالمانية مأخوذة اساسا من «Seaton, Albert. «Russo-German War 1941 — 45» p. 177, 173»

ومن Zvenzlovsky, A. The «Blitzkrieg» That Misfired, Soviet Military Review, October 1971, p. 30»

* كان لواء الدبابات السوفيتي يتكون من نحو ٧٠ دبابة وبطارية مدفعية، كتيبة مشاة ميكانيكية • [الحرب الروسية — الالمانية ٤١ — ١٩٤٥ — صفحة ٩٢]

لم تستطع الصناعة ان تعوض بسرعة الخسائر الشديدة خاصة فى الدبابات والطائرات فى هذه الفترة الوجيزة التى انقضت منذ ٢٢ يونيو حتى ٣٠ سبتمبر ، هذا وقد بلغت النسبة العامة لتفوق الالمان عند بدء عملية الاعصار على ضوء الارقام المذكورة آنفا كالاتى : ٤ر١ الى ١ فى المشاة ، ٣ر٢ الى ١ فى الدبابات، ١ر٢ الى ١ فى المدفعية، ٧ر١ الى ١ فى الطائرات(٢٤) .

ولقد وضعت الخطة الالمانية على أساس توجيه الضربات الرئيسية بواسطة حشود مركزة من مجموعات البانزر على جبهة ضيقة ، ولذلك بلغت نسبة عدد الدبابات المستخدمة فى العملية ٦٤٪ من مجموع الدبابات فى الجبهة كلها ، ولذلك أيضا كانت نسب التفوق المحلى فى معظم قطاعات الهجوم اكثر بكثير من النسبة العامة للتفوق المذكورة آنفا خاصة فى نقاط الاختراق غير المتوقعة مثل قطاع الجيش ١٣ من جبهة « بريانسك » حيث وجهت مجموعة « جوديريان » أولى الضربات القوية المركزة يوم ٣٠ سبتمبر مستخدمة نحو ٥٠٠ دبابة وربما اكثر(٢٥) .

هذا وكانت القيادة العليا السوفيتية عندما استشعرت خطورة الموقف فى الجبهة الغربية فى أوائل يوليو قد شرعت ، كما سبق ان قلنا فى موضع آخر ، فى اقامة مجموعة من خطوط الدفاع لحماية طرق الاقتراب من « موسكو » خلف خط الجبهة فى « سمولنسك » ، أولها كان خط « فيازما » الذى امتد نحو ٢٠٠ ميل من الشمال الى الجنوب على مسافة تتراوح بين ٢٠ — ٨٠ ميلا فى المؤخرة ، وقد ساهم فى بناء هذا الخط عشرات الالاف من متطوعى « موسكو » وسكان المنطقة ، وفى ١٦ يوليو تقرر انشاء خط دفاعى آخر عرف بخطة « موجايسك » امتد نحو ١٦٠ ميلا من شمال « فولوكولامسك » حتى جنوب « كالوجا » على مبعدة ٨٠ ميلا الى الغرب من « موسكو » . وقد ساهم فى اعداد هذا الخط أيضا نحو ١٠٠ر٠٠٠ من سكان العاصمة ، كان نحو ثلاثة أرباعهم من النساء(٢٦) ! ثم انشأ بعد ذلك فى أوائل أكتوبر خط دفاعى ثالث امتد من «كلين» شمال غربى «موسكو» حتى «سربكوف» الى الجنوب الغربى منها على مسافة تتراوح بين ٥٠ — ٦٠ ميلا وكان يلى ذلك الدفاع المباشر عن المدينة نفسها وضواحيها المكون من ٣ خطوط تحيط بها على شكل شبه دائرى ، وفى ٣٠ سبتمبر بدأ «الاعصار» يهب بعنف فى الجنوب الغربى حيث وجهت مجموعة «جوديريان» المدرعة الثانية ، المؤلفة من ٣ فيالق مشروعة وفيلقين مشاة تضم جميعا ٥ فرق مدرعة و ٤ فرق ميكانيكية ، ٧ فرق مشاة ، فرقة خيالة ضربتها القوية فى قطاع الجيش ١٣ متجهة الى الشمال الشرقى نحو « أوريل » ، وحيث نسبة تفوقها فى هذه المنطقة مطلقة فى الدبابات وبنسبة ٤ر٥ الى ١ فى المدفعية ، ٦ر٢ الى ١ فى الرجال ، ولذلك أمكن لها أن تزحف بمدرعاتها فى اليوم الاول الى عمق ٥٠ ميلا بينما كانت المشاة تتقدم حامية أجنحتها وتقوم بتطهير جيوب المقاومة الموجودة . كما استطاعت أن تحتل مدينة «أوريل» يوم ٣ اكتوبر على عمق ١٣٠ ميلا ، وان يطوق جناح منها بالاشتراك مع قوات جيش المشاة الثانى قوات من الجيش الثالث حول « تروبشفسك » ، كما سقطت مدينة « بريانسك » نفسها يوم ٦ اكتوبر ، وحوصرت قوات الجيش ٥٠ بعد ذلك شمال المدينة ، وهكذا أصبح الموقف فى هذا الجزء من الجبهة خطيرا للغاية خاصة وأن اتصالات « يرمنكو » وقيادته قد انقطعت بالقيادة العامة منذ مساء ٥ اكتوبر بسبب تحطم عربات اللاسلكى بل تعرضت قيادته لهجوم مجموعة من الدبابات الالمانية مساء يوم ٦ اكتوبر وكادت أن تحتل لولا اشتباك حرس القيادة مع المشاة الميكانيكية ووصول نجدة سريعة من لواء دبابات قريب انقذت الموقف ! وقد استمرت قوات جبهة «بريانسك» المطوقة تقاتل بعنف ومعها قائدها الذى ظنته القيادة فى « موسكو » أنه قد قتل فى الهجوم السابق ذكره ، الى ان استطاعت أجزاء كبيرة منها أن تشق طريقها قتالا عبر طوق الحصار فى أيام ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ اكتوبر ولكن بعد ان تحملت خسائر شديدة ، وكبدت العدو أيضا خسائر فادحة ، اذ أن فرق الجيش الثالث عشر مثلا وصلت وليس لدى كل فرقة غير عدد يتراوح بين ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ جندى ، وبلغ جملة الجنود الناجين من الحصار ١٠ آلاف فقط وليس معهم سوى بنادقهم وقليل من الرشاشات و ١١ مدفع ميدان وكذلك كان الجيش الثالث ، ووصل الجيش ٥٠ أيضا الى خطوط دفاعه الجديدة عند نهر « أوكا » فى منطقة « بيليف » يوم ٢٣ أكتوبر ، ولدى عدد من

---

[٢٤] المراجع السابقة صفحة ١٧٩ بالنسبة للاول ، صفحة ٣٩ بالنسبة للثانى ، زوكوف ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٤١ ، وانباء موسكو ـ عدد ١٩ ـ ١٩٧١

[٢٥] Eremenko, A. «The Arduous Beginning, Moscow, 1966, p. 236, 238, 242, 257, 258.

[٢٦] Vassilevsky, A. «The Turning Point of The War», Moscow, Prog-Publi-, 1970, p. 12,15.

فرقة النسبعة نحو ٣٠٠٠ جندى ؟ وعدد من المدافع والدبابات ، وذلك بعد أن أسر بعض رجاله وقتل قائده « بتزوف » . وفى هذه الاثناء كانت القيادة العليا قد أرسلت فى ١١ أكتوبر فيلق الحرس الخاص بقيادة « ليليوشنكو » ومعه لواء مدرع مجهز أساسا بدبابات « ت ــ ٣٤ » ، «كف ــ ١» وبعض بطاريات صواريخ «كاتيوشا» حيث اوقف اندفاع فيلق البانزر ٢٤ نحو « تولا » عند بلدة « متسنسك » يوم ٦ أكتوبر(٢٦) .

وفى وسط الجبهة الغربية وجهت مجموعة « هوبنر » المدرعة الرابعة ، المكونة من ثلاثة فيالق مدرعة تضم ٥ فرق مدرعة ،و ٢ ميكانيكية، ضربة قوية يوم ٢ اكتوبر ، تساعدها فى ذلك قوات مشاة الجيش الرابع « فون كلوج » المكونة من ١٥ فرقة ، تستهدف تطويق « فيازما » تجاه الشمال الشرقى والزحف شرقا نحو « كالوجا » ونهر « أوجرا » فى شعبتين أخريين تستهدفان الاستيلاء على « كالوجا » و «ماليوروسلافتس» الى الجنوب الشرقى من « موسكو » . ومن الشمال اندفعت مجموعة «هوث» المدرعة الثالثة المؤلفة من فيلقين مدرعين يضمان ٣ فرق مدرعة ، ٢ ميكانيكية ،يعاونها الجيش التاسع« ستراوس» بفرقة الـ ١٨ من المشاة ،للالتقاء بطرف الكماشة الجنوبى «هوبنر» عند «فيازما» ثم مواصلة التقدم بشعبة اخرى من القوات الى « كالينين » فى شمال غربى « موسكو » . وقد تم بالفعل التقاء طرفى الكماشة فى ٧ اكتوبر غربى « فيازما » وحوصرت الجيوش ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٢ من قوات الجبهتين الغربية » و « الاحتياطية » ، كما اضطرت الجيوش ٢٢، ٢٩ ، ٣١ الى التراجع الى خط يمتد من « اوستاشكوف » الى « سيخوفكا » وفى ٥ اكتوبر استدعى « ستالين » «زوكوف» من قيادة جبهة «لينينجراد» ، التى كان قد عين قائدا لها منذ ٩ سبتمبر ١٩٤١ ، كى يعود الى « موسكو » ويتولى قيادة الجبهة الغربية كلها بما فيها جبهة « بريانسك » يعاونه « كونيف » قائد الجبهة الغربية الاصلى ، وقد وصل « زوكوف » الى « موسكو » وتولى القيادة الجديدة يوم ٧ اكتوبر ، وعلى ضوء المعلومات التى توفرت له على الطبيعة فى مقر أركان حرب الجبهة تبين له « أن الكارثة التى حدثت فى منطقة فيازما » كان من الممكن تجنبها ، لانه بالرغم من تفوق العدو فى الافراد والمعدات ، فان قواتنا كان يمكنها تفادى التطويق اذا كان فقط قد تم تحديد اتجاه ضربات العدو الرئيسية فى الوقت المناسب ،ومن ثم القيام بحشد القوى اللازمة لصدها من المناطق الهادئة ولكن هذا لم يحدث ، وكان دفاعنا أضعف من أن يصمد فى وجه مثل هذه الهجمات المركزة . ولذلك فتحت ثغرات كبيرة فى خطوطنا ولم يكن هناك ما يمكن سدها به ، حيث أن القيادة لم يكن لديها قوات احتياطية »(٢٧) .

وقرر « زوكوف » ضرورة تجميع كل القوات المتيسرة لديه عند خط « موجايسك » الدفاعى ابتداء من مساء ٧ اكتوبر ، حتى يمكن « ضمان عدم ظهور قوات العدو المدرعة فجأة واندفاعها نحو « موسكو » على حد قوله لستالين تليفونيا مساء يوم ٨ اكتوبر ، وقد تم تجميع قوات من احتياطى القيادة العليا ومن الجبهات المجاورة واعيد بالتالى تشكيل وتنظيم الجيوش ١٦ ، ٥ ، ٤٣ ، ٤٩ .وقد بلغت جملة هذه القوات فى منتصف أكتوبر ١٤ فرقة مشاة و١٦ لواء مدرعا ، وأكثر من ٤٠ وحدة مدفعية ، ولكن مجموع هذه القوات كلها لم يكن يزيد عن ٩٠ الف جندى مقاتل ! ولما كانت هذه القوات لا تكفى لتنظيم خط دفاعى متصل يعتمد عليه عمليا فى صد الهجوم ، ولم تكن احتياطيات القيادة العليا الجارى تدريبها وتسليحها فى المؤخرة البعيدة عند الاورال و « الفولجا » و «أستراخان» ، (تسعة جيوش) ، (٢٨) ، منذ ٥ أكتوبر قد تم اعدادها ، وكذلك تأخر نقل القوات التى تقرر نقلها من الشرق الاقصى [٣ فرق مشاة وفرقتان مدرعتان)على ضوء تقرير رجل المخابرات السوفيتى الشهير « سورج » الذى أرسله من « طوكيو » فى ١٤ سبتمبر ، يفيد فيه الحكومة السوفيتية بعدم وجود نوايا حالية لدى «اليابان» لخوض حرب ضد الاتحاد السوفيتى(٢٨)، لما كان ذلك كله فقد قرر «زوكوف» تركيز القوى الاساسية فى الاتجاهات التى يتوقع اتجاه هجمات العدو اليها اكثر من غيرها ، وهى « فولوكولامسك » و «موجايسك» و «ماليوروسلافتس» و «كالوجا» هذا وقد استمرت القوات المحاصرة داخل«جيب فيازما » تقاوم مدة أسبوع تقريبا مثبتة حولها نحو ٢٨ فرقة للعدو ، الامر الذى سهل بعض الشىء حشد القوات الجديدة عند خط «موجايسك»

---

[٢٧] Zhukov, Georgi. «The Battle of Moscow», Moscow, Prog-Publi-, 1970, p. 31, 32, 38, 39.

[٢٨] Vassilevsky, Alexander. «The Turning Point of the War» Moscow, Prog-Publi-, 1970, p. 19, 14.

ومنح « زوكوف » بعض الوقت ، ثم وقعت معظم هذه القوات المحاصرة فى الاسر ✻ ولم تستطع الافلات من حلقة الحصار سوى بعض المجموعات المنفردة . وابتداء من ١٢ أكتوبر اشتد الزحف الالمانى واصبح الموقف حرجا ، ففى ١٤ اكتوبر احتلت مجموعة البانزر الثالثة مدينة « كالينين » فى الشمال الشرقى من « موسكو » ، فشكلت القيادةالعليا السوفيتية جبهةجديدة هناك سميت بجبهة « كالينين »بقيادة« كونيف » ضمت الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ لتدعيم الدفاع هناك ، فلقد أصبح من الواضح أن القيادة الالمانية تهدف الى تطويق «موسكو » من الشمال من المنطقة الواقعة بين « فولو كولامسك » و « كالينين » ومن الجنوبعبر منطقة «تولا» و « كالوجا » ، فضلا عن الهجوم من الوسط عند « موجايسك » والمناطق المجاورة ولكن الضربات الرئيسيةكانت عندطرفى الكماشة وفى ١٨ اكتوبر اخترقت دبابات فيلق البانزر ٤٠ التابع لمجموعة « هوبنر » خط « موجايسك » بعد قتال عنيف للغاية قرب مدينة « بورودينو » حيث دارت معركة كبرى منذ ١٣٠ عاما بين الجيش الروسى وجيش « نابليون » واصبحت بذلك على مبعدة ٦٠ ميلا الى الغرب من « موسكو » . كما وصلت الى الخط قوات الفيلق ٥٧ بانزر قرب « بوروفسك » و « ماليوروسلافتس » ، وفيلق المشاة ١٣ وصل ايضا الى مشارف « كالوجا »، وهكذا أصبحت المواصلات بين « موسكو » و « تولا » مهددة بالقطع فضلا عن تهديد مدن « ناروفومينسك » و« بودولسك » ، فقامت القيادة العليا بارسال جيش جديد رقم ٣٣ وعززت الجيش ٤٣ ، كما جرى تعزيز خطوط الدفاع الدائرية حول موسكوبالمتاريس والنقطالقوية المضادة للدبابات، وارسلت الى المناطق المهددة ثلاث فرق من متطوعى عمال « موسكو » ، ثم اعلنت حالة الحصار فى العاصمة يوم ٢٠ اكتوبر ، وتم اجلاء كثير من المصالح الحكومية وجميع هيئات التمثيل الدبلوماسى يوم ١٦ اكتوبر وجزء من هيئة اركان حرب الجيش ، وبقى « ستالين » وأعضاء المكتب السياسى والقيادة العسكرية العليا فى المدينة. ولكن المقاومة السوفيتية كانت تزداد عنفا مع ازدياد اقتراب العدو من «موسكو» ودارتمعارك عنيفة للغاية فى منطقة « فولوكولامسك » بين الجيش ١٦ بقيادة « روكوسوفسكى » ومجموعة « هوبنر » المدرعة فى الفترة من ١٦ اكتوبر حتى ٣٠ منه حيث أجهدت القوات الالمانية واضطرت الى التوقف بعد أن احتلت محطة سكة حديد « فولوكولامسك » . وفى الجنوب أيضا أمكن منع مجموعة « جوديريان » من احتلال « تولا » بضربة خاطفة فى ٢٩ اكتوبر بواسطة الفيلق ٢٤ مدرع الذى كان قد احتل « متسنك » مؤخرا فى ٢٤ اكتوبر بعد قتال عنيف استمر منذ يوم ٦ منه . وفى ٣٠ أكتوبر توقف الزحف الالمانى كله لاعادة التنظيم والاستعداد بعد أن حقق تقدما بلغ نحو ١٥٠ ميلا وكانت الخسائر الشديدة التى لحقت بالقوات الالمانية وسوء الجو بعد بدء نزول الثلوج وامتلاء الطرقبالوحل والاجهاد العنيف الذى لحق الجنود خاصة وحدات المشاة ، هى العوامل التى أوجبت ضرورة ايقاف الهجوم قليلا .

المرحلة الاخيرة من « الاعصار »

انتهزت القيادةالسوفيتية فرصةالهدوءالنسبى الذى ساد جبهةالقتال ودعمتخطوطها الدفاعية، وعززت قواتها بامدادات جديدة بلغ مقدارها فى الفترة من ١ حتى ١٥ نوفمبر نحو ١٠٠ الف جندى مقاتل ، ٣٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ مدفع(٢٩).وأصبحت الجبهة الغربية « زوكوف » بعد أن ضمتاليها بقايا جبهة « بريانسك » فى ١١ نوفمبر واصابة قائدها يرمنكو بجراح — تتألف من الجيوش ٣٠ ، ١٦ ، ٥ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٥٠ التى كانت تضم جميعا ٢٩ فرقة مشاة ، ١٣ لواء دبابات ، ٨ فرق خيالة . وكانت جبهة «كالينين» تتألف من الجيوش ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ وتضم جميعا ١٧ فرقة مشاة ، ١ لواء دبابات ، ٢ فرقة خيالة . هذا فضلا عن جيشى الجبهة «الجنوبية الغربية» ٣ ، ١٣ (بريانسك اصلا) وكانايواجهان الجيش الثانى مشاة ولديهما معا ١٤ فرقة مشاة و ٣ الوية دبابات ، ٤ فرق خيالة(٣٠) .

أما القوات التابعة لمجموعة جيوش الوسط المعدة لمعاودةعملية الاعصار فى١٥ نوفمبر فكانت (باستثناء الجيش الثانى مشاه فى اقصى الجنوب والذى لم يكن له دور مباشر فى الهجوم وانما حماية الجناح الايمن) تتألف من الجيشين ٩ ، ٤ ومجموعات البانزر ٣ ، ٤ ، ٢ « رينهاردت » بدلا من « هوث » ، « هوبنر » ، « جوديريان » . وكانت جميعا تضم ٣٨ فرقة مشاة ، ١٣ مدرعة ، ٧ ميكانيكية . ولكن الشىء الجدير بلفت النظر فى حقيقة علاقات القوى عند بدء المرحلة الثانية والاخيرة من « الاعصار » ان الجهد الالمانى كان قد وصل الى ذروتهالقصوى وان الاحتياطيات كانت قد شارفت النفاذ ان لم تكن قد نفذت خلال

✻لم تورد المراجع السوفيتية أرقامامحددة عن عدد الاسرى فى « فيازما »وذكرت المراجع الالمانية ارقاما مبالغ فيها بالقياس لجملة قوات ومعدات الجبهةالغربية المذكورة آنفا اذ ذكر « هوث »أن الاسرى فى ١٥ اكتوبر بلغوا ٥٥٨٫٠٠٠ ، ١٠٠٠ دبابة ، ٤٠٠٠ مدفعوذكر « فون بوك » فى ١٩ اكتوبر انهمبلغوا ٦٧٣٫٠٠٠ جندى !
Seaton, Albert, «Russo-German War, London, 1971, p. 184).

[٢٩] Zhukov, G. «The Battle of Moscow,» Moscow, Prog-Publi-, 1970, p. 45.

[٣٠] Seaton, Albert. «The Russo-German War 1941—45», London, Barker, 1971, p. 203.

مراحل قتال الاستنزاف التى اعقبت مرحلة الحملة الخاطفة الاولى ابتداء من ١٠ يوليو عند « سمولنسك » حتى ١٥ نوفمبر عند مشارف « موسكو » ، بينما كانت الاحتياطيات السوفيتية فى طريقها الى التزايد المستمر بعد بدء تشغيل الصناعة بالكامل فى المؤخرة فى الانتاج الحربى وبدءانتهاء عمليات تدريب المجندين الجدد ووصول تعزيزات فعالة من قوات الشرق الاقصى . ولذلك بدأ ميزان القوى يميل جزئيا لصالح الجانب السوفيتى ، وبما يكفى لوقف مقامرة « هتلر » وقادته المسماة « بليتزكريج » تماما بل والحاق الهزيمة بجيشه للمرة الاولى منذ بدء الحرب العالمية الثانية . فقد بلغت جملة القوات السوفيتية المقاتلة وذات الفاعلية فى بداية ديسمبر ١٩٤١ ٤ ملايين ، ٢٠٠ الف مقاتل ، واكثر من ٣٢ الف مدفع وهاون ، وما يقرب من ٢٠٠٠ دبابة ونحو ٣٧٠٠ طائرة . بينما كان لدى المانيا وحلفائها فى الجبهة الشرقية نحو ٥ ملايين رجل ، وما يقرب من ٣٦٫٥٠٠ مدفع وهاون ، وحوالى ١٥٠٠ دبابة ، ٢٥٠٠ طائرة . وهكذا فقد الالمان تفوقهم نسبيا فى الدبابات والطائرات وهما جناحا « الحرب الخاطفة » الاساسيان ! (٣١) .

وفى اول ديسمبر ايضا اصبح لدى القيادة السوفيتية العليا احتياطى استراتيجى مؤلف من ٨ جيوش تضم ٥٨ فرقة مشاة وخيالة و٧ لواءات . ركزت معظمها فى وسط البلاد عند « موسكو » والبعض فى الشمال عند « لينينجراد » وفى الجنوب على ابواب القوقاز عند « رستوف » . ولهذا كان الهجوم الالمانى فى ١٥ نوفمبر محاولة سباق مع الزمن حادة وعنيفة . محاولة تتم فى ظروف يتزايد عدم تناسبها لنجاح الهجوم ، فالقوة السوفيتية تتزايد كميا بدرجة تقترب بها من بدء مرحلة التغير الكيفى ، وانتزاع المبادأة الاستراتيجية ، والقوة الالمانية تتزايد ضعفها الداخلى وان بدت فى لحظة الهجوم هى الاقوى وهى المسيطرة ، اذ جفت احتياطياتها ، وطالت خطوط مواصلاتها الى مسافة ١٠٠٠ ميل من قواعدها ، بينما كانت « موسكو » على مبعدة ٤٠ ميلا فقط وراء الجيوش السوفيتية . وتزايد نشاط « الانصار » فى مؤخرتها وعلى امتداد طريق امدادها تقريبا ، هذا فضلا عن أنها لم تكن مجهزة جيدا لحرب الشتاء الروسى نظرا لاعتقاد « هتلر » والقادة الالمان بأن قواتهم كانت ستكون فى منتصف اكتوبر فى « موسكو » تنعم بدفء أبنيتها ! هذا كله الى جانب ان المقاومة السوفيتية عند هذه الاميال القليلة من « موسكو » كانت عنيفة مستبسلة حتى الموت يحكمها شعار أطلقه أحد المفوضون السياسيون يقول « ان روسيا فسيحة ، ولكن ليس هناك مكان نتراجع اليه ، لان وراءنا « موسكو » (٣١) ولذلك كله أمكن ايقاف المرحلة الثانية من « الاعصار » فى اوائل ديسمبر على مبعدة ٣٠ كيلو مترا تقريبا فى الشمال الغربى فى منطقة قناة « الفولجا » على مقربة من مدينة « كلين » و « استرا » ، وعلى مبعدة نحو ١٢٠ كيلو مترا فى الجنوب عند منطقة « تولا — كاشيرا — موردفسى » . وخلال هذه المرحلة الثانية من الهجوم التى استغرقت ٢٠ يوما ، أى من ١٥ نوفمبر حتى ١٥ ديسمبر ١٩٤١ ، فقدت القوات الالمانية المهاجمة اكثر من ١٥٥٫٠٠٠ قتيل وجريح ، ونحو ٨٠٠ دبابة ، واكثر من ٣٠٠ مدفع ، وحوالى ١٥٠٠ طائرة . وانخفضت نتيجة لشدة الخسائر هذه قوة كبيرة من سرايا كتائب المشاة الالمانية الى ٢٠ أو ٣٠ جنديا فقط ! (٣٢)

وخلال هذه المعارك ضربت القوات السوفيتية أمثلة نادرة من البطولة منها مثلا صمود فصيلة من ٢٨ جنديا مشاة فى وجه هجوم ٥٠ دبابة المانية . عند ملتقى السكة الحديد فى « دوبوسيكوفو » وتحطيمهم ١٤ منها بقنابلهم اليدوية وزجاجات « مولوتوف » خلال معركة استغرقت ٤ ساعات ادت الى موتهم جميعا وكان على رأسهم المفوض السياسى كلوشكوف صاحب شعار « ان موسكو وراءنا فلا مجال هناك للتقهقر » الذى اشرنا اليه من قبل [٣٣] ، وكان هؤلاء الجنود تابعين للفرقة ٣١٦ احدى فرق الجيش ١٦ . وفى ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ديسمبر بدأ الهجوم المضاد العام على امتداد الجبهات الثلاثة بعد ان ثبت للقيادة السوفيتية أنه ليس لدى القيادة الالمانية اية قوات كبيرة جديدة تستطيع ان تدفع بها الى جبهة القتال وان قوات « فون بوك » قد وصلت الى الحد الاقصى من الاجهاد والاستنزاف الممكن الحاقه بها بالمعارك الدفاعية ، وانه يجب طردها فى هذا الوقت بالذات الى أبعد مسافة ممكنة عن « موسكو » وقبل ان تتمركز فى مواقعها التى يصل بعضها الى مسافة ٢٠ ميلا منها فحسب وتدعمها أستعدادا لانطلاقة ثالثة جديدة ، مع تحطيم قوتها الضاربة خاصة عند الاجنحة والحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر

(٣١) Vassilevsky A. « The Turning Point of the War », Moscow, Progress Publishers, 1970, p. 19

(٣٢) Zhukov, G. « The Battle of Moscow », Moscow, Progress Publishers, 1970, p. 52

(٣٣) Rokossovsky, K. « The Volokolamsk Directions », Moscow, Progress Publishers, 1970 p. 84.

بها فى الوقت نفسه ؟ تلك كانت اهداف الهجوم السوفيتي المضاد فى شتاء ٤١ — ١٩٤٢ .

نتائج الهجوم السوفيتي المضاد

عند بدء الهجوم المضاد فى ٥ ديسمبر ١٩٤١ كان لدى القيادة السوفيتية فى الجبهات الثلاثة « الغربية » و « كالينين » و « الجنوبية الغربية » ١٦ جيشا ، ١٠ منها فى الاولى ، ٣ فى كل من الجبهتين الاخرتين . ضمت جميعا ٧٨ فرقة مشاة ، ١٩ لواء مشاة مستقل ، ٣ فرق دبابات ، ١٥ لواء دبابات مستقل ، ٢٢ فرقة خيالة . وبها جميعا نحو ٧٢٠ الف رجل ، ٨٠٠٠ مدفع وهاون، ٧٢٠ دبابة ، ١١٧٠ طائرة [٣٤] .

وكان لدى « فون بوك » ٧٤ فرقة تضم ٨٠١٠٠٠ رجل ، ١٤٠٠٠ مدفع وهاون ، ١٠٠٠ دبابة ، ٦٠٠ طائرة تقريبا (٣٥) .

وقد اسفر الهجوم الذى استمرت عملياته فى مختلف الجبهات حتى نهاية فبراير ١٩٤٢ [والذى لا يتسع مجال هذه الدراسة لتناوله تفصيلا] عن تحطيم ٢٥ فرقة المانية أى نسبة ٣٤٪ من الفرق المشتركة فى الاعمال القتالية ، و١٣ ٪ من جملة عدد الفرق الالمانية الموجودة فى الجبهة السوفيتية كلها . [٣٦] كما اضطرت القيادة الالمانية العليا ان ترسل الى الجبهة المذكورة نتيجة العمليات الحربية فيها من ديسمبر ١٩٤١ حتى ابريل ١٩٤٢ نحو ٨٠٠،٠٠٠ رجل،كما بلغت جملة التشكيلات العسكرية التى حولتها الى هذه الجبهة من اوروبا فى نفس الفترة لتعويض العجز فى تشكيلاتها ٣٩ فرقة و٦ الوية . وفى تقرير قدمه « هالدر » — رئيس أركان حرب الجيش — الى « هتلر » فى ٢١ ابريل ١٩٤٢ عن الخسائر التى لحقت القوات الالمانية بالجبهة الشرقية وأوجه النقص والعجز التى أصبحت تعانيها ، يتبين لنا ان القتلى بلغ عددهم نحو ١٨٧،٠٠٠ ،والجرحى ٥٥٥،٠٠٠ فى الفترة من ٢٢ يونيو حتى ٢٦ نوفمبر ١٩٤١ ، ١٠٨،٠٠٠ قتلى و٢٦٨٠٠٠ جرحى فى الفترة من ٢٧ نوفمبر ١٩٤١ حتى ٣١ مارس ١٩٤٢ ، وان اجمالى خسائر الضباط والجنود من جميع الانواع فى الفترة من ١ نوفمبر ٤١ حتى ١ ابريل ٤٢ بلغ نحو ٩٠٠،٠٠٠ ،جرى ارسال ٤٥٠،٠٠٠ رجل بدلا منهم فى نفس الفترة ، وان اجمالى النقص فى الرجال بمختلف التشكيلات بلغ فى ابريل ١٩٤٢ ، ٦٢٥،٠٠٠ رجل، وفى المركبات الميكانيكية [سيارات وخلافه] بلغ ٦٦،٦٠٠ مركبة وفى الخيول ١٦٠،٠٠٠ وفى مدافع الميدان ١،٩٠٠ والمدافع المضادة للدبابات ٧٠٠٠ وفى المدافع الرشاشة ١٤،٠٠٠ الخ . ! ويقدر « زوكوف » خسائر الالمان فى معركة « موسكو » بنصف مليون رجل ، ١٣٠٠ دبابة ، ٢٥٠٠ مدفع . ومن الجانب السوفيتى فقد اسفر الهجوم أيضا عن رد القوات الالمانية مسافات تتراوح بين ١٠٠ — ٢٠٠ ميل ، واستردت بذلك مساحات من الارض المحتلة تبلغ ٦٠،٠٠٠ ميل مربع ، وحررت ٦٠ مدينة مختلفة الحجم ، ١١٠٠٠ قرية وكان من الممكن لهذا الهجوم أن يؤدى الى نتائج اكبر واكثر حسما على مصير مجموعة « فون بوك » لو كان لدى القوات السوفيتية تفوق اكبر فى العتاد والذخيرة وخاصة من التشكيلات المتكاملة من المدرعات والوحدات الميكانيكية [فيالق وجيوش مدرعة] لان تجارب الحرب قد أكدت عمليا كما يقول « زوكوف » أنه « بدونها لا يمكن تنفيذ عمليات هجومية على نطاق واسع حاسمة الاهداف، فليس من المستطاع سبق تحركات العدو وتطويق اجنحته بسرعة وقطع خطوط تراجعه ، وتطويق قواته وتشتيتها ، الا بمعاونة وحدات قوية من الدبابة والقوات الميكانيكية فحسب ، هذا وقد ترتب على نجاح الهجوم السوفيتى المضاد ان استشاط غضب « هتلر » واقال كثير من القادة الالمان وعلى رأسهم « فون براوخيتش» و « فون بوك » و « جوديريان » ، وكان قد اقال « فون رونشتد » ايضا من قبل بسبب هجوم « روستوف » !

عوامل هزيمة «البليتزكريج»

امـــــام «موســـكو»

لقد تمت النجاحات الاولى لمقامرة « الحرب الخاطفة » الالمانية ضد الاتحاد السوفيتى بسبب تحقق المفاجأة شبه الكاملة استراتيجيا وتكتيكيا ، نتيجة لاساليب الخداع الالمانية الناجحة على المستوى الديبلوماسى والدعائى ، ونتيجة لسوء التقدير السياسى للموقف العام من جانب القيادة السياسية العليا السوفيتية [«ستالين» أساسا]، ولسوء تصور ظروف الحرب الحديثة وبطء اجراءات اعداد الوسائل الملائمة لمواجهتها من جانب القيادة العسكرية والسياسية السوفيتية العليا [من حيث قصر الفترة الزمنية الابتدائية

Seaton, Albert, « Russo - German War 1941-45 », London, Barker, 1971, p. 226-228. (٣٤)
Vassilevsky, A. « The Turning Point of the War », Moscow, Progress Publishers, (٣٥) 1970, p. 20, 22.

(٣٦) سوكولوفسكى وآخرون — الاستراتيجية الحربية السوفيتية — القاهرة — الكاتب العربى .

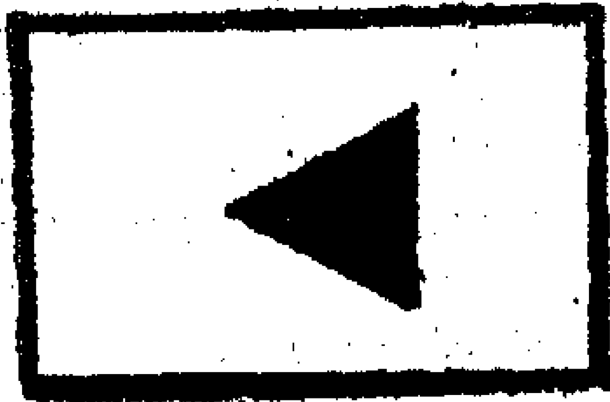
للحرب وتأثيرها على سرعة التعبئة العامة وحشد القوى الاحتياطى فى الوقت المناسب ، ومن حيث ضرورة سرعة ايجاد التشكيلات العسكرية القوية التى تعتمد عليها حرب الحركة «مدرعات وطيران» وتمت هزيمة « الحـرب الخاطفـة » عند أبواب « موسكو » نتيجة لسوء تقدير القيادة الالمانية العليا لقوى الشعب والجيش السوفيتى المعنوية التى استعادت توازنها بسرعة اثر الضربة الاولى وتماسكت وصممت على القتال [وتمثل ذلك فى تزايد المقاومة النظاميـة وظهـور وتعاظم دور المقاومة الشعبية فى مؤخرة العدو ، وتماسـك الجبهة الداخلية وتطبيق شعار كل شىء من أجل النصر بجدية وحماس ، وفى عدم مبالاة القوات المحاصرة نتيجة لتحـركات القـوات الميكانيكيـة السريعة ومحاولاتها دائما الافلات من الحصـار لمعاودة القتال مع القوات الرئيسية] هذا بالاضافة الى سوء تقدير هذه القيادة لاحتياطيـات الجيش السوفيتى وطاقات الانتاج الاقتصادى وسرعتها . وساعدت الاعماق الكبيرة نسبيا لاراضى الاتحـاد السوفيتى ، وكثرة الموانع المائيـة والغـابات ، وقسوة وسوء المناخ الروسى فى الشتاء الذى لم يحسن المغامرون الفاشيسـت الاسـتعداد له ، ساعدت كل هذه العوامل بشكل ثانوى على نجاح عوامل النصر والصمود السوفيتى وتفاقم عوامل الهزيمة او عدم النجاح الالمانى . ولكن المساحات الشاسعة لسهوب وغابات روسيا والوحل والثلوج ودرجة الحرارة تحت الصفر ، لم تكن وحدها كفيلة بوقف الزحف الالمانى وفشل « البليتزكريج » لانها تعمل ايضا على الجانب السوفيتى ، ولان وجودها لم يمنع فى حد ذاته وصول الدبابات الالمانية الى مسافة ٢٠ ميلا من « موسكو » فى اوائل ديسمبر ١٩٤١ وكانت الحرارة ١٠ تحت الصفر ! أما من الناحية العسكرية الصرفة فقد لخص « زوكوف » اسباب هزيمة « فون بوك » أمام « موسكو » فقال ضمن ما قال « ولكن القيادة العليا الهتلرية عندما خططت لهذه العمليـة الاسـتراتيجية الضـخمة والصعبة « الاعصار » وقعت فى اخطاء كبيرة وهى تحسب القوى والامكانيات ، اذ لم تقدر امكانيات الجيش الاحمر حق قدرها ، كما علقت آمالا على امكانياتها تزيد على حقيقتها . فقد كانت القوات التى حشدتها هذه القيـادة كافيـة فقط لاقتحام دفاعنا فى مناطق « فيازما » و « بريانسك » ولارغام قواتنا على التقهقر الى خط دفاعى يمتد عبر « كالينين » حتى « تولا » و « كاشـيرا » و « ميخائيلوف » وقد استطاع العدو فى بداية اكتوبر ان يحقق هدفه الاول .. ولكنه لم يتمكن من تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة وهى محاصرة « موسـكو » ... وفى بداية نوفمبر تمكنا فى الوقت المناسب وقف تركيز العـدو وقـواته الضاربة على الاجنحة بحكم اننا استطعنا ان نحدد على نحو دقيق اتجاهات الضربات القادمة ... وفى هذه الاتجـاهـات الخطيرة حشـدنا القوة الرئيسية للدبابات .. وفى بداية ديسمبر كانت القوات الالمـانية الفاشـية قد تكبدت خسـائر ضـخمة ، وفى الوقت نفسـه كانت خطـوط مواصلاتهم التى امتدت اكثر من ١٠٠٠ كيلو متر تحت رحمة « الانصار » الذين قطعوا هذه الخطوط بهجماتهم البطولية .. الخ » (٣٧) .. تلك هى الخطوط العامة لمعركة «موسكو» وموقعها الخاص فى مجرى المراحل الاولى من الحرب ضد النازية وعدوانها الغاشم على الاتحاد السـوفيتى على ضوء النواحى الاسـتراتيجية فقط . لقـد كانت ابرز نتيجة لمعركة « موسكو » تلك التى لخصها الكاتب العسكرى البريطانى « فولر » حين قال « لم يستعد الجيش الالمانى ، بعد هزيمة شتاء ٤١ ــ ١٩٤٢ ، قوته التى فقدها ، ولم يعد بعد فى نظر العالم ، ذلك الجيش الذى لا يقهر » ..

(٣٧) Zhukov, G. «The Battle of Moscow», Moscow, Progress Publishers, 1970, p. 68, 69

٨٠ شهرا
من حياة الطليعة

تقدم « الطليعة » فى هذا العدد ملخصا للموضوعات التى عالجت قضية العمال والحركة النقابية على مدى ٨٠ شهرا .

وقد سبق أن نشرنا ملخصا للآراء والاتجاهات حول قضايا « حركة التحرر الوطنى » ، « القضية الفلسطينية » ، والفكرة الصهيونية ، « طبيعة المرحلة الحالية من الثورة » و « السياسة الاقتصادية والفكر الاشتراكى » ثم « الثقافة والمثقفون » .



الحركة النقابية والعمالية

عرض : عبد المنعم الغزالى

على مدى الثمانين عددا التى ظهــرت من « الطليعة » منذ يناير ١٩٦٥ حتى يــوليو ١٩٧١ ، اولت « الطليعة » قضايا الطبقة العاملة وحركتها النقابية اهتماما جعلها فى الصـــدارة بالنسبة لمعالجة هذه القضايا . واعتمدت الطليعة فى كل ما قدمته فى هذا المجال على دراسة الواقع وحركته والتناقضات الكامنة فى هذا الواقع مستهدفة الوصول الى وضع الاسس لحلها فى بلادنا .

وقد قدمت « الطليعة » دراسة عن الحركة النقابية المصرية (مايو ١٩٦٥) عن التــاريخ والحركة النقابية والحركة السياسية والبنــاء الاشتراكى ، وقدمت أربع دراسات معتمدة على أسلوب التقارير والشهادات الواقعية والدراسة الميدانية ، كانت موضوعاتها : تقارير وشهادات واقعية عن سياسة ربط الاجر بالانتاج (ابريل ١٩٦٧) — ورؤية الطبقة العاملة للمــوقف الراهن (يناير ١٩٦٨) ورؤية العمال لمشكلات الحركة النقابية (نوفمبر ١٩٦٨) والثقــافة العمالية (أغسطس ١٩٦٩) .

وبلغ مجموع المقالات والتعليقات علـــى الشهادات الواقعية والدراسات الميدانية التى نشرت فى « الطليعة » ٤٧ مقالا ، وقدشملت هذه المقالات والتعليقات على الشهادات الواقعيـــة موضوعات : التاريخ ، والتنظيم النقابى وحركته الديمقراطية والسياسية، ودوره فى معــارك التحرير والبناء ، والتشريع العمالى ، وقضايا الاجور ، والمشاركة فى الادارة ، والثقافة العمالية ، والحركة النقابية عالميا وعربيا وأفريقيا وخبرات وتجارب دولية .

وفى يوليو ١٩٦٨ أفردت « الطليعة » فصلا خاصا فى « الدوسيه » الذى قدمته للمــؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى عــن التنظيمات الجماهيرية والديمقراطية : وقد جاء هذا الدوسيه ثمرة لدراسات جماعية ومناقشات فرضتها هزيمة يونيو ، وقد تضمن هذا الفصل الى جــانب عرض عـــام عن الحركة النقــابية وضعها وحركتها وسلبياتها ، برنامجا لاعادة بناء الحركة النقابية يهم الطليعة أن تشير اليه كجهد ســـاهمت به الطليعة فى صـــياغة برنامج للعمل الوطنى منذ ١٩٦٨ ، والمهم أن نشير الى أن هذا البرنامج ما زال يطرح نفسه كبرنامج للحركة النقابية المصرية .

١ — عن التاريخ

فى الطليعة عدد مايو ١٩٦٥ اجابت الطليعة على سؤال من أين وكيف نشأت الطبقة العـــاملة المصرية ؟ (١) .

فاولا : جاءت من جمــاعات الفــلاحين المعدمين ، وثانيا : من الصناع الحــرفيين .

وحدد هذا المقال المغزى الحقيقى لنشوء الطبقة العاملة المصرية بأنه : ١ — اضافة قوى اجتماعية جديدة الى المجتمع تتطلع لتاخذ مكانها فيه وأن تحدد من خلاله علاقاتها ببقية القوى الاجتماعية القديمة . ٢ — ان العلاقة بيــن الطبقة العاملة المصرية والفلاحين الذين كانوا بمثابة الخلفية البشرية لميلادها سيضعها موضع التحالف الطبيعى مع الفلاحين . ٣ — ان نشأة الطبقة العاملة المصرية فى كنف المشــاريع الرأسمالية الاجنبية جعلها منذ ميلادها قــوة ضاغطة ضد الاستعمار ومعادية له على مستوى المشروع والمستوى القــومى . ٤ — ان نشأة الطبقة العاملة واطراد نمو وعيها بوجودهـــا ووحدة مصالحها دفعها بالضرورة نحو خلــق تنظيماتها الخاصة (النقابات) . لدعم كفاحها ضد الاستغلال الرأسمالى بشقيــه الاجنبـــى والمحلى . ٥ — ارتباط المثقفين المصريين بالطبقة العاملة المصرية باعتبارها اكثر القوى الاجتماعية قبولا للفكر الثورى من أجل تغيير المجتمع .

وفى مقال آخر يناقش الكــاتب (٢) نشــأة

---

[١] مقال أمين عزالدين عن « نشوءالطبقة العاملة المصرية » مايو ١٩٦٥

[٢] مقــال أمين عز الدين « فجرالحركة النقابية فى مصر » — نوفمبر١٩٦٥ .

النضال الجماعى للطبقة العاملة المصرية وتطوره على مدى خمسة عشر عاما من ١٨٩٩ حتى ١٩١٤ .

وفى مقال عن « **دور الطبقة العاملة فى الحركة الوطنية** » (٣) يتفق كاتب المقال مع أمين عز الدين فى النتائج التى توصل اليها فى دراسته عن النشأة المبكرة للطبقة العاملة المصرية وحركتها — ولكنه يواصل دراسته لوضع الطبقة العاملة فى المراحل التالية لمرحلة النشأة المبكرة فيرى — أنه فى المرحلة الثانية — ثورة ١٩١٩ وما بعدها — قد تحدد وضع الطبقة العاملة داخل جبهة الثورة كطبقة أساسية ، الى جانب البورجوازية الوطنية والفلاحين ، وفى خلال حركة هذه الثورة تجاوزت حركة الطبقة العاملة حدود الشعارات الوطنية ووضعت لنفسها برنامجا مستقلا عن برنامج القيادة البورجوازية — والتى كان يعبر عنها حزب الوفد .

وفى عدد فبراير ١٩٦٨ نشرت الطليعة مقالا تاريخيا عن الحركة النقابية والعمالية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية (٤) • واتجاه الكاتب فى مقاله هو أن الكفاح الطبقى للعمال هو البوتقة التى شكلت فى الاساس الموقف الاستقلالى للحركة العمالية بعد الحرب ، ولقد كانت أهداف هذا النضال : تغيير ظروف حياة الطبقة العاملة الاقتصادية والاجتماعية . ان كفاح العمال المصريين طيلة المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٥٢ ، وقد عبرت الطبقة العاملة المصرية عن ذاتها كطبقة اجتماعية رئيسية فى النضال من أجل التغيير الجذرى والثورى للمجتمع ، وذلك باشتراكها الطليعى فى النضال الوطنى التحريرى — ٢١ فبراير ١٩٤٦ — الكفاح ضد قوات الاحتلال ١٩٥١ — الكفاح من أجل الحريات الديمقراطية العامة والنقابية — وعدم قصرها النضال على الاهداف والمطالب الاقتصادية البحتة الخاصة بحياة العمال اليومية — اضرابات عمال النسيج والنقل والسكر والميكانيكيين العسكريين فى سلاح الطيران .. الخ . لقد أصبحت — الحركة اليومية — الاضرابات الاقتصادية جزءا من حركة المجتمع العامة الثورية ، وجزءا من النضال العام من أجل مجتمع مستقل حر ديموقراطى .

٢ — التنظيم النقابى ودوره فى معارك التحرير والبناء

١ — ثورة يوليو والحركة العمالية :

فى يوليو ١٩٦٥ نشرت « الطليعة » مقالا عن « ثورة يوليو والعمال » (٥) ، ويحدد الكاتب ثلاث مجالات التقت فيها ثورة يوليو بالعمال ، **المجال الاولى** ، مجال العلاقات الصناعية والمطالب العمالية متمثلا فى تعديلات لتشريعات العمل الاساسية المنظمة لعقد العمل الفردى والنقابات العمالية والتوفيق والتحكيم وفى منازعات العمل فى حدود الوسائل المتاحة للطليعة الثورية فى مراحل الثورة الاولى . **والمجال الثانى** ، مجال النضال ضد الاستعمار ، وقد تجسد هذا النضال فى انخراط العمال فى هيئة التحرير وتصدى العمال للثورة المضادة فى ١٩٥٤ ، واشتراك عمال « قاعدة الاحتلال » فى المعركة المسلحة ضد الاحتلال البريطانى ، والمشاركة النشيطة فى معركة العدوان الثلاثى . **والمجال الثالث** ، هو التحام الطبقة العاملة مع الطليعة الثورية وهى تندفع فى الاتجاه الحتمى للتاريخ نحو اقامة مجتمع اشتراكى فى أسسه وعلاقاته .

وفى مايو ١٩٦٥ نشرت الطليعة مقالا عن **الطبقة العاملة بين الحركة النقابية والحركة السياسية** (٦) • ويرى الكاتب — أن الطبقة العاملة فى **المجتمع المصرى الحالى** تسلك فى صراعها أربعة اتجاهات فى وقت واحد : **أولا** : صراع ضد كل محاولة من جانب الرأسمالية الوطنية لتتحول الى رأسمالية كبيرة تعاود سيطرتها ، **وثانيا** : صراع ضد القيم والافكار والعادات البورجوازية ، **وثالثا** : صراع ضد التخلف الاقتصادى ، **ورابعا** : صراع ضد تيار الانغلاق على الحركة النقابية والنضال الاقتصادى ومن أجل الانفتاح الواعى على المجتمع .

ولهذا رأى الكاتب — بعد أن ناقش العيوب والسلبيات فى الحركة النقابية ضرورة العمل من أجل اعداد كادر سياسى عمالى على درجة كبيرة من الوعى بقضية الاشتراكية ودور الطبقة العاملة الطليعى فيها ، عدم الاكتفاء بالقيادات التقليدية وتصعيد قيادات جديدة باستمرار ، تنظيم مؤتمرات لجماهير العمال فى اطار سياسى لمناقشة سياسة الاجور ومشاكل التخطيط والادارة والانتاج لتعيش الطبقة العاملة الصورة العامة لحياة المجتمع ، تنظيم تفاعل مستمر بين الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين لتنمحى الفروق التقليدية داخل التنظيم السياسى بين العامل والمثقف • وتصفية الكيان النقابى للطبقة العاملة من كل العناصر البورجوازية وشبه البورجوازية

[٣] مقال مجدى فهمى « دور الطبقة العاملة فى الحركة الوطنية » مايو ١٩٦٥

[٤] مقال عبد المنعم الغزالى « الحركة النقابية والعمالية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية » — فبراير ١٩٦٨

[٥] مقال أمين عز الدين — « ثورة يوليو والعمال » يوليو ١٩٦٥ • و « تاريخ ومستقبل الاتجاهات الثورية للحركة النقابية فى مصر » — مايو ١٩٦٥ •

[٦] مقال لطفى الخولى « الطبقة العاملة بين الحركة النقابية والحركة السياسية » — مايو ١٩٦٥ •

التى تضعف من ثورية الحركة النقابية وانطلاقها كقوة بناءة منفتحة على المجتمع الاشتراكى . والعمل على تصفية الفروق التقليدية — المادية والثقافية والمعنوية — بين العمال الصناعيين والزراعيين من ناحية وبين العمال غير اليدويين والعمال اليدويين من ناحية أخرى .

وفى نوفمبر ١٩٧٠ نشرت الطليعة مقالا عن جمال عبد الناصر والحركة النقابية (٧) وفى هذا المقال يرى الكاتبان أن جمال عبد الناصر حدد للنقابات أركان أساسية لعملها الوطنى والاجتماعى . **أولها** ، أن التغيير الثورى فى الحقوق العمالية لابد أن يقابله تغيير ثورى فى الواجبات العمالية ، وأن الوضع الجديد لا يلغى دور التنظيمات العمالية وانما هو يزيد من أهمية دورها . **وثانيها** ، أن الحركة النقابية لابد أن تقوم أولا وأخيرا على حماية حقوق أعضائها . **وثالثها** ، يكمن فى ديمقراطيتها . **ورابعها** ، أن التنظيمات الشعبية ، وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية ، تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة ، وأن تكون معينا لا ينضب للقيادات الواعية .

ب — الحركة النقابية المصرية اليوم ..
المشاكل والحقوق والواجبات :

فى يونيو ١٩٦٦ نشرت الطليعة مقالا استعرضت فيه المعوقات التى تحول دون قيام النقابات بدورها الذى حدده الميثاق (٨) . وخلص الى أن هذه المعوقات تتركز فى : ١ — **ضعف العضوية النقابية** . ٢ — **توعية القيادة العمالية** ، حيث ما زال يسيطر على المراكز الرئيسية فى الحركة النقابية المصرية انصار **النقابية البحتة** . ٣ — **عدم جماهيرية الحركة العمالية** . ٤ — **سيطرة الاجهزة الادارية** . ٥ — **تخلف تشريع العمل عن الوفاء بمتطلبات المرحلة** .

ويحدد مقال نشر فى الطليعة فى مايو ١٩٦٥ (٩) مجموعة من الملاحظات عن الوضع الحالى للطبقة العاملة المصرية وحركتها النقابية ، **الملاحظة الاولى** ، انه رغم أن العمود الفقرى للطبقة العاملة يتكون أساسا من العمال الصناعيين بصفة خاصة وعمال المدن بصفة عامة ، الا أننا نلاحظ فى مصر ظاهرة الوزن التنظيمى والسياسى — بدرجات متفاوتة — للعمال الزراعيين منذ أواخر العشرينات ، وبعد ثورة ١٩٥٢ وبانفجار حركة اجتماعية تقدمية فى الريف نتيجة قوانين الاصلاح الزراعى انتهت مؤخرا الى قيام التنظيم النقابى للعمال الزراعيين محتضنا ٣٥٤٫٩٤٥ عاملا زراعيا موزعين على ٤٠٤٦ لجنة نقابية ، مما قرب وضعية العمال الزراعيين نقابيا — من وضعية العمال الصناعيين داخل نطاق الطبقة العاملة . **والملاحظة الثانية** ، ان الاوضاع والنظم والعادات الرأسمالية ولدت تناقضات ثانوية داخل الطبقة العاملة بين العمل اليدوى والعمل غير اليدوى ، وفى مصر لوحظت هذه التفرقة ، وانعكست على قوانين العمل التى راحت تقرر حقوقا وامتيازات أكثر نسبيا للعمال غير اليدويين ، بالقياس للعمال اليدويين ، وأثر ذلك على الحركة النقابية فانقسمت **الى نقابات للعمال ونقابات للمستخدمين** . ورغم تنبه الفريقين الى خطورة هذا الانقسام فان رواسبه ما تزال باقية تحول دون التفاعل الكلى الموحد بين هاتين الطائفتين من العمال . **والملاحظة الثالثة** ، لما كان الصدام اليومى للطبقة العاملة مع رأس المال المستغل لا يولد فى ذاته أكثر من حركة نقابية ، تنحصر أهدافها فى مطالب اقتصادية بحتة — ولما كان النضال من أجل الغاء الاستغلال الرأسمالى ، هو نضال ضد النظام الاجتماعى السائد وطبيعة سلطته السياسية ، فان حركة العمال لابد ان تمتد وتتسع لتنطلق من الاطار النقابى الى الاطار السياسى والاجتماعى الثورى . وهذا بدوره يستلزم وعيا وادراكا من جانب الطبقة العاملة بالنظرية الثورية لتغيير المجتمع وفقا لقوانين علمية تقوده نحو الاشتراكية . وهذا الوعى والادراك بحكم الظروف الموضوعية الاجتماعية لا يتوفر داخل الطبقة العاملة نفسها فان النظرية الثورية لحركة الطبقة العاملة السياسية الشاملة تأتى لها من الخارج من المثقفين الثوريين . الامر الذى يوجب على التنظيم السياسى الثورى أن يحقق على أوسع وأعمق نطاق تفاعلا خصبا بين الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين .

وفى مايو ١٩٦٨ نشرت الطليعة مقالا عن « بيان ٣٠ مارس ، واعادة بناء الحركة النقابية » . حدد وجود اتجاهين أساسيين فى الحركة النقابية المصرية (١٠)، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، **الاتجاه الاول** ، وهو اتجاه تولت قيادته بصفة رئيسية القوى الاشتراكية الجديدة ، وتشكل هذا الاتجاه من نقابيين وفديين ووطنيين مستقلين

---

[٧] مقال امينة شفيق وعبد المنعم الغزالى — « جمال عبد الناصر والحركة النقابية » نوفمبر ١٩٧٠ .

[٨] مقال عبد الرؤوف أبو علم — « الحركة العمالية من المفهوم [الاقتصادى] الى المفهوم [السياسى] » يونيو ١٩٦٦ — ومقال أحمد رفاعى « الانتخابات النقابية ودورها فى دعم الانتاج والديمقراطية » ديسمبر ١٩٦٦ .

[٩] مقال لطفى الخولى السابق الاشارة اليه .

[١٠] مقال د. عبد الرؤوف ابوعلم وعبد المنعم الغزالى — بيان ٣٠ مارس واعادة بناء الحركة النقابية — مايو ١٩٦٨

وشيوعيين ، وقادة هذا الاتجاه الحركة العمالية الجماهيرية بعد الحرب العالمية الثانية سواء في مجال النضال ضد الاستعمار أو ضد الاستقلال الرأسمالي ، أو من أجل وحدة الحركة النقابية المصرية . **والاتجاه الثاني** ، ويمثل امتدادا لكل العناصر والقوى اليمينية والرجعية والتي كانت قد تربت وتكونت في علاقات مع الاحزاب السياسية اليمينية ومكتب العمل والسراي والجماعات الرأسمالية التي كانت مسيطرة على الاقتصاد . ويرى الكاتبان ان الاتجاه الثاني ، ولظروف خاصة بالثورة المصرية تمكن بوسائل بيروقراطية وادارية وشللية أن يسيطر على التنظيم النقابي ، وبصفة خاصة بعد ١٩٦٤ . ويمثل هذا الاتجاه عقبة أساسية في وجه تطور الحركة النقابية المصرية الى أرحب الافاق التي أرادها لها ميثاق العمل الوطني وبيان ٣٠ مارس .

الطليعة تناقش مع العمال

مشكلات الحركة النقابية

انه بعد انعقاد المؤتمر القومي الاول للاتحاد الاشتراكي العربي ، وتنفيذ بيان ٣٠ مارس ، كان مقررا أن تجرى الانتخابات للنقابات العمالية ، فوجهت الطليعة مجموعة من الاسئلة بأسلوب الشهادات الواقعية لعدد من أبناء الطبقة العاملة يمثلون قطاعات وأعمار ومسئوليات مختلفة ــ وقد استجاب منهم ٢١ عاملا ، وقام بالتعليق على هذه الشهادات الواقعية أبو سيف يوسف ، وعبد المنعم الغزالي من « الطليعة »

وتعرضت أسئلة الطليعة لاربع قضايا رئيسية : ١ ــ دور النقابات كأدوات للصراع الطبقي في مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية . ٢ ــ استقلالية الحركة النقابية . ٣ ــ الشروط الواجب توافرها لتحقيق ديمقراطية الحركة النقابية ٤ ــ الضمانات الديمقراطية والتنظيمية التي تكفل انتخابات حرة (١١) .

والشيء الاساسي في التعليق الاول (١٢) ، كان **يدور حول استقلال التنظيم النقابي** ــ حيث أثار قضيتين رئيسيتين : **الاولى : العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وبين التنظيم النقابي** . حيث يقول عنها : « **في اعتقادنا أن التنظيم الاشتراكي يمثل تحالف قوى الشعب العامل وقيادته المباشرة هي تنظيم الطلائع الاشتراكية** ، **وعلى هذا فان من رأي كاتب هذه السطور أن يمثل التنظيم النقابي (الاتحاد العام مثلا) كمنظمة شعبية داخل الاتحاد الاشتراكي وفي أعلى مستوياته** » . **والقضية الثانية :العلاقة بين التنظيم السياسي (الطلائع الاشتراكية) وبين التنظيم النقابي** : وعنها يقول : « **هذه العلاقة هي في جوهرها تعبر عن المجهود الواعي الذي يبذله الاشتراكيون داخل النقابات كاعضاء فيها ليقودوا النقابات قيادة اختيارية ، تقوم على اقناع جماهير النقابات بصحة خططهم السياسي ولا يمكن أن تتحقق هذه القيادة بالتدخل المباشر بالقرارات العلوية** » .

ومن المسائل الاساسية في التعليق الثاني (١٣) ، ضرورة وجود التنظيم واستمراره واضطلاعه بدوره الطليعي في الثورة المصرية ، فان الذين يقولون بعدم ضرورة وجود التنظيم النقابي هم العناصر النقابية القانونية وتلك التي سبق لها التعاون مع رأس المال وشركاته والعناصر الادارية والبيروقراطية والمهنية ، والتي تتزاحم على مراكز القيادة في التنظيم النقابي العمالي ، ومصدر هذا الرأي هو الدعوى التي تزعم بانتهاء الصراع بين الطبقات لانه على حد قولهم لم تعد هناك طبقات مختلفة المصالح متميزة عن بعضها اقتصاديا واجتماعيا ، وأنه لم يعد هناك ثمة عدو تكافح النقابات ضده لاستخلاص حقوق العمال . وهم يفكرون بالنظرية الرأسمالية عن « الوفاق بين الطبقات » وهو تفكير ينتهي بالحتم والضرورة الى انكار دور الطبقة العاملة وحركتها ومكانتها الطليعية في عملية الانتقال بالمجتمع الرأسمالي الى المجتمع الاشتراكي ..

الواجبات والمهام

في مايو ١٩٦٥ نشرت الطليعة مقالا عن مسئوليات العمال في مرحلة الانطلاق (١٤) ، وقد حدد الكاتب خمس مسئوليات في مقاله : **الاولى** : التوعية الجماهيرية بتطورنا الاشتراكي وأهداف الاشتراكية وأسسها ودور العمال ومنظماتهم في المجتمع الجديد . **الثانية** : مسئولية الانتاج **الثالثة** : تدعيم الديمقراطية النقابية داخل التنظيم النقابي لضمان اشتراك القاعدة النقابية في كل نشاط . **الرابعة** : خلق قيادات نقابية جديدة وتمكينها من مراكز القيادة . **الخامسة** : مسئولية التنظيم النقابي في المجال الدولي ، وخاصة في المجالين العربي والافريقي .

---

[١١] الطليعة ــ نوفمبر ١٩٦٨ ــ رؤية العمال لمشكلات الحركة النقابية ــ شهادات وتقارير واقعية والتعليق عليها
[١٢] « عن الاستقلال الذاتي للحركة النقابية وبعض شروط الديمقراطية » ــ أبو سيف يوسف ــ نوفمبر ١٩٦٨ .
[١٣] « النقابات بين العمل المكتبي والنشاط الجماهيري » عبد المنعم الغزالي نوفمبر ١٩٦٨ .
[١٤] مقال أحمد فهيم « مسئوليات للعمال في مرحلة الانطلاق » مايو ١٩٦٥ .

وفى يونيو واكتوبر ١٩٦٦ (١٥) يحدد الكاتب مجموعة من الواجبات التى تواجه التنظيم النقابى المصرى : ١ ـ اعداد ميثاق نقابى يكون دليلا للعمل النقابى ٢ ـ تنمية وتعميق المفهوم الاشتراكى والسلوك الجماعى لدى العاملين وتعبئة طاقاتهم لخدمة اهداف الانتاج او تنمية الاحساس لديهم بالملكية العامة لوسائل الانتاج ،وملاءمة سلوكهمفى العمل مع هذه الملكية العامة · ٣ ـ تدعيم العضوية النقابية وجماهيرية حركتها وديمقـراطيتها ٤ ـ تقييم نشاط التنظيم النقابى بصفة دائمة ومستمرة واشراف القاعدة على هذا التقييم ٥ ـ انهاء كل أنواع الوصاية الادارية على التنظيم النقابى ، والبدء فى نقل بعض الاختصاصات التى تمارسها وزارة العمل الى التنظيم النقابى ٦ ـ اعـداد القيادة النقابية الاشتراكية ـ وتمكينها سياسيا ـ من تدعيـم مواقعهـا القيـادية النقابيـة ، ووقف الاجراءات غير النقابية التى من شـأنها دعـم القيادات التقليدية · ٧ ـ دعم الاجهزة الفنيـة للاتحاد العام للعمال ٨ ـ انشاء مؤسسة عمالية من حصيلة النسبة المخصصة للخدمات المركزية تمارس تقديم الخدمات التى يستهدفها هـذا التخصيص ٩ ـ المشاركة فى خطة التنمية ·

وفى ديســمبر ١٩٦٦ ، نشرت « الطليعـــة » عن : « الانتخابات النقابية ودورها فى دعـم الانتاج (١٦) ، وفى هذا المقال يطالب الكاتب بأن يكون التنظيم : متلائما مع الهدف منه وهو تعبئة جماهير العمال خلف خطـة التنميـة ، وبالتـالى فاللجان النقابية يجب أن تكون ممثلة لمجالاتها تمام التمثيل ·

وطرح الكاتب فى مقالة هدفا يجب العمل من أجله لضمان تمثيل الاتحاد العام للعمال القاعدة وكما . . وذلك العمالية كيفا بأنه **يجب اطلاق الحد الاقصى فى التمثيل للنقابات حتى لا يسوى بين صناعات لا يتجاوز عدد العاملين فيها بضعة آلاف بصناعات يتجاوز العاملون فيها المليون · ومن ثم يجب تمثيل كل النقابات العامة فى الاتحاد العام حتى يعبر بصدق عن القاعدة العمالية ،فان الوضع التمثيلى الحالى ـ ٢١ عضوا فى المجلس التنفيذى للاتحاد ـ فيه مجافاة للديمقراطية النقابية ، انه يجب وأن يوجد مجلس عام لا يقل عدد أعضائه عن ١٥٠ عضوا الى جانب المجلس التنفيذى حتى يمكن محاسبة اعضاء الاتحاد وتقويم الانحراف كل فترة ·**

وفى اغسطس واكتوبر ١٩٦٧ نشرت الطليعة مقالين عن تعبئة الشعب العامل ديمقـراطيا والواجبات الرئيسية التى تواجه الطبقة العاملة (١٧) يرى الكاتب انه فى مواجهة العدوان الصهيونى الامبريالى على وطننا تصبح التعبئة الديمقراطية لجماهير الشعب العامل شرطا ضروريا فى هذه المعركة الحاسمة بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة ـ الاستعمار والصـهيونية والرجعيـة · وتوجب هذه التعبئة شل كافة اساليب القيادات البيروقراطية ـ هذه الاساليب التى كشفت عزلتها عن جماهيرها وعدم تفاعلها مع المعركة وعن عجزها عن القيام بدورها فى المجالات الدولية · ان هذه التعبئة توجب انحياز هذه القيـادات انحيازا تاما الى صف القوى الاشتراكية والقوى المعادية للاستعمار محليا وعالميا ، كما أنها توجب ضرورة مواجهتنا لعيوبنا بصراحة ثورية، وان نبذل كل جهد ونعبىء كل طاقة للتغلب عليها باعتبارها عيوب ومسالب طبقات اجتماعية منهارة تقاوم التقدم والتطور ·

ويحدد الكاتب واجبين رئيسيين للطبقة العاملة لمواجهة العدوان على الثورة العـربية والذى يستهدف فى الاساس الحد من تحررنا الاقتصادى وسـد الطـريق فـى وجـه الاتجـاه الى الاشـتراكية ـ **الواجب الاول** : زيـادة الانتـاج وتطويره · **والواجب الثانى**: ممارسة الديمقراطية، وازاحة القوى المعطلة والمعوقة لحركة الطبقة العاملة الديمقراطية ·

وفى مقال فى ديسمبر ١٩٦٧ عن كيفية استعادة النقابات لمسيرتها الاولى كمدارس للنضال الثورى فيرى الكاتب (١٨) أنه عليها أن تحقق الامور التالية : **أولا** : تسريح عنـاصر الارستقراطيـة العمالية من مراكزها النقابية ، ومساءلتها بشدة عن كل تغيير غير عادى فى دخولها · **ثانيا** : توسيع قاعدة الحريات النقابية · **ثالثا** : تأكيد الرقابة العمالية على القيادات العمالية · **رابعا** : الاخذ بمبدأ الانتخابات فى بعض الوظائف القيـادية

---

[١٥] مقال الدكتور عبد الرؤوف ابوعلم « الحركة العماليـة من المفهوم« الاقتصـادى » الى المفهوم السياسى يونيو ١٩٦٦ ـ ومقالة « القاعدةالنقابيةومرحلة الانجاز » أكتوبر ١٩٦٦ ·
[١٦] مقـال احمـد الرفاعى ـ« الانتخابات النقابيـة ودورها فى دعمالانتاج والديمقراطية » ديسمبر ١٩٦٦ ·
[١٧] مقال عبد المنعم الغزالى ـ« التعبئة الديمقراطية لقوى الشـعبالعامل » اغسطس ١٩٦٧ ، ومقالة عن « واجبان رئيسيان يواجهان الطبقـةالعاملة » اكتوبر ١٩٦٧ ·
[١٨] مقال عطيـة الصيرفى ـ« كيف تستعيد النقابات دورها كمدارسللنضال الثورى » ـ ديسمبر ١٩٦٧ ·

بالشركات والمؤسسات • خامسا : تمثيل بعض المراكز الهامة في المؤسسات والشركات وهيئات الحكم المحلي • سادسا : وحدة العمل وحريته لكل العناصر الاشتراكية في الحركة النقابية».

سابعا : تغيير تعريف العامل والفلاح بمفهوم علمي صحيح •

ونشرت الطليعة ثلاث مقالات في مايو ١٩٦٨ ، وديسمبر ١٩٦٨ ، وفبراير ١٩٧١ عن اطلاق الطاقات الخلاقة للنقابات ، وبناء تنظيم نقابي قوى متطور (١٩) •

وفي المقال الاول ــ عالج الكاتبان قضية اطلاق الطاقات الخلاقة على الاسس التالية : **أولا :** ضرورة اجراء انتخابات نقابية حرة تصعد قيادات نقابية جديدة مؤمنة بالفكر الاشتراكي ، ويقع عليها مهمة تطهير التنظيم النقابي من سلبياته وابراز الدور الطليعي للطبقة العاملة . **ثانيا :** سيادة ديمقراطية نقابية ــ تحول دون تحكم أقلية من العناصر في شئون التنظيم وتمكين جماهير العمال العريضة من المشاركة في العمل النقابي • **ثالثا :** وجود قيادات نقابية متفرغة واجهزة فنية على درجة عالية من الكفاءة في جميع مستويات التنظيم النقابي •

وفي المقال الثاني ــ رأى الكاتب ، ١ ــ ضرورة اخراج تعبير الميثاق عن مسئولية الحركة النقابية كقاعدة طليعية من نطاق النظرية الى ميدان التطبيق • ٢ ــ توفر مناخ ديمقراطي للحركة النقابية • ٣ ــ تماسك البنيان التنظيمي للحركة النقابية على أساس ارتباط حقيقي بين القاعدة والقيادة • ٤ ــ قيادة واعية وملتزمة تستطيع ادراك طبيعة المرحلة التي تعيشها ومتطلباتها •

وفي المقال الثالث ــ رأى الكاتب : ١ ــ اعادة صياغة علاقة الحركة النقابية العمالية بكافة المؤسسات الاخرى ، وكذلك بالاجهزة الادارية في الدولة ٢ ــ فصل قانون النقابات عن قانون العمل ٣ ــ تحقيق ديمقراطية حقيقية للتنظيم النقابي ٤ ــ اعادة النظر في البناء التنظيمي للحركة النقابية فتعود الى الوجود وتنظم النقابات الفرعية لتشكل قوى ديمقراطية جادة وفعالة في كل محافظة •

رؤية الطبقة العاملة

للموقف الراهن [١٩٦٨]

قدمت الطليعة في عدد يناير ١٩٦٨ تقارير وشهادات واقعية لرؤية الطبقة العاملة للموقف الراهن •• وتناولت الشهادات الواقعية نقطتين أساسيتين :

الاولى : الموقف الراهن ، واقعه ــ المشكلات والقضايا الرئيسية ــ اقتراحات العلاج •

الثانية : الحركة النقابية : نشاطها ودورها ــ المشاكل وأساليب العلاج •

وقد نشرت الطليعة ٢٢ شهادة واقعية علق عليها ، كمال رفعت وزير العمل حينئذ ، والدكتور عبد الرؤوف أبو علم ، وميشيل كامل (٢٠) •

وفي المقال الاول ــ أكد الكاتب في تعليقه على اجماع الشهادات الواقعية على : **أولا : لا أمل في** حل سياسي طالما أن الاستعمار الامريكي خلف المشكلة • **ثانيا :** ضرورة التركيز على الجبهة الداخلية في قطاعاتها المختلفة باعتبارها مفتاح الموقف كله سواء اتخذ الحل السياسي أو الحل العسكري • **ثالثا :** مواجهة الجبهة الاقتصادية ــ بالعمل على زيادة الانتاج ، والتخطيط السليم لاقتصاد الحرب • والتقليل من زيادة الاستهلاك ودعم الديمقراطية والحرية واطلاقها بلا قيود لتساعد في المشاركة الجماهيرية ، وضرورة التمسك بالمكاسب التي حققها الشعب من خلال ثورته ضد الاقطاع والرأسمالية •

وفي المقال الثاني ــ يستخلص الكاتب من الشهادات الواقعية مجموعة هامة من الملاحظات والاستنتاجات : **أولا :** ان استفحال الخطر الاستعماري يصحبه دائما انتعاش القوى الرجعية والمضادة للثورة ، ومن ثم فان الاجراء الطبيعي في مواجهة هذا الخطر ينصب على : تعميق وتدعيم الثورة الاشتراكية بما يزيد من صلابة وتماسك الجبهة الداخلية ويرفع مستوى التعبئة بين قوى الشعب العاملة وفي مقدمتها الجيش العظيم الذى لا يقهر من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين • **ثانيا :** ضرورة توسيع القاعدة الديمقراطية للحكم ، فمفهوم المشاركة في السلطة

---

[١٩] مقال دكتور عبد الرؤوف ابو علم وعبد المنعم الغزالي ــ « بيان ٣٠ مارس واعادة بناء الحركة النقابية » ، ومقال عبد الهادى ناصف ــ « نحو حركة نقابية قوية » ــ ديسمبر ١٩٦٨ ، ومقال محمد على عامر « التعبئة واطلاق الطاقات الخلاقة ــ فبراير ١٩٧١ •

[٢٠] ــ ١ ــ كمال رفعت : « الجبهة الداخلية هي مفتاح الموقف » يناير ١٩٦٨ ــ ٢ ــ ميشيل كامل « حماية وتعميق الثورة مسئولية الشعب » يناير ١٩٦٨ ــ ٣ ــ عبد الرؤوف ابو علم « الوصاية الادارية على الحركة النقابية يناير ١٩٦٨.

لدى العمال يختلف عنه عند الفئات الاخرى ، اذ أنه لايعنى الحشد داخل المنظمات الجماهيرية وليس مجرد الانتماء اليها وتشكيل قواعدها ، ولا يقتصر على الخضوع للقرارات العلوية وتطبيقها والالتزام بها وتنفيذ ماهو موكول بالعاملين فى مجالات الانتاج ، بل يعنى المشاركة الايجابية والاسهام الحقيقى فى صياغة القرارات ، ووضع الخطة وتحديد السياسة العامة « وكل الامور التى تمس ثورته »

وفى المقال الثالث ـ يستخلص الكاتب من مجموعة الشهادات الواقعية ، اجماع أصحاب الشهادات على ضرورة رفع الوصاية الادارية عن الحركة النقابية واعطائها الحرية والديمقراطية واسقاط كل القيود التى تحد حركتها واجراء انتخابات نقابية دون تدخل من أى جهة كانت ٠

٣ ـ التشريع العمالى

وفى مجال التشريع العمالى نشرت الطليعة فى مايو ١٩٦٥ مقالا عن تطور القوانين العمالية خلال الثورة (٢١) ٠

ويرى الكاتب ٠٠ أن تشريع العمل يجب وأن يستكمل تطويره ، فمن الضرورى مد الحماية التى بسطت على العاملين بالشركات التى تسهم فيها الدولة على العاملين فى القطاع الخاص ، واعادة النظر فى اجراءات التقاضى ، وادخال العنصر القضائى فى اللجان الثلاثية ، وتوحيد لوائح الجزاءات للمهنة الواحدة مع عدم التفرقة بين القطاعين العام والخاص ، وتوحيد القواعد التى تحكم العاملين فى كل من القطاع العام والدولة فى مجالى الاجور والتامينات الاجتماعية ٠ ويرى الكاتب أن التطبيق العملى قد كشف عن ضرورة تدخل المشرع لتوسيع اختصاص اللجان النقابية فى مباشرة المنازعات الفردية والجماعية باعتبارها أقرب الى القاعدة العمالية من النقابة العامة ٠

وفى أكتوبر ١٩٦٥ نشرت الطليعة (٢٢) مقالا عالج فكرة ضرورة اجراء تعديل جذرى فى قانون العمل يحطم الاطار القديم ، ويتناول الاسس التى كان يقوم عليها تشريع العمل القديم بالتغيير الكامل ٠ وكما يرى الكاتب : فان قانون العمل الجديد يجب الا يكون دوره قاصرا على حقوق العاملين بل أن يصبح كذلك قانونا للانتاج الذى يفتح الباب واسعا لتحديد قوى العمل من أجل تحقيق أهداف الخطة الانتاجية ٠ وتأكيد حقوق العاملين فى القانون الجديد يصبح ضمانا لقوى العمل ضد العناصر البيروقراطية وبقايا الرجعية التى لا زالت تقبع فى بعض مراكز الانتاج فى القطاعين العام والخاص وتحاول أن تفرض مفاهيم العمل الرأسمالى وتعوق التقدم ، وتعرقل انطلاق الجماهير ٠

وعن الايجابيات والسلبيات فى مشروع قانون العمل الموحد الجديد نشرت الطليعة مقالا فى مايو ١٩٦٨ ، ويرى الكاتب هذه السلبيات فى :
١ ـ عدم اذابة الفوارق بين الطبقات ٠ الفرق الشاسع بين الحد الادنى والحد الاقصى للاجور ٠
٢ ـ عدم توزيع الاجور وفق مبدأ كل حسب عمله ٠
٣ ـ اهمال تطبيق مبدأ الاجر المتساوى للعمل المتساوى ٠ ٤ ـ عدم اعطاء العمال الحق الكامل فى المشاركة المتساوية فى مسئولية ادارة مؤسساتهم ٠ ٥ ـ عدم خضوع كبار الموظفين للرقابة ٠ ٦ ـ عدم توفر استقلالية التنظيم النقابى ٠ وعن الايجابيات فيرى الكاتب أنها تتمثل فى اقرار الاشراف الادارى من قبل وزارة العمل على تطبيق القانون على القطاعين العام والخاص على السواء ، ومحاسبة المخالفين مهما كانت مراكزهم فى كلا القطاعين ، وتنظيم القانون الجديد لعمل عمال التراحيل ٠

٤ ـ الثقافة العمالية

فى أغسطس ١٩٦٩ نشرت الطليعة دراسة ميدانية عن الثقافة العمالية ـ واشارت الطليعة فى مقدمة دراستها الى أن نشر هذه الدراسة لايعنى أن هناك ما يسمى بثقافة خاصة بالعمال وثقافة خاصة بالفلاحين ٠٠ الخ انما هناك ثقافة المجتمع ككل ٠٠ وقد تضمنت الدراسة : مقالات عن مهام الثقافة العمالية (٢٤) وعن الثقافة العمالية فى المجال العربى (٢٥) ، ثم دراسة ميدانية سجلت لقاءات الطليعة مع الدارسين والمشتغلين بالثقافة العمالية ثم تعليقات على اللقاءات ، ثم ملاحظات الطليعة حول الثقافة العمالية فى ج ٠ ع ٠ م ٠

---

[٢١] مقال حسن البسيونى ـ أضواء على القوانين العمالية منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٦٤ ـ مايو ١٩٦٥ ٠
[٢٢] مقال بولس لطف الله « قوانين العمل بين النظام الرأسمالى والتحول الاشتراكى » ـ أكتوبر ١٩٦٥ ٠
[٢٣] مقال عطية الصيرفى ـ « الايجابيات والسلبيات فى قانون العمل الموحد » مايو ١٩٦٨ ٠
[٢٤] مقال نور الدين حسن ٠٠ « مهام الثقافة العمالية فى مرحلة التحول » اغسطس ١٩٦٩ ٠
[٢٥] مقال الدكتور عبد الرؤوف ابوعلم ـ الثقافة العمالية فى الدول العربية ـ اغسطس ١٩٦٩ ٠

وفى المقال الاول ـ وبعد أن يقدم الكاتب تعريفا للثقافة العمالية ـ يرى أن برامج الثقافة العمالية يجب أن تكون برامج مرتبطة بمشاكل الواقع ـ مستهدفة أن تعى قوى الثورة الاساسية ـ العمال والفلاحين ـ أولا : **حركة المجتمع الجديد**، ومساره وحركتها هى داخل هذا المجتمع • وثانيا : **مشاكل المجتمع الجديد الداخلية والخارجية** ومشاكلها هى داخل هذا المجتمع • وثالثا : **وسائل وأدوات حل هذه المشاكل** •

ثم يحدد الكاتب أن أمام الثقافة العمالية مجالين هامين هما : **محو الامية ، والتدريب المهنى** • وأن امتداد نشاط الثقافة العمالية الى هذين المجالين سوف يمد العمال والفلاحين بأدوات نضالية ثقافية صالحة للانطلاق لتغيير الواقع والمناخ ، هذا التغيير المستمر والذى سيحقق عدلا انسانيا يتمتع به الانسان المصرى ، وينمى فيه قدرة الخلق ، هذه القدرة التى توجد الحياة •

وفى المقال الثانى عن الثقافة العمالية فى الدول العربية يقدم الكاتب فكرته عن الثقافة العمالية بأنه لما أدى التناقض بين العمال ورأس المال فى النظام الرأسمالى الى ظهور التنظيمات النقابية لتقود العمل الجماعى من جانب العمال فى صراعهم مع رأس المال ، وحيث تبلور الفكر الرأسمالى فى أيديولوجية واضحة ، كان على الطبقة العاملة أن تصوغ فكرها العمالى ، وقد ساعدها فى صياغة فكرها وأيديولوجيتها بعض المثقفين الثوريين الذين اكتشفوا القوانين التى تتحكم فى النظام الرأسمالى مثل قانون فائض القيمة والتى تتسبب فى النهاية فى استغلال الانسان (الرأسمالى) للانسان (العامل) ، ومن حصيلة هذا كله صاغت الطبقة العاملة فكريتها وأيديولوجيتها على أساس من الاشتراكية العلمية • وكان على الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية أن تعمل على نشر هذا الفكر ، وأن تدرب قياداتها على العمل والقيادة على أساس من هذا الفكر • ولتحقيق هذا لجأ العمال وتنظيماتهم النقابية الى الثقافة العمالية •

ثم تبدأ التعليقات على الدراسة الميدانية فيستخلص التعليق الاول (٢٦) مجموعة من الاتجاهات من مجموعة اجابات العاملين بالثقافة العمالية : ـ ● اجماع على أهمية الثقافة العمالية ● احساس بأن هناك بعض ألوان القصور التى تعوق اداء الثقافة العمالية لهذا الدور على النحو المرضى • ● اجماع على ضرورة وجود منهج يكفل متابعة النمو الثقافى للعامل ويضمن انعكاس ذلك على عمله وعلاقته بمجتمعه ● موقف متراوح بين الرفض والتحفظ نحو دور النقابات فى مجال الثقافة العمالية مع التسليم ـ من حيث المبدأ ـ بأهمية هذا الدور •

ويلخص الكاتب المطالب الاساسية لتطوير جهاز الثقافة العمالية فى مجموعة من النقاط : ● اعداد مركزى لمادة البرامج مع المرونة والتنوع ليتناسب مع كل مستوى ● الدقة فى اختيار المحاضرين ● عناية أكبر ببرامج تأهيل المثقفين العماليين ● أن يتولى المواد السياسية كمواد مؤهلة للتثقيف السياسى ● أن يتزايد باضطراد دور النقابات والاتحاد العام للعمال حتى تؤول اليها مسئولية الثقافة العمالية بالكامل •

ثم يجىء التعليق الثانى (٢٧) مستخلصا من مناقشة اجابات الدارسين والعاملين بالثقافة العمالية النقاط التالية : **أولا** : أن البرامج تقدم بطريقة وأساليب لا تراعى ظروف مجتمعنا • **ثانيا** : ان اختيار المحاضرين يتم فى أغلب الاحيان من كبار موظفى الحكومة والقطاع العام والجامعة دون مراعاة للتخصص والالتزام الثورى بفكر الطبقة العاملة • **ثالثا** : خنق نمو وتطوير المثقف العمالى حتى لا يزاحم أفندية الثقافة العمالية **رابعا** : تجاهل « الثقافة العمالية » كمؤسسة لعمال الزراعة والتراحيل • **خامسا** : ضعف دور النقابات وانعدامه ـ فى الغالب فى العمل الثقافى •

ثم يجىء التعليق الثالث (٢٨) ـ عن محو الامية والثقافة العمالية ـ حيث ترى الكاتبة أن مشكلة الامية تتميز بخطورتها على تطورنا وعلى الانتاج بسبب حجمها المتضخم بين المنتجين • ورغم تنبه الجميع لخطر الامية فان مؤسسة الثقافة العمالية لم تولها أى اهتمام •

واختتمت الدراسة بملاحظات الطليعة ـ بعنوان : « ملاحظات حول الثقافة العمالية » : ١ ـ قصور الثقافة العمالية على أسلوب المحاضرة ، وعدم استخدام الاساليب الاخرى والهامة ـ الندوات والمناظرات والمناقشة وأعمال المجموعات والدراسات الميدانية الخ •• وعن المحاضرين فهم غير متفرغين لعملهم ، وأعداد كبيرة غير مؤمنة برسالتها ، ولا علاقة لهم بالفكر الاشتراكى

---

(٢٦) عبد الهادى ناصف ـ اغسطس ١٩٦٩ •
(٢٧) عطية الصيرفى ـ اغسطس ١٩٦٩
[٢٨] أمينة شفيق « محو الامية قاعدة الانطلاق للثقافة العمالية » اغسطس ١٩٦٩ •

وقضاياه النضالية · ٢ ــ القصور فى اعداد المثقف العمالى باعتباره عنصرا هاما من عناصر العمل فى مجال الثقافة العمالية ، فيجب أن يعد اعدادا اشتراكيا ، ويجب ألا يكون محور اعداده أن يكون مجرد مدرس للكبار ، أو كعنصر ادارى فقط ٣٠ ــ يجب أن تتجه الثقافة العمالية الى جماهير العمال العريضة ٤٠ ــ ان عملية نشر الثقافة العمالية يجب وأن ترتبط بعملية محو الامية ، فيجب أن تحتوى جميع مراكز الثقافة العمالية على قاعات لمحو الامية ومخطط جدى لتحقيق هذا الغرض · ٥ ــ ثم انه يجب العمل على : ا ــ عدم تركيز المعاهد المتخصصة فى العاصمة · ب ــ التفكير الجدى فى انشاء جامعة عمالية لتكوين القيادات العمالية العليا · جـ ــ الاهتمام بصفة خاصة بقطاعات العمال الصناعيين غير المؤهلين · د ــ الاهتمام بتكوين قيادات العمال الزراعيين ·

٥ ــ مشاركة العمال فى الادارة

حول اشتراك العاملين فى مجالس الادارة نشرت الطليعة ثلاث مقالات رئيسية لمناقشة التجربة (٢٩) فى مايو ١٩٦٥ ومايو ١٩٦٧ ·

وقد قدمت مجموعة من الملاحظات عن التجربة الاولى لاشتراك العاملين فى مجالس الادارة . **أولا** : التناقض القائم على الاثار المترتبة عن العلاقات الانتاجية القديمة التى تعكس احساس العاملين بان الادارة التقليدية سواء أكانت هى صاحبة رأس المال، أو ممثلة له تستهدف استغلالهم مستعينة فى ذلك بشتى الاساليب والاجهزة الحكومية والمناصب الادارية أو الفنية فى الشركة . **ثانيا** : التناقض بين الاعضاء المنتخبين والاعضاء المعينين فى المجلس ، واختلال التوازن بين الجانبين سواء من حيث العدد أو النفوذ فضلا عن الخبرة فى الاعمال الادارية مما جعل دور الاعضاء المنتخبين محفوفا بالمصاعب · **ثالثا** : التناقض بين العضو المنتخب عن الموظفين والعضو المنتخب عن العمال لما بين الاثنين من تفاوت فى المركز بالشركة ، وتفاوت فى أجور الجمهور الذى يمثله كل منهم · **رابعا** : التناقض خارج المجلس ، بين اعضاء مجلس الادارة معينون مقابل منتخبين ، وخارج المجلس بين جمهور العاملين وقد أدى التناقض الاخير الى ضغوط من الناخبين بالنسبة لامور شخصية لا تمت لوظيفة مجلس الادارة بصلة ·

ومع بروز هذه التناقضات ــ فان التجربة الاولى ــ كما يرى الكاتب قدمت مجموعة من الفوائد انعكست على التجربة الثانية : **الفائدة الاولى** : ان القول بالانتظار حتى يتم للطبقة العاملة الوعى أو الخبرة الكافية للقيام بمسئوليات الادارة فهذا قول لا يستقيم مع الفكر العلمى السليم ولا مع الايديولوجية الاشتراكية التى تؤكد ضرورة ارتباط الفكر بالتجربة ، **والفائدة الثانية** : ضرورة التمسك بالديمقراطية والقيادة الجماعية فى العمل · وقد انعكس ذلك على التعديلات التى صدرت فى اكتوبر ١٩٦٣ بخصوص اشتراك العاملين فى مجلس الادارة ــ زيادتهم الى أربعة اعضاء دون تمييز بين عمال وموظفين ، وتوفير الحماية للاعضاء المنتخبين ·

٦ ــ عن الاجور

قدمت الطليعة فى عدد أبريل ١٩٦٧ دراستها الرئيسية عن سياسة ربط الاجر بالانتاج مستخدمة اسلوب التقارير والشهادات الواقعية من مختلف مواقع الانتاج ، ومقدمة التعليق عليها (٣٠) ، (٣١) :

ففى التعليق الاول يرى الكاتب انه من أخطر الامور أن يستخدم ربط الاجر بالانتاج مجردا عن التوعية والعمل السياسى بحيث يذكى فى نفس العامل عوامل الفردية والانانية ، وعدم المبالاة بالمصلحة العامة · فالعامل الذى تحكمه مثل هذه العقلية التى لا تسعى الا وراء الكسب المادى يمكن أن يخرب الانتاج اذا وجد طريقا آخر ، ولو كان غير مشروع يحقق له كسبا اكبر · وعليه فان من الضرورى أن يؤخذ فى الاعتبار بعض « القيم السلوكية » عند تقرير العامل المثالى ، وعند اجراء الترقيات . ويرتبط بهذا أيضا ما جاء فى واحدة من الشهادات الواقعية ، من أن ديمقراطية الادارة من أهم الحوافز الادبية وأن تلاحم الادارة مع العمال وتنمية روح المسئولية الجماعية وتعاون الادارة مع التنظيمات الشعبية امور تلعب دورا أساسيا فى زيادة الانتاج ورفع الكفاية الانتاجية ·

---

[٢٩] ● مقال د· نجيب اسكندر « حول تجربة اشتراك العاملين فى مجالس الادارة » ــ مايو ١٩٦٥.
● مقال د· عبد الرؤوف أبو علم ــ « اشتراك العاملين فى مجلس الادارة » ــ مايو ١٩٦٧ ·
● مقال ابراهيم غباشى ــ « مع بداية دورة جديدة للعضوية المنتخبة فى مجالس الادارة » ــ مايو ١٩٦٧
[٣٠] تعليق د· اسماعيل صبرى عبد الله « تقييم قوة العمل ، المشاكل ، ومنهج العلاج » ــ أبريل ١٩٦٧
[٣١] مقال د· ابراهيم سعد الدين « ربط الاجر بالانتاج فى المجتمع الاشتراكى » ــ ابريل ١٩٦٧ ·

وفى التعليق الثانى ــ يؤكد الكاتب أن الربط بين مساهمة كل فرد من أفراد المجتمع فى الانتاج وبين دخله قاعدة أساسية فى النظام الاشتراكى تضمن تحقيق الكفاية والعدل • وهذا الربط هو وسيلة المجتمع الاشتراكى فى توفير الحوافز لمجموع العاملين تحقيقا لاهداف المجتمع • ولكن هذا الربط يثير صعوبات منها : صعوبة قياس مساهمة كل العاملين فى الانتاج الجماعى ، واختلاف ظروف العمل وأثر ذلك على الاجور ، والارتباط بين تكاليف المعيشة فى المناطق المختلفة والاجر ••

ويرى الكاتب ، أن تأميم أدوات الانتاج يثير ضغط العاملين من أجل تطبيق قاعدة الاجر المتساوى للعمل المتساوى ، وتحقيق ميزات عينية موحدة لكافة العاملين • ومن ثم قد تنشأ مشاكل واتجاهات خاطئة أثناء ذلك • لقد ورث مجتمعنا أوضاعا تتميز بانتشار العديد من الوحدات الانتاجية المتفاوتة فى الحجم وفى الانظمة وفى الاجور وفى الميزات العينية . ولذلك فانه اذا كان هناك ما يبرر وجود نظام للاجر على أساس الوقت والعلاوة الدورية فى بعض الوظائف الادارية والاشرافية التى يصعب قياس الاداء فيها ، فان الامر يختلف فى مجال الانتاج . فامكانية قياس الاداء تمكن من الاعتماد على نظم للاجور تربط مباشرة بين الجهد الفردى لكل منتج أو جماعة محددة من المنتجين ، وبين ما يمكنه أو يمكنهم الحصول عليه من زيادة فى الدخل • ومن ثم لابد من وضع نظام يتيح للعاملين الحصول على زيادة ولو بسيطة فى الاجر مقابل زيادة ولو بسيطة فى الانتاج ، ويتم ذلك خلال النظام الاساسى للاجور نفسه ، لا خلال المكافآت أو العلاوات الاستثنائية •

٧ ــ الحركة النقابية عالميا وعربيا وافريقيا

بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب نشرت الطليعة مقالا عن الحركة النقابية العربية (٣٢) • وبعد أن استعرض الكاتب النشأة التاريخية للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ، ودوره منذ تأسيسه فى معركة التحرير ، أبدى مجموعة من الملاحظات : **أولا :** ضعف العضوية النقابية فى الوطن العربى ، والذى يمثل أكبر تحد للحركة النقابية العربية خاصة فى هذه الفترة التى يخوض فيها العمال العرب معارك وطنية ، وأخرى اجتماعية • **ثانيا :** تخلف اتحاد العمال العرب والاتحادات الاعضاء به فى مجال التوعية والثقافة العمالية • **ثالثا :** ضرورة توحيد أسس تشريع العمل فى البلاد العربية • **رابعا :** ما زالت القوانين فى بعض البلاد العربية تحرم العمال من حقهم فى التنظيم . **خامسا :** ان نشاط اتحاد العمال العرب ما زال نشاطا علويا لم ينزل كثيرا الى مستوى القاعدة الثقافية العريضة فى الوطن العربى ••

وفى مجال العلاقات الدولية للاتحاد يرى الكاتب ــ انه بدراسة موقف الاتحاديين العالميين ــ الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، نجد أن الاتحاد العالمى أكد طيلة حياته موقفه الحاسم المعادى للاستعمار والمناصر لقضايا الشعوب العربية والتحرر الوطنى ، بينما كان موقف الاتحاد الحر دائما فى خدمة المخططات الاستعمارية والصهيونية ، ويرى الكاتب ضرورة أن يحدد اتحاد العمال العرب مخططا عماليا عربيا دوليا تنطلق منه سياسة دولية واضحة للاتحاد تخدم أهدافه الوطنية والدولية •

كما نشرت الطليعة مقالا عن الهستدروت (٣٣) « الاتحاد العام للعمال العبريين » • وازاء النشاط الكبير والضخم للهستدروت فى افريقيا ــ فان الكاتب يضع أمام الحركة النقابية العربية والافريقية مهاما وواجبات : **أولا :** التنسيق الكامل بين اتحاد العمال العرب واتحاد نقابات عموم افريقيا لمواجهة نشاط الهستدروت المتزايد • **وثانيا :** انه أصبح على الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب أن يحسم قضية الانحياز فى الحركة النقابية الدولية ــ وخاصة بعد أن اتضحت العلاقة العضوية بين الهستدروت والاتحاد الحر ودور كليهما فى دعم مخططات الاستعمار الحديث • وخاصة ان سياسة الاتحاد العالمى للنقابات المعادية للاستعمار والصهيونية بثبات قد تأكدت فى جميع مواقفه • **وثالثا :** يجب على اتحاد نقابات عموم أفريقيا والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب أن يعملا على انشاء عدد من المعاهد النقابية والعمالية لتدريب وتعليم الكوادر العمالية والفنية التى تحتاجها القارتان الافريقية والاسيوية • **ورابعا :** انه على الاتحاد الدولى لنقابات العمال

---

(٣٢) مقال د• عبد الرؤوف ابوعلم« اتجاهات الحركة النقابية والعمل السياسى للطبقة العاملة العربية » ــ مارس ١٩٦٦ •

(٣٣) مقال عبد المنعم الغزالى ــ« الهستدروت لافتة نقابية للؤسسة الاسرائيلية » مايو ١٩٦٦ •

الغرب بصفة خاصة أن يحدد واجبات عملية مباشرة لمواجهة الهستدروت مواجهة حاسمة ٠ وهنا يصبح على اتحاد عمال الجمهورية العربية المتحدة مهمة خاصة بحكم موقعه الطبيعي في العمل جديا لمواجهة النشاط الصهيوني في الحركة العمالية ٠

ونشرت الطليعة مقالا عن تطور النضال العمالي الافريقي (٣٤) ٠

ويناقش الكاتب في مقاله عناصر الضعف في التنظيم النقابي الافريقي ويحددها في : ١ ـ أن ٧٠ في المائة من العمال الافارقة ما زالوا غير منظمين بحكم انهم عمال زرا عيون وخدم منازل وعمال رحل وأشباه عمال ٠ ٢ ـ ضعف عضوية التنظيم النقابي في القارة ، وانتشار النقابات الصغيرة المفككة والمحدودة العضوية وسيادة الروح الحرفية وضيق الافق وضعف الوعي السياسي ، وسيادة عنصر الخلافات اللغوية والبيئية والقبلية والذي يعرقل قيام تنظيمات نقابية موحدة على أساس وحدة كل الكادحين ٠ ٣ ـ تغلغل النشاط الاستعماري في الحركة النقابية الافريقية وبثه الفرقة بين صفوفها ، وخاصة النشاط « النقابي الامريكي » ٠ الامر الذي أدى الى وجود مركزين رئيسيين للحركة النقابية الافريقية على نطاق القارة وهما الاتحاد النقابي الافريقي والخاضع للاتحاد الدولي للنقابات الحرة (الاصفر) والاتحاد المسيحي الدولي ، واتحاد نقابات عموم افريقيا ، وما زال الاتحاد الاول يمثل مركزا قويا ومحور نشاطه « البعد عن السياسة » وترجمتها العملية لا نضال ضد الاستعمار بكل أشكاله ، والعداء « للشيوعية » ٠

ثم يحدد الكاتب مجموعة من الواجبات والمهام التي تواجه العمال الافارقة وحركتهم النقابية : ١ ـ تنظيم العمال الزراعيين وتوحيدهم وعمال المدن والصناعة ٢ ـ القضاء على الاشكال المتخلفة للتنظيم النقابي ٠ ٣ ـ تنظيم القوى العمالية الغير منظمة ، وتوحيد الحركة النقابية على النطاق القومي بانشاء مراكز توحيدية ـ اتحاد عمال واحد في كل قطر ـ ٤ ـ تشديد النضال من أجل الوحدة على نطاق القارة لتوحيد المواجهة العمالية للزحف الاستعماري الشرس على القارة ٠

ونشرت الطليعة مقالا عن الدبلوماسية الامريكية والحركة النقابية (٣٥) ؛ يتتبع فيها الكاتب أسس هذا النشاط وقواعده ـ ويصل الكاتب الى أن الهدف النهائي لكل نشاط أمريكي في الحركة النقابية هو الحفاظ على مصالح الاحتكارات الامريكية ٠

وفي مايو ١٩٦٩ نشرت الطليعة مقالا عن وحدة الطبقة العاملة ضد الاستعمار والصهيونية ٠ والفكرة الاساسية التي يدعو اليها الكاتب في مقاله ، هي ضرورة وحدة الطبقة العاملة العالمية ـ فما من عامل يشعر حقيقة بالانتماء الى الطبقة العاملة ، ويؤمن ايمانا صادقا بوحدة نضالها ووحدة مصيرها ، الا ويعي دوره في مكافحة الاستغلال والعدوان ، ويدرك أبعاد هذا الدور في اطار النضال العمالي المشترك لوضع حد نهائي للمظالم الاجتماعية والتفرقة العنصرية ، ومختلف مظاهر استغلال الانسان لاخيه الانسان بوجه عام ٠

وفي مايو ١٩٦٩ نشرت الطليعة مقالا (٣٦) يسجل تجربة النقابات المجرية في البناء الاشتراكي وقد كتب هذا المقال خصيصا للطليعة :

فأولا : تشترك النقابات المجرية في تحديد أهداف البناء الاشتراكي بمالها من قدرة تنظيمية مستخدمة نفوذها السياسي ، وتعبيء اعضاءها ـ ثلاثة ملايين عامل منظم ـ لانجاز الاهداف وهي تتعاون لتحقيق الانسجام بين مصالح المجتمع والمجموعات والافراد على أكمل وجه ممكن ٠ وهي تشبع المتطلبات الاجتماعية المتعددة والحقيقية في المجتمع الاشتراكي ٠

ثانيا : وللنقابات في المجر دور فريد في تطور العلاقات بين الحزب والجماهير ٠ فبسبب صلاتها الوثيقة بالجماهير تكون لديها القدرة على ادراك مصالح وأفكار العمال ، وهي في وضع يمكنها من التعرف على قدرات البلاد المالية فيمكنها أن تتدخل للمطالبة بوضع مطالب العمال الواقعية ومقترحاتهم في الاعتبار ٠

ثالثا : وعن علاقة حزب العمال المجري بالنقابات ، فقرارات الحزب ملزمة للشيوعيين العاملين في النقابات ولكنها ليست ملزمة للنقابات

[٣٤] مقال عبد المنعم الغزالي ـ « تطور ومهام الحركةالنقابية الافريقية » ـ اغسطس ١٩٦٦ ٠
[٣٥] مقال عبد المنعم الغزالي ـ « الدبلوماسية الامريكية والحركةالنقابيةبعد الحرب العالمية الثانية » ـ ابريل ١٩٦٨ ٠
[٣٦] مقال شاندرجا شبار ٠ عضوالمكتب السياسي لحزب العمال الاشتراكيالمجري ورئيس الاتحاد العام للنقابات المجرية : « النقابات المجرية والبناءالاشتراكي » ـ مايو ١٩٦٩ ٠

تقسيمها » وعلى الشيوعيين أن يقنعوا زملاءهم فى النقابات بصحة موقف الحزب وقراراته • أن الدور القيادى للحزب يتأكد بطريقة لا تنتهك المبدأ الاساسى الذى بمقتضاه تكون النقابات مستقلة تعمل وفق لوائحها كما وأن نشاطها اليومى يسير ويدار بواسطة أجهزتها القيادية المنتخبة

رابعا : وعن علاقة النقابات بأجهزة الدولة ،فان أجهزة الدولة الاشتراكية ملزمة باحترام استقلال النقابات ولا تتدخل فى نشاط أو عمل النقابات ولا فى حريتها ، ولا فى وضع لوائحها ، أو نظام الانتخابات ـ والدولة الاشتراكية لا تشرف على أجهزة النقابات القيادية ولا تطلب منها تقديم حساب عن عملها •

وفى ابريل ١٩٧٠، نشرت الطليعة مقالا فكريا عن لينين والنقابات (٣٧) •

يستعرض الكاتب فى مقاله هذا فكر « لينين » عن النقابات ، والذى صاغه « لينين » منذ أن خطا خطواته الاولى فى العمل بين حركة الطبقة العاملة ، صاغه من خلال الممارسة للعمل اليومى ، ومن خلال مواجهة الفكر الانتهازى فى الحركة العمالية ، ومن خلال النضال من أجل اقامة الاشتراكية وبنائها فى الاتحاد السوفيتى •

ففى مواجهة الفكر الاقتصادى ، هذا الفكر الذى دعا الى أن تكون مهمة النقابات والنضال من أجل تحسين الحالة الاقتصادية للعمال فى ظل النظام القائم ـ « والعمال للعمال »وأن « زيادة كوبيك على روبل أغلى وأعز من كل اشتراكية وسياسة وأن « العمال يناضلون لانفسهم وليس لاجيال واشتراكية فىطيات الغيب » • فى مواجهة هذا الفكر قدم لينين وجهة نظر الاشتراكية العلمية عن العمل النقابى : أن الصراع بين العمال وأصحاب الاعمال حول المطالب الاقتصادية هو نضال طبقى جنينى يقود نضال العمال فقط لتحقيق ظروف أفضل لبيع قوة عملهم ـ ومن المهم أن يتحول الى نضال مع كل النظام السياسى والاجتماعى القائم من أجل القضاء على النظام الاجتماعى الذى يرغم المعدمين على بيع أنفسهم للاغنياء • وقدم لينين فكره عن التنظيم النقابى داحضا المفهوم الاقتصادى التجريبى عن تلقائية التنظيم والايديولوجية بالنسبة للنقابات ، وأوضح لينين أن النقابات يجب أن تكون ذات بناء قوى وقيادة مركزية ونظرية واعية وأن التكوين الواعى للطبقة العاملة لا يمكن أن يترك لتلقائية الحركة والصراع الطبقى بل يجب أن يكون مهتديا بنظرية ثورية علمية •

وصاغ لينين نظريته ضد الدعوة لحياد النقابات ـ فالقضية عنده : « ••• ليست على الاطلاق كيف يتشكل الحزب وأى نضال وأى انقسامات تحدث فى العملية • • انها قضية أن الحزب الاشتراكى والنقابات موجودة بالفعل فى كل بلد رأسمالى ومهمتنا تحديد العلاقات الاساسية بينها • ان المصالح الطبقية للبورجوازية تدفعها بالضرورة الى محاولة حصر النقابات فى حدود نشاط ضيق وصغير فى اطار النظام الاجتماعى القائم لابعادهم عن أى ارتباط بالاشتراكية • **ونظرية الحياد هى الغطاء الايديولوجى لهذه المحاولات البورجوازية** » •

ثم يقدم الكاتب فكر لينين عن النقابات وبناء الاشتراكية • وقال عالج لينين مهمة وواجبات النقابات فى ظل المجتمع الجديد وهو يحارب فى جبهتين : واحدة منهما جبهة التروتسكيين ، والثانية الاتجاه السندكالى • والجبهة الاولى كانت تريد تحويل النقابات الى مراكز تابعة للدولة واعتبارها مجرد هيئات انتاجية • والثانية تنكر دور الحزب السياسى وترى تبعية كافة الاجهزة الادارية والاقتصادية للنقابات • وعارض لينين كل هذا الفكر وأعلن أن أى محاولة من قبل الدولة ـ وهى دولة ثورية ـ لامتصاص النقابات انما ستكون نتيجتها أن تصبح النقابات أجهزة بيروقراطية ، وستفقد المحور الاساسى فى بنائها باعتبارها منظمات جماهيرية عامة غير حزبية • وأكد لينين دور النقابات فى فترة البناء الاشتراكى فى الدفاع عن مصالح العمال ، الى جانب قيامها بوظائفها العادية ، ولكن فى ظروف جديدة • وحدد لينين دورا هاما للعمال والتنظيم النقابى يتمثل فى زيادة الانتاجية وتنظيم العمل ، وأكد لينين أن زيادة الانتاجية تتطلب درجة عالية من النظام والضبط والربط الثوريين فى العمل • وحدد لينين واجبا هاما للنقابات فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية هو أن تهتم النقابات بالاخصائيين المهندسين والعلميين والتكتيكيين القدامى :

لقد كان لينين واضحا فى صياغته لفكره عن النقابات ومهامها ودورها فى مرحلة الانتقال ومنحها الكثير من جهده باعتبارها اجهزة نضالية وتربوية ـ مدرسة للاشتراكية والديمقراطية والادارة •

---

[٣٧] مقال عبد المنعم الغزالى ـ« لينين والنقابات » ـ ابريل ١٩٧٠ •

وفى مايو ١٩٧٠ نشرت الطليعة مقالا عن أول مايو التاريخ والواقع المعاصر ·

ويحدد الكاتب مجموعة من الواجبات للعمال فى عيد أول مايو ، والوطن العربى يعانى الاحتلال الصهيونى ، أولا : تقديم قضية المصير العامة على ما عداها من القضايا الخاصة · ثانيا : بمعنى أن يفرض العامل على نفسه فى هذه الظروف الحاسمة من تاريخ بلادنا · واجبات سياسية اضافية يلتزم بتنفيذها من تلقاء نفسه ويحاسب نفسه بنفسه على أدنى تقصير بالنسبة لها · ثالثا : تنقية التنظيمات السياسية والنقابية ومنظمات الشباب ومجالس ادارات القطاع العام عن طريق الانتخابات من العناصر الوصولية ونقد الكسل والميوعة فى العمل السياسى ·

ويحدد الكاتب دور النقابات فى المعركة فأولا : على مستوى الجمهورية العربية المتحدة ، تعبئة جماهير العمال وتنظيمهم استعدادا للمعركة ، وعقد المؤتمرات والاجتماعات ، وعرض أفلام المقاومة ، واعادة النظر بالنسبة لمؤسسة الثقافة العمالية ، واعادة النظر فى اسلوب تثقيف العمال لاحلال التربية الاشتراكية العلمية محل التربية الرأسمالية · وثانيا : على المستوى العربى ، العمل من أجل وحدة الطبقة العاملة العربية ، وان تكون النواة لها وحدة العمل بين عمال الجمهورية العربية المتحدة وعمال السودان وعمال الجمهورية العربية الليبية · وثالثا على المستوى العالمى ، زيادة توثيق العلاقات الاخوية والارتباطات النقابية بيننا وبين الاتحاد العالمى لعمال العالم واتحادات العمال فى البلدان الاشتراكية ·

ونشرت الطليعة مقالا فى مايو ١٩٧١ عن النضال العمالى العالمى (٣٨)، وفى هذا المقال يستعرض الكاتب الحركة الاضرابية فى عام ١٩٧٠ والربع الاول من عام ١٩٧١ فى دول غرب أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة · ومن خلال دراسته لتزايد هذه الموجة الاضرابية يصل الكاتب الى مجموعة من الاستنتاجات : ١ ــ اتساع الحركة الاضرابية لتشمل قطاعات أعرض من الطبقة العاملة ، من المستخدمين والموظفين والفنيين والمهندسين والاختصاصيين والباحثين العلميين والاساتذة والمدرسين والمثقفين والفلاحين والمنتجين الصغار والطلاب · ٢ ــ أدى التركيز الاحتكارى والتكامل الاقتصادى فى منطقة السوق الاوروبية المشتركة الى وضع المطالب المشتركة من قبل الحركة النقابية عالميا · ٣ ــ أن هذه الحركات الاضرابية لم تعد تستهدف المطالب اليومية فحسب ــ وانما أصبحت تستهدف تغييرات اقتصادية وسياسية ضد احتكار رأسمالية الدولة · ٤ ــ ان الرأسمالية العالمية وقد اخذت تصعد من استغلالها للطبقة العاملة مستخدمة كل مقدرات التطور الاقتصادى الحديث ، والثورة العلمية والتكنيكية ، وازدياد دور الدولة الرأسمالية الاقتصادى وترابطه مع الاحتكارات وخدمته لها ، وعمليات التجميع الاقتصادى ــ كالسوق المشتركة ــ قد زادت من حدة تناقضات النظام الرأسمالى فى اكثر من أى وقت مضى بامتداد الاستغلال المصعد والمتزايد ليشمل فئات اوسع من الشعب العامل ــ منها فئات كبيرة كانت تعتبر احتياطيا دائما للاستغلال الرأسمالى · وبذلك خلقت ونمت قوات جديدة معادية للرأسمالية ·

---

[٣٨] مقال محمد على عامر « أول مايو التاريخ والواقع المعاصر » مايو ١٩٧٠ ·
[٣٩] مقال عبد المنعم الغزالى ــ ثغرات فى جبهة الرأسمالية العالمية ــ مايو ١٩٧١.

تقارير الشهر

● جمهورية مصر العربية ●

جلسات غنية

بحوار ساخن

● تونس ●

ما وراء الصراع

على السلطة ..

● الصين الشعبية ●

زيارة كان يمكن أن

تكون اكثر فائدة

تقارير خاصة :

ماذا تدبر امريكا

فى شرق البحر المتوسط

■ ■

خطوة نحو

توسيع الحريات النقابية

■ جمهورية مصر العربية

مناقشات وقرارات الدورة الطارئة للمؤتمر القومى

فى البيان الذى أصدره المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى نهاية دورته الطارئة التى عقدت من ١٦ الى ١٨ فبراير الماضى ــ وجه المؤتمر نداء الى كل شعوب العالم المحبة للسلام وخاصة شعوب البحر الابيض المتوسط ــ لكى تشارك المؤتمر « فى ادانة ومقاومة المخططات العدوانية الامريكية التى تسعى الى اقامة قواعد للاسطول السادس فى شرق البحر المتوسط ــ فى هذا الوقت بالذات ــ تهديدا لشعوب تلك المنطقة وتدعيما لاطماع اسرائيل التوسعية وتأكيدا لمحاولات الولايات المتحدة الامريكية فرض سيطرتها على المناطق العربية » ٠

وفضح بيان المؤتمر « المناورات التى تعرضت لها فكرة الحلول السلمية وتحطيم كل دعوة بناءة لتطبيق قرار مجلس الامن على صخرة سياسة التوسع والمغامرة القائمة على الصلف والغرور التى تنتهجها اسرائيل مستندة فى ذلك الى الدعم العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى تقدمه لها الولايات المتحدة الامريكية ــ وبصورة تجاوز كل ماقدمته لها من عون وتأييد فى مراحل الصراع السابقة ، وتقف الولايات المتحدة منذ اليوم موقف الخصم » ٠

وكشف المؤتمر الهدف من وراء هذه المناورات بأنه « اغراق مصر والامة العربية كلها فى دوامة حالة اللاحرب واللاسلم » ٠

وأكد المؤتمر فى بيانه الختامى على أن الاتحاد السوفيتى « فى مقدمة الدول الاشتراكية والقوى المعادية للامبريالية العالمية قد وقف منذ الساعات الاولى للعدوان الاسرائيلى وحتى الان الى جانب الحق العربى ومازال يدعمنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا ــ وهو موقف لم تفرضه فلسفته ومبادئه فحسب بل عززه ايمان مشترك بقضية السلام الدولى وعداء مشترك للامبريالية العالمية » ٠

وشدد المؤتمر فى بيانه على أن الصداقة العربية السوفيتية « قاعدة صلبة تمثل موقفا استراتيجيا لا مرحليا ، ويجب أن نتسلح بكل اليقظة والوعى ضد محاولات الاعداء للتشكيك فى هذه الصداقة او النيل منهـا » ٠

كما دعا المؤتمر كل القوى العربية على اختلاف نظمها لوضع استراتيجية عربية موحدة تضع فى اعتبارها واقع اليوم وحساباته ومبرزا أهمية مشاركة المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائى فى المعركة المصيرية » ٠

وفى مجال السياسة الداخلية طالب المؤتمر بضرورة تحقيق التوازن بين متطلبات المعركة وضرورات التنمية ــ لان التنمية دعامة من دعامات المعركة اليوم ــ ولبنة من لبنات اعادة البناء بعد المعركة كما عبر المؤتمر عن « ادراكه لاهمية تدعيم خطنا الاشتراكى » ٠

كما طالب المؤتمر بضرورة تسلح مختلف مجالات العمل السياسى والشعبى والتنفيذى والعسكرى بالوعى والمسئولية فى كل ما يمس وحدة جماهير شعبنا وأمن تحركاتنا السياسية والعسكرية ، واكد المؤتمر من جديد ثقته الى شباب مصر باعتبارهم عدة المستقبل فى حركة المجتمع كله وتقدمه نحو أهدافه ٠

وعلى ضوء ما انتهى اليه المؤتمر من « ان العمل الاساسى والجوهرى الذى يجب أن تركز عليه جميع طاقات العمل الوطنى فى هذه المرحلة شعبيا وتنظيميا وحكوميا هو اعداد الدولة والمجتمع لمتطلبات الدولة لمعركة التحرير الشرسة والطويلة النفس باكثر قدر من الفاعلية والخبرة والحيوية » ٠

قرر المؤتمر تكوين تنظيم شبابى ينبع ديمقراطيا من الشباب أنفسهم ويصبح أحد أجنحة الاتحاد الاشتراكى ٠ كما عهد المؤتمر الى السكرتير الاول للجنة المركزية باتخاذ ما يلزم من اجراءات لتعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى حتى يكون الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون وبحيث تشارك الجماهير فى صنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها وذلك على ضوء ما كشفت عنه الممارسة الفعلية خلال المرحلة الماضية من قصور الاطار الحالى عن مجابهة المتطلبات المتزايدة للمرحلة القادمة وتلبية احتياجات الجماهير ٠

وقرر المؤتمر فتح أبواب التنظيم السياسى أمام قوى الشعب العاملة كلها بالشكل الذى يجعله الاداة الشرعية القادرة على التعبير كما قرر المؤتمر تشكيل لجنة عمل من أعضاء اللجنة المركزية والمؤتمر القومى وأعضاء خارج هذين المستويين لاعداد دليل للعمل السياسى فى مختلف المستويات فى اطار وثائق الثورة الاساسية (الميثاق ــ ٣٠ مارس ــ الدستور ــ برنامج العمل الوطنى) ٠ كما قرر المؤتمر اعادة تقييم العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والمنظمات النقابية والمهنية والهيئات المساعدة ٠

ولما كان المؤتمر قد عقد دورته الطارئة بناء على دعوة من الرئيس أنور السادات « للنظر فى التطورات السياسية والعسكرية التى تحيط بقضية

تحرير الارض العربية واستمرار العدوان الاسرائيلى عليها منذ الخامس من يونيو ٦٧ على ضوء التغييرات الدولية والاحداث العالمية الاخيرة والظروف التى يتطلبها الوضع الداخلى •

فقد قدم الرئيس أنور السادات للمؤتمر فى بداية دورته الطارئة تقريرا سياسيا شاملا تضمن شرح الاحداث السياسية العالمية والعربية والمحلية خلال الشهور السابقة للمؤتمر ـ وفى شرحه لاسباب اعادة تقييم الموقف حدد الرئيس السادات أربعة عناصر أساسية لعبت دورا حاسما فى فرض اعادة الحساب :

١ ـ ان الولايات المتحدة الامريكية أكملت شوط الاشتراك فى التآمر الى مداه •

٢ ـ أزمة الهند والباكستان وانعكاساتها علينا بسبب ضخامة حجم المشكلة وعلاقة الاطراف المختلفة بها •

٣ ـ الدعم الامريكى الجديد لسلاح الجو الاسرائيلى •

٤ ـ تعزيز مركز الاسطول السادس بحصوله على ميناء بيريه فى اليونان ومحاولات اسقاط مكاريوس للسيطرة على قبرص •

وأوضح الرئيس السادات فى تقريره أن هذه العناصر الاربعة فرضت علينا اعادة الحساب ولكنها لم تفرض علينا ولا يمكن أن تفرض علينا العدول عن الهدف ، مؤكدا أن أهدافنا التى لا يمكن التنازل عنها هى ازالة آثار العدوان عن كل الارض العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ،وعدم المساس بالحقوق التاريخية لشعب فلسطين •

وحدد الرئيس السادات أمام المؤتمر القومى مهام المرحلة القادمة فى عشرة نقاط اساسية :

● تعزيز وتأكيد وحدة قوى الشعب العامل فى مصر عن طريق التفاعل الثورى •

● اتحاد الجمهوريات العربيــة نواة صلبــة لوحدة القوى الثورية العربية •

● الانفتــاح على كل قوى العالم العربى •

● الصداقة العربية السوفيتية حجر اساس فى نضالنا •

● امامنا جهد مركز لكى نستوعب اسلحة متطورة تلتقى مع التصاعد الخطر الذى فرضته امريكا واسرائيل •

● يجب ان تكون مستعدين لخسائر كبيرة ـ داخل الوطن •

● يجب ان تتنبه للمقامرات الامريكية بوجه خاص •

● ضرورة مواصلة الصلة باوروبا الغربية وقلبها باريس وآسيا وقلبها بكين •

● يجب أن نرتب انفسنا على صراع سياسى وعسكرى طويل •

● يجب أن نتقبل على انفسنا تكاليف الصبر والصمت •

واعلن الرئيس السادات فى خطابه قــراره باطلاق سراح الطلاب المحتجزين جميعا واحالة التحقيقات الى الجامعات ، واعلن كذلك قــرارم باعادة تشكيل منظمة الشباب على اسس جديدة •

وقدم المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية وامين عام المؤتمر القومى ـ تصور قيادة التنظيم لاسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى فى الفترة القادمة مؤكدا على ان الاتحاد الاشتراكى مسئول مسئولية كاملة عن تقديم المنبر الحر لجميع قوى الشعب العاملة باعتباره التنظيم السياسى الوحيد فى مصر ـ الامر الذى يؤكد ضرورة تدعيم الطابع الديمقراطى للتنظيم بمزيد من الانفتاح علــى الجماهير ، وأوضح المهندس سيد مرعى على ان اتصالاته خلال الاسابيع السابقة للمؤتمر قد اكدت له ان الاوعية التنظيمية قد أصبحت تضيق بعد مرور عشر سنوات على بناء الاتحاد الاشتراكى عن استيعاب وتعبئة كل القوى الجديدة والشابة الصاعدة فضلا عن طاقات اخــرى وطنيــة ومناضلة ـ وان الحركة الطلابية الاخيرة قد اكدت ان كل الاجهزة الشعبية والتنفيذية على حد سواء تحتاج بالفعل الى مزيد من الانفتاح علــى الجماهير •

كما طلب السكرتير الاول للجنة المركزية » بان يحتضن الاتحاد الاشتراكى دون عقد او حساسيات افكار القوى المتحالفة وينظم الحوار فيما بينها ديمقراطيا على اساسين : تحديد المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل التى لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف ، وتحديد أهــم المصــالح الخاصة لكل قوة اجتماعية فى التحالف وترتيب اوليات تحقيقها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل •

كما حذر سيادته من ان التنظيم السياسى لا ينبغى ان يصادر الحركة الذاتية للنقــابات واتحادات العمال وتعاونيات الفلاحين والتنظيمات الاخرى المساعدة فى مجالاتها الخاصة ، وانما على الاتحاد ان يعمل على تنسيق حركته مع حركتها وان يمد اليها كل جسور التعاون •

واستمع المؤتمر خلال دورته الطارئة الىتقريرين هامين • قدم اولهما الدكتور مراد غالب وزير الخارجية ـ وقــدم الثانى الفريــق محــمد احمد صادق نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية •

وقد اكد الدكتور مراد غالب فى تقريره على ان هدف العمل السياسى ان يظل حقنا واضحا أمام المجتمع الدولى ولكننا لا نأمل فى الحل السياسى ـ

وان الحل الوحيد لما يمكن ان تسميه بازالة اثار العدوان هو ان تصبح قواتنا المسلحة قادرة على معركة التحرير بابعادها الجديدة وان تصبح الجبهة الداخلية على استعداد كامل للمعركة ــ كما حذر وزير الخارجية من انه اذا استطاعت الولايات المتحدة ان تفصل بيننا وبين الاتحاد السوفيتي فانها تكون قد كسبت المعركة دون ان تطلق رصاصة واحدة •

وبعد أن استعرض الفريق صادق الجهود المبذولة لرفع مستوى الكفاءة القتالية لقواتنا أكد على أنه من خلال الاسلحة المتطورة لن تكون القضية الاساسية للجبهة المصرية هي قضية عدد المقاتلين وانما نوعياتهم ومدى قدرتهم على استيعاب السلاح •

وقدم أعضاء المؤتمر عشرات من الاسئلة والتساؤلات على ضوء التقارير التي قدمت للمؤتمر ــ وتولى الرئيس السادات الاجابة عليها بعد تجميعها وتنسيقها وكانت اجاباته كلها تأكيد على المعاني التي أوردها في خطابه وأعلن خلال اجاباته نقطتين هامتين :

أولهما انه يرى تأجيل انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي وتشكيل التنظيم الطليعي العلني الى مــا بعــد المعركة حتى يكون معيار الاختيار هو مدى مشاركة كل فرد في المعركة •

ثانيهما انه سوف يحيل الى اللجنة المركزية بحث قضية ما اذا كان من الممكن أن يعود الى الذين فرضت عليهم الحراسة جزءا من أراضيهم •

وسجل المراقبون الذين تابعوا الدورة الطارئة للمؤتمر القومي حيوية المناقشات التي دارت في مؤتمرات المحافظات وداخل اللجان الخمسة التي شكلها المؤتمر لدراسة وتنقيح مقترحات وآراء الاعضاء •

وقد عبرت غالبية الاقتراحات والتساؤلات عن اتجاه عام نحو المزيد من الانفتاح ، والتغيير الحقيقي للعلاقات الســائدة داخل التنظيــم وبين التنظيم والمنظمات المساعدة وحول قضية حرية الصحافة ــ وقد أحال المؤتمر توصيات اللجان الى اللجنة المركزية •

وأكد المؤتمر في نهاية بيانه الصادر بنتائج الدورة الطارئة « انه يؤكد الثقة بالرئيس السادات ويقف صفا واحدا من خلفه رائدا لكفاحه وقائدا لنضاله لما يعرفه له من عراقة في الوطنية وأصالة في الجهاد وصلابة في النضــال وعمل دائب لتدعيم الحريات » •

●

جلسات غنية بحوار ساخن

يعطي المراقبون ــ في العادة ــ أهمية خاصة لعملين اساسيين من أعمــال مجلس الشــعب ــ وهما مناقشة السياسة العــامة للحكومــة والمناقشة السنوية للميزانية العامة للدولة ــ لان المسألتين تشملان كافة مناحي الحياة وتمسان في نهاية الامر كافة القوى والفئات الاجتماعية •

وعكست مناقشات مجلس الامة للبيان الذي تقدم به الدكتور **عزيز صدقي** متضمنا سياسة وزارته واتجاهاتها عكست كل ما يدور في المجتمع من مواقف وآراء واتجاهات •

وعلى امتــداد ثلاث جلسات تحــدث فيها ستة وخمسون عضوا من بين ٩٥ عضوا تقدموا بطلب الاشتراك في المناقشة ، ويرى المراقبون أن ثمة اتجاهات محددة قد برزت خلال المناقشة •

فبالرغم من أنه كان هناك اتفاق عام حول قضية حرية الصحافة الا أنه بالنسبة لاعداد الجبهة الداخلية لمرحلة المواجهة الشاملة كان هنــاك اتجاهان متقابلان :

اتجاه اتخذ موقفا واضحا ومحددا بتــأييد الحكومة والدعوة لمساندتها والعمل على انجــاح سياستها ، في اعداد الجبهة الداخلية ، وقــدم للحكومة العديد من الاقتراحات والافكار الــتي تساعدها على شق طريقها أو تضع يدها على مواقع التخلف والتسيب ومظاهر الاسراف القائم على انعدام التخطيط والرقابة •

وكانت كلمات الدكتور **جمال العطيفي ــ أبو سيف يوسف ــ أحمد طه ــ عبد الحميد عطية ــ زهرة رجب ــ الفت كامل ــ عطا سليم ــ د٠ صفوت محيي الدين ــ سيد احمد القاضي ــ فتحي الوكيل ــ حسين مهدي ــ محمد صلاح توفيق ــ** كانت كلمات في مجموعها تأييد ايجابي لسياسة الحكومة وقراراتها على أساس انها جــاءت استجابة موضوعية لمطالب الجماهير والحاحها في اعداد الجبهة الداخلية لتواجه مرحلة الحسم ، وان اجراءات توزيع اعباء المعركة جاءت متأخرة ــ ودعوة الحكومة لضرورة الاسراع في تنفيذ برنامجها وان تكون الاجراءات التي أعلنتها ليست الا خطوة على الطريق وبداية لاجراءات أخرى •

وفي هذا الاتجاه طرحت اقتراحات بفرض ضريبة على اجمالي الثروة لكل مواطن وهي الضريبة التي طبقت في فرنسا خلال الحرب وضرورة اسهام رؤوس الاموال جميعها في أعباء المعركة وكذلك التأمين الاجباري ضد أخطار الحرب والغاء بدلات التمثيل بجميع أنواعها وتحويل جزء من العلاوات والبدلات التي يحصل عليها كبار الموظفين الى

سندات جهاد ــ وعدم جواز أن يتجاوز مرتب أى موظف مرتب الوزير حيث تصل بعض المرتبات والمحولات والبدلات الى ١٠ آلاف جنيه • ودعا الى مواصلة الحد من الاسراف وضرورة تقديم المزيد من الخدمات للجماهير وعدم رفع الاسعار •

وحذر هذا الاتجاه من أن بيان الحكومة سوف يثير القوى المضادة ــ وأن كل مشروع ثورى يواجه دائما باعتراضات قد تبدو فى ظاهرها سنية من الوجهة الفنية ــ كما حدث عندما صدر قانون الاصلاح الزراعى الاول ــ كما دعا الاتجاه الراسمالية الوطنية لتقبل هذه الاجراءات والمزيد منها لان الاعباء المفروضة عليها أقل بكثير من الاعباء التى فرضت ابان الحرب العالمية الاخيرة فى دولة رأسمالية كانجلترا •

وفى الناحية الاخرى من المناقشة ، كان هناك اتجاه عبر عنه **مصطفى كامل مراد ومصطفى كمال أبو ريه وأحمد أبو زيد طنطاوى ونصر عبد الغفور وعبد المجيد العشرى ومحمود أبو وافيه وحسين حمدى سالم وأحمد يونس وعبده مراد** تراوح مواقفه بين المعارضة الصريحة لفرض ضريبة على الحدائق أو تقديم اعتراضات فنية وبيانات وصلت بانتاجية الفدان من الحدائق الى عشرة جنيهات • وانتقد البعض التشكيل الوزارى من ناحية الشكل وتجاهل البعض الاخر بيان الحكومة كلية • وانتقد البعض انهاء برامج التليفزيون الساعة ١١ مساء وطالب البعض الاخر بالسماح بتمليك السفن الكبيرة (أكثر من ألف طن) للافراد وانتقد الاستاذ مصطفى كامل مراد أسلوب عمل الوزارة وعلاقتها بالمجلس مخاطبا الحكومة « ان المجلس سلطة اعلى منكم فهو يراقبكم ويحاسبكم ويمنحكم الثقة أو لا يمنحكم اياها » •

وبقدر التباين الذى ظهر حول الموقف من بيان الحكومة فان تجمعا واسعا من مختلف الاتجاهات تبلور حول مشكلة حرية الصحافة ــ اشترك فيه **مصطفى كامل مراد ، وزكريا لطفى جمعه ومحمود أبو وافيه ومحمود أحمد نافع والبرت برسوم سلامة وعبد القادر البحراوى وابو سيف يوسف** •• وقد اكدوا جميعا على اهمية حرية الصحافة وضرورة رفع الرقابة عنها فيما عدا ما يخص الاخبار العسكرية ــ وانه اذا رفعت الرقابة عن الصحف فان هناك مشكلات كثيرة يمكن حلها •

واعطى أبو سيف يوسف بعدا اعمق لقضية الديمقراطية عندما دعا الى توسيع الديمقراطية داخل الاجهزة الادارية وداخل القطاع العام ــ وان ذلك سوف يساعد على الحد من الانحراف •

وككل مناقشة دارت من قبل فى مجلس الشعب كان الريف والتعاون الزراعى ومشكلاته موضع اهتمام الكثيرين امثال : **عطا سليم ــ احمد يونس ــ مهدى شومان ــ السعيد البيلى ــ ايهاب مقلد ــ أبو الفتوح الجندى ــ السيد على أحمد مكاوى سيد أحمد القاضى ــ أحمد الجبالى ــ بكر عبد الواحد ــ سعد بشير ــ عبد الله سليمان رزق ــ أبو سيف يوسف ــ فتحى سالمان ــ محمد خليل حافظ** •

وتركزت الشكوى حول ما يعانيه الفلاحين من عدم دقة حساباتهم وان البطاقة الزراعية لم تستعمل كسند للمحاسبة حتى الان بالرغم من نص القانون على ذلك ، ومن الاسلوب المتبع فى نظام التسويق التعاونى ، والنقد الموجه الى الجمعيات الزراعية على أنها تحولت الى محلات بقالة تتاجر فى مستلزمات الانتاج • وان هناك الفى جمعية لا توجد بها الات زراعية ــ ومشكلة تعدد الاجهزة التى تشرف على الجمعيات التعاونية مثل وزارة الزراعة وبنك التسليف وهيئة التعاون الزراعى وكذلك ضعف الرقابة على الحركة التعاونية •

وطالب البعض بحل الاتحاد التعاونى الزراعى لانه لم يقم بنزول ، كما طالب بدوره التعاون الاستهلاكى للقرية وتصنيع الريف ، والبحث عن محاصيل بديلة للمحاصيل التقليدية ، وتصنيع المحاصيل الحقلية والبستانية وتحديد ثمنا جبريا للاذرة الشامية وهى الغذاء الرئيسى للفلاح وابناء الريف وطالبوا باسقاط سلف بنك التسليف وكذلك تشكيل الجمعيات التعاونية فى الريف ــ لتكون ممثلة فعلا لصالح ٩٣ فى المائة من الملاك الذين لاتزيد ملكيتهم عن خمسة افدنة ، وهم قطاع الفلاحين والزراع العاملين بايديهم ، وان تكون هناك هيئة واحدة تشرف على التعاونيات بمختلف انواعها •

وفيما عدا عضو واحد (**احمد الجبالى**) الذى طالب بالغاء التسويق التعاونى نهائيا ــ فان الاتجاه كان هو البحث عن اسلوب للتطبيق يتفادى السلبيات التى يشكوا منها الفلاحين فى نظام التسويق التعاونى الحاضر وبشكل خاص مشكلة تحديد الرتب •

وتناول **محمد خليل حافظ والفت كامل ومنير الفقى** مشكلات الحرفيين والتى تتركز فى ضرورة حصولهم على الخامات المطلوبة ، لهم وبالمقاسات والاحجام المطلوبة لعملهم ، والا يفرض عليهم شراء خامات لا تصلح لهم ، وضرورة العناية بتسويق انتاجهم وخاصة بالنسبة للتصدير • والمطالبة بايجاد جهاز مركزى للاشراف عليهم والاهتمام بتأمين مستقبلهم فى حالات الشيخوخة والعجز •

وكانت مشكلات التعليم والمواصلات والتموين والشباب ومشكلات عائلات المجندين والمهجرين موضع اهتمام **القمص بولس باسيلى ومحمد صالح النبع وعبد الرءوف شبانة ورفاعه القليسى وابراهيم السيد الشويخى والسيد البيلى ومحمد عطية ومحمد عقل وعبد القادر النحراوى وايهاب مقلد** •

ولوحظ فى المناقشة ان العضو عبده عبد المنعم

مراد قصر حديثه على قانون الاحكام العسكرية وان العضوين سيد احمد ادريس ومحمد تمام الشجنى قصرا حديثهما على مسائل محلية خاصة بمناطقهم .

وأكد الدكتور عزيز صدقى فى كلمة امام المجلس تعقيبا على المناقشات التى دارت ، أن طريق الاشتراكية حقيقة وفعلا لا قولا أو شعارا هو طريق هذه الحكومة ولن تحيد عنه تحت أى ضغط ولن تصرفنا عنه معارك جانبية يحاول ان يختلقها البعض . »

ووضح الدكتور عزيز صدقى محاولات التشكيك فى الاصدقاء الذين يقفون معنا فى الحرب والسلم، والتشكيك فى قدرة الجبهة الداخلية على الصمود والتشكيك حتى فى هذه الوزارة التى جاء تشكيلها بتكليف واضح ومحدد من القائد باعداد الجبهه الداخلية للمواجهة الشاملة مع العدو الاسرائيلى المدعم بالتأييد الكامل من الولايات المتحدة احاطتها أبواق الدعاية المضادة بالتشكيك فيها ، وفى جدية عملها ووصفتها بأوصاف متناقضة .

واعلن الدكتور عزيز صدقى فى كلمته الختامية تعهد الحكومة بحل مشاكل تعامل الفلاحين مع بنك التسليف والجمعيات التعاونية فى فترة زمنية محددة وان تضع من الاجراءات ما يكفل ضبط حسابات الفلاحين والقضاء على الشكاوى التى ترد من الجمعيات التعاونية وقصورها بما يكفل قيام الجمعيات بدورها التعاونى الصحيح فى خدمة الفلاح والزراعة — كما أكد على ان الحكومة سوف تتخذ اللازم لكى تنقى برامج أجهزة الاعلام من كل ما لا يحقق الهدف الصحيح فى هذه المرحلة سواء فى البرامج أو المعانى أوفى الجدية .

وبعد انتهاء مناقشة بيان الحكومة والموافقة عليه واصل مجلس الامة جذب الاضواء وشد انتباه المراقبين والمواطنين وذلك خلال مناقشته للقانون الخاص بالحكم المحلى وتشكيل المجالس الشعبية التى تمت تشكيلاتها بالتعيين فى سبتمبر الماضى — والذى طرح على المجلس طبقا للدستور — لصدوره خلال فترة غيبة المجلس .

لقد عارض المجلس القانون على اساس مخالفته للمادة ١٦٢ من الدستور التى تنص صراحة على تشكيل المجالس الشعبية تدريجيا بالانتخاب وان يكون نصف اعضاء كل مجلس على الاقل من العمال والفلاحين — فقد تم تشكيل المجالس الشعبية بالتعيين ولم تتوافر فيها النسبة المقررة للعمال والفلاحين .

وقد أحال المجلس القانون الى اللجنة التشريعية لاعادة نظره على ضوء رأى المجلس

الـوزارة الجـديدة واعداد الدولة للحرب

استهلت الوزارة الجديدة التى تشكلت فى الاسبوع الاخير من شهر يناير الماضى — برئاسة الدكتور عزيز صدقى — استهلت عملها باصدار مجموعة من القرارات الهامة — اعتبرها المراقبون خطوة جادة فى الاتجاه الصحيح نحو خلق مناخ جديد — يجعل الجبهة الداخلية على مستوى المواجهة الشاملة .

والاساس الذى أعلنت الوزارة الجديدة أنه حكم الاتجاه العام لهذه القرارات هو ان يتوفر فيها الاتجاه الى تحويل اقتصادنا الى اقتصاد حرب يخدم المعركة — وتقوم القرارات على ان يكون للاستثمارات التى تخدم المعركة الاولية — وألا ينفق أى مال فيما لا يخدم المعركة وفيما ليس له ضرورة — ووقف استيراد ماهو كمالى وليس ضروريا للمعركة وتجنب التبذير والاسراف وتحقيق التقشف . على أن يكون تحقيق ذلك كله يعنى فى المقام الاول توزيع اعباء المعركة توزيعا عادلا على جميع الفئات بحيث تتناسب مع دخول كل منها وأن من اعطاهم الوطن الكثير عليهم ان يكونوا أكثر عطاء فى هذه المرحلة من تاريخ وطننا وألا يكون معنى اعداد الدولة للمعركة — هو اهمال المشاكل الحقيقية للجماهير .

وفى اتجاه خفض نفقات الجهاز الحكومى ومؤسسات وشركات القطاع العام تقرر :

- اخلاء ثلاثة آلاف شقة مؤجرة لمصالح حكومية ومؤسسات قطاع عام .
- خفض ٢٠ فى المائة من عدد التليفونات المركبة فى الوزارات والمؤسسات
- خفض وقود السيارات بنسبة ٢٠ فى المائة .
- خفض نفقات الاعلان والحفلات والاستقبالات بنسبة ٥٠ فى المائة
- حظر شراء سيارات ركوب جديدة أو اثاثات للمكاتب وقصر سفر المسئولين الى خارج البلاد للضرورة القصوى
- الغاء امتيازات كبار المسئولين فى الحكومة والهيئات التى لا تستند الى قانون أو لائحة ومنها السيارات الخاصة واشتراكات السفر المجانية والمخفضة .

وبالنسبة لهذه المجموعة من القرارات فقد تقرر عدم السماح بتأجير الشقق التى تم اخلائها الا بعد وضع قواعد منظمة لذلك لمنع الاستغلال — كما تقرر متابعة أسبوعية لمدى تنفيذ هذه القرارات فى مختلف المجالات .

كما اصدرت الوزارة مجموعة أخرى من القرارات فى محاولة للقضاء على مظاهر الثراء

غير المشروع ، وحالات التهريب والتسيب وعدم الجدية وفى مقدمة هذه القرارات :

● حظر استيراد وعرض أو بيع السلع الكمالية الاستهلاكية المستوردة وقصر بيعها فى محلات البيع بالعملة الصعبة للاجانب

● زيادة الرسوم الجمركية مع السلع الكمالية الواردة للاستعمال الشخصى بنسبة ٥٠ فى المائة ٠

● رفع رسم التمغة على المراهنات بأنواعها الى ٢٠ فى المائة بدلا من ١٠ فى المائة والى ٢٥ فى المائة من ايرادات الكازينوهات ٠

● قصر تجارة الجملة فى الداخل بالنسبة للسلع التموينية الاساسية وهى الدقيق والزيت والسكر والشاى والبن والصابون والمسلى والاقمشة الشعبية على شركات القطاع العام

● اتخاذ الاجراءات الحازمة للقضاء على وسائل الكسب غير المشروع وعلى حيل الوسطاء ووسائل الدخول الطفيلية التى تنتزع جانبا لا يستهان به من الدخل القومى دون اسهام فى عملية الانتاج

● تقرر قصر الارسال التليفزيونى على قناتين فقط وانهاء الارسال التليفزيونى الساعة ١١ مساء وكذلك العروض المسرحية والسينمائية ٠

● زيادة الاعتماد المخصص لرعاية أسر المقاتلين من ٦٥٠ الفا الى مليون و ٤٨ الفا وبالنسبة للعاملين تقرر :

● المساواة بين عمال القطاع الخاص والقطاع العام فى الحد الادنى للاجور وفى الاجازات

● تعميم بدل طبيعة العمل على كل العاملين فى الانتاج

● تخصيص حصيلة الـ ١٥ فى المائة من ارباح الشركات فى كل منطقة لتطوير الخدمات للعاملين فى المناطق الصناعية بالاضافة الى اعتمادات الدولة الاخرى

كما اتخذت الوزارة قرارين هامين :

الاول : أن تتحمل الحكومة نصف تكاليف مقاومة الافات الزراعة بدلا من الفلاحين ـ على ان يتم توفير الاعتمادات اللازمة لذلك من حصيلة فرض ضريبة قدرها عشرون جنيها على كل فدان مزروع حدائق ٠

الثانية : حظر استيراد السيارات التى تعمل بالديزل وفرض ضريبة اضافية قدرها عشرة جنيهات على السيارات التى تعمل بالديزل وتلك التى تعمل بالبنزين وسعة سلندراتها اكثر من ١٥٠٠ سم على ان تخصص الموارد التى تتحقق من هذا القرار لاصلاح الطرق ٠

ولقد حرص الدكتور **عزيز صدقى** وهو يقدم برنامج وزارته على ان يؤكد « انه من أوجب الواجبات علينا ان نؤكد دواما وباستمرار على الوجه الاجتماعى لثورتنا ـ وان نؤكد دواما وباستمرار على اشتراكيتنا وان نحافظ على كل مكاسبنا الاشتراكية وعلى كل انجازاتنا الاشتراكية وان ندعمها ونتوسع فيها لانها كانت السبب فى العدوان وهى مصدر قوة لنا فى المعركة الشاملة وهى السبيل الى تأكيد وحدتنا الوطنية القادرة على التصدى لكل التحديات مهما كانت شراستها وضراوتها » ٠

●

■ سوريا

جبهة وطنية ديمقراطية

قوبل نبأ اعلان **ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية** فى سوريا بترحاب حار من جانب القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى ٠ وكان حزب البعث الحاكمفى سوريا قد توصل فى أوائل الشهر الماضى الى اتفاق مع التنظيمات الوطنية الاخرى والتى تشترك معه فى الوزارة بشأن صيغة الميثاق ، وهذه التنظيمات هى : **الاتحاد الاشتراكى العربى ، والحزب الشيوعى ، وحركة الوحدويين الاشتراكيين ، وحركة الاشتراكيين العربى** ٠

وكانت اللجنة التحضيرية التى تضم ممثلين من التنظيمات الوطنية والتقدمية الاربع ، والتى تشكلت فى شهر مايو الماضى برئاسة **محمود الايوبى** نائب رئيس الجمهورية قد انتهت من مناقشة صيغة الاتفاق لقيام الجبهة وتحديد مهمتها وأساسها التنظيمى الداخلى ٠٠ وقد استطاعت اللجنة بمهارة ووعى أن تتغلب على جميع العقد والحساسيات وسلبيات المراحل الماضية وان تنمى وتدعم حصيلة ايجابيات التاريخ النضالى للشعب السورى ، وقد اظهرت المناقشات الصريحة التى جرت بين ممثلى التنظيمات ، وتعرضت لمختلف القضايا والمشاكل ايمان وحرص الجميع على تجنيب سوريا أسباب الضعف الناتج عن تفتيت وحدة القوى الوطنية وبعثرة جهودها وذلك باقامة الجبهة على أسس ديمقراطية تمثل انجازا وطنيا هاما ٠

وكانت القيادة الحالية لحزب البعث بزعامة حافظ الاسد والتى جاءت الى السلطة فى ١٦ ـ ١١ ـ ١٩٧٠ قد تعهدت منذ اليوم الاول بقيام الجبهة الوطنية التقدمية ، ودعوة جميع التنظيمات الوطنية التقدمية فى سوريا الى المشاركة فى السلطة الى جانب حزب البعث ، ولقيت تجاوبا متزايدا ٠ وتحققت هذه المشاركة فى السلطة

التنفيذية ثم فى تشكيل مجلس الشعب فى فبراير ١٩٧١ اذ ضمت ائتلافا حزبيا احتفظ البعث داخله بالاغلبية كما فعل فى الوزارة ، فمن بين مجموع أعضاء المجلس (١٧٣) له ٨٥ وللقوى السياسية الاربع ٤٠ وللقطاعات الاخرى كالهيئات المهنية والنقابية والحكومية ٤٨ عضوا من بينهم ضباط جيش و ٤ سيدات والمفتى السوى

وينص الميثاق على حرية النشاط السياسى لكل من التنظيمات المشتركة فى الجبهة الى جانب حزب البعث . وذلك باستثناء القطاع العسكرى الذى يقتصر النشاط فيه على حزب البعث وحده ، « باعتباره الحزب القائد للجبهة الوطنية التقدمية » ، كما ينص الميثاق على قفل باب العضوية للتنظيمات السياسية الاخرى بالنسبة لقطاع الطلبة على الاعضاء الحاليين ·· وقد تقرر تشكيل **مكتب سياسى للجبهة** من ١٦ عضوا ، منهم ٨ أعضاء من حزب البعث و ٨ من التنظيمات اربع الاخرى ، **برئاسة الفريق حافظ الاسد** ، رئيس الجمهورية السورية ، ويمثل الاتحاد الاشتراكى العربى الدكتور جمال الاتاسى امين عام الاتحاد الاشتراكى العربى ، وراغب قطان الامين المساعد ، ويمثل الحزب الشيوعى السورى خالد بكداش أمين عام الحزب ويوسف فيصل ، ويمثل حركة الاشتراكيين العرب،عبد العزيز عثمان وعبد الغنى قنوت ، ويمثل الوحدويين الاشتراكيين فايز اسماعيل ومحمود ممتاز .

ويحدد الميثاق أن مهمة الجبهة الوطنية الديمقراطية هى : اقرار مسائل الحرب والسلم ، وتوجيه الخط السياسى والاعلامى والاقتصادى للدولة ، وتعبئة الجماهير الشعبية من أجل المعركة ، وتحقيق الوحدة العربية ، واستكمال المؤسسات الدستورية ، والبناء الديمقراطى للمنظمات الشعبية والمهنية .

وقد تقرر أن يدخل حزب البعث والاحزاب الاخرى المشتركة فى الجبهة انتخابات المجالس المحلية ، التى ستجرى فى جميع المدن والمحافظات السورية فى ٣ مارس الحالى ، بقوائم موحدة ، والعمل على توفير المناخ الديمقراطى العام والفرص المتكافئة للمرشحين المستقلين ، ومهمة هذه المجالس الاشراف على تنفيذ الخدمات العامة ومشاريع التنمية وتحقيق الرقابة الشعبية على الاجهزة التنفيذية ·

هذا ويلقى ميثاق الجبهة دعما وتأييدا كبيرا داخل البلاد من جانب الجماهير الشعبية غير المنتمية الى الاحزاب ، على أساس أنه الطريق الديمقراطى الواقعى لتعبئة القوى الاجتماعية المختلفة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة ·

■ المقاومة الفلسطينية ■

المقاومة تعود للعمل فى قلب تل أبيب

بعد اجتماعات دامت ثلاثة أيام (من ٨ ــ ١٠ فبراير) ، قررت **اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير** الفلسطينية تشكيل لجنة سباعية من بين قادة العمل الفدائى لوضع « **برنامج عمل** » لتحقيق أهداف المقاومة فى المرحلة الحالية · وقد وضع أمام اللجنة اقتراح بالدعوة لمجلس وطنى فلسطينى موسع يعقد بالقاهرة · وبعد عدة اجتماعات أعدت اللجنة السباعية مقترحات تهدف الى تحقيق **وحدة فصائل المقاومة** سياسيا وعسكريا وتنظيميا وإعلاميا · وذلك بالغاء المكاتب الاعلامية للمنظمات المختلفة ، واستبدالها بمكاتب اعلامية موحدة ، وانشاء مجلس أعلى للاعلام ·

وفى لبنان تفجرت أحداث خطيرة فى مجال العلاقة مع المقاومة ، بدأت بتصعيد اسرائيل لهجماتها على جنوب لبنان · ثم وقعت عدة انفجارات فى مبنى صحيفة **لسان الحال فى بيروت** ومقر **حزب الكتائب** اللبنانى ، وانفجارات أخرى فى بيروت وصيدا وطرابلس بلبنان ·

وفى التاسع عشر من يناير الماضى وجهت اسرائيل **انذارا شديدا** الى لبنان طالبت فيه بوقف النشاط الفدائى المنطلق من لبنان ، وهددت اسرائيل بالاقامة « بصورة دائمة فى جنوب لبنان » · وفى رسالة الى الملوك والرؤساء العرب قال الرئيس اللبنانى **سليمان فرنجية** « ان كل الدلائل تحمل على الظن بأن العدو يعتزم القيام بعملية عسكرية فى المستقبل القريب جدا » · وعلى المستوى الدولى وجه لبنان الى مجلس الامن والى أعضائه الدائمين احتجاجا وتحذيرا بهذا الشأن ·

وفى حديث له الى **الاهرام** قال **ياسر عرفات** أن الانذار الاسرائيلى يهدف الى « جر حركة المقاومة الى معركة مع الجيش اللبنانى ··· وأن التهديدات الاسرائيلية ما هى الا انعكاس واضح لقوة الضربات التى وجهتها المقاومة ضد سلطات الاحتلال فى الاسابيع الاخيرة » · وتحدث عرفات عن قصف الاسرائيليين لقرى الحدود اللبنانية ، فقال أنها تهدف الى احداث « ثغرة بين المواطن اللبنانى والعمل الفدائى ، ولاحداث الخلاف بين الجيش اللبنانى ورجال المقاومة توقعا لحدوث الصدام بين الجانبين » ·

وفى ٣٠ يناير الماضى كانت قد جرت محاولة لاغتيال **ياسر عرفات** فى لبنان · ففى طريقه الى

معسكر للاجئين فى شمال لبنان ، حدث ان انقلبت فجأة سيارة الحراسة التى تتقدم سيارته ، الا أن سيارة عرفات تفادتها ونجا أبو عمار من الموت ٠

وفى ١٢ فبراير افتعل بعض المتنكرين فى زى فدائيين فلسطينيين من منظمة **الصاعقة** ، صداما بالمدافع الرشاشة مع رجال البوليس اللبنانى أصيب فيه فدائيان بجراح خطيرة ٠ وسرعان ما اكتشفت المقاومة أن هؤلاء المتنكرين ليسوا الا عملاء « للاستخبارات الاردنية » ٠ وقد قامت المقاومة بتسليمهم الى السلطات اللبنانية ٠

وقد تلقت السلطات اللبنانية معلومات من السلطات السورية ، تربط بين حوادث القاء المتفجرات التى جرت فى بيروت وبين حادث الانفجار الذى وقع فى جامعة دمشق فى يناير الماضى ٠ وتؤكد المعلومات أن منفذى هذه الحوادث قد أرسلتهم اسرائيل من الضفة الغربية للاردن ، بعد الحصول على تسهيلات من السلطات الاردنية ، بهدف احداث صدام بين السلطات اللبنانية وحركة المقاومة ٠

وقد شهد فبراير الماضى تصعيدا ملحوظا فى حركة المقاومة ، سياسيا وعسكريا ، داخل الارض المحتلة ٠٠ فكرد فعل على اعلان الحكومة الاسرائيلية عن عزمها اجراء الانتخابات للمجالس البلدية فى ٢٤ مدينة وقرية فى الضفة الغربية ، غمرت الضفة الغربية ، صباح يوم ٣٠ يناير ، المنشورات الموقعة باسم « **الحركة الشعبية للمقاومة فى الضفة الغربية** » ، تندد بمؤامرة الانتخابات وتحذر الجماهير من أنها تهدف الى اضفاء صفة الشرعية على الاحتلال الاسرائيلى ، ومن المعروف أن هذه الحركة لم تكن قد مارست نشاطا قبل ذلك التاريخ ٠

كما تضاعفت عمليات المقاومة العسكرية داخل اسرائيل ٠ فشن الفدائيون عدة هجمات فدائية فى مناطق مختلفة من المرتفعات السورية وسيناء وغزة ٠ ولوحظ ان تركيزا شديدا قد جرى على العمليات العسكرية داخل المدن الرئيسية فى الارض المحتلة ٠ فقد القيت قنبلة ، يوم ٥ فبراير ، على مطعم بمدينة « **هولون** » جنوبى تل أبيب ، أدت الى تدمير المبنى ٠ كما نسف الفدائيون ، فى اليوم التالى ، مبنى الحكومة فى حيفا ، ودمروا عمارة ضخمة بشارع هرتزل بتل أبيب تضم مستودعات ومحال تجارية ٠ كما قاموا بهجوم مفاجىء بالقنابل اليدوية على مطعم فى تل أبيب ٠ وفى العاشر من فبراير ، اشتعلت النيران فى بعض مخازن الجيش الاسرائيلى فى حيفا ، نتيجة انفجار عبوات ناسفة وضعها الفدائيون ٠ كما دمر الفدائيون فى نفس اليوم أحد نوادى الطلبة فى حيفا ٠ وفى فجر الخامس عشر من فبراير جرى نسف مطعم كبير فى تل أبيب ٠ وفى دمشق أعلنت قيادة المقاومة أن رجالها هاجموا مطعمى « **تيكى** » و « **باروفيو** » فى تل أبيب بالقنابل ٠ وفى مساء اليوم التالى شب حريق ضخم التهم مصنع « **أمبا** » للاجهزة الكهربائية ، وهو أكبر مصنع لهذه الاجهزة فى تل أبيب ، وقد قدرت الخسائر بملايين الليرات الاسرائيلية ٠

وتحمل الايام القليلة القادمة امتحانا لقدرة حركة المقاومة وفعاليتها ، وذلك باجراء المرحلة الاولى من انتخابات الضفة الغربية المحتلة يوم ٢٦ مارس الحالى ، كما أن نجاح المقاومة فى توحيد فصائلها سيحدث تغييرا كيفيا داخل حركة المقاومة مما يزيد من تأثيرها ويعيدها لها حيويتها وقوتها ٠

●

القدس

المؤتمر الصهيونى الثامن والعشرون

فيما بين ١٨ و ٢٨ يناير الماضى ، وتحت شعار « **مواجهة التحديات التى تواجه اليهود والحركة الصهيونية** » انعقد المؤتمر الصهيونى الثامن والعشرون فى القدس ٠

وقد اشترك فى المؤتمر ٥٢٥ مندوبا اتوا من ٢٦ دولة ، الا أن النصيب الاكبر فى المندوبين كان لاسرائيل والولايات المتحدة ، اذ خص الاولى ٣٨ فى المائة من المندوبين ، فى حين خص الولايات المتحدة ٢٩ فى المائة ، هذا بالاضافة الى مائتى مراقب من مختلف انحاء العالم الغربى ٠

وقبل انعقاد المؤتمر ، عقد اجتماع خاص ضم المندوبين الاسرائيليين والامريكيين بالاضافة الى ٦٠ من المراسلين والصحفيين من ٢٠ دولة رأسمالية ٠ وجرى الاتفاق فى هذا الاجتماع على أن يكون **الخط الاساسى فى المؤتمر الصهيونى هو : تشديد الهجوم على الاتحاد السوفيتى** ٠

وتمهيدا لهذا الخط ، زادت محطات الارسال الاذاعى الموجهة ضد الاتحاد السوفييتى ، بلغات اليديش والعبرية والروسية ، من برامجها وساعات ارسالها ٠

وعند افتتاح المؤتمر وعلى مقربة منه ، وقع صدام بين المتظاهرين المعادين له وبين البوليس الاسرائيلى ٠ حيث كان قد تجمع أكثر من اربعمائة متظاهر ينتمى معظمهم الى منظمة « **الفهود السود** » ومجموعات اليسار الجديد الاسرائيلية ٠

وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات أهمها القرار

الخاص بضرورة دعم القدرة العسكرية لاسرائيل فى مواجهة الدعم السوفييتى لمصر • وقرار آخر يلح على الزعماء الصهيونيين بضرورة الانتقال الى اسرائيل أو الاستقالة من الحركة الصهيونية • ولعل أخطر قرارات المؤتمر هو ذلك القرار القاضى بضرورة هجرة كل الصهيونيين الى اسرائيل ، وفصل كل من يتخلف عن الهجرة بعد ستة أعوام من عضوية المنظمة الصهيونية العالمية • وهى المنظمة التى تضم ٩٠٠ر٠٠٠ عضو فى اسرائيل وانحاء العالم •

ومن الامور ذات الدلالة ، أن معظم القرارات قد اجيزت بأغلبية ضئيلة ، وان التناقضات قد احتدمت بين المؤتمرين الى درجة الاشتباك بالايدى أكثر من مرة • وانسحاب وفد « هداسا » الامريكى الصهيونى من الجلسة الختامية احتجاجا على اقرار مشروع الهجرة •

ويعد هذا المؤتمر ، فى التحليل الاخير ، نجاحا ساحقا للاتجاه الاكثر تشددا داخل الحركة الصهيونية ، والذى يتزعمه حكام اسرائيل •

ومن المعروف أن هؤلاء قد نجحوا فى منع **ناحوم جولدمان** ـ الرئيس السابق للمؤتمر الصهيونى ـ من حضور جلسات المؤتمر • وقد عرف عن **جولدمان** ـ الرئيس السابق للمؤتمر الصهيونى ـ العربى الاسرائيل ، ومطالبته بخضوع اسرائيل للمنظمة الصهيونية ، وهو عكس ما ينادى به حكام اسرائيل • مما فجر الخلاف بينه وبينهم ، علنا ، منذ حوالى ثلاث سنوات •

وبهذا المؤتمر تكون الحركة الصهيونية قد انتهت الى السير فى الطريق الاكثر تشددا من الناحية العدوانية فى مجال الصراع العربى الاسرائيلى والهجرة اليهودية الى اسرائيل •

■ تونس

ما وراء الصراع على السلطة فى تونس

بعد اجتماع دام خمس ساعات لمجلس الوزراء التونسى ، أعلن **الهادى نويره** رئيس المجلس اغلاق كليات الاداب والحقوق والعلوم الاقتصادية بجامعة تونس الى نهاية شهر سبتمبر القادم • وبعد مناقشة هذا القرار فى الجمعية الوطنية التونسية ، صدر قرارها بتأييد موقف الحكومة وتحية مبادرتها فى هذا الصدد • وتتلخص الحجج التى قدمها المسئولون الحكوميون للحصول على موافقة البرلمان على هذا القرار ، فى قول وزير التربية والتعليم ، ان حركة الطلاب ترتبط « **بالهستيريا الايديولوجية** » ، وترمى الى « **خلق موقف ثورى على اساس من صراع الطبقات** » ، أما رئيس الوزراء فقد ركز حججه سواء فى البرلمان أو الصحافة على :

● ان أيد أجنبيـة فى الشرق العربى وفى أوربا ، تقف وراء حركة الطلاب الاخيرة •

● ان هذه الحركة ليست ذات طابع فئوى أو نقابى ، تتعلق بمطالب طلابية ، بل ان لها أهدافا سياسية واضحة ومحددة •

● أنه سيستخدم كل الحسم اللازم حتى « لا يمتد هذه الجريمة فعلا الى المدارس الثانويه » ، على حد تعبيره •

ولكن سبق السيف العزل وامتد الاضراب فعلا الى طلاب الثانوى ، واستمر اضراب طلاب الجامعة ، رغم اعلان الحكومة انها سحبت المنح الدراسية والرواتب التى تمنحها لهم للضغط عليهم • الامر الذى يؤكد أن مصير البلاد ومستقبلها ، هو القضية التى تشغل بال الطلاب ، لا مصالحهم كفئة ضيقة ، وانهم فى هذا يعبرون عن ضمير ووجدان أمتهم ، وانهم على استعداد لتحمل كل النتائج المترتبة عليه • وبالفعل فقد رفع الطلاب شعارات سياسية ـ ذكرها الهادى نويره فى البرلمان ـ وهى : ان ١٤ عاما من الحكم البورقيبى يساوى ١٤ عاما من القهر والارهاب ، وان المسئولين باعوا البلاد لامريكا مقابل الدقيق (أشـارة الى المساعدات الامريكية لتونس) •

والواقع أن غضبة الطلاب ، واضرابات العمال المتكررة والتى قمعتها الحكومة بعنف وقسوة ، تعكس حالة من « اليأس » من اصلاح نظام الحكم ، خاصة بعد المؤتمر الثامن للحزب الذى عقد فى أكتوبر الماضى والذى اتضح فيه الانشقاق الكامل بين المجموعة الحاكمة ، وتكون تياران ذهبا فى عدائهما لبعضهما كل مذهب • وهما مجموعة الهادى نويره رئيس الوزراء ومحمد المصمودى وزير الخارجية ، ثم مجموعة المستيرى وزير الداخلية والدفاع السابق والباهى الادغم رئيس الوزراء السابق • ورغم ان الحكومة ، وبورقيبة شخصيا ، قد أشرفا على اختيار مندوبى المؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الدستورى (١٠٠٠ مندوب) بحيث يكون ولاؤهم للكتلة التى تحظى بتأييد بورقيبة وهى كتلة الهادى نويره ، ورغم تدخل الرئيس فى أعمال المؤتمر باعلان تأييده « وثقته » فى الهادى نويره ، فان النتيجة جاءت على عكس ما يشتهى • فقد فازت الكتلة الاخرى (الادغم ـ المستيرى) بأغلبية اللجنة المركزية

وبالمراكز الاولى فيها • فقد جاء ترتيب الادغم الاول والمستيرى الثانى • أما رئيس الوزراء فقد جاء ترتيبه السادس • ثم حدثت معركة بين بورقيبة الذى أراد أن يختار هو المكتب السياسى وأمين الحزب ، وبين اللجنة المركزية (٥٨ عضوا) التى رأت أن ذلك من حقها ، وأعلن بورقيبة أنه سيختار ٢٠ شخصا تختار اللجنة المركزية منهم ١٦ عضوا للمكتب السياسى ، وهو ما حدث • ولم يختر بورقيبة من جاء ترتيبهم متقدما فى انتخابات اللجنة المركزية ضمن العشرين الذين اختارهم ، فقد أسقط الادغم والمستيرى واختار بدلا منهم من كان ترتيبهم الاخير فى الانتخابات • ولم يسكت المستيرى فقد أعلن لجريدتى « الفيجارو » و « لموند » الفرنسيتين ، أن المؤتمر كان تأييدا لرجاله ولخطه السياسى ، وانه لن يستسلم للعدوان ، وان امين الحزب يختار ، ولمن يرضى بفرضه •

وحاول بورقيبة تهديد المستيرى واستمالته ، ولكنه لم يرتدع ، فأصدر بورقيبة بيانا باقالته من الوزارة وتجميد وضعه الحزبى لانه يهدد وحدة البلاد والامة •

والغريب أن المستيرى ، الذى أخرج من الحكم مرات من قبل ، قد اختلف موقفه هذه المرة ، واختار التشدد والصراع ، مما يؤكد ضعف موقف بورقيبة وتجرؤ اتباعه على الخروج عليه علنا وصراحة لاحساسهم بضعفه • ويلمح المراقبون لاحوال تونس أن المستيرى ، يحظى بتاييد الولايات المتحدة ، فى حين ان الكتلة الاخرى تحظى بتأييد فرنسا • كذلك فان المستيرى يحظى بمساندة ملاك العاصمة من التجار والبيروقراطيين وملاك العقارات ، أما الكتلة الاخرى ، فتكمن قوتهم فى مدن الساحل ، فى ملاك الاراضى فيه والسماسرة والموظفين أيضا •

وفى صراعه على السلطة ، يعمد المستيرى آن ارتداء زى « ليبرالى » يدعو فيه الى الديمقراطية فى الحزب والحرية السياسية ، ويتهم خصومه بأنهم محافظين • ويقول المراقبون المحايدون فى تونس أن حقيقة الامر أن المستيرى لايختلف كثيرا عن خصومه ، فهو بطل الاطاحة بأحمد بن صالح وزير التخطيط السابق وصاحب سياسة « الاشتراكية الدستورية » والتخطيط على الطراز البورقيبى ، فضلا عن مسئوليته عن مطاردة وتعقب الضباط المعارضين ابان توليه وزارة الدفاع ، مما يوضح أن السلطة فقط هى غايته وهدفه • حتى اثارته للتناقضات الاقليمية « الجهوية » لا تستهدف تحقيق مصالح سكان العاصمة على حساب سكان الساحل ، بل استخدامها كأداة فى صراعه ضد المجموعة الاخرى وهى من الساحل أساسا •

والصراع الحالى يعكس أن حلفاء الامس فى الاطاحة ببن صالح ، قد بدأوا فى التناحر على اقتسام التركة ، وقد أعلن بورقيبة نيته على عقد مؤتمر الحزب — وهو أول مؤتمر يعقد من ٧ سنوات — لانه كما يقول بدلا من أن يقضى على الخلاف فقد فاقمه ، واكد « أن المزيد من الديمقراطية يخلق عدم الاستقرار والفوضى ، كما يحدث فى البلاد الاخرى » • وأعلن أنه يمنح كل ثقته للحرس القديم بقيادة « نويره » — وهو رفيق بورقيبة من عام ١٩٣٦ — وساعده فى مواجهة « صالح بن يوسف » وكان المستيرى وهو أصلا من انصار بن صالح ، قد انقلب عليه بدوره تحت اغراء الفرص التى اتاحها له بورقيبة •

●

■ المغرب

دوامة المغرب الجديدة

بدات فى المغرب محاكمة ١٠٨١ من المتهمين فى قضية التحرك الانقلابى ضد الملك الحسن فى قصر « الصخيرات » فى يوليو الماضى أثناء احتفاله بعيد ميلاده الثانى والاربعين • ولكن الانقلاب فشل نتيجة الخلاف بين قادته فى اللحظات الحرجة حول مصير الملك • فقد رأى بعضهم ضرورة التخلص منه ، فى حين فضل الجنرال مدبوح السماح له بمغادرة البلاد فى سلام ، وأخبر زملاءه — غير صادق — ان الحسن غادر البلاد فعلا فى حين أن هذا كان حبيس الحمام فى القصر الملكى ، مما استثار أحد القواد الاخرين فأطلق النار على مدبوح ورد هذا الاخير بالمثل ، وبذا كتب للحسن حياة جديدة •

وابسط ما يمكن استخلاصه من هذه الواقعة هو ان الانقلاب لم يكن له خط واضح حتى فى المسائل العملية ، وبالطبعلم يكن له خط واضح فى المسائل العملية ، وبالطبع لم يكن له خط سياسى وبرنامج اجتماعى محدد يكفل اتجاها سليما لضربته بما يجعلها مؤثرة ومحققة لنتائجها •

والواقع ان الحركة كانت اساسا نوعا من « السخط التلقائى ، اختلط باغراض خاصة للبعض وان لم يكن هذا هو التيار الغالب والسبب الاساسى لهذا السخط هو الفساد الذى استشرى فى البلاد ، فقد وجد فى منزل الجنرال مدبوح عند تفتيشه بعد الانقلاب صندوقا مليئا بمظاريف بكل منها مبلغ مكتوب عليه تاريخ اهدائه من الملك الحسن لمدبوح ، ووجدت هذه المبالغ كما لم تمس ، مما يؤكد نزاهة الرجل •

ويؤكد المراقبون المطلعون أن الملك الحسن كان قد قتل ٤٥٠ شخصا من ضمنهم معظم قواد جيشه الكبار وضباطه العظام بعد محاولة الانقلاب . وكان ذلك بمثابة صدمة له فالجيش الذى بذل الملك كل جهده ليجعله أداة للحفاظ على عرشه ونظامه ، وجعله حكرا على ابناء الارستقراطية ، قد انقلب عليه وتحرك ضده فى وقت لم يكن الملك فيه يتوقع ذلك .

ورغم أن الملك أدلى عقب الانقلاب بسلسلة من التصريحات العنيفة هدد فيها الشعب عامة والمعارضة خاصة وخيرهم بين الملكية والشيوعية والفوضى ، فان الدرس الذى تلقاه بعدم الامكان الاعتماد كثيرا على الجيش ، جعله يسير فى ثلاثة خطوط متوازية ، هى الحوار مع الاحزاب ، ومحاصرة الجيش ، وما اسماه مقاومة الفساد

ورغم ان المحاكمة الحالية قد تقلل من الانطباع برغبة الملك فى مهادنة المعارضة ، فانه قد يجعل من هذه المحاكمة ورقة فى المساومة مع الاحزاب ، خاصة **الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية** (حزب الشهيد بن بركة) **وحزب الاستقلال** (حزب علال الفاسى) ، واللذان لم يشتركا فى الحكم منذ حل برلمان ١٩٦٥ واخراجهما من الوزارة ، وقد دأب الحزبان من مواقع مختلفة منذ ذلك التاريخ على مقاطعة الانتخاب ودأبت السلطة على مطاردة اعضائهما ، بل وقتل **بن بركة** واختطاف آخرين من قادة الاتحاد ، وتحريم صدور صحف الحزبين وتلفيق المحاكمات لاعضائهما . وقد بدأ الحسن فى شهر اكتوبر الماضى عملية جس نبض للحزبين ، وعقد بالفعل اجتماعين مع **عبدالرحيم بو عبيد** من قيادة الاتحاد ومع **علال الفاسى** رئيس حزب الاستقلال وسمح الملك لصحيفة حزب الاستقلال ، وهى « **الرأى** » بأن تصدر من جديد دون مصادرة ، كذلك عادت الى الظهور صحيفة « **استعلامات المغرب** » المستقلة والتى توقفت عام ١٩٦٨ .

ويقال أن الملك يحاول تكوين وزارة مع هذه الاحزاب ، يحتفظ لنفسه فيها بالوزارات القابضة « وهى الداخلية والدفاع » ويترك للحزبين الاخرين وزارات الاقتصاد ليحقق على حسابها نوعا من الشعبية ولتتحمل هذه الاحزاب مسئولية اقتصاد متدهور فعلا .

ومع الاهتمام بالاحزاب السياسية لم يغفل الحسن الجيش فهو يصر على أن يتولى وزارته ووزارة الداخلية بنفسه ، يعاونه فى ذلك رجال من أمثال **أوفقير** . كما أنه مازال يستخدم سلاح « الرشوة » فميزانية ١٩٧٢ زادت الانفاق على الجيش والداخلية لرفع المرتبات فيها (فى حين خفضت ميزانية الخدمات)

والواقع انه رغم محاولات التطويق والحصار ، سواء بتعيين الاتباع فى القيادة ، أو مراعاة الاصل الطبقى للضباط ، وكذلك تدعيم اجهزة المخابرات والمتابعة والاستعانة فى ملاحقة المعارضة فى الجيش بمخابرات الولايات المتحدة وفرنسا ، فان روح التذمر والسخط وعدم الرضاء تستشرى فى الجيش بفعل :

● الدعاية السياسية التى تروج لها الاحزاب المعارضة خاصة ذات الاتجاه الاشتراكى والقومى (الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، وحزب التحرر والاشتراكية ، ومجموعات الدراسة ، والبحث من الطلاب والدارسين فى الخارج) .

● صور الفساد التى استشرت حتى اصبحت ظاهرة عامة ملحوظة لكل ذى عينين :

● الخط اللاقومى الواضح للحكم المغربى ، وابتعاده عن اى عمل جاد فى سبيل القضايا القومية المشتركة كالقضية الفلسطينية أو غيرها ، وكذلك مناوئتها لفكرة وحدة المغرب العربى

ويتوقع بعض المراقبين لاحوال المغرب ، أن الحسن لو توصل الى اتفاق مع حزبى الاتحاد والاستقلال ـ وهو لن يكون اتفاقا مبدئيا يقوم على أسس راسخة بل على اعتبارات موقوتة حتى فيما يتعلق بتحالف الحزبين نفسهما ـ فان هذا الاتفاق يتوقع له الفشل بسبب أن ظروف المغرب تستدعى قلبا ثوريا لهياكله الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم فان الجيش سيصبح حينذاك مدعوا للتدخل وتولى الامور بنفسه . والصحافة الغربية نفسها تطرح هذا الامر كاحتمال قائم .

والنقطة الاخرى فى سياسة الحسن ، هى ما اسماه مقاومة الفساد والظلم . ففى خطاب تكوين الحكومة الجديدة فى ٤ أغسطس الماضى ـ أى بعد الانقلاب بأيام أعلن الحسن انه « يجب القضاء على ذلك النظام الذى يجعل الاغنياء أشد غنى والفقراء أشد فقرا » ، ويجب اصلاح الاقتصاد والتعليم والقضاء والادارة ، وان كل الامور يجب اعادة تنظيمها على أساس المساواة . وفى ٢٠ أغسطس القى خطابا آخر أكد فيه أن كل مواطن يجب أن يتمتع بمستوى معيشى ملائم ، مسكن مناسب صحى ووسائل مواصلات سهلة ، وسلع استهلاكية حديثة . وانطلق وزراء الحسن ينشرون هذه الاقوال ، وتم تخفيض لبعض الضرائب غير المباشرة على بعض السلع الاستهلاكية ، خاصة السكر والدراجات والراديو الترانزستور ، ولكن هذا التخفيض كان يقل كثيرا عن الزيادة التى طرأت فى الفترة الاخيرة على أسعار هذه السلع . وأدخل نوع من الضرائب التصاعدية ، فالدخل السنوى الذى يقل عن ٢٠ الف درهم (١٦٠٠ جنيه استرلينى) لا يدفع ضرائب ، والذى يبلغ من ٢٠ الى ٣٠ الف يدفع ٣ فى المائة ، اما الذى يزيد دخله عن مليون درهم فيدفع ٣٠ فى المائة .

كما أعلن الحسن زيادة أجر عامل الزراعة من ٣٫٧٥ درهم فى اليوم الى ٥ دراهم ، وكذلك أن يكون أجر العامل الصناعي ٠٫٩٥ درهم فى الساعة ، ولكن هذه أجور « رسمية » خاصة فى الزراعة ، فضلا عن أنها حتى مع تطبيقها لا تكفل مواجهة الارتفاع المضطرد فى تكاليف المعيشة ، مما جعل الاتحاد المغربى للشغل ، والاتحاد العام لعمال المغرب يرفضانها ٠

وفيما يتعلق بالفساد وما يسمي بالحملة عليه ، فقد قبض الحسن على ٩ وزراء منهم **عبد الكريم الازرق** وزير المالية حتى ابريل ١٩٧١ **ويحيي الشفشاوني** وزير الاشغال ، علاوة على عدد من كبار موظفى الدولة ورجال الاعمال بعد افتضاح أمرهم وتقاضيهم رشاوى ، كالرشوة التى دفعتها شركة « **بان اميركان** » وقدرها ١٫٨ مليون دولار للحصول على امتيازات لا تستحقها ، وتمت محاكمة ١٤٦ آخرين ، منهم عدد من ضباط البوليس بتهمة الفساد ، وقالت جريدة « **الكواليس** » المغربية ان الحسن استعاد من بنوك سويسرا ٣٥٠ مليون درهم من أموال المتهمين المهربة ٠ ويقول المراقبون ان هدف الحسن من هذه الاعمال يتمثل فى تحقيق شعبية على حساب قلة من عمد الفساد ، واعداد « ملفات » للباقي لتهديدهم بها حتى لا يشاركوا فى أى عمل ضده ، وانه لا يستطيع ان يمضي بعيدا فى حملة الفساد ، والا قبض على كثيرين من اعضاء الاسرة الحاكمة ومعظم وزرائه وخلصائه ٠

●

■ الصين الشعبية

زيارة كان يمكن أن تكون أكثر فائدة

ركز عدد كبيرمن المراقبين السياسيين على الدلالة السياسية للكلمة التى القاها **شواين لاى** رئيس وزراء الصين الشعبية فى المادبة التى اقيمت فى ٢١ فبراير الماضى تكريما للرئيس **نيكسون** فى بكين ، وقد جاء فى هذه الكلمة : « ان زيارة الرئيس نيكسون تتيح لزعماء الدولتين فرصة اللقاء بصفة شخصية للعمل على اعادة العلاقات بين الدولتين الى مجراها الطبيعى وتبادل وجهات النظر بشأن المشكلات ذات المصلحة المشتركة ٠ وهذا التطور الايجابى يتلاءم مع رغبة الشعبين الامريكى والصينى ، وهو حدث لم يسبق له مثيل فى تاريخ الولايات المتحدة والصين » ٠ كما « ان هناك اختلافات أساسية بين النظامين الاجتماعيين الصيني والامريكى وخلافات كبرى بين الحكومتين ، الا أن هذه الخلافات لا ينبغى أن تحول دون اقامة علاقات طبيعية بين الدولتين على أساس المبادىء الخمسة للتعايش السلمى » ٠ واقترحت الصين علاقات طبيعية بين الدولتين على اساس المبادىء الخمسة للتعايش السلمى » ٠ واقترحت الصين الشعبية على الولايات المتحدة عن طريق شواين لاى فى ٢١ ــ ٢ الماضى اقامة علاقات طبيعية بين الدولتين ، ويعنى ذلك اقامة علاقات دبلوماسية بين واشنطون وبكين ، وهى مسألة لابد وأن تحتل مشكلة فورموزا مكانة حاسمة بالنسبة لها ٠

وقد أكد هذا المعنى **ادجار فور** رئيس وزراء فرنسا السابق والخبير بالشئون الصينية فى حديث أدلى به فى ٢٠ فبراير الماضى لصحيفة « **لوسوار** » البلجيكية ، أوضح فيه « **ان مسأله فورموزا هى أهم المسائل التى سيجرى بحثها بين الرئيس نيكسون والمسئولين فى الصين** ٠ ولا يعنى هذا أن الصينيين يرغبون فى استعادة فورموزا غدا وانما التأكيد على أنهم لن يقبلوا مطلقا ألا تصبح هذه الجزيرة صينية ٠ ويرى فور أنه من الممكن أن يقترح الصينيون على الرئيس نيكسون كخطوة أولى الغاء بعض أشكال المساعدة الاقتصادية والمالية والعسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لحكومة تشيانج كاى شيك ٠

وفيما يتعلق بالمشكلة الفيتنامية يعتقد فور أن **الصينيين سوف يصرون فيها على موقفهم القائل بأن « فيتنام هى مسألة تخص الفيتناميين » وأنهم قد يشيرون على الرئيس نيكسون بسحب الجيش الامريكى من جنوب اسيا** ٠

ومن الناحية الاقتصادية اعتبر ادجار فور فكرة « **مشروع مارشال** » بين الولايات المتحدة والصين فكرة « **غير معقولة** » ، لا بسبب وجود اعتراضات عاطفية أو عقائدية من جانب الصينيين على التعامل اقتصاديا مع الولايات المتحدة ، وانما لاعتقاد فور بأنه **من غير الممكن للصين أن تطلب أو تقبل ما يسمى « بمساعدة مجانية أو قرض لا يسدد »** ٠ وبالاضافة الى ما أوضح فور فلا توجد لدى الولايات المتحدة مصلحة فى الانفاق على الصين الشيوعية مثلما فعلت بعد الحرب العالمية الثانية مع اوربا الغربية لاهداف سياسية واضحة تتعلق بالسيطرة الامريكية على أوربا ٠ ولكن ليس من المستبعد بأى حال موافقة الولايات المتحدة على تنفيذ بعض المشاريع الصناعية التى تحتاجها الصين اسوة بما تم فى بداية عمليات التصديع السوفيتى فى الاتحاد السوفيتى من قبل ٠

وعلى أية حال فليس ثمة شك فى أن الامريكيين أصيبوا بخيبة أمل لعدم مشاركة الشعب الصينى فى استقبال الرئيس الامريكى ، وعدم ظهور أى أثر للجماهير الصينية فى الطريق الذى قطعه الموكب الرسمى لنيكسون • لان الاستقبال الرسمى البحت الذى لقيه نيكسون فى الصين يختلف كلية عن الاستقبال الجماهيرى الحافل الذى حظى به فى دولة شيوعية أوربية (رومانيا) أثناء زيارته لها فى أغسطس ١٩٦٩ ، حيث احتشد مئات الالوف من الرومانيين لتحيته بحماس كبير وكان ذلك الاستقبال حسبما أوضح عديد من المراقبين السياسيين من أكثر احداث رحلة نيكسون حول العالم ، اثارة فى ذلك الحين •

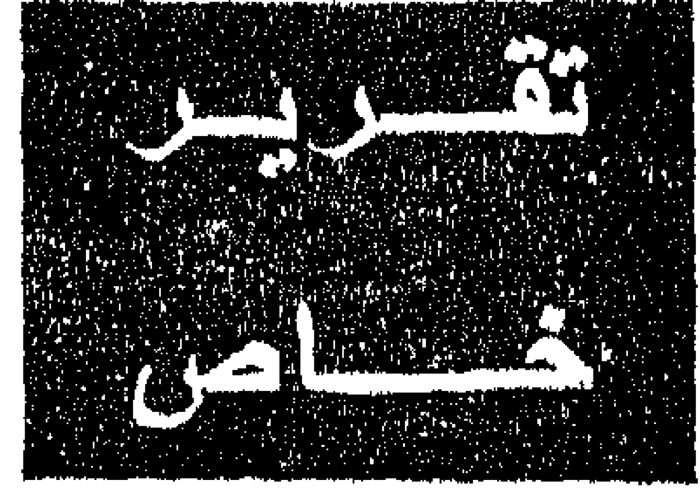
وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى كان فيه الرئيس نيكسون يقترب من أراضى الصين ، شنت وكالة انباء الصين الجديدة هجوما عنيفا على رسالة نيكسون الى الكونجرس الامريكى أعلنت فيه مساندة الصين بحزم « لشعوب العالم فى نضالها ضدالعدوان الامبريالىالامريكى . وطالبتفيهقوات العدوان « بأن تنسحب من الهند الصينية وكوريا الجنوبية وتايوان ومن كل المناطق التى غزتها واحتلتها ، لان هذا هو موقفنا الذى لا يتزعزع » • وأشارت الوكالة الصينية الى أن رسالة نيكسون وتقرير ليرد وزير الدفاع الامريكى يعكسان خصائص السياسة الامريكية التى مـا زالت ترتكز « على العدوان الشامل وعلى السلطة التى تساندها القوة » • كذلك وزع الصينيون علـى الصحفيين الامريكيين عشية وصول نيكسون الى بكين كتابا يتضمن قائمة بالاتهامـات ضـد الامبريالية الامريكية •

اما فيما يتعلق بموقف الاتحاد السوفيتى من زيارة نيكسون لبكين • فقد اوضح يورى جوكوف معلق صحيفة « برافدا » فى ١٧ فبرايـر الماضى ان الصحف البورجوازية قد نشرت عدة اختلافات حول موقف الاتحاد السوفيتى من زيارة نيكسون لبكين • ومن المعروف ان الاتحاد السوفيتى يرى أن الخطوات التى تمت من اجل اعادة العلاقات بين الولايات المتحدة والصين الشعبية الى حالتها العادية ، هى خطوات طبيعية ولكن بشرط الا يتم ذلك على حساب مصـالح الدول الاخرى • واضــاف « انه سيكون منطقيا ان يتم تحـديد مغزى هذه الزيارة فى ضوء مضمونها الحقيقى ونتائجها » •

أما موقف الهند فقدعبرت عنه «انديرا غاندى» رئيسة وزرائها عندما اعربت عنارتياحها للزيارة وأملها فى نفس الوقت «الا يجرى فى بكين اتخاذ موقف لا يتسم بالصداقة ازاءنا » اما البروفيسور وانج يون دو كبير المستشـارين السياسـيين لتشيانج كاى شيك فاوضـح « انــه اذا ذهب الرئيس نيكسون الى ابعد مما يجب فى مباحثاته مع الماويين ، فانه من المرجح أن تؤدى المخاوف التى ستحس بها الدول الاسيوية الاخرى ،الى طلب المساندة العسكرية الســوفيتية • كذلك يبدى انصار شيانج كاى شـيك فى فورموزا مخاوفهم من ان يطالب ماو بالغاء معاهدة الدفاع بين الولايات المتحدة وتايوان ، وان كان من المعتقد أن الظروف لم تتهيأ بعد لقبول الولايات المتحدة لمثل هذه الخطوة المتقدمة •

ويرى عدد من المراقبين ان هناك عدة عوامل لعبت دورها فى تطور السياســة الخارجيـة الصينية فى الفترة الاخيرة هى حوادث الحدود مع الاتحاد السوفيتى فى ربيع ١٩٦٩ ، واعلان نيكسون فىصيف ١٩٦٩ عن اتباع«سياسةجديدة» تجاه آسيا وتزايد بروز دور اليابان والعسكرية اليابانية وتقارب اليابان مع الاتحاد السوفيتى فى الفترة الاخيرة •

وليس ثمة شك فى النهاية فى ان عددا من تعليقات الصحف الشيوعية الاوروبية يمكن أن يلقى ضوءا موضـــوعيـــا على الموقف من زيارة نيكسون التاريخية للصين • فقد اوضحت صحيفة « لومانتيه » الفرنسية انه « لا يسعنا الا ان نبدى ارتياحنا ازاء الحد من التوتر فى العالم وقيـــام علاقات افضل بين الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والصـــين ، ولكن مـــاذا ينتظر الرئيس الامريكى ليقدم دليلا على حسن نيته فى الهنـــد الصينية حيث لم يعد الاطفال يعرفون ســـوى عالم يدوى فيه قصف القنابل ويخيم عليه شبح الموت » واشـــار مراســـل وكالـــة تاينوج البرجوسلافية فى بكين من ناحية اخرى اشارة ذات مغزى حين قال عن زيارة نيكسون فى ٢١ فبراير الماضى « حسبما يبدو فى الوقت الحـــالى فان الامور بدأت بداية حسنة • الا انه لاينبغى الانســـياق وراء اوهام كبيرة نظـــرا للخلافات الضخمة والاختـــلاف التـــام فى المبادىء » بين الجانبين ، أما صحفية «مورننج ستار» الشيوعية البريطانية فترى فى زيارة الرئيس نيكسون لبكين « فشلا لمحاولات الامبريالية التى استهدفت عزل الصين عن الشئون العالمية » • كما ترى « انه كان من المحتمل ان يكون التقـــارب الصـــينى الامريكى اكثر فائدة لو ان موســـكو وبكين قد استطاعتا ان تعيدا العلاقات الطبيعية بينهمـــا طبقا للرغبة التى أعرب عنها الاتحاد السوفيتى »•



مؤتمر تشريع العمل خطوة نحو توسيع الحريات الثقافية

بغض النظر عن البذخ الذى صاحب مؤتمر تشريع العمل الذى عقد بالاسكندرية فى بداية فبراير سنة ١٩٧٢ . وبغض النظر كذلك عن حشود الذهنيين والمهنيين التى وفدت بكثرة على المؤتمر وذلك ممن يتمتعون بالعضوية النقابية العمالية ويتربعون فوق قمم النقابات العمالية ، فقد كان مؤتمر تشريع العمل يمثل محاولة جادة لزراعة الديمقراطية من جديد لا فى الوجود النقابى فقط بل فى الحياة العامة المصرية كذلك .

والشيء الذى يشد انتباهنا بشأن مؤتمر تشريع العمل هو ما تفجر بداخله من روح ديمقراطية تشير الى أن الجماهير الكادحة فى عمومها تواقة الى الديمقراطية لتستعيد عافيتها النفسية والروحية استعدادا لمواجهة الاستعمار والاستغلال والتخلف وخاصة بعد أن تاكد لهذه الجماهير أنه لا يمكن أبدا مواجهة هذا الثالوث المعادى وهزيمته بغير اشاعة الديمقراطية بعمق فى كل نواحى الحياة والمجتمع ..

والاجزاء المهمة من قوى الثورة التى اخصها هنا تتجلى فى العمال والمثقفين وعناصر من الرأسمالية الصغيرة ممن تمكنوا من الوصول الى مواقع قيادية فى الحركة النقابية بسبب الافتقار الى الديمقراطية وتفشى التعسف الادارى فى مجال العمل والانتاج مما أدى الى تراجع المؤهلات النضالية أثناء الانتخابات النقابية عموما . بينما تصدرت المؤهلات الادارية مجسدة فى شخص المدير والرئيس والمحقق الادارى . وبالتالى وصل بعض أصحاب هذه المؤهلات بسهولة الى قيادة النقابات العمالية ، وخير شاهد على ذلك أن مجلس ادارة الاتحاد العام للعمال يضم عددا كبيرا من المهنيين « محامين تجاريين مهندسين » والمديرين والرؤساء ..

ولذا تحدث **عبد العظيم المغربى** السكرتير العام الى جريدة « **العمال** » الصادرة فى ٣ فبراير سنة ١٩٧٢ أثناء انعقاد مؤتمر تشريع العمل فقال « وباعتبارى محاميا فان رأيى فى اشتغال المثقفين بالحركة العمالية هو الترحيب بأن يظل التنظيم النقابى عماليا بالمعنى العلمى للكلمة .. لكن مجال الخدمة العامة ليس قاصرا على صفة الشخص وكونه عاملا أو غير عامل فالعبرة بمدى ارتباط الشخص بمصالح ومشاكل وفكر الطبقة العاملة . فاذا كان المثقف مرتبطا بالطبقة العاملة بالمفهوم السابق وينظر لقضيتهم على انها قضية نضالية . فمن الاغراق فى الشكلية أن ندين وجوده فى التنظيم .. » .

ووجهة النظر هذه تؤكد أن زحفا من الطبقات الوطنيه قد حط رحاله فى قلب النقابات العمالية التى هى فى جوهرها تنظيمات طبقية خالصة للعمال . وقد ادى ذلك بالضرورة ان اصبحت النقابات العمالية وعاء لتحالف ثورى ديمقراطى عبر عن نفسه من خلال مؤتمر تشريع العمل الذى اثبت ان ضيافة الطبقة العاملة للمثقفين والشخصيات غير العمالية قد جعل البعض منهم ليسوا مجرد وطنيين يعادون الاستعمار فحسب بل ثوريين يعادون الاستعمار والاستغلال والتخلف . يشهد على ذلك مناقشات المؤتمر وتوصياته .

العداء للاستعمار والاستغلال والتخلف

جاءت أوراق عمل المؤتمر ومناقشاته واعماله لتعكس طبيعة المشاكل القومية التى نواجهها ، حيث ساعد على ذلك التوقيت الموفق لانعقاد المؤتمر خلال فصل الربيع السياسى الذى يعم مصر العربية هذه الايام ، مما وفر للمؤتمر واعداده مناخا ديمقراطيا الى حد كبير .

واوراق عمل هذا المؤتمر كان من الممكن أن تكون اكثر نضجا وحيوية ، وبالتالى اكثر قوة ووضوحا فى الموقف تجاه الثالوث المعادى لو لم تكن الدراسات المقدمة للمؤتمر حكرا لمجموعة من المثقفين والفنيين من كبار موظفى وزارة العمل ومن المحامين البارزين فى القضايا العمالية دون مشاركة المثقفين من العمال الذين كان ينبغى أن تتاح لهم الفرصة لتقديم اجتهاداتهم الخاصة بتشريعات العمل الى المؤتمر . هذه الاجتهادات المعباة بمعاناة العمال وانفعالاتهم .

الديمقراطية الكامنة ..

وقد تجلى المؤتمر كحدث هام من الناحية السياسية والعمالية من خلال لجنة التنظيم النقابى التى وصفها عبد العظيم المغربى سكرتير عام المؤتمر بانها اللجنة الهامة والحيوية فى المؤتمر .. ولذا وفد على هذه اللجنة عدد من الشخصيات النقابية البارزة مثل **كامل العقيلى وحلمى فرج وأحمد طه واسماعيل الدملاوى وفتحى فودة** وحضرها المحامى العمالى **زكى مراد** والمفكر العمالى المعروف **أمين عز الدين** .

وأوضحت المناقشة ان الحريات النقابية واتفاقياتها التى صدقت عليها بلادنا تدعو الى حق

العمال وحريتهم فى الترشيح والانتخاب بغض النظر عن الجنس والدين والعقيدة السياسية . وهنا سأل البعض هل المقصود بذلك الغاء شرط عضوية الاتحاد الاشتراكى فى الترشيحات النقابية ؟ فاجيب « بنعم » ، ومن ثم تطور النقاش بخصوص الحريات النقابية وتوفير الضمانات الديمقراطية لحامل العضوية النقابية وحمايته من التعرض المفاجىء « للمحو والكشط » وذلك باقرار التوصيات التالية :

١ ــ حق الاضراب وتنظيم المواكب السلمية كاسلوب مؤثر وفعال لتحقيق مطالب العمال العادلة .

٢ ــ حق العمال وحريتهم فى الانتخاب والترشيح بدون قيود بما فى ذلك التحرر من شرط عضوية الاتحاد الاشتراكى

٣ ــ عدم الجمع بين المنصب التنفيذى والمنصب النقابى .

وهذا ما دعا جاد رضوان صاحب ورقة العمل المقدمة الى اللجنة الى القول ، لا داعى للنص على حق الاضراب لعدم وجود نص فى التشريع العمالى بمنع الاضراب . .

وبصدد عضوية الاتحاد الاشتراكى كشرط فى الترشيحات النقابية قال عبد العظيم المغربى سكرتير الاتحاد العام ان هذا المطلب يمثل امنية سوف تتحقق بمضى الايام بفضل كفاح العمال ونضالهم . اما المطلب الملح فى نظرى هو حماية حملة عضوية الاتحاد الاشتراكى انفسهم من التعرض للشطب والمنع عند الترشيحات النقابية .

اللجنة الام :

لا خلاف على أن لجنة التنظيم النقابى كانت بمثابة اللجنة الام فى مؤتمر تشريع العمل لانها اللجنة التى اختصت باعداد تنظيم نقابى ديمقراطى وثورى ، اى تنظيم يكون الوسيلة الكفاحية والنضالية للطبقة العاملة لبلوغها غايتها الاجتماعية فى التحرر والتقدم والرفاهية .

وقد استقر رأى اللجنة على تأكيد وضع الحركة النقابية ومسئولياتها وخاصة حرية الانضمام للتنظيم النقابى وحقه أى التنظيم . فى المفاوضة الجماعية وابرام العقود ، والغاء الروابط العمالية باعتبارها شكلا متخلفا من التنظيم العمالى . وفى هذا الاتجاه أيضا أوصت اللجنة بضرورة حماية النشاط النقابى وذلك بحصانة اعضاء مجالس ادارة النقابات العمالية ضد اجراءات السلطة الادارية وجعل هذه الاجراءات من اختصاص الجهات القضائية على أن تمتد هذه الحصانة الى عدم جواز نقل العضو أو ندبه او اعارته الا بعد موافقته على ذلك كتابيا مع معاقبة كل من يخالف ذلك جنائيا .

وناقشت اللجنة التفرغ النقابى وانتهت الى تأكيد مبدأ التفرغ على حساب جهة العمل ،وذلك بقصد مباشرة النشاط النقابى او للقيام بمهام نقابية أو لحضور دورات تثقيفية وتدريبية . وبالنسبة للمسائل المالية وما يترتب عليها من مشاكل طالبت اللجنة بنقل الاختصاصات المتعلقة بمحاسبة التشكيلات الى التنظيم النقابى نفسه .

وقد ثارجدل حاد بخصوص ما ورد فى ورقة العمل المقدمة الى اللجنة بشأن أن تختلف مدة الدورات النقابية حسب مستوى التشكيل ويقترح فى ذلك أن تكون الدورة سنتين للجنة النقابية وثلاث سنوات للنقابة العامة وأربع سنوات للاتحاد العام للعمال ، وقد رفض اغلب اعضاء اللجنة هذا الرأى رغم ما فيه من جانب ايجابى يتمثل فى سد الابواب أمام تدخل الجهات الادارية بقصد الاشراف على الانتخابات النقابية حيث يظل المستوى النقابى الاعلى يشرف على انتخابات المستوى الادنى ، فالاتحاد يشرف على انتخابات النقابات . والنقابات بدورها تشرف على انتخابات اللجان النقابية . ولذا اوصت اللجنة برفع مدة الدورة النقابية الى أربع سنوات بالنسبة لكافة المستويات بدون أية تفرقة فى المستويات النقابية .

علاقات تعاقدية :

تتضمن علاقات العمل فى الحكومة والقطاعين العام والخاص كل هموم العمال ومشاكلهم ولذا كانت لجنة علاقات العمل ذات أهمية خاصة بدليل أنها اختصت بستة دراسات ترشدها فى العمل . .

وقد بدأت أعمالها بمناقشة العلاقة اللائحية والعلاقة التعاقدية وأيهما افضل وأوفر حماية للعامل ، ووصل النقاش الى حد التساؤل عن اختيار الطريق الاشتراكى وهل يترتب عليه ضرورة التخلى عن الطبيعة والعلاقات التعاقدية . وتدبرهن البعض على أن البلدان الاشتراكية تعتبر علاقات العمل علاقات تعاقدية . وفى تشيكوسلوفاكيا تعتبر علاقة تعاقدية حتى بالنسبة لموظفى الدولة ! وانتهت اللجنة فى هذا الشأن الى توصية مؤداها المطالبة بوجوب تحرير عقود عمل لكل العاملين فى القطاعين العام والخاص وبذلك انتصرت فكرة العلاقة التعاقدية حيث يمكن حماية العاملين فى رحابها حتى فى حالة الفصل وفقا للطابع التعاقدى وانتقلت المناقشة الى تحديد فترة الاختبار ووقف أى تلاعب بشأنها فى القطاعين العام والخاص والقطاع الحكومى . ولذا أوصت اللجنة بتحديدها بثلاثة أشهر فى القطاعات الثلاثة على أن لا تتكرر فى المنشأة الواحدة أو المهنة الواحدة . ولا يجوز انهاء الخدمة أثناء فترة الاختبار الااذاثبت عدم صلاحية العامل ، وتثبت عدم الصلاحية بقرار من اللجنة الثلاثية .

وفى مجال الحقوق ناقشت اللجنة عددا من

الاقتراحات أبرزها النص على تقييد سلطة المنشأة فى وضع لوائح النظم الداخلية الا بمعرفة الجهة الادارية المختصة وذلك باعتبار أن هذه اللوائح من الشروط المتممة للعقد ، ولم توافق اللجنة على هذه الفكرة ..

ولكن سياسة « التأديب » شدت اهتمام اللجنة حيث طالبت بوقف تفشى ظاهرة الاحالة للاستيداع التى تهدد العاملين بالحكومة باعتبارها عقوبة قاسية ولهذا أوصت بالغاء نظام الاحالة الى الاستيداع وانتقلت الى مناقشة العقوبات السارية فى القطاع العام . وانتهت الى الغاء عقوبة خفض المرتب والوظيفة على السواء . وكذلك الغاء المادة ٤٩ التى تعتبر مخالفة للدستور لانها تحرم العمال من حق التقاضى وفى الوقت نفسه تحض قرار رئيس مجلس الادارة بالبت فى التظلم المقدم من العامل بخصوص الجزاء الموقع عليه وتجعل هذا القرار غير قابل للنقد .

وقد تعرضت الدراسات المقدمة للمؤتمر لموضوع اللجنة الثلاثية اكثر من مرة ، حيث اوصت اللجنة بجعل قراراتها ملزمة وأن تتوسع اختصاصاتها فهى التى تقر صلاحية العمال الجدد أو عدم صلاحيتهم وتنظر فى تظلمات الاجور والترقيات والدرجات وكل ما يمس حياة العامل المعيشية ..

وانتهت اللجنة بتوصيـة تشكيل مجلس أعلى للاجور والاسعار يمثل فيه العمال واصحاب الاعمال يختص برسم سياسة الاجور على المستوى القومى . وان تشكل من خلاله لجان فرعية لرسم سياسة الاجور على المستوى الصناعى ، وأوصت كذلك بالتقريب بين الحد الادنى والاعلى للاجور التى تبلغ نسبتها وللاسف كما اوضحت المناقشات واحد الى ستة وثلاثين وان كان يبدو انها واحد الى خمسة وخمسين وفقا لتقدير أحمد فهيم الرئيس الاسبق للاتحاد العام .

وبصدد علاوة غلاء المعيشة طالب ممثلو عمال القطاع الخاص بضرورة اصدار توصية بشأن استمرار علاوة غلاء المعيشة وفقا للامر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ ، وخاصة أن العلاوة الدورية التى أوصت اللجنة بسريانها على عمال القطاع الخاص هزيلة ولا تزيد على ٥ فى المائة من جملة أجر العامل ولكن اللجنة لم تستجب لهذا الرأى ..

تنظيم العمل :

تكافح الطبقة العاملة المصرية تاريخيا من أجل تخفيض ساعات العمل . ولهذا ناقشت « لجنة تنظيم العمل » تطور تحديد ساعات العمل فى مصر منذ بداية هذا القرن حيث بدأ تحديدها بالنسبة للاحداث العاملين فى محالج القطن وذلك سنة ١٩٠٩ – كما تعرضت الدراسة المقدمة بهذا الشأن للاتفاقيات الدولية الخاصة بساعات العمل وأصدرت توصية بتحديد المستوى العام لساعات العمل باثنين وأربعين ساعة فى الاسبوع – وبالنسبة للاجر الاضافى رأت احقية العامل فى الاجر الاضافى وعدم تقييده بحد اقصى معين أو نسبة معينة . وطالبت تحقيق المساواة فى المعاملة بالنسبة للاجازات وذلك بين القطاع الخاص والقطاع العام والحكومة ..

التشاور والتعاون :

يؤكد تاريخ العمال المصريين الاهتمام الزائد بالعمل الجماعى ومدى الفائدة المرجوة منه ولذا خصص المؤتمر لجنة « للتشاور والتعاون وعلاقات العمل الجماعية » ، حيث رأت هذه اللجنة أن التشاور والتعاون فى مجال الانتاج يمثل ضرورة فى القطاع العام وفى القطاع التعاونى كذلك . ولهذا اقترحت اللجنة انشاء مجلس أعلى للعمل يمثل فيه الاتحاد العام للعمال والنقابات العامة بنسبة لا تقل عن ٥٠ فى المائة من أعضائه ..

وبالاضافة الى ذلك ناقشت اللجنة موضوع التوفيق والتحكيم وأوصت أن تختص هيئة التحكيم بالمنازعات التى تنشأ عن تطبيق عقود العمل الجماعية على أن يتم تسوية المنازعات فى ظرف ثلاثين يوما ..

قضايا متروكة

رغم أن الدراسات المقدمة الى المؤتمر ومناقشاته رددت ألف مرة ومرة عبارة التحول الاشتراكى ، والانتاج الاشتراكى ، والادارة الاشتراكية . و « قوة العمل لم تعد سلعة » . لم يذكر المؤتمر شيئا عن الاجر الاشتراكى ولم يصدر توصية بشأن الاخذ بمبدأ الكفاية والعدل فى توزيع الاجور وفقا للصيغة الاشتراكية القائلة .. من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله .. ولم يوص أيضا بالاخذ بمبدأ الاجر المتساوى للعمل المتساوى بغض النظر عن الجنس والدين والعقيدة السياسية . وذلك تطبيقا للاتفاقية رقم ٩٠ الصادرة من هيئة العمل الدولية بشأن الاجر المتكافىء للعمل المتماثل والتى صدقت عليها مصر العربية وجاء فى مادتها الاولى .. ضمان تطبيق مبدأ تكافؤ الاجور بين العمال الرجال والعاملات عند تماثل العمل ، وذلك على جميع الاشخاص العاملين فى مصالح الحكومة والبلديات . وجاء فى مادتها الثانية .. يطبق مبدأ تكافؤ الاجور عند تماثل العمل بين العمال الرجال والعاملات المستخدمين فى كل المهن غير الواردة فى المادة الاولى ، وذلك عند تحديد معدلات الاجور الدنيا أو غيرها فى الصناعات أو المصالح التى تقوم فيها السلطة العامة بتحديد هذه المعدلات . وفى الصناعات التى تملكها الدولة وفى الاعمال التى تنفذ بموجب عقود تبرمها سلطة عامة .

ولقد فات على المؤتمر ايضا ان يؤكد بشكل بارز

على ضرورة ربط الاجور بالاقدمية والخبرة وبكل زيادة فى الدخل القومى ، وبكل زيادة تطرأ على الاسعار ، وبتقليل فوارق الاجور بنسبة يمكن تحديدها ، ويستثنى من ذلك العلماء والمخترعين وأصحاب العبقريات والمواهب العلمية والفنية ..

وفى كل أعمال المؤتمر وفى نصوص وثائقه ما يؤكد ملكية العمال لوسائل الانتاج . وهذا يشير الى أن المجتمع أعطاهم سند هذه الملكية وحجتها وبالتالى قد حملهم واجبات ومسئوليات التملك دون أن يعطيهم حقوق هذا التملك ومباشرة كافة شئون الملكية ـ وحتى مسئولية هذه الملكية لم تعط سلطة مباشرتها للعمال ، وخاصة انه لا توجد مسئولية بغير سلطة ، حيث تركزت كل السلطة فى شخص الرجل الفرد .. رئيس مجلس الادارة الذى يحيى ويميت ويرزق من يشاء بغير حساب . يشهد بذلك مما ورد فى الدراسات المقدمة الى المؤتمر بشأن تمتعه بحصانة حتى ضد التقاضى أى اللجوء الى القضاء كأنه ملك اقطاعى لا يوجه اليه نقد ولا يسرى عليه قانون . كما يشهد أيضا الواقع الذى يعيشه أعضاء مجالس الادارة المنتخبين الذين أصبحوا مجرد أعضاء شرفيين وليسوا تقريريين .. ولهذا كانت أمنية الجماهير العاملة أن يتبنى المؤتمر مثل هذا الاقتراح وهو ..

(١) من أجل اشاعة الديمقراطية فى الورشة والمكتب على السواء ينبغى تمكين العاملين عموما من مباشرة حقهم المتساوى فى حرية التصرف فى شئونهم المشتركة بوحدات عملهم ، باعتبار « أن قوى العمل أصبحت هى المالكة لعملية الانتاج ذاتها شريكة فى ادارتها » . كما ينص الميثــاق . يجب « جمهرة » المسئولية والسلطة معا من خلال توسيع قاعدة الادارة . وذلك بضرورة اضافة فصل جديد فى مشروع القانون باسم الديمقراطية فى مجال الانتاج ويتضمن المواد التالية :

مادة ١ : أن ينشأ فى كل وحدة انتاجية يزيد عمالها على خمســين عــاملا تنظيمان رئيســيان للادارة

(أ) مؤتمر جميــع العــاملين بــالوحدة الانتاجية ..

(ب) مجلس ادارة نصف أعضائه على الاقل من العمال المنتخبين ..

مادة ٢ : يعقد مؤتمر جميع العاملين مرة كل سنة بدعوة من التــنظيمات الشعبيــة فى الوحدة الانتاجية أو بدعوة من ثلث عمال الوحدة الانتاجية ويختص بالنظر فى المهام التالية :

(أ) مناقشة نشاط الوحدة الانتاجية عموما من النواحى الانتاجية ، والاقتصادية والوظيفية .. العمالية .. عن السنة المنتهية وتحديد السياسة العامة لهذا النشاط فى السنة المقبلة ـ وذلك فى حدود الالتزام التام بالخطة العامة للدولة . وفى حدود الالتزام الشديد بمصالح الشعب والعمال .

(ب) مناقشة واتخاذ موقف فى قرارات الفصل والنقل والتنزيل من الدرجة . وكذلك تعــديل قرارات الترقية والغائها وتثبيتها . وتعديل تقارير النشاط السنوى للعاملين .

(ج) انتخاب وعزل اعضاء مجلس الادارة المنتخبين بعد عملية تقييم لنشاطهم ونقدهم ..

(د) الاقتراح بعزل ونقل وابعاد اعضاء مجلس الادارة المعينين وكبار الموظفين ـ وكذلك الاقتراح ببقائهم وتثبيتهم وترقيتهم . ووضع تقارير النشاط السنوى الخاصة بهم على ضوء فعاليتهم فى تنمية الانتاج وزيادته . وعلى ضوء علاقاتهم العامة بالعاملين ..

مادة ٣ ـ : يستمر مجلس الادارة فى حالة انعقاد طول السنة ، ويرشح من بين أعضائه رئيسا ومندوبا لعضوية مجلس ادارة المؤسسة النوعية على أن يرشح واحد من الاعضــاء المنتخبين وواحد من الاعضاء المعينين . وذلك للتصديق على هذا الترشيح من الجهة المختصة .

ويختص مجلس الادارة بمباشرة سلطات مؤتمر العاملين ، ويكون مسئولا بشكل جماعى عن ادارة الوحدة الانتاجية طوال السنة .

مادة ٤ : من حق أعضــاء التنظيمــات الشعبية .. النقابات .. التفتيش والاطلاع على سجلات ووثائق الوحدة الانتاجية وكذلك حضور جلسات مجلس الادارة كأعضــاء مــراقبين ومستمعين .

وبخصوص هذا الاقتراح وغيره فمن الواجب دراسة كافة الاجتهادات التى سوف تثرى تشريع العمل الجديد وتجعله عادلا وديمقراطيا .

ختام سياسى ..

واختتم المؤتمر اعماله ببيان سياسى اكد فيه أن المواجهة الشاملة مع الامبريالية الامريكية ثــم الصهيونية العالمية وأداتها اسرائيل وكل قــوى التسلط والاستغلال . وحدد بعض الحقائق كان من أبرزها :

● أن هدف العدوان الاستعمارى هو الحيلولة دون حق الشعب العربى فى بناء نظمه الثوريــة والتقدمية .

● أن الولايات المتحدة الامريكية هى قيادة الثورة المضادة فى العالم . ومن ثم يقتضى حشد كل طاقات الامة العربية وضرب وتصفية كل أنواع النفوذ الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والفكرى للامبريالية الامريكية فوق التراب العربى .

● نظرا لان هذه المعركة هى جزء من معركة الشعوب ضد الاستعمار والاستغلال .. فان العمال

المصريين يدركون بوعى وتقدير دور الشعوب المحبة للسلام ومعسكر الاشتراكية العالمية وخاصة الاتحاد السوفيتى الصديق ، باعتباره الحليف الاساسى لشعبنا فى معركة التحرير والمصير .

ويعتبرون التشكيك فى هذا الدور النضالى العظيم ، جزءا من المخطط الاستعمارى لاضعاف وحدة الجبهة الداخلية .

عطية الصيرفى

تقرير خاص

ماذا تريد أمريكا فى شرق البحر المتوسط ؟

فى وقت ملات فيه الولايات المتحدة جو العالم كله بحملة واسعة عن « الحشد البحرى السوفيتى » و « ازدياد قوة البحرية السوفيتيه » و « تغلغل النفوذ البحرى السوفيتى » فى المحيط الهندى والبحر الابيض المتوسط ، وحتى فى المحيط الاطلنطى جاءت مفاجأة اتفاق الولايات المتحدة مع الحكومة اليونانية على اقامة قاعدة للاسطول السادس الامريكى فى ميناء بيريه اليونانى ، وهو متاخم للعاصمة اليونانية أثينا .

ولم يكن من شأن هذا الاتفاق ان يكشف الاغراض الدعائية من وراء حملة الشكوى من ازدياد قوة البحرية السوفيتية فحسب ، بل كان من شانه أن ينبه شعوب منطقة شرق البحر الابيض المتوسط الى أن للولايات المتحدة أهداف استراتيجية عسكرية فى المنطقة تجعلها حريصة على أن يكون لها وجود عسكرى دائم قريب من « النقاط الساخنة » فى هذه المنطقة ، وقريب فى الوقت نفسه من أراضى الاتحاد السوفيتى .

ويعيد اتفاق « قاعدة بيريه » الى الاذهان التجارب السابقة لمسلك الاسطول السادس الامريكى فى أزمات المنطقة . فى أواخر الخمسينات ـ فى لبنان والاردن ـ وفى فترة العدوان الاسرائيلى على الدول العربية فى عام ١٩٦٧ . ومعنى هذه التجارب السابقة أن قاعدة جديدة دائمة للاسطول السادس فى شرق البحر الابيض المتوسط لن تكون الا نقطة انطلاق لقوات التدخل العسكرى الامريكى فى دول المنطقة بينما حدثت تطورات لا تلائم المصالح الامبريالية من الاحتكارية الامريكية .

ولهذا السبب نفسه لا يمكن الفصل بين اتجاه الولايات المتحدة نحو اكتساب قاعدة بحرية دائمة لقواتها فى اليونان وبين الموقف الراهن فى الشرق الاوسط حيث تقوم اسرائيل بدور مخلب القط للامبريالية الامريكية . وقد بدا بوضوح ان الولايات المتحدة أدركت أن دورها فى أزمة الشرق الاوسط لم يعد يحتمل المداراة أو التمويه ، وأن الارتباط المباشر بين مصالحها والوضع الراهن الذى يخلقه الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية يستلزم اقامة هذه القاعدة ليس فقط لتكون اداة ضغط وتهديد وتلويح مستمر بالتدخل فى صف اسرائيل ، ولا لمجرد ان تكون محطة لتزويد اسرائيل بالاسلحة والذخيرة والتسهيلات والمعلومات ، وانما لتكون نقطة وثوب حقيقية على أى موقع فى المنطقة تهب عليه رياح الثورة ضد المصالح الامريكية عندما يحين وقت توجيه الضربات لهذه المصالح مباشرة .

والواقع ان اسرائيل لم تخف ارتياحها لاتفاق امريكا واليونان على اقامة قاعدة بيريه . وقال المعلقون العسكريون الاسرائيليون بوضوح ان هذا الاتفاق « يدل فى الواقع على رغبة الولايات المتحدة فى أن تكون موجودة ليس فى غربى البحر المتوسط فحسب ، بل فى شرقيه أيضا . اى بالقرب من أحداث الشرق الاوسط » ، ولهذا فان للاتفاق من وجهة النظر الاسرائيلية مغزى سياسيا واهمية استراتيجية .

المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط :

ويدل ما اذيع من الجانب الامريكى واليونانى عن هذا الاتفاق الخطير ـ من ان أكثر من ٥ الاف من مشاة الاسطول السادس سيقيمون بصفة دائمة فى اليونان ـ على أن الولايات المتحدة انما تعمل لاهداف بعيدة وذات طابع عسكرى فى الاساس فى المنطقة . واذا سلمنا بهذه المقدمة لابد أن نستنتج ان الولايات المتحدة تستشعر خطرا على أعمالها الاحتكارية فى الشرق الاوسط مع ازدياد تازم مشكلة الشرق الاوسط ، وهى لهذا تريد ان تكون قريبة ـ بقوة عسكرية كبيرة وذات قدرة ضخمة على الحركة السريعة ـ من مسرح الاحداث فى هذه المنطقة .

ويمثل التحرك الامريكى السريع من اجل اقامة قاعدة بحرية دائمة فى شرق البحر المتوسط واحدا من انعكاسات الفشل الاستراتيجى الذى واجهته الولايات المتحدة فى شبه القارة الهندية فى أحداث ديسمبر الماضى . فقد تصور خبراء « البنتاجون » (وزارة الدفاع الامريكية) أن عدم وجود قاعدة دائمة لقوات امريكية متحركة فى منطقة احداث الهند وباكستان وبنجالاديش قد حرم الولايات المتحدة من التدخل العسكرى الفعال او على الاقل حرمها من التاثير فى سير الاحداث الخطيرة التى شهدتها شبه القارة الهندية . وعندما حركت الولايات المتحدة قوة بحرية ضخمة من أسطولها

السابع فى الشرق الاوسط نحو خليج البنغال ابان حرب الهند وباكستان بدت حركه هذه القوة البحرية الامريكية تهديدا مظهريا فاقد الفاعلية حتى انه لم يثر سوى سخرية العالم ..

ان الولايات المتحدة تسجل بنشاطها الجديد فى منطقه شرق البحر الابيض المتوسط عودتها الى اسلوب ارسال **السفن الحربية فى مهام تتراوح بين « استعراض العضلات » على سبيل التهديد والقمع ، والتدخل العسكرى المباشر والسافر لفرض حلول أمريكية لمشاكل الدول الاخرى .**

ضغط حلف الاطلنطى

على مالطة وقبرص

ولهذا أيضا ، فانه **لايمكن الفصل بين** الفى « **قاعده بيريه » وبين استمرار حملة الضغط الغربى – من خلال بريطانيا وحلف الاطلنطى – على مالطه** لاجبارها على قبول شروط الحلف لاستمرار استخدام قواعدها البحرية ضمن استراتيجية الابقاء على البحر الابيض المتوسط بحيرة غربية ، أو بالتحديد بحيرة امريكية .

ومن المؤكد ان الولايات المتحدة – وهى الامر الناهى فى شئون حلف الاطلنطى كله – تخشى أن تتكرر « **ازمة مالطة** » فى قبرص ليجد الغرب نفسه مهددا بفقد قواعده البحرية والجوية فيها ، ولهذا فانها – فى نفس الوقت الذى عقدت فيه اتفاقها مع حكومه اليونان العسكرية لاقامة « قاعدة بيريه » قد دفعت هذه الحكومة الى **الضغط بصورة لم يسبق لها مثيل على حكومه الرئيس مكاريوس فى قبرص** . فدبرت دخول جنرال جريفاس سرا الى الجزيرة وتزويده وتزويد اتباعه من أنصار ضم قبرص الى اليونان – أى ضمها رسميا الى حلف الاطلنطى بالاسلحة لاثارة المتاعب فى وجه حكومة الاسقف مكاريوس التى ترى الاستقلال الكامل الطريق الوحيد لتأمين مصالح الشعب القبرصى وأمنه أيضا .

وعلى الرغم من أن ضغط اليونان على حكومة قبرص يتخذ اتجاه ضرورة ضم قبرص الى اليونان – وهو ما تعارضه تركيا عضو حلف الاطلنطى لمصالح طائفية معروفة ، الا أن **صوت تركيا لم يرتفع هذه المرة باى نقد ضد الضغط اليونانى على حكومة الاسقف مكاريوس** . واذا كان هذا الصمت التركى المريب يؤكد شيئا فانه يؤكد **وجود اتفاق وتنسيق داخل حلف الاطلنطى يجعل تركيا تسكت هذه المرة على خطط الضم ضد قبرص** . وهكذا يكون الاحتمال القائم الان – من وراء اثارة التوتر والمشاكل فى وجه حكومة قبرص وسياستها الاستقلالية ان حلف الاطلنطى – بزعامة العسكرية الامريكية – يخطط لتقسيم قبرص بين اليونان وتركيا .. أى الى قواعد تتبع حلف الاطلنطى سواء كانت فى جزء يتبع اليونان او فى جزء يتبع تركيا .

نصيب العالم العربى من الخطة الامريكية

وهكذا فان اتفاق « **قاعدة بيريه** » للاسطول السادس الامريكى هو جزء من مخطط أمريكى جديد لمنطقة شرق البحر الابيض المتوسط ، وربما لحوض البحر المتوسط كله . ويرمى المخطط الى **زيادة ركائز الوجود العسكرى الغربى – الامريكى فى الاساس – فى هذه المنطقة ، وهو ما يكفله اتفاق قاعدة بيريه ، وخلق ضمانات لاستمرار الوجود العسكرى التقليدى للغرب فى القواعد القديمة – وهى قواعد مالطة وقبرص أساسا .**

ولابد عند هذا الحد من وضوح المخطط الامريكى واهدافه بالنسبة لهذه المنطقة التى ينتمى اليها معظم العالم العربى – بامتداد السواحل العربية على البحر المتوسط من المغرب الى لبنان – من أن نضع هذا السؤال فى اعتبارنا : ما هو نصيبنا ونصيب قضيتنا الخاصة بتحرير الارض العربية من هذا المخطط ؟

والاجابة على هذا السؤال تؤكد ان موقفنا لا ينفصل بأى حال عما يجرى الان فى اليونان وقبرص ومالطة ، ومصالحنا القومية لا تنفصل عن الصراع الذى يخوضه شعب مالطة وقبرص ضد الضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية للولايات المتحدة وحلف الاطلنطى لفرض حلول واوضاع اطلنطية امريكية على شعوب المنطقة كلها . وبنفس المعنى **فان مصالح شعوب المنطقة** المباشر أو مايسمى **بسياسة الزوارق المسلحة ، مرتبطة فى هذا الصراع بمصالح الدول الاشتراكية – وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى التى تعمل المخططات الغربية فى هذه المنطقة الاستراتيجية على محاصرتها بسلسلة من القواعد العسكرية ان لم يكن لضربها فعلى الاقل للتأثير على قدرتها على مساندة نضال الشعوب من أجل استقلالها وتحررها ، وتطورها الاجتماعى ، وتخليص ثرواتها من الاحتكارات الاجنبية .**

وقد أكدت الدول الاشتراكية تنبهها الى اهداف هذه التحركات الخطيرة الجديدة لامريكا وحلف الاطلنطى فى شرق البحر الابيض المتوسط وخاصة فى الاحتجاج الرسمى الذى وجهه الاتحاد السوفيتى الى حكومتى الولايات المتحدة واليونان ضد اقامة قاعدة للاسطول السادس فى بيريه . وهو الاحتجاج الذى وصف هذا التطور **بانه اجراء خطير تترتب عليه تعقيدات بالغة فى منطقة البحر الابيض المتوسط والبلقان** . **وقد أكد الاتحاد السوفيتى فى بيانه فى هذا الصدد** « **ان مثل هذه الاعمال التى تقوم بها الولايات المتحدة لن تؤدى الى شىء سوى الى قيام الاتحاد السوفيتى برد فعل يتناسب معها** » .

سمير كرم


خيرى حماد

خيرى حماد

فقدت الثقافة العربية هذا الشهر كاتبا ومترجما كبيرا هو الاستاذ خيرى حماد رئيس اتحاد كتاب فلسطين والسكرتير العام المساعد لاتحاد الادباء العرب .

وقد ولد خيرى حماد عام ١٩١٧ فى نابلس بالضفة الغربية ، حيث تلقى تعليمه الاول بالكلية العربية بالقدس،ثم تابع دراساته العليابالجامعة الامريكية فى بيروت • وقد امضى مرحلة من عمره فى التعليم بمختلف أنحاء الوطن العربى ، ولكن ارتباطه بالعمل السياسى دفعه بعد فترة للتفرغ نهائيا للقضية الفلسطينية ، خاصة وأن الحكم الاردنى لم يتح له العمل فى الاردن،فقرر الاقامة نهائيا بالقاهرة .

وخلال العشرين عاما الماضية تمكن خيرى حماد بنشاط موفور وجهد متواصل من أن ينقل الى اللغة العربية ستين كتابا من عيون الفكر السياسى الغربى ، مركزا على ما اقترب منها من قضية وطنه المسلوب ، او ما كان ثمرة التجارب النضالية لشعوب العالم الثالث أو شعوب العالم الاشتراكى . وقد كان « سقوط الرايخ الثالث » و « الاستراتيجية السوفيتية فى الحرب العالمية الثانية » فى مقدمة انجازاته فى حقل الترجمة ، كما كان كتابه « الوحدة العربية فى المفهوم الاشتراكى » اخر مؤلفاته حول هذا الموضوع الهام

وبالرغم من المرض الذى هاجمه فى وقت مبكر ، فقد ظل خيرى حماد مثابراً دؤوبا فى عقد المؤتمرات لكتاب فلسطين والاشتراك فى مؤتمرات الادباء العرب واجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى ومؤتمر نصرة الشعوب العربية .. وغير ذلك من اعباء تطلبت منه العمل الجاد المتواصل حتى لفظ انفاسه الاخيرة •

و « الطليعة » التى اسهم خيرى حماد بمقالاته الوطنية على صفحاتها — ومن قبلها « صفحة الراى » فى الاهرام — تستشعر الالم العميق لفقد هذا القلم الحر فى وقت ما احوجنا اليه ، وتدعو كافة الجهات الى نشر تراثه غير المنشور واعادة طبع ما نفد من كتاباته المنشورة • وتقييم هذا التراث تقييما موضوعيا أمينا •• فلعل هذه تحية لخيرى حماد •

مكتبة الطليعة

كيف صفيت الأمية في الاتحاد السوفيتي

في العدد الماضي نعت الطليعة الى قرائها واحد من ألمع كتابها الشبان .. د. أحمد حجي .

وأحمد حجي لم يكن مجرد كاتب مقاتل ، يقتطع من مشاغله كجندي على خط النار لحظات يكتب فيها للطليعة .

لكنه كان أيضا كاتبا مناضلا ، يسعى لتحقيق مايكتب عنه .

وقد كتب أحمد حجي الكثير عن محو الامية ، لكنه لم يكتف بذلك ، بل خاض بالفعل في قريته سندوب تجربة رائدة لمحو الامية هناك .

■ تأليف :

م . زينوفييف
ا ـ بليشاكوفا

■ عرض وتقديم :

د . أحمد حجي

■ الناشر :

دار الطبع والنشر
باللغات الاجنبية ـ موسكو

يحكي هذا الكتاب فصولا من ملحمة النضال العظيم للشعب السوفيتي وتصميمه رغم ظروف الحرب الاهلية ، واشتعال ثورة اكتوبر الاشتراكية .. وما كان يعانيه الشعب السوفيتي من فقر ومن متاعب القتال دفاعا عن الثورة .. على ضرورة تصفية الامية وتثقيف الشعب وتنويره بقوانين الدولة الجديدة .. فقد كان لينين بين تلك الاعباء الجسيمة يؤكد للكادحين أنه (في الوقت الحاضر ستصبح جميع معجزات التكنيك وجميع منجزات الثقافة في متناول الشعب) .. وعلى هذا الاساس كان من الضروري أن تكون الى جوار الثورة البروليتارية ثورة ثقافية أيضا تزرع المعرفة وتجتث سخافات الماضي وحماقاته والتي سيطرت على الكادحين زمنا طويلا وكانت اولى الخطوات للثورة الثقافية هي تصفية الامية بين سكان البلاد .. ففي ديسمبر سنة ١٩١٩ وقع فلاديمير ايليتش لينين مرسوما بشأن تصفية الامية بين سكان جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية .. وأسند عبء العمل بدرجة أولى الى كوادر الحزب والنقابات والمثقفين في أرجاء البلاد والى اتحاد الشبيبة الشيوعي .. ذلك لاعتبار أن

تصفية الامية هو عمل سياسي بالدرجة الاولى أيضا ٠

لكن لماذا تصفية الامية أولا ؟؟ ٠٠ ذلك لان الشعب وفى نضاله دفاعا عن ثورة أكتوبر الاشتراكية كان متعطشا الى المعرفة والى اخماد عذابات الماضى ومخاوفه وشكوكه ٠٠ الى جانب أن وسائل الانتاج وعلاقات الدولة الاشتراكية الجديدة تقوم على التكنيك والعلم الحديث فأصبح من الضرورى رفع مستوى الفلاحين الثقافى والتكنيكى لتدعيم الزراعة التعاونية والنهوض بها وتدعيم الاقتصاد الاشتراكى وحمايتـه ٠٠ وعلى العمـال أيضا أن يفهموا القوانين الجديدة والعـلاقات الجديدة فى الانتاج وأن يفهموا التكنيك ، ويسدوا على أعداء الثورة الطريق حتى لا يعودوا بالشعب الى الوراء وحتى لا يخربوا مؤسسات الدولة واقتصادها ٠٠

انه يكفى تأكيدا لاهمية تصفية الامية ما قاله لينين (ما بقيت عندنا فى البلاد ظاهرة كالامية يصعب جدا الحديث عن التثقيف السياسى ، أن هذا شرط لا يمكن بدونه الكلام عن السياسة بدون ذلك لا يمكن أن يكون للسياسة وجود ٠ بدون ذلك لا توجد السياسة ، بل توجد الشائعات والنمـائم والاقاصيص والاوهام) ٠

وزارة التجهيل العـام

ولكى يمكن استغلال الكادحين والشغيلة ٠٠ كان يلزم أن يعيش الشعب فى جهل تام حتى لا يبدى أية مقاومة ٠٠ ولذلك لم يكن فى برنامج الحكومة القيصرية تعليم الشعب وكان كبار الملاك والرأسماليين يعملون على ترسيخ هـذه الحقيقة حتى بلغت الامية فى روسيا سنة ١٨٩٧ ـ ٧ر٧٦ فى المائة وبين النساء ٦ر٨٧ ٠٠ ولذلك أطلق لينين على وزارة المعارف القيصرية (وزارة التجهيل العام) ٠٠ فالى جانب هذه الملايين المحرومة من العلم كان المعلمون يعانون الضنك ويعاملون معاملة سيئة ٠٠ وكان هذا ما أراده الرأسماليون وكبار الملاك ، فالعمال والفلاحـون يجهـلون القراءة والكتابة ، ويجهلون بالطبع معرفة قوانين البلاد ، ومن السهل قيادهم واستنزاف جهودهم ٠٠ ونتيجة لما تسببت فيه (وزارة التجهيل العام) وكبار الملاك ، فقد تحملت ن ٠ق ٠ كروبسكايا زوجة لينيـن ورفيقته جهودا فذة فى تعليم الاميين وتثقيفهم سياسيا وثقافيا عملا بما قاله لينين (الامى يقف خارج السياسة ٠٠ وينبغى البدء بتعليمه الالف باء) ٠

فلتسـقط الأميـة ؟

وبدأت فصول الملحمة ٠٠ فقد حدد المرسوم اللينينى تصفية الامية بين المواطنين الذين تتراوح أعمارهم من ٨ الى ٥٠ سنة ٠٠ كما راعى المرسوم أيضا أن تهيء المصالح والهيئات والمـزارع والمصانع الفرصة للاميين ليتعلموا دون أن يؤثر ذلك على اجورهم . ففى الفقرة الخامسة من المرسوم كتب لينين (للذين يتعلمون القراءة والكتابة من العاملين بالاجرة باستثناء العاملين فى المؤسسات الخاضعة للنظام العسكرى بخفض يوم العمل مدة ساعتين طيلة مدة التعليم مع الاحتفاظ بالاجرة كاملة) وذلك ما دفع كافة العاملين الى الاسراع للانضمام لمراكز تصفية الامية ٠٠ بل وساعد فى تزايدها فامتدت مدارس وفصول محو الامية الى النوادى والبيوت والمصانع والكنائس ٠٠ وكان ضمن برنامج المزارع التعاونيـة والتـى أعلنت تقول (فى سبيل مزرعة تعاونية انعدمت فيهـا الامية) تسهيل الفرصة على الاميين للدراسة ٠٠ وتقديم الكتب والاقلام والاخشاب لفصـول ومراكز محو الامية ٠٠

وفى كل مكان على الجدران وفى الشوارع وعلى الارصفة كتبت الشعارات الثورية تثيـر حماس المثقفين والمتطوعين للعمل وتجذب الاميين الى الدراسة ٠٠ مثل (فلتسقط الامية) (الامية احتياطى أعداء الثورة) (القراءة والكتابة سيف يقهر قوى الظلام) ٠

(تصفية الامية قضية حيوية للشغيلة) (أيها المتعلم ساعد فى تعليم الامى وانضم الى جمعية فلتسقط الامية) (فلينهض الجميع لمكافحـة الامية) ٠

ودخلت الى ميدان المعركة ضد الجهل والامية أجهزة الاعـلام من اذاعـة وسينمـا ومسرح ٠٠ وخصصت الصحف أعمدة ثابتة تشرح الموقف وما يجب عمله ، والعيوب التى يمكن اجتثاثها ٠٠ بل وصدرت جرائد خاصة للاميين مثل (مسـاعد التلميذ) و(جريدة الفلاحين المبتدئين فى القراءة) و(جريدة التهجية) ٠٠ ذلك الى جانب الاهتمام باعداد الكادر القادر على تصفية الامية وعلى تعليم الشعب وتثقيفه ، ولهذا الغرض اعدت اللجنة الاستثنائية لمكافحة الاميـة دورات دراسيـة للمدرسين والمتحمسين للقضية وقد بلغت تلـك الدورات ٨٠٠٠ دورة ٠

لكن الاميين انفسهم كانوا يعرفون من تلك الحركة النشطة للحزب والنقابات والمثقفين وتأكيد لينين بأنه (ينبغى لقضية النضال ضد الامية ضد الجهالة أن تصبح قضية الشغيلة أنفسهم) ٠٠ ما لتصفية الامية من أهمية ٠٠ لذلك ففى أى مكان وتحت أى ظروف كان الدارسون حريصون على تلقى العلم ٠٠ واليك ما قاله مارشال الاتحاد السوفيتى س ٠ م ٠ بوديونى بهذا الصدد (فى فوج من أفواج جيش الخيالة الاول رأيت المشـهد

التالى : المفوض السياسى علق على ظهور الخيالة المتوجهين فى صف منتظم الى خط الجبهة أوراقا كتبت عليها الاحرف بخط كبير وكان بين الفينة والفينة يرفع الحربة ويشير بها الى ظهور الخيالة السائرين فى المقدمة ويسأل الجنود السائرين خلفهم ـ أى حرف هذا ؟) .. وتمضى القافلة الى الجبهة ويحفظ الجنود حروف الالفباء وفى آلاف المراكز المعدة لتصفية الامية يحفظ الشغيلة أيضا حروف الالفباء تحت ظروف صعبة .. لكن القائمين على التعليم وتصفية الامية كانوا يتخذون ذلك الشعار الثورى (العمل مهما كانت الظروف وتعليم الناس القراءة والكتابة مهما كلفنا الامر) .. وحقا تكبدوا صعابا ومشاق كثيرة .. ولكن قبل أن نعرض لها فلنعرض أولا لاشكال التنافس والتعجيل بتصفية الامية وتطهير المناطق منها .. فى ليننغراد (انتشرت على نطاق واسع الالواح الحمراء والسوداء فالمعمل أو الحى المتأخر يسجل فى اللوح الاسود فيتجه اليه الانتباه العام وينتقد أعنف الانتقاد .. فقد صدرت مثلا فى بضعة ألوف من اللافتات الخضراء الصارخة عبارة (معمل اليكتروبريبور فى اللوح الاسود لاحباطه تصفية الامية) ولصقت هذه اللافتات على جدران المعمل وفى حاملات الترام . وقد جرح ذلك عزة عمال المعمل وكانت الرغبة فى الحفاظ على سمعة المعمل حافزا على تنظيم عمل مكافحة الامية فى فترة قصيرة .. وفى معمل اليكتروابارات اثناء مداولات عامة لشغيلة المعمل قدمت لورشة احبطت عمل تصفية الامية سلحفاة ترمز الى البطء صنعها طلبة معهد الفن البروليتارى وبعد ذلك انصرف شغيلة الورشة بهمة الى تصفية الامية) بل ان القرى كانت تتنافس فيما بينها حتى تنتهى من تصفية الامية فتمنح العلم الاحمر وتقام المهرجانات والاحتفالات بتطهير القرية من الامية والجهل .

الجديد فى محو الامية فى التجربة السوفيتية

ـ اضافة الى ما سبق تكونت فصائل الثقافة وكانت من مجموعات المثقفين من المعامل والمصانع والمدارس العليا .. وكان المثقفون يذهبون الى القرى ويتنقلون بين واحدة وأخرى يلقون المحاضرات وينقلون خبرة العمل فى محو الامية من قرية الى قرية وكان من بينهم اخصائيون فى الطب والزراعة ومشكلات الريف ـ الى جانب ذلك فقد اعتمدت التجربة السوفيتية فى محو الامية على اشراك العمال المتعلمين فى تعليم الاميين ونقل الخبرة اليهم .

أما الاضافة الهامة التى قدمتها التجربة السوفيتية فى مجال تصفية الامية بحق هى ربط تعليم الاميين بمشاكل الحياة وقضايا الوطن .. فقد كانت كتب التهجى القديمة تقول للاميين « غذاؤنا شوربة ملفوف وعصيدة » « صابون ترابى غسيله أبيض » ولم تكن تهتم بتثقيف الجماهير سياسيا او بتوسيع مداركهم العلمية والفلسفية .. وكانت هذه المادة لا تجد اقبالا من الاميين .. تقول د . ى . بلكينا عضوة اللجنة الاستثنائية لمكافحة الامية (عند قراءة الجملة الاولى « ماشا طعمت العصيدة » ارتفع صوت جمهورى ساخر ، كانت ماشا وكانت العصيدة ، اما نحن فليس لدينا عصيدة ولا ماشا) ومن تلك الملاحظة وضعت نصوصا جديدة للتدريس تعبر عن مرحلة الثورة ودور الشعب الكادح فيها .. كتاب (فلتسقط الامية) وحينما قال لها أحد الجنود (نحن لسنا عبيدا .. والنصر لنا . أصبحت قولته هذه أول جملة فى كتاب التهجى) وتعلق ن . ق . كروبسكايا قائلة (انها طريقة ربط التعليم بالحياة الامر الذى كان ايليتش يطلبه على الدوام) .. فالامى كان يحس بالحرية وبالرغبة فى التعلم وهو يقرأ (نحن لسنا عبيدا .. والنصر لنا) وكان يجهد نفسه فى أن يتخلص من قيود الجهل ليتعلم قوانين الدولة الجديدة وليتحمل دوره بوعى ومقدرة فى الانتاج ، وفى الحفاظ على السلطة الاشتراكية .. وقد انفردت التجربة السوفيتية بأشكال جديدة للمهرجانات الخاصة باحتفالات الشعب بتصفية الامية من مؤتمرات ومهرجانات واقامة متاحف لمخلفات الامية .. وكانت المواكب تطوف الشوارع حاملة الشعارات التى تندد بالامية والتى تطالب (ينبغى أن لا يبقى أى أمى أو شبه أمى خارج مدارس مكافحة الامية) .

وتتمثل الصعوبات فى التمويل والقوى المعادية للشعب والتقاليد .. ونتيجة لما أحدثته الحرب الاهلية من متاعب .. وما قام به كبار الملاك والرأسماليون من تخريب وتدمير للاقتصاد كانت البلاد تمر بمرحلة فقر شديدة ، حتى ان بعض مراكز تصفية الامية أغلقت أبوابها وتوقفت عن تأدية مهمتها ففى سنة ١٩٢١ كانت بكل مديرية ١٦٠٠ مركز لتصفية الامية انخفض هذا العدد الى ١٥٠ مركزا سنة ١٩٢٢ .

واذا تناولنا كل مشكلة ، على حدة .. فلنبدأ :

أ ـ **التمويل** : وقد حدد المرسوم اللينينى كيفية توفير المواد اللازمة لمراكز تصفية الامية حيث يقول فى البند السابع (دوائر التموين ملزمة بأن تؤمن حاجات المؤسسات التى تستهدف تصفية الامية وبأن تفضلها على المؤسسات الاخرى) .

وفى سنة ١٩٢٣ تكونت جمعية (فلتسقط الامية) لهذا الغرض وكان لينين من بين أعضائها البارزين وكانت لها فروع عديدة فى المدن والقرى لدراسة مشاكل تصفية الامية وتذليل الصعاب ، وفى

سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ تم فتح أكثر من ١٢ الف مركز لمكافحة الامية · وفي سنة ١٩٢٨ دعت البرافدا الى ضرورة انشاء صندوق لتصفية الامية · ساهمت التعاونيات والنقابات والتبرعات في تكوين رصيده لتوفير الاضاءة والاقلام والاوراق وأماكن الدرس والمقاعد ·· بل لقد خصصت قطع من الارض الزراعية يحرثها الفلاحون ويزرعونها لهذا الغرض وحده ·· ولك أن تتصور كيف كان التعطش الى المعرفة يذلل تلك الصعاب وذلك الكساد ·· ففي دسكرة فاسيوروينسكايا (ظهر مكافحون في سبيل تصفية الامية من أمثال القوزاقي دميتري بروكودا الذي جذب الى مدرسة مكافحة الامية أكثر من مائة شخص ، وقد نال جائزة · ففي اجتماع جماهيري قدمت له هدية كانت تعتبر فاخرة في تلك الايام · قميص وقطعة قماش لبنطال) ·· وهذه الجائزة ليست في حاجة الى تعليق عن مدى الفقر الذي خلفه كبار الملاك والرأسماليون للشعب ·

ب ـ أعداء الثورة: كانت مقاومة الكولاك وكبار الملاك والرأسماليين لتصفية الامية مقاومة شرسة فتصفية الامية تعني نهايتهم تماما وتعني ترسيخ اقدام السلطة الجديدة (سلطة الشعب) لذلك فقد تولوا عملية تشويه للقضية ولاثارة الشكوك والريبة من حولها ، وأخيرا لجأوا الى العنف (ففي مقاطعة التربة السوداء المركزية وقع عدد كبير من حوادث ضرب المعلمين ومحاولات اغتيال مصفي الامية وحرق مراكز تصفية الامية ومن حوادث ابادة الكتب) ·

وفي خريف سنة ١٩٢٩ قام الكولاك بزهاء مائتي عمل اجرامي ضد المناضلين من أجل الثقافة منها ٦٠ حادثا من حوادث الارهاب) ·· لكن الاصرار الدائم لتصفية مخلفات الماضي الرجعية قطع الطريق أمام تلك المحاولات الشريرة لوقف حركة التعليم ·

ج ـ تعليم المرأة: وهي من أهم الصعوبات التي واجهت حركة تصفية الامية في الاتحاد السوفيتي، وقد كانت الامية بين النساء عالية ، وكانت تواجه قضية تعليم المرأة صعوبات مثل التقاليد والاسرة والزوج ·· وقد بذل الحزب دورا كبيرا من أجل أن تجد المرأة فرصتها للتعليم عملا بقول لينين (ينبغي لكل طاهية أن تتعلم ادارة الدولة) ·· ومن أجل توفير الوقت امام المرأة كانت هناك محاولات ناجحة ، منها ما قام به سكان حي باومن بموسكو (تعاون سكان الحي وفتحوا ٦٧ روضة للاطفال و٢٧ ساحة للاطفال في باحات البيوت ، و٧٢ غرفة مسائية للاطفال لدى مراكز مكافحة الامية وكان الاطفال يوضعون تحت رعاية فتيان الطلائع وطلبة دور المعلمين الابتدائية وجرى جمع كتب الاطفال واللعب · بذلك كانت الامهات تجدن الفرصة لحضور الدروس في مدارس مكافحة الامية) ·

جوركي ومایاكوفسكي بين الاميين :

واشتراك الكتاب والفنانين في تصفية الامية في الاتحاد السوفيتي يضيف الى الملحمة فصلا آخر ·· فقد اشترك من الكتاب والشعراء امثال (ف · بيختيريف و ف · مایاكوفسكي ·· وأ · سيرافيموفيتش وديميان بيسدني و ف · بريوسوف و · نيفيروف ومكسيم جوركي) وقد نظم مایاكوفسكي وهو من أعظم الشعراء السوفييت كتاب (الابجدية السوفيتية) في شكل أشعار ثورية · وكان جوركي يزور مدارس الاميين ويتحدث اليهم حول الدراسة والكتاب والثورة الاشتراكية ، وأهمية الثقافة في مقاومة مخلفات الماضي الرجعية ·· وفي سنة ١٩٢٠ كتب مقالا بعنوان (كيف تعلمت) قال في نهايته (أحبوا الكتاب ينبوع المعرفة ·· المعرفة هي وحدها طريق الخلاص وهي وحدها التي تستطيع أن تجعلنا أقوياء النفوس شرفاء وعقلاء) وكان جوركي صاحب فكرة أن تسجل للعاملات التي تعلمن القراءة والكتابة الاحاديث حول الثورة ·· والحياة المظلمة في عهد القيصر ·· وما أحدثه التعليم من تقدم في حياة الشعب (كما اقترح ف · م بيختيريف تنظيم مدارس متنقلة يعلم فيها معلمون ينتقلون بين القرى وفي سنة ١٩٢٧ توفي بيختيريف · ولكن المدرسة التي اقترحها كانت تعمل وكان المعلمون المتنقلون يحملون المعرفة الى القرية) ·

وقد أدى الشعر دورا عظيما في حماس المثقفين وفي دفعهم للمزيد من الجهد والتضحية كما كان يدعو الاميين في ثورية الى العلم والى اجتثاث مخلفات الماضي مثل أغنية الشاعر أ · بيزيمينسكي :

هلموا إخوتي هلموا اشرعوا الرماح
على السكر على الفودكا والاقداح ··
على الظلمة والوحل والاتراح
هلموا اخوتي وشدوا الخيل
ولنزحف على الظلمة والوحل ..
ونستمد في يومنا والغد
من حب الناس
العزم والجد
في استئصال جذور الماضي الوغد

وهذه الرباعيات والتي تمجد العلم وتندد بالظلام والعار الامية

فليسقط الظلام
وعبيء الجهال والاوهام
ولتشهر النقابة
على الامية حربا غلابة
الامية .

نكبة البلاد السوفيتية
أيها العامل والفلاح
مع الامية لا فلاح

الأمية .. والثورة الثقافية

في سنة ١٩١٣ كانت المدرسة يليـزافيتا نيقولا ييفينا تجد في عهد القيصر صعوبة وعنتا من البوليس والسلطة عندما كانت تنوى أن تجمع الفلاحين لتحدثهم عن منشأ الارض والانسان .. وكان لينين يشير الى أن ما يعوق الثورة الثقافية (مصاعب لا تصدق ، مصاعب ثقافية صرفة (فنحن أميون)ومصاعب مادية أيضا ، فلكى نصبح اناسا مثقفين ينبغي أن تكون وسائل الانتاج المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغى امتلاك أساس مادى معين) .

ولذلك فالى جانب تصفية الامية وتثقيف الشعب كانت حركة التعليم بمراحلها المختلفة تتخذ مسارا ثوريا يشمل عامة روسيا حتى لا يخرج الى المجتمع أميون جدد . أيضا الاهتمام بأن تدخل الى القرية وسائل العلم والتكنيك والثقافة وأن يكون بكل قرية مكتبة عامة وفى كل بيت .. هى من لوازم الحياة الجديدة حيث تكون الفرصة امام العمال والفلاحين دائمة لتوسيع مداركهم ووعيهم السياسى والثقافى

وقد كان لفضل الثقافة أثر كبير فى ترسيخ هذه الحقيقة .

وخلال سنتى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ أعلن الحزب ومجلس مفوضى الشعب للاتحاد السوفيتى أنه قد تم تصفية الامية تماما من الاتحاد السوفيتى ..

وكانت الخطوة التالية وكما قال لينين أنه (ليس بكاف أن نصفى الامية .. نحن بحاجة لرفع الثقافة الى درجة كبيرة) . ولذلك فقد أتيحت الفرصة أمام الذين تعلموا من العمال والفلاحين فى مراكز تصفية الامية لدراسة الجغرافيا والحساب واللغة فى مدارس أشباه الاميين والى أن يصلوا الى كليات العمال ويصبح من بينهم الخبراء والعلماء ورجال الدولة .. وأن يتعلموا كل شىء .. حتى الفضاء .

ان الفترة ما بين كفاح المدرسة يليزافيتا نيقولا ييفيناسنة ١٩١٣وذلك التقدم العلمى الهائل للاتحاد السوفيتى يرجع الى كفاح هذا الشعب واصراره ، والىعبقرية لينين .. ان فصول الملحمة التى بدأت بمحو الامية ووصلت الى الفضاء ما زالت تتوالى فقد أصبحت دولة العمال والفلاحين الفقراء والاميين أقوى دولة اشتراكية فى العالم تقدما فى العلم والاقتصاد والعلاقات الانسانية .



مجـــــلة دوى دين

سايجون ـ العدد ٢١ مارس ١٩٧١

اعترافات قس معاد للشيوعية

نشرت مجلة تصدر فى سايجون تدعى دوى دين (وجها لوجه) لقاء اجراه مندوبها مع القس نجوين فيت خاى تحت عنوان « اعترافات قس معاد للشيوعية » .

وكان خاى يتولى ابرشية كوينه لو فى اقليم نجه آن فى فيتنام الشمالية ، عندما اسره الجيش الشعبى ابان النضال ضد الاستعمار الفرنسى واتهم بالتعاون مع الاجانب . وبعد أن امضى فى السجن ٢٣ شهرا و٧ أيام اطلق سراحه عندما تحقق انتصار ديان بيان فو ، وقرر الانتقال الى سايجون فى جنوب فيتنام . وقد عرف خاى بانه القس المعادى للشيوعية .

وقد بدأ خاى الحديث مع مندوب المجلة بقوله بأن الناس يحاربون فى فيتنام الشمالية من أجل بلادهم ، فى حين أن أهل سايجون يفعلون ذلك من أجل دولارات امريكا ومن أجل السلطة .

■ ماهي صورة الشيوعيين في رأيك وماذا يشبهون ؟

● حسب ما تقدمه لنا وسائلنا الاعلامية فان الشيوعيين اناس بلا عقيدة ، وبلا وطن ، وبلا أسرة ، وهم لا يهتمون الا بالمبدأ القائل من كل حسب جهده ولكل حسب حاجته .

■ هل ترى ان للناس في جنوب فيتنام اسر ؟

● في جنوب فيتنام يوجد كثيرون جدا بلا اسر . فمن الشائع تماما ان يكون للملازم او الرائد او حتى اللواء أو رجل السياسة أسرة والى جوارها ثلاث او خمس او سبع خليلات وثماني اطفال آخرين في اماكن مختلفة .

وقد توفي مؤخرا في سايجون احد جنرالاتها في منزل عشيقته التي وصفتها الصحف بأنها بغي ، واشتركت في جنازته ثماني زوجات كل منهن تدعي أنها زوجته الشرعية .

وفي مواجهة مثل هذا الوضع يحق لنا أن نتساءل هل لدينا أسرة ؟ اننا لم نحس ابدا بمثل هذا الهوان ، ونحن نرى مئات الاسر وهي تتحطم . ففي جنوب فيتنام يوجد حاليا حوالي ٥٠٠٠٠٠ جندي اجنبي ، وهذا يعني انه ليس الشعب وحده هو الذي يفقد زوجاته وبناته بسبب هؤلاء ، بل أن كبار الموظفين ايضا في ادارة وحكومة جنوب فيتنام يفقدون نساءهم تحت اغراء الاجانب ، وذلك هو السر في ارتفاع معدل الانتحار في مجتمعنا .

■ ما الذي تستطيع ان تقوله لنا عن الوطن ؟

● لدى شكوك عديدة حول هذا الموضوع . هل هناك وطن بعد ان يعنا للولايات المتحدة ولمدة ٩٩ عاما ، اجزاء من ترابنا الوطني مثل شولاي ، كام رانه ، آن خي ، دانانج ، فوج ثاو ، بعضها علانية والاخر سرا ؟

■ وماذا عن الحرية في جنوب فيتنام ؟

● ان كل الموظفين الكبار ابتداء من زعماء البلاد الى حكام المدن ، خاضعين للسيطرة الامريكية . وكل وحدة عسكرية لها رقيب امريكي يتحكم فيها . واذا حدث خطأ في احدى المناطق من وجهة نظر الامريكيين ، ابدلوا المسئولين فورا وجاءوا بمن يخدمونهم أكثر .

■ هل يمكن ان توضح الامر اكثر ايها الاب خاي ؟

● بالطبع ، مثلا اذا فتحنا السجون في جزئي فيتنام ، سنجد في الجنوب ، خاصة في جزيرة فوكوك ، ٤٠ الف سجين في سجن واحد من جنود الفيتكونج النظاميين ، او من رجال العصابات ، أو كما يسميهم الشعب : رجال جبهة التحرير الوطني في جنوب فيتنام . ولن نجد بينهم صينيا واحدا أو روسيا واحدا . ولكن اذا فتحنا سجنا في هانوي فلن نجد سوى الجنود الامريكيين ، من البحارة ورجال الاسطول أو من يسمون قراصنة الجو .

وهناك امر آخر . فقد صدر أخيرا في باريس كتابان ، احدهما اصدره شيوعيو فيتنام الشمالية ، والاخر اصدره ديمقراطيو فيتنام الجنوبية . فماذا نجد في الكتابين ؟

في الكتاب الاول نرى في الصفحة الاولى صورة الرئيس هوشي منه ، أما كتاب الجنوب فتوجد سحنة نجوين فان ثيو في صفحته الاولى . وفي الصفحة الثانية من كتاب الشمال نرى مجموعة من الرجال العجائز يحملون المدافع والبنادق دفاعا عن قريتهم ، ويطلقون النيران على طائرات الولايات المتحدة ، أما الصفحة الثانية في كتاب الجنوب فتنشر صورة زوجة نجوين فان ثيو ، وهي بكل تأكيد قبيحة تماما .

وفي الصفحة الثالثة من الكتاب الاول نرى جنودا يتدربون على اطلاق النيران ، ثم صورة فتاة اسقطت اخيرا طائرة امريكية ، واخرى ذات ضفائر تمسك بندقيتها بيدها تقود اسيرا امريكيا . أما الصفحة الثالثة من الكتاب الثاني الصادر عن فيتنام الجنوبية ، فنرى زوجات الوزراء يزرن اعضاء مجلس الشيوخ يطلبن الصدقات وصناديق الصابون لتوزيعها على فقراء سايجون .

اننا حين نتحدث عن الحرية ، يجب أن نقر ونعترف بأنه في حين يقاتل الناس في الشمال دفاعا عن وطنهم وبلادهم ، فانهم في الجنوب يحاربون من اجل الدولارات والسلطة .

مناقشات مفتوحة

كتب حسام الدين بهى الدين ريشو
المدرس بمدرسة كفر السودان الابتدائية
بدسوق عن :

ظاهرة الرشوة فى مصر

فى برنامج العمل الوطنى الذى قدمه الرئيس « السادات » الى المؤتمر القومى لفتة خاصة الى أهمية بناء الانسان ، فنراه يقول بوضوح « ان بناء الدولة الجديدة لا يمكن أن ينجح بدون بناء الانسان الجديد » . وينوه البرنامج الى « اننا يجب أن نقف بشدة ضد الجشع والرشوة والطفيلية » وهذه كلها أمور تتعلق بالانسان ذاته ، وان كانت بالطبع نتيجة انعكاسات لاشياء موجودة فى المجتمع ككل ، ونحن هنا نود أن نركز على دراسة « ظاهرة الرشوة » بالذات باعتبارها من أهم السلبيات التى يجب أن يتخلص منها مجتمعنا .

الرشوة تاريخيا

ظاهرة الرشوة ليست ظاهرة حديثة ، وانما لها جذورها التاريخية ، اذ أنها ترتبط فى نشأتها بظهور الطبقات ، وقيام سلطة الدولة ، ونشوء العلاقات الانتاجية والاجتماعية المبنية على الاستغلال والقهر من الطبقات المسيطرة على أجهزة الدولة لبقية الطبقات الاخرى .

ويتحدد مفهوم الرشوة فى أنها « فعل يرتكبه شخص ذو صفة عامة عندما يستغل السلطات المخولة له ، ويطلب لنفسه أو لغيره أو يقبل وعدا أو عطية لاداء عمل من أعمال وظيفته أو للامتناع عن أداء ذلك العمل ، أو للاخلال بواجبات وظيفته » (مصر المعاصرة العدد ٢٨٨) .

ولقد نشأت ظاهرة الرشوة فى مصر على اعتبار أنه كان مجتمعا طبقيا اقطاعيا رأسماليا ، وهى ما زالت موجودة به بالرغم من انقضاء عشر سنوات على بداية التحول الاشتراكى .

والواقع أننا لو حاولنا تتبع الاسباب التى أدت الى وجودها ، والتى تهيىء المناخ لاستمرارها لوجدنا أنها أسباب اقتصادية واجتماعية فى المقام الاول تعكس نفسها فى قيم وسلوك ، هذه الاسباب تتحدد فيما نعتقد فى الاتى :

● سوء توزيع الثروة فى مصر والذى نتج فى الاساس عن طريق سيطرة فئة قليلة على وسائل الانتاج ـ كبار الملاك ـ البورجوازية ـ وحصولها

على غالبية الدخل القومي ، وانخفاض مستوى المعيشة لدى السواد الاعظم من الشعب ، مما ترتب عليه محاولة اصحاب الدخول المحدودة الاثراء عن طريق اللجوء الى مثل أسلوب الرشوة .

● سيطرة الاستعمار على مصر فترة طويلة وحكمه لها عن طريق مجموعة من العملاء الذين باعوا بلادهم نتيجة حصولهم على وظائف ما وصلوا اليها الا عن طريق الرشوة أو التبعية ، فانعكس هذا على عملهم ، فكانوا لا يؤدون واجباتهم الا اذا ارتشوا أيضا .

● القيم البالية والتى ما تزال موجودة حتى الان مثل النظرة للانسان بما يملك لا بما يعمل ، مما يدفع البعض الى الجرى وراء هذه القيمة ليكسبها لنفسه وتكون الرشوة هى الوسيلة لذلك . ونذوه فى هذا المجال آن برنامج العمل الوطنى يؤكد على ضرورة « آن تقديس العمل واحترامه لابد آن يكون القيمة الاولى فى حياتنا » ومن قبله أكد الميثاق الوطنى « ان العمل واجب .. والعمل حق .. شرف » .

● الشعور بالاغتراب الذى ينتاب البعض نتيجة رؤيتهم لبعض القطاعات التى تحصل على امتيازات مادية كثيرة — مرتبات عالية ، مكافآت — بدلات تمثيل ، تسهيلات عينية .. الخ — فى الوقت الذى يحصلون فيه على ما لا يكفى حاجتهم ، لذلك لا يعملون الا اذا حصلوا على ما يستطيعون الحصول عليه ممن يهمه انجاز هذا العمل او ذاك ولذلك نرى برنامج العمل الوطنى فى حديثه عن القيم التى يجب أن تسود المجتمع الجديد يؤكد « ان القيمة الثانية هى حب الوطن » .

● مظاهر الترف الفاحش التى يعيش فيهـا البعض مما يدفع البعض الى الطموح والتطلع الطبقى بالرغم من ان دخولهم قد تحقق مطالب أسرهم الاساسية .

ثورة ٢٣ يوليو والرشوة

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، فانها كانت بدون تنظيم سياسى اشتراكى ، ولذلك فقد اعتمدت على جهاز الدولة القديم بما فيه من عفونة وبما يمثله من سلطة تسيطر عليها الافكار والمفاهيم البورجوازية ، وبالتالى حدث التناقض بين الثورة ومفاهيمها وقيمها الجديدة ، وجهاز السلطة بقيمه المتخلفة ، ولذلك أهملت مطالب الجماهير وتفشت البيروقراطية ، وساعد هذا المناخ على استمرار الرشوة واستمرار أسبابها بالرغم من التحول الاشتراكى .

ولقد واجهت ثورة ٢٣ يوليو هـذه الظاهرة بمجموعة من التشريعات القانونية والاجراءات الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن يلاحظ انها لم تحد من انتشار الظاهرة .

كيف نقضى على هذه الظاهرة ؟

وانطلاقا مما جاء فى برنامج العمل الوطنى من « اننا يجب أن نقف بشدة ضد الجشع والرشوة والطفيلية » فاننى أرى :

١ — ضرورة العمل على رفع مستوى المعيشة واذابة الفوارق بين الطبقات ، فالملاحظ أنه رغم كل الاجراءات التى اتخذتها الثورة للتقريب بين الطبقات فما زالت نسبة الدخل للفئات العليا بالدولة تعادل ٤٠ ضعفا من أدنى دخل ، ولقد كان هذا أحد أهداف برنامج العمل الوطنى .

٢ — العمل الدائب على احلال القيادات الشابة التى تربت فى ظل الثورة فى جهاز الدولة وتطوير هذا الجهاز عن طريق اتاحة الفرصة للجماهير لتنقد وتقول كلمتها بحرية وتمارس دورها فى الرقابة ، والامل معقود على ممارسة « المجالس الشعبية » لمسئولياتها كاملة بما يؤدى أيضا الى القضاء على البيروقراطية .

٣ — أن تتحقق للتنظيم السياسى أيضا الرقابة الفعالة على جهاز السلطة عن طريق كوادره الثورية المدربة ، على أن يقوم التنظيم بتربية الافراد والقيادات تربية سليمة تمكنهم من خدمة وطنهم . ويرى برنامج العمل الوطنى « ان بناء الدولة الجديدة لا يمكن أن ينجح بدون بناء الانسان الجديد الامر الذى يحتاج الى عمل تربوى مستمر من قبل الاتحاد الاشتراكى بكافة مستوياته وتنظيماته المساعدة » .

٤ — التوعية المستمرة للجماهير واحلال القيم والافكار التى تخدم المجتمع الجديد محل « القيم البالية التى فرضتها على حياتنا العلاقات الاقطاعية والراسمالية » .

كلمة اخيرة

واذا تم ذلك فأنه بالقطع لن تحل المشكلة حلا نهائيا ، وفى رأينا أن ظاهرة الرشوة لا يمكن أن تنتفى كظاهرة الا فى وجود مجتمع اشتراكى ، مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، لا ينمين

فيه أحد عن الاخر الا بما يقدمه للمجتمع ... مجتمع ينتفى فيه الاستغلال ، استغلال الانسان لاخيه الانسان .

●

كتب ابراهيم عبد اللـه المسلمى
بكالوريوس تجارة عين شمس
ــ فرع الزقازيق عن :

اسرائيل والبترول الايرانى

١ ــ اسرائيل بلد مستورد للبترول :

فى البداية : لابد من الاشارة الى أن اسرائيل تدعم حركتها التنقيبية عن البترول فى فلسطين المحتلة يساعدها فى ذلك رأس المال اليهودى فى العالم كله وشركات ومؤسسات صناعية غربية خاصة الامريكيةمنها ومع ذلك فان هناك ملاحظتين هامتين :

أ ــ أن الانتاج المحلى ــ لاسرائيل ــ لا يزيد فى أحسن حالاته عن ١٠ فى المائة من احتياجات الاستهلاك المحلى .. ومعدله العادى لا يتجاوز ٥ر٧ فى المائة من هذه الاحتياجات المحلية .

ب ــ نظرا لحركة التصنيع الدائبة فى اسرائيل وارتفاع مستوى المعيشة فيها فقد بلغ استهلاك اسرائيل من المنتجات البترولية عام ١٩٦٧ حوالى ٣ر٢ مليون طن وبذلك فنسبة استهلاك الفرد فى اسرائيل للمنتجات البترولية تعتبر اعلى نسبة استهلاك فى بلدان الشرق الاوسط .

وعلى ذلك فان اسرائيل سوف تظل بلدا مستوردا للبترول ــ وبكميات كبيرة ــ وقد بلغت قيمة واردات اسرائيل من البترول عام ١٩٦٧ وحده اكثر من ٦٠ مليون دولار .

٢ ــ اسرائيل والصناعة البترولية :

ورغم كمية البترول المنتجة فى اسرائيل ، فقد استطاعت أن تدخل ميدان الصناعة البترولية ــ من بابها الواسع ــ بالطرق الاتية :

أ ــ اقامة « صناعة تكريرية كبيرة » تزيد عن احتياجات الاستهلاك المحلى ويذهب للتصدير منها جزء كبير ..

ب ــ انشأت صناعات بتروكيمائية واسعة ...

جـ ــ أمدت شبكة من خطوط انابيب النفط الخام والمنتجات المكررة وأسطولها من ناقلات البترول ... وقد ساهمت فى انشاء هذا الاسطول شركات اسرائيلية خاصة وكذلك شركات اسرائيلية حكومية لكى تضمن المشاركة فى الرقابة والاشراف والتوجيه للناقلات .... وبينما نلاحظ ذلك فى اسرائيل ... نلاحظ أيضا أن النشاط البترولى فى البلاد العربية المنتجة للبترول هو فى جزئه الاكبر تابع لشركات أجنبية احتكارية .. وأن الحكومات العربية لا تساهم ماليا فى هذه الشركات ، ولا تمارس عليها رقابة حقيقية ، ولا توجهها اية وجهة معينة .. بذلك فما زالت هذه الشركات المستغلة تعاملنا على أننا مجرد منابع لاستخراج النفط الخام ! ويتم التصدير ليل نهار ليطور صناعة الغرب الرأسمالى !!

٣ ــ اسرائيل والبترول الايرانى :

انه منذ عام ١٩٥٧ والبترول الايرانى يصدر لاسرائيل .. وقد تزايدت هذه الكميات بعد عام ١٩٦٠ .. حتى أصبح الان المصدر شبه الوحيد لواردات اسرائيل البترولية بعد أن كان ــ البترول الفنزويلى ــ هو المصدر الرئيسى لامداد اسرائيل بالبترول .. ولعلنا نتساءل : لماذا فضلت اسرائيل استيراد البترول الايرانى عن البترول الفنزويلى ؟ والاجابة على ذلك تتمثل فى امرين هما :

أ ــ رخص أسعار البترول الايرانى ...

ب ــ انخفاض تكلفة الشحن بالنسبة للبترول الايرانى نظرا لقربه من اسرائيل ... هذا .. وقد بلغ مقدار الوفر من هذين المصدرين حوالى ٢٠ مليون دولار سنة ١٩٦٧ وحدها والملاحظة الهامة هنا : أن هذه الملايين التى توفرها اسرائيل كل عام انما توفرها لشراء مزيد من اسلحة الدمار التى توجهها الى صدور العرب والمسلمين ، وتمكن لها من مواصلة العدوان وتشديد قبضتها على فلسطين ... ومن ضمنها (بيت المقدس) وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين ... والذى تتجه اليه أفئدة المسلمين فى العالم بما فيهم مسلمى ايران ...

والذى يزيد من بشاعة هذا الموقف الايرانى المحابى لاسرائيل ــ بتروليا ــ ان شركة النفط الوطنية الايرانية التى تملكها الحكومة الايرانية ملكية تامة هى التى تصدر النفط لاسرائيل !! ٠٠ وقد هيأ البترول الايرانى لاسرائيل ما يلى :

١ ــ توفيرا ماليا سنويا كبيرا ٠٠٠

٢ ــ ازدهــــارا لصـــــناعة التكريــــر ، والبتروكيماويات ٠٠

٣ ــ مكنها من اقامة خط للانابيب من ايلات الى حيفا وتشغيله ٠٠

٤ ــ امتلاك اسطولها من ناقلات البترول ٠٠

٥ ــ الاقدام على مشروع خط الانابيب الضخم الجديد الذى تنوى اسرائيل منذ سنوات الى اقامته من ايلات الميناء الى عسقلان أو (اسدود) لاغراض التصدير ، والمعتمد اعتمادا كبيرا على بتــرول ايران ٠٠ وبذلك تدعم مركز ايران الدولى وفى نفس الوقت تلحق الضرر بالمصالح العــربية الوطنية ٠٠٠

٤ ــ فلنحدد موقفنا العربى ٠٠٠

ان اسرائيل تستورد حاجتها البترولية من أقرب المصادر وأرخصها ، والمصدر الان هو (ايران) ٠ ومتى استطاع العمل العربى الجاد أن ينفذ الى نقطة الضعف الاسرائيلية هذه ويحرمها مــن استيراد البترول الايرانى ، ويجعلها تعتمد على الاستيراد المضطر للبترول الفنــزويلى ــ حيث فنزويلا بعيدة عن اسرائيل فى الموقع وبالتالى يستلزم نقل هذا البترول رفع التكاليف ــ فان ذلك سوف يزيد العبء المالى على اسرائيل بشكل كبير ويؤثر على أمنها القومى ٠٠٠

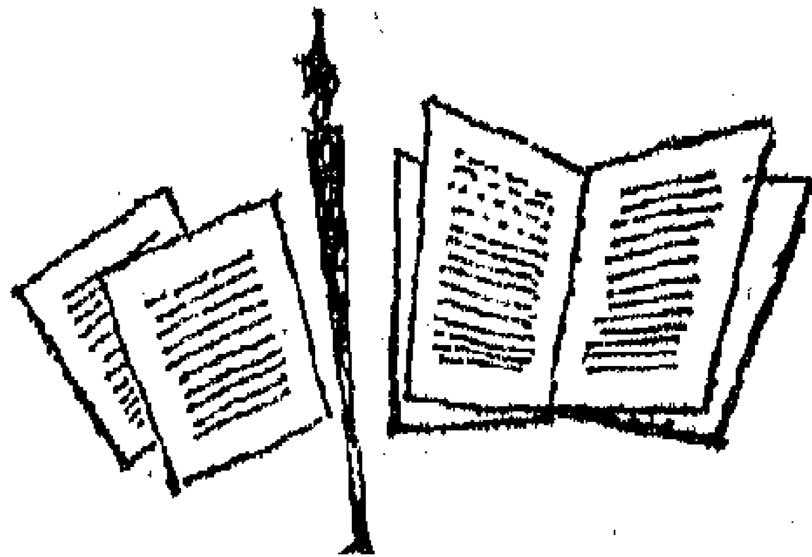
ولا شك أن العلاقات العربية الايرانية اليوم هى فى حالة تحسن وتقدم خاصة بعد زيارة الرئيس المصرى « أنور السادات » لطهران فى شهر أكتوبر من العام الماضى ٠٠ وبذلك يمكننا من اطــلاع الشعب الايرانى المسلم على حقيقة شركته الوطنية للنفط ، ليؤكد سيادته على شركاته الوطنية ٠٠ واذا أمكن اقناع المسئولين الايرانيين بقطع البترول الايرانى عن اسرائيل فسوف يشكل هذا مشاكل مالية واقتصادية وسياسية ٠ وسوف تنقطــع الفوائد السابقة التى تجنيها اسرائيل من استيراد البترول الايرانى ٠٠ فاذا أمكن ذلك فسوف تكون صفعة قاسية لغرور اسرائيل ، ولصلفها وعجرفتها التى لا تعرف الحدود ٠٠٠

ان هناك الان منظمة تسمى (منظمة الاوبيك) وهى تضم البلاد المنتجة والمصدرة للبترول وفيها بلاد عربية بالاضافة الى ايران وفنزويلا ٠٠ فهل يمكن للبلاد العربية هذه ان تضع ضمن جدول أعمالها مثل هذا العمل الرائع ٠٠ وتدافع عنه مثلما تدافع عن مصالحها البترولية ؟

وهل يمكن لجامعة الدول العربية ومجالسها المتخصصة ان تساهــم ــ مجتمعــة او فرادى ــ بالاتصال بالمسئولين الايرانيين وطرح فكرة توقف ضخ البترول الايرانى لاسرائيل ؟ ان الحرب التى تدور بين العرب واسرائيل ليست حربا لمعارك عسكرية فقط بقدر ما يمكن تحويلها الى حرب مشروعة سياسيا واقتصاديا وعسكريا فى نفس الوقت ٠٠٠ واذا كان من الممكن لنا أن ندير حوارا جديدا مع ايران ٠٠٠ أو أمكن لايران ــ ذاتها ــ أن تفتح صفحة بيضاء مع العرب تعود فيها الثقة والمحبة والسلام بيننا وبينهم واذا تم التقارب فعلا بين وجهات نظرنا ٠٠ فهل من الممكن أن ندير حربا اقتصادية ــ فى مجال البترول هنا ــ ضد اسرائيل

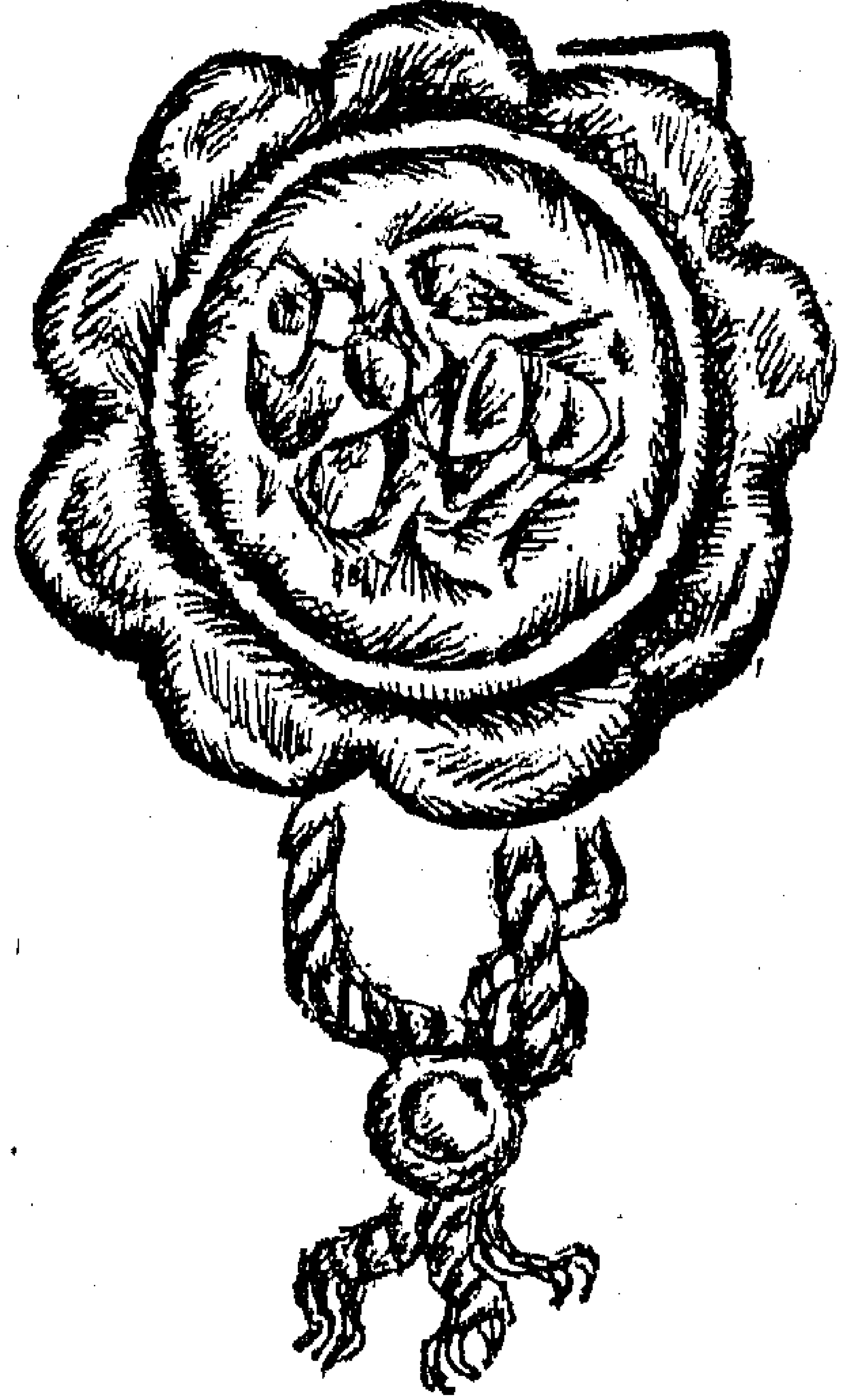
انها كلها مازالت تساؤلات مطروحة ٠٠٠

٠٠٠ ولنترك المستقبل ٠٠ والعمل العــربى الموحد ٠٠ ليضع النقــــاط فوق الحروف وليضع تصورا لما يمكن أن تكون عليه الحال فى شأن وقف ضخ البترول الايرانى لاسرائيل ٠



وثائق





البرنامج السياسى لجبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية

(تبنـاه بالاجماع المؤتمر المنعقد فى بكين فى ٣ مايو ١٩٧١)

تواصل الطليعة نشر برامج حركات التحرر الوطنى والمنظمات الثورية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، المعاصرة .

وفى هذا العدد، تنشر البرنامج السياسى لجبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية .

وسوف تواصل الطليعة فى اعدادها القادمة ، تقديم عدد من برامج المنظمات الثورية الهامة ، بهدف أن يتعرف القارىء العربى على المواقع الثورية والنضالية فى حركة التحرر الوطنى المعاصرة ، لتفهم منطلقاتها واستراتيجيتها وتاكتيكها السياسى ، باعتبارها حصيلة تجربة نضالية لشعب شحذ ارادته للتخلص من الاستعمار والتصدى لمشكلات التخلف والانطلاق فى طريق التحرر والتقدم .

لقد شيدالشعب الكمبودى منذاكثر من ن الفى عام مضت مجتمعا منظماوتالق نور حضارة انجكور على كل ربوع جنوب شرق آسيا لقرون عديدة وقدم مساهمة يمتد بها فى الحضارة العالمية .

لقد بجل المجتمع الكمبودى خلال تلك الفترة القيم الاخلاقية والثقافية وبث تقاليد النضال وشعور الشرف والكرامة ونظر الى سلطة الدولة باعتبارها مسئولية لخدمة الشعب واعلى المصالح العامة فوق المصالح الخاصة للافراد . وكانت رفاهية الشعب وسعادته هى هدف كل أجهزة الدولة . ويمكن للمرء أن يتلمس شواهد هذه الحضارة وعلامات المفهوم الشعبي لمسئوليات الدولة والتمحيص الفلسفى فى كل مكان . على قواعد الاثار التاريخية ، فى المخطوطات ، والحفريات الحجرية ، على بقايا المستشفيات والقناطر والجسور والكبارى .. وغيرها .. وفى كل تفاصيل العادات والسلوك فى حياة شعبنا .

ومر الشعب الكمبودى مثل غيره من الشعوب ، عبر القرون ، فى مجرى تطوره التاريخى بالازمات والاحداث والنكسات كما مر أيضا بفترات الازدهار والانتعاش والنضالات المنتصرة . وخلال القرن الماضى عانى الشعب الكمبودى مثلما عانت شعوب شبه جزيرة الهند الصينية من حكم الاستعمار الفرنسى . ولكن الشعب الكمبودى مخلصا لتقاليده النضالية الطويلة ومستلهما تراث أمجاد انجكور لم يكف ابدا عن شن حرب عنيدة ضد الاحتلال الاستعمارى حتى فى أكثر لحظات التاريخ ظلمة ، ولقد تحمل الشعب الكمبودى تضحيات عالية لكى ينقذ استقلاله الوطنى . ان تاريخنا مفعم بالصفحات المجيدة وشجرة اجدادنا غنية بالابطال . ان هذا هو السبب فى أن شعب كمبوديا بأجمعه توجهه التقاليد النبيلة لاجداده مستلهما تراثهم الوطنى الفذ ، اتحد كرجل واحد فى نضال بطولى ضد المستعمرين الفرنسيين الذين كانوا مدعومين بالفعل بالمتدخلين الامريكيين ، وكسب الشعب الكمبودى فى النهاية استقلالا وطنيا كاملا اعترفت به وضمنته اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ .

ومنذ ذلك الوقت اختار الشعب الكمبودى فى توافق مع طبعه ومطامحه العميقة سياسة للاستقلال الوطنى والسلم والحياد ، وتبنى مبادىء باندونج الخمس للتعايش السلمى فى العلاقات الدولية فى عام ١٩٥٥ . ولكن التجربة قد أثبتت ان الامبرياليين الامريكيين هم العدو الاشد خطرا والاكثر حقدا وخيانة لشعبنا وسياستنا . وفى الواقع فلقد دبروا عددا من المؤامرات كان اكثرها اهمية تلك التى حدثت فى عام ١٩٥٩ بمشاركة الجنرال الكمبودى داب شيون وسام سارى وعدد من اعضاء سفارة الولايات المتحدة الامريكية فى بنوم بنه والتى تبعها قذف قنبلة زمنية على القصر الملكى ثم ثورة ١٩٦٣ التى نظمها سونجساك وهو مصرفى وعميل لوكالة المخابرات المركزية بالمشاركة مع سيريك ماتاك والت ، كانت تهدف الى تخريب اقتصادنا وسياستنا . وخلال العشر سنوات الماضية شنت القوات المسلحة لحكومة سايجون التى تخدم الولايات المتحدة والمدعمة غالبا بالفرق والطائرات الامريكية شنت بشكل صريح وعلى نطاق واسع الاعتداءات على قرى حدودنا وسكانها متسببة فى وقوع خسائر فادحة فى الممتلكات ، وفى قتل مئات من المواطنين غالبيتهم العظمى من المدنيين العزل من الرجال والنساء والاطفال وعندما رأى عملاء الامبرياليين الامريكيين واتباعهم الذين تضمهم مجموعة من الخونه على رأسهم لون نول وسيريك ماتاك النضج السياسى لشعب الكمر الذى كان قادرا على هزيمة كل مؤامرات وأفعال المعتدين تآمروا على أن ينسفوا بشكل مفتوح القطاع المؤمم من اقتصادنا واندفعوا فى اعتقال وسجن واغتيال الوطنيين وفى تزوير وتشويه الحقيقة ضد عناصر المثقفين ورجال الدين والانصار الشريفة الذين يساندون سياسة الحياد بقوة وضد الوطنيين التقدميين وقاموا بابعادهم عن أجهزة الدولة . وكانت قمة هذه المؤامرة هى الانقلاب العسكرى فى ١٨ مارس ١٩٧٠ الذى سمح للامبرياليين الامريكيين بأن يقيموا فى بنوم بنه نظاما فاشستيا عنصريا برأسه الخونة لون نول وسيريك ماتاك والواقع انه لم يمض شهر واحد على وقوع هذا الانقلاب حتى عرف العالم أجمع أن سياسة بلادنا للاستقلال الوطنى والسلم والحياد قد قضى عليها وان الخونة لون نول وسيريك ماتاك يربطون أنفسهم اكثر فاكثر باتباع الامبرياليين الامريكيين فى الهند الصينية وآسيا حتى يفرضوا على الشعب الكمبودى دكتاتورية فاشستية عنصرية . ويعرف العالم كله ايضا ان كمبوديا قد أصبحت « فيتنام » جديدة تتدخل فيها القوات الامريكية بشكل صريح ووحشى لقمع شعبنا .

واستجابة للنداء التاريخى لسامديخ نوردوم سيهانوك رأس الدولة فى ٢٣ مارس ١٩٧٠ شن الشعب الكمبودى بحماس أشكالا من النضالات السياسية والمسلحة وغيرها سواء فى داخل البلاد أو خارجها ، فى العاصمة والمدن والريف بما فى ذلك أكثر المناطق النائية مما هز معنويات السلطة المتداعية للخونة فى البلاد . وهدف البرنامج السياسى الحالى لجبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية (فوتك) هو تحقيق أوسع

كمبوديا

المساحة : ٦٩٫٨٦٨ ميلا مربعا .

عدد السكان : ٧٫١٠٠٫٠٠٠ نسمة [احصاء ١٩٧٠] .

العاصمة : بنوم بنه .

الديانة : يدين معظم السكان بالبوذية

اللغة : اللغة القومية هى الكمبودية واللغة الفرنسية منتشرة .

التطور التاريخى : كانت تكون مع الهند وسيام وفيتنام ، امبراطورية كمر . وفى ١٨٦٣ خضعت للحماية الفرنسية وسيطرت الاحتكارات الفرنسية على اقتصادياتها . وفى اثناء الحرب العالمية الثانية احتلتها اليابان عام ١٩٤٠ وأعلنت استقلال كمبوديا عن فرنسا ، وبانتهاء الحرب بهزيمة اليابان ، عادت فرنسا الى كمبوديا عام ١٩٤٦ . وفى عام ١٩٤٩ تم انهاء الحماية الفرنسية ، عندما تولى الامير **نورودوم سيهانوك** الحكم ، واصبحت كمبوديا جزءا من الاتحاد الفرنسى . وفى ٩ نوفمبر ١٩٥٣ انسحبت القوات الفرنسية من البلاد ، ثم اشتركت كمبوديا فى ١٩٥٤ فى المؤتمر الاول بجنيف ، كدولة مستقلة ذات سيادة . وفى عام ١٩٥٥ تنازل الملك **نورودوم سيهانوك** عن العرش ليخلفه أبوه ، وتولى هو منصب رئيس الوزراء . وفى عام ١٩٦٠ أصبح رئيسا للدولة .

ودعا الامير نورودوم الى تكوين « المؤتمر الاشتراكى الشعبى » كمجتمع يضم التنظيمات السياسية وفق مفهومه لنظام الحزب الواحد . وانتهج سياسة خارجية تدعو الى الحياد الايجابى وسياسة داخلية تدعو الى التقدم الاقتصادى . وقد تعرضت كمبوديا نتيجة لذلك لعداء الولايات المتحدة الامريكية خاصة بعد تجربة رفض سيهانوك الانضمام الى الاحلاف العدوانية فى آسيا . ووصل هذا العداء قمته فى عام ١٩٦٥ عندما اتهم سيهانوك الولايات المتحدة بالتدخل فى شئون بلاده فقطع العلاقات الدبلوماسية معها بعد ان اعتدت الطائرات الامريكية على قرى الحدود الكمبودية بحجة «ضرب الثوار الفيتناميين» وكان الامير سيهانوك قد اعترف بالصين الشعبية وفيتنام الشمالية والحكومة

وحدة وطنية للنضال ضد مناورات وعدوان الامبرياليين الامريكيين والاطاحة بديكتاتورية عملائهم الذين يرأسهم لون نول وسيريك ماتاك وللدفاع عن الاستقلال الوطني والسلم والحياد . وسيادة البلاد ووحدة أراضيها داخل حدودها الحالية ومن أجل بناء نظام حر ديمقراطي للشعب يتقدم نحو تشييد كمبوديا المزدهرة التي تتوافق مع المطامح العميقة لشعبنا .

الجزء الاول

توحيد كل الشعب للصراع ضد مناورات وعدوان الامبرياليين الامريكيين والاطاحة بدكتاتورية أتباعهم وعلى رأسهم لون نول وسيريك ماتاك ، ومن أجل بناء كمبوديا المستقلة المسالمة المحايدة الديمقراطية المزدهرة .

خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة كان شعب الكمر قادرا على حماية كمبوديا المستقلة المسالمة والمحايدة ، لقد هزم كل مؤامرات الحصار والاستفزاز والعدوان من جانب الامبرياليين الامريكيين التي كانت تهدف الى اقامة سلسلة من القواعد العسكرية من جنوب فيتنام الى تايلاند بما في ذلك لاوس وكمبوديا وتحويل بلدنا الى مستعمرة من النوع الجديد . ولقد حطم انقلاب ١٨ مارس ١٩٧٠ والذي خطط له الامبرياليون الامريكيون حطم بشكل وحشي استقلال وحياد وسلام بلادنا . وهذا هو السبب في استجابة شعب الكمر متمسكا بقوة بهذه المبادىء وبتقاليده للنداء التاريخي الذي وجهه رئيس الدولة سامدتش نورودوم سيهانوك في ٢٣ مارس ١٩٧٠ فهب بشكل واسع لشن النضالات السياسية والمسلحة وكل الانواع الاخرى من النضال ضد الامبرياليين الامريكيين وتوابعهم وخاصة عملاءهم في جنوب فيتنام وعصاباتهم في كمبوديا التي يترأسها لون نول وسيريك ماتاك وفي هذه الظروف فان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية رغبة منها في تطوير اعلان سيهانوك ذو النقاط الخمس تقترح المهام التالية :

— توحيد وتحريك كل الطبقات والفئات الاجتماعية وكل الاحزاب السياسية ، كل التنظيمات المهنية او العقائدية ، كل الشخصيات الوطنية سواء في داخل البلاد أو خارجها بغض النظر عن آرائها السياسية ومعتقداتها الدينية في سبيل حماية استقلال كمبوديا الوطني وسلامها وحيادها ووحدة أراضيها في اطار الحدود الحالية ، ومعارضة مشروعات الامبريالية الامريكية واعتداءاتهم والاطاحة بالديكتاتورية الفاشية العنصرية لعصابة اتباع الامبرياليين الامريكيين التي يترأسها لون نول وسيريك ماتاك .

— الترحيب الاخوي بجماهير الشعب وكل الموظفين ورجال البوليس والضباط والضباط المتقاعدين ورجال القوات المسلحة لعصابة لون نول وسيريك ماتاك والمثقفين والطلاب وغيرهم من الشخصيات الذين قرروا الانخراط في جبهة الاتحاد الوطني . ويمكن لاولئك الذين لم يستطيعوا لسبب أو لاخر أن ينخرطوا بعد في صفوف جبهة الاتحاد الوطني أن ينسقوا جهودهم مع اولئك المنضمين اليهم ، ولسوف ترحب بهم الجبهة بتفهم كامل .

— ولما كان العدوان الامريكي ضد كمبوديا هو جزء من خطة توسيع الحرب التي يخسرها الامبرياليون الامريكيون في جنوب فيتنام ولاوس فان جبهة الاتحاد الوطني تنسق نضالها مع نضال الشعوب الشقيقة في فيتنام ولاوس على اساس أن التحرر وحماية كل بلد هو أمر يخص شعبه نفسه وعلى أساس أن المساندة المتبادلة بين هذه الشعوب الثلاث يجب أن تقوم على الاحترام المتبادل والمطامح الشرعية لكل شعب معني .

— خلق وتدعيم جيش التحرير الوطني (MLA) الذي يضم وحدات حرب العصابات والانصار وتلك العناصر من جيش ركمير الملكي التي رفضت الرضوخ لديكتاتورية لون نول وسيريك ماتاك عملاء الامبريالية الامريكية ، وتلك العناصر الموجودة في القوات الفيتنامية للخونة لون نول وسيريك ماتاك التي سوف تقرر في المستقبل الانضمام لصفوف جيش التحرير الوطني .

— ان مهمة جيش التحرير الوطني هي أن تحطم نهائيا القوات المسلحة المعادية وأن تحمي وتوسع المناطق المحررة التي هي المؤخرة الصلبة لنضالنا . وفي مجرى النضال يجب أن يطور جيش التحرير الوطني روح الوطنية وأن يرفع مستواه السياسي وأن يرفع عاليا روح التضحية من أجل قضية الشعب .

— ويمكن لتلك الوحدات المسلحة التي تخدم حاليا النظام الرجعي والتي لم تستطع لاسباب مختلفة الانضمام لجيش التحرير الوطني ولكنها تناضل ضد الامبريالية الامريكية ، أن تنسق أعمالها مع أعمال جيش التحرير الوطني في الانقضاض على الامبريالية الامريكية وعملائها .

— انزال أقصى العقوبات بالرجعيين المدانين بارتكاب الجرائم ضد الشعب مع

الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية . وعلى اثر ذلك كونت المخابرات المركزية الامريكية جماعة «كمر سراي » «كمبوديا الحرة» للاطاحة بنظام سيهانوك . وفي مواجهة أعمال التخريب ، طالب الحزب الشيوعي في كمبوديا بأن تنعكس السياسة الخارجية التقدمية على الداخل بمواجهة اليمين الرجعي الذي يتربص بالنظام .

وبدأ سيهانوك — الذي مارس سياسة التوازن بين اليمين واليسار — يوجه انتقاداته الى اليسار ثم واجهه بالاضطهاد والاعتقال ، حتى اضطره الى اللجوء الى الغابات دفاعا عن وجوده ، وحمل السلاح وبمجيء اليمين الى السلطة ، طرد الفلاحون عام ١٩٦٧ من الارض في عدد من الاقاليم لصالح الملاك وتدخل الجيش — الذي كان لون نول قائده — بالقوة ضد الفلاحين واستخدم سلاح الطيران في ذلك . وفي هذه الفترة تمكنت جماعة « كمبوديا الحرة » من العمل داخل البلاد . وفي يونيو ١٩٦٩ أعادت كمبوديا علاقاتها مع واشنطن .

ثم تولى لون نول رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع في اغسطس ١٩٦٩ ، وواصل سياسة اضطهاد اليسار ثم اتجه بعد ملاحقة اليسار الى ملاحقة ما سمي « بالوسط » من انصار الامير ، حتى قام في ١٨ مارس ١٩٧٠ بانقلاب عسكري اطاح بسيهانوك الذي كان خارج البلاد للعلاج في باريس . واثناء عودته من موسكو وقبل ساعات من سفره من موسكو ، قام الانقلاب ، فاتجه الى بكين واقام هناك وشكل حكومة في المنفى لبلاده وشكل جبهة وطنية .

الاقتصاد : اقتصاد زراعي . ويعمل بالزراعة ٨٨٪ من السكان وتمثل الزراعة ٤٠٪ من الدخل القومي [٩١٧ مليون دولار حسب احصاء ١٩٦٦] . أما الصناعة فتمثل ٩٪ ، والتجارة ٢٠٪ ويمثل التعدين [الحديد اساسا] النسبة الباقية . الدخل القومي للفرد ١٢٠ دولارا [احصاء ١٩٦٦] . أهم المنتجات : الدخان — الارز — القطن — الاخشاب — المطاط — الاسماك . ■

ابداء الرأفة بأولئك المجرمين الذين عادوا الى الصواب بشكل جاد .

ــ مراعاة الجرحى وأسرى الحرب ومعاملتهم معاملة انسانية .

الجزء الثاني
بناء كمبوديا الديمقراطية المزدهرة

ان الشعب الكمبودي بأجمعه قد صمم على تحرير البلاد من ديكتاتورية لون نول وسيريك ماتاك من خدم الامبرياليين الامريكيين ، ومن كل الاشكال الاخرى من السيطرة الامبريالية الامريكية .

ان المجتمع الكمبودي الذي سوف يجري تشييده في المناطق المحررة ، ثم بعد ذلك في كل البلاد سوف يتخلص من كل النواقص التي تعوق ازدهاره السريع والكامل (*) بالغاء الضرائب الفاحشة ، والانتهاب وكل انواع التجارة المغشوشة والتهريب ووسائل الاستغلال غير الانساني للشعب . ان جبهة الاتحاد الوطني لتعلن أن « السلطة هي وسوف تظل دائما في ايدي الشعب العامل التقدمي والمجيد الذي سوف يضمن لوطننا مستقبلا باسما على اساس من العدالة الاجتماعية والمساواة والاخاء بين كل شعب الكمر [من بيان رئيس دولة كمبوديا سامديخ سيهانوك في ٢٣ مارس ١٩٧٠) . الشعب كله مصدر كل السلطات .

ان مقرطة المجتمع الكمبودي تجرى في الوقت الحاضر في المناطق المحررة وسوف تنفذ في كل البلاد بالوسائل التالية :

ــ أن يضمن كل كمبودي ، فيما عدا الخونة المعروفين للبلاد ، حرية التصويت وحرية الترشيح للانتخاب وحرية الكلام والصحافة والرأي والاجتماع والتظاهر والاقامة والترحال داخل البلاد أو الى الخارج .. وغيرها من الحريات ، وحماية حرية الفرد والمتاع والثروة وسرية المراسلات .

ــ ضمان المساواة الحقيقية بين الجنسين ، والتخلص من التقاليد المتخلفة لاضطهاد النساء . وتشجيع التطور الثقافي والمهني للنساء بكل الطرق وتمكينهم بشكل كامل من المشاركة في النضال المشترك . واعطاء اهمية أولى لتدريب وتعليم الكوادر النسائية على كل مستويات الحياة القومية . والغاء تعدد الزوجات .

ــ ان البوذية هي وسوف تظل عقيدة الدولة الدينية . ولكن جبهة الاتحاد الوطني تعترف وتضمن الحرية لكل الديانات والعقائد الاخرى ، الاسلام والكاثوليكية والبروتستانتية .. الخ .. وحماية أماكن العبادة .

ــ ضمان الرعاية الكاملة لرجال قواتنا العاجزين وعائلات محاربينا الذين يقدمون حياتهم من أجل البلاد ، وضمان معاملة متميزة لهم .

ــ ضمان حماية الحقوق والمصالح الشرعية للاقليات الاجنبية الذين يحترمون قوانيننا وعاداتنا واستقلال وسيادة كمبوديا .

ــ التأكيد على احترام الحقوق والمصالح الشرعية للاقليات القومية والحقوق والمصالح الشرعية للجاليات الكمبودية في الخارج .

ان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية مكرسة لبناء وتطوير اقتصاد وطني مستقل بالاعتماد اساسا على الموارد والقوى الانتاجية في كمبوديا .

وتجد هذه السياسة الاقتصادية تعبيرا مجسدا لها فيما يلي :

ــ تحرير الاقتصاد الوطني من المضاربين والمهربين وتجار السوق السوداء ، ومن الاستغلال اللا انساني للشعب .

ــ حماية وضمان حقوق ملكية الارض والمتاع طبقا لقوانين الدولة .

ــ مصادرة أراضي وملكيات الخونة النشيطين في التعاون مع الامبرياليين الامريكيين والذين قد ارتكبوا جرائم ضد الشعب وسوف توزع الاراضي والملكيات التي تصادر بين الفلاحين المحتاجين .

ــ أن يضمن للفلاحين حق ملكية الارض التي يفلحوها ، واقامة نظام عادل لايجار الاراضي ومعدلات الفائدة على السلف .

ــ مساعدة الفلاحين على حل المشكلة الزراعية من خلال حل عادل لمشكلة الديون غير المقبولة .

ــ مساعدة الفلاحين على زيادة الانتاج وانتاجية العمل . وحماية وتطوير التعاون والعادات الطيبة للمساعدة المتبادلة في قرى الريف .

ــ ضمان ظروف الامن والادارة المعقولة في الريف وضمان تسويق المحصولات ونقلها بشكل اقتصاديا .

ــ تشجيع تكوين النقابات ، وضمان الامن للموظف وزيادة دخول الطبقات العاملة وتحسين ظروف العمل ونشر نظام التأمينات الاجتماعية .

ــ تطوير تصنيع البلاد واتباع سياسة صناعية معقولة لكي يوفي الانتاج تماما بالاحتياجات الاساسية للشعب . ودراسة الاجراءات الضرورية للتخلص من الاخطاء في ادارة مشاريع الدولة والمشاريع المشتركة .

ــ تشجيع البورجوازية الوطنية على اقامة مشروعات مفيدة للشعب تتمشى مع القوانين الخاصة بالاجور والعاملين . ضمان مبيعات رشيدة وثابتة للبضائع المصنعة .

ــ مساعدة الحرفيين على زيادة انتاجية عملهم وتنويع منتجاتهم وتصريفها بافضل الشروط .

ــ تطوير خطوط المواصلات ووسائل النقل .

ــ حماية مصالح تلاميذ المدارس والجامعات والمثقفين والموظفين ، وكفالة الوظائف للمتعطلين بما يتفق مع مؤهلاتهم وكفايتهم ، ومساعدتهم على تطوير ملكاتهم من أجل خدمة الوطن الام .

ــ الحفاظ على سياسة تأميم البنوك والتجارة الخارجية .

ــ فيما يتعلق بالتجارة الخارجية ، العمل على تشجيع وتطوير التصدير ، وتحديد الواردات بالمعدات الانتاجية والمنتجات الضرورية للاقتصاد الوطني . حماية المنتجات الوطنية من المنافسة الاجنبية .

ــ حماية القوة الشرائية للريل [العملة الكمبودية] ، والعمل على تحسين المالية العامة .

وبالاضافة الى دعم الديمقراطية ، وانجاز السياسات الاقتصادية سابقة الذكر ، فان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية تولى عناية خاصة لتدريب الاشخاص المؤهلين لتطبيق هذه الاهداف باسلوب سليم .

ان السياسة التعليمية والثقافية لجبهة الاتحاد الوطني الكمبودية تستند الى المبادىء التالية :

ــ اضفاء الطابع القومي لشعب كمير على البرامج التعليمية في مختلف مستوياتها بما في ذلك الدراسات العليا .

ــ تبنى اللغة القومية باعتبارها اللغة الرسمية الوحيدة في الخدمات العامة .

ــ تبنى برامج تعليمية ومناهج واساليب تتفق مع احتياجات البلاد .

ــ تشجيع ومساعدة البحث العلمي وتشجيع كل من يريد مواصلة التعليم .

ــ تطوير البحوث المتعلقة بالتاريخ الوطني التي كثيرا ما يشوهها المؤلفون الاجانب . كذلك العمل على أن تتضمن البرامج التعليمية تاريخنا الوطني .

ــ ضمان استمرار التعليم في مراحله المختلفة بالمدارس النظامية أو التدريب العملي .

ــ تطوير التعليم ما قبل الانتظام بالمدارس ودور الحضانة والطفولة وفصول ما قبل الالتحاق بالمدارس .

ــ كفالة التعليم المجاني والمنح الدراسية للمحتاجين من الاطفال والشباب .

ــ ضمان ودعم تعليم ثقافي ومدني وسياسي شامل بين الجماهير وللشباب . مساعدة كل مواطن على الوفاء بواجباته تجاه نفسه وازاء المجتمع وللشعب ، والعمل بنشاط على بث روح الجماعة والمصلحة العامة وحب خدمة المجتمع وان يجعل كل انسان نفسه مفيدا للجماهير الشعبية .

ويجب أن يمتد التثقيف السياسي والمدني والثقافي الى جميع المستويات في الوزارات وهيئات الخدمة العامة والادارات والمصانع والورش والتعاونيات في العاصمة والاقاليم والاحياء والقرى والعائلات . تطوير القيم الخلقية والشرف والكرامة الوطنية والروح القومية والتعاون ومثل العمل الجماعي ، وروح الفداء والايثار والاستعداد لتقديم التضحيات دفاعا عن مصالح الشعب ، والاقبال على العمل بروح المسئولية والاقتصاد والتوفير واحترام الملكية العامة .

القسم الثالث

السياسة الخارجية

وتعمل جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية في مجال السياسة الخارجية من اجل الاستقلال الوطني ، السلام ، عدم الانحياز ، والتضامن والصداقة مع كل الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدالة . وتحتفظ جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية بعلاقات صداقة وتعاون مع كل البلدان وفقا لمبادىء التعايش السلمي الخمس ولروح ميثاق الامم المتحدة ، بغض النظر عن نظمها السياسية وأيديولوجياتها ، ولن تشترك ــ الجبهة ــ في أي حلف عسكري ولن تسمح لاي بلد اجنبي باقامة قواعد عسكرية او جيوش ورجال عسكريين على اراضي كمبوديا بهدف العدوان على البلاد الاخرى .

ان جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية لا تقبل الحماية من اى بلد أو من أي حلف عسكري . وفي الكفاح المشترك ضد الامبريالية الامريكية تتبع جبهة الاتحاد الوطني الكمبودية سياسة الصداقة والتضامن العسكري والتعاون مع لاوس وفيتنام وفقاللمبدأ القائل بانتحرير اى بلد والدفاع عنها انما هو من اختصاص شعبها ، وان الشعوب الثلاثة تبذل كل ما في وسعها لتساند بعضها البعض وفقا لرغبة اى بلد على أساس الاحترام المتبادل . وعلاوة على ذلك فان كمبوديا مستعدة للتشاور مع لاوس وفيتنام لتصبح الهند الصينية منطقة للاستقلال والسلام والتقدم بحق : وحيث يحتفظ كل شعب بسيادته الكاملة وبعطف وتاييد شعوب وحكومات البلدان الاشتراكية ،

وبلدان عدم الانحياز ، والبلدان المحبة للسلام والعدالة فى العالم ، بما فيهم الشعب الامريكى .

ان جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية تعبر عن تأييدها الكامل لنضال شعوب العالم من اجل السلام ، والاستقلال ، والديمقراطية والتقدم الاجتماعى ، ضد الامبرياليين الامريكيين العدوانيين محبى الحروب ، ضد الاستعمار القديم والحديث بكل أشكاله ، وتعبر عن تأييدها الكامل لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية من أجل الاستقلال والحرية ، ونضال الشعب الصينى لاستعادة تايوان ، كجزء لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية ، ونضال الشعب الكورى ضد الامبرياليين الامريكيين ولتحرير الجزء الجنوبى من بلادهم . واعادة توحيد كوريا ، وكفاح الشعب العربى ، والشعب الفلسطينى بخاصة من اجل حقوقهم القومية الاساسية ضد المعتدين الاسرائيليين عملاء الامبرياليين الامريكيين ، وكفاح الشعب الامريكى ضد الحرب العدوانية وضد التمييز العنصرى ومن أجل السلام ومصالحه الحقيقية الخ ..

والشعب الكمبودى مستعد تحت قيادة جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية لان يقدم كل التضحيات لاحراز النصر النهائى على الامبرياليين الامريكيين وعملائهم ، عصابة لون نول — سيريك ماتاك لان الكفاح الحالى من أجل حرية وكرامة أجيالنا القادمة ، كفاح حاسم ، واساسى من أجل الاستقلال والحرية وتقدم شعوب الهند الصينية وباقى شعوب العالم .

ووفق هذه الروح ، تؤيد جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية بحرارة التنظيمات السياسية ومختلف المنظمات الدينية والثقافية والوطنيين والتقدميين التى وافقت أو ستوافق على بيان النقاط الخمس الذى أصدره سامديتش نورودوم سيهانوك رئيس الدولة فى ٢٣ مارس ١٩٧٠ أو انضمت أو ستنضم الى تنظيمات جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية أو ستظل خارج هذه التنظيمات لتحارب عدوان الامبرياليين الامريكيين وعملائهم المحليين .

وتعمل جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية من ناحيتها على دعم وتعزيز نشاطاتها السياسية بهدف الارتقاء بالمستوى الوطنى وتصميم الشعب الكمبودى فى الكفاح الحالى من أجل الخلاص القومى . وان شعبنا بأسره سوف يهب كرجل واحد ويتقدم بشكل ظافر نحو النصر النهائى على المعتدين الامريكيين وعصابة لون نول — سيريك ماتاك العميلة للامريكيين .

وسوف تثبت جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية انها جديرة بثقة وتعاطف كل الوطنيين الكمبوديين واصدقائهم الاجانب فى العالم .

عاشت جبهة الاتحاد الوطنى الكمبودية .

عاشت كمبوديا فى ظل الاستقلال والسلام والحياد والديمقراطية والرخاء .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

العدد الثالث — مارس ١٩٧٢

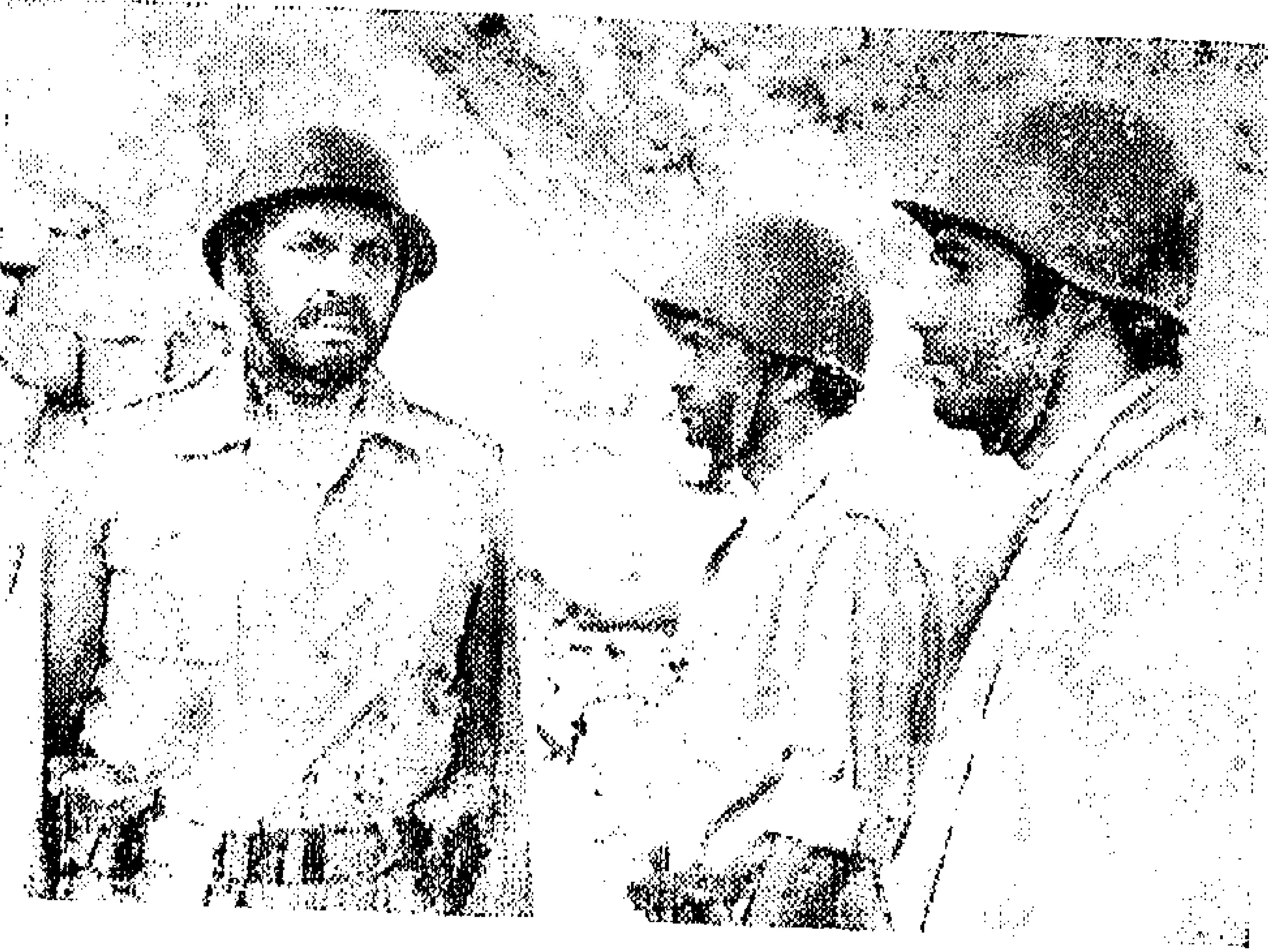
شباب السينما المصرية يدخلون المعركة

الأدب الاسرائيلى المعاصر

نموذجات واتجاهات فى الأدب الصهيونى

يشرف على التحـــرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شـــكرى
محمود درويش
ســمير فريــد
صـــبرى حافظ



اغنيـــة على الممـــر : القتـــال حتى النصر أو الموت

في هـــذا العـــدد



التحالف الوطنى ..
فى حقل الأدب والفن

لطفى الخولى

يمكن أن نقول أن الفنان أو الأديب فى بلادنا ، قد كسب ماديا ، بتدخل الدولة فى حقل الفن والادب .. لكن هل نستطيع أن نقر ـ خارج اطار التقارير الدعائية الرسمية ـ بتحقق كسب فنى مواز للكسب المادى ؟ .. وهل يمكن القول بأن الحركة الادبية والفنية ـ عامة ـ قد واصلت مسيرتها ـ وبمعدل أسرع ـ على طريق الخلق الابداعى للانسان فى عصر الثورة الاشتراكية والسيادة على القمر ؟

ان تدخل الدولة فى حقل الادب والفن ، لم يبدأ بصورة مباشرة وواسعة ، الا منذ حوالى نصف قرن . وذلك مع تفجر الثورة السوفيتية ، وميلاد أول نظام اشتراكى فى العالم . وجاء تدخل الدولة ، ترجمة للمبدأ الاشتراكى القائل بضرورة تنظيم المجتمع من أجل اشباع الحاجيات المادية والمعنوية للشعب . والادب والفن يندرج ـ بالضرورة ـ فى اطار الحاجيات المعنوية . وبقيام سلطة اشتراكية تستند الى دكتاتورية البروليتاريا ، التى يمثلها حزب محدد ، أمكن التوصل الى خط فكرى عام يسير أجهزة محددة للعمل والانتاج فى حقل الادب والفن . وتواجد الفنانون والادباء الاشتراكيون داخل هذه الاجهزة . ورغم منطقية هذا التنظيم للحياة الابداعية ، فقد تعرض باستمرار للهزات والانتقادات ، ولم يسلم من ذلك الخط الفكرى العام نفسه ، والذى تبلور عما يسمى « بالواقعية الاشتراكية » .

وفى بلادنا ، برعنا براعة خاصة فى نقل وتقليد الجوانب السلبية من تجارب الغير ، حتى بعد ان يعدل عنها ، وذلك تحت أعلام الاشتراكية . ولم نتنبه أيضا الى حقيقة بسيطة وجوهرية ، وهى أننا لم نصبح بعد بلدا اشتراكيا ، وانما نحن بلد صفى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، وأقام تحالفا كميا بين الرأسمالية الوطنية [المتوسطة والصغيرة] ، والعمال والفلاحين مع فئتى المثقفين والجنود ، وراح من خلال بناء « القطاع العام » ، يتطلع نحو آفاق اشتراكية . وبالتالى فسلطة الدولة أساسا ، يجب أن تكون سلطة هذا التحالف .

صحيح ، لابد من تدخل الدولة فى حقل الادب والفن .. ذلك لان التغيير الذى حدث بالمجتمع ، جاء نتيجة حركة الجماهير المحرومة من الحياة الانسانية لاسترداد حقوقها . والتمتع الادبى والفنى هو أحد حقوق الانسان . وواجب دولة التحالف الوطنى أن توفره للمواطنين ، بعد ان كان مجرد ترف للطبقات المتميزة اجتماعيا .

ولكن كيف يكون التدخل ؟ . . هـذا هو السؤال الذي لم تستطع ان نوفق بعد الى صـياغة اجابة واقعية وصـحيحة له . واظن لست في حاجة الى سـوق ادلة على ذلك . يكفيني فقط الاشارة الى ذلك التناقض بين رفع المستوى المادي للفنـانين والادبـاء نسـبيا ، وبينما يعانوه من تمزق وضياع . او الى التناقض بين غلبة الانتاج التجاري السطحي والرخيص على الانتاج الجـاد والانساني والانساني التقدمي ، تحت مظلة الدولة .

نقطة البدء الخاطئة في تدخل الدولة عندنا ، هي — برايي — في محاولة فرض خط فكري عام على الحقل الفني والادبي ، كما هو الحـال في البلاد الاشتراكية . رغم أن طبيعة التحـالف الوطني الذي يحـكم بلادنا يعني بالضرورة تنوع وتعدد الخطوط الفكرية ، وبالتـالي الفنية ، وذلك نتيجة تنوع وتعدد القوى المتحالفة . واذا كان التحـالف يعني بتوحيد المواقف السـياسية لهذه القوى ، الا ان ذلك لا يمكن ان يعني الغاء او انكار اختلافاتها الفكرية . ومع الاسف فان هنـاك من حاول — في حقل الادب والفن عندنا — أن يسود خطا فكريا واحدا . وساهم في ذلك بعض الاشتراكيين . ولما كان الطابع الغالب على التحالف — كقوى اجتماعية وقيما وفكرا وعادات — هو طابع الراسمالية الوطنية ، وخاصة الصغيرة منها ، فقد انعكس هـذا بدوره على جميع الاجهزة العـاملة في حقـل الادب والفن ، وبالتـالي على الخط الفكري المعتمد . ولا يفيد في شيء أن يتم ذلك تحت أعـلام الاشتراكية ، ما دام المضمون والشكل في غالبية الاحيان ، هما — لحما ودما — من نبع البرجوازية الصغيرة .

وهكذا ، باسم امتاع الشعب ، بمعنى اضـحاكه بهلوانيا ودغدغة غرائزه ، ساد الانتاج الرخيص والمبتذل . ولقد حاول عـدد من الفنانين والادباء الوطنيين التقدميين المقاومة . بيد ان اغلبيتهم لم تستطع الاستمرار . اما بسبب استيعابهم في منـاصب بيروقراطية ، واما نتيجة الاغراءات المـادية . لـكن يظل السبب الرئيسي كامنا ، في عدم وجود حماية مسـئولة وواعية من الدولة ، ومن جماهير الحقل الادبي والفني معا .

ومن هنا ، فان المطلب الملح لانقاذ حياتنا الفنية والادبية من الرخص والابتذال ، يتبلور في ضرورة أن تنعكس بأمانة طبيعـة التحـالف ، على تكوين جميع اجهزة الدولة في حقل الادب والفن . وأن يعترف بحق جميع الاتجاهات الفكرية والفنية داخل التحالف في أن تعبر عن نفسها بحرية . وذلك عن طريق دور نشر ومسارح ووحدات انتاج سينمائية وتليفزيونية مستقلة استقلالا ذاتيا ، وتتجسد كمدارس فكرية وفنية ، تتصارع ، من خلال الخلق والنقد مع بعضها البعض .

ان السيادة المطلقة للفكر والقيم الفنية البرجوازية الصغيرة ، يجب أن تواجه بحسم ، ليس فقط لصـالح تطوير الحيـاة الفنية والادبيـة ، ولكن اولا واخيرا لهندسـة الوجدان الانساني ، هندسـة عصرية وتقدمية ، تؤهله لان يكون ابنا حقيقيا للثلث الاخير من القرن العشرين ، وقادرا على مواجهة التحدي الصهيوني العنصري والتخلف الحضاري والاجتماعي معـا .

وحول هذه القضية بالتحديد ، فاننا نقترح الاعداد لمؤتمر حقيقي — لا شكلي — في اطار الاتحاد الاشتراكي ، تشـارك فيه جميع اجهزة الدولة المتصـلة بالادب والفن والثقافة بوجه عام مع جمهور الادباء والفنانين ، وافسـاح مجال واسع نسبيا للطاقات الشابة .

هل تستطيع امانة الفكر والدعوة في الاتحاد الاشتراكي ان تتصدى لهذه المهمة التي تتصل اتصالا وثيقا بواجباتها ؟

مســـــاحات الظـــــلال الجــــافة

(....• ندع جانبا سيدةتظن ان الغنى بطـاقـة مـروروللفن ، فتمضي عابثـة تـارة ، واخرى تستعرض امكانيـات ومهـــارة ســـطحية فى « التكنيك » • ونغفل قسما فى بينالى بالاسكندرية لولااللافتة التى تشـير بأنه القسم المصرى ما استطعنـا تحديده ، ونعتذر عن معرض كان يجب أن نوفيه حقه وهو معرض سـناءالبيسى ، ومن الظلم منـاقشة أعمال سناء كقيمة تصويرية بكل ما تحمله تلك القيمـة من بنـاءتشكيلـى وصراع درامـى واحساس بـالمأساة ، ولـو أنصفناها ، نضعها جانب أعمال كبار مصممى طبـع النسيج فى العالم ، وكم نحن محتاجون لمثل هذا النوع من الفن . لذا سأتحدث مقتضبا ، ودون انفعال فى قضية لا يمكن الاسترسال فيها ، كمـا لا نملك المقـدرة على كبتها فى أعماقنا) •

يختلف الفنان عن العالم ورجل الفكر والسياسى فتحدده حدة الانفعال وسرعة المبادرة • وعندما سئل الفنان الكبير جان لوى بارو عن تركه للملبة تحتل مسرح الاوديون بباريس ، ، قال لسـائله « ••• لقـد نسـيت يا مسـيدى أننى جان لوى بارو الفنان قبل ان أكون جان لوى بارو مدير مسرح الاوديون ، والموظف لدى سيادتكم » •

لقد كنت بينهم ولم أكن أملك سوى ان أكون بينهم • وماذا سيكون مصيرى ان اكتشفت أننى تركت وحدى ، ومضت الاجيال عبرى •• مضوا كلهم مدانين أو مذنبين •• على حـق كانوا أو على خطأ • ان ما يحدث الان لا يمكن له أن يحدث ثانية • وسرعان ما سأكتشف أننى أنا الذى تركت فـى منظور فـارغ ذى مساحات ظلال جافة ، وابعـاد لا نهائية •• عاجز حتى عن اعلان براءتى لنفسى ، فلا وجود لمبرر كاف لانتاجى الفنى ، كما انى غير مقتنع بفن لا يحدده ارتباط بالاخرين أو انفعال بهم • وهل نقف احتراما ، أو ننحنى مستسلمين لجيل يقود نفسه دون قيادة منا ـ نحن الجيل الذى سبقه ـ يقين أن نمتحه أنشودته اوموسيقاه أولوحته أو قصيدته أو حتى ارضية ثقافية صلبة يقف عليها • أن نكرانه لنا ليس أكثر من تأكيد لمطلبه العادل ، وهو أن نقوده عسكريا لنرجع احترامه لنا • هذا أو ننزوى كالارانب فى جحورنا معلنين جبننا او انانيتنا على حد سواء ، أو فى جملة واحدة « انفلاتنا » • فقط بصـدق التجربة وانفعاله بها وايمانه بسلامة موقفه ـ بهذا فقط يستطيع الفنان أن ينتصب من سقطته وأن يجدد نفسه معلنا عن ذاته من جديد • لكن المخزى أن يأتى الى أحدهم يجر مع خطواته المتعثرة فشله وجموده ، واحباطه وعجزه • قال أن الوقت ليس وقت الفن وأن لا قيمة مطلقا لاى عمل فنى ، وأن المـوقف يشملنا • قلت له أنه المسئول عن هذا الجمود ، كما أنه المسئول كذلك عن نكران الجيل الجديد له • هو المسئول اذ عزل وفصل نفسه عن وضعنا الراهن • أن هذا الجمود لا يمكن ان يؤدى سوى الى حالة واحدة ، وهى أن يفقـد الفنان احترامه لنفسه نتيجة عدم اتخاذه موقفا صريحا صارما • ففى أعماق كل منا أرنب جبان يندفع الى جحره طلبا للسلام ، أرنب يحمل كل تطلعات الطبقة المتوسطة والرغبة فى مكاسبها • فان أراد الفنان ان يحيا حياة حقيقية ومتجددة عليه أن يقتل ذلك الارنب فى أعماقه •

اننا جررنا لانفسنا العار بتخـاذلنا وتهاوننا حتى مع قضايانا الفنية ، فهل كان مطلوبا ان نفرض على الجيل الذى بعدنا مصيره ، دون أن ندعه حتى ينتفض انتفاضة بريئة • وما هو ذا ينتفض دون قيادة ، أو كما قلت دون أنشودة أو قصيدة أو صورة • هـو فى سن التجربة فيه أصغر من أن تصوغ فنا أو تصبغه بصبغة ثورية • ونحن نظن أننا لا نستطيع الهامه أو اقنـاعه او مشاركته أفكاره • أن صياغتنا لفن متحجر أثبتت أنها لا تكفى ـ وحينما وجدنا أنفسنا منفصلين عمن حولنا ، عاجزين من أن نخلق للجيل الذى بعدنا فنا حولنا فننا الى محاولات وتجارب نسطو عليها من تجارب فنانين خارج حدودنا ، فنانين لا نرتبط بهم ولا يمكن لهم أن يرتبطوا بنا • والنوايا الحسنة أو الجادة فى حد ذاتها لا تكفى • أى عمل لابد أن يقاس بمدى صراعك مع الظروف المضادة حتى تحققه • أن الذى زاد من حدة الفراغ فى نفوس الفنانين هنا أن السلطة لا تطلب فنا معينا ، كما فى بعض الدول التى مرت بـالتجربة الاشتراكية ، كما أنه لا وجود لسوق يفرض نوعية ما من الفن ، اذ أن فى مثل هذه الحالة يكمن الصراع بين ما يريد الفنان تحقيقه ، وبين ما تحاول العوامل الخارجية أن تفرضه ، لكن فى وضعنا الراهن ضياع كامل ووحدة تفرضها حرية لا معنى لها لانها دون ارتباط ما • وعلى الفنان أن يحصن نفسه جيدا بعوامل من النمو الذاتى الباطنى ، وكيف يحدث هذا أن فقد ثقته بنفسه أو شعر أن من حوله قد فقدوا الثقة فيه • ان الذى يفصل العبقرى عن الرسام ذى المواهب الضحلة ليس اكثر من الاحساس بالثقة بالذات والرغبة فى انه لا يريد أن يخدع نفسه • لا أحد يطلب من الفنان احتراف السياسة •• فقط عليه ان يتخذ موقفا محددا ، وبعد ذلك من خلال ممارسة العمل الفنى بصدق سيكتشف أنه حقق كل شيء ، حتـى ارتبـاطه بالماضى والمستقبل •• لكن أية محاولة لجر الفنان للسياسة المجردة سوف تزيد من التناقض الذى يمزقه فى أعماقه •

لقد كنت بينهم حتى أتحرر من عذاب الضمير •• حتى أتخلص من شـعور بالمسئولية والعجز • انا موجـود بينهم سيان أردت أو لم أرد •• لا أنكرهم حتى لو أنكرونى •• وأشعر أننى ولدت ثانية من جديد بينهم • أردد مع جـون رانسون :

« أنا بالذات طفل ، كبرت فجأة مع صرخة

من احدى الحناجر البيضاء المختبأة بينهم » •

حسن سليمان

آخر القراصنة من العصافير

شعر : معين بسيسو





١

أصبحت عاجزا عن الكتابه
الاخرون كيف يكتبون ؟!
يجرد العصفور من نيشانه ،
ويكتبون :
(زور أشعار امرىء القيس ،
ونشرة الطقس ،
ويكتبون ..)
تصادر الورود من هوامش الكتب ..
ويكتبون : (قد أصابها الجرب)
ويجلد التمثال فى الميدان — عاريا —
ويكتبون : (حاول الهرب)
أصبحت عاجزا عن الكتابه ..
تموت فى المحبرة النحلة ،
تكبر فى المحبرة الذبابه ..
أصبحت عاجزا عن الكتابة ..
قد سقطت أصابعى ..
الصقتها بالصمغ ، سقطت أصابعى ..
لكننى سأدفع الثمن ..
اكتحلى حبيبتى سأدفع الثمن ..
ليس قصيدة عن المقاومه ..
ليس قصيدة عن الوطن ..
لم يبق فى محفظة النقود — غيرها —
خارطة الوطن
اكتحلى حبيبتى وأسرعى
قد سقطت أصابعى ..
وحطمى الكأسين فوق المائده

فسوف يبدأ الحصار والمطاردة ..

٢

أبحث عن مغارة جديدة ،
عن قافيه ..
« غار حراء أين ؟
عنكبوت هذا العصر واشيه ثرثارة ،
وهذه اليمامة البيضاء ،

ذات الطوق والخلخال زانيه
تبيع بيضها وعشها ،
لقاء ملء حوصله ..
ومن يلومها اليمامة المطوقه ..
زنت .. ،
أجل زنت ،
ولكن فوق حبل مشنقه ..

❸

كرهت اسم السنبله
كرهت اسم القنبله
كرهت كل الكلمات السهلة المرتجله
كرهت هجرة الاسماء والمرايا والصور
من حائط لحائط ،
وهجرة القصيده ..
من جريدة الى جريده ..
كرهت هجرة الطيور من مصيدة ،
الى قفص ..
من قفص لمصيده ..
كرهت هجرة الاجراس
من كنيسة الى كنيسة ،
كرهت هجرة المسيح بين كأس الخل والصليب ،
فى طريق الجلجله ..
أيتها الرمانه ..
كرهت هجرة البطانه
من قصر ملك لقصر ملك
كرهت هجرة العنقود
بين الكلاب البيض والكلاب السود

❹

أتعرفيننى الان بالصورة والتهمة والاسم واللقب
حين الجميع انتسبوا ،
رفضت انتسب ..
هذا أنا لا قاتل ولا مقتول
هذا أنا لا سائل ولا مسئول ..
ضد الصليبيين ضدهم ،
ضد صلاح الدين ..
ضد الجرائد التى من المطاط
تكتب بالعصى والسياط

❺

اعترفى بفمك المحشو بالماء ،
وأنت فى القاع ،
بأنه الغرق ..
اعترفى بأنه الغرق ..
لو اعترفت ربما ستنقذين ،
شيئا ،
ربما ستنقذين مركبا من الورق ..

❻

تنطفىء النساء مرة واحدة فى المدفاه ..
تنطفىء الاكذوبه ..
تنطفىء العروبه ..
يخرج حاجب السلطان ،
يدعو الناس للجهاد ضد الزندقه ..
فلا يرون عند باب القصر غير مشنقه..
يخرج حاجب السلطان ،
يدعو الناس للجهاد ضد طفل ،
يكتب الاشعار فوق ساق زنبقة ...
مشنقة وزنبقة ..
زنبقة ومشنقة ..

❼

هذا أنا ..
آخر متراس هوى
وآخر الاسرى أنا
وآخر الجرحى أنا
وآخر القتلى أنا ،
وآخر القراصنه ..
لكن بعدى البحار لن تكون آمنة ..
علمت موجة صغيرة هناك
فى أعالى البحر ،
أن تكون عاصيه
لا تدفع الضريبه ..
لحرس الشواطىء
لحرس الموانىء
للحرس القديم والجديد
للحرس الذى سوف يجىء ..



الصهيونيــة .. والأدب

اتجاهات الفكر والوجدان الاســرائيلى بعد ١٩٦٧

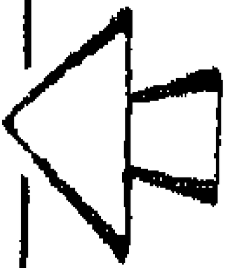
كيف يفكر الانسان الاسرائيلى ؟ وكيف يشعر ؟ خاصة فى ظل الأوضاع المتوترة التى يعيشها يوما فيوما ، منذ تأسيس « دولة اسرائيل » ؟ .. أن الادب الاسرائيلى المعاصر يقدم جوابا ، ربما كان أعمق من الاجوبة السياســية المباشرة ، لانه يسجل ذبذبات الوجدان الاسرائيلى لحظــة فلحظة ، ازاء المتغيرات التى تتجاذبه من الداخل والخارج .

ونحن لن نستطيع ان نتعرف على عــدونا معرفة عميقة ، الا اذا وضــعنا اليد والاذن على القلب الاسرائيلى ، كيف يــدق ، متى يسرع نبضــه ، ومتى يبطىء .. ان حزيران سنة ١٩٦٧ لم يكن شــهرا خاصــا بالعرب وحدهم ، وانما كان « تاريخا » فى حياة اسرائيل أيضا . لذلك فقد عنى « **الملحق الادبى والفنى** » للطليعة ، أن يقدم هــذه الدراسة لابعاد الادب الاسرائيلى وتياراته المختلفة بعد سنة ١٩٦٧ ، ذلك ان هذا الادب ليس وحدة متجانســة ، وانما هو يصوغ عدة استجابات متباينة ، ما أحوجنا للتمييز بينها وتشخيصها بالدقة اللازمة حتى لا نقع فى أنشوطة التعميم .

وقد قام باعداد الدراسة ، وترجمة النمــاذج ، ابراهيم البحراوى المعيد بالقسم العبرى بجامعة عين شمس ، ويقوم بتحضير رسالة الدكتوراه ، حول الادب الاسرائيلى المعاصر .

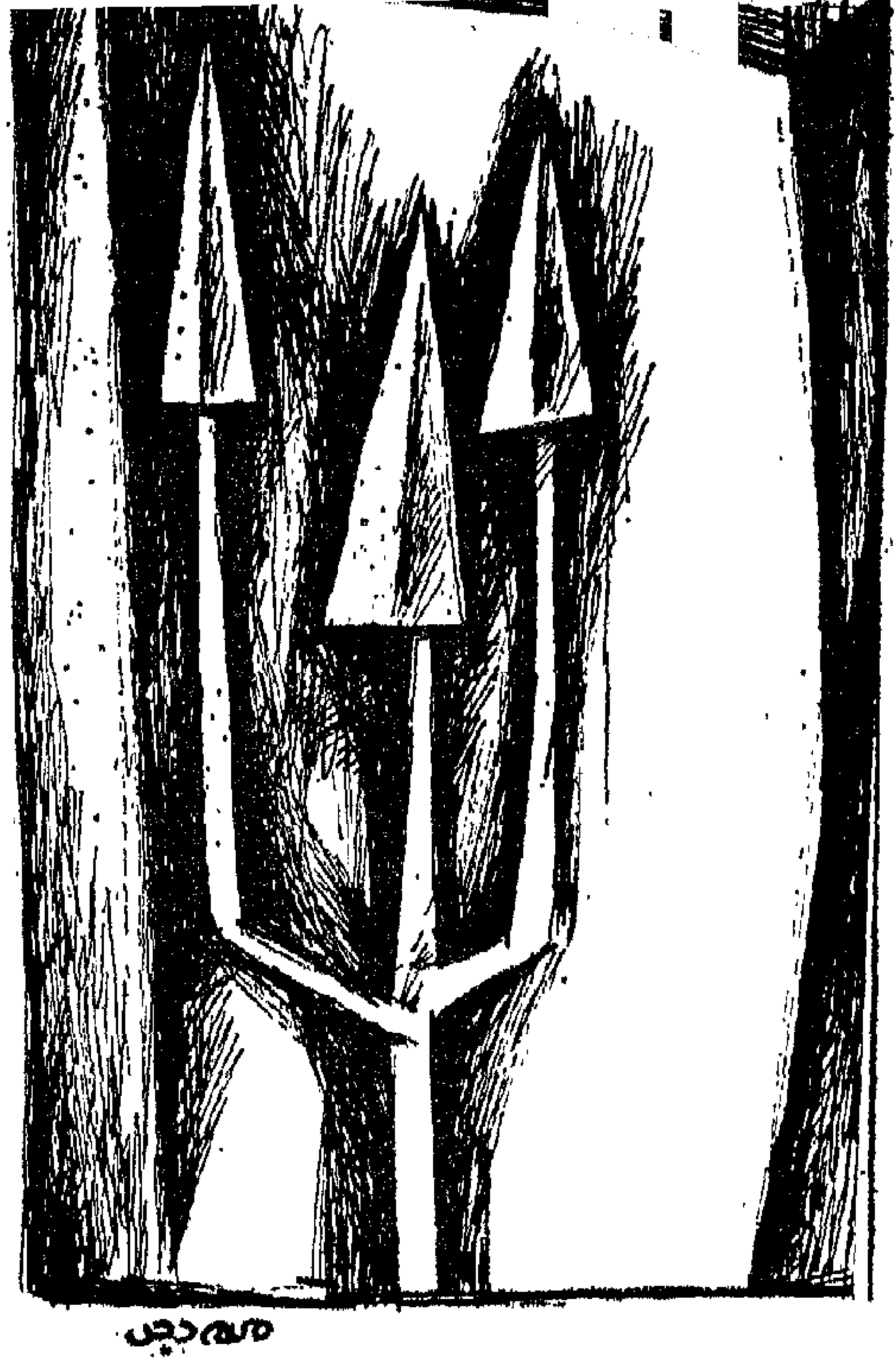
وتنقسم الدراسة ووثائقها الى الاقسام التالية :

- **مدخل تحليلى حول اتجاهات الادب الاسرائيلى بعد سنة ١٩٦٧ .**
- **قصة « مآخذ الشيطان على فاوست » .**
- **قصة « العشب الاحمر يشتعل فى بطء « النهر الاخضر يتدفق للابد »**
- **قصيدتان : الحرب المقبلة » و « اشعار احتضار » .**
- **تعقيبات نقدية على النماذج .**





اتجاهات الأدب الاسرائيلي بعد عام ١٩٦٧



من حق القارىء أن يحيط بشكل هذه الدراسة ابتداء كى يكون على فهم كامل للاعتبارات المؤثرة فيما نحن بصدده من دراسةتستلزمبطبيعتها عودا تاريخيا الى مراحلسابقة على الواقعالاسرائيلى الذى نواجهه اليوم والذى ينبغى أن تكرس كل جهودنا لمهمة فهمه ومتابعة ما يعتمل فى اطاره من عوامل مؤثرة على مجرى صراعنا معه ·· خاصة واننا قد تلكانا طويلا فىمهمة رصد تحركاتهالمختلفة عبر مراته الادبية العاكسة لهذه التحركات · هذا بالاضافة الى احساسى الشخصى بأن عقلية القارىء العربى قد اختلفت بوجه عام فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ بحيث أصبحت أقرب الى العقلية الوثيقية النزاعة الى التشكك فيما يساق اليها من احاديث وتحليلات حول واقعالعدو دونما سند وثيقى مؤيد ومدعم ·

وانطلاقا منهذين الاعتبارين - اعتبار اللهفة على ملاحقة ما يجد على الحياة الاسرائيلية فى عمومها من تغييرات واعتبار الحاجةالملحة الىالوثيقة الكاملة فى الحديث والتحليل - يجىء شكل هذه الدراسة قائما على تناول أخر ما لحق بواقعالفكر الصهيونىوانعكاساته الادبية فى اسرائيل من لمسات الى جانب ارفاق النصوصالادبية الممثلةوالمؤيدة ، ومععدم اهمال الاشارة التاريخية العاجلة الى مسار التعبير الادبى الصهيونى بما يضىء واقعة الراهن ويكفل فهمه فى سياقه التاريخى العام ·

سمات عامة :

ان قطاعا كبيرا من الانتاج الادبى فى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ ·· تنطبق عليه صفة أدبالدعوة أو ما يسمى لدى النقاد الاسرائيليين الادب المجند والادب الوليد الفورى للحظة والحدث ·

وعلى الرغم من أن هذه الصفة تميز الادب الصهيونى فى مجموعه عبريا كان أم غير عبرى منذ نشأته ، ممهدا للحركة الصهيونية السياسية ومصاحبا لها ·· فان الادبالاسرائيلى قد اصبحاليوم اشد لصوقا بهذه الصفة بفضل الظروف والاحتياجات المادية والنفسية التى نجمت عن الحرب ومااتلاها من استمرار القتال ·· حتى بدأ يعانى اسهالا كتابيا بكل ما تنطوىعليه الكلمة منفجاجة أدبية وضعف فى اسلوب الكتاب ·· وهى قضية تثور حولها مناقشات واسعة على أعمدة الملاحق الادبية بالصحف الاسرائيلية بين النقاد والادباء واحيانا ما يشرك فيها القراء أيضا ·

والادب الاسرائيلى بهذه الصفة الغالبة أدب ملتزم بدعوى معينة تمثل لب العقيدة الصهيونية ·· وهى دعوى الشعب اليهودىالواحد المتميز الذى ينبغى له أن يتجمع فيما يسمى بأرضه التاريخية · وهذه هى القضية المحورية التى قام عليها أدب الاحياء القومى فى الفترة ما بين ١٨٨٠-١٩٤٨ والتى يقوم عليها اليوم الادب الاسرائيلى الملتزم فى حدود اتساعها وتشعبها فى مواكبة سير الاحداث وتطورها ·

بعد عام ١٩٦٧ أصبح الحلم الازهى لكل القوى الملتزمة بالفكر الصهيونى فى اسرائيل هو جلب ما يسمى بيهود الشتات من مواطنهم فى أنحاء العالم من أجل تثبيت الانتصار الاسرائيلى وتوفير القوى البشرية اللازمةللاحتفاظ بالاراضى العربية التى تم الاستيلاء عليها ، والتى اعتبرت لدى القوى السياسية الجاهرة بالاهداف الصهيونية الحقيقية « احزاب اليمين والمتدينين وحركة اسرائيلالكاملة » جزءا من أرض اسرائيل التاريخية « اسرائيل الفرات الى النيل » حتى أصبحت تسمى فى تعبيرهم الدارج « الاراضى المحررة » ورفعوا شعارا دعائيا لهم فى انتخابات الكنيست الاخيرة هو « حتى ولا شبر واحد » تدليلا على تمسكهم بهذه الارض وعدم استعدادهم للتخلى عن أى جزء منها ·

ومن الواضح أن هذا الموقف المعلن لا يختلف فى شىء عن الاهداف الاساسية المعلنة قديما من جانب الحركة الصهيونية فى اقامة وطن قومى لليهود ·· الا من حيث اتجاهه الى ضم مزيد من الارض العربية الى رقعة هذا الوطن وبسط سيطرته عليها ·

ومثلما واكب أدب الاحياء القومى هدف تجميع اليهود وانشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ فان الادب الاسرائيلى يمارس اليوم دورا اساسيا - كعنصرمن العناصر الراقية فى الاعلام والدعوة - فى مهمة قرع الطبول لنداء تجميع يهود العالم ، واستجلابهم ليعمروا الاراضى المحررة ·

يقول **حاييم هزاز** أحد أعلام الادب فى اسرائيل والذى منح أخيرا لقب مواطن شرف مدينة القدس تقديرا لمكانته الادبية وانتخب فوق ذلك رئيسا لاتحاد الادباء العبريين « ان عبقرية الشعب اليهودى تكمن فى ذاكرته التى ظلت تعى على امتداد عشرين قرنا كونه وحدة غير قابلة للتفتت » (**فى حديث مع محرر معاريف ٧-٨-١٩٦٩**) · وهزاز حينما يقول هذا انما يريد أن ينفذ منه الى دور الاديب الصهيونى وتحديده ·· ان هذا الدور الذى يعيه جميع الادباء الصهاينة دونأن ينص عليه "هزاز" يتحدد فى العمل على تغذية هذه الذاكرة الجماعية لدى الجماهير اليهودية ·· الذاكرة التى تعى

وحدتهم كشعب وليس كجماعة عقيدة بحيث لا تسنح لهم الفرصة لحظة واحدة للانفلات من أسوار العزلة والانصهار فى شعوب البلدان التى يعيشون فيها ، وهذا هو جوهر الرسالة فى الادب الصهيونى مهما تغايرت موضوعاته واشكاله •

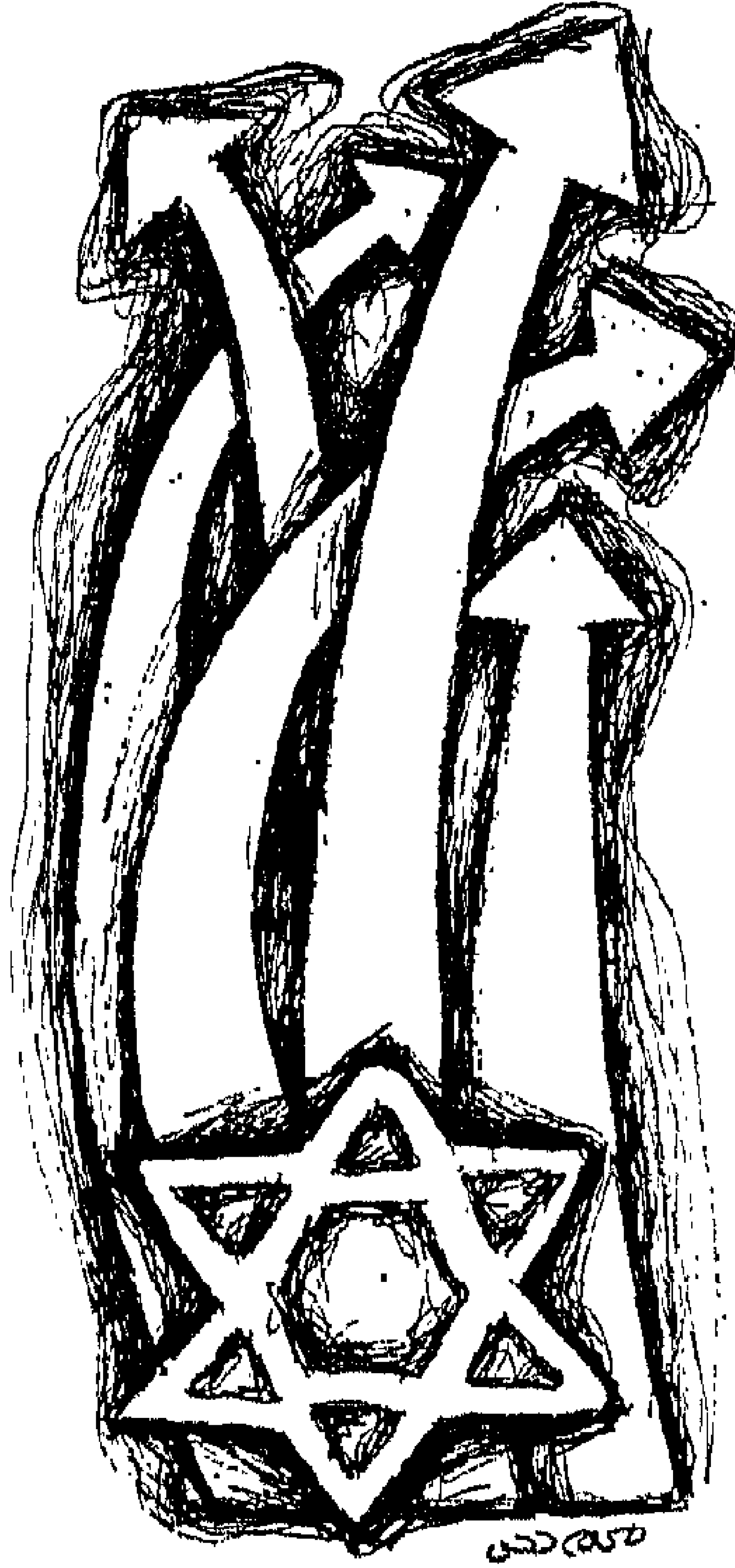
اساليب التعبير الادبى الصهيونى :

قبل قيام اسرائيلكان الاسلوب الرئيسى الذى يتبعه ادباء الدعوى الصهيونية للوفاء بدورهم هذا هو أسلوب الاحياء القومى للوجدان اليهودى • ويتمثل هذا الاسلوب فى الكتابات الادبية التاريخية التىتستمد مادتها منالتاريخ الاسرائيلى القديم وتنسج اساطير التمجيد والبطولة حول الشخصيات التاريخية القديمة فى صور أدبية حديثة •• او تصوغ أحداث الحياة اليهودية الحديثة فى اطار تاريخى قديم يرمز اليها وينتهى بها الى خاتمة التجمع والانتصار السعيدة •• وذلك لتحريك النوازع القومية واذكاء آمالها لدى اليهود فى العالم • هذا الى الكتابات الادبية الساعية الى تمجيد تراث الحياة اليهودية المنعزلة فى الجيتو « الاحياء اليهودية الخاصة فى اوربا خلال العصور الوسطى وتقابل حارة اليهود فى الشرق » وتوفير نموذج هذه الحياة اليهودية الخالصة باعتبارها العنصر الاساسىالذى كفل للجماهير اليهودية امكانية عدم الذوبان فى المجتمعات المختلفة •• هذا فضلا عن الكتابات العازفة على وتر الوشيجة التاريخية التى تربط بين الشعب اليهودى والارض الفلسطينية •• بالاضافة الى الكتابات الهادفة الى خلق البطل اليهودى المعصوم من الزلل ومن التعرض لنوازع الخوف والتردد وما الى ذلك مما يميز البشر فى مجموعهم •

واليوم ، وبعد قيام الدولة ببضع وعشرين سنة ،وبعد انتصار ١٩٦٧ نجد أن هذه الاساليب كلها ما زالت قائمة • وان كان الاسلوب التاريخى قد تضاءل حجمه ، ويبدو معينه قد نضب فى اذهان الادباء الاسرائيليين ، أو أن ظروف العصر قد تجاوزته فى نظرهم ، فلم يعد قادرا على الوفاء بالدور المطلوب • لذلك يلاحظ أن الاقبال عليه كاد ان يتوقف بحيث لم يعد هناك سوى عدد قليل جدا من الادباء يمارسون الكتابة به ومعظمهم من المخضرمين •

وفى مقابل هذا نجد الغلبة اليوم لاسلوب آخر يقوم بالدور الاكبر فى مهمة استيلاد مشاعر الانتماء القومى لدى الجماهيراليهودية فى العالم بما يحقق فى المرتبة الاولى العنصر الاول والاساسى من عناصر العقيدة الصهيونية وهو عنصر الشعب اليهودى الواحد •

ولهذا الاسلوب ارهاصات قديمةغير ان التركيز عليه بدأ بعد انشاء الدولة• وهو اسلوب يتمثل فى ذرف الدموع واقامة المناحات على الضحايا اليهودية فى تجارب العذاب القديمة • مناحات ودموع على كل لون وفى جميع الاشكال • قصائد أبياتها من الدموع ، مسرحيات حوارها نحيب وموسيقاها الحان جنازات ، روايات شخصياتها واحداثها مكللة بالسواد ، اقاصيص كل ما فيها ينطبق بمشاعر الاسى والحداد •



عالم كاملٌ من السواد والصراخ والاهات •

كتلةادبية ضخمة تتزايد اتساعا ويطلق عليها اسم •• ادب النكبة

ولكن ما المراد من كل هذا ؟

اهو انفعال مفاجىء بالعذاب القديم وتمثل ادبى للانفعال ؟

فى نهاية عام ١٩٦٦ قامت باحثة اجتماعية اسرائيلية اسمها **جنولة هكاهين** باجراء مسح اجتماعى بين طلبة المدارس الثانوية فى تل ابيب حول المفاهيم القومية • وجاءتها الشريحة الكبرى من الاجابات عن سؤال حول ما يعتقد الطالب الاسرائيلى أنه يربطه بيهودى العالم ، تقول : « يهودى المنفى اجنبى بالنسبة لى •• غير أنه أخى فى المعاناة » •

واثارت نتيجة الاستفتاء هذه التى تبرز الشعور بالانتماء الاسرائيلى فى انعزال عن الصهيونى العالمى قضية ومشكلة •• ودارت المناقشات وجرى استجواب وزير التعليم فى الكنيست • وانتهت المجادلات الى توصية تتحدد فى ضرورة الاقلال من التركيز فى المقروات الدراسية الادبية على عنصر العذاب والمعاناة باعتباره من عناصر الوحدة بين ابناء الشعب اليهودى مع الاتجاه الى التركيز على سائر الوشائج « المصطنعة » التى تلح عليها اساليب الدعاية الصهيونية من وشائج تاريخية ودينية وعرقية ، تلك الوشائج التى لا يعيها الجيل الاسرائيلى الجديد ونتيجة اهتمام الادب بابراز دورالعذاب المنفصل عن الانتماء الصهيونى العالمى ، ونيتجة اهتمام الادب بابراز دور العذاب فىتجميع اليهود والمبالغة فى التاكيد عليه بعد أن ثبت نجاحه فى بعض المراحل •

مخطط اذن ، هو اسلوب الدموع •• مخطط يشمل جميع اوجه النشاط التعليمى والتربوى والفكرى والتثقيفى ويلعب فيه الادب دوره المرسوم •

من المحقق أنه سترتفع فى اسرائيل اصوات بالاحتجاج ضد هذه النتيجة التى توصلنا اليها بحجة أن هذه ليست طبيعة الادب •• وأن الادب لا يتاتى بالتخطيط الجماعى، وانه، اى الادب ، ظاهرة ذاتية يتحدد موضوعها وابعادها باحساس الكاتب وحده خاصة فى مجتمع يكتسى بثوب ديمقراطية التعبير مثل اسرائيل •

ولكن ما راى اصحاب هذه الاصوات فى دلالة السؤال التالى :

● **« هل تعتقد أن ادبنا يخضع لضغوط صريحة او مستترة تؤثر على طريقة كتابة الادباء ؟ »** •

كان هذا احد الاسئلة التى وجهت الى مجموعة كبيرة من الادباء الاسرائيليين ضمن استفتاء ادبى عام اجرته صحيفة « على همشمار » فى شهر سبتمبر ١٩٦٩ حول ظروف الادب فى اسرائيل تحت عنوان «الادب والعصر» وما راى اصحاب اصوات الاحتجاج فى اجابة على هذا السؤال • للاديب دافيد لازار (بالملحق الادبى لصحيفة عل همشمار ص ١٨ عدد ١٢-٩-١٩٦٩) تقول : « لم اسمع قط عن وجود ضغوط صريحة او خفية • ولكن اذا تحدثنا عن كل انوع « الاغراءات » هذا اذا استخدمنا لفظا محاذرا فانى اقول نعم انها موجودة « البخ •• والجوائز •• والرحلات الخارجية •• والاسكان •• وسائر « الصدقات » التى من هذا النوع » • ولا يمكن فى رايى ان تتوفر ظروف من حرية الانتاج الادبى الا اذا استطاع الاديب ان يكون مستقلا من الناحية المادية غير محتاج لصدقات الكرماء من « المؤسسات والهيئات المختلفة وما الى ذلك •• » •

والهيئات المختلفة التى يشير اليها دافيد لازار فى اجابته قد تكون المؤسسات الحزبية التى تسعى الى تجنيد الادباء - والتجنيد عادة يكون بالاغراء وليس بالضغط - من اجل الدعوة الى مبادئها والترويجلها داخل اسرائيل فى الصراعات الحزبية •• كما أن هذه المؤسسات قد تكون - فيما يتعلق بالترويج للمعتقدات الصهيونية العامة - المنظمة الصهيونية العالمية التى تقوم بالدور الاساسى فى دفع يهود العالم نحو الهجرة الى اسرائيل من الخارج وقد تكون وزارة الهجرة والاستيعاب الاسرائيلية التى تقوم بدور الاحتفاظ بالمهاجرين الجدد والقضاء على ميلهم الى النزوح ثانية منالداخل •

ومع ذلكفلو برأنا الادباءالاسرائيليين فى مجموعهم من تهمة الاستجابة للاغراءات التى يقرن أحدهم حقيقة وجودها - وما كنا لنستدل عليها دون شهادته - فانه لا يمكن لاحد أن يعترض على حكم نصدره بأن اديب المناحات الاسرائيلى فى الداخل والصهيونى فى الخارج متاثر فيما يذرفه من دموع بحالة سيلان الدموع العامة التى يفرضها ضغط الراى العام كوسيلةناجحة لاجتذاب يهود العالم •• بالاضافةطبعا الى ما يثيره من احاسيس العطف لدى غير اليهود •

نطرح بعد ذلك السؤال التالي : كيف يلعب أسلوب الدموع الادبي هذا دوره بالنسبة ليهود العالم ، وتجاه هدف تجميع احاسيسهم حول الشعارات الصهيونية الداعية الى التجمع والاحتشاد على الارض العربية ؟

والاجابة على السؤال بسيطة متاحة لكل من يخوض في دهاليز هذا الاسلوب الادبي • ان هذا الاسلوب يخاطب اليهودي العالمي قائلا : ايها اليهودي ! العذاب والنكال قدرك المحتوم • ان ما تنعم به اليوم من طمانينة ليس سوى حدث عارض قد يختفي في أي لحظة • والدليل على ذلك كل تجارب العذاب القديمة واليك تفاصيلها • هكذا يخاطب ادب المناحات الانسان اليهودي خارج اسرائيل وداخلها ، وهو يقص عليه عادة بطريقة ميلودرامية فاقعة صورا من العذاب اليهودي القديم • يقول هذا الاسلوب لليهودي : اذا اردت طمانينة دائمة لك ولابنائك من بعدك فليس أمامك الا طريق واحد ، هو أن تلجأ الى أسوار القلعة الاسرائيلية • واذا لجأت اليها فلا تتراجع فهي كفيلة ـ رغم كل الصعاب ـ بحمايتك وتوفير الامن الدائم لك •

أسلوب آخر لتحقيق الهدف :

ومع أن أسلوب المناحات الادبي هذا يسعى في سياق واحد نحو تحقيق هدفي الانتماء اليهودي الواحد واتصال هذا الانتماء بالارض العربية •• الا أن هناك أسلوبا آخر من التعبير الادبي يركز على عنصر الاتصال بالارض العربية ويتخذه موضوعا اساسيا له • ومع أن هذا الاسلوب الثاني ليس اسلوبا مستحدثا في الادب الصهيوني ، فلقد بدأ بعد حرب ١٩٦٧ يشق لنفسه مجرى جديدا في طريقة تعبيره عما يسمى بالرباط المقدس بين اليهودي والارض العربية •• مجرى يخالف ما تعودناه قبل الحرب من اللجوء الى التراث الثقافي الديني اليهودي من كتابات توراتية وتلمودية وكتابات للحكماء الدينيين في العصور الوسطى لاستعارة مواقف وأحداث وامثال وأماثيل تدرج في سياق التعبير الادبي الحديث للتدليل على قيمة الارتباط بالارض المقدسة ، مع توجيه السياق الى ما يفيد تحويل مدلول تلك التراثيات المستعارة من الارتباط الديني والروحي بالارض الفلسطينية الى ارتباط عضوي مادي • ذلك أن أسلوب التعبير الادبي الذي شاع بعد الحرب بدأ يقصر نفسه على الدعوة الى التشبث بالارض ـ نتيجة لاتساع رقعة الارض المحتلة التي اعتبرت جزءا من الوطن الاسرائيلي التاريخي ـ وعلى استقاء مدده وزاده العاطفي من الموقف الراهن وحده بما يحيط به من ملابسات سياسية وواقعية دونما استنجاد بالتراثيات المؤيدة المؤازرة •

ولا شك عندي في أن هذا المنحى الغالب الجديد في مسلك التعبير الادبي الصهيوني الداعي الى الارتباط بالارض •• انما يكشف من زاوية ما عن فداحة الازمة الحياتية التي يعيشها الانسان الاسرائيلي في ظل ظروف الحرب المستمرة بما لا يتيح له فرصة التمعن في تلك التراثيات واستلهام المدد النفسي منها في أزمته الراهنة • الامر الذي يدفع التعبير الادبي الموجه بالتالي الى اسعاف حمى هذه الازمة بوضع الموقف الراهن المباشر موضع الاهتمام الذي لا يستطيع القارىء الاسرائيلي التحويم بعيدا عنه في تاريخيات وتراثيات تبدو عنده عقيمة بالنسبة لواقع اللحظة وضغوطها وآمالها •

ويؤكد ذلك عندي ما يتردد كثيرا في حلقات الفكر التي تنشر على اعمدة الصحافة الاسرائيلية على السنة النقاد والمفكرين الاسرائيليين من انصراف القارىء الاسرائيلي عن متابعة الكتابات الادبية المتحذلقة في محاولة الاستقصاء التاريخي ، والاحالة الى التراث وميله الى الكتابات الادبية المباشرة للواقع الراهن ـ الوليدة الفورية للحدث ـ والملبية لاحتياجات اللحظة ومقتضياتها النفسية •

ويحيلنا هذا الاستطراد الى ذلك الكم الهائل الفج في نوعيته من الانتاج الادبي العبري بعد الحرب والذي اشرنا اليه من قبل • ذلك أن هذا النوع من الانتاج الهادف بوجه عام الى رفع المعنويات الاسرائيلية وتبشيرها بالنصر النهائي وامتصاص أحاسيس السخط والتململ تجاه ضغوط الواقع ، يمثل قطاعا غالبا من الادب المنشور رغم ما يبديه النقاد الجادون من تحفظات تجاهه ورغم ما يثار ضده من ادلة الدحض ـ على المعايير الجمالية والانسانية العامة ـ في حلقات النقاش وعلى صفحات الملاحق والمجلات الادبية • ويبدو ان ما يضع هذا النوع الرديء من الانتاج الادبي موضع الغلبة والسيادة بالاضافة الى احساس الكتاب برواجه لدى القارىء كما ذكرنا ـ هو الدفع الرسمي له من قبل الهيئات والمؤسسات الرسمية المسئولة عن التوجيه والاعلام •

وتشجع الهيئات الرسمية هذا النوع من الادب لكي يوفر لدى القارىء الاسرائيلي ـ بما يحمله من نماذج البطولة الفردية والجماعية في حرب ١٩٦٧ وما يقدمه من تمجيد للروح العسكرية والحضارية الاسرائيلية ، وتسفيه للقوى العربية ، وحط من شأن الانسان العربي في ميدان القتال ـ حالة من التعادل السيكولوجي تجاه ضغوط الواقع اجتماعيا وحربيا من جانب ، ولكي يواجه في ذات الوقت سيل آخر من التعبير الادبي الواقعي الحر ـ الموصوم لدى النقاد الدعاة بانه فردي غير قومي ـ والمعبر في مرارة عن رفض طبيعة الواقع الاجتماعي الاسرائيلي والكاشف عن السخط على ميول التوسع وسياسة الحرب التي تتمسك بها السلطة الاسرائيلية واصحاب الاوهام التاريخية تجاه العالم العربي بما يجلب التعاسة والشقاء على الفرد الاسرائيلي •

ومما يؤكد وجود الدفع الرسمي لادب البطولات الاسرائيلي الفج ، ذلك الخطاب الذي بعثه يجال آلون نائب رئيسة وزراء اسرائيل الى مؤتمر الادباء العبريين عندما كان وزيرا للتعليم يناشدهم فيه التنادي بالعمل على تغيير النغمة الادبية التي تلتقط الوان السواد في الواقع الاسرائيلي وتجاوبها بمثل لونها دون محاولة لتبديد هذه الالوان على أرض الواقع بجرس أدبي بهيج مستبشر يشيع الامل في النفس الاسرائيلية • وكان مما قاله آلون في معرض المقارنة بين موقف جيل الادباء الساخطين اليوم والادباء في جيله القديم خلال حرب ١٩٤٨ : « في الحرب القديمة كان من اصدقائنا من يسقطون صرعى ، وكانت وطأة الحرب مريرة وتكاليفها باهظة • ومع ذلك كانت تتردد على ألسنتنا اشعار الامل التي كانت تخرج تلقائية من شعرائنا المحاربين » •

ويتأكد لدينا وجود هذا الدفع الرسمي لو علمنا أن حوارا واسعا يجرى في الاوساط الادبية الاسرائيلية حول دور الادب في حالة الحرب الراهنة تحت شعار « قومية الادب » وأن المحرك الاساسي لهذا النقاش وما يتضمنه من دعوى تكريس الادب هي حركة « ارض اسرائيل الكاملة » ، وهي تضم في صفوفها اعضاء من كل القطاعات والفئات ، وبين اعضائها وزراء في الحكومة الاسرائيلية ينتمون الى احزاب تعلن سياسة ذات شكل معتدل تجاه العرب مثل المابام • وهم يحضرون مؤتمرات هذه الحركة وان كان يشار اليهم في بياناتها وما ينشر عنها اشارات خفية حتى لا يدان موقف أحزابهم ويقرن باهداف الحركة •

ولعله من المفيد الان ان نقدم بعض النماذج التي تحدد على الصعيد الفني ـ هذين الاتجاهين ، وهما :

- **الاتجاه الصهيوني بشقيه : ادب المناحات وادب التوحد مع الارض العربية •**
- **اتجاه الرفض للعنصرية العدوانية •**

ويمكن في يسر لمن يتابع مجريات الامور في المجتمع الاسرائيلي أن يكتشف ان الاتجاه الاول يمثل المضمون الفكري للحركة الصهيونية العالمية وممموليها ومستثمريها في آن واحد من الراسماليين اليهود وحلفائهم في العالم ، والسلطة الاسرائيلية أداة الادارة للمشروع الصهيوني الاستثماري وان تنوعت كتلها بين يمين ويسار ، وقطاعات الجماهير الاسرائيلية التي سقط بعضها في أحابيل هذه السلطة والتي ابتلعت الشعي المموه بزخارف القومية اليهودية والتي آمن بعضها بخرافة الوطن التاريخي ان كلا أو جزءا •

هذا في حين يمثل الاتجاه الثاني جماعات الشباب الاسرائيلي الممزق الجانح الى التشرد على نمط الهيبز بفعل الواقع الاجتماعي الضاغط وحروبه المستمرة وجماعات التمرد والسخط العنيف على ذلك الواقع مثل جماعة الفهود السوداء المنادية بحقوق الطوائف اليهودية الشرقية ، وجماعات التمرد والسخط السياسية على الواقع الاجتماعي بل وعلى الصبغة الصهيونية لهذا الواقع وما يتبناه من معتقدات على رأسها عقيدة الشعب اليهودي الواحد في العالم . مثل جماعات اليسار الجديد الاسرائيلي ـ وكلها جماعات برزت وتبلورت على شكل ظواهر اجتماعية وسياسية بعد حرب ١٩٦٧ •• تماما مثل ظاهرة الادب الساخط الرافض الذي عمق مجراه واتسع بعد الحرب •

٢

نموذجان من القصة الاسرائيلية

بعد هذه الصورة التخطيطية العامة لاوضاع الادب فى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ يصبح ضروريا أن نقدم بعض النماذج الدالة على الاتجاهين ، الصهيونى وغير الصهيونى ، فى الادب الاسرائيلى .

وبالنسبة للاتجاه الصهيونى فقد ترجمنا نموذجين من القصة القصيرة يؤيدان ما ذهبنا اليه من وجود اسلوبين احدهما يسعى الى تعبيد النفس اليهودية وتهيئتها للالتفاف حول عقيدة الشعب الواحد المختار ، اسلوب استثارة مشاعر الخوف والاحساس الدائم بالاضطهاد ، بينما يسعى الاسلوب الاخر الى غرس احساس الارتباط بالارض العربية متوسلا الى ذلك بملابسات الموقف الراهن واحداثه .

والقصة الاولى التى نقدمها هنا « **ماخذ الشيطان على فاوست** » من افضل نماذج أدب النائحات فنيا ، وهو ذلك النوع من الادب الذى يستغل العذابات التى وقعت باليهود على يد النازية ويكرسها لخدمة متطلبات صهيونية راهنة ومخطط صهيونى دقيق .. اما القصة الثانية « **العشب الاحمر يشتعل فى بطء ، النهر الاخضر يتدفق للابد** » فانها من افضل التجسيدات الفنية للدعوة الى الارتباط بالارض العربية والتمسك بالنصر الاسرائيلى تمسكا شخصيا .

ولعله من الافضل أن نترك النص للقارىء يكشف بنفسه اولا ذلك التفاعل بين الشكل ومحتواه ... وسوف نتبع القصتين كلتيهما بتعقيب اكثر تخصصا (*)

פנחס שדה

העשב האדום בוער לאט, הנהר הירוק זורם לעד

مآخذ الشيطان على فاوست

ش . د . بوتين

الديكور هنا سحاب وضباب ، نفس الديكور الظاهر فى افتتاحية (فاوست) والذى يبدو كنوع من المحاكاة اوالصياغة الادبية الفنية لسفر ايوب . ضـــياء هادىء ينبعث من داخل الســحاب ، كانها الشمس على وشك الشروق وقد توسطتها صورة بطريقية مهيبة كتلكالتى نراها فى لوحة «خلق الانسان »لميخائيل انجلو . خلف الضباب يمكننا ان نلمح بصعوبة الشخصية الاولى المتربعة فى اطار العرش الالهى المغلف بالضباب .

زرافات الملائكة تاتى متتابعة لتمثــل أمام الشخصية الاولى . تقع الملائكة فى اسار الدهشـــة اذ تكتشف ان من تمثل امامه ليس سوى النائب . يتخذ القادمون الاماكن المحددة لهم ، نقاب الدهشة ينحسر عن وجوههم ليكسوها ثوب من الجمود والاذعان .

يبدو الشيطان اكثر الجميع دهشة . انه لا يحاول ان يحد من اندهاشه ؛ لابد انه سـيثور معـربا عن موقفـــه بوضوح . غير انه لمجب الجميع — فيما عدا النائب — لا يفعل ذلك .

مازال الشيطان على حالته الاولى ، ضائقا متبرما لانه لم يجد امامه سوى النائب ولكن يبدو ان دهشته الكبيرة لم تكن بالقدر الكافى لاخراجه عن صمته . سأله النائب عن الرجل الذى يتعذب منذ سنتين فى أوشـفيص (معسـكر الاعتقال النازى لليهـود خـلال الحرب العالمية الثانية)

فاجاب : هناك رجال كثيرون يتعذبون منذ سنتين فى أوشفيص .

قال النائب : أعنى الرجل الذىلايكف عن الاستشهاد بسفر ايوب .

أجاب الشـيطان : هو لا يستشـهد بسفر ايوب كله ، انه لم يستشهدباجابة (ايوب) خلال العاصفة . بل انه لم يستشـهد بما قاله اصـحاب ايوب .

قال النائب : خبرنى عنه على الرغم من ذلك .

وهناوقع تحولمفاجىء فى الحديث ، فقد سال الشيطان النائب قائلا : اليس يهمك فى العالم كله سوى ذلك الرجل ؟

وتباطأ النائب فى الاجابة

واستطرد الشيطان :

وذلك الطفل ابن الثامنة الذى فر من يدى أمه والجلادين على حد سواء وقفز من فوق الاسوار الحادة المدببة ونجح فى الاختفاء عن أعين الجلادين الـذين استفاثوا بموقع اوشفيص . فأعلنالموقع حالة التاهب الى ان قبضوا على الطفل واقتادوه فىتجلة واحترام] حيث كانت قلوبهم تخفق له بالاحترام) الى غرفة الغاز . هذا الطفل الم تره ؟ الم يكن أمام عينيك ؟

وتباطأ النائب فى الاجابة

وراح الشيطان يتحدث عن أوشفيص وعن عنابر التعذيب وعما يدور هناك .

وصمت النائب ولم يجب .

كان الشيطان مندفعا فى ثورته مع علمه الواضح بانه لا جدوى من الثورة لذا انهى حديثه بقوله انه مسائد الى اوشفيص ليواصل اداء مهمته .

نظر اليه النائب نظرة فاحصة وطلب منه أن يحدثه عن مهمته فى أوشفيص وعما وجد انه يستوجب التصحيح هناك من وجهة نظره الشيطانية . امتلا فم الشيطان ببسمة كبيرة ثم تقلصت خطوط وجهه لترسم تعبيرا من الانفة والنفور لم يكن واضحا من المقصود به ، النائب الجـالس على العـرش الالهى ، ام أوشـفيص وجلادوها ام ضـحاياها . لا احد يعرف . وعاد النائب يتساءل : أوشفيص ؟ ماذا ستفعل فى أوشفيص؟ وساد صمت راح يتضخم ويرتفع حتى تحول الى حاجز ينتصب مابين النائب والشيطان .

فى نهاية الفصل الرسمى منالاجتماع قامت جوقة من الملائكة بانشاد البيتين الاخيرين من الجزء الثانى من (فاوست) فى اصلهما الالمانى .

تقدم الشيطان مبديا اعتراضه على القاء اشعار فى اللغة الالمانية حتى ولو كانت فى جمال وروعة ذانيكما البيتين ، بعد أن تحولت الالمانية لغة للجلادين .

وراح يقدم امثلة عديدة من التعبيرات السامة الجارية على السنة الجلادين فى

---

[١] الملحق الادبى .. على همشمار ١٥/٨/١٩٦٩

الالمانية بل اوضح ان لديه ما ياخذه على كبير شعراء الالمانية ذاته .. ارهف النائب سمعه ليستبين ما عند الشيطان من مآخذ على معشوقه جيته العظيم .

قال الشيطان انه يعاف قراءة مشهد [فاوست] الذى يقدم فيه جيته وصفا لفاوست وهو ينام على بساط مزركش من الزهور ، بينما ثلة من الملائكة والمخلوقات السماوية الرقيقة ترف من حوله وهى تغنى اغان والحان سرية تنفذ خلال حجاب نومه لتكسبه مذاقا حلوا وتصبغ احلامه بألوان زاهية .

تعجب النائب من احساس الشيطان هذا وتساءل عن سببه . غير ان الشيطان اصيب بالدهشة لهذه المساءلة أفلا يدرك النائب بداهة ماينطوى عليه التتابع المباشر بين المشهد السالف والمشهد او المشاهد التى تصور مقتل أربعة أشخاص على يد فاوست ، ذلك من قصور فى معايير الفن والذوق والجمال والاخلاق على حد سواء ؟

وبغض النظر عن الظروف وعن دور الشيطان نفسه فى هذه الجرائم — الا يعد فضيحة من زاوية الذوق والفن والجمال والاخلاق ، أن يعامل الشاعر قاتلا على هذا النحو فيهيىء له بساطا من الزهور ينام عليه ويدعو اليه جماعات من الملائكة تهدهده بألحان سماوية ؟!

وفاقت دهشة النائب كل حد . كانت الدهشة تملك زمام نفسه للشاعر الذى تصرف على هذا النحو ، وللشيطان الذى ابدى هذه المآخذ على الشاعر .

على هذه الصورة انتهى اجتماع الشيطان مع النائب .

● ● ●

فيما يلى مذكرة تضم تلخيصا موجزا للاجتماع السابق ونضيف بعض المعلومات اليه .

صعد الشيطان ليمثل أمام العرش ، لم يجد امامه سوى النائب يجلس على العرش . دهش الشيطان ولم يدهش . دهش لان غريبا يجلس على العرش ولم يدهش بعد أن رأى ما حدث فى الارض . توقع أن يسأله النائب عن ذلك . غير أن النائب لم يسأله . تعجب لان النائب لم يسأله على الاطلاق . ولم يتعجب بعد أن راى النظم والعادات الجديدة فى السماء .

حقيقة كانت الملائكة بضة ممتلئة ، الا ان قبة السماء — كأى لوحة ارضية — كانت قد فقدت بعض رونقها وجلال بهاؤها .

تساءل الشيطان فى دخيلة نفسه .. ماذا ومن بقى لى هنا فى السماء ؟

انتابه احساس بالتأفف من نفسه ومن كل ما يحيط به هناك ولذا عمد الى اختزال الاجتماع بقدر المستطاع .

احاط به الملائكة وراحوا يتفرسون فيه وكأنهم جماعة من الريفيين يستقبلون احد أبناء قريتهم وقد عاد من رحلة طاف خلالها بكبريات المدن . كانت عيونهم البريئة الواسعة معلقة به ، وبقدر ماكانت عيونهم البريئة الواسعة معلقة به ، وبقدر ما كانت تشع معانى البراءة كانت تطفح بحب الاستطلاع . وفى الحقيقة كان الشيطان ميالا لان ينقع غلتهم ويروى ظماهم الى اخبار الدنيا . ولكن ماالذى من انباء لم يكن مما يصلح لهم . ويبدو أن النائب نفسه لم يكن مستعدا لسماع هذه الانباء ولو من قبيل الذوق وحده .

لقد كان بكل ما فيه نتاجا لثقافة عصر النهضة . كان يبدو كنسخة من احدى لوحات ميخائيل انجلو ، نسخة جانبها التوفيق الى أبعد الحدود اذا لم تعد فى احط دركات الفشل . صورة بطريقة هرمة ، علها بدت مغلفة بالضباب لضعف الضوء المنبعث من القبة السماوية ، حتى لم يعد يضيئها ويظهرها سوى بياض شعرها الذى يكشف عن هرمها .

راح الشيطان يسائل نفسه .. ما لصاحب الصورة .. هذا اليهودى القديم الذى تحول الى المسيحية والانباء التى احملها ؟ كيف سيتلقاها ؟ ماذا سيكون تعليقه عليها . ان شأن هذا اليهودى شأن شاهد القبر الحجرى الموضوع على قبره . وماذا يعنى حجر الشاهد من الانباء الجديدة التى تصل كل لحظة من « أوشفيص » أو من عنابر الاعتقال ؟

على حين فجاة اهتزت قبة السماء ثم انهارت على الشيطان ، واختفى العرش الالهى واختفت الشخصية التى كانت تتربع عليه ووجد الشيطان نفسه داخل أحد عنابر المعتقلين وقد صور فى هيئة معتقل جائع مصاب بالدوسنتاريا واكوام من الحشرات تزحف على جسمه وتتغذى على دمه .

راح الشيطان يحك رأسه الحليق ويحادث نفسه ، ياللشيطان ! متى أمكنهم حلق شعرى ؟ أو لم يسعهم على الاقل أن يلقوا بالماء فيزيلوا عفونة جسدى وعطن الخرق التى البسونى . نظر الى ما يغطى جسده من اثمال وراح يحاول انتزاعها بما تحمله من حشرات فى حنق مسن على جسده ولكنه لم ينجح . ليكن اذن ما يكون . فنحن الان فى عام ١٩٤٤ والالمان على اعقاب الهزيمة ولن تمتد الحرب لاكثر من سنة أو سنتين أو حتى ثلاث . وخلال هذه الفترة سيكون أمامى متسع من الوقت للتأمل والتدبر . اننى أرى على البعد شىء ما . شىء يكاد الا يكون انسانا . فلاقترب منه .

● ● ●

صيدلى كان له ولدان . سمم ولديه قبل أن يبعثوا بهما الى أوشفيص . سمم نفسه كذلك غير انهم استطاعوا انقاذه . تناولت امرأته السم هى الاخرى وماتت . فى نفس اليوم أرسل الى أوشفيص ضمن الشحنة الاخيرة من يهود الجيتو . وصل هناك وحيدا . لم ينظر حوله ولم ير أحدا ممن يحيطون به .

عندما وقف أمام الظابط الذى أشار اليه بالاتجاه ناحية اليمين ، تحرك الى اليمين دون أن يعنى بالنظر الى الرجال والنساء والاطفال الذين وجهوا ناحية اليسار . فى ذلك الوقت لم يكن يفهم معنى أن يوجه المرء الى اليمين أو الى اليسار . بعد ذلك وجد نفسه وسط مجموعة لم يشعر أن له بهم أى صلة .

فى ذلك الصباح المصيرى عندما وجد امرأته وطفليه موتى ووجد نفسه على قيد الحياة . لم يتعجب لان الجهود التى بذلت لاعادة الاربعة الى الحياة لم تنجح الا بالنسبة له ، ولم يدن الاخرين لان جهود اعادة الحياة الى امرأته وطفليه لم تنجح — ان شيئا من هذا لم يطرأ له على بال ، لقد كان ذاهلا دهشا دون أن يدرك معنى أو تفسيرا لذهوله ودهشته . كان حوله رجال مستغرقين فى العمل بينما كان هو وحيدا فى عزلته عنهم . حزموا الجثث ونقلوها أمام عينيه وهو معها .

ومن المقابر نقل هو والمشيعون الى عربة الحيوانات المتصلة بمؤخرة القطار . قضى نهارا وليلة فى العربة حتى وصل القطار الى أوشفيص . كان الرجال المكدسون وقوفا فى العربة يخمنون طيلة الوقت وجهة القطار على أساس ما يمر من مناظر يشاهدونها من خلال القضبان . فقط وقبل أن يطلع الصباح أمكنهم أن يدركوا أن القطار يقترب من أوشفيص .

● ● ●

ظهرت آثار الجرى خلال طرقات اوشفيص الملتهبة على من يعدون وعلى من يسوقونهم على حد سواء .

كان رجال الفرماخت والـ س . س يسوقون أفراد الشحنة منذ نزلوا من عربات القطار فى صفوف يضم كل منها خمسة دون ابطاء أو وقفات للراحة .

ولولا أسوار النباتات الوارقة الخضراء التى تسبح فى طرقات أوشفيص لما لقيت العيون هى الاخرى فرصة للراحة . على الاقل كانت العيون فى راحة .

كانت الشفاه المحترقة تمتد الى الاوراق اليانعة الرطبة وتنجح احيانا فى لمسها بينما السيقان تعدو على وهم اطفاء جذوة الظما المتأججة فى الحلوق .

بعد نصف يوم من الركض أمر الجمع بأن يتوقف على مقربة من الحمام . كان قد فقد قبعته خلال الجرى وكان العدو والقيظ والضربات التى تلقاها على وجهه ورأسه قد اصابته بالذهول الكامل وخنقت الالام فى جسده قبل أن يبدأ احساسه بها . وفيما كان وعيه يستيقظ كان بعض الرجال يزحفون من حوله من الاعياء . وعلى مقربة كانت عائلات عديدة مكدسة بعجائزها ونسائها واطفالها داخل الاكشاك مقوسة ، بينما الاطفال ينفذون الى خارج الاكشاك ليلعبوا حولها .

لقد كان أولئك جميعا فى غرف الغاز والافران ولكنهم لم يكونوا يعرفون .



كذلك لم يكن الصيدلي يعرف .

● ● ●

مشهد واحد كان يلاحقه سـواء في وقت العمل أو خلال وجوده في المعتبر، ذلك مشـهد الاطفال وهم يلعبون في انتظار دورهم لدخول غرف الغاز ...

على اي حال لم يكن مصير ولديه كمصيرهم .

قطع عليه الشـيطان تفكيره وبادره بالقاء السلام . رد الصيدلي السـلام وراح يحدج الشـيطان بنظرات كانـه يقول .. من أنت . اجاب الشيطان على سؤاله الصامت اجابة ابعد مانكون عن السؤال فقال :

لم يحدث أن طرأ على ذهني مثل هذا التفكير

الصيدلي : ماذا اذن ؟ هل كان ينبغي ان اتي بهما الى اوشفيص ؟

الشيطان : هل انا بديل عن الرب كي تسالني عن ذلك ؟

الصيدلي : مادام الامر كذلك فلماذا تقول انك لم تفكر مثلي قط ؟

الشيطان : اردت أن أقول انني لم اجربه موقفك قط .

الصيدلي : اذن لا تناقش صـاحبك حتى تجرب موقفه .

● ● ●

راى الشيطان بين المعتقلين صبيا . اتجه اليه وانحنى عليه وجعل يتامـل وجهه الشاحب برهة .

ــ ايها الفتى .. أيها الفتى

فتح الفتى عينيه

ــ من يناديني ؟

شاهد الشيطان جرابا مليئا بالخبز معلقا برقبة الفتى . ساله

لمـاذا لا تاكل .. علك غير جائع ؟

كم عمرك يافتى ؟

الفتى : ثماني عشرة

الشيطان : ثماني عشرة ؟ ان مظهرك كابن الرابعة عشرة .

الفتى : كنت كذلك يوما

الشيطان : كان الحـال طيبـا .. اطيب من الان على اى حال

الفتى : انني أصغر من ان أعيش على الذكريات . انني احيا ولا أفكر الا في الماضي القريب الذى يرجع الى شهر أو شهرين .

الشـيطان : منـذ متى وانت فـي اوشفيص ؟

الفتى : منذ حوالى ستة أشهر

الشيطان : هل جئت وحدك ؟

الفتى : وحدى ؟ مع الاسرة جميعها . اخذوني وحدى للعمل . أما الباقون فقد ذهبـوا . انني اعيش هـذه الحيـاة الكريهة دون ذكرى واحدة . كل مالدى احساس بالقرف والغثيان يتملكني من الصباح الى المساء . لابد أن اتخلص من هذا الاحساس . الديك حبة أو شيء ما يزيل هذا الاحساس الكريه الغير محتمل .

الشيطان : ماذا حدث لك أيها الولد ؟

الفتى : ولا ؟ انني في الثـامنة عشرة . لقد اخذني ضابط الـ س.س من حفل عرس لاعمل مساعدا وبستانيا وخادما في بيته .

كانت زوجته منفرة .. ولكن كانت لديه بنتان رقيقتان ، غاية في البراءة والنقاء . كانت المرأة تشبعني ولكنهـا كانت منفرة . بعد ذلك استبعدني من بيته وضمني الى جماعة . كانت الجماعة تقوم بأعمال مختلفة . اما أنا فقد قصرني على أعمال الحـدائق . كـان واجبي الاساسي ان ارعى أسوار النباتات . كنت اعود كل مساء الى الجماعة لابيت معها في الكوخ . كنت أرى الصفوف الممتدة تتجه الى الافران . كنت أراهم جميعا من بعيد خلف أسوار السلك ، لم تكن أحاديثهم وصرخاتهم ــ ان كانت لهم أحاديث وصرخات ــ تبلغ سمعي . كانوا يبدون لي كقوم يذهبون الى النزهة ، نزهة لاتنتهي . كل يوم كان هناك من يذهبون للنزهة . رجال من جميع البلدان ومن كل الشعوب .

كثيرا ما تمنيت لنفسي أن أذهب معهم للنزهة حتى نهايتها . لم يكن احساسي في ذلك الوقت أفضل منه اليوم . بل لعله كان افضل . على الاقل كنت اشعر انني واحد من اولئك الذين كنت ارافقهم ثم أودعهم . كنت استقبلهم وارافقهم ثم أودعهم كواحد منهم كأني قريب لهم .

لعل احساس المعتل الان يرجع الى مرضي وضعفي . في ذلك الوقت كنت سليما معافى . كما قلت لك كان ضابط الـ س.س يشـبعني ويبدو انه كان يعطيني مما يطعم .

كنت أعمـل وفي نفس الوقت انظر وارقب ما يجرى على بعـد ، وبمرور الوقت أصبح النظر والمراقبة عسيرين على نفسي وتحولا الى احساس بالغثيان . تقيأت عدة مرات على العشب ، ولعل ذلك لاني كنت آكل حتى أتشبع . عندما كنت اتذكر وأتصور منتهى رحلة اولئـك السائرين الذين لا تنتهي صـفوفهم الى الافران .

هل رأيت طابورا من النمل الاسود ؟ انه يسير ممتدا دون أن ينتهي تمـاما كهؤلاء الرجال من العجـائز والضـعاف والاقوياء والاصحاء والصبية المعافين .

في احـدى المرات وجـدني ضـابط الـ س.س وقد تقيأت الطعـام الذى أعطانيه على العشب الاخضر المرتوى .

« انك أخضر ومرتوى كهذا العشب »

.. راح يردد هذه العبارة وهو يدق جسدي ووجهي بحذائه في عنف وقسوة حتى فقدت وعيي . ولم أعد الى الكوخ للنوم . بحثوا عني ووجدوني غارقا في القيء والدم . سكبوا على الماء .. كثيرا من الماء .. أجبروني على أن العق القيء والدم لانظف العشب الاخضر الذى رويته بقيئي ودمي . ولم يرض ضابط الس.س عما فعلوه بي وعما لم يفعلوه ..

وهكذا لم أعرف للحياة سوى وجـه واحد . انني أصغر من أن أعيش على ذكريات وعلى ماض يرجع الى سنوات أعطني بعض الماء .

انني جائع ولكني لا استطيع أن آكل ان اللقمة تتفرس في حلقي كالوتد واذا ماابتلعتها خرجت من الناحية الاخرى قبل أن أشعر بحاجتي الى ذلك .

ان هذا هو وجه الحياة الوحيد .. فهل لها وجه آخر ؟ انك لاتفعل شيئا سوى انك تحملق في .. هل أنت تقيسني او تدرسني ؟ لو لم يكن والداى قد ماتا لاتيت معهمـا بعمل عنق لانهمـا انجباني .

الشيطان : يافتاى .. يافتاى ..

الفتى : هل حدث ان لاطفتني من قبل ؟

ان ملاطفتك تشبه ملاطفة ضـابط الـ س . س خـلال الايام الاولى من خدمتي اياه .

الشيطان : لست ضابط الـ س.س

الفتى : اذن يمكنك ..

واسـتغرق الفتى ابن الثـامنة عشرة والذى يبدو وكانه في الرابعة عشرة في سبات عميق .

تعقيب

نلاحظ فى ضوء ما أشرنا اليه فى المقدمةأن هذه القصة تدق على وتر المعاناة اليهودية بصورة ميلودرامية مؤثرة لتحرزهدف الشعور الدائم بالاضطهاد لدى الانسان اليهودى فى اسرائيل وخارجها . وهى تمثل فى الواقع نموذجا متقدما لادب المناحات الاسرائيلى . نموذج لقى عنايةكافية من كاتبه ولذا يبدو بارعا فى طريقة صياغته الادبية سواء من حيث اللغةالمكتوبة فى اتقان [فى العبرية] أو من حيث الحيلة الادبية الواسعة فى الربطما بين دور الشيطان فى مسرحية فاوست لجوته وما بين دوره فى سفر أيوب منأجل تقديم صورة أدبية مؤثرة للعذاب اليهودى على أيدى النازيين . صورة يقولعنها الكاتب .. « أنها تستنفر فى هولها وبشاعتها أعتى قوى الشر ممثلة فىالشيطان مصدر عذاب البشر فى التصور الانسانى العام » .

ويبدو لى أن كاتب هذه القصة كاتبغير متدين يهودى حسبما يظهر من روح كتابته ، وعلى اساس المصدر الذى نقلتعنه قصته « صحيفة عل همشمار لسان حال حزب المابام ماركسى الصورة » ..وهذا ما يتيح للكاتب أن يتناول القوى السماوية بالتجريح ويوجه اليها اتهامابالتبلد تجاه عذاب اليهود علىايدى النازى.

ومن المعروف أن الشيطان فى سفرأيوبيلعب دور الشر الذى يتميز به .. والسفر من كتابات التأمل اليهودية المتأثرة بروحالحكمة والتفلسف اليونانى خلال فترة الوجود اليونانى فىالشرق فيماقبل الميلاد.وهويناقش مشكلةالشر فىالعالم.ويطرح تساؤلا محددا حول مبررات الشر الذىيلحق بالاخيار من الناس ، وهو موضوع ما كان ليطرح قبل التأثيرات اليونانية فىالكتابات اليهودية . ولقد حاول كاتب سفر أيوب أن يفسر هذا الشر على أنه ابتلاءتنزله القوى السماوية العليا بالاخيار لاختيار ايمانهم وصمودهم . وما يعنينا هنا هو دور الشيطان .

فالشيطان يظهر فى سفر ايوب على انهاحد ملائكة البلاط الالهى الذين يقومون بتقديم التقارير الى الاله عن احوال الارضوسكانها . وهو يظهر حاقدا فى سعيه ضد أيوب . فهو يحسده على ما ينعم بهمن خير ، ولذا يوعز الى الرب بانزال ضربات متلاحقة به بدعوى أن هذا سيكشفعن ضعف ايمانه وزيف عقيدته .

هذا هو دور الشيطان فى سفر أيوب.دور محرض القوى السماوية العليا على انزال العذاب بالناس. ودوره فى مسرحيةفاوست كما يفهمه كاتب القصة بسيط .. — بغض النظر عن أية تفسيراتفلسفية له — فهو ببساطة دور الشرير الذى يغوى البشر بمغريات معينة ليفرضعليهم ممارسة الشر والوقوع فىالخطيئة.

فما هو الدور الذى ينيطه كاتب القصةبالشيطان هنا ؟

ان الشيطان هنا يتحول أمام هولالعذاب اليهودى الذى يسوقه الكاتب فى صورة مبالغة الى قوة للخير تستنكرهذا العذاب. فالشيطان يصعد الى السماء كعادته فى سفر ايوب ليقدم تقريرا عنسير الاحوال فى الارض، وهو فىهذهالمرة لا يصعد ليشى بانسان ما كما فعل مع ايوببل هو يصعد ليحفز القوى السماوية على التدخل لرفع هذا العذاب . غير انه يصاببخيبة أمل فهو يواجه بالقوى السماوية وقد سرت فيها روح البلادة والترهلوالتخلف حتى ما عاد يعنيها ما يجرى على الارض . تلك القوى السماوية التى طالماقررت الكتابات اليهودية الدينية انها تساند اليهود وتحميهم — يقول الكاتب —انها قد تخلت عن دورها القديم هذا وما عاد لها شأن بما يئول اليه حال اليهود . هذا هو المضمون الاساسى للقصة .

فما الذى يريد الكاتب قوله بين السطورومن خلف الصور الادبية ؟ ما من شىء يقال سوى أنه ينبغى على اليهود أن يفهموا انالعالم كله حتى القوى السماوية فيه لاتعبأ بعذاب اليهود بل انها تنتقم ممن يتصدىللدفاع عنهم فتضعه مثلهم موضع العذاب كما يحدث للشيطان فى القصة .

وبالطبع فان الدعوة تكون : انه ينبغىلليهود ان يتجمعوا فى مواجهة هذا العالم الشرير . هى بعينها الدعوة الصريحة الىمغادرة المجتمعات العالمية والاحتماء بأسوار الحصن الاسرائيلى .

השגותיו של השטן על פאוסט

סיפור

قصة

العشب الأحمر يشتعل في بطء
النهر الأخضر يتدفق للأبد

بنحاس سادية

بدت من خلال النافذة التي كان يقف الى جوارها افشالوم بعض اشجار الزيتون وسياج يحيط بفناء ، ومجموعة من الاسطح الاجرية • كان قمر منخفض اصفر مغلف بالضباب يسدل ضوءه الشاحب خارج النافذة لم تكن الريح تتحرك وكان الهواء الساخن اللافح محملا بمذاق الغبار •

الصمت مطلق !

راحت افيجيل تتطلع الى الظلمة من فوق كتف افشالوم وهي تقف خلفه تكاد تلامسه • كانت النجوم القليلة التي تلوح خلف الضباب تومض في شحوب في سكون • كانت كانها ترقبهما وتنظر اليهما •

على حين غرة سالت افيجيل • انني •• انني اشعر وكان النجوم جميعا تنظر الى الان • ولم يجب افشالوم • انقضى بعض الوقت • مدت ذراعها فلمست يده باطراف اصابعها نظر اليها فسحبت يدها وقالت هامسة :

ـ تعال نخرج ••

ـ الى اين ؟

ـ الى اى مكان •• نذهب خارجا •

ـ الى أى مكان ؟

ـ ليس هاما •• نذهب الى اى مكان •

ـ أى مكان ؟؟

ـ نذهب الى مكان به اعشاب •• الى أى نهر

ـ لكن •• ليس هنا أي نهر فى القدس

ـ صحيح •• ليس هنا أى نهر •

تحركا على مهل وخرجا من الحجرة • كان الممر غارقا في الظلام •• لكن خيطا من الضوء الاصفر الباهت كان ينفذ من حجرة الخياط صاحب الشقة عبر فتحة الباب الموارب وتمتمة خافتة تتردد •

توقفا للحظة عن السير •

« فزع الموت حمل بى •• رعشة تتولاني ، تمتم الخياط المسن فيما يشبه النواح •

انه يتلو المزامير •• قال افشالوم وكانه يفسر لها •• واصلا السير •• خرجا من الممر وهبطا على السلم الحديدى الدائرى •

لم يكن في العطفة المواجهة للبيت •• كائن حي واحد • كانت البيوت الواطئة المعتمة تقف وكان كلا منها يستند الى الاخر في سباته •

كان القمر المنخفض قد توارى خلف الاسطح وتسربل كل شيء برداء من الظلام الثقيل الساخن •

في تلك اللحظة اقترب اليهما من عل من جهة الجنوب سرب يضم ستة او سبعة طيور صفراء سود الاجنحة من فصيلة الكراكي • كانت تطير على هيئة راس سهم في اتجاه الشمال وهي تذهب افاق الفضاء في سكون وسرعان ما ابتعدت وابتلعها الظلام •

عندما خرج افشالوم وافيجيل من الازقة المتداخلة المتشابكة كحروف الكتابة العربية •• كانا قد وصلا الى سوق « محنيه يهودا » المقفرة ، سارا وسط الطريق بين الارصفة الخالية والحوانيت المهجورة لم يكن هناك سوى عدد قليل من مصابيح الطريق مضاء ينثر مساحات ضئيلة من الضوء الخافت • كانت بعض القطط المتباعدة تنقب هنا وهناك في اكوام الزبالة في طرف السوق والى جوار شارع يافا وعلى مدخل احد البيوت جلست عجوزان على قطعة سجاد بالية واحداهما تتحدث في صوت مكدود :

« ان هذا الفتى يعمل في المكتب منذ عام •• وهو نائب مدير ممتاز »

مرا بهما وعندما وصلا الى شارع يافا انحرفا يمينا تجاه وسط المدينة • سارا على مهل والصمت يخيم عليهما •• متقاربين حتى كانت يداهما تتلامس كل بضع لحظات ، عندما عبرا ميدان همرجماه اتجها شمالا ودلفا الى عطفة ضيقة طويلة يحدها حائطان حجريان رماديان يكشف عنهما ضوء حائل ، فى جزء من سماء العطفة كانت تسمق بعض الاشجار تغطى العطفة كالسحاب عندما بلغا هذا الجزء اطبق عليهما الظلام ثانية بدرجة حالت بين افشالوم الذى ادار رأسه في تلك اللحظة الى افيجيل وبين رؤية ملامح وجهها •• وعندئذ سألها ••

ـ فيم تفكرين يا افيجيل ؟ ••

ـ انني لا افكر •• فقط شيء ما يقول في داخلي شيئا ما •

كان صوتها يحمل رنة غريبة ربما مثل رنة الفرح ••• رنة لم يفهمها افشالوم ، وبلا قصد ارتسمت بسمة خفيفة على شفتيه • شعرت افيجيل ببسمته ورأت أن من واجبها أن توضح له •• قالت : شيء ما في داخلي يغني •• لكن دون نغم •

ـ بماذا يغني ، •••

ـ انه يغني هكذا •••

« العشب الاحمر يشتعل في بطء ـ النهر الاخضر ـ النهر الاخضر يتدفق النهر الاخضر ـ النهر الاخضر يتدفق للابد •

ـ وماذا بعد ذلك ؟

ـ ليس بعد ذلك شيء فما قلته يتكرر ثم يتكرر

ـ هذا لطيف •

كان من الممكن في تلك اللحظات ادراك انها في سعادة الاطفال •• وكان من الممكن سماعه وهو يطرى الاغنية التى « يغنيها شيء ما » بداخلها •

عندما وصلا الى طرف العطفة حيث يضيء احد مصابيح الطريق توقفت وانحنت وبدات تحل اربطة نعليها • خلعت احد نعليها ، ثم خلعت الثاني وحملتهما في يدها •

ـ هل سيرى حافية امر صائب ؟

نظر اليها جزلا بعض الشيء ومترددا بعض الشيء وكانه يبحث مدى الصواب في الامر • استقرت نظراته على

● نشرت هذه القصيدة بالملحق الادبي لجريدة هآرتس بتاريخ ٢٢ ـ ٩ ـ ١٩٦٨

وجهها • وجه نحيف الى حد ما يبدو وكأنه مشحون بالالم • شفتان ممتلئتان •• مكتنزتان تقريبا • لونهما كلون فاكهة صفراء نادرة • عينان صافيتان مشرقتان • موجتان من الشعر الاصفر تنسدلان على كتفيها •

عندما وقع الضوء الشاحب الرقيق المنبعث من أحد مصابيح الشارع على وجهها •• بدا له وجهها جميلا ذا جمال عميق وحشي بدرجة جعلته لا يقدر •• على رفع عينيه عنه لبرهة طويلة • نكس نظراته فرأى قدميها العاريتين القويتين اللذيذتين . لاح بذهنه ان بهما « شيئا وثنيا » قال :

– لماذا تريدين السير حافية ؟ انتشعرين بالحرارة لهذه الدرجة ؟

– ليس الى هذه الدرجة ولكني أريد أن احس •

– أن تحسي ؟

– ان احس بالتربة •

– ليس هنا اى تربة •• ليس هنا سوى الطريق

– صحيح ليس هنا تربة •

واصلا سيرهما •• قالت :

لكني اشعر احيانا انني استطيع ان احس بالتربة تحت الطريق •• ليس دائما •• لكن احيانا •

– متى مثلا ؟

– الليلة •• الليلة استطيع •

ساد الصمت بينهما •• بعد لحظات سالت افيجيل :

– احقا تظن انني مضحكة ؟

– لماذا ؟

– لانني اتحدث دون منطق

– لا

– نعم • لكنك لا تسخر مني لمجرد انني اختك • لكن فلتعلم ان لدى منطقا •

– انني اصدقك •

– انني عندما افكر يكون لدى منطق • غير انه عندما ابدا في الكلام تتخذ الافكار فجاة كل انواع الاشكال •• اشكال الاعشاب مثلا •

– الهذا اردت الذهاب الى مكان به اعشاب •• الى مكان تكونين فيه مفهومة ؟

– ربما

– لكنني افهمك •

– نعم • ولذلك جئت اليك •

وساد الصمت ثانية •

– هل نسير طويلا ؟

– لماذا تسالين ؟ هل تعبت ؟

– كلا • كلا •• مطلقا • لكني اردتك ان تقول لي •

– لماذا ؟

– لانك اذا قلت نسير طويلا ، فاننا نسير طويلا • واذا قلت نقصر السير قصرنا السير •

لكنه لا يقول شيئا • فقط ياخذ نعليها من يدها ويحملها باحد اصابعه ويمضيان على هذا الحال لفترة دون كلمة واحدة •

هما الان يسيران في شارع الانبياء • على ناصية شارع « الربى قول » وامام مقهى « بساط » وقف شخص بجوار جذع احدى الاشجار العالية وكأنه في حالة تربص •كان من المستحيل تمييزوجهه في الظلام لكنه بدا كانه شاب نحيف غاية في الطول لم يعره افشالوم اهتماما ، الا ان افيجيل لسبب ما أخذت بعض الشيء عند مرورها الى جانبه ••••

سارا الى بعيد •• عندما لاحت لهما قباب المعبد الروسي التي تشبه حبات البصل سالها افشالوم :

– قولي لي يا افيجيل •• ماهو هذا « العشب الاحمر » ؟

– اى عشب أحمر ؟

– العشب المشتعل في بطء •• العشب الذي في اغنيتك •

– ليست هذه باغنية •• انني لم أدع انني الفت اغنية •

– اذن •• العشب الذي في قصيدتك •• انني لا أفهم ما هو •

– لكنني افهم •

– اشرحي لي اذن

– لا •

لم لا ؟

ابتسمت افيجيل وقالت •• لانك أنت الاخر تخفي عني اسرارا •

اية اسرار ؟

في هذه اللحظة كانا يجتازان ساحة الروس • عند وصولهما الى المعبد توقفا برهة متحيرين بين الاتجاه الى شارع يافا او التوجه صوب منطقة الاشجار وصوب حديقة دار البلدية • واخيرا صوبا ناحية الاشجار •

قالت افيجيل :

عندما وصلت الى حجرتك كانت الشمس اخذة في الغروب •• وعندما دخلت رايتك راقدا على السرير وعلى وجهك •• على وجهك ضوء ما • ربما كان ذلك ضوء الغروب • جلست في صمت ورحت ارقبك وانتظر صحوك • جلست ساعة وربما أكثر • كان غريبا أن ارى وجهك دافقا بالحياة على تلك الصورة التي بدا بها • في البداية كان مقطبا تكسوه سحابة من الكدر •• بل وغيره للحظة رداء من السخط والفزع حتى ارتعبت وكدت اوقظك • بعد ذلك •• اذكر أن تعبيرات وجهك اتخذت سمة التفكير كما لو كنت تصغي لشيء ما وتقول شيئا ما • وفي النهاية خيم على وجهك تعبير رائع من •• من الرضا والغبطة •• لكنك نمت كل ذلك الوقت • احقا كنت نائما ؟

– كلا •

– كنت يقظا اذن •• اكنت تتظاهر بالنوم ؟

– كلا •

صمتت افيجيل لحظة كما لو كانت تفكر في الامر • جلست على حجر تحت احدى الاشجار •

واخيرا قالت •• انني استطيع أن افهم هذا •

جلس افشالوم الى جوارها على الارض •• على العشب الجاف • قالت :

احك لي عما كان يحدث لك بينما كنت راقدا مغمض العينين ؟

– احقا تريدين أن تسمعي ؟ •

– نعم •

– ساقص عليك •: بدا الامر على النحو التالي :

علمت أن فتاة كنت اعرفها تقيم في دار للدعارة على ساحل البحر في تل أبيب •

كان وقع الخبر اليما على نفسي •• وعلى الرغم من انه لم تكن لي جريرة فيما حدث للفتاة فقد حدثتني نفسي بضرورة الذهاب لانقاذها من ذلك المكان • فقمت متوجها الى هناك •

قالت افيجيل التي كانت تصغي في اهتمام بالغ •• عل ما بدا على وجهك من سخط كان في تلك اللحظة •

لم يجب افشالوم••وواصل حديثه :

وصلت الى المكان ساعة الغسق بينما كان الساحل مقفرا تماما •

رايت بيتا قديما من طابق واحد تاكل طلاؤه الاخضر بفعل الرياح المالحة • لا أذكر ما اذا كانت على القرب بيوت اخرى أم لا •• ولكن على اى حال فمن داخل ذلك البيت وحده ، كان ينبعث ضوء اصفر حائل • كان الضوء خارجا من باب دكان صغير لبيع السجائر وأدوات الكتابة ، ويبدو انه كان غطاء لبيت الدعارة • كان هناك ضوء اخر غاية في الضعف ، ينبعث من بين فتحات الشيش في اعلى السطح حيث كانت الفتاة هناك كما فهمت •

دخلت الى الدكان • كان يجلس خلف منضدة البيع رجل يهودي خائر القوى • رأسه ملقاه على صدره وعيناه مغمضتان • كان يتظاهر بالنوم الا انني ادركت انه يرمقني بنظرات احدى عينيه التي يفتحها بدرجة بسيطة •

انقضت فترة من الوقت وكل منا ينظر الى الاخر بهذه الصورة ، كان يدرك السبب الذي من اجله جئت • غير اني لم أكن اخشاه على الاطلاق • ظل يتجاهلني الا انه في النهاية فتح عينيه وقال :

ماذا يريد السيد ؟

اجبته بانني أريد شراء ظرف كي ارسل خطابا الى فتاة • اهتز هزة خفيفة لدى سماعه اسلوبي الساخر وخاصة كلمة فتاة فلقد كانت تحمل تهديدا واضحا • قدم لي كراسة صغيرة لم اطلبها ولم تكن بي حاجة اليها • وضعت على منضدة البيع ورقة مالية من فئة خمس ليرات •

قال الرجل انه ليس لديه فكة ، وخرج يستبدل الورقة بعملات اصغر • كان قصده واضحا لي •• فلقد ذهب ليستنجد براعي المومسات • كنت أعلم أن حربا قاسية تنتظرني •

خرج في خطى سريعة منفرة • ولم اضع أنا وقتا فاسرعت بارتقاء السلالم الخشبية المؤدية الى اعلى السطح ، عندما وصلت رايت أنه لا باب هناك بل مجرد حاجز • ازحت الحاجز جانبا فانكشفت أمام عيني حجرة غاية في الصغر ذات مظهر بائس •• بها سرير وصندوق ومنضدة صغيرة عليها كوب به بعض الورود الذابلة • كانت الحجرة بكل ما فيها ملفوفة في رداء من الضوء الباهت المائل الى الحمرة ينبعث عن



« هذا الرسم لفنان من « اسرائيل »نشر مع القصة »

فتيلة مصباح صغير من مصابيح الجاز .

والفتاة .. سألت افيجيل هامسة :
الفتاة .. كانت تجلس على الكرسي . وجهها الى الشباك وظهرها تجاهي .

عندما دخلت لم تتحرك وظلت جالسة كما هي .. منحنية بعض الشيء ورأسها مائلة على صدرها . اقتربت منها ، وعندما درت حولها ووقفت في مواجهتها رأيت دما يغطي رقبتها ويديها وثوبها . وعلى الارضية كانت السكين التي طعنت بها حتى الموت ملقاة تحت قدميها .

شملتني حالة من الذعر . خرجت من الحجرة اتخبط بين اليمين واليسار حتى وجدت نفسي على سطح البيت . كان الليل قد أسدل ستره وساد الظلام التام . من أسفل كان يرتفع هدير البحر وشظايا الزبد تتناثر الى أعلى . لكن من فوقي انبسطت سماء تطفح بفيض من النجوم .. فيض لم أر مثله من قبل . وفي طرف السطح وقف شخص يستند الى السور .. عرفت انه الراعي .

ـ الراعي ؟
ـ راعي المومسات .. لكن لسبب ما سميته بيني وبين نفسي الراعي فور رؤيتي له .

ـ غريب .
نعم .. ولكن لم تكن في ذلك اية غرابة في تلك اللحظات . لقد كان كل ما حدث قبل رؤيتي له وما حدث بعد ذلك واضحا ومفهوما فهما غاية في العمق . حدث كل شيء ، كما لو كان وفاء بقدر ، كان كأنه .. كأنه صلاة .
ـ نعم . قالت افيجيل في همس .. اعتقد انني افهم هذا .

عندئذ اقتربت منه • لست أعلم ما اذا كنت في تلك اللحظة انوى نزاله • ربما نعم وربما لا • لم اكن أعلم ما اذا كان هو القاتل حقيقة • لم اكن اعرف حتى ذلك الوقت أمورا عديدة وكان على ان اعرفها • عندما اقتربت منه وجدته شابا كابن الثلاثين • كان يقف وهو يدخن سيجارة في هدوء • أشار الى بيده أن انظر الى النجوم وكانه يشير الى شيء مملوك له أو على اى حال شيء قريب اليه للغاية •

رفعت عيني ونظرت الى النجوم : بدت كبيرة ، بصورة عجيبة ، قريبة للغاية ، براقة ، منها الازرق ومنها الاصفر ومنها الاحمر • لبعضها ذيول هائلة من النور وجميعها دافقات بالحياة •• تسكب ضياءها في كل اتجاه •• تختلط وتمتزج وتنفجر لتملا فضاء الكون كله ••

وقال الشاب : هذه سوسنة الرب •

ولم أجبه فاضاف :

ان الاوراق تتفتح •• النجوم تتباعد •• الكون ينفجر •• هذا هو الازهار • وعندما يصل الازهار الى غايته تعود زهرة الرب الى الانحباس • حينئذ يعود كل شيء من جميع الابعاد اللانهائية ليتوحد في نقطة واحدة • يتجمع كل شيء في ذاته •• في قلب السوسنة • كل الاشياء التى ضاعت وكل الاوقات التى انقضت وكل ما كان وكل من كان • كل ما ذهب •• يعود وكل ما أنتظر يصل وكل ما أعطى يؤخذ وما مات يبعث ••

لان الكل واحد •

اصغيت اليه وعندما انهى كلامه ادار وجهه عنى وعاد يحملق في النجوم • كان وكانه ينتمى الى عالمها •

واستدرت أنا سائرا وعندما وصلت الى مدخل الحجرة توقفت ونظرت الى الداخل • وعندئذ رفعت الفتاة رأسها في بطء وفتحت عينيها ونظرت الى وعلى محياها ابتسامة سعادة مشرقة •

صمت افشالوم •• كانت افيجيل تجلس غارقة في افكارها وهى ترسم باصبعها دون وعى خطوطا على التراب • وفى النهاية قالت في همس :

– من كانت تلك الفتاة ؟

لم يجب افشالوم

– لقد قلت انك كنت تعرفها •• اذن فانت تعرفها •

– ألم يكن ذلك مجرد حلم •

– انني اعرف من هى •

– اذا كنت تعلمين فلماذا تسالين ؟

– كى تقول لى •

ولم يجب افشالوم ••

– افشالوم •• هل هذا صحيح ؟

– نعــم ••

في تلك اللحظة وبصورة فجائية رفعت افيجيل راسها كما لو كانت حيوانا يتسمع صوتا غريبا • نظر اليها افشالوم •

– أنظر •• همست •• انه يقف هناك •

– من ؟

– الشاب

وفى الحقيقة كان شخص ما يقف الى جوار جدار المعبد • كان يقف في الظلام • لاول وهلة كان يبدو كظل او كبقعة كبيرة •• لكنه بتدقيق النظر فيه كان يمكن تمييز شكله كرجل • وربما كان شابا طويل القامة صلب العود • كان يقف دون حراك ولم يكن وجهه ظاهرا •

– هذا هو الفتى الذى كان يقف الى جوار الشجرة امام مقهى بساط •• همست افيجيل :

– كيف عرفت ؟

– لست أدرى •• هيا بنا نذهب •

– ومالك واياه ؟ ليقف كما يشاء •• قال افشالوم في دهشة :

– لست اعلم •• في الحقيقة لست أعلم •• قالت وهى تنهض من مكانها •

عندما خرجا من ساحة الروس توجها يمينا ومرا أمام مبنى البريد المركزى ووصلا الى شارع يافا •

كانت هناك بعض واجهات المحال ما تزال مضاءة بينما بدأ في الشارع بعض عابرى السبيل • تلكات افيجيل امام بعض الواجهات •• امام واجهة محل للمجوهرات ، وامام واجهة محل القبعات •

فجاة طلبت من افشالوم ، ان يحتفى بها فيقدم لها اى نوع من الحلويات العربية •

– أين اجد لك الان حلوى عربية ؟

– ان بحثنا •• وجدنا •

– انك بذاتك حلوى عربية •• قال افشالوم :

اجالا النظر فيما حولهما • كانت كل المحال مغلقة • من ناحية ميدان صهيون كانت تنبعث بعض الاضواء الملونة • بعضها ثابت وبعضها يضاء ويطفا كل حين • لكن هذه الاضواء كانت لوحات اعلانات على أسطح بعض المبانى بينما بدا الميدان نفسه مهجورا خاليا •

عندما وصلا الى ميدان « صهيون » رأيا محلا واحدا مفتوحا رغم الساعة المتاخرة • بدا كانه بوفيه او مقهى صغير وضوء غير جرىء •• ضوء كهربائى باهت ينتشر أمام مدخله •

عندما دخلا الى المحل وجدا نفسيهما في حجرة ضيقة بها منصة للبيع وثلاث او أربع مناضد صغيرة • خلف منصة البيع وقف صاحب المكان • رجل هرم منتبس يلبس صديريا • كان يقف صامتا وكانه قد زرع في مكانه وعيناه الضيقتان تحملقان في غير اكتراث بل وفى بريق ساخط في جوف الفضاء •

الى احدى المناضد جلس رجلان وامرأتان من ابناء الطوائف الشرقية • كان الرجلان في حوالى الاربعين او اكثر بقليل • كانا يجلسان وكل منهما ينظر الى الاخر في صمت • كان كلاهما أصلع الرأس مستديرا وقد ارتسم على وجهيهما تعبير مطموس الملامح • اما المرأتان فكانت كل منهما ترتدى فستانا ورديا وكانتا أصغر بقليل من زوجيهما • كانت كل منهما تجلس في مواجهة الاخرى على احد طرفى المنضدة وهى تنحنى تجاه الاخرى وحديث في صوت يقظ يدور بينهما •

فى تلك اللحظة كانت احداهما تقول : هل تذكرين الابن الذى كان آتيا لزيارة أبيه والذى كان شكله مريحا ؟

– نعم •• قالت الثانية •• ما شانه ؟

– لقد تغير •• انه الان لا يشبه إياه بوجه عام •

فى عمق الحجرة والى المنضدة الاخيرة جلس منفردا رجل مسن في حوالى السبعين من العمر •• نحيف •• عظامه بارزة •• عظمتا وجنتيه مشقوقتان وشاربه دقيق •• كانت امامه زجاجة من العرق لم يبق بها الكثير وكوب من الماء • ربما كان تاجرا من ابناء الطائفة اليونانية او البلغارية • كانت تبدو عليه علامات الثقة في عظمته الشخصية كان منتصبا في جلسته وعيناه مغروستين في زجاجة الشراب وهو يتمتم او يغنى في صوت خفيض •

فى احدى الزوايا كان يتكور على احد المقاعد قط رمادى •

اشترى افشالوم لافيجيل كوبا من اللبن ونوعا من الفطير المغموس بالعسل – اقرب الاشياء بالمحل للحلوى العربية – بينما طلب لنفسه كوبا من القهوة وجلسا الى المنضدة المجاورة لمنضدة التاجر المسن • لعقت افيجيل العسل بلسانها وفتتت الفطيرة الى قطع صغيرة راحت تضعها على مهل في فمها بينما انهمك افشالوم في احتساء القهوة •

كانت هناك ذبابة كبيرة تحوم في بلادة في فضاء الحجرة وتصطدم بين الفينة والاخرى باحد الجدران فتتلكا عليه كالمذهولة ثم تعود الى التحويم •

فى الخارج وخلف الفترينة الزجاجية كانت الظلمة سائدة ولم يكن من اضاءة سوى لافتات النيون الملونة تضىء هنا وهناك بلا معنى • فلم يكن بالخارج أحد •

اما في الداخل فقد كان نور وكذلك نوع من الحرارة يشمل الجالسين • حتى افشالوم وافيجيل اللذان كانا قد دخلا على الفور أحسا وكانهما يستقبلان بروح الاخوة من الجالسين •

فـى تلك اللحظة كانت الامرأتان تتحدثان في مسائل صحية • قالت الاولى :

– انني كما يقولون •• حساسة جدا • عندما اكل الموز تظهر في جلدى على الفور بقع حمراء •

استغرقت في التفكير برهة ثم عادت تقول :

– انني حساسة جدا •

أومات الثانية برأسها ولم تجب بشيء • لم يكن يتردد في المكان سوى طنين الذبابة المحومة وتمتمة التاجر المسن • فجاة قال احد الزوجين للثانى :

– الاتراك •• هم الاتراك • لا يفهمون شيئا • كنت مسافرا على احدى السفن التركية • طلبت اوراق اللعب فاحضر الجرسون ماء • قلت له •• اوراق لعب • فاحضر لى خبزا •

احضر لي كل الاشياء عدا ما كنت اريد •

قال الثاني •• كل شيء لديهم •• ايكمال • (معناها في التركية خبز) المترجم

ـ ايكمال ؟

ـ ايكمال •

وخيم الصمت مرة ثانية • تناول التاجر المسنجرعة من العرق وبدا يغنى لنفسه في صوت خفيض وبانفعال سعادة •• تجشا واخرجمن جيبهعلبة صغيرة تناول منها قطعة من السكر راح يمصها ثم عاد يغني •

ومضى وقت على هذا الحال • وفجاة فتح الباب في بطء ودخل رجل الى المحل • كان رجلا في حوالي الستين •• قصير القامة مجعد الوجه وعلى رأسه طاقية حائلة اللون • كان سرواله أكبر من مقاسه • وعلى الرغم من أنه كان محزوما بحزام فقد بدا وكانه على وشك السقوط • كانت تحلق على وجهه ابتسامة حبيه • من هيئته فهم الجمع انه حارس ليلي في المنطقة •

عندما دخل اختلفت الامور بعض الشيء • فقد سارع صاحب المحل الذى كان واقفا حتى هذه اللحظة في جمود وعدم اكتراث وقدم للضيف على الفور بعض الخيار المخلل ثم الحق به كاسا من الصودا • تناول الحارس قطعة من الخيار وكأنه يتناولها سهوا ثم تكلم موجها حديثه الى صاحب المكان وحده متجاهلا بصورة كاملة سائر الحاضرين •

ـ ماذا تقول اذن في الامريكيين « بتوعك » ؟

لم يدرك صاحب المكان الذى استيقظ الى حد ما من ذهوله ماالذى تشير اليه عبارة الحارس • راح الحارس يقص مجموعة معقدة من الاخبار التى سمعها من الراديو قاطعا بان الامريكيين هم الذين « يحركون القدر » فيما يرويه من احداث •

كان يتكلم بحماس شديد دون ان يتراجع عن رايه :

ـ انهم يريدون ان يبيعوا كل شيء لناصر كي يتوددوا اليه •• هذا الكنيدى •• صديقك •• آه ؟ انظر اى اصدقاء لك •

كان صاحب المكان فيما يبدو معتادا على مثل هذه المناقشات مع الحارس وكان يبدو عييا ثقيل اللسان ولذا كانت تظهر عليه دلائل الحيرة • حاول ان يلقى المسئولية في تلك الاحداث على وزير الخارجية راسك غير ان محاولته اثارت حمية الحارس بصورة اكثر :

ـ راسك •• تراسك ! انك لا تعرف ماذا تقول •• انه مجرد صفر • مجرد منفذ للاوامر •

كان قد أتى على الخيار • رفع كاس الصودا وتناول جرعة كبيرة ثم واصل حديثه :

ساشرح لك سياسة الامريكيين •• وراح يتحدث في هذا الموضوع فترة من الوقت واجابه صاحب المكان بما اجاب • ثم انتقل الاثنان بعد ذلك الى الحديث عن محاولة جرت في الليلة



بنحاس ساديه

السابقة للسطو على محل للمجوهرات في المدينة •

في تلك اللحظات اصبح حديثهما هادئا يحمل رنة التأسى • وفي النهاية نظر الحارس في ساعته وافرغ ما تبقى في الكاس في حلقه دفعة واحدة ثم خرج من حيث أتى •

طيلة الوقت •• كان الحاضرون يتسمعون الحديث فيما عدا التاجر المسن الذى لم يتعطف على المتحدثين ولو حتى بنظرة وبقى جالسا كما كان وعيناه مغروستان في الزجاجة الموضوعة امامه وهو يغنى بنفس الصوت الخفيض • تجشا وتناول قطعة من السكر • استقرت عيناه على الفتى والفتاة الجالسين الى المنضدة المجاورة • بدا كما لو كان لم يلاحظ وجودهما من قبل • جعل يتاملهما بعينيه الهادئتين المشحونتين بالكبرياء للحظة طويلة ثم لاح على محياه ما يشبه ظل ابتسامة • فتح علبته ثانية ونظر فيها بتدقيق •• اختار قطعة من السكر قدمها الى افيجيل وقال :

ـ خذى •• فهذا طيب •• ضد الزكام • واقى للحلق •• ضد كل شيء •

ابتسمت افيجيل ووضعت قطعة السكر في فمها •• رد الرجل لها الابتسامة بمثلها وعندئذ سالته في لطف ان يترجم لها معانى الكلمات التي كان يتغنى بها • بدا ان طلبها قد بعث فيه احساسا بالارتياح والرضا •

ـ انها اغنية اسبانيولية •• لادنيو • هى اغنية يغنيها الشباب • يقولون :

في الساعة السادسة مساء ساذهب •• مع رفاقى •• « مع رفاقه » •

وامام شباكك سأقف •• « سيقف امام شباك فتاته »

وساعزف على الماندولين •• « سيعزف على الماندولين » •

ارتسمت ابتسامة رقيقة على وجه الرجل المسن المتكبر ولزم الصمت يضيع لحظات وكانه غارق في افكار بعيدة ثم واصل شرحه للاغنية :

ـ الان يشرح الفتى لماذا يعزف •• :

ظلمونى ظلما فادحا •• « يعنى حساده »

اشاعوا انني مت •• راحوا يشعلون الشموع « يعنى شموع الذكرى لمن يموت غير انه لم يكن قد مات »

وسلبونى الفتاة الحلوة « سلبوه •• سلبوا الفتى عندما كانت نائمة عنده »

اى انهم سرقوها دون ان يشعر •• هكذا فعلوا به »

في هذه اللحظة مرت افيجيل يدها وامسكت بذراع افشالوم •• فنظر اليها مشتاقا لرؤية شحوب وجهها •

ـ انظر الى الخارج •• همست •

التفت تجاه الشارع غير انه لم ير شيئا •

لقد كان نفس الرجل الشاب •• تمتمت •• لقد نظر الينا •

ـ لماذا شحب وجهك • قال افشالوم

ـ وهل شحبت ؟

ـ نعم • وكل هذا لان شخصا نظر اليك لحظة ؟

ـ كلا • وانما لانه ذو شفتين حمراوين •

ـ شفتين حمراوين •

ـ نعم • استطعت الان ان ارى وجهه • كانت شفتاه مكتسيتين بالحمرة •

ـ غريب •

ـ ربما طلاهما باحمر الشفاه • لم تكونا هكذا من قبل •

ـ ماذا تعنين بقولك •• من قبل ؟

ـ لست ادرى •• لقد رايت وجهه من قبل لكنى لا اذكر أين ومتى • ربما •• ربما منذ بضعة ايام •

نظر اليها افشالوم متفكرا • خرج صاحب المحل من خلف منضدة البيع ، وراح يدور على الجالسين • دفعوا له ونهضوا من اماكنهم وبينما هم في طريقهم للخروج بدا يضع الكراسى مقلوبة على المناضد •

في البداية خرج الموظفان وزوجتاهما وبعدهم التاجر المسن وفي النهاية خرج افشالوم وافيجيل •

انبسط الميدان امامهما مهجورا خاليا • حتى الغريب صاحب الشفتين المطليتين بالحمرة لم يظهر في اى من اركان الميدان • لا هو ولا غيره • سارا على مهل تجاه الشرق • وعندما وصلا الى حى « نحلت شقعاه » دخلا الى عطفة مظلمة • كانت العطفة ضيقة وطويلة كالممر • ظلت افيجيل مضطربة لفترة ، ولكن عندما بدا افشالوم يضاحكها تبدد ضيقها دفعة واحدة •

كان افشالوم يسائلها مضاحكا عما اذا كان لذلك الشخص الغريب ذيل وقرنان بالاضافة الى شفتيه المحمرتين وربما انف صناعية كذلك •

كان السكون العميق الذى يلفهما من كل اتجاه يسدل عليهما ستارا من السحر الغريب • كان يغشاهما نوع من الجزل المتزايد • نظرت افيجيل الى افشالوم وطلبت اليه ان يخبرها ما اذا كان الوقت غير متاخر • ثم بينت له

انها لا تنوى على الاطلاق العودة الى البيت لكنها تريد فحسب ان تعرف الساعة •

قال افشالوم •• الساعة طيبة وموفقة •

– كلا •• قل لى الحقيقة •

نظر فى راحة يده فلم تكن لديه ساعة ثم قال •• الواحدة بعد منتصف الليل •

– الواحدة بعد منتصف الليل •• قالت فى فرح •• ان هذا ما كنت اعتقده بالضبط • نظرت فى ساعتها على ضوء النجوم الباهت ثم قالت •• نعم الساعة الواحدة بعد منتصف الليل • كيف عرفت ؟

– من راحة يدى •

– هل تعلم انك انسان مضحك ؟

– نعم •

لكن موافقته لا ترضيها ••• فتقول •• كلا اذا كنت انسانا مضحكا فان هذا علامة على انك انسان غير مسئول • وما دام الامر كذلك اعد الى نعلى ، فمن المحقق انك ستضيعهما •

فى هذه اللحظة توقفت فى منتصف المعطفة المظلمة الاسيوية ، وبدات تضحك •• تماما كالاطفال • وفى النهاية يقول لها افشالوم انها اذا لم تتوقف عن الضحك كمن « قرصته ذبابة مجنونة » فانه سيمضى ويدعها وحدها فى الظلام •

– كلا • انك لن تتركنى •

– سأتركك •

– كلا لن تتركنى •• قالت وهى تضع ذراعها فى ذراعه •

– حسنا • اذن تمسكيننى بالقوة • ليس هذا من الحكمة • عندما نقابل شرطيا سأقول له فيخلصنى •

– ربما لا يعرف الشرطى العبرية •

– اذن اخاطبه بالاشارة •

– اعمل لى اشارة صغيرة اذن •

باعدا السير وخرجا من المعطفة ووصلا الى حديقة المدينة • على يسارهما وعلى مسافة معينة كانت تمتد جبانة المسلمين • كانت تربض هنا وهناك بضع شجيرات قاتمة وتنتصب مجموعة من الاشجار قصيرة القامة وفى الوسط يمتد طريق واسع مترب •

قال افشالوم •• نعم اننى اريد ان اعمل لك شيئا • ليس اشارة • ان الاشارة لا تساوى شيئا • كنت اود ان اقدم لك هدية • بعد اطراقه لحظة سألها :

– هل انت فى حاجة الى الصاق شىء ؟

– الصاق شىء ؟

– نعم ان لدى لاصق فى الحجرة • اشتريته بسعر رخيص •• انبوبة •• يلصق كل شىء •• الخشب •• الجلد •• الزجاج •• ربما انكسرت لك مرآة صغيرة • كان تقريبا يحفزها على القبول •

غير انه لم تكن بها حاجة لالصاق اى شىء فراحت تضحك وضحكاتها ترن •

وترددت فى انحاء الحديقة المهجورة •

– كلا •• لم تكن هذه فكرة موفقة •• لكننى استطيع ان أعمل لك شيئا آخر •

– ماذا ؟

– اركبك على ظهرى من هنا وحتى نهاية الحديقة •

– لكننى لا أريد الركوب •

– خير لك ان تفعلى •

– لا •

ويمضيان فى السير ••

– لو كنت تستطيع الطيران لوافقت •

– الى أين تريدين الطيران ؟

– اريد الطيران الى اسبانيا •• الى سيبيليا •

– الم اقل لك مرة انه يمكن ان يقبض عليك هناك •

– اذن نطير الى لندن •

– ما الذى تريدين رؤيته فى لندن ؟

– اريد رؤية معرض تلك المرأة « اسمها ايه دى » • يقولون ان هناك تماثيل من الشمع لكل انواع الناس •

جعل افشالوم يفكر قليلا ثم قال •• نعم ولكنى لا استطيع الطيران •

– ليس مهما • قالت وهى تلمس ذراعه فى رفق • لا تحزن • خير لنا ان نسير فحسب • هكذا مجرد السير فى الليل • فلنسر اكثر •

– الى أين ؟

– حتى نصل الى اى مكان •

بعد اطراقة قصيرة قالت •• ما اسم هذا المكان ؟

– حديقة الاستقلال •

– اذن نواصل السير حتى نصل الى اى مكان •

لكنهما بعد ان قطعا مسافة من الطريق وعلى مقربة من باب الحديقة تراجعت عن رأيها وقالت :

يوجد هنا عشب •• تعال نجلس • واضافت فى لهجة تفسيرية •• من المحقق ان الاعشاب حزينة الان فى الليل • ستسعد اذا بقينا هنا قليلا •

جلسا على العشب الى جوار الطريق فى صمت •• من مكان ما كان ينبعث صفير صرصار • ومضى بعض الوقت على هذا الحال •

قالت •• قص على قصة •

– لست اعرف قصصا •

– انك تعرف وانا احب القصص •

فكر افشالوم بضع لحظات ثم بدأ يقص :

فى ذات مرة كانت هناك ثلاث دببة • الدب الاكبر والدب الاصغر والدب الاوسط •••

– كلا • انك تحدثنى كما لو كنت طفلا عبيطا ••

وساد الصمت •

تسطحت افيجيل على ظهرها وهى تقول :

رأيت امس فى الحلم طبقا طائرا كبيرا كله من الفضة • كان اليوم جميلا مشرقا واقترب الطبق وهبط تجاهى

وعندما وصل الى الارض انفتحت به طاقة ورأيت رجلا خلف منصة وعلى المنصة اطباق مليئة بالفطائر والكمثرى وفواكه متنوعة • اخذت بعضا من كل صنف وعلى الفور عاد الطبق الطائر فحلق وابتعد حتى بدا كنجمة صغيرة لامعة •

اغلقت افيجيل عينيها وبدا وكأنها قد نامت • لكنه بعد مرور بعض الوقت سألت فى تمتمة :

– كم تظن الساعة الان ؟

– لست اعلم •• انظرى فى ساعتك •

– لكننى لا اريد أن افتح عينى •

– لماذا ؟

– لاننى ارى وجهك هكذا •• ارى وجهك طيلة الوقت •

مدت له يدها •• قرب يدها من وجهه مدققا النظر فى عقارب الساعة • تصل الى اذنيه دقات الساعة ، يدها مسترخية فى يده والساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل •

فجاة افاقت افيجيل وهبت واقفة ، جعلت تصيخ السمع • وراحت تنظر فيما حولها دون ان ترى شيئا عدا بضع اشجار هنا وهناك ، وافشالوم ينظر اليها مشدوها •

قالت فى صوت خافت •• اشعر انه هنا ••

– من ؟ انك مريضة بالاوهام يا افيجيل •

– كلا انه يختبىء •• ربما خلف احد الاشجار •

– سأبحث عنه •• قال افشالوم وهو ينهض من مكانه •

– كلا • دعه • فلنذهب نحن من هنا •

– ماذا • الست خائفة ؟

– بلى •• ومع هذا فلنذهب •

– الى اين ؟

– نذهب بعيدا •

سارا على الطريق المتجه جنوبا ، لم يلتقيا باى شخص طيلة سيرهما • كل فترة من الزمن كانت تمر الى جوارهما سيارة • فى البداية كان سيرهما فى شوارع متسعة وطويلة وبعد ذلك دخلا الى حى مشتجر بالحوارى الضيقة • وبعد مرور ساعة كانا قد تجاوزا الاحياء السكنية ووصلا الى المنطقة الخلاء •

على احد جانبى الطريق كانت تسمق مجموعة من أشجار السرو ومن خلفها بستان وعلى الجانب الاخر كان ينبسط حقل مقفر • الى جوار الطريق كانت تمتد قناة قرى مليئة بالاشواك ، وشجيرات السنط • انحنى افشالوم على قدمى افيجيل والبسها نعليها • ثم امسك بيدها ووثبا معا فوق القناة ، وراحا يخطوان على ارض الحقل • من اتجاهات مختلفة ومن جوف الظلام كانت تتردد أصوات الصراصير والجنادب فى نغمة رتيبة عنيدة •

اخذ سطح الارض الخالى من اى اثر لطريق او مدق يرتفع بصورة تدريجية • وصلا فى صعودهما الى الهضبة وتجاوزا انبساطها ، ثم بدأ فى

الهبوط • بالتدريج كان المنحدر يزداد وعورة وحدة فى انحداره • كان المنحدر يهبط الى خندق ضيق مزروع بالصخور والشجيرات • خندق ظل يطول ويمتد امامهما وكأنه سرداب • لم يكن هناك طريق آخر يقود الى أعلى •• ولانهما لم يكونا يريدان العودة من حيث أتيا فقد كانا مضطرين الى الهبوط فى الخندق •

مضيا على هذه الصورة زمنا طويلا بين أسوار الصخور المنتصبة عن يمين وعن يسار • كانت الارض تحت اقدامهما مفروشة بالجذور المتشابكة وامامهما كانت مجموعة متشجرة من الاغصان النابتة من بين الصخور تسد الطريق وتغلقه • من فوقهما كانت تظهر بعض النجوم المضيئة بينما غمر الظلام ما حولهما • فجاة انبعث من داخل الاغصان طائر مفزوع ، ثم مالبث ان اختفى •

ـ هل ترين طريقك يا افيجيل ؟
ـ نعم يا افشالوم •

جعلا يشقان طريقهما ، يتعلق بهما غصن تارة وتعترضهما صخرة تارة أخرى •

ـ الى أين نذهب يا افشالوم ؟
ـالى الامام •
ـ حسنا يا افشالوم •

الان بدا الممر يتسع ويأخذ فى الصعود ، اصبحت الاغصان اقل تشابكا وبدت السماء فوقهما اكثر اتساعا • بات السير اكثر سهولة •

بعد فترة من الوقت خرجا من الممر •• تسلقا سلسلة الصخور واعتليا بضع درجات حجرية فبلغا قمة الهضبة •

سارا فترة طويلة فى صمت خلال المنطقة المنبسطة المليئة بالاحجار الصغيرة والشجيرات الشوكية • من حولهما كانت الجبال شامخة كالظلال الثقيلة •• منها البيضاوى ومنها المستدير • من داخل الجبال كان ينبعث عواء ابن آوى وكأنه صوت ضحك كئيب ، غريب ، مجنون • لكنه كان ضعيفا آتيا من بعيد وسرعان ما انقطع • بعد قليل من السير لاحت لهما فى جوف الليل أضواء باهتة قليلة •

ـ هل هذه هى القدس يا افشالوم ؟

ـ كلا •• القدس خلفنا ، اننا نتجه جنوبا •

ـ هل تميز الاتجاهات بالنجوم ؟
ـ نعم • انظرى •• هذه نجمة الشمال والنجم القطبى خلفنا •

من فوقهما وفى قبة السماء كانت النجوم تضىء فى هدوء وشحوب • كانت كل نجمة عالم بذاتها •• عالم بعيد معزول غامض •

ـ اذن فما هى هذه الاضواء ؟
ـ ربما كانت بيت لحم •• انها تبدو كالعروس المحلقة على سطح الارض متعالية الى السماء ••

ـ لماذا كالعروس ؟
ـ لانها تتحلى باللآلىء •

عندما وصلا الى ركن الهضبة شعرا بالتعب فتوقفا • كان يحيط بهما بستان صغير مهجور به بضعة أشجار من التين والزيتون وبضع كرمات متناثرة •

ـ نحن الان وحدنا •• قال افشالوم •
ـ هل نحن قريبان من الحدود ؟
ـ لست أدرى •
ـ هل يمكن أن نكون قد عبرنا الحدود ؟
ـ يمكن •
ـ اذا وقعنا فى يد العرب فهل يقتلوننا ؟
ـ ربما يقتلوننا •
ـ نعم • ومع ذلك فان هذا لا يهمنى الليلة • اننى لم أكن بمثل هذه السعادة قط •

فى تلك اللحظة ظهرت جماعة من الكراكى آتية من الجنوب ومصوبة الى الشمال • كانت اكبر قليلا من تلك التى ظهرت لهما من قبل • كانت تضم حوالى اثنى عشر طائرا • كانت الجماعة جزءا من القافلة المرتحلة الى بلاد الشمال وقد تفرقت الى جماعات عديدة صغيرة تطير على مسافات متباعدة دون أن تخشى أن تضل واحدة منها الطريق • ظلت الكراكى تحلق فى سكون ، حتى اختفت فى جوف الظلام •

انقضى بعض الوقت • زحف شىء ما بين الشجيرات،ربما كان حرباء• •وقف افشالوم وافيجيل متلاصقين وهما ينظران فى صمت الى أعماق الليلة الساحرة التى تكتنفهما ، كانا يصيخان السمع للهدوء •

بدا لبضع لحظات أن كل ما يدور ليس سوى حلم •• حلم عميق • لمس افشالوم بلا وعى ذراع افيجيل باصبعه كما لو كان يريد أن يحس بأنها حقيقة الى جواره • ابتسمت هى • علها فهمت •

ـ هل أردت ان ترانى ؟ سألت فى صوت خفيض •

ـ متى ؟

ـ قبل أن آتى اليك •

ـ نعم انتظرت طول الليل طلوع الفجر لانى كنت أريد رؤيتك •
ـ لكن لماذا كنت تعتقد أنى سآتى مع طلوع الفجر •
ـ لم أكن اعتقد انك ستأتين • انتظرت طلوع الفجر لاننى لم اكن استطيع رؤيتك الا عند طلوعه • وعندما طلع الفجر ذهبت الى حديقة البلدية ••
ـ نعم ولم أكن أنا هناك ••

ـ نعم عندما وصلت الى الحديقة بدا كل شىء يتألق بالنور فى بطء • عندئذ ظهرت الزهور التى فى الحديقة وهو ما كنت انتظره طيلة الليل • كانت هناك ورود صفراء وحمراء وزرقاء ووردية •• غير أن نظرى تركز على وردة كبيرة بيضاء كالثلج • كان فى بياضها الرائع بريق لا أستطيع وصفه بالكلمات ولا يمكن فهمه •• بريق كأنه علامة عميقة سرية وثنية •• علامة لاحظتها مرة فى احدى لوحات ليوناردو •• لوحة العذراء مع وليدها وآنا المقدسة • فى تلك اللوحة لم تجذبنى وتشد انتباهى وانا اطل فى اللوحة •• هيئة الوجوه المبتسمة المتألقة ولا حتى المنظر الطبيعى الخيالى المحيط بهما بل شدنى ـ ولعل هذا غريب ـ فحسب منظر قدم العذراء •• البيضاء •• العارية •••

كان احساسى وانا أقف فى الحديقة فى تلك اللحظات •• لحظات التنوير •• لحظات السكون •• لحظات تجدد الكون هو نفس احساسى بينما كنت أرقب قدم العذراء ••دققت النظر فى تلك الوردة البيضاء ولمستها اصبعى فرأيت •••••
ـ ماذا رأيت ؟
ـ رأيتك يا افيجيل •• رأيتك أنت •
ـ كلا • لا تقل هذا يا افشالوم • همست فى صوت مختنق • مدت يدها الى وجهه وكأنها تريد أن تسكته لكنها دون وعى راحت تداعب شعره •• تلمسه ثم تتراجع عنه • كانت يدها كالضالة لا تعرف ماذا تفعل • اكتنفهما الصمت للحظات طويلة بعدها قالت فى همس ••

ـ نعم •• قل لى ماذا رأيت •
رأيتك يا افيجيل •• كنت انظر الى داخل الوردة وكأنى اطل داخل عينيك داخل نفسك • انك جميلة يا افيجيل •• جميلة ونقية كالوردة •• كالفجر الذى أضاءها •• كالماء الذى سقاها •••

لاحت الدموع فى عينيها •امسك وجهها بين يديه فاحس بمدى سخونه وجنتيها • أحس برائحة جلدها وشعرها المسكرة • كانت شفتاها ترتعشان وعيناها المغرقتان تطفحان بتعبير من الالم والرضا فى نفس الوقت • كانت بكل ما فيها فى تلك اللحظات جزءا من حلم •

مدت ذراعيها فطوقت بها جسده • وبعينين مغمضتين وفى بطء وعذوبة وانقياد احتضنته • وقفا هكذا برهة طويلة • بعد ذلك فتحت عينيها وعندما نظرت فى عينيه تمتمت : ان روحى تحتضن جسدك الان يا افشالوم•

فجاة بدأت ترتعش • أراد ان يطمئنها فضمها اليه وجعل يداعب شعرها وكتفيها العاريتين فى رقة • احس بأنفاسها الحارة على وجهه وعنقه وسمعها تتمتم بكلمات مختلفة ••• كلمات غريبة ربما قالتها فى اوقات اخرى وطفت الان على سطح ذاكرتها المضطربة •

عدوت طول الطريق •• طول الطريق اليك •• فى الشوارع •• لا تدعنى أذهب عنك ثانية •• لا تدعنى اذهب مطلقا •• سأكون لك •• سأكون معك دائما •• اننى أحبك •• انك بداخلى •• انك تتدفق داخلى كالنهر •• وتشتعل •• تشتعل داخلى كالعشب •• سأحضر لك زهورا •• سأحضر لك زهورا حمراء •• زهورا زرقاء وصفراء •• سأحضر لك ثمرات •• حيثما تذهب سأكون •• دائما سآتى اليك ودائما ستجدنى •• ان نزلت الى الماء سأكون فى الماء •• ان قطفت ورقة شجر سأكون فى ورقة

الشجن •• ان أكلت خبزا ساكون فى الخبز •• ان فتحت الشباك فى الليل ساكون فى الظلام ••••

تحول حديثها الى همهمة غير مسموعة ثم انتهى الى الصمت • ولم يقل هو شيئا فقد أدرك انه لم يعد يمكن الحديث بالكلمات • فى بطء خفت الرعشة التي تولتها • كان وجهها يواجهه باشعاعات من نشوة العرفان • خلعت قميصها وسوتيانها في بطء والقتهما على الارض • بدت لافشالوم فى وقفتها عارية الفخذين والصدر مديدة القامة قوية لذيذة وكانها تنطوى على شيء ما من صورة الهة وثنية • وكما لو كان فى حلم بسط يده يريد أن يلمسها غير أنها برقة لا توصف أمسكت بيده وبعد أن طبعت عليها قبلة تركتها لتهبط •

ظل افشالوم واقفا فى سكون • جثت تحت قدميه •• امسكت يديه بيديها والصقت شفتيها بهما • راحت تلثمهما فى لهفة وصمت •• قبلات طويلة متكررة •

من حولهما كان كل شيء ملفوفا فى الظلام •• كان جسدها العارى •• جسدها المشع الوضاء هو الشيء الوحيد الساطع فى جوف الظلام •

التصقت شفتاها الملتهبتان براحتى يديه للحظة • كانت كانها تنطوى على بعض من جوهر اللانهائية • جذبته فى ترفق اليها فركع الى جانبها واحتواها بين ذراعيه • ضمها الى قلبه • قبل ما بين عينيها وفمها ورقبتها وقدميها الوثنيتين • بعد ذلك تمددا على الارض بين الاعشاب الذابلة وشجيرات المسنط •

من فوقهما وفى كبد السماء كانت تمر فى تلك اللحظات جماعات جديدة من الكراكى • اعناقها منحنية ورؤوسها مصوبة للامام تفرد اجنحتها السوداء ، بينما سيقانها ملتصقة وممدودة للخلف • كانت تبحر فى بحر الظلام السماوى كظلال قاتمة كبيرة داخل الظلمة الشاحبة • مرت أسراب وأسراب من الكراكى متتابعة متلاحقة • كانت هذه الاسراب فيما يبدو قوام الجماعة المهاجرة الرئيسى • أماماكان قد ظهر منها قبل ذلك فلم يكن سوى طلائع للقوة الاساسية • على فترات متباعدة كان يتردد صوت اشبه بنداء قصير •• وفيما عدا هذا كان السكون مخيما ، من أسراب الكراكى ما كان صغيرا يضم خمسة او ستة طيور ، ومنهاماكان يضم عشرين او اكثر •• غير انهم جميعا كانوا يتحركون على شكل رأس سهم صوب هدف لا يحيدون عنه • مرت رؤوس السهام الاولى على ارتفاع عال •• ابتعدت واختفت فى الظلام • وجاءت اخرى وابتعدت واختفت ، ومرة ثانية وصلت رؤوس سهام جديدة تسبح على أمواج الصمت والظلام تشق طريقها الى الامام وكانها رسل او مبشرون ترف فوق الهضاب والوديان •• فوق الحقول والاشجار •• فوق الارض الغارقة فى السبات الى بعيد تجاه الشمال •

فجاة اعتدلت افيجيل كالمذعورة • بين الاشجار وعلى مسافة ما ظهر شخص رجل كانه شبح الفزع وقد تولد من العدم ، لم يكن وجهه ظاهرا فى الظلام ، الا أن افيجيل عرفته على الفور • كان ذلك هو الشاب ذا الشفتين الممسوحتين بالحمرة • كيف وصل الى هنا ؟ هل يمكن أن يكون قد تعقبهما فى تكتم متخفيا على طول الطريق ؟ والامر الغريب أنه لم يكن يقف ساكنا ، بل كان يتحرك وكان به رعشة أو كانه يتقيا • ومع ذلك فان صوتا لم يكن يصدر عنه •

تصور افشالوم للحظة ان ما يراه ليس سوى خداع بصر •• غير انه ادرك أن الامر غير ذلك • كان شخص الرجل واضحا جليا للعين وعلى بعد حوالى عشرين خطوة منهما • نهض افشالوم على مهل وانتصب على قدميه •

لا تقترب منه • همست افيجيل •

ـ عله مريض ؟ تساءل افشالوم • وفى تردد اتجه نحوه • وقبل ان تستطيع افيجيل التى سارعتبارتداء قميصها أن تستوقفه كان قد ابتعد عنها بضع خطوات • راته وهو يسير فى الظلام الى ما بين الاشجار مقتربا من الشخص الذى اصبح يقف وكانه قد سمر فى مكانه دون حركة أو صوت •

لم يستغرق ما حدث هناك فى الظلام بين الاشجار الا لحظة غاية فى القصر ولم يكن واضحا لافيجيل من المكان الذى تجلس فيه •• ففى لمح البصر بدا الشخصان وكانهما يمتزجان فى جسد واحد غير واضح المعالم •• تحرك شيء ما ثم انبعث صوت غامض قبيح وتلته اهة خاطفة • انسل أحد شطرى الجسد بين الاشجار واختفى كانه لم يكن • اما الثانى فقد انحنى فجاة وركع على الارض •••• قفزت افيجيل على قدميها وقلبها يدق فى وحشية وهرولت الى المكان وعندما انحنت على الارض رأت افشالوم يجلس منكمشا دون حراك •• يداه مسيبتان وراسه ملقى على صدره • كم كانت جلسته هذه غريبة •

نادته افيجيل فلم يجب ••

تحرك شيء ما بين الاشجار وانبعث من نفس المكان صوت كانه فحيح صادر اما عن حنجرة كائن بشرى • او عن حنجرة حرباء ••• ركعت افيجيل على ركبتيها ووضعت يدها على كتف افشالوم • مست أطراف أصابعها شيئا لزجا • كان ذلك دما • خيط دقيق من الدم ينشع ويسيل من تحت عظمة الترقوة على صدره وذراعه •

لم يكن ذلكالا أن السكين قد اصابت احد الشرايين •• سرت الرعشة فى جسد افيجيل كله وتولاها الفزع • ظل الدم يفيض ليس فى غزارة ولكن دون توقف • ما الذى كان عليها أن تفعله ؟

ضغطت باصبعها على الجرح لتقلل من فيض الدماء فسال الدم على أصابعها •• على راحة يدها • كانت تعلم أن ذلك ليس اسعافا للمريض • خلعت عنه قميصه مزقته خلقا وحاولت أن تضمد صدره • فجاة سرت رعدة شديدة فى جسد افشالوم ، وفى بطء وجهد غاية فى العسر مد يده اليسرى فامسك بذراع أخته وبدا ينهض من مكانه • فى النهاية نهض ووقف.وخطى خطوتين او ثلاث للامام فى تراخ •• توقف ودفعة واحدة وبلا صوت مال بجسده ليسقط بين ذراعى أخته • أمسكت به بكل قواها وأرقدته فى ترفق على الارض • تمدد على ظهره يتنفس فى بطء دون أن يتاوه ، أو يصدر صوتا • كان يرقد وعيناه مفتوحتان ، ينظر اليها فى صمت •

ما الذى كان عليها ان تفعله ؟ نظرت اليه ونظرت فيما حولها متحيرة • من حولها كانت تمتد روابى وهضاب •• حقول وصخور وأدغال والصمت والظلام مخيمان • بينما هى فى حيرتها اذا بنباح كلب ينبعث من مكان ما غير قريب وغير بعيد •

افليس هذا دليلا على وجود مستوطنة •• على وجود اناس فى مكان قريب ؟ عليها أن تصل اليهم تنشد المساعدة وتحضرهم الى هنا • او على الاقل يمكنها ان تحضر بعض الماء لتغسل به الجرح وترطب وجهه وتسقيه •••• فلا شك أنه غاية فى الظما •

ربما كانت هنا على مقربة من البستان بئر مهملة • ربما كانت هناك بعض المساكن خلف هذه الهضاب • لكنه كان من العسير رؤية شيء او معرفة شيء • تكرر النباح ، اتجهت افيجيل الى الناحية التى صدر منها الصوت • مرت على سور من الحجارة ووصلت الى منطقة من الصخور مليئة بالاحجار الصغيرة التى بدت رمادية على ضوء النجوم الخافت ، عثرت قدميها فى حجر فانقطع سير حذائها • القت به وراحت تعدو حافية الى بعيد •• لكن ما هذا •• من أين انبعث الصوت ؟

فلقد تردد النباح ثانية ولكن من اتجاه اخر هذه المرة • توقفت افيجيل فى مكانها تتسمع فى تردد • بدا لها أن الصوت قد جاء من الجانب الاخر •• من ناحية تل قاتم مغطى بالشجيرات •

اتخدعها اذناها ؟ او ربما كانت هذه اصداء تتردد وتاتى من اتجاهات مختلفة ••••

دارت على عقبيها وعادت فعبرت البستان • مرت امام افشالوم الذى كان يرقد ساكنا وجرت صوب التل • اصابتها الشجيرات الشوكية بجروح فى ساقيها غير انها لم تشعر بذلك •• لم يكن بد من الاصطدام بالاشواك وهى تقفز هنا وهناك •• لكن •• الى أين يؤدى هذا الطريق اللاطريق ؟

لم يكنيمكن تمييز شيء على بعدعشر خطوات • ولم يكن امامها سوى مجموعة من الاشجار القصيرة القاتمة تعلوها شجرة زيتون وحيدة منفلقة على هيئة قرنين تتدلى منهما الخصلات • ظلت تثب مواصلة سيرها •

لم يعد نباح الكلب يتردد . لم تبق امامها أية علامة تسير على هداها . أليست بمسيرها هذا تضل في هذا التيه من الاشجار والظلام ؟ .. كان عليها ان تخرج من هذا المكان وأن تصل الى اى مكان ماهول . ولكن أليست هي فى ابتعاد عن المكان الماهول بدلا من ان تقترب منه ؟ .. لم تكن فى حقيقة الامر قد ابتعدت عن البستان الا بحوالى مائة خطوة او اكثر بقليل .. الا ان الظلمة طمست تفكيرها .. اختلفت الاشكال فى نظرها واضطربت المقاييس وبدا لها بعيدا ما كان قريبا . وصلت الان تقريبا الى قمة التل .. يمكنها الان رؤية ما فى الجانب الاخر من أعلى . مدت يدها لتتعلق باحد الاغصان الجرداء فى شجرة الزيتون واذا بنظرها يقع فجاة على الشاب .

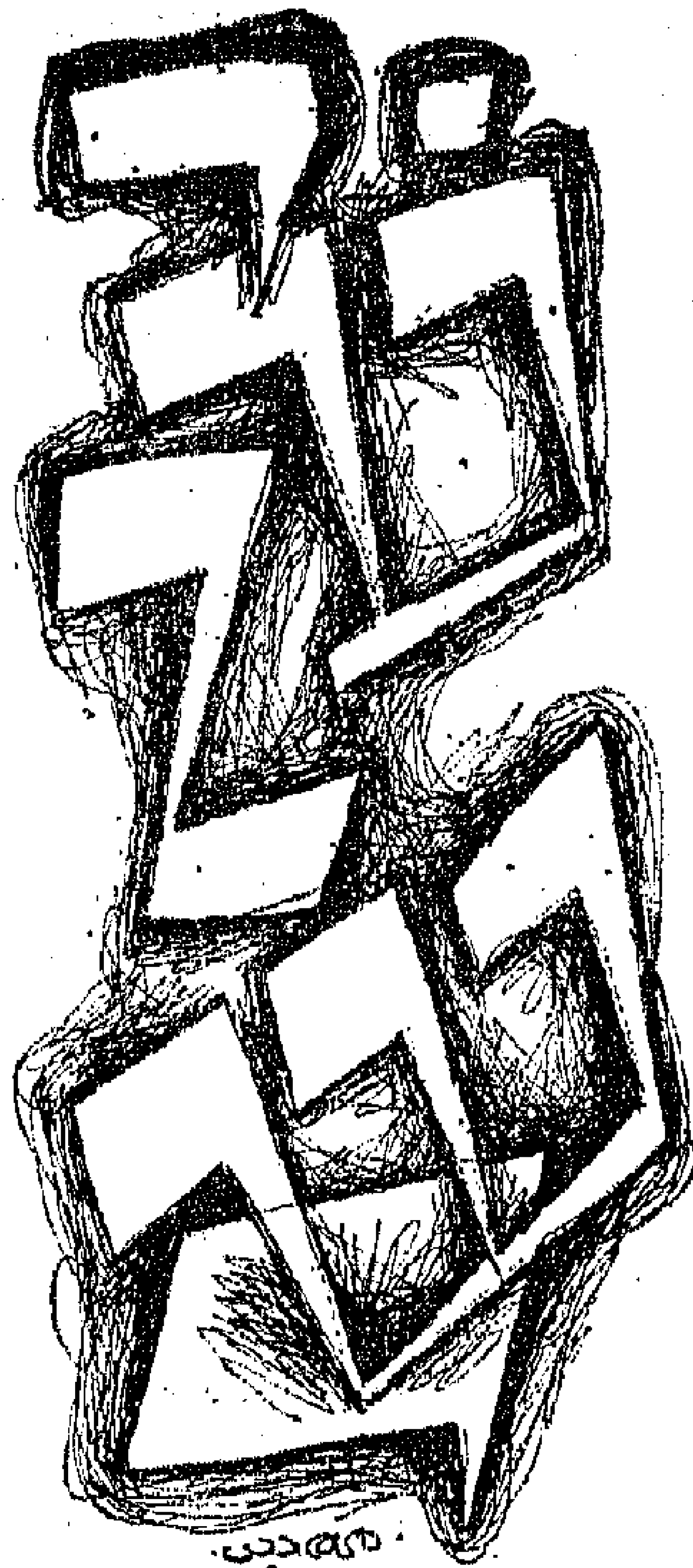
كان واقفا فى مواجهتها الى جوار الشجرة تماما وكان هناك شىء لا يصدق فى مراى وجهه الذى كان غاية فى القرب وظاهرا فى وضوح تام ..

كانت الحمرة قد اختفت من على شفتيه وابتسامة تفيض عليهما .. ابتسامة خجل .. ابتسامة اعتذار كان يبدو معها على وشك أن يتفوه بكلمات حبيه .. كان الموقف مرعبا وانقضت دقيقة تقريبا والاثنان يقفان فى تحجر .. وعندئذ وقع الامر الذى لا يصدق فلقد راحت الابتسامة تتسع على وجه الفتى اكثر وأكثر لدرجة الضحك لكن دون صوت . ضحك عقيم مصطنع بصعوبة انفرجت شفتاه وتمتم : اغفرى لى .. ربما .. خطا فى تردد خطوة صغيرة للامام .. اغفرى لى .. عاد يكرر .. ربما تريدين .. أن تجلسى .. على .. معطفى ؟

فى هذه اللحظة فقط اهتزت كمن يفيق من حلم . تراجعت خطوة او خطوتين وبدأت تعدو على المنحدر . لم يتعقبها الرجل . بدا فقط وكأنه يتمتم ببضع كلمات . وراحت هى تعدو تجاه البستان الذى كان يبدو وكأنه الشىء الوحيد الواضح البارز فى الطبيعة المحيطة مطموسة ومحتشدة الملامح .

عندما وصلت وجدت افشالوم راقدا فى مكانه عيناه مغمضتين كأنه غارق فى النوم . انحنت عليه ونادته ففتح عينيه فى بطء ناظرا اليها . كانت تعلم جيدا انه لا ينبغى لها أن تدعه ينام فربما لا يصحو بعد ذلك الى الابد . عندما ينفلق الصباح سيتغير كل شىء .. ستظهر عن قرب او عن بعد أية بيوت أو طرق او مدقات . وحتى ذلك الوقت لا ينبغى له أن ينام . انحنت عليه وبدأت تداعب شعره وجبهته بأصابعها . كان يبدو فى تلك اللحظات غاية فى البعد . وربما كان يستحيل الوصول اليه بعد ذلك . لم تكن تحس بانفاسه تقريبا . كانت يداه مقرورتين . وحاولت أفيجيل أن تدفئهما بالتدليك . كانت تتحدث اليه طيلة الوقت تهمس فى اذنه :

لا تنم يا افشالوم .. لا تنم الان ..



بعد قليل يطلع الفجر يا عزيزى وتشرق الشمس .. الشمس يا افشالوم يا حبيبى .. كلا لا تقفل عينيك .. انظر يا افشالوم .. هل ترانى ؟ .. اننى افيجيل .. انظر الى اعلى ان السماء مليئة بالنجوم . انها تنظر اليك يا افشالوم .. انها لا تريدك ان تنام .. كواكب كثيرة كما حكيت لى .. حمراء وصفراء وزرقاء .. اننى اذكر كل شىء سواء عن الكواكب او عن الزهور ..

لا تنم يا افشالوم . فى الصباح احضر لك زهورا .. هل تذكر انك قلت لى اننى زهرة بيضاء ؟ كنت اريد ان ابكى لكننى لست بكاءة .. ساحضر لك زهورا فى الصباح .. ساحضر لك زهورا . ساحضر لك شيكولاته ومياه وعصير ليمون .. اتريد عصير ليمون يا افشالوم ؟ ساحضر لك كل ما تريد .. ان شفتيك يابستان الان .. ها انا ارطبهما .. الان ارطبهما بلسانى .. ها أنا قد لعقتهما .. اليس هذا مضحكا حقا ؟ اننى كالكلبة .. اننى اعرف انك تريد أن تضحك كما ضحكت عندما قذفتك بوسادة .. هل تذكر تلك المشاجرة التى وقعت بيننا فى حجرتك وكيف وقعت ؟ وكيف تظاهرت امامى بانك قد هزمت ؟ اننى أعلم انك تظاهرت فحسب كى تضحكنى .. لانك تحب أن تضحكنى يا افشالوم . انك مثل أبى ، وأنا مثل طفلك العبيط . لذا لا تنم الان يا افشالوم . لا تنم .. بعد قليل يطلع الفجر .. سياتى اناس .. سيعالجونك . سيضعون لك البود والضمادات فتصبح معافى .. وساشترى لك أنا كل أنواع الاشياء . كل ما تريد .. علك تريد أن اغنى لك أية اغنية يا افشالوم ؟ ساغنى لك العشب الاحمر . العشب الاحمر يشتعل فى بطء ـ النهر الاخضر ـ النهر الاخضر ـ كلا ليست هذه اغنية فليس لها لحن . ساغنى لك اغنية اخرى عن العشب . اننى اعلم انك تحب الخضرة يا افشالوم .. عشب اخضر .. بحر اخضر .. نهر اخضر احقا تسمعنى يا افشالوم ؟ ساغنى لك .. ها هنا وسادة العشب حريرية .. ها هنا ينبت عشب .. ها هنا ينبت عشب .. ها هنا وسادة عشب بهذا القدر حريرية . ها هنا ينبت عشب رقيق وعال .. احقا تسمعنى يا افشالوم . لا تظن اننى ابكى فهو الندى يتساقط .. ندى السحر .. ندى غزير يتساقط على عينى ألست تعلم اننى لست بكاءة .. فقط لا تنم يا افشالوم .. لابد أن تظل يقظا . بعد قليل يبزغ الفجر . وبعد ذلك سبعد ذلك تشرق الشمس . ها هو الوقت يمضى .. ان الساعة الان ـ سانظر فورا فى ساعتى . اننى لا أستطيع ان أرى الان بسبب الندى .. لكننى سارى فورا . لن اسالك كم الساعة .. فليست لديك ساعة .. وفوق هذا فانت تهذر دائما . ستجيبنى ان الساعة طيبة وموفقة . ها انا الان استطيع .. احقا تريد ان تعرف الساعة بدقة يا افشالوم ؟ ساقول لك بدقة متناهية : الساعة .. الساعة .. كلا لم اعد استطيع ثانية .. بعد قليل . الان ادفئك قليلا يا افشالوم ان يديك باردتان يا افشالوم ذلك لان الهواء يصبح باردا ورطبا فى السحر .. هذا طبيعى . ولكن بعد قليل عندما تطلع الشمس ستدفأ .. ان الشمس ستدفئنا جميعا .. ستدفىء الارض والاعشاب والزهور . كلنا سنصحو وسنقف ونلبس ثيابا ملونة . فقط انتظر قليلا . من العسير عليك ان تتنفس الان اننى اسمع هذا . لو استطعت ان اعطيك هوائى .. ان اعطيك كل شىء . ألست انت انا يا افشالوم .. والست انا انت وساكون لك دائما وستكون لى . وساتى اليك دائما وستجدنى .. فقط لا تقفل عينيك من فضلك يا افشالوم . الست ولدا طيبا . ولدا مجتهدا . انت تعرف كيف لا تقفل العينين . حسنا اذا كنت حقا مضطرا فلا بأس .. اننى اعلم ان هذا سيكون لدقيقة فقط . لكى تستريح قليلا . رب اننى تعبة للغاية . اننى الاخرى اريد أن اغلق عينى لدقيقة . يبدو لى اننى نعست للحظة . ما كان ينبغى ان أفعل ذلك . الا ينبغى على ان ارعاك يا ولدى . أى نوع من الامهات انا فأنام . يبدو لى أننى قد حلمت .. جاء بعض العازفين من البحر . واحد معه دف والثانى معه ناى والثالث .. رقص .. رقص الثالث .. ما أجمل الالحان والاردية الاردية الملونة كالاشجار .. كالازهار .. انك الان صامت .. صامت هكذا .. انك .. ولكنك ما عدت ترتعش .. الان يطلع الفجر .. العصافير تغرد .. الندى يتساقط . عيناى ثقيلتان للغاية .. مقفولتان .. اننى اطفو . سارقد قليلا بجانبك يا افشالوم . هل توافق حقا ؟ هكذا راسى على صدرك . اننى أطفو .. أطفو ..

تعقيب

نلاحظ أن هذه القصة ذات الصياغة الرمزية تمثل محاولة علاج وتضميد لمشاعر الانفلات من الارتباط بالارض لدى الانسان الاسرائيلي بعد أن تحول الكسب العسكري السريع الى معاناة ثقيلة ممتدة (*).

[يذكر القارىء أن عامي ٦٨و١٩٦٩ كانا أخصب فترات العمل الفدائي الفلسطيني داخل الارض المحتلة ، وفيهما شبت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية — القصة منشورة في اواخر عام ١٩٦٨] .. فيهـا يحاول الكاتب بث توحد صوفي في النفس الاسرائيلية بالارض العربية . وهو يقدم محاولته في اطار فني رمزي لا جـدال في احكامه وقوته .. يسوق خـلاله شحنة عاطفية ايجابية لشحن النفوس التي تضاءل رصيدها العاطفي من التعلق بالارض . وهو يجسد بالشخصيات الثلاثة الاساسية في القصـة بناء التصـوير الصهيوني لعلاقة ما يسـمى بالشـعب اليهودي بالارض العربية والعـرب حتى هذه اللحظة .. وهو يستمد رموزه وتراكيب الحدث في القصـة من المـوقف الراهن المباشر دونما استنجاد بتراثيات أو خوض صريح في دهاليز مايسمى بالعلاقة التاريخية .. وان كان العمل في النهاية يرسم سياقا يوحي بتاريخية هذه العلاقة (*)

افيجيل الارض تتطلع الى افشـالوم الشعب اليهودي الذي تصلها به وشيجة الدم . هي محرومة منه بلا ارادة منهـا او منه .. لكنها لا تنشغل عنـه ، ففي اعماقها تتردد دائما اغنية التوحد به .. اغنية العشب الاحمر .. الاغنية تدوي في باطنها رغم الاضواء الحائلة والرياح الساخنة والدور الواطئة القاتمة الغارقة في السبات والقمر الاصفر الباهت . وكلها تمثيلات أدبية لما يقال صراحة في وصـف حالة الارض المقدسة عبر مايسمى بسنوات النفي اليهودي . هي لا تيأس من عودة افشالوم .. فالنجوم البعيدة التي تومض من خلف الضباب تشدها الى خيوط الامل وطيور الكراكي القليلة المهاجرة (*) رمز طـلائع الهجـرة اليهـودية .. تبشرها بقـرب وصـوله (*)

افشالوم الشعب (**) راقد بين اليقظة والمنام تطالعه رؤيا التوحد بافيجيل التي التحقت بدار الدعارة وفقدت طهارتها .. لانها تعيش في كنف العـرب .. يعيش افشالوم وأمل تطهرها من الدنس يحدوه ويراوده تجسده له رؤيا تطهرها بدمائها عندما تذبح لتبعث نظيفة من جديد .. أي عندما تغسلها الدماء من آثار العرب فيمكن بعد ذلك أن يتم التوحد .

وخلال مسيرة افشالوم وافيجيـل في الطريق الطويل (*) نحو اللحظة المرجوة

لتحقق الرؤيا يظهر لهما الشخص الغريب المفزع يعترض المسيرة ممثلا للعرب. ولعل الكاتب يشير به ايضا الى خطر المعارضة اليهودية الداخليةللحركة الصهيونية واقامة الدولة أو الى احساس الانصراف النفسى عن الارتباط بالارض .. فالرمز يحتمل كل هذه التأويلات التى تشترك جميعها فى اتجاه واحد .

الشخص الغريب يظهر متلصصا عن بعد .. متربصا مراقبا فى الظلام. وتجرى أحداث رامزة عديدة ومختلفة على طول طريق المسيرة .. الا أن هذا يغذى احساس التقارب ولا يضعفه .. فرؤيا التوحد تزداد اعتمالا فى نفس افشالوم رغم وحشة الطريق واقفاره . هو يتطلع الى تحقيق الرؤيا يشده ويحفزه ما فى قدمى افيجيل من فطرة وثنية قدسية . ويقطع الاثنان أشق مراحل الطريق وعورة حيث تنتصب الصخور وتزداد المنحدرات حدة والاغصان المعوقة اشتجارا .. ومع ما فى هذه المرحلة من مشقة فان افشالوم يؤكد اصراره على الالتصاق بأفيجيل فيما يرويه من رؤيا جديدة يشاهدها فيها داخل الوردة البيضاء قدسية ناصعة تجذبه وتصاعد من وجده الصوفى .. وفى نهاية المرحلة يصلان الى منطقة البستان المستوية الهادئة الآمنة حيث يتم لهما التوحد ممثلا فى اتحادهما الجنسى .. ولحظتها .. تعبر فوقهما اسراب الكراكى المهاجرة فى قوتها الاساسية اشارة الى تمام الاستيلاء على الارض وتدفق موجات الهجرة اليهودية اليها .

غير ان السعادة لا تكتمل ، فأثناء عملية الاتحاد الجنسى يظهر الشخص الغريب .. ويندفع نحوه افشالوم ليتلقى طعنة تصيبه بجرح ينزف فى استمرار ولكن دون غزارة .. اشارة الى امتداد الصراع والاستنزاف العربى .

ومع ذلك يقول الكاتب أن الارض لن تتخلى عن الشعب ، وستظل تحتضنه فى حنان رغم امتداد الليل والوحشة . فهى على ثقة من أن الصباح سيطلع وسيأتى آخرون يؤيدونه ويضمدون جراحه كيما تحل ساعة الفرح والالوان الزاهية والنجوم الساطعة والازهار البهية .

هكذا يزف الكاتب فى قصته بشرى الانتصار النهائى .. بشرى عاطفية تعين على احتمال آلام النزيف وتبعث الامل فى توقفه .

فهل يتوقف ؟

والاجابة على هذا السؤال متروكة للقارىء (*) .

فى العدد القادم

حوار الاصدقاء ((حول التراث والمعاصرة))

عبد العزيز الدسوقى يرد على الدكتور عبد القادر القط

٣

أدب الرفـــض

لا يتوقف الشـــعر الاسرائيلي عن موازرة النثر فى التعبـــير عن الفكرة الصهيونية ، ولكن الشعر كفن يغاير أسلوب القصة القصيرة والرواية ، يتخذ لنفسه طريقا خاصا فى صياغة الوجدان الاسرائيلي .. ويكاد — بالرغم من تعدد اتجاهاته الفنية — أن يكون تجسيدا لنغمة الرفض الذى يطبع جانبا من جوانب الادب العبرى بطابع مميز بالغ الخصوصية . وسنقدم هنا نموذجين من هذا الشعر .. النموذج الاول اقرب ما يكون الى النظرة الواقعية .. والنموذج الثانى اقرب ما يكون الى النظرة الرومانسية .

القصـــيدة الاولى :
الحــرب المقبلة [١]

الحرب المقبلة ..
ننشئها .. نربيها
ما بين حجرات النوم
وحجرات الأولاد ...
النعاس
آخذ فى الاصـــطباغ بالسـواد
ونحن من مقـــاربته فى فزع
ذراع الكهرباء تتحرك
على محورها الملفوف بالصمت .
تجاه الحرب التى تخطر
على احاديث المطابخ .
فى عتمة الحجرات ..
نسمع وقع خطاها
ونحن مقيمون على اغفاءة
الظهيرة .
وفى قاع العيون
جملان فى لون الليل البهيم
يرشف كلاهما من فم الآخر
مياه الرعب الخضراء ..
ذلك لاننا نستنبت فى تأن وثقة
زهرات الحديد للحرب المقبلة ..
ما بين حجرات النوم
وحجرات الاولاد .

تعقيب :

فى هذه القصيدة ، والقصيدة التالية ، نلتقى بموقفين يمثـــلان زاويتين مختلفتين من التعبـــير عن رد الفعـــل ، الرافض لصـــناعة الحـــرب ، وســـيطرة الفكر الصهيوني التوســـعى فى الارض العربية لدى بعض قطاعات المثقفين الاسرائيليين . فى قصـــيدة « الحرب المقبلة » ، يقـــدم الشاعر يعقوف باسار وثيقة ادانة صريحة للمجتمع الاسرائيلى كله على موقفه صنع الحرب وشن العدوان . وهو فى سياق تعبيره الشعرى ، يطلق صيحات التحذير واضحة ، يشير بها الى السبيل الصحيح الــذى ينبغى على المجتمـــع الاسرائيلى انتهـــاجه اذا شـــاء ان يعفى نفسه من قوارص الحرب وآلامهـــا وهولهـــا . انه منذ الشاعر سبيل التخلى عن بث روح العدوان فى الاجيال الجديدة وتنشـــئتهم على مســـلك الحـــرب لتحقيق الاوهـــام التاريخية .

فى الفقرة الاولى من القصيدة ، يحدد الشاعر مسئولية صنع الحرب فى الجانب الاسرائيلى ، ليس على مستوى حجرات الســـــياسة والحرب فحسب ، بل على مســـتوى غرف الحياة الخاصـــة ، حيث ينبغى ان يهجع الانســـــان ويركن الى التفكير فى أمان .. وعلى مستوى غرف الاطفـــال ، حيث يربون وينشـــئون على حليب الحرب وعصارات الغلظة والتهجم .

وفى نفس الفقرة ، يشير الشاعر الى ما يوقع فيه هـــذا الموقف أصحابه ، وما يؤدى بهم اليه من مشاعر القلق والتوتر فى الصحو وفى المنام .

وفى الفقرة الثانية ، يوالى الشـــاعر تقريره لمســـئولية صـــنع الحرب على كل المستويات ، فذراع الكهرباء التى يفترض انها تتحرك على محورها لتوليد الضـــياء وتبديد الظلمات ، تتحرك تجـــاه الحرب وفى سبيلها ، بينما الحرب المقبلة تنضج شـــيئا فشـــيئا على احاديث المطابخ مع الطعام ، ووقع خطاها لا يفارق اسماع القوم وهم ياوون للراحة من عنت العمل فى قيظ الظهيرة .

وفى الفقرة الختـــامية من القصيدة ، يطلق الشاعر صيحة التحذير ، فالحصاد من جنس الزرع .. لاننـــا نزرع الحرب ونستنبت زهورها الحـــديدية بكل التأنى والثقة ، فليس امامنا الا ان نجنى الفزع والخـــوف الدائمين ، وليس لعيوننا ان تبصر فى اليقظـــة او فى المنـــام ســـوى مشاهد الروع والفزع ، يستولد بعضها بعضا ، ويتساقى بعضها من أفواه بعض .. ان الثمـــار التى نحصدها من بذرنا — يقول الشاعر — هى ثمار كريهة تروى بميـــاه الرعب الخضراء الآســـنة ، ولن نحصد سواها ، ما دمنا على هذا النحو سائرين .

بهذه البصيرة الشجاعة ، التى تمنح الانسان رؤية واضحة نفاذة ، يجىء هذا التعبير الشـــعرى محيطا بعنـــاصر ازمة الانســـان الاسرائيلى ، ومشيرا بصورة قاطعة الى حلها .. الكامن فى نبذ الفكرة العنصرية العدوانية .

---

[١] للشـــاعر يعقوف باســـار ، وقد نشرت القصيدة فى الملحق الادبى لجريدة « معاريف » بتاريخ ١٨/١٠/١٩٦٨

القصـــيدة الثانية :
أشــعار احتضار [١]

[أ]

أنا أحتضر .
لولدي عينا أبي
ويدا أمي
وفمي .
لا ضرورة لي ...
شكرا جزيلا .
بدأت الثلاجة تزوم تأهبا
لسفرة طويلة .
كلب غريب يعوي لفقد شخص
آخر .
أنا أحتضر .

[ب]

دفعت ضـــــرائب لكذا وكذا من
الخزائن .
أنا مؤمن على تماما .
لي ارتبــاطات تعــامل مع كل
الخزائن .
أي تغيير في حياتي ســيكلفهم
مالا كثيرا
أي حركة من جانبي ســتحل بهم
الآلم
موتي سينزل عليهم بالخراب .
وصــوتي يمضي مع السحب .
يدي الممدودة تحولت الى ورقة :
وثيقة تأمين أخرى .
انني أرى العــالم خلال زهرات
سوسن مصفرة
لأن شــخصا نســيها .. على
المنضدة
بجوار النافذة .

[ج]

افلاسي !
اني أشهر العالم كله
على أنه رحم .
من هذه اللحظة .. أحل نفسي
وأودعها داخله !
كيما يتبنانى .
اني أشهر رئيس الولايات المتحدة
على أنه أبي
وأشــهر رئيس وزراء الاتحــاد
السوفيتي

יהודה עמיחי

שירי התפטרות

[א]
אני מתפטר,
לילדי יש מכבר עיני אבי.
וידי אמי.
ופי.
אין צורך בי.
תודה רבה.
המקרר מתחיל לזמזם לקראת נסיעה ארוכה.
כלב זר בוכה על אבדן מישהו אחר.
אני מתפטר.

[ב]
שלמתי מסים לכך וכך קפות.
אני מבטח מאד.
אני קשור ומסבך עם כלם.
כל שנוי בחיי יעלה להם בכסף רב.
כל תנועה שלי תכאב להם.
מותי ירושש אותם.
וקולי הולך עם עננים.
ידי המושטת הפכה לנייר: עוד תחוה.
אני רואה את העולם דרך שושנים צהבות
משום שמישהו שכח אותן
על שלחן ליד החלון.

[ג]
פשיטת רגל!
אני מכריז על העולם כלו
כעל רחם.
מהרגע הזה אני מפקיר את עצמי
ומפקיד את עצמי בתוכו:
שיאמץ אותי, שידאג!

אני מכריז על נשיא ארצות־הברית
כעל אבי ועל ראש ממשלת ברית־המועצות
כעל סוכן נכסי ועל הקבינט הבריטי
כעל משפחתי ועל מאו טסה דון כעל סבתא.
כלם מכרחים לעזר לי:
אני מתפטר.
אני מכריז על השמים כעל אלהים,
שיעשו בי כלם יחדו
את מה שלא האמנתי שיעשו.

מתוך „עכשיו ברעש", [illegible]
[illegible]

على أنه حارس أملاكي وجامعها
وأشهر الوزارة البريطانية
على أنها أسرتي .
وأشهر ماوتسي تونج
على أنه جدي .
كلهم ملزمون بمساعدتي
أنا أحتضر .
انني أشهر السماء
على أنها الإله
كي يعملوا لي جميعهم معا
مالم أصدق أنهم سيعملون .

تعقيب :

تقدم هذه القصــيدة تمثيلا لموقف رفض حاد وعنيف لواقع الحياة الاسرائيلية .. موقف يشق له في التعبير رافدا رومانسيا في عمقه السحيق ، رغم انه ينطوي في ظاهره على أمل عظيم يراود أحلام الكثير من البشر في الشيوع العالمي والمواطنة العــالمية . اما لماذا تبــدو الرؤية لدى الشاعر رومانسية ؟ .. فانما هذا لانهــا مستولدة بفعل ضغط الواقع الموضوعي وحــده ، دون أن تبدو فيها آثار لنظرة فلســفية اجتمــاعية تكون منطلقــا ثابتا وقاعدة راسخة للتفكير في هذا الامل ، وتمثل شرطا لازما واســاسيا لامكانيــة تحقيقه .

يبدأ الشــاعر تعبيره بصرخة ، يعلن فيها احتضاره وغيابه عن الواقع ، ثم يعود ليثبتهــا مرة ثانية في نهاية الفقرة الاولى .. وبين الصرخة الاولى والثانية يوســد علة انفصــاله وغيابه هــذا عن واقعــه .. وهي ممثلة في عجــزه عن احــداث ما يتمناه من تغيير . فكل شيء على حاله ، حتى ولده الذي كان يرجــو له خصــــالا أخرى تمــيزه عن الواقع المرفوض ، يكتسب صفات هــذا الواقع ويتحول الى نسخة جديدة من النســخ النمطية الشــائعة فيه . فقد ورث الولد عيني جــده ويدي جدته وفم أبيه .. أي ان هــذا النشء الجــديد قد اصبح يرى بمنظار الجيل القديم ويأتي أفعاله وينطق بلسانه .

وهو أمر كان الشــــاعر يتمنى عدم حدوثه . وبما انه قد أصبح واقعا ، فانه يحس بأن جدواه الشخصية قد انعدمت ، فلم يعد لوجوده ضرورة ، وقد فشل في تحقيق ما يرجوه .

انــه يتطلــع بعــد ان خلــع جلــد الانتماء الضــيق الذي يســتولد الحرب والعدوان والدمار .. الى انتماء أوسع وأشــمل ، انتمــاء الى رحم يستوعب الانسانية كلها ويحتويها في حنان الرحم ودفئه .

لكنــه بمحتوى الفقرة الثالثة ، يجنح بصورة حادة الى الرومانسية وخيــالاتها المحلقة بعيــدا بلا جــدوى ، تحت وطأة حمى الرفض والانســلاخ عن واقعه .. فهو يجمع في جوف الرحم العالمي الذي يتطلع اليه ، أطراف متناقضة تماما ، بعضها يمثل أمل البشرية ، وبعضها يمثل كابوس الاستغلال والعدوان فيها ، وهو ذو مسئولية مباشرة عن ذبول سوسنات الشاعر وخنقها في واقعه .

---

(١) للشــاعر يهودا عميخــاي ، من ديوانه « الآن في الزلزال » : يديعــوت أحرونوت ٦/١٢/١٩٦٨ .. الملحق الادبي

شباب السينما المصرية يدخلون المعركة

تشاهد الجماهير هذه الايام فيلم « اغنية على الممر » وهو أول فيلم روائي طويل للمخرج الشاب على عبد الخالق (٢٧ سنة) وأول فيلم مصرى عن هزيمة الخامس من يونيو ، كما انه أول فيلم مصرى تم انتاجه بنظام المشاركة مع مؤسسة السينما ، وهو نظام تعاونى يماثل الانظمة التعاونية المختلفة التى تقف وراء كل حركات التجديد فى السينما المعاصرة من الواقعية الجديدة فى ايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية الى الموجة الجديدة فى فرنسا والسينما الحرة فى بريطانيا والسينما السرية فى نيويورك .

« واغنية على الممر » هى الثمرة الاولى لكفاح جماعة السينما الجديدة التى تكونت على ضوء بيان المؤتمر العام الاول للسينمائيين الشباب الذى انعقد فى مايو عام ١٩٦٨ ، والذى اعلن فيه شباب السينما المصرية رفضهم لواقع السينما المصرية المتخلفة وعبروا عن احلامهم فى سينما مصرية جديدة ، فقد ظلت جماعة السينما الجديدة نحو عامين تبحث عن الاسلوب الملائم للانتاج الذى يحقق اهدافها فى ظل سيطرة المفاهيم التجارية ، واخيرا توصلت الى نظام المشاركة مع مؤسسة السينما حيث تدفع المؤسسة تكاليف الفيلم الخام والمعدات والاستديوهات والمعامل ويعمل جميع الفنانين والفنيين المشتركين فى الفيلم باجور مؤجلة تسدد من حصيلة ايرادات الفيلم بعد عرضه .

ولا شك ان هذا النظام الذى انتجت به الجماعة فيلم « ظلال على الجانب الاخر » ايضا وهو الفيلم الروائى الاول للمخرج الشاب غالب شعث (٣٢ سنة) هو النظام الامثل لتحقيق احلام الشباب فى سينما مصرية جديدة ، والنظام الواجب على الهيئة العامة للسينما والمسرح والموسيقى ان تستمر فيه وتسانده بعد تصفية مؤسسة السينما .

وليس غريبا ان يكون اول فيلم روائى طويل ينتج بنظام المشاركة هو ايضا اول فيلم روائى طويل عن هزيمة الخامس من يونيو ، فقد ظل الانتاج السينمائى المصرى طوال السنوات التى مضت منذ الهزيمة باستثناء عدد قليل جدا من الافلام غارقا فى الميلودراما والفارس كأن شيئا لم يكن ، بينما شباب السينما يتحرقون شوقا الى التعبير عن هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ بلادنا .

وليس غريبا ايضا ان يكون صانع هذا الفيلم هو على عبد الخالق وهو الذى بدا حياته الفنية بفيلم تسجيلى قصير عن « مدينة رشيد » وتاريخها النضالى عام ١٩٦٨ ، ثم اخرج فيلما تسجيليا قصيرا آخر عن السويس بعد العدوان عام ١٩٦٩ وهو فيلم « السويس مدينتى » ، كما اخرج فى نفس العام فيلما دعائيا عن مكافحة الجاسوسية . ان على عبد الخالق نموذج لشباب السينما المصرية الجديدة التى تولد بصعوبة وعنت وتواجه نحو نصف قرن من السينما المتخلفة .

وعلى عبد الخالق ليس وحده . فقد تم منذ هزيمة يونيو حتى الان انتاج ١٥ فيلما تسجيليا عن المعركة مع العدو الصهيونى الامبريالى اغلبها من اخراج شباب السينما ، و « لسنا وحدنا » اخراج سعد نديم و « النصر للشعوب » اخراج صلاح التهامى عام ١٩٦٧ ، و « ثورة المكن » اخراج مدكور ثابت و « اعداء الحرية » اخراج سعيد مرزوق عام ١٩٦٨ ، و « السويس مدينتى » عام ١٩٦٩ ، و « لماذا » اخراج احمد راشد و « لن نموت مرتين » اخراج فؤاد التهامى عام ١٩٧٠ ، و « بحر البقر » اخراج سعد نديم و « ابو زعبل » اخراج صلاح التهامى و « بورسعيد ٧١ » اخراج احمد راشد و « المدفع رقم ٨ » اخراج فؤاد التهامى و « الحياة لا تموت » اخراج سمير نذا عام ١٩٧١ ، واما الافلام التسجيلية الطويلة فهى « رسالة الى العدو » اخراج احمد كامل مرسى عام ١٩٦٧ و « عدوان على الوطن العربى » اخراج سعد نديم عام ١٩٦٩ وهو الوثيقة الاساسية التى سجلت العدوان فى مصر وسوريا والاردن .

وبالطبع فان عدد هذه الافلام هو فى حد ذاته فضيحة بالنسبة للسينما المصرية ، فلا يعقل فى هذه المرحلة ان



القتال حتى النصر أو الموت

يقتصر عدد الافلام التى تعبر عن المعركة على ثلاثة افلام كل عام تقريبا اغلبها ينتج بالصدفة ، ولا يجد طريقه الى العرض بسهولة ، وبعضها لم يعرض على الجماهير منذ انتاجه حتى هذه اللحظة ٠

ولا يجب علينا أن ننسى فى غمار ادانة الفيلم المصرى ان صلاح ابو سيف قد قدم عام ١٩٦٨ « **القضية ٦٨** » الذى يعتبر من الافلام السياسية الهامة ، ولكن فشل هذا الفيلم على الصعيد التجارى دفع به الى العودة الى مرحلة مبكرة من حياته لم تكن فيها السينما بالنسبة اليه غير وسيلة لسرد الحواديت وتسلية البورجوازية الصغيرة ودغدغة عواطفها المبتذلة ، وما كان لفشل هذا الفيلم ان يؤثر عليه الى هذه الدرجة وهو الفنان الذى قدم العديد من الافلام الواقعية الجيدة ٠

كما لا يجب ان ننسى « **الخوف** » الذى اخرجه **سعيد مرزوق** هذا العام والذى عبر فيه عن رؤيته للواقع اليوم من خلال قصة حب بين مصور صحفى شاب وفتاة من السويس فقدت أهلها فى احدى الغارات ، فهو رغم المآخذ الكثيرة التى يمكن ان تأخذها عليه محاولة صادقة من هذا المخرج الشاب للاقتراب من الواقع الذى نعيش فيه ٠

اما الذين حاولوا استغلال مناظر مدن القناة المهدمة فى فيلم « الحب الضائع » وفى فيلم « ثرثرة فوق النيل » لاستثارة عواطف جمهورهم على نحو مبتذل ، فهم اشبه بنساء طروادة ، وهن يبكون على اطلالها ، برغم اننا لسنا فى طروادة ، ورغم ان هذا ليس وقت البكاء ٠

سمير فريد

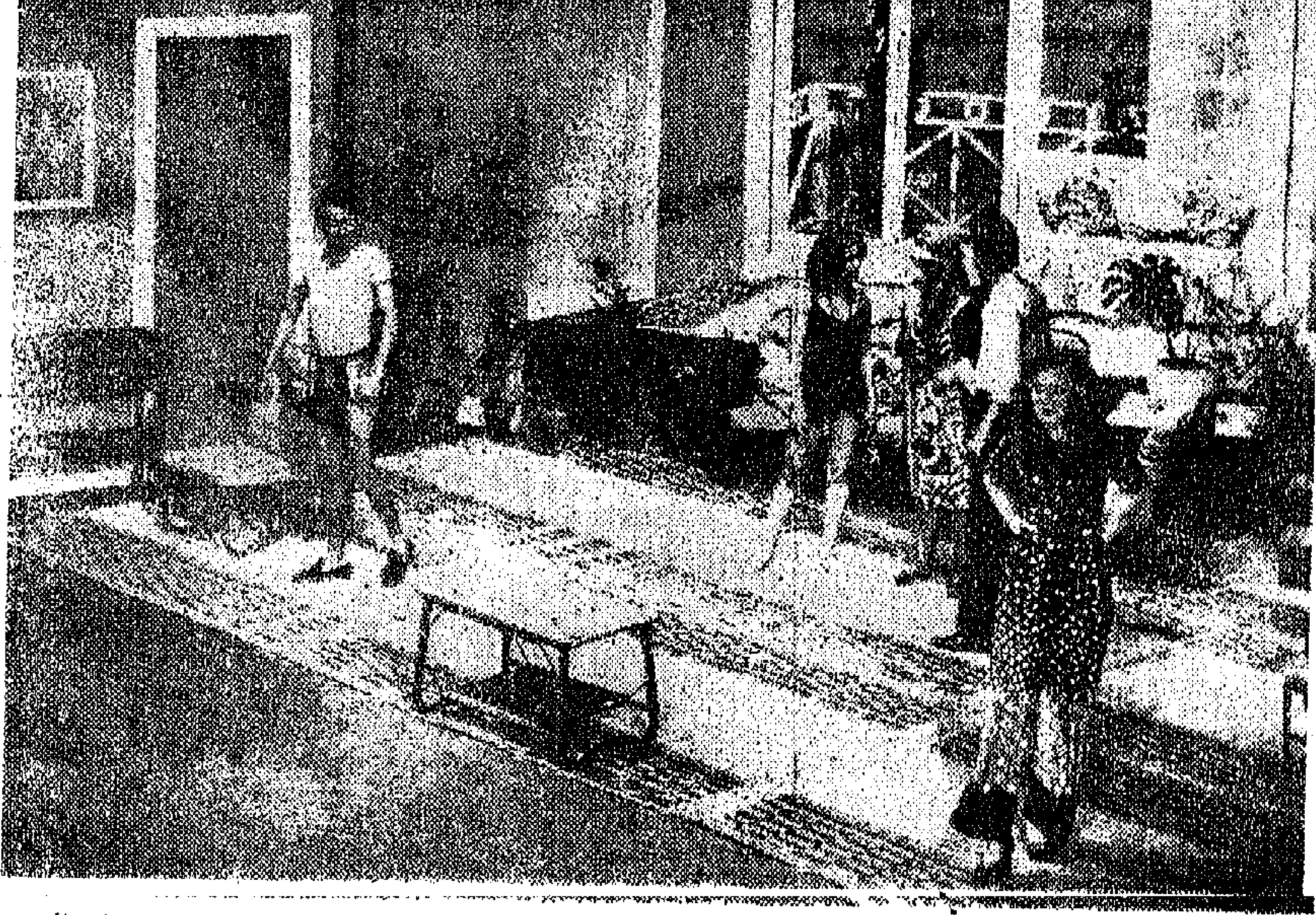
الجيل الطالع

مرافعــة الادعاء نقيضها الواقع

بعد ١٩٦٧ وقع نعمان عاشور فى « حوض درامى ضيق » — هكذا كتب — ، وللخروج منه زان معرض شخصياته القديمة — من « المغماطيس » الى « بلاد برة » — وانتقى بعضهم ليرى ما يمكن أن يحل بهم فى واقع متغير : هكذا جاءت مسرحيته « سن الكون » • وربما لو قدر له أن يعيد المحاولة فلن يجد ما اضيفة لمعرضه سوى توفيق افندى بطرس ، امين المخزن ، زوج السيدة انجيل ووالد الطفلة فيكتوريا ، السالم المستســـلم ، المتـــأخر خـــطوة من حـــرص وحـــذر ، الواقـــع فى الخطا خشية الخطا وفى الذل خشية الذل ، المتحمل لكل شىء من أجل شىء واحد : أن يستمر فى ابنائه ، فهم رده الوحيـــد على شـــتى ضروب القهـــر والتحدى • اما بقية شخصيات « الجيل الطالع » فربما لن تجد لها حياة بعد انطفاء انوار المسرح ، كلها ملامح لم تكتمل ، نثار متساقط من مائدته القديمة •

ولان نعمان قد عودنا الا نبحث فى مسرحياته عن فعل « له اول ووســط ونهاية » ، بل عن وضع عام يحيــط بالشخصيات كلها ، وهى تتحدث من خلاله متناقضة مع ذاتها ومع بعضها ومع هذا الوضع نفسه ، مفجرة بحركتها نبض الحياة فى العمل كله ، ولانه قد عودنا ان تكون هذه الشخصيات كائنات اجتماعية فى المقام الاول : كل يدخل الصراع محددا انتماءه الطبقى (راجع عناوين معظم اعماله) ، ثم تاتى التفاصيل والملامح تكسو باللحم والدم شرط قيام الشخصية ، ومبرر وجودها — لهذا كلـــه فـــان الشخصيات حين تفقد تفردها وملامحها الخاصـــة تهتز دعائم العمل كله ، وتتحتم مناقشته على نحو آخر •

فى « الجيل الطالع » لا تجد فرقا بين حسين عبد الجواد — المراقب المالى للمؤسسة وعبد الحميد مفتاح المهندس بها : كلا الرجلين يحمل هموم هـــذا القطاع من الطبقة الوسطى ويعبر عنها ، وكلاهما ضائق بابنائه و « تمردهم » ، ولا تجد فرقا بين فاطمة زوجة الاول وفهيمة زوجة الثانى : كلتاهما لا تكف عن النقار والمناكفة والضيق بـــالابناء وبالملامسات التى تتم بينهم فى السر والعلـــن (كلتاهما نســـخة بـــاهتة لزينب الدغرى او للست رحمة ، لكن ايا منهما لا ترتفع لمستوى هاتين الشخصيتين من اعماله القديمة) ، والامر كذلـــك بالنسبة للابناء : فى اكثر من مشهد مزدوج يتم واحد من الابناء ما يبداه الاخر • هذا يعنى ان ثمة معسكرين متواجهين : الاباء والامهات فى جانب والابناء فى جانب آخر • هذا جوهر المسرحية دون تردد ، فماملامح الصراع الدائر بين المعسكرين ؟ ان الابنـــاء يطالبون بحريتهم ، حرية لا تتجـــاوز ابعادها الرقص والاستماع الى الاغانى الاجنبية والملامسة • (وما تقوله احدى الفتاتين من انها تفكر بجسدها لا بعقلها تكذبه افعالها هى نفسها) • اذا كانت هذه ابعاد حرية الابناء فان المشكلة كلها كامنة فى نفوس الابـــاء • استمع الـــى هذه القائمة من الاوصاف بعد ان تكتسب عموميتها مرتين : الاولى من اختيار الكاتب لهذه النماذج المتطابقة ، والثانية لان هؤلاء حين يتحدثون عن ابنائهم فهم يصرون على الحديث عن جيل باكمله : جيل سايب ، مائع ، فاسد ، اما الدفاع عنه فيقول : « جيل غلبان » ماقدرناش نعمل جواهم قيم ومثل ، وعصرهـــم ماداهمشى الفرصة يبقى جواهم حاجة زى عصرنا » ، جيل معاصر ، واقع تحت رحمة تيارات مختلفة من الشرق والغرب ، من الماضى والحاضر ، النقطة الوحيدة فى صفهم يقولها احد الاباء على استحياء : ان لديهم احساسا بالمسئولية ، لكن هذا الاب نفسه — ويوحى الينا المؤلف بانه يحظى اكثر من غيره برضا الابناء — لا يتردد فى أن يحبس ابنه فى المطبخ لانه رقص على البلاج ، وهو لا ينى يتحدث من أن جسم المراة عورة كله عدا وجهها وكفيها ، ويتفق الابوان معا على ان افضل



الجيل الجديد
هل هو بهذه..
السطحية ؟

وصف لهذا الجيل هو أنهم لصوص « يسرقون عرق الاباء وشقاءهم وصحتهم » ، ثم يضيف الاب الاكثر تحررا انه « جيل ضايع ومضيع مصر معاه » !

هي اذن مرافعة الادعاء في قضية الجيل الجديد ، شيء أكثر من مجرد دفاع الكاتب عن جيله ، غير أن العمل كله يكشف تناقض جيل الاباء ورغبته في التسلط اكثر مما يكشف « ضياع » جيل الابناء ، هذا التناقض الخاص الذى تحتفظ به هذه النماذج من الطبقة الوسطى نتيجة نفاقها وترددها : فماذا يتوقع رجل حمل ابناءه الى المصيف سوى أن يرتدوا المايوهات ويسبحوا ويرقصوا ويستمعوا الى الاغانى ؟ أمن اجل هذا يستحقون ثورة الاباء وضرب الامهات ؟

لقد اكتفى نعمان عاشور بان يعرض علينا بعض المظاهر والقشور الخارجية والافكار الجامدة حول هذا الجيل دون محاولة النفاذ الى جوهره الحقيقى : كيف يحس ويفكر ويمارس حياته وسط مختلف الضغوط الواقعة عليه ومن حوله ، ولم يكن ممكنا له هذا النفاذ مادامت نقطة انطلاقه هي ادانة هذا الجيل والمسح على رءوس أبناء جيله ، وجاء موقفه مع هؤلاء الذين يطالبون بالمستحيل وغير المبرر : أن يصوغ الاباء ابناءهم على مثالهم ، وأن يلتهموا حياتهم كي يمتدوا من خلالهم ، مضيفين الى دوافع التمرد الطبيعي والشروع للابناء مزيدا من الدوافع .

ولا أعتقد اننا بحاجة التدليل على خطأ هذه النظرة ، فليس شباب العالم هم الهيبيز ، حين لا نعرف عنهم سوى أنهم القذرون ، متسخو الملابس ، مطيلو الشعور ، مدخنو المخدرات ، لكنهم هم الذين لقحهم عصرهم ببذور الثورة : على نظم القهر والمؤسسات الفاسدة والنفاق والتزمت ، حتى الاخلاقيات الجديدة التى يطالب بها شباب العالم — فيما يتعلق بالجنس — هى جزء من كل أشمل : ان عصرا كان يرادف الجنس بالخطيئة يجب ان ينتهى الى غير رجعة . اما فى مصر .. فانني أعتقد أن الواقع الموضوعى خلال الايام الاولى من عرض « الجيل الطالع » كان يحمل نقضا لمرافعة الادعاء ، ولعل فى هذا الواقع ما يغير نظرة نعمان عاشور الى هذا الجيل ، وما يجعله أكثر حرصا على أن يرى جوانبه المضيئة قبل المعتمة .

الى جانب هذه القضية الرئيسية ثمة قضية أخرى جانبية تتمثل فى صراع يقوم بين أبناء هذه الطبقة الوسطى من ناحية والطبقات الادنى من الناحية الاخرى . وهو يتجسد فى محاولة الاسرتين استخدام فتاتين تبيعان البيض والدجاج ، وهما من البداية تتحدثان عن أخ لهما مجند فى الجبهة ، لولا غيابه لما قامتا باى عمل ، وهذا الاخير نجاة لبحول دون ان تعمل أختاه خادمتين . لكن : هل كان من الضرورى أن يراكم المؤلف كل الفواجع حولهما فيجعل لهما اما عمياء ، واباً مقعداً وعما يستولى على ايراد الارض التى يملكونها ؟ .. أكل هذا من أجل أن يكشف انتهازية هذه الطبقة واستغلالها لبؤس الاخرين ؟ أم انها هى تلك « التعويذة الجديدة » التى تستدر مشاعر الجمهور أكثر من أى شيء سواها : صورة المقاتل على الجبهة ؟

فى القضية الرئيسية للمسرحية يتبنى نعمان عاشور وجهة نظر فكرية خاطئة تقوم على اتهام الجيل الجديد بالسطحية والتفاهة والضياع ، وتعتبره مسئولا عما هو ليس مسئولا عنه ، وفى القضية الجانبية تبنى المؤلف — ذو الحس الطبقى الواعى والمرهف — الموقف الفكرى الصحيح لكنه عبر عنه تعبيرا ميلودراميا دون ضرورة . حصادنا فى النهاية شخصية واحدة جسدها لنا ببراعة واتقان هى شخصية توفيق بطرس تتقدم لتحتل مكانها فى معرض شخصياته ، ولحظات نادرة من الحوار تردنا الى أفضل ما قدمه فى مسيرته الدرامية الممتدة فى مسرحنا المعاصر .

فاروق عبد القادر



تلويحة الأيدى المتعبة

للشاعر : ممدوح عدوان

نشـــر : إتحاد الكتاب العرب بدمشق

من بين مختلف المواقف الممكن ان يتخذها شعراؤها فى مواجهة العدوان على أرض أمتنا العربية ، يتخذ الشاعر السورى « ممدوح عدوان » موقف التحدى الرومانسى للعدوان فى ديوانه الاخيــر « تلويحة الايدى المتعبة » · فقد أصبح الصراخ سلاحه الوحيد فى عالم تتحول فيه المدن الى متاحف كما بدا له فى قصيدة « لعبة الاشارات الضوئية » ·

ولا يثير اعجابنا أن يرى الشاعر ذلك العالم على نحو معاكس تماما فى قصيدة اخرى مثل « اسكتشات عربية » فبدلا من أن يجمد العدوان طاقاته ويحوله الى متاحف يهزه ويفجر فيه طاقة الحياة

كنا كوما لانعرف انكنا موتى او أحياء

حيـن أتت طــائرة الاعـــداء

قصفتنا ــ القت كل قنابلها فتفجر نبع الماء

لا يثير عجبنا ذلك التناقض فـى الاحساس بنفس العالم فشاعرنا بموقفه الرومانسى من العالم لا يبـالى كثيرا بصورته الخارجية بل ولا يحاول الا فى القليل من قصائده · أن يقدم لنا رؤية خاصة يكون طرفيها ذلك العالم · وانما يكتفى الشاعر بالتعبير عن احساسه النهائى خالصا من كل العناصر الموضوعية التى كونته وفجرته · والاحاسيس كمـا نعلم قابلة للتغير السريع والمفاجىء بعكس الواقع الخارجى الذى يخضع فى تغيره الى عوامل معقدة ومتداخلة لعل الزمن والعمل الانسانى الجماعى اهمها شأنا ·

وهكذا نفسر اختفاء صورة الواقع فى قصائد الديوان وراء تعميمات الذات الرثائية الضائعة أو الهجائية المتشحة بثوب الثورة · فقد استبدل ممدوح عدوان امكانيات التحرر والخلاص الممكن استنباطها من الواقع نفسه بحلم رومانسى يتفق مع مزاجه الحاد · يجسد ما تمناه فى مقدمة الديوان أن ــ يجمع من ركام الناس الف فارس ويحرق الباقى ليزيد احقاد الفرسان ··ليصنعوا امة نقية ــ!!؟ وبصرف النظر عن قيمة المثال الفروسى المرتكز علـى القوة البدنيـة والشجاعة المطلقة والمرتبط بادواته العتيقة مثـل السيف والرمح والخيول · بصرف النظر عن تناقض هذا المثال مـع متطلبات النضال وأدواته فى عصرنا ــ العمـل الجماعى المنظم والعقل والتكنيك المتطور ــ فان عصر الفروسية قد مضى · واذا كان الشاعر يتصور على نحـو دون كيشوتى حالم امكان عودته ، وحيث انه لا يمكن صناعة الفرسان المخلصين ، فان دورنا نحن ينحصر فى انتظار قدومهم · الانتظار بدلا من العمل الجماعى المنظم ؟ ويؤكد الشاعر حلمه بربطه بصور فرسان امتنا فى العهود السالفة · صور من الماضى أكثر صلابة من الحالم نفسه · بهـا تكتسى احاسيس الشاعر الهائمة لحما وعظاما وجذورا تربطها بالارض كما فى قصـائد « سـقطة وحشى » و « يوميـات الحطيئة » ، « وخارجى قبل الاوان » و « رسالة الى أسماء بنت أبى بكر » ·· ففى هذه القصائد تختفى الذات الرومانسية نسبيا وراء الصورة التاريخية الواقعية أو المتخيلة ويرتفع مستوى التعبير ·

ولكن اذا كـان المـوقف الغنـائى الرومانسى هو السائد فى قصائد الديوان فان فى « تلويحة الايدى المتعبة » قصائد مثل « مصطفى البدوى » و « ابن حرام » يمتزج فيها العنصر الذاتى برؤية واقعية وذهنية تؤكد قدرة ممدوح عدوان على السيطرة على أحاسيسه ودمجهـا فـى الرؤية المناسبة لقالب القصيدة الحديثة وهو الطريق الذى نرجو أن يتقدم فيـه شاعرنا لانه الطريق الذى تتحول فيــه الاحاسيس المنظومة الى رؤية فنية تمزج بين الاحساس والعقل والواقع فى بناء جديد يزيد معرفتنا بالحياة وبانفسنا · ويحررنا لا لنعود مثلما كنا ذات يوم فى عصر ذهبى مضى وحسب فهذا مستحيل وانما لنصبح كما يجب أن يكون الاحرار فى عالم مختلف ، عالمنا نحن ·

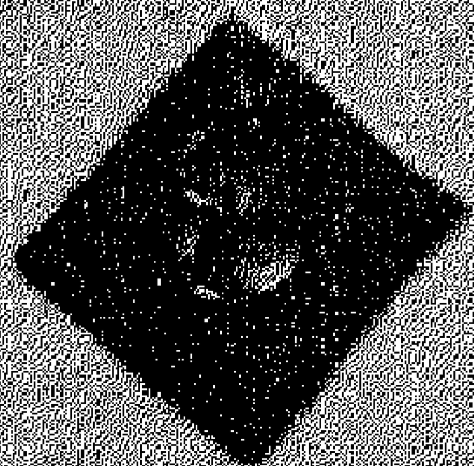
شوقى خميس

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر



السنة الثامنة ـ ابريل ١٩٧٢

- مفتاح الحل : وحدة العمل العربى
- أردن الملك .. الوجه الآخر لاسرائيل
- ميثاق الحرية
  «برنامج العمل الوطنى لجنوب أفريقيا»
- المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل
- قضية جنوب السودان .. واحتمالات المستقبل

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الرابع — السنة الثامنة — أبريل ١٩٧٢

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده فكرة أصيلة .

من هــذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الراى ولــكنى على اســتعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) ؟ .

الافتتاحية

مفتـــاح الحـــل :
وحـــدة العمـــل العـــربى

فى غياب وحدة العمل العربى ضـــد الامبريالية والصـــهيونية والرجعيـــات المحليـــة ، كانت هزيمة ٦٧ ، واستمرار الاحتلال الاسرائيـــلى ، واشعال مجـــازر الاردن البـــربرية ضـــد المقـــاومة الفلسطينية .. وأخيرا قيام الملك حسين ، علانية ، بطرح مشروع تكوين ما اطلق عليه اسم « **المملكة العربية المتحدة** » . وهو مشروع يعكس الخطوط الرئيسية لمشاريع امريكية واسرائيلية سـابقة . مثـل مشروع « **ايجال آلون** » نائب رئيسة وزراء اسرائيل ، ومشروعات عدد من الباحثين العاملين لدى وكالة المخـابرات الامريكية وذلك بهدف تصفية القضية الفلسطينيـة خاصة ، وحركة التحرر العربية عامة .

وبتعبير آخر ، فان غياب وحدة العمل العربى الوطنية التقدمية قـد أتاح أرحب الفرص للقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية المحلية ، كى تأخذ زمام المبادرة والاقدام على أفعـال . فى حين تجمدت القوى الوطنية والتقدمية — متنافرة على المستوى القومى ومفككة على المســتوى المحلى — عند موقف الانتــظار المشــلول وردود الافعـــال ، التى لا تتخطى حيـز المقالات والبيانات الانشائية المهددة بالويل والثبور وعظائم الامور .

ولاننا ظللنا نطلق التهديدات ، من موقف الانتظار ، عشرات المرات دون أن نترجمها الى افعال ، فقد ارتدت الينا قيودا وعجزا عن الحركة . وصـار « التهديد » سلاحا مثلما ، لا يجدى حتى فى ميدان المناورات السياسية وما اسميناه « بالحل السلمى »

واليوم ، نواجه مع مشروع الملك حسين بأبعاده الامريكية والاسرائيليـــة ، بـــداية مرحلة جديدة من « **الفعل الامبريالى — الصهيونى — الرجعى** » لتنفيذ خطة فـــرض « **الحـل الامريـكى الاسرائيـــلى الرجعى** » على الوطن العربى بـــالطريقة الهاشمية المعروفة تاريخيـــا . وذلك بعد فشل سياسة « الدبلوماسية الهـــادئة » التى بدأتها واشنطون « بمبادرة روجرز » حتى اقتراح « محادثات الفنـــدق » ، فى محاولة لاحتواء مصر واغرائها بحلول جزئية على حساب الحل الكلى لتحـــرير الارض العربية المحتلة ، وتجسيد الحقوق القومية للشعب الفلسطينى .

أمام هذا الفشل لسياسة الدبلوماسية الهادئة تجاه **مصر من ناحية** ، واستغلالها لغياب وحدة العمل العربي الوطني التقدمي **من ناحية أخرى** ، ورغبة في تعميق الاحساس بالعجز العربي عن مواجهة التحالف الامريكي ـ الصهيوني **من ناحية ثالثة** ، تم اطلاق تذيفة المملكة العربية المتحدة بأيدي الملك حسين .

وهنا ، كان الخطأ القاتل في التكتيك الامريكي ـ الاسرائيلي ـ الرجعي الراهن . ذلك أن الملك حسين ونظامه يفتقدان ـ بحكم التجارب الدامية ـ لاى رصيد من الثقة لدى الجماهير العربية . بل ان الادانة العربية الشاملة سرعان ما تصيب أى نظام عربي آخر يظهر ارتباطا أو تعاطفا ما ، مع الملك حسين ونظامه . وهكذا واجه مشروع « المملكة العربية المتحدة » رفضا عربيا اجماعيا .

وهذا الرفض الجماعي ، قد بلور نوعا من الارادة العربية الموحدة ، حتى أن الملك حسين نفسه اضطر الى أن يعقد مؤتمرا صحفيا في اواخر الشهر الماضي ، بعد أقل من أسبوع من اعلانه لمشروعه ، يحاول فيه أن ينفي ارتباط مشروعه بالقوى الامبريالية والصهيونية ، ويعلن أن وضع المشروع موضع التطبيق العملي يرتبط بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ عام ١٩٦٧ .

ورغم هذا التراجع النسبي والتكتيكي من الملك حسين ، الا اننا يجب أن نحذر المبالغة في حجم وأثر هذه الارادة العربية الجماعية الرافضة . ذلك أنها ماتزال في اطار رد الفعل . وبالتالي اقرب الى السلب منها الى الايجاب . فضلا عن عفويتها وطبيعتها الجنينية الهشة . ومع ذلك كله ، فقد أثبتت بمجرد هذا التواجد العفوى انها قادرة على احداث ضغط سياسي ما . الامر الذى يكشف عن مدى الامكانيات النضالية المؤثرة والفعالة التي يمكن أن تفجرها وتحركها وحدة العمل العربي الوطنية والتقدمية ، اذا ما تم بناؤها تنظيميا بأسلوب ديمقراطي ومضمون تقدمي ، من حول المصلحة الوطنية التاريخية ، لجميع فصائل ونظم وأحزاب وتنظيمات حركة التحرر العربية المعاصرة .

لقد ظللنا ، طوال ما يقرب من خمس سنوات تحت ثقل الهزيمة ، نجهد الذهن بحثا عن مفتاح لحل القضية . وتصور البعض المفتاح ضغطا على امريكا من أجل الحصول على ضغط أمريكي ضد الاحتلال الاسرائيلي . وتصور البعض الاخر أن المفتاح يتحقق بكسب ود الاربعة الكبار والامم المتحدة . وتصور بعض ثالث أن المفتاح هو في شن حرب انتحارية .. ولكن أيا من هذه « المفاتيح المتصورة » لم يستطع أن يفتح بابا أو حتى نافذة . وكان طبيعيا أن يولد هذا كله مناخا مريضا يشوبه القلق والعجز ونفاد الصبر والتهور وعدم الثقة ، في خليط من الشعارات الطوبائية النابعة عن أحلام اليقظة والابتهال الى معجزة من المعجزات . وكأننا أول شعب في التاريخ يواجه مسئولية تحرير أرض بلاده من احتلال اجنبي عنصرى . ولم نتنبه الى اننا بتصوراتنا الطوبائية عن مفاتيح الحل ، بعدنا عن المفتاح الحقيقي الذى يقدمه لنا الواقع وهو وحدة العمل العربي .

وهو مفتاح حقيقي ، **أولا** : لان معطيات الواقع العربي تمكننا من صنعه بأنفسنا وامتلاكنا له .

وهو حقيقي ، **ثانيا** : لانه هو التعويض الممكن للتفوق التكنولوجي الذى يتميز به العدو في وقتنا الراهن .

وهو حقيقي ، **ثالثا** : لانه يجسد الطاقة اللازمة لمواجهة التحالف الامبريالي الصهيوني بكل ما يستند اليه من دعم مالي وعسكرى .

وهو حقيقى ، **رابعا** : لانه يسمح لنا من ناحية بالاستفادة الى اقصى حد من عون الاصدقاء ، ومن ناحية أخرى الاستخدام الرشيد لامكانياتنا ، ومن ناحية ثالثة الاستغلال الكيفى المؤثر ، للتراكم الكمى من مساندات الراى العام العالمى .

وهو حقيقى ، **خامسا** : لانه يخلق الظروف المواتية موضوعيا لقيام حرب تحريرية ، طويلة النفس ، ضد الاحتلال الاسرائيلى ، والتى بدونها لن نستطيع أن نتحول من موقف الانتظار المشلول ، وردالفعل الى موقف المبادرة والفعل .

والحق أننا بعدم امتلاك مفتاح وحدة العمل العربى ، نهدر — ببلاهة وعدم تقدير للمسئولية — السلاح الاستراتيجى الحاسم ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية المحلية . وهو سلاح حاسم ، بمعنى انه بعدم توفره — فى ظروفنا وعالمنا — لا نستطيع ان نحقق نصرا استراتيجيا على العدو ، مهما توافر لدينا من أسلحة أخرى بما فى ذلك هذا العون الضخم من السلاح السوفيتى . بل أن طاقة السلاح السوفيتى تتضاعف — كماونوعا — اذا ما استخدمت فى اطار وحدة العمل العربى .

والسؤال الان : هل وحدة العمل العربى ممكنة التحقيق اليوم ؟

ان نظرة تحليلية عميقة الى الواقع الحى ، تؤكد أنه لم تتوافر ظروف تاريخية وموضوعية مواتية لبناء وحدة العمل العربى كما هى الان . فالوطن العربى بجميع اجزائه يعانى — وان كان بدرجات متفاوتة — من مواجهة ساخنة ومباشرة مع العدو الامبريالى الصهيونى ، وصلت الى درجة احتلال اجزاء جديدة من أراضى تدخل فى الحدود الدولية لبعض الدول العربية . وذلك كمرحلة من مراحل التوسع الصهيونى . وتتداخل القوة الامبريالية الامريكية مع القوة الصهيونية الاسرائيلية فى جهاز عسكرى عدوانى واحد ضد حركة التحرر العربية . وهكذا تنبثق من أعماق الشعوب العربية جميعا مصلحة قومية حادة وشاملة فى درء العدوان وتصفية الاحتلال . ويتولد عن المواجهة بين مصالح العدو الامبريالى الصهيونى والمصلحة القومية الحادة والشاملة ، الصراع الجوهرى المحرك لبناء وحدة العمل العربى .

ورغم هذا الوضوح الموضوعى ، فاننا نواجه تفتتا لا مسئولا بين القوى الوطنية والتقدمية العربية . ليس فقط على المستوى القومى ، بل وعلى المستوى المحلى أيضا . فالانقسامات المتوالية تعصف بالكيانات الحزبية والتنظيمية لهذه القوى دون انقطاع .

ما معنى ذلك ؟ ..

ليس لهذا من معنى الا اننا نتهرب ، بلعبة اليمين واليسار بطريقة تجريدية ، عن ممارسة مسئولياتنا فى محاربة العدو الراهن والمقيم لحركة التحرر الوطنى . وهذا يكشف اما عن قصور فى الوعى السياسى والاجتماعى بمهام المرحلة . واما عن تغليب المصالح الذاتية فى السيطرة والحكم ، على المصالح الموضوعية لحركة التحرر الوطنى العربية بآفاقها التقدمية .

وهذا بالدقة ما يجب أن نقف ضده ونعريه ونتخطى مزالقه القاتلة . والا استمر الاحتلال الى عشرات السنين فارضا « الامر الواقع » بل وتوسع على أرض عربية جديدة دون ما حدود .

صحيح ، أن هناك خطوات قد اتخذت في مجال بناء وحدة العمل العربي مثل اتحاد الجمهوريات العربية ، ومثل الوثيقة العربية الهامة التي تمخض عنها المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني في يناير الماضي ، ودعت فيها الاحزاب الوطنية التقدمية في الوطن العربي نحو مؤتمر لتوحيد قواها . لكننا يجب أن نعترف أن كل هذه الخطوات ما برحت جزئية وغير كافية لمواجهة حجم الخطر الذي نواجهه ، خاصة اذا لاحظنا العراقيل التي بدأت توضع في الطريق بهدف منع التقدم في هذا الاتجاه .

وبناء وحدة العمل العربي يجب أن تؤسس على جبهات وطنية حقيقية تمثل تحالفا ديمقراطيا شعبيا داخل كل بلد عربي . وذلك انطلاقا من واقع أن الظروف الراهنة في الوطن العربي تؤكد من خلال العديد من التجارب ، أن طبقة اجتماعية واحدة أو بلدا واحدا - مهما تكن قوتها النسبية - غير قادرة بمفردها على التصدي الاستراتيجي الحاسم للعدو الامبريالي الصهيوني الرجعي .

ان المدخل الطبيعي والديمقراطي لبناء وحدة العمل العربي هو قيام الجبهات الوطنية الحقيقية داخل البلدان العربية وذلك من حول برنامج محلي نضالي موحد ، تشارك في وضعه وصياغته جميع القوى الوطنية والشعبية صاحبة المصلحة في معاداة الامبريالية والصهيونية والتخلف الاجتماعي والاقتصادي . وبحيث تصب هذه البرامج المحلية في برنامج قومي شامل يمتلك أدوات مشتركة قادرة على الفعل المؤثر بما في ذلك حرب التحرير .

ويلاحظ المرء بمزيد من التقدير بوادر مشرقة لمحاولات ، تتسم بطابع الجدية النسبي ، لبناء جبهات وطنية في عدد من البلاد العربية مثل سوريا والعراق واليمن الديمقراطية والجزائر والمغرب وفلسطين ولبنان .. واخيرا الاتجاه في مصر نحو صياغة جبهوية لتحالف قوى الشعب من خلال الاتحاد الاشتراكي العربي .

والمهم الان ، وبعد خمس سنوات من العجز المقيد بحركة محلك سر ، أن نكثف كل الجهد من أجل تحويل هذه الظواهر الجزئية الى ظاهرة عامة وتعميقها في حقل السياسة العربية ، من اجل الوصول الى امتلاك السلاح الاستراتيجي الحاسم ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية في عالمنا المعاصر . هذا السلاح هو - وحده - المفتاح لحل القضية حلا وطنيا تقدميا ، وكفانا ضياعا للوقت واهدارا للجهد فيما لا طائل من ورائه .

لطفي الخولي

قضـــيـة

جنوب السودان

واحتمـالات المســتقبل



عبد المنعم الغزالى

عندما اقتربت لحظة استقلال السودان ، وخاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر، اخذت الادارة الاستعمارية ترتب كل خططها لفصل الجنوب نهائيا عن السودان . ورغم كل محاولات الجانب البريطانى فى المفاوضات مع الجانب المصرى للحصول على وضع خاص للجنوب وسلطة خاصة للحاكم العام ، فان المفاوضات انتهت الى توقيع اتفاقية القاهرة فى ١٩٥٣ والتى بمقتضاها قام الحكم الذاتى فى السودان . وعندئذ أخذت السلطة البريطانية تجمع قوى وعناصر سياسية من الجنوب باشراف الارساليات التبشيرية لتعدهم ليكونوا نواة حركة انفصالية . وعندما بدأ تطبيق الحكم الذاتى فى ١٩٥٤ ، وبدأت عملية سودنة المؤسسات والاجهزة والوظائف والمناصب السودانية ، لم يكن هناك أى جنوبى مؤهل لتولى أى مركز أو منصب رئيسى فى الجنوب ، فتولى الشماليون الوظائف التى كان يتولاها البريطانيون من قبل ، وبذلك جاء يوم الاستقلال والجنوب فى وضع متخلف عن الشمال ، ولقد استفاد البريطانيون من هذا الوضع فى اثارة الاحقاد ضد الشماليين باعتبارهم المسئولين عن هذا الوضع . واستغلوا المواقف السلبية لحكومة اسماعيل الازهرى الاولى ، والتى اشترك فيها عدد من الجنوبيين فى اثارة التمرد الجنوبى الاول فى اغسطس ١٩٥٤ والذى قامت به الفرقة العسكرية فى المديرية الاستوائية والتى أدت الى قتل عدد كبير من الشماليين ، وقد تحول المبشرون المسيحيون الى دعاة للذبح والقتل والتخريب .. واشتركت كل قوى الاستعمار فى افريقيا فى الوقوف خلف المتمردين ــ بريطانيا ــ الولايات المتحدة ــ المانيا الغربية ــ اسرائيل ــ فرنسا .

ومنذ استقلال السودان كانت سياسة الاحزاب السودانية الرجعية الشمالية هى نفس سياسة الاستعمار القديم ، وفى ظل حكمها بقيت مشكلة الجنوب قائمة دون العمل من أجل حل ديمقراطى لها ، فبقيت مشاكل التخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، وظل مستوى المعيشة منخفضا الى ادنى حد والتمايز فى الاجور بين الشماليين والجنوبيين .. واستمرت هذه الاحزاب فى عدم احترام الاوضاع والسمات القومية الخاصة بالجنوب ــ وقد التقت القيادات الجنوبية التقليدية منذ الاستقلال مع الدوائر الرأسمالية والاقطاعية الشمالية وشاركوهم العمل مع دوائر الاستعمار القديم والحديث ــ ففى ١٩٥٨ مثلا تحالف القادة الجنوبيين مع حزب الامة ، حيث وقفوا مع الحكومة الرجعية تحت قبة البرلمان الى جانب قبول المعونة الامريكية .. وبعد ثورة اكتوبر

في ١٩٦٤ تمكنت الاحزاب الرجعية من ضم بعض السياسيين الجنوبيين من جبهة الجنوب وغيرهم الى الجبهة الرجعية التى اجهضت ثورة اكتوبر ·

لقد رفضت جميع الحكومات الوطنية التقليدية بكل فرقها واحزابها ان تعترف منذ الاستقلال فى ١٩٥٦ بحقيقة موضوعية فى السودان ، وهى أنه يعيش فى السودان مجموعتان قوميتان أساسيتان العرب وغير العرب ـ أو افارقة الشمال وأفارقة الجنوب ـ بينهما فوارق ثقـافية وتـاريخية وحضارية تقاس بآلاف السنين · لقد ظلت هذه السياسة التقليدية تسعى الى العمل على احتواء مجموعة قومية لمجموعة قومية أخرى ، مستخدمة فى ذلك كل وسائل القهر ، ومنتهجة نفس السياسة الاستعمارية السابقة للاستعمار البريطاني القديم ، والتى كانت تستهدف فصل الجنوب عن الشمال ، وهى نفس السياسة التى عمل ويعمل لهـا الاستعمار الحديث بعد الاستقلال · ولقد استمرت هذه القيادات والحكومات التقليدية تعالج مشكلة الجنوب على أنها قضية خلاف ديني وليست قضية سياسية ذات ابعاد قومية ، والتقت بذلك مـع سياسة الهيئات التبشيرية الاوروبية والعاملة وفق مخطط استعمارى · وكما يقول جوزيف قرانق وزير شئون الجنوب بعد مايو ١٩٦٩ وحتى يوليو ١٩٧١ فى محاضرة القاها فى قاعة مجلس النواب البريطانى فى ابريل ١٩٧٠ ـ « ان مشكلة الجنوب **ترجع أساسا الى عدم وجود المساواة بين الشمال والجنوب بسبب عدم تكافؤ التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى · ان كل أسباب تـردى العلاقات بين الشمال والجنوب انما تعود لهذا السبب** » ·

وهكذا التقت رجعية الشمال زراعية وتجارية وقبلية ، مع قيادات الجنوب الرجعية والعاملة مع كل دوائر الاستعمار العالمى بلافتات كنسية أو افريقيـة زائفـة ـ وعملت على استمرار الصراع بين الشمال والجنوب على أساس أنه صراع بين العرب والافارقة ، بين المسلمين والمسيحيين ـ هذا فى نفس الوقت الذى لايشكل فيه المسيحيون غير نسبة ضئيلة فى الجنوب ·

ومنذ قيام الحكم الذاتى فى يناير ١٩٥٤ وحتى نوفمبر ١٩٥٨ سيطرت على الحكم فى السودان الاحزاب الطائفية الممثلة لملاك الارض الكبار ولكبار التجار والمقاولين وزعماء القبائل ، ولم يكن يهم هذه الفئة من الحكام غير مصالحهم الانسـانية والاستغلالية والمرتبطة بالاستعمار ، فلم يستطيعوا حل قضية الجنوب على اساس حل التناقض الناجم عن الوضع غير المتكافىء بين الشمال والجنوب ، وقد شارك سياسيون جنوبيون فى فساد الحكم ليحققوا مكاسب خاصة بهـم ، وباع النـواب الجنوبيون أنفسهم ومواقعهم لاحزاب الشـمال الرجعية والطائفية ـ وفى نفس الوقت بـاعوا انفسهم للقوى الاجنبية · ان مطلب ممثلى الجنوب فى البرلمان فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ عند مناقشة قرار الاستقلال فى البرلمان بالاتحاد الفيدرالى ـ والذى كان يعنى من وجهة نظرهم مزيدا من الوظائف العالية للجنوبيين وتعيين ثلاثة محافظين جنوبيين للمديريات الثلاث · وقد عبرت عن هذا المطلب الاحزاب الجنوبية الناشئة فى هذه الفترة ، الحـزب الليبـرالـى ـ والاعضـاء الجنـوبيين المنضمين للوطنى الاتحادى ، وكذلك الاعضـاء المستقلين ·

وبقيام الحكم العسكرى ـ ديكتاتورية عبود ـ فى نوفمبر ١٩٥٨ ـ مورست سياسة قمع وبطش بالجنوب ، فحرم الحديث عن « الحكم الاتحادى » ـ الفيدريشن ـ وحاولت حكومة العسـاكر أن تفرض الاسلام بالضغط على زعماء القبـائل والسلاطين ، وهى محاولات فشلت · وفى ظل القهر العسكرى هاجرت مجموعات من السياسيين الجنوبيين ونظموا احزابا وتنظيمـات سياسية خارج البلاد ـ الاتحاد الوطنى ـ حزب سانو ـ جبهة تحرير انزانيا · وبمساعدات مادية وعسكرية من الكنائس والمانيا الغربية واسرائيل والمخابرات الامريكية ، بداوا حرب العصـابات من حـدود السودان المشتركة مع أثيوبيا واوغندا والكونغو فى ١٩٦٣ ·

وبعـد ان اطـاحت ثـورة اكتـوبر ١٩٦٤ بديكتاتورية عبود ، وجاءت حكومة تضم بيـن صفوفها ممثلى الجبهة التقدمية من شيـوعيين ومثقفين يساريين وتجار وعمال ومزارعين ـ صدر برنامج حول الحكم الذاتى المحلى بـالنسبة للجنوب ، واوقفت العمليات العسكرية ضـد المتمردين ، ودعت الى عقد مؤتمر مشترك بين الشمال والجنوب لمناقشة القضية · وتمسك قطاع من الجنوبيين بالانفصال ـ جماعة افرىجادين ـ بينما ترددت قطاعات أخرى ـ بقيادة وليم دينق بين الاتحاد الفيدرالى والانفصال ·

ونجحت الثورة المضـادة فى اجهـاض ثورة اكتوبر ١٩٦٤ ـ الامر الذى أدى الى فشل مؤتمر المائدة المستديرة · وانحياز أكبر الكتل السياسية الجنوبية ـ جبهة الجنوب ـ الى قوى اليميـن السودانى · وبتولى تحالف ملاك الارض ورجال الاعمال بعد انتخابات ابريل ١٩٦٥ السـلطة اصدروا أوامرهم للجيش باستئناف الاعمـال العدائية فى الجنوب ، وهو الامر الذى كان يريده المتمردون ، وأحرقت قوات الحكومة مدينة جوبا ،

وقتل المئات ، وشمل الارهاب قرى الجنوب ومدنه . ولما أعلن الجنوبيون استعدادهم لقبول حكم اقليمى ذاتى ، رفضت حكومة التحالف الرجعى ، واستمرت حرب الجنوب تستنزف الملايين من خزانة الشمال المفلسة ، ووجدت حركة فى الجيش معارضة لاستمرار الحل العسكرى لمشكلة الجنوب — وكان من أبرز ممثليها وقادتها الضابط **فاروق حمد الله** — أول وزير للداخلية بعد مايو ١٩٦٩ ٠

موقف القوى التقدمية

وعلى النقيض من موقف رجعية الشمال ورجعية الجنوب ودوائر الاستعمار القديم والحديث ، كان موقف القوى التقدمية ، وقد أسست القوى التقدمية موقفها على أساس نظرة الاشتراكية العلمية للمشكلة القومية ، وعلى ضوء تطورات العصر وظروف السودان بصفة خاصة ٠ ان مشكلة الجنوب فى جوهرها هى مشكلة تأخر وفقر واضطهاد قومى نجمت عن ظاهرة النمو غير المتساوى للاقتصاد الاستعمارى وشبه الاستعمارى ، الامر الذى أدى الى نشوء عدم مساواة اقتصادية وسياسية وثقافية بين الشمال والجنوب ، وأن مشكلة الجنوب هى جزء لا يتجزأ من المشكلة العامة التى تواجه أولئك الذين يرغبون فى احداث تغيير اجتماعى فى السودان ، ومن ثم فان الظروف الموضوعية تحتم أن تكون قضية تحرير الجنوب هى جزء من النضال الوطنى الديمقراطى العام فى جميع أجزاء بلاد السودان ، ولما كانت قيادات الجنوب التقليدية فى غالبيتها العظمى قيادات متحالفة مع الاستعمار قديمه وحديثه وهى نفسها قيادات التمرد ، وترفع شعارات انفصالية تغلفها بشعار حق تقرير المصير ٠ ان القوى التقدمية والثورية والمنظمات الجماهيرية والنقابات العمالية والحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى وحزب الجنوب الديمقراطى وحركة الضباط الاحرار قد قدمت البديل لشعارات الرجعية وفى مواجهتها : « **الحكم الذاتى الاقليمى لجنوب السودان ، فى اطار الوحدة الوطنية لكل السودان ، وحق شعوب الجنوب فى تطوير ثقافاتها وعاداتها وقسماتها القومية الاخرى** » (١)

حل تقدمى وعقبات فى التطبيق

فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ — استولى على الحكم تنظيم الضباط الاحرار السودانى بقيادة **اللواء جعفر نميرى** — وانشئت وزارة للجنوب تولاها **جوزيف قرنق** . وفى ٩ يونيو ١٩٦٩ أعلنت الحكومة الجديدة « أن ثمة فوارق تاريخية وثقافية بين الشمال والجنوب » ٠ وان « وحدة البلاد يجب ان تبنى على ضوء هذه الحقائق الموضوعية » ، وان أعداء الشمال هم فى الوقت نفسه أعداء

---

[١] ١— أعلن الحزب الشيوعى السودانى فى برنامجه : « نحو تعزيز الاستقلال والديمقراطية والسلم » — برنامج ١٩٥٦ — « اعطاء المديريات الجنوبية الثلاث حكما داخليا مؤسسا على مجلس تمثيلى لكل القبائل بنسبة عددها لتنظيم شئونها الداخلية مع وجود تمثيل ديمقراطى لها فى المجلس النيابى المركزى والحكومة المركزية ومساعدتها مساعدة فعالة من الخزينة العامة لتطوير ورفع مستوى معيشتها » .

٢— أعلن حزب الجنوب الديمقراطى الذى تأسس فى يوليو ١٩٦٦ : « ورغم أن حقيقة الاسباب الرئيسية لمشكلة الجنوب تكمن فى الاستعمار الجديد ، والتطبيق الجبرى لديمقراطية غربية عقيمة واضفاء طابع بيروقراطى على أجهزة الدولة ، فان الجنوب يجب أن تكون له مكانة خاصة فى تطبيق ديمقراطية حقيقية نظرا للاختلافات العرقية والتاريخية وغيرها بين شقى البلاد ، وبصفة أساسية يجب الاعتراف بما له من خصائص مميزة وهذا يتحقق فقط بالاعتراف للجنوب باستقلال ذاتى اقليمى فى اطار من سودان موحد وتطبيق ذلك . ولهذا فاننا سنطالب بأن ينشأ فى الجنوب [باعتباره اقليما واحدا] مجلس تشريعى وهيئة تنفيذية موازية لهما سلطات كافية لتسيير الامور المحلية فى الجنوب ، وتفصيل هذه الخطة نجده فى برنامجنا وعلى ذلك فان القضاء على النظام البيروقراطى للادارة العامة والبوليس وعلى نظام الزعماء المعينين ذلك النظام الوراثى الطويل الامد واستبدال كل ذلك بهيئات منتخبة هو جوهر الحل السياسى لمشكلة الجنوب » نشر النص الكامل لبرنامج حزب الجنوب الديمقراطى فى الطليعة عدد سبتمبر ١٩٦٩ ٠

٣— واعلن الحزب الشيوعى السودانى فى برنامجه المقر فى مؤتمره الرابع :

« تحالف قوى الثورة السودانية فى الشمال مع شعوب وقبائل جنوب البلاد على أساس ديمقراطى ومناهض للاستعمار بقيام حكم ذاتى فى الجنوب تحت قيادة جنوبية ربطت مصيرها بهذا التحالف !

برنامج الحزب الشيوعى السودانى الخرطوم — أكتوبر ١٩٦٧ — ص ١٩

٤— واعلن اتحاد القوى الاشتراكية : « مواجهة مشكلة الجنوب بشقيها الوطنى والديمقراطى وذلك باتخاذ الاجراءات الكفيلة بوحدة البلاد والنهوض بحريتها الوطنية وقفل السبل التى يدخل بها النفوذ الاجنبى فى شئون بلادنا ، وفى نفس الوقت مواجهة هذه المشكلة باعتبارها قضية ديمقراطية تشكل جزءا من الثورة الديمقراطية فى بلادنا . ان الاحزاب التقليدية التى تتاجر بقضية الجنوب وتفسد الحياة السياسية فى هذا الجزء من الوطن مسئولة عن التدهور الراهن هناك . نحن نرى أن يوقف هذا العبث وأن يجرى اصلاح ديمقراطى الوضع فى الجنوب وذلك بقيام حكم ذاتى للجنوب يطور من ثقافته ويبنى وحدته مع الوطن السودانى على أساس الرضا والتعاون » .

ميثاق اتحاد القوى الاشتراكية الخرطوم — ابرايل ١٩٦٨ ص ٣٠

الجنوب • ان عدونا المشترك الذى يجب أن توحد جهدنا جميعا لسد الطريق أمام مخططاته ومؤامراته هو الامبريالية والاستعمار الذى يستغل الشعوب العربية والافريقية » • وقررت الحكومة أنه من أجل الاعداد لليوم الذى يستطيع فيه شعبنا فى الجنوب ممارسة حقه فى الحكم الاقليمى •

١ ـ استمرار ومد فترة قانون العفو العام •

٢ ـ وضع برنامج اقتصادى اجتماعى ثقافى للجنوب •

٣ ـ تعيين وزير لشئون الجنوب •

٤ ـ تدريب كادر متمرس لتولى المسئولية •

وأقرت الحكومة برنامجا للعمل تضمن نقطتين بالاضافة الى النقاط الاربع السابقة :

١ ـ انشاء لجنة خاصة بالتخطيط الاقتصادى للجنوب •

٢ ـ ميزانية خاصة بالجنوب •

وبذلك انتصر الحل الذى قدمته قوى « الاشتراكية العلمية » فى السودان والذى رفضته القوى التقليدية فى السودان • ولكن الطريق الى تطبيق هذا الحل كان صعبا (٢) • فالاستعمار القديم والحديث والرجعية لم تكن بغافلة عن النتائج التى ستترتب على تطبيق مثل هذا الحل الثورى ، ليس بالنسبة للسودان وحده ـ ولكن بالنسبة للقارة الافريقية كلها ـ اذ أن نجاحه يعنى امكانية تعايش القوميات الافريقية العديدة فى اطار الوطن الواحد ، وبداية انتهاء عصر التقسيم الداخلى لافريقيا ـ على أسس قومية وعرقية ودينية ـ افريقيا الوثنية وافريقيا المسلمة وافريقيا المسيحية ، وأفريقيا العربية وأفريقيا الزنجية •

ومن ناحية أخرى فان اعلان أى حل لمشكلة الجنوب لا يمكن أن ينعزل عن برنامج للتطور الاجتماعى والاقتصادى وتبنى خطة للتنمية والقضاء على التخلف ـ وبذلك يفقد الاستعمار التربة الصالحة لاستمراره ـ التخلف ـ الامر الذى ادى بقوى الاستعمار العاملة فى القارة ، تواجه هذا الموقف بمخطط مضاد • فبعد أن كانت قوى التمرد قد فقدت الكثير من قدراتها العسكرية وخاصة فى فترة التعاون الكامل بين حكومة الثورة المضادة فى الشمال والدوائر الاستعمارية الغربية وخاصة الولايات المتحدة وألمانيا الغربية ، فانه بعد اعلان التاسع من يونيو ١٩٦٩ الخاص بالوصول الى حل سلمى لقضية الجنوب ـ نشطت هذه الدوائر ، وعادت للعمل بقدرة عسكرية مكثفة ، ودخلت اسرائيل الى الميدان بهدف فتح جبهة داخلية فى افريقيا تغرق فيها مجموعة حركة التحرر الوطنية فى المنطقة ـ بهدف تشتيت قواها وتوزيعها •

وهكذا وجدنا أنه فى الفترة من يوليو ١٩٦٩ حتى نهاية العام اتسع نشاط المتمردين بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ التمرد • فشهدنا زيادة نشاط ما سمى « بحكومة النيل الانتقالية » والتى كانت قد تأسست فى مارس ١٩٦٩ برئاسة آلان غوردون الذى كان قد انشق من قبل على اقرى جادين رئيس حكومة جنوب السودان الانتقالية •

دور اسرائيل ومؤسسات التبشير الاجنبية

وقد جاء تشكيل حكومة النيل نتيجة للخلافات والصراعات القبلية والاطماع الشخصية ، الصراع بين القبائل النيلية نفسها الدينكا والباريا وشبه الباريا • وقد غذت الدوائر الكنسية الغربية هذا الصراع ، وعمل مع هذه الحكومة المرتزق الفرنسى كابتن آرماند وهو من بقايا مرتزقة بيافرا • ونجد كذلك حكومة انيدى الانتقالية وقد قامت هذه الحكومة فى يوليو ١٩٦٩ بانشقاق الجناح المسلح فى حكومة أقرى جادين والمعروف باسم الانيانيا وقد تأسست هذه الحكومة بقيادة الجنرال أميديو تافانج ، الذى اعلن انه اختار اسم انيدى لان اسم النيل يرتبط بالعرب فى الشمال، ولاسرائيل دور بارز فى تأسيس هذه الحكومة ، ويشترك فى قوات الانيانيا العقيد جيمس لورو وهو الذى يتولى الاشراف على مد المتمردين بالسلاح وقد تلقى تدريبه فى اسرائيل وزارها فى ١٩٦٩ للحصول على مزيد من العون ، وحكومة انيدى هذه هى التى كان يتعاون معها المرتزق الالمانى الغربى شتاينر •

ونشطت فى هذه الفترة مجموعة تعمل مباشرة مع اسرائيل يقودها الكولونيل جوزيف لاقو ، وهو من زعماء الانيانيا ـ وكان على اتصال مباشر مع

(٢) الطريق العلمى لحل مشكلة جنوب السودان ـ جوزيف قرنق ـ الطليعة سبتمبر ١٩٦٩.

اسرائيل تمده بالسلاح والمال ، وتقوم بتدريب رجاله فى معاهدها العسكرية وتقيم له المعسكرات والمطارات ، وعاد لاقو من اسرائيل فى ١٩٦٩ بعد أن درس مع الاسرائيليين مخططا كاملا للعمل ، وعند عودته كان معه مدربان اسرائيليان وطبيبة اسرائيلية ، ثم اخذت بعد ذلك تفد الى المنطقة أعداد كبيرة من العسكريين والفنيين الاسرائيليين . لقد ازداد نشاط اسرائيل أكثر من أى وقت مضى فى ١٩٦٩ لاشعال الفتنة فى جنوب السودان كجزء من مخططها العدوانى ضد الشعوب العربية وكجزء من استراتيجيتها المتعلقة بالقتال فى الشرق الاوسط وباعتبارها رأس حربة للاستعمار الحديث فى افريقيا .

وارتبط التمرد فى جنوب السودان بنشاط متعدد النواحى حيث مارست هيئات عديدة أخرى النشاط الاستعمارى التخريبى متخفية خلف لافتات الدين أو تقديم العون للاجئين . وفى الجنوب عملت أكثر من اربعة عشر هيئة كنسية ودولية : **المنظمة البروتستنتية الالمانية ، والوكالة الامريكية الدولية للتنمية ، والوكالة الكاثوليكية للمساعدات** ، وهى مؤسسة تتبع الكنيسة الكاثوليكية ولها فروع فى معظم الدول الغربية والولايات المتحدة ، **والمجلس العالمى للكنائس ، والمجلس الوطنى للكنائس فى الولايات المتحدة الامريكية** وهو يتعاون مع القس **دون ماكلور** الذى تقدم له عونا خاصا لتنظيم وتدريب المتمردين ومدهم بالسلاح ولتوصيل العون المادى للساسة الجنوبيين ، ومؤسسة **كاريتاس الدولية** وهى مؤسسة فرنسية تابعة للكنيسة الكاثوليكية ، وسبق لهذه الهيئة أن قدمت أسلحة وذخيرة للانفصاليين فى بيافرا ، **ورابطة كنائس السودان** وتضم القساوسة المبعدين من السودان وبعض كبار الموظفين البريطانيين المحالين الى المعاش ممن سبق لهم الخدمة فى حكومة السودان ومقرها بريطانيا . **ومجلس الكنائس باديس ابابا** برئاسة القس **دون ماكلور** ، **وكنيسة الاباء الفيرونيين** وتضم القساوسة الذين كانوا يعملون فى منطقة الزاندى ويرأسها المطران **دومينكو فرارا** ومجال نشاطها بين اللاجئين فى الكونغو كنشاسا **وجماعة الاكسيون ميدكو** وهى هيئة المانية غربية يرأسها الدكتور **ديتريش لوبا** ومقرها فرانكفورت ، **وجمعية مساعدة افريقيا** وهى هيئة كاثوليكية المانية غربية (فرانكفورت) **ولجنة الانقاذ الدولية** ومقرها لندن وهى تتعاون كذلك مع القس دون ماكلور والذى حصل من هذه الهيئة على طائرات صغيرة ليتجول بها بين معسكرات المتمردين واللاجئين ، **واللجنة الدولية الجامعية لتبادل** الصداقة (بليدن — هولندة) وجامعة اليسوعيين بانتريب ببلجيكا **والهيئة العالمية لخدمة الجامعات** بجنيف ، **ومجلس المهاجرين الدانمركى ومجلس المهاجرين النرويجى** .

لقد كانت هناك أهداف عديدة من هذا النشاط الاستعمارى المكثف فى جنوب السودان ، من بينها : استخدام استمرار الحرب فى الجنوب كوسيلة لاستنزاف أكبر جزء من ميزانية الحكومة السودانية ، لينفق على العمل العسكرى بدلا من انفاقه فى خطط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . ان ازدياد نشاط المتمردين يزيد من الاحتكاك والصدام بين السودان والدول الافريقية المجاورة مما يضعف التضامن والوحدة داخل منظمة الوحدة الافريقية ، استخدام أوضاع القتال المرهقة فى الجنوب كعامل للضغط على حكومة مايو — التى أعلنت انتهاج خط عربى افريقى معاد للاستعمار والصهيونية ، والتى ابدت تعاونا مع مصر ، واتجهت الى التعاون مع المعسكر الاشتراكى ، والتى بدأت فى الداخل تعتمد أساسا على القوى الثورية والمنظمات الجماهيرية الديمقراطية — اتحادات العمال والمعلمين والنساء والمزارعين .. الخ — بينما أخذت تضرب بعنف الطائفية والرجعية ومنظماتها الحزبية ومؤسساتها القبلية والاجتماعية .

ان استمرار التمرد فى الجنوب فى هذه المرة كان يستهدف الحيلولة دون استمرار الثورة بآفاقها الاجتماعية والتحررية والديمقراطية — بينما تعاون اليمين الرجعى الجنوبى — مع يمين ورجعية الشمال بعد أكتوبر فى اجهاض أكتوبر ، فقد استمر التمرد بعد مايو متعاونا مع اليمين المضروب لاجهاض مايو ، لقد كان هدف الثورة المضادة واحد بعد اكتوبر وبعد مايو — وكل ما تغير هو التكتيك ومخططات الاجهاض والاستيعاب والاحاطة . لقد دخلت كل قوى الغرب المضروبة بعد مايو ميدان العمل بكل ما تملك من خبرة وامكانيات فى اجهاض الثورات . وكانت ألمانيا الغربية والمخابرات الامريكية والبريطانية فى عمل مستمر من أهم ركائزه استمرار التمرد لارهاق الرجال واستنزاف طاقاتهم — ولعرقلة أى تطور ديمقراطى وثورى ، ولاتاحة الفرص لقوى اليمين حتى وهى تضرب بعنف — فى أبا — أن تستمر فى نشاطها ، ولتحطم وحدة قواها الثورية ، ولتغرق فى صراعات دموية ، وليكسر عمودها الفقرى الذى لا يمكن له ان يستقيم دون تحقق وحدته مع حركة التحرر العربية وفى مقدمتها مصر وحركة الثورة العالمية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

واذ تنبهت القوى الثورية لهذا المخطط منذ البداية ، فقد عملت على مواجهته — بالعمل السياسى والعسكرى — قال جوزيف قرنق فى مؤتمره الصحفى فى ١٠ ابريل ١٩٧٠ فى لندن :

« ولكى نضع عملية الحكم الذاتى المحلى موضع التنفيذ فاننا قد قمنا باتصالات مع القـادة السياسيين الجنوبيين الذين يعيشون خارج البلاد خاصة أولئك الذين يعيشون فى أوغندا • ففى شهر يوليو الماضى قمت بزيارة لكمبالا واجريت مناقشات مع ممثلى مختلف «حكومات المنفى» والتقيت بالسيد بقوردون ماير من « حكومة النيل المؤقتة » وبالسيد افرى جادين من حكومة ازانيا ، وبعدد كبير من الجنوبيين الاخرين • ويستمر فى حديثه قائلا : « لقد دعوناهم بالفعل وبصورة علنية لان يعودوا لوضع تفاصيل الحكم المحلى » •

ومع استمرار العمل السياسى ــ استمر العمل العسكرى حيث وجه ضربات متتالية فى أواخر ١٩٧٠ واوائـل ١٩٧١ لجيش الانيانيـا وقيـادته الالمانيـة الغربيـة ــ الاسرائيلية ــ عندمـا اعتقل المرتزق الالمانى الغربى رالف شتاينر •

ونشطت المنظمات الجماهيرية والديمقراطية ــ لمواجهة النشاط الاستعمارى على النطاق الدولى • وبمبادرة من اتحاد نقابات عمال السـودان وسكرتيـره العـام تـم الاتفـاق مـع الاتحاد العـالمى للنقابات ، على عقـد اجتمـاع نقـابى دولى ينظمـه المجلس العـام للنقـابات فى السودان والذى يضم اتحاد عمال السـودان واتحاد الموظفين واتحادات المعلمين • وقد انعقد المؤتمر ٢١ وفدا يمثلون مختلف بلاد العالم فى ١٩٧١ فى الخرطوم • وقـد اشترك فى هـذا المؤتمر ٢١ وفدا يمثلون مختلف بلاد العالم فى أوروبا الغربية وافريقيا والبلاد الاشتراكية • كما أشترك فى المؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات واتحاد نقابات عموم افريقيا ، والاتحاد الدولى لنقـابات العمـال العرب ، والمجـلس المركـزى للنقـابات السـوفيتية ، وأعلـن المـؤتمر فـى بيـانه الختامى : « اذ نلاحظ فى اعجاب وتقدير عظيمين الدور الذى تقوم به الحركة النقابية السودانية وعلى رأسها المجلس العام للنقـابـات بالسودان وخاصة دوره الايجابى حيال قضية جنـوب السودان ومجهوداته لتأسيس حركة نقـابية وديمقراطية فى جنوب السودان تلتصق وتتفاعل مع الحركة النقابية والديمقراطية بالشمال وكذلك فى دعمـه الايجـابى لموقف السلطة الثـورية بالسودان من قضية الحل السلمى الديمقراطى الذى اتخذته سياسة ثابتة لها •

« فنعلن نحن المؤتمرين بعد اطلاعنا على الوثائق والمعلومات والحقائق التى قدمها لنا المجلس العام للنقابات بالسودان والمداولات التى جرت اثنـاء جلسات المؤتمر والتى شملت مناقشات موضوعية هادفة وصريحة نعلن :

١ ــ مشكلة جنوب السودان هى من صنع الاستعمار ، وان تطوراتها وتعقيداتها نتجت أساسا بسبب التدخل المستمر من جـانب القـوى الاستعمارية بهدف خلق قاعدة للاستعمار تكون مصدر تهديد لجميع شعوب القارة الافريقية وخلق عازل بين الحركة السياسية فى البلاد الافريقية ويهدف لتفتيت الوحدة الوطنية للشعب السودانى ولتكون عائقا للتطور الاقتصادى والاجتماعى لذلك الجزء من الوطن السودانى • ولقد لقى مئـات المواطنين السودانيين بسببهـا الموت والتشريد •

٢ ــ ان الحل الديمقراطى السلمى ــ الحكم الذاتى ــ الاقليمى فى اطار السودان الموحد ــ بمحتواه الديمقراطى التقدمى الذى أعلنته السلطة الثورية السودانية •• وتؤيده الحركة النقـابية والذى يشمل برامج للتطور الاجتماعى لذلك الجزء ليلحق بركب الشمال وتدريب الكوادر من أبناء الجنوب لتحمل مسئولياتهم •• وخلق حـركة ديمقراطية فى الجنوب متفاعلة وملتصقة برصيفتها ذلك الحل الذى اتخذته السلطة التقدمية بجمهورية السودان الديمقراطية سياسة ثابتة معلنة وجادة نحو الجنوب ، وشرعت فى تنفيذها وخاصة التنمية التى اختطتها لذلك الجزء من القطر والخطوات التى اتخذت لاستقرار المواطنين ، كل ذلك يمثل قاعدة سليمة لحل مشكلـة الجنوب حلا سلميـا وعادلا يحفظ للبلاد وحدتها ويؤمن استقلالها ويؤكد تطورها •

٣ ــ ويدعو المؤتمرون كافة المخلصين من أبناء جنوب السودان المقيمين خارج القطر أن يعودوا الى الوطن للمشاركة فـى عمليـة البنـاء والاستقرار •

٤ــ ينادى المجتمعون بأن تتضافر جهـود العاملين الافارقة وفى مختلف بلاد العالم لكشف نشـاط الاسـتعمار ، والاسـتعمار الحـديث والصـهيونية العـالمية وتـوضيح مخـاطرهم لشعوبهم •

٥ ــ يدين المجتمعون النشـــاط والتـدخل الاستعمارى والامبريالى والصهيونى فى جنوب السودان ويناشدون جميع تنظيمات العـاملين بالبلاد الافريقية • وفى مختلف بلاد العالم أن يتعرفوا على حقائق هـذه القضية ويؤكدون انهم بدورهم سيستغلون كافة الوسائل المتاحة لهـم لتعريف جماهير تنظيماتهم وشعوبهم بها ، ويلعبون دورا اساسيا فى توضيح الابعاد الحقيقية لقضية التمرد بجنوب السودان باعتبارها مشكلـة تهدد استقلال أى قطر افريقى » •

آمال .. تتبدد

وكان التحرك السودانى ـ قد تمكن فى مايو ١٩٧١ ، وبعد رحلات لزيارة أوروبا قام بهـا **جوزيف قرنق** وزير الجنوب السودانى حينئذ ، **وابيل الير** الوزير الجنوبى الاخر فى الوزارة السودانية ـ حاليا نائب رئيس الجمهورية ووزير الجنـوب ، قد تمكنا من الاتصـــال بكثير من التجمعات فى الدول الاسكندنافية والتى كان هدفها جمع المال لمساعدة اللاجئين الجنوبيين فى البلدان الافريقية المجاورة . ونتيجة هذه الاتصـالات والنشاط الدولى ـ اضطر مجلس الكنائس العالمى الى ارسال وفدمكون منافريقيين وآخر منامريكا اللاتينية ـ لزياره الجنوب . وقد ابدى هذا الوفد الرغبة فى المساعدة على حل مشكلة الجنوب والمساهمة فى التنمية وخلق علاقات حسنة مع حكومة السودان واللاجئين والمواطنين الجنوبيين الذين يحملون السلاح . وقد كان من العوامل الهامة التى دفعت مجلس الكنائس العالمى الى احداث تغييرات فى موقفه ـ انفضاح المخطـط الاستعمارى الخاص بالجنوب عالميا بعد القاء القبض على المرتزق الالمانى الغربى **رالف شتاينر** ، وانفضـاح علاقة اسرائيل الوثيقه بحركةالتمرد فى الجنوب . فجاء التكتيك الجديد لمجلس الكنائس العالمى حتى لا يؤدى الموقف الى انفضاح طبيعته الامبريالية ، وعجزه عن مواصلة دوره كمؤسسة تعمل لحساب الدوائر الامبريالية فى البلـدان النامية وبلدان التحرر العالمى تحت اللافتـة الدينية (٣) .

واخيرا ووسط ظلال قاتمة عديدة امكن فى فبراير الماضى التوصل الى اتفاق مع المتمردين ـ بمقتضاه يمنح الجنوب حكما ذاتيا محليا فى اطار السودان الموحد .

ومن بين هذه العوامل تصاعد النضال العربى الافريقى ضد اسرائيل ـ واسرائيل هى القـوة الرئيسية خلف **جوزيف لاقو** (وليس جوزيف لاقو ممثلا لكل الجنوب ولكنه قائد أخطر منظماتها العسكرية « الانيانيا ») . واتجاه بعض دول الحدود الى تصفية الخلافات بينها لتواجه الاخطار التى تهدد نظمها ـ فالنظام الاثيوبى وقمتـه التقليدية وبما لها من نفوذ شخصى على كثير من الزعامات الافريقية ، فى صراع داخلى معقد ، المصالح ، والقواعد الامريكية وسيطرة المخابرات الاسرائيلية على أجهزة أمنه ، وانتفاضة الفلاحين المسلحة والحرب التحريرية فى اريتريا ، وقـد طهرت صفوف قيادتها فى العام الماضى من اليمين الرجعى والعنصرى أثر المؤتمر الاخير لجبهـة التحرير الاريترية . واوغندة تواجه معركة مـع شعب الباجندا ، والسيطرة الاسرائيلية على مرافق البلاد أصبحت تمثل خطرا يهدد وجود نظام عيدى أمين نفسه . وتشاد تواجه صراعا داخليا يتحول الى حرب أهلية ، وعدد من القبائل فى افريقيا الوسطى وكينيا تتجه لحمل السلاح كمتمـردى الجنوب .

ومن هذه العوامل أن عددا من البلدان الغربية مثل المانيا الغربية ، والتى كانت تمد المتمردين بكل انواع العون ، أصبحت تفضل ضمانا لمصالحها أن توقف هذا العون ، وأن تضغط على قوى التمرد ، وأن تقبل العمل مع الحكومة المركزية وترضى بالحل السلمى (٤) و (٥) .

جاء فى تعليق للكاتب المصرى المتخصص فى الشئون الافريقية د . **عبد الملك عوده** بجريدة الاهرام : « هذه التغيرات فى داخل القضيـة صاحبها تغير فى موازين القوى السياسية فى الدول المحيطة جغرافيا بالسودان ، فلقد تمت شبكة واسعة من الاتصالات المتبادلة بين الخـرطوم

[٣] من الملاحظ أن الكنيسة الكاثوليكية بدأت تغير من مخططاتها فى المجـالات الـدولية حتى تتمكن من الاستمرار فى نشاطها الاستعمارى المفضوح فى بلدان العالم الثالث ـ وقد حدث ذلك بالنسبة لنشاطها فى الحركة النقابية الدولية ـ عندما غير الاتحاد الدولى للنقـــابات المسيحية اسمه الى الاتحاد الدولى للعمل

[٤] عقـد مندوبو مجلس الـكنائس العالمى الذين اشتركوا فى محادثات أديس أبابا مؤتمرا صحفيا فى جنيف أكدوا فيه أنهم سيوجهون نداء الى دول العالم كلها لتقف مع السودان ، وهو يعمل لبنـــاء وحدته ومستقبله ، كما أنهم سيوجهون نداء آخر الى جميع المؤسسات الدولية يحفزونها لتقدم العون للسودان [الصحافة السودانية ـ ١٩٧٢/٣/٢] .

[٥] أعلنت ألمانيا الغربية غـــداة اعلان الاتفاق عن تقديم قرض للسودان قدره ٥٥ مليون مارك ألمانى .

وعواصم هذه الدول • ونشير بالذات الى مؤتمر تجمع دول شرق وسط افريقيا فى الصومال الذى حضرته ١٦ دولة فى النصف الثانى من اكتوبر ١٩٧١ ، وكان هدف المؤتمر هو تنمية علاقات حسن الجوار والتعاون المتبادلة بين دول المنطقة خلال تبادل غير رسمى للاراء والرأى الراجح أن المؤتمر اتاح الفرصة للاقتراب من نقطة التفاهم ، كما أن الاتصالات والزيارات بين الخرطوم واديس أبابا أسهمت فى التقارب • ولكن التغير فى سياسة أوغندا الخارجية يمثل الحركة الاخيرة فى اتجاه الجماعات الجنوبية للالتقاء حول مائدة المفاوضات » .

« ان التغير فى موازين القوى السياسية فى هذه الدول المحيطة ليس حدثا طارئا أو مجردا ـ انما هو تعبير عما يعيش فى أعماق مجتمعاتها من مشكلات وتعقيدات وعما تحس به من آثار للصراع والتنافس الذى جاء به النفوذ الاجنبى الى بلادها تحت شعار مساعدة الجنوبيين ودعم قضيتهم » .

وكانت اللقاءات والمفاوضات التى بدأت منذ اكتوبر ١٩٧١ بين مندوبى حكومة جمهورية السودان الديمقراطية والمتمردين عبر الحدود وفى البلدان المجاورة قد انتهت الى قبول المتمردين الحوار على أساس السياسة المعلنة من قبل الحكومة السودانية فى ٩ يونيو ١٩٦٩ والقائمة على أساس الحكم الاقليمى فى اطار السودان الموحد •

وانتهت المفاوضات فى نهاية شهر فبراير ١٩٧٢ الى قبول ممثلى التمرد فى جنوب السودان للحكم الاقليمى على أساس لجنة الاثنى عشر المنبثقة عن مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٦٥) والذى مثلت فيه كل الاحزاب السودانية حينئذ (٦) .

واثر الاتفاق الذى توصل اليه فى اديس أبابا فى السابع والعشرين من فبراير الماضى اعلن رئيس جمهورية السودان وقف اطلاق النار فى الجنوب ، وأصدر « **قانون الحكم الذاتى الاقليمى للمديريات الجنوبية لسنة ١٩٧٢ ، ليبدأ العمل به من اليوم** الثالث من شهر مارس ١٩٧٢ . ووفق هذا القانون : « تصبح المديريات الجنوبية للسودان اقليما يتمتع بالحكم الذاتى الاقليمى فى نطاق جمهورية السودان الديمقراطية ويعرف (باقليم جنوب السودان) : المادة (٣) و « تسكون لاقليم جنوب السودان أجهزة تشريعية وتنفيذية تمارس الاختصاصات والسلطات التى يحددها هذا القانون » المادة (٤) .

وحدد القانون عددا من المسائل القومية التى لا تخضع للاختصاص التشريعى والتنفيذى لاقليم جنوب السودان، فنصت المادة (٦) على انه : « لايجوز لمجلس الشعب الاقليمى ، او المجلس التنفيذى العالى ان يصدر تشريعا ، أو يمارس اية سلطة بشأن المسائل ذات الطابع القومى المذكور فيما بعد : **أولا** ـ الدفاع الوطنى . ثانيا ـ الشئون الخارجية . ثالثا ـ العملة والنقد . رابعا ـ النقل الجوى والنقل النهرى عبر القطر . خامسا ـ المواصلات السلكية واللاسلكية سادسا ـ الجمارك والتجارة الخارجية ما عدا تجارة الحدود والتجارة فى بعض السلع التى تعينها الحكومة الاقليمية بموافقة الحكومة المركزية سابعا ـ الجنسية والهجرة . ثامنا ـ التخطيط للتنمية الاقتصادية الاجتماعية . تاسعا ـ التخطيط التربوى . عاشرا ـ المراجعة العامة .

ومنح القانون مجلس الشعب لاقليم جنوب السودان السلطة التشريعية فى ذلك الاقليم : « يمارس مجلس الشعب الاقليمى الذى ينتخبه المواطنون السودانيون الذين يقيمون فى اقليم جنوب السودان السلطة التشريعية فى ذلك الاقليم (مادة ٧ فقرة (١)) وتحدد هذه السلطات التشريعية فى ـ حفظ النظام العام والامن الداخلى ، وادارة الاقليم وتنميته ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا (المادة ١٠ الفقرات من أ الى د) ونص القانون على اسناد السلطة التنفيذية الاقليمية الى مجلس تنفيذى عال يباشرها نيابة عن الرئيس (مادة ١٦) ، ويعين رئيس المجلس التنفيذى العالى بقرار من رئيس الجمهورية (مادة ١٨) • ومنح القانون سلطات لمجلس الشعب الاقليمى فى فرض الرسوم والضرائب وكافة الموارد المالية (الفصل السابع ـ المواد ٢٤ ، ٢٥) .

---

[٦] بعد ثورة اكتوبر ١٩٦٤ عقد مؤتمر المائدة المستديرة من ١٦ الى ١٩ مارس ١٩٦٥ واشتركت فيه أحزاب : الوطنى الاتحادى ـ الشعب الديمقراطى ـ حزب الامة ـ جبهة الهيئات ـ الاتحاد الوطنى الافريقى السودانى [سانو] ـ والحزب الشيوعى السودانى ـ جبهة الميثاق ـ جبهة الجنوب ـ وشهده مندوبون من الدول الافريقية ومصر ، وأعلن المؤتمر : ١ ـ ضرورة تحقيق الوئام الوطنى • ٢ ـ ان الاختلافات فى وجهات النظر لا يتعذر حلها • ٣ ـ ان الطرق السلمية هى السبيل الوحيد لحسم تلك الخلافات . واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات لاعادة الاحوال فى الجنوب الى الاوضاع العادية ، ولرفع حالة الطوارىء واستيعاب حكم القانون . واوكل مؤتمر المائدة الى لجنة من اثنى عشر عضوا بحث الوضع الدستورى والادارى للبلاد والذى يضمن مصالح الجنوب الخاصة ومصالح البلاد العامة . وقد اقرت اللجنة مشروعا لقانون الحكم الشعبى الاقليمى لكل السودان .

وعن القوات المسلحة وتشكيلها نص القانون على انه لمواطنى اقليم جنوب السودان نسبة من مجموعة قوات الشعب المسلحة وذلك باعداد تتناسب والحجم السكانى لاقليم جنوب السودان (المادة ٢٦) وتعنى هذه المادة قومية الجيش وقومية قيادته ، وتمثيل الجنوبيين بنسبة قبائلهم .

وكفل القانون – حرية التنقل لكافة المواطنين المقيمين باقليم جنوب السودان مادة ٣١ – وبذلك تنتهى كل آثار قوانين الاستعمار البريطانى عن المناطق المغلقة . كما كفل لكافة المواطنين المقيمين باقليم جنوب السودان الفرص المتكافئة فى التعليم والتخديم والتجارة ومباشرة اى مهنة مشروعة – مادة ٣٢ فقرة (١) – ونص على أنه « لا يجوز المساس بحقوق المواطنين المذكورة فى البند – ١ – من هذه المادة بسبب العنصر أو الاصل القبلى أو الدين ، أو مكان الميلاد ، او الجنس – « مادة ٣٢ فقرة (٢) .

وحدد القانون فى المادة (٣٣) ان جوبا عاصمة للاقليم الجنوبى ومقرا للهيئتين التنفيذية والتشريعية .

ان وقف الدماء التى استمرت تتفجر فى جنوب السودان سبعة عشر عاما متواصلة ، ووقف تخريب المدارس والمستشفيات ومنع رياح التطور من أن تهب على جنوب السودان ، واستمراره فى وضعه المتخلف حيث يعيش الانسان فى القرن العشرين عيشة انسان الغابة منذ عشرات الالوف من السنين . ان وقف اطلاق النار فى جنوب السودان هو انتصار للانسان وهزيمة للاستعمار القديم والحديث،ان هزيمة الانفصاليين هيهزيمة لصانعى الانفصالات ، والثورات المضادة فى افريقيا . يقول جوزيف فرلق فى محاضرته فى أبريل ١٩٧٠ السابق الاشارة اليها : « لن نقبل الانفصال فى عالم يقترب من بعضه فى كل يوم . يكفى ما عانته الدنيا من انقسام فى كوريا وفيتنام والهند وفلسطين وبيافرا وكل الالام البشرية التى نشأت عن هذا وما أحدثته من توتر . على الذين يقومون بتسليح المتمردين ان يدركوا هذا ، ولكننا مقتنعون بأن الشعوب فى كل مكان سوف تعرف الحقيقة . كل الشعوب بصرف النظر عن اجناسها والوانها ومعتقداتها الدينية كلها طيبة وتحب الخير للاخرين » .

. أن تحقيق الحكم الذاتى لاقليم جنوب السودان – انما يتحقق بالمواجهة الثوريه الجادة لكل مخططات الاستعمار القديم ، ولكل نشاط الاستعمار الحديث واسرائيل فى افريقيا – « انه رغم تأكد الشعب السودانى من هزيمة كل مخططات الامبرياليين ،فان افضل سلاح هو ان نحقق الحكم الذاتى الاقليمى،وان تنجز المشروعات الاقتصادية والاجتماعية فى الجنوب ، ان ذلك سوف يدفع جماهير الجنوب لتكون ضد الاسلحة الامبريالية (٧) .

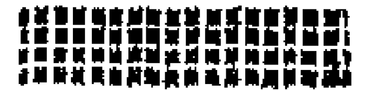
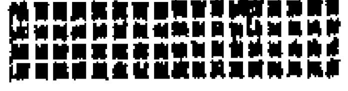
وأنه فى نفس الوقت الذى تتوقف فيه طلقات الرصاص فى جنوب السودان باعلان قانون الحكم الذاتى والاتفاق مع المتمردين والوكالات والهيئات الغربية والكنسية العاملة فى افريقيا – فان التطبيق الامثل لنظام الحكم الذاتى سيتوقف على مدى الديمقراطية الحقيقية للنظام السودانى . هذه الديمقراطية التى لا يمكن الحديث عنها مع غياب الوجود الحقيقى للمنظمات الديمقراطية والجماهيرية وفرض القيود عليها . ان خلوالميدان فى جنوب السودان من المنظمات الديمقراطية والجماهيرية والثورية سيفتح الطريقواسعا أمام المنظمات والهيئات الكنسية والغربية ، وأمام المؤسسات القبلية المتخلفة والتى ارتبطت كياناتها العسكرية والسياسية بدوائر استعمارية واسرائيليةورجعية . والخطرالاخر الذىيواجههذا القانون فى التطبيق هو ما يسمى بالاتجاه الافريقى المستقل عنالاتجاه العربى.ان اىبعدعن الشمال العربى – هو فى الحقيقة جزء من استراتيجية الاستعمار الحديث لعزل حركة التحرر الافريقية عن أكثر أجزاء الثورة الوطنية التقدمية تقدما – اعنى حركة التحرر العربية وفى مقدمتها الحركة الوطنية المصرية بافاق عدائها العميق للامبريالية وكلمشروعاتها . انمايسمى بالافريقيةالخالصة – البعيدة عن ما يسمى «بالعروبة» وخاصة بالنسبة لبلدان شرق ووسط افريقيا هيجزء من المشروع الاستعمارى القديم المعروف بالحزام الافريقى – والذى هزمه نضال الشعب السودانى متضامنا مع نضال الشعوب العربية الافريقية طيلة السنوات الماضية . ان عودة شعار الافريقية الخالصةيهدد بعودة مشروع الحزام الافريقى ،وبازدياد نشاط قوى الثورة المضادة ، ونمو الاتجاهات الرجعية المدعومة منالغرب الاستعمارى ،وتصاعد اعمالها لضرب القوى الثورية والوطنية الديمقراطية .

---

[٧] جوزيف فرلق – مقاله عن« مؤامرات الامبريالية ضد السودان »– العدد ٢ من آفاق جديدة التى يصدرها مجلس السلم العالمى .

أردن الملك ..

الوجه الآخر لاسرائيل

اثار المشروع الذى تقدم به الملك حسين اخيرا ، عن انشاء ما يسمى « بالمملكة العربية المتحدة » على ضفتى نهر الاردن الشرقية والغربية ، جدلا شديدا فى العالم العربى ، نظرا لما ينطوى عليه مثل هذا المشروع من اثار ضخمة واخطار لا على قضية الشعب الفلسطينى فحسب وانما على المعركة الشاملة التى تخوضها الامة العربية اليوم ، ضد العدوان الاسرائيلى ــ الامريكى ، والتى يتوقف على نتيجتها مصير هذه الامة فى الفترة التاريخية الراهنة ، فأما النجاح فى تصفية المؤامرة الامبريالية الحالية ، والحفاظ على الاستقلال الوطنى للدول العربية المستقلة وتطويرها فى اتجاه ديمقراطى شعبى ، واما العودة مرة اخرى الى حظيرة التبعية الاستعمارية ، حيث تنتقل سلطة اصدار القرارات السياسية المتعلقة بمصير الشرق العربى ومستقبله من العواصم العربية وشعوبها الى تل ابيب وسادتها من الامبرياليين الامريكيين والغربيين .

ولذا ، ونظرا للاهمية غير العادية للخطوة « الاردنية » الاخيرة ، رأت الطليعة ان تخصص الدراسة الرئيسية لهذا العدد لتتبع حقيقة الدور الذى

قامت به المملكه الاردنيه الهاشميه منذ ان اسست باسم اماره شرقى الاردن حتى الان لا بالنسبة لقضية الشعب الفلسطينى فحسب ، والتى اتضح دورها فيها بجلاء منذ احداث سبتمبر ١٩٧٠ ، وانما بالنسبة لقضية تقدم المشرق العربى عامة وطموحه ونضاله من اجل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . وعديد من هذه الصفحات التى تقدمها الطليعة عن دور الدولة الاردنية ودور « قادتها » و « اشرافها » و « ملوكها » انما يستهدف ادخال عدد من الحقائق والوقائع ـ التى اضحت فترة فى دائرة الماضى والتاريخ الى دائرة الضوء الكاشف فى الفترة التاريخية الراهنة ، حتى لا تنقطع الصلة بين ماضى هذه الدولة وحاضرها وحتى يتضح الاتساق التاريخى والمنطقى فى حقيقة الدور الذى يقوم به هؤلاء الملوك والقادة والاشراف فى تاريخ التطور الوطنى والتقدمى للعالم العربى. ذلك ان الصراع حاليا فى هذا العالم هو بين خطين : فأما ان يخضع العالم العربى ويركع امام تل ابيب ، واما ان يكون لهذه الامة من المقدرة السياسية والاقتصادية والعسكرية ما يكفل لها ـ على اقل تقدير ـ الحفاظ على استقلالها وحماية ترابها الوطنى ، فضلا عن تحقيق آمالها فى التحرر الاقتصادى والاجتماعى .

(١)

الحركة الوطنية في مواجهة المخططات الامبريالية



وديع أمين

قبل ان تضع الحرب العالمية الاولى اوزارها وهزيمة تركيا والمانيا ، كانت الاحتكارات البريطانية والفرنسية قد توصلت الى اتفاق بشأن تقسيم البلدان العربية الخاضعة للاستعمار العثماني وقتئذ ، وفقا لما عرف باتفاقية **سايكس – بيكو** فى منتصف عام ١٩١٦ ٠

وكانت بريطانيا زعيمة الاستعمار العالمي تخطط قبل هذا التاريخ لاعادة رسم خريطة منطقة الشرق الاوسط من جديد بما يتمشى مع مصالح احتكاراتها للسيطرة على المنطقة ونهب ثرواتها ، ولم يكن الامر يتطلب سوى وجود الادوات او الاشخاص الذين يقبلون التعاون مع بريطانيا العظمى والقيام بدور الواجهات العربية فى المنطقة التى كانت تئن تحت وطأة الاستغلال والاستبداد العثماني ٠

بطل من صنع المخابرات

ونشط رجال « المكتب العربي » بدار المعتمد البريطاني بمصر ، الذى كان يدير جهاز المخابرات البريطانية فى منطقة الشرق الاوسط فى ذلك الوقت تحت اشراف السير **هنرى مكماهون** المعتمد البريطاني ، فى البحث عن الممثلين الذين يمكن الاعتماد عليهم فى تنفيذ المخطط البريطاني ٠ ولقد اجمعت الدراسات وتقارير المخابرات البريطانية على تزكية وترشيح الشريف **حسين بن على** « أمير الحجاز » ٠ وذلك نظرا لمكانته الدينية والسياسية بين العرب ، وتاريخ أسرته العريقة الذى يزعمون انها تمتد الى أسرة **بنى هاشم** فى صدر الاسلام ٠٠ ومن ناحية اخرى فهو يمثل أملا عربيا فى الخلاص من الاستبداد والاستغلال العثماني ، وتلتف حوله الزعامات العشائرية والاقطاعية فى المنطقة ، وكانت خطة بريطانيا تهدف الى تجنيد الشريف حسين واولاده ومن ورائه الامة العربية لخوض الحرب ضد تركيا ، على أساس وعد منها بمنح العرب الاستقلال وتعيين الشريف حسين ملكا على الامة العربية فور انتهاء الحرب ٠

كما تكشف الوقائع التاريخية ان الاسرة الهاشمية كانت تعلم بموضوع الاتفاقية البريطانية الفرنسية السرية لتقسيم البلدان العربية ، وانه فى شهر مايو عام ١٩١٧ زار **جدة** كل من **مارك سايكس** وزير خارجية بريطانيا **وجورج بيكو** وزير خارجية فرنسا على رأس وفد رسمى واجتمعا بالشريف حسين ليشرحا له مضمون الاتفاقية وانها لا تتعارض مع اتفاقية مكماهون التى عقدت معه من قبل ٠ وكان بطلا الاتفاقية قد مرا بمصر اثناء رحلتهم الى جدة ، وقد خطب جورج بيكو فى جمع من السوريين المقيمين فى القاهرة ، واعلن ان الحلفاء **اختاروا فرنسا وصية على سوريا** » ٠ مما أثار شكوك السوريين ، واخذوا ينتقدون الشريف حسين وتعاونه مع الحلفاء ويطالبون

بتخلى الحركة العربية عن مساندة بـريطانيا ، وخشى الشريف حسين من تناقل العرب اخبار المؤامرة وافساد سياسته مع بريطانيا ، وبعث اليهم برسله يطمئنهم ويكذب هذه المعلومات • غير ان تتابع الحوادث بعد ذلك قد دعم من شكوكهم فى خديعة الحسين ، كذلك عمل الحسين على منع الوطنيين العرب من متابعة القضايا القـومية وحصرها كلها فى يديه • وفى ذلك الوقت نقلت صحف القاهرة فى شهر نوفمبر ١٩١٧ خبر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا للمليونير الصهيونى روتشيلد بتأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، كما اخذت الانباء تتحدث عن اتفاقية سايكس ـ بيكو وقد فشلت كل المحاولات البريطانية لتكتم هذه الاخبار أو تكذيبها (١) •

وتؤكد الوقائع مرة اخرى مدى انغماس وتواطؤ الاسرة الهاشمية فى المؤامرة الاستعمارية والاشتراك فى تنفيذ وعد بلفور • وقد لعب **الكوماندور هوجارث** احد المسئولين فى المكتب العربى بالقاهرة دورا هاما فى التفاوض مع الشريف حسين واقناعه بأهمية وعد بلفور : « وان الوعد لا يعرض العرب لحكم اليهود قط • وأخذ يصور لـه حسنات وهمية يجنيها العرب من تاسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، منها ان صداقة الصهيونيين للعرب تتيح للهاشميين صداقة دول كثيرة تخضع للنفوذ الصهيونى • وان يهود اوروبا وامريكا سيهاجرون الى فلسطين ويستغلون ثرواتهم لاستغلالها فى البلاد واشراك العرب بارباحها ، وقد وافق الحسين على الفكرة واعلن ترحيبه باليهود فى كل البلاد العربية • ولكن هوجارث لم يكتم سخريته من حماس الحسين ، وقال ان عميد الهاشميين وافق على مشروعه دون ان يعرف شيئا عن واقع فلسطين الاقتصادى » (٢)

وقد كتب الحسين نفسه مقالا فى جريده « القبلة » التى تصدر فى مكة بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩١٨ ، يمتدح فيه الهجرة اليهودية الى فلسطين ويشيد بآثرها فى تطوير البلاد ويعلن تشجيعه لها ، ولم يجد الحسين فى مقاله فرقا بين اليهود والصهيونيين ، ولم يجد فى الصهيونية الا حركة سامية لا اعتراض عليها (٣) •

تحالف الاضداد

وقد تم اعداد **لقاء بين الزعيم الصهيونى الدكتور حاييم وايزمان وبين الامير فيصل نجل الحسين** والقائد العام للجيش العربى بترتيب من الجنرال اللنبى القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط ، حيث تم اللقاء بين الزعيمين الصهيونى والعربى فى مقر قيادة الامير فيصل فى العقبة ، **وبحضور الكولونيل جويس** القائد البريطانى الذى قام بدور المترجم بين فيصل ووايزمان •

ويتحدث وايزمان عن هذا اللقاء التاريخى فيقول : « وفى اليوم الثانى اجتمعت بفيصل وكان محاطا بمقاتليه كما كان عنده **الكولونيل لورنس** ، وسالنى اسئلة كثيرة عن البرنامج الصهيونى ووجدت انه يعلم الشىء الكثير ، **وكانت فلسطين وشرقى الاردن حينذاك قطرا واحدا** ، واكدت له ان هناك مجالا واسعا فى البلاد اذا تمت المشاريع الانشائية ، وان العرب سيستفيدون كثيرا ووجدت ان الامير كان موافقا على آرائى كل الموافقة ، وقد اكد لى لورنس ذلك كتابة فيما بعد » •

« وكانت الحرب لا تزال قائمة وفى حالة حرجة • وقد يظن ان الحديث لم يكن هاما او ان فيصلا لم يعتبره جديا وان سلوكه كان نتيجة الاداب العربية المعروفة • لكن الزمن اثبت فيما بعد أنه كان جادا وصادقا فى قوله لى أنه يرغب رغبة اكيدة صادقة لان يقوم تعاون صحيح بين العرب واليهود فى مؤتمر الصلح القادم ، وان مصير الشعبين مرتبط بالشرق الاوسط ويجب ان يعتمد على حسن نوايا الدول الكبرى » ••

« ودام الحديث ساعتين •• وقد علمت فيما بعد ان الشريف حسين لم يعترض على ما أبداه فيصل من آراء ، ووضعت هذه المقابلة مع فيصل أساس صداقة مدى الحياة بيننا • وقابلت الامير فيما بعد مرات كثيرة فى أوروبا ، وقد نشأ عن مباحثاتنا عقد اتفاق وضعه الكولونيل لورنس ووقعه الامير فيصل كما وقعته أنا • وقد نشر هذا الاتفاق فى مناسبات كثيرة ، وفى وثائق انجليزية وفرنسية دبلوماسية » (٤) •

---

[١] « الهاشميون وقضية فلسطين » تأليف : الدكتور انيس صايغ ـ منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية . صيدا ـ بيروت ١٩٦٦ . ص ٦٢ ـ ٦٦ •
[٢] المصدر السابق ص ٦٧ •
[٣] المصدر السابق ص ٦٨ •
[٤] « مذكرات وايزمان » ـ ترجمها عن العبرية والانجليزية ، نخبـة من الشباب الفلسطينى ـ الناشر : رشاد الشهابى . مطبعة نهضة مصر . ص ٨٥ ـ ٨٧ •

وقد تم التوقيـــع على الاتفـاق بين الزعيمين العربى والصهيونى فى لندن بتاريخ ٣ ـ ١ ـ ١٩١٩ ، ومن بين المواد التى تضمنها الاتفاق « عند انشاء دستور ادارة فلسطين تتخذ جميـــع الاجراءات التى من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ ، ويجب أن تتخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع ، والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين فى الارض عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة (٥) ·

سيطرة الاقطاع على الحـــركة القـــومية

كانت الحركة القومية العربية فى ذلك الوقت مفتتة وموزعة بين الجمعيات الاسلامية والمسيحية العديدة ، التى يتزعمها الاقطاعيون وزعمـاء العشائر الدينيين ،وطبقةالوجهاء والاعيان ، والذين كانوا يحتكرون العمل السياسى فى كافة مدن واقضية الشام · وكانت هذه القيادات بحكم انتماءاتها الطبقية وايديولوجياتها الاقطـاعية والدينية المحافظة عاجزة عن القيام بدور فعال ومؤثر فى الكفاح · ولقد اقتصر كفاح هـذه الجمعيات على اقامة المهرجانات والقاء الخطب التى تهاجم الصهيونية ، وارسال البرقيات الى قنصليات فرنسا وبريطانيا والى قائد قوات الحلفاء فى مدينة القدس للاحتجاج على تدفق المهاجرين اليهود ، وذلك بالاضافة الى اعمال المقـاومة الضعيفة المتفرقة والانتفـاضات الجمـــاهيرية الفاشلة ·· ثم تطور هذا الشكل من الكفاح فيما بعد الى صورة أخرى هى المؤتمرات السياسية ، وكانت معظم قيادات هذه المؤتمرات من اعضاء تلك الجمعيات الاسلامية والمسيحية السابقة ·

وعقد المؤتمر الفلسطينى الاول فى مدينة القدس فى فبراير عام ١٩١٩ : « **ويستفاد من تقرير أعده الكابتن « كامب » من دائرة المخابرات البريطانية عن المؤتمر أن ١١ مندوبا من بين مجموع المندوبين البالغ عددهم ٢٧ مندوبا كانوا موالين لبريطانيا ، وكان اثنان منهم موالين لفرنسا ، واثنان آخران ليست لهما ارتباطات سياسية معينة · أما الباقون وعددهم ١٢ مندوبا فقد كانوا من انصار الوحدة العربيه** · (ج · ن · كامب ، المؤتمر الفلسطينى ١٥ ـ ٢ ـ ١٩١٩ ـ وزارة الخارجية البريطانية ٣٧١ ـ ٤١٥٣) (٦) · وأصدر المؤتمر ميثـاقا قوميا يتضمن البنود الثلاثة الاتية : ـ رفض وعد بلفور والحركة الصهيونية والانتداب البريطانى ٢ ـ اعتبار فلسطين جزءا من سوريا وتسميتها سوريا الجنوبية ٣ ـ استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية الشاملة ·

وفى السابع من يونيو عام ١٩١٩ عقد المؤتمر السورى الاول فى دمشق ، **وضم ٨٠ مندوبا منهم** ٢٠ من فلسطين ، حيث وافق المؤتمر على الميثاق القومى للمؤتمر الفلسطينى ، بالاضافة الى : رفض الانتداب الفرنسى على سوريا ، والاستعانة بامريكا التى لا مطامع استعمارية لها اذا كان لابد من تطبيق الانتداب او الاستعانة ببريطانيا ويرفض أن يكون مثل هذا الحق لفرنسا ، واقامة حكومة ملكية ديمقراطية وتعيين فيصل ملكا على سوريا ·

واخذت بريطانيا تسحب قواتها من ســوريا تنفيذا لاتفاقية سايكس بيكو ، بعد أن تم تصفية الخلاف بين بريطانيا وفرنسا حول ولاية الموصل الغنية بالبترول التابعه لسوريا ، وتنازل فرنسا بريطانيا عن ولاية الموصل وضمها الى العراق الخاضع للاحتلال البريطانى ، وذلك فى مقابل حصول فرنسا على حصة من بترول الموصل ·· وسافر الامير فيصل الى فرنسا للتفـاوض بخصوص تنفيذ « مطالب الشعب السورى » فى الاستقلال ووحدة أراضى ســوريا الطبيعيـة (سوريا ، لبنان ، فلسطين) ·· « ولـكنه عـاد باتفاق وقعه مع كليمنصو رئيس وزراء فرنسا قبل فيه الانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان ، كما قبل تجزئة البلاد الى لبنان وسوريا وفلسطين ، وقبول الوضع الخاص لبريطانيـــا فى فلسطين ، وبـــرر فيصل خيانته بأنه رضوخ للظروف القـاهرة · ورفض الشعب الخضوع لهذا الاتفاق ولو أدى ذلك الى الاشتباك مع بريطانيا وفرنسا ، وفى ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٢٠ أرسل القائد الفرنسى الى الملك فيصل انذارا يقضى بتسليم سوريا لفرنسا ، وقبل فيصل الانذار رغم رفض الشعب له ، وطلب المؤتمر الوطنى السورى من فيصل الحضور لتوضيح موقفه ، واصدر بيانا اعتبر الحكومة القائمة غير شرعية ، وأصدر فيصل هو الاخر مرسوما ملكيا بتعطيل جلسات المؤتمر لمدة شهرين وبدأ فى تنفيذ الانذار الفرنسى » (٧) وهب الشعب السورى

---

[٥] « الثورة العربية الكبرى فى فلسطين » . تاليف : صبحى ياسين ، الناشر النادى الفلسطينى العربى بالقاهرة ص ١٣ .

[٦] « تاريخ فلسطين الحديث » . تاليف : الدكتور عبد الوهاب كيالى . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، نوفمبر ١٩٧٠ ص ١٢٥ .

[٧] « الى اين يتجه الاردن » تاليف : سمير التنداوى . الناشر ، الدار المصرية للكتب . ص ٩ ـ ١٠ .

للدفاع عن استقلاله ووحدته ولمواجهة زحف الجيوش الفرنسية ودارت معارك بين قوتين غير متكافئتين وانتهت باستيلاء الفرنسيين على سوريا ، وما صاحبه من انتكاس الحركة القومية العربية .

موظفون في وزارة المستعمرات البريطانية

ان خيانة فيصل نجل الشريف حسين وغدره بالحركة القومية العربية ، لم يكن يعني سوى نهاية فصل ، وبداية فصل جديد من تاريخ خيانة الاسرة الهاشمية .

ففي عام ١٩٢٠ قام **ونستون تشرشل وزير** المستعمرات البريطاني « بتعيين » **فيصل** ملكا على العراق عقب استفتاء نظمته المخابرات البريطانية ، وفي العام التالي قام تشرشل بتعيين **الامير عبد** الله نجل الشريف حسين وشقيق فيصل أميرا على امارة شرقي الاردن ، بعد اقتطاع الجزء من الاراضي الواقع شرقي نهر الاردن من أراضي فلسطين لتكون امارة مستقلة ..

وهكذا وجد الحكم الاردني منذ البداية على حساب قضية فلسطين ، مما ادى الى خلق ترابط وثيق بين الاردن وفلسطين او اسرائيل فيما بعد في خدمة الاهداف الاستعمارية في منطقة الشرق الاوسط .

ان تقسيم البلدان العربية بين الاستعمار البريطاني والفرنسي ، قد أدى بالتالي الى تفتيت الحركه القومية العربية في المنطقة ، وأصبح على كل من هده الحركات أن تستقل بنفسها داخل حدودها الجديدة التي فرضتها القوى الاستعمارية وأقرها مؤتمر الصلح وعصبة الامم في ذلك الوقت .

ولقد كانت هناك عوامل عديدة تحكم طبيعة الحركة الوطنية في الاردن ، نتيجة عدم وجود قاعدة اجتماعية جماهيرية ، بسبب تميز هذا الجزء من الارض الواقعة شرقي نهر الاردن عن بقية اجزاء بلاد الشام كصحراء واسعة ، ووجود مجتمع قبلي عشائري حيث يعيش حوالي ٣٠٠ر١٠٠ شخص معظمهم من البدو الرحل . وحيث تسود العلاقات الاقتصادية المتخلفة القائمة على تربية الماشية والابل ، والزراعة البدائية التي تعتمد على الامطار ، ولقد أدى هذا الوضع الاقتصادي والاجتماعي الشديد التخلف ، الى انعدام الظروف الموضوعية لنشوء الحركة الوطنية في الاردن في ذلك الوقت .

وفي ظل هذه الظروف الملائمة تحدد دور الامير عبد الله منذ توليه امارة شرقي الاردن في عام ١٩٢١ ، في العمل على حراسة المصالح الاستعمارية في المنطقة ، ومنع النشاط المناهض للوجود البريطاني والصهيوني والفرنسي من الاراضي الاردنية ، « وذلك بعد تكرار هجمات عرب منطقة عجلون على المستعمرات الاسرائيلية في وادي بيسان في عام ١٩٢٠ ، وتصدي القوات البريطانية للمهاجمين ، وسقوط الشهداء الاردنيين . وتجريد حملات القمع ضد عرب الكورة بزعامة الشيخ كليب الشريرة في مايو عام ١٩٢١ ، ثم في عام ١٩٢٢ بمشاركة الانجليز . وتجريد حملة لاعتقال القائمين بمحاولة اغتيال الجنرال جورو الفرنسي من الوطنيين السوريين عام ١٩٢١ ، وتراجع السلطة الاردنية عن ذلك ازاء ثورة عرب شرقي الاردن في وجه محاولة السلطة بقيادة سعيد خير ومثقال الفايز وحديثة الخريشة وصايل الهشوان ، غير أن الامير عبد الله صمت على الموضوع ثلاث سنوات وقام عام ١٩٢٤ بنفي القائمين بالمحاولة . وتجريد حملة على الكرك والطفيلة عام ١٩٢٢ ، وشهد العام نفسه محاولة ملاحقة الزعيم السوري سلطان الاطرش ورجاله بعد لجوئهم الى الاردن .. وقمع حركة الاحتجاج الوطنية التي تزعمها سلطان العدوان عام ١٩٢٣ . وطرد الوطنيين السوريين من الاردن ونفيهم الى خارجه عام ١٩٢٤ بعد أن اشتدت حركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة حوران وجبل العرب . وقال الامير عبد الله في تبرير هذا التصرف آنذاك في خطاب له : « ان الذين يشجعون رجال العصابات أو يقبلون حمايتهم في هذه المنطقة انما يخونون أنفسهم وبلادهم ونحن لا نريد أن نكون خطرا على غيرنا » ، وقمع ثورة وادي موسى عام ١٩٢٦ والتي انفجرت بعدما انتشر بين العشائر هناك انباء اخضاع الاردن للمستعمر الاجنبي » (٨) .

تكوين الطبقات الاجتماعية وظهور المعارضة الوطنية

وشهد الاردن عقب الحرب العالمية الاولى تطورات هامة نتيجة ربط الاردن بالسوق

---

[٨] « معضلة الاردن » بقلم : عبدالرحمن غنيم ، مجلة الطلائع ، تصدرهامنظمة الصاعقة الفلسطينية ١٩٧٠/١٠/٢٦ .

الرأسمالي العالمي ، وخلق المجتمع الجديد على الاساس الرأسمالي والتبعية للاحتكارات البريطانية ، والتي تمثلت في : « زيادة المساحة المزروعة لتمويل الجيوش البريطانية المرابطة في المنطقة ، نمو قطاع الخدمات ، نشوء الاجهزة الحكومية ، ازدياد عدد المدارس في المدن الرئيسية لسد احتياجات وظائف الدولة ، ظهور قوى أمن وبوليس داخلي وفصائل عسكرية ذات تركيب عشائري ، مد خطوط مواصلات ، اعادة تقسيم البلاد اداريا » (٩) · وقد ساهمت هذه التغييرات في تطوير وصياغة بنية المجتمع الاقتصادية ، ونشوء وتكوين الطبقات الاجتماعية ذات المصالح المتعارضة فيما بينها ، وتوفر بذلك الاساس المادي والمحرك للتطور الاجتماعي ، ونمت الطبقات مع النمو الاقتصادي والاجتماعي في البلاد ، والاحساس بوطأة النفوذ والسيطرة البريطانية على البلاد ·

وكان ذلك باعثا على ظهور المعارضة الوطنية في البلاد عام ١٩٢٨ ، عندما اخذت بريطانيا تشدد من قبضتها وسيطرتها على البلاد وتضفي صفة الشرعية على وجودها في الاردن ، عن طريق توقيع معاهدة مع الامير عبد الله ، تقضي بمنح امارة شرق الاردن الاستقلال الذاتي ، وتكوين مجلس تشريعي وبقاء الجيوش البريطانية ، ومنح المعتمد البريطاني حق اصدار القوانين وتنفيذها ، والاشراف على مالية الدولة ، وتولي الحكومة البريطانية التمثيل السياسي لشرق الاردن لدى البلاد الاخرى ·

ولم تكن هذه المعارضة ذات طابع جماهيري واسع ، وكانت تتكون من الشخصيات البارزة من المثقفين البورجوازيين الذين تلقوا العلم في سوريا وتأثروا بالحركة الوطنية هناك ، ومن بعض العناصر الاقطاعية وزعماء العشائر « والتي كانت تعاني من الاستعمار البريطاني والعناصر الرأسمالية من العرب التي جاءت الى الاردن في ركاب الاستعمار البريطاني وتعاونوا معه ، وكان الشعار الرئيسي للحركة الوطنية هو « الاردن للاردنيين » وكانت الانتهازية تنخر في صفوفها مما سهل على الاستعمار البريطاني تحطيمها وابرام المعاهدة » (١٠) ·

وبالاضافة الى هذا لم تكن السلطات البريطانية تستطيع ان تحول دون تفاعل الاردنيين مع اخوانهم الفلسطينيين على النحو الذي تم من مشاركة الاردنيين في المؤتمر الفلسطيني الذي عقد اثر هبة البراق في فلسطين في شهر اغسطس عام ١٩٢٩ : « وقد علق المعتمد البريطاني على مشاركة الاردنيين في احد تقاريره بقوله : لقد ابقى شرق الاردن بمنأى عن اضطرابات شهر اغسطس لانه لم تكن هناك خطة معدة للعمل ، ولكن اذا نظمت في المستقبل اضطرابات اخرى ضد اليهود ، فانني اخشى أن لا تلتزم البلاد الهدوء كما فعلت في السابق » (١١) ·

وكان استمرار هذه الحوادث باعثا على تنبيه الانجليز بالنسبة للمستقبل ، والخوف من تصاعد الحركة الوطنية ، ومن أن تنتقل الى الاردن عدوى الثورة الفلسطينية التي كانت تنذر بالانفجار في ذلك الوقت ، فقامت في عام ١٩٣١ بتعيين الضابط البريطاني جلوب قائدا لقوات البادية (وقد اصبح قائدا عاما للجيش الاردني فيما بعد) وقام جلوب بتنظيم وتوسيع قوات البادية « الفيلق العربي » واذكاء روح العداء بين القبائل العشائرية ضد الجماهير الشعبية في المدن لضمان ولائها في مواجهة الحركة الوطنية « واصدر قانون العشائر الذي يجعل العشائر مسئولة امام قائد الجيش وحده ، وسلب الحكومة سلطة الاشراف عليها ، ووضعت ميزانية خاصة للجيش يشرف على تنفيذها قائد الجيش بالاتصال مع وزارة الحربية البريطانية » (١٢) ·

ولعبت قوات البادية أو الفيلق العربي دورا خطيرا في قمع الثورة الفلسطينية خلال اعوام ٣٦ ـ ١٩٣٩ وقمع ثورة العراق ضد بريطانيا عام ١٩٤١ وكذلك تولى مهمة حراسة خطوط انابيب البترول والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية ·

ومرت فترة طويلة قبل أن تعود الحركة الوطنية الى الظهور من جديد ، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، التي كانت من آثارها ان ساهمت الى حد كبير في نمو المجتمع الاردني وظهور كيان الرأسمالية المحلية من فئات التجار ، والمقاولين ، والرأسمالية الكبيرة (الكومبرادورية) من المستوردين ووكلاء الشركات الاحتكارية

---

[٩] « التعليم والانتاج في الاردن » بقلم : عصام احمد ـ مجلة دراسات عربية ـ نوفمبر ١٩٧١ ، ص ١١.
[١٠] « الاردن ومؤامرات الاستعمار» تاليف : صوان الجاسر ، ونعمان ابوياسم ، الناشر ، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ص ١١
[١١] « فتح » الجريدة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧١/١٠/٢٧.
[١٢] صوان الجاسر ، ونعمان أبوياسم ـ مصدر سابق ـ ص ١٣

البريطانية ، وكان من آثارها ايضا ان خلفت وراءها جيش كبير من العمال والموظفين العاطلين بعد زوال فترة الرخاء والرواج المصطنع خلال سنوات الحرب ٠

الخيانة الهاشمية وتقسيم فلسطين

فى شهر مارس عام ١٩٤٨ نشرت الجريدة الرسمية نصوص المعاهدة البريطانية الاردنية الجديدة والمعدلة للمعاهدة البريطانية الاردنية التى ابرمت عام ١٩٤٦ ٠ وقد نصت المعاهدة الجديدة على بقاء القوات البريطانية فى عمان وغيرها من الاماكن ، وعدم اتخاذ الاردن أية خطوة الا بعد مشاورة الحكومة البريطانية ٠ وكان اعلان تفاصيل المعاهدة سببا فى تفجير غضبة الجماهير الاردنية بقيادة عناصر من مثقفى الطبقة الوسطى الصاعدة ، ووقوع الاضطرابات والمظاهرات فى المدن الاردنية ، احتجاجا على المعاهدة التى تجعل من الاردن مستعمرة بريطانية ٠٠

وكانت لهذه المعاهدة نتائجها الخطيرة فى التمهيد لمأساة فلسطين بعد ذلك ، والتى انتهت بتقسيم فلسطين وفقا لحدود وقف اطلاق النار ، والتسليم بقيام دولة اسرائيل فى الاراضى التى احتلتها ، وضم الضفة الغربية الى شرق الاردن لتصبح جزءا من المملكة الهاشمية : « وذلك رغم المعارضة الشديدة للعناصر الوطنية الفلسطينية لقرار الضم ، اذ رأت فيه تصفية فعلية لقضية فلسطين واجراء لحماية اسرائيل » (١٣) ٠

وقد صح ما توقعته القوى الوطنية الفلسطينية من خيانة الملك عبد الله ، وهو ما كشفت عنه الوثائق التاريخية التى نشرت بعد ذلك حول « الاجتماع السرى الذى تم فى ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٤٨ فى مشروع روتنبرج بجسر المجامع بين الملك عبد الله وموسى شرتوك الزعيم الصهيونى وبحضور محمد الشنقيطى قاضى القضاة فى الاردن ودسكر المعروف باسم أبو يوسف مدير مشروع روتنبرج وقائد عصابات الهاجاناة الصهيونية فى المنطقة ، وذلك قبل الغاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ . وما اتفق عليه فى ذلك الاجتماع وهو قبول الطرفين لمشروع التقسيم والعمل على تنفيذه ـ ثم الاجتماع السرى الثانى الذى تم فى مساء يوم ١١ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ بين جولدا مائير والملك عبد الله فى قصر محمد الضباطى مدير الخاصة الملكية بالقرب من عمان » (١٤) ٠

ظهور الاحزاب الوطنية

وكان لنتيجة ضم الضفة الغربية والحاقها بالمملكة الاردنية ، آثار هامة بعيدة المدى على الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الاردن ، وتضاعف عدد السكان مرتين ، كما كانت له اثاره الايجابية على نمو وتطور الحركة الوطنية وانتعاش التجارة واشتداد ساعد الطبقة البورجوازية الوطنية التى اخذت تلعب دورا متزايدا فى الحركة الوطنية ، وانتعاش الحركة الثقافية ، واتساع الطبقة العاملة ، وظهور الحركة النقابية والتنظيمات العمالية والطلابية ، والتوسع فى ادخال الشباب الفلسطينى فى الجيش الاردنى ، وظهور احزاب عقائدية تشمل الضفتين الغربية والشرقية مثل حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الشيوعى (١٥) وظهور الحزب الوطنى الاشتراكى فى عام ١٩٥٤ ممثلا لمصالح البورجوازية الوطنية ، وكان للحزب الشيوعى الاردنى الذى يتمتع بتأييد واسع بين جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وبين الطلاب واللاجئين دورا أساسيا فى الحركة الوطنية ، وتوحيد القوى الوطنية والديمقراطية وتحديد الشعارات الاساسية للحركة الوطنية سواء ما تعلق منها بالغاء المعاهدة البريطانية ورفض الاحلاف العسكرية وجلاء القوات البريطانية ، او تلك التى تتناول القضايا الداخلية كالحكومة الوطنية ، والحريات الديمقراطية والدفاع عن مصالح الجماهير الشعبية ورفع مستوى معيشتها ونشر الفكر الاشتراكى العلمى بينها ، والتضامن مع حركة التحرر العربية ، والدعوة الى الوحدة العربية على أساس التحرر والديمقراطية وقد أكدت تجربة السنوات الطويلة الماضية انصهار ووحدة سكان الضفتين من خلال النضال المشترك ضد القوى الرجعية والامبريالية والصهيونية ٠

الصراع بين أمـريكا وبريطانيا عـلى الاردن

وشهدت الفترة التالية لحرب فلسطين وقيام دولة اسرائيل ازدياد نشاط الاستعمار الامريكى بصورة واضحة فى منطقة الشرق الاوسط للحلول محل الاستعمار البريطانى القديم فى الدول العربية ، وذلك عن طريق برامج المساعدات والمعونات الامريكية ، واستطاعت الاحتكارات

---

[١٣] صوان الجابر ، ونعمان ابوباسم . مصدر سابق . ص ١٥ .
[١٤] مذكرات عبدالله التل . تاليف : عبد الله التل . ص ٦٥ ـ ٦٦ .
[١٥] صوان الجابر ، ونعمان ابو باسم . مصدر سابق . ص [illegible]

الامريكية التسلل الى الاردن فى أعقاب حادث اغتيال الملك عبد الله على يد المناضل الفلسطينى محمد عشو فى شهر يوليو عام ١٩٥١ فى ساحة المسجد الاقصى ، وتنصيب ابنه طلال ملكا على الاردن ، وكان معروفا بعدائه للانجليز والجنرال جلوب باشا قائد الجيش الاردنى واخذ طلال يعمل على استبدال الاستعمار البريطانى بالاستعمار الامريكى ، وفتح أبواب الاردن أمام الاحتكارات الامريكيةمتخفية وراء مشاريع النقطة الرابعة للمساعدة الاقتصادية والفنية ، ودخل خبراء الاحتكارات ومعهم خبراء وكالة المخابرات المركزية وخبراء البنتاجون العسكريين الامريكيين ، وبحجة عمل الدراسات وجميع الاحصائيات اخذوا ينتشرون فى جميع أركان البلاد وأجهزة الدولة •

وقد احدثت سياسة الملك طلال فى الاتجاه نحو الولايات المتحدة والتمرد على بريطانيا ، ازعاجا داخل الاسرة الهاشمية التى تدين بوجودها للاستعمار البريطانى ، فكانت ان تعاونت فى عزل الملك طلال والمجىء بابنه الصبى حسين خريج كلية ساند هيرست الحربية البريطانية فى شهر مايو عام ١٩٥٣ ملكا على الاردن ، واعتبر هذا الاجراء انتصارا للنفوذ البريطانى فى الاردن •

هزيمة حلف بغداد فى الاردن

واخذت بريطانيا تعد لربط الاردن بحلف بغداد ، ومن ثم راحت تعمل على تكبيل القوى الوطنية فى الاردن عن طريق القوانين التعسفية مثل قانون الدفاع المعدل ، وقانون الصحافة ، والاحزاب ، وقانون مكافحة الشيوعية المعدل ، بغرض تهديد الجماهير وأرهابها ، وتم التصديق على هذه القوانين من مجلس الشيوخ ،بالرغم من معارضة البرلمان الشديدة لهذه القوانين الجائرة والمناهضة للحريات ، ثم قامت وزارة توفيق ابو الهدى بحل البرلمان فى منتصف عام ١٩٥٤ ، وتعطيل الصحف ، واجراء حركة اعتقالات واسعة شملت الكثير من اعضاء الاحزاب الوطنية والتنظيمات الشعبية ، تمهيدا لاجراء انتخابات جديدة فى ظل الارهاب وانعدام الحريات الديمقراطية ، وبالرغم من ذلك استطاعت الجماهير ان توصل الى داخل البرلمان بعض العناصر الوطنية والديمقراطية والمعادية للاستعمار •

ولم تعد المؤامرة لجر الاردن الى حلف بغداد خافية على الشعب الاردنى اذ حضر فى ذلك الوقت جلال بايار رئيس جمهورية تركيا ورسول الحلف الى الاردن لاجراء المباحثات وعرض شروط الانضمام الى الحلف ، فقوبل بالاضراب العام والمظاهرات الصاخبة من الجماهير • وكان من الواضح اصرار بريطانيا على فرض الحلف على الشعب الاردنى بالقوة ، وعزل الاردن عن حركة التحرر العربى وتطويق سوريا ومصر بهدف الضغط على كل منهما للدخول فى الحلف •

وتأهبت جميع القوى الوطنية والتقدمية لمواجهة الموقف واستطاعت الحركة الوطنية ان تجتذب اليها العديد من ضباط وجنود الجيش من الوطنيين الاحرار ، واتخذت الحركة الوطنية فى ذلك الوقت مظهر الثورة العامة فى كافة مدن الضفتين الشرقية والغربية ، وخرجت الجماهير الغاضبة من العمال والطلبة والنساء تواجه فى اصرار رصاص بنادق ومصفحات الفيلق العربى من قوات البادية بقيادة الجنرال جلوب البريطانى وهاجمت الجماهير الثائرة قنصليات انجلترا وامريكا وفرنسا وتركيا ، واعتدوا على السفير البريطانى ، وسقط مئات القتلى والجرحى فى عمان والقدس ونابلس واريحا والخليل وبيت لحم ، واعتقال الالوف من المواطنين •• وعند ذلك لم يجد الملك حسين مفرا أمام ثورة الجماهير التى كانت تتسع باستمرار من ان يحنى رأسه أمام العاصفة خوفا من ان يكلفه عناده عرش أسرته ، والتراجع مؤقتا فى انتظار فرصة اخرى ••

واعلن الملك حسين تراجعه عن فكرة الانضمام الى حلف بغداد ، واقالة وزارة هزاع المجالى ، وطرد الجنرال جلوب والضباط البريطانيين من الاردن ، والموافقة على الغاء المعاهدة البريطانية الاردنية ، وكذلك الرضوخ لمطلب الجماهير بحل البرلمان الذى جاء عام ١٩٥٤ وزيفت فيه الانتخابات ، والدعوة لاجراء انتخابات عامة فى شهر اكتوبر عام ١٩٥٦ وفشلت كل محاولات الملك والرجعية لخداع وتضليل الجماهير • وقد جاءت هذه الانتخابات بأغلبية من الحزب الوطنى ، وتم تشكيل الوزارة الاردنية الجديدة برياسة سليمان النابلسى زعيم الحزب الوطنى •

وقامت حكومة النابلسى الوطنية بأعمال ايجابية كثيرة مثل طرد الضباط البريطانيين من الجيش ، والغاء المعاهدة البريطانية والغاء المعونة البريطانية واستبدالها بالمعونة العربية بموجب اتفاقية التضامن العربى ، وتوقيع التحالف العسكرى الثنائى مع مصر ، واطلاق الحريات العامة،والغاء القوانين الرجعية والمقيدة للحريات والمنافية للديمقراطية ، والشروع فى تطهير الاجهزة الحكومية من أعوان الاستعمار والرجعية واستبدالهم بعناصر وطنية ويسارية ، وتحقيق أشراف الحكومة على مشروعات النقطة الرابعة والحاق أموالها بميزانية الدولة ، وتجريد الخبراء الامريكان من سلطاتهم الادارية ، ومنع استقدام الخبراء الامريكان فى المستقبل الا بموافقة الحكومة ، واطلاق حرية التجارة مع جميع الدول ، وتبادل التمثيل السياسى مع بعض الدول الاشتراكية ، واتباع سياسة الحياد الايجابى •

الاستعمار الامريكي وراء الثـــورة المضــــادة

وكانت هذه الانتصارات الوطنية أكبر من أن تتحملها أعصاب الاستعمار والرجعية وهمـا يشاهدان تقلص نفوذهما ومصالحهما فى الاردن ، وراح الاستعمار الامريكي يعد للتدخل في الاردن وفرض مشروع ايزنهاور ، عن طريق الاستعانة بقوى الثورة المضادة فى الداخل ، وهو الاسلوب المميز لوكالة المخابرات المركزية الامريكيةفي قلب الحكومات الوطنية ٠

وشرع الملك حسين فى تنفيـذ المخطـط الاستعماري ، وأعلن في العاشر من ابريل ١٩٥٧ اقالة وزارة سليمان النابلسى متذرعا بـوجود وزيرين احدهما بعثي والاخر ماركسي ينتمي الى تنظيم الجبهة الوطنية ٠ وأصدر الملك بعد ذلك بيانا ندد فيه بالشيوعية والنشاط الشيوعى فى البلاد وطالب بالضرب بيد من حديد على كل من يدين بهذه المبادىء ، وكانت تلك هى اشارة الهجوم ، وبعدها تحركت جميع قوى الثورة المضادة السراي وشيوخ العشائر وقوات البدو والحزب الدستوري الاقطاعى بزعامة **سمير الرفاعي** رئيس الوزراء السابق ومستشار شركة التابلاين الامـريكية والاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسـلامي وعملاء المخابرات الامريكية والبريطانية فى أجهزة الامن والمخابرات الاردنية فى الجيش وفلـول عصابات القوميين السوريين الذين كانوا قد هربوا الى الاردن فى تلك الايام بعد فشل المـؤامرة الامريكية على سوريا ٠

وفى الخارج احتشدت قوات حلف بغداد فى العراق وتركيا على حدود سوريا لتهديدها ومنعها من التدخل لمساندة الحكم الوطنى ، كما احتشدت القوات الاسرائيلية على حدود الاردن ، وتجمع الاسطول السادس الامريكي فى ميناء بيـروت واعلن قائده « أن أسطوله مستعد لشق طريقه الى الاردن اذا اقتضى الامر » ٠

ونجح الاستعمار وقوى الثورة المضادة فـي الاطاحة بالحكم الوطني والعودة بالاردن مـرة أخرى الى احضان الرجعية والاستعمار ، واعلان الاحكام العرفية وتعطيل البرلمان وحل الاحزاب الوطنية ونقابات العمال واتحاد الطلبة ، وفصل مئات الموظفين والقبض على عشرات الضـباط الاحرار ، وزج بالالاف من المواطنين فى السجون والمعتقلات ، وسيق عشرات المواطنين والضباط الوطنيين الى ساحات الاعدام داخل معتقل **الجفرة والعبدلي** وفى الميادين العامة ، وقامت قوات البدو بحصد أرواح المواطنين المتظاهرين فى الشوارع برصاص مدافعها ، كما راحت عصابات الاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامي والقـوميين السوريين الفاشيست تغتال العناصر اليسـارية والتقدمية واشـاعة الارهـاب والذعـر بين المواطنين ٠ وأسفر الانقلاب عن أهدافه بالاعلان عن **قبول مشروع ايزنهاور** والدخـول فـى الاستراتيجية الامريكية فى الشرق الاوسـط ، والغاء جميع الاصلاحات والانجازات التى تمت على يد الحكم الوطنى من قبل ٠

ان الدروس المستفادة من تجربة انتكاسة الحكم الوطنى فى الاردن ، تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لقوى التحرر الوطنى العربية بالنظر لما ترتب على سقوط الحكم الوطنى من نتائج وخيمة على الحركة الوطنية فى الاردن مازالت تعانى منها حتـى اليوم ٠ وهو أن السبب فى هذه المأساة يقع أساسا على عاتق الحزب الوطنى الاشتراكى الممثل لمصالح طبقة الرأسمالية الوطنية الاردنية ، نتيجة طبيعة هذه الطبقة المزدوجة وهى العداء للاستعمار من ناحية والخوف من الجماهير من ناحية اخرى ، « واستفزازات الجناح اليمينى فى الحزب بزعامة انور الخطـيب للاحزاب التقدمـة ، واتصالاتـه المشبوهـة بالسراى خـــلال الازمـة» (١٦) وهو ما انعكس على سياسة الحزب الوطنـي الاشتراكى فى الحكم ، وفشله فى الاحتفـاظ بالسلطة على رأس وزارته والاستناد الى الاغلبية الوطنية والديمقراطية داخل البرلمان والتفـاف الجماهير حول الوزارة ، والتسليم بأوامر الملك حسين فى اقالة الوزارة ٠ وقد اتسم مـوقف الوزارة منذ بداية الازمة التى استمرت حوالى اربعة شهور بالتردد فى اتخاذ موقف واضح ازاء استفزازات الملك حسين والتحركات المشبوهة للقوى الرجعية ووضع حد لها قبل ان يستفحل الخطر ، كما يرجع الى قصور النظر وغرور السلطة والتهوين من قدرة الاعداء ، وعدم ادراك لحقيقة ابعاد المؤامرة الاستعمارية الرجعية وطبيعة الظروف التى تجتازها البلاد ، والمهام التى تتطلبها مرحلة التحرر الوطنى وما تتطلبه من السياسة الصريحة الواضحة والثبات فى العداء للاستعمار والرجعية ٠

الاردن فى قبضة الاستعمار الجديد

وكان لابد من مرور وقت ليس بالقصير لكى تستجمع الحركة الوطنية قوتها من جديد ، ويسترد الشعب الاردنى أنفاسه ويضمد جراحه عقـب الهجمة الشرسة للاستعمار الامريكي وقوى الثورة المضادة ، وأن يناضل بأشكال النضال المختلفة وممارسة مختلف الضغوط خلال السنوات التالية ، من أجل وقف أعمال التنكيل ضد القيادات التقدمية والوطنيـة ، واطـلاق سراح آلاف المعتقليـن والمسجونين السياسيين من اجـل المصـلحة الوطنية ٠

(١٦) الى « اين يتجه الاردن » مصـدر سابق ــ ص ٩٤

وقد استهدفت سياسة الاستعمار الجديد بعد عام ١٩٥٧ عزل الرأسمالية الوطنية عن بقية أجزاء الحركة الوطنية فى البلاد ، وذلك عن طريق اشراك الفئات العليا من هذه الطبقة فى السلطة ، ومنحها بعض الامتيازات المادية عن طريق الحماية الجمركية وانشاء بنك التنمية الصناعية والقروض والتسهيلات المالية ، وتسهيل اقامة صناعات تعتمد على مواد نصف مصنعة فى البلدان الرأسمالية المتقدمة ، كما حرصت على تحييد الاقسام الاخرى من الرأسمالية الوطنية بمدها بتيسيرات فى عمليات التجارة والتوزيع •

وأدت هذه السياسة الى احداث تغيير فى ميزان القوى الطبقية فى المجتمع نتيجة انتقال الفئات العليا من الرأسمالية الوطنية الى مواقع اليمين والتحالف مع طبقة الاقطاعيين والرأسمالية التجارية « الكومبرادورية » مما انعكس على تشكيل الوزارات والجيش والامن والبرلمان ، والى تعزيز مواقع البورجوازية البيروقراطية فى أجهزة الدولة ، فى ظل غياب الديمقراطية وانعدام الحريات العامة ، وسياسة العداء للجماهير الشعبية ، والتنكيل بالقوى الوطنية والتقدمية ، الامر الذى تسبب فى انزال أفدح الاضرار بالمصالح الوطنية ، نتيجة اهمال الخطر الاسرائيلى ، وعدم القيام بتعبئة وتسليح الجماهير فى الضفة العربية ، والانعزال عن حركة التحرر العربية ، مما أدى الى تسهيل مهمة العدوان الاسرائيلى الامبريالى فى يونيو عام ١٩٦٧ •

وقد نشأ عن ظروف العدوان الصهيونى الامبريالى فى يونيو عام ١٩٦٧ وضع جديد امام القوى الوطنية داخل الاردن ، ويتمثل فى ظهور نوع من التناقض بين السلطة الاردنية والاحتلال الصهيونى للضفة الغربية وجعل التناقضات الطبقية فى الداخل تتراجع الى الخلف أمام متطلبات المرحلة الجديدة فى النضال ضد العدو الاسرائيلى الامبريالى من أجل تحرير الارض •

وقد كشفت السنوات الماضية منذ عدوان يونيو عام ١٩٦٧ ، مدى عجز السلطة الحاكمة فى الاردن عن مواجهة متطلبات المعركة الوطنية لتحرير الجزء المحتل من أرض الوطن ، واستمرار السلطة الاردنية فى تعميق التناقضات مع الجماهير التى راحت تعبىء قواها للعمل من أجل تحرير الارض المغتصبة . وواصل النظام الاردنى الهجمات المسعورة ضد المنظمات الفدائية الفلسطينية ومنع نشاطها من الضفة الشرقية ، وشن حملات ضارية ضد القوى الوطنية الاردنية التى تقف الى جانب العمل الفدائى وتسانده ، وتتعرض بسبب ذلك للاعتقال والفصل من الوظائف ، وقد بلغ عدد المفصولين والمسرحين من الجيش وأجهزة الامن وبقية أجهزة الدولة من العناصر الوطنية الشريفة منذ حرب يونيو حتى الان ما يزيد عن خمسة آلاف شخص • وحيث تواصل السلطة الاردنية سياسة ما قبل حرب يونيو من العداء للشعب والقوى الوطنية وتقوية ارتباطها بالامبريالية الامريكية ، وممارسة الاتصال بالمسئولين الاسرائيليين فى محاولة للوصول الى اتفاق منفرد مع اسرائيل وتوجيه طعنة الى ظهر الشعوب العربية وعلى حساب الثورة الفلسطينية التحررية ، الامر الذى يكشف بجلاء عن خيانة الطبقات الحاكمة من الاقطاعيين والرأسمالية الكبيرة • هذه السياسة التى بلغت اوجها وذروة ضراوتها فى مذبحة « ايلول » ضد حركة المقاومة الفلسطينية •

ان الوضع الراهن فى الاردن ، يوضح أن الفئات العليا من الرأسمالية لم تعد تواجه حاليا تناقضات ومشاكل داخلية حادة ، ومن ثم لا تجد سببا ملحا يدعوها الى مهادنة الحركة الوطنية ، فضلا عن أنها تخشى من تحول الحركة الجماهيرية فى المستقبل الى المطالب الاجتماعية ، مما يعرض مصالحها المؤمنة حاليا الى الاخطار ، مما يتيح لطبقة الاقطاعيين والرأسمالية الكبيرة المرتبطة بالاحتكارات الاستعمارية وعلى رأسها العرش الهاشمى التفريط فى المصالح القومية واجراء صلح منفرد وتسوية استسلامية مع العدو فى المستقبل ، ومن هنا لا يجب اغفال مثل هذا « التمايز والتفاوت » داخل الطبقة البورجوازية الوطنية ، واستبعاد الامكانيات النضالية القائمة لهذه الفئات ، الا أنه فى نفس الوقت يجب وضع هذه الامكانيات فى حجمها الطبيعى فى حسابات القوى الوطنية فى الداخل ، وباعتبار ان البورجوازية الوطنية لا تشكل قوة أساسية من الجبهة الموحدة المعادية للاحتلال • اذ يبرز فى هذا المجال دور الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة والمثقفين والطلبة فى الحركة الوطنية •

النضال ضد التحالف
الامبريالى الصهيونى

ان تجربة السنوات الماضية لم تضعف من الروح النضالية المتميزة للشعب الاردنى ، بل انها قد زادت من اصراره على الصمود ومقاومة العدوان والمخططات الصهيونية والامبريالية فى الضفتين الشرقية والغربية ، وفرض اشكال الكفاح المناسبة التى تتلاءم مع ظروف ومتطلبات هذه المرحلة من أجل توحيد جميع القوى الوطنية والتقدمية فى الضفتين الشرقية والغربية لتعزيز صمود الجماهير ولمواصلة النضال لهزيمة العدوان •

وقد شهدت السنوات الماضية تجارب عديدة فى اشكال الكفاح لعل أهمها هى تجربة « التجمع الوطنى » فى الضفة الشرقية فى شهر مارس عام

١٩٦٨ ، وتضم كل الاتجاهات الوطنية والنقابات المهنية وممثلين عن المقاومة الفلسطينية ، وتم اختيار **سليمان النابلسى** رئيس الوزراء الاسبق امينا عاما • وقد أظهرت السنوات الماضية تعثر هذه التجربة فى التطبيق نتيجة مضايقات السلطة الحاكمة ومنعها من عقد المؤتمرات ومزاولة النشاط والتهديد المستمر باعتقال الاعضاء ، مما أدى الى انسحاب معظم العناصر البورجوازية والشخصيات العامة من أعضاء البرلمان والوزراء السابقين ، ثم انسحاب ممثلى المقاومة ، وتتزايد الدعوة الان الى ضرورة عودة التجمع الوطنى بصيغة جديدة تضمن وحدة كافة القوى الوطنية والعمل الفدائى بشكل يخدم متطلبات المرحلة الراهنة •

والتجربة الهامة الثانية ، هى تشكيل « **جبهة المقاومة الشعبية** » فى الضفة الغربية بمبادرة وقيادة الحزب الشيوعى الاردنى فى منتصف عام ١٩٦٩ ، وتضم ممثلين عن كافة الاحزاب الوطنية والتقدمية والمنظمات الشعبية فى الضفة الغربية ، وتتولى تنسيق الكفاح ووحدة العمل مع « **الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة** » وقد لعبت جبهة المقاومة الشعبية والجبهة الوطنية المتحدة دورا هاما فى تطوير الكفاح ضد العدو الاسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة الماضية •

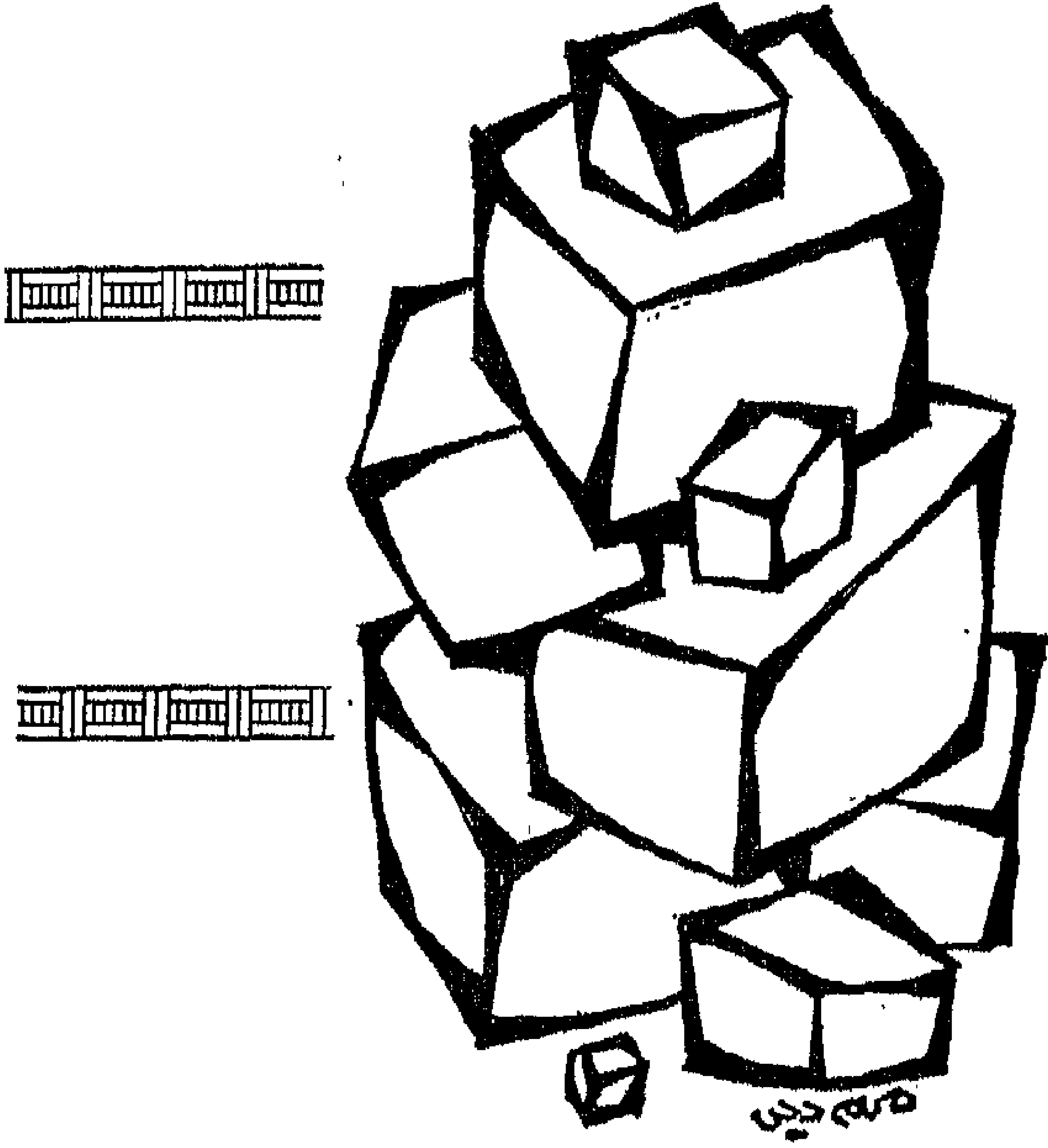
ولقد تميزت السنوات الاخيرة بازدياد نشاط الاحزاب والتنظيمات الوطنية والتقدمية فى تعبئة الجماهير ، كما وان الانتفاضات الشعبية وقصص البطولة التى تصنعها الجماهير فى الضفة الغربية ، وتصاعد الكفاح المسلح فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، قد ساهم فى انضاج الظروف لقيام تعاون حقيقى ووحدة نضالية بين كافة الاحزاب والتنظيمات الوطنية والتقدمية ، وضرورة نبذ الخلافات الثانوية فيما بينها وطرحها الى الخلف فى هذه المرحلة المصيرية ، والعمل على مواجهة الاخطار الكبرى التى تحيق بالاردن حاليا من جانب التحالف الامريكى الصهيونى ، وعجز السلطة الاردنية عن مواجهة مسئوليتها الوطنية فى تحرير الارض المحتلة ، وقطع الطريق على اى محاولة للخيانة •

ويجرى فى الاردن حاليا حوار بين جميع الاحزاب والقوى الثورية لتكوين جبهة شعبية ثورية على أسس ثورية وأهداف واضحة ، وتحديد طبيعة العلاقات بين الجبهة وبين حركة المقاومة الفلسطينية •



(٣)

قصة التكوين



ثروت كاتبة

لم تكن شرقى الاردن قد عرفت بهذا الاسم حتى بعد الحرب العالمية الاولى بسنوات قليلة ، اذ كانت ابان الاحتلال العثماني مجرد جزء من سوريا ولم تكن لهذه المنطقة أهمية تذكر سوى كونها طريقا للحج ، وكانت « **متصرفية الكرك** »هى المنطقة الادارية الوحيدة فى المنطقة التى عرفت فيما بعد بشرقى الاردن ٠

وطوال فترة حكم **فيصل بن الحسين لسوريا** (١٩١٨ يوليو ١٩٢٠) ظلت هذه المنطقة تابعة له ٠ وقد تولى **جعفر العسكرى ادارتها** بادىء الامر بصفته القائد العام للقوات العسكرية فيها ٠ وعين **العسكرى** حكاما عسكريين فى المقاطعات تساعدهم قوات عسكرية لحفظ الامن والنظام ٠

وفى ٢ نوفمبر ١٩١٩ صادق **فيصل** على قرار كان قد اتخذه « **مجلس المديرين** » فى دمشق ، يقضى بالغاء التشكيلات الادارية العثمانية ، واستحداث تشكيلات جديدة ٠ وفيه قسمت شرقى الاردن الى لوائى **الكرك والبلقاء ٠٠ وربطت** هذه الالوية مباشرة بالحاكم العسكرى العام ٠ كما أنشأت الحكومة مجلسا للعشائر ، أسندت رئاسته **للشريف محمد على بديوى لحل** الخلافات الناشبة بين العشائر ، حسب التقاليد المرعية (١) .

الا أن الاحوال ظلت مضطربة فى هذه المنطقة طوال العهد الفيصلى ٠ حيث أخذ البدو فى مهاجمة أسلاك البرق وخطوط السكك الحديدية وموظفى الحكومة ٠ ومقاومة أوامر القاء القبض والامتناع عن دفع الضرائب (٢) مما دفع **الجنرال اللنبى** فى فلسطين الى ارسال مجموعة من الضباط الانجليز الى شرقى الاردن ٠ وسحب هؤلاء السلطة شيئا فشيئا من موظفى فيصل ، وما أن سقطت حكومة فيصل فى دمشق ، حتى كانت شرقى الاردن تدار بكاملها بواسطة الضباط الانجليز ، وتولى

[١] منيب الماضى وسليمان موسى [تاريخ الاردن فى القرن العشرين]، عمان ١٩٥٩، ص ٨٣ — ٨٧ .
[٢] المصدر السابق ص ٩٤ .

هؤلاء رياسة « الحكومات المحلية » فى منطقة شرقى الاردن (٣)

وعقب طرد فيصل من سوريا اطلقت بريطانيا يد فرنسا فى سوريا مقابل :

١ — عدم مطالبة فرنسا بادخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية .

٢ — اطلاق يد بريطانيا فى فلسطين .

٣ — وضع العراق تحت الانتداب البريطانى .

٤ — ابقاء شرقى الاردن تحت الاحتلال البريطانى (٤)

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩١٩ ، أصدر الحاكم العسكرى فى دمشق **على رضا الركابى** ، بيانا جاء فيه أن « الجيش البريطانى سيحافظ على مواقعه الاصلية فى حوران والكرك ، ولا ينسحب منها » (٥)

ومعروف أن بريطانيا قد اعتمدت فى انتدابها على شرقى الاردن على نص المادة ٢٥ من صك الانتداب على فلسطين . وهو انتداب يصفه **كامل خلة** بأنه « **من الباطن** » وبناء على **اتفاق سايكس — بيكو السرى** ، فان شرقى الاردن كانت ضمن منطقة التنفيذ البريطانى .

وفى ١٦ اغسطس ١٩٢٠ ابلغ **هربرت صمويل** المندوب السامى البريطانى فى فلسطين الملك **فيصل** ان بعض مشايخ شرقى الاردن زاروه وطلبوا منه انشاء ادارة بريطانية فى شرقى الاردن ، كما زعم له أنه قد وردته بعض الرسائل من وجهاء شرقى الاردن بنفس المعنى ، مما دعاه الى دعوة زعماء شرقى الاردن الى مقابلته فى مدينة **السلط** يوم ٢١ أغسطس للتشاور فى هذا الموضوع (٦)

وقد التقى صمويل فعلا بالزعماء الاردنيين فى الموعد المضروب ، وأوضح لهم أن بريطانيا تنوى اقامة ادارة فى شرقى الاردن منفصلة عن فلسطين ، وعليه تم تأليف حكومة محلية فى كل من **السلط والكرك** يدير شئون كل منها احد رجال الادارة البريطانيين يلقب بالمعتمد ، يعاونه مجلس استشارى من وجوه وأعيان المنطقة .

وبسبب الخصومات العشائرية مع بعض عشائر البلقاء (منطقة عمان الان) لم يحضر زعماء عشائر عجلون اجتماع المندوب السامى . وفى ٢ سبتمبر ١٩٢٠ اجتمع زعماء عجلون بالميجور **سمرست** ، نائبا عن صمويل ، وقد تم الاتفاق فى هذا الاجتماع على تشكيل حكومة من لواءى الكرك والسلط وقضاءى عجلون وجرش تحت الانتداب البريطانى ، وأن يتخابر سمرست مع المندوب السامى لبحث أمر تنصيب أمير عربى على رأس هذه الحكومة بناء على طلب الزعماء . وأن لا تقوم لهذه الحكومة أية علاقة بحكومة فلسطين وأن يوكل أمر الهجرة اليهودية وبيع الاراضى لليهود لحكومة البلاد مع تشكيل جيش وطنى ، وان تكون تجارة شرقى الاردن مع فلسطين حرة (٧) .

وبعد ذلك نشأت حكومات محلية فى السلط والكرك واربد . أما معان فقد ضمتها حكومة الحجاز الهاشمية اليها ، فى أواخر ١٩٢٠ الا أن الاوضاع ظلت مضطربة فى داخل الاردن ، بسبب دأب القبائل على شن غاراتها ضد بعضها البعض ، وعجز الحكومات المحلية عن جباية الضرائب ، ودفع رواتب الموظفين والجنود . وعندما أوفد المندوب السامى **الكابتن براتقون** لانشاء الجيش فى شرقى الاردن ، ثم سرعان ما خلفه **الكابتن فردريك بيك** .

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ ، دخل **الامير عبد الله** ابن الحسين معان ، بعد اربعة اشهر من سقوط حكم أخيه **فيصل** فى دمشق .

التأسيس

تمكنت من **الامير عبد الله** الغيرة ، حين بلغته انباء رغبة السوريين تنصيب اخيه الصغير **فيصل** ملكا على سوريا . ونشط **عبد الله** فى التحرك وسط العراقيين الموجودين فى الحجاز وسوريا ، فى محاولة منه للوثوب على عرش العراق . وبناء على طلب من عبد الله ، الح فيصل على زعماء حزب العهد العراقى الموجودين فى دمشق على ضرورة مطالبتهم بأخيه عبد الله ملكا على العراق . وفعلا قرر زعماء العراق فى دمشق يوم ٨ مارس العمل من أجل استقلال العراق والمناداة

---

[٣] كامل خلة [التطور السياسى فى المملكة الاردنية] ١٩٦٩ ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ص ٢٣ .
[٤] أمين سعيد [الثورة العربية الكبرى] القاهرة ١٩٣٤ ، ج ٢ ص ٨٩
[٥] المصدر السابق ، ص ٩٣ .
[٦] المصدر السابق ، ص ٦ ، الجزء الثالث .
[٧] أمين سعيد ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨ — ٩ .

بعبد الله ملكا عليها(٨) ، الا ان نشوب ثورة العشرين في العراق حال دون تنفيذ مقررات الزعماء العراقيين ، مما دفع عبد الله الى شد الرحال للقاهرة في أواخر ابريل ١٩٢٠ ، مستجديا من اللورد اللنبى ، المندوب السامي بالقاهرة ، تنصيبه على عرش العراق ، الا أن المندوب البريطاني رده بخشونة (٩) مما دفعه الى العودة لمكة في منتصف مايو ٠ واستقالته في أول يونيو ١٩٢٠ من وكالة الخارجية ، وهو المنصب الذى كان يشغله في حكومة والده بالحجاز ٠

وبعدها تجددت الحملة لتنصيب عبد الله على عرش العراق ٠ ففى ٢٨ يونيو ١٩٢٠ ، نادى قادة الثورة العراقية باستقلال البلاد وتنصيب الامير عبد اللهعلى عرشها،وبعد اربعة ايام وقع شيوخ الرمثية والسماوة في العراق عريضة تتضمن مبايعة عبد الله.ثم تبعهم شيوخ عشائر حجام وآل حسن والنواشير (١٠)

وبسقوط حكم فيصل في سوريا ، كف زعماء العراق عن المطالبة بعبد الله ، وأخذوا في المناداة بفيصل ملكا عليهم ٠ واتخذ المجلس الحربى للثورة العراقية قرارا بذلك في ١٠ أكتوبر ١٩٢٠ وعندها اختار الحسين بن على ابنه عبد الله ليكون وكيل أخيه فيصل في حكم ما حول سوريا من الاراضى التى لم يحتلها الفرنسيون وفى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ وصل عبد الله ، على رأس حوالى مائتى فارس الى معان ، بعد أن عينه والده أميرا عليها (١١)

واخذ عبد الله بمجرد وصوله الى معان في تحريض السوريين على الفرنسيين ، واعدا بنجدتهم ان هم ثاروا ضدهم ، وباشر عبد الله اتصالاته بالسوريين وزعماء العشائر في شرقى الاردن لهذا الغرض .وقد أدت هذه المناورات من جانب عبد الله الى قلق فرنسا وحشدها لقواتها في جبل الدروز وحوران ، وأجرت فرنسا اتصالات عاجلة بالانجليز لوقف حركة عبد الله ٠ فكان أن استدعى كيرزون وزير خارجية بريطانيا آنذاك الامير فيصل الى لندن في أوائل ديسمبر ١٩٢٠ ، وابلغه استياء حكومته من تصرفات اخيه عبد الله وسارعت الحكومتان الفرنسية والبريطانية في ٢٣ ديسمبر الى تثبيت الحدود بين مناطق نفوذهما في الشرق العربى ٠

والح فيصل على عبد الله كى يلزم جانب الاعتدال ، والا يربك « الحكومسات المحلية » (١٢) ومع ذلك واصل عبد الله « مشاغباته » ، وغادر يوم ٢٨ فبراير معان الى عمان بالقطار ٠ وقوبل الامير وحاشيته بالترحاب الشديد من الاهلى والمسئولين الانجليز على السواء وذلك في المحطات التى كان القطار يتوقف فيها (القطرانة وزيزيا) ، وفى عمان استقبله جمهور كبير من أرجاء شرقى الاردن يوم ٢٠ مارس ، وبعد ايام اخذ الامير عبد الله في اصدار الاوامر من عمان ، وانتهى بذلك عهد الحكومات المحلية ٠

وفى ٥ مارس ١٩٢١ ، عين عبد الله ، عونى عبد الهادى رئيسا لديوانه ، وكان هربرت صمويل قد اوفد عبد الهادى الى عبد الله في معان عشية سفره الى عمان ، ليطلب اليه التريث في موضوع السفر الى عمان ٠ وفى اليوم التالى لتعيينه ، سافر عبد الهادى الى القدس حاملا لصمويل رسالة من عبد الله يرجوه فيها مساعدة رئيس ديوانه على مقابلة ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانى ، الذى كان سيصل بعد أيام الى القاهرة ، وفى الرسالة تأكيد من عبد الله بأنه سيلتزم الهدوء ،وبعد اسبوع عاد عبد الهادى الى عمان ، ومنها سافر الى القاهرة صباح ١٦ مارس ، حاملا رسالة من الامير عبد الله الى تشرشل ، يؤكد فيها الامير أنه جاء الى المنطقة ليقوم بالنيابة عن اخيه فيصل بادارتها ، وعاد الامير ليؤكد لتشرشل تجنبه اى عمل يعكر صفو الامن (١٣) وقد طلب تشرشل من عونى عبد الهادى ابلاغ عبد الله ضرورة الحضور الى القدس لمقابلة تشرشل فيها ٠

ومن المعروف أن تشرشل كان قد وصل الى القاهرة في ١٠ مارس ليرأس مؤتمرا خاصا ، عقد فيما بين ١٢ــ١٤ مارس لدراسة مشاكل الشرق الاوسط عموما والعراق وشرقى الاردن بصفة خاصة ، بعد انفجار ثورة العشرين في العراق ، وما ترتب عليها من مشاكل للامبراطورية

---

[٨] انيس صايغ [الهاشميون والثورةالعربية الكبرى] دار الطليعة ١٩٦٦ ـ٢١٧ ـ ٢١٨ وامين سعيد المصدر السابق الجزء الثانى ، ص ٣٥ ـ ٣٧ .
[٩] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٢ .
[١٠] فريق المزهرآل فرعون [الحقائق الناصعة في الثورة العراقية] ج ١ ، ١٩٥٢ ، بغداد ص ١٧٧ و ١٨٩ ـ ١٩١
[١١] كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .
[١٢] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .
[١٣] كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

البريطانية وقد أوصى مؤتمر القاهرة أن يترأس الامير عبد الله ادارة حكومة عربية تدير شرقي الاردن (١٤)

وبعد ارفضاض مؤتمر القاهرة ، توجه تشرشل وبعض أعضاء المؤتمر الى القدس ، حيث وصلوها في ٢٤ مارس ١٩٢١ واستدعى صمويل الامير عبد الله فوصلها بعد ثلاثة أيام من وصول تشرشل اليها • وكان لورنس قد أسر اليه وهو في طريقه للقدس بخبر تنصيبه أميرا على شرقي الاردن ، طالبا منه العمل على أحباط الحركات الثورية في سوريا . وطلب من تشرشل اسداء النصح لاخيه فيصل كي يترك سوريا ويتوجه للعراق ، ليرشح نفسه ملكا عليها •• ويقول عبد الله في مذكراته أن تشرشل طلب « ان ابقى انا في شرقي الاردن على تفاهم مع الفرنسيين ، فأسير الناس سيرة تبتعد عن تحديهم •وهنا طلب عبد الله من تشرشل استمهاله لاستفتاء مرافقيه في أمر توليه امارة شرقي الاردن باعتبارهم « زعماء البلاد » وكانت موافقتهم على تنصيبه بالاجماع (١٥)

وقد خرج عبد الله بعد اجتماعه الاول بتشرشل ليقول لرئيس ديوانه « ان تشرشل قصم ظهري » (١٦) فقد أملى تشرشل على الامير الهاشمي كل ماأراد من شروط دون مقاومة تذكر من جانب الامير الهمام !

وهكذا اصبح عبد الله أميرا لشرقي الاردن — تحت الاختبار لمدة ستة أشهر — يعاونه بعض الموظفين والضباط الانجليز .ويتعهد الامير بعدم الاعتداء على سوريا او فلسطين ، وان يتعاون مع المندوب السامي بفلسطين ، وان تنشيء بريطانيا قاعدتين جويتين في عمان والكرك ، وأن تقدم مساعدة مالية للامارة (١٧)

وفي ١٠ ابريل ١٩٢١ بعث عبد الله برسالة لوالده الحسين بن علي ، أخبره فيها أنه قد تولى امارة شرقي الاردن نيابة عنه ، وانه قبل « الخطط السياسية المعقولة التي رسمتها بريطانيا » لتعذر استرجاع سوريا بدون معونة دولية ، ولعجز الشعب السوري عن انجاز ذلك « ولعدم امكان رجوع فيصل الى سوريا برضى من فرنسا » (١٨)

وقام رشيد طليع بانشاء الجهاز الاداري في الامارة بتكليف من عبد الله ، ثم تولى رئاسة أول حكومة لشرقي الاردن في ١١ ابريل ، وعينت بريطانيا المستر ابرامسون معتمدا لها في عمان وفي يد المعتمد البريطاني كانت تتركز كل السلطات •

وفي ١٨ ابريل ١٩٢١ زارهربرت صمويل عمان، وصحبه في الزيارة ديدس ، السكرتير العام لحكومة فلسطين ولورنس وادوارد هاي • وفي ديوان الامير الهاشمي القى صمويل خطابا فضح فيه الهدف من اقامة الامارة ، حيث أشار الى مهمة المعتمد والموظفين البريطانيين هي « المحافظةعلى النظام والامن العام » وطالب بتكوين قوة احتياطية « تستخدم مع الجندرمة في توطيد سلطة الامير » ووعد بأن تقدم بريطانيا عند الضرورة طائرات وسواها من المعونة الفنية لاغراض محلية . . ولكبح جماح كل من يعكر صفو الامن في الاراضي المجاورة غربا وشمالا » . ورد الامير عبد الله شاكرا لصمويل ثقته ، مؤكدا له « أن الامة العربية ستبرهن على أنها قادرة على تحقيق الامال التي وضعت فيها ، وأنها جديرة بكل مساعدة تقدمها لها حليفتها الكبرى » • وغني عن القول أن « الامة العربية »عندعبد اللههي سموه الكريم(١٩) وبقيامها أدت شرقي الاردن أجل الخدمات للاستعمار والصهيونية •

● فتوسطها بين البلدان العربية (العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر والسعودية والكويت) مكن الاستعمار من السيطرة على طرق المواصلات المختلفة بين البلدان المذكورة ، وتامين خطوط البترول الممتدة من الكويت الى لبنان ومن العراق الى فلسطين والتي تمر بشرقي الاردن •

● قام الامير عبدالله ، الملك فيما بعد ، ومن بعده حفيده حسين ، والحكومات الاردنية المتعاقبة ، والجيش العربي ، بدور الهراوة ضد حركات التحرر الوطني في المنطقة لحساب الاستعمار والصهيونية

● قيام حكومة شرقي الاردن حمى الصهيونية في فلسطين من غزوات البدو الاردنيين التي كانت متوقعة الحدوث فيحالة عدم قيام حكم مستقر في شرقي الاردن •

● ادى عبد الله أجل الخدمات للاستعمار الفرنسي ، بخنقه الحركات الثورية في سوريا .

---

[١٤] ر. بولارد [بريطانيا والشرق الاوسط] الطبعة الانجليزية ، ص ١١٣ — ١١٤ .
[١٥] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٧ — ١٥٨ .
[١٦] كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .
[١٧] خير الدين الزركلي [عامان في عمان] ص ٤٩ .
[١٨] وثيقة نشرها كامل خلة ، المصدر السابق ، ص ٤٤١ .
[١٩] [مذكرات الملك عبد الله] ص ١٥٨ — ١٥٩ .

٣

ملامح الخريطة الطبقية في الأردن



عبــد العال الباقورى

نجح الكيان الاردني نجاحا منقطع النظير - ولابد من الاعتراف بهذا - في تحقيق الاهداف . وفي اداء المهام التي خططها ورسمها صـــانعوه وضـــامنو بقـــائه من القـــوى الاســـتعمارية والامبريالية .. وقد ارتبط تاريخ هذا الكيـــان المصطنـــع اكبر الارتباط واوثقـــه بالســـياسة الاستعمارية في المنطقة العربية عموماً ، منذ نهاية الحرب العـــالمية الاولـــى ، والقضـــاء علـــى ممتلكات « الرجل المريض » وتقسيم هذه الممتلكات بين القوى الاستعمارية الكبرى، والعمل على خلق الدولة الصهيونية . واذا كان خلق الكيان الاردني مشروعا بريطانيا في الاصل فان تنفيذه خـــدم المصالح الاستعمارية والامبريالية الاخرى مثلما خدم المصالح البريطانية أصلا .

ومع التسليم بأن شرق الاردن لم يكن بعيدا عن المطامع التوسعية الصهيونية ، منذ البداية ، فان خلق هذا الكيان - المستقل والمصطنع - خـــدم الصهيونية في فلسطين ، حين تكفل بحمايتها من غزوات البدو من الجهة الشرقية ، مثلما ساعد على استقرار النفوذ الفرنسي في سوريا ، اكدت هذا رسالة « عبد الله بن الحسين » في ١٦ مارس ١٩٢١ - بعد ايام من دخوله الى عمان - الى تشرشل ، وزير المستعمرات البريطاني وقتئذ . تعهد عبد الله في هذه الرسالة انه لن يقوم بأي عمل يعكر الصفو بين منطقة شرق الاردن وبين فلسطين أو سوريا . (١) وكان هذا التعهد بعض ما دفع ثمنا لبقائه حاكما لشرق الاردن .

أما أهداف بريطانيا ، التي حركتها الى تنفيذ هذا المشروع ، فكانت متعددة ، ما بين سياسية مثل تنمية الصداقة الهاشمية .. واستراتيجية تتلخص في ضمان الحفاظ على الطريق البري الذي تسيطر عليه بريطانيا بين البحر المتوسط وخليج البصرة ، الى جانب أسباب أخرى يقف على راسها : رغبة بريطانيا في أن لا ترى اى قوة أخرى ، منافسة لها ، تفرض نفوذها على هذه المنطقة (٢) وتحقيقا لهذا ، حرصت بريطانيا على أن يظل الاردن كيانا هزيلا وضعيفا خاصة من الناحية الاقتصادية، ليظل في حاجة دائمة الى المعونة والمساعدات ، والهبات البريطانية ، وليبقى بالتبعية في قبضة السيطرة البريطانية ، التي أخذت شكل الاستعمار

---

[١] كامل محمود خلة : التطور السياسي في المملكة الاردنية ١٩٢١ - ١٩٤٨ » . بحث الماجستير ، غـــير منشور ، جامعة القاهرة ، كلية الاداب ٦٨ - ١٩٦٩ . ص ٧٣ ، ٧٩ .

[٢] Lenczouski, George. The Middle East in World Affairs. Cornell University Press, New York, Third ed., 1966. p. 447.

المباشر ، رغم الغطاء الشكلي المسمى بالانتداب • واعتمدت بريطانيا في هذا على وجود « هيئة بريطانية » تالفت من المعتمد البريطاني والموظفين البريطانيين الذين آشرفوا على جميع شئون ادارة منطقة شرق الاردن (٣)

مجتمع شبه عشائري

وصحب هذا ارتباط الاردن اقتصاديا (لاول مرة) بالسوق الراسمالية العالمية ، مما هيأ لحدوث مجموعة من التغيرات الطفيفة في بنية المجتمع (٤) : اتساع السوق ، التحول من نظام الاكتفاء الداتي البسيط الى المبادلات واستخدام النقد ، زيادة الرقعة الزراعية ، نشوء الاجهزة الحكومية ، مد خطوط مواصلات ، ظهور قوى الامن والبوليس ٠٠ الخ ٠ ورغم اهمية هذه التغيرات وغيرها الا انها لم تؤد ، في مجموعها ، الى تغير كيفي في هيكل الانتاج الاردني ، ولا في وسائله ولا في العلاقات الانتاجية السائدة التى تنشأ عنه وتترتب عليه ٠ اذ يمكن القول ، ان شرق الاردن ، بقى ـ بصفة عامة ـ وحتى بعد الحرب العالمية الثانية مجتمعا شبه عشائري وشبه اقطاعي ، يعتمد على زراعة بدائية ، مع بذور تطور راسمالي في مجتمع مستعمر ، وخاضع لعلاقات وقوانين السوق الرأسمالية العالمية ، وهي بذور لن يفيض لها النمو ، الى حد ملموس ، الا فيأعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبعد ١٩٤٨ بالذات حيث اتسع نطاق السوق بسبب ضم الضفة الغربية وما ترتب على هذا الضم من نتائج مختلفة ، ومتعددة الوجوه •

وحين استقر النفوذ البريطاني فى شرق الاردن ، كانت تسوده وتسيطر عليه العلاقات العشائرية وما يصحبها من غزوات وقلاقل ، تجعل من كل عشيرة كيانا خاصا ، له قوته الذاتية ، التى تخضع لتحكم زعيم العشيرة ، الذى لم يكن يتردد في أن يستخدم قوته ضد « السلطة المركزية » ، فهو لم يتعود وجودها ، ولا يقبل بسهولة الخضوع لها ، كما أن العشيرة لا تعرف سيدا آخر سوى زعيمها • ولذلك لم تحاول السلطات البريطانية نزع هيبة الزعماء والوجهاء العشائريين ، وانما عملت على ابقائها سواء فى الريف أو البادية ، فى الريف ، حيث يوجد انصاف البدو الذين يسكنون الخيام ، ويحافظون على أسلوب حياتهم القبلى ، وفى البادية حيث البدو الرحل الذين يعيشون على تربية الماشية ، بينما اعتمد عدد قليل منهم على الزراعة ، التى يأنف البدوى من ممارستها ، ويرى فيها عملا منحطا ، حتى انه كان يستأجر « مزارعين آخرين للقيام بها في ارضه » وهكذا اصبح شيوخ العشائر وسطاء بين الافراد والدولة ، يجنون مكتسبات مادية ضخمة ، نتيجة مشاركتهم فى النظام الاوتوقراطى (٥) .

ولكن هذا لم يحل دون حدوث عملية تحول من البداوة الى الزراعة . ومن العشائرية الى الاقطاع • ومن المهم أن نلاحظ أنه في المرحلة الاولى للتحول من البداوة الى الزراعة ، بينما استمر الفرد البدوى في ممارسة نمط حياته العادى ، فان شيوخ القبائل ورؤساءها تحولوا شيئا فشيئا الى « اقطاعيين » يملكون أو يشرفون على أرض يؤجرونها (٦) ، هذا بينما يقف البدوى الراغب فى التحول الى الزراعة عاجزا عن تمويل العملية الانتاجية الزراعية ، وكان هذا العامل أحد الاسباب التى قللت من سرعة وتيرة التحول الى الزراعة • فحتى عام ١٩٣٥ كان عدد البدو فى الضفة الشرقية يقدر بـ ٢٠٠٫٠٠٠ بدوى (٧) • ولكن لم يات عام ١٩٣٨ ـ حتى كان لدى كل عشيرة قسم خاص من الارض تقوم بزراعته ، وفى عام ١٩٣٩ ، كما يؤكد جلوب ، لم تكن توجد عائلة بدوية فى مشرق الاردن لا تملك نصيبها من محصول القمح (٨) ومع هذا ، وفى ظل سياسة الاستعمار البريطاني وسياسة الحكم الاردني فى الحفاظ على نفوذ شيوخ العشائر ، فان كل قبيلة كان لها طابعها الخاص فى القبول بالتوطن ، والميل الى نوع خاص من الاستقرار ، مما أبقى العلاقات العشائرية حية ومستمرة ، لم تتزعزع كثيرا . وحيث ان العلاقات بوسائل الانتاج هى العلاقة الرئيسية التى تحدد الفوارق الطبقية ، ففى مثل

---

[٣] كامل خله ، مرجع سابق . ص٣٩ .
[٤] عصام احمد : العلم والانتاج فى الاردن . دراسات عربية ، السنة الثامنة ، العدد الاول ، نوفمبر ١٩٧١ ، ص ١١ .
[٥] كامل خله ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .
[٦] خليل هندى : التعبئة الاردنية ضد المقاومة الفلسطينية قبل هجمة سبتمبر ١٩٧٠ . شئون فلسطينية ، العدد ٤ ، سبتمبر ١٩٧١ .
[٧] Ronik off, A. Transjordan An Economic Eurvey, Economic. Research Institute of The Jewish Agency for Palestine, jeurosalem, 1946. p. 50.
[٨] خليل هندى ، مرجع سابق . ص ٤٩ . كان عدد السكان لا يتجاوز ٣٠٠ الف نسمة .

هذا المجتمع الريفى ـ البدوى لم تكن الفوارق الطبقية واضحة بشكل حاسم ومحدد ، لان وسائل الانتاج الزراعى المستخدمة وقتئذ وسائل بدائية ومتخلفة للغاية ، والزراعة تعتمد على المطر الذى تختلف كميته من عام لاخر ، الى جانب ضعف التربة الزراعية ، مما خفض انتاجية الارض ، وجعلها تتقلب من عام لاخر .

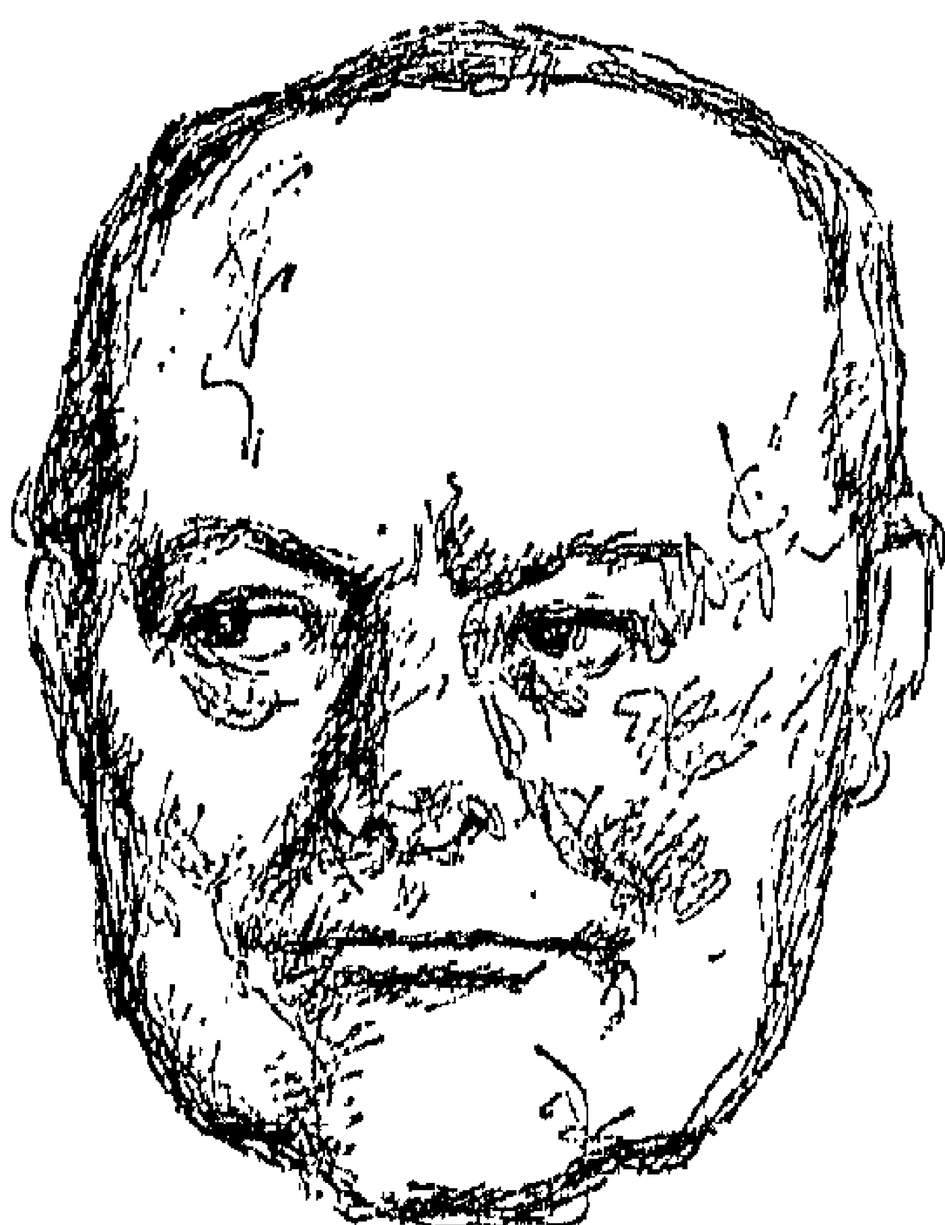
ومن جانب آخر ، لم تعرف الاردن ـ حتى قيام الحرب العالمية الثانية ـ الصناعة بمعناها الحديث ، مع استثناء بعض « مصانع » السجاير ، والى حد ما الكحول التى انشئت بمعدات حديثة ، ملكها البريطانيون ، وكان عدد العاملين فى صناعة السجاير ٢٥٠ عاملا . وما عدا ذلك ، فحرف أو ورش صغيرة ، اعتمدت فى الاساس على منتجات زراعية (٩) ومحصلة كل هذا ، ضعف الاقتصاد الاردنى ، بحيث لم يستطع العيش الا على المساعدات والقروض والمنح الاجنبية ، التى كانت تربو على الموارد المحلية . ولم تهدف هذه المعونات البريطانية الى تطوير اقتصاد الاردن وانما استهدفت فى الاساس تثبيت النفوذ البريطانى سواء من خلال فرض اشرافها التام على القوات العسكرية فى البلاد ، أو فى فرض الرقابة المالية (١٠) :

وفى ظل هيكل اقتصادى مثل هذا ، يبرز دور التجارة الخارجية ، وبالذات الواردات ، مما أدى الى نمو البورجوازية التجارية ، التى نمت فى اكناف التعامل مع السوق الاجنبى والشركات الاجنبية ، وهو ما أعطاها طابعها الكومبرادورى والعميل .

واذا كانت ظروف الحرب العالمية الثانية قد ساهمت فى نمو وتطور مجتمع شرق الاردن بما اتاحته من امكانية النمو فى الصناعة الاردنية ، وظهور قوى اجتماعية جديدة فى ظل تشديد السيطرة الاستعمارية لقبضتها على المراكز الرئيسية لاقتصاديات البلاد ومرافق التجارة ، فان التأثير الاكبر فى المجتمع الاردنى انما جاء بعد ١٩٤٨ ، وبالذات بعد ضم الضفة الغربية ، اذ أدى هذا الى آثار عميقة فى الاوضاع الاردنية : اتساع المساحة ، وزيادة السكان وما عكسه هذا من اتساع السوق الداخلى . كما كسب شرق الاردن من مأساة فلسطين : « استثمارا لمواهب سكان قسم كبير من فلسطين ، وافادة من رأسمالهم الكبير ، من علم وثقافة وخبرة ورصيد وطنى ، ومعرفة ادارية ونمو اجتماعى ورقى حضارى وأموال ، الى جانب استثمار أرض فلسطين الطيبة الغنية الخصبة اذا ما قيست بأرض شرق الاردن



عبد الله بن الحسين



تشرشل



جلوب

[٩] Ranikoff. op. cit., p. 61 — 62.

[١٠] كامل خله ، مرجع سابق ، ص ٢٥٣ . فيما بين ٣٨/٣٧ و٤٨/٤٧ كانت الميزانية الاردنية تعانى عجزا سنويا بلغ فى المتوسط ٤٥ ٪ ، مدته المساعدات البريطانية . عصام أحمد ، مرجع سابق ص ١١ ـ ١٢ .

الصحراوية الجافة في غالبها » (١١) . وبعبارة موجزة ، وان كانت لا تلخص كل الاثار الهامةلضم الضفة الغربية ، فان الاردن ضم منطقة أصبحت تساهم بحوالى ٣٦ فى المائة من اجمالى الناتج المحلى . وعكس ذلك نتائج عديدة على هيكل الاقتصاد الاردنى — الفلسطينى وعلى التكوين الاجتماعى فى البلاد .

معالم رئيسية

وحتى تتضح صورة الواقع الاردنى الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، يجب أن نرصد بعض المعالم الرئيسية التى رسمت تطوره منذ ضم الضفة الغربية ، حتى الان ، فهذه المعالم — بالاضافة الى ما سبق — هى التى تساعد فى تحديد بعض ملامح التكوين الطبقى فى الاردن .

وبادىء ذى بدء ، فان التطور الذى شهدته البلاد ، كان محكوما بشرطين أساسيين :

الاول : هو استمرار الخضوع للاستعمار اقتصاديا وسياسيا ، بل وتعزيز السيطرة الامبريالية .

الثانى : حدوث درجة ما نحو التطور الرأسمالى ، ولكن فى اطار بنيان اقتصادى اجتماعى متخلف فى بلد مستعمر أو شبه مستعمر .

فى اطار هذين الشرطين تم التطور فى الاردن : عملت السياسة الاستعمارية على تدعيم النظام الاقطاعى ، وعرقلة التقدم الصناعى الذى اقتصر على نشوء صناعات استهلاكية خفيفة ، مع بعض الصناعات التحويلية ، اذ نشطت البرجوازية الاردنية — الفلسطينية فى مجالات الاستثمار التجارى والعقارى ، واسهمت — تحت مظلة الحماية الحكومية والتسهيلات والمساهمات المادية — فى اقامة الصناعات التى سمح بها وضع البلاد فى اطار علاقات السوق الرأسمالى العالمى (١٢) « وقد شد النشاط التجارى والعقارى والاستثمارات الصناعية الممكنة بعض الفئات من القوى التقليدية فى الضفة الشرقية فاندفعت نحو الاستثمار الجديد للثروة مع بقائها مشدودة فى ثقافتها وآفاقها لاصولها العشائرية — الاقطاعية » (١٣) .

● ومع عدم حدوث تطور اقتصادى سليم ظل الاقتصاد الاردنى مشدودا الى الاعتماد على المساعدات الاجنبية التى ظلت تربو على الموارد المحلية . وحدث تغير فى مصدر هذه المساعدات ، فاحتلت الولايات المتحدة الامريكية المركز الاول — بدلا من بريطانيا — فى تقديم المساعدات للاردن . ولم توجه هذه المساعدات الى احداث تنمية حقيقية حتى فى اطار المفهوم الرأسمالى ، بل وجهت أساسا الى الانفاق على الادارة ، وأجهزة الامن ، وكل ما يدعم النظام القائم .

● وأدى هذا الى نتيجة بالغة الخطورة على مجمل الاقتصاد الاردنى ، حيث تراجع نصيب القطاعات الانتاجية الصناعية والزراعية فى الدخل القومى ، لصالح بروز دور الخدمات (١٤) والتجارة فى الدخل القومى ، كما يتضح من الجدول التالى :

السنة	الصناعة	الزراعة	الخدمات
١٩٥٤	٦	٣٩	٥٥
١٩٦٦	١٢	١٩	٦٦

واصبحت التجارة قطاعا رئيسيا فى الاقتصاد الاردنى ، ويكاد تصل نسبة الدخل التجارى الى اجمالى الدخل القومى الى الخمس . وبذلك أخذ قطاع التجارة« موقعا قائدا للقطاعات الاخرى ضمن بنية الانتاج فى الاردن منذ أواخر الخمسينات مكرسابذلك توجيهات الطبقة السائدة ذات الطبيعة الكومبرادورية » (١٥) .

على ضوء هذه الخلفية العامة ، يمكن تحديد بعض ملامح التكوين الطبقى فى الاردن .

البدو والجيش والنظام

لا يزال البدو يمثلون قوة بشرية هامة فى الاردن ، اذ يقترب عددهم من ٥٠٠ الف حاليا

[١١] انيس صايغ : فلسطين والقومية العربية . مركز الابحاث ، بيروت ، اكتوبر ١٩٦٦ ، ص ٩٨ — ٩٩ .
[١٢] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥ .
[١٣] نفس المصدر .
[١٤] « ارتفاع نصيب قطاع الخدمات يعيبه ما يتسم به هذا القطاع فى البلاد العربية من انخفاض مستوى الانتاجية وشيوع البطالة المقنعة ، على الاخص اذا قورن بالصناعة التحويلية . وتعكس ظاهرة ارتفاع نصيب الخدمات ندرة الارض ورأس المال ، كما هى الحال فى مصر والاردن ، أو تضخم الجهاز الحكومى كما هى الحال فى مصر ، والى درجة اقل فى سوريا أو ميل عريق الى حرفة التجارة ، كما هى الحال فى لبنان وسوريا والى درجة اقل فى الاردن » .
د. جلال أمين : مذكرات التطور الاقتصادى فى البلاد العربية . [استنسال] كلية الحقوق ، جامعة عين شمس ، الدراسات العليا ١٩٧٠/١٩٧١ .
[١٥] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

حسب بعض التقديرات . واذا كان رعى الماشية هو العمل الانتاجى الغالب على نشاطهم ، الا انهم يزاولون الى جانبه بعض الاعمال الزراعية ونشاطات اخرى مثل البناء ، والمحاجر والخدمات ، (خصوصا الحراسة) (١٦) .

ونظرا لان النظام اعتمد منذ قيامه على استرضاء البدو ، وعدم استثارة عداواتهم ، فانه حرص على ربطهم به اقتصاديا ، حتى اصبح يشكل فعلا المعول الاقتصادى للبدو بمجموعهم . وقامت سياسة النظام هنا ،والتى رسمها الخبراء البريطانيون وعلى رأسهم جلوب ، على توفير « مورد رزق » دائم لهم ، اتخذ شكل هبات ومنح مالية تدفع للشيوخ أو رواتب تدفع لمن يخدمون فى الجيش ، الذى اعتمد فى بنائه على البدو ، فصاروا أساسه وقوته الغالبة . واستفاد النظام من ذلك : اتقى شر البدو من جهة ، وكرس ولاءهم الاعمى له . لان البدوى بطبعه وضيق افقه لم يعد يرى فى الجيش سوى قبيلته ، ولم يعد يرى فى الملك سوى شيخ هذه القبيلة التى يدين لها بكل ولائه ، وبكل طاعته واخلاصه . ولم يعد الجيش جيشا « للاردن » أو حتى للنظام بقدر ما أصبح جيش الملك ، والملك وحده ، يوجهه فيطيع ، ويأمره فيلبى . وفى سبيل تأكيد هذا الولاء وتعميقه « يحافظ النظام بل ويعزز موقع الجيش المتميز اقتصادياواجتماعيا، فراتب الجندى الاردنى مرتفع جدا بالمقارنة مع رواتب الجنود فى الجيوش العربية الاخرى ولا يفوقه سوى راتب الجندى الكويتى . كما تقدم لافراد الجيش تسهيلات اقتصادية واجتماعية متعددة (١٧) ولذلك اصبح نصيب الانفاق الدفاعى يفوق أى نصيب آخر فى الميزانية العامة وهو يتراوح فى الفترة من ٥٧ — ١٩٦٨ — مابين ٤١ و ٥٢ فى المائة « اى أن الجيش ينفق أو يكاد أكثر من كل الوزارات ودوائر ومؤسسات وسلطات الدولة مجتمعة » (١٨) . واستنادا الى ماسبق « يمكن الافتراض أن الجزء الاكبر من الانفاق الدفاعى يصرف على الاجور وغيرها من المصاريف المحلية » . وأصبح « جيش البدو » هو الابن المدلل للنظام ، وحارسه الامين فى نفس الوقت ، بحيث لا يألوا النظام جهدا فى « ضمان سيطرة العنصر البدوى على الوحدات الضاربة » داخل الجيش . ويقف هذا سببا اساسيا وراء عزوف النظام عن فرض التجنيد الاجبارى لان مثل هذا النظام سيخل بتركيبة الجيش وبتكوينه البدوى ، وهو ما لا يريده النظام . وحين فرض النظام التجنيد الاجبارى بعد ١٩٦٧ ، لم يجرؤ على الاستمرار فيه ، فألغى هذا النظام عشية مذبحة سبتمبر ١٩٧٠ .

هذا من ناحية البدوى العادى الذى يرى فى الجيش « ملجأه الوظيفى الوحيد » الذى ادى به الى الارتباط بالنظام والاعتماد عليه . ولم تختلف علاقة شيوخ عشائر البدو فى علاقتهم بالنظام كثيرا عن ذلك،الا من ناحية الوسيلة التى ربطتهم بالنظام ووثقت علاقتهم به . فقد حرص النظام على عدم اضعاف هيبة شيوخ العشائر ، وانما ابقى هذا النفوذ ودعمه ، وجعل من الشيوخ وسيطا بينه وبين الفرد البدوى العادى . ومنح هؤلاء الشيوخ امتيازات خاصة ، اذ منح ابناءهم الاولوية فى نيل المناصب الحكومية العالية ، وساعد النظام فى تحويل شيوخ العشائر الى طبقة من الاقطاعيين الذين اقطعهم مساحات واسعة من الاراضى الزراعية ، وجعلهم شركاء فى الحكم من خلال تعيينهم فى مجلس الاعيان — أحد مجلس البرلمان الاردنى — وفى الوزارات ووظائف الدولة الهامة .

وباختصار لازال التكوين البدوى العشائرى يلعب دوره فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الاردن ، واذا كان الدور الانتاجى للبدوى — فى تربية الماشية — قد تزعزع ، فان البدوى تحول الى فلاح شبه مستقر ، ولكن التحول الاعمق فى الحياة البدوية هو ارتباط البدو بالنظام ، واعتماد الجيش عليهم فى بناء قوته الضاربة ، هذا بينما تحول شيوخ القبائل ووجهاؤها ليكونوا طبقة الاقطاعيين وكبار الملاك العقاريين الى جوار الاسرة الحاكمة .

فى الريف

انحطت مكانة الزراعة فى اقتصاد الاردن ، وتدنت مساهمتها فى الدخل القومى ، وهى

---

[١٦] خليل هندى ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
[١٧] نفس المصدر .
[١٨] المصدر السابق ، ص ٣٥ .

مساهمة منخفضة أصلا بسبب غلبة الصحراء ، وقلة الموارد المائية ، وعدم انتظام المطر ، وفقر التربة ، وبدائية أساليب الزراعة وأدواتها •

فقد احتلت « الخدمات » المركز الاول فى الدخل القومى ، وجاءت الزراعة فى المركز التالى ، وبعد أن كان القطاع الزراعى يقدم العمل لاكثر من ٤٠ فى المائة من القوى العاملة ، اصبح يستوعب فقط ٣٥ فى المائة من هذه القوة ، وقل اعتماد الريفيين على الزراعة ، ووجهوا انفسهم الى العمل فى أجهزة الدولةوالجيش اوالهجرة الىالخارج (١٩)

وشهدت السنوات الحديثة نموا فى القطاع الزراعى ذا طابع رأسمالى ، مع تركز الملكية فى الاستثمار الرأسمالى الزراعى • وساعدت الحكومة والخبرات الاجنبية على تشجيع هذا الاتجاه • وبدأ التوسع فى استخدام الالات الزراعية الحديثة ، ففى عام ١٩٦٤ أصبح يوجد فى البلاد ١٨١٥ جرارا ، وهو رقم يعادل أربعة أضعاف عدد الجرارات فى ١٩٥٦ • وبذلت جهود حكومية ـ بمعونة أجنبية ـ لتوفير المياه من خلال مشروعات السدود والقنوات مثل مشروع قناة الغور الشرقية ، وحفر الابار « مشروع مياه الازرق » • وبالنسبة لاراضى الغور الشرقى أصدرت الحكومة « قانون قناة الغور الشرقية » قسمت بموجبه الاراضى الى وحدات زراعية تتراوح مساحتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ دونم (٢٠) وقامت بتوزيعها على الملاك الاصليين ومزارعين آخرين •

ونتيجة لهذا التطور ، أصبحت أشكال العمل الزراعى فى الريف الاردنى متعددة وتجمع بين بعض أشكال الاستغلال الرأسمالى والاقطاعى ، مع غلبة هذه الاشكال الاخيرة •

ومن الصحيح أن « المعيار السليم لتحديد أية فئة اجتماعية ليس حجم الملكية الزراعية بقدر ماهو أسلوب استخدام القوى العاملة ، بالاضافة الى معرفة نوع العلاقات الانتاجية بين مختلف الفئات الاجتماعية فى القرية » • ولكن يبقى لحجم الملكية الزراعية وزنها واعتبارها فى تقسيم الطبقات الاجتماعية وتحديدها •

ويأتى فى مقدمة هذه الطبقات طبقة كبار الملاك الزراعيين الذين تحتل الاسرة الهاشمية مكانا بارزا داخلها ، بجانب شيوخ العشائر الذين أصبحوا من كبار الملاك الزراعيين • فالاسرة الهاشمية تستولى على معظم الاراضى الخصبة فى البلاد ، ويبلغ مجموع الاراضى التى يملكها الملك حسين وحده اكثر من مائة الف فدان (٢١) وهناك عدد من الحيازات يبلغ عددها ٢٢ حيازة يملك صاحب كل منها ١٠ آلاف دونم فما فوق و٤٥ حيازة يملك صاحب كل منها ما بين ٢٠٠٠ ، ٥٠٠٠ دونم ، و٤٢١ حيازة يملك كل منها ما بين ألف و٢٠٠٠ دونم •

واذا كان المالك الكبير يقوم بزراعة جزء من أرضه مباشرة ، ويستخدم فيها الايدى العاملة الزراعية مقابل أجر مدفوع ، فان أسلوب الاستغلال الغالب هنا هو تأجير الاراضى عن طريق المشاركة او المحاصصة وهى محاصصة ظالمة للمستاجر الذى يتحمل فى الغالب نصف النفقات ، أو كلها مقابل جزء من المحصول لا يتعدى النصف فى الغالب • ويبقى بعد ذلك ، أن تأجير الارض مقابل « أجرة نقدية » مدفوعة أسلوب معروف ومستخدم •

وطبقة كبار الملاك الزراعيين ، بجانب البورجوازية الكبيرة الكومبرادورية والفئات العليا من البورجوازية الوطنية ، تمثل التحالف الحاكم والمسيطر ، والمستفيد من بقاء الاردن فى اطار السوق الرأسمالى العالمى •

أما طبقة أغنياء الفلاحين ، فتنمو وتتوسع مستفيدة من الحماية الحكومية والاجراءات التشريعية التى تدعمها « فى مجالات التسويق والاقراض والاعفاء من الرسوم الجمركية على الالات والموارد الزراعية » وتميل بالتالى الى اتباع أساليب رأسمالية فى زراعتها التى تستخدم الالات الحديثة ، وتعتنى بزراعة المحصولات القابلة للتصدير كالخضروات والفاكهة ، مع اقامة مزارع للدواجن والمواشى ، وهى مجالات أحرزت درجة من التوسع فى السنين الاخيرة • وتم هذا التوسع على حساب فئة الفلاحين المتوسطين الذين يعانون من فروق الانتاجية بين أملاكهم وأملاك أغنياء الفلاحين ، وهى فروق نتجت عن حرمانهم من التمتع بفوائد الاجراءات الحكومية التى تمت غالبا لصالح فريق أغنياء الفلاحين •

---

[١٩] عصام أحمد ، مرجع سابق ص ١٧ •

[٢٠] راشد البراوى : « اقتصاديات العالم العربى من الخليج الى المحيط » ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٤ •

[٢١] وديع أمين : « تطور الحركة الوطنية فى الاردن » ، الطليعة ، السنة الثالثة ، مايو ١٩٦٧ ، ص ٨٨ •

وتأتى بعد ذلك **طبقة الفلاحين الفقراء** الذين تتدهور أوضاعهم «بفعل تراكم سنى الجفاف التى تؤدى الى تضخم ديون الفلاح نتيجة انحسار دخله فى هذه السنوات ، مما يؤثر على دخله فى سنى الخصب • ويدفع كل هذا الفلاحين الى استئجار الاراضى والعمل اضافيا لدى الملاك الكبار » (٢٢) •

وفى أسفل قاعدة الهرم الطبقى فى الريف تعيش طبقة « **العمال الزراعيين** » الذين لا يملكون أى قطعة من أرض ولا تتوفر لديهم من وسائل الانتاج سوى قوتهم الجسدية ، ولا يجدون أرضا يستأجرونها • فيبيعون قوة عملهم لكبار الملاك وأغنيائهم ، ومتوسطيهم فى بعض الاحيان • ولكن فرص العمل المتاحة أمامهم تضيق وتقل ، فيعانون من البطالة ، ولا يجدون مفرا سوى الهجرة الى المدينة ، أو الى الخارج • وتزداد أزمة العمال الزراعيين مع كل عدوان صهيونى جديد ، يترتب عليه نزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين الذين يزاحمون هؤلاء العمال الزراعيين فى الحصول على فرص العمل المتاحة •

فى المدينة

تحتل **الصناعة** المرتبة الرابعة بين القطاعات التى يتكون منها الدخل القومى فى الاردن • وأهم سمات القطاع الصناعى فى الاردن هى غلبة انتاج السلع الاستهلاكية ، مع وجود عدد من الصناعات الاستخراجية لايتجاوز عددأصابع اليدالواحدة(٢٣) تهيمن عليها البرجوازية الكبيرة وتحقق من خلالها أرباحا طائلة • وهى طبقة تعيش على العمالة لرأس المال الاجنبى ، والنمو فى حضنه واطاره • مما أبقى الصناعة الاردنية بعيدة عن النمو نحو تطور انتاجى حقيقى من خلال انشاء صناعات ثقيلة أو متوسطة مستقلة عن العلاقة والارتباط بالسوق الامبريالى العالمى ، ومتجهة الى كفاية حاجة الاستهلاك المحلى •

وقد تأكد طابع هذا التطور منذ أواخر الخمسينات ، منذ ١٩٥٧ حين وجهت السلطة الرجعية ، الحاكمة ضربتها الى الحركة الوطنية بعدها «تحررت **البرجوازية الاردنية ــ الفلسطينية الكبيرة** ــ من كل القيود والاعتبارات المحلية الشعبية واتجهت نحوالامبريالية وخاصة الولايات المتحدة وألمانيا الغربية (بالاضافة الى الحليفة التقليدية بريطانيا) واضعة الاردن تحت رحمة السيطرة الاقتصادية والسياسية ، حاجبة عن البلاد كل امكانية لتطور اقتصادى واجتماعى وطنى مستقل • وقد انهالت على الاردن المساعدات والهبات المجانية التى بلغت خلال السنوات ١٩٥٧ ــ١٩٦٧ أكثر من ٥٩٠ مليون دولار أنفقت على الادارة والجيش وأجهزة القمع ، وعلى مشاريع غير انتاجية ، دون أن تؤدى الى احداث تنمية حقيقية فى ميادين الانتاج » •

وقد كرست السلطة تعميق هذه الاتجاهات جميعا ، سواء عن طريق مساهمتها فى رءوس أموال الصناعات الجديدة والقائمة (٢٤) أو عن طريق تشجيع استثمار رأس المال الاجنبى ، وصدر القانون الخاص بذلك وينص على معاملة رأس المال الاجنبى معاملة رأس المال المحلى ويمنحه نفس الامتيازات والاعفاءات،فقدنصهذا المشروع على :

● معاملة رأس المال الاجنبى المستثمر فى أى مشروع ، سواء أكان استثماره مستقلا عن رأس المال المحلى أم بالاشتراك معه ، معاملة رأس المال المحلى •

● ضمان الحكومة لرأس المال الاجنبى التمتع بجميع الاعفاءات والتسهيلات التى تمنح له بمقتضى قانون تشجيع الاستثمار ، وضمان عدم نقصان هذه الاعفاءات والتسهيلات أو المساس بها بمقتضى اى تشريع لاحق .

● تتمتع رءوس الاموال الاجنبية بالتسهيلات والاعفاءات التى نص عليها القانون المذكور فى حالة استثمارها فى أى من المشاريع التالية :

١ ــ أى مشروع صناعى يزيد من المقدرة الانتاجية للمملكة .

ب ــ اى مشروع سياحى تقره سلطة السياحة وتزيد كلفته عن خمسين الف دينار .

جـ ــ اى مشروع اسكان تصادق عليه مؤسسة الاسكان •• وتزيد كلفته عن ٥٠ ألف دينار

د ــ أى شركة مساهمة للاستثمار المالى •• تساعد على تنمية الدخل القومى ويزيد رأس مالها

---

[٢٢] خليل هندى ، مرجع سابق ، ص ٤٨.
[٢٣] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٦ •
[٢٤] فى أوائل عام ١٩٦٨ بلغت مساهمة الحكومة الاردنية فى الشركات الصناعية مبلغ سبعة ملايين و٥١٣٠ الفا دينار ، وكان عدد هذه الشركات ٢٠ شركة ، راسمالها ٢٢ مليونا و ٢٧٨ الف دينار •

الدفوع عن الخمسين الف دينار ، وتقتصر أعمالها على المشاريع المحددة فى البنود ا ، ب ، جـ الانفة الذكر وتستثنى من ذلك البنوك المرخصة ٠

وقانون مثل هذا اذ يخدم الاستثمارات الاجنبية ، انما يخدم أيضا البرجوازية الكبيرة الكومبرادورية ، ويعمق من التحالف بينهما ٠ وهذا ما دفع بقوى الاستعمار الجديد الى تشجيع هذا الاتجاه ، من خلال زيادة معونتها المالية للنظام ، وهى المعونة التى استخدمت فى موازنة الميزانية العامة ، وتوجيه الانفاق العام الى التركيز ـ بجانب الادارة العامة ومصروفات الدفاع ـ على « الانفاق الواسع على تحسين وسائل المواصلات وتقديم القروض للمزارعين والصناعيين ، وتشجيع التحولات الرأسمالية فى الزراعة ٠٠ ثم تسهيلات البيع بالتقسيط » ٠

وتم ذلك كله لصالح البورجوازية الاحتكارية الصناعية ، والتجارية ، والمالية ، كما أنه افاد الفئات العليا من البورجوازية الوطنية المتوسطة ، وجعلها تتخلى عن تحالفها السابق مع الطبقات الوطنية والكادحة ٠ وتنقل مواقعها الى الدوران فى اطار النظام القائم والارتباط بالتحالف الحاكم والمكون من كبار الزراعيين والبورجوازية الاحتكارية ٠

وبجانب الاجنحة الثلاثة الرئيسية التى تكونت منها البورجوازية الكبيرة وهى الاجنحة المالية والصناعية والتجارية ، نما جناح آخر وهو البورجوازية الكبيرة البيروقراطية من كبار الموظفين فى اجهزة الدولة « الذين يستغلون مراكزهم فى تسهيل أعمالهم وصفقاتهم وتحقيق الثراء غير المشروع على حساب أموال الشعب » (٢٥) . وعلى سبيل المثال ،أصبحت الرشوة والمحسوبية من مستلزمات التوظيف فى الاردن ، وغدت ظاهرة سياسية ملموسة « أن شهادة المدرسة والرشوة عدتا الوظيفة سواء بسواء ، » (٢٦) ،وقس على «التوظيف» ـ بمعنى تسهيل الحصول على وظيفة فى أى من المجالات الحكومية أو العامة ـ كل ما يتعلق بشئون الحياة عند الطبقات الكادحة التى لا تستطيع أن تحصل على حقوقها « القانونية » والمنصوص عليها فى الدستور ، الا بعد أن تدفع ٠

وفيما عدا الشرائح العليا من البورجوازية الوطنيه المتوسطة ، بقيت الفئات الاخرى من هذه الطبقه مترددة متذبذبة ، قلقة ، لا تستطيع أن تحسم مسألة الولاء لمن : التحالف مع الحكم الذى لم يمانع فى أن يلقى لها ببعض فتات الفوائد ، أن تتقدم للتحالف مع الطبقات الشعبية والكادحة ٠ وقد عمقت نتائج عدوان يونيو من هذه الازمة ، خاصة بعد ضيق السوق فى وجه هذه الفئات ، من ناحية ، وهنا سارعت الدولة لانقاذها من خلال الميزانية العامة ، خاصة بعد أن ضاق نطاق الانفاق ، وحصل الاردن على تعويضات عربية ٠

وعلى الرغم من ذلك ، تظل الطبقة البرجوازية الوطنية المتوسطة ـ بما فى ذلك شرائحها العليا ـ طبقة غير ميئوس منها ، بالنسبة لتحالف القوى الوطنية لانها فى النهاية طبقة لم تفقد طابعها الوطنى ـ المرتبط بمصالحها ـ الذى يجعلها تعرف وتوقن بخطورة الاحتلال وخطورة الاطماع الصهيونية التوسعية التى تمثل خطرا عليها وعلى مستقبل نموها ٠ كما أن هذه الطبقة لا تثق فى النهاية بطبقة كبار الملاك العقاريين وعدم قبولها لاى تسوية يترتب عليها التفريط فى مصالح البورجوازية الوطنية المتوسطة .

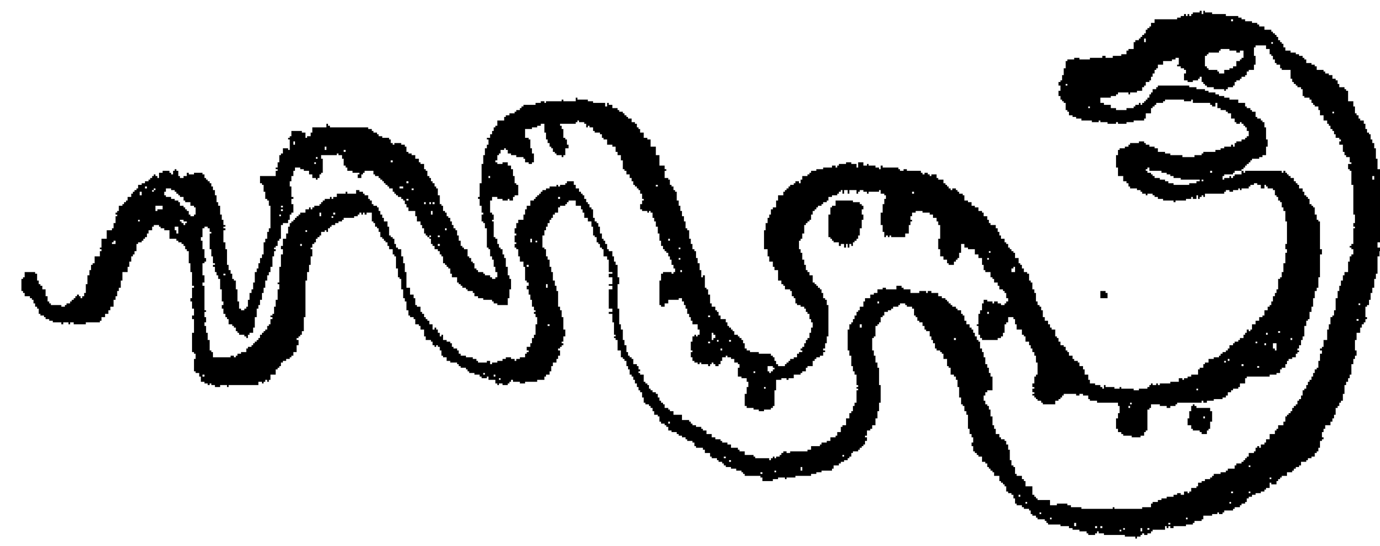
البورجوازية الصغيرة : وهى تشمل فى المدن الاردنية الحرفيين وصغار المثقفين : مدرسى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ، والطلاب ، والفئات المتوسطة والدنيا من الموظفين الحكوميين (وعلى الرغم من أنه يمكن اعتبار سكان المجتمعات من النازحين واللاجئين ، يمكن اعتبارهم بصفة عامة من أشباه البروليتاريا ، الا أنهم قد يكونون أقرب الى البورجوازية الصغيرة خاصة من ناحية العقلية والتفكير) ٠٠ ومن الناحية السياسية ، وفى ظل ظروف الاردن ، لعبت هذه الطبقة وتلعب ـ كما فى بقية البلاد العربية ـ دورا نشيطا فى الحياة السياسية ، وفى تكوين الاحزاب ، بما فى ذلك الاحزاب اليسارية ٠

وفى ظل ظروف النضال الوطنى،والكفاح ضد الاستعمار والاحتلال الصهيونى ، فان موقع هذه البورجوازية الصغيرة هو التحالف مع الطبقات الشعبية والكادحة من العمال والفلاحين .

[٢٥] وديع أمين ، مرجع سابق ، ص ٨٨
[٢٦] عصام أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٣

البروليتاريا: الطبقة البروليتارية طبقة ضعيفة في الاردن ، ذلك أن العمال الصناعيين ، وهم الجناح الحيوى فيها ، يمثلون فئة صغيرة ، بسبب ضعف الصناعة الاردنية ، وقلة عدد العاملين في كل وحدة صناعية ، فعدد الصناعات التى يتجاوز عدد العاملين فيها ٥٠٠ عامل ، عدد ضئيل للغـــاية ، وفي المتوسط العام نجد أن عدد العاملين في الصناعات لا يزيد عن ١٠ عمال • بالاضافة الى أن نسبة البطالة مرتفعة ارتفاعا كبيرا ، حتى أنها تقدر بحوالى ثلث القوة العاملة • وتؤدى عمليات النزوح الى زيادة حدة البطالة ، وتنافس أعداد كبيرة من العمال على العمل الواحد ، بجانب الهجرة الكبيرة من الريف الى المدينة • وكل هذا يزيد من قوة جيش العمال الاحتياطى • ولكن هذه الزيادة « لها انعكاساتها على أوضاع الطبقة العاملة ، وجماهير الكادحين فى المدن • فمـن جهة ، تزيد من قوتها العددية ، ومن جهة أخرى تسهم فى تردى أوضاعها بسبب التنافس فى سوق العمل وسوء الاحوال المعيشية وغلاء أجـور المساكن بسبب الطلب المتزايد عليها ، الناجم عن الهجرة فى الاحياء الشعبية ، ولكن المحصـلة النهائية لذلك كله تكون لصالح أصحاب الاعمال الذين يقدمون أرخص الاجور وأدناها ، ويجدون من يقبلها ، خصوصا مع ضعف التنظيمات النقابية العمالية ، وهو الضعف الذى آل بها الى الخضوع لسيطرة الحكومة بعد أن حلت فى أكتوبر الماضى الاتحاد العام للعمال الاردنى وكافة التشكيلات النقابية للعمال فى الاردن ، وشكلت لجنة ادارية للاتحاد برئاسة وكيل وزارة الشئون الاجتماعية والعمل •

وفى ظل الظروف الراهنة ، وهى ظروف صعبة ومعقدة تجد الطبقة العاملة الاردنية نفسهـا ــ رغم ضعف تكوينها ــ أمام مسئوليات متعددة اجتماعيا وسياسيا ووطنيا ، تتطلب منها النضال على أكثر من جبهة فى نفس الوقت • ولكن يأتى على رأس هـــذه المهـــام التى تواجه العمال الاردنيين وكل الكادحين من الفلاحين والقوى الوطنية الاخرى ، مهمة تكوين وبناء الجبهة الوطنية الديمقراطية ، جبهة تضع فى مقدمة مطالبها وأهدافها مطلب العمل الدءوب لتحرير الارض المحتلة وما يفرضه هذا من واجب العمل على تخليص البلاد من ربقة السيطرة الامبريالية ، ومن تحكم الطبقـات الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة الكومبرادورية ، صنيعة الاستعمار وعميلته فى نفس الوقت •



٤

الضفة الغربية

الواقع والآفاق



هالة جمال الدين

ما أن انتهت حرب يونيو ١٩٦٧ ، حتى قامت السلطات الاسرائيلية بتقسيم المناطق المحتلة الى أربع وحدات ادارية ، وعين على رأس كل وحدة حاكم عسكرى ، وهى :

١ ـ **الجولان** ٠٠ التى عوملت منذ اليوم الاول وكأنها جزء من اسرائيل ٠ فالغى فيها العمل بالقانون السورى والعملة السورية ، وأحل محلهما القانون والعملة الاسرائيلية ، وسار العمل حثيثا لاستيطان الهضبة السورية ٠

٢ ـ **الضفة الغربية** ٠٠ وهى التىستتناولها دراستنا ، من حيث تغير الاوضاع فيها بعد الحرب ، وموقعها فى المخططات والمشاريع الاسرائيلية ٠

٣ ـ **قطاع غزة** ، وشمال سيناء ٠

٤ ـ **منطقة شرم الشيخ** فى جنوب سيناء ، ويطلق عليها المحتلون اسم منطقة « شلومو » ٠

يقول ديان : « تحت تصرفنا الان ، وقت ، ومناطق ، وصلاحيات سلطة ، وعلينا أن نستغل الثلاث » (١) ٠

ويعنى ديان بقوله هذا ، أنه لابد من استغلال الوقت وصلاحيات السلطة لفرض واقع جديد فى

(١) خريطة جديدة ص « ١٤٩ »

المناطق المحتلة لطمس معالمها العربية ، وتغييرها بشكل يقرب اسرائيل من الوضع الذى تطمح اليه • ويعنى ديان ، مهندس سياسة فرض الامر الواقع ، انشاء المستوطنات والمدن الاسرائيلية • ودمج المناطق المحتلة فى الاقتصاد الاسرائيلي وانشاء القواعد والمراكز العسكرية وفى توسيع شبكة الطرق والمواصلات •

وبالفعل رقي الكولونيل « شلومو جازيت » عقب حرب يونيو ١٩٦٧ الى رتبة جنرال ، وترك عمله كمعاون لرئيس المخابرات الاسرائيلية ، ليصبح المسئول الاول عن السياسة الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة . وهل يعد واحدا من كبار الاخصائيين فى العالم فى الشئون العربية • ويمكن القول أن سياسة ديان ومساعده **جازيت** تتلخص فى ترك حرية شكلية للفلسطينيين فى الضفة الغربية ، شريطة أن تظل ظروف الامن متوفرة فيها ،وهما فى نفس الوقت يدركان تماما ان الفلسطينيين لا يحبون الصهاينة ولن يحبونهم ابد الدهر •

وقد كان على الحكومة العسكرية الاسرائيلية منذ الاشهر القليلة الاولى التى أعقبت الاحتلال ، أن تواجه مهمتين اولويتين واساسيتين فى المناطق الاهلة بالسكان هما :

أولا : تهدئة الاوضاع •
ثانيا : اعادة تنشيط الاقتصاد •

تهدئة الاوضاع

فى الاشهر الاولى التى تلت الاحتلال الاسرائيلى ، قابل السكان العرب سلطات الاحتلال بمحاولة عصيان مدنى ، تمثلت فى اغلاق المدارس والاضرابات والامتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة البضائع الاسرائيلية وحملات التحريض وتوقيع عرائض الاحتجاج والاستنكار • وكان رد الفعل لدى حكومة الاحتلال تجاه حركة عصيان السكان العرب ، هو الرد التقليدى لسلطة احتلال فاشية عسكرية ، حيث قامت على الفور بسجن ونفى العناصر التى اعتقدت السلطات أنها وراء حملة العصيان هذه • وقامت بانزال القوات العسكرية الى الشارع بقصد الارهاب وقمع المظاهرات وفرضت منع التجول وعمدت الى عمليات التفتيش المقصود منها العقاب والازعاج، والى محاولة شراء عملاء لتخريب الحركة فى الداخل •

وهكذا تم لسلطات الاحتلال ، كبت وتطويق محاوله العصيان المدنى • ولم تسمح لها بأن تنفجر وتتصاعد الى عصيان مدنى حقيقى وعنيف ، ساعدتها فى ذلك ظروف ذاتية ترجع الى عجز القيادات السياسية التقليدية فى الضفة الغربية ، تلك القيادات التى نشأت ونمت فى ظل الانتداب البريطانى والحكم الاردنى ، ثم الانفصام التام بين تلك القيادات وبين سكان المدن وغيابها أصلا عن الريف ، علاوة على اجراءات الاحتلال الاسرائيلى التعسفية • وعلى سبيل المثال فقد بلغ عدد المبعدين فى عام ١٩٦٩ ، وحده ، ١٣١ شخصا (٢) • وسرعان ما استطاع الحكم العسكرى الاسرائيلى بتصفية مظاهر محاولة العصيان تدريجيا •• فانتظمت الخدمات البلدية وافتتحت المدارس •• وانخفض معدل الاضرابات وازدادت الضرائب المجموعة فى الضفة ، عاما وراء عام •

سلطات الاحتلال •••
والمقاومة الفلسطينية

لم يكن التحدى الاكبر، والاهم، لسلطات الاحتلال فى حقيقة الامر متمثلا فى تلك القيادات السياسية التقليدية • وانما تمثل اساسا فى منظمة فتح المنظمة الفدائية الوحيدة الموجودة آنذاك فى الضفة الغربية والتى رأت ان الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة للنضال الفلسطينى.ونفذت فتح الى الاراضى التى احتلت منذ عام ١٩٤٨ • وأعلنت منظمة « **العاصفة** » الجناح العسكرى لفتح عن نقل قيادتها الى المناطق المحتلة ، لتواصل عملياتها ضد العدو فى الداخل ، فى محاولة لنقل مركز ثقلها الى داخل وعمق الوطن المحتل • ولعله أصبح من المعروف أن « **ابو عمار** » كان من بين الاشخاص الذين انتقلوا للضفة الغربية عام ١٩٦٧ للاشراف على بدء العمل المسلح ضد الاحتلال ••

وأدركت اسرائيل منذ البداية ، ان الكفاح المسلح ــ لا يمكن ان ينمو ويشتد ويحقق اهدافه ، الا اذا نجح فى تعبئة الشعب للقتال ، وتوفير الحماية للمقاتلين • وبالتالى فان المجال الحيوى للمقاومة الفلسطينية المسلحة هو الشعب الفلسطينى • ومن هنا ادركت ان عاملا أساسيا ووحيدا يمكن أن يرجح كفة الميزان الى جانب العمل الفدائى ، الا وهو موقف وعلاقة مجموع السكان العرب بخلايا الفدائيين • وبالتالى اعتمدت اسرائيل سياسة قوامها عزل الفدائيين عن

(٢) حقوق الانسان فى المناطق المحتلة ابراهيم العابد ص ٢٣ ــ ٣٨

مجموع السكان العرب . ولجأت لتحقيق ذلك الى وسيلتين :

الوسيلة الاولى : وهى مباشرة وآنية ، وتتلخص فى « الترهيب والترغيب » التى تمثلت فى ايقاع العقاب القاسى والسريع بالفدائيين والمشاركين فى التنظيم أو عمليات المقاومة فى جهة ، واعطاء السكان امتيازات مثل حرية الانتقال والتجارة وحرية الكلام الشكلية من جهة أخرى . وقد اعتمدت سلطات الاحتلال سياسة نسف البيوت كوسيلة أساسية من وسائل الردع ، تعطى نتائج عملية بالنسبة لارهاب المجموع ، أكثر من المنفى والسجن . وقد عبر **شلومو جازيت** عن ذلك بقوله : « عمود من الدخان يستطيع كل واحد أن يراه ويسمعه ويفهم منه ما يجب أن يفهم » (٣) . ولم يقتصر نسف البيوت على بيت الفدائى أو الذى ساعده وأواه ، بل تجاوز ذلك الى نسف البيوت فى المنطقة التى وقعت فيها العملية الفدائية . وهو ما اطلق عليه **ديان** « **عقاب الجوار** » . وقد بلغ عدد البيوت التى تم نسفها ، حتى تاريخ ١ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ ، ٥١٦ منزلا (٤) .

الوسيلة الثانية : انعاش اقتصاد المناطق المحتلة ورفع المستوى المعيشى للسكان . وهى وسيلة أكثر جذرية وتعطى نتائجها فى مدى زمنى أوسع . وتهدف اسرائيل بذلك الى توثيق روابطها بالمناطق المحتلة وتنشيط الاقتصاد وامتصاص أسباب السخط فى المناطق المحتلة . وبالتالى يستكين الاهالى ويكفوا عن التفكير فى مقاومة الاحتلال . وتدريجيا تبتلع اسرائيل الضفة الغربية . ولتحقيق ذلك عمدت اسرائيل الى عدة اجراءات :

١ ـ **سياسة فتح الجسور** التى قالت عنها مجلة « **اسرائيل وايكونوميست** » فى عددها الصادر فى نوفمبر ١٩٦٩ أنها « قد ساهمت أكثر من أى اجراء آخر فى حل المشكلة الاقتصادية واعادة الحياة فى الضفة الى مجاريها الطبيعية » . وتم عبر هذه الجسور المفتوحة ، وتسويق الفائض من منتجات الضفة الغربية فى الاسواق المعتادة لها فى الاردن والبلاد العربية . كما سمح أيضا باستيراد البضائع عبر هذه الجسور . وكما ذكر « **رافى كو** » مندوب جريدة **الفيجارو** الفرنسية الخاص فى اسرائيل فانه « فى كل يوم تقوم نحو مائة سيارة كبيرة من كويتية وعراقية وأردنية وسعودية بحمل الخضار والفواكه من الضفة الغربية . وكل ما يفعله السائقون هو تبديل لوحات سياراتهم فى المناطق الاسرائيلية » (٥) .

٢ ـ **السماح للعمال العرب بالعمل فى الاراضى** التى احتلت عام ١٩٤٨ ، خاصة وأن الاقتصاد الاسرائيلى يشكو من نقص كبير فى الايدى العاملة بسبب التعبئة العسكرية القائمة منذ الحرب من جهة ، ومن جهة أخرى فان الانتعاش الاقتصادى وازدياد القوة الشرائية لدى السكان العرب ، يفتح للصناعات الاسرائيلية سوقا جديدة . كما أن هناك هدفا أساسيا آخر وراء رفع اسرائيل للمستوى المعيشى للسكان العرب وتطوير الاقتصاد ، وهو تجنب الاضطرابات الاجتماعية الواسعة التى يمكن ان تنشأ فى المستقبل نتيجة الفرق الواسع بين المستوى المعيشى لسكان المناطق المحتلة وسكان اسرائيل .

وهناك فى الواقع خلاف بين قادة اسرائيل حول مسألة دمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلى ، وحول تشغيل العمال العرب داخل اسرائيل . **فموشى ديان** وزير الدفاع يؤيد هذا الاتجاه ويدعو اليه ، بينما نجد **بنحاس سابير** يتصدى له ويعارض تلك السياسة خوفا على الصبغة اليهودية لدولة اسرائيل ولحماية العمل العبرى من التلوث .

٣ ـ **التخطيط الزراعى** : بحيث تحول المنتجات الزراعية فى المناطق المحتلة الى منتجات ملائمة للاحتياجات المحلية واحتياجات اسرائيل ثم تعمل اسرائيل على تغيير الحاصلات الزراعية بحيث تتفق مع امكانيات التصدير لاسرائيل والبلدان الاجنبية ، خشية حدوث هزة اقتصادية عنيفة فى الضفة الغربية ، فى حالة ما اذا اغلقت الجسور . ومثل هذه الهزة تفجر الاوضاع وتهدد بالتالى ما تسعى اسرائيل الى تحقيقه .

ومن الجدير بالذكر أن الميزان التجارى يجرى لصالح اسرائيل . فبينما تعدل الضفة الغربية ميزانها عن طريق تسويق الفائض فى منتجاتها الى الاردن والدول العربية ، وعن طريق الخدمات التى تصدرها الى اسرائيل المتمثلة فى العمال العرب والخدمات السياحية والحوالات المالية الواردة من الخارج والمبالغ التى تدفعها الحكومة الاردنية لبعض أهالى الضفة . **كما أن العلاقة بين الاقتصاد الاسرائيلى النامى والمتطور واقتصاد الضفة الغربية المتخلف هى علاقة تبعية اقتصادية وخاصة وأن السلطة المنظمة بين الاقتصاديين هى سلطة احتلال معينة بأن يظل اقتصاد الضفة متخلفا وتابعا لاقتصادها المتطور .**

---

(٣) شئون فلسطينية ـ العدد الاول ص ٨٤
(٤) نفس المرجع السابق
(٥) الفيجارو ٥ ـ ٩ ـ ١٩٦٨

وازاء تلك الاجراءات الاسرائيلية ، وازاء هذا الرخاء الاقتصادى أو « شهر العسل المؤقت » الذى تعيشه الضفة الغربية ، وازاء قسوة وشراسة أدوات القمع الاسرائيلية للفدائيين الفلسطينيين تمكنت سلطات الاحتلال من تحقيق هدفها الاول فى تهدئة الاوضاع فى الضفة الغربية ، تمهيداً لابتلاعها . واذا جاز لنا أن نستعير تشبيه الزعيم ماوتسى تونج « فان الاسماك لم تجد بعد مياها لها داخل الاراضى المحتلة » .

عقب ذلك بدأت مرحلة جديدة تابعت فيهما اسرائيل مخططاتها وعملياتها لضرب قـواعد المقاومة الفلسطينية الموجودة خـارج الاراضى المحتلة . سواء بطريق مباشر بمعنى أن تشن هجوما واسعا على قواعد الفدائيين ، كما حدث فى غاراتها المستمرة على قواعدهم فى الاردن . وكما يحدث حاليا فى غاراتها المتلاحقة على قواعدهم فى جنوب لبنان ، أو بطريق غير مباشر بواسطة بعض الانظمة العربية كما حدث فى الاردن . وأمام توالى الضربات المتلاحقة لقوى المقاومة الفلسطينية فى الداخل والخارج ، وحالة التردى التى تعيشها الانظمة العرية بسبب حالة اللاسلم واللاحرب ، وأخطاء المقاومة التى كثيرا ما تحدثت عنها وامام عدم قدرتها على تطوير نفسها ، بدأ السكان العرب فى المناطق المحتلة يشعرون باللامبالاة وبالاحباط مما أخذ يسهل كثيرا خطوات سلطات الاحتلال الاسرائيلية لابتلاع هذه المناطق .

المستوطنات الاسرائيلية

يدور الصراع العربى الاسرائيلى فى حقيقة الامر حول الارض ، وتلجأ اسرائيل الى الاعمال الاستيطانية التى بدأت بشكل ملحوظ فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ومازالت مستمرة فى فلسطين واجزاء فى الاراضى العربية المحتلة . وهناك عدة عوامل تقف وراء عملية الاستيطان الاسرائيلى فى المناطق العربية المحتلة :

العامل القومى : وهو الاهم ويعنى بـالنسبة للنزعة الصهيونية الاستيلاء على مزيد مـن الارض .

عامل الامن : فقد بنيت هذه المستوطنات على امتداد خط وقف اطلاق النار مع سوريا لتشكل سورا دفاعيا يقـى الجبهـة الخلفيـة مـن المستوطنات . كما شيدت مستوطنات الناحال فى الاغوار على امتداد نهر الاردن لتحول بقـدر الامكان دون توغل الفدائيين العرب الى المناطق العربية المحتلة ، الى جانب المستوطنات المقامة فى سيناء والمتمركزة على امتداد المحور الشمالى فى منطقة شرم الشيخ .

العامل السياسى : ان بناء شبكة من المستوطنات فى المناطق المحتلة أمر على جانب كبير من الاهمية فى الصراع العربى الاسرائيلى . فهذه المستوطنات تعتبر ورقة لها وزنها فى حالة التفاوض على تسوية مع العرب . **فبفضل هذه المستوطنات تخلق اوضاع جديدة فى المناطق العربية المحتلة ، وهذه الاوضاع الجديدة هى التى تقرر الحـدود الجديدة** . وعلى حد تعبير **ديان** « ان المكان الذى نقيم فيه مستوطنة او ممتلكا لن نتحرك منه (٦) » .

العامل الاقتصادى : ليس هناك شك فى ان المستعمرات الاسرائيلية الجديدة ستعمـل علـى ايجاد موارد اقتصادية جديدة لاسرائيل . وعلى سبيل المثال فاسرائيل تسعى من وراء استيطانها لهضبة الجولان الى تحويل الهضبة برمتها الى مزرعة ابقار تكفى حاجة اسرائيل من اللحوم الطازجة (٧) .

العامل النفسى : تعتقد اسرائيل ان وجـود مستوطنات اسرائيلية فى المناطق المحتلة من شأنه جعل السكان العرب يحسون بالوجود الاسرائيلى وبالتالى يبدأون بالتأقلم مع الحكم الاسرائيلى الجديد .

موقع الضفة الغـربية في المشاريع الاسرائيلية

وعلى ضوء ما تم اقامته من مستوطنـات اسرائيلية فى الاراضى المحتلة ، يكون الجـزء الخاص باقامة المستوطنات الدفاعية الاسرائيلية فى **مشروع ايجال آلون** قد تم تنفيذه . وهذا المشروع الذى يحمل اسم ايجال آلون ، « يدعو الى ضم هضبة الجولان ، ومنطقة القدس ، وغـور الاردن وشاطىء البحر وشرم الشيخ » (٨) ويتلخص مشروع آلون فى الامتناع عن ضم المناطق التى تتسم بتجمعات سكانية عربية باستثناء وادى الاردن الذى تقل فيه كثافة السكان العرب ، حيث يطالب **آلون** باستيطانه وجعله قطاعا دفاعيا . ويقول **ايجال آلون** فى مشروعه أن نهر الاردن والخط الذى يقطع البحر الميت فى الوسط ، يجب

(٦) « خريطة جديدة » ص ١٦٤
(٧) « دافار » ٢٣-٧-١٩٦٩
(٨) « همولام هازية » ٤-٨-١٩٧٠
(٩) « شئون فلسطينية » العدد الاول ص ١٨

ان يكون الحد الفاصل بين اسرائيل والاردن (٩) كما تضم اسرائيل قطاعا مسافته ١٥ كيلومترا على طول وادى الاردن حتى البحر الميت على شريطة ألا تضم هذه الاراضى اهالى عرب ، ولا تشمل حدود شمال البحر الميت مدينة اريحا لاعتبارات سكانية مع ضم طريق البحر الميت ــ القدس الى اسرائيل ــ كذلك ضم جبل الخليل بسكانه الذين يبلغ عددهم ٨٠ الف شخص لان ذلك يضمن حماية القدس ولوجود امكانيات الاستيطان ، علاوة على الاماكن المقدسة ثم اعطاء ممر فى منخفض الاردن الى المملكة الهاشمية بحيث يضمن للاهالى العرب الارتباط بالمملكة الاردنية ، وبحيث يسمح لاسرائيل السيطرة على هذا الاتصال فى حالة تعرضها للخطر • (١٠)

ويتسم مشروع آلون بالمرونة فهو يحاول دائما ادخال تعديلات عليه حسب ما يتلاءم مع الاحداث المتغيرة والمستجدة •

هذا بينما نجد موشى ديان على الطرف الاخر، فهو لا يكتفى بمستوطنات آلون الدفاعية ، وانما يطالب ايضا باقامة مدن يهودية فى الضفة الغربية فى اماكن مشرفة على الطرق الاستراتيجية • حيث ان المدن تضم سكانا أكثر وتحتل اراضى أقل وتمتلك قدرة دفاعية أكبر •

الانتخابات البلدية

فى الكتاب الذى آلفه شمعون بيريز ــ وزير الاستيعاب والاستيطان الاسرائيلى ــ بعنوان « حروبنا الثلاثة مع العرب » يقول بيريز فى الفصل العاشر ما يلى بالحرف الواحد :

« هناك ثلاث مرشحين لاحلال السلام فى الشرق الاوسط بعد حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ » •

الاول : الاردن التى يميل الى الولايات المتحدة الامريكية •

الثانى : مصر

الثالث : المليون ونصف فلسطينى فى المناطق المحتلة •

« بالنسبة للاردن نحن لا نستطيع أن نستجيب لطلباتها بالانسحاب من الضفة الغربية • كما أن القول بتجريد الضفة الغربية من السلاح هو قول مرفوض تماما ، لان ذلك يعتمد على قوة الدولة الموقعة ، وهنا لابد ان نذكر ان منظمة فتح « التخريبية » لاتأخذ الاذن من الملك حسين » •

يتضح من كلام بيريز ان اسرائيل تدرك انه لا يوجد هناك حل للمشكلة دون موافقة الطرف الفلسطينى وهذا الاعتقاد الاسرائيلى متطابق تماما مع الاعتقاد الامريكى الذى تمثل فى تقارير بعثة فينتر للسلام ، واقتراحاتها التى نصت على ضرورة موافقة الطرف الفلسطينى على أى شكل من أشكال التسوية •

لكن السؤال الذى يواجه الاسرائيليين الان هو : من هو الطرف الفلسطينى الذى يمكنهم ان يحصلوا على موافقته •• بالطبع لايمكن أن يكون هذا الطرف ممثلا فى منظمات المقاومة الفلسطينية • ومن هنا جاءت فكرة الانتخابات البلدية فى الضفة الغربية ، وذلك لخلق ممثلين جددا للشعب الفلسطينى داخل المناطق المحتلة ، فتبرزهم بشكل واضح ، ثم تنقلهم من مرتبة القيادات البلدية الى القيادات السياسية اليكونوا بمثابة بديل عن قيادة المقاومة الفلسطينية •

وهنا لابد أن نلقى ضوءا يسيرا على مفهومين اخذا يتضحان بجلاء تام فى أساليب العمل الصهيونية والامبريالية العالمية فى مواجهة القضية العربية :

المفهوم الاول : عربنة الحرب • أى دفع الانظمة العربية فى مواجهة بعضها البعض ، اما عن طريق اثارة النزعات الاقليمية ، واما عن طريق فتح الابواب أمام تجزئة القضية الواحدة • ومثال ذلك ما حدث عندما أقدم الحكم الاردنى على ضرب الثورة الفلسطينية فى الاردن • بالاضافة الى الخلافات الدائرة بين الانظمة ذات الاراضى المحتلة من قبل اسرائيل •

المفهوم الثانى : فلسطنة الصراع • وذلك بدفع جهات فلسطينية الى مواجهة بعضها البعض بدلا من مواجهة الكيان الاسرائيلى ، وذلك بهدف تحويل الثورة الفلسطينية الى مجرد طرف فى الساحة الفلسطينية ، وليست قائدة لهذه الساحة والممثل الوحيد والشرعى لها •

وقد عمد الاحتلال الاسرائيلي الى استغلال ردة الفعل الفلسطينية العنيفة ضد الحكم الاردني ، بعد مجزرة يوليو ١٩٧١ ، واستثمارها لمصلحته ... بدأ المخطط على النحو التالي :

١ ـ مرحلة جس النبض ..

٢ ـ **مرحلة الدعوة الصريحة التي بدأها موشى ديان** عندما حضر مؤتمرا لرؤساء البلديات عقد في منطقة رام الله في شهر اغسطس الماضي .

٣ ـ **مرحلة الدعاية الاعلامية** ، حيث اخذت الصحف الاسرائيلية الناطقة بالعربية ، امثال جريدتي « **الانباء** » و « **القدس** » ، تدعو لاجراء الانتخابات البلدية . كما سخرت الاذاعة والتليفزيون الاسرائيلي سلسلة في البرامج واللقاءات للدعاية لمسألة اجراء الانتخابات .

٤ ـ **التهديد الخفي** ، حيث اخذ الحكام العسكريون في المناطق المحتلة يتصلون بالشخصيات المعروفة والمناوئة للانتخابات ، ويهددونها .

٥ ـ **العنف المباشر** . حيث قامت سلطات الاحتلال باعتقال اعداد من المواطنين العرب المعارضين . وفرضت حظر تجول كامل على قرية **سلواد** لانها شنت حملة ضد الانتخابات .

أهمية الانتخابات البلدية

ان عدد الذين يحق لهم الانتخابات لا يتجاوز الثلاثين الفا حسب القانون الاردني الذي يسمح للرجال فقط بحق الانتخاب فوق سن ٢١ ، ويستثني النساء،ويعطي حق الانتخاب فقط لمن يدفعون ضريبة الاملاك ، وبهذا يحصرهم في طبقة او فئة معينة من الشعب . وفي الواقع ان الانتخابات البلدية في حالة نجاحها ، سوف تكون بمثابة مدخل لاجراء ولانجاح انتخابات نقابية « عمال .. معلمين .. تجار الخ » . وفي النهاية يتكون بنيان سياسي بشكل ما ، تحت زعامة تقليدية من فئة الوجهاء تكون مرتبطة بسلطات الاحتلال وموالية لها ، وبالتالي تكون اقرب الى التطويع والتوجيه والتسيير في خطة تخدم المخطط الاسرائيلي الرامي الى تكريس الاحتلال . وليس من الخفي ان جزءا من المخطط الاسرائيلي يرمي لاقامة حكم ذاتي او كيان فلسطيني مرتبط باسرائيل .

مستقبل الضفة الغربية

انقسمت حكومة الائتلاف الاسرائيلية بصدد مستقبل الاراضي المحتلة بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ الى فئتين : **الفئة الاولى** ، تمثل دعاة الضم الكلي ،وتطالب بابقاء المناطق المحتلة تحت الحكم الاسرائيلي ، وعلى رأس هؤلاء كتلة **حيروت ـ الاحرار** المتطرفة والمعروفة باسم **جاحال** ، وهي تدعو الى عدم تصور اعادة شبر واحد . ويجيء معهم وزير الدفاع موشى ديان الذي يعمل من خلال ايمانه بأن احتمالات السلام بعيدة . وعليه فهو يؤيد سياسة الامر الواقع ، كما نجده يؤيد فكرة اقامة ادارة مدينة مستقلة في مدن الضفة الغربية وقراها .

الفئة الثانية : تمثل دعاة الضم الجزئي ، التي تدعو الى اعادة بعض المناطق العربية المحتلة مقابل سلام دائم مع العرب . ومن أشهر هؤلاء أبا ايبان عضو حزب « **الماباي العمل** » ووزير الخارجية الذي يتسم بالمرونة والليونة فهو يحسب الحسابات للاعتبارات الدولية والضغوط الخارجية وهو مستعد لدفع ثمن عال مقابل الحصول على السلام .

ولكن رغم اشتداد الخلاف بين هاتين الفئتين ، في الثلث الاخير من عام ١٩٦٨ ، حول مصير المناطق المحتلة ، الا أن الغالبية العظمى تؤمن أنه لا مناص من ابقاء المناطق التالية الى الابد ضمن حدود دولة اسرائيل : قطاع غزة ، العريش وضواحيها ، هضبة الجولان ، القدس الشرقية وضواحيها ، الخليل والقرى العربية المحيطة بها ، قلقيلة .

ويتحدث ديان عن مستقبل الوضع السياسي للضفة الغربية المحتلة بقوله ، انه لا يهمه كثيرا اذا اختار سكانها أن تكون جزءا من الاردن مع شيء من الاستقلال الذاتي ، أو اختاروا لها البقاء مستقلة .. أوقرروا بكل بساطة انتكون جزءاً من الاردن ، ولكن بشرط أن تقبل مطالب اسرائيل التي يصوغها بالشكل التالي : « أولا أن يكون لنا كحق وليس كمنة ، أن نزور ، ونعيش ، ونستوطن . ثانيا : أن يكون لنا قواعد عسكرية هناك ، وأن يكون الجيش الاسرائيلي قادرا على العمل بحرية ، سواء في الحرب الصغيرة الان ضد الفدائيين ، أو في حالة وقوع حرب أكثر شمولا ، ويجب أن نكون قادرين على منع دخول أي جيش عربي للضفة الغربية » (١١) .

---

[١١] جيروزالم بوست الملحق الاسبوعي [٢٧ ـ ١ ـ ١٩٦٩]

وفي مناسبة اخرى تحدث ديان قائلا « ان اسرائيل تستطيع البقاء في جميع هذه الاراضي المحتلة بشرط أن يكون الجيش الاسرائيلي هو القوة الوحيدة في هذه الاراضي بحيث يستطيع التوجه الى أي مكان يريده دون أي قيود سواء كان ذلك في نابلس أو الخليل أو في جنين » (١٢) ٠

أما ايجال آلون نائب رئيسة الوزراء ، ووزير شئون الهجرة ، فمشروعه يتلخص في عدم ضم المناطق المكتظة بالسكان العرب ، باستثناء وادي الاردن حيث يطالب آلون باستيطانه وجعله قطاعا دفاعيا ٠ فآلون يعتقد انه في حالة ضم المناطق المحتلة سيصبح عدد السكان العرب خلال ٣٠ سنه مساويا لعدد السكان اليهود ، مما يهدد بانفجار التوازن السكاني لصالح العرب ٠

أما الخطوط الرئيسية لمشروع حزب المابام فتتركز حول النقاط التالية :

● ان اسرائيل والاردن ، تشكلان فلسطين الكاملة ولذلك فان آية تسوية سلمية تعتبر حيوية لكليهما ٠ ويعتقد المابام أنه قد آن الاوان لتسوية شاملة مع الاردن تتضمن تعديلات في الحدود الدفاعية لصالح اسرائيل ، وتتضمن سيادة اسرائيل الكاملة على القدس ، واعادة الضفة الغربية للاردن ٠

● ان المستقبل المشترك بين اسرائيل والاردن ، سيكون حيويا لحل مشكلة اللاجئين ٠ وستقوم العناصر الدولية بتزويدها بالاموال اللازمة لحل المشكلة ٠

أما شمعون بيريز « وزير الاستيعاب والاستيطان الاسرائيلي » ، فيتحرك في منطلق أنه لا يوجد هناك حل للمشكلة دون موافقة الطرف الفلسطيني ٠ واعتقاده هذا متطابق تماما مع الاعتقاد الامريكي الذي ينص على ضرورة موافقة الطرف الفلسطيني على أي شكل من أشكال التسوية ٠ ولو علقت الولايات المتحدة الامريكية أهمية ملحوظة على عقد مؤتمر « بيت ساحور » فقد شوهد قنصل امريكا في القدس يتجول في بيت ساحور يوم انعقاد المؤتمر لكي يقف عن كثب عما يدور هناك . وقال للصحفيين «انه مهتم للغاية بهذا المؤتمر » (١٣)

ففي ١٨ ـ ٨ ـ ٧١ عقد في بيت ساحور مؤتمرا مغلقا حضره ٢٤ شخصا يمثلون البلديات والمجالس المحلية في الضفة الغربية المحتلة ، استغرق ثلاث ساعات ، خيم عليه جو من التحفظات الاسرائيلية والاردنية ٠وخرج المؤتمر بقرارين : ١ ـ انتخاب بعثة من ثلاثة أشخاص ، والحاقها بالبعثة المنبثقة عن اجتماع رؤساء الغرف التجارية في القدس ٠ ٢ ـ نداء الى الدول العربية ، بالغاء القيود المفروضة على صادرات الضفة الغربية ٠

وقد طرح بعض رؤساء البلديات أثناء الاعداد للمؤتمر مواضيع ملحة من بينها اجراء انتخابات بلدية في الضفة ، وسياسة النظام الاردني تجاه المقاومة الفلسطينية ، واقامة جامعة في الضفة الغربية ٠ ولكن رغم خلو بيان المؤتمر الختامي من اي من هذه المواضيع ، الا أنه ذكر « أن رؤساء البلديات عينوا لجنة تنفيذية كخطوة أولى نحو انشاء برلمان انتقالي » وهي أول محاولة هامة يقوم بها رسميو الضفة الغربية لتنظيم بنيان سياسي منذ حرب ١٩٦٧ ٠ وقد منحت اللجنة التنفيذية سلطة الاتصال بالاسرائيليين للحصول على اذن بانشاء برلمان ، وبالاتصال بمختلف الفئات السياسية في الضفة الغربية لكي ترسل مندوبين الى المجلس وفسر المراقبون هذا التطور بأنه قد يكون الخطوة الاولى من أجل التمتع بحكم ذاتي مستقل » (١٤)

الدولة الفلسطينية

كثر الحديث في الاونة الاخيرة في المناطق المحتلة ، وفي مختلف الاوساط الفلسطينية الموجودة بالخارج ، حول الدولة الفلسطينية أو الكيان الفلسطيني ٠ ومع أن الدعوة قديمة الا انها تعززت بفضل عوامل أربع :

١ ـ الضربات المتلاحقة ضد المقاومة الفلسطينية وما رافق تلك الحملات من أعمال وحشية قوت من فكرة الدولة الفلسطينية ٠

٢ ـ خيبة أمل سكان المناطق المحتلة عامة في الانظمة العربية التي لم تقرن تغنيها بصمود المناطق المحتلة ٠ وتبشيراتها المتلاحقة بالتحرير ، بالعمل الجاد ٠

---

[١٢] صحيفة معاريف .. العدد ٣٧٧٠ ـ ٢ ـ ١٩٧٠
[١٣] معاريف [١٩ ـ ٨ ـ ٧١]
[١٤] جريدة « العمل » اللبنانية ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٧١ .

٣ ـ الوهن الذى دب فى حركة التحرر العربى ٠

٤ ـ حالة الانحسار التى تمر بها المقاومة الفلسطينية وعدم تخطيها لمرحلة الانحسار هذه ٠

ومن بين الداعين للكيان الفلسطينى محمد أبو شلباية أحد محررى صحيفة القدس التى تصدر فى القدس العربية ، حيث جاءت دعوته فى كتاب صدر مؤخرا فى الضفة الغربية بعنوان « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » يدعو فيه الى اقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس العربية ، والقدس اليهودية عاصمة لاسرائيل دون وجود حاجز بينهما ٠ ويدعو الامم المتحدة ومجلس الامن ودول العالم أن تقوم بحماية الدولة الفلسطينية فى أية تدخل مدة عشر سنوات على الاقل ٠ كما يطالب الدول العربية بتمكين اللاجئين من العودة الى أراضيهم ٠

المقاومة ومشروع

الدولة الفلسطينية

ليس هناك شك فى أن مستقبل ومصير الضفة الغربية المحتلة وثيق الارتباط ومرهون بالمواجهة العربية مع اسرائيل ، سواء كانت هذه المواجهة ستأخذ طريق الحل العسكرى ٠٠ أو الحل السلمى ٠ والدعوة الى اقامة الدولة الفلسطينية ، وهى دعوة قديمة كما ذكرت ، ستكون أيضا جزءا فى اطار التسوية العربية الشاملة فى حالة حدوثها ٠ الا أن حركة المقاومة الفلسطينية لم تتخذ بعد وجهة نظر واضحة ومحددة ٠ فقط كانت محل حوار وبحث ونقاش ٠

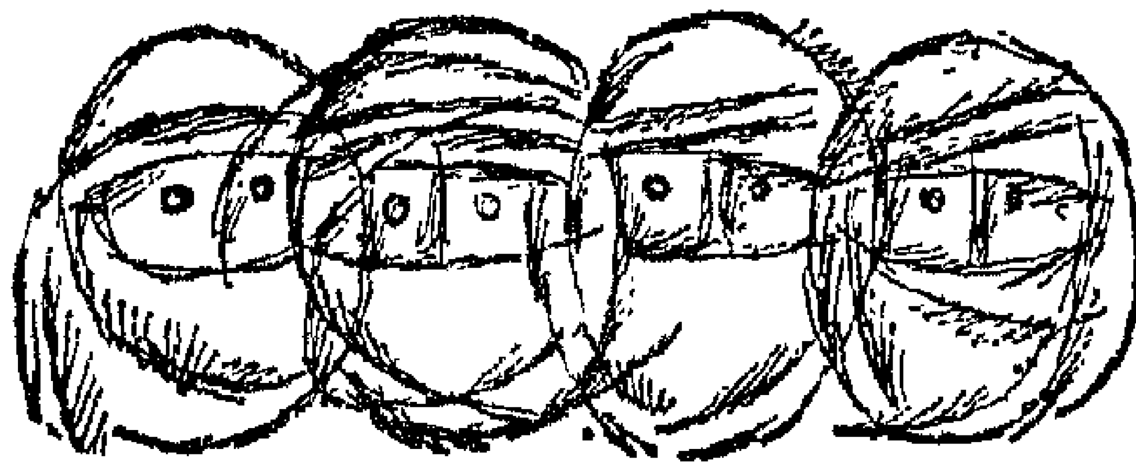
ويقول « أبو اياد » أحد قادة فتح بعد أن تحدث عن مؤامرة النظام الاردنى على حركة المقاومة ، وعن عقدة خوف الشعب الفلسطينى من العودة الى الحكم الاردنى :

« تشكل كل هذه العوامل تيارا داخل الضفة الغربية يستغله عملاء أذكياء لمحاولة ايجاد الحلقة أو تهيئة الحلقة المطلوبة فى حالة التسوية السياسية التى ترغب فيها اسرائيل ٠ وهى حلقة الشعب الفلسطينى بحيث يوقع هو على قرار انهاء قضيته وهو شىء أساسى بالنسبة لمخططى الحل السلمى » ٠ ويضيف قائلا « الحل المطلوب وليس الحل المعروض ، والذى يتضمن أن يكون للفلسطينيين نوع من الحكم الذاتى الذى لا يعبر عن شىء الا مجرد أن يكون أداة بيد اسرائيل لتقول ان القضية سويت وأنهيت » (١٥) ٠

ويقول الدكتور « جورج حبش » امين عام الجبهه الشعبية حول نفس الموضوع « وفى هذه الحالة نمارس فعاليتنا القتالية ضد هذا العدو مهما كان شكله ، مثلا هناك مقاومة فى غزة تقاوم الاحتلال الاسرائيلى ٠ واذا حصلت تسوية سياسية المهم أن تبقى المقاومة فى غزة سواء لتقاتل الاحتلال الاسرائيلى أو النظام الرجعى العائد الى غزة أو لتقاتل « دولة فلسطينية ، رجعية اذا جاءت كمحصلة للتسوية السياسية » (١٦) ٠

وبعد ٠٠٠٠٠

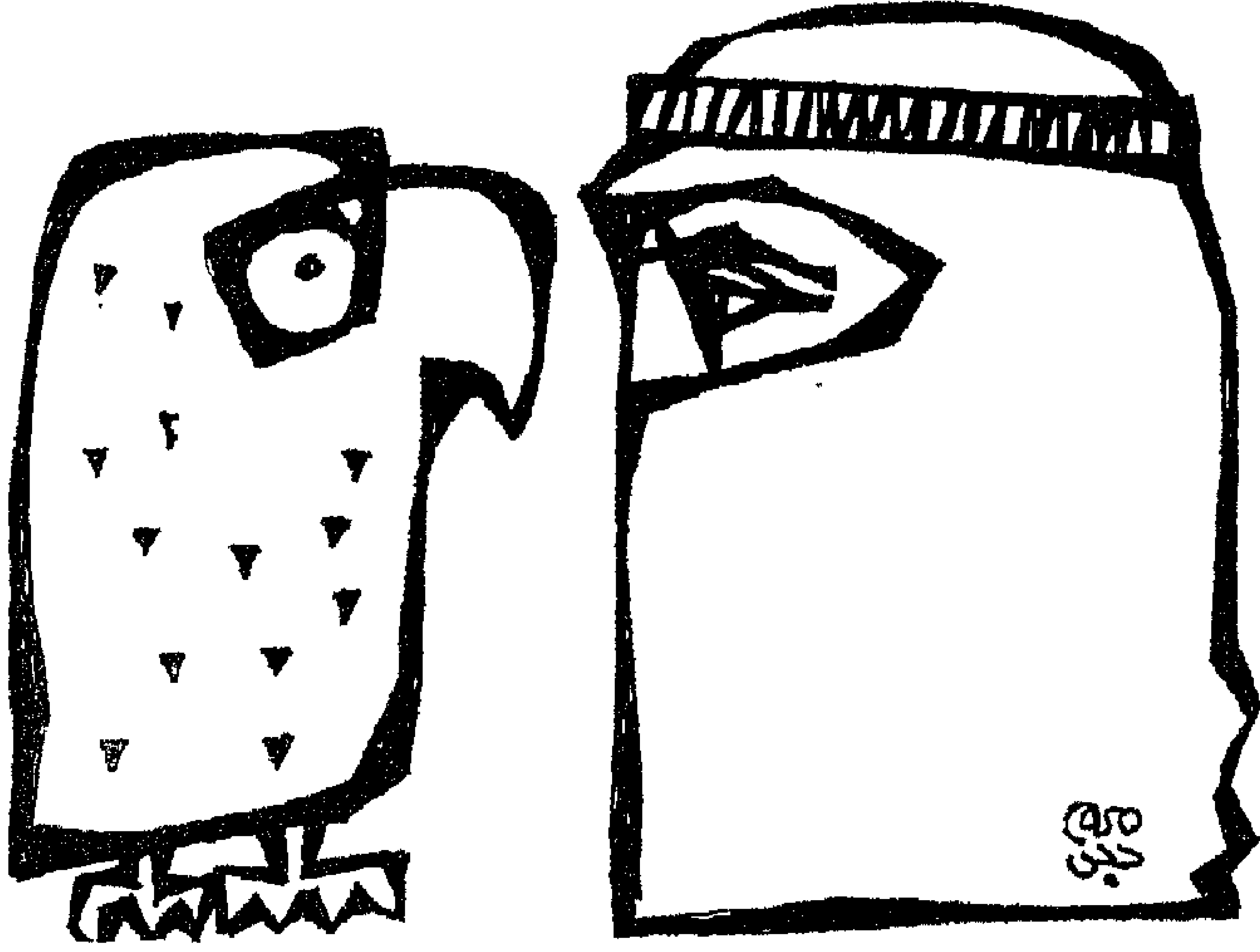
فانه اذا حدث وتخلت اسرائيل عن بعض الاراضى التى احتلتها بعد ١٩٦٧ ، فان تخليها سيكون شكليا محضا نظرا لاصرارها على تواجدها العسكرى فى المناطق المحيطة بالاراضى التى تنوى الانسحاب منها وهو ما كشفت عنه بوضوح ، تصريحات العديد من كبار قادتها ٠



[١٥] مجلة شئون فلسطينية العدد ٥ ص ٤٣ ــ ٤٤.
[١٦] نفس المرجع العدد ٤ ص ٢٩٧.

(٥)

الأردن والمقاومة وجها لوجه



تجارب ٧ سنوات تؤكد :

لا مجال للتعايش

احسان بكر

وجها لوجه عبر ٧ سنوات كاملة من النضال الدامى سقط خلالها مئات الشهداء وآلاف الجرحى وعشرات عشرات المعتقلين · بداية بعامى الانطلاق الاولى لحركة المقاومة فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ ومرورا بعام الهزيمة فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، ووصولا بتجدد الانطلاق والمد الجماهيرى الواسع لحركة المقاومة وعشرات الازمات الدامية مع السلطة الحاكمة التى جسدتها مذابح أيلول « سبتمبر » ١٩٧٠ الاسود ومذابح جرش وعجلون، ونهاية بوصول الوساطة المصرية ـ السعودية الى طريقها المسدود ··

٧ سنوات من محاولة التعايش مع النظام الحاكم فى عمان كانت محصلتها الاخيرة : لا مكان للتعايش بين النظام العميل والحركة الثورية للشعب الفلسطينى ·

ماذا حدث فى الاردن اطول جبهات المواجهة مع العدو ، وما هى مخططات النظام ليس من أجل تقييد العمل الفدائى، أو انهائه كلية من الاردن، بل وصولا الى اتفاق منفرد مع العدو الاسرائيلى ؟

ثلاثة أقسام يتعرض لها هذا المقال بالبحث والدراسة · **الاول** : شريط سريع لتلاحق الاحداث بين النظام الاردنى وحركة المقاومة الفلسطينية ·· **الثانى** : محاولة لتقديم الاجابة على السؤال المطروح وهو كيف تمكن النظام الحاكم فى عمان من تنفيذ مخططاته السوداء وما هو الاسلوب الذى اتبعه المخطط الاردنى للتعبئة ضد حركة المقاومة **الثالث** : ما هى آفاق المستقبل بعد كل ما حدث وجرى ··

هذه الدراسة تعتمد على مجموعة من الدراسات التى خرجت من مركز الدراسات الفلسطينية

ولقاءات مباشرة مع زعماء الثورة الفلسطينية وزعماء الحركة الوطنية الاردنية ثم على المعايشة اليومية للعمل الفدائى لكاتب المقال مع رجال المقاومة الفلسطينية فى قواعدهم الفدائية على طول خطوط المواجهة فى الاردن وسوريا ولبنان ٠
اولا :

أولا : السلطة والفدائيون

شريط كامل للاحداث

لماذا تردت العلاقة بين النظام الهاشمى الاردنى وحركة المقاومة الفلسطينية حتى وصلت الى تلك القناعة التى تسيطر على جميع الفلسطينيين بأنه لا مجال للتعايش بين النظام والمقاومة ؟

عرض موجز لشريط الاحداث منذ يونيو ١٩٦٧ وحتى اعلان فشل الوساطة المصرية السعودية منذ شهور قليلة يوضح كل شىء ٠

فحتى قبل هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ وعندما انطلقت الطلائع الاولى ممثلة فى حركة فتح فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ كان الاردن البلد العربى الذى امتلات معتقلاته وسجونه بالفدائيين والثوار بل ولقد تمادت السلطة فى اجراءاتها التعسفية الى حد القتل لكل ثائر يعود من الارض المحتلة ٠

■ ومنذ الخامس عشر من يونيو ٦٧ كانت كل مجموعة فدائية تقع فى يد رجال الامن العام أو المخابرات أو الجيش تلاقى السجن والتعذيب ثم لا يفرج عنها الا بعد تقديم تعهد بعدم العمل من الاراضى الاردنية ٠٠

والملك حسين نفسه قال فى تصريح شهير له : **«مجرم كل من يحاول أن يضرب فى الارض المحتلة »**

اول ازمة مع النظام :

■ بعد تواجد الفدائيين فى قاعدتهم فى « الكرامة » وتحديدا فى يوم ٢ **فبراير ١٩٦٨** قامت قوات من الجيش والامن العام بمحاصرة هذه القواعد وبدأت باطلاق النار على الفدائيين ٠ ولولا تحرك الجماهير للوقوف بين الفدائيين والقوات المهاجمة لحدثت المجزرة ٠

■ فى ٤ **نوفمبر** ١٩٦٨ احتل الجيش عمان وحاصر قواعد الفدائيين فى الأغوار فى محاولة لضرب الثورة ٠ ويومها لم يكن للعمل الفدائى ما يسمى بالاخطاء او الجرائم التى يدعيها النظام ٠٠ ولولا تدخل بعض الدول العربية وصمود المقاومة لتمكن الجيش يومها من سحق الفدائيين وتصفيتهم ٠

■ **فى ١٠ فبراير ١٩٧٠ فوجئت قيادة المقاومة** بمجموعة من القرارات التى تقيد حرية العمل الفدائى وتسلبه كافة حقوقه المتفق عليها ٠ وبدأت السلطه بتنفيذ القرارات مباشرة دون اعلام مسبق لقيادة المقاومة وكادت الامور أن تصل الى حد الصدام العنيف يذهب ضحيته الالاف لولا ضبط النفس فانتهت المؤامرة باتفاق على عودة الاوضاع الى ما كانت عليه ٠ لكن السلطة لم تلتزم واستمرت فى تنفيذ مخططاتها فأنشأت « **الشعبة الخاصة** » وكانت لها ثلاث مهمات رئيسية :

● اثارة النعرات الاقليمية فى صفوف الشعب الواحد ، وفى صفوف القوات المسلحة عن طريق افتعال حوادث باسم الفدائيين وارتكاب جرائم خلقية باسم المقاومة ٠

● اشاعة جو نفسى ضد الفدائيين بين المواطنين والقيام بتصرفات من شأنها أن تساعد على تثبيت هذا المناخ المعادى ضد الفدائيين ٠

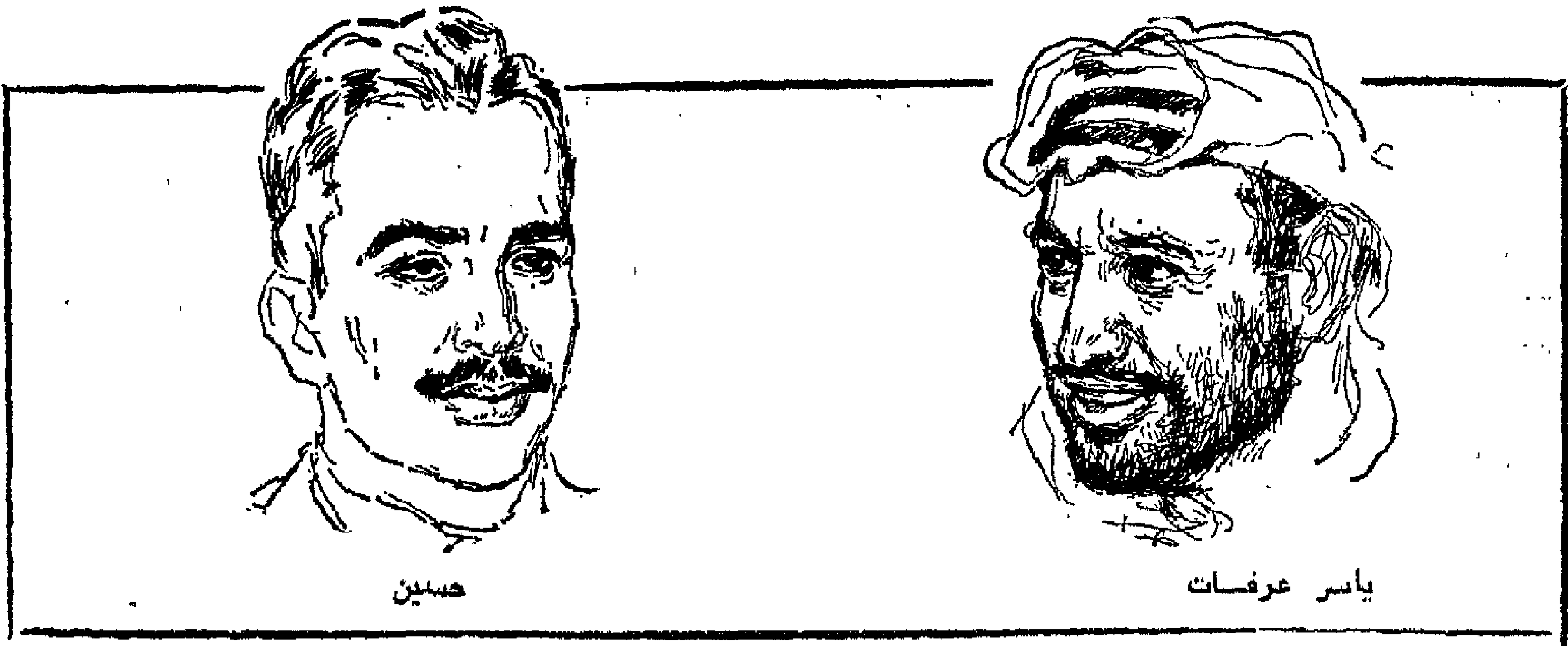
● دس العناصر التابعة للشعبة فى وسط الفدائيين للتخريب من الداخل وللقيام باغتيالات داخل صفوف الثورة وخارجها ٠

(ولخطورة مهمة هذه الشعبة التى لعبت دورا كبيرا فى أحداث ٧ يونيو ١٩٧٠ ، فقد كان اتصالها شخصيا بالملك حسين ورأسها الشريف ناصر بن جميل خال الملك وقائد الجيش وقتئذ وضمت لعضويتها كبار رجال المخابرات وضباط الجيش والامن العام) ٠

ـ ثم جاءت حوادث السابع من يونيو ١٩٧٠ وكانت المحاولة الجادة والصميمة من قبل النظام الاردنى لضرب حركة المقاومة ٠ فقد افتعلت الشعبة الخاصة « وقوات الصاعقة الاردنية » التابعة لها عدة حوادث ألقت مسئوليتها على العمل الفدائى فبدأت معارك عنيفة بين الجيش والفدائيين ٠ ثم انتهت المعارك الدامية بخضوع السلطة وطرد المسئولين عن الازمة وهما الشريف ناصر بن جميل والشريف زيد بن شاكر ٠

(أثناء هذه المعارك فى الاردن اجتمع مؤتمر القمة فى طرابلس وحضره وقتها القائد الخالد جمال عبد الناصر حيث قرر المؤتمر ايفاد أربعة ممثلين عن الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وليبيا والسودان وهم الدكتور حسن صبرى الخولى والسيد قائد أحمد والرائد محمد نجم والرائد مأمون عوض ابو زيد ، **وانتهت جهود الوسطاء الاربعة بتوقيع اتفاقية ١٧ يوليو ١٩٧٠ التى وضعت حدودا للسلطة الاردنية وحدودا للعمل الفدائى**) ٠

وما كادت هذه الاتفاقية الاخيرة توضع موضع التنفيذ حتى بدأت العراقيل والسدود تقف فى طريقها ٠ وبدأت ولاول مرة فى تاريخ المنطقة



محاولات قتل جماعية للشعب الفلسطيني بقصف المخيمات والاماكن الاهلة بالسكان بالمدفعية لساعات طويلة مما اضطر قيادة حركة المقاومة الى طلب عقد جلسة عاجلة لمجلس جامعة الدول العربية تقرر على أثرها ايفاد لجنة عسكرية برئاسة السفير أمين الشبلي ـ مندوب السودان لدى الجامعة العربية الى عمان ٠ لكن اللجنة العربية ووفد المقاومة ووفد حكومة عمان وكان السيد عبد المنعم الرفاعي وقتها رئيسا للحكومة لاحظ أن الملك حسين لا يريد أي نقاش مع المقاومة وأنه ينوى توجيه ضربة قاصمة للفدائيين فى كل أماكن تواجدهم ٠

بداية مذابح أيلول

■ في يوم الثلاثاء ١٥ سبتمبر ١٩٧٠

عقد اجتماع مشترك ضم الحكومة واللجنة العربية والمقاومة وخرج الجميع باتفاق تام حول كافة القضايا المطروحة .واعلن راديو عمان وفى الساعة الحادية عشرة مساء نصوص الاتفاق مع الفدائيين والبرنامج الزمنى الذى ينظم تنفيذه .

وفى الوقت الذى كان فيه راديو عمان يذيع اتفاق الحكومة مع الفدائيين كان النظام العميل يرتب أشياء أخرى ٠ ففى قصر الحمر كان الملك حسين مجتمعا بأركان حربه للتخطيط لحملة أيلول « سبتمبر » السوداء ٠

■ **وفى اليوم التالي الاربعاء ١٦ سبتمبر** أعلن اقاله الحكومة الوطنية برئاسة عبد المنعم الرفاعى وتشكيل حكومة عسكرية برئاسة العميد **محمد داوود** وبدأت الحملات المسعورة عبر الاذاعة تطالب الفدائيين بتسليم أسلحتهم ٠

■ **فى تمام الخامسة من مساء يوم الخميس ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ بدأت هجمة « أيلول السوداء » بكل شراستها** ٠٠ المدفعية تطلق نيرانها على عمان وعلى كل ناحية منها لا تفرق بين قاعدة وبيت ٠٠ **بين فدائي ومواطن** ٠ **وبدأت الدبابات الاردنية** تخترق الشوارع والاحياء تضرب وتقصف بمدفعيتها الثقيلة وتحركت أفواج المشاة ورجال البادية والحرس الملكى تعتقل وتقتل وتذبح كل فلسطينى حسب هواها وعصبيتها وتعبئتها القاتلة الحاقدة واستمرت المجزرة أكثر من عشرة أيام دامية ٠

وأخيرا توقف القتال ووقع الملوك والرؤساء العرب **اتفاقية القاهرة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠** ودهبت اللجنة العربية العليا الى عمان برئاسة الباهى الادغم وفى ظل اللجنة تم التوقيع على اتفاقية عمان وملحقاتها بين الملك وياسر عرفات ٠

وفى ظل اللجنة العربية احتلت القوات الاردنية مواقع كثيرة لم تكن قد سيطرت عليها أو استطاعت الوصول اليها أثناء القتال .

وفى ظل اللجنة العربية نفسها جرت مجازر جرش والهملان والبقعة والمفرق واربد ٠٠

وفى ظل اللجنة أيضا جمعت أسلحة الميليشيا والتى تنص عليها الاتفاقات ٠ ثم انسحب الباهى الادغم ٠ وعاد الحديث عن مشكلة الامن ٠ ولم يكن امام المقاومة لتفادى مجزرة جديدة سوى اتخاذ سلسلة من الاجراءات العسكرية الذاتية فى عمان ٠ وعلى غير ما اتفق عليه دخل الجيش الى عمان وفتشها بيتا بيتا وأخيرا انتقل الفدائيون الى الاحراش ٠٠ الى جرش وعجلون ٠

تركوا المدن ٠٠ حملوا سلاحهم ٠٠ اغلقوا مكاتبهم فى العاصمة وانتقلوا الى الاحراش الى عجلون ودبين والاغوار

كل الحجج سقطت ، وكل الادعاءات تهاوت ٠٠ والرجال جميعهم فى الاحراش المواجهة لاسرائيل ٠٠٠

مجزرة جرش نهاية الوجود

الفدائي العلني في الاردن

ماذا حدث فى الاحراش ؟ وما هى قصة المجزرة « الجريمة » ؟

حد منهم يحكي القصة كما عاشها ليلة بليلة « **أبو المعتصم** » أحد المسئولين العسكريين عن يين قابلته في دمشق وكان قد استطاع ل من الحصار ووصل الى دمشق ليرفع ا الى ياسر عرفات ·

. خططت الدولة للتصفية ابتداء من أول يونيو ، · قسمت مرحلة التصفية الى ٣ مراحل · ن شملت كل شهر يونيو والثانية من أول يوليو ١٢ يوليو والمرحلة الاخيرة للتصفية بدأت يوم وليو ·

أت مرحلة التصفية الاولى بفرض حصار ، وواسع على أغلب مواقع المقاومة وبدأت اية المتقطعة على مواقع الفدائيين · ثم افتعلت ثا لاثارة سكان هذه المناطق على الفدائيين ستنزاف وارهاق العمل الفدائي في نفس الوقت كل داورية كانت تخرج لقطع النهر تجاه ض المحتلة كان يحدث الاحتكاك بينها وبين ش ·· اما الرماية على افراد الدورية اثناء رر أو اعتقال الفدائيين بعد العودة ·

يثور سؤال هام : لقد زرت كل هذه المواقع ، عليها بقدمي ·· هناك التقيت بياسر عرفات اتلين · هي أماكن محصنة · فكيف حدثت صفية بهذا الشكل ؟

| حقيقة ما تقول ، جرش تتوافر فيها وط الاساسية لحرب العصابات · قالها لي ـ المعتصم ـ هذه المناطق قريبة من مناطق العمق الاراضي المحتلة · فمن جرش نفذنا عمليات تل . والقدس ونهاريا واريحا · غابات واحراش ة بها طرق متعددة تسهل عملية التحرك الى ام والخلف باتجاه فلسطين استحكامات طبيعية ل الجبال ومصادر المياه والتموين قريبة منا · ثية القاهرة وبروتوكول عمان حددا لنا تواجدنا هذه الاماكن · الاتفاقية حددت الطريق العام درعا الرمثا جرش الصويلح وكل ما يقع غرب الطريق هو مناطق تجمع لنا · وطوال هذا هر استمر الجيش في الرماية المتفرقة على اعد ثم بدأت تعزيزات الجيش تصل حول عدنا · هي في النهاية عملية تضييق ومنع حرك الفدائي تماما ··

ثم كانت المرحلة الثانية من التصفية · لقد بدأت أول يوليو واستمرت حتى الثاني عشر من يو · فماذا حدث ؟

لتعزيزات العسكرية اكتملت ·· اكثر من فرقة كرية تمركزت حول القواعد وبدأ الحصار ق · ومعناه عدم السماح بالدخول أو الخروج قا حتى التموين والاسعافات الطبية منعت عنا بلغنا رسميا أن الطريق الوحيد الموصل لنا وهو ر « أم الرمان » اصبح ممنوعا كليا علينا · كل من يخرج اما أن يعيدوه الينا ثانية أو يعتقل أو يطلق عليه النيران ·

الامر الذي لفت نظر الجميع هو ان الوية الدروع الاردنية ونحوا من ١٦ بطارية من المدفعية الثقيلة قامت بمناورة في مناطق شمال شرق الزرقاء وكانت المناورة عبارة عن تطبيق عملي للعملية المنتظرة وهي ضرب القواعد الفدائية · هذه المناورة جرت على أرض منطقة مشابهة لارض العمليات المخطط لها ولكن بدون وجود الاحراش ·

على اي فلقد انتهت المناورة التي اشرف عليها الامير الحسن يوم ١٠ يوليو وعادت القوات المشتركة الى مواقعها الجديدة حيث فرضت الحصار الشامل على جميع مناطق الفدائيين وقتها سيطروا بالنيران على جميع مصادر المياه واغلقت الطرق والوديان وطوقت المنطقة بثلاث فرق عسكرية لكي تواجه ما لا يزيد عن ٣٥٠٠ فدائي باسلحتهم الخفيفة ·

وجاء فجر ١٣ يوليو · على وجه التحديد الرابعة صباحا · قصف مدفعي كثيف شمل وغطى كافة مواقع العمل الفدائي داخل الاردن بدون استثناء ـ **مرة ثانية يثور سؤال ·· فمن بديهيات حرب العصابات ان لا تحدث مواجهة بين قوتين غير متكافئتين ·· بمعنى ان التحامكم مع القوات الاردنية ـ ٣٠ ألف جندي ـ هو بمثابة اتاحة الفرصة لهم كاملة لإبادة الفدائيين · فكيف تمت المواجهة غير المتكافئة** سواء بالنسبة لعدد الافراد المهاجمين ، أو لمستوى التسليح وغير ذلك ·

■ حقيقة ما تقول ، كحرب عصابات كان يفترض ان لا نصمد في وجه مثل هذا الهجوم · والمفترض نظريا هو ان نغير مواقعنا ونتسلل الى مواقع اخرى ونتفادى الالتحام ·

ولكن الى اين نستطيع ان نذهب ·· الجيش بقواته الكثيفة فرض « حصار كماشة » على كل المنطقة ومن جميع الاتجاهات ·· فلم يبق هناك قطعة ارض لم تغط بقوات عسكرية الا الخلف ·· الا الارض الاسرائيلية · فالى اين كنا نستطيع ان ننسحب · هنا سقطت نظرية حرب العصابات ولم يبق امامنا سوى المواجهة مهما كانت الخسائر ··

حتى الفدائيون الذين استطاعوا أن يتسللوا الى القرى الاردنية واجهتهم قوات الجيش الشعبي الاردني وذبحتهم . الجرحى منهم ذبحوا قبل أن يصل الدواء اليهم ·· التموين والمياه قطعت عنهم أكثر من أسبوع · كانوا أمام خيارين اما التسليم والذبح · واما القتال حتى الموت ، ولقد إخترنا الطريق الثاني ·

مجموعة من الفدائيين نفذت ذخيرتها فلم يكن امامها الا دخول الارض المحتلة والاستسلام الى قوات الاحتلال . لقد فضلوا – ويالبشاعة أن يستسلموا لاسرائيل على ان يستسلموا للذبح لدى حكام عمان ٠

حتى مخيم غزة للاجئين – فى جرش – قصفته المدفعية الثقيلة يوم ١٦ يوليو ، وتمت عملية ابادة شاملة لجميع القواعد المحيطة بـه ، ثـم تعرض العشرات من سكانه للذبح الجماعى والتقتيل ٠

وجاءت البعثة العسكرية السورية يـوم ١٧ يوليو ٠٠ وأخذوا ينادون علينا بمكبرات الصوت ، البعثة السورية تناديكم . لقد توقف القتـال ٠ لتخرجوا من مواقعكم للانتقال الى مواقع جديدة لتواجد العمل الفدائى : غرب منطقة اشتافينا وغرب قرية برمة والكرامةوارميمين وفعلا خرجنا من مواقع الحصار تحت اشراف السوريين للانتقال الى القواعد الجديدة .

وعندما تم خروج جميـــع الفـدائيين – وكان عددهم نحوا من ٢٣٠٠ فدائى ادعى قائد الجيش عـــدم قدرته على توزيـع جميع الفدائيين علــى مناطقهم الجديدة المتفق عليها مع السوريين ٠ وطلب نقل الفدائيين الى المفرق ليوم واحد ومن هناك يتم توزيعهم على قواعدهم الجديدة ٠

فماذا حدث فى المفرق ؟

هناك مورست على الفدائيين كل عمليـات الارهاب . قسموهم الى مجموعات نقل أغلبهم الى المعتقلات بحجج مختلفة .

وفى يوم ٢٠ يوليو اجتمعت البعثة السورية بوصـــفى التل وطلبت منه عـودة الفـدائيين الى مواقعهم الجديدة والمتفق عليها فرفض بحجــج مختلفة وتذرع بأن التحقيق لم ينته بعد مع عدد من الفدائيين الذين زعم أنهم مطلوبون بتهم وجنايات مختلفة فانسحب الوفد السورى ٠

وفى المعتقلات قام رجال المخابرات بسحب كل هويات وبطاقات الفدائيين منهم ٠ رحلت مجموعة الى سوريا وأفرج عن مجموعة اخرى والمجموعة الثالثة تم اعتقالها ٠ والمجموعة التى افرج عنها تعيش تحت تهديد الاعتقال فى أية لحظة بحجة عدم وجود اثبات شخصية ٠

ما جرى فى سبتمبر « أيلول » ١٩٧٠ كان مذبحة واسعة دبرها النظام الاردنى لحركة المقاومة راح ضحيتها عشرون الف قتيل وجريح ٠ ووقتها قدمت الحجج والادعاءات ٠ قبل أيلول لم يكن هناك « صيغة » تنظم العلاقة بين السلطة والمقاومة ٠ هكذا قالوا ٠ قبل أيلول كانت هناك أطراف تعمل لقلب نظام الحكم . كان هناك الحاد وخروج على القوانين . هكذا ادعوا ٠ قبل أيلول كانت هيبة الدولة غائبة وسيادتها على أراضيها غيــر موجودة ٠ هكذا زعموا ٠ لكن أحداث جــرش وعجلون وضعت خاتمة أخيرة لاحتمال التعايش بين المقاومة والنظام الحاكم فى عمان ٠ ففى شهر ابريل ١٩٧١ انتهى الوجود العسكرى للمقاومة فى عمان ٠ وقبل ذلك بشهر سقطت اربد والسلط والمفرق ثم جاء شهر أغسطس ١٩٧١ لتبدأ معارك جرش وعجلون ثم ينتهى وجود الثورة الفلسطينية العسكرى العلنى فى الاردن وليـدخل الصراع مراحل جديدة .

وقامت محاولات عربية للوساطة وعقد مؤتمر جدة أكثر من جلسة ليواجه اخيرا الطريق المسدود فالاردن او بالتحديد النظام الحاكم فى عمان لا يريد مقاومة فلسطينية مهما كانت الاتفاقات او الالتزامات العربية التى التزم بها ملك الاردن امام الملوك والرؤساء العرب ٠

وتفشل محادثات جدة ثم يعقد مجلس الدفاع العربى جلساته فى القاهرة ويأتى وصفى التل الى مصر متحديا كل المشاعر العربية . ويسقط وصفى التل صريعا على ابواب فندق شيراتون بعد أن نفذ فيه الفدائيون حكم الاعدام الذى اصدره الشعب العربى كله ٠

وتنتهى الجهود والوساطات والمؤتمرات لاعادة النظام العميل الى التزاماته العربية ٠ وتظـل القضية قائمة ٠ هناك فى الاردن اكثر من مليون فلسطينى لا يطلبون سوى حرية العمل لاستعادة اراضيهم السليبة ٠ ولكن هناك فى الاردن أيضــا نظام عميل كرس كل رسالته من اجل الاستسلام وتنفيذ مخططات اسياده فى واشنطن .

ويبرز السؤال : كيف تمكن النظام الحاكم فى عمان من تنفيذ مخططاته السوداء لانهاء الوجود الفدائى من كل الاردن ٠ وكيف نجح فى ذلك ؟ هنا نصل الى الجانب الثانى من الموضوع وهو كيف خطط النظام العميل لضرب العمل الفدائى .

ثانيــا : التعبئة الاردنيــة

ضد المقاومة الفلســطينية

لقد شنت السلطة الاردنية حملة تعبئة شديدة ومركزة ومخططة ومدروسة ضد حركة المقــاومة

الفلسطينية ، ولئن كانت هذه الحملة قد اشتدت فى أواخر عام ١٩٦٩ ، وتصاعدت باطراد الى أن انفجر الصراع حادا ومدمرا فى هجمة « أيلول الاسود » سبتمبر ١٩٧٠ ، الا انها كانت قد دخلت مراحلها التمهيدية بعد معركة الكرامة فى ٢١ مارس ١٩٦٨ ، حين بدا واضحا للنظام ان حركة المقاومة الفلسطينية تستقطب اهتمام الجماهير ودعمها بصورة متزايدة ، وأن كل يوم جديد من حياة المقاومة يضيف الى قوتها قوة ويشل أكثر فأكثر أجهزة القمع التى يعتمد عليها النظام .

لقد قامت السلطة بحملة دعاية وتحريض كثيفة ضد المقاومة فى صفوف الجيش الاردنى وبين البدو ، وعلى الرغم من أن هذه الحملة بلغت ذروتها فى الفترة ما بين حزيران « يونيو » وايلول « سبتمبر » ١٩٧٠ وما بعد احداث ايلول ، الا انها تعود فى اصولها الى الفترة التى تلت حرب يونيو ١٩٦٧ مباشرة ، بل وترجع فى بعض هذه الاصول الى ما قبل حرب الخامس من يونيو . وقد استخدم النظام الاردنى فى دعايته وتحريضه وسائط متعددة تتراوح ما بين الكلمة المكتوبة والكلمة الحاكمة والصورة الشائعة .. وفى مقابلة اجراها صحفيان امريكيان مع اللواء معن أبونوار مدير التوجيه المعنوى فى الجيش الاردنى ومسئول الحرب النفسية فيه يقول أبو نوار : « اننا نستطيع أن ننشر شائعة فى عمان خلال ساعتين فقط لتنتقل من ثم الى باقى المملكة » . وتلعب الشائعات دورا فعالا ، لانها تتوجه الى اوساط تسود فيها الامية ولان البدوى والى حدما الفلاح يتقبل الشائعات ويتناقلها ، فالبدوى محدث بارع وتستهويه الرواية ونقل الاخبار .

وفى بحث أصدره مركز الابحاث الفلسطينية عن « التعبئة الاردنية ضد المقاومة قبل هجمة ايلول سبتمبر ١٩٧٠ » يقول الباحث خليل هندى أن مواد الاعلام المكتوبة والمذاعة لم تتعرض علنا للعمل الفدائى قبل أزمة يونيو ١٩٧٠ فقد كانت الدعاية المضادة للعمل الفدائى تعتمد حينذاك على الشائعات « والفكرة اليومية الرسمية » وهى سجل للاحداث يوزع على الضباط الاردنيين فى وحداتهم العسكرية ويقرأ على الجنود ، بينما لعبت وسائط الاعلام العلنية دور تعزيز مكانة الجيش ومنزلته الادبية والمعنوية . وبالقاء نظرة فاحصة على جريدة « الاقصى » وهى الجريدة الرسمية للجيش الاردنى يمكن استخلاص الاتجاهات الرئيسية للدعاية والتحريض ، وابرز هذه الاتجاهات التركيز على مدح الجندى ، واستثارة النعرة الاقليمية ، ودفع الجنود الى الاحساس بأن كرامتهم مجروحة وذلك بترويج قصص مختلفة فى معظمها عن الاهانات التى يوجهها الفدائيون للجنود ولكرامة الجيش ، واستخدام الدين لحض الجنود بالحقد على العمل الفدائى ، ونشر شائعات عن فظائع مزعومة ارتكبها الفدائيون ، ومحاولة ربط المقاومة بالعدو الاسرائيلى فى ذهن الجنود .

والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة :

■ فلابد من أن يكون هناك مخطط لاستثارة النعرة الاقليمية والتفرقة بين الاردنى والفلسطينى . فالاردن بلد الاردنيين ، أما الفلسطينيين فدخلاء ، وهم لا يشعرون بالانتماء للاردن وهم سبب البلاء وسبب الخراب والدمار ! هكذا صورت السلطة الامور لجنود وضباط الجيش الاردنى .

ففى جريدة الاقصى الناطقة باسم الجيش نجد بتاريخ ١٢ ـ ١٠ ـ ١٩٧٠ فى الصفحة الرابعة ما يلى :

« من أطفأ النور فى عمان ؟ من قتل الحركة فى بعض شوارع العاصمة ؟ وجاء الجواب فورا . هم الخفافيش التى تكره النور وتخافه . ابناء الظلام الذين خططوا ورسموا فى سراديب جمهورياتهم .. وهنا سطعت من اعماق حقيقة لن انساها : حقيقة الانتماء . فالذين جذورهم ضاربة فى اعماق تربة هذا البلد منذ فجر التاريخ عبر جهدهم وعرقهم لبنائه لن تطاوعهم قلوبهم على كسر قنديل زهرة فى أرض هذا البلد . هؤلاء لن تطاوعهم قلوبهم على كسر قنديل زهرة فى السلط ومعان والطفيلة لانهم من تراب هذا البلد ومن مائه شربوا وتحت حرارة شمسه نضجوا وترعرعوا » .

الامر لا يقتصر أيضا على كون الفلسطينيين دخلاء على الاردن ، بل انه يتعدى ذلك . فالفلسطينى أيضا لا يتحلى بالخصال الحميدة فهو يقابل المعروف الذى أسداه له الشعب الاردنى بالاساءة والاحسان بالجحود !!

وفى جريدة الجيش نفسها نشرت الاقصى بتاريخ ٢٥ ـ ١١ ـ ١٩٧٠ عمودا بتوقيع « جندى اردنى من أصل فلسطينى » يقول : « والله ان هذا الشعب الاردنى عظيم ونبيل وشجاع وشهم .. والله انه ما صنع لشعب أكثر منه لقضية فلسطين ولم يحب شعب آخر أكثر منه شعب فلسطين » . وبعد أن يلفت النظر الى أن الشعب الاردنى « اقتسم ، مع الشعب الفلسطينى « الخبز والماء والهواء والارض والمأوى والتراب والعمل والرزق والحياة والايام حلوها ومرها .. وقدم له الشهداء الابرار شهيدا بعد شهيد فلم يبق بيت اردنى واحد الا ومنه شهيد » يقول : « ان الذى وجدناه هنا فى الاردن نحن الفلسطينيين لن نجده فى أى دولة على وجه

هذه الارض • وابسط مبادىء الاخلاق ان لا يسيء احد الى الاردن •• ان من يعتدى على الاردن قولا او عملا عميل صهيوني مأجور ، او اسرائيلي معتد غاشم » •

وبعد ان تستثير دعاية السلطة النعرة الاقليمية تلقي بمسئولية ذلك على الفلسطينيين فتتهم جريدة الجيش « فئة ضالة » بانها تنشط و « تثير الفرقة وتغذى النعرة وتوقظ الحقد وتؤجج لهيب الاقلية الضيقة هادفة من ذلك الى تصديع الوحدة الوطنية وتمزيق الصف الواحد » •

بل ان الحرب النفسية التى شنها النظام ضد الفدائيين امتدت الى محاولة ايهام الجيش ان الفدائيين يتعمدون اذلاله واهانته • فدأبت « الفكرة اليومية » على ايراد عدد هائل من الحوادث يوميا عن فدائيين اهانوا جنودا أو قتلوهم أو جرحوهم أو جردوهم من سلاحهم أو طردوهم من الاماكن الهامة • وكانت الفكرة تؤكد على حوادث تجريد الجنود من سلاحهم لان ذلك يستثير فى الجندى البدوى احساسا بجرح عميق فى كبريائه لان السلاح الفردى بالنسبة للبدوى جزء منه ولا تكتمل رجولته وفروسيته الا به •• بل وعمدت اجهزة التعبئة المعنوية الى ايهام الجنود بأنهم لا محالة سيتعرضون للاذى اذا ذهبوا الى المدن وخاصة عمان العاصمة •• وكانت تنصحهم بان يستبدلوا ثيابهم العسكرية بثياب مدنية اذا أرادوا الذهاب ، ثم عمدت فى النهاية الى منع اجازات الجنود بحجة الحفاظ على سلامتهم • وقد أثار كل ذلك فى نفوس الجنود شعورا بالمهانة والحقد ، ولعل هذا هو ما يفسر سلوك الجيش سلوكا وحشيا فى عمان فقد كان الجنود يظنون بأنهم يثأرون لانفسهم من المدينة التى صور لهم انها « طالما أذلتهم واهانتهم » •

استخدمت السلطة ايضا سلاح الدين فى تعبئة الجيش ضد حركة المقاومة ، وذلك أدراكا منها بسيطرة الدين سيطرة بالغة على الاوساط التى يجند منها الجيش الاردنى مادته البشرية • وقد صورت دعاية النظام للجنود ان صراع السلطة مع المقاومة انما هو صراع بين الالحاد والايمان ، وقد استفادت من ذلك الى حد ما من الفجاجة التى كانت بعض المنظمات تطرح بها التزامها الفكرى بالماركسية والحملة التى قامت بها هذه المنظمات فى عيد لينين المئوى •

واذكر هنا حوارا دار بينى وبين الدكتور عبد المنعم الرفاعى رئيس وزراء الاردن الاسبق فى منزله بجبل عمان عشية مجازر سبتمبر ١٩٧٠ • قال لى الزعيم الوطنى الاردنى وهو يبتسم : « هل تعلم ان الاردن كان اكثر الدول احتفالا بذكرى لينين •• هل تعلم أن الندوات عقدت فى الاذاعة والتليفزيون تمجيدا للزعيم الشيوعى الكبير • ثم هل تعلم أن الاعلام الحمراء رفعت فوق بعض مساجد عمان وان صور ماركس ولينين غطت مسجد الحسين الكبير فى قلب العاصمة • ولما سألنا ما هو سر هذا الانقلاب المفاجىء قالوا لنا ماذا نفعل : الفدائيون مسيطرون على كل شىء فى الاردن حتى على الاذاعة الرسمية » !! •

لقد صورت الدعاية الرسمية للجيش الماركسية انها الحادا وفسقا واباحية وتهتكا • وقامت السلطة عشية احداث أيلول « سبتمبر » بتذكير الجنود بأنهم مسلمون وبأن من واجب المسلم أن يقاتل الملحدين ، فوزعت على كافة المسلمين فى الجيش نسخا من القرآن الكريم بحجم الجيب ووجه رئيس أركان الجيش بتاريخ ١٥ سبتمبر رسالة يتحدث فيها عن اهداء « كل ضابط وضابط صف وجندى اثمن أمانة وأعزها « وهو القرآن » ليضعها كل واحد منكم فى جيبه الايمن ويضع شهادة تعيينه فى جيبه الايسر » • وكانت دائرة التوجيه المعنوى قد شنت فى صفوف الجيش حملة ضد « الالحاد » واستخدمت فى ذلك الائمة الملحقين بالوحدات العسكرية فكان هؤلاء يلقون فى الجنود دروسا ومواعظ تحض على محاربة الالحاد والملحدين لئلا يودى الالحاد بالجميع الى التهلكة ولئلا يكون الجميع فتنة للذين كفروا •

وفى جريدة الجيش الاردنى بتاريخ ٢٦ اغسطس ١٩٧٠ نجد قصة قصيرة تلقى ضوءا على المنحى الذى نحته الدعاية المضادة للمقاومة الملحدة فى صفوف الجيش • هذه القصة على شكل حوار يختلط فيه صوت الجندى بصوت شاب « انيق » جاء ليحدثه عن الوطنية :

« الجندى يصلى : الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم ••

وقاطعه الشاب : ما سمعت أن ماركسيا قال ••

وارتفع صوت الجندى : اياك نعبد واياك نستعين ••

قال الشاب : أما انجلز فقال •••

وغردت تلاوة الجندى : قل أعوذ برب الناس •

وقال الشاب : شو بدك بهالحكى • الدين افيون الشعوب •

وارتفع صوت الجندى مصليا : من شر الوسواس الخناس •••

قال الشاب : الرجعية هى التى ••• »

ويكمل الجندي صلاته ثم يستدير ويهدد الشاب بأنه سيستخدم القوة فـ « نهض الشاب ونفض سرواله الضيق ودفع غرته الطويلة عن جبينه المغندر وانسحب يهز ردفيه هزا واختفى برقة ودلال » · « وبقي الجندي جالسا ورفع يديه الى السماء وقال : ·· يارب انصر الحسين وجنوده ·· جنود محمد على الصهيونيـة والصهيونيين والكفار الملحدين » ·

اذن ، المقاومة تتحدث عن الوطنية والرجعية ولكنها لا تفعل ذلك الا لتنشر الماركسية والالحاد ! ولردعها يجب ان تستخدم القوة والنصر المؤزر في جانب المؤمنين بصورة أكيدة فالملحدون مختنثون وحرب المؤمنين ليست على الصهيونية والصهيونيين فحسب ، بل انها تشمل أيضا الكفار والملحدين !

وقد ركزت دعاية النظام على هذا الجانب خلال احداث أيلول الدامية ذاتها مصورة المعركة التى تدور رحاها على أنها معركة بين الالحاد والايمان · وبعد مجازر ايلول القى النظام بوزر المجزرة وتبعتها على الملحدين · فتقول الاقصى جـريدة الجيش فى ١٣ اكتوبر ١٩٧٠ فى الصفحة الاولى : « وقعنا فى الفخ « فخ أيلول » عندما أشعل الملحدون العاملون فى الظلام الفتنة العمياء فى اردننا الصامد ·· ففي أيلول تحركت عناصر الشر الملحدة فنفذت مخططات واسعة النطاق أدت الى تأليب الرأى العام العالمى كله ضدنا ·· » · وليس الملحدون مسئولين عن احداث أيلول فحسب ، ولكنهم مسئولون أيضا عن بقاء الاحتلال حيث هو · فتقول جريدة الجيش على الصفحة السادسة من العدد نفسه « هيهات أن يعود الوطن الذبيح والاقصى الجريح ويلتئم الشمل ما دام هناك من يعيث فى البلد خرابا وفسادا ليخدم حفنة من الناس باعت ضمائرها للشيطان ولزمرة مـن الملحدين الحاقدين المارقين » · ثم تحاول دعاية السلطة أن تصور « النصر » الذى أحرزه النظام فى أيلول على أنه ليس الا فعل ايمان ·· فيقول المشير حابس المجالى القائد العام للجيش فى رسالة وجهها الى عموم الرتب فى القوات المسلحة بمناسبة عيد الفطر : « احيي ايمانـكم بعقيدتكم وبرسالتكم السامية التى تحملونها والتى بقيت وستبقى راسخة فى نفوسكم تتحدى كل حملات التشكيك والالحاد والجحود » ·

والامر المثير للدهشة والغرابة أن النظـام الاردنى العميل ، حاول فى دعايته المضادة ضد العمل الفدائى ربط حركة المقاومة بـالعدو الاسرائيلى ·· فقد عمدت دعاية السلطة فـى صفوف الجيش الى القول أنه على الرغم من « التناقض الظاهرى ، بين حركة المقاومة واسرائيل الا أنهما فى الواقع وجهان لعملة واحدة ! فالمقاومة أو على الاقل اجزاء منها تعمل لصالح اسرائيل ومخططات اسرائيل · ويجد هذا الخط الدعائى أصوله فى الحملات التشكيكية التى كانت تشن على العمل الفدائى قبل حرب ١٩٦٧ عندما كان يقال ان العمل الفدائى يهدف الى « توريط الدول العربية » فى حرب مبكرة مع اسرائيل تستطيع اسرائيل فيها احتلال اراض عربية جديدة · وقد اعتمدت دعاية السلطة الاردنية العميلة الفكرة الاساسية التالية : تقوم حركة المقاومة بخلـق تناقضات فى الجبهة العربية فتضعفها وهى فى ذلك متواطئة مع اسرائيل ، أو على الاقل تخدمها · يقول الملك حسين فى رسالة وجهت الى عموم الرتب فى الجيش بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٧٠ : « ثبت لى بما لا يدع مجالا للشك أن قوى الاعداء التى دست فى الصفوف من دست وهيأت بيننا من هيأت لتنفيذ أغراضها ومراميها ·· كانت وراء الاستفزازات التى تعرضنا لها فى الشهرين الماضيين فى القوات المسلحة والصفوف الخلفية سواء بسواء ·· » ·

وبعد مذابح ايلول سبتمبر عمدت دعاية السلطة الى تصعيد اتهامها فلم يعد العمل الفدائى يعمل لصالح اسرائيل بل أصبح اسرائيليا · ففى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ كتبت « الاقصى » الجريدة الرسمية للجيش تحت عنوان « الكذبة العظمى » تقول : ليس صوت فلسطين ذلك الذى يذاع من دمشق ، يجب التدقيق على موجاته والتأكد من أنه لا يصدر عن اذاعة سرية اسرائيلية تهدف الى ايجاد فتنة جديدة فى وطننا الحبيب · ويتهم المقال اذاعة صوت فلسطين بالعمالة ويقول ان من يدعى أنه عربى ليس عربيا ابدا بل اسرائيليا بكل ما لهذه الكلمة من معنى فابحثوا عنه وامنعوه ·

خلاصة القول

ان مخططا مدروسا قد تم وضعه لضرب وتصفية العمل الفدائى لا من المدن فحسب ولا من القواعد المتقدمة للفدائيين فقط ، ولكن من كل المملكة الاردنية الهاشمية لتبقى اطول خطوط المواجهة مع اسرائيل هامدة لا حياة فيها ·· ثم لكى تتيح الوضعية الجديدة الفرصة كاملة أمام حكام عمان فـى الوصول الى تسوية منفردة مع اسرائيل ··

ثالثا : العمل الفدائى

وآفاق المسـتقبل

وماذا بعد · هل انتهى العمل الفدائى تماما من الاردن ·· والى اين يسير الصراع ؟ · ماذا بعد ٧ سنوات من محاولات التعايش مع النظام العميل فى عمان ؟

رغم ان خسائرنا كبيرة وبالغة .. الا ان زاد الشعب الفلسطيني لن ينفذ ابدا . فاذا كان الملك حسين قد نجح فى تصفية الثورة او وجودنا العسكرى العلني في الاردن فانه ابدا لن يستطيع افناء شعبنا . قالها لى ياسر عرفات قائد الثورة الفلسطينية . ان الثورة لن تنتهى ابدا طالما كان هناك فلسطيني واحد قادر على حمل السلاح . حقيقة انني متفائل . فرغم قساوة المرحلة التي اجتزناها ولا زلنا نجتازها . ورغم شراسة الهجمة التى تعرضنا لها فانني اقرر ان اوضاع حركة المقاومة تحسنت الان كثيرا وكثيرا بخلاف كل توقعاتهم . لقد استطعنا بنجاح ان نصمد ١٢ شهرا نواجه التصفية العسكرية والسياسية بل ونواجه خطر افناء الشعب الا اننا لا زلنا نقف رجالا نمثل حيوية الشعب الذى رفض التشريد وقاوم التصفية .

ان الاعجاز فى حركة المقاومة الفلسطينية يرجع لاكثر من سبب :

● كان الشعب الفلسطيني حتى لحظة الانطلاقة فى يناير ١٩٦٥ مسلوب الارادة تماما مبعثر الوجود فاقدا للامل .

■ وكانت الانطلاقة تعني تسليح الجماهير ، وهذه اول تجربة فى عالمنا العربي بعد نكبة عام ١٩٤٨ توضع فيها حرب التحرير الشعبية على المحك .

■ وكانت الانطلاقة ايضا تعني تعبئة وتنظيم الجماهير وهو هدف متقدم على هدف التسليح ونجاح حرب الشعب مرهون بمدى تعبئة وتنظيم هذه الجماهير .

■ وكانت الانطلاقة محاصرة بحقول الالغام التي لا خيار امامها من تطهيرها تحت اقسى الظروف واكثرها خطورة .

ومرت الثورة حتى حرب يونيو ١٩٦٧ بتجربة مريرة قاسية تأكدت خلالها حتمية المحافظة على نقاء الارادة الثورية وفرزت التجربة الاصدقاء من الاعداء وافرزت الطليعة الثورية المقاتلة . ثم اتت حرب يونيو ٦٤ ومع كل ما رافقها من الم ودموع ومرارة وفقدان لباقي الاراضى الفلسطينية ولاراضى عربية جديدة ، ولكن الثورة تمكنت من أن تقفز فوق كل الجراحات وان تجدد انطلاقتها بعد مرور اقل من ثلاثة اشهر على الهزيمة العربية الساحقة وان تواصل مسيرتها عبر ظروف قاهرة . ان الثورة لن تنتهى ابدا ولابد من ان يعود للاردن وجهها العربي كقاعدة آمنة للثورة وللجماهير .

الحقيقة المسلم بها ان لا مكان للتعايش بعد الان بين النظام العميل وحركة المقاومة ، وخطورة الموقف كله تكمن فى اندفاع النظام الحاكم فى عمان نحو عقد صلح منفرد مع اسرائيل اذا لم تستخدم كافة الامكانيات الموجودة والمتاحة ليس من اجل منعه فحسب من اكمال هذه الصفقة وانما بالاجهاز عليه لتوظيف كافة الامكانيات العسكرية والجغرافية والبشرية فى الاردن لخوض المعركة كاملة مع العدو . هذه القناعة تترسخ تماما بين كوادر وتيارات حركة المقاومة الفلسطينية ويبقى السؤال كيف يكون التنفيذ وكيف يمكن مواجهة خطورة المرحلة القادمة ؟ .

فى اعتقادنا ان التحرك الثورى فوق الساحة الاردنية لابد وان يضع فى اعتباره بعد استيعابه للحقائق السابقة تحقيق ما يلي :

ـ ١ اعادة خريطة الصراع داخل الاردن الى وضعها الطبيعي بتشكيل جبهة وطنية عريضة من كافة القوى الوطنية التى تتناقض مصالحها المرحلية والاستراتيجية مع النظام الحاكم . فلقد بات واضحا ان النظام يحاول صرف شكل الصراع داخل المجتمع الى صراع عمودى بين اردني وفلسطيني ، وهذا يتطلب العمل بنشاط على الاتحادات والنقابات والجمعيات وشد كل القوى للتوحيد ضد العدو الصهيوني وضد النظام المتامر الذى يقف بين كل الجماهير وبين تحقيق اهدافها فى التحرير الوطني والتقدم الاجتماعي .

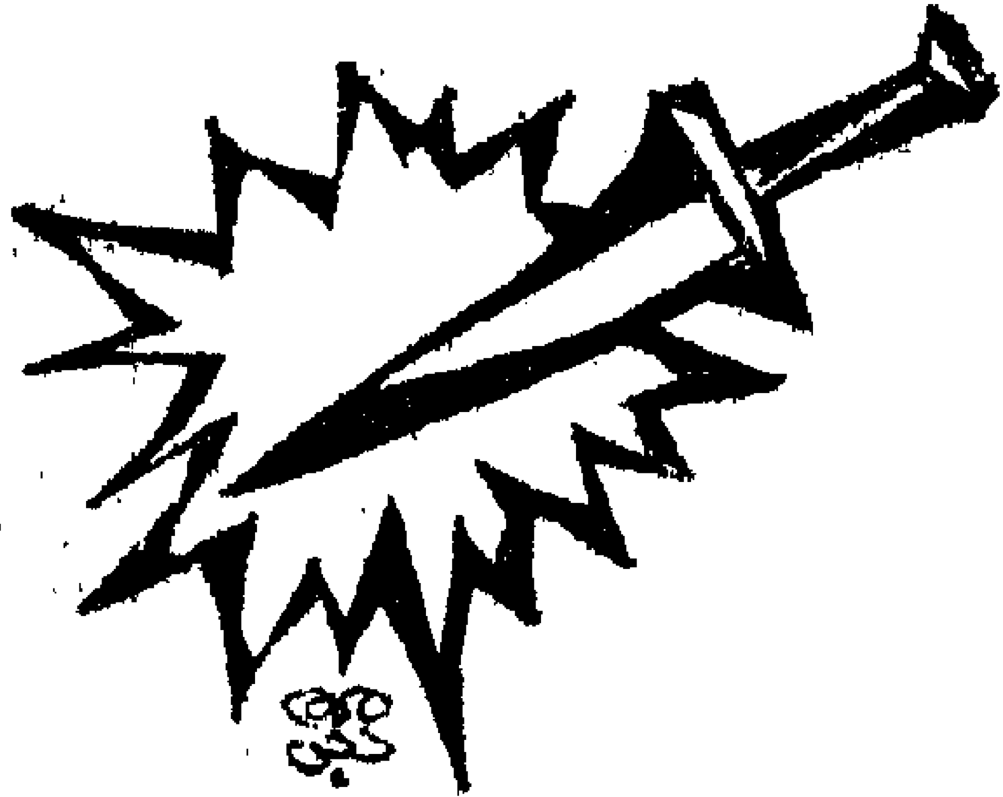
٢ ـ العمل داخل صفوف الجيش الذى يعيش هذه المرحلة اوضاعا غير طبيعية ودفعه بكافة الوسائل سواء من داخله او من خلال تسخين حرارة المواجهة مع العدو ليلتفت الى الخطر المحدق بالوطن وبتحدى مجموعة الخونة والجلادين من كبار الضباط ومن اعمدة السلطة ذاتها .

٣ ـ توجيه مزيد من الاهتمام الى مشاكل الجماهير وقضاياها اليومية وطرح البرامج التي تتجاوب مع هذه القضايا وتحل مشاكلها .

غير ان مجموعة هذه النضالات ـ على اهميتها ـ تبقى وتظل ـ نضالات قاصرة عرجاء ما لم تعتمد على غطاء عسكرى شامل تدفع فيه الثورة والقوى الوطنية بكافة امكانياتها فعبر هذا اللهب تنضج مجموعة النضالات الاخرى وتصبح جملة الاوضاع فى الاردن مهيأة لاقامة حكم وطني ثورى يشارك بمسيرة التحرير حتى النهاية ، ويخوض معركة الصراع من اجل التغيير ، ومن اجل اقتلاع كافة الركائز الامبريالية فى المنطقة .

٦

المملكة العربية المتحدة



في اطار المخطط الامبريالى الصهيونى

فيصل حورانى

سابق

الحوار الذى دار حول مشروع الملك حسين حجما من اهتمام الرأى العام العربي فاق كل ما هو متوقع وبعث هذا الاهتمام ان مشروع الملك، بصرف النظر عن الاقلية التى أيدته والاغلبية التى عارضته، قد نبه الاذهان مرة واحدة الى حقيقة كان لابد من الانتباه اليها منذ مذابح ايلول - سبتمبر سنة ١٩٧٠

هذه الحقيقة تتعلق بمستقبل الاراضى الفلسطينية التى سيمكن تحريرها من سلطة الاحتلال الاسرائيلى، بعد أن وضع الملك حسين بسلوكه ذاته، حاجزا بينه وبين الشعب الفلسطينى غير قابل للتجاوز، وبعد أن سقطت الشعارات المتزايدة من ساحة العمل الفلسطينى وأصبح التفكير بتحرير الاراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ غير معرض للاتهام بالخيانة •

وقد كان على منظمات المقاومة الفلسطينية وهى الممثلة كلها فى منظمة التحرير المعترف بشرعية تمثيلها للشعب الفلسطينى، كان على منظمات المقاومة ان تضع هى مشروعها أو تصورها أو برنامجها لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة بعد تحريرهما ولمستقبل العلاقة بين ضفتى الاردن، بل أن يكون هذا المشروع ذاته أحد الاهداف التى تعبأ الجماهير من اجل النضال لتحقيقها •

ولكن وضع مثل هذا المشروع لم يتم، وما قيل بشأنه قيل فى معرض الاشاعات والتهم ليس غير •

وقد حال بين المقاومة وبين التوصل لمثل هذا المشروع تردى الوضع العربى بصورة عامة، وخلافاتها فيما بينها، وكثرة الضربات التآمرية التى تلاحقت ضدها لتحول بينها وبين محاولة التقاط النفس والتفكير الهادىء •

أيا كان الامر فان المسألة من جوانبها الفلسطينى ظلت غائمة • وبعض القيادات التى تحركت بعد مذبحة أيلول - سبتمبر داخل الضفة الغربية وتتحرك اليوم تأييدا لمشروع حسين لا تملك ان تدعى لتمثيل الفلسطينيين، ما دامت لم تقف فى اى يوم من الايام فى صف الكفاح الوطنى الدامى الذى خاضه هذا الشعب، ومادامت لم تنشط من جديد الا على حساب هزيمة شعبها والضربات القاسية التى وجهت لقيادته المحاربة • اى ان هذه القيادات المحلية المعزولة ليست قادرة على ممارسة التاثير الواسع على الرأى العام الفلسطينى داخل أو خارج الاراضى المحتلة •

واذن فان الملك حسين قد استغل غياب القيادة الوطنية الفلسطينية عن ساحة العمل فى الضفة الغربية، وامتناع قيادة المقاومة من تقديم تصورها لمستقبل الضفة الغربية •. استغل هذا وذاك وقدم مشروعه العتيد الذى اثار فى العالم العربى من

اقصاه الى أقصاه ضجة لم تهدأ بعد .

ويستجيب المشروع ، استجابة زائفة هذه المرة ، لرغبة فلسطينية صميمة فى اقامة كيان مستقبل للشعب الذى نزف دمه جيلا وراء جيل كى يحظى بمثل هذا الكيان ، والاستجابة الملكية لهذه الرغبة زائفة لان الكيان الذى يقوم فى ظل الاستسلام لاسرائيل ، لا يمكن أن يكون كيانا فضلا عن أن يكون كيانا مستقلا .

الكيان الفلسطينى يمكن أن يقوم ، وان يكون مستقلا ومعبرا عن مطامح الشعب الفلسطينى حين يأتى تتويجا للكفاح الوطنى وتعبيرا عن نصر حققه هذا الكفاح ، وليس فى الجو افق لاى نصر الا اذا كان الملك قد تلقى وعودا بأن تنسحب اسرائيل من بعض أراضى الضفة الغربية ، وتهيأ لان يصور ذلك بأنه نصر عظيم !

ثم أن التوقيت الذى اختاره الملك لعرض مشروعه لا يدعو للاطمئنان . وهذا التوقيت يشى برغبته ورغبة الذين تعاون معهم فى جعل المشروع وسيلة اخرى من وسائل التخريب داخل الصف الفلسطينى والصف العربى . فعرض المشروع الممكن لمستقبل الشعب الفلسطينى بعد مذابح المقاومة وفى وقت لا يبدو فيه الوضع العربى فى احسن حالاته يؤكد نية واضعيه فى أن يصبح الخلاف حوله وسيلة لمزيد من التمزق داخل الصف الفلسطينى ، ولمزيد من الفرقة داخل الصف العربى .

ان المراقب يمكن أن يستعيد الاجواء التى اعقبت تقديم مبادرة روجرز ، ومع الفوارق الملحوظة ، يكتشف تكتيكا واحدا فى الحالتين : تقديم مشروع يبدو حلا لمشكلة متأزمة ثم ترك الخلافات تمزق الصف العربى وتثير مزيدا من التناحر بين اطرافه لتصبح هذه الخلافات هى الاساس من غير ان يكون مقدم المشروع ، وهو فى الحالتين واحد فيما يبدو ، ملزما بأى شىء بعد ذلك .

وقد اراد الملك ، وارادت واشنطن التى ايدت مشروعه، ان يوجدا سببا آخر للانقسام فى العالم العربى حول مشروع ابسط ما يقال فيه انه لن يحسم المسألة شديدة الاهمية التى يتناولها وهى مستقبل الشعب الفلسطينى .

ففيما يتعلق بالفلسطينيين لا يكتفى المشروع بان يقسمهم الى فلسطينيين داخل الارض المحتلة ، وآخرين خارجها ، بل الى فلسطينيين فى الضفة الغربية وآخرين فى الضفة الشرقية ، فلسطينيين مع المقاومة وآخرين ضدها ، فلسطينيين مع مشروعى الملك وآخرين ضده .

ويبدو فضلا عن هذا وذاك ان واضعى المشروع قد وضعوه وعينهم على مصر : لقد اكدت مصر على الدوام التزامها بوحدة قضية المجابهة العربية لعدوان حزيران ، أكدت هذا من خلال شعارين واضحين : المطالبة بالانسحاب من كامل الاراضى العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، والمحافظة على الحقوق الوطنية لشعب فلسطين العربى .

ومشروع الملك لا يشير فقط الى حل اردنى ـ اسرائيلى (حل منفرد) بل يشير فضلا عن ذلك الى اجهاض مسألة المطالبة بحقوق شعب فلسطين واختزال هذه الحقوق لتنحصر فى خاتم ذاتى داخل ما يمكن ان تتنازل عنه اسرائيل من أراضى الضفة الغربية .

وهذا يعنى ان المشروع ينسف الشعارين الاساسيين اللذين تمسكت بهما مصر والدول العربية الاخرى التى ايدت سياستها ، ويطمع الذين وضعوا المشروع ـ كما اشار لذلك العديد من المراقبين فى الخارج ، يطمعون فى التأثير على تماسك الجبهة المصرية وصلابتها فى وجه المناورات الاستعمارية .

التأثير على هذه الجبهة بوسيلتين :

الاولى : أن الحل الاردنى ـ الاسرائيلى المنفرد بما يشتمل عليه من تزييف لمطالب الشعب الفلسطينى ولحقوقه الوطنية ، سوف يضعف الجبهة العربية المناهضة للعدوان ، ويؤثر تأثيرا شديد السلبية على مقدرة مصر السياسية فضلا عن المقدرة العسكرية العربية .

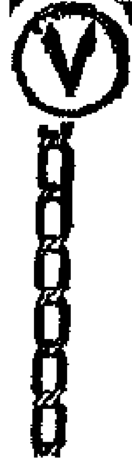
ومثل هذا التأثير يحصل سواء سمحت اسرائيل بتنفيذ المشروع ، أو كان عرضه مجرد وسيلة لاثارة الخلاف كما حصل بالنسبة لمبادرة روجرز .

والثانية : ان المشروع بما ينطوى عليه من مغريات تيسر لانتشار الروح الاستسلامية يقدم نموذجا لحل مصرى ـ اسرائيلى منفرد أيضا ، ويطمع واضعو المشروع بالتالى ، فى ان يحدث انشقاق داخل الجبهة المصرية نفسها بين مؤيد لمثل هذا الحل ومعارض له .

كل هذه الاثار السلبية لمشروع الملك تضعنا أمام السؤال التالى ماهو البديل؟ والاجابة ليست شديدة العسر كما يبدو .

فبديل الاستسلام هو الصمود ، وبديل التراخى هو الاستعداد ، وبديل الكيان الزائف للشعب الفلسطينى ، الكيان الثورى الذى يصنعه بكفاحه وثورته التحررية ، والقوة الممثلة لهذا الكفاح .. القوى التى تتصدى لقيادة شعب فلسطين كانت وما تزال مطالبة بقول كلمتها صريحة من غير جمجمة بشأن مستقبل الاراضى الفلسطينية التى يمكن أن يتم تحريرها فى ظل شعار ازالة آثار العدوان

ولو أن هذه القوى قد قالت كلمتها من قبل لقطعت الطريق على مناورة الملك حسين وتخريبه السياسى بعد جرائمه الدموية ، اما وانها لم تفعل حتى الان فهل من المعقول أن تبقى صامتة الى الابد بشأن هذه المسألة المصيرية ، أم ستكتفى بأن تقول : لا .. وتضيف بذلك « لا » جديدة الى سلسلة اللاءات السابقة التى لم تمنع الكوارث



يكتب هـذا المقال للطليعـة خالد الحسـن أحد مؤسسى منظمة فتح وعضـو اللجنـة التنفيـذية لمنظمـة التحـرير الفلسـطينية ٠



لماذا نرفض المملكة العربية المتحدة





خالد الحسـن

بتاريخ ١٥ ــ ٣ ــ ١٩٧٢ ، القى الملك حسين خطابه الذى أعلن فيـه مشروعا اسماه مشروع المملـكة العربيـة المتحدة ، وقـد انقسم الخطاب الى شقين ، مقدمة تاريخية ، ومشروع « المملكة العربية المتحد » .

أولا ــ المقدمـة :

١ ــ لقد تضمنت مقدمة المشروع سردا مقلوبا وكاذبا لحقائق تاريخية أصبحت معروفة لـدى الكافة من أجهزة رسمية وشعبية ، وحتى لدى المواطن العادى فى طول البلاد وعرضها ٠ وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد النقاط التالية :

● لقد قال الملك حسين ان انشاء امارة شرقى الاردن كان انقاذا لارض هذه الامارة من وعد بلفور ، بينما الحقائق والوثائق التاريخية تثبت ، ان انشاء الامارة وتعيين عبد الله أميرا عليها ، كان بعد الموافقة التى أبلغها عبد الله الى تشرشل على السياسة البريطانية والفرنسية والصهيونية فى المنطقة أى على قيام دولة اسرائيل ٠

● وقال الملك حسين ، ان الجيش العربى الاردنى أنقذ ما عرف بالضفة الغربية من الاحتلال الصهيونى ، والكل يعرف كيف سلم عبد الله منطقة اللد والرملة الى الصهاينة ، وكيف تنازل عن منطقة المثلث فى مفاوضات رودس الى الصهاينة وفق مفاوضات مسبقة مباشرة وشخصية مـع زعماء الصهاينة أشار الى وقائعها ووثائقها المقدم عبد الله التل فى مذكراته المشهورة عن خيانة الملك عبد الله وتواطئه مع الصهاينة والبريطانيين ٠

● وقول الملك حسين ، بأن الجيش الاردني أنقذ القدس التي عرفت فيما بعد بالقدس العربية • والكل يعرف أن الجيش لم يتحرك للاشتراك في معركة القدس الا بعد أن قام المرحومان رياض الصلح وجميل مردم بزيارة الامير عبد الله بعد منتصف الليل وهددوه بفضح موقفه علنا اذا لم يتحرك الجيش الاردني الى القدس • ثم يأتي المقدم عبد الله التل ، قائد منطقة القدس في تلك الفترة ليفضح التواطؤ الذي كان قائما على القدس ، والطريقة التي تخطى بها هذا التواطؤ ؛ عندما استغل الامر الشكلي للامير عبد الله وتمكن بمساعدة القوات الفلسطينية والعربية المتطوعة من انقاذ المدينة القديمة • وكان بالامكان تحرير القدس كلها لولا صدور أوامر الامير عبد الله بايقاف المعركة والاكتفاء بالقدس القديمة •

● ثم تحدث الملك حسين عن الاجراءات التي تمت لتوحيد الضفة الغربية مع الضفة الشرقية بينما الجميع يعرف :

أ ــ ان الزعماء الفلسطينيين الذين زاروا الامير عبد الله في قصره جعلوا شرط الوحدة أن يتعهد الامير بالعمل لتحرير ما احتله الاسرائيليون من فلسطين • ولكنه رفض اعطاء هذا التعهد فغادروا قصر عبد الله دون أن يبايعوه أميرا عليهم •

ب ــ انضم الضفة الغربية الى امارة شرق الاردن، كان تآمرا على القضية الفلسطينية ، الامر الذي دفع الجامعة العربية ، في اجتماع خاص عقد لهذا الموضوع ، الى اصدار قرار بعدم الاعتراف بهذا الضم واعتبار الضفة الغربية وقطاع غـزة ، والحمة أمانة لدى الدول العربية الثلاث (سوريا ، مصر ، شرقي الاردن) وهذا القرار لا يزال قائما حتى الان •

● ثم تحدث الملك حسين عن المساواة في الحقوق والواجبات بين ابن فلسطين وابن شرق الاردن ، والكل يعرف الحقائق التالية :

أ ــ ان ابن فلسطين كان ولايزال مواطنا من الدرجة الثانية فيما عرف بالمملكة الاردنية الهاشمية ، في مجال الوظائف والممارسة الفعلية لتطبيق القانون ، وأصبح من التكرار القول بأن الممارسة العملية كانت بسيطرة أقلية حول الملك حسين وعائلته ، على أغلبية سكان المملكة الاردنية الهاشمية •

ب ــ ان الاضطهاد الذي وقع على أبناء فلسطين في هذه المملكة وصل الى حد جز أبناء نابلس وراء الخيول الى الزرقاء ، وموت العديد منهم على الطريق •

جـ ــ ان التخطيط الصناعي والاقتصادي كان مقصورا على الضفة الشرقية ومنع قيام أي مشروع تزيد تكاليفه عن عشرة آلاف دينـــار في الضفة الغربية •

● أما ما حاول الملك حسين أن يظهره من حرص على القضية الفلسطينية ، وتحرير فلسطين فانه أمر يدعو الى السخرية ، أن يصدر هذا الكلام عن مسئول لاتزال يديه ملطخة بدماء الشـــعب الفلسطيني ، ليس من خلال مذابح أيلول وجرش وعجلون فحسب ، وانما عبر تاريخ علاقة هذه العائلة بالشعب الفلسطيني وبالنضال الفلسطيني منذ عام ١٩٢١ حتى الان مرورا بمسرحية حرب حزيران التي أعلن فيها حسين نفسه بأنه خسر ٢٥ ألف جندي ليتبين بعد ذلك أن عدد شهداء هذا الجيش لم يتجاوز العشرات بسبب تخطيط القيادات الاردنية العليا التي أرادت ابعاد هذا الجيش عن القتال •

● هذا فضلا عن أن الهدف الاساسي من انشاء امارة شرقي الاردن وضم الضفة الغربية اليها ، وتحويلها الى مملكة ، كما أثبتته الوقائع والوثائق والاتصالات الاسرائيلية مع الامير عبد الله منذ ١٩٣٠ ومع الملك حسين قبل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ كانت تهدف الى :

أ ــ اذابة الشخصية الفلسطينية النضالية •

ب ــ انهاء وجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني واعطائه اسما آخر •

جـ ــ الاسهام الفعال في تنفيذ مشاريع أمريكا والعدو الصهيوني في توطين الفلسطينيين لانهاء مشكلة الشعب الفلسطيني خارج وطنه •

د ــ دفع العناصر المتمردة علنا على هـذه السياسة الى مغادرة المملكة الاردنية بـوسائل الارهاب المختلفة المشهورة التي مارسها ويمارسها الملك حسين وقبله الملك عبد الله على أبنـاء فلسطين •

٢ ــ وخلاصة القول حول هذا الموضوع ان علاقة عبد الله والملك حسين وعائلته باسرائيل وبالاستعمار كانت علاقة تنطلق من محور التآمر على القضية الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني في سبيل البقاء ملكا على عرش ملكي قائم على جماجم أبناء فلسطين ، وفي مملكة يبنيها من المساعدات الاستعمارية السخية التي تعطى له ثمنا لهذا التآمر الذي لا يختلف عليه اثنان في الامة العربية •

٣ ـ ومن هنا ، فان اى تحرك عملى او لفظى للملك حسين وبطانته لا يمكن أن ينظر اليه الا بمنظار الشك والريبة ، فضلا عن الخيانة والتآمر ، خصوصا اذا كان هذا التحرك يتصل بالشعب الفلسطينى وبالقضية الفلسطينية •

ثانيا ـ مشروع « المملكة العربية المتحدة »:

● لا نريد الخوض فى مناقشة تفاصيل مواد المشروع الاثنى عشر ، لان مثل هذه المناقشة لا يمكن أن تجرى الا اذا توفرت شروط عدة أهمها :

١ ـ ظروف طبيعية اهمها الجو الديمقراطى الحر البعيد عن ظروف الاحتلال والارهاب •

٢ ـ توفر حسن النية لدى مقدمى المشروع •

٣ ـ توفر الثقة التامة بين الاطراف المعنية •

● وهذه الشروط غير متوفرة اطلاقا ، ومن هنا كان لابد من حصر البحث فى أهداف هذا المشروع ونتائجه ، ولاجراء بحث هادىء وموضوعى لهذه الاهداف والنتائج كان لابد من التطرق الى :

١ ـ الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت اعلان المشروع •

٢ ـ نتائج المشروع فى المجال العربى •

٣ ـ نتائج المشروع فى المجال الفلسطينى •

٤ ـ نتائج المشروع على الوحدة الوطنية الاردنية الفلسطينية •

الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت المشـــــــروع

● **على الساحة الاردنية :**

أ ـ بعد كارثة حزيران ١٩٦٧ ، لم يكن بامكان نظام الملك حسين فى الاردن أن يستمر فى ضرب الثورة الفلسطينية بنفس الاسلوب الذى اتبعه لضربها منذ ١ ـ ١ ـ ١٩٦٥ ، فقد تفككت أدوات قمع الدولة وأصبحت الجماهير الاردنية بذهول من هول الكارثة ، أنقذتهم منها الثورة الفلسطينية ، التى استمرت وحدها فى كفاحها المسلح ضد العدو الصهيونى ، الامر الذى دفع بالجماهير الاردنية الى حماية واحتضان الثورة الفلسطينية جنبا الى جنب مع الجماهير الفلسطينية فشكلت سدا قويا ضد رغبة الملك حسين فى ضرب الثـورة الفلسطينية (قبلمعركة الكرامة) أما بعد معركة الكرامة ، فقد انضم الجيش الاردنى الى صفوف الجماهير يحمى الثورة الفلسطينية ويساعدها ويساندها رغم أوامر القادة الكبار لهذا الجيش وأوامر الملك نفسه •

ب ـ ولمواجهة هذا الموقف انشأ الملك جهازا خاصا اسمه (الشعبة الخاصة) تقوم بالتنسيق عبر الملك شخصيا مع اجهزة المخابرات الملكية والامريكية بما يلى :

١ ـ شق جماهير الضفة الشرقية وجذب اكبر قدر ممكن منها الى جانب الملك ضد الثـورة الفلسطينية •

٢ ـ شق الجيش الاردنى وجذب اكبر قدر ممكن منه الى جانب الملك ضد الثورة الفلسطينية ودفعه الى المطالبة بضرب الثورة •

٣ ـ وعندما نجح فى ذلك ، مستغلا اخطاء بعض فصائل المقاومة وقيام اجهزته بممارسة مشينة باسم العمل الفدائى ، خطط لمذبحة ايلول ١٩٧٠ التى سقط فيها حوالى خمسة الاف شهيد واكثر من خمسة عشر الف جريح •

٤ ـ وبذلك حقق انفصالا قائما على الحقد والثأر بين الفلسطينيين والاردنيين زاد فى تكثيفه وتوسيع شقته بمذابح جرش الاولى ثم مذابح جرش وعجلون فى شهر يوليو ـ تموز ١٩٧١ ، ثم فى عمليات الارهاب والسجن والاعتقال والتعذيب والقتل غير المعلن واصدار احكام الاعدام العفوية لكل من تعاطف مع الثورة الفلسطينية فى الضفة الشرقية •

٥ ـ كما صاحب ذلك عجز عربى كامل فى ردع الملك حسين وبطانته من ممارسة هذه المذابح بالاضافة الى اعلام بذىء وحاقد مارسته اذاعة عمان ضـد الشـعب الفلسطينـى والثـورة الفلسطينية ، الامر الذى خلق جوا نفسيا فلسطينيا عفويا بالغ الالم يكاد يصل بهم الى اليأس من الموقف العربى تجاههم ، والى التحول باتجاه تفكير ذاتى لحماية انفسهم وحل مشاكلهم بمعزل عن الجهد العربى والتعامل العربى •

جـ ـ فى هذا الجو اخذت المخابرات الاردنية والامريكية تطرح فكرة (الدولة الفلسطينيـة) كمخرج يتجاوب مع الواقع النفسى الفلسطينى العفوى البالغ الالم ليوهم الفلسطينيين بان هذه الدولة هى المخرج من واقعهم والملجأ من ظالميهم ، اما اجهزة الاعلام الاردنية العلنية فاخذت تتهم الفلسطينيين والثورة الفلسطينية بانها تريد الدولة

الفلسطينية وفصل وحدة الشعبين الاردنـي والفلسطيني ، لخلـق ردة فعل مضـادة تغذي الاقليمية الفلسطينية وتزيد في اليأس الفلسطيني ، يساعد على ذلك الهجمات الاسرائيلية المتوالية على قواعد العمل الفدائي في سوريا ولبنان ، والعجز العربي في مواجهة ذلك كله ، بعد ان فرضت ضربة الملك حسين للثورة الفلسطينية الاتجاه الى اعادة بناء ذاتها فظهرت وكأنها ساكنة عن الحـركة الثورية ضد العدو الصهيوني ، هـذه الحـركة النضـالية المسـلحة التي اعتادتها الجماهير في الارض المحتلة قبل مذابح ايلول الاحمر .

د ـ في هذا الجو النفسي الذي استغرق التخطيط له وممارسته ست سنوات كاملة ظهر الملك حسين فجأة بمشروعه ليوهم الفلسطينيين بانه يتجاوب مع مشاكلهم ورغباتهم العفوية من خلال حكم ذاتي تحت سيطرته وليبرر لعملائه المرتزقين على موائده خيانتهم الجديدة تحت ستار ما يسمى بالحكم الذاتي ، وليضع الشعب الفلسطيني في مصيدة الخيانة كما سيظهر ذلك في جزء آخر من هذه المذكرة ، تماما كالجلاد الذي يعطي المجلود قليلا من الماء ليتمكن من جلده اكثر وأكثر .

هـ ـ وهنا لا يمكن ان نفصل توقيت اعلان المشروع عن الانتخابات البلدية التي يجريها العدو الصهيوني المحتل في الضفة الغربية ـ حيث نلاحظ الحوادث والنتائج التالية :

١ ـ اعلنت سلطات احتلال العدو الصهيوني عن عزمها لاجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية .

٢ ـ باشر الاعلام الاردني موقفا مضادا من هذه الانتخابات فاحجم عملاء الملك حسين في الضفة الغربية عن التجاوب مع الانتخابات الى جـانب الموقف الوطني الحقيقي الذي وقفته جماهير الضفة الغربية .

٣ ـ كان هذا الرفض الملكي بداية مرحلة من المفاوضات بين الملك حسين وبين سلطات الاحتلال الصهيوني مباشرة تم عن طريق عملاء الملك في الضفة الغربية (أنور نسيبه وغيـره) انتهت بموافقة الملك حسين على اجراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية فصمتت وسائل الاعلام الاردنية العلنية عن مهاجمة الانتخابات . هذا وقد كانت مواقف الملك حسين وسلطات الاحتلال اثنـاء المفاوضات كما يلي :

أ ـ موافقة الملك على التفاوض المباشر مع سلطات العدو الصهيوني لحل قضيـة الشرق الاوسط على ان يسبق ذلك قيام الجانب الصهيوني بتقديم خارطة تبين الاجزاء التي ستعود من الضفة الغربية عند تنفيذ الحل المزعوم لتسهيل عملية التنفيذ ، وقد قدمت للملك حسين بالفعل خارطة حدد عليها مشروع ايجال الون وقد وافق الملك على هذه الخارطة .

ب ـ وافق الملك على المشروع الاسرائيلي الخاص بالقدس على ان يؤجل اعلان ذلك لوقت آخر .

ج ـ اصرار سلطات الاحتلال الصهيوني على وجود طرف فلسطيني يوافق على مشروع الملك ، وموقف عربي موافق ايضا على مشروع الملك المبني على مشروع ايجال الون (وهذا يفسر تحرك الملك في الساحة العربية) .

د ـ ان يطرح الملك مشروعه فـي الـوقت المناسب (بعد انتهـاء الانتخـابـات البلـدية) والخروج منها بصيغة تمثيلية تمكن من ايجاد الطرف الفلسطيني الذي يقبل بمشروع الملك القائم على اساس مشروع ايجال الون بعد ان يكون قد تم ضرب الثورة الفلسطينية نهائيا .

٤ ـ قام الملك بطرح مشروعه ليكون البرنامج الانتخابي العلني لعملائه في الانتخابات البلدية وطرحه قبل انتهاء عملية الانتخابات من باب التمويه حتى لا يكون الربط بين المشروع وبين مؤامرة الانتخابات البلدية اكثر وضوحا ومن هنا نستطيع ان نفهم معنى تصريح أنور نسيبه (بعد اعلان المشروع) عندما قال بأنه لم يفاجأ بالمشروع ولكنه فوجيء بتوقيت اعلانه .

● الســاحة الدوليـة :

١ ـ منذ مدة ، والرسميون الامريكيون يعلنون ان تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط لا يتم الا برضاء الفلسطينيين ، وهذا يعني ضرب ارادة النضال الفلسطينية بضرب العمـل الفـدائي الفلسطيني ، وقيام صيغة فلسطينية تكون طرفا في التسوية (مشاريع فيشر الامريكي ، الذي يمثل مشروع الملك حسين احداها) .

٢ ـ اشار الرئيس نيكسون في تقريره الى الكونجرس الامريكي الى الشعب الفلسطينـي بطريقة جديدة عندما قال :

« ولا يزال الشعب الفلسطيني مشتتا في كل انحاء العالم العربي ، يضغط بكفاحه ، من أجل الحصول على وطن ، على ضمائر وسياسات الحكومات العربية ، مما يزيد التوترات تفاقما داخل الدول العربية ، وبينها (اسرائيل) . ان الحكومات المستقرة والمعتدلـة مهددة من قبـل حركات هدامة ، بعضها يلقى العون والمساعدة من الخارج » .

وهذا يعني :

أ - ان نيكسون يريد أن يؤمن وطنا ما للشعب لفلسطيني .

ب - انه يريد ان ينهي حالة الضغط التي يمارسها النضال الفلسطيني على ضمير الامة العربية وحكوماتها .

جـ - انه بذلك يلغي حالة التوتر في المنطقة ، ويساعد الحكومات المعتدلة على الاستقرار بعد انهاء الحركات الهدامة (الثورة الفلسطينية) التي هي السبب في ذلك كله ، والتي يجب انهاءها (عن طريق الملك حسين والعدو الصهيوني) .

٣ - أبدى روجرز ارتياحه لنتائج الضرب المتواصل للثورة الفلسطينية .

٤ - أعلن حسين عن مشروعه .

٥ - أرسل الملك حسين وفودا الى الدول العربية لشرح المشروع وأخذ الموافقة .

٦ - أعلن الملك حسين عن رحلته القريبة الى الولايات المتحدة حاملا معه كما يأمل :

أ - موافقة بعض الدول العربية على المشروع .
ب - نجاح مرشحيه في الانتخابات البلدية في الضفة الغربية كضمان لتمثيله للفلسطينيين عبر مشروعه .

ج - موافقة العدو الصهيوني على أساس نتائج المفاوضات التي تمت بين الملك حسين وبين سلطات العدو الصهيوني والتي أصبحت مكشوفة بشكل ظاهر لكل عين .

٧ - سيقوم نيكسون بزيارته للاتحاد السوفيتي ، وقد أصبحت المشكلة الفلسطينية مطوقة ومعه مشروع للتنفيذ ، وبذلك يسهل حسين مهمة نيكسون في موسكو على أمل الاتفاق على حل مشكلة الشرق الاوسط بما ينهي القضية الفلسطينية نضاليا ، ووفق الرغبة الامريكية الاسرائيلية ، ويكون خلال ذلك قد تم انجاز الاهداف الاساسية الصهيونية التالية :

أ - ضرب الثورة الفلسطينية في الاردن عن طريق الملك حسين (وقد تم) .

ب - ضرب الثورة الفلسطينية في لبنان عن طريق الاعتداءات الاسرائيلية ، ولا تزال هذه المهمة تحت التنفيذ .

ج - حل المشكلة الفلسطينية بوطن ما ، وهو مشروع الملك حسين .

د - اجهاض الحالة النفسية النضالية للشعب الفلسطيني كنتيجة لكل ذلك أو بمعنى آخر تصفية الارادة الشعبية الفلسطينية .

٨ - عشية اعلان الملك حسين لمشروعه :

أ - قال جوزيف سيسكو بان احتمالات السلام في الشرق الاوسط لا تزال بعيدة ولكن في استطاعة المرء أن يتوقع نوعا من التحرك فيما يتعلق بالاردن .

ب - وقال روجرز : انه **مطلع** على تطورات الشرق الاوسط المتعلقة **بالملك حسين** .. وقال .. هناك تطورات فورية ستوضح القضية .

٩ - فور اعلان الملك حسين لمشروعه اعلن روجرز بأن أمريكا لم تفاجأ بالمشروع وأنها ستقوم بتقديم **رد موزون عليه** في الوقت **المناسب** (قبيل أو بعد رحلة نيكسون الى موسكو) .

١٠ - وقال المعلقون السياسيون الاسرائيليون في تل أبيب أن سيسكو - مساعد وزير الخارجية الامريكي - قام هو أيضا بدور أساسي في الاتصالات بين الاردن واسرائيل وفي بلورة الافكار التي اشتمل عليها مشروع الملك .. واضافوا .. أن هذا المشروع ، من أهدافه ، الضغط على مصر من أجل التوصل الى حل جزئي لفتح قناة السويس .

١١ - أمـا الدوائر الامريكيه ، فقد وصفت مشروع الملك حسين بانه خطوة جريئة نحو السلام (الامريكي طبعا) وقالت رويتر ، ان الرسميين الامريكيين حرصوا كل الحرص على عدم التعليق على المشروع حتى لا تثور الشكوك حول الملك حسين .

١٢ - أما رونالد زيجلر ، المتحدث باسم البيت الابيض الامريكي - فقد قال أن زيارة الملك حسين القادمة لواشنطن ستشمل محادثات مفصلة حول الخطوة التالية (لاعلان المشروع) .

١٣ - أما النيويورك تايمز الوثيقة الصلة بوزارة الخارجية الامريكية ، فقد قالت « ان مشروع الملك حسين يستحق بالتأكيد الاهتمام بـه باعتباره امكانية متاحة من أجل التوصل الى السلام في الشرق الاوسط . وقالت أيضا : ان الفلسطينيين بفضل مكانتهم في المملكة العربية المتحدة ، قد يحصلون على صوت قوي فـي

مفاوضات السلام التى لا ترى اسرائيل انها ممكنة الا مع عمان فحسب » ٠

وقالت ايضا :

« ان بعض الزعماء الفلسطينيين المتطرفين (الثورة الفلسطينية) استنكروا مشروع الملك حسين باعتباره مؤامرة تستهدف خنق حركة المقاومه وتصفيه القضية الفلسطينية ، وهذه هى فى الواقع أكبر ميزة فى المشروع لانها تزيل العوائق التى اعترضت طريق السلام لمدة تزيد على عشرين عاما ٠

١٤ ـ من كل ما سبق ، ومما سيظهر تباعا من المواقف الامريكية والاسرائيلية والبريطانية يتضح تماما التخطيط الامريكى الاسرائيلى فى مشروع الملك حسين وأهداف هذا المشروع التآمرية لضرب واجهاض وقتل :

١ ـ الارادة النضالية العربية من أجل التحرير ٠

٢ ـ ارادة الثورة الفلسطينية وارادة الشعب الفلسطينى النضالية المسلحة وتصفية القضية الفلسطينية والشعب الفلسطينى الامر الذى يفرض على كل مواطن ومسئول رفض مشروع الملك حسين واحباطه ومواجهته بكل قوة ٠

موقف سلطات العدو الصهيونى

ا ـ قبل اعلان الملك لمشروعه باسبوع فصلت سلطة الاحتلال الصهيونى غزة عن قيادة شمال سيناء ، والحقت بالضفة الغربية ، وفى هذا تمهيد للاشارة غير المباشرة التى وردت فى مشروع الملك حسين عن غزة ٠

ب ـ بعد اعلان المشروع ، ظهرت ردود فعل اسرائيلية رسمية معارضة بعنف من حيث اللفظ ، وبليونة من حيث المضمون لمشروع حسين :

١ ـ فقد انصب اعتراض جولدا مائير مثلا على أن المشروع لا يمكن تنفيذه ، الا بموافقة (اسرائيل) وبمفاوضات مباشرة معها ، وكجزء من خطة السلام ٠

٢ ـ أما رئيس لجنة الامن والشئون الخارجية فى الكنيست وعضو حزب المابام فقد اعترض على المشروع لانه ذكر القدس عاصمة للضفة الغربية ، وان لفظ الضفة الغربية اتى شاملا بينما العدو لن يتنازل عن كل أراضى الضفة الغربية ٠

٣ ـ أما يورى افنيرى ، فقد قال انه يوافق على اى حل على أساس استفتاء الشعب الفلسطينى (انتخابات الضفة الغربية) وقال أيضا بأن مشروع الملك حسين هو مشروع ايجال آلون ، وفى اليوم نفسه نشر فى مجلته هاعولام هازيه خارطة توضيحية لمشروع آلون (!!) ٠

٤ ـ أما ايجال آلون نفسه ، فقد قدم مشروعه الى الكنيست لاخذ الموافقة عليه معلنا أن هذا هو أنسب وقت لتنفيذ مشروعه ، وبالتالى تتم موافقة العدو الصهيونى على مشروع الملك حسين تحت ستار الرفض التكتيكى الاسرائيلى كما حصل بالنسبة لمشروع روجرز تماما ٠

ج ـ فاذا ربطنا ذلك كله باللقاءات الاسرائيلية مع الملك حسين ، وبالموقف الامريكى وبالانتخابات البلديه فى الضفة الغربية وموقف الملك حسين منها بعد المفاوضات التى تمت مع العدو الصهيونى بشأنها ، امكننا الوصول الى قناعة لا تقبل الشك بان مشروع الملك حسين هو مشروع اسرائيلى امريكى ينفذه الملك حسين لصالح الوجود الاسرائيلى والاستعمار الامريكى ٠

د ـ كما أمكننا أن نقول ان ثمنا ما سيدفع الى الملك حسين قد يكون فى اعادة فتح ملف مشروع مبتور للهلال الخصيب ، ولكن هذه المرة لصالح قصر الملك حسين فى عمان بدلا من قصر الملك فيصل الثانى فى بغداد ، خصوصا اذا أردنا ان نفهم سر الكرم الامريكى فى تسليح جيش الملك حسين لدرجة أن مدى سلاح الدبابات (م ٦٠) الذى سلح بها الجيش الاردنى تفوق مدى سلاح الدبابات فى العالم العربى وخاصة سوريا والعراق بنسبة ثلاثة أضعاف ، واذا أردنا أن نفهم ايضا المهام التى قام بها الملك عبد الله بضرب كل الحركات المضادة للاستعمار ، البريطانى فى العراق والمحاولة التى قام بها الملك حسين لضرب سوريا بعد هزيمة حزيران ، آخذين بعين الاعتبار التطور الذى طرأ على أولويات مهام الجيش الاردنى كما نشرته مجلة الجيش الامريكى نقلا عن قيادة الجيش الاردنى العليا كما يلى : « قبل عام ١٩٦٧ كانت الاولويات هى اسرائيل (!) سوريا والعراق الامن الداخلى بعد عام ١٩٦٧ حتى أيلول أصبحت الاولويات هى الامن الداخلى اسرائيل (!) سوريا والعراق ، بعد مذابح أيلول وجرش وعجلون اصبحت الاولويات هى سوريا والعراق ، الامن الداخلى ، اسرائيل (!) ٠

نتائج تنفيذ مشروع الملك حسين فى المجال العربى

ان نجاح مشروع الملك حسين ، أو حتى عدم تراجع الملك حسين عن مشروعه سيؤدى الى النتائج التالية فى المجال العربى :

٦ ـ تشجيع بادرة الانفراد في القضايا القومية المصيرية ٠

٢ ـ ضرب الموقف العربي الموحد الذي هو اكثر ما يكون ضرورة للامة العربية في ظروفها الراهنة وهي تواجه الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية في معركة تقرير المصير العربي كله وذلك اذا ما وافقت بعض الدول العربية على مشروع الملك حسين ٠

٣ ـ ان قضية فلسطين شعبا ووطنا ، هي القضية المفجرة والموحدة للنضال العربي في صراعه مع الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي ٠

ان مشروع الملك حسين يهدف الى عزل هذه القضية عن المسرح العربي تمهيدا لاعطائها حقنة الموت وبذلك فان هذا المشروع اذا نجح ، يفرغ وحدة النضال العربي المتفجر من مضمونه الاساسي ، ويثبت الوجود الاسرائيلي في فلسطين ويحول العلاقة المصرية السورية بالوجود الاسرائيلي الى مشكلة حدود محلية تفقد حتى زخمها العالمي في معركة العربي ضد الاستعمار العالمي ، وبذلك يكون مشروع حسين اذا نجح قد حقق للاستعمار ما فشل في تحقيقه مشروع تمبلر وحلف بغداد ومشروع ايزنهاور ومشروع حلف شرق البحر المتوسط وغيره من المؤامرات الاستعمارية على الامة العربية ٠

٤ ـ ان عزل القضية الفلسطينية عن المسرح العربي ، مع ترسيخ الوجود الاسرائيلي وتسهيل امتداداته السرطانية في الامة العربية ، من خلال مشروع الملك حسين سيؤدي الى عزل (مصر) عن النضال العربي ، وفرض سياسات اقليمية متنافرة في الواقع العربي ، وبذلك يتم اجهاض المسيرة التحررية العربية في المرحلة الراهنة على الاقل ، آخذين بعين الاعتبار قيام العدو الصهيوني بمصادرة اراضي رفح لاقامة حزام أمن مكمل لمشروع آلون يفصل به فلسطين عن سيناء ٠

٥ ـ ان نجاح هذا المشروع يعني بالضرورة انعزال مصر وسوريا والعراق عن الاردن بسبب الموقف الخائن للملك حسين وهذا يعني انهاء أي أمل في شيء اسمه الجبهة الشرقية أو التعاون العسكري العراقي السوري الاردني ٠

٦ ـ وهذا بدوره سيولد صراعا محليا عربيا يحول الجهد العربي عن المعركة الاساسية مع العدو الصهيوني ويفرض واقع الاستسلام العربي على ارادة النضال والتحرر العربية ٠

٧ ـ ان الدول العربية الوطنية التي قبلت بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كانت تقرن موافقتها على هذا القرار بتمسكها بحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه وبحقه في تقرير مصيره وبحقه في النضال المستمر حتى التحرير ٠

ان نجاح مشروع الملك حسين ، وعدم تصدي الدول العربية له سيؤدي بالطبع الى تخلي هذه الدول ايضا عن التزاماتها تجاه الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية الامر الذي يضع كل من يوافق على هذا المشروع في موقف الخيانة للشعب الفلسطيني والتآمر على حقوقه ٠

٨ ـ ان مشروع الملك حسين (اذا نجح) يمثل تنفيذا لمشروع ايجال آلون ، أي تنفيذ قرار مجلس الامن بالمفهوم الاسرائيلي ، اي الاستسلام للارادة الاسرائيلية في المنطقة اي خيانة الامة العربية ، فضلا عن خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ٠

٩ ـ ومن هنا ، كان لابد للدول العربية أن ترفض مشروع الملك حسين وتفرض عليه سحبه أو تتخذ الاجراءات اللازمة ضده ، والا فان من يوافق على المشروع ومن لا يعمل لافشال المشروع ، يقف الى جانب حسين واسرائيل ضد مصالح الامة العربية والشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

١٠ ـ ان الملك حسين انما يستغل العجز العربي عندما قدم مشروعه وعندما يعمل على انجاح هذا المشروع ، والموقف العربي مطالب باثبات العكس ٠

نتائج تنفيذ المشروع

في المجال الفلسطيني

أما نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم تراجعه عنه ، سيؤدي الى النتائج التالية بالنسبة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية :

١ ـ ان الملك حسين يحاول بمشروعه تنظيم العلاقة الدستورية بين الشعب الفلسطيني والشعب الاردني في ظل عرشه ، وهو بذلك يقوم بحركة التفاف كبيرة ، حول حقيقة الصراع بين الشعب الفلسطيني والملك حسين ونظامه فيحوله من صراع حول حق الشعب الفلسطيني في النضال المسلح ضد العدو الصهيوني الى صراع بين فلسطيني واردني ، والى مناقشة في اوضاع دستورية ٠بينما الواقع يتطلب العمل النضالي من أجل التحرير ٠ وهذا يعني الهاء مقصود للشعب الفلسطيني عن قضيته ونضاله ، وتحويل انظاره الى شكل علاقات دستورية لا صلة لها بالمرحلة النضالية ٠

٢ ــ ان انشاء قطر فلسطيني له حكومة ، وآخر اردني له حكومة ، ثم حكومة مركزية اردنية فلسطينية ، انما يهدف الى ان يشترك الفلسطينيون بشكل رسمي من خلال (حكومتهم !!) بالمفاوضات المباشرة او غير المباشرة مع العدو الصهيوني لتنفيذ قرار مجلس الامن او غيره من القرارات التي تهدف كلها الى الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي في قضية فلسطين وهذا يعني :

ا ــ ان يشترك الفلسطينيون رسميا في خيانة وطنية ، يخطط لها الملك حسين ، ويخرج منها بريئا ، لان الفلسطينيين قد وافقوا على التسوية من خلال (حكومتهم !!)

ب ــ ان الوجود الصهيوني في اسرائيل يهدف بوضوح الى الحصول على سلم اسرائيلي مدعوم بشرعية الوجود والبقاء المعترف بهما عربيا وفلسطينيا ، والعدو الصهيوني يدرك أن الشرعية الحقيقية التي تمكنه من الوجود السلمي والبقاء السلمي ، هي الاعتراف الفلسطيني به ، وهذا الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود والبقاء يتم وفق خطة الملك حسين عن طريق الحكومة المركزية الممثلة للحكومة القطرية الفلسطينية التي خطط لها مشروع الملك حسين .

٣ ــ ان نجاح هذا المشروع ، الذي يحتاج الى قتل الثورة الفلسطينية والموافقة العربية ، يفرغ كل النضال العربي والفلسطيني منذ عام ١٩٢٠ حتى الان من مضمونه ويحول كل الشهداء والضحايا والتضحيات البشرية والمادية التي بذلت لمحاربة الخطط الاستعمارية للمنطقة والوجود الصهيوني فيها الى كم مهمل ، وكأننا نقدم الضحايا لنمارس الخيانة .

٤ ــ كما ان نجاح هذا المشروع ، وبالتالي نجاح حسين والعدو الصهيوني في أخذ الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود الصهيوني ، يفقد الشعب الفلسطيني بأجياله الحاضرة واللاحقة حقها الدولي في النضال من أجل تحرير الوطن ، ويصبح مثل هذا النضال اعتداء على شرعية دولة صهيونية أخذت الاعتراف بها دوليا وعربيا ثم فلسطينيا ، أي سقوط الحق العربي الفلسطيني في فلسطين بأرادة فلسطينية واجهاض الثورة الفلسطينية بارادة عربية وأداة فلسطينية .

٥ ــ ان انشاء حكومة قطرية فلسطينية ، هو في الحقيقة انشاء سلطة فلسطينية رسمية تقليدية عميلة في موقف مضاد لسلطة الشعب الفلسطيني الثورية الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي فان نجاح مشروع الملك حسين يؤدي الى :

ا ــ ازدواجية التمثيل الفلسطيني .

ب ــ استمرار ممارسة الملك حسين تمثيله لابناء فلسطين في المجتمع الدولي وخيانتهم باسمهم .

جـ ــ خلق حالة تناقض بين وجود حكومة قطرية فلسطينية وبين كون (فلسطين) عضوا في جامعة الدول العربية من خلال منظمة التحرير وقرارات الجامعة العربية ومؤتمر القمة العربي الثاني الذي اعتبر منظمة التحرير هي الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني . ان بداية الصراع حول هذا الموضوع ، تعني بداية صراع فلسطيني عميق بضرب ابناء فلسطين بعضهم ببعض من خلال التسلط الملكي فيصرف بذلك ابناء فلسطين عن واجبهم الحقيقي في النضال ضد العدو الصهيوني .

٦ ــ ان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني أمر أقرته :

ا ــ ارادة الشعب الفلسطيني ونضاله وضحاياه وشهداءه .

ب ــ قرار هيئة الامم المتحدة في دورتها عام ١٩٧٠ التي اقرت ايضا شرعية نضال هذا الشعب حتى يحقق حقوقه الوطنية .

جـ ــ قرارات الجامعة العربية وبروتوكولها الخاص بفلسطين .

د ــ قرارات مؤتمر القمة الاسلامي ووزراء خارجيته وميثاق التضامن الاسلامي الذي ضم ٣٣ دولة .

هـ ــ اعتراف عدد كبير من الدول الصديقة بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني ، وفي طليعتها الصين .

٧ ــ ان مشروع الملك حسين ، هو عدوان صارخ على الشعب الفلسطيني ، وعلى حق هذا الشعب في تقرير مصيره لان تقرير المصير لايتم بارادة ملكية سامية !! وانما يتم على الارض الفلسطينية المحررة التي يمارس عليها شعب فلسطين سيادته بحرية .

ومشروع الملك حسين بالتالي : هو محاولة واضحة ، لسحب الاعتراف الدولي والعربي وغير العربي من الثورة الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني ، هذا الاعتراف الذي حققه شعب فلسطين بنضاله وشهدائه وضحاياه .

٨ ــ ان مشروع الملك حسين اذا نجح ، سيحول القطر الفلسطيني الى جسر عبور اسرائيلي الى شرق الاردن ومنها الى العالم العربي في المجالات الاقتصادية والسياسية ، ومن هنا ، فان مشروع

الملك حسين (اذا نجح) لا يضع الشعب الفلسطيني في موقع الخيانة مع نفسه فحسب ، وانما يجعله أداة لخيانة الامة العربية ، وهذا ما لا يمكن للشعب الفلسطيني ان يرضاه أو يقبل به •

٩ ـ ان الملك حسين بمشروعه ، انما أراد ان يثبت انه المتحدث الرسمي باسم الشعب الفلسطيني باعتباره ملكا لما سمي بالمملكة العربية المتحدة ، التي تحكم بحكومة مركزية ، فيها حكومة اسمها حكومة القطر الفلسطيني •

ان هذا أمر مرفوض •• فلا أحد يتكلم باسم الشعب الفلسطيني الا قيادته الثورية •

١٠ ـ ان مشروع الملك حسين يؤدي الى اشتراك الشعب الفلسطيني ليس في قرار مجلس الامن فحسب وانما في تفسيره الاسرائيلي أيضا ، كما يؤدي الى استيطان الفلسطينيين في الاماكن المقيمين بها ، ولذلك يسهم الملك حسين في انجاح مشاريع الاستيطان التي ارادتها ويريدها العدو الصهيوني والاستعمار العالمي ، ولكن هذه المرة بمال فلسطيني وارادة فلسطينية •

١١ ـ ان مشروع الملك حسين يضع الملك حسين في موقع متقدم على (اسرائيل) والاستعمار الامريكي في خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ويعطي المبررات كلها لتحويل النضال ضد هذا الملك من خلال النضال ضد مشروعه ، في وقت يجب فيه تحويل كل البنادق العربية والفلسطينية الى العدو الصهيوني •

١٢ ـ ان مشروع الملك حسين ، ان يعترف شكليا بالشعب الفلسطيني ، الا انه يصادر ارادة هذا الشعب من خلال مشروعه الذي نصب فيه من نفسه ملكا على الشعب الفلسطيني ، خصوصا عندما ألمح الى ان قطاع غزة سيكون جزءا من المشروع ، وان حكومة القطر الفلسطيني ، هي حكومة الفلسطينيين في مشارق الارض ومغاربها •

١٣ ـ والملك حسين بمشروعه هذا ، ومصادرته هذه الارادة الفلسطينية ، انما يقوم بحركة اجهاض والتفاف خائنة ، ضد الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في وطنه وحقه الوطني في الاستمرار في النضال المسلح من أجل تحرير هذا الوطن •

١٤ ـ ان طرح الملك حسين لمشروعه في هذا الوقت هو بالاضافة الى الخيانة الكامنة فيه ، انما يهدف الى خلق بلبلة فلسطينية وعربية في مناقشة الموضوع من زاوية دستورية بدلا من الزاوية النضالية ، مستهدفا بذلك تحويل التفكير الفلسطيني والعربي من دعم الثورة الفلسطينية والتفاعل معها الى جدل بيزنطي دستوري لا علاقة له بالمرحلة النضالية الراهنة •

آثار المشروع على الوحدة الفلسطينية الاردنية

لقد مارس الملك حسين عملية شق الوحدة الفلسطينية الاردنية الجماهيرية (من خلال المذابح التي قام بها ضد الشعب الفلسطيني في الاردن) تحت شعار وحدة الشعبين •

لقد انشأ الملك حسين بمشروعه حكومة فلسطينية وأخرى أردنية تحت شعار وحدة الشعبين ، في الوقت الذي كانت تهتف فيه الجماهير الفلسطينية المذبوحة في عمان ومخيمات اللاجئين حول عمان بهتاف شعب واحد لا شعبين تعبيرا عن ايمانها الصادق بالوحدة الحقيقية ، وليس بالوحدة الانقسامية التي يريدها الملك حسين •

ان مشروع الملك حسين يكرس الانقسام بين الشعبين ويكرس الحقد والكراهية ويتناقض مع ارادة الجماهير الفلسطينية والاردنية التي تريد تنظيم علاقاتها مرحليا وفق الشكل التالي :

١ ـ وحدة النضال الى أن يتم التحرير •

٢ ـ بعد التحرير يتم تحديد العلاقات الدستورية بين أبناء فلسطين وابناء شرقي الاردن وفق الاسس التالية :

أ ـ وحدة الضفتين على أساس وطني ديمقراطي •

ب ـ عدم المساس بالحقوق الوطنية التاريخية لشعب فلسطين في كامل التراب الفلسطيني •

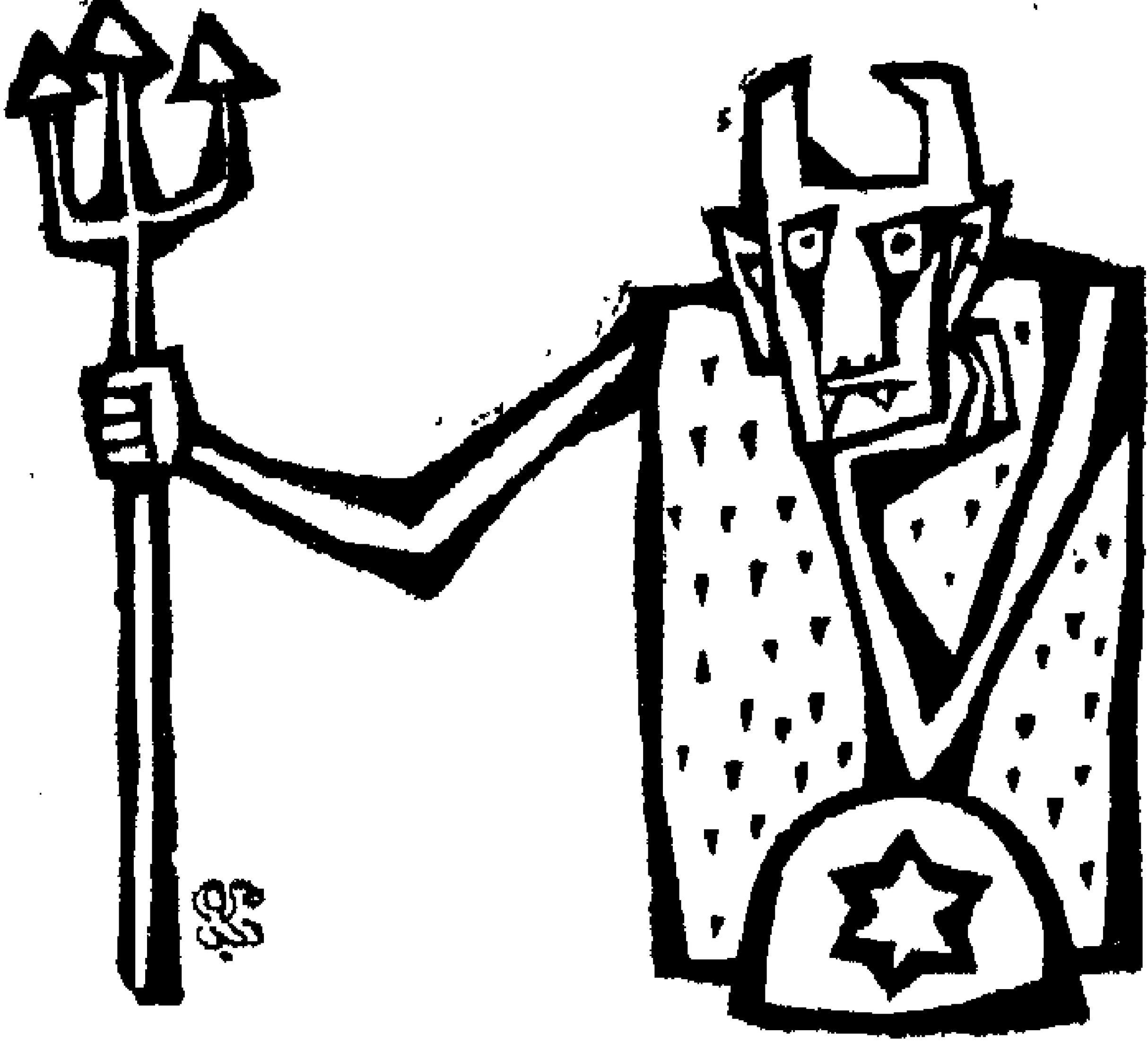
جـ ـ عدم المساس بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين الخاصة بكفاحه المسلح حتى تحرير كل الوطن الفلسطيني •

د ـ المساواة الحقيقية في الحقوق والواجبات بين مواطني الضفة الشرقية والضفة الغربية على أساس حكم وطني ديمقراطي دستوري •

هـ ـ ان يتم ذلك كله ومن خلال استفتاء جماهيري حر بمؤسسات ديمقراطية حرة •

من كل هذا نخلص الى أن مشروع الملك حسين ، مشروع تآمري تصفوي لا يستهدف الشعب الفلسطيني وحده ، وانما يستهدف الامة العربية وتطلعاتها لتكون (المملكة العربية المتحدة) قاعدة للاستعمار الامريكي وجسرا للصهيونية مع كل ما تمثله من عنصرية وتوسع ، وهذا يحتم على الامة العربية أنظمة وجماهير ان تتصدى لهذا المشروع وأن تنهي تآمر الملك حسين على الامة العربية والشعب الفلسطيني •

المؤسسة الحاكمة في اسرائيل



د. سعد الدين ابراهيم

رغم وجود بعض الدراسات العربية الجادة عن اسرائيل كدولة ذات سياسة خارجية واقليمية معينة، يفتقر الفكر العربي الى دراسات متعمقة فى المجتمع الاسرائيلى من الداخل. فى هذا الصدد، نحتاج الى اجابات علمية تقريرية لاربع مجموعات من الاسئلة :

اولا : ما هى القيم والمثل والمعايير التى تحكم وتسود المجتمع الاسرائيلى؟ ما هى نظرة هذا المجتمع الى الواقع بأبعاده الماضية والحاضرة والمستقبلة؟ هذه واسئلة مثلها تشكل فى مجموعها ما يسمى « بالايديولوجية ».

ثانيا : ما هو التركيب المادى والسكانى والطبقى للمجتمع الاسرائيلى؟ ما هى النظم والمؤسسات الاجتماعية التى خلقت لتوائم بين الايديولوجية من ناحية وبين التركيب المادى والديموجرافى والطبقى من ناحية اخرى؟ كيف تشكل النظم والمؤسسات نفسية الجماعة والفرد وتؤثر فى سلوكه؟ وكيف تتشكل النظم والمؤسسات بالجماعة والفرد فى اسرائيل؟ هذه واسئلة مثلها تشكل فى مجموعها ما يعرف « **بالبناء الاجتماعى** ».

ثالثا : ما هى متناقضات المجتمع الاسرائيلى من الداخل؟ اى هذه المتناقضات أساسى، وأيها ثانوى؟ اى هذه المتناقضات تحول كيفيا أو كميا الى مزايا؟ وأى هذه المتناقضات انفجر، أو ينفجر الان، أو قابل للانفجار فى المستقبل؟ هذه واسئلة مثلها تشكل ما يعرف بالتغير الاجتماعى » (الباثولوجيا الاجتماعية) اذا كان التغير سلبيا، أو « التقدم » اذا كان التغير ايجابيا).

رابعا : ما هى طبيعة وشكل القيادات الحاكمة أو النخبات المسيطرة (Ruling Elites) فى المجتمع الاسرائيلى؟ ما هى خلفيتها التاريخية والطبقية؟ ما هى ملامحها الاجتماعية وخصائصها النفسية؟ ما هى أساليب هذه القيادات فى التحكم والضبط الاجتماعى؟ ما هى أساليب التعامل ودرجات الانفتاح بين هذه النخبات والقطاعات الاخرى فى المجتمع الاسرائيلى؟ هذه واسئلة مثلها تشكل فى مجموعها ما يعرف بدراسة « **المؤسسة الحاكمة** ».

فى هذه الدراسة سنحاول أن نعالج المجموعة الاخيرة من الاسئلة، وهو ما اصطلحنا على تسميته بموضوع المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل. لقد تعرضنا وتعرض آخرون للمجموعات الثلاث

الاولى من الاسئلة فى مواضع آخرى (١) . ولكن حتى فى معالجة موضوع المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل فلابد من المســـاس بين الحين والاخر ـ بالموضوعات الثلاث الاولى .

الخلفية التاريخية للمؤسسة الحاكمة

لا يمكن فهم الخلفية التاريخية لافراد المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل الا بتتبع المراحل التى مرت بها عمليات الهجرة والاستيطان فى فلسطين • هناك سبع موجات من الهجرة اليهودية تمت فى خلال الثمانين سنة الاخيرة • وتختلف كل موجة عن الاخريات فى جوانب عدة : منها حجم كل موجة ، الموطن الاصلى ، الظروف التى أحاطت بأفراد كل موجة قبل هجرتهم الى فلسطيـن ، المستوى المهنى والتعليمى والمالى السائد بين أفراد كل موجـــة .. الـخ هـــذه المتغـــيرات لعبت دورا حاسما فى تحديد شكل القيـادات واتخاذ القرارات الكبرى التى أثرت وما تزال تؤثر على يهود فلسطين واسرائيل : فى عـلاقاتهم الداخلية ، فى علاقاتهم بيهود « الدياسبورا » ، فى علاقاتهم بالعرب فى فلسطين وخارجها ، وفـى علاقاتهم بالعالم عموما •

١ ـ أهم موجات الهجرة السبع ـ فيما يتعلق بموضوعنا ـ هى الموجتين الثانية والثالثة (بين ١٩٠٥ و ١٩١٤ ، وبين ١٩١٧ و ١٩٢٣ على التوالى) أما الموجة الاولى فكانت قد بدأت حتى قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الاول (بال ١٨٩٧) وقبل انشاء المنظمة الصهيونية العـــالمية • هـــذه الموجة الاولى لم يكن لها كثير من الوزن عدديا أو تنظيميا ، ولكن أهميتها كانت فى المقام الاول معنوية ورومانتيكية فهى تمثل أول مجهود جماعى من الشبيبة اليهودية فى التمرد على قيم ومعايير جيل آبائهم فى اوربا ، وفى سعيهم لتكوين مجتمع طوبائى جديد • وتعرف هذه الموجة فى التاريخ الاسرائيـــلى الحـــديث باســم البليوم (٢) لم يتجاوز عدد أفراد هذه الموجة ثلاثمائة ، معظمهم من الشباب الروسى الذى فر هربا من اضطهاد حكم الكسندر الثالث ، قيصر روسيا ، فى ذلـك الوقت (ثمانينات القرن التاسع عشر) • وبعد مدة قصيرة من وصولهم الى فلسطين تحطمت آمالهم واحلامهم على صخور متعددة ، أهمهـــا برود استقبالهم من جانب الجالية اليهودية التى عاشت فى فلسطين لمئات السنين (والتى تعرف باسم الياشوف القديم) • وكان حجم هـــذه الاخيـــرة حوالى ٢٥٠٠٠ نسمة ، وكانت علاقتهم بعرب فلسطين علاقة مودة وتبادل مصالح ، كما كانت معظم قيمهم ومعايير حياتهم اليومية مشابهة تماما لما كان سائدا بين الاغلبية العربية • بالنسبة لهذه الجالية اليهودية ، مثل أفراد موجة البليوم كانوا مصدرا للتوتر ليس فقط بسبب توقعاتهم العالية ، ولكن ايضا لانهم سرعان ما بدأوا ينظرون للجالية اليهودية نظرة احتقار واستعلاء ، الى جـــانب ذلك كان الحـــاد معظم مهاجرى البليوم مصـــــدر اســـتنكار وازعـــاج من جـــانب الياشـــوف القديم . لذلك انتهى الامر بافراد هذه الموجة من المهاجرين الى العزلة الاجتماعية ، كما عصفت الامراض والاوبئة بعدد غير قليل ، وعاد بعضهم الى اوربا من حيث جاءوا ، اما الذين بقوا منهم فى فلسطين فقد عاشوا على صدقات ومساعدات مالية اتتهم من اغنياء اليهود فى اوربا (وخاصة من فرنسا وانجلترا) • وبدون هذه المساعدات ما كان من الممكن للاقلية الباقية أن تستمر على قيد الحيـــاة (٣) • هـــذه الحقيقـــة ـ المساعدات الخارجية ـ تمثل خاصية أساسية طبعت وما زالت تطبع كل المجهودات الصهيونية الاستيطانية فى فلسطين الى يومنا هذا •

٢ ـ موجة الهجرة الثانية ، أتت هـــذه الموجة الى فلسطين فى أعقاب المؤتمر الصهيونى الاول ، وكنتيجة جزئية لمجهودات المنظمة الصـــهيونية العالمية التى انشأها ذلك المؤتمر • ونقول كنتيجة

---

[١] راجع فى هـــذا الصـــددالعديد من نشرات ومطبوعات : مؤسسةالدراسات الفلسطينية فى بيروت ، معهد الدراسات الفلسطينية فى بيروت ،مركزالدراســات الفلسطينيـــة والصهيونيـــةبصحيفة الاهرام فى القـــاهرة • كذلك تعرض الـــكاتب لبعض ملامح المجتمـــعالاسرائيلى فى مقـــال بعنوان « ملامحالمجتمع الاسرائيلى » فى مجلة دراسات عربية ، العدد ٨ ، السنة الخـــامسة[يونيو ١٩٦٩] ، كمـــا تعرض علىالدين هلال لبعض هذه الاسئلة فى مقال بنفس العدد بعنوان « اسرائيل مجتمععسكرى » ص ١٧ـــ٣١ •

[٢] هذا الاسم (Biluim) هو اختصـــار لمنظمة « بيت يعقوب »التى أنشاها الطلبة اليهود فى جامعة كركوف الروسية فى أوائل سنة١٨٨١ ،وقد تكونت لهذه المنظمة فروع أخرىبين الشـــبيبة اليهودية فى شرق أوربا فى السنوات التالية • من بين أعضاء هذهالمنظمة أتى كل افواج اليهود الجماعيةالى فلسطين فى منتصف الثمانيـــات من القرن الماضى •

[٣] زاد من عدم قدرة أفراد موجةالبليوم على الاكتفاء الذاتى عاملين :أولهما انهم كانوا ذو خبرة محدودة فى فلاحـــة الارض اذا ماقـــورنوا بالعمالالزراعيين العرب وقتـــذاك ، وثانيهماتعودهم على مستوى معيشى عال نسبيا منذ كانوا فىروسيا •• وعدماستعدادهمللتنازل عن هذا المستوى • وبالتالى لمتكف الاجور أو الدخول التى حصـــلوا عليها من عملهم لاشباع حاجاتهم ،لذلككانت الصدقات الخارجية هى الوســـيلةالوحيدة لرأب هذا العجز •

جزئية ، لان العامل الرئيسي في هجرة هذه الموجة كان جو العسف والاضطهاد الذى ساد روسيا القيصرية عقب هزيمتها فى الحرب مع اليابان • ومع هرب مئات الالوف من اليهود الروس ، استطاعت المنظمة الصهيونية ان تحول منهم حوالى ۲۵٫۰۰۰ شخص الى فلسطين (اما الاغلبية فقد آثرت أن تهاجر الى غرب اوربا وأمريكا) ورغم قلة عدد من ذهبوا الى فلسطين (بالمقارنة الى من ذهبوا الى اماكن اخرى) الا انهم يمثلون قفزة نسبية ، ادت الى مضاعفة عدد اليهود فى فلسطين (من ۲۵٫۰۰۰ نسمة الى ٥۰٫۰۰۰ نسمة فى المدة ما بين ۱۹۰۰ و ۱۹۱٤ •

ولاهمية هذه الموجة فى التاريخ الصهيونى والاسرائيلى ، ولاهميتها فى موضوع المؤسسة الحاكمة ، يجدر أن نتوقف قليلا لنفحص بعض خواصها الاجتماعية والنفسية • فهذه الخواص - كما سيتضح فى سياق هذه الدراسة - تفسر كثيرا من الغاز السلوك السياسى للقيادات الحاكمة فى اسرائيل حتى يومنا هذا •

ينحدر معظم افراد الموجة الثانية من اصول يهودية روسية وشرق أوربية • وهم فى ذلك يشبهون افراد الموجه الاولى • غير أنهم كانوا اقرب الى قيم ومعايير المجتمعات اليهودية المغلقة (الجيتو Ghetto او الاشطتل (Staedtl ، كما كانوا اقل تعليما وثقافة (معظم افراد الموجة الاولى كانوا من الشباب الجامعيين) • ومع ذلك تعرض معظم أفراد الموجة الثانية لتاثيرات فكرية اشتراكية من ناحية ، وصهيونية من ناحية اخرى قبل وصولهم الى فلسطين . من بين افراد هذه الموجة أو من ابنائهم نجد الغالبية العظمى من القيادة الاسرائيليين الفعليين الى يومنا هذا - رغم ان حجم هذه الموجة كما قلنا لم يتجاوز الثلاثين الفا ، ورغم ان الموجات التالية كانت أكبر حجما ، واكثر علما وثقافة (باستثناء الموجة السادسة وهم اليهود الشرقيون) •

وساعد افراد هذه الموجة على لعب دور حاسم فى تشكيل المجتمع الاسرائيلى عوامل متعددة • أول هذه العوامل ذكريات مذبحة كيشنيف فى سنة ۱۹۰٥ بواسطة الحكم القيصرى ضد يهود المدينة والمناطق المجاورة • هذه الذكريات ولدت بينهم شعورا عارما بوحدة الالام ، وبوحدة المصير • وثانى هذه العوامل التجانس الحضارى ((Cultural Homogenity)) ، فهم يتحدثون لغة واحدة ، يفكرون بطريقة متشابهه ، وتجمعهم وحدة العادات والتقاليد • ثالث هذه العوامل هو حجمهم الكبير نسبيا ، مما وفر لهم قدرا اكبر من المساعدة المتبادلة ، وقدرا اوفى من « الاكتفاء الذاتى » عن أفراد الياشوف القديم والسكان العرب •

ومنذ البداية شغل أفراد هذه الموجة المراكز الحساسة فى المؤسسات الصهيونية التى كانت موجودة أو التى انشئت فيما بعد • كما اصروا منذ البداية على ان تكون لهم الكلمة العليا فى تصريف وتوزيع الاموال التى تجمعها المؤسسات الصهيونية فى الخارج • وكان من جراء ذلك أن طبقة مختارة ((Elite class)) بدأت فى الظهور منذ منتصف العشرينات • هذه الطبقة (٤) تكاد تكون كلها من يهود أوربا الشرقيين الذين وفدوا على فلسطين بين ۱۹۰۰ و ۱۹۱٤ ، (أو من أبنائهم فيما بعد) •

وقد تعرض بعض أفراد هذه الموجة للاضطهاد التركى اثناء الحرب الاولى ، مما دفع كثير منهم الى الفرار من فلسطين الى الخارج - وخاصة الى مصر حيث التحق عدد منهم بالقوات الانجليزية • وقد عاد هؤلاء الى فلسطين مع جيوش « اللنبى » بعد أن اكتسبوا خبرات ومهارات عسكرية قيمة • وقد ساعدهم ذلك - فيما بعد - فى تكوين الهياكل والمنظمات الدفاعية الصهيونية فى فلسطين ؛ ومن ناحيه أخرى قربت خدماتهم أثناء الحرب بينهم وما بين سلطات الانتداب فى فلسطين •

۳ - الموجة الثالثة للهجرة • وقد وفد أفراد هذه الموجة الى فلسطين فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، وخاصة بعد صدور وعد بلفور (ما بين سنتى ۱۹۱۸ و ۱۹۲۲) • حجم هذه الموجة يقدر بحوالى خمسين الفا ، معظمهم من أوربا الشرقية (وخاصة روسيا وبولندا) • وهم يكادوا يطابقون الموجة الثانية من حيث الخلفية الطبقية والتجانس الحضارى وقلة التعليم والثقافة (٥) •

---

[٤] استخدامنا لمصطلح « طبقة » هنا ليس استخداما ماركسيا بحتا • فعلاقة الطبقات فى اسرائيل تجاه وسائل الانتاج ليست قطعية فى معظم الحالات • ولكن هذا لايمنع وجود طبقات متميزة على اساس التحكم [وليس ملكية] وسائل الانتاج ، وعلى اساس الوعى الانتمائى لفئة معينة • Class Consciousness

[٥] نرجو الا يستنتج القارىء أن أفراد المؤسسة الحاكمه جهلة لمجرد انهم لم يدرسوا دراسات جامعية ، أو يستنتج انهم معدومى الإطلاع الواقع أنهم يقراون ويطلعون على نطاق واسع ولكن يغيب من هذا الاطلاع الاطار المرجعى الانسانى Humanistic Frame of Reference وهو الشيء الذي يكتسبه الفرد من خلال الدراسة الجامعية

لذلك نجد درجة عالية من التعاطف بينهم وبين أفراد الموجة الثانية منذ البداية • وحيث أن أفراد هذه الاخيرة كانوا ــ فى ذلك الوقت ــ قد وطدوا مراكزهم القيادية العلوية ، وحيث أن المؤسسات الصهيونية الوليدة كانت تنمو بسرعة فقد أتى أفراد الموجة الثالثة مكملين لعناصر الموجة الثانية فى كل الوجوه • وبطريق التزاوج ، والمشاركة فى السلطة ، ثم الانصهار بسرعة بين أفراد الموجتين من الناحية الاجتماعية • وبالتالى نجد مع نهاية العشرينات أن عناصر هاتين الموجتين قد أصبحت وحدة عضوية متماسكة فى أعلى قمة المجتمع اليهودى فى فلسطين • أما فى وسط هذا الهرم الاجتماعى وفى قاعدته ــ فى ذلك الوقت ــ فكان هناك المهاجرين من أوربا الغربية وأفراد الياشوف القديم (الجالية اليهودية الاصلية) • فيما بعد صعد أفراد الياشوف القديم درجة أو درجتين ليخلو قاع الهرم لليهود الشرقيين (الذين وغدوا بعد انشاء اسرائيل) • وظلت هذه هى الصورة تقريبا حتى الوقت الحاضر •

٤ ــ الموجات التالية للهجرة • سنجمل الحديث عن الموجات التالية (الرابعة حتى السابعة) فى جزء واحد من هذه الدراسة ، لانها رغم أهميتها الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية فى الهيكل الاسرائيلى ، فهى ذو وزن محدود من الناحية القيادية • ولا نجد فى قمة المؤسسة الحاكمة اى عدد يذكر من أفراد هذه الموجات أو من أبنائهم •

الموجة الرابعة مثلا (١٩٢٣ ــ ١٩٢٦) وفدت الى فلسطين فى خلال مدة زمنية قريبة جدا من الموجة الثالثة ، ولكن الاختلاف الطبقى والحضارى عن أفراد هذه الاخيرة أدى بالموجة الرابعة الى الضياع ، أو الانزواء ، أو التحلل ((Disintegration)) • كان أفراد هذه الموجة من البولنديين وينحدرون من الطبقات البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة • كما كان منهم عدد وفير من الجامعيين والمهنيين • ولكن حين حاول أفراد هذه الموجة شق طريق مستقل فى فلسطين مثل فتح محلات أو مزاولة مهنهم خارج الهستادروت (الذى كانت نواته قد تكونت بالفعل) فانهم لاقوا صعوبات جمة ــ ليس من جانب السكان العرب فى المقام الاول ، ولكن من جانب افراد الموجة الرابعة . أما بالخضوع وملء الطبقات الصهيونية (التى شغل مراكزها الحساسة أفراد هاتين الموجتين) • وبالتالى انتهى الامر بأفراد الموجة الرابعة اما بالخضوع وملأ الطبقات الوسطى والدنيا فى هذه المؤسسات ، أو بترك فلسطين كلية (الى وطنهم الاصلى أو الى الولايات المتحدة) •

ونفس الشىء تكرر بالنسبة للموجة **الخامسة** (١٩٣٢ ــ ١٩٣٩) التى وفدت من ألمانيا هروبا من الحكم النازى • فأفراد هذه الموجة كانوا أكثر السكان اليهود فى فلسطين تعليما وثروة على الاطلاق ، وكان منهم العلماء والاساتذة والفنانون والمهنيون ــ وبعضهم ذو شهرة عالمية . ولكن كل هذه الخواص الايجابية لم يشفع لهذه الموجة ولم يساعدها على اخذ مكانتها القيادية التى كانت تستحقها فى الهيكل الاجتماعى الاسرائيلى • باختصار ، كانت الفئة المهيمنة قد احكمت قبضتها على مصائر الامور بالنسبة ليهود فلسطين ، والمؤسسات الصهيونية فى الداخل والخارج ••• وكل من أتى بعدها ، مهما كانت كفاءاته واستعداداته ، لابد أن يخضع لشروطها ، وأن يقبل الامور على ما هى عليه ، وأن يقبل أكثر من ذلك دوره كما تحدده له هذه الفئة فى وسط أو فى أدنى الهرم الاجتماعى •

أما **الموجة السادسة** ، ومعظمها من اليهود الشرقيين (**وخاصة يهود شمال افريقيا والدول العربية**) **فداحتلت قاعدة الهرم الاجتماعى منذ قدومها الى فلسطين** (ما بين ١٩٤٨ و١٩٥٥) • وهى أكثر فئات المجتمع اليهودى تعرضا للتفرقة من حيث الوظائف وفرص التعليم ، ومن حيث شغل أى مراكز مهمة فى المؤسسات الاسرائيلية الحكومية أو غير الحكومية •

أبعاد المؤسسة الحاكمة

قد يكون من المفيد عند هذه النقطة ، ان نحدد بمزيد من التخصيص ابعاد المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل • **من هم الذين يكونون فى مجموعهم هذه المؤسسة ؟** •

لقد قررنا ــ لاغراض هذه الدراسة ــ ان نجمع معلومات ((data)) عن حوالى ١٥٠ **شخصية اسرائيلية** لعبت ، ومازالت تلعب ، أدورا مهمة فى تسيير دفة الامور فى المجتمع الاسرائيلى • ولان اسرائيل مجتمع فريد فى كثير من الوجوه ، كان لابد من تحديد معايير خاصة لاختيار هذه الشخصيات . من هذه المعايير مثلا موقع الشخصية فى صنع القرارات الكبرى ، وموقع الشخصية فى تنفيذ هذه القرارات • هذا المعيار ليس بحد ذاته فريدا أو وقفا على المجتمع الاسرائيلى • ولكن الفريد حقا انه فى كثيرمن الاحيان كان صانع القرار ومنفذه هو نفس الشخص أو الاشخاص •كذلك من الفريد ــ مثلا ــ أن قادة الاتحادات العمالية أو الجيش فى اسرائيل يفكرون بنفس الاسلوب الذى يفكر به رؤساء الشركات الكبرى أو الدبلوماسيين • وبالتالى فقد اتضح لنا أثناء الدراسة أن العقلية وأسلوب

التفكير هو الجامع المشترك الاعظم بين قادة مؤسسات قد تبدو متعارضة أو متباينة فى معظم المجتمعات الاخرى · من هذه الوحدانية فى العقلية والتفكير يمكن ـ مثلا ـ تفسير لماذا نجد قائدا عسكريا مثل اتزاك رابين يتحول الى دبلوماسي بين يوم وليلة ·

من المعايير الاخرى التى حددت اختيار شخصيات الصفوة الحاكمة فى اسرائيل درجة التسلط التى تمارسه هذه الشخصيات على اتخاذ القرارات ، حتى وهى خارج الحكم · فمثلا النفوذ الذى تمتع به افراد مثل « بنجوريون » و « موشي ديان » وهما خارج الحكم ، لم يقل كثيرا عما كان عليه وهم فى داخل الحكم · نفس الشىء لا يمكن أن يقال عن شخصية مثل « موسى شاريت » أو « ناحوم جولدمان » ، (الاول شغل لفترة منصبى وزير الخارجية ورئيس الوزراء ، والثانى منصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية)

المائة وخمسون شخصية ـ التى على أساس دراستها بنينا معظم التعميمات ـ تشمل أولئك الذين شغلوا مناصب وزارية ، قادة الهستادروت ، قادة القوات المسلحة (رتبة بريجادير جنرال ورتبة جنرال) ، قادة المؤسسات الاقتصادية ، وقادة الاحزاب الكبيرة فى داخل الكنيست أو خارجه ·

هناك ملاحظتين على هذه القائمة :

أولا : لا ندعى أن القائمة شاملة ومانعة لكل الشخصيات الرئيسية المؤثرة ولكنها تشمل معظم هذه الشخصيات ·

ثانيا : هناك تداخل كبير بين المناصب التى شغلتها معظم هذه الشخصيات (نفس الشخص قد يكون قد شغل مناصب فى القوات المسلحة ، ومجلس الوزراء ، والهستادروت ، والشركات الكبرى فى أوقات متفرقة) · بل ان هذا التداخل يعتبر القاعدة وليس الاستثناء فى اسرائيل ·

يغيب عن هذه القائمة فئتان أو أكثر من الفئات المهمة فى أى مجتمع : كبار المثقفين والعلماء ، وكبار رجال الدين · وسنتحدث عن هاتين الفئتين فى موضع آخر · ويكفى أن نقول هنا ، أن أفراد هاتين الفئتين رغم الوظائف الاجتماعية التى يؤدونها لا يتمتعون بكثير من القول فى تحديد السياسات ، أو اتخاذ القرارات الكبرى ، الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو ظرف التنافس بين جناحين أو أكثر داخل المؤسسة الحاكمة · وهنا قد يستعين أحد هذه الاجنحة بفئة أو بأخرى لتغليب وجهة نظره ·

كذلك يغيب عن هذه القائمة قادة الاحزاب الصغيرة · وما ينطبق على المثقفين ورجال الدين ينطبق عليهم ·· أى أنهم يبرزون على المسرح بين الحين والاخر فقط لدى الحاجة اليهم فى حسم موقف حرج قد تتعرض له المؤسسة الحاكمة ـ مثل الحاجة الى أصواتهم لتحقيق أغلبية نيابية ، أو وزارة ائتلافية · وفى هذه الحالات ربما تذعن المؤسسة الحاكمة لبعض مطالبهم ـ خاصة اذا كانت هذه المطالب لا تؤثر على الصورة العامة أو على نفوذ المؤسسة الحاكمة الكلى على المجتمع الاسرائيلى ·

الملامح الاجتماعية والخصائص النفسية للمؤسسة الحاكمة

ماهو النموذج النمطى لاعضاء المؤسسة الحاكمة (Typical Profile) هو شخص تنطبق عليه الصفات السبع التالية :

● وفد الى فلسطين فى موجتى الهجرة الثانية (١٩٠٠ ــ ١٩١٤) أو الثالثة (١٩١٧ ــ ١٩٢٣) ، أو ولد لاسرة هاجرت الى فلسطين ضمن هاتين الموجتين .

● ولد فى أوروبا الشرقية ، أو فى فلسطين ، ولكن والديه جاءا من أوربا الشرقية (روسيا، بولندا، أو الاقاليم السلافية الاخرى) ·

● عاشت اسرته قبل هجرتها الى فلسطين (سواء قبل أو بعد ولادته) فى أحد الاحياء ، أو القرى اليهودية المقفلة (Ghetto or Staedtle)

● انحدرت أسرته من طبقة عاملة حرفية ، أو برجوازية صغيرة ·

● لم يحصل الا على قدر متوسط من التعليم (معظمه من مدرسة زراعية متوسطة) ·

● التحق بالهاجاناه او البالماخ فى شبابه ، أو حدم فى صفوف الجيش الانجليزى لفترة أو لاخرى قبل أو أثناء الحرب العالمية الثانية ·

● عاش لفترة أو لاخرى فى أحد المستعمرات الصهيونية ((Kibbotzim)) ·

ومن الطبيعى أنه حين نرسم « نموذجا نمطيا » لفئة معينة (مثل الفئة الحاكمة فى اسرائيل) فلا يعنى ذلك أن **كل** الصفات تنطبق على **كل** أفراد هذه الفئة مائة فى المائة · وانما يعنى أن **معظم** الصفات

تنطبق على معظم أفراد هذه الفئة · فى كلمات أخرى ، هناك أفراد فى المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية لا تنطبق عليهم كل هذه الصفات أو حتى معظمها ·

من الامثلة البارزة لعدم انطباق هذه الصفات « أبا ايبان » : فهو من أصل غرب أوربى ، ولم يهاجر الى فلسطين الا فى مرحلة متأخرة نسبيا ، وذو ثقافة وتعليم عال (جامعة كمبردج) ٠٠ الخ · ومع ذلك وجدنا من تحليل معلوماتنا عن المائة والخمسين شخصية ، ان الصفات السبع التى أوردناها تنطبق على حوالى ٨٠ فى المائة من هذه الشخصيات ·

والان دعنا نحلل بشىء من التفصيل بعض الصفات المتقدمة حيث انها ذات وزن ثقيل فى التشكيل النفسى للقادة الاسرائيليين ·

١ ــ ذكر كاتب اسرائيلى حديثا ، اننا لو رسمنا دائرة قطرها ٦٠٠ كيلو متر حول مدينة بنسك (Pinsk) الروسية ، فاننا نجد الاصول المكانية لمعظم القادة الاسرائيليين أو لابائهم (٦) هذه المدينة تقع فى أوكرانيا فى أقصى غرب الاتحاد السوفيتى (كما نعرفه اليوم) وقريبة من حدود بولندا ورومانيا والمجر ويوغسلافيا وأهمية هذا العامل الجغرافى تتضح أكثر اذا ما قرناها بالظروف الزمانية والاجتماعية التى سادت هذه المنطقة من شرق أوربا وقت هجرة هؤلاء القادة الاسرائيليين أو أسرهم ·

كانت الاقاليم المحيطة بمدينة بنسك مركز تجمعات يهودية كبيرة فى أواخر القرن الماضى والعقود الثلاثة الاولى من هذا القرن · وكانت هذه التجمعات تختلف عن التجمعات اليهودية المماثلة فى غرب أوروبا من عدة وجوه : **أولها ــ الاضطهادات** المستمرة من جانب القياصرة الروس ضد الاقليات عموما ، واليهود بصفة خاصة · وقد بقى الوضع على هذا الحال ــ فى الواقع ــ الى نشوب الثورة البلشفية (١٩١٧) · مثل هذه الاضطهادات كانت قد اختفت (أو قلت الى حد كبير) ضد اليهود فى غرب أوربا منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر · وباختفاء الاضطهاد والتفرقة فى غرب أوربا تكسرت الحواجز التى كانت تفصل بين اليهود وغيرهم ، مما سهل عمليات التفاعل والانصهار الاجتماعيين · أما فى شرق أوربا ، فقد ظلت حيطان « الجيتو » عالية وأبوابه مقفلة الى عشرينات القرن العشرين ·

ومن المهم هنا ان نفهم ماذا يعنيه « الجيتو » من الناحيتين الاجتماعية والنفسية : « الجيتو » هو حى تسكن فيه أحد الاقليات الدينية أو الاثنولوجية أو العنصرية · هذا التركز السكنى قد يكون طواعية ، اى برغبة افراد هذه الاقلية ، فى حالة يهود شرق أوربا لم يكن الامر ــ فى معظم الاحيان ــ رغبة أو طواعية ، وانما كان مفروضا من قبل الاغلبية أو من قبل الحكام · وفى معظم الحالات كانت تحيط بهذه الاحياء أسوار وحيطان عالية ــ الدخول والخروج منها محدودا ان لم يكن معدوما · وفى الحالات النادرة التى يتجول فيها احد افراد الاقلية خارج هذه الاسوار فانه لا يحس بالامان التام · العالم خارج هذه الاسوار عالم غريب (يختلف عما هو داخل الاسوار) ، عالم لا يمكن أن يأمن له : فهو بارد على احسن الاحوال ، ومعاد وشرير على أسوأها · أما الطمأنينة والدفء فهما فقط داخل الاسوار · وحتى هذه الطمأنينة فى الداخل فليست مطلقة · فبين الحين والاخر قد يقتحم العالم الخارجى أسوار « الجيتو » لينهب ، ويعتقل ، ويعذب ، من هم داخل الاسوار · وبالتالى ، فالانعزال داخل الاسوار لم يكن ماديا فحسب ، ولكن كانت له مضاعفاته الاجتماعية والنفسية · الواقع بالنسبة لافراد « الجيتو » هو أقلية تحيط بها أغلبية معادية · السور أو الحائط يفصل بين عالم الشر والغربة والعداء من ناحية ، وعالم الامن والالفة والدفء من ناحية أخرى · الواقع بالنسبة لهم ــ اذن ــ هو أبيض وأسود ·

من المهم هنا أن ندرك أن هذا الانفصام فى النظرة الى الواقع ، كان يغذيه ، ليس فقط موقف الاغلبية وحكامها ، ولكن أيضا التنشئة الاجتماعية والدينية داخل « الجيتو » · فالدين ورجاله وجدوا فى هذا الوضع ضمانا لعدم الانصهار والذوبان ــ وبالتالى ــ ضياع اليهودية دينا وثقافة · كما كان العداء خارج الاسوار (سواء حقيقة أو تصورا) من أهم عوامل التضامن والجماعية داخل الاسوار ، ومن أهم العوامل التى ربطت الفرد بالمجموع ، فالاول كان اعتماده كليا على الثانى لتحقيق حاجاته المادية والاجتماعية والنفسية وبدون المجموع لم يكن للفرد أى بديل غير عالم عدوانى خارج الاسوار · هذه الحقيقة كانت

---

(٦) انظر فى هذا الصدد مقالا لرافئيل روزنويج وجورجز تامارين :
Rafael Rosenweig & Georges Tamarin : Israel's Power Elite, Transaction, Vol. 7, No's. 9-10 (July, August, 1970, pp. 26 — 7.

من أهم ميكانيزمات الضبط الاجتماعي داخل « الجيتو » ·

هذه التنشئة الاجتماعية بكل خيوطها النفسية ظلت العامل المؤثر الاول في حياة الرعيل الاول من القادة الصهاينة · لقد نقلوا معهم (من شرق أوربا) الى فلسطين تصورهم للواقع بحديه : الابيض والاسود ، عالم الخير وعالم الشر ، الاول داخل الاسوار والثاني خارج الاسوار · هذه النظرة الى الواقع لونت سلوك مهاجري الموجتين الثانية والثالثة ، وطبعت سياسات قادتها – وبالتالي المجتمع اليهودي في فلسطين – بطابع ما زال سائدا الى يومنا هذا · وأبلغ انعكاس لهذا السلوك وهذه السياسات يتجلى في الاتي :

● انشاء المستعمرات والمستوطنات التي شابهت في كثير من الوجوه « الجيتو » الذي عرفوه وعاشوا فيه في شرق أوربا · فمعظم هذه المستعمرات ذات أسوار وأبواب · وفي المدة ما بين ١٩٠٠ و ١٩٤٨ كانت بمثابة الجزر التي يحيط بها بحر الاغلبية العربية في فلسطين · ومنذ البداية ، شب حتى من ولد من الاجيال التالية في فلسطين ، معتنقا نفس النظرة ، والعقيدة ، والاحساس ، تجاه عالم ما هو خارج الاسوار · صحيح لم يطلق الصهاينة على هذه المستعمرات نفس الاسم (الجيتو) ، ولكن المفهوم (Concept) لم يختلف · صحيح لم تكن الاغلبية العربية في البداية معادية لمن هم داخل الاسوار ، ولكن شعور عدم الثقة بأي « غريب » كان قد تعمق وأستشرت جذوره في هؤلاء اليهود النازحين · وكان تعريف « الغريب » بالنسبة لهذا النوع من اليهود بسيطا وقاطعا : كل من يعيش خارج أسوار المستعمرات · حتى يهود الياشوف القديم (الذين عاشوا لمئات السنين في فلسطين قبل موجات الهجرة الحديثة) كانوا محل عدم ثقة من صهيوني المستعمرات ·

● بعد انشاء اسرائيل ، أصبحت الدولة الجديدة كلها بمثابة جيتو كبير ·· كل من خارجها « غريب » لا يطمأن اليه ·وبالتالي نجد استمرارا لنفس العملية النفسية التي يشير اليها علماء النفس بالتشريط (Conditioning) فتصور القادة انعكس في كل سياساتهم الخارجية (مثل الدفاع والحرب) وسياساتهم الداخلية (مثل التعليم والدعاية وغسيل المخ ·· الخ) · لقد ارسيت قواعد هذه السياسات منذ مرحلة مبكرة في التاريخ الصهيوني بفلسطين بواسطة القادة الذين أتوا (أو أتت أسرهم) من أوربا الشرقية · وكما أشرنا سابقا ، لم يكن بوسع من أتوا من أماكن أخرى (مثل أوربا الغربية والبلاد العربية) أن يغيروا من هذه السياسات · ورغم عدم تعود الكثيرين منهم (وخاصة يهود أوربا الغربية) على حياة الجيتو وما يرتبط بها من تصورات ومشاعر وعقد ، الا انهم وأبنائهم تعرضوا لبرامج الصهينة (Zionaization) والمذهبة (Indoctrinization) وغسيل المخ (Brain-Washing) من اللحظة التي وطأت فيها أقدامهم أرض فلسطين ، سواء قبل أو بعد انشاء اسرائيل ·

● أحد الانعكاسات الاخرى لعقلية الجيتو ، وما ترتب عليها من سياسات ، هو الممارسة المبكرة للتعصب والتفرقة ضد السكان العرب منذ انشاء الهستادروت (بل حتى قبل انشائه حين كان النشاط النقابي مقصورا في اتحادات الزراعيين) · فمنذ وفود الموجة الثانية (١٩٠٥ – ١٩١٤) ويهود أوربا الشرقيين يرفعون شعار « العمل لليهود فقط » · وطبقوا هذه السياسة في المؤسسات الصهيونية الجماعية ، كما فرضوها فرضا على المؤسسات اليهودية الخاصة التي كانت قد أنشئت حتى قبل قدوم الصهاينة (مزارع ومحلات كان يملكها أفراد من الياشوف القديم) · وطبيعي أدت هذه السياسة الى بطالة أعداد كبيرة من العمال العرب ·· وكانت بداية شعور العداوة من جانب هؤلاء الاخيرين نحو اليهود النازحين من أوربا الى فلسطين ·

٢ – أحد الملامح البارزة لافراد المؤسسة الحاكمة في اسرائيل هو انحدارهم من طبقة عاملة حرفية ، أو برجوازية صغيرة ، وعدم حصول أغلبيتهم على تعليم عال في شبابهم · الذين شبوا منهم في أوربا الشرقية حصلوا على تعليم متوسط أو دون المتوسط · ومع ذلك تعرضوا لمجموعتين من التراث والافكار السياسية :

المجموعة الاولى : هي الفكر الصهيوني الذي كان ما يزال وليدا ، ولكنه يعج بالحماسة والعاطفية والرومانتيكية ·

المجموعة الثانية : هي الفكر الاشتراكي بألوانه المختلفة (من الماركسية الى الفوضوية الى الفابية) ·

ولان تعليمهم كان متوسطا أو دون المتوسط في ذلك الحين ، فان وعيهم لكل من التراثين كان قطعيا (Dogmatic) وغير نقدي · وبالتالي حين جاءوا الى فلسطين جاءوا بافكار نصف مهضومة ، أو بالاحرى ، نصف مطبوخة (وخاصة فيما يتعلق بالافكار الاشتراكية) · وفي فلسطين حاولوا تهجين الصهيونية والاشتراكية · فأخذوا من الاولى العصبية « القبلية » بما تحمله من أفكار

تفوقية (Supremacist) ، وأخذوا من الثانية الجماعية (Collectivism) ، وتمجيد العمل اليدوى • فى حين تركوا او اسقطوا الاخوة العمالية البروليتارية (Proletariat Brotherhood) (التى كانت بالضرورة ــ ستنطوى على أخوة عربية يهودية بين أفراد الطبقة العاملة بصرف النظر عن الدين أو العنصر) • وكانت نتيجة هذا التهجين ــ بالتالى ــ قومية شوفينية « اشتراكية » • وبالفعل ، ومنذ البداية ، استبعد العرب من التنظيمات العمالية (الهستادروت) ، ومن المستوطنات والقرى الجماعية ــ وكلاهما المفروض فيه تطبيق « للاشتراكية » ! •

كذلك كان للملامح التى أوردناها من قبل (الخلفية الطبقية والتعليمية) مضاعفات أخرى فى تشكيل نظرة واتجاهات أفراد المؤسسة الحاكمة • والمصطلح الذى يصف كل هذه المضاعفات هو الفصام (Schizophrenia) • والتأرجح (Ambivalence) نحو الفئات التالية : المتعلمون وذو الثقافة العالية ، يهود غرب أوروبا ، واليهود الشرقيون الذين هاجروا الى فلسطين واسرائيل ، واليهود الذين ما زالوا يعيشون خارج اسرائيل (الدياسبورا) •

● بالنسبة لذوى التعليم العالى (الجامعى وما بعد الجامعى) هناك شعور بالحب والكراهية فى آن واحد من جانب أفراد المؤسسة الحاكمة • فهم يدركون أهمية التعليم والعلم الحديث والتكنولوجيا فى بقاء وازدهار المجتمع الاسرائيلى .. وتبذل المؤسسة الحاكمة مجهودات وأموال طائلة لجلب الفنيين والمهنيين من يهود « الدياسبورا » الى اسرائيل ، أو لتدريب وتخريج أكبر عدد منهم فى اسرائيل نفسها • وفى نفس الوقت هناك شعور بالازدراء نحو هؤلاء المتعلمين تعليما عاليا • قد يكون مصدر هذا الشعور مبالغة القادة الاسرائيليين فى تقييم خبراتهم العملية وتجاربهم الحياتية • فرغم أن معظمهم ذو تعليم متوسط (بما فى ذلك بن جوريون وليفى أشكول) الا انهم لا شك ينظرون الى انفسهم بزهو واعتزاز : ألم يبنوا مجتمعا جديدا ؟ ألم ينشأوا دولة حديثة ؟ ألم ينتصروا فى كل الحروب التى قادوها ؟ • من ناحية اخرى قد يكون مصدر شعور الازدراء نحو المتعلمين هو التعويض النفسى (Compensation)

لقد عرف عن ليفى أشكول ــ مثلا ــ أنه فى كل مرة يرشح له بعض الاسماء يشغل وظيفة هامة ، قوله « لا تذكروا لى شهاداته العلمية ؟ هل كسب قرشا من عرق جبينه » (٧)
أو قوله : « هل المرشح واحد منا ؟ » أى أن المرشح الامثل فى نظره اما أن يكون رجلا عمليا ذو خبرة حياتية ، أو على الاقل أن يكون من الرهط الشرق اوربى •

هذا النوع من التفكير والعقلية يفسر ــ مثلا ــ لماذا كان افراد من حزب المعارضة من قبيل م • يانائى و م • تابنكين اقرب الى قلب ليفى أشكول من اشخاص كابا ايبان و ا • روبين ــ وهم أعضاء فى حزبه (المابای) ولكنهم على درجة عالية من التعليم ومن أصل غرب أوربى •

« يانائى » و « تابنكين » كانا يتحدثان نفس اللغة ويفكران بنفس العقلية لانهما أتيا من نفس الخلفية الطبقية والحضارية والتعليمية التى أتى بها ليفى اشكول (شرق أوروبا + تعليم متوسط + خبرة عمليةفى بناء المجتمع الصهيونى) .

هذا الاتجاه الفصامى نحو المتعلمين (حب وازدراء فى نفس الوقت) أدى الى حصر المتعلمين فى المستوى الاوسط من الناحية القيادية • وما زالت الابواب نحو المستوى القيادى الاعلى موصدة فى وجوههم • وبالتالى فأقصى ما يمكن وصفهم به هو انهم اما بيروقراطيين (ليس بالضرورة بالمعنى السلبى) ، او تكنوقراطيين فى أجهزة الدولة • أما قيادة المؤسسات فما زالت مقصورة على نفس الفئة (التى اتت من شرق اوربا قبل سنة ١٩٣٠) أو على أبنائها • وفى الحالات التى تتطلب تعليما عاليا فان هذه الفئة تفضل ان ترسل احد افرادها الى الخارج او الى الجامعة العبرية للحصول على هذا التعليم • وليس من الغريب ان تجد العديدين منهم يلتحقون بالجامعات وهم فى سن متأخرة نسبيا • من الامثلة العديدة : « زفاى تزور » (أحد رؤساء الاركان ، من أصل بولندى ، التحق بجامعة سيراكيوز وحصل على درجة فى الادارة العامة ، وأصبح مديرا لشركة ميكوروث ــ من اكبر شركات اسرائيل) ، « حاييم بارليف » (من أصل يوغسلافى ، درس فى الجامعة العبرية والولايات المتحدة) ، «موشى جورين» (من أصل بولندى ، ودرس فى الجامعة العبرية) ، « ايجال آلون » (درس فى اكسفورد) •• وهكذا • لقد التحق هؤلاء بالجامعات • ومعظمهم فى سن الاربعينات أو الثلاثينات •

---

[٧] انظر نفس المصدر السابق ص ٣٢ •

● بالنسبة ليهود أوربا الغربية ، فاننا نجد نفس النظرة الفصامية – علاقة الحب والازدراء فى نفس الوقت • المؤسسة الحاكمة تريدهم وترغب فى هجرتهم الى اسرائيل ، لانهم : **اولا** ، يضيفون الى الحجم السكاني للمجتمع ، **وثانيا** ، هم على درجة عالية من المهارة المهنية والفنية فى كل ما يحتاج اليه بناء دولة عصرية . ومع ذلك هناك شعور بالازدراء نحوهم من جانب هذه المؤسسة • فيهود أوربا الغربية لم ينشأوا فى حضارة الجيتو • وبالتالى لا يشتركون مع يهود اوربا الشرقية فى كراهيتهم لعالم ما هو خارج الاسوار بنفس الدرجة •• هم اكثر انفتاحا ، واقل قطعية ، واخف عصبية وشوفينية • وبقدر ما تحس المؤسسة الحاكمة بحاجاتها اليهم ، بقدر ما تحاول أن تحد من صعودهم الى المناصب القيادية الرئيسية • وبالتالى ففى أى منافسة بين اثنين على منصب مهم ، ولكن احدهما اصله من أوربا الشرقية والثانى اصله من اوربا الغربية ، فللاول الغلبة التحيز هناك دائما ، وان كانت المؤسسة الحاكمة تحاول دائما تغطيته •

من الامثلة الصارخة على هذا التحيز الحالة التالية : « **صامويل دبينار** » (من أصل كندى) حاول لعدة سنوات الحصول على تعاون وزير المالية « **بنحاس سابير** » لفتح مصنع تغليف الحمضيات – وهى من الانشطة الاقتصادية الرئيسية فى اسرائيل ، ولكن دون جدوى • فى نفس الوقت حصل « **افراهيم الين** » (من أصل أوربى شرقى) من « **بنحاس سابير** » على تعاون لا حد له فى صناعة ذو مستقبل غير مضمون (مصنع السيارات) – وهو المصنع الذى أعلن افلاسه بالفعل هذا العام بعد خسارة تقدر بـ ١٠٤ ملايين ليرة اسرائيلية (٨) .

من الغريب أيضا فى هذا الصدد أن نجد يهود المانيا – رغم ضخامة عددهم (٢٠٠،٠٠٠) ، وارتفاع درجة تعليمهم ومهاراتهم – معزولين تماما عن مستوى صنع القرارات الكبرى فى اسرائيل . قد يصل بعضهم الى أعلى المناصب القضائية (المحكمة العليا) أو الجامعية او الخدمة المدنية ، ولكن ليس الى المستوى الوزارى – فهذا الاخير منصب سياسى يرتبط مباشرة باتخاذ القرارات العليا . وبالتالى لم يكن مصادفة أنه حتى سنة ١٩٧٠ لم يصل من هؤلاء اليهود الالمان الى منصب وزير سوى شخص واحد فقط (**جورج جوزيفتال**) ، وحتى فى حالة منح وزارة غير حساسة •

أما شعور الازدراء نحو اليهود الشرقيين فهو لا يحتاج الى تدليل أو توضيح • فالتفرقة والتعصب ضدهم ينعكسان فى أحوالهم المادية والاجتماعية ، وهم فى أدنى درجات السلم الاجتماعى فى اسرائيل (باستثناء الاقلية العربية طبعا) • والمؤسسة الحاكمة فى ورطة حيال اليهود الشرقيين • فمن ناحية تجد نفسها مجبرة على تطبيق شعار العودة بالنسبة لكل اليهود (ومنهم الشرقيون) لان ذلك الشعار هو التبرير الوجودى (Raison d'être) لدولة اسرائيل •
فى نفس الوقت اليهود الشرقيون يمثلون مشكلات اجتماعية عاتية : فهم يختلفون عن كل من يهود أوربا الشرقية (المؤسسة الحاكمة) ويهود أوربا الغربية (المهنيين والطبقة فوق المتوسطة) على السواء من الناحية الحضارية • كذلك هم أدنى مهارة من الفريقين : ماديا وتعليميا ومن حيث المهارات التكنولوجية • وتحتاج عمليات أقلمتهم وغسيل مخهم (طبقا للمخطط الصهيونى) أموالا طائلة – لا يمكن توفيرها الا باقتصاصها من مخصصات الحرب أو على حساب الطوائف الاخرى الاكثر تميزا • أحوال اليهود الشرقيين – هى باختصار – أحوال مزرية ، وتمثل لغما اجتماعيا كبيرا فى اسرائيل • والطريقة الوحيدة التى نجحت بها المؤسسة الحاكمة فى تأجيل انفجار هذا اللغم كان دائما بتوجيه المرارة والغضب اللذين يحس بهما اليهود الشرقيون نحو الاقلية العربية ، أو نحو العالم العربى .. ولكن هذه الوسيلة تنكشف بين الحين والاخر ، ويدرك اليهود الشرقيون بالتدريج ان عدوهم الاول هو الظلم الاجتماعى والتفرقة العنصرية – كما تجلى ذلك حديثا فى ظهور حركة « **الفهود السود** » الاسرائيلية •

● بالنسبة ليهود « الدياسبورا » **نجد النظرة** الفصامية التارجحية من جانب المؤسسة الحاكمة أكثر بروزا نحو هؤلاء الذين مازالوا يعيشون فى اوربا الغربية ، والامريكتين ، واتحاد جنوب افريقيا • ففى هذه البلاد تعتبر الجاليات اليهودية على درجة عالية من الثراء والتعليم والخبرة المهنية والفنية • من حث الشعار الصهيونى الداعى لتجميع اليهود من اماكن الشتات ، فان

---

(٨) علق على هذا الموضوع وغيره عددا من الكتاب الاسرائيليين فى الصحف الاسرائيلية ، انظر مثلا تعليق امنون روبنشتاين فى صحيفة هارتس بتاريخ ١٩٧١/١٢/٣ •

المؤسسة الحاكمة لا تفتأ عن الصياح والشكوى والتوبيخ لهؤلاء اليهود لفشلهم فى القدوم الى أرض الميعاد • وقدتصل درجة الهجوم من أفراد المؤسسة الحاكمة الى حد اتهام هؤلاء اليهود بعدم اليهودية — كما فعل بن جوريون منذ عدة سنوات (٩) • فى نفس الوقت اذا هاجر بعض هؤلاء الى اسرائيل فانهم يحجرون عن الوصول الى المناصب العليا التى تؤهلها لهم مواهبهم وخبراتهم — هذا من ناحية ، من ناحية أخرى ، فان المؤسسة الحاكمة تحتاج الى بقاء هذه الاقليات فى مواطنها الاصلية (على الاقل فى الوقت الحاضر) لسببين مهمين : أولا ، لان هذه الاقليات بدخولها العالية تعتبر من أهم مصادر المساعدة المالية لاسرائيل (والتى تقدر سنويا بحوالى بليون دولار من التبرعات) • وبهجرة هذه الاقليات — وبالتالى فقدان المجالات التى من خلالها يولدون هذه الدخول العالية — ستحرم اسرائيل من مورد رئيسى • ثانيا ، وجود هذه الاقليات فى المجتمعات الغربية يتيح لاسرائيل ممارسة الضغط السياسى على حكومات الدول الغربية — وبالتالى على مواقفها الدولية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى • والدور الذى يلعبه اليهود فى الولايات المتحدة — مثلا — كجماعة ضاغطة (Pressure Group) على كل رئيس أمريكى (منذ ترومان الى نيكسون) وعلى شيوخ ونواب الكونجرس أمر لا يحتاج الى تدليل •

وهكذا نجد شعور الفصام والتأرجح ، علاقة الحب والكراهية ، من جانب المؤسسة الحاكمة تجاه يهود الدياسبورا • وما الصراع بين قادة المنظمات الصهيونية خارج وداخل اسرائيل الا مظهرا لهذه الفصامية • والمتتبع لامور الصهيونية واسرائيل قد يجد فيما ذكرنا تفسيرا للاحتدام بين **ناحوم جولدمان** (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق) والمؤسسة الحاكمة فى اسرائيل فى السنوات الاخيرة (١٠) ، كما يذكر مثلا على لسان « **عزرا وايزمان** » وزير النقل الحالى وأحد قادة سلاح الطيران السابقين) احتقاره لعمه « **حاييم وايزمان** » (الذى حصل من انجلترا على وعد بلفور والذى شغل منصب أول رئيس جمهورية فى اسرائيل) لعدم هجرته لفلسطين الا فى أواخر الاربعينات (١١) • ليس معنى هذا أن عزرا لم يقدر الخدمات الجليلة التى قدمها عمه للحركة الصهيونية • ولكنه الفصام — مرة أخرى — الحب والازدراء فى آن واحد •

باختصار ، لعل القارىء يرى فى هذا الجزء من الدراسة كيف اثرت الملامح الاجتماعية لافراد المؤسسة الحاكمة على تشكيل نفسية أفراد هذه المؤسسة ، وعلى اتجاهاتها (attitudes) وطريقة ادراكها للواقع ، على رؤيتها (Vision) للعالم ومكوناته ، على تقييمها للدور الذى لعبته ومازالت تلعبه ، وبالاخص على سلوكها نحو الفئات اليهودية الاخرى فى داخل وخارج اسرائيل •

أسلوب المؤسسة الحاكمة فى القيادة والتحكم

مع وفود الموجة الثانية (والى حد ما الموجة الثالثة) من المهاجرين الى فلسطين ، هيمنت عقلية معينة على تسيير مقاليد الامور بالنسبة لليهود ، قبل وبعد اعلان اسرائيل • هذه العقلية هى ما حاولنا تشريحه — خلفية وملامحا — فى الاجزاء السابقة من هذا البحث •

وفى هذه الفقرة سنتعرض بشىء من التفصيل لاسلوب المؤسسة الحاكمة فى ممارسة الضبط الاجتماعى (Social Control) ، وللادوات والوسائل التى تستعين بها لتأكيد سيطرتها ، ولتأمين رؤيتها المذهبية من الاستمرار فى الحاضر والمستقبل •

١ — **دور الهستادروت** : لعب الهستادروت — ومازال — دورا رئيسيا فى خلق الهيكل الصهيونى ، وفى تدريب قيادات المؤسسة الحاكمة ، وفى تمكين هذه المؤسسة من احكام

[٩] انظر فى هذا الصدد تصريحاته التى نشرتها مجلة التايم (Time) الامريكية فى عددها الصادر فى ١٨ أكتوبر ١٩٧١ ، ص ٤٦ •

[١٠] لمزيد من التفاصيل حول الصراع بين يهود أوربا الشرقيين ويهود أوربا الغربية والولايات المتحدة انظر مثلا :

Moshe Menuhin : The Decadence of Judaism in our Time, Institute For Palestine Studies, Beirut, 1969, pp. 83 — 88.

Elmer Berger : « Disenchantment of a Zionist », Middle East Forum, April, 1962.

[١١] أنظر سيرة عزرا وايزمان فى كتاب

D. Lankin et al. (editors) : Generals of Israel, Hader Publishing House, Ltd., Tel-Aviv, 1968, pp. 67 — 75.

كاتب الفصل عن عزرا وايزمان هو ايلى لاندو (Eli Landau).

قبضتها على مقاليد الامور • أنشيء الهستادروت بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، وهو عبارة عن اتحاد نقابات عمالية • ولكنه ليس كأى اتحاد نقابى عمالى فى أى بلد آخر •• بل انه عملاق اجتماعى متعدد الوجود والوظائف ، وما النشاط النقابى التقليدى الا واحدافقط منهذهالوجوه والوظائف . الهستادروت عبارة عن شركة مساهمة (لكل عضو فيه من الناحية الاسمية جزء أو سهم متساو) ، وهو أيضا منظمة للمساعدة المتبادلة (وخاصة من ناحية الرعاية الصحية والاجتماعية) ، وأخيرا هو تنظيم سياسى (نظريا يمثل العمال وصراعهم الطبقى) • وأهم من ذلك كله أن الهستادروت لم يتغير — بناء أو وظيفة — منذ انشائه منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، وان كان بالطبع قد اتسع ونما حجمه • هذا العملاق الاجتماعى ، هو الجهاز الذى من خلاله بدأت المؤسسة الحاكمة تمارس سيطرتها على المجتمع اليهودى فى فلسطين ، والذى من خلاله استمرت فى هذه الممارسة • لا شك — بالطبع — أن الهستادروت يقدم خدمات عديدة لاعضائه ، ولكنه فى نفس الوقت يجعل الحياة لمن ليس عضوا فيه جحيما لا يطاق ، أو على أحسن الاحوال يجعل معيشتهم باهظة التكاليف • ومع الاعتماد الكلى للاعضاء على الهستادروت جعل من السهل على قادته (الذين هم فى نفس الوقت المؤسسة الحاكمة) السيطرة شبه الكلية على سلوكهم السياسى والاجتماعى • ولكى تتضح الصورة ، دعنا نذكر بعض جوانب الاعتماد (من جهة الاعضاء) ، وبالتالى جوانب التحكم (من جهة القيادة) :

● فى أمور الصحة والخدمات المتعلقة بها ، فان اعتماد العضو يكاد يكون كليا • فمن خلال التأمين الصحى يستطيع الفرد أن يحصل على العلاج والدواء فى العيادات والمستشفيات المنبثقة عن الهستادروت • ولهذه النقطة اهمية خاصة ، اذا علمنا أنه فى معظم أنحاء البلاد لا تتوفر أى خدمات صحية بديلة لتلك التى يقدمها الهستادروت .بمعنى آخر اذا لميكن الفردعضوا فى الهستادروت فان فرصة الحصول على رعاية صحية تكاد تكون معدومة • وحتى فى الاماكن القليلة التى تتوفر فيها بدائل لخدمات الهستادروت (كالعيادات والمستشفيات الخاصة فى المدن الكبرى) فان الحصول على هذه الخدمات يكون باهظ التكاليف بالنسبة حتى للاسر ذات الدخول فوق المتوسطة (فما بالك بمتوسطى الدخل أو الذين أقل من المتوسط) •

● المشروعات الاقتصادية التى يملكها ويديرها الهستادروت تمثل القنطرة الثانية التى ربطت الجماهير اليهودية بالمؤسسة الحاكمة • لقد اتسعت وتشعبت هذه المشروعات لدرجة أن أصبح الهستادروت هو أكبر مستخدم فى فلسطين ، واسرائيل منذ أوائل الاربعينات حتى الان • الى جانب ذلك يملك الهستادروت ثانى أكبر البنوك فى اسرائيل (بعد البنك المركزى) ، ويهيمن على كل الصناعات الثقيلة ، ويسيطر على جزء وفير من التجارة الداخلية ، ويكاد يتحكم كليا فىأعمال التصدير والاستيراد • وحتى الشركات ذات الشأن التى لم يكن يملكها الهستادروت فى البداية استطاع أن يضعفها أو يحطمها (من خلال حث أعضائه العاملين فيها على الاضراب) حتى آلت ملكيتها كليا أو جزئيا اليه • ومن الطريف أن أحوال العمال فى مثل هذه الشركات لم تتحسن بعد انتقال ملكيتها الى الهستادروت • المهم هنا ، أن ندرك أمرين : **أولهما** أن فرص العمل فى اسرائيل بالنسبة لاى فرد أو مجموعة من الافراد أصبحت رهنا برضاء الهستادروت • **وثانيهما** أن هذا الاخير هو صاحب العمل وممثل العمال فى نفس الوقت (وهو موقف أشبه بشخص يمثل دور القاضى والمحامى والمتهم فى آن واحد) ! •

● الهيمنة الاقتصادية التى يمارسها الهستادروت (وبالتالى المؤسسة الحاكمة) على الاقتصاد الاسرائيلى أدت (بصورة تكاد تكون أتوماتيكية) الى هيمنة سياسية • فالتحكم فى ارزاق القطاع الاكبر من المجتمع ، وفى فرص الخدمة الصحية والرعاية الاجتماعية ، تؤثر بشكل محسوس على سلوكهم الانتخابى • ولذلك لا عجب أن نجد حزب الماباى (الذى يؤيده الهستادروت) متربع على عرش السلطة منذ انشاء اسرائيل الى الوقت الحاضر • ووجود « الماباى » فى السلطة ، أدى بدوره الى تدعيم الهستادروت • وبالتالى أصبحت العلاقة بين الهستادروت والماباى علاقة عضوية ، طابعها الدعم المتبادل • فالحكومة تعطى لشركات ومشروعات الهستادروت الاولوية فى عقود المبيعات والمشتروات،فى تنفيذ المشروعات (شركة « سوليل بونيه » التى يملكها الهستادروت) ، وفى الحصول على أذون الاستيراد والتصدير • وأحيانا تدخل الحكومة فى مشروعات اقتصادية مشتركة مع الهستادروت — كما فعلت فى حالة شركة « زيم » للملاحة والنقل البحرى • أكثر من ذلك ، التواطؤ المستمر من الحكومة تجاه الشركات التى يملكها الهستادروت • فحين فشلت شركة « سوليل بونيه » — مثلا — فى اكمال مشروع بناء ميناء أشدود فى الوقت المحدد (طبقا للعقد) فان الحكومة لم تطالبها بأى تعويضات أو غرامات • (من التى نص عليها فى التعاقد) • قارن هذا بموقف الحكومة من شركات أخرى محلية (لا يملكها الهستادروت) أو أجنبية • فحين تأخرت شركة أعمال البحر الميت فى الوفاء بما نص عليه العقد لعدة شهور ، فان الحكومة نفذت كل العقوبات

المنصوص عليها الى آخر حرفت بما فى ذلك مصادرة معدات الشركة وتغريمها مبالغ طائلة (١٢) . من الناحية المقابلة ، فان الهستادروت وشركاته لا يضنون على الحزب الحاكم بالاموال التى يحتاجها فى حملاته الانتخابية (ولا بأصوات العاملين فى هذه الشركات بالطبع) . من الامثلة الشهيرة لذلك ما كشفت عنه الصحف أخيرا من أن العجز المالى الضخم فى شركة «دان» لاتوبيسات النقل كان سببه الاول التبرع بنفس هذا المبلغ لنشاط حزبى سياسى . وطبعا الشركة نفسها كانت مطمئنة لتعويض هذا العجز اما من خلال مساعدة من الدولة (على حساب دافع الضرائب) ، أو من صندوق «النداء اليهودى المتحد United Jewish Appeal» (الذى يجمع مئات الملايين من الدولارات سنويا من يهود الدياسبورا) . ونفس الشيء اتضح فى التحقيقات الاخيرة حول افلاس مصنع السيارات «أوتو كارز» . فقد ظهر من شهادة «**الجنرال مئير عميت**» أن مبالغ كبيرة قد دفعت (بواسطة ادارة الشركة) لاغراض حزبية (١٣) .

باختصار : الهستادروت يمثل أداة فعالة ، من خلالها استطاعت المؤسسة الحاكمة أن تسيطر على أرزاق ومقدرات قطاعات كبيرة من المجتمع الاسرائيلى . وقد ترتب على هذه السيطرة نفوذ سياسى ضخم مكن حزب هذه المؤسسة من التربع على عرش السلطة منذ تأسيس اسرائيل الى الان . وبوجود الحزب فى الحكومة فانه يرد جمائل الهستادروت بكرم وسخاء . وأدق وصف لهذه التركيبة هو أن كلا من الماباى والهستادروت يمثلان جناحى المؤسسة الحاكمة (بأصلها الشرق أوربى) . والعلاقة بين الجناحين عضوية من حيث الوظائف ، وانسيابية من حيث الجمائل والقيادات . أما علاقة الجناحين بالجماهير فهى علاقة فوقية تحكمية .

٢ - **الامتصاص ، الشراء ، والعزل :** فى محاولتها لابقاء الهيمنة والسيطرة على مقدرات المجتمع الاسرائيلى ، تراعى المؤسسة الحاكمة المحافظة على الشكل الديموقراطى (وليس روح الديموقراطية) . لقد ناقشنا فى الفقرة السابقة الدور الذى يلعبه الهستادروت فى احكام هذه السيطرة حيث أن غالبية العاملين فى اسرائيل هم أعضاء فيه . ولكن هناك قطاعات مختلفة فى اسرائيل ليست منضوية تحت لوائه . فى حالة هذه القطاعات فان المؤسسة الحاكمة تحاول اما امتصاصهم (absorbtion) شرائهم (buying off) من خلال بعض الوظائف أو المكاسب الماديه ، او عزلهم (Isolating) ومطاردتهم (Harassment) - وذلك اذا ما حاولت هذه القطاعات أن تثور أو تخلق المصاعب أمام المؤسسة الحاكمة .

● فى حالة القيادات الفردية التى ليست من اصل شرق أوربى ولكنها نجحت فى الظهور على مسرح الرأى العام ، والتى يبدو أن طموحها ذا درجة عالية ، فان المؤسسة الحاكمة تفتح أمامها الباب - ولكن بحساب شديد - لتنضم الى هذه المؤسسة . فى مثل هذه الحالات المعدودة فان شرط الولاء المتناهى للمؤسسة الحاكمة ومبادئها ورؤيتها للواقع لابد من التأكيد عليه . هذا التاكتيك مارسته المؤسسة الحاكمة خاصة مع بعض يهود أوربا الغربية الافذاذ مثل **أبا ايبان** ، **وموشى شاريت** ، **وبنحاس لافون** . ولكن اذا ما حاول أحد هؤلاء أن يكون سيد نفسه ، وأن يمارس سلطاته الرسمية بالطريقة التى يمليها عليه ضميره ، فانه سرعان ما يجد نفسه خارج الدائرة الحاكمة بسرعة ، وقد يطويه النسيان الى الابد . هذا هو ما حدث **لموشى شاريت** (ثانى رئيس وزراء لاسرائيل) حين حاول جادا - من وجهة نظره - أن يستكشف امكانيات الصلح مع العرب فى منتصف الخمسينات . وهذا ما حدث مع **بنحاس لافون** (الذى كان وزيرا للدفاع فى وزارة شاريت) حين أصر على الا يملى عليه أحد خارج الوزارة (مثل بن جوريون فى ذلك الوقت) آراءه الخاصة . والذى لم يدركه كل من شاريت ولافون - فى ذلك الحين - هو ان تلك لم تكن آراء خاصة لشخص واحد مثل بنجوريون ، ولكنها كانت آراء المؤسسة الحاكمة التى كانت تقبض على كل خيوط السلطة الحقيقية فى يدها .

● فى الحالات المشاغبة التى تتصدى لفضح المؤسسة الحاكمة أو احراجها ، فان هذه الاخيرة تحاول شراءهم (أو رشوتهم) بأن تعينهم فى بعض الوظائف غير الحساسة ولكن ذات المرتبات المرتفعة نسبيا . هذا - مثلا - ما فعلته مع قادة تمرد البحارة التجاريين فى سنة ١٩٥٢ ، ومع زعيم وادى صليب ، واثنين من زعماء عمال أشدود . وهو نفس الشيء الذى فعلته أخيرا مع بعض زعماء الفهود السود (حيث عينت عددا

---

[١٢] انظر مقال روزنويج وتامارين [مصدر مشار اليه سابقا] ، ص ٣٠ .
[١٣] انظر ملخص ماتنشره الصحف الاسرائيلية فى نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، العدد ١ ، السنة الثانية ، يناير ١٩٧٢ ، ص ١٥ .

منهم فى دائرة الهجرة ووزارة الشئون الاجتماعية) وقد تأخذ عملية الشراء والرشوة شكلا آخر فيما يتعلق بقطاعات أو كتل سياسية أو اجتماعية كاملة فى اسرائيل — مثل حالة المؤسسة الدينية والمتدينين • فرغم أن معظم أفراد المؤسسة الحاكمة أنفسهم ليسوا متدينين ، والبعض منهم ملحدين ، الا أنهم يدركون أهمية ارضاء الارثوذكسية اليهودية لاعتبارات معنوية أحيانا ، ولاعتبارات سياسية وانتهازية أحيانا أخرى • فالى جانب اعطاء المؤسسة الدينية الاشراف على بعض نواحى التوجيه المعنوى فى القوات المسلحة والمدارس ، فان الاحزاب الدينية تحصل بين الحين والاخر على مناصب وزارية ، وامتيازات اقتصادية ، كلما احتاجت المؤسسة الحاكمة لاصوات نوابهم فى الكنيست أو كلما احتاجت اليهم لتكوين حكومات ائتلافية (تظل الاغلبية فيها بالطبع للمؤسسة الحاكمة) •

● العزل (Isolation) هو سلاح تلجأ اليه المؤسسة الحاكمة مع بعض الافراد والجماعات التى يصعب امتصاصها أو شرائها • وما نقصده بالعزل هنا خلق جفوة عاطفية ونفسية شديدة بين هذه الجماعات من ناحية والمجتمع الاسرائيلى اليهودى من ناحية أخرى • وبالتالى فان هذه الجماعات اما ان تصبح فريسة لعداوة المجتمع كله ضدها ، وأما يتجاهلها المجتمع تجاهلا تاما — وبذلك تفقد أية امكانية للتأثير السلبى فى قوة المؤسسة الحاكمة • وهناك أمثلة عديدة لهذا الاسلوب فى تعامل المؤسسة الحاكمة مع مثل هذه الجماعات • فى اواخر العشرينات حينما بدأت بعض الجماعات الشيوعية اليهودية فى كشف أساليب الهستادروت فان أفرادها حرموا من الخدمات الصحية ، وطردوا من أعمالهم • وحين حاولوا تكوين مشاريعهم الاقتصادية خارج الهستادروت فانهم أتهموا بالعداء للصهيونية وفكرة الوطن القومى (National Home) واستعديت معظم قطاعات المجتمع اليهودى آنذاك ضد جابوتنسكى وأتباعه حتى أسكتوا ، أو لفهم الضياع والنسيان • كذلك نجد نفس الاسلوب متبعا فى الوقت الحاضر مع جماعات اليسار الجديد (وخاصة حزب الماتزبن) ، فهناك التلميح الدائم بأنهم عملاء أو خونة أو جهلة أو اطفالا — وهذه كلها ، تهم تحد من فعاليتهم فى التأثير على الرأى العام فى داخل اسرائيل • الى جانب ذلك تشجع المؤسسة الحاكمة الجماعات اليمينية المتطرفة (مثل فرع عصبة الدفاع اليهودية Jewish Defense League الذى تكون فى اسرائيل حديثا) لملاحقة واضطهاد عناصر اليسار الجديد (١٤)

المؤسسة الحاكمة والمثقفون

لم يكن للمثقفين أى تأثير يذكر على مجريات الامور بين يهود فلسطين قبل انشاء اسرائيل • ونعنى بالمثقفين (Intellectuals, Intelligentsia) أولئك الاكاديميين (أساتذة الجامعات) والمفكرين (الادباء والكتاب والفنانين) •

بعد انشاء اسرائيل ، زاد وزن هذه الفئة عدديا ولكن تأثيرها على المجتمع ككل ما يزال محدودا • وداخل فئة المثقفين فى اسرائيل — اليوم — نجد عدة اتجاهات واختلافات • أى أنهم لا يكونون جماعة واحدة ، متجانسة الرأى ، أو متشابهة فى انطلاقاتها الايديولوجية •

هناك جماعة كانت قد تكونت فى الجامعة العبرية حول المفكر اليهودى الكبير **مارتن بوبر** ومازال تقليدها مستمرا بعد وفاته • كانت بداية هذه الجماعة من خلال « **رابطة السلام** «Birt Schalom» » التى تزعمها — الى جانب بوبر — مفكرون آخرون مثل « **يهودا ماجنس** » (أول مدير للجامعة العبرية) و « **ارنست سيمون** » (العميد السابق لكلية التربية بنفس الجامعة) • لقد تصدت رابطة السلام للدعوة نحو الاخاء العربى اليهودى فى فلسطين ونبذ التفرقة العنصرية والدينية ، وهاجمت ممارسة التمييز والطرد للعمال العرب من المؤسسات والمزارع اليهودية — وهى السياسة التى أتبعها الهستادروت منذ العشرينات (كما أشرنا فى عدة مواضع من قبل) • لقد كان — ومازال — أعضاء هذا التيار يرون أنه لا مستقبل لليهود فى فلسطين على حساب حقوق شعب آخر ، ونبهوا الى أن الاساليب الصهيونية التى أتبعت فى ذلك الحين ستؤدى الى اشعال المنطقة كلها فى صراع دموى قد يستمر الى عشرات السنين • ولكن تأثير هذه الجماعة كان ومازال محدودا للغاية • ولذلك لم تغير صيحاتهم ونداءاتهم من تصميم المؤسسة الحاكمة على تنفيذ مايروق لها من سياسات • وان كان بسبب هذا التيار ، حاولت المؤسسة أن تحافظ على شكل وصورة الديموقراطية ان لم يكن روحها •

هناك جماعة ثانية يمكن ان نطلق

---

[١٤] انظر مقال عوزى بنجامين عن هذا الموضوع فى صحيفة هآرتس الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧١/١٢/٣ أو ملخصة فى نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية [المصدر المذكور أعلاه] •

عليهـــا « الاكاديميون بـــلا ايـديولوجية »
(Apolitical Academicans)

ومعظم أفـــراد هـــذه الجمـــاعة يتركـــزون فى الجامعات الحديثة العهد (مثل جامعة تل أبيب) • ويستمد هذا النوع من الاكـــاديميين مـــراكزهـــم ونفوذهم لا من شهرتهم الفكرية داخليا أو عالميا ، وانما من صلتهم التكنـــوقراطية بـــالمؤسسة الحاكمـــة • فهم يأتمـــرون بسياسات المؤسسة الحاكمة ويقدمون لها المشورة الفنية بلا أسئلة أو نقد • ولا تهتم هذه الجماعة ـ من قريب أو بعيد ـ بالمضاعفات الاجتماعية او الانسانية لاى سياسة او مشروع مادامت مراكزهم غير مهددة • وبالتالى فالحالة الوحيدة التى يرفعون فيها أصواتهم هى حالة المساس بمراكزهم ، وفى الاونة الاخيـــرة حينما بدا لهم أن بعض الاساتذة والعلماء اليهود من الجامعات الغربية على وشك الهجـــرة الى اسرائيل ، فان احتمال المنافسة بات يقلقهـــم • وبالتالى فقد بدأوا حملة مغطاة ـ ولكنها منظمة ـ ليس فقط لمنع هؤلاء من مزاحمتهم ، وبل وتطفيش الموجودين منهم بالفعل • وقد علقت الصـــحف الاسرائيلية فى السنتين الاخيرتين على هـــذه الظاهرة (١٥)

هناك جماعة ثالثة من الاكاديميين تتركز فى معهد وايزمان العلمى (Weizman Institute) ومعظم أفرادها من جيل الصبرا (الذين ولدوا فى اسرائيل) • وقد حاز بعض أفرادها شهرة عالمية فى مجال البحث العلمى • هذه المجموعة تشبه ـ على السطح ـ المجموعة الثانية مـــن حيث اللاايديولوجية (Apolitical) **ولكنها تختلف فى أنها ليست ذراعا طبعا للمؤسسة الحاكمة ، كما أنها ليست بالضرورة ضد هذه المؤسسة • باختصار فقد أفرادها ثقتهم بامانة العمل السياسى : وما تنطوى عليها الممارسة السياسية فى أسرائيل من انتهازية ورياء • ولذلك فان معظمهم قد أنصرف للبحث العلمى لوجه العلم • وهذا وضع لا يمكن أن تتمنى المؤسسة الحاكمة أحسن منه : فهـــم لا** يسببون صداعا لهذه المؤسسة ، وبالتالى فهى تتركهم وشأنهم •

المؤسسة الحاكمة والمستقبل القريب

ان عددا كبيرا من افراد المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل قد تجاوز سن الستين ومعظمهم لا يتقاعد الا وهم فى السبعينات (بن جوريون أعلن تقاعده منذ عدة قصيرة فقط وهو فى الثمانين ، ومات ليفى اشكول رئيسا للوزراء وهو قريب من السبعين ، وجولدا مائير رئيسة الوزراء الحالية يزيد سنها على الواحد والسبعين ، وبنحـــاس ســـابير فـــى منتصف الستينات) • وقد أثبتوا قدرة فائقة على الاستمرار • فمعظمهم يشغل منـــاصب هامـــة فى الحركة الصهيونية (وفى أجهزة الدولة فيما بعد) منذ الثلاثينات أى أن بعضهم قد مكث فى المؤسسة الحاكمة لمدة تربوا على الاربعين عاما • ولذلك فان أعدادهم فى نقصان مستمر أمـــابالشيخوخة وأمراضها ، واما بالموت • لذلك يجدر بنا أن نتأمل المستقبل القريب للمؤسسة الحاكمة فى اسرائيل •

الى أى مدى ستكون استمرارا ـ فى أفكارها ونظرتها للواقع ـ للمؤسسة الحالية؟ ما هـــى العوامل المؤثرة فى الابنية الاجتماعية لاسرائيل والتى يمكن أن تؤثر على عناصر المؤسسة الحاكمة فى المستقبل ؟

وهنا فقط سنذكر بعض المؤشرات العامة التى لابد من اخذها فى الحسبان عند أى تنبؤ عن المستقبل :

اولا : ستكون معظم عناصر المؤسسة الحاكمة فى المستقبل من جيل الصبرا الذين ولدوا على أرض فلسطين • المؤسسة الحالية ـ كما ذكرنا تكرارا ـ تسودها عناصر شرق أوربية (من أصل روسى وبولندى) ، هاجرت الى فلسطين قبل سنة ١٩٣٠ • وتؤكد ظواهر كثيرة أنه من بين جيل الصبرا ، هناك فئة احتمال صعودها أكبر من أى فئة أخرى ـ وهى الفئة التى تنحدر من نفس الاصل الشرق أوربى • فرغم ولادة هذه الفئة فى فلسطين الا أنها نمت وتدرجت فى أحضان تقاليد حضارية شرق أوربية نقلتها أسرهم الى الوطن الجديد ، كما أنها تشربت كثيرا من العقلية وأساليب الممارسة السياسية عن طريق القيادات الحالية . ولذلك ستجد هذه الاخيرة أنه حين يحين الوقت لتسليم القيادة العليا لايد جديدة فان هذه الفئة هى الاقرب الى قلبها وعقلها ، وهى التى تعكس شـــبابهم ورؤيتهم • وبالفعل نجد أن عناصر الصـــبرا الوحيدة التى صعدت الى منـــاصب وزراء وجنرالات اتت أسرهم من شرق أوربا (آلون وديان وعزرا وايزمان مثلا) •

ثانيا : رغم التشابه الكبير بين هذا النوع من الصبرا والمؤسسة الحالية فى العقلية وفى نظرتهم الفصامية للواقع ، فانهم سيكونون أقل رومانتيكية من الجيل الذى سبقهم ، وأقل اشتعالا بالحماسة والخطابية وصنع الشعارات . هذا الاختلاف لا يعنى انهم سيكونون أقل تعصبا أو تصميما فى تنفيذ المخطط الصهيونى • ولكنه اختلاف تمليه طبيعة المجتمع الاسرائيلى المتغيرة (عما عهدته المؤسسة الحالية) •

---

[١٥] انظر مقال روزنويج وتامارين [مصـــدرمشار اليه سابقا] ص ٤١ •

ثالثا ، من أهم جوانب هذه الطبيعة المتغيرة زيادة تصنيع المجتمع الاسرائيلى ٠ فحينما أتى أفراد المؤسسة الحاكمة الى فلسطين كانت الزراعة هى السائدة من ناحية ، وكان شعارهم كرواد – من ناحية أخرى – هو تمجيد العمل الزراعى والاشتراكية الزراعية ٠ لم يبق من ذلك المجتمع الا قطاعا لا يتجاوز العشرين فى المائة اقتصاديا وسكانيا ، ولم يتحقق من حلم الاشتراكية الزراعية الا « الكيبوتزات » التى لا تضم أكثر من خمسة فى المائة من السكان ٠ معظم النشاط الاقتصادى الحالى (وفى المستقبل) هو نشاط صناعى وادارى على درجة عالية من التعقيد . هذه الخاصية الجديدة تستلزم مهارات قيادية مختلفة عما عهدناه فى المؤسسة الحالية ٠ وبقدر ما تكتسب العناصر الصاعدة فى المؤسسة الحاكمة هذه المهارات ، بقدر ما ستتمكن من تسيير الامور داخليا ٠ ومن المحتمل فى فترة الانتقال (خلال السبعينات) أن يكون هناك توتر ومنافسة بين من سيستمر فى الحكم من جيل ما قبل ١٩٣٠ وهذه القيادات الصاعدة ٠

رابعا : من التغيرات الاساسية التى لم يدركها المؤسسون منذ ربع قرن ، ان اليهود الشرقيين سيصبحون اغلبية سكانية فى الربع الاخير من هذا القرن ٠ وحتى حينما اتضحت هذه الحقيقة فى خلال الستينات فان قدراتهم الخلاقة المحدودة – من ناحية – وتعصبهم وتعاليهم – من ناحية أخرى – لم يمكن المؤسسة الحالية من حل مشكلاتهم الحضارية والاجتماعية والاقتصادية فى وقت مبكر . ولن يكون أمام الافراد الجدد فى المؤسسة الحاكمة فى السنوات المقبلة الا ثلاث احتمالات فى معالجة قضية اليهود الشرقيين : اخضاعهم بالقسر مع شراء زعمائهم ورشوتهم (وهو الاسلوب الذى اتبعته المؤسسة الحالية) ، أو الحل الجذرى للمشكلة – وهو ما سيتطلب بلايين الليرات التى لا يمكن توفيرها الا بتغيير عسكرية (Militarism) المجتمع الحالى ، ووقف التحيز ومحاباة اليهود الغربيين (فى الوظائف والمساكن مثلا) هذا الحل سيجعل اسرائيل تفقد ميزاتها التفوقية فى المنطقة ، وبالتالى احتمال وجودها فى المستقبل ٠ وهذا أمر بعيد اللجوء اليه ٠ الاحتمال الثالث فى معالجة قضية اليهود الشرقيين هو استمرار سياسة الحرب والتوسع . ذلك سيتيح للمؤسسة الحاكمة شيئين على الاقل ، احدهما تحويل نقمة اليهود الشرقيين نحو العدو الخارجى ، والثانى الحصول على اراض وموارد جديدة ، وبالتالى خلق فرص اقتصادية واجتماعية أمام اليهود الشرقيين ٠

ومن معلوماتنا عن المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل فاننا نميل الى الاعتقاد بأن الحل الاخير هو ما ستلجأ اليه هذه المؤسسة ٠

خامسا : من التغييرات المهمة فى المجتمع الاسرائيلى (وخاصة منذ حرب ١٩٦٧) نمو ما يسمى « **بالمركب العسكرى الصناعى وهو تآلف وتحالف بين العسكريين والرأسماليين الصناعيين ٠ هذا التحالف يمثل بالفعل قوة اجتماعية ديناميكية صاعدة فى اسرائيل . ليس** جديدا – بالطبع – على اسرائيل أن يكون للعسكريين دور هام فى المؤسسة الحاكمة ٠ ولكن الجديد هو اختراق رأس المال الخاص والرأسماليين – من خلال العسكريين – الى مستويات القيادة العليا بالتدريج ٠ فالى سنة ١٩٦٧ كان رأس المال الخاص قانعا بدور ثانوى أو حتى هامشى ، تاركا قيادة الاقتصاد الاسرائيلى لتحالف الدولة والهستادروت . ولكن منذ حرب يونيو فان نهم العسكريين لاسلحة جديدة ولمعدات الحرب فى ازدياد هائل ٠ ولما كانت احد الملامح لعقلية الجيتو التى تسيطر على المؤسسة الحاكمة (ومنها العسكريين) لا تثق فى أحد خارج الاسوار (بما فى ذلك حلفاء اسرائيل) ، فانها تريد كل شىء داخل الاسوار – فى هذه الحالة انتاج السلاح ومعدات الحرب محليا ٠ ولم يأخذ القطاع الرأسمالى كثيرا من الوقت فى الاستجابة لهذا النهم ، فبدأ توا فى توسيع ما كان موجودا وانشاء العديد من الصناعات العسكرية الجديدة بتشجيع ومباركة الجنرالات الاسرائيليين ٠ اكثر من ذلك فان عددا كبيرا من الضباط المتقاعدين ، اما كونوا شركات لانتاج السلاح أنفسهم ، أو دخلوا شركاء مع رأسماليين محليين وأجانب لنفس الغرض ، وتعتبر شركة « **ماشاك** «Mashak, Inc. » مثلا بارزا لهذه الظاهرة الجديدة ٠ هذا « المركب العسكرى الصناعى » الذى ينمو بسرعة مذهلة يشابه فى معظم الوجوه مثيله فى الولايات المتحدة – بل وبدأ فى التعامل مع هذا الاخير (١٦) ٠ ولا شك فان من مصلحة هذا « المركب » استمرار حالة الحرب لان فيها استمرارا لنشاطه الاقتصادى وأرباحه . ولذلك فاننا نتنبأ بأن المؤسسة الحاكمة فى المستقبل ستطغى فيها عناصر هذا « المركب » بأكثر من أى وقت مضى ٠

---

[١٦] أذاعت محطة التليفزيون كولومبيا (Columbia Broadcasting System, CBS) فى نشرة اخبارها بتاريخ الجمعة ١٤ يناير ١٩٧٢ انشركات انتاج الطائرات الحربية الامريكية [لوكهيد على الاخص] بصدد توقيع عقود مع بعض الشركاتالاسرائيلية لانتاج هذه الطائرات فى اسرائيل ، نفس الخبر نشرته صحيفة النيويورك تايم (New York Time) فى عددها يوم ١٥ يناير ١٩٧٢ ٠

اليمن

بين طريق التطور الرأسمالى

واللارأسمالى



قدم الدكتور محمد على الشهارى الدراسة التالية الى المؤتمر الخامس للجبهة القومية ، وقد تقرر ضمها لوثائق المؤتمر .

الدكتور محمد على الشهارى

برغم الانتماء الواحد الى الوطن الواحد والشعب اليمنى الواحد فان طبيعة الحكم السائد فى كل من شطرى اليمن الممزق كان ولابد أن تترك تأثيرها على نشاط القوى السياسية هنا وهناك .

انفصالية وراءها الاستعمار

فحيث كان يتحكم الاستعمار البريطانى فى جنوب البلاد منذ الربع الثانى للقرن التاسع عشر والذى لعب ـ حسب تخطيط امبريالى مدروس ـ دورا حاسما فى تكريس وتأكيد وتعميق التجزئة الاقطاعية ، والانفصالية السياسية ، والنزعات الاقليمية ، والصراعات الطائفية ، والنعرات العرقية ، والخلافات القبلية ، لم يكن مستغربا أن تقف التيارات والمنظمات السياسية الهزيلة التى نشأت فى عدن بعد الحرب العالمية الثانية ، والتى كانت تمثل الاقطاع والكمبرادورية عند حد المطالبة بشكل من أشكال الاستقلال الصورى لمستعمرة عدن ، أو لها وللمنطقة المحمية من حولها ،وتكوين دولة « الجنوب العربى » وهو الاتجاه الذى تبنته السلطات الاستعمارية فى آخر الامر ، لتحقق بذلك هدفين فى وقت واحد :

أولهما ـ تكريس انفصال اليمن الجنوبية عن اليمن الشمالية ، وتوجيه ضربة قاتلة للحركة الوطنية اليمنية الناشئة التى طرحت قضية الوحدة اليمنية بقوة وحدة ، نتيجة تكوينها الوطنى اليمنى الاصيل المثل فى تركيبها العضوى المتميز، المتشكل من قوى اجتماعية وسياسية شعبية ووطنية من شمال البلاد وجنوبها ، ونتيجة بنيتها الطبقية

العمالية والطلابية ، (١) . وبفضل المفاهيم التقدمية لقياداتها الديمقراطية والثورية ، هذه الحركة التى تفجرت فى منتصف الخمسينات تحت تأثير حركة التحرر العربى ، وتحت تأثير الانجازات الثورية الهائلة ، والتحديات القومية الشجاعة التى قادتها بصورة خاصة ثورة ٢٣ يوليو فى مصر بزعامة بطل الامة العربية الفذ جمال عبد الناصر .

ثانيهما — معارضة وأستغلال شعار الوحدة العربية الذى طرحته الحركة القومية العربية ، عن طريق أقامة دولة « أتحاد الجنوب العربى » التى تجمع مختلف الامارات والسلطنات والمشيخات ، التى كانت تنتشر ما بين المحميات الشرقية فى حضر موت ، والمحميات الغربية فى النواحى التسع ، والتمهيد للاعتراف بأستقلال سياسى شكلى ، تكون السلطة فى ظله فى يد القوى العميلة المحافظة ، من الاقطاع والكمبرادورية ، وتنزع الامبريالية بذلك شكلها الاستعمارى القديم ، لابسة حلة الاستعمار الجديد .

انعزالية وراءها الاستبداد

ومن ناحية اخرى فان الشطر المستقل من البلاد ، والذى كان فى الواقع شبه مستعمر من الناحية الاقتصادية وساحة صراع لاهب بين قوى الاستعمار القديم والحديث ، وبالذات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، فأن قوى المعارضة اليمنية التى جسدها « حزب الاحرار اليمنيين » المشكل — من حيث الاساس — من الجناح الاقطاعى المعارض ، ومن العناصر الكمبرادورية الناشئة والطامحة ، لم تتضمن كل برامجها السياسية اكثر من القضاء على « الاستبداد » ، واحلال حكم « الطبقة » محل حكم « الفرد » وأقامة سلطة « الاسر » مكان سلطة « الاسرة » وتوزيع صلاحيات « الامام » المطلقة والمركزة على الارستقراطية اليمنية كلها ، وعلى جميع رجالات الاقطاع وحلفائهم ، ولم تشر هذه المعارضة لا فى برامجها المتنوعة ، ولا بأقوال زعمائها بكلمة « سوء » واحدة الى « الاستعمار » ولم تلتفت هذه الحركة التقليدية الى قضية الوحدة اليمنية على الاطلاق ، بل انها نظرت الى الاوضاع فى جنوب البلاد باعتبارها مثالا يجب أن يحتذى ، حتى بالنسبة لشمالها ، كما نظرت الى الامبريالية البريطانية المتحكمة فيه « كدولة حضارية » لا يمكن لليمن أن تخرج من جمودها وتخلفها بدون مساعدتها ، ولا يستقيم سيرها فى طريق « النهضة والرقى » بدون الاعتماد عليها ، وطلب قيادتها لخطاها .

انعطاف تاريخى فى اتجاه الوحدة

وعندما نشبت الثورة اليمنية فى صنعاء فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وأجهزت على النظام الامامى والملكى وأعلنت الجمهورية ، فأن أحد مبادئها الستة المتعلق « بالوحدة الوطنية » لم يتسع ليشمل النص على « الوحدة اليمنية » .

غير أن هجمة الاستعمار البريطانى على الثورة ، وأنخراط قوى الشعب اليمنى من صعده الى عدن فى صفوف المدافعين عنها ، قد أحدث « نقلة حاسمة » فى مجرى الاحداث كلها ، واعاد ترتيبها من جديد ، وتصنيف كل شىء حسب طبيعته الجوهرية والاصيلة ، وجعل من الساحة اليمنية — ولا سيما بعد قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ضد الاستعمار البريطانى وركائزه فى جنوب البلاد ، انطلاقا من أرض جمهورية صنعاء وبالاستناد الكامل اليها ، كقاعدة خلفية وثيقة لها ، وبالاعتماد على دعمها ودعم الجيش العربى القوى لها — جعل منها ساحة نضال واحدة ، أمتزج على ترابها — ولاول مرة منذ تاريخ بعيد — الدم اليمنى ، والتقى على صعيدها الثوار من كل مكان ، وتحولت الى جبهة ثورية واحدة فى مواجهة جبهة الاستعمار والرجعية ، وتحققت بذلك وحدة كفاحية عملية مخضبة بالدماء ، وغدا أمرا منطقيا وطبيعيا ان يشير الميثاق الوطنى للجبهة القومية التى تشكلت من تحالف قوى طبقية وسياسية متعددة ، والتى قادت حركة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى وعملائه ، والصادر فى ٢٢ يونيه ١٩٦٥ الى ان « الجبهة القومية أنما تعمل من أجل تحقيق المجتمع المستقل الموحد المتحرر عبر ثورة وطنية ديمقراطية » (٢) .

انتكاس حركة التوحيد الوطنية

وكان فى الامكان أن تسير الامور فى مجراها الطبيعى ، وأن تؤدى عملية التواصل الوطنى ، والتفاعل الثورى ، والوحدة النضالية المعتمدة على

---

[١] انظر : ماضى وحاضر نضال الطبقة العاملة اليمنية « عمر الجاوى ، الثقافة الجديدة ، عدن ، ١٠/١١ ، ١٢/١٩٧١ ص ١١ فما بعد ، ٢٦ فمابعد .

[٢] برنامج مرحلة استكمال حركة التحرر الوطنى الديمقراطى ص ١١ .

أرضية واسعة وعميقة وأصيلة من وحدة التاريخ والوطن والشعب والوجدان وكل عناصر الوحدة الوطنية والقومية الى اتضاح وبلــورة اســس الوحدة اليمنية ، وتحقيقها سياسيا ودستوريا ، فور نيل اليمن الجنوبية استقلالها السياسي وامتلاك مصيرها وارادتها ، لو لم يحدث العـدوان الصهيوني الاستعماري الرجعي في ٥ يونيو ١٩٦٧ تاثيرات بعيدة المدى في مسار الثورة اليمنية بمجملها ، حيث أضطرت قوى الثورة العربية الى سحب الجيش العربي من صنعاء للدفاع عن قاعدة الثورة في القاهرة ، في ظل تبدلات في المواقع السياسية غدا بها التيار اليميني في الجبهة القومية ذو العقلية الانفصالية - الذي كان كرد فعل لخطوة دمج الجبهة القومية دون موافقة جماعية في جبهة التحرير في مطلع ١٩٦٦ قد عزز سيطرته القيادية من جديد بأسم اثبات وجود الجبهة القـومية المستقل ، والحفاظ على كيانها الذاتي - غدا هو المهيمن على تنظيم الجبهة القومية ، وعلى جنوب البلاد أيضا بعد الحصول على الاستقلال عام ١٩٦٧ ، كما غدا بها التيار التقليدي المحافظ القبلي والاقطاعي في شمال البلاد ، المدعم من البرجوازية الكومبرادورية ، الذي كان قد نما منذ عام ١٩٦٢ - برغم الضربات السياسية المترددة والمتقطعة وغير المخططة وغير الثابتة التي كان قد تعرض لها نموا عاصفا - هو المتحكم الفعلي في حركة الصراع ، بحيث لم يأت انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الذي قادته هذه القوى الا اعلانا خارجيا للرأى العام عن احتلاله لخشبة المسرح السياسي بالكامل في الداخل .

وذلك هو مغزى ما عبر عنه « برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي » للجبهـة القومية في ص « ٣١ » من انه « لولا الظروف الموضوعية السائدة في الشمال والجنوب عنـد استقلال الجنوب ، تلك الظروف التي شكلت عوائق آنية لكان من الضروري قيام الكيان اليمني بتحقيق الوحدة اليمنية التي ظلت وما زالت أمل الشعب اليمني في الشمال والجنوب » .

مد استعماري - رجعي كاسح

وابان فترة انحسار المد الثوري العربي ، وخلال سني الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العـربية ، وازدياد نشاط الاستعمـار الامريكي في المنطقة ، واحتدام التناقضات الثانوية بين قوى الثـورة العربية - تحت وطأة الهجوم الامبريالي الصهيوني الرجعي - وبالذات بين القوى الوطنية والتقدمية ، والذي بلغ حد الاشتعال والانقسام وسفك الدماء - تعززت مواقع الرجعية العربية في مشرق الوطن العربي ومغربه . وفي الجزيرة العربية بصورة خاصة ، وعاشت الرجعية اليمنية عصرها الذهبي الذي لم تحلم به قط من قبل ، بعد سقوط حكم الامامة ، حيث « استفادت قوى الرجعية العربية من المظلة التي نشرتها الدبلوماسية الامريكية ، فنشطت هذه القوى القبلية وشبه الاقطاعية التي عزلتها الثورة العربية ، وشرعت مرة أخرى تحاول أن تزكي نفسها كقيادات كان التاريخ قد وضعها منذ زمن بعيد في متحفه . ولقد تمكنت هذه القوى الرجعية من أن تعاود تاثيرها السلبي والضار على حركة التحرر العربية سواء بالعمل المكشوف والسافر الذي اتخذ شكل تدخل واعتداءات مسلحة على الثورة في جنوب اليمن ، أو سواء عن طريق التسلل الاقتصادي في بعض البلدان العربية» (٣)

وتحولت جمهورية اليمن الديمقراطية الى شبه جزيرة تحيط بها أمواج المد الرجعي الاستعماري من جهات الشرق والشمال والغرب ، حيث شكلت الانظمة الرجعية الموالية للاستعمار من حولها جزءا أساسيا في سلسلة الطوق الامبـريالي الصهيوني المضروب من حولها ، والممتد من الخليج العربي الى أرتيريا ، وبذلك « تزايد نشاط الانظمة القبلية ، وشبه الاقطاعية المتعاونة مع أمريكا في الشرق العربي ، وقد امتد هذا النشاط الى منطقة الخليج والى اليمن ، ليستكمل حلقات ابعادها وعزلها عن ركب الدول العربية الوطنية والتقدمية ، وليحولها الى قاعـدة للهجوم على الثورة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية » (٤)

انتهازية البورجوازية الصغيرة

وليست القوى القبلية والاقطاعية والكمبرادورية اليمنية هي المسئولة وحدها عن دفع الامور الى هذا المنزلق الخطير ، فان عناصر مثقفة ذات مواقع حساسة ، تنحدر من برجوازية المدينة الصغيرة والرثة تتحمل قسطا من المسئولية غير قليل ، فهذه العناصر وازاء الهيمنة الاقتصادية والسيادة السياسية للقوى العشائرية الاقطاعية ، وتمشيا معها في الركب ، وتحولا طوعيا من قبلها الى مجرد مطية من مطاياها ، وتنفيذا لمآربها ومخططاتها المشبوهة اخذت - تطبيقا لمفهومها

(٣) من الدفاع الى الهجوم على مواقع الاستعمار الجديد ، أبو سيف يوسف ، الطليعة القاهرية ١/١/٧٢ ص ٣٤
(٤) المصدر السابق ص ٣٦

الغريب والمتخلف عن العمل السياسي من أنه لا ضوابط مبدئية له ، وانه يجسيز الاخـذ بالشيء ونقيضه في وقت واحد ، من حيث أن « الحياة السياسية ٠٠ والسياسة ليس فيها اختيار لجعلها مثالية ، أو مكيافيلية ، فالسياسة ٠ قد تضطرني أن أسلك طريقا لا أرضاه ، وأبتعد عن موقف أريد اتخاذه » (٥) أخذت تتنكر لاصلها الطبقي المباشر في المدينة ، وتفتش عن أصولها القبلية القديمة ، قائلة : « فكلنا أبناء قبائل تسكن الجبال » ومؤكدة انتماءها الى قبيلة « بني يهلول » ورافضة وجود أي صراع سياسي او اجتماعي في البلاد « فليس بين عاقلين مى اليمن خلاف » كما تقول ، ورافضة لاى عمل سياسي أو تنظيمي او حتى وطني بحت ، بزعم أنه « اذا كانت السياسة تعنى الاحـزاب والايديولوجيات والمناورات فاعتقد انها ترف لسنا فى حاجة اليه » ٠ ومتنصلة بذلك عن ماضيها شبه الحزبي حتى ولو « اتهمني المثقفون فى اليمـن وغيرها بالانحراف عن الخط التقدمي » ومبررة الدور التكميلي المدان الذى لعبته فى رأب الصدع ، وجمع الشمل بين الفريقين الاقطاعيين اليمنيين المتخاصمين من جهة وبين الاقطاع اليمنـي والاقطاع العربي من جهة أخرى بقولها أن ذلك كان « سببا مباشرا فى نجاح المساعي التى أدت الى وقف نزيف الدماء فى اليمن ، وتحقيق الوحدة الوطنية » وزاعمة أن « القات » ـ وليس التخلف الحضاري الشامل ـ هو « مشكلة المشاكل فـي اليمن » ومصورة ـ لسذاجتها السياسية وتواضع مفاهيمهـا وقصـور طموحاتها ـ ان مجـرد دخول « الاسانسير » الى بعض المبانى الحكومية يعتبر من « ملامح القرن العشرين » ومعـززة ومباركة للتحالف الاقطاعي ـ الكمبـرادوري ، ومدارية لسطوته وجبروته بتأكيدها أن « هنـاك ولا شك تجار ومشايخ أثروا من الحرب ، ولكن بمجرد استقرار الامن وتوقف القتال بدأوا يستغلونها فى المشاريع الاقتصادية والزراعية ، ولعل اضعف الشخصيات فى اليمن هم الحكام » (٦)

ان هذا الانحدار البشع الى دركات العمل الرجعي الصريح ، وهذا التعالي على الاصـل الطبقي المتواضع وهذا الزهو المصطنع ، والتميز المفتعل على فئة المثقفين التى تنتمي اليها وبالتالي على الجماهير الشعبية ، وهذا السلوك الانتهازي ، ان كل ذلك يعود الى أن بعض عناصر « المثقفين من أبناء البرجوازية الصغيرة يريد أن يخرج على طبقته ، وأن يلتحم بالفئات العليا من المجتمع ٠ ومن هنا فهو كثيرا ما يظهر احتقاره واستهانته بالجماهير ، نتيجة لعقده النفسية الدفينة ، ورغبته العارمة فى الانفصال عن مجتمعه القديم والتمسح بمجتمع القلة المالكة » (٧)

من ارسـتقراطية قبليـة الى ارستقراطية اقطـاعية مالية

وكما ان بعض الاقطاعيين وملاك الاراضي قد يتحولون الى رأسماليين في الوقت ذاته ، مكونين مع أصحاب الاعمال طبقة رأسمالية ، فأن القمم القبلية والعشائرية والاقطاعية في اليمن التـي كدست أموالا طائلة عن طريق استغلالها فترة الحرب الوطنية ضد الاستعمار والرجعيـة ، وتحويلها الى مجرد صفقة رابحة بالنسبة لها ، قطفت ثمارها باليمين والشمال ، ومن اليميـن واليسار ، والتى نتيجة تصالحها وتعاونها مع الرجعية العربية ، وموالاتها للامبريالية كسبت أموالا اضافية جديدة ، قد أخذت منذ حين تدفع بهذه الاموال في اتجاهات مختلفة ، بشراء الاراضي الواسعة ، وزراعتها بالوسائل الحديثة والطرق الرأسمالية ، واقامة العقارات السكنية في أكثر من مدينة ، والاشتراك في المشاريع المختلفة ، وتحويل قسم كبير منها الى البنوك الاجنبية ، منفصلة بذلك عن قاعدتها القبلية والعشائرية ، ومتميزة عنها اجتماعيا وطبقيا ، ومكتسبة سطوة من جهـاز الدولة ، وليس لمجرد الرابطة القبلية كما كان الامر قبل ذلك ، ودافعة بالمجتمع في اتجاه الانقسام والصراع والعداء الطبقي الحاد لاول مرة في تاريخ البلاد .

وفى خط مواز لتحول الارستقراطية القبلية الى قوى اقطاعية ـ مالية صريحة ، أخذت البرجوازية اليمنية والكمبرادورية منها بصورة خاصة ، تركز على شمال البلاد بعد أن فقدت حصنها العتيد فى عدن على اثر الضربات التى لحقت بها على يد الثورة اليمنية الديمقراطية هناك ٠

انقســـــــام اليمن الى نظامين اجتماعيين متعارضين

ونتيجة عملية الاستقطاب الاجتماعية السريعة

---

[٥] روزاليوسف ١٩٧٢/١/١٠ ، من تصريح لمحسن العيني رئيس حكومة ج٠ع٠ي٠

[٦] صـباح الخير القاهرية ١٩٧١/١١/٤ ص٢٣ ـ ٢٤ من تصريح للعيني .

[٧] الفئـات الوسـطى فى الدول النامية ، د٠ جمال مجدى حسنين ، الكاتب القاهرية ٢٢/١/١٠ ص ٣٩

والعاصفة ، والتمحور السياسية القاطعة والشاملة انقسمت اليمن جغرافيا وطبقيا أفقيا ورأسيا الى نظامين اجتماعيين متعارضين كل التعارض ، نظام يسير فى طريق التطور الرأسمالى فى الشمال ، ونظام يسير فى طريق التطور اللارأسمالى فى الجنوب ، أحدهما يندفع - باسم تحقيق النهضة والتطور - فى اتجاه التعاون وبدون تحفظ مع الاوساط الغربية ، ويدفع بالبلاد الى التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية وتوابعها فى المنطقة ، والاخر يمضى قدما فى اتجاه تحرير الاقتصاد الوطنى من كل ارتباط أجنبى ، ويعمل على اقامة الاسس الصناعية والزراعية والتجارية لاقتصاد متطور ناهض مستقل ، عن طريق أحداث ثورة زراعية فى الريف ، وتأميم البنوك والشركات واقامة قطاع عام ، وتخطيط الاقتصاد الوطنى ، ومن خلال التعاون الكامل والبناء مع المعسكر الاشتراكى ٠

جانب ضد التطور وآخر مع التاريخ

وفى مثل هذه الحقبة التاريخية منحركة الثورة العربية والعالمية ، والتى تتميز بانهيار الانظمة الامبريالية وركائزها ، وانتصار الاشتراكية والديمقراطية ليس من التجاوز القول بأن احد النظامين يسير فى الطريق المسدود ، ويصطدم بالحائط الاصم ، ويسبح ضد التيار مباشرة ، بينما يسير الاخر فى اتجاه التطور وضمن سياق حركة التاريخ ، ويسبح مع التيار تماما ٠

فعلى عكس الدول الوطنية حديثة الاستقلال التىاختارت طريقالتطور اللارأسمالى ،والتعاون مع الدول الاشتراكية ، وحققت خلال بضع سنين تقدما هائلا فى كل مجال ، وأقامت اقتصادا وطنيا متطورا متحررا ، وسلكت سياسة وطنية مستقلة معادية للامبريالية والاحتكارية والانظمة الرأسمالية والسابقة على الرأسمالية - كما يتمثل ذلك فى جمهورية مصر العربية وغيرها من الدول العربية التقدمية - فان الدول النامية الاخرى التى مضت بعد الحرب العالمية الاولى فى طريق التطور الرأسمالى لم تعجز فحسب عن ايجاد قاعدة صناعية وتكنيكية لاقتصاد وطنى متقدم ، يلبى حاجات البلاد المختلفة ، ويحقق النهضة المطلوبة والتطور المنشود ، ويقضى على تركة التخلف الثقيلة والضاربة ويشدها فى اتجاه التقدم الحضارى المتصل والشامل ، وانما ازدادت حدة التناقضات الطبقية فيها ، وتفاقم الصراع الاجتماعى ، وتضاعف غنى أغنيائها وفقر فقرائها ، وتعمقت تبعيتها الاقتصادية والسياسية للاستعمار الجديد ، وعانت من الانقلابات العسكرية الدموية المدبرة من قبل الامبريالية ، وأضير الاستقلال الوطنىوالسيادة القومية فيها ٠

طريق التطور الرأسمالى طريق الارتباط بالرأسمال الاجنبى

ومع ذلك فان هناك من يرى من بعض المثقفين المترفين الممثلين للجزء الاعلى المترهل والمتفسخ من البرجوازية الوسطى اليمنية أن طريق التطور اللارأسمالى الذى سارت فيه اليمن الديمقراطية - ومنقبلها مصر ، وسوريا ، والجزائر ، وغيرها من الدول العربية ، والدول الاخرى حديثة الاستقلال فى آسيا وافريقيا - ليس مرفوضا فحسب ، وانما هو طريق « الطائشين » و « الضالين » وأن طريق التطور الرأسمالى المعتمد على التعاون مع الرأسمال الاجنبى هو الطريق الصحيح والوحيد الذى على كل الدول النامية - وعلى اليمن بالذات - أن تندفع فيه بكامل قوتها ، ممزقة أى خيوط انعزالية ما تزال تشدها الى الخلف ٠

« فالمشاهد - كما يرى هؤلاء - فى بعض هذه البلاد النامية أنها تتخذ فى بعض الاحيان سياسات لا تتفق مع مصالحها الاقتصادية ، اما بقصد التقليد غير المحسوب ، أو بغرض المزايدات المذهبية ، أو تصفية الخصومات الشخصية ، واما بسبب عدم ادراك أبعاد المصلحة الوطنية التى ينبغى السعى الى تحقيقهاوالتى لا تختلف فى جوهرها عن المصلحة الاقتصادية العامة ، والتى كما تصاب بمرض المراهقة السياسية فانها تعانى فى بعض هذه المجتمعات من الجمود الانطوائى ؛ ومن الافراط فى الحذر من التعاون الاقتصادى الدولى اللازم لدفع تيار التنمية والتقدم » مما يحرمها « من فرص الانتفاع بأساليب الحضارة الحديثة ووسائل الانتاج المتطورة ، ومن رؤوس الاموال اللازمة لكل عمليات الاستثمار والتنمية ، الامر الذى يشترط اول مايشترط انينفتحالمجتمع بعقليته وسياسته وتشريعاته ورحابة صدره الاجتماعى على كل ما ينفع فى تحريك طاقاته المهملة واستثمار موارده المعطلة » (٨)

---

[٨] الدولة العصرية ، د٠ عبدالرحمن البيضانى ، اخبار اليوم القاهرية١٨/١٢/١٩٧١م

مع الغرب ضد الشرق

وقطعا لكل شك ، ومنعا لكل وهم بأن الانفتاح الذى يقصد اليه هؤلاء قد يشمل الدول الاشتراكية ، ولا يخص الدول الرأسمالية وحدها ، فانهم يسارعون الى نفى كل شبهة ، وازالة كل ظن ، وفى لهجة لا تخلو من التحامل على المعسكر الاشتراكى وايديولوجيته ، والاهابة بقوة النظام الاقتصادى والتكنيكى الغربى وايديولوجيته؛«واذا كان هناك فى دنيا العرب من هم فى أقصى اليسار يرفضون عقائديا المفاهيم القومية لامثيين وراء (مثالية) الوحدة العالمية للبلوريتاريا فانهم فى عصرنا المتطور يبدون وكأنهم يعيشون فى زوايا نظريات القرن الماضى قبل أن تتطور مع طفرة الاقتصاد العالمى ، وتطور الاستراتيجية الدولية التى لا تسقط من حسابها كل ذرة رمل فى هذا العالم » وأكثر من ذلك فانهم ــ وفى هذا الوقت العصيب والدقيق الذى ارتبط فيه مصير حركة التحرر العربى بمصير الحركة الاشتراكية ، وبلغ التحالف بين الثورة العربية ذات الاتجاه الاشتراكى ، وبين الثورة الاشتراكية العالمية حد عقد معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى يدعون وبحماقة منقطعة النظير الى ادارة الظهر لكل تعاون اوتحالف معه ، وكل تعاون أو تحالف مع القوى الصديقة والحليفة الاخرى «ونحن فى الوطن العربى الكبير ــ كما يرددون ــ نحتاج الى كيان عربى كبير يمثل مصلحتنا ويحدد حجم فاعليتنا ، وحجم تأثيرنا ، ونحن فى سبيل ذلك يمكننا أن نعتمد على أنفسنا فلسنا فى حاجة الى نابليون ، أو قيصر ، أو موسولينى ، ينصر المسلمين ، او غير هؤلاء يحمون الطوائف الدينية الاخرى » (٩)

وتزيد مثل هذه العناصر ــ التى ما تزال تفكر بعقلية « الطوائف والعروق » وما تزال سجينة المفاهيم الضيقة والبالية والرجعية والمستهجنة ، ولم تهضم بعد منطق الوطنية والقومية ــ تزيد الامر وضوحا عندما تنتزع من ترسانة مفاهيم البرجوازية الغربية الشائخة والمحتضرة بعض أسلحتها المستهلكة والصدئة ، وتهاجم بها المعسكر الاشتراكى ، والفكر التقدمى الذى يجتاح الانسانية كلها ، وتدعو الى أن « يتحرر الثوار والتقدميون من المعتقدات الشمولية المنقولة من المجتمعات الاخرى ، والتى تزعم لنفسها صفة الدوام ، عندما تفسر الانسان والطبيعة تفسيرا نهائيا ، يدعى غيبية لاهوتية جديدة باسم العلم أو باسم الثورة والتقدمية » . ذلك لانه ليس هناك حقيقة ثابتة على الاطلاق ــ كما يتخيلون ــ وليس هناك قانون موضوعى قط ، وليس هناك نظرية صحيحة ابدا ، بل ليس هناك فرضية مؤكدة وثابتة ، وليس هناك معسكر صديق يمثل جانب الخير والعدل يمكن الاعتماد عليه ، والتعاون معه من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية ، والتطور الاجتماعى « فان التجارب الاجتماعية ــ كما يكتبون ــ لا تستطيع أن تؤدى الى خلق بديهيات اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية ، ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع أن الحقائق الاجتماعية غير ثابتة بل متطورة ومستمرة فى التطور ، أى أن الفرضيات الاجتماعية متحركة ، وبالتالى لا تخضع لاحكام هندسية ثابتة وبديهية » . وتأسيسا على ذلك فانه من الغرابة بمكان أن ينقسم العالم ، وتتوزع فئات وطبقات المجتمع الى قوى تقدمية وقوى رجعية ، « فسمعنا ــ كما يسطرون فى دهشة عجيبة وذهول غريب ــ عن اليمين واليسار ، ثم سمعنا عن اليمين ويسار اليمين ، وسمعنا عن يمين اليسار ، ويسار اليسار . وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة ، تبتكر لنفسها اجتهادات جديدة ، ثم تطرحها فى شعارات ، وتلقى بها فى السوق » وتحديدا لموقعهم الطبقى والسياسى المشبوه والمدان من هذا الصراع فانهم يبادرون ــ رغم الادعاء الظاهر والمقصود بنكران هذا الانقسام الطبقى ــ الى قلب الحقائق وتشويه الوقائع ، وجعل الصبح ليلا والليل نهارا ، متخذين بذلك جانب اليمين ، مستخدمين أساليبه الديماجوجية ، مصوبين رؤوس سهامهم الى القوى اليسارية ذات الاتجاهات « الحزبية » والمدعمة « بالتيارات الفكرية الجدلية » المستوردة والتى يختفى وراءها التأثير الخارجى « والاستعمار بأنواعه ، والنفوذ الاجنبى بكل صوره ، والتكتلات الدولية على اختلاف مذاهبها » (١١)

الحذر من الامبريالية

عصبية اقليمية

من ذلك كله يتضح « أن المدافعين عن طريق التطور الرأسمالى المشين يلجأون لذلك ، وبشكل متزايد الى طرق منحرفة ، الى البراجماتية المكشوفة والتجريبية » (١٢) .

---

[٩] قومية الارادة ، د. عبدالرحمن البيضانى ، اخبار اليوم ١٩٧١/٩/١١
[١٠] الدين والتقدمية ــ د. عبدالرحمن البيضانى اخبار اليوم ١٩٧١/٦/٥
[١١] قومية الفكر ، د. عبدالرحمن البيضانى ، اخبار اليوم ١٩٧١/٨/٢٨
[١٢] التطور غير الرأسمالى فى آسيا وأفريقيا ، ماله وما عليه ، مشاكله وابعاده ، لوثر راثمان هارتموث شيلنج ، الطليعة القاهرية ١٩٧١/١١/١١ ص ٥٩

ولــذلــك فانهــم ـ انطـلاقا من موقع « الكوزموبوليتية » . اللاوطنية ـ يرون فى العزة الوطنية نوعا من الغرور الذاتى ، وفى التمسك بالاستقلال السياسى الكامل شكلا من أشكال التعصب الاقليمى والانغلاق على النفس ، وفى الاصرار على التحرر الاقتصادى ابتعادا عن فهم متطلبات الواقع ، ومقتضيات التطور ، وتعاليا فجا على الاخرين ، وذلك كله ـ من وجهة نظرهم ـ « مشكلة استعلاء على الظـروف الموضوعية وتقدير ساذج للقدرة الذاتية ، مما يخلق اعتقادا وهميا بامكانية التعامل مع الغير على أساس من هذا الاستعلاء وتلك القدرة ، وخلال الانفصال الذاتى ونشوة الاعجاب بالنفس تفقد الشعوب النامية امكانية الاستفادة من اقبال الغير على التعاون من اجل تطوير ظروف هذه الشعوب التى ينبغى تطويرها » والحال أنه لابد من اكتسـاب صـداقة القـوى ذات الامكانيـات الراسمالية ، وتقديم تلك التنازلات اللازمة التى من شأنها أن تجتذبها الى استثمار امكانياتها فى المناطق المتخلفة « فالتعاون فى جوهـره ـ كما يقولون ـ مبادلة منافع ، ولذلك يترتب على الدولة التى تريد أن تتبادل مع الغير لتحصل منه على منفعة أن تغرى هذا الغير بمنفعة مقابلة ، وهى لا تغريه بذلك الا اذا اقنعته بامكانية حصوله عليها ، وبغير ذلك ليس هناك ما يلزم الغير على اجراء عملية التبادل مع هذه الدولة » ولمزيد من التوضيح فان « المنظرين » الجدد لـلاتجاه الراسـمالى يحددون لب المسألة فى التالى : « فالمشكلة تتلخص فى أن استثمار موارد المجتمع الطبيعية والبشرية يحتاج الى راس مال بالقدر الكافى الذى يسمح بحجم الاستثمار الامثل اقتصاديا ، وبالمدى الذى يضع المجتمع على عتبة التقدم والعصرية ، وان معظم المجتمعات التى تزخر بالموارد الطبيعيـة والبشرية المتعطشة الى الاستثمار تعانى من افتقاد هذا القدر الكافى من راس المال » وحتى بعد التحرر من الاستعمار القديم فان المجتمعات النامية لا تلبث أن « تصطدم بمشاكل التنمية الاقتصادية ، ومعضلاتها التى من بينها حتمية توفير رؤوس الاموال اللازمة لتطويرها » واذا كانت « تسود هذه المجتمعات مخاوف من مبدأ الاستعانة برؤوس الاموال غير المحلية » فان القضية لا تعدو أن تكون « حالة نفسية ، هى عقدة الخوف من نتائج الاستعانة برؤوس الاموال الصديقة » : وهى عقدة هينة تتراجع الى الخلف امام الحاجة الماسة الى « رؤوس الاموال الصديقة » للدول الامبريالية حيث أنها حاجة موضوعية و « حالة مادية هى انعدام القدر الكافى من رؤوس الاموال لاحداث التطور العصرى » وبما أن « . المشكلة المادية لاتحل نفسها بنفسها ، مهما طال عليها الزمن ، لان حالة التخلف تلتهم كل مدخرات المجتمع ، وتمنع من تكوينـه فـائض لـلاستثمار » فـان « القضية النفسية ٠٠ قابلة للحل التلقائى الذاتى بنمو الوعى الثقافى والادراك السياسى ، واتساع البعد الاقتصادى مع استمرار الحاح الرغبة فى التطور واللحاق بركب الحضارة العصرية ، ذلك ان تطور الظروف الاقتصادية العالمية قد أصبح على درجة عالية من التداخل والتشابك ، بحيث لا تستطيع الدول النامية ان تتجاهل حتمية الاستفادة من الالة الاقتصادية الدولية ان هى ارادت أن تجلس على مائدة العصر » وبالسير فى طريق التطـور الرأسمالى ، وبـالارتباط بعجلـة الاحتكارات الامبريالية الساحقة ، وبميكانيكيتها الالية والدولية الجهنمية ، وبرهن مصير البلاد لاسـتثماراتها النهمة ، وارباحها الجشعة ، واسواقها العالمية الضاغطة ، وبالتخلى عن كل النزعات المعادية للاستعمار ، وبالسير « بغير صراعات فلسـفية ، ومزايدات نظرية » وبدون الاسترشاد بأى مفهوم سياسى ، او قيم مثالية ، او مبادىء اجتماعية يمكن حينئذ وحينئذ فقط ان « نتخلص من مفـاهيم الفقر وتقاليده التى خلقتها ظروفه » (١٣) ٠

وفى هذا الاتجاه المدمر نفسه وتحت راية مثل هذه المفاهيم الخطرة والتى تفصح بنفسها عن الجهة التى استقيت منها ، وصيغت لخدمتها ، اخذت القوى الاقطاعية والبورجوازية تدفع باليمن الشمالية معرضة مستقبل اليمن كلها لمخـاطر عظيمة ، وعواقب وخيمة ٠

طـريق التطـور غيـر الرأسمالى طريق التحرر

غير ان جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التى قطعت اشواطا هامة وحاسمة فى طـريق الديمقراطية الوطنية والتطور اللا رأسمالى ترفض بحسم مثل هذه المفاهيم البورجوازية التى يروج لها ممثلو الاتجاه الراسمالى فى التطور ، ودعاة التعاون الاقتصادى والسياسى مع الاحتكارات الامبريالية وذول الاستعمار ، وذلك ادراكا منها « ان الاهداف الاقتصادية الاجتماعية للتطور غير الراسـمالى ترتبط بـالضرورة بفرض قيود علـى الرأسمـالية المحليـة الى أكبـر درجـة ممكنـة » مـع ضرورة « الاستفادة الكاملة من امكانيـات رأس المال الخاص ، للتعجيل بنمو وتطور الاقتصـاد الوطنى ، وعلى سبيل المثال فى تجارة التجزئة ، حيث يكون من المهم تجنب الاخلال بنظام التموين

[١٣] حتى نتخلص من الفقر ، د٠عبد الرحمن البيضانى ، اخبـار اليوم ٨/١/١٩٧٢.

الذى يمكن أن يؤدى الى عدم الاستقرار السياسى » (١٤) .

فعن الموقف من الرأسمال الوطنى والرأسمال الاجنبى ، يقول الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل ان تحرير الاقتصاد الوطنى ، وقيام القطاع العام لم يكن تحريرا للوطن فحسب « وانما هو فى نفس الوقت تحرير للرأسمال الوطنى .. من تبعية الرأسمال الاجنبى ، وانه على الرأسمال الوطنى أن يساهم مساهمة فعلية ، لا عن طريق الجرى وراء الارباح السريعة ، وعن طريق مزيد من مشاريع الخدمات ، وانما يساهم مساهمة فعلية من أجل انجاح خطة التنمية الصناعية والزراعية ، وفى نفس الوقت من اجل الاسهام فى قيام المؤسسات الانتاجية » وبقدر ما يترتب علينا أن نشجع ، وان نتيح له مجالا واسعا للمساهمة « وأن نحميه من الرأسمال الاجنبى ، والشركات الاجنبية فى الخارج » فان العناصر الرأسمالية التى لا تستجيب لذلك ، وتؤثر عرقلة عجلة التطور اللارأسمالى وتخريب الاقتصاد الوطنى ، والاساءة الى التجربة الديمقراطية « يجب أن تواجه بعنف ، وتواجه مواجهة حازمة ، وتضرب بقوة ، لانها فى الاخير تعرقل الاقتصاد وتخرب الاقتصاد ولا ريد أن تخضع ايضا لقيادة الدولة او القطاع العام للاقتصاد الوطنى وتحويل الاقتصاد الى اقتصاد انتاجى » (١٥) .

أسلوبان لحل الازمة المالية

ويتضح الفارق بين النهج الرأسمالى العاجز ، والنهج اللارأسمالى القادر فى كيفية مجابهة وحل المشاكل الداخلية ـ حتى فيما يتعلق بأسلوب معالجة الازمة المالية فى كل من شطرى البلاد .
فبينما لجأ احدهما الى اسلوب الاستدانة والاعتماد على « الاصدقاء والحلفاء » من أصحاب رأس المال بشكل مستمر ، مما شدد من ارتباط البلاد بالدول الدائنة ، فان أحدهما وهو ـ عدن ـ التى جعلت الامبريالية من اقتصادها والمنطقة المحيطة بها « اقتصاد خدمات يعتمد ٨٠ فى المائة منه بدرجة اولى على الوجود الاستعمارى (١٦) . والتى وقعت نتيجة البطالة العمالية التى عمت الاف العمال بعد انسحاب القاعدة البريطانية ، ونتيجة اغلاق قناة السويس ، وانخفاض دخل الميناء الذى كان أهم مورد على الاطلاق ـ تحت وطأة ازمة مالية واقتصادية خانقة ـ واجه هذه الازمة بمثل هذا المنطق الوطنى المستنير الذى عبر عنه نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية محمود عبد الله عشيش بقوله : « ومعالجة الازمة المالية جزء لا يتجزأ من مواجهة الرجعية والامبريالية ومخططاتهما فبجانب الاستنزاف المالى الذى ينتج نتيجة للمخططات الرجعية ، فان عدم معالجة قضايانا المالية يضع علينا عبئا ضخما تراهن الدوائر الاستعمارية عليه .. علينا ان نعى جيدا ان حل المشكلة المالية لن يتم بمعجزة من السماء ، ولن يتم من خارج هذا البلد ، ومن خارج صفوف هذا الشعب ، ومهما كانت صداقاتنا مع بعض البلدان .. علينا أن نعتمد فى الاساس على أنفسنا فى حل هذه المشاكل ، ولابد من تقديم التضحيات من أجل تحقيق ذلك » (١٧) .

طريقتان للاستثمار

ثـروات البـلاد

وبينما لم يستطع احد الشطرين أن يحصل من الدول الغربية والعربية الصديقة ذات الاتجاه التقليدى على أكثر من مساعدات وقروض زهيدة يذهب معظمها الى جيوب بعض الافراد المعينين ، ودون أن يدفق أى منها فى أى مشروع انتاجى حقيقى ـ وفق التخطيط الاستعمارى المدروس المستهدف عادة ودائما ابقاء البلدان المرتبطة به مجرد سوق لمنتجاته ـ وكان آخر هذه المساعدات « ٤١ مليون ريال سعودى (حوالى ٩ ملايين دولار) » ستوجه لبناء « المستشفيات والعيادات الطبية والمساجد » على أن تصرف تحت اشراف « مكتب سعودى خاص فى صنعاء » (١٨) فان حكومة اليمن الديمقراطية التى توجه بلادها فى ضوء مفهوم سياسى تقدمى وضعت خطة ثلاثية ، وشرعت فى اقامة المشاريع الاقتصادية والصناعية والزراعية المختلفة ، وفى مد شبكة مواصلات واسعة ، بالتعاون الكامل مع دول المعسكر الاشتراكى .
وفى الوقت الذى تقدمت فيه أعمال التنقيب عن المعادن فى أراضى اليمن الشعبية ـ وبالذات فى حضرموت ـ والذى تقوم به شركة مختلطة يمنية ـ

---

[١٤] لوثر راثمان ، المصدر السابق ص ٦٨ .
[١٥] صوت العمال العدنية ١٩٧١/١٠/٣ . من حديث لعبد الفتاح اسماعيل الامين العام للجبهة القومية .
[١٦] برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى للجبهة القومية ص ٥٠
[١٧] جريدة ١٤ أكتوبر العدنية ١٩٧١/٨/٢٦ م
[١٨] مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٧١/١٢/١٧ م ص ١٦

جزائرية ، فان شركة أخرى مماثلة لم تستطع أن تحقق فى الجمهورية العربية اليمنية نفس الخطوات من النجاح ، بفعل المقاومة الاستعمارية الضارية التى بلغت حد شراء كثير من الذمم بغية احباط مهمتها ، تنفيذا لمخطط أمريكى من نسج شركة (أرمكو) يقضى بمنع أى دولة ، أو شركة ، أو أى جهة عربية أو صديقة من استثمار النفط والمعادن اليمنية المطمورة لصالح الشعب اليمنى ، من أجل ابقائها احتياطيا للشركات الامريكية وحدها دون غيرها ، وبدون اسهام أى طرف آخر ، فى الكشف عنها حتى يحين أوان ذلك فى ضوء ووفق خطة استراتيجية بعيدة المدى .

طريق مفتوح وطريق مسدود

ويمكننا القول منذ الان أنه اذا كان السير فى طريق التطور الرأسمالى قد افضى فقط بالنسبة لبعض البلدان المتخلفة الى تعقيد حياتها الاقتصادية ، وتفاقم مشاكلها الاجتماعية دون أن تستطيع اقامة قاعدة اقتصادية رأسمالية متقدمة ، ودون أن تستطيع التغلب على تناقضاتها الداخلية المحتدمة ، سواء بامكانياتها الخاصة أو عن طريق ارتباطها بعجلة التبعية الامبريالية والاحلاف العسكرية فان ذلك برهان صادق على أن طريق التطور الراسمالى بالنسبة لليمن يعتبر طريقا مسدودا تماما ، رغم الرغبات الذاتية الجامحة للبورجوازية اليمنية والطبقة الاقطاعية وقوى الرجعية العربية والاستعمار ، لدفعها فى هذا الاتجاه ، لتشتد ، وتستعصى معضلاتها الاقتصادية والاجتماعية على الحل ، ولتثقل أكثر فأكثر تركة التخلف الحضارى المزمن التى تنوء تحتها البلاد ، ولتكون فى وضع المنبت الضائع فى متاهة لا معالم لها ، والذى لا أرضا قطع ، ولا ظهرا إبقى !

ولذلك يمكننا الحسم أيضا بأن طريق التطور اللاراسمالى الذى سارت فيه الدول العربية الثورية بخطوات ودرجات متفاوتة ، هو طريق التطور الموضوعى والتاريخى الوحيد والمفتوح أمام الثورة اليمنية ، رغم حالة الجزر الثورى الذى أصيب به أحد شطرى اليمن ، وأن جمهورية اليمن الديمقراطية التى ارتادت آفاق هذا المستقبل المنظور والموثوق والاكيد ، ووضعت اقدامها على طريقه بالفعل ، تمضى - مجسدة اتجاه حركة التحرر الوطنى اليمنية كلها ، وصيرورتها التاريخية - بخطوات عملاقة فى طريق الخلاص الوطنى ، والتحرر الاقتصادى ، والتقدم الاجتماعى ، والحرية الديمقراطية والنهضة الثقافية والفنية والعلمية .

ملامح دولة وطنية ديمقراطية

ان قوانين التامين الراديكالية ، والسيطرة على مقاليد التجارة الخارجية والداخلية ، واجراءات الاصلاح الزراعى الجذرية ، واقامة المزارع التعاونية والنموذجية والجمعيات التعاونية ، وتحرير وبرمجة الاقتصاد الوطنى ، واطلاق المبادرات الجماهيرية ، وتفجير الانتفاضات الفلاحية ، وسلك الفلاحين فى اتحاد عام ، وتنظيم الحركة الشبابية ، والطلابية ، والنقابية ، والنسائية ، والتحريك النشط للحوافز الاجتماعية ، واذكاء الحس الطبقى ، وتأصيل الروح الوطنية ، وبث الوعى السياسى ونشر القيم والمفاهيم التقدمية ، وتعميم الثقافة الانسانية والعصرية ، واقامة الميليشيا الشعبية ، وتسييس مؤسستى الجيش والامن ، وتطوير وتثوير الاجهزة الادارية ، وتعميق مجرى الثورة الديمقراطية ، وتأهيل الكوادر القيادية ، وتوسيع الممارسات الديمقراطية ، واشراك الفصائل الثورية خارج التنظيم السياسى الحاكم فى مسئولية الحكم ، سواء على المستوى التنفيذى أو التشريعى ، واجراء حوار واسع وصبور معها من أجل خلق وحدة ثورية متينة ، وتحالف وطنى مكين معها ، تمهيدا لبناء حزب اشتراكى على النطاق اليمنى ، يهتدى بنظرية الاشتراكية العلمية ، وانشاء أوثق العلاقات المثمرة والبناءة مع المعسكر الاشتراكى ، ومع دول وحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية . أن كل ذلك وغيره من الاجراءات والاعمال الايجابية على النطاق الداخلى والخارجى ، المستهدفة انضاج وبلورة العوامل الموضوعية والذاتية ، الطبقية والسياسية ، لانجاح حركة التحرير الوطنية الديمقراطية اليمنية لتؤكد مدى صدق واصالة وعمق التوجيه الشورى لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى طريق التطور غير الراسمالى ، وتوضح الاشواط الهامة والحاسمة التى قطعتها عليه .

فى عشية المؤتمر الخامس للجبهة القومية

ولتنظيم وتوحيد قوى التقدم ، وتعميق مسيرة الثورة أكثر فأكثر ، ودفعها خطوات أوسع وأبعد الى الامام فى اتجاه التطور اللاراسمالى أقرت القيادة العامة للجبهة القومية فى دورتها العادية المنعقدة ما بين ٢٧ - ١١ - ١٩٧١ - ١ - ١٢ - ١٩٧١ م مسودتى البرنامج السياسى للثورة الوطنية الديمقراطية والنظام الداخلى للجبهة القومية ، توطئة لعرضهما على مؤتمرها الوطنى

العام الذى حدد يوم ٢ - ٣ - ١٩٧٢ موعدا لانعقاده .

وقد وصف البلاغ الصحفى الذى أذيع بعد انفضاض هذه الدورة المؤتمر القادم بأنه - نظرا لانعقاده بعد الانتصارات التى حققتها حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية ، التى أسقطت الجناح اليمينى فى الجبهة القومية ، ودفعت بالبلاد فى الاتجاه اليسارى التقدمى - « سوف يشكل منعطفا تاريخيا جديدا ، لا للثورة وتنظيمها السياسى القائد ، ولا للحركة الوطنية اليمنية فحسب ، بل للشعب اليمنى بأسره ، (١٩) .

ولذلك يغدو واجبا وطنيا الاسهام فى اثارة بعض القضايا أمام المؤتمر والمتعلقة بمسيرة الثورة ، والتى تتطلب مزيدا من الدرس والتعميق والتأصيل ، فى ضوء المنهج الوطنى الديمقراطى الذى اختاره التنظيم السياسى سبيلا له ، وحتى « يشكل خطوة نوعية للعمل السياسى فى البلاد » كما أشار الى ذلك رئيس مجلس الرئاسة سالم ربيع على فى كلمته التى القاها فى ٢٩ - ١١ - ١٩٧١ م بمناسبة الذكرى الرابعة للاستقلال ، (٢٠) ، ومن أجل ضمان التقدم فى طريق التطور غير الرأسمالى بنجاح ، وخلق الشروط الموضوعية والذاتية المتكاملة ، الكفيلة بالانتقال الى مرحلة بناء الاشتراكية ، وخلق الحزب الاشتراكى القادر على أنجاز هذه المهمة فى ظل وطن يمنى ديمقراطى موحد .

لماذا الجبهة القومية ؟

١ - بما أنه من المسلم به تلقائيا ، والمقطوع به علميا أن الشكل يتبع المضمون كقانون موضوعى ، فأنه يغدو مهما التوقف مرة أخرى أمام التسمية الكلاسيكية للجبهة الحاكمة فى اليمن الديمقراطية ، واثارة التساؤل من جديد عن مدى سلامة وصحة الاستمرار فى تسميتها « الجبهة القومية » سواء من الناحية النظرية أو العملية .

واذا كان مفهوما وبديهيا ان يسمى التجمع الثورى الذى قاد النضال المسلح بهذا الاسم ابان فترة انتماء قياداته الاساسية الى (حركة القوميين العرب)فأنه يبدو غير مفهوم وغير منطقى البقاء عند هذه التسمية فى الوقت الذى يعلن فيه زعماء اليمن الديمقراطية بلهجة الحسم والقطع - على لسان الامين العام للجبهة بالذات - « انفصالنا عن حركة القوميين العرب .. ذلك أن الجبهة القومية تجاوزت حركة القوميين العرب من حيث نضالها التحررى ، ومن حيث مضمون هذا النضال ، ولم تعد لنا أى علاقة تنظيمية أو فكرية تربطنا بها على الاطلاق ، سواء قبل انقسامها ،أو بعد انقسامها » (٢١)

وضرورة تغيير اسم الجبهة القومية تأتى من زاوية بديهية ، وهى أن اليمن الديمقراطية لا تشكل « أمة » بعينها على حدة ، ولا (قومية) بذاتها منفصلة حتى يكون لها تنظيمها « القومى » الممثل والمجسد لها ، بل ولا يدعى أحد فيها على الاطلاق أنها تشكل شعبا ، أو اقليما أو قطرا ، متميزا بذاته ، متفردا بسماته، مستقلا بخصائصه، وانما يسلم الجميع وبلا استثناء بأنه جزء من الشعب ، والاقليم والقطر اليمنى ، الذى هو بنفسه جزء من الامة والقومية العربية .

وتبدو منطقية تعديل اسم الجبهة القومية من جهة أخرى ، من ناحية أن السلطة الثورية ترفض بقوة ، وتسخر بحدة ، من تلك المعزوفة الديماجوجية التى كان يطلقها بل « يلحنها ويغنيها » الجناح اليمينى المسقط من ان « كل الشعب جبهة قومية » كما ترفض - انطلاقا من تسليمها بأن الاشتراكية أيديولوجية طبقية عمالية وليست قومية - ما كان قد نص عليه برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى ابان الحكم السابق عن الايمان « بالوحدة القومية الاشتراكية » (ص ٣٣)

ويتحتم تبديل مثل هذا الوصف لسبب جوهرى آخر ، هو أن القيادة الوطنية تجرى حوارا بناء منذ فترة لضم الفصائل الثورية الاخرى ، التى طالما طالبت بهذا التبديل من أجل خلق افضل وأنسب اطار تتحول به الجبهة الى تحالف وطنى ديمقراطى ، أشمل وأكثر تجسيدا لخريطة الواقع الوطنى والثورى .

على أن عضو اللجنة التنفيذية ورئيس مجلس الرئاسة سالم ربيع على ، لم يغفل ذكر المبررات التى تدعو للاستمرار فى الحفاظ على التسمية السارية للجبهة : « لقد أخترنا « الجبهة القومية » لتكون الاطار الواسع للتحالف . بصرف النظر عن

---

[١٩] الثورى العدنية ١٩٧١/١٢/٧
[٢٠] مكتب الاعلام ،عدن ١٩٧١/١٢/٤
[٢١] روزاليوسف ١٩٧١/١٢/٢٠ ،يلاحظ ان الحركة « الام » ذاتها تطورت وتحولت الى تنظيمات يسارية « قطرية » مختلفة .

قيادتها مرحلة النضال ضد الاستعمار وسيطرتها على السلطة .. ومن هنا نشعر - بالمقابل - أنه ليس بالبساطة التي يتصورها البعض القبول بغير هذا الاسم الذي ناضلت الجماهير تحت رايته » غير أنه يردف على الفور « ولكن أود أن أقول اننا برغم ذلك لسنا حريصين على الاسم ، فالمهم هو المضمون الذي يكفل مصالح الطبقات وتلبية طموح الكادحين في هذا المجتمع » (٢٢)

تبعية الشكل للمضمون

وذلك هو لب القضية وجوهرها ، فالمهم - بدون أدنى شك - هو المضمون المجسد لقانون الجدل الموضوعي ، والمعبر عن حركة الطبقات الشعبية ، والمتسع لتطلعاتها التقدمية ، والموجه لها صوب الديمقراطية والاشتراكية ، والذي يساعد بدوره وينم على التحرر من الشكل والقوالب الكلاسيكية والفضفاضة والجامدة والمتزمتة ، وغير الموحية بمحتواها الاجتماعي ، وغير الدالة على اتجاهها السياسي الحقيقي .

ولن تخسر الجبهة القومية شيئا ، بتغيير تسميتها الى تسمية واقعية منطقية صحيحة ، تعكس تخطيها لمرحلة سلفت وتزكي وتكرس ما آلت اليه فعلا ، بعد التطورات المطردة والبالغة الاهمية في بنيتها الايديولوجية والتنظيمية وفي ذهنيتها السياسية . ولن يتأثر ماضي الجبهة الكفاحي المجيد بهذا التعديل من قريب أو بعيد ، حيث غدا هذا الماضي العظيم جزءا من التاريخ الثوري لليمن كلها ، وحيث غدت مآثره الوطنية تحتل صفحات بارزة في سجل النضال الوطني للشعب اليمني . ذلك أن تبديل اسم الجبهة القومية لا يعني الا شيئا واحدا ، وهو أنها دخلت مرحلة جديدة في كفاحها أكثر تقدمية وأدعى الى التحرر - حتى عن هذا الطريق - من الجوانب السلبية للمرحلة السابقة على حركة ٢٢ يونية التصحيحية التي علقت ببعض آثارها باسم الجبهة القومية ايضا ، عندما كانت واقعة تحت هيمنة الجناح اليميني « القومي » المسقط ، ولا يعني الا أن هذه المرحلة الجديدة اقتضت اسما يدل على المسمى ، ووصفا يليق بالموصوف ، ذلك أن القضية ليست بالفعل تشبثا باسم ، أو تخليا عن اسم ، وانما هي - في حقيقة الامر - أخذ « بالعلمية » ووقوف عند حدودها ، التي ترفض المسلمات المطلقة ، وهو قبول بمقتضياتها حتى فيما يتعلق بالقوالب والاشكال والتسميات ، دون جمود عقائدي شكلي ، وتمسك بالمظهر الخارجي ، والتسميات غير الدقيقة ، يبلغ حد الميتافيزيقية التي ترفض العلم ولاتقبل النقاش او (الجدل) .

أن من دواعي ومبررات تبديل التسمية القائمة للجبهة هو أنه بالرغم مما يعلن عن أنها « ضرورة مرحلية » الا أنها باعتبارها أوسع قاعدة للتحالف ستستمر حتى بعد بناء الحزب الاشتراكي ، وتحت قيادته ، حيث « يجب ألا يتبادر الى أذهاننا أن الحزب الطليعي المنشود سيأتي بديلا للجبهة القومية » كما صرح الامين العام للجبهة عبد الفتاح اسماعيل (٢٣)

ضرورة البحث عن تسمية علمية

ان الاقدام بدون تردد ولا تلكؤ ، لامبرر ولامعنى له على إستبدال تسمية الجبهة القومية بتسمية علمية معبرة صحيحة ، تستكمل بعدا جديدا من أبعاد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وتجسد حقيقتها الوطنية « المحدودة » بجغرافية اليمن الديمقراطية ، وتفصح عن افقها الديمقراطي الواسع الذي يتخطى - بالفعل واقع اليمن القائم كلها ليتصل برحاب الفكر الوطني والديمقراطي العالمي خارج « الاطار القومي العربي » لهو من باب الرجوع الى النفس ، والصدق مع الذات وليس فيه أي اجحاف بماضي الجبهة ، أو افتئات على حاضرها ، أو اعتراض لمسيرتها التاريخية ، وليس فيه كذلك أي مساس أو تطاول على قيمتها وقدرها ، أو اقلال أو انتقاص من شأنها ، وحقيقة أمرها ، وليس في ذلك أيضا أي ضغط لحجمها ، أو تقليص لمداها ، كما أنه لاينطوي على تنازل لخصم ، أو تجاوز لحد ، أو خروج على مألوف !

ولن تكون الجبهةبدعا بين الجبهات والتنظيمات الثورية التي تخلع - عندما تعي ذاتها جيدا - لباسها الفضفاض ، وترتدي الحلة الملائمة تماما لحجمها ، والتي لا تثقل خطاها ، ولا تقيد حركتها ، وأنما تكسبها مقدرة مضاعفة على المضي قدما في مضمار السباق ، وحلبة التقدم ، وانجاز مهام مرحلة التطور اللارأسمالي واقتحام مرحلة البناء الاشتراكي .

وأي تفكير او موقف غير ذلك يصر على التمسك الذي يبلغ حد التعصب « بقشور الاشياء » وعلى التشبث الذي قد يصل الى حد العمى « بقالب

---

[٢٢] روزاليوسف ١٩٧١/١١/١٥
[٢٣] جريدة الثوري العدنيـــة١٤/١٢/١٩٧١

أسمى » ضاغط « وتسمية قومية » قاصرة ، لتنظيم سياسى غدت قامته ــ من حيث المضمون والهوية ــ فى حجم العمالقة وأخذ يتطلع ــ بفعل قانون التطور الحتمى ــ الى اكتساب « الصفة الاممية » ليذكر ــ فى عناده وتصلبه غير المعقول ، وغير المقبول ، وغير المبرر ــ بتلك العادة الصينية القديمة السيئة التى كانت تقضى بوضع أقدام الاطفال فى « أحذية حديدية » دون أن تزايلها قط ــ لمنعها من النمو والاكتمال !

اليقظة من طغيان ايديولوجية البورجوازية الريفية

٢ ــ أنه من الاهمية القصوى بمكان ــ الى جانب العمل من أجل ترصين « التحالف الوطيد بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين والبرجوازية الصغيرة » باعتباره « الأساس السياسى المنيع للثورة الوطنية الديمقراطية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية » كما جاء فى ص ١٦ من الدستور ــ اعطاء درجة عليا من الانتباه واليقظة ، بألا تطغى على هذا التحالف أيديولوجية وسيكلوجية وسلوكية الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة الريفية، التى مهما بلغت ثوريتها ــ نتيجة الاضطهاد الطبقى والتاريخى الذى لحق بها فأنها مشدودة بحبال مرئية وغير مرئية ، وثيقة وعتيقة ، الى أوضاع ما قبل الاشتراكية والرأسمالية ، مما يحتم تقدير مركزها ودورها فى الصراع الطبقى تقديرا سليما لا تجاوز فيه ولا قصور ، حيث أنها باعتبارها ــ طبقة مضطهدة ــ تلعب دورا رئيسيا خلال التحالف فى النضال الوطنى والديمقراطى والاشتراكى ، وحيث أنها باعتبارها ــ برجوازية ريفية ذات أيديولوجية قروية فى آخر الامر ــ غير قادرة أن تكون هى القوة الطليعية والقيادية والرئيسية للتحالف الثورى ، كما أنها تفتقد البعد الاممى فى التفكير ، نتيجة لوضعها الطبقى الخاص .

ان مما يدعو الى التنبيه بقوة الى ذلك ، ان برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى الذى أقرته القيادة العامة للجبهة القومية فى دورتها العادية التى انعقدت فى الفترة فى اكتوبر ١٩٦٨ تحدث فى ص ٨ عن « فقراء الفلاحين ، والفلاحين المتوسطين ، وهم يشكلون غالبية جماهيرنا الشعبية ، وأكبر القوى الثورية ، فهم قوة الثورة الاساسية ، حيث أن أنطلاق الثورة من الريف أكسب هذه الطبقة فى مناطق معينة وعيا بمصالحها » فى الوقت الذى يتحدث فيه عن الطبقة العاملة النامية بلهجة التقليل من شأنها ، والتهوين من أمرها ، ووضعها خلف طبقة الفلاحين ، بحجة أنه ليس هناك طبقة عاملة صناعية ، بفعل أقتصاد الخدمات الذى كان سائدا فى البلاد ، ولعدم وجود وسائل انتاج حديثة ، وأن « مجموع العمال الصناعيين قليل جدا » وأنه « لغلق قناة السويس فان عدد العمال قد تناقص» ، و «أن الوعى الطبقى لم يحقق فىصفوف هذه الطبقة » و « أن هذه الطبقة متأثرة بدرجات متفاوتة بانتماءاتها الاجتماعية القبلية والفلاحية » وأن هذه الطبقة لم تشكل فى موطن تواجدها فى المحافظة الاولى وقسم من المحافظة الخامسة ، غير « دعامة قوية من دعائم الثورة الشعبية المسلحة » .

أن فقرة خطيرة كهذه ينبغى أن تعاد صياغتها جذريا فى البرنامج الجديد ، وأن تقلب رأسا على عقب ، ذلك أن طبقة الفلاحين أكثر تأثرا بالاوضاع والعقلية القبلية من الطبقة العاملة ، وان قيمها الخاصة ، ومفاهيمها الذاتية ، وتصوراتها الايديولوجية النابعة من وضعها الطبقى ، أكثر تأثيرا فيها نفسها ، وسلوكها هى منه على الفئات الاخرى ، وبالذات الطبقة العاملة ، التى عاشت فى عدن ضمن ظروف مادية جديدة نسبيا ، وعلاقات اجتماعية مختلفة الى حد كبيرعنتلك التى كانت قائمة فى الريف ، مما جعل تفكيرها أكثر تفتحا واستنارة وجعلها أكثر قابلية وسرعة ، بل وسبقا الى تبنى وطرح وممارسة الشعارات والافكار والمفاهيم الثورية ، الوطنية والاجتماعية ، التى قدمتها اليها بداب ووعى الطلائع الاولى ذات الفكر الاشتراكى العلمى ، منذ مطلع الخمسينات .

ان مما يدعونا الىالتشديد علىذلك هوأن هناك اتجاهات فعلية داخل الجبهة القومية تشير الى الميل الى ترجيح كفة الفلاحين على كفة جميع قوى التحالف الطبقية والسياسية ، وانها تمارس ــ من الناحية العملية وتحت تأثير ايديولوجيتهم وسيكلوجيتهم ، سلوكا يطغى على الايديولوجيات الاخرى ، ونمط السلوك الذى تقضى به ، رغم تبنيها النظرى للفقرة الواردة فى الدستور فى ص ١٦ والقائلة « وينمو تصاعديا الدور التاريخى للطبقة العاملة ، لتصبح فى النهاية القيادةالطبقية فى المجتمع .

ايديولوجية قروية

وأن مما يدعو الى التمعن فى الامر أكثر من ذلك أن هناك « منظرين جددا » لهم علاقة مباشرة بالجبهة القومية يريدون أن يرقوا بمستوى دور الفلاحين الى ما هو أكثر من مستوى دور الحليف الطبقى للطبقة العاملة ، ليس بالنسبة للمرحلة الحالية من تخلف وسائل الانتاج فحسب وانما على امتداد المستقبل كله ، ويريدون أن يرتفعوا « بنظريتهم » هذه الى درجة أن تكون « نظرية » للبلدان النامية كلها فى محاولة لدفع دور الطبقة العاملة وطلائعها الاشتراكية ، الى الوراء !

وتلك هي العقلية الزراعية بعينها ، وذلك هو الحصاد المنتظر والبديهي للاوضاع القبلية ــ الفلاحية ، وذلك هو الانعكاس الطبيعي والمنطقي للايديولوجية الريفية للبرجوازية القروية ٠

دلالة مســـاواة دور الفلاحين بدور العمال

أو ليس ذلك هو ما تنطق به بوضوح وسطوع مقالة أحد مناضلي جيش التحرير الشعبي للجبهة الشعبية لتحرير الخليج في مجلة الجبهة الشهرية (٩ يونية ـ مارس ١٩٧١ حول الثورة والثورة المضادة) الصادرة من مكتبها في عدن من « أنه بالنسبة للغالبية من البلدان المتخلفة فان نظرية وفلسفة الطبقة العاملة لم تعد أكثر ، نظرية وفلسفية للطبقة العاملة وحدها ٠ وليس للطبقة العاملة الناشئة في هذه البلدان ، أو بالاصح ليس « لممثليها » حق الادعاء وحدهم تمثيل هذه النظرية والتحدث بأسمها ، وكما لم يعد من حقها تماما إدعاء القدرة على تمثيل « الطليعة الثورية » بمعزل عن الجماهير الواسعة من فقراء الفلاحين ودورها البارز في صنع المستقبل ومركزها من العمل الثوري » ٠

وتبدو بصمات الكاتب الفرنسي ريجي دوبريه الذي زامل المناضل التقدمي الشهير والخالد جيفارا خلال سنين كفاحه في أمريكا اللاتينية قوية واضحة مما جاء في المقال من أن « العمال والفلاحين هم الذين قاموا وسيقومون بالثورات الجذرية في البلدان المتخلفة ، هم قاعدة الثورة وجماهيرها العريضة ، ومن بينهم « جميعا » تنبثق الطليعة الجذرية أو « القيادة السياسية والعسكرية » وليس هناك تقسيم عمل في « الثورة بين هاتين الطبقتين بالذات ، هذه تفرز الطليعة ، وتحتكر امتياز التحدث باسم النظرية الثورية ، والاخرى تمشي من ورائها وتشكل من حولها الجماهير ٠ هذه معادلة يطعن اليوم في صحتها واقع الكثير من البلدان المتخلفة في المستعمرات ، وأشباه المستعمرات » ٠

واسترسالا في انكار دور الطبقة العاملة القيادي ، ودور فصائلها الطليعية الريادي ودون محاولة لاستقراء تجربة شي جيفارا نفسه ، وتجربة اليسار الجديد بأجمعه ، واستخلاص النتائج المنطقية من ذلك كله ـ يمضي المقال في « التنظير » مؤكدا « أن واقع هذه البلدان وخضوعها الطويل تحت السيطرة الاجنبية للاستعمار والاستعمار الجديد وقوانين السوق الرأسمالية العالمية ، كل ذلك قد أحدث تحولات ملموسة في مواقع الطبقات في البلدان المتخلفة ، وهذه التحولات الملموسة في المواقع تفرض تحولا ملموسا في شكل الثورة ومحتواها وقواها المحركة ، ونوع التحالفات التي تحتاجها ، والتي لا تحتاجها » ٠

مركز الطبقة العاملة القيادي

ان رد الاسس حيه العلمية ــ كما يفهمها العلماء الاشتراكيون على مثل هذا « التحريف » لهما ، ووجهة نظرها ازاء هذه القضية الهامة والاساسية هي كالتالي : « فيما يتعلق بدور الفلاحين تواجه الحركة الثورية على الدوام في البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي مفهومات زائفة ٠ ويتمثل أحد تلك المفهومات في اساءة تقدير الحركات الفلاحية ، وفي الحط من طبقة الفلاحين الى طبقة لا مبالية اجتماعيا ، وغير ثورية في الاساس ، أو الاكتفاء بمجرد اعلان وحدة القوى الديمقراطية الثورية دون السماح لحركة الجماهير الفلاحية بالتعاون بوعي في عملية التحول ٠ أما المفهوم المقابل فيتمثل في المبالغة في دور الحركة الفلاحية باعلان انها القوة الثورية الوحيدة حقا ، ودفع الفلاحين لمركز التحكم في العملية الثورية ، وهذا المفهوم ينكر الدور التاريخي للطبقة العاملة في النضال من أجل القضاء على ظروف الاستغلال » ويعود السبب في عدم قدرة الفلاحين ــ حتى فقرائهم ــ على ممارسة ما هو أكثر من دور الحليف ، بل وعدم قدرتهم على لعب دورهم هذا بدون مساعدة الطبقة العاملة العملية والايديولوجية ، ومساعدة طلائعها الاشتراكية الى أن هناك نماذج' مختلفة من السلوك « التي يمكن أن تمارس تأثيرا كابحا على الحركة الثورية للطبقة الفلاحية » تنبع من « أن الطبقة الفلاحية كطبقة اجتماعية تأثرت لدرجة كبيرة بظروف سابقة على الرأسمالية ، تعمل بداخلها ــ حتى لفترة طويلة من التطور غير الرأسمالي ــ تناقضات تحركها القبلية ، أو المقاطعة ، أو الطائفة ، أو العرق ، أو الدين ، وقد تتطور الى قبلية ، وتمايز ، وانفصالية ، ما لم تحل هذه المشاكل خطوة خطوة » (٢٤) ٠

دور الطبقة العاملة خلال مرحلـــة التحـــرر الوطني

وخلال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي يحتل العمال فيما يسمى « بالعالم الثالث » ــ ولا سيما

---

[٢٤] بروفسور لوثر راثمان ٠ المصدر السابق ص ٦٤ ــ ٦٥

فى هذه الحقبة التاريخية التى تشهد انهيار الانظمة الاستعمارية وافول نجم الراسمالية ، وانتصار الاشتراكيـة وصعود نجم البروليتاريـة العالمية ـ مكانة خاصة ومتميزة فى التحـالف الديمقراطى ـ حتى من الناحية الموضوعية البحتة ومن زاوية الامكانية التاريخية المجردة ، وايا كان مستوى وعيهم ، وعددهم ، من حيث « أن الطبقة العاملة هى أكثر القوى نشاطا وتقدمية فى النضال من أجـل تحقيق التقدم الاجتمـاعى • والطبقـة العاملة هى التى تدفع سواء تلقائيا أو بدرجة تتزايد من الوعى ، خاصة حيث يتوافر لديها حزب ماركسى لينينى ، نحو المحافظة على الاتجاه المعادى للرأسمالية فى نظرية وتطبيق القيادة الديمقراطية الثورية وتعميقه ، وتناضل بشكل بناء ضد تواقه البرجوازية الصغيرة وأوهامها » (٢٥) •

و « تعتبر الطبقة العاملة فى « العالم الثالث » أيضا فصائل طليعية للكادحين ، والاكثر اصرارا فى النضال من أجل الاشتراكية وفى سبيل مصالح الشعب • للطبقة العاملة فى قسم من البلدان السائرة فى الطريق اللارأسمالى ، وبصـورة خاصة العربية منها ، تجارب غير قليلة فى النضال الاقتصادى السياسى وتقاليد ثورية مجيدة » (٢٦) وكم كانت جريدة ١٤ أكتوبر العدنية محقة عندما كتبت فى ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٧١ بمناسبة قرب انعقاد المؤتمر الخامس للجبهة القوميـة بلهجة الحسم واليقين : « ومن المسائل المحلولة هى أن الطبقة العاملة تقف ليس فقط فى مقدمة الطبقات الكادحة من حيث موقعها التاريخى ، ومن حيث طبيعة مصالحها ، بل وقائدة لها ، وبالتالى فأن فكرها هو بالضرورة الفكر القائد ، ومن ثم فأن المثقفين بقدر ما يكونون مرتبطين بالطبقة العاملة ، وملتزمين بفكرها ، يكونون بوصلة شعوبهم » •

ضرورة اقـــامة

تحالف وطنى متين

٣ ـ أن الجبهة مدعوة للسير بخطى حثيثة ـ انجازا لمهام مرحلة الثورة الديمقراطية ، وتقدما صوب مرحلة الثورة الاشتراكية ـ فى استكمال الحوار الدائر مع فصائل العمل الوطنى ذات المنحى الديمقراطى والاشتراكى ، والتى أشار البلاغ الصحفى الذى أذيع فى ٧ ـ ١٢ ـ ١٩٧١ بعد انفضاض اجتماع القيادة العامة للجبهة الى أنه حقق حتى الان نتائج ايجابية • ان مما يسهل أمر المضى قدما فى هذا المجال ، أن « الشبيبة » ذات النهج الماركسى اللينينى الصريح ، و « حـزب البعث » الذى ـ كما بدا من نشراته وأقوال عناصره ـ أعلن انحيازه الى الاشتراكية العلمية ، قد وافقا على الانضمام ضمن اطار الجبهة ، دون أن ينسيا اظهار تفضيلهما لان تغيـر الجبهـة القومية من اسمها ، وأكدا استعدادهما ـ تمهيدا لحل تنظيمهما نهائيا ـ للعمل منذ الان فى اتجاه بناء حزب اشتراكى يمنى يتبنى نظرية الاشتراكية العلمية وينشىء أوثق العلاقاتمع الحركةالعمالية العالمية وأحزابها ودولها الاشتراكية •

ولان هذه الاطراف ، مع غيرها من القوى الوطنية غير المنظمة ، مجتمعة ـ وليس بعضها أو أحدها ـ تمثل الواقع الثورى والاجتماعى القائم بالفعل ، وتشكل الاعمدة الطبقية والسياسية المكينة التى بها ومنها يمكن أن يبنى حلف وطنى متين ، وتقام جبهة تقدمية راسخة ، ينبثق من حضنها وأثناء نضالها المشترك الدؤوب حزب اشتراكى يمنى ، فانه يصبح من المحتم ـ ومهما كان حجم ودور الجبهة القومية فى النضال ـ التقدم ودون تريث نحو بناء هذا الحصن الوطنى والتنظيمى الذى بدونه تبقى قوى الثورة نهب الخـلافات الجزئية ، والتناقضات الثانوية ، وتصبح فريسة لغرور المزايدات البرجوازية الصغيرة والزهـو والادعاء والاعجاب بذاتها ، بحق أو بدون حق •

ضرورة تغلـــــيب روح

الوحدة على روح الخلاف

ولان « التطور غير الرأسمالى يتطلب اعترافا بحتمية وحدة العمل بين الطبقة العاملة والفلاحين باعتبارهم نواة الجبهة المعادية للامبريالية » فانه يتطلب بالتالى « وجود علاقة جدليـة من الوحدة والصراع بين التيارات الثـورية فى التحـــالف ، تدافع عنها طبقيا البـروليتاريـة والفـلاحون الكادحون من ناحية والبرجوازية الصـغيرة والمثقفون الديمقراطيون من ناحية أخرى ، وان نجاح الاتجـاه الاشتراكى يتطلب سيادة مواقـع الوحدة فى النضال المعادى للامبريالية ، وكما

---

[٢٥] المصدر السابق ص ٦٤

[٢٦] التطور اللارأسـمالى وبعض المسائل المتعلقة به ، ر• أوليانوفسكى ، ترجمة الدكتور أنور دلوز ، جريدة الثورى العدنية ٢١/١٢/١٩٧١.

أوضحت الاحداث بجلاء فان اى محاولة لزيادة الخلافات بين التيارين الثوريين انما يعنى خدمة للامبريالية » وفى قلب العملية الثورية التنظيمية القائمة على التعدد فى اطار التوحد وأثناء وحدة العمل ضد الاستعمار والرجعية واستكمال الثورة الديمقراطية ، تتعزز أواصر الوحدة الايديولوجية والسياسية بين مختلف أطراف التحالف ، ومن القمة الى القاعدة ، وتتساقط العناصر المتخلفة، وتتشكل الكوادر التقدمية التى يتكون منها فى آخر الامر الحزب الاشتراكى اليمنى ، ذلك ان « انتقال القوى التقدمية للديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلميـة هو عملية طبيعيـة كذلـك ، وقسمة بارزة فى تحديد ملامحهم الايديولوجية . ولابد من التأكيد على أن الاتجاه نحو الكيف الايديولوجى الجديد يحدث فى ظروف معقدة لتخلف اقتصادى يصعب تخطيه ولبناء اجتماعى مازال غير ناضج ، وخاصة وجود غالبية عددية من الفلاحين ، وضعف البروليتاريا حتى الان ، بالاضافة الى وجود أشكال تقليدية وعنيدة من الوعى تحت تأثير حياة ثقافية شوهها الاستعمار ، وفوق كل شىء لنضـال ضـد الانحـرافات الايديولوجية التى يشجعها الامبرياليون » (٢٧)

التعدد فى اطار التوحد

ان التقدم صوب هذا المنحى التاريخى لا تحتمه ظروف اليمن الديمقراطية وحـدها ، وانمـا مقتضيات الثورة اليمنية والعربية أيضـا ، ولا يسرى على اليمن وحدها ، وانما على كل قطر عربى ، « وليست هناك مهمة ملحة سوى مهمة العمل على توحيد كل قوى الثورة العربية ، قوى الاشـتراكيين ، والوحـدويين ، والبعثيـين والشيوعيين .. فان هذه القوى التقدمية ــ خاصة تلك القوى التى تتواجد فى السلطة ــ يجب أن تنطلق فى تعاملها مع بقية فصائل الثورة من ضرورة احترام الاستقلال وحل التناقضات من خلال حوار ديمقراطى بين كافة القوى والطبقات الاجتماعية التى تقف فى الجبهة المعـادية للامبريالية والصهيونية والرجعية . » (٢٨)

وبعد المرور بمثل هذه التجربة من العمـل السياسى الموحد تحت هذه الصيغة أو تلك من صيغ التحالف الوطنى التى تتوثق أثناءهـا علاقات سياسية وتنظيمية ونضالية مشتركة ، هى أقرب الى الاستقطاب والتوحد منها الى التفـرق والتعدد ، وهى أدنى الى الوحدة الايديولوجية منها الى التباين الايديولوجى ، فانه يمكننا أن نقول حينئذ مع الامين العام لتنظيم الجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل : « لا يوجد أى مبرر لتعدد أدوات العمل الوطنى ، التى تؤمن بفكر واحد ، وتستند على خلفية طبقية واحدة ، وتنطلق من برنامج واحد ، ومهمات موحدة » ونؤكد حينئذ معه بقوة أن النشاط التنظيمى والوطنى الموحد قد بلغ الان من النضج والاكتمال حـدا أنه لن يكون منذ الان « على أساس جبهة يحتفظ كل باستقلاليته ضمن اطارها ، بل على أساس اطار يكون لكل الاعضاء فيه حقوق متساوية ، ومن خلال العمل الواحد فى الاطار الواحد يمكننا أن نفرز أفضل العناصر كنواة للحزب الطليعى » (٢٩)

من التحـالف الوطنى
الى الحزب الاشتراكى

ان مما يحتم تناول القضية التنظيمية على هذا النحو ومعالجتها فى مرونة ، ودون محاولة للقفز على الحواجز الطبيعيـة ، وحـرق المـراحل التاريخية ودون ما اعطاء تجربة العمل المشترك الفرص الكافية لان تنضج على نار هادئة ، عبر الكفـاح اليومى المتصل ، والتمازج الثـورى المستمر ، والتفاعل الديمقراطى الكامل ، والمنزه من شبهة أى ضغط أو اكراه ، أو استعجال أو ارتجال ــ هو أن للقضية ــ خلال المرحلة الانتقالية الى المجتمع الاشتراكى ــ مرحلة الديمقـراطية الوطنية ــ جانبان يتبادلان التأثير ، الايجـابى والسلبى فى وقت واحد ، حتى يتحقق للايجابى الانتصار على السلبى ، وان هذه العلاقة الثنائية والجدلية تأتى من طبيعة المرحلة المعقدة ذاتها ، ذلك أن « للاشتراكية العلمية تأثير قوى علـى ايديولوجية الديمقراطية الوطنية، الا أنها بالتأكيد ليست مصدرا وحيـدا لارواء ايديولوجية قـوى الديمقراطية الوطنيـة ، التى تناضل فى سـبيل التطور اللارأسمالى . هناك الى جانب الاشتراكية العلمية تأثيرات واضحة للفلسفة البـرجوازية وسوسيالوجيتها ، سـيما فى وجهـات النظـر التقليدية ، وذلك «أن التقدم فى الطريق اللارأسمالى مرتبط بالتغلب على التناقضات الشديدة ، بالنضال ضد الاتجاهات المعاكسة فى الاقتصاد والسياسة والايديولوجيا والثقافة . فى أطار مثل هـذه التناقضات ستتراكم التغييرات الكمية التـى

---

[٢٧] لوتر راثمان ، المصدر السابق ص ٦٦

[٢٨] أبو سيف يوسف ، المصـدرالسابق ص ٣٩.

[٢٩] الثورى ٣١/١٢/١٩٧١.

تستطيع تهيئة القاعدة لأجل التغييرات النوعية ـ الانتقال الى بناء المجتمع الاشتراكي ـ على أساس الاشتراكية العلمية • أن هذه التغييرات والقفزات النوعية تعني أن طريق التطور اللارأسمالي قد قطع وانتهى » (٣٠)

ضرورة وضع استراتيجية للثــــــورة اليمنيـــة

٤ ـ انه تنبغي الاشارة هنا الى أنه ـ انجاحا لمسيرة الثورة الديمقراطية في اليمن الشعبية نفسها ـ آن الاوان لان تقف السلطة الثورية في عدن أمام قضية استراتيجية الثورة اليمنية وقفة حاسمة حازمة ، وان تحدد بوضوح لا لبس فيه ـ لاسيمـا وهي بصدد اقرار برنامـج عـمل وطني جديد ـ أسس وطرق تحديد وحدة البلاد في ظل جمهورية يمنية موحدة ، وطنيـة ديمقراطية •

ان الذي يلزمنا بالتشديد على ذلك الان هو أمن وحماية الثورة اليمنية في آخر موقع تحصنت فيه ، وضرورة توفير الشروط اللازمة لتقدمها صوب انجاز مهامها التاريخية التي لن يكون في الامكان تحقيقها لظروف داخلية وخارجية ، جغـرافية واقتصادية في شطر دون شطر •

الوحدة اليمنية اولا

ويدفعنا الى ذلك الاضطراب الذي يبدو في مواقف بعض زعماء الجبهـة أحيانا ازاء هـذه القضية • فبينما ينص دستور اليمن الشعبية في صفحة ١٧ على أن « تعمل الدولة على ايجاد ظروف مناسبة لاقامة يمن ديمقراطي موحد كخطوة نحو خلق ظروف موضوعية لتحقيق وحدة عربية ديمقراطية » يصرح الامين العام للجبهة بأن اليمن الديمقراطية مستعدة لـلانضمام الى اتحـاد الجمهوريات العربية ، حتى قبل تحقيق الوحدة اليمنية ، « ونحن نتطلع من عدن الى اليوم المرتقب الذي تنضم فيه جمهوريتنا الى الاتحاد الوليد ، وهذا يتوقف على توحيد الرأي داخل الاتحاد ازاء هذا المطلب) » (٣١) وهو اقتراح ـ اذا ما جاز صدوره حقا ـ فوق انه يلقى المعارضة من داخل دول الاتحاد التي ترى ضرورة تحقيق الوحدة اليمنية أولا ، فانه يتنافى مع ماهو مفهوم ومعروف عن تفكير الامين العام ازاء قضية الوحدة ، ولا يتفق مع الرأي العام الجماهيري ، وانما من شأنه أن يضع في يد العناصر الاقطاعية اليمنية سلاحا قاطعا لمهاجمة قوى الثورة ، ويعطيها وقـودا اضافيا لنيران دعاياتها الموقدة التي لا تكف عن اشعالها وادارتها ضد هذه القوى الوطنية الى حد اتهامها « بالانفصالية » والتي يصرح ممثلـوها البارزون ـ في أسلوب اعلامي مدروس ومخطط ـ في معرض اجابتهم على تساؤل عن زمن انضمام اليمن الى اتحـاد الجمهـوريات العـربية ـ بقولهم : « عندما تتحقق الوحدة الاقليمية بيـن الشمال والجنوب » (٣٢)

طريق الوحدة اليمنية

ان طريق الوحدة اليمنية هو طريق النضال المشترك بين قوى الثورة اليمنيـة مجتمعة والتي تختلف في أصـولها الطبقيـة ، وتيـاراتها الايديولوجية ، واتجاهاتها الحزبية ، وتنظيماتها السياسية في شمال البلاد عن جنوبها ، ان لم تكن امتدادا لبعضها البعض ، « فالحزب الديمقراطي الثوري اليمني » في الجمهورية العربية اليمنية ينحدر مـن نفس الصـلب الذي انحـدرت منه « الجبهة القومية » ويتجه صوب نفس الوجهة السيـاسية والتـاريخية التـي تتجـه هـي اليها ، « وشبيبة » الشمال لا تستقي من غير النبع الذي تستقي منه « شبيبة » الجنـوب « وبعث » صنعاء ليس شيئا غير « بعث » عدن ، « وظواهر » الانقسام والاختـلاف التي بدت على السـطح بين « فرعي » كل تنظيم من هذه التنظيمات اخذ يحل محلها منذ فترة الوئام والالتحام ، ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة للعناصر الوطنيـة والديمقراطية غير المنظمة هنا وهناك •

جبهة وطنية على نطاق اليمن

لذلك يبدو مفهوما تماما أن أي توحد للقوى الثورية اليمنية على نطاق الجنوب هو دفعة أكيدة لوحدة نفس القوى على نطاق الشمال ، بل أن تحقيق الوحدة الوطنية في عدن يعني بالضرورة تحقيقها في صنعاء •

اكثر من ذلك يمكننا القول ان الاتفاق على صيغة التحالف في اليمن الديمقراطية يجعل من هذا التحالف لبنة أساسية في بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية الممتدة على نطاق اليمن كلها ، وجزءا لا يتجزأ منها ، وأنه من بطن هذه الجبهة في حالة

---

[٣٠] ر• اوليانوفسكي ، المصدر السابق •

[٣١] روزاليوسف ٢٠/١٢/١٩٧١

[٣٢] روزاليوسف ١١/١١/١٩٧١ من تصريح للقاضي عبد الرحمن الايرياني رئيس المجلس الجمهوري اليمني

قيامها والتي تجمع كل فصائل الثورة اليمنية من عدن الى صعدة ، ومن رحم الثورة الديمقراطية التي تشترك في قيادتها كلها ـ لتثبيت مواقع الحكم الوطني الديمقراطي في عدن ، وللقضاء على الاوضاع القبلية والاقطاعية والكومبرادورية في المناطق الاخرى من البلاد ـ سيولد الحزب الاشتراكي اليمني ، وستولد الوحدة اليمنية وترتفع اعلامها في ظل جمهورية وطنية ديمقراطية ، تكون بالفعل خطوة حاسمة في اتجاه الوحدة والثورة العربية ٠

أو ليست مثل هذه المعاني مما يمكن استخلاصه أيضا من الفقرات التي وردت في « برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي » ص ٣١ ـ ٣٢ حيث تشير موضحة العلاقة الجدلية لهذه القضية الوطنية بقولها : « وبقدر ما كانت ثورتنا ونجاحها مرتبطا بعلاقتها وتأثرها بالدرجة الاولى بنجاح الثورة وقيام الجمهورية العربية اليمنية ، وكذلك بنجاح الثورات العربية وخطها التحرري التقدمي في الوطن العربي ، فان مصيرها مرتبط ببقاء الجمهورية ونجاح الخط التحرري التقدمي في اليمن الشمالية وتحقيق الوحدة اليمنية ، وبنجاح الثورة والتحرر والتقدم في الوطن العربي » وبقولها : « ولا يقف السير في طريق استكمال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي عند هذا الحد فقط ، بل أن هذا الطريق سيقود بالضرورة الى أن تقف قوى الثورة في اقليم اليمن شمالا وجنوبا لتصنع وحدة اداةالعمل الجماهيري القائدة والطليعة لشعب اليمن ، والقادرة على تحقيق وحدة التراب اليمني شمالا وجنوبا » ٠

ضرورة حفر وارتياد سبيل الوحـدة الوطنية واليمنية

ولقد أشار الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل الى الوضع الطبيعي والصحيح للاشياء عندما شدد على « وحدة الشعب اليمني قضية ومصيرا » وعندما أكد « أننا نعتبر أن جماهير الشعب اليمني هم أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة اليمنية ، ولابد لهم أن يتحدوا في نضالهم ، وأن وحدة نضال الشعب اليمني مسألة ضرورية لاننا في الاخير لانؤمن بالحواجز والحدود » وعندما جزم « بأنه لا يمكن أبدا تحقيق استراتيجية الثورة اليمنية كاملة الا بتحقيق وحدة الأقليم اليمني ، ووحدة القوى الثورية في الاقليم » و « بأنه لا يمكننا تحقيق استراتيجية الثورة اليمنية وبناء الاشتراكية في شطر من الاقليم ، لان الامكانيات البشرية والمادية محدودة في الشطر الواحد ولكنها عظيمة في الشطرين معا ، وتلك هي خصوصيتنا الرئيسية » ، ولاننا « نعتبر أن تحقيق استراتيجية الثورة في شطر من الاقليم نوعا من النرجسية والاوهام » (٣٣) ٠

ان ما هو مطلوب ـ في ضوء ذلك ـ من المؤتمر الخامس للجبهة القومية الذي ينبغي أن يشترك في حضوره ممثلو مختلف الاطراف الثورية اليمنية اغناء لجو الحوار فيه والقاء لبذور الوحدة الوطنية والفكرية من خلاله ـ مزيد من البلورة والتحديد والحسم والتفصيل لهذه المنطلقات السليمة التي تضمنها برنامجها السابق ، ويتحدث عنها زعماء الجبهة بين حين وآخر تمهيدا لوضع ذلك في برامج عملية وخطط تنفيذية تسهم جميع الفصائل الثورية ـ وفي اطار من العمل الجبهوي الموحد على اتساع اليمن كلها ـ في رسمها والاضطلاع بوضعها في الممارسة ٠

مصر مركز الثقل للنضـال العربي

٥ ـ أنه اذا كانتاليمن الديمقراطية قد حددت على لسان رئيسها مركز الثقل في حركة التحرر الوطني العربية ، معتبرة مصر هي هـذا المركز باعتبارها ـ كما يقول سالم ربيع علي في احدى برقياته الى الرئيس أنور السادات ـ « معيارا للحركة التقدمية في الوطن العربي ، سلاح الثورة العربية ، والانسان العربي الجديد ، ضد اعدائه الامبرياليين والصهاينة » (٣٤) واذا كانت قد دعت على النطاق العربي ـ كما صرح الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل « الى قيام الجبهة العربية التقدمية التي تناضل ضد اعدائها الرئيسيين ، الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية » على « أن تكون القيادة للقوى التقدمية ، في « معركتنا القومية المصيرية » وعلى أن يمهد لذلك بلقاء « تمهيدي لتناقش تفصيليا قضايا المرحلة الراهنة للثورة العربية ، وبالتالي كيفية التنسيق في النضالات المشتركة التي تتفق عليها ، وهي بداية ضرورية قد تؤدي الى رباط عربي أكثر تماسكا بقيام الجبهة نفسها وتحديد مهامها » (٣٥) واذا كانت قد حددت موقعها ازاء نضال « العالم الثالث » والتزمت ـ كما جاء في صفحة ١٨ من الدستور ـ بأن تعاضد و « تساند حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار والامبريالية » اذا كانت قد فعلت ذلك كله فانها ـ وهي التي تعلن تبنيها

---

[٣٣] ١٤ اكتوبر العدنية ٣٠/١٢/١٩٧١، الثوري ٢١/١٢/١٩٧١ ،الحارث العدنية ١٥/١٢/١٩٧١.
[٣٤] الجمهورية القاهرية ٢٤/٥/١٩٧١ ٠
[٣٥] روزاليوسف ٢٠/١٢/١٩٧١.

للاشتراكية العلمية كما نص على ذلك دستورها في اكثر من مكان ، وكما يؤكد زعماؤها في اكثر من مناسبة انتماءها «وانحيازها الى المعسكر الاشتراكي » (٣٦) كما جاء في حديث لرئيس الوزراء علي ناصر محمد ، مطالبة بأن تحسم الجدل المحتدم داخل صفوف الجبهة القومية والمتعلق بتحديد مركز الثقل ، ورأس الرمح ، وقاعدة وطليعة حركة الثورة العالمية .

التناقض الرئيسي

على النطاق العالمي

فليس هناك خلاف في صفوف الجبهة حول طبيعة التناقض الرئيسي على النطاق العالمي ، باعتباره قائما بين المعسكر الاشتراكي وحركة التحرر الوطني والقوى العمالية في العالم ، وبين المعسكر الاستعماري . غير أن القضية التي ما تزال تؤثر على وحدة الجبهة السياسية والايديولوجية والتنظيمية هي الاتفاق على تحديد « محور » الجبهة الثورية العالمية المناوئة للجبهة الامبريالية العالمية .

لقد غدا في حكم البديهيات لدى كل الناس انه مثلما تشكل الولايات المتحدة الامريكية بامكانياتها الهائلة حصن الرجعية الدولية وذراعها الممتدة وأطرافها الجارحة ، التي تنشبها في أجساد الاوطان والامم المكافحة من أجل حريتها ، فان الاتحاد السوفيتي ، بلد الاشتراكية الاول ، الذي حنكته التجارب النضالية الطويلة والعميقة المكدسة ، وأنضجت حزبه الطليعي الاممي شمس الايديولوجية الاشتراكية خلال العقود المتتابعة من السنين ، هو المؤهل اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ، والمهيأ تاريخيا وموضوعيا وعمليا لان يكون على رأس القوى المتصدية للغول الاستعماري الامريكي والجامه ، وردعه ، وايقافه عند حده ، والقضاء عليه آخر الامر ، كما تبرهن وتبشر بذلك كل التجارب العملية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والى اليوم ، وكما تؤكد ذلك الشواهد الحية والمعاشة في برلين ، وكوبا ، والشرق الاوسط ، والهند الصينية ، وشبه القارة الهندية .

معاهدات صداقة وتعاون

مع الاتحاد السوفيتي

ومن أجل ذلك عقدت الدول الوطنية معاهدات صداقة وتعاون معه ـ مثلما فعلت مصر والهند لتعزيز جبهتها الداخلية وتقوية مواقعها في النضال التحريري ضد الامبريالية الامريكية وحلفائها . ولقد أخذ الجميع يلمسون لمس اليد الاهمية الفائقة لمثل هذا التحالف التعاهدي في لحظات الخطر ، والنصر المبين الذي يمكن أن يتحقق تحت لوائه .

وعن الدور الخاص والرئيسي الذي يلعبه الاتحاد السوفيتي في جبهة الثورة العالمية تحدث عضو اللجنة التنفيذية ورئيس الوزراء علي ناصر محمد بقوله : « ان للعلاقة بين شعب اليمن الديمقراطية والاتحاد السوفيتي جذورا تاريخية ، مرتبطة بقضية الصراع الحتمي بين المعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفيتي والمعسكر الامبريالي » ، كما جاء في تصريحه الذي نشرته جريدة ١٤ اكتوبر العدنية في ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٧١ .

ضرورة تحديد مركز الثقل

في حركة الثورة العالمية

والسؤال هو ما اذا كانت الجبهة القومية قد التقت وجهتها النظرية من القمة الى القاعدة على مثل هذا التقييم الصائب والسليم . ان ذلك يعني حينئذ أنها قطعت شوطا جديدا وهاما في مضمار تحقيق رؤية ايديولوجية وسياسية موحدة ازاء قضية من أهم القضايا النظرية .

غير أن القضية ليست نظرية فحسب وليست حلقة أساسية في المفهوم الاممي الاشتراكي المكتمل الوضوح والنضج فقط ، ولا يعتبر الاتفاق عليها من باب الترف أو مما يمكن تأجيله أو اغفاله أو تجاهله ، وانما هي في الواقع ايضا وحتى بالنسبة لليمن الديمقراطية قضية عملية ونضالية ويومية في وقت واحد ، فالتمييز بين الحليف الرئيسي ، والمساعد ، والثانوي والقوي والضعيف ، والمتهالك ، كالتمييز بين العدو اللدود ، والشرس ، والخطير ، والخصم الضعيف ، والمستهلك . القضية مبدئية من جهة ، وعملية من جهة اخرى . وان ما ينبغي ان تواجهه اليمن الديمقراطية اليوم قبل الغد هو : كيف وبالاعتماد على من ستواجه « الحصار الامبريالي

---

(٣٦) مجلة الهدف اللبنانية ٤/٩/١٩٧١ .

والصهيوني » المضروب اليوم حول حصن الثورة في عدن ، والممتد من أطراف الخليج العربي ، مرورا بشمال البلاد وانتهاء بأريتريا (٣٧) ٠

التفاف الغول الامريكي

من حــــول عـــــدن

فاستكمالا لحلقات هذا الحصار الذي يستهدف ضمن ما يستهدف تهديد الثورة اليمنية ذاتها أعلنت مؤخرا وزارة الدفاع للولايات المتحدة الامريكية نفسها أنها ـ بعد اتفاقها مع البحرين في ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٧١ على اتخاذ القاعدة البحرية التي انسحبت منها القوات البريطانية محطة بحرية دائمة لقواتها وأسطولها ـ قررت اجراء « عمليات بحرية بصورة دورية في المحيط الهندي ٠٠٠ للمساعدة في اقامة وجود أمريكي في هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية الكبيرة » وأن أحد الاسباب الى ذلك « اكتساب مزيد من الخبرة العملية بالمحيط الهندي ، وملء الفراغ الذي خلفه انسحاب القوات البريطانية من المنطقة » مما دعا صحيفة برافدا السوفيتية الى الاسراع باماطة اللثام عن الهدف من ذلك كله بقولها : « ان الخطط الامريكية لاستخدام القاعدة البريطانية السابقة في البحرين تؤكد مخططات واشنطون البعيدة المدى التي تستهدف مد جناح حلف شمال الاطلنطي من البحر الابيض المتوسط الى اسرائيل » (٣٨) بل والى الجزيرة العربية أيضا !

شروط النجــاح في اقامــة

صرح الديمقراطية والاشتراكية

وليس هناك من يشك في أن الصين الشعبية دولة اشتراكية صديقة وحليفة ومناوئة للامبريالية ، ولكن ليس هناك من يشك أيضا في أن قدراتها العملية لاتمتد ، أو لاتستطيع الامتداد على اتساع جبهة المواجهة العالمية والتصدي لمختلف المصاعب العدوانية والتآمرية التي تثيرهـــا الامبريالية الامريكية في كل مكان ، والتي ينهض لجابهتها بفاعلية وحسم الاتحاد السوفيتي بالذات ، مؤكدا بذلك دوره العالمي المتميز الذي لا ينازع ٠

أن مصير الثورة في اليمن الشعبية ، وقطع طريق التطور اللارأسمالي ، وتحقيق جمهورية اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية ، بل ومصير الثورة اليمنية والعربية والعالمية ، متوقف على ترصين الجبهة الوطنية في كل بلد ، وجبهة الثورة العالمية على الاطلاق ، التي يقف في طليعتها بحق وعن جدارة الاتحاد السوفيتي ٠

وان اخضاع هذه الملاحظات الانفة الذكر للمناقشة والدرس اللازمين ، وأعطاءها الاهتمام الكافي والمفترض ـ ولا سيما في هذا الوقت الذي يتجه فيه التنظيم السياسي الحاكم في عدن الى عقد مؤتمره الخامس الذي ستكون مهمته الاولى اقرار برنامج جديد لحركة التحرر الوطني اليمنية ، من شأنه أن يساعد على توحيد الرؤية السياسية والايديولوجية لمختلف فصائل الثورة اليمنيــة ، وتحقيق طموح الجبهة بأن يكون برنامجها الجديد ـ بحق ـ « برنامجا لقوى الثورة بأسرها » كما أكد رئيس مجلس الرئاسة سالم ربيع علي (٣٩) ٠ وتحويله الى وثيقة نظرية وتاريخية لا تحدد وتبلور فقط ـ وبالمنطق العلمي الصارم ـ معالم طريق التطور اللارأسمالي ، وأسس وأسلوب تحقيق دولة اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية ، وانما تستشرف وتنير آفاق المجتمع الاشتراكي الديمقراطي اليمني المنشود ٠

---

[٣٧] انظر مقال اعصــار امبريالي صهيوني حول حصن الثورة في عدن ، د٠ محمد علي الشـهاوي ، الطليعــة ١٩٧١/١٢/١٢

[٣٨] الاهرام ١٠/١/١٩٧٢

[٣٩] جريدة ١٤ أكتوبر العدنيـــة ٣٠/١١/١٩٧١



● جمهورية مصر العربية ●

حـــوار مبـــاشر
وحلـــول فـــورية

● الاردن ●

الملك حسين يضرب
مشروع آلون

● عدن ●

المؤتمر الخامس
للجبهة القومية

● الاتحاد السوفيتي ●

اعلان مسبق
بالتزامات محددة

تقارير خاصة :

● الانشقاق الثالث
في الجبهة الشعبية

● مؤامرة أطلنطية جديدة
للقضاء على استقلال قبرص

■ جمهورية مصر العربية

حوار مباشر وحلول فورية

على امتداد شهر مارس الماضى ـ قام الدكتور **عزيز صدقى** ومعه ثلاثة من نوابه وثلاثة عشر وزيرا آخرين بجولة واسعة فى المحافظات شملت حتى الان محافظات كفر الشيخ والمنوفية وقنا وأسوان .

وكان رئيس الوزراء قد أعلن ان الهدف من هذه الزيارات هو التعرف على مشكلات المواطنين على الطبيعة والاستماع الى آرائهم وفتح الحوار المباشر مع الجماهير ووضع الحلول الفورية فى معظم الحالات ـ وبدء دراسة الحلول اللازمة للبعض الاخر والتى لا تتوافر حاليا امكانيات حلها .

وفى كل اللقاءات الجماهيرية التى عقدها الدكتور عزيز صدقى مع المواطنين فى مواقعهم ـ حرص على أن يؤكد « أن الحكومة الحالية جاءت لتعد الدولة للمواجهة الشاملة ـ وهناك أمل لابد أن نحققه مهما صادفنا من صعاب وتضحيات ـ وهو أن نسترد أرضنا » .

وأكد الدكتور عزيز صدقى فى كلماته « ان قدرات مصر الانتاجية تمكنها اليوم من أن تعطى المعركة كل مستلزماتها بأولوية مطلقة وتمكننا أيضا من حل الكثير من مشكلات الجماهير على أساس أن حل هذه المشكلات فى حد ذاته من أهم عوامل التعبئة والحشد للجبهة الداخلية » .

وحرص رئيس الوزراء أن يشهد خلال زيارته لكل محافظة عرضا شاملا لاجهزة الدفاع المدنى ومتطوعيه وكذلك بعض التجارب الحية لمواجهة نتائج الغارات .

وقد كشفت الجولة التى قام بها الدكتور عزيز صدقى ونوابه والوزراء أنه بالاضافة الى المشكلات الخاصة ذات الصفة المحلية التى يعرضها بعض المواطنين فان هناك مشكلات عامة تعانى منها كل المحافظات من بينها مشكلة استكمال وتطوير مرافق الخدمات خاصة استكمال بناء المدارس والمستشفيات والمساكن وتحسين مياه الشرب ورصف الطرق وانارتها ووسائل المواصلات والنقل البرى ومشكلة الصرف والمجارى ـ وان جانبا كبيرا من هذه المشروعات قد توقف عدة سنوات بسبب نقص المعدات أو الاعتمادات بينما تفاقمت المشاكل بسبب الزيادة فى السكان .

ووافق الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء على الاعتمادات المطلوبة كما تقرر اعطاء أولويات مطلقة للمشروعات التى بدىء فى تنفيذها ـ على أن يحدد توقيت زمنى للانتهاء منها . ومن أبرز القرارات التى اتخذت فى هذه اللقاءات وعلى ضوء ما تمت مناقشته خلالها ـ تخصيص ٢ر٥ مليون جنيه لاستكمال معامل الجامعات على أن يتم ذلك قبل بدء السنة الدراسية القادمة . وكذلك تحديد حد ادنى لاجر العامل فى القطاع الخاص بـ ٣٠ قرشا وتطبيق قواعد الاجازات المعمول بها فى القطاع العام وكذلك بالنسبة لساعات العمل .

كما وعدت الحكومة بتوفير الاعتمادات اللازمة للانارة ورصف الطرق وبحث تخفيض أسعار استهلاك الكهرباء . وكذلك دراسة تخفيض ايجارات المساكن عن طريق توفير المعدات من حديد تسليح ومواد بناء وجعل الاستهلاك على ٣٠ عاما بدلا من ٢٠ .

واعطى الدكتور عزيز صدقى عناية خاصة لمشكلات الفلاحين وأعلن أن الدولة سوف تتحمل أى زيادة فى تكاليف رى الفدان اذا زادت عن عشرة جنيهات للفدان مما يحمل الدولة ٣٠٠ الف جنيه ورفع سعر الطن من القصب ١٠٠ مليم ، مما يحمل الدولة ثلاثة ارباع مليون جنيه لصالح زراع القصب . وأعلن رئيس الوزراء ـ انه خلال فترة لا تتجاوز الشهرين سوف تتم مراجعة كل أوضاع بنك التسليف التعاونى فى الريف وأوضاع الجمعيات التعاونية الزراعية ومديونيات الفلاحين ـ وعلى ضوء هذه المراجعة ستوضع اقتراحات محددة تحقق الحل الحقيقى لمشكلات الفلاحين وسوف توضع صيغة جديدة تتيح لهذه الجمعيات أن تكون معبرة تعبيرا حقيقيا عن مصالح الفلاحين كما ستتخذ الاجراءات اللازمة لتلافى كل سلبيات نظام التسويق التعاونى والعمولات وتحديد رتب القطن وانتقد الدكتور عزيز صدقى شركات تجارة القطن ومحاولتها تحقيق المزيد من الارباح على حساب الفلاحين بانقاص رتب القطن . وأشاد الدكتور عزيز صدقى وهو يفتتح خطا جديدا للانتاج بمصنع السكر بقوص ـ أشاد بدور العمال فى زيادة الانتاج بوصفه دعامة حقيقية لتحقيق النصر مؤكدا على أن العمال والفلاحين ومختلف طوائف الشعب هم ركيزة الوطن لتعبئة امكانياته بحيث يصبح الشعب كله عمقا حقيقيا لقواته المسلحة .

■ الاتحاد الاشتراكي العربي

قضـــــايا قديمة

ومقتـــــرحات جـــديـــدة

يعيش الاتحاد الاشتراكي العربي هذه الايام - المحاولة الرابعة لجعله تنظيما سياسيا فعالا معبرا عن تحالف قوى الشعب العاملة . وتقود هذه المحاولة الجديدة لجنة العمل الوطني للاتحاد الاشتراكي العربي وهي اللجنة التي كان المهندس سيد مرعي السكرتير الاول للجنة المركزية قد أعلن عن تشكيلها من عشرين عضوا - خمسة منهم من أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وخمسة أخرين من اعضاء المؤتمر القومي للاتحاد والعشرة الباقين من الشخصيات العامة - كما أعلن ايضا عن تشكيل تسعة لجان استشارية تضم ١٧٠ عضوا لمعاونة اللجنة في مهمتها ..

وكان المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي قد كلف السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل هذه اللجنة وحدد مهمتها بوضع تصور شامل ودليل مفصل لاسلوب عمل الاتحاد الاشتراكي على ضوء ما كشفت عنه التجارب الماضية من نواقص وقصور في نشاط الاتحاد وضيق اوعيته عن استيعاب حركة الجماهير ومطالبها وآمالها . ودعا المؤتمر لان تقوم اللجنة باعداد دراسة شاملة لتحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطات التنفيذية والتشريعية والقطاع العام والمنظمات العمالية والطلابية والمهنية والشبابية وكذلك تعديل قانون الاتحاد الاشتراكي بما يتواءم مع النتائج التي تصل اليها اللجنة .

وقد بدأت اللجنة عملها بدراسة ورقة عمل قدمها المهندس سيد مرعي وضمنها الدراسات والاجتماعات والمناقشات التي اجراها خلال الشهرين السابقين - كما تضمنت مجموعة هامة من التساؤلات وعدد العرض الذي قدمه السكرتير الاول في ورقة العمل السلبيات التي غلبت بالفعل أسلوب عمل الاتحاد الاشتراكي ومنها :

● الاسلوب المكتبي والعزلة عن الجماهير .

● انكماش الضمانات الديمقراطية داخل التنظيم .

● طغيان النواحي الشخصية على الجوانب الموضوعية في تقييم الافراد .

● تسلل بعض العناصر الانتهازية والطفيلية الى بعض المراكز القيادية .

● عدم وجود خطة عمل .

● ضعف خطوط الاتصال والروابط التنظيمية .

● اضطراب وغموض العلاقة بين التنظيم والجهات التنفيذية والمنظمات الجماهيرية المعاونة .

● اخفاء الحقائق عن الشعب وعن قيادات التنظيم والتناقض الشديد بين الاهداف المعلنة والقدرة والامكانيات المتاحة .

● المراهقة الفكرية

● اعتبار التنظيم جهاز لتفسير وتبرير اعمال السلطة التنفيذية .

وارجع السكرتير الاول للجنة المركزية هذه السلبيات الى خطأ في التصور العام للاتحاد الاشتراكي يتمثل في نقطتين اساسيتين :

● ان الاتحاد الاشتراكي جهاز للسلطة وليس تنظيم لقوى الشعب العاملة ، وخلال المسار الطويل للاتحاد كان يؤكد على هذه الحقيقة عمليا بوضع الشعب في الاطار الذي تريده السلطة

● ان الاتحاد الاشتراكي حزب وليس تحالفا - ومحاولة فرض وحدة تامة مصطنعة في جميع المصالح التي يعبر عنها التحالف .

وفي هذه النقطة طرح السكرتير العام تصوره عن قيام نوعين من المصالح داخل الاتحاد : مصالح موحدة ذات وزن قومي شامل لا خلاف عليها بين قوى التحالف - مثل تحرير الارض المحتلة واستمرار التطور على الطريق الاشتراكي والتعزيز الدائم للديمقراطية وسيادة القانون ومحاربة البيروقراطية - ومصالح خاصة لكل قوة اجتماعية داخل التحالف والتي يجب الا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل

وتأسيسا على ذلك يجب ان تكون النظرة لفكرة الالتزام بحيث لا يكون كالالتزام المطبق داخل التنظيمات الحزبية وان يعاد النظر في صياغة هذا التصور وتحديد كيفية التعبير عن هذه المصالح

وطرح السكرتير الاول في ورقة العمل - قضية العضوية في الاتحاد وهل تفتح أمام ذوي النشاط السياسي السابق والعقائديين - فيؤدي دخولهم الى الاتحاد الى مزيد من التناقضات - ام يتركون خارج الاتحاد ، وعندئذ يمكن ان تنشأ تنظيمات اخرى مواجهة للاتحاد الاشتراكي ، كما طرح السكرتير العام قضية الشكل التنظيمي الهرمي الحالي للاتحاد الاشتراكي ومدى كفاءته في استيعاب الحركة والاتصال والربط .

كما طرح تصورين للتنظيم الشبابي اما ان يكون تنظيما منفردا بكوادره ولجنته المركزية أو يكون بوجود ممثلين للشباب في مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكي ٠

وطلب السكرتير الاول اللجنة بأن تقدم نقاطا عملية محددة وليس مجرد قواعد نظرية عامة في قضية تحديد العلاقة بين الاتحاد والمؤسسات والاجهزة التنفيذية والتشريعية والتنظيمات المعاونة والصحافة ـ كما طالب بضرورة وضع منهج محدد وأسلوب يضمن تحقيق المضمون الحقيقي لما يعنيه ان الاتحاد الاشتراكي هو السلطة العليا التي تنبع منها كل السلطات ٠

وأعلن السكرتير الاول للجنة المركزية ان اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي لا تعني اجراء انتخابات جديدة وان لجان الاتحاد الاشتراكي الحالية سوف تستمر في عملها ولكنها ستكلف بواجبات ومهام جديدة ٠

كما اعلن المهندس سيد مرعي ان هناك تفكيرا في ايجاد سكرتيرين مساعدين الى جانب السكرتير الاول والى اعادة النظر في نظام الامانات الفرعية الحالية والاتجاه الى تشكيل مجموعات خبرة تعمل مع الامانات وتشكل من الكفاءات المتخصصة التي تستطيع ان تقدم اراء مدروسة في كافة القضايا كما تجرى الان دراسة اقتراح بضم اعضاء من غير اعضاء المؤتمر القومي العام الى المؤتمر والى لجان الاتحاد الاشتراكي في المراكز والاقسام لزيادة فاعلية العمل السياسي والاستفادة بجهودهم السياسية ومن المعتقد ان مدى النجاح الذي يمكن ان تحققه المحاولة الجديدة لجعل الاتحاد الاشتراكي تنظيما فعالا سوف يتوقف على مدى الانفتاح العام والتجاوب مع الاتجاه الديمقراطي الواضح في صفوف الشعب ، ويعزز هذا ويدعمه سيادة مناخ ديمقراطي عام في البلاد ٠



■ الوطن العربي

تجارب تنظيمية جديدة

اعلن في سوريا قيام الجبهة الوطنية التقدمية ، وتتردد في العراق ، منذ سنوات اصوات تدعو الى ضرورة اقامة جبهة وطنية ، وفي القاهرة أعلن مؤخرا تكوين « لجنة العمل » ، واللجان الفرعية التي تتولى الاعداد لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي العربي من الداخل ، تنظيميا وفكريا ٠

وقد ترددت الدعوة لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ، في الدورة الطارئة الاخيرة للمؤتمر القومي العام ٠ اذ أكد الرئيس السادات في خطابه امام المؤتمر أنه من الضروري أن تتنوع الاجتهادات بيننا ، كما أنه من المصلحة أن تدور المناقشات على ارضنا بغير حواجز ٠ وركز الرئيس على تعزيز وتأكيد وحدة قوى الشعب العامل في مصر ، وذلك عن طريقين :

الطريق الاول : هو طريق الحوار الحر النزيه والمسئول وعن طريق التفاعلات الديمقراطية ٠

والطريق الثاني : هو طريق زيادة التلاحم مع قوى الجماهير على اتساع الامة العربية « فوحدة القوى الثورية العربية هي امتداد عضوي على اتساع العالم العربي كله لوحدة القوى الثورية داخل هذا الوطن المصري » ٠

وفي ضوء هذا ، طرح المهندس سيد مرعي في بيانه أمام المؤتمر القومي ، فكرة اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي من الداخل ، وهي فكرة يمكن تلخيصها في عبارة موجزة هي أن يصبح الاتحاد الاشتراكي اتحاد اتجاهات وقوى عوضا عن كونه اتحاد أفراد ، من الناحية التنظيمية ، بحيث يتاح لكل قوة من قوى الشعب العاملة منبرها الخاص داخل الاتحاد الاشتراكي ، لتعبر عن مصالحها وافكارها الخاصة في اطار « المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل والتي لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف » ٠

وتحقيق هذا التصور ، وتحويله الى واقع سيكون « نقلة » كبيرة في حياة الاتحاد الاشتراكي العربي ٠ ولكن هذه « النقلة » ستظل بعيدة الى حد غير قليل عن الجبهة الوطنية التقدمية التي قامت في سوريا ، وعن الدعوة والخطوات التي اتخذت لاقامتها في العراق ٠

وأسلوب « الجبهة الوطنية » ليس اسلوبا جديدا كلية في الحياة السياسية العربية ، فقد جرت تجربته في اكثر من بلد عربي في فترة الخمسينات ، وحملت بعض الاحزاب السياسية العربية لواء الدعوة الى اقامة الجبهات الوطنية ، منذ الاربعينات ٠

ففي سوريا ، اتخذت الجبهة الوطنية عام ١٩٥٦

شكلامفككا ، اعتمد على التعاون داخل البرلمان بين ممثلى أكثر من حزب سياسى : ممثلى حزب البعث العربى الاشتراكى ، وممثل الحزب الشيوعى السورى ، وممثلى جناح من الحزب الوطنى ، وممثلى فئات من البورجوازية الوطنية المعارضة للاستعمار ، وبعض الشخصيات المستقلة • وبعد العدوان الثلاثى ، تألفت لجنة عليا للتجمع الوطنى ضمت ممثلى الاحزاب والفئات المذكورة ، كما ضمت ممثلين عن الجيش • واثبتت هذه التجربة أهميتها من خلال الدور الكبير الذى لعبته ، فى الحياة السياسية السورية ، حين قادت أوسع قطاعات الجماهير وعبأتها فى التصدى للمؤامرات الاستعمارية التى كانت تدور حول سوريا ، قبل وحدة ١٩٥٨ ، وهى مؤامرات حاكتها ودبرتها القوى الامبريالية والدوائر الاستعمارية ممثلة فى حلف بغداد والقوى الرجعية السورية التى قبلت التعاون معه .

كانت تجربة التجمع الوطنى تجربة ناقصة • كانت بناء علويا ، بسبب رفض بعض قواها أن يتم بناؤها من أسفل لتعتمد على ركيزة جماهيرية صلبة • ومنذ عام ١٩٥٨ تعرضت الحياة الحزبية السورية لحالة من الفوضى اسكتها عن القيام بأى دور فعال • وكانت بعض فصول هذه المرحلة فصولا دامية ودموية ، عدا بعض مظاهر من « التعاون الشائك » بين حزب البعث الحاكم بعد ٢٣ فبراير ١٩٦٦ وبعض القوى الاخرى ، فضلا عن التجربة الفاشلة التى أعقبت مارس ١٩٦٣ . ثم جاءت هزيمة ١٩٦٧ ، لتؤكد — فيما أكدته — ضرورة العودة الى اقامة جبهة وطنية ، باعتبارها الطريق الوحيد فى مثل هذه الظروف لتوحيد نضال الطبقات والاحزاب الوطنية والتقدمية فى الكفاح من أجل التحرير والديمقراطية • وبقيت الجبهة شعارا يرتفع قليلا ويختفى كثيرا •

وفى نفس الفترة تقريبا ، شهد العراق تجربة « **جبهة الاتحاد الوطنى** » التى كانت اداة سياسية لثورة ١٩٥٨ .

قامت هاتان الجبهتان بينما كانت حركة التحرر الوطنى العربية تعيش حالة مد عارمة ، فى نضالها ضد الاستعمار والقوى العميلة له فى المنطقة • ودفعت الانتصارات بالقوى الوطنية والتقدمية الى التجمع والاتحاد لمواجهة المخاطر ، وصد الاخطار ، وتحقيق المزيد من المكاسب • ويصبح هذا التجمع أكثر الحاحا فى ظل الازمات والهزائم • اذ يصبح من الضرورى تلافى الخلافات الثانوية والداخلية من خلال النقاش والحوار ، وتبادل الافكار والخبرات فى سبيل حشد الجماهير وتعبئتها وقيادتها على الطريق الصحيح لتحقيق النصر » .

انطلاقا من هذا الادراك — مع تفاوت فى الدرجة — عادت تتردد مرة أخرى الدعوة الى اقامة الجبهات الوطنية ، فى اكثر من بلد عربى ، فى سوريا ، وفى العراق •

ففى سوريا ، ومنذ أحداث نوفمبر ١٩٧٠ ، وضح اتجاه نحو لقاء القوى التقدمية ، السورية وبرز هذا فى أول بيان أصدرته « **القيادة القطرية المؤقتة** » لحزب البعث ، وتطور هذا الاتجاه الى اجراءات عملية ملموسة فى تشكيل الوزارة وفى تعيين مجلس الشعب وفى الاستفتاء حول الرئاسة » .

● **ضمت أول وزارة شكلت بعد أحداث نوفمبر** ٢٦ وزيرا ، كان نصفهم من البعثيين ، بالاضافة الى الرئيس ، والنصف الاخر من « الاتحاد الاشتراكى العربى » (السورى) ، والوحدويين الاشتراكيين ، والاشتراكيين العرب ، والحزب الشيوعى ، والمستقلين • وعندما أجرى تغيير وزارى — بعد انتخاب الفريق الاسد رئيسا للجمهورية — احتفظ بالتوزيع السابق وبنفس النسب تقريبا •

● أعلن بيان ١٦ نوفمبر عن تشكيل مجلس الشعب فى خلال ثلاثة أشهر من ممثلى البعث والمنظمات الشعبية والنقابية وممثلى القوى التقدمية ، ليضع الدستور الدائم ، الى جانب ممارسة السلطة التشريعية • وفى ٢٢ فبراير ١٩٧١ — عيد الوحدة — عقد المجلس أول اجتماع له • وقد ضم أغلبية بعثية (٨٥ مقعدا) • بينما نالت القوى السياسية الاخرى ٤٠ مقعدا فقط ، وخصص ٤٨ مقعدا للتنظيمات النقابية والمهنية ، وهؤلاء لهم انتماءاتهم الحزبية الى هذا الفريق أو ذاك ، بحيث يتم نوع من التوازن بين البعثيين والتنظيمات السياسية الاخرى .

● عند اجراء استفتاء الرئاسة اتفقت الاحزاب المؤتلفة فى الوزارة ، والممثلة فى مجلس الشعب ، على أن تعمل تنظيماتها وقواعدها عملا موحدا ومنسقا فى الدعوة الى انتخاب الفريق حافظ الاسد •

وكانت هذه الاعمال خطوات على طريق نمو وبلورة الدعوة الى اقامة الجبهة • وكانت تصريحات الرئيس الاسد تؤكد الالتزام ببناء

الجبهة ، كما كانت تعكس مرحلة النمو التى وصل اليها البناء • فهو فى فبراير ١٩٧١ يقول : «سنناضل من أجل تعميق لقاء القوى التقدمية ونحن نسير على هذا الطريق بخطى متزنة ، وسوف نحقق الوصول الى صيغة الجبهة التقدمية » • وفى تاريخ لاحق يقول : « ان الجبهة الوطنية التقدمية فى مراحلها المختلفة ستكون فى النهاية الصخرة القوية التى تدفع بعملنا الوطنى ، وفى مجالات مختلفة ، اشواطا بعيدة نحو التقدم والرفاهية » •

ومهد كل هذا للخطوة الاخيرة فى الاتفاق بين التنظيمات السياسية المختلفة ، على اقامة الجبهة وهكذا تشكلت فى مايو الماضى لجنة تحضيرية لدراسة صيغة الجبهة ، ووضع مشروع لميثاقها ، وقد تولته لجنة فرعية • وكانت هذه المرحلة من أشق المراحل . واحتدم الخلاف حول نقاط محددة مثل مدى حرية التنظيمات الاخرى فى العمل السياسى داخل الجيش ، وداخل الطلاب ، وبعض نقاط فرعية أخرى ، أمكن فى النهاية التغلب عليها •

وعبر هذا الطريق من الاتفاق والاختلاف ، ومن التنازلات من قبل هذا الطرف أو ذاك ، تم الاتفاق على اعلان الجبهة ، وتشكيل مكتبها السياسى ، واعلان ميثاقها •

وقد حدد الميثاق مهمة الجبهة فى تعبئة الجماهير من أجل معركة التحرير ، وتحقيق الوحدة العربية ، واقرار مسائل السلم والحرب والسياسة الاقتصادية وتوجيه الخط السياسى والاعلامى واستكمال المؤسسات الديمقراطية والدستورية •

ويحظى حزب البعث بالاكثرية فى الجبهة وفى كل مؤسساتها • فالمكتب السياسى للجبهة ــ وهو قيادتها ــ يتكون من ١٧ عضوا ، منهم تسعة بعثيون من ضمنهم الرئيس ، وثمانية عن الاحزاب الاخرى ، عضوان عن كل حزب . هذا بالاضافة الى انفراد البعث بالعمل السياسى داخل الجيش وبين الطلاب • ولا تخفى أهمية دور الجيش فى الحياة السياسية السورية ، فى ظل الضعف والقصور الذى تعانيه الاحزاب السياسية هناك مع السماح لبقية أحزاب الجبهة بمزاولة نشاطها العلنى ، وحرية نشاطها الخاص ، مثل اصدار الصحف التى تعبر عن وجهة نظرها .

أما فى العراق ، فقد ترددت الدعوة الى اقامة الجبهة الوطنية منذ وصول البعث الى الحكم فى يوليو ١٩٦٨ ، بل وقبل ذلك فى المؤتمر القومى التاسع لحزب البعث « العراقى » حين نبذ المؤتمر فكرة الحزب « القائد » ودعا الى قيام جبهات شعبية تقوم على تحالف الاحزاب التقدمية قطريا وقوميا •

وظل البعث يردد هذه الدعوة بعد وصوله الى الحكم ، ودعا الى « حوار » مع الاحزاب والقوى الاخرى ، بعد أن اتخذ بعض الاجراءات التى طمأنت هذه القوى وشجعتها على قبول الحوار • ومع أن البعث كان يقدم رجلا ويؤخر اخرى على طريق الدعوة الى الجبهة ، وحتى على طريق الاجراءات التى كان يتخذها الا أن التنظيمات السياسية الاخرى قبلت الدخول فى الحوار ، ورحبت به ، وطال الحوار أكثر مما يجب وتراجعت « الاجراءات المطمئنة » وحلت مكانها اجراءات عكسية توسع من هوة الخلاف ، ولا تساعد على تقدم الدعوة الى قيام الجبهة •

● وزاد من هوة الشك ما تردد بعد انعقاد المؤتمر القومى العاشر لحزب البعث ، ففى هذا المؤتمر تراجعت الدعوة الى اقامة الجبهة الوطنية ، وعاد الى الظهور مرة اخرى الحديث عن الحزب القائد . وبعد اتفاق ١١ مارس ١٩٧٠ مع الاكراد ارتفع شعار تآخى الحزبين : حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الديمقراطى الكردستانى . وتم تجاهل الاحزاب السياسية الاخرى •

ولكن الصفاء البعثى ــ الكردى لم يستمر طويلا • فارتفعت من جديد الدعوة الى الجبهة ، مشروطة بأن يحدد « البعث » الاحزاب التى تدخلها ، وهى « الاحزاب التى تؤمن بثورة ١٧ تموز واهدافها » أى الاحزاب التى تقبل قيادة البعث ، وبالميثاق الوطنى الذى طرحه ، بعد طول تردد • وعاد الحوار من جديد • وقبلت الاحزاب الاخرى ان تعيد الكرة ، واعلن بعضها قبول الميثاق أو تأييده رغم بعض التحفظات الخاصة بقصر العمل السياسى داخل الجيش على حزب البعث فقط ، وكيفية بناء حكومة الجبهة وغير ذلك • وقد نوقش الميثاق على نطاق واسع جماهيرى ، واثيرت نقاط الخلاف ونقاط الالتقاء وادخلت عليه تعديلات •

ولا شك ان تعدد هذه المحاولات « الجبهوية » فى اكثر من بلد عربى ، يعكس حقيقة جوهرية ، تأكدت منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ ، وهى أنه لم يعد

فى مقدور جناح من احدى الطبقات ، أو فى مقدور طبقة واحدة بكل أجنحتها وفئاتها ، أن تتحمل وتفى بالتزامات واحتياجات النضال العربى وطنيا وقوميا . وسيفرض هذا الواقع ، بشكل أو آخر ، وطبقا للظروف الخاصة فى كل وطن عربى ، المخرج المناسب والمؤدى الى قيام صيغ جبهوية أكثر تقدما وأكثر شعبية من تلك الصيغ التى شهدتها بعض الاقطار العربية فى ظروف الخمسينات ، وهى صيغ لابد أن تتيح حرية الحركة والنشاط السياسيين أمام أوسع الطبقات الوطنية وأقدرها على تحمل اعباء النضال العربى ، فى مرحلة المواجهة الضارية ضد الاحتلال الصهيونى ـ الاستعمارى . اذ لا بديل اليوم عن أوسع مشاركة جماهيرية على المستوى العربى ، ولا بديل عن نضال الجماهير ، ولا عن حماسها ، خاصة فى أوقات الازمات .



● الصراع العربى الاسرائيلى

تطورات وتحديات جديدة

فى الايام الاخيرة من فبراير وعلى امتداد مارس الماضيين ، وقعت أحداث وتطورات هامة فى مجال الصراع العربى الاسرائيلى .

● ففيما بين ٢٥ ـ ٢٨ فبراير شنت القوات الاسرائيلية هجومها الثانى والثلاثين على جنوب لبنان ، وهو أكبر هجوم لها منذ حرب ١٩٦٧ على تلك المنطقة ، مستخدمة الطائرات والدبابات والجرارات ، حيث استخدمت تلك الاخيرة فى شق طرق جديدة لتسهيل تحرك القوات الاسرائيلية فى المنطقة مستقبلا ، و « خلق ظروف تسهل معها المراقبة والسيطرة عند الضرورة » على حد تعبير جريدة هآرتس الاسرائيلية .

وقد عجزت القوات الاسرائيلية عن أسر أى فدائى فلسطينى ، بسبب البسالة النادرة التى أبداها الفدائيون فى مقاومة العدوان الاخير . وتقدر مجلة نوفيل أوبزيرفاتير (عدد ٦ ـ ٣ ـ ١٩٧٢) خسائر الفدائيين بمائة شهيد ومائة وخمسين جريحا . فى حين قدرت الدوائر الاسرائيلية خسائر الفدائيين بخمسين شهيدا ومائة جريح . وقدرت هذه الدوائر خسائر القوات الاسرائيلية بأحد عشر جريحا .

وبعد انسحاب الجيش الاسرائيلى فى جنوب لبنان عادت قوات الجيش اللبنانى لتحتل مواقعها هناك ، بعد أن كانت قد هجرتها منذ معركة العرقوب عام ١٩٦٩ .

وبعد انسحابها ، وجهت اسرائيل انذارا الى حكومة لبنان بمعاودة الهجوم فى حالة استمرار هجمات المقاومة من الاراضى اللبنانية .

ونسبت وكالة اليونايتدبرس للانباء ، الى المصادر السياسية اللبنانية قولها أن حكومة لبنان ستعمل على حياد منطقة الجنوب درءا لانتقام الاسرائيليين ، وأنها ستعيد النظر فى اتفاق القاهرة الذى كان قد وقعته عام ١٩٦٩ مع قيادة المقاومة . وازاء كل ذلك تفجرت فى لبنان مظاهرات صاخبة نددت بالعدوان وبالصمت العربى . كما خرج طلبة جامعة دمشق الى الشارع مطالبين حكومتهم بالتحرك . وفى ١٢ مارس صرحت مصادر لبنانية مطلعة أن وجود الجيش اللبنانى فى الجنوب سيحقق مهمة مزدوجة ، وهى منع المقاومة من قصف الاراضى الاسرائيلية من داخل الاراضى اللبنانية ، وحماية السكان اللبنانيين !

وكانت جريدة الاتحاد ، الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكح) ، قد نشرت مقالا ، فى ١٨ يناير الماضى ، لصليبا خميس ، عضو المكتب السياسى للحزب ، أوضح فيه أن من أهداف العمليات العسكرية للجيش الاسرائيلى فى جنوب لبنان « اشراك الحكومة اللبنانية ـ بمساندة الضغط الاسرائيلى من الجنوب ـ فى عملية تصفية شاملة للعمل الفدائى فى لبنان ، كما حدث فى الاردن .. واغراق لبنان فى حرب داخلية لضرب القوى الوطنية والتقدمية ، واخراج الاردن من الصف العربى » . ويؤكد موسى ديان أن هدف العمليات هو « ابعاد الفدائيين من جديد الى الداخل » . وفى حديث له مع بعض المراسلين الاجانب حدد ضابط اسرائيلى هدفان للهجوم الاسرائيلى على جنوب لبنان وهما « كسر ظهر الفدائيين . وتحويل وجود الفدائيين من مشكلة اسرائيلية الى مشكلة لبنانية داخلية » .

● وفى الخامس من مارس الماضى أعلن السيد حسين الشافعى ، نائب رئيس جمهورية مصر العربية ـ فى المنيا ـ « أن العمل الفدائى فى سيناء يجب أن يكون مكملا للعمل الفدائى فى بقية الجبهات العربية .. واذا كانت هناك مصادر

محسوبة فى تقديرات المعركة العسكرية فلا ينبغى ان يكــون هنــاك معــاذير أو محاذير للعمل الفدائى » . وفى ٩ مارس أعلن **الفريق حافظ الاسد** ، رئيس الجمهورية السورية ، قبول سوريا لقرار مجلس الامن ، وان تحفظ بضرورة استعادة جميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ ، وعدم التفريط فى حقوق شعب فلسطين .

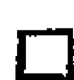
● وفى المجال الدولى وقــع حدثان هامان : كان الاول حين كشفت صحيفة **ديلى اكسبريس** اللندنية المحافظة ، فى ٦ مارس الماضى عن قرب انتهاء المفاوضات بين بريطانيا واسرائيل لبناء غواصتين لاسرائيل فى مصانع **فيكرز** البريطانية . وبذا تكون حكومة المحافظين البريطانية قد كسرت قرار حظر ارسال الاسلحة لمنطقة الشرق الاوسط والذى كان قد اتخذته حكــومة العمال قبل حوالى أربعة أعوام . وقد رفض متحدث باسم الخارجية البريطانية وآخر باسم السفارة البريطانية فى القاهرة والمسئولون الاسرائيليون نفى أو تأكيــد الخبر . وبعد يومين أعلن أن الغواصتين ستزودان بمعدات الكترونية متطورة ، تحول دون الكشف عنهما ، وتساعد على قيامهما بعمليات الاستطلاع بعيدة المدى ، وان ثمن الغواصتين ١٢ مليون جنيه استرلينى بالاضافة الى مليونى جنيه ثمن الشــبكة الالكترونية ، وان اسرائيل ستتسلم الغواصتين فى بداية العام القادم .

وفى ١١ مارس أعلن **عبد الخالق حسونة** ، أمين عام الجامعة العربية ، أن الصفقة تضم ثلاث غواصات وليس غواصتين . وفى نفس اليوم قدم **كمال رفعت** : سفير مصر فى بريطانيا ، احتجاجا الى الخارجية البريطانية باسم كل السفراء العرب بشأن هذه الصفقة . وفى اليوم التالى أعلن **عبد القادر حاتم** ، وزير الثقافة والاعلام المصرى ، أن الصفقة ستزيد التوتر فى الشرق الاوسط . ويؤكد بعض المراقبين الغربيين أن الحكومة البريطانية ترى « من الضرورى عدم استثناء شركات الاسلحة البريطانية فى سوق مهمة » !

أما الحدث الدولى الثانى فى مجال الصراع العربى الاسرائيلى ، فكان القرار الذى اتخذته اللجنة السياسية للجامعة العربية ، فى الحادى عشر من مارس الماضى ، والقاضى بأن تتخذ الدول العربية ، التى سبق وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية «ما تراه مناسبا بشأن اعادة هذه العلاقات » . وقد وافق على هذا القرار كل مندوبى الدول العربية ، مع تحفظ مندوبى سوريا والعراق واليمن الديمقراطية . أما الدول التى لم تجدد علاقاتها الدبلوماسية بعد بألمانيا فهــى السعودية ومصر ولبنــان والعراق وسوريا . امــا الكــويت فلــم يكن بينهــا وبين المانيــا الغربية علاقات دبلوماسية ، كما لم تكن اليمن الديمقراطية قد حصلت على استقلالها بعد حين قررت الدول العربية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية ، عام ١٩٦٥ ، بعد تبادل الاخيرة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

وبعد ...

فان جملة هذه الاحداث والتطــورات تشكل تحديات جديدة ، تضاف للتحديات القديمة ، تواجه **المجلس الوطنى الفلسطينى ، والمــؤتمر الشعبى الفلسطينى** المزمع عقدهما ، فى القاهرة ، فــى السادس من ابريل الحالى .



■ **الاردن**

الملــك حســـــين يعــــرب مشـــــــروع آلـــــون

فى عددها الصادر يوم ٧ مارس المــاضى ، أزاحت جريدة **هآرتس** اليومية الاسرائيلية الستار عن اجتماعات خمسة كانت قد عقدت منذ عام ١٩٦٩ بين **الملك حسين** والمسئولين الاسرائيليين ، وقامت **وكالة المخابرات المركزية الامــريكية** بتــدبير بعضها . وقالت الصحيفة الاسرائيلية أنه فى هذه الاجتماعات تقرر اقامة ٢٧ مستعمرة شبه عسكرية لاســرائيل على الارض العــربية على طـــول نهر الاردن ، مقابل اعادة الضفة الغربية للملك حسين ، وابقاء القدس موحدة مع رفع العلــم الاردنى على المقابر وأماكن العبادة فيها !

وفى منتصف الشهر الماضى ، أعلن الملك حسين عن مشروعه الرامى الى أن تحل « **المملكة العربية المتحدة** » محل « **المملكة الاردنية الهاشمية** » ، من أقليمى شرقى الاردن والضفة الغربية ، على أن يتولى **الملك حسين** حكم الاقليمين ، مع اعطاء الفلسطينيين حكما ذاتيا فى الضفة الغــربية ، وابقاء الباب مفتوحا أمام أى جزء من فلسطين للانضمام الى المملكة الجديدة ، والمقصود هنا هو قطاع غزة . حيث تتوقع صحيفة **جويش كرونيكل** الصهيونية البريطانية ، فى عددها الصادر فى ١٧ ــ ٣ « أن تصبح الحكومة المحلية للضــفة الغربية محورا لامانى الفلسطينيين فى قطاع غزة المنعزل حتى الان » بعد « مناقشة مصير غزة فى مفاوضات السلام » .

وقد تفجرت المظاهرات فى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان والضفة الغربية وقطاع غزة ، منددة بمشروع الملك • ووصف **أنور الخطيب** ، أمين القدس السابق والمقيم حاليا فى عمان ، بأن مشروع الملك يذكره بمؤتمر لزعماء الهنود الحمر يناقشون فيه أيهم يجب أن يستعيد نيويورك من البيض » ! وأصدرت **اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية** بيانا رفضت فيه المشروع ، ووصفت المملكة الجديدة بانها « كيان هزيل ساوم حسين اسرائيل ليكون شريكا فيه » وأن كانت قد نبهت الى « أن المخططين الامبرياليين كثيرا ما يتقدمون بمشروعات بالونية تستهدف دراسة نفسيات الشعب الفلسطينى وقياداته ، بينما يكونون غير جادين فيما يقدمون » • وطالب بيان **منظمة التحرير** بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، وأنه « **فى توفر أجواء الارهاب والظلم والتعسف فى الضفتين الشرقية والغربية ، لا يكون هناك من رأى فى تقرير المصير الا رأى حركة المقاومة** » • واتهمت المنظمة فى بيانها الملك الهاشمى بأنه « يلعب فى المنطقة العربية دور **الوسيط لفك عزلة اسرائيل** » • وأكدت اللجنة « أن **التناقض القائم فى الاردن ليس بين أردنى وفلسطينى ، وانما هو قائم بين النظام العميل** المتواطىء والشعب المناضل » •

وبعد بيان اللجنة التنفيذية بيومين ، أصدرت فتح بيانا أعلنت فيه أن **الإطاحة بالنظام الهاشمى هو هدفها المرحلى** • كما قرر **المجلس الثورى لحركة فتح تكليف اللجنة المركزية** للحركة بتوجيه الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى ، وقد جاءت ردود الفعل الفلسطينية هذه معاكسة لما توقعته جريدة **لموند** الفرنسية ، فى اليوم التالى لصدور المشروع ، من أن الفلسطينيين سيعتبرون « مشروع حسين أقل ضررا من واقعهم وعلى أنه هدنة أو مرحلة نحو عودة الامور الى مجراها الطبيعى بصفة نهائية » •

وفى اسرائيل سارعت **جولدا مائير** الى التظاهر بمعارضة المشروع الهاشمى ، بدعوى عدم تضمنه « السلام » ! وترجع جويش كرونيكل وجويش اوبزيرفر ولوسوار البلجيكية (اعداد ١٧ ـ ٣) اهتمام رئيسة وزراء اسرائيل برفض المشروع ، الى خوفها من انفجار الائتلاف الوزارى الاسرائيلى ، حيث يرفض **الحزب الوطنى الدينى** ، المساهم فى الوزارة الاسرائيلية ، التنازل عن (الاراضى التاريخية) لاسرائيل » • أما السبب الثانى فهو علم **مائير** بأن موافقتها ستضعف موقف الملك بين العرب •وأكدت **لوسوار** أن « معارضة اسرائيل للمشروع لا تستبعد معها تعدد الاتصالات بين الحكومتين » • فى حين ترى **جويش أوبزيرفر** أنه « ربما يكون هناك اجماع فى اسرائيل حول هذا المشروع ، خاصة فى الدوائر العليا ، « واذا أصبح هذا المشروع جزءا من سياسة اسرائيل العملية ، فسوف يكون **موشى ديان** واحدا من أشد معارضيه ، فى الوقت الذى يبدو فيه **ايجال آلون** من أشد مؤيديه » • وتضيف الصحيفة اللندنية « أن مشروع الملك لم يكن أكثر من بالون للدعاية » وأنه لم يشر الى « حقيقة ان هذا المشروع **لا يمكن تحقيقه دون موافقة اسرائيل** » • وتشير **جويش كرونيكل** الى أنه « قد يكون من الممكن التوفيق بين احتياجات اسرائيل وأفكار الملك حسين » ووصفت مقترحات الملك بأنها « **تشكل مقدمة شجاعة للحوار مع اسرائيل** » • وأن الملك قد « قلل من أهمية القدس فى تفكيره الجرىء » !!

أما الولايات المتحدة ، فقد بدأت جميع محطات الاذاعة والتليفزيون فيها ، نشراتها الاخبارية ، عشية نشر الملك لمشروعه ، باعلان « اتمام اتفاق سرى شامل بين اسرائيل والمملكة الهاشمية » • الا أن **عبد الحميد شرف** ، ممثل الاردن الجديد فى الامم المتحدة ، سارع الى تأكيد أنه « ليس هناك أى أساس للاتفاق خارج قرار مجلس الامن » !! وتؤكد **لوموند** ، فى افتتاحيتها الصادرة غداة اعلان المشروع الهاشمى ، أنه « **من الصعب بالنسبة لواشنطن أن ترفض مشروع الملك حسين كلية** •• **فبهذه الطريقة سيتمكن الملك من القضاء على نفوذ منظمات المقاومة** » !

أما الدوافع التى تقبع وراء تقديم **الملك حسين** لمشروعه ، فترى صحف الغرب أنها تنحصر فيما يلى :

● يحاول الملك بمشروعه اقناع أهالى الضفة الغربية بعدم تخليه عنهم • والتأثير لصالحه على سير انتخابات البلدية التى تجريها السلطات الاسرائيلية يومى ٢٨ مارس و ٢ مايو القادم فى عشر مدن فى الضفة الغربية ، وتعزيز فرص المرشحين الموالين له ، بعد عجزه عن وقف الانتخابات ، وهى الانتخابات التى تهدف اسرائيل من ورائها الى خلق « قيادة » فلسطينية توافق على تقديم تنازلات للمحتلين الاسرائيليين • وتدلل **جويش أوبزيرفر** على دافع الملك حسين هذا بالتوقيت الذى اختاره الملك لطرح مشروعه ، اذ جاء خطابه قبل ساعات فقط من اقفال باب الترشيح لهذه الانتخابات •

● جذب الفلسطينيين وابعادهم تماما عن المقاومة •

● خشية الملك من أن يشكل الفلسطينيون خطرا عليه ، بعد أن يستعيدوا قوتهم مستقبلا .

● كسر طوق العزلة المفروض حول الملك من بعض الانظمة العربية .

● التلويح للدول العربية المعارضة للملك بأن الاردن لديه أوراق رابحة .

● محاولة وراثة زعامة العالم العربي .

وترجع صحيفة لوسوار البلجيكية (١٧ - ٣) اهتمام الملك بالضفة الغربية ، الا أنها « لا تقدم للضفة الشرقية مواردها الزراعية فحسب ، بل تمدها بالمواد اللازمة لصناعاتها الصغيرة » كما تشير الصحيفة الى أن الفلسطينيين قد أضفوا على المملكة نوعا من الديناميكية الجديدة ، بعد انضمامهم اليها . وترى جورنال دى جنيف ، فى عددها الصادر فى ١٦ - ٣ « أن الطابع الغامض وغير الفعال لمقترحات الملك حسين يدل على أن الموضوع هو مجرد حركة جس نبض الفلسطينيين والاسرائيليين والمصريين والدول الكبرى » . أما تريبيون دى جنيف ، الصادرة فى نفس اليوم ، فتشير الى أن الملك « يعقد آمالا على مشروع ليس فى امكانه أن يحوله الى واقع » . وأنه « اذا سنحت الفرصة لاستعادة الضفة الغربية المحتلة من اسرائيل ، فان عمان ستكون فى وضع سياسى أفضل من مواجهة الفلسطينيين .. أما اذا تطور الامر على عكس ذلك وبشكل يترتب ضم الضفة الغربية نهائيا الى اسرائيل ، فان الملك حسين سيكون قد أنقذ أهم شىء فى نظره ، وهى مملكة شرق الاردن » .

■ لبنان

معركة الحريات فى لبنان

ما زالت المعركة الداخلية فى لبنان محتدمة حول مشروع القانون الخاص بتنظيم الجمعيات والاحزاب السياسية الذى يهدف الى تقييد حرية العمل السياسى لمعظم فئات المواطنين وهى تشد اليها اهتمام المراقبين والرأى العام العربى ، نظرا لارتباط هذه المعركة بالصراع الذى يدور فى منطقة الشرق الاوسط ، بين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية وبين حركة التحرر الوطنى العربية بفصائلها المختلفة .

ان الظروف التى ارتبطت بظهور هذا المشروع توضح الى حد بعيد الهدف من اصداره فى الوقت الحالى . ذلك أن الهجوم الاسرائيلى على جنوب لبنان فى أواخر شهر فبراير الماضى ، والذى ذهب ضحيته عشرات من المواطنين والفدائيين ورجال الجيش اللبنانى ، قد أثار من جديد حملة انتقادات واسعة من جانب الجماهير والاحزاب الوطنية والتقدمية والمنظمات الشعبية على موقف الدولة السلبى تجاه الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، وكانت أن تجددت معه المطالب الشعبية القديمة بشأن تسليح جنوب لبنان ، وتطبيق قانون التجنيد الاجبارى - الذى يعد مطلب رئيس للشباب - وضرورة الاعتماد على الاتحاد السوفيتى فى تسليح الجيش اللبنانى ، وفتح معسكرات التدريب للشباب ، وعلى حد تعبير صحيفة « المحرر » اللبنانية : « ان ساسة لبنان الذين شرعوا لحماية مصالحهم وأشخاصهم ما زالوا حتى يومنا هذا يرفضون تعزيز قدرة البلد ككل لحماية لبنان وأرض لبنان » .. وقد أعلنت جميع الاحزاب الوطنية والتقدمية عن تأييدها للمقاومة الفلسطينية ، « وتحذير السلطات من التعرض للفدائيين تجنبا لحدوث مشاكل فى لبنان لا يعرف أحد نتائجها » ، والتمسك باتفاقية القاهرة فى نوفمبر عام ١٩٦٩ ، والتى تنظم العلاقة بين لبنان والمقاومة نصا وتطبيقا .

وقد فوجئت الاوساط السياسية فى لبنان عقب الهجوم الاسرائيلى ، بمجلس الوزراء يصدر قرارا بمشروع القانون الجديد بتنظيم الجمعيات والاحزاب السياسية ، واحالته بصفة مستعجلة الى مجلس النواب ، كما بدا من التصريحات الرسمية أن النية تتجه الى اصدار المشروع بمرسوم جمهورى قبل مناقشته داخل مجلس مما يعد خرقا صريحا لمبادىء الدستور .

ويتضمن مشروع القانون ما يلى :

● يحظر الانتساب الى الاحزاب على الموظفين والمستخدمين والمتعاقدين فى الادارات العامة والمصالح المستقلة وسائر المؤسسات العامة الرسمية والبلديات والشركات والمؤسسات التى تتولى مرفقا عاما .

● يحظر على الطلاب القيام بأى نشاط سياسى فى مؤسسات التعليم .

● يمنع تأسيس أى حزب سياسى يثبت أنه مرتبط أو على اتصال بحزب غير لبنانى .

● يمنع أعضاء مجالس ادارة الشركات أو مديريها أو رؤسائها من رئاسة الاحزاب .

● يحظر على التلاميذ والطلاب القيام بأى نشاط سياسى .

● يعتبر حزبا سياسيا كل جمعية ذات هدف سياسى ٠

● يعاقب بالسجن والغرامة كل من يخالف احكام هذا القانون ، وخاصة كل من يعمل على الابقاء على جمعية تقرر حلها أو قدم لها مساعدة للاستمرار بعملها أو عقد اجتماعاتها ، أو من يجعل محله مكانا لعقد اجتماعات لاعضاء جمعية منحلة ٠

● تمنح الجمعيات القائمة بتاريخ نشر هذا القانون مهلة ستة أشهر ، والاحزاب السياسية مهلة ثلاثة أشهر ، لتسوية أوضاعها وفقا لاحكامه والا اعتبرت منحلة حكما ٠ ويعلن عن الحل بمرسوم بناء على اقتراح وزير الداخلية ٠

● يلغى المشروع جميع الاحكام المخالفة لاحكام هذا القانون ٠

ويهدف هذا المشروع فى الاساس الى قطع الطريق على الاحزاب اليسارية فى الانتخابات العامة فى لبنان والمحدد لها يوم ١٦ ابريل الحالى ، والمقصود بذلك هم الشيوعيون ، والناصريون ، والبعثيون ، والقوميون ، والتقدميون الاشتراكيون ، وغيرهم من القوى السياسية ٠

والجدير بالذكر أن قرار الترخيص للاحزاب اليسارية ومن بينها الحزب الشيوعى اللبنانى ، كان قد أصدره **كمال جنبلاط** وزير الداخلية فى نهاية عهد الرئيس السابق **شارل حلو** ، وقد أثار القرار فى ذلك الوقت ثائرة الاحزاب اليمينية التى كانت تحتكر العمل السياسى العلنى فى الساحة اللبنانية ، كما تعرض هذا القرار لانتقاد السفارة الامريكية فى بيروت وهجوم الصحافة الامريكية فى ذلك الوقت ٠

والمعروف أن هناك لجنة وزارية كانت قد تشكلت فى عهد الرئيس الحالى **سليمان فرنجية** لاعادة النظر فى قرار الترخيص للحزب الشيوعى والاحزاب اليسارية الاخرى ويبدو أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة لاخراجه الى حيز الوجود ٠ وتردد أن المشروع قد تم اعداده فى القصر الجمهورى ، كما يستدل على ذلك من انتقادات الرئيس سليمان فرنجية للقوى الوطنية والتقدمية التى تهاجم المشروع ٠٠ وذكرت مجلة « **الحوادث** » اللبنانية (١٠ ـ ٣ ـ ١٩٧٢) فى مجال الحديث عن المشروع : « بأنه يوضح موقف الدولة من الشيوعيين واليساريين والحقد العميق الذى تكنه الدولة لهؤلاء ، والى حساسية الدولة ضد الشيوعيين واليساريين ورفضها الاعتراف بوجودهم ٠ والشيوعيون واليساريون يعرفون هذا الواقع ٠ والقضية المعلقة بينهم وبين الدولة هى قضية بسيطة ٠ الفريقان مقتنعان بأن المعركة ستقع بينهما ، ولكن الشيوعيين واليساريين يحاولون تأخيرها بانتظار الوقت الملائم ، والدولة تستعجلها » ٠

وشنت القوى الوطنية والتقدمية حملة عنيفة ضد المشروع ولكشف وفضح النظام اللبنانى « الذى يقوم على أساس الاقتصاد الحر ، وسيطرة البنوك والشركات الامريكية على الاقتصاد اللبنانى ، بالتعاون مع البورجوازية التجارية الكومبرادورية من كبار المستوردين ووكلاء الشركات الاستعمارية ورجال البنوك اللبنانيين ٠ الامر الذى جعل من لبنان سوقا لتصريف البضائع الاجنبية التى يستوردها كبار التجار بما قيمته مليارى ليرة فى السنة ، ويعيدون تسعيرها ويجنون من ورائها الارباح الفاحشة على حساب صغار التجار والمستهلكين ، مما يعوق تصنيع البلاد واستيعاب الالوف من الايدى العاملة العاطلة ، ويدفع بالشباب وأصحاب الكفاءات العلمية الى الهجرة الى الخارج » ٠

كما نظمت الاحزاب اليسارية والمنظمات العمالية والطلابية مظاهرات ومسيرات كبرى فى بيروت وغيرها من المدن اللبنانية للاحتجاج على المشروع ، وعقدت الاجتماعات الجماهيرية فى المدن والقرى للتنديد به وشرح الهدف من اصداره فى هذه الظروف الدقيقة التى يجتازها لبنان ، وطالبت بسحب المشروع ٠

واصدر ممثلو ٣٧ حزبا وهيئة ومنظمة وطنية بيانا نددوا فيه بالمشروع ووصفوه «بأنه معاد للديمقراطية وأشد تخلفا من القانون العثمانى ، ويشكل تحديا لتطلعات الشعب اللبنانى ، ومحاولة العودة بلبنان الى أسوأ عهود الكبت ، ويتعارض مع حقوق الانسان العالمية والمعاهدات الدولية للحقوق المدنية والسياسية ومحاولة لكم أى صوت معارض وللتصدى لاى نشاط سياسى أو فكرى أو اجتماعى ، ويهدد باقامة نظام بوليسى أو دكتاتورية مدنية لن يرتضيها شعبنا الذى يطمح الى اقامة حياة سياسية ديمقراطية تستند الى احترام كرامة المواطن وحقوقه » ٠

وأعلن **نقولا شاوى** الامين العام للحزب الشيوعى اللبنانى : « ان انطلاق الحركة العمالية والشعبية دفاعا عن مصالحها وانطلاق الجماهير اللبنانية بالتلاحم مع الاخوة الفلسطينيين وقضيتهم العادلة دفاعا عن سلامة الارض اللبنانية فى وجه الاطماع الصهيونية وتضامنا مع الاشقاء العرب ، أثار ردود الفعل المتشنجة لدى القوى الرجعية الداخلية ولدى الامبرياليين وعملائهم ، لان نضال

القوى الشعبية بقيادة القوى التقدمية والوطنية يقطع الطريق لاتخاذ لبنان نقطة ضعف لخرق الجبهة العربية » ·

ووصف الحزب التقدمي الاشتراكي ما جاء في المشروع بشأن منع النشاط السياسي في مؤسسات التعليم ، ومنع تأسيس أي حزب سياسي يثبت أن له ارتباطا بحزب غير لبناني : « بأن منع التلاميذ والطلاب من النشاط السياسي في مؤسسات التعليم الهدف منه الحد من النشاط الطلابي وقمع كل تحرك محق أو مطلب مشروع ، وان المطلوب هو توفير توعية سليمة للطالب تمهيدا لتأهيله التحقيق واجبات المواطنية الصالحة · وان منع تأسيس أي حزب سياسي يثبت أن له ارتباطا أو على اتصال بحزب غير لبناني بدون تحديد أبعاد هذا الاتصال ، يخفي وراءه نية خطيرة تكمن في ضرب الحريات الديمقراطية ، والحد من انتشار الاحزاب التقدمية في عصر هو عصر تلاق بين نضالات الشعوب والاحزاب والتكتلات الاجتماعية وشمولية الاعلام والفكر وانتشاره ، وان التطور الحتمي لسنن التاريخ يثبت أن أي نظام لا يعترف بامكانية تطوره وانتقاده يحمل حتما في طياته بذور هدمه وانهياره » ·

كذلك أعلنت الاتحادات الطلابية الجامعية والثانوية في البيانات العديدة التي صدرت بهذه المناسبة عن اصرار الحركة الطلابية على تمسكها بحقها في المساهمة في القضايا المصيرية القومية ، والتمسك بتنظيماتها التي أوجدتها بجهدها ونضالها · ودعا رئيس الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية جماهير الطلاب الى : تعزيز الجامعة الوطنية ، وصد المؤامرات عنها ورفض تحويلها الى مؤسسة خاضعة للنظام اللبناني ومتطلبات السوق ، والكفاح من أجل جامعة وطنية حقيقية ومعممة للثقافة الوطنية ·

ويبدو من اتجاه الاحداث في الوقت الحالي ، ان الامور آخذة في التعقيد بين القوى الوطنية والتقدمية وبين السلطة مع اقتراب موعد الانتخابات ، وأن هناك اتجاه داخل السلطة يعمل على تصعيد الازمة : ويستدل على ذلك من انفجار الموقف بين صائب سلام رئيس الوزراء وبين الاحزاب الوطنية والتقدمية ، يكشف عنه الهجوم المستمر من جانب رئيس الحكومة على كمال جنبلاط ، مما يدعم شكوك الاحزاب الوطنية والتقدمية المعارضة والجماهير المؤيدة لها في نزاهة وحياد الحكومة في الاشراف على عملية الانتخابات القادمة ، والتي تعتبر أن ما يصدر عن لسان رئيس الوزراء وهو وزير الداخلية في نفس الوقت ، ومرشح مع غيره من أعضاء الوزارة في الانتخابات القادمة ، يعتبر أن موضوع التدخل والانحياز قائم فعلا ، ومما دفع بوزير التخطيط في الوزارة التي يرأسها صائب سلام الى الاستقالة احتجاجا على هجوم رئيس الوزراء على كمال جنبلاط ·

وقد أعلن كمال جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي بهذه المناسبة : « اننا مستعدون لكل احتمال ، ولن نسمح بأن تعود البلاد الى الوراء ، واننا لن نسمح بأن تقرر السفارة الامريكية واتباعها ما يجب علينا أن نفعله وما لا نفعله في هذا البلد » ·

يصحب هذه الحملة اجراءات الاعتقال والمطاردة للشباب الوطني التقدمي في جنوب لبنان ، واعتقال أحد النواب المرشحين من الشباب ، وقيام الاضرابات والمظاهرات الشعبية في الجنوب استنكارا لهذه الاعمال من جانب السلطة ، والمطالبة بالكف عن هذه الاعمال التعسفية ضد الشباب الوطني التقدمي ·

كما أخذت هذه القوى التي تعمل على تصعيد الازمة تمارس ارهابها ضد الصحافة · وقد اتخذ مجلس نقابة الصحافة قرارا تضمن « تأكيد موقف الصحافة بالدفاع عن حرياتها ، والوقوف صفا واحدا في وجه كل محاولة ارهابية قد تتعرض لها الصحف ، كرد على موقف أو آراء سياسية لها ، والتحذير من نتائج هذه المحاولات الارهابية ، وان الصحافة متضامنة في الدفاع عن حريتها وكرامتها ومجابهة أي ارهاب من أي جهة أتى » ·



■ ليبيا :

تطور ايجابي في السياسة الخارجية

يرى عديد من المراقبين ان الزيارة التي قام بها الرائد **عبد السلام جلود** عضو مجلس قيادة الثورة الليبية للاتحاد السوفيتي في أواخر فبراير وأوائل مارس الماضيين ، تعد من أبرز التطورات الايجابية في السياسة الخارجية للجمهورية العربية الليبية في الفترة الماضية · ذلك « أن توثيق العلاقات في المجالات المتعددة مع الاتحاد السوفيتي يتفق – حسبما أوضح الرائد **جلود** نفسه في حديثه لصحيفة ازفستيا السوفيتية في ١٥ مارس الماضي – مع مصالح جميع القوى الثورية في الشرق الاوسط » ·

وليس ثمة شك فى أن تأكيد الرائد جلود فى حديثه المذكور على حقيقة « ان الاتحاد السوفيتى يبذل جهودا ضخمة من أجل نصرة قضية العرب العادلة ومن أجل رفع مستوى الطاقة العسكرية والاقتصادية للعرب فى سبيل تصفية اثار العدوان الاسرائيلى » انما يعكس مزيدا من التفهم الايجابى من جانب الثورة الليبية وقيادتها لحقيقة الدور الذى يقوم به الاتحاد السوفيتى فى مناصرة حركة التحرر والتقدم العربى · ويرى عديد من المراقبين أن هذا التفهم سيساعد دون شك على تعميق وتوثيق عرى الصداقة العربية السوفيتية ، وعلى ازالة العديد من العقبات والعوائق التى تحول دون تقدم هذه العلاقات على نطاق عربى شامل ·

وقد اشترك مع الرائد جلود أيضا فى محادثاته مع الزعماء السوفيت الرائد مصطفى الخروبى عضو مجلس قيادة الثورة الليبى ومساعد رئيس أركان حرب القوات الليبية المسلحة وصحب الوفد أيضا السيد أشرف مروان سكرتير الرئيس السادات لشئون المعلومات · وجدير بالذكر أن محادثات الرائد عبد السلام جلود فى موسكو قد تركزت بصفة خاصة على الموقف فى الشرق الاوسط حيث ندد الجانبان فى البيان المشترك الذى صدر عقب المحادثات « بسياسة اسرائيل التوسعية » وأكدا « ضرورة الجلاء التام عن كل الاراضى العربية » وأدانا « مساعدة الامبريالية الامريكية لاسرائيل عسكريا واقتصاديا وسياسيا » ·

واعرب الجانبان السوفتى والليبى فى بيانهما كذلك عن مساندتهما لكفاح الشعب العربى الفلسطينى من أجل استعادة حقوقه الشرعية ، وابرزا « الاهمية الكبرى للصداقة بين الاتحاد السوفيتى والقوى التقدمية العربية » · وفيما يتعلق « بمشكلة الامن فى البحر المتوسط » طالب الجانبان « بتصفية كافة القواعد الامبريالية فى هذه المنطقة واشارا « الى أن مرحلة جديدة قد بدأت فى العلاقات السوفيتية الليبية بعد الثورة الليبية فى سبتمبر ١٩٦٩ » ·

وقد وقع الجانبان اتفاقا للتعاون الاقتصادى والفنى بين ليبيا والاتحاد السوفيتى ، وصفه المراقبون فى موسكو بانه من « أهم الاتفاقات التى عقدتها ليبيا مع دولة اشتراكية » · وذكرت وكالة تاس أن الاتفاق يقضى بتعاون البلدين فى التنقيب عن البترول واستخراجه وتكريره وتوليد الكهرباء ، والتنقيب عن الثروات المعدنية والغاز فى ليبيا علاوة على تدريب الكوادر الوطنية الليبية · كذلك فقد أعلن الجانب السوفيتى عن تأييده للموقف الحاسم الذى تتخذه الحكومة الليبية بالنسبة للشركات البترولية الاحتكارية ، وقبول بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى دعوة الحكومة الليبية للقيام بزيارة رسمية لليبيا فى موعد يحدد فيما بعد ·

وجاء فى البيان المشترك السوفيتى الليبى كذلك أن المحادثات دارت فى جو من الصراحة والتفاهم المتبادل « وتناولت المسائل المتعلقة بتنمية العلاقات الثنائية بين البلدين والمسائل الدولية ذات الاهمية المشتركة » ونددد الطرفان فيه بشدة « بالعدوان الامريكى على فيتنام ولاوس وكمبوديا باستئناف الغارات الجوية على جمهورية فيتنام الديموقراطية » · و « اعلن تصميمهما على مواصلة مساندة الكفاح البطولى لشعوب الهند الصينية » ·

وليس ثمة شك فى نظر عديد من المراقبين أن التقارب السوفيتى ـ الليبى فضلا عن أنه يعزز قدرات ليبيا على استثمار مواردها البترولية وعلى مواصلة موقفها الحاسم من شركات البترول الاحتكارية الدولية يساعد على مزيد من الاتساق والوحدة فى الموقف العربى العام ، وبخاصة لاتحاد الجمهوريات العربية فى مجال التنسيق مع القوى الحليفة للعالم العربى فى معركته الراهنة ضد الصهيونية الاسرائيلية والامبريالية الامريكية ·

□

■ عدن :

المؤتمر الخامس للجبهة القومية

خلال الفترة من ٢ ـ ٦ مارس ١٩٧٢ انعقد فى عدن المؤتمر الخامس للجبهة القومية ، وهو أول مؤتمر ينعقد على هذا المستوى منذ تسلم الجناح اليسارى فى الجبهة السلطة على اثر الحركة التصحيحية الناجحة التى اسقط بها المجموعة اليمينية فى ٢٢ يونية ١٩٦٩ ، وأجرى على اثرها سلسلة من التحويلات الاجتماعية الراديكالية ، والاجراءات الاصلاحية الجذرية التى أحدثت تغييرات هيكلية فى البنية الاجتماعية ، دفعت بالمجتمع خطوات حاسمة فى اتجاه ترسيخ قواعد دولة الديمقراطية الوطنية ، ووضعته فى موقع بارز من الجبهة الثورية العربية المتصدية للاستعمار والصهيونية والرجعية ·

كما جاء انعقاد هذا المؤتمر بعد انتصارات

متلاحقة حققتها ثورة ١٤ اكتوبر ضد قوى المرتزقة في البلق ، ونقاق ، وقعوضة ، وعرمة ، وثرمد ، ومحيراس ، كان آخرها ذلك الانتصار الحاسم الذي سجلته عشية انعقاد المؤتمر - وبالذات في ٢١ - ٢ - ١٩٧٢ - على تلك الحملة الضساريه المكونة من ألفي مرتزق ، التي دفع بها الاستعمار والرجعية العربية واليمنية ضد المحافظة الرابعة « بيحان » بقيادة أبرز وأخطر رأس مرتزق اصطدم به الجيش المصرى فور وصوله اليمن عام ١٩٦٢ لنجدة الثورة اليمنية ، وعرفه الشعب اليمنى منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر - وهو الشيخ الاقطاعى الكبير علي بن ناجي الذى كان من ضحاياه في صرواح والعرقوب الضابطان المصريان المقدامـان نبيل الوقاد ، وعبد المنعم سند ، كما كان من ضحاياه أحد الملع واشجع وابرز قـادة الثـورة - علي عبد المغنى - وكان علي بن ناجي من أوائل من اعتمدت عليهم الرجعية العربية والاستعمار في قيادة الثورة المضادة ، نظرا لعمالتهم الممتدة حتى الخمسـينيات ، والذى كان من أبرز القـوى الاحتياطية التى ادخرتها الدوائر الاجنبيـة لتحريكها واستخدامها في اللحظات الحـرجة ، حيث وقع هذا العميل المرتزق الخطير هذه المرة مع مشايخ اقطاعيين آخرين أمثال : الهيال ، وحنتش والزائدى ، والقاضي ، وحوالى ٦٥ مرتزقا في شر أعمالهم ، ولقوا حتفهـم ، ونهبت سيـاراتهم وأسلحتهم الامريكية ، كما عثر على وثائق خطيرة في حوزتهم .

وقد خيب المؤتمر الامال الاستعمارية والرجعية الخبيئة التى انعقدت - ولاسيما بعد فشل كل خطط وأعمال العدوان والتدخل الخارجي - على احتمال ان تؤدى الاجتهادات الفكرية المتعددة داخل الجبهة القومية الى انقسام يشقها من النصف - كذلك الانقسام الذى حدث لمؤتمر زنجبار في مارس ١٩٦٨ بين تيار يمينى أراد الاستعمار الجديد النفاذ من خلاله لبسط سيطرته على البلاد ، وتيار يسارى ، هو الذى تغلب فى آخر الامر ، وهو نفسه الذى أثبت في المؤتمر الخامس مدى تماسكه ، وصلابته ، ونضوج وعيه ، وقدرته على تحويل التنوع الفكرى الى خيوط ذهبية فى نسيج الاتجاه الثورى الموحد الغايات .

والى جانب الموافقة على التقرير السياسى أعاد المؤتمر - الذى بلغ عدد مندوبيه ٧١ من ممثلى الشعب والروابط والجيش والشرطة ، وجهاز أمن الثورة - النظر فى بعض أوضاعه التنظيمية ، ونظامه الداخلى وخطه الفكرى ، حيث انتخب لجنة مركزية من ٣١ عضوا (بدلا من القيادة العامة) مع مرشحين (احتياطيين) عددهم ١٤ عضوا ، وحيث قامت اللجنة المركزية بـدورها بانتخاب مكتب سياسى من ٧ اعضاء (بدلا من اللجنة التنفيذية) وأمين عام - عبد الفتاح اسماعيل - وأمين عاممساعد - سالمربيع علي - من بين أعضاء المكتب السياسى ، ولجنة رقابة ،

تعليق

نحو معالجة ثورية لقضايا التعليم

يحتل التعليم مكانة هامة من بين القضايا التى تواجهها جميع الدول التى تسعى من أجل التقدم باعتباره حجر الزاوية في عملية البناء الاقتصادى والاجتماعى ، ولذلك يعتبر التقدم الذى يحرزه التعليم فى بلد ما أحد مقاييس التقدم فى هذه البلد وقد احتلت قضية التعليم مكانةهامة فى عملياتالصراع الاجتماعى سواء قبل الاحتلال أو اثناء السيطرة الاستعمارية او بعد الاستقلال حيث كان الصراع حول قضايا التعليم يكاد يكون فى بعض الفترات هو محور الصراع بين القوى الوطنية وبين الاستعمار . ومنذ قيام الثورة أخذت مشـاكل التعليم تبرز للمقدمة فى بداية كل عام دراسى وعند حدوث أى تغيير وزارى ، وتقدم وزارة التربية والتعليم لها بعض المسكنات والمهدئات ، وبعض الحلول الجزئية المؤقتة لتتوارى فترة ثم تعود مرة أخرى بصورة قد تكون أكثر حدة .

وفى هذه الايام تبرز مرة أخرى قضية التعليم الى المقدمة وتبدو حركة تهدف الى القيام بمحاولات لوضع حلول لمشاكله المختلفة ومن أجل تطويره . وقد اعطت المحاولة الجـديدة اهمية كبيرة للتعليم الابتدائى باعتباره التعليم الذى يقتصر عليه تعليم الاغلبية الساحقة من أبناء الشعب وتعجز نسبة كبيرة من ابنائه عن الحصول عليه لعـدم اتسـاع المدارس الابتـدائية لقبولهم . ولـكننا نقع فى خطأ كبير اذا بدأنا محاولات حل مشاكل التعليم الابتدائى بنقـل بعض نظار المدارس الابتدائية ومدرسيها لانهم لايؤدون واجباتهم ، لان نقل المعلمين لايجب أن يكون عقوبة لهم لانهم سيذهبون الى مدارس أخرى بها تلاميذ آخرين نحرص على مستواهمالتعليمى حرصا لا يقل عن حرصنا على الاولين ، كما أن هذه الحملة قد تعطى انطباعا للبعض ان سبب تدهور مسـتوى التعليم الابتدائى هو اهمال بعض المعلمين والنظار ، وهذا الانطباع يساعد على اخفاء المشاكل والاسباب الحقيقية التى أدت ولا زالت تؤدى الى هبوط مسـتوى التعليم الابتـدائى . فاذا كان الفصـل فى المدرسـة الابتدائيـة يكدس فيه ثمانون تلميذا ، وكان التلميذ لا يبقى بالمدرسة سـوى ثلث النهار او نصفه ويعانى فى نفس الوقت من سوء التغذية خصوصا بعد أن حرمته وزارة التربية من التغذية المدرسية ، واذا كان التلميذ فى الريف يعيش فى قرية تظلها الامية وفى منزل يستنشق فيه الجهل ، فاذا كان هذا وغيره يمارس أثره فى التعليم الابتدائى فهل يحق لنا أن نفاجأ بالهبوط الشديد

وسكرتارية للجنة المركزية، والجنة للحزب الطليعي .

كما أقر المؤتمر النظام الداخلي الجديد للجبهة القومية التي صعدت الى مستوياتها العليا عناصر جديدة ، وبرنامج العمل الوطني الذي اعتبر « **برنامجا استراتيجيا للجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية** » وجزءا أساسيا من استراتيجية الثورة اليمنية التي ينبغي أن يضطلع بوضعها الحزب الطليعي الاشتراكي اليمني الذي تتجه النية منذ الان الى بناء لبناته الاولى .

ولم يغفل المؤتمر عن توجيه نداء خاص بالقضية الفلسطينية ، وآخر خاص بشعوب الهند الصينية .

وبالوحدة التنظيمية والسياسية والنضالية التي أسفر عنها المؤتمر الذي حضره « ممثلون لقوى التحالف الوطني الديمقراطية من منظمة السلفي للشبيبة ، والبعث العربي الاشتراكي ، وممثلون عن القوى الوطنية ، والديمقراطية ، وممثلون عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج ، والحركة الوطنية في الجزيرة العربية تدخل الجبهة القومية مرحلة جديدة من الكفاح الثوري تقف على رأس مهامها مسألة بناء جبهة وطنية ديمقراطية وحزب طليعي اشتراكي على النطاق اليمني كله .

ومن أجل اطلاع زعماء الدول العربية الوطنية على سياسة اليمن الديمقراطية في ضوء الوثائق التاريخية التي أقرها مؤتمر الجبهة القومية ، ولكشف المخططات الاستعمارية والرجعية التي ظهرت بوادرها وتذرها قبل وبعد انعقاد المؤتمر ، والمستهدفة الاعتداء على الجمهورية الفتية ، والقضاء على ثورتها ، وبغية تعزيز التعاون الثوري مع هذه الدول في اتجاه اقامة جبهة عربية تقدمية ، في مواجهة الاستعمار والصهيونية والرجعية ، طاف — ابتداء من ٩ مارس ١٩٧٢ — عضو المكتب السياسي ووزير الداخلية **محمد صالح مطيع** بكل من سوريا والعراق ، والجزائر ، وليبيا ، ومصر ، حاملا رسائل خاصة الى رؤساء هذه الدول من رئيس مجلس الرئاسة — الامين العام المساعد للجبهة القومية — **سالم ربيع علي** .



■ الاتحاد السوفيتي :

اعلان مسبق بالتزامات محددة

يعتقد المراقبون السياسيون أن الخطاب الذي القاه **ليونيد بريجنيف** السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي ، في افتتاح المؤتمر الخامس عشر لاتحاد نقابات العمال السوفيتية ، لم يكن

في مستوى هذا التعليم ونتعجب لانه يخرج لنا في كل عام مئات الالوف من الاميين لينضموا الى جيش الامية . وهل تكون بداية العلاج هي نقل بعض العاملين المقصرين في التعليم الابتدائي .

كما أننا نقع في خطأ لا يقل عن الاول اذا تصورنا أن ربط التعليم الثانوي بالتعليم الجامعي يتحقق اذا اخترنا رئيس لجنة امتحان شهادة الثانوية العامة من بين رجال الجامعات ، وأن ربط التعليم الفني بالانتاج من الممكن ان يتم عندما يصبح رؤساء لجان امتحانات الشهادات الثانوية الفنية من بين رجال أجهزة الانتاج . فقد قامت وزارة التربية والتعليم بانشاء مجالس استشارية مركزية لانواع التعليم الفني في عام ١٩٥٦ وكان من بين أعضاء هذه المجالس عمداء الكليات ورجال من أجهزة الانتاج وبالرغم من ذلك لم يتحقق الربط المطلوب . كما أن الدولة في العام الماضي قد دعت الى عقد مؤتمر « التعليم في الدولة المصرية » وجندت له جميع الكفاءات الفنية والادارية والاقتصادية والتربوية ، وقد بذلت كثير من الجهود المخلصة من أجل ايجاد حلول للقضاء على معوقات تقدم التعليم ، ولازالت المعوقات موجودة ويعاني منها نظام التعليم .

ان مشكلات التعليم المصري ذات جذور اجتماعية وتاريخية عميقة لا يمكن اقتلاعها الا بثورة تعليمية تقيم نظام التعليم وسياسته على أسس جديدة ، ليصبح تعليما في خدمة قوى الشعب العامل ، تعليما في خدمة الريف من أجل تقريب الهوة بين المدينة والقرية حتى تصل القرية الى مستوى المدينة ، تعليما يتيح أعظم الفرص لابناء العمال والفلاحين .

أما اذا اقتصرت المحاولات على مجموعة من الاجراءات الجزئية أو الاصلاحات التي لا تمس جوهر النظام التعليمي ، فانها لن تقدم للتعليم الكثير وسوف تضاف الى المحاولات الكثيرة التي سبقتها تلك المحاولات التي لم تستطع أن تنقص نسبة الامية بعد عشرين عاما من الثورة عن سبعين في المائة من تعداد الشعب المصري والتي لم تتمكن من زيادة نسبة الاستيعاب في المدارس الابتدائية عن خمس وسبعين في المائة من الاطفال الذين بلغوا سن الالزام بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على صدور قانون التعليم الالزامي .

ممدوح عبد الرحمن

مجرد كلمة عادية لافتتاح مؤتمر كبير • فقد تضمن الخطاب خطوطا عامة لموقف الاتحاد السوفيتى ازاء المشكلات الدولية المعاصرة • ومما يكسب هذا الخطاب أهمية خاصة فى نظر المراقبين ، زمنـه السياسى • حيث أنه أول خطاب للمسئول الاول فى الحزب السوفيتى بعد الزيارة التى قام بها الرئيس الامريكى **ريتشارد نيكسون** الى بكين ومحادثاته مع الرئيس الصينى **ماوتسى تونج** ورئيس الوزراء **شواين لاى** • كما أنه يسبق الزيارة التى يزمع نيكسون القيام بها الى موسكو فى مايو القادم •

ويصور بعض المراقبين مـا جاء فى خطـاب بريجنيف بأنه اعلان مسبق برأى الاتحاد السوفيتى فى القضايا التى سوف تطرح على مائدة المحادثات مع نيكسون ، يعنى بريجنيف بابلاغه مقـدما • ويصوره بعض مراقبى « العالم الثالث » ، بأنه « اعلان التزام مسبق » من جانب الاتحـاد السوفيتى ، يحدده أمام الرأى العام العـالمى وبخاصة أمام دوائر العالم الثالث السياسية التى تترقب هذه الزيارة باهتمام بالغ • ويشير هؤلاء المراقبين ــ فى هذا الصدد ــ الى قول بريجنيف بأن الاتحاد السوفيتى يرفض أى اتفاق مع أمريكـا « على حساب دول أخرى أو حقوقها المشروعة أو مصالحها » •

وقد تناول بريجنيف فى خطابه ٧ قضايا هامة ، احتلت فيه قضايا الامن الاوربى والشرق الاوسط والعلاقات مع كل من الصين وأمريكا ، مكانا بارزا •

وبالنسبة الى **الامـن الاوربى** ، أكد بريجنيف على دعوة الاتحاد السوفيتى الى « عقد مؤتمر لكل الدول الاوربية » بهدف تحقيق فكرة التعاون بين الدول الاوربية « على أسس محـددة تساعد على تسوية المشاكل الاوربية » • والجديد فى هـذا المجال أن بريجنيف قـد حـدد أنه « قد أصـبح ضروريا الان مسألـة موعد انعقـاد هذا المـؤتمر وتحديد خطوط عمله الرئيسية بشكل مشترك » • كما أن بريجنيف قد حدد بوضوح أنه « لا يمكن أن تعود الامور الى طبيعتها فى أوربا دون الاعتراف بألمانيا الديمقراطية كدولـة اشـتراكيـة ذات سيادة » • وقد اسـترعى انتباه المعلقين للشئون الاوربية التحذير الذى وجهـه السكرتير العـام للحزب الشيوعى السوفيتى الى المعارضة فى ألمانيا الغربية بسبب موقفها العدائى من معاهدة عدم الاعتداء التى وقعتها حكومة **فيلى برانت** مـع الاتحاد السوفيتى • وقال بريجنيف انه اذا كان خصوم المعاهدة يريدون مناقشة تعديلها فيما يتعلق بحدود الدول مع أوربا ، فانه « لا يوجد ولن يوجد أحد يناقش هذا الامر » •

ووصف بريجنيف الموقف فى **الشرق الاوسط** بأنه « يهدد بانفجار الحرب فى المنطقة » وأوضح أن سبب هذه الخطورة هى « **رفض اسرائيل** التى تساعدها وتدعمها الولايات المتحدة ، الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة » • وحذر من أن ذلك « لا يمكن أن يستمر الى ما لانهاية • ان الساسة الذين يتمتعون بعقول متزنة لا يمكن أن يأملوا أن ترضخ الدول العربية لاحتلال أراضيها » • وعن علاقات القوى فى المنطقة أوضح بريجنيف « ان قوة الانظمة التقدمية والتعاون بين العرب والقـوة الدفاعية للدول العربية » هى العوامل التى ستحدد فى المدى البعيد اتجاهات القوى فـى الشرق الاوسط • وأشار فى هذا الصدد الى « أن صداقة الاتحاد السوفيتى وتعاونـه مع الدول العـربيـة التقدمية يزداد دائما قوة بـاطراد • وان التعاون الاقتصادى والدفاعى آخذ فى الاتساع ، والتفاعل السياسى يزداد عمقا » • وقد اهتمت الدوائـر الوطنية والتقدمية العربية بتصريح بريجنيف « انه يمكن القول الان بكل تأكيد أن العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والاصدقاء العرب لم تكن من قبل أبدا بمثل ما هى عليه الان من العمق والشمول » • وربطت هذه الدوائر بين هذا التوضيح وبيـن توضيحات مماثلة للرئيس **أنور السـادات** ، باعتبارها جميعا رد على « دعايات التخريب » التى تروج لها الدوائر الرجعية واليمينية للدس بين شعبى البلدين وتشويه مواقف ومساعدات الاتحاد السوفيتى للشعوب العربية وخاصة فى مصر •

ومعروف أن بريجنيف قد أشار الى الاتفاقيـة الامريكية اليونانية الخاصة بقاعدة **بيريه** ، **والى** « المحاولات الوقحة » للتدخل فى شئون **قبرص** ، والى « الضغط السافر » الذى يمارسه **حلف الاطلنطى ضد مالطة** ، باعتبارها جميعا « مصدرا جديدا للتعقيدات » وان الاتحاد السوفيتى يتابع مع أصدقائه « هذه المؤامرات بيقظـة لكى نواجههـا بالرد اللازم خاصة أنها تقع فى منطقة تقع على أطراف الحدود الجنوبية للاسرة الاشتراكية » •

وتحدث بريجنيف عن **زيارة نيكسون للصين** ، على أساس « ان اعادة العلاقات بين البلدين الى

مجراها الطبيعي هو بلا شك أمر طيب » ولكنه أضاف أنه رغم التعدد الواسع فى الاراء والتكهنات حول هذه الزيارة فان الكلمة الحاسمة « للاعمال الحقيقية التى سيستخلص منها الاتحاد السوفيتى النتائج العملية المناسبة » .

وقد دعا الزعيم السوفيتى الى اقامة علاقات بين **الاتحاد السوفيتى والصين** . وقال «ان الممثلين الرسميين الصينيين يصرحون أمامنا بأن العلاقات بين بلدينا يجب أن تقوم على مبادىء التعايش السلمى ، واذا كانت حكومة بكين لا تقبل أكثر من هذا فى علاقاتها مع دولة اشتراكية ، فاننا على استعداد لتنمية العلاقات فى الوقت الحاضر على هذه الاسس أيضا » . ثم أضاف « اننا نترجم كلماتنا الى مقترحات ملموسة وبناءة تتعلق بعدم الاعتداء وعدم اللجوء الى القوة وبتسوية مشكلات الحدود وبتحسين العلاقات على أساس أكثر منفعة للطرفين » . ومن الجدير بالذكر أن وفدا سوفيتيا برئاسة **ليونيد اليشيف** نائب وزير الخـارجية السوفيتى ، قد وصل الى بكين فى أعقاب خطاب بريجنيف ، لاجراء محادثات لم يذع عن نتائجها شىء حتى مثول هذا التقرير للطبع .

وعن **العلاقات مع أمريكا** ، التى ستتضمنها المحادثات التى ستجرى فى **موسكو** فى أواخر الشهر القادم (٢٢ مايو) مع الرئيس الامريكى نيكسون ، أوضح بريجنيف ان تحسن العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أمر ممكن بل ومرغوب فيه « طالما كان ذلك لا يتم على حساب أى بلد ثالث ولا يضر بالحقوق والمصالح المشروعة لاى بلد » . ويعتقد المراقبون السياسيون ان فى ذلك « الالتزام المسبق » رد مباشر على مـا روجته له بعض الدوائر الرجعية عن احتمالات « المساومة على حساب الغير » فى محادثات موسكو ـ واشنطن المرتقبة .

ومن الملاحظ أن **الموقف فى آسيا** قد حظى باهتمام الزعيم السوفيتى فى خطابه . فقد أكد ان اتجاه واشنطن نحو « **فتنمة** » الحرب انما يهدف الى استبدال الزى العسكرى الامريكى البـالى بالزى العسكرى للجنود العـملاء . ولكن الخط السيـاسى يظل هو نفس الخط الامريكى » . ثم أضاف « ان الشعب السوفيتى يقف بكل قوته الى جانب شعوب الهند الصينية وأنه سيفى بواجبه الاممى حتى النهاية » . ثم أشار بريجنيف الى قيام « دولة مستقلة جديدة هى جمهورية بنجالاديش الشعبية » كنتيجة « للنضال التحررى لشعب شرق البنغال » . وقال ان تأييد بنجالاديش والتعاون معهـا « يصـدر عن السياسة المبدئية للحزب الشيوعى والدولة السوفيتية » . وفى نفس الوقت أشار الى أن الاتحاد السوفيتى « يريد أن يحتفظ بعلاقات طيبة مع باكستان التى لا يفصل بيننا وبينها أى منازعات أو تصادم فى المصالح » .

وفى مجال قضية **نزع السلاح** ، ذكر بريجنيف الخطوات التى قام بها الاتحاد السوفيتى باعتبارها « جزء هام من الخط السياسى السوفيتى السلمى المعادى للامبريالية فى العلاقات الدولية .

ويعكـف المسـئولون الامريكيـون على دراسة وتحليل خطاب بريجنيف الذى أعلن رأيه فى كل القضايا قبل زيارة نيكسون . ولعل ذلك ما يفسر ـ فى رأيهم ـ قول متحدث بلسان الخـارجية الامريكية « لقد قرأنا خطـاب بريجنيف باهتمام كبير » . والجدير بالذكر هنا أن **وليـام روجرز** وزير الخارجية الامريكية قد أوضح فى تصريح له أن واحدا من الاسباب التى قرر نيكسون من أجلها السفر الى موسكو ، هو « أن يحاول أن يوضح للسوفيت اننا لسنا لدينا نية خلق أية عداوات مع الاتحاد السوفيتى » .



■ **ايطاليا :**

الحصـان القوى فى سبـاق الانتخـابات الايطـاليـة

تجرى الانتخابات العـامة الايطالية يوم ٧ مايو القادم ، متقدمة عن موعدها بعـام كامل ، وذلك بعد أن تحطم ائتلاف أحزاب اليسـار والوسـط ـ الذى حكم البلاد زهاء عشر سـنوات ـ على صخور الازمات السياسية المتوالية ، والعجز عن اتخـاذ اجراءات جـذرية للتغيير الاقتصـادى والاجتماعى .

والاطراف المتصـارعة فى انتخـابات ايطاليا المقبلة تتمثل فى ٩ أحزاب سـياسية ، اثنان منها يوصـفان عادة بأنهما « **العمـلاقين** » ، وهما : **الحزب الشـيوعى الايطـالى** ـ أكبر الاحـزاب الشيوعية فى العالم غير الشـيوعى ـ **والحزب**

المسيحى الديموقراطى ، الذى يعانى من تناقض استناده على التأييد الدينى ، ورغبته فى الوقت نفسه فى ان يبدو مستقلا عن نفوذ الفاتيكان وتوجيهاته . أما الاحزاب الاخرى ، فيتقدمها حزب ذو وزن متوسط فى الحياة السياسية الايطالية ، هو **الحزب الاشتراكى الايطالى** ، وتليه احزاب صغيرة الحجم لا يتجاوز عرض قاعدتها الجماهيرية نسبة ١٠ ٪ من أصوات الناخبين . وهذه الاحزاب هى : حزب الاشتراكيين المنشقين على الحزب الاشتراكى الايطالى ، والحزب الراديكالى والحزب الجمهورى ، وحزب الملكيين ، وأخيرا **الحزب الفاشستى الجديد** ، [الذى يحمل رسميا اسم حزب الحركة الاجتماعية الايطالية] .

ورغم ان هذا الحزب الاخير يأتى فى ذيل قائمة الاحزاب السياسية فى ايطاليا ، من حيث الشعبية ، الا ان الدوائر المختلفة تبدى اهتماما كبيرا بنشاطه ، وتتوقع ان يقوم بدور له دوى خاص فى الانتخابات الايطالية القادمة ، بعد ان تمكن من تحقيق مكاسب لا يستهان بها فى الانتخابات البلدية فى العام الماضى .

ومن الامور الغريبة ، ان القانون الايطالى ينص على ان محاولة احياء الفاشستية جريمة يعاقب عليها ، ورغم ان الحزب الفاشستى الجديد لا يخفى نزعاته الحقيقية ، **الا ان الوضع السياسى فى ايطاليا ، وضعف الحكومات المتتالية وتأثيرات حلف الاطلنطى والولايات المتحدة — فى ظل هذا الوضع السيىء — قد سمحت بوجود هذا الحزب ونموه** ، الى حد أصبح يشكل الان خطرا لا يستهان به . وقد افتضحت أخيرا **حقيقة موقف حلف الاطلنطى من الحزب الفاشستى الجديد فى ايطاليا ، ودفاع الحزب أساسا عن ربط ايطاليا باستمرار بعجلة الحلف** ، عندما أعلن الادميرال **جينو بيرينديللى** ، الذى استقال فى الشهر الماضى من منصب قائد القوات البحرية لحلف الاطلنطى فى جنوب ايطاليا ، ترشيح نفسه لعضوية البرلمان الايطالى عن الحزب الفاشستى الجديد ، مؤيدا لحلف الاطلنطى » . **وكان بيرينديللى نفسه قد طرد من مالطة ، وطردت قيادته كلها منها ، على اثر تولى دوم منتوف رئاسة الحكومة فى الجزيرة فى العام الماضى** ، لما هو معروف عن بيرينديللى من ميول فاشستية واضحة ، ولما هو معروف من ارتباطاته الوثيقة بالعسكرية الامريكية ودورها فى أوروبا .

ويجدر بنا أن نشير الى ان **بيرينديللى ايضا هو نفسه الذى صرح لمراسلة اسرائيلية — قبل أيام من طرده من مالطة — بأنه لا ينصح اسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، لان وجودها فيها يخدم حلف الاطلنطى** ، على حين ان الحلف لن يستطيع ان يتدخل لمصلحة اسرائيل عسكريا بطريقة مباشرة . وهو يقف ضد حياد ايطاليا ، ويرى أنه « يؤدى الى دمار حلف الاطلنطى واوروبا والعالم المتحضر كله » .

والادميرال بيرينديللى فى النهاية ليس اكثر من نموذج واحد لزعامات الحزب الفاشستى الجديد وأفكارها وأهدافها بالنسبة لايطاليا ومنطقة البحر الابيض المتوسط وأوروبا . وقد اتضح ادراك القوى التقدمية ذات القواعد الجماهيرية العريضة فى ايطاليا ، لخطر نمو الحزب الفاشستى الجديد اثناء **المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى الايطالى** ، الذى عقد فى منتصف مارس الماضى . وكان أبرز تحذير من هذا الخطر ، ذلك الذى وجهه **لويجى لونجو** السكرتير العام للحزب الشيوعى الايطالى فى خطاب الوداع أمام المؤتمر ، الذى انتخب بعده رئيسا شرفيا للحزب ، وانتخب فى منصب السكرتير العام بعده **انريكو برلنجير** .. فقد دعا لونجو الى « **وحدة جميع القوى الشعبية الديموقراطية لمواجهة أية انتفاضة فاشستية** » ، وأعلن ان الفاشستية لا ينبغى ان تظهر من جديد فى ايطاليا .

والواقع ان الحزب الشيوعى الايطالى — الذى جاء مؤتمره العام قبل أقل من شهرين من موعد الانتخابات البرلمانية — **يعد القوة الاساسية التى تقود النضال ضد الفاشستية** والقوى الرجعية الاخرى ، التى تريد ان تظل جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الايطاليين داخل دوامة الاستغلال الرأسمالى ، ليس للرأسمالية الايطالية وحدها ، وانما للاحتكارات الرأسمالية الاوروبية الاوسع ، والاحتكارات الرأسمالية الامريكية الاضخم . وهى نفس القوى التى تسعى — فى مجال السياسة الخارجية — الى استمرار اخضاع ايطاليا لاهداف حلف الاطلنطى وقيادته العسكرية والسياسية الامريكية ، رغم كل ما أصاب ايطاليا من اضرار ، من جراء ارتباطها بعجلة هذا الحلف منذ قيامه ، ورغم افلاس كل الحكومات المتعاقبة التى التزمت به .

وقد أوضح الحزب الشيوعى الايطالى ، فى مؤتمره الاخير ، انه لا يهدف — والانتخابات العامة على الابواب — الى العودة لاسلوب الجبهة الشعبية ، فى دعوته الى تكاتف القوى اليسارية والتقدمية ضد الاخطار الداخلية والخارجية

المحدقة بايطاليا ، انما هو يعنى ان الموقف ككل ، يقتضى حدوث « تحول سياسى جوهرى فى التيارات الكاثوليكية ، من أجل التفاهم مع القوى الاشتراكية والشيوعية » ، مع تاكيد الاستقلال الذاتى للجميع ، والحفاظ على هذا الاستقلال .

والواقع ان الحزب يواجه تحديات ضخمة فى الظروف الراهنة ، لا تتمثل فى القوى الرجعية ، كالحزب الفاشستى الجديد فحسب ، بل تتمثل فى الانشقاقات الجزئية فى صفوف اليسار الايطالى ، الى حد ان احدى الجماعات المتطرفة المنشقة التى اطلقت على نفسها اسم « **جماعة البيان** » [**المانيفيستو**] ، قررت ان تخوض الانتخابات القادمة ، ليس ضد الاحزاب اليمينية ، وانما ضد الحزب الشيوعى الايطالى . وتمثل التحديات الراهنة أمام الحزب الشيوعى الايطالى ايضا ، مع اقتراب موعد الانتخابات العامة ، **فى انعكاسات الموقف الدولى ، وخاصة النزاع السوفيتى ــ الصينى على موقفه** . ولعل هذا هو الدافع الواضح وراء النداء الذى وجهه **انريكو برلنجير** السكرتير العام الجديد للحزب الشيوعى الايطالى الى الاتحاد السوفيتى والصين ، بأن تعيدا اقامة العلاقات الطبيعية بينهما ، وقوله ان الامر الجوهرى هو « **وحدة القوى المعادية للامبريالية** » **فى العالم** .

ان الاحتمالات الان ــ برغم كل التحديات والمصاعب الراهنة ــ تشير الى **أن الحزب الشيوعى الايطالى ــ الذى حصل فى الانتخابات الماضية عام ١٩٦٨ على أكثر من ٨ر٥ ملايين صوت ــ سوف يتمكن فى الانتخابات المقبلة من دعم مركزه فى البرلمان الايطالى ، ومن المتوقع ان يقود الحزب الشيوعى ائتلافا من اليساريين وحدهم ، يشكل الحكومة فى ايطاليا بعد عشرات من التجارب الفاشلة من حكومات « اليسار الوسط »** . فالحزب ، حتى فى تقدير المراقبين الغربيين « **أقوى الاحصنة فى سباق الانتخابات الايطالية** » .

وعلى الجانب الاخر ، فان الحزب المسيحى الديموقراطى ، يخوض الانتخابات هذه المرة منقسما على نفسه ، بدرجة خطيرة ، لم تحدث طوال العشرين عاما الماضية ، حيث تؤيد بعض جماعاته محاولة الدخول فى « **اتفاق انتخابى** » ، حتى مع الحزب الشيوعى ، بينما ترى جماعاته اليمينية المتطرفة ، عقد مثل هذا الاتفاق مع الحزب الفاشستى الجديد !

وفى النهاية ، فان العوامل التى ستحدد اتجاه الناخبين الايطاليين ، انما تتمثل فى المشاكل الاساسية التى تعانى منها ايطاليا : البطالة والانكماش الاقتصادى ، قانون الطلاق ، وطلب تغيير البرامج التعليمية فى المدارس والجامعات ، فان هذه العوامل تشكل الخلفية الاساسية فى ذهن الناخبين الايطاليين **فى لحظة البحث عن حكومة قوية وقادرة على التغيير** .

☐

■ الهند :

انتخابات ما بعد الحرب

اتجهت كل الاراء تقريبا الى تفسير فوز حزب المؤتمر الهندى بزعامة انديرا غاندى باغلبية ساحقة فى انتخابات الولايات بأنه رد فعل لما حققته سياسة حكومة انديرا غاندى فى قضية بنجالاديش ، بجانبيها العسكرى ـ الذى يتمثل فى الانتصار الحاسم والسريع على باكستان ـ والسياسى الذى يتمثل فى قيام دولة بنجالاديش نفسها حليفا وصديقا للهند محل « باكستان الشرقية » .

ورغم الاجماع على هذا التفسير الا أن بعض المراقبين يرون أن الناخب ـ بطبيعة عملية الانتخاب نفسها ـ يبحث عما هو آت بالدرجة الاولى . ومن هنا فلا يمكن ان يعزى نجاح حزب المؤتمر الهندى الى معركة بنجالاديش وحدها . وانما يجب البحث عن عوامل هذا النجاح ومداه فى برنامج حزب انديرا غاندى أساسا . فان الاهداف الاقتصادية والاجتماعية فى هذا البرنامج هى المحرك الاساسى للناخب الهندى فى الوقت الحاضر . وبايجاز فان اهتمام الجماهير الهندية ـ كما عبرت عنه نتائج هذه الانتخابات موجه بالضرورة الى ما سيكون أكثر منه بما كان .

وبهذا المعنى فان نجاح انديرا غاندى فى دعم مركزها السياسى واتجاهها فى معالجة المشاكل الهندية هو فى انتخابات الولايات الهندية امتداد للنجاح الذى حققته فى انتخابات البرلمان الهندى (الاتحادى) منذ عام ولم تكن بعد قد حققت ما انتهت اليه معركة بنجالاديش . ففى نتائج المعركتين الانتخابيتين وقف الناخب الهندى الى جانب انديرا غاندى ضد المعارضة اليمينية التى تقف ضد

التغيير الاقتصادى الإجتماعى وتعرقل الاتجاه نحو حمايةمصالح الفقراءمنالعمال والفلاحين الهنود ضد طبقات الاقطاعيين والنبلاءوالامراءالقدامىوكل فئات الاغنياء . لقد أعطى الناخبون أصواتهم لبرنامج الاصلاح الزراعى ولقوانين الغاء امتيازات الامراء وبرنامج تطهير صفوف الحكومة ـ وحزب المؤتمر نفسه ـ من العناصر التى ترعى مصالح الاغنياء وتريد أن تفرض على الحكومةوالمؤتمر سياسة محافظة مشلولة الحركة .

ومما لا شك فيه أن حزب المؤتمر وحكومة انديرا غاندى يواجهان الان مسئوليات مضاعفة ازاء مشكلات الهند الاقتصادية بعد اعباء لاجئى بنجلاديش ثم اعباء القتال فى ديسمبر الماضى ، والضغوط الاقتصادية التى مارستها الولايات المتحدة بسبب معارضتها لموقف الهند من بنجلاديش وحصول حزب المؤتمر على الاغلبيات الكبيرة فى الولايات الهندية ـ وبينها ولايات لم يكن له فيها نفوذ فى الماضى القريب على الاقل ـ يعطى فرصة حقيقية لتشكيل حكومات قوية ملتزمة ببرنامج الحزب الاقتصادى والاجتماعى ، حكومات قادرة على مواجهة تشبث الاغنياء بامتيازاتهم الضخمةالتى تعد من مخلفات المجتمعات القديمة . واذا كانت الاحزاب اليمينية التى تمثل مصالح الاقطاعيين والاغنياء فى الولايات قد منيت بهزائم « مهينة » فى الانتخابات الاخيرة فان هذا لا يعنى ان الطبقات والفئات التى تمثلها زعامات هذه الاحزاب قد أصبحت فى حالة استسلام امام حزب المؤتمر وحكومته المركزية وحكوماته الاقليمية ، وانما يكاد يكون من المؤكد ان تعمد كل العناصر المنهزمة الى خلق المشاكل واقامة العقبات أمام التغيير الاقتصادى والاجتماعى المطلوب . ولن يتردد بعض هذه الاحزاب اليمينية ـ وهو ما حدث فعلا اثناء الحملة الانتخابية الاخيرة ـ فى اتباع اسلوب المزايدة فى قضايا مثل الحرب والحكم الذاتى لبعض الولايات .

لقد تمكنت انديرا غاندى خلال الفترة الاخيرة ـ منذ انشقاق الجناح اليمينى المحافظ الممثل لمصالح الاغنياء عن الحزب فى عام ١٩٦٩ ـ من تحقيق عدد من المكاسب الهامة للجماهير فى مقدمتها تأميم البنوك الخاصة التى كانت خاضعة لسيطرة الاحتكارات الداخلية أو الخارجية ، وتأميم شركات التأمين واعطاء الحكومة سلطة مصادرة الممتلكات الخاصة دون دفع تعويضات تحقيقا للمصلحة العامة وتحقيق أكبر أرقام للانتاج الزراعى وخاصة فى المواد الغذائية بشكل استطاعت معه الهند الاستغناء عن وارداتها من هذه السلع من الولايات المتحدة خلال العام الماضى ، وتوفير مبالغ ضخمة من العملات الاجنبية التى كانت تدفع لها .

والان ـ بعد انتخابات الولايات الاخيرة فان حكومة انديرا غاندى تضمن قدرا أكبر من التعاون والالتزامات من جانب حكومات الولايات ، وهو أمر يمكنها من المضى فى تنفيذ اهدافها التى وصفها البرنامج الانتخابى لحزب المؤتمر بأنها « استكمال الثورة الاجتماعية بالوسائل الديمقراطية » .

■

تقرير خاص

الانشقاق الثالث فى الجبهة الشعبية

فى السادس من مارس الماضى ، أصدر الجناح الذى يصف نفسه باليسارية ، بيانا أعلن فيه انشقاقه عن **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين** . وبهذا البيان يخرج الى العلن خلافا ظل قائما فى الجبهة منذ مايقرب من عامين . وقد جاء هذا الانقسام عقب اجتماع عقده هذا التيار من ٤ ـ ٧ فبراير الماضى ، وأقر فيه « **استقلال اليسار عن اليمين تنظيميا وايديولوجيا** » على حد تعبير البيان الذى نشرته قيادة اليسار فى الجبهة الشعبية .

وقد جاء اعلان « اليسار » لاستقلاله فى نفس اليوم الذى عقدت فيه **الجبهة الشعبية** مؤتمرها الوطنى الثالث ، فى **مخيم البداوى** للاجئين بشمال لبنان ، والذى استمر أربعة أيام .

ومن المعروف أن **الجبهة الشعبية** كانت قد تأسست فى نوفمبر ١٩٦٧ ، من ثلاث منظمات هى : جبهة تحرير فلسطين الذى يقودها **احمدجبريل**،

ومنظمة **أبطال العودة** الذى يقودها **فايز جابر** ، والجناح الفلسطينى من حركة **القوميين العرب** والمعروف باسم **شباب الثأر** .

وفى صيف ١٩٦٨ انشق **أحمد جبريل** بمنظمته ، مختارا لها اسم **الجبهة الشعبية ــ القيادة العامة** • وفى فبراير ١٩٦٩ انشق **نايف حواتمة** على رأس مجموعة يسارية من **القوميين العرب** : معلنا قيام **الجبهة الشعبية الديمقراطية** • كما وقعت محاولة انشقاق ثالثة فى صيف ١٩٧٠ ، قادها **أبو رأفت** ، المسؤول العسكرى للقطاع الجنوبى فى الاردن آنذاك ، الا ان المحاولة باءت بالفشل •

وقد وصف بيان الانشقاق مؤتمر الجبهة بأنه « لا يمثل الواقع العملى لتواجد القوى الثورية داخل الجبهة •• ويشكل مظاهرة يمينية فاضحة تحاول تركيع اليسار وتصفيته وفرض استمرار القيادات اليمينية على الجبهة » • وأشار بيان « اليسار » الى أن قيادات وقواعد الجبهة كانت قد « طالبت بتأجيل المؤتمر وطرح وجهات النظر المختلف عليها والاحتكام الى القواعد » • الا ان « اليمين أصر على عقد اجتماعه وبذلك شكل خرقا صارخا لارادة قواعد الجبهة وكوادرها » وأدان البيان مؤتمر « اليمين » ، وأعلن مقاطعة « اليسار » له ، وعدم اعترافه بشرعيته ورفض التزامه بقراراته . ودعا البيان فروع الجبهة الى استنكار المؤتمر المذكور •

وكان الغموض قد اكتنف موقف **جورج حبش** ازاء الانشقاق ، خاصة بعد اشتراكه فى مؤتمرى « **اليسار** » و « **اليمين** » على السواء •ومع ما عرف عنه من مسايرة التيارين المتصارعين داخل الجبهة •

الا أنه فى اليوم التالى لصدور بيان الانشقاق بدد **جورج حبش** هذا الغموض حين أصدر تصريحا صحفيا مكتوبا أوضح فيه أن ممثلى قيادة فرع **الجبهة الشعبية فى سوريا** وعنصرين من **القيادة السياسية** للجبهة قد تغيبوا عن المؤتمر • وأكد أن الجبهة ستواجه « الظروف الموضوعية والذاتية الصعبة التى تمر بها حركة المقاومة **برؤية علمية بعيدة عن النهج اليمينى المتحجر من ناحية والانتهازية اليسارية من ناحية اخرى** » •

وقد صرح ناطق بلسان **حزب العمل الاشتراكى العربى** : والذى يتولى أمانته العامة **جورج حبش** ، بأن « ظاهرة الصراعات التى عاشتها الجبهة طغى عليها السلوك اللامسئول للعناصر المصابة بمرض اليسارية الطفولى » وأشار الناطق الى « الدوافع المشبوهة والنوازع الذاتية الانتهازية التى تحركها » . وأوضح ان ظاهرة الخلافات فى الرأى داخل الجبهة « **ظاهرة طبيعية** فى منظمة برجوازية صغيرة تخوض النضال الثورى فى ظروف الهجمة اليمينية الامبريالية الصهيونية الصعبة » •

وانتهى **حزب العمل** الى ادانة الانشقاق « مهما كانت دوافعه » هذا فى الوقت الذى أعلن فيه ناطق باسم قيادة فرع لبنان **لحزب العمل الإشتراكى العربى** ، تأييده للقيادة اليسارية للجبهة وبادانته لتصريح الناطق بلسان الحزب • ويجىء هذا الانقسام فى حزب العمل ، نتيجة تركيب هذا الحزب ، الذى كان قد نشأ قبل اكثر من عام ، من جناحين فى **الجبهة الشعبية** « اليسارى » الذى انشق أخيرا ، و « الوسط » الذى يقوده **جورج حبش** •

وفى نفس اليوم أصدرت « **اللجنة المركزية للجبهة الشعبية ــ فرع سوريا** » ، و « **مقاتلى الجبهة الشعبية ــ قواعد الجولان** » **وفرع** « **الجبهة الشعبية** » **فى معسكر نهر البارد بلبنان** و « **القطاع العسكرى للجبهة الشعبية فى لبنان** » و « **اللجنة التنظيمية للجبهة الشعبية فى الاردن** » و « **التنظيم الطلابى للجبهة الشعبية فى لبنان** » بيانات مقتضبة أعلنوا فيها تأييدهم المطلق للقيادة المنشقة •

وفى « الدستور » الذى أصدرته قيادة اليسار ، اشارة الى أن انشقاق **الجبهة الديمقراطية** قد أوجد فراغا تنظيميا وقياديا داخل الجبهة عبىء بالقيادات اليمينية » •

ويرى دستور يسار الجبهة أن عمليات خطف الطائرات تولد « انطباعا خاطئا فى الخارج ، وتطمس الاهداف الحقيقية للجبهة وطبيعتها اليسارية ، وبالتالى فأن هذه العمليات ، اعلاميا ، كانت تخدم اليمين وأفكاره » . واوضح البيان ان يسار الجبهة كان قد تصدى لهذه العمليات بالمعارضة الشديدة ، وذلك فى اجتماع **اللجنة المركزية للجبهة الشعبية** ، المنعقد فى ٥ نوفمبر ١٩٧١ ، لكن اللجنة المذكورة خرجت بقرار وسطى يقضى بوقف خطف الطائرات فى هذه المرحلة .

ثم ينتقل الدستور الى حركة المقاومة ، فيصف قيادتها بأنها « برجوازية صغيرة ، تسير فى الخط

الذى تسير عليه الانظمة العربية ، وتساعد ، بالتالى ، على تنفيذ التسوية السلمية ، وتصفية العمل الفدائى !! ويصل يسار الجبهة الشعبية من ذلك الى معارضة « **ادماج كل المنظمات الفدائية** » **وينادى بالابقاء فعليا على ظاهرة الكفاح المسلح ، وخلق أوضاع عربية ثورية** « لان من الاخطاء الاساسية لحركة المقاومة نظرتها الى تحرير فلسطين فى شكل معزول ومنفصل عن الاوضاع العربية المحيطة بها » . ويطالب اليسار فى دستوره **بالتصدى لكل المشاريع التصفوية والحلول السلمية** . كما يطالب بالعمل **لاسقاط النظام الاردنى . أما الامر الغريب غير المفهوم فهو مهاجمة دستور اليسار للاتحاد السوفيتى ، بحجة تأييده للحل السلمى!!**

وفى العاشر من مارس عقدت القيادة اليسارية مؤتمرا صحفيا فى مكتبها ببيروت . عرضت فيه مراحل الصراع الدائر فى الجبهة . وأظهر البيان الذى تلاه **سالم دردونة** ، القائد العسكرى للجبهة الشعبية فى جنوب لبنان ، ان الصراع بين اليمين واليسار فى الجبهة قد تركز بشكل أساسى حول الموقف من **الوحدة الوطنية** « حيث أن سياسة اليمين تجسدت فى مجموعة من المواقف الذاتية انطلاقا من الصراع الشخصى اللامبدئى مع التنظيمات الرئيسية الاخرى » فى حين « انتهج اليسار سياسة تقوم على الدعوة الى انشاء تحالفات وطيدة مع القوى اليسارية والتقدمية وكل الفصائل الوطنية والشريفة » . أما القضية الثانية التى تركز حولها الصراع **فكان الموقف من النظام الاردنى** ، فبالرغم من اعلان اليمين « حرية اللفظية والمتوترة داخل اجتماعات القيادة السياسية على السلطة الرجعية ، الا أنه كان يتصدى بعنف لاى عملية تعبئة وتحريض منظمة تهدف الى تعرية النظام الرجعى العميل متذرعا بحجة أن الوقت لم يحن بعد لمواجهته » . **أما خطف الطائرات** فكان الموقف الثالث الذى تركز حوله الصراع داخل الجبهة . اذ يرى الجناح اليسارى أن الضجة التى خلقتها عملية خطف الطائرات فى سبتمبر ١٩٧٠ ، محليا وعربيا وعالميا ، ساعدت فى خلق الظروف السياسية المناسبة للنظام الرجعى لتنظيم مذابح سبتمبر ١٩٧٠ المعروفة **ويؤكد دردونه أن الموقف من الانظمة البرجوازية الصغيرة** وحركة التحرر الوطنى العربية كان ، أيضا ، مثار خلاف بين التيارين المتصارعين .

وانهى **سالم دردونة** بيانه مؤكدا أن « وحدة الجبهة عندما تكون ثمنا لقدرتها على ان تلعب دورا متناسبا مع متطلبات المرحلة والمهام التى تطرحها فان هذه الوحدة لن تكون هى الامر الاهم ، انما انقاذ الثورة يصبح هو الامر الاكثر اهمية » ويشير بيان القيادة اليسارية الى ان اليمين وضع يسار الجبهة الشعبية أمام خيارين « اما الاستسلام لسياسته وبالتالى انتظار المزيد من الهزائم ، واما التمرد على هذه السياسة . ولقد اخترنا طريق الاستقلال الكامل عن اليمين سياسيا وتنظيميا وأيديولوجيا والعمل تحت اسم (**الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين**) » .

وقد سيطر موضوع « انشقاق اليسار » على جو المؤتمر الوطنى الثالث للجبهة الشعبية . وقد طرحت فى المؤتمر وثيقتين تضمنتا أسس الخلاف ووجهات نظر الطرفين . قدم الاولى **جورج حبش** وهى دراسة « **حول الازمة التنظيمية فى الجبهة** » فى حين عارضها الجناح اليسارى بدراسة عن « **أزمة المقاومة** » .

ويعيد **جورج حبش** الازمة التنظيمية للجبهة الى خمسة عشر سببا ، أهمها مايسميه «**بالظاهرة اليسارية**» وفى رأيه انها متأثرة بنشأتها البرجوازية ، وبترسيبات معينة ، كما انها متأثرة بطبيعة البيئة التنظيمية التى لم توفر لها الدعاية القيادية اللازمة ، بل مارست تجاهها موقفا متشنجا يلتقط أخطاءها ويحاكمها من خلال هذه الاخطاء . ولذلك **لا يمكن اعتبارها يسارا مكتملا** . ويرى حبش أن أبرز وأهم خطر للظاهرة اليسارية ، يتعلق بالجانب التنظيمى ومسألة تحول هذه الظاهرة الى حزب . أما خطؤها الاساسى ، فهو فى عدم تنبهها الكافى لخطورة المراهقة اليسارية والنزعة الانتهازية اليسارية ، وبالتالى عدم تصديها بالاجراءات التنظيمية لمثل هذه الظاهرة » .

ويرى اليساريون فى دراستهم المقدمة الى المؤتمر « أن أزمة الجبهة الشعبية ناتجة عن الصراع بين وجهتى نظر داخل الجبهة حول فهم المرحلة الجديدة وطبيعة مستلزماتها . وجهة نظر تقول أن سلسلة التطورات التى قادت الى النتائج انتهت ، وان تجاوز هذا المأزق مرهون بمدى التغييرات التى يمكن احداثها فى تركيب وتكوين المقاومة الراهن . ووجهة نظر اخرى تقر بأن النتائج التى انتهت اليها المقاومة كانت نتائج حتمية ومنطقية الا أنها لدى معالجة أزمة الجبهة الحالية ، ولدى اقتراح الحلول ، تغفل الاهمية التى تحتلها هذه التطورات » .

وتقول نشرة « **الشرارة** » التى يسيطر عليها

يساريو الجبهة فى فرع لبنان ، فى مقال لها بعنوان « اليمين واليسار فى الجبهة الشعبية ، ان يمين الجبهة « يحاول ان يبتر أية محاولة لدفع التنظيم وأية خطوة الى الامام مهما تكن متواضعة . باستهتاره وعبثه وهزئه بالنظرية الثورية »، وتتهم النشرة اليمين بحجب « المخصصات عن المقاتلين » .

وفى ١٢ مارس نشرت صحيفة النهار اللبنانية حديثا صحفيا لمسئول كبير فى الجبهة الشعبية، على حد وصف الصحيفة ، أرجع فيه الانشقاق الى « شعور الذين اختاروا الانشقاق بأنهم يريدون ان يبدأوا من جديد » . واتهم المسئول دولة عربية وتنظيما فدائيا بتشجيع هذا الانشقاق . ونفى المسئول ـ الذى يرجح ان يكون غسان كنفانى رئيس تحرير صحيفة الهدف ـ عن المنشقين صفة اليسارية واضاف « وكنا نفضل لو أنهم بقوا داخل الجبهة الشعبية وعملوا من الداخل من أجل تحويل الجبهة الى منظمة أكثر يسارية ، ومن أجل القضاء على بعض الجيوب اليمينية فيها . وكنا نفضل لو أنهم تقدموا ببرنامج معين وطرحوه على المناقشة فى المؤتمر الوطنى الثالث » . وأكد أن الجبهة تتحول الى حزب ماركسى . واعتبر قطب الجبهة خطف الطائرات « تكتيكا نضاليا لا استراتيجية أساسية ... والانشقاقات فى الاحزاب لاتتم حول قضايا تكتيكية ، بل حول خطة استراتيجية ».وأكد أن الجبهة ترفض دمج المنظمات الفدائية وتطالب « بجبهة تضم كل قوى اليسار فى حركة المقاومة » . ونفى أن تكون الجبهة الشعبية تعتمد أسلوب الانقلابات العسكرية ، وأن كانت الجبهة « ليست ضد تفتيت المؤسسات العسكريةفى الانظمة الرجعية » . وعن الانظمة التقدمية العربية قال « اننا نعتبر هذه الانظمة غير تقدمية ، بل برجوازية صغيرة .. آخذة فى التحول الى أنظمة رجعية » .

وفى الرابع عشر من الشهر نفسه عقد جورج حبش مؤتمرا صحفيا فى بيروت شن فيه هجوما عنيفا على المنشقين . ونفى حبش أن تكون الجبهة الشعبية هى التى خطفت طائرة الجامبو الالمانية فى فبراير الماضى الى عدن . كما استعرض نتائج مؤتمر الجبهة الاخير ، والذى كان قد أعيد فيه انتخابه أمينا عاما للجبهة ، بالاجماع .

وقد أكد كمال ناصر ، المتحدث الرسمى بلسان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، حياد المنظمة حيال الازمة . واشار الى ان ما يحدث داخل الجبهة يجرى وفقا لقواعد الديمقراطية . وحذر من الانزلاق الى أعمال العنف .

أما الجبهة الديمقراطية ، فقد كذبت فى بيان اصدرته مساء ٨ مارس ، ما أذيع من أنها حرضت على الانقسام . وأكدت انها تعتبر الازمة « من المسائل الداخلية للجبهة الشعبية » . ومما تجدر الاشارة اليه ان النشرة الاعلامية للجبهة الديمقراطية كانت قد نشرت بيان الانشقاق فى حينه .

عبد القادر ياسين

■

تقرير خاص

مؤامرة أطلنطية جديدة للقضاء على استقلال قبرص

تطورت الاحداث بسرعة خلال الايام الماضية فى جزيرة قبرص بعد الانذار الذى قدمته حكومة اليونان فى منتصف الشهر الماضى الى الاسقف مكاريوس على يد سفيرها فى نيقوسيا قسطنطين بنايوتاكوس ، وقد جاء الانذار اليونانى فى شكل مذكرة تهديد تأمر الرئيس القبرصى باسم « أثينا » بتجريد شرطته ومؤيديه من السلاح وتشكيل حكومة اتحادوطنى ..هكذا بدات الازمة الجديدة فى قبرص ، ليس بين اليونانيين والاتراك كالازمات السابقة ، ولكن بين نظام الحكم العسكرى فى أثينا وبين الرئيس الاسقف مكاريوس الذى تؤيده جموع الشعب فى قبرص .

واتهمت مذكرة الحكومة اليونانية الاسقف مكاريوس بانهاستورد ـ بطريقة غيرمشروعة ـ كمية كبيرة من الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا ، معرضا بذلك سلامة الجزيرة للخطر ، واتهم الرئيس القبرصى أيضا بأنه رفض تسليم الاسلحة للحرس الوطنى (وهو تحت اشراف أثينا) . ومع

طلب المذكرة الرغبة فى تشكيل حكومة اتحاد وطنى ، الا أنها اشترطت استبعاد اليسار منها (نال ٤٢فى المائة من الاصوات فى الانتخابات الماضية) والاشتراكيين واغلبية الديمقراطيين الذين لا يشكلون قسما من « العالم الوطنى » الذى ورد ذكره صراحة ٠

وتطورت الاحداث بعد ذلك بسرعة مذهلة فى الجزيرة الصغيرة ، ففى نفس الاسبوع طالب أساقفة الكنيسة اليونانية الارثوذكسية ، فى المجمع المقدس الذى عقد فى نيقوسيا الاسقف مكاريوس بالاستقالة من منصبه ، وملأت المظاهرات الشوارع تعلن تأييدها للرئيس القبرصى وتهتف بسقوط المؤامرة الجديدة التى تحركها فىالظلام الولايات المتحدة الامريكية ومن ورائهـا حلف الاطلنطى ، واتضحت خيوط المؤامرة أكثر بعد الاتفاقية الاخيرة بين أمريكا واليونان الخاصة بتسليم ميناء بيريه اليونانى لامريكا لكى تستخدمه كقاعدة دائمة لسفن الاسطول السادس ٠ وبعدها بأيام يصرح رئيس وزراء تركيا « **الحكومة العسكرية الاخرى والعضو فى حلف الاطلنطى** » لوكالة الاسوشيتدبرس انهبامكان السفنالحربية التابعة للاسطول الامريكى السادس والمتجولة فى البحر الابيض المتوسط أن ترسو مستقبلا فى الموانى التركية !

ان الموانى التركية التى اعلن رئيس الوزراء التركى فتحها من جديد لسفن الاسطول الامريكى السادس كانت مغلقة منذ سنتين بفضل المظاهرات الضخمة المعادية لامريكا فى كل من اسطنبول وأزمير ، ولكنها فتحت الان كنتيجة لاستخدام أساليب القمع التى تم اجراؤها ضد القوى الديمقراطية فى البلاد ٠

ويظهر التواطؤ التركى اليونانى من أجل القضاء على استقلال الجزيرة وتقسيمها فى حديث جورج بابا دوبولس رئيس الحكومة العسكرية فى اليونان لصحيفة « ويليات » التركية والذى أجراه معه السيد توكر ــ صهر عصمت اينونو ــ فى شهر يونية الماضى وقد أكد فيه رئيس الحكومة اليونانية أن الشىء الاساسى ليس قبرص بل الصداقة والتحالف بين اليونان وتركيا ، وان القضية القبرصية يجب أن تجد حلا فى نطاق الحوار بين أثينا وأنقرة ، وأنه مستعد لفرض ارادته على نيقوسيا ، وبالقوة عند الحاجة ٠٠

ويتأكد التعاون التركى اليونانى بعد ذلك فى



الاسقف مكاريوس

اجتماع مجلس وزراء حلف الاطلنطى فى لشبونة فى شهر يونية الماضى أيضا ، فقد نوقشت مشكلة قبرص بالتفصيل ، وبدا نوع من التلاقى بين الحكومتين التركية واليونانية ، هدفه فى النهاية تلافى الخلافات بين تركيا واليونان التى تضعف الجناح الجنوبى الشرقى لحلف الاطلنطى ، وبغض النظر عن تقسيم الجزيرة أو وحدتها ، دون أى اعتبار لرأى جماهير الشعب فى قبرص ٠ وهنا ظهرت معارضة الرئيس مكاريوس لموقف الحكومتين العسكريتين وأعلن رأيه أثناء زيارته للاتحاد السوفيتى والتى جاءت فى نفس الفترة التى عقد فيها اجتماع مجلسوزراءالحلف،وأعلنت الحكومة السوفيتية تأييدها لموقف مكاريوس ، ومعارضتها ضد أى محاولة أجنبية لفرض حل على قبرص ٠

ويتضح دور اليونان اكثر فى المؤامرة ، ومن خلال اصرارها على تشكيل حكومة « وحدة وطنية » فالهدف من وراء ذلك ــ كما ذكرت مجلة فيوسنيتسمان البريطانية فى الاسبوع الماضى ــ هو انه يتعين على مكاريوس ان يعطى نصيبا فى الحكومة للعناصر الشديدة الولاء لجريفاس ــ الذى وصل الى قبرص منذ شهر سبتمبر الماضى ويعيش متخفيا فى الجزيرة ــ ولماذا يستبعد من هذه الحكومة ممثلى الحزب الشيوعى القبرصى

الذى حصل على ٣٥ فى المائة من الاصوات فى الانتخابات الاخيرة • وحتى فكرة الاتحاد مع اليونان «اينوسيس» وهى حلم جريفاس واعوانه فى الجزيرة الذين لا يتجاوز عددهم ٣ فى المائة من القبارصة اليونانيين ، هذه الفكرة لا تجد الان اى صدى من مختلف جموع الشعب القبرصى خاصة بعد اتخاذ حكومة اليونان العسكرية مواقفها العدائية تجاه العناصر الوطنية والتنكيل بأى معارض لسياستها ، وتختتم المجلة البريطانية تعليقها بتساؤل : من يميل طواعية الى الانضمام لحكم ديكتاتورى ؟

وحتى لو كان الانضمام مع اليونان قضية شعبية ، فانه لم يعد اقتراحا عمليا منذ فترة طويلة ، اذ عند اول اجراء بتنفيذه ستتحرك الاقلية التركية فى الجزيرة لمنع قيام مثل هذا الاتحاد ، فالقبارصة الاتراك الذين وصل عددهم حوالى ١٢٠ ألفا (مجموع تعداد الجزيرة يزيد عن ٦٠٠ ألف) لا يريدون أن يصبحوا أقلية داخل أقلية عندما تصبح قبرص خاضعة لحكم اثينا ، ومن جهة اخرى لن يسمح الرئيس مكاريوس لنفسه أن يصبح حاكما اقليميا لمقاطعة يونانية ، بالاضافة الى سياسة عدم الانحياز والبعد عن الاحلاف التى ينتهجها منذ توليه الحكم فى صيف عام ١٩٦٠ ، كل ذلك سوف ينتهى فى حالة انضمام قبرص الى اليونان ، فستتحول الى جزء صغير من حلف الاطلنطى •

أما وصول جريفاس الغامض الى الجزيرة ، فهو حلقة اخرى من حلقات المؤامرة الاطلنطية للقضاء على استقلال الجزيرة وتقسيمها طبقا للمخطط الامريكى ، فالسرية التى تحيط بوجوده ، رغم مايشاع أن بابادوبولوس رئيس وزراء اليونان يعرف مكانه وكذلك الاسقف مكاريوس وقد كتبت بعض الصحف القبرصية بأنه يقيم فى ثكنات الضباط اليونانيين فى الجزيرة • والعمل الذى ينوى القيام به والذى لم يعلن للصحف عن حقيقته حتى الان يمكن أن يؤدى الى حرب أهلية اخرى بين القبارصة اليونانيين والاتراك ، وسيتبع ذلك دخول القوات التركية لمناصرة الاتراك فتستولى على جزء من الجزيرة ، وتدخل القوات اليونانية تحت ستار حماية اليونانيين ، فتستولى على جزء آخر من الجزيرة وتعلن كل من الحكومتين التركية واليونانية تمسكهما بضم الجزء الذى استولت عليه قواتها ، ويتم بعد ذلك الاتفاق بين حكومتى اثينا وأنقرة ، وتؤيد الولايات المتحدة ومن ورائها حلف الاطلنطى هذا الاتفاق الذى مهدت له وخططت له ، ثم تعلن بلا أدنى حرج بأنه اتفاق من أجل السلام !

ولكن هل سينجح تنفيذ مثل هذا المخطط بهذه السهولة ؟ • هنـاك اكثر من جهة ستقاوم بعنف تقسيم الجزيرة ، وفقدها لشخصيتها :

ـ فالرئيس مكاريوس سيرفض بلا شك أى مشروع يهدف الى تقسيم الجزيرة أو يمس وحدتها ، وجميع تصريحاته السابقة منذ توليه الحكم تعلن صراحة عن ذلك ، وهو على استعداد لتحدى اعدائه والوصول معهم الى اقصى مدى ، كما يعبر آخر تصريح أدلى به « فى سبيل حرية قبرص سأقبل المساعدة من أى مكان ، ومن أى نوع ، ولاى مدى متاح » •

ـ ان الحزب الشيوعى القبرصى الذى حصل على أكثر من ٣٥ فى المائة من الاصوات فى الانتخابات الاخيرة ، سيقاوم بعنف مشروع التقسيم ،خاصة أن الاحزاب الشيوعية ليستلها أى وجود قانونى فى كل من اليونان وتركيا ، بل أن الحكومتين جعلت من القضاء عليها هدفا اساسيا فى سياستها الداخلية • هذا بالاضافة الى القوى الوطنية الديمقراطية المتحالفة مع الحزب والمناهضة لفكرة الارتباط بالحكومات الرجعية الاستبدادية المتواطئة مع الامبريالية الامريكية •

ـ الموقف الدولى الراهن •• فتقسيم الجزيرة بين تركيا واليونان ، أو ضمها لليونان سيؤدى الى تقوية مركز حلف الاطلنطى فى البحر المتوسط ، ومن الطبيعى أن يقف الاتحاد السوفيتى معارضا لهذا الاتجاه تؤيده جميع الدول الاشتراكية والدول العربية التى تمتد على ساحل البحر المتوسط من المغرب الى لبنان ، والتى تكشفت لها حقيقة المخطط الامريكى فى المنطقة خاصة بعد عدوان ١٩٦٧ على الدول العربية ، ومساندتها لاسرائيل فى هذا العدوان •

ـ هناك ايضا دول عدم الانحياز ، التى لن تقبل تقسيم الجزيرة ، وفقدان عضويتها فى الامم المتحدة ، لان ذلك يعنى خروج جمهورية قبرص من مجموعة عدم الانحياز ، بعد أن اشتركت قبرص اشتراكا ايجابيا فى مؤتمرات دول عدم الانحياز الثلاثة فى بلجراد سنة ١٩٦١ ، والقاهرة سنة ١٩٦٤ ، ولوساكا سنة ١٩٧٠ •

مصطفى سامى

تساؤل حول سياسة الأسعار ؟

صرح الدكتور **عزيز صدقى** رئيس الوزراء فى الثانى من مارس الماضى ، بأنه ليست هناك اية زيادات فى الاسعار ، وانما على العكس ، سيتم تخفيض الاسعار كلما كان ذلك ممكنا .

وقد أكد السيد الدكتور **فؤاد مرسى** وزير التموين فى سلسلة متتالية من الاحاديث الصحفية والتليفزيونية — ان اتجاه الوزارة هو عدم رفع الاسعار ، وانما هناك عمل جاد لتخفيضها ، وأى سلعة لايكون فى الامكان تخفيض سعرها ، فسيظل سعرها ثابتا عند حده الحالى .

ولكن المستهلك المصرى فوجىء فى الاسابيع الماضية ، بأن أسعار الاقمشة قدارتفعت ، والامر المحير حقا ان القرارات التى اتخذت برفع أسعار الاقمشة كما علمنا قد اتخذت من قبل جميع شركات النسيج ، وأبلغت تليفونيا الى المؤسسات والشركات التجارية . وقامت هذه الشركات بدورها بتعديل أسعار جميع الاقمشة الموجودة لديها — رغم أن هذه الاقمشة التى رفعت أسعارها موجودة لدى هذه الشركات قبل ماقيل عن زيادة سعر تكلفتها المفاجىء ، هذه الزيادة التى اعطى تفسير لها بأنها لتغطية ماتحقق مؤخرا للعاملين كرفع الحد الادنى للاجور وتقرير طبيعة العمل .. الخ

والان نضع بين أيديكم بعض النماذج من الاقمشة التى ارتفعت أسعارها :

الصنف	التكلفة قبل التعديل	التكلفة بعد التعديل	البيع قبل التعديل	البيع بعد التعديل
	مليم جنيه	مليم جنيه	مليم جنيه	مليم جنيه
أصناف اسكو				
بوبلين ٣٤١	٢٤٠ر—	٢٦٠ر—	٢٨٠ر—	٣٠٦ر—
« ساده ٣٤٥	٢١٠ر—	٢٣٠ر—	٢٤٠ر—	٢٧٤ر—
« كاروه ٣٥٢	٢٤٠ر—	٢٦٠ر—	٢٨٠ر—	٣٠٦ر—
« محرر ٣٥٧	١٧٥ر—	٢٠٠ر—	٢٠٠ر—	٢٣٠ر—
كستور مضلع	٢٢٥ر—	٢٤٠ر—	٢٦٠ر—	٢٨٢ر—
زهره سادة	١٥٠ر—	١٦٠ر—	١٦٥ر—	١٧٨ر—
تيل اسود ٧٩٦	١٤٥ر—	١٦٠ر—	١٦٠ر—	١٧٨ر—
بوبلين مشجر ٨٠٦	١٧٠ر—	٢٠٠ر—	١٩٥ر—	٢٣٠ر—
تيل أسود ٨٠٦	١٦٠ر—	١٨٠ر—	١٧٩ر—	٢٠٧ر—
بوبلين مشجر ٨٢٣	٢١٥ر—	٢٣٠ر—	٢٤٢ر—	٢٧٤ر—
بركال مشجر	١٤٠ر—	١٦٠ر—	١٥٥ر—	١٧٨ر—
أصناف حلوان				
كستور فانلة	٢٢٠ر—	٢٣٠ر—	٢٦٢ر—	٢٧٤ر—
لبرك مطبوع ٨٠ سم	١٦٠ر—	١٧٥ر—	١٧٨ر—	٢٠١ر—
كريب قمصان سادة	٢٢٠ر—	٢٤٠ر—	٢٦٢ر—	٢٨٢ر—
بوبلن محرر سادة ٩٠ سم	٢٢٠ر—	٢٤٠ر—	٢٦٢ر—	٢٨٢ر—
« مطبوع لانجريه	٢٠٥ر—	٢٢٥ر—	٢٣٦ر—	٢٦٨ر—
كستور مضلع	٢٤٠ر—	٢٥٠ر—	٢٨٢ر—	٢٩٤ر—
للشركة الاهلية				
لبنوه لكسترا مطبوع الاهلية	٢٤٠ر—	٢٥٠ر—	٢٨٢ر—	٢٩٤ر—
كورد الاهلية مطبوع	١٧٥ر—	٢٠١ر—	١٨٥ر—	٢٩٣ر—
فوال مطبوع	١٣٣ر—	١٦٥ر—	١٤٨ر—	١٩٠ر—
فوال أبيض عريض	١٩٠ر—	٢٠٠ر—	٢١٦ر—	٢٣٠ر—
فوال أبيض كنز	١٣٠ر—	١٤٠ر—	١٤٤ر—	١٥٧ر—
كشمير أسود	١٦٠ر—	١٦٥ر—	١٧٨ر—	١٩٠ر—
بركال مطبوع الاهلية	١٤٠ر—	١٦٠ر—	١٥٦ر—	١٧٨ر—
بوبلين ٤٥ مقلم	١٦١ر—	١٦٥ر—	١٨٥ر—	١٩٠ر—
كستور فانلا الاهلية	٢٢٠ر—	٢٢٥ر—	٢٥٠ر—	٢٥٦ر—
لبرك ٣٦٠٠ مطبوع	١٣٥ر—	١٥٥ر—	١٥٠ر—	١٧٢ر—
بيكة زهرة الاهلية	٢١٠ر—	٢٢٠ر—	٢٤٢ر—	٢٥٢ر—
شركة السيوف				
جكار ٣٦٥ السيوف	١٦٠ر—	١٨٥ر—	١٧٨ر—	٢١٣ر—

اصـناف كفر الدوار	التكلفة قبل التعديل	التكلفة بعد التعديل	البيع قبل التعديل	البيع بعد التعديل
	مليم جنيه	مليم جنيه	مليم جنيه	مليم جنيه
١٢٨/١	٣٦٠ر—	٤٠٠ر—	٤٣٨ر—	٤٨٨ر—
١٢٨/٤	٣٧٠ر—	٤١٠ر—	٤٥٠ر—	٥٠٠ر—
٢٤٤/٦	٢٨٠ر—	٣٠٠ر—	٣٣٠ر—	٣٥٤ر—
٢٥١/٧	٢٧٠ر—	٣٠٠ر—	٣٢٤ر—	٣٥٤ر—
٣٢٢/٦ مطبوع	٢٩٠ر—	٣٠٠ر—	٣٤٢ر—	٣٥٤ر—
٣٣٦/٦ «	١٦٠ر—	١٦٥ر—	١٧٨ر—	١٩٠ر—
٣٥٩/ الوان حريمى	٢٣١ر—	٢٤٠ر—	٢٧١ر—	٢٨٣ر—
٣٥٩/ن الوان حريمى	٣٣٠ر—	٣٥١ر—	٣٩٠ر—	٤٢٦ر—
٣٩٦/١	٣٠٥ر—	٣٣٠ر—	٣٦٠ر—	٣٩٠ر—
٤٩٠/١	٢٧٠ر—	٣٠٠ر—	٣١٨ر—	٣٥٤ر—
٤٩١/٢	٢٤٥ر—	٢٧٠ر—	٢٨٨ر—	٣١٨ر—
٥٠٥/٣/٤	٢٥٠ر—	٢٨٠ر—	٢٩٤ر—	٣٣٠ر—
٥٥١/٨	٢٠٠ر—	٢١٠ر—	٢٣٠ر—	٢٤٣ر—
٦٧٠/٣	٢٨٠ر—	٣٠٠ر—	٣٣٠ر—	٣٥٤ر—
٦٧٠/ب	٢٠٠ر—	٢٣١ر—	٢٣٠ر—	٢٧١ر—
٦٧١/١	٢١٠ر—	٢٥٠ر—	٢٤٢ر—	٢٩٤ر—
٦٧١/٢	٢٥٥ر—	٢٨٥ر—	٣٠٠ر—	٣٣٦ر—
٦٧١/٤	٢١٠ر—	٢٥٠ر—	٢٤٢ر—	٢٩٤ر—
٦٧٥/١	٢٣١ر—	٢٥٠ر—	٢٧١ر—	٢٩٤ر—
٦٧٥/٣/٤	٢٣٥ر—	٢٥٠ر—	٢٧٦ر—	٢٩٤ر—
٦٧٦/١/٢	٢١٠ر—	٢٤٠ر—	٢٤٢ر—	٢٨٣ر—
٦٧٦/٣/٤/٥	٢٥٠ر—	٢٦٥ر—	٢٩٤ر—	٣١٢ر—
٧٢٠/٨	٢٤٠ر—	٢٥٠ر—	٢٨٣ر—	٢٩٤ر—
٧٣١/١	٢٦٥ر—	٢٨٥ر—	٣١٢ر—	٣٣٦ر—
٨٤٨/١	٢٨٠ر—	٢٩٠ر—	٣٣٠ر—	٣٤٢ر—
٨٤٨/٢	٢٤٥ر—	٢٦٥ر—	٢٨٨ر—	٣١٢ر—
٨٥٠/١/٢/٣	٢٤٥ر—	٢٦٥ر—	٢٨٨ر—	٣١٢ر—
٨٥٠/٧	١٤٥ر—	١٥٥ر—	١٦١ر—	١٧٢ر—
٨٠٤/٢	١٦٥ر—	١٧٥ر—	١٩٠ر—	٢٠١ر—
٨٠٤/٢	١٣٠ر—	١٤٠ر—	١٤٦ر—	١٥٧ر—
٨٠٤/٢	١٥٥ر—	١٦٠ر—	١٧٢ر—	١٧٨ر—

وهكـذا يحق للمستهلكين أن يبـدوا دهشتهم وتعجبهم ، فبينما كل اجهزةالاعلام تؤكد لهم كل صباح ومساء أن الاسـعار ستنخفض ، فاذا بهم ودون سابق انذار يفاجأون بالارتفـاع فى اسـعار كسائهم بهذه النسبة العالية .

على أية حال ، نأمل أن يعاد النظر فى هذا القرار طبقا للسياسة المعلنة .

عبد المنعم الغزالي

ننشر فى العدد القادم الجزء الاخير من :

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

« الموقف من البورجوازية الوطنية »

مناقشات مفتوحة

الطبقة الوسطى في مصر

تعليق احمد صادق سعد

على مقال د. رفعت السعيد :

اطلعت بمزيد من الاهتمام على المقال الممتاز الذى نشرته « الطليعة » للدكتور رفعت السعيد فى عدد مارس الماضى، وفى رأيى فعلا أن موضوع نمو القطاع الخاص بفئاته الاجتماعية المختلفة يستحق سلسلة من الدراسات الواقعية والاقتصادية والنظرية ، لانه يشكل عنصرا من العناصر الاساسية التى تتحدد على أساسها استراتيجية الثورة المصرية . وأود أن انتهز هذه الفرصة لابدى بعض الملاحظات السريعة فى هذا الشأن :

١ — درس الدكتور رفعت اتجاهات الصعود فى الطبقة الوسطى فى الظروف الحالية ، وهى اتجاهات موجودة بالفعل ، ولكنه لم يشر الى أن هناك أجزاء منها تهبط باستمرار الى مصف البورجوازية الصغيرة فى المدن والريف، لانها لا تستطيع مقاومة المنافسة ازاء الكبار ، وليست لها « الملاقات » الاجتماعية وغيرها التى تمكنها من الوصول الى موارد المال والخامات اللازمة .

٢ — فيما يختص بميدان الزراعة ، فعلينا أن نلاحظ النمو الضخم والسريع للزراعة الكثيفة ، زراعة الخضر والفواكه وتربية الدواجن الخ ، وهى زراعة رأسمالية من حيث مبالغ الاستثمارات والدورة السريعة للرأسمال . وهذه الانواع لا تحتاج الى مساحات كبيرة من الارض ، بل تكون الخمسين فدان قطعة كافية لجنى الارباح الطائلة . ولم تنفع حتى الان جميع المحاولات لفرض « تسعيرة ودية » على هذه المنتجات . وفى اعتقادى أن هذه النقطة هى المنبع الاساسى لنمو الطبقة الوسطى فى مصر فى الفترة الاخيرة بعد قوانين الاصلاح الزراعى ، خاصة وانها لا تواجه أى منافس لعدم وجود قطاع عام زراعى ذى ثقل حتى الان ، وان مشاريع انشاء الشركات الزراعية ذات الطابع الحكومى مازالت فى طور الهدف .

٣ — وأخيرا ، فهناك نقطة أساسية لم يلتفت اليها الدكتور رفعت السعيد ، وهى الفكرية السائدة بين العديد من أعضاء الاتحاد الاشتراكى والقائلة باستمرار « التوازن » بين القطاعين العام والخاص فى الاقتصاد المصرى، مما يدعوهم الى تأييد « الحماية » المستمرة للقطاع الخاص وبالتالى للطبقة الوسطى النامية . غير أن تجارب بلاد العالم الثالث وبلدان المعسكر

وقع خطأ مطبعى فى مقال « الطبقة الوسطى ودورها فى المجتمع المصرى » عند رصد ارقام الحصة النسبية للقطاع الخاص فى صناعة الغزل والنسيج من اجمالى الانتاج الصناعى .

وصحة الارقام هى :

عام ١٩٦٧/٦٦	٢٧٫٨ ٪
عام ١٩٦٨/٦٧	٢٣٫٩ ٪

الاشتراكي على اختلافها اثبتت بصورة حية ان ذلك التوازن وهم طيب لا يمكن أن يتحقق فى الحياة العصرية التى تتميز بالحركة المستمرة ، فلابد من أن ينمو أحدهما على حساب الاخر . فأما أن أن ينمو أحدهما على حساب الاخر . فأما ان ينمو القطاع العام ويتحول أكثر فأكثر الى قطاع اشتراكى من حيث ادارته واستناده الى التنظيم الجماهيرى والاشتراكى ، وفى هذه الحـالة يتقلص القطاع الخاص حتما ، وتستوعبه شيئا فشيئا التنظيمات الاقتصادية المشتركة بينه وبين الدولة أو التنظيمات التعـاونية الاشتراكية ، وهذا هو الطريق الى الاشـتراكية فى نهـاية الامر . وأما أن يترك القطاع الخاص ينمو رغم كل القيود ، فيمتص لصالحه ربحية المشـاريع العامة ، وهذا هو طريق التأميمات التى نفذتها بعض بلدان أوروبا الغربية ، كما انه كان الطريق الذى أدى فى بعض أقطار العالم الثالث الى الانقلاب على السير نحو الاشـتراكية وتحويل الدفة نحو التطور الرأسمالى مرة أخرى .

هذا من الناحية الاقتصادية البحتة . غير أن النتائج الفكرية والسياسـية لهذه التطورات من أشد الامور أهميـة فى الظروف المصيرية التى يجتازها وطننا الان ، واذا كنا لا ننكر المشـاعر الوطنية على الطبقة الوسطى المصرية بأكملها ، فليس من المصادفات الغريبة فى الوقت نفسـه أن تصدر اليوم من بين صفوفها الدعوة السافرة الى ايقـاف التطور الاشـتراكى ، والى تقييد الديمقراطية على الجماهير العاملة — فلاحين وعمالا وبورجوازية صغيرة ومثقفين — والى فتح ابواب « الاتصالات » مع الاستعمار الامريكى أو الالتقاء مع اسرائيل فى منتصف الطريق مع تضييق نطاق التعاون مع الاتحاد السوفيتى .



كتب خليل على حيدر من الكويت ،
تعليقـا على مقال فهمى هويدى عن :

التوسع الايرانى فى الخليج العربى

لقد حوى عددكم الاخير ، الصـادر فى مارس ١٩٧٢ ، عددا من المقالات والبحوث الجيدة ، عن أوضاع الخليج العربى ومشاكله ، كان من جملتها مقـال **فهمى هويدى** عن التوسـع الايرانى فى الخليج العربى ، أحببت هنـا — بصـفتى أحـد الكويتيين ذوى الاصـول الفارسية — أن أبين له بعض الامور ، التى ربما لم تسمح له الظروف بأن يطلع عليها ، وبعض الملاحظـات على ما أرى أنه قد جانبه التوفيق فى استيعابها ، آملا أن يتقبلها منى بصدر رحب ، وروح تقدمية حقيقية :

١ — يوجـد نوعان من الهجـرة الايرانية الى الخليج [أعنى دول وامـارات الخليج العربية] : جماعات هاجرت الى هذه المنـاطق منذ أكثر من قرن ، الى نصف قرن ، فرارا من الاوضاع الفقيرة والاقطاعية ، ولاسباب أخرى ، برغبتهـا ، وليس بناء على سياسة مرسومة مدبرة [اذ كانت تحدث هجرات عربية مماثلة للشاطىء الايرانى أيضا ، ولنفس الظروف] .. وهؤلاء لا يمكن بأى شـكل من الاشكال اعتبارهم ايرانيين ، لانهم — بحـكم طول مدة بقائهم فى الارض العربيـة ، وارتباطهم الاقتصادى بها ، وخضـوعهم لنفس التمـايزات الطبقية التى يتعرض لهـا اخوانهم ذوى الاصول العربية ، بالاضافة الى عشرات المؤثرات الاخرى ، ولكونهم يحملون الجنسـية العربية — لابـد من اعتبارهم جزءا من الشعب العربى فى الخليج ، لهم ما له من حقوق ، وعليهم ما عليه من واجبات .. هذه هى الجماعة الاولى . أما الجماعة الثانية فهم المتسـللون الايرانيون ، الذين لا يختلف أحد على خطورتهم بالنسـبة للمسـتقبل السـياسى والوطنى فى المنطقة .

٢ — ان التمييز بين هاتين الفئتين ، لا يجب أن يكون — وهو ليس كذلك فى الواقع — مبنيا على العواطف ، بل هو عين الديالكتك .

فلا يعقل — جدليـا — ان تخضع جمـاعة ما للتطورات الموضـوعية المختلفة ، وتتصارع بين صفوفها شتى أنواع التناقضات ، وتبقى هى هى ، والا فكيف يمكن البرهنة على قوانين علم الاجتماع وجدلية التاريخ ؟

٣ — لا أختلف مع الاخ فهمى ، فى ان قوانين التجنس فى امارات السـاحل متسامحة وسهلة التجاوز الى حـد كبير ، ولكن لا أعتقد أن هـذا يصـدق على الوضـع فى الكويت مثلا ، حيث لا تمنح المادة الاولى [أقصد الجنسية وفق المادة الاولى] ، الا للذين تثبت الادلة تواجدهم فى البلاد منذ عام ١٩٢٠ .

ولا أختلف مع الاخ فهمى ، فى أن ثمـة سـوء تطبيق وتجاوز لهذا القانون [هـذا جـائز ولكن لا دليل على صحته أو بطلانه حتى الان] ، الا أن هذا يجب الا يوهمنا أن عدد هذه التجاوزات كبير وشامل .

٤ — يقول السـيد فهمى عن « الوضـع » فى الكويت : توجد جالية ايرانية غنية وقوية ، لها من يمثلها فى مناصب الحكومة ، بل ان اثنين من ذوى الاصل الايرانى دخلا مجلس الامة الكويتى السابق

بالانتخابات . ومطلع هذه الفترة لا يتفق على معطيات الفكر العلمى الجدلى فقط ، ولا يتعارض مع الحقائق الموضوعية والتاريخية فحسب ، بل يتنافى — فيما أعتقد — مع ابسط معطيات الفكر القانونى والحقوقى ، الذى لم ينبغ فيه أحد كنبوغ اخوتنا فى مصر منذ أيام رفاعة رافع الطهطاوى ، فبالاضافة الى أن الايرانيين فى الكويت ليسوا من نوع واحد [وهذا ما بينته فى مطلع الرسالة] ، فانهم أيضا ليسوا جميعا أغنياء ، كما انهم بالتأكيد ليسوا أقوياء .

ان مقال السيد فهمى ، يريد ان يصورنا على شكل جماعة الزردشتيين فى بومبى ، أو «اليهود» فى أمريكا ، وهذا ما يرفضه واقع الحياة فى هذا البلد ..

ان ما أشار اليه الاخ فهمى بـ « الجالية الايرانية » ، انما هو وضع فى غاية التعقيد ، وبحاجة الى دراسة تحليلية دقيقة .

٥ — جاء فى برنامج العمل الوطنى الديموقراطى للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى ما يلى :

« ان الاستعمار البريطانى ، والرجعية العربية والايرانية ، يحاولون بشتى الوسائل تزييف طبيعة الصراع فى المنطقة ، لتحويله من صراع ضد الوجود الاستعمارى وعملائه الطبقيين ، الى صراع شوفينى بين العرب والاقليات القومية التى توافدت على ساحة عمان والخليج العربى ، مع اكتشاف النفط ، ويفتعلون ويسعرون العداء بين العرب والايرانيين » .. [الطليعة الكويتية — العدد ٣٦٤] .

لقد أوضحت الحركة الوطنية والقومية فى الكويت موقفها من قضية الهجرة كالآتى :

[أ] الموقف من الكويتيين من أصل فارسى : اننا نعتبرهم جزءا من الشعب الكويتى ، وهم يخضعون لنفس التمايزات الاجتماعية القائمة فى الكويت ، بينهم الفئات التى ارتبطت مصالحها بالاحتكارات الاجنبية ، وبالامبريالية وعملائها فى المنطقة ، وهناك الفئات الاخرى التى نسعى للتحالف معها ، وتعبئتها من أجل التطور الوطنى للبلاد . أما الآراء المتعصبة ضد الكويتيين من أصل ايرانى ، فقد شجبناها ، سواء داخل البرلمان أو عبر مجلة الطليعة [الكويتية] .

[ب] الموقف من المتسللين الايرانيين : ان هذه القضية معقدة ، نحن واثقون ان ٩٩ر٩٩ ٪ من هؤلاء ، هم كادحون ، يبحثون عن العمل ولقمة العيش التى حرمهم منها نظام بلدهم . ولكنهم — بحكم مستوى وعيهم السياسى المتدنى — يمكن أن يقعوا فريسة للنشاط التخريبى المضلل للرجعية الايرانية ، ويشكلوا احتياطيا لها ضد مصالح البلدان التى يعملون فيها .

اننا فى الوقت الذى نطالب فيه بوقف التسلل ، نعمل ، وبالتعاون مع العناصر والقوى الايرانية التقدمية ، من أجل عزل وفضح النشاط الرجعى للحكومة الايرانية بين أوساط المتسللين ، وتحويلهم — وهم الفئات الكادحة — الى احتياطى للحركة الشعبية ، وامتدادا للحركة التقدمية فى بلدهم ، ونؤكد هنا ، مرة أخرى ، على مسئولية العناصر التقدمية الايرانية فى تحقيق هذا التحول ، ونؤكد أيضا الموقف الحازم ضد التسلل ، وأيضا ضد المخططات المعادية التى تستفيد من هذا التسلل .



كتب مصطفى الزهيرى من الدار البيضاء — المغرب عن

تكامل الفلسفة والسياسة

بدأ التفكير الفلسفى عند اليونان فيزيقيا — يرصد ظواهر العالم الخارجى ، محاولا صياغة قوانين « كلية » تفسر ماهية الوجود المادى . وهى صورة ثقافية على ما فيها من تنظير للاستنتاجات العلمية الاولى ، تجسد الفعالية المباشرة للحركة الفلسفية آنذاك .
واستمرت الفلسفة — لمايقارب القرنين — تنزع نزوعا علميا فى تحليلاتها . الى ان جاء سقراط فأنسنها [أى صيرها ذات طبيعة انسانية] وجعلها تتخذ موقفا أخلاقيا ووجوديا ازاء الاوضاع السياسية ، والاهتمامات اليومية للانسان الاغريقى ، وحتم سقراط بالتالى على نفسه أن يحدد موقفه السياسى — بأن يقول كلمته تجاه الصراع الايديولوجى لحزبى الديمقراطيين والارستقراطيين فكانت كلمته : كلمة حرة ، ذات الافق الفلسفى ، والمضمون السياسى .. ويومها نضجت الفلسفة ، وادرك الفيلسوف انه من أحق وأسبق الناس الى ضرورة التمرس بالواقع والالتزام بقضايا المجتمع والسياسة : هكذا كان أفلاطون — أبو التخطيطات السياسية والاقتصادية ومبتكر المناهج البيداجوجية . ومكافيلى داهية الدبلوماسية ، وروسو فكرة القوميات الاوربية . وهوبز داعية الحكم المطلق ، والمؤسس الاول لفلسفة تنازع البقاء .. وجون لوك الديمقراطى الثورى . بل ان المسرح الاغريقى نفسه كان يتجه فى أرقع

نماذجه التمثيلية اتجاها سياسيا مباشرا عند أحد أقطابه الاوائل : أريستوفانيس ، الذى كان لا يتحرج عن انتقاد الاوضاع الاجتماعية والسياسية ، فى شكل « الملهاة الساخرة » .

الفيلسوف اذن لم يعد ذلك « الشيخ » المحايد الشيزوفرينى المغرم بعشق حقيقة « الحقيقة » — الذى لا يمل العدو لاهثا وراء المطلق والهوية من خلال تفكيره الماورائى . وانما أصبح يقيم الدليل العينى على كونه مفكرا ديناميكيا ، يتخذ المواقف باستمرار ازاء مشاكل الانسان والحضارة والمجتمع ، ممارسا وظيفته المشروعة ..

والواقع أن الانسان كان على الدوام حيوانا سياسيا كما يقول الفلاسفة . ذلك أن أبرز خواصه البيولوجية هى خاصة الاجتماع والتجمع اللذين يترتب عنهما حتما ضرورة تنسيق سياسى ما . أما الذين يصنفون الانماط الشخصية تصنيفا باردا — ما بين عمليين ونظريين ، سياسيين ولا سياسيين ، فهم مخطئون فى تصوراتهم لطبيعة تركيب الجهاز النفسىوالعقلى للانسان ، ومدى فاعليته فى الميدان العملى والنظرى . فالانسان وحدة عضوية تنزع فى اطراد نحو التكامل — والاسباب المباشرة لالتصاقه المتزايد بشئون السياسة اليوم ترجع فى الاساس الى كون مصير نوعه مرتبط بطبيعة نتائج الظروف السياسية لعالمنا المضطرب واسلوب تطورها ، وعلى ذلك فان التفكير السياسى عند الافراد والمؤسسات وعلى الصعيد المحلى والدولى وعلى شتى انساقه الايديولوجية يعتبر اليوم « وظيفة » أخلاقية ، واتخاذ موقف وجودى تاريخى . وذلك بحكم روح العصر الثائرة ، وبحكم الوعى السياسى الذى أصبح يتميز به الرأى العام العالمى على مختلف طبقاته الاجتماعية . هذا الوعى السياسى الذى عجل بحدوثه لدى القاعدة الجماهيرية فى الغرب خاصة،ثم عندنا بحكم الظروف الحادة للوطن العربى اليوم — ظهور الفلسفة الماركسية ومشتقاتها الاشتراكية التى اعطت للفلسفة « معانى » دينامية الافاق ، ثورية الابعاد ، ونصبتها تمشى فى استقامة على الارجل بعد أن كانت تحبو كالكسيح . كما أنها نسفت هالات القيصرية والكسروية والتفويض الالهى التى كان الحكام التقليديون ، وجعلت منهم « قادة » بشريين فى تصوراتهم لذواتهم ومسئولياتهم ، فى اطار حركة التاريخ — خدمة للصالح العام على النطاق القومى والانسانى تحت ضوء معطيات الفكر الفلسفى السياسى . ولم تقف الايديولوجية الماركسية عند المجال الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فى مجالات الهيئات المختصة من حكومات وأحزاب ونقابات — بل استقرت فى معظم ألوان التعبير الانسانى الناجحة الاخرى من أدب وفنون وعلوم انسانية — كمسرحيات بريخت مثلا ، « والوجودية الماركسية » عند ميرلوبونتى ، و «الكشخصانية» أما نويل مونيى .. وهذه كلها اذ تدافع عن كرامة الفرد ازاء قهريات المجتمع ، اعتبرت الفلسفة أداة فى خدمة « العمل » . بل ان فلسفة « الاستاطيقا » نفسها رغم مفاهيمها الجمالية الصرفة ، فانها لم تتهيب دخول غمار الشئون السياسية ، وذلك على يد مؤسسها فى العصر الحديث جورج لوكاش .

واليوم ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين ، لازالت « السياسة » — ان تصورا أو ممارسة — تعد من بقايا المواضيع الطوطمية من مسها فهو هالك . فالاباء يخشون على أبنائهم من عواقب التدخل فى هذا العالم المخيف الاسود الذىهو السياسة. والاطفال والزوجات يخافون على أزواجهن وآبائهن مغبة أن يقذف بهم فى غياهب السجون . ولسان حال الجميع يقول مع المازنى : « لعن الله الساسة والسياسيين والروس والامريكيين [عوض اليابانيين] والناس أجمعين » . وهذهصورة قومية دالة على أعراض مرض « الحبس الذهنى » — الذى هو من أشيع وأشنع العاهات الذهنية للعقلية العربية التقليدية . فنحن نفكر فى « أشياء » ونخاف التفكير فى « أشياء » أخرى . جاهلين ان السياسة « علم » قبل أىاعتبار ، ولها رجالاتها العلماء .

على أن كثيرا من المنشغلين بالشئون السياسية فىالوطن العربى على مختلف مراكزهم وانتماءاتهم العقائدية لايزالون يفهمون التسيير السياسى على « طريقة » **الحجاج بن يوسف الثقفى** . مرجع ذلك بالدرجة الأولى ضيق آفاق التفكير السياسى والنضج القيادى عندهم بالاضافة الى عدم الارتكاز على ارضية ثقافية متينة . ذلك أن لكل روحا أو طابعا حضاريا يتميز به فى مجال الفكر — الذى يحدد بدوره الانساق السلوكية اليومية للافراد والجماعات. ففى التاريخ القديم كان الفكر الميثولوجى هو المسيطر ، ثم أعقبه الفكر الفلسفى الهلينى ، ثم تلاه فى القرون الوسطى الفكر اللاهوتى . وجاءت الازمنة الحديثة بالفكر الانسانى . وفى زمننا المعاصر يمكن القول بأنه قبل كل شىء عصر سيادة السياسة .

فالبشرية اليوم تعيش مدة « وقف التنفيذ » ، وناقوس ابادتها قد يدق بين عشية وأخرى . ومن هنا كان هذا « القلق » بمفهومه الوجودى — يساور كل فرد يتحرك فوق هذا الكوكب المتفجر. فالتفكير السياسى المعاصر ، سواء من الوجهة العلمية أو الفلسفية [الايديولوجية] أو الفنية [المسرح الطلائعى مثلا] هو ظاهرة ثقافية حضارية حتمية ، ومن المواد الغذائية اليومية

لعل كل انسان معاصر - والتفكير السياسي مهما كانت طبيعته الايديولوجية — فانه بحكم التحامه العضوى مع المشاكل اليومية لحضارة القرن العشرين ، وبحكم خصائصه الحركية لا مناص من أن يجد صدى واهتماما وتواجدا لدى كل « الشباب » المثقف وغير المثقف نظرا لما يتمتع به « الشباب » من امكانات بيولوجيـة وفكرية ديناميـة تحفزه على معانقـة كل ما هو عملى ابتكارى ايجابى فى كل من المجالين النظـرى والتطبيقى . وهذا من سمات التفكير الفلسفى الثورى الحديث الذى يجد فى السياسة الثورية رافدا خصبا له .

نستخلص من هذا التحليل المقتضب لمفهومى « الفلسفة » و « السـياسة » انهما كصورتين ثقافيتين لاى تجمع انسانى — سارا دوما على درب التكامل الوظيفى ، ولم يتعارضا موضوعيا الا فى تصورات بعض الناس .

لقد التصقت الفلسفة بالسـياسة منذ أربع قرون قبل المسيح أيـام سقراط .



حول مشروع الملك حسين

جاءنا من المجلس القومى للسـلام بجمهورية مصر العربية البيان التالى

فوجىء الرأى العام العربى بمشروع الملك حسين لاقامة ما يسمى بالمملكة العـربية المتحدة والذى يتضمن انشاء اتحاد فيدرالى بين الضفتين الشرقية والغربية للاردن .

ويأتى هذا المشروع فى ظروف سياسية بالغة الصعوبة تواجه النضال العربى عامة ، والنضال الفلسطينى خاصة .

فالامة العربية وهى تواجه صراعـا مصيريا يستهدف ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى وفى مقدمتها حق العودة للوطن وتقريره مصيره عليها .

والامـة العربيـة وهى تستشعر ضرورة توحيد كل جهودها من أجل تحقيق هذا الهدف ومن أجل مواجهة المخطط الامبريالى الصهيونى الموجه ضد الامة العربية جميعا وليس ضد الفلسطينيين وحدهم .

ومن هنا فان انفراد الملك حسين باتخاذ قرار يخص الشعب الفلسطينـى والارض الفلسطينية والمستقبل الفلسطينى ليس مجرد انكار لابسط حقوق شعب فى تقرير مصيره ، وانما هو تفتيت لوحدة الصف العربى وخروج على اجماع الامة العربية .

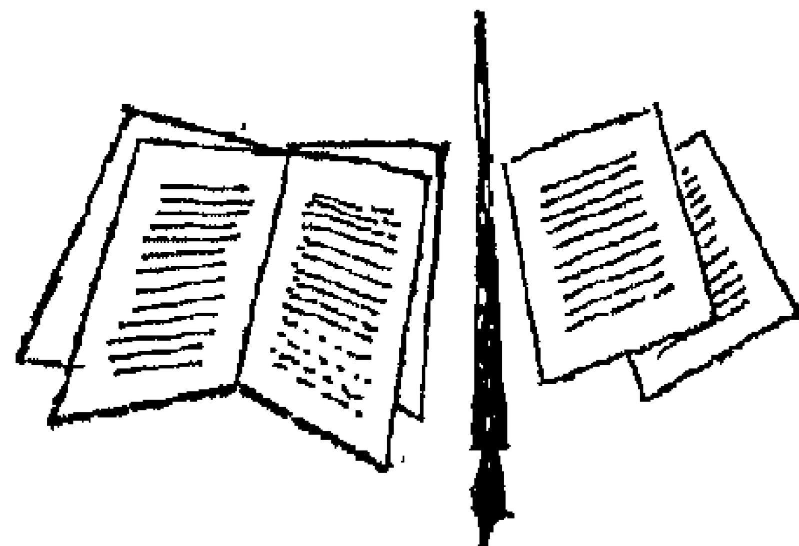
ان جوهر أزمة الشرق الاوسط كلها يكمن فى ضمان حق تقرير المصير للشـعب الفلسطينى وليس فى تجاهل هذا الحق ..

يكمن فى هزيمة مخطط العدوان وليس فى التهاون مع المعتدين .

يكمن فى توحيد صفوف العرب فـى مواجهة العدو الواحد وليس فى بذر بذور التفرقة وتكريس الدعوة لها ...

ومن هنا فان أنصار السلام المصريين يرفضون مشروع الملك حسين ويدعون الامة العربية كلها الى رفضه ... والى مواصلة النضال موحدة الصفوف من أجل ازالة كل آثار عدوان ١٩٦٧ ومن أجل ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

المجلس القومى للسلام



مكتبة الطليعة

الطرق الاقتصادية لرفع كفاية الانتاج القومى

تأليف :

ى . ج . ليبرمان

عرض :

حلمى سلام

يكاد يكون الاقتصادى السوفيتى ليبرمان من اشهر كتاب الاقتصاد السوفيت لقراء العربية ، ولقد ساهمت مجلة « الطليعة » فى تقديمه الى القارىء العربى بنشر مقالين له : « **حول الخطة والربح والعلاوات** » (مارس ١٩٦٥) ، و « **حول مفهوم الربح بين الاشتراكية والرأسمالية** » (يونية ١٩٦٦) .

و ى . ج ليبرمان (Liberman E.G.) من مواليد ١٨٩٧ حصل على درجة D.SC. فى العلوم الاقتصادية عام ١٩٥٦ عن بحث بعنوان « **طرق رفع ربحية المشروعات الاشتراكية** » ، وهو أستاذ العلوم الاقتصادية بمعهد اقتصاد خاركوف التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية .

واود قبل ان اتعرض لمضمون العمل الحالى — الذى يعتبر احدث انتاج علمى له — ان اقف فى البداية حول ظاهرة الاهتمام الزائد من جانب اجهزة الدعاية البرجوازية باعمال ليبرمان ، وتشويه أفكاره الاقتصادية ، وهى ظاهرة لابد أن يتعرف عليها القارىء العربى ، طالما أنه قد تعرف

على انتاج هذا الكاتب ، وبالتالى اصبح طرفا فى القضية ، وهى ظاهرة تناولها ليبرمان بنفسه بالبحث ، فى تقديم كتابه .

الدعاية البورجوازية ... وليبرمان

لقد تعمدت أجهزة الاعلام البرجوازية ، ومازالت تتعمد تشويه الاراء العلمية لعديد من العلماء الاقتصاديين السوفيت ، فى متابعتها لخطوات الاصلاح الاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى . ويتخذ هذا التشويه اتجاهين رئيسيين : أولهما تصوير الاصلاح على أنه نابع من آراء اقتصادية فردية ، وثانيهما تشويه الفكر الاقتصادى للاصلاح .

فعلى الجانب الاول ، ضخمت الصحافة البرجوازية ـ على غير ما أساس ـ دور ليبرمان فى عملية الاصلاح الاقتصادى ، فى محاولة لتشويه حقيقة أن هذه المهمة الضخمة شاركت فيها أعداد هائلة من الشعب السوفيتى ، وأن مساهمة ليبرمان فيها لا تعدو ـ كما يقول هو نفسه ـ دوره كواحد من عديد من الاقتصاديين الذين ساهموا بفكرهم فى التطوير . لقد نبعت الحاجة الى تطوير النظام الاقتصادى منذ المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، والذى جاء احد قراراته مؤيداً الى أن يقوم نظام التخطيط وتقييم الاداء على أساس توفير مصلحة مادية للمشروعات والعاملين فيها فى انجاز واجبات أكبر من الخطة وفى تحقيق أقصى انتشار للخبرة الانتاجية المتقدمة . وكان أن بدأ الحوار حول الاصلاح الاقتصادى على مستوى جماهيرى واسع ساهمت فيه الصحف ومختلف وسائل الاعلام ، وشاركت فيه مختلف المستويات من علماء الاقتصاد ومديرى المشروعات والعمال السوفيت . فلقد تلقت جريدة « برافدا » وحدها حتى نهاية عام ١٩٦٢ ما يزيد على ألف مقال حول هذا الموضوع ، هذا عدا المواد التى تلقتها ونشرتها صحف « ازفستيا » ، و « العمل » ، و « الصحيفة الاقتصادية » ، و « الشيوعى » ، و « قضايا الاقتصاد » وغيرها . وجاء التقرير الختامى للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى المقدم الى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب مؤكدا على ضرورة التغيير الجذرى فى طرق الاشراف والتخطيط الاقتصادى .

وفى نفس الوقت دار فيه هذا الحوار الواسع أجريت عدة تجارب اقتصادية وعلى الاخص فى صناعة الملابس بدأت عام ١٩٣ فى اتحادين صناعيين هما « البولشفيتشكا » فى موسكو ، و « ماياك » فى جوركى ، وابرزت نتائج هذه التجارب (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) بوضوح تام سلامة اتجاهات الاصلاح الاقتصادى . وفى أكتوبر ١٩٦٤ تجمعت كافة النتائج والبيانات والاراء فى دور انعقاد اللجنة المركزية للحزب ، وفى عام ١٩٦٥ شكلت لجان خاصة لدراسة الاقتراحات المختلفة ، وعلى أساس ذلك كله أعدت قرارات سبتمبر ١٩٦٥ ، الصادرة عن اللجنة المركزية للحزب ، والمنظمة للاصلاحات الاقتصادية .

وكان دور ليبرمان فى هذا الحوار القومى الهائل كعالم اقتصادى ـ على حد تعبيره ـ مجموعة المقالات والكتابات التى كان أهمها ما نشر بالبرافدا « حول الخطة والربح والمكافآت » ، و « مرة أخرى حول الخطة والربح والمكافآت » . هذه بالدقة الاجراءات التى تمخضت عن الاصلاحات الاقتصادية السوفيتية ـ حوار جماهيرى واسع ، لجان اقتصادية متخصصة ، تجارب اقتصادية عملية ، لجان حزبية وقرارات قومية ـ اما المعلقون البورجوازيون فقد اكدوا ، وما زالوا يؤكدون ان الاصلاح الاقتصادى السوفيتى يتم ـ على حد تعبير ليبرمان نفسه ـ « بفضل اليد الخفية لليبرمان » .

وعلى الجانب الاخر تولت اجهزة الدعاية الغربية تشويه أفكار الاصلاح الاقتصادى ، بما فيها افكار ليبرمان نفسه ، فصوروها على انها « عودة الى الراسمالية ! و « عودة الى فكرة الرأسمالى وجهاز السوق » ، و « استخدام الاداة الرأسمالية لتنمية الانتاج ـ الربح » . فضخمت ـ على غير ما أساس ـ دور الربح فى الاصلاحات الاقتصادية . لقد عبرت كلمات تقرير اللجنة المركزية للحزب (١) عن الاصلاح الاقتصادى بأنه « انعكاس للظروف المتغيرة للاقتصاد الاشتراكى ، وللنمو المتصاعد للانتاج الاشتراكى الحديث ، وللتغيرات النوعية فى هيكله ، ومقتضيات الثورة العلمية ـ التكنولوجية » . ويتلخص جوهر الاصلاحات الاقتصادية فى «تقوية دور الطرق الاقتصادية للادارة ،واكتمال التخطيط القومى ، وتوسيع نطاق استقلال المشروعات وحوافزها ، وادخال واستكمال مبادىء الحساب الاقتصادى » .

وبالنسبة لافكار ليبرمان فهو لا ينكر دعوته الى استخدام الربح كمؤشر لتقييم اداء المشروعات ـ

---

(١) تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى بمناسبة مرور خمسين عاما على ثورة أكتوبر الاشتراكية ، موسكو ، ١٩٦٧ .

وهو فى هذا لم يخرج عن الافكار الاقتصادية الرئيسية الماركسية اللينينية ـ ولكن على أساس تحقيق أهداف الخطة من حيث كمية ، وجودة المنتجات ، وتواريخ الانجاز (٢) • وهو فى مقال آخر (٣) يؤكد : ان الربحية فى ظروفنا لا تعتبر المؤشر الوحيد لقياس الكفاية ، فقبل كل شىءيجب تقييم نشاط المشروع على أساس مدى انجازه للتعاقدات المخططة من حيث الكمية ، وأصناف ، وجودة المنتجات ، ومواعيد الانجاز ، ويعتبر التعاقد على أساس الاتصال المباشر بين الموردين والمشترين أساس التخطيط ، وانجاز هذه الخطط من جانب المنتجين (الموردين) يجب أن يولد الربحية » •

الخصائص العامة للاصلاحات الاقتصادية السوفيتية

ان نجاح تطبيق الاصلاحات الاقتصادية يعتمد بدرجة أساسية على الوصول الى المزيج الامثل بين الادارة المركزية من ناحية ، والاستقلال الاقتصادى للمشروعات من ناحية أخرى ، كذلك يعتمد على تدعيم أنظمة الحوافز المادية والمعنوية ، والاستخدام الاشتراكى للعلاقات السلعية ـ النقدية وما يرتبط بها من مفاهيم اقتصادية (الارباح ، الاسعار ، الائتمان وغيرها) ، والتى تأخذ مضمونا اجتماعياجديدا فىظل الظروف الاشتراكية •

ويلخص ليبرمان الاتجاهات الرئيسية للاصلاح الاقتصادى فى الاتى :

١ ـ رفع المستوى العلمى للتخطيط ، والوصول به الى أقصى اكتمال ممكن ، وتقويةدور الخطط طويلة الاجل ، والانماط فى التخطيط •

٢ ـ استئصال الاجراءات الزائدة (غير الضرورية) للنشاط الاقتصادى للمشروعات ، ومدها بالاصول اللازمة لتنمية وتطوير الانتاج •

٣ ـ تقوية وتطوير الحساب الاقتصادى ، ودعم دور الاسعار ، والارباح ، والمكافآت ، والائتمان فى الحفز الاقتصادى للانتاج •

٤ ـ الاتجاه الى مبدا ادارة الفروع الصناعية (مجموعات المشروعات المتجانسة) •

ويعرض المؤشرات الاقتصادية التى تغيرت تبعا للاصلاحات الاقتصادية ، والتى يمكن تلخيصها فى اتجاه عام نحو تقليل المؤشرات المخططة المحددة بواسطة المستويات الاعلى فى هيكل الاقتصاد القومى ، وتوسيع الاستقلال الاقتصادى للمشروعات • ولقد أدى ذلك بدوره الى تغيير « موقع المشروع الاشتراكى » ، وأعطى مديريه الكثير من السلطات ، بشكل يصبح معه للمشروعات مصلحة أكبر فى انجاز مستويات أعلى من الاداء المخطط ، ويتيح بالتالى استخدام كامل للامكانيات والموارد المتاحة للمشروع • ويتحقق ذلك من خلال نظام موحد للتخطيط والحفز الاقتصادى للمشروعات ، بشكل يضمن تعظيم الدخل القومى للبلاد ، وبذلك تتلاقى بشكل أكبر مصالح المجتمع ، ومصالح المشروعات ، ومصالح كل فرد من العاملين •

كذلك أعيد النظر فى نظام مدفوعات ومقبوضات المشروعات الى ومن ميزانية الدولة بشكل يحفز على زيادة الانتاجية ، فأصبح تمويل الاستثمارات الرأسمالية للمشروعات يتم بشكل رئيسى عن طريق المصادر الخاصة للمشروع (تمويل ذاتى) أو الجهاز المصرفى دون الاعتماد على ميزانية الدولة • وفرضت مدفوعات للخزانة عما فى حوزة المشروع من أصول مما يحفز على الاستخدام الصحيح والاقتصادى الكامل لها • لقد نظمت المدفوعات بشكل يتيح للمشروع الذى يعمل بكفاءة تحقيق ربح كاف لتشجيع العاملين (مكافآت) ، ولتغطية باقى الالتزامات المخططة ، وكلما ازدادت كفاءة المشروع فى تحقيق أهداف الخطة ، كلما زاد ما يتلقاه من أرباح ، وزاد ايضا ما يتبقى فى حوزته منها •

وينبه ليبرمان الى اهمية عدم تدخل التعليمات المركزية فى طرق وقواعد توزيع المكافآت على العاملين بالمشروعات ، بل على كل مشروع تبعا لظروفه أن يعد لائحة بنظام توزيع المكافآت على أسس معينة ، يختار منها على سبيل المثال: رفع مستوى جودة المنتجات ، والاقتصاد فى استخدام الخامات ، وابتكار منتجات جديدة •

مفهوم الربح فى ظل الاشتراكية

يختلف الربح فى الاشتراكية من حيث مضمونه اختلافا جذريا عن الربح فى الرأسمالية حيث أنه

---

(٢) ليبرمان ، « حول الخطة والربح والمكافآت » ، البرافدا ، موسكو ، ٩سبتمبر ١٩٦٢ •
(٣) ليبرمان ، « مرة أخرى حول الخطة والربح والمكافآت » ، البرافدا ،موسكو٢٠ سبتمبر ١٩٦٤ •

يعكس علاقات الانتاج الاشتراكية ، واذا كان الربح هو الهدف والمحرك الوحيد لصاحب المشروع الراسمالي ، فهو في الاشتراكية ليس الهدف الاساسي للانتاج القومي • ان هدف الانتاج في الاشتراكية هو الاشباع المتزايد لحاجات الافراد الشخصية والمشتركة (الاجتماعية) • وكرد من ليبرمان على المعلقين البورجوازيين الذين تحدثوا عن الاتجاه الجديد للعودة الى الرأسمالية يورد ليبرمان حديث لينين عن الربح ، وأنه اذا كان يعود للمجتمع لا للرأسماليين فهو ميزة اقتصادية من وجهة النظر الشيوعية (٤) •

كذلك يورد ملاحظات لينين على كتاب بوخارين « اقتصاديات فترة الانتقال » الصادر عام ١٩٢٠ ، فقد كتب بوخارين يقول : ان هدف الرأسماليين هو الانتاج من أجل الربح ، أما هدف الانتاج الاشتراكي فهو اشباع الحاجات الاجتماعية ، وكان تعليق لينين : « الربح أيضا يشبع الحاجات الاجتماعية حينما تؤول القيمة الفائضة الى كل الكادحين ، واليهم فقط ، وليس الى طبقة الملاك » (٥) .

ولقد أشارت قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتي في ٤ اكتوبر ١٩٦٥ « حول اكتمال التخطيط وتقوية الحفز الاقتصادي للانتاج الصناعي » الى انه :

« من الضروري تقوية دور الارباح في الحفز الاقتصادي للمشروعات وزيادة المصلحة المادية لفرق العمال ، وللعمال كأفراد في تحقيق أحسن نتائج العمل ، ويجب أن ترتبط مقادير الارباح التي يسمح ببقائها في حوزة المشروع بتحسين النتائج الاقتصادية المالية للمشروع » •

ان المصلحة الاقتصادية للافراد وللمجتمع بشكل عام تقتضي اتباع نظام للحفز المادي ، غير أن هذا النظام يجب أن توضع له الحدود التي تضمن أن يؤدي الى الاثار الاقتصادية المرجوة • فعلى سبيل المثال الكل متفق على تشجيع خفض تكلفة المنتجات ، غير اننا يجب ان نتنبه الى ان خفض التكلفة يمكن أن يحدث على حساب انخفاض مستوى جودة المنتجات ، او انتاج منتجات غير مطلوبة من المستهلك • ولذلك يجب الانتباه الى أن الربح يمكن أن يتأثر بعوامل لا علاقة لها بكفاءة المشروع مثل تغييرات الاسعار ، والوزن النسبي الكبير للمنتجات الجديدة المحققة لربح غير عادي ، وغيرها • ويرى ليبرمان انه لا يجب تخطيط الربحية عموما كمؤشر مستقل ، ولكن كعلاقة او نسبة الى تكلفة المنتجات (معدل ربحية) •

فالربح في ظل الاشتراكية هو تعبير نقدي عن فائض الانتاج ، وعلى ذلك فهو لايتوقف فقط على مقدار العمل المبذول ، بل يتوقف بدرجة كبيرة على انتاجية هذا العمل المبذول • من هنا نجد من الملائم نسبة الربح الى قيمة الاصول التي أعطت الامكانيات الاقتصادية لحدوث معدل انتاجية العمل • ويؤكد ليبرمان على أن هذه الافكار تختلف بشكل جذري عن النظرية البورجوازية لعوامل الانتاج الثلاثة المنتجة للقيمة (الارض ـ راس المال ـ العمل) والتي خلقت لتبرر حصول الرأسماليين وملاك الاراضي على نصيب الاسد في القيمة المنتجة بواسطة العمل ، والعمل فقط •

نحو اكتمال التخطيط المركزي

ان الادارة المركزية للاقتصاد القومي تعتبر أحد الخصائص الاساسية للاقتصاد الاشتراكي ، وتنبع من الملكية الجماعية لادوات الانتاج • ان كثيرين من خصوم ونقاد الاشتراكية قد انتقدوها من زاوية آن المركزية تولد بالضرورة البيروقراطية ، ولكنهم تناسوا أن المركزية السائدة في الاقتصاد الاشتراكي هي « المركزية الديمقراطية » • و « المركزية الديمقراطية » هي النقيض لـ « المركزية البيروقراطية » ، وهنا يورد ليبرمان قول لينين : « الاشتراكية لا تخلق بتعليمات من أعلى ، وروح الاشتراكية بعيدة تماما عن الميكانزم البيروقراطي • الاشتراكية الحية ، الخلاقة هي من خلق الجماهير الشعبية نفسها » (٦) .

والمحافظة المستمرة على الاساليب الديمقراطية في الادارة هي الطريق الوحيد للتخلص من مظاهر البيروقراطية . ويذكر ليبرمان ان «كل نظام الادارة السوفيتي من أعلى الى أسفل يتبع النظام المركزي ، وفي نفس الوقت فالادارة من أعلى الى أسفل هي ادارة شعبية تمارس على أساس الديمقراطية على كل درجة من درجات السلم الاداري » •

والديمقراطية بالطبع لا تعني الهروب من

---

(٤) الاعمال الكاملة للينين ، الطبعةالروسية ، موسكو ، الجزء ٤٥ ،صفحة ٢٦٢ ـ ٢٦٣ •
(٥) الملاحظات اللينينية ، الجزءالتاسع ، موسكو ـ لينتجراد ، ١٩٣١صفحة ٣٨١ ـ ٣٨٢ •
(٦) لينين ، الاعمال الكاملة ، الطبعةالروسية ، الجزء ٣٥ ، صفحة ٥٧ •

المسئولية الفردية ، مسئولية كلّ مدير ، وكلّ منفذ، فعملية اتخاذ القرارات الادارية تتسم على كل مستوى ادارى على أساس جماعى ، ولكن بمجرد اتخاذ القرار يصبح ملزمـا للمديرين ، والمنفذين على جميع المستويات الادارية ، بصرف النظر عن موقف هذا الشخص أو ذاك عند مناقشة القرار ، وبصرف النظر عن المركز الوظيفى له •

فى الدوائر الاقتصادية الغربية كثيراً ما يثور الحديث عن « **اشتراكية السوق** » ويرى ليبرمان انها فكرة لا تختلف مطلقا عن نموذج المشروعات الرأسمالية الخاصة • ويربط الاقتصاديون فى الغرب بين فكرتى « الاهتمام بالمستهلك » و « الاعتماد على جهاز السوق » ويرى ليبرمان أنهما مختلفتان تماما ، فالفكرة الاولى ملائمة تماما ، ومطبقة فى ظل الانتاج الاشتراكى ، فبعد بناء قاعدة متينة للصناعة الثقيلة تقاربت معدلات انتاج معدلات السلع الاستهلاكية مع معدلات انتاج وسائل الانتاج فى أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ • لكن فكرة « الاعتماد على السوق » من شأنها أن تحول المشروعات الاشتراكية الى مشروعات كل منها يعمل على أساس السوق دون أية تعليمات مخططة مركزية ، ويفقد بذلكهيكل الانتاج الاشتراكى أهم سماته ، سيفقد هذا الحشد الانتاجى لتحقيق اهداف المجتمع الاشتراكى ، وعلى ذلك فافكار التوافق الاوتوماتيكى بين الانتاج والاستهلاك على أساس جهاز السوق مرفوضة تماما فى النضال من أجل رفع كفاية الانتاج الاشتراكى ، لقد اصبحت هذه الافكار مرفوضة من اى راسمالى حديث حيث ثبت عدم امكانها العملى •

ويتساءل ليبرمان عن المقياس الصالح للتعبير عن مدى اكتمال الخطط الاقتصادية ، ويناقش الكتاب الاراء العديدة المختلفة حول هذه القضية ، والتى يدور أغلبها حول التوافق بين اشباع الاحتياجات الاجتماعية والفردية . ويرى ليبرمان ان مقياس الربحية يمكن استخدامه فقط اذا عبر الربح عن القيمة الجديدة المخلوقة كنتيجة لنمو انتاجية العمل • وعلى ذلك يجب أن يعزل عند تحديد الربح لهذا الغرض تأثير زيادات الاسعار دون رفع جودة المنتجات •

الطرق الاقتصادية للتأثير على الانتاج

يرى ليبرمان ان الطرق الاقتصادية المؤثرة على الانتاج وكفايته يمكن أن تنقسم الى اتجاهين رئيسيين : الحفز الاقتصادى ، والاسعار • ويوضح الارتباط بينهما فى أن أساس الحفز هو ضرورة تقييم الارتفاع المستمر فى جودة المنتجات عن طريق ضمان زيادة ربحية الانتاج ، وهو مـا يتطلب بدوره سياسة مرنة للاسعار • ان التأثير الهادف على الانتاج يتحقق بربط مخصصات الحوافز للمشروع ، ولجماعات العاملين ،وللافراد بمدى تحقيق أهداف الخطة المحددة لهم • ويؤكد ليبرمان على أهمية أن يتم هذا الربط على أساس الشرائح التصاعدية ، فليس من المعقول ان يسوى فى العقوبة ـ بتخفيض مخصصات الحوافز ـ بالنسبة لعجز فى تحقيق الخطة بنسبة ٢ر• فى المائة ، آخر بنسبة ٢٠ فى المائة ؛ويقترح قياس مدى انجاز الخطة على أساس المنتجات المباعة فقط •

هذا بالنسبة لحجم الانتاج ، أما بالنسبة لتشكيلة المنتجات فيلعب الدور الرئيسى هنا معدلات الربحية المخططة لكل نوع من المنتجات بحيث يصبح المشروع ذو مصلحة مادية فى انتاج ذلك النوع ذى الاهمية النسبية على المستوى القومى • ويدعو ليبرمان الى تبسيط طرق حساب مخصصات الحوافز ، ويقترح توحيدها فى مخصص واحد للحفز الاقتصادى على أن يقسم عند الاستخدام بنسب محددة الى : مخصص الحوافز المادية ، ومخصص الخدمات الثقافية الاجتماعية وخدمات الاسكان ، ومخصص تنمية الانتاج •

ثم نأتى الى الشق الثانى من مشكلة الحفز الاقتصادى وهى « توزيع الربح » وقد أدى النظام الجديد الى استخدام توزيع الربح كأداة للحفز الاقتصادى عن طريقين :

١ ـ تحديد مدفوعات للميزانية العامة (الخزانة) عن اصول المشروع بنسب تتراوح بين ٣ فى المائة و ٩ فى المائة منقيمةهذه الاصول ، ومدفوعات اخرى على شكل عوائد لعوامل مختلفة •

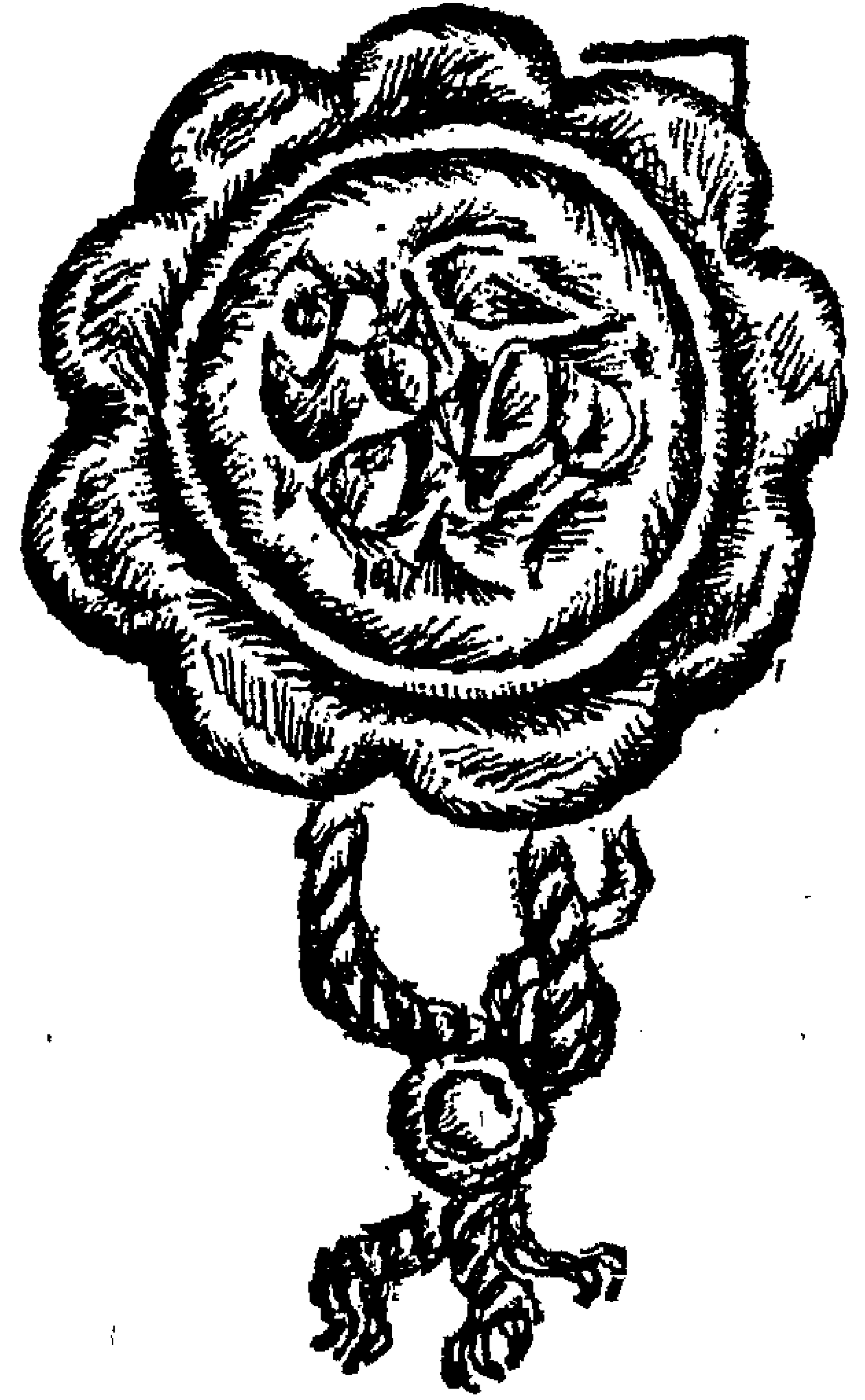
٢ ـ ترك نصيب أكبر من الارباح حرا فى حوزة المشروعات •

ويتناول كتاب ليبرمان الاسعار ، وعملية التسعير باعتبارهما الجانب الاخر من الطرق الاقتصادية للتأثير على الانتاج ، ورفع كفايته فيعرض بالتفصيل لوجهات النظر المختلفة فى تحديد الاسعار • وهناك اتفاق عام على أن الاسعار لكى تؤدى دورها الاقتصادى جيدا يجب أن تولد مع الخطط على أساس نفس المبادىء والعوامل • وهناك فيما يتعلق بالتسعير ثلاث وجهاتنظر : **الاولى**ترى انأساس التسعير يجب أن يكون « المنفعة الاجتماعية » للسلعة ، والبعض الاخر يرى أن هذا الاساس يجب أن يكون « النفقة الضرورية الاجتماعية » النفقة على السلعة ، ويؤيد ليبرمان وجهة النظر الثالثة التى تنادى بتحديد الاسعار على أساس حساب مشترك للمنفعة الاجتماعية وللنفقة الضرورية الاجتماعية مع استخدام موازنات الفروع الاقتصادية ■

وثائق

ميثاق الحرية

برنامج المؤتمر الوطني الأفريقي لجنوب أفريقيا



أقر هذا البرنامج في مؤتمر الشعب الذي عقد في كيب ـ تاون في ٢٦ يونيو ١٩٥٥

تأسس حزب المؤتمر الوطني في جنوب أفريقيا عام ١٩١٢ ، وكان تأسيسه بمثابة اعلان عن توحيد مختلف قبائل جنوب أفريقيا في أمة واحدة .

ويلعب هذا الحزب دورا قياديا في الحركة الوطنية . وقد كانت قضية الوحدة الوطنية اهم قضية شغلت قيادة الحزب ، فسعى الى توحيد التنظيمات الديموقراطية في البلاد : كحزب المؤتمر الهندي الافريقي ، وحزب منظمة الشعوب الملونة . وقد تمت الخطوات النهائية لهذه الوحدة عام ١٩٤٧ ، عندما

وافق حزبى مؤتمر « ناتال » و « ترانسفال » الهنديين على التعـاون مع حزب المؤتمر الوطنى فى كل الامور التى تمثل مصالحهم المشتركة ، ثم انضمت لهذه الاتفاقية منظمة الشعوب الملونة ، وتشكلت المنظمات بعد ذلك ما اصبح يعرف باسم مؤتمر التحـالف ، الذى ضـم المؤتمر الوطنى والمؤتمر الهندى ومنظمة الشعوب الملونة ومؤتمر الاتحادات المهنية ومؤتمر الديموقراطيين ، الذى ضم بعض الاعضاء من البيض ، الذين اسـتنكروا سـياسة حكومة جنوب افريقيا العنصرية ، وأبدوا استعدادهم لان ترتبط مصالحهم بمصالح الشعب الافريقى .

وفى مواجهة نمو الحركة الوطنية ، سـنت حكومة جنوب افريقيـا قانون « المناطق المعزولة » ، فقرر حزب المؤتمر الدعوة الى عقد مؤتمر لشعب جنوب أفريقيا « يصـوغ خطة عمل واضحة ، تتناسب مع مستوى الطغيـان والقهر السائد فى البلاد » .

وفى يونيو سنة ١٩٥٥ ، عقد فى « كليبتون » مؤتمر شهده ٣٠٠٠ مندوب ، يمثلون الهيئات السياسية والثقافية واعمال التعدين والزراعة والمهنيين ورجال الدين . وفى هذا المؤتمر ولد « ميثاق الحرية » ، الذى اقر نهائيـا فى المؤتمر السـنوى الذى عقد فى « اورلاندو » عام ١٩٥٧ ، وأصـبح برنامجا للحزب . وقد حدد الميثاق اسس الديموقراطية الوطنية ، التى تهيىء الفرصة لشـعب جنوب أفريقيا فى حياة حرة وكريمة . ويعد هذا الميثاق من اهم وثائق الحركة الوطنية الافريقية .

ونتيجة للتعـاون الواسـع الذى تم بين حـزب المؤتمر الوطنى والحزب الشيوعى لجنوب أفريقيا [١٩٢١] فى معـارك ١٩٥٧ و ١٩٥٩ ، انشق بعض اعضاء المؤتمر الوطنى على الحزب ، وكونوا حزب مؤتمر عموم أفريقيا ، بزعم ان حزب المؤتمر الوطنى « يخضع لنفوذ الشـيوعيين والهنود » ، وكان السبب الحقيقى للانشقاق ، هو معارضتهم لميثـاق الحرية ، وخاصـة ثلاث فقرات فيه ، هى : « .. ان جنوب أفريقيا ملك لكل من يعيشون فيه من السود والبيض » ، « .. ستعاد الى الشـعب الثروة القوميـة وكل ما ورثه جنوب أفريقيا من ثروة معدنية فى الارض والبنوك والصناعات الاحتكارية .. وستنقل ملكية ذلك كله الى الشـعب » ، « سـوف تنتهى القيود المفروضة على ملكية الارض على اسس عنصرية ، ولسوف يتم توزيع الارض من جديد فيما بين كل الذين يفلحونها ، من أجل القضاء على الفقر والجوع » .

ولم يجد المؤتمر الوطنى أمامه سوى طريق الكفاح المسلح ، فى نفس الوقت الذى يواصل فيه تحريك الجماهير لشن معارك سياسية جماهيرية .

ونظرا لانه لاتوجد أراض أفريقية مستقلة على حدود جنوب أفريقيا ، يبدأ من فوقها الكفاح المسلح ، شـارك المؤتمر الوطنى فى عام ١٩٦٧ ، مع حزب اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى [زابو] ، اعلان بـدء الكفاح المسـلح فى روديسـيا ، وشاركت قواته مع قوات زابو فى العمليـات المسلحة منذ ذلك الوقت .

وفيما يلى تنشر « الطليعة » نص « ميثـاق الحرية » : برنامج حزب المؤتمر الوطنى لجنوب أفريقيا :



إننا نحن شعب جنوب افريقيا نعلن الى كل شعبنا والى كل شعوب العالم :
أن جنوب افريقيا هى بلد كل هؤلاء الذين يعيشون على ارضها .. سودا وبيضا ، وانه مامن حكومة تستطيع أن تدعى انها تحكم هذا البلد حكما عادلا طالما انها لاتمثل ارادة كل هؤلاء السكان
أن شعبنا قد استلبت منه ارضه التى ولد عليها ، واستلبت مع الارض حرية وسلام وأمن هذا الشعب بواسطة حكومة تقوم على الظلم وعلى التفرقة وانعدام المساواة .

وان وطننا لن يتمتع مطلقا بالرفاهية والحرية الا اذا تمتع كل شعبنا بالعيش فى اخاء ونال كل افراده حقوقا متساوية وفرصا واحدة فى العيش .

وانه لايمكن ضمان حقوق المواطنة وحق المولد للجميع بغير تفرقة من اللون او الجنس او السلالة او العقيدة بغير قيام دولة ديمقراطية تستند على ارادة كل الشعب .

ولهذا فاننا نحن شعب جنوب افريقيا السود والبيض على السواء نعلن معا ، وعلى قدم المساواة اننا جميعا نتبنى ميثاق الحرية ، ونعاهد انفسنا على النضال المشترك والمتواصل والذى لايدخر وسعا ولايضن باى جهد ولا بايه تضحية من اجل تحقيق هذه المطالب الديمقراطية .

أن يحكم الشعب نفسه بنفسه :

بأن يكون لكل رجل وامرأة حق التصويت والترشيح لكافة الاجهزة التشريعية .

وأن يكفل لكل انسان حقا متكافئا فى الاسهام فى ادارة البلاد .

وأن تكفل الحقوق على قدم المساواة لكل المواطنين على السواء بغض النظر عن الجنس والسلالة واللون .

وأن تقام اجهزة ديمقراطية للحكم الذاتى للاقليات وان تسود الديمقراطية كافة الاجهزة الاستشارية وكافة المجالس وفروع السلطة .

أن تنال كل المجموعات الوطنية حقوقا متساوية :

بأن يكون هنا تمثيلا متكافئا فى كل اجهزة الدولة والمحاكم والمدارس لكافة المجموعات الوطنية والاجناس .

وأن تكفل لكل مجموعة الحق فى استخدام لغتها الخاصة ، وفى تطوير ثقافتها الخاصة بها وتراثها وعاداتها .

أن يحرم القانون اى امتهان للكرامة الوطنية لايه مجموعة من هذه المجموعات

أن يعاقب القانون اية دعوة عنصرية او محاولة لممارسة التفرقة العنصرية باى شكل من الاشكال .

أن تلغى كافة القوانين والاساليب التى تكرس التفرقة العنصرية .

أن يحصل الشعب على حقه فى الثروة القومية :

ان الثروة القومية لوطننا ، وكل خيرات وخير ارض جنوب افريقيا هى ملك للشعب كله ويجب ان تعود اليه .

أن الثروة المعدنية التى فى باطن ارضنا ، والبنوك ، والصناعات الاحتكارية يجب أن تصبح ملكا للشعب كله .

أما كافة الصناعات الاخرى والمتاجر فانه يتعين توجيهها لتسهم فى خدمة رفاهية الشعب .

أن تكفل التجارة فى اى مكان لاى مواطن ، وان يكفل لكل المواطنين الحق فى ممارسة ايه مهنة او حرفة او صناعة او تجارة .

أن توزع الارض على من يفلحها :

يجب ان تلغى كافة القيود العنصرية على ملكية الارض ، وان يعاد توزيع ملكية كل الاراضى الزراعية على هؤلاء الذين يفلحونها .

وعلى الدولة ان تقدم للفلاحين مختلف المساعدات والبذور والجرارات وان تبنى السدود لتحسين التربة .

يجب أن يكفل لجميع العاملين فى الزراعة حرية الانتقال .

يجب أن يعطى لكافة المزارعين الحق فى الاقامة فى اى مكان يختارون .

يجب ايقاف عمليات نهب قطعان الماشية المملوكة للرعاة ، وان تلغى اعمال السخرة ، وسجون المزارع .

أن يكون الجميع متساوون أمام القانون :

يجب الا يسجن انسان او يعتقل او تقيد حريته بغير محاكمة عادلة .

ولايمكن ادانة اى انسان بمجرد امر ادارى يصدره احد المسئولين .

ويجب أن يكون القضاة ممثلين لكافة المجموعات الوطنية .

لاتوقع عقوبة السجن الا فى حالة الجرائم الخطيرة التى ترتكب ضد الشعب ويجب ان يستهدف السجن اعادة تثقيف الانسان وليس الانتقام منه .

يجب ان يسمح للجميع على قدم المساواة بالانتساب الى القوات المسلحة والبوليس ، ويجب ان تكون هذه المؤسسات عونا للشعب وحاميا له .

يجب الغاء كافة القوانين التى تستند الى التفرقة العنصرية على اساس الجنس او اللون او العقيدة .

أن يتمتع الجميع بحقوق انسانية متساوية :

اذ يجب ان يكفل القانون لكل انسان حق الخطابة والتنظيم والاجتماع والنشر والتعبير عن الراى والعبادة وحق تعليم الابناء .

ويجب أن يحمى القانون حرمة المساكن من انتهاك البوليس لها .

ويجب أن يكفل حق الانتقال من الريف الى المدينة ، ومن مقاطعة لاخرى ومن جنوب افريقيا الى الخارج ، لكافة المواطنين بغير قيود .

ويجب أن تلغى كل القوانين الخاصة بتصاريح المرور والاقامة ومختلف القوانين التى تعوق المواطنين من التمتع بالحقوق السابق الاشارة اليها .

كفالة حق العمل والضمان الاجتماعى :

لكل العاملين الحق فى تكوين نقاباتهم وفى اختيار مندوبيهم ، وفى عقد اتفاقات عمل جماعية مع اصحاب العمل .

ويجب ان تعترف الدولة بحق الجميع وواجبهم فى العمل ، وان تؤمن المواطنين ضد البطالة .

اجر متساو للعمل المتساوى سواء بالنسبة للمرأة والرجل او بالنسبة للاجناس المختلفة .

٤٠ ساعة عمل فى الاسبوع ، حد ادنى للاجور على النطاق القومى ، اجازة سنوية مدفوعة الاجر ، مع كفالة حق جميع العمال فى الاجازات المرضية ، وحق جميع العاملات فى اجازات وضع مدفوعة الاجر .

يجب ان يتمتع عمال المناجم ، والخدم وعمال المزارع بكافة الحقوق التى تكفل للعمال .

يجب تحريم تشغيل الاطفال والتشغيل الجماعى والعمل بالمقاولة .

ان نفتح أبواب العلم والثقافة :

على الحكومة ان تكتشف وان تنمى وتشجع الجهود القومية لتطوير حياتنا الثقافية .

ويجب أن يكفل للجميع الاطلاع على كنوز الثقافة الانسانية ، وذلك باتاحة حرية تبادل الكتب والافكار والنشرات مع مختلف بلدان العالم .

ويجب أن يكون الهدف الاساسى للتعليم هو تثقيف الشبيبة بروح الحب للشعب وثقافته الوطنية واحترام الاخوة الانسانية والحرية والسلام .

ويجب ان يكون التعليم حرا ، والزاميا وعاما، ومكفولا لكافة الاطفال على السواء

ويجب أن تفتح ابوابه التعليم العالى والتدريب الفنى تماما امام الجميع ، وان تقدم الدولة المنح والتسهيلات الدراسية على اساس من الكفاءة وحدها .

ويجب ان توضع خطة قومية شاملة لمحو امية الكبار .

ويجب أن يتمتع المدرسون بكافة الضمانات المتاحة لمختلف المواطنين .

ويجب الغاء كافة اشكال التفرقة فى الحياة الثقافية والرياضية والتعليمية .

من أجل مسكن آمن ومريح لكل مواطن :

يجب ان يكفل لكل انسان الحق فى الاقامة فى اى مكان يختار ، وان يوفر له المسكن المريح والامن الملائم لاقامته هو واسرته .

وان توضع كل الوحدات السكنية غير المستعملة فى خدمة الشعب .

يجب ان تخفض الايجارات واسعار المساكن ، وان يكفل الطعام لكل مواطن وأن نحمى الشعب من اخطار المجاعة .

ويجب أن تضع الدولة خطة شاملة للصحة الوقائية .

ويجب أن يكفل للجميع العلاج الطبى المجانى وحق العلاج بالمستشفيات مجانا مع كفالة وعناية خاصة للامهات والاطفال

أن تتخلص من معسكرات الاقامة ، وتحل محلها احياء سكنية جديدة تزود بالطرق ووسائل النقل والانارة ، والملاعب والكنائس ومراكز الخدمة الاجتماعية .

ويجب أن توفر الدولة رعايتها للشيوخ واليتامى والعجز والمرضى .

يجب أن يحصل الجميع على حقهم فى الراحة والاستمتاع باوقات الفراغ .

ويجب الغاء معسكرات الاقامة و «الجيتو » والغاء كل القوانين التى قد تؤدى الى تفتيت الاسر .

من أجل السلم والصداقة :

ان تكون جنوب افريقيا دولة كاملة الاستقلال ، تحترم حقوق وسيادة الامم الاخرى .

وان تناضل دولة جنوب افريقيا من اجل استقرار السلام العالمى ، ومن اجل ان تحل مختلف المشكلات العالمية من خلال المفاوضة وليس الحرب .

ان يصان السلام والصداقة بين الشعوب من خلال ضمان الحقوق المتساوية والفرص المتكافئة للجميع .

يجب ضمان الحرية وحق تقرير المصير لشعوب المحميات الثلاث : باسوتولاند ، ببشوانالاند وسوازيلاند .

ويجب الاعتراف بحق جميع شعوب افريقيا فى الاستقلال والسيادة ، وان يكون هذا الاعتراف هو اساس العلاقة والتعاون معها .

والان فليرتفع صوت كل انسان يحب شعبه ويحب وطنه ، ليرتفع صوته مع صوتنا .

« تلك هى الحريات ، التى سنناضل من اجلها ، صفا واحدا طوال حياتنا .. حتى ننتزع حريتنا كاملة » .

.. والآن ...

نفرتيتي

١٠٠ مللى

فى

عبوتها الذهبية الجديدة



٢٠ سيجارة

سوبر ١٠٠ مللى

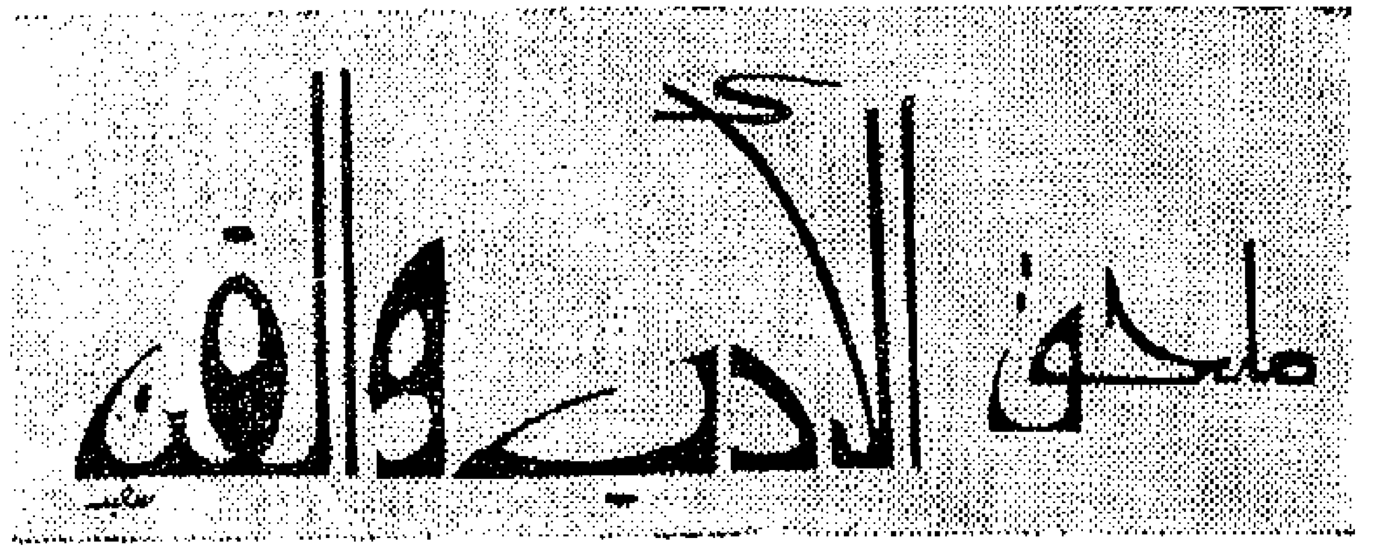
٢٥ قرشا

إنتاج :

شركة النصر للدخان والسجاير

بين أحزان فاتن حمامة
وأفراح « المعلم عماشة »

الطليعة

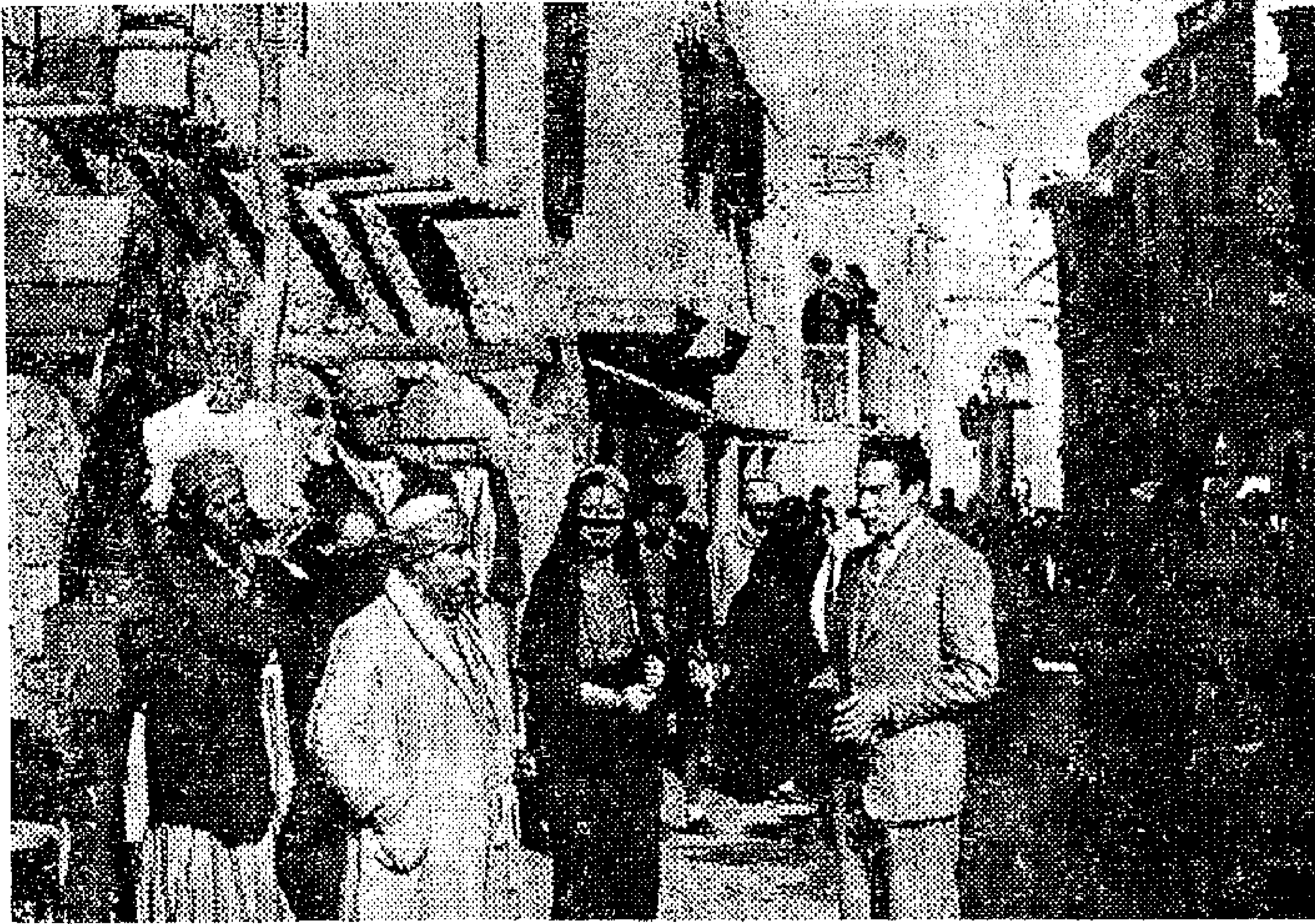


العدد الرابع — ابريل ١٩٧٢

البحث عن منهج
لنقد الشعر الحديث

يشرف على التحـــرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شــكرى
محمود درويش
ســمير فريــد
صــبرى حافظ



لقطة من فيلم « السوق السوداء » للمخرج كامل التلمسانى
أحد رواد المدرسة الواقعية فى السينما المصرية

فى هــذا العــدد

رسالة موسيقية

من أجل بناء البشر

■■ قرأت ـ رسالة ماجستير في الموسيقى ـ نوقشت في المعهد العالي للتربية الموسيقية في الشهر الماضي ، واستحقت درجة الامتياز • وموضوع الرسالة هو ـ دور **الموسيقى في تربية الطفل** ـ ولقد تقدمت بهذه الرسالة السيدة ـ **نفيسة حسن زغلول** ـ المتخصصة في تدريس مادة التربية الموسيقية ، والعزف على البيانو ـ بدرجة استاذ مساعد ـ في المعهد العالي للتربية الموسيقية • وتشتمل الرسالة على قسمين ، تناولت ـ الباحثة ـ في **القسم الاول** : « الاطار النظري » تحت عنوان ـ دور الفن في التربية وعالجت هذا الموضوع في ٤ فصول : ١ ـ ماهية الفن • ٢ ـ الوظيفة الاجتماعية للفن • ٣ ـ دور الموسيقى في العمل الفني • ٤ ـ منزلة التربية الموسيقية بين الاهداف التربوية •

أما القسم الثاني : فقد تناولت فيه ـ الباحثة ـ الدراسة التجريبية في ٣ فصول : ١ ـ المشكلة • ٢ ـ المشكلة وفروض البحث (التجربة ، ادوات التجربة ، البرنامج الموسيقى) • ٣ ـ النتائج (تصحيح الاختبارات ، المعالجة الاحصائية ، تفسير النتائج) •

■ ولقد قدمت ـ الباحثة ـ في القسم النظري عرضا عاما لتاريخ الفن ـ نشأته وتطوره ـ ومدارسه الفلسفية • وبلورت ـ الباحثة ـ بوضوح أهمية الوظيفة الاجتماعية للفن وهي تقول في سطور الرسالة « والفن للفن او الفن غير الهادف مثله مثل مفهوم العلم للعلم نظرية مثالية لا تعنى في التحليل الا ترف يقوم على الصنعة ، وليس له أبعاد اجتماعية •• » • « والفن الذي لا يخدم الحياة لا يرضى به الا القلة المترفة ماديا وفكريا ، وهي عادة لا تمثل المجتمع بآماله وتطلعاته •• » •

■ أما الباب الثاني في الرسالة والخاص بالدراسة التجريبية فقد اختارت ـ الباحثة ـ عينة للدراسة ـ من مدرسة ابتدائية عادية ـ وأفراد العينة من تلاميذ من الجنسين أعمارهم من ٩ الى ١٠ سنوات ، ووضعهم الاجتماعي ينتمي الى الطبقة الوسطى ، والطبقة العمالية • والهدف من اختيار هذه العينة للدراسة ، هو الاجابة على الاسئلة الاتية كما حددتها ـ الباحثة ـ « هل للتربية الموسيقية أثر في تربية الطفل بوجه عام ؟ » ، « هل تدريس برنامج معين في التربية الموسيقية للاطفال ـ المرحلة الاولى ـ يكسبهم بعض الانماط السلوكية الجديدة ، ويغير بالضرورة من بعض صفاتهم الشخصية ؟ » « هل ممارسة اطفال في سن التاسعة او العاشرة للموسيقى تؤثر في اكسابهم بعض الصفات الشخصية كالاتزان الانفعالي • وتحمل المسئولية ؟ تقول ـ الباحثة ـ هذه هي المشكلة بوجه عام •• أما البرنامج الموسيقى الذي أعدته ـ الباحثة ـ لتطبيقه على ـ افراد العينة ـ واستخلاص النتائج ، فهو يشتمل على :

أولا : دراسة العلامات الموسيقية الايقاعية •

ثانيا : الصولفيج (للغناء) •

ثالثا : التذوق الموسيقى •

رابعا : الاناشيد •

خامسا : الباند او الفرقة الموسيقية •

سادسا : الالعاب الموسيقية •

■ ومن التمرينات التي قدمتها ـ الباحثة ـ كأمثلة لتنفيذ البرنامج الموسيقى •• **التمرين الاول** : دخول الاطفال على « مارش » •• وهذا يحقق هدفين : ١ ـ **الهدف التربوي** وهو تعليم الاطفال النظام ، واحترام الغير • ٢ ـ **الهدف الموسيقى** وهو الشعور بالوحدة الزمنية الموسيقية • **التمرين الثاني** : الجرى الحر مع متابعة الموسيقى من حيث السرعة والبطء في أي مكان في الحجرة ، وهذا التمرين يحقق : ١ ـ **الهدف التربوي** وهو الانطلاق والتنفيس عن الانفعالات المختلفة ومساعدة الطفل المنطوي على التحرر وسط المجموعة ، مع الانتباه ، والتركيز لمسايرة السرعات المختلفة للموسيقى • ٢ ـ **الهدف الموسيقى** وهو الاحساس بالتباين في السرعات المختلفة للاداء الموسيقى **التمرين الثالث** : تسميع الاطفال بعض المقطوعات الموسيقية مع سؤالهم عن احساسهم العام تجاهها ، وذلك يحقق : ١ ـ **الهدف التربوي** ، وهو تنمية القدرة على الاستماع الواعي ، وغرس عادات سلوكية سليمة للاستماع عند الطفل وهذا يوجب التركيز ايضا • ٢ ـ **الهدف الموسيقى** : وهو تكوين عادة الاستماع الى الموسيقى ونقدها ، والتعرف على الانواع الراقية في الاعمال الموسيقية ، والتدرج بالاطفال الى مستوى التذوق المبني على الفهم والادراك •

■ **نتائج التجربة : اولا** : ان التربية الموسيقية تؤثر في مكونات التكيف الشخصي للطفل ، ويتركز التغير الدال في مجالات احساس الطفل بقيمته ، وشعوره بالانتماء ، وتحرره من الميل الى الانفراد ، مما يبين أن للموسيقى دور في ابراز شخصية الطفل ، وزيادة شعوره بكيانه او ارتباطه بمن حوله **ثانيا** : أما عن تأثير الموسيقى في التكيف الاجتماعي للطفل ، فقد أثبتت التجربة عدم وجود تغييرات دالة نتيجة دروس التربية الموسيقية التي قدمت لهم ، فلم تؤد التجربة الى تغييرات دالة في التكيف الاجتماعي ، ولا في مكونات اعترافه الطفل بالمستويات الاجتماعية او اكتسابه لمهارات اجتماعية ، او علاقته باسرته ، او علاقته بالمدرسة ، او بالبيئة المحلية • كان العنصر الدال الوحيد هو تحرر الطفل من الميول المضادة للمجتمع •

■ ان اختيار ـ الباحثة ـ موضوع دور الموسيقى في تربية الطفل ، ليكون مادة لرسالة الماجستير ، يشير الى وعى ـ الباحثة ـ بنوع الدراسات ـ الضرورية ـ للتنمية الثقافية ـ وبناء البشر ـ في مجتمعنا • ولا شك ان ـ الباحثة ـ قد فتحت بدراستها الموسيقية الجادة ، الطريقة أمام الموسيقيين الافاضل ، المشتغلين بالتدريس في معاهدنا الموسيقية للنزول الى ميدان ـ الدراسة والبحث الموسيقى ـ والمشاركة الخلاقة في تعميق برامج التربية لاطفالنا من اجل التقدم وتحقيق حياة أفضل على طريق المستقبل •

سليمان جميل

بين أحـــزان فاتن حمـــامة وأفـــراح المعـــلم عمـــاشة



فاتن حمامة

د. عبدالوهاب المسيرى

اذا كانت ميلودرامات فاتن حمامة وكوميديات الريحاني تعد تعبيرا عن وجدان ابنائنا ، فان « مغامرات عماشة » تصور عالم الطبقة المتوسطة المصرية فى واقعها الجديد .. فالطبقة المتوسطة المصرية (بل والمجتمع المصرى كله) قذف بهما بغتة فى عالم غير مألوف لهما . الطبقة المتوسطة كانت فى « حالها » مواظبة على عملها ، تذهب الى المكتب يوميا وتعود منه ، ولا تجلس على المقاهى وتدخر القروش لتربية الاولاد ، وفجأة وجدت نفسها ، وبسرعة مذهلة ، تأخذ فى التحول وتشترى تليفزيونات تقدم لها الرقصات الشرقية والغربية ، وتعرض لها آخر الازياء يوميا وفى عقر دارها ، فترتبك قيمها وتختل معاييرها وتسرع بالذهاب الى شارع الشواربى والهيلتون لمواكبة ركب التطور . لم يعد الادخار فضيلة الفضائل كما كان الامر فى الماضى ، فقد حل محله فضيلة « الظهور بالمظهر اللائق » و « تحسين المستوى » ، أو كما تقول عرفت الصحفية المودرن فى احدى اغنيات « مغامرات عماشة » : « تويست تويست تويست ـ بقينا خلق هاى سوينرقص فى اليست » . فيرد عليها مسعد ، المخرج المودرن : « البدلة بفتحتين ـ وبقالنا قطفتين » والدنيا عال العال .. وليسقط الادخار . يقول عزت الكاتب المسرحى فى المسلسلة ، وفيلسوف الاستهلاك ان أهم شىء لشباب العالم ليس الزواج (أو تربية العيال ، كما هو الحال مع حسين صدقى بطل الادخار فى الميلودراما القديمة) انما هو ان تفرش شقة فيها فريجيدير (وياجيدا لو كانت مستوردة) . وشخصيات « مغامرات عماشة » كلها شخصيات عملية لا تضيع وقتها فيما لا يفيد ، فهى دائما وراء الربح المباشر والسريع . فعزت لا يأكل ليؤلف بل يؤلف ليأكل (أو ليفرش شقة) . وكل العماشيين لا علاقة لهم بالكرامة : مسعد على استعداد دائم لان ينقد بجلده ، وعزت مستعد لان يبيع نفسه لمن يدفع الثمن ، أما شوكت الذى لا يكن الا الاحتقار لعماشة فهو يعمل سكرتيره الخاص « ودع الخلق للخالق » ، وقرقر دائم البحث عن سيجارة . حتى المعلم نفسه ، ذلك الدكتاتور المهيب (سيد عبد الجواد الكوميدى) هو الاخر يلجأ للمراوغة والتدليس حتى يحصل على ما يريد . أين هذا من صولات وجولات أنور وجدى ويحيى شاهين ويوسف بك وهبى وحديثهم عن شرف الفقير وغنى النفس ، لقد ظهر سانجو بانزا لان الفارس القديم يبعث على الضحك والرثاء .

برغم كل هذا التقدم وبرغم كل هذه الاخلاق العملية التى تشبه من بعض الوجوه اخلاقيات البورجوازيات الغربية ، يشعر اعضاء طبقتنا المتوسطة فى أعماق اعماقهم بانهم شرقيون (بل بلدى !) . يذهب الرجل المصرى الى المرقص ليراقص زوجته او خطيبته أو أخته ، ولكنه لا يجرؤ على أن يطلب من حسناء تجلس بجواره مراقصته ، بل انه لا يمكن أن تحدثه نفسه بمراقصة زوجة صديقه ، فالبيت الغربى لم ينتقل بمواقفه الاجتماعية . ان اختلاط القشرة الغربية بالجوهر الشرقى هو احد الموضوعات الاساسية فى « مغامرات عماشة » ، اختلاط عالم متقدم فيه طائرات وثرا شون وأشياء أخرى عديدة لا حصر لها تلخبط المخ بعالم العفاريت والكنز والاسياد الذين يسكنون تحت الارض والحوارى المنعزلة عن العالم . والمعلم نفسه هو البورجوازية المصرية التى تتحرك بحذر شديد من الادخار للاستهلاك . فهو يترك الحارة ليسهر فى المطاعم واللوكاندات ، وحينما يرتكب أفعالا فاضحة تضر بالمظهر فاننا كمتفرجين نتعاطف معه لانه لا يزال يتعلم ـ مثلنا . ان عماشة المتخلف البلدى يحررنا من مخاوفنا ، من عالم الاستهلاك « الهاى » ويستدعونا لاقتحامه ، دون خوف أو وجل .

والمعلم هو التناقض المجسد بين القشرة والجوهرة : فهو دكتاتور أبوى متخلف فى تفكيره ، يخشق « مهلبية » ويريد شراءها ، وهو فى علاقته مع « نفوسة » (النصف المشطشط) و « سكر » (الطيبة الطيعة) معلم مصرى اولا وأخيرا ، ولكنه فى الوقت ذاته يسافر « نامورك » ويلبس الزى الاوروبى بل ويتكلم الانجليزية (وان كان على طريقته

المتخلفة وبالفهلوة) • وبرغم أن الفلسفة التى تسود « مغامرات عماشة » فلسفة بورجوازية (الكنز ، كما يخبرنا عماشة، هو تعب أجداده ونتاج ادخارهم وعريهم وحرمانهم ، ولبيب هو الصبى الذى أصبح معلما ، (البطل البورجوازى الذى لا نظير له) الا أن عماشة فى الوقت ذاته لا يدفع أجرا لعماله لانه يدير محله بطريقة بدائية ، كما أن علاقته بعماله علاقة أبوية لا دخل للنقود فيها (واصدق مثال على هذا هو « قفة » الذى يتفانى فى خدمة المعلم دون مقابل) •

العمل الفنى •• والمتلقى :

هذه هى بعض التناقضات التى نصورها ، أو ربما تقع فيها ، « مغامرات عماشة » ولكن الشىء الجديد حقا فى هذه المسلسلة هو طريقة معالجتها للجنس ، ففى هذه الحلقات احتفاء بالجسد دون أى حرج أو تحفظ • كانت بورجوازية الادخار تخاف الجنس لانه مكلف ولانه يهدد ترابط العائلة ، أما بورجوازية الاستهلاك فهى لا تخشاه قط بل ترحب به وتسمح للبنات أن يلبسن « المينى » (وان كان لا داعى « للميكرو » لانه أقصر من اللازم ويتنافى مع تقاليدنا الاسلامية) ، وان يتبعن آخر موضات « البوردا » (أكثر المجلات انتشارا بين فتيات الجامعة) •

فى « مغامرات عماشة » لا يوجد أثر للخوف القديم من الجنس ، والمقدمة الغنائية ترسم لنا الاطار الذى ستدور فيه الاحداث :عماشة تزوج وطلق عدة مرات، ولا يزال « أل ايه » عند غراميات هذه « الال ايه » تهدىء من روعنا كثيرا ، وتعطى ضمائرنا التقليدية اجازة والشخصية الرئيسية عماشة ، ذلك الرجل المراهق الذى فى داخله طفل عمره ١٤ سنة على حد قوله ، هو مجموعة من الدوافع الجنسية غير المنضبطة التى تتحين الفرص للافصاح عن نفسهابصورة ما • ويحيط بالمعلم كوكبة من الشخصيات المرحة التى يحركها الجنس • سيدة مثلا على استعداد دائم لان تستخدممحاسنها لتذليل ما يجابهها من مصاعب • ومهلبية بأغانيها العديدة التى لا تشعرك بالذنب هى تجسيد للجنس الخالص • وسهير زكى هى مثل الرمز الحى والمتحرك لهذا الموقف الجديد من الجنس • أين هذا من فريد الاطرش الذى ربى لنا الرعب عليه اللعنة ؟ وأين هذا من عاشق الروح الذى يتألم فى صمت رهيب ويسفح الدمع السخين؟ فى عالم الميلودراما القديم كانت الخطوط الفاصلة بين الاخيار والاشرار واضحة بينة ، وكانت النهاية الاخلاقية تكافىء العذراء وتعاقب



محمد رضا ((المعلم عماشه ((

العائلة • أما فى عالم عماشة فيختلط الحابل بالنابل ، ولا ندرى من هى العذراء ومن هى العائلة ، فمرفت الصحفية ترتاد نفس الاماكن التى تذهب اليها مهلبية ، كما انهما يفكران بنفس العقلية ويتخذان نفس المواقف ويصدران نفس الاحكام • بل انه فى أحد المناظر يجلس المعلم عماشة « يعنبر » لهما « ويعنبران » له على قدم المساواة بل ان المعلم حينما يختطف قبلة من مرفت فهى لا تصفعه بالقلم على طريقة العذراوات المتوترات امثال فاتن حمامة ، بل تبتسم فى منتهى الهدوء ، محتجة احتجاجا فى غاية الرقة •

ويبدو ان هذه المسلسلة التليفزيونية لاقت نجاحا كبيرا ، فما السر فى ذلك ، خاصة وان بها عيوبا فنية وفكرية عديدة ؟ ولعل اهم العيوب الفكرية فى نظرى هو أن المؤلف والمخرج رغم أنهما يعالجان مادة لها دلالة حضارية فانهما لا يكشفان عن موقفهما منها ، بل يتخذان موقفا هو أقرب الى الوصف منه الى التقييم • ولا بأس من اتخاذ مثل هذا الموقف على شرط الا تبقى هذه الوصفية على السطح ، وهذا عادة ما يحدث ان لم يصاحب الوصف رؤية نقدية أخلاقية (بالمعنى العام للكلمة) • وقد تسبب عدم وجود مثل هذه الرؤية النقدية فى أن المتفرج فقد الاحساس بالاتجاه ، كما أن المشاهد كثيرا ما يفشل فى تحديد موقفه من التفاصيل المختلفة بل ومن بعض الشخصيات الاساسية •• فانتهازية عزت الواضحة هى موضوع اعجابنا ورفضنا التام فى نفس الوقت ، وهذا يرجع الى أن الكاتب نفسه يكن نوعا من الاعجاب الخفى لبعض شخصياته ولكنه غير قادر على مواجهة هذا الاعجاب (على عكس موقفه الواضح من الجنس) • ولعل عدم وضوح الرؤية النقدية نتج عنه أيضا أن المسلسلة كانت فى الواقع مجموعة من الحلقات التى تشبه فوازير رمضان ، الهدف منها التسلية المباشرة • وبالفعل أكد لنا كاتب المسلسلة أنها ليست سوى « برشامة لطيفة تساعد على هضم الكنافة والقطايف » • ولذا نجد أن الايقاع العام للمسلسلة بطىء للغاية ، تماما مثل الدواء المهضم • ولعل من أهم العيوب الفنية فى المسلسلة عنصر الميلودراما الدخيل الذى يتمثل فى شخصية « قفة » • فهو ليس من العماشيين بتاتا ، اذ انه مخلص اخلاقى مدخر يؤدى عمله ، ورغم أنه تلفحه لفحة عماشية فى منتصف المسلسلة تحت تأثير اللعوب سيدة الا انه يضيق منها ويعود لسابق عهده • ان معظم الشخصيات مسطحة بما فى ذلك المعلم عماشة نفسه ، وان الاغانى والرقصات ليس لها علاقة مباشرة بأحداث المسلسلة ، وان النهاية كانت ميكانيكية فرضت فرضا من الخارج

ولكن على الرغم من ذلك نجحت المسلسلة لانها فى رأيى تجاهلت كثيرا من تصوراتنا الفكرية او الايديولوجية عن الواقع وجابهته مباشرة ، وحاولت وصفه بدقة تنم عن بصيرة حضارية • كما أن المسلسلة عالجت كثيرا من القيم التى استجدت فى مجتمعنا دون أن تتقيد بتصوراتنا الاخلاقية • ان « مغامرات عماشة » دراسة فيما هو كائن ، وليس فيما يجب أن يكون ، وهى لهذا حررت كثيرا من المتفرجين من مخاوفهم وعدم تقبلهم لذواتهم •

كلمتـــــان عـن كامـل التلمسـانى



[] خطـــوات من الريـــادة الى الشـــهادة

لم أره فى حياتى قط ، ولكنى ماجلست مرة الى زميله الراحل رمسيس يونان او زميله المريض فؤاد كامل حتى كان هو ثالثنا بذكراه التى لا تموت — رغم البعاد — فى قلوب رفاقه الرواد الذين شقوا لانفسهم قرب نهاية الثلاثينات طريقـــا صعبا ومجهولا .. كان الفن المصرى شبه معزول عن التيارات الحديثة التى يضطرم بها العالم الخارجى حتى أقبـــل هؤلاء الفرسان يمزجون الفــكر الثورى بالفن الجديد ، مزجـا يدفـع غائلة التخـلف الحضـــارى المرعب والتقاليـــد غير الديمقراطية فى أسلوب الحكم .

وكان كامل التلمسانى عضوا بارزا فى جماعة « الفن والحرية » وأسرة تحرير مجلة « التطور » .. وبالرغم من كل التحفظات التى يمكن رصدها على الخط الفكرى العام لهذه الجماعة وتلك المجلة ، الا انه لا سبيل الى انكار الدور الريادى الذى لعبتاه فى ربط الفن بالمجتمع من ناحية ، وفى ربط الفن الادبى ببقية الفنون من ناحية أخرى . وكان التجديد — أقصى آيات التجديد — هو الالتزام الاســـاسى لهذه المجموعة من الشباب . ومن ثم كان طبيعيا أن تكون « السريالية » . بالذات هى مدخلهم الى التجديد الثورى للفن ، لانها — على صعيد الفكر — كانت تجديدا ثوريا للحياة .

وبالرغم من أن كامل التلمسانى كان واحدا من ألمع رواد الفن السريالى فى مصر ، فانه مال ميلا واضحا منذ منتصف الاربعينات الى السينما .. لقد بدأ حياته بها مساعدا فى الاخراج والمونتـــاج والانتاج ، وكانت حصيلته الختامية هى هذه الافلام :

١ — السوق السوداء	١٩٤٥
٢ — البريمو	١٩٤٧
٣ — شمشون الجبار	١٩٤٨
٤ — البوسطجى	١٩٤٨
٥ — كيد النساء	١٩٥٠
٦ — أنا وحبيبى	١٩٥٣
٧ — الاستاذ شرف	١٩٥٤
٨ — مدرسة البنات	١٩٥٥
٩ — موعد مع ابليس	١٩٥٥
١٠ — الناس اللى تحت	١٩٦٠

وفيها جميعا حاول أن يشـق طريقا للاتجاه الواقعى فى السينما المصرية ، بقدر ما أتيح له من هجم المشاركة .

على أن كامل التلمسانى لم يكن مجرد فنان تشـكيلى حين يرسم أو مجـرد فنان سينمائى حين يخرج وينتج ، وانما كان داعية ومبشرا وصاحب رسالة . وفى كتابيه « سـفير أمريـكا بالالوان الطبيعية » — ١٩٥٧ — و « عزيزى شارلى » — ١٩٥٨ نستطيع أن نحصل على جوهر هـــذه الرسالة التى يمكن بلورتها فى أن الفن العظيم هو الفن الذى ينبع من الجماهير ، وأن الفن الردىء هو الفن الذى يصدر عن أعداء التقدم .

وقد ترك كامل التلمسانى أرض بلاده عام ١٩٦٠ فى ظروف مريرة وعاش فى لبنان الى يوم وفاته حيث عمل مستشارا فنيا لشركة اخوان رحبانى التى أنتجت أفلام فيروز الثـلاثة « بياع الخواتم » ليوسف شاهين و « سفر برلك » و « بنت الحارس » لهنرى بركات .

مات كامل عن ٥٧ عـاما بعـد ست سنوات من رحيل زميله رمسيس يونان وبعد أسبوعين فقط من سقوط زميله فؤاد كامل وقد توقف جانبه الايسر عن الحركة . ربطت بينهم بداية مشتركة ، وتنتهى بهم خاتمة غريبة : الموت — أو السقوط — فجأة ، وفى سن واحدة ، وفى ظروف — شخصية وموضوعية — مريرة .

وأجدنى أتساءل : ما حكاية هـذا الجيل ، الذى ترسم قصة حياته خطوات ثابتة من الريادة .. الى الشهادة ؟

غالى شكرى



٢٠ سنة على اخراج «السوق السوداء» الذى يعالج بصدق وواقعية مشاكل مجتمعنا

[] أثـــر من رمـــاد

اذكر أنها صبيحة يوم من أيام الجمعة سنة ١٩٥٠ يوم أن ذهبت لاول مرة الى بيت الفنانين أنا وصديقي الفنان عبدالرازق شهده . صـــعدنا الى الزقاق الضـــيق المنهدر ، وتأكدنا أن المنزل رقم ٥ .

طرقنا اليد الحديدية المثبتة بالباب المتآكل الضخم . يد شدت الحبل «السقاطة» ، فدفعنا الباب ودخلنا ، فنـــاء المـــنزل الحجرى نضـــــج بشمس صـــــــباح وحمام يحط ويطير بصورة لا تنقطع ، وتماثيل مبعثرة فى أرجاء المكان ، بعضها مهشم وبعضها يغطيه براز الحمـــام . وقفنا ننتظر وفجأة اكتشفنا امرأة بدينة ذات عينين ضيقتين يغطيهما الكحل ،لكنهما ينمان عن الذكاء ، تجلس على عتبـــة حجرة مظلمة . تساءلت المرأة ، فأجبنا أننا نريد أن نستأجر حجرة . فسألت فى خبث « فنانون أنتم ؟ » فأجبنا بأننا طلبة فى كلية الفنون الجميلة . وشغلنا عنها بالنظر الى أغوار ظلمة الحجرة خلفها ، اذ شدتنا لوحة تمثل وجه فتاة يبرز من ارض جرداء وتتحداه أشجار عارية . سألنا لمن هذه اللوحة . أجابت المرأة وهي تتحامل على نفسها لتقف متثاقلة « انها للفنان كامل التلمسانى الذى كان من أوائل القـــاطنين فى هـــذا المنزل » فأبدينا اعجابنا .

● ● ●

زعقت المرأة رافعة رأسها الى أعلى ومغطية عينيها بكفها لتحجب الشـــمس « أستاذ ضياء .. أستاذ ضياء .. » وقبل أن تسأل ، عقبت المرأة « انه زوج اخت الفنان رمسيس يونان وهو الذى سيؤجر لكم الحجرة بالنيابة عنه ، اذ هو غائب فى فرنسا . » . استمرت المرأة تزعق حتى جاءها صوت منمشربية باعلى الدار « أيوه ياهندية » . فصاحت المرأة البدينة « فنانون يريدون تاجير حجرة » ولم تنتظر الجواب بل أشارت الى الدرج الذى يجب أن نصعده .

الدور الثالث والاخير .. المرســم الذى على اليسار .. المرســم الذى استخدمه كامل التلمســانى ورمسيس يونان ويأوى اليه حينذاك الرســـام ضياء .. الشمس تتساقط من خـــلال المشربيات فى دوائر متتالية على الوسائد الحريرية وعلى الحصير فى أرضـــية المكان .. كانت الجدران مغطاة بأعمال الرسام ضياء لكننا استطعنا أن نميز بينها ثلاثة أو أربعة لوحات للرســـام كامل التلمسانى ، لها نفس طابع اللوحة الذى أسفل الدرج بحجرة هندية .. وجوه واجساد تضيع فى جو سريالى وفي ابعاد ميتافيزيقية .

وهكذا كانت أول معرفتنا برائد من رواد الحركة السريالية فى مصر ، تلك الحركة التى اقترنت بنضالنا الاشتراكى او بالحركة الشيوعية . كما أطلق عليها البوليس فى ذلك الوقت .. لكن بالنسبة لنا كان أحد الافراد المتمردين ، القلقين القلائل الذين استطاعوا أن ينقلوا بذور تيار معـــاصر عالمى ، دفع بالفن التشكيلي ليسبق الادب فى مصر عشرات السنوات .

● ● ●

احيانا ما يســحق الزمن والظروف فنانا ، ويمضى عنا ، ثم نسمع نعيه .. لكن من العار ومن الجبن الا نقف ، وبكل صراحة وشجاعة نصرح أن كـــلا منا يحمل جزءا من رواد ذلك الذى احترق ، وانه من الجائز جدا ، وفى ظروف غير التى مر بها ، كان سيكون ايف تانجى آخر أو فيكتور برونر .

حسن سليمان



لقطة من فيلم « السوق السوداء » من اخراج الفنان كامل التلمسانى

البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث

صبرى حافظ

قد يبدو عنوان هذه الدراسة طموحا أكثر مما ينبغى لدراسة فى هذا الحجم •• لانه يثير بداءة كل القضايا النظرية التى طرحتها حركة من أخصب الحركات الادبية فى تاريخنا الحديث •• ألا وهى حركة التجديد التى انتابت جوهر القصيدة منذ ما يقرب من ربـع قرن من الزمان والمعروفة بحركة الشعر الحديث ، ولان دراسة تريد أن تزعم لنفسها أنها تبحث عن منهج نقدى جديد أو تبلور مجموعة من القيم والمفاهيم الجمالية والفكرية لنقد هذه الحركة الشعرية لابد وأن تلجأ الى اثبات مقولاتها الجديدة من خلال تمحيص المقولات القديمة ونفيها ، ولابد وأن تتبنى خلال عملية التمحيص تلك مفهوما معينا للحداثة وللتجديد وأن تعتنق تصورا للضرورات الحضارية والفكرية والجمالية التى انبثقت عنها التجربة الشعرية الجديدة والمعالجات النقـدية التى صاحبتها • ولابد وأن تطرح كل هذه القضايا والتصورات أمام القارىء قبل أن تصحبه معها فى رحلة البحث عن المنهج الجديد • وهذا ما لا يمكن أن يتوفر لدراسة فى هذا الحجم الصغير وان سعت الى الاحاطة ببعض جوانبه •

من هنا فان هذه الدراسة لن تدعي لنفسها القدرة على أن تستنفد ـ لا من وجهة النظر المنهجية ولا على الصعيد التاريخي ـ المشاكل التي تثيرها • ولن تستطيع التوقف ازاء ما تعتقد أنه قد اصبح لدى القارئ الذي تطمح في مخاطبته نوعا من البديهيات • والا استغرقتها محاولة تفنيد هذه البديهيات حتى أعرفتها • ولكنها ـ أي الدراسة ـ ستحاول ان تطرح مجموعة من القضايا والافكار النقدية التي تنطوي بدورها على مفهوم معين للشعر والحداثة معا • والتي تبلور من خلالها مشاركتها في البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث •• منهج يتخلق من خلال المعايشة الامينة لنصوص هذه الحركة وانجازاتها • ومن الفهم الدقيق للنوعية الخاصة للشعر كجنس ادبي له خصائصه الفريدة وتاريخه الطويل • ومن استيعاب الكثير من قضايا هذه الحركة الشعرية ومشكلاتها النقدية على صعيد البناء والرؤية • ومن احتكاك بالمدارس والمناهج النقدية الحديثة التي بلورت مجموعة من الاسهامات الهامة في تحليل القصيدة الشعرية والكشف عن كنوزها وخباياها • ولا تطمح هذه الدراسة في الوصول الى منهج شامل لنقد الشعر الحديث وان كانت هذه غايتها البعيدة •• بل كل ما تطمح في تحقيقه هو اثارة قضية حاجتنا الى منهج نقدي يشارك بفعالية في بلورة قضايا الحركة الشعرية الجديدة ويساهم في حل بعض مشكلاتها •• أقول يساهم في الحل ولا أقول يطرح حلولا •• لان الحلول مرهونة في النهاية بالمغامرات الابداعية / بالاستقصاءات النقدية ، وكل ما تستطيعه الدراسات النقدية هي تنبيه الشعراء الى الدروب التي تفضي الى المفازات للجرداء حتى لا يمضوا السير فيها •• والى الدروب التي تعد المغامرة فيها بشيء من الحصاد حتى يغذو السير

ولا تزعم هذه الدراسة ـ كما قد يوحي عنوانها للبعض ـ أنها تنطلق من الفراغ أو أنها ترفض كل التناولات النقدية لحركة الشعر الحديث • لانها في الواقع تقيم بناءها فوق الارض التي صاغتها المحاولات السابقة • ولان الدراسات النقدية (١) التي حاولت أن تحيط بأبعاد الحركة الشعرية الجديدة وأن تتناول ... حصادها وقضاياها كانت من وجهة نظر هذه الدراسة محاولات هامة في طريق البحث عن منهج لنقد الشعر الحديث •• محاولات تفاوتت قدرتها على الانجاز ومساهمتها في بلورة هذا المنهج الذي يرتفع انجازه النقدي الى مستوى الانجاز الشعري للحركة الجديدة ومعاناتها • وهي محاولات جنح أغلبها الى الجانب الوصفي من العملية النقدية وكان نصيبها من المعيارية ضئيل للغاية • واذا كان النقد الادبي الحديث معيارا بقدر ما هو وصفي فان على هذا المنهج الجديد أن يعوض جنوح الدراسات السابقة الى المنحى الوصفي بنوع من التأكيد على الجوانب المعيارية • وسوف يتضح لنا بعد قليل أن التأكيد على الناحية المعيارية في المنهج النقدي الذي نبحث عنه ليس ناجما فقط عن نزعة تعويضية تسعى الى رأب صدوع المحاولات النقدية السابقة ولكنه أيضا وليد حاجة حتمية ترتوي من طبيعة الصورة التي آلت اليها القصيدة الحديثة وتستجيب لها • واذا كانت حركة الشعر الحديث ذاتها قد ظهرت تلبية لمجموعة من الضرورات الجمالية والفكرية والحضارية منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عاما ، فان البحث عن منهج نقدي لهذه الحركة وليد مجموعة جديدة من الضرورات • بعضها مبني على الضرورات السابقة وبعضها الآخر متجاوز لها • واذا كانت هذه الدراسة ليست المجال المناسب للحديث عن الضرورات التي انبثقت عنها حركة التجديد الشعري فانها انسب المجالات للحديث عن الضرورات التي تستلزم البحث عن منهج متكامل لنقد الشعر الحديث •• ولنبدأ باولى هذه الضرورات ••

١ رحلة القصيدة الجديدة نحو التركيبية

وتنحت أهم هذه الضرورات ملامحها من تلك الرحلة الطويلة التي قطعتها التجربة الشعرية الجديدة • فبعد أن استبدل الشاعر العربي الحديث مفهوم التجربة الشعرية بالمفهوم القديم عن أغراض القريض قطع بهذا المفهوم الجديد رحلة طويلة امتدت من القصيدة الغنائية البسيطة ذات الصوت المفرد والايقاع المنفرد حتى القصيدة التركيبية ذات البناء الكثيف والاصوات المتداخلة والايقاعات المتناغمة والمستويات المتعددة من المعنى مرورا بالقصيدة القصصية ذات النفس القصير ـ وهي شيء غير القصيدة الملحمية رؤية وأسلوبا ـ والقصيدة الغنائية التي تنطوي على أكثر من صوت واحد والقصيدة الدرامية وغير ذلك من الاوعية التي استوعبت في بنيانها بعض مطامح التجربة الشعرية الجديدة لفترة ثم ضاقت عليها فتجاوزتها لوعاء أكثر اتساعا أو حاولت أن تجري داخل بنية الوعاء القديم بعض التعديلات حتى يستطيع أن يستوعب الروافد الجديدة للتجربة • فبعد أن كانت القصيدة الجديدة مجموعة من الاستطرادات النغمية العذبة والصور الشعرية المتدفقة أصبحت بناء تركيبيا معقدا يستخدم مجموعة كبيرة من الادوات والوسائل البنائية التي تصوغ مسار الحركة الشعرية في القصيدة الجديدة • وهي حركة تعتمد على نوع من التتابع الكيفي الذي ينهض على المفارقات وعلاقات التماثل والتضاد والجدل المستمر بين الصفات والخصائص النوعية المختلفة • وذلك بعكس المرحلة الاولى من تاريخ القصيدة الحديثة • حيث كانت الحركة الداخلية للقصيدة تنهض على أساس من التتابع المنطقي والتسلسل السببي الذي تؤدي فيه المقدمات الى النتائج وفقا لاستطراد منطقي متكامل •• حتى في نطاق التنوع والتعدد • بينما تلجأ القصيدة الحديثة في مرحلتها الاخيرة الى نوع جديد من الحركة الـ ... ـية لا يتم وفقا للمنطق الصوري ولكن طبقا لديالكتيك شديد التشابك والتعقيد : يتم فيه حوار جدلي عميق بين الجزئيات المختلفة للعمل الشعري • ويفتقد فيه المتلقي خاصية الاشباع المستمر لتوقعاته ذات الطابع الاستطرادي • ويجد نفسه معه ازاء نوع جديد من التلقي الفعال الذي يتطلب جهدا ومشاركة لم يعتدهما من قبل • ولذلك فانه يطلب من النص الذي من دوره ـ كما يقول سانت بيف ـ أن يعلم الآخرين كيف يقرأون ، أن يساعده في هذا المجال • وأن يقدم له مجموعة من المفاتيح التي تيسر له ولوج عالم الشاعر الحديث •

وقد كان من الطبيعي أن تقطع القصيدة الجديدة في ربع قرن من الزمان هذه

---

(١) مثل (قضايا الشعر المعاصر) لنازك الملائكة (شعرنا الحديث الى أين ؟) لغالي شكري و (الشعر العربي المعاصر) للدكتور عز الدين اسماعيل و (الشعر العربي الحديث وروح العصر) لجليل كمال الدين و (قضية الشعر الجديد) للدكتور محمد النويهي و (البحث عن الجذور) لخالده سعيد •

الرحلة الهامة فى طريق النضج وان لم تقطع الطريق اليها فى خط مستقيم • بل تطلب الامر مجموعة من التعرجات واجتياز المضايق العسرة • مما يجعلنا نجد أكثر أشكال القصيدة الحديثة جدة وتراكبا وتعقيدا تكتب مع اكثر اشكالها بساطة وسذاجة وغنائية فى الوقت نفسه • وتعثر كل منهما على اصداء حقيقية لدى قراء متفاوتى الحساسية والثقافة • اقول كان طبيعيا أن تقطع القصيدة الحديثة هذه الرحلة ، لان شكل المعاناة يختلف باختلاف الازمنة • ولان حساسيتنا تتغير باستمرار كما تتغير الدنيا من حولنا • فحساسيتنا ليست كحساسية الصينيين أو الهنود • وليست أيضا كحساسية أجدادنا منذ مئات السنين • ولا حتى نفس حساسية آبائنا • ونحن ذاتنا لسنا على ما كنا عليه منذ سنة مضت ، ولعل هذا أمر واضح • اما ما لم يتضح تماما فهو ان هذا بعينه هو السبب الذى لا نملك معه التوقف عن كتابة الشعر ، (٢)والذى لا يملك معه شعرنا بالتالى التوقف عن التطور والتغير حتى يتمكن من استيعاب ذلك التغير المستمر فى الحساسية والتعبير عنه • ومن مواكبة الوجدان القومى فى رحلته الخاصة لملاحقة التطور الحضارى فى عصرنا •

وهذا التغير المستمر فى شكل القصيدة ومبناها والذىينطوى بدوره على تغير فى


نازك الملائكة


ادونيس


عبدالوهاب البياتى

رؤى القصيدة ومعناها هو الذى استلزم أسلوبا جديدا فى معالجتها ووجهة نظر جديدة فى تناولها • لان طبيعة المنهج الذى كان قادرا على استيعاب كل قضايا القصيدة الحديثة فى مرحلة الغنائية البسيطة لا تجعله قادرا على تلبية جميع متطلبات القصيدة التركيبية او استنفاد كافة مشكلاتها •• بل ان وجود القصيدة التركيبية الجديدة الى جوار الاشكال الاولى من القصيدة الغنائية يؤدى بدوره الى تفاعل الشكلينمعا والىتبادل التأثير والتاثير بينهما • ومن هنا فان القصيدة الغنائية هى الاخرى قد جنحت نحو نوع خاص من التراكيب والتعقيد يتناسب مع طبيعة منطلقها ورؤيتها • فمالت الى استخدام أكثر من صوت واحد • وكفت عن الاستطرادات والاسترسالات الغنائية • وعمدت الى التركيز والتكثيف • ومن هنا فان استقصاء قضايا القصيدة الحديثة غنائية كانت أو تركيبية يتطلب منا بحثا جادا عن منهج وعن أسلوب نقدى جديد • كما أن ضرورة التعرف على مراحل وتعرجات وروافد الرحلة التى قطعتها هذه القصيدة خلال ربع قرن من عمرها تتطلب البحث عن هذا المنهج النقدى •• فضلا عن أن الرغبة فى استشراف آفاق المستقبل بالنسبة لهذه الرحلة تتطلب هى الاخرى منا بحثا جادا عن هذا المنهج النقدى •

٢ جمهور القصيدة الجديدة بين المد والجزر

اذا كان الشعر ريادة ونبوءة وبشارة ورؤيا ، فانه بذلك يكون أكثر الاشكال الفنية حساسية للتغير المستمر فى الحساسية •• واسرعها استجابة لتلك التغيرات وتعبيرا عنها • وهذا هو ما يجعله أكثر الاشكال الفنية اصطداما بالذهنية السائدة فى التلقى • واشدها عراكا مع ما اعتاد عليه الجمهور واستقر عليه عرفه • وهو لذلك من أقل الفنون الادبية حظوة بدائرة واسعة من الجمهور •• وقد يسارع البعض الى المبادرة بالاحتجاج علىهذه المقولة• لذلك فاننى احب أن أزيد هذا الامر ايضاحا • فالشعر الذى اقصده هو ذلك الذى يستجيب للحساسية المتغيرة دوما والذى يصدم باستجابته تلك الذهنية السائدة فى التلقى • وهذا النوع من الشعر هو أجود أنواع الشعر استحقاقا لكلمة الشعر وهو أقلها حظوة بالجمهور فى لحظته الانية •• صحيحانه يكتسببمضى الزمن وبرسوخ التغيرات الجديدة فى الحساسية مزيدا من الجمهور ، الا ان الشاعر الحقيقى ما يلبث ان يبرح هذه الرقعة الواسعة من الجمهور • فى مغامرته لاستشراف التغيرات الجديدة فى الحساسية ، وهى لما تزل نذرا تلوح فى الافق البعيد • وحينما يستجيب لاطلالات هذه الحساسية الجديدة يجد رقعة الجمهور الواسعة وقد ضاقت من جديد •• وتظل جوقة الشعراء ـ من متوسطىالموهبة ـ تعمل على توسيعهذه الرقعة وتستفيد من تناميها •• بينما يواصل الشاعر الحقيقى الرحيل صوب رؤى جديدة وحساسية جديدة وبالتالى رقعة ضيقة من الجمهور الجديد • ويقدر جدة الرؤى وتشابكها وخصوبتها تكون كثافة البناء وتعقيده وهى خاصية تصوغ حتمية ضيقرقعة الجمهور فى لحظة ميلاد المغامرة الجديدة •

واذا عدنا الى التجربة الشعرية الجديدة سنجد أن القصيدة التركيبية ـ وهى انضج مراحل القصيدة الجديدة وأكثرها استجابة للتغيرات الدائمة فى الحساسية واستيعابا لاطلالاتها الوليدة ، من أقل أنواع القصائد الجديدة حظوة بالجمهور • بينما نجد ان القصيدة الغنائية مازالت قادرة بعذوبتهاوسهولتها معا على الاستئثار بالنصيب الاكبر من جمهور الشعر الحديث • وهذه فى حد ذاتها ظاهرة صحية ، لان منشأن الشاعر الذى يجمع حوله بسرعة فائقة جمهورا

---

(٢) ت•س• اليوت (المهمةالاجتماعيةللشعر) من (مقالات فى النقد الادبى)ترجمة د• لطيفة الزيات • مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ص ٥١ •

كبيرا من الناس ان يثير فينا التشكك · فهو يجعلنا نخشى الا يكون قد أتى بجديد · وانيكون قد اقتصر على اعطاء الجمهور ما تعود عليه · اى ما تلقاه من قبل من الجيل السابق من الشعراء · ولكن من الاهمية بمكان ان يكون للشاعر فىزمنه جمهوره الحق مهما ضاقت دائرة هذا الجمهور · وينبغى ان توجد دائما دائـرة من الـرواد ، قـادرة على تذوق الشعر ، مستقلةالرأى ، تسبق زمانها او تتمتع باستعداد أكبر لتذوق الجديد · ولا يعنى تطور الثقافة ان يصل كل شخص الىالمقدمة لان ذلك يعنىالا يتقدم أحد · وانما يعنى الاحتفاظ بفئة متقدمة جنبـا الى جنب مع التيار العام لجمهور قراء لا يتخلف سوى جيل أو ما يقـارب ذلك · وستنتقل النغيرات والتطـورات فـى الحساسية التى تظهر بادىء الامر بين قلائل الى كتاب أكثر شعبية · وتترك بذلك آثرها التدريجى فى اللغة · وعندما تثبت دعائم هذه التطورات يتطلب الامر خطوة جديدة للامام (٣) يواصل بها الفن جنوحه الدائم الى استيعاب حركة الحياة الدائبة التطور · ويجد النقد لزاما عليه ازاءها آن يعمل على تكوين وخلق هذه الدائرة الهامةوالضيقة منالجمهور الذى يتمتع بحساسية مرهفة واستقلال فـى


ت · س · اليـوت


شيلى


سارتر

الرأى وقدرة على تذوق الجديد ·· لانه بدون هذه الدائرة الضيقة من الجمهور ، يستطيع الشاعر ان يمارس دوره فى الريادة والاستشراف والرؤيـا ·· لان بشارة الشاعر ان لم تجد ولو عدد قليل من الاذانالصاغية لها ما تلبث ان تتحول الى نذير بموت الشاعر نفسه ·· ومن هنا كان تاكيد اليوت الجاد على ضرورة هذه الدائرة من الجمهور مهما ضاقت رقعتها ·· لانها وحدها الضمان الاول لاستمرار مسيرة الشاعر والشعر معا · ومن مسئولية النقد ان يرقب دائـرة الجمهور الطليعى تلك وان يحول دون ان يتحول جزرها الى جفاف كامل او يتحول مدها الى بحر من الابتذال والسوقية · وان يحافظ على هذه الدائرة الطليعية ، ينميها باستمرار ويمكنها من مـواكبة الخطوات الجديدة لمغـامرة الشـاعر التعبيرية · ولما كان جزر هذه الدائرة فى واقع حركتنا الشعرية الجـديدة يكاد يتحول الى جفاف كامل ، فانه بذلك يصوغ واحدة من الضرورات التى تحثنا نحو البحث عن منهج نقدى يكفل لهذه الدائرة الوجود والتطور ، ذلك لانه ـ كما يقول سـتانلى هايسن ـ كلما اتسعت الهوة بين الادب وذوق الجمهور ، تصبح لمهمة الناقد التى تتطلب منه ان يكون جسرا بين الاثر الغامض والقارىء اهمية كبيرة ·

٣ غموض القصيدة الحديثة وغناها بالتأويلات

الشعر بنيان ·· وهو كبنيان له طبيعته النوعية الخاصة· لكنه ككل الابنية الفنية يحاول دائما الانفلات من اسار الموروث الثابت والتملص من قيوده التى تحد مع حركته· ويحاول فى الان نفسه الاستفادة من كل الانجازات البنائية التى حققتها الفنون الاخرىآو التى خلفها طابع العصر فوقها ·· ونزوع القصيدة الدائم نحو الكمالوتوقها الى استيعاب أكبر قدر من الرؤى والاصوات ، والى الدخول فـى تعقيداتالعالم المعاشللانفلات منها وخلق قوانين شعرية تماثلها تعقيدا وشمولا هو الذى يدفعها الى انتهاج آسلوب البنـاء المتراكب والى استخدام الكثير مـن الوسائل البنائية المستعارة من الفنون الاخرى كالقطع والمزج والحوار واللعب بالنغمة الواحدة فى مستويات لحنيـة متعددة ، وخلق التاثير من خلال احتكاك الصفات الكيفية المتضادة ، والمناجيات الذاتية والمنولوجات والانتقال بين الازمنة والامكنة والمونتاج واستخدام الاقنعـة والاحالات الى الاساطير والمـوروثات الشعبية والذهنية وغير ذلك من الاساليب البنائية التى استعارت القصيدة معظمها من الفنون الاخرى دون التخلى عـن الانجازات البنائية الشعرية التى تتواءم مع تجربة قانونها الاساسى هو التعقيد لا التبسيط · وبنيانها الغالب هو التركيب فى التداخل ·· بل لقد غامرت القصيدة الحديثة بهذه الانجازات المعروفة مثـل الاستعارة والايقاع والتضمين وغيرها مغامرات طموحة ·· فاستحال التضمين مثلا فى القصيدة الجديدة الى وسيلة بنائية شديدة التكثيفـلان الشاعر الحديث قد صاغها من دمجه بين الصورة والكناية والرمز بصورة يثرى معها التضـمين للقصيدة بعدة مستويات من المعنى تزداد ثراء وخصوبة بقدر توفيق الشاعر فى دمج هذه الوجوه المتعددة للتضـمين بعضها فى البعض الاخر بطريقة يستحيل فصمها ·· لانه ان عجز عن ذلك الدمج الكامل يظل تضمينه صورة أو كناية أو رمزا · ولا يستطيع التفاعل مع الدلالات المتعددة لهذه الوجوه واستحضار ثقل الرؤى التى يجتلبها الشاعر الى قصيدته من آفاقميثولوجية أو شعبية أو دينية أو فكرية أو ما شابه ذلك ·

ومغامرة القصيدة الدائمة مع الشكل ورغبتها فى اقتناص ذلك التغير المستمر فى الحساسية والتعبير عنه هى التى تدفعها صوب التركيب والتعقيـد ·· لان على الشاعر ـ كما يقول اليوت ـ فى ظل حضارة كحضارتنا آن يميل الى الصعوبة والتعقيد · فحضارتنا تتسع لتضم تنوعا وتركيبا · وهذا التنوع والتركيب لابد وان يفرز نتائج متنوعة ومعقدة اذا ما تاثرت بحساسية رقيقة · ولابد للشعر ان يصبحاكثر شمولا وايحاء ، واكثرميلا الى عدم المباشرة حتى يتمكن من الخروج مناللغة بالمعنى ولو اضطر فى سبيل ذلك الى انتزاع المعانى انتزاعا او تعيير اطاراتها (٤) ومغامرة الشـاعر مـع اللغة ورغبته فى ان يصبح شعره اكثر شمولا وايحاء وأكثر ميلا الى عـدم المباشرة هىالتى تدفعه الى استخدام ما يسميه جون كرورانسوم باللغة البدائية وهى اللغة التى اذا حاول الكلام فيها ان يكون فكريا آو عقلانيا اضطر ان يكون صوريا اومحسوسا ·· تميل فيها الكلمات الى ان تكون (جذرية) بمعنى ان كلا منهما يعنى شيئا كاملا أو حـدثا

(٣) ت·س·اليوت (المهمة الاجتماعيةللشعر) ص ٥٣ ·
(٤) د· لطيفة الزيات (مفهومالمفارقةفى النقد الحديث) بحث باللغةالانجليزية ـ مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٣

كاملا (٥) وهذا ما يجعلها قادرة على الايحاء والشمول معا وحرب الشاعر من اجل ان يعيد الي اللغة هذا البعد الصورى الذى فقدته من طول استعمالها المنثري بمنطق استدلالي وتجريدي معا • وتعامله معها بمنطق استعماري مغاير الى حد كبير للمنطق السائد ، هو الذي يجنح مع الميل الى التعقيد والتراكب بالقصيدة الجديدة الى نوع من الغموض وخاصة بالنسبة للمتلقي الذي يساهم يوميا في تجريد اللغة من بعدها الصورى ذاك •

وهذه اللغة التي يستعملها الشاعر تزعج علماء السمانتيات - علم المعاني - ازعاجا كبيرا كما يقول كينيث بيرك • وتصدم القارىء الذى يريد الوصول الى تأويل نهائي لاى عمل مبني من الكلمات • لانها تضعه في مواجهة واحدة من الافكار الإساسية لمدرسة الصورة في علم النفس والمعروفة باسم الجستالت، حيث لا تعترف هذه المدرسة بوجود الصورة الصرف ،

اى بوجود الصورة التي يثبت فيها انتباهنا بالتساوى على الصفات كلها • بل الامر بالعكس . اذ اننا لا نستحوذ على صورة الشيء الا في اثناء عملية تبينه . ولا نتبينه الا برؤية صفة سطحية ما طاغية عليه • او صفة لاحد أوجهه ذات قيمة ظاهرة • حينئذ ندرك صفات الشيء الاخرى على نحو يشبه (التوارى) •• كما نحصل على تفاصيل الهوامش بالنظر من زاوية العين ، او بتسليط البصر مباشرة عليها • ولكن لبرهة قصيرة •• ولعل هذه هي الطريقة التي يستخدمها الشعر ••انها طريقة اللامباشرة الا انها قد تكون الطريقة الوحيدة لادراك جمال الدنيا وروعتها وحيويتها الوهاجه (٦) فالشعر يرينا الاشياء بطريقة توقن معها ان ما حسبنا اننا عرفناه حق المعرفة مازال جديدا كل الجدة بالنسبة لنا • وينبهنا الي بقية الصفات التى كنا ندركها بطريقة التوارى • ويشككنا في تاويلاتنا النهائية للاشياء وفي فهمنا الراسخ للاحداث ويصحبنا في مغامرة جسورة مع تاويلات جديدة ورؤى جديدة • انه يرد للاشياء والوقائع بكارتها وقدرتها على الايحاء ، ويرد لنا حس الدهشة الذى افقدتنا اياه الحضارة الحديثة بحساباتها الصارمة وتعقيداتها وجفافها •

لان الشعر يزيل حجاب الالفه الـــذى يقف بيننا وبين الوجود ، ويجرد امام عيوننا الجمال النائم الذى هو روح الكون بكل صوره •• ويرفع اللثام عن الجمال المختفي وراء استار الالفة والاعتياد ، ويجعلنا نبصر الاشياء المعتادة كأننا لم نشهدها من قبل على الاطلاق (٧)

ومنذ ان اعلن بودلير قبل أكثر من قرن من الزمان ان وظيفة الشعر هي استخراج المدهش الذى يغمرنا ويروينا كالفضاء من اليومي التافه والمبتذل وان الشاعر الحقيقي هو من يعرف كيف ينتزع من الحياة الحاضر وجهها الملحمي وان يكون نجسدا لعصره ، والشعر يواصل المغامرة من اجل تحقيق هذه المهمة • ويجاهد الشعراء من اجل احلال هذا الفهم الجديد للشعر مكان المفاهيم الاخرى له • ومن اجل الا يكون الشعر وصـــفيا ولا روائيـــا بل - كما يقـــول مالارميه - ايحائيا • وان يتكلم المرء كشاعر يعني ان يكتفي بالتلميح من الاشياء او ان يستخرج صفتها التي تجسم فكرة ما • وليس للقارىء ان يقاد بيده الى موطن فكرة الشاعر الدقيقة • بل عليه ان يجد الفكرة التي يتضمنها حقل القصيدة الضبابي ، وان تقوده علامة لا تدرك الى احد الامكنة ، حيث تختبيء او تتفتح فكرة هي غامضة لانها مركبة • وكل قارىء يجد ما يناسبه في هذه الفكرة المركبة • وفقا لخياله ونفسه وزمنه او بيئته • ويكون القارىء امام القصيدة كالمستمع امام الموسيقى (٨) • وهذا الموقف الجديد للقارىء ازاء العمل الشعرى وليد تلك التغيرات التي انتابت موقف الشاعر من الشعر جملة وفهمه الجديد لوظيفته الفنية والاجتماعية • واذا كان الشاعر قد حارب من اجل تاكيد هذا الموقف الجديد وهذا الفهم الجديد فان على المتلقي هو الاخر ان يخوض حربا مشابهة ليخلص نفسه من اسار الفهم المدرسى للشعر كفن قائم على النظم وكرسالة قائمة على مجرد التعبير عن الواقع • ولكي يدرك ان قيمة الشعر ليست في كونه جزءا او صورة عن العالم الحقيقى - بالمدلول الشائع لهذه العبارة - بل هي في كونه عالما قائما بذاته كاملا ومستقلا (٩) •

من هذه النقاط كلها •• استخدام الوسائل البنائية المستعارة من الفنـون الاخرى • وتطوير الادوات الشـعرية القديمة وتركيزها وتكثيفها • وجنـوح القصيدة نحو التعقيد لاستيعاب التعقيد الحضارى لعصرنا • وانتزاع اللغة من اطاراتها والميل الى استخدام الكلمات الجذور واللغة البدائية • والرغبة في ايقاظ حس الدهشة في اغوار المتفرج ومنحه الرؤيا - حسب تعبير بول ايوار - وهي اضفاء البكارة علـى الحيـاة والاشياء • والميل الى الايحاء والبعد عن الافكار ومحاولة اخفائها في طيـــات القصيدة حتى يتمكن الشعر - كما يقول برادلي - من ان يخلق عالما مستقلا له كينونته الخاصة • من كل هذه العناصر يولد غموض القصيدة الحديثة • وهو غموض لا تستاثر به القصيدة التركيبية وحدها ولكنه يشيع في القصائد الحديثة •• ولا ينجم هذا الغموض عن كل العوامل التي ذكرتها فحسب . ولكنه يزداد ثقلا وضبابية بفعل عنصر اخر هو اعتياد المتلقى على زاوية نظر جامدة او بالاحرى خاطئة للقصيدة • وهو عنصر يعتبره رزونتال المسئول الاول عن هذه الظاهرة » « لان الغموض الذى نسمع الكثير عنه ليس غموضا في الحقيقة • ولا ينجم من القصيدة نفسها • وما يجعل القصيدة تبدو صعبة انما ينجم عادة عن الزاوية التي ينظر الى هذه القصيدة منهـــا (١٠) وبحثنـــا عن منهج جـديد لنقد الشعر الحديث نابع ايضا من ضرورة بلورة زوايا صحيحة للنظر الى القصيدة الحديثة • تضع القارىء امام المدخـل الصحيح لها ثم تتركه يستجيب لتأثيراتها بالطريقة التي تتواءم مـع قـدراته وثقافته • فبهذه الطريقة يشارك النقد في اسقاط دعوى الغموض التي الصقت بالقصيدة الحديثة •

٤ الحاجة الى مراجعة الحصاد الشعرى والنقدى

الضرورة الرابعة التى تستلزم البحث عن منهج جديد لنقد شعرنا الحديث تصوغها ظواهر ثلاث تشارك معافي ابراز تفاصيل تلك الحاجة الى مراجعة الحصاد الشعرى والنقدى لحركة الشعر الحديث • واولى هذه الظواهر الثلاث هى غياب الخط التطورى الواضح لمسار هذه الحركة الشعرية خلال ربع قرن من عمرها • فالطريق الذى انتهجه عبد الوهاب البياتى في تطوير تجربته الشعرية وتنميتها منذ (ملائكة وشياطين) عـام ١٩٥٠ حتى (قصائد حب على بوابات

(٥و٦) جون كرورانسوم (الشـــعر كلغـــة بدائيـــة) ضمن كتاب (الاديب وصناعته) ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، منشورات مكتبـــة منيمنة ببيروت ، ص٩٩ ، ١٠٥ •

(٧) شيلى (دفاع عن الشعر) ضمن كتاب (النقـــد الرومانى) نيويورك ، ص ٦٤ •

(٨) فيليب فان تيغيم (المذاهب الادبية الـــكبرى فى فرنسا) ترجمـــة فريـــد انطونيوس ، منشـــورات عويـــدات ، بيروت ص ٢٨٠

[٩] رســـتريفور هاملتون (الشـــعر والتأمل) ترجمـــة د• محمـــد مصطفى بدوى ، وزارة الثقافة بالقاهرة ص ١٣٣

(١٠) م•ل• روزنتال (شعراء المدرسة الحديثة) ترجمة جميل الحسني ، المكتبة الاهلية بيروت ، ص ١٤.

العالم السبع] عام ١٩٦١ يختلف عن الطريق الذى سارت فيه تجربة بدر شاكر السياب الشعرية منذ (ازهار ذابلة) عام ١٩٤٧ حتى آخر ديوان اصدره قبيل وفاته وهو (شناشيل ابنه الحلبى) عام ١٩٦٥ • كما يختلف هذان الطريقان عن الطريق الذى انتهجه آدونيس (علـى احمـد سـعيد) لبـلورة كشـوفه واستقصاءاته الشـعرية منـذ (قالت الارض) عام ١٩٥٠ حتى (وقت بين الرماد والورد) عام ١٩٧١ •• واذا كان ثمة ما يجمع هذه الطرق الثلاثة فهو التشوف لارتياد بقاع جديدة والتسوق للاقتراب من جوهر الشعر والتجديد • وهذه الشهوة العـارمة للمغـامرة مـع الشعر هى التى توهن الصلة بين الديوان الاول والديوان الاخير لكل شاعر من هؤلاء الشعراء الثلاثة • وهى التى تجعـل مغامرة كل شاعر نسيجا وحدها ، وان جنحت مغامرات الشعراء جميعـا الى تطوير بناء القصيدة وتركيبها وفق رؤى الشعراء واستجاباتهم لحساسية اللحظة الحضارية التى يعيشونها وهذا ما يجعلنا نعثر على خطوط تطورية تـكاد تتساوى مع عدد الشعراء الممتازين ومع تنوع رؤاهم •

صحيح اننا نستطيع رصد بعض ملامح التطور الذى حققته هذه الحركة كما نستطيع العثور على بعض عـلاماتها البارزة • لكننا لا نصل الى هذه الملامح او تلك العلامات الا بعد السير فى مجمـوعة مـن الدروب المتشـابكة والمتعرجة • وكثرة هذه الدروب المتعرجة هى التى تستلزم التوقف حيالها والتعرف من خلال دراستها على الروافد الناضبة والمناهل الواعدة بالعطاء •• وذلك حتى لا تضطر كل شريحة جديدة - ولا اقول جيـــل جــــديد - من الشـــعراء ان تبدا المغامرة من اولها وان تعيش بنفسها مرة اخرى جفاف الروافد الناضبة حتى تتيقن من عمقها • بل تجد الارض امامها محروثـة ومدروسـة فتدخر كل طاقاتها للاستقصاءات الواعدة بالخصوبة والثراء . ولا يعنى هذا اننـا نطالب بتوفير مجموعة من الوصفات الجاهزة التى تكفل للشاعر التقدم وللشعر التجريب والازدهار •• فهذا ابعد شىء عما نقده • بل واكثر الامور عداء للبحث المنهجى السليم وللمغامرة الشعرية التى لا تكف عن الحلم والطموح • ولكن كل ما يعنيه هو ان يشارك هذا المنهج الجديد فى ارهاف قرون استشعار التجربة الجديدة حتى نستطيع التمييز بين ما يدفعها الى الامام وما يشدها الى الخلف وان يمنح حدس الشاعر المرهف بصـيرة عقلية يخرجها من دائرة الحدس المبهمة التى لا يستشعرها غير شاعرها وحده الى مجال


عباس العقاد


طـه حسين


محمد مندور

الوضوح النظرى الذى يفيد منه بقية الشعراء •

اما الظاهرة الثانية فهى تبلور مجموعة من المصطلحات النقدية والشعرية التى تكاد تصبح قيدا على حركة التجديد • تشدها الى سلفية جديدة وجمود من نوع جديد • وتدور بالكثير من القصـائد وبالكثير من المراجعات النقدية فى دائرتها المكرورة • وتبلور مصطلحا شعريا يكاد من كثرة استعماله والالحاح عليه يتحول الى عدد من الكليشيهات المجوجة • تتكرر فيها بعض المقررات والتراكيب اللغوية حتى تكف عن الدلالة والايحاء • وتلح فيه بعض الصور او تتلاحق بطريقة محفوظة تفقد معها فعاليتها وتأثيرها • اما على الصعيد النقدى فان هناك مجموعة من المنطلقات المكررة فى تنـاول التجربه الشعربه . ببدأ بعضها * من تصـور وجود مجموعة محدودة من التأويلات السياسية للتجربة الشعرية يقيس الناقد وفقا لها حظ هذه التجربة من الاخفاق او التوفيق • ودخول الناقد الى عالم الشاعر عبر هذا التصور المسبق وغير الشعرى دائما ما يحول دونه ورؤية القصـيدة بشكل حقيقى ، ودائما ما يجهض ايحاءات القصيدة وفعالياتها بين يديه . وهناك عدد من التنويعات على هـذا المنطلق يرتدى فيه المنطلق السياسى نفس المسوح ، وان اختلفت مسمياته •• فهى القضـية الاجتماعية تارة وهى ظاهرة الحزن وهى قضية الاغتراب ثالثة وهى الالتزام رابعة ... الى آخر هذه المسميات .. وهناك منطلق آخر * يبدو للوهلة الاولى انه نقيض هذا المنطلق ولكنه فى النهاية يتفق معه من حيث الجوهر • انه يسـتبدل القضية الفكرية سياسية او اجتماعية او نفسية بالقضية الفنية • ويرتد الى نوع من السلفية الشكلية الجديدة تريدفى بحثها عن أسس معيـارية لموسـيقى القصيدة الجديدة ومبناها ان تضع على مغامرة الشاعر مجموعة من القيود ذات المنطق الخليلى • وترى الاكتفاء بالنقلة العروضية التى حققتها بدايات القصيدة الجديدة ، بدعوى انه لا يمكن لعصر واحد ان يسـتوعب اكثر من ثـورة واحدة • وان هذه الثـورة على عروض القصيدة القديمة هى التعبير الحقيقى عن روح العصر وان ما عداها تمرد فوضوى لا معنى له •• وكل هذه المصطلحات النقدية والشعرية - ولم اذكر منها سوى مجرد امثلة - فى حاجة الى التريث عندها واعادة النظر فيها حتى لا يتحول بعضها الى قيد على حركة الشعر والنقد فى طموحهما معا لاستيعاب الحسـاسية المتغيرة لعصرنا •

الظاهرة الثالثة التى تشارك مع غياب الخط التطورى الواضح لحركة الشعر الحديث وتبلور مجموعة من المصطلحات الشعرية وتعدد مناهجها وأساليبها . على حرية التجديد ، هى وفرة الدراسات النقدية التى تناولت حصاد هذه الحركة الشعرية وتعدد مناهجها واسـاليبها • وتتراوح هذه الدراسات شمولا بيـن المراجعة السريعة لشاعر او لديوان ، والدراسة المنهجية الشاملة لانجازات الحركة باكملها وتتفاوت عمقا بين الملاحظات النقدية الخلاقة التى تكشف عن بصيرة عميقة وحس بالشعر شفيف والتهويمات الساذجة التى تدلف الى القصيدة وقد حجبت عنها الافكار المسبقة وزاوية النظر الخاطئة ما فيها من كنوز • وبرغم وفرة هـذه الدراسات فان النماذج الجيدة منها قليلة للغاية * واسهامها فى توسـيع افق القصيدة الحديثة ضئيل الى اقصى حد • وان كان من المجحف ان ننكر دورها فى سد الفجوة بين القصيدة الجـديدة والقراء • وفى مساعدتهم على تذوق الشعر الحديث بصورة افضل وتمكينهم من دخول عالم التجربة الشعرية له • واذا كانت اغلب هذه الدراسات قـد وضعت معظم نتائجها فى اطار عدم اليقين متعللة بقصر عمر القصيدة الحديثة وبقلة نماذجها الجيدة من ناحية • او بتحور هذه النماذج وتطورها الدائم من ناحية

* مثل كتاب « الشعر العربى الحديث وروح العصر » لجليل كمال الدين
* مثل كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة
* مثل كتاب « شعرنا الحديث الى أين » لغالى شكرى ، وكتاب « البحث عن الجذور » لخالدة سعيد •

اخرى • فان انقضاء اكثر من ربع قرن من الزمان من جهة ووفرة الدراسات النقدية التي حاولت الاقتراب منها من جهة اخرىتتطلب منا ضرورة التريث ازاء هذا الكم الكبير من النتائج التي وضعت بين اقواس منالتحفظات او في اطار من عدم اليقين . اتعرف ايها ثبت للتجربة وايها تساقط على طريقها • ولنشكل من هذه الثوابت رقعة صغيرة من الارض المنهجية التي يمكن ان تنطلق من فوقها محاولة جادة للبحث عن منهج لنقد شعرنا الحديث •

٥ توزع الدروب بجيل الستينات من الشعراء

لا شك أن قضية المجايلة في حركة الشعر الحديث من القضايا الخلافية الشائكة • لان محاولة مجموعة قليلة من شعراء جيل الرواد لتجاوز انجازاتهـا وتطوير رؤاها جعل من الصعب القول بوجود جيلين متمـايزين ، بـالمعنى الاصطلاحي لا الزمني فـرؤى بعض الشعراء الرواد اكثر تقـدما ومعاصرة من رؤى الكثير من شعراء الستينات وان كان هذا لا ينفى أن لبعضانجازات الجيل الجديد سمات ومـلامح متمـايزة •• والذى يجعل القضية أكثر غمـوضا وتعقيدا هو توزع الدروب بالجيل الثانى أوالجديد منشعراءحركةالحداثة فيشعرنا العربى • والذين اصطلح على تسميتهم بشعراء الستينات • بصورة يصعب معها العثور على اتجاهات او تيارات واضحة يتطوى تحتها الشعراء في مجموعات متمايزة •• اللهم الا في مجال التاثر بشاعر من شعراء هذه الحركة الكبار ، وادونيس هو أكثر الشعراء الكبار تأثيرا في جيل الستينات ، سواء أكان هذا التأثير في مجال الرؤية أو في نطاق المفردات والتراكيب والبناء • واذا كان هذا التفرد علامة صحة على صعيد ما • فانه عرض خلل على صعيد آخر •• هو علامة علىصعيد الصوت الشعرى المتميز الذى لابد أن يميز كلشاعر ، والتوقالى الإنفلات من اسار القوالب الجامدة الذى لابد أن يصاحب كل مغامرة حقيقيـة لاستشراف الشعر • ولكنه علامة خلل اذا ما أخذنا فيالاعتبار أنالشعر صدور عن حساسية معينة ـ ولا أريد أن أضيقها وأقول عن واقع حضارى معيـن ـ واستيعاب لها • ولابد أن تظل حساسية اللحظة الواحدة بادية ـ ولو ـ فـى الخلفية البعيدة لابداع مرحلة معينة •• وهى تتبدى غالبا من خلال عدد من التنويعات التى نـدعوها بـالتيارات والاتجاهات •• وقد يكون افتقاد هذه التيارات والاتجاهات هو الشكل الذى تعبر به حساسية اللحظة الحضـارية الراهنة عننفسها ، وهذا ما أميل اليه • غير أن هذا يحتاج منا بحثا عن منطلق جديد غير منطلق القوالب المحفوظة التى حاول النقد بها أن يضع شعراء المدرسة الحديثة في اطاراتها من رومانسيـة وواقعية اشتراكية ، ورومانسية اشتراكية ورمزية وغير ذلك مـن القـوالب والاسماء •

وقد حاول (البيان الشعرى) الذى قدمته مجلة (الشعر ٦٩) وهو الوثيقة النظرية الوحيدة لعدد من شعـراء الستينات ، أن يقدم تحليلا نظريا لهذه الظاهرة من خلال طرحه لمفهومه عن الشعر وعندور القصيدة في العالم • ويرى هذا البيان « ان القصيدة تبدأ تعاملاتها مع العالم من خلال افتراض جوهرى ذى أهمية خاصة هو أن العالم ناقص وكذلك الموجودات والاشياء •• وأنها ليسـت تعاملا مع ما هو وجود [illegible] او لحظى من جهة او وجود نهائىمطلق من جهة أخرى بقدر ما هى تساؤلات وجودية غير انانية أمام وهم الانتناء المطلق للعالم •• وأن الشاعر ينتمي الى حلم البشرية العام الذى لا يمكن أن يتحقق في أى زمن ، ويصبح مستقبليا علـى الدوام بحكم تطلعاته غير النهائية •• ومع ذلك لا يوجد قانون في العالم كله يحرم الشاعر من استغلال علائقه اليومية الانسانية • بل على العكس من ذلك يأخذ الشاعر كل مادة شعره من العالم • ولكن عالم الشاعر ليس هذا العالم المرئى الذى تسوده قوانينمنطقية فحسب • وانما هو العالم المرئى مضافا اليه العالم اللا مرئى والعالم الشخصى والاجيال والازمنة • وعالم الشاعر وفق هذه الرؤيا عالم مصاغصياغة خاصة داخل حلم يوحد كل الموجودات في لحظة واحدة ويهدمها في لحظة واحدة أيضا ••• وولوج منطقة الشعر اشبه ما يكون بولوج مـدينة اسطورية مسحورة غامضة • كل شىء فيها يكتسب براءته خارج المعرفة المسبقة مع الوعى بوجود قوة حامية تسيطر على المدينة المقيدة الى الابد • والشاعر الذى يقتحم بوابةهذه المدينة لا يمكنأن يدخلها كمقاتل أرضى يسعى لانقاذ المدينة من سيطرة الساحر المختفى وراء سـتارة قوته ، وانما كضيف مبهور واقـع هو الاخر في أسر سحر البراءة ، والحقيقة التى تغير الوان الاشياء • تصلبها في الزمان • توقف الزمان وتمزج الحلم بالواقع والمثال بالديالكتيك والحيـاة بالموت •• وهو يكتب الشعر من خلال صبوة الروح للتماس مع تلك الحقيقة التى تعذب كيانه •• فالشاعر الحقيقى هو الذى يحاول الوصـــول الى الحقيقـة بطريقته الخاصة مع الاحتفاظ باحترام خاص لكل الطرق التى تسـاعد على الوصول •• الا أنه عبر اختراق هذه العوالم المتناقضة يجب ألا يسقط في آسرها ذلك لان مهنة الشعر ترفض أى عبودية مقننة•• ان الشاعر الحقيقى هو الذى يحاول فهم العالم ويرفض في الوقت نفسه الايغال داخل وهم الحيـاة •• يرفض أنيجعلنا جزءا مشتركا في طقوس هذه الحفلة غير المؤكدة •• واذا كان الحلم هو جواد الشاعر الى العوالم غير المرئية فانه في الوقت ذاته صوت الرفض والتحدى للبؤس الذى يغمر العالم • انه صوت الشاعر الذى يحتج ضد كل ما هو بربرى ومعاد وخالق للعذاب • ورغم أن الشاعر صوت كل الاجيال والعالم فانه في الوقت نفسه صوت عصره وأمته وشعبه ايضا [[١١]] •

من خلال هذا المونتاج السريع لاهم الافكار التىتضمنتها هذه الوثيقة النظرية التى بلغت حدا كبيرا من العمق والنفاذ والتشويش نضع يدنا على الـكثير من الملامح التى صاغت رؤية الشاعر الحديث في الستينات • فهو في ضيقه من النماذج الشعرية المـــكرورة ينـزع الـى البحث عن حقيقة مفارقة للعالم ثم يعود الى تأكيد ضرورة الانطلاق من هذا العالم الذى يراه غارقا في الوهم والنقص وغير مؤكد • والحقيقة التى تجاهلها هـذا البيان وان لم يستطع التملص مـن قبضتها ، هى أن تشوف شاعر الستينات الى حقيقة مفارقة لعالم الواقع مـن احساسه بفقدان السيطرة على مقدرات واقعه المحلى .. ومن تعطل فمليـاته للتغيير ازاء واقعباطش غارق في التخلف على جميع المستويات ولكنه شديد التقدم في الاخذ باحدث أساليب القمع التى أنتجتها الحضارة الحديثة أو الحضارة العميقة حسب تعبير ماركـوز ، ومن تلك الفجوةالكبيرة بين تالق صورة الحلم العربى في الاربعينات والخمسينـات وبشاعة هذه الصورة حينما ارتدت جسد الواقع في الستينات •• فها هـى كل الافكار التى نادى بها جيل الحلم والنبوءة وقد استحالت الى مسوخ شوهاء مفرغة من المعنى • وها هى الكلمات التى سفحت في سبيلها أطهر الاعمار تتحول الى حبال

(١١) فاضل العزاوى وسـامي مهدىوفوزى كريم وخالد على مصطفى (البيانالشعرى) العدد الاول منمجلة (الشعر ٦٩) العراقية •

تلتف على رقاب هذا الجيل الجديد وتحكم قبضتها عليه لتحوله الى انسان ذى بعد واحد (١٢) لا يفكر ولا يحلل ولا يعارض لان هذه الامور تورد التهلكة • وعليه الانصياع الى كل أدوات الحضارة الذرائعية وتأكيد اغترابه ان أراد لنفسه النجاة التى تستوى فى النهاية مع الموت •

ووعي جيل الستينات بتفاصيل هذه الصورة وعجزه عن المبادرة الى تغييرها هو الذي يدفعه الى تقنيع احتجاجه عليها فى صور بالغة التشابك والتعقيد حتى تصبح بالغة التخفى • وخلال عملية التخفى الجماعية تلك حاول كل شاعر أن يموه ملامحه وأن يرتدى أكثف الاقنعة وابعدها عن اثارة الريب • ومن قواعد لعبة التخفي تلك أنها برغم جماعيتها تعتمد كل الاعتماد على وسائل فردية الى اقصى حد • تتم فيها عمليات تحويل ــ بالمصطلح النفسى والفكرى ــ لا حصر لها ، تشكل التعدد الذى ينطوى فى آخر الامر على الوحدة • فكلها محاولات تستهدف المجاهرة باشياء لا يستطيع الفنان ان يعبر عنها بشكل مباشر • وتبغى الافلات بالادب من قبضة المراقبة والمساءلة دون ان يضحى بطاقته النقدية الخلاقة • وبين الرغبة فى الاضطلاع بدور نقدى واضح والخوف من التردى في فوهة الصمت الفاغرة فيها تنوعت منطلقات الشاعر الى استشراف حساسية اللحظة والتعبير عنها • وتمايزت بصورة يصعب معها الحديث عن مجموعة من الاتجاهات أو التيارات وهذا ما يتطلب منا تناولا نقديا جديدا يتخلق فيه الاسلوب والمنهج من خلال المعايشة الكاملة لرؤى الجيل الجديد والفهم العميق للمناخ الحضارى الذى صدر عنه • وللمفهوم الجديد الذى يطرحه لطبيعة الشعر ودور الشاعر •

٦ استشراف الآفاق الجديدة

اذا كانت الضرورات السابقة ذات طابع تاريخى وفنى فان هذه الضرورات ذات طابع حضارى بكل ثقل الكلمة السياسى والاجتماعي والاقتصادى والفكرى •• الخ • ومن هنا فان هذه الضرورة ظلت كامنة تحت قشرة حديثنا عن الضرورات السابقة • تطل برأسها على استيحاء لحظة وتختفى لحظات • فى جنوح القصيدة نحو التراكيب • وفى استيعابها للحساسية الجديدة وملاحقتها لتفتتها وتغيرها • وفى غموض القصيدة الجديدة وتصور رجل الستينات المميز لها •• فى كل هذه الضرورات كانت تلوح وتختفى الرؤى الجديدة التى تصاغ من جماعها هذه الضرورة •• كان هناك دائما ذلك التوق العارم الى استشراف الافاق الجديدة • وذلك الضيق المتبرم برسوخ الاوضاع القديمة وزحف الرؤى والتصورات السلفية وهي تكبل بأغلالها الجديدة مطامح تلك المغامرة التى تطمح الى أن تفسر العالم وتغيره كما يرى بدر شاكر السياب ، والى ان تجعل ما يفلت من الادراك العقلى ، مدركا أو أن تكشف عن عالم مجهول لم يعرف بعد كما يرى ادونيس » (١٣) فتحيلها الى شىء مهدر ممجوج فاقد للفعالية كأغلب الاشياء في عالمنا العربى • وكان هناك دائما الحلم بدور جديد للشاعر وبفهم جديد للشعر يرتد به الى الدور الذى اضطلعت به عرافة دلفى فى أساطير العالم القديم •• دور النبوءة والاستشراف والرؤيا • وكان هناك دائما الحنين الى ارتياد المطلق والبحث عن الحقيقة والتوحد مع سر الخلق وفعل الكينونة وكانت هناك ايضا الشهوة العارمة للكشف والمغامرة فى البقاع المجهولة وللتعبير عن أدق تذبذبات الوجدان العربى فى تشوفه لاكتشاف الذات والطريق •

لكن لم يكن واضحا الى جانب كل هذا أن التوق العارم الى استشراف الافاق الجديدة ليس ترفا محضا ؛ ولكنه ولبد طبيعى للظروف الحضارية التى عاشتها الامة العربية فى الستينات • لان « الصفات النوعية لمجتمع من المجتمعات تتطابق بدقة مع بعض التراكيب الخاصة بلغة معينة ، وغير القابلة للترجمة » (١٤) والتى نسميها شعرا • ولان تشوف الشعر الى استشراف الافاق الجديدة كان جزءا من التشوف الجمعى الى تجاوز الواقع الذى أنجب النكسة بكل ما فى هذا الواقع من جهل وحماقة ؛ وتجوف وزيف وفساد • بكل ما فيه من قشور مظهرية واذاعات بليغة وخطباء مزعجين وانتهازيين • ولان تشوف الشعر لارتياد هذه الافاق الجديدة نابع من رغبته فى المساهمة فى تعويض انعدام التوازن فى واقعنا الراهن ــ كما يقول موندريان ــ والعمل على خلق هذا التوازن وعلى تصحيح قبه المائل • واذا كانت هذه الرغبة قد وجدت فى الشعر تعبيرا موفقا عنها فان ذلك راجع الى طبيعة الظروف التى عاشها مجتمعنا العربى طوال السنوات العشر الماضية والتى تقع هزيمة حزيران الدامية فى منتصفها تماما •

ولن أتحدث هنا عن سنوات ما قبل الهزيمة ولا عن ارهاصاتها التى تبدت فى الكثير من الاعمال الادبية الناضجة قبل وقوعها بسنوات • ولكنى سأكتفى فقط بدور سنوات ما بعد النكسة فى ارهاف حسنا بالحاجة الى المراجعة الشاملة لشتى الثوابت والرواسخ فى واقعنا • وبالحاجة الى أن نجعل هذا التاريخ الدامي ــ يونيو ١٩٦٧ ــ علامة فارقة في حياتنا • ننطلق بعده الى آفاق جديدة وقد أخذنا من وقائعه ابلغ الدروس والعبر • وقد انعكس هذا فى توق الجيل الجديد من الكتاب الى طرح رؤاه وأعماله بعيدا عن حماية الجيل السابق ومفاهيمه • فكانت مجلة (٦٨) فى القاهرة ومجلة (الشعر ٦٩) و (الكلمة) فى العراق برغم كلما قد نأخذه عليها تعبيرا عن هذه الرغبة وتأكيدا لها • تعبيرا يحمل فى طواياه ضيق الجيل الجديد من تلك الازدواجية المروعة التى ألفها جيل الاربعينات • ويشير الى رغبة هذا الجيل فى الانفلات من قبضة ما رسخه جيل الاربعينات فى واقعنا من قيم وتقاليد تصوغ تناقضاتها كل تناقضات السنوات التى كانت أحداث يونيو تعبيرا عن ذروة صراعاتها •

ولكن أهم ما يشير اليه جنوح جيل الستينات الى الانفلات من قبضة رؤى الاجيال السابقة ومفاهيمها هو أن ثمة تغييرا جذريا فى حساسية اللحظة قد حدث • وان هناك مفهوما جديدا للادب والحياة قد بدأ يتخلق تحت قشرة المفاهيم القديمة ويجاهد للتملص من قبضتها ولتخليص وجهه من ملامحها •• وأخذ هذا المفهوم الجديد وهو يرى الرغبة المخلصة فى التغيير التى انطلقت بعد النكسة تمسخ باسم التغيير ذاته يضيق بتلك المقولات الراسخة عن كون الفن تعبيرا عن الواقع • ويحاول أن يحل بدلا منها مجموعة من المقولات الجديدة التى ترى ان الفن تغييرا وان الفن تمردا وثورة وان الفن نبوءة ورؤيا • فمن خلال تلك المقولات وحدها يستطيع الفنان ان يترجم ضيقه بالحلول التى تطرحها الطلائع السياسية للمعضلة القومية الى

(١٢) راجع هربرت ماركوز (الانسان ذو البعد الواحد) ترجمة جورج طرابيشى ، منشورات دار الاداب ، ببيروت •

(١٣) خالد سعيد (البحث عن الجذور) منشورات دار مجلة شعر ، ببيروت ص ٨ •

(١٤) جان بول سارتر (اورفيوس الاسود) ضمن كتاب (أدباء معاصرون) ترجمة جورج طرابيشى دار الاداب ، ببيروت ، ص ٩٠ •

مصطلحات جمالية محضة • وهذه المصطلحات الجمالية الجديدة هي تعبير الفنان عن احساسه بالظروف الحضارية التي يعيشها أو هي الافراز الطبيعي لتناقضات هذه الظروف • ولذلك فانها تتطلب منها تناولا نقديا جديدا •• لا يرى في حنين الشاعر الى استشراف الافاق الجديدة والى تخليص الفن من التبعية الممجوجة للواقع نوعا من الهروب من الواقع أو التعالي عليه • ولكنه ينفذ من خلاله الى طبيعة رؤى الفنان لهذا الواقع لا في لحظته السكونية الراهنة ولكن في صيرورته وحركته الدائمة •

وفي نهاية حديثي عن الضرورات التي نستلزم بحثنا عن منهج لنقد الشعر الحديث أحب أن أشير الى أن كل ضرورة من هذه الضرورات لا تعمل بمعزل عن الاخرى ولكن في تشابك كامل مع غيرها من الضرورات • بالدرجة التي تجد معها من زاوية معينة للنظر أن كل واحدة من هذه الضرورات انما تنطوى في الواقع على الضرورات الباقية . وان تناولنا لكل واحدة بمعزل عن الاخريات انما كان لابراز الدور النوعي لها ولتبسيط الدراسة • وهذا ما قد يفسر بعض التكرار الطفيف الذى يطل بين لحظة واخرى وان حاولت دائما في هذه الحالات ان اكبح جماحه والا استسلم لاغراءاته حتى احتفظ للدراسة بالتركيز والوضوح معا •

٧ البحث عن جذور تراثية للمنهج الجديد

اذا كانت حركة التجديد في القصيدة العربية قد انطلقت من استيعاب تراث القصيدة القديمة شكلا ومضمونا ثم انطلقت به في مغامرة تعقد تزاوجا بين أفضل ما في القصيدة العربية وأرقى انجازات القصيدة الانسانية وخاصة الاوروبية منها • فان على المنهج الجديد ان يعقد هو الاخر تزاوجا بين أفضل اساليب نقد الشعر في ادبنا القديم وبين اكثر مناهج النقد الاوروبى تواؤما مع طبيعة القصيدة العربية الحديثة • وقد يتصور البعض أنه ليس في تراثنا النقدي القديم ما قد يفيد الناقد الحديث وقد تعقدت رؤاه وثقافاته وتساقطت بين يديه ثمار الكثير من المعارف بالحضارة الانسانية وبالنفس البشرية معا • غير ان التريث ازاء بعض الدراسات اللامعة في نقد الشعر العربي القديم ما يلبث أن يكشف عن مدى ما في هذا التصور من خطأ • حيث تتضمن فهما نقديا عميقا للشعر كان له طبيعته النوعية الخاصة ومبناه الفريد • وحيث تشير بعض دراساته الى كشوف العقل العربى المباكرة في ميدان النقد .فالنقد الادبى سابق عند العرب للتاريخ الادبى » (١٥) وهذا السبق يؤكد المنحى الفني الباكر للنقد قبل أن تسيطر عليه النزعة التاريخية • لذلك نلمس في أول الكتب النقدية التى ألفت في تاريخ الادب العربى وهو (طبقات الشعراء) لابن سلام الجمحى مجموعة من القيم النقدية الهامة يجملها الدكتور مندور فى البدرية والممارسة وادراك اهمية تحقيق صحة النصوص وصحة نسبتها ومحاولة تفسير الظواهر الادبية وتعليلها بالرجوع الى مجموعة من العوامل التاريخية والبيئية • وبلورة مجموعة من المبادىء العامة التى يمكن اتخاذها كأساس للمفاضلة مثل كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودته •

ولقد اخذت هذه القيم النقدية في الاتجاه نحو النضج والعمق والتحدد بعد ذلك لدى ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) ثم بدأت تميل الى المنهجية والمعيارية لدى ابن المعتز في كتابه (البديع) وقدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) حتى وصلت الى ذروة النضج من حيث التحليل والمقارنة في الموزنات والخصومات والسرقات وغير ذلك من الدراسات النقدية التي تعتمد على اسس منهجية راسخة وعلى معرفة وثقافة شعرية شاملة • ثم تعددت بعد ذلك كتب النقد واساليبه وان اندرجت كلها تحت خمسة انواع : « احدها يصنف الشعراء القدامى الى طبقات • والثاني التعريف بالشعراء والترجمة لهم دون تصنيف • والثالث افراد كل بيئة من البيئات الكبرى المعاصرة للمؤلف بقسم من اقسام الكتاب • ونضيف الان اليها نوعين آخرين احدهما يمثل عناية المؤلف ببيئته ومن فيها من أعلام الادب • والثاني يصور الاتجاه الموسوعي أو المعجمى في التعريف بالسابقين من الادباء والعلماء الى عصر المؤلف » (١٦) وفي كل هذه الدراسات النقدية استطاع نقد الشعر في تراثنا القديم أن يبلور له مجموعة من الخصائص المعيارية والمنهجية ومجموعة من القيم الجمالية تتبدى بشكل واضح في كتابى (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر و (الصناعتين : الكتابة والشعر) لابى هلال العسكرى •

ففي (نقد الشعر) لابى الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ نعثر على أول تشريع فلسفي للادب كما يقول الدكتور طه حسين (١٧) « فنحن عندما نقرأه نحس من أول فصوله اننا بازاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل » روح ينزع نحو التقرير العلمى والتحديد الفلسفي ويحاول أن يبلور قيمه ومقاييسه من خلال استقراء شبه علمى يعتمد على البصيرة النافذة والحس المرهف •• انظر مثلا كيف يعرف الشعر وكيف يحلل تعريفه له فستجد ذلك شيئا تقريريا محضا فهو يقول « انه قول موزون مقفى يدل على معنى •• فقولنا : قول ، دال على أصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا : موزون يفصله مما ليس بموزون اذ كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا : مقفى : فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافى له ولا مقاطع • وقولنا : يدل على معنى ، يفصل بين ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى • مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى .. فاذا كان قد تبين ان الشعر هو ما قدمنا ، فليس من الاضطرار اذن أن يكون ما هذه سبيله جيدا ابدا ولا رديئا ابدا : بل يحتمل ان يتعاقبه الامران : مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق • فحينئذ يحتاج الى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء » (١٨)اذا كانت هذه العبارة التى اقتطفناها من بداية الفصل الاول في كتاب قدامة تدل على منتهى التفكير الفلسفي ـ كما يقول طه حسين ـ فانها تكشف أيضا عن بصيرة نقدية تعرف أن تحديدات الشكل الخارجى لا تكفى لسبر أغوار العمل الفنى ، بل يظل هناك ، مع توافر كل شروط الشكل عمل جيد وآخر ردىء • وفي محاولة طموحة للوصول الى مجموعة من المعايير والخصائص التى تميز العمل الجيد من الرديء يقدم قدامة تحليلا باهرا للقصيدة العربية يكتشف قبل أكثر من ألف عام ان الشعر بنيان وان الطريق الصحيح لاكتشاف القصيدة هو التحليل اللغوى لمفرداتها ولتراكيبها ولطريقة صياغتها لصورها •

لذلك فانه يخصص القسم الاكبر من

---

(١٥) د• محمد مندور (النقد المنهجي عند العرب) مكتبة النهضة المصرية ، ص ٥ •

(١٦) د• محمد خلف الله أحمد (الاسلام والحضارة) وزارة الارشاد القومى ، القاهرة ص ٨٦ •

(١٧) راجع د• طه حسين (البيان العربى من الجاحظ الى عبد القاهر) مقدمة تحقيقه مع عبد الحميد العبادى لكتاب [نقد النثر] المنسوب لقدامه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ١٦ •

(١٨) أبو الفرج قدامة بن جعفر (نقد الشعر) تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص ١١

كتابه للجانب الوصفي من عملية التحليل تلك • ويعمد في البداية الى تقسيمها الى اقسام اربعة من حيث ائتلاف مكونات القصيدة الاربعة من لفظ ومعنى ووزن وتقفية واتساقها في بنيان بنيد متكامل • وهذه الاقسام هى « ائتلاف اللفظ مع المعنى • وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية » (١٩) ويبدأ قدامة بعد ذلك حديثه عن هذه الاقسام الاربعة بشكل نظرى وتطبيقى معا • يفصل في البداية فكرته ثم يورد بعد ذلك مجموعة من الشواهد التى لا تجعل حديثه مجردا والتى تساهم في تقريب استقصاءاته النظرية في الاذهان • وفي الفصل الثانى الذي يخصصه لنعوت مكونات القصيدة يتحدث عن نعت اللفظ ونعت الوزن ومنه الترصيع ونعت القوافى • ويكشف خلال هذا الحديث عن رؤى وقيم جمالية على درجة كبيرة من النضج والجمال • ثم يفرد لنعت المعنى بابا اضافيا يفصل فيه المعاني وفق ما تعارف عليه العرب من أغراض القريض فيذكر نعت المديح ونعت الهجاء ونعت المراثى ونعت الوصف ونعت النسيب ونعت التشبيه • ثم ما يلبث أن ينتقل بعد ذلك من الكليات الى الجزئيات أو من الوصف الى التحليل فيتناول صحة التقسيم داخل القصيدة الواحدة وصحة المقابلة وصحة التفسير • ثم يعود الى الاقسام الاربعة التى ذكرناها من قبل فيتريث عند كل قسم منها محللا •• فيرى ان لائتلاف اللفظ مع المعنى عدة وجوه ايجابية هى الاشارة والارداف والتمثيل • وعدة وجوه سلبية هى المعاظلة والاخلال • وان لائتلاف اللفظ مع الوزن وجها ايجابيا آساسيا يمكننا أن ندعوه بالمصطلح المعاصر الحتمية لانه يتجلى في « أن تكون المعانى تامة مستوفاة لم تضطر باقامة الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه • وان تكون المعانى أيضا مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من اجل اقامة الوزن والطلب لصحته » (٢٠) بينما – لائتلاف اللفظ مع الوزن – عدة وجوه سلبية هي الحشو والتثليم والتذنيب والتغيير والتعطيل • وان لنعت ائتلاف القافية وجهان ايجابيان هما التوشيح والايغال ووجهان سلبيان هما تكلف في طلب القافية أو أن يؤتى بها لكي تكون نظيرة لاخواتها في السجع • ويستمر قدامة بهذا الاسلوب التحليلى في حديثه المدعم بالامثلة والشواهد عن عيوب اللفظ وعيوب الوزن وعيوب القوافي – مثل التجميع والاقواء والايطاء والاسناد – وعيوب المعانى وغير ذلك من



اغراض الشعر وضروبه •

وقد أطلت في عرض النقاط الاساسية لكتاب قدامة حتى أوضح الى أى مدى جنح نقد الشعر العربى القديم الى استنباط منهجه في تناول القصيدة من معايشته للقصيدة نفسها ومن احساسه بالنوعية الخاصة للشعر • ولو استسلمنا لاغراءات الحديث عن الشواهد المتعددة على عمق انجازات العقل العربى في مجال نقد الشعر لكان علينا ان نكتب كتابا وخاصة اذا ما أضفنا الى حديث النقاد عن الشعر حديث الفلاسفة القدامى كحديث ابن سينا عن المدركات الحسية والمدركات المعنوية في القصيدة وتحليله لما يمكن أن نسميه بالمصطلح المعاصر سيكلوجية العملية الابداع • خلال ملاحظاته الهامة عن عملية الخلق الفنى للقصيدة وهي لما تزل كيانا غامضا في نفس الشاعر • أو حديث ابن خلدون عن علاقة البيئة بالصورة التي يتبدى فيها الادب في عصر معين وعمق فعالية هذه البيئة في صياغة صور ادبية ذات طابع خاص • أو حديث غيرهما من الفلاسفة كالفارابى وابن رشد والقشيرى وغيرهم • لكننى أحب هنا أن أشير الى مواصلة ابى هلال العسكرى لتحليلات قدامة واستقصاءاته مستفيدا من كتاب ابن المعتز عن (البديع) •• مبلورا مجموعة من الافكار المبهمة عما نسميه الاستعارة بالمصطلح المعاصر • وهى بتعريف ريتشاردز « الوسيلة العظمى التى يجمع الذهن بواسطتها في الشعر اشياء مختلفة لم توجد بينها علاقة من قبل • وذلك لاجل التاثير فى المواقف والدوافع • وينجم هذا التاثير عن جمع هذه الاشياء وعن العلاقات التي ينشئها الذهن بينها • واذا فحصنا أثر الاستعارة جيدا وجدنا أن هذا الاثر لا ينشا عن العلاقات المنطقية المتضمنة الا فى حالات قليلة جدا • أن الاستعارة هي وسيلة شبه خفية يدخل بواسطتها فى نسيج التجربة عدد كبير من العناصر المتنوعة » (٢١) •

واذا حاولنا ان نقارن هذا التعريف الحديث للاستعارة لا بالفصل الاول من الباب التاسع والذى كرسه ابو هلال العسكرى للاستعارة والمجاز ولكن بالباب التاسع باكمله والذى عدد فيه العسكرى خمسة وثلاثين ضربا من ضروب البديع ، وجدنا ان حديث العسكرى عن البديع ينطوى على مجموعة كبيرة من الجزئيات التى يمكن ان نقيم على نثارها مفهوما للاستعارة يقترب الى حد كبير من تعريف ريتشاردز لها •• لان فنون البديع التى حصرها العسكرى فى « الاستعارة أو المجاز والتطبيق والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم وصحة التفسير والاشارة والارداف او التوابع والمماثلة والغلو والمبالغة والكناية والتعريض والعكس او التبديل والتذييل والترصيع والايغال والتوشيح ، ورد الاعجاز على الصدور والتكميل او التتميم والالتفاف والاعتراض والرجوع وتجاهل العارف او مزج الشك باليقين والاستطراد وجمع المؤتلف والمختلف والسلب والايجاب والاستثناء والمذهب الكلامي والمجاورة والاستشهاد والاحتجاج والتعطف والمضاعفة والتطريز والتلطف » (٢٢) تتضمن من الجزئيات ما يشيد نظاما حديثا فى الاستعارة بمفهومها الحديث كاداة لبناء المعنى داخل التجربة الشعرية • غير ان ابا هلال العسكرى لا يدلف الى هذه الفكرة من خلال

---

(١٩) نقد الشعر ، ص ٢٠

(٢٠) نقد الشعر ، ص ١٦٥ •

(٢١) أ•أ• ريتشاردز (مبادىء النقد الادبى) ترجمة د• محمد مصطفى بدوى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ، ص ٣١٠ •

(٢٢) راجع أبو هلال العسكرى ، الصناعتين / الكتابة والشعر ، تحقيق محمد أمين الخانجى ، مطبعة صبيح بالازهر ، القاهرة ، الباب التاسع ، من ص ٢٥٧ ـ ٤١٧ •

مصطلح نفسي كما يفعل ريتشاردز. ولكن من خلال منطلق لغوي يعمد الى تحليل علاقات الالفاظ في تجاورها وتنافرهاوجدلها . وكأن ابا هلال العسكري قد تصرف قبل الف عام وفقا لمقولة ريتشارد بلاكمور « لا يكتب الشاعر افكارا بل الفاظا » وهي المقولة التي أسس بلاكمور وفقا لها منهجا متميزا في تحليل التجربة الشعرية (٢٣) واذا نظرنا وفقا الى انجازات أبي هلال من خلال منطلق معاصر في تحليل الالفاظ سنجد انه لم يقدم تحليلا لغويا فحسب ولكنه أشار الى نوع من تحليل المعنى داخل العمل الشعرى فيه الكثير من العمق والحداثة .

وقد اردت من حديثى عن قدامة والعسكرى أن أشير - مجرد اشارة لا تدعى الاحاطة الكاملة بل تكتفى بادل الامثلة - الى أن في نقدنا العربي الكثير من القيم البناءة التى لابد ان نلتفت اليها ونحن نبحث عن منهج نقدى جديد . ولا يعني التفاتنا اليها اننا ننقل عنها بلا روية أو تبصر . وانما الذى يعنيه أن نأخذ منها ما كان لصيقا بطبيعة القصيدة العربية وان نمرره عبر معارفنا العصرية حتى يأخذ شكلا يتواءم مع عصرنا دون ان يفقد صلته بالماضي . وفي حديث ابى هلال عن البديع الكثير من الملاحظات التى يمكنها ان تساهم في بلورة مفهوم خاص للاستعارة في القصيدة وبناء خاص لفكرة المفارقة التي يرى النقد الحديث انها العصب الرئيسى للبنيان في مختلف الاعمال الفنى . واذا كانت هذه الملاحظات تستطيع أن تقدم لنا عونا مباشرا ونحن نبلور منهجنا لنقد القصيدة الحديثة ، فانها من وجهة ثانية للنظر تقدم لنا عونا آخر غير مباشر ولكنه أجل نفعا وابلغ فائدة . لانه عون منهجي يضع ايدينا على حقيقة هامة اكتشفها النقد العربي منذ أمد بعيد . وهي ضرورة توافق المنهج النقدى مع مناهج التفكير الشعرى السائدة أو ضرورة تولده منها . فتركيز النقدالعربي على التناول اللغوى للقصيدة كان ابن أسلوب الابداع السائد للقصيدة كعمل بلاغي بالدرجة الاولى . وقد استطاع توافق المنهج النقدى مع الفهم السائد للقصيدة ان يقدم مجموعة من الخدمات الجليلة للقصيدة وصلت بها درجة عالية من التألق والتبلور اللغوى . ولا يعنى هذا التوافق تبعية من النقد للعمل الابداعى . ولكن مشاركة منه في ترسيخ منهج التفكير الشعرى وتعميق ابعاده .. فالمنهجان معا وليدا مجموعة من العوامل الحضارة أعم منهما وأشمل واكثر تجذرا في الواقع الذى انجبهما معا . وهما يتبادلان التأثير والتأثر ويتفاعلان فيعدل كل منهما الآخر ويطوره .

وهذه الحقيقة المنهجية التي تقدمها لنا الدراسات النقدية القديمة هي أهم ما يجب ان نضعه نصب أعيننا ونحن نشرع في البحث عن منهج جديد .. فمن خلال هذه الحقيقة يمكننا ان نفرز عطاء هذه الدراسات فنأخذ منه ما يفيدنا ونترك ما لا فائدة لنا منه . وحتى الجزئيات التى سنأخذها علينا ان نخضعها للنظرة الحديثة كما ذكرت وان نطورها وفقا لها دون ان نفقدها أصالتها وتجذرها في العقل العربى . حتى نستطيع ان نخلق من خلال التزاوج بين هذه النظرات الاصيلة في تراثنا والمحاولات المنهجية النقدية في عصرنا منهجا جديدا يستطيع أن يستشرف أبعاد التجربة الشعرية الجديدة في حاضرها وصيرورتها معا . وهذ المزاوجة وحدها هى القادرة على ان تمنحنا منطلقا نقديا لا يغرق في شكلية المنطلقات القديمة . ولا تعميه سياسية المنطلقات المعاصرة عن تناول التجربة الشعرية كمخلوق عضوى له حيويته وطابعه الفريد . ولابد اذا اردنا أن نتعرف عليه حقيقة أن نجهد انفسنا في العثور على الطريق الصحيح الذى سيفضى اليه وعلى المفاتيح التى يمكن ان تلين أمام حركتها أبوابه المغلقة .. فهل تراننا نستطيع ؟ ! هذا ما سنحاوله في النقاط القادمة .

٨ سمات المنهج الجديد وملامحه

اذا كانت الضرورات التى استلزمت ميلاد القصيدة الجديدة قد ساهمت في صياغة الطابع الخاص لهذه القصيدة وبلورت ملامحها . فان الضرورات التى تستلزم البحث عن منهج جديد هى التى تشارك في خلق سمات هذا المنهج وتحديد ملامحه . ومن هنا كان ضروريا أن نتريث طويلا عند هذه الضرورات . لان تريثنا عندها في الحقيقة ليس الا تريثا عند هذا المنهج نفسه ، ولكن بطريقة غير مباشرة، ولانها تنطوى على أهم سمات هذا المنهج وملامحه .. واذا كان علينا هنا أن نتناول هذه السمات بشيء من التحديد فلابد أن نحتفظ بداءة ازاء ما قد يبدو لاول وهلة وكأنه تحديد قطعي صارم . فنحن نطرح في هذا الجزء من الدراسة تصورا للمناقشة ولا نقدم نتائج نهائية لا يأتيها الشك ولا تقبل الاجتهاد . وهو تصور قابل للتعديل والتطوير بالحذف وبالاضافة على حد سواء . ذلك لانه ليس ثمة منهج نهائي واحد بقدر ما انه ليس ثمة تجربة شعرية نهائية . فلابد ان يكون هذا المنهج منفتحا بقدر انفتاح التجربة الشعرية وقابليتها للاضافة والتطوير . وان يكون قادرا على استيعاب مغامرات القصيدة مع التجديد ومطامحها مع التغيير . وأن يوطىء الارض الجديدة أمام المغامرة الشعرية ويفتح امامها الافاق الجديدة . وهذا التفاعل المستمر بين المنهج النقدى والتجربة الشعرية هو الذى يدفعنا الى القول بأنه لابد أن تتنوع أساليب التناول النقدى - في داخل اطار منهجى رحيب - بقدر تنوع أساليب التفكير الشعرى وتعددها .. فان كل أسلوب متميز في التفكير الشعرى يطرح على الناقد منهجا متميزا في تناوله .

ولا يعنى هذا التعدد اننا قد نجد انفسنا فجأة في متاهة منهجية تفضى بنا الى القول بان لكل قصيدة منهجا خاصا في تناولها وان كان في هذا القول قدر من الصحة اذا أخذنا كلمة المنهج بمعناها الضيق . لان تعدد القصائد داخل أسلوب معين للتفكير الشعرى وفهم معين للتجربة الشعرية يقابله تعدد التطبيقات داخل أسلوب منهجى واحد لا تتعدد المناهج النقدية نفسها وأساليب التفكير الشعرى لا تتغير الا بصعوبة وعلى فترات متباعدة . وهذا ما يدفعنا الى القول بضرورة العثور على مجموعة من التحديدات المنهجية تدوم طوال دوام أسلوب التفكير الشعرى الذى رافقته وتخلقت من خلال معايشته . لان كل منهج نقدى ينطوى على تصور معين للفن . وهذا التصور المعين للفن هو ما نسميه في الشعر بأسلوب التفكير الشعرى .... لان أسلوب التفكير ينهض بدوره على تصور لوظيفة الشعر ولدوره وللعوامل المشاركة في صياغة التجربة الشعرية .. من صور والفاظ وتراكيب ومواقف وايقاعات .. الخ . لذلك فان أسلوب التفكير الشعرى بهذا المعنى يكون مرادفا للمدرسة الشعرية أو للحركة الشعرية والمدارس والحركات الشعرية - في تاريخ الشعر الانساني كله - تعد على الاصابع . لان احداث تغيير جذرى في أسلوب التفكير الشعرى يحتاج الى ثورة والثورات الحقيقية في عالم الادب قليلة أو بالاحرى نادرة .. فتاريخ الادب لا

(٢٣) راجع الفصل الخاص بريتشاردبلاكمور في الجزء الثانى من كتابستانليهايمن (النقد الادبى ومدارسه الحديثة) ترجمة د. احسان عباس و د. محمديوسف نجم دار الثقافة ، بيروت

يعرف سوى بضع ثورات كبيرة ومجموعة مماثلة من الانتكاسات على كل ثورة جديدة واعادة بعث رفاة الثورة السابقة مع تغييرات طفيفة •

وقد كانت حركة الشعر الحديث ثورة حقيقية فى تاريخ القصيدة العربية لانها طرحت اسلوبا للتفكير الشعرى يختلف عن الاسلوب السائد فى القصيدة القديمة •• وهى ثورة بدأت بشائرها وارهاصاتها مع ما اصطلح على تسميته فى نقدنا الحديث بمدرسة الديوان (٢٤) ثم مع اسهامات جماعة ابوللو فى الشعر العربى •• ففى الديوان وابوللو البذور الاولى لبعض عناصر التفكير الشعرى التى تبلورت واكتملت مراحل نضجها مع حركة الشعر الحديث • لان الاسلوب الجديد للتفكير الشعرى لا يولد فجاة بل يحتاج الى عناء طويل •• ولقد صادفت البذور الجيدة التى القتها مدرسة الديوان وجماعة ابوللو ارضا قاحلة فى القصائد التقليدية التى كتبها شعراء ابوللو والديوان • وظلت تعانى من الشحوب حتى التقطها شعراء المدرسة الحديثة ونقلوها الى الارض التى سرعان ما ازدهرت فيها ونمت • وقد تبلورت هذه البذور فى عدة افكار أساسية هى فكرة التجربة الشعرية ، والبنيان العضوى للقصيدة ، واهمية التوازن بين ضرورات الايقاع والحتمية فى بناء التجربة الشعرية ، وتحرير الشاعر من الفهم القبلى لوظيفته فى المجتمع مع التركيز على ذاتيته بفهم رومانسى ينتمى فى الغالب الى الرومانسية الانجليزية عند وردزورث وشيللى لا عند كوليردج وكيتس •

وقد جاءت القصيدة الحديثة فهيات لهذه الافكار الارض التى ترعرعت فيها وازدهرت • وان حاولت العودة الى الفهم القديم لدور الشاعر باعتباره صوت القبيلة ومغنيها والمعبر عن هواجسها وصبواتها والمستشرف لرؤاها • وحتى يضطلع الشاعر الحديث بهذه الوظيفة المعقدة كان عليه أن يخلص لقضية الشعر ذاتها ، لانه بدون الاخلاص لقضية الشعر لا يمكن أن يكون ثمة اخلاص لقضية اخرى • او بالاحرى لا يمكن أن نحس نحن – كمتلقين – بهذا الاخلاص مهما توفرت للشاعر أطيب النوايا . واخذ النقد يحاسب الشاعر لا على مدى اضطلاعه بكافة أبعاد هذه الوظيفة المعقدة ولكن على مدى توفيقه فى أن يكون الصوت السكونى لهموم القبيلة السياسية دون بقية الوظائف الاخرى •• ومن هنا دار الشعر فى دائرة مغلقة لسنوات عديدة • وكان للنقد دور كبير فى تكريس هذا الدوران وفى تطويل امده • لكن الشعر ما لبث أن تجاوز هذه الكبوة • وها نحن نستشعر عبر عدد كبير من الضرورات الحاجة الى منهج نقدى جديد لا يقف عاجزا أمام تردى الشعر فى المتاهات والدوائر المغلقة • بل يساهم بفعالية فى تطوير التجربة الشعرية وتوسيع افقها • منهج لا يستوعب هذه الضرورات – التى سبق أن تناولناها بشىء من التفصيل – فى سكونها وآنيتها ولكن فى استمرارها وصيرورتها •

واذا كانت القصيدة التركيبية هى احدث مراحل القصيدة الجديدة فانها ليست مرحلتها الاخيرة • فلابد أن هناك اشكالا جديدة لم يسفر عنها المستقبل بعد • وعلى هذا المنهج أن يتخلق من هذه الضرورات وان يترك الباب مفتوحا بل ومستعدا لتقبل التغيرات الجديدة فى شكل القصيدة واسلوبها .

وقد لاحظنا ان رحلة القصيدة تتجه صوب التركيب •• وطالما ان القصيدة تجنح نحو التركيب فان من الضرورى أن يجنح المنهج النقدى بالقدر نفسه نحو التحليل • فليس باستطاعة المنهج الوصفى أن يستوعب قضايا القصيدة الجديدة وليس بمقدوره النفاذ الى أغوارها • بل لابد لهذا الامر من منهج تحليلى يميل الى المعيارية • ويستفيد من الإنجازات النقدية القديمة وخاصة من تركيزها على التحليل اللغوى للقصيدة ومحاولتها اضفاء طابع معيارى على هذا التحليل • لذلك فلابد أن يوجه المنهج الجديد عناية خاصة الى دور الكلمة فى العمل الشعرى •• فالشاعر الحديث لا يتعامل مع الكلمة كرمز او كاشارة يراد بها الدلالة على شىء ما • ولكنه يتعامل مع الكلمة كجسم كامل له طبيعته الجرسية الخاصة .. الخافتة الهامسة أو الصاخبة المتفجرة أو الكظيمة المدمدمة او المهمهمة المبهمة • يتعامل مع كل عضو فى جسد الكلمة الحى •• مع حروفها الصامتة أو الصائتة ، الساكنة أو المتحركة • فالكلمة لدى الشاعر جسم حى يتفجر تحت يده الساسة باضعاف الحياة التى يتفجر بها لدى الناثر ، ويتشح بجمالية فريدة وتنبثق منه دلالات وعلاقات متشابكة وشديدة التعقيد • اذ تثرى الطبيعة الاستعمالية للكلمة كجسم فى القصيدة ، الكلمة فى حد ذاتها بدلالات وايحاءات تفوق طاقة الكلمة ذاتها وتفيض على هيكلها المحدود المالوف المتعارف عليه بمعان جديدة • أو بمعنى ادق بظلال وتنويعات جديدة على نفس المعانى القديمة • فالشاعر ينتزع الكلمات من محدودية معانيها القاموسية ويغامر بها فى بقاع جديدة حتى ترد لها المغامرة بعض بكارتها وبدائيتها وسحرها • ومن هنا تصدق كلمة سارتر القائلة بأن : « الشاعر يخدم الكلمات قبل أن يستخدمها » لانه يثرى الكلمة بهذه الاضافات الجديدة • ويعقد علاقة وثيقة بين جرسها ومعناها سواء أكانت هذه العلاقة تجاوبا أو تنافرا ، مرافقة أو مفارقة • لانه يشد الانتباه من جديد الى الكلمة كصوت بدلا من الكلمة كمعنى فحسب • والى ذلك الشىء الثانوى الهام الذى نسى او تجوهل عندما جنح استعمالنا للكلمات الى الجانب الاستدلالى الذى يحول الكلمة الى رمز واشارة •• الى شىء لا الى كائن حى ملىء بالامكانيات • انه يخلص الكلمة من امتهانات النثر اليومية لامكانياتها الخلاقة ومن طمسه المتعمد للكثير من ملامحها ودلالاتها •

وعلى هذا المنهج الجديد أن يبادر عند تناوله للتجربة الشعرية بالتعرف على مدى اقتراب الشاعر من هذا بالاستخدام الشعرى للكلمات وبدراسة الكلمات الاثيرة لدى الشاعر وطريقة استعماله لها • ثم يتتبع المصادر التى استمد منها هذه الكلمات وقرائنها • وعلى الناقد أن يحلل الإستعمالات المختلفة للكلمات الاثيرة لدى الشاعر ، وان يطور هذا التحليل الى أقصى حد بأن يتتبع مثلا المعانى والايحاءات المتعددة للفظة واحدة اثيرة فى عدد من القصائد والاستعمالات بصورة تصبح معها اللفظة الميتة المحدودة المعنى والدلالة فى النثر مرتكزا لرؤية شعرية للحياة ولتصور فلسفى عن الماهية أو الكينونة أو الانسان . « فالشعر محاولة – عمادها الالفاظ السحرية – للايحاء بالكينونة من خلال التلاشى الاهتزازى للكلمات وبواسطتها • فالشاعر بمزيداته على عجزه اللفظى وبجعله الكلمات مجنونة ، يوحى الينا من وراء هذا الهرج والمرج الذى ينعدم من تلقاء نفسه بكثافات ضخمة صامتة • وما دمنا لا نستطيع أن نصمت فعلينا أن نسمع الصمت باللغة [٢٥] وايحاء الكلمات بالكينونة من خلال ما يدعوه سارتر بالتلاشى الاهتزازى للكلمات ، ينتقل بنا توا الى تطور الكلمات كأصوات وكرموز معا وهى تتلاشى بصورة اهتزازية كتلاشى الدوائر التى يحدثها سقوط حجر فى الماء • ثم تترك مساحات أو بالاحرى كثافات من الصمت العامرة بالايحاءات والرؤى • وعلى الناقد أن يترجم هذه الكثافات الصامتة الى أفكار وأشياء محسوسة من خلال دراسته للطبيعة الشعرية للكلمات فى القصيدة ، وللشكل الذى توجد عليه الكلمات فيها • فان هناك فارقا كبيرا بين سيطرة الكلمات الايجابية على عمل شعرى أو سيطرة الكلمات السلبية المسبوقة دائما بادوات النفى • لان شكل الكلمة فى الشعر لا ينطوى على معنى فحسب وانما أيضا على احساس وموقف •

من هنا كان لابد للمنهج الجديد ان يعطى الكلمة اهمية كبيرة •• لان دراسة الكلمات فى الشعر هى الطريق الحقيقى الى كل ما فى عالم الشعر من رؤى وايقاعات واحاسيس • فبالكلمات وحدها يبنى الشاعر تجربته ويصوغ لنا عالمه • وخلال هذا البناء يحمل الشاعر الكلمات بنوع خاص من المعنى بصورة تصبح

---

(٢٤) لا اعتبرها مدرسة بالمعنى الذى أشرت اليه ولكن هكذا اصطلح على تسميتها •
(٢٥) سارتر (أورفيوس الاسود) ص ٩٣ •

يعها ، وَالكلمات مشحونة بالمعنى داخل القصيدة ولكنها ليست مشحونة بالمعنى خارج القصيدة • او بالاحرى انهـا مشحونة في القصيدة بنوع خاص من المعنى : معنى يشق طريقه مباشرة الى ما نسميه القلب ، ونعنى بهذا عضو المعرفة الذى يأخذ المعانى حية كاملة لا مقضومة مقسمة الى تجريدات ممضوغة (٢٦) • ويذهب ريتشـــاردز الـــى أن هـــذا الإستعمال الشعرى للكلمات اكثر قدرة على الوصف والتحديد ، « فالوسيلة التى يستخدمها الشاعر ، نغمات صـوته والايقاع الشعرى ، تؤثر في نزعاتنا وتجعلها تصطفى الافكار المعينة التـى تحتاج اليها من بين ذلك العدد المائج المبهم من المعانى الممكنة والافكار التى يذهب اليها المعنى • وهذا هو ما يمكن ان يفسر لنا السبب فى ان الاوصاف الشعرية تبدو ادق من الاوصاف النثرية غالبا • فاللغة اذا استعملت استعمالا منطقيا علميا تعجز عن أن تصف منظرا طبيعيا أو وجها انسانيا • انها لكى تؤدى هذا تحتاج الى جهاز هائل من الاسماء والالفاظ التى تدل على الظلال والفروق الدقيقة التى تحدد الصفات الفردية الخاصة •ولا تحوى اللغة مثل هذه الاسماء ولا تلك الالفاظ •لذلك وجب استخدام وسائل اخرى «(٢٧) وهذه الوســائل هـى مـا يلجـا اليها الشاعر عندما يتيح للقارىء ان يصطفى المعنى الدقيق المطلوب من بين عدد غير محدود من المعانى الممكنة التى تحتوى عليها لفظة او عبارة او تركيب معين من الكلمات •

لذلك لابد للمنهج الجديد ان يتناول كلمات القصيدة بعيدا عن الاســاليب السيمانتية فى تحليل الكلمات •• لان الكلمة فى الشعر تحاول دائما التملص من تحديدات علماء السمانتيات ـ علم المعانى ـ لتسترد البكارة وبراءة الرؤيا كما يقول مالا رمية • وعلى هذا المنهج الجديد ان يحارب باستمرار من اجل تنمية ذوق فعال فى القراءة •• يعايش الكلمات وينصت لظلالها وايحاءاتها قبل معانيها المجردة ذوق يستبدل القراءة ـ المشاركة والقراءة ـ المعاناة بالقراءة ـ التلقى او القراءة ـ الاستسلام ، التى دمتها النماذج القديمة من القصائد باستعمالها للكلمات كدلالات نهائية لا تقبل اكثر من تاويل واحد • والحقيقة ان هذه مهمة فى غـاية الصعوبة • ليس على المتلقى الذى تعود على نمط معين فى الاستجابة للعمل الفنى طوال سنوات ، وهو نمط ما زالت عشرات العوامل السياسية والمجتمعية تشارك في تاكيده • ولكن ايضا على الناقد الذى عليه ان يستعمل الكلمات في عمليـة التحليل نفسها بطريقة مضادة للطريقة التى يطمح الى تربيتها فى المتلقى • لان الناقد فى عملية التحليل يستخدم الكلمات استخداما نثريا • ويحاول ان يقـدم مجموعة من التحديدات لاشياء تسعى بطبيعتها الى التملص من كل تحديد • كما يحاول ان يستخدم اللغة بطريقة مضادة لإستخدامات الشاعر لها •

فاهم الصعوبات التى يواجهها الشاعر عند استخدامه للكلمات هى : « ان اللغة عنصر عملى شائع • وهي بالضرورة اداة خشنة لان كل انسان يتناولها ويعالجها حسب احتياجاته ويميل الى الالتواء بها حسب شخصيته . ان اللغة مهما تكن شخصية ، وطريقة التفكير بالكلمات مهما تكن قريبة الى نفوسنا ، فان لها مع ذلك آصلا نفعيا ، ولها غايات عملية خالصة • ومن هنا فان مشكلة الشاعر هى آن يستخلص من هذه الاداة العملية وسيلة لخلـق عمـل هـو في جوهره غيـر عملى » (٢٨) وهذه المهمة الصعبة التى يتصدى لها الشاعر هى نفسها مهمة الناقد ولكن فى الطريق المضاد • ان على الناقد ـ او بالاحرى على المنهج النقدى الجديد ـ ان يسـير نفس مسـيرة الشاعر ، ولكن فى الطريق المضاد • وهو فـى سيره بعكس اتجـاه الشاعر لابد أن يحرص علـى آلا تكـون مسيرته ضـد مسـيرة الشاعر بل لابد ان تكون معها • لذلك فانه بازاء اسلوب للتفكير الشعرى يجنح نحو التركيب يشيد منهجا نقديا يعتمد على التحليل • واذا كان التحليـل عكس التركيب بالمعنى المجرد فانه هنا نوع من اعادة التركيب ولكن بشكل له نوعيتـه الخاصة • شكل لا يرى اللغة من منطلق نثرى جاف ولكن يراها ـ كما يقول كينيث بيرك نموذجا من العمل وهي كوسيلة للعمل قابلة لان تؤدى مـرة ومرات » ، « فحين نعـد اللغـة وسـيلة للمعرفة يكون نظرنا اليهـا من زاويـة ابستمولوجية آىسمانتية فنراها منزاوية علمية • وحين نعدها نموذجا من العمل نراها من زاوية الشعر • لان القصيدة فعل •• فعل رمزى اداه الشاعر الذى صنعها • فعل ذو طبيعة تمكننا نحن القراء من ان نؤديها مرة اخرى اذ تبقى فى ايدينا فى صـورة مبنـى او شىء » (٢٩) •

والنظر للغة على أنها نموذجا من العمل وضرب من ضروب الفعل هو الذى يتيح لنا التعرف على المهمة الحقيقية للكلمة الشعرية « فمهمة الكلمة الشعرية ليست محاكاة الاشياء والتشكل طبقا لها • بل مهمتها على العكس تفجير تعريفاتها وحدودها النفعية ومعـانيها التقليدية الشائعة الاستعمال لنستخلص منها امكانيات غير متوقعة وآمال ومعان كامنة مدهشة تحملها فى طياتها • تحول الوقائع المعروفة بابتذالها الشديد الى مادة تخلق الاساطير » (٣٠) واذا كان المنهج النقدى الجديد يدرك هذه الوظيفة الهامة للكلمة الشعرية • ويعـرف أن الشاعر يتعامل مع الكلمة بمنطق مغاير للمنطق المالوف ، ومن زاوية تجعلها أكثر قدرة على الوصف والتجسيد من اللغة العلمية ذاتها • فان عليه بعد هذا الادراك ان يوجه جل اهتمامه الى الكلمات فى القصيدة كما سبق أن اشرت وأن يتبع المصادر التى استمد منها الشـاعر كلماته • « اذ يجـرى فـى كل كلمـة يسطرها عقل تخيلى ـ كما يقـول رسكن ـ تيار سفلى مخيف من المعانى • كما أن لكل كلمة ظلا تلقيه عليها الاماكن العميقة التى قدمت منها ودليلا يشير الى مصدرها • وغالبا ما تكون معـانيها غامضة غير صريحة لان من يكتبها لا يعبا بالشرح المفصل لانه يرى الاعمال بوضوح تام • واذا أردنا أن نركز على المعانى ونقتفى آثرها فلابد من أن تقودنا دائما وبامان الى عاصمة مملكة الروح ، ومن هناك نستطيع أن نتتبع جميع الطرق والممـرات المـؤدية الى ابعـد نواطئها » (٣١) •

وعلى هذا المنهج الجديد إن يبحث بالاضافة الى كل ما سبق عن مدى التواءم بين طبيعة الكلمة وطبيعة القصيدة ككل • فلابد آن تكون ظلال المفردات واصواتها وايحاءاتها شديدة القرب من جوهر المناخ العام للتجربة ولا يعنى هذا القرب ضرورة الالتصاق اللزج بالمعنى العام للتجربة • فربما يكون التنافر والتعارض وسيلة ملائمة لتحقيق الاقتراب من مناخ التجربة أكثر من الاستطرادات الرتيبة « فالكلمات نفسها مبنية بناء مزدوجا • انها اصوات تعتبر رموزا للمعانى ، وهى ايضا رموز للمعانى تعتبر اصواتا • وانت لا تستطيع أن تستعملها باحدى الصفتين دون أن

---

(٢٦) ارشـيبالد ماكليس (الشـعروالتجربة) ترجمـــة سـلمى الخضراءالجيوسي، منشورات دار اليقظةالعربية، دمشق ، ص ٢٢ •

(٢٧) آ•أ• ريتشاردز (العلموالشعر)ترجمة د• محمد مصطفى بدوى ، مكتبةالانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٤٤ •

(٢٨) بول فاليرى (الشعر الصافى)مقال ضـمن كتاب (• الرؤيا الابداعية)ترجمة أسعد حليم ، منشورات مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ص ٢٤ •

(٢٩) ديفيد ديتشس (مناهيج النقـدالادبى) ترجمة د• محمد يوسف نجم ،دار صادر بيروت ، ص ٤٨٨ •

(٣٠) روجيه جارودى (واقعيــة بلاضفاف) ترجمة حليم طوســون ، دارالـكاتب العربى بالقاهرة ، ص ٢٨ •

(٣١) ت•أ• هيـوم (الـــكلاسيكيةوالرومانسية) ضمن الجزء الثـانى من كتاب (اسس النقد الادبي الحـديث) ترجمة هيفاء هاشم ، منشـورات وزارةالثقافة السورية ، دمشق ، ص ٩٠

تستعملها بالصفة الثانية » (٣٢) وهذه الطبيعة المزدوجة للكلمات تجعل الامر على درجة من الصعوبة لان الكلمات كاصوات قد تحقق اقترابا من مناخ التجربة في حين أن هذه الكلمات نفسها كرموز للمعاني قد تتنافر مع هذا المناخ •• فقليلة هي الكلمات التي تتطابق أصواتها مع معانيها • لكن على الشاعر أن يحقق نوعا من التوازن ، الذي يضع في اعتباره هذه الطبيعة المزدوجة للكلمات ، بين طبيعة الكلمات ومناخ التجربة الشعرية • واذا كان على المنهج الجديد أن يلتفت الى هذا التوازن فلان هذا هو بداية الطريق نحو توازن من نوع أكثر تعقيدا يهتم هذا المنهج به •• وهو توازن تتوافق فيه الصور الجزئية حسا وشعورا وصوتا وملامحا مع الصورة الكلية للقصيدة ومع طبيعة المناخ العام للتجربة الشعرية ككل •• بمعنى أنه لابد أن يلتفت هذا المنهج الى شيء أكثر تعقيدا من الوظيفة الدلالية للصورة •• فالصورة في القصيدة ليست دلالة فقط كما أن الكلمة فيها ليست دلالة فحسب • ولكنها حس وشعور وصوت وتكوين وكينونة • وهي في تكاملها الحي ذاك لابد وأن تكون موظفة بكافة أبعادها تلك في داخل التجربة الشعرية •• ولا يعني هذا البحث عن التوازن الاجهاز على مفهوم المفارقة وعلى عناصرها في القصيدة • ولكنه يعني الوعي الحاد بطبيعة الكلمة الشعرية والصورة الشعرية •

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الصورة علينا أن نتريث قليلا عند نقطة يجب أن يوليها المنهج الجديد نوعا خاصا من الاهتمام • وهي نقطة ترتبط بطبيعة نظرته الى الكلمات •• هذه النقطة هي التكرار •• وعلى المنهج الجديد أن يتناول التكرار من أربع زوايا •• الاولى زاوية موسيقية ترى أن التكرار ـ سواء أكان تكرار كلمات أم أبيات باكملها ـ يحدث اثرا موسيقيا •• ويخلق مجموعة من المحاور أو المرتكزات التي تغير من تشكل التجربة وتدور بها بضع دورات كاملة أو منقوصة على صعيد الايقاع الموسيقي •• وقد يكون لهذا الاثر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفها • كما يمكن أن يؤدي الى العكس •• وعلى المسافة الممتدة من الدور البنائي ونقيضه يقف منهجنا الجديد ليحدد مدى توفيق الشاعر أو اخفاقه في اللجوء الى التكرار من هذه الزاوية •• أما الزاوية الثانية فهي لفظية •• لان تكرار كلمات معينة له دور في اضاءة التجربة وتعميقها • اذ يشير الالحاح على بعض الكلمات داخل تراكيب ثابتة أو متغيرة الى اشياء لا تستطيع التجربة الشعرية الايماء بها دون هذا التكرار •• وعلى المنهج الجديد أن يحاول التعرف على مدى توفيق الشاعر في تكراراته أو اخفاقه فيها من هذه الزاوية •• أما الزاوية الثالثة فهي قاموسية فالتكرارات تشارك في صياغة قاموس الشاعر وتضع أيدينا على الكلمات الاثيرة عنده ـ وقد أشرنا من قبل الى أهميتها ـ وتوحي لنا بطبيعة موقفه من الكلمات وبنوعية الاشتقاقات التي يفضلها وبحركة الافعال التي يلجأ اليها وبأزمنتها • واهتمام منهجنا الجديد بهذه الاشياء ليس ترفا ولكنه سبيله الى الكشف عن فكر الشاعر وعن موقفه ورؤيته • أما الزاوية الاخيرة فهي زاوية منطلقية •• يبحث فيها هذا المنهج علاقة التكرار لدى شاعر معين بتراث التكرارات في الشعر الحديث وبمنطلقه وسط هذا التراث •• وهو من هذه الزاوية يطرح في دراسته لهذه الزاوية المنطلقية في التكرار على نفسه تساؤلات من نوع •• هل يشكل هذا الاستعمال للتكرار استمرارا للاسلوب السائد في المدرسة الحديثة ؟ •• أم اضافة له ؟ •• أم نكوص عنه ؟ •• أم أن الشاعر يطرح فهما جديدا للتكرارات ؟ •• وما مدى تواءم هذا التكرار مع طبيعة التجربة الشعرية التي يستعمل كأداة من أدواتها ؟ •

نعود بعد حديث التكرار من جديد الى الصورة •• والصورة تلك الاداة « التي تعرض تركيبا ناشئا من فكر وعاطفة في لحظة زمنية » (٣٣) على درجة عظيمة من الاهمية في الشعر الى الحد الذي يعتبرها معه البعض تعريفا للشعر •• فيقال ان الشعر تعبير بالصورة أو أنه تفكير بالصورة وتعبير بها • « ففي النثر مواقف نموذجية معينة • وترتيب للكلمات يتحرك آليا عبر تركيبات أخرى كما يحدث في العمليات الجبرية • أما الشعر فيمكن اعتباره من ناحية واحدة على الاقل مجهودا لتجنب خاصة النثر تلك • اذ انه ليس لغة تصورات بل لغة محسوسات منظورة • وهو تسوية توصلت اليها لغة الحدس التي تنقل احاسيس جسدية • ومن ثم فانه يختار نعوتا وصورا واستعارات فنية ، لا بسبب جدتها وقد تعبنا من القديم ، بل لان النعوت القديمة لم تعد تعبر عن الاشياء المادية وأصبحت تمثل تناقضات مجردة • والشاعر يعرف انه لا يمكن نقل المعاني المنظورة الا باستعمال وعاء المجاز الجديد بصوره واستعاراته • اما النثر فاناء قديم ترشح منه المعاني • والصور الشعرية ليست مجرد اخيلة بل هي الجوهر الاساسي لما ندعوه بلغة الحدس • فالشعر يسير على قدميه فيجوب بك الارض كلها • اما النثر فقطار يوصلك الى مقصدك » [٣٤] والصورة بهذا المعنى تصبح جوهر كل عمل شعري ومن هنا فان على المنهج الجديد ان يوليها قدرا من العناية يتناسب مع أهميتها الكبيرة تلك • وان يعتبرها المدخل الحقيقي الى قضايا البناء والمعنى في عالم القصيدة • فان الطريقة التي يبني بها الشاعر صورة ونوعية علاقات التضاد والتماثل بين جزئيات الصورة الواحدة وبين الصور الجزئية كلها لا تشف فقط عن منهج في بناء الصورة وانما عن أسلوب في التفكير والتعبير وموقف من العالم •

كما ان الطريقة التي تتلاحق بها الصور وتتتابع •• هي التي تبني المفارقة التي يعتبرها عدد كبير من النقاد المحدثين مثل بروكس وبن وارن وومزات وتيت وليفيز وغيرهم جوهر كل عمل فني • خاصة وقد « حطمت اللغة القوانين الكلاسيكية واتجهت نحو اللاوعي والعناصر الوحشية حتى تشبع ادراكا جديدا حافلا بالقلق • ولم تعد الافكار تتجلبب بالشعر ولم تعد الرشاقة أو الحكمة من صفات الشعر التي تثير الاعجاب • وانما اصبحت الصور تتتابع وتتلاحق ، وكأنها تجري في حلم مخيف بعيد عن المنطق » (٣٥) واذا كان هذا التلاحق والتتابع للصور في الشعر الحديث وثيق الارتباط بطبيعة العصر وايقاعه ، فانه بذلك يكون واحدا من السبل التي تكشف بها حساسية اللحظة عن نفسها ولذلك لا نستطيع أن نغفله باي حال من الاحوال في تخطيطنا المبدئي لهذا المنهج • بل علينا ان نوجه اليه عناية خاصة تمكننا من النفاذ عبره الى الكثير مما في عالم القصيدة الحديثة من رؤى وافكار لان مبنى القصيدة الحديثة ومعناها يعتمدان على طريقة تتابع الصور فيها ، وعلى نوعية العلاقات بين هذه الصور « فالشاعر الحديث يوحد بين اجزاء قصيدته من الداخل • بسبب المعنى الواحد الشامل الذي هو موضوعه • وينتهي حين يتكامل على صفحة الورق وفي البصيرة تكاملا يكاد يكون جبريا في استدارته العضوية على نفسه » (٣٦) فالقصيدة الحديثة جسم عضوي مصاغ من مجموعة من الاعضاء أو الجزئيات هي الصور • وطريقة تداخل هذه الصور وتعاقبها هي التي تمنحنا في النهاية الصورة الكلية لهذا الجسم القادر على الفعالية والتأثير أو العاجز عنهما •

من هنا يدلف هذا المنهج الى نقطة جديدة هي طبيعة البناء في القصيدة الحديثة • هذا البناء الذي لاحظنا ميله الى التراكب والتعقيد وجنوحه الى التركيز والتكثيف • هذا الجنوح هو الذي جعله يميل الى استخدام الكلمات

---

(٣٢) ارشيبالد ماكليش (الشعروالتجربة) ص ٣٨ •

(٣٣) ف• أ• ماثيسن (اليوت ••الشاعر الناقد) ترجمة د• احسان عباس ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ١٣٧ •

(٣٤) ت• أ• هيوم (الكلاسيكية والرومانسية) ص ٩٤ •

(٣٥) ارنست فيشر) ضرورة الفن (ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ص ٢٢٤ •

(٣٦) جبرا ابراهيم جبرا (الرحلة الثامنة) المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ١٧ •

بالطريقة التى تناولناها من قبل •• وهو الذى دفعه الى اعتماد الصورة بنية عضوية اساسية لبناء تجربته الشـعرية •• فالقصيدة الحديثة ـ كما يقول فروست ـ تجربة وليست مجرد نقل للتجربة • وهو الذى ارهف احساس الشاعر بالشكل ، لا كشيء مجرد ولكن كمعنى ورؤيا • فشكل القصيدة الحديثة هو معناها ورؤيتها وموقفها من العالم • لان الشكل فيها ليس وعاء للمعنى ولكنه المعنى ذاته في تشكله الشعرى وفي جنوحه الى التجسـد والكينونة • ولان المنهج النقدى الذى يريد ان يستوعب قضايا القصيدة الجديدة يفهم الشكل بهذا المعنى ، فانه يراه اوفق الطرق لبلوغ عالم القصيدة ولاستكناه اسرارها • ومن هنا فانه يعمد الى تحليل البنيان فتتساقط مع عملية التحليل ثمار المعنى بين يديه • وبهذه الطريقة يمكن للمنهج النقدى أن يسد الفجوة بين القصيدة والجمهور بشكل فعال •• لا بين هذه القصيدة المحددة التى يتناولها بالنقد القارىء .. ولكن بين القصيدة الجديدة ايا كانت والجمهور • لانه وهو يقود القارىء فى شعاب القصيدة وفق منهج تحليلى ، يربى لديه عادة التحليـل نفسها • ويستثير فيه نوعا جديدا من القراءة هى القراءة ـ المشاركة والقراءة ـ المعاناة والقراءة ـ الحضور الفعلى فى قلب التجربة والعالم • اما المنهج القديم الذى كان يكتفى بأن يقدم له النتائج النهائية لمعايشة الناقد للقصيدة ، دون الطريقة التى وصل بها ـ الناقد ـ الى هذه النتائج ، فانه كان الابن الشرعى لمادة القـراءة ـ التلقـى أو القـراءة ـ الاستسلام • وكان واحدا من العوامل التى اكدتها وكرستها •

وعلى هذا المنهج الجديد أن يولى جزئيات البناء اهتماما كبيـرا • وان يدرس طبيعة اسلوب الشاعر فى البناء بالايجاب او البناء بالسلب • فى التأكيد عن طريق اليقين المباشر او التاكيد عن طريق النفى • وهل النفى عنده وسيلة لاقصاء مجموعة من التصورات والاحداث بعيدا عن عالمه • أم هروبا من فظاظة الموجودات المباشرة • أم هو طـريقته للتخلى عن الافكار العيانية او عـن الموجودات الحسية ، والانفلات من أسـار احدهما بتأكيد نضارة نقيضه وعمقـه وشاعريته فى آن ؟ ان هذا الاسلوب لا يكشف فقط عن منهج الشاعر فى التصور والتفكير ، ولكنه يهتك فى نفس الوقت الكثير من الاستار التى يغلف بها عالم المعنى ومستوياته المتعددة عنده • وعلى المنهج الجديد ايضا وهو يدرس البناء من هذه الزاوية أن يتعرف على منطلـق الشاعر فى توثيق العلاقات بين الجزئيات وفى فصمه لعراها • وعلى توافق هذا المنطلق مع الاسلوب الذى اختاره للبناء بالسلب او بالايجاب • وحين ينعت هذا المنهج شاعرا بالتشتت فان عليه أن يفرق بين التشتت حين يكون خطأ وبين التشتت حين يكون جوهرا للتجربة نفسها •

ولا يستطيع المنهج الجديد أن يدرس هذه الجزئيات في معزل عن جذورها التراثية •• لان القصيدة الواحدة تجمع بيـن نـوعى الذاكرة التـاريخية والشخصية • والماضى والحاضر فيها ينير كل منهما الاخر • بل ويمكن القول انهما يشكل كل منهما الاخر • وكأن ثمة مؤلف واحد يعمل خارج حدود الزمن • ان تاريخ الشعر حى ماثل فى قصيدة كل شاعر وكذلك الانغام والالحان التى يتردد صداها فى سنواته المبكرة الاولى •• ويسعى الشعر الحديث دائما لاعادة الاتصال الحيوى بكل ما اوثر عن الماضى من ولع بالاساطير او تفكير فى الخوارقات او تمجيد للقوة او اكتشاف للمزيد من المعانى الجديدة الواسعة [٢٧] فلا يمكننا لذلك ان نغفل عند تحليل التجربة الشعرية هذا الجدل المستمر بين الذاكرة التاريخية المتمثلة فى كل الرياح التى تهب على القصيدة من الماضى ، والذاكرة الشخصية المتبلورة فى رؤى الذات الشاعرة وهى تحاول ان تتملص من أسار هذه الذات وتهرب منها • فالشعر الحديث يعمد الى طرح النزعة الذاتية ، والى خلق مسافة بين الشاعر ـ الذات والذات التى تتردد فى شعره • ومن هنا لجا بعض الشعراء الى الاسماء المستعارة والى التخفى خلف ملامح الاقنعة • وعملية التخفى بقدر ما تنطوى على اخفاء للذات فانها تشير الى نوع من التاكيد عليها • ومن هنا يظل الصراع بين الذات ورياح الماضى متفاعلا فى كل قصيدة • ليهب تفاعله العمل الشعرى مزيدا من الرهافة والتالق • بصورة يرى معها اليوت « ان خير أجزاء القصيدة بل وأكثرها تميزا ، هى تلك التى تؤكد فيها أثار أسلافه الموتى من الشعـراء خلـودها فـى أقـوى صورة » (٣٨) ليس فقط لان هذه الاجزاء هى قمة تفاعل الذاكرتين التـاريخية والشخصية ، ولكن أيضا لان فى هذه الاجزاء تكتسب رواسب التجربة التى جاءت عن طريق الذات بعدا تاريخيا يثريها • وتكتسب الروافد التـراثية حضورا ينقذها من الاندثار والموت •

من هذه النقطة نزلف الى الايقاع •• ليس باعتباره الاوزان الموروثة التـى يصلصل بها صوت رياح الماضى ، ولكن باعتباره الروح النفسى الاكثر شمولا من مجرد الاوزان •• باعتباره نوع مـن الخيال الاسمى يدعوه ماثيسن بالخيال السمعى وهو « احساس بالمقطع والايقاع يتغلغل بعيدا وراء مستوى الفكر والشعور الواعيين ، منعشا كل كلمة ، خاتما الى أشد الاشياء البدائية والمنسية ، عائدا الى الاصل ، راجعا بشيء ما ، باحثا عن البداية والنهاية • احساس يعمل من خلال المعانى على وجه اليقين او لا يستطيع أن يعمل دون معان ـ بالمعنى المـالوف • وبمـزج القديـم والمنسى والمـرث والجديد والمدهش ، وأشد الذهنيات قدما وأشدها تمدنا » (٣٩) واذا أخذنا الايقاع بهذا المعنى الشامل فاننا سنجد أنه مشتبك بالكثير من القضايا والافكار الهامة فى النقد الحديث • مشتبه بفكرة المفارقة كأساس للبنيان فى العمل الشعرى • وبفكرة كوليردج الرائعة عن وظيفة المخيلة الثـانوية فـى التـأليف بيـن مجموعة من الخصائص الكيفية المتضادة • وبفكرة البحور والعروض والقوافى فى نقد الشعر العربى القديم • ولن يعزل المنهج الجديد الايقاع عن أى من الافكار العديدة التى يتفاعل معها • ولن ينزع أى من هذه القضايا بعيدا عنه ، بل سيدرسه فى القصيدة بهذا المعنى الشامل الذى يثير الكثير من الافكار ، ويضىء عددا من الابعاد فى التجربة الشعرية •

ولكن عليه أن يوجه عناية خاصة الى نقطة من النقاط التى أهملها كلية نقد الشعر العربى الحديث ألا وهى القافية • واذا كـانت القـافيـة قد عـادت مـن جديد لتحتل مكانا بارزا فى الشعر الاوربى المعاصر كما تقول اليزابيث درو ، « أصبحت القافية هذه الايام تحتل مكانا هاما • بعد أن تجددت وانتعشت بفضل التئامها مع ايقاع الكلام البسيـط • وازدادت عمقا باستعمال القافية النصفية والقافية الداخلية وتقفية المقاطع غيـر المرتكزة • وأى تنويع آخر يدميه شعراؤنا المبدعون » (٤٠) •• أقول اذا كانت القافية تحتل مكانا فى الشعر الاوربى الحديث ، فان الاولى بها أن تضطلع بدور أفعل فى شعرنا الذى يملك ميراثا هائلا من القوافى ، والذى ألزم بعض شعرائه العظام أنفسهم بما لا يلزم فى هذا المضمار • فكانت لهم بذلك تجارب على درجة كبيرة من النضج والاهمية • لذلك فان المنهج الجديد يولى هذه الجزئية من الايقاع عناية واضحة • فيدرس فى القصيدة دور التقفية ومدى سيمتريتها أو تسيبها أو اعتمادها على الاستطرادات • بل ويذهب الى أبعد من ذلك قليلا فيتعرف على مدى علاقة السيمترية أو العفوية فى التقفية بطبيعة التجربة الشعرية وبطبيعة رؤية الشاعر للعالم الذى يقدمه • وليس عليه أن يدين منهج معين فى التقفية العفوية أو المتعملة ، الا وفق منطق ينبع من داخل التجربة الشعرية ، ولا يسقط

---

(٣٧) م• ل• روزنتال (شعراء المدرسة الحديثة) ص ٢٢ و٢٣ •
(٣٨) ت• س• اليوت (التقـاليد والموهبة الفردية) ضمن كتاب (مقالات فى النقد الادبى)
(٣٩) ف• أ• ماثيسن (اليوت •• الشاعر الناقد) ص ١٧٤ •
(٤٠) اليزابيث دور (الشـعر ، كيف نفهمه ونتذوقه) ترجمة د• محمد ابراهيم الشوش ، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، ص ٤٨ •

تصورا مسبقا عليها • فعليه أن يستمد ادانته أو اطراءه من دراسة ما اذا كانت القافية تخلق محاور للتجربه الشعريه تدور فى اطارها وتلم شعثها • ام انها تعمد الى بعثرة جزئياتها ، ربما توافقا مع طبيعة التجربة التى قد تكون مفككة او مبعثرة ، أو حتى توافقا مع رؤية الشاعر لتجربة متماسكة التفاصيل . ولكنها تلوح لعينيه الحساستين مفككة الاوصال ممزقة •

وليس على هذا المنهج أن يتوقف عند التقفية الخارجية وحدها بل عليه أن يوجه اهتماما ملحوظا الى الانواع الاخرى من التقفية الجديدة •• فهذه التقفية هى التى تتواءم مع تجربة فى تعقيد تجربة الشاعر الحديث • وهى تقفية تتجاوز التقفية الخارجية لتندغم فى داخل البيت نفسه فتصبح تقفية داخلية • وعلى المنهج الجديد أن يدرس هذه التقفيات الداخلية ومدى تلقائيتها أو منطقيتها أو افتعالها • وهل يلجأ الشاعر لها بشكل متعمد أو يحرص عليها ، وهل تثرى هذه التقفية موسيقى التجربة الشعرية ؟ وهل ثمة ضرورة لها ووظيفة ؟ واذا كان الامر كذلك فما علاقة هذا بطبيعة التجربة الشعرية سواء أكانت غنائية أو درامية ؟ فقد يتوافق نوع معين من التقفيات الداخلية مع القصائد الغنائية • وقد يثرى نوع آخر منها بعض التجارب الدرامية بامتدادات ورؤى • غير أن القافية الداخلية ليست هى القافية الجديدة وحدها • بل ان هناك القافية النصفية وقافية المقاطع غير المرتكزة وقافية المواقف وغير ذلك من الانواع الجديدة التى ما تزال فى حاجة الى مزيد من الدرس والتبلور •• لان هذه الاشكال من التقفية هى الاشكال التى تتوافق مع القصيدة التركيبية باصواتها المتداخلة ومستوياتها المتعددة من المعنى • ويستخدم الشاعر الحديث هذه الانواع الجديدة من القافية ليبنى لعمله ذاكرته الداخلية • تلك الذاكرة التى تسقط من مسيرتها بعض الاشياء ، وتؤكد بعضها الاخر وتنميه • وليخلق له منطقه الخاص ، الذى قد يكون مفارقا او مناقضا للموقف السائد أو المألوف ولكنه قادر على التساوق مع نفسه وعلى خلق الايقاع الداخلى الخاص به •• فبهذه الطريقة الناضجة تستطيع القصيدة ان تعبر – كما يقول جارودى – عن شكل للوجود الانسانى فى العالم •

من خلال كل هذه النقاط يمكننا أن نبلور مجموعة من الخطوط العامة لمنهج نقدى جديد • لا يدعى الاحاطة ولا الشمول • ولا يفترض انه نهائى لا يقبل أى اضافة أو تعديل • ولكنه يرى أن الشعر جنس فنى له طبيعته الخاصة وسبيله الفريد للحديث عن الواقع واستشراف المستقبل • ومن خصوصية هذه الطبيعة وتفرد هذا السبيل يحاول منهجنا الجديد أن ينحت سماته وان يحدد ملامحه • فيجعل مبنى التجربة الشعرية سبيله الى معناها • ويعتمد على التحليل بشكل أساسى ويعوض جنوح المناهج الراهنة الى الجانب الوصفى ، بتركيز على الجانب المعيارى من العملية النقدية • فاذا نظرنا عبره بعد ذلك الى .ل مجموعة من القصائد ، كمجموعة ذات عدد من المراكز التى تدور حولها الافكار الرئيسية بصوره مستمرة • فى الوقت الذى تسير فيه القصائد كلها الى الامام كعمل جامع متكامل • اذا فعلنا ذلك فلن نصادف اية صعوبة فى الاحاطة بالخطوط العريضة لما يفعله الشاعر • واذا ما امسكنا بهذه الخطوط ، فليس من المحتمل أن تبعدنا عن جوهر القصيدة المسائل السطحية التى تصيب البلبلة حتى اوفر الناس حظا من الثقافة •• مثل الاشارات الى الكتب المقدسة وغير المقدسة ، والاستخدامات المتعددة للاساطير ولابطال الميثولوجيا الدينية والانسانية ، والتوريات والكلمات الماخوذة من اللغات الاخرى ، والمقاطع المنتزعة من الاغنيات الشعبية أو القديمة وغير ذلك من الاشارات • لان التجربة وقد فتحت أبوابها لاستقبالنا ستضىء لنا كل هذه الرموز والاشارات وستدلف بنا الى عالم الشعر الرحيب •• فنبلغ معه حافة المجهول ونرى ما لايرى ونسمع مالا يسمع كما يقول رامبو •

حوار الاصدقاء

فى العدد القادم

حول الابحاث التى ألقيت فى المؤتمر الثامن للادباء العرب وصلتنا فى اللحظة الاخيرة كلمة من الاستاذ خلدون الشمعة ، لذلك اضطررنا الى تأجيل كلمة الاستاذ عبد العزيز الدسوقى حول القضية نفسها لتنشر الكلمتان معا فى العدد القادم •

قصة قصيرة

بقلم : بهاء طاهر

كومبارس من زماننا

سعيد

(١) مجرد أمثلة :

لا يعرف أحد من هو مالك هذه العمارة بالضبط . فصاحبها الاصلى رجل فوق الستين وإن كان يبدو أصغر من ذلك بكثير .. تاجر [خردة] أو [حدايد مستعملة] كما يكتب على الايصالات وعلى مكتبه أسفل العمارة ، ولكن مطلقته الشابة [التى تشاهد معه كثيرا رغم الطلاق] تدعى أن العمارة باسمها . وقيل أن سبب اللبس أنه كتبها باسم طفلهما الصغير ، وقيل أن ابناءه من زيجات سابقة ينازعون فى ذلك أمام المحاكم ، وهم يبعثون للسكان بين الحين والاخر بإنذارات قانونية مطبوعة بضرورة دفع الايجار فى المحكمة . لكن السكان فى جميع الاحوال كانوا يدفعون للبواب ويتسلمون الايصالات دون أن يهتموا بمتابعة الخلافات القضائية بين الملاك .

كان هناك ما يكفى السكان من المشاغل فكل المتاعب المتناثرة فى العمارات المشابهة توجد هنا مكثفة ومركزة . المياه تنقطع باستمرار لان موتور الخزان الذى فى أعلى العمارة يتعطل دائما .. الاسانسير لا يعمل الا نادرا [والعمارة بالمناسبة من اثنى عشر دورا] .. السلالم قذرة على مدار العام ، ونور السلم لا وجود له ... الخ . وقد تعددت الحوادث فى العمارة بسبب ذلك : تزحلق كثيرون على السلم وأصيبوا ، وخرج البعض الى اعمالهم وأجزاء من ذقونهم محلوقة وأجزاء أخرى نامية الشعر تجمدت فيها بقايا الصابون ، وأصيب عريس فى الدور الحادى عشر بهبوط فى القلب ونسب ذلك الى أن الاسانسير ظل متعطلا ثلاثة أشهر كاملة وغير هذا كثير .

كان طبيعيا اذن أن تكثر شكاوى السكان لقسم البوليس والجهات المختصة ولكن هذا لم يكن صحيحا . فبرغم كل الخلافات العائلية كان المتنازعون على العمارة يقفون جبهة واحدة أمام السكان — يتزعمهم المالك الاصلى الذى كانت له طريقة فريدة فى الحديث وفى التعامل . اولا يلتقى بالساكن المشاغب ويقول له — مثلا — كما قال لى بلهجة سريعة جدا يصعب أن تتابع معها تسلسل أفكاره :

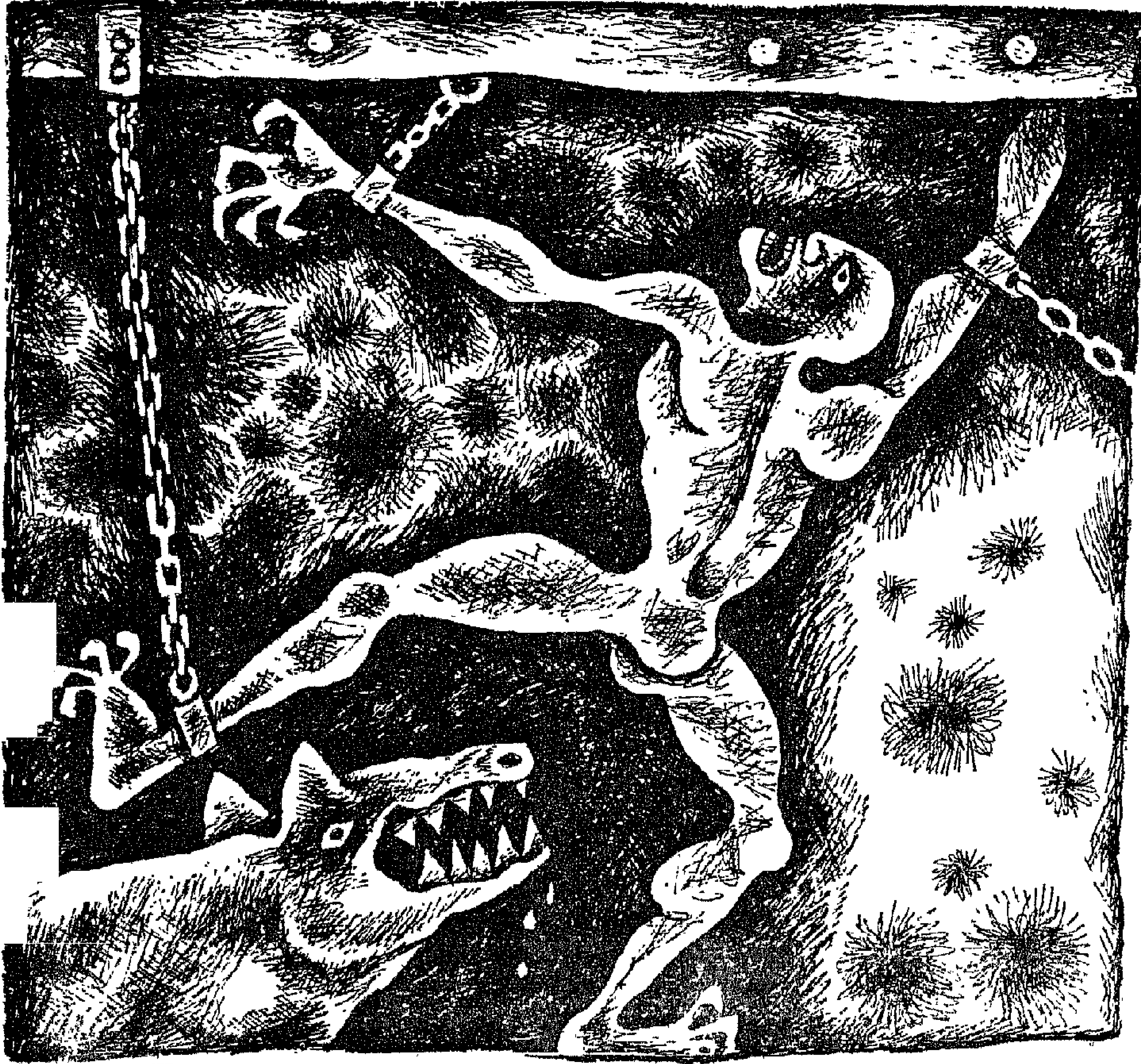
— انظر .. أنت معك حق .. ومن ينكر ؟ .. من يتحمل ان يبقى فى عمارة بلا ماء ؟ قال سبحانه وجعلنا من الماء كل شىء حى . احكى لك حكاية :

زوجتى الثانية يرحمها الله كانت تشكو من امساك غريب ولم نترك مستوصفا او حكيما . اقسم لك حدث هذا ذات مرة : ظلت عشرة أيام دون أن تعمل اى مجلس . لا تؤاخذنى انا راجل غير متعلم . من أيام الكلمتين فى كتاب البلد لم أتعلم شيئا . لا تؤاخذنى . هل تعرف كيف صرفا ربنا عنها ؟ .. لن تصدق . أيامها كنت انا أعمل فى مخازن شركة الترام ، وكان لى صديق كمسارى ابن حلال .. أيام أن كان الترام يمشى فى شارع فؤاد .. طبعا انت لا تذكر هذه الايام . الجيل الجديد ياعم . بابختكم .تليفزيونات وميكروباصات وفساتين عريانه واستغفر الله . ماذا قال الكمسارى ؟ .. قال تشرب كوبين من الماء على غيار الريق .. اى والله : ماء لا غير . وبعون الله صرف ربنا عنها . لكنها ماتت بعد ذلك . أعمار يا سيدى .. نتدخل فى حكمته ؟ .. كلنا سنموت . ماذا كنت اقول ؟ .. الدنيا كلام فارغ . لا تستحق أن نختلف مع بعضنا . هل أعرفه أنا أو تعرف أنت ماذا يمكن أن يحدث لنا غدا .. لا .. بل بعد ساعة واحدة ؟ .. أبدا . عن نفسى انا هدنى السكر ولم أعد أجد للدنيا طعما . نحمده على كل حال . الافندى جارك المهندس الزراعى كان حتى لا يرمى السلام اذا رآنى . لماذا يا ابن آدم ؟ .. ماذا سنأخذ من الدنيا غير الكلمة الحلوة ؟ .. اقول لك اصبحنا صديقين جدا بعد أن زرته فى المستشفى حين وضعوا رجله فى الجبس . مساكين . كلنا مساكين والله لو فهمنا لقصرنا الشر وتعاملنا بالكلمة الحلوة . كل شىء فى الدنيا تحله الكلمة الحلوة ...

وبالطبع فهمت أنا الرسالة التى ضمنها هذا الحديث الطويل والاشارة للمهندس الزراعى . كنت مثل جميع السكان اعرف اسلوبه الموجز فى التعامل مع أصحاب الشكاوى . أمام باب الشقة بالضبط ينتظر الساكن حوالى عشرة من العمالقة مسلحين بالعصى يضربونه ببراعة تامة هو ومن يجسر أن يطل برأسه من باب شقته . وفى قسم البوليس كان يستحيل على المضروب أن يقول انه يعرف من ضربوه او أن يثبت أن صاحب العمارة هو الذى سلطهم عليه . وبالتدريج تعلم السكان الا يلجأوا للقسم ، الذى قالوا — من يأسهم وعجزهم — أن صاحب العمارة واصل اليه بطرقه الخاصة ، وأن هذا هو السبب فى أن كل الشكاوى ضده تطبخ هناك وانه يطلع منها كالشعرة من العجين .

(٢) ما حكاه لى المهندس الزراعى فى شقته بعد أن شرب أربع زجاجات من البيرة :

تقول كل التفاصيل ؟ .. كلها ؟ .. ساحاول . بدأت المسألة بحكاية تافهة جدا . أنت تعرف أننى أمثل أحيانا فى التليفزيون فى أدوار صغيرة . عدت مرة فى الثانية صباحا ، وكان الجو باردا . أراد المخرج — الله يخرب بيته — ان يعمل بروفة فى هذا الوقت الشاذ . لم يكن هناك اى داع لوجودى والله ، لكنه أصر على حضور الممثلين جميعا . كان كل دورى أن أمر أمام البطل وهو يجلس مخمورا على المائدة فانظر له باحتقار وامصمص شفتى وانا



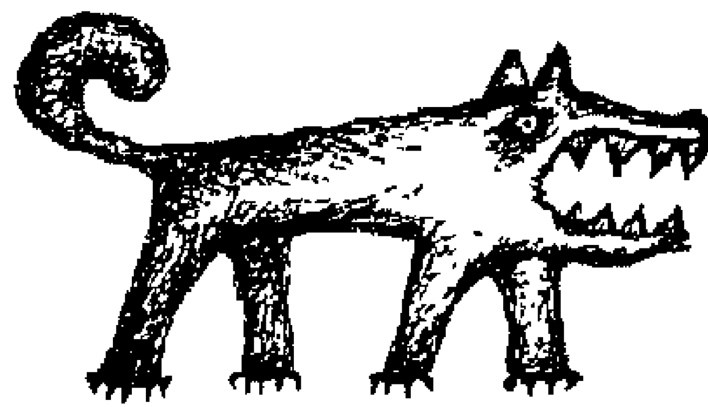
اهز رأسى لليمين والشمال . تحتاج الى بروفه ؟ .. خمس دوان على التسانه والله . جعلنى اعيدها عشرين مره — ربما ينتقم منه . لم تعجبه طريقتى فى المصمصة . عندما كنت فى فريق التمثيل بالكلية كنت أحلم أننى سأمثل ذات يوم ادوار شكرى سرحان وأهز الدنيا . مضت خمس سنوات وأنا مقيد فى التليفزيون باسم كومبارس صامت . هــذا ما أخذناه من الفن . أحارب الان لاصبح كومبارس متكلما . وعدنى مخرج ابن حلال أن يتوسط لذلك . عدت فى الثانية صباحا كمــا قلت لك وكنت جائعـــا وبردان فوجـــدت باب العمـــارة مغلقـــا . ظللت أطرق الباب أكثر من ساعة والله — ولم يفتح البواب . لاحظ أن هــذه لم تــكن أول مرة برغم تملقى لـــه وبرغم اننى لا اقصر معه فى البقشيش أبدا . جاء عســكرى الداورية وتجمع ناس أمــام العمـــارة وحدثت ضجة واخيرا تــكرم سيادته وفتح الباب . قبـــل أن انطق بكلمة قال الملعون ان العمـــارة يسكنها ناس محترمين وليس متشردين باتــون مع الفجـــر ، واننى احسن لى أن أسكن فى شـــارع العـــوالم . قـــال أيضـــا انه لن يفتح البـــاب لمخلـــوق بعد ذلك فى هذا الوقت . استشهدت بالعسكرى الذى كنت قد دخنت معه علبة سجائرى كاملة فى انتظار فتح الباب ، فقـــال هو — الله ينكد عليه — اننى يجب أن اشكو فى القسم ، وانه ســـيشهد معى . فى الصـــبح ذهبت الى القسم وقدمت شكوى وقلت أن طبيعة عملى أن أتأخر وان البواب دأب على معاكستى ، وان الساكن يجب أن يكون حرا فى العودة الى بيته فى أى وقت .. الخ . واستشهدت بالعسكرى .

فى المساء رن جرس الباب وحين فتحت وجدت من تســـمونها مطلقـــة صـــاحب العمارة واقفة على الباب وحدها ، وقبل أن أفتح فمى بكلمة كانت قـــد دخلت وأغلقت الباب تدنها لحجرة الجلوس وأنا مرتبك واقـــول اهـــلا وسهلا .. أهـــلا وسهلا . جلست وكانت تلبس بنطلونا محزقا من فوق وواسعا عند قدميها ، و [بلوزة] خفيفة كالقميص الرجـــالى ازرارها مفتوحة عند الرقبة والصـــدر وتكشف جزءا محترما من ثدييها [أنت تعرف كم هى جميلة بجسمها الريـــاضى المـــرن وشعرها الاســـود الطويل الذى تتركه يتهدل على وجههـــا دائما كممثلات الاغراء] . دون مقـــدمات قالت انا جئت اليك لانك مثقف وستفهمنى ، أنت تعرف أن أهلى أرغمونى على الزواج من هذا الحيوان ولكننى نفدت بجلـــدى . جلست امامها منتبها ومتصلبا . فضحكت وقالت خـــد راحتك ولا تجلس هـــكذا كالتلميذ المؤدب . ضحكت أنـــا أيضـــا ونظرت لها وكان شعرها يغطى وجهها فمدت أصابعها الطويلة البيضـــاء وفرقته ثم مشطته للخلف فى بطء ، وتمنيت وقتها لو أمسكت يدها وغصت بيـــدى فى بحر شعرها أو لو قبلت هذا العنق الطويل النظيف . جميلة جدا الله يخرب بيتها ... تقول انه مخروب بالفعل ؟ أبدا وصدقنى عرفت انها عادت له ، فى

السر ، لانه يخاف من زوجته الاولى . مسالة الطلاق هذه لعبة ..

كانت تجلس أمامى ــ هــكذا فى مكانك الان ــ وقد باعدت بين ســاقيها ووضعت يديها على ركبتيها وأخذت تتكلم ببســاطة وبصــوت ثابت . قالت لى أخفى عنك شيئا .. أنا لا أطمع فى عمارة هذا الخنزير أو أى شئ منــه ولكننى أريد أن أؤمن مستقبل ابنى . حقى ، اليس كذلك ؟ .. معى كل الاوراق ولكن الخنــزير وأولاده يشاكسوننى فى المحاكم ، وان كنت لا يأكلنى احــد ولا الجن . قالت ذلــك وهى تشير لصدرها العــارى اشارة حازمة ولوحت بيــدها بشدة فانفتح زرار آخر فى بلوزتها . كانت تحكى عن مؤامرات غامضةيعملونها لحرمانها من حقها وكنت أنا مثبتا نظرى على صــدرها المــكشوف دون أن أنتبه كنت أتأمل حمالتى صــدرها المــكورتين بنســيجهما الابيض الشــــفاف وهمــا تحتضنان بصعوبة ثقلهما الاملس المشقوق لاحظت أننى لا أسمع فسـكتت ومالت برأسها الى حيث أنظر ثم نظرت الى بعينين مندهشتين وهى تضحك وقالت هل يعجبك ؟ .. تصــورتها دعوة مفتوحة فقفزت من مقعــدى هكذا ولــكنها قالت بصــوت حازم وهى تضم بلوزتها [دون أن تقفــل الازرار ، لا حظ ذلك] ــ قالت ابق مكانك . عدت للجلوس متحيرا فضحكت هى مرة ثانية وقالت انها تعرف [شقاوتى] ولهــذا تأخــذ حــذرها منى . ســألتها عمــا تقصــده فقالت أنهــا تعــرف أن الممثلين أمثالى يلعبون كثيرا مع الممثلات والبنــات ، ولا يجب أن أنكر ذلك فقد رأت فى التليفزيون ما فعلته فى تمثيلية الامس مع زيزى . [كان دورى فى هذه التمثيلية لعلمــك أن تستخدمنى البطلة زيزى لاثارة غيرة البطل فترقص معى أمامه فى حفــل وتضع خدها على خدى وتمسك يــدى بوله الى آخر هذه الحركات . وفى النهاية يأتى البطل فيشدنى من ظهــرى ويعطينى لكمة قوية فأقع على الارض] لم أقل لها أننى لم أتبادل أى حوار مع زيزى أثناء التصــوير ، وأن كلماتها الوحيدة لى أثناء [البروفــة] كانت قولها لى بتأفف [حاسب ، انت تدوس على رجلى] . كانت تتركنى بعــد البروفة كأننى كرسى . هذا هو تصرف النجوم يا سيدى ربنا يوعدنا .

لم أقل لها ذلك بالطبع وضــحكت ضحكة غامضة فقالت وهى تضع يدها على بطنها ألم أقل لك ؟ ثم ســألتنى هل تصلح للتمثيل فى التليفــزيون . تطلعت الى بنظــرة ثابتة دون ان تحرك وجهها لارى ان كانت تصــلح وكانت البلوزة قد عادت تنفتح على سعتها دون نظام . فقلت انهــا بالتأكيــد مكسب للتليفزيون . سالتنى هل أساعدها فى ذلك فقلت أننى تحت أمرها . ضحكت ضحكة قصيرة وقالت أهلى يقتلــوننى لو مثلت ، ثم عادت للاسترخاء وسألتنى هل سأسحب الشكوى أم لا ؟ .. كانت تبدو شاردة ، تنظر بعيدا ، ومــدت يدها ففتحت زرارا آخر عند بطنها وبدأت تتحسس لحمها العارى وتطبــل عليــه ببطء . قالت اننى لا يجب أن أضايق البواب لانه متضايق بالفعل من العمارة ويهدد بتركها ، وشعرت بالدوار من شدة رغبتى فيها وأنا جالس أمامها أتابع يدها المختفية تحت البلوزة ، أشــاهد ثديا واحدا ،وأسمع طبلها على لحمها المشــــدود .. قلت دون ان اعى انه لا توجــد أزمة فى البــوابين ، فانتفضت فجــأة وأخرجت يدها المختفية ولوحت بهــا نحــوى وهى تقــول أنها لا تريد أى بواب ولكنها تريد هذا البواب بالذات .. ألم أفهم ؟..انه يحميها من مؤامرات الخنزير ويطلعها على تحركاته وأوراقــه أولا بأول وهى مخطئة اذ ظنت أننى مثقف وأننى سأفهم ، بل هى نادمة لانهــا باحت لى بأسرارها وهى كانت معجبــة



بى وكانت تثق بى ولكنها الان تعــرف أن كــل الرجال مثــل بعضهم وأنــه لا فائدة منهم . قمت مفزوعا وأمســكت يدها وقلت اننى سأفعل كــل ما تريــد وأنا آسف لما حــدث وأنا تحت أمرها وأنــا أقبــل رأســها لتســامحنى . وقبلت رأســها ، ثم قبلت خدها ، ثم عنقها ولا أطيل عليك . فى هذه الليلة نمت معها .

[ملحوظة : يبدو أن هذا التصريح الاخير وكثيرا من التفاصيل فى هــذه الرواية من وحى خيال صديقى المهندس الكومبارس وذلك لعدة تناقضات واضحة فيما سبق وفيما يلى من قصته . ويبدو أنها زارته بالفعل ، وأنها طلبت منــه سحب الشــكوى بلباقة وبابتسامةمشجعة كعادتها ، وأنه اشتهاها وهذا كل ما فى الامر ــ ولكن ربما أيضا يكون هذا كله قد حــدث] .

أقول لك الحق اننى كنت مســتعدا لحظتها أن أسحب روحى من جســدى من أجلها لا أن أسحب الشكوى وحدها، ولكنها بعد أن انصرفت فكرت : كيف أسحب الشكوى ؟ كيف أحتمل اهــانة البواب لى ؟ .. والمهم ماذا أفعــل وأنــا مضــطر بالفعــل للعــودة بعد منتصف الليل فى كثير من الاحيــان ؟ .. وفكرت أنها لو جاءت مرة ثانية فسأعرض عليها المشكلة وأطلب منها أن تتوسط عند البواب وأنا مستعد بعد ذلك لسحب الشكوى . مضت ثلاثة أيام دون أن تأتى ، وفى مســاء اليــوم الثــالث حدث ما تعرفه .

التفاصيل أيضا ؟ .. أى تفاصــيل يا أخ ؟ .. كانوا يسدون باب شــقتى حين عــدت بالليــل وقاموا بواجبهم . الحمد لله انهم كسروا ساقى وحــدها . لو شوهوا وجهى لضــاع مســتقبلى كممثــل ناشىء . لم يــكن أى مخــرج سيستدعينى الا فى دور مساعد رئيس العصابة الذى تمــلا الجروح وجهه ، أليس كذلك ؟ .. هاها .. ها ..

●●●

حين انتهى جارى المهندس .الكومبارس من قصته عرضت عليه اقتراحى . قلت له أن سبب كل ما حــدث ويحدث فى العمارة أن كل ساكن يتصرف بمفــرده ولهذا يسهل ضربه ، ولــكن لو اجتمعنا جميعا وتقدمنا بشكوى موحدة للقســم وللمحافظة مثلا ...

صرخ المهندس فى وجهى قائــلا .. شــكوى ؟ .. مرة ثانية ؟ .. ابعــد عنى الله يرضى عليك . ماذا تريد ان يحدث لى بعد ذلك ؟ .. ربما أنت لا تخاف الان معك أربعــة زمــلاء فى شقتك ،ولكن أنا أسكن وحدى . ربمــا يقتلوننى فى شقتى فى المرة القادمة . من سيمنعهم . من سيتعرف على القاتل ؟ .. سيكون أول وآخر كــلام عنى فى الصحف [العثــور على جثــة موظف

داخل شقته] .. لا يا عم .. ابعد عنى أرجوك . دعنى فى حالى .

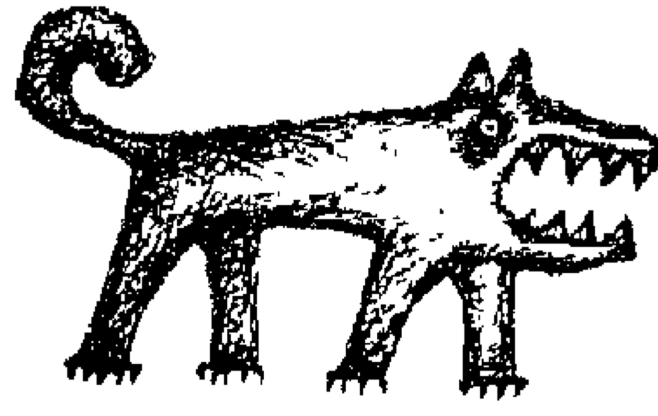
قلت له لاشجعه اننى حصلت بالفعل على توقيعات عدد من السكان واننى أستشير محاميا فى ذلك فقال اننى لو جمعت توقيعات الشارع كله أو البلد بحالها فلن أحصل على توقيعه . وقال فى النهاية قبل أن أتركه :

ابعد عنى ياعم. ملعون ابو الجدعنة. اريد أن آكل عيشى .

لكنه بعد منتصف الليل بكثير طرق بابى وقال انه يريد أن يوقع على الشكوى فجعلته يوقع .

(٣) ما قاله صاحب العمارة حين طلبنى فى مكتبه وبعض دروسه المستفادة من تاريخ حياته :

وبعدها فى شقة العزاب ؟ .. يا سيدى أنا عملتها خدمة والله . هذه هى الشقة الوحيدة التى أجرناها بالغرفة وتوبة . ستقول اننى أكسب منها أكثر من الشقق الاخرى ؟ أبدا والله يا سيدى ليس هذا هو الغرض . أنا قلت موظفين صغار — ولا تؤاخذنى — مرتبهم على قد حالهم . قلت خدمة . لا تؤاخذنى يا سيدى .. أنا كنت أسكن مع أم عيالى وعيالى فى غرفة فوق السطح وكان السقا يجىء لنا بالماء .. الصفيحة بمليم . لم نكن نشكو ولم نكن نعرف الخزان ولا موتور الخزان ولا كل هذا الهم الثقيل . ومع ذلك أنا قصرت فى شىء ؟ .. أبدا والله . أنظر : هذا يا سيدى عقد موتور جديد للخزان . على رأى المثل لو صبر القاتل . ماذا ستكسب من الشكوى . ما الداعى لتعب القلب ؟ .. أنا سألت السكان جميعا فقالوا انهم لايريدون شكاوى ولا تعب قلب ولكنك اخرجتهم . لماذا ياسيدى ؟ خذها منى نصيحة . لا تدخل قسم البوليس شاكيا او مشكوا . انا فى سن والدك واعرف الكثير . خذها منى نصيحة . افعل مثلى . انا عندما يصبح الامر ضروريا جدا جدا ابعث المحامى او البواب او اى مخلوق لكنى لا اذهب برجلى . خذها منى نصيحة : احكى لك حكاية . من عشرين سنة او اكثر ، كنت اشترى صفقات حديد كبيرة من مخازن الجيش الانجليزى . كنا نكسب ذهبا ولا الحاجة للعمارات يا سيدى . رأينا أياما — ما علينا — المهم ، ايامها حصلت حكاية الفدائيين والشوشرة اياها التى تعرفها . طبعا انا لا دخل لى فى هذه الامور . طول عمرى والحمد لله بعيد عن السياسة . حتى عند ماكانوا ايام زمان يجمعون تبرعات للاحزاب كنت اقول ابعدوا عنى ، والحمد لله نفعت بعد ذلك . لم يجدوا اسمى فى اى حزب . المهم كنا ايامها ندخل [كامبات] الانجليز ونخرج منها لننهى اعمالنا . ايامها كان هناك مزاد كبير على صفقة لو وفقنى ربنا فيها لما احتجت لشىء بقية عمرى ، وهب هب قبض على الانجليز . لماذا يا اولاد الحلال ؟ قالوا اننى اساعد الفدائيين واننى انا الذى دللتهم على مخزن الذخيرة الذى نسفوه . انا ؟ ياناس ابدا والله . ولا دخل لى بهذه الامور . استلمونى بالضرب ويشاء ربك حين بدأوا الضرب ان يدخل [ماجور] انجليزى كبير معه اوراق ويقول [ستوب.] قال لى نحن متأسفون ياحاج . اخذنى فى مكتبه وشربنا الشاى مع بعض وطيب



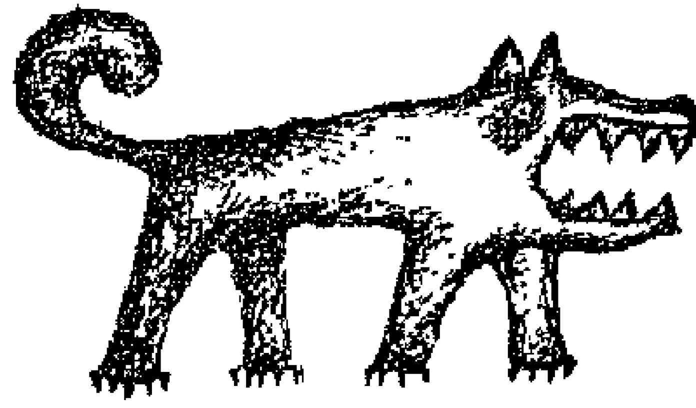
خاطرى ، وقال انهم عرفوا ان واحدا ممن كانوا فى المزاد ضدى اراد ان يتخلص منى ليأخذ الصفقة لنفسه . لم يقولوا لى على اسمه ولكننى عرفته . اندرى حكمة ربك ؟ .. اخذ الصفقة لنفسه فعلا لاننى كنت محبوسا فى الكامب ساعة المزاد ، ولكن ربنا استلمه بالمرض ومات بعد سنة واحدة . ربنا يرحمه . اتدرى ماذا اظن ؟ .. اظن انه دفع رشوة لضابط انجليزى حتى يقبض على . ضباط الانجليز كانوا اكبر مرتشين صدقنى وهم الذين علموا اولاد العرب . المهم راحت هذه وجاءت بعدها المصيبة الثقيلة واسمع . ايامها الحكومة التى كانت تساعد الفدائيين غضب عليها الملك وطردها وجاءت حكومة جديدة ضد الفدائيين . بدأوا يقبضون على الفدائيين وبدون مناسبة قبضوا على . لماذا ياأولاد الحلال ؟ قالوا انت كنت تساعد الفدائيين وحتى الانجليز قبضوا عليك . ياناس يهديكم برضيكم افهموا الحكاية ، لافائدة . اخذونى فى [البوكس] الى القسم . عندما دخلت اول شىء رأيته عسكرى يضرب رجلا بحزامه السميك والرجل يصرخ ويحاول ان يحمى وجهه . قلت يا فتاح ياعليم ، ولكنه ظهر من احد المكاتب ضابط كبير وزعق فى العسكرى [ياولد ، الباشا الوزير لايحب الضرب . عندنا تعليمات بعدم الضرب) ثم دخل مكتبه وترك العسكرى يضرب الرجل . مع ذلك قلت خير ، مادام الباشا الوزير لايحب الضرب فعلى الاقل لو ضربنى احد سأذكرهم بتعليمات الوزير واخلص نفسى . حاولت ان أكلم احدا فى القسم وان اشرح لهم الحقيقة لكنهم قالوا انه لاشأن لهم بى وان كل مهمتهم ان يوصلونى لشىء اسمه القسم المخصوص . لم اكن سمعت فى حياتى بهذا القسم وياليتنى ماسمعت . اخذونى الى هذا القسم ولفت نظرى اننا لم نر فيه جنديا ولا ضابطا . ممرات طويلة خالية كأنك فى عنبر مستشفى درجة اولى . لاتسمع صوتا لاحد ادخلونى فى زنزانة وتركونى فيها نهارا بطوله لم يسأل عنى احد . كدت اموت والله يا ابنى فى هذه الساعات . صليت لربنا ان ينجينى وصليت ، ثم بدأت انظر من ثقب الباب ولكننى لم ار اى شىء سوى الظلام . وضعت اذنى على الباب فلم اسمع صوتا . مر الوقت طويلا ولم يسأل عنى احد وخطر ببالى انهم نسونى هنا وانهم سيتركوننى حتى اموت فبدأت اصلى من جديد . فى هذه اللحظة سمعت فجأة صرخة لايمكن ان اصفها لك . حين كنا صغارا فى البلد كنا نسمع صرخة نرتجف منها ، وكان اهلنا يقولون لنا انها صرخة الذئب الجائع . كنا نبكى حين نسمعها وكان اهلنا يخيفوننا بها . من بعيد سمعت هذه الصرخة مرتين فجريت نحو الباب والصقت اذنى . دقيقة ، دقيقتان ، لاشىء . بعد نصف ساعة وانا واقف واذنى على الباب قلت لنفسى ربما لا يكون هناك صوت . ربما هى تهيؤات لان الليل قد اتى ولاننى طول النهار بمفردى دون نوم او طعام . وبعدت عن الباب فسمعتها مرة اخرى عالية جدا كأنها فى الزنزانة نفسها ، فبدأت انا ايضا اصرخ ، وبدأت ادور فى الزنزانة وانادى ياناس ولكن لا احد يرد على ، وبعد زمن طويل اكتشفت ان هذا الصوت لم يعد موجودا واننى انا

وحدى الذى اصرح واخبط الجدران ، فجلست فى ركن من الزنزانة وبكيت . الحقيقة يا ابنى انهم عندما جاءوا بعد ذلك لياخذونى لم اكن استطيع ان اقوم على رجلى فجرونى جرا الى مكتب التحقيق .

سالنى الضابط عن الفدائيين فحكيت له الحكاية كما حكيتها لك بالضبط ، ولكنه لم يكن ينظر فى وجهى ابدا بل يدخن سيجارة وينظر للحائط وحين انتهيت قال لى بهدوء :

انا اعرف امثالك من اولاد الكلب ، لاينفع معهم الذوق . اخذت اقسم له ان هذه هى الحقيقة لكنه قال للحراس خذوه لينفرج ثم عودوا به .

ماذا اقول لك ؟ .. من يومها وانا مريض بالسكر . كانوا يحملوننى تقريبا ونحن ننزل السلم وانا لا اكف عن القسم، واحكى الحقيقة للحراس، فضربنى احدهم على وجهى ومرة على رأسى ، وقال اننى لو فتحت فمى بعد ذلك فان يكفيه ان يشرب من دمى . كنا نقف امام باب مغلق فقال احدهم ان الافضل ان يكمموا فمى وبالفعل حدث ذلك رغم اننى اقسمت انى سأسكت . بعد ذلك فتحوا الباب وادخلونى . لا اذكر كل ما رأيت .. انتظر .. نعم .. اول شىء اذكره .. اول شىء رأيته ثلاثة شبان معلقين من ارجلهم بجوار بعضهم مثل ذبيحة الجزار .. كانت رءوسهم قرب الارض زرقاء نافرة العروق ورقابهم منتفخة هكذا .. كانت اجسادهم تتطوح قليلا وتخرج من حلوقهم حشرجات كخوار الذبيحة قبل موتها .. تعرف ذلك ؟ .. حين تهمد الذبيحة تماما .. هكذا . لا اذكر ان كانت عيونهم مفتوحة ام لا .. جرنى الحراس الى زنزانة اخرى اول ما رأيت فيها كلبا بهذا الطول والله يا ابنى — فى حجم البغل الصغير — ثم رأيت شابا عاريا تماما مصلوبا على خشبتين متقاطعتين ، وساقاه مفتوحتان ، وكان رجل يمسك الكلب بسلسلة طويلة ويناديه باسم لااذكره، ثم يرخى السلسلة فيندفع الكلب نحو الشاب وينهش فخذه المغمور بالدم فيحرك الشاب رأسه ويهز صليبه بجسمه كله وهو يزوم ويتنهد . لم يكن يصرخ . لكنه كان يزوم . وكان صاحب الكلب يقول لكلبه كفى .. كفى ياميزو .. نعم .. تذكرت — كان اسم الكلب ميزو .. يقول له كفى والكلب مستمر فى نهشه حتى يجذب صاحبه السلسلة بشدة . انتبهت الى رجل آخر يقف والعرق يغمر وجهه — تقدم من الشاب بعد ان ابتعد عنه الكلب رفع رأسه المحنية عن صدره وقال له تكلم .. تكلم يامجرم والا جعلناه يلتهم عضوك ، لن تصبح رجلا ابدا . لكنه لم يتكلم وانا واقف . ربما كان مغمى عليه . كان يزوم فقط . ترك الرجل العرقان رأس الشاب فسقطت على صدره والتفت الى . قال وهو يضحك ضحكة قصيرة [اهلا .. انت الذى ستشرفنا غدا ! دع ميزو يتعرف عليه] .. اطلق الآخر السلسلة فاندفع نحوى الكلب واخذ يتشممنى بانفه الملوث بالدم ونهش ثيابى وانا اتشبث بالحراس الذين معى ، احاول ان اختفى وراءهم والكلب يجذب ثوبى وهم يضحكون ، وانا ابكى والكمامة على فمى لا استطيع ان اصرخ ، واخيرا جذب صاحبه السلسلة وقال [هذا هو التعارف ياميزو . غدا تصبحان صديقين] كان يخاطب الكلب وهو يخبط على رقبته .



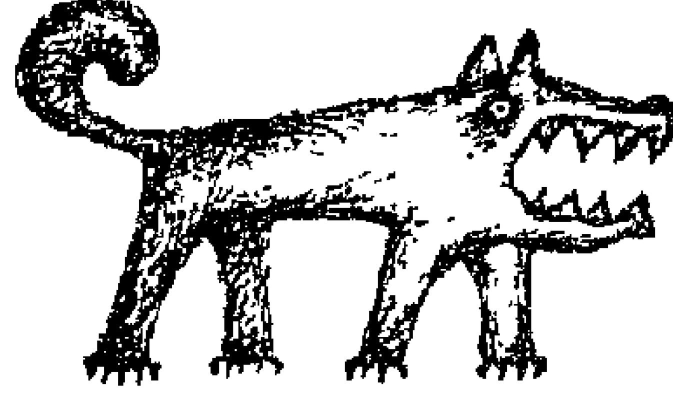
ماذا رأيت ايضا ياسيدى ؟ .. لا داعى للحكايات .. ولكن لا ، بل انتظر .. لابد ان احكى لك هذه . كانت آخر ماشاهدت .. رأيت الكثير ، لكن هذه كانت آخر ما شاهدت .. فى غرفة واسعة كان فى وسطها شىء كمغطس الحمام البلدى ممتلىء بالماء وتطفو فوقه الواح الثلج .. كان يقف رجل يداه مقيدتان خلف ظهره بحبل طويل — كان يمسكه اثنان من ذراعيه ورجل آخر يجلس على ركبتيه ويدلك رجليه بشىء كالشحم .. بعد ذلك صب على رجليه شيئا من زجاجة كانت بجواره ومد يده لاحد الاثنين الواقفين فناوله علبة كبريت . زحف على ركبتيه بعيدا عن الرجل المقيد حتى صار على بعد ذراع منه . ثم اشعل عود كبريت ومد يده وبسرعة من رجل الى آخر اشعل النار . جرى الاثنان الاخران بعيدا بسرعة وبيد كل منهما سوطورأحا يضربان الرجل المشتعل الساقين الذى بدأ يصرخ .. كان يقول ياكلاااب .. آه ياكلاااب .. راحا يضربانه على ظهره والرجل يرفع ساقا بعد الاخرى عن الارض بسرعة وهو يتجه نحوهما لكنهما يحيطان به عن بعد ويضربانه على ظهره ليتجه الى الامام .. الى وسط الزنزانة .. واخيرا فهمت ما كانوا يحاولون عمله .. اخيرا نجحوا فى ان يجعلوا الرجل يقفز الى المغطس المثلج انكفأ على وجهه فيه .. وسمعت صوته وهو يشهق .. وسمعت صوت الماء على النار — تشش .. تشش .. — وسمعت شهقات الرجل تكركر فى الماء ورأيت واحدا يميل بسرعة ويجذبه من كتفه ثم غبت انا عن الدنيا ..

حين افقت فى الليل كنت فى زنزانتى وكنت اشعر بعطش شديد وبجفاف فى فمى . هذا هو اول السكر كما تعرف صرخت اطلب الماء ولم يرد احد . حين قمت ارتطمت رأسى بالحائط وهذه من رحمة ربنا .. فقد اغمى على مرة ثانية ولم افق الا فى الصباح حين دخل الحراس على فى زنزانتى . لم اكن استطيع أن اقوم . كانت شفتى وارمتان ولسانى كقطعة الخشب فى فمى . جرنى الحراس من تحت ابطى حتى غرفة التحقيق دون كلمة . حين دخلت ووجدت الضابط على مكتبه تملصت من يدى الحارسين .. فجأة لا ادرى من أين جاءتنى هذه القوة .. خلصت ذراعى منهما بالفعل ثم ارتميت على بطنى أمام الضابط وامسكت بحذائه واخذت اقبله قام مفزوعا وحاول ان ينزع رجله من بين يدى لكن ابدا .. كانت روحى فى هذا الحذاء .. تندهش لهذا ؟ ربنا يا ابنى لايريك .. انظر .. مضت عشرون سنة على هذا وانظر هذا العرق فى وجهى . تحسس يدى . ربنا يسامحك لماذا جعلتنى احكى هذا كله ؟ والله انا لا احكى هذا ابدا .. لماذا ؟ حين نجح الحراس فى أن يحملونى — ويفكوا يدى من حذائه قال الضابط لماذا فعلت هذا ياحاج ؟ .. لم يكن هناك داع لهذا انا طلبتك لأقول لك صدر امر بالافراج عنك .. امر بالافراج ؟ كم يوما بقيت ؟ ..يوما واحدا.. ليلة واحدة.. ساعات .. ولكن تعرف يا ابنى ؟ .. عمرى كوم وهذه الساعات كوم ..

حين خرجت عرفت المسالة . زوجتى ام العيال دفعت مبلغا كبيرا جدا لرجل مهم فى الوزارة وبالتليفون امرهمبالافراج عنى .. دفعت كل ما كان معنا . وما بقى صرفته على العلاج والله .. . الحمد لله على كل حال .. والان تحدثنى عن العمارة ؟ .. اى عمارة ياسيدى ؟ تغور العمارات والمال وتعود لىصحتى انا على العموم لا شىء لى فى هــــذه العمارة . اخذها الاولاد .. هنيئا لهم يا سيدى . انا لا اريد شيئا من الدنيا ماذا كنا نقول من اصله ؟ انظر كيف يجر الكلام بعضه ؟ ربنا يسامحك .. آه .. انا لا احب ان ادخل اقسام البوليس . طبعا هذه الحكاية كانت من زمان والدنيا الان حرية والحمد للــــه ولكن ماذا افعل فى طبعى ؟ . لا احب ان ادخل الاقسام .. المحامى يقــول عندى عقدة نفسية . يلهف نصفاموالى ربنا يجازيه ويقول عقدة نفسية . ربنا يسامحه .. ما علينا .. المهم من يوم ان نجانى ربنا من هذه المصيبة وانــا لا افعل شيئا الا بمشورة المحامى .. لا ابيع الا وهو معى .. لا اشـــترى الا ورجلى على رجله .. لا ارفع اصبعى الا باذنه . هو الذى يشير على بكــل خطوة .. والحمد لله لم يحــدث شىء الا انه ينهبنى . ينهب يا سيدى ولكننا لم نعرف طريق الاقسام . والان تريد انت ان تجرنى للقسم ؟ لا .. لنتجرنى فالعمارة ليست باسمى ولا دخل لى بها العمارة باسم الاولاد .. تصرف انت معهم او هم يتصرفون معك . انتم احرار . انا لا دخل لى بشىء ابدا . ومع كل يابنى انا رأيى ان تقصر الشر . هم اولادى وانا اعرفهم . لا يراعون اباهم نفسه. ما قولك، انا استطيعان ارحك عندنا عمارة اخرى . ليست عمـارتى والله ولكننى اريد ان اخدمك . هناك شقة بمنافعها من غرفة واحدة وايجارها معقول . ما قولك ؟ استطيع انأساعدك لتاخذها وتبعد عن هذه العمارة بمشاكلها وكل من فيها . ما قولك ؟ — لا داعى لان تتعب قلبك بالشكاوى والتوقيعــات وكل هذا الهم الثقيل . دخلنا اصحاب ونخرج اصحاب . ما قولك ؟ .

(٤) المهندس — الممثل يقوم بزيارة مفاجئة ويدلى بموعظة ختامية :

هذا يوم نكد من اوله . مشاجرة مع المخرج ومقابلة مع صاحب البيت ... المخرج ومقدور عليه ولكنصاحب البيت؟! قل لى ماذا فعلت له ؟ وجدته غاضــبا جدا . لم اره فى حياتى بهذا الشكل هل صحيح انك طلبته هو واولاده فى القسم ليوقعوا تعهدا بعدم التعــرض لك ؟ .. عجيب ! وبماذا سينفعــــك التعهد . احسن لك تحصن شـــقتك بمدفع . احسن لك تبيت خارج البيت او ان تعزل من العمارة . احسن لك ان تمزق هذه الشكوى وفى داهية كل الاسانسيرات والمياه فى العالم . هات هذه الشكوى من فضلك . اريــد ان



اشطب توقيعى . لا تعمل بطــلا على حسابى . ماشأنى انا بكل هذا الهم ؟ لماذا لم اتعلم من كل ما حدث ؟ لماذا تعــذبنى ؟ .. حين تركتنى فى المــرة السابقة لم استطع ان انام طول الليل وظل ضميرى يؤنبنى . اقول لنفسى هل انا جبان ؟ . يجب ان اوقع مثل باقى السكان . لم أستطع النوم حتى جئت اليك ووقعت . لماذا ؟ — ملعون ابو الضمير . ملعون ابو الكرامة . هى التى ضيعتنى اليوم ايضا . قلتللمخرج اننى لا بد ان اتكلم . المشهد يحتمعلى ان اتكلم . لكنه رفض . صممت فسحب الدور وهدد بانه ســيرفع امرى لادارة التليفزيون لوقفى عن العمل ، يجب ان اوسط احدا للمخرج وللمدير ايضــــا ربما يوقفوننى ستة اشهر فى هــذه الحركة . جدعنة وخراب بيوت . ساكل كرامة ستة اشهر ان شاء الله . لابد من واسطة كبيرة . ومع ذلك فانا لم اخطىء والله . اسمع ما حـــــدث . اسمع واحكم .. فى البرامج التعليمية يلبسوننا ملابس تاريخية ويتحدث الوزير مع الملك .. انا الملك اجلس عـــلى عرش كبير وفوق راسى عمامة ثقيلــة كالداهية (المفروض تاج طبعا ولكنهم جهلة) يتحدث الوزير الى وانا ابتسم واهز راسى . عملنا مليون بروفـــــة والوزير يتحدث وانا اهز رأسى .. فى الدنيا ملك بهذا الشكل ؟ .. حفظـت كل كلمات الوزير والله . حفظتهـــــا احسن منه . استمع اليها ارجوك .. انت الملك — وانا الوزير اقف امـــامك هكذا واقول .. استمع من فضلك .. — زعموا ان غديرا كان فيه ثلاثسمكات .. كيسة واكيس منها وعاجزة..وكان ذلك الغدير لا يكاد يقربه احد ويقربــه نهر جار فاتفق ان اجتاز بهــذا النهــر صيادان فابصرا الغــدير فتواعــدا أن يرجعا اليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك . فسمع السمكان قولهما ... فاما اكيسهن لما سمعت وارتابت بهمــا وتخوفت منهما خرجت من المكان الذى يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير . واما الكيسة فانها مكثت مكانهــا حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت مــا يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخـــل الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكـــان فحينئـــذ قسالت فــرطت وهـــــذه عاقبة التفريط ، فكيف الحيلة على هذه الحال ؟ .. غير أن العاقل لايقنط من منافع الرأى ، ولا ييأس على حال ، ولا يدع الراى والجهد . ثم انها تماوتت فطفتعلى وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فاخذها الصيادان فوضعاها بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت . واما العاجزة فلم تزل فى اقبال وادبار حتى صيدت .

هل سمعت ؟ .. بذمتك كل هــذا كلام يقوله ممثل واحد ، وبهذه اللغة؟ .. أى اخراج هذا ؟ ! اخراج ندلة . اسمع ما اقترحته على المخرج . قلت له اتدخل انالكسر الملل وتشويق المتفرج [ودون خروج على النص لاحظ ذلك] اقول للوزير مثلا : فلما سمعت اكيسهن مافالا وارتابت بهما وتخوفت منهما ماذا فعلت ؟ ثم اقاطعه مرة ثانية واقول : والكيسة ماذا فعلت لما رأتهما وعرفت مايريدون ؟ وفى المرة الثالثة اقول كلمة واحدة : والعاجزة ؟ .. هذا كل اقتراحى ... هل هو كفر ؟ .. نترك ممثلا واحــدا يقرف المتفرجين كل هذا الوقت ؟ ... كــلامى انــا يعنى هـــو الذى ســيهد التليفزيون ؟ يا ناس انا حفظت الدور كله لماذا لا اتكلم ؟ .

اعطنى الورقة الله يرضى عليك .. اريد ان اشطب اسمى .

« ان تكون تجريبيا يعنى أن تقوم بغزو المجهول • وكل هؤلاء الفنانين حاول أن يجد فى فن المسرح امكانيات جديدة : هى عند ستانسلافسكى أهمية الممثل ، وعند مير هولد أهمية المخرج ، وعند ابيا أهمية الاضاءة ، وعند بسكاتور وبريخت اهمية التعليم والتنوير ، وعند أرتو أهمية أن يعبر المسرح عما لا تستطيعه الكلمات •

هؤلاء ومن جاء بعدهم : جروتوفسكى فى بولندا ، وبيتر بروك فى انجلترا وبيتر شومان وجوليان بيك ومارتا جراهام ونيكولايس فى أمريكا •• هم أهم المجربين فى مسرح القرن العشرين •

ويحاول هذا الكتاب (١) أن يعرض لمحاولاتهم جميعا ، فطبيعى أن يقتصر على التعريف والتلخيص وأن يضيق عن استيعاب كل تجارب المسرح الطليعى فى العالم ، مؤلفه ناقد ومخرج ، اشرف حينا على مسرح تجريبى فى لندن ، وهو يحاضر الآن فى جامعات امريكا » •

اتجاهات التجريب في مسرح القرن العشرين

● المشهد الروسى : بزوغ التجريب وأفوله (١٨٦٥ ـ ١٩٣٩)

ومهما كان الخيط الذى تبدأ منه فلابد أن يقودك الى الفنان الروسى العظيم كونستانتين ستانسلافسكى ، كان واحدا من جيل العمالقة الذى أخرجته أحشاء روسيا القيصرية منذ منتصف القرن الماضى ، مبشرا بضرورة قيام مجتمع جديد : دستويفسكى ، تولستوى ، جوجول ، تشيكوف ، تشايكوفسكى ، كورساكوف ، دياجيليف ، بافلوفا ، شاليابين وغيرهم • وبقى من ستانسلافسكى شيئان : اهتمامه بالقاء الضوء على تكنيك الممثل ، ثم مرونته وفهمه الخلاق لمعنى « الصدق » على المسرح ، ورغم النجاح العظيم الذى حققه « مسرح الفن » (خاصة فى تفسير أعمال تشيكوف) فان ستانسلافسكى لم يحس يوما بالرضا عن عمله ، كان يعتقد أن فن المسرح يتطور بخطى ابطأ من تطور الرسم والنحت والموسيقى ، وكان يخشى أن يقع المسرح فى أسر « واقعية ضيقة » لا يتجاوزها ، وفى صيف ١٩٠٦ ـ بعد أن فشلت ثورة ١٩٠٥ ، ومات انطون تشيكوف ، واغلق ستديو مسرح الفن أبوابه ، وفشلت عروض « ميترلنك » ـ احس ستانسلافسكى أنه يقف على مفرق طريق ، ومن قلبه الحيرة واليأس نظر الفنان العظيم الى خبرة ثلاثين عاما من التمثيل والاخراج والادارة فحللها واستخلص منها ما عرف بعد ذلك بنظام ستانسلافسكى لاعداد الممثل • ان جيرزى جرتوفسكى ـ أكثر الشخصيات التى تعيش اليوم تأثيرا على المسرح المعاصر ـ يعترف بدين هذا المسرح لستانسلافسكى : « ان دراسته المثابرة ، وتجديده الدائم والمنظم لوسائل

(1) James Roose-Evans, Experimental Theatre from Stanislavsky to Today. Studio Vista, London, 1970.

ملاحظته ، وعلاقته الجدلية بعمله ، تجعل منه مثالا ونموذجا لى » •

١٨٧٤ ـ ١٩٤٠

لكن طاقة التجريب الحقيقية فى المسرح الروسى هى فسفيولود مبير هولد • ولعل أهم ما كان يشغل مبير هولد شيئان : الاول أن الممثل ليس سوى جزء من الصورة أو التكوين المسرحى الكلى ، انه ليس سوى دمية فى نهاية الامر (وقد خلط الممثلين بالدمى فى أكثر من عرض) ، والثانى هو كسر الحاجز بين الخشبة والجمهور ، فبنى ممرات جانبية ودرجات تصعد من الصالة للخشبة ، وحرك الممثلين وسط هذا كله • وبعد ثورة ١٩٠٥ طرحت قضية مشاركة الجمهور فى العرض على نطاق واسع ودارت حولها مناقشات طويلة ، وفى ١٩١١ قدم مبير هولد اخراجا بالغ الجرأة لدون جوان (موليير) كانت مساهمته فى هذا النقاش : ألغى ستائر المسرح وأضواء الخشبة وجعل البرواز المسرحى على شكل شبه دائرى ، وأبقى أنوار الصالة مضاءة كى يحتفظ بجو قاعة الرقص ، واتخذ الملقنون أماكنهم خلف ستائر من طراز لويس الرابع عشر ، والخدم فى بزاتهم الرسمية يهيئون مقاعد السادة ، وغلمان سود يروحون ويجيئون ، والخشبة مضاءة بشموع من شمعدانات ضخمة ، كان العرض كله انتصارا لفكرة « مسرحة المسرح » وتحديا لتقاليد مسرح الفن التقليدى •

وازدهرت الجماعات المسرحية التجريبية ازدهارا عظيما بعد ١٩١٧ ، وبفضل مبير هولد أصبح مسرح الثورة فى روسيا مسرحا طليعيا ، وفى ١٩٢٧ كان فى روسيا ٢٤ ألف جماعة مسرحية تجرب وتبتكر فى الورش والاستديوهات والمعامل ، « ولم يحدث فى بلد آخر من بلاد العالم أو فترة أخرى من فترات التاريخ أن حظى المسرح التجريبى بمثل ما حظى به فى عهد لينين من دعم أدبى ومادى » ، وبين من تأثروا بمبير هولد ، وهذا المناخ التجريبى المتفتح نيكولاى افرينوف الذى قدم فى ١٩٢٠ عرضا يمدح أحداث الثورة اشترك فى تقديمه أكثر من ثمانية آلاف شخص وعزفت أوركسترا من خمسمائة عازف أناشيد الثورة ، وعلى المسرح انتصبت شجرة ضخمة للحرية التقت فى ظلها كل الامم ، ومن حولهم جنود الجيش الاحمر يستبدلون بأسلحتهم المطارق والمناجل •

وحول هذا التاريخ بدأ مبير هولد يطور نظريته فى تدريب الممثل ذات الطابع « البيو ـ ميكانيكى » ، فهو يعتقد أن الممثل يجب أن يكون رياضيا ولاعب أوكربات و « ماكينة حية » ، فحقيقة العلاقات الانسانية والسلوك الانسانى يمكن التعبير عنها بالخطوة والحركة والايماءة أكثر من التعبير عنها بالكلمة • وفى عروضه التالية حرك مبير هولد ممثليه كما يحرك اللاعب عرائسه فى المكان ، واستخدم الابنية المتحركة والحوائط المتنقلة والستائر التى تدور حول محاور وخشبة المسرح المقسمة الى دوائر متحدة فى المركز ويمكن لكل منها أن تتحرك وحدها • كان مبير هولد يهدف لان يحقق للعرض المسرحى هذا « الاستمرار » الذى تحققه السينما ، وسبق كلا من بسكاتور وجان لوى بارو فى استخدام الفيلم كجزء من العرض المسرحى ، كان مبير هولد ـ كما وصفه الفنان الفرنسى شارل ديلان ـ شاعر المسرح استطاع أن يخلق من مفردات الحركة والايقاع لغة مسرحية •

على أن أعظم عروضه الاخيرة وأكثرها اثارة للنقاش كان « المفتش العام » لجوجول • أباح مبير هولد لنفسه أن يغير فى النص : فجعل أحداث المسرحية تدور فى موسكو لا فى قرية بعيدة ، واستبدل بالعمدة جنرالا •• وهكذا • وجعل التمثيل يدور على مصطبة مسحوبة على شكل شبه دائرة ، يفتح حولها خمسة عشر بابا ، وحين يتقدم المسئولون لرشوة المفتش المزيف ـ سرا ـ تفتح جميع الابواب مرة واحدة ، ونرى فى كل باب مسئولا يقدم الرشوة • وحين يخرج هذا المفتش محمولا على محفة تهبط ستارة بيضاء مكتوب عليها بحروف ذهبية نبأ وصول المفتش الحقيقى ، وبارتفاع هذه الستارة لا نرى على المسرح ممثلا واحدا ، بل نجد بدلهم دمى تقف جامدة تصور المشهد الاخير •

وفيما بين ١٩٣٠ و ١٩٥٣ خيم على روسيا شبح الستالينية فذوى التجريب فى الفن والمسرح ، ففى ١٩٣٢ شنت « البرافدا » حملة واسعة النطاق على اتجاهات الفن التجريبى ووصفتها بالتحلل ، وفى ٣٨ أغلق مسرح مبير هولد ولم يجد سوى ستانسلافسكى يلحقه بوظيفة فى « مسرح الفن » ، لكن ستانسلافسكى مات فى السنة نفسها ، وفى يونيو ٣٩ حضر مبير هولد مؤتمرا للمسرحيين هاجم فيه ما يحدث فى المسرح الروسى ووصفه بأنه شىء لا علاقة له بالفن ، ودافع دفاعا حارا عن حق الفنان فى التجريب ، بعدها بثلاثة أيام ألقى القبض عليه ونقل الى أحد المعسكرات فى القطب • هل مات مبير هولد فى معتقله أم انتحر ، لا يعرف أحد اجابة على السؤال •

ولم يكن مبير هولد وحده ، كان ثمة الكسندر تايروف (١٨٨٥ ـ ١٩٥٠) ومسرحه « التاليفى » • لم يكن تايروف يرى أن الممثل دمية فقط بل كان يرى أن المسرح فن قائم بذاته ، لذلك كان يدرب جماعة ممثليه على أن يرتجلوا حول فكرة ما ويطوروها أمام الجمهور على نحو ما يحدث فى « الكوميديا ديللارتى » ، وكان يرى أن المسرح « التاليفى أو التوليفى » هو ما يضم فى جماعة واحدة كل امكانيات فنون الباليه والاوبرا والسيرك وقاعة الموسيقى والدراما ، وكان اهتمامه ينصرف أولا الى تحقيق جماليات العرض المسرحى حتى اتهمه نقاده بأنه يهتم بشكل العمل دون مضمونه ، لكنه كان يرى الموسيقى أرقى الفنون وأنقاها ، لذا فهو يحاول أن يخلق للعرض موسيقاه : الايقاع هو أهم ما يشغله ، الحوار يجب أن يقطع وينغم ويغنى ويؤدى ، ومساحات المسرح يجب أن تستغل لخلق علاقات دينامية بالمكان ، والاضاءة يجب أن توظف توظيفا خياليا ، وحركة الممثلين يجب أن تصمم كما تصمم خطوات الراقصين ، والخشبة المسطحة يجب أن تحطم بالمستويات والدرجات والتكوينات التجريدية •

لكن تاريوف لم يستطع أن يستمر طويلا • كان ثمن بقاء مسرحه أن يتنازل عن كثير • وفى ١٩٤٦ قدم اخراجا لنورس تشيكوف ، وصف بأنه لم يكن صيحة نورس لكنه كان أغنية وداع : فى ٤٩ أغلق مسرحه ، ومات فى العام التالى •

بقى على المسرح الروسى اثنان : فاجتانجوف وأوخلبكوف • كان الاول أحد ممثلى « مسرح الفن » وأقرب تلاميذ ستانسلافسكى اليه ، لكنه استطاع أن يمزج ـ على نحو خلاق ـ بين نظام ستانسلافسكى وتجريبية مبير هولد ، بين الصدق ـ بمعناه السيكولوجى ـ والاهتمام بفنية العرض المسرحى ، كان منهجه شاعريا لكنه لم يكن مغرقا فى رومانسية تايروف • كان فاجتانجوف مريضا بلا أمل فى شفاء ، لهذا كان يصر دائما على أن العرض المسرحى يجب أن يدخل البهجة لقلوب الناس والا فهو « وسيلة مبتذلة لقضاء وقت الفراغ » • وحين كان الفنان الفرنسى انتونينى أرتو لا زال يصوغ أفكاره حول مسرح القسوة ، كان أوخلبكوف يقدم عروضا تحقق ما نادى به المسرحى المجنون بعد ذلك • كان أوخلبكوف يعيد وضع علاقة الممثلين بالجمهور فى كل عرض على نحو جديد • استخدم التصميمات الدائرية والمربعة والمثلثة والمعينة وذات المحاور كى يعين هذه العلاقة فى كل عرض بما يحقق تصوره لضرورة استخدام كل العناصر المسرحية من أجل أن يصبح المشاهد جزءا مما يحدث فى المسرح • ان جروتوفسكى يستخدم الاسلوب نفسه من أجل الهدف نفسه ، ونظرة الى تخطيط مكان الممثلين من الجمهور عند أوخلبكوف وجروتوفسكى تكشف تأثر الاخير بهذا الفنان الروسى العظيم • كذلك استخدم اوخلبكوف عدة منصات يدور فوقها الحدث حتى يمكنه اجراء « مونتاج » أو تقطيع سينمائى على المسرح • لقد وجدت أفكاره عن علاقة الممثلين بالجمهور امتدادها عند جروتوفسكى ، أما أفكاره عن ضرورة مواصلة البحث والتجريب حتى بعد ليلة العرض الاولى فقد وجدت استمرارها عند المخرج الانجليزى بيتر بروك •

● ● ●

● المشهد الادبى •• التجريب والتراث

وكانت اوربا أيضا تموج بسلسلة متصلة من التجريب • جوردون كريج (١٨٧٢ ـ ١٩٦٨) يحلم بمسرح

جديد يعبّر عن الانفعالات بالحركة وحدها ، لا داعي لوجود مسرحية أو حبكة ، المهم وجود حركة مترابطه ومتآزرة للصوت والضوء والمجموعات • ليس الممثل كل شيء كما كان عند ستانسلافسكى ، وليس دمية كما عند ميرهولد ، لكنه أصبح « عقبة وعبئا ثقيلا •• واذا كان لابد من وجود الممثلين فمن أجل أن يتحركوا لا أن يتكلموا •• لان التمثيل هو الحدث ، والرقص هو الشعر فى الحدث » وادولف ابيا (١٨٦٢ ـ ١٩٢٥) مهتم بالاضاءة أكثر من أى عنصر مسرحي آخر ، ويرى أن الجو العام للمسرحية لا يمكن تصويره الا باستخدام حركة الاضواء على مناظر بسيطة غير مجسدة مرسومة بالوان محايدة • لم يكن ابيا أول من استخدم الظل على المسرح لكنه أول من وضع للاضاءة المسرحية نظرية كاملة • ويبقى الاثر الحقيقى لجاك كوبو (١٨٧٨ ـ ١٩٤٩) فى جماعة الممثلين التى كونها ببساطتها التامة فى تقديم أعمالها والتصاقها الوثيق بتربة الارض التى خرجت منها ، إن كل فنانى المسرح الفرنسى الكبار اليوم هم من أفراد هذه الجماعة ، جان لوى ـ بارو ، لوى جوفييه ، شارك ديللان ، جان فيللار ، ميشيل سان دنيس ، جاستون باتى •

ولم تكن أفكار انتونيني ارتو (١٨٩٦ ـ ١٨٤٨) عن المسرح الذى يصدر الحقيقة الداخلية أصيلة كلها ، فقد سبقه اليها فنانون مثل ابيا وميير هولد ورينهاردت ، لكن أهميته فى أنه اعاد اكتشاف هذه الافكار لنفسه وللمسرح الفرنسى • ومن المهم ـ بالنسبة لارتو ـ أن نؤكد هذه الحقيقة : ان المجرب الحقيقى هو الذى يبنى فوق ما هو قائم ، هو الذى يعرف جيدا ما الذى تحقق وما الذى يريد أن يضيفه اليه ، والفنانون المجربون الخلاقون ـ مثل بريخت وجروتوفسكي ـ لا ينكرون صلتهم بالماضى ، لان معرفة ما تحقق فى أماكن مختلفة وأوقات مختلفة يعطى احساسا راسخا بمعنى التراث واستمراره ، وحين قال أرتو : اننا لن نستعيد فن المسرح الا اذا قدمنا للمتفرج المكونات الحقيقية للحلم ، هل كان يعرف ما قاله ستانسلافسكي منذ بداية القرن : يجب أن يصور المسرح الحياة ، لا كما نراها فى الواقع • بل كما نراها ـ على نحو غامض ـ فى الاحلام ؟ لكن من الحق أن نقول بان ارتو ـ حين كتب ما كتبه قبل أكثر من ربع قرن ـ كان يتمرد على لون معين من ألوان الاداء المسرحى هو الموجود فى « الكوميدى فرانسيز » مسرح خاضع تماما للكلمات وسيطرة المؤلف ، وكان يريد أن يستبدل بشعر الالفاظ شعر المكان مستخدما عناصر مختلفة : الموسيقى والرسم والرقص والفنون الحركية والميم والاداء الصامت والايماءة والغناء والتعويذة والطقس والاضاءة والتشكيل البدائى •

ولا شك فى أن دور بريخت (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) يتجاوز دور كل من رينهاردت (١٨٧٣ ـ ١٩٤٣) وبسكاتور (١٨٩٣ ـ ١٩٦٦) فما يبقى من رينهاردت هو أنه الذى طور فكرة المسرح الشامل ـ بعد ميرهولد وقبل بيتر بروك • أما بسكاتور فهو واضع نـدرة المسرح الملحمى ، والمسرح التسجيلى ، وهو ـ بتعبير بريخت ـ صاحب أكثر المحاولات جرأة لاضفاء طابع تعليمى وتنويرى على المسرح • وبقى دور بريخت أكبر منها لانه ـ كما يقول كينيث تينان ـ « مرة واحدة فى كل جيل يعرف العالم طريقة جديدة لرواية الحكاية ، وفى هذا الجيل فان بريخت هو رائد الطريقة الجديدة ، كاتبا مسرحيا ومديرا لبرلين انسامبل » •

وربما كان نجاح بريخت وفشله ـ كما يقول واحد من دارسيه ـ فهو أن كل ما حاول أن يقضى من خلاله على « سحر » المسرح تحول سحرا بين يديه : أضواء الخشبة التى يجب أن تغرب بنا بعيدا عنها تشى بكل عشق بريخت للمسرح ، والتدخل فى الحدث يكتسب ايقاعا بحيث يصبح نمطا شعريا يلغى الهدف من استخدامه • ان نجاح بريخت وفشله يمكن تلخيصهما فى جملة واحدة : انه قد حظى باعجاب واحترام هؤلاء الذين احترف احتقارهم : الشعراء والمثقفين والغرب ، وفشل فى أن يجد جمهوره بين هؤلاء الذين كان يعتقد أنه يكتب لهم : الطبقة العاملة والحزب والشرق •

● جروتوفسكى : نحو مسرح فقير

يختفى معمل جروتوفسكي المسرحى فى بولندا خلف زجاج نظارته السوداء ، لكن جروتوفسكى من أهم الشخصيات المؤثرة فى المسرح المعاصر ، ان لم يكن أهمها على الاطلاق • تجاربه مصدر أفكار بيتربروك والمسرح الجديد فى انجلترا ، وكل حركات المسرح الطليعى فى أمريكا • يبدو أن جروتوفسكى قد طرح على نفسه السؤال الاساسى : ما هو المسرح ؟

وفى البحث عن الاجابة تبين أن المسرح يمكن أن يوجد بلا مكياج أو ملابس أو ديكور ، أو مؤثرات صوتية وضوئية ـ لكنه لا يمكن أن يوجد دون علاقة الممثل بالمتفرج فى المسرح « الحى » وهو يرفض تماما التصور التقليدى للمسرح ويراه قائما على مرض سرقة فنى ، اما المسرح الشامل فليس عنده سوى لغو شامل • انه باختصار يرفض كل أشكال المسرح عدا مسرحه هو « المسرح الفقير » : يرى جروتوفسكي أن تغيير أماكن الممثلين والجمهور يقدم تنويعات لا نهاية لها على علاقة الممثل بالمتفرج ويرى أن فى جسد الانسان عددا لا يحصى من « الشركات الرنانة » ورغم انه يرى أن النحت والادب والرسم والاثاث والاضاءة والاخراج كلها من سمات المسرح الغنى أو المترف الا أن كل عرض من عروضه يحمل بصمات المخرج وتصميم الازياء وبقية خصائص ما يسميه « الاثاث المنظرى » كما أن كل عرض من عروضه يعتمد على نص مكتوب •

لكن ممثلى جروتوفسكي لا يستخدمون قطع الاثاث وبقية العناصر استخداما طبيعيا ، بل بالتخيل التلقائى المميز للاطفال ، فأرض المسرح يمكن أن تكون البحر او القارب او المائدة أو الزنزانة ، وما يفعلونه يختلف تماما عما يحدث فى « مسرح الشرق » حين تصبح الارض هى البحر بهدف تقدم الحدث ، كلا ، البحر عندهم هو الارض ، كجزء من دراما داخلية ، فجروتوفسكى حريص على أن يعرض ممثلوه أمام الجمهور عملياته الروحية والنفسية العميقة ، وعن طريق سنوات التدريب والتكنيك الجسدى المنظم يصبح الممثل على درجة من اكتمال الوعى وارهافه وحدته بحيث يتفتح تلقائيا أثناء العرض « بحيث يعطى نفسه بكل خصوصياتها وأعماقها عطاء كاملا واثقا مثل عطاء الحب » •

الممثل عند جروتوفسكى مبشر ، يخلق الفعل الدرامي ويقود الجمهور اليه فى الوقت نفسه « هنا عنصر جديد على المسرح ، توتر نفسى عميق قائم بين الممثل والجمهور : الاول يحاول أن يخضع الثانى ويأسره ويقضى على أية مقاومة عقلية لديه ، والثانى يقاوم سحر الكلمة والحركة ويستنجد بالمنطق ويلوذ بدفاع أخير حين يسقط عنه درعه الاجتماعى المصنوع » • وهدف المسرح عند جروتوفسكى ـ وهدف الفن كله ـ هو أن « نعبر حدودنا ونتجاوز قيودنا ونملأ خواءنا ونحقق أنفسنا » ، والمتفرج يعى ـ شعوريا أو لا شعوريا •

ان هذا العرض الذى يراه يدعوه لان يفعل الشيء نفسه ، وهذا ما يثير دائما معارضته أو سخطه ، لان جهده اليومى منصرف كله لاخفاء حقيقة نفسه ، لا عن الاخرين فقط بل عن نفسه بالذات • واذا كان بريخت مهتما بأن يدفع الجمهور الى التفكير فان جروتوفسكى مهتم بأن يحدث له ازعاجا على أعمق مستوى ممكن ، من هنا يحتاج جروتوفسكى متفرجا من نوع خاص : لديه احتياجات روحية عميقة ويريد فعلا ـ عن طريق مواجهته لهذا العرض ـ ان يحلل نفسه ، ويلعب الالتصاق الفيزيقى بين الممثلين والجمهور دورا فى تسهيل عملية التحليل النفسى الجماعى • هل هو مسرح للنخبة فقط ؟ يجيب جروتوفسكى بوضوح : « نعم لسنا مهتمين بمسن هب ودب من المتفرجين ، نحن مهتمون بلون خاص منهم فقط » •

ويبدأ جروتوفسكى عمله بأن يتناول أسطورة (قومية أو دينية) أو موقفا يتضمن فعلا جعلته التقاليد من المحرمات ، ثم يبدأ فى مواجهته

ومهاجمته ، والكفر به ، والتجديف أمامه ، وهو أثناء ذلك يربطه بخبرة حياته التي هي بدورها الخبرة الجماعية في عصرنا (هي عند جروتوفسكي على سبيل المثال : التاريخ المأسوي لبولندا) وربما كانت هذه المواجهة ذاتها هي ما هدفت الى تحقيقها عروض اخرى مثل « الصباح المبكر » لادوارد بوند ، و « أوديب » لبيتر بروك ، و « فرانكشتين » للمسرح الحي ، كذلك أعمال مارتا جراهام حول الاساطير الاغريقية •

وما قاله ستانسلافسكي من ضرورة وجود فنانين جدد لكل فن جديد يقوله جروتوفسكي على نحو اخر : « يجب أن يكون الممثل قادرا على أن يعبر بالصوت والحركة عن تلك الدفقات الانسانية الصغيرة التي تتذبذب هناك على الحد الفاصل بين الحلم والحقيقة ، يجب أن يكون قادرا على ان يبني لغته التحليلية الخاصة من الاصوات والايماءات كما يبني الشاعر العظيم عالمه من الكلمات » •

● المشهد الامريكي : مجتمع ممزق ، وفن مفتت

واذا كان كريج يطالب بمسرح تعبر فيه الحركة فقط عن الانفعال فان الرقص الحديث ـ خاصة عند فنانين مثل مارتاجراهام والوين نيكولايس ـ هو الذي فتح افقا جديدا للتعبير بالحركة ، ولان نقاد المسرح لا يزالون مرتبطين بفكرة ان المسرح للكلمات لم يستطيعوا ان يقدروا قيمة ما أضافه الرقص لفن المسرح في القرن العشرين •

كانت ايزادورا دنكان اول من ربط الحركة بالعاطفة واكتشفت قدرة الحركة على أن تخلق أشكالها الجديدة اذا كانت انفعالا قويا • كان رقص ايزادورا تعبيرا عن الحياة « لان الحياة هي الجذر والرقص هو الزهرة » • بفتح طريق الكشف في « الانسان الداخلي » ـ وكانت ايزادورا تسميه « الروح » ـ لكن مارتا جراهام ـ أعظم الراقصين في هذا العصر ـ استطاعت أن تتجاوز هذا الفهم فما يعنيها هو «الكائن الخفي» الجسدالكامن تحت الجلد والعضلات ،فكل رقص هو نوع من رسم القلب ، او هو الخط البياني الذي يحدد ارتفاع حرارة جسد محموم ، لهذا حاولت أن تبتكر التكنيك الذي ينقل رؤية داخلية كاملة •

جوهر الرقص الحديث ان تصدر الحركة عن الفكرة ، والخطوة عن العاطفة ، وما يميزه عن الباليه هو ان الباليه يهتم بالخط والنمط ـ أي بجماليات خارجية ، بينما يهتم الرقص بخبرة الحياة الاساسية ذاتها ، ان الحركة عنصر أساسي في وجودنا • ونحن حين نقفز فرحا أو نتطوح حزنا فان حركتنا تنبع عن حالة انفعالية عميقة ، ورغم أن هذه الحركة تبدو غير معقولة الا انها تحمل بداخلها السمات الاساسية في الخبرة ذاتها ، لن تكون ابدا حركة جمالية أو ممثلة • والرقص الحديث يحاول أن يعبر بالحركة عما لا تستطيع ان تبلغه الكلمات ، انه يكتشف أرضا جديدة للحركة الممكنة ـ بل والتي تبدو مستحيلة بالنسبة لما تطلبه المخيلة المنطلقة من الجسم • وقد أثبتت مارتاجراهام ان عملها متطور ومستمر ومتنوع ، فهي تأتي في كل سنة بجديد في تطوير اسلوبها كلما اكتشفت امكانيات الحركة للتعبير عن موضوعات جديدة : رقصات للثورة والاحتجاج والتمرد ، للممارسات الدينية ، من الفولكلور الامريكي للمسخرة للتعبير عن دور المرأة كفنانة ودورها كامرأة ، واهم اعمال مارتا هي تلك التي تتخذ موضوعاتها من الاساطير الاغريقية حسب فهم جماعي لها ، واعمالها دائما ـ باستثناء عدد من رقصاتها المنفردة ـ تدور حول حكاية ما ، لانها تعتقد ـ على عكس الوين نيكولايس ـ ان الكلمات يمكن أن تنقل شيئا من فنها • وهي تلخص عملها : « حاولت دائما أن اقدم صورة الانسان وهو يناضل من أجل اكتماله ، من أجل أن يبلغ ما يمكنك أن تدعوه صورة الانسان في عين الله ، انني اهتم بهذه الصورة أكثر مما اهتم بصورة الانسان عن نفسه » •

يختلف عنها الوين نيكولايس في فهمه لوظيفة الرقص الحديث • فهو يرى أن الرقص حركة تتجه نحو بلوغ مستوى أكثر تجريدية ورياضية ، ويرى أن الرقص قد استهلك نفسه في تصوير العلاقة بين الانسان والانسان •• فلماذا لا يهتم بعلاقة الانسان بالموضوعات والاشياء ؟ ، ولكي يساعد نيكولايس راقصيه على الابتعاد عن « التعبير الذاتي » اصطنع لهم أقنعة وقطعا منحوتة بحيث يتنكرون فلا يبدون كبشر ، ويلبسهم بحيث يبدون كأشكال ، ويحركهم حول الخشبة بحيث يبدون كقطع الاثاث الحي • ان رقصاته لا تعبر عن عواطف ولا تتخذ مواقف ، انها هي الوسيلة والرسالة ، والحركة هي الهدف والسبب • ورغم أنه لا يصمم رقصاته حول موضوعات أو قضايا بعينها الا أنه يعتقد أن الجمهور سيجد في عروضه كثيرا مما يرتبط بالهموم المعاصرة اذا اطلق لخياله العنان •• « اننا مهتمون بوجودنا في الفراغ ، مهتمون بالعلاقات بما حولنا ، اننا لم نعد نثق بقدرة حاسة واحدة ، ونريد لحواسنا جميعا أن تتآزر لتكشف الحقيقة » •

وأعمال نيكولايس ـ مثل أية أعمال فنية تجريدية ـ يمكن أن تقبل على مستويات متعددة ، لكن الخبرة ضرورية على أي مستوى منها ، وأعمال نيكولايس لا يمكن وصفها أو التعبير عنها الا برؤيتها ، حتى الصورة الفوتوغرافية لا تنقل منها الكثير ، لان نيكولايس ـ وكذلك مارتاجراهام استطاع كل منهما أن يصل للغته المسرحية الخاصة التي تحيط حركة الجسم الانساني •

لفنانة المسرح الانجليزي جوان ليتلوود كلمة تقول فيها : « الدنيا مليئة بالمسارح خارج خشبات المسارح » ويبدو أن هذه الكلمة وجدت تطبيقها الحرفي عند بيتر شومان ، فنان المسرح الامريكي الذي كون جماعة « مسرح الخبز والدمية » قبل عدة سنوات • لقد جاء بالناس الى المسرح حين خرج اليهم يطوف شوارع نيويورك مع أفراد فرقته يحملون الدمى الضخمة ويقدمون أعمالا مسرحية قصيرة عن القضايا المعاصرة • ويعتقد شومان أن معظم حركات المسرح الطليعي حريصة على أن تهين الجمهور وتصدمه أكثر من حرصها على التواصل معه ، ويقول : « انك لا تستطيع أن تصدم الجمهور بمجرد احتقارك له ، وأفضل أشكال المسرح الحديث هو ما يتطور عن الاشكال التقليدية ، ان المسرح يحقق نجاحه اذا كان له معنى عند الناس » •

ويعتقد شومان أن أفضل الجمهور هم هؤلاء الذين لا يذهبون الى المسرح لهذا خرج بفرقته الى الشوارع • وتمتاز الفرقة بمرونة خاصة ، فعدد أفرادها يتراوح بين خمسة عشر ممثلا ومائة ممثل حسب احتياج العرض ، وهم لا يقبضون اجورا ، ولا يتقاضون من متفرجيهم في الشوارع شيئا ، أما اذا قدموا عروضهم في مكان مغلق فهم يتقاضون دولارا عن كل متفرج ، وكل الاماكن ملائمة لهم عدا خشبات المسارح التقليدية لانها « مريحة جدا ومعروفة جيدا وتقاليدها تزعجنا ، فالناس يخدرون فيها ويفقدون انتباههم من اللحظة الاولى ، أما حين تستخدم المكان الذي يتصادف أن توجد فيه فانك تستخدمه كله : بدرجاته ونوافذه وشوارعه وأبوابه • يجب أن نقدم مسرحياتنا في أي مكان يتيح لنا استخدام الدمى » •

وهم يقدمون الخبز لجمهورهم خلال العرض أو بعده ، ويعتبرون هذا شيئا أساسيا « لاننا نحب أن نبدو قادرين على اطعام الناس » ، والحقيقة أن الطعام يلعب دورا هاما في عروضهم : فهو أحيانا يعطي الانطباع بالمشاركة في وليمة ، وأحيانا يضعون في صدر المائدة منديلا أحمر مثيرين كل أحاسيس العشاء الاخير للمسيح •

ولن تجد بيتر شومان يهاجم جمهوره على نحو ما يفعل جوليان بيك ومسرحه « الحي » • ان بيك يهاجم جمهوره لانه يعتقد أن الدولار الذي دفعه كل منهم يكفي لاطعام عائلة بأكملها في احدى دول العالم الفقيرة ، أما شومان فلا يتقاضى من جمهوره قليلا أو كثيرا •

وحين جاءت الفرقة الى لندن في ٦٩ كان أفراد الفرقة يوزعون تذاكر المسرح على الجمهور بلا مقابل ، وبعد أن امتلأ المسرح كله لم يردوا المتفرجين بل كانوا يدبرون لهم الاماكن حتى فوق الخشبة نفسها • وتبدأ جماعة الخبز والدمية تهيئة الجو قبل بدء عرضها ، فيخرج أفرادها الى الشوارع في ملابس بيضاء ، يضع بعضهم مناديل ملونة حول رؤوسهم ، أو يلبسون تشكيلة متنافرة من أغطية الرأس ، يدقون الطبول وينقرون الدفوف وينفخون في الابواق ويضع بعضهم أقنعة ضخمة ، وهذا أحدهم يضع قناع خنزير ضخم يعابث الناس ويرقص في اشارة المرور ويبادل كلبا أزعجته الضجة النباح ، وتنتقل عدوى المرح من الجماعة الى الذين يريدون أن يشاهدوا عروضها فينضمون اليهم ويبادلون المثلين الحديث حتى يصلوا جميعا مكانا ملائما لتقديم العرض فيضع الممثلون أدواتهم القليلة ويشرعون في أداء تمثيلياتهم القصيرة عن حرب فيتنام •

دون عدوان موجه ضد الجمهور ، بصدق ومرح وبساطة ، تقدم جماعة الخبز والدمية « مسرحا فقيرا » بالفعل ، مسرحا له طابع القداسة ، انهم لا يستخدمون سوى الملابس البسيطة وبعض الستائر والادوات المعدنية القليلة ، وهم يلبسون كما ما تقع عليه أيديهم بعفوية كعفوية الاطفال ، ولا نستطيع أن نعتبرهم محترفين بأى معنى من المعاني ، انهم لا يقدمون عروضا صقيلة متحذلقة ، بل يقدمون أعمالهم ببساطة معتمدين على الصدق الداخلى في أن ينقل للجمهور ما يريدون أن يقولوا •

وليست أعمال مارتا جراهام ونيكولايس وشومان هى كل مظاهر التجريب في المسرح الامريكى ، فلعل هذا المسرح أن يكون اليوم أكثر مسارح العالم امتلاء بالتجارب الجديدة ، وكلها تجارب متأثرة بما ذكره أرتو عن « مسرح البيئة » ، بمعنى أن « بيئة » كاملة يجب ان تخلق من أجل تقديم كل عرض على حدة • فمسرحية الان كابرو « ١٦ حادثة في ٦ أقسام » عرضت في ثلاث حجرات متجاورة تفصل بينها حوائط من البلاستيك ، ويغير المتفرجون أماكنهم أثناء الاستراحة ، ومسرحية روبرت ويتمان « القمر الامريكى » عرضت أمام متفرجين يجلسون في ستة أنفاق متجاورة تواجه مكانا دائريا يقدم فوقه العرض ، وفي مسرحية جيم دين « حادثة سيارة » يجلس المتفرجون في بيئة كاملة البياض ، ويلبس المثلون اللون الابيض ويطلبون الى المتفرجين أن يحضروا بقبعات وجاكيتات بيضاء كي يتكاملوا مع العرض ! هدف هذا كله هو محاولة ايجاد علاقة جديدة بين الانسان والفضاء في عصر الفضاء : « نريد خبرة جديدة بالفضاء ، ارتفاعه وعمقه واتساعه ، ثقله وكثافته ، حميميته وتباعده » ، وربما كان جون كيج (صاحب العرض الموسيقى ٣٣ر٤ الذى يظل فيه العازفون صامتين لمدة أربع دقائق وثلاثة وثلاثين ثانية ، مفترضا أن الاصوات العرضية المتجمعة عن زحزحة المقاعد والتنفس والهمسات وضجيج الشارع •• ستخلق موسيقاها - ربما كان كيج هو المسئول عن استخدام « الصدفة واللاتحديد » في الموسيقى والكتابة والمسرح • كلنا يعرف الارتجال على المسرح من حيث أنه وسيلة الوصول الى أقصى درجات التلقائية والصدق في الاداء ، لكن قليلين هم الذين يعرفون مفهوم « اللاتحديد

« indeterminacy »

الذى يمنح الحرية كاملة للمؤدى سواء كان راقصا أو عازفا أو ممثلا - في أن يختار بديلا عما حدده له مصمم الرقصة أو المؤلف الموسيقى أو المخرج ، ولان المؤدين يتصرفون كل « بطريقته ولا يتفاعلون مع اختيارات زملائهم فلن يتم هذا الاخذ والعطاء المميز لتجربة الارتجال • في أحد أعمال « المسرح الحى » وزعت على الممثلين - بطريقة عشوائية - قصاصات من الورق تحمل تعليمات مسرحية مختلطة (مثال : قبل أقرب امرأة اليك - استخدم ثلاثة موضوعات في متناول يدك في فعل واحد ••) وأدى الممثلون هذه الافعال داخل نسيج العرض كله !

والسمة المشتركة في المسرح الطليعى الامريكى هى انه يرفض رفضا تاما كل وسائل التكنيك الدرامى التقليدية : خط الحدث ، التصوير الطبيعى ، الحبكة ، التشويق ، التنوير •• الخ « في القرن الثامن عشر كنا نرى مسرحا « أكبر من الحياة » ، وفي القرن التاسع عشر رأينا مسرحا « صادقا مع الحياة » ، وفي القرن العشرين نريد « مسرح - الحياة - المعيشة - الان » • ان في طبيعة هذا الجيل التمزيق والتفتيت وقطع الاستمرار ، واستقبال فيض الحواس المتعددة في وقت واحد • وطبيعى أن ينعكس التمزق القائم في المجتمع الامريكى على الفن فيجعله فنا مفتتا ، وطبيعى كذلك أن يهتم المسرح بمساعدة الافراد على اخراج صراعاتهم وخيالاتهم الخاصة (واخراج الاساطير الخاصة هو اهتمام فنانة المسرح الامريكى آن هلبرين التى تقول : « اننى أرى الفنان الان في ضوء جديد ، لم يعد هذا البطل الوحيد المتفرد ، لكنه أقرب لان يكون دليلا يؤدى عمله أمامنا كى يوقظ جذوة الفن في نفوسنا نحن ، وهذا معنى المسرح المخصب « Seminal Theatre »

أما المسرح الحى فقد أصبح من سمات المسرح الامريكى وأهم ظواهره : جماعة مسرحية جوالة تضم الممثلين ونساءهم وأطفالهم - بلغ عددهم في آخر تعداد حوالى الاربعين - يقودهم جوليان بيك وزوجته جوديث مالينا ، طافوا أوربا كلها في أربع سنوات قضوها مبعدين عن الولايات المتحدة بأمر السلطة ومحصلى الضرائب • في جماعة المسرح الحى تلتقى ثلاثة احتياجات رئيسية لتصبح احتياجا واحدا : أنها تعيش لتقدم عروضها ، وهى تقدم عروضها كى تعيش ، ولحظات العرض هى أثمن وأروع ما في حياتهم الجماعية من لحظات • ترى جماعة المسرح الحى أن المسرح التقليدى جدير بالرفض لانه « حذاء المجتمع » يلعب دورا واحدا هو تفريغ توتر الجمهور كى يواصل مألوف حياته البرجوازية • تقول جوديث مالينا :« لابد من التغيير ، ان حضارتنا كلها تسير في سبيل الدمار لا البناء ، قد أصبحنا متورمى الرءوس بالثقافة ، منفصلين كل الانفصال عن أجسادنا ومشاعرنا الحميمة ، حتى الحب - أعظم امكانات الانسان الكامنة - أصبح شيئا مجردا ، لو كنا بشرا لما استطعنا أن نطيق وقوع الظلم في العالم » ، ويكمل جوليان بيك : « اذا استطعنا أن نجعل المتفرج يتألم في مكان ما ، فقد تكون هذه بداية رجعته لنفسه الحقيقية ، ساعتها لن يعود لارتكاب العنف ولن يسكت على ارتكابه » • في ٦٨ صرخت جوديث مالينا فوق خشبة مسرح صغير في نيويورك : « اننى أطالب بكل شيء ، أطالب بالحب الكامل ، أطالب بانتهاء كل صور العنف والقسرة : المال ، والجوع ، والسجون ، وارغام الناس على قبول ما لا يريدون • اننا نستطيع أن نحصل على الجرارات والخبز والفرح معا • اننى أطالب بكل هذا •• وأريده الان » • وانتهى العرض بمظاهرة في شوارع المدينة تقودها هى وجوليان بيك •

ولا تنتهى مظاهر التجريب في المسرح •

الى أين يؤدى هذا كله ؟ يرى هذا المؤلف أن الثلاثين عاما الباقية من عمر القرن العشرين قد تحمل في ثناياها تغيرا خطيرا : فترات عمل أقصر تعنى أوقات فراغ أكثر ، وهذه بدورها تقتضى تغيرا في وظيفة الفن وهدفه • « وربما خرجت فنون الرقص والدراما من أيدى الراقصين والممثلين لتعود الى أيدى الناس ، وربما خرج الممثل عن دوره كبطل وحيد ليلعب دور المعلم للناس ، مادام هدف الفن عند فنانين مثل جروتوفسكى ومارتا جراهام والوين نيكولايس وبيتر شومان هو أن نتجاوز حدودنا ، ونتخطى قيودنا ، ونملأ خواءنا ونحقق أنفسنا » •

فاروق عبد القادر

مطابع الأهـرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

عدد خاص

٥

السنة الثامنة ـ مايو ١٩٧٢

الاتحاد الاشتراكى ٠٠ وقضية التحالف

النصوص الكاملة لتقرير السكرتير الاول
ومحاضر جلسات لجنة العمل واللجنة السياسية
٠٠ وتعليقات على المناقشات

«فلسطين» قضية مصرية ٠٠ و «مصر» قضية عربية

الصناعة النفطية فى العراق وأثرها فى الاقتصاد الوطنى

لبنان - الانتخابات ٠٠ بين السياسة والطائفية

موقع اغتيال «كرومى» من محاور الصراع فى تنزانيا

الفهرس

العدد الخامس – السنة الثامنة – مايو ١٩٧٢ – عدد خاص –

● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٢٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

سنة بالبريد العادي ج.ع.م دول اتحاد البريد العربي ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

محمد الخفيف



تقدمت «الطليعة» واحدا من ابرز مؤسسيها ومفكريها .. الدكتور محمد الخفيف .

ولم يكن محمد الخفيف مجرد مفكر ثوري بل كان أيضا — وفي الاساس — مناضلا ثوريا ، ولهذا فقد كان الاحساس بالخسارة الجسيمة في فقده شاملا لجميع القوى الوطنية في مصر والعالم العربي .

وأن « الطليعة » لتعرب عن عميق امتنانها وشكرها لكل من واساها من الاصدقاء وممثلي القوى التقدمية واتحادات الكتاب والمجلات الشقيقة في مصر والبلاد العربية والبلدان الاشتراكية .

وسوف تقدم «الطليعة» لقرائها في عددها القادم ملفا كاملا عن تاريخ ونضال وأفكار محمد الخفيف .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده فكرة أصيلة ٠

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير في القرن الثامن عشر « قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟ ٠

الافتتاحية

تفسح « الافتتاحية » مكانها فى هذا العدد للكلمة التى القاها لطفى الخولى باسم الاتحاد الاشتراكى العربى فى المؤتمر الشعبى الفلسطينى الذى انعقد بالقاهرة من ٦ ـ ١٠ ابريل ١٩٧٢ .

« فلســطين » قضــية مصرية ..
و « مصر » قضــية عربيــة ..

ليس هــذا أول مؤتمر يعقده الشــعب الفلســطينى ، منذ أن احتل وطنه احتلالا استيطانيا بقوة الغزو الصــهيونى ـ الامبريالى ، وشرد أهله فى متــاهات العالم .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف ان الاحتلال ما برح قائما منذ ما يقارب من ربع قرن ، بل وازداد توسعا .. لكننا نخطىء اذا لم نر فى نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو استمرار حيوية وصمود الشعب الفلسطينى ضد الاحتلال والتشريد معا ، وتفجر حركته التحررية الوطنية المســلحة على نحو أقوى ـ نسـبيا ـ من كل التجــارب الســابقة .

وليست هذه أول مرة نقف فيها على المنابر أمام أنفسنا ، ونتعاهد على توحيد قوانا المفتتة ـ فلسطينيا وعربيا ـ لخوض معركة التحرير ضــد الصــهيونية والامبريالية والرجعية الخائنة .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف ان هذه الوحدة النضــالية الفلسطينية العربية ، ظلت فى أغلب المواقع ، مجرد شــعار لم يتحقق عمليــا ، ولو على مســتوى الحد الادنى المطلوب . ولكننا ـ أيضــا ـ نخطىء اذا لم نر فى نفس الوقت الوجــه الاخر من الصورة ، وهو ان الجمــاهير الشــعبية فى كل موقع من وطننــا العربى ، تتحرك ـ بدرجات وصــور مختلفة ـ من خلال المعاناة الطويلة القاســية ، مكثفة ضــغطا هائلا من أجل وحدة النضال الفلسطينى العربى .

ولم يعد فى قدرة أى حزب أو تنظيم أو نظام ثورى مسئول ، ان يتجاهل هذا الضغط

الجماهيرى ، أو يتهرب منه ، والا حكم على نفسه بالانعزال تاريخيا عن مسار الثورة ، وفقد منابع قوته الاساسية ، وتخطاه العصر .

وليست هذه أول مرة نجتمع فيها — منذ هزيمة سنة ١٩٦٧ — لنصارح أنفسنا ، بأنه مع الطبيعة العامة والخاصة للعدو الذى نواجهه ، لا مفر من القتال التحريرى ، وان ما أغتصب بالقوة لا يسترد بغير القوة .

ومع ذلك ، فيجب ان نعترف ان حديثنا عن القوة استهلك وقتنا وقوتنا معا ، فلم نمارس عملا من أعمال القوة المؤثرة استراتيجيا ضد العدو ، وأفسحنا مجالا واسعا لما يسمى « بالحل السلمى » ، وحيدا ومجردا ، لم نجن من ورائه — بعد خمس سنوات — غير السراب ، والاحساس المرضى بالعجز . لكننا نخطىء اذا لم نر فى نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو دفع اسرائيل وأمريكا نحو عزلة سياسية دولية لم يسبق لها مثيل — نسبيا — منذ نشب الصراع العربى — الاسرائيلى . فضلا عن استخدام عنصر الوقت — بدرجات متفاوتة من الجدية — فى بناء القوات المسلحة العربية عامة ، والمصرية خاصة ، وذلك بعون شريف ومنزه من الاتحاد السوفيتى .

وليست هذه أول مرة ، نتهم فيها الملك حسين ونظام حكمه ، بخيانة الوطن ، أردنيا وفلسطينيا وعربيا .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف اننا بقينا نلدغ من نفس الجحر عشرات المرات ، وغللنا — لسبب أو لاخر — أيدينا عن ترجمة الاتهام الى عقاب واقعى ، حتى أقدم الملك — ممثلا لمصالح الانهزاميين فى بلادنا العربية ، وبالتواطؤ المكشوف مع العدو — على اعلان ما أسماه « مشروع المملكة العربية المتحدة » . وذلك بهدف طعن حركة التحرر العربى والفلسطينى من الظهر ، وفتح طريق الاستسلام للعدو بأبعاده الصهيونية والامبريالية والرجعية . لكننا نخطىء اذا لم نر فى نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو ان هذا المشروع الهاشمى — الاسرائيلى — الامريكى ، قد كان نقطة الطفرة التاريخية التى نقلت حالة الموقف العربى المائع والمشلول ، من مستوى التراكم الكمى لظواهر جزئية منفصلة ، الى مستوى التغيير النوعى الذى تحكمه ظاهرة عامة مكتملة الابعاد . وأقصد بهذه الظاهرة العامة المكتملة الابعاد ، هو ان الموقف من مشروع الملك حسين ، قد أعطانا ، لاول مرة ، بصورة مادية وملموسة وحادة ، معيارا قاطعا للقياس السياسى القومى ، سواء على مستوى الافراد ، أم الجماعات ، أم الاحزاب ، أم الطبقات ، أم الحكومات . وبأعمال هذا المعيار ، أصبح فى امكاننا — دون ما أى خطأ فى الحساب — أن نفرز الخونة عن الوطنيين فى كل موقع من وطننا العربى .

واخيرا ، ليست هذه أول مرة ، نتلاقى فيها ، لنعلن بأقصى ما فى حناجرنا من طبقات الصوت ، تأييدنا ودعمنا للثورة الفلسطينية المعاصرة .

ومع ذلك ، فيجب أن نعترف أننا — بدرجات متفاوتة — وقفنا غالبا موقف المتفرج ، أو على الاقل العاجز ، أمام المذابح البشعة التى تعرض لها رجال المقاومة وشبابها على أرضنا العربية . لكننا نخطىء اذا لم نر فى نفس الوقت الوجه الاخر من الصورة ، وهو امتزاج عوامل صمود المقاومة ، واستمرار الثورة ، زمنية السنوات الخمس ، بتجاربها الدامية ، ومعاناة الجماهير الشعبية — عربيا وعالميا — حتى غير المنظمة أو المسيسة ، منها لالام وآمال المقاومة .. أقول ان امتزاج هذه العوامل بعضها ببعض ، قد استولد من أحشاء حركة التحرر العربية والعالمية حقيقة موضوعية ، وهى أن المقاومة الفلسطينية ، ليست مجرد رد فعل عابر قصير العمر ، وانما هى ثورة شعبية أصيلة ، لم يعد من الممكن تصفيتها الا بتصفية حركة التحرر العربية والعالمية . وهذا

أمر مســتحيل تاريخيا . من هنا غــدا الموقف العملي من الثورة الفلسطينية بذاتها ــ في واقعنا العربي والعالمي ــ معيــارا ماديا قاطعا للقيــاس الســياسي القومي والاممي ، نستطيع باعماله ــ ودون ما أي خطأ في الحساب ــ ان نفرز الثوريين كلاما وضجيجا ، عن الثوريين الحقيقيين ، نظرة وممارسة مسئولة .

وهكذا ــ أيها الاخوة ــ بعد خمس ســنوات من هزيمة قومية لم يوقعها العدو بنا ــ رغم عدم الاستهانة بقوته ــ بقدر ما أوقعناها نحن بأنفسنا ، فاننا نمتلك في أيدينا بوضوح شامل وعميق ، معيارين ماديين للقياس السياسي والنضالي لحركتنا .

صحيح انه وجدت من قبل عشرات المعايير ، ولكنها لم تكن بمثل هذا التحديد الدقيق الذي يتميز به كل من معياري اليوم . ولقد نسائل أنفسنا ــ اذا واتتنا شجاعة مواجهة النفس ، ولا مفر من ان تواتينا ــ هــل كان لابــد من مرور خمس ســنوات بطولها وعرضها لنكتشف هذين المعيارين ؟ .. لماذا تأخرنا الى هــذا الحد ؟ .. أسمح لنفسي بأن أعطي اجابة صريحة ، وهي ان تأخرنا جــاء نتيجة تخلفنا جميعا ودون اســتثناء ــ على المستوى النظرى التحليلي والممارسة العملية ــ لما أسميناه بالحركة التقدمية والثورية . ان التخلف ليس ظاهرة خاصــة بالحركة الرجعية وحــدها . ان التخلف ظاهرة تصيب أيضا الحركة الثورية ، عندما تحــاول ان تفرض على الواقع تصورات ذهنية ، الواقع نفســه ليس مهيــأ لهــا بعد ، أو تحمل قواها مهمــات فوق طاقاتها الحقيقية ، قبل أن تعمد الى تنمية هــذه القوى ماديا وفكريا وتنظيميــا . كذلك تبرز ظاهرة التخلف في حياة الحركة الثورية عندما تتخاذل عن توجيه ضربتها في أضــعف حلقات سلسلة القوى المعادية ، أو تضحي بهدف استراتيجي أصبح في دائرة الممكن ، من اجل كسب تكتيكي صغير .

لا أريد أن أسترسل كثيرا حول هــذه النقطة ــ رغم اهميتها ــ ولكني أود ان اؤكد على ان تراث الفكر والتجارب الثورية ، ضرورية كل الضرورة لتكوين المناضل الثوري ، ولكنها في النهاية لا تســلحه بحلول جاهزة للاســتعمال ازاء مشاكل وقضايا حركته ونضاله ، وخاصة في البلدان التي اصطلحنا على تسميتها باسم « العالم الثالث » ، أو التي كانت تسمى من قبل بشعوب المستعمرات ، وانما هي فقط تقدم له كشــافا لرؤية واقعه . ومن خلال الالتحام الواعي بهذا الواقع ، يستطيع ان يســتنبط نظرية الثورة واساليب ممارستها في نفس الوقت . ولعل لينين ــ الذي أظن ان احــدا لا يشك في ثوريته ــ لم يكن مخطئــا حينما وجــه تحــذيرا مبــاشرا الى الثوريين في شــعوب المستعمرات ، الذين يكتفون بحفظ النصوص الثورية ، ويعمدون الى فرضها قصرا على واقعهم الذي يطرح مشــاكل جديدة تمــاما على تراث الفكر الثوري . وعليهم هم ــ وحدهم ــ من خلال التحامهم الثوري مع هذا الواقع ، ان يستنبطوا الحلول الثورية لهذه المشــاكل الجديدة . ففي تقريره الى المؤتمر الثاني لعــامة روســيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق ، في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، أكد بالحاح على أن الظروف الخاصة لهذه الشعوب ، تواجه الثوريين بمهمات لم يواجهها غيرهم من الثوريين من قبل في العالم كله ، ولن يجدوا لها حلولا جاهزة في الكتب الثورية . وان عليهم هم أن يشحذوا فكرهم الثوري لاستنباط الحلول على ضوء معطيات الواقع .

في أي كتاب ثوري في التاريخ .. في أي تجربة ثورة تحرر وطني في التــاريخ ، وحتى يومنا هذا ، يستطيع الثوريون العرب ان يجدوا حلا لقضــية مثل قضية توفير أرض انطلاق وحركة لثورة ، تنبع من خــارج أرض الوطن الاصــلية ، وهي قضــية القضايا للثورة الفلسطينية ، وسمة أساسية تنفرد بها عن كل ثورات التحرر الوطني في التاريخ . اننا نحن الثوريين العرب ــ فلسطينيين وغير فلسطينيين ــ الذين علينا ان نتصدى لهذه المشكلة الجديدة كل الجدة ، ونقدم لها حــلا واقعيا ثوريا . ولا نهرب منها الى شعارات التأييد العامة المجهلة . ان التحامنا بالواقع ، واستعدادنا لان نتعلم

عن بعضنا البعض بتواضع ثورى ، أصبح ضرورة لتصحيح خط مسارنا الثورى المشترك .

ان تسلحنا الواعى بالمعيارين الموضوعيين اللذين تبلور عنهما واقعنا المعاصر ، يعنى ان الظروف الموضوعية تعلمنا مرة أخرى — ولعلها الاخيرة — درس التجربة الانسانية والمحلية القاسى . وهو انه — فى مواجهة الاحتلال الاستيطانى الامبريالى — لا بديل عن حرب تحرير شاملة نستخدم فيها — ماديا وسياسيا ومعنويا وتنظيميا — كل الطاقات الكامنة فى الجماهير الشعبية وقواتها المسلحة النظامية والفدائية . وذلك من خلال استراتيجية ثورية ذات أساس واقعى ، تأخذ فى اعتبارها التناقضات القائمة بين ايجابياتنا وسلبياتنا . بل ان حل هذه التناقضات المعاصرة لواقعنا ، لا يمكن ان يتم بصورة جذرية ، الا من خلال عملية التحرير نفسها . لانه بها نتحرر من عجزنا وجبننا وانحصارنا فى دائرة ردود الفعل .

هل نحن قادرون على ممارسة حرب التحرير واقعيا اليوم ؟

يقال لنا : لا . . استكملوا استعداداتكم الى أقصى حد قبل ان تخوضوا معركة التحرير ، والا وقعتم فى هوة مغامرة جديدة ، فعدوكم أقوى منكم عسكريا وتكنولوجيا .

ونحن نقول : صحيح ان عدونا ما زال أقوى منا ، نسبيا ، عسكريا وتكنولوجيا ، ولكن مسافة الفرق فى التفوق تتضاءل . وفى كل حركة تحريرية ضد استعمار أو احتلال ، كانت قوى الاستعمار والاحتلال دائما أقوى بدرجة كبيرة من حركة التحرير . ومع ذلك فان الانتصار دائما — رغم فداحة التضحيات — كان لصالح حركة التحرير ، لا للاستعمار أو الاحتلال .

والاحتجاج بضرورة الاستعداد الى أقصى حد قبل خوض المعركة ، معناه الانتظار على الاحتلال الى أجل غير مسمى . لانه لا يوجد حد معين يمكن ان يقال له — عمليا — هذا هو الحد الاقصى من الاستعداد . ان المطلوب من الاستعداد هو الحد الادنى ، ماديا ومعنويا ، فى اطار ارادة قتالية . ولا ينكر أحد ان هذا النوع من الاستعداد قد أصبح قائما ومتوافرا . وهو كاف لبدء حركة تحرير وطنية مسلحة . وليس هذا مجرد افتراض نظرى ، وانما هو أيضا محصلة كل تجارب التحرير الوطنية المسلحة ، ليس فقط عالميا ، بل وفى واقعنا العربى فى الجزائر واليمن ومصر وغيرها .

أما التهديد بشبح المغامرة ، فمردود عليه بأن حركة التحرير ليست مجرد قتال نظامى تقليدى ، وانما هى فى ظروف واقعنا ، يجب ان تكون مزيجا مخططا بين قوى الجماهير المنظمة ، التى أقصيت تماما عن المشاركة خلال حرب سنة ١٩٦٧ ، وبين الجيوش النظامية وحرب العصابات الفدائية .

ويقال لنا : انكم اذا أشعلتم نيران الحرب ، فستخسرون ما كسبتموه — بعد جهد طويل — من تأييد الرأى العام العالمى لقضيتكم .

ونحن نقول : نعم . . يجب ان نحرص على تأييد الرأى العام العالمى . ولكن الحرص عليه لا يعنى ان نكتف حركتنا بالشلل الذاتى ، والا فقدنا قضيتنا نفسها ، وأصبح كل ما كسبناه من الرأى العام العالمى بلا جدوى . بل أكثر من ذلك ان حالة العجز التى نظهر بها حاليا أمام العالم ، تحول تأييد الرأى العام العالمى الى نوع من الرثاء ، وهذا أول مرحلة من مراحل فقدان فاعلية التأييد العالمى . ان هذا التأييد لن ينتج أثره ، طالما ظللنا مقيدين الى سلاسل العجز ، ولا نهب الى مقاومة الاحتلال بالقوة المسلحة ، ذات العقل الاستراتيجى المخطط لاهدافه ، مرحلة بعد مرحلة ، بدقة واقعية . والا

فكيف يمكن تصور ان يساعد « الصديق » من لا يساعدون انفسهم اولا وقبل كل شيء .

ويقال لنا : لماذا تصرون — ايها المصريون — على تحرير كل الاراضي العربية المحتلة ، وتربطون مصيركم بمصير شعب فلسطين . انكم لم تجنوا من وراء العرب غير الخسارة المستمرة والهجوم على مصريتكم . دعوا كل هذا واغسلوا أيديكم من العرب وفلسطين ، تستردون كل سيناء دون تعب .

ونحن نقول : ان مصر لا تستطيع — مصيريا ، وتاريخيا ، ومصلحة ، ولغة ، وتكوينا نفسيا ، وحضاريا — الا ان تكون جزءا لايتجزأ من الامة العربية . بل ان مصر اذا انكمشت داخل حدودها ، فقدت كل قيمتها حتى كمجرد مصر . وان فصل مصر عن الامة العربية عامة ، وفلسطين خاصة ، هو ضربة استعمارية موجهة ضد مصر قبل ان تكون موجهة ضد الامة العربية وفلسطين . ومن هنا فان المشاعر القومية للشعب المصري واحدة ، وبنفس الدرجة ، ازاء الجولان ، وغزة ، ونابلس ، والقدس ، وحيفا ، وسيناء .

ونقول أيضا : ان مصر قد تكشف لها عمقها وقلبها وفكرها العربي بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، أضعاف أضعاف ما كان قبل سنة ١٩٦٧ . لقد استشهد من أبناء مصر خلال حرب سنة ١٩٦٧ ، وما بعدها ، أكثر من ثلاثين الفا من الجنود . واذا علمنا ان هؤلاء الجنود قد نبتوا في أرض مصر ، وبالذات من ريفها ، وان الريف المصري يضم ٤٥٠٠ قرية ، فان معنى ذلك انه من أجل فلسطين وعروبة مصر ، قد استشهد من كل قرية ما بين ٦ و ٧ من زهرة شبابها . وهكذا فان فلسطين وعروبة مصر قد نبتت لهما في كل قرية من قرى مصر شجرة رواها الدم . . ماذايعنيهذا — ايهاالاخوة—يعني أن فلسطين أصبحت في ضمير شعبنا ، قضية مصرية ، ومصر أصبحت في نفس الوقت قضية عربية . وبقدر عروبة مصر ، تكون مصر أكثر مصرية .

ان شعبنا ، بقواه الوطنية والتقدمية ، من خلال تحالف قوى الشعب ، وبقيادة وطنية عربية مجربة ، يتصدى بكل قوته للانفصاليين والمترددين والانهزاميين ، ويشكل اليوم من خلال بناء الاتحاد الاشتراكي ، جبهته النضالية المقاتلة .

ونحن نؤمن — علميا وتاريخيا وموضوعيا — ان طريقنا الوحيد ، بعد كل التجارب ، هو طريق حرب التحرير .

ومن هنا ، فيجب ان نعمل بأقصى قدر من الطاقة ، والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحي الثوري لحرب التحرير وامتلاك أسلحتها الاستراتيجية .

وفي هذا المجال ، نركز قوانا حول النقاط الاتية :

أولا : بناء وحدة القوى الوطنية والتقدمية في كل بلد عربي ، بحيث تنبع منها ، وبأسرع وقت ، وحدة العمل الثوري العربي ، من خلال تنظيم واستراتيجية مشتركيين تصوغهما الارادات الحرة لكل الفصائل الوطنية والتقدمية لحركة التحرر العربي ، دون استثناء .

ثانيا : تحديد العدو بالاحتلال الاستيطاني الصهيوني والامبريالية العالمية ، وبالذات الامبريالية الامريكية .

ثالثا : تحديد حلفاء حركة التحرر العربي — على ضوء الخبرة والتجارب المتعددة في حركة التحرر الوطني العالمية والبلدان الاشتراكية ، وبالذات الاتحاد السوفيتي ، وقوى التقدم والحرية والسلام في العالم ، بما في ذلك اليهود الذين يعادون — قولا وممارسة — الصهيونية ، كحركة استعمارية عنصرية ، ويعترفون بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني .

رابعا : صياغة الاقتصاد القومي ، على أساس اقتصاد حرب ، وتوزيع التضحيات اجتماعيا. وفي سبيل ذلك، فان أعباء الحرب قد قفزت بضريبة الدخل للفرد في بعض الشرائح الى حوالى ٤٠ ٪ ، وهي أعلى نسبة في تاريخ البلاد العربية ·

خامسا : استخدام سلاح البترول العربي استخداما جديا ومخططا ضد العدو بأبعاده المختلفة .

سادسا : المساندة المادية والمعنوية دون ما تحفظ للثورة الفلسطينية ، والاعتراف بحقها القومي المشروع في استخدام الاراضي العربية الاستراتيجية من حول العدو ، وحماية ظهرها من كل الخونة أيا كانوا . والتخطيط المشترك معها في خوض معركة التحرير ، باعتبارها طرفا أصيلا وأساسيا .

لا أريد ان أطيل عليكم .. ولكنني اريد ان أؤكد لكم ان القرار الحاسم الذي أعلنه أنور السادات باسم شعبنا وقواه الوطنية والتقدمية أمام مؤتمركم ، بقطع العلاقات مع النظام الاردني العميل ، ليس الا خطوة أولى . ولا أغالي ، اذا قلت انها الخطوة المتواضعة في الطريق الذي صمم شعبنا وقيادته على سلوكه ، أيا كانت التضحيات .

لقد قال لكم السادات — باسم شعب مصر — اننا ضد التعامل في سوق الرقيق السياسي ، الذي يحاول ان يستغل تناقضات المرحلة الراهنة من حياتنا العربية . وأريد ان أقول لكم ان السادات ، وهو ابن لمصر ، تربى سياسيا ونضاليا ، من خلال حركة التحرير المسلحة ضد الاحتلال البريطاني لمصر في الاربعينات ، خاض ويخوض على رأس وحدة القوى الوطنية والتقدمية ، معركة شرسة ومتعددة الجوانب ، ضد كل من يحاول ان يتعامل مع سوق الرقيق السياسي وعناصره الانهزامية في مصر ، وفي غير مصر .

ان مصر العربية الثورية التقدمية والمقاتلة ، تعود اليوم اليكم بكل جماع شعبها وجيشها ، عبر صراعات تحسم ، وأهداف تحددت ، وجراح لا تزال دامية ، وتفتح أبوابها دون ما عقد او حساسيات ، أمام جميع فصائل وأحزاب وتنظيمات القوى الوطنية والتقدمية في كل أرجاء الوطن العربي ، وتضع في موضع القلب الثورة الفلسطينية وشعبها الصامد .

لنواجه حقيقة واقعنا بكل أبعاده في شجاعة .. انتم في حاجة الى مصر الديموقراطية والتقدمية المقاتلة .. ومصر أيضا في حاجة اليكم جميعا . وهذا هو جوهر واقعنا . فلنبن وحدتنا وحركتنا ومستقبلنا ، على أساس هذا الجوهر .

واذا كانت التجارب الفادحة الثمن قد علمتني ، كما علمت غيري من أبناء جيلي ، أن ننبذ هواية الدق على طبول الكلمات الكبيرة الرنانة ، وان لا أتعامى عما في بلادي وواقعي من سلبيات ، فاني أظل ملتزما بدائرة الاحساس بالمسئولية ، حينما أقرر لكم أن مصر الديموقراطية التقدمية المقاتلة ، يتنامى اصرارها على ممارسة مسئولياتها وواجباتها ، محليا وقوميا وعالميا ، رغم كل ما هنا وهناك من عقبات .

باختصار — أيها الاخوة — طريق شعب مصر — اليوم — هو طريق معركة التحرير .

لطفي الخولي

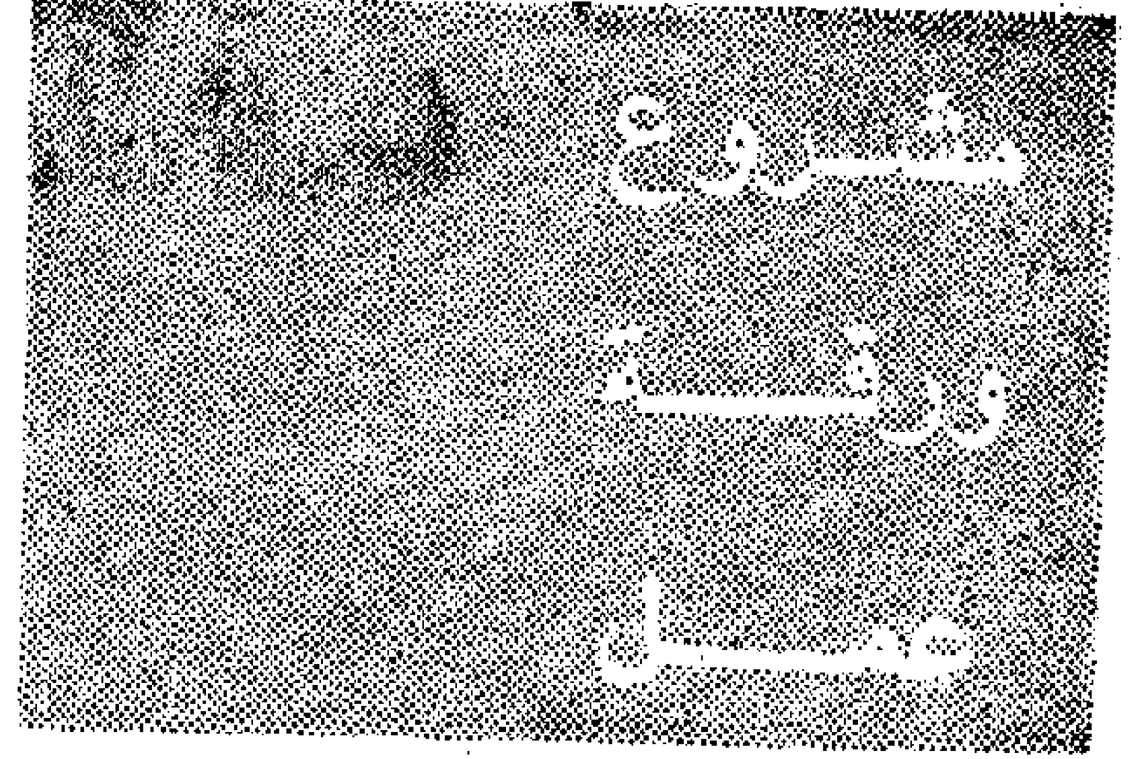
الاتحاد الاشتراكى وقضية التحالف

النصوص الكاملة لمحاضر جلسات لجنة العمل واللجنة السياسية

التنظيم السياسى ، كان ولا يزال ، محورا من محاور اهتمامات « الطليعة » منذ صدورها . فالتنظيم السياسى ، الذى يعد حتى الان ، احدى « مشكلات » التجربة المصرية للعمل الوطنى والاجتماعى ، هو — فى نفس الوقت — يشكل ضمانا أكيدا لابد من توفيره ، حماية للتجربة وتطويرا لها .

بهذا المفهم ، تنشر « الطليعة » اليوم ، بتصريح خاص من السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى ، نص « ورقة العمل » التى قدمها السكرتير الاول .. ونص محاضر الجلستين : الاولى والثانية « للجنة العمل » ومحضر « اللجنة السياسية » .

وهدف « الطليعة » من ذلك ، هو التعريف المباشر باتجاهات المناقشة ، ووجهات النظر التى جرت فى اللجنتين ، مساهمة فى الحوار الذى تشهده أرض مصر اليوم حول هذه القضية الحيوية . كما تنشر « الطليعة » عددا من التعليقات التى تمثل وجهة نظر كتابها حول ما جاء فى محاضر الجلستين ، اسهاما فى الجهود التى تبذل ، من أجل الوصول الى نتائج ايجابية ..



قدمه المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية

لماذا شكلت لجنة العمل واللجان الاستشارية ؟

منذ وكلت الى مسئولية السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، تزايد عندى الشعور بأن الوقت قد حان لكى نقف وقفة تأمل وتدبر ، فى محاولة جادة وصادقة للاجابة عن سؤالين اساسيين :

الاول : هل حقق الاتحاد الاشتراكى الآمال التى علقتها عليه القيادة والجماهير ؟

الثانى : اذا لم يكن التنظيم السياسى قد حقق هذه الآمال ، فما هو السبيل الى تصحيح الوضع ، بحيث توفق الجهود المبذولة من أجل اقامة تنظيم شعبى قادر على التعبير عن الجماهير وتمثيل مصالحها ، وبحيث لا يفقد المواطن المكترث كل أمل فى اسهامه فى تحمل مسئولية بلده فى تلك الفترة الحرجة من تاريخنا ؟

وقد حرصت — منذ البداية — على طرح هذا الموضوع على ممثلى قوى الشعب العاملة ، الذين التقيت بهم فى مناسبات عديدة ، استطلاعا لرأيهم ، ودعوة لهم للمشاركة الايجابية فى الوصول الى تصور نتفق عليه جميعا للصيغة المثلى لتحركنا فى المرحلة المقبلة ، ثم سنحت الفرصة لتوسيع دائرة هذا الحوار فى المؤتمر القومى العام الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى ، الذى عقد فى ١٦ فبراير سنة ١٩٧٢ ، فعرضت على ممثلى قوى الشعب العاملة الخطوط العامة لتصورى للمنهج الذى أطرحه للنقاش .

وفى الكلمة التى تفضل السيد رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى العربى بتوجيهها للمؤتمر ، افرد سيادته جانبا بارزا لضرورة البحث عن الصيغة الملائمة لقيام الاتحاد الاشتراكى بدوره ومسئوليته ، وحدد الرئيس خطوطا رئيسية أربعة ، يجب أن نلتزم بها اذا كان للتنظيم ان يحوز ثقة القاعدة العريضة من جماهير شعبنا المناضل :

(١) حشد طاقة جماهير شعبنا ، وذلك عن طريق وضعها فى الصورة دائما .

(٢) ادارة الحوار الديموقراطى بين قوى الشعب العاملة ، لكى تتحقق عن هذا الطريق مشاركتها الايجابية فى النضال

الشامل لامتنا .

٣ **فتح أبواب الاتحاد الاشتراكي ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية .. وتكون كل خطوة الى الامام متصلة بعملية ديموقراطية سليمة .**

٤ **اعداد الجماهير نفسيا وذهنيا ومبدئيا لتقبل مسئولياتها ، على ان يكون واضحا ان الناس يحملون مسئولياتهم اذا امسكوا بأيديهم حقوقهم ، بما فى ذلك حقهم فى توجيه السلطة الوطنية ، وهى لا تعبر ، ولا يمكن ان تعبر الا عنهم ، وعنهم وحدهم والا فقدت أهليتها وشرعيتها .**

وبعد ان تدارس أعضاء المؤتمر القومى وتناقشوا على مدى أيام ثلاثة ، انتهوا الى ان الممارسة العملية خلال المرحلة الماضية قد كشفت عن قصور الاطار الحالى للاتحاد الاشتراكى عن مجابهة المتطلبات المتزايدة للمرحلة القادمة وتلبية حاجات الجماهير ومطالبتها الملحة بأن يكون تنظيمها السياسى المنبثق عنها والنابع من ارادتها فى خدمتها دائما ، وكلفت باتخاذ الخطوات اللازمة لتعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى ، حتى يكون الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون ، وبحيث تشارك الجماهير فى صنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها .

وايمانا من ممثلى قوى الشعب العاملة بضرورة اتباع منهج علمى للممارسة السياسية ، يضمن تحديد الاسس التى تحكم الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة المقبلة ، فقد طلب المؤتمر اعداد دليل مفصل للعمل السياسى لاعضاء الاتحاد فى مختلف المستويات التنظيمية ، على ان يتم اعداد هذا الدليل فى اطار ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس والدستور وبرنامج العمل الوطنى ، وعلى أساس تبنى الاتحاد الاشتراكى لمطالب وآمال قوى الشعب العاملة ، وحتى يتحول ذلك الدليل الى برنامج عمل حى ، يلتزم بتطبيقه وتنفيذه التنظيم السياسى ، وتتولى الجماهير مراقبة تنفيذه .

اقترح المؤتمر تكوين لجنة عمل من بين اعضاء الاتحاد الاشتراكى ، تكون مهمتها معاونة الامانة العامة فى وضع هذا الدليل ، وعهد الى المؤتمر بتشكيلها وبتحديد مهمتها .

وقد حرصت فى تشكيل هذه اللجنة على أداء الامانة التى حملنى اياها المؤتمر ، فجمعت فيها أكفأ العناصر داخل اللجنة المركزية والمؤتمر القومى والشخصيات العامة التى يعبر فكرها ونشاطها عن تحالف قوى الشعب العاملة تعبيرا صادقا وامينا ، وشكلت الى جوارها لجان فرعية استشارية تعاونها فى أداء مهمتها ، وتعد لها الدراسات النظرية والميدانية التى تعينها على أداء مهمتها ، فتكون بمثابة لجان خبرة واستشارة ، تعمل من خلال اللجنة الرئيسية ، وبالتنسيق معها .. واننى لموقن اننى جمعت فى اللجنة وفروعها طاقات فكرية وتنظيمية وحركية ملتزمة بالشعب ، ومؤمنة بالعمل من أجله الى غير حد ، ولست أريد ان أبالغ فأقول ان هذه هى الفرصة الاخيرة التى تمتحن فيها قدرتنا على ان نكون صادقين مع انفسنا ، مدركين لمسئوليتنا ، ولكن يكفى ان أقرر ان فشلنا هذه المرة فى الاستجابة للمطلب الملح للجماهير لاعادة بناء تنظيمها السياسى على اساس سليم ، سيكون انتكاسة بالغة ، وحد لثقتها فى كل قيادة تتصدى للعمل الوطنى .

ان نظرة على الاتحاد الاشتراكى منذ صدور قانونه فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٢ حتى الان ، تكشف انه عجز عن ان يقدم للجماهير الاطار الذى تستطيع ان تعبر من خلاله عن آمالها وآلامها ، والاداة التى تمكنها من القيام بدورها الرائد فى تغيير وجه الحياة على أرض مصر الخالدة . ورغم بعض الايجابيات التى حققها قيام تنظيم سياسى ذى مضمون عقائدى وفكرى تقدمى ، فقد غلبت السلبيات أسلوب عمله ، وبدا هذا بالذات فى النواحى الاتية :

١ اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبى البيروقراطى ، واقامة الحوائل بينه وبين الجماهير ، بدلا من السعى اليها فى مواقعها والانفتاح عليها .

٢ انكماش الضمانات الديموقراطية داخل التنظيم ، كحق ممارسة النقد والنقد الذاتى وجماعية القيادة .

٣ طغيان النواحى الشخصية على الجوانب الموضوعية فى تقييم الافراد واختيار القيادات .

٤ تسلل بعض العناصر الانتهازية والرجعية الى صفوف التنظيم ومراكز القيادة ، وتسخيرها لامكانيات التنظيم ، لتحقيق مآربها وأطماعها على حساب مصالح الجماهير .

٥ عدم وجود خطة عمل ذات برنامج وواجبات محددة يسير التنظيم على هداها مما ترتب عليه تمييع المسئولية وانكماش

عنصر المحاسبة والتقييم الموضوعي للقيادات .

6 ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال بين كثير من مستويات التنظيم .

7 اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسي وأجهزة السلطة التنفيذية والتشريعية من ناحية ، وبينه وبين التنظيمات الشعبية والاتحادات النقابية والقطاع العام وتعاونيات الفلاحين ... الخ .

8 اخفاء الحقائق عن الشعب وعن قيادات التنظيم .

9 اغراق الجماهير في الامل ، والتناقض الشديد بين الاهداف والقدرة والامكانيات المتاحة ، بما يفقد التنظيم ثقة الجماهير .

10 المراهقة الفكرية وتجميد الكفاح الوطني بتفسيرات وقوالب تعوق تقدمه ، وتحد من قدرته على الانطلاق .

11 اعتبار التنظيم نفسه جهازا لتفسير وتبرير أعمال السلطة التنفيذية ، مما يجعله يتحمل مسئولية تصرفات وقرارات لم يشارك في صنعها ، اما تملقا للسلطة أو تظاهرا بالمشاركة في الحكم .

وفي تقديري ان هذه السلبيات ترجع أساسا الى عاملين :

الاول : **خطأ في التصور العام للاتحاد الاشتراكي :**
هل هو جهاز للسلطة ، أم جهاز للشعب ؟

ان كل وثائقنا الثورية منذ الميثاق حتى الدستور ، تؤكد ان الاتحاد الاشتراكي جهاز للشعب ، يمارس بواسطته سلطاته ، ولكن الواقع عكس ذلك تماما ، فهو خلال مساره الطويل يؤكد انه جهاز لخدمة السلطة ، أو لوضع الشعب في الاطار الذي تريده السلطة تماما ، فهو دائما يفسر قرارات السلطة ويدافع عنها ، حتى تلك القرارات التي يفاجأ بها ، ويعلم عنها في نفس الوقت الذي تذاع فيه على المواطنين ، ولذلك فهو يبدو دائما كأنه أحد أجهزة السلطة ، والتنظيم — أي تنظيم — اذا تحول لجهاز سلطة ، غرق في النفاق السياسي ، وتحاشى ذكر الاخطاء ، وعجز عن تحقيق أهداف الشعب ، الا بالقدر الذي تمنحه له السلطة ليحاول ان يمسك الجماهير في قبضة يده .

الثاني : **ان ينظر للاتحاد على انه حزب سياسي رغم ان الوثائق الثورية تنفي ذلك نفيا قاطعا ، وتعلن في صراحة ان الاتحاد الاشتراكي تحالف وليس حزبا** ، وقد ترتب على تلك النظرة الخاطئة محاولة فرض وحدة تامة مصطنعة في جميع المصالح التي يعبر عنها الاتحاد ، وتفسير الوحدة الفكرية المطلوبة على انها الالتزام بأوامر وتفسيرات التنظيم ، مهما كان الاختلاف بينها ، وهنا تكون النتيجة اما مسايرة التنظيم عن غير اقتناع ، أو اتخاذ موقف سلبي منه ، وكلا الموقفين يفقدان التنظيم مضمونه السياسي وحيويته ، ومدى الايمان به . ان تجاهل وجود مصالح خاصة بكل فئة من فئات تحالف قوى الشعب العاملة ، قد جعل الجماهير تنفر من الاتحاد الاشتراكي ، وتتحدث خارجه بل وتهاجمه ، لانه تحول الى جهاز للقمع لها ، وان كان القمع سلبيا ، بدلا من ان يكون جهاز استيعاب لكل الآراء ، مهما كانت متناقضة .

مهمة لجنة العمل

من كل ما تقدم ، يمكن ان نخلص الى ان اللجنة مكلفة بانجاز خمس مهام رئيسية ، هي :

[أ] اعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي بطريقة جذرية .
[ب] اعادة النظر في البناء الداخلي للاتحاد الاشتراكي وأساليب عمله .
[جـ] تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية .

[د] تحديد علاقة التنظيم بالجماهير ، وهنا تبرز نقطتان :
١ — أسلوب الانفتاح الكامل على كافة قوى الشعب العاملة .
٢ — أسلوب تحقيق الديموقراطية عن طريق مشاركة الجماهير في التوجيه والرقابة .
[هـ] اعداد دليل عمل فكري وتنظيمي للاتحاد

وفي كل هذا ، فان اللجنة لا تنتقص من الهياكل القائمة للتنظيم ، بل انها تضيف اليها قوة وتستمد منها القوة والرأي والخبرة ، وأرجو ان يعكس أسلوب عمل اللجنة هذا الالتحام باطارات التنظيم

القـائمة ، سـواء على المستويات المركزية او الاقليمية او المحلية ، لان هذه اللجنة هى جزء من التنظيم ، وليست كيانا قائما بذاته او مستقلا عن التنظيم .

أسلوب عمل اللجنة

[أ] يمكن تصور أسلوبين :

الاول : ان تتجه اللجنة كلها الى تناول المهام السـابقة ، واحدة بعد الاخرى .

الثانى : ان توزع اللجنة العمـل بين أعضـائها ، عن طريق تكوين لجـان فرعية داخلية ، تتولى كل منها دراسة احدى هـذه المهام وعرض نتيجة الدراسة على اللجنة .

[ب] كذلك هناك أسلوبان متصوران لتحديد علاقة اللجنة باللجان الفرعية :

الاول : أن تضع اللجنة دراسة مبدئية تتضمن تصورا عاما وخطوطا رئيسية لكل من المهام السابقة ثم تعهد بجـزء منها الى كل لجنة من اللجان الاستشارية الفرعية .

الثانى : ان يتم العمـل اسـاسا فى اللجـان الفرعية ، ثم تتولى اللجنة العامة بعد ذلك تجميع الدراسـات والاقتراحات ، والتنسـيق بينها فى صورة تقرير نهـائى خاص بكل من المهام الرئيسية المشار اليها .

[جـ] أما فيما يتعلق بأسلوب اتصال اللجنة بأجهزة وتنظيمات الاتحـاد ، فأحب ان أؤكد ضرورة استعانة اللجنة فى عملها بالعنـاصر ذات التجربة فى الممارسة اليومية ، للعمل داخل الاتحاد [أعضاء الامانة العامة وامناء المحافظات ، حتى على مستوى الوحدة الاساسية] .

[د] ان عمـل اللجنـة يحكمه اعتبـاران متكاملان :

الاول : ان عملية اصـلاح التنظيم السياسى ، وتدعيم قدرته ، وتصحيح علاقته بالجماهير ، لا تبـدأ من فراغ ، وانما هى اسـتكمال لمحـاولات عديدة سـابقة ، لابد من تقييمهـا والاسـتفادة منها ، ومن هنا فلابـد ان تـكون الوثـائق المتضمنة لهذه المحاولات محل دراسة اللجنة وتحليلها .

الثانى : انه طـالما ان مهمة اللجنـة شاملة لكل ما يتصل بالتكوين الداخلى للتنظيم وأهـدافه وطبيعته وعلاقـاته بالاجهزة الاخرى ، فانه يكون منطقيـا الا يرد على هذه المهمة قيد الا المبادىء الاسـاسية الواردة فى الوثـائق الثورية الاربع الاسـاسية :

« ميثـاق العمـل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، والدستور وبرنامج العمل الوطنى » .

مهمة اللجنة فى تحديد الاطار الفكرى للتنظيم *

[أ] طالما اننـا نبدأ من منطلق ان الاتحـاد الاشتراكى هو تحالف لقوى الشـعب العـاملة ، وليس حـزبا ، فالنتيجـة المنطقية هى تصـور قيـام نوعين من المصالح داخل الاتحاد :

١ ـ المصـالح الموحـدة ذات الوزن الشـامل ، والتى لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف ، مثل تحرير الارض المحتلة واستمرار التطور على الطريق الاشتراكى ، والتعـزيز الدائم للديموقراطيـة وسـيادة القـانون ، ومحاربة البيروقراطيـة فى أجهزة الدولة والقطاع العام .

٢ ـ المصـالح الخاصـة لـكل قوة اجتماعية داخل التحالف ، والتى لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشـامل ، والتى لا يـكون فى تحقيقهـا انحـراف عن طـريق التحـول الاشتراكى والديموقراطى السليم

[ب] واذا سلمنا بذلك ، فانه يمكن تصـور قيام التناقض بين مصالح هذه القوى ، وكل المطلوب من صيغة التحالف ، هو ان تحول هذا التناقض الى حوار سلمى لا ينفجر فى صراع دموى .

[جـ] ويترتب على ذلك ايضا ، اننا لا يمكن أن نطبق داخل التنظيم فكرة الالتزام بالمعنى الذى تطبق داخل الاحزاب ، طالما ان القوى الداخلة فى التحـالف تعبر من خلال التنظيم عن نوعين من المصالح : المصالح القومية الموحدة ، والمصـالح الخاصة لكل قوة اجتماعية ، والمطلوب منا فى هذه المرحلة هو ان نحدد : كيف يتم هـذا التعبير عن المصـالح ؟ .. وما هى حـدوده ؟ .. وما هو القـدر المطلوب من الالتزام ؟ .. هـل نتفق على حد أدنى له ... ؟

[د] واذا كانت المرحلة الحالية تقتضى التعبئة الشـاملة ، وحشـد طاقات جماهير الشعب فى النضال من أجل التحرير ، فان تحقيق الوحدة الوطنية فى اطـار التحالف يصبح مطلبا قوميا ملحا ، أكثر منه فى أى وقت مضى .

[هـ] وبالتوازى مع هذا ، فاننى أرى ان من المهـم ان تبرز اللجنـة — فى هـذه المرحلة — انه ليس ثمة ردة عن طريق التحول الاشتراكى ، باعتبار انه الطريق الذى ارتضته جماهير شعبنا المناضل لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وانه الضمان للقضـاء على الاستغلال وتذويب الفوارق بين الطبقات .

[و] ومن الضرورى — فى المجال النظرى — ان نصـل الى تحـديد اكثر للعـلاقة الواقعيـة بين الاشـتراكية والحرية والديموقراطية ، فهذه — فى نظرى — من القضايا التى يمكن ان نصـل الى كلمة سواء فيها ، ونصل الى تصـور مشترك عنها ، يكون أسـاسا ومنهجا للعمل السياسى ، وبغير هـذا التحديد الفكرى لمثل تلك القضايا داخل وخارج اطارات التنظيم ، يكون من الصعب أن يثير ولاء الجمـاهير وارتباطها الفكرى والعاطفى .

مهمـــة اللجنـــة

فى المجال التنظيمى للاتحاد

يمكن ان نطرح فى هذا الصدد قضايا رئيسية :

الاولى : المضوية فى الاتحاد :

وهنا يرد سـؤال ملح ، تؤثر الاجابة عنه — الى حد كبير — فى الدور الذى يقوم به التنظيم وسط الجمـاهير ، وفعـاليته فى التعبير عنها ، وهـذا السؤال هو :

هـل نفتح بـاب العضـوية لجميع العناصر فى مجتمعنا أم لا .. ؟

وبعبـارة أخرى : هل نجعل البـاب مفتوحا أمام العناصر التى ابقيت بعيدة عنه لنشاط سياسى أو عقائدى اعتبر اتجاها غير متسق مع منهج الاتحاد ، فكرا وحركة ؟ .. اننا اذا فتحنا الباب أمام هذه العناصر ، نكون قد سمحنا بمزيد من التناقض الفكرى والحركى داخـل التنظيم ، ومن ناحية أخرى ، اذا أبقينا هذه العناصر خارج الاتحاد فاننا ندفعها الى التجمع خارج التنظيم والتحرك بعيدا عن اطاراته الواعية .

ويتصل بالعضوية أيضا نقاط أخرى : ما هى ضـمانات منح العضـوية وسـحبها ؟ .. هل هى ضـمانات سياسية ؟

الثانية : التركيب الهرمى للاتحاد :

هل يمثل التركيب الحـالى الوسيلة المثلى للحركة ؟

هل يضمن هذا التركيب سرعة تبادل المعلومات من القـاعدة للمسـتويات الاعلى وبالعكس ؟

هل يضمن هـذا التركيب مشـاركة القـاعدة الجمـاهيرية العريضة فى اتخاذ القرارات داخل التنظيم ؟

هل هنـاك اختنـاقات فى التركيب الهرمى القائم ؟

وما الوسيلة لمعالجة هذه الاختناقات ؟

الثالثة : التنظيم الشبابى :

ان الفترة الماضية قد أظهرت ايجابيات وسـلبيات التنظيم الشـبابى ، فمن الناحية الايجابية ، نجد ان التنظيم قد تمكن من تقديم اطار تنشط من خلاله عناصر شـبابية كثيرة ، وتتلقى فيه نوعـا من التثقيف والاعـداد للعمل العام ، ومن الناحية السلبية ، نجـد أن التثقيف قد انقلب الى تلقين جامد لا يقوم على الحوار والاقناع ، كما ان الالتزام قـد انحـرف ليصـبح ولاء شخصـيا ، سرعـان ما يتحول الى شللية تهدد طاقة الشباب ، وتفسد أخلاقياته ، وتسيء الى رؤيته للعمل العام فى وقت نحن أشد ما نكون فيه حاجة الى طاقة الشـباب الخلاقة ، فكان ما لاحظنـاه من خـروج بعض العنـاصر التى دربت داخل التنظيم

الشبابي عليه ، وانغماسها في صور شتى من النشاط غير الملتزم .

ومنذ جمدت الاوضاع في منظمة الشباب ، نشأ فراغ كبير في صفوف الشباب ، فكرا ونشاطا وفي غيبة التنظيم الحركي الواعي ، تمكنت عناصر سيئة من استغلال الفراغ وتضليل قطاعات كبيرة خصوصا داخل الجامعات ، وأصبحت القاعدة الشبابية العريضة في حيرة من أمرها ، بين تنظيم راكد خامل ، وفئة مضللة مثيرة .

وقد دعا كل هذا الى اعادة النظر في الوضع ، وانتهى البحث — بعد استشارة القاعدة الشبابية — الى وجوب اقامة تنظيم شبابي قوي داخل الاتحاد الاشتراكي ، وصدرت بذلك توصية من المؤتمر القومي العام : « تكوين تنظيم شبابي ينبع ديموقراطيا من الشباب انفسهم ، ويصبح أحد أجنحة الاتحاد الاشتراكي ، تنعكس فيه بصدق وموضوعية ، ارادة وآمال الشباب من مختلف المواقع الاجتماعية في تحالف قوى الشعب العاملة ، متطهرا من سلبياته الماضية ، محافظا على ايجابياته » .

واذا استقر الرأي على اعادة تكوين التنظيم الشبابي ، فهناك اسئلة لابد من الاجابة عنها ، حتى تكون خطوات اعادة البناء رشيدة ، قائمة على أساس سليم ، لان مجال الشباب يضيق بكثرة التغيير وعدم الاستقرار :

أولا : هل يعتبر التنظيم الشبابي تنظيما موازيا للتنظيم الام ، تكون له كوادره القيادية ولجنته المركزية ، كما هو الحال في منظمات الشباب في الدول الاشتراكية ؟ .. أم هل يكتفي بتمثيل الشباب في لجان الاتحاد الاشتراكي على المستويات المختلفة ، ويكون التنظيم الشبابي اذن جزء من التنظيم الام ، وليس موازيا له ؟

ثانيا : ما هو الاسلوب الامثل للبرنامج التثقيفي للشباب ؟ .. وهنا أذكر أن الجانب العقائدي والفكري يحتل بالنسبة لقطاع الشباب أهمية خاصة ، باعتبار ان الانتماء للقوى الاجتماعية المختلفة لا يتحدد بشكل واضح في مرحلة الشباب ، ومن ثم يكون جسر الارتباط بالتنظيم هو المضمون الفكري والمنهج العملي الذي يتقدم .

نعود الى الوضع الذي كان قائما من قبل ، حين كانت توجد في الجامعة ثلاثة تشكيلات ينخرط فيها الشباب ، وهي : وحدة الاتحاد الاشتراكي — منظمة الشباب — اتحاد الطلبة ؟

الرابعة : أسلوب العمل داخل الاتحاد :

ان أسلوب العمل داخل الاتحاد يحتاج — في تقديري — الى تطوير شامل ، اذا كان هدفنا هو دفع عجلة الاتحاد الى الامام ، والمطلوب من اللجنة هو التوصل الى **نقاط عملية محددة** ، وليس مجرد قواعد نظرية عامة ، تهدف الى تحقيق ما يلي :

- زيادة كفاءة أجهزة الاتحاد .
- القضاء على البيروقراطية والعمل المكتبي .
- ضمان سرعة الاتصال بين مختلف مستويات الاتحاد وأجهزته .
- عدم تشتيت الموضوعات أو تنازع الاختصاص حولها .

ويهمني — بصفة خاصة — في هذا الصدد ، ان تعالج اللجنة النقاط الاتية :

(١) تنظيم التبادل السريع للمعلومات بين القاعدة الجماهيرية وقيادات الاتحاد . ولكي يكون هذا التبادل منتجا ومؤثرا ، يجب أن يتوفر لدى القيادات في المستويات المختلفة ، المعلومات الكافية عن الاوضاع الداخلية والخارجية ، والخطوط السياسية ولذلك فانه يكون من المتعين ان تمد جميع أجهزة الدولة الاتحاد بالمعلومات والاحصائيات اللازمة ، سواء عن الانجازات الماضية ، او المشروعات السياسية المستقبلة .

(٢) خلق الجهاز القادر على جمع المعلومات وتحليلها ، حتى تصل الى القاعدة مدروسة وليست في صورة المادة الخام .

(٣) تنظيم قياس الرأي العام بطريقة علمية غير عشوائية ، تعتمد على العمل العلني الظاهر ، لا المباحثي أو المكتبي ، وهنا يمكن ان تؤدي اللجنة خدمة كبيرة ، ان هي استطاعت ان تحدد الخطوط العريضة لهذا العمل [القياس العلمي للرأي العام] .

(٤) ضمان وسائل فعالة للاتصال السريع بين اللجنة المركزية ولجان المحافظات ، وقد تكون افضل الوسائل في هذا الصدد هي المبرقة « التيكرز » .

(٥) تنظيم عمل اللجان داخل الاتحاد ، وضمان انتظامها في عملها ، سواء من حيث انعقادها ، او مباشرتها لصلاحياتها .

(٦) ايجاد **نظام مبسط وعملي** للمتابعة داخل الاتحاد ، ويهمني — بصفة خاصة — متابعة تنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر القومي ، حيث لا تكون جلسات هذا المؤتمر مجرد ساحة لالقاء الكلمات وتبادل الرأي ،

وانما تصبح خلايا عمل وانجاز تتفاعل مع الجماهير وتستجيب لمطالبها .

مهمة اللجنة في تحديد دور الاتحاد في العمل الجماهيري

وهنا نجد ثمة أسئلة جوهرية قد يترتب على الاجابة عنها مستقبل الاتحاد ونظرة الجماهير له في الفترة المقبلة :

- ما هو جوهر الاتحاد ؟
- هل هو سلطة ؟ .. أم انه مجرد جهاز لخدمة الجماهير ؟
- واذا كان كذلك .. فأين يقسع بالنسبة للسلطات الاخرى القائمة في الدولة ؟
- وما هو معنى كونه سلطة ؟
- ما هي حدود وضوابط هذه السلطة ؟
- وما هي محاذير النظر الى الاتحاد ، على اعتبار انه سلطة ؟
- وكيف يمارس الاتحاد سلطته ؟
- وما هي الضمانات لعدم اساءة استعمال السلطة ؟

ان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي الصادر في ٩ مايو سنة ١٩٦٨ ، ينص في مقدمته على ان الاتحاد هو الطليعة الاشتراكية التي تقود الجماهير وتعبر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطني ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادىء الميثاق ، وعندما نص هذا القانون الاساسي على أهداف الاتحاد ، كان آخرها : « نقل سلطة الدولة الى المجالس المنتخبة تدريجيا » .

ودستور جمهورية مصر العربية ينص في مادته الخامسة على أن « الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي الذي يمثل تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، وهو أداة هذا التحالف في تعميق قيم الديمقراطية والاشتراكية وفي متابعة العمل الوطني في مختلف مجالاته ، ودفع هذا العمل الوطني الى أهدافه المرسومة . ويؤكد الاتحاد الاشتراكي العربي سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسي الذي تباشره تنظيماته بين الجماهير وفي مختلف الاجهزة التي تضطلع بمسئوليات العمل الوطني » .

فما هي سلطة الاتحاد الاشتراكي طبقا لهذه النصوص ؟

وما هو المقصود بالعمل الوطني ؟ هل المقصود هو العمل السياسي ؟ أم العمل التنفيذي ؟ أم هل تعبئة الجماهير من أجل المعركة ؟

ان تصوري لجوهر الاتحاد الاشتراكي هو انه السلطة العليا التي تنبع منها باقي السلطات وبغير ذلك يصبح النص على « سلطة الاتحاد الاشتراكي » خاليا من أي مضمون حقيقي ، وبغير هذا التحديد الدقيق نكون قد وضعنا التنظيم السياسي بين شقي الرحى :

أجهزة الدولة المختلفة لا تسلم بأنه السلطة العليا الام .

والجماهير تنتظر منه كل شيء وتعتبره مسئولا عن كل شيء ، فينتهي به الامر الى أن يصبح مشجبا تعلق عليه أخطاء الادارة .

وبغير هذا الفهم المحدد تبقى علاقة التنظيم السياسي بالاجهزة والمؤسسات القومية والتشريعية علاقة مائعة يكتنفها الغموض ويحكمها التنازع والمزاج الشخصي أو المصلحة الفردية . واذا انتهينا الى هذا التصور ، فلابد من وضع الضوابط لتلك السلطة في اطار التنظيم الداخلي للاتحاد وأسلوب عمله ، حتى نضمن ألا تتحول « السلطة » الى « تسلط » فردا أو مجموعة أفراد داخل التنظيم وحتى لا تقوم مراكز قوى تختلس السلطة من قوى الشعب العاملة وتستغلها لمصلحتها هي .

هل تكفي الضمانات القائمة وتشكيل الاتحاد بالانتخاب الحر للحيلولة دون اساءة استعمال السلطة ؟ أم انه يلزم ايجاد ضوابط جديدة ؟

وفي مجال العلاقة بين التنظيم السياسي والمؤسسات القومية تبرز :

١ ــ العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية على المستوى القومي والمحلي :

(١) ان الاتحاد الاشتراكي باعتباره البوتقة التي تتجمع فيها قوى الشعب العاملة هو أقدر الاطارات على تمثيل الشعب ازاء السلطة التنفيذية ومن ثم يجب البحث عن صيغة يتمكن بها الاتحاد من ابلاغ الجهاز التنفيذي رأي ــ الشعب في الامور المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية .

(٢) ومن اللازم في هذا المجال التوصل الى أسلوب أكثر فعالية لضمان استجابة الجهاز التنفيذي لمطالب الجماهير كما يعبر عنها الاتحاد الاشتراكي ، فاذا طالب الشعب بزيادة امكانيات وفعالية الدفاع المدني ، أو طالب بعدم فرض ضريبة جديدة أو بتخفيض أسعار بعض

السلع ، فما هى الاداة لضمان استجابة الوزارات المختصة لذلك ؟

(٣) ما هو نوع « **الرقابة** » التى يباشرها الاتحاد الاشتراكى على عمل السلطة التنفيذية ؟ اننا لا نريد للاتحاد أن يصبح هو السلطة التنفيذية ، ولكنه يجب ان يملك وسائل الرقابة على عملها باسم الشعب ، والمهم هنا ليس هو خلق « جهاز » جديد للرقابة يضاف الى الاجهزة العديدة القائمة حاليا ، لان هذا بذاته قد لا ينتج شيئا يذكر ، بل المهم هو التوصل الى اسلوب لممارسة هذه الرقابة .

(٤) وعندما يعقد الاتحاد الاشتراكى مؤتمرات فى المحافظات ، فما هو الضمان لان تشعر الوزارات المختصة بما يدور فى التجمعات الشعبية على هذا المستوى ؟ انه يمكن أن يوضع نص صريح ويتطلب من الوزراء حضور مثل هذه المؤتمرات متى دعوا لذلك من أمين الاتحادالاشتراكى فى تلك المحافظة .

(٥) ومن الضرورىأيضا تحديد العلاقة بين أمانة الاتحاد الاشتراكى فىالمحافظة والجهاز التنفيذى والادارى بها ، لان يترك هذه العلاقة عائمة فى اطار « التنسيق بين التنظيمالشعبى والجهاز التنفيذى » يترتب عليه كثيرا من التخبط والغموض ، اذ الملاحظ أن هذه العلاقة تحكمها حتى الان الاعتبارات الشخصية والظروف الخاصة فى كل ملاحظة والفهم الخاص لقادة الجهازين الشعبى والتنفيذى لطبيعة هذه العلاقة .

ما هى سلطة التنظيم الشعبى على مستوى المحافظة ؟ ان الامكانيات لازالت فى يد الجهاز التنفيذى ، والتنظيم الشعبى — على أحسن الفروض — يستطيع أن يقوم بدور « القوة الضاغطة » على المستوى المحلى وقد تستجيب الادارة لضغطه أو لا تستفيد حسب الظروفالخاصة فما هو الضمان لذلك ؟

ب — العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والمؤسسات التشريعية :

وهنا تثار نقطتان :

(١) **الصلة بين التنظيم الام وجهازه التشريعى على المستوى القومى ،** ان هيئته البرلمانية [مجلس الشعب] وهنا نجد أن الاشهر الاخيرة قد شهدت حديثا متصلا حول هذا الموضوع بسبب الظروف المحلية الخاصة ببعض أعضاء مجلس الشعب ، مع أن المنطقى أن يكون مستقرا أن مجلس الشعب هو أحد أجهزة الاتحاد وأجنحته ، وليس تنظيما موازيا ، لانه فى غيبةالاحزاب التى يلتزم بها النواب فكرا ومنهجا وحركة ، يصبح من الضرورى أن يرتبطوا بالتنظيم الشعبى وبقراراته . ففى ظل نظامنا الاشتراكى ، لايكون عضو مجلس الشعب ممثلا للمصالح المحلية فى الدائرة التى انتخب فيها فقط ، بل انه ممثل لتحالف قوى الشعب العاملة كلها يلتزم بالدفاع عن مصالحها ، وعلى هذا الاساس يجب أن تقوم العلاقة بينه وبين التنظيم الذى يمثل هذا التحالف .

وهنا تثور عدة نقاط :

- ما هو دور الاتحاد الاشتراكى فى الترشيح لمجلس الشعب ؟
- ما هو دور الاتحاد فى عملية التشريع ؟
- هل يلتزم الاعضاء بما يكون للاتحاد من آراء ومواقف فى تشريعات معينة ؟

(٢) **الصلة بين التنظيم الام والمجالس الشعبية ،** ان المجالس الشعبية وسيلة فعالة لضمان مشاركة قوى الشعب العاملة فى تقرير شئونها ، ويمكن اذا أعطيت لها فرص النجاح — أن تصبح وسيلة الربط بين التنظيم الشعبى والجهاز التنفيذى على المستوى المحلى ، اذا كان يراد لهذا الربط أن يتم على أساس مؤسسات وليس على أساس علاقات شخصية أو صلات فردية ، واذا كانت الديمقراطية تتحقق فعلا بزيادة سلطة الاجهزة المحلية ، فان هذا يقتضى جهدا متصلا لزيادة هذه السلطة على المستويين التشريعى والتنفيذى ، وفى هذه النقطة يمكن أن تعالج لجنة العمل :

- الوضع القانونى والدستورى للمجالس الشعبية .
- تقنين العلاقة بين التنظيم الام

والمجالس الشعبية .

● تحديد اسلوب العمل بين المجالس الشعبية والاجهزة التنفيذية المحلية .

(٣) **الصلة بين المجالس الشعبية ومجلس الشعب :** أن مجالس الشعب ليست الا صورا مصغرة من مجلس الشعب نفسه ، والمجالس المحلية أقدر الاجهزة على التصدى للشئون الخاصة بكل محافظة لانها تعيش مشاكل المحافظة واوضاعها فى كل لحظة ، ولذلك فاننى أرى ان يكون لها حق اقتراح القوانين والتشريعات

جـ ـ العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والمنظمات النقابية والتعاونية والجماهيرية الاخرى :

ان وثائقنا الاساسية لم تبين العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والتنظيمات التعاونية والنقابية ، فلم ينص الميثاق ولا القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكي العربى على أن هذه المنظمات جزء من الاتحاد واكتفت النصوص ببيان أن الاتحاد الاشتراكي لا ينفى وجود هذه التنظيمات ، كما ان الدستور [مادة ٥٦] كرس حق للمواطنين فى انشاء النقابات والاتحادات على أساس ديمقراطى سليم ، ولكن يبقى التساؤل عن العلاقة بين الاتحاد وهذه المؤسسات :

هل له دور فى الترشيحات للمراكز القيادية لها ؟ ان القاعدة التى يجب أن تستقر هى حرية المنظمات الجماهيرية فى اختيار قياداتها .

وهل يملك الاتحاد على هذه التنظيمات حق التوجيه والرقابة ؟

وفى هذا الصدد تبرز نقطة هامة فيما يتعلق بعلاقة الاتحاد الاشتراكي بالصحافة ؟

ان الاتحاد الاشتراكي هو مالك للمؤسسات الصحفية ، ولكن ما هى النتائج القانونية والعملية لهذا الوضع ؟

هل يرسم الاتحاد السياسة العامة لكل صحيفة ؟

وماهى سلطته على مجلس ادارة الصحيفة؟

وما هى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والعاملين فى دور الصحف ؟

وما هى العلاقة بين الاتحاد وبين نقابة الصحفيين ونقابات العاملين ؟

كيف نضمن ان تصبح الصحف معبرة عن تحالف قوى الشعب العاملة بمختلف اتجاهاتها ؟

كيف يمارس الاتحاد الاشتراكي حقه فى الترخيص باصدار صحيفة ؟

وهل هناك سبيل للتظلم اذا رفض الترخيص بذلك ؟

أن وضع ميثاق شرف للصحافة خطوة تقدمية هامة ، ولكن هذا لا يجيب على معظم الاسئلة السابقة ولابد من الوصول إلى صيغة اكثر وضوحا وتحديدا للعلاقة بين التنظيم الام والصحافة .

مهمة اللجنة فى تحديد دور الاتحاد فى العمل الجماهيرى

اذا كان الاتحاد هو تحالف قوى الشعب العاملة ، فان من الطبيعى أن يتم العمل الجماهيرى كله من خلال الاتحاد ، حتى لا تقع الجماهير فى فراغ ، وحتى لا تتسلل الى العمل الجماهيرى عناصر غير ملتزمة بالمصلحة الحقيقية للشعب ، ولتحقيق ذلك ، فانه يجب الاجابة عن الاسئلة الاتية :

(١) كيف يكون التحرك الجماهيرى للاتحاد ؟ هل يقتصر ذلك على عقد المؤتمرات على المستويين القومى والمحلى ؟ هل يقتصر على التحرك من خلال مجلس الشعب والمجالس الشعبية ؟ أم أن هناك صورا أخرى من التحرك الجماهيرى يمكن أن يلجأ اليها الاتحاد ؟ نفرض أن هناك قضية رأى التنظيم السياسى أن يتخذ فيها موقفا محددا فما هو السبيل الى اتخاذ هذا الموقف :

هل يكتفى بمجرد اصدار بيان أو وثيقة ؟
أم انه يمكن أن يلجأ الى تحريك الجماهير؟
وما هو الضمان لان يتم هذا التحرك داخل اطار المشروعية وعدم الاثارة ؟
وهل يستطيع الاتحاد أن يلجأ الى صحيفة يتخذ منها منبرا للدعوة لموقفه ؟

(٢) ما هى الترجمة العملية لتبنى الاتحاد الاشتراكي لمطالب الجماهير ومشاكلها ؟ ان المشكلة فى هذا الصدد تكمن فى أن معظم الشكاوى التى تتقدم بها الجماهير لتنظيمها السياسى تتطلب اجراء معينا من الاجهزة التنفيذية ، وطالما لم يكن الاتحاد متمتعا بصلاحيات معينة لمحاسبة الاجهزة التنفيذية فى هذا المجال ، فمعنى هذا أن أى جهاز للشكاوى يقيمه الاتحاد سوف يصبح مجرد اضافة لجهاز ادارى يحيل الاوراق الى الجهة المختصة التى تملك التصرف فى الشكوى كما لو كانت قد قدمت اليها أصلا ، وبذلك لا يكون هناك أى وزن اضافى لالتجاء الجماهير لتنظيمها المعبر عن ارادتها .

اجتماع الأمانة العامة للجنة المركزية بأعضاء لجنة العمل للاتحاد الاشتراكى

يوم ١٣ مارس ١٩٧٢

اجتمعت الامانة العامة للجنة المركزيةفى الساعة السادسة والنصف من مساء الاثنين الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٧٢بالسادة اعضاء لجنة العمل للاتحاد الاشتراكى العربى برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية وحضور كل من :

الدكتورة عائشة راتب ـ خالد محيى الدين ـ الدكتور محمد حافظ غانم ـ الدكتور عبد العزيز كامل ـ الدكتوراحمد السيد درويش ـ عبد اللطيف بلطية ـ الدكتور اسماعيل غانم ـ المهندس ابراهيم نجيب ابراهيم ـ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ـ المهندس احمد عبدالاخر ـ مسعد التمامى ـ محمد مهدى سومان ـ الدكتور احمد كمال ابو المجد ـ المهندس ابراهيم شكرى ـ كريمة السعيد ـ محمد على شتا ـ محمد عثمان اسماعيل ـ الدكتور محمد ابراهيم دكرورى ـ الدكتور حسن اسماعيل ـ عبد الحليم الجندى ـ المهندس سعد هجرس ـ المهندس طاهر أمين ـ الدكتورابراهيم أبو النجا ـ الدكتور جمال العطيفى ـ الدكتور احمد الشرباصى ـ الدكتور عبدالحميد حسن ـ ثابت السفرى ـ محمد عبد الحكيم موسى .

● السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم نبدأ الاجتماع الاول للجنة العشرين واننا نرحب بكم باسم الاتحاد الاشتراكى .

واننى اعتقد أن المهام الاساسية لهذه اللجنة هى مهام كبيرة جدا وهى فى المقام الاول تنقسم الى قسمين أساسيين : قسم تنظيمى لعمل اللجنة نفسها والصلة بينها وبين اللجان التسع المتفرعة والتى من المحتمل أن تزداد بلجنة اخرى للحرفيين ، فقد طلب بعض السادة فى الراسمالية الوطنية أن تكون لهم لجنة ومن هنا جاءت فكرة تسمية اللجنة باسم لجنة الراسمالية الوطنية وهى تنقسم الى قسمين : الحرفيين من ناحية والراسمالية الوطنية من ناحية أخرى .

وقبل ان نبدأ عملنا اود ان اقول ان الاتحاد الاشتراكى بالصورة التى نحاول أن نصل اليها قد وضعت له مبـــادىء كثيرة ، هذه المبـــادىء يمكن أن ترسم لنا خط سير العمل فقط واننى أقول « خط سير العمل فقط » ولا أقول انهـــا ترسم لنا خطة عمل كاملة .

واننى اقول أن مهمة هذه اللجنة لن تـــكون مهمة كلامية ، بل اننا سننتهى فى كل اجتماع لها بنتيجة فى تفكيرنا وفى طريقة عملنا بحيث يكون هناك اتجاه هو أن كل كلمة نقولها هنا نريد أن نراها تطبيقا عمليا يطبق فى الاتحاد الاشتراكى حتى يمكن أن نصل الى تحقيق الاهداف التى وردت فى قرارات المؤتمر القومى والتى جـــاءت فى الاحاديث المختلفة للسيد الرئيس .

وفى الحقيقة اننى مكلف من السيد الرئيس بأن أحييكم جميعا وانقل تحيته اليـــكم وســـوف يجتمع بكم سيادته فى القريب العاجل ولكنه لم يحدد اليوم بعد ، ونحن نمهد لكى لا يقتصر هذا الاجتماع على لجنة العشرين فقط حتى يتســـع ويشمل اللجان التسع المتفرعة من لجنة العشرين .

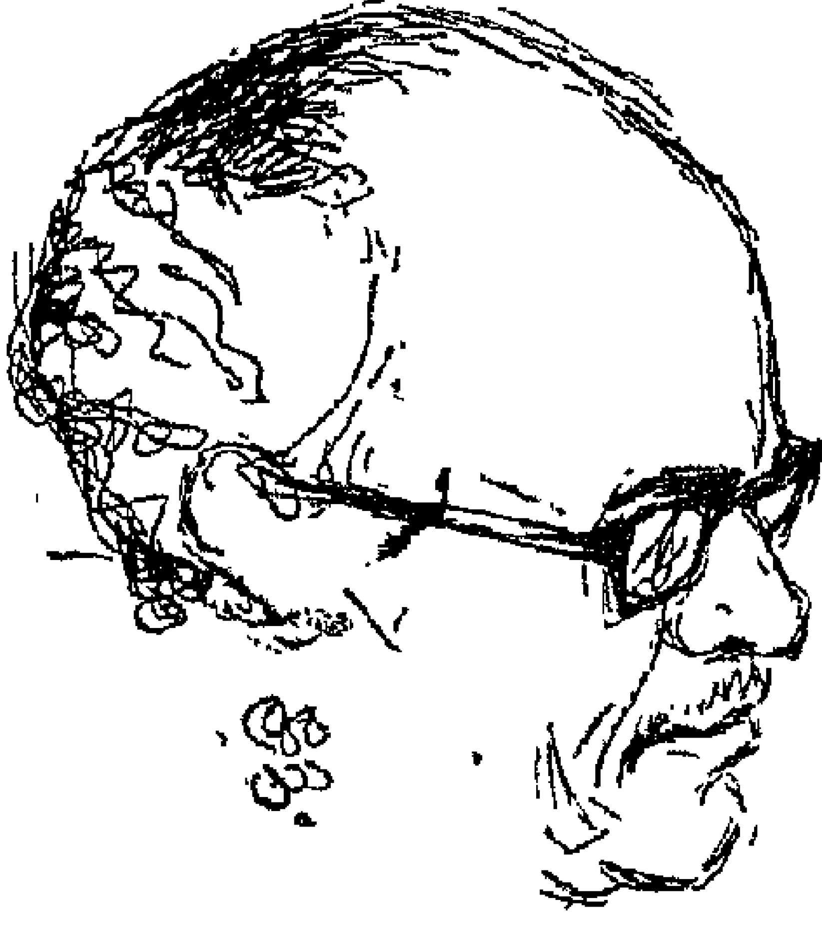
الموضوع الاول كما ذكرت هو فى الحقيقة موضوع تنظيمى يبحث كيفية عمل اللجنة وطريقة الاجتماعات التى ستعقد ، وهل تنقسم اللجنـــة الى لجان فرعية أو أنها تظل كما هى الان ؟ ثم ما هى الصلة الرئيسية التى بينها وبين اللجان الفرعية ؟ وما هى طريقة مناقشة الموضوعات المختلفة ؟ هل تناقش هـــذه الموضـــوعات على مستوى هذه اللجنة أولا ثم تناقش على مستوى اللجان الفرعية التسع ؟ أو أنها تناقش فى اللجان التسع أولا ثم تناقش فى لجنة العمل ؟

هذه هى النقاط الاساسية التى سنتحـــدث فيها .

بعد ذلك ، هناك شـــكل ورقة العمل .. وفى الحقيقة اننى قمت باعداد ورقة وستكون جاهزة باكر [1] .

لقد رأى بعض الاعضاء الا نقدم هذه الورقة لكى نعطى الفرصة كاملة فى ابداء الرأى بينما رأى الاخرين أن تقدم هذه الورقة .

الفريق الاول يرى أنه عندما تقدم ورقة عمل من السكرتير الاول الى اللجنة فقد تغير الافكار


المهندس سيد مرعى


د. اسماعيل غانم

الموجودة لدى أعضاء اللجنة او قد تقيد تفكيرهم بالرغم من اننى قلت وصرحت للصحفيين أن هذه الورقة لن تؤثر وهى قابلة للتعديل ، كذلك فانها لن تمثل الا رأى السكرتير الاول ولكنها فقط تعطى لنا نقاطا معينة يمكن ان نبدأ منها .

اما الفريق الثانى فيرى ان تقدم ورقة العمل لانها تفتح أبواب الحوار وتسهل لنا عملية البدء فى العمل باللجنة .

وسيعرض اليوم شيئان .. الاسلوب التنظيمى للجنة ، ثم هيكل التساؤلات او الهيكل العـــام فى صيغة تساؤلات وهو موجود امامى الان ، وفى الحقيقة لقد ساعدنى فى اعداده الدكتور حافظ غانم والدكتور كمال أبو المجد والدكتور احمـــد الحفنى وهو فى الواقع ليس مجرد تســـاؤلات فحســـب بل انه يمثـــل رءوس مســـائل او موضوعات .

[1] الورقة المنشورة قبل المحضر .

وأرى أن نبدأ بالنقطة الاولى ، وهى الشكل التنظيمى لعمل اللجنة ، وهذا الموضوع يقسم الى قسمين :

القسم الاول : هل تقسم اللجنة الى أقسام تتلاءم مع اللجان المتفرعة ؟ والقسم الثانى أن ترسموا لنا طريقة عمل اللجان التسع .

وفى الحقيقة اننا بالنسبة للجان التسع ، لابد أن نكون مشدودين دائما بقاعدة جماهيرية معينة ، فمثلا النقابات العمالية قيادات انتخبتها قواعدها العمالية ، والنقابات المهنية منتخبة أيضا وهى تمثل قاعدة جماهيرية ، كذلك التعاونيات الزراعية وهكذا وبالتالى فان عملنا عندما يكون مشدودا بالقاعدة الجماهيرية فانه يكون مشدودا بأرض الواقع ، فاذا ما أتممنا هذه الورقة فاننا نستطيع أن نصل الى النتيجة التى نريدها .

والان الموضوع مفتوح للمناقشة فى الجزء الاول ، وهو الاسلوب التنظيمى للجنة .

● **الدكتور اسماعيل غانم**

بالنسبة للسؤال الاول وهو هل تقسم اللجنة الى عدة لجان أو أنها تعمل ككل دون تقسيم ؟ فاننى أرى أن تعمل اللجنة ككل ومن خلال عملها يمكن أننحدد أو نقسمها الىلجان ، ولكن أمر تقسيم اللجنة الى لجان قبل أن نجتمع ككل أمر صعب وقد لا يحالفه التوفيق .

● **الدكتور جمال العطيفى**

المفروض أن اللجان التسع تمثل قوة معينة ، هى الفلاحين والعمال والنقابات، والذىنريد أن نركز عليه هو أن هناك موضوعات نوعية يجب أن نطرحها على اللجنة ونحدد بشأنها أسئلة معينة يتم تبادل وجهات النظر حولها مع اللجان الفرعية ، واننى أتصور انه يمكن تقسيم لجنة العشرين والامانة الى لجان فرعية للاستماع ، بمعنى أن كل اثنين أو ثلاثة من أعضاء هذه اللجنة يجتمعون مع لجنة فرعية يقومون بطرح هذه الاسئلة عليهم ويستمعون الى آرائهم ، ثم نجمع حصيلة الاجابات عن هذه الاسئلة والاراء وتأتى الينا هنا فى اللجنة العامة .

● **الدكتور ابراهيم أبو النجا**

أرجو أن تستمر اجتماعاتنا بهذه اللجنة وفى الوقت نفسه ، اذا أراد أحد الاعضاء أن يجتمع مع لجنة فرعية فلا مانع ، ولكن بحيث يكون مختصا بنقل رأى اللجنة الاستشارية الى اللجنة العامة .

● **السكرتير الاول :**

تصورى فى الحقيقة هو التصور الاخير ، وهو أن تستمر لجنة العشرين فى اجتماعاتها ، كذلك فانه حتى اذا عمل التقسيم فسوف لا يتعارض ذلك مع اجتماعات لجنة العشرين .

الفكرة بالنسبة للجان التسع انها تكون لجان فرعية تمثل لنا قاعدة جماهيرية كبيرة فهى فى الحقيقة جاءت من قاعدة جماهيرية قائمة ومع احترامى للجنة العشرين فان لهذه اللجان التسع اهمية كبيرة لدرجة ان المواطن العادى قد شد انتباهه كثيرا وجود هذه اللجان اكثر من لجنة العمل ، ومثلا نحن نعمل مع القيادات الجماهيرية الموجودة بالنقابات وغيرها ، فاذا ما تغير النقيب فى احدى هذه النقابات فاننا نعمل مع النقيب الجديد ذلك لانه منتخب والذى احدث التغيير هو قاعدته الجماهيرية وهى التى أتت به وبالتالى فاننا نعمل معه .

لذلك فاننى أرجو الا نبت الان فى الشكل الموضوعى ولكن نبدأ بالبت فى الشكل التنظيمى .. وهذا بالطبع متروك لكم .

ان الصورة التى فى أذهاننا هى أن نخرج بأسلوب للعمل نتمكن من تطبيقه وتنفيذه من الناحية العملية ، بمعنى انه اذا أتى شخص وقال اننا نريد أن ندعم الصلة بين الاتحاد الاشتراكى وبين القواعد الجماهيرية وسكت ، فانذلك غير كاف ولانقبل مثله ، ولكن اذا جاء آخر وقال ، يجب أن يكون فى الاتحادالاشتراكى انفتاح على الجماهير وأن يكون منبرا حرا للجماهير ، فهذا رأى سليم ومقبول لانه حدد طريقة معينة لتقوية الصلة بين الاتحادالاشتراكى وبين الجماهير . وهذا هو الطريق الذى يوصلنا الى مانريد والذى نريد أن نسير عليه .

وعلى ذلك فاننا اذا ما قرأنا قرارات المؤتمر القومى والنقاط التى وردت فى كلمتى فى هذا المؤتمر ، واستزدنا على هذا بنقاط جديدة فان ذلك يمكن أن يعطينا صورة عن شكل العمل .

كذلك فانه اذا ما تم التقسيم فان ذلك لا يمنع من استمرار اجتماعات اللجان التسع بحيث ينقل عنها الينا وينقل منا اليها ، وهذا بلا شك يكون ترجمة لعمل اللجنة واللجان المتفرعة .

اذا وافقتم حضراتكم فاننا نأخذ خطوة الى الامام وندخل فى الجزء الثانى :

● **المهندس طاهر أمين**

ان اجتماعنا اليوم أساسا هو لتقييم الاتحاد الاشتراكى . وبهذه المناسبة فان لدينا أفكارا

كثيرة حول التنظيمات السياسية التى بدات بهيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى فى دوره الاول ثم فى المراحل التالية .

لذلك فانه يجب أن يكون هذا هو المدخل الاساسى الذى نبدأ على أساسه عملنا فى هذه اللجنة ، كذلك فلابد ان نتكلم بصراحة كاملة عن كل الاسباب التى أدت الى فشل هذه التنظيمات

هناك عيوب وهناك اخطاء ، وهناك انتقادات يجب أن نبحثهـا ، ومدخلنا فى هـذا هو أن نتصارح جميعا وان نضع أمامنا كلمة واحدة هى « مصر » .

اننى أرى ان نفرد مجموعة من الجلسات والاجتماعات المختلفة نعرض فيها الاسباب التى أدت الى فشل كل التنظيمات التى مرت على مصر ابتداء من هيئة التحرير حتى الان .. واننى اعتقد أن هذا هو المدخل الاساسى الوحيد الذى يجب أن نبدأ به خاصة واننا جميعا عاصرنا هذه التنظيمات ونعلم عنها الكثير .

فأرجو واعرض الامر على اللجنة — ان نفرد عدة اجتماعات نتصارح فيها مصارحة كاملة فى ذكر الاسباب التى أدت الى فشل كل التنظيمات السابقة .

● **الدكتورة عائشة راتب**

بالنسبة لما ذكره السيد المهندس طاهر أمين فقد عبرت سيادتكم عنه فى المقال الذى نشر بجريدة الاهرام عندما ذكرتم سلبيات الاتحاد الاشتراكى ولكن للاسف العدد الذى نشر فيه هذا المقال ليس موجودا معى الان .

واننى اقول ان هذه السلبيات لو اننا ركزنا على علاجها وتخلصنا منها فان ذلك سيوفر لنا كثيرا من الجهد ، وفى الحقيقة اشكر السيد السكرتير الاول على هذه المصارحة وانه لاول مرة تذكر سلبيات الاتحاد الاشتراكى والعيوب التى تشكو منها الناس .

وفى الحقيقة اننى كنت أود أن تبدأ سيادتكم بها كمقدمة لعمل اللجنة وهى على ما اذكر تقع فى تسع نقاط منها عدم الاكتراث والتكاسل وغيره .

● **الدكتور محمد حافظ غانم**

اننى سأتحدث فى المسألة التنظيمية وهى مرتبطة بموضوع عمل اللجنة ، فبالنسبة للموضوع الذى أثاره السيد المهندس طاهر أمين فاننا لو راجعنا قرارات المؤتمر القومى فى الدورة الاخيرة فسوف نجد أن اللجنة مكلفة بأربعة موضوعات من بينها الموضوع الذى أثاره المهندس



د. جمال العطيفى



طاهر أمين

طاهر أمين ، وتشكيل هذه اللجنة وتحديد مهمتها منصوص عليه فى القرار الخامس كما يلى :

« وحتى يتحول ذلك الدليل الى برنامج حى يلتزم بتطبيقه التنظيم السياسى ، وتتولى الجماهير مراقبة تنفيذه ، يقترح المؤتمر تكوين لجنة عمل من بين أعضاء الاتحاد الاشتراكى ، وعلى تلك اللجنة معاونة الامانة العامة فى وضع دليل العمل السياسى ، ويعهد المؤتمر الى السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيلها وبتحديد مهمتها .

أما الموضوعات الاربعة التى تختص بها هذه اللجنة فهى :

■ **الموضوع الاول :**

هو الاطار الحالى للاتحاد الاشتراكى وعجزه عن مواجهة متطلبات الجماهير ومتطلبات الحالة الحاضرة التى نمر بها مما حدا بالمؤتمر الى أن يعهد الى السيد السكرتير الاول للجنة المركزية باتخاذ ما يلزم لتعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى حتى يكون الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون

وبحيث تشارك الجماهير فى صنع القرارات المتصلة بالمشاكل .

■ **الموضوع الثانى :**

موضوع متصل بالتنظيم نفسه « الاطار الخاص بالتنظيم » وكيف يمكن أن يكون تنظيم الاتحاد الاشتراكى على أساس انه منبر حر معبر عن ارادة الجماهير بالاسلوب الذى تراه قوى الشعب العاملة .

■ **الموضوع الثالث :**

متصل بعلاقة التنظيم بالسلطات والاجهزة التنفيذية والتشريعية والشعبية .

■ **الموضوع الرابع :**

متصل بالفكر التنظيمى والمنهج الفكرى وفى تصورى انه عندما نحاول أن نقسم اللجنة الى لجان فلابد أن نراعى أمرين هما :

الامر الاول ..

أن تكون هناك لجان موضوعية هامة تختص كل منها بموضوعات معينة من الموضوعات التى وردت فى قرار المؤتمر والموضوع الذى اثاره الدكتور طاهر أمين هذا بالاضافة الى اللجان الاخرى .

الامر الثانى ..

متابعة عمل اللجان الاستشارية النوعية المشكلة بقرار من السيد السكرتير الاول وشكرا .

● **الدكتور أحمد السيد درويش**

بالنسبة لتنظيم عمل اللجنة من الناحية التنظيمية ومن الناحية الموضوعية فان الناحيتين متصلتان ببعضهما البعض ولا يمكن فصلهما .

وبالنسبة للتنظيمات السابقة فبالرجوع الى التجارب التى مرت بها هذه التنظيمات فاننا لا نستطيع أن نقول انها فشلت أو اخفقت ، ولكننا نستطيع أن نقول أنها قصرت فى بعض الاشياء المتعلقة بمطالب وحقوق الجماهير .

كذلك فقد كان فى تصورى أن لجنة العشرين ستكون لجنة مساعدة للسيد السكرتير الاول للجنة المركزية لكى يضع ويستكمل ما هو ناقص فى تنظيماتنا السياسية وهى المحرك والعقل المفكر ، وبالتالى فاننى اعتقد انه لا يجب تقسيم هذه اللجنة الى عدة لجان .. وذلك مراعاة لوحدة الفكر كى تتصدى لمطالب الجماهير ولابد ان يكون هناك قدر معين من التجاوب بين أعضاء هذه اللجنة .

وبالنسبة لما طرح فى هذه الجلسة من اننا مختارون ولسنا منتخبين ولابد أن نلتحم مع اللجان الفرعية . فاننى أقول اننا جميعا قد مررنا بالتنظيمات السياسية فى جميع أشكالها الحزبية فشلا أو نجاحا ، وشىء آخر هو أن هذه اللجان اذا لم نكن نحن موجودين فيها فسوف لا تحرم بل وعلى النقيض من ذلك فربما تكون هناك حرية أكثر على مستواها الحالى لما نعلم وبما لا نعلم

لذلك فاننى أرجو أن تكون هذه اللجنة « لجنة العشرين » لجنة دائمة ، مساعدة للسكرتير الاول للجنة المركزية وأن تكون لها نفس اختصاصاته ونفس مقوماته التى لا تتجزأ .

● **المهندس ابراهيم نجيب**

فى تصورى أن الاربعة موضوعات التى وردت فى قرارات المؤتمر القومى العام يجب أن تناقش فى جميع اللجان الفرعية — بمعنى أن تجتمع كل لجنة فرعية على حدة ثم نعرض عليها النقاط الاربع ، أو الموضوعات الاربعة المشار اليها .. ومن خلال هذه المناقشة ستثار بلا شك السلبيات التى ظهرت والتى أشار اليها المهندس طاهر أمين .

فى رأيى أن يكون اجتماع لجنة العشرين كلها مع كل لجنة تناقش الاربعة موضوعات وتبحث مع كل لجنة وجهات النظر المختلفة والاراء حول هذه الموضوعات — وعلى ضوء هذه المناقشة تستطيع بلا شك أن تصل الى النتيجة التى تريدها .

● **الدكتور محمد دكرورى**

فى الحقيقة بالرغم من أن هذه الموضوعات الاربعة تتناول أشياء أساسية هامة الا أنها تمثل جزئيات قد لا تمثل الكل الذى يجب أن تتضمنه مهمة هذه اللجنة . ذلك لان الموضوعين الاول والثانى يكاد أن يكونا موضوعا واحدا .

انني اتصور أن أى تنظيم فى الدنيا يرتكز أساسا على ثلاث نقاط أساسية هى :

- فكر يحدد هذا التنظيم .
- أهداف تنبع من هذا الفكر .
- ثم أسلوب فى منهج العمل .

وهذا من شأنه أن يؤدى الى تسلسل الفكر أما ما عدا ذلك فانه يعتبر تجزئة تعسفية للفكر تحول دون تسلسل الفكر .

لذلك فاننى لا اتصور أن لجنة ما تقوم بدراسة أسلوب العلاقات نفسها ما لم تكن قد وصلت الى تحديد الاهداف الرئيسية لها .

وعلى هذا فاننى اقترح أن تستمر هذه اللجنة فى اجتماعاتها الى أن تطرح الفكرة ككل والى أن تصل الى وحدة تصور لهذه المهمة ، ثم بعد ذلك يمكن أن يكون التقسيم أو التوحيد ، وكيف تكون العلاقة بين هذه اللجنة وبين اللجان الاستشارية بل وبين القيادات السياسية الموجودة فى المحافظات .

أرجو أن نعتبر أن هذه النقط الاربع هى الاساس فى بحثنا ، لانها لا تمثل الاساس العلمى لتنظيم نحن نبحث عن زيادة فاعليته واعادة التنظيم فيه .

النقطة الاخيرة هى اننى أرجو الا نتسرع فى تجزئة اللجان الفرعية الان .

● الدكتور عبد الحميد حسن

أمامنا الان أكثر من ورقة عمل أولاها بيان السيد السكرتير الاول فى المؤتمر القومى والثانية قرارات المؤتمر القومى .. الخ .

لقد تفضل السيد السكرتير الاول فى بداية حديثه وقال ان هناك ورقة عمل موجودة واننى اتصور انه لا يجب أن نبدأ من فراغ وأن ورقة العمل المعدة من جانب الامانة العامة يجب أن تقوم بدراستها لانها تمثل وجهة نظر معينة .

واننى أقترح أن نبقى على هذه الورقة طوال شهر مارس حتى تتم دراسة هذا الموضوع بعد ذلك تعود لجنة العشرين وتجتمع مع اللجان كلها وتطرح عليهم ورقة العمل لاخذ آرائهم وعمل التنسيق اللازم بين اللجنة وبينهم على أن ينتشروا داخل الجمهورية ، ثم يلتقوا بعد ذلك



د. عائشة راتب



د. محمد حافظ غانم

كما قال المهندس ابراهيم نجيب وتجتمع لجنة العشرين مع كل لجنة على حدة .

وبعد أن نحسم كل امورها ونلتقى بها ، بعد ذلك تدعى اللجنة العامة الموسعه ويطرح عليها ما انتهت اليه اللجان المختلفة كلجنة الشباب والعمال .. الخ بهذه الصورة اعتقد اننا نكون أكثر موضوعية ونجد فسحة من الوقت لكى نعد ورقة عمل للجنة الاستشارية بدلا من أن يكون النقاش من هنا وهناك ولا ننتهى الى نتائج محددة .

● الدكتور عبد العزيز كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتقد انه يمكن الاستفادة من أية تجربةسابقة مهما كان نصيبها من النجاح والفشل وجعلها قوة دافعة الى عمل احسن مما كان ، وبذلك لا أتصور أن كل ما بذل من جهد كان جهدا ضائعا لا فى ذاته ولا فى تقييمه ، وربما كنت فى هذا انطلق من المبدأ الاسلامى المعروف ، لان الاسلام يعتبر نفسه انه دين أنزل من عند الله

تبارك وتعالى متمما لابادئنا ، فلم يأت الاسلام ويعتبر نفسه سفر التكوين بالنسبة للاديان السابقة بأى حال من الاحوال ، ولا شك أن الاخوة الذين جلسوا فى هذه الاماكن قبلنا بذلوا ما استطاعوا من جهد ومنهم من اصاب فله أجره ومنهم من أخطأ فحسابه عند من يتولى ذلك الحساب .

هناك أربع مراحل رئيسية مر بها العمل :

المرحلة الاولى : فى الاتحاد الاشتراكى وكان يتولاها السيد / حسين الشافعى .

المرحلة الثانية : تولى أمرها السيد/على صبرى
المرحلة الثالثة : تولى أمرها السيد / عبد المحسن أبو النور .

وهذه هى المرحلة الرابعة التى نعمل فيها الان .

فاذا أخذنا أمانة مثل أمانة الدعوة والفكر وهى الامانة التى عملت بها فقد تعاونت أثناء عملى بها مع السيد / كمال الدين رفعت ثم السيد / محمد فائق ثم السيد / ضياء الدين داود ، ثم السيد الدكتور جابر جاد عبدالرحمن — ونرجو الله أن يمن عليه بالصحة والعافية ، ولكن مع هذه المراحل أرجو أن أسجل ظاهرة تعتبر من النواحى التى أرجو أن نعنى بها جدا ، وهو ما يمكن أن نسميه فقدان التوثيق فى الاتحاد الاشتراكى ، ماذا أقصد من فقدان التوثيق ؟

على سبيل المثال فى مجلس الشعب عندما نبحث عن مضبطة أى جلسة من الجلسات أو محضر لجنة فنية من اللجان نستطيع أن نجد هذه الاوراق مهما كان العمق التاريخى الذى نبحث عنه ، بينما اذا كان أحد ابنائنا يريد عمل رسالة ماجستير أو دكتوراه عن الاتحاد الاشتراكى ويحاول البحث عن الاوراق اللازمة لهذا فى الاتحاد الاشتراكى فلا يجد هذه الاوراق ، وقد سبق أن ذكرت هذا للسيد الدكتور جابر جاد عبد الرحمن — والسيد / ضياء الدين داود من قبل ، وأيضا السيد / محمد فائق ، وكانت هناك أعمال كثيرة وجهود كثيرة ولكن مشكلة التوثيق فى الاتحاد الاشتراكى مشكلة ينبغى أن نعنى بها حتى نستطيع أن يكون حكمنا حكما صادقا .

وبضياع هذه الوثائق وعدم العثور عليها أو اخلاء المكاتب استعدادا لفوج جديد يأتى بعد فوج قديم يذهب ، فان الذى يحدث أن كل انسان منا يعتمد على ذاكرته الخاصة ولا يكون لدينا فى الواقع دراسات موضوعية أصيلة نستطيع أن نقيم عليها عملية التقييم الخاصة بنا ، وبالتالى يحدث نوع من الانفصام التاريخى بين مراحل العمل فى الاتحاد الاشتراكى ، هذا الانفصام التاريخى ينبغى أن يقضى عليه وأن يوجد الاتصال ، لان أية حضارة من الحضارات ، وأى عمل ناجح من الاعمال ينبغى أن يكون قائما على الاستمرار وعلى اسلوب واضح من نقل الجهد من يد الى يد اعترافا بجهد مضى وبناء فى نفس الوقت .

هذا الانفصام من الممكن أن يحدث تاريخيا ، ومن الممكن أيضا أن يحدث بين القاعدة والقيادة ، ولكن طبيعة العمل الناجح أن يكون فيه الاتصال باتجاهين :

أن يكون اتصالا من القاعدة الى القمة ، ومن القمة الى القاعدة . والمشكلة فى مجتمعنا تتأثر الى حد بعيد بظاهرة أشار اليها الاهرام باختصار وهى ظاهرة المجتمع الزراعى القائم على نظام الرى المركزى .

والواقع — وسيادتك من كبار المتخصصين فى الزراعة — لو أخذت نهر النيل ورياحاته وترعه فانه يمكن أن تعتبرها مرة الجهاز التنفيذى ، ويمكن أن تعتبرها الجهاز السياسى فى نفس الوقت ، وهناك النيل ومن الممكن أن يكون الحاكم فى نفس الوقت .

ان نظامنا نظام مركزى من أقدم عصور الحياة نظام وحدة ونظام توحيد ، وبهذا أعطى الاجهزة التنفيذية من أعرق عصور الحياة فى مصر سلطة بدلا من التهوين بشأنها ، ولا يمكن لانسان أن يتصور أن مجتمعنا يعيش أسبوعا دون حكومة ولكنه يمكن أن يعيش شهرين دون اتحاد اشتراكى ، فهل نحن اذن نحاول ايجاد جهاز نبحث له عن وظيفة ، أو أن هناك وظيفة تفرض نفسها على ذلك المجتمع وينبغى أن ننشىء لها الجهاز .

لا يمكن لانسان أن يبرر وجود الحكم ، فالحكم قائم ، ولا وجود الوزارات فالوزارات قائمة ، ولا وجود سلطة تشريعية ، فالسلطة التشريعية قائمة ، ولكن المشكلة هى مدى احساس هذا المجتمع بوجود هذا التنظيم السياسى وفاعليته .

هذه فى الواقع نقطة من النقاط التى تحتاج منا الى وقفة طويلة ، وأعتقد أنه يمكن أن نقترب اليها بالطريقة الاتية :

ما ينقصنا في الاتحاد الاشتراكي — وهـــذا داء قديم — اننا ننظر الى ذلك المجتمع ونقترب اليه من زوايا مختلفة . والى اليوم اذا ما اردنا أن نبحث عن كتاب واحد يبين تاريخ هذه الامة يتكون من ٥٠٠ صحيفة ونعطيه لشاب ليعرف ما هو التاريخ المصري فلن نجد هذا الكتاب ، ولو اردت أن نعطيه كتابا آخر من ٥٠٠ صحيفة لنعطى له تحليلا ولا أقول تشريحا للمجتمـــع المصرى فلن نجد هذا الكتاب ، وما دام الكتاب عن ذلك المجتمع وتكوينه وعراقته وأصـــالته مفقودا وعن جغرافيته مفقودا فان معنى ذلك ان كل انسان منا له تصور معين في ذلك الشعب ، وبعد ذلك يحاول أن ينطلق من ذلك التصور .. ما انعكاس ذلك على الاتحاد الاشتراكي ؟

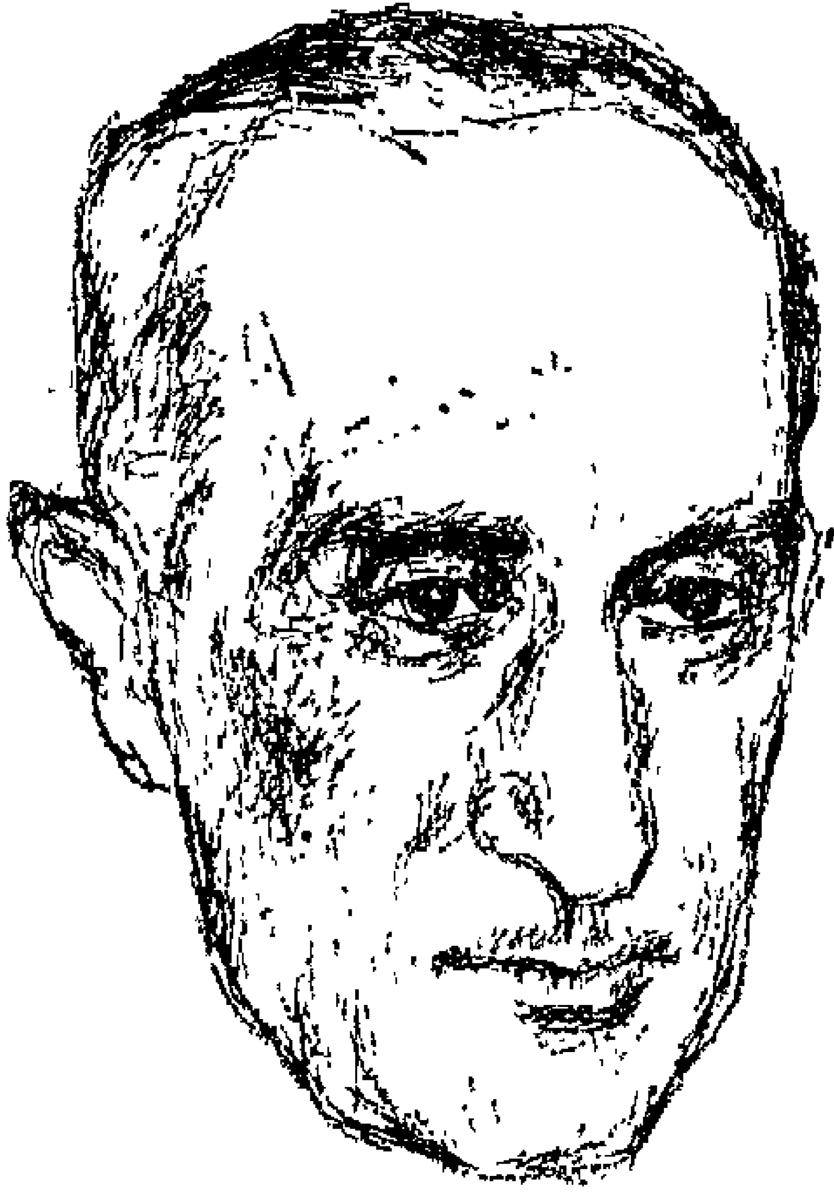
يأتي انسان منا له ثقافة معينة ولتكن هـــذه الثقافة مأخوذة من جامعـــات الشرق أو الغرب أو دراسة محلية او تاثر بفلسفة أو ايدولوجية معينة فماذا به ياتي بهذا الفكر الذى فى راسه ومن موضع القوة الذى هو فيه ومن مكان التوجيه سواء أكان فى المعاهد الاشتراكية أو فى المنظمة أو فى أمانة الدعوة والفكر أو فى الصحف ، يأتى بذلك كله ويحاول أن يفرضـــه على الناس ، أن الجماهير فى هذه الحـــالة تنظر الينا ونحن نجلس على كرسى الاستاذية فى المعهد الاشتراكى ، اننا نمثل الاتحاد الاشـتراكى وان ما نقوله هو الحق والذى نقوله هو التوجيه وكلمة [هذا الكلام نازل من فوق] ، فانى لا أدرى الى اين يصل هذا الفوق ؟ انى اعرف ان أعلى فوق هو ربنا سبحانه وتعالى وبعد ذلك اى شيء يمكن أن يكون درجات تحت .. هـــذا هو الواقع ..

وعلى سبيل المثال يأتى الطالب من الريف أو المدينة وله قيم يعيش بها وعندما نوجهه يشعر أن هناك نوعا من الانفصام بينه وبيننا ، ما الذى يحدث عندما يشعر بهذا الانفصام ؟ انه يرى أن هذه هى الحكومة والدولة والسلطة التى امامه ، فينطوى على نفسه ويبدأ يمارس عمله فى الاتحاد الاشتراكى عملا وظيفيا بحتا يتقى به اى شر يمكن أن يصـــاب به ويســـتجيب لنا استجابة عادية دون أن يكون هناك تفـــاعل حقيقى .

بعد ذلك كما نعلم ان المصرى يجيد من السلبية اذا أراد . يستطيع أن يعاملك سنوات وسنوات وقلبه مغلق ، فهذا انسان يحمل فى عروقه دما ظل يجرى مالا يقل عن ٨٠٠٠ سنة وتعود أن يعامل الحكام من أول خوفو الى حتشبسوت الى كليوباترا الى كافور الاخشيدى الى صلاح الدين الايوبى الى شجرة الدر ..



د. أحمد السيد درويش



المهندس ابراهيم نجيب

ومن هنا عندما يشعر بأنه بعيد عنا يتقوقع ؟ وكثيرا ما كنت أجد من اتصالاتى فى محاضراتى للشباب انه احيانا ينفتح واحيانا يغلق قلبه ، واعتقد ان السيد الدكتور أحمد كمال ابو المجد يستطيع أن يتكلم فى هذا باستفاضة من واقع حواره مع الشباب أكثر منى .

اذن مادمنا نأتى الى هذا الشباب وهـــذه القواعد الشعبية ثم نتصور ما ينبغى أن يقال لها أو نعطيه ، فهل حاولنا وهل نستطيع فى هذه المرحلة أن نأخذ الطريق العكسى وأن نبدأ بأن نسألهم ماذا يريدون منا وأن يتحول العمل لا أقول فى الامانة العامة فقط ولا أقول فى اللجنة الفنية فقط ولا أقول فى اللجان الاستشارية فقط ، وانما فى كل مراحلنا الى أوراق نقدمها اليهم وفيها اسئلة محددة مختارة على أساس علمى ، ما الذى ترونه من اخطـــائنا ؟ وماذا تريدون منا ؟ وما اقتراحاتكم من أجل المستقبل ؟

اعتقد اننا لو بدأنا هذه المرحلة بهذا الشكل نستطيع ان ننجح،ليس شرطا ان يقول الشخص اسمه او بلده ، بل أعطى له كل اجراءات التأمين التى تؤخذ فى أى استفتاء شعبى ، لا نريد منه الا أن يقول الحقيقة ، وتجتمع دراستنا على اساس علمى موضوعى ، ثم بعد ذلك نأخذ هذه النتائج التى تقوم بتحليلها مجموعة مختارة على اساس سليم ثم نعمل لها تقييما ..

ما الذى نريده ؟ هناك أهداف قد لا تراها هذه النظرات الجزئية وهى موجودة عندنا وهناك آراء جزئية لا يمكن أن نكون فكرة كلية سليمة الا اذا كانت بين أيدينا ولكى يكون هناك تفاعل متبادل بين القيادة بالفكر الكلى المتكون فيهما وبين القاعدة بالفكر الجزئى الموجود عندها ، وأن يكون هناك استقراء واستنباط يسيران فى اتجاهين متبادلين فلابد أن آخذ منهم وأعطيهم فأسمح لدورة الدم الحى أن تسرى بينى وبين الاجهزة الموجودة فى الاتحاد الاشتراكى .

واعتقد أن تعاوننا فى هذه المرحلة الاولى يكون قائما على هذا الاساس ، أحيانا يجد الانسان منا أنه يعمل فى الاتحاد الاشتراكى وأحيانا يجد نفسه ترك الاتحاد الاشتراكى لايعلم متى يأتى ولا متى يذهب ... لماذا ؟

انى أتصور ما يأتى :

اتصور أن القيادة السياسية لها حق التغيير فى اى لحظة لاعتبارات تراها هى ، ولكن أعتقد أن تكوين الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة اذا ما أردنا له استمرارا ينبغى أن يتميز فيه شقان :

الشق الفنى البحت أو النوع التكنولوجى للبحث والدراسات والاحصاءات والتقييم وهو عبارة عن العقل الثابت والكمبيوتر العلمى الموجود داخل الاتحاد الاشتراكى ، وهذا ليس له علاقة بالعمل ، اكثر من انه عبارة عن جهاز فنى ثابت ، كما هو موجود أمام سيادتك فى الامانة أجهزة علمية تستفيد منها .

بعد ذلك هناك الافراد الذين لهم الوزن السياسى والذين هم محل ثقة القيادة المسئولة فى مرحلة من المراحل ، من الممكن أن عمل هؤلاء الاشخاص بطبيعة تكوينهم فنى فى المكاتب هؤلاء الاشخاص يجلسون فى الظل وليس لهم دخل بالضوء وليس لهم علاقة بالحياة العامة ، كل مهمتهم تحضير العمل الفنى الذى يطلب منهم.

فاذا ما قسمنا عمل الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة الى هذين القطاعين اعتقد اننا يمكن أن نقوم بمجهود كبير ، لان الذى كان يحدث أن عمل الاتحاد الاشتراكى كان يغلب عليه الطابع الذى يمكن أن نسميه الطابع القبلى ، أن يأتى انسان ومعه قبيلة من الناس أو يتهمون بأنهم قبيلة هذا الرجل ، فاذا ما تغير ، تغير الجميع معه دون ما اختيار ودون ما سؤال ، حتى ولو كان طابع أحدهم انه رجل فنى ورجل شغال ليس له أية علاقة بأى شىء ..

من هنا اذا قسمنا العمل بهذه الطريقة فاننا يمكننا أن نستعين به ، وهناك تجربة مررت بها سيادتكم وتعرفها أكثر منى وهى تجربة مجلس الامة ، ان هناك أجهزة فنية ثابتة موجودة فى المجلس ، ايضا يوجد أجهزة سياسية موجودة فى المجلس وكذلك فى رئاسة الجمهورية أجهزة بهذا الشكل ، فى أى حزب سياسى فى العالم فهناك مجموعة من الخبراء الثابتين الذين ليست لهم اية علاقة بتيارات التوجيه ، فعندى الماكينة وعندى البوصلة فالبوصلة توجه وتبين الطريق ولكن كل المطلوب من الاجهزة نفسها هو الدقة فى الانتاج ، واعتقد أن نحاول هذه المرة أن ننفذها .

فيما يتعلق بالاجتماعات اتصور ما يأتى :

ان ورقة العمل التى أعددتها سيادتك شىء كريم جدا ، وتوزيعها واجب لانه من الضرورى أن نراها جميعا ، ولا أعتبرها ورقة عمل فقط ولكنها عبارة عن كلمة موجهة وهى ما يمكن أن نسميها فى المؤتمر بالكلمات الرائدة ، كيف يكون ذلك ؟

سوف تحضر سيادتك أفكارك وكل انسان منا يحضر أفكاره ثم نجمع كل هذه الافكار ، ثم نقترح الوسائل التى يمكن أن نجمع بها أفكار الاخرين ، وبعد ذلك يتطلب الامر أن نجتمع معا لنعرض هذه الافكار ، لاننا اذا افتقدنا وحدة الفكر فلا يمكن أن نقدم للناس هذه الوحدة ، ونحن لا نتكلم عن فكر نمطى بحيث أن جميع الناس تتشابه ، لان هذا الشىء مضاد لطبيعة البشر ، وحتى شقى الانسان فى اى عملية تشريحية لا يمكن أن يتشابها ، وكما أن عدم التماثل فى شقى الانسان غير قائم فيمكن جدا أن يكون لدينا آراء مختلفة ، ومن الممكن جدا أن تكون لدينا زوايا مختلفة من الرؤية ، ولكنى اعتقد أن كل هذه الزوايا توجه على شىء واحد وهو مصلحتنا فى هذه المرحلة المصيرية .

الكلمة الاخيرة التى أود أن أتكلم فيها هى **اننا** مع كل هذه الدراسة ينبغى أن يكون معنا مقياس وهو ما اعتبر انه يقربنا من النصر أو يبعدنا عنه .

فلا أود فى هذه المرحلة أن نضيع فى تيه من الاراء النظرية ، وفى ضروب من الفكر التى تبعد بنا عن الواقع ، وتمثل دورا من الشبع الفكرى الكاذب فى مجتمع هو أشد ما يكون الى كل دقيقة من وقته ، والى كل قطرة من عرقه ، والى كل قرش من ماله .

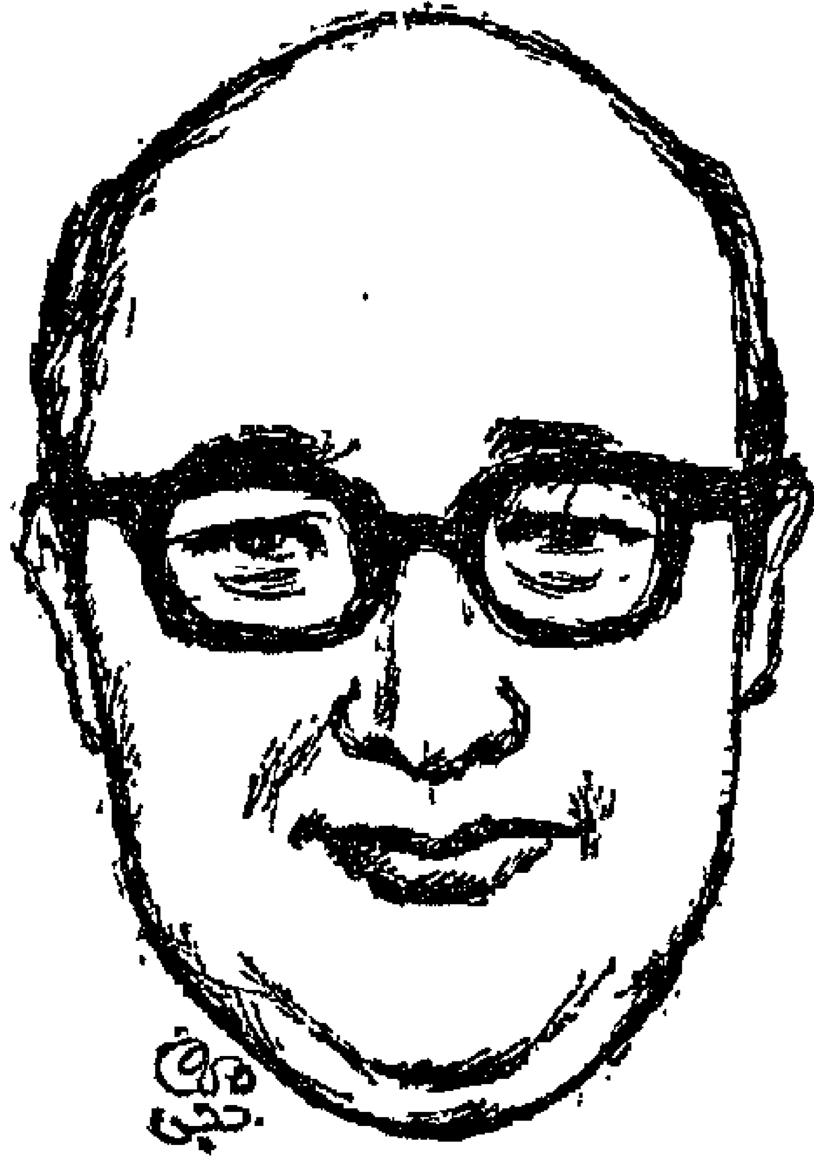
لذلك أرى أن نحدد هدفنا الذى نريده ونحدد اسلوب الوصول اليه . وارى أن المعركة هى المقياس وأن الحشد هو المقياس ، وأن الشىء الذى يؤدى الى تجميع والى توثيق الروابط والى دفع من اجل المعركة هو مانريده — وأى شىء يؤدى الى فرقة أو خلاف او الى اضعاف الروح المعنوية فليس هذا ما نريده .

بل دعم للجبهة ، ودعم للقاعدة ، ودعم مابين الجبهة والقاعدة ، دعم للقاعدة الاقتصادية من اجل المعركة نفسها وشكرا .

● **المهندس طاهر امين**

لاول مرة اختلف مع استاذنا الدكتور عبد العزيز كامل عندما قال ان المراحل السابقة من العمل السياسى لم تكن جهدا ضائعا ، فى رأيى أن محصلة العمل السياسى فى الفترة السابقة كانت نتيجتها سلبية مما يلقى عبئا أكبر على هذه اللجنة ، الثقة مفقودة والجماهير تنتظر منا الكثير ، ولو كانت نقطة بدايتنا أنه ليس فى الامكان أحسن مما كان فلا اعتقد انه سيكتب للجنتنا النجاح بالمرة ؛ هناك قصور والجلسة الاولى تحدد لنا معالم سيرنا ، لايعنينى الاشخاص الذين ذكرهم الاخ الدكتور عبد العزيز كامل فيما يختص بأنهم كانوا مشرفين على الاتحاد الاشتراكى ، فليس هذا موضوعنا وليست رئاسة العمل السياسى هى كل شىء ، ولكن رأيى الشخصى هو دمغ هذا العمل بالفشل ، واذا كان رأيه يمثل رأى المجموعة فهذا موضوع آخر ، وهذه نقطة أساسية لكى نسير على هدى .

نريد أن نحدد حجم المهمة الموكلة الينا ، وما هى تطلعات الجماهير الى هذا العمل ، وأظن أن هذه أول مرة يتخذ فيها أمين أول الاتحاد الاشتراكى مثل هذه الخطوة الجريئة ، لانشاء مثل هذه اللجنة تساندها لجان استشارية ،وعند استقراء الاسماء المكونة لها فانى اعتقد انها لم تخل من كفاءة من كفاءات العمل النقابى والسياسى والمهنى وخلافه .



د. محمد دكرورى



د. عبد العزيز كامل

اذن سوف يشهد التاريخ على هذه اللجنة نجاحا كان أو فشلا ، وأتمنى أن يكون نجاحا .

اكرر مرة أخرى انه يجب أن نعرف الارض التى نقف عليها ، ان الارض التى نقف عليها ارض ليس لها ثقة فى العمل السياسى ،والمهمة التى اتينا من اجلها هى اعادة الثقة وبناء اتحاد اشتراكى جديد ، لا اريد أن اكون متشائما وليس من طبعى التشاؤم ، ولكنى أؤكد لسيادتك أنك اذا طلبت من اى منا ان يكتب الورقة الموزعة علينا ما هو الاتحاد الاشتراكى فاننا سوف لا نخرج بشىء موحد ، فمنا من سيكتب تحالف قوى الشعب العاملة ... الخ .

ليس هناك مفهوم موحد وفى هذه الحالة سوف اضطر الى أن الجأ الى بعض التنظيمات السياسية التى لا أنتمى اليها ، ولكن التى اشهد لتنظيماتها بشىء من النجاح كالشيوعيين والاخوان المسلمين ، أن نجاحهم كتنظيم سببه

شيء واحد هو وضوح الرؤية ووضوح الهدف سواء أكان هدفا جيدا أم هدفا غير جيد ، انهم يعرفون ماذا يفعلون ، ولماذا يحاربون ومن اجل من ؟ ولماذا يضحون بأنفسهم ، وهم على استعداد لان يقبض عليهم فى سبيل هدف معين .

اذن هناك هدف معين واضح ، واكرر القول ان هذا الهدف فى أوساطنا فى الاتحاد الاشتراكى **غير واضح** ، وانما نجد شعارات تتبادلها الجميع ، واعتقد أن السيد السكرتير الاول للاتحاد الاشتراكى قد أشار فى أحاديثه الصحفية القيمة التى يجب أن تضم الى الوثائق التى توزع على هذه اللجنة — فقال الاتحاد الاشتراكى ، ما هو مضمونه ما هو مفهومه ، ما هو الشيء الذى أضحى فيه بنفسى فى سبيل أن أنجح الاتحاد الاشتراكى ، هذا الشيء ليس معروفا لى شخصيا ، وأنا أعترف بهذا — وقد أكون شاذا فى هذه المجموعة ولكنى آمل أن يكون من الزملاء من يشاركنى فى هذا الرأى .

اذن اساسنا التصارح الكامل ، والاسماء التى ذكرت لا تعنينا فى شيء بأن زيدا من الناس كان على رأس الاتحاد الاشتراكى فى يوم من الايام ، ولا يجوز ان ينسب له النجاح أو الفشل ، فنقول ان فلانا هو الذى أنجح الاتحاد الاشتراكى أو أفشل الاتحاد الاشتراكى .

وكما سبق ان ذكرت ان اساسنا هو عملية المصارحة الكاملة بكافة المساوىء وكافة العيوب وما اود ان اضيفه أن جميعنا مارس العمل السياسى منذ بدئه فى هيئة التحرير وانى اضم صوتى الى ما قاله السيد الدكتور أحمد درويش فى حديثه اننا لسنا منزهين عن الخطأ ، ولكن كنا أطرافا فيه سواء أطرافا ايجابيين أو اطرافا سلبيين .

● **السكرتير الاول**

لى تعليق بسيط وهو انى أرى أن المنطلق الذى ننطلق فيه يجب ان يكون :

اولا : منطلقا واحدا ، المنطلق هو الصورة المثالية للاتحاد الاشتراكى ، وهو حصيلة التجارب السابقة التى اشار اليها الدكتور عبد العزيز كامل وعلق عليها الاخ طاهر امين للتجارب التى سبقت فى الاتحاد القومى وفى هيئة التحرير هذا المنطلق لابد أن نتكلم فيه بشيء من الصراحة لانى سئلت من أحد السادة الامناء فى وقت من الاوقات وفى اجتماع عام وانا أتدارس معهم فى الاجتماعات التى عقدت سئلت سؤالا مباشرا وكنت اتكلم فى التنظيم وسلبيات التنظيم وايجابياته وطريقة هذه الايجابية ومن سالنى هذا السؤال موجود معنا فى هذا الاجتماع وكان سؤاله ..

هل يراد اقامة تنظيم قوى أو لا يراد اقامة تنظيم قوى ؟

الى هذه الدرجة وصل التفكير بالنسبة للتنظيم السياسى انه ككيان أصبح محل تساؤل ، وكان السيد الامين محقا فى هذا السؤال .. لماذا كان محقا ؟ . لان الاتحاد الاشتراكى فى فترة من فترات حياته كان له نشاط معين ، هذا النشاط ربما كان فى الاتجاه الصحيح او لم يكن فى الاتجاه الصحيح الا انه نوع من أنواع النشاط ثم أخذ هذا النشاط فى الانحسار .

أود أن أكون واقعيا فى تفكيرى ، ان النقطة التى أثارها الاخ طاهر والتى أخذت كل المناقشة هى سلبيات التنظيم — دون المساس بأى شخص — فلا أمس أى شخص ولكنى آخذ كيانا قائما أمامى ، وأفكر كمواطن عادى لم تكن له صلة بالاتحاد الاشتراكى قبل ذلك ، انما له صلة بسياسة عامة مجريات الدولة .. وأسأل نفسى سؤالا بسيطا .. هل الاتحاد الاشتراكى كان سلبيا أو لم يكن سلبيا ؟ وهل الجماهير كانت سلبية بالنسبة للاتحاد الاشتراكى او لم تكن سلبية ؟ ما هو وزن وثقل الاتحاد الاشتراكى فى الحياة الجماهيرية العامة ؟

هذا السؤال أيضا سألته لامناء المحافظات مجتمعين ، وسألته على طريقة تصويت مجلس الشعب برفع الايدى وطلبت من الحاضرين أن من يقل أن هناك انفصالا بين الاتحاد الاشتراكى والجماهير وما بين الجماهير والاتحاد الاشتراكى يرفع يده والجميع رفعوا أيديهم وهم الامناء القائمون على العمل فعلا .

اذن فان الدكتور عبد العزيز كامل يعارض فى هذه النقطة الاخ طاهر أمين لان هناك انفصالا بين الاتحاد الاشتراكى والقاعدة الجماهيرية ، وأن هناك انفصالا أيضا بين القاعدة الجماهيرية والاتحاد الاشتراكى محصلته النهائية هى عدم الثقة ، وحتى نستعيد الثقة فهذا أمر ليس سهلا .

وعلى ذلك فان جميع التعليقات على كلمتى التى قلتها عن الاتحاد الاشتراكى انها مجرد كلام معسول ، ولكن العبرة هى كيف يطبق .

انى أوافق السيد الدكتور عبد العزيز كامل على رأيه عن السلبية التى يتمتع بها الشعب والتى اعتبرها نوعا من أنواع المقاومة للامور

التي يغضب منها الناس ، ولا اعتبرها ظاهرة رديئة ، لان هذا الشعب يكون ايجابيا جدا عندما يقتنع بأمر من الامور ، ان شعبنا كان ايجابيا جداً فيحرب سنة١٩٥٦ ، كانايجابية الى حد لا يمكن أن يتصوره انسان ، وقد عشنا معه الفترة ورأينا كيف كان هذا الشعب ايجابيا ، فعندما يوجد هدف واضح أمام الشعب يكون ايجابيا طالما انه قد اشترك فى صنع القرار أو فهم مدلول القرار ، وانما عندما لايفهم مدلول القرار أو لا يشارك فى القرار لهذا يتقوقع على نفسه والتاريخ يثبت هذا فى مراحل مختلفة لا أود أن أدخل فى مجالها .

اذا كان هذا هو الوضع الذى نتسابله ، فان الطرق التى تمت حتى الان ولا نقول انها كاملة ، الا انها تبين خطا معينا اخذه الاتحاد الاشتراكى وليس هذا دفاعا عن الاتحاد الاشتراكى فى صورته الحالية ، ولكنى أضع صورته الحالية أمامكم جميعا للتشريح ولا أضعها أمامكم للمدح ولا للثناء ، ماذا فعل الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الجديدة ؟

أعتقد ان جميع منظماتنا السابقة وهى هيئة التحرير والاتحاد القومى لم تعمل بالسياسة كسياسة الى اليوم ، هذا هو اعتقادى وقد أكون مخطئا ، ورأيى أن هذه المنظمات قد قامت بعمل تنظيمى لترجمة قرارات السلطة التنفيذية . أو لترجمة اتجاه عام ، انما لم تقم بعمل سياسى ، لان مفهومى للعمل السياسى قريب جدا فى جزء كبير مما قاله الدكتور عبد العزيز كامل وهو منطق الخبراء فى السياسة ، خبير السياسة يعطى لك نوعا معينا من الاراء ، وقد يتبنى السياسى هذا الرأى فى وقت ما وقد لا يتبناه فى وقت آخر على حسب الظروف الموجودة .

ففى الحوادث الاخيرة التى تجرى الان والتى أشرت الى بعضها فى حديث فى جريدةالاهرام كالاعتراف ببنجالاديش أو الهجرة من الاتحاد السوفيتى الى اسرائيل أو الاعتداء على لبنان أو اجتماع كاجتماع رؤساء الدول العربية كل هذه أحداث .

وعلى سبيل المثال فى الاتحاد الاشتراكى نأخذ اجتماع الرؤساء بالامس كمثل حى لاننا متخلفون — وهذا ما سيجعلنا فى الواقع نضغط على لجنة العمل هنا ضغطا كبيرا فى الفترة القادمة لان الجماهير سوف لا تنتظر مدة طويلة حتى تبلور الامور وعلينا أن نبلورها فى مدة قريبة — لو أردت أن أعلق سياسيا عليه فانى اضخم من اجتماع الدول العربية الثلاث ، واضخم من دول الوحدة لان هذا يفيدنى سياسيا ، واذا كان لدى خبير مطلع على العلاقة بين ليبيا ومصر وسوريا اطلاعا كاملا من الناحية العسكرية ومن الناحية الشعبية .. الخ ويكتب ورقة معينة فى هذا ورقة صريحة ١٠٠٪ ، قد تعدل فى تفكيرى كسياسى أو لا تعدل ،هذا أمر ، انما يكونموجودا داخل الاتحاد الاشتراكى .

ولكن السؤال لا يزال قائما ، وهو اننا اذا كنا نجابه فى محصلة الاحداث التى تمت أو التكوينات التى تمت كتنظيمات جماهيرية ، اذا كنا نواجه الان محصلتنا النهائية وكلنا متفقون على انه لم تعد هناك ثقة كاملة بيننا وبين الجماهير فلماذا ؟

هذا هو المحور الاول الذى ينطوى تحته وجوب دراسة السلبيات السابقة لا بغرض انتقادها فحسب بل بغرض اخذ العظة منها ، بمعنى اننا عندما نقترح ، اقتراحا جديدا قد عمل به فى الاتحاد القومى ، أو فى هيئة التحرير مرة من المرات ولم يؤد الى نتيجة ، اذن يجب ان نعدل عنه ، وبالتالى فان السلبيات جزء فعلا للدراسة .

وفى مشروع الورقة التى اعدها فى هذا الوقت فصل كامل عن السلبيات كما هى وكما نتصورها وموجودة بالفاظ فيها شىء من القسوة ، وبها فصل ايضا عن تنظيمات الاحزاب الشيوعية مأخوذة عن بعض البلاد بالنسبة للاحزاب الشيوعية وبعضها للاحزاب الراسمالية .

ان الصعوبة التى نعانى منها تستدعى قدرا كبيرا من التأمل والتفكير لاننا لو اخذنا البلاد الغربية كمقياس فان علينا ان نفهم ما هو الحزب فى البلاد الغربية ؟ الحزب فى البلد الغربى يمثل طائفة ولا اقول طبقة ، يمثل طائفة معينة تربط مصالح مجموعة من الناس تحت فكر معين يخدم مصالح هؤلاء الناس، والمثل علىذلك حزبالعمال البريطانى او حزب المحافظين او الاحزاب الايطالية او احزاب أمريكا نفسها .. الخ ..

وفى الدول الاشتراكية او الدول الشيوعية فان الحزب يكون مربوطا بفكر معين يربط تكوين حزب ، **أما فى تنظيمنا فى الاتحاد الاشتراكى فقد اخذنا شكلا آخر وهو تمثيل قوى الشعب العاملة** وجاء **الميثاق** فى الباب الثامن وعالج هذا الموضوع باتساع ، وفى الواقع أن الاراء الموجودة فى الميثاق خاصة بطريقة تنظيم الاتحاد الاشتراكى او بطريقة التكوين الخاص بقوى الشعب العاملة احسن ما يمكن ، الا انها من الناحية التطبيقية قد افتقرت الى تطبيق يتلاءم مع مدلول الالفاظ او مدلول الجمل التى وضعت فى هذا الميثاق .

اذن من اين نبدأ ؟ في تصوري اننا نبـــدأ من هذا الكلام كله ، وبعـــد ان نســـتمع الى الاراء سأتلوا على حضراتكم الورقة التي تجمع رءوس الموضوعات ، وهي عبارة عن السلبيات السابقة .. وما هي تكوينات الاتحاد الاشتراكي .. ومـــا هي الصلة بينه وبين الجماهير ، بعد ذلك نجـــد ان هناك تساؤلات ليس لها رد ، وكما ذكرت في بداية حديثي انه سيكون هناك عنوان لموضـــوع ســـيأتى منه الرد .

وفى اعتقادى ان الاســـباب الاســـاسية التى تجمعت عنها سلبيات الاتحاد الاشتراكى ارتبطت **بطبيعة عمل الاتحاد الاشتراكى** ، ولا اود ان نرجع للتاريخ الماضي حينما تـــكون النظـــــام الطليعى والطريقة التى تكون بها ، وحينما تـــكون التنظيم السرى والطريقة التى تـــكون بها والاثــــار التى ترتبت على ذلك ، ويمكن ان نناقش هذا الموضوع لاننا سوف نتعرض للتنظيم الطليعى ضمنا عنـــد الحديث عن اسلوب عملنا وهل هو ضرورى ؟

وقبل ان يتكون التنظيم الطليعى والحق لابـــد ان يقال كان الاتحاد الاشـــتراكى ســـلبيا ، وفى اعتقادى ان تفكير الذين تبنوا فكرة تكوين التنظيم الطليعى كان سليما ،فهم كانوا يريدون ان يحركوا الجهاز كله ، وبالتالى لم يكن التفكير خطأ ، لكنهم لم يتمكنوا من تحريك الستة ملايين ، فقد فكروا فى تحريك الجماهير بواسطة تكوين نظام طليعى يقود العمل ، وهو كتفكير حزبى سياسى يكون تفكيرا سليما ، ولكن يخيل الى انه من الاخطـــاء الكبيرة التى وقعنا فيها فى تنظيماتنا السياسية اننا بعدنا عن القاعدة الجماهيرية الطبيعية .

فعلى سبيل المثال فى الانتخابات النقابية نجد ان بها عشرة اشخاص ممتازين، وهنا نجد تصميما من الاتحاد الاشتراكى ان نقيبا ما لابد ان ينتخب وهنا يكون التنظيم السياسى قد وقع فى مأزق كبير جدا .. لماذا ؟ لان امامى عشرة ممتازين فلماذا يلقى الاتحاد الاشتراكي ثقله على فرد ، وهنـــاك امثلة صارخة فى هذا ولا اود ان اذكر اسماء ، فقد امليت بعض اسماء على النقابات وبالتالى اضطرت ان تنتخبهم — وهذا واضح ايضـــا من كلام الدكتور عبد العزيز كامل ومن الحديث الذى ادليت به فى جريدة الاهرام بالنسبة للسلبية — وبذلك نجد ان النقابة كلها قد عزلت ، فما محصلة هذا بالنسبة للتنظيم السياسى حينما تأخـــذ فردا بجانبك وتترك المجمـــوع .. لان هـــذا الفرد لن يستطيع ان يحرك احـــدا ، وحينمـــا تأتى ازمة سياسية وتريد ان تستعين فيها بقاعدة شـــعبية عريضـــة فلن تجد بجانبك سوى فرد واحد ، كما سبق ان تعرض له الدكتور كمال ابو المجد وانا معه ايضا فى فترة حركة الطلبة حينما تســـاءلنا عن ممثلينا فلم نجد سوى الدكتور كمال ابو المجد الذى ارسلته ليتصل بالطلبة .

اننى لا اسال عن تنظيمات فى هذا الوقت ولا انادى بالتنظيم الطليعى ، ولكن يجب ان ننتهى الى شكل ما يمثل قيادة معينة .. قد تعارضنا هذه القيادة ، ونحن نرحب بأن تطـــرح علينـــا الرأى المعارض وتقول لنا ان رأيا ما خطأ ، وبالرغم من هذا فاننى متفائل ولست متشائما ، فاذا وصلت الى قيادات سلبية فى جميع المجالات فان هـــذا هو المطلوب ، لاننا اذا نظرنا اليوم الى القيادات العمالية هل هى تمثل العمال .. ؟ اذا كانت تمثل العمال فقد نجحنا ، واذا كانت لا تمثل العمـــال فعلا فاننا نكون قد بدأنا بداية غير سليمة وهـــذا خطر جدا لاننا لن نجد من نعتمد عليه عند الحاجة وايضا القيادات التعاونية للفلاحين .. هل تمثل الفلاحين فعلا ؟ وهذا سؤال آخر — فاذا كانت القيادة تمثل الفلاحين فعلا وتمثل اراءهم فعـــلا ففى هذه الحالة نكون فى الطريق الصحيح مهما عارضتنى القيادات التعاونية ، ومهمـــا جـــاءت القيادات التعاونية والقيادات العمالية مجتمعـــة وقالت انهـــا لاترضى ولا تقبـــل قـــرار الاتحـــاد الاشتراكى الخاص بكذا ، فى هذه الحالة يكون لدى من سعة الصـــدر وقبول التغيير وقبـــول المفهوم طالما انه تحـــكمه الوثـــائق الاســـاسيـــة الخاصة به .

لدينا وثائق اساسية،وفى رايى انهاوثائق ضخمة انما اهملت ودخلت فى مجـــال النســـيان ، ولو اعيدت قراءة الميثاق وهذه الوثائق بتمعن وبتفصيل لاستفدنا منهـــا الكثير : اذن البـــداية هى كيف استفيد من السلبيات ، واننى اوافـــق على ان نتخذ منها عظـــة .

النقطة الثانية هى انفصال الاتحاد الاشتراكى عن القواعد الجماهيرية الطبيعية وماهى نتيجته ، بعد ذلك طريقة الاملاء من فوق ونتيجته ما نحن فيه الان ، الاملاء عن تصرفات موجودة من السلطة التنفيذية فى امر من الامور قد لا يقتنع به بعض من يجلس على المنضدة ، ورغم ذلك يتحتم عليه ان يدعو لهذا الراى والنتيجة هى الفشل وعـــدم النجاح مهما اوتى من بلاغة وقوة تعبير ، وذلك لانه غير مقتنع بهذا الرأى فانك تستطيع ان تقنع الناس برأى ما اذا كنت انت مقتنعا به .

الدكتور طاهر يطرح ســـؤالا .. لماذا نجـــح الاخوان المسلمون او الشيوعيين فى الاقنـــاع ؟ لان الاخوانى او الشيوعى تبنى فكرة معينةواعتقد

وآمن بهذه الفكرة بحيث اذا جلس مع اربعة او خمسة افراد يمكن ان يناقشهم ويدافع عن وجهة نظره .. فهل هذا يحدث في الاتحاد .. طبعا لا .. فما يحدث هو انه ينتقد « منه فيه » ... هذه الصورة يجب ان تنتهي ، يجب ان تكون مجموعة معينة تعتنق فكرا معينا وهذا سبب في انني ذكرت في خطابي وفي المعالجة الاخيرة التي نشرت في « الاهرام » **انه لابد ان يكون هناك دليل** .. وماذا نعني بالدليل « انني متصور انكم عاصرتم التطور الاشتراكي الاخير ، ولم يكن هناك دليل يربطنا جميعا بتفكير معين ، وكما ذكرت سابقا اول سؤال سأله الحزب الشيوعي الايطالي عند زيارته لنا هو ، قال اين الايديولوجية الخاصة بكم وهل لكم ايديولوجية ؟ نحن لا نفهم هل انتم اشتراكيون او شيوعيون او رأسماليون • ومن الطبيعي اننا نستطيع الرد حينما يكون امامنا دليل عمل سياسي مطبوع بالانجليزية والفرنسية والايطالية يبين بايضاح خطنا الاشتراكي ، ويبين المنجزات الاشتراكية التي تمت ، ويبين فلسفة اشتراكيتنا كما هي وكما نتمنى ان تكون في المستقبل ، في هذه الحالة يمكن ان نقول هذه هي ايديولوجيتنا في الاشتراكية .

لايوجدبلد اشتراكي اليوم — على مدىعلمي — يتبنى نظاما اشتراكيا كاملا مثلمايتبناه بلد آخر.. هناك اختلاف .. فحينمانتناول الاشتراكية الزراعية في بلغاريا نجد انها تختلف عن بولندا وعن المانيا الديمقراطية وتختلف اختلافا كبيرا عن الاتحاد السوفيتي ، وكلها بلاد اشتراكية ، لكن يجمعها مبدأ واحد كبير هو **عدم الاستغلال وعدم تكوين رأس مال في يد معينة** ، لكن المزارع الجماعية موجودة والمزارع التعاونية ،ومن الجائز ان تكون مزارع فردية بتحديد حد اقصى للملكية ، هذا كله جائز في النظم الاشتراكية ، فاذا ما تبنينا نحن نظاما معينا يجب علينا ان نستهدف دليلا للعمل السياسي .

ان الصورة تكون ابشع على مستوى الوحدات الاساسية ، فعندما نأخذ وحدة اساسية على مستوى القرية او على مستوى المصنع نجد ان هناك انفصالا آليا على مستوى هذه الوحدة الاساسية ، فنجد في القرية عند الترشيح ان الجماهير مقبلة علىعملية الترشيح ، ونجدعناصر ممتازة تنتخبها الجماهير انتخابا حرا دون تزوير وقد كانوا يمثلون قيادات فعلية قبل انضمامهم للاتحاد الاشتراكي انما كان مفهومهم للقيادة واضحا امامهم .. فعندما تحدث معركة أو انقسام بين الناس يلجأ الناس اليهم للبت فيهذه الامور .. ولكن عندما ينتخب هذا الشخص في الوحدة الاساسية للاتحاد الاشتراكي نجد ان الصلة بينه وبين الجماهير تنفصل بعد شهر او اثنين وعندما نسأل اهل القرية او المصنع يقولون ان هذا الشخص اصبح لا يمثلنا .. لماذا ؟ في رأيي ان هذا ناتج عن سببين : فلا المهمة واضحة امام اللجنة الاساسية ولا المهمة واضحة امام الجماهير الذين انتخبوه .

وباستعراض سريع يمكن ان نشبه هذا بطبيب يعالج حالة قائمة ، هذه هي الحالة التي نحن فيها بكل صراحة ، اذ نجد انفسنا تائهين مع العمال وكذلك مع الطلبة والمثقفين والمهنيين ومع الفلاحين .. فكيف نكون تنظيما اذن .. ؟ هذه هي الصورة الواقعية ، وعلى ذلك في تصوري انه لكن نضع ايدينا على الطريق فعلينا ان نثير رؤوس موضوعات في هذه الجلسة .

فاذا ما اتفقنا عليها ولن تخرج عن الكلام الذي ذكرته فاننا بعد ذلك نتقدم في الجلسة القادمة بورقة العمل الذي سأقدمها مع الاوراق التي وردت من امناء المحافظات وسنقدمها ايضا ثم نتناقش جميعا بحيث تكون ورقة العمل فيشكل واحد .

لماذا ذكرت انني متفائل على الرغم من صعوبة العمل ؟ لانه بالتجربة البسيطة التي تمت وبالتجارب السابقة للانسان في النظم الحزبية تبينت ان هناك أمرا واحدا هو الذي جعل هناك صلة وهو سياسة الباب المفتوح وسياسة النقاش المفتوح وهو الاساس الاول : فلو جاء شخص من الخارج سواء كان عاملا او فلاحا او طالبا او حضرت مجموعة الى هذا الاتحاد الاشتراكي لكي تعبر عن رأي معين ثم تجد الباب مغلقا امامها انتهى الامر ، ولكناذا وجدت الباب مفتوحا امامها وناقشت نكون قد خطونا خطوة الى الامام .

واذا كان الاتحاد الاشتراكي حساسا بالدرجة التي لا يمكن لاية مجموعة من الناس تمثل طائفة من الطوائف وتريد ان تتناقش بحرية وتنتقد وتنقد ثم تجد ان الاتحاد الاشتراكي يغلق الباب امامها يكون في هذه الحالة قد عزل نفسه .

وهنا يجب ان يسأل الاتحاد الاشتراكي نفسه هل هو سلطة ؟ او هو تمثيل لقوى الشعب العاملة ؟ اذا كان تمثيلا لقوى الشعب العاملة اذن من الواجب ان يعبر عن رأي هؤلاء ... وكيف يعبر عن رأي هؤلاء ؟ **انه يعبر عن رأيهم** طالما انه ينطوي تحت الوثائق الاساسية التي تتبناها الدولة الى ان تتغير ، فمن المفروض ان الميثاق سنة ١٩٧٠ يغير ، ولكن الوقت الان ليس

مناسبا لكى نناقش الميثاق نظرا للظروف الحاضرة ولكن اذا رأى الاتحـاد الاشـتراكى فى وقت من الاوقات ان الميثاق ينظر فيه ويتغير يكون هناك وثيقة قد تغيرت ، مثـلا من الجـائز ان يتغير الدستور وكذلك بيان ٣٠ مارس وبذلك تـكون هناك خطوة الى الامام على صورة من الصور .

كلمة اخيرة اود ان اقولها وهى فى غاية الاهمية ماهو الدور الذى يمكن ان يؤديه الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للسلطة التنفيذية ، ليس فقط بالنسبة للسلطة التنفيذية لكن بالنسـبة لاعلى مسـتوى رئاسى فى هذا البلد حتى رئيس الجمهورية نفسه وليس معنى هذا ان الاتحاد سيملى على رئيس الجمهورية ، لكن اود ان اصل الى ان يكون رأى الاتحاد الاشتراكى فى موضوع من الموضوعات او فى كل الموضوعات الهـامة لـدى السيد رئيس الجمهورية فيكون لـديه رأى جمـاهيرى يمثـل موضوعا من الموضوعات قبل ان يأخذ قرارا فيه، بمعنى ان السيد الرئيس حينما يكون امامه موضوع من الموضوعات ويريد ان يبت فى هذا الموضوع يقرأ عدة اوراق ويقرأ ايضـا ورقة الاتحـاد الاشتراكى ثم يبت كما يشاء وكما يريد .

بهذه الصورة مكتملة مع بعضها اعتقد انهـا حينما نعلنها الى الجماهير مـع وجود نوع من التوثيق والتدعيم فى الصلة الشعبية بصفة عامة نكون قد خطونا الخطـوة الاولى بالنسـبة لعمل الاتحاد الاشتراكى ، وهذا هو التصور .

● **الدكتور عبد العزيز كامل**

اعتقد اننا نمر بعد النكسة نفسيا فى مرحلتين اساسيتين واود ان اكون واضحا فيهما ، ويمكن لهاتين المرحلتين ان يوضحا المنطلق الفكرى الذى نريـده .

المرحلة الاولى التى مررنا فيما يمكن ان نسميه مرحلة تعذيب الذات، كانت نوعا من الفكر السائد الموجود عند الافراد ، فقد حدثت نكسة فبدأنا فى عملية لوم شديدة لانفسنا بأننا اخطأنا كاننا نريد ان نعذب انفسنا لما حدث ، ومن الممكن جدا ان نلوم انفسنا على اخطائنا لكن من المفروض ان تتحول هذه الجهود من سياط نضرب بها انفسـنا الى قوى تدفعنا الى ان نعمل ، لهذا كان لابد ان ننتقل من مرحلة تعذيب الذات الى مرحلة دفـع الطاقات الحية لكل افراد المجتمع وقواه للبناء من اجل النصر الجديد ونستطيع ان نجد هذا فى كلماتنا وفى خطبنا فى اننا بعدنا عن المولى سبحانه وتعالى وانه فعل فينا هذا لاننا نستحق هذا ، واعتقد ان هذه النغمة فى هذه المرحلة من مـراحل العمـل فى الاتحاد الاشتراكى ينبغى ان تنتهى ، وعلينـا ان نستشرف على مرحلة جديدة قائمة على اطـلاق طاقات الامل والخير والتفاؤل ، والامل فى نصر الله سبحانه وتعالى من غير ان ندخل فى نزعات التعذيب النفسى .

هذه هى النقطـة الاساسـية التى اردت ان اقولها فيما يتعلق بالمنطلق الفكرى فيها . ونحن محتاجون فى الواقع الى ما يسـمى بصـناعة الانسان الجديد كما جاء فى برنامج العمل الوطنى وهذه التجربة تمر فيها دولتنا كما تمر فيها أية قوى تريد ان يكون لها وجود فى هذه المنطقة بما فى ذلك الوجود الاسرائيلى نفسه .

فنحن نعلم من اواخر القرن التاسع عشر ان اسرائيل قد بدأت فى تكوين نوعية خاصة لتجاربنا بها ، بمعنى انها وضعت نظـاما لتربية شـبابهم ونظام المحارب المزارع الذى اخذوه من نظامنـا المصرى القديم لرمسيس الثانى فاوجدوا نوعية بشرية خاصة محاربة يدوية عنيفة من اجل الحرب

وهنا حينما اريد تربية الشباب فى منظمـة الشباب فى الدعوة والفكر .. ماذا اريد منه : ليس هناك عبارة عن اهداف انسانية مطلقة ولكن هناك عبارة عن اهداف مرحلية تطلب من شباب معين فى فترة زمنية معينة فى وطن معين يؤدى الى هدف معين فمن اجل ذلك ينبغى علينـا فى المرحلة المقبلة ان نكون على علم بما نريد بالتحديد ومتى وكيف نصل اليه .. هذه هى الصورة التى ينبغى ان نتجه اليها اليوم . ولكى اصل الى هذا الهدف ماذا اطلب ، اننى اتصور شيئين اساسيين :

الاتحاد الاشتراكى لا يختلف عن النهر ، عبارة عن مجرى زائد ماء ، او اى نظام كهرباء اسلاك زائد طاقة ، فنحن نريد جهازا به طاقة تسير فيه ، هذا الجهاز ينقسم قسمين .. جزء منه يتعلق بالجانب الفكرى التوجيهى ، والجزء الاخر يتعلق بالجانب التكنولوجى الخاص بنا . اذن الجهـاز يوجد فيه قطاعان بعد ذلك ماذا نريد ان نعطى من دم الحياة لهذا الشباب الذى نريد ان نعمل معه :

من اين تأتى المشاكل ، انها تأتى من عـدة صلات .. صـلة الجهـاز السـياسى بالقاعدة الشعبية وهى اولى المشاكل ، وبعد ذلك صـلة هذه القواعد الشعبية بالمجتمع الكبير ، بمعنى ان عضو الاتحاد الاشتراكى ليس معناه ان يعلق على صدره وساما معينا يعطى له حقوقا بالنسبة لاى مواطن آخر .

كيف تكون صلة الجهاز السياسي بالجهاز التنفيذي على المستويات المتعددة ؟ كيف تكون صلته بالرئاسات ؟ وصلة القيادات الاقليمية وصلة القواعد ؟ صلة الجهاز السياسي بالجهاز التشريعي على المستويات المركزية والمحلية ؟ وصلة الجهاز السياسي برئاسة الدولة ؟ هذه هي الجوانب الرئيسية التي ينبغي ان تكون موجودة .

ماذا اتصور من الصلة ، فعلى سبيل المثال الصلة بقيادة الدولة اليوم من الصعب علميا في ايةقضية ان نقول انهذه القضية صحيحةامخاطئة فكلمة صحيح او خطأ اصبحت علميا غير صحيحة لان كلمة صحيح او خطأ يمكن استعمالها في المدرسة في مسألة حسابية يحصل الطالب على مجنوع ، ولكن القيادة اليوم عبارة عن فن اختيار بين بدائل متعددة وليس اكثر من ذلك ، وحينما ترجع لاي كتاب في الفكر الحديث او الفكر الاستراتيجي بالذات يمكن ان يعطيك في القضية الواحدة عشرة بدائل واحيانا يعطي عشرين بديلا وفي هذه الحالة تكون مهمة الجهاز السياسي ان يضع دراسات مستفيضة لموضوع معين ويضع البدائل المتعددة للقائد المسئول ، وعلى القائد في هذه الحالة ان يختار من هذه البدائل الموجودة امامه ، ولا يمكن ان نضع هذه الاشياء سواء على الصعيد المحلي او على الصعيد الخارجي الا اذا كانت مصادر المعرفة متوفرة ، فهذه مسئولية خطيرة من مسئوليات السكرتير الاول للاتحاد الاشتراكي وهي كيف يمكن ان تتوفر مصادر المعرفة المختلفة لهذه الاجهزة المتنوعة لكي تدرس هذه القضية .

واود ان اعطي مثالا لقضية واحدة ، وهي قضية ما يمكن ان يسمى **باقليمية الفكر في الانظمة التقدمية العربية** ، نجد اليوم ان كل نظام تقدمي عربي له ايديولوجية خاصة،وبدات تحدث صراعات كثيرة جدا بين هذه الانظمة التقدمية ، حتى انه في الشرق العربي اليوم اصبح بين الانظمة الرجعية من التفاهم والتواطؤ مالا يوجد بين الانظمة التقدمية ، والذين يدعون التقدمية اصبح كل انسان فيهم يعمل لنفسه مركز قوة ويريد ان يستقطب الاخرين اليه ، كل واحد فهم يعمل لنفسه ميثاقا وفكرة فكيف يكون وضعنا حينما نعمل مع هؤلاء ؟ كيف يمكن لنا ان نقوم بعملية حشد من اجل قومية معركة ومن اجل حشد قوى عربية ، سوف نقابل كل هذه الايديولوجيات المتعددة ، وهناك عملية التمزيق والتجزئة التي حدثت في الفكر التقدمي العربي اليوم . هل هي مجرد صدفة تاريخية ؟ هذه عملية مقصودة ،يمكن ان يتحرك فيها الانسان دون ان يعي بالضبط كما يعيش اي انسان فينا ، وعليه ضغط ٧٦ سنتمتر زئبق فوق جسده وهو لا يحس بهذا الضغط الا اذا صعد الى فوق او نزل الى تحت .

هذه قضايا كيف ادرسها الا اذا توافرت لدي جميع المعلومات ؟ ، وكيف اعطي القائد المسئول رأيا معينا في قضية سياسية ولا يوجد لدى كل هذه المعلومات .

هذه قضية ينبني عليها تقييم الجهد العربي كله وعلى تقييم الجهد العربي ينبني موقفي الى حد كبير جدا من معركة المصير .

وهناك وظيفة مهمة جدا ينبغي ان نعني بها — ونحن نعمل في هذه المرحلة — ففي المدينة اليوم ومع نمو المدن تتفكك جميع روابط العائلة ، وهذه قضية قائمة ، اما الريف فمازال فيه تماسك ، اذن كل انسان يعيش اليوم قد لا يعرف جاره ، فهذه المدينة يفرض عليها في ظرف معين ان تقابل قضية اليوم مثل عدوان او هجوم والحاجة الى التجاء الناس الى المخابىء اواطفاء حرائق،موجودة اذن ينبغي ان تكون في المدينة روابط جديدة لتحل محل الروابط التقليدية القديمة التي كانت موجودة في الريف ، ولا يمكن ان تقوم هذه الروابط على اساس من الجوار العادي وليس هناك من بديل للروابط القديمة التقليدية في القرية الا عن طريق جهاز سياسي متكامل وقوي يربط كل هؤلاء الناس ببعضهم البعض ، بحيث يشعرون في انفسهم انهم في حاجة الى ان يتعارفوا ، فحينما تأتي غارة على ناحية معينة ويحدث شيء اكون على علم انه على بعد اربعة امتار من المنزل هناك طبيب يسكن بجواري ، واعرف على الاقل ان بجانبي تومرجي او وحدة او حنفية حريق استطيع ان استعملها وهنا يبدأ الناس يحسون بحاجتهم الى التعارف ويتجمعون مع بعضهم البعض ، فلو اشعرنا الناس بأن هذه القضايا متعلقة بصيانة انفسهم وازواجهم واولادهم وحياتهم اليومية ، وجعلناهم وحدات حية من اجل المعركة لامكن لنا عمل الكثير .

بعد ذلك تكلم السيد السكرتير الاول عن تجارب الاحزاب المختلفة واذكر انه من سنة ٦٣ و ٦٤، و ٦٥ و ١٩٦٦ تمت لقاءات في الاتحاد الاشتراكي تقريبا مع جميع الاحزاب السياسية الخارجية ، واعتقد ان السيد خالد محيي الدين يعلم ذلك جيدا لكن وثائق هذه اللقاءات لاندري اين نجدها ؟ وصدرت كتب مطبوعة ولدي نسخها جميعا عن كل هذه اللقاءات والانظمة الداخلية لكل هذه الاحزاب اين هذه الوثائق ... ؟

فرغم ما كان هناك من اخطاء وكل ما هنالك من

سلبيات في المراحل الماضية لا يمكن ان اضيع اي عمل مخلص في اي موقع حيث يكون ،فالرجل الصالح يترك الاثر الصالح حيث يكون ويمكننا ان نأخذ كل هذه الخبرات الموجودة ونجمعها ونستفيد منها ، واعتقد اننا في صدد البحث عن وظيفة للاتحاد الاشتراكي مع ان الوظيفة قائمة فعلا . والعمل ضرورة حتمية ، انما المهم هو الاسلوب الذي يجعل الناس يقبلون على هذا العمل اقبالهم على الروابط الطبيعية التي كانت موجودة في القرية والروابط الانسانية بحيث يتحركون من اجل مصلحة مشتركة وليس هناك مصلحة تجمعنا اكثر من المعركة اليوم .

انني اتحدث عن الاشياء التي صانت هذه الحضارة رغم ما تاساه اهلها وعلى مدى هذه السنين الطويلة .

● **الدكتور عبد الحليم الجندي**

السؤال المعروض هو : هل تنقسم اللجنة الان او انها تنقسم بعد قليل ؟ لاجدال انه من الواضح الان بعد هذه المناقشة انه يجب ان تستمر اللجنة كما هي حتى نتفق على مايجب أن نعمله ، ولا جدال ايضا اننا نريد تقديم ورقة العمل الموجودة .

الشيء الذي نريد ان نؤكده وان نركز عليه هو تحديد واجبات الاتحاد الاشتراكي بل وتعريف الاتحاد الاشتراكي وتوضيح وظيفته . فالاتحاد الاشتراكي قوة كبيرة في هذا البلد ولايجب ان يعطل كما حدث في الماضي . كذلك فيجب ان نكون صرحاء مع انفسنا في ذكر الاخطاء واسباب الفشل الذريع الذي لحق بالاتحاد القومي كتنظيم سياسي ، واذا كنا حكماء فلنكن حكماء ودقيقين في التعبير عن فشلنا في الماضي ولنكن ايضا دقيقين في علاج الاخطاء .

ان سلبيات المواطن المصري ترجع الى انه محكوم بالعدو وبالدخيل دائما ، ومن هنا كان المواطن المصري سلبيا ، ولكن بعد ان اصبح يحكم بأهله وبابناء وطنه فلابد ان يكون ايجابيا وان يقاوم السلبيات .

الاتحاد الاشتراكي مطالب ومكلف بأسلوبه الحالي ان يعمق المفاهيم الاشتراكية وأن يدفع القوى الوطنية لان تعمل وان تأتي بالكثير .

علينا كذلك ان ننقل الى الجماهير كل ذرة من تراث هذا البلد بحيث يصبح كل مواطن على علم ومعرفة بتراثه وحضارته .

وارجو ان يعذرني السيد الدكتور عبد العزيز اذا كنت استعمل تعبيراته .

انني اريد ان يكون الاتحاد الاشتراكي مسموع الكلمة في كل سلطة وفي كل مكان .

قلنا انه يجب ان يبتعد الاتحاد الاشتراكي عن السلطة التنفيذية وعن السلطة التشريعية ولكن يجب ان يمارس سيطرة الشعب على كل شيء اذا كان ممثلا للشعب .

السيد السكرتير الاول يقول « كيف يعمل الاتحاد الاشتراكي وهذا هو الذي يهمنا كثيرا لاننا اذا لم نكن سنحارب العدو اليوم فعلى الاقل يجب ان نحارب السلبيات والاخطاء في الداخل .

قضية الاتحاد الاشتراكي اساسا هي تعميق الاشتراكية فعلا وعملا ، اما كون أن الامر يقتصر على الدراسة فقط ، فان هذا يعني ان الاتحاد الاشتراكي يضيف الى الاوراق المكدسة او التي لاتجدها تلالا اخرى من الاوراق كذلك فاننا نضيف الى ذلك تقرير الميثاق لان تقرير الميثاق هو الذي اعتمد به الميثاق ، وهذا التقرير لم نقرأ منه شيئا لانه لم يطبع ولم يوزع ، تقرير الميثاق هذا كان يشمل ماجاء في بيان ٣٠ مارس قبل ان يصدر بيان ٣٠ مارس بستة اعوام .

القضية العامة التي تشغلنا الان هي ان نعطي للشعب الثقة في نفسه او في تنظيمه وأن نبين له مزايا الدستور الذي صدر وبه قدر من التقدم لم تبلغه البلاد من قبل .

كذلك ارجو ان يكون محلا للكلام ايضا ان يختار الاتحاد الاشتراكي في ذاته اعضاءه ممن يكونون قدوة في مثلهم وان يكون دعاته في الريف قدوة ايضا لان الناس لايعرفون الا من هو محل ثقة عندهم .

وارجو ان نستمر في اجتماعات هذه اللجنة . .
وارجو الا نسأل كثيرا ماذا تريد منا مصر ، فقد علمنا وكلنا نعلم ماذا تريده منا مصر ، انها تريد النصر ، اما كل تمييع وكل سكوت وكل تخدير بالكلام الطيب والكلام الكثير فان من شأنه ان يبعد الناس عن المعركة ويبعدنا عن النصر . .

لذلك فانني ارجو ان نستمر في اجتماعاتنا وان نحدد مسائلنا دون ان نقصرها على الاهداف والمسائل التي ذكرها الدكتور حافظ غانم والتي ذكرتها الدكتورة عائشة راتب بل نفتح الباب كاملا لكل المسائل وكل الموضوعات التي تهمنا كتنظيم سياسي من ناحية وكمواطنين من ناحية اخرى . . وشكرا . .

● خـالد محيى الدين

بعد ان استمعت الى هذه المناقشات شعرت اننا بدأنا ندخل فى صميم عمل اللجنة مـع ان الموضوع الذى طرح هو كيف تعمل اللجنة ؟

وانني ارى ان تستمر اللجنة فى الانعقاد فى الفترة الاولى لكى تناقش القضية العامة وهى الاتحـاد الاشتراكى وكيف يصبح تنظيما فعـالا ويبتعد عن هذا القصور الذى حدث فى الماضى وفى الحاضر ، وربما نصل من خلال هذه المناقشات الى ان التجارب التى خلت قبل كانت كلها غير موفقـة .

اذن فالنقطة الاولى : هى اننا نريد ان نحـدد موضوعات النقاش كما وردت ، لقد قيل ان اوعية الاتحاد الاشتراكى فى الوقت الحالى اصبحت لا تستطيع ان تستمر فى عملها ، وان التنظيم عاجز عن ان ينفتح على الجماهير .

الموضـوع الثانى : هو تعميـق الطـابع الديمقراطى — ومعنى هذا ان هناك قصورا فى هذه الناحية ويظهر ذلك فى موضوع علاقة التنظيم السياسى بالتنظيمات الجماهيرية الاخرى وبمجلس الشعب والنقابات والهيئات والمنظمات ... الخ ..

وانه لكى ننجح فى هذا لابد من اسلوب جديد .

وانني ارى ان نبدأ عملنا بالنقـاش الواسـع بحيث يقول كل منا رأيه بصراحة كاملة ، اما اذا كان هناك اتفاق على ان هناك ورقة عمل فهذه الورقة لا تفرض علينا ، ولكنها تكون بمثابة شيء نبدأ او ننطلق منه فقط .

كذلك فلابد ان تكون هناك تحديد للموضوعات التى ستناقش فى كل جلسة ولابد ان نبدأ كل جلسة بورقة عمل محددة بها الموضوعات التى ستبحث ، وعلى سبيل المثال يحـدد لنا من الآن موضوعات البحث فى الجلسة القادمة موضوع ان اوعية الاتحاد الاشتراكى اصبحت سلبية وذلك حتى يستطيع الفرد منا ان يفكر فى هذا الموضوع قبل انعقاد الجلسة ويكون قد توصل الى فـكر معين بشأنه .

بعد ذلك بالنسبة للسؤال الذى طرح ، هـل اللجنة ستنقسم وتوزع على اللجان التسع ، أم اننا نلتقى بها مجتمعة او نلتقى بكل لجنـة منها على حـدة .

أعتقد ان التقاءنا بها مجتمعة فى المرحلة الاولى او فى الفترة الاولى قد يكون امرا صعبا ، ولكن المهم هو ان نبدأ الآن مناقشة هذه القضية على الاقل كحد ادنى ثم بعد ذلك نكون قد توصلنا الى اشياء ننزل بها الى هذه اللجان .

● الدكتورة عائشـة راتب

الموضوع اساسا هو كيف نحدد دور كل فرد فى هذا المجتمع وكيف نعـرف كل فرد بما هـو مطلوب منه ، فاذا اخذنا على سبيل المثال طالب الجامعة الذى يعتبر من ابناء الثورة ومن مواليدها وهو ايضا نتاج هذه الثورة ، انه تلقى كلاما عن الثورة فى التعليم الابتدائى وتلقى كلاما عن الثورة فى التعليم الاعدادى والثانوى ، ثم تلقى بعـد ذلك كلاما عن الثورة فى الجامعة ولكنه لم يستطع حتى الآن ان يحدد ما هو المطلوب منه .

اذا انتقلنا من هذا المثال بالنسبة للطلبة الى الجماهير فاننا نجد نفس الكلام بالنسبة للاتحاد الاشتراكى العـربى .

● السـكرتير الاول

لدى فكرة بالنسـبة للتنظيم الشبابى وهى ان نبدأ بعقـد لجنـة التنظيم الشـبابى لان التنظيم الشبابى اثير الآن وان هنـاك ، دواعى تجعلنـا نسارع فى البت فيه .

● الدكتورة عائشـة راتب

اذن فلاشك انه من الصواب ان نبـدأ بزرع الايمان فى الناس ، فاليهودى الصهيونى لم يهتز ولم يفقد ايمانه بالصهيونية عندما حـدثت لهـا نكسـات ممـاثلة .

لذلك فعلينا ان نبدأ بزرع الايمان فى النـاس ووسيلة ذلك هى ان ننزل الى هؤلاء النـاس ونستطلع رأيهم فى طريقة الزرع .

فى تقديرى ان الاتحاد الاشتراكى ليس محتاجا لكلام دون عمل كثير ولكن الاتحاد الاشتراكى فى تقديرى يحتاج لعمل دون كلام كثير وهـذه هى النقطة الرئيسية التى يجب ان نركز عليها .

كذلك ماهو مفهـوم العمل السـياسى ، فى مفهومى ان العمل الاجتماعى عمل سياسى وان العمل الثقافى ايضا عمل سياسى ، واننى اعتقد ان الاتحاد الاشتراكى اذا قام بهذه الاعمال ووضع يده فى كل شيء فاننا سوف نصل الى قلوب الناس وهذا ما رأيناه فى البلاد الاخرى وهو كيف يحرك التنظيم السياسى كل فئات الشـعب ويربط بين المواطنين وبين سياسة الدولة ككل .

● السكرتير الاول

اسمحوا لى ان نبدأ من النقطة التى ذكرها الاخ خالد والتى اثنت عليها الدكتورة عائشة وهى أن نخطو خطوة الى الامام بأن نبين رؤوس الموضوعات ..

بالنسبة لما اعده الدكتور حافظ غانم فقد اطلعت عليه ، ولو سمحتم فسيتلو على حضراتكم ما اعده الا اذا كان هناك تعليق آخر ..

والواقع اننى لم ابدأ بما اعده الدكتور حافظ لانه كان لابد من الاستعراض الاولى الذى عبر عنه الاخ خالد ، واننى متصور ان الاستعراض الاولى سيتكرر معنا كثيرا وهذه علامة لا نخشى منها حتى ولو خرجنا قليلا عن جدول الاعمال لان المأمورية كبيرة وهدفنا هو ان نصل الى نتائج ..

وقبل ان يتكلم الدكتور حافظ غانم هناك نقطة ذكرتها الدكتورة عائشة واود ان اركز عليها ، وهى ان هناك اجتماعات كثيرة عملت فى الاتحاد الاشتراكى من مفكرين مثلنا ويمكن ان يكون بينهم من هو احسن منا ، بجانب نقطة للتوثيق التى اثارها الدكتور عبد العزيز كامل واننى متفق معه تماما ، والنقطة الخاصة باللجنة السياسية وتنشيطها سوف نتكلم فيها حينما يأتى دورها ولو انها وردت ضمن الاستعراض العام ، وفى ذهننا اجراء عملية توثيق ومحاضر تشابه محاضر مجلس الشعب .

هناك نقطة اخرى اود ان اقولها بصراحة لاننى سئلت فيها ، يقول البعض انه عندما يتولى المسئولية شخص ما فأنه يحاول ان يهدم كل ما وضعه المسئول السابق من انظمة ، وعندما يتغير هو يحدث نفس الشىء ، واود ان اجيب على هذه النقطة بصراحة ، ففى اسلوب عملنا نريد ان ننتهى الى وثيقة معينة ، ولهذا تجدون اننى ذكرت فى خطابى فى المؤتمر القومى العام بأننا نريد دليل عمل سياسى واسلوب عمل ، وهذا الدليل وهذا الاسلوب عندما تنتهى مراحله — وقد تنتهى فى اللجنة المركزية او فى المؤتمر القومى — فان هذا سيمثل الاسلوب مع وجود طاقم الخبراء الذى سوف نتكلم فيه ويصبح هناك اسلوب عمل واملى ان يكون ناجحا بعض الشىء بحيث لو تغيرت المناصب الكبيرة فى الاتحاد الاشتراكى — وهنا يتحقق كلام الدكتور عبد العزيز كامل — فلا يتغير اسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى بتغيير الاشخاص .

واذا سمحتم فسوف يتكلم الدكتور حافظ غانم ليعطى فكرة عن رؤوس الموضوعات وهى لاتمثل ورقة عمل ، ولكنها تمثل بعض المبادىء أو الفكرة العامة التى سوف ينحصر النقاش فيها ، وسوف نوزع على حضراتكم ورقة العمل فى الجلسة القادمة اذا ما انتهينا من اعدادها ان شاء الله .

● الدكتور محمد دكرورى

طالما ان ورقة العمل ليست جاهزة وكما ذكر الاخ خالد ان ورقة العمل حينما تصل الينا قبل الاجتماع يكون كل منا على علم بالنقاط التى ستثار فانهذا سيمكنا منانكون جاهزين للنقاش

ولذلك اقترح بأننا نترك هذه الجلسة الاولى لكل شخص يعطى انطباعاته وتصوره على ان توزع ورقة العمل بعد ذلك بحيث نكون جاهزين فى الجلسة القادمة بأن نبدأها بهذه الورقة .

● السكرتير الاول

لو سمحت لى يادكتور ، فمع احترامى لهذا الراى لدى مانع واحب ان توزع عليكم فى وقت مبكر حتى تكونوا جاهزين بالرأى فيها ، واذاانتهت فى جلسة فيمكن اعطاؤكم صورة وللمكاتب ايضا صورة اخرى ، ان سبب استعجالى على عمل المجالس المتخصصة هو انها سوف تعطينا نوعا من الاستفادة فى ورقة العمل التى سأتقدم بها اليكم .. فهل الصورة التى تقدم بها الدكتور حافظ يمكن ان تبنى عليها ورقة العمل او ان هناك تصورا آخر ؟

● الدكتور محمد دكرورى

معنى هذا ان هذه ليست ورقة العمل .

● السكرتير الاول

انها لا تمثل ورقة العمل ولكنها تذكرة معروضة للمناقشة وسوف يقرأها عليكم السيد الدكتور حافظ غانم ويمكن ان تبدى عليها ملاحظاتكم ، واذا كان لديكم مقترحات تريدون اضافتها لورقة العمل القادمة فيمكن اضافتها ، وفى الجلسة القادمة ستوزع عليكم هذه الورقة .. وبالاضافة الى ذلك فسيوزع عليكم تلخيص لورقة عمل السادة امناء المحافظات كما جاءت دون ملاحظات منى عليها سوف اقدمها لكم عن تصور الاشخاص الذين يعملون فى الحقل ، وعلى سبيل المثال امين محافظة لديه معوقات سوف يكتب عن هذه المعوقات ، ولكنها لاتمثل امامك ورقة العمل ، الا ان المعوقات التى سيذكرها قد لا اكون انا على علم بها .

اذن سيوزع عليكم ملخص ما ورد من السادة

امناء المحافظات ، وستكون اجتماعاتنا المقبلة اجتماعات موسعة ..

وسيكون الاجتماع الاول الموسع لهذه اللجنة مع اللجان الفرعية برئاسة السيد الرئيس وغالبا سيكون يوم السبت القادم ، وأنا نصير جدا للاجتماعات الموسعة لاننا سنسمع اشخاصا يتكلمون كلاما قد يغاير كلامنا .

الا انى مع الاخ خالد واخواننا الذين تكلموا بأن نأخذ خطوة الى الامام بحيث يوجد ما ندافع عنه امام اللجان الفرعية ، والا ستكون المناقشة الموجودة مماثلة للنقاش الذى يدور فى هذه الجلسة .

واود ان اركز فى مناقشة اللجان الفرعية على نقطة اساسية وهى ان اسمع من النقابات المهنية ماهو الشىء الذى تريده من الاتحاد الاشتراكى ، وقد ذكرت فى كلمتى اننا لانصادر الحركة الذاتية للنقابات المهنية ، ولكن يهمنا ان تحدد النقابات كيفية الحصول على صداقة الاتحاد الاشتراكى ، هذا هو الكلام الذى من المفروض ان اثيره .

واذا سمحتم لى سيبدأ السيد الدكتور حافظ غانم بقراءة المذكرة التى اعدها فى هذا — فهل توافقون على ذلك ؟

(موافقة)

● **الدكتور حافظ غانم**

اولا : تتناول المذكرة طبيعة اللجنة ووظيفتها :

① **هناك قراران يحددان طبيعة عمل اللجنة ووظائفها :**

[أ] قرار المؤتمر القومى العام فى دورته الخاصة فى فبراير سنة ١٩٧٢ .

[ب] المادة الثانية من قرار السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل لجنة العمل .

② فوض المؤتمر القومى العام ، السكرتير الاول للجنة المركزية فى تشكيل لجنة العمل وتحديد مهمتها [البند الخامس من الفقرة ثالثا من قرارات المؤتمر] .

③ وضع المؤتمر القومى العام بعض الضوابط التى تحكم العمل فى مجال التنظيم وردت فى البنود ١ و٢ و٣ و٤ من الفقرة ثالثا من قرارات المؤتمر وهى :

[أ] لما كانت الممارسة الفعلية خلال المرحلة الماضية قد كشفت عن قصور الاطار الحالى للتنظيم عن مجابهة المتطلبات المتزايدة للمرحلة القادمة وتلبية حاجات الجماهير ومتطلباتها الملحة فى ان يكون تنظيمها السياسى المنبثق عنها والنابع من ارادتها فى خدمتها دائما ، فان المؤتمر عهد الى السكرتير الاول للجنة المركزية باتخاذ اجراءات تعديل القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى حتى يكون الاطار التنظيمى قادرا على تحقيق المضمون ، وبحيث تشارك الجماهير فى صنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها .

[ب] اعمالا لمبدأ تعميق الطابع الديمقراطى للتنظيم السياسى وجعله منبرا حرا معبرا عن ارادة الجماهير بالاسلوب الذى تراه قوى الشعب العاملة ومن خلال الحوار البناء الذى يتم فى جو منظم وايمانا بأن الحوار الديمقراطى الحر دعامة اساسية من دعامات الدولة العصرية وضرورة أساسية لصالح المجتمع فانه من الضرورى أن تفتح ابواب التنظيم السياسى أمام قوى الشعب العاملة كلها بالشكل الذى يجعله الاداة الشرعية القادرة على التعبير عن رأى الجماهير .

[جـ] انطلاقا من ان التنظيم السياسى هو القاعدة الاساسية التى تنبثق منها جميع الاجهزة فى الدولة باعتبار انه الوعاء الذى تتفاعل داخله ارادة الشعب والذى يعبر عن مصالحه فقد رأى المؤتمر ضرورة تنسيق العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى من ناحية وبين الاجهزة التنفيذية والتشريعية والقطاع العام والتعاونيات الزراعية والنقابات والاتحادات المهنية والعمالية والطلابية والتنظيمات النسائية وكافة الجهات والاجهزة التى تتصل بمصالح الجماهير من ناحية اخرى وذلك بما يخلق وحدة متكاملة بين اجهزة الدولة كافة .

[د] وايمانا بضرورة اتباع منهج علمى للممارسة السياسية وتحديد القواعد الرئيسية العامة التى تحكم الاتحاد الاشتراكى فى حركته ، فقد طلب المؤتمر اعداد دليل مفصل للعمل

السياسي لاعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي في مختلف المستويات التنظيمية وان يتم اعداد هذا الدليل في اطار ميثاق العمل الوطني وبيان ٣٠ مارس والدستور، وبرنامج العمل الوطني على اساس تبني الاتحاد الاشتراكي لمطالب وآمال تحالف قوى الشعب العاملة .

(٤) بتاريخ ١٩٧٢/٣/٩ صدر قرار السكرتير الاول للجنة المركزية بتشكيل لجنة العمل وتحديد مهمتها على ضوء قرار المؤتمر القومي العام ، وكذلك اصدر سيادته قرارا بتشكيل اللجان الفرعية لمعاونة لجنة العمل

وقد روعي في تشكيل لجنة العمل ان تضم ممثلين للجنة المركزية وللمؤتمر القومي العام ولشخصيات عامة لها فكرها المعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة وتجربتها في مجال العمل الوطني ، كما رئي في تشكيل اللجنة الفرعية المعاونة تمثيل كافة الخبرات التي تتصل بعمل هذه اللجان .

وقد حدد قرار السكرتير الاول مهمة لجنة العمل على النحو الاتي :

[أ] مهمة تتصل بالتنظيم نفسه وهي اعداد دليل العمل السياسي لاعضاء التنظيم والذي يتضمن :

١ — منهج التطور الاشتراكي .

٢ — بيان للمنجزات الثورية بوضع فلسفة الاشتراكية العربية والتطبيق المصري لها .

٣ — مهام وواجبات اعضاء التنظيم .

[ب] مهمة تتصل بعلاقة التنظيم مع الاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية وهي تتضمن :

(١) تأكيد ان التنظيم هو القاعدة الاساسية التي تنبثق منها جميع الاجهزة في الدولة « ان صيغة الاتحاد الاشتراكي هي اكثر الصيغ ملاءمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية وعلى اساسها وهي تجسيد حي وصحي لمعنى أن تكون الثورة للشعب وبالشعب ، ثم انها الضمان بعد ذلك لتجنب دموية الصراع الطبقي ولكفالة فتح اسرع الطرق واكثرها أمانة الى التقدم » .

• ولقد اكد المؤتمر القومي العام في دورته الخاصة قصور التنظيم الحالي عن مواجهة متطلبات المرحلة القادمة ، ومن الطبيعي ان تكون مهمة حشد كافة جماهير الشعب في النضال من اجل التحرير وتحقيق الوحدة الوطنية مهمة رئيسية في المرحلة المقبلة وهذا يستدعي دعم التحالف بين قوى الشعب العاملة في اطار فكر اشتراكي واضح المعالم يعلي من شأن المصلحة القومية مع مراعاة المصالح المشروعة لكل قوة من قوى التحالف .

ومن ناحية اخرى — فان وضوح الفكر الاشتراكي وتطبيقاته في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ضرورة لدعم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولتنشيط كافة قوى الانتاج الوطنية .

(٣) في مجال الهيكل التنظيمي للاتحاد الاشتراكي ..

١ — ان الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا يمثل مصالح طبقة معينة بل هو تحالف لقوى الشعب العاملة لتحقيق الكفاية والعدل ولتذويب الفوارق بين الطبقات .

وقد جاء في مقدمة القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي .. « ان الاتحاد الاشتراكي العربي هو الطليعة الاشتراكية التي تقود الجماهير وتعبر عن ارادتها وتوجه العمل الوطني وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادىء الميثاق وهو الوعاء الذي تلتقي فيه مطالب الجماهير واحتياجاتها .. ويضم الاتحاد الاشتراكي العربي كتنظيم سياسي شعبي قوى الشعب العاملة ، ويتمثل فيه تحالف هذه القوى في اطار الوحدة الوطنية ، وهو ليس تحالفا بين طبقات ، فالقوى العاملة تتداخل فيما بينها طبقيا ، ولهذا فهو ليس تحالفا مؤقتا ، بل من الممكن استمراره حتى بعد الانتهاء من تذويب الفوارق » .

٢ — خلق وحدة متكاملة بين كافة اجهزة الدولة .

٣ — تحديد نوع علاقة التنظيم بكل جهاز تنفيذي وتشريعي وشعبي .

[هـ] مهمة تتصل بعلاقة التنظيم مع الجماهير وهى تتضمن :

١ ـ اسلوب الانفتاح الكامل على كافة قوى الشعب العاملة .

٢ ـ اسلوب تحقيق الديمقراطية عن طريق مشاركة الجماهير فى التوجيه والرقابة .

ثانيا : اسلوب عمل اللجنة :

يثير البحث فى اسلوب عمل اللجنة ما يلى :

١ ـ اسلوب اتصال اللجنة بالاجهزة الاخرى للاتحاد الاشتراكى .

٢ ـ هل تعتبر اللجنة جهازا للرقابة وتقييم نشاط الاجهزة العاملة فى الاتحاد الاشتراكى بشأن اجهزة الرقابة فى التنظيمات الحزبية .

٣ ـ هل يتضمن انشاء اللجنة تعديلا فى الكيان الحالى للاتحاد الاشتراكى العربى

٤ ـ هل تكون نقطة البداية تطوير ما هو قائم لاعضاء الاتحاد الاشتراكى قوة اكثر او اعادة كاملة للتنظيم .

٥ ـ صلة لجنة العشرين باللجان الفرعية الاستشارية .

ثالثا : متطلبات المرحلة القادمة فى مجال التنظيم السياسى :

■ فى مجال الفكر الاشتراكى :

تتجه البلاد الاشتراكية حينما تخوض معارك التحرير الى حشد كافة القوى الوطنية عن طريق السعى لتحقيق وحدة وطنية فى مواجهة العدو وتدعنى برنامج ٣٠ مارس بذلك بالنص على : «انه من الضرورى والحيوى حشد كل القوى الشعبية وبوسيلة الديمقراطية وعلى اساسها وراء اهداف نضالنا القريبة والبعيدة اى وراء واجب المعركة وراء امل اتمام بناء المجتمع الاشتراكى الذى حققنا منه كثيرا وينبغى ان نحقق منه اكثر .

وهذا التحديد لطبيعة التحالف يجعل من المتعذر من الناحية التنظيمية اقتباس الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى من الهيكل التنظيمى لحزب سياسى ، والا تعذر تطبيق فكرة التحالف وتنشيطها .

ويجب ان يكون اساس تنظيم علاقات قوى التحالف تأكيد الديمقراطية وسيادة القانون ، وقد جاء فى برنامج العمل الوطنى ان « سيادة مبدأ الديمقراطية فى الحياة الداخلية للتنظيم ان اسلوب الحياة والعلاقات داخل اى تنظيم سياسى هو الذى يحدد بالتبعية اسلوب تعامله وعلاقته بالجماهير ، ان تنظيما يقوم على الدكتاتورية والفرض واصدار الاوامر دون مناقشة ، لايمكن بحال من الاحوال ان يكسب الجماهير ولايمكن الا ان يتعالى عليها ولن تقبل الجماهير هذا التعالى منه بطبيعة الحال فتنفض من حوله . ان التنظيم السياسى بالنسبة للجماهير كالنبات للارض الطيبة ان اجتث منها ذبل ومات كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ، ان الديمقراطية تعنى حرية الرأى والتعبير لكل عضو ولكل مستوى ولكل قوى من قوى التحالف ، وايجاد الظروف الملائمة لممارسة هذه الحرية كما تعنى حق النقد وممارسة النقد الذاتى ، ان الديمقراطية هى الضمان الوحيد ضد ظهور مراكز القوى وضد الشللية وضد الولاء لفرد أومجموعة من الافراد ، ان الديمقراطية هى الطريق الى جماعية القيادة فليست جماعية القيادة فى جوهرها سوى اتخاذ القرار على اساس من الخبرة الجماعية للاعضاء ولا سبيل الى هذا الا بفتح باب الحوار حرا حول القضايا المثارة أمام جميع المستويات ، ان الديمقراطية هى المناخ الذى تتربى فيه العناصر القيادية الجديدة ، انها باختصار جسد التنظيم وروحه .

وكما ورد تأكيد مبدأ سيادة القانون فى بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى ودستور جمهورية مصر العربية .

■ فى مجال علاقة التنظيم بالسلطات التشريعية والتنفيذية والشعبية .

[أ] ينبغى تحديد معنى السلطة التى يمارسها الاتحاد الاشتراكى العربى وتأكيد ان لها طابعا سياسيا وليس تنفيذيا ، وان هذا الطابع هو الذى يجعلها اعلى السلطات لانها تملك التوجيه والرقابة على غيرها من السلطات . ويتم ذلك فى ضوء ما نصت عليه المادة الخامسة من الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية من ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم السياسى الذى بتنظيماته القائمة على اساس مبدأ الديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، وهو اداة هذا التحالف فى تعميق قيم الديمقراطية والاشتراكية وفى متابعة العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الوطنى الى اهدافه المرسومة .

ويؤكد الاتحاد الاشتراكى العربى سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسى الذىتباشره تنظيماته بين الجماهير وفى مختلف الاجهزة التى تضطلع بمسئوليات العمل الوطنى وبين النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى شروط العضوية فيه وتنظيماته المختلفة وضمانات ممارسة نشاطه بالاسلوب الديمقراطى على أن يمثل العمال والفلاحون فى هذه التنظيمات بنسبة خمسين فى المائة على الاقل .

[ب] ينبغى تحديد معنى الخدمات التى يؤديها الاتحادالاشتراكى وبيان اسلوب تقديمها ولقد وردت الاشارة الى هذا الدور فى قرارات المؤتمر القومى وفى برنامج العمل الوطنى .

[جـ] ينبغى اعطاء الاتحاد الاشتراكى العربى فى المرحلة المقبلة مهمة نضالية تدعمه وتختبر قياداته ومن المهام التى اقترحها برنامج العمل الوطنى ولم يبدأ تنفيذها بعد ، محو الامية وتنظيم الاسرة وذلك بالاضافة الى التوعية بخصائص المرحلة الحالية ، والتوعية بالتنمية الاقتصادية والمشاركة فيها ، وبناء الانسان الجديد .

● السكرتير الاول

سوف تطبع الورقة التى تقدم بها السيد الدكتور حافظ غانم وتوزع عليكم وبالتالى نبدأ منها الجلسة القادمة وهناك ايضا ورقة عمل جاهزة امامى وسوف تقدم اليكم بشكلين ، ورقة منها تطرح الموضوع ثم تطرح التساؤل وهما متشابهتان ، وقد جاء بورقة التساؤل :

هل حقق الاتحاد الاشتراكى الامانى التى علقتها الجماهير عليه ؟

ثم حدد طاقات الجماهير ... الخ

وبها تكملة للنقاط التى وضعها السيد الدكتور حافظ غانم الا انها خطوة الى الامام لانها تركز على هذه النقاط وتضع التساؤلات عنها .

وهناك ورقة اخرى تعطى رأيا آخر وهذه الورقة محددة بها السلبيات والايجابيات ، وتداشار ايضا الى جميع النقاط التى تداولناها اليوم بما فيها الوثائق وخلافه ، وارى ان تقدم فى الجلسة القادمة ورقتان فقط ولا نقدم الحصيلة النهائية لانى فى حديثى تعرضت الى تقسيم الاتحاد الاشتراكى نفسه كصورة من الصور وهى داخلة فى التفصيل النهائى كما اتصوره .

وبناء على ذلك فانى استسمحكم فى ان مذكرة السيد الدكتور حافظ غانم سوف تقدم ، وسوف تقدم معها ايضا مذكرتى — وهى لاتمثل ورقة العمل — ونجعل ورقة العمل للمرحلة الثالثة لانى ربما اضيف او اغيرها بناء على التساؤلات الموجودة فى الورقة الثانية والموجودة كرؤوس مواضيع فى المذكرة المقدمة من السيد الدكتور حافظ غانم فهل توافقون على هذا وايضا ما يرد من امناء المحافظات سيوزع مع ورقة العمل .

« موافقــــة »

● المهندس سعد هجرس

ليس هناك مايمنع ان تتاح لنا الفرصة للحصول على ورقة العمل او الورقة التى تتضمن افكار السيد السكرتير الاول والورقة التى طرحها السيد الدكتور حافظ غانم وليس هناك مايمنع ايضا من تقديم الاوراق التى وردت من السادة أمناء المحافظات ، وبالنسبة للجلسة القادمة فان الموضوعات التى ستعرض كثيرة وتتناول عناصر كثيرة جدا ؛ لذلك فانى اميل الى رأى الاخ خالد محيى الدين فى ان نتفق على ان نبدأ بنقطة معينة فى الجلسة القادمة نبحثها ونجهز فكرنا بالنسبة لها نظرا لتشعب الموضوع .

● السكرتير الاول

لا اعلم اذا كان هذا الكلام صوابا او خطأ ؟ والواقع اننى لا استعجل هذه النقطة ولكن اود ان نتناقش بعض الشىء ، خاصة وان مناقشاتنا اليوم ليست خارج الموضوع وارى ان يكون لديكم اوراق لانها تمثل تفكيرا معينا ولكننى افضل عندما نتناول ورقة كالورقة التى تقدم بها السيد الدكتور حافظ غانم لتكون موضوعا للمناقشة ولانمسك بدليل العمل ، بعد ذلك يتطور الى الخطوة التى ذكرتها وننهى المناقشة وندخل فى كيفية اعداد دليل العمل السياسى وماهى الصلة الى كذا وكذا . ومن الجائز أن يرد فى المناقشات آراء جديدة ، ومن المحتمل أن يكون رأى أحد الحاضرين هو ان الاتحاد الاشتراكى فى صورته الحالية من احسن ما يكون وانه لا حاجة الى التغيير .

● الدكتور عبد الحميد حسن

اذا وضعنا ورقة العمل فهل تكون نهائية ؟

● السكرتير الاول

لا اتصور ان تكون هناك ورقة عمل نهائية الا عندما تقرها اللجنة المركزية .

● الدكتور عبد الحميد حسن

اذن ليس هناك مانع من ان نخرج ورقة العمل في الجلسة القادمة وهي ورقة عمل الامانة العامة

● السكرتير الاول

هذه الورقة تنقصها نقطة واحدة ، وهي ورقة عمل امناء المحافظات وسوف ارسلها لكم ، ايضا سوف ارسل لكم ورقة عمل اللجنة التي عمل فيها السيد الدكتور حافظ غانم والسيد الدكتور اسماعيل غانم والاخ الدكتور الحفني والدكتور احمد كمال ابو المجد والدكتور جمال العطيفي وهي موضوعة على شكل موضوع وتساؤل لكي تعمل حوارا ، واستميح لنفسي ان انتظر الى الجلسة القادمة بحيث يكون لدى ورقة العمل ومن المحتمل ان اتر فيها انا بنفسي .

● الدكتور عبد الحميد حسن

هناك ردود كثيرة على التساؤلات التي وردت في ورقة العمل وهي الورقة التي اعلنت من عشر سنوات .

● السكرتير الاول

سوف يوزع ايضا موضوع تقرير الميثاق الخاص بلجنة المائة ، وسوف يطبع في المطبعة على ان يتولى السيد المهندس احمد عبد الآخر هذه العملية وبذلك يوزع في الجلسة القادمة بيان السيد الدكتور حافظ غانم والتقرير وهذا المشروع وايضا تقرير السادة امناء المحافظات .

● الدكتور محمد حافظ غانم

اذا وزع التقرير المشترك الذي اشترك فيه الدكتور اسماعيل غانم والدكتور العطيفي والدكتور محمد كمال ابو المجد وانا فان هذا التقرير كاف لاننا متفقون عليه .

● السكرتير الاول

انني اعلم انكم متفقون عليه وهذا لا يمنع ايا من السادة الاعضاء في ان يتقدم لهذه اللجنة بأية ورقة عمل اذا اراد واخص بالذكر السيد الدكتور محمد دكروري لانه عمل بالاتحاد الاشتراكي مدة طويلة وكذا الاخ محمد عثمان والاخ احمد عبد الاخر او اى شخص آخر على ان تعرض على اولا اية ورقة تقدم .

● الدكتور عبد العزيز كامل

أرجو ان يتبع في التوثيق مايتبع في هيئة الامم المتحدة بأن اى ورقة تخرج لابد ان تأخذ رقما .

● السكرتير الاول

سوف نعمل ذلك وارجو ان يتولى السيد المهندس احمد عبد الاخر انشاء امانة لهذه اللجنة وليست سكرتارية بحيث انها تقوم بعملية الترقيم ويكون لدينا الوثائق ونبدأ عملية التوثيق من الان.

● الدكتور محمد دكروري

ارجو من سيادتك ان تفسح صدرك على اعتبار ان البداية عادة تكون صعبة ، ولو بدأنا على الطريق الصحيح منذ البداية لوفر ذلك علينا جهدا كبيرا ، ومما لاشك فيه ان توزيع هذه الوثائق يعطي ابعادا جديدة لكل منا ، ولكني اتصور ان مهمة اللجنة تدخل في مرحلتين :

المرحلة الاولى ، هي مرحلة تشخيص المشاكل الموجودة، فقد لاتكون المشاكل الموجودة مشكلة قنوات اتصال أو علاقات بقدر ماهي فلسفة التنظيم نفسه .. فهل يمثل اسلوبا امثل لربط الجماهير وتحريك الجماهير ؟

وهل هي صيغة نابعة من الجماهير ، أم صيغة مفروضة على الجماهير ؟

وعلى سبيل المثال : اذا ما أردنا أن نتقول التعريف العلمي للحزب السياسي فهو لا يمثل طبقة ولكن يمثل مجموعة من الافراد تجتمع حول هدف . وقد تكون طبقات وليس بالضرورة طبقة انما لابد أن يكون هدفا والهدف لا يرتبط به الا من يعيه .

هل حزب الكثرة يتضمن بالضرورة أن أعضاءه يعون هذا الهدف ويرتبطون به ، على سبيل المثال فان الاتحاد الاشتراكي يضم ستة ملايين ولا اتصور بين يوم وليلة ، أو في فترة ثلاثة شهور يمكن بأسلوب ترميم ما هو قائم أن نضمن أن نصل الى النتائج المرجوة ، بعد ذلك يأتي المناخ الذي نعمل في ظله بالنسبة لهذه الجماهير وبالنسبة لهذه اللجنة والظروف التي تحيط بالوطن داخليا وخارجيا ، هذه تمثل ضواغط على التفكير والحركة، وما أخشاه انني انجرى من الان في محاولة ترميم ماهو قائم بصورة قد تخيب آمال الجماهير.

هناك أزمة ثقة موجودة اليوم من الجماهير في القواعد الشعبية وقد وصلت الذروة اليوم

ويطالبون اليوم أوكادوا يقولون كماذكرت الدكتورة عائشة اننا نجتمع لكى نشغل تفكير الناس لمدة شهرين أو ثلاثة ، وبعض الناس ذهبوا الى انه استعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكى .

فاذا كنا سنجتمع لكى نضع صيغا نظرية جديدة نضيفها الى الفكر النظرى الذى تم فى المراحل السابقة والذى يمثل قطعا فنية من الفكر النظرى والصياغة العظيمة فى اللغة ، فاننى أربأ بهذه اللجنة أن تنتهى الى هذا .

ولذلك فاننى اقول اننا اذا كرسنا هذا الوقت وتكلم كل منا بجرأة وباخلاص وبأمانة تتناسب مع المرحلة التاريخية التى نجتازها اليوم نكون قد انطلقنا لعملنا .

وأرجو من سيادتك ان تفسح صدرك جلسة واثنين وثلاثة ، حتى ينتهى كل منا من أن يقول كل تصوره .

● السكرتير الاول

اننى لا أرى أن هناك تعارضا ، فان ماذكرته سليم واننى أوافق عليه ، انما لابد ان كلامك سيتضمن نقاطا معينة لانك سوف لا تتكلم من فراغ ، لانك سوف تتكلم مثلا فى التنظيم كموضوع أو تتكلم فى أسلوب العمل كموضوع ، اى انه لابد أن تكون هناك موضوعات سوف تتكلم فيها .

● الدكتور محمد دكرورى

اننى حينما أبدأ بدليل العمل كيف اسير .. ؟ بمعنى أن تسلسلى فى التفكير كيف يسير ؟ لابد أن أشخص الاول ، بمعنى أن الدكتور درويش كطبيب ان لم يأخذ كل أبعاد المرض لا يستطيع أن يعالج .. ؟

● السكرتير الاول

لو لاحظت كلامى فى البداية تجد أننى لم اقل اننا سنأتى فى الجلسة القادمة ونبدأ فى دليل العمل السياسى لم اقل هذا ابدا ، ولكننى أقول ان هذه أفكار موجودة سنتناولها ككل ، ومن أجل هذا لن نسلبك حقك فى الجلسة القادمة ولك أن تتناول هذا ككل ، ولكن المهم أن اخذ من كلامك نقطا معينة لكى اضعها أمام اللجنة كنقاش اى انك تستعرض استعراضا كاملا وتأخذ منه النقط حينما نتكلم فى فلسفة التنظيم .

حينما نتكلم عن فلسفة التنظيم فقد يضاف الى ذلك تفصيلات معينة حتى يمكن النقاش فيها ، ولكننى لم أغلق باب المناقشة فى الاستعراض العام ، وأنت متحرر فيه تحررا كاملا ولك أن تبدى رأيك كما تشاء ، ووظيفتى ستكون هى استخلاص بعض النقاط اثناء المناقشة لكى أطرحها على المناقشة العامة .

● محمد عبد الحكيم موسى

فى الواقع .. هذه الجلسة تحتاج الى سعة صدر لكى يمكن أن نقول كل ما لدينا من أفكار .

وبالنسبة للمقال الذى أدليت به سيادتكم الى جريدة « الاهرام » فاننى كنت اليوم فى طنطا واعتقد ان أحسن ما أقدمه لهذه اللجنة هو أن أنقل اليها ما رأيته وما سمعته من الجماهير ، فعندما قرأت الجماهير هذا المقال حدثت مناقشة كبيرة جدا وكان أحسن ما ورد فى هذا المقال وشد انتباه الجماهير وأخذ مجالا كبيرا من النقاش هو ما قلته سيادتكم من أن الاتحاد الاشتراكى كانت مهمته أن يبرر أعمال السلطة التنفيذية ، وهذا الكلام فى الواقع ادخلنا فى نقاش طويل وجاءت تساؤلات كثيرة مؤداها أنكم كثيرا ماتكلمتم عن الاتحاد الاشتراكى وكثيرا ما قلتم سنعمل وسنعمل الى آخرها ثم فى النهاية يمسح هذا الكلام كله وتنفذ ارادة السلطة التنفيذية . كذلك فاننى أرى الا نتأخر كثيرا عن اللجان الفرعية فى الاجتماعات لانهم يمثلون النقابات وغيرها من الجهات المتعددة وأنا اعرف منهم أشخاصا يقولون ماذا سنعمل وماذا يمكن أن نقوله وما الذى سيقول لنا السيد السكرتير الاول ، وما هو العمل الموكل الينا وما هى طريقة العمل ، ربما كانوا يريدون الظهور أمام نقاباتهم ، فمثلا عضو اللجنة الزراعية يريد أن يظهر أمام جمعيته بأنه قال كذا وكذا لكى ينقل الرغبات ، وهؤلاء فى الحقيقة متصلون بجماهيرهم ، ومتصلون بالشعب .

● السكرتير الاول

أولا اذا كنتم أنت والاخ محمد دكرورى تطلبون منى سعة الصدر فاننى كذلك أطلب منكم بسعة الصدر ، والان هناك ورقة معينة معدة ولقد قرأت الاوراق التى وردت من أمانات المحافظات وهناك أشياء كثيرة لا أوافق عليها ، كذلك هناك اجزاء غير واضحة بهذه الاوراق ومن واجبى أن أضعكم معى فى الصورة كاملة وسوف توزع الاوراق التى اتفقنا عليها وسيجرى توزيعها باكر أو بعد باكر ان شاء الله .

وبالنسبة للاجتماع القادم فاننى أرى أن يعقد يوم الاحد القادم صباحا .. فهل السادة أساتذة الجامعات يوافقهم هذا الموعد .

● الدكتور محمد دكرورى

فى الحقيقة لو كان الاجتماع فى المساء لكان

افضل لمجموعة كبيرة كذلك بالنسبة ليوم الاحد فاننى أرى أن الفترة طويلة وتتباعد فلا مانع اذا كانت الاوراق ستوزع باكر يكون الاجتماع بعد باكر .

● **السكرتير الاول**

فى الحقيقة اننى اعطى فرصة على احتمال أن يكون اجتماع السيد الرئيس يوم السبت فيوم الاحد معقول .

● **الدكتور محمد دكرورى**

وجهة نظرى هى أن سيادتك قد تسمع مايمكن أن تنقله للسيد الرئيس .

● **السكرتير الاول**

اننى غير متصور اننا سنناقش السيد الرئيس فى هذا الاجتماع لاننا لم ننته بعد الى رأى ، وأنا بهذا لا أمنع المناقشة مع السيد الرئيس ، فالسيد الرئيس أعطانا حرية العمل فى هذا الموضوع بناء على قرارات المؤتمر كاملة . واننا سنستمع منه الى كلمة فى هذا الاجتماع ، ومن الجائز أن اقول كلمة أعبر فيها عن خط سير اللجنة ، واذا كانت هناك تساؤلات بسيطة فلا مانع من طرحها على السيد الرئيس ولكن فى الفترة الحالية فاننى لا أتصور ان نفتح نقاشا عاما مع السيد الرئيس فى هذا الموضوع .

● **الدكتور محمد دكرورى**

فى الحقيقة انا متفق مع سيادتك ولكن قد نستطيع أن نستغنى عن هذا بأن ننقل اليه فكرة عن الفكر الموجود .

● **السكرتير الاول**

هذا الفكر طرح على السيد الرئيس قبل الخطاب الذى القيته وقبل قرارات المؤتمر ، الا اذا كنت تريد أن تستزيدأو تستوضحعن شىء فى قرارات المؤتمر او تضيف الى كلمتى شيئا وفى هذه الحالة يحسن أن تقول لى عليها أولا وقد أضيفها الى ما سأقوله فى كلمتى ، كذلك اذا كان لاحد من حضراتكم أية ملاحظات بالنسبة لقرارات المؤتمر أو بالنسبة للخطاب الذى القيته فلامانع من الاتصال بى وانا أضيف ذلك فىالكلمة التى سألقيها فى اجتماع السيد الرئيس .

والفكرة فى اجتماع السيد الرئيس انه سيطمئنكم مع اللجان التسعة على اتجاهاته بمعنى انه سيتكلم ويقول اتجاهاتى كذا واتجاهات الاتحاد الاشتراكى كذا وعليكم أن تضعوا هذا فى اسلوب عمل وهذا هو تصورى عما سيقوله السيد الرئيس .

● **الدكتور محمد دكرورى**

ان النقطة التى نود تحديدها هى من أين ننطلق ؟

هل ننطلق مما هو قائم الان ، اواننا مفوضون بأن نتعمق لكى نغير الشكل القائم .

● **السكرتير الاول**

يمكنك أن تغير قانون الاتحاد الاشتراكى نفسه ولكن لا يمكنك أن تغير الميثاق فى هذه المرحلة أو بيان ٣٠ مارس أو الدستور .

● **الدكتور محمد دكرورى**

هل هناك صياغة اكثر مناسبة للاتحاد الاشتراكى وبالعمل السياسى يمكن أن نصل اليها ؟

● **السكرتير الاول**

فى داخل قانون الاتحاد الاشتراكى ممكن بحيث نحسن ما هو قائم .

● **الدكتور عبد الحليم الجندى**

الاتحاد الاشتراكى شىء أكبر من أن نغيره .

● **السكرتير الاول**

أنا لا أرجو أن نصل الى هذا ، ولكنى أرد على الدكتور محمد ، هل نستطيع أن نغير الدستور .

● **الدكتور محمد دكرورى**

نستطيع أن نوصى المؤتمر القومى بأن هناك احتياجا لتعديل الدستور فى مادة معينة من اجل أمر معين .

● **السكرتير الاول**

نحن نفكر أولا من اين نبدأ ، المفروض أن هناك صيغة قائمة ، ونحن نبدأ من مواثيق يجب أن نعترف بها على ماهى عليه ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس والدستور وبرنامج العمل الوطنى اى أربعة نقاط أمامنا .

الذى يمكنك تغييره فقط هو قانون الاتحـــاد الاشتراكى . ولكن عندما نغير قانونا لابد أن يكون هذا التغيير مستندا الى الدستور نفسه . وعندما نصــدر قانونا فيجب أن ينبع هــذا القانون من الدستور .. فما رأى الاخ عبد الحليم الجندى فى هذا من الناحية القانونية .

● **الدكتور عبد الحليم الجندى**

لا ، ان قانون الاتحـــاد الاشــتراكى ليس كالقرارات قانونه بجانب الدستور مما جعل ان هناك رايين : راى يرى بأنه يمكن أن يعـدل ويصدر ويتصرف فيه من رئيس الجمهورية وهذا يضعفه ويجعله اقل من القانون العام ، وراى يقول أنه قانون تأسيسى مثل الدستور ويؤكـد اننا فى اتجاهنا الحالى متجهون نحو اخضاعه للدستور .

● **السكرتير الاول**

لا ، المادة [٥] من الدستور تقول :

الاتحـــاد الاشتراكى هـــو التنظيم السياسى الذى يمثل بتنظيماته القائمة على اساس مبــدأ الديمقراطية تحالف قوى الشعب العـــاملة من الفلاحين والعمال والمثقفين .. الخ . وهو اداة لتعميق قيم الاشتراكية والديمقراطية فى متابعة العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ودفع هــذا العمل الوطنى الى اهــدافه المرسومة ويؤكــد الاتحاد الاشتراكى العربى .. الخ .

● **عبد الحليم الجندى**

يمكن أن نعيد صياغة الاتحاد الاشتراكى .

● **محمد على شتا**

لا توجد صيغة من صيغ المعارضة فى الاتحاد الاشتراكى ويجب أن توجــد صيغة من صــيغ المعارضة فى الاتحاد الاشتراكى .

● **السكرتير الاول**

ان الاسلوب الذى تسير عليه مناقشاتنا الان فيه معارضة .

● **محمد على شتا**

لقــد اردت من سؤالى تحـديد مدى مجال الحرية فى التعبير .

● **السكرتير الاول**

أساسنا الان هو الدستور والميثاق وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى ، ويعنى ذلك أن الخط الذى تسير عليه خط واسع جدا ، وعندما نتعرض لاسلوب اللجنة المركزية مثلا يمكن أن نبحث هل أسلوب عملها الحالى أسلوب حزبى أو أسلوب تنظيمى يؤدى الى نقاش موضوع معين ؟.. رايى الشخصى انه لايعنى بالفرض .

وعلى سبيل المثال عندما يناقش الوزراء فى اللجنة المركزية أو ان يدور أى نقاش فيها فنحن لا نعلم الموضوع الذى سيدور حوله النقاش ، ونجد أن العضو يرفع يده طلبا للكلمة ويقول القمح أو الفول أو المدرسة .. الخ . وفى هذه الحالة الوزير يجمع معلومات من ذهنـــه فقط للاجابة عن التساؤل .

لا يمكن أن يكون هناك أسلوب عمل سياسى يتم بهذا الشكل .

ففى مجلس الشعب وضعت اللائحـــة التى حددت نظاما للتساؤل والاستجواب والنقـــاش وما الى ذلك ، كل هذا سوف نتعرض له بحيث تصبح الامور واضحة فى كل المستويات .

● **الدكتور محمد دكرورى**

اذا افترضنا اننا نتكلم من التنظيم بشكل حزبى فان هذا الموضوع يحتاج الى نقاش طويل . وما اود ان اقوله أننا سوف لا ننطلق الى المنطلق الذى قد يكون قد تبادر الى ذهن البعض ، ولكننا فى ظل المعركة وفى ظل الظروف الراهنة تكون المعركة والنصر هى منطلق تفكيرنا فى اعـــادة الفعالية فى الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة.

ويعلم الناس جميعا أنه لا يغيب عن فكرنا أن فى الاتحاد الاشتراكى وصيغته الموجودة بعض الثغرات التى قد تضعفه ، وما نريد أن نصل اليه هو اعطاؤه أكبر فعالية ممكنة ، وان لنـــا لقاء بعد النصر باذن الله .

● **السكرتير الاول**

نحن متفقون على ذلك .

● **المهندس سعد هجرس**

ان ما سمعته من السيد الــدكتور محمـــد دكرورى أن هـــذه اللجنـــة تقوم بعملية ترميم للاتحاد الاشتراكى وانى لا أرى ذلك فليس عمل اللجنة ترميما للاتحـــاد الاشتراكى ولا تجـــويد

الاتحاد الاشتراكي ؛ ان عمل اللجنة عملية انشائية ، اى أن اللجنة تنشىء هيكلا جديدا ونظاما جديدا من خلال قانون ومن خلال قانون عمل عملية جديدة .

● **السكرتير الاول**

لا ، ليس الامر كذلك .

● **الدكتور عبد الحميد حسن**

بمناسبة اجتماع السيد الرئيس بنا ؛ فان لدى نقطة أرجو أن يتفضل السيد النائب بتوصيلها للسيد الرئيس وهى أن يرفع شعارا يلغى به شعار أن الاتحاد الاشتراكى يخدم ولا يحكم ؛ لان هذه الصورة ما زالت الاجتهادات تفسرها بطرق مختلفة ولن يحسمها غير سيادة الرئيس شخصيا .

● **السكرتير الاول**

أعتقد يا أخ عبد الحميد ما زال الوقت مبكرا فى أن أطلب هذا من السيد الرئيس وما سوف نطلبه من السيد الرئيس هو أن يعطينا توجيها عاما .

على سبيل المثال أريد أن ينطلق الاتحاد الاشتراكى وأن ينفتح الاتحاد الاشتراكى على الجماهير ، ولا أتصور أن يقول السيد الرئيس فى الاجتماع الاول خلاف هذا .

بعد ذلك لنا لقاءات مع السيد الرئيس ؛ وعندما ننتهى الى قرار فى شعار « يخدم ولا يحكم » بعد أن نناقشه وننتهى فيه الى توصية معينة فاننا نقدمها للسيد الرئيس ونقول له هذه ورقة عملنا ونناقشه فيها ويناقشنا فيها .

ولقد كان من السهل أن تجتمع لجنة العشرين مع سيادته فى أى وقت ولكنى كنت حريصا بالنسبة للاجتماع الاول الذى يتم مع هذه اللجنة أن تكون معنا اللجان الفرعية التسع حتى تتاح لسيادته الفرصة بأن يجتمع باللجان العمالية والمهنية والفلاحين ويبين لهم سياسته ، بالاضافة الى هذا فان السيد رئيس الجمهورية يعطى لنا دفعة ، وتعلمون أيضا أنه مهتم ومن جانب آخر تعرفون الخط الذى يسير فيه .

ورجائى ألا نرهق سيادته فى النقاش فى الجلسة الاولى لاننا لن ننتهى الى رأى ، وأرى أن نستمع الى سيادته فقط فى هذه الجلسة ، ومن لديه من حضراتكم فكرة جديدة يريد أن يضيفها الى قرارات المؤتمر ، أو الى خطابى فليتكرم ويعطيها لى وسوف أبحثها لانه لا يكون فى هذا الاجتماع سوى كلمة ألقيها ثم يتكلم بعد ذلك السيد الرئيس .

● **مسعد التمامى**

بالنسبة للتنظيمات النقابية والقوانين التى تحكمها فهناك ثغرات فعلا فى هذه القوانين التى تجعل الربط بينها وبين الجماهير .

● **السكرتير الاول**

كل هذا سيرد يا أخ مسعد .

● **الدكتور جابر جاد عبد الرحمن**

بالنسبة للوثائق فقد سبق أن ذكرت أن هناك وثيقة أصدرها المؤتمر القومى سنة ١٩٦٨ عن علاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة التنفيذية وعلاقة الاتحاد الاشتراكى بمجلس الشعب .. الخ . وهذه الوثيقة بها قواعد موضوعية .

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

توزع الوثيقة التى وضعت سنة ١٩٦٨ والتى يشير اليها السيد الدكتور جابر جاد عبد الرحمن سوف توزع عليكم هذه الوثائق وسوف يكون اجتماعنا الساعة ١١ صباح الاحد القادم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

« وانتهى الاجتماع فى الساعة ١٠ر١٥ » .

المحضر الثانى

الاجتماع الثانى للجنة العمل

يوم ١٩ مارس ١٩٧٢

اجتمعت لجنة العمل فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاحد الموافق ١٩ مارس سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية وحضور السادة أعضاء الامانة العامة للجنة المركزية .. وحضور كل من السادة :

خالد محيى الدين ـ الدكتور محمد حافظ غانم ـ الدكتور عبد العزيز كامل ـ الدكتور أحمد السيد درويش ـ عبد اللطيف بلطية ـ الدكتور اسماعيل غانم ـ المهندس ابراهيم نجيب ابراهيم ـ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ـ المهندس احمد عبد الاخر ـ مسعد التمامى ـ محمد مهدى شومان ـ الدكتور أحمد كمال أبو المجد ـ المهندس ابراهيم شكرى ـ كريمة السعيد ـ محمد على شتا ـ محمد عثمان اسماعيل ـ الدكتور محمد ابراهيم دكرورى ـ الدكتور حسن اسماعيل ـ المستشار عبد الحليم الجندى ـ المهندس سعد هجرس ـ المهندس طاهر أمين ـ الدكتور ابراهيم ابو النجا ـ الدكتور جمال العطيفى ـ الدكتور احمد عبده الشرباصى ـ ثابت السفرى ـ محمد عبد الحكيم موسى .

ولم يحضر الاجتماع :

- الدكتورة عائشة راتب
- الدكتور عبد الحميد حسن

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتقد انه قد وزعت عليكم الاوراق التى طلبتموها فى الاجتماع الماضى كما اعتقد ان التوزيع تم فى وقت مبكر حتى تتمكنوا من قراءتها .

وارجو ان تكونوا قد قرأتم التقرير الذى تقدمت به ، وهو يركز على ثلاثة أو اربعة اتجاهات ، وفيه نقاط كتساؤلات معينة فى صلب الموضوع وفيه نقاط اخرى عبارة عن وقائع معينة ، وقد احدثت تغييرا فى هذا التقرير عقب لقائى بكم ، فقد كان التقرير مقدما على اساس ورقة عمل كاملة ، كما تبينتها من نتيجة النقاش والحوار الذى دار فى الماضى ولكننى فضلت ان يتخذ التقرير الشكل الذى يتخذه الان بحيث يكون تقريرا كاملا ، وعلى ذلك نفتح النقاش فى هذا التقرير حتى نخطو خطوة الى الامام ، وخاصة ان هذا التقرير

قد عالج جميع الموضوعات المختلفة التي قد تدور في اذهان البعض ..

قد نختلف في الاجابة على سؤال من الاسئلة ، فيطرح للنقاش ، والمفروض اننا عندما نناقش هذا التقرير ، فان السكرتارية سوف تقوم بالكتابة والاستعراض ، وعندما تنتهي اللجنة الى قرار يصبح هو راى اللجنة ويفرغ في التقرير النهائي .

ونشعر اليوم اننا يجب ان نسرع الخطى من اجل اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي .. واود أن انبه الى ان اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي لاتعني اعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكي ، ولكنها تعني تغيير اسلوب العمل في الاتحاد الاشتراكي بما يتلاءم مع القرار النهائي الذى ستصدره اللجنة في هذا الشأن .

هذه ناحية ، والناحية الاخرى نرجو ان ننتهي من التقرير سريعا ليعرض على اللجنة المركزية في اول اجتماع لها او ربما ثاني اجتماع اذا كانت سوف تعقد بشكل سريع .

كما ان المؤتمر القومي سوف يعقد في ٢٣ يوليو .. ولابد ان نكون جاهزين قبل ذلك ، ونريد أن ندخل المؤتمر القومي وقد أعددنا الترتيب بعد اقرار اللجنة المركزية للتغييرات الموجودة .

ولو سمحتم لي نبدأ استعراض التقرير ، كما استسمحكم ايضا ان يذاع هذا التقرير لان مهمتنا ليست هي أن ننفرد بآرائنا ، وانما وظيفتنا هي ان يشاركنا الرأى العام في كل مايجرى من الامور ، ونظرا لانه ليست هناك امور سرية فقد سمحت لرجال الصحافة ان يحضروا هذه الجلسة حتى يعيشوا في الجو الذى نحن فيه ..

اذا بدأنا التقرير نجد في الصفحة الاولى منه **سؤالين اساسيين :**

الاول : هل حقق الاتحاد الاشتراكي الامال التي علقتها عليه القيادة والجماهير ؟

الثاني : اذا لم يكن التنظيم السياسي قد حقق هذه الامال ، فما السبيل الى تصحيح الوضع ، بحيث توفق الجهود المبذولة من اجل اقامة تنظيم شعبي قادر على التعبير عن الجماهير وتمثل مصالحها ، وبحيث لايفقد المواطن كل امل في اسهامه في تحمل مسئولية بلده في تلك الفترة الحرجة من تاريخنا ؟

من الواضح ان هذين السؤالين لم يترددا عندنا ، ولكنهما طرحا في اللجان التي عقدت قبل انعقاد المؤتمر ، وحقيقة لم تكن هذه اللجان تمثل اللجنة المركزية ، وانما كانت تمثل قوى معينة من قوى الشعب العامل مثل النقابات المهنية ومجموعات الطلبة والعمال والفلاحين الذين التقينا بهم .

كما نشير الى كلمة السيد رئيس الجمهورية التي حدد فيها خطوطا اربعة يجب ان نلتزم بها وهي في الصفحة الثانية :

اولا : حشد طاقات جماهير شعبنا ، وذلك عن طريق وضعها في الصورة دائما .

ثانيا : ادارة الحوار الديمقراطي بين قوى الشعب العاملة لكي تحقق عن هذا الطريق مشاركتها الايجابية في النضال الشامل لامتنا .

ثالثا : فتح ابواب الاتحاد الاشتراكي ليكون مجالا للتفاعلات الصحية بين كل القوى الشعبية وتكون خطوة الى الامام متصلة بعملية ديمقراطية سليمة .

رابعا : اعداد الجماهير نفسيا وذهنيا ومبدئيا لتقبل مسئولياتها ، على أن يكون واضحا أن الناس يحملون مسئولياتهم اذا امسكوا حقوقهم بأيديهم ، بما في ذلك حقهم في توجيه السلطة الوطنية ، وهي لاتعبر ولايمكن ان تعبر الا عنهم ، وعنهم وحدهم ، والا فقدت اهليتها وشرعيتها .

ثم بعد ذلك يشير الى قرارات المؤتمر القومي .. ثم الاشارة الى تكوين اللجان ومتابعة تكوين هذه اللجان .

ثم تعرض التقرير بعد ذلك لنقطة شائكة وهي **سلبيات الاتحاد الاشتراكي** ، وفي الواقع لقد حددنا هذه السلبيات كما تصورتها المجموعات التي اجتمعنا بها ، ونحن نفتح المناقشة في هذه النقطة بالذات لان مايبقى بعد ذلك هو عبارة عن قرارات صدرت فعلا سواء من المؤتمر القومي او بتوجيهات من السيد رئيس الجمهورية او وردت في خطاب السكرتير الاول للجنة المركزية في المؤتمر القومي الماضي ..

واود قبل ان نبدأ مناقشة السلبيات ان انبه الى اننا لانقول ان اخواننا في العهود الماضية في الاتحاد الاشتراكي لم يبذلوا جهدا .. ابدا .. .. اننا نقول انهم بذلوا جهدا معينا .. ولكن مامحصلة هذا الجهد ؟ هل حققت النتيجة التي نتصورها كتنظيم سياسي أو لم تحقق ؟ ليس هذا لوما لاحد ، ولكنه تقرير وقائع عن محصلة عمل معين ، ونريد ان نقيم هذه المحصلة بصفة مستمرة في اطار حزبي او تنظيم سياسي يجب ان يراجع نفسه في كل فترة من الفترات .

وليس هذا عيبا ، ولكن العيب ان يكون هناك خطأ نستمر فيه ، اذ انه عندما يكون الحق واضحا ،

والنتائج واضحة فمن الممكن بل من الواجب علينا كتنظيم سياسي ان نجتمع من وقت لاخر لكي نبحث ونقيم ماهو خطأ وما هو صواب .

وهذا هو الاساس في جميع الاحزاب السياسية في العالم والا حدث انفصال بين التنظيم السياسى والجماهير لعدم التقييم .

ان مطالب الجماهير بالنسبة لمشكلاتهم متجددة .. كما ان مطالب الجماهير الى التقدم متجددة ، والدولة يجب ان تكون متطورة ومتجددة وكل هذا تجديد فى اسلوب العمل يجب ان نقابله من ناحية اخرى بتجديد فى عمل التنظيم السياسى نفسه بالنسبة للجماهير .. بمعنى اننا يجب أن نعيش مع الجماهير مشكلاتها اليومية ، لاننا اذا عشنا فى الماضى انفصلنا عن الناس ، واذا عشنا فى مشكلات اليوم نندمج بالناس ، واذا عشنا فى مشكلات الغد فاننا نستشف المستقبل للجماهير ، وهذا هو مانطلبه من اندماجنا مع الجماهير ، ومن هذا المنطلق نتكلم عن السلبيات ..

اول بند فى السلبيات صفحة « ٣ » يقول :

❶ اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبى البيروقراطى ، واقامة الحوائل بينه وبين الجماهير بدلا من السعى اليها فى مواقعها والانفتاح عليها .

والمثال على هذا سوف يرد بعد ذلك فى ترجمة القرارات التى تصدر من جهات اخرى ، وان الاتحاد الاشتراكى كان يجد نفسه ملزما بصفة مستمرة ان يترجم هذه القرارات للجماهير ، وبالتالى تفقد الثقة فيه اذ قد يكون فى هذه القرارات ماهو غير جماهيرى ، او غير نابع من الجماهير ، ولذلك فان توجيهاتنا التى تنزل بصفة مستمرة الى كل الاجهزة هى ان تكون قراراتنا ممثلة لراى الجماهير .

❷ انكماش الضمانات الديمقراطية داخل التنظيم كحق ممارسة النقد والنقد الذاتى وجماعية القيادة .

❸ طغيان النواحى الشخصية على الجوانب الموضوعية فى تقييم الافراد واختيار القيادات

❹ تسلل بعض العناصر الانتهازية الى صفوف التنظيم ومراكز القيادة وتسخيرها لامكانيات التنظيم لتحقيق مآربها واطماعها على حساب مصالح الجماهير .

❺ عدم وجود خطة عمل ذات برنامج وواجبات محددة يسير التنظيم على هداها ، مما ترتب عليه تمييع المسئولية وانكماش عنصر المحاسبة والتقييم الموضوعى للقيادات .



خالد محيى الدين

❻ ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال بين كثير من مستويات التنظيم .

❼ اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسى واجهزة السلطة التنفيذية ، والتشريعية من ناحية وبينه وبين التنظيمات الشعبية والاتحادات والنقابات والقطاع العام وتعاونيات الفلاحين .. الخ .

❽ اخفاء الحقائق عن الشعب وعن قيادات التنظيم .

❾ اغراق الجماهير فى الامل ، والتناقض الشديد بين الاهداف والقدرة والامكانيات المتاحة ، مما يفقد التنظيم ثقة الجماهير .

❿ المراهقة الفكرية وتجميد الكفاح الوطنى بتفسيرات وقوالب تعوق تقدمه وتحد من قدرته على الانطلاق .

⓫ اعتبار التنظيم نفسه جهازا لتفسير وتبرير اعمال السلطة التنفيذية مما يجعله يتحمل مسئولية تصرفات وقرارات لم يشارك فى صنعها اما تملقا للسلطة او تظاهرا .

بقيت نقطة وهى انه ينظر الى الاتحاد الاشتراكى على انه حزب سياسى رغم ان جميع الوثائق تبين انه يمثل قوى الشعب العاملة .

وبذلك فان الجزء الاول بالنسبة للسلبيات هو الذى نفتح النقاش فيه ، فاذا كان لاحد من الاعضاء اعتراض عليها ، أو اضافات عليها فيمكنه أن يذكرها .. حتى تكون هذه السلبيات تشخيصا للحالة التى نستلمها حتى نتقدم خطوة الى الامام لعلاج هذه الحالة .

● **خالد محيى الدين**

لااعرف كيف ستتقدم اللجنة فى عملها ، واننى

اری ان تقرير السيد السكرتير الاول يعتبر بداية عملنا ، ويمكننا ان نبدأ به النقاش كورقة عمل ، وان هــذا التقرير يثير فعلا عديدا من القضايا والتساؤلات ، واننى ارى بالنسبة لطريقة العمل قبل ان نبدى الرأى فى الموضوع ان نتأكد اولا عما اذا كانت التساؤلات والقضايا التى اثارها التقرير هى كل التساؤلات ام ان هناك اضافات عليها .

ولى شخصيا بعض الاضافات على هــــذه القضايا والتساؤلات .

وبعد ذلك نحدد التوجيهات العامة التى سوف تحكم عملنا ، لانه كما ورد فى التقرير هناك قضايا ذات وزن قومى شامل يجب الا نختلف عليها ، وان كان قد يحــدث خــلاف فى تفسيرها لـكن القضايا الاساسية فى الميثاق وفى برنامج العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس والدستور .. هـــذه كلها توجيهات عامة لاداعى للخلاف عليها .. اذن تحدد هذه التوجيهات التى تحكم عملنا ، وبعد ذلك فمن المفروض ان تنزل التساؤلات والقضايا الى اللجان الفرعية بعد أن نبدى رأيا فيها لكى تبدى هذه اللجان رأيها فيها مع جماهيرها بحيث ترد على هذه التساؤلات فى وقت محدد وفى جــدول زمنى معين .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ليس هناك خلاف فى هذا ، وعندما تنتهى اللجنة من هذا التقرير — وهذا ماارجوه ان يتم على وجه السرعة — سوف نجمع اللجان الفرعية كما اتفقنا فى الاجتماع السابق ، فعندما اثرنا هذا الموضوع قلنا اننا يجب الا ننزل الى اللجان الفرعية من فراغ ، ولكن الصورة التى نكاد نجمع عليها اليوم هى انه عقب مناقشة كل جزء والانتهاء الى راى معين فيه ، فان هذا الجزء يصبح جاهزا للعرض على اللجان الفرعية التى سوف تعقد اول اجتماع لها يوم الثلاثاء القادم حيث تجتمع لجنة الشباب ، وسوف نسارع بعقد اللجان الفرعية التى شرحتها فى الجلسة الماضية .

كما اتفقنا مع امناء المحافظات على عرض هذا التقرير عليهم ليناقشوه ويرجعوا فيه الى جميع القواعد السياسية ، وسوف يعاد التقرير اليكم مع كل الملاحظات التى تبدى فيه .

واذا استدعى الامر ، فسوف نعقد اجتماعا مشتركا بين لجنة العشرين واللجان الفرعية .. او بين افراد من لجنة العشرين واللجان الفرعية حتى يتبلور شكل التقرير ، لاننى اشعر ان هذه البلورة سوف تقدم تصورا الى لجنة العشرين .

ولكن قبل ان نبدأ فى التساؤلات يجب ان نبحث عن الطريقة التى نوحد بها هذه التساؤلات وما هى المواقع الرئيسية التى نريد ان نتفاداها مستقبلا وكيف يمكن ذلك ، ولذلك ارجو ان نبدأ بنقطة السلبيات كمنطلق ثم ننتقل بعد ذلك الى باقى النقاط .. لان التقرير بعد ذلك يناقش تساؤلات .

وفى صفحة « ٢٢ » يضع التقرير نوعا من التوجيه ، ليسد هذه الخانة .

● د. محمد حافظ غانم

لاشك اننا يجب ان نحدد بعد دراسة التقرير ماذا كان التقرير قد احتوى فعلا على كل القضايا المثارة بشأن الاتحاد الاشتراكى .. ام ان هنــاك قضايا اخرى ، ومن الضرورى أيضا أن نحدد التوجيهات الرئيسية والقواعد العامة الملزمة التى يجب ان تحكم عمل اللجنة حينما تسعى لحل هذه القضايا،وان طريقتنا كما عرضها السيد السكرتير الاول ليس هناك فرق بينها وبين اقتراح الاخ خالد محيى الدين .. لاننا لكى نقوم بابداء الاجابة على التساؤلات التى طرحت لابد لنا من قراءة التقرير ككل ، وهذا هو الواقع .

● الدكتور احمد الشرباصى

لى **ملاحظة اولى** تتعلق بنقطة نظام وانا فيهـا متسائل ومقترح ..

فما مدى الحكمة من الرأى القائل بأن تكون اعمـال لجنــة العمل متــاحة للنشر ، وقد تكون هناك وجهة نظر اخرى فى ان تظل هـــذه الاعمال وخصوصا تقرير السيد السكرتير الاول مقصورة على أعضاء اللجنة حتى نصل الى بلورة مافيه ، وبعد ذلك من الممكن ان نعرضه على الراى العام ليأخذ فرصته فى التعليق عليه او الاضافة اليه ، ولكن وجود **العنصر الاعلامى** من الان فى مناقشات اللجنة قد يعطل اعمال اللجنة او قد يفتح عليها أبوابا أخرى للنقاش .

نقطة اخرى.. اننى ألاحظ ان الامانة قد وزعت علينا ثلاثة اعمال .

الاول : عبارة عن ورقة عمل من امناء الاتحاد الاشتراكى فى كل من القاهرة والجيزة والقليوبية

الثانى : ورقة عمل كما تصورها السيد الدكتور محمد حافظ غانم .

الثالث : ورقة مقدمة من السيد السكرتير الاول .

وقد لاحظت أن هناك قدرا كبيرا جدا مشتركا بين الورقات الثلاثة . . وعندما نجد ان احداها قد تفردت بشيء لم يرد في ورقة السيد الامين العام نتساءل عن مدى صلاحية المزج بين الثلاث ورقات بحيث ننتزع من ورقة الامناء مايمكن اضافته الى ورقة الامين الاول او ننتزع من ورقة الدكتور حافظ غانم مايمكن اضافته الى ورقة الامين الاول، وبهذا الاسلوب يمكن ان نقوم بالعمل المسند الى اللجنة ، وتكون الديمقراطية الشاملة قد توفرت في البحث ، واذا وجدنا ان الورقات الثلاثة متفقة في الكل ، فان هذا هو الانسب ويعطينا نوعا من الاطمئنان .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

بالنسبة للجزء الاول .. فان الامر مطـــروح للجنة ، فاذا فضلت الا ينشر شيء عن اعمالها فهي حرة في ذلك ، ولكن كما ان لكل شيء مزاياومضار فان النشر ايضا له مزايا ومضار فمن مزايا النشر في طرح ورقة العمل انه يتيح نوعا من الحـــوار كما يقدم نوعا من العمل الذي تقوم به اللجنة حتى تنتهي الى قرار .. لان هذا القرار قد لا يتضمن مبرراته امام الرأى العام .

كما ان الضرر يحدث عندما نتناقش في نقاط يعرفها الناس عن طريق النشر ثم تحذف عند اتخاذ القرار ، ولذلك فانني اطرح عليكم هـــذا الرأى بالنسبة للجزء الاول ونحن نرحب بالاستماع الى ارائكم بالنسبة للنشر سواء اذا كان هنـــاك من يعارض أو يؤيد لهذا الرأى .

● الدكتور جمال العطيفي

افضل ان نفوض سيادتكم لتحديد حدود النشر .. لان الجماهير يجب ان تعرف ماذا نعمله ؛ ولكن قد تكون هناك بعض المناقشات التي قديكون من المصلحة الا تذاع ، ولذلك يحسن أن نفوض سيادتكم لتقدير حدود النشر .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل توافقون على هذا الرأى ؟

« موافقة عامة »

اذن نرجو من اخواننا الصحفيين مغادرة القاعة .. وسوف التقى بهم في المكتب بعد انتهاءالجلسة لاعطيهم ملخصا لما دار ..

النقطة الثانية كما قال الدكتور الشربـــاصي بالنسبة لاوراق العمل الثلاثة .. انني لا اريد أن انفرد بتقرير ، وعلى ذلك فقد لجأت الى بعض السادة الامناء لهذا العمل ، وقد قدمت تقرير السادة الامناء كما جاء دون أى تعديل ، علاوة على انني اتصور أن بعض السادة أعضاء اللجنة سوف يكون لهم رأى معين عندما يعرض هذا الموضوع .



د . أحمد عبده الشرباصي

وفي تصوري أن التقرير النهائي هو حصيلة عمل هذه اللجنة ، وان ما قدم ليس ورقتي فقط ، ولكن يمكنكم أن تنقلوا من تقرير الامناء كما تشاءون أو تقرير الدكتور حافظ غانم .. المهم هو أن نستكمل صورة الوضع كاملا .

● الدكتور احمد السيد درويش

اعتقد أنه يجب النظر على وجه السرعة في هذا الامر خصوصا وان الاحوال التي نمر بها لا تحتمل أى تأجيل ، **ونرى أن السلطة التنفيذية في بلدنا غير مرتبطة بحكم القرارات الموجودة قبل ذلـك لا بالاتحاد الاشتراكي ولا بالسلطة التشريعية** ، وفي بعض الاحيان تصدر تصريحات وبيانات تخالف السياسة التي اتفق عليها الاتحاد الاشتراكي في المؤتمر القومي ، والتي نوقشت في اللجنـة المركزية .

فمثلا عندما يصرح وزير الزراعة بأنه لن يوسع الرقعة الزراعية ، وهذا ما نسميه بـالتوسع الافقي ، ولكنه سوف يطبق التوسع الرأسي ، هذه السياسة قد تكون سليمة وقد تكون العكس ، ولكن **هل يصح لرجل تنفيذى أن يغير سياسة الدولة ؟ ..**

هذا هو مجرد رأى .. وقد يقال انه أعلم وانه على حق ، ولكننا رسمنا سياستنا وبنينا السد العالي ، وقلنا للجماهير اننا سوف نوسع الرقعة

الزراعية (١٥٠ أو ٢٠٠) ألف فدان ، وقد لا يتعارض التوسيع الافقى مع التوسع الرأسى فى النتيجة .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لى نقطة نظام .. لقد دخلنا فى تفرعات .. ما صلتى بالسلطة التنفيذية ؟ اننا اليوم عندما ندخل مثلا فى مجال مؤسسة الادوية بالنسبة للتصنيع الداخلى والخارجى ومداه ، والخامات الموجودة ، والنقد غير المتوفر ، وما هو الدواء الذى يجب أن ينزل الى السوق وغيرها من الامور التى تثير اشكالا شعبيا كبيرا .. لو فرغنا بهذا الشكل بداعى السرعة فسوف ندخل فى منزلق خطير ، ولكن الذى ترونه بالنسبة لصلتنا بالسلطة التنفيذية وتصدرون به قرارا يتبنى من اللجنة المركزية ويراه السيد الرئيس .. هذا هو القاعدة التى يجب أن نسير عليها وتحتها تعالج جميع النقاط الفرعية التى نتكلم عنها ..

ولكن ليس من المعقول أن نطلب اليوم من السلطة التنفيذية الا تصرح الا بما ورد فى الخطة .. مع اننا قد نستند فى ذلك على ما جاء فى الميثاق وفى بيان ٣٠ مارس وفى برنامج العمل الوطنى .. كل هذه الوثائق قد أشارت الى عرض الخطة ولكنها لم تستند الى واقع .. أو الى قرار جديد من اللجنة المركزية يحدد جميع هذه القرارات .

فى رأيى أن جميع هذه النقاط الفرعية تأتى تحت عنوان السلطة التنفيذية ، ولا يمكن أن نبدأ التقرير بتحديد علاقاتنا بالسلطة التنفيذية والا فاننا سوف نضطر الى تحديدها أيضا بالنسبة للسلطة التشريعية .

● الدكتور أحمد السيد درويش

اننا نطالب بتنفيذ ما جاء فى برنامج العمل الوطنى فيما يتعلق بالاتحاد الاشتراكى ...

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ولكن هذه المواد غير معمول بها :

● الدكتور أحمد السيد درويش

اذا كانت غير معمول بها فهذا أمر ثانى .. وهذا يضعنا الان أمام أحد أمرين .. اما ان يتوقف العمل ، واما أن نعمل ارتجالا وعفويا ، وان ظروفنا تستدعى أن نسرع ، فاذا كنا نتحمل الانتظار اليوم ، فهناك قضايا تطرح علينا كل يوم .. هل نتوقف لننتظر حتى نرسم التنظيم كله ثم توافق عليه الناس أو لا توافق ؟ ..

اننا من الان يجب أن نستعمل النظام الموجود - الذى اسىء استعماله فى الماضى فى بعض الاحيان - بتصور معين فى العلاقة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والاتحاد الاشتراكى والمؤسسات .. على أن نجد التصور الصحيح من الان لكى نجابه ونقابل الاحداث التى تفرض علينا يوميا وكل ساعة .

اننا لا نقبل أن نظل ساكتين أو نقول أي كلام ، واننا قبل ان ننقد من سبقونا ، يجب علينا أن نبدأ من الان عملا تنظيميا على أحسن ما يكون النظام حتى لا نتهم ثانيا ممن يأتون بعدنا بأن عملنا كان سلبيا .

● المهندس طاهر أمين

انني اتفق في الراي مع السيد خالد محيى الدين فيما ذكره من أن ورقة العمل المقدمة من السيد السكرتير الاول للجنة المركزية تمثل ما يجيش فى قلوبنا جميعا حول أسلوب عمل اللجنة ، ولكن لى نقطة اخرى أود ان اطرحها .. وهى أن السيد السكرتير الاول للجنة المركزية بدأ فى مذكرته بسؤالين رئيسيين هما :

الاول : هل حقق الاتحاد الاشتراكي الامال التى علقتها عليه القيادة والجماهير ؟

الثانى : اذا لم يكن التنظيم السياسى قد حقق هذه الامال فما هو السبيل الى تصحيح الوضع .. الخ

ولكن هناك سؤال يجب الاجابة عنه قبل هذين السؤالين وهو :

ما هو الإتحاد الإشتراكي ؟ وقد يبدو غريبا أن يصدر هذا السؤال من عضو فى اللجنة المركزية وعضو فى لجنة العشرين ، ولكنني لا أتكلم عن نفسى أو عن أعضاء لجنة العشرين وانما أتكلم عن الاربعة والثلاثين مليونا الذين يقيمون فى هذا البلد .. وانى أؤكد لسيادتكم أن الفرد العادى فى وطننا لا يعرف ما هو الاتحاد الاشتراكي فعلا ، فلقد اغرقنا انفسنا فى شعارات عديدة مثل تحالف قوى الشعب العامل .. الخ . واعتقد أنه طالما لم يوضح بأسلوب سليم ماهو الاتحاد الاشتراكى الذى نحن بصدد تقويته فلا أمل فى النجاح .

اذن علينا أن نحدده لكي يكون مفهوما ليس من القلة المثقفة فقط ، بل يكون مفهوما فهما واضحا بلغة عربية سهلة تحدد الواقع الاساسي الذى يحكم

الإتحاد الاشتراكى ، وعلى ذلك يكون السؤال عن ذلك مطروحا قبل السؤالين اللذين طرحهما السيد السكرتير الاول ، وعلينا ان نجيب عليه ولو استغرق وقتنا بالكامل لكى يكون العضو فى هذه المؤسسة السياسية على علم تام بماهية هذه المؤسسة من كافة النواحى وليستطيع أن ينقلها للقواعد ويعمل على ترسيبها فى أفكارها .

● د . محمد ابراهيم دكرورى

الاحظ ان المناقشة تدور حول نقطتين رئيسيتين :

النقطة الاولى ، وتتصل بالشكل الخارجى بالإتحاد الاشتراكى وصورته .

والنقطة الثانية ، خاصة بمهمة الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة التى نجتازها .

وقد وردت مهمة اللجنة فى خمس نقاط رئيسية فى الصفحة السادسة وأرى أن هذه النقاط الخمس ترد على النقطتين اللتين أثارهما الإخوة .

فالنقطة « أ » تنص على اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى بطريقة جذرية .

والنقطة « جـ » تنص على تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية .

وفى تصورى ان هذه النقاط ، تتصل من ناحية الشكل الخاص بالاتحاد الاشتراكى نفسه ، فقد تكون الدراسة طويلة الامد بعض الشىء ، تعرض على المؤتمر القومى باعتبار أنه السلطة القادرة على أن تعطى صورة وتفويضا بشكل ما يلتزم به .

كذلك ما جاء فى « ب » وهو اعادة النظر فى البناء الداخلىللاتحاد الاشتراكى وأساليب عمله ، وتحديد علاقة التنظيم بالجماهير واعداد العمل الفكرى والتنظيمى للاتحاد .. الخ .

فان هذا كله يتصل بالعمل اليومى للاتحاد الاشتراكى ، ولذلك فان تصورى ان هناك مهمة أخرى للجنة قد يكون الاسراع فيها الزم من الاخرى ، وهى عملية دفع النشاط فى اطار ما هو قائم وما هو داخل سلطات اللجنة المركزية لاعطاء فعالية أكثر للاتحاد الاشتراكى فى المرحلة القادمة .

كذلك فان ما أثاره السيد طاهر أمين هو كلام يتردد فى الشارع وفى الحقل وفى كل مكان لان الصورة المتميعة التى عليها التنظيم السياسى حتى الان هى التى تؤدى الى زيادة الاجتهادات والتفسيرات ووضع الناس فى متاهات .. والاراء كثيرة حول هذا .

ولكننى كنت قد انتهيت فى الاجتماع الماضى ، حيث طرحت سؤالا هو هل نحن منطلقون أو مفوضون او لدينا معطيات معينة نبدأ منها فى اعادة البناء .

وفى ظل هذا التصور يجب أن تكون لدينا خطتان :

خطة أولى قصيرة الامد لاننا فى ظروف يحكمنا فيها مناخ سياسى وعسكرى وظروف خارجية وداخلية ، كما اننا محكومون أيضا بوثائق تحدد حركتنا ولا يجوز الخروج عنها فلابد من تحديد الشكل القادم للاتحاد الإشتراكى فى المدى القصير من خلال هذا الاطار .

خطة ثانية طويلة المدى وذلك اذا كانت هناك اراء ومنطلقات أخرى قد تخرج عن حدود ما رسمته هذه الوثائق ، فلابد أن نبدأ فى اعادة النظر فى الوثائق نفسها ، ومن ثم يمكن أن ننطلق من هذا الى اعادة النظر مرة أخرى فى صورة التنظيم نفسه ، وهل هو حزب من عدمه ؟ وما هو شكل النظام الحزبى .. وجميع القضايا المطروحة الان ؟

لذلك فاننى اتفق مع الدكتور احمد الشرباصى فى النقطة التى ذكرها الان بالنسبة للصحافة ، لان هناك فريقين :

الفريق الاول وهو يمثل كثرة تكاد تكون غير متفائلة لانها تتصور اننا نستهلك المرحلة القادمة قولا لا فعلا ، كما تتصور ان الجدية حتى الان على مستوى الدولة لم تأخذ الدرجة المطلوبة ، وأملها ضعيف جدا فى انه يمكن أن ينبثق الامر عن شىء جديد .

والفريق الثانى عبارة عن قلة مبصرة ربما كان منتهى آمالها أن يأخذ الاتحاد فعالية نسبية بحيث يستطيع مواجهة المرحلة التى نجتازها .

لكن فى تصورى ان يكون هدف اللجنة نفسها هو محاولة جمع الشمل ودفع العمل الوطنى باقصى درجة ممكنة فى اطار المتاح لدينا حاليا ، اما ان نتفرع ونتشتت ونتوزع فى أفكار وآمال واتجاهات مختلفة فى هذا الوقت فان هذا يعتبر مضيعة للوقت خاصة ونحن كلجنة عمل عشرون عضوا ولدينا عدة لجان أخرى كما ان هناك امانات فى المحافظات .

اذن لابد من تحديد مستوى الطموح فى عملنا ، ولذلك اتصور ان ورقة العمل التى وضعها السيد

السكرتير الاول ـ ولو انها فى بعض مواقع منها قد تثير التطلع الى أمال أكبر فى اعادة النظر للاتحاد ـ الا انها فى حاجة أيضا الى تحديد المدى الذى يمكن ان تذهب اليه وبداية المنطلق الذى يجب ان نبدأ منه ٠

فنحن لا نبدأ من فراغ ، فهناك كيان قائم فعلا ، وكما اتفقنا فى الجلسة الماضية فالمطلوب ان نعطى ماهو قائم ـ فى حدود ما يحكمنا من وثائق ، أكبر فاعلية فى المرحلة القادمة ، فليكن هذا التصور هو ما نتفق عليه ثم ننطلق بعد هذا الى تفسير مهمة اللجنة وطريقة اتصالها باللجان الاخرى وحركتها نحو المستقبل ٠

● الدكتور جمال العطيفى

فى الواقع أرى اننا قد بدأنا بقراءة ورقة العمل ، وقراءة السلبيات أولا ٠٠٠ ثم طرح سؤال عما اذا كانت هناك اضافة أو ملاحظات على هذه السلبيات ، ثم تطرقت المناقشة بعد هذا الى موضوعات أخرى ٠

فمثلا بالنسبة للموضوعات التى يثيرها **السيد الدكتور احمد درويش** ، ففى الواقع أن لجنة العشرين لم تحل محل اللجنة المركزية فى المرحلة الحالية ولكن لها مهمة محددة ، وكثير من أعضاء لجنة العشرين ليسوا اعضاء فى اللجنة المركزية ذاتها ٠

فاذا كنا سنعود للحديث فى موضوعات لم تتناولها ورقة العمل المطروحة ، فكأننا سنعود مرة أخرى لمناقشة الاسلوب الذى نبدأ به مع اننا قد اتفقنا على ان نبدأ بمناقشة ورقة العمل والسلبيات أولا ، ثم ننتقل للتصور العام للاتحاد الاشتراكى ٠

وبالنسبة لسؤال **الاخ طاهر** امين (ما هو الاتحاد الاشتراكى) فاعتقد ان هذه هى مهمتنا التى سنقوم بها فعلا ، وانى اتصور ان أهم جزء فى التقرير هو صفحة (٥) **وهو هل الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة أو جهاز للشعب ، وهل هو حزب سياسى أو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟**

اما بالنسبة للسلبيات فاعتقد اننا متفقون عليها ، ولقد تحدثنا فيها كثيرا فى الجلسة الماضية ، ولا أعتقد ـ على الاقل بالنسبة لى ـ ان هناك اضافة لما ورد فى ورقة العمل وكذلك بالنسبة لزملائى أيضا لاننى ارى انه لم يتناولها أحد ٠

فلو بدأنا مباشرة فى الصفحة الخامسة وهى المسألة الاساسية فى الواقع ، لاننا نقول اننا اذا اجبنا عن هذين السؤالين ، فالباقى كله بعد ذلك نتائج ٠

فلو قلنا بأنه ليس سلطة دولة ، فستترتب على هذا نتائج ، فهل سيكون معنى هذا ان الجهاز الحكومى ـ مثلما يقال دائما ـ هو الشعبة التنفيذية ، ومجلس الشعب هو الشعبة التشريعية أى الجناح التشريعى كما يقال ، وهل يكون العمل السياسى عن طريق الاتحاد الاشتراكى ؟

كذلك السؤال الاخر : هل هو حزب أو تحالف قوى الشعب العاملة ؟ فاذا لم يكن حزبا ٠٠ هل يكون هناك التزام داخله ٠٠ والى أى درجة ؟ وهل يفتح ابوابه للجميع من عدمه ؟ هذه كلها نتائج ٠

كذلك بالنسبة للانضمام الى عضويته ، هل هو اختيارى أم اجبارى ؟ فمن المعروف ان القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى ينص على أنه اختيارى ، لكن من الناحية الواقعية فهو انضمام اجبارى لان كل شخص مضطر للانضمام للاتحاد الاشتراكى حتى يستطيع ممارسة اعمال معينة ، فمثلا لا يستطيع ان يرشح نفسه لمجلس الشعب الا من كان عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، كذلك لا يجوز الترشيح لمجالس النقابات الا لاعضاء الاتحاد الاشتراكى ، بل ان نقابة المهن الزراعية بالذات تنفرد بحظر حضور الجمعية العمومية الا للعضو العامل فى الاتحاد الاشتراكى ، **ونتيجة لهذا نجد أن معظم الناس ينضمون للاتحاد الاشتراكى ليس لايمانهم به ، ولكن لاضطرارهم لهذه العضوية ليصلوا الى مراكز معينة فى البلاد** ٠٠ فهذه قضية أخرى مطروحة ٠

واتصور أن نبدأ الان بالاجابة عن السؤال الاول والثانى ومناقشتهما ٠

● الدكتور عبد الحليم الجندى

فى الواقع ليس لدى ما اضيفه الى كلام السيد الدكتور جمال العطيفى ، لكن لدى نقدا خفيفا جدا لصديقى الدكتور محمد دكرورى ٠

فالجهاز القائم هو صورة من تاليف الاتحاد الاشتراكى لجهازه وليس ملزما لذاته فهو يخضع لقانونه الذى يجب ان يطرح نفسه للبحث ٠ لان قانون الاتحاد الاشتراكى هل هو قانون تأسيسى أم قانون أساسى ؟ وهل هو قانون عموما ؟ وهذا أيضا سيرد أثناء الدراسة فلنتركه الى وقتها ٠

اما بالنسبة لما أشار اليه الدكتور الشرباصى فنحن نوافق عليه ، لا لتقليل الاعلامية فنحن أحوج ما نكون لان يشترك الناس الذين لا يصدقون ليروا ان هنا صدقا وان هنا عملا جادا ، لكن اقتراح الدكتور الشرباصى قد انتهى نهاية جميلة جدا بأنه ترك للسيد السكرتير الاول ان يحدد ما ينشر وما لا ينشر .

ولذلك فانى اتصور ان جميع ورقات العمل هى ورقة عمل لنا بما قد يضاف اليها ، وتفتح الابواب ما أمكن ليعرف الناس ، كما اتصور ايضا ان عملنا الاكبر والسريع يجب ان يكون فى اللجان الفرعية ، فبعد ان نتفق اتفاقا مؤقتا وليس نهائيا على هذه النقاط المثارة ، سندخل بها الى اللجان الفرعية ، ثم نعود مرة ثانية بها الى هذه اللجنة لتنسيقها .. الخ وشكرا .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

يبدو لى ان التساؤلات التى اثيرت الان قد سبقت اثارتها جميعها قبل ذلك ، وكلها لقيت ردودا مكتوبة حاسمة .

أما ما هو الاتحاد الاشتراكى ؟ فقانون الاتحاد الاشتراكى يرد على هذا ، والدستور الدائم لجمهورية مصر العربية يرد على هذا ، وبالنسبة للعلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والهيئات الاخرى مثل مجلس الشعب ، السلطة التنفيذية ، والتنظيمات الجماهيرية .. فلقد اثير هذا السؤال منذ سنوات ورد عليه بردود حاسمة وقواعد واضحة مكتوبة ، ولكن القانون شىء والواقع شىء آخر ، فاذا كنا نريد حقا ان نعمل عملا جديا فلابد من اجراء مسح شامل للقواعد التى وضعت من قبل وسطرت بوضوح من الذين اشتركوا فى العمل السياسى ، وان يطلع السادة اعضاء لجنة العشرين على هذه القواعد ، ثم نتحرى عن الاسباب التى أدت الى ترك هذه القواعد وجعلها حبرا على ورق ، لان هناك مواقف تتخذ سواء من هنا أو هناك .

واعتقد ان ميثاق العمل الوطنى وما أشار اليه الدكتور محمد دكرورى من ان وثائق العمل الاربعة التى يجب ان نتقيد بها هى - **ميثاق العمل الوطنى ، الدستور ، بيان ٣٠ مارس ، برنامج**



عبد الحليم الجندى



د. جابر جاد

العمل الوطنى ، وانه ليس المطروح الان النظر فيما وراء هذه الوثائق الموجودة الان .

ان فلسفة الاتحاد الاشتراكى مشروحة فى ميثاق العمل الوطنى فهو تحالف لقوى الشعب العاملة ، وهو ليس حزبا سياسيا ، ولا اعتقد ان هذه المسألة مطروحة الان مادمنا نتقيد بميثاق العمل الوطنى الذى شرح كنه وفلسفة الاتحاد الاشتراكى ، ثم جاء الدستور وحدد أيضا معالم هذا الاتحاد الاشتراكى ، فليس فى معرض النص أى اجتهاد ، فالنصوص موجودة وكل ما فى الامر ان نحاول ان نتكشف الاسباب التى قلبت القواعد المكتوبة الواضحة الى مجرد حبر على ورق ، فاذا عرفنا هذه الاسباب فلنحاول ان نعالجها .

وقد وزع على حضراتكم محاضر اللجان التى نظمت هذه المسائل ونظرت فيها ، والقواعد التى اقرها المؤتمر القومى فى هذا الخصوص ، فلو سمحتم بالاطلاع عليها لكى نرى ما اذا كانت هذه القواعد تكفى بالمراد أم أن بها قصررا وكيف يمكن معالجته ؟ فاذا كانت هذه القواعد تشفى الغليل فلماذا اذن لم تطبق ولم تدخل فى حيز التطبيق ؟

فاذا امكن ان نلتزم بهذه المواثيق فان هذا يؤدى الى الوصول الى نتائج فى وقت قصير ، ولكن اذا بدأنا المسائل كلها من الصفر وطرحنا كل ما بذل فى الماضى من جهود وتركناها جانبا ، فانى متأكد اننا سنصل الى هذه القواعد بالذات ٠

فلنلق نظرة على هذه القواعد فربما تساعدنا على اكتشاف الاسباب التى آدت الى عدم الاخذ بها ، اذا كانت هذه القواعد لم تعد متمشية الان ويجب ان تعدل على ضوء ظروف جديدة ٠٠ ربما كانتهذه هى الطريقة المثلى لبحثنا بدلا من ان نغرق فى بحر من الجدل وبحر من النقاش وشكرا ٠

● **الدكتور حافظ غانم**

لقد طلبت الكلمة لكى أتحدث فى الصفحة الخامسة ، وهى التى تعتبر فى الواقع الصفحة الرئيسية فى التساؤل عن **سلبيات الاتحاد الاشتراكى** ، **ولى ملاحظتان :**

الاولى : خفية وتتعلق بطريقة صياغة البند الاول أو العامل الاول ٠

والثانية : اننى اقترح اضافة عامل ثالث الى العاملين الاول والثانى ٠

فالصياغة الحالية للعامل الاول تقول : خطأ فى التصور العام للاتحاد الاشتراكى ، وليس لدى اعتراض عليها ، اما السطر الثانى يقول « هل هو جهاز للسلطة أو هو جهاز للشعب ، وفى الواقع أن الصياغة بهذه الصورة غيرواضحة فلماذا لا يكون هناك اتحاد اشتراكى ؟ ولماذا لا تكون هناك ديموقراطية ؟ يجب ان نسلم ان السيادة شعبية وأن السلطة شعبية ، وهذا مذكور فى كل الوثائق ان السلطة عندنا سلطة شعبية ، انما صياغة هذا السؤال تكون أدق حينما نقول هل هو جهاز للسلطة التنفيذية أو هل هو جهاز للحكومة أو جهاز للشعب ؟

انما يجب الا نبدأ التساؤل بما يفيد ان السلطة ليست للشعب ، لان السلطة هى السلطة الشعبية ، وهذا هو المقصود ٠

فاما ان تعدل السلطة ونضيف اليها (التنفيذية) واما نقول سلطة الدولة وبهذا يكون النص واضحا ، وهى مسألة صياغة ومحدودة الاهمية ، انما لا يمكن القول ان السلطة غير شعبية ٠

وبالنسبة للملاحظة الثانية ففى الواقع اقترح ان نضيف الموضوع الذى اثاره الدكتور جابر جاد لانه من العوامل الاساسية فى سلبيات الاتحاد الاشتراكى وعدم وضوح العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الاجهزة التنفيذية والشعبية ٠

وهذه السلبيات ترجع أساسا الى عاملين ، فلو قرأنا هذين العاملين نجد انهما لا يغطيان الموضوع الذى اثاره الدكتور جابر جاد ، ولابد فى هذا الموضوع ان تكون الوثائق الخاصة به موجودة أمامنا ، فاذا كنا فعلا نريد تلخيص تفصيلات السلبيات فى عوامل ، فاعتقد ان علينا ان نضيف العامل الثالث وهو (عدم وضوح العلاقة) وهو موضوع مهم جدا حيث كان مطروحا منذ فترة طويلة وشكرا ٠

● **المهندس سعد هجرس**

فى الواقع ، أعتقد أن كلام السيد الدكتور جابر صحيح تماما ، فان الوثائق الاربعة تؤكد حق الاتحاد الاشتراكى فى فرض سلطته على كل نواحى الحياة فى الدولة ٠

ولو رجعنا للدستور نجد انه قد ورد به عن الاتحاد الاشتراكى انه أداة هذا التحالف فى تعميق القيم الديمقراطية والاشتراكية ، كما ينص على انه من حق الاتحاد الاشتراكى متابعة العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الوطنى الى أهدافه المرسومة ، كما يقول ان الاتحاد الاشتراكى أو التنظيم السياسى له مسئولية فى تطبيق أحكام الدستور بما يحقق أحكام المادة الخامسة من الدستور ، وترتبط بذلك دراسة ومناقشة وابداء الرأى ووضع القواعد الرئيسية

للقوانين التى أشار اليها الدستور ــ مع العلم أن كثيرا من هذه القوانين لم يصدر بعد ولم يؤخذ رأى الاتحاد الاشتراكى ولجنته المركزية فيها ٠

وربما يتولى الدكتور جمال العطيفى هذا الموضوع داخل مجلس الشعب ٠ لان الدستور مرتبط بتسعة وأربعين قانونا قد تهدر الدستور وقد تؤدى الى اهتزاز أحكامه ٠

وحينما ننظر الى الاتحاد الاشتراكى داخل برنامج العمل الوطنى نجد انه ينص على « **أن تقوم قوى الشعب العاملة بالدور الإساسى فى عملية البناء من خلال تنظيمها السياسى وتحت قيادة التنظيم السياسى** » وحينما نرجع للميثاق نجد أنه يحدد دور الاتحاد الاشتراكى تحديدا واضحا وصريحا ، فهو ينص على أنه « **لابد أن تتأكد باستمرار سلطة المجالس الشعبية المعبرة عن ارادة الشعب على أجهزة الانتاج وفوق سلطة الاجهزة التنفيذية والادارية ، وذلك حتى تمنعها من الانحراف وتباعد بينها وبين محاولة أن تجعل من نفسها بيروقراطية** » ٠

وقانون الاتحاد الاشتراكى نفسه ينص على أن الاتحاد الاشتراكى يجب أن يكون أمينا وقادرا على المحافظة على مبادىء الثورة الستة والاندفاع بها الى الاهداف الكبرى التى حددها الميثاق ، والاتحاد الاشتراكى هو الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير ، وتعبر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على مصير ركبه فى الخط السليم ٠

كما ينص على انه « السلطة الشعبية ويقوم بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة التى يمارسها باسم الشعب ، بينما يقوم مجلس الامة وهو سلطة الدولة العليا ومعه المجالس النقابية والشعبية بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى ، فقانون الاتحاد الاشتراكى ألزم مجلس الشعب بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى العربى ، كما ينص على قيام الاتحاد الاشتراكى بدوره القيادى وتحمله المسئوليات الطليعية ووقوفه حارسا على الضمانات التى كفلها الميثاق ومما رسته لوظائفه بالاسلوب الديمقراطى وانبثاقه عن الجماهير وتمثيله لامانيها وتعبيره عن ارادتها تحقيقا لمبدأ سيادة الشعب ٠

ومعنى ذلك أن الاتحاد الاشتراكى هو الرأى المفكر لهذه الدولة والرأى الذى يعبر عن أمانى هذه الدولة ومطالب هذه الجماهير ، فله سلطة التوجيه والرقابة والاشراف على سلطات الدولة ٠

وهنا يثار السؤال الذى طرحه **الدكتور جابر جاد** ٠٠

هل هذه القوانين تتفق مع الواقع فعلا ؟ اننى أتفق معه بأنها لا تتفق وهذا يرجع الى أن العلاقة التى بين الاتحاد الاشتراكى وسلطات الدولة والاتحادات النسائية والشبابية والنقابات المهنية واتحادات العمال فى علاقة شاعت معالمها وليست محددة وليست واضحة ، ومن هنا يجب التركيز حتى يسترد الاتحاد الاشتراكى قوته ويكون له كيانه واحترامه ، ويكون فعلا ما قيل فى شأنه فى مواثيقنا واقعا عمليا ، فلابد من تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين هذه السلطات تحديدا قائما على الوضوح والصراحة والبساطة حتى يمكن أن يتفهمها الاربعة والثلاثون مليونا من المواطنين ٠

وبعد تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين سلطات الدولة التنفيذية والتشريعية ، وسلطات الدولة الادارية واتحاداتها ونقاباتها ، يجب أن يكون هناك من الضمانات ما يمكن من تحقيق فاعلية هذه العلاقة واحكامها ، وبذلك تكون الضمانات من أهم ما يكون ٠

ولكن كون أن نظل نقول كلاما جميلا وقولا منبثقا عن ارادة وعن اخلاص وطنى فى وثائقنا ثم نجده حبرا على ورق فان هذه نقطة الارتكاز التى يجب أن نركز عليها ونعطيها كل الاهتمام ٠ وأعتقد أن جزءا كبيرا من السلبيات الاحدى عشرة راجع للسبب الذى ذكرته ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أود أن نعود مرة أخرى للصحيفة رقم (٥) فالبند الاول لا يختلف اطلاقا عن الكلام الذى ذكره الدكتور جابر جاد ولا يختلف عن الكلام الذى ذكره المهندس سعد هجرس الا فى نقطة واحدة وهى

انه لم يشر حرفيا الى الدستور والى الميثاق على اعتبار اننا نريد أن نضع أيدينا على الواقع ، فقد جاء بهذا البند أن جميع وثائقنا الثورية منذ الميثاق فى الدستور تؤكد أن الاتحاد الاشتراكى جهاز للشعب تمارس بواسطته السلطات ، **لكن الواقع عكس ذلك** .

بعد ذلك يعطى تشخيصا : **لماذا كان الواقع عكس ذلك ؟** فيقول انه خلال مساره الطويل يؤكد انه جهاز لخدمة السلطة أو لوضع الشعب فى الاطار الذى تريده السلطة تماما ، فهو دائما يفسر قرارات السلطة ويدافع عنها حتى تلك القرارات التى يفاجأ بها ويعلم عنها فى نفس الوقت الذى تذاع فيه على المواطنين ، ولذلك فهو يبدو دائما كأنه أحد أجهزة السلطة ، وأى تنظيم اذا تحول جهاز سلطة غرق فى النفاق السياسى وتحاشى ذكر الاخطاء ، وعجز عن تحقيق أهداف الشعب الا بالقدر الذى تملكه أو تحتمه له السلطة ليحاول أن يمسك الجماهير فى قبضة يده .

هذا هو نص المادة كما جاء فى مشروع ورقة العمل وليس لدى مانع من أن نستطرد فى الجزء الاول ونقول ماذا قال الدستور ؟ وماذا قال قانون الاتحاد الاشتراكى ، وماذا قال الميثاق ؟ وماذا قال بيان ٣٠ مارس أيضا ؟ وانما فى النهاية تستند الى الواقع الذى أشار اليه الدكتور جابر ، هذا ما كان واقعا ومازال واقعا ولو أننا نتحاشاه ولعلكم تلاحظون أننا لم نتعرض لجميع القرارات التنفيذية فى الفترة الماضية لا مؤيدين ولا معارضين ، لان جميع هذه القرارات لم يؤخذ رأى الاتحاد الاشتراكى فيها ، وبالتالى فنحن نقف هذا الموقف الى أن نتبين الخطوة التى يمكن أن تأتى ، لاننا اليوم امام أمر من اثنين : — وفى هذا رد على ما ذكره السيد الدكتور أحمد درويش — هذان الامران هما :

اما ان يؤيد الاتحاد الاشتراكى هذه القرارات أو يعارضها ، وهذا جائز قانونا احكاما لمواد الدستور والميثاق وبيان ٣٠ مارس .

ولكن هل تكون هذه هى بداية عملنا أو أن تكون البداية أن نقر الوقائع الموجودة فى الدستور والميثاق أن ننبه الاذهان اليها ثم لا تكون مطبقة فى الواقع .

ولقد اشرت اليها ، ولا يمنع ذلك اطلاقا أن نستطرد فيها عند كتابة التقرير النهائى ولكن معنى هذا أن نقول للناس اننا لم نأت بجديد — كما أشار الى ذلك السيد الدكتور دكرورى ، فنحن نأخذ ما قاله الميثاق ، وما قاله بيان ٣٠ مارس وما جاء بالدستور ونجدد اذهان الناس .

وأذكر اننى فى الفترة الاخيرة وردت الى ذهنى بعض نقاط صرحت بها عندما توليت العمل فى الاتحاد الاشتراكى عن الصلة بينه وبين الاجهزة التنفيذية ، وعندما رجعت الى مواد الدستور والى بيان ٣٠ مارس وجدتها أقوى مما قلت لانها صيغت بعبارات أقوى مما ذكرت .

لذلك فانى أرى أن البند الاول ليس متعارضا لانه يتكلم عن الواقع ، وحينما نتصور اننا نسير فى العمل ونقول ان وثائق الثورة قد نصت على كذا وأن الواقع يغاير هذا ، والنتيجة انه اعمالا للدستور واعمالا للميثاق فانه يجب على السلطة التنفيذية أن تستطلع رأى الاتحاد الاشتراكى عندما تشرع فى اصدار قانون من حيث الفكرة ، لان هناك فرقا بيننا وبين الجهاز التشريعى عند النظر للقوانين .

فاذا ما وصلت اللجنة الى قرار فى هذا الشأن نكون بذلك قد خطونا خطوة الى الامام ، بعد ذلك توضع الصيغة مستندة الى المواثيق السابقة ومستندة الى أرضية الواقع من ناحية التطبيق ، بأن الحكومة لا تصدر قانونا الا بعد أن تحصل على موافقة اللجنة المركزية أو الامانات عليه ، وهذا أيضا موجود ولكننا نقرره كواقع ، هذا موجود فعلا فى صياغة عامة ولكن ما نريد أن نستوضحه هو هل يعرض على الامانات ، أو هل يعرض على اللجنة المركزية ؟ وهل يمكن عقد اللجنة المركزية بصفة مستمرة أم نكتفى بالعرض على الامانات ؟ وهل تعرض كل القوانين ؟ .

هذا هو المفروض على اللجنة أن تتناوله ، اما اذا قلنا أن الميثاق ينص على كذا والدستور يقضى بكذا وهى وثائق تنادى بمبادىء أقوى بكثير من تصريحات السكرتير الاول ولكن كيف يمكن أن ينطبق هذا وما الوسيلة العملية لتطبيق ذلك ؟ .

● **الدكتور اسماعيل غانم**

لدى تساؤل بسيط لان هناك كلمة ذكرت لم أكن أعرفها وهى أن هناك الزاما للحكومة بعرض أفكار القوانين على اللجنة المركزية ، ولا أذكر اطلاقا أن ثمة وثيقة من الوثائق التى قرأتها ورد فيها هذا المعنى .

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

لا يوجد فعلا ، ولكن هناك ناحيتين ، ناحية

النص والتشريع ، ثم الناحية التطبيقية ،جميعنا متفقون أن النصوص الموجودة كافية وسوف لا نأتي بجديد ، ولكن الواقع يخالف هذا ٠

وحينما أقول عرض فكرة القوانين على اللجنة المركزية فهنا أعطى مثلا للواقعية بهذا الاقتراح الجديد ، وقد يكون بالعرض على الامانات أو يكون استطلاعا لرأينا بصورة من الصور ولكن لم يحدث فى تاريخ اللجنة المركزية على ما أذكر أن الحكومة عرضت مشروعا جديدا كفكرة ما عدا قانون التعاون الزراعى ٠

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

لقد عرض قانون المساكن ، وقانون العمل ايضا حينما كنت مقررا للشئون القانونية فى الاتحاد الاشتراكى ، وليس النص ضروريا كما ذكر السيد الدكتور اسماعيل غانم وليس هناك الزام ٠

واسمحوا لى أن أوضح ما هو الاتحاد الاشتراكى ؟ الاتحاد الاشتراكى يتمثل فيه جميع قوى الشعب وهو يحتوى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، فمجلس الشعب هو الجناح التشريعى للاتحاد الاشتراكى ينظر مشروع القانون ويحدد معالمه لان القوانين ليست الا تعبيرا عن ارادة الشعب ، والشعب ممثل فى الاتحاد الاشتراكى – اذن لابد للشعب بواسطة الاتحاد الاشتراكى أن يقول قوله فى كل قانون لانه هو الذى سيحكم بهذا القانون ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل يحصل ذلك ؟

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

نعم كان هذا يحدث ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لنتكلم بصراحة ، لقد اصدرت الحكومة الحالية جملة قوانين متتابعة أو جملة قرارات ، هذه القرارات قد تكون عظيمة جدا ، ولكن أليس الاتحاد الاشتراكى بمعزل عنها ؟

هذا ما أود أن تتناوله اللجنة ، وعلى سبيل المثال قانون التعاون ، لقد شعرت بأن هذا القانون يمس مجموعة كبيرة من المواطنين فتقدمت للاتحاد الاشتراكى بهذا القانون وطلبت عرضه على أوسع نطاق لابداء الراى فيه ، وكذلك قد يكون هذا ما حدث بالنسبة لقانونى الاسكان والعمل ، هذه أمثلة لثلاث جهات أرادت التعاون مع الاتحاد الاشتراكى ، وكان من الممكن أن استأثر بقانون التعاون وأصدره ولم يكن الاتحاد الاشتراكى يفرض على هذا ولكن ما أود أن تتناوله اللجنة هو ما ذكره الدستور والميثاق وما ورد ببيان ٣٠ مارس ، وايضا من بعض الامثلة السابقة ، وبأن نأتى بالقوانين الى ارض الواقع بناء على الدستور والميثاق ، ولكن كيف نأتى بها الى أرض الواقع ؟ هذا هو السؤال ؟ ٠

● الدكتور محمد دكرورى

بالنسبة لعرض بعض القوانين على اللجنة المركزية فقد كان هذا نوعا من المجهود الشخصى أو التصرف الشخصى الذى كان لايخضع لاى نوع من الالزام اطلاقا ، بالاضافة الى هذا ان الاتحاد الاشتراكى كان يعيش دائما فى ظل أنه اذا كان أقوى من الحكومة لجأت اليه واذا كان العكس كانت لاتهتم برأى الاتحاد وهذه عملية عشوائية ٠

وانى اتصور أننا فى منعطف تاريخى ، ونحن نعد لهذه الصلة ونضع تقاليد للمستقبل ، ولكن هناك بعض النقاط البسيطة أود أن أضعها أمام اللجنة حتى لا نتشعب ٠

فكما ذكرت لسيادتك نحن لا ننشىء سلطات ، فسلطات الاتحاد موجودة ولكن نريد أن نمارسها من خلال قناتين :

القناة الاولى : ان نحول ما جاء فى الوثائق الاربعة الى صيغة قانونية تنفيذية ثم الى أسلوب تطبيقى لهذا التنفيذ ، ولذلك فانى أقول اذا ذكرنا ما هى اللجنة فاننا لا نختلف بأن هناك سلبيات متعددة ، وقد تناولتها فى هذه الورقة ٠

هناك أيضا شىء لااختلاف عليه وهى أن مهمتنا هى تدعيم الاتحاد الاشتراكى ، وانى أعود وأركز على هذه النقطة وأقصد بها الاخ عبد الحليم الجندى أو غيره ممن قد لا تكون الصورة التطبيقية لمهمة هذه اللجنة متوفرة لديه ٠

نحن لا ننشىء اتحادا اشتراكيا جديدا ، ولدينا معطيات وملزمون بأن نبدأ بها ونتحرك من خلالها ، المعطيات هو أن نزيد من فعالية الاتحاد الاشتراكى من خلال ما هو قائم ومن خلال ما ورد فى هذه المواثيق بقدر ما تسمح به هذه اللوائح المعطاة أمامنا ٠

هناك نقطة ثانية وهى : ان ورقة العمل ليست

بالضرورة متضمنة كل شيء فقد ضمنتها سيادتك قدرا أكبر ، وأرجو أن لا نستغرق الوقت فى مناقشة كل نقطة لان هذه النقاط ستكون من مهمة بحث المواضيع التى وردت كمهام ٠

ويهمنا أن نتفق هل تكون مهمة اللجنة ككل أو نشكل لجانا متفرعة من هذه اللجنة ، لانى أخشى أن نستطرد فى الحديث وننتقل من موضوع الى موضوع دون ما ترابط فى المناقشة ٠

وارجو الا ننتقل من موضوع قبل أن ننتهى منه حتى يمكن أن نتفق فيه على فكر وعلى رأى ، اما أن اتكلم فى موضوع ثم يعقبنى الاخوة وكل يتكلم فى موضوع آخر ، فمع أن كل الموضوعات ترتبط بالهدف الكلى للعملية الا أننا من الناحية التنظيمية للمناقشة نبذل جهداً ضائعا ٠

وأرجو اذا ما أثيرت نقطة أن نلزم أنفسنا بالمناقشة فيها ولا ننتقل منها الى نقطة أخرى قبل أن ننتهى منها ، وأرجو من سيادتك أن تلزمنا بهذا فى مناقشاتنا حتى يمكن أن يكون جهدنا مستثمرا فكما ذكر السيد الدكتور درويش بأن الوقت ليس فى صالحنا ونريد أن ننجز مهمتنا بأسرع وقت ممكن وشكرا ٠

● **الدكتور جمال العطيفى**

فى الواقع نحن نتكلم فى النقطة الاولى وهى هل الاتحاد الاشتراكى سلطة دولة أو تنظيم سياسى ، ولم نخرج عن هذه النقطة ، لقد مضت نصف ساعة ونحن نتكلم عن علاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة التنفيذية والتشريعية وهذا السؤال نفسه هو نتيجة الاجابة على السؤال الذى طرحته ورقة العمل ٠ **هل الاتحاد الاشتراكى تنظيم سياسى أو سلطة دولة ؟**

نحن لا نريد تحويله الى سلطة دولة ــ وسبب السلبيات الحقيقى فى المدة السابقة أنه تحول فعلا الى سلطة دولة ، واذا كانت مهمة مجلس الشعب ستكون مجرد تسجيل لما تقرره اللجنة المركزية وان الحكومة تنفذ تفصيلات تقررها اللجنة المركزية وتتخذ شكل قوانين ، فهذه الوجهة معناها أننا نوجد ازدواجا فى العمل ونكرر الاجهزة ، وبهذا يكون الاتحاد الاشتراكى قد خرج عن دوره وتعلم الكسل وهذا ما كان موجودا قبل ذلك ، وسوف لا ينزل وسط الجماهير ، وسوف لا يعمل بالعمل السياسى ٠

ان واجبى أن أضغط على الحكومة بالعمل السياسى ولا أضغط عليها بأن أقول لها أنا قررت هذا القانون ولابد أن يسير بشكل معين ، ولكن اضع لها الاطار العام للسياسة العامة وعندما نجد أن الحكومة أصدرت قانونا لا يرضى عنه الاتحاد الاشتراكى ننزل بيانا نهاجم فيه هذا القانون وقد نسقط الحكومة اذا اقتضى الامر عن طريق فاعليتنا فى المجلس الشعبى وعن طريق أعضاء الاتحاد الاشتراكى الذين ينتمون اليه فى تنظيمات وليس عن طريق العمل المباشر الذى يحولنى الى سلطة الدولة ٠

هذه النقطة فى الواقع فى غاية الدقة وأعتقد أنها سبب جميع المشاكل وحتى الان **هناك مشاكل عملية** ، على سبيل المثال **كيف يتم ترشيح رئيس مجلس الشعب** ؟ هل يستطيع كل عضو أن يرشح نفسه لهذا المنصب ؟ هذه صورة غريبة وصعبة ، فالاتحـــاد الاشتراكى يرشح شـخصا ويقول لهم انتخبوه وهم ليسوا راضين عنه ، لقد واجهتنا هذه المشكلة منذ أسبوعين حينمـا ناقشنا موضـــوع انتخاب العشرين عضوا بالمجلس الاتحادى ، هذه هى مشاكل بالنسبة للواقع العملى وتفصيلاته ٠

وعلى سبيل المثال فان السيد رئيس الجمهورية هو الذى يختار رئيس الوزراء ، فهل يمكن أن الزمه برئيس وزارة معين ، وهل هو يستأذننى فى اختيار رئيس وزارة ؟ أو انى أعمل عن طريق العمل السياسى وهو يختار الوزارة ، واذا وجدت أن هذه الوزارة تعمل بالطريق السليم عن طريق العمل السياسى ، وعن طريق النشاط السياسى بين الجماهير ، فأننى اتخذ موقفا منها ، واتخذ أيضا موقفا من مشروعاتها ، وهذا ما كان يحدث قبل ذلك حتى بالنسبة للنقابات ، فان الاتحاد الاشـتراكى كان يقرر أن زيدا من الناس نقيب لنقابة من النقابات ، وبذلك فان المحافظين كانوا يـأتون باعضاء النقابة ويدفعون لهم الاشتراكات ،ويقولون لهم بأن هناك توجيها بانتخاب فلان ، وعليكم أن تنتخبوه وينتهى الامر على ذلك بدلا من العمل السياسى نفسه نحو اقناع الناس ٠

هذه النقطة أساسية وما لم ننظر اليها بوضوح فسنظل فى السلبيات ، وليس السبب فى ذلك أن الاتحاد الاشتراكى كان ضعيفا بل على العكس فانه كان أقوى من اللازم ، وكان عيب الاتحـــاد الاشتراكى قبل مرحلة ١٥ مايو وبعد ١٥ مايو بقليل أنه كان أقوى من اللازم وأنه كان يتدخل فى كل شيء وكان لا يجرى أى شيء الا عن طريق الاتحاد الاشتراكى بوسائل ادارية وبوسائل الاوامر وليس بوسائل العمل السياسى ، ومن أجل هذا كانت الجماهير لا تثق فيه ، وكان كل شيء يتم بالامر وبالنفاق ٠

ولكن لكى تقتنع الجماهير بالعمل السياسى فهذه نقطه جوهرية ، واعتقد انه اذا ما استغرق بحثها جلسة أو اثنتين أو ثلاث جلسات ،نكون بذلك قد حللنا جميع المشاكل .

● المهندس ابراهيم نجيب

أعتقد أنه قد وضح لنا جميعا الان ومن جميع الوثائق التى أمامنا أن الاتحاد الاشتراكى هو السلطة الشعبية العليا وليس فى ذلك نقاش ، وكل هذا مثبت ومؤكد فى جميع هذه الوثائق ، والنقطة التى توجد كل هذه السلبيات هى كيف يمارس الاتحاد الاشتراكى هذه السلطة بمعنى هل يمكن لاى شخص أن يصدر قرارا أو يقوم بالتفتيش أو يراقب ، كيف يمكن للاتحاد الاشتراكى أن يمارس سلطته العليا ، بعد ذلك كيفية الوصول الى القرارات ، ثم ما هى الجهة التى تصدر القرارات ، لقد ذكرنا أن الاتحاد الاشتراكى هو السلطة الشعبية العليا ، كيف يمارس هذه السلطة ؟ كيف يصل الى القرارات التى تمثل هذه السلطة ؟ وماهى الجهة التى تصدر هذه القرارات ؟ وما هى الجهة التى تنفذها وما هى الجهة التى تتابعها ؟

واذا ما وضحنا جميع هذه النقاط يمكننا أن نتغلب على كل السلبيات التى مضت . ولقد اجتهدت من نفسى وكتبت دراسة بسيطة عن كيفية ممارسة الاتحاد الاشتراكى لسلطته العليا ورأيت ان ذلك يتم باصدار القرارات فى كل ما يتصل بمصير البلاد ومصالح الشعب وعلى الاخص فى المبادىء الاساسية للمجتمع ، والسياسة الداخلية والخارجية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وبالنسبة لكيفية الوصول الى القرارات ، نقول أن الاتحاد الاشتراكى هو الذى سيضع القرارات فى كل هذه المسائل التى تمس مصير الشعب ، كيف الوصول الى هذه القرارات ؟ .. بالتعرف على رغبات الشعب واحتياجاته ومشاكله وامكانيات البلاد الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاوضاع المحيطة والعالمية ، ثم دراسة كل هذه البيانات وتحليلها وبحثها واقتراح القرارات القيادية المناسبة فى كل موضوع .

فالقرارات القيادية التى تم الوصول اليها نتيجة الدراسات والابحاث تعرض وتناقش فى المؤتمر القومى العام أو اللجنة المركزية،أو اللجنة التنفيذية العليا فى فترات ما بين انعقاد المؤتمر لتحديد القرار الانسب واقراره واصداره وبالتالى يكون المؤتمر القومى العام هو الذى يضع القرارات فى كل ما يمس مصير البلاد أو الجماهير الذين يعيشون فيه .

وبالنسبة لمن الذى ينفذ القرارات .. ؟ فان القرارات التى يصدرها المؤتمر القومى العام باعتباره السلطة السياسية العليا ، يقوم مجلس الشعب وهو الجناح التشريعى للتنظيم السياسى باصدار التشريعات التى يستلزمها تنفيذ القرارات ومراقبة تنفيذها ، كما تقوم الحكومة وهى الجناح التنفيذى للتنظيم السياسى باتخاذ اجراءات التنفيذ الفعلى لتلك القرارات عن طريق اجهزتها المختلفة ، وهذا هو التسلسل .

لقد عرفنا بذلك الجهة التى ستصدر القرارات ومن أين ستأتى لنا هذه القرارات ، ومن الذى سينفذها ومن الذى سيتابعها وكيف يكون أسلوب المتابعة .

تقوم أجهزة التنظيم السياسى عن طريق معايشة الجماهير والالتحام بها للتعرف على سير تنفيذ القرارات وانعكاساتها على الجماهير ومدى تقبلها لها ، وتجميع نتائج الدراسة والبحث والتحليل للعرض بالرأى على المؤتمر القومى العام أو اللجنة المركزية فى الفترات ما بين انعقاد المؤتمر ليصدر قراره بالتأييد أو الالغاء .

أعتقد اننا اذا ما وضحنا كل هذا الكلام وشرحناه للجماهير والتزمنا به فانه يمكن تغطية كل السلبيات التى تعرضنا لها .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لو سمحتم أود أن نرجع الى نقطة النظام التى ذكرها الدكتور دكرورى ، واننى أرى أن المناقشة التى دارت حتى الان كلها وقد وضعت اما بشكل تحليلى ، واما تساؤلى فى الورقة المقدمة

وبالنسبة للنقاش الذى يجرى كله فانه يستند الى نقطتين أساسيتين :

النقطة الاولى : ما المواثيق ؟

النقطة الثانية : التطبيق العملى والسلبيات التى نشأت من التطبيق العملى .

ان المذكرة المقدمة قد تعرضت للسلبيات كموضوع ، وقد كنا بدأنا بمناقشة هذه السلبيات ، فهل هناك اضافة جديدة بالنسبة لهذه السلبيات ؟

● خالد محيى الدين

بالنسبة للسلبيات اود ان اضيف مسألة أفتقاد البعض

الديمقراطى العام فى المجتمع وداخل الاتحاد وضرورة عدم محاسبة أعضاء الاتحاد الاشتراكى على مناقشتهم التنظيمية داخل الاتحاد ، بحيث تكون هناك **حصانة للعضو** وان أى كلام يقوله داخل لجان الاتحاد الاشتراكى لا يحاسب عليه .

ومن بين السلبيات أيضا **اسلوب العمل والمناقشة** ، وأسلوب العمل فى التحضير للمؤتمرات ، ففى جميع التنظيمات فى العالم لابد أن ينزل تقرير اللجنة المركزية للقواعد قبل عرضه على المؤتمر القومى بشهور لكى تناقشه الجماهير أولا .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هل هناك أية مناقشة بالنسبة لسلبيات أخرى قد يمكن أن ننتقل منها الى موضوع آخر ؟

(ولم يطلب أحد المناقشة) .

اذن هذه السلبيات تشخص لنا الحالة القائمة .

ننتقل بعد ذلك الى الصحيفة الخامسة ، ان البند الاول منها الذى أشار اليه السيد الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ، والسيد المهندس سعد هجرس ، واننى أوافق على رأيهما اذا وافقت النجنة بألا نكتفى بأن نقول ان كل وثائقنا الثورية منذ الميثاق فى الدستور تبين كذا ... ولكن نذكر المواد التى تبين الارضية حتى لا يبدو أننا منطلقون من لا شىء ، واننا منطلقون من وثائق ، وأن تذكر لجنة الصياغة ان مواد الدستور وقانون الاتحاد الاشتراكى نصت على أشياء معينة علما بأن لدينا تفويضا بتعديل القانون نفسه ، ولا يمنع هذا اطلاقا أن نأخذ من القانون الحالى مادة من المواد التى قد لا تكون موجودة فى القانون الجديد .

ان البند الاول يعطى تصورا ، هذا التصور يأتى فى نقطة ـ **هل الاتحاد لخدمة السلطة ؟**

لقد أثار الدكتور جمال رأيا بالنسبة للاتحاد الاشتراكى واللجنة المركزية ، وأود أن أتحدث عما يحدث فى العالم بالنسبة لسياسة اللجنة المركزية والمؤتمر القومى ثم نعطى تصورا .

الحقيقة ليس فى تصورى أن الاتحاد الاشتراكى يخنق مجلس الشعب بأى شكل من الاشكال لان فى هذا ضررا كبيرا جدا ، وفى تصورى أيضا أن الاتحاد الاشتراكى لا يخنق السلطة التنفيذية فى قرار تتخذه أو قانون تصدره طالما أن هذا القانون قد ورد فى اطاره العام فى اللجنة المركزية ، وسأضرب أمثلة على ذلك ، ثم بعد ذلك سأقدم تصورى للجنة المركزية وعمل اللجنة المركزية .

على سبيل المثال عندما تقرر اللجنة المركزية ألا ترفع الاسعار عن الاسعار الحالية ، فعلى الحكومة أن تباشر هذا على أساس أن الاسعار لا يجب أن تزيد ،وعندما تقرر اللجنة المركزية ذلك فانها لاتذكر التفصيلات، اذ أن هذا ليس من عملها لانها لاتتدخل فى التفصيلات من حيث هى بل يكون ذلك عن طريق الاستيراد أو بزيادة انتاجية أو بتخفيض الاجور أو بزيادة القوى الشرائية أو بتقليل القوى الشرائية ، قد تناقش هذا الموضوع لجنة من لجان اللجنة المركزية وتنتهى فيه الى قرار عام تعرضه على اللجنة المركزية حيث أن التفصيلات لا تخصها بل تخص السلطة التنفيذية .

على سبيل المثال أيضا قرار آخر ... تحسين مستوى معيشة الفلاحين بتقليل الفئة الايجارية بأن تكون خمسة أمثال الضريبة بدلا من أن تكون سبعة أمثال الضريبة ... فرضا ـ فهذا قرار عام تصدره اللجنة المركزية لاحساسها بأن الفلاحين مرهقون ، ونرى أن تصدر هذا القانون من أجلهم .

واذا قيل انه يجب أن يعاد النظر فى أسعار الحاصلات الزراعية على شكل معين لكى تصدر اللجنة المركزية هذا القرار فلا تصدره من فراغ فلها **لجان متخصصة تدرسه دراسة شاملة** ، ثم تخرج بقرار عام معين هو الذى يعرض على اللجنة المركزية .

ثم تتبنى اللجنة المركزية هذا القرار العام وتناقش تفصيلاته ، ولكن عندما تنتهى اللجنة المركزية تصدر مادة واحدة ، ومثالا على ذلك الدستور والقوانين النابعة من الدستور، ان الدستور عندما يضع مادة فانه يضع صياغة عامة فقط ولكن لابد لكل قانون يصدر أن يتبع مستندا الى الصياغة الموجودة فى الدستور ، ولايمكن ان نسن قانونا مخالفا للدستور والا حكم بعدم دستوريته ويسقط القانون اصلا لعدم دستوريته .

وما نود أن نصل اليه هو شكل معين فى اللجنة المركزية ، وهو أن القرارات التى تعرض على اللجنة المركزية أو المؤتمر القومى عند تبنى سياسة معينة ـ وسوف أعطى تصورى لعمل المؤتمر القومى ـ فان اللجنة المركزية تصدر سياسات شبه تفصيلية لمبادىء عامة وضعها المؤتمر القومى ، اذا كانت هذه المبادىء ستصدر بالنسبة لتحسين احوال الطبقة العاملة او منحهم شيئا من المكاسب التى تسير من الخط الاشتراكى ،فاذا كانت

الصورة التى ستقوم بعملها اللجنة المركزية ملزمة فى شكلها العام - وليس شكلها التفصيلى - للمجلس التشريعى وللسلطة التنفيذية اذن ما الذى يعمله المؤتمر القومى وما الذى تعمله اللجنة المركزية ؟ وما هى الوسيلة العملية لتطبيق هذا ؟

الواقع أن نظام التخطيط هو الاساس الذى يجب أن نبدأ منه اذا لم تكن الخطة موجودة يكون نظام الميزانية هو الاساس الذى يجب أن ننطلق منه ، وفى هذا الكلام رد على ما ذكره الدكتور درويش .

أتصور بالنسبة للميزانية أن هناك فكرة بألا تمتد من شهر يونيو الى شهر يناير وليس لدينا علم بالميزانية ولا بالتجديدات الموجودة فيها ، وبالتالى نرى اعتمادات كثيرة تصدر من وقت لاخر ونحن بمعزل عنها ، فلو أن هذه الميزانية معروفة لدينا منذ البداية وأقرت من المؤتمر القومى كميزانية ، وهذا هو الجزء الاضعف ، والجزء الاقوى هو الخطة ، وقد نص برنامج العمل الوطنى على ضرورة عرض الخطة عليه ، وليس هذا الكلام جديدا ، واذا ما قرر التنظيم السياسى على مستواه من اللجنة المركزية الى المؤتمر القومى عند عرض هذه الخطة أنها ليست كاملة ويريد أن يدعم الحكم المحلى لان تدعيم الحكم المحلى كموضوع يسير جنبا الى جنب مع نشاط الاتحاد الاشتراكى ، واذا لم يدعم الحكم المحلى تدعيما كبيرا فسوف تظل رسالة الاتحاد الاشتراكى كتنظيم تائهة مع المركزية ، ولكن عندما تخصص مبالغ معينة فى الخطة لكل محافظة من المحافظات فان نشاط الاتحاد الاشتراكى على مستوى هذه المحافظة وعلى مستوى المجلس الشعبى سيعم دون أن نتحرك من هنا .

فاذا قلنا أن محافظة الشرقية تقرر لها عشرون مليون جنيه هذا العام للخدمات ممثلة فى اقامة عشر مستشفيات وخمس مدارس ... الخ ضمن الاطار العام للخطة ، فسوف يتناول المجلس الشعبى هذه المبالغ مع السلطة التنفيذية والمحافظ اماكن انشاء وحجم هذه المدارس ، وأيضا يناقش أعضاء المجالس الشعبية الذين هم جزء من الاتحاد الاشتراكى أو لجان الاتحاد الاشتراكى تناقش هذا ، بهذا نعطيهم المادة المربوطة ضمن التنظيم العام للدولة فى شكل الخطة ، وفى نفس الوقت تكون الرقابة موجودة للمجالس الشعبية ، ويكون نشاط الاتحاد الاشتراكى هناك نظاما قائما .

اذن فانى أخلص من كل هذا ، بأن اللجنة المركزية أو تنظيم الاتحاد الاشتراكى لا يريد أن يصادر تحرك ثلاث جهات ... لا يريد أن يصادر حركة مجلس الشعب لان حركة مجلس الشعب جزء من حركتنا ، واذا نشط النقاش داخل مجلس الشعب بشكل كبير وصريح داخل المواثيق الاساسية الموجودة فلا يضيرنا ذلك فى الاتحاد الاشتراكى طالما أنه يسير مع الخط العام ، نحن لا نقول أن رأى عضو يريد أن يتكلم فى مجلس الشعب يستأذن الاتحاد الاشتراكى والا نكون بذلك كمن يقتل مجلس الشعب أصلا ولكن الذى يهمنا هو أن يكون هو المناقشة الوحيدة المفتوحة لان المناقشة فى اللجنة المركزية ليست مفتوحة ، ولو فتح النقاش فى اللجنة المركزية وسجل فى الجرائد والاذاعة وأذيع فى وقته كما يحدث فى مجلس الشعب فان هذا سيمتص مجلس الشعب ، لانى ألاحظ أحيانا أنه يحدث نقاش فى اللجنة المركزية وحتى فى الاحيان السابقة كان أقوى بكثير من النقاش الذى يحدث فى مجلس الشعب ، وكان هذا يحدث فى مدة الرئيس جمال عبد الناصر ، وانما كان النقاش مقفولا .

اذن لا أصادر الحركة الذاتية لمجلس الشعب ، ولا أصادر الحركة الذاتية للنقابات ، ولا أصادر أيضا الحركة الذاتية للسلطة التنفيذية طالما أن الثلاثة مرتبطون معى فى خط عام أو اطار قررته اللجنة المركزية .

ولكن متى نتحرك ؟ .. اذا تكلم احد اعضاء مجلس الشعب وقال كلاما يخرج عن قرار اللجنة المركزية ... فانه لابد أن يكون هناك دور معين للاتحاد الاشتراكى .. ما هذا الدور ؟ لنفرض أن احد اعضاء مجلس الشعب طالب بزيادة الحد الاعلى للملكية الزراعية ، أو طلب عضو آخر الغاء تحديد القيم الايجارية لدى الزراع - نحن نعتبر هذا خروجا عن المواثيق ولابد أن يتحرك الجهاز السياسى فى هذا .

وبالنسبة للسلطة التنفيذية ، لنفترض انها اصدرت قرارا أو قانونا نشعر أنه خارج القرارات العامة التى اصدرتها اللجنة المركزية أو يمس ميثاقا من المواثيق الموجودة، أولا يستند الى رغبة جماهيرية ، هذه هى الثلاث نقاط التى يتحرك فيها الاتحاد الاشتراكى .

يجب على الاتحاد الاشتراكى أن تكون له رسالة معينة أيضا بالنسبة للحركة الذاتية للنقابات ، فلا يمكن أن نسير فى النظام الذى أشار اليه الاخ جمال العطيفى بأن أملى على النقابة نقيبا معينا ، فقد كانت هذه من الاخطاء الكبيرة جدا التى وقع فيها الاتحاد الاشتراكى فى نظامو وحداته ، فى أن يقول هذا الشخص ملتزم وعلى ذلك فانى

ارشحه ، وهذه هى الاضطرابات التى عانينا منها فى الفترة الاخيرة سواء **على مستوى النقابات المهنية او على مستوى الإتحادات الطلابية** ، وهى أن ترشح شخصا باعتباره ملتزما سائرا معك فى الخط تماما ولكننا نعرضه على فئة من الناس ٠٠ وتكون محصلة ذلك أن تنفصل عنك كل النقابة ويصبح هذا الشخص لا يمثل الا نفسه ٠

اننى لا اصادر الحركة الذاتية للنقابات ، ولكن النقابات بحكم قانون النقابات ، وتطويره ينقسم عملها الى قسمين وقد أشرت الى هذا فى خطابى قسم يمس مصالح النقابيين انفسهم المنتمين اليها ، انما يجب فى نفس الوقت أن ينظر اليه من مصلحة الدولة ككل ، بمعنى اننا عندما تقرر الدولةبدل طبيعة العمل ، فمن مصلحة النقابة أن تجتمع وتقرر أن يكون بدل طبيعة العمل بنسبة ٥٠ فى المائة وليس من مصلحتها ان تكون نسبته ١٠ فى المائة ، ومن هنا يكون هناك نوع من الالتزام لدى النقابات عن طريق سياسى بالاجتماع المستمر مع النقابات وتبصيرها بميزانية الدولة وانها لا تتحمل ذلك مثلا ٠ وما يخرج عن ذلك لن يطبق ويكون هذا نوع من الاستشارة ٠

وهذه هى طبيعة العمل السياسى وكل هذه المسائل تعطينا الصورة التطبيقية التى أرى اننا اذا ناقشناها وركزنا عليها يمكننا أن نصل واذا ما تناولنا البند الاول ثم بعد ذلك نعقب على النقطة التى أثارها الدكتور حافظ غانم ، فان البند الاول يقول ـ ان جميع الوثائق تقول كذا والواقع يقول عكس ذلك ، لماذا لا يقول الواقع كذا ؟ ـ لان لذلك سببين من الاتحاد الاشتراكى نفسه وسببا آخر من الحكومة ٠

بالنسبة للسبب الذى جاء من الاتحـــاد الاشتراكى نفسه فلانه تبنى اشخاصا معينين أو طليعة معينة كى يرتكز عليها كتنظيـم داخل التنظيم ، هذه الفكرة اذا ما نوقشت فى وقتها كان من الممكن الموافقة عليها ، الا انها فى تطبيقها العملى اثبتت عدم نجاحها ، وبالتالى فانى كتنظيم لا اصادر الحركات الذاتيـة للنقـابات أو الاتحادات ، ومن انتخبوا لا خـــلاف عليهم طالمــا كانوا اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى واذا كان لنا عليهم ملاحظات فلا يكون عضوا عاملا فى الاتحاد الاشتراكى ، على أن تكون الملاحظة مقيدة بوضع معين ، هذا هو الجزء الاول ٠

وبالنسبة للجزء الثانى من الصحيفة رقم (٥) التى تشير الى شىء كلنا متفقون عليه وهو أننا **لسنا حزبا سياسيا** ، وهذا يأتى فى السياق العام وهذه نقطة لها أهميتها لان هناك أقاويل كثيرة بين الناس بانه من الافضل أن يكون الاتحاد الاشتراكى حزبا وبداخله احزاب معارضة ، وهذا هو السبب فى وضع النقطة الثانية ، بعد ذلك نضيف النقطة الثالثة التى ذكرها الدكتور جابر وهى عدم وضوح الصلة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الاجهـــزة التنفيذية وعدم تنفيذ القرارات السابقة ٠

بعد ذلك تأتى النقطة الخاصة بالسيد الدكتور حافظ غانم ، والتى تنحصر فى أنه هل هو جهاز للسلطة أو جهاز للشعب ، لكن الدكتور حافظ يرى أن تكون السلطة التنفيذية أو سلطة الدولة أو لا تكون السلطة وفى الواقع أن وضعها كسلطة دون أن نشير الى السلطة التنفيذية او سلطة الدولة أعتقد أن ذلك يعطينا المعنى الذى نريده بشكل أقوى ، لاننى اتصور ان الاتحاد الاشتراكى **هو جزء من سلطة الدولة طالما انه يمثل قوى الشعب العاملة** ، ولا اتصور ان تكون الدولة فى واد والاتحاد الاشتراكى فى واد آخر لانمن المفروض ان الذى يرسم سياسة الدولة ، هو الاتحـــاد الاشتراكى ٠

● **الدكتور جمال العطيفى**

ان سلطة الدولة منظمة فى الدستور ، والاتحاد الاشتراكى له قانونه ويستقل بوضعه وليس الاتحاد الاشتراكى منظمة فى الدستور ٠

● **الدكتور ابراهيم أبو النجا**

لى سؤال واحد ، وهو هل هناك نص صريح فى الميثاق او الدستور على ان الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا سياسيا ، اننى قرأت الميثاق والدستور فوجدت ان الدستور يقول ان الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم السياسى ٠٠ وقد ورد هناعكسذلك بأنه اداة سياسية ، **لماذا نهرب من كلمة حزب** ؟ أن اى تنظيم سياسى عبارة عن حزب ٠٠ وكون أننا نقول انه تحالف فهذه طريقة تكوينه ٠

لقد قرأت أيضا تاريخ الصين ، ان حزب الصين مكون من تحالف خمس فئات كهذه الفئات تماما أولها الفلاحون وثانيها العمال ٠٠ وهكذا ، فكون اننا نقول انه تحالف فهذه طريقة تكوينه ٠٠ وبما انه تنظيم سياسى ٠٠ اذن فهو حزب ٠

وأيضا يتضح من ورقة العمل اننا نهرب من كلمة حزب ، والنتيجة اما مسايرة التنظيم من غير

اقتناع واتخاذ موقف سلبى منه ، نحن حينما نقرر حرية النقد وحرية المناقشة داخل التنظيم على كل المستويات فسيكون هناك رأى ثانى موجود ، وانما الراى يؤخذ بالغالبية ، فليس هناك بأس من أن يكون هناك حزب وتكون دولة من الدول التى تتخذ نظام الحزب الواحد .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ان الكلام الذى ذكرته وارد حرفيا فى البند الثانى .. **ان ينظر للاتحاد على أنه حزب سياسى رغم أن الوثائق الثورية تنفى ذلك نفيا قاطعا وتعلن فى صراحة أن الاتحاد الاشتراكى تحالف وليس حزبا .**

● الدكتور ابراهيم ابو النجا

الاول يقول خطأ فى التصور ، وقد قرأته على أنه خطأ .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ساقول لك السبب ، والمفروض انه مكتوب هنا على انه خطأ ، وتصورك تصور سليم وسوف نرد عليه .

ان الفكرة فى الحزب لها تاريخ ففى تكوين الامانات الاولى عند انشائها نوقش هذا الموضوع باتساع امام الرئيس جمال عبد الناصر وقد ذكرت هذا الكلام أثناء تلك المدة وقلت لماذا نخفى وجوهنا وحينما نرجع للمضابط نجد أن هذا الكلام موجود فيها لماذا لا نقول أن هذا حزب ونعمل من منطلق حزبى . لكن الرئيس جمال رد على ذلك وقال لا يمكن أننقول ان هذاحزب لانه جبهة **لانك تمثل قوى لم ترتبط مصالحها مع بعضها ارتباطا كاملا ، والحزب هو مجموعة من الناس يمثلون طائفة معينة وليس طبقة معينة يجمع بينها مصلحة واحدة ، هذا هو تعريف الحزب .**

وساعطى أمثلة على ذلك سواء فى البلاد الغربية أو الشرقية ، فبالنسبة لحزب العمال البريطانى فله فكر معين يحاول أن يطبقه ، ويجمع كل هذه المجموعة القائمة ولا ينتمى اليه الا من له مصلحة فى هذا .

وفى بلغاريا ايضاء نجد أن الحركة الاستقلالية البلغارية بدأت من حزب المزارعين الذى يمثل اتحاد المزارعين ، وهو الذى تحمل العبء الاكبر ولم يكن الحزب الشيوعى قد ظهر ، وحينما بدأ الحزب الشيوعى فى الظهور تكونت جبهة من الحزب الشيوعى البلغارى واتحاد المزارعين ، ومازال اتحاد المزارعين ممثلا فى الوزارة ومازال هناك أفراد من الحزب الشيوعى البلغارى ممثلين فى الوزارة ومازال هناك أفراد من الفنيين الذين لا ينتمون لا الى الحزب الشيوعى ولا الى حزب اتحاد الزراع ممثلون فى الوزارة ويقال أن الوزارة أداة حكم نضع فيها من الناس من هو فنى يمكنه أن يعمل طالما انه رجل وطنى ولا ينتمى الى حزب ، عندئذ هناك الحزب الشيوعى وهناك حزب المزارعين وهناك الجبهة التى تجمع الاثنين وهناك الوزارة التى يتمثل فيها أى من هؤلاء أو من الخارج .

فحينما نقول أن الاتحاد الاشتراكى حزب .. كيف هذا لا انك تجمع مصالح ـ وهذا ما نعانيه فى الاتحاد الاشتراكى ـ قد تكون متضاربة انما نحاول أن تحوى هذه المصالح تحت اطار واحد وهو الذى يبين التحول الاشتراكى الذى تسير فيه والتالف بين المجموعات المختلفة ، ويمكنك أن تعمل باسلوب حزبى انما لا يمكنك أن تسميه حزبا ، هذا هو التصور .

● الدكتور أحمد كمال أبوالمجد

لدى مسألة واحدة اود ان اتكلم فيها ، وهى هل الاتحاد الاشتراكى هو السلطة أو جهاز للشعب ، فى تصورى ـ كما ورد فى ورقة العمل ـ انه خلال المسار الطويل للاتحاد الاشتراكى تأكد أو بدا كما لو انه كان جهازا لخدمة السلطة .

ان التحليل فى تصورى يرجع الى وضع تاريخى معين وهو أن الدعوة لاقامة التنظيم السياسى والانضمام اليه فى تاريخ الثورة جاءت فعلا من موقع السلطة الفعلية ، دعى اليه من موقع الحكم فالاستجابة له حددت الى حد كبير علاقته بالسلطة .

الامر الثانى أن هناك قضية معضلة فى تاريخ الثورات وهى أن مجلس قيادة الثورة ظل بعد انشاء معظم المؤسسات الدستورية يشكل الثقل الحقيقى فى النظام السياسى ، بحيث لا يغير من الوضع اطلاقا أى تنظيم تفصيلى لعلاقات هذه الاجهزة بعضها مع البعض ، **وبالتالى ظلت القيادة الثوريه فى موقع المسئولية عن عملية التغيير الاجتماعى ، وتعطى لنفسها الحق الشورى فى التدخل فوق الانظمة والمؤسسات الدستورية .**

وحتى أكون محددا أشخاص مجلس قيادة الثورة الاول أيا كانت مواقعهم فى النظام، ظلت لهم الكلمة العليا فوق كل اطار قانونى أو سياسى وهذا يجعلنى أقول أن علاقة التنظيم يحكمها أربع نقاط ٠

ارادة القيادة الثورية واستعدادها الحقيقى لتفويض جزء من اختصاصاتها الدستورية والسياسية ، أو جزء من المادة الخام للسلطة للتنظيم السياسى ٠

القضية الثانية التى أشار اليها الاخ خالد محيى الدين فعلا وهى ضمانات الممارسة الديمقراطيه والحرية داخل التنظيم وخارجه كمناخ سياسى عام ٠

الامر الثالث الذى أشير اليه هو ضبط العلاقات بين التنظيم وبين المؤسسات المختلفة ٠

وهناك قضية أخيرة وهى قضية المركزية **الديمقراطية فى التنظيم** ومركزية الديمقراطية لها شقان ، شق بأن القرارات تصعد من القاعدة الى القمة ، وشق ثان وهو أنه حين يصدر هذا القرار ديمقراطيا فان على القمة أن تلتزم به ٠

وفى الممارسة حدث تنفيذ لشق واحد من هذا وهو الشق النازل ، بمعنى أن القرارات من أعلى يلتزم بها باسم المركزية الديمقراطية ، وهذه مركزية ، وليست ديمقراطية ٠

وهناك واقعة تاريخية وهى أن الرئس السادات فى الاجتماعات الاولى للجنة المركزة الحالية حرص حرصا واضحا جدا على توكيد أنه لا يوجد فعلا مجلس قيادة الثورة لانه منذ سنة ٥٦ انتهى قانونا ، وأن اختصاصاته قد انتقلت الى التنظيم السياسى وقمته اللجنة المركزية ٠ فاذا اردنا أن نبنى على هذا فهو يشكل العنصر الاول وهو الارادة الصادقة للقيادة الثورية فى أن تفوض جزءا من المادة الخام للسلطة الى التنظيم السياسى ٠

يبقى بعد ذلك أن نعمل بقضية **ضمانات الحرية داخل التنظيم بتقنينها فى منابعها الاخيرة** كالقوانين الجنائية وكلجنة النظام فى الاتحاد الاشتراكى لان الجزاء فى النهاية أما أن يكون جزاء جنائيا يتمثل فى الحبس او ما هو فوق ذلك وأما يتمثل فى فقدان حق العمل السياسى من خلال الفصل ٠

هاتان هما القضيتان ، **قضية القوانين الجنائية التى تعامل المتهمين ، وقضية القوانين السياسية التى تنظم الحريات ، وقضية التنظيم السياسى الذى يعالج جزاءات التنظيم السياسى على افراده ٠**

ان قضية ضبط العلاقات قضية كبيرة ، وقضية المركزية الديمقراطية قضية ممارسة تحتاج الى توكيد من خلال العمل اليومى بأن تكون العبرة



د. كمال أبو المجد



محمد مهدى شومان

اساسا بتصاعد القرار من القواعد الجماهيرية ولذلك فهذه نقلة أرجو مما يطرح بعد ذلك ــ حتى عمل هذه اللجنة ــ كيف يكفل له بعد ذلك أن يأخذ مساره الديمقراطي بأن يبدأ مرة اخرى من القواعد متجها الى القمة وشكرا ٠

● محمد مهدى شومان

فى تصورى أن السلبية التى يعانى منها التنظيم السياسى ــ وقد كثر الحديث عنها خصوصا فى هذه الايام ، ومن خلال التجربة الطويلة التى مر بها التنظيم فى أشكاله المختلفة ــ أعتقد أن أساسها هو الفراغ القائم بين الجهاز التنفيذى وبين التنظيم السياسى ، فعندما يقال أن مجلس الشعب يقول أن التنظيم السياسى ليس له فاعلية ، وكذلك النقابات تقول أن التنظيم السياسى ليس له فاعلية فان مرجع

ذلك لعدة عوامل اذا راجعنا انفسنا سنعرف اساسها .

ان التنظيم السياسي كما حدده الميثاق هو الطليعة التي تقود الجماهير وتعبر عن ارادتها ، ولا يمكن أن يكون التنظيم السياسي قائدا صالحا الا اذا امكنه ان يعبر التعبير الحقيقي عن ارادة الجماهير ، والتعبير الحقيقي لا يمكن أن يكون تعبيرا صحيحا الا اذا كان لهذا التعبير فاعلية بمعنى أنه عندما يتبنى مشكلة او قضية للجماهير ويحاول حلها كتنظيم سياسي فاذا لم يقم بحل القضية او المشكلة لا يكون تعبيرا وبالتالي لا يصلح أن يكون قيادة ومن هنا بدأت السلبية .

ان التنظيم السياسي يتبنى قضايا الجماهير لكنه لا يمكنه تنفيذ قراراته التي يصدرها لانه ليست لديه الامكانيات وكل ما يمكن هو الفكر والرأى والعمل بين الجماهير ، لكن التنفيذ يحتاج الى امكانيات وهذه الامكانيات لا تملكها الا الدولة والحكومة نفسها ، فعندما يقرر التنظيم السياسي قرارات ثم لا يجد لها تنفيذ فهي مردودة عليه وبالتالي ينادي الشعب بأن التنظيم السياسي ليست له فاعلية .

ان النقابات والهيئات وكل التنظيمات تقول ليس للتنظيم السياسي فاعلية .. لماذا ؟ - لان النقابات لها مطالب فالعمال يريدون علاوات واجازات .. فمن الذي يملك تنفيذ هذا ؟ هي الدولة .. هي الحكومة ، عندما يتبنى الشعب قضية للعمال أو يتبنى التنظيم السياسي قضية للعمال ويقول رأيه فيها ولا تنفذ ، اذن فالنقابات العمالية تقول التنظيم السياسي ليست له فاعلية .

ليس هناك فراغ بين النقابات ولا بين التنظيمات ولا بين التنظيم السياسي ، ويمكن المشاركة الفعالة مع كل هذه التنظيمات لانها أساسا تنظيمات نابعة من التنظيم السياسي ، لكن الفراغ القائم بين الحكومة وبين التنظيم السياسي راجع الى أن الحكومة هي التي تملك الامكانيات .

كيف نجمع بين الحكومة وبين التنظيم السياسي ، وبين الجهاز التنفيذي وبين التنظيم السياسي ؟ ..

نحن في مجتمع اشتراكي يعتمد على التخطيط ، دولة مؤسسات وليست دولة افراد ، ولا أتصور أن مجتمعا اشتراكيا لا يعرف فيه التنظيم السياسي عن خطة الدولة شيئا ، والدولة تخطط ثم تنفذ بقدرتها .

في فترة معينة بدأت الدولة تترك التنظيم السياسي أن يتحرك واذا به يتحول الى مكاتب لاستقبال شكاوى الجماهير ، وبدأت الشكاوى تضغط على التنظيم السياسي خلال هذه المرحلة حتى أرهق التنظيم فعلا ومرض في الطريق ، ولم يتمكن من انجاز هذه الشكاوى ، وكان كل ما يحدث هو أن يتقدم المواطن بشكوى للاتحاد الاشتراكي ولا يتم فيها شيء ، ثم يتقدم للجهاز التنفيذي فيجد انه يبت فيها ، اذن أصبح بذلك التنظيم السياسي أمام الجماهير ليست له فاعلية تماما .

وعندما يشير التنظيم السياسي ويوجه الى الحقيقة ترتفع الاصوات بأن هذا تدخل من التنظيم السياسي .

ان التنظيم السياسي لا يريد أن يتدخل ولا يريد أن يقال عنه أنه سلطة بمعنى أنه متسلط ، ولكن يريد أن تقال عنه أنه سلطة تمثل سلطة الشعب صاحب الحق .

واعتقد أن السبيل للوصول الى هذا هو أن تضع الدولة خطتها بالمشاركة مع التنظيم السياسي ، بحيث تعرض على التنظيم ويناقشها ويلتزم التنظيم والحكومة معا على انجاز هذه الخطة ، لان التنظيم السياسي يمثل الجماهير ويعرف ماذا تريده الجماهير ، والدولة لديها الامكانيات التي تنجز مطالب الجماهير ، فالجهازان يشتركان معا في وضع الخطة ، وعندما توضع الخطة يلتزم بتنفيذها .

وعندما تطالب الجماهير بشيء خارج عن ارادة الحكومة وعن ارادة الدولة فهنا يكون دور التنظيم السياسي في أن يتصدى للجماهير ويبين لها الامكانيات الموجودة بحيث لا تغرق الجماهير في امل لا يمكن تحقيقه ، وهذه هي المشكلة التي كانت تصادفنا .

فعندما يشترك الاتحاد الاشتراكي مع الدولة في الخطة يكون للتنظيم السياسي دوره والحكومة لها دورها في الانجاز ويكونان ملتزمين تماما ، لان كلا منهما لم يخرج عن الخط الذي وضع بالاشتراك مع الاخر فاذا شذت الحكومة فان الاتحاد الاشتراكي ينبهها الى الخط الذي اتفق عليه ، وهذا هو التوجيه المطلوب من التنظيم السياسي ، وفي هذه الحالة يكون التنظيم السياسي معبرا عن رغبة الجماهير وتكون قيادة التنظيم قيادة صالحة لان كل مطلب للجماهير يتم بالتنفيذ مع الحكومة في اطار الخطة التي وضعت .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أود أن أوضح نقطة وهي أن كلام الاخ شـــومان ينصب كله على النقطة ((جـ)) من الصــــفحة السادسة ، وأود أن أعود الى ما هو معروض الان وهو البند الاول والثانى من الصحيفة الخامسة وهو هل الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة ام جهاز للشعب ؟ ـ هل هو حزب سياسى أم ممثل لقوى الشعب العاملة ؟ مع اضافة ضمانة الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم او خارجه ، وأرجو من السادة الاعضاء ان نتكلم فى هذه النقطة لان النقطة التى سترد بعد ذلك فى الصحيفة السادسة تغطى جميع ما دار من كلام وهو **اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى ، واعادة النظر فى البناء الداخلى ، وتحديد علاقة التنظيم بـالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية وهو ما تناوله الاخ شومان فى كلمته** ، ثم تحديد علاقة التنظيم بالجماهير وهنا تبرز نقطتان ، **أسلوب الانتاج الكامل على الجماهير ، أسلوب تحقيق الديمقراطية** ، وهى النقطة التى أشرنا اليها قبل ذلك ، ولا نريد ـ كما نبهنا الى ذلك الدكتور دكرورى ـ أن نتناول نقطا من الاول والاخر وأرجو أن نبدأ بنقاش النقاط الواردة فى أول ورقـة العمل ٠

لقد أثيرت امامنا نقطة موضوعية من الدكتور حافظ ومن الدكتور كمال أبو المجد ولابد ان نبت فيها حتى ننتهى من الصحيفة الخامسة ٠

النقطة التى أثيرت من الدكتور حافظ غانم هى تعريف السلطة ، وكذلك النقطة التى أثيرت من الدكتور كمال أبوالمجد ملخصها أنيريد تفويضا من السلطة باختصاصات الاتحاد الاشتراكى ، ما هو التفويض المطلوب من السلطة ؟ ان لدينا التفويض الكامل من الدستور ومن بيان ٣٠ مارس والميثاق وكلما نقول أن كل هذا لم يطبق ، وبناء عليه هل اطلب من السلطة الان أن تعطينى تفويضا جديدا ؟ من المفروض أن أضع التفويض الذى أخذته من السلطة موضع التنفيذ ، لذلك أرجو من السادة الاعضاء ان يقتصر نقاشنا على النقطتين الاولى والثانية ، واذا وافقتم على اضافة النقطة الثالثة وهى ضمانة ديمقراطية النقاش داخل أو خارج الاتحاد الاشتراكى ولو أن هذه سوف ترد بعد ذلك فلا مانع من أن نضعها هنا ، ولكن نناقش هذه الموضوعات فقط ٠

● خالد محيى الدين

سوف أتكلم فى النقطة الاولى من الصحيفة الخامسة ، أما النقطة الثانية فانى أرى ان تفرد لها جلسة خاصة ، لانه على اساس تحديد شكل الاتحاد الاشتراكى حزبا او تحالفا سوف تتحدد أشياء كثيرة وهى شكل العضوية وشكل الانضمام ، وشكل الديمقراطية ٠

سوف أتكلم فى النقطة الاولى وهى هل الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة ام جهاز للشعب ، وهذه النقطة سوف تؤدى بنا الى النقطة الثالثة التى ذكرها الدكتور حافظ غانم عن موضوع العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والحكومة ومجلس الشعب ٠

ففى الحقيقة اردنا أم لم نرد ، وبصرف النظر عما هو وارد فى الدستور وفى كل الوثائق ان الاتحاد الاشتراكى تنظيم سياسى للسلطة ، هذه هى الحقيقة التى لا فرار منها ، لانه هو التنظيم السياسى للدولة وليس تنظيم الحكومة ، فمن الملاحظ ان الدستور يفرق بين الدولة والحكومة ، لان هناك رئيس الدولة ثم رئيس الحكومة ، والحقيقة ان الاتحاد الاشتراكى هو تنظيم السلطة أو تنظيم الدولة ، وهو التنظيم الوحيد المانع لقيام أية تنظيمات اخرى ، وان احد اهدافه الاساسية أن يقوم ليمنع أية تنظيمات أخرى ولا يعيبه أن يكون تنظيـــم ســياسى للحــكومة أو للدولة لان هناك احزابا سياسية او تنظيمات كثيرة تعبر عن سياسة الدولة والحكومة ولا تجعل منها احزابا ضعيفة ، وانما ما يجعل منها احزابا قوية أو ضعيفة هو أسلوب ممارسة عملها السياسى بين الناس ، فاذا كانت تنفذ هذا باسلوب السلطة فتفرض او تبرر باستمرار فذلك يضعفها ام تمارس عملها كتنظيم سياسى بأن تكون قيادة تنــاقش الموضوعات ٠ ولو كان الاتحاد الاشتراكى يعقد الاجتماعات ويناقش السياسة ويتخذ موقفا يلزم به الحكومة على قدر قوته وعلاقته بالجماهير وولاء الجماهير له ، تصبح للاتحاد الاشتراكى قوة ٠

والمشكلة الحقيقية التى تواجه الاتحاد الاشتراكى فى مصــــر ، أن عـــلاقته بالجمـــاهير وقسوته السياسية ضعيفة لانه حينما انشىء وقد ذكرت هذا الكلام فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر سنة ١٩٦٨ انه تنظيم ((كسول)) لان جميع الاعضاء يأتون اليه رغم انفهم ، فلكى يلتحق الشخص بنادى من النوادى لابد أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، ولكى يرتقى الى الوظائف العليا لابد أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، والواقع أن أمين المحافظة او المركز لا يبذل اى جهد لكى يقنع اى مواطن بفكر الاتحاد الاشتراكى لانه سوف يأتى اليه قسرا بحكم الظروف ، ان الجهد المبذول للعمل السياسى غير موجود لان الناس مفروضون عليه كأعضاء ، ولا يحاول ان يكسب الاعضاء بالاقناع ، ولو ان أمين

المحافظة او المركز شخص جماهيرى وله علاقة حتى ولو لم يكن منصوصا عليه فى الدستور ولا فى الميثاق أنه ذو سلطة سيكون نفسه سلطة ، لان مامور المركز او رئيس المدينة لا يمكنه ان يتجاهل هذا الوضع ، وهذه هى الحقيقة ، ولا نهرب من أنه تنظيم الدولة والتنظيم الوحيد المانع لقيام التنظيمات الاخرى ، ولكن الخطأ فى أسلوب ممارسة الاتحاد الاشتراكى لدوره السياسى بأن ينزل الى الجماهير ويعرض رأيه ، كما أن لديه الصحافة •

على سبيل المثال فان مشكلة علاقة الاتحاد الاشتراكى بالصحافة ، ففى الماضى كان يريدان يدير الصحافة من هنا ، وهذا ليس ممكنا ، ولكن لو ان الاتحاد الاشتراكى بالاعضاء الموجودين فى الصحف ينشىء علاقة سياسية وفكرية معهم يمكن أن يسير الصحافة بحكم الولاء السياسى الموجود ، اذن الاتحاد الاشتراكى تنظيم سياسى شعبى للسلطة أى أنه ينفذ اموره بالضغط وبالفرض ، اذن هو فى الحقيقة بصرف النظر عما هو وارد فى الدستور ليس سلطة وهو قيادة سياسية وهو عمل بين الجماهير بأسلوب معين لانه لو كان سلطة ـ فلابد للدستور ـ كما ذكر الدكتور جمال العطيفى ـ أن يفرد له بابا يحدد فيه سلطته •

لقد أثير فى اللجنة المركزية الماضية حق الاتحاد الاشتراكى فى محاسبة الحكومة وأعتقد ان السيد السكرتير الاول للجنة المركزية وأنا عارضنا هذا الرأى لان الاتحاد الاشتراكى لا يملك أن يحاسب الحكومة ، وانه اذا اراد أن يحاسب الحكومة فلابد أن ينظم طريقة المحاسبة ولابد أن ينص على ذلك فى الدستور ، لان محاسبة الحكومة فى مجلس الشعب منظمة بطريقة معينة ، فيوجه العضو السؤال ثم يلى ذلك الاستجواب وهذا ما لم ينص عليه بالنسبة للاتحاد الاشتراكى •

ان الاتحاد الاشتراكى ليس له سلطة على مجلس الشعب ومجلس الشعب هو مجلس الشعب ، والسلطة التنفيذية سلطة تنفيذية وليست جناحا له انما الاتحاد الاشتراكى له سلطة سياسية على اعضائه وهذا الموضوع أيضا نوقش فى اللجنة المركزية الماضية • اذ ان الاتحاد الاشتراكى لا يحاسب فقط الوزراء أو الحكومة ولكنه يحاسب أيضا أمناء المحافظات •• اذن هو يحاسب أعضاءه فقط ، وان سلطته الوحيدة التى يملكها هى فصل العضو ، فالوزير يحاسبه كعضو ، فاذا لم يلتزم الامين أو الوزير أو رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية بالخط السياسى للاتحاد الاشتراكى ، فان المفروض على الاتحاد الاشتراكى ان يمارس دوره فى أن يحاسبه او يفصله اذا كان للاتحاد الاشتراكى قوة سياسية بين الجماهير

● **المهندس أحمد عبد الاخر**

قد لا يكون الوزير عضوا فى الاتحاد الاشتراكى فلنفرض أنه فى موقع من المواقع وجدنا فردا غير ملتزم بالخط السياسى وليس عضوا فى الاتحاد الاشتراكى •• فكيف نوقع الجزاء عليه ؟

● **خالد محيى الدين**

ان ما اقصده هو أن سلطة الاتحاد الاشتراكى غير موجودة الا على أعضائه ، واذا كان يشترط فى عضو مجلس الشعب أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى فكيف يكون الوزير غير عضو ؟ ••

ان واقع الحال هو أن الوزراء ورئيس الوزراء أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى ، واننى أقصد أن الحساب الموجود أو المتاح لدى الاتحاد الاشتراكى هو حساب الاعضاء ، ولا يستطيع الاتحاد الاشتراكى أن يحاسب الحكومة ، كما لا يستطيع أن يحاسب مجلس الشعب أو يعمل شيئا فيه الا عن طريق هيئته البرلمانية •

ولذلك فليس صحيحا ما يقال بأن الاتحاد الاشتراكى سلطة ، فهو ليس سلطة ، ولكن رئيس الجمهورية هو رئيس الاتحاد الاشتراكى كما أن رئيس الوزراء وأغلب الوزراء أعضاء فى اللجنة المركزية ، والمفروض أن اللجنة المركزية هى التى تحاسب الوزراء ورئيس الحكومة •

النقطة الثانية فى محاسبة الاعضاء أنه بقدر ما للاتحاد الاشتراكى من ثقل سياسى وجماهيرى تحدد سلطاته ودون ذلك لا يمكن أن نمنحه أية سلطات مهما كتبنا على الورق لان السلطة التنفيذية لا زالت فى واقع الامر كما قال السيد السكرتير الاول لها تقاليد ترجع الى خمسة آلاف سنة ، وما زال العمل السياسى فى مصر لم يتخذ هذا الوضع ، وهو لابد أن يتبع أسلوب اقناع الناس وجمعهم حوله وكسب الرأى العام •

● **عبد الحليم الجندى**

كلنا نريد أن نبنى للاتحاد الاشتراكى فاعلية اكبر ، وكلنا نريد ان يتخذ الاتحاد الاشتراكى هذا الحق من المؤسسات والنظام الدستورى الذى نعمل فى حدوده ، والميثاق وما تلاه بعد ذلك •

أولا ـ ان الاتحاد الاشتراكى من غير سلطة لا يعتبر حزبا ولا يعتبر اتحادا اشتراكيا ، وانما هو تجمع ضعيف بدون اسنان ٠٠

ثانيا ـ ان كلمة السلطة قد تعبنا منها وتضايقنا نحن رجال القانون ـ من كثرة تكرارها ، انها لم تعد سلطة بمعنى الشيء النازل من السموات الذى يملك ويحكم ، ولكن اصبحت المؤسسات فى خدمة الشعب ، ولم تعد السلطة تملك فرض ارادتها على الناس ، وان ما تملكه هو فى حدود القانون وفى حدود اختصاصاتها ، ولا أريد أن نتوه فى بحر السلطة وما اليها ، ولكن اسمحوا لى أن أتكلم بحرية أكثر ٠٠

اننا لا نريد من أحد أن يمنح أحدا اختصاصات ، ولكننا نريد أن تنبع السلطات من مؤسساتنا الدستورية ومن نظامنا الدستورى ، وان مجلس الشعب والسلطة التنفيذية والجهاز التنفيذى كله يجب أن يكون خاضعا للاتحاد الاشتراكى ٠

وفى الحقيقة ان تاريخ الاتحاد الاشتراكى ليس معروفا الا للقلائل ، وقد خرجنا بصيغة الاتحاد الاشتراكى لانه التعبير التنظيمى لكلمة تحالف ، واذا بحثنا عن مصدر كلمة تحالف ٠٠ نجد اننا فى بادىء الامر بحثنا عن صيغة فى الاتحاد القومى ، ولكنها لم تنجح ، وبعد قوانين ١٩٦١ كان لابد أن نقيم التحالف، وان قوانين ١٩٦١ عندماصدرت لم تفرضها قوةعاملة منتصرة، ولو أن هذا قد حدث كما هو الوضع فى الاتحاد السوفيتى أو بولندا ٠٠ لورد فى الدستور النص الاتى : العمال يديرون الدولة ولهم الرقابة ٠٠ الخ ٠٠ كما أنها لم تصدر نتيجة تحالف طبقة عاملة منتصرة مع سائر القوى العاملة للفلاحين والعمال ثم انتصروا وفرضوا علينا نظامهم كما حدث فى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦١ ، ولو ان هذا قد حدث لكان النص فى الدستور أو الميثاق على أن قوى الشعب العاملة تديرها وتقودها القوى التقدمية من العمال والفلاحين ٠

ولكننا خرجنا بصيغة مختلفة تماما ، فلم تفرض طبقة عاملة أو قوة عاملة علينا شيئا ، وانما نحن اجتمعنا وتحالفنا ، وكانت صيغة موفقةجدا فى ميثاق ، وعندما اجتمعنا لم نجتمع كطبقة منتصرة، ولكن كخمس قوى عاملة ، وكان المثقفون هم الذين صاغوا هذه الصيغة فى فكرة مشروع الميثاق الذى قدم كتقرير للمؤتمر القومى لقوى الشعب العاملة ، فليست هى قوة واحدة اذن ، وانما هى بصياغة الميثاق تحالف القوى العاملة للشعب ، وصدر دستور ١٩٦٤ ويقول قولا منقولا من الميثاق ٠٠ ان الاتحاد الاشتراكى هو الممثل لهذه القوى الشعبية الهائلة ، واطلاقا لفاعليته فقد تحتم أن يتعرض الدستور الجديد لشكل التنظيم السياسى للدولة ، وضمان سلطات هذا الاتحاد الاشتراكى ، فتجده فى باب (الدولة) قد نص فى أول مادة منه على أن مصر جمهورية عربية يقيمها تحالف قوى الشعب العاملة ٠٠ كما أن هذا الباب فى جملته سبع مواد عبارة عن عشرين سطرا ٠

تحدث الدستور عن الاتحاد الاشتراكى فى عشرة سطور منها ٠٠ معنى هذا أن الدستور نص على الاتحاد الاشتراكى على أن يكون جهازا كبيرا جدا قادرا على تحريك الدولة وفوق غيره من الاجهزة ، ولكن عندما يكون فوق هذه الاجهزة وليست له أسنان فانه يكون جهازا خائبا ٠٠ كما أنه تحت هذه الاجهزة لا تكون له فائدة ٠

ان الاتحاد الاشتراكى عندما يعطى قوة لكى يكون فوق هذه الاجهزة بنص الدستور فان هذا يعتبر دفعا لامكانيات الثورة وتعميقا للاشتراكية والحرية ، والديمقراطية ، ومتابعة العمل فى الميثاق وفى كل النصوص الدستورية ، ومتابعة العمل فى الاجهزة الحكومية ومتابعة العمل فى الاجهزة التشريعية ٠

واننى لا أعرف حتى الان اذا ما كان هناك قانون للاتحاد الاشتراكى أم لا ، وهذه مسألة لابد من البت فيها ، وان اساس تشكيل الاتحاد الاشتراكى على أى حال يجعله يسيطر سيطرة كاملة على مجلس الشعب ٠٠

اذن هو يتابع العمل فى الاجهزة التنفيذية ويفرض عليها أن تعود الى المسار ، أو الى الطريق الذى تريده قوى الشعب العاملة لان الدولة أقوى من الملك ومن رئيس الجمهورية ومن أى جهاز آخر لانها تتكون من قوى الشعب العاملة الخمسة ، ولا يمكن أن يقال ان العمل السياسى تحت السلطة التنفيذية أو تحت السلطة التشريعية ٠

وفى الحقيقة ان الجهاز السياسى كان متعثرا فى تاريخه لسبب بسيط جدا ، وهو أنه لا يمثل الشعب بقدر ما يمثل السلطة فى الشعب أو على الشعب ٠

ومن الممكن أن توجد اليوم صيغة طيبة جدا عندما يجلس العقلاء ليبحثوا العلاقة بين كل من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والاتحاد الاشتراكى ٠٠ خصوصا وان السلطة التنفيذية ليست كارهة للاتحاد الاشتراكى وليس بينهما

طلاق ، وكذلك السلطة التشريعية ولكن كل ما ينقصنا هو الصيغة الصالحة ٠

اذن نحن متفقون تمام الاتفاق على ان مجلس الشعب سيكون مرحبا ، والسلطة التنفيذية أيضا ستكون مرحبة لو وجدت الصيغة الملائمة ، ولكن الذى حدث فى الماضى هو أنه وجدت صيغ غير مفهومة اضطرتنا الى اعادة الانتخابات ، وسوف نضطر الى هذا دائما ما دمنا لا ننفذ الميثاق بدقة ، ولو اننا نفذنا الميثاق باخلاص ومارسنا القيادة الجماعية بلا دكتاتورية فى أى موقع ، فان كل شىء سيحل ٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

لقد نقلنا السيد عبد الحليم الجندى الى النقطة الخاصة بعلاقة الاجهزة بالمؤسسات ، وهى نفس الملاحظة التى أبداها السيد محمد مهدى شومان ، ولو أنها مستفاضة بعض الشىء .

لكننى أريد الرجوع الى النقطة الاولى وهى :

هل الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة أو جهاز للشعب ؟

فنحن لم نقل هل هو يمثل سلطة أو لا يمثل سلطة ، لكننا قلنا هل هو جهاز للسلطة ؟ أو جهاز للشعب ؟

فهو قيادة سياسية معينة تكوينها تكوين معين ولهـا دور معين ، ونحن مكتفون بـالنصوص الواردة لتحديد هذا الدور .

لكن المفروض هنا يقول بأن الواقع يغاير ذلك على أساس انه كان يترجم آراء السلطة بصفة مستمرة ، وهذه هى النقطة المعروضة .

فهل هناك أية ملاحظات عليها حتى نستطيع الانتقال لنقطة أخرى .. لاننا سننتقل بعد ذلك لتحديد ما اذا كان الاتحاد الاشتراكى سلطة أم غير سلطة ٠ وهو موضع تساؤل السيد عبد الحليم الجندى ــ ولو اننى متفق مع سيادته تماما فى تحليله .

وكما ذكرت فى بداية حديثى لابد من كتابة معادلة معينة توضح صلاتنا بالسلطة التنفيذية ماخوذة من المواثيق التى تنص على ان الاتحاد الاشتراكى يراقب ويتابع ، لكنه لم ينص على كيفية هذه الرقابة وهذه المتابعة ، فالمفروض أن يكون واضحا كيف يراقب وكيف يتابع .

فهل سيراقب مثل اجهزة الرقابة مثلا ... أو كاجهزة النيابة الادارية ؟ فلابد من توضيح طريقة المراقبة ، وهذه من الاجزاء الناقصة ، لانكم لو رجعتم لجميع النصوص الموجودة فستجدون أن هذه النصوص مصاغة بطريقة جيدة ، **فمثلا** يقال ــ وكما ذكر السيد خالد محيى الدين الان ــ ان السلطة التنفيذية جناح التنظيم السياسى ، فهل السلطة التنفيذية فعلا جناح من التنظيم السياسى .. **انها جناح على الورق فقط وليست جناحا حقيقيا .**

ثم مثلما ذكرت ان الصيغة التى يجب أن نضعها بالنسبة للسلطة التنفيذية وخاصة للعاملين بها ، فنحن قد تعاملنا مع السلطة التنفيذية لفترة طويلة ونعرف المعوقات الموجودة بها ، ولا نريد تكرار مثل هذه المعوقات ، وطالما انك تعطينى اطارا معينا فأنا مسئول عن تنفيذ هذا الاطار لكنك لا تستطيع محاسبتى عليه يوميا وبصفة مستمرة .

ثم ماهى طريقة هـذه المحـاسبة فى اللجنة المركزية « مثلا ذكر السيد خالد محيى الدين أن الدستور قد نص على أن مجلس الشعب يحاسب السلطة التنفيذية ولكن لم يكتف بهذا ، وانما نص على تنفيذ هذه المحاسبة ، وهى اما بتقديم سؤال او طلب احاطة أو طلب مناقشة او استجواب لكن لابد ان نذكر فيه نقاطا معينة مسلسلة بحيث لا يمكن أن ارفع يدى فى مجلس الشعب لكى أسأل أحد الوزراء سؤالا معينا ، أعتقد ان مثل هذا التصرف لا يجوز ، وقد عارضت محاسبة الوزراء فى اللجنة المركزية لان الوزراء يحضرون اللجنة المركزية وهم لا يعلمون ما الذى سيحدث فيها ، فكيف يتسنى لوزير التربية مثلا أثناء حضوره الاجتماع أن يجيب عن سؤال لاحد الاعضاء عن تجربة مدرسة معينة فى بلد معين . لكن ما يحدث فى مجلس الشعب هو ان يقدم السؤال مكتوبا ثم ترد الاجابة بعد أسبوع أو أكثر بعد دراسته .

ومن هنا انتهى الى نقطتين :

النقطة الاولى وهى الواردة هنا ، فنحن لم نقل هل هـو سلطة بل نقـول هل هو جهـاز للسلطة ؟ فاذا كان احـدنا يرى ان الاتحـاد الاشتراكى ملزم بحكم تكوينه أن يكون جهازا للسلطة بغير قراراتها بصفة مستمرة وتكون هذه هى وظيفته ، فيكون بهذا معارضا للنقطة الاولى ، ويقول نعم أنه جهاز للسلطة ويجب ان يرتبط بالحكومة وتكون الحكومة فوق الاتحـاد الاشتراكى ، وان الحكومة عندما تصدر قـرارا فيجب على أجهزة الاتحاد الاشتراكى واجهـزة التيـكرز الخاصـة به ، ان تنفذ هـذا القرار وتعلنه .

فهل هذا المفهوم موجود لديكم ؟

الاغلبية [لا] .

اذن فهو ليس جهازا للسلطة ، وكل ما نقوله هنا في هذا البند الاول « ان وثائق الثورة تنص على كذا ، وان ماحدث في الاتحاد الاشتراكي في فترة من الفترات انه اتجه الى شرح قرارات الحكومة ، ومازالت الحكومة تطالب بهذا وتسأل لماذا لم يفسر الاتحاد الاشتراكي قرارات الحكومة» ؟

وأنا أرد بأنني غير مستعد لتفسير هذه القرارات لاننا لم نشترك فيها من ناحية ومن ناحية اخرى فنحن نشعر ان الجماهير ربما تعارض جزءا منها ، وتقبل جزءا آخر ، فيجب الا نضع أنفسنا في هذا الموقف ، لانه اذا كانت ورقة العمل هذه معدة وقرار اللجنة المركزية موجودا بصيغة معينة - فان للاتحاد الاشتراكي عن طريق أمانته أن يبدى رأيا في قرار حكومي اتخذ طالما أن للجماهير رأى في هذا القرار بحيث يكون رأى الجماهير ممثلا فيه حقيقة ، فغداة صدور مثل هذه القرارات مباشرة يصدر بيان من الامانة العامة مباشرة بشأنها وبأننا لا نوافق عليها ، لكن هذا الامر للاسف غير موجود ، وبالتالي تكون السلبية قائمة لانك ترى قرارات دون التعليق عليها ، وكل ما نستطيع أن نفعله اننا لا نتكلم بصدد هذه القرارات سواء بالتأييد أو بالرفض .

لذا يجب ان تكون أمامنا مادة من المواد الجديدة والتي لم تكن موجودة والتي من شأنها أن تلزم خطا معينا . وهي التي أشار اليها السيد عبد الحليم الجندي بأن تضع هذه الصلة وهذه واردة في الصفحة التالية .

وبناء على هذا ، فأنني أقترح عليكم الموافقة الان - ثم بعد ذلك ستعدل الصياغة جميعها سواء بالتقديم أو بالتأخير - على أن الاتحاد الاشتراكي ليس جهازا للسلطة ، **بل هو قيادة سياسية - كما ذكر السيد خالد محيى الدين وهو جهاز للشعب ، وظيفته واضحة ومحددة في مواثيق الثورة ، ولكنها لن تكون لتفسير أعمال السلطة .**

وهذا هو المعروض .. فهل هناك ملاحظات على هذا الجزء ؟

« لم ترد ملاحظات »

● **مسعد التمامي**

بالنسبة لكلمة قيادة سياسية ، فنحن اذا رجعنا للمواثيق والوثائق كلها، سنجد انها جميعا



مسعد التمامي

تشير الى انه سلطة سياسية ، وهو ما نعتبره فوق كل السلطات ، ومن خلالها تستطيع ان تحرك السلطات بجميع الاجهزة الادارية والتنفيذية ، لتحقيق اختصاصاتها من ناحية رسم السياسة والرقابة والتنفيذ .

● **الدكتور جمال العطيفي**

لا يجوز أن نتسرع في التعبيرات ، ولا نقول سلطة فوقية أو تحتية ، بل يجب ان تكون تعبيراتنا دقيقة .

● **الدكتور أحمد كمال أبو المجد**

في تصوري بالنسبة للامر الاول ، فهو سؤال مطروح ليس فقط لاخذ رأينا فيمااذا كان جهازا للسلطة أو جهازا للشعب ، لانه واضح طبعا ان كل الموجودين في القاعة مسلمون بأنه أداة للشعب أو جهاز للشعب ، ولكنني كنت أتصور أن يدخل في مناقشة هذا الجزء محاولة تشخيص للانحراف الذي أشارت اليه ورقة العمل ، وهو ان التنظيم السياسي في بعض مراحله تحول الى جهاز معبر عن ارادة السلطة .

هذا ما أردت ايضاحه بالنسبة للتعبير الاول ، فلم أكن اتصور أو اقصد أن نطالب من السلطة تفويضا ، لكنني أريد أن أقول أنه حتى يتحقق عمليا ان هذا الانحراف لن يتكرر ، وان معنى انه اداة للشعب قد تحقق فعلا ، فيحتاج الامر الى نية من القيادة الفعلية ، وهذه النية متوفرة حاليا بما أعلنه السيد رئيس الاتحاد الاشتراكي .

هذا فيما يختص بالبند أولا ، أما في البند ثانيا وفي النقطة الخاصة . هل هو حزب سياسي أو تحالف ؟

فلقد اثير سؤال .. أولا ماهو الحزب في المصطلح الجاري ؟ ثم ماهي النتائج العملية التي تترتب على اعتباره حزبا ، فالحزب حتى لغـة واصطلاحا اداة تعبير او اداة تقرير لفئة سواء كانت هذه الفئة تتحدد بفكر معين أو بمصلحة اقتصادية معينة ، والواقع في الاتحاد الاشتراكي انه ليس كذلك ، فهو ليس تعبيرا عن فكر فئة معينة ، ولا عن مصلحة طبقة واحدة .

وفي الوقت ذاته فالنتيجة العملية التي تترتب على التشخيص أيضا تختلف فيما اذا كان حزبا واحدا او حزبين . او احزابا متعددة ، وهذا ما يحدد مكانه الدستوري . فاذا كان حزبا واحدا يكون له دور دستوري محدد جدا،ويمكنحينئذ ان تكون الاجهزة التنفيذية أذرع له أو أجنحة .

اما اذا كان حزبين فيتحدد دوره الدستوري ايضا بأن تختار منه الحكومة، كذلك يكون له دور دستوري معين خاصا بسير الحيـاة السياسية وبقاء حزب في الحكم وحزب في المعارضة .

لكن اذا تعددت الاحزاب فتكون وسيلة للتنـافس للوصـول مجتمعـة أو منفـردة الـى السلطة — لكن يبقى أن نكون للحـزب وظيفه سياسية غير دستورية. وهي انه اداة للتعبير الشعبي عن الرأي .

لكن الصيغة التي وصلنا اليها ، وبالرغم من عدم وقوفي كثيرا بجانب المدلول الاجتمـاعي للتحالف ، فهو أولا تنظيم واحد وتنظيم واسـع جدا ، ولقد تصورته في وقت من الاوقات ، على أنه عودة جزئية الى ما نسميه بالديموقراطية المباشرة ، بمعنى أن تعبير الناس عن نفسها لم يعد يكتفي فيه بالنظام النيابي ، ولم يعد النواب وحدهم هم المعبرين عن الشعب ، وانما أصبح التنظيم السياسي معبرا ايضا ، وغاية ما هناك انه نظرا لان النواب يجمعهم اطار دستوري متعارف عليه وله تقاليد ، فنستطيع ان نعطيه سلطات محددة ازاء الاجهزة ، كسلطة الرقابة المتمثلة في السؤال والاستجواب وما قد يترتب علـى الاستجواب من طرح الثقة بالوزراء منفردين أو مجتمعين ، بالاضافة الى الوظيفة التشريعيـة المحددة .

اما التنظيم السياسي الجامع لقوى الشعب العاملة ففي الواقع هو أداة لمعرفة وقياس الرأي العام ونقله ليوجه ، ثم اذا أمـكن ليراقب ، وهـذا أصعب من خلال هذا التنظيم .

اما قضيته الاجتماعية كتحالف فهي تثير اشكالا غريبا جدا ، وانا في هذه النقطة اطرح مشكلةولا اقول رأيا — اذ يلاحظ في مواقف عديدة جدا أن **قوى الشعب المختلفة داخل التنظيم تعطي ولاءهـا للتنظيم مشروطة بموقفه منها** ، بمعنى انـه — وهذه نقطة اثيرها بمنتهى الصراحة — يأتي بيان السـيد رئيس الجمهـورية في ١٠ يوليو فترضى عنه فئات دون فئات ، وتحدد فئات أخرى موقفها من التنظيم السياسي ككل ، على أساس ان هذا البيان رد على خط معين ، أو على اساس ان هذا البيان هو وحده المعبر عن تيار معين ، فهذه قضية تواجه اجهزة التنظيم المعبرة وقياداته لان الولاء للتنظيـم أصـبح مشروطـا بموقعه من القرارات أو من مصالحها الذاتية .

فكيف تحل القضية الاجتماعية، قضية التذويب في ظل هـذا الامر ، وانا لا أريد أن اطرح هـذه النقطة الان ، لكن ما اطرحه هو صيغته السياسية .

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

ان هذه العملية أساسية فعلا ، ولقد كانت في تفكيرنا منذ القاء خطابنا الاول وستترد فيما بعد ، وهذا ما قصدناه فعلا ، حينما طلبنا دليل العمل السياسي للاتحاد الاشتراكي ، فنحن نقصد أمرين بهذا الدليل — ولو أنني بهذا سأنتقل لنقطة واردة فيما بعد — هذين الامرين هما :

١ — التطور الاشتراكي في مصر ، وما هي فكرته وما هي منجزاته وهذا عبارة عن كتاب أو نشرة والمفروض أن هذه اللجنة ستصدرها .

٢ — دليل العمل السياسي بحيث أنه حينما تعرض الحالة التي يذكرها الدكتور كمال أبو المجد وهي التي تمثل الفروق القائمة بين قوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكي ، أو ما يسمى بالمتناقضات بينها ، وهذه وردت أكثر من مرة ، كما وردت أيضا في خطابات السيـد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كثيرا .

فبذلك يكون لدينا مدلول معين ، بحيث نستطيع محاسبة من يخرج عنه ، ونقول لمن يخرج عنه انك قد خرجت عن دليل العمل المفصل في نقطة معينة أو خلافه ، ومن هنا تكون محصلة عمل اللجنة هي :

اولا — زيادة الفعالية للاتحاد الاشتراكي في المرحلة الحالية .

ثانيا — نظرة الى المستقبل .

ثالثا — دليل العمل السياسي .

رابعا — المنجزات الاشتراكية .

ثم بعد ذلك تعديل القانون اذا كان لابد من تعديله .

ولو اتممنا كل هذا فعلا ، نكون قد انجزنا عملا واضحا وقائما ، فالنقطة التى يثيرها الدكتور كمال ابو المجد اذن هى نقطة اساسية مثل علاقاتنا بالسلطة التنفيذية وباقى الموضوعات الاخرى ، لكنها ستنتهى فى النهاية ببلورة كاملة بحيث انه حينما يتكلم السيد رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو احد اعضاء اللجنة المركزية ويعطى صورة معينة ، نستطيع ان نفتح الدليل مباشرة على هذه الصورة لنرى هل تسير مع الخط المكمل للمواثيق الاساسية للثورة من عدمه ٠

وبهذا نكون قد انتهينا من البند الاول ، والبند الثانى ٠

ونضيف ضمان الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم أو خارجه كبند ثالث ٠

● **المهندس ابراهيم شكرى**

فى الواقع لى ملاحظة خاصة بالبند الثانى **بالنسبة لصيغة التحالف** : ففى الواقع هى صيغه تكاد تكون أقرب صيغة لان نستمر فى عملنا ٠

ولقد أثار السيد الرئيس أيضا هذه النقطة فى الدورة الاولى للمؤتمر القومى العام ، ولقد انتهى قرار المؤتمر الى أن الاتحاد الاشتراكى هوتحالف بالصيغة التى يمكن أن تستمر بها ٠

لكن كل ما اريد قوله فى هذه النقطة هو هل هذا التحالف شكلى ورسمى ، او تحالف حقيقى، وهل المقصود انونسعه ونصححه بحيث نقول اننا تحالف قوى الشعب العاملة كلها ،بطريقةتؤدىبنا فى النهاية الى أن الشعب لا يأخذ قرارا ولا يملك أن يأخذ قرارا وحتى نصل فى النهاية الى أن يفقد الشعب ايمانه بأن الاتحاد الاشتراكى يمثله فعلا ٠

اذن فنحن موافقون على الصيغة لكن بالنسبة لطريقة تنفيذها ، هل نتعامل مع هذه القوى العاملة فرادى «أو عينات» «عينة» من الفلاحين واخرى من العمال وثالثة من المثقفين وهذه هى الفئات التى يمكن ان نتصور أنها يمكن أن تكون قوة حقيقية ٠٠ القوة الحقيقية لقوى الشعب ٠ فالمفروض أن تكون منظمة فى تنظيمات وتجمعات مختلفة ،ويمكن فعلا أن تكون هذه هى الطريقة التنظيمية الصحيحة لكى توصل رأى قوى الشعب العاملة الى هذا التنظيم الام وهو تحالف قوى الشعب او الاتحاد الاشتراكى ٠

ولم نكن نرغب خاصة فى المرحلة الاولى وانا هنا اتحدث بصراحة تامة لانه كان يخشى أن ننظم الاتحاد الاشتراكى العربى كما يجب ان ينظم باعتباره تحالفا لقوى الشعب العاملة ٠٠

هذا التحالف الذى يمكن بالفعل عن طريقه ان يقال « أن رأى العمال فى هذه القضية هو كذا ٠٠ وان الفلاحين رأيهم كذا ٠٠ وان رأى المثقفين أو المهنيين فى نقاباتهم فى هذه القضية كذا ٠٠ اما الطلبة فرأيهم كذا ٠٠ الخ ٠٠



ابراهيم شكرى

فكان يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكى هكذا ٠

لماذا ضعف الاتحاد الاشتراكى ؟ لانه ليس هناك جمعيات تعاونية فلاحية قوية ؟ كما أنه ليس هناك نقابات للعمال الزراعيين قوية وفعالة وأساسية تمثل فعلا هذه القوى الكبيرة الموجودة ،فالنقابات الزراعية للعمال قد كونت على الورق فى ظرف اسبوعين ، وما حدث فعلا هو ان احدى الوزارات ـ ولا أذكر اذا كانت وزارة الشئون الاجتماعية أو وزارة العمل ـ قد طلبت أن يكون هناك ما يسمى بنقابات العمال الزراعيين لانها تهدف الى تكوين اتحاد عام لعمال الجمهورية ، وهذا الاتحاد تنقصه هذه النقابات ، فلابد من وجودها حتى يتسنى تكوينه ، وهذا ما حدث فعلا فى بداية تكوين هذه الجمعيات والنقابات ، لكن للاسف مازال معمولا به حتى الآن ٠

وطالما ان المهمة الاساسية للاتحاد الاشتراكى ـ كما نعلم جميعا ـ هى دفع وتعميق ٠٠ الخ ، فكان يجب عليه تكوين هذه الجمعيات وهذه النقابات سواء كانت نقابات عمالية أو مهنية تكوينا سليما وصحيحا ، ومن خلال هذه التكوينات والتنظيمات الصحيحة يمكن أن تكون هناك حصيلة قوية صحيحة تمثل فعلا تحالف قوى الشعب ٠

هذه هى القضية ، ولذلك لابد أننا نضع من الانظمة ومن الاساليب ما يوصلنا الى تكوين هذه

التنظيمات القوية ، وكيف يمكن لها أن تشارك بفاعلية فى تكوين الاتحاد الاشتراكى ، بحيث حينما يجتمعون يمكن القول بأن هؤلاء هم الذين يمثلون القوى الحقيقية لتحالف قوى الشعب ويمكنهم اذا أقروا قرارا او اذا انتهت تنظيماتهم الى تصعيد قرار معين فان هذا القرار نتيجة بحث هذه القواعد كلها وأنها مؤمنة به أو منفذة له لو اريد للقرار أن ينفذ ٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

ان التصور الذى ابداه الاخ ابراهيم شكرى اعتبره من وجهة نظرى تصورا قائما ، ولو أطلعنا على الاحاديث السابقة ، أو تصورى فى خطابى والارتباطات التى جاءت فيه وكذلك القرارات التى صدرت من المؤتمر القومى نجد أنها تتمشى تماما مع كلام الاخ ابراهيم شكرى لكنه أعطى شيئا من التفصيل ٠

بالنسبة للصورة النهائية للاتحاد الاشتراكى فاننى متصور ان هناك منظمات جماهيرية تمثل منظمات وقاعدة جماهيرية فعلا ، تمثل النقابات المهنية والجمعيات التعاونية للفلاحين ، نقابات العمال الزراعيين ، النقابات العمالية ، الادباء والفنانين ، التنظيمات النسائية ، كلها بانتخابات موجودة من القاعدة بأشخاص لهم قيادة معينة وقد يتغيرون وأدنى اعامل الموجود منهم ، وحينما يتغير أعامل الموجود الذى انتخب ، وان ما ذكرته بجانب النقطة التى ذكرها الاخ ابراهيم شكرى ولو أنها سوف تأتى بعد ذلك سوف نثبتها لاننا سوف نستعين بها بعد ذلك ، فى رأيى أنها تمثل انفعالا كبيرا جدا بين الاتحاد الاشتراكى وبين جميع هذه المنظمات ٠

لقد حدث نوع من المعالجة ، فهل التقييم الخاص بالمعالجة كاف أم لا ؟

عندما فكرت اللجنة المركزية أن تقسم نفسها الى أمانات مختصة ، ما هى الفلسفة من وراء هذا ؟ حينما انقسمت الى أمانة النقابات المهنية ، أمانة الفلاحين ، أمانة العمال ٠٠ ان الفلسفة التى كانت موجودة أن المفروض على مستوى الامين أن يرتبط مع جميع التنظيمات الخارجية بحيث ترتبط كلها مع اللجنة المركزية ، ولكن لسبب او لاخر لم يتم هذا ، واعتقد أن ذلك لا يرجع الى عدم كفاءة القائمين على الامر فيها ، ولكن لسبب طبيعة المشكلة ، وهى ان النقباء كنقباء يطلبون ان يبدوا وجهة نظرهم ليس على مستوى الامين فقط انما يريدون أن يبدوا وجهة نظرهم أمام لجنة معينة ويريدون أن يسمعوا بشكل معين ، وهذا الموضوع له فيه تحليل وسوف يأتى عندما نتناول طريقة العمل الداخلى للتنظيم السياسى ٠ بمعنى هل نسير بنظام الامانات أم نغير نظامها او هناك وسيلة اخرى ٠ وما يظهر من كلام الاخ ابراهيم شكرى انما هو تفسير للنقطة الاولى بالنسبة للحزب وبالنسبة لتحالف قوى الشعب العاملة ٠

هل هناك أية ملاحظات على النقطة الاولى أو الثانية ٠

(لم ترد ملاحظات) ٠

ننتقل بعد ذلك الى النقطة التالية فى الصفحة السادسة وهى **مهمة لجنة العمل** ، وهذه المهمة تتناولها البنود أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، هل هناك أية اضافة بالنسبة لمهمة لجنة العمل غير ما ورد فى البند « هـ » ٠

فى الواقع نحن نقوم بعمل دليلين ٠ دليل العمل السياسى ، ودليل العمل التنظيمى ، دليل العمل السياسى بين فلسفتنا الاشتراكية والمنجزات التى حققها ، أما دليل العمل التنظيمى فيبين الصلة التى بيننا وبين المجلس التشريعى ٠٠ الخ

● **الدكتور اسماعيل غانم**

واضح أن الخمس النقاط هذه يمكن تقسيمها الى مسألتين رئيسيتين ٠٠ بحث موضوعى ، وبحث تنظيمى أو شكلى ٠

البحث الموضوعى ويشمل اعادة النظر فى البناء الداخلى ، والعلاقة بين التنظيم وبين المؤسسات ، وعلاقته بالجماهير ، ويأتى بعد هذا العمل الموضوعى الكلام فى دليل العمل وقانون الاتحاد الاشتراكى وهذا متفق عليه ٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

هذا صحيح ، فاذا ما اتفقنا على أن هذه هى النقاط يأتى بعد ذلك الاقتراح الاول الذى أشار اليه الدكتور دكرورى ٠٠

● **المهندس طاهر امين**

اننى الاحظ ان بعض السلبيات التى وافقنا عليها ، علاجها لا يدرج تحت الخمس البنود التى ذكرت ، ويخيل الى انه لابد من اضافة ٠٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

ما الذى تريد أن تضيفه ٠٠ ؟

● المهندس طاهر أمين

ما هى الاساليب التى يمكن أن نطرحها ونحن اليوم نحدد مهمة وأسلوب عمل اللجنة ٠٠ هناك أشياء كثيرة جدا انسانية وأشياء معينة ، بمعنى اننا حينما نقول اليوم اغراق الجماهير فى الامل والتناقض الشريف بين الهدف ٠٠ الخ ٠ ما هو البند التى تندرج تحته ٠٠ ؟ انها لا تندرج لا فى قانون الاتحاد الاشتراكى ولا فى البناء الداخلى وليس لها علاقة بأى شىء ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

انها تندرج تحت أسلوب الانفتاح الكامل على كافه قوى الشعب العاملة ٠

● المهندس طاهر أمين

ليس هذا شرطا ٠٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لا فحينما تحلل هذه النقطة وانت تشرح ما هو الانفتاح ٠٠ هل الانفتاح الكامل انك تعطى الشعب امانى لا تحققها ٠٠ وهل الانفتاح الكامل أن تخفى حقيقة عن الشعب ٠٠ وما هى طريقة الانفتاح هل تقوم بعمل اجتماعات دورية للنقابات ٠٠ ؟

● الدكتور عبد الحليم الجندى

أين تأتى القيادة الجماعية بالنسبة لاسلوب العمل ٠٠ ؟

● السكرتير الاول للجنة المركزية

القيادة الجماعية تأتى فى أسلوب تحقيق الديمقراطية ٠

● المهندس طاهر أمين

نحن لا يضيرنا فى هذه المرحلة لكى نغطى كافة السلبيات أن يكون من ضمن المهام الموجودة عندنا دراسة السلبيات الموجودة واقتراح الوسائل الكفيلة بالقضاء عليها ٠٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ما هو المراد من ذكر السلبيات ٠٠ ؟ ليس المراد من ذكر السلبيات ابقاء الضوء على انه لم يعمل شىء ، لكن المفروض فى ذكر السلبيات انه تشخيص لحالة ثم محاولة علاج هذه الحالة ، فاذا وجدت نقطة فى هذا التشخيص فاننا يمكن أن نضيفها الى النقاط التى نتناولها ٠

● الدكتور أحمد الشرباصى

اننى اشارك الاخ طاهر فى أن يكون من مهمة اللجنة بيان الضمانات الكفيلة بعدم تكرار ما سبق أخذه على الاتحاد الاشتراكى من أخطاء ، بمعنى بيان وسائل الضمانات الكفيلة بألا تعيدنا الى الماضى ، لانه كما ذكر فى الاجتماع الماضى اذا لم نرفق فسوف تكون انتكاسة عنيفة جدا ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

نضيف الملاحظة التى ذكرها الاخ طاهر وكذلك ملاحظة الاخ الشرباصى ٠

بعد ذلك ننتقل الى نقطة أسلوب عمل اللجنة ، ومعروض فيه رأيان : أما أن نناقش هذا على مستوى لجنة العشرين هنا ، وأما أن تبدأ اللجنة وتقسم نفسها الى لجان بحيث يتناولون ورقة الاستعراض ويقدمون كلجنة ورقة تجمع ما بين ملاحظات أمناء المحافظات وملاحظات هذه الورقة ٠

وعلى سبيل المثال يمكن القول « اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى بطريقة جذرية » وهذه تؤجل الان لحين وضع تصورها ونرى ما يمكن تعديله ، ولا تسرع حتى يتسنى للجنة أن تنظر متحررة ، وأفترض انه لا يوجد قانون الاتحاد الاشتراكى ، حتى اذا ما وضع الاسلوب نأتى بالقانون وننظر فيه هل يتفق مع ما ورد أم أن هناك نصوصا فيه يجب أن تتغير حتى يمكن تغيير القانون على أساسها ٠

● المهندس طاهر أمين

لقد دخلنا فى ناحية تنظيمية ، ولا أعلم اذا كان يسمح لى أن أعود الى بعض الموضوعات التى سبق وناقشناها ٠٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

تفضل

● المهندس طاهر أمين

فيما يختص بالسلبيات أرجو مناقشة موضوعية يمكن أن يدرجوا تحت السلبيات ٠٠ الاولى ــ موضوع التفرغ السياسى ٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

يمكن أن يندرج هذا تحت موضوع التنظيم •

● **المهندس طاهر أمين**

ليسمح لى السيد السكرتير الاول أن موضوع التفرغ السياسى يندرج تحت موضوع السلبيات •

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

اذن أنت تعتبر التفرغ السياسى من الان كسلبية •

● **الدكتور طاهر أمين**

المقصود هنا هو عدم التفرغ السياسى وليس التفرغ •

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

عدم التفرغ السياسى تعتبره من الان كسلبية ، قد يكون للبعض الاخر رأى آخر في هذا •• وبالتالى أعتقد انه من الافضل أنه يندرج تحت المشاكل لانه هنا كسلبية أو عدم سلبية مختلف عليه ، حتى النظام الطليعى نفسه البعض يعتبره سلبية كاملة والدكتور كمال أبو المجد له رأى يخالف هذا ، وبالتالي فقد تناولنا السلبيات التى لا يحدث عليها خلاف •

● **الدكتور جمال العطيفى**

بالنسبة للتنظيم ، مهمة لجنة العمل أقترح اقتراحا بسيطا فى الصياغة ، سوف نقول فى المهام الرئيسية •• اعادة النظر في البناء الداخلى اولا، ثم تحديد علاقة التنظيم •

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

سوف توضع فى البند « أ » •

● **الدكتور جمال العطيفى**

تحديد علاقة التنظيم بالجماهير ، وفى ضوء هذا نعد شيئين ••

أ ــ دليل عمل فكرى وتنظيمى للاتحاد •

ب ــ قانون الاتحاد الاشتراكي •

ونحن نناقش هذه المسائل لكى نصل الى أمرين :

١ ــ قانون جديد للاتحاد الاشتراكي يستوعب النظر في البناء الداخلي ويستوعب الانفتاح على الجماهير •

٢ ــ دليل العمل الفكرى والتنظيمى •

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

فى الحقيقة حينما نناقش اسلوب الانفتاح على الجماهير لا يمكنك أن تناقش هذا مناقشة كاملة الا اذا تعرضت للتظيم الداخلى للاتحاد الاشتراكى ولا يمكن فصلهما عن بعضهما والا يصبح الانفتاح على الجماهير عملية نظرية ، فكيف تقوم بعمل نقاش على الجماهير •• ؟

وبالتالى ما هو النظام التى ستفيد به أسلوبك ؟

ولذلك أقترح تيسيرا لعمل اللجنة أن نشكل لجنة فرعية واحدة ولا نشكل لجنة لكل موضوع ــ وهذا معروض عليكم اذا وافقتم لماذا نشكل لجنة فرعية واحدة •• ؟

لاننى متصور أن كل موضوع مرتبط مع الاخر ، فلو قسمنا الموضوعات فسوف تتشعب العملية وترد لنا أوراق كثيرة وربما يكون بعضها متداخلا مع الاخر ، ولذلك أقترح تشكيل لجنة صغيرة وامامها المادة ، وهى عبارة عن التصور الموجود امامكم وفى التصور الموجود من الامانات العامة للمحافظات ، وأى تصور آخر يرد سوف أرسله فورا للجنة دون أن أعلق عليه ، وبالتالى تصبح لدينا صورة معينة هى التى نناقش على أساسها وسوف تعمل هذه اللجنة الصغيرة لمدة اسبوع من اليوم او خمسة أيام يكون عملها اعادة صياغة بحيث تجيب عن التساؤلات ، ثم يعرض تقريرها علينا •

هذه صورة من الصور ، أما الصورة الثانية فهى أن نناقش ورقة العمل هنا مادة مادة على مستوى لجنة العشرين ثم نرسلها للسكرتارية لتلخيصها ثم تعود الينا لمراجعتها •

والصورة الثالثة هى أن نشكل لجنة لكل موضوع • هذه هى الصور الثلاث المقترحة أعرضها على حضراتكم لاخذ الرأى على أى منها ، وفى تصورى أنه من الافضل أن تقوم لجنة واحدة بهذا العمل ، وسوف نناقش التقرير وليست التساؤلات ،واذا اردت أننسير فىالنقاش ثم تبدأ لجنة الصياغة فى عملها فهذا ممكن لكننى أرى أن هذا ربما يستغرق وقتا أطول •

● **المهندس سعد هجرس**

اننى أميل الى الرأى الاول وهو تشكيل لجنة فرعية واحدة لان الموضوع مترابط تماما فى جميع نقاطه الخمسة ، ولكن قبل أن تبدأ اللجنة الفرعية عملها فى الدراسة فاننى أتصور أننا هنا في لجنة

العشرين ، لابد أن نعطيهم انطباعاتنا وافكارنا ، وبالتالى نعطى أنفسنا فرصة جلسة أو اثنتين حتى يمكن أن نوفر للجنة كل هذا ثم تنفرد هى بعد ذلك .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لدى حل عملى فى هذا ، وهو أن الاوراق الموجودة لدينا جميعا عبارة عن جزءين : جزء يعطى اتجاها فكريا وجزء عن التساؤلات ، ومهمة اللجنة الفرعية التى سوف تختارونها هى الاجابة عن التساؤلات ، وبجانب هذا أن كل من لديه رأى ينضم الى اللجنة الفرعية ويقول رأيه تسهيلا لنقاشنا ، ومن ليس له رأى جديد ، أو من رأى أن النتائج التى تناولتها ورقة العمل كافية وأن التساؤلات سيرد عليها فيما بعد فان الرد على التساؤلات سيعرض عليه وربما يعدل أو يضيف .

● المهندس أحمد عبد الاخر

اننى أميل الى أن كل موضوع من الموضوعات المثارة هنا يجب أن تشكل له لجنة ، وتقطع كل لجنة شوطا فى النقاش وفى التصور ثم تنتهى الى اللجنة الفرعية التى اشرت اليها سيادتك ويكون عملها تنسيق آراء هذه اللجان ، وتنبثق اللجنة الفرعية من اللجان الصغيرة .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

فى رأيى أن كل من لديه ملاحظات يكتبها للجان الفرعية ، وأود أن ننتهى الى رأى حيث مضت علينا ساعتان ونصف ولم نتقدم خطوة الى الامام بينما تصورنا جميعا يكاد يكون واحدا .

على سبيل المثال ورد فى أسلوب ورقة العمل أن عملية التنظيم السياسى وتدعيم قدرته وتصحيح علاقاته بالجماهير لا تبدأ من فراغ وانما هى استكمال لمحاولات عديدة سابقة لابد من تقييمها والاستفادة منها ، ومن هنا لابد أن تكون الوثائق المتضمنة لهذه المحاولات محل دراسة اللجنة وتحليلها .

هذه العملية انتهت لان الوثائق التى كانت لدينا وضعت عندكم منذ البداية وسرنا فيها ، وبعض النقط هى التى تحتاج لابداء الرأى أو قد تكون مخالفة فى الرأى لبعض النقط التى وردت هنا ، لذلك فانى أفضل اما أن تشكل لجان نوعية كما ذكر الاخ أحمد عبد الاخر وهذا ممكن على أن نشكل أربع لجان ، اللجنة الاولى لتحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات ، والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية ، واللجنة الثانية لتحديد علاقة التنظيم بالجماهير ، واللجنة الثالثة وهى محصلة عمل اللجنة الاولى واللجنة الثانية لاعادة النظر فى البناء الداخلى للاتحاد الاشتراكى ، واللجنة الرابعة وهى لجنة التنظيم .


احمد عبد الاخر

● الدكتور اسماعيل غانم

أرى من الافضل أن تكون لجنة واحدة لان الفصل بين الموضوعات يكاد يكون مستحيلا فاذا نظرنا الى تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية ،وعلاقة التنظيم بالاجهزة الشعبية فمن المؤكد أن هذا سوف ينعكس على البناء الداخلى كما ذكر المهندس ابراهيم شكرى فيما يتعلق بتكوين الهيئات الشعبية التكوين القوى الذى يمكنها بعد ذلك من المشاركة فى تكوين الاتحاد الاشتراكى نفسه ، وهذه فكرة مطروحة تؤثر على البناء الداخلى نفسه .

كذلك أسلوب تحقيق الديموقراطية عن طريق مشاركة الجماهير فى التوجيه والرقابة ، أن طريقة المشاركة لها صلة أساسية بعلاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية ، وأعتقد أنه يستحيل الفصل بينها كموضوعات مستقلة عن بعضها ، ولا أعرف كيف يتحقق ذلك من الناحية العملية .

● المهندس أحمد عبد الاخر

نأخذ موضوعا معينا ولكن نفكر فى الاطار العام فى الموضوعات المطروحة ، ففى لجنة البناء الداخلى للاتحاد نأخذ فى عين الاعتبار الجزء المثار بعلاقتها بالتنظيمات الاخرى .

● الدكتور محمد دكرورى

أرى أنه يمكن التوفيق بين الجانبين ،بأن يتولى شخص أو أشخاص محددين اعداد تصور سريع بورقة عمل لكل موضوع يعرض أمام لجنة واحدة ، بمعنى أن أى موضوع من هذه الموضوعات يطرح

امام اللجنة المشكلة يكون أمامها ورقةللعمل ،فاذا تكلمنا عن العلاقة مع المؤسسات الاخرى كالنقابات وغيرها ، فمن الممكن أن يتقدم الاخوة الذين لهم خبرة في هذا المجال بورقة واحدة كما ذكر الدكتور اسماعيل ، ولابد أن يكون أمام هذه اللجنة مجتمعة شيء نبدأ منه في التصور .

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

الواقع انني اتفق مع الزميلين في أن تقوم لجنة واحدة في البداية باعداد الورقة النهائية التي يمكن ان تعرض على هذه اللجنة مجتمعة وبعد أن توافق هذه اللجنة ففي اعتقادي يبدأ التفرغ بحيث تقسم هذه اللجنة اما الى لجنتين كما اقترح الدكتور اسماعيل غانم للمسائل الشكلية ثم المسائل الموضوعية وأما أن نكبر توزيع اللجان ونشرك بعد هذا التوزيع أعضاء اللجان الفرعية مع هذه اللجان المنبثقة من هذه اللجنة ، علىأن يتم اعداد الورقة النهائية بواسطة لجنة فرعية واحدة .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أقترح الان أن تشكل لجنة فرعية واحدة ، ويمكن لاى من السادة الاعضاء أن يكتب تصوره ويرسله للجنة أو تقوم السكرتارية بارسالها لهذه اللجنة ، على سبيل المثال الكلمة التي قدمها المهندس ابراهيم شكرى للجنة ، والاعمال التنظيمية وشئون العضوية يكتبها الاخ أحمد عبد الاخر ، والاخ محمد دكرورى على سبيل المثال ايضا نكلفه بأن يكتب ورقة عن الوحدة الاساسية على مستوى القرية ، وكذا الاخ عبد اللطيف بلطية نكلفه بأن يكتب ورقة عن الوحدة الاساسية على مستوى المصنع ، هذه الاوراق ترسل للجنة الفرعية ، وفي هذه الحالة فان اللجنة الفرعية سوف لا تبدأ من فراغ بل بدأت من هذه الورقة وورقة عمل الامانات بمعنى أن الاخ ابراهيم شكرى يتكلم عن الجزء الخاص بالنقابات المهنية أو النقابات عامة على اعتبار أنه ملامس لهذا الجزء ، والاخ شومان يتكلم بالنسبة للجمعيات التعاونية ، والاخ محمد دكرورى والاخ محمد عثمان يكلمونا بالنسبة للوحدة الاساسية وتنشيطها كأسلوب عمل ، كل هذه الاوراق عندما تتجمع على هذه الورقة والاوراق الاخرى تعطى تقريرا ليس نهائيا ولكن على اعتبار أنه يرد الينا ونقرأه ونقرا ما به من تساؤلات ، وأى أحد من السادة الاعضاء له ملاحظة على هذا يقدم ورقة ، وسوف أحدد موعدا لتقديم الاوراق ، بعد ذلك تصوغ اللجنة العملية كما تراها وتضع في الاعتبار جميع الملاحظات التي وردت اليها ، ونفترض أن اللجنة لم تقتنع بوجهة نظر احد الاعضاء ، فيكون للعضو في هذه الحالة أن يدافع عن وجهة نظره عند انعقاد اللجنة ، ومن المفروض أيضا أن اللجنة الفرعية سترد على هذه الملاحظات وفي هذه الحالة سيكون النقاش محصورا وواضحا أمامنا في نقطة بحيث يمكننا أن نحدد رأى الاغلبية ورأى الاقلية .

● الدكتور عبد الحليم الجندى

ما هي قوة هذا التقرير فيما يتعلق باللجان الفرعية ؟ .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

ان التقرير سيرد الينا هنا ، ويكون هو مشروع تقرير اللجنة الذى سيعرض على اللجان الفرعية حتى اذا جد جديد من اللجان الفرعية أو لم يجد جديد فيعرض بالتالى على هذه اللجنة للتنسيق .

● الدكتور عبد الحليم الجندى

هذا تصور ، وهناك تصور آخر بالنسبة لما ورد في الصفحة رقم ٧ « ويكون العمل أساسا في اللجان الفرعيه ، ثم تتولى اللجنة العامة بعد ذلك تجميع الدراسات والاقتراحات والتنسيق بينها في صورة تقرير نهائي خاص لكل من المهام الرئيسية المشار اليه » .

هذه الفكرة تجعلنا نتجه فورا الى السؤال الاتى :

أيهما افضل أن يكون لنا تقرير من خمسين صفحة ، او عشرين صحيفة ووقفنا فيه عنداشياء اصبحنا مقيدين بها على الاقل في المرحلة الحالية ، أم تطرح هذه المسائل بسلبياتها وبتطويرها على اللجان الفرعية ويكون منارجال فيكل لجنةفرعيه ونعرض عليهم فكرا اتفقنا عليه ، وربما يحتوى فكر هذا التقرير على الفين أو ثلاثة الاف كلمة ، اى عشر صفحات ونكون متفهمين لموافقنا بالضبط في جملتها ، ثم ننطلق الى اللجان الفرعية فترد آراء اللجان الفرعية التي تمثل ثقافات مصر جميعا ، وتحدد ما تريده في كلمجال ،وبعد ذلكننسق بين كل آرائها ونرد الخطأ منها ونقبل الصواب منها ، ثم يبدأ العمل وربما نستغرق فيالعمل شهرا آخر لكى نضع هذه المسائل .

هذا مطروح وليس لى فيه رأى ، ولكنني أرى أننا كلما بدأنا بعدد اكبر فان الحكومة كوزارة توافق عليه ، ومجلس الشعب كجهة منتخبة يوافق عليه أكثر لانهما سيريان أن هذا وارد عن كثيرين وليس من عشرين عضوا فقط ، والمسألة معروضة وأرجو أن نفكر فيها كثيرا قبل أن نرفضها ونتقيد بالاتجاه الخاص .

● السكرتير الاول للجنة المركزية

الواقع أننا متفقون ولسنا مختلفين فى أن الورقة لن تصير نهائية قبل أن تبدى اللجان الفرعية آراءها ٠

وبالنسبة لكيفية العرض، فليس لديناسوى هذه الورقة والورقتين الخاصتين بالامانات، فالصورة الافتراضية أن تشكل لجان فرعية ونبدأ بعقدها ، فى تصورى أن تجتمع اللجان الفرعية ، وسوف احضر اجتماعاتها نيابة عنكم ، ولو كان لديـنا متسع من الوقت فى اجتماعى مع أمناء المحافظات لناقشنا هذه الورقة معهم وعرضنا عليكم آراءهم فيها ، ولكن للاسف فان الوقت لم يتسع بالامس لمناقشة موضوعات كثيرة فى هذا الاجتماع ، ولا مانع ان نعرض ، ولكن ما هو ضرر العرض فى هذه الصورة ٠

ضرر العرض فى هذه الصورة أن اللجنة لم تبد رايا معينا تعرضه على اللجان الفرعية حتى تبدى اللجان الفرعية ملاحظاتها عليه ، بل سيأتى تصور من اللجان الفرعية وسوف لا يخرج عن النقاش الذى يجرى فى هذه اللجنة لانكم بحكم اختياركم تمثلون المواقع التى اخترتم منها ، هذا هو التصور ، ولكن ليس معنى هذا التصور أنه تصور حقيقى ١٠٠ فى المائة ، ولكنى أرى ان أيامنكم اذا كان فى لجنة من اللجان ومزودا بمشروع القرار فلا نتمسك به ، فأنت تعرضه للنقاش لانه لم يصبح قرارا نهائيا ، نتمسك به ٠

وعلى سبيل المثال بدلا من أن نقول يجب أن تحدد السلطة التنفيذية فى كذا وكذا وتعالج الموضوع بنفس هذه الحالة يكون هناك رسم طريقة معينة لتحديد السلطة التنفيذية تماما كالذى ورد فى كلمة الاخ ابراهيم شكرى بالنسبة للنقابات والنشاط النقابى ٠

وعند الاجتماع بالنقابات المهنية يعرض السيد ابراهيم شكرى كمندوب عن اللجنة تصوره على النقابات ، ولنفرض ان النقابات رفضت ما عرضه، ففى هذه الحالة فانه يستطلع رأى النقابات عما تريد ، ثم يقدم لنا هذه الاراء ٠

هذه طريقة ، أما الطريقة الثانية فهى ان نبدأ بعرض هذا على اللجان ، واتصور اننا لو بدأنا بعرض هذا على اللجان ستنتزع منا الموضوعات جدا ولا يمكن ان نحصرها فى النهاية ، ولذلك فانى أفضل الطريقة الاولى ، وقد نوقش هذا الكلام فى الجلسة الاولى للجنة ٠

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

اتفق مع سيادتك فى أن نبلور المشروع لكى يعرض على اللجان الفرعية، وهنا أتساءل : هل اللجان الفرعية تنعقد فرادى كل لجنة على حدة أم تنعقد حسب موضوع كل لجنة ٠

لقد اقترح الدكتور اسماعيل أن تكون هناك لجنتان وقد يقترح اخرون اربع لجان ، هذه اللجان ستكون لجانا فرعية لهذه اللجنة وستجتمع باللجان الاستشارية ، فهل تجتمع بكل لجنة على حدة ثم تبدى كل لجنة رأيها فى كل هذه الموضوعات المطروحة ؟ اعتقادى ان هذا يمثل ازدواجا كبيرا فى العمل ومجهودا كبيرا قد يعوق الطاقة ، ولذلك فانى أرى أن تورع اللجان الاستشارية العشرة حسب اختيار كل عضو على اللجان التى ستنتقى على انشاتها ، لجنة للشئون التنظيمية ، ولجنة للمسائل الموضوعية ،ثم بعدذلك سيادتك ستجتمع بهذه اللجان الاستشارية مع بعضها وتطرح بوجه عام هذا المشروع الذى قدمته لجنة العشرين وتذكر بعد ذلك أن هناك مسائل محل دراسة ، ويترتب على هذا أننا سنشكل اربع لجان أو لجنتين ويوزع الاعضاء فى اللجان الاستشارية باختيارهم ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

لو سمحتم اريد أن اوضح نقطة بالنسبة لعملنا ٠٠ أننا نريد ورقة عمل وليست تساؤلات ، وانما تكون مبنية على ما يدور هنا ، ومن الورق المقدم ومن أية ملاحظات أخرى للسادة الاعضاء يبدونها كتابة وليس ارتجالا ٠٠٠ لان الفرد عندما يتكلم قد يلتقط فكرة أخرى لا يؤمن بها من زميل آخر ، وبذلك فقد تكون هذه الفكرة ليست هى التصور الحقيقى لفكره .. بينما نحن نريد التصور الحقيقى ، ولذا فاننى أؤيد الرأى الذى يقول بأن تشكل لجنة واحدة فقط من السادة الاعضاء ، وسوف نحدد لها موعدا معينا كما سنطلب ممن له ملاحظة من السادة الاعضاء ان يقدمها فى وقت معين ليس أكثر من يومين ٠٠ لاننا سوف نبدأ فى عقد اللجان الفرعية برئاستنا فى هذا الاسبوع ٠

● الدكتور محمد دكرورى

اننى أتصور أن اللجان التسع الفرعية هى لجان استشارية للجنة العمل ، وانه يعتبر مضيعة للوقت لو بحثنا نحن فى قطاع النقابات العمالية أو المهنية او الشباب .. ثم نعرض آراءنا فى هذا الشأن على اللجان الفرعية المختصة ، فيظهر لهم فكر جديد ٠٠ قد يكون مخالفا لفكرنا ، ويعاد مرة اخرى الى لجنة العمل ، ولذلك فان من رأيى اننا يجب أن نسير منذ البداية فى خطوط متوازية بحيث تمثل هذه اللجان مكاتب استشارية للجنة العمل ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

هناك اقتراح آخر بأننا نجعل لجنتنا تتلاحم مع

اللجان الفرعية وهي تعد الورقة ٠

● **الدكتور محمد دكروري**

انني أتصور أن يعرض الامر على اللجان الاستشارية أولا قبل ما يأتي الى هنا ٠٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

يجب أن تعد الورقة أولا من اللجنة الفرعية ، وهذا يمكن ان يتم في تصوري في ظرف ثلاثة أو أربعة أيام لانه ما زال أمامنا مراحل أخرى كما انها ليست الورقة النهائية .

المهم اننا في ظرف خمسة أيام على الاكثر نكون قد أعددنا التقرير الاول ٠٠ ثم تبدأ اجتماعات اللجان الفرعية بعد ذلك عملا باقتراح الدكتور محمد دكروري ٠٠ أي أن الورقة تنزل من لجنة الصياغة الى اللجان الفرعية ٠

● **الدكتور محمد دكروري**

انني أقصد أن هذه اللجان الفرعية يجب أن تتعايش معنا ، وتدخل في خطة عمل اللجنة الفرعية ٠٠ لانني أتصور ان يكون لها فكر جديد خصوصا وهي لجان أكثر تخصصا من اللجنة التي ستشكل ٠

● **الدكتور اسماعيل غانم**

اعتقد ان اللجنة الفرعية المزمع تشكيلها تطول مناقشاتها وقد تجد صعوبة في القيام بعملها خصوصا نحن نرى أن البندين ج ، د عن علاقة التنظيم السياسي بالمؤسسات والاجهزة التنفيذية وعلاقة التنظيم السياسي بالجماهير ، وما يتطلبه وضوح الرؤية في هذه الامور من أن نبني هيكل الاتحاد الاشتراكي ، وقانون الاتحاد الاشتراكي ودليل العمل فيه ، فاننا نجد في نفس الورقة ثلاثين سؤالا بالنسبة لتحديد علاقة التنظيم بالجماهير ٠٠ يخص اللجنة الفرعية منها ٢٦ سؤالا٠

وأتصور أن اللجنة الفرعية لا يمكن أن تجيب عن كل هذه التساؤلات ولذلك فانني أتصور انه من الممكن أن نجتمع لمدة أسبوع مع اللجنة الفرعية ، ونتناقش ونتبادل الرأى بحيث ان اللجنة الفرعية عندما تخلو الى نفسها تكون قد خرجت بحصيلة ، وفي هذه الفترة ليس هناك ما يمنع من اتباع الخط المتوازي الذي يقول عليه الدكتور دكروري بأن نعرض على اللجنة الفرعية نفس الورقة وتعيش انطباعاتها بعد أن تأخذ انطباعاتها والحوار الذي دار هنا وبعد ذلك تقدم اللجان الاستشارية فكرها ، وقد يكون فكرا فاحصا ودقيقا لانها تضم تخصصات ٠

وليس هناك ما يمنع من أن يقدم كل منا لها ورقا ، ولذلك فانني ارى ان نؤجل تشكيل اللجنة الفرعية لمدة اسبوع نتناقش فيه هنا جلسة أو اثنتين ، وتكون اللجان الاستشارية تناقش ويدور فيها حوار وفكر لان البندين اللذين ذكرتهما في بداية حديثي يتناولان أسئلة في غاية الاهمية ، فلو اجابت اللجنة على بعضها اجابات صحيحة ، وعلى البعض الاخر اجابات غير صحيحة فسوف يكون عملنا غير سليم ٠

● **عبد الحليم الجندي**

انني أرى أننا لو أخذنا بهذا الرأى فيجب على كل منا ابتداء من الاجتماع القادم أن يكتب في كل المطروح أمامنا ولو (٤٠٠) كلمة ..

● **الدكتور محمد حافظ غانم**

الواقع أن اللجان الفرعية هي لجان مشكلة على نطاق واسع من شخصيات لها وزنها في مواقع عملها ، وفي مواقع الفكر ، وانني أتصور أننا لو أجبنا مقدما عن كل هذه التساؤلات ولو كمشروع يبلور فكرا موحدا ، وقلنا أن اللجنة قد أقرت هذا المشروع وأرسلناه الى اللجان الاستشارية ، فسوف يكون هذا صدمة لها ٠٠

ولذا فانني افضل ان نتبع ما قاله الاخ عبد الحليم الجندي ، وأن الورقة المقدمة في رأيي سليمة جدا ، وتحتوي على تصور لكل المشكلات ، وعلينا ان نأخذ الرأى فيها .. ومن الممكن ان نعقد جلسة أخرى لاستكمال بحثها ، ولكن بعد ذلك تنزل الى اللجان الفرعية ٠

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

هل هناك ملاحظات على اقتراح الدكتور حافظ غانم ؟

● **الدكتور جابر جاد عبد الرحمن**

معنى ذلك أن الدكتور حافظ غانم يريد أن يرجيء كل شيء من أجل أن تقدم هذه اللجنة ورقة عمل ليست نهائية سوف يؤخذ فيها الرأى بعد ذلك بينما يجب ان تقدم للجان الاستشارية فكرا معينا يعتبر لديها بمثابة نقطة انطلاق معينة في بحثها ومناقشاتها ٠

● **خالد محيى الدين**

يمكن الاخذ باحدى الطريقتين ، اما الطريقة التي ذكرها د ٠ حافظ غانم ، أو التي ذكرها د. جابر جاد عبد الرحمن .

فاذا كانت هذه الطريقة هي تقديم ورقة عمل

ليست واضحة ، أو ليس فيها رأى موحد بمعنى اننا لو اختلفنا في قضــــية ـ كمـــا ذكر المهنــدس ابــراهيم شـــكرى ــ عــلى دور الاتحادات داخل الاتحاد الاشتراكي فقد يكون هناك رأى يقول بانضمام هذه الاتحادات كتنظيم كامل للاتحاد ، وهناك رأى يخالفه ويطالب بابقاء العضوية على ما هي عليه ٠

فيمكن عرض هذين الرايين امام هذه اللجان الفرعيه حتى لايشعر بان هناك نوعا منفرضرأى معين ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

حسما لهذا الموضوع ، نستطيع القول بـأن المعروض ثلاثة أوضاع سناخذ الاراء عليها وهي :

الوضع الاول : ان اللجـان الفرعيـه تبـدأ نشاطها من الان مستندة الى ورقة العمل هذه ٠

والوضع الثاني : ان تشكل اللجان الفرعية معطلة بدون عمل الى ان نتمورقة العمل (وهذا هو اقتراح الدكتور جابر جاد عبد الرحمن) ٠

والوضع الثالث : هو اننا نسير في الاتجاهين في نفس الوقت وهو انتكون لجنة فرعية وتبدأ في اعداد تصورها بناء على هذا النقاش ٠

على أن يكون تكوين هذه اللجان بعد الجلسة القادمه ويشترك فيها بعض السادة اعضاء لجنة العمل ممن يسمح وقتهم بذلك ، لكى يحضروا اجتماعات اللجان الاستشارية ، وأود أن يحضر هذه الاجتماعات اكبر عدد ممكن منا ٠

وهذه هي الموضوعات الثلاثة المطروحة عليكم لابداء الرأى فيها ٠

وأرى ان تبدأ من الان بعقد اللجان الفرعية الست ، بعد جلسة أخرى وبعد مراجعة هـذه الورقة ، على أن تعرض بشكلها الحالي مع ادخال بعض التعديلات عليها ، ومع التساؤلات الموجودة فيها حاليا ، ونضع شكلا معينا ، ثم ننتهى في الجلسة الثانية او الثالثة الى تكوين لجنة فرعية ، على ان تعرض ورقة العمل الموجودة حاليا على اللجان الاستشارية ٠

● الدكتور احمد كمال ابو المجد

في استفســار بالنسـبة لتشـكيل اللجـــان الاستشارية ، فتشكيل هذه اللجان ـ كما نعلم جميعا ـ تشكيل نوعى ٠

فهل يا ترى في هذه الحالة سنأخذ راى لجنة الشباب بما يختص بشئون المهنيين ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أننى أضع هذا الموضوع في اعتبارى ، لاننا سنأخذ ما يختص بالتنظيم الشبابى فقط من هذه الورقة وهو ما سأعرضه على لجنة الشباب فقط ، وليس شيئا آخر ٠

وساستكمل الصورة بان اعرض على التنظيم العمالى ، ما يخصه ، وكذلك الامر بالنسبة للفلاحين ٠٠ الخ ، ثم اجمـع جميـــع اللجـــان الاستشارية في جلسة واحدة وأعرض عليها الاراء ثم نجتمع جميعا مرة اخرى ٠

لانه لا يصح موضوعيا أن تكون الاراء متداخلة بل يجب ان تبدى كل لجنة رايها فيما يختص بها اولا ٠

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

اننى اقترح توزيع اعضاء اللجان الاستشارية العشر على أربع لجان او اثنين او ثلاث حسب الموضوع ، وكل يختار اللجان التى يريد الانتماء اليها ٠

● السكرتير الاول للجنة المركزية

أننى أوافق على الجزء الثانى من حديثك ، لكننى أعترض على الجزء الاول منه ، لانني أرى أن البداية الطبيعية هي التى ذكرتها ، والا تكون فكرة تكوين اللجان الاستشارية قد غابت عنا ٠

فالبداية الطبيعية هي أن نعرض هذه التساؤلات ـ كما هي أمام اللجنة الفرعية المختصة اولا ، بمعنى ان نطلب من النقابات المهنية مثلا أن توضح لنا الصورة التى تريد ان ترتبط بها مع الاتحاد الاشتراكي بعد ان نكون قد أعطيناها ملاحظاتنا وفكرنا في هذا الشأن ٠

كذلك الامر بالنسبة لباقي اللجان الاخرى ٠

وحينما تبــدى لنـــا هــذه اللجان اراءهـــا الموضوعية ، كلجان استشارية لموضوع معين ، فليس هناك مانع اطلاقا من الاخذ بالرأى الذى ذكرته ٠

لكنكل ماأريده ، هو أن اعدل في اقتراحك بحيث اجعل ما ذكرته كـرقم «٢» يسكون رقـم «١» والعكس ٠

لانني حينما آخذ راى كل فئة على حدة ، فسيكون للنقابات المهنية تصور عام فيما يختص بها كذلك الشباب والعمال والمرأة ٠٠ الخ ٠

وكما ذكر الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ـ سيكون لدينا ورقة معينة تعرض على جمع معين ، لابداء الرأى فيها ، فربما كان للشباب رأى فيما ابداه المهنيين يمكن أن يسمع ٠٠ وهكذا ٠٠

وهذه هي الصورة التى يجب الاخذ بها ٠

ولا نستطيع ان نترك اللجان الاستشارية دون اجتماع هذا الاسبوع حتى اذا لم يرد في تقرير اللجنة فاني استأذنكم باني ساجمع هذه اللجان ٠

هناك امر من اثنين ، اما ان تسمحوا لى بأن اعرض عليها هذا التقرير ، واما الا تسمحوا بعرضه فسوف أعرض التقرير ككلام ، انما لا استطيع عمليا ان اهمل اللجان الاستشارية هذا الاسبوع مطلقا ، وسوف تنقل الصورة التى ستتم من اللجان الاستشارية اليكم كتابة من محضر اللجان الاستشارية الذى سيوزع عليكم حتى يؤثر فيكم او تؤثرون فيه .

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

اعتقد أن هذا يمكن ان يتم بعد أن يبدوا آراءهم الموضوعية فى اللجنة الخاصة بهم ، لاننا اخترنا كل فئة لهدف معين ، فلقد اختير التنظيم النسائى لهدف ما ، كذلك التنظيم الشبابى والادباء والمفكرون .. الخ ، فعلى الاقل يجب اعطاؤهم فرصة لابداء رأيهم فى الموضوع المتعلق بهم — والالماذا اختيرت تخصصات معينة للجان معينة .

وهذه الورقة ستكون شبه نهائية بحيث يقدم التقرير فى مؤتمر عام لابداء الرأى عليه .

● **د . محمد ابراهيم دكرورى**

واضح أن اللجان الاستشارية لها تخصص نوعى ، ويمكن أن تسهم فى الفكر العام غير المتخصص .

ولقد كان فى تقديرى ان نتبادل الفكر فى اول اجتماع فيما بيننا ، وأرى ان يعقد اجتماع للجان الاستشارية مجتمعة ويسمع منها الاراء المختلفة فى كافة المجالات بدون تقيد حتى بهذه الورقة ، بحيث تعطى فرصة لكل من يريد أن يبدى رأيه فى أى موضوع يتصل بالاهداف الخمس المحددة ، لابداء رأيه فيها ، فاذا وجد أن هناك فكرا جديدا يمكن ان يضاف لما وصلت اللجنة فيضاف اليه .

هذا بالاضافة الى اشعارهم بالمشاركة الفعلية منذ اللحظة الاولى ، وأن ما سيعرض عليه بعد ذلك فهو نتيجة لما اعطاه .. وربما تصل بذلك الى فكر اكثر .

يلى هذا أن التفريغ أو التقسيم له جانب متخصص ، فارجو أن تجتمع اللجنة الفرعية التى اقترح تشكيلها مع اللجان المتخصصة لاننا اذا ذكرنا علاقة النقابات بالاتحاد الاشتراكى مثلا ، فلابد ان تجتمع لجنة النقابات المهنية ولجنة النقابات العمالية على هذا المستوى لسماع رأيهما فى هذا المجال ، ثم بعد ذلك تعد الورقة وتعرض على لجنة العمل ، فاذا أقرتها تعود اليهم مرة اخرى لمناقشة هذا المشروع ، فاذا ما اقرتها تعود اليهم مرة اخرى لمناقشة هذا المشروع ، فاذا ما اقر من جانبهم يعود مرة اخرى للجنة العمل ويعتبر فى الصيغة النهائية .

● **السكرتير الاول للجنة المركزية**

هذه هى الصورة العملية ، بعد ذلك لا مانع أن نقدم لهم تقريرا أو مشروع قرار ، ومن الممكن أن نقدمه مجتمعين او فرادى ولكن لابد ان نستمع لهذه اللجان ، ومن أجل هذا السبب عندما اقترحنا أن نعد لهم ورقة طلبت أن يتم ذلك فى بحر ثلاثة أيام ، وسوف تجتمع هذه اللجان فى الايام القادمة تباعا ، وسوف نتقدم بهذه الورقة لهم وهذه الورقة لن تربطكم ولن تربطنا على العكس سنتزود منها وتفيدنا .

وهذه الورقة سوف توزع على الجميع بحيث تناقش كل جهة ما يخصها منها وفى النهاية يجتمع الجميع لمناقشتها معا .

وهناك صورة اخرى ان يوزع على الشباب ما جاء فى الشباب والعمال ما جاء فى العمال .. الخ .

الا ان هذه الصورة سوف لا تكون وافية .

لذلك فانى استأذنكم فى توزيع هذه الورقة كما هى على اللجان الفرعية وتبدأ باللجان الفرعية ، ثم تتقدم لكم هذه اللجان تقاريرها ، وتشكل لجنة الصياغة بعد ان يرد قرار اللجان الفرعية ، هذا بالاضافة الى أن اجتماعنا مستمر ، وسوف نقول لهم ان هذه الورقة مجرد مشروع وانتم تدرسونها معنا — فهل توافقون على ذلك .

« **موافقة** »

لذلك أرجو أن يوضع جدول متوالى لعمل اللجان الفرعية على أن يعلن هذا الجدول — وسوف نخطر السادة الاعضاء بمواعيد اللجان الفرعية ، ونرجو ضرورة حضور من تسمح له ظروف عمله بالحضور ، وان كنا نود حضورهم جميعا ، وسوف ترسل دعوة لجميع أعضاء لجنة المشرين لحضور جميع اللجان ، وسوف يرسل لكم جدول كامل بموعد اجتماع اللجان الفرعية ، واجتماعات هذه اللجنة ، ايضا لمدة خمسة عشر يوما القادمة ، وسوف يرسل لكم ايضا قرار تشكيل اللجان الفرعية .

وأرجو من السيدين الدكتور حسن اسماعيل والدكتور اسماعيل غانم أن يحضرا لجنة الشباب باعتبارهما مديرى الجامعات ويهمنا رأيهما فى هذه اللجنة .

وسوف نبدأ فى الجلسة القادمة بالصفحة رقم ٧ التى تكلمنا فيها وفى نفس الوقت نرجو من السادة الاعضاء ان كل من لديه ملاحظة أن يعد ورقة عنها حيث ان هذا سيسهل مهمة السكرتارية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

(**انتهى الاجتماع حيث كانت الساعة ٢٫٥٠م**)

اجتماع اللجنة الفرعية للشئون السياسية

٢٦ مارس ١٩٧٢

عقدت اللجنة الفرعية للشئون السياسية اجتماعا بقاعة الامانة العامة، وذلك فى تمام الساعة الثانية عشرةظهر يوم الاحد الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٢ وراس الجلسة السيد المهندس سيدمرعى السكرتير الاول للجنة المركزية .

وقد اعتذر عن الحضور كل من :

الدكتور رفعت المحجوب — بطرس بطرس غالى — احمد خيرت سعيد — زينب السبكى — فوزى العمدة — رشدى سعيد — جمال حمدان .

وحضر الاجتماع كلّ من السادة اعضاء لجنة العمل :

خالد محيى الدين — ابراهيم نجيب — د. محمد دكرورى — محمد عثمان — د . جابر جاد عبد الرحمن — مهدى شومان— عبد الحكيم موسى — عبد الحليم الجندى .

وحضره من السادة اعضاء اللجنة المركزية : نظمى المكاوى — لطفى الخولى — محمود أبو وافية — محمد شاهين — كما شارك فى المناقشة اعضاء اللجنة السياسية السادة : مصطفى كامل مراد — موسى صبرى — د. جمال العطيفى— د. عبد الرازق حسن — سعيد خيال.

● السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد وزع على حضراتكم ملخص لورقة العمل ، عقب اجتماع لجنة العشرين ، وتقرر حسب الخطة التى وضعتها اللجنة ، ان يستطلع راى اللجان الفرعية فى ورقة العمل ، كأسلوب عمل للاتحاد الاشتراكى .

وفى الحقيقة ، أود ان أنتهز فرصة اجتماعنا اليوم ، واتكلم فى ناحية تعتبر ناحية تكميلية مهمة جدا بالنسبة لعمل اللجنة السياسية ، فالتصور لعمل هذه اللجنة ليس واردا فى ورقة العمل ، ونحن نعتبر ان هناك قصورا كبيرا فى الناحية السياسية فى الاتحاد الاشتراكى ، بمعنى انه حينما تجرى أحداث معينة فى بعض مناطق العالم وخاصة فى المنطقة العربية ، أو منطقة الشرق الاوسط ، نجد انه حتى الان لم تستكمل الاداة فى اللجنة السياسية الى الحد الذى يمكنها فيه ان تترجم خبرا ثم تحلل هذا الخبر ، ثم ينشر هذا التحليل على جميع المستويات ، ومحصنة ذلك ونتيجته ، ان أمناء المحافظات او القيادة السياسية على مستوى المحافظات يقومون بتجميع آرائهم اما عن طريق الجرائد ، واما من الاذاعات ، وبذلك تكون كل التفسيرات اجتهادية .

لذلك ارجو ان أسمع من اللجنة رأيين أساسيين :

الاول : ما هى طريقة تنظيم اللجنة السياسية لكي تكون لجنة فعالة في الاتحاد الاشتراكى ، وما صلة هذه اللجنة بلجنة الدعوة والفكر ، وهل هناك صلة موضوعية بينهما ؟

الراى الثانى : ما هى طبيعة عمل اللجنة السياسية ؟

اذا نجحنا فى وضع هذا الاسلوب ، فمما لا شك فيه ان هذا سوف يدعم جانبا كبيرا من تفكيرنا بالنسبة لاعادة النظر فى أسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى .

ان هذا الموضوع ليس جديدا علينا ، لقد تداولت مع كثير من اعضاء اللجنة السياسية الموجودين ، وتكلمنا بصراحة فى هذا الموضوع ، بالنسبة للسلبيات والايجابيات الموجودة ، انما باعتراف الجميع ، فان اللجنة السياسية لابد ان يحدث فيها تغيير جوهرى .

اننى أتصور ان اللجنة السياسية يجب أن تقسم الى أقسام معينة ، بحيث يجمع كل قسم من هذه الاقسام ، بجانب أعضاء اللجنة السياسية ، عناصر من الخبراء ، يمكن ندبهم من خارج الاتحاد سواء من وزارة الخارجية ، او من الصحافة للاستعانة بهم بعض الوقت أو كل الوقت ، وذلك حتى يمكن ملاحظة الاحداث ملاحظة فعالة ، وحتى يمكن أن تضع اللجنة السياسية أمام السيد السكرتير الاول ، بصفة مستمرة ، تصورها عن الاحداث يوما بيوم .

ان ما يحدث اليوم يخالف هذا ، فما يحدث هو عبارة عن عملية اجتهاد قائمة ، سواء على مستوى مكتب السكرتير الاول ، او المكاتب الاخرى ، وتنصب عملية الاجتهاد على أخبار الجرائد والاخبار الخارجية .

لقد اتجهت الجرائد فى الفترة الاخيرة اتجاها سليما ، حيث بدات تحلل الاخبار تحليلا موضوعيا

من الناحية الجماهيرية ، فى الفترة الحالية ، كل منكم يشعر أن الجماهير أصبحت حساسة جدا للاخبار ، وحساسة بقدر كبير أيضا بالنسبة لتحليل هذه الاخبار ، وبالتالى ، حينما يأتى التنظيم وهو الذى يجمع قوى الشعب العاملة ، ولا يعطى رأيه فى أى موضوع من الموضوعات ، فهو بذلك يقع فى السلبية التى نشكو منها ، ويصبح كما كان فى الفترة الماضية .

كيف يمكن ان تقام اللجنة السياسية ؟ .. وكيف يمكن ان تزاول عملها ؟ .. وهل اقتراحي الذى أذكره معقول ؟ .. علما بأن هذا الاقتراح يكتمل بوجود صلة وطيدة وقوية بيننا وبين وزارة الخارجية ، وبيننا وبين مستشار السيد الرئيس للشئون الخارجية ، فقد تداولنا فعلا فى ذلك مع الاخ حافظ اسماعيل ، ومع الدكتور مراد غالب .

وان شئتم نبدأ النقاش بورقة العمل ، ونبدأ فى بحث دور اللجنة السياسية ، والتعرف على تصوركم للعمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى ، فهذا جائز لاعتقادى ان العمليتين متممتان لبعضهما البعض ، لانه اذا خرجت ورقة من هذه اللجنة تنظم العمل السياسى ، فستضم الى التقرير الذى يعرض على لجنة العشرين ، وبالتالى أريد ان أستمع لكم فى هذين الموضوعين ، او اذا كان هناك تفكير من أحد السادة فى طريقة أخرى لتناول هذا الموضوع ، فاننى على اتم الاستعداد لان أسمعها .

فى الحقيقة ، هناك أسلوبان أود ان أعرضهما عليكم ، اذا استعرضنا أمانة الشئون السياسية وتنظيمها — وهو جزء من البرنامج وليس دخيلا عليه — وتوصلنا الى ورقة عمل عن تنظيم العمل السياسى ، واذا اعطانا الشباب ورقة عن التنظيم الشبابى . واذا اعطانا النقابيون والمهنيون ورقة

عن تنظيم النقابات المهنية ، كما يتصورونها ، وصلتها بالاتحاد الاشتراكى ، فسيكون فى النهاية لدينا محصلة ورقة العمل الكاملة ، وهذه طريقة للنقاش ، وهناك طريقة أخرى ، وهى اننا نتناول ملخص الورقة ونناقشه ، ونعطى رأينا فى كل الموضوعات ، وكذلك تفعل باقى اللجان ، للوصول الى رأى ومفهوم كامل لكل فترة عن أسلوب العمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى ، وبتجميع هذه الاراء ، سنصل الى نفس الهدف .

فاذا أردتم ، هل نبدأ هذه المناقشة بوضع التصور الملائم لامانة الشئون السياسية ، أو نبدأ بورقة العمل .

فهل توافقون بأن نبدأ بورقة العمل ؟

[موافقة]

● مصطفى كامل مراد

لى استفسار ، بالنسبة لعمل لجنة الشئون السياسية ، هل المقصود به السياسة الداخلية والخارجية ، أم الخارجية فقط ؟

● السكرتير الاول

يمكن للجنة الشئون السياسية ان تناقش السياسة الخارجية والداخلية ، وصلتهما بالاتحاد الاشتراكى .

لقد وزع على حضراتكم ملخص لورقة العمل ، ويمكن ان يوزع الاصل لو طلبتم ، انما الملخص يعطينا نقاطا أسرع للنقاش .

والان نفتح باب المناقشة فى الورقة التى وزعت على حضراتكم .

● موسى صبرى

لقد كان لى حظ ان اقرأ ما دار فى لجنة العشرين من مناقشات ، والحقيقة من خلاصة هذه المناقشات ، يتضح ان السؤال المطروح هو : هل الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة ، أم جهاز للشعب ؟

النقطة الثانية : ان جميع الاختصاصات والاوصاف التى أعطيت للاتحاد الاشتراكى ، سواء فى الدستور ، أو فى المواثيق التى نلتزم بها جميعا ، كان هناك اجماع من الجميع على انها ليست أكثر من حبر على ورق ، وانها لا تمارس أى ممارسة فعلية .

النقطة الثالثة : التى أثارتها المناقشات هى : هل الاتحاد الاشتراكى حزب ، أم تحالف ، وما مقتضيات كل منهما ؟ . . فهناك أحد اتجاهين ، ان نقول انه ليس حزبا ، وهو فى الواقع حزب ، واما نتجاهل التعريفات العلمية للاحزاب ، ونقول انه تحالف ؟



مصطفى كامل مراد

ارجو ان تسمحوا لى ان ابدى رايى فى كل ما أثير حول هذا الموضوع ، فهذا من صميم عمل الاتحاد الاشتراكى وتكوينه وسلطاته ، فما نشعر به ، ويشعر الشعب به أيضا ، وليس هذا احساسا خياليا ، ولكنه احساس من الواقع . ان الاتحاد الاشتراكى جهاز للسلطة وليس جهازا شعبيا ، وعندما يذكر فى الدستور أو الميثاق انه اعلى سلطة فى الدولة ، فان هذا لم يتحقق عمليا خلال أحد عشر عاما بصورة ما ، فهذا يعنى ان السلطة تريد لهذا الجهاز ان يكون جهازا للسلطة ، والسؤال الان : هل نستطيع ان نحول جهاز السلطة الى جهاز شعبى ؟

هذا هو السؤال الاساسى الذى يطرح دائما ، والحقيقة ان جهاز السلطة يتحول الى جهاز شعبى عندما تبدأ أزمات ، بمعنى ان رئيس الاتحاد الاشتراكى عندما شل سلطات على صبرى أو أخرجه من منصبه ، ثم عقد لقاءات مفتوحة ، وجاءت قيادات الاتحاد الاشتراكى لتحاول ان تبرر هذا العمل الجماهيرى ، ثم عاد على صبرى الى منصبه بغير سبب مفهوم ، فأصبح الاتحاد الاشتراكى فى وضع مخجل أمام الجماهير .

التجربة الاخيرة التى حدثت عندما وقعت أزمة الطلبة ، فان الاتحاد الاشتراكى تحولت قاعاته الى ابواب مفتوحة للمناقشات والحوار ، ونحن لا نستطيع ان ننكر ان ما دار من هذه المناقشات ، ومن كل هذا الحوار ، كان دفاعا عن السلطة .

ان كلامى عن السلطة لا يعيب السلطة ، فنحن نقول ان سلطة وطنية شرعية منتخبة من الشعب ، لكننا حينما نتساءل عن كون الاتحاد سلطة او ليس بسلطة ، نقرر ان هذا الجهاز جهاز للسلطة ، رغم ما يقال من انه ليس جهازا للسلطة .

ماذا هو جهاز للسلطة ؟

أولا : فى رأيى انه لا يمكن ان يتحول الى جهاز شعبى ، وهذا من طبيعة تكوينه .

ثانيا : من طبيعة نظامنا كله ، فهذا النظام حتى الان ما هو الا مزيج بين نظم مختلفة ، بمعنى ان فى نظامنا خطا ليبراليا ، يقابله خط اشتراكى واللقاء بينهما غريب ، تحدث فيه تناقضات ، وعندما نقول ان الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الام ، والسلطة التنفيذية هى الجناح التنفيذى ، ومجلس الشعب هو الجناح التشريعى ، ونجد ان الدستور يعطى لهذا الجناح التشريعى — والمفروض انه منبثق عن الاتحاد الاشتراكى — حق الاقتراح بالثقة على الحكومة ، وعندما تثور ازمة فى مجلس الشعب ، يمكن ان تتطور الى الاقتراع بالثقة على وزير أو على حكومة ، ويجتمع مجلس الشعب بشكل هيئة برلمانية فى جلسة سرية لانقاذ الموقف ، ولا أستطيع ان أتصور ان مجلس الشعب فى جلسة سرية يكون اسمه الهيئة البرلمانية .

وحينما ننظر الى التنظيم السياسى الام ، نجد ان لمجلس الشعب — وهو الجناح التشريعى والرقابى — حقوقا أكبر بكثير جدا من حقوق اللجنة المركزية ، وحينما ننظر الى مدى الخبرة من خلال التجربة العملية .. ما عمل اللجنة المركزية ؟ .. تجتمع اجتماعات سرية ، تناقش فيها السياسة العامة للدولة ، وقد يصدر بيان أو لا يصدر بيان ، فى حين ان حقوق مجلس الشعب حقوقا ثابتة ، منصوص عليها فى الدستور ، ويمكن ان يصل بها مجلس الشعب الى تحدى الحكم القائم ، ثم نقول ان الحكومة هى الجناح التنفيذى . فاذا كانت هى الجناح التنفيذى للاتحاد الاشتراكى فعلا ، فيجب ان يكون له ولاية عليها ، بينما الاتحاد الاشتراكى ، كتنظيم سياسى ، ليست له ولاية عليها ، لان الدستور أعطى الحق لرئيس الجمهورية ، او لرئيس الدولة ، فهو الذى يعين الوزراء ، وهو الذى يقيلهم ، وكل هذه سلطات منصوص عليها فى الدستور .

الامر الحقيقى ، اننا فى وضع هلامى ، ولا يمكن ان يقتنع المواطن ان هذا التنظيم تنظيم شعبى ، لاننى عندما أكون فى تنظيم شعبى ، لابد ان تحكمنى فلسفة سياسية معينة ، أدافع عنها ، أو أكافح فى سبيلها ، ولكن فى الاتحاد الاشتراكى ، حينما أدافع عن فلسفة سياسية ، فلمن ، أو من أجل من ؟ .. فأساس التنظيم السياسى الا تحكمه مبادىء سياسية معينة ، بعد ذلك اقتح باب العضوية فى الاتحاد الاشتراكى ، وأقول انه تحالف ، واننا نصفى التناقضات الطبقية بالمناقشة



موسى صبرى

.. لكن التناقضات الطبقية لا تصفى بالمناقشة أبدا ، وهذه حقيقة علمية ، بعد ذلك ننظر داخل الاتحاد الاشتراكى ، نجد هناك ماركسيا ، اننى لو كنت ماركسيا مائة فى المائة ، فسوف لا يعجبنى ما ورد فى الميثاق ، او فى برنامج العمل الوطنى ، لانه لا يحقق أهدافى ، ولو كنت — يمينيا — فان الموجود فى كل هذه المبادىء سوف لا يعجبنى أيضا ، اذن الموجود فى هذه المبادىء سوف أقاومها كماركسى او كيمينى متحجر .

اذن الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى يضم من ؟ .. هل يضم الوسط بين هذا وذاك ؟ .. ما أود ان أقوله باختصار انه كتنظيم شعبى ، لابد ان يجذب الشعب الى مبادىء واضحة محددة ، يدافع عنها عضو الاتحاد الاشتراكى ، ويستميت فى الدفاع عنها ، بحكم هذا التكوين ، وبحكم النظام والتحالف ، ان هناك تناقضات تجعل فعلا ان أى أمر يعرض على الاتحاد الاشتراكى ، يكون له اتجاه الى هنا وهناك ، واتجاه وسط ، ولا يتفق على هذا الامر بالحوار ، بل لا يتفق أيضا على اتجاه واحد للحوار .. السلطة هنا تتدخل ، وهى شىء طبيعى ، ويتفق على رأى لا يرضى هذا ولا ذاك ، انما تفرضه طبيعة التنظيم .

اذا كان الاتحاد الاشتراكى لا يضع القرارات السياسية ، واذا كان الاتحاد الاشتراكى ليس له من سلطان على الجهاز التنفيذى ، لانه لا يؤلف الوزارة ، ولا ينبثق منه الجهاز التنفيذى ، واذا كان الجهاز التشريعى المنبثق من الاتحاد الاشتراكى له حقوق ليبرالية تتنافى تماما مع وضع التنظيم السياسى ، كل هذه التناقضات جذرية وأساسية ، وقد أبدو متشائما ، انما ما أود أن أقوله عن اقتناع ، وكلنا فى الفترة الاخيرة فكرنا فى الاتحاد الاشتراكى كثيرا ، ويعمق ، اننا للاسف ندور فى حلقة مفرغة ، وسنظل نلف وندور ، ويمكن أن تكون هذه كلها مجرد عملية ترميمات ، فالاساس المناسب ما زال غير قائم .

كيف يقام الاساس ؟ .. هـذا هو السـؤال الكبير الذى يجب ان يطـرح للبحث ، ولو اقتضى الامر تعديل الميثاق الوطنى أو الدستور ، هذا اذا أردنا أن نسير فى حلول جذرية من الاسـاس لانه لا يمكن ان نبنى على اساس متناقض متعارض

لقد فكرت فى مسـألة الحـكومة ، وناقشت مسئولين فى السلطة التنفيذية ، فكان رد أحدهم انه كيف يكون مسئولا أمام الاتحاد الاشتراكى ، وهو بحكم الدستور مسئول أمام مجلس الشعب ؟ .. وكيف أعمـل ورئيس الدولة قد كلفنى بتأليف وزارة لتحقيق هدف معين ؟ .. وفى اطار هـذا الهدف ، من الذى يحاسبنى ؟ .. طبقا للدسـتور سيحاسبنى ــ مجلس الشعب ــ ولكن الاتحـاد الاشتراكى كيف يحاسبنى ، وبأى حقوق منصوص عليها يتم هـذا الحسـاب ؟ .. فاذا كان مجلس الشعب يحاسب ، والاتحاد الاشتراكى يحاسب ، فالاتحاد الاشتراكى له مستويات كثيرة ، نبها من التناقضات ما يحدث اهتزازا فى الافكار ، ولا يمكن بعد تجربة احد عشر عاما ، ان يحدث هـذا اذا لم تحل حلولا جذرية أساسية ، سنكون بذلك بعيدين عمـا هو موجود فى الدول الاشـتراكية ، وعن الموجود فى الدول الراسمالية ، وهذه نظم متكاملة لم تبن من خيال ، ولم تبن على سراب ، ولا على فرد ، فالنظـام الاشتراكى متسلسل فى تكوينه السياسى ، وفى جهازه التنفيذى ، فى كل نظرياته فى العلم وفى غير العلم ، وفى التربية ، حتى فى الرياضة ، وما حدث اننا اخترنا من هنا وهناك ، بالاضـافة الى بعض تناقضـات لا تنسـجم الا بالسلطة ، التى تتدخل لفرض هذا الانسـجام ، ومن هنا سيستمر الشك مهما فعلنا .

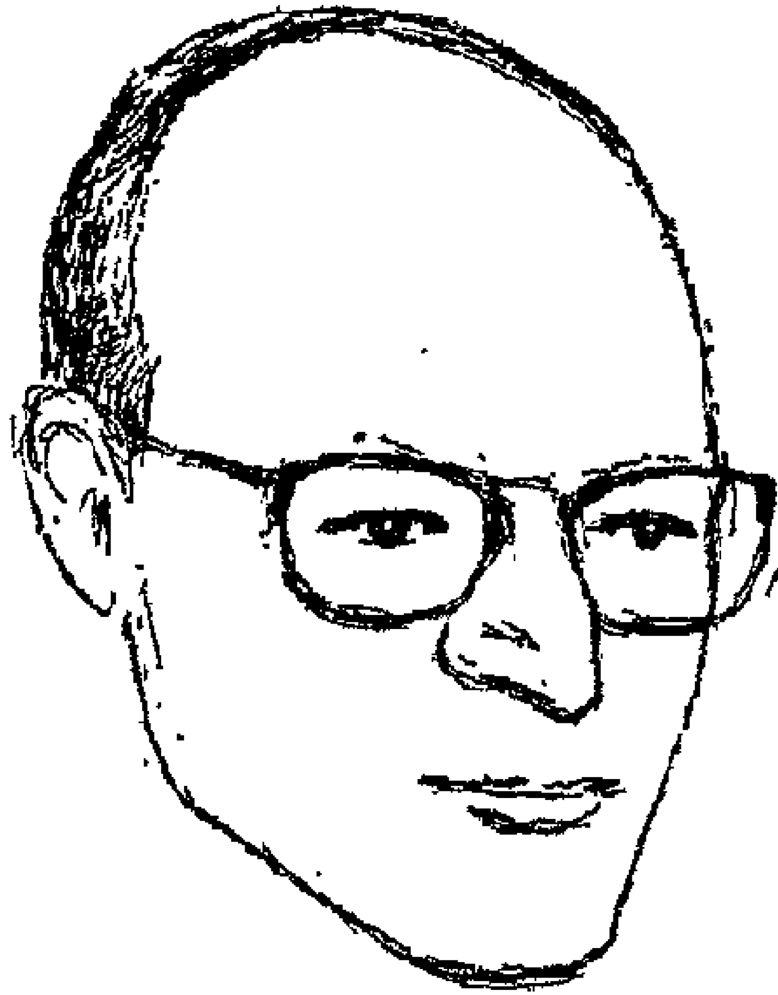
لذلك ، ونحن بصـدد عمـل قانون الاتحـاد الاشتراكى ، لابـد من تعـديل جذرى فى أساس التنظيم السياسى ، سواء قلنا عليه انه حزب ، أو تنظيم سياسى ليست هذه المشكلة .

وخلاصـة رايى ان الاسـاس أولا هو التغيير الجذرى ، ولو اقتضى هذا تعـديل الدسـتور ، وتعديل المواثيق التى نقول الان اننا ملتزمون بها .. وشكرا .

● **محمد شاهين**

اود ان اعلق تعليقـا صـغيرا على كلمة الاخ موسى صبرى ، فى الواقع ان الاتحاد الاشتراكى لا هو بحزب ، ولا هو بتحالف ، انما هو عبارة عن عملية تهجين ، للجمع بين مزايا النظامين .

ولكننا ، فى الحقيقة ، لا نعـلم ما هو وضـع الاتحاد الاشـتراكى ، فقد ورد فى قانون الاتحاد الاشـتراكى ان الحكومة لا تعمل اى شىء الا بعد



محمد عبد الحميد شاهين

العرض على اللجنـة المركزية ، ولكن الحـكومة لا تعرض شيئا على اللجنة المركزية ، فماذا يعمل الاتحاد الاشتراكى فى هذا الامر ؟

ان معظم قادة الاتحاد الاشتراكى ، وخاصة فى الريف ، من السـلبيين ، وذوى المظهريات ، بينما نجد ان أفاضل الناس الذين لهم وزنهم ، ولرأيهم قيمته ، ولهم الاسـلوب الريفى الذى ينادى به السيد الرئيس أنور السادات باستمرار ، نجدهم سلبيين ، مبتعدين عن الاتحاد الاشتراكى .

لقد سمى الاتحاد الاشتراكى عند نشأته بهيئة التحرير ، ثم سـمى الاتحـاد القومى ، ثم أصبح الاتحاد الاشتراكى ، فلماذا لا نسميه الان **الاتحاد الشـعبى** ، لكى ننسى النـاس كلمة الاتحـاد الاشتراكى ، وحتى يجمع أفراد الشعب جميعا ، بـدلا من ان تقتصر العضـوية على من يدفع الاشتراك ومقداره قرشان ، كما هو الان .. هذا شىء ..

الشىء الثـانى ، أرى ان يكون هنـاك مجلس مركزى يجمع مندوبى النقابات والاتحادات ، الذين يمثلون فئات الشعب العاملة ، من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية ، ومثقفين ، على ان يتم ذلك عن طريق الانتخـاب الحر المباشر ، بحيث تنتخب كل فئة من يمثلهـا فى المجلس المركزى ، حتى يجمع جميع القوى العاملة فى البلد ، بحيث لا يكون ذلك منحصرا فى عشرة أو عشرين شـخصا كما حدث فى الانتخـابات الماضـية ، حيث ظهرت حالات شاذة ، اذ كنا نجد أمين الاتحاد الاشتراكى يدخل الانتخاب ، ويخرج منه صـفرا ، ومع ذلك يظل أمينا للاتحاد الاشتراكى ، ومن المفروض ان أمين الاتحاد الاشتراكى تلتف حوله الجماهير ، وهـذه الحالة توضح ضـعف الاتحاد الاشتراكى ، وعدم فاعليته .

بجانب هذا ، لمـاذا لا يدخل **العمـد والعناصر الممتازة** الاتحاد الاشتراكى ، خاصة وانهم من قوى

الشعب العاملة ، ولا مانع من ان يحاسب هؤلاء العمد عندما يثبت ضدهم أي انحراف ، كما انه لابد من ان نبث الشجاعة فى الجماهير — والمقصود بالشجاعة ليس التطاول — وذلك لمواجهة الانحراف الذى يجرى فى الريف ، حيث انه من المعروف ان أمين الاتحاد الاشتراكى فى القرية يحصل على مزايا من الفلاحين فى تجميع البطاطس وخلافه ، وبالتالى فانه يسعى لهذا المنصب لمآرب شخصية ، مقدرا ما قد يحققه من كسب من وراء هذا المنصب .

وبالنسبة لمشروع ورقة العمل ، فالواقع اننا مررنا عليها مرورا بسيطا ، انما فى تصورى ان الحلقة المفقودة ، هى ربط الاتحاد الاشتراكى بأجهزة الدولة ، وليست هناك حلقة تربط الاتحاد الاشتراكى بأجهزة الدولة ، الا اذا كانت المجالس الشعبية — وقد سميت بهذا الاسم لانها تضم جميع فئات الشعب العاملة — على مستوى المركز والمحافظة ، ومنتخبة انتخابا حرا مباشرا ، ثم يكون هناك المجلس الام ، بعد ذلك يمكن ان يكون هناك سكرتير أول للمجالس الشعبية يناقش الحكومة ويحاسبها ، وهذا حل وسط .

ان كثيرا من أعضاء الاتحاد يسعون للسلطة ، عن طريق الاتحاد الاشتراكى ، بينما أغلب الاشخاص الذين لهم الرأى الناضج ، بعيدون عن الاتحاد الاشتراكى ، فكثير من القيادات تسعى للانتقام من المواطنين المخلصين ، وكل فئة تسعى لحل مشاكلها ، ويتضح لسيادتك من واقع الزيارة التى قمت بها لمحافظتى أسيوط وسوهاج ، ان جميع المواطنين لا يتكلمون الا فى مشاكلهم الخاصة ولم يتكلم فى الموقف السياسي سوى شباب الجامعات ، الذين ليست لهم مشاكل ، ومن هذا يتضح ان كل فئة تسعى لحل مشاكلها فى المقام الاول .

هناك أيضا بعض الاتحادات والنقابات ، تطالب بوجود حزب للمعارضة ، اذا كنا نريد ان نسير على نظام اشتراكى ، ومعنى ذلك ان يكون الاتحاد الاشتراكى حزبا ، الا ان الاتجاه يقول اننا نبتعد من شكل الحزب ، فهل كلمة الحزب كفر ؟

فاذا كنا نريد ان نخلق شيئا من هذا المولود ، فالامثلة كثيرة ، واذا كنا نريد ان نسير على نظام فهناك النظام الرأسمالى المتحجر المتعنجه وبئس النظام ، او نسير على النظام اليسارى المتهور المندفع ، وأرى ان الوسط هو الاديان السماوية ، فلماذا لا نتبعها ، وليس من الضرورى ان نتبع حرفية الشرع فيما يتعلق بقطع اليد ، بجب ان نتطور ، لان كل شيء يتطور ، وليس معنى هذا اننا نسير على نظام الاخوان المسلمين ، فالاخوان كانوا فئة متطرفة .

● **السكرتير الاول**

اذا سمحتم ، نقطة نظام ، فى الحقيقة ان النقاط التى اثارها الاخ موسى صبرى ، هى نقاط متعلقة بشكل الموضوع ، من حيث هل الاتحاد الاشتراكى سلطة ، أم يمثل الجماهير ، وهذه نقطة اولى .

النقطة الثانية ، عن مهمة الاتحاد الاشتراكى ، كما تصورها ، فقد حلل ولم يعط اقتراحا .

الاخ محمد تكلم فى موضوعات تفصيلية اكثر ، خاصة بطريقة التنظيم ، وعلى ذلك يهمنا ان نسمع الاراء فى الجزء الاول ، هل الاتحاد الاشتراكى سلطة ؟ .. هل يمثل الجماهير ؟ .. واذا كان يمثل الجماهير ، فما هى طريقة تمثيله للجماهير ؟ .. على ان نضع فى الاعتبار ما ذكره الاخ موسى صبرى .

واود أن استمع الى الاراء .

● **محمد شاهين**

اذا لم يكن سلطة فلن يوجد هناك من يتقدم له .

● **السكرتير الاول**

ان حزب الشعب ، الذى قام بتشكيله صدقى باشا ، فى وقت من الاوقات فى مصر ، كان يمثل سلطة ، ولم ينضم اليه أحد . الواقع ان الموضوع يتطلب ايضاحا اكثر ، ولا نريد الدخول فى متاهات .. عندما نحلل ، يجب ان نحلل فى اطار ينتهى الى اقتراح معين ، والاطار الذى يتضمن التصور هو الذى ستكون له فاعلية معينة للاتحاد الاشتراكى .. فما هى الطريقة التى توصل الى هذه الفاعلية ؟

الاخ موسى صبرى تصور رأيا ، ومن الجائز أن يكون سليما ، وهذا الراى قيل فى لجنة العمل ، الاخ دكرورى اثار مثل هذه النقطة .

فى الحقيقة ، مع توضيح هذه النقطة ، نود أن نضع ايدينا على الاصل ، حتى لا يتوه منا ، لاننا جادون فى ان فى هذه الفترة ، يجب أن يكون للاتحاد الاشتراكى فاعلية ، فمما لا شك فيه ان فاعلية الاتحاد الاشتراكى ترتبط بجهات متعددة ، وترتبط بالناحية الجماهيرية أولا ، ترتبط بصلة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة التنفيذية ، كما ترتبط ايضا بصلة الاتحاد الاشتراكى بمجلس الشعب .

ان النقطة التى ذكرها الاخ موسى صبرى وردت فى نقاش لجنة العمل فى اجتماع من الاجتماعات ، والاخ خالد محيى الدين يذكر هذا ، عندما نوقشت نقطة ما اذا كانت اللجنة المركزية تسائل الوزراء أم لا ؟ .. ووجد انه لا يمكن للجنة المركزية ،

بوضعها الحالى ، ان تسائل الوزراء ، لان الوضع فى مجلس الشعب ، انه عندما يناقش ويسائل الوزراء ، يسائلهم طبقا للائحة معينة ، اوردت ما يتخذ حيال السؤال ، او طلب النقاش ، او تقديم الاستجواب ، فما هو الرابط لهذا كله عندنا ؟ .. وما هى طريقته ؟ .. هذا غير موجود فى اللجنة المركزية .

ان القصور الذى حدث فى اللجنة المركزية ، انه حدث تداخل فقد فهم ان رقابة اللجنة المركزية تمتد الى الموضوعات التفصيلية او الموضوعات التشريعية ، ولو اردنا ان نضع اسلوب عمل للجنة المركزية ، فيجب ان يكون فى خطوطه العريضة ، وبالتالى ، يخيل الى اننا نكون قد قربنا اكثر من جوهر المشكلة .

ومع ذلك ، فالموضوع مطروح للمناقشة .

● محمود أبو وافية

فى الواقع اننى أؤيد جزئيا الاراء التى ذكرها الاخ موسى صبرى ، وان كنت لن اتناول من وجهة نظرى الجانب السلبى ، وبالعكس ، فاننى أميل الى ان تتخذ المناقشة الجانب الجدى الايجابى مباشرة ، اننى اخشى ما أخشاه هو أن يمتد بنا الاجتماع الى ما بعد الساعة الثالثة — وسوف نسمع ونقول آراء لها وزنها — ثم ينتهى هذا الاجتماع الى مجرد محضر ، وبعد ذلك تنسى الاراء التى قيلت ، ثم يحفظ المحضر ، ونحن للأسف الشديد قد درجنا على هذا ، فما لم نخرج من هذا الاجتماع بقرارات معينة ترفع الى السيد رئيس الجمهورية ، وتعلن باعتبار ان هذه لجنة سياسية أعتقد ان لن تكون لهذا الاجتماع فاعلية ، فالسنين الطويلة التى مرت من عمر الاتحاد الاشتراكى حتى اليوم ، انقضت فى مجرد تشكيلات ، ونعنى بالتشكيلات دائما ، فحينما تكون هناك انتخابات نجد ان هناك اهتماما كبيرا من الجماهير ، وبالتالى يصبح العمل السياسى فى نظرها ، فيه ايجابية ، وفيه اهتمام شديد ، وبمجرد ما ان تسفر الانتخابات عن مجموعة معينة من الناس يتولون بعض الاوضاع ، تعود الحياة الهادئة الى الاتحاد الاشتراكى ، وتعود الامور الى الموقف السلبى ، وعدم المشاركة اطلاقا .

ان الاسباب التى ذكرها الاخ موسى صبرى ، هى أسباب وجيهة جدا ، لعدم فاعلية الاتحاد الاشتراكى ، وان مهمتنا كلجنة سياسية ، اننا نضع أساسا معينا للاتحاد الاشتراكى كله ، لكى يعود اليه وزنه ، او يكون له وزن جديد فى قيادة هذا الشعب .

وقبل ان أدخل فى الموضوع نفسه ، لى ملاحظة على أسلوب السيد السكرتير الاول فى العمل ، منذ ان تولى مهمته حتى الان ، هذه الملاحظة تركزت فى انه بدأ العمل بعيدا عن اللجنة المركزية وبعيدا عن الامانات الموجودة والقائمة فعلا ، وشكل لجنة العشرين ، ثم شكل هذه اللجان الفرعية — ونحن احدى هذه اللجان — وأصبح الامر كما لو كانت اللجنة المركزية والامانات شيئا « مركونا » ، وليس له قيمة ، واننا نبدأ او نعيد تشكيل الاتحاد الاشتراكى من جديد ، وهذا الذى ظهر حتى الان — وهذا هو الملاحظ من وجهة نظرى ، وقد اكون مخطئا — انما هذا انطباعى الشخصى . ان السياسة الجديدة منذ تولية منصب سكرتير اول للجنة المركزية ، ان العمل يسير منفصلا عن اللجنة المركزية ، وعن أمانات المحافظات ، وعن التشكيلات القائمة للاتحاد الاشتراكى بوجه عام .

فى الواقع ، نحن ندور فى حلقة مفرغة ، ونحن دون جميع الاحزاب فى العالم ، ليست لنا عقيدة ولا ايديولوجية .. لماذا ؟ .. أن الحزب الشيوعى السوفيتى له وضعه فى روسيا ، وفى كل دولة شيوعية ، الحزب له فكر موجود وقائم ومحترم ، يغذى ويتطور باستمرار ، وقد تحدث أحيانا صراعات بين الاحزاب الشيوعية ، مثل الحزب الروسى ، والحزب الصينى ، انما لكل منهما ايديولوجية قائمة ، ولا يدور فى فراغ ، ولا يسأل هل هو سلطة ، أم ليس بسلطة ؟

فهذا غير وارد ولا موجود فى العالم كله ، حزب العمال البريطانى قائم ، وله ايديولوجية ، وله اشخاص مؤمنون بهذه الايديولوجية ، ومنتمون طبقا لهذه الايديولوجية ، يدافعون عنها باهتمام شديد ، وأصبحت جزءا أساسيا من حياتهم الفكرية والعقلية اليومية . حزب البعث السورى أيضا له أيديولوجية ، وفيه عقائدية ، وعلى هذا الاساس فيه ايجابية فى العمل ، ومع ان الحزب عدده قليل الا انه أثبت وجوده فى سوريا ، وأثبت ان له



محمود أبو وافية

هيمنة معينة على الشعب السورى ، وعلى تطور الاحـداث . أما نحن ، فهنـاك عـدم ثقة بيننا ، وبصراحة ، ليست لدينا ثقة لا فى الفكر اليمينى ، ولا فى الفكر اليســارى ، بمعنى ان مواطنـا من المصريين يفكر تفكيرا يساريا نصفه بأنه شيوعى ، وبالتالى يصبح معقدا ممن يصفونه بذلك . وعلى هذا الاساس لا يوجد لدينـا الاحســاس الاخوى بالصداقة وبالتآلف ، وأيضـا اذا ما وجد مواطن متدين أو آخر تفكيره الى حـد ما راسمالى . نجد اننا ننفر منه ، ومن هنا يكون التنافر بحكم طبيعة تشكيل التنظيم .

ففى اجتمـاع الهيئة البرلمـانية فى شهر مايو سنة ١٩٦٥ ، والذى حضره المرحوم الرئيس جمال كان الاجتماع طويلا جدا ، وأعددنا بعض الاسئلة فأجاب السيد الرئيس على بعضها ، وكان بن بينها سؤال اذكره ، فقد قلت له بالنسبة لفكرة تحـالف قوى الشـعب الموجود فيه الرأسـمالية الوطنية والمثقفون والجنود والعمـال والفلاحون ، هناك تناقضـات بين هـذه الطوائف ، كيف نواجه فى المستقبل احتمال أن يتحول هذا التناقض الى صراع طبقى ، وأجاب الرئيس جمال عن هـذا السؤال بقوله : ان التناقضات شىء طبيعى وسنزيلها فى فى المستقبل بالحلول .

الواقع ان هذه التناقضات لا يمكن ان تـحل الان ، لأن هناك عدم ثقة بيننا ، نحن عبـارة عن مجموعة افراد متنافرة لاتتصل ببعضها ببعض وموجودون فى تنظيم واحد ، اننى اتكلم على مستوى القيـادة لاننى اتكلم فى الرأس وهى اللجنة السياسية ، هذا الرأس اذا انصلح وانصلح تفكيرها فسينصلح كل الجسم وبذلك سيسير الاتحاد الاشتراكى ويعمل ، انما الراس هنا غير سليم وهناك اشياء كثيرة موجودة نريد أن نزيلها من انفسـنا أولا ، ثم نوجد الثقـة بيننا ونتفق على شىء ، ليكن كل انسان حرا فى تفكيره ، فمن الممكن اننى احب قراءة القرآن كثيرا وغيرى لا يحب هذا ، ويقرأ كتبا لماركس ، ليس هناك مانع فى ذلك لان هذه ثقافة شخصية انما الخطير ان هذه الافكار وهذه الدراسـات تؤثر على علاقاتنا كقيادة سياسية للعمل السياسى فى هذا التنظيم او هذا الحزب .

لذلك اننى اقول مبدئيا ان ايديولوجية الاتحاد الاشتراكى غير واضحة حتى الان ، ومن هذا المنطلق تأتى عدم سيطرة الاتحـاد الاشتراكى على جماهير الشعب ، لانها عبارة عن قطاعات معينة فيها المثقفون ، وهم المقصودون بالذات على أساس أنهم وردوا فى الميثاق ، على أنهم من قوى الشـعب ، واننى أقول أن هـذا خطأ ، ويجب أن يعـاد النظـر ، لان معـنى هـــذا

اننى عندما احضر المثقفين واسميهم قوة من قوى الشعب ، فهذا معناه أن تفتقر جميع قـوى الشعب الاخرى الى عنصر المثقفين ، فمثـلا أنا فلاح ولدى أرض زراعية ، وفى نفس الوقت مثقف ومتعلم ، فاننى اميل ان يقال عنى مثقفا ولا يقال عنى انى فلاح أو صاحب أرض ، بهذا الشكل انتمى الى طبقة المثقفين واميل فكريا الى هذه الطبقة ، هناك أيضا عامل ومثقف أو رأسمالى مثقف فكل مثقف ينسلخ من قـوى الشعب والمفروض انه محسوب عليها ، وعلى هذا الاساس فان قوى الشعب ستصبح فقيرة الى العنصر وتصبح متخلفة .

اذن لابد ان نقف عند هذه النقطة ونعيد النظر فيها وتكون لدينا الشجاعة لنقول هذا الكلام ، فالميثاق ليس قرآنا ، بل وضع كفكر بشرى والايام تتطور ، ويجب ان نعيد النظر فيه بادىء ذى بدء ، لانه يمثل ايديولوجيتنا .

ولذلك اقترح اقتراحا محددا ، ذلك اننى ارجو من السيد السكرتير الاول ان يعطيه ما هو جدير به من الاهتمام وهو :

(١) مبدئيا ، أن تعاد دراسة الميثاق ، ويعاد النظر فيه فورا كعمل نتفق عليه فكريا ، ثم نبحث : اهو صالح للمرحلة التى نحن فيها أو أن الامر يتطلب اعادة النظر فى بعض بنوده .

(٢) ليس بيننا أجنبى ، فكلنا مصريون ، ومهما كان انتماؤنا الفكرى فاننى واثق كل الثقة بأن هذا الانتماء لن يؤثر بأى حال من الاحوال فى وطنية المصرى ولا فى انتمائه لتراب هذا البلد المصرى .

حينما نصل الى هذه النقطة سنصبح كلنا أخوة وعلى هذا الاساس سنكون متعـاونين فكريا ، وبهذا سوف نكون فعلا جديرين بهـذه المسئولية .

لى ملاحظة بالنسبة للمستويات الادنى فى الاتحاد الاشـتراكى . لماذا لا تجتمع معهـا اللجنة ؟ لان الملاحظ أن اللجنة تجتمع مع نفسها ونحن نجتمع اليوم مع أنفسنا ، وربما كان هذا ما تتطلبه هذه المرحلة ، لكن ليس هذا هو العمل الاساسى ، فالعمل الاساسى أن تجتمع اللجنة مع قطاع من قطاعات الشعب وليس مع نفسها ابدا ، وقد بدأت شخصيا فى محافظة البحيرة كرئيس مجموعة اقليمية بتغيير النظام الذى كان سـاريا ، وبدأت المجموعة الاقليمية تجتمع مع قطاع من قطاعات الشعب مثل العمال أو التجار فى ندوة ثم نحدد موضوعا معينا يهم

القطاع الذى نجتمع معه ونتكلم فيه ، واثناء ذلك نعطيهم المفهوم السياسى فى هذه المرحلة، بمعنى أن نشرح لهم السياسة العليا للبلد ونحاول توضيحها لهم ، ونقول لهم ما يجب أن يقال وما يجب أن يعلن ، فمثلا : ماذا يقال اليوم فى الشارع ؟ هناك تساؤل عن طبيعة علاقاتنا بالاتحاد السوفيتى .. ولماذا نهرب من هذه النقطة ؟ ما اسرار علاقاتنا اليوم بالاتحاد السوفيتى ، الجمهور يريد ان يعلم ونحن نريد أن نفهم ، ولكن ليس لدينا معلومات ولا أدعى لنفسى معلومات واقولها ، ومن ناحية أخرى ما طبيعة العلاقة بحزب البعث السورى ؟ ونحن فى سبيل عمل دولة الاتحاد ، وهناك كلام يقال مثلا كعملية متابعة عن موقف العراق ، وهناك كلام عن أن العراق تريد أن تنضم للاتحاد ، كلنا نقف اليوم خائفين ونقف موقف المتفرج ، اذن ، متى نكون ايجابيين ؟ ومتى نحس بمسئوليتنا ؟ فان البشر لا يخلدون ، فيهم من يموت وفيهم من يتغير ، فيجب أن نعمل على أن يكون الخلود لتنظيم معين ، لحزب معين على أن يكون هذا التنظيم هو الذى يقود فعلا ، أما السؤال الذى وجهته سيادتك : هل التنظيم سلطة .. ؟ — اننى لا أميل اطلاقا لاستعمال تعبير [سلطة] ، فالسلطة هى الحكومة ومجلس الشعب والقضاء . أما الاتحاد الاشتراكى فهو ارادة الشعب التى لابد أن تكون فوق هذه السلطات ويجب أن يأخذ الاتحاد وضعه هكذا .. فهذه ارادة جماهير الشعب المختلفة التى من المفروض أن تخضع لها هذه السلطات ويكون لها أن تستدعى رئيس الوزراء ، وتستدعى رئيس مجلس الشعب واعضاء مجلس الشعب. وهذه الجماهير تمثل البلد من أولها الى آخرها ومنها ينتخب رئيس الجمهورية والذى من المفروض أن يرشح من اللجنة التنفيذية العليا، فمعنى هذا أنه أكثر من سلطة وليس مجرد سلطة .

● السكرتير الاول

اذا سمح الاخ محمود هناك ثلاث نقاط يجب الرد عليها ، النقطة الاولى : الصورة بالنسبة للجنة المركزية والبعد عنها وعن الامناء .

بالنسبة لامناء المحافظات فكلهم بالكامل عقد معهم اكثر من اجتماع وقد وزع عليهم ورقة العمل الموجودة معنا ، ولهم معى اجتماع آخر هذا الاسبوع .

اللجنة المركزية ايضا ستعقد هذا الاسبوع بعد عودة السيد الرئيس من الخارج ، وكثير من اعضاء اللجان الفرعية أعضاء فى اللجنة المركزية ، ولا يمكن أن نتصور أننا نقوم بعمل خارج اللجنة المركزية ، انما اذا كنا نقوم بعمل تمهيدى ، واذا كنا نريد تغيير أسلوب عمل اللجنة المركزية فهذا لا يضيرنا فى شىء ، فأنا لا أتصور مثلا اننا ندخل اللجنة المركزية ثم نفاجأ بسؤال من أى عضو من الاعضاء يبدأ من الزيت حتى تصرفات ملك الاردن ، لا يوجد لجنة مركزية فى العالم تسير بهذا الشكل ، وهذه من أسباب الاضطراب الاساسية التى تحدث فى اللجنة المركزية ، فاذا بدأنا بتغيير أسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى عن طريق اللجنة المركزية كنا سندخل ايضا فى نفس المتاهة ، وما حدث أننا احضرنا عددا كبيرا من الاشخاص يصل عددهم مائتين ، كل منهم مختار لموقع معين وله تأثير جماهيرى معين ، وله وزن معين ، وكل ما نطلبه منه هو الرأى فقط ، وهذا الرأى يترجم الى تقرير يعرض على اللجنة المركزية ولها أن تضيف اليه او تحذف منه أو ترفضه كما تشاء ، لانها هى السلطة العليا . فلا يمكن بادىء ذى بدء أن نبدأ باللجنة المركزية والا كنا نكرر نفس الذى حدث فى اللجنة المركزية الا اذا كان الاخ محمود يرى أن أسلوب العمل فى اللجنة المركزية الان هو الاسلوب الامثل ، وأنا شخصيا لا أرى هذا الرأى ، بل اننى أتجاوز هذا واقول عن أسلوب العمل فى المؤتمر القومى نفسه انه ليس أسلوب عمل لمؤتمرات قومية ، ففى جميع الاحوال يجب أن تقدم ورقة بموضوع معين لاعضاء اللجنة المركزية ليكون لهم متسع من الوقت للنقاش حتى اذا عقدت اللجنة المركزية برئاسة السيد رئيس الجمهورية وهو اعلى سلطة موجودة يمكن للاعضاء أن يتكلموا فى هذا الموضوع ويصلوا فيه الى قرار معين . أما الاسلوب الذى كان متبعا منذ فترة تكوين الاتحاد الاشتراكى الى اليوم — وكما أشار الاخ موسى صبرى فلا تجتمع اللجنة المركزية أو المؤتمر القومى الا فى أزمة من الازمات ، وليس هذا أسلوب عمل شعبى ، كما انه ليس أسلوب عمل تنظيمى ، فجميع اللجان الموجودة اليوم هى لجان معاونة لوضع أسلوب ما ، هذا عن الجزء الاول من الحديث .

أما الجزء الثانى ، بالنسبة للايديولوجية ، فكما هو وارد فى خطابى فى المؤتمر القومى ، وردت نقطتان أساسيتان ، قلت فى أولاهما أنه لابد أن ننتهى الى وضع دليل عمل سياسى يمثل الايديولوجية المصرية والتى من المفروض اننا سنقدمها الى المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو القادم لتمثل الخط الاشتراكى المصرى ، وتمثل ما تم من منجزات ، وتمثل ايضا جميع الخطوات التى تمت حتى الان ، وهذا موجود وقائم ومحل نقاش ، ويمثل أيديولوجيتنا الفكرية . . . .

بالنسبة للميثاق ، فما قيل بالنسبة له شيء ليس في موضعه ، لاننا نعتبر أن الميثـاق شيء جدير بالاحترام ، والكلام في اعادة النظر فيه موضوع ثانوي .

بعد ذلك نتكلم عن التناقضـات ونتكلم عن اليسار واليمين .

في الحقيقة ان هذه النقطة لا تقلقني بالصورة الضخمة التي ذكرت الا في نقطة اساسية وهي انه لا يجب ان يكون لدينا حساسية ابدا ، ولا يجوز أن يكون لدينا حساسية ، اننا نتقبل فكرة واردة من الماركسية طالما انه يمكننا أن ناخذ هذه الفكرة ونرى أن تطبيقهـا بالنسـبة لمصر سيكون تطبيقا مفيدا ، فقوانين الاصلاح الزراعي وتحديد الملكية اعتبرت في وقت من الاوقـات انها شيوعية ، فعندما صدرت قوانين الاصلاح الزراعي المصري اعتبرها القـادة الامريكيون بالذات كنوع من انواع الشيوعية ، وطالما دافعت عنها دفاعا كبيرا ، واذا بالامريـكان يتطورون ويتبنون بأنفسهم قوانين تحديد الملكية في اليابان حيث صدر حديثا قانون الاصلاح الزراعي في اليابان والذى حدد الحد الاعلى للملكية بسبعة افدنة .

اما التناقضات التي تشير اليها والسـؤال الذى وجهته للسيد الرئيس جمال ، فانني لاارى مثل هذا ، فما هي التناقضات الموجودة عندنا ، هل هي تناقضات بين الفكر الماركسي وافكار اخرى .. هذا محتمل .. ولكن يجب الا نضيق بالفكر طالما انك تسمع من شخص ما انه حينما يفكر في الماركسية وفي نفس الوقت ينبع تفكيره من الوطنية المصرية ، ومصر فوق كل شيء ، فكيف أقول له انك خارج الموضوع ، وعنـدما يناقش فـكرة من الافـكار يقال له : هـذا الشيء لا يمكن ان يطبق في مصر ، اما وعندما يأتي شخص ما بأى من الافكار اليسـارية المتطرفة الهدامة الدخيلة ، فهذا شيء آخر ، وهنا أقول له .. لا .. ونرفض . أما اذا كونت فكرة لنفسك في اطار معين وتريد ان تدافع عن هذه الفكرة وترى انها في هدفها النهائي تناسـب المصلحة ، فلا يجوز ان تضيق بهذا ابدا . ولا يجوز ايضا ان تضيق بفكر آخر يأتي من ناحية من النواحي يقول بأن نأخـذ القـرآن والدين الاسلامي .

ان التناقضات ليست بالحجم الضخم الكبير الذى يخيفنا من أن نقترب من الموضوع كمـا يتصور البعض وكما اشار الاخ موسى ، او كمـا ذكر الاخ محمد شـاهين من انها مشـكلة تناقضات .. هذا غير حقيقي ، ان اى حزب في العالم في بلد شيوعي او بلد اشتراكي يحـدث فيه نقاش ، هل اسمى هذا النقاش تناقضا ؟ لا يمكن ان اسمى هذا النقاش تناقضا — والا فما فائدة الاحزاب السياسية ؟

ان التناقضات لاتخيفنا الى هذه الدرجة ، ثم اذا تصورت ان احد العمال من النقابات العمالية يريد ان يدافع عن مصلحة العمال ، لقد اشرنا الى هذا في خطابنا بأن هناك نقطتين ، الناحية القومية التي ترتبط بمصر في الظروف الحالية الحرجة التي تجتازها والتي تنصب اول ماتنصب على المعركة وانه يجب ان تكون جميع النقابات المهنية وجميع التنظيمات السياسية تنصب في هذا الاتجاه ، وليس هناك خلاف على هذا بين مصرى ومصرى ، هذه هي النقطة الاولى، النقطة الثانية اننا لم ننكر ان هناك مصالح شخصية — داخل هذه التكوينات وداخل هذه التنظيمات — تهم هذه الطائفة او تلك ، ولا يجوز أن نتغاضى عن هذا ايضا ، ولكن لايمكن أن اقول ان هذا تناقض ، هذه طبيعة موجودة ويجب ان تستمر فعلى سبيل المثال عندما نقول أن هناك تناقضا بين العمال والفلاحين — فهل يوجد تناقض فعلا بين العمال والفلاحين ؟ ليس الموجود بين العمال والفلاحين تناقض . فالفلاحون عندما ينـادون بتحسين مستوى معيشتهم ، او ينادون بتطبيق نوع من التأمين الصحي المطبق على العمـال عليهم — هل نعتبر ان هذا تناقض ؟ لا يمكن أن نعتبر هذا تناقضا ، بل انى اعتبره رايا ، ونقول للفلاحين انه لا يمكن ان يطبق عليهم التأمين الصحي في هذه الفترة بالذات ، لظروف معينة انما يجب أن يطبق التأمين الصحي على الفلاحين

وبالنسبة لكلمة التناقضات التي استعملت ، فالرئيس جمال عبد الناصر عندما استعملها في وقت من الاوقات كانت في اعتقادى موجودة لانه استعملها في فترة كانت القوانين الاشتراكية مطبقة حديثا ، وكان هناك اصحاب مصـانع ورأسماليون ، وكان هناك ايضـا التحـرك الاشتراكي القائم على تحالف قوى الشـعب العاملة ، في هذه الحالة يكون هناك تناقض حقيقي ، ولكن الان وقد اممت المصانع ومثلت العمال في مجالس ادارة هذه المصانع ، واصدرت قوانين تحديد الملكية وحددت الايجارات الزراعية واعطيت في هذا المضمار حقوقا للناس لهاقيمتها بعد ذلك لا يمكن ان نقول ان هناك تناقضا ، أن التناقض عبـارة عن طائفة تريد أن تأخذ من طائفة اخرى ، ولا يمكن ان نظن ان هـذا موجود ، وأن وجد فليس على المستوى الذى يخيفنا .

النقطة التالية هي النقطة الخاصة بالميثاق ،

ان الرأى ذكره الاخ موسى ، والاخ محمود نوفقش على اعلى المستويات ، والسيد الرئيس له رأى فى هذا وربما يماثل رأى الاخ موسى ، ورأى الاخ محمود ، وقد ناقشنا ذلك فى لجنة العشرين ، ولكن تصورى اننا اذا بدانا الان فى مناقشة الميثاق فسوف ندخل فى متاهات كبيرة جدا ، ان الميثاق عندما تقرؤه او اذا قرات بيان ٣٠ مارس تجد ان كثيرا جدا من المبادىء التى وردت فى الميثاق او فى بيان ٣٠ مارس ملائمة واذا اردت ان تصيغها ثانية فسوف تصيغها بصيغة اخرى انما تؤدى الى نفس الهدف ، وهذا لا يعنى اطلاقا ان الميثاق لا يعاد النظر فيه ، لانه ليس قرآنا كما ذكرت ، وكان من المفروض ان يغير الميثاق سنة ١٩٧٠ ولكنه لم يغير بالنسبة للظروف الحالية . والسؤال هو — هل من المصلحة فى الوقت الحالى الذى نريد فيه ان نلم شمل الجبهة الداخلية ونجابه المعركة ان نفتح نقاشا فى موضوع من الموضوعات التى لم نطبق اغلبها . لم يطبق الاتحاد الاشتراكى ما ورد فى بيان ٣٠ مارس كاملا ، ولم يطبق ايضا ما ورد فى الميثاق كاملا ، وقد ذكرت فى لجنة العمل انى قرأت بيان ٣٠ مارس والميثاق لتحديد الرأى فيه وكان موجودا معى الاخ جمال العطيفى وقد كنت مندهشا لمضى كل هذا الوقت دون تنفيذ اغلب ما بهما .

لذلك فحينما نقول انه كسياسة قصيرة المدى على الاتحاد الاشتراكى ان يتحرك — ويجب ان تشعر الجماهير بهذا التحرك — مستندا فى ذلك الى مواثيق الثورة — فنحن فى هذا لا نخطىء .

وبعد انتهاء المعركة ، يمكن تغيير ما نرى تغييره سواء فى الميثاق أو فى بيان ٣٠ مارس — بشرط ان يكون هذا اسلوبا مطبقا ، وليس حبرا على ورق ، وهذه هى حقيقة الامر ، واعتقد اننى بذلك قد غطيت النقاط المختلفة .

● **الدكتور جمال العطيفى**

فى الواقع اننى اود ان اعود الى التحليل الذى عرضه السيد موسى صبرى واوافقه على كثير مما جاء فيه ، كما الاحظ انه وكذلك السيد شاهين قد اشاروا الى ان نظامنا به نوع من الخلط بين الانظمة المختلفة .

ولو رجعنا فعلا الى الجذور الحقيقية لنظام الاتحاد الاشتراكى ، لوجدنا ان هذا النظام مأخوذ من نظام التحالف الاشتراكى فى يوغوسلافيا ، وربما ظللنا لسنوات طويلة لا نريد التسليم بهذه الواقعة ، لكنها الحقيقة ، وان كنا قد غيرنا فى الطريقة بما يناسب ظروفنا ولكن لو رجعنا للتطور التاريخى ، فسنجد انه كانت فى يوغوسلافيا جملة ، احزاب وطنية تخوض حرب التحرير ضد النازية متحدة فى جبهة وطنية واحدة ، وبعد نهاية الحرب تحولت هذه الجبهة الى صورة من التحالف فى تنظيم جماهيرى يستوعبها جميعا ، وهو المسمى بالتحالف الاشتراكى ، ولقد سميناه نحن بالاتحاد الاشتراكى وذكرنا انه مبنى على تحالف قوى الشعب العاملة ولكن هذا النظام له تكملة لم نأخذ بها ، وهى انه الى جانب هذا التنظيم الجماهيرى الواسع ، بقى هناك الحزب الذى اطلق عليه [رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، ولقد حولوا اسم الحزب الى رابطة لانهم يريدون طبقا لنظريتهم ان يكون كل ما هنالك اجتماعيا ، والمجتمع هو الذى يسيطر عليه وليس الدولة ، ولكن الرابطة فيها الانضباط الحزبى ، كما بها الايديولوجية المحددة ، وهى التى تقود العمل سياسيا ، الى جانب هذا التحالف الاشتراكى الذى يتسع للقوى المختلفة ، وللافكار المختلفة التى تدور فى الاطار المتفق عليه ، لقد نقلنا هذه التجربة بحذافيرها فى الميثاق الذى أشار ايضا الى انشاء جهاز سياسى ، يعتبر تعبيرا لفكرة رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، ولقد كان المفروض أن يلعب هذا الجهاز دور الحزب ، ولكن للاسف لم ينشأ هذا الجهاز لوجود اختلاف جوهرى بين التجربتين ، لان رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف موجودة فعلا وقائمة ولها نظام قائم من قبل أن تتولى الحكم ، فى حين انه بالنسبة لنا كان لابد من ان ينشأ هذا التنظيم او هذا الجهاز من مواقع السلطة ، لذلك فانه لم ينشأ حتى الان ، وان خيل للبعض انه قد انشىء من خلال تنظيم سرى ، فليس هو الجهاز المقصود فى الميثاق ، فلم يكن هناك بد من ان يستعير الاتحاد الاشتراكى بعض الاساليب المتبعة فى الاحزاب فقط ، فمبدأ المركزية الديمقراطية مبدأ أساسى فى التنظيمات الحزبية ، ولكنه لا يتصور ان يطبق فى تنظيم جماهيرى واسع ، نحن نسلم بأنه يجمع مجموعة مصالح مختلفة وقوى مختلفة ، ولا يمكن اطلاقا ان نتصور ان مصلحة الراسمالية الوطنية تتفق تماما مع مصلحة العمال والفلاحين

ومن هنا بدا التناقض الحقيقى ، حينما حاولنا فعلا تطبيق قواعد الحزب فى تنظيم جماهيرى واسع ، يضم بطبيعته قوى متباينة تختلف فى افكارها ، وانا لا استطيع ان اتصور ان يكون هناك فكر واحد متفق عليه حتى مداه ، لكن هناك اطارا فكريا معينا رسمه الميثاق وارتضيناه جميعا — على الاقل فى هذه المرحلة وهو :

— أن نحارب الاقطاع والرأسمالية المستغلة ، وأن يكون لنا خط عربى واضح ، الى جانب

ديمقراطية الشعب العامل ، وأن ننتهج سياسة عدم الانحياز .

وهذه كلها مجموعة أفكار متفق عليها بين قوى التحالف .

كما أن هناك أيضا مجموعة مصالح مشتركة متفق عليها ، لهذا فان هذه الفكرة البسيطة هى أول نقطة يجب البدء فيها . عندما نريد فعلا أن نضع الاتحاد الاشتراكى فى اطاره الصحيح ، وهى النقطة التى اشار اليها خطاب السيد السكرتير الاول للجنة المركزية فى اجتماع المؤتمر القومي الاخير ، وان كنت اختلف معه فى نقطة صغيرة وهي ما أشير اليه فى خطاب السيد السكرتير الاول من وجود مجموعة مصالح موحدة ومشتركة متفق عليها وبطبيعة الحال فى مقدمتها تحرير الارض ثم ورد من بينها التطور الاشتراكى . فاننى أفضل بدلا من هذا التعبير أن يقال « المنجزات الاشتراكية » وهى المتفق عليها وليس التطور ، لاننا نجد فى التطور أفكارا متباينة وغير متفقين عليها حتى الان ، لان هناك أفكارا تريد أن تصل بالتطور الاشتراكى الى مداها العلمى وحتى نهايته ، اى الوصول الى الغاء الملكيات غير المستغلة وأن يكون أساس ذلك هو نظرية فائض القيمة .

وهناك أفكار أخرى ترى أن هذه الاشتراكية هى اشتراكية اسلامية يجب أن تنبع جذورها من الاسلام، كما أن هناك أفكارا ثالثة تسميها اشتراكية عربية ، أو اشتراكية مصرية ، وكل هذا مقبول ولكن لابد أن يكون هناك حد أدنى متفق عليه من الافكار التى وردت فى الميثاق ، كذلك يجب أن يكون هناك حد أدنى متفق عليه من المصالح المشتركة . يجب أن يقوم الاتحاد الاشتراكى فى هذا الاطار ، بحيث يكون منبرا لجميع الافكار المختلفة ، وأن يدافع فيه عن المصالح العامة .

وهذا هو الطريق فعلا الذى يمكن به حل جميع المتناقضات سلميا ، ولقد ظل هذا التعبير الوارد فى الميثاق حبرا على ورق دون ممارسة ، بمعنى أن التجربة الاخيرة التى وقعت من عمال القطاع الخاص فى شبرا الخيمة ، كانت تجربة واقعية بالفعل ، فاذا كانت فكرة المنابر موجودة ، واذا كانت التنظيمات الجماهيرية المرتبطة بالاتحاد الاشتراكى تلعب دورها ، فاننى أتصور أن أصحاب الاعمال ، الممثلون فى الغرف التجارية، والغرف الصناعية ، كانوا سيعبرون عن آرائهم ومصالحهم من داخل الاتحاد الاشتراكى ويدافعون عنها ، وهذا طبيعى ويجب التسليم به ، فلهم مصالح فعلا ، وهذه المصالح مختلفة تماما عن مصالح العمال والفلاحين الذين يطالبون بحد ادنى للاجور ، وبتحديد ساعات العمل ، كذلك بالنسبة لنقابات العمال والمنظمات الجماهيرية التى تعبر عن مصالحها ، فمن هنا تنشأ فعلا فكرة المنابر فى الدفاع عن المصالح المختلفة داخل الاتحاد ، وأول فكرة أرجو طرحها فكرة وجود قدر أدنى متفق عليه من الافكار ومن المصالح ، هو الذى يخول لنا جميعا أن نعمل داخل اطار هذا التحالف رغم ما قد يكون بيننا من خلافات فكرية أو خلافات مصلحية .

ومن هذه الفكرة يمكن أن نتدرج الى الاجابة عن بعض النقاط التى قد أثيرت هنا ، خاصة بعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة فلا شك أن هناك تناقضا واضحا — كما اشار السيد موسى صبرى — بين أن نسمى الحكومة الجناح التنفيذى للاتحاد الاشتراكى ، وأن نسمى مجلس الشعب الجناح التشريعى للاتحاد الاشتراكى ، ثم بعد هذا تجد أن الدستور يضع تنظيمات مختلفة ، اذا طبقت فعلا فانها تتعارض مع هذا، وهذا وضع قائم فعلا ، ليس مرده الى طبيعة التنظيم السياسى الذى ارتضيناه ، انما مرده الى سوء التطبيق وسوء الفهم الذى أدى الى سوء التطبيق ، وأنا شخصيا ضد فكرة اعتبار أن الحكومة جناح تنفيذى وأن مجلس الشعب جناح تشريعى ، انما المفروض ان الاتحاد الاشتراكى بنشاطه السياسى بين الجماهير يستطيع أن يلعب دورا ضاغطا على الحكومة عن طريق أعضاء مجلس الشعب المنتخبين والذين ينتمون اليه، ويستطيع الاتحاد الاشتراكى أن يلعب هذا الدور بفاعليته الحقيقية ونشاطه السياسى الحقيقى .

بمعنى اننا اذا أردنا محاسبة أحد الوزراء لا يكون هذا الحساب أمام اللجنة المركزية ، انما عن طريق مجلس الشعب ، فمن طريق أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى مجلس الشعب يمكن اثارة مثل هذا النقاش مع الحكومة ، وقد يصلون الى اسقاط الحكومة فعلا ، فالاتحاد الاشتراكى يستطيع تعبئة الجماهير عن طريق العمل السياسى وحده ، لا عن طريق العلاقة العضوية بينه وبين الاجهزة الاخرى ، والتى كنا نتصور فى مرحلة سابقة أنها الحل الامثل لكن التجربة أثبتت أن النتيجة هى انعزال الاتحاد الاشتراكى فعلا عن الجماهير ، فقد كانت قيادات الاتحاد الاشتراكى تتصور أن من حقها أن تصدر توجيهاتها أو قراراتها الى السلطة التنفيذية كلما عن لها .

اذن يجب التسليم بغير حساسية — ودون أن يظن أن فى هذا اضعافا للاتحاد الاشتراكى أو تصفية له فلقد قيل مثل هذا الكلام — أن سر

ضعف الاتحاد الاشتراكي هو أنه كان قويا أكثر من اللازم ، لا باعتماده على الجماهير بل قويا لاعتماده على أجهزة السلطة واتخاذه وسائل السلطة والوسائل الادارية في نشر أفكاره ، ففي اعتقادي اننا اذا تصورنا الامر على هـذا الوضع فعلا ، فستكون الصورة واضحة جدا وبسيطة جدا ، فيسلم بأن الاتحاد الاشتراكي هو تآلف لافكار متباينة ومصالح مختلفة ولكن هناك قدرا أوفى متفقا عليه من هذه الافكار والمصالح ، والعلاقة التي تقوم بينه وبين أجهزة السلطة الاخرى ، أساسها العمل السياسي وليس العلاقة العضوية أو العمل الادارى ، ومن هذا المنطلق يمكن أن يعدل قانون الاتحاد الاشتراكي بما يتفق مع هذه الافكار .

● د. عبد الرازق حسن

لقد اثار السيد موسى صبرى مشكلة كنا نتصور اننا قد انتهينا منها منذ مدة طويلة ، وهذه المشكلة ترجع الى اساس المفاهيم ، فهل الاتحاد الاشتراكي حزب ؟

في الواقع اننا لا يمكن أن نسميه حزبا مهما كان تكوينه ، لان الحزب هو عبارة عن تجمع لمجموعة من الافراد تمثل مصالح طبقة معينة ، وتعمل عن طريق السيطرة على السلطة الى تحقيق هذه المصالح .

وكما ذكر د. جمال العطيفي برغم اننا اخذنا التجربة اليوغوسلافية وطبقناها في مصر الا انها اتخذت أمام الجماهير شكل تحالف بين عناصر قوى الشعب العاملة الممثلة في العمال والفلاحين اساسا ، ثم المثقفين الثوريين والرأسمالية الوطنية والجنود .

وواضح ان الاتجاه لتسميته الاتحادالاشتراكي ينبع من أن فكره وتطويره واتجاهه العام هو التحول الاشتراكي ، وهذا يختلف عما ذكره السيد محمد شاهين من انه يمكن تسميته بأى تسمية مثل الاتحاد الشعبي ، لان كلمة الشعب كلمة أوسع والتحديد فيها أصعب ، لاننا اذا سميناه تبعا للاغلبيـة فسنجد انه يمثل مصالح غير المصالح الموجودة فعلا في الاتحاد الاشتراكي .

ولقد حدد الميثاق هذا الوضع ـ حقيقة انه كان يمثل مرحلة لكن نسبة للظروف فما زالت هذه المرحلة مستمرة ـ وان كان الاتجاه العام هو الوصول الى التحقيق الكامل للاشتراكية . ولضمان هذا التحقيق أخذ في الاعتبار بضرورة تمثيل العمال والفلاحين بنسبة نصف الاعضاء على الاقل في جميع المجالس الشعبية ،والغرض من هذا هو ضمان عدم انتكاس الاتجاه العام نحو الاشتراكية .

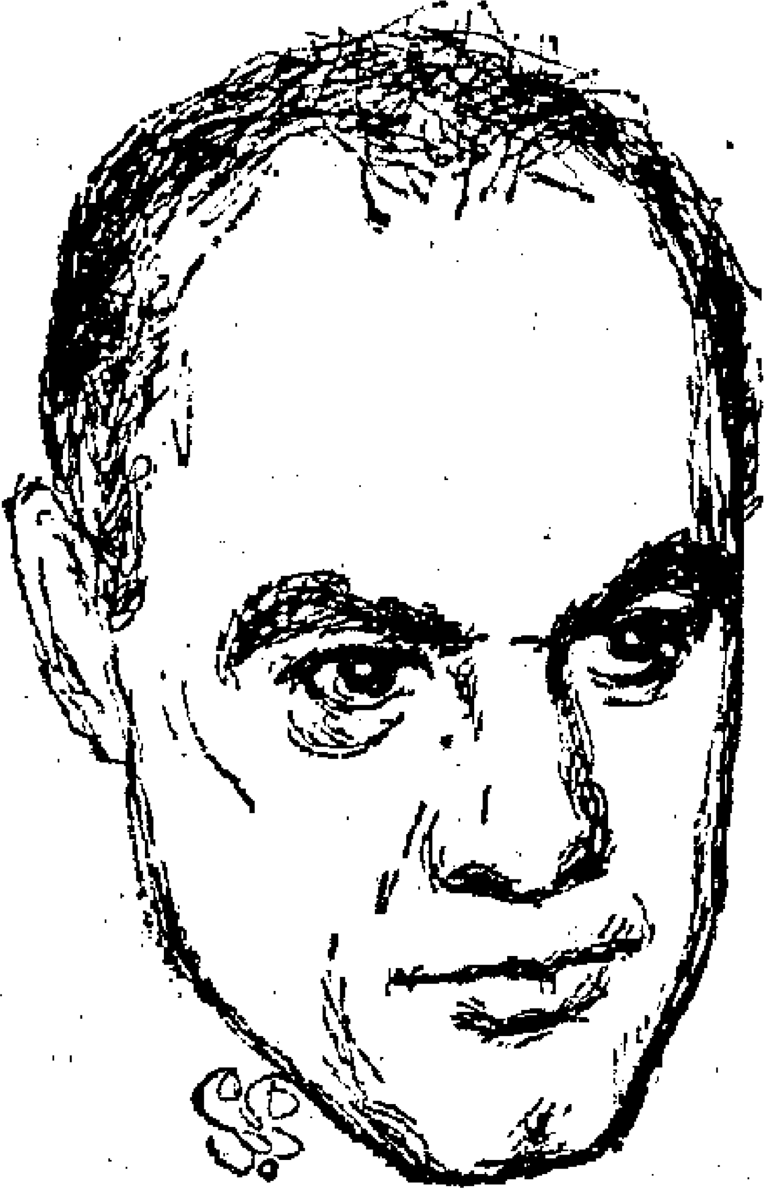
ولا يعني وجود الاتحاد الاشتراكي بهـذا الشكل أن يكون جهازا للسلطة ، فهو جهاز شعبي يعبر عن اتجاهات مختلفة ، ومثلما ذكر السيد د. جمال العطيفي ، ليس هناك اعتراض على وجود تناقضات بين الرأسمالية الوطنية والعمال والفلاحين ، لان الرأسمالية الوطنية تعتمد على تشغيل العمال ، أو تشغيل الفلاحين، وهناك تناقض واضح بين المالك والعامل ، وانما كل ما اتجه اليه الاتحاد الاشتراكي أو الميثاق هو اذابة هذه الفوارق عن طريق الجدل والحوار الذى بموجبهما نستطيع تسيير أمورنا بأقل قدر من الخسائر وتجنب المتاعب ، لاننا اذا دخلنا في تناقض طبقي بالمعنى العلمي ، ووصلنا به الى مراحله النهائية فلابد من تصفية طبقة ، وطبعا نهاية مثل هذا الوضع وما يؤول اليه المجتمع من جرائه معروفة سلفا .

لقد تكون الاتحاد الاشتراكي نتيجة تطور نستطيع أن نقول انه تم من أعلى ، مع الاستجابة الى المطالب من أسفل ، أو بمعنى آخر لم يكن نتيجة ثورة من أدنى تمثل مصالح طبقة معينة كالاحزاب الشيوعية مثلا ، وبالتالى من خلال الحوار يمكن الوصول الى ما نطلبه ، ففي مرحلة ما كالمرحلة التي نمر بها ، ربما كانت الاستجابة لمطالب الرأسمالية الوطنية أكبر ، رغبـة في تجميع القوى الوطنية ، وربما حقق لنا هـذا ، التقليل لاكبر قدر من التناقضات الموجودة مثلما هو متبع فعلا في سياستنا الخارجية حـاليا من محاولة تجميع الصف العربي ، ولو كنا نفكر فعلا على أساس متطرف لامكن أن نأخذ في هذا التفكير اتجاها آخر ، وهذا كله يتم لتحقيق أكبر قدر من الصالح العام للمجتمع في هـذه المرحلة ، وليست المسألة أن نصل الى هـذا الهدف في مدى خمس أو عشر سنين ، لكن المهم أن نصل الى الهدف بقدر أكبر من التفاهم وباعطاء كل فرد نصيبه الطبيعي والمنطقي .

فالمشكلة في الواقع هي مشكلة السلطة ، فلو تصورنا أن الاتحـاد الاشتراكي سـلطة ، فستكون النتيجة اننا سنواجه بازدواجية بين العمل التنفيذى الموجود في السلطة ، سـواء كان في شكل شركة بها مجلس ادارة يقوم على تنفيذ سياسة معينة ، أو في مركز الوزارة من ناحية أخرى، وهنا اذا أعطينا الاتحاد الاشتراكي سلطة ، فمعنى ذلك كما لمسناه فعلا من خلال التجربة وجود تنـاقضات ، فمندوبو العـاملين مثلا في التجمعات الجماهيرية يجبـون أى قرار

وهنا أيضا نجد أننا لا نغلب جانبا على الجانب الاخر ، فهم عليهم أن يضيفوا وهم فى السلطة، فالسلطة فى الواقع تمثل السياسة التى يضعها الاتحاد الاشتراكى — وهنا يمكن الا يكون هذا التناقض موجودا أساسا لسبب بسيط وهو ان رئيس الجمهورية يقترح رئيس الوزراء على اللجنة المركزية ، اذن فهذا الاقتراح تكون قد أخذت عليه موافقة اللجنة المركزية وبالتالى يكون من حق الاتحاد الاشتراكى أن يسحب هذه الثقة ، لكننا نعطى رئيس الوزراء الحق فى اختيار أعضاء الوزارة سواء نتفق على أن يعرض جميع هذه الاسماء على الاتحاد الاشتراكى ، أو نعطيه فرصة أكبر فى اختيار معاونيه ، ثم بعد ذلك نسائله ليس من خلال التفاصيل لكن من خلال اطار العمل العام ، الا اذا وجدنا أن بعض التفاصيل يمكن أن تؤثر فى الاطار العام وفى هذه الحالة يمكن مساءلته فيها ، فهذه العملية تتم سواء عن طريق الوحدات الصغيرة مثل الاطارات التى يمكن أن تثار أو اثيرت حول ادماج البنوك أو وجود مشكلة عمالية ما فى شبرا الخيمة .. الخ ، فيمكن اثارة مثل هذه المشكلة من هنا كما يمكن اثارتها عن الطريق التشريعى عن طريق مجلس الشعب ، أو عن طريق مجلس الامة الاتحادى اذا ما استدعى الامر ، فهناك أكثر من منبر لاثارة هذه المشكلة ، لكن لا يمكن أن يكون هناك غير جهاز واحد هو المسئول عن التنفيذ ، فاذا جعلنا الاتحاد الاشتراكى هو المسئول عن التنفيذ ، فكيف نحمله مسئولية العمل ؟ بالعكس فوجوده خارج العمل التنفيذى وتوجيهه لهذا العمل يعطيه من السلطات أكبر ما يمكن ، هذا بالاضافة لمسألة أخرى وهى ان طريقة تشكيل الاتحادالاشتراكى تختلف عن طريقة تشكيل المجالس التنفيذية ، فنحن لا نشترط فى مجلس الوزراء مثلا أن يتكون من [٥٠٪] من العمال والفلاحين ، والباقى تمثله المصالح الاخرى ، وفى نفس الوقت يمكن للاتحاد الاشتراكى أن يساهم فى العمل — وهذه المسألة موضع مناقشة — بأن يكون له تمثيله الجماهيرى والا حدث اختلال .

ففى الظروف الحالية مثلا — نجد أن مجالس الادارات تعمل دون مندوبى العاملين ، واعتقد ان هذا من سلطة الاتحاد الاشتراكى وليس من سلطة الاجهزة التنفيذية ، وهم موجودون فعلا، بالرغم من أن الاغلبية فى يد المجلس التنفيذى باعتبار أربعة منتخبين وأربعة معينين ورئيس من جانب المعينين ، لكن الجانب الاخر المفروض أن يقوم بعملية توازن يجب الا نتجاهله ولا يجوز أن يكون للسلطة التنفيذية رأى فى أبعاده ، لان معنى ذلك تغليب لرأى السلطة التنفيذية على سلطة الاتحاد الاشتراكى ، وهذه المشكلة تنبع



د. عبد الرازق حسن

من وجود نظرة واحدة للموضوع دون أخذالنظرة الاخرى فى الاعتبار خاصة فى المراحل الحالية، التى نريد فيها زيادة الانتاج وما يتطلبه من تضحيات من جماهير الشعب ، فحينما نجد أن البيروقراطية تزداد والمواقف الانعزالية تحيط بنا ، يكون لهم عذرهم لانهم غير ممثلين ، وليس معنى عدم وجود الاتحاد الاشتراكى فى السلطة الا نحاسب أعضاءه ، فالمفروض أن كلا منا فى وحدة ما من الوحدات ، بصرف النظر عن موقفه فى الجهاز التنفيذى سواء كان وزيرا أو عاملا، فالمفروض أن يلتزم بما يتخذه الاتحاد الاشتراكى من قرارات ، بمعنى اذا كان وزيرا وفى وحدة جماهيرية فليس معنى وجوده فى السلطة بوصفه وزيرا أن يعفى من التزامه بما تراه السلطة الجماهيرية ، فأنا لا أتصور أن يكون هناك تناقض بين الاتحاد الاشتراكى والسلطة التنفيذية ، لان المفروض أن السلطة التنفيذية هى جهاز للتنفيذ يختار بطريقة معينة ، فاذا حدث التناقض فالمفروض أن ترجع للاتحاد الاشتراكى باعتبار انه الجزءالاكثر تمثيلا للشعب والا فنحن نرتد لنوع ما من أنواع الغرض أو السلطة والسيطرة التى يصعب فى ظلها بعد ذلك مساءلة مجلس الوزراء .

اذن فهذه المساءلة تنبع أساسا من الاتحاد الاشتراكى ، أما التساؤلات التى تثار فىمجلس الشعب ، فهى من نوع آخر ، قد تكون فىطريقة التطبيق أو التشريع القانونى أو الدخول فى بعض التفاصيل التى تمس مسائل فى طبيعتها قد لا تهم .

فمثلا بالنسبة لمشكلة خاصة بمصالح القوى الداخلة فى نطاق الاتحاد الاشتراكى .. فهل تثار فى مجلس الشعب ؟ وبأى شكل ؟ هل فى شكل سؤال ، أو فى شكل تمشيها مع سياسة الوزارة من عدمه ؟ ... اعتقد انه لا يصح ،

لاى جهاز أن يسائل على أساس عملية تنظيمية أو يقترح على مجلس الوزراء تشريعات معينة ، انما الاتحاد الاشتراكى هو الذى يسائل فى مثل هذه العملية ، لانه هو الذى يمثل مصالح قوى الشعب العاملة ، وليس من الضرورى أن يكن الجهاز نفسه ممثلا لجميع هذه المصالح ، وبالتالى فليس هناك مشكلة اطلاقا ، فالاتحاد الاشتراكى بوضعه يستفيد من جميع الخبرات ومن جميع وجهات النظر ، ولا نستطيع أن نتصور كما يذكر السيد / محمد شاهين أن نجعله مثل [السنديكالية] وبمعنى آخر يضم كل من فى السلطة ، كالعمد والمشايخ ورؤساء مجالس ادارات الشركات ، ونكون بذلك قد دعمنا قوتهم مرة اخرى ، لكن ما النتيجة ؟ النتيجة هى خلق تناقضات ، لان كل هؤلاء يصلون الى مراكزهم لظروف معينة ليست هى الظروف الاساسية فى التمثيل للاتحاد الاشتراكى . فالمدير العام يجب أن تكون متوفرة فيه مؤهلات فنية معينة لكن ربما كان المؤهل السياسى فى حاجة الى شىء آخر غير متوافر فيه .

والاتحاد الاشتراكى لديه قوته ، ففى يده الصحافة أما اذا كانت الصحافة تضعف أمام الاتحاد الاشتراكى وتلعب دورا لحساب الحكومة ، لان الاعلانات تصلها عن طريق الشركات ، فكما حدث فى وقت ما أن نحو ٧٣٪ من حجم احدى الصحف كان عبارة عن اعلانات ودعاية لتشكيل وزارة ، ففى الواقع هذا اخلال بالعمل ، لاننا يجب أن نعطى الوزارة الفرصة لتعمل ثم نحاسبها ، أما اننا نثرى على حسابها فهذا خطأ .

أما المناقشة التى يجب أن تدور فهى عن طريق الصحافة .

فالجماهير تتساءل : ما معنى حرية الصحافة؟ معنى حرية الصحافة بهذا المفهوم أن تكون معبرة عن مصالح الجماهير المثلة فى تحالف قوى الشعب بلا استثناء سواء أكانت عمالا أم فلاحين أم رأسمالية أم خلافه ، واذا وجدنا ان الصحيفة ستزدحم ، فأعتقد أن التعبير عن آراء الناس أفضل من أن نشحن الصحف بصفحات الوفيات والاعلانات وخلافه ، وبعد ذلك نشكو من التناقضات ، ان بعض المشروعات يمكنها ان تخفى اخطاءها وانخفاض الانتاج عن طريق اجور اعلانات ، وبناء عليه تؤخذ حصيلة الاعلانات فى الحساب وتتهاون أو تسكت الجريدة عن كشف الاخطاء ، ليس هذا هو المفروض ، فالصحافة من أخطر الاجهزة الموجودة ان لم أكن اعتقد انها أخطر من مجلس الشعب ، فى المحاسبة ، فالوزارة أو المسئول يرد بسرعة اذا ما كشفت الصحافة خطأه . ان الصحافة لديها القدرة على اجراء تحقيقات ، ومقالات ... الخ .

يرتبط بهذا أيضا بعض الاجهزة التنفيذية التى تحتاج الى بعض الرقابة عليها ، وعلى سبيل المثال لا يمكنك أن تقوم بأى دراسة دون الرجوع الى الجهاز المركزى للتعداد والاحصاء ، ومن المفروض ان هذا الجهاز ييسر ما يلزم لذلك ، الا ان ما يحدث هو العكس اذ لا يمكنك أن تحصل على أى بيان من مكان ما الا بعد موافقة الوزير المختص ، واذا حصلت على البيان لا يمكنك أيضا أن تنشره الا اذا اتصلت بالجهاز المركزى ليوافق عليه ، وفى النهاية يصل بنا الامر اننا نأخذ البيانات من الجرائد الاجنبية وهذا عيب ، نحن نعيب على الصحف الفنية والعلمية انها تنحو نحو الدراسات الاكاديمية أو الدراسات الاجنبية ، ونتساءل أين الدراسات التى تجرى عن بلادنا وعن مشاكلنا ؟ هذه الدراسات ليست موجودة ، وما نريده مزيدا من الحرية ، والحرية تقتضى اعطاء الامكانيات للدراسة ، على سبيل المثال كانت لدينا فكرة أن تجرى دراسة عن مدى تأثير القوانين الاشتراكية على منطقة ما ... فكيف تتم هذه الدراسة دون تجميع بيانات عنها ؟

من الممكن جدا عند مناقشة الوضع العلمى يتضح أن هذه الدراسة بنيت على أساس خاطىء ، ولكن عندما نجد أن العملية ممنوعة منذ البداية فكيف تتم الدراسة ؟ ومن هنا فالصحافة كجهاز للاتحاد الاشتراكى من المفروض أن يكون لديها برنامج عمل لكى تدرس لنا فى جميع هذه المجالات ، وبهذه الطريقة يمكن أن نصل ، ومن هنا تكون سلطة الصحافة أو صاحبة الجلالة اكثر ايجابية ، فهى فى الواقع الممثلة الحقيقية للتحالف ، خاصة وان الجماهير عندما تصادفها مشكلة تلجأ الى الصحافة فهى اقرب اليها من مجلس الشعب ، فهذا هو أسهل طريق لهم ، ورئيس التحرير لديه مدير صحيفة فى كل منطقة يمكنه ان يخطره بكل شىء ، وبناء على ذلك فنحن لدينا فعلا أجهزتنا .

نخرج من هذا بأن الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا ولا يمكن أن يكون حزبا الا اذا نبع من تفكير مصلحة طبقة معينة ، وهذا الوضع غير قائم فى هذه المرحلة ، وهو ليس جهاز سلطة تنفيذية ، وانما هو عبارة عن جهاز شعبى لتوجيه السلطة نحو المصلحة الحقيقية ، وتأكيدا لهذا يمكن أن ننشىء مدارس معينة وكليات معينة لتخريج الاشخاص الفنيين الذين يسيرون مصالحنا ، وليس معنى هذا اننا بعد أن نخرج مهندسا نوجهه للعمل بطريقة معينة نمليها عليه ،

وتكون النتيجة اننا لم نصل وليست هناك فائدة من هذا المهندس ، الطريقة هى ان اضع له الاطار العام وفى النهاية أنا صاحب السلطة عن طريق المال أو خلافه .

كيف نحل مشاكلنا فى المرحلة الحالية ؟ أن التناقض موجود لان صورة الاتحاد الاشتراكى ليست واضحة ، وبعض الموجودين فى الاتحاد الاشتراكى يريدون أن يستمدوا السلطة وبعض الموجودين فى السلطة يقولون أن الاتحاد الاشتراكى يريد ذلك ، وبناء عليه يتهرب من المسئولية الملقاة عليه .

● **لطفى الخولى**

الحقيقة ان المشكلة فى المناقشة اليوم والمشكلة فى رؤية الاتحاد الاشتراكى ترجع الى ان كلا منا لهتجربة ذاتية خاصة أو جزئية سواء على مستواه الفردى أو على مستوى وحدته أو على مستوى محافظته أو فى تجربة معينة ، والخطأ هو فى تعميم هذه التجربة الذاتية ، أو الاقليمية واعتبارها الظاهرة التى تحكم الاتحاد الاشتراكى ، لكن المهم فى العمل السياسى بصفة مستمرة هو تجميع كل هذه النظريات الجزئية أو التجارب الجزئية ، ودراستها ومقارنتها بعضها ببعض فى الظرف الحالى للخروج بخط عام أو بظاهرة عامة فى هذا الامر . وعلى هذا الاساس اعتقد اننا اذا استطعنا أن نواجه القضية المطروحة فى ورقة العمل المحددة المعروضة علينا بمنهجين علميين أساسيين فاننا نكون على الطريق الصحيح ، المنهج الاول هو محاولة تقييم التجربة المحلية للاتحادالاشتراكى خلال احد عشر عاما والظروف والتطورات التى مر بها ، والتحليل أو التقييم يستدعى ليس فقط رؤية السلبيات وانما أيضا رؤية الايجابيات ، والمنهج الثانى هو أنه من حصيلة مانخرج به من تحليل التجربة المحلية للاتحاد الاشتراكى فى اطار ما يمكن أن يسمى بالمنهج التاريخى العالمى الخاص بتكوين التنظيمات السياسية والخبرة الانسانية الشاملة والتى أصبحت تراثا انسانيا من حقنا أن نستفيد به ، واذا لم نستفد به كنا كمن يغلق على نفسه الابواب ويتصور انه يستطيع أن يفعل كل شىء بنفسه .

على هذا الاساس سأعرض لمنهج التجربة المحلية من الناحية الكلية ، ماذا بدأنا فى رؤية ذلك فماذا نستطيع أن نجد ؟

نستطيع أن نجد أن هناك انجازات ضخمة واساسية وايجابية للتجربة المصرية ، على الرغم من كل السلبيات التى واكبتها . فالتجربة المصرية مثلا فى سنة ١٩٥٢ هى أول ثورة حقيقية وطنية تقدمية فيما بعد الحرب العالمية



لطفى الخولى

الثانية ، بمعنى انها تخطت الاطار التقليدى لمحاولة الحصول على الاستقلال السياسى الى ضرورة الحصول على الاستقلال السياسى والاقتصادى ومن هنا كان صراعها معالاستعمار والاستغلال فى نفس الوقت .

النقطة الثانية انها اول ثورة أيضا استخدمت أسلوب الانقلاب العسكرى فى أحداث ثورة دون أن تقع فى مهاوى الحكم العسكرى ، ومن هنا برز للوجود لاول مرة قضية كيف يمكن أن تؤدى الجيوش الوطنية دورا هاما فى تفجير الثورات الوطنية ، واصبح ذلك بالتالى أحد السمات الرئيسية لما يحدث الان فى معظم بلاد التحرر الوطنى .

النقطة الثالثة والايجابية هو انه بمقارنة جميع تجارب الثورات الوطنية التى حدثت فيما بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، والتى يشبهها السوفيت فيقولون : ان ثورة سنة ١٩٥٢ فى مصر بالنسبة للمعركة الوطنية فىالعالم كله تشبه ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ فيما يتعلق بالبلدان الاشتراكية ، هذه الثورة قد أعطت بغض النظر عما نراه من سلبيات أفضل وأوثق تجربة — نسبيا — فى التطوير الزراعى والصناعى وبالتالى فى مجمل الانتاج فى الواقع الوطنى .

النقطة الرابعة والمهمة هى ما اتسمت به هذه التجربة مناستقرار نسبى للسلطة الوطنية لم تحظ عدد من بلدان التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية فلم تشهده تلك الانقلابات العسكرية المتكررة بل وفى بعض البلاد العربية كسوريا والعراق .. الخ .

وفى رأيى أن هذه هى الارضية الايجابية التى يجب فى ضوئها أن ترى السلبيات فى التجربة المصرية . **وأهم سلبية حقيقية هى عجز هذه التجربة عن اقامة تنظيم سياسى بنفس المستوى من النجاح الذى حققته فى**

المجالات الاخرى ، وفى تقديرى ان النقطة الاساسية فى هذا الامر هو انه مع الانجازات المستمرة التى تمت اصبح يتضاءل يوما بعد يوم دور التعبئة أو حرص السلطة الوطنية أو القيادة الوطنية على تعبئة القوى الشعبية مستفيدة فى ذلك برصيدها الوطنى الضخم وبالانجازات التى تمت الى ان وصلنا الى هذه الحالة التى عليها الاتحاد الاشتراكى .

النقطة الثانية فى السلبيات ، هى أن الاتحاد الاشتراكى لم يكن منذ ولادته حتى الان يمثل تحالف قوى الشعب العاملة فعلا ، ولم يكن جبهة ولم يكن اتحاد قوى ، بل فى الحقيقة كان حزبا يمثل تيارا محددا هو ما **يمكن أن نسميه بالرأسمالية البيروقراطية أو بالقوى البيروقراطية** وأصبح بالتالى يعكس اتجاهات ومصالح هذه القوى البيروقراطية التى عششت فى بعض مراكز السلطة بغض النظر عما لها من ايجابيات ومن سلبيات ومن وجهات نظر .. الخ ، لكن النتيجة أن الاتحاد الاشتراكى فى حقيقته كان تعبيرا عن مصالح هذه القوى بقاعدة عريضة صامتة ، قاعدة مشلولة جامدة لا تتحرك ، وعلقنا لافتة الاتحاد الاشتراكى ، لكن كان تحت هذه اللافتة يوجد حزب لهذه القوى البيروقراطية ، ونتيجة لغياب قوى التحالف الحقيقية ، راحت القوى البيروقراطية يوما بعد يوم تستخدم فى العمل السياسى الاجراءات البوليسية ، وتحول التنظيم السياسى فى كثير من الحالات الى أن أصبح شرطة سياسية مهمته تقديم التقارير عن الناس ، وتقدير التقارير عن المناوئين .. الخ . وفتح الباب واسعا لدخول عناصر الانتهازية حتى أعماق الاتحاد الاشتراكى .

لا يعنى ذلك أن الاتحاد الاشتراكى لم يقم أيضا بايجابيات ، فبالتأكيد قد أشاع مناخا من العمل السياسى غير المنظم نتيجة للشخصية التاريخية والدور التاريخى للفرد ، وهذا معترف به فى الفكر الاشتراكى ، أقصد .. لدور عبد الناصر الشخصى ، فقد اعتمد عبد الناصر أساسا على الجماهير الشعبية أو جماهير الشارع المؤمنة والواثقة فى قيادته ولكن غير المنظمة ، ونتيجة لهذا لم يكن هناك وضوح أو جهد يبذل من أجل تنظيم هذه الجماهير لتغدو بالفعل صاحبة السلطة .. وهنا تكمن قضية القضايا .

هذه القضية أصبحت مطروحة أساسيا بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، ووضح تماما انه لو كان لدينا بالفعل جبهة أو تحالف أو تنظيم حقيقى ، لكان من الممكن أن تتغير جذريا صورة سنة ١٩٦٧ ، هذا هو خطوط المنهج الاول .

● **السكرتير الاول**

لقد ذكرت سيادتك انه لو كان هناك تنظيم حقيقى لكان من الممكن تغيير الصورة .. ارجو ان توضح لنا هذه النقطة .

● **لطفى الخولى**

ماذا حدث .. أرجو أن نتكلم بمنتهى الصراحة والوضوح — اذكر انه قد وزعت علينا نشرة سرية من التنظيم الطليعى بأننا فى انتظار أن تقوم اسرائيل بأى هجوم ، لكى نلقنها درس العمر ولدينا من الامكانيات والقدرات التى نستطيع بها ان نضرب اسرائيل ، ومازلت محتفظا بهذه النشرة للتاريخ ، ولا اعلم اذا كان زملائى يذكرون هذا أم لا ؟

ولكن ماذا حدث — لقد حاولنا مناقشة هذا الامر ، فقيل ان هذه مسائل سرية ، حاولنا أن نقوم بنوع من التعبئة الشعبية لتنظيم امكانياتها للحرب ، والاستعداد لامكان أن تحدث خسائر ، وبالتالى لابد من عملية تعبئة للجماهير واعداد الامكانيات لمواجهة الخسائر التى ستتم ، وبالتالى مشاركة الجماهير والشعب فى هذه العملية ، فلم يحدث لان الشعب ظل فى موقف المتفرج منتظرا انه سيدخل اسرائيل خلال ثمانى ساعات ، وبناء على هذا كله عبئت نفسيات الجماهير الشعبية ، بكل وسائل الاعلام وكل هذه الاجهزة تسممت بهذه الفكرة الساذجة الضيقة الافق ، ومن هنا فوجئنا بالهزيمة المروعة واصبح هناك انكماش ، واعتقد أن مثل هذا الانكماش مازلنا نعانى منه وهو أساس من أسس عدم الثقة الذى نعانى منه حتى الان ، أيضا لم يحدث اطلاقا ارتباط — وهذه نقطة يجب أن يأخذها الاتحاد الاشتراكى بعين الاعتبار فى وضعه الجديد — بين افراد القوات المسلحة وبين الفكر والاهداف التى يسعى من اجلها التنظيم السياسى فى ظل هذا الوضع ماذا تكون النتيجة ؟ فى الحقيقة انفصال تام بين القوى المقاتلة وبين جماهير شعبها ، وهذه نقطة اساسية فى هذا الموضوع ، فى غياب هذا كله ماذا يحدث ؟ الذى يحدث ان المعايير الذاتية ، والمعايير الشخصية تسود .. الاستلطاف وعدم الاستلطاف كلها معايير من الممكن أن تؤخذ فى الاعتبار لاننا لا نزال نعتبر ان المناقشة ليست اقناع واقتناع ، بل مباراة فيها هازم ومهزوم ، فاذا هزمت وجهة نظرى غضبت فى حين انه ينبغى ان أرضى لانى استفدت بعد أن وصلت للحقيقة ، والموضوع هنا هو اننا نأخذ المناقشة كنوع من الملاكمة أو نوع من المصارعة ، وليست كنوع من الاخذ والرد

والاستفادة المتبادلة والتعلم بتواضع من بعضنا البعض ، كانت النتيجة أمام هذا كله فعلا أن كف الفكر المصري والمبادرات المصرية التي عرف بها الشعب المصري طوال تاريخه من الابداع وعن المشاركة ، واصبحنا نجد الصورة .. الجماهير منتظرة في المقاهي وعلى سماعات الراديو اننا سندخل اسرائيل ، وبالتالي ردد بعض الناس قصة تقول ان الاسطول السادس يمكن أن يتدخل وكان ردهم « دعوا الاسطول السادس يدخل وبعد ذلك سترون ماذا نفعل له ، انها استهانة ، فما نتيجة هذا ؟

نتيجة هذا أن الاتحاد الاشتراكي في الحقيقة وهذا مشار اليه في ورقة العمل وهذا مهم جدا اتجه الى الاسلوب المكتبي البيروقراطي وفي تقديري أن هذه نقطة مهمة ، بأننا نغلق الباب على الناس ونمنعها من أن تستخدم عقولها ، وهي اثمن ما اعطته الطبيعة للانسان من قدرة على المشاركة به ، بالاضافة الى أنه ينتهي الى أوامر محددة تصدر من أعلى ولا توضع موضع المناقشة أو التقدير نتيجة الظروف المختلفة الموجودة فيه .. اذا وضعنا نتائج كل هذا في اطار المنهج التاريخي العلمي للتنظيم السياسي فماذا نجد ؟ نجد انه أخذا في الاعتبار أن الفرد وحده مهما كانت قدراته وامكانياته وكفاءاته لا يستطيع في ظروف العالم المعقدة الا أن يطور المجتمع ، ولابد أن يتجمع عدد من الناس حول افكار محددة واهداف محددة من اجل تحقيق هذا ، وذلك من بدء البشرية حتى الان ، وظلت هذه الفكرة تتطور الى ان اصبحت ما يسمى بالاحزاب في العالم الغربي ، أو في العالم الليبرالي أو في العالم الديمقراطي .. الخ ، وسموها في الواقع نوادي المناقشة ، لقد ذهبنا الى حزب المحافظين في انجلترا وفوجئنا بأن هذا الحزب ليس له تنظيم ، ليس له الا مكتب دراسات ومجموعات من بعض الاشخاص المرتبطين بعضهم ببعض ، وحزب العمال مختلف ويحاول أن ينشىء تنظيما .

متى بدأت فكرة ما يسمى بالتنظيمات الثورية ؟ لقد بدأت هذه الفكرة مع الاتجاهات الاشتراكية ، ومن هنا تكونت بعض قواعد معينة للتنظيم اصبحت معترفا بها ليس فقط في البلاد الاشتراكية ، بل في البلاد الغربية والرأسمالية فنجد تنظيم حزب العمال في بريطانيا والحزب الاشتراكي في ايطاليا والحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا ، بل ان حزب بورقيبة وهو من أهم الاحزاب العربية من ناحية التنظيم نجح حتى الان في تنظيم الحركة الشعبية في تونس نتيجة التنظيم العلمي الحقيقي .

النقطة الثالثة : انه اذا لم تكن هناك طبقة واحدةقادرة وحدها على قيادة المجتمع ، وبالتالي على تكوين حزبها والاستمرار في تطوير المجتمع قائدة للجماهير الشعبية كلها، هنا يصبح موضوع اقامة تنظيم يضم الطبقات الاخرى مع بعضها البعض أى الجبهة ، أو ما نسميه باتحاد القوى ضرورة واقعية ، وليس مجرد تصور الى أن هذا يصلح أو لا يصلح . في مصر الان وفي جميع البلاد العربية نجد ظاهرة أنه لا توجد طبقة واحدة ، نتيجة لدرجة النمو الاقتصادي والسياسي والفكري والاجتماعي ، قادرة وحدها على أن تقود المجتمع نحو المتطلبات الاساسية لهذا المجتمع ، من رفع مستوى المعيشة والتطوير الصناعي ، حتى في الاطار الرأسمالي وليس في الاطار الاشتراكي . من هنا يفرض علينا الواقع قضية الجبهة أو قضية التحالف الوطني أو قضية صياغته في الاتحاد الاشتراكي .

ان الاتحاد الاشتراكي ليس هو التحالف ، هو الصياغة السياسية الهادفة لهذه الطبقات التي يجب ان تسير بالعملية والتطوير بما يحقق اهداف التحالف الوطني التقدمي .

النقطة الرابعة : هي كيف يتم التنظيم — عادة — سواء كان جبهة أو حلفا وهذه النقطة اشار اليها الاخ جمال العطيفي في التجربة اليوغوسلافية ، هذا يتم اساسا من موقع المعارضة للنظام القائم ، اى من موقع هدم النظام القائم من اجل الوصول الى نظام افضل، ومن هنا توجد معايير موضوعية اساسية لاختيار العناصر النضالية التي يمكن ان تلتحق بهذا الحزب او التنظيم من اجل الكفاح ضد النظام المستغل القائم ، ومن هنا العضو لا يقدم اشتراكا فقط ولكنه يقدم حياته ، ويقدم مستقبله وبالتالي تكون لديه الحيوية والحرارة والارتباط والاندماج في هذا الحزب أو التنظيم .

ما حدث انه منذ سنة ١٩٥٢ بدأت التجارب الوطنية الجديدة والسلطات الوطنية الجديدة التي ظهرت تواجه مشكلة جديدة في العالم كله ، هذه المشكلة هي مشكلة ، كيف يمكن بعد أن وصلت طلائع السلطة الوطنية الى الحكم أن تكون تنظيمها السياسي من مواقع السلطة ، وبطبيعة الحال مادامت هي في السلطة ، وما دامت هي التي تحكم فليس هناك بالتالي معيار تستطيع أن تحكم به على أمانة أو جدية صلابة من يطلب الانضمام الى تنظيمها السياسي ،وهذه صعوبة ضخمة ، وهي احدى الصعوبات الاساسية في الاتحاد الاشتراكي والتي عبرت عنها ورقة العمل بقولها « طغيان النواحي الشخصية أو تسلل الكثير من العناصر الانتهازية

والرجعية الى صفوف التنظيم ومراكز القيـادة وتسخيرها لامكانيات التنظيم .. الخ . »

النقطة الخامسة : هى القضية المثارة حول السلطة — لماذا يتكون التنظيم ؟ يتكون التنظيم اما فى المعارضة من أجل اسقاط الحكم القـائم والاستيلاء على السلطة . لمـاذا يوجد التنظيم بعد الاستيلاء على السلطة ؟ لممارسة السلطة.

نحن هنا نواجه تعبير السلطة كتعبير لغوى يعنى السيطرة والاستبداد ، وليس كتعبير سياسى يهدف الى ترجمة اهداف التنظيم ترجمة عملية بعد أن يقنع بها الجمـاهير ، التنظيم الذى لا يمارس السلطة تنظيم فاقد لمبرر وجوده ، من هنا تصبح القضية هى فى ماهية السلطة المطلوبة؟ وكيف يمكن أن تمارس ؟ السلطة — فى تقديرى — هى أن يصبح التنظيم السياسى مصدر القرار الاساسى لتوجيه المجتمع بجميع اجهزته من حكومة وبرلمان ونقابات ومؤسسات ومحافظات ..الخ وذلك من حول خط معين ،ومن الذى يقرر هذا الخط ؟ يقرره التنظيم السياسى من خلال بلورته الديمقراطية لارادة الشعب ، ثم يتابع التنظيم السياسى باجهزة معروفة تماما فى كل تنظيم سياسى لمتابعة امكانيات هذا التنفيذ — هل هذه السلطة تمـارس بنفسها اعمـالا تنفيـذية ؟ انها لا تمارس عملا تنفيذيا . وانما هى تحـدد الخط الذى على المسئول التنفيذى أن يمارسه ، ثم بعد ذلك يواجه المسئول التنفيذى بنوعين من الحساب ، نوع دستورى أمام البرلمان او مجلس الامة ، ونوع سياسى تجاه التنظيم السياسى ، بمعنى أن البرلمان يستطيع دستوريا أن يحاسب الوزير أو الحكومة على أسـاس انها اتخـذت قوانين مخالفة للدستور ، أو أن أحد أعضائها غير كفء فنيا ، لاتخاذه اجراءات متضاربة مثلا أو غير مدروسة ، كل هـذا من حق البرلمـان وللمجلس الشعبى أن يحاسب هـذا الحساب الدسـتورى ، وهو الحساب الـذى يدخل فى ميكانيكية وفنية عمل الوزير التنفيذى أو المسئول التنفيذى ، لـكن الاتحاد الاشتراكى أو التنظيم السياسى عندما يحاسب الوزير يحاسبه محاسبة سياسية ، بمعنى أن يقول له انه فى خطته التى عرضها على الوزارة أو قام بتنفيذها خرج عن الخط السياسى أو عن البرنامج المقرر أو عن الاهداف الموضحة ، أو انه حاول فى وزارته أو فى العمل المسئول عنه أن يمنع العمل السياسى أو يثير فى جوانبه عراقيل ، وهذه المحاسبة لابد أن تؤدى الى نوع من العقـاب ، بمعنى أن الحساب الدستورى قد يجعل الوزير يفقد منصبه لكنه اذا لم يحاسب سياسيا يظل عضوا فى الاتحاد الاشتراكى سواء أكان فى مركز قيادى أو غيره .

لكن المحاسبة السياسية للوزير تعنى بالضرورة اسقاطه من الوزارة أو تعديل الوزارة باعتباره خارج عن الخط وكذلك فقدانه لعضويته بالتنظيم أو اتخاذ اى اجراء تنظيمى آخر أخف .

النقطة السادسة : اننا لا يجب — فى رأيى — أن نخاف من تعبير السلطة بالمعنى السياسى ، لكن القضية هى **قضية التنسـيق بين الاجهزة المختلفة التى يجب أن تقوم بهـذا العمل** ، على سبيل المثال مستشفى من المستشفيات ، مايحدث عادة أن يكون هناك قسم للرمد وقسم للصدر وقسم للجراحة الباطنية ... الخ ، لكن هناك ادارة فى النهاية لها خطة هى التى تحكم وهى التى توفر المتطلبات وتحدد كيفية النظام داخل العمل ، لكن لايمكن أن نكلف أحد أطباء العيون بأن يقوم بعمل جراحة للزائدة الدودية ، أو أن يعالج باطنيا ، هذا ليس ممكنا . وبالتالى تحديد طبيعة عمل جميع هذه الاجهزة مهم جدا ، كيف نحدد ذلك ؟ نحدده بايجاد برنامج محدد ، ونحن نخلط أحيانا بين برنامج الحزب أو التنظيم وبين فكر الحزب أو التنظيم ، طالما اننا اخترنا اسلوب التحالف أو الجبهة فلا يوجد فكر واحد سائد غير فكرة واحدة ، هى أن هذه الطبقات التى تحالفت فيما بينها قررت أن تتعايش سلميا وتعمل معـا من أجل تحقيق أهداف محددة مشـتركة بين الجميع ، وأسلوب تحقيق هذا والمدى الـذى يجب أن نصل اليه لابد أن يطرح للنقاش العام داخل هذا الاتحاد ، وما يتم عليه اتفاق الاغلبية يصبح قرار التنظيم السياسى فى هذا الغرض .

نقطة أخرى : يجب تحديد ماهية الطبقـات القائمة حقيقة فى الاتحاد الاشتراكى ، نحن درجنا على القول بأنها خمس طبقات ، وهذا يؤدى بنا الى النقطة التى ذكرها أحد الزملاء عن المثقفين ... الواقع اننا من ناحية الواقع **ثلاث طبقات فقط ولسنا خمس طبقات ، طبقـة الرأسمالية الوطنية ، طبقة العمال ، طبقة الفلاحين** ، أما المثقفون والجنود فليسوا طبقات على الاطلاق وانما هم فئات خاصة نتيجة عملهم المشترك ذى الطبيعـة الخاصـة أصبحوا يكونون فى المجتمع وحدة ذات وزن خاص تؤثر فى المجتمع ، ومن هنا فى الجيش تنعكس الطبقات الثلاث ولا يكون طبقة واحدة ، اذا أصبح طبقة فهذا يكون خطرا شـديدا جدا ، كذلك فان المثقفين ينعكس فيهم تفكير ومصالح واتجاهات هذه الطبقات الثلاث ، واذا كونوا طبقة يكون ذلك فى منتهى الخطورة على قضية التحالف .

ومن هنا علينا أن نحـــدد داخل التحالف منابر سياسية ــ فـكرية واضحة محددة لهذه الطبقات الثلاث ولا نضيق بهــا . وأن المجلة الداخلية أو المنبر الداخلى للاتحاد الاشــتراكى يجب أن يعكس فى حوار مستمر فكر جميع هذه الطبقات دون أى حساسية .. وبطبيعة الحال هذا ينعكس على المثقفين .

النقطة الثانية ، هى أن هناك حدا أدنى من المعرفة الانسانية العامة المشــتركة فى ظروف عصرنا لانستطيع أن نقول أنه بتوافرها لــدى انسان العصر أنه أصبح اشتراكيا أو راسماليا ولكن فقط أصبح علميا وابنا للعصر ، لاأستطيع مثلا أن اقول أن هذا [الـسكوب] اشتراكى أو راسمالى . ان المعرفة الانسانية المشتركة تعلن أن السكوب هو انساء للشرب . ومن الممكن أن استخدمه فى نظام رأسمالى كما استخدمه فى نظام اشتراكى ، وانما المهم هو طريقة الاستخدام ومن هنا تأتى أهمية الاوعية التنظيمية والتسلسل التنظيمى واحترام لائحـــة التنظيم . هــــذه هى المعرفة العلمية للتنظيم يجب أن يتم فعلا على الاسلوب العلمى داخل الاتحاد الاشتراكى دون أى حساسيات ، ومن هنا فانى أختلف مع الزميل جمال العطيفى عندما قال أن المركزية الديمقراطية لاتصلح فى الاتحاد باعتبار أنها أساليب الحزب .. لا انى اقول أنها من الممكن أن تصلح ليس بمعنى استخدام حزبى وانما بمعنى استخدام تحالفى ، أى أنه لابد أن يكون هناك مركز ، يقرر ولا يرجع باستمرار فى كل صغيرة وكبيرة الى تحت ، بالاضافة الى وجود قاعدة ديموقراطية تحكم كل التنظيم ، تنــاقش من ارضية القواعد باستمرار هذا العمل ، وبالتالى يمكن استخدام المركزية الديموقراطية هنا أو هناك .

هناك نقطة أخرى أثيرت خلال العمل ، وهو أننا نتحدث كما لو كنا نريد دائما نظاما مؤبدا ، وهــذا وضع غريب أن ننظر باســتمرار الى العمل السياسى بأنه عمل دائم بهذه الصورة ، بهذه الكيفية ، وبهذا الوضع الى أبد الابدين ، هذا غير ممكن ، لم يحدث فى أى تنظيم فى العالم واذا أخذنا الحزب الشيوعى السوفيتى نجــد أنه غير من برنامجه ومن لائحته مرتين أو ثلاث مرات أيضا حزب العمال البريطانى غير من برنامجه ومن لائحته مرات ، ماالذى يجعله يغير ؟ الذى يجعله يغير هو ماتطرحه الحياة من قضايا ومسائل جديدة باستمرار لم يكن يتصورها ولم تكن قائمة عندما أقام الحزب .

متطلبات الحياة العصرية والاجتماعية متجددة ودائمة التجدد ، ولابد أن نواجهها والا نتخلف عنها ، وما أن نتصور أننا نقيم نظاما أبديا فهذا غير ممكن ، وبالتالى لابد أن نحدد ــ كما حدد الميثاق فعلا ــ مرحلة معينة ، هـــذه المرحلة يصلح لها هذا الاسلوب المعين من التنظيم ، وهذه الاهداف المعينة التى يجب أن يحققهـــا التنظيم ففكرة الابدية والاستمرارية دون تعديل ، دون مواكبة للحياة هى فكرة خطيرة وسوف تجمدنا تجميدا كاملا ، واننى أعتقد ــ ولعل هذا هو الاساس ــ فى أن تكوين لجنة العمل وتكوين اللجان الاستشارية ــ وهو الموضوع الذى أثاره الاستاذ أبو وافية ــ بحيث انها لاتقف فقط عند حد الحوار مع النفس ، ولا يصبح حوارا مغلقا داخل أعضاء التنظيم .

وأعتقد أنها فكرة مهمة وأساسية لدرجة انه فى بعض الاحزاب الثورية الان تكون الجلسات علنية للجماهير ، الحزب الشيوعى الايطالى ، وأيضا الاشتراكى يسمح لجمهور المنطقة أن يحضر اجتماعات حزبه ، يشارك ولكن لا يصوت على ما يقال ، فالحوار مع النفس هو حــوار ضيق باستمرار ، أما الحوار مــع الغير فهو يغنى .

فما أريد ان أخرج به الان هو اقتراح الاتى :

(١) أن نعترف بالواقع القائم . اننا أمام ثلاث طبقات محددة وفئتين متميزتين لهما وزنهما الخاص فى المجتمع ، وبالتالى لابد أن يتمثل داخل الاتحاد الاشتراكى بصياغة واقعية ، ومن الممكن أن نخصص جلسة خاصة لهذا النقاش ، بحيث يكون هناك منبر داخل الاتحاد الاشتراكى لــكل من هذه الطبقات .

(٢) يجب أن تعالج بمزيد من الجدية والعمق والتحليل قضايا المثقفين وقضية ارتباط الجيش بالتنظيم السياسى دون أن يخل ذلك بالانضباط والطبيعة الخاصة بالجيش وأسراره العسكرية .

(٣) أن يمارس العمل السياسى ، لا بطريق الانطباعات الذاتية والتجارب الجزئية ، انما بطريق تجميع جميع الخبرات وتحليلها على أساس علمى وصولا الى القانون العام الذى يحكم هذه المسيرة فى ظروفنا التاريخية المحددة المعاصرة .

(٤) لابد من وجود جهاز رقابة ومتابعة على مستوى المجتمع ككل لقرارات وخطوط التنظيم ، أما أن يتم بطريقة مشتركة مع السلطة التنفيذية باعتبار انها هى التى تقوم بتنفيذ هذه الاجراءات ، أو كما يرى

فى بعض التنظيمات الاخرى بأن ينشأ جهاز رقابة يتطوع له من أعضاء التنظيم السياسى ومن أعضاء على مستوى فنى وخبرات من الجهاز التنفيذى تحت اشراف التنظيم السياسى وذلك لرقابة القطاع العام والتعاونيات ... الخ ، مع وجود مراكز علمية سياسية معينة تقوم بدراسات حقيقية .

(٥) عمل دليل سياسى تنظيمى للاتحاد الاشتراكى ، وهذا الدليل السياسى معناه تحديد كامل ودقيق لما نريد أن نحققه فى مدى خمس السنوات القادمة من حياة التنظيم مثلا ، وهذا يستدعى دراسة وخبرة واستشراف لما يأتى فى المستقبل ، مثل قضية الاحتلال وما فيها من تناقضات معينة ، والقضايا الاجتماعية والاقتصادية المهمة الاخرى . وكذلك تحديد تنظيمى يحدد كيف يمكن أن يبنى داخل الاتحاد الاشتراكى — بجانب التنظيم الافقى والاقليمى والجماهيرى — مراكز الخدمات السياسية والفنية والتنظيمية للتنظم ككل .

وفى تصورى انها ثلاثة مراكز رئيسية هى :

— مسئولية الفكر والاعلام والدعاية .

— مسئولية اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية .

— مسئولية التنظيم ، وتدخل معها قضية الرقابة .

● **محمود أبو وافية**

لى استيضاح فى نقطة واحدة وردت على لسان الزميل لطفى الخولى وهو يستعرض تاريخ الاتحاد الاشتراكى عبارة « كف الفكر المصرى عن الابداع » ماذا يقصد بها ؟ .

● **لطفى الخولى**

ردا على زميلى فانى أريد أن أتكلم بصراحة ، ماحدث أن أعدادا غير قليلة من مثقفينا وخبرائنا الفنيين والعقول المصرية جمد نشاطها نتيجة الظروف غير الديمقراطية وحرية البحث العلمى ، وفى تقديرى لماذا لم يتكرر نموذج الدكتور مشرفة العالم الضخم العظيم الذى كان قريبا فى مستواه للعالم آنشتين ، فى مصر . لماذا ... ؟ لانه لم يتهيأ المناخ ، سواء من الناحية المادية أو الحرية الفكرية . وفى العلم لابد أن نسمح للفكر والعقل أن يتعرض لكل ماقد يكون فى صورة مقدسة أو مسلمات كامنة ، سواء أخذنا به أو لم نأخذ ، ولكى يغنينا ويفتح مجالات أرحب باستمرار .

من ناحية أخرى أن الجانب الادارى البيروقراطى فى التجربة المصرية وهو أحد السلبيات تغلب بصورة ملحوظة على الجانب الفنى والعلمى ومن هنا تحول اعداد كبيرة من المثقفين والمفكرين ، نتيجة هذا الوضع الذى استمر طويلا — وآسف أن اقول هذا الكلام — تحولوا الى مايشبه الترزية ، يفصلون مايريده المسئول فى الجهاز ، وما تريده السلطة أو الحكومة . فالترزى على استعداد لان يفصل المطلوب .. أيا كان رأيه فى هذا المطلوب وقناعته به .

أما انه يبدع ويعطى تفصيلة جديدة أو يناقش قضايا أساسية من وجهات نظر أخرى .. فهذا مفتقد فى حياتنا الى حد كبير . وهو مايجب أن نتصدى له بالعلاج الجذرى .

● **سعيد خيال**

هناك أزمة فى الاتحاد الاشتراكى وهذه ليست أول مرة انما ذلك تكرر ، فقد مرت به أزمات من قبل ، والازمة التى يصادفها الاتحاد الاشتراكى ليست كتنظيم ، **ولكنها أزمة العمل السياسى والعمل الثقافى والفكرى ، أى انها أزمة المجتمع المصرى** ، ففى تطوره يتخطى مراحل ويطرح مشاكل ولا يجد التعبير ، أو لا يجد القيادة ، أو تهتز الثقة ، وعندما تأتى الازمة يقول الاتحاد الاشتراكى اننى ابحث عن ذاتى مرة أخرى .

جاءت الازمة وجرت أحداث ٣٠ مارس ، وكانت هناك أزمات أخرى حدثت فى الطريق فى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ وهكذا .. ونحن الان فى أزمة ، لكن رغم ذلك فى هذه المرة يشعر الانسان بالثقة وبالامل لان ورقة العمل تناولت طريقة التفكير فى المشكلة بأسلوب صريح يعطى الانسان ثقة وأمل فى انه لو خلصت النوايا وكان الاحساس حقيقيا ، فيمكن لنا أن نصل الى حل .

اننى لا أرى أن الازمة أزمة ايديولوجيات ، وفى هذا رأيى غير حقيقى لاننا لا نناقش ايديولوجيات .

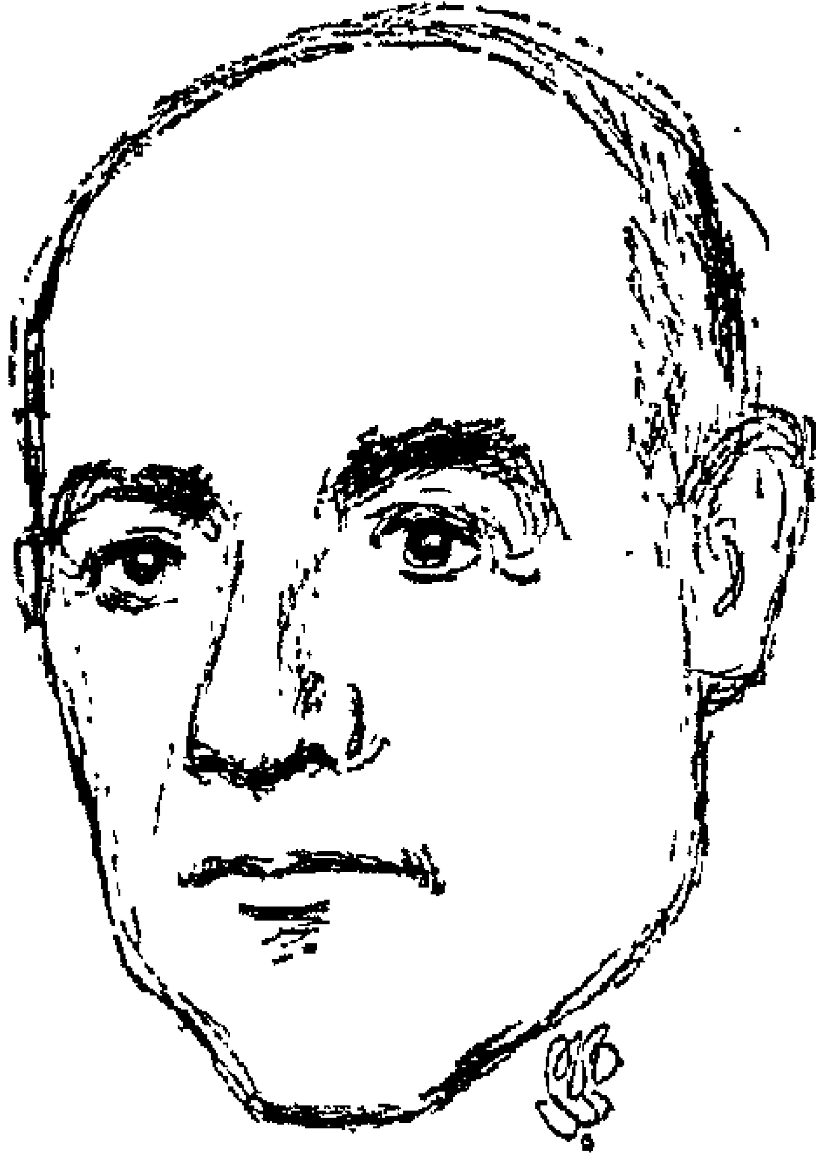
هناك منابر فكرية متعددة موجودة ، لكن أيا منا لايطرح نظريات انما يواجه مشاكل يطرحها الواقع المصرى ، وليس مهما أن نقول من أين يأتى الانسان سواء كان رأسماليا أو اقطاعيا أو مثقفا ... **انما المهم الى أين هو ذاهب ، وهذا هو السؤال الذى يجب أن نسأله الى أين نحن**

ذاهبـون ؟ نحن ملتزمـون بوثائـق الثـورة .. فما سبب الازمة اذن ؟ هل أسبابها السلبيات التى ذكرتها وهى حقيقية ، وفى الحقيقـة هى ليست أسبابا ولكنها ظواهر .

ان أسباب الازمة فى تقديرى يرجع الى سببين: سبب من الممكن أن نتعرض له واذا نجحنا فى علاجه فستكون هناك مرحلة مقبلة .. اذا اتضح النجاح فى المرحلة الاولى ففى هذه الحالة من الممكن علاج أو تعديل السـبب الثانى حينما نتعرض ، واننى لا أود أن أتعرض للسببين وانما سأتعرض لسبب واحد .

السبب الاول : هل الاتحاد تجمع طبقـات أو تحالف طبقات .. ؟ اننى **أرى أنه تجمع أفراد أو تجمع أحاد** ، وبالتالى ستواجهه الازمات طالما هو تجمع افراد ، فمـا يحـدث هو أنه تجرى انتخابات فى الوحدات الاساسية يتصعد منهـا افراد الى أعلى الى أن يتكون المؤتمر من ٢٠٠٠ فرد ، ومن الطبيعى حينما أكون فردا فى المؤتمر والانسان بشر يطرح على نفسه تساؤلات كثيرة أيا ترى يواجهه ويقول الحقيقة أم يتقى ام يظل هادئا ، وهنا تدخل المصلحة الخاصة ، وبالتالى فهذه قضيـة لا يمكن علاجها طالما أن الاتحـاد الاشتراكى تجمع أفراد ، أما القول بأنه تحالف ففى تقديرى أن التحالف هو تجمع كتل أو تجمع طبقـات أو هيئـات او فئات متميزة ، فالازمة المطروحـة الان فى المجتمع المصرى ــ وهـذا الكلام قيل من سنوات ومن عديد من الناس ، وكتب هـذا وراجعت كل هذا ، فوجـدت أن هذا الـكلام قيل ــ عبارة عن اجتهاد فكرى ، فالعمال يقومون بعمـل اضرابات مثـلا ، وفى أثناء الانتخابات حدثت اضرابات فى الشرقية وفى غير الشرقية ، اذن هناك أزمة تعنى أن الشكل التنظيمى ليس معبرا ، ولا يعطى الفئـات أو الطبقات حرية التعبير وليس قادرا على جمعها ، فيقال تجميع من اجل المعركة او تعبئة ، كل هذه شعارات فى فراغ ، طالما أن الاتحاد الاشتراكى عبارة عن تجمع أحاد أو أفراد وكل فرد لـه مصلحة خاصة ، ولديه الواقع الذاتى لـكن له ضعفه .

وفى تصورى انه اذا جعلنا الاتحاد الاشتراكى كما نصت عليه مواثيقه أنـه تجمع طوائف أو هيئات أو طبقات ــ ونحن نقول أنه ليست سيادة طبقة على طبقة وهذا صحيح .. وهذه المرحلة ليست مرحلة انفراد طبقة وهذا أيضا صحيح .. لكن ليس معنى هذا ادماج الطبقات لان هـذا لا نرجوه ولا نستطيعه لان القوانين الاجتماعية والقوانين الاقتصادية تؤتى نتائجها وأفعالها سواء



سعيد خيال

تجاهلناها أو اعترفنا بهـا فهى فاعلة وقائمـة ومنتجة فى المجتمع ولا نستطيع أن نصادرها .

أن تجمـع الطبقات أساسـا هم طبقة الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية ، والمثقفين لهم ذاتية وتميز ، ولهم مجال عمل وروابط ، لكن نجد انهم ينحازون الى فئاتهم .

أى تجمـع طبقات لابد أن يـكون له تعبيره السياسى مستقلا ، طبقة العمال لها نظام نقابى متكامل يصـل الى الاتحاد أى نقـابات العمال المصريين ولكن ليس لها جهاز سياسى مستقل وكذلك الفلاحين والرأسـمالية الوطنية ، وفى المؤتمر القومى نجد أننا لانعرف بعضنا بعضـا حتى فى الانتخابات فان كل المرشحين يلبسون نفس الجلباب ويرفعون نفس الشـعارات ، والسيد الرئيس يعلم هذا . فكيف اختار ؟ ليس هناك من عمل وفكر سياسى فى المجتمع المصرى بحيث يمكن بـه أن نميز بـه الناس وبالتـالى يرشحون الرجل الطيب أو الخدوم أو القريب حتى أن المعايير كلها لاتنتج شيئا .

اذا توفر جهاز سياسى لكل طبقة فسـوف تتغير صورة أو تركيب المؤتمر القومى العـام والهيئات القيادية وهى اللجنة المركزية ونصل الى الامانة العامة من موقع أن ممثلى العمال والفلاحين والرأسمالية الوطنية ، وهنا أطرح سؤالا ... هل نقوم بعمل أحزاب وهذا سؤال مطروح من كثير من المواطنين انه ليست هنـاك فائدة ولابد أن نرجع للاحزاب ، واننى أرى ان هذا خطر شديد ، هل نسير فى أحزاب لـكى ننشىء تحالفا ، هذا غير معقول فمنذ عشرين عاما لاتوجد أحزاب فحينما نقوم بعمل أحزاب فهذه فكرة خطرة حقيقة .

لدينا الاتحاد الاشتراكى تحالف ولدينا مواثيقه وله اللجنة المركزية والامانة العامة وهى العنصر الحركى الدائم ، اذن يمكن أن نمثل فى الامانة ،

الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية ، بحيث تكون تمثيلات مستقلة داخل اطار التحالف تختلف مصالحها وتتفق مصالحها هذا صحيح ، لكن دائما تصل الى قرار هو الحل الوسط . وهذا هو شعار المرحلة فما يتفقون عليه يوافق عليه ومالا يتفقون عليه نؤجله ونحاول الوصول الى الحد الادنى من الاتفاق وبهذا الشكل يمكن القول انه يمكن حل التناقضات حلا سلميا ونستمر في السير ، أما فكرة الاحزاب فتختلف عن ذلك فما يحدث انه توجد مواجهة بين الطبقات وهذه ليست واردة في المجتمع المصرى .

هذا التحالف تحالف مصالح ، وهناك حد أدنى في ورقة العمل وهناك مسائل خلافية تحل بالاتفاق ، أو بالحل الوسط ، لكن ليست هناك الايديولوجية الواحدة ولا يمكن أن يحدث هذا ولو شئنا لانستطيع ، فمن غير المعقول أن تقنع أصحاب الارض بأن تكون الملكية عشرين فدانا بدلا من مائة ، وبالتالي لايمكن أن تصل الى شيء الا اذا كانت لكل طبقة في الاساس تنظيمها السياسى ، فمثلا الرأسمالية الوطنية تدرس الواقع الاجتماعى وتخرج بخطة وتذكر أنها رأت أن المصلحة تقتضى كذا .. وهكذا العمال والفلاحون ، ثم يعقدون اجتماعات مع السيد السكرتير الاول يصلون فيها الى قرار متفق عليه فاذا وصلنا الى هذا يمكننا أن نحل أزمة الاتحاد الاشتراكى وأزمة العمل السياسى في الوقت نفسه ونترك للطبقات أو للتنظيمات أن تناقش نظريا أو تناقش أيديولوجيات .

نحن لا نقول اخرجوا عن الميثاق أو الدستور أو بيان ٣٠ مارس ، اذا نجحنا فى هذا يمكن أن نحل مشكلة السلطة،وهذا هو العمل الجماهيرى وكما قال أجدادنا الامة مصدر السلطات وهى قضية لاتقبل الجدل ، ولا يمكن أن تكون السلطة التنفيذية فوق الاتحاد الاشتراكى ولا أى سلطة في الدولة ، فما دام الاتحاد الاشتراكى هو المعبر الحقيقى لمصالح الجماهير وهو ارادة الشعب فلا تعلو عليه ارادة ، ويترتب على هذا اننا وصلنا بالاتحاد الاشتراكى الى هذه الصيغة فسوف تتوفر القدرة الذاتية لكى يفرض ارادته ويمكن لرئاسة الجمهورية أن تمارس سلطتها من داخل الاتحاد الاشتراكى .

الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله في سنة ١٩٦٤ ذكر أن العمل الادارى لايجدى ولابد من العمل السياسى ، لكن منذ ١٩٦٤ للان نجد أن العمل الادارى هو السائد لانه أسهل ، فالحكومة تصدر قرارا فينفذ ، فلو بنى الاتحاد الاشتراكى نفسه من جديد ولا أقول تجرى انتخابات جديدة ، انما اذا عدل قانونه فسوف يصل الى التكوين الصحيح بأن يعطى الطبقات المتحالفة استقلالية سياسية في العمل السياسى في اطار التحالف ، شريطة أن مايتفق عليه لابد أن ينفذ ، وهو الحل الذى يقبله الجميع وهو الوسط ، فربما لانقبل أن نسير وراء خط الاشتراكية ، وفى هذه الحالة يكون هناك (فيتو) كما يحدث في مجلس الامن ، ان لدينا الميثاق ولدينا ٥٠٪ عمال وفلاحين ولدينا الرئيس ، أى أنه ليس هناك خوف من هذا .

هذه هى فكرتى ببساطة دون اطالة ، ولكن ليس حل الازمة هو أن نشكل التنظيم الطليعى ، وأرى حتى لو تم تشكيله فسوف لا يحل الازمة ، وبالنسبة للحركة الجماهيرية والحركة الشعبية فلا أعتقد أن الجماهير سلبية فقد رأينا مراحل كثيرة على طريق التطور في مصر وكانت الجماهير اكثر ايجابية ، واذا ماأخذنا فترة تأميم القناة وما بعدها وجميع الاحداث التى تلتها يتضح من هذه الاحداث كلها أن الجماهير كانت معبأة من غير فتوى ، والعمال أيضا فى المعركة كانت معبأة وجاهزة لها .

فلو بنى الجهاز السياسى الخاص بالعمال من القاعدة الى القمة دون خطر العمل السياسى عليهم ، كما لو بنى الجهاز السياسى لكل من الفلاحين والرأسمالية الوطنية ، ويتقابلوا جميعا فى المستوى الاعلى لتمكنوا من حل مشاكلهم ولاختلف الوضع .

اما بالنسبة لمشاكلنا مع السلطة فانا لا أرى مشاكل مع الحكومة اطلاقا ، كما لايجوز الخلط بين المؤسسات الدستورية والمؤسسات الشعبية فاذا كانت القوى الوطنية منطلقة في الاتحاد الاشتراكى فى حركتها السياسية والفكرية بحرية فستفرض وجودها على ممثليها سواء فى المجلس الشعبى أو في غير المجلس الشعبى ولن تكون هناك حساسية ، لان الاصل هو ارادة الشعب الممثلة في الاتحاد الاشتراكى ، ويجب عدم فرض أسماء مثل أمين فلاحين وأمين عمال .. الخ . بل هذه القطاعات من العمال والفلاحين هى التى تأتى بهم وعلينا احترام هذا الاختيار .»

● **السكرتير الاول :**

في الواقع لقد أثار السيد/ خيال نقطة لا أريد أن أتركها تمضى دون مناقشة ، ولكن سأبدأ بنقطة أثارها الاخ لطفى الخولى فى كلامه لانني أرى اننا لو ناقشنا هاتين النقطتين معا ، فمن المحتمل أن يعطونا خطا فكريا يمكن أن نخطو به خطوة الى الامام .

فالسيد / لطفى الخولى يرى ضرورة وجود منابر تعبر عن الطبقات .. وهذا تعبيرى أيضا .

والسيد خيـال يرى ضرورة ترك حرية النقاش السـياسى للمنظمـات العمالية والفـلاحين والرأسمالية الوطنة ... الخ .

ولقد ذكرنا فى بيانات سـابقة صدرت عن الاتحاد الاشتراكى ، اننا لانريد مصادرة الحركة النقابية أو الحركة الذاتية للنقابات ، ولقد دلت التجربة البسيطة الماضية فى الفترة الاخيرة فى الاتحاد الاشتراكى على فائدة كلام كل من السيد/ **لطفى الخولى ، والسيد/ خيال .**

كذلك ما حدث بالنسبة لموضوع الطلبة ، فانه لم يعالج الا بالانفتاح على الطلبة أنفسهم وتفهمهم ، كما تعزز كلمة السيد/ خيال ما حدث مع كثير من الصحفيين فمثلا الاخ موسى صبرى كان دائم الاتصال بى خلال مشكلة الطلبة بالرغم من أنه لم تكن له علاقة مباشرة فيها ، لكنه كان ينقل لى صورة مباشرة عما يحدث داخل الجامعة ، كذلك الحـال بالنسبة لغيره من الصحفيين والمحامين والمهندسين ، فقد كانوا على اتصال بنا خلال هذه الفترة لنقل صورة لمـا يحدث ، كمـا دارت اجتماعات كثيرة فى ذلك الحين بيننـا وبين النقابات المهنية والصحفيين والمعلمين والمحامين ... الخ ، وأنا أؤكد أن هذا الانفتاح تولد منه الخطاب الذى القى فى المؤتمر .

وأنا ارى أنه لو أخذنا هـذه النقطة كنقطة موضوعية ولو انفتحنا على هذه النقابات المكونة بالانتخابات فعـلا .. انفتحنا على ما سـماه السيد / لطفى الخولى بالمنابر للطبقات ، واذا ما انشأنا النوادى السياسية ـ وهذا ما فكرت فيه بالامس فقط اثناء ذهابى الى حلوان ـ بحيث يدلى فيها كل من لـه رأى برأيه كالعمـال والرأسمالية مثلا .

فكما ذكر السيد / د. جمال العطيفى أن الامور تتحرج الى أن تصل الى حد الاحتكاك ، اذا ماكان التنظيم السياسى مازال غير فعال .. ويجب الاعتراف بهذا ، ولو حاولنا اخفاء هـذه الحقيقة ، فلن نستطيع أن نقوم بواجبنا على الوجه الاكمل ، فلو شعر العمال بأنه من الممكن أن يدلوا برأيهم هنـا وبحـرية كاملة ، كذلك الرأسمالية الوطنية ـ وليس شرطا أن يدلوا برأيهم أمام السكرتير الاول ، بل يجب أن يكون هناك فى قمة الاتحاد الاشتراكى تنظيم ما ، قد يكون نظام الامانات وقد يكون غير هذا النظام ، فنظام الامانات أيضا محل نقاش ، لكن لابد من ايجاد تنظيم معين ، بحيث يكون هناك مسئولان أو ثلاثة أو أربعة ـ يناقشونهم فى مشاكلهم .

وفى اعتقادى أن هاتين النقطتين تمثلان ركيزة كبيرة فى عملنا ، وانى لاتساءل ما الـذى كان يحدث فى الماضى ؟ ان ماكان يحدث هو أن يتدخل الاتحاد الاشتراكى فى تكوين النقـابة نفسها ، وبالتالى كان يمكن أن يصـل رئيس نقابة الى مركزه دون أن يكون موضـع رضـاء قاعـدته الجماهيرية ، وهذا يؤدى بالتالى الى انفصـال رئيس النقابة عن نقـابته ، ممـا يترتب عليه الانفصال بين الاتحاد الاشتراكى والنقابات ، فلم كل هذا طالما أن النقابات جزء من الاتحـاد الاشتراكى ؟ فاذا كنا نعنى جادين أن الاتحـاد الاشتراكى يجب أن يمثل آراء قوى الشـعب العاملة ، فكيف اذن لاتمثل آراء النقابات ؟ وكيف يمنع نقاش يخرج عن مواثيق الثورة مثلا ؟

وانما اذكر هاتين النقطتين لـكى تثبتـان فى السـكرتارية كنوع من أنواع تدعيم الاتحـاد الاشتراكى نفسه بتدعيم الجبهـات الجماهيرية التى أساسها انتخابى ، والتى دورها ـ ولو أنه تقليـدى ـ الا انه يمكن أن يكون دورا ثوريا ، وفى هـذه الحـالة يمكن أن نسـتفيد منهـا فائـدة كبيرة ، فالعامل ما زال يرى أن انتماءه الى النقـابة وليس للاتحـاد الاشتراكى ... فلماذا لا أسـتفيد من هـذا الوضع ؟ دون أن يتعارض معى فى اى أمر من الامور ، لاننى لن أرجـع الى انتمائه الى النقابة بل سأرجع الى انتماء النقابة للاتحاد الاشتراكى ، وبذلك تحل هذه المشكلة ، فهى ليست بعيدة وليست منفصلة طالما نحن جادون فى القول بأن الاتحاد الاشتراكى يجب أن يعبر عن آراء هذه الجماهير .

واننى أبرز هاتين النقطتين بالذات ، لاننـا سنواجه بتساؤلات بعد ذلك عن ماهيـة المنبر ، وكيفية الحوار ، وماهية الصلة مع النقابة ؟ .

ثم هناك نقطة أخرى يجب أن نحذر منها ، وهى كيف نصل الى مانريد دون أن تشعر النقابات اننا نريد احتواءها ، فهذه نقطة مهمة جدا ويجب التركيز عليها ، فيجب أن نوضح لجميع النقابات أنه ليس فى النية احتواؤها ، بل الغرض هو تبادل الراى والحوار معها ، وتوضيح الخط السياسى لها ، وأن تؤثر بما تقتنع به فعلا فى سياسة الاتحاد الاشتراكى .

● **سعيد خيال**

ليست الازمة ازمة الاتحاد الاشتراكى ، انما الازمة هى أزمة النظام السياسى فى مصر وأزمة السلطة ككل ، لان هناك خطورة شديدة ، فطالما ان الاتحاد الاشتراكى معزول وفاقد لثقة الجماهير ، فسيؤدى ذلك الى أن يكون هناك نحو ألف أو ألفين

حول رئيس الجمهورية ، لكنه سيظل وحيدا بمفرده ، فالاحداث متلاحقة سواء كانت داخلية أو خارجية ، كما أنه قد تحدث تفجرات حتى ولو كانت بسيطة مثل احداث الطلبة ، الا أنها ستؤدى الى تحول الموقف كثيرا .

فى الواقع ليس الاتحاد الاشتراكى هو الذى سيواجه هذه الخطورة ، لكنه يحاول أن يساعد ويتقى ما سيحدث ، فاذا أخذنا تاريخ الحركة الثورية أو حركة الرفض فى مصر سنة ١٩٦٧ فسنجد انها متتالية وسريعة الخطى ، ولابد أن يأخذ السياسى هذا فى اعتباره دون اغفال ، حتى لا يواجه بأزمة .

● السكرتير الاول

ان هذا هو المنطق الحقيقى الذى أرى فيه تنظيم الاتحاد الاشتراكى ككل ، فلقد كنا أمام أحد أمرين .. اما أن نترك الاتحاد الاشتراكى كما هو وهذا الوضع أسهل لنا وللجميع ، أو نستند الى الجماهير وهذا يتطلب جهدا ، وقد رأينا انه يجب أن يستند النظام الى الجماهير ، والا فانه لن يعتبر النظام السليم .

وما ورد فى كلام السيد : لطفى الخولى بالنسبة للفترة السابقة والفترة الحالية صحيح ، فالرئيس جمال عبد الناصر كان يؤدى عملين : الاتحاد الاشتراكى وتنظيماته من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجوده مع الجماهير بصفة مستمرة يشرح للقاعدة الجماهيرية ما تريد ، فكان لا يكتفى بمجلس الامة فقط ، بل كان يدلى بحديث للشعب من مجلس الامة نفسه ، فمثلا خطبة شبرا المشهورة قيلت فى اجتماع عمالى فلماذا لم يكتف بمجلس الامة باعتبار انه يمثل الامة ، لقد كان يريد أن يصل للجماهير ووصل فعلا ، فهنا نرى أن سياسة الانفتاح مفيدة جدا ، وسوف تفيدنا ، واننى أكرر هذه النقطة لانها سترد تحت عنوان (كيف تكسب الثقة ؟) لاننا لا يمكن ان نكسب ثقة العمال أو الفلاحين بمجرد المطالبة بها ، لان الجماهير خائفة بل أصبحت حساسة لدرجة كبيرة جدا لم ألمسها منذ بداية الثورة حتى الان ، وهذه ظاهرة لا اعتبرها مطمئنة ، فالشعب أصبح حساس بالنسبة لاى خبر ينشر فى الجرائد ، فمثلا طلبة الفنون التطبيقية اثاروا أزمة بسبب ما نشر فى الاهرام من أن مجلس الدولة له رأى معين بالنسبة لهم ، ورأى مجلس الدولة استشارى طبعا ، لكنهم تصرفوا تصرفا اعتبر من المواقف الحميدة التى حدثت فى الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الحالية فهم لم يتخذوا أى اجراء الا أنهم اتوا الى هنا وسألونى عن هذا الموضوع ، ولقد أزلنا لهم هذا اللبس ولم يحدث شيء ، وهذه علامة جيدة على الطريق فعلا .

كذلك طلبة معهد التعاون اضربوا بناء على خبر صدر فى احدى الجرائد متعلق بنظام السنتين والاربع السنوات وهذا الموضوع بعيد عن الاتحاد الاشتراكى لكن لم يحل هذا الاضراب الا بعد أن ذهب اليهم ممثلون عن الاتحاد الاشتراكى وطلبوا منهم أن يتركوا هذا الاضراب ويأتوا للاتحاد الاشتراكى ، وسأقابلهم اليوم .. وهذه جميعا علامات تعزز ما ذكره الدكتور خيال من أنه لو اغلقنا على أنفسنا فسننعزل ، اما اذا انفتحنا على الجماهير وحاولنا الاخذ والرد معهم واجراء المناقشة والحوار ، وشعر هؤلاء الناس أن هناك قاعة تضمهم مع ممثليهم فى الاتحاد الاشتراكى حيث تتضح مشاكلهم اثناء الحوار ويتم التوصل الى قرارات فستكون هذه الخطوة لخدمة النظام فعلا .

● مصطفى كامل مراد

شكرا للسيد السكرتير الاول للجنة المركزية على تذكره ايانا أخيرا بالنسبة لهذه اللجنة ولى بعض نقاط أريد التعليق عليها ، فمن خلال التجربة التى مررنا بها فى تنظيمات الثورة السياسية ابتداء من هيئة التحرير الى الاتحاد القومى المعين ثم المنتخب ثم الاتحاد الاشتراكى بمراحله الاربعة منذ سنة ١٩٦٣ وحتى اليوم تجمعت لدى بعض الاراء أود أن أعبر عنها ..

فبالنسبة للاتحاد الاشتراكى أولا .. هل هو سلطة ؟

طبعا المبدأ الديمقراطى المعروف عالميا هو أن الديمقراطية هى سلطة الشعب وتأتى هذه السلطة من أن الشعب هو صاحب المصلحة .. فلابد أن يكون له السلطة والقدرة على التوجيه والتعبير عن رأيه أولا ، ثم رعاية مصالحه والتأكد من أن كل الاجهزة تسير طبقا لما يحقق مصلحة هذا الشعب .. فاذا كان الاتحاد الاشتراكى يعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة فمما لا شك فيه أنه يجب أن يكون سلطة لكى يستطيع التعبير والممارسة والتطبيق بما يحقق مصلحة هذه الجماهير .. وهذا مبدأ متفق عليه .. فمعروف ان الديمقراطية هى سلطة الشعب .

لكن المشكلة التى مررنا بها فى تجربة العشرين سنة الماضية هى كيفية تعبير الجماهير عن رأيها .. ففى الواقع أن تنظيمات الثورة السياسية لم تنجح حتى هذه اللحظة فى توجيه الجماهير التوجيه الذى يعطيها الحرية فى التعبير عن رأيها بلا خوف وبلا نفاق ، فمن النادر ما كان يقف انسان ويتكلم بشجاعة ويعبر تعبيرا حرا سليما عن رأيه ..

وأنا أعتقد أن هذا هو السبب فى عدم تحقيق

التنظيمات السياسية لاهدافها او عدم نجاحها النجاح الكامل لان أى اجتماع أو جلسة سياسية ان لم يدر الحوار فيها على أساس الحرية المطلقة والطمأنينة الكاملة فى التعبير عما يدور فى اذهان الحاضرين ، فلن ينجح هذا الاجتماع ولن يعرف التصدى للعمل السياسى الاساسى الذى يبنى عليه سياسته ولا ما تريده الجماهير لانه لا يوجد من يحكم لحسابه حتى الاتحاد الاشتراكى فهو سلطة مفوضة من الجماهير صاحبة المصلحة الاولى فى كل ما ينم من شئون تنفيذية وتشريعيةفاذا لم تستطع الجماهير انتناقش أو أن تدلى برأيها فى حرية كاملة ، فلن يمكن استنباط المبادىء التى ترسم عليها السياسة التى ستطرح فيما بعد على الجماهير للموافقة عليها •

فمثلا فى التجربة الاخيرة الخاصة بالاتحاد الاشتراكى ، كنت عضوا فى الامانة العامة المؤقتة ، واختلفت مع جميع أعضاء هذه الامانة •• لاننى كنت ضد مبدأ الاعتراض •• فمثلا بالنسبة لموضوع شهادات الاتحاد الاشتراكى •• أرى أنه موضوع غريب جدا ، فكيف أطلب وأنا عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى فعلا شهادة بذلك ، وممن ؟ ولمن أطلبها ؟ وربما أحصل عليها أم لا ؟ ومن الذى سيعطيها لى ؟ ومن الذى يقرر أن أحصل على هذه الشهادة فهذا بيت القصيد ، لانها ستكون بناء على تقدير شخصى ، وهذا التقدير يأتى نتيجة التقارير التى ترد من المباحث ، ونحن نعلم ان هذه التقارير كثيرا ما تجانب الحقيقة وبالتالى يكون الحكم مبنيا على أساس غير سليم ، وبالتالى تتشكك الجماهير فى التعبير الحر عن رأيهم فى اختيار ممثليهم •

فأنا عضو فى الاتحاد الاشتراكى منذ تسع سنوات ويأتى شخص ما ويرفض اعطائى هذه الشهادة فبأى حق يتم هذا ؟ وأنا أعتقد أن هذه أكبر غلطة وقعت فيها الامانة العامة المؤقتة بأنها سارت على هذا الاسلوب الخاطىء فى عملية اعطاء ومنع الشهادات للترشيح •

وهناك قيد آخر هو أنه يشترط أن يكون عضو مجلس الشعب عضوا عاملا فى الاتحاد الاشتراكى ، فيتقدم للحصول على الشهادة ، ومن هنا تتدخل السلطة فى العمل السياسى مما يؤدى الى فقدانه لثقة الجماهير مهما فعلت بعد ذلك •• ويقال أن محافظة ما تدار لحساب شخص معين •• الخ ، وتبدأ تظهر مراكز القوى ولو أنها لن تظهر بعد ذلك اطلاقا •

لكن الاسلوب نفسه بعيد عن الديمقراطية التى تضمنها الميثاق وبيان ٣٠ مارس والدستور ، ثم بعد ذلك ما يحدث الان من اسقاط عضوية أحد أعضاء التنظيم أو وقفه دون قواعد مما يؤدى الى اسقاط ثقة الناس فى هذا التنظيم •

● السكرتير الاول

لو سمحت لى نقطة نظام ، لقد صدر قرار جمهورى بتكوين لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكى ، وبالتالى لم يصبح من حق السكرتير الاول فصل أى عضو أو وقفه دون العرض على لجنة النظام التى يرأسها السيد رئيس مجلس الشعب •

● مصطفى كامل مراد

اننى أتفق مع رأى الزملاء فى أن الاتحاد الاشتراكى يمثل ثلاث طبقات وهى العمال والفلاحون وأصحاب رؤوس الاموال الوطنيين •• أما الجنود والمثقفون فينتمون الى هذه الطبقات الثلاث دون شك فالمثقف ماهو الا شخص يتفاعل مع نشاط الجماهير ويؤثر فيها ويتأثر بها ، وهو على قدر من العلم يمكنه من استيعاب مشاكل الجماهير من خلال المناقشات ويؤثر فيها ، فالتناقض موجود بين هذه الطبقات بلا شك فالفلاح يهمه بيع المحاصيل الزراعية بأعلى سعر ، لكن العامل يهمه أن يحصلعليها بأقل سعر فى حين أن الرأسمالى الوطنى يهمه تحقيق أكبر أرباح ممكنة سواء من الاستغلال الزراعى أو الصناعى أو التجارى ، وبالتالى يهمه اعطاء العامل أقل أجر ، فى حين أن ما يهم العامل هو الحصول على أعلى أجر •• وهكذا ، فالتناقض موجود ونحن فى تنظيمنا السياسى نعمل على حله عن طريق الحوار الحر الصريح الذى يأتى بعد الطمأنينة ، فكيف يمكن أن تأتى هذه الطمأنينة الى نفوس الناس ؟

اولا •• لابد من رفع كافة المظالم التى وقعت على الناس بالطرق الاستثنائية — وهذا ما ذكرته للسيد الرئيس أنور السادات فى مجلس الامة السابق — لان من يفصل أو يعتقل دون قانون تهدر كرامته •• وهذا الاهدار سينتشر فى المحيط الذى يعيش فيه هذا المواطن مما يؤدى الى انتشار السلبية بعدم ادلاء الجماهير بآرائها الحقيقية فى المشاكل ••

اذن لابد من اعادة النظر وبأسرع ما يمكن فى حل الاجراءات الاستثنائية التى اضطرت الثورة لاتخاذها فى فترات معينة ، لحفظ حق المواطن فى حريته وفى رزقه وفى ملكيته •• الخ ، طالما أنها فى حدود الميثاق والقانون •

ومهمة الاتحاد الاشتراكى واضحة جدا وهى تلقى رغبات الجماهير وآمالها فى مناقشات حرة

صريحة حتى تتبلور هذه الاراء وحتى تتضح التناقضات التى تنتج عن هذا الحوار ، والتى على أساسها يمكن وضع أسلوب عمل توافق عليه الجماهير ، على اعتبار أنه نابع عن التعبير الحر لارائها لانه دون التعبير الحر لايمكن الوصول الى ما تريد .

وبالنسبة لصحافتنا اليوم فهى غير حرة ، لانها تخضع للسلطة التنفيذية ، ولقد تقدمنا بطلب مناقشة عامة فى مجلس الشعب لسؤال الحكومة عن السبب فى هذا .. لانه لا يمكن اطلاقا أن يكون هناك تعبير حر وتكون الصحافة خاضعة لرقابة السلطة التنفيذية ، لماذا ؟

لان الصحافة هى أكبر منبر فى الدولة ، فهى أوسع من البرلمان بمراحل لانه لا يستمع الى البرلمان سوى مائتين أو ثلاثمائة عضو فى حين أن ما ينشر فى الصحف تقرأه الملايين فلابد من حل قضية الصحافة واخراجها عن السيطرة الحكومية بضوابط معينة بحيث لا تتعرض لمسائل الامن القومى أو ما يتعلق بالاسرار العسكرية بما لا يمنع من التعبير عن رأينا فى الصحف ..

فمصر للاسف لم يعد فيها فكر سياسى اطلاقا ، فأين الفكر السياسى والفكر الاجتماعى او الفكر الاشتراكى الذى يجب أن ينشر فى الصحف ، فهذه مسائل لا يمكن أن تتوقف ، بل لابد أن تستمر وستستمر فى مصر وفى غيرها فلا يمكن بأى حال من الاحوال تثبيت عقول الناس عند فكر معين من الفكر الانسانى ، فالكل يتطور ويجب أن يتطور لمواجهة المشاكل التى تستجد نتيجة التطور العلمى والتكنولوجى ولمواجهة ظروف التغيير فى أساليب الحياة البشرية ، وهذه مسألة معروفة ومتفق عليها ، فيجب أن تكون حرية الصحافة هى اول موضوع ينظر فى الاتحاد الاشتراكى ، لانها ملك للجماهير ويجب أن تكون حرة .

واعتقد ان هذا موضوع عميق ومعقد ولا يمكن تغطيته بحديثى الان لان هناك المشكلات المتعلقة بالصحفيين وبالكوادر الوظيفية ومرتبات الموظفين ومكافآتهم .. ففى بعض الاحيان يكون رؤساء التحرير أشد من الرقباء عنفا ، لانهم مازالوا يفتقرون للثقة فى أنفسهم ..

فيجب أن يكون أول موضوع نهتم به هو حرية نشر آراء الجماهير فى الصحف ، لان ما يحدث الان ، ان ما نذكره فى مجلس الشعب من اراء عن وزير ما يرسل اليه لاخذ رأيه فيه لنشره من عدمه ، فالرقابة مازالت موجودة .. فلمصلحة من هذه الرقابة فنحن جميعا مصريون ونحكم بلادنا .. فلم كل هذا ؟ هل هى لمصلحة فرد .. لا .. أو لمجموعة أيضا لا .. لكن لمصلحة تحالف قوى الشعب العامل أى لمصلحة هذا الشعب الكادح كله هى التى يجب أن تراعى فلماذا الخوف ؟ وممن ؟ ولم التردد ؟ يمكن ترك الناس تتفاعل للتعبير عن رأيها بحرية وصراحة لخلق تنظيم سياسى قوى وبرلمان قوى يترتب عليهما حكومة قوية وصحافة حرة وتقدم اجتماعى واقتصادى وعسكرى فى كل المجالات .

لذا — فنحن نريد من الاتحاد الاشتراكى وتنظيماته ان تبرز ذاتية هذا المجتمع المكون من الطبقات الثلاث التى ذكرها الزملاء لانها حتى هذه اللحظة لم تبرز البروز الكافى ، فهى مازالت بادرة ونحن نريدها ان تكبر وتقوى بحيث يشعر الشعب انه كريم فى وطنه ولا تهتز هذه الوطنية فى نفوسهم ، لانه اذا شعر انه امن فى وطنه وعلى حقوقه وعلى ملكيته ، فهذا ما يوجد ذاتيته ، وما يدفع تحالف طبقات الشعب الثلاث الى العمل والى الايجابية ، لكن دون الاطمئنان وسيادة القانون بتنفيذها وممارستها فعلا وليس بأن نفاجأ بأن هناك (١٨) قرارا صدرت من الحكومة منها ستة خاصة بالضرائب فى ظل وجود برلمان له سلطة دستورية وتشريعية ورقابية على الحكومة ودون الرجوع اليه .

فبذلك تكون الحكومة قد فقدت ثقة الجماهير وثقة مجلس الشعب ، فلا يمكن أن تصنع السلطة التنفيذية ما تشاء دون الرجوع للجبهة التشريعية بحجة انها حكومة مواجهة ، بل لابد من ان تكون تصرفاتها فى ضوء ما ورد فى الدستور والميثاق وهذه المشكلة تنبع من اننا ننادى بالديمقراطية وبالدستور والبرلمان واتحاد قوى الشعب العامل ، لكن لا نطبق هذا ولا نمارسه ..

فمثلا كيف تتحمل الحكومة عبء تكاليف مقاومة ازمة معينة ، وفيها التزام مالى على الدولة ، يجب أن يدرج له اعتماد فى الميزانية ، ويجب أن يؤتى بالايراد الذى سيواجه هذا الظرف دون اخذ رأى مجلس الشعب .. فهذا تصرف غير منطقى .. ولابد أن يوضع موضع الحساب ..

فاليوم المشكلة بسيطة وهى اعطاء الشعب حرية الفكر والحوار الحر والممارسة الديمقراطية السليمة .. فاننا نجد ان كل هذه المشاكل ستزول بسرعة اذا كان التنظيم السياسى قادرا وقويا ومحددا ، ويجعل ثقة الناس فيه قوية ولا نستطيع ان نزيد الانتاج الا بهذه الطريقة .. والاشتراكية ما هى الا مزيد من السلع والخدمات وتوزيعها توزيعا

عادلا على المواطنين كل بحسب قدرته ولكل بحسب حاجته ، ولان مشكلتنا هى ان نمنع ظهور طبقة جديدة وأن نمنـــع الاستغلال بأسلوب محـــدد منصوص عليه فى المواثيق وفى الدستور ، بحيث يكون اسلوبنا فى التطبيق الاشتراكى فى هذه المرحلة متمشيا مع المبادىء التى وافق عليها الشعب فى الميثاق ..

كما أننى ضد فكرة عدم النظر فى تعديل الميثاق نظرا للظروف الراهنة ، فلماذا ؟ وقد قـامت انتخابات فى ظل هذه الظروف .. فالمفروض أن يكون فيها فكر وتفاعل وتعبير لتحالف قوى الشعب العاملة عن ارائها ..

وانا ارى أننا فى ظل هذه الازمة وفى ظل الصراع الدائر بيننا وبين الصهيونية العالمية ، يجب ألا ننسى ان هناك ميثاقا فى حاجة الى التعديل ، كما نص الميثاق نفسه على انه كل عشر سنوات يعاد النظر فى مبادئه .

أما بالنسبة لقانون الاتحاد الاشتراكى فانه بحاجة الى تعديل كامل ، كذلك بالنسبة لطريقة تكوين الاتحاد الاشتراكى ومسألة الانتخاب على مراحل التى أصبحت نظاما قديما ، ولا يصح الاخذ بنظم تقادمت ، فعضو المؤتمر القومى يجب أن يمثل من القاعدة للمؤتمر مباشرة دون اللجوء الى اسلوب الانتخاب على درجات .

ثم نقطة اخرى وهى ضرورة ايجاد تقدير لجهود الناس ولخبرتهم السياسية فنحن نجد هناك نجما ساقطا من السماء هبط على اللجنة المركزية مباشرة دون الرجوع لخبرته السياسية .. فهذا غير منطقى .. ولابد من التدرج فى العمـل السياسى ، بحيث انه يشترط فى عضو اللجنة المركزية مثلا أن يكون عضوا فى لجنة اساسية لمدة سنتين ثم ينتقل للجنة القسم لمدة اربع سنوات ثم أربع سنوات اخرى بلجنة المحافظة .. بحيث أنه الى أن يصل الى اللجنة المركزية يكون له تاريخ سياسى ويكون معروفا بالاسم لكفاحه السياسى وماضيه الحافل واحتكاكه بالجماهير وممارسته للعمل السياسى ومعرفة رأى الجماهير من خلال الحوار السياسى الحر فهذا هو السياسى المصقول الذى يمكن أن يكون عضوا فى اللجنة المركزية والذى يستطيع أن يساهم فى وضع سياسة هذا التنظيم السياسى ... لكن الوضع القـائم الان للاسف خطأ وان ما يعيبنا فى تنظيمات الثورة السياسية منذ هيئة التحرير انه كلما حـاولنا الاصلاح اقتصر الامر على تغيير الموجودين ثم نأتى بجديد ..

اين الكوادر السياسية التى تربت على هذا العمل منذ عشرين عاما ؟ لقد بدأنا فى البحث عن هذه الكوادر الان مرة اخرى .. هذا أيضا ليس معقولا ..

لابد أن تكون هناك قواعد فى قوانين الاتحاد الاشتراكى تنظم العمل السياسى والوصول الى مستويات العمل السياسى فى اللجنة المركزية ..

ان هيكل الاتحاد الاشتراكى لابد أن يعاد فيه النظر .. هناك ايضا تناقض غريب جدا فـى القانون ، اذ نص فيه على أن مدة لجنة الوحدة الاساسية سنتان ولجنة القسم اربع سنوات ولجنة المحافظة ست سنوات .

معنى هذا اننا نجرى الانتخـابات فى الوحدة الاساسية بعد سنتين .. وتأتى لجان جـديدة تنتخب مندوبين لها فى مؤتمر القسم ، فى هذه الحالة لجنة القسم لا تمثل المندوبين الجدد .. وبهذا يكون التنظيم كله متناقضا ومتضاربا مع بعضه البعض تضاربا كبيرا جدا .

ان من الواضح ان الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا أبدا لان الحزب يعبر عن مصالح طبقة ، ونحن نقول انه تحالف طبقات أو فئات الشعب العاملة ، ان الحزب قد لا يعبر عن مصالح طبقة فى بعض الاحيان ، وقد ينشأ الحزب للدفاع عن فكرة معينة وحينما تنتهى هذه الفكرة أو يتحقق الهدف يحل الحزب ، ولكن غالبية الاحزاب تقوم على مصالح طبقة معينة ، والدفاع عنها ، ونحن ليس لدينا طبقات ، ولكن لدينا تحالف الطبقات ، هــذه الطبقات متناقضة واذا لم يكن هناك حوار حر بين العناصر الممثلة لهذه الطبقات داخل الاتحـاد الاشتراكى بتنظيماته فسيظل التناقض قـائما وسوف لا يزول هذا التناقض الا اذا كان هناك حوار حر ، وعلى سبيل المثال من الممكن الان ان انقد السكرتير الاول بكل حرية ودون أى عواقب ، وذلك على عكس ما كان فى الماضى ..

نخلص من هذا انه دون الحوار الحر ونشر هذا الحوار فى الصحف ، لا يمكن ان يأتى للاتحاد الاشتراكى فاعلية ، هذا بالاضافة الى أننا لا نحجر مطلقا على فكر الانسان بأن يقال أن هذا الشخص شيوعى .. أو نظرية كارل ماركس .. ان احسن فكر انسانى ظهر فى العالم هو نظـرية كارل ماركس .. ولا أرى ان يقال على انسان شيوعيا لمجرد ذكره لنظرية كارل ماركس ويحبس ، أو ان يقال عن شخص انه يمينى متحجر أو يسارى

متطرف لمجرد انه يقول كذا او كذا ـ مع احترامى للتعبيرات ـ لكن الانسان كتلة من المشاعر والحيوية والتغيير ، ولا يمكن ان تحجر على فكر الناس .. على سبيل المثال ان شخصا يكتب مقالا عن الماركسية فلا ينشر .. لماذا ؟ فى حين أن نظرية كارل ماركس تدرس فى الجامعة وهى نظرية علمية ، لكننا نطبق بأسلوب معين ولينين طبق بأسلوب معين ، وماوتسى تونج طبق بأسلوب معين ، وعبد الناصر طبق بأسلوب معين ، وكل واحد يطبق بأسلوب يتمشى مع الاوضاع التاريخية والثقافية والدينية الموجودة فى مجتمعه ولا يمكن أن تصب التطبيق الاستراكى صبة واحدة ولكن لنا أساسيات فى هذه الاشتراكية وهناك حد أدنى وهو سيطرتنا على أدوات الانتاج ، ونمنع ظهور طبقة جديدة ، ونقرب الفوارق بين الطبقات بزيادة السلع والخدمات وتوزيعها توزيعا عادلا .

وبالنسبة لموضوع زيادة السلع والخدمات فهو موضوع عميق جدا ، وللاسف الشديد ان الخطة التى تتبع لزيادة السلع والخدمات فى هذا المجتمع خطة ليست مدروسة وليست اقتصادية علمية على الاطلاق ، وأرى أن الوقت لا يتسع للكلام فى هذا الموضوع .. وشكرا .

● السكرتير الاول

الواقع ان الاخ محمد عثمان يطلب الكلمة ، وكذا الدكتور محمد دكرورى ، ونحن متشوقون للاستماع اليهم ، الا أن الساعة بلغت الان الثالثة والربع . ولا نود أن نقسو على اللجنة .. هذا بالاضافة الى أن لدينا اجتماعا مع طلبة التعاون ، واعتقد ان نبدأ المناقشة فى الجلسة القادمة بالاخ محمد عثمان والدكتور محمد دكرورى على اعتبار أنهما كانا يطلبان الكلمة ، وتصورى ان نعقد اجتماع اللجنة السياسية فى موعد قريب لان النقاش الذى يثار فى اللجنة الان يتمشى تماما مع النقاش الذى دار فى اجتماعات لجنة العشرين ، ويهمنا ان نركز على نقط أكثر بحيث ان هذا يعطينا دفعة فى لجنة العشرين .. هذا بالاضافة الى أن هناك نقطة تنظيمية ، وهى اننا نريد ان ننتهى من مشروع أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى فى موعد غايته منتصف شهر مايو ، نظرا لانعقاد المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو ، وكما ذكرت فسوف تعقد فى الايام القادمة اجتماعات للسيد الرئيس مع السادة أمناء المحافظات ومع اللجنة المركزية ومع الهيئة البرلمانية ـ كل هذا سيتم فى فترة العشرة الايام القادمة .. وفى اجتماعات اللجنة المركزية سوف نقدم لها فكرة عن التطورات التى تمت .. وذلك من أجل الملاحظة التى اوردها الاخ محمود فى كلمته بالا نشعر اللجنة المركزية بانها منفصلة ، والواقع اننا لا نحب ان تكون اللجنة المركزية منفصلة ، ولكن فى نفس الوقت ربما يكون لدى السيد الرئيس حديث سياسى يريد ان يلقيه فى اجتماع اللجنة المركزية أو فى اجتماع الهيئة البرلمانية ، وسيحضر اجتماع اللجنة المركزية السادة أمناء المحافظات ، وسيعقد اجتماع قبل نهاية هذا الاسبوع أو فى الاسبوع القادم للسادة أمناء المحافظات حتى مستوى أمناء المراكز ، وسيكون هذا الاجتماع منفردا معنا أولا ثم يليه اجتماع السيد الرئيس مع السادة الامناء ثم مع اللجنة المركزية ثم مع الهيئة البرلمانية .

والواقع انى سعيد بما يدار من نقاش فى اجتماع اليوم ، وقد تركته يتشعب وقد يتساءل البعض .. لماذا تركته يتشعب هذا التشعب ؟ لاننا فى الواقع فى الجلسة الاولى اذا اردنا ان نحدد المتناقشين بنقطة معينة فلا يمكن ان يتضح الموضوع وضوحا تاما ، ولكن ابتداء من الجلسة القادمة ستبوب ورقة العمل التى وزعت عليكم الى أبواب معينة محددة .. بحيث عندما يتناقش احد من السادة الاعضاء يتناقش فى نقطة معينة ننتهى منها الى قرار معين ..

وقد تركت هذه الجلسة كجلسة استعراضية ، ابدى فيها الكثير من الاراء القيمة ، ولكنى مطمئن بما تم من نقاش فى لجنة العشرين وما تم من نقاش فى جلسة اليوم . ان الورقة التى قدمت اليكم فعلا مست جميع النواحى التى تكلمنا فيها سواء مستها بطريقة سؤال أو مستها بطريقة موضوعية ، واذا سمحتم فسوف نعقد اجتماعا للجنة السياسية قبل عقد اجتماع لجنة العمل ولا مانع ان يعقد اجتماع هذه اللجنة بعد الظهر حتى يمكن ان يتسع لنا الوقت للمناقشة ، واذا اردتم توزيع أية أوراق أخرى عليكم فنحن على استعداد لذلك كقرارات المؤتمر القومى أو أحاديث السيد الرئيس فجميعها موجودة لدينا ، ولكنى اعتقد انكم اطلعتم عليها الا اذا اردتم اوراقا معينة فنحن أيضا على استعداد لذلك .

ونعطى الكلمة الان للاخ محمد عثمان محافظ بنى سويف .

● محمد عثمان اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم ..

لاشك ان الديمقراطية وسيادة القانون والحرية بجميع ابعادها وضماناتها من المسلمات الواجب

تواجدها فى أى مجتمع يحترم انسانيته · ولكن اذا عدنا الى الذى طرح فى البداية وهو ·· هل الجهاز السياسى جهاز للسلطة أو للشعب ؟ فانا لا أجد مطلقا أى نوع من التناقض فى اللفظين ·· هو جهاز للسلطة وجهاز للشعب أيضا ، جهاز للسلطة اذا ما كانت هذه السلطة معبرة عن هذا الشعب متبنية لاماله ، عاملة على اصلاح كل ما يتطلبه الشعب

- ما يدور من مناقشات حقيقية اذا تكلمنا بصراحة فيما يتعلق بالاتحاد الاشتراكى أجد اننا ندور فى حلقة مفرغة ولا نلتمس موطن الداء الحقيقى ·· هل الاتحاد الاشتراكى تحالف أو حزب ؟ ·

اذا تكلمت بصراحة فى هذا الخصوص أقول انه لا هو تحالف ولا هو حزب ، أقول انه تحالف قوى الشعب العاملة وأتساءل : هل هناك تحالف بين القوى الواحدة من هذه القوى - عمال - فلاحين - مثقفين - رأسمالية وطنية - جنود ؟ ··

هل هناك تحالف حقيقى بين أى قوى من هذه القوى ؟ أقول لا ·· لا يوجد تحالف بين أفراد هذه الطبقات ·· هل هو حزب ؟ يقال انه ليس بحزب لان مفهوم الحزب انه يمثل مصالح طبقة معينة وأنا أقول انه يمكن أن يكون حزبا ولا يمثل مصلحة طبقة معينة ، ولكن اذا وجدت عقيدة معينة يتجمع حولها هؤلاء الافراد ، بدليل ·· هل كل شيوعى عامل أو فلاح ؟ قطعا لا ، الاخوان المسلمون - وهى تجربة مرت ولاشك فى الحياة المصرية - هل كان الاخوان المسلمون يمثلون طبقة معينة ؟ قطعا لا ، وانما كان فيهم جميع أنواع وصفات الشعب المصرى تجمعوا حول عقيدة معينة ·

اذا استعرضنا الاتحاد الاشتراكى الحالى نجد انه مقسم الى أقسام طولية وعرضية ·· اذا اعتبرنا الفلاحين والعمال والمثقفين قسم عرض نجد أن هناك أقساما طولية أيضا متصارعة فى داخل كل قوى من القوى ·· نجد تيارا يساريا وتيارا يمينيا وهؤلاء قلة وذاك قلة أيضا ·· والقاعدة العريضة التى تمثل أكثر من ٨٠ فى المائة وهو الخط الوطنى مجال عمل للطرفين ·· فاليسارى يتخذ من الاتحاد الاشتراكى سلما ليصل بمبادئه على الاتحاد الاشتراكى كله ، واليمينى يتخذ من الاتحاد الاشتراكى سلما ليصل به الى تضر مبادئه ، والطبقة الوطنية او القطاع الوطنى حائر وهو ولاشك يمثل ٨٠ فى المائة على الاقل فى



محمد عثمان اسماعيل

وسط الاتحاد الاشتراكى ، وهذا هو سبب عدم الثقة بين الجماهير وبين الاتحاد الاشتراكى ، لان فاقد الشىء لا يعطيه ولا توجد ثقة بين أعضاء الاتحاد الاشتراكى أنفسهم نظرا للافكار المتباينة المتصارعة ، ولكى نحل هذا الامر حلا جذريا ·· لابد من وجود عقيدة محددة ثابتة محددة المعانى والاهداف ، نحن جميعا نطالب بالاشتراكية ، ولكن لاى مدى ؟ ·

نحن جميعا نطالب بالاشتراكية ، وجميعا نرفض بأن نكون شيوعيين ، ولا شك فى هذا ، وهذه هى حقيقة الشعب المصرى ·

هذا ما يجعل هناك نوعا من الانفصام بين الشعب أو الجماهير ، وبين التنظيمات ، وكل من يدخل الاتحاد الاشتراكى يدخل لمأرب فى نفسه ، اما لنشر عقيدة معينة أو للحصول على مركز معين ، لاننا اذا كنا نقول ان عضوية الاتحاد الاشتراكى اختيارية ، ولكن بعض الاجراءات التى تتخذ تجعل منها نوعا من الاجبار لان عضو النقابة لكى يكون عضوا فى النقابة لابد أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، واذا وصلنا الى عقيدة مبلورة حقيقية وثابتة ومحددة الاهداف ، فمن يريد هذه العقيدة ينضم الى الاتحاد الاشتراكى ، وهنا يحدث التماسك ، ومن لم تعجبه هذه العقيدة يعطى رأيه ويكون هناك منبر مفتوح ، ولكنه لا يكون عضوا فى هذا التنظيم فعلا ، المفروض فيه أن يكون متماسكا ويضحى من أجل هذه العقيدة - التى تبلورت ، والتى يجب أن تكون مصرية صميمة - بحياته ·

نحن نقول الان اننا أمام مرحلتين أو أمام ظروف معينة تستلزم ان نعالج الامر على

مرحلتين ٠٠ مرحلة أن نعيد النظر فى مواثيقنا ويجب اذا ما فكرنا فى عقيدة مصرية صميمة فعلا أن نحرر عقولنا من أى ورقة موجودة تكون تحت نظرنا فعلا ، ولكن تكون تحت نظرنا فعلا ٠

هذا حل مؤجل لاشك فى هذا لان ظروف البلد حاليا لا تسمح مطلقا بمثل هذه الامور ٠٠

اذن ماذا يستلزم الطرف الحالى؟ يستلزم تجمع وطنى لهدف معين ، وهو لا شك هناك هدف وهو هدف التحرير باعتبار ان جزءا من أراضينا محتل ، لاشك انه لا يوجد أى خلاف بين مجموعة أفراد أو فرد فى مصر على هذا الهدف أيا كان فكره وأيا كانت اتجاهاته ٠

اذن ندعو فى هذه الفترة الى تجمع وطنى وراء هذا الهدف مرحليا حتى نصل الى بلورة عقيدتنا ، وهذا موجود فى بعض الدول ، روسيا فى الحرب العالمية الثانية كانت هناك الدعوة الماركسية على أشدها ، ولكن عندما هوجم الاتحاد السوفيتى واجتاز الجيش الالمانى الاراضى السوفيتية ركنوا مؤقتا كل دعوة عقائدية وبدأوا يرفعون شعار التراب السوفيتى » ٠٠ وفى ألمانيا كان الحزب النازى له مبادئه وعندما أراد هتلر أن يبنى المانيا أوقف تلك المبادىء وبدأ يضع شعار « ألمانيا فوق الجميع » ٠

نحن الان فى ظرف لا شك أننا لا نحسد عليه وبلدنا فى مهب الريح ، نريد تجمعا وطنيا وراء الهدف الاسمى الذى يتجمع حوله الجميع فعلا ، وهو تحرير الارض وتضارب هذه المشاكل والاخطار التى تتعرض لها دولتنا بالكامل ، نريد أن يعمل العقل البشرى وهو أسمى ما منحه الله للانسان وليست الطبيعة كما ورد على لسان الزميل الاخ لطفى الخولى ، وأنا اعترض على هذا اللفظ بصراحه ٠٠

العقل البشرى يعمل من الواقع المصرى ، واذا كان لابد من طرح مواثيق معينة وتكون تحت نظر العاملين من أجل مصر ، فلابد وأن تكون الكتب السماوية أيضا وهى لا شك أسمى من هذه المواثيق ومن هذه النظريات ، أن تكون على الاقل مطروحة أيضا لاخذ ما يمكن تطبيقه منها واذا لم نجد التطبيق السليم فى الكتب السماوية فنلجأ الى النظريات الوضعية ٠

هذا ما أردت أن أتكلم فيه باختصار ، وسأتقدم الى اللجنة باذن الله ببحث كامل فى هذا الخصوص ٠

● **السكرتير الاول**

هناك نقطتان ذكرهما الاخ محمدشاهين والاخ محمود أبو وافية وأود أن أنوه عنهما ، الاخ محمد شاهين يطرح موضوع المنبر الحر ، أيضا الكلمة التى ذكرها لطفى والدكتور الخيال ، وهو يرى أن يكون ذلك عن طريق المجالس الشعبية وتنظيم العضوية ، واقتراحه موجود ، وأستسمح اللجنة أن يضاف الى محضر الجلسة وهو :

أخى ٠٠ سيادة السكرتير الاول

ألم تكن كلمتى باختصار تنصب على نقطتين وهما :

(١) ان يتكون الاتحاد من مندوبين منتخبين انتخابا مباشرا حرا من بين النقابات والاتحادات ٠
(٢) أن يكون الربط بينها وبين السلطة هو المنابر التى سميتها المجالس الشعبية ٠
اذن لماذا ركزت سيادتك على ما ذكره الاخوين الدكتورين الخولى والدكتور الخيال ٠٠ وشكرا ٠

امضاء
محمد شاهين

هناك أيضا ورقة من الاخ محمود أبو وافية يقترح بالنسبة للائحة الداخلية ويقترح وضع لائحة للجنة المركزية واللجان المنبثقة عنها تكفل ما يأتى :

(١) أن لا يعقد اجتماع دون جدول أعمال ٠

(٢) أن يكون من حق العضو تقديم سؤال أو اقتراح ٠

(٣) أن تناقض تقارير اللجان باللجنة المركزية ٠

(٤) أن تصدر اللجنة المركزية قرارات تكون ملزمة للسلطة ٠

وارجو أن يضاف هذا الاقتراح لجدول الاعمال ٠

أرجو الدكتور جابر جاد والاخ محمد أدريس ، والاخ شومان أن يحضروا معى اجتماع التعاون الذى سيعقد الان ٠

وفى ختام كلمتى ٠٠ نشكر السادة الاعضاء ، وأرجو أن نستمع فى الجلسة القادمة الى السادة الذين لم يتكلموا فى هذا الاجتماع ٠٠ وشكرا ٠

(وانتهى الاجتماع فى الساعة ٥٠ر٣)

تعليق على المناقشات

نقدم فيما يلي تعليقات عدد من أعضاء أسرة تحرير الطليعة على ورقة العمل والمحاضر المنشورة ، تتضمن وجهة نظر كل منهم الخاصة حول بعض الموضوعات الاساسية التي تناولتها اللجان بالمناقشة :

- مع الشعب .. بالديمقراطية د. محمد عجلان
- نقطة البدء : حركة الجماهير الشعبية أبو سيف يوسف
- التمايز داخل اطار التحالف الوطني ميشيل كامل
- العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي وسلطة الدولة عبد المنعم الغزالي

مع الشعب بالديمقراطية

د. محمد عجلان

يكشف الاطلاع على محاضر لجنة العمل واللجان الفرعية المنوط بها مراجعة أوضاع الاتحاد الاشتراكي ، عن جهد كبير ومخلص يبذله أعضاؤها في محاولاتهم لتحديد نقاط البدء في تلك المراجعة ، وأسلوبها ، والاهداف التي يجب ان يرجونها منها . وكله جهد صادق ، واجتهاد مشكور ، وان كان ما أذيع منه حتى الان يرتبط في أغلبه بسلبيات الماضي ، أكثر مما يضرب في أعماق المستقبل .

وأغلب الظن — ان سارت الامور سيرتها الحالية — ان ينتهي النقاش يوما ما بمقترحات معينة . وقد تعرض المقترحات للاستفتاء ، وتأتي الاجابة بملايين من بصمات تقول « نعم » . ذلك ما حدث في الميثاق ، وفي بيان ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطني ، والدستور ، ومع ذلك فما كاد يجف مداد كل منها ، الا ويبدأ الاحساس بان العمل في واد ، والناس في واد آخر . وتدور الايام دورة لم تكن أبدا طويلة لنعود نناقش ، وتعود لجان لتجتمع ، وتعود آراء لتظهر ، كلها تتحدث عن نقص الفاعلية ، وتنعي على السلبية ، ويسعى الجميع لرأب الصدع ، وتبدأ السيرة من جديد .

وتقول الحكمة ان « **العاقل من اتعظ** » ، وتفترض قواعد التجربة والخطأ — وهي منطق سار معنا طويلا — ان تتخلص التجربة الجديدة من كل الاخطاء السابقة . ويستلزم المنطق العلمي

ـ ضمن ما يستلزمه ـ ان تستخلص من الحركة التـــاريخية وظواهرها ، قواعد تحـــكم حركتنا المستقبلة .

ولن نختلف طـــويلا فى ان نذكر انه لم يتح لاى من الوثائق الاربع ان تناقش المناقشـــة الواسعة الآمنة الحرة مع الشـــعب . وهنا نعنى الشعب بملايينه كلها . لقد فرضت ظروف ظهور الميثاق ، من "الاخذ بالطريق الى الاشتراكية بصورة فوقية ، لم يسبقها كفاح سياسى من أجلها ، يعمق مفاهيمها بين الشعب ككل ، او على الاقل بين طليعة قائدة منتشرة فى بنيانه ، والفراغ الســـياسى الناجم عن حل الاتحاد القومى ، بعد ثبوت معاداته لاجراءات التأميم والمنعطف الجديد فى حياتنا . اجبر كل هذا على ان يعقب الميثـــاق ـــ وقد نوقش فى مؤتمر وطنى للقوى الشعبية ـــ ترشـــيحات وانتخابات عـــديدة ، طمست كل امكانية للمناقشـــة المتأنية الواسعة مع جمـــاهير الشـــعب ، حيث يلزم ان تبسط الصيغ العـــامة ، والاتجاهات العريضة ، والحبكة اللغوية الى مستوى المشـــاكل المحلية ، ومســـائل الحياة اليومية . طمست الانتخـــابات امكانية هـــذا ، حيث اهتمت القيـــادات القديمة بتلمس اتجاه الرياح الجديد ، وتعديل الدفة لتركب الموجة الجديدة .

ولقى بيان ٣٠ مارس نفس المصير . لقد صيغ كمحـــاولة لحل أزمة داخلية . وفى ظروف الهزيمة العسكرية ، وكان المفروض ان يستغل بالمناقشة مع الشعب ـــ ونكرر ما سبق بأن نعنى الشـــعب بملايينه كلها ـــ فى نســـج وحـــدة وطنية كاملة واعية . ولكن لجان الاتحاد الاشتراكى ـــ وكانت المسئولة عن هذا ـــ اهتمت بتشـــكيل الوحدات الجديدة ، وترتيب أمور الانتخابات حتى تستطيع فى النهاية ان تفخر بما تفاخرت به فعلا ، من ان الانتخـــابات عندئذ قد جاءت بـــ ٩٠ ٪ من نفس العناصر القديمة . ورضى أصحاب المراكز بما كان من نصيب لكل منهم ، وجاء الاستفتاء على البيان بـــ ٩٩ ٪ ، واكثر من الموافقين ، بفضل « خبراء الحشد » . ولكن أصبح الصباح وكل فى واد .

ولم تكن ظروف حركة التصـــحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، بحيث تعطى امكانيات أفضـــل مما كان . لقـــد أوجـــدت ضرورة عاجلة لملء الفراغ السياسى ، واقرار مبدأ ســـيادة القانون ، بوضع الدستور مصـــدر القوانين وكانت انتخـــابات جـــديدة ، واســـتفتاء جديد ، وتكررت الصـــورة السابقة ، لنعود للحديث عن عدم الفاعلية وانتشار السلبية .

وقد نعود لنســـأل . . وماذا عن الفترات فى غير وقت مظاهرات الانتخابات والاستفتاءات ؟ . . لقد عقدت اجتماعات عديدة على جميع المستويات وكانت دائما عامرة بالحضـــور ، بفضل « خبراء الحشد » . ولكن لعلنـــا لا ننسى ان القوم كانوا دائما يسمعون ولا يتحدثون . وتلقى عليهم الخطب فينتعش فيهم الامل ويصفقون ، ولكنهم لا يجدون وقتا لدى هؤلاء الخطبـــاء اذا بدأوا يشـــكون او يتكلمون . ذلك فضلا عن الصـــدق فى الملاحظة التى أبداها يوما الشيخ عاشور . وحتى حين بذل جهد واسع فعلا فى نشر الميثاق ، فقد كان ذلك يتم فى محـــاضرات ومعســـكرات ، بعيدا عن واقع الممارسة والاحتكاك مع باقى الجماهير .

والخلاصة من هذا ، ان نشـــاطنا السياسى ، واقرار وثائقنا الاســـاسية ، ظل يتم فى غيبة من الجماهير العريضـة الواسعة ، ودون اقتراب مثأن منها ، ودون شرح صبور ، واستماع أكثر صبرا ، ودون نزول عن الصـــيغ العـــامة والاتجـــاهات العريضـــة ، والحبـــكة اللغوية ، الى مســـتوى المشاكل المحلية ، ومسائل الحياة اليومية .

السنا بعد هذا ننشر قدرا من النفـــاق ، حين نلوك بالســـنتنا كثيرا ، تعبير الشـــعب القائد ، والشعب المعلم ، ثم لا نطلب من « القـــائد » هذا و « المعلم » ، أكثر من نعم عند الاستفتاء ؟

ومهما انتجت العقول ، وهى حبيســـة الغرف المغلقة ، ومهما دبرت لصورة المستقبل ، ودبجت من عظيم الصيغ ، فلن يكون مصير الجهد اكثر من موقف الاب حين يخطط لابنه ويرســـم مســـتقبلا زاهرا له ، ثم لا يناقشه معه . لقد صرنا ـــ حسب قواعد التربية العلمية الحديثة ـــ نناقش كل امور ابنائنا معهم ، ونســـتلهم صبر ايوب كله لنقنعهم ، بل ونتنازل عن بعض ما نؤمن به كسبا لرضاهم ، ثم نغفل هذا مع الجماهير الواسعة وهى صاحبة المصلحة الاولى فى كل ما ندبر وندبج .

انا نتصور ، فى ضـــوء الخبرات الســـابقة ، وخاصة والامر ليس بنفس العجالة التى مضت ، وفى ضوء الحاجة الملحة لتجسيد الوحدة الوطنية وقد اقترب موعد المعركة . نتصـــور ان المناقشة حول أزمة الاتحاد الاشتراكى ، يجب ان تخرج من حيز الاجتماعات الى دائرة الحقل والمصنع والمعهد والتجمعات الجماهيرية ، حيثما وجدت .

اليس الهدف ان نخرج بالجمـــاهير من اطـــار السلبية الذى احتواها ويهدد بانفصام فى حركتنا الوطنية ، ومن اطار اللامبـــالاة الخطـــيرة التى

تنعكس فى مظاهر الحياة اليومية ؟ .. فماذا كانت تلك هى الغاية ، فلماذا لا يكون وسيلة لهـا طرح قضية التنظيم السياسي عليها ، ونتدرج من هـذا المنطلق حتى الايجابية الكاملة فى خطوات متسقة من اجل معركة التحرير .

فلتنعقد الاجتمـاعات فى كل موقع ومكان ، ولتبدأ بطرح نفس السؤال الذى طرح على لجنة العمل : هل نجح الاتحاد الاشـتراكى ؟ .. وان كانت الاجـابة بالنفى — وسـوف تكون — فليكن سؤالان آخران ، **أولهما** : لـماذا ؟ .. **والثانى** : وما الذى تريـدون ؟ .. وليسـتمع المسـئولون ويطيلوا الاستماع ، وليسجلوا ما تطلبه الجماهير ، ولا يهملوا منه شيئا ، وليكن جهدهم الخـلاق بعد هذا ان يصيغوه نصـوصا ودليلا للعمل وطريقا للحركة .

ولتكن المناقشات الواسعة الحرة — وفوق كل شيء — الآمنة . ولنسـتمع للشـكوى ، ولنطلب الحـل . وطبيعى انـه لن تتحـدث الجمـاهير بالشعارات العامة العريضة . ولن تستطيع تلك الصيغ العـامة ، ولا الكلمـات الكبيرة . سوف تعرض بالشكوى — وخاصـة فى الريف ، حيث الـ ٢٥ مليونا من المواطنين — من هـؤلاء الذين ركبوا موجـة هيئة التحرير ، وامتطوا الاتحـاد القومى ، وسخروا الاتحاد الاشـتراكى ، وتقاسـموا العمدية والجمعية التعاونية والوحدة الاساسية ، والذين هم كفيلون بترويض اى تشـكيل تفرزه مناقشات الغرف المغلقة . سوف تعرض بالشكوى فى المواقع العمـالية ، للذين يستغلون مراكزهم للكسب الذاتى ، ولفرض صـور من الارهـاب الفكرى ، ولغياب مظاهر الديموقراطية . سـوف تعرض بالشـكوى فى مواقع كثيرة ، من غيـاب الوحدة الاساسية فور الانتخـابات ، ومن تعالى بعض من سعدوا بالتصـعيد ، ومن ترديد كلمات وأحاديث لا تتمشى مع ما يلمسون ويعايشون .

ومن الخطـأ ان نطلب من النـاس فى هـذه المستويات ، الارتفاع الى مستوى الصيغ النظرية والقانونية . ان السـياسة تبدأ عندهم من واقع المشاكل اليومية ، والتى يستطيع القائد السياسى منها ان يرسم ملامح الصورة السياسية للمجتمع ، وان يسـتنبط منها دليـلا للعمل الثورى على كل المسـتويات ، يكون من جرائها جميعا حـل أزمة الاتحاد الاشـتراكى ، وتحوله الى وعاء يجمع كل الجماهير ، تبثه شكواها ، وتأخذ منه الحل ، ومن ثم تكون فى الوضع الذى تتلقى منه التوجيه .

وبعد .. أفليس هـذا هو الممارسـة الفعلية للديموقراطيـة فى صـورتها الواسـعة ، حيث يستطيع ان يمارسها الافراد . كما تسـتطيع ان تمارسها الفئات والطبقات ؟

واليس هـذا هو تحـريك فعلى للجمـاهير ، ووسيلة للتغلب على السـلبية ، وبعد ذلك كله ، المجال الخصب لتوالد قيادات وعنـاصر جديدة ، تدفع بنفسها ، وندفع بها الى مسـئوليات العمل العام ، وتجديد الدم باستمرار ؟

ولكنا اذا آمنا بهذا الاسلوب لحل أزمة الاتحاد الاشـتراكى — سـواء كان ذلك فيما قبل انعقاد المؤتمر القومى ، أو كتوصـية منه بعد انعقاده — فانه لا يجوز ان يقف عند هذا الحد ، بل ان يصبح قاعدة للعمل مسـتمرة . واذا أردنا ان تشـيع الديموقراطية فى حياتنا السـياسية ، فلتكن هذه هى البداية .

وحتى تتدعم الديموقراطية — كأساس ضرورى لبنـاء نسيج قوى للوحدة الوطنيـة — فان لذلك مظاهره الاخرى التى نقصت فى ممارستنا ، وطال غيابهـا ، ان تدعيمهـا يتطلب منـا العـديد من التغييرات ، التى يجب ان نأخذ بها أو نضمنها أى تعديلات لقوانين الاتحاد الاشتراكى ودليل عمله .

لم لا نأخذ ، بالاضـافة الى ما هو قائم ، بفكرة **مؤتمر الوحدة الاسـاسية** ، الذى ينعقد بصـفة دورية ، ويتم فيه ، بالاضافة الى عرض ومناقشة القضايا العامة ، عرض المشاكل المحلية ، وما قام به المستوى القيادى فى الموقع فى شـأن حلها . وليكن مؤتمرا دوريا يحضره كذلك المسـئولون التنفيـذيون المحليون ، يعرضـون جهـودهم ، ويسـمعون من الجمـاهير رغبـاتها ، ويتقبلون نقدها .

ولم لا يكون حقـا للجمـاهير فى مؤتمراتهـا الاقليمية ، وحقا لمؤتمرات المستويات المختلفة فى الاتحاد الاشتراكى — سواء فى ذلك مؤتمر القسم أو مؤتمر المحـافظة ، أو المؤتمر القومى العـام ذاته — لم لا يكون من حق هؤلاء جميعا **ان يجتمعوا اذا رأت أغلبيـة معينـة منهم ذلـك** . ان خبرة السنوات الماضية قد أبرزت حقيقة انه كان فى يد المسـتويات المختلفة الا تنعقـد المؤتمرات ثم لا محاسبة على هذا العدوان على قانون الاتحاد . وليكن حقا اذن للجماهير ، تستطيع به ان تشـد قياداتها اليها اذا ما انحرفت .

واذا كنا نقصد بهذا ان نحافظ على احسـاس كل مسئول منتخب بالولاء لقـاعدته الجماهيرية ، وخضوع وجوده فى منصـبه لموافقتها ورضاها ، فلم لا يكون للجمـاهير **حق سـحب الثقة** من أى

مسئول منتخب . وان يكون تصـــويتها الحر حكما نهائيا في ذلك . ان غياب حق سحب الثقة طوال المدة الماضية ، كان بكل تأكيد ، وراء نسيان الولاء للشعب ، والاتجــاه به حيث الســـلطة ، او حيث المكســب الذاتى ، أو حيث المســـتويات العليــا فحسب .

وقد نضيف الى ذلك ونؤكده ، ضرورة اثبــات حق الجماهير فى ان تســـيغ ثقتها او ان **تسحبها من أى مســـــئول تنفيذى** فى الموقع ، وان يحترم **رأيها فى ذلك** . وقد يظن البعض ان فى هذا اعتداء على السلطة التنفيذية ، او عدم اســتقرار لها . ولكن علينا الا ننسى ان هدف الســـلطة التنفيذية هو خدمة الجماهير ، ثم فلنتصور اثر هـــذا الحق مثلا على أعمال الوحـــدات المجمعة ، والجمعيات التعاونية الزراعية ، وبنك التســـليف وغيرها من الاجهزة التى علت الشكوى منها فى القرية .

ان اشاعة حق الاجتماع على كل المستويات ، وضرورة تنظيمه ، يســـتلزم حتى يصبح مثمرا من ناحية ، وحتى تأتى قراراته وتوصياته مدروسة ، وحتى تبقى جذوة الاهتمام الســـياسى قائمة ، ان يسبقه **تحضير واسع له** ، الامر الذى لن يتأتى الا اذا التزمت كل المســـتويات بأن تتقدم الى أعضاء المؤتمر الذى تنبع منه ، وقبل اجتماعه بوقت كاف ، بما سوف يناقش فيه من مواضيع ، وان تنظم من أجلها اجتماعات تمهيدية ، تعرض فيها وجهــات النظر ويتم تبادلها ، حتى اذا جاء وقت التصويت ، كانت نتيجته ممثلة بالفعل لرأى القاعدة ، وترجيحا بالاغلبية الحرة — وليس بالضغط او الترغيب او الترهيب — لوجهة نظر ازاء الاخرى .

ويرتبط بالتصويت وأخذ الاراء ، ضمانات لابد من توفرها ، أبســـطها أن **يســـمح لكل الاراء ان تعرض** بنفس القدر ، وبكل المساواة . وان يفرد لــكل منهــا ما يفرد للاخرى من وســـائل للنشر والاعلام . وانه فى النهــاية ، مع ما قد نطلبه من النــاس من احترام رأى الاغلبية ، وربما الالتزام به ، **ان يكون للاقلية دائما حق الدفاع عن رايها** ، وابرازه دون ما اخلال بتنفيذ ما استقر عليه رأى الاغلبية . ان الضـــمان لكل عضـــو ان يستطيع ايصال رايه الى باقى الاعضاء ، ومنحه الحرية ، كل الحرية فى هذا ، لهو ضـــمان لاستمرار جذوة العمل الســـياسى متقدة ، واثرائه ، خاصـــة بين القواعد الواسعة ، حيث تنتشر نتيجة اليأس فى الاصلاح كل اتجاهات السلبية .

وأخيرا .. أليس غريبـــا ، فى مجتمع يتغـــير بسرعة ، ويتجه بخطوات مســـتمرة نحو البنــاء الاشـــتراكى ، وفى مجتمع عالمى يتغير هو الاخر بأقصى السرعة ، بما يعكســـه ذلك من تعديل فى المواقف والايديولوجيات ، والاوضاع السياسية ، وفى مجتمع لعبت عـــديد من الظروف فى تاريخه دورها ، فى ان ينظر للعمل الســـياسى كوســـيلة للصعود ، بدلا من ان يكون ســـبيلا الى الخدمة ، وفى ان تستشرى الانتهازية فى عديد من أفراده ، الذين اعتادوا التصـــدى للقيـــادة ، وفى ان ينظر الناس للرجل فى السلطة نظرة المسيطر اكثر منها نظرة المنسق والمنظم لكيان ما فى حياتهم ... نقول **أليس غريبا فى ضـــوء كل هـــذا ، ان نأخذ بالمدد الطويلة بين انتخـــاب وآخر** ، بحيث ان بعض المســـتويات يمـــكن ان تظل ست ســـنوات دون تغيير . ان ذلك ، ان جاز فى ظل أوضاع سياسية مستقرة ، أو فى نظام حزبى كامل ، فهو ما لا يجوز ان يكون فى ظل ظروف كالتى نعيشها .

والخلاصة ، انه اذا أردنا للعمل هذه المرة ان يأتى من الثمـــار ما لم تأت به أعمـــال مماثلة فى الماضى ، فقد وجب ان يبدأ من القـــاعدة العريضة الواسعة ، وان تكون التعديلات والتغييرات على هدى ما نستشعره من رغبات أصحاب المصـــلحة الاولى ، لجذبهم الى دائرة العمل السياسى ، بعد ان طال بعدهم عنها ، وان يســـتمر هـــذا الاتجاه ويندعم ، مقرونا بالضمانات ، تلك التى اوردناها من حق الاجتمـــاع ، وســـحب الثقة ، واشـــاعة أسلوب المؤتمرات ، واتاحة الفرصة لكل الاراء ، وتكرار عرض المستويات القيادية على القاعدة فى فترات متقاربة .

نقطـــة البـــدء :

حـــركة الجمـــاهير الشـــعبية

أبـوسيفــــ يوسفـــ

المناقشات التي بـدأت داخـل الاتحـاد الاشتراكي بعد تكوين « لجنـة العمـل » ليست ترفا او تزيـدا ، ولا يمكن أن تكون كذلك ، وليست صرفا للانظار عن قضية تحرير الارض ، ولايمكن ـــ أيضا أن تكون كذلك ـــ والسبب في ذلك بسيط: وهو انه اذا كانهدفتحرير الارض يتطلب بناء القوة المسلحة الرادعة ، فان تحقيق هذا الهدف منوط بالتعبئة السياسية التي توحد بين الطبقات الشعبية والوطنية ، وذلك على طول الجبهة الداخلية وعمقها . ولا يستطيع أن يقوم بالتعبئة اللازمة لاحراز النصر غير تنظيم سياسي يوحد وينظم جهود العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية .

ومنذ ٥ يونيو ٦٧ ، حظيت قضية بناء الاتحاد الاشتراكي ، وتصحيح مساره ، وأساليبه في العمل ، بأعظم الاهتمام من جانب الجماهير ، وعلى الاخص ، من جانب كل القوى الوطنيـــة والتقدمية الحريصة على تطور البلاد على طريق التقـــدم الاجتمـــاعي والاشـــتراكية . غير أن المحاولات التي تمت لم تحقق الهدف المنشود ، لاسباب لا داعي للافاضـــة فيها ، لاسيما وان « الطليعة » قد عرضت لها في أكثر من عدد ، وفي أكثر من مقال .

بيد أن محاولات انهاض الاتحاد الاشتراكي ـــ وان تعددت ـــ ينبغي الا تحجب عن أعيننا الامرين التاليين :

الاول : هو أن صيغة الاتحاد الاشتراكي ـــ من الناحية النظرية ـــ لم تزل سليمة .

والثاني : هو أن الوقت لم يفت بعد ، رغم أن وقتا ثمينا قد ضاع بالفعل ولا تزال الحياة تطرح في بلادنا ، بشدة ، قضية الجبهة والحلف الوطني والشعبي الذي يضمن احراز النصر على الحلف الاسرائيلي الامريكي .

وربما يكون هنـــاك أكثر من منهج للدخول الى موضوع انهاض الاتحاد الاشتراكي،وتحويله

الى تحالف وطنى شعبى واسع ، ومؤثر فى حياة البلاد . غير أن التصدي للفكر الرجعى الذى يحاول أن ينهى — عمليا — حقيقة الاتحاد الاشتراكى ، تحت دعاوى مختلفة ، ويعمل على نشر الشكوك فى المبادىء الاساسية التى تضمنتها وثائق ثورة يوليو .. نقول ان هذا كله يحتم أن نلتزم بمنهج محدد ، هو البدء من الواقع الوطنى فى بلادنا ، اى باستقراء وتحليل حركة الجماهير ، بعد ٥ يونيو ، ورصد اتجاهاتها . وهذا المنهج ربما تزكيه هذه الظاهرة وهو أن « الكل » قد بات يتحدث باسم الجماهير وباسم ارادتها !

والواقع الوطنى فى بلادنا ، بعد عدوان يونيو ، يضع أيدينا على حقيقة أن الطبقات الشعبية والوطنية وفى مقدمتها العمال والفلاحون والمثقفون ، قد شرعت تتحرك — ولا تزال — من اجل هدفين :

الهدف الاول والرئيسى : تحرير الارض المحتلة ، وذلك من منطلق الدفاع الحازم عن الاستقلال وخط البناء المستقل للاقتصاد الوطنى ، ورفض التنازلات أمام الضغوط والمؤامرات الامريكية ، ومخططات التوسع الاسرائيلية .

أما الهدف الثانى : فهو تحقيق وتأكيد المشاركة المتزايدة للفلاحين والعمال والمثقفين فى السلطة . وهذا الهدف قد عبر عنه — كما نعلم — بيان ٣٠ مارس بعد حركة جماهيرية واسعة وبناءة من النقد والنقد الذاتى ، ركزت على اساليب التغيير المطلوبة فى قيادة الدولة ، وفى اسلوب عمل الاتحاد الاشتراكى .

هكذا ، ومن أجل تحقيق الهدف الاول والرئيسى ، وهو تحرير الارض ، قدمت الجماهير كل دليل على استعدادها الكامل للتضحية ، ولتحمل مشقات معركة مصيرية وضارية ، ظهر هذا ، عندما رفضت الحركة الشعبية الهزيمة ، وأكدت على استمرار المقاومة وعلى حماية مكتسبات ثورة يوليو . وتأكد هذا فى مظاهرات عمال حلوان وطلبة الجامعات عام ٦٧ ، التى طالبت بعقاب صارم للمسئولين عن الهزيمة العسكرية . وتأكد هذا ايضا فى الجهد الخارق الذى بذل فى بناء القوات المسلحة على نطاق لم يحدث من قبل فى تاريخ بلادنا . وفى اندفاع الشباب للتطوع فى صفوفها وخدمتها . وفى البطولات التى تحملها ، ولايزال يتحملها مئات الالوف من أسر الشهداء والمقاتلين والمهاجرين .

وفى الصمود الذى قابل به الشعب غارات العمق على الاهداف المدنية . وفى بطولات العمال الذين أقاموا قواعد الصواريخ ،وبطولات الوف من عمال منطقة القناة واصلوا العمل تحت القصف المكثف وقذائف المدفعية الثقيلة . وفى رفض فلاحي منطقة القناة أن يهجروا أرضهم لحظة واحدة .

ولقد يضيق بنا المقام فعلا ، لو حاولنا ، أن نرصد ، وأن نحلل ، كل حركة جماهيرية وقعت فى غضون السنوات الخمس الماضية . وانما يكفى أن نقول : ان الحركة الوطنية لجماهير شعبنا لم تكف عن اظهار عزمها الذى لايتزعزع عن تحرير الارض ، وعبرت عن ذلك من خلال مظاهراتها ، واجتماعاتها ، ومواكبها ، وندواتها ومؤتمراتها .. الخ . وفى هذا كله ، ومن خلال هذا كله ، تشكل المناخ العام للمعركة .. وأهم قسماته :

1 ان اكثر المواطنين بعدا عن السياسة قد أخذت تجذبه معركة التحرير الى معترك العمل السياسى النشط ، ليشارك بالراى وبالعمل .

2 ان الحماس الوطنى بقوته الخارقة ، هو الذى يمكن المواطنين البسطاء من أن يتحملوا اقسى التضحيات ، ويمكن الشعب العامل من أن يتخطى معدلات السرعة فى انجاز ما يطلب منه من أعمال .

3 ان ثبات الامبريالية الامريكية فى دعم العدوان الاسرائيلى يوسع دائما دائرة الحلف الوطنى المعادى للاستعمار والصهيونية ، ذلك ان مواقف الامبريالية تبدد الاوهام ، وتقنع المزيد من الوطنيين الشرفاء بأن ما يطلبه العدو الامريكى انما يجرح الكرامة الوطنية ، ويهدد مصالح أوسع الطبقات فى مصر .

ان هذا المناخ الوطنى بكل قسماته هو الذى يتعين أن يزرع فى ارضه كل تنظيم سياسى يتطلع الى قيادة الجماهير .

فاذا انتظرنا بعد ذلك لنتابع حركة الجماهير من أجل تحقيق الهدف الثانى ، وهو المشاركة فى السلطة ، فسوف نتبين أن الجماهير ، قد ركزت على قضية التغييرات السياسية المطلوبة لتجاوز السلبيات التى ساعدت ، بكيفية مباشرة أو غير مباشرة على وقوع هزيمة يونيو . ومن

أجل هـذا طالبت بأن يتعمق اكثر فأكثر خط التحولات الاقتصادية والاجتماعية . وطالبت باعادة بناء التنظيم السياسى بالديمقراطية ، ونفذت ما فى عمل الاتحاد الاشتراكى من نواقص . وطالبت بتنحية القيادات العاجزة ، والرجعية فى الدولة والقطاع العام ، ودعت الى الحد من امتيازات البرجوازية . والىتعديل وتطوير عدد من القوانين المتعلقة بالحريات ، او المرتبطة بالقضايا الاجتماعية .

وفى هذا كله ، ومن خلال هذا كله برزت بعض المعالم الاساسية فى مواقف الجماهير الشعبية : **فأولا** : حددت الجماهير **أن الديمقراطية السياسية** هى الوسيلة الى احداث التغييرات المطلوبة . لكن الجماهير لم تعط الديمقراطية هذا المضمون الديمقراطىالليبرالى الذى يتلاعب به اليمين الاجتماعى . بل طالبت بالديمقراطية السياسية لها ، كضمان يمكنها من الدفاع عن مكتسباتها ، ومندعمها وتوسيعها ، وكوسيلة تمكنها من المشاركة مشاركة متزايدة فى ادارة شئون البلاد .

ثانيا : برهنت الجماهير فى اكثر من موقف، وفى أكثر من مناسبة على أنها لا تفصل بين قضية التحرير ، وبين الدفاع عن حقوقها ومكاسبها . ومن هنا برز بوضوح أن تمسك الجماهير الشعبية بخط التحولات الاجتماعية هو موقف اصيل ، ليس من السهل على قوى الثورة المضادة أن تضللها او تبعدها عنه .

فاذا كان — بعد ذلك — هناك اساس لقيام وحدة وطنية جماهيرية صلبة ، فمن الواضح أن هذه الوحدة لن تقوم ، بكيفية راسخة ، الا على اساسين :

— تحرير الارض .

— والمشاركة المتزايدة من قبل العمال والفلاحين والمثقفين فى ادارة شئون البلاد .

ومن هنا ، تطرح القضية بالنسبة للاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى يسعى الى قيادة الجماهير ، ويعبر عن مصالحها ، على الوجه التالى :

وهو انه : اذا استطاع الاتحاد الاشتراكى ، أن يقدم لحركة الجماهير — بابعادها التى أشرنا اليها — الصيغة التى تجعل منه وعاء ، لحركة التحرر، واطارا لحلف يعكس الوزن الحقيقى ، والمصالح المتميزة ، لكل طبقة من الطبقات الشعبية والوطنية ، فانه يكون قد بدأ بالفعل يرسى بنيانه كتنظيم جماهيرى ، قائد ، يتقدم حركة الجماهير ، وينظمها ، ويفجر الطاقات الكامنة فيها ، من أجل دحر العدوان الصهيونى الامريكى ، ومن اجل بناء الدولة العصرية الديمقراطية .

وعندما نقول هذا الكلام ، فانما نستند الى تجارب تاريخنا القومى ، والى تجارب جميع البلدان التى ولدت وترعرعت فيها أحزاب وتنظيمات ثورية وجماهيرية .

ففى بلادنا ، ولد حزب الوفد ، كتنظيم تلتف حوله أوسع الجماهير ، فى اللحظة التىانطلقت فيها الحركة الوطنية المعادية للاستعمار البريطانى . وفى تلك اللحظة من المد الثورى قدمت قيادة الوفد لهذه الحركة الصاعدة الصيغة التنظيمية التى أصبحت وعاء للحركة الوطنية ، اى لحركة الجماهير . ومنذ هذه اللحظة ولد الوفد كحزب جماهيرى . واستمر على هذا ربع قرن أو اكثر — ولا يغير من هذه الحقيقة ، أن قيادة ذلك الحزب لم تحقق المهام التاريخية الاساسية الملقاة على عاتقها ، خصوصا عندما عجزت — بعد الحرب العالمية الثانية عن الاستجابة لمتطلبات موقف تاريخى وثورى جديد، وحركة جماهيرية جديدة تتعارض مصالحها مع مصالح الطبقة القابضة على قيادته .

هنا ، ربما كان من الواجب أن نشير الى ان « مشروع ورقةالعمل » المقدمة من **السكرتير الاول** للجنة المركزية قد نص على طائفة من الاهداف « ذات الوزن القومى الشامل » فى مقدمتها : تحرير الارض . كما اكد المشروع أيضا على ما دعا اليه **الرئيس أنور السادات** من اعداد الجماهير لتمارس حقها فى الرقابة وفى توجيه السلطة الوطنية ، وبحيث تشارك فىصنع القرارات المتصلة بمشاكلها ومتطلباتها .

وهذا بلا شك هام جدا . والمطلوب الان أن يتقدم الاتحاد الاشتراكى من أجل أن يضع كل هذا موضع التطبيق .

وفى اعتقادنا ، ان هذا انما يتحقق عندما يؤسس الاتحاد الاشتراكى نشاطه اليومى على الاسس الرئيسية التالية :

❶ **فكر واضح فى القضية الوطنية** ، يجسده المسلك اليومى لاوسع قطاعات الشعب.

ان هذا الفكر يعنى تعريف الجماهير بالعـدو الاستراتيجى والعدو المباشر ، وبطبيعة المعركة وابعادها ويضع نضـالنا فى مكانه من حركة الثورة العالمية ، ويحدد بحسم القوى الحليفة على المـدى البعيد ، والقوى الصديقة على المـدى القريب . وان يتم هذا كله ، بالكيفية التى تثقف الجماهير بحقائق الموقف ، وتؤهلها لمواجهـة الحرب النفسية ، وترفع الانضباط فى صفوفها وتدعم أولا وأخيرا ثقة الشعب فى قواه الذاتية من حيث انه يستطيع بقواه أن يحرر أرضه ، ويهزم اعداءه .

❷ تعبئـة حقيقية للجماهير ، وذلك بالعمل السياسى الذى يقوم به الاتحاد الاشتراكى فى داخل منظماتها النقابية والجماهيرية والوطنية ، بحيث لا يصـادر حـركتها ، بل يدعم كياناتها المستقلة ، ويحثها بالقدوة والاقناع ، على القيام بمبادرات خـلاقة فى مجالات زيـادة الانتاج ومكافحة الامية ورفع كفاءة الدفاع المدنى .. الخ . وتوسيع آفاق العمل التطوعى والاختيارى لحل المشـكلات الذاتيـة فى القرى والاحيـاء والمدن .

❸ بنـاء ديمقراطى للاتحـاد الاشـتراكى يمكن الفلاحين والعمال والمثقفين ، وهم الغالبية العظمى من الشعب من أن يعبروا عن أنفسهم حرية ، من خلال منابرهم ، وذلك بقدر ما لهم من وزن اجتماعى حقيقى ، وبقدر ما لهم من مصالح خاصة يتعين تأكيدها وصيانتها ، وذلك وفقا لمبدأ المساواة فى التضحية بين الطبقات ، ووفقا لمتطلبات الوحدة الوطنية المقدسـة بين هذه الطبقات .



التمـايـز داخـل اطار التحـالف الـوطنى

ميشـيل كامـل

حدد

المؤتمر القومى اختصاصات لجنة العمل فى أربع نقـاط ، الاولى والثانية منهما تتناولان « الاطار » الذى ثبت « عجزه عن مواجهة متطلبات الجماهير » ، وطالب المؤتمر بتعديله « بحيث تشارك الجماهير فى وضع القرارات » وليكون « منبرا حرا معبرا عن ارادة الجمـاهير بالاسـلوب الذى تراه قوى الشعب العاملة » [1]

لكن ، من الملاحظ أن مناقشات اللجنة قد تشعبت وتفرعت الى عديد من الموضـوعات ، كان أبرزها علاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة التنفيذية ، بالاضافة الى حوار مستفيض عن سلبيات الماضى ، دون أن تتطرق بالقدر الكافى الى موضوع الاساس .

والهدف من دراسـة اعراض المرض هو تشخيص الداء لتحديد نوع العلاج الذى يقضى

(1) من قرارات المـؤتمر فى دورته الاخيرة ، قام بتلخيصها د. محمد حافظ غانم .

عليه في مكمنه . هذه القاعدة العلمية تعتبر من البديهيات الاولية التي تسري صلاحيتها في التطبيق على مجالات الحياة المختلفة ، والالتزام بها يجنب الانسان كثيرا من الالام والفساد . واليوم اذ تجرى محاولة جديدة لتعديل القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي ، حتى يصبح « الاطار التنظيمي قادرا على تحقيق المضمون » اي بتحويله الى « تحالف وليس حزبا » (٢) ، نرى أن نفرق بحزم بين ما هو من الاعراض المرضية وبين ما هو اساسي وجوهري ، وان نتجنب الخلط بين النتيجة والسبب » ، فان الحلول الجزئية « للسلبيات » مآلها الفشل مثل مثيلاتها في التجارب العديدة السابقة ، في ظروف لا نملك فيها « ترف » الهروب من مواجهة المهام الملحة ، بعد أن بلغت الازمة ذروتها .

ان تصور الاتحاد الاشتراكي عن تادية دوره كتحالف لقوى الشعب العاملة كان يعزى دائما الى الاعراض الثانوية .. الافتقار الى كفايات قيادية ، الالتجاء الى اسلوب التعيين بدلا من الانتخاب ، تفشي الاساليب المكتبية والبيروقراطية ضرورة استكمال الاجهزة القيادية ، الحاجة الى تنظيم طليعي نشط ، خلل في تعريف العامل والفلاح ، تسلل العناصر الانتهازية ، ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال ، اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسي واجهزة السلطة التنفيذية والتشريعية ، تسلط بعض مراكز القوة .. الخ من أعراض ، هي رغم أهميتها « **نتاج ثانوي** » **لمشكلة الاساس ، وجوهر التناقض الذي** يأخذ بخناق التنظيم السياسي ، فمحاولة التغلب على كل هذه السلبيات دون أن يمس الجوهر ، قد يؤدي الى خلق « حزب » كفء للطبقة السائدة اجتماعيا وصاحبة النفوذ في السلطة ومؤسساتها ولن يحيله بحال من الاحوال الى تحالف لقوى الشعب العاملة .

ورغم ضرورة التفرقة بين ما هو ثانوي وبين ما هو جوهري الا اننا لا نستهين بأهمية النضال للتخلص من الاعراض السلبية ، وخاصة كل مايتعلق منها بالديمقراطية داخل التنظيم السياسي مثل التعديل التقدمي لتعريف العامل والفلاح وتوفير ضمانات حرية التعبير والنقد .. الخ ، باعتبارها خطوات على الطريق تهيىء مناخا أنسب لفاعلية متزايدة للقوى الشعبية الكادحة في كفاحها من اجل تحقيق المشاركة الفعلية في قيادة التحالف ، لكن ، لا يجب الاكتفاء بالكفاح في سبيل الجزئيات ، دون الامساك بالحلقة الرئيسية في الموقف وطرحها كمهمة اساسية عاجلة وحاسمة وتركيز كل الجهود عليها وتجميع الرأي العام حولها وتعبئته بهدف التحرك في اتجاه انجازها .

ان التناقض الرئيسي الذي تسبب في الهزيمة وادى الى استمرار تردي الاوضاع وتدهورها ، هو التناقض بين طبيعة المرحلة التي تتطلب تنظيم جبهة من كل القوى الوطنية والتقدمية بلا استثناء وعلى اختلاف انتماءاتها الطبقية ، وبين طبيعة السلطة والمؤسسات التي تتميز بسيطرة فصيلة واحدة من القوى الوطنية وانفرادها بالحكم وتمسكها باقصاء القوى الثورية الاخرى . ولقد اتضح فشل اسلوب « الوحدة الوطنية » الذي يستهدف تحقيق الوحدة الفكرية والسياسية وصياغة برنامج التحالف من جانب فئة واحدة متميزة — جناح من الطبقة الوسطى — تعمل على فرضه على جميع الفئات والقوى الوطنية الاخرى وتستأثر بالسلطة واتخاذ القرار وتحديد البرنامج العام « الموحد للجميع » من موقع الوصاية على الجماهير والادعاء بحيادها وتساميها وارتفاعها فوق التناقضات والمصالح الطبقية ، وتمثيلها لها « في مجموعها » .

ان الحلقة الرئيسية في توفير متطلبات التحرر والسير قدما في طريق انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والانطلاق الى آفاق التحول الاشتراكي تتمثل في المبادرة الى حل هذا التناقض . فلمدى طويل ظل هذا التناقض يشكل عقبة تعرقل مسيرتنا الثورية ، أما اليوم فقد أصبح هو المقتل الذي يهدد الكيان الوطني كله .

منذ هبة ٩ يونيو ١٩٦٧ ، وما تبعها من حركات وانتفاضات ثورية عديدة ومتنامية طرحت الجماهير الشعبية الكادحة شعارات « التغيير » و « نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة » والمشاركة الفعلية في المؤسسات وصياغة القرارات ، واتاحة حرية التعبير لجميع الاتجاهات السياسية الوطنية ، ومن المشاهد أن هذه الحركة تنمو وتكتسب تأييدا ومساندة من القطاعات الشعبية العريضة .

والواقع أن هناك اتجاهات ثلاث تتصارع داخل الاتحاد الاشتراكي من منطلقات طبقية متباينة ومتميزة :

الاتجاه الاول منها يتمسك **بمبدأ التحالف** اي بالمضمون الثوري لما جاء بوثائق الثورة ويطالب

(٢) من مشروع ورقة العمل المقدم من السكرتير الاول للجنة المركزية .

بتغيير **الشكل — الاطار التنظيمي — الذي**يتناقض مع تطبيق المبدأ ، فيسرى ضرورة تعدد المنابر واتاحةحرية التعبيرالفكري والسياسي والتنظيمي لكل القوى الوطنية أو السماح بتكوين « تنظيم سياسي لكل فئة من قوى الشعب العاملة ، على أن تنضوى هذه التنظيمات تحت لواء الاتحاد الاشتراكي في صيغة قريبة من صيغة الجبهة الوطنية » [٣] .

الاتجاه الثاني يدعو الىتقديس الهيكل التنظيمي القائم ، او الشكل — الوعاء — ويقاتل بضراوةمن اجل تجميده والابقاء عليه ، بل وتخليصه من «اليسار» فىنفس الوقت الذى يطالب فيه بتعديل الاساس الفكرى الذى وضع فى خدمته — تحالف قوى الشعب العاملة — واعادة النظر فى وثائق الثورة بهدف الاجهاز على ما تتضمنه من جوانب ثورية .

بينما **الاتجاه الثالث** ينادى بالابقاء علىالوضع كما هو فيما يتعلق بوثائق الثورة والصياغة التنظيمية للاتحاد الاشتراكى كمجرد « مجمع » يحشد داخله الافراد دون تمايز ، ووعاء ضخم هلامى مترهل يحتوى « الجميع » . وهنا ينصب الحديث على حرية « **الفـرد** » فى التعبير — و « اطمئنان **الانسان** على كرامته ولسانه الذى ينطق به » وانهاء « موقف **المواطن المتفرج** ليحل محله **المواطن** المشارك » والاستمانة « بكل **صاحب رأى** ، وبكل **ذىخبرة** » ، مع مجموعةمن التعبيرات والصياغات « المرنة » حول **الانفتاح** على الجماهير وتدعيم الطابع الديمقراطى .. الخ

انها الاتجاهات الثلاث المتصارعة دوما والمنطلقة من مواقع طبقية متباينة ، رغم ان الاستقطاب المتزايد داخل المجتمع يدعم الاتجاه الاول والثانى ويرفع من مستوى الصراع بينهما .. الاول يبغى تطوير الاوضاع بما يخدم قضية التحرير والثورة الاجتماعية ، والثانى هدفه الانتكاس والردة ، والثالث يحاول تجميد الموقف وتثبيته لتبقى السلطة ومؤسساتها حكرا للطبقة الوسطى ، ومما يؤسف له انه يضم عددا من مدعى « التقدمية » يشنون حملة ضارية ضد فكرة التمايز بمفهومها السياسى ، ومن ثم فهم يكرسون سيطرة البرجوازية الوطنية .

والتحالف يتم بين قوى الشعب العاملة ، اى بين **طبقات وفئات اجتماعية** ذات مصالح **متمايزة** تجمعها وحدة الهدف فى مرحلة استراتيجية محددة ، رغم تباين ايديولوجياتها وتصوراتها الخاصة لاسلوب تحقيق الهدف المشترك وآفاق التطور بعد انجازه . **ومن هنا** فان حشد **الافراد** فى وعاء تنظيمى واحد وحرية التعبير **للمواطن** يتناقض مع المفهوم السليم والامينللتحالف الوطنى ، ويتعارضمع المضمون التقدمى لوحدة « القوى » الوطنية مع الاقرار بقانون الصراع الطبقى الذى يدور بصورة سلمية داخل اطار التحالف ، بل ان السبيل الامثل لتعبئة كل القوى الوطنية ، والضمان الوحيد **لسلمية** الصراع الطبقى بين هذه القوى يكمن فى اتاحة حرية التعبير « للطبقات » ، وحق التنظيم فى تشكيلات مستقلة « لكل فئةاجتماعية على حدة » ، يضمها جميعا وعاء تنظيمى لتحالف **جبهوى ، يستمد صلابته من الاتفاق الواعى بين اطراف تدرك وتقرر لنفسها ومن واقع ارادتها الحرة ماهية حقوقها وواجباتها والتزاماتها .**

ان قيام العلاقات بين قوى منظمة سياسيا وبقيادة طلائعها الواعية هو صمام الامن ضد تفجرالصراعات الثانوية بصورة ضارةتعلو على مستوى التناقض الرئيسى مع العدو ، فالخطر هنا مصدره الافتقار الى الوعى ، الذى يظل سائدا طالما حرمت بعض الفئات الوطنية من حق التعبير السياسى والتنظيمى عن وجودها وكيانها ومصالحها .

كذلك فان السلبية نتاج طبيعى للافتقار الى الشعور بالمشاركة ونتيجة الاحساس بأن القرارات تفرض من جانب واحد . كما ان احتكار فئة ما للسلطة يقود بالضرورة الى فرضها لما يتمشى مع مصالحها ، دون أن تدخل فى حسابها مصالح وارادة الفئات الاخرى ، وهو ما يؤدى بدوره الى التمزق وتفتيت الوحدة الوطنية وفشل جهود التعبئة القومية الشاملة ، وتلك هى المأساة التى عانينا منها طويلا ولن تجدى فيها الحلول الجزئية .

وفى الوقت الذى نشهد فيه الاثار الايجابية للحركة الجماهيرية الواعية التى تنادى بالتمايز فى اطار الوحدة الوطنية ، ويكتسب هذا الخط تأييدا متزايدا من القوى الشعبية الكادحة بهدف كسر احتكار السلطة من جانب الطبقة الوسطى نجد اصواتا ترتفع نشازا لتشيع وتروج ان التمايز يشكل خطرا على الوحدة الوطنية ، ومما يؤسف له ان ينزلق « مدعو التقدميه » وبعض القوى اليسارية المضللة الى نفس الاتجاه وهم **بذلك** يعملون بالتضامن مع اصحاب

---

[٣] الاهرام فى ١٩٧٢/٣/٢٨ « مقترحات هامة تثيرها لجنة الفكر » وهو الرأى الذى تقدم به ودافع عنه المرحوم الدكتور محمد الخفيف .

المصلحة على اجهاض حركة الجماهير من اجل تثبيت الاوضاع وتجميدها والابقاء على انفراد هذه الفئة بالسلطة .

ان التمايز هو واقع موضوعى قائم فى المجتمع لا يمكن اخفاؤه أو تجاهله ، بل انه يتزايد وينمو من خلال عملية الاستقطاب التى تجرى بصورة مضطردة .

ثم . . هل حقا لا يوجد فى مجتمعنا فئة تملك حق التنظيم وحرية التعبير كطبقة ؟

الواقع يؤكد غير ذلك ، فالطبقة الوسطى لها حرية كاملة فى التنظيم والتعبير والتأثير والتوجيه واتخاذ القرارات ، وتحتل المواقع القيادية فى المؤسسات السياسية والاقتصادية ، ومن ثم ، فان أعداء التمايز ليسوا أمناء فى عدائهم لكل تمايز ، بل انهم يعارضون ويعادون تميز الفئات الشعبية وحدها ، ويدعون الى حق التمثيل الاقتصادى الفئوى الضيق .. انهم يتبنون نظرية تلائم من بيدهم زمام الامر .

من المتفق عليه أن الديمقراطية ذات طبيعة طبقية ، فهى أداة الحكم لفئة او تحالف جبهوى يعمل على شل النشاط السياسى للفئات الاجتماعية الاخرى المعادية ، ومن هنا فان تحديد الحريات وحصر حق التعبير والضمانات الديمقراطية فى « الفرد » وحده و « المواطن » فحسب ، تشكل الخط النظرى الاساسى الذى تدعو اليه البورجوازية لاضعاف خصومها ومحاصرة نشاطهم . والفرق بين حكم الطبقة الواحدة وبين خط التحالف هو بالذات الفرق بين حرية الفرد كمنطلق . . أم حرية الطبقة أساسا ، بالاضافة الى الحريات الفردية .

وهناك الرأى القائل بتمثيل المنظمات الجماهيرية الديمقراطية — اتحاد العمال ، الاتحاد التعاونى ، منظمة الشباب ، اتحاد الطلبة ، التنظيم النسائى . . الخ . فى الهيئات القيادية للاتحاد الاشتراكى . ولا شك ان تمثيل هذه المنظمات يعتبر من الخطوات الايجابية فى اتجاه تحرير الطبقات الكادحة من الوصاية ، وهى خطوة تستحق التأييد والمساندة من كل القوى الديمقراطية والتقدمية .. الا انها تظل تدور فى اطار الجزئيات التى تمهد ولكنها لاتحل قضية التحالف ، لذلك يجدر بنا الا نقنع بها .. لماذا ؟

● لان طابع هذه المنظمات فئوى اقتصادى ، فهى ليست ولا يمكن أن تقوم بمهام المؤسسات السياسية ، اذ ان دورها لا يتعدى النضال **الاقتصادى** لتحسين شروط العمل ، لزيادة الاجر الخ ان تمثيل المنظمات الجماهيرية داخل الاتحاد الاشتراكى ينقل الصراع الاقتصادى الى داخل التنظيم السياسى ، ولكنه لا يحل مشكلة حرية التعبير **النظرى والسياسى** ، بينما قضية التحالف — القضية المطروحة — هى بالذات فى كفالة حق التعبير النظرى والسياسى . وطالما حرمت الطبقات والفئات الشعبية الاخرى من حق ممارسة النشاط السياسى المعبر عنها فستظل مجرد توابع للراسمالية تدور فى فلكها ويظل التنظيم السياسى حزبا للفئة التى لها وحدها حق التعبير باشكاله الثلاث .

● ان قانون الجمعيات يمنع هذه المؤسسات الجماهيرية من الاشتغال بالسياسة ، حتى أن ممارسة أى منها للنشاط السياسى يعرضها للحل بقرار من وزير الشئون الاجتماعية طبقا لنص القانون .

● معظم قيادات تلك التشكيلات الاقتصادية تنتمى من ناحية أصولها الاجتماعية وأوضاعها الاقتصادية والمعيشية او اتجاهاتها الفكرية الى الطبقة السائدة اجتماعيا ، وبذلك فهى لا تعكس بأمانة المصالح الطبقية لهذه الفئات ، وسيظل هذا الوضع قائما طالما انها محرومة من حق مزاولة النشاط السياسى .

● بعض هذه المؤسسات ليس له وجود فعلى [التنظيم النسائى] أو تعرض للحل بقرار [منظمة الشباب] أو لم ينشأ على أسس ديمقراطية [النقابات الزراعية] ، وقد اشار المهندس ابراهيم شكرى الى أن « النقابات الزراعية قد كونت على الورق » فى ظرف اسبوعين بقرار من وزير العمل ويسيطر على معظمها مقاولو الانفار وهى التى تضم اكبر فئة عاملة فى مصر .

● أعظم قوى التحالف حجما — الفلاحون من فقراء الريف والبرجوازية الصغيرة — سيحرمون من حق التمثيل الحقيقى داخل الاتحاد الاشتراكى بسبب التغيير الذى أدخل على قانون التعاون عام ١٩٦٩ ، وأفرغه من محتواه الديمقراطى بالنص على رفع حد الملكية الى ١٠ افدنة لنسبة الثمانين فى المائة من أعضاء مجالس الادارة ، بالاضافة الى حرمان الاميين — الذين يشكلون ما يزيد عن ٩٠٪ من هذا القطاع — من الترشيح لمجالس ادارة التعاونيات .

ورغم ذلك ، فان الاخذ بأسلوب تمثيل المنظمات

الجماهيرية سوف يكون أحد العناصر الايجابية فى مجال العمل من أجل تحويل التنظيم الى تحالف ، اذا روعيت الجوانب الاخرى . وقد طرحت عدة اقتراحات حول أسلوب التمثيل والنسب المقررة له . وافضل هذه المقترحات نجدها فى الاتجاه الذى يدعو الى ضم التنظيمات الجماهيرية الديمقراطية ، التى تمثل فئات الشعب المختلفة الى الاتحاد على مستوى القيادات الاقليمية فى المحافظات والقيادة المركزية — اللجنة المركزية للاتحاد — على الا يقل ممثلو المنظمات الجماهيرية المنضمة للاتحاد عن ثلث عدد اعضاء لجنة المحافظة واللجنة المركزية ، وان يكون تمثيل المنظمات المختلفة حسب نسبتها العددية بشرط الا يقل ممثلو كل تنظيم عن واحد ، وذلك مع الاحتفاظ بنسبة ٥٠ فى المئة للعمال والفلاحين .. وتقوم هذه التنظيمات بانتخاب ممثليها فى المستويات القيادية للاتحاد .

وهناك راى يتصور أن حل القضية يتمثل فى تعديل جديد لتعريف العامل والفلاح « أقرب » الى التحديد العلمى لهما ، وأن يمتد تطبيق قاعدة الـ ٥٠٪ الى جميع المستويات بلا استثناء . ولا شك أن تنفيذ هذا الاقتراح أيضا يعد من الخطوات التقدمية الهامة التى تدعم الحياة الديمقراطية ، ولكنها رغم ذلك تبقى جزئية لا تمس الاساس ، حتى اذا رفعت نسبة التمثيل عن ذلك، وبافتراض الاخذ بالتعريف العلمى السليم للعامل والفلاح ، فالمشكلة لاتتعلق بحجم التمثيل ، بل بنوعيته ، لان تضخم الحجم لايحول « التعبير الاقتصادى » الى « تعبير سياسى » ، ولا يمكن ان يطور « حركة عفوية » الى« حركة واعية » .

اما الحزب الطليعى — سواء كان تكوينه سرا ام علنا — فلن يكون اكثر من تنظيم وطنى .. صورة مصغرة مكثفة للقوى التى تقوم بتشكيله واختيار افراده اى طليعة للفئة السائدة اجتماعيا . والقول بغير ذلك والتصورات الخيالية التى يشيعها البعض عن طابعه « الاشتراكى » ليست الا من قبيل التلويح بأمل زائف والتضليل بسراب خادع ، ان التنظيم الطليعى الاشتراكى لا يمكن أن ينشأ الا بالارتباط العضوى بين النظرية الاشتراكية العلمية وحركة الطبقة العاملة . ثم .. أى ايديولوجية يتوقع هؤلاء لمثل هذا التنظيم الطليعى ، « فلا يمكن أن تطرح المسألة **الا بالشكل التالى** « اما ايديولوجية برجوازية واما ايديولوجية اشتراكية . وليست وسطا بينهما (لان البشرية لم تضع ايديولوجية « ثالثة » ، اضف الى ذلك أنه فى مجتمع تمزقه التناقضات الطبقية، لايمكن ان توجد ايديولوجية خارج الطبقات او فوق الطبقات » (٤) .

والرأى المعارض للتمايز — بل وبعض المؤيدين نظريا لضرورة التمثيل السياسى المستقل لمختلف الطبقات .. على أن يؤجل الى المستقبل — يدعم وجهة نظره بانه لا توجد عمليا تنظيمات سياسية عندنا ، فكيف بالله نفتعل مثل هذه التشكيلات ؟ والرد على هذا الراى يمكن ان نلخصه فيما يلى :

● ثبت فشل الصياغة الراهنة ، ولم تجدى الاصلاحات الجزئية التى سبق أن جربت المرة تلو المرة فى عمليات اعادة البناء السابقة ، بل زادت الامر تعقيدا . مما يقتضى التصدى لمشكلة الاساس بالجراة اللازمة ، ونبذ المنهج التجريبى الاصلاحى .

● والمشكلة اصبحت اليوم تمس كياننا الوطنى كله ، ولم تعد مجرد عامل مساعد أو قضية ثانوية ولكنها ضرورة من متطلبات تحرير الارض المغتصبة وحماية المكتسبات الثورية مما يقتضى تعبئة كل القوى الوطنية أى مشاركتها الفعلية فى السلطة ، ولا تصبح هذه المشاركة حقيقية ما لم يتوفر لها حق التمثيل السياسى فى القيادة العليا ، ومن هنا تصبح المسألة لا تتعلق بتساؤل هل يمكن ام لا يمكن ، بل تتعدى ذلك الاطار الى .. كيف ؟

● الظروف الموضوعية مهيأة لانبثاق هذه التشكيلات . وقد نضجت لميلاد صحى بعد ان اصبحت مطلبا جماهيريا يحظى بتأييد متزايد من قوى الشعب العاملة ، ترى فيه طريق الخلاص. ان الفرق بين الموقف الثورى المتسق مع متطلبات التطور والمهام المصيرية لنضالنا فى المجال الوطنى والاجتماعى ، وبين الموقف الاصلاحى تتمثل فى ان الاول يملك القدرة على خلق المؤسسات التى تخدم التقدم وتفى باحتياجات الموقف دون ان تتجمد فى أطر بالية، ثبت عجزها لمجرد انها الاشكال « القائمة » والاوضاع « المستقرة » .

(٤) لينين ما العمل ؟ المختارات – المجلد الاول – الجزء الاول ص ١٩٦ .

وقد اقترح اسلوب النوادي السياسية [٥] كحل لمشكلة التعبير للاتجاهات الفكرية والسياسية المتباينة . والاخذ بهذا الاقتراح — وهو اضعف الايمان — يمثل خطوة في طريق تشكيل تنظيمات مستقلة للفئات المختلفة داخل الاتحاد الاشتراكي ، على ان تتاح لهذه النوادي حرية العمل ، وان يسمح لها بتكوين منابرها الصحفية والفكرية — ويمدها الاتحاد الاشتراكي بالضمانات والامكانيات — وبذلك يصبح الترابط والتفاعل بين هذه النوادي السياسية والتمثيل الجماعي للمؤسسات الديمقراطية الجماهيرية والنسبة المخصصة للعمال والفلاحين ، هي القاعدة التي تقيم عليها القوى الاجتماعية تنظيماتها السياسية . ويحق لهذه النوادي أن تتحول الى منظمات سياسية لها استقلالها الذاتي داخل اطار التحالف ، اذا زاد عدد الراغبين في الانتماء اليها عن خمسين الف مواطن من داخل الاتحاد الاشتراكي او من خارجه .

اذا لم يؤخذ بهذه المقترحات مجتمعة — باعتبارها السبيل الوحيد لتحويل الاتحاد الى تحالف — فسوف يظل الاتحاد الاشتراكي على ما عهدناه ، محتفظا بطابعة الحزبي ، ممثلا لمجموعات صغيرة من الطبقة الوسطى المصرية . **وحينئذ فأن القوى الشعبية العاملة التي نص الميثاق عليها : يصبح من حقها الشرعي ان تقيم تنظيماتها الوطنية الخاصة وان تعمل في نفس الوقت على ان يضمها جميعا جبهة متحدة حول الاهداف القومية الشاملة .**

هناك شبه اجماع بين القوى الوطنية على المهام والاهداف التي تشكل اساس البرنامج الوطني الديمقراطي العريض ، وهو برنامج الحد الادنى الذي تبناه الاتحاد الاشتراكي ويتضمن في الاساس حل القضية الوطنية وتحرير الارض المغتصبة ومتابعة خط العداء للامبريالية ، ودعم الحركة الثورية العربية في مواجهة التحالف الرجعي الاستعماري ومن اجل الوحدة والسير قدما في طريق التقدم الاجتماعي والاقتصادي وتعزيز الديمقراطية وتطوير القوانين والغاء كل التشريعات المقيدة للحريات .. الخ

والواقع انني اختلف مع القائلين بأن نضع مهمة بناء الاشتراكية كهدف للاتحاد **في المرحلة الراهنة** ، لان هذا الهدف يتناقض جذريا مع مصالح بعض الفئات التي يضمها التحالف ، والتي تهيمن حتى الان على التنظيم السياسي . وليس معنى هذا الا يطرح هذا الشعار والايجري النضال من اجل الاشتراكية ، لكن لنترك هذا الشعار لترفعه المنظمات السياسية التي تشكل داخل التحالف والتي ترغب في تبنيه والكفاح الحقيقي من اجله ، والتي يتسق هدف الاشتراكية مع طبيعة تمثيلها ومصالحها ووعيها . ليس ما نريده سراب اشتراكي وبلبلة وديماجوجية ، فكر وتطبيق برجوازي مغلف في مقولات اشتراكية براقة ، بل نريد ان يدافع البرجوازي عن رأيه ويطرح أفكاره وآراءه دون مواربة ، وان يعبر الاشتراكي عن معتقده ويناضل من اجل ترويجه . ومن خلال الحوار والنضال الفكري المفتوح الصريح داخل صفوف التحالف ستتدعم الاتجاهات التقدمية والثورية ويكتسب الفكر الاشتراكي ارضية اكثر اتساعا وخصوبة ، مما يؤدي الى تغيير في وعي وبنية الاتحاد الاشتراكي وعلاقات القوى داخله .. وحينئذ ، **وحينئذ فقط** يتحول شعار بناء الاشتراكية من موقف لبعض التنظيمات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكي الى هدف عام للتنظيم الجبهوي كله ، **اذ يصبح الشعار** معبرا عن المضمون الحقيقي للتنظيم . بالنضال وحده ستتحول الاشتراكية من شعار **في الاتحاد** الاشتراكي الى شعار **للاتحاد الاشتراكي** .

أن البرجوازية — بما فيها الرأسمالية الوطنية — لا تنتحر وتلغي وجودها لتقيم نقيضها ، لا تقضي على كيانها لتسلم مقاليد الامور طواعية لاعدائها ، ومن ثم فهي لن تبنى الاشتراكية . واسهام بعض قطاعات منها في عملية البناء الاشتراكي لن يتم بقيادتها بل هو رهن بقيادة الطبقة العاملة المنظمة سياسيا في تحالفها مع كل الفئات الشعبية والوطنية الاخرى .

هناك المصالح الموحدة التي تلتقي عليها الغالبية العظمى من قوى الشعب العاملة ، الا ان هناك ايضا المصالح الخاصة لكل فئة اجتماعية داخل التحالف ، كما توجد زوايا مختلفة في الرؤية للنهج والاسلوب المؤدي الى انجاز هذه الاهداف وتتباين التصورات لافاق التطور مابعد تحقيق تلك المهام . وعلينا — ان كنا جادين — ان نقر بشرعية جميع هذه المصالح والاتجاهات الفكرية والسياسية ، وحقها في التعبير عن ذاتها . وهذا الحق يتضمن بالضرورة :

[١] حرية التعبير للطبقة أو الفئة الاجتماعية ككل ، وليس فقط للافراد .

[٢] حق التنظيم المستقل داخل اطار التحالف — أو من أجل التحالف — لان اي حديث عن حرية

(٥) تعليق حسام ابراهيم بجريدة الجمهورية عدد ٣١ مارس ...

التعبير اذا لم يتجسد فى حق تشكيل التنظيمات الخاصة يصبح لغوا لا معنى له . وفى اطار التحالف يحق لكل انسان وطنى أن يناضل ويضحى أو يستشهد تحت الراية التى يختارها .

ان محاولة طمس التباين والتمايز أو الاقرار بهما نظريا دون السماح لها بالتعبير فى قنواتها الطبيعية — فكرا وتنظيما — ليس هو سبيل الوحدة ، بل يقودنا الى الفرقة والتمزق والسلبية، ويفجر الصراعات الثانوية الضارة ، فالوحدة الوطنية تتحقق من خلال التباين ، والسبيل الوحيد الى خلق تحالف وطنى راسخ البنيان والى التعبئة الشاملة لكل القوى الوطنية بلا استثناء،وتجميع وحشد طاقاتها البناءة ومبادراتها الايجابية الخلاقة هو على وجه التحديد فى التمايز مع الاتفاق الواعى والالتقاء الموضوعى حول الاهداف المشتركة من واقع الارادة الحرة لقوى التحالف .

انها مشكلة الاساس والحلقة الرئيسية فى الموقف،ان اردنا حقا ان نحول الاتحاد الاشتراكى الى اداة فعالة معبرة عن تحالف وطنى قادر على التصدى للمهام القومية الملحة ، وكل ما عداها — رغم اهمية — تفاصيل وفروع من الاصل واعراض مرضية لن يقضى عليها الا ضربة موجهة بجراة الى مكمن الداء .



العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وسلطة الدولة

عبد المنعم الغزالى

فى ظل النظام الملكى السابق كانت الدولة المصرية تمثل طبقة الملاك الاجانب وتحالف الاقطاع المصرى مع رأس المال ، وبعد الاستقلال وبعد اجراءات يوليو ١٩٦١ اعلن ميثاق العمل الوطنى « ان تحالف الرجعية ورأس المال المستغل يجب أن يسقط . ولابد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ، وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية . ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية » وهكذا فنحن أمام صياغة لسلطة دولة جديدة من المفروض ان تمثل هذا التحالف بأهدافه ، كما حددها ميثاق العمل الوطنى نفسه : « ضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة » و « ان العمل من أجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن أن يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » و « خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطه التنمية » و « وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال » . وأن الطبقة العاملة لا يمكن أن تساق بالسخرة الى تحقيق أهداف الانتاج » و « ضرورة وصول العمل الوطنى سليما الى أهدافه بطريق الديمقراطية » .

وعليه حدد ميثاق العمل الوطنى : ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب ، هى التى تستطيع ان تقيد الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون **السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة** » .

وهكذا وجد الاتحاد الاشتراكى العربى على أساس أنه الشكل والاطار التنظيمى لهذا

التحالف ـ ويعنى ذلك اول ما يعنى أن يكون الاتحاد الاشتراكى من صنع هذه القوى نفسها ، وأن يكون معبرا عن حركة جماهيرها ومنظماتها الديمقراطية من نقابات واتحادات ٠٠ الخ ، وعلى أساس أن يكون معبرا عن : **اولا** : الوحدة الوطنية للمجتمع ككل فى نضاله ضد الاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة ، **ثانيا** : ان يكون معبرا عن مجموع مصالح جماهير قوى التحالف بطبقاته وفئاته فى الثورة الاجتماعية التى أصبح انجازها هو الضمان لاى تحرر وطنى حقيقى ٠ **ثالثا** : ان يقود جماهير طبقات التحالف فى وجه اى عسف او ظلم او استغلال او افساد أو تشويه للديمقراطية وعدوان عليها ، وفى وجه اى محاولة من جانب الطبقات المالكة والرأسمالية الوطنية للانفراد بسلطة الدولة او بالعمل السياسى ٠

ومن هنا فان علاقة الاتحاد الاشتراكى تتحدد بسلطة دولة التحالف ـ دولة السلطة الوطنية ـ على الاسس التالية :

أولا : ان هــــذه العــــلاقة ليست عــــلاقة تبعية أو خضــوع ، فالاتحــاد الاشــتراكى ليس امتدادا بسلطة الدولة ولا يمكن ان يكون من صنع أجهزتها ٠ فهو مستقل عن سلطة الدولة ـ أو يجب ان يكون كذلك ، مستقبل بناء وحركة ، فعضـويته ونظامه يجب ألا تخضع بأى شكل لاجهزة السلطة الخاصة والا فقد جماهيريته بين قوى التحالف الذى يمثلها ٠٠

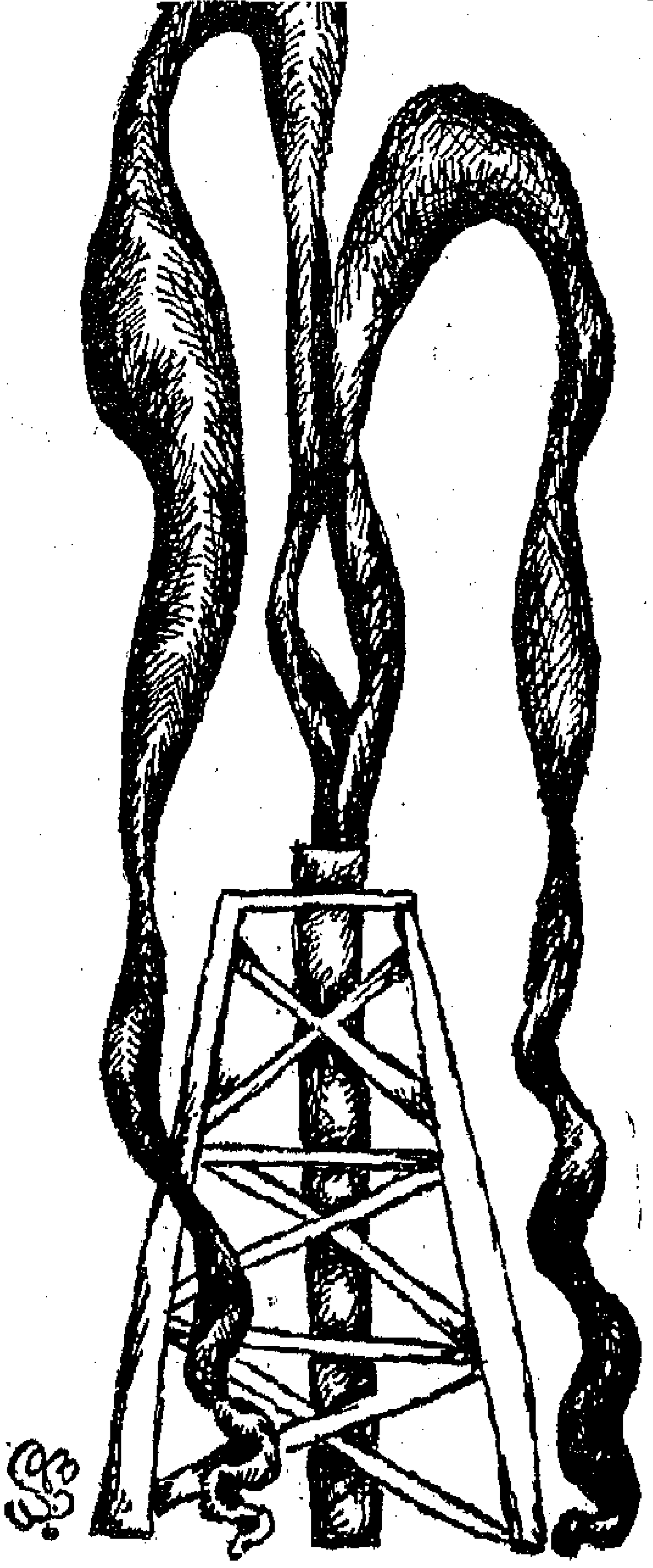
وحركته من أجل تحقيق اهدافه يجب أن تكون معبره عن رغبات وآمال الطبقات والقوى المتحالفة داخله ٠ واستقلالية الاتحاد الاشتراكى تلك اذ تعنى عدم التبعية والخضوع لسلطة الدولة فانها لا تنفى ان الاتحاد الاشتراكى له دور قيادى حيال سلطة الدولة نفسها ٠ ويتحدد هذا الدور القيادى من كون الاتحاد الاشتراكى يجب أن يكون **السلطة الممثلة للشعب ، والدافعــة لامكانيات الثــورة والحارسه على قيم الديمقراطية السليمة** ٠ وان قدرة الاتحاد الاشتراكى على ممارسة هذا الدور القيادى بالنسبة لسلطة الدولة انما تنبع من وجوب ممارسته لحرية الحركة دون قيود من سلطة الدولة او خضوع لها ـ تحت أى ستار ـ وحرية الحركة تلك تمثل صمام **الامان لامن النضال الوطنى كله وهى القدرة الوحيدة الكفيلة بخلق القوى الشعبية القادرة على الانقضاض على كل محاولة للتآمر والقيام بالالتفاف يسلب الشعب ثمار نضاله الوطنى والاجتماعى** ٠

ثانيا : يجب ان تتحدد علاقة الاتحاد الاشتراكى بسلطة الدولة ، على أساس أنه تنظيم التحالف المطلوب منه أن يواجه الاتجاهات والقوى الرجعية الموجودة فى سلطة الدولة ٠ وهى اتجاهات وقوى مازالت قائمة ومؤثرة ، ويحدد ذلك ميثاق العمل الوطنى بقوله : « ان الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ما قد يغريها بالتصدى للتيار الثورى الجارف ، خصوصا فى اعتمادها على الفلول الرجعية فى العالم العربى المسنودة من جانب القوى الرجعية ٠ ان اليقظة الثورية كفيلة تحت كل الظروف بسحق كل تسلل رجعى مهما كانت أساليبه ، ومهما كانت القوى المساعدة له » ٠

ثالثا : أن تتحدد علاقة الاتحاد الاشــتراكى بسلطة الدولة على أساس أن لجماهير التحالف العاملة مصالح ومطالب عديدة يجب وأن يتصدى لحلها وقيادة النضال من أجل حلها فى وجه أى لون من ألوان الاستغلال أو الظلم أو التشويه البيروقراطى ٠ ومن ثم فهو من المفروض أن يكون قوة مناضلة ضد أى ظلم أو قهر يحيق بجماهير الشعب من قبل سلطة الدولة بكل أجهزتها ـ لا أن يكون مجرد ســـير ناقل لشـــكاوى الجمــاهير وغضبها ، أو مجرد ساع بريد يحمل هذه الشكوى أو تلك دون قيادة وتنظيم أصحابها فى عمل ثورى منظم وواع ضد المسئولين عن الظلم أو القهر الذى حاق بهذا القطاع أو ذاك من الجماهير ٠

رابعا : أن العلاقة بين الاتحاد الاشــتراكى وسلطة الدولة ، تقوم كذلك على أساس أن الاتحاد الاشتراكى يجب وأن يكون سلطة الشعب فى ممارسته لرقابته للاجهزة التنفيذية والادارية ، وأن يمارس هذه الرقابة عن طريق مجلس الشعب ، والمجالس الشعبية المحلية ٠ وأن يجعل من هذه الرقابة سلاحا فى أيدى جماهير التحالف لتستنده ضد جموح السلطة وأفرادها وأجهزتها ٠ وأن يمارس النقد والنقد الذاتى لسلطة الدولة بكل حرية ويقظة ثورية من أجل انجاز الاهداف الوطنية والديمقراطية لحركة المجتمع الثورية ٠ وعلـى أساس قول الحقيقة كل الحقيقة لجماهير الشعب ، وحتى تكون لديها صورة كاملة لمسئولياتها بلوغا لامالها ٠

ان الاتحاد الاشتراكى كسلطة لجماهير تحالف قوى الشعب العاملة ، يجب أن يتصدى لمسئولياته معتمدا على هذه الجماهير ، معترفا بـأن التناقضات والصراع بين قوى التحالف حتمية وطبيعية ولا يمكن تجاهلها أو انكارهـا ، وأن نضالها من أجل تعبئة هذه الجماهير لا يمكن أن يتحقق الا على اساس انه ليس تنظيما تابعا من السلطة ولا تابعا لها ولا مسيرا بأجهزتها ، انما هو نابع من ارادة جماهير التحالف كلها ، معبر عن كل قـواه وطبقـــاته ، وليس عن ارادة قـوة أو طبقة أو فئة وحيدة من قوى هذا التحالف ٠



الصناعة النفطية في العراق وأثرها في الاقتصاد الوطني

مهدي الحافظ

منذ نهاية القرن الثامن عشر ؟ ارتبط الاقتصاد العراقي ، بالسوق الرأسمالي العالمي ، وخضع لتقسيم العمل العالمي . ونتيجة لذلك ، ازدهرت تجارة العراق الخارجية ، بالقياس لقطاعات الاقتصاد الاخرى ، وذلك خلال الفترة الواقعة في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية . وكان الدافع الرئيسي لتطور تجارة العراق الخارجية حينذاك هو تلبية حاجات دول المتروبول ، ولاسيما تزويدها بالمواد الزراعية الضرورية ، والمواد الخام اللازمة لتطوير الصناعة ، واستغلال السوق المحلية العراقية — رغم محدوديتها — لتصريف البضائع المصنعة والمستوردة من دول المتروبول .

ان الدور الهام الذي كانت تلعبه التجارة الخارجية قد أدى الى نتائج اقتصادية واجتماعية بالغة على تطور الاقتصاد العراقي ، كان من أهمها ، خضوع الانتاج المحلي لحاجات السوق العالمية ، وتأثره بحالة الاسعار السائدة فيه ، ونمو طبقة البرجوازية التجارية ، وتوسع مساحة الاراضي الزراعية ، لسد حاجات الطلب الخارجي ؟ وما نجم عن ذلك من نمو طبقة ملاكي الاراضي وتغير اللوحة الطبقية في التركيب الاجتماعي للريف العراقي .

غير أن هذه الظاهرة ، ظاهرة الدور المحرك الذي لعبته التجارة الخارجية ، بدأت بالتقلص نسبيا ، مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، واستهلال خمسينات هذا القرن ، وحلت محلها ظاهرة جديدة في الاقتصاد العراقي ، الا وهي صناعة استخراج النفط الخام . ومنذ ذلك الحين ، بدأت هذه الصناعة ، تحتل مكانا حاسما في تطور الاقتصاد العراقي ، وتؤثر تأثيرا مباشرا وأساسيا على مجمل قطاعات الانتاج الوطني وفعاليات الحياة الاقتصادية في العراق . فيقول الدكتور **توماس بالوك** ، الخبير الاقتصادي البريطاني ، حول مراحل تطور الاقتصاد العراقي الحديث : « خلال المرحلة الاولى من تطور الاقتصاد العراقي الحديث [أي من فتح قناة السويس ١٨٦٩ وحتى الحرب العالمية الثانية] كانت تجارة العراق الخارجية مع الدول الرأسمالية وخاصة بريطانيا ، تلعب دورا محركا في الاقتصاد

العراقى . وقد امتازت هذه الفترة بنشــوء التنظيم التجاري الخــاص فى انتاج الســلع وتبادلها من الناحية الاقتصادية ونمو طبقــة البرجوازية التجارية من الناحية الاجتماعية . وصارت اسعار الســلع المحلية تتأثر بتيارات الاسعار العالمية ، واصبح الانتاج المحلى تابعا اكثر فأكثر الى تقلبات الطلب العالمى ، وعلى هذا فقد كانت تجارة العراق حتى الحرب العالمية الثانية ، تلعب الدور الديناميكي الاول فى تطور الاقتصاد العراقى . ومنذ ســنة ١٩٥٠ بدأت مرحلة جديدة فى تطور الاقتصاد العراقى ، حيث أصبحت صناعة اســتخراج النفط عنصرا رئيسيا محركا فى الاقتصاد العراقى ، وصارت عائدات النفط مصدر التمويل الرئيسى للميزانية العامةالحكومية ومشاريع الاعماروغيرها»

ان عام ١٩٢٧ يمثل حدثا هاما فى تاريخ العراق الاقتصادي والسياسي الحديث . اذ بدأ لاول مرة فى هذا العام ، تدفق النفط فى بئر بابا كركر فى كركوك الواقعة فى شمال العراق الذى سجل بداية صناعة استخراج النفط الخام فى العراق ، الواقعة تحت هيمنة احتكارات النفط الاجنبية هيمنة تامة . ولكن تصدير النفط الخام العراقى لم يبدأ الا فى عام ١٩٣٤ .

وخلال الفترة السابقة لاتفــاقية ١٩٥٢ بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق [واخواتها] كان حجم انتاج النفط العراقى حجما صغيرا ، وكانت معــدلات نموه واطئة ، بالقيــاس الى مثيلاتها فى الدول المجاورة كايران والسعودية. ولذلك كانت عوائد الحكومة العراقية من انتاج النفط الخام وتصديره ، قليلة جدا ، وبالتالى ذات تأثير ضــعيف على تمويل الفعــــاليات الاقتصادية . والجدول التالى رقم [١] يوضح مقادير ايرادات الحــكومة العراقية من النفط خلال الفترة السابقة لاتفاقية ١٩٥٢ مع شركة نفط العراق .

جدول رقم [١]

السنة	ايرادات العراق من النفط الخام المصدر بآلاف الدنانير
١٩٤٥	٢ر٧١٠
١٩٤٦	٢ر٨٢٤
١٩٤٧	٢ر٨٢٥
١٩٤٨	٢ر٢٧٠
١٩٤٩	٣ر٣١٨
١٩٥٠	٦ر٨٨٥
١٩٥١	١٤ر٦٦٨

والملاحظ أن شركات النفط الاحتكارية ، عمدت الى عرقلة نمو انتاج النفط العراقى ، لا لاسباب تكنيكية وانما مراعاة لخططها الانتاجية فى بقية البلدان ؟ والمحافظة على نفط العراق كاحتياطى لها فى المستقبل ، كما أوضحت ذلك تجــربة السنوات اللاحقة . ان سياسة عرقلة تطوير انتاج النفط الخام فى العراق خلال هذه الفترة قد الحقت ضررا بالغا بالمصالح الوطنيةالعراقية ويتبين مقدار الغبن اللاحق بالعراق من جراء ذلك ، من الجدول رقم [٢] الذى يوضح كميات انتــاج النفط فى كل من ايران والســعودية والعراق خلال الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٩ .

جدول رقم [٢]

انتاج ايران والعربية الســعودية والعراق للفترة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٩ (بملايين الاطنان الطويلة)

السنة	ايران	العربية السعودية	العراق
١٩٣٨	١٠ر١٩	ـــــ	٤ر٣٢
١٩٣٩	٩ر٥٨	٠ر٥٣	٤ر٠٤
١٩٤٠	٨ر٦٢	٠ر٦٨	٢ر٦٥
١٩٤١	٦ر٦٠	٠ر٥٧	١ر٦١
١٩٤٢	٩ر٤٠	٠ر٥٩	٣ر٢٥
١٩٤٣	٩ر٧١	٠ر٦٤	٣ر٧٨
١٩٤٤	١٣ر٢٧	١ر٠٥	٤ر٢٥
١٩٤٥	١٦ر٨٤	٢ر٨٤	٤ر٦٢
١٩٤٦	١٩ر١٩	٧ر٩٩	٤ر٦٠
١٩٤٧	٢٤ر٨٧	١٨ر٩٥	٣ر٤٠
١٩٤٨	٢٤ر٨٧	١٨ر٩٥	٣ر٤٠
١٩٤٩	٢٦ر٨١	٢٣ر١٠	٤ر١٠

ويتضح من الجدول أعــلاه أن كميــة النفط المنتج فى ايران عام ١٩٤٩ يبلغ أكثر من ستة أضعاف ما انتج فى العراق خلال نفس السنة ، كما ان كمية النفط المنتج فى العربية السعودية تبلغ أكثر من خمسة اضعاف ما انتج فى العراق فى السنة ذاتها .

غير أن حالة ضعف انتاج النفط العراقى لم تستمر من الناحية المطلقة ، ولكنها ظلت ملحوظة من الناحية النسبية ، بالقياس لانتاج النفط فى الدول المجاورة ، ومن ناحية معدلات الانتاج كما سنأتى على معالجته فى فترة مقبلة من هــذا الفصل . فقد حصلت تطورات هامة فى صناعة النفط فى المنطقة وفى العالم ، استوجبت زيادة انتاج النفط فى العراق مع بداية الخمسينات من هذا القرن . وفى مقدمة تلك التطورات ، زيادة الطلب العالمى على النفط ، نتيجة لتضاعف حجم الاستهلاك العالمى بعد الحرب الثانية ، كما جرى تأميم النفط الايرانى فى عام ١٩٥١ ، وتم التوقيع على اتفاقية مناصفة الارباح بين العربية السعودية وشركة [آرامكو] فى الفترة ذاتها . وبالاضافة الى ذلك ، تم اكتشاف حقول هامة جــديدة فى

العراق [حقل الرميلة في عام ١٩٥٣ وهو من اكبر الحقول النفطية في الشرق الاوسط ، وحقل الزبير عام ١٩٤٨ وحقل بطمة عام ١٩٤٨.

ان تلك التطورات الهامة ، ونضال الشعب العراقي ، بمختلف قواه الوطنية ، قد أدى الى توقيع اتفاقية جديدة بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق — آ.بي.سي — واخواتها شركة نفط البصرة وشركة نفط الموصل وذلك في شباط ١٩٥٢ . وبموجب هذه الاتفاقية ، جرى تثبيت مبدأ مناصفة أرباح انتاج وتصدير النفط الخام بين الطرفين ، كما تعهدت الشركات بزيادة انتاج النفط العراقي ، فقد نصت المادة الخامسة من هذه الاتفاقية على ما يلي : « تتعهد الشركة العراقية بأنها ستنتج وتصرف كمية من النفط الخام لا تقل عن عشرين مليون وسبعمائة وخمسين الف طن سنويا اعتبارا من ١ كانون الثاني ١٩٥٤ . وتتعهد شركة نفط الموصل بأنها ستنتج وتصرف كمية من النفط الخام لا تقل عن مليون وربع مليون طنا سنويا اعتبارا من ١ كانون الثاني ١٩٥٤ . وتتعهد شركة نفط البصرة بأنها ستنتج وتصرف كمية من النفط الخام لاتقل عن ثمانية ملايين طن سنويا اعتبارا من ١ كانون الثاني ١٩٥٦ ، ما دامت الاتفاقية المعدلة المختصة في كل حالة نافذة المفعول بعد ذلك . وتشمل كميات النفط المشار اليها أعلاه ، أي مقدار من النفط اختارت الحكومة أن تأخذه عينا بموجب أحكام المادة الثالثة من هذه الاتفاقية ولكنها لا تشمل ما يجهز من النفط لاحتياجات العراق بموجب اتفاقية الشركة العراقية المعدلة »

ونتيجة لذلك ، وللعوامل التي أتينا على ذكرها قبل قليل ، تطور انتاج النفط الخام في العراق بشكل ملحوظ نسبيا . فبعد أن كانت كمية الانتاج تبلغ [١٠ر٤] مليون طن طويل ، أصبحت [١٨ر٤٥] مليون طن طويل عام ١٩٥٢ اي بنسبة أكثر من أربعة أضعاف . وبلغت [١٨ر٣٠] مليون في عام ١٩٥٤ و [١٠ر٤١] مليون طن في عام ١٩٥٩ ومن ثم ٤ر٦٤ مليون طن طويل حتى بلغ مقدار ٩ر٧٤ مليون طن طويل عام ١٩٦٩ . واستمر حجم الانتاج ووتيرة النمو بالازدياد نسبيا في السنتين الماضيتين رغم انها لا تجاري وتائر النمو في بقية بلدان الشرق الاوسط .

ان هذا التطور الملحوظ ، في صناعة استخراج النفط الخام في العراق ، يشكل ظاهرة بارزة وأساسية ، من ظاهرات التطور الاقتصادي العراقي منذ بداية الخمسينات وتمخض عن تغيرات تركيبية أساسية في هيكل الاقتصاد الوطني ، وجعل من عائدات النفط عنصرا رئيسيا تتوقف عليه خطط التنمية الاقتصادية ، وميزانية الدولة العامة ، وميزان المدفوعات والتجارة الخارجية .. الخ . ولكون هذه الصناعة خاضعة خضوعا تاما لحاجات وسياسة شركات النفط الاحتكارية الاجنبية ، ومنفصلة انفصالا تاما ، عن قطاعات الاقتصاد الوطني العراقي ، فقد نشأت علاقات شاذة بينهما وبين الاقتصاد الوطني ، قائمة على تبعية الاخير للفوائد الناجمة عن تلك الصناعة . كما أدت من الناحية السياسية ، الى تحكم شركات النفط الاجنبية بشئون العراق ومصيره لفترة طويلة ، ولا سيما قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والى خلق الكثير من المصاعب والمتاعب في طريق تحرره السياسي والاقتصادي حتى هذه اللحظة .

ولغرض تبيان الاهمية الحاسمة لعوائد النفط في تطور الاقتصاد العراقي ، لابد من اعطاء فكرة عامة عن الملامح الرئيسية للاقتصاد الوطني في العراق :

١ — الملامح الرئيسية للاقتصاد الوطني في العراق :

العراق أحد البلدان النامية ، الحديثة الاستقلال . اقتصاده يتميز من ناحية بظاهرة التخلف الشامل ، ومن ناحية أخرى بظاهرة التبعية للاحتكارات الامبريالية الاجنبية ، وبالدرجة الاولى الاحتكارات النفطية . ان ظاهرتي التخلف والتبعية تركتا آثارهما العميقة على مجمل الاقتصاد الوطني ، فأحالته الى اقتصاد وحيد الجانب ، أو اقتصاد قائم على انتاج سلعة واحدة رئيسية ، وهي النفط ، وكذلك انعكستا في ضعف التطور الاقتصادي في البلد وفقدان توازن التركيب الاقتصادي ، وانخفاض نمو الدخل القومي الاجمالي للفرد الواحد ، واشتداد اختلال الميزان التجاري ، وتدني نمو الصناعة وتخلف الزراعة .. الخ . ورغم التطورات الهامة الحاصلة منذ ثورة ١٤ تموز الوطنية الديمقراطية ، ولاسيما التوجه نحو اجراء اصلاح زراعي ، فان علاقات الانتاج شبه الاقطاعية مازالت مهيمنة في الريف الذي يقطنه حوالي ٦٠٪ من سكان العراق .

ان فحص تطور الدخل القومي في العراق ، وتحليل عناصره ، من شأنه أن يساعد على توفير فهم أعمق لعناصر تركيب الاقتصاد العراقي ودور كل منها في التطور الاقتصادي الشامل في البلاد ذلك أن الدخل القومي كما هو معروف عنصر يلخص التطور الاقتصادي ، ويعكس الحالة السائدة في اقتصاد البلد المعين . والجدول رقم [٣] يمثل تطور الدخل القومي لمدة سنوات .

جدول رقم [٣]

مجمل الدخل القومي في العراق

١٩٦٢ — ١٩٦٦

السنة	**بالاسعار الجارية**		**بالاسعار الثابتة — اسعار ١٩٦٢**	
	مجمل الدخل القومي بآلاف الدنانير	نسبة الزيادة ٪ عن السنة السابقة	مجمل الدخل القومي بآلاف الدنانير	نسبة الزيادة ٪ عن السنة السابقة
١٩٦٢	٥٧٥٩٥٣	..	٥٧٥٩٥٣	..
١٩٦٣	٥٨٣٧٥٤	١ر١	٥٧٤٧٠٢	٠ر٠
١٩٦٤	٦٤٨٦٠٠	١١ر١	٦٢٨٨٦٢	٩ر٣
١٩٦٥	٦٩٢٤٥٤	٦ر٧	٦٧٧٠٥٠	٧ر٥
١٩٦٦	٧٣٤٩٤٦	٦ر٢	٧٠٨٤٥٩	٤ر٦

ويلاحظ من هذا الجدول ان معدل الزيادة [المركب هو حوالى ٣ر٦٪ سنويا بالاسعار الجارية و٣ر٥٪ سنويا بالاسعار الثابتة . وبالطبع ان هذا المعدل يعتبر واطئا بالنسبة لحاجات التطور الاقتصادى فى العراق ورفع مستوى معيشة السكان .. ولكن الحقيقة الاشد مرارة من ذلك هى أن الزيادة الحاصلة فى نمو الدخل القومى فى العراق ناجمة بالدرجة الاولى عن نمو صناعة انتاج النفط الخام ، ذلك القطاع الاجنبى الاحتكارى المهيمن على الاقتصاد الوطنى كما يتضح من الجدول [٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧] ، والشروح القادمة المرافقة لها . كما يظهر من الجدول الخاص بـ [معدل الدخل القومى للفرد ١٩٦٢ — ١٩٦٦] ان هذا المعدل المحسوب لعدة سنوات منخفض نسبيا بالقياس الى مثيله فى الكثير من البلدان ، وبالنسبة الى المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للفرد العراقى ومستلزمات رفع مستوى حياته ، كما حافظ معدل دخل الفرد على مستواه تقريبا ، ولم تطرأ زيادة ملحوظة عليه لسنوات عديدة .

ملاحظة :

١ — تم استخراج عدد السكان للسنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ على اساس نسبة الزيادة ما بين احصائية النفوس لسنة ١٩٥٧ و١٩٦٥ حيث كان معدل النمو المركب لمجموع سكان العراق ٤ر٣٪ سنويا .

٢ — خمس الاندثسار بـ ٧ر٦٪ من مجمل الناتج القومى استنادا الى تقرير الدكتور خير الدين حسيب حول « تقدير الدخل القومى فى العراق » .

ومن تقديرات الدخل القومى فى العراق المذكور فى الجداول اعلاه نخلص الى الملاحظات التالية :

[أ] أن حصة استخراج النفط الخام بلغت قيمتها ٢٩٧١٢٩ الف دينار عام ١٩٦٦ بالاسعار الثابتة و٢٩٨٦١٥ الف دينار بالاسعار الجارية لنفس السنة من اصل مجموع الدخل القومى لسنة ١٩٦٦ البالغ ٧٣٤٩٤٦ الف دينار بالاسعار

جدول رقم [٤]

مجمل الناتج القومي باسعار تكلفة عناصر الانتاج الجارية

الدخل القومي بالاسعار الجارية [بآلاف الدنانير]

القطاع	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
١ — الزراعة ، الغابات ، صيد الاسماك	١٤٨٦٠٣	١٣٧٥٨٤	١٥٢٩٤٤	١٦٣١٩٩	١٧٣٣٥٢
٢ — التعدين والمقالع					
أ — استخراج النفط الخام	٢١٠٤٥٢	٢٣٩١٤٥	٢٧٠٧٢٨	٢٨٠٣٥٥	٢٩٨٦١٥
ب — غيره	٤٧٢٩	٤٣١٠	٥٢٣٨	٤٥٩٤	٥١٨٨
المجموع	٢١٥١٨١	٢٤٣٤٥٥	٢٧٥٩٦٦	٢٨٤٩٤٩	٣٠٣٨٠٣
٣ — الصناعة التمويلية					
أ — تصفية النفط	٨٢٨٢	٨٠٠٧	١١٩٠٠	١٤٨٩٢	١٢٦١٦

	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
ب ـ التحويلية					
عدا تصفية النفط	٤٥٢٢٦	٤٤٣٢٥	٤١٠٧٨	٤٦٥٤٧	٥٠٣٢٠
المجموع	٥٣٥٠٨	٥٢٣٣٢	٥٢٩٧٨	٦١٤٣٩	٦٢٩٣٦
٠٤ البناء والتشييد	١٥٧٢٣	١٦١٢٠	١٧١٥١	١٨٥٣٤	١٩١٢٦
٠٥ الماء والكهرباء والغاز	٦٧٤٠	٦٧٤٢	٨٤٤٥	٩٥٥٣	١٢٠٤١
٠٦ النقل والمواصلات والخزن	٥١٦٢٧	٥٢٩٩٦	٥٦٤٠٢	٥٩٥٣٩	٥٨٥٥
٠٧ تجارة الجملة والمفرد	٤٠٣١٨	٣٨٦١٠	٤٥٥٢٠	٥٣٠٧٦	٥٦٨٥٢
٠٨ البنوك والتامين والاعمال العقارية	٧٩٧٨	٨٤٥٧	٧١٠٠	٧٥٠٤	١١٩٦٧
٠٩ ملكية دور السكن	١٥١٧٢	١٥٣٦٦	١٥٣٢٦	١٥٨٢٣	١٥٨٥٨
١٠ الادارة العامة والدفاع	٧٠٣٣٢	٧٦٨٨١	٧٦٠١٦	٨٩٤٨٠	٩٦٦٣٦
١١ الخدمات	٤٤٠٥١	٤٣٤٧٦	٥٤٤٣٧	٥٨٨٢٦	٦٢٠٩٩
١٢ الناتج المحلي بكلفة عناصر الانتاج	٦٦٩٢٣٣	٦٩٢٠١٩	٧٧٢٢٨٥	٨٢١٩٢٢	٨٧٣٥٢٦
١٣ ناقصا عوائد عوامل الانتاج المدفوعة للخارج	٩٣٢٨٠	١٠٨٢٦٥	١٢٣٦٨٥	١٢٩٤٦٨	١٣٨٥٨٠
١٤ مجمل الناتج القومي بكلفة عناصر الانتاج (الدخل القومي)	٥٧٥٩٥٣	٥٨٣٧٥٤	٦٤٨٦٠٠	٦٩٢٤٥٤	٧٣٤٩٤٦

جدول رقم (٥)

مجمل الناتج القومي بكلفة عناصر الانتاج الثابتة سنة ١٩٦٢
الدخل القومي بالاسعار الثابتة (بالاف الدنانير)
سنة ١٩٦٢=١٠٠

القطاع	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
٠١ الزراعة والغابات وصيد الاسماك	١٤٨٦٠٣	١٣٠٣٧٣	١٤١٤٢٠	١٥١٤٦٦	١٥٥٦٤٢
٠٢ التعدين والمقالع					
أ ـ استخراج النفط الخام	٢١٠٤٥٢	٢٣٩٣٨٤	٢٧٠٧٢٨	٢٧٨٦٨٢	٢٩٧١٢٩
ب ـ غيره	٤٧٢٩	٤٥٠٣	٥٤٢١	٤٦٨٢	٥٠٥٩
المجموع	٢١٥١٨١	٢٤٣٨٨٧	٢٧٦١٤٩	٢٨٣٣٦٤	٣٠٢١٨٨
٠٣ الصناعات التحويلية					
أ ـ تصفية النفط	٨٢٨٢	٨٤٨٩	١١٩٠٠	١٤٨٠٣	١٣٣٣٦
ب ـ التحويلية عدا تصفية النفط	٤٥٢٢٦	٤٤١٨٦	٤٠٢٤٦	٤٥١٦٧	٤٨١٤٥
المجموع	٥٣٥٠٨	٥٢٦٧٥	٥٢١٤٦	٥٩٩٧٠	٦١٤٨١
٠٤ البناء والتشييد	١٥٧٢٣	١٦١٢٠	١٧١٥١	١٨٥٣٤	١٩١٢٦
٠٥ الماء والكهرباء والغاز	٦٧٤٠	٦٧٨٢	٨٥٢٨	٩٥٦٧	١٢٠٥٢
٠٦ النقل والمواصلات والخزن	٥١٦٢٧	٥٢٥٦٤	٥٥٧٥٥	٥٩٩٠٣	٥٧٢١٢
٠٧ تجارة الجملة والمفرد	٤٠٣١٨	٣٧٥٤٩	٤٣٦٥٥	٥٢٤٥١	٥٤٩٧٤
٠٨ البنوك والتأمين والاعمال العقارية	٧٩٧٨	٨٢٩٢	٦٨٣٧	٧٤١٠	١١٠٦٨
٠٩ ملكية دور السكن	١٥١٧٢	١٧٤٧٧	١٨٠٧٤	١٨٠٧٤	١٨٣١٢٠

١٠ • الادارة العامة والدفاع	٧٠٣٣٢	٧٦٦٢٢	٨٦١٠٢	٩٠٠٨٠	٩٦٤٧٠
١١ • الخدمات	٤٤٠٥١	٤٢١٧١	٤٨٤١٥	٥٤٩٢٧	٥٧٣٢٤
١٢ • الناتج المحلة بتكلفة عناصر الانتاج	٦٦٩٢٣٣	٦٨٣١٧٣	٧٥٣٧١٥	٨٠٥٧٤٦	٨٤٦٣٤٩
١٣ • ناقصا عوائد عوامل الانتاج المدفوعة للخارج	٩٣٢٨٠	١٠٨٤٦٦	١٢٤٨٥٣	١٢٨٦٩٦	١٣٧٨٩٠
١٤ • مجمل الناتج القومى بتكلفة عناصر الانتاج (الدخل القومى)	٥٧٥٩٥٣	٥٧٤٧٠٢	٦٢٨٨٦٢	٦٧٧٠٥٠	٧٠٨٤٥٩

جدول رقم (٦)

النسبة المئوية لمساهمة القطاعات المختلفة فى الدخل القومى

القطاعات	بالاسعار الجارية		بالاسعار الثابتة
	١٩٦٢	١٩٦٦	١٩٦٦
١ • الزراعة والغابات وصيد الاسماك	٢٥ر٨	٢٣ر٧	٢٢ر٠
٢ • التعدين والمقالع			
أ ـ استخراج النفط الخام	٣٦ر٦	٤٠ر٦	٤١ر٩
ب ـ غيره	٠ر٨	٠ر٧	٠ر٧
المجموع	٣٧ر٤	٤١ر٣	٤٢ر٦
٣ • الصناعه التمويلية			
أ ـ تصفية النفط	١ر٤	١ر٧	١ر٨
ب ـ التمويلية عدا تصفية النفط	٧ر٩	٦ر٩	٦ر٨
المجموع	٩ر٣	٨ر٦	٨ر٧
٤ • البناء والتشييد	٢ر٧	٢ر٦	٢ر٧
٥ • الماء والكهرباء	١ر٢	١ر٦	١ر٢
٦ • النقل والمواصلات والخزن	٩ر٠	٨ر٠	٨ر١
٧ • تجارة الجملة والمفرد	٧ر٠	٧ر٧	٧ر٨
٨ • البنوك والتأمين والاعمال العقارية	١ر٤	١ر٦	١ر٦
٩ • مليكة دور السكن	٢ر٦	٢ر٢	٢ر٦
١٠ • الادارة العامة والدفاع	١٢ر٢	١٣ر١	١٣ر٦
١١ • الخدمات	٧ر٦	٨ر٤	٨ر١
المجموع	١١٦ر٢	١١٨ر٨	١١٩ر٥
ـ ناقص عواد عوامل الانتاج المدفوعة للخارج	ـ ١٩ر٢	ـ ١٨ر٨	ـ ١٩ر٥
الناتج القومى بكلفة عناصر الانتاج (الدخل القومى)	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

جدول رقم (٧)

معدل الدخل القومي للفرد ١٩٦١–١٩٦٦

السنة	بالاسعار الجارية بالاف دينار	بالاسعار الثابتة بالاف دينار	عدد السكان بالاف	معدل دخل الفرد بالاسعار الجارية دينار	معدل دخل الفرد بالاسعار الثابتة دينار
١٩٦٢ مجمل الدخل القومي	٥٧٥٩٥٣	٥٧٥٩٥٣			
الاندثار	٣٨٥٨٨	٣٨٥٨٨			
صافي الدخل القومي	٥٣٧٣٦٥	٥٣٧٣٦٥	٧٤٠٠	٧٢٫٦	٧٢٫٦
١٩٦٣ مجمل الدخل القومي	٥٨٣٧٥٤	٥٧٤٧٠٢			
الاندثار	٣٩١١١	٣٨٥٦٥			
صافي الدخل القومي	٥٤٤٦٤٣	٥٣٦١٣٧	٧٦٤١	٧١٫٢	٧٠٫٢
١٩٦٤ مجمل الدخل القومي	٦٤٨٦٠٠	٦٢٨٨٦٢			
الاندثار	٤٣٤٥٦	٤٢١٨٠			
صافي الدخل القومي	٦٠٥١٤٤	٥٨٦٦٨٢	٧٨٩٩	٧٦٫٦	٧٤٫٣
١٩٦٥ مجمل الدخل القومي	٦٩٢٤٥٤	٦٧٧٠٥٠			
الاندثار	٤٦٣٩٤	٤٥٣٦٢			
صافي الدخل القومي	٦٤٦٠٦٠	٦٣١٦٨٨	٨٢٦٢	٧٨٫٢	٧٦٫٤
١٩٦٦ مجمل الدخل القومي	٧٣٤٩٤٦	٧٠٨٤٥٩			
الاندثار	٤٩٢٩٨	٤٧٤٦٧			
صافي الدخل القومي	٦٨٥٦٤٨	٦٦٠٩٩٢	٨٥٤٢	٨٠٫٣	٧٧٫٣

الجارية و٧٠٨٤٥٩ الف دينار بالاسعار الثابتة . أو بكلمة أخرى تمثل ٤٠٫٦٪ من الدخل القومي بالاسعار الجارية و ٤١٫٩٪ من الدخل القومي بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٦٦ . وبهذا فهي تملك حصة الاسد بالقياس لحصص عناصر الدخل القومي الاخرى . كما أن هذا القطاع يمثل القطاع الاقتصادي الاهم في العراق ، فهو يكون أكثر من ٥٠٪ من حجم الانتاج في البلاد وهذه الحقيقة تجعل صناعة استخراج النفط الخام تحتل المقام الاول في الاقتصاد الوطني في العراق .. ولكن خطورة هذه الصناعة تكمن في أنها واقعة في قبضة الاحتكارات الاجنبية ، من حيث رأسمالها وتخطيط فعالياتها الانتاجية والتسويقية، الامر الذي يضع الاقتصاد العراقي أمام مخاطر جدية باستمرار .

[ب] وتأتي الزراعة في المقام الثاني بعد صناعة استخراج النفط الخام من حيث حصتها في الدخل القومي ، اذ تبلغ ٢٣٫٧٪ منه بالاسعار الجارية و٢٢٫٠٪ منه بالاسعار الثابتة لعام ١٩٦٦ . وقطاع الزراعة يعتبر القطاع الانتاجي الوطني الاول ، اذا ما استثنينا صناعة استخراج النفط الخام ، على اعتبار أنها صناعة أجنبية ومنعزلة عن تطور الاقتصاد الوطني كما أوضحنا سابقا . ورغم الاهمية البالغة ، لقطاع الزراعة، بالنسبة لتطور الاقتصاد الوطني ، ولاسيما لسد حاجات البلد من السلع الزراعية وتوفير المواد الاولية للصناعات الوطنية وغير ذلك ، فان تطور هذا القطاع يبعث على الاسف منذ سنين كثيرة . فمنذ الخمسينات لم يحقق قطاع الزراعة نموا محسوسا رغم الامكانيات الزراعية المتوفرة في العراق كغزارة المياه ، وتوفر التربة الصالحة للزراعة وكفاية القوة العاملة في الريف التي تشكل اكثر من ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة في العراق .

وقد انعكست ظاهرة الجمود في الزراعة العراقية في حجم حصتها بالناتج المحلي الاجمالي. اذ كان ٢٩٫٣ بالمئة في عام ١٩٥٣ فأصبح ٢٣ بالمئة فقط في عام ١٩٦٨ . والانكى من ذلك ، أن تخلف الزراعة العراقية لم يؤد فقط الى عدم سد حاجات البلد ، بل ان حجم استيراد المواد الزراعية من الخارج قد ازداد في السنوات الاخيرة بحيث ان قيمتها بلغت ٢١ بالمئة من قيمة مجموع الواردات عام ١٩٦٧ . كما انها تعدت قيمة مجموع الصادرات المحلية باستثناء صادرات النفط . وبهذا أصبح استيراد السلع الزراعية عبئا جديدا على كاهل ميزان المدفوعات العراقية، الذي تموله بالاساس الواردات الناجمة عن عوائد الحكومة من صناعة استخراج النفط الخام . وتعود أسباب تخلف الزراعة العراقية الى عدم كفاية رؤوس الاموال الموظفة في الزراعة ،

وبدائية الاســاليب المتبعة فيها ، وبطء عملية الاصــلاح الزراعي وعـدم اتمامها الى الان ، وضعف مهارة القوة العاملة في الريف .

ويتضح من الارقام السابقة أن حصتي الزراعة واستخراج النفط الخام تؤلفان ثلثي الدخـل القومي العراقي . وتتجسـد خطورة ذلك في حقيقة أن أحدهما واقع تحت سيطرة الاحتكارات الاجنبية والثاني يمثل قطاعا انتاجيا متخلفا ، وعاجزا عن سد حاجات البلد . وهذه الحقيقة — فضلا عن عوامل أخرى — تؤكد حالة التبعية والتخلف التي ينوء بها الاقتصــاد الوطني في العراق .

[ج] والصـــناعة في العراق هي الاخرى صناعة ضعيفة . وتبلغ حصتها في الدخل القومي — باستثناء تصفية النفط — نسبة ٧٪ تقريبــا حسب تقديرات الدخل القومي لعــام ١٩٦٦ . وهي بالاساس صناعة خفيفة واستهلاكية . ولا توجد هناك صناعة ثقيلة اذا ما استثنينا صناعة الاســمنت في البلد . وتتميز تجـربة النمــو الصــناعي في العــراق بقلة تراكم الراســمال الصناعي . ومن أبرز الانجازات التي تمت في ميدان التطوير الصناعي في الخمسة عشر سنة الاخيرة ، هو ابرام اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين العراق والاتحاد السوفيتي في ١٦ آذار ١٩٥٩ ، والذي انطوت على بناء عدد من المشاريع الصناعية الهامة . ومن الصــناعات العراقية البارزة هي صناعة البلاستيك والمنتجات النفطية ، والعلف الحيواني ، ومشروعات التجميع لاجهزة الراديو والتليفزيون والسخانات والطباخات والزيوت النبــاتية ، والاســمنت والسجاير ، والسكر والاحذية ، والمنســوجات الصــوفية والقطنية والمرطبات .. الخ . ويستورد العراق سلع استهلاكية تبلغ ٣٥ بالمئة من قيمة استيراداته وســلع انتاجية تبلغ أكثر من ٥٠ بالمائة منها ، مع العلم ان سلع الانتاج هذه تدخل في صناعات استهلاكية لا تؤدي الى بناء اساس مادي تكنيكي صلب للاقتصاد العراقي .

ولا شك ان ضعف الصناعة العراقية ، قد ترك اثارا ســلبية على مجموع الاقتصــاد الوطني ، ولاسيما فيما يتعلق بضعف نمو الدخل القــومي وقلة الاســتخدام ، وازدياد العجز في الميزان التجاري (اذا ما طرحنا جانبا قيمة النفط الخــام المصدر) ، واثقال ميزان المدفوعات ومن ثم ركاكة القــاعدة المادية والتــكنيكية لتطــور العــراق الاقتصادي المقبل .

٢ — اثر عوائد النفط في الاقتصاد العراقي :

تؤلف عــوائد الحــكومة من ارباح صنــاعة استخراج النفط الخام في العراق أكبر واهم مورد مالي للخزينة العراقية ومنذ عام ١٩٥٠ بدأت هذه العوائد تلعب دورا اساسيا وحاسما في تمويل الفعاليات الاقتصادية في البلاد ، ولاسيما ميزانية التنمية الاقتصادية وميزانية الدولة العامة والتجارة الخــارجية ودعم ميزان المــدفوعات . كما انها اصبحت تؤلف جزءا أساسيا من اجزاء الدخـل القومي في العراق . وفيما يلي نوضح دور عوائد النفط في كل من هذه المجالات الحيوية في حياة العراق الاقتصادية :

عوائد النفط والدخل القومي :

تؤلف عوائد الحكومة من صناعة استخراج النفط الخام العنصر الاساسي والاكبر من الدخل القومي في العراق ، ومن مراجعة الجداول السابقة حول حسابات الدخل القومي ، وحصة القطاعات المختلفة المكونة له فيه ، يظهر ان حصة عوائد الحكومة من النفط تقرب من ٢٥ في المائة من مجموع الدخل القومي . وهذا الرقم يمثل في الواقع معدل النسب لعدة سنوات .

ورغم ضخامة حصة العوائد النفطية نسبيا في الدخل القومي العراقي ، (حوالي الربع) ، الا انها في الواقع تمثل نصف ما تجنيه صناعة اســتخراج النفط الخــام في العــراق من دخــل ، وذلك من النــاحية الشــكلية [بموجب اتفــاقية مناصــفة الاربــاح بيــن الحكومة والشركات لعــام ١٩٥٢] الا انها في الواقع اقل بكثير من النصف ، كما يشير الكثير من الادلة والشواهد التي تؤكد تلاعب شركات النفط وابتزازها للجــزء الاعظم من ارباح هــذه الصناعة ، وتصديرها الى خارج العراق ، دون ان يستفيد منها الاقتصاد العراقي اي شيء .

ومن مراجعة الجــداول الســابقة يلاحظ ان الزيادة الحاصلة في نمو الدخل القومي العراقي ، ناجمة بالدرجة الاولى عن تطور انتاج النفط الخام ، وبالتالي عن ازدياد الدخل المتولد عنها . وثمة حقيقة اخرى وهي انه بالرغم من ان نسبة حصة عوائد النفط في الدخل القــومي جاءت بصــورة رئيسية نتيجة للزيادة المطلقة في كمية تلك العوائد خلال السنين الماضية ، الا ان تقلص الانتاج في بعض القطاعات الوطنية ، كالزراعة ، تــرك تأثيرا نسبيا في هذا الصدد . فنســبة مساهمة الزراعة في الدخل القومي قد انخفضت بشكل ملحوظ ، فبعد أن كانت مســاهمة القطاع في بداية الخمسينات تبلغ ٣٢ في المائة من الدخل القومي ، تقلصت هذه النسبة الى ١٦ في المائة في عــام ١٩٦٣ .

والشيء الخطير في هذا كله ، هو ان نســبة العوائد النفطية في الدخل القومي عرضة للتغير ، بسبب الظروف الخاصة لصناعة استخراج النفط الخام في العراق ذاتها ، والمتمثلة اساسا بخضوع هذه الصناعة لاحتكارات النفط الاجنبية ، وانعزالها

كليا عن الاقتصاد الوطني ، وتأثرها المباشر وغير المباشر بمجريات الاوضاع السياسية والاقتصادية في العالم وفي المنطقة العربية . وآية ذلك ماحصل في أعوام ١٩٥٦ [حيث انقطع تصدير النفط بسبب العدوان الاستعماري ـ الاسرائيلي على مصر] و ١٩٦٦ [حيث تدفق ضخ النفط عبر انابيب النفط المارة بالاراضي السورية بسبب الخلاف بين الحكومة السورية وشركة نفط العراق حول احتساب رسوم مرور النفط من الاراضي السورية) و ١٩٦٧ (حيث توقف تصدير النفط ايضا في الاشهر الاولى بسبب العدوان الاسرائيلي على البلدان العربية) . فهذه الاحداث برمتها احدثت تأثيرا سلبيا مباشرا على حجم الانتاج ، وبالتالي كمية العوائد الناجمة ، الامر الذي انعكس مباشرة على نسبتها في الدخل القومي العراقي ، كما يتبين من الجداول السابقة . وليس هناك من ضمان في عدم تعرض صناعة انتاج النفط الخام في العراق الى مخاطر مشابهة ، طالما انها في قبضة الاحتكارات الاجنبية ، المتداخلة مصالحها مع مصالح الدول الامبريالية ، والتي تقف بوضوح في خط اعداء حركة التحرر العربية كما برهنت تجارب جميع البلدان المنتجة والمصدرة للنفط في الشرق الاوسط وفي بقية اجزاء العالم الاخرى ايضا .

عوائد النفط وميزانية الدولة الاعتيادية

تعتمد ميزانية الدولة الاعتيادية اعتمادا رئيسيا على عوائد النفط . وقد ترسخت هذه الحقيقة منذ ١٩٥١ بصورة خاصة . اما قبل هذا التاريخ فالامر كان مختلفا نسبيا بسبب قلة عوائد النفط في تلك الفترة . فقد قدر متوسط عوائد النفط بـ١٣ في المائة فقط من دخل الدولة خلال سنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٥٠ . غير انه رغم قلة عوائد النفط في تلك الفترة الا ان الحكومة العراقية كانت في حاجة ماسة اليها دائما ، لتغطية جزء كبير من نفقاتها . لقد بلغ ما دفعته كل شركات النفط العاملة في العراق الى الحكومة العراقية منذ البداية وحتى ١٩٥٠ مقدار (٣٤ر١٠٩ر٠٠٧) دينارا ، وهذا المبلغ يعادل تقريبا مجموع نفقات الحكومة العراقية على جميع برامجها العمرانية قبل سنة ١٩٥٠ والتي بلغت مقدار ٣٥ر٥٢١ر٨٦٥ دينارا .

وبعد اتفاقية عام ١٩٥٢ بين الحكومة العراقية وشركات النفط الاجنبية ، وازدياد عوائد النفط ، تضاعف اعتماد ميزانية الحكومة على واردات النفط . فقد خصصت نسبة ٣٠ في المائة من عائدات الحكومة من النفط سنويا لميزانية الدولة الاعتيادية . وعقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، رفعت تلك النسبة الى ٥٠ في المائة لتغطية الاتفاق على التوسع الحاصل في قطاع الخدمات العامة ، وما خصص لتطبيق قانون الاصلاح الزراعي الذي صدر بعد الثورة . وبذلك فقد اصبحت نسبة عوائد النفط ما يعادل ٤٦ في المائة من مجموع واردات الميزانية انذاك . لكن هذه النسبة لم تتوقف عند هذا الحد ، بل جرى زيادة ما يخصص من عوائد النفط للميزانية بأساليب مختلفة خلال السنوات اللاحقة ، وكان يتم ذلك بطبيعة الحال على حساب ما خصص من عوائد نفطية الى تغطية نفقات خطط التنمية الاقتصادية في البلاد . فقد حصل ان منحت وزارة الدفاع بعض التخصيصات والسلف الاضافية كما حصل في عام ١٩٦٥ (سلفة ٢٥ مليون دينار وكذلك سلفة أخرى بمقدار ثلاثة ملايين دينار اضيفت لنفقات الميزانية) . ونتيجة لذلك اصبحت حصة عوائد النفط المخصصة للميزانية في تلك السنة ليس ٥٠ في المائة من العوائد كما هو مقرر قانونيا ، بل ما يعادل ٧٢ في المائة ، وبقي منها ٢٥٪ تقريبا لميزانية الخطة الاقتصادية في تلك السنة .

ان ظاهرة اعتماد ميزانية الدولة العامة على عوائد النفط مازالت تمثل احدى الظاهرات المرضية المزمنة الملازمة للاقتصاد العراقي . فنتيجة لهذا الواقع ، أصبح مصير الخدمات العامة الضرورية كالتعليم والثقافة والصحة وغيرها ، ومستلزمات الدفاع الوطني .. الخ، ورواتب موظفي ومستخدمي الدولة .. الخ . متوقفة بصورة مباشرة على عوائد النفط . وكثيرا ما حصلت أزمات حكومية بسبب تأخر دفع عوائد النفط عن ميعادها ، الامر الذي سبب تأخير دفع الرواتب والاجور لموظفي ومستخدمي مؤسسات ودوائر الدولة ، واثار التذمر والاستياء في صفوفهم .

ورغم خطورة هذه الظاهرة لم تجر معالجتها حتى في السنوات الاخيرة ، بل استمرت عوائد النفط تحتل ذات المكان نسبيا بالقياس لموارد الميزانية الاعتيادية الاخرى . كما تشير ارقام الميزانية الاعتيادية لعام ١٩٦٨ في جدول رقم [٨] .

[جدول رقم [٨]
الميزانية الاعتيادية لعام ١٩٦٨

	الايرادات [مليون دينار]	النسبة ٪
ايرادات النفط	٨١ر٤	٣٦ر٧
الايرادات الاخرى	١٤٠ر٥	٦٣ر٣
مجموع الايرادات	٢٢١ر٩	١٠٠ر٠

أما بالنسبة لعام ٦٩/١٩٧٠ فقد بلغت نسبة عوائد النفط بالنسبة الى موارد الميزانيةالاعتيادية الاخرى حوالى ٣٧ بالمئة . وهكذا لا يؤكد فقط الدور الكبير الذى تلعبه عوائد النفط فى تمويل الميزانية الاعتيادية للدولة ، بل انه يبين ايضـــا عجز مصادر الايراد الاخرى عن النمو بشـــكل يخفف ولو نسبيا من وطأة هذه الظاهرة على الوضع المالي فى البلاد ، الامر الذى يستوجب معالجة جدية أيضا .

عوائد النفط وخطط التنمية الاقتصادية

ان العوائد المتحققة من عوائد النفط كانت ولا زالت تشكل أهم مصدر لتمويل خطط التنمية الاقتصاديةفى العراق.وقبل عام ١٩٥٠ لمتوضـع برامج تنمية خاصة ومستقلة فى ميزانيتها . بل كانت المشـاريع التى ينوى القيام بها تدخل ضمن ميزانية الدولة العامة . ومع ذلك يمكن القول ان مجموع النفقات الحكومية على جميع البرامج العمرانية الموضـــوعة حتى عام ١٩٥٠ كانت تعادل تقريبا مجمـــوع ما استلمته الحـــكومة العراقية من عوائد من شركات النفط خـــلال تلك الفترة كما أشرنا الى ذلك قبل قليل . وعند تشكيل مجلس الاعمار فى ٢٥ نيسان ١٩٥٠ كهيئة خاصة مستقلة مسئولة عن اعداد وتنفيذ مشـاريع الاعمار فى العراق ، خصصت جميع عوائد النفط لميزانية مجلس الاعمار وأصبحت العوائد مصـــدر تمويلها الوحيد تقريبا . وبعد سنتين خفضت تلك النسبة ، وأصبحت حصة مجلس الاعمار ٧٠٪ من عوائد الحكومة من النفط وخصـــص البـــاقى منها وهو ٣٠٪ الى الميزانية العامة لتغطية نفقات الدولة . بيد انه رغم ذلك التخفيض ، بقيت عـــوائد النفط تمول لوحدها ميزانية مجلس الاعمار ، الذى قـــام بوضع خطط اقتصادية .

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، تم الغاء مجلس الاعمار ، وحل محله جهاز جديد للتخطيط هو مجلس التخطيط كما أسست وزارة التخطيط . وفىكانون الاول ١٩٥٩ صدرتالخطةالاقتصادية المؤقتة لسنوات ١٩٥٩ ـــ ١٩٦٣ . وكانالمصدر الرئيسى لتمويل مشاريع تلك الخطة هو ما أرصد لها من عوائد النفط والذى بلغ ٥٠٪ من مجموع عوائد الحكومة من النفط . أما الخمسين بالمئة الاخرى فقد خصص للميزانية الاعتيادية للدولة كما أوضحنا مسبقا .

وفى نهاية عام ١٩٦١ صـــدرت [الخطـــة الاقتصـــادية التفصيلية [للســـنوات الخمس [١٩٦١ ـــ ١٩٦٦] لتحل محل الخطةالاقتصادية المؤقتة السابقة . وكانت عائدات النفط تشكل أهم مصدر لتمويلها . اذ بلغت نسبة عوائد النفط ٨ر٥٥٪ من مجمـــوع واردات الخطـــة الاقتصادية التفصيلية بما فيها القروض الاجنبية .. أما اذا استثنينا القروض فتبلغ العوائد ، تدرا ٨٠ بالمئة تقريبا من مجموع المصادر الداخلية ، كما يتضح من الجدول رقم [٩] .

جدول رقم [٩]

نسبة الرساميل المخمنة والمقتضية من مصادر مختلفة كما جاء فى الخطة لسنوات ٦١ ـ ١٩٦٦

نوع الايراد	النسبة المئوية	المبلغ بالدنانير
١ ــ من ضريبة الدخل على شركات النفط	٨ر٥٥	٠٠٠ر٨١٠ر٢١٥
٢ ــ من الدخـــل الصـــافى للمصالح الحكومية	٠ر٤	٠٠٠ر٨٠٠ر٢٢
٣ ــ من ايرادات مناهج الاعمار والخطة الاقتصـــادية المؤقتة والخطة التفصيلية	٤ر١	٠٠٠ر٠٠٠ر٨
مجموع الايرادات الداخليـــة	٢ر٦١	٠٠٠ر٦١٠ر٢٤٦
٤ــ الايرادات من القـــروض الاجنبية	٦ر١٣	٥٧٠ر١٧٨ر٧٧
مجموع الايرادات المخمنة	٨ر٧٤	٥٧٠ر٧٨٨ر٤٢٣
الايرادات المقتضية	٢ر٢٥	٤٣٠ر٥٥١ر١٤٢
المجمـــوع	١٠٠	٠٠٠ر٢٤٠ر٥٦٦

أما فى الخطة الاقتصادية لاعوام ٦٥ ـــ ١٩٧٠ فان نسبة عوائد النفط بالقياس للمصادر الاخرى فى ميزانية الخطة هى اكبر مما كانت عليه فى الخطة السابقة .. اذ انها تبلغ ٧٠ بالمئة من مجموع المصادر الداخلية والخارجية [بضمنها القروض الاجنبية البالغة ٩٥ مليون دينار] و٨٤ بالمئة باستثناء القروض الاجنبية . كما يتضح من الجدول رقم [١٠] .

جدول رقم [١٠]

ميزانية الاستثمار الحكومي المركزى بالخطة ٦٥ ـ ٦٦ ـ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

الايرادات	مليون دينار
١ ــ الفضلة النقدية المدورة فى ١٩٦٥/٥/٣١	٦٩٧ر٣٠
٢ ــ حصة الخطة بنسبة ٥٠٪ من ضريبـــة الدخـــل على شركات النفط	٠٠٠ر٣٩٠

٣ — مساهمة مصلحة الموانىء العراقية بتمويل مشاريعها الانتاجية ضمن الخطة	٨٫٠٠٠
٤ — الارباح الصافية للمصالح والمؤسسات الحكومية	٤٫٠٠٠
٥ — القروض الاجنبية	٩٥٫٠٠٠
٦ — القروض الداخلية	٣٠٫٠٠٠
٧ — الايرادات الاخرى	٣٫٤٧٠
المجموع	٥٦١٫١٦٧

وفى الخطة الاقتصادية الحالية لاعوام ١٩٧٠ — ١٩٧٤ يلاحظ أيضا اضطراد نمو نسبة عوائد النفط بالقياس للمصادر الاخرى ، بالمقارنة مع الخطط الاقتصادية السابقة ، الامر الذى يرسخ اعتماد عملية التنمية الاقتصادية على صناعة النفط الاجنبية فى العراق . فقد بلغت نسبة عوائد النفط ٧٩ بالمئة من مجموع مصادر تمويل الخطة الحالية بما فيها القروض الاجنبية البالغة ٦٠ مليون دينار ، و٨٩ بالمئة باستثناء القروض الخارجية كما يتضح من الجدول رقم (١١) .

جدول رقم [١١]

خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٠ — ١٩٧٤ المالية [٢٠]

١ — حصة الخطة بنسبة ٥٠٪ من ضريبةالدخل علىشركات النفط	٤٢٥٠٠٠
٢ — حصة الخطة من مصادر الثروة المعدنية الاخرى	٦٠٠٠
٣ — استرداد القروض الممنوحة للمصالح والمؤسساتالحكومية	٣٠١٣
٥ — مساهمة المصالح والمؤسسات الحكومية فى تمويل الخطة	٣٥٠٠
٦ — حصة الخطة من أرباحالمصالح والمؤسسات والمنشآت التابعة لها	١١٣٥٠
٧ — استرداد المبالغ المصروفة من ميزانيات التنمية للمصالح والمؤسسات والمنشآت التابعة لها	٥٥٠٠
٨ — ٥٠ بالمئة من احتياطى [تخصيصات] الاندثارات السنوية للمصالح والمؤسسات العامة والمنشآت التابعة لها	٧٥٠٠
٩ — مساهمة المصالح والمؤسسات العامة والمنشآت التابعة لها فى تمويل مشاريعها فىالخطة المركزية	٤٤٥٧
١٠— القروض الداخلية	١٠٠٠٠
١١— القروض الخارجية	٦٠٠٠
١٢— الموارد الاخرى	٥٠٠
المجموع	٥٣٦٩٠١

اثر النفط فى التجارة الخارجية وميزان المدفوعات .

ان الدور الحاسم الذى يلعبه النفط فى الاقتصاد العراقى يجد له انعكاسا مماثلا فى ميدان التجارة الخارجية ، ولا سيما تجارة التصدير العراقية ، وفى دعم ميزان المدفوعات العراقى . فقد بلغ معدل نسبة قيمة صادرات النفط الخام حوالى ٩٣ بالمئة من اجمالى قيمة الصادرات العراقية للسنوات الخمسة عشرة الاخيرة . أما نسبة الصادرات غير النفطية الى اجمالى قيمة الصادرات فتبلغ نحو ٦ بالمئة الى ٧ بالمئة فى الفترة الماضية . واغلب هذه الصادرات من المحاصيل الغذائية والمواد الخام. ولولا صادرات النفط الخام لاصيب الميزان التجارى العراقى بعجز مريع وخطير . والجدول رقم [١٢] يوضح دور النفط فى حجم الصادرات واثره على الميزان التجارى العراقى .

كما أن ميزان المدفوعات فى العراق ، هو الاخر يتأثر بالدرجة الرئيسية ، بعوائد الحكومة من صادرات النفط . وهى المصدر الاول والاكبر لايرادات العراق من النقد الاجنبى اللازم لتمويل استيراداته ، وتوفير ما يحتاجه من سلعانتاجية واستهلاكية من البلدان الاجنبية ، كما يتضح من الجدول رقم [١٣] .

● ● ●

وخلاصة القول ، ان النفط يلعب دورا خطيرا فى تطور العراق . فهو عماد الاقتصاد الوطنى ومحور الصراع بين الاحتكارات النفطية الاجنبية والحركة الوطنية الديمقراطية العراقية ، ولذلك فان تحرير صناعة النفط فى العراق منالسيطرة الاحتكارية الاجنبية يؤلف جوهر التحرر الاقتصادى وضمان صيانة وتوطيد الاستقلال الوطنى ، ومفتاح ازدهار وتقدم البلاد . أما الطريق لتحقيق ذلك ، فستكون موضوع مقال قادم .

جدول رقم (٢١)

متغيرات التجارة الخارجية ١٩٥٧ـ١٩٦٩ بملايين الدنانير (٤٦)

السنة	الصـادرات × عدا النفط	صادرات× النفط	الصادرات بما فيها النفط ××	استيرادات ××	حجم التجارة الصادرات+الواردات عدا النفط	حجم التجارة مع النفط	الميزان التجارى عدا النفط	الميزان التجارى مع النفط
١٩٥٧	١٢ر٨٨	١١٣ر١٦	١٢٦ر٠٤	١١٢ر٠٥	١٢٤ر٩٣	٢٣٨ر٠٩	ـ ٣٩٩ر١٧	١٣ر٩٩
١٩٥٨	١٤ر٢٥	١٨٥ر٥٤	١٩٩ر٧٩	٩٩ر٨٢	١١٤ر٠٧	٢٩٩ر٦١	ـ ٨٥ر٥٧	٩٩ر٩٧
١٩٥٩	١١ر٤٧	٢٠١ر٦٧	٢١٣ر١٤	٩٩ر٤٠	١١٠ر٨٧	٣١٢ر٥٤	ـ ٨٧ر٩٣	١١٣ر٧٤
١٩٦٠	٧ر٩٨	٢٢٢ر٦٣	٢٣٠ر٦١	١٢٤ر٣٥	١٣٢ر٣٣	٣٥٤ر٩٦	ـ ١١٦ر٣٧	١٠٦ر٢٦
١٩٦١	٧ر٨	٢٢٣ر٠٩	٢٣٠ر٩٦	١٣٣ر٥٣	١٤١ر٤٠	٣٦٤ر٤٩	ـ ١٢٥ر٦٦	٩٧ر٤٣
١٩٦٢	١٩ر٣١	٢٢٣ر٧٤	٢٤٣ر٠٥	١٢٧ر٧٣	١٤٧ر٠٤	٣٧٠ر٧٨	ـ ١٠٨ر٤٢	١١٥ر٣٢
١٩٦٣	١٦ر٧٣	٢٥٨ر٩٧	٢٧٥ر٧٠	١١٢ر٤٦	١٢٩ر١٩	٣٨٨ر١٦	ـ ٩٥ر٧٣	١٦٣ر٢٤
١٩٦٤	١٥ر٢٩	٢٨١ر٧٦	٢٩٧ر٠٥	١٤٦ر٧٤	١٦٢ر٠٣	٤٤٣ر٧٩	ـ ١٣١ر٤٥	١٥٠ر٣١
١٩٦٥	١٨ر١٢	٢٩٣ر٥٩	٣١١ر٧١	١٦١ر٦٧	١٧٩ر٧٩	٤٧٣ر٣٨	ـ ١٤٣ر٥٥	١٥٠ر٠٤
١٩٦٦	٢٣ر٢٤	٣٠٨ر٨٥	٣٣٢ر٠٩	١٧٥ر١٠	١٩٨ر٣٤	٥٠٧ر١٩	ـ ١٥١ر٨٦	١٥٦ر٩٩
١٩٦٧	٢٠ر٦٦	٢٧١ر٩٥	٢٩٢ر٦١	١٥٠ر٣٩	١٧١ر٠٥	٤٤٣ر٠٠	ـ ١٢٩ر٧٣	١٤٢ر٢٢
١٩٦٨	٢٣ر٠٣	٣٤٥ر٠١	٣٦٨ر٠٤	١٤٣ر٣٦	١٦٦ر٣٩	٥١١ر٤٠	ـ ١٢٠ر٣٣	٢٢٤ر٦٨
١٩٦٩	٢٢ر٠٠	٣٤٦ر١٩	٣٦٨ر١٩	١٥٥ر٨٤	١٧٧ر٨٤	٥٢٤ر٠٣	ـ ١٣٣ر٨٤	٢١٢ر٣٥

× لاتشمل أرقام اعادة التصدير .

×× توجد بعض الفروق بين أرقام الصادرات وأرقام الواردات في هذا الجدول ، وبين ارقام الصادرات والواردات بميزان المدفوعات ، وهي ناتجة عن التقريب .

● جمهورية مصر العربية ●

حول المؤتمر الشعبى

والمجلس الفلسطينى

● لبنان ●

لبنان ـ الانتخابات

بين الطائفية والسياسية

● الاتحاد السوفيتى ●

هجرة اليهود السوفييت

السلاح الذى ارتد

الى صدر اسرائيل

● فرنسا ●

فرنسا العمالية ضد

« التحالف الاوربى المقدس »

● فيتنام الشمالية ●

بين فشل الفتنمة

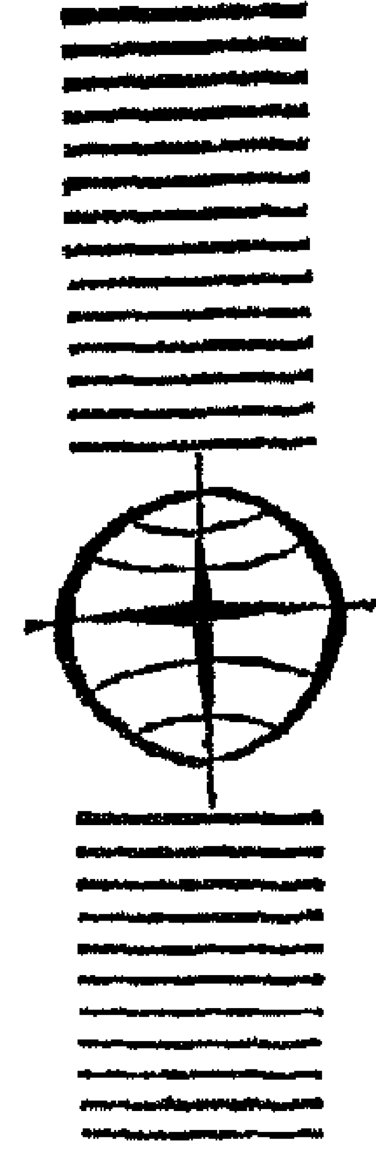
وانتخابات الرئاسة

● تقرير خاص ●

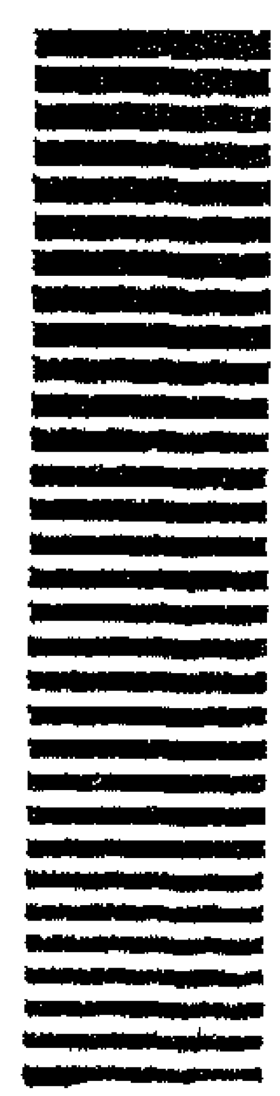
● موقع اغتيال « كرومى »

من محاور الصراع

فى تنزانيا



تقارير الشهر



■ الجمهورية العربية المتحدة

نقطـــة الانطـــلاق هى القضـــية الـوطنيـــة

دعا الرئيس أنور السادات الى سلسلة من الاجتماعات السياسية للقيادات السياسية والتنفيذية على كافة المستويات حيث قدم عرضا شاملا لابعاد الموقف الراهن ·

وقد شملت هذه الاجتماعات ـ اجتماعا موسعا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى اشترك فيه الوزراء والمحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكى بالمحافظات والاقسام واجتمع مع الهيئة البرلمانيه للاتحاد الاشتراكى التى تضم جميع أعضاء مجلس الشعب ، كما التقى باربعمائة من قيادات العمل النسائى وبعدها اجتمع الرئيس مع لجنة العمل الوطنى ولجانها التسع الاستشارية ومعهم رجال الاعلام والصحافة ·

وأكد الرئيس السادات فى احاديثه المتتالية أن كل الحلول التى تتمشى مع المبادىء الاساسية التى لا يمكن لمصر أن تتنازل عنها قد أغلقت أبوابها ازاء التعنت الاسرائيلى والموقف الاسرائيلى · وان مصر حاليا ليس أمامها أى حل سلمى ، ولهذا لم يعد أمامنا من سبيل غير المعركة لاسترداد حقوقنا ·

ودعا الرئيس السادات لان تكون نقطة الانطلاق هى القضية الوطنية التى يجب أن يتجمع الشمل حولها ـ ورد بشدة على حملات التشكيك التى تهدف الى عزلنا عن صديقنا الرئيسى ـ الاتحاد السوفيتى الذى يعاوننا سياسيا وعسكريا واقتصاديا ·

وأعلن الرئيس السادات انه ليس من المعقول مقارنة الاتحاد السوفيتى وهو صديقنا الرئيسى بموقف الولايات المتحدة التى تمد عدونا بالسلاح الذى يعينه على استمرار احتلال أراضينا ·

وأكد كذلك أنه لا وجه لمقارنة علاقاتنا بالاتحاد السوفيتى بالعلاقة الامريكية الاسرائيلية ذلك أن اسرائيل كما يصرح زعماؤها هى خط الدفاع الاول عن المصالح الامريكية فى المنطقة وليس هذا دورنا مطلقا بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، الذى ظل يقدم لنا العون والتأييد فى الوقت الذى نعلن فيه أننا حريصون على نظامنا الاجتماعى والاقتصادى ·

وأعلن الرئيس السادات أن الاتحاد السوفيتى لم يطلب منا أية قواعد وليست له حاليا أية قواعد ولكننا منحنا الاتحاد السوفيتى التسهيلات التى تخدم مصالحنا ·

وشملت أحاديث الرئيس السادات الى القيادات السياسية والتنفيذية ـ الموقف العربى بعد مشروع الملك حسين الذى وصفه الرئيس بأنه محاولة لتصفية القضية الفلسطينية ـ وان موقفنا منه ليس جريا وراء انفعال وانما على اساس مبادئنا التى نتمسك بها وهى اننا لا نقبل أى حل يفرط فى الارض العربية أو يمس حقوق شعبنا فلسطين ـ كما قال الرئيس ان الدول العربية وقفت موقفا موحدا فى رفض مشروع الملك حسين ·

وأن الموقف العربى الان فى أحسن حالاته ـ وان الاتصالات الثنائية قد قربت مواقف الكثير من الدول العربية بما يحقق مزيدا من الدعم فالسعودية والكويت يساهمان معنويا وماديا فى الاعداد للمعركة والعراق تغير موقفه ·

كما أكد الرئيس على أن جهود المقاومة جزء أساسى لا ينفصل عن الجهد المبذول للتحرير وان دورها قائم رغم محاولة الملك حسين القضاء عليها ·

وفى الحديث عن الاوضاع الداخلية دعا الرئيس السادات الى ضرورة الانتباه الى أن عناصر من اليمين وعناصر من اليسار تتجاوب مع حملات التشكيك ، فتستتر الاولى وراء حماية الاستقلال الوطنى فى مواجهة ما يسمونه النفوذ السوفيتى ـ بينما تزعم الثانية أننا مترددون فى الاقدام على المعركة مع أن الاتحاد السوفيتى قد أمدنا بكل ما تحتاج اليه تلك المعركة ـ وكلا الفريقين مخطىء ·

وأشار الرئيس السادات الى أن مصر تمكنت من الصمود والتقدم خلال عشرين عاما بفضل الوحدة الوطنية بين أبنائها وأننا الان أشد حرصا وتصميما على هذه الوحدة ـ وان صيغة التحالف التى يقوم عليها الاتحاد الاشتراكى هى الصيغة التى نتمسك بها ، والتى نص عليها ميثاقنا ودستورنا و « من يخرج على هذا يكون خارجا على وحدتنا الوطنية ونحن لن نسمح باقامة أية تنظيمات خارج الاتحاد الاشتراكى » ·

ونوه سيادته بأن اللجنة المركزية هى أعلى قيادة جماعية للتنظيم السياسى وهى المرجع الذى ترجع اليه لجنة العمل · ·

كما أشار بجهود الوزارة وأسلوب انتقالها للشعب فى المحافظات وتصديها لمشاكل الجماهير على الطبيعة ، وطالب بضرورة اعطائها الفرصة لانجاز برنامجها ·

وحذر من المبالغة فى وصف الاخطاء والانحرافات فى القطاع العام مذكرا بأن القطاع العام هو الان توأم القوة الاقتصادية الذاتية التى تمكننا من الصمود ومن خوض المعركة ·

وفى اجتماعه بالهيئة البرلمانية للاتحاد

الاشتراكى طالب الرئيس - السادات الهيئة بأن يمارس مجلس الشعب سلطته كاملة فى الرقابة والتشريع مع مراعاة اولويات المعركة ، وأن يضع التقاليد البرلمانية السليمة فى ضوء تحالف قوى الشعب العاملة •

وعرض الرئيس السادات على الهيئة البرلمانية تصوره لعمل مجلس الشعب - مؤكدا على أن اللائحة التى أعدها سيادته وقت رئاسته للمجلس عام ٦٦ - كانت استجابة لمتطلبات تحقيق الديمقراطية الحقة وتمكين المجلس من ممارسة دوره فى الرقابة والتشريع بالتعاون مع الحكومة ومع الاتحاد وضرورة اعطاء عناية خاصة للجان المجلس مما يقتضى تفرغ رؤساء اللجان لمسئولياتها • كما أن على اللجان أن تعقد جلسات للاستطلاع والمواجهة يشترك فيها المسئولون عن الدولة والمواطنون أصحاب المصلحة لتتوافر أمامها وجهات النظر •

حول المؤتمر الشعبى والمجلس الفلسطينى

فيما بين ٦ - ١٠ ابريل الماضى ، عقد **المؤتمر الشعبى الفلسطينى** [٤٠٠ عضو] اجتماعاته فى قاعة اجتماعات مقر الجامعة العربية بالقاهرة ولم يتخلف عن الحضور الا من حالت السلطات الاردنية والاسرائيلية دون حضورهم • وهم مندوبو الضفتين الشرقية والغربية للاردن بالاضافة الى مندوبى قطاع غزة •

ومن المعروف ان **اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير** كانت قد دعت لعقد هذا المؤتمر فى ١٦ مارس الماضى ، لمواجهة مسألة الانتخابات البلدية التى تجريها السلطات الاسرائيلية فى الضفة الغربية • وكانت اللجنة التنفيذية تهدف من وراء عقد هذا المؤتمر الى تأكيد كون **منظمة التحرير هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى** • الا ان اللجنة التنفيذية عادت وارجأت عقد المؤتمر

تعليق

حول جرائم المال

هتمت الصحافة مؤخرا بنشر العديد من وقائع الاستيلاء على المال العام حتى كاد ذلك يصبح بابا يوميا على صفحاتها •

وليس ما نرجو التعليق عليه هنا هو صحة النشر من عدمه ، فالامر هنا يكاد يكون محسوما اذا ما تذكرنا أن ما لا ينشر كله ، ينتشر بين الناس - على الاقل - بعضه ، وقد يضخمه النقل حتى تصبح الحبة قبة ، والفار فى حجم الفيل • ولكن ما نرجو أن يكون موضع التفكير لدى الكافة هو الظاهرة ذاتها ، لماذا تحدث وكيف وأخطارها ووسائل التغلب عليها •

والحوادث قد تتنوع • فهى فى صورة منها استغلال لثغرات فى القانون وفى الاجراءات للاستيلاء على ممتلكات الدولة - اراضى الاوقاف ، والاراضى الفضاء •• ومرة أخرى تزوير الاختام أو التوقيعات وصناعة المستندات المزورة ومن ثم الاستيلاء على اموال عامة - الخزانة السرية بوزارة الداخلية •• وفى صورة ثالثة تصوير ورقى لسير معين للاعمال بينما الواقع بعيد هناك يصب عائده فى عدد من الجيوب - شركة بيع المصنوعات •• وفى صورة أخرى اتفاق بين الموردين وعدد من الموظفين على عمليات وهمية يدفع مقابلها من المال العام لتجد طريقها الى عصابة من الابدى - صيانة سيارات احدى شركات النقل العام - وفى صورة خامسة ، تلك التى يعجز فيها المدبرون على التزوير أو تصوير الاعمال بالصورة السليمة ، يكون المخرج بعد النهب افتعال الحريق لتتوارى فى رماده الجريمة • قد تتنوع الحوادث وتتعدد بأكثر مما ذكرنا من الصور ، ولكن يظل الخيط الذى يربطها واحدا ، وهو استعمال المال العام وسيلة للاثراء على حساب المجموع •

ولا يمكن أن ننظر الى هذه الحوادث على ضخامتها واجتذابها للنظر ، ونغفل واقعا هاما فى الحياة اليومية يمارسه الناس فى كل خطواتهم على درب الروتين لانجاز أعمالهم فى الدوائر والدواوين ، حين يصطدمون بظاهرة الرشوة التى بدونها لن تتحرك الامور ، وهكذا • تلك الظاهرة التى انتشرت حتى تكاد تصل الى نسب مئوية ثابتة من استحقاقات الناس أحيانا ، او ضريبة تتفق مع مظهر صاحب الحاجة ومقدار ما يبدو عليه من ثراء ، والتى بلغ من انتشارها حد اضطرار رئيس الوزراء السابق الى الاشارة لها والتركيز عليها فى خطاب عن برنامج الوزارة الى مجلس الشعب •

واذا كانت الرشوة الصغيرة هذه أوشكت أن تصبح قاعدة التعامل ، فهناك ظاهرة أخرى هى استغلال الموقع والمنصب للاستيلاء على المال العام واثراء البعض على حساب المجموع بطريقة غير مشروعة •

وتصبح الظاهرتان وهما تنتشران بهذه الصورة السرطانية من أخطر ما يمكن على نظامنا الاجتماعى كله ، فهما ان لم يوضع لهما حد ، صارتا وثيقة اتهام لنظامنا الادارى من ناحية ، وافراغ لجهد الملايين من العاملين فى جيوب البعض، فضلا عن الاثار الاقتصادية الناجمة عن انفاق أوسع مما هو مقدر للاستهلاك ، وعن الاثار الاجتماعية التى يمكن أن نشبهها بالتفاحة السيئة اذ تفسد كل ما فى السلة منه •

ومع أن الوصول الى الاسباب فى حالة الرشوة اليومية الصغيرة - وربما كان أفضل أن نسميها الاتاوة - كان سهلا فانه قد يلزمنا فى الحالة الثانية نوع من الدراسة العلمية الاوسع نسبيا لتشمل نوعية مواقع الحوادث - ما شمله التحقيق وما لم يشمله وهو أكثر - والقائمين بها ، وما سهل لهم ذلك ، والمبالغ التى حصلوا عليها وكيف انفقت •• وغير ذلك من العوامل •

الى ٦ ابريل . وواضح ان الحاجة الى تأكيد هذا التمثيل قد تزايدت بعد تقديم الملك حسين لمشروعه فى منتصف مارس الماضى .

وكان واضحا حتى عشية المؤتمر ان «**الحكومة المؤقتة**» التى كانت **فتح** قد ناقشتها فى لجنتها المركزية ومجلسها الشورى انها لن تطرح فى المؤتمر . وكان **اتحاد الطلاب الفلسطينيين** قد اصدر بيانا ندد فيه بمشروع الحكومة المؤقتة ، الا ان هناك اتجاهات لها وزنها تدعو الى ضرورة اعلان حكومة المنفى، والارتباطبالخط الاستراتيجى لدول الاتحاد .

وفى خطابه داخل المؤتمر اتهم **ياسر عرفات** بعض الانظمة العربية ببناء محاور داخل العمل الفدائى لضرب هذا العمل عند الضرورة !

وفى داخل المؤتمر واللجان المنبثقة عنه [لجنة الوحدة الوطنية ، السياسية ، الوطن المحتل] طرحت الامور ونوقشت بصراحة اكثر من المعهودة فى مثل هذا المؤتمر او المجالس الوطنية السابقة وفى داخل لجنة الوحدة الوطنية اصطدمت مجموعة ضيقة من المستقلين باعضاء منظمات المقاومة . عندما القى **دكتورفاضل زيدان** [مستقل] كلمته والذى اشار فيها الى اخطاء وسلبياتقيادة المقاومة ؛ وعندما اقترح **عوده بطرس عوده** [مستقل] بتخصيص ٥٠٪ من مقاعد المجلس الوطنى الفلسطينى للمستقلين .

وكانت **الجبهة الشعبية الديمقراطية** قد طرحت مشروعا سياسيا ديمقراطيا للوحدة الوطنية ، حولته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى مجلس التخطيط التابع لمركز الابحاث الفلسطينية الذى طرحه بدوره على المؤتمر .

ويتضمن المشروع اقرارا بصيغة الجبهةالوطنية المتحدة ، وتشكيل قيادتها على اساس التمثيل النسبى مع اندماج القاعدة والسماح بالانتماء التنظيمى للجان الفكرية المختلفة ، واصدار جريدة داخلية للجبهة المتحدة تطرح فيها وجهات النظر ويعم توزيعها على كل المؤسسات المشتركة فى الجبهة .

وكان المشروع موضع مناقشات فى المؤتمر

ولكنا مع ذلك قد نستطيع الزعم باستطلاع مبدئى ، وبناءعلى ما عرف بصورة عامة من الوقائع ، أن الاستيلاء على المال العام كان يحدث فى معظم الاحوال حيث يدخل القطاع الخاص مع القطاع العام في المعاملات . انه هنا حيث يكون من السهل دائما الاغراء والتلويح بامكانية التكسب العاجلالسريع ، ومن تم الاتفاق علىتدبير الامور وتصويرها الصورة التى تخفيها ما أمكن عن طائلة القانون . وليس هذا الواقع بالامر الغريب . فالراسمال الخاص فى بلد خرج منذ قليل من اسار السيطرة الاستعمارية ، حيث لم يكن للرأسمال المحلى ــ ما دون الكبير منه ــ الا أن يلعب دورا طفيليا فى الحياة الاقتصادية ، سوف يظل دوره هكذا ولفترة ، حتى يوضع له الاطار الصحيح داخل الخطة الاقتصادية العامة للنمو والتطور والاسهام فيما نريد من بناء شامل .

وحقيقة قد تلعب عديد من الاعتبارات دورها فى تشجيع الافراد على سلوك هذا المسلك مثل آن تكون ظروف الحرب ــ وقد فعلت هذا فى الكثير غيرنا من الدول ــ أو التطلعات الطبقية لدى البعض ، أو عقلية المجاراة فى الحياة الخاصة لمجتمعات قطعت شوطها فى النمو ، أو نقص الاحساسبالملكية العامة وضرورة المحافظة عليها للصالحالعام ، أو عدم الايمان أصلا بالنظام الذى ننبنيه وهكذا . قد تلعب هذه جميعهادورا فىتهيئة النفوس للانحراف ، ولكن تظل الحلقة الرئيسية هى أن يوجد المجال ليتم الانحراف . وتكون صلة القطاعالخاص بالقطاعالعام هى « الكوبرى » الذىيعبر عليه هؤلاءالى جانب السرقة التى هى أقرب ما تكون اليوم الى الخيانة .

واذ تقابلنا هذه المشاكل نجد الدعوة الى تشديد العقوبة على اهدار المال العام . وهى دعوة لابد ان تزكى وأن تتم . ولكن لعلنا نذكر سابقة مماثلة فى مجال تجارة المخدرات . ان اكتشاف الثغرات فى القانون لهو أمر ميسور علىالافراد من هذا النوع ، كما كان سهلا على تجار المخدرات التلاعب ببطلان التفتيش والقاء ظلال الشك على الاجراءات ، حتى يجد القاضى ما يضغط على ضميره حين تحدثه نفسه باقصىالعقوبة . ولعل هذه الدعوة بتشديد العقوبة قصد بها تماما أن نمارس الرقابة الشعبية ــ وربما المحاكمة ــ علىأوسع مجال فى كل المواقع

ولن يكون هذا وحده كافيا ، بل لابد أن يسنده اتجساه متعاظم نحو رفع القدرات الانتاجية ــ كما ونوعا ــ للبلاد فهى الزم ما يكون فى ظروف المعركة ، وللاحقة مطالب الجماهير ، حتى نسد العديد منها الفجوة القائمة فعلا على مستوى واسع بين الدخل ومستلزمات الحياة .

ولابد أن يتحدد دور القطاع الخاص فى تلك القنوات التىتبعد به عن الدور الطفيلى المعتاد ، ويتحول الى قوة تبنى فى صرح الانتاج ، وتكسب ما استطاعت عن طريق ايجابىبناء .

وأن يصاحب هذا دور واع من ممارسة التوعية عن المال العام وحقه على الجميع ، ونبذ التطلعات الطبقية بخفض مظاهرها فى حياة الافراد ، والارتباط بين كل الاعمال وأرواح ابنائنا على خط النار وتطهير ترابنا من رجس الاحتلال ، وحتمية ما نتجه له من نظام اجتماعى وضرورة انعكاس قيمهفى سلوك الافراد .

د. محمد أحمد عجلان

الشعبى الفلسطينى واحيل الى اللجان الفرعية ، فتبنته اللجنة السياسية بعداجراء تعديلات لاتمس الجوهر . أما فى لجنة الوحدة الوطنيـــة فقـــد طرحت فتح برنامجا تنظيميا اضـــافيا مكونا من ثلاث نقاط :

● توســـيع المجلس الوطنى الفلســـطينى — اساسا من عناصر مستقلة .

● تحقيق وحدة عسكرية اندماجية خلال ثلاثة اشـــــــهر .

● تشكيل لجنة متابعة — المؤتمر الشعبى من ٢٢ عضوا لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

وقد كسب المشروع تأييد المستقلين، وأثار هذا الاقتراح الاضافى معارضة شديدة على اساس ان الهدف منه تفريغ الاقتراح الاصلى من محتواه .

ويرى المعارضون ان هدف الاقتراح احتـــواء ومحاصرة وتصفية الاتجاهات اليسارية .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا انه مامن دورة من دورات المجلس الوطنى الفلسطينى إلتسع الا وتمخضت عن قرارات ومشاريع للوحدة الوطنية بل وتعلن انجاز هذه الوحدة !

وفى المؤتمر ظهر الانقسام اشـــد ما يــكون وضوحا بين جناحى **فتح** فى هذا المؤتمر وقد برز من خلال المناقشات كل من **ناجى علوش ومنير شفيق وصــــلاح خلف** [**فتح**] **واديب عبـــد ربه** [**الديمقراطية**] .

كما لاحظ المؤتمرون وجود **خالد الحسن** ، احد ابرز قادة فتح ، خارج قائمة الاجتماعات طوال الاجتمـــاعات !

وبعد ان انتهت اللجان من اعداد تقاريرها ، انقض يمين **فتح** على التقرير السياسى ذا الطابع التقدمى فى محاولة لاجهاضه ، ووصف **كمـــال عدوان** [فتح] مشروع الوحـــدة الوطنيـــة بأنه « برنامج تفريق » .

وفى ١١ ابريل عقـــد المجلس الوطنى [١٥١ عضوا] جلسته التى اقر فيها معظم توصـــيات المؤتمر الشـــعبى الفلسطينى ، وهى الخاصـــة بتوسيع المجلس ، ومشروع الوحدة الوطنيـــة ، وتشكيل لجنة من ٢٢ عضوا لمتابعة تنفيذ مقررات المؤتمر الشـــعبى .

وايا كان الامر فأن المؤتمر والمجلس الوطنى قد نجحا فى صياغة اســس الوحدة الوطنيـــة واسس التعامل مع الجماهير العربيـــة ، وبذا يكونان قد نجحا اكثر مما رسم لهما واكثر مما توقع لهما حتى الداعين لعقدهما !

خطـــــوة جـــــديـــدة فى العـــــلاقات مع رومـــانيـــا

زار القاهرة فى ٢ ابريل الماضى **الرئيس نيكولاى تشاوشيسكو** رئيس جمهورية رومانيا يصحبه وفد يضم ٥٠ عضوا .

وقد قام الوفد الرومانى بزيارة للاسكندرية والاقصر واجرى محادثات سياسية هامة حضرها من الجانب المصرى الرئيس « **أنور السادات** » والدكتور « **مراد غالب** » والسيدان « **حسافظ اسماعيل** » و « **محمد عبد السلام الزيات** » .

وقد اوضح الرئيس شاوشيسكو فى حفـل التكريم الذى أقامه الرئيس السادات للضيـف الرومانى « ان رومانياطلبت وتطلب دائما أن يعمل المجتمع الدولى للوقوف فـى وجـه النظـم الديكتاتورية والاستعمار العالمى وضد استعمال القوة والاستيلاء على أراضى الغير » .

وقال شاوشيسكو « اننا فى بلادنا نلمس الجهود البناءة التى تبذلونها لتصفية آثار العـدوان الاسرائيلى الامبريالى الذى وقع عام ١٩٦٧ ،ولقد كنا نتابع بالترحيب والتقدير الاقتراحات التى قدمتموها لحل قضية الشرق الاوسط وفق قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ فاننا ضد استخدام القوة فى العلاقات الدولية وضـد السيطرة بالقوة على أراضى الغير ، لذلك فاننا نطلب بالحاح ان تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها ونعتبر ذلك اساسا لازما لكى يتحقق السلام فى الشرق الاوسط .

وفى ٣ أبريل عقد الرئيسان الســادات وشاوشيسكو اجتماعا مغلقـا بعد اجتماع آخر حضره وفدا المباحثات مع الرئيسين واسـتمر حوالى الثلاث ساعات .

وقد أعلن أن المحادثات قد تناولت تطورات ازمة الشرق الاوسط ووسائل تدعيم العلاقات بين مصر ورومانيا كما شملت المحادثات تبادلا لوجهات النظر فى الموقف الدولى بشكل عام .

وقد عقدت اجتماعات منفصلة بين د . **مراد غالب** وزير الخارجية **والسـيد مانيسـكو** وزير خارجية رومانيا لاستكمال بحث المسائل العامة التى تهم البلدين .

كذلك اجتمعت قرينة الرئيس الرومانى بعدد من القيادات النسائية المصرية .

وأثناء زيارة الرئيس شاوشيسكو للاسكندرية القى كلمة قال فيها « اننا نقدر جهود الرئيس السادات لكى ينسحب الاجـــانب من أرضـــكم لتستطيع بلادكم الحرة أن تبنى حياتها الحديثة . وسوف تقدم رومانيا كل ما تستطيع من معاونة

لتنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بالانسحاب وسوف يتحقق ذلك فى وقت ليس ببعيد » .

وأشاد شاوشيسكو بالاتصالات المفيدة التى تمت بين الحزب الشيوعى الرومانى والاتحاد الاشتراكى العربى .

وخلال اقامة الرئيس شاوشيسكو فى القاهرة استقبل « **ياسر عرفات** » رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وقد تناول البحث فى هذا اللقاء تطورات أزمة الشرق الاوسط .

وقد اذاعت وكالة الانباء الرومانية أن الرئيس الرومانى قد أكد لياسر عرفات تضامن الحزب والشعب فى رومانيا مع النضال العادل لشعب فلسطين وحل مشاكله بما يتمشى مع مصالحه الوطنية .

وفى نهاية الزيارة صدر البيان المشترك عن المباحثات بين الرئيسين وقد أكد البيان أن اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط يقتضى تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والقرار الذى أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٧١ ، وضرورة الوصول الى حل لمشكلة شعب فلسطين بما يتفق وآماله الوطنية وحقوقه الشرعية .

كذلك أعرب الجانب الرومانى عن تقديره لجهود مصر للتوصل الى تسوية سياسية عادلة لازمة الشرق الاوسط .

وقال البيان انه قد تقرر اتخاذ الاجراءات الضرورية لتنفيذ مشروعات التعاون الاقتصادى بين البلدين وتشمل مجالات الصناعات الكيماوية والتعدين والزراعة ومواد البناء والمساعدات الفنية والتدريب المهنى .

تعليق

حل التناقضات الثانوية لمصلحة التناقض الرئيسى

ليس جديدا على العمال المصريين ان يكافحوا من اجل رفع مستوى حياتهم امام مايواجهونه من ارتفاع للاسعار وتزايد متطلبات الحياة . فمنذ ان اصدر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ١٩٦١ قرارات يتضمن بعضها بعض مكاسب للعمال طبقت على عمال الحكومة والقطاع العام ولم تطبق على عمال القطاع الخاص .

منذ ذلك الحين وعمال القطاع الخاص يطالبون بتطبيق تلك القرارات عليهم . ومساواتهم بعمال الحكومة والقطاع العام وكانوا دائما يتوسلون لتحقيق مطالبهم بالطرق السلمية والمشروعة عن طريق اللجان النقابية ووحدات الاتحاد الاشتراكى . والشكاوى لجهات الاختصاص .

اما اصحاب الاعمال فقد كان موقفهم الرفض المستمر ومحاربة تطبيق القوانين على عمالهم بتعنت واصرار . وهذا امر طبيعى ومنطقى مادام تطبيق هذه القوانين على عمالهم يتعارض مع مايجنوه من ارباح ويحد من نمو رءوس اموالهم الفئة فى الوقت الذى يخططون فيه لتحقيق اقصى حد ممكن من الارباح فى اقصر مدة من الزمن كما يقضى بذلك القانون العام لحركة رأس المال .

وهكذا استمر النزاع بين طرفى النزاع .. العمال يطالبون بحقهم واصحاب الاعمال يرفضون بحزم واصرار . حتى جاءت حكومة الدكتور عزيز صدقى وقررت مساواة عمال القطاع الخاص بعمال القطاع العام وبادرت اللجنة التشريعية بتقديم مشروعى قانونين احدهما خاص بالحد الادنى للاجور بحيث لايقل اجر العامل الذى يزيد سنه عن ١٨ عاما عن ٣٠ قرشا فى اليوم .

والقانون الثانى خاص بالاجازات وقد اقرهما مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة يوم ١٩٧٢/٣/١٩ . أما القرار الخاص بتحديد ساعات العمل بـ ٧ ساعات كيوم للعمل فقد كان امره سهلا لايحتاج الى لجان ولاهيئات بل يحتاج الى قرار من وزير الصناعة .

ولقد وقعت فى منطقة شبرا الخيمة احداث مؤسفة كان من الممكن تلافيها لو ان وحدات الاتحاد الاشتراكى تعاونت مع النقابة العامة والاتحاد العام على تطويق الاشاعات التى روجها اصحاب الاعمال وبعض العناصر المغرضة .

لقد نجح اصحاب الاعمال ووكلائهم فى احداث حالة من التوتر فى احدى المناطق الصناعية والعمالية الهامة والتى يجب ان يسودها الهدوء فى تلك الظروف .

وبحلول شهر يونيو من هذا العام يكون قد مضى على الاحتلال الصهيونى لجزء من قلب بلادنا خمسة اعوام وليس منا من يجهل ما يضمره العدو وما يكنه لنظامنا السياسى من كراهية وعداء .

ان هدف العدو ضرب ثورة ٢٣ يوليو وضرب ما ترتب عليها من نهضة وطنية لتصنيع البلاد ، وضرب مكتسبات الشعب ومكتسبات العمال والاستيلاء على خاماتنا واسواقنا وسحق الرأسمالية الوطنية والقضاء على كل ماتصبوا اليه من آمال

وهذا ما يجعل العمال يطالبون اصحاب الاعمال بتقدير خطورة الموقف السياسى فى الوقت الحالى فلنكف عن تحويل مواقع الانتاج من مجالات لحرب العدو الى مجالات الحرب الداخلية بين مناطق القوى الوطنية .

ان عدوا شرسا لنا هو الصهيونية يؤيده عدو اشد منه شراسة للانسانية والديمقراطية والسلام هو الولايات المتحدة الامريكية قد تحرك للقضاء على النظام السياسى القائم وعلى ما أحرزه الشعب من مكتسبات ، والرأسماليون الوطنيون هم أول وأكبر المستفيدين من هذا النظام بالنسبة لغيرهم من الطبقات .

محمد على عامر

كذلك أعلن البيان المشترك عن تضامن البلدين مع كفاح شعوب الهند الصينية .

وقد عقد الرئيس شاوشيسكو مؤتمرا صحفيا حدد فيه موقف بلاده من أزمة الشرق الاوسط وأعلن ان رومانيا لا تزود اسرائيل بالاسلحة وانها تعارض سياسة تزويدها بها .

وقبل أن يغادر شاوشيسكو القاهرة ، عاد الرئيسان الى عقد اجتماع مغلق آخر بينهما استمر ٥٠ دقيقة .

والحقيقة أن هذه الزيارة ذات اهمية خاصة حتى فى حدود العلاقة بين مصر والبلدان الاشتراكية ، ذلك أنها تمثل خطوة هامة فى تعزيز التفاهم بين مصر ورومانيا بعد فترة اتسمت ببعض التباعد بعد عدوان ١٩٦٧ .



■ ليبيا

النظرية الثالثة للثورة الليبية

عقد فى ليبيا فى الفترة من ٢٨ مارس الى ٨ ابريل ، المؤتمر الوطنى الاول للاتحاد الاشتراكى العربى واشترك فيه ٥٣٠ عضوا بينهم ٤٠ امرأة يمثلون كل فئات الشعب العاملة ، كما شهده ٧٢ وفدا يمثلون الدول العربية والافريقية والدول الصديقة .

والقى الرئيس معمر القذافى خطابا سياسيا فى افتتاح المؤتمر ، حدد فيه طبيعة الاتحاد الاشتراكى كتنظيم جماهيرى وليس تنظيما طليعيا ، يجمع الرأسمالية الوطنية والفلاحين والعمال والمثقفين والجنود « ينصهروا مع بعض فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهى نظرية رائدة طبقتها مصر ، وبعدها ليبيا ، ثم السودان ، ونحن نتوقع أى بلد عربى يتحرر حينظم نفسه على أساس تنظيم الاتحاد الاشتراكى » . ويقوم الاتحاد الاشتراكى العربى فى ليبيا « على أسس خلقية ومبادىء ثابتة من الاسلام والعروبة والايمان » .

وناقش المؤتمر عديدا من القضايا والافكار بناء على اقتراح الرئيس القذافى ، والتى تتعلق بمفهوم الحرية ، والديمقراطية فى مرحلة التحول الثورى ، وعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالمؤسسات الجماهيرية ، والنقابات المهنية والعمالية ، وعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطتين التشريعية والتنفيذية ، وعلاقة التنظيم بالصحافة ، وعلاقته بخطة التنمية .

وقد تشعبت المناقشات التى جرت داخل المؤتمر ، لتشمل جميع القضايا التى تشغل اهتمام الشعب الليبى فى هذه المرحلة ، من أجل القضاء على كافة مظاهر التخلف والخروج من العزلة الطويلة التى فرضها العهد السابق على الشعب الليبى . والتى تتعلق « بالعلاقة بين السلطة والجماهير ، وكيفية ممارسة الحرية والديمقراطية ، والاطار أو مجموعة القوانين التى ترسم حدودها » .

وتواجه ليبيا فى الوقت الحالى مثل معظم بلدان العالم الثالث مشكلة بناء جهاز الدولة ، وانعدام وجود الكوادر الوطنية المتمرسة ، خاصة وان الثورة لم تات ومعها التنظيم الخاص بها لكى يحل محل جهاز الدولة الرجعى القديم ،وأيضا غياب النظرية الثورية التى تحدد معالم الطريق ، وتنظم حياة المجتمع فى النواحى السياسية ،والاقتصادية والاجتماعية ، وصعوبة بناء تنظيم سياسى فى الواقع الليبى ومواجهة أخطار البيروقراطية ، وغياب النشاط السياسى .

وتوضح خطب وأحاديث الرئيس القذافى فى أثناء المؤتمر ، محاولته وضع ما يسمى « بالنظرية الثالثة » للثورة الليبية ، وهى تقوم على أسس وقواعد ثلاث « الاشتراكية » ، والدين ، والقومية » . وهذه الاشتراكية تختلف عن « الماركسية » ، والراسمالية .. « واننا نرفض المنطق الذى يقول ان هناك اشتراكية واحدة فقط فى العالم ، واننا نعتبر أنفسنا فى معسكر اشتراكى ولسنا فى معسكر شيوعى أو رأسمالى ، لاننا اكتشفنا أن كلا المعسكرين تقوده دولة كبرى ونحن نرفض أن تقودنا دولة كبرى ، واننا نعتبر الدين الاسلامى المحرك الاساسى للتاريخ ، وليس الصراع الاقتصادى كما يقول ماركس ، وأن العامل الاقتصادى قد يأتى فى المرتبة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة وقد لا يظهر دوره بتاتا » . وأعلن الرئيس القذافى رفضه القاطع لفكرة تشكيل حزب معارضة ، وقال أن هناك اتجاه لبناء تنظيم طليعى داخل الاتحاد الاشتراكى من المثقفين الثوريين .

واصدر المؤتمر فى جلسته الختامية قراراته وتوصياته والتى تتضمن : ان المعركة التى يخوضها العرب ضد تحالف الاستعمار والصهيونية هى معركة قومية يجب أن تحشد لها كافة الطاقات والامكانيات ودعا الى قيام حركة مقاومة فلسطينية واحدة والتزام ليبيا بالوقوف مع هذه الحركة الواحدة ورفض ما عداها ، والمطالبة بضرورة تحرير الارض المحتلة ، وحتمية الصدام المسلح مع العدو الاسرائيلى على أرض فلسطين، والتنديد بأسلوب المزايدات والشعارات التى تمارسها بعض الدول العربية تهربا من قومية المعركة .

وأعلن المؤتمر : ان ثورة ليبيا تعتبر امتدادا طبيعيا ونضاليا لثورة ٢٣ يوليو الام التى فجرها

القائدجمال عبد الناصر ، وأكد على التزام ثورة الفاتح من سبتمبر بمواصلة تحقيق الوحدة الاندماجية بين الاقطار العربية ٠

وعلى المستوى الداخلى قرر المؤتمر تفويض مجلس الثورة الليبى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق التحول الثورى ، واكدالمؤتمر أن «الجبهة الوحيدة المعادية للاستعمار من الشرق أو من الغرب هى جبهة العالم الثالث » ٠ وفى اطار هذا المفهوم اعلن الرئيس القذافى بعد انتهاء المؤتمر قرار ليبيا بسحب سفيرها فى العراق ، كماطلبت الى العراق سحب سفيرها فى ليبيا . وقدجاء فى تفسير هذا القرار بوكالة الانباء الليبية أنه بسبب «توقيع الحكومة العراقية معاهدة مع الاتحاد السوفيتى مدتها ١٥ سنة ، الامر الذى يعد خرقا لميثاق الجامعة العربية وعودة العراق الى أيام نورى السعيد وحلف بغداد » !! ٠



■ المملكة الاردنية

أمريكا تدفع الثمن

ترك الملك حسين عمان يوم ٢٦ فبراير الماضى ، بعد أن حرك بمشروعه الخاص باقامة المملكة العربية المتحدة مياه الوطن العربى التى طال ركودها ٠ وقد أذيع نبأ سفر الملك بعد مغادرته العاصمة الاردنية بسبع ساعات ، كاجراء وقائى ٠

وقد توجه حسين الى السعودية ، حيث أمضى فيها ليلة تشاور أثناءها مع الملك فيصل ، ثم تركها الى طهران حيث التقى فيها بشاه ايران ، وبعدها استأنف سفره الى أسبانيا ، حيث نقلته طائرة أمريكية الى واشنطن ٠

وفى الثامن والعشرين من فبراير اجتمع الرئيس الامريكى نيكسون بالملك حسين ، واقتصر هذا الاجتماع عليهما وعلى هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الامريكى لشئون الامن القومى ، وزيد الرفاعى المستشار السياسى للملك الاردنى ٠

وبعد الاجتماع الذى استمر ٨٠ دقيقة ، اعلن رونالد زيجلر ، المتحدث الرسمى للبيت الابيض ، أن الحكومة الامريكية ستفعل كل ما فى وسعها لمساعدة الملك حسين ٠

ثم أجرى الملك محادثات تفصيلية مع وليام روجرز ، وزير الخارجية الامريكية ، واجتمع بعدها بلجنة الشئون الخارجية المنبثقة عن مجلس الشيوخ الامريكى ٠

وفى اليوم التالى اجتمع الملك الهاشمى بميلفين ليرد ، وزير الدفاع الامريكى ، ونسب الى الملك أنه طلب من ليرد زيادة قدرها ١٥ مليون دولار سنويا ٠ ومن المعروف ان نيكسون كان قد طلب فى فبراير الماضى زيادة المعونة العسكرية لعام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ بـ ٦٥٠ مليون دولار ، وصرح روجرز بأن هذه الزيادة « لمساعدة دول مثل الاردن على مواجهة مشاكل الامن الداخلى » ٠

وطلب الملك حسين من ليرد مزيدا من الدبابات الامريكية م ـ ٦٠ ومدافع م ـ ١٦ وعددا من الطائرات المقاتلة وطائرات النقل ٠

وفى عدد أول أبريل قالت « نيويورك تايمز » أن الولايات المتحدة ستبيع للاردن ما بين ١٢ ـ ٢٤ طائرة نفاثة أسرع من الصوت من طراز ف ـ ٥ ٠ وأضافت الصحيفة الامريكية أن امكانيات الفانتوم التى تتسلح بها اسرائيل تفوق بكثير امكانيات الطائرات ف ـ ٥ ٠

وصرح بعض المسئولين الامريكيين فى احاديثهم الخاصة أنهم يجدون فى مشروع المملكة العربية المتحدة نقطة بداية مفيدة للمفاوضات بين الاردن واسرائيل بعد ذلك ٠

وقد أبدى كبار المسئولين الامريكيين ارتياحهم لرغبة الملك حسين المعلنة فى عقد صلح منفرد مع اسرائيل ٠

وعاد اسحق رابين ، سفير اسرائيل فى واشنطن ، الى بلاده يوم ٤ ابريل الماضى ليعرض على جولدا مائير رئيسة الوزراء وأبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية ، تقريرا عن محادثات حسين فى واشنطن ٠ وكشفت الاوساط العليمة فى اسرائيل أن الحكومة الامريكية لم تبحث مع الملك حسين مسألة الحدود بين المملكة المقترحة واسرائيل ، تاركة ذلك ليكون موضع بحث مباشر بين كل من الحكومتين الاسرائيلية والاردنية ٠

وقد ربط مصدر أمريكى بين زيارة حسين وزيارة أبا ايبان التى تمت فى وقت متأخر من ابريل الماضى ٠ باعتبار أن الزيارتين ترتبطان بمشروع الملك ٠

ومن المعروف أن زيارة الملك الهاشمى الى واشنطن قد تمت فى نفس الوقت الذى حشدت فيه الاردن قواتها على الحدود الاردنية السورية ، فى مواجهة التجمعات الفدائية فى تلك المناطق ٠



■ لبنان

لبنان • • الانتخابات بين الطائفية والسياسية

لعل انتخابات لبنان هى أكثر انتخابات العالم تعقيدا ، فهى تجرى ـ وهى انتخابات سياسية ـ

على اساس طائفي بحت • والطوائف كثيرة جدا : ارثوذكس ، مارون ، ارمن ارثوذكس ، ارمن كاثوليك ، ارمن بروتستانت ، كاثوليك ، سريان كاثوليك ، سنيون ، شيعه ، انجيليون ، كلدان ، لاتينى ٠٠ الخ والمجموع ٢٧ مذهبا (العمل ٦ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٧٢) وقد جرى التقسيم وفقا لتوزيع قديم للنسب لا يجرؤ احد على مجرد الدعوة لاعادة النظر ذلك ان مجرد اعادة النظر ، أو حتى التفكير فيها سوف يفجر الاوضاع الطائفية أو على الاقل هكذا يقولون ٠٠

والانتخابات كانت تجرى دوما فى لبنان فى اسار الطائفية والعائلات والتحالفات غير السياسية ، اما الان فان عنصرا جديدا يبرز هو « السياسة » ٠٠ والسياسة ليست مطلوبة فى الانتخابات وحدها بل هى مطلب من أجل تحويل كثير من الاحزاب من مجرد لافئات شبه سياسية لتجمعات طائفية الى تجمعات سياسية •

وقد اثارت قضية « تسييس » الانتخابات اللبنانية ، وتحملت عبء الدفاع عنها قوى اليسار والتقدميين اللبنانيين التى حشدت قواها فى معركة رفض قانون الاحزاب والجمعيات كمدخل « لتسييس » المعركة الانتخابية •

وفى ٨ آذار ـ مارس ـ عقد فى مقر الحزب التقدمى الاشتراكى لقاء وطنى حضره ممثلون لـ ٣٨ حزبا وهيئة ، من بينها الحزب التقدمى الاشتراكى ـ الحزب الشيوعى اللبنانى ـ وحدة القوى الثورية الناصرية ـ حزب البعث ـ الحزب الديمقراطى ـ حزب الهانشاق ـ اتحاد الكتاب ـ اتحاد طلاب الجامعة ـ اتحاد الشباب الديمقراطى ـ جبهة التحرر العمالى ٠٠ الخ وقد اصدر المجتمعون بيانا ادانوا فيه قانون الاحزاب واعتبروه انتهاكا للحريات والديمقراطية •

كذلك اصدر ٣٠٠ محام على رأسهم نقيب المحامين بيانا ادانوا فيه هذا القانون ، ثم انتشرت الحملة لتشمل كثيرا من الصحف والمجلات ولتصبح محورا لحديث كثير من المرشحين ـ بين مؤيد ومعارض ـ الامر الذى اضفى على المعارك الانتخابية مسحة من السياسة •

وكانت القضية الثانية التى اسهمت فى « تسييس » المعركة هى قضية ترشيح **نقولا الشاوى** » السكرتير العام للحزب الشيوعى اللبنانى • فقد رفضت وزارة الداخلية قبول اوراق ترشيحه وضج لبنان كله يمينه ويساره محتجا •

وكتبت جريدة الشعب تتهم : « مرشح واحد ادخل الرعب فى جهاز الدولة والحكم هو نقولا شاوى ، لماذا ؟ لانه ممثل حزب عقائدى • والعقائدية هى بالفعل بعبع يخيف الفوضى » (الشعب ٣٠ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٢)

وكتب **غسان توينى** يقول « كنا نود أكثر من مجرد السماح بترشيح السيد نقولا الشاوى : كنا نود تشجيع هذا الترشيح وتشجيع كل ترشيح مماثل ٠٠ كنا نود ذلك لا لاننا شيوعيون ٠٠ وانما لاننا نؤمن بالحرية وبأن الحرية أقوى ، وبأنها اما أن تكون لكل الناس أو لا تكون » (النهار ٢٨ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٢)

واضطرت الحكومة الى قبول اوراق ترشيح « **نقولا الشاوى** » وانتهت معركة لتبدأ معركة أهم هى معركة نجاح أو فشل « الشاوى » • وفى طرابلس وقف **كمال جنبلاط** ليخطب فى اجتماع انتخابى قائلا « ان تأييدنا **لنقولا الشاوى** فيه معنى عربى قومى شامل بالنسبة لشعورنا بالوفاء للمبدأ الذى يعتنقه ، ٠٠ ولينتصر **نقولا الشاوى** فى طرابلس ، لانه انتصار للوفاء العربى » • (النداء ٥ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٧٢) •

والحقيقة ان **كمال جنبلاط** يلعب فى الانتخابات الحالية دورا بارزا فقد أصبح هو وحزبه محورا تبلور حوله اليسار اللبنانى وكل القوى التقدمية اللبنانية وكل اعداء قانون الاحزاب وكل القوى المناهضة للنفوذ الامريكى فى لبنان •

وفى خضم المعركة الانتخابية زار **كمال جنبلاط** سوريا على رأس وفد من حزبه ليجرى مباحثات مع حزب البعث السورى وليقابل **الرئيس حافظ الاسد** وعقب المباحثات صدر بيان مشترك بين الحزبين جاء فيه « ٠٠ كما أعلن حزب البعث العربى السورى عن اغتباطه للتعاون الوثيق القائم بين منظمة البعث العربى الاشتراكى فى لبنان من جهة وبين الحزب التقدمى الاشتراكى وبقية القوى الوطنية التقدمية فى لبنان من جهة أخرى من أجل الحفاظ على الحريات الديمقراطية وارساء دعائمها ، ولاسيما بعد المحاولات المشبوهة الرامية الى تقييد هذه الحريات ، والمتمثلة فى مشروع قانون الاحزاب الاخير » (النداء ٣٠ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٢) •

وقد اعربت قوى اليمين اللبنانى عن انزعاجها الشديد من تحركات **جنبلاط** فى اطار وحدة اليسار اللبنانى ، ذلك ان هذا التحرك يكسب اليسار ثقلا جديدا ويضفى على معركته طابعا ايجابيا • ويكسر عنه سور العزلة الذى نسجته الرجعية اللبنانية طوال سنوات عديدة •

بل أن كميل شمعون لا يستطيع ان يخفى مخاوفه فيصرح لمندوب اذاعة قبرص « اننا نخوض المعارك على اساس الحفاظ على التقاليد اللبنانية والديمقراطية والحريات العامة والخاصة والمبادرة الفردية ضد الطغيان اليسارى الذى يسعى الى تخريب الاسس السليمة التى يعيش لبنان فى ظلها » (النهار ٦ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٧٢)

ثم يركز الهجوم سافرا على **جنبلاط** فيصدر عدد

من رجال الدين بيانا يدينون فيه جنبلاط بل أنهم يقتربون من تكفيره ، لانه عندما كان وزيـرا للداخلية سمح بصـدور كتـاب الدكتور صـادق العظم ولم يأمر بابعاد المؤلف من البلاد ، وهاجموا زيـارته للهند بـل « الديانة » البـوذية وعبدة الاصنام !!

ورد جنبلاط بعنف شديد على متهميه ووصفهم بأنهم رغم كونهم مشايخ لا يفهمون حقائق الدين الاسلامي وقال انهم مدفوعون من دوائر اجنبية ، وأكد ان ٦ ملايين دولار قد طرحت في الاسواق للتدخل في الانتخابات وان مسئولا تسلم ٧٥٠ ألف جنيه من السعودية » (المحرر ـ ٩ نيسان ـ ابـريل ـ ١٩٧٢) .

ووصف جنبلاط هذه الحملة بأنها منظمة من قبل « ارباب السياسة الرخيصة في بيروت من المجـرورين في تيـــار الســـياسة الامريكيـــة السعودية .. »

ودافع عن كتاب د . صادق العظم قائلا « انه كتاب علمي صرف لا يمس من قريب ولا من بعيد اى معتقد ديني اسـلامي كان أم غير اسلامي .. »

واضاف جنبلاط « انني أومن بحرية وبضرورة النقاش والنقد العلمي في جميع الامور والشئون الزمنية الدنيوية منها والروحية .. ولاخلاص من الانحطاط العربي الماثل في الذهنية المسيطرة ـ زمنيا ودينيا ـ وهو أخطر من انحطاطنا السياسي والعسكري في مواجهة اسرائيل ، لاخلاص من عهد الانحطاط العربي الماثل ، الا باعتماد مبدأ النقاش الموضوعي الحر ، وحرية النقد والقول والاعتقاد والنشر » (النداء ٦ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٧٢)

وكانت النقطة الثالثة في « تسييس » المعركة الانتخابية اللبنانية هي المقاومة الفلسطينيـة والموقف منها . وفي هـذه النقطة يشـعر اليمين اللبناني انه في مأزق حقيقي فهو عاجز تقريبا عن المناورة ، ويكتفي اما بتجاهل القضية او بترديد شعارات مثل ان « لبنان بلد غير محارب » ومن ثم فالحل كما يقول « ريمون اده » هـو « القـوات الدولية » .. فالقوات الدولية لو كانت موجودة لما تجرأت اسرائيل علـى اختـراقها للـوصول الينا » (الصياد ٢ ـ ٩ آذار ـ مارس ـ ١٩٧٢) ومطلب القوات الدولية يعني قفل لبنان في وجه المقاومة الفلسطينية ، وهكذا يحاصر اليميـن ويعرض نفسه لسخط الجمـاهير الواسعـة التي تعطف على المقاومة ..

وفي مجال « التسييس » فان اليسار هو الفائز ، فشعارات الحـرية .. الديمقـراطية .. القضية الفلسطينية ، هي الشـعارات السياسية الاكثـر رواجا .

لكن « السياسة » ليست كل شيء في الانتخابات اللبنانية ، بل أنها ليست الشيء الاكثر اهميـة ، فالطائفية تطغى واليمين يتمسك بالطائفية ويغذيه ويلعب بها .. بل ان الطائفية في يد اليمين تصبح بذاتها لعبة سياسية ..

وتتميز الانتخابات اللبنانية بلعبة « اللوائح » اى القوائم وحول القوائم يدور صراع شديد ولقد تغيرت القوائم اكثر من مرة وانقسمت كثير من العائلات على نفسها وانقسم اليمين الى أكثر من « لائحة » في الدائرة الواحدة وكان ذلك كله تعبيرا عن ان معركة « التسييس » بدأت تحقق اولى نتائجها .

والمشكلات الطائفية معقدة فالارمن الذين كونوا جبهة من حزب الهانشاق والرامفوار وعدد من المستقلين بهدف محاولة استخلاص تمثيل لهم في الدائرة الاولى ببيروت وجدوا ان الطريق مسدودا امامهم فانسحبوا معلنين في بيان لهم « وجدنا انفسنا مدعوين الى معركة لا تمت بصلة الا الى طائفة واحدة مـن الطوائف الخمس الممثلـة في الدائرة الاولى وهي طائفة الروم الارثوذكس فرأينا من الافضل الانسحاب من المعركة » .

ومضى بيـان الارمن ـ وهـم طائفـة ذات ثقل ليطالب هو ايضا بشعار سياسي هـو « المطالبة بوضع قانون انتخاب حديث وديمقراطي يستطيع ان يحفظ لكل مواطن حقـه وخطـه فـي الانتخابات » (العمل ـ ٦ نيسان ـ ابـريل ـ ١٩٧٢) .

ومع الطائفية والعائلية يكثر عـدد المرشحين بصورة غير عادية .. وبعد الانسحابات العديدة التي حدثت في آخر لحظة ، بقي في بيروت ٦٤ مرشحا لـ ١٦ مقعدا ، في الشمال ٧٤ مرشحـا لعشرين مقعدا . (البيرق ٦ نيسان ـ ابـريل ـ ١٩٧٢)

لكننا نخطيء لو تصورنا ان اليمين اللبناني بتبنيه للطائفية وتستره خلفها يبتعد عن السياسة ، فهو ـ في واقـع الامر ـ يسـتخدم الطائفيـــة استخداما سياسيا صرفا ، ففي كل دوائر لبنان يكرس اليمين هجومه على « الخطر اليســاري » وعلى « حماية لبنان من خط اليسار » ولم تكن المعارك ضد جنبلاط والبيانات المشبوهة التـي وجهت ضده الا احد جوانب « سياسة اليمين » .

اما في طرابلس حيث يركز اليمين كل جهده من أجل اسقاط نقولا الشاوي ، ويعتبر ذلك اهم معاركه فقد تنازل اليمين ليـؤيد تجمعـا يسـاريـا ينافس « لائحة » نقولا الشاوي ، وهي التجمع الذي يتزعمه عبد المجيد الرافعي ، والـذي اعلن انه سيناضل من أجل « توطيد الحريات والديمقراطية ولاقرار سياسة وطنية تحريرية » . (بيروت ٥ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٧٢)

ويعلن مؤيدو لائحة نقولا الشاوي ومعهم جنبلاط

ان لائحة الرافعي موعز بها من دوائر معينة لتفتيت يسار طرابلس وسد الطريق امام شاوي ·

ان هذا التقرير يكتب قبل اعلان النتائج الانتخابية ، وهو مجرد محاولة لاستعراض صورة الانتخابات وجوانبها المختلفة وليس بأية حال محاولة للتنبؤ بنتائج الانتخابات ·

لكن السؤال المثير هو هل تنجح قوى اليسار اللبناني بزعامة جنبلاط في « تسييس » نتائج الانتخابات كما نجحت في « تسييس » المعركة الى حد ما ؟ ربما كانت الاجابة بالنفي ، لكن المؤكد ان اليسار قد كسب الكثير من هذه المعركة وان لم يخرج منها بمقاعد كثيرة في البرلمان ·

لقد كتب رفيق خوري يقول « في جميع العهود كان الذين يسألون عن اتجاه الريح يتلقون جوابا واحدا ·· اقرأوا نشرةمرصد المختارة، وانظروا اين يقف كمال جنبلاط » (الصياد ـ ٦ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٧٢)

فهل نصدق هذه النبوءة ·· وهل تكون النشرة الجوية لكمال جنبلاط دليلا على اتجاه الرياح في لبنان ناحية اليسار ·· ؟



■ العراق

معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتي

ابدت الاوساط السياسية العربية والاجنبية اهتماما كبيرا بتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي في بغداد في اوائل شهر ابريل الماضي ، ومدتها ١٥ عاما · خاصة وان هذه المعاهدة تتم في وقت يتعرض فيه العراق لضغوط ومؤامرات من جانب احتكارات البترول الاستعمارية ، واستفزازات من جانب ايران · وتعد هذه المعاهدة الثالثة من نوعها التي يعقدها الاتحاد السوفيتي مع البلدان النامية بعد مصر والهند في الفترة الاخيرة ·

وكان الكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قد زار العراق على رأس وفد كبير في ٦ـ٤ تلبية لدعوة من الرئيس العراقي احمد حسن البكر للاشتراك في احتفالات بدء الانتاج للبترول في حقول الرميلة الشمالية · والمعروف ان الاتحاد السوفيتي قد ساعد العراق في تنفيذ هذا المشروع ، الذي تملكه شركة نفط العراق الوطنية · الامر الذي يعد حدثا اقتصاديا وسياسيا هاما في البلاد ، فانه لاول مرة يتم استخراج وطني كبير للبترول ، منذ عام ١٩٢٧ وهو تاريخ ظهور البترول في العراق ، والذي تحتكر استخراجه وتكريره وتسويقه في العالم الاحتكارات الاستعمارية البريطانية والامريكية والفرنسية والهولندية ، وتنهب الارباح بمليارات الدولارات · هذا بالاضافة الى المساعدة السوفيتية في اعداد مئات الخبراء والعمال الفنيين العراقيين لانجاح المشروع

وقد وقع على المعاهدة كل من الكسي كوسيجين والرئيس احمد حسن البكر · وتهدف المعاهدة التي تتكون من ١٤ مادة الى تنظيم التعاون وتدعيم المصالح المشتركة بين العراق والاتحاد السوفيتي في المجال السياسي والاقتصادي ، ومجال التجارة ، والملاحة والفنون والعلوم والتكنولوجيا ، والثقافة ، وتعزيز القدرة الدفاعية ، واجراء المشاورات السياسية ··

وتنص المعاهدة السوفيتية ـ العراقية ، على ان العلاقات بين البلدين سوف تتطور على أساس احترام سيادة كل دولة ووحدة اراضيها الاقليمية وعدم تدخل اى دولة في الشئون الداخلية للدولة الاخرى · وان كلا من البلدين يعلن احترامه لحق سيادة كل بلد على مصادر موارده الطبيعية · وان الطرفين المتعاقدين سوف يتشاوران بشكل منتظم على مختلف المستويات حول كل القضايا الدولية الهامة التي تمس مصالح كلا الدولتين · وان أيا منهما لن يدخل في تحالفات ولن يشارك في اي مجموعة دولية تعمل او تتخذ تدابير موجهة ضد أي طرف من اطراف المعاهدة · وان كلا من الطرفين يتعهد بالا يسمح بان تستخدم اراضيه في اجراء أي عمل قد يسبب ضررا عسكريا للطرف الاخر ·

وقد وصف الرئيس العراقي احمد حسن البكر المعاهدة بقوله : « **اننا نقدر المساندة الهامة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي الصديق للبلدان العربية والعراق ونعتبرها عاملا رئيسيا لرفع طاقاتنا الدفاعية والاسراع في التقدم الاجتماعي والاقتصادي وتعزيز امكانياتنا في رد العدوان** » ·

وتتضمن مساعدات الاتحاد السوفيتي للعراق في الوقت الحالي ، تشييد ٧٢ مشروعا في النواحي الاقتصادية الهامة من بينها مصنع لتكرير البترول في الموصل ، وخطوط انابيب البترول ، والمحطات المائية لتوليد الطاقة الكهربائية ، واستصلاح الاراضي ، واستخراج الثروة المعدنية ، وغيرها من المشاريع الصناعية الحيوية الاخرى ، وذلك من اجل تنمية وتطوير اقتصاديات البلاد ودعم الاستقلال الوطني للشعب العراقي ·

وقد أصدر « الحزب الشيوعي العراقي » في الشهر الماضي في مناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيسه بيانا وصف فيه المعاهدة ، بأنها مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الاخوية بين الشعبين

العراقي والسوفيتي ، وان المعاهدة تمثل احـد الاهداف الرئيسية التي حققتها ثورة العراق ·

كما جاء في بيان **الحزب العراقي** في ذكرى تأسيسه ان الحزب يواصل بذل كل مافي وسعه لانشاء جبهة وطنية تشمل جميع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية الاخرى في البلاد ، وتتصدى لكافة المؤامرات الامبريالية والرجعية الموجهة ضد حركة التحرر للشعب العراقي وشعوب البلدان العربية الاخرى ·



■ الارض المحتلة

هجرة اليهود السوفييت: السلاح الذي ارتد الى صدر اسرائيل

ارتكزت المحاولات الاسرائيلية والامريكية في الفترة الاخيرة لاحداث فجوة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والعالم العربي على **قضيــة هجرة اليهود السوفيت** بوجه خاص · **وعلى الرغم من وجــود تنسيق واضح بين الاجهزة ، والمنظمات الصـــــهيونية في اسرائيل والغــرب في تشــديد هذه الحملة · الا أن هذا التنسيق لم يستطع أن يحل عددا من التناقضات الخطيرة التي ينبغي أن تــكون واضحـــة للذهن العربي ، اعتباره هـــو بالذات ـ وليس اى طرف آخر ـ المعنى بحملة هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل** ·

وأول هذه التناقضات ارتكاز هذه الحملــة الصهيونية الغربية على أساسين : الاول **الزعم بأن باب هجرة اليهود من الاتحاد الســوفيتي الى اسرائيل قد فتح على مصراعيه في الاشـهر الاخيرة** · وقد رددت الدعـايات الصـهيونية والامريكية في هذا الصدد أرقاما بـالالاف · والواضح أن الهدف من ذلك اشعار العرب بأن الاتحاد السوفيتي ـ وهو مصدر التأييد الاول والاساسي لهم عسكريا واقتصاديا وسياسيا ـ يمد اسرائيل بالقوة البشرية اللازمة لها لتنميــة امكانياتها المادية والعسكرية ضدهم فــي وقت تواصل فيه اسرائيل بكل عناد احتلال الارض العربية المحتلة ، وفي وقت يبذل فيه العرب كل محاولاتهم الممكنة لتعبئة امكانياتهم لمواجهة هذا الاحتلال في معركة التحرير ·

أما الاساس الثاني فهو **الزعم ـ في الوقت نفسه ومن خلال الاجهزة نفسها ـ بأن الاتحاد السوفيتي يغلق باب الهجرة أمام اليهود السوفيت ويفرض عليهم أوضاعا « منافية لحقوق الانسان » ويتبع ضدهم سياسة تنطوي على العداء للسامية** · وفي هذا السبيل فقد نظمت الجماعات الصـهيونية المظاهرات ضد المسئولين السوفيت في عدد من عواصم الغرب · وضد البعثة السوفيتية في الامم المتحدة (وبوجه خاص ضد **الكسى كوسيجيـن** رئيس الوزراء السوفيتي أثناء زيارته لكندا)

والهدف من هذا الزعم الثاني ـ المناقض للزعم الاول **أن يضغط بكل الوسائل على الاتحاد السوفيتي في حمله دولية تشكل جزءا من حملة العداء للسوفيت التي أصبحت اسرائيل تقوم بدور بارز فيها** ·

وتنطوي هذه الحملة عن هجرة السوفيت الى اسرائيل على تناقض اساسي آخر هو ان **حكومة تل ابيب** [illegible] **باسم يهود العالم كله ويهود الاتحاد السوفيتي ضمنهم ،في تدخل يتسم بالتبجح ، ولا يستند الى اى** اساس في الشئون الداخلية لدول الاخرى · وتعتبر اسرائيل والاجهزة والمنظمات المؤيدة لها في الغرب كل ما صدر من بيانات جماعية وفردية من جانب مواطنين سوفيت يدينون باليهودية ويعتبرون ادعاء اسرائيل التحدث باسمهم وعن مصالحهم بمثابة اهانة موجهة لهم ولوطنهم الاتحاد السوفيتي · وتغفل أيضا كل الحقائق الرسمية التي يذيعها الاتحاد السوفيتي عن هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل · وقد كان **من أهم ما أذيع في الاتحاد السوفيتي في هذا الشأن أخيرا بيان شوميلين نائب وزير الداخلية ـ الذي تناول بوضوح الاسس التي تحكم بحث طلبات هجرة اليهود ـ وغيرهم على قدم المساواة من المواطنين السوفيت وعدد هذه الطلبات وعدد الذين هاجروا بالفعل ، وكذلك الحقائق عن طلبات العودة التي تقدم بها اليهود السوفيت الذين هاجروا فعلا** الى اسرائيل ولم **يحتملوا البقاء فيها** ·

لقد أوضح هـــذا البيان الهـام أن السـلطات السوفيتية تبحث طلبات الهجرة وفقا للقانون ، وتعتبر الاراء الدينية والرغبة في الالتقاء بالاقارب وتراث الماضي والسعي وراء المصالح الخاصة من الاسباب الرئيسية بطلبات السماح بالهجرة الى اسرائيل وأوضح ان ثلثي اليهود السوفيت الذين سمح لهم بالهجرة الى اسرائيل خلال عام ١٩٧١ هم من المسنين والاطفال · مما يوضح أن اليهود السوفيت لا يشكلون الكتلة الاساسية من المهاجرين الى اسرائيل · **فخلال كل الفترة منذ الحرب العالمية الثانية (وليس منذ نهاية حرب يونيو ٦٧ كما جاء ببعض الصحف) ترك الاتحاد الســوفيتي الى اسرائيل حوالى ٢١ ألف شخص ، بينما يزيد العدد الكلى للاشخاص الذين هاجروا اليها عن مليوني شخص ، منهم ٨٠٠ ألف من البلاد العربية** ·

وعلى حين اعلنت السلطات السوفيتية صراحة أنها تفرض قيودا على هجرة بعض أنواع المواطنين

السوفيت الى اسرائيل ـ مثل الافراد الذين تلقوا تدريبا عسكريا أو الذين يرتبطون بأعمال تتعلق بمصالح الدولة ، فان الدعايات الصهيونية المركزة تحاول أن تنكر على الاتحاد السوفيتي حقه كدولة ذات سيادة فى أن يراعى مصالحه أولا . فنجد صحيفة « **معاريف** » الاسرائيلية تستنكر تصريحا **لالبرت ايفانوف** المسئول السوفيتي عن الادارة المسئولة عن تصاريح الخروج فى الحزب الشيوعي السوفيتي يقول فيه « **ان القرار بالسماح لليهود بترك الدولة ليس من صلاحيات اليهود ، بل من صلاحيات الدولة السوفيتية ، وفى هذا الصدد تمنح وستمنح أولوية لمصالح الدولة** »

وهكذا تقع الدعاية الصهيونية فريسة التناقض بين « السلطات السوفتية ترفض سفر اليهود الى اسرائيل » (معاريف) و « مشكلة اليهود يمكن ان تثير المتاعب للسلطات السوفيتية لسنوات طويلة » . (**التايمز البريطانية**) و « **السلطات السوفيتية تحاول ان تهون من عدد اليهود المسموح لهم بالهجرة** » (**نيويورك تايمز الامريكية**) .

على أن تناقضات الصهيونية والغرب فيما يتعلق بمسألة هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل ليست مجرد تناقضات فى الخط الدعائى . انما هى تجاوزت هذا النطاق الى **تناقضات حقيقية اربكت اسرائيل بدرجة لا يستهان بها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ودعائيا أيضا** .

ذلك ان نسبة اليهود السوفيت الذين أبدوا ـ بعد وقت قصير للغاية ـ رغبتهم فى العودة الى الاتحاد السوفيتي بعد أن زالت عنهم أوهام الارض الموعودة والجنة الاسرائيلية . قد أحرجت اسرائيل والولايات المتحدة حرجا شديدا فضلا عن أن هؤلاء المهاجرين العائدين انفسهم قد تحدثوا عن حقيقة اسرائيل بعد أن ذاقوا الطعم الحقيقي للحياة فيها . ووجدت اسرائيل نفسها تتصرف بما تتهم به الاتحاد السوفيتي وهو وضع القيود والعراقيل أمام اليهود الراغبين فى العودة الى الاتحاد السوفيتي . وبدأ ذلك ينعكس بصورة واضحة فى ازدياد عدد اليهود السوفيت الذين أحجموا بانفسهم عند الهجرة الى اسرائيل رغم حصولهم على تصاريح بالهجرة .

ولقد سقطت ـ مع ظاهرة رغبة اليهود السوفيت فى العودة الى وطنهم الحقيقي ـ اكذوبة الاشتراكية فى اسرائيل . فان هؤلاء اليهود الذين عاشوا فى وطن الاشتراكية الاول قد واجهوا مشكلات لم يعتادوا مواجهتها فى الاتحاد السوفيتي ليس فقط مشكلات الحياة وضروزياتها وانما مشكلات اختلاف القيم الانسانية بين المجتمع الاشتراكي ومجتمع استغلال جماهير العمال لصالح البورجوازية اليهودية الاجنبية الامريكية والفرنسية والالمانية .. الخ .

■ المانيا الغربية

« الانفتاح على الشرق »
بين ضفاف « الراين »
وضفاف « النيل »

تصاعدت ، مع اقتراب موعد التصديق على معاهدة عدم الاعتداء ، المبرمة فى اغسطس عام ١٩٧٠ ، بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية ، سخونة المناقشات حول هذه المعاهدة ، وذلك لان التصديق ، أو عدم التصديق عليها ، حينما تعرض على البرلمان الالماني الغربي فى هذا الشهر ، سوف يحدد ـ فى رأى جميع الدوائر المعنية ـ مستقبل الامن والسلام الاوروبيين لفترة زمنية طويلة .

فالمعاهدة تمثل ، كما يقول عديد من المهتمين بشئون الامن الاوروبى ، التوازن الوحيد الممكن والمحسوب بعناية لصالح الطرفين ، والذى يؤدى المساس به الى تحطيم المعاهدة من الاساس .

ورغم ذلك ، فان قوى المعارضة فى المانيا الاتحادية ، وعلى راسها الحزب الديموقراطي المسيحى ، وما يسمى بالحزب النازى الجديد ، تحاول ان تلعب بهذه القضية الخطيرة ضد الحزب الاشتراكي الديموقراطي الحاكم ، غير عابئة ـ على ما يبدو ـ بما يمكن ان يترتب على هذا الامر من نتائج وخيمة .

ويلخص المراقبون اهم ما تثيره المعارضة الالمانية من حجج ضد المعاهدة ، فى انها :

أولا : تعترف بالحدود القائمة فى وسط أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ـ وهى الحدود التى أصبحت معترفا بها من جانب المجتمع الدولي كله ـ بينما المعارضة ترى ، تحت تأثير أحلام التوسع وشهوة الانتقام ، ترك هذه المسألة بالذات دون تحديد ، زاعمة ان تحديدها لا ينبغى ان يكون الا طبقا لمعاهدة تبرم بين المانيا الاتحادية وبين الدول الكبرى ، مع علمهم مسبقا بما يكتنف هذا المطلب من عقبات جسيمة .

ثانيا : ان المعاهدة تمثل ، من وجهة نظر المعارضة ، تخليا من جانب حكومة **برانت** ، عن الدعوة الى ضم المانيا الديموقراطية تحت مظلة شعار الوحدة الالمانية . كما لا ترضى المعارضة بطبيعة الحال ، على ما نصت عليه المعاهدة من حق الشعب الالماني فى تقرير طبيعة العلاقات بين الدولتين الالمانيتين ، طبقا لمبادىء القانون الدولي ، وبالاتفاق الكامل بين حكومتى وشعبى الدولتين .

وموقف المعارضة الالمانية ازاء المعاهدة ، هو جزء من موقفهم المعادى تماما لسياسة الانفتاح على البلدان الاشتراكية ، التى تتبناها حكومة برانت ، باعتبار ان هذه السياسة هى البديل الواقعى والموضوعى الوحيد للحرب الباردة ، ومن ثم احتمالات الحرب الساخنة أيضا بين الجانبين .

وتتضح المعارضة طبيعتها العنصرية والامبريالية ، حينما تقول على لسان « **اريك بلو منفيلد** » ، احد مخططى السياسة الخارجية فى الحزب الديموقراطى المسيحى : « ان سياسة التصالح مع الشرق لا تتقرر على ضفاف الراين ، وانما تتقرر على ضفاف النيل » ، مشيرا بذلك الى احتمالات الوصول الى تسوية بين الدولتين الاعظم [الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى] ، بشأن مشكلة الشرق الاوسط ، وهى محاولة مقصودة من الزعيم الديموقراطى المسيحى ، للايهام بأن مصير التقارب بين الشرق والغرب فى القارة الاوروبية يخضع لعوامل خارجة عن نطاق القارة الاوروبية .، وهو تحليل زائف تماما .

كذلك لم تتورع المعارضة الالمانية ـ شأنها شأن كل الاوساط الرجعية فى مختلف انحاء العالم ـ عن استخدام التقارب الصينى ـ الامريكى كورقة فى موقفها المعادى للاتحاد السوفيتى ، فتقول المعارضة الالمانية ، على لسان **فرانز جوزيف شتراوس** ، زعيم الجناح البافارى المتعصب للحزب الديموقراطى المسيحى : « هل يتعين علينا ان نوقع المعاهدات مع الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الذى راحت فيه الولايات المتحدة تجعل من الصين متحدثا ندا لها ؟ .. ان المانيا يمكن ان تجنى الكثير اذا ما هددت الروس بالاتفاق والتفاهم مع ماوتسى تونج ، حتى تحصل على شروط اكثر عدلا » !!

ويقول المراقبون ان الموقف الحاسم الذى وقفه الاتحاد السوفيتى ازاء مناورات المعارضة الالمانية قد وضع قضية التصديق على المعاهدة فى وضعها الصحيح ، باعتبارها اختيار بين احتمالات أوسع للسلام والامن الاوروبيين ، وبين عودة الحرب الباردة من جديد ، وربما بشكل أكثر عنفا وحدة من اى وقت مضى .

فلقد أعلن **ليونيد بريجنيف** السكرتير الاول للحزب الشيوعى السوفيتى ، أمام المؤتمر الخامس عشر للنقابات السوفيتية فى مارس الماضى : « ان معارضى المعاهدة لن يجدوا طرفا آخر ليدخل معهم فى محادثات من اجل تعديل الحدود ؟ فهذا الامر غير قابل للمناقشة اليوم ، ولا فى المستقبل . ان حدود البلدان الاشتراكية لا يمكن المساس بها ، وفى هذا الخصوص ، فان المعاهدة تعكس الواقع ببساطة » .

واضاف بريجنيف : « ولا يخفى معارضو المعاهدة انهم يريدون اضعاف سيادة جمهورية المانيا الديموقراطية ، وفى ذلك أيضا نجدهم يتمنون العودة الى الماضى . ان جمهورية المانيا الديموقراطية تتقدم بثبات على الطريق الاشتراكى منذ خمسة وعشرين عاما ، وهى تلعب دورا نشيطا فى الحياة الدولية الراهنة ، والذين لا يريدون ان يعترفوا بذلك ويخرجوا منه بالنتائج المناسبة ، انما يدفعون بسياستهم الى طريق مسدود .. لقد حان الوقت كى يدركوا ان الوضع فى أوروبا لا يمكن ان يكون طبيعيا دون ان يأخذوا فى الاعتبار تماما وضع جمهورية المانيا الديموقراطية ، باعتبارها بلدا اشتراكيا مستقلا وذا سيادة » .

وقد رد بريجنيف أيضا على ما تزعمه المعارضة الالمانية ، من ان هدف سياسة السلام السوفيتية فى أوروبا ، هو تفكيك وحدة التكتل الاقتصادى والسياسى الاوروبى ، المسمى بالسوق الاوروبية المشتركة ، وكان الرد قاطعا فى وضوحه ، حيث أعلن بريجنيف ، لاول مرة ، ان الاتحاد السوفيتى لا يتجاهل على الاطلاق الوضع الذى تشكل فى غرب أوروبا ، وقال ان الاتحاد السوفيتى « يتابع عن كثب نشاط السوق المشتركة وتطورها ، وستتوقف علاقتنا مع الدول الاعضاء فى هذا التجمع على الدرجة التى ستعترف بها تلك الدول من جانبها بالواقع الذى تشكل فى القسم الاشتراكى من أوروبا ، وبشكل خاص مصالح الدول الاعضاء فى مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة » .

وبينما يشير المراقبون الى موقف فرنسا المؤيد لضرورة تصديق البرلمان الالمانى على المعاهدة ، فانهم يشيرون ، بنوع من التشكك ، الى موقف الاحتكارات الامريكية وحكومة نيكسون ، التى تؤيد من طرف خفى نداءات المعارضة ومزاعمها ، كنوع من الضغط على الاتحاد السوفيتى .

ويؤكد المراقبون فى النهاية ، ان عدم التصديق على المعاهدة الالمانية ـ السوفيتية ، سوف ينسف الى فترة طويلة قادمة ، كل احتمالات السلام فى أوروبا ، وهى الاحتمالات التى ظلت البلدان الاشتراكية وجميع القوى الاوروبية المحبة للسلام تمهد لها الارض عبر السنوات الاخيرة .

■ **فرنسا**

فرنســا العمــالية ضـــد « التحالف الاوربى المقدس »

دارت أعنف معارك الصراع السياسى الداخلى فى فرنسا فى الشهور الاخيرة حول الموقف من الاستفتاء الذى قرر الرئيس **بومبيدو** اجراءه بشأن توسيع نطاق السوق الاوربية المشتركة والموافقة على انضمام **بريطانيا وايرلندا والنرويج والدانمرك** اليها • على ان حدة هذه المعارك لم تتفجر فحسب من خلافات الاحزاب السياسية الفرنســية حول الموقف من سياسة بومبيدو الاوربية ، وانما تنبع أيضا من الاهداف التى يسـعى الرئيس **جورج بومبيدو والديجوليون** فى فرنسا الى تحقيقها فى مجال السياسة الفرنسية الداخلية •

وهذا الاستفتاء الذى يشترك فيه ٢٩ مليون ناخب وناخبة هو سادس استفتاء منذ قيـام الجمهورية الخامسة عام ١٩٥٨ ، وأول استفتاء على « السياسة الاوربية التى تتبعها فرنسا » • وقد قرر حزب « **اتحاد الدفاع عن الجمهورية** » حزب ديجول وبومبيدو التصويت بنعم فـى الاستفتاء • وقرر اتخاذ نفس الموقف ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ **انصار الوسط** الذين يلتفون حول **جان لوكانويه** ، **والراديكاليون الاشتراكيون** الذين يلتفـون حـول « **جان جاك سرفان شرايبـر** » **والجمهوريون المستقلون** من أنصـار « **فاليرى جيسكار ديسـتان** » و « **حـزب الوسط للتطـور والتقدم** » الذى يرأسه « **جاك دوهاميل** » ، كما يتخذ نفس الموقف أيضا **ادجار فور** رئيس الـوزراء الاسبق ، تأييدا لبومبيدو فى الاستفتاء وعدد من الشخصيات الفرنسية السياسية الكبرى •

واتخذ **الحزب الاشتراكى الفرنسى** بـزعامة سكرتيره الاول **فرانسوا ميتران** ، موقف **الامتناع عن التصويت** • واتخذ نفس الموقف أيضا **منديس** فرانس رئيس الوزراء الاسبق • وكذلك عددمن الاقليه الراديكالية تمثلهم « **المجموعة الراديكالية الاشتراكية للدراسة والعمل** » أما **الحزب الشيوعى الفرنسى** فاتخذ موقف **معـارضة الاسـتفتاء** والتصويت بـ « لا » •

وقد بذلت الحكومة الفرنسية والديجوليون عامة فى الفترة الماضية كل **جهودهم لتقليل عدد الممتنعين** بعد ان بينت العديد من عمليات قياس الرأى العام **أن** الامتناع عن التصويت يمكن أن يزيد عن نسبة الواحد والثلاثين فى المائة الامر الذى يضر بهيبة الاستفتاء فضلا عن القوى التى ستتخذ موقف المعارضة الصريحة للاستفتاء وعلى رأسها الحزب الشيوعى •

وقد كان استخدام الاستفتاء **سلاحا ذو حدين** من جانب بومبيدو والديجوليين فى صراعهم ضد قوى اليسار الفرنسى التى يتزعمها الشيوعيون والاشتراكيون ، فقد أدى من ناحية الى تكتيل احزاب **اليمين والوسط وراء قيامة البورجوازية الفرنسية** من ناحية والى **شق صفوف اليسار نتيجة للموقف المختلف الذى اتخذه كل من الحـزب الشيوعى الفرنسى والحزب الاشتراكى مـن الاستفتاء من ناحية أخرى** •

كذلك فان بومبيدو يعتزم استغلال نجاحه فى الاستفتاء لتحقيق بعض أغراضه فى السياسة الفرنسية الداخلية ، للتأثير على الانتخـابات النيابية المقبلة فى فبراير ١٩٧٣ ، ومحاولة الاتيان ببرلمان يضم أغلبية ساحقة موالية له • كذلك فقد يعمل على تجديد حـكومة **شـابان ديلماس** التى تعرضت لمصاعب عدة ، كى تصبح أكثر قدرة على مواجهة النمو المتصاعد للحركة العمالية وبوادر اتساع جبهة العنف والازمات الاجتماعية فى داخل فرنسا ، كذلك يستهدف بومبيدو مقاومة التفكك المتزايد فى جبهة السلطة ، وايجاد شروط افضل لاحتـــواء الضـــغوط الاجتماعيـــة ، أو قمعهـــا بقسوة ، وكلها شروط ضرورية كى تستطيع فرنسا الاحتفاظ بدور رئيسى داخل السوق المشتركة لا يهدده الاضطراب الذى تشكو بريطانيا منه مثلا • وفى هذه الناحية يكون الاستفتاء أحد المعالم التى تؤكد تزايد الطابع الرئاسى للحكم حيث يلجأ رئيس الجمهورية بالاستناد الى اكثرية شعبية مباشرة ، مستقلة عن توازنات البرلمان ، الى تركيز السلطات بين يديه ، فى الوقت الذى يجرى فيه التضييق على الحريات الفردية أكثر فأكثر ، الامر الذى جعل صحيفة مثل « **لوموند** » تطلق أكثر من تحذير بهذا الصدد •

أما المبررات الاوربيـــة للاســتفتاء فتقــوم على أساس اعتقاد بومبيدو بأن « بناء أوربا مطمح قومى بالمعنى الحقيقى للكلمـــة » •••• و « أن انضمام بريطانيا والدانمرك وايرلندا والنرويج للسوق سيعطى اتساعا وانطلاقة جديدة لهـــذه السوق » ، وأن « أوربا يجب أن تتطور بالتدريج نحو اتحاد فيدرالى يحافظ على شخصية الامم التى يتألف منها » وأنه حسبما أوضحت صـــحيفة « **لوموند** » : « **سيبلغ عددنا مجتمعين ٢٦٠ مليون**

أوربى أى أكثر من الامريكيين (٢٠٥ ملايين) وأكثر من السوفييت (٢٤٤ مليونا) . ولن توجد هناك أى قطاعات انتاج لن تبلغ فيها السوق الموسعة مرتبة الدول العظمى .

وتقوم معارضة الحزب الشيوعى الفرنسى للاستفتاء على تصور متكامل ، فهو لايستطيع الا أن يجيب بالرفض على مسألة تتعلق بتوسيع السوق الاوربية المشتركة ، لانه يعتبرها أصلا مركزا للاحتكارات . كذلك فقد أثار الحزب الشيوعى ضجة فى بداية الشهر الماضى باذاعة وثيقة لسيكو مانشولت رئيس لجنة بروكسل ، دعا فيها مانشولت « الى تشجيع تحديد النسل ، وايقاف المعونات الاجتماعية للعائلات كبيرة العدد ، وتخفيض الاستهلاك المادى الى حد كبير فى أوربا الغربية » .. وأوضح الحزب « ان بومبيدو الذى اقترح اختيار مانشولت لرئاسة لجنة بروكسل ينوى دفع فرنسا الى « أوربا بائسة » . كما يرى الحزب أن سياسة بومبيدو لا تستهدف الا الحد من السيادة القومية ، والتخلى عن « استقلال » فرنسا .

وهناك حقيقة أخرى تتعلق بسياسة مانشولت الذى اقترح بومبيدو اختياره لرئاسة لجنة بروكسل فى السوق المشتركة هى أن هذه السياسة ستؤدى فيما يتعلق بفرنسا الى ازدياد الهوة بين نوعين من الزراع ، الاول يزداد ثراء أكثر فأكثر ، والاخر يزداد أكثر فأكثر فقرا . والاكثر ثراء هم أساسا كبار زراع الحبوب والبنجر فى حوض باريس والوسط ، الذين يملكون مساحات واسعة وزراعات مربحة والذين استطاعوا بفضل مساعدة الدولة استخدام الاساليب الحديثة ، والفقراء هم مربو الدواجن والاغنام والعجول ومنتجو الالبان الذين يفتقرون الى المساحات الواسعة من الاراضى ، ولا يحظون بمساعدة الدولة . كذلك فسوف يصوت عدد كبير من التجار الصغار بـ « لا » على الاستفتاء برغم عدائهم للشيوعيين ، وذلك بسبب استياء هؤلاء التجار من المجمعات الاستهلاكية ، كذلك فقد أشارت « جوزيت أليا » فى « توفيل أوبزرفاتير » فى ٢٣ ابريل الماضى الى أنه من المحتمل الا تصوت كتلة الحرفيين والتجار والفلاحين (٤ او ٥ ملايين صوت) وهم العمد الاكثر رسوخا للنظام تصويتا جيدا هذه المرة . خاصة ومشكلة الفلاحين أكثر تعقيدا وأقل وضوحا ، « فالعمل يصبح شاقا أكثر فأكثر بينما يقل الاجر أكثر فأكثر » وقال أحدهم من بريتانى عن مانشولت « لا أحبه أنه يريد تصفية الصغار ونحن جميعا فى بريتانى صغار » ، يضاف الى كل ذلك ارتفاع الاسعار المتوقع هذا العام ، بعد الغاء عقود مكافحة ارتفاع الاسعار .

لقد دخل الحزب الشيوعى الفرنسى معركة الاستفتاء وقاتل فى جبهتين ضد البورجوازية الفرنسية وضد تخاذل الحزب الاشتراكى أمام هجومها ، وتفتيته لوحدة صفوف اليسار - ويكشف موقف الاشتراكيين من هذا الاستفتاء عن حقيقة الدور الذى يلعبه الحزب الاشتراكى فى لحظات فاصلة لصالح استمرار ودوام نظام الحكم البرجوازى وقد أوضح الحزب الشيوعى الفرنسى بجلاء ان الاستفتاء مناورة سياسية يقوم بها بومبيدو لتمهيد الطريق أمام حزبه فى الانتخابات المقبلة ، وأنه وسيلة يحاول بها بومبيدو التهرب من السخط الشعبى المتزايد ونحو اتحاد القوى الديموقراطية ، وأنه كما اوضحت « الاومانتييه فى ١٩-٤ الماضى » مظهر من أخطر مظاهر التفويض الذى يطلبه بومبيدو ، فمن بين السلطات الاساسية للسيادة القومية التى سيتم التنازل عنها الى جانب النقد والميزانية ، نجد أيضا السياسة الخارجية والدفاع « ان الحزب الشيوعى يرفض باختصار أوربا الصغرى هذه ، أرض الاحتكارات والمضاربين ورجال الاعمال » .

وفسرت صحيفة « الاومانتييه » أسباب أدانة الحزب الشيوعى لموقف الاشتراكيين فقالت « ان كل ما يضعف ولو بقدر يسير من المعارضة الواضحة الحازمة التى تتصدى لمؤامرة القوى الرجعية المتحالفة على النطاق القومى والاوربى ، يساهم سواء أراد أم لم يرد فى خدمة هذا الحلف المقدس على حساب المصالح الشعبية والقومية . وتساءلت الاومانتييه .. ثم بأى منطق فى الواقع يمكن من ناحية تفسير ان « أوربا التروستات » تلك التى يطالب بومبيدو بتفويض من أجلها ، ستسفر فى كافة المجالات عن نتائج مدمرة للعمال والديمقراطيين ، ثم يكون من نتيجة ذلك ، من ناحية أخرى ، اتخاذ موقف الامتناع عن التصويت فى ٢٣ ابريل ، ليس هناك خيار فاما الكفاح أو الاستسلام لان الرأسمال الكبير لن يأخذ موقف الامتناع عن التصويت ، ففى كل انتخابات جرت وفى كل صراع اجتماعى دار ، فرضت البورجوازية قوانينها لانها هى التى تحكم . واتخاذ موقف الامتناع عن التصويت معناه ببساطة وقوف المرء مكتوف اليدين أمام العدو الطبقى ، والتراجع امامه . بيد أن العمل والثوريون لم يقبلوا قط مثل هذا الاستسلام ، والتصويت بـ « لا » وحده ، هو الذى يجبر السلطة على أن تتحمل مسئولياتها كاملة عن عملية من أكبر عمليات الخيانة القومية فى تاريخنا .

أجمع عدد كبير من المراقبين السياسيين على أن الرئيس الفرنسي بومبيدو يواجه أحرج موقف الذى أجرى بشأن توسيع نطاق السوق المشتركة . فعلى الرغم من الجهود المستميتة التى بذلها الحزب الديجولى لتقليل عدد الممتنعين فى الاستفتاء الا ان مشروع بومبيدو لم يفز بتأييد سوى ١٠٫٥ مليون صوت من مجموع الناخبين البالغ عددهم ٢٩ مليونا ، اى لم تزد نسبة الموافقين عن ٣٦ فى المائة ، فى حين بلغ عدد المعارضين والممتنعين الذين يمثلون فى الاساس قوى الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الفرنسى وبعض القوى الاخرى ١٧٫٥ مليونا من الاصوات ، الامر الذى يعتبر تهديدا حقيقيا للديجوليين فى اى انتخابات عامة مقبلة .

■ ■



■ فيتنام

بين فشــل الفتنمــة وانتخــابات الــرئاســة

سيدخل هجوم ثوار فيتنام ، الذى بدأ فى آخر ايام شــهر مارس الماضى — ولا يزال مســتمرا بدفعات قوية — تاريخ الحرب الفيتنامية ، باعتباره واحدا من أعظم الاعمال العســكرية والسياسية للثورة الفيتنــامية فى نضــالها ضــد العــدوان الامريكى . ذلك ان هــذا الهجوم ، الذى تتــابع جماهير الشعوب فى العالم كله تطوراته باعجاب وتأييد ، لم يربك خطط الولايات المتحدة العسكرية فى فيتنام فحسب ، بل انه أربك من جديد خططها السياسية الحالية ، فى وقت اعتقدت فيه حكومة الرئيس الامريكى نيكســون ، انهــا خفضت تأثير الحــرب الفيتنــامية على التطورات الســياسية الامريكية ، الى أدنى حد ممكن .

والواقع انه ، خلال الشــهر المنقضى ، عاشت الولايات المتحدة — وحليفتها حكومة سايجون — فى محنة حقيقية أمام هجوم الثوار الشامل ، الذى اســتطاعوا به أن يتجاوزوا كل توقعات الاجهزة العســكرية المتقدمة للامريكيين فى فيتنام . ووجد نيكسون نفسه فجأة ، فى وضع لا يختلف كثيرا عن الوضع الذى وجد سلفه جونسون نفسه فيه عام ١٩٦٨ . واذا بالشــعب الامريكى يجــد الحرب الفيتنامية تجثم مرة أخرى على حياته اليومية ، فى وقت كــاد فيــه ان يقتنــع بما يعلنه نيكسون من ان دور أمريكا فى حرب فيتنام يقترب من نهايته وانها لن تعود تشكل موضوعا مؤثرا فى انتخابات الرئاسة القادمة ، لاول مرة منذ ١٠ سنوات .

والحقيقة ان السؤال الاساسى الذى تردد بعد الايام الاولى من هجــوم الثوار الكاســح ، هو : **ما هدف هذا الهجوم ؟**

وقــد ترددت **بعض النظريات عن تحول الثوار من استراتيجية الحرب الشعبية ، الى استراتيجية الحروب النظامية والهجمات الضخمة** .. ويجانب هذه النظرية الصواب .. **أولا** : لان مرونة الانتقال — فى حروب التحرير الشــعبية — من الهجمات المحــدودة التكتيكية ، والهجمــات ذات النطــاق الواسع بقوة كبيرة ، هى أحد أسس استراتيجية حرب التحرير الشعبية .. **ثانيا** : انه سبق للثوار ان أثبتوا قدرتهم على شن الهجمات « الثقيلة » ، ســواء من حيث القوة البشرية ، او قوة النيران نفسها . وبطبيعة الحال ، فانه لا يمكن مثلا اعتبار معركة حصار قاعدة « **كى سان** » ، عام ١٩٦٨ ، مجرد عملية كمائن صــغيرة . كما لا يمكن اعتبار معركة مدينة « **هوى** » عــام ١٩٦٨ ، خلال هجوم رأس الســنة القمرية « التيت » ، عملية تكتيكية صغيرة . ونفس الشىء يمكن ان يقال على معركة الطريق رقم [٩] ، وهى المعركة الضــخمة التى انتصر فيهــا الثوار بأســلحتهم الثقيلة [وبينها الدبابات وبطاريات مدفعية الميدان والصواريخ] ، على عملية الغــزو الامريكى — الفيتنامى الجنوبى فى لاوس ، فى مارس عام ١٩٧١ .

ولــكن الامر الذى يمكن القطع به فى الهجوم الاخير ، هو انه يتميز بقوة فائقة ، ونطاق واسع للغــاية ، ولكنه لا يشــكل تحولا الى استراتيجية جديدة . واذا رجعنا الى هــدف هجــوم الثوار — العسكرى — يمكننا أن نقول :

أولا : **الحقيقة ان الهجوم قد أدخل قوات الثوار على نطاق أوسع فى المدن ومناطق الاحتشــادات السكانية الكبيرة فى فيتنام الجنوبية ، حيث الظهير الاول للثورة الفيتنامية ، وهو الشــعب الفيتنامى نفسه .**

ثانيا : **ان هجوم الثوار قد فرض اختبارا قاسيا لسياسة « فتنمة الحرب »** ، التى أراد بها نيكسون تحويل العبء البشرى للقتــال الى قوات حكومة سايجون ، مع اســتمرار أمريكا فى تحمل العبء المالى ، وعبء التســليح فى هذه الحرب . ولقد

كانت كلّ تقديرات القادة العسكريين تحمل تأكيدات مفرطة الثقة فى مقدرة قوات حكومة سايجون على ان تقف فى وجــه الثوار ، بل تجاوزت الحكومة الامريكية هذا الحد فى تقديرها لجيش سايجون ، فعهدت اليه بمهمة مساندة الحكومة الانقلابية فى كمبوديا ، والتصدى للثوار فى لاوس . ورغم ان جيش سايجون لم يثبت نجاحا فى كمبوديا او فى لاوس ، الا ان الولايات المتحــدة أقنعت نفســها بامكان الاعتماد عليه فى تغطية هزيمتها بغطــاء سياسة « فتنمة الحرب » . فقد كان من الضرورى ــ فى مواجهة ضغط الرأى العام الامريكى والرأى العــام العالمى ــ ان تتظــاهر الولايات المتحدة بالانســحاب والخروج من « ورطة » الحرب فى الهند الصــينية . ولهذا كان حرص الامريكيين فى سايجون ، وفى واشــنطن على السواء ــ خلال الاسبوع الاول من هجوم الثوار ــ على ان يؤكدوا ان القوات الامريكية المحــاربة لن تعود الى فيتنام الجنوبية ، نتيجة لهذا الهجوم .

ومع ذلك ، فان الاســبوع الثالث من الهجوم لم يمض ، حتى كانت الولايات المتحــدة ــ تحت وطــأة الضربات الســـاحقة التى تلقاها برنامج « الفتنمة » ــ تعود للتهديد ــ فى تصريحات لوزير دفاعهــا ملفين ليرد ــ باعادة قواتها المحــاربة ، واستخدام الاسلحة الذرية ، وفرض حصار بحرى حول فيتنام الديموقراطية ، وبث الالغام فى ميناء هايفونج الرئيسى فيها . والواقع ان هذه التهديدات انطلقت بصفة خاصــة ، بعد ان احست الولايات المتحدة **بأن « المغــارات الانتقامية » الكثيفة التى شــنتها على فيتنام الديموقراطية ، بهدف « وقف تقدم هجوم الثوار » فى الجنوب ، لم تؤد الى نتيجة سوى تصميم قوات الثوار على التقدم ، والحــاق الهزائم المتتــالية بقوات حكومة ســايجون التى تدعمها القوات الجوية الامريكية فى جنوب شرق آسيا كله ، بل والتى جلبت لها تعزيزات من أسراب طائرات الفــانتوم والقــاذفات الضخمة من طراز ب ــ ٥٢ ، من الولايات المتحدة ومن اليابان .**

ولقد كشــفت الهجمــات الجوية الوحشــية للقــاذفات الامريكية على فيتنــام الديموقراطية ــ والتى احدثت صدمة حقيقية لدى كل شــعوب العالم ، بما فيها الشــعب الامريكى نفسه ــ ان الولايات المتحدة ، بحكوماتها المتعاقبة ، لم تستفد على الاطلاق من دروس الحرب الفيتنــامية ، على مدى الســنوات الاثنتى عشر الماضية . فلا تزال الولايات المتحدة تعتقد ان بامكانها اسكات الثورة فى فيتنــام الجنوبيــة « بلوى » ذراع فيتنــام الديموقراطيــة ، وكأن غارات الســنوات الاربع المتواصــلة على فيتنام الديموقراطية [١٩٦٥ ــ ١٩٦٨] ، لم تكن لاقتنــاع الولايات المتحــدة بأن الثورة موجــودة فى الجنوب لتبقى حتى تنتصر ، وان الشمال لن يكفى ، تحت اى ضغط عسكرى ، عن الاســـتمرار فى اداء دوره فى تأييد الثورة عسكريا وماديا ومعنويا .

وهكذا اســتطاع هجوم الثوار ان يحقق **هدفا ثالثا ، هو كشف القناع عن وجه ســياسة حكومة نيكسون .** وعــاد العــالم يعيش نفس الاوقات العصيبة التى عاشها خلال سنوات تصعيد الحرب فى عهد جونسون . فان الاســابيع الماضية ، **منذ** بدء هجوم الثوار ، قد كشفت السياسة الامريكية من جديد على حقيقتها ، خاصــة وان الهجوم جاء بعد وقت قصــير من **قرار حكومة نيكسون بوقف محادثات السلام فى باريس .** وكانت هذه الخطوة فى ذاتها ، بداية محــاولات جديدة من نيكسون ، لاظهار « التشدد » فى موقفه فى فيتنام ، استنادا الى تقــديرات قادته العســكريين عن قوة جيش سايجون .

■ ■

■ الولايات المتحدة الامريكية

محــاكمــة للمجتمع الامريكى فى قضــية انجيــلا دافيــز

« اننى بريئــة تماما ، والاتهام الموجــه الى لا أساس له على الاطلاق ، لقد بنى الادعاء اتهاماته على اساس من الكراهية العنصرية والحقد الشــخصى على كل مــا هـــو أسود فى هـــذا المجتمع » .. وأصيب المدعى العام بحرج شديد ، عندما تأكد كلامها ، فقد وقفت واحدة من شاهدات الاثبات الثلاثة فى القضية لتعلن فى المحكمة . بأن ما ذكرته من قبل فى التحقيقات الاولى من شهادات ضد انجيلا كان تحت تأثيرممثلى الادعاء، وانه لا يمثل الحقيقة على الاطلاق .

ان التهم الموجهة الىانجيلا دافيز هى الاشتراك فى حادث خطف قاض وثلاث محلفات اثناء قيامهــم بعملهم فى بعض المحاكمات بمدينة سان جوزيه بولاية كاليفورنيا ، وأدى ذلك الى قتل القــاضى وثلاثة من رجال البوليس اثناء معركة بين الخاطفين ورجال الامن ، ووجهت اليها ايضا تهمة حمل السلاح الذى ساعد المتهمين فى الاشتباك مع رجال البوليس ، ووقفت انجيلا فى المحكمة تدافع عن هذا الاتهام فى سخرية مريرة وتتساءل : « وكيف يمكن للسود ان يعيشوا فى مجتمع يناصبهم العداء دون أن يحملوا سلاحا يدافعون به عن أنفسهم ، أننى أحمل السلاح ليس بهدف الجريمة ، ولكن لحماية

نفسى من المتطرفين البيض الذين يهددون حريتى وحياتى أينما ذهبت » ..

وتضمن دفاع انجيلا دافيز الافكار الاساسية التى جاءت فى كتابها الذى صدر فى اوائل هذا العام ، وقفت تعبر عنها وهى داخل قفص الاتهام تدافع عن نفسها .

فى كتابها الذى صدر قبل شهرين من محاكمتها ، وتحت عنوان « **المسجونين السياسيين والسجون وتحرير السود** » كتبت انجيلا دافيز عن تاريخ نضال السود ضد العبودية فى الماضى ، وضد العنصرية الان ، وتعرضت لقضية السجين السياسى فى الولايات المتحدة ، والفرق بين خرق القانون من أجل مصلحة فردية ، وبين خرقه من أجل صالح الجماعة ، وأوضحت بعد ذلك كيف تلجأ السلطات العنصرية الى الصاق الجرائم بالمسجونين السياسيين للالقاء بهم فى السجون كمجرمين عاديين .. وفى بداية هذا الشهر وفى قاعة محكمة « سان جوزيه » التى تحولت الى « **قلعة أمن اليكترونية** » بدأت محاكمة المناضلة السوداء الامريكية وأستاذة الفلسفة ـ بتهمة « القتل والاختطاف والتآمر » .. وهى واحدة من المحاكمات التى تكشف بوضوح المأساة التى يعيشها المجتمع الامريكى وما يحكمه من تناقضات وصراع .

ولم تنته المحاكمة التى تتابعها انظار العالم بعد ، ولكن هل ستتحرك ضمائر المحلفين البيض بعدما سمعوه من وقائع تدينهم وتدين المجتمع العنصرى الذى ينتمون اليه ؟. لقد أعلن روجرز مكافى المزارع الامريكى ـ قبل أسبوع من بدء المحاكمة ـ وهو الذى قدم مزرعته التى تبلغ مساحتها ٤٠٥ افدنة رهينة فى مقابل الكفالة التى طلبتها المحكمة للافراج عن انجيلا ديفيز ، أنه يتعرض هو وأسرته لحملة منظمة تستهدف تهديد حياتهم ، وقد اضطر مكافى الى أن يهرب مع أسرته من منزلهم فى مزرعته بسان جوزيه ، وقال مكافى ان الحملة بدأت منذ أن وقع على المستندات الخاصة بوضع مزرعته رهينة للمائة الف دولار التى طلبتها المحكمة كفالة للافراج عن انجيلا دافيز ، وتلقى بعدها سيلا من المكالمات التليفونية المجهولة تضمنت تهديدات له ولاسرته . دليل جديد أمام المحكمة لما يعانيه الزوج من ارهاب عنصرى فى المجتمع الامريكى .

هل يختار الحزب الديمقراطى مرشحا ليبراليا للرئاسة ؟

فى الانتخابات « الاولية » التى جرت فى ولاية ويسكونش الامريكية لاختيار مرشح الحزب الديمقراطى للرئاسة فاز السناتور **ماكجوفرن** بأعلى الاصوات (٣٠ فى المائة) ، وفاز **ولاس** العنصرى بالمركز الثالث (٢٢ فى المائة) ، فى حين لم يحتل **همفرى** مرشح الحزب فى انتخابات الرئاسة الماضية الا بالمركز الثالث (٢١ فى المائة) وجاء **ماسكى** فى المنزلة الرابعة (١٠ فى المائة) .

وجورج ماكجوفرن من زعماء الجناح الليبرالى فى الحزب الديمقراطى ومن دعاة انهاء الحرب فى فيتنام ، ويشترك فى ذلك مع **روبرت كيندى ومكارثى وفولبرايت وكرانستون** . ويجمع معظم المعلقين والمتتبعين لحركة انتخابات الرئاسة ، ان ما حدث فى ويسكونش من الارجح أن يتكرر فى باقى الولايات الاخرى التى تجرى فيها مثل هذه الانتخابات الاولية ، فهل يعنى ذلك أن فوز احد دعاة السلام فى فيتنام باقتراض ان النتائج فى باقى الولايات ستسير على هذا النحو فعلا ـ سيجعل المؤتمر العام للحزب الذى سيعقد فى ميامى بيتش فى يوليو القادم يختاره كمرشح له فى الرئاسة ؟

تجيب تجربة انتخابات الرئاسة الماضية التى تمت فى ١٩٦٨ على ذلك بالنفى . ففى حين حصل كيندى ومكارثى ـ وهما من دعاة السلام ـ على ٧٨ فى المائة من الاصوات ـ اختار مؤتمر الحزب الذى عقد فى شيكاغو هيبورت همفرى ـ نائب جونسون وشريكه فى مسئولية الحرب . وذلك لان حكومة جونسون تلاعبت فى اختيار مندوبى لجان الحزب الى المؤتمر العام بحيث جاءت الاغلبية فى جانب همفرى ، والاقلية فى جانب « الحمائم » أو دعاة السلام ، بل ولم يتورع البوليس عن ضرب وتكسير ٢٠ الف متظاهر تجمعوا خارج قاعة المؤتمر ليطالبوا بالسلام ، حتى علق على ذلك الكاتب المسرحى **ارثر ميللر** وكان من مندوبى المؤتمر بقوله : « ان العنف الذى استخدم ، هو العلامة الاشد وضوحا على عجز نظام اجتماعى عن أن يعبر عن حاجات معينة ملحة . ولقد كان استخدام العنف فى مؤتمر شيكاغو نتيجة خطة

أعدت مقدماً لاستئصال كل شخص او تفكير يعارض حكومة جونسون » •

وهكذا فضلت « ادارة » الحزب ان تغـامر بضياع الرئاسة من همفرى بسبب تورطه فى الحرب ، على أن تتيح للشعب الامريكى مرشحا يدعو للسلام ، وان كان هذا المرشح لن يغير كثيرا من الاتجاهات الاساسية للسياسة الامريكية فى الداخل والخارج كما يقول الكاتب الفرنسى مارسيل روك مؤلف كتاب « هل هناك يسـار امريكى ؟ » وقد سـاعد على ذلك ان الجنـاح الليبرالى فـى الحزب ـ وان عارض الحرب ـ ليس مستعدا لاتخاذ موقف صلب الى النهاية • فقائد هـذا الجنـاح وهو مكارثى اعلن عقب سـقوطه وفوز همفرى انه لن يؤيده الا بشروط ثلاثة هى : وقف الغارات على فيتنام فورا وبلا شروط ، واعادة تنظيم الحزب بطريقة ديمقراطية ، والعفو عمن يرفضون الاشتراك فى الحرب بوازع من ضميرهم • ولكنه فجأة تراجع وقرر تأييد همفرى وحدد ان يتم اعلان ذلك فى مؤتمر انتخابى لاحد المرشحين ، ولكنه عندما قوبل بهتاف ١٥ الف شاب بسقوط دعاة الحرب ومنهم همفرى ، تراجع وأجل ذلك الى اليوم التالى ، حيث اذاعه فى مؤتمـر صحفى ضيق •

وتذرع « المستسلمون » من الجناح الليبرالى بحجج مختلفة ، منها انهم سيعملون « من داخل » الحزب على تغيير اوضـاعه انتظارا لانتخـابات ١٩٧٢ • وقالوا أن فرص ذلك متوفرة واستشهدوا على ذلك بالاتى :

● ان حملة مرشحهم مكارثى السـلامية قـد اجبرت جونسون على الانسحاب وعدم ترشيح نفسه •

● ان انصار السـلم فازوا فى الانتخـابات الاولية بالاغلبية ، مما يؤكد وجود قاعدة جماهيرية عريضة لاصلاح الحزب •

● ان خطة منع الحرب قد فازت بحوالى ٤٠ فى المائة من الاصوات فى مؤتمر شيكاغو نفسه والذى اقر تعيين همفرى •

● ان عـددا كبيرا من « الحمام » فاز فـى المجالس النيابية ويمكن الاستعانة بهم فى اعادة التنظيم •

● ان الاتجاهات الديمقراطية قد نمت فى الحزب وتجلى ذلـك فـى منـع المنـدوبين « الانفصاليين » من حضور المؤتمر ، وفى اتخاذ قرار بأن يصوت مندوبى كل ولاية فى انتخابات ١٩٧٢ كيفما يريد كل منهم والغاء نظام تصويتهم « ككتلة واحدة » •

ولـكن « مقرطـة » الحزب الديمقـراطى مهمة صعبة فعلا • لان الاتجاهات المحافظة هى الاقوى بحكم الاوضاع الاجتماعية فى مؤتمر ١٩٦٤ كان دخل نصف الاعضاء يزيد عن ٥ر١٢ مليون فرنك سنويا لكل منهم ، فى حين كان ٣ فى المائة فقط من الاعضاء يقل دخلهم عن مليون ، وكان ٣٠ فى المائة من رجال الاعمال ، فضلا عن ارتفاع تكـاليف « عضوية المؤتمر » • كما كان حوالى ٦٠ فى المائة من اعضاء مؤتمر شيكاغو موظفون كبارا يدينون بمناصبهم لقيادة الحزب •

ومن جانب آخر فان نجاح جورج ولاس حاكم الاباما العنصرى المتطرف الذى اعلن عقب هزيمته فى ١٩٥٨ أمام احد اعضاء عصابة كوكلوكس كلان انه لن يسمح لاحد أن يزايد عليه فى التطرف العنصرى ويفوز ، وان يتعهد بأن يبز الجميع فى عنصريته ، وهذا النجاح يعتبر مؤشرا على امكانيات « الليبراليين » فى العمل داخل الحزب • كذلك فان الموقف السابق المتخاذل للجناح الليبرالى فى المرة الماضية ، زاد من انفصال السود عن الحزب وزيادة الاتجاهات الى « مقاطعة » الانتخابات ، وانقسامات المثقفين ، وسخط الفقراء على الحزب الذى يدعى تمثيلهم زورا •

وفى الناحية المقابلة فاز نيكسون فى انتخابات ويسكونسن الاولية بحـوالى ٩٧ فـى المائة من اصوات الجمهوريين ، وبذا يضمن ترشيح الحزب الجمهورى له فى الانتخابات القادمة •

والواقع ان عدد المشتركين فى الانتخـابات بالنسبة لمن لهم حق التصويت ينخفض بصورة مضطردة ، فقد بلغ ٨ر٦٢ فى المائة فى ١٩٦٠ ، و ٦٢ فى المائة فى ١٩٦٨ ، و ٦٠ فى المائة بالكاد فى ١٩٦٨ ، أما فى ١٩٧٢ فسيكون الانخفاض اشد كما يتوقع المراقبون • وقد فاز نيكسون فـى الانتخابات الماضية بما يوازى ٢٥ فى المائة من اصوات الناخبين الامريكيين فقط ، ويدل هذا على مدى تمثيله للشعب الامريكى الـذى يملك حق التصويت • يؤكد مكانة الاستفتاء الذى اجراه معهد لويس هاريس قبل الانتخابات الماضية والذى اعلن فيه ٢٦ فى المائة من المشتركين ان نيكسون ليس سوى « ممسحة للصحون » ، فى حين أعلن ٣٧ فى المائة أن همفرى هو ايضا « ممسحة للصحون » •

تقرير خاص

موقع اغتيال « كرومى » .. من « محاور » الصراع فى تنزانيا

حسين شعلان

اغتيال عبيد كرومى ، النائب الاول لرئيس جمهورية تنزانيا وزعيم حزب الافروشيرازى وقائد حركة التحرر الوطنى والاجتماعى فى زنزبار ، ليس أخطر الاحداث فى تنزانيا ـ برغم أهميته ودلالته الكبيرة ـ ولن يكون اخطرها على وجه الاطلاق . ذلك أن معدل « ايقاع » الاحداث وتطوراته تنبىء عن احتمالات تفوق ـ حجما ودلالة ـ اغتيال عبيد كرومى نفسه .

اللغز الثالث

عندما تتكشف الاسرار الحقيقية لقصة اغتيال كرومى ربما تتضح الصورة الكاملة للموقف ، على انني لا أعتقد أن هذه الاسرار ستتكشف او على الاقل سيعلن عنها . ففضلا عن أن الاشخاص الاربعة الذين قاموا بعملية الاغتيال ، قد قتل منهم اثنان خلال مطاردة سلطات الامن التنزانية لهم ، وانتحر ثالثهم باطلاق الرصاص على نفسه ـ حسب رواية سلطات الامن ـ وفرار الرابع فان عملية الاغتيال « الكبيرة » هذه لم تكن العملية الاولى فى البلاد خلال السنوات القليلة الماضية .

ففى أواخر ديسمبر من عام ١٩٧١ ، اغتيل حاكم اقليم ايرنجا فى تنزانيا ، وهو احد القادة البارزين فى حزب تانو (الحزب الواحد الحاكم فى تنجانيقا التى شكلت مع زنزبار جمهورية تنزانيا عام ١٩٦٤) الا أن الكشف عن الاسرار الحقيقية لاغتياله لم تتم بعد ، وظلت لغزا .

وفى فبراير ١٩٦٩ ، اغتيل ادواردو موندلانى قائد حركة الكفاح المسلح فى مستعمرة موزمبيق وزعيم جبهة الفريلمو الذى لعب دورا رئيسيا فى حياة الجبهة سياسيا وفكريا وتنظيميا بل وساهم فى تشكيل ودعم حركات الكفاح المسلح الافريقية فى أنجولا وروديسيا . وبرغم اتهام دوائر المخابرات البرتغالية والالمانية الغربية والامريكية ، وهذا استنتاج طبيعى ومنطقى وسهل ، الا ان القصة والاسرار الحقيقية للقضية لم تتكشف بعد ، وظلت أشبه باللغز أيضا .

على أن ذلك الرصد ، لا يهدف لان يقول بأن اسلوب الاغتيال هذا ، اسلوب « تنزانى » فى تصفية اعمال الصراع الوطنى والاجتماعى . وان كان هذا اسلوب غير مستبعد تماما بنفس القدر الذى ينطبق على الدول الافريقية الاخرى . لكنه يعنى ـ آخر الامر ـ أن يقول ان هذه « الالغاز » ، تفيد أن اعمال الصراع السياسى قد احتدمت بصورة كبيرة وبكيفية خاصة .

مناخ خارجى ضاغط

فاحتدام الصراع السياسى ، قضية ترتبط فى تنزانيا ـ مثلما فى غيرها من الدول ـ بحدوث التطورات ـ ولسنا فى صدد تقييمها ـ التى اثارت بتنزانيا أو فى داخل البلاد . وأبرز التطورات ذات الدلالة التى جرت أخيرا من حول تنزانيا هى :

اولا : محاصرة قوى حركات الكفاح المسلح الافريقى ، وذلك من قبل الاستعمار البرتغالى والنظم العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا .. بدعم من قوى الاستعمار العالمى . وباختصار « حالة الجزر » الذى تعيشه الحركات الوطنية المسلحة فى موزمبيق وانجولا وروديسيا وجنوب افريقيا . وهى ـ بشكل عام ـ جزء من الحالة العامة لقوى الثورة فى القارة الافريقية . ولما كانت تنزانيا واحدة من الاراضى التى يقيم عليها الوطنيون الافريقيون الذين يشنون حركات الكفاح المسلح هذه ، فمن الطبيعى أن تترك هذه « الحالة » بصماتها وانعكاساتها داخل تنزانيا نفسها . خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار « الايحاءات المباشرة » التى نلمسها فى أى حوار يجريه المرء مع العناصر القيادية لهذه الحركات ، والتى تلمح الى ما تسميه « بتقاعس » النظم فى الاراضى الافريقية التى يتخذونها أماكن للانطلاق منها أو التدريب عليها .. تجاه حماية حركات الكفاح المسلح أو على الاقل مساندتها ودعمها وتسهيل اعمالها بالقدر اللازم .

ثانيا : تطورات احداث اوغندا حين قضى انقلاب عيدى أمين على حكم ميلتون اوبوتى الذى أقام فى تنزانيا (لها حدود مشتركة مع اوغندا) هذه التطورات ـ ولسنا فى صدد تقييمها ـ التى أثارت فى ذهن قيادات تنزانيا بحكم قربها الشديد منها ، ما سبقها من تطورات مماثلة فى غانا وفى مالى .. الخ . وهى جميعها تعنى لقادة تنزانيا ضرورة الحذر واعادة النظر فى طبيعة أجهزة الدولة ومؤسساتها . خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار

« حدة » المشكلة بشكل أخطر على اثر احتدام الموقف الى حد الاشتباك على الحدود فيما بين تنزانيا واوغندا ٠

والمناخ الخارجي هذا ، ليس هو عنصر الضغط الوحيد أو حتى الاساسى على « الاعصاب » السياسية والتنظيمية فى تنزانيا ٠

« جغرافية الخصومة » المتقلبة

فجرت احداث اوغندا وانقلابها ، بعض الصراعات الداخلية فى تنزانيا فعلى اثر الانقلاب ، شكل الرئيس **جوليوس نيريرى** رئيس الجمهورية وزعيم حزب تانو ، ميليشيا شعبية درءا لاية احتمالات منذرة ، وبعد شهور من الانقلاب ألقت طائرتان « مجهولتا الجنسية » منشورات فوق **دار السلام** (العاصمة) معادية للرئيس نيريرى وللنظام ، بتوقيع **اوسكار كامبونا** السكرتير السابق لحزب تانو الذى انشق — بعد **اعلان أروشا** فى ١٩٦٧ — على الحزب وقيادته واقام فى لندن ليقود نشاطا سياسيا معاديا لنيريرى ٠ وتتردد الاشاعات أخيرا عن أن كامبونا يقيم الان فى **كينيا** (شمال تنزانيا) ويتخذها مقرا لنشاطه ٠ وفى نفس الشهر — ديسمبر — اغتيل حاكم ايرنجا احد قادة تانو ٠ (ورصد الحدثين لا يعنى هنا الربط بين مصادر حركتيهما ، وانما يهدف الى تبيان « ثقل » مشاكل الصراع) ويجب أن نرصد هنا كذلك ، ان محاولات فاشلة قد جرت لاسقاط عبيد كرومى — الذى ظل يمارس مهامه السياسية فى زنزبار — فى نوفمبر من عام ١٩٦٨ ثم فى مايو من عام ١٩٧١ مما اضطر كرومى — وقتها — الى تشكيل « محاكم شعبية » لمحاسبة « المنحرفين » سياسيا واقتصاديا ٠

بعد هذه التطورات جميعها ، اعلن الرئيس نيريرى فى فبراير ١٩٧٢ عن تغييرات واسعة فى القيادات السياسية والادارية العليا فى الدولة شملت حوالى ٥٠ اسما منها بعض الاسماء من أمثال : عبد الرحمن بابو وعبد الله قاسم هانجا الخ ٠٠ الذين لعبوا أدوارا هامة فى الحكم سواء فى زنزبار بعد ثورة ١٩٦٤ أو فى تنزانيا بعد الوحدة ٠

خلال هذه الاحداث — وبعدها — كانت دوائر الصراع والخصومات ، تتغير وتتبدل بين وقت وآخر ٠ ولابد هنا من القاء نظرة كافية على « المحاور » الحقيقية للصراع السياسى والاجتماعى داخل تنزانيا والذى ترك بصماته — بالطبع — على الدوائر التنظيمية للحزب ٠ هذه « المحاور » التى اعتقد أنها « الاطار » الحقيقى لقصة اغتيال كرومى ٠

« سمات تنزانية » ضمن ظاهرة « العالم الثالث »

يمكن حصر جوانب الصراع السياسى — الاجتماعى بتنزانيا فى السنوات القليلة الماضية من خلال « محورين » أساسيين : عملية التقدم الاجتماعى ، وعملية البناء الحزبى ٠

فبرغم الوحدة بين تنجانيقا وزنزبار ، الا أنه يمكن القول أن واقع ومعدل عملية التطور الاجتماعى قد قطعت فى زنزبار خطوات اسبق واعمق بكثير من مثيلتها فى تنجانيقا ٠ ويعود ذلك — فى تقديرى — الى أن قيادة زنزبار التقدمية كانت تتبنى برنامجا وفكرا أكثر وضوحا ونضجا فقد كان كرومى يضع ثورة زنزبار فى اطار انها « **ثورة شعبية طبقية** » تهدف الى تطبيق « الاشتراكية العلمية » وفق ظروف زنزبار القومية ٠ بينما يتبنى نيريرى مفهوم « **الاشتراكية الافريقية** » وفق رؤيته لتراث ومعطيات « المجتمع الافريقى » ومن هنا كان الغرب يعتبر زنزبار — فى أدبياته السياسية — « قاعدة للشيوعية فى افريقيا » بين اختلاف هذين المفهومين شهدت زنزبار اجراءات اقتصادية واجتماعية أكثر عمقا وشمولا من تلك التى شهدتها تنجانيقا ٠

ومنذ تحول تنزانيا — ككل — تجاه « اليسار » باعلان **أروشا** التاريخى ، اتضح بشكل متزايد ، حاجة البلاد الماسة الى أهمية العمل لتحديد استراتيجية من أجل انجاز « البناء الاشتراكى » ٠ فليس كافيا أن يتم الاعلان عن معارضة الاستغلال الرأسمالى رغم أهمية هذا الاعلان ٠

وبعد قيام « القطاع العام » وتوليه دورا قياديا فى الاقتصاد القومى فى أعقاب اجراءات التأميم ، عالجت قيادة تنزانيا مشكلة تطور الريف من خلال برنامج « **قرية الاوجاما** » (أى القرية الاشتراكية) ، كوسيلة لكبح جماح نمو الرأسمالية الصغيرة فى الريف ولتمكين الفلاحين من رفع مستوى معيشتهم عن طريق ادارة مشاريعهم الزراعية فى أشكال **تعاونية** ترفع من وضعهم الاجتماعى ووعيهم السياسى ٠ **وخلال تطبيق هذه التجربة ، احتدم الصراع فى دوائر الحزب والدولة حول برامج هذه القرى** ٠

ومنذ أواخر العام الماضى ، جرت مناقشات حادة وواسعة داخل أجهزة الحزب والدولة ، حول خطة التنمية ٠ وكان السؤال الهام الذى تطرحه قوى « اليسار » فى تنزانيا يقول : القضية **هى من أجل ماذا** : ملكية الدولة ؟ ولمصلحة من « ٠

وكانت وجهة نظر « اليسار » ، ترى أن مسار اجراءات التأميم وخلق القطاع العام ، افرز نوعا من « **رأسمالية الدولة** » اتسعت دائرتها وتزايد حجمها **على حساب** حاجيات الشعب بدلا من أن تخدمه • وتعددت الانتقادات ــ مثلا ــ لاتجاه الدولة الى بناء فنادق فاخرة ، وقيام « **مؤسسة التجارة** » (قطاع عام) ببناء مبنى عملاقا باهظ التكاليف بينما تعانى الجمهورية بحدة من مشكلة الاسكان • وان أعمال هذه المؤسسة ــ مثلا ــ ونتائج أعمالها لا تبرر بالمرة الامتيازات الضخمة التى تغرق فيها • واضطر الرئيس نيريرى الى أن يحث موظفى الدولة فى أحاديثه اليهم ، أن يعملوا « كاشتراكيين » وألا ينسوا أنه يجب أن يعملوا فى خدمة الشعب • كذلك تعددت الانتقادات لمؤسسات المال والمصارف ، تقول بأن أعمالها لا تقوم على أساس خدمة البناء الاشتراكى وانما على أسس رأسمالية بحتة •

وأبرز المآخذ على الاوضاع الاقتصادية ــ الاجتماعية فى تنزانيا ، تصب عند « **فئات البيروقراطية** » التى تتمتع بالقدرة على العمل ضد مصلحة ومشروعات «البناء الاشتراكى » بل وفى تحد له • وقد بلغت هذه الفئات البيروقراطيه حدا من القوة ارتفعت معه أصوات ــ سواء داخل الحزب أو حتى داخل الوزارة ــ ضد ما أسمته « بالتدخل المبالغ فيه والمتزايد » من جانب الشعب وبعض اعضاء الحزب فى الشئون الاقتصادية • ودعت هذه الاصوات الى ضرورة توفير كل ضمانات الرقابة والسيطرة على المشروعات •• لها ووصلت سطوة « البيروقراطية » حد أنها منعت أكثر من قرية فى البلاد من تشكيل « قرية أوجاما » على أساس أن التشكيل تم بمبادرة من الفلاحين لا بمعرفة الاجهزة : سواء أجهزة الحزب أو الدولة • والاغرب من هذا أن كثيرا من أعضاء الحزب يواجهون أشكالا مختلفة من المشاكل ومن الاضطهاد على أيدى هذه الاجهزة التى تعمل على ان يتم كل شيء ، وكل نشاط من خلال «**ماكينة الدولة**»

أمام هذا الواقع ، وأمام حقيقة الامتيازات الضخمة التى اقتنصتها فئات وعناصر البيروقراطية ، برز هناك خطر جديد • فقد يئس الكثيرون ــ من اوساط الشعب والحزب نفسه ــ من جدوى « العمل الاجتماعى » و « النضال من أجل الاشتراكية » • وينتهى ذلك ــ آخر الامر ، وللاسف ــ الى تشكيل ركيزة احتياطية ، من الناحية الموضوعية ، لاى تطورات أو تغيرات مضادة •

ولا يقف الخطر عند هذه الحدود ، بل يتعداه بشكل منذر حيث يبرز الان فى تنزانيا اتجاه له ثقله ، يرى ضرورة اعادة مناقشة قضية الاشتراكية • وهو لا يطرحها بهذا التحدى الواضح ، ولكنه يطرحها بأساليب ملتوية وغير مباشرة •

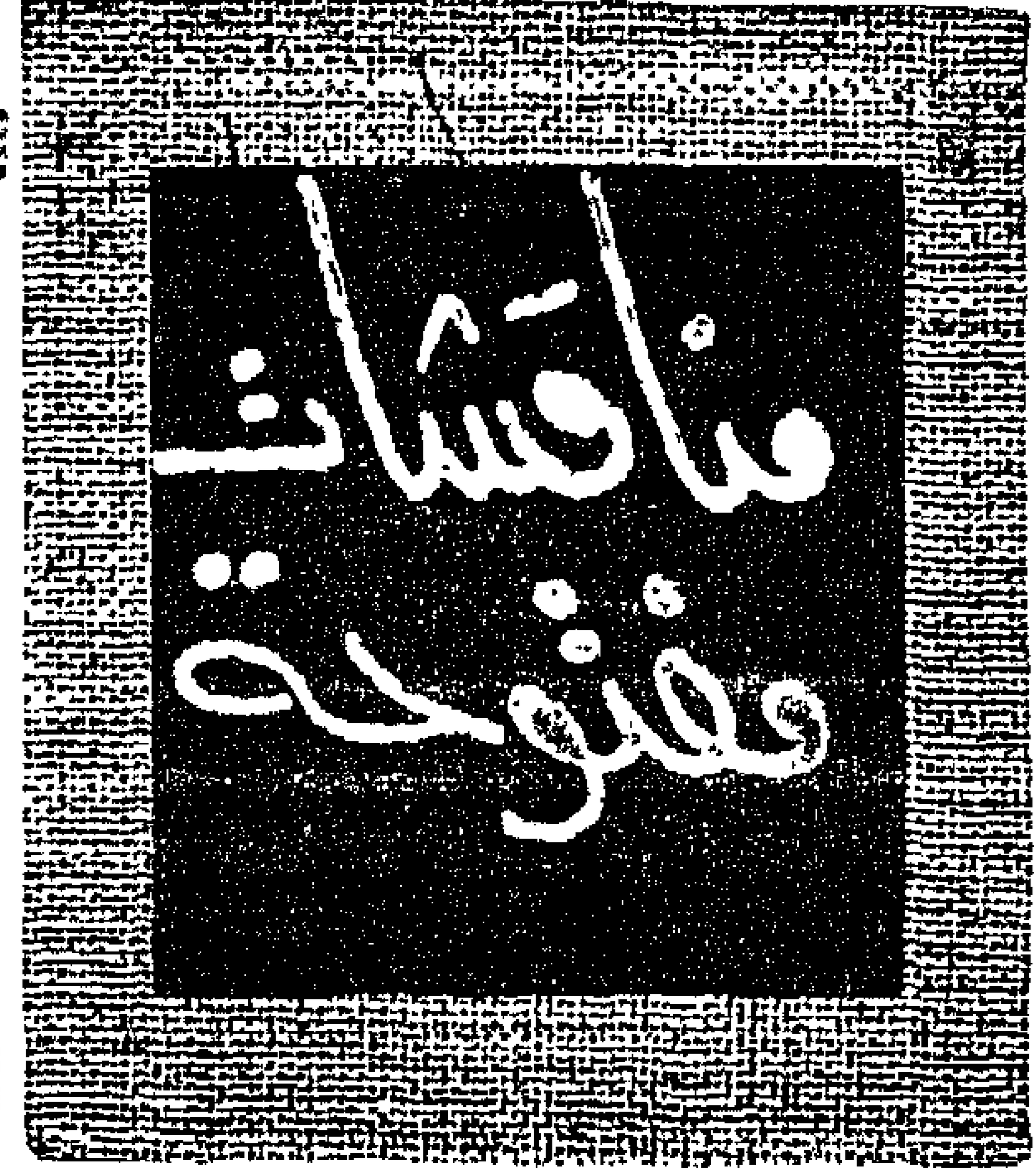
وربما كان ذلك كله ، دافعا للزيارات التى يقوم بها الرئيس نيريرى كثيرا الى المدن والاقاليم والريف خارج العاصمة • ولكن هل تستطيع هذه الزيارات أن تحقق ما يحققه الحزب ؟ ذلك هو « محور » الصراع الثانى •

فمن المشاكل التى تعانيها تنزانيا بشكل خاص ومتميز ، مشكلة بناء قوة سياسية اشتراكية من بين صفوف « جبهة عريضة » ــ تانو ــ نظمت وفق صياغة اقتضتها مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى • وباختصار تعانى مشكلة عدم وجود تنظيم طبقى يعمل كنواة من أجل انجاز البناء الاشتراكى •

ويدور الصراع فى هذا المجال بين مفهومين : **حزب طليعى ؟ أم حزب جماهيرى ؟** وجوهر هذا الصراع ــ فى تنزانيا ــ خلاف بين فكريتى : « الصراع الطبقى » و « التعاون بين الطبقات »، باعتبار ان الملاك الكبار ــ للاراضى أو للمال ــ كانوا من الاجانب أساسا ولان « الانقسام الطبقى » ظاهرة لم تعرفها المجتمعات الافريقية بشكلها التقليدى كما عرفتها مجتمعات أخرى •

ومن المعروف أن كرومى كان من قادة اتجاه ضرورة بناء حزب طليعى قادر على مواجهة مسئوليات العملية الثورية لبناء الاشتراكية • وجدير بالذكر أنه كان قد اتخذ اجراءات عملية فى هذا الصدد بالنسبة لحزب الافروشيرازى فى زنزبار ، وركز اهتمامه فى الفترة الاخيرة على تدعيم الحزب معتمدا على الشباب ، وأدخل أجهزة الحزب الى الجيش فى زنزبار وفق خطته « **لتسييس الجيش** » • وقد لقى كرومى ــ بسبب ذلك ــ مقاومة شديدة ، وكان كرومى يذكر دائما بأحداث مالى وغانا وغيرهما من الدول الافريقية التى لم يستطع « الحزب الجماهيرى » فيها على مواجهة الانقلابات وتبددت كل صفوفه دون مقاومة تذكر •

ومن جهة أخرى ، لم يستجب الرئيس نيريرى لاتجاه ضرورة بناء «حزب طليعى » برغم كل الالحاح الذى وصل الى حد الضغوط عليه • ويصر الرئيس نيريرى على « الحزب الجماهيرى » ويعتقد انه قادر على مواجهة متطلبات العمل الوطنى والاجتماعى معا • وآخر مخططات نيريرى لتدعيم الحزب الجماهيرى ، هو نظام « **خلية المنازل العشرة** » الذى يعنى أن كل ١٠ منازل فى المدينة أو القرية ، تنظم خلية من خلايا الحزب ويتولى مسئوليتها عضو الحزب فى الحى أو المنطقة •



جاءنا من د · عبد الرحمن البيضانى التعليق التالى على المقال الذى نشر فى العدد الاخير من الطليعة « اليمن بين طريق التطور الرأسمالى واللارأسمالى » · وتنشر الطليعة هذا التعليق ايمانا منها بحق المفكر فى أن يعبر عن وجهة نظره وأن يرد على ما يرد بها عن آرائه ومواقفه ·

تصحيح ما أستشهد به د · الشهارى

بقلم الدكتور
عبد الرحمن البيضانى

نشرت مجلة الطليعة الغراء فى عدد ابريل ١٩٧٢ مقالا للزميل الدكتور محمد على الشهارى تحت عنوان (اليمن بين طريق التطور الرأسمالى واللارأسمالى) واستشهد بفقرات من بعض مقالاتى التى نشرتها مجلة أخبار اليوم القاهرية الغراء · وحيث أن الزميل الكريم لم ينقل الفقرات حرفيا من أخبار اليوم حتى يستقيم ويصح الاستشهاد بها بل أضاف اليها عبارات غريبة عنها ثم عجنها ليستخرج من المخلوط المشوه ما يستدل به على أننى أقف معاديا للاتحاد السوفيتى واننى أدعو الى الانحياز الى الغرب ، رغم أن مقالاتى تنحصر فى الدعوة الى الوحدة العربية القومية كى يولد الكيان العربى الكبير ، ولما كان الانحياز الذى يريد الزميل أن يلصقه بى لا يتفق مع أية عبارة وردت فى مقالاتى فضلا عن أن الانحياز لا يستقيم مع مبدأ عدم الانحياز الذى أدين له بالولاء ، ولا يتناسب مع أساس القومية العربية التى انتمى اليها بالعقيدة ، لذلك فاننى أستسمح القراء الكرام فى أن أعيد على صفحات الطليعة الغراء نصوص الفقرات المخلوطة والى جانبها النصوص الاصلية المنشورة فى أخبار اليوم مع تاريخ نشرها كى يرجع اليها من يشاء من القراء الافاضل ، ولا أنسى أن أشكر أسرة مجلة الطليعة التى سمحت لى بذلك مستهدفة كفالة حرية الرأى ·

اولا : بدأ الزميل فى مقاله بتحديد مكانى الفكرى فكتب « ومع ذلك فان هناك من يرى من بعض المثقفين المترفين الممثلين للجزء الاعلى المترهل والمتفسخ من البورجوازية الوسطى اليمنية أن طريق التطور اللارأسمالى الذى سارت فيه اليمن الديموقراطية ومن قبلها مصر وسوريا والجزائر وغيرها من الدول العربية والدول الاخرى حديثة الاستقلال فى آسيا وأفريقيا ليس مرفوضا فحسب وانما هو طريق الطائشين والضالين وان طريق التطور الرأسمالى المعتمد على التعاون مع الرأسمال الاجنبى هو الطريق الصحيح والوحيد الذى على كل الدول النامية وعلى اليمن بالذات أن تندفع فيه بكامل قوتها ممزقة أى خيوط انعزالية ما تزال تشدها الى الخلف » ·

وبعد أن حدد الزميل صفتى البرجوازية المترهلة والمتفسخة ظن أنه بوسعه أن يثبت ذلك فاستشهد بفقرة من مقالى المنشور فى أخبار اليوم بتاريخ ١٨ — ١٢ — ١٩٧١ تحت عنوان (الدولة العصرية) فكتب نقلا عنى « فالمشاهد فى بعض هذه البلاد النامية أنها تتخذ فى بعض الاحيان سياسات لا تتفق مع مصالحها الاقتصادية ، اما بقصد التقليد غير المحسوب ، أو بغرض المزايدات المذهبية ، أو تصفية الخصومات الشخصية ، واما بسبب عدم ادراك أبعاد المصلحة الوطنية التى ينبغى السعى الى تحقيقها والتى لا تختلف فى

جوهرها عن المصلحة الاقتصادية العامة ، والتى كما تصاب بمرض المراهقة السياسية فانها تعانى فى بعض هذه المجتمعات من الجمود الانطوائى ، ومن الافراط فى الحذر من **التعاون الاقتصادى الدولى اللازم لدفع تيار التنمية والتقدم** «مما يحرمها» من فرص الانتفاع بأساليب الحضارة الحديثة ووسائل الانتاج المتطورة ، ومن رؤوس الاموال اللازمة لكل عمليات الاستثمار والتنمية ، الامر الذى يشترط أول ما يشترط أن ينفتح المجتمع بعقليته وسياسته وتشريعاته ورحابة صدره الاجتماعى على كل ما ينفع فى تحريك طاقاته المهملة واستثمار موارده المعطلة » .

يتضح من هذه الفقرة أنها الى جانب محاولة تحليلها لبعض اسباب التخلف فانها تشجع الدول النامية على التعاون الاقتصادى الدولى لتحريك طاقاتها المهملة واستثمار مواردها المعطلة ، ولم تنصح مطلقا لا بقصر هـذا التعاون على الكتلة الشرقية ولا على الكتلة الغربية ، فليس ذلك موضوعها ، وليس من حقى عندما اتحدث عن التنمية الاقتصادية أن أشير على أية دولة باختيار الشرق أو الغرب ، كما أننى لم أحاول نصيحة أحد باتباع النظام الاقتصادى الحر أو الاشتراكى ، ولم أنصب نفسى عميلا لروسيا أو عميلا لامريكا ، لان الطبيب الذى يصف العلاج ليس من حقه أن يشترط له مصدرا معينا وانما يهمه فقط أن تتواجد فيه العناصر العلاجية اللازمة ، والا فانه يفقد صفته كطبيب ويصبح مجرد عميل لاحدى شركات الادوية .

ولا شك فى أن هذا المعنى الواضح الدلالة لم يفت الزميل الكريم ، الا أنه أراد أن يلويه بأسلوب لا يفوت على أى قارىء فقال : **(وقطعا لكل شك ، ومنعا لكل وهم بأن الانفتاح الذى يقصد اليه هؤلاء قد يشمل الدول الاشتراكية ، وألا يخص الدول الرأسمالية وحدها ، فانهم يسارعون الى نفى كل شبهة ، وازالة كل ظن ، وفى لهجة لا تخلو من التحامل على المعسكر الاشتراكى وأيديولوجيته ، والاشادة بقوة النظام الاقتصادى والتكنيكى الغربى وأيديولوجيته)** .

وهنا استشهد الزميل الكريم بفقرة من مقال لى يظنها القارىء أننى نشرتها بعد الفقرة السابقة لان كلمة « **يسارعون** » التى وردت فى سياق خلط الزميل تدل على أننى أوضحت فى الفقرة التى استشهد بها أولا بضرورة التعـاون الاقتصادى الدولى ، ثم اتبعت ذلك بمقال لاحق أحصر فيه هـذا التعاون مع الكتلة الغربية . لكن ذلك لم يحدث مطلقا لان الفقرة التى استشهد بها أولا نشرت فى أخبار اليوم فى ١٨ ـ ١٢ ـ ١٩٧١ تحت عنوان « الدولة العصرية » بينما الفقرة التى استشهد بها ثانيا فانها قد نشرت قبلها فى ١١ ـ ٩ ـ ١٩٧١ تحت عنوان «قومية الارادة» وواضح **اختلاف** الموضوعين تمام الاختلاف مما يقطع صلة الاستشهاد من جذورها . ومـع ذلك لنرى ماذا أسـتشهد به فى تلك الفقرة الثانية ؟ . كتب نقلا عنى بعد المقدمة التى مهد بها للقراء ليدلهم على أنه سيأتى لهم بالدليل القاطع والبرهان الساطع على أننى من دعاة حصر التعاون مع الغرب فنقل ما يلى : « واذا كان فى دنيا العرب من هم فى أقصى اليسار يرفضون عقائديا المفاهيم القومية لاهثين وراء مثالية الوحدة العالمية للبلوريتاريا فانهم فى عصرنا المتطور يبدون وكأنهم يعيشون فى زوايا نظريات القرن الماضى قبل أن تتطور الاستراتيجية الدولية التى لا تسقط من حسابها كل ذرة رمل فى هذا العالم » **والواضح ان هذه الفقرة لا تتحـدث عن مصادر التمويل مطلقا** » .

ثم أضاف من عنده « وأكثر من ذلك فانهم وفى هذا الوقت العصيب والدقيق الذى ارتبط فيه مصير حركة التحرر العربى بمصير الحركة الاشتراكية ، وبلغ التحالف بين الثورة العربية ذات الاتجاه الاشتراكى وبين الثورة الاشتراكية العالمية حد عقد معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر والاتحاد السوفيتى يدعون **بحماقة منقطعة النظير** الى ادارة الظهر لكل تعاون أو تحالف معه ، وكل تعاون أو تحالف مع القوى الصديقة والحليفة الاخرى .. » وهنا أضاف بقية الفقرة من مقالى المذكور فقال نقلا عنا ما يلى :

« ونحن فى الوطن العربى الـكبير نحتـاج الى كيان عربى كبير يمثل مصلحتنـا ويحدد حجم فعاليتنا ، وحجم تأثيرنا ، ونحن فى سبيل ذلك يمكننا أن نعتمد على أنفسنا فلسنا فى حاجة الى نابليون ، أو قيصر ، أو مـوسوليني ، ينصر المسلمين ، أو غير هؤلاء يحمون الطوائف الدينية الاخرى » .

والواضح أن الزميل الكريم قد نقل هذه الفقرة مختصرة ومشوهة من مقالى المذكور ، ذلك لان المقال فى معرض حديثه ودعوته الى الوحـدة العربية من الخليج الى المحيط استعرض تاريخ الامة العربية وكيف كانت الدول الاجنبية تمزق الوطن العربى وتقتسم أوصاله باسم حماية طوائفه الدينية فادعى قيصر ألمانيا ونابليون وموسوليني الاسلام وادعت بريطانيا حماية الدروز واليهود والموارنة مثل حماية تركيا للسنة وحماية ايران للشيعة فتمزق الوطن العربى ، الى آخر ما جاء فى ذلك المقال مما يمكن الرجوع اليه ، ثم استعرض المقال ظروف نشأة جامعة الدول العربية على يد المستر ايدن حتى جاء على ذكر اتحاد الجمهوريات العربية .

ولربما من المفيد أن ننشر كامل الفقرة التى استشهد بجزء منها الزميل الكريم حتى يكتمل المعنى فى ذهن القارىء الكريم كى يتبين عدم جواز الاستشهاد المقصود ، فالفقرة الكاملة التى نشرتها فى ذلك المقال كما يلى :

«وأخذ جنين الارادة العربية القومية ينمو حتى انطلق عملاقا لحظة ميلاده ·· وقامت الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا ، التى رغم نكسة الانفصال فقد عمقت المشاعر الوحدوية وزودت الامة العربية بدروس مستفادة أعانتها كثيرا على ميلاد دولة اتحاد الجمهوريات العربية التى وضع دستورها الزعماء الابطال الثلاثة السادات والقذافى والاسد ·· مستفيدين من كل التجارب ·· معبرين عن ارادة الامة العربية ·· مستلهمين مشروعهم من ضميرها وليس من العواصم الاجنبية ·· لا يطمع أحدهم فى زعامة ·· ولا يسعى الى عرش ·· ولا يتطلع الى تنصيب نفسه حاكما رغم ارادة الجماهير ·· بل تنزه الثلاثة عن كل ما يتضاءل أمام التاريخ متشبثين بكل ما يفخر به ·· والتاريخ لا يفخر الا بمن يعمل للشعوب ·· بارادة الشعوب ·· من يعمل بهدوء العلماء ·· وطموح الثوار ·· وصبر المناضلين ·· ومع ذلك · رغم ثقتهم فى خطورتهم المعبرة عن الارادة القومية ، فانهم طرحوها للاستفتاء الشعبى كى تقول الشعوب المعنية بالامر كلمتها فتعلن اختيارها وتمارس ارادتها · وفتح دستور دولة الاتحاد طريق الانضمام اليه بعد أن ازال الحساسيات التى يثيرها أى اختلاف فى الظروف الموضوعية السائدة فى كل جزء من أجزاء الامة العربية ، والتى تفرض اختلاف كل جزء فى منهاج سياسته الداخلية واسلوب معالجته لمرحلة نموه ·· فالذى يصلح تفصيليا للتنفيذ فى جزء من أجزاء الامة العربية قد لا يصلح بعينه وبذاته للتنفيذ فى بقية الاجزاء ·· مع التقاء جميع الاجزاء على فكر مستخلص من الاطار العربى العام يتخذ من الشريعة الاسلامية مصدرا أساسيا للتفكير ·· ومن تطور المجتمع والفكر معيارا متطورا للتطوير · وبذلك يتسع المجال لانضمام المزيد من الاعضاء كلما استوفى العضو الجديد مؤهل العضوية · ومؤهل العضوية أن تكون للعضو ارادة وطنية حرة يريد أن يشترك بها فى صنع الارادة القومية · **وهو لا يكون كذلك الا اذا كان متحررا من النفوذ الاجنبى ·· متحررا من الانطواء والانكماش فى الذات المتخلفين فى النفس البشرية عموما منذ عهد الغابة ·· ومتحررا من أثقال الشعارات التى أثبت العقل والتجربة عدم ملاءمتها** ·· بذلك يشترك الاعضاء المتحررون فى تجسيد الامنية العربية والتعبير عنها بالارادة القومية التى تسعى الى خلق الكيان العربى الكبير فى عصر الكيانات الكبرى ·· واذا كان هناك فى دنيا العرب من هم فى أقصى اليسار يرفضون عقائديا المفاهيم القومية لاهثين وراء مثالية الوحدة العالمية للبلوريتاريا فانهم فى عصرنا المتطور يبدون وكأنهم يعيشون فى زوايا نظريات القرن الماضى قبل أن تتطور مع طفرة الاقتصاد العالمى وتطور الاستراتيجية الدولية التى لا تسقط من حسابها كل ذرة رمل فى هذا العالم · ان الاتحاد السوفيتى لم يصبح الاتحاد السوفيتى الا بشعوبه وملايينه ومساحاته الهائلة وكل مقوماته التى صاغت وحدة الارادة السوفيتية ·· وكذلك الصين بكل ما تمثله من بشر وأرض وامكانيات أخرى ·· وأما البانيا فمع تقديرنا لمواقفها فانها بأقصى يسارها لا تزال هى البانيا بغير فعالية دولية ·· مجرد صوت دولى كبقية أصوات هايتى ونيكاراجوا وترنداد ·· لا يتجاوز تأثيرها أى أثر يمكن أن تلعبه امارة موناكو بأقصى يمينها ·· والسبب واحد ·· حجم الكيان ·· الذى يحدد حجم الفعالية الدولية ·· التى يتوقف عليها التأثير النهائى ·· فالكيان يحدد المصلحة ·· والمصلحة تفرض الصراع من أجل تحقيقها ثم الحفاظ عليها ·· **لذلك يوجد صراع بين الشرق والشرق ·· بين الصين والاتحاد السوفيتى ·· أى بين البلوريتاريا والبلوريتاريا ·· كما يوجد صراع بين الغرب والغرب ·· بين أوربا الغربية والولايات المتحدة ·· أى بين البورجوازية والبورجوازية · او بين الرأسمالية والرأسمالية** حسب درجات التصنيف التى يحلو استعراضها · وسيبقى الصراع يختفى ويظهر ·· يتستر أحيانا ويسفر أحيانا أخرى ·· ما دامت فى الكون مصالح · **والصراع لا يحتاج الى مجرد رغبة صراع ، وانما الى فعالية صراع ·· لان الصراع بدون فعالية صراع يصبح مجرد شعارات ·· وخيال مراهقة ·· وفقدان للذات ·· وتكسير للرأس على صخور جبل** ·· ونحن فى الوطن العربى الكبير نحتاج الى كيان عربى كبير يمثل مصلحتنا ويحدد حجم فعاليتنا وحجم تأثيرنا ·· ونحن فى سبيل ذلك يمكننا أن نعتمد على أنفسنا ، فلسنا فى حاجة الى نابليون أو قيصر أو موسولينى ينصر المسلمين ·· أو غير هؤلاء يحمون الطوائف الدينية الاخرى ·· نحن العرب الاخوة نحمى الاسلام والمسيحية ·· نحمى الشيعة والكاثوليك والسنة والارثوذكس والموارنة والدروز ·· نحمى كل هؤلاء ·· لاننا كل هؤلاء ·· نحمى الايمان وحرية العقيدة فى بلادنا مهبط الديانات وموطن الرسل والانبياء ·· ثم بالعلم نصنع فكرنا ·· فلا استيراد فكرى ·· ولا جمود فكرى ·· وانما امعان فكرى ·· امعان فى واقع كل جزء من أجزاء الوطن العربى ·· امعان فى اختيار الحلول الملائمة ·· الوطنية والقومية ·· امعان فى التنسيق بين مصالحنا الخاصة ومصلحتنا القومية ·· امعان فى صنع ارادتنا ·· ارادتنا القومية ·· » ·

.. **هذه هى الفقرة الكاملة التى شوهها الزميل الكريم** باقتطاف بعض اجزائها ثم عجنها بمقدمة من وحى خياله ، وهذه الفقرة لم تستهدف سوى دعوة العرب الى الوحدة العربية لخلق الكيان الكبير فى عصر الكيانات الكبيرة ، وهى لم تشر لا من قريب ولا من بعيد الى الانحياز الى الغرب والاهابة ـ كما ذكر الزميل الكريم « بقوة النظام الاقتصادى والتكنيكى الغربى وايديولوجيته » كما اراد الزميل الكريم أن يصوره من بنات اشعاره ، فهى فقرة منصبة على الدعوة الى الوحدة العربية القومية ، ولا شأن لى اذا كان الزميل الكريم ليس من دعاة الوحدة العربية القومية وانما من دعاة وحدة البلوريتاريا فى العالم ، فله رأيه الذى احترمه ولى رأيى القومى العربى الذى لن أكف عن الدعوة اليه .

ثانيا : استشهد بفقرة من مقالى المنشور فى أخبار اليوم بتاريخ ٥ ـ ٦ ـ ١٩٧١ تحت عنوان (الدين والتقدمية) فادخل على كل عبارة من عباراتى عبارات من عنده حتى ظهرت الفقرة التى استشهد بها ونسبها الى كما يلى :

« ان يتحرر الثوار والتقدميون من المعتقدات الشمولية المنقولة من المجتمعات الاخرى ، والتى تزعم لنفسها صفة الدوام ، عندما تفسر الانسان والطبيعة تفسيرا نهائيا يدعى غيبية لاهوتية جديدة باسم العلم او باسم الثورة والتقدمية » ذلك لانه ليس هناك حقيقة ثابتة على الاطلاق ـ كما يتخيلون ـ وليس هناك قانون موضوعى قط ، وليست هناك نظرية صحيحة أبدا ، بل ليست هناك فرضية مؤكدة وثابتة ، **وليس هناك معسكر صديق يمثل جانب الخير والعدل يمكن الاعتماد عليه والتعاون معه من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعى** » فــان التجـارب الاجتماعية ـ كما يكتبون لا تستطيع أن تؤدى الى خلق بديهيات اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية ، ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع ان الحقائق الاجتماعية غير ثابتة بل متطورة ومستمرة فى التطور ، اى أن الفرضيات الاجتماعية متحركة وبالتالى لا تخضع لاحكام هندسية ثابتة وبديهية » .

والذى يثير الدهشة ان الزميل الكريم فضلا عن اضافته عبارات من عنده على العبارات المستشهد بها فانه حرص على أن يحشر عبارة المعسكر الصديق استكمالا للصورة التى أراد أن يصورها من بنات افكاره **ظنا منه انه بذلك يخدم المعسكر الشرقى** ، ولذلك فاننى انقل الفقرة الاصلية المنشورة فى مقالى المذكور وهى كما يلى :

« وان تقدمية الميثاق العربى (المصرى) تتجلى فى أن الفكر الثورى لم يتجاهل الواقع الموضوعى للامة العربية .. وانما تعمق فى بحث وتحليل هذا الواقع الموضوعى العربى .. ليس من أجل الوصول الى تبريره كأمر واقع .. وانما للوصول الى الحلول العلمية الصحيحة التى مع احتفاظها بجوهر الدين تكفل تغيير الواقع الموضوعى مع فتح حوار علمى لتطوير هذه الحلول ذاتها حتى يتحرر الثوار والتقدميون من المعتقدات الشمولية المنقولة من المجتمعات الاخرى والتى تزعم لنفسها صفة الدوام عندما تفسر الانسان والطبيعة تفسيرا نهائيا يدعى غيبية لاهوتية جديدة باسم العلم أو باسم الثورة والتقدمية . لذلك أكد الميثاق العربى أن خصائص الشعوب ومقومات الشخصية الوطنية تفرض اختلافا فى منهاج كل منها لحل مشاكله .. وان التجارب الاجتماعية قابلة للدراسة المفيدة وليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار » . لكن الظاهر ان الزميل الكريم لم يسمع عن الميثاق العربى ، ولم يسمع عن علم الاجتماع ..

فهذه الفقرة مجرد شرح للميثاق العربى ، بل أن العبارة الاخيرة التى وردت فيها منقولة حرفيا من الميثاق العربى ذاته . ولا يزال الميثاق العربى موجودا وقائما . ولازلت مقتنعا بهذه الفقرة التى اوردها لاننى لا أزال مقتنعا بان التجارب مستمرة والاستفادة منها مستمرة ، كما لا أزال مقتنعا بان العلم يتطور والمجتمع يتطور . **فاذا كان الزميل الكريم يعتقد أن كارل ماركس قد اغلق على نفسه باب العلم ثم مات ، وانه على البشر حتى يوم القيامة أن يرددوا ما قاله دون أدنى تفكير او اضافه او استفادة من التجارب فاننى لا أعلم ان ذلك يتفق مع طبيعة العلم فى شىء .**

ثالثا ـ استشهد بفقرة من مقالى المنشور فى اخبار اليوم بتاريخ ٢٨ـ٨ـ١٩٧١ تحت عنوان (قومية الفكر) ففعل بها مثل ما فعل بالفقرات السابقة فكتب نقلا مشوها عنى ما يلى ، «وتأسيسا على ذلك فانه من الغرابة ان ينقسم العالم وتتوزع فئات وطبقات المجتمع الى قوى تقدمية وقوى رجعية ، فسمعنا عن اليمين ويسار اليمين ، وسمعنا عن يمين اليسار ، ويسار اليسار ، وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة تبتكر لنفسها اجتهادات جديدة ، ثم تطرحها فى شعارات ، وتلقى بها فى السوق » .

وحقيقة الفقرة المنشورة فى اخبار اليوم كما يلى : « فى القرن الماضى كان النفوذ الاجنبى يستغل الطائفية والعصبية الدينية فى الوطن العربى ، ولما اختفت هذه الظاهرة فى معظم اجزاء الامة العربية واخذت تختفى فى بقية اجزائها تحول النفوذ الاجنبى الى استغلال الحزبية التى اصبحت الاداة الجديدة والعصرية لاستمرار تمزيق الامة العربية . فسمعنا عن اليمين واليسار .. ثم سمعنا عن يمين اليمين ويسار اليمين .. وسمعنا عن يمين اليسار ويسار اليسار .. وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة تبتكر لنفسها اجتهادات جديدة ثم تطرحها فى السوق .. ويستمر تمزق العرب .. وتستمر طاحونة الخلافات غير الواقعية وغير العلمية تطحن

امكانيات العرب وتحسق قدراتهم وتقطع اواصر القربى بينهم فتعوق ميـــلاد الارادة العربيـــة العملاقة ٠٠ ولقد تنبه لذلك دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية الذى وقعه الابطال الثلاثة السادات والقذافى والاسد ٠٠ فنصت المادة ٦٢ من دستور الاتحاد على تكوين جبهة من الدول الثلاث تعمل على (تحقيق التفاعل والترابط بين جماهير الشعب فى جمهوريات الاتحاد وترسيخ اسس الديموقراطية وقيمها وتوحيد منطلقـات واساليب العمل السياسى فى الجمهوريات الاعضاء وخلق مناخ مـلائم لقيـــام الحـركة العربيـــة الواحدة) ٠ وهذا المناخ المناسب يحتاج الى تعميم قدر مناسب من ادراك المبادىء الاساسية التى تحكم الاطار العام الذى يحيط بالامة العربية من الناحية الكلية ٠٠ ويختلف فى اجزائها من الناحية التفصيلية ٠٠ معنىذلك ٠٠ اطار عام لكل الوطن العربى ٠٠ وانتباه خاص لظروف كل جزء من اجزائه ٠٠ ثم نظرية فكرية تشمل الاطار العام وتراعى الانتباه الخاص ٠٠ تستخلص من الظروف الموضوعية للوطن العربى ٠٠ تراعى تقـاليده الايجابية وفى مقدمتها الايمان ٠٠ تقيس امكانياته الحقيقية فلا تتجاوزها ولا تتقاعس عنهـا ٠٠ **فالتخلف لا يحدث فقط من مجرد اهمال الامكانيات الموجودة ، وانما يحدث ايضا من تجاوز حدود هذه الإمكانيات ، وتجاهل الحقائق المـوضوعية التى تتحرك بمعدل سرعة تطور يتفق مع طبيعة هذه الإمكانيات وطاقاتها** » ٠

يتضح من هذه الفقرة انها اشادة بما انجزه دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، وانها استمرار لدعـوتى الى الوحدة العربية القومية ، وانها تشجب التعصب الحزبى الذى يعوق تحقيق الوحدة العربية القومية ، وانها تحث على التفكير فى واقع الامة العربية ككل ، وفى واقع كل جزء من اجزائها كتفاصيل بغير مراهقة فكرية او جمود عقلى او كلمات محفوظة ورنانة كما نص الميثاق العربى (المصرى) حيث جاء فيه حرفيا فى بابه الثامن ما يلى « **والمراهقة الفكرية خطر ينبغى التصدى له والقضاء عليه ٠ ان الذين يجمدون الكفاح الوطنى بتفسيرات او قوالب تحد قدرته على الانطلاق، او تشيع فيه روح التردد انما يقللون من قوة المجتمع بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع الوطنى ٠ ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ٠ ان تحرير الطاقات الخلاقة لاى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى يعيش فيه ٠ ليس هناك شعب يستطيع ان يبدأ تقدمه من فراغ ، والاكان يتقـدم الى الفراغ ذاته ٠ ان الخطر فى المراهقة الفكرية فى هذه المرحله انما يخلق نوعا من الارهاب المعنوى يعرقل التجربة والخطأ** » ٠

هذه كلمات الميثاق العربى بذاتها التى تقيدت بمعانيها فى مقالاتى كلها ، والتى بسببها ، اى بسبب كلمات الميثاق ، وصفنى الزميل الكريم بانى من المثقفين المتـرفين المتـرهلين المتفسـخين البورجوازيين كنوع من الارهـاب المعنوى الذى أشار اليه الميثاق العربى ٠

واما عن التعاون الاقتصادى الدولى فقد ذكره الميثاق العربى فى بابه العاشر بقوله : « **ان التعاون الدولى من اجل الرخاء يصل بالسياسة الخارجية للجمهورية العربية الى الهدف النهائى الذى تسعى اليه سياستها الخارجية انعكاسـا لنضـالها الوطنى ٠ ان شعبنـا يمد يده لـجميع الشعوب والامم العاملة من اجل السلام العالمى والرخاء الانسانى ٠ ان التعاون الدولى من اجل الرخاء هو الامل الوحيد فى تطور سلمى يقرب ما بيـن مستويات الامم ، ويزرع المحبة بينها بديلا عن سموم الكراهية ٠٠** » ٠

كذلك استخدم الدكتوراسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولـة المصرى للتخطيـط ، وهو من قـادة الفكر التقدمى ، نفس الفاظى المنشورة بخصوص الاستعانة برؤوس الاموال الصديقة ، فقال سيادته فى حديثـه المنشـــور فى الاهــرام بتـــاريخ ٢٥ ـ ٤ ـ ٧٢ (**اما فيما يتعلق برأس المال العربى والاجنبى فأننا يجب ان نتخلص من عقدة الخوف**)

بقيت نصيحة ٠٠

ان عنوان مقال الزميل (اليمن بين التطـور الرأسمالى واللارأسمالى) عنوان غير علمى ٠ لانه لا يوجد تطور اقتصادى لا رأسمالى ، اى تطور بدون رأس مال ، ذلك لان التطور ٠٠ تطور ٠٠ اى انتقال من طور الى طور ٠٠ من حالة اقتصادية الى حالة اقتصادية أفضـل ٠٠ وهو مالا يمكن حدوثه بغير الاستعانة برؤوس اموال لتطـوير وسائل الانتاج وأساليبه وادارته ، وما الى ذلك من جميع عمليات تحرك المجتمع نحو الافضل سواء فى ظل النظم الاقتصادية الاشتراكية او فى ظل النظم الاقتصادية الحرة ٠ والنصيحة ان يكون عنوان الزميل (اليمن بين طريق التطور الاقتصادى الحر او الاشتراكى) ٠

اما محاولة تأثير الزميل الكريم علينا بمعاهدة الصداقة التى ابرمها الاتحاد السوفييتى مع مصر فامر لا يقل غرابة ٠٠ ذلك لان عقد هذه المعاهدة لم يحرم مصر من الاحتفاظ باستقلالها وبحرية ارادتها وبحرية الحركة الفكرية البناءة على اراضيهـا ضمن الاطار الذى رسمه ميثاقها ودستورها ، كما ان عقد هذه المعاهدة لم يهدم الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يضم تحالف قوى الشعب العاملة ،

ولم يفرض على المفكرين العرب ان يصبوا عقولهم في القالب الشيوعي ٠

وقد اكد هذا المعنى الحر الرئيس القذافي في افتتاح المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي الليبي فقال بمناسبة عقد الاتفاق السوفيتي الليبي : « ان العلاقات الليبية السوفيتية هي علاقات بين دولتين ، وانه لا يسمح باى نشاط شيوعي في ليبيا » ٠

على كل حال ٠٠

ان مقالاتي التي استشهد بها الزميل الكريم لم تخص اليمن بالذات كما قال ٠٠ ولم تدع الى الانحياز كما ادعى ٠٠ ولم تنصح بمصادر دولية معينة للتمويل كما حاول التشهير بها ٠

انها ذات معان استمدت جذورها من الميثاق العربي ومن دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية ٠

وهي مجرد اجتهادات مبدئية وكلية معروضة للشرح والتفصيل الذى يتقيد بأصول الاجتهاد ويستهدف نشر الوعي القومي ويؤمن بالكيان العربي الكبير ٠

وبعد ٠٠

انني اشكر الزميل الكريم لانه اوجد المبرر كي اتشرف بنشر بعض آرائي على صفحات الطليعة الغراء ٠٠

وهي اراء لازلت اعتقد انها صحيحة ٠٠ من وجهة نظرى بطبيعة الحال ٠٠

وقد اعدل عنها ٠٠ في وقت قريب او بعيد ٠٠ عندما يظهر لي خير منها ٠٠

ذلك ٠٠ لانني أومن بتطور العلم ٠٠

واومن بالاستفادة من التجارب ٠٠

بعد ان تجاوزت مرحلة المراهقة الفكرية ٠

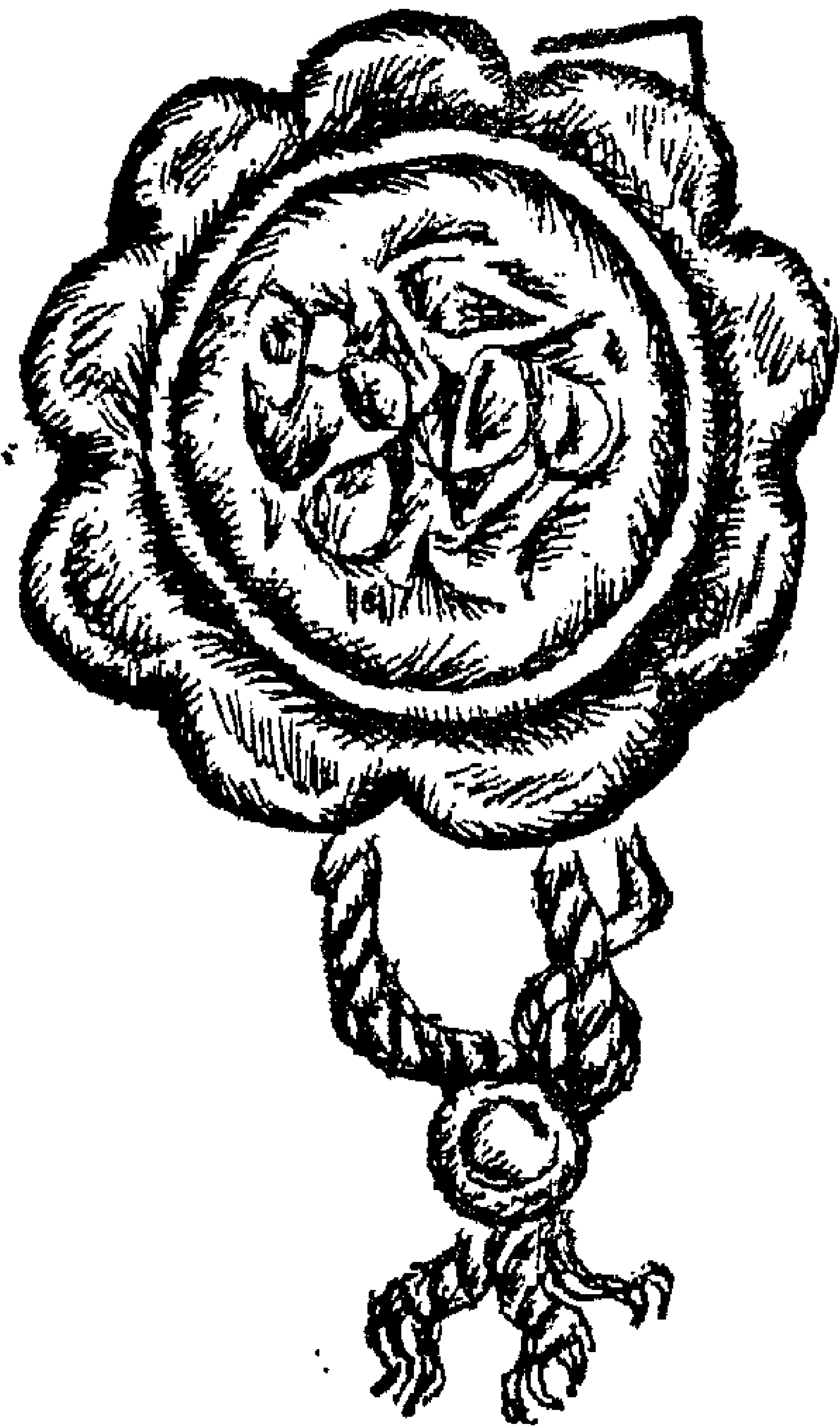
بسبب نشر محاضر لجنة العمل واللجنة السياسية، تعذر تقديم الجزء الاخير من « ٨٠ شهرا من حياة **الطليعة** » الخاص بالموقف من البرجوازية الوطنية ٠

وستقوم بنشره في العدد القادم ٠

وثائق

وثائق المؤتمر التأسيسى للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى المنعقد فى أهليش - المنطقة المحررة -

ديسمبر ـ ١٩٧١



تواصل « **الطليعة** » نشر وثائق حركات التحرر الوطنى فى العالم . وفى هذا العدد تقدم « **الطليعة** » البيان السياسى الصادر عن المؤتمر التأسيسى للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى الذى عقد فى ديسمبر ١٩٧١ فى « **أهليش** » بالمنطقة المحررة .

ان « **الطليعة** » بنشرها لهذه الوثيقة انما تحاول أن تلقى الضوء على أفكار ومواقف أحد الطلائع العربية التى تناضل بالسلاح وبالفكر الحر من أجل تحرير أرضها من الاستعمار والرجعية والتخلف .

١ البيان السياسي للمؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي

انطلاقا من القناعات والمواقف المشتركة وردا على مجمل المخططات الاستعمارية والرجعية في ساحة عمان والخليج العربي، وتتويجا لكل اللقاءات والخطوات العملية السابقة فقد عقدت قيادات الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي مؤتمرا توحيديا في نهاية عام ١٩٧١ لتوحيد ودمج الجبهتين في جبهة واحدة لصب كل المجهودات والطاقات من أجل تصعيد النضال ضد الاستعمار البريطاني وعملائه وخطوة أساسية هامة على طريق اقامة جبهة الشعب العريضة على امتداد ساحة عمان والخليج العربي •

ولقد وقف المؤتمر مطولا أمام الترتيبات والترقيعات التي خلقتها الدوائر الاستعمارية في الاونة الاخيرة على ضوء الانسحاب البريطاني المزعوم والتحركات السياسية والعسكرية العلنية والسرية الواسعة، التي تقوم بها الامبريالية والرجعية وما تهدف اليه هذه التحركات والمخططات من عرقلة لمسيرة الثورة الوطنية وتزييف لشعاراتها وأهدافها ولتثبيت مواقع الامبريالية ومصالحها في هذه المنطقة •

انه أمام ازدياد الثورة الشعبية المسلحة وصمودها في اقليم ظفار وتنامي النقمة الشعبية والمد الثوري المتعاظم في عموم الساحة وخطورة ذلك على مجمل المصالح الامبريالية الواسعة والاوضاع العشائرية المتخلفة في عمان والخليج العربي فقد طرح الاستعمار البريطاني مسألة انسحابه المزيف منها ليتسنى له ترتيب أوضاعه وأوضاع عملائه في هذه الساحة مستعينا بالامبريالية الامريكية وصنائعها في السعودية وايران لمواجهة مجمل التطورات الثورية فيها •

ولقد نشطت كل القوى الاستعمارية والرجعية بشكل ملحوظ وكثرت الاجتماعات والوفود والزيارات المشبوهة التي قام بها العملاء والمندوبون الامبرياليون للمنطقة طيلة الفترة الماضية ، كما تفتقت عبقرية الامبرياليين في طرح العديد من المشاريع الاجرامية لاحكام قبضتهم على شعبنا ومنعه بكل الوسائل من استلام مقدرات أموره بنفسه •• وبعد أن تفاهم الامبرياليون ووزعوا الحصص بينهم والادوار على عملائهم أعلنوا عن الاستقلالات المزيفة لكل من البحرين وقطر وسلطنة عمان واستمروا في ترقيع الاوضاع المهترئة في الجزء الشمالي من القطر العماني •

الا أن الدوائر الاستعمارية لم تكتف بتجزئة المنطقة وسلب خيراتها في الوقت التي تواصل فيه حرب الابادة ضد شعبنا في ظفار وانما عملت على تسليم جزء من أرضنا للحكم الاقطاعي العسكري الايراني العميل قبل لحظات من اعلان اتحاد العملاء المشبوه وقبل الاعلان الرسمي عن الانسحاب المزيف لبريطانيا من المنطقة •• والامبريالية تهدف من وراء ذلك الى اثارة وتعميق الاحقاد الشوفينية وضرب الشعبين العربي والايراني بعضهما بالبعض الاخر وتزييف طبيعة المعركة الدائرة في المنطقة كما تهدف الى تحقيق المطامع التوسعية للحكم الشاهنشاهي وخلق مرتكزات قمعية في هذه الجزر لاستخدامها ضد شعبنا وحركته التحررية العارمة •

ان الاحداث والتطورات السياسية الاخيرة قد دللت بالملموس ليس فقط على الارتباط العضوي بين الاسر العشائرية الحاكمة والاستعمار والرجعية العربية والايرانية وانما أيضا على خيانتها التامة واستعدادها المستمر للتضحية بالمصالح القومية والتراب الوطني ارضاء لاسيادها الامبرياليين لتواصل مشاركتهم استغلال الشعب ونهب خيراته •

ولقد أولت الدوائر الاستعمارية « سلطنة عمان » أهمية فائقة نظرا لمواقعها الاستراتيجية ولاشتداد الثورة المسلحة في اقليم ظفار والابعاد التقدمية – الايديولوجية والاستراتيجية التي اكتسبتها بعد مؤتمر حمرين وأثر اندلاع الكفاح المسلح في عمان الداخل سارعت الدوائر البريطانية الى تنفيذ مخططها الجديد حيث قامت بتغيير سعيد بن تيمور بابنه قابوس وعملت على تجميع العملاء والمتساقطين بدأت حملة تضليلية واسعة لضرب الثورة من الداخل وسحب التأييد الجماهيري عنها وتزييف الشعارات الوطنية التي ترفعها •• الا أن صمود الثورة المسلحة في ظفار وقدرتها على احباط مؤامرة العملاء الانقسامية التي قامت في ١٢ سبتمبر ١٩٧٠ م والانتصارات التي حققها جيش التحرير الشعبي والمليشيا الشعبية ونهوض الحركة الجماهيرية في عموم السلطنة قد أجبر الدوائر الاستعمارية على كشف المزيد من مخططاتها القذرة حيث بدأت بارسال اعداد متزايدة من الجنود البريطانيين والمرتزقة لمحاربة الثورة •

ان الامبرياليين يدركون جيدا عمق التناقض الاساسي القائم بينهم وبين جماهير شعبنا الكادحة وهم يعملون بشتى الوسائل على تدعيم جبهتهم وتخفيف حدة التناقضات بين صفوفهم عن طريق النهب المتزايد لثروتنا وفتح أسواق المنطقة للمزيد من الاحتكارات الرأسمالية وعن طريق التنازلات الشكلية فيما بينهم والتداخل الواسع والتشابك بين مصالحهم بعضهم البعض •• ان مجمل هذه المخططات الاجرامية انما يقع عبئها على عاتق جماهير شعبنا وخاصة فئاته الوطنية وطبقاته الكادحة والمسحوقة التي تعاني بشكل متزايد من القهر القومي والطبقي •

انه أمام وحدة الامبرياليين والرجعيين ومخططاتهم الشرسة في منطقتنا يتوجب على قوى الشعب الكادحة وفئاته الوطنية أن تقف صفا واحدا للتصدي لهذه المخططات والدفاع عن التراب الوطني وتحرير المنطقة من الاستعمار القديم والحديث وتحقيق الاهداف الوطنية والديمقراطية التي قدمت من أجلها جماهيرنا الالاف من الشهداء • وانه أمام وحدة الامبرياليين والرجعيين وجبهتهم الموحدة فان على قوى الثورة أن تتحد وتتضامن وتقيم الجبهة الوطنية الواحدة للتصدي لجبهة الامبرياليين والرجعيين وافشال جهودهم •

انه أمام هذا الفهم العلمي والصحيح لطبيعة التناقضات القائمة على ساحة عمان والخليج العربي وقواه الاساسية والثانوية والتزاما بالمسئولية التاريخية التي تتحملها كل من الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي فقد عقد المؤتمر التأسيسي للجبهة الموحدة في احدى المناطق المحررة في اقليم ظفار ، حيث ناقش المؤتمر مجمل هذه المسائل الملحة والخطوات العملية التي يجب اتخاذها •

وفي جو مفعم بالايجابية والروح الثورية العالية توصل المؤتمرون الى القرارات والانجازات الهامة التالية :

١ – دمج الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل والجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي في جبهة واحدة تحت اسم « الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي » •

٢ – مناقشة واقرار برنامج العمل الوطني الديمقراطي والنظام الداخلي المقدم من قبل اللجنة التحضيرية •

٣ – انتخاب قيادة موحدة للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي •

ان هذه القرارات والخطوات الثورية التي تم انجازها تشكل ولا شك مدخلا حقيقيا وثوريا لتكتيل كل القوى والفئات الوطنية المخلصة ورصها في جبهة متحدة عريضة لتعبئة طاقات الجماهير وامكانياتها للتصدي للعدو الاستعماري والرجعي • ان اقامة الجبهة الكفاحية العريضة على ساحة عمان والخليج العربي ومد الكفاح المسلح واعتباره الشكل الاساسي والاستراتيجي وتصعيد النضالات الجماهيرية الاخرى وتجذير شعاراتها هي المهمات الاساسية الاولى

المطروحة أمام الثورة في هذه المرحلة الخطيرة ٠

ان المؤتمر التاسيسي للجبهه الشعبيه لتحرير عمان والخليج العربي يحيي جمهورية اليمن الديمقراطيه الشعبيه والانتفاضات الجماهيريه الواسعه للفلاحين الفقراء والصيادين ويشيد بموقف الثورة البطولي الصامد داخليا وخارجيا الى جانب الثورة في عمان والخليج العربي ، ويعلن عن وقوفه المطلق الى جانبها في وجه كل المخططات الامبريالية والرجعية التي تستهدف عرقلة مسيرة الثورة والاطاحة بنظام الحكم التقدمي فيها ٠٠ كما يؤكد المؤتمر على ضرورة تطوير وتمتين العلاقات الكفاحية والتنظيمية بين التنظيمين الطليعيين ـ الجبهة القومية والجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ٠

كما يحيي المؤتمر نضال الشعب اليمني في الشمال من أجل الاطاحة بالنظام الاقطاعي الرجعي واقامة يمن ديمقراطي موحد ٠

ويحيي المؤتمر التاسيسي ـ نضال الجماهير وقواها التقدمية في ساحة الجزيرة العربية لاسقاط الحكم الاوتوقراطي العميل فيما يسمى بالسعودية ويدعو الى تعزيز وتقوية العلاقات بين فصائل الثورة الوطنية الديمقراطية في شبه الجزيرة العربية ٠

كما يحيي المؤتمر نضال الشعب الايراني ضد الحكم الاقطاعي العسكري العميل ويعلن عن وقوفه الى جانب قواه التقدمية وضرورة تعزيز العلاقات الكفاحية بين الشعبين العربي والايراني لاسقاط كافة المخططات الامبريالية والرجعية المستهدف ضربهما وتعميق النزعات الشوفينية بينهما ٠

يعلن المؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبيه لتحرير عمان والخليج العربي عن وقوفه المطلق مع الثوره الفلسطينية المسلحة وقواها الوطنية ويرى ان وحدة العمل الفلسطيني والالتزام باستراتيجية الحرب الشعبية الطويلة الامد وتعبئة طاقات الجماهير الفلسطينية هي الطريق الصحيح للرد على مجمل الحلول الاستسلامية والمؤامرات الرجعية والعميلة التي تستهدف تصفية الثورة الفلسطينية وتكريس الكيان الصهيوني ٠

ان ترابط الثورة في عمان والخليج العربي وفلسطين هو ترابط عضوي ومتين ويؤكد على ضرورة تنسيق وتعبئة الجهود ضد العدو المشترك ٠٠ ان القاعدة الاستعمارية في فلسطين انما هي مخفر حراسة للمصالح الامبريالية في عموم الوطن العربي ومن ضمنها الثورة البترولية الهائلة في عمان والخليج العربي ٠٠ ان المؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي يؤكد ضرورة اقامة العلاقة الوثيقة بين قوى الثورة الفلسطينية الحقيقية والثورة المسلحة في عمان والخليج العربي ٠

يؤكد المؤتمر التاسيسي على ضرورة اقامة الجبهة العربية التقدمية لتعبئة الطاقات وتنسيقها بين القوى الثورية التقدمية في الوطن العربي في مواجهة الهجمة الامبريالية الواسعة المستهدفة تصفية مواقع الثورة العربية وتكريس الانظمة الرجعية ومصالح الامبرياليه العالمية في المنطقة العربية ٠

يعلن المؤتمر التاسيسي عن وقوفه الى جانب حركات التحرر الوطني في القارات الثلاث وعن وقوفه الى جانب قوى التقدم الاشتراكية في نضالها العادل ضد قوى الامبريالية والراسمالية العالمية ٠

٢

برنامج العمل الوطني الديمقراطي المقر في المؤتمر التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي

ـ ١ ـ

المقدمة

لقد كانت ساحة عمان والخليج العربي موضع اطماع المستعمرين في العصر القديم والحديث نتيجة لموقعها الاستراتيجي الهام على خطوط المواصلات البحرية العالمية ولما تضمه اراضيها من ثروات معدنية كبيرة ياتي على رأسها البترول ٠٠ فلقد تعاقب على استعمارها البرتغاليون والهولنديون حتى تمت السيطرة البريطانية على هذه المنطقة في نهاية القرن الثامن عشر ٠

ولقد كرست بريطانيا احتلالها العسكري للمنطقة من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي فرضتها على شعبنا بالتعاون مع الحكام والاسر العشائرية العميلة ، فمن معاهدة ١٧٩٨ في مسقط والمعاهدات التي تلتها والتي حولت السلطنة بموجبها الى مستعمرة بريطانية كاملة الى اتفاقيات الهدنة والصداقة المزيفة التي عقدتها مع أمراء الساحل وقطر والبحرين والكويت انتهاء بالمعاهدات والاتفاقيات التي اعطت بريطانيا بموجبها الاستقلالات المزيفة واعطت بريطانيا الحق في التدخل لحماية هذه الاسر العشائرية وتثبيت مصالح وسيطرة الامبريالية على هذه المنطقة ٠

ومنذ ان تمت للاستعمار البريطاني السيطرة الكاملة على ساحة عمان والخليج العربي الممتدة من ظفار جنوبا حتى الكويت شمالا ـ وهو يمارس أبشع سياسات القمع والارهاب والاستغلال على شعبنا ٠

ولقد قاوم هذا الشعب ببسالة في كل مكان غزو الامبريالية البريطانية لارضه كما قاوم من قبل وبنفس البسالة غزو الاستعمار البرتغالي والهولندي حيث قدم الالاف من الشهداء في معارك رأس الخيمه (١٨٠٦ ـ ١٨٢٠) والجبل الاخضر (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨) والبحرين (١٩٦٥) وظفار ، اضافه الى الانتفاضات الجماهيريه الواسعة التي شهدتها كل الاقاليم مطالبه بالحقوق الوطنيه والديمقراطيه ٠

ان الطبيعه الاقطاعية والقبلية والاقليميه والبورجوازيه احيانا التي مثلتها قيادات انتفاضات الشعب طوال قرن ونصف من الزمن هي السبب الاول في انتكاس تلك الانتفاضات وتوقفها قبل احراز النصر ٠

فلقد كانت تلك القيادات دائما تخون شعبها وتجر نضالاته البطولية في طرق خاطئة واستسلامية وكانت تتواطأ مع الامبرياليين والرجعيين ٠

وبعد سلسلة طويلة من التجارب النضالية في مقاومه الاحتلال ومن خلال الدروس التاريخية الكبرى التي اكتسبها الشعب من تلك التجارب بما فيها من نقاط ضعف كبيرة ومن انتكاسات وخيانات ، اختطت جماهيرنا لنفسها ولاول مرة طريقا صحيحا جديدا كل الجدة وبدأت المسيرة الطويلة على هذا الطريق في يوم التاسع من يونيو عام ١٩٦٥ ٠

ان الامبريالية البريطانية لم تكتف بفرض السيطره على شعبنا وبزرع قواعدها العسكرية في كل أرجاء الوطن ولم تكتف بعملية الاستغلال والاضطهاد وبنهب ثرواتنا ومدخراتنا الوطنية كما لم تكتف بتحويل المنطقة الى سوق مفتوحة لبضائعها وبضائع شريكاتها من الدول الامبريالية الاخرى بل عمدت فوق كل ذلك الى تفتيت المنطقة سياسيا وتحويلها الى مجموعة كبيرة من السلطنات والمشيخات والكيانات السياسية الهزيلة ٠

ان هدف الاستعمار البريطاني من هذه التجزئة هو اضعاف المنطقة وعزل جماهيرها بعضها عن البعض الاخر وزرع التناحرات المصطنعة والنعرات المحلية الاقليمية بين كل جزء واخر حتى يسهل له بذلك اخضاعها واستغلالها لاطول مدة ممكنة ٠

ان النمو المتعاظم للثورة الشعبية المسلحة في ظفار واندلاع العمل المسلح في عمان الداخل في يونيو ١٩٧٠ كامتداد لثورة التاسع من يونيو ١٩٦٥ مع تزايد السخط والنقمة الشعبية ضد الاحتلال والسيطرة البريطانية في جميع ارجاء الوطن قد دفعت بالامبريالية البريطانية الى انتهاج سياسة استعمارية جديدة تتمثل في تحديث وجودها الامبريالي في الجزء الشمالي من المنطقة عن طريق سحب بعض قواعدها وقواتها من الاقاليم

الشمالية واعطائها استقلالات شكلية زائفة كدول نائمة بذاتها •

ان ما يسمى بدولة الامارات العربية المتحدة التى اقامتها القوى الامبريالية الانجلو ـ أمريكية فى الجزء الشمالى من عمان وبالتعاون مع عملائها الحكام الرجعيين ان هذا الكيان الزائف لا يخدم الا مصالح اصحابه من الامبرياليين والرجعيين وهو تشويه فظ لرغبة جماهير الشعب ونضالها من أجل انهاء مأساة التمزق الوطنى وتحقيق الوحدة •

انه بالرغم من كل ادعاءات ومظاهر الانسحاب البريطانى العسكرى من الاجزاء الشمالية من ساحة عمان والخليج العربى وبالرغم من كل المحاولات والمخططات الامبريالية الرامية الى اضفاء الطابع الوطنى والديمقراطى على الاقاليم المحتلة وشبه المحتلة والانظمة الرجعية العميلة ، فان القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية تحاول أن تشدد قبضتها اكثر على هذه الاقاليم فى اشكال وطرق أخرى متعددة •

انه فى الوقت الذى يقوم فيه الامبرياليون بسحب بعض قواعدهم العسكرية المكشوفة والعلنية ينشطون فى العمل لارساء القواعد السرية وتعزيز القواعد المجاورة •

وانهم فى الوقت الذى يقومون فيه بسحب بعض القطع من جنود الاحتلال يحاولون اضفاء الطابع المحلى على الحرب ويعززون ويوسعون الجيوش المرتزقة ويزيدون من خضوعها لقياداتهم العسكرية الامبريالية •

انه فى الوقت الذى تعلن فيه بريطانيا عن انسحابها العسكرى من بعض الاقاليم يزداد حضور وكثافة القوات البحرية الامريكية فى مياه الاقاليم ويزداد تعزيز الامبريالية الامريكية لجيوش الرجعيتين الايرانية والسعودية اضافة الى تعزيزها لقواعدها الامبريالية فى كل من الجزيرة وايران •

ان تمادى حكام المنطقة المحليين فى عمالتهم وتواطئهم مع أسيادهم الامبرياليين قد أوصلهم الى حد الاتفاق مع القوى الامبريالية على تسليم الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى للرجعية الايرانيةالتى قامت بانزال قواتها فى هذه الجزر محولة اياها الى مخافر قمع ضد ارادة شعبنا ونقاط تحكم فى مداخل الخليج العربى لصالح القوى الامبريالية واحتكاراتها البترولية •

ان الدول الامبريالية لا تساوم على مصالحها وكذلك الرجعية المحلية المتعاونة معها •

ان الامبريالية الانجلو امريكية ومعها كل الرجعيين والحكام العملاء يحاولون اليوم وينشطون بعدة أشكال لاعادة تركيب الاوضاع العسكرية والسياسية فى عموم ساحة عمان والخليج العربى والجزيرة العربية بالشكل الذى يتوافق ومصالحهم المشتركة أمام المد الثورى المتصاعد والنزعة الوطنية الديمقراطية العارمة والمتعاظمة فى كل الساحة •

انهم لاشك سيسلكون كل الطرق الممكنة لحماية انفسهم وحماية مصالحهم وسيستخدمون كل الوسائل التى لديهم من حرب الابادة والارهاب الجماعى والقمع الى التنازلات الجزئية والاصلاحات والوعود والطلاوات الزائفة وهذه مسالة ملموسة تماما ومنطقية تماما •

ان شعبنا أيضا مضطر الى استخدام كل الوسائل الكفيلة بانتزاع حريته واستقلاله وانقاذ الوطن وهذه مسالة اصبحت ملموسة تماما للامبرياليين والرجعية وهى مسالة منطقية تماما فى مفهوم الشعب •

ـ ٢ ـ

من هم اعداء الشعب ومن هى الطبقات الوطنية ؟

انه من فهمنا لطبيعة المجتمع فى عمان مستعمر فى بعض أجزاء منه وشبه مستعمر فى بعض أجزاء منه وشبه اقطاعى نستطيع القول بان اعداء الشعب والثورة فى المرحلة الراهنة هم الامبرياليون والاقطاعيون وسائر العملاء الخونة •

ان البورجوازيين الكمبرادوريين يتواطاون مع الامبريالية والاقطاع ويشتركون معها فى فرض الدكتاتورية والاضطهاد على شعبنا فهم لذلك يدخلون فى عداد اعداء الشعب والثورة •

ان الطبقة العاملة والجماهير الفقيرة من الفلاحين الفقراء هى الغالبية الساحقة من الشعب وهى التى تعانى اكثر من غيرها من اضطهاد الامبرياليين والاقطاع والكمبرادور ، ومن هنا فان طبقتى العمال والفلاحين هما القوتان الاساسيتان المحركتان للثورة وتشكلان جسمها الاساسى والغالب •

ان البورجوازية الصغيرة فى المدن والارياف تعانى أيضا من اضطهاد اعداء الثورة من امبرياليين واقطاع وكمبرادور ، ولذا فان البورجوازية الصغيرة تعتبر فى غالبيتها حليفا أساسيا للثورة ولطبقتى العمال والفلاحين الفقراء •

ان الاستعمار البريطانى والرجعية العربية والايرانيةيحاولون بشتى الوسائل تزييف طبيعة الصراع فى المنطقة لتحويله من صراع ضد الوجود الاستعمارى وعملائه الطبقيين الى صراع شوفينى بين العرب والاقليات القومية التى توافدت على ساحة عمان والخليج العربى مع اكتشاف النفط ويفتعلون ويسعرون العداء بين العرب والايرانيين •

ان الثورة تعتبر كل القوى التى تقف الى جانب المستعمر والاسر العشائرية قوى عدوة لها بغض النظر عن انتماءاتها القومية ، كما أنها تقف وتناضل مع كل الطبقات والفئات الكادحة والمسحوقة فى عمان والخليج العربى بغض النظر عن أى انتماء قومى كان وتدعو كل هذه الطبقات والفئات الى المساهمة فى الثورة والوقوف الى جانب القوى الوطنية العاملة على تحرير المنطقة من كافة أشكال الاستعمار والانظمة الرجعية •

ـ ٣ ـ

ضرورة اقامة وتوسيع الجبهة المتحدة العريضة

انه فى مواجهة اعداء متعددين كالذين نواجههم ، ومن أجل احراز النصر عليهم فى كل ساحة عمان والخليج العربى لابد من استنهاض الشعب كله ضد الامبريالية وحلفائها الرجعيين من أمراء وسلاطين واقطاع وكمبرادور •• ففيما عدا الاقطاع والكمبرادور وسائر الخونة فان جميع الطبقات الاخرى والتى لها مصالح مشتركة فى مقاومتهم جميعا ينبغى أن تتحد وتتضامن فى جبهة واحدة عريضة •

ان الجبهة المتحدة هى جبهة تحالف كفاحى بين جميع الطبقات والقوى الوطنية فى الشعب •

اننا بقدر ما نؤكد على ضرورة تحالف كافة الطبقات الوطنية واقامة جبهة الشعب العريضة على امتداد الساحة كشرط للانتصار على كافة اعداء الشعب وانزال الهزيمة الساحقة بهم فى كل اقليم من ساحة عمان والخليج العربى نؤكد أيضا على ضرورة قيادة الطبقة الاكثر جذرية فى المجتمع للثورة والجبهة كشرط أساسى لابد منه لانجاز مهام الجبهة المتحدة العريضة واحراز النصر النهائى •

اننا بالنضال وحده نستطيع توحيد جميع القوى المناهضة للامبريالية والرجعية •• ان مثل هذه الوحدة الكفاحية لا يمكن أن تتحقق اذا سعينا اليها بالتنازلات أو بالعمل السياسى الهين •

ـ ٤ ـ

اشكال النضال ضد الامبريالية وحلفائها الرجعيين

انه فى مواجهة الامبرياليتين البريطانية والامريكية وحلفائهما الطبقيين الرجعيين لابد للثورة فى عمان والخليج العربى أن تكون ثورة شعبيةواسعة مادتها الاساسية الجماهير صانعة الحضارة والتاريخ لاى مجتمع والحصن الحديدى لاية ثورة حقيقية •

وفى مواجهة اعداء كهؤلاء ومن أجل تحقيق دحرهم الى النهاية لابد للثورة فى عمان والخليج العربى أن تكون ثورة طويلة الامد وتبنى استراتيجيتها وتكتيكاتها السياسية والعسكرية على هذا الاساس •

وفى مواجهة اعداء كهؤلاء ومن أجل تحقيق دحرهم الى النهاية لابد للثورة فى عمان والخليج العربى أن تكون ثورة مسلحة ، تستخدم بشكل جيد العنف الثورى فى تحطيم العنف الامبريالى الرجعى •

انه بدون هذا العنف وبدون العمل على تدمير قوات العدو وأجهزة قمعه لن نتمكن

اطلاقا من انتزاع السلطة السياسية في أي جزء أو اقليم من أقاليم عمان والخليج العربي وتحقيق المحافظة على الثورة ٠٠

ان الاعداء متفوقون لاشك في أدوات القمع على شعبنا المتخلف والمضطهد والاعزل من السلاح ، ولكن هذا التفوق هو لا شك أيضا تفوق مؤقت سنتمكن تدريجيا من ابطاله وتبديده بفضل جهودنا الثورية ومثابرتنا على النضال الطويل ٠

ان الحرب الشعبية الطويلة الامد هي الطريقة التي نستطيع بها تحويل قوة العدو المؤقتة الى ضعف وضعفنا المؤقت الى قوة متعاظمة باستمرار ٠

ان تأكيدنا على خط الكفاح المسلح باعتباره الشكل الاساسي والاستراتيجي في النضال وعلى ضرورة استخدام العنف في كل الاقاليم لا يعني اطلاقا اننا ينبغي أن نعرض عن الاشكال الاخرى في النضال ٠

ان النضال المسلح اذا لم تدعمه نضالات باشكال أخرى متعددة لا يمكن أن ينتصر ٠

ان هناك دائما عامل أساسي وعوامل ثانوية مساعدة وينبغي أن نأخذ بهذه العوامل دون أن نخلط بينها أو نعكسها ٠

ان الامبريالية وحلفائها من الحكام المحليين وسائر الرجعيين يركزون اكثر قوتهم ونشاطهم في المدن والمدن الرئيسية ، لذا وبالمنطق البسيط فان على الثورة أن تركز على المناطق الريفية والمناطق الريفية الاكثر تأخرا وتعمل على تحويلها الى قواعد انطلاق قوية والى مواقع ثورية كبرى في كافة المجالات ٠
ان هذا لا يعني اطلاقا انه يصبح لنا أن نهمل وضع المدن ٠٠ فالثورة التي عليها أن تنطلق من الارياف لا يمكن أن تستمر وتنتصر ما لم يرافقها ويدعمها نضال ثوري في المدن وما لم يمتد النضال الثوري ليشمل كل الساحة بأريافها الواسعة وبمدنها حيث توجد مراكز وقواعد العدو الاساسية ٠

— ٥ —

الطبيعة التاريخية للثورة

ما هي طبيعة الثورة في عمان والخليج العربي من مرحلتها الراهنة ؟

بما أن أعداء الثورة يتمثلون بالامبريالية والاقطاع والطبقة البورجوازية والكمبرادورية فان هذا يدلنا على :

١ – ان الثورة ينبغي أن تكون وطنية للاطاحة بالامبريالية وتحقيق الاستقلال ٠
٢ – وان الثورة ينبغي ان تكون ديمقراطية جذرية للاطاحة بحلفاء الامبريالية من أنظمة حكم عشائرية أوتوقراطية ومن اقطاع وكمبرادور ٠

ان هذا يعني أن الثورة في عمان والخليج العربي هي ثورة وطنية ديمقراطية ، وانه بدون القيام بصورة صحيحة بالمهام الديمقراطية الشعبية فان الثورة ستجد نفسها عاجزة حتى عن كسب المعركة الوطنية ٠

ان المهمتين الثوريتين مرتبطتين ببعضهما أشد الارتباط ، وايضا فان الطبيعة الديمقراطية للثورة ينبغي أن تكون مختلفة تماما عن طبيعة الثورة الديمقراطية البورجوازية ٠٠ اذ لابد من حل مهام الثورة الديمقراطية من مداخل اكثر تقدمية وأكثر جذرية ٠

ان الديمقراطية التي تناضل من أجلها الثورة وتتطلع اليها الجماهير الغفيرة من شعبنا هي لا شك ديمقراطية من طراز جديد ، ديمقراطية جديدة وثورية ٠

— ٦ —

مهام الثورة الوطنية الديمقراطية

أولا : على الصعيد المحلي :

١ – تحرير المنطقة من كافة أشكال الوجود الاستعماري وتحقيق الاستقلال الناجز والقضاء على انظمة الحكم العشائرية الاوتوقراطية ٠

٢ – القضاء على التجزئة وتحقيق وحدة المنطقة السياسية ٠

٣ – القضاء على الاقطاع بكافة اشكاله وتوزيع الاراضي على الفلاحين المعدمين واقامة التعاونيات والمزارع الجماعية ٠

٤ – القضاء على العبودية وتصفية كافة بقايا علاقات الرق ٠

٥ – بناء نظام سلطة الديمقراطية الشعبية ٠

٦ – انهاء سيطرة واستغلال الطبقة البورجوازية الكمبرادورية ٠

٧ – تصفية الاحتكارات الاجنبية بكافة اشكالها ٠
٨ – تحرير السوق الوطنية من الارتباط بعجلة السوق الراسمالية العالمية ٠

٩ – بناء اقتصاد وطني مستقل ذو قاعدة صناعية وزراعية ثقيلة ٠

١٠ – اطلاق حريات ومبادرات الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة ٠

١١ – تعبئة طاقات الشعب سياسيا وعسكريا ٠

١٢ – بناء جيش ثوري قوي ٠
١٣ – العمل على الغاء فوارق التخلف بين الارياف والمدن ٠

١٤ – مكافحة الثقافة الاستعمارية الرجعية وبناء ثقافة وطنية ثورية ٠

١٥ – العمل على تحرير المرأة من كافة اشكال الاضطهاد السياسي والاجتماعي والعائلي ٠

١٦ – محاربة الظلم الاجتماعي والعمل على توفير العيش الكريم لكل مواطن ٠

١٧ – محاربة أسباب الفساد الخلقي والاداري والسياسي ٠

١٨ – محاربة الجهل والمرض وكافة مظاهر التخلف في المجتمع ٠

١٩ – ضمان الحقوق الكاملة للاقليات والجاليات الاجنبية ٠

٢٠ – حرية العقائد والمذاهب الدينية ٠
ثانيا : على الصعيد العربي :

١ – تعزيز العلاقة الكفاحية بين الثورة في عمان والخليج العربي والثورة في اليمن الديمقراطي مع السعي لاقامة ارقى اشكال العلاقة التنظيمية بين التنظيمين الطليعيين الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي والجبهة القومية ومن أجل اقامة جبهة واحدة عريضة على امتداد ساحة عمان والخليج العربي واليمن ٠

٢ – العمل على وحدة الفصائل الوطنية التقدمية في الساحة العربية ٠

٣ – المساهمة الفعالة في حركة الثورة العربية لانجاز مهام المرحلة الوطنية الديمقراطية وبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد ٠

٤ – اقامة أوثق العلاقات مع الجماهير الشعبية العريضة في الامة العربية باعتبارها القوى الاساسية والحاسمة في الصراع بين جماهير الشعب العربي من جهة وبين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية من جهة أخرى ٠

٥ – تعرية وفضح الانظمة العربية الرجعية والعميلة لقوى الامبريالية والصهيونية ٠

٦ – اعتبار وحدة فصائل العمل الوطني الفلسطيني وشن الحرب الشعبية الطويلة الامد ضد الصهيونية والامبريالية العالمية ومصالحها في المنطقة هما الطريق الصحيح الى تحرير فلسطين وانهاء الكيان الصهيوني ٠

ثالثا : على الصعيد العالمي :

١ – اعتبار الثورة الوطنية الديمقراطية في عمان والخليج العربي جزء من حركة الثورة الوطنية الديمقراطية العالمية ٠

٢ – الالتزام بدعم ومساندة نضالات الشعوب في القارات الثلاث آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في صراعها العادل ضد قوى الاستعمار والاستعمار الجديد والكيانات والحركات العنصرية في العالم ٠

٣ – الوقوف الى جانب القوى الاشتراكية والتقدمية في العالم في صراعها التاريخي ضد قوى الامبريالية والرأسمالية العالمية ٠

« انتهى »

رسالة موسكو : هاملت الشباب الغاضب

الطليعة

ملحق الأدب والفن

العدد الخامس — مايو ١٩٧٢

أدب الستينات

تقييم شامل للموجة الجديدة

يشرف على التحــرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شــكرى
محمود درويش
ســمير فريــد
صــبرى حافظ



يحيى الطاهر عبد الله
« الفخاخ منصوبة للمحبين »



جون أسبورن
والمقاطعة الثقافيــة



يوسف ادريس
وبيت من لحم

فى هــذا العــدد

أدب الستينات

نشرت « **الطليعة** » عـام ١٩٦٩ مجموعتين من الشهادات الواقعية للجيل الادبي الجديد في مصر والوطن العربي • وقد كانت هذه الشهادات في مجموعها وخطها العام أقرب الى « الوثيقة » التى أوضحت طبيعة التكوين الفكرى والاجتماعى لابناء هذا الجيل • ولكن الوثيقة الادبية تظل ناقصة ما لم تكتمل بالانتاج الفعلى لهذا الجيل ، فالابداع الفنى هو التعبير الاكثر حياة وصدقا من الكلمات التقريرية المباشرة •

لذلك ، فقد رأى « **الملحق** » ان يتابع ما بدأته « **الطليعة** » من قبل بمجموعة من الدراسات النقدية للانتاج الفنى الذى تواضعنا على تسميته بأدب الستينات تمييزا له عن ادب الاجيال السابقة، فقد كانت « **الستينات** » هى المرحلة الزمنية التى تفجرت خلالها هذه الحساسية الجديدة فى الخلق الفنى عند الشباب • ولان هذه الحساسية قد أبدعت آثارها الادبية على نحو بالغ التعقد والتركيب ، نتيجة للتجربة الانسانية والاجتماعية المعاصرة التى عاشها هذا الجيل ، فأن أى حكم لها او عليها لن يتم بصورة موضوعية أمينة الا اذا تعرفنا بشكل تفصيلى على مختلف الالوان والخطوط والظلال التى تتكون منها هذه الحساسية •

ومن هنا ، سيوالى « **الملحق** » تقييمه لابرز العلامات ــ فى الشعر والقصة القصيرة ــ التى سجلها أدباء جيل الستينات على صفحة أدبنا الحديث •

وفى هذا العدد ، نبدأ بدراستين ، أولاهما حول **شعر محمد عفيفى مطر** ، وقد نشر له الملحق قصيدة « **اشتهاء الملكة** » فى عدده الاول • والثانية حول قصص **يحيى الطاهر عبد الله** ، وينشر له الملحق نموذجا من انتاجه فى هذا العدد •

(١)

ملامح الوجه التراجيدى

« لقد ولـدت ميتـا
فنفخت فى صورتى الفصول
وغسلت ملامحى بالجوع والحقول
فجئتكم لـكى أقول
أو أموت لو ظللت صامتا »

محمد عفيفى مطر

من دفـتر الصمت
الى كتــــاب
الأرض والــدم

غــالى شــكرى

لعله أقرب شعرائنا منا ، وأبعدهم عنا ، فى وقت واحد. انه لا يتوكأ على اللحظة العابرة فى حياتنـا مهما بلغت درجة اثارتهـا ، ولا يتوسـل الينا باللفظة الطازجة أيا كانت درجة لمعانها .. وانما هو قد اختار لنفسه منذ البداية طريقا عسيرة غاية العسر، عليه وعلينا ،طريقا تستحوذ خطوات السائرين فيها على ما هـو أعمق من قشرة الزمان الخارجى للحظـة التى نعيشها الان وما هو اكثر حياة من اللفظة التى اعتادت تداولها السنة هذه الايام . أن محمـد عفيفى مطر لا يستهين مطلقـا بلحظتنا الراهنة ، ولكنه يضعها فى مكانها الطبيعى من سـياق الزمن . وهـذا السياق وحده هو الذى يعنيه ، يستخرج لنا مكنونات جوهره وسره الدفين ، ومن ثم يتدفق شعره من باطن الارض العميق بادئا بالجـذور مـارا بالاغصـان والفـروع والاوراق منتهيا بالزهور والثمار.

انه يعطينا الشجرة بأكملها ، وعلى مر الفصول كلها ، لا يتوقف عند موسم بالذات يتناسب مع هوانا العابر . ولانه كذلك ، فان وسائل مواصلاته الينـا لا تعتمد المؤشرات التى يسرتها حياتنا اليومية اللاهثة ، وانما تعتمد على طبيعة الطريق الصعبة التى اختـار السير فيها . وهى طريق وعرة ، ولكن فى نهايتها الشجرة كلها ، شـجرتنا التى يكتفى البعض أحيانا كثيرة برحيق أزهارها فى فصل الربيع أو ببضع وريقـات جافة سقطت منها فى فصل الخريف .. أما القارئ القادر على معايشتها فى كل الفصول ،من أدق شعيرات جذورها الى أنضج وأزكى ثمارها ، فانه لا يحصل على دفء اللحظة الانية وحدها ، بل على حرارة الزمن . ومن هنا ، كان محمد عفيفى مطر قريبا منا غاية القرب اذ هو يمس جوهر الاشـياء فينا ومن حولنا ، وهو بعيد عنا غاية البعد لانه يسلك الينا فى شعره سبيلا يتفق وهذا الجوهر العميق الشامل ولا يتفق مع عاداتنا اللغـوية وتصـوراتنا الذهنية الدارجة ، ومألوفاتنا السريعة الوثوب الى المخيلة السريعة الزوال ، وعواطفنا المرهفة بالاثارة الوقتية المنحازة لـكل ما هو يسير المنال .

وحوارنا * مع شـعر محمد عفيفى مطر يظل ، أبدا ، ناقصا طالما اختفت تفاصيل الخط البيانى لتطوره الشعرى بين طيات القصائد التى لم ينشرها ، والقصائد التى لم يجمعها فى دواوين. لهذا السبب، وبالرغم من التتابع الزمنى المسجل فى مجموعاته الشعرية الثلاث التى صدرت حتى الان (١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ١٩٧٢) فاننا لن نتوقف طويلا عند فكرة التطور التاريخى للشاعر وان احتجنا اليها بين الحين والاخر فى بحثنا عن روافد شعره ، وبخاصة وأن هذا الشـعر لايعتمد على الحدث العابر وان تضمنه ، ولا على المناسبة المؤقتة وأن احتواها .. يعنى ذلك منذ البداية ان هذا نوع

* فى رحلتنا مع محمد عفيفى مطر أرجو القارئ متابعة البحث برفقة دواوين الشاعر لاننى لن أستشـهد بأبيات من شعره كما جرت العادة الا فى أضيق الحدود (التى لا علاقة لها بمعنى الابيات أو مضمونها أو دلالتها ... الخ) .

من الشعر لايؤرخ لشيء ولا يؤرخ به لشيء ، ولا ينبغي أن يستدرجنا هذا التصور الى القول بأن الشاعر يفتقد الحاسة التاريخية ، فالحق أن «الزمن» عنصر جوهري في بنائه الشعري .. كذلك لا ينبغي أن يستدرجنا هذا التصور الى القول بأن الشاعر ليس معاصرا ، فالحق أن «العصر» عنصر جوهري آخر في بنائه الشعري . ولكن محمد عفيفي مطر ينظر في شعره الى الزمن والعصر نظرة تنتسب الى «المطلق» ولا ترتبط بالنسبي الا في حدود ماتمليه الصياغة الجمالية أثناء عملية الخلق الفني . غير أن أعمدة هذه الصياغة لا تتخلى عن أسس الرؤيا الشاملة للشاعر ، فهي رغم الديكور المنسق من جزئيات عديدة تنهض على قواعد عامة وكلية .

الصوت الواحد .. المتعدد الاصداء

و «الصوت الواحد» هو أول هذه القواعد . ولا شك أن أحد انجازات الشعر العربي الحديث ما يسمى في نقدنا بتعدد الاصوات ، فالحوار بين الانا والاخر قد خلص أهم نماذج القصيدة العربية الحديثة من الغنائية المسرفة ، واتجه ببنائها الى الموضوعية ، وانعطف بنسيجها الى الدرامية . ومن ثم كانت تلك المسيرة البالغة التعقيد « من البساطة الى التركيب» وهي المسيرة التي يراها البعض «من الوضوح الى الغموض» . شاعرنا منذ « من دفتر الصمت» الى « ملامح من الوجه الانبا دوقليسي» الى « كتاب الارض والدم » لا يستلهم رؤياه الحديثة للشعر والعالم من هذه الزاوية الجديدة ، فلا تتعدد الاصوات في شعره وان اتخذ الحوار أحيانا أداة للتعبير ، سواء بصورة مباشرة في «حسن وجليلة» (١) و «عن الحسن بن الهيثم (٢) أو بصورة غير مباشرة كما في «الثلاثية» (٣) . الحوار في هذه القصائد ليس أكثر من صوت واحد متعدد الاصداء ، فعالم محمد عفيفي مطر مونولوج جنائزي طويل ، ولكنه حين يلغي «الاخر» من عالمه فهو لايقدم « الذات » أو « صوته المفرد » بديلا .. وانما هو يقدم لنا صوتا واحدا مشبعا بأصداء موغلة في الماضي نابعة من الحاضر قادمة من المستقبل في آن واحد . لذلك فهو «صوت مجسم» لا يمكن نسبته الى ذات الشاعر بمعناها الضيق ، والا جاء شعره غنائيا في جوهره ومهما تنقل من «البكائيات» الى «المناجيات» الى «الابتهالات» .. ان هذه الاشكال الغنائية كلها تحتم وجود طرف «آخر» تستدر «الانا» تعاطفه أو مشاركته أو هي تتوقع منه خيرا أو تتوقى شره . وفي جميع الاحوال تصاغ هذه الاشكال كأغنية فردية أو جماعية بسيطة في بنائها المنساب كالماء الجاري في النهر المستقيم ، موسيقاها بالغة الاتساق مع فورة الانفعال وهبوطه ، وصورها لا تخرج على ما تستطيع صفحة النهر وضوء الشمس التقاطه من مرئيات .

ان شعر محمد عفيفي مطر ليس متعدد الاصوات ، ولكنه أيضا ليس صوتا واحدا غنائيا بسيطا . انه لايسأل أحدا ولا يطلب جوابا من أحد . وانما هو يحاور نفسه حوارا تراجيديا معذبا .. سواء استخدم ضمير المتكلم أو ضمير الغائب أو ضمير المخاطب ، وأحيانا يستخدم الضمائر الثلاثة في قصيدة واحدة دون أن يغير ذلك ماهية «القائل» ، فالضمائر لديه ليست رموزا لذوات ، وانما هي تجسيدات لازمنة .. وصوته الواحد هو الوعاء المونولوجي لهذه الازمنة ، تصب فيه همسات الماضي وهمهمات المستقبل كأصداء موصولة بذبذبات الحاضر وموجاته المضطرمة . في « العرس العظيم » (٤) يتوجه بالخطاب الى « أيوب » دون أن يقسر مخيلتنا على شواهد الصبر التقليدية في القصة القديمة ، فالصبر - لفظا ومعنى - لامكان لهما في معجم الشاعر .. وانما هو يقيم لخطابه ديكورا من الحاضر الذي لم يره أيوب، ديكورا استوحيت جزئياته المرئية من عالم الشاعر : مئذنة الصيف ومنتصف الليل وهودج العروس والريف الصامت الى غير ذلك من اشارات عينية الى الحاضر بغير أن يتلفظ الشاعر بما يشي بصوت الحاضر .. وتبدأ معظم الابيات بحرف السين : ستجحط ، سيساق ، ستتهد ، ستنزف ، الى غير ذلك من الكلمات الدالة على المستقبل . وهكذا لا يصبح أيوب قناعا للشاعر وانما هو صوت الماضي والحاضر والمستقبل ، صوت واحد ، ولكنه صوت مركب تعددت أصداؤه حسب معمار القصيدة . وهو معمار يتفنن الشاعر في تغييره من قصيدة الى أخرى، وربما من ديوان الى آخر ، ولكنه في النهاية مشروط بأمر واحد هو أن يتيح للصوت الواحد أن تتعدد أصداؤه ؟ وأن يجسم هذا الصوت معادل موضوعي . لذلك فهو حين يقول :

« تحلم الارض بوجهي المتألم
وانا أصرخ في بطن الخليقة» (٥)

لايخطر ببالنا أن صاحب هذا القول هو الذات الانسانية المفردة لمحمد عفيفي مطر بالرغم من استخدامه المباشر للفظة « أنا » في مقدمة البيت الثاني ، ذلك أنها هنا في اطار الصور المختارة والتجربة الملتحفة بها وطريقة تركيبهما ، تنم عن « الصوت الشعري الواحد » وقد انسلخ عن شخصية صاحبه الاصلي ، وأصبح له كيانه الموضوعي المستقل . وسوف نلحظ ذلك دوما على بقية القصائد التي يكثر فيها استخدامه لكلمتي «أنا» و «أنني» وغيرهما من بدائل ضمير المتكلم . في أحد مقاطع قصيدة «عذراء الصمت .. والصمت» (٦) يبدأ المونولوج « لقد أحببت عينيك » بداية غنائية مستهلكة، لولا البيت الثاني المعطوف « وأحببت القناديل التي تهتز عبر شوارع الموت » حينئذ يتوهج البيتان معا بصورة جديدة التحفت بتجربة ذات ابعاد تتجاوز الغناء .

وكثيرا ما اتهم محمد عفيفي مطر بقدرته على « توليد » الصور ، وأنه لا يستطيع أن يقاوم خياله الخصيب فتطول منه القصيدة بغير داع بل يؤدي ذلك الى تكرار ممل لمن بدا له أنه فهم وتشتيت للحواس ينتهي بالغموض عند من بدا له أنه لم يفهم . ويجب أن نسلم بطلاقة الشاعر الهائلة وخياله الخصيب ، ولكن طول القصيدة أو قصرها لا يتأتى عند محمد عفيفي مطر نتيجة خصب الخيال أو نضوبه ، وانما نتيجة تصميم البناء الشعري على نحو يسمح بتجسيم الصوت الواحد بأصدائه المتعددة وفق حجم التجربة التي يتخللها هذا الصوت . الصوت والتجربة مقدمة ، أما الصورة فنتيجة ، وليس العكس .

لايدخل شاعرنا في حوار مع العالم ، وانما هو في حوار متواصل مع النفس .. لذلك كانت تجربته الشعرية مونولوجا ، ولكن حان لنا أن نضيف : مونولوجا دراميا . والطابع الدرامي في شعر محمد عفيفي مطر لاينتمي الى عالم الشكل ولا الى عالم الفكر ، ولكنه ينتمي الى طبيعة التجربة التي يتناولها بالتجسيد

---

(١) من دفتر الصمت - ١٩٦٨ - منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق .
(٢) كتاب الارض والدم - ١٩٧٢ - منشورات وزارة الاعلام العراقية - بغداد .
(٣) ملامح من الوجه الانبا دوقليسي ١٩٦٩ - منشورات دار الاداب اللبنانية - بيروت .
(٤) من دفتر الصمت .
(٦،٥) من دفتر الصمت .

من ناحية الشكل فلما يلجأ الى الاقنعة المسرحية ، بل انى أشك فى استعانته بها ، وانما هى تجىء أحيانا كأسلوب فى التنويع النغمى أو الصورى ومن ناحية الفكر فهو لا يرى التناقض بمعناه الجدلى قانونا لحركة التاريخ . انه يكاد يرى الدنيا كتلة سديمية من الظلم والظلمة ، هكذا وجدت وهكذا استمرت وهكذا فيما يبدو ستظل . وانسانه - صاحب الصوت الشعرى فى تجربته ورؤياه - لم يعش ولم يمت .. تلك هى «الثيمة» الرئيسية فى معظم قصائده : انسان لا يعيش ولا يموت ؛ لا يعيش كما يشتهى ولا يموت بدلا من العذاب ، كذلك البطل المتعدد الوجوه فى الاساطير اليونانية . ولكن محمد عفيفى مطر يخلع عنه كل أردية ميتافيزيقية وكل حتمية اجتماعية فى نفس الوقت ، انه لا يعانى عبث الوجود والعدم ولا بطش الاقدار وحكم الالهة ولا ضرورة الطبيعة أو ضراوة البشر .. وانما هو يعانى منذ مولده - وحتى يموت - بشاعة الحصار المضروب حوله من الجوع والقهر، الجوع بكافة مستوياته ومعانيه، والقهر بمختلف أشكاله ودلالاته. والسياق التاريخى لا يمد الشاعر الا بمزيد من الادلة والشواهد ، ومن ثم فهو يرى «الشر» دما يسرى فى شرايين الكون لا خلاص منه بالموت أو بالدين أو بالنضال أو بالحب . ولكن محمد عفيفى مطر لا يجعل من انتمائه هذا سوبرمانا يتعالى بعذابه على بقية البشر ، انه ليس بطلا أو أسطورة ، وانما هو الانسان فى كل زمان وكل مكان ، فى عرائه المطلق أمام الذات . تصادف أن ينطق فى شعر الشاعر بلسان مصرى ، ولكنه كان يمكن أن يولد ويعيش ويموت فى بلاد أخرى ، بل هو مولود وحى وميت فى العالم أجمع ، تختلف ملامحه ربما ، غير أن جوهره لا يختلف . ولما كانت ملامح الصوت الشعرى لمحمد عفيفى مطر هى ملامح مصرية ومعاصرة ، وجب أن نتأمل تكويناتها وتشابكاتها وأصولها . انها ملامح الوجه التراجيدى الذى يخصنا فيما يرى الشاعر .

هيكل القصيدة

ليست تنويعات مختلفة على ثيمة واحدة ، تلك المشابهات التى نعثر عليها فى البناء الشعرى لمحمد عفيفى مطر ، فهو لا يقترب من نسيج الموال الشعبى ولا من عمود الموسيقى العربية ، وانما هو يقوم على أسس التناظر والتوازى والتقابل والتناقض بالمعنى الهندسى لهذه الكلمات . فى قصيدة «صوتان عن الحق» (٧) تتضح هذه الاسس فى التوازى المقصود - والمحسوب سلفا - بين العراف والسياف ، بين النبى والسلطان ، ولكن هذا التوازى باسم الحق الواحد هو فى حقيقته تقابل بين وجهتين مختلفتين، ومن ثم يجىء المقطع الثالث وقد تحولت الصورة تدريجيا من التوازى الى التقابل الى التناقض بين الحق اذ «يموته» العراف والحق حين «يقوله» السياف .. وهكذا يتوج القصيدة هذا التناظر الحاد بين حق وحق وبين قول وفعل يتمزق بينهما الشاعر تمزقا مونولوجيا تراوحت أصداؤه بين العراف والسياف . فى « عتم الاخضرار والتجسد » (٨) يقوم البناء على الاسس نفسها ، ولكن فى وضع مختلف ، فالصوت الواحد يستشعر القهر فى مولد عينيه « اكرهنى العالم أن أتجسد فى عينين » ثم يفتح الشاعر أقواسه لأول وهلة أنها تقدم صوتا جديدا ، ولكن ما أسرع أن نستدل على أن الصوت الواحد مازال يتكلم :

«عذبنى أنى أملك هاتين العينين
عيناى السوداوان
فى ليل القبو الدامى شباكان
بئران انسكبت فى أغوارهما النيران
وتعارك صدر الارض
ونصل الشمس »

الصوت الاول - والواحد - هو هو لم يتغير ، ولكن صداه يتدرج بالصورة الشعرية من خطها العام ، منذ ولد مرتديا قميص الصمت وأكل الكعك الاسود فى أعراس الموت .. يبدأ التدرج بالعينين اللتين أكرهه العالم على أن يتجسد فيهما ، وأكرهه مرة أخرى ألا يرى بهما سوى القبو الدامى والبئر المشتعلة ، وكذلك قدماه : تسرق احداهما فى الطرق الجبلية والاخرى تهوى فى القيعان . هذا هو التناقض الاصيل بين روحه وجسده ، بينه وبين نفسه ، فالتجسد ذاته هو الاشكال الدرامى ، والموت لا يفضى الى حل مادام الميلاد قد حدث ، والاشكال الدرامى فى التجسد أن الروح تحمل الجسد على كتفيها ، وأن الجسد يحمل الروح على كتفيه . ؟ يمائيان أهوال « الحياة - الموت » فى حوار مونولوجى متصل، وهو الحوار الذى يبدأ عادة بالصوت الرئيسى فى صورة مقدمة ، وينتهى عادة بهذا الصوت فى صورة خاتمة ، وكلتاهما ميزانه عن غيره من الاصداء المتداخلة على طول القصيدة ، كان يبدأ «بوابة طليطلة» (٩) بضمير المتكلم وارتفاع النبرة « لبست قناع التذكر على أسوح ليل المدينة » وينتهى من رحلته بوشم على يده « بكاء تجمد » . وبين البداية والنهاية يتمدد الصوت على مدارج المقطوعات الخمس حيث يفتح الشاعر أقواسه ، لا يستضيف بينها أصواتا جديدة ، وانما يمد حبال الصوت الواحد الى الامام والى الخلف ليستمع الى الماضى والحاضر والمستقبل بأذنى ذلك الذى يخاطبه « .. لا أنت حى - ولا أنت تدخل مملكة الميتين » . وهو الوجه الذى صادفنا من قبل فى «الموت ليس واحدا » (١٠) لم يعش ولم يمت ، وهو أيوب فى « العرس العظيم » ، وهو غير ذلك من الوجوه والاسماء الخفية والظاهرة التى يتجسدها الصوت الواحد فى شعر محمد عفيفى مطر .

ورحلة الصوت لا تتغير من حيث وجهتها الرئيسية فى القصيدة ، انها تبدأ من « لحظة حضور » هذا الذى لا يحيا ولا يموت، ثم تتوغل فى ثنايا الزمن تارة الى الماضى وتارة الى المستقبل ، أحيانا يجيئنا الصدى بأسلوب الفلاش باك ، وأحيانا بأسلوب الحلم والكابوس . أى أن رحلة القصيدة فى عالم محمد عفيفى مطر لا تعتمد «الرمز» بمعناه التاريخى ولا بمعناه الدارج ، انه لا يتخذ كغيره من التاريخ أو الاسطورة ديكورا يرمز به الى الواقع ، فالمعادلة الفنية لا تستهويه بمجازاتها واستعاراتها وكناياتها .. وما نلتقى به فى السياق من اشارات تاريخية وأسطورية لها علاقة بعنصر «الزمن» فى بنائه الشعرى ولا علاقة لها بفكرة التشبيه ، انه يستحضر الماضى فى مخيلتنا بعلاماته الواقعية ، وكذلك يفعل مع المستقبل ، ولكنه لا يفصل بين الازمنة الثلاثة فصلا ميكانيكيا ولا يضمها فى اطار جدلى ، وانما هو يصهر أصداءها جميعا فى صوت واحد دافق بهذا المعنى : ان صوته وان يكن صوتا واحدا فانه ليس صوتا مفردا ، انه على الصعيد البنائى صوت «مجسم» يعتمد التناظر والتقابل والتوازى والتناقض خطوطا عامة لهذا

(٨،٧) ملامح من الوجه الانبا دوقليس .
(٩) كتاب الارض والدم .
(١٠) ملامح من الوجه الانبا دوقليسى



محمد عفيفي مطر



محمود حسن اسماعيل



مصطفى صادق الرافعي

البناء من أبسط الجزئيات الى أشمل الكليات ، على مستوى اللفظ والوزن والصورة جميعا (١١) . وهو على صعيد الرؤيا صوت «مشبع» بأصداء الزمن المتداخلة فيما بينها على نحو بالغ التعقيد ، ولكنها تردد من مختلف الزوايا ثيمة القهر الانساني ، معاصرا كان أو قديما أو مقبلا .. فالماضي في شعر مطر ليس استشهادا تاريخيا «يدلل» على صحة مقولة حاضرة ، والمستقبل ليس نبوءة «مؤكدة» للراهن .. الازمنة الثلاثة «وجود» حي كامل ذو أبعاد مختلفة ، ندعوه صوتا واحدا ذا أصداء متعددة . لذلك فان بناء القصيدة ليس «منطقيا» بأي معنى للمنطق الخارجي ، لا يقوم لا على الاستدلال المجرد ولا على الاستشهاد المجسد ، لانه لا ينهض أصلا على فرض نظري مسبق أو «قضية» تحتاج الى البرهنة . كذلك فان بناء القصيدة لا يحتاج الى شفيع قصصي أو مسرحي تتجسد خلاله الحكاية أو الحدوتة حتى تستقيم الاحداث بمدلولاتها وتسلسل المرئيات بايحاءاتها . ولان القصيدة في شعر مطر ليست قضية تحتاج الى برهان ، ومن ثم لا ترتبط – مطلقا – بالمجردات الفكرية ، فانها أيضا ليست «حدثا» بالمعنى الارسطي يحتاج الى بداية وذروة ونهاية .. ومن هنا لا يعمد الشاعر الى مشجب من خارج الشعر .. ان قصيدته « اشكال درامي » مركب من عناصر مونولوجية لا موضع فيها لليأس أو للأمل ، وانما هي تحاصر المشهد الشعري بأكمله مضللتي «المواجهة» ، مواجهة الذات لنفسها ، وهي المواجهة التي تسقط المسئولية عن كاهل ذلك الذي «لم يعش ولم يمت» منذ سقطت منه الحرية قبل مولده . على أن هذا لا يجرنا الى القول بأن رفض الشاعر لعالمنا هو رفض ميتافيزيقي ، فهو لا يرفض الحياة وانما هو يرفض القيم . انه ليس شاعرا عدميا أو عبثيا أو وجوديا ، ولعل شهوة الحياة هي أقوى الشهوات المسيطرة على عقله ووجدانه ، وليس الانتحار الذي لا يخطر على باله بأية صورة من الصور . انه وقد ولد فهو مرشح للحياة ، ولكن مأساته – في اطار الحياة وليس خارجا عنها أو متعاليا فوقها – انه لا يعيشها .. لا يعيشها على كافة المستويات التي عرفها «الانسان» منذ بدء الخليقة ، هكذا يتوحد صوت الشاعر بصوت الانسان ، صوت التاريخ بصوت العصر ، صوت مصر بصوت العالم . وهي المستويات التي تتدرج من البدائية الى أحدث منجزات الحضارة الحديثة .

في عام ١٩٦٢ كان يقول «لو أنني حاولت في الظهر العبور من الرصيف الى الرصيف » (١٢) وفي عام ١٩٦٥ كان يقول «لو نمت في مقبرتي القديمة» (١٣) وفي عام ١٩٦٨ ظل يقول :

« كلما شاغلت نفسي لانام
خفت أن يسمعني الحارس
احلم
برغيف الصاعقة

خفت ان يصبح ضوء الشمس

سيفا للامير

فأنا احمل في كفي ظل
الجمجمة » (١٤)

فالقهر في رؤياه الشعرية ليس رديفا للصمت والعسف والكبت بالمعنى السياسي المتداول ، وليس الامير والشرطي أو السلطان والحارس طرفا وحيدا في صياغة القهر الانساني ، وانما هناك الحضارة البشرية بمختلف عناصرها التي طوقت صوته بصرخة المهد ووسادة اللحد . وما بينهما الجوع الرابض كالوحش عند مدخل المدينة ، يصطاد القادمين بأنيابه ، ولكن الوحش في دنيا مطر ليس هو بالقطع وحش طيبة ، فهو لا يجهز على ضحاياه ولا يعتقهم ، ليس لديه لغز يقدمه لهم ، من حله عاش ومن أخفق مات . انه يعلقهم بين فكيه بين الحياة والموت . بل تتداخل خيوط الحياة بخيوط الموت في نسيج شعري واحد ، هو نسيج تراجيدي دون ريب .

القهر – مرة أخرى وثالثة ورابعة الى ما لا نهاية من المرات – لا يتخايل لعيني شاعرنا سوطا في يدي الحاكم يصيب المحكوم بالرعب ، ذلك تبسيط لا يرتضيه الشاعر لانه لم ينظر الى المشكلة من موقع «المثقف» ودفاعاته المجردة عن حرية الفكر والضمير .. كل ذلك قائم بالفعل ، ولكن مضفورا بغيره من عناصر القهر الاخرى التي لا تميز فيها بين الايدي القابضة على السوط ، سواء كانت للحاكم أو للمحكوم ، للفرد أو للمجتمع ، للطبيعة خارج حواسنا أو تحت الجلد في دمائنا . شاعرنا لا يقيم حدا بين أصول القهر ومصادره ، فالزمن هو دوما زمن القهر ، أيا كانت أصداؤه قادمة من بعيد أو من قريب ، من فوق أو من تحت ، من الداخل أو من الخارج ، من أعمق

(١١) تشكل هذه الاسس الهندسية مجموعة من « التكوينات » يستجلبها الشاعر أصداء صوته من كافة أرجاء المعمورة : من التاريخ والمجتمع والحضارة والحلم الانساني .

(١٢،١٣) من دفتر الصمت .

(١٤) ملامح من الوجه الانبا دوقليسي

الاعماق أو مثل تسطوح الاشياء . والموت ليس رديفا للزمن ، ليس محطة وصول أو نقطة نهاية ، وهو ليس طرفا فى علاقة جدلية مع الحياة ، وانما هــو كيان مادى محسوس يظلل الحياة بلون العتمة :

«يطاردنى ، يقول: عروسك السمراء
فى أرضى متوجــة على التــبابات
وحفل زفافك الموعود محتبس بأبوابى
وطفلك سوف يولد عبر أعتابى» (١٥)

ويظل حلم الشاعر الابدى أن يبحر «عبر مدائن الموت » (١٦) . ولان الموت على هذا النحو «السحارى» فى نهر الحياة ، فالجوع هو انعكاسه الرئيسى على صفحة هذا النهر ، وهو جــوع شامل شمول الموت والحياة كليهما ، انه ليس « الجوع الى » فقط ، ولكنه أيضا «الجوع من» ، انه الجوع سلبا وايجابا ، جوع الفراغ والتخمة ، جوع القرية والمدينة ، جوع الروح والبدن :

« الجوع فى القرى معشوشب
يخضر فى حشــائش
الجداول
يصفر فى السنابل
يسود فى لفائف الاطفــال
والوجوه
يبيض فى حوائط المقابر
يطير حينما تغتسل السماء
ملونــا فى قزح الاصــائل
المطيره

●●● ●●●

الجوع فى المدينة
يصفر فى انســكابة الجدائل
يخضر فى المزابل
يســود فى حدائق الاسفلت
والسكوت
يبيض فى القصائد المخنثة
يطير فى شــوارع الزجاج
والاحجار
ملونا فى الصحف الفقيرة
معطرا بما يفوح من جوارب
الاموات فى الظهيرة » (١٧)

هذا الجوع الذى يكاد يصبح ــ بلفظه ومعناه ــ الصدى الرئيسى للموت ، يمسى هو والموت مظلة واحــدة تلازم الانسان فى دروب الحياة ، فتحجب عنه المطر والصاعقة الخضراء ، حتى البــرق ينطفىء فوق رأس أيــوب بلا شرارة ولا موسيقى . وربما كانت رؤيا فانتازيه تلك التى تجســدت لديه فى خروج الاموات من قبورهم ، ومن بينهم أمه ــ والوراثة هنا ايماءة مقصودة ــ تجر بقايا الكفن وتصرخ جوعا لكسرة خبز وحفنة ماء ، ولــكنها الفانتازيا الناجمة القائلة بديمومة الموت والجوع وصيرورتهما فى صلب الحياة (١٨) . وبالرغم من أن الجوع بمستوياته المختلفة يسيطر على العالم الشعرى لمحمــد عفيفى مطر سيطرة تامة ، الا أنه فى جميع الأحوال لايستهدف ديكورات البؤس وحــدها ــ ماديا ومعنويا ــ أى أن انحطاط المســتوى البشرى للوجود الى المستوى الحشرى للحياة ، ليس هو فى ذاته «الغياب» الذى يجوف الكون من حضور الكينونة وامتلائها ، وانمــا يتمثل هذا الانحطاط والغياب فى اغتيال شهوة الخلق واحباطها . أن يــكون الانسان انسانا . يعنى أن يكون خالقا ، وخواء الحياة من الشروط الانســانية للوجود ، يعنى خواءها من شروط الخلق ، وهكذا يتوقف الانسان عن أن يكون . ان خللا رهيبا فى تركيب عناصر الحياة يرشحها دائما للموت ، خللا فى المجتمع والطبيعة والحضــارة على السواء من شأنه أن يقتل بذرة الابداع فى الانسان ، أن يقتل انسانيته . فى «الثلاثية» (١٩) وتحت عنوان « الحب ــ المصر » تمتد أذرع الاخطبوط المرئية لتخنق الخصوبة فى اللحظة التى تبدو فى أوج اكتمالها وريعان شبابها :

حبيبتى عينان تنظران فى داخلها
تهــدان غــائران فى طــوايا
صدرها

لا يبرزان الا ساعة السنامة
لا يملان بالعصير الا ساعة
الهزيمة

●●● ●●●
●●● ●●●

تلاحمت أفراحنــا البائســة
الشوهاء
فانفتحت ما بيننا بوابة الابناء
وولدت لنا بنت قميئة بلا رحــم
وولــد محــترق العينين دونما
قلب ولا شفاه » .

ان شهوة الخلق المحبطة هى الثمرة الطبيعية ــ وان فزعنا ــ التى تنمو تحت ظلال الموت ، وليست هذه الصور التى تبدو لنا كلوحة سريالية تقطع فيها حلمات الاثداء وتولد البنات بلا أرحام والاولاد بلا قلوب أو عيون أو شفاه ، ليست أكثر من الخصوبة الجائعة الى التحقق والابداع المحروم من الحضور والخلق الظامىء للولادة . انه فى عبارة واحدة الوجود الغــائب عن الوجود ، وجود ذلك الذى لم يعش ولم يمت فى الماضى ، ولايحيا ولايموت فى الحاضر ، أما فى المستقبل فهو يضم انبادوقليس ونيتشه الى صدره ضما مبللا بضراعة الصخوة المفقودة (٢٠) . فى قصــيدة يتيمة الابوين والاجداد ، تكاد تكون «سفاحا» عنوانها «رقصة فى آخر الاعياد» (٢١) يتراءى للشاعر أن وحدة الانســان والعالم ــ بعيدا عن فكرة سبينوزا حول وحدة الوجود ــ هى السفينة الممكنة الابحار فى نهر المستحيل : أن تجتمع أرحام النساء طرا فى رحم واحد وأن تطول قنوات النطفة بطول الارض ، وأن يتخلق الجنين القادم فى سنوات الصمت ، ثم يرضع ويأكل من كل ثمار العالم الحلوة والمرة ، ويكبر ويعمل كل أعمال الانسان الرفيعة والمنحطة .. وعليه أن يتقيأ ميراث الدم فيتزوج من نفسه وينمو بغرس يديه ، وحينئذ يتكلم « لغة واحدة » تخرس كل اللغات ويموت العالم ليولد «يرقص فى شفتيك» .

علينا أن نلحظ أن القصيدة كلها بنيت بضمير المخاطب . انها صوت الشاعر الى « طفل العالم والانسان » الرابض فى مخيلته ، كنقيض للكائن الحال فى جسده . مازال الصوت مونولوجا ، ملامح الفجيعة تلون الصورة المضادة بالبهجة والاشراق ، ولكنها ليست ملامح مدينة فاضلة تحل مكان المدينة القائمة ــ فى مصر أو فى العالم ــ وانما هى ملامح الوجود الغــائب عن الوجود ،

(١٥، ١٦) من دفتر الصمت .
(١٧) ملامح من الوجه الانبا دوقليسى .
(١٨) راجع قصيدة « بوابة طليطلة » فى صدر ديوان «كتاب الارض والدم» .
(١٩) ملامح من الوجه الانبا دوقليسى .
(٢٠) أرجو قراءة القصيدة بكاملها فى « ملامح من الوجه الانبا دوقليسى » .
(٢١) استخدم كلمة « الثسمو فوريا » فى القصيدة ، وتعنى أعياد الحصــاد والخصوبة والربيع فى أثينا القديمة ، واستخدم كذلك تعبير « السنة الكبرى » وهى الفترة التى يقطعها العــالم حتى يصل الى مرحلة الاحتراق ثم تعود دورة الكون والفساد مرة أخــرى ، وهى فكرة « العود الابدى » لنيتشه .

وجود الانسان والعالم معا ، ذلك الوجود بحضوره الممتلىء ، المنتشي برعشة الخلق والابداع ليس حلما ولا يوتوبيا ، وانما هو أحد عناصر « الاشكال الدرامي » المركب في الصوت المونولوجي المعذب .

موسيقى اللوحة .. والتمثال

لان محمد عفيفي مطر لا يبني في شعره مدينة فاضلة ، فهو لا « يبشر » ، انه ليس داعية . لذلك تخلو من بنائه كافة أدوات الجهر والتقريرية والمباشرة . ولانه لايقيم هذا البناء من مواد تستفز الرغبة لدى الاخرين في الاسقاط ، فهو لا « يمثل » ، انه ليس قناعا . لذلك تخلو رؤياه من كافة أدوات التشبيه والنقد والمقارنة . ولان هذه الرؤيا تصلنا عبر صوته الخاص ، الصوت الواحد المتعدد الاصداء ، فهو لا «ينشد» انه ليس راوية . لهذا يخلو هذا الصوت من كافة أدوات الحكي والذكر والترنيم والترتيل .

وانما يقيم الشاعر لمونولوجه الجنائزي الطويل مهرجانا من الطبيعة بمختلف عناصرها التشكيلية واللونية والنغمية . وهو يقيم هذا المهرجان وفق هندسة معمارية تدعونا بالتناظر والتقابل والتوازي والتناقض . معنى ذلك أن هناك تصورا هارمونيا في مخيلة الشاعر الابداعية يعادل موضوعيا فوراته الانفعالية المضطرمة . وهذا التكافؤ الدقيق بين عاطفته ومجسماتها الشعرية هو الذي يحقق لمونولوجه الدرامي كينونته النوعية الخاصة ولا ينزلق به الى مستوى المذكرات الشخصية ، أو يتحول به الى القصيدة الغنائية . وربما أوحت عناوين ديوانه « من دفتر الصمت » و « كتاب الارض والدم » بهذا المعنى المزدوج ، فالدفتر والكتاب يضمان أوراقا « خاصة » حقا ، ولكن صاحبها لا يودع فيها أسرارا « شخصية » . ان العناوين اشارة الى فكرة المونولوج لا الى فكرة المذكرات لان الاوراق لا تسجل ذكريات مضت ، وانما هي حوار متصل مع الذات ، ومواجهة حية حاضرة ، كانت وما زالت وستبقى .

أعود الى القول بأن الشاعر يركب مونولوجه من عناصر الطبيعة بمعناها الواسع والبعيد كل البعد عن أية ظلال رومانسية . ونحن نستطيع أن نحصي على سبيل الرصد هذه المجموعة من الالفاظ في ديوانه الاول « الرغوة — الرعشة — الزيت — الفحم — الدخان — الجدار — الاسطورة — الشتائية — الابار — الاغوار — الصهد — الرمادية — العنقاء — عريان — الصاعقة » . وباستثناء أربعة ألفاظ ، ينتسب اثنان منها الى الفكر المجرد كالاسطورة والعنقاء ، والاثنان الاخران الى الحالة الحسية كالرعشة والعري ؟ فان بقية الالفاظ تنتمي الى عالم الطبيعة بجزئياتها وتفاصيلها ودقائقها الصغيرة . أما ديوانه الثاني فيضيف هذه المجموعة «الريح — اللبن — الخرافة — العراف — الثدى — النطفة — الليل — الحليب — الحلمة — السنابل — الجوع — الارض — الملكة — الجبلة — الموت — الحقول — الجيفة — السحر — الرعب — العاصفة — المنقوع — الكهانة — الدم — الرمل — الطمث — الطحلب » واذا لم ننس أن «الانسان » هو من ثمار الطبيعة ، رغم خصوصيته المستقلة فاننا لن نجد في هذه المجموعة أكثر من ثلاث كلمات تنتسب الى الفكر المجرد هي : الخرافة والكهانة والعراف ، وكلمتين اثنتين ينتسبان الى الوضع الانساني هما الجوع والملكة . أما المجموعة الثالثة في ديوانه الاخير فتضيف «اللقاح — الجسد — الغمامة — حبلى — الغابة — العنكبوت — الوشم — النطفة — الجنين — الرضاعة — الجمجمة الوتد — العشب — الحفرة — الاشتعال — الصحراء — الشهوة — الشرارة — المهرة — النهر — العيون — الاصابع — الميراث — الغرق — الشق — الجذر — المقبرة — الطمث — الرحم — الحراس — الرءوس — الطقوس — الرمح — التداخل — التعاريج — الحصى — الصخر — السقوط — القناع — الشجر العنقود » . وهنا أيضا باستثناء الفكر المجرد في كلمات السقوط والقناع والوشم ، لن نجد سوى الطبيعة بتكويناتها وامتداداتها وحركتها ، حتى أن لفظ «السقوط» كلفظي التداخل والتعاريج ، هو حركة داخل الطبيعة قبل أن يستقل بدلالته المجردة .

ليس هذا بالطبع معجما لغويا كاملا للشاعر ، وانما نحن نضع أيدينا على العلامات البارزة في بنائه اللغوي حيث نكتشف أن القاسم المشترك الاعظم في هذا البناء هو « الجسد الانساني » بأجزائه وأوضاعه وصفاته وأحواله من ناحية ، و « المجتمع البدائي » بعلاقاته وأدواته وأجوائه من ناحية أخرى . وسوف نلاحظ اعتماده في اختياره لهذه الالفاظ على «الاسم» و «المصدر » وقلما يحولها الى صفات وأحوال ، ومن هنا كان ابتعاده المفرط عن أدوات التشبيه ، وابتعاده المطلق عن تفتيت اللفظ الى معان جزئية ، فهو يميل الى ما يسمى بالكلمة الجذرية ، الكلمة — الصورة ، الكلمة البدائية المشحونة بظلال «الاصل» والمتسمة بنور يتجاوز هيكلها الحرفي . بل هي لا تتكامل ببعدها الصوري فحسب ، وانما ببعدها النغمي كذلك . والصورة والنغم كلاهما يولدان شرارة الفكر ، وليس العكس : أن تتحول الكلمة الى شبح نظري مجرد كالارقام في لغة المعادلات الرياضية ، أو وسيلة مواصلات مبتسرة وغير مأمونة العواقب في لغة حياتنا اليومية .

ان ألفاظا مثل الرعشة والشهوة والاشتعال والشرارة تحمل في «تكوين» حروفها صورا كاملة لوقدة الانفعال والتوتر ، ولكنها صور قريبة من اسلوب « البقعة» في التشكيل المعاصر ، وبالرغم من تجريدية هذا الاسلوب وعفويته ، فانه تجريد حسي ان جاز التعبير ، حتى أن البقعة تحمل في طياتها ايقاعا يستكمل بحرف الشين — على سبيل المثال — ذبذبة التكوين المتوقد بالانفعال والتوتر . وكذلك فان ألفاظا مثل الحفرة والمقبرة والشق والرحم والارض والابار والاغوار ، ونقائضها مثل الوتد والرمح والجذر والرأس ، تشير الى أن الشاعر كما يستخدم الريشة في التصوير فانه يستخدم الازميل في النحت ، انه هنا ينحت بألفاظه «كتلا» كما صور هناك بقعا .. واذا كانت تلك البقع الحسية قد جسدت — تشكيلا وموسيقى — لحظة الذروة في سياق الاثارة المونولوجية لدى الشاعر ، فان هذه الكتل قد جسمت الاجهزة المولدة لهذه الكهرباء . ولم يبق أمامنا الا القول بأن الفعل الجنسي — فعل الاخصاب — هو الفعل الرئيسي في رؤيا محمد عفيفي مطر . وألفاظه الشائعة كاللقاح والحبل والولادة والرضاعة ، وما يماثلها بحروف أخرى كالرغوة واللبن والغرق والتداخل والنطفة والثدي والحلمة والعاصفة والرمل تدل بغير جهد على هذا الفعل . ولكنه الفعل الناقص ، بالرغم من بلوغ الذروة ، فالغمامة والسحابة والطحلب والحصى والصخر والجوع والموت والصحراء ، كلها ألفاظ تنسج في السياق خيوط العقم والبوار : انها شهوة الخلق المحبطة ، هي التي تدفع الشاعر الى التقاط مفرداته من دنيا الخصوبة وعالم الموتى معا .. وعلينا أن نرصد ميله الحاد الى تغليب الالفاظ الاكثر حسية وموسيقية على بقية المترادفات التي لم تكتسب لدى العين والاذن ، تلك الدرجة القصوى من التشكيل والايقاع . انه يفضل — مثلا — استخدام لفظ العطش لا الظمأ .

(٢٢) هنا يجب ان نذكر انه كان لمحمود حسن اسماعيل اثره الواضح في تكوين المخيلة اللغوية لدى الشاعر .

وافظ النعش لا التـــابوت ، والمبرة أو الفرس لا الحل ٢٢١) .

على أن الكلمه وحدها ليست أكثر من العنصر الاولى فى بناء الشـــاعر لرؤياه . فى تجسيم مونولوجه الدرامى ، وموضعها من هيكل القصيدة العــام هو الذى يحدد أكثر فأكثر بقية العناصر . الكلمة عنده نقمـــة حينـــا وكتلة حينا آخر ، وهو فى ذلك بالغ التأثر بالفنون التشكيلية . وهو يستخلص من الـــكلمه كل ما نملكه حروفها وتكوينها من ايقاع ؛ وفى ذلك ايضا يتأثر أبلغ التأثر بهارمونى الموسيقى الحديثة . ولكنه قبل ذلك وبعده يؤمن محمد عفيفى مطر امانا جماليـــا بأفكار الحلول والتناسخ وغيرهـــــا من الافكار التى تتيح له ان يؤنسن الجمادات وبالعكس ، أو أن يحول النباتات الى حيوانات وبالعكس ايضا .. انه بذلك لا يؤمن بوحدة الطبيعة فحسب — وان كانت هذه فكرة واردة على صعيد الذهن — وانما يتيح لنفسه أقصى درجات التحرر على صعيد الابداع الفنى ؛ فيكسر عنق البلاغة التقليدية من ناحية ، ولا يقع فى جمود التشبيهات الذائعة المكرورة من ناحية أخرى . وهو ، أولا وآخرا ، يصور وينحت اللوحـــــة والتمثال وفق ايقاع المونولوج الدرامى الذى يقوم بتجسيمه ومن هنا كانت دقة شاعرنا البالغـــــة الصرامة فى اختيار اللفظ بايقاعه وصورته الملازمين للانفعال ، نوعه ودرجته حدة وعنفا .

هكذا نتردد فى ديوانه الاول هـــــذه المجموعة من الصور « حوائط الاحزان — حدائق البكاء — دوامة اللهب — دوامة الصمت — جـــــزائر الظلمة — مدائن الاعماق — مدائن الموت — مخـــــاض الشمس — مشنقة الشمس — شموس الرعب — مخلب الصمت — مطر الصمت — نهر الليل — نهر الموت — زهـــور الموت — القمر الجليدى — الوجه المجدور — الوجه الزهرى » والملاحظة الاولى على هذه الصور أن بعضها مركب من عنصرى الحس والتجريد كمخلب الصمت وشموس الرعب ، وبعضها مركب من عناصر حسية خالصة كالوجه المجدور ودوامة اللهب والقمر الجليدى . والملاحظة الثانية أن كلا النوعين من الصور يشع بقسوة الوحدة بين نقيضين ، حتى أن الشمس تتحول مرة الى امرأة تعانى آلام الولادة ومرة الى مشنقة ، فاذا قال فى احدى قصائده « خفت أن يصبح ضوء الشمس سيفا للامير » اتضح معنى الرعب الكامن فى الصور المختلفة للشمس . والملاحظـــة الثالثة أن التناقض الذى يجمع بين كلمتى



بريخت



سارتر

الصورة هو تناقض فاجع ، لا يتم مطلقا لصالحة الشمس أو القمر أو الحدائق أو الوجـــه البشرى أو النهر او الزهور ، بظلالها المسترخية على سطح المخيـــلة اليومية . والملاحظة الرابعة أن غالبية هذه الصور «مضاف ومضاف اليه» مما يسمح لها بفكرة «التقمص» غير القاصرة على الصفة والموصوف ، ويسمح لها بايقاع متسق مع البحر الوزنى ، وأحيانا مـــع القافية وحرف الروى . ومن ديوانه الثانى نضيف هذه المجموعة من الصور «اللغات الحجرية — محابر الرماد — عصـــــيدة الدهـــور — رغـــوة الشمس — مدينـــة الشقوق — مملكة الشقوق — مملـــكة الطوفان — الصعود والهبوط — أعراس الردى — أعراس المـــوت — الـــكون والفساد — الزحمة المنهزمة — البحـــر الابكم — الكعك الاسود — حبال النفى » وهنا يتجاور ثانية ما هو حسى جنبا الى جنب مع ما هو مجرد فى الصــــــوره الواحدة ، كما توجد الصورة الحسية الخالصة . كذلك يبقى المضاف والمضاف اليه والصفة والموصوف ، وينضم الى هذين التركيبين اللغويين العطف والمعطوف كمـــــا هو الحال فى الصعود والهبوط والكون والفساد، ويبقى — وهذا هو الاهم — ذلك التناقض التراجيدى الحاد فى ألوان الصوره وأنغامها . ولكن هـــذه المجموعه من الصور نستكشف بعـــــد « الزمان » فى عصيدة الدهور وحركة الصعود والهبوط ودورة الكون والفساد ، ان الزمن هنا لا يفيد مصـــــه أن يكون ماضيا او حاضرا أو مســــتقبلا ، لان الدهور تحولت الـــى « عصـــيدة » ، والتناقض أيضا هنا يتم لصالحه الهبوط والفساد ، لا لحساب الكون والصعود . كذلك فان هـــــذه المجموعة من الصور نستكشف بعد « المكان » فى مدينـــــة الشقوق ، مملكة الشـــقوق ، مملـــكة الطـــــوفان . هـــكذا يتم التـــــوازى المحـــكم بين الـــزمان والمـــــكان . أما الانسان فليس دونهما انساقا ، انه يكمل الدورة ، فهو الزحمة المنهزمة ، والبحر الابكم ، تطوله حبال النفى ، وفى أعراس الردى يأكل الكعك الاسود وتلك — من جديد — هى ثمرة «الشهوة الخلق المحبطة» ذلك أن الفعـــــل الجنسى السائد على مونولوج الشاعر هو فعل عاجز عن الفعل ، رغم الذروة التى يبلغها دراميـــا بعوقه القهـــر عن الاخصـــــاب . حينئذ تجـــىء المجموعة الثالثة من الصور فى ديوانه الاخير ، فنضيف « زهر الخيانة — الليلة الصخرية — اللهب الليلى — مهرة الدماء — الزهرات الدموية — المملكة المسدودة — الغابة الميتة ، الشقوق الحبالى — كتاب الاشتهاء — صلوات الاشتهاء — أرحام الحجر — القبـــر المهـــاجر — أقاليـــم الحواس » . وهى لا نكاد نضيفه الى الصور السابقة ، فى بنائهـــــا اللفظى وتـــكوينها التشكيلى وايقاعها الموسيقى الا تلك الملامح الختامية للوجه التراجيدى الذى يطالعنا به محمد عفيفى مطر من « دفتر » الصمت ، الى « كتاب » الارض والدم .



كما أن الشاعر يرفض من انجازات الشعر الحديث تعدد الاصوات فى القصيدة ، ويفضل استخدام الصوت الواحد المتعدد الاصداء ، اى المونولوج الدرامى ، فانه كذلك يرفض من انجازات الشعر الحديث البنــــــاء القصصى المسلسل وفق منطق الحدوتة المروية . لهذا لاتخضع صوره ومنحوتاته لانساق طولى منسجم . انه وقد بدأ بالكلمة — البقعة ، والـــكلمة — الكتلة ، فانه ينطلق فى بناء عالمه بوحى من تشكيل البقــــع بألوانها وخطوطها ومساحاتها لا بحكم التداعى اللفظى أو النغمى ، وكذلك بوحى من تكوين الكتل بموادها وفراغاتها .. ومن تزاوج بقع اللوحة ومعمار الـــكتلة يولد الهارمونى الموسيقى الذى ينظم القصيدة من داخلها ،

لا وفق مقاييس خارجية . هكذا لا تعود هناك علاقة سببية بين الكلمات بالمعنى الظاهرى لعلاقة العلة بالمعلول ، وانما علاقة الكلمة بموقعها من الشطرة ، ثم بحركتها في سياق القصيدة ، هى التى تحدد السبب الداخلي والعلة غير المرئية فى ((تكوينها)) على هذا النحو أو ذاك هى التى تحـــــدد وظيفتها التشكيلية والايقاعية على السواء . ولعل هـــذا ما يفسر استخدام الشاعر لبعض الالفاظ المهجورة ، كما يفسر ميله الواضح الى الاشتقاق[٢٣] ولان ((حضور)) الكلمة يمتد فى الماضى ويستشرف المستقبل ، فان الشاعر يكثر من استخدام الافعـــــال المضارعة ، ولكنه يحاصرها دوما بحروف النفى والشك والتمنى وما اليهـــا من أدات لفظية تفيد تداخل الازمنة رغم الحضور . مرة أخرى تتعدد الاصـــداء لصوت واحد هـــو المونولوج الدرامى الذى يتخذ منه محمد عفيفى مطر شكلا تراجيديا ثابتا أقرب الى الخط البيانى الهابط انفعاليا . لذلك تتخلق قصائده على هيئة مخروطية أو عنقودية أو هرمية وهذه الهيئة ليست خطوطا خارجية أو تحديدا وصفيا ، وانما هى جوهر الاتساق الفكرى والانفعالى ، انها فيه مسار... فشهوة الخلق المحبطة بالجوع والقهر تبدا من ذروة فعل الاخصاب ، وتنتهى عند سفح العقم والبوار . ولكن فعل الاخصاب ليس فعلا بسيطا أحـــــادى الجانب فى رؤيا الشاعر ، وانما هـــو ظاهرة بالغة التركيب ، أما العقم فينحدر الى هاوية الاحادية والتجريد . الجسد الانسانى والمجتمع البدائى لذلك ، هما العمود الفقرى لمعجم الشاعر اللغـــوى حيث يصبح الفعل الجنسى تاجا معدم الزوال فوق عرشهاو فى بئر بلا قرار .

فى القصيدة الاولى من الديوان الاول يوزع الشاعر موسيقاه وفق المصـــطلح الجديد ((وحدة التفعيلة)) ولكنه ، ايضا لا يستخدم بحرا وزنيا واحدا على طول القصيدة . المقطع الاول — مثلا — على وزن ((المتقارب)) — فعولن — بينما المقطع الثانى على وزن ((الرمل)) — فاعلاتن — ثم يعود المقطع الثالث ومن بعده الرابع الى ((المتقارب)) بينما تمضى المقاطع من الخامس الى السابع على وزن ((المتدارك)) — فاعلن — ومن الثامن الى العاشر ، وهو المقطع الاخير ، على وزن ((الرجز)) ، مستفعلن . وفى كتب العروض يقال أن ((تجزئة البيت بمقدار من التفاعيل التى يوزن بها بعد معرفة كونه من أى الابحر بوجه اجمالى . وقد يؤدى ذلك الى تقسيم الكلمة الواحدة الى قسمين أو زيادة شىء عليها مما بعدها فتوصل به ويعتبران ككلمة واحدة)) (٢٤) وشاعرنا رغم خروجه على ((العمود)) يستغل هذه القاعدة الموسيقية الى اقصى مدى ، لانها تحقق له — بعد الايقاع — كيانا تشكيليا يقصده قصدا . ان تقسيمه للتفعيلات فى القصيدة المشار اليها داخل البحر الواحد بمجزوءاته وما يحتاج اليه من زحافات وعلل ، يستلهم هذا القانون القديم فيطيل المسافة ويقربها ويزاوج بين المسافتين ، داخل ذلك الاطار الهندسى الصارم الذى دعوناه بالتناظر والتقابل والتوازى والتناقض . انه يموضع الالفاظ الواحدة حسب مكانها من الصورة المبتغاة وايقاعها المستهدف ، حتى يستولد من الشطرة الواحدة وموقعها من المقطـــــع فالقصيدة — أكاد أقول فالديوان — ذلك السياق الانفعالى المضطرم ، هكذا يضطر — أصلا — الى استخدام اكثر من بحر واحد فى القصيدة الواحـــــدة ، وهكذا يختلف عدد التفعيلات من مقطع الى آخر وفق ما ترتئيه الشحنة العاطفية من وضع مكانها فى الوان الصـــــورة الموسيقية وخطوطها .

فى الديوان الثانى يستقر هذا التقليد النغمى ، ولكن الشاعر يضيف علامتين جديدتين — أولاهما هى القافية الداخلية والاخرى هى النبر أو ما يعـــــرف فى العروض الغربى بالكم والارتكاز . انه حين يقول

ممزقا فى الوضم الليلى
أومغتسلا فى دمه البرى
أو مغتربا متزلقا على حبال النفى
أو منتظرا فى السرج المنطفئـــة

فهو انما يقول بيتا واحدا حاصرته قافيتان داخليتـــــان من شـــأنهما تنظيم موسيقى البيت الواحد من الداخل والخارج ومن الناحية العروضية البحتة ، لا بد وأن يجىء بعد حرف الطاء فى الكلمة الاخيرة حرف ساكن ، ولكن الضغط على الطاء فيما يعرف بالنبر — وهو صوت الحرف عند النطق — يحدث عملية امالة واطالة تجعل الحرف بين الساكن والمتحرك .

وفى هذا الصدد لا يكاد الــــديوان الجديد يضيف جديدا ، بل ان هــــذا التلاعب الوزنى ، بحورا ونبرا وقوافى داخلية ، ليست كلها كشوفا خاصــــــة بمحمد عفيفى مطر فقد عرفها غيره من شعراء جيله والجيل السابق عليــــه .. وانما أردت القول أنه فى اللحظة التى نتطرف فيها الحساسية الشعرية لــديه نحـــو أقصى درجات الحــــداثة ، فانه لا يستنكف اللجـــوء الى أدوات تعبيرية قديمة — كاستخدامه لبعض الالفاظ المهجورة تماما — وتغيير وظيفتها الغنيـــــة فى السياق الشامل للقصيدة . وهو السياق الذى يبلور فى الشكل المرئى المسموع وفى الرؤيا الباطنية مجموعة من الخصائص البارزة اهمها :

● ان التجربة الرئيسية التى تتخلل النسيج الشعرى بأكمله ، هى تجـــربة الانسان الذى لم يعش ولم يمت أو الذى يحيا ويموت محاصرا بأسيجة خفية من القهر الاخطبوطى ، حيث تمد أذرعته حتى جدار العالم الاصم خارج الانســـــان كما تمتد حتى أدق الشعيرات الدموية تحت الجلد داخله . لذلك فالتجربة فى صميمها تراجيدية .

● ورغم بلوغها التام للذروة ، فان عوامل احباطها سرعان ما تهوى بهــــا عبر منحنى سريع الانحــــــدار يجسمه الشـــــاعر فى مونولوج درامى لا يشرك معه صوتا فى مأساته ، ولكنه يحتضن كل الاصداء التى تنبع وتصب فى التيار الشعورى الدافق . ان العالم من حوله كتلة سديمية غارقة فى ظلمة لا تبين ، لذلك فهو لا يلجأ الى الاخر ، أيا كان ، فى الطبيعة أو فى المجتمع .

● وتجربة محمد عفيفى مطر لا تحتمل التأويل الفكرى المجرد ولا الانشاد الغنائى الصرف ، لانه فى بنائه لها يقيم معادلا موضوعيا يفيد من فكرة الحلول والتناسخ والتحول كمــــا يفيد من الفن التشكيلى الحديث والموسيقى الهارمونية والمعمار الهندسى ، بحيث تجىء اللفظة فالشطرة فالمقطع فالقصيدة ، لا انفصال داخلها بين الانفعال والصورة والايقاع ، وان بدت من الخارج غريبة التقاطيع غامضة الملامح

ان شـعر محمد عفيفى مطر لا يطهرنا بالمعنى الارسطى للكلمة ولا يحررنا بالمعنى الذى يقصده سارتر ، ولا يعلمنا بالمعنى الذى نفهمه من بريخت .. وانما هو يتوحد بنا — اذا ما ولجنا من نافذته السرية — ويحتفر أخدودا غائرا فى روحنا ، تطل منه بين الحين والاخر على ذاتنا الاصيلة اطــلالة المواجهـــة الشـــجاعة والحوار الابدى مـــع النفس . وهى مواجهة «اشكالية» يتقمص فيها صوت الشاعر صوتنـــا ، حتى ليبدوان صـــوتا واحـــدا ، نمارس خلاله نوعا من التوترات الدرامية الشـــبيهة بالشـــعائر الدينية فى طقوس الســـــحر البدائى .. ولكن دون أن تكون هناك قوى مفارقة للطبيعة يتوجه اليها الانسان بالخطاب .

(٢٣) هنا يجب أن نذكر فضل مصطفى صادق الرافعى فى ((صنفرة)) الكلمة عند الشاعر .
(٢٤) عبد السلام شراقى — المذكرات الوافية فى علمى العروض والقافية وفق المنهج الحديث — ١٩٢٩ .

٣

الرحلة إلى «ماوراء الواقعية»

ادوار الخراط

ان المدخل الى هـذا الشتات من التاملات فى عمل يحيى الطاهر عبدالله هو التفرقة ، بدءا ، بين « ما بعـد الواقعية » و « ماوراء الواقعية » .

ولا حاجة بى الى أن أعود فاقصـل الكلام عن انحسار المد «الواقعي» عن ارض الادب المصرى ، فى أواخر الخمسينات فتلك ظاهرة أصبحت من وقائع التاريخ الادبى ، حتى لقد دعت ناقـدا كبيرا واحـدا ، على الاقل ، الى أن يبشر بعودة الرومانتية . وان لم تكن قـد تحققت بشارته ، بمعنى مباشر ، فأظن أن « الموجة الجـديدة » التى حملتها الستينات الى أدبنا وما زال مدهـا يؤذن بالتصاعد تنطوى على تيارات تحتية من الرومانتية بالمعنى العريض الشامل . هـذا اذا اخـذنا بالتقسيم الاسـاسى المصطلح عليه ، بين موقفين رئيسيين لا فى الادب وحده بل فى خبرة الحياة كلها ، الموقف الكلاسـيكي من جانب ويندرج تحته كل ماهو متزن ، مهندس عقلى ، شكلى ، معنى بدعم التراكيب الاجتماعية وحريص على تقنين العلاقات الاجتماعية فى شتى صورها ، قائمة كـانت ام قادمـة ، ومطهر من لوثات الحس العـارمة ، وسـبحات الخيال وشطحات الادلاج الى أدغـال النفس المخبوءة او الى متاهات الوجد الكونى ، والموقف الرومانتى من جانب آخر وهو رد الفعـل الـدائم ـ كامنا كـان أم متفجرا ـ ضـد قيود العقـل والمنطق المحسوب ، ضد المنهج المتدبر والقوانين الاسطاطيقية المثلى ، الموقف الـــذى يميل بل يغرق تحت عبء الهوى والنشوة وينطلق بكشـوف الحدس غيـر المبرر ويتفتت مع نزوات التلقائية والحـرية والتمـرد ، شـكليا واجتماعيا على السواء ، ويغوص فى أحشاء الحسية ومتعات الجسـد ، ويهاجم ، هجـوم العاشقين ، كوابيس اللاعقل الشاخصة فى الظلمات الداخلية ، أو يغامر بالرحيل نحو اللامتناهى فى الإنسان وفى الكون .

ومن المسلم به أن العلاقة الجدليـة قائمة بين هذين الموقفين الاسـاسيين ، وأن الدورة الدائمة تعمل عملها سلبا وايجابا ، لا بينهما فقط ، بل بينهما ـ أو بين العلاقة بينهما ـ من ناحية وبين المركب الحضـاري الاجتماعي والنفسي التى تظهر فيه هذه العلاقة ، ومن هنا جاء زعمنا بأن الموجة الجديدة فى أدبنا منذ الستينات ، لم تكن رد فعل رومانتى خالص ـ ولم يكن من الممكن أن تكون ـ فهي ليست « رومانتية جـديدة » ولكنها أولا وأساسا لم تكن « واقعية جديدة » .

ليست « واقعية جديدة »

واذا كان قد أطلق على هذه الموجة الجديدة ، حتى وقت قريب ، اسم «أدب الشبان» وحاول بعض الكتاب ـ ومنهم كاتب هذه الكلمات ـ أن يصحح ذلك ـ وأعترف أنه تصحيح فيه كثير من سقم ـ بأن يسميها «أدب الشباب» أو الادب الطليعى «الشاب» ، فقد كان من سوء الحظ أن ثارت زوابع خماسينية كثيرة نصيبها من التراب أكبر بكثير من بشارتها بربيع أو صيف جديد ، وأظن أن الوقت قد أزف ، بل أزف جدا ، لاستطلاع قسمات هـذا الادب الجديد ومحاولة تحديد الاصوات الاصيلة فيه .

وأظن أن مصطلح « الواقعية الجديدة » الذى تردد كثيرا فى جهود نقدية ما ، تهدف الى تسمية قطاع كبير من هـذه الموجة الجديدة ، قاصر بلا شك عن الوفاء بالتسمية والتعريف وفضفاض ، اذا لم يكن يحمل اساءة وادانة ، فنحن قد عرفنا القسمات المميزة للواقعية ، سواء كانت واقعية نقدية او اجتماعية أو اشتراكية الى آخر هذه التفصيلات ، وظنى أن اطلاق صفة « الجديدة » على أعمال أدبية أو فنية ليس الا نوعا من التاكيد ـ بقصد أو غير قصد ـ أنهـا لاتأتي فى حقيقة الامر بجديد ، أى أنها تطوير وتهذيب لمنهج قديم استنفد أغراضه ومحاولة لاحتواء ظاهرة متفجرة تحمل تحديا أساسيا ، بمجرد اعادة تفصـيل لاثوابه كانت متسقة مع الماضى ولكنها ضاقت من أن تحتوى المستقبل ، ولذلك فان خروقها تتبدى على الفور ، ومن الحتمى أن تسقط الخرق القديمـة عن الجسد الفتى المحتشد بطاقات وأبعاد جديدة .

وفى ظنى أن تسـمية « الواقعية الجديدة » هنا ليست الا اعلانا عن افلاس فى الغالب ، والافلاس قد يكون نقديا أو ابداعيا على السواء ، هى تسمية تكتفى بأن تلاحظ ـ على المستوى الزمنى والتاريخى فقط ـ « مابعد الواقعية » ولكنها لا تحاول أن تستكنه « ما وراء الواقعية » ـ واذا جاز التعبير ، فان « البعد الميتاواقعى » أو بعد « ماوراء الواقع » ليس مرتبطا ، بالضرورة ، بتعاقب زمنى ما ولا بتسلسل مراحل تاريخية معينة .

● هناك ملاحظة أو اثنتان على أن أسجلهما قبل أن أنتقل من هذه المقدمة وأخشى أن تكون قد طالت الى حد ما • فمن المفهوم بداهة أن هذه المصطلحات النقدية جميعا لم تجد في أدبنا المصرى تحقيقا كاملا وملبثا وتاريخيا ، أو اذا شئت لم تزدهر لها النماذج الطهور النقية ، وواضح أننا سواء في أدبنا أو في مجتمعنا، نجتاز منذ عصر الاحياء عندنا ، مرحلة معقدة ومتشابكة ، واذا كنا قد استعرنا « اللغة » الحضارية المعاصرة في الادب أو النقد وفي سائر جوانب الحياة فقد احتفظنا أيضا بتراكيب « لغتنا » القديمة ، العربية والفرعونية معا ، وما زال الشادوف والساقية يتجاوران مع الجرار والمضخة وما زالت لمبة الجاز تتراقص ذبالتها الواهنة على الطبلية الخشب ، تحت جدار الموتور الكهربى الهادر وبالقرب من التوربينات ومحولات الضغط العالى وأفران الصهر وتحت أزيز الكوميت والميج ، ذلك ينطبق على الادب والجهود النقدية أيضا — وأريد أن أقول أن هذا ليس عيبا على اطلاقه بل قد يكون وجه خصوبة وأصالة عنيدة — أما الملاحظة الثانية فلعل مكانها ينبغى أن يجىء فى صدارة أى جهد نقدى — ومن المؤسف أننا كثيرا ما ننساها مع ذلك — فمن الاشياء القليلة التي أقطع بها أن كل عمل فنى صحيح انما يتجاوز هياكل وأعمدة المصطلحات النقدية ، ان كل تشكيل فنى متحقق هو فى النهاية كيان فذ قائم بذاته ، معقد وجوهري ويتعدى كل تنميط أو نمذجة ، بل ان عيوبه الشكلية أحيانا ، قد تكون علة جماله الخاص وتفرده وحيويته • وليس حديثنا عن التسميات والمواصفات النقدية الا تقريبا من التقريب ، سواء كان ذلك من حيث المعايير الاسطيطيقية البحتة وهو الميدان الحق للنقد الادبي ، أو من حيث اقامة وكشف العلاقات بين العمل الفنى والظواهر الاجتماعية أو النفسية أو الفلسفية الى آخره ، وهى العوامل المساعدة فى الفهم والتذوق ، والاصل فى ذلك كله هو استعصاء العمل الفنى الحق على الاطر والتقنينات ، وامتلاكه خاصية التفرد وسطوة السر المرصود الذى لامفتاح الى محراب قدسه الخبىء.

● نشرت « ثلاث شجرات تثمر برتقالا » المجموعة القصصية الوحيدة ليحيى الطاهر عبد الله فى ١٩٧٠ ، وهى تضم اثنتى عشرة قصة قصيرة كتبت أولاها « طاحونة الشيخ موسى » عام ١٩٦٢ ونشرت فى مجلة روزاليوسف ، وكتبت آخرها « جبل الشاى الاخضر » عام ١٩٦٨ ونشرت فى « مجلة ٦٨ » وأعرف ليحيى الطاهر عبد الله ، بعد ذلك ، اثنتى عشرة قصة أخرى نشرت متفرقة فى مجلات « المجلة » و «٦٨» و « المساء الادبى » و « الهلال » و «الاذاعة» هى على التحديد : «ايقاعات بطيئة ومنتظمة أيضا » ، و « المهر » و « حج مبرور وذنب مغفور » و « الجد حسن » و « فانتازيا المنف القبيح » و «الرقصة المباحة» و «الدف والصندوق» و «الرسول» و «صلاة المغرب جماعة بمسجد عبد الله» و «أغنية العاشق ايليا» و «البكاء والثالث» و «الجثة» (قصة «أنشودة الطراد والمطر» التى نشرت بمجلة الاذاعة هى « الحركة الاولى » من قصة «معطف من الجلد للمطر» المنشورة فى مجموعته ، أما قصة «الصندوق» التى نشرت فى مجلة «نادى القصة» فهى الجزء الاكبر من قصة «الدف والصندوق» المنشورة فى المساء — مع تصحيحات أسلوبية طفيفة وللكاتب قصتان أخريان ، اندمجتا فى روايته غير المنشورة «الطوق والاسورة») وتبقى بعد ذلك خمس قصص لم أستطع الحصول عليها ، ولست أعرف ما اذا كان الكاتب قد أهملها ، أم أدمجها ، كما هى أو معدلة ، فى قصص أخرى منشورة ، وهى وفقا لقائمة بخط الكاتب : رحلة السبع سنوات (روزاليوسف) قلب الام (الصرخة) مدرس التاريخ [؟] كمان محطة (الحقائق) جريمة قتل (الحرية اللبنانية)



يحيى الطاهر عبد الله

● هل يمكن أن نستخلص شيئا كثيرا من مجرد الاحصاء الكمى لعطاء كاتب ؟ ان أربعة وعشرين قصة (محققة) على مدى عشر سنوات ليست بالكم الكبير ، فهل يلزم أن نقول أن البداهة هنا لاتعطى كبير وزن للاحصاء الكمى ؟

● ولابد أن نبدأ مصاحبة الكاتب فى رحلته الى ماوراء الواقعية بقصته الاولى المنشورة « طاحونة الشيخ موسى » ومن البداية ، وبنظرة نلقيها الى الوراء من المواقع التى وصلت اليها رحلة اليوم ، سوف نلمح فى هذه القصة بدايات اهتمامات الكاتب اذ يشد رحاله من نقطة العلاج الواقعى المألوف والحكاية هنا حكاية اصطدام الواقع بخرافة — على المستوى القريب المتناول — فالخواجا نظير « تاجر القرية والمتصرف فى تموينها من شاى وزيت وسكر وغلال وما يستجد من أعمال » قد بنى طاحونا وجاء بماكينة طحين نصف عمر ولكن «الشيطان ركب عقل القرية» فالخلق تعرف طول عمرها أن المكنة لا تدور الا اذا أكلت طفلا صغيرا هو الذى يصرخ « توت .. توت » .. والامهات يفعلن كل شىء ولا المصيبة فى الضنا ، ولكن الحل يأتى عن طريق موكب الشفاعة الذى يقوده الخواجا نظير القبطى قاصدا لمقام الشيخ موسى ولى القرية وواسع المدد الذى يدخل الماكينة ، فاذا بكل شىء ينفك وتمر التروس فى طحن مكتوم من قلة الزيت وتعلو الصرخات : توت .. توت .. وتلعلع زغرودة ويعلق الخواجا نظير على أكتاف الزفة اللافتة التى تؤذن بانفكاك الرصد ودوران الحياة .. « طاحونة الشيخ موسى لصاحبها الخواجا نظير .. وابنه منيو » ..

بين الواقع والخرافة

● ان القضية التى أزعم أن لها مكانا أساسيا فى كل عمل يحيى الطاهر عبد الله هى ، على وجه الدقة ، العلاقة الجدلية و « الميتاواقعية » بين الواقع والخرافة .

وليس بالصدفة على الاطلاق ان أول قصة منشورة له تعالج هذه العلاقة بالتحديد - ومن الواضح أن ذلك ليس الا ايماءة ، وبذرة ، وما كان من الممكن أن نتبينها الا من الموقع الذى بلغته رحلة الكاتب اليوم ، كان من المشروع جدا أن نرى هذه الحدوتة كلها نكتة اجتماعية وطريفة ، فليس فى علاج الكاتب ، هنا ، على سطح القصة ، ما يوحى كثيرا بتطوره اللاحق ، اللغة بل الاداة التعبيرية كلها مازالت متأثرة جدا بالاسلوب الواقعى الذي عرفناه فى ركام قصص وحواديت الخمسينات « الواقعية » ، والاهتمام حسن النية بلا شك ، وهناك روح من السخرية المعطوف بالناس ونبرة التهكم الخفيف بهم ، والسياق يسير فى مجراه الخارجى ، الا من اطلالة للحوار الداخلى القصيرة هنا أو هناك ، وليس فى هذا كله من غريب على التكنيك «الواقعى»

● ومع « ليل الشتاء » يخطو يحيى الطاهر عبد الله أولى خطواته فى عالمه

الشاص المتميز » من ناحية ، وبتجربته يده بأساليب التجديد فى تقنية القصة القصيرة من ناحية أخرى .

وسوف أحدد قسمات هذا العالم الشاص المتميز على الفور ، هى قسمات أخذت تزداد جلاء وتستنير وتتخذ حدودها القاطعة عبر رحلة الكاتب كلها ، حتى روايته الاخيرة غير المنشورة « الطوق والاسورة » . فى هذا العالم سوف نجد ، دائما ، مستويين : هناك العلاقات الخارجية المتشابكة والمعقدة التى يخططها الكاتب بنوع من الولع بل الوجد لفرط الاتقان فى التقصى والمتابعة ، على المستوى الاول ، تلك العلاقات الاسرية الشكلية المتقاطعة والمتواصلة : يحرص الكاتب دائما على أن يرسم لنا شجرة العائلة التى تدور قصته فى فلكها ، لابد أن يذكرنا بأصل العائلة ونسبها ، الجد واسلافه ، وأبنائه وأحفاده ، الاعمام والاخوال ، والاصهار وقصص الزواج والطلاق والاملاك بالفدادين والقراريط والارث بحصصه وتحدد أنصبته هذا هيكل شكلى كامل للعلاقات الشرعية محدد ومتطوع بسببه ومحكوم به بقوة العرف والقانون ، كأنما يوشك الكاتب أن يضع حجة شرعية أو عقدا فى محكمة أو « شبكة الورثة » المعروف . ثم يرسم الكاتب ، فى ضربات قصيرة وقاطعة ، الموضع الاجتماعى لابطاله ، والموقع المادى لهم . ليس العالم هنا خارجيا فقط ، بل أكثر من ذلك بكثير ، انه صيغة ثابتة ، وتجريدات جامدة كاملة البطالة ، هو سطوة « القانون » القديم المسلم بها دون أدنى محاولة لانكارها ، بل ليس هناك أدنى نزعة للمساءلة فيها دع عنك الاحتجاج أو الاعتراض والتمرد ، أعمدة رقيقة جدا لفرط تعريتها وصلبة جدا لافكاك منها . . مرة بعد مرة بعد مرة يضع الكاتب هذا البناء الشفاف المحكم المسدود حول عالمه ، يدور به ، بحكم اغلاقه حوله دون ثغرة يمكن أن تهب منها نسمة هواء ، يسد كل منافذه فلا راد لحكمه ، ولكن فى شفافية تامة ، ووضوح تام . هذه أحكام القانون الاجتماعى تطبق على عالمه ، من الخارج ، حيث الشرع والعرف ، وعلاقات النسب ، والمواضعات الاجتماعية ، وحدود الاشياء الجامدة ، قيم مسلم بها تكاد تكون بدهية ، ضاغطة حتى الاختناق .

● ولكن هذا هو الطرف الاول فقط من تفاعل جدلى شديد الخصوبة . ففى داخل هذا العالم ، وطول الوقت ، وبانصهار تلقائى شديد الحرارة ، سوف نجد العلاقة الحميمة — البيولوجية — بين الام والابن ، بين الجد والحفيدة ، بين الأخ والاخت ، بين الاب والبنت ، بين الولد وخالته ، بين المرأة وزوجها الذى طلقها أو قتل فى سكة بيتها ، بين الشخصية والارض والماء ولهيب الفرن وأغصان الشجرة ، الصلات الحسية بل العضوية الساخنة . ومنذ قصته الثانية « ليل الشتاء » نجد الام التى تزيح الغطاء عن رأس ابنها وتقبله وتحس فى صميمها « شهوره التسعة بين الضلوع ورضاع البز وفطام الحمص المعجون بالزبد » . وعبر الرحلة كلها سوف يفاجئنا هذا الحنو الحسى بل العرامة الحسية والمأساة الحتمية فى داخل العلاقات البنائية المفروضة من الخارج .

فى « الوارث » و « جبل الشاى الاخضر » و « الدف والصندوق » و « الجدجسن » سوف نجد الاجسام العارية والانغماس فى أحضان الامهات ودفن الرأس بين أفخاذهن — كأنهما نحن على وشك الفسق بالمحارم — والاثداء المتفجرة أمام الام فى حرارة تفتح المراهقة ، وهواء الفرن الساخن وانعكاس نيرانه على الافخاذ المكشوفة والشبق الحيوانى للطفلة الانثى أمام أخيها الصغير ، وانهمار الدم الاسود فى أمواج النيل وطفوحن الوفاء بالحاجات الجسدية جميعا بين البنات وآبائهن وأجدادهن ، وهذه الرقبة القاطعة التى تربط بين الاسلاف والذرية وأخوة الدم أمام سطوة نزعات الحس التى لا تقاوم : قسوة القهر الداخلى والخارجى معا ، وعذوبته المأسوية فى آن واحد ، فى التحام الاثلاث والاسلاب وطرادها ، فى قمائنها وتنانيرها .

البعد الميتاواقعى

● من هنا ، بداءة ، يتبدى ذلك البعد « الميتاواقعى » ، تلك الخاصية التى تقع فى « ماوراء الواقعية » ، فى هذا العالم الذى تحكمه وتغلقه ارادة مجردة ، ارادة الاعراف والاحكام والقانون والاشياء ، ثم تحتدم فى داخله — بل تكاد تعربد — دفقات العلاقات البيولوجية داخل هذه « العائلة المقدسة » التى يبتعثها الكاتب من جديد ، على أرض صعيد مصر ، المحرقة ، وفى عبقها الخاص ذى النكهة الحريفة .

● ومنذ هذه القصة « ليل الشتاء » نلمح ، كما قلنا ، بدايات الاهتمام بالتكنيك التجريبى أو التجديدى ، ويهمنى منذ الان أن أشير الى أسلوب الحوار الداخلى المروى بضمير الغائب ، وادخال الحيل الشكلية فى السرد : الاقواس الاعتراضية التى يقصد بها الى التقطيع الزمنى والى ادخال الماضى فى صلب المضارع واستهداف التبعيد والتغريب .

● ومع « تابيل الساعة الثانية » تبدأ مجموعة من القصص القصيرة هى على التحديد « تابيل الساعة الثانية » (١٩٦٣) و « ٣٥ البلتاجى ٥٢ عبد الخالق ثروت » (١٩٦٤) و « حصار للزوادة » (١٩٦٦) و « أغنية العاشق ايليا » (١٩٧٠) . وتمثل سلسلة من الانطلاقات الجانبية ، فى غير المسار الرئيسى لرحلة يحيى الطاهر عبد الله الى ماوراء الواقعية ، فهى تخرج عن جادة النهج الذى يخوضه فى غمار الواقع الذى يكشفها ، ومن ثم ينشئها انشاء ، فى أرض حساسيتنا الجديدة . أعنى أن هذه الطائفة من القصص يمكن لنا أن نسميها قصص المدينة ، أو قصص الهموم الاجتماعية فى المدينة . وفى قصتى « الثلاث ورقات » و « معطف من الجلد للمطر » أصداء لهذه الهموم ، على أن قصة « فانتازيا العنف القبيح » تظل نسيج وحدها فى هذا السياق .

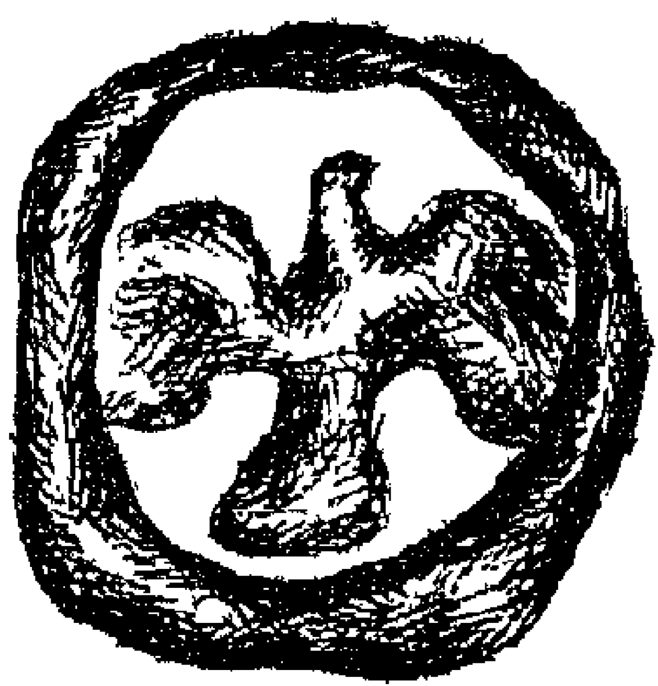
● ولست أزعم أننى أجد فى هذه القصص الاربع توفيقا كبيرا ، وان كانت كل منهما مغامرة قائمة برأسها فى ميادين التجريب التكنيكى ، ومازالت فيها أصداء المنهج الواقعى القديم أو الرؤية الواقعية القديمة ، بل أزعم على العكس أن موهبة يحيى الطاهر عبد الله الحقيقية — ولست أقصد مجرد براعته التكنيكية أو حذقه صنعته — بل أعنى اسهامه الفردى المتميز — لاتنفتح ولا تزدهر فى هذا الضرب من ضروب قصص التعليق الاجتماعى ، أنه قد يكون مسليا وطريفا — وهو كذلك على الارجح — فى هذه القصص ، ولكنى أظنه هنا يخضع لاغواء سهل ولكنه عقيم ، قد يكون ايديولوجيا ، وقد يكون انعكاسا لخبرات الكاتب فى وسط تروس المدينة الدوارة القاضمة — أجهزة المكاتب وبيروقراطيات الخزينة والدرجات والاستمارات وعقود ايجار البيوت وخلو الرجل والحجوزات ومحطات الاوتوبيسات وشوارع السينمات واعلانات الراديو — ونلاحظ مع ذلك أن طرفى التقابل الرئيسى فى تكنيك يحيى الطاهر عبد الله ما زالا هما المحوران البنائيان لهذه القصص — على غرار قصصه الاخرى — فهو يقيم الهيكل الخارجى القانونى والاداتى الصارم البارد الكثير التفاصيل ، انه يذكر لك مثلا أجر عباس الدلدراوى بالمليم والدانق ، كما يقال . ويحدد لك مسار أوتوبيس « ٥ » و « ١٥ » « وهما الوحيدان اللذان يوصلان لبولاق الدكرور» وخطته فى ركوب أوتوبيس « ٦ » ويشبع حشابات المسلفة بالضرب والقسمة والطرح ، ويسوق اليك التفاصيل الباردة المعراة — كأنها تقارير محاضر التحقيق فى النيابة — عن الملابس وأوقات الحضور والانصراف وزملاء الشهر والشهادات فى المدارس والترقيات والمرتبات والافلام والاغانى ونشرات الارصدة الجوية .. ولكن هذا العقد من الابنية الخارجية يخنق القصة هنا ،

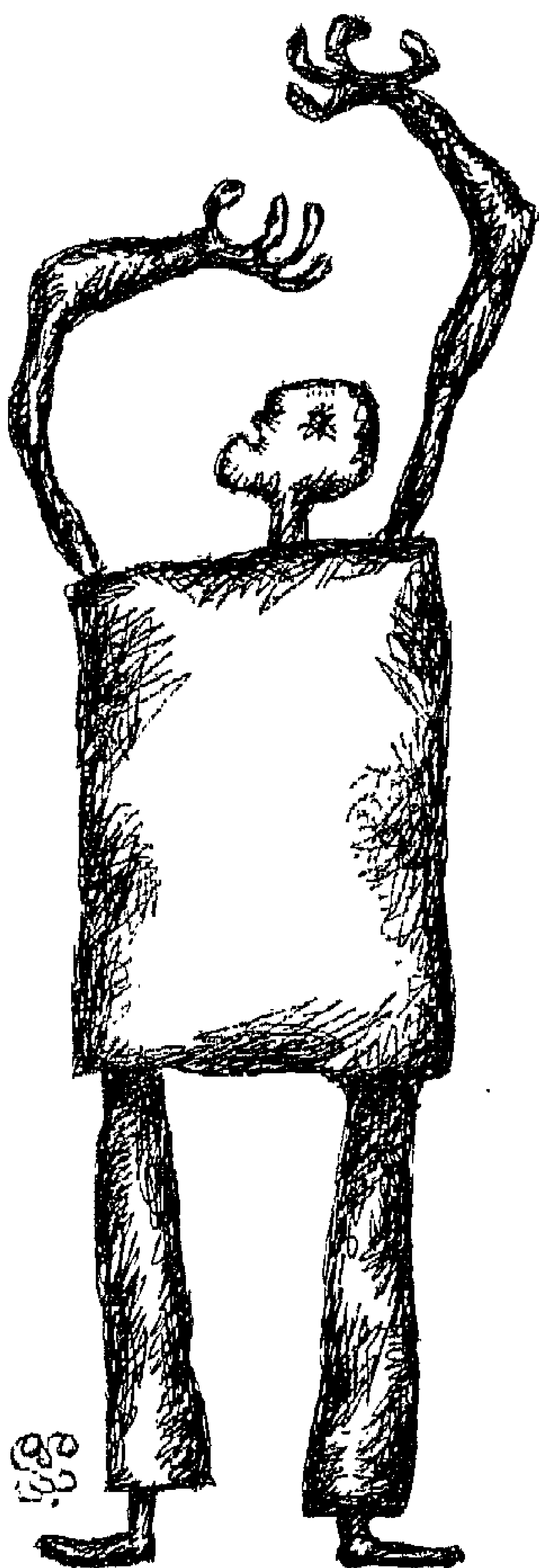
الى كفته ترجح جدا ، فلا نكاد نستشف الانســـان من تحت ركام الدقائق التى تفتقد نبضها الضرورى الحى ، فتنحسر منها الدماء ، وتبقى صامتة ، أنقاضا محزنة مصنوعة بأسلوب فكه ، لاتحمل رسالة ، فلا تهتز ولا تونسع فى العمل الفنى عصارته الدفينة ، ويظل أكثر قليلا من مغامرة تكنيكية مجدبة ، ولكنه اقل كثيرا من عمل فنى متحقق .

● وفى « قابيل الساعة الثانية » كمال أفندى يريد أجازة يومين ، ولكنه لايستطيع بشكل ما أن يقدم الطلب ، ومن ثم فهو يأخذ يومين راحة ، بورقة نظيفة بيضاء تقول أشياء كثيرة .. والحق أن الكلام كثير جدا فى هذه القصة . وهو كلام يجرى على نسق حوار داخلى ونتف ممزوعة من حياة كمال وشذرات من أحاديثه مع نفسه ومع الغير وخفقات من ماضيه ومشاكله ، على صياغة من تداعى الخواطر والكلمات وتقاطع الداخلى والخارجى وتعايش اللغة المحكية والرسمية وتداخل التافه والحيوى وتعاقب المأثورات القديمة والطرف الصحفية ، لكن ذلك كله يأتى فى تجاور مرصوص يفتقد النضارة الداخلية ويعوزه التدفق الحار الذى تزكو فيه الحياة وترف أو تهضب وتعنف على السواء .

الحياة اليومية .. والاسطورة

● سوف نجد نفس التكنيك تقريبا فى «حصار طروادة» (١٩٦٦) ، مع ادخال عنصر آخر هو عنصر حكاية الاسطورة اليونانية ـ وأقول حكايتها ولا أعنى بذلك الاسطورة فى حد ذاتها بل أعنى حواديتها ـ والتكنيك هنا يعنى بادماج هذه الحكاية اليونانية القديمة فى شبكة الحياة اليومية القاهرية العادية ، بأسلوب السخرية الجاف والحيل الاسلوبية التى يقصد بها كسر أى شبهة فى الاندماج أو التعاطف ـ هنا يرمى الكاتب الى خلق جو محايد مترفع والوصول الى التبعيد المغرق ، حتى يصل الى وقع حاد وفاجع ... ولكن الاسلوب التكنيكى يخون المقصد ويحبطه ، ان الاعتراضات بين القوسين ، والاشارات الى الاعلانات والمحتبابات والملاحظات الفلسفية والتعليقات التى تحمل فى طياتها اللغو الصراخ تضع بين أيدينا فى النهاية « موزاييك » قد رسم ، وصنع ، بوعى وتبعا لخطة ما ـ لكن هذا الوعى نفسه ممزق وفيه فصام يصيب العمل الفنى بشروخ متقاطعة تعطب بنيانه ، وهذه الخطة نفسها خطة عبثية تعيث فسادا فى الهيكل العضوى للقصة ، ان القصة هنا لاتنجح فى خلق الحس بالتمزق والفصام والعبثية بقدر ما تعانى نفسها من سقم التمزق والانفصام والتشتت . ولكن الكاتب قد نضجت له أداة تعبيرية قوية وهو برغم





الاخفاق الفنى فى القصة ـ كما أزعم ـ يترك فى الفم مذاقا بالاحباط وفى العقل حسا غائما بالحصار والضيق فى قبضة « القاهرة » العصرية ، وتظل طروادة وحكايات اليونانيين القدامى حيلة استعارية أو حيلة تكنيكية لا أكثر .

● وفى « ٣٥ البلتاجى ٥٢ عبدالخالق ثروت » [١٩٦٤] حيلة تكنيكية اخرى ، اكثر سذاجة ربما ، واقرب الى المفاجأة الميلو درامية ، اذ نجد موظفا يبلغ الشرطة عن جريمة قتل ، وبعد فرشة طويلة بالأسلوب الواقعى المألوف نصطدم بنكتة ـ هل يقصد منها ان تكون مؤثرة ؟ ـ والنكتة أن القاتل هو نفسه القتيل ، البراعة

هنا موجودة وان كانت أقل نضجا ، ولكنها تبقى مجرد براعة وحذق شائق احيانا ولكنه بالتأكيد مفرغ من كل كثافة وجودية عميقة الاصول .

● وسوف يعود الكاتب فى ١٩٧٠ الى الاسلوب التبعيدى والواقعى [البريختى ربما] فى « اغنية العاشق ايليا » ، وما من شك فى أن أحكام الصنعة هنا اكثر تماسكا ووثاقة ، وان مسار التعليق الاجتماعى أذكى وأنصع ، وان الهم الاجتماعى والسياسى أوضح وأنفذ ، وان التجاوب بين طرفى البناء الداخلى والخارجى اوقع واعمق معا ، ان القصة هنا اكبر حظا من التوفيق الفنى ولكنها تبقى فى ظنى عملية عقلية مشربة بالتهكم الخفيف المطوف ، هى عملية يجور فيها الكاتب على اثمن مافى موهبته ، واثمن مافى موهبته هو الحنو على الناس الذى يدمجه فى حشاياهم ـ داخل اطارات عالمه الخارجية المفروضة بقهر اجتماعى وكونى صارم ـ لا التعليق على بلاياهم تعليقا بريختيا يتوخى فيه موقف التغريب ويرصعه باللمحات الذكية اللامعة .

● قلت ان « فانتازيا العنف القبيح » [الهلال اغسطس ١٩٧٠] نسيج وحدها فى سياق « قصص المدينة » ، عند هذا الكاتب .. وقد أصبح البناء الفنى مألوفا الى تراكم التفاصيل الخارجية وبطاقات التعريف الجافة ، والتعليقات الاجتماعية المحايدة ولكن القصة ـ القصيرة جدا ـ تنتهى فجأة بملاثة غير مفسرة وغير مبررة ولكنها تبدو ـ فى اطارها المتأين المتحدد ـ حتمية ، تنتهى باقتحام عنصر لا طبيعى لا مكان له فى الواقع المألوف اليومى ، ولكنه مع ذلك يحتل بؤرة هذا الواقع ، هذا عنصر « ميتاواقعى » .. ان بطل القصة الذى يشرب ويرى العالم كله من وراء شفافية التبعيد الزجاجية ، بعين غريبة ، ويحدث نفسه عن عنق زجاجة البراندى وزجاجة الصودا ، والصداقة المقلقة بين الفتى الجميل اليونانى الاب اللبنانى الام وصاحبه الايطالى العجوز المتصابى ، والمروحة العاطلة فى البار ، والاضطراب الذى تثيره ثلاث بنات لهن اسماؤهن وصفاتهن ومكانهن من المجتمع بلبسن المينى جيب ، و « النسور المدربة يا الله هناك عند المنحنى .. النسور المدربة جيدا يا الله .. كل نسر يا الله يقبض بمخالبه القوية على فتاة .. لا يلتهمها بعد .. يطرح فتاته أرضا ويوسع فتاته ضربا .. قابضا على لمة شعرها .. شعرها القصير يا الله .. ويجرجرها على الارض . [التم جمع كبير .. وتحركت عربة الاخلاق .. كسرت الحلقة وتفرق الجمع واتى الهدوء المألوف المعتاد] » .. هنا يتحطم التغريب مرة واحدة ، وتتوهج النغمة ويسرع الايقاع وتتهدج النبرة .. وتعود العلاقة الجدلية « العضوية ـ الخارجية » بحياتها وخصوبتها .. ثم يعود التبعيد على هيئة تعليق هادىء وخافت السخرية بين قوسين ، ولكن

العالم يبدأ يكتسب عمقا لا واقعي ، وتكرار الايقاع وتراوح النغمات يعطينا شيئا كالرقية .. كالسحر .. وتلك من خاصيات اسلوب الكاتب في طائفة قصصه الريفية أو الصعيدية او الارضية ، بل « الاورفية » .. سمها ما شئت .. « الاضواء على الاسفلت تلمع .. الاسفلت الاسود .. اعمدة النور واقفة كالرجال .. واقفة تسقط الظلال على ارض الشارع المبلول الاسود الاسفلتي اللامع » .. ثم يأتي القصير الابجر الذي يشير الى بطل القصة ، بصحيفة الصباح ، فيطيعه كما لو كان في حلم او كابوس لا يملك من امره شيئا وهو مع ذلك يعلم ، سلفا ان العنف والالم والافتراس ، ولعله الموت .. الذي ينتظره .. وهو ينزل عالما سفليا يشعر فيه بالرطوبة ويشم رائحة الرطوبة .. ويأتي التوقع بدقات عددية متصاعدة .. ويأتي القصير الابجر ويضربه بعنف وحقد وكره .. « وربما يضربه القصير الابجر ـــ هذه المرة ـــ حتى الموت » .. هذه « الفانتازيا » من العنف القبيح ـــ على ايجاز تركيبها ـــ نافذة الاثر وحية في جوهرها الخرافي الذي ينبع من قلب الواقع المرير ويتجاوزه الى بعد يكتسب فيه هذا الواقع عمقا مروعا وقابضا ، حقيقة ، للقلب .. ان الرمز هنا يتعدى العلاقة الاستعارية المباشرة ، الى اشباع مضامين مخالط يسري في بنيان بل يسري في نسيج القصة كلها ، ويوحي ـــ لكاتب هذه الكلمات على الاقل ـــ بادانة نهائية للعنف الوحشي الذي عرفناه ونعرفه جميعا في المناخ اللاانساني الذي تشيعه القصة وتعيشه الشخوص .

القصص « الاورفية »

● قبل ان انتقل الى « القصص الارضية » بل « الاورفية » او قصص الصعيد ، عند يحيى الطاهر عبد الله ، وهي التي اراها اجمل ماكتب ، والجمال ليس صفة مظهر بل سمة جوهر ـــ أريد ان افرغ من امر قصة اجدها سيئة وهي مع ذلك القصة التي تحمل اسمها مجموعته الاولى والوحيدة حتى الان : « ثلاث شجرات كبيرة تثمر برتقالا » ، والقصة طيبة النية محمودة المسعى جدا ، هي قصة فتاة فلسطينية صغيرة وامها ، امام الارض المغتصبة التي لهما فيها ثلاث شجرات الخ ... ، وقد قتل الاب ، وغاب الاخ ، والاسلاك الشائكة تقف بين اصحاب الحق وحقهم .. هذا كله مشروع عظيم بغض النظر عن العواطفية « السنتمنتالية » المتسللة الكامنة في مثل هذا الموقف والذي يجب على كل كاتب ان يحذر منها حذره من السم الزعاف فهي السم الزعاف حقا الذي يضرب بنبضه القاتل في حياتنا القومية والفنية سواء ولكن الاداة التي تحمل هذا المشروع تخونه وتخذله ، هناك اولا اللغة بتراكيبها المستحدثة التي يأتي فيها الفعل متأخرا والمفعول به مبتدأ والخبر مقدما ، وهكذا ولم تكن النتيجه قلقا يريد الكاتب ان يصنعه فنيا ، بل مجرد قلقلة ، وهناك الاسلوب المزاميري ـــ بل الاقتباسات الكاملة من مزامير داود ونصوص التوراة ـــ ولم تكن النتيجة في صالح القضية ـــ وهي هنا قضية عقلية ممنطقة منذ البداية على كل حال ـــ القائلة بأن الضحايا اليوم ليسوا شعب التوراة بل هم ضحايا الاغتصاب الذي اقترفه شعب التوراة ، بل كان ثم حس بالاصطناع والتقابل الميكانيكي المقصود سلفا والموضوع وضعا بل يكاد يكون تقابلا مقحما دخيلا ، ولم يكن الحلم الذي يأتي فيه كل شيء احمر الا استعارة لا اريد ان اقول جافية وزهيدة الثمن بل اكتفي بأن اقول غير مقنعة ، وسينمائية جدا . ومع ذلك فهناك ايضا ارهاص ـــ ارهاص فقط ـــ بالحضور اللا واقعي في انفاس الاب المقتول الذي تحدثه الام في الخيمة ، كما ان هناك بشارة بأسلوب الرقية التكرارية ـــ الكلمات السحرية ـــ في التنغيم السردي والحواري على السواء .

● يبقى بعد ذلك أثمن ما كتب يحيى الطاهر : قصصه الصعيدية من حيث وصل الى ذلك البعد الذي أسميه « الميتاواقعي » والذي أراه كشفه الخاص واسهامه الخاص في ادبنا القصصي الجديد . وهذه الطائفة من « القصص ـــ الكشوف » تبدأ بقصة « محبوب الشمس » [١٩٦٤] اذ تتناول ثلاث عناصر او موضوعات رئيسية : القرية ، والمحصول ، والولد الصغير « الالبينو » او عدو الشمس ، ومن خلال هذا النسيج تمتد خيوط الخرافة الشعبية المأثورة ـــ ولكنها بقيت خرافة مأثورة اى مسطورة ، اى محكية مروية ، اى جامدة ميتة منقولة نقلا ، ولم تتحول بقوة الفن الى القيمة الخرافية العضوية الحية التي سوف نجدها في قصة مثل « الجد حسن » . فنحن نجد زحمة تشابك هذه الخيوط عن شهر زاد والشاطر حسن وملك الجان والرمانة المسحورة .. الى آخره ، زحمة لفظية لا اكثر . ومع ذلك فلم تنصهر العناصر الثلاثة في القصة ، ولا اهتز رحيق الحياة في خيوط الخرافة التي ظلت مضفورة ضفرا اجنبيا عن الواقع وعما وراء الواقع معا ، فلم تتجاوزه ولم تعطه حياة أعمق وانضر ، ولا كانت اللغة هنا قادرة على استيعاب العناصر في وحدة مركبة عضوية راقية تتمثلها وتتشربها وتخلقها خلقا جديدا ، بل ظلت كل المقومات مفككة ، متجاورة ، بل ملتصقة الجوار .

● ان قصص يحيى الطاهر عبد الله ، بغض النظر عن توقيتها الزمني ، تنتظم في مجموعات ، او افلاك داخلية ، تتجاوب فيها الرؤى بعضها مع البعض ، بل تتردد اسماء الاشخاص نفسها احيانا وتتصل بينها وشائج القربى في التصور والتصميم واسلوب العلاج والنسيج اللغوي . فاذا رأينا في القصص القاهرية مجموعة بذاتها ، وقصص الصعيد او الارض مجموعة اخرى ، ففي داخل هذه المجموعة الاخيرة يمكننا ان نتبين على الفور صلات الرحم الوثيقة ، اولا ، بين « الكابوس الاسود » و « الوارث » ، وثانيا بين « جبل الشاي الاخضر » و « الجد حسن » و « الرقصة المباحة » ، وثالثا بين « الدف والصندوق » و « المهر » ثم « البكاء والثالث » و « الجثة » وبين « ايقاعات بطيئة ومنتظمة أيضا » وأخيرا بين ثلاثية « حج مبرور وذنب مغفور » و « الرسول » و « صلاة المغرب جماعة بمسجد عبد الله » ، ومعنى ذلك ، بالطبع أن هناك تجاوبا آخر ، أبعد نغمة وارق وصلا ، بين هذه الثنائيات والثلاثيات بعضها والبعض .

الرؤى الخمس

● وبدخولنا مع يحيى الطاهر عبدالله في ارض ذلك البعد الاخر الذي عرفناه بالبعد « الميتاواقعي » او بعد « ماوراء الواقع » ، سوف نحاول ان نستكنه الرؤى ، او التيمات الاساسية في هذه الطائفة من القصص ، وسوف نسميها :

اولا ـــ الطقوس الجسدية الميثية [الاسطورية] ، بما يقرب من عبادة الحس وتراتيل اللذة التي يكمن في قلبها الفساد والعطب .

ثانيا ـــ « عمود الجد » : العمود القضيبي الرازح السطوة وموضوع التمرد في آن معا .

ثالثا ـــ الموت ، كائنا خرافيا ومتجسدا تجسدا انثروبومورفيا متأنسا وعضويا ، في قلب الحياة نفسها .

رابعا ـــ مأساة حلقة الثأر الدائرية التي لا انفصام لها .

خامسا ـــ النور الخرافي في مستوى الرؤيا الثاني .

هذه التيمات الخمس ـــ او الرؤى الحوانية الخمس ـــ هي التي تسيطر على عمل الكاتب ، وهي التي تكسبه ما اسميناه بالبعد « الميتا واقعي » .

● ولزام على ان اكرر ان هذا العمل لا « يصدر » عن علاج واقعي ، في مستوى اول ، ليذهب بعد ذلك الى ما « فوق الواقعية » كما يذهب السيرياليون منذ البداية ، اى ان الكاتب في مجموع نصصه الناضجة المتحققة ، لا يبدأ بفرشة واقعية تستخدم الادوات المعروفة من وصف للدقائق المتراكمة ، والتقاط للجزئيات الدالة على الكل ، ونقل لتفاصيل الخبرة اليومية ، ثم يمضي بعد ذلك فينتقل الى مستوى ثان يقع « فوق » هذا المستوى من الرؤية الواقعية ، ويكشف لنا فيه عن الموت او الحب او المقت او المتعة الحسية في النفس او في الخارج ، ليس هذا هو على الاطلاق تكنيك الكاتب ، انه كما قلنا ، يعمد الى اقامة بناء شكلي ومجرد وصارم من العلاقات المفروضة فرضا ، منذ البداية ، انه لايصف احد

الاشخاص في القصص مثلا ولايدخلنا ادخالا واقعيا في حواره الداخلي او حواره مع الاخرين ، ولا يرفع لناالديكور الذي يتحرك فيه ، أي لايعطينا « مادة » الواقع بتضاريسه ، ووهاده ونجاده ، بل يعمد الى ذكر نسب الاشخاص وترابط علاقاتهم الاسرية ويأتي بشذرات مترابطة من الحواريات ، كما يضرب حولهم سياجا يكاد يكون غير مرئي من الادوات ، ويضع حولهم عالما اجنبيا وغريبا عنهم ، تتخذ فيه الاشياء وضعها ، كشهود ، وحضور لها ثقل ، وجود ، لاتتزحزح : اي انه يقيم قشرة شكلية صامتة ، تبتعد ، بمجرد جمالها الشفاف الساطع ، عن كثافة الواقع واحتشاده وتذارته وجيشانه ، ثم هو فجأة يكسر هذه القشرة ، دون تمهيد بضربة واحدة ، لينفتح لنا هذا العالم الاخر الذي بدونه تصبح هذه القشرة لغوا وعبثا ، وهو عالم منير بالخرافة المتجسدة والطقوس الجسدية ، ومعنى ذلك ان يحيي الطاهر ليس كاتبا عبثيا بأي معنى من المعاني ، وان اشياءه وشخوصه ليست « متشيئة » بأي شكل من الاشكال ، وان الاغتراب — أو الاستيلاب — عنده مبرر تبريرا عضويا يتلاحم بالاغتراب نفسه ومن ثم فهو ينفي الاغتراب نفسه ، ويدخل الناس والاشياء والخرافة في حلقة انتماء وثيقة ضاغطة كأنها دائرة الرحم التي تغيب فيها النطفة ويموت الجنين ، وهي نفسها فتحة القبر الذي لايضم جثة بل يحتضن جسدا وليدا من جديد قائما من الاموات .

ولعل هذا التكنيك — في تصوري — هو مايميز هذا الكاتب ، ولعل فيه الهامه الخاص : اقامة القشرة الشكلية من قلب علاقات قهر خارجية ، وكسرها فجأة للدخول الى رؤيا خرافية اى « ميثية » شاسعة وحارة ، ولعل من هذا التكنيك تنبع شاعريته الخاصة ، وصلابة لغته واقتصادها الفذ ، دون ميوعة ، ودون حشو ولا تزيد .

● « النهار جارية بدم النفاس والولادة وليالي الطهور والزفاف : تشق الدروب الفارقة في العتمة ، ومواء القطط ونبح الكلاب وعواء الذئاب وهديل الحمام والاه والاي ونقيق الضفادع ونعيب البوم .. خمور مسكوبة ولعاب وبصاق وبول وقيء .. واجساد لرجال ونساء واطفال معلقة شعورهم بأفرع شجرة الحشيش النورانية السحب تنفث من مسامها الابيض الرمادى الاسود الترابى المغبر على الرحم الكبير الفاغر ينز بالدم والقيح والصديد وترعى داخله الديدان وتحوم حوله الغربان ناهشة ناعقة وتقطر منه مياه الهموم وتضربه الريح المتنائة والشمس الصفراء .. وفم طفل يمتص ثدي حاضن : يحيط به ذباب البقر والجمهر الوحشي اللاسع الطنسان .. »

هذه الفقرة الطويلة شيئا ما من قصة « الكابوس الاسود » هي في الواقع تقرير بلغة مباشرة — كلغة الرقى والاحجبة والسحر الشبيه بالسيريالية — عمسا اسميناه « بطقوس الجسد الميثية » في عمل هذا الكاتب . ولن يتكرر هذا التقرير بصورته المباشرة بعد ذلك في عمله بل سوف يتجسد بقوة الفن كثيمة مستقلة ومندمجة في العمل ذاته ، اندماجا حميما ، قيمة سوف نجدها في « الوارث » ، وفي « الجد حسن » ، وفي « الدنو والصندوق » تبلغ اجمل تحقق لها ، فهذه القصة كلها ليست الا احياء لطقوس الجسد ، فوران المراهقة عند مريم ، وانفجار ثدييها يمامتين فزعتين تغسل سواد الحلمتين منهما وسواد ما بين الفخذين مياه النيل الدافئة في مشهد عناق اخير لاينفصل فيه الحب الوليد عن الموت — موت البكارة والدخول الى لقانة النساء — وهي نفسها طقوس الصوم عن الطعام ، واعداد صنوف الاكل بمتعة لايخطئها الحس ، واداء واجبات الوضوء ، والخلاص من نفاية الجسد — الابريق والطست والماء تجهزه الحفيدة الصغيرة — اللحم الطفلي الانثوي الطري الرقيق الذي مايني يظهر مرة بعد مرة في قصص هذا الكاتب . ان المتعة بالحس عند هذا الكاتب من طراز المتعة المصرية العريقة الضاربة بجذورها في اجسامنا وفي جسد تربتنا ، منذ القرابين التي قدمها اسلافنا الى الالهة الاولى — آلهة الموت — من البط والوز والفراخ وافخاذ العجول الحمراء والبصل الاخضر والكرات والبيض الى ترابين الرحمة والنور على قبورنا في أعيادنا . هذه الحسية — او الحساسية — باللذات الارضية كانت ترتفع عند اهل الكرنك القديم — ومنهم صاحبنا — الى ذروة طقسية فيها تقديس أولى صريح . وفي هذه الطقوس يلعب التبغ والبسطورهما العضوي المحتوم في تعاقب من اللذة والعذاب لاينتهي ، وسوف نرى ذلك في « جبل الشاى الاخضر » وفي « الرقصة المباحة » في نور مؤلم السطوع : عذاب الحرمان الجسدى المتفتح ، كالجرح على قسوة غير مفهومة ، وتوحي بأنها لاراد لها ، ولايمكن قهرها ، لانها اساسية ولكن الحنو ، والرقة ، اساسية ايضا ، والتحاضن العائلي — سلبا او ايجابا — قوته التى تتدرج في تفاعل مستمر مع القوة الاخرى .

هذا كاتب يعشق العضوى والحسى ، والمتجسد ، ويعرف الثمن الفادح الذى يقتضيه العشق الحسي ، كما يرسم الطقوس التي يدور في فلكها التحقق والعقاب ، النزو الى اعلى على مد العرامة الغريزية ، ثم الهوى الي حضيض الاحباط ووقوع قبضة المجتمع الذي ينكر هذه العرامة حفاظا علي مواصفات قيامه وتركيبه ، وهو فوق ذلك كله يجدس — ويضع — الايقاع المحموم العنيف ثم الرخي الدائي للوفاء بهذه الطقوس ، سواء في اللغة او الصورة ..

● وفي « الجد حسن » على الاخص و « جبل الشاى الاخضر » نجد هذا الذي اسميه « العمود السلفى القضيبى » الرازح بثقله على عالم يحيى الطاهر عبد الله والذى يعطي لهذا العالم مركزا ، وبؤرة ، ومعنى . ان الجد هنا — ودائما في كل هذا العالم الصعيدى الحار — هو الاله الشبقي الاولى الذى يحمل ويلقى بذور الحياة كما يمسك ويضرب بصولجان الموت . وما من سبيل الى أن نخطىء ثنائية المشاعر نحو هذا التشخيص المهول : الحب — حتي العبادة تقريبا — والبغض الكامل العميق المتخفي بضراوته وشراسة عظامه تحت اقنعة الحب الذهبية المشعة . ان صوت « الجد حسن » زاعق له سطوة ، وسرعان ما تقدم اليه القرابين ، في شهر الصوم ، وتؤدى تحت تدميه المراسيم . انه هو الذى يقول بالقانون ، ويمن بالعطايا ، ويؤذن فاذا بالاشياء تكون . ويهمني أن أعود فأؤكد العلاقة الشبقية الكامنة والقائمة أبدا — كأنها علاقة المحارم — بين الاجداد وبنات ابنائهم في هذا العالم الذي تتدفق حسيته تحت قشرة القوانين الخارجية ، تيارا يضرب بالدم والحنو والصبوات الذكرية — الانثوية ، ويضرب من حوله سور من القسوة والعنف أيضا . ان الكشف ومواجهة عين الصدق بلا خوف من المواضعات الاجتماعية والاخلاقية قيمة من قيم الفن الرفيع ، هي قيمة الحقيقة ، وهي أيضا قيمة خلقية رفيعة .

بل ان حضور هذا العمود المكين ماثل ومؤثر حتى عند غيابه ، في « حج مبرور وذنب مغفور » تدور طقوس التكريم — بل تكاد تكون مراسم التاليه — للحاج عبد الكريم محمد — حتي في غيابه ، وكأنما ساعي البريد الذي يحمل البرقية منه ، لم يوجد أصلا الا ليبشر بمقدمه ، وعودته بالسلامة من قبر المصطفى — وكان قد زاره من قبل مرات ومرات — وهذا التكرار هو ذاته من النغمات الطقسية سواء كان باللفظ الذى يتردد كأنه لفظ الاحجبة ، أو بالافعال التى ماتنى تعود فتحيى نفسها من جديد ، وعندما يأتي حنفى النقاش ابريسم الجمل ويكتب بخط كوفي جميل « ياداخل هذا الدار صلى على النبي المختار » فهو انما يقيم هيكلا ولا يرسم صورة او يكتب خطا . وحتي عندما تتناول الحاجة أسماء زوجة الحاج عبد الكريم البرقية من ساعي البريد ، فهي تلف يدها اليمنى بالطرحة البيضاء «فقد كانت تخافه على ابن آدم من الحية» .. أي سطوة شبقية للحاج حتى في غيابه في الارض المقدسة !

الموت : الطرف الاخر

● أما الموت في هذا العالم فهو الطرف الاخر المحتوم من عملية جدلية وميتاواقعية لا تنتهى أبدا ، بين الشهوة

بالحياة وحتمية نزول الموت . وليس الموت هو انتهاء يضع خاتمة لحياة فردية، هو حلقة في سلسلة من الافعال وردود الافعال ، أو على الاصح سلسلة من الاقدار والاقدار المضادة . وهو بالطبع المحور الذى نجرى حوله دورة الثأر والانتقام الابدية، دورة التحقق بالاقتحام، وتقدمة القربان بالتضحية . فى قصة « الرسول » يأتى الموت كأنما هو ضيف خامس يرحب به « خليل » ويصب له الشاى من الابريق ، فى كأس خامسة غير منظورة ، ينتظره كرجل ، لايخاف ، « لان الرجل لو خاف يصبح انثى » [ويعتذر عن كلمة انثى] ، وعندما نظر الضيوف الثلاثة للنافذة المطلة على الطريق ، عادوا ينظروا لبعض من جديد .. ان حضور الموت هنا ليس بحاجة الى كلمات ، ليس بحاجة الى كلمة واحدة .. حضور أقوى من كل الكلمات — ولكنه فى « الجد حسن » سوف « يأتى متنكرا فى ثوب النوم الطويل » .. يخالس الفرد ويرميه بثقل لا يطاق .. فى رؤيا الظهيرة تلك التى تطارده .. « ثلاثه أرامل .. ثلاث شقيقات من بنات الجن أرديتهن السوداء قطت منهن الرأس والقدم .. قاعدات هناك تحت أشجار التمرحنة وسط تلال المقابر .. الرحى الكبير يعمل ولا يتوقف قط .. والكلاب الضالة تعوى والقطط الضالة تموء والدم يختلط باللحم وشجر التمرحنة يسقط الزهر تحت ضربات الريح الخفيفة وعيون الجنيات تلمع بمثل الجمر المتقد .. » .

● فى قلب هذه الرؤيا السحرية، بما فيها من تكرار فى الكلمات والحاح فى الصور ، هذه الرؤيا التى تأتى مرة أخرى فى « المهر » وفى « الطوق والاسورة » غير المنشورة ، الرؤيا التى نسميها النور الخرافى ، فى قلب هذه الرؤيا يأتى الموت أسطوريا ومتجسدا فى الوقت نفسه ، واقعيا بمعنى يفوق كل تسجيل فوتوغرافى ، والموت تيمة ملحة فى هذا العالم ووجوده ليس انتفاء للوجود — انه ثقل فاعل فيه ، لاتكاد تخلو منه قصة من قصص هذا الكتاب ، سواء جاء بحضوره الخرافى ، متشخصا بذاته ، أو جاء فى احدى عربدات العنف القاتل الذى ما ينى يتكرر فى هذا العالم الوحشى المكتوم ، أو كان منتظرا ، فى اليد حبل وفى العب سكين [الثلاث ورقات] أو ماثلا حتى بعد مرور عامين من مجيئة [البكاء والثالث] أو على النور بعد أن جاء ومضى [الجثة] وترك « جثة المقتول .. واحدا من أجساد قليلة ممتنعة على الرصاص ، من القلة المحكوم لصالحها بالخلود يتدلى من اذنه اليسرى قرط من الذهب النقى .. انتزع عنوة وترك ذلك الخيط من الدم الذى جمد وتفحم ، تحت الشمس الاستوائية الحارة العامودية ، تحت طيور القبر الضئيلة الحجم ، تحت ثلاث حدءات حومت فوق المكان » .. هذه هى الرؤيا الخرافية السحرية مرة أخرى ، فى ظهيرة كابوس ساطع النور .. ولكان المقتول هنا هو تشخيص آخر للموت فى ذاته .. ولا ننسى طقوس الاعداد لمقدم الموت « بات سلاح البلطة ليلة فى العراء تحت قمر مكتمل داخل اناء فخارى مملوء بالسم القاتل ومرسوم على سطح الاناء الخارجى جمجمة ثور بدم ذبيحة بشرية » .. ليست هذه الطقوس مجرد نتيجة للجهل والامية مثلا ، هى حدس عميق بمنافى الروح أو « الايثوس » المصرية نفسها من ارتباط بل وجود مرتبط بذلك البعد الذى أسميه البعد « الميتاواقعى » ، وقد تتخذ هذه العبقرية المصرية الخاصة مسارات جديدة ، لا يمكن التنبؤ بها ، لكنها أبدا قائمة . !

● ان الحس الاتى بالعدل المحتوم هو بالطبع سر هذه الدورة الدائبة من القتل والقتل المضاد ، من الاقتصاص والثأر التى نصطدم بها فى قصة « المهر » وفى « الدف والصندوق » وفى « الرسول » ومن صدق حدس الكاتب ، أو من خبرته الحية المفتوحة على أهل بلده ، وحساسيته بخلجاتهم وانماطهم على السواء ، ان الصوت الصارخ فى البرية الطالب دما بثمن الدم المسفوح هو دائما — كما ينبغى أن يكون — صوت الام أو الزوجة المهدورة ، وأن الابن المفروضة عليه فدية الدم هو دائما النمط الاوديبى — ومن الواضح فيما ظننت أن النمط قد لقيناه فى تأملاتنا السابقة كلها — أى هو موضع الصراع بين التأليه المبذول للاول ، للاخر ، للاصل ، للخصم الاولى من ناحية ، وبين تأكيد الذات والضن بها عن الفقدان والذوبان فى الصورة المؤلهة المحبوبة المبغوضة فى وقته معا .. هذا هو الموضوع الرئيسى لقصتى « المهر » و « الدف والصندوق » وله انعكاساته فى العديد من القصص الاخرى .

الرؤيا الاسطورية للواقع

● ويبقى ما أسميه بعنصر الخرافة فى مستوى الرؤيا الثانى — بعد الحاجز الشفاف الاول من القشرة الخارجية — هذا المستوى الباهر الذى تبدو فيه شخوص جنيات القاع — أو النخلات الثلاث كأنها جنيات، الموت — كما يأتى فيه سيدنا الخضر أو الزائر الخرافى الماكر اللئيم المتنكر فى صورته ، أو تقوم فيه أحيانا أعمدة النور على الاسفلت [فى قصص المدينة] وشجيرات العدس أو أشجار التمرحنة ، كما تروده القطط الضالة والكلاب الضالة والجمال والحدءات والبوم وطيور القبر والذباب الازرق الجسيم اللاسع الطنان ، ويشقه النيل ، النهر الاسطورى ، وتتقبع فيه الافران الملتهبة وتتقد العيون كالجمر وتتعرى الاجسام ويسيل الدم الاسود من جروح الارحام وثقوب الرصاص على السواء ، هذا العالم الثانى الذى تتكسر عنه جلدة العالم الاول المعقول — العالم الذى يأتى فيه الموت متجسدا أو تفقد فيه الاشياء حدودها المألوفة لا بأسلوب استبطان الذات والغوص فى المناطق الغائمة من الوعى الداخلى ، بل بالانفتاح على موجودات خارجة عن مجرد حدود الحلم ، نابعة عن حلم جماعى موروث ومتجدد أبدا ، فهى ليست تهاويل وتهويمات ، بل هى كائنات ساطعة القسمات لها قوامها المحدد البللورى الشديد الوضوح ، تحدرت عن أصلاب الميثيات الجماعية من جيل الى جيل ، رؤى لها حضورها الذى لا يقبل الانكار .

● ومما لايحتاج الى تأكيد أن عناصر هذه التيمات الخمس ، أو الرؤى الخمس ، ليست قطاعات منفصمة متخاصمة فى عمل هذا الكاتب ، فاذا كان بعضها يزن فى تعادل بعض القصص ثقلا أكبر ، فذلك لا يحول دون اندماجها وتفاعلها وتجاوبها ، بنغمات متفاوتة ، فى نسيج العمل القصصى كله .

● ان هذا الكاتب فى حدسه بالعناصر الاولية الاساسية كما تقتضيها رؤيته للعالم ، يتجاوز المواضعات والمصطلحات المكررة الرثة فى القصة ، وفى الاخلاقيات ، على السواء ، يمضى ، فى رحلته ، الى ما وراء الواقع ، كأنها رحلة البحار القديم الى بلاد « بونت » بحثا عن العقاقير الثمينة ، ليصل الى حس بدائى وملهم وصاف بقيم لا تقبل التقنين الاجتماعى — بل هى تصدر عنه لكى تكسره — قيم مثل البحث عن حنو مهدد دائما بالسقوط ، والعذاب المتولد حتما عن المتعة الاولية التى هى الحق المشروع للكائن الحى ، والشر الاصيل المركوز فى قوام الحياة ، والتمرد البدائى ضد القهر ، اذ يندمج اللاعقلى واللا واقعى مع التفاصيل اليومية التى تسبح فى ضوء مهندس شاعرى رقيق الخطوط — مثل الصور القديمة الرشيقة القد المنحوتة على الحجر والصخر والساطعة بنورها الداخلى . تلك أيضا من خصائص لغته وأسلوبه التكنيكى فضلا عما أشرنا اليه فيها من النغمة الخرافية بتكرار الفاظ بعينها كأنها سحرية ، أو مسحورة ، مع ميزة الاقتصاد الكلى والنقاء من كل حشو ، والتطهر الحاد والدقيق فى التعبير . وفى هذه الخصائص يتضح تحديد الشاعرية الخاصة لهذه اللغة ، وشفافيتها .

هذا صوت متميز ومتفرد من بين أصوات كثيرة — لكل منها قيمته — فى مغامرات الموجة الجديدة التى ارتفعت فى أدبنا القصصى منذ الستينات ، وفيما تحمله هذه الموجة من تحققات وانجازات ينبغى أن نعتز بها .

قصيدة

سادت فى الأفق طيور عمياء

مريد البرغوثى

لان الاوضاع على ماهى
فانها لن تبقى على ماهى
بريخت

من هذا الطارق أبواب الليل ؟
الاتى من اسئلة الكل ؟
هل يحمل أى جواب ، فعلا ،
موتا ، انهاضا ،
هل يحمل فى كفيه نبوءته أم
يحمل رأسه ؟
فى الحلم رأيت طيورا عمياء
ومحملة برسائل لا تقرأ
وعدوا منتصب القامة
(وأبى يتساءل مبهوتا ، ان كان عدوا أم لا) !
ومرايا خلف مرايا —
وأمام مرايا —
وعلى الجنبين رأيت مرايا —
وأبى يتكرر فيها وحده
وعلت فى الساحة جدران —
ملساء مبعثرة التكوين
أخطو مذعورا فوق حفافيها
وبكيت السقف ، بكيت الارض ،
تدليت —
صرت احتمالات
ثم واصلت النوم ..
وها هو ذا يدق يدق ، والوادى
يباغته انفجار السيل ،
ينقصف السفرجل تحته
والتين والزيتون والخروب
وطاف الراكض المشدوه حول
مداخل القرية ، و « عين الدير »
تحت السيل ، لا رعيان
لا قطعان



لا ناطورها الابدى حمدان
الوحيد العين !
وعشته التى لم يبتعد عنها
سوى ليزفه الاصحاب
يوم زواجه الرابع ، تبعثر قشها
القطبى وانحرفت
وظلت بندقيته معلقة على غصن
السفرجلة العتيقة !
[فى الافق طيور عمياء
وأبى : الامر النهى الجهل الوعد
يتكرر
يتكرر

يتكرر] !
وهذا الراكض المشدوه حول
مداخل القرية
يدق يدق ، والابواب موصدة ،
وفى كل النوافذ عشش النبت
الخبيث الكالح اللون
وفى الوادى الفلسطينى
ينام الناس فوق حطام « عين
الدير »
وفوق الزعتر البرى والموال ،
(الطلقة بين الغصنين
القتلى بين الاشجار)
وفى صبح ، توهمناه ، كان
الطائر الاعمى يحط على
السفرجلة العتيقة
وكان ينقل الخطوات بين الورد
والقتلى
(امنحنا الوجهة واتركنا
لا . لا تتركنا فوق حفافى
الجدران)
سادت فى الافق طيور عمياء
حطت طارت حطت طارت طارت
حطت طارت حطت
وازداد القتلى بين الاشجار

• • •

خفتت موسيقى الاشياء
هدأت أصوات الكون
وها هو ذا يدق يدق —
يطلق صوته الدمى فى الوادى
الفلسطينى .

قصة قصيرة

الفخاخ منصوبة للمحبين

يحيي الطاهر عبد الله

ـ مدخل ـ

هجع الكل ـ الا الضفدع والطاحونة والكلاب وقشمر •

ـ قاصد الجبل ـ

ما عاد بمقدور قشمر أن ينكر البرودة التي حلت ببدنه ، وبات عاجزا عن ايقاف الرعشة السارية ، بأطرافه : « انها صحوة القديم يا قشمر تلك التي تسوقك سوقا اليه والى الجبل » •

• • •

الكلاب لم تنبح وتوقظ النيام ، فكلاب الوادي جميعها تعرفه ، وان كانت الكلاب بالليل لا تميز بعيونها بين شخص وآخر ، الا أنها تملك الانوف التي بها تشم رائحة قشمر •

ـ الرحلة ـ

قمر السماء العالي رمي بالضوء الفضي فوق الرمال ، وخلق الظل الرمادى لقشمر :

هذا الظل العجيب يسير اذا ما سار قشمر •• ويقف متى وقف قشمر •

ها هو قشمر الخائف يكلم ظله العجيب :

« أنا صديق قديم للزغبي ساكن الجبل ، ان أردت الحق كنت تابعه ، ههه ، تلك علاقة قديمة كانت في الصغر وتدرجت مع الايام وتلك كانت أيام ، حتى جاء يوم أدار فيه الزغبي ظهره لي وللوادى ويمم وجهه شطر الجبل وكان قد قتل الحاج عطية » •

« في ذات اليوم ظننت انى قد ملكت حريتي : ما دمت النفس •• وما دام قلبي يدق دقاته المعتادة ـ فلماذا اخاف الزغبي ؟ •• هل جربت في يوم من الايام قوة بدنك يا قشمر ، وخضت مع الزغبي معركة ؟ يا لله •• وكأنني كنت أملك تلك القدرة على التفكير !! » •

« يوم طلبت هي الطلاق من الزغبي الغائب ـ قلت : « هذا الامر لا يعنيك يا قشمر » ، والليلة زفت علي مطاوع بن الحاج عطية ، وها أنا يا رفيق الطريق أحمل الخبر لسيد الجبل (ليكفر عن سنوات الوهم والانكار والمقاومة ، وها هو يا ظله علي الطريق يبغى الخلاص بالتلاشى في الآخر) •

سمع قشمر صيحة الجبل ففارقه ظله وهرب :

« ما أقسى لحظات الخوف حين يواجهها الانسان بمفرده » •

ـ صيحة الجبل ـ

يصيح الكشاف من مكمنه أسفل الجبل ويشهر سلاحه ، ويتلقف آخر صيحة الكشاف فيقبض على سلاحه ويصيح ، ويردد الجبل وتردد رمال الصحراء صيحة الرجال المتتابعة ، وتعوى الذئاب في البعيد •

يترك الحارس زميله امام باب المغارة ، ويمر محنى الظهر من سرداب كثير التعاريج محفور ببطن الصخر ، ويهبط ست درجات حجرية ، ويقف أمام القاعد على فرو من جلد الجاموس يتحلقه رجاله الاشداء ، بينما القاعد يفرك راحتيه ويمررهما فوق السنة النار تتصاعد من بوتقة نحاس كبيرة ـ يقول الحارس :

« رجل قصير وربعة شديد البنيان غايته الجبل » •

ـ المعبر ـ

ضحك الزغبي وصاح مهللا ، وصاح الجبل وصاحت الصحراء ، وصاح الرجال :

« انه قشمر •• دعوه يمر » •

تنحى الكشاف وافسح طريقا ورد سلاحه الى غمده ، والزغبي بأعلى الجبل يصيح مرحبا فاتحا ذراعيه لقشمر الذى يعرج مع الطريق الوعرة صاعدا الجبل ـ كأنه الطاووس وقد ولى عنه نصف الخوف •

ـ اولاد آدم ـ

يرمى الزغبى الحطب للنار لتأكل فتتأجج وتضىء وجوه الرجال وتذبح الظلمة فتقبع بأركان المكان القصية •

ويقترب قشمر من النار فهو في حاجة للدفء الكثير •• ويشرب الكل شايهم الساخن من أكواب الفخار بصوت •

تكلم الزغبى وردد الصدى كلامه :

« تم الطلاق •• والبارحة كان العرس •• المرأة تفعل ما تريد •• مطاوع ابن الحاج عطية تزوج من ام ابني •• وابني تربى فى بيت الحاج عطية •• صار كبيرا بعد العمر الذى مر •• صار الثور سمينا •• اطعموه ليكثر لحمه ودهنه •• متى سيذبح ؟ » •

ردد قشمر : « صار رجلا •• لقد كبر ! » •

صرخ الزغبى : « لماذا لم يحضر الى هنا ؟ لماذا لم تجىء به أنت الى هنا ؟ » •

رد قشمر : « انه •• انه محب •• و •• عاشق » •

سأل الزغبى : « من تكون المليحة ؟ » •

قال قشمر : « فتاة •• تسكن كروم النخيل الواقعة بأملاك الحاج عطية •• انت مع الفجر الرحل » •

ـ العدة ـ

ها هو بجوقة ابن السبيل ، حافى القدمين ، يظلع فى مشيته ، محنى الظهر ، يستند على فرع يابس من الحطب ، بلحية طويلة لم يهذبها مشط ، وعمامة خضراء كبيرة فوق الرأس ، ومن رقبته تتدلى مسبحة كاملة : عدد حباتها تسع وتسعون حبة •



ـ عائق ـ

داهمه الليل ، وسمع نبح الكلاب الجامعة الراقدة امام الدور ، وتلك التى تسعى بين الدروب الضيقة ، فقرر أن يبيت ليلته على أبواب الوادى حتى تطل عيون النهار •

ـ على أبواب الوادى ـ

انها شجرة التوت القائمة منذ الأزل المسماة بشجرة الله ـ تحتها زير به ماء ، وهذا ضريح الولى المجهول الاسم ، وتلك هى المصلى : مستطيل من الارض فرش بالحصير وحوط بسور قصير ارتفاعه قالب طوب قائم •

بداخل الضريح مصطبة مفروشـة بحصيرة قديمة ، وفوق المصطبة كومة من الاغطية القديمة ، ومن الكوة المحفورة ببطن الحائط ـ تطل عين سوداء ولمبة جاز فتيلها قصير تزفر الدخان الاسود وتلوح بالضوء الاصفر القليل والظلال الرمادية الكثيرة •

ـ الحـلم ـ

الحاج عطية يتكلم من فوق سرجه . والسـمكة مـن البلـور الازرق النقى (منتفخة البطن ، بجنبها الايمن زعنفة كانها جناح طائر ، وبجنبها الايسر زعنفة كانها جناح طائر ، وباسفل البطن ثقب) ، الحـاج عطيـة يريد السمكة لنفسه والزغبى يريد السمكة لنفسه ، والحمار الابيض العالى الظهر رمى بالحاج عطية ورمى بسرجه وركض فى حقـل البـرسيم الاخضر ، والسـمكة بيـد الزغبى ، وضوء النار الاحمر صـبغ الكون ، ولا شىء أعلى من السنة الدخان غير قامة الجبل المضيئة •

ـ النـداء ـ

الصوت طلـع مـن حلق مشروخ مـن البرد ، ومن صدر تكومت فوقه طبقات وطبقات من دخان المعسل المحترق ••

ـ قال : « هو يوسف الدعور ينادى الناس من فوق جامع عبد الله للفجر» •

ـ اللقـاء ـ

قالت : « لو عرفوا انك انت •• وانك هنا •• لاتوا وقطعوا رأسك » •

رد بثقة : « لو عرفوا » عـاونينى حتى أعرفه •

قالت : « اذهب وخذه من بيتهم قبل أن يقتلوه » •

قال : « بلغنى أنه عاشق •• أريد أن أراه وأراها » •

وسألها : « لماذا طلبت الطلاق ؟ » •

قـالت : « أردت أن أكـــون محصنة » •

قال : « بالزواج من مطاوع ابـن الحاج عطية ! ؟ » •

قالت : « لو أحبنى سيترك لـى ابنى •• وها انت ترانى لابسة ثوبى الاسود » •

قال : « كان بامكانك أن تحمليه وهو صغير وتاتين الى الجبل » •

قالت : « الطريق الى الجبل وعـر وطويل على امرأة •• وكانوا سيلحقون بى •• وأنت تتكلم عن الماضى » •

قال : « المرأة لو أرادت فعلت » •

وقال لنفسه : وأنا تركتها حبـلى غير قادرة على الجهد » •

امسكت بضفيرة من شعرها ، ودس هو يده تحت ثوبه واخرج سكينة قدمها لها ، مدت يدها وتناولت السكينة وجزت ضفيرتها وقدمتها له •

قالت : « عد الى الجبل •• ستجدهم فى بيتهم او تحت كروم النخيل •• إنه يشبهك •• لست فـى حـاجة الى معونتى » •

وقالت تلومه : « أتيت بالسكينة لتقتلنى » •

قال خجـلا وهـو يكذب : « اتيت بالسكينة لادافع عن نفسى » •

ـ البغتة والمتفرجون ـ

اطل مطاوع وخلفه خلق كثير سدوا فتحة الباب •

قال مطـاوع : « كنت على يقين من انك ستحضر بعد زواجى منها » •

وتقدم مطاوع ، وأمسك بـالفاس المسندة على الحائط ، ورفعها بيديه لفوق ولوح بها فى الهواء وصرخ فى وجهيهما ، فتراجع الزغبى •

ـ صانع الفاجعة يلم الخيوط ـ

صرخ مطاوع :

« ها أنت خائف •• كان عليك ان تتقدم الى حاملا اكفانك على كتفك بعد قتلك لابى •• وكنت ساعتق رقبتك •• بدلا من ان تحتمى بالجحور •• كان عليك أن تثق فى عرف الرجال » •

وصرخ مطاوع فى جمهرة المتفرجين :

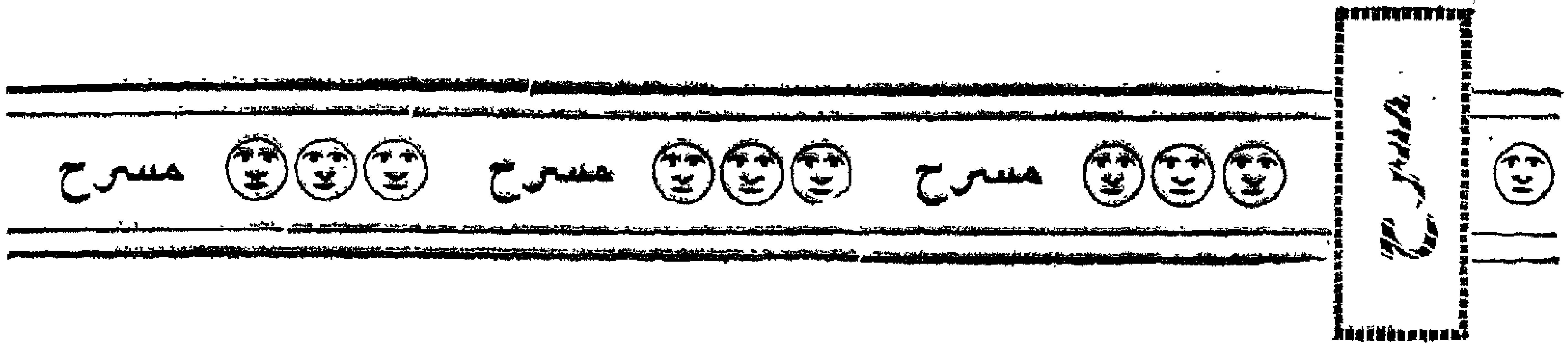
« ها هو خائف •• ها هو الفار ساكن الجحر •• وها انا مطاوع ابن الحاج عطية أعتق رقبة الزغبى قاتل أبى » •

وعاد يصرخ فى الزغبى :

« لن تعـود للجبـل فالـذئاب تاكل الخائف •• ولا انت خارج من بيتك للوادى فالرجال هنا من طبعهم مطاردة الفئران والقرف منها ، هنا جحرك •• وتلك هى زوجتك التى لن تطيقها ولن تطيقك •• تعلم كيف تستخدم سكينتك حين تجوع وتطلب اللحم •• اما ابنك فهو راحل خلف الفتاة الغجرية •

ـ يستحق الجنون لانه الشخصية الاخيرة ـ

كسر طوق الرجال ، وجرى حاملا فاسه يلوح بها ، وهو يضحك ضحكة المنتقم المجنونة فتردهـا الحوائط ويرددهـا الخلاء ، حتـى بلغ شـجرة اللـه المثمرة (كانت بالضـحى ترمـى بظلهـا الكثير على ضريح الولى المجهول وعلى الزير وعلى المصلى ، وقد تجردت الساق الضخمة من لحاها) ورفع فـاسه • وصرخت الشجرة •



المقاطعة الثقافية

سلاح الشعب الأسود في [illegible]

في أكتوبر ١٩٧١ ، اعلن واحد واربعون كاتبا مسرحيا بارزا في بريطانيا انهم يرفضون « التصريح بتمثيل مسرحياتهم في أى مسرح ، تجرى فيه التفرقة بين المتفرجين على أساس اللون » والسبب في ذلك كما جاء في نص كلماتهم :

« أولا لاننا نؤمن بأن الاسهام بأى طريقة في تطبيق نظام التفرقة العنصرية يعنى الموافقة عليه .

وثانيا لان مقاطعة جنوب افريقيا في ميدانى الثقافة والرياضة ، قد اظهرت دلائل نجاحها ، ومن ثم يجب تدعيمها وتشديدها لا اضعافها » .

وكان من الموقعين على هذا البيان جون بوين ، ودافيد مرسر ، وهارولد بنتر ، وجون اوسبورن ، وادوارد بوند ولويس نيكوس ، وايريس ميردوخ ، ودافيد كوت ، وجون ماكجريث ، وج.ب. بريستلى ، وجون هال ، وجون آردن ، الى جانب كثير من الوجوه البارزة الاخرى في المسرح البريطاني .

لقد شعر هؤلاء الكتاب أنه من الحيوى والضرورى أن يعيدوا تأكيد موقفهم حينذاك ، لان بعض الاصوات بدأت تطالب باعادة النظر في المقاطعة الثقافية .

وكانت هذه القضية قد ثارت للمرة الاولى عام ١٩٦٨ ، عندما أصدر لورد ويليس ، وهو مؤلف مشهور لمسرحيات التليفزيون ، بيانا اقترح فيه أن الوقت قد حان لكى يراجع كتاب المسرح موقفهم من عدم السماح بتقديم مسرحياتهم فى جنوب أفريقيا . وقال أن المقاطعة « تضر كثيرا الشعب الذى نريد أن نساعده ، وتوصد الابواب أمام الانسياب الحر للافكار من الخارج » . واقترح أن يغير كتاب المسرح البريطانيون رأيهم ، ويصرحوا بعرض مسرحياتهم أمام جمهور منفصل على أساس العنصر ، وأن يهبوا حقوقهم من التأليف « الى احدى جمعيات الفنانين الملونين فى جنوب أفريقيا » .

الخطوة التالية المنطقية

وفى رد منطقى مفحم الى أقصى حد على هذا الادعاء ، أوضح جو ماكجريث الكاتب المسرحى الكبير ، أن المسرحيات التى سيسمح بها النظام ستكون أساسا « المسرحيات التى تتيح مسرات سلبية للفئات العليا من الطبقة الوسطى البيضاء ، والتى تعكس وتدعم مجموعة القيم السائدة بينها . وأنها لن تحرك ولن تنشط سوى شباك التذاكر ، وغرور وأنانية الطبقة الحاكمة » . ويمضى قائلا « ان لب المسألة هو أن الليبراليين فى الغرب قد أدركوا أن المقاطعة لوحدها لن تكون فعالة ولن تؤثر . وعندئذ أصابتهم الحيرة والارتباك ... ومن ثم بدأوا يتملصون ، لانهم ليسوا على استعداد لان يروا الخطوة التالية المنطقية ، وهى تنظيم المقاومة المسلحة .

لا يجب أن نفتت المقاطعة وأقامة التفرقة وهى أقل ما يجب ، بل يتعين علينا دعمها وتشديدها . يجب علينا بذل مزيد من الجهد اذا كنا جادين حقا ، وأن نساعد بكل طريق نستطيعه ، أولئك الرجال الذين تدعم ضعفنا ارهابيهم فى حين أنهم يقاتلون خلال الطريق الوحيد الذى ترك مفتوحا أمامهم — طريق الصلاح — من أجل الحرية والكرامة » .

وكما لو كان ماكجريث يتنبأ [فحديثه كان منذ ما يزيد عن ٣ سنوات] فقد اختتم حديثه بهذه الكلمات : « لنأمل

فى ألا يكون تفكير لورد ويليس حول هذا الموضوع — ونحن نشفق كثيرا من أن يكون الامر كذلك — مقدمة لمؤلف تتخذه الحكومة البريطانية ، بعد أن تبين عدم جدوى العقوبات التى وقعتها على روديسيا ، وأنها الحقت بالفعل ضررا كبيرا بالشعب الذى كنا نريد أن نساعده » .

وتلك رؤيا رجل يرى الموقف فى شموله ، ولا « يتملص » عندما يدرك مقتضياته . لان النظام فى جنوب افريقيا يشن الحرب بطرق كثيرة ومتنوعة . فهو يشن ارهابا مسلحا صريحا ومعلنا ، ضد الشعب الافريقى المقهور ، ولكنه يسعى فى الوقت نفسه وبثبات لخوض حرب كلمات ماكرة بهدف انهاء عزلة جنوب افريقيا دوليا . وله فى هذه الحرب حلفاء أقوياء كثيرون فى الغرب — فى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والمانيا الغربية وفرنسا .

خيال واهم

وهو يستطيع أن يجذب الى جواره ليسوا بالضرورة ، متفقين معه فى كل اهدافه ومراميه . فذلك هو مثلا حال أثول فوجارد الكاتب المسرحى الجنوب أفريقى . فمع انه مؤلف لكثير من المسرحيات العميقة التى تصور بصدق العبث والرعب فى مجتمع جنوب أفريقيا ، الا انه لا يستحق أن يعتبر متحدثا باسم السود فى جنوب أفريقيا ، كما يدعى بعض الكتاب البريطانيين .

ويكفى لتأكيد ذلك أن نطلع على حديث أخير له فى صحيفة « **صنداى أفريكان** » ، قال فيه أن مستقبل بلاده « جنوب أفريقيا » فى أيدى سكانها ذوى الاصل الاوروبى].

ونتيجة لهذه الصفة التى يتم اسباغها زورا على أثول فوجارد ، قرر الكاتب المسرحى آرنولد ويسكر أن يعطيه حقوق عرض مسرحيته « المطبخ » فى جنوب أفريقيا — أولا أمام جمهور أسود



هارولد بنتر



جون اوسبورن

منفصل ، وعندئذ أمام جمهور ابيض . وفى تبرير هذا القرار ، أرسل آرنولد ويسكر خطابا الى الصحف يقول فيه « سأكون سعيدا لو أن مسرحياتى ، رغما من عرضها أمام جمهورين منفصلين

هذا المقال نشر فى

SE CHABA
Official organ of the African national congres South Africa,
Feb 8. 72.

حفزت آلاف الشبان السود والبيض الى السير معا فى شوارع جوهانسبرج وأياديهم متشابكة معا ، تحديا للتمييز العنصرى » .

ونحن وان كنا نؤمن بأن للفنان دورا مؤكدا يلعبه فى تغيير المجتمع ، الا أننا نعتبر قول ويسكر هذا اغراقا فى خيال وهمى . ذلك أن تحدى التفرقة العنصرية بالنسبة للافريقيين ومؤيديهم من البيض فى جنوب أفريقيا ، يعنى فقط قبول مبدأ الحرب وضرورتها . وكما أن الافريقيين فى روديسيا يرغبون فى الابقاء على العقوبات الموقعة على بلادهم على الرغم من أنهم يعانون منها اقتصاديا ، فان الشعب الاسود فى جنوب افريقيا يؤيد العزلة الدولية لبلاده . ولكن موقف فوجارد هذا انعزال عن موقف غالبية الفنانين المعادين للتفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا .

وقد رأينا مثل هذا الامر يحدث فى الرياضة أيضا ، فقد قاوم المسئولون السود عن الهيئات الرياضية فى جنوب افريقيا كل الضغوط ، حتى فى مواجهة عروض الحكومة بتقديم معونات كبيرة لتطوير رياضة عنصرية منفصلة لكل جنس بل لارسال فرق غير بيضاء الى الخارج . والأمر مطابق لهذا فيما يتعلق بالمقاطعة الثقافية .

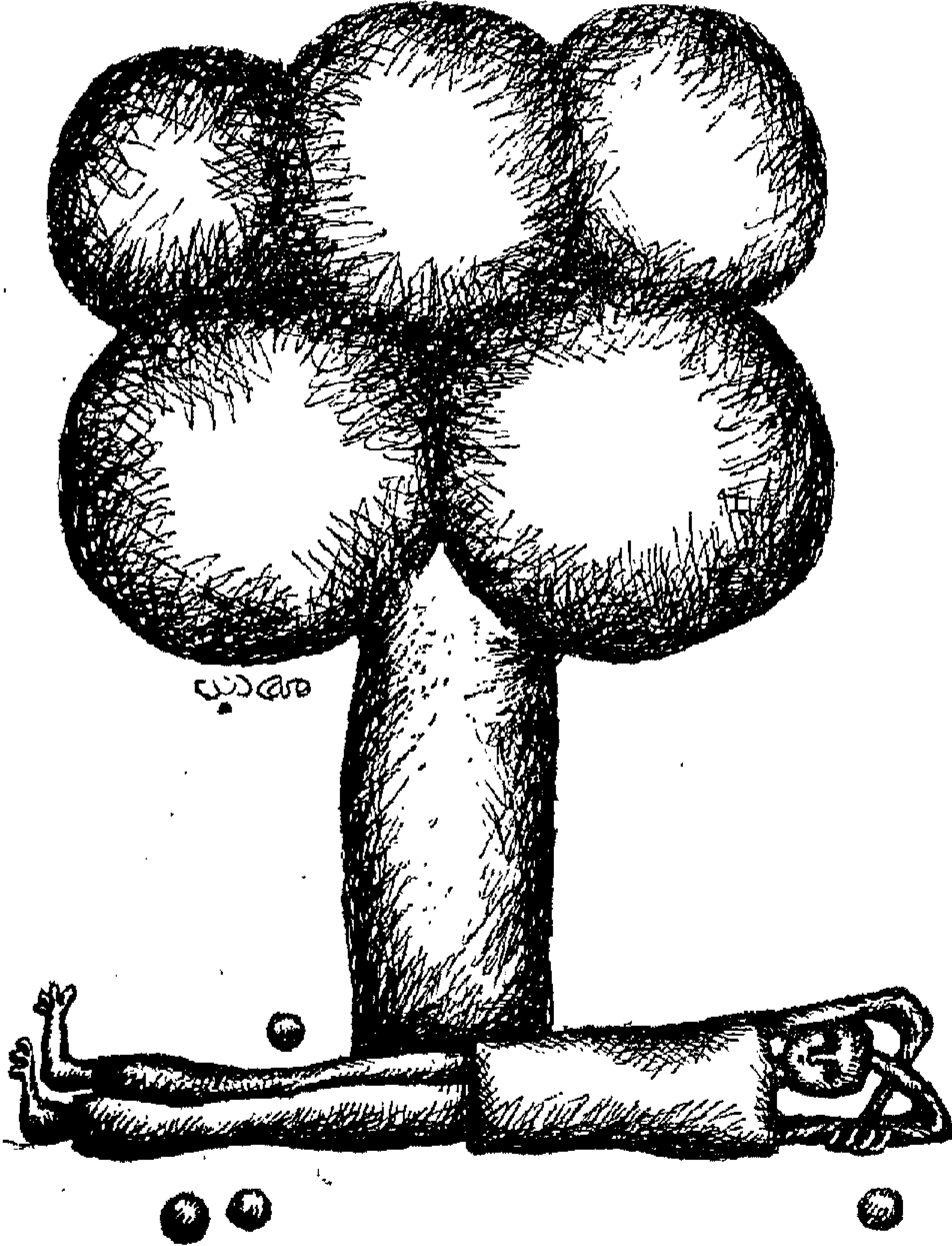
و « **المؤتمر القومى الافريقى** » يرحب به باسم شعب جنوب أفريقيا الذى يواجه يوميا السجن والتعذيب والموت لمقاومته التفرقة العنصرية فى كل أشكالها — بموقف أولئك الذين يؤكدون المرة تلو الاخرى موقفهم المبدئى من هذه القضية الحيوية . وهو يشجب الدعوة الى « اعادة التفكير » فى المقاطعة الاقتصادية باعتبارها دعوة غير واقعية وخاطئة ، وينادى بدلا من ذلك بتدعيم المقاطعة وتوسيع نطاقها . ويبين التطورات الاخيرة فى مجال السينما والتليفزيون ، أن هذه الدعوة تجد استجابة قوية .

••• قصـــيدة •••

العــودة الى الرحــم

ينشر « الملحق » هذه القصيدة للشاعر المصرى اسامة الغزولى وهي تحمل فى ثناياها تجربة جديدة فى الايقـــاع حيث تتخلى القصيدة عن « وحدة التفعيلة » التى عرفت كمصطلح موسـيقى للشعر الجديد .. والتجربة ليست جديدة على صعيد الشـــعر العربى ، ولكنها تشكل مع مثيلاتها فى الشعر المصرى الحـديث ظاهرة جديدة ، جديرة بالنظر .

أسامة الغزولى



الان ارى كل شيء حيث يجب أن
يـــكون فى الحجـــرات
الفسيحة
والاصابع التى كانت تتصــارع
فى زمن الرغبة تتمدد الان
هادئة.

اذ رقدت يدك البيضاء الى جوار
يدى اذن ـ فأنا أستطيع
أن أبدا رحلتى الى اعماق
الحديقة
الى المكان القصى الـــذى كنت
أريد أن أقتحمه فى سنوات
الاحـــلام
سوف أمضى الى هناك هادئا
مجتازا كل الجذوع التى الفناها
لاتجول بين الاشـــجار الغامضة
المجهولة
حيث الارض التى لم تطأهـــا
الاقدام الثقيلة من قبل
ترى اى اقدام تلك التى مست
تلك الارض
وذابت فى الظلال
كلما كنت أهم بالرحيل الى هناك
كان صوتك من ورائى
يعيدنى بندائه
الى دائرة الجدل الصاخب
حيث يدور الصراع وتفور الدماء
الان

انهارت جدران الذاكرة
واندفع السيل من كل المنافذ
الاصوات والازمان والوجوه
وكل شيء يرقد هادئا تحت الماء
هذا السيل الذى أنهى كل صراع
ونحن جالســـان

نرقب مصيرنا الزجاجى
بعيدا عن كل التيارات الجامحة
سوف أسير الى هناك.
وأنا أعلم أن السير
لن يبعث الدفء مرة أخرى
فى جسدى.

رسالة موسكو

هاملت الشباب الغاضب

سعيد حورانية

كل عرض لمخرج مسرح « تاجانكا » يوري لوبيموف ، يثير ضجة تتجاوز أصداؤها الاتحاد السوفيتي ، يقلب المتفرجون التقليديون ممن تربوا على الطريقة الستانسلافسكية في مسارح « مخات » و « مالي » و « فاختانغوف » شفاههم غضبا وازدراء ويعتبرون ما يشاهدونه تجديفا وهرطقة بل وفضيحة. بينما يبالغ الآخرون ، وجلهم من الشباب فيعتبرون مسرحه حدثا تاريخيا وتطويرا حقيقيا لبريخت ، ولكن الفئتين مصابتان بالإدمان على مشاهدة عروض هذا المسرح ، ويا له من عيد حقيقي عندما يستطيع أحد أن يحصل على بطاقة في هذا المسرح الصغير نسبيا بالنسبة لمسارح موسكو الكبرى .

وهذا المسرح أحدث مسارح موسكو فمنذ أكثر من عشر سنوات تقريبا ، كان لوبيموف مخرجا مغمورا في مسرح فاختانغوف ، وعهد اليه بالاشراف على الصف المنتهي في الاستوديو التعليمي التابع للمسرح ، فأخرج مستعينا بهم — دون أن يلجأ الى أي ممثل محترف — مسرحية بريخت الشهيرة « الرجل الطيب في سيزوان » التي كانت بمثابة شهادة الدبلوم لهؤلاء الطلبة الناشئين .

وكان النجاح عاصفا .. « جمهور » مكان العرض بآلاف وآلاف من الطلبة والشباب أسابيع طويلة ، يقفون في طوابير رغم الثلج والصقيع عسى أن تتاح لهم فرصة مشاهدة العرض ولو واقفين واستمر تقديم هذه المسرحية حتى الان في مسرح « تاجانكا » .

وعندما رأت الدولة هذا النجاح أفردت للمخرج مسرحا خاصا به هو مسرح « تاجانكا » نسبة الى الحي الذي يقع فيه المسرح ، فأخذ معه جميع طلاب الصف المنتهي الذي أشرنا اليه وهم الان عماد مسرحه الحقيقي .

وممثلو لوبيموف هؤلاء يفعلون أي شيء [وهي طريقة ستانسلافسكية] ، فهم بارعون في العزف والغناء [أحدهم فلاديمير فيسوتسكي زوج مارينا فلادي والذي لعب دور غاليليه في مسرحية بريخت ، ودور هاملت في مأساة شكسبير ، معروف على نطاق الاتحاد السوفييتي كله بأغانيه اللاذعة] وهم يرقصون كالمحترفين ، ويقفزون كلاعبي السيرك ، ويبارزون على طريقة باردليان ويتقنون فن الايماء وتحريك العرائس ، انهم باختصار ما يطلق عليه [الممثل الكامل] .

وقد أخرج لوبيموف حتى الان المسرحيات التالية : « الرجل الطيب في سيزوان » و « حياة غاليلو غاليليه » لبريخت و « عشرة أيام هزت العالم » المأخوذة عن كتاب الصحفي الامريكي جون ريد و « تارتوف » لموليير و « ساعة الصفر » للكاتب البولوني ستافينسكي و « فلتسمعوا » لماياكوفسكي و « انتي ميري » قصيدة ممسرحة لفوزنتسنسكي و « بوجاتشوف » ليسينين و « الام » لغوركي و « والفجر هادىء هنا » لفاسيلييف و « ما العمل » لتشرنيشيفسكي و « الاموات والاحياء » لسيمونوف وأخيرا « هاملت » لشكسبير الى جانب بعض مسرحيات سحبت من العرض بعد عرضها مرتين أو ثلاثا بأمر من الرقابة .

وهذه المسرحيات من أقدمها حتى أحدثها لا تزال تعرض منذ عشر سنوات حتى الان بواقع عرض أو عرضين كل يوم .

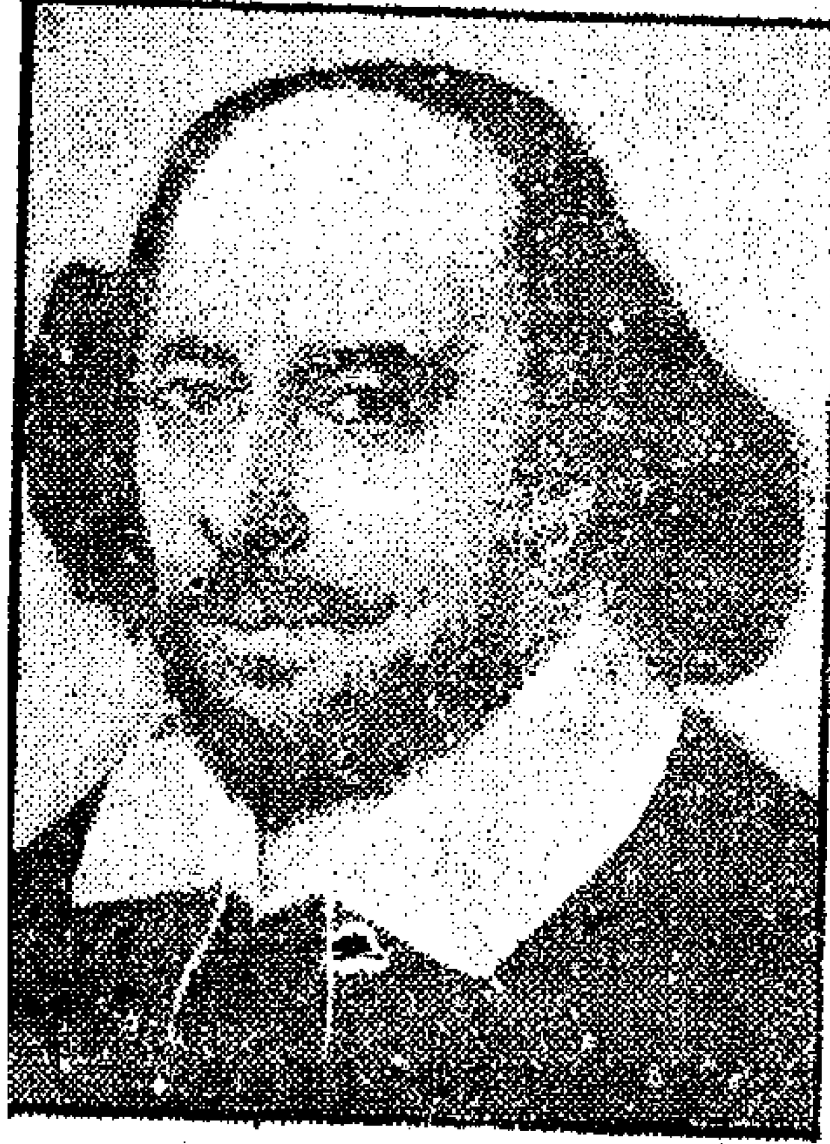
● ● ●

اتهم لوبيموف ومن قبله ميرخولد بأنه يعيير الاشياء والرموز الممثلة بواقع الديكور والاضواء الاهمية العظمى ، حتى أنها في بعض الاحيان تطغى على الانسان . ان مسرحه مسرح ضربات متوالية يبتعد فيها التحليل النفسي العميق

الذى يمنحه الممثل المندمج ليحل محله التأثير الحسى المباشر ، والاستجابة العقلية السريعة . فالمحاكمة ليست وليدة التأمل ، بل وليدة الاسئلة الملحة المطروحة فى أوج توترها . ويستفيد لوبيموف بخياله الخلاق من كل منجزات الفنون والتكنيك المعاصر ، مع ميل واضح الى التقشف فى حشو خشبة المسرح بالاشياء الزائدة ، انه يستخدم أقل ما يمكن ولكنه يستغله استغلالا مذهلا ، فهيكل عربة اللورى الخشبى ـ وهو كل ديكور مسرحية « والفجر هادىء هنا » ـ هو بيت وثكنة وحمام ، واضلاعه تفك لتتحول أخشابها الى غابة والى قوارب ، وهو يفصل بينها بمسافة بسيطة لتعطى بعدا ثالثا يعين على تمثل ذكريات الفتيات ومن على عتبة المصير المفجع ، فتتحول الى بيت فى مدينة ، وكوخ فى برية .. وكل هذا دون أن تحس لحظة واحدة بالانفصال . ان روحا واحدة تلف العرض المسرحى كله من حركة الممثلين [التى لا تهدأ] الى أضأل ظل فى خلفية المسرح المظلمة .

والسؤال الان يطرح نفسه ، وما هو دور الممثل اذن ؟ ذلك الدور الذى هو الاساس فى المدرسة الروسية قديمها وحديثها ، هل هو قطعة ديكور أيضا نتحرك كما نتحرك الاشياء والتى ينسحب دورها [اللغوى أحيانا] فى بعض العروض الى المؤخرة كما فى مسرحية هاملت التى تلعب فيها الستارة الصوفية دورا أكبر من هاملت نفسه ؟

يعتبر لوبيموف ـ وهذا تفسير منا ـ أن خشبة المسرح يجب أن تؤدى وظيفة ديناميكية جدلية . ان الانسان يتحرك فى « جو » يصادمه . والاشياء الطبيعية والعلاقات تضع أمامه دوما سؤالا يتحداه ويدعوه الى تجاوزه . وان الرموز المستعملة من الستارة الى الكرسى الى الضوء والظل الى الايماءة والرقصة والاغنية كلها تمثل « وجودا » لا قيمة له بحد ذاته الا بالاضافة الى الاخرين ، وهو لا يكتسب معناه الا فى حالة كونه حركة وتصادما ، كالنغمة الميلودية فى السمفونية تكتسب انسجامها من تنافرها والفنان عندما يكتشف حركة الحياة ، يعيد ترتيبها بطريقة انسانية عاقلة ويوزع الادوار بحيث يكثف الزمن والاحداث فى لحظة فاصلة ، وهذه اللحظة التى تكون عادة فى قمة التوتر ، يجب أن تؤدى الى اللحظة التالية التى هى أكثر فنى ، والتى تبتعد عن سابقتها بالدرجة والنوع ، والمتفرج المتابع بيقظة هذا



شكسبير

الصراع يحس أنه جزء منه ، وأنه داخل الحركة لا خارجها ، وهو مندمج فى اللعبة وطرف فيها . ان مشاركته ليست فى أن تطرح عليه الاسئلة بطريقة أصبحت تقليدية وتقول له ما العمل .. انها تتجاوز ذلك لتطرح هى نفسها الاسئلة ، وهكذا يتحول العرض المسرحى الى محاكمة داخلية وخارجية دائمة فى حالة من الوعى الكلى للانسان الذى يسعى دوما الى التفوق على نفسه . ومن هنا يفهم لوبيموف أن الممثل هو جزء من هذه الحركة ، قد يكون هذا الجزء أهمها ولكنه بالتأكيد ليس العنصر الوحيد ، انه يبدو لنا أنه هو محرك المسرحية وهو يندمج فى هذا الدور بكل قواه ، ولكن الاصابع القادرة من ورائه أو العقل المنظم [الملم بكل شىء] هو الذى يعين حدود هذه الحركة ضمن هذا العالم الصغير الكبير .. والعقل المنظم يتركه يتصرف واضعا فى طريقه دوما القوى المضادة ، ومن هنا تبدأ حريته بمحاولته التغلب عليها .. وهذه الحرية فى نظرى هى أعلى بما لا يقاس من حرية التعبير النفسانى الحر للممثل الكلاسيكى المندمج ، ذلك انها حرية ديناميكية متطورة لا مرسومة حسب أبعاد الدور المتكرر ..

هل مسرح لوبيموف هو مسرح المخرج؟ نعم ولا . انه مسرح المخرج لانه يدير بيديه كل حركة الصراع ، وهو الذى يقدم رؤيته العامة للنص وتفسيره للكون والحياة . ولا .. لان الممثل فيه يؤكد حريته من خلال الصدام الدائم مع القوى التى يطلقها المخرج والذى تبدو له وكأنه يكتشفها لاول مرة ويعمل فكره للتغلب عليها بطريقة لا تتكرر مهما تكررت العروض .

●●●

يقول الناقد السوفييتى الكبير المتخصص بشكسبير الكسندر انيكست « ان لكل انسان تقريبا موقفه الشخصى الخاص من مسرحية هملت ونجد هذا الموقف لدى لوبيموف مكشوفا ، فقد اكتسبت التراجيديا والاصح أن تقول ، أعيد اليها طابعها عندما كانت تقدم فى الميادين العامة وتجاهل المسرح البهرجة والترف اللذين تتسم بهما القصور ، ورفض أيضا « اتيكيت » القصور ، وهذا موجه بشكل جدلى ضد عبودية الفنان الارادية أو اللاارادية أمام حاملى التيجان. وينزع عنهم لوبيموف هالات الجلال والعظمة ، ويؤكد فقط على صفات السلطة الواقعية فيصاحب كلوديوس دائما حراسه الشخصيون ، وهو محاط بالوشاة ، ويختفى وراء الجدران المتينة » .

كانت احدى أهم الاعتراضات الغاضبة ضد هاملت لوبيموف قول بعض المشاهدين : حسنا لقد شاهدنا لوبيموف فأين شكسبير ؟ ونفس الاعتراضات ثارت أمام كوزنتسيف عندما حلق لحية الملك لير الوقور .

وهنا يبرز هذا السؤال الدائم : هل المطلوب الامانة للتاريخ بحيث يقدم المخرج شريحة تاريخية للدانمارك فى عصر ما ، أو لليونان فى عهدها الذهبى ويقدم نفس الافكار « الثابتة » التى طرحها مؤلفو عصر ما ، أم أن تؤخذ هذه الافكار بصورتها الجدلية المتحركة ، وتكون علامات على الطريق فتكتسب جدة ولمعانا عصريين ؟ فاذا كان المطلوب الامانة فمكانها متحف التاريخ فهى لاتعنى الا مجرد [أخذ العلم] بما كان . وبذلك يتخلى المسرح عن قيمته كمحرك وداعية لاكثر الافكار جدة ، ولطرح أشد المسائل الحاحا .

فكيف رأى لوبيموف هاملت ؟

انه هنا ليس ذلك « الامير الطيب » كما يدعوه هوراشيو . انه فتى صريح ، صعب المراس يشبه « الشباب الغاضب » واقع تحت دوامة هائلة من مختلف المشاعر ، ولكن ليس من بينها ـ وهنا الجدة ـ ذلك الشعور الذى بلغ مرتبة التقديس : الشكوك والتردد الهاملتين .

انه ممتلىء سخطا على العالم الذى يكون « الشريف فيه ، حسب واقع الاشياء واحدا من بين عشرة آلاف »

وهو ثاقب البصيرة ، يرفع يده وحده ليحارب ضد عالم شرير ومضاد ، لكنه غير مجنون .. وهو يعرف هدفه منذ البداية .. انه الشر المتمثل فى شخص الملك ، وهو يحاول القضاء على الطغيان والقتل فيعتبر نفسه الطرف الوحيد — حتى ان علاقاته بأصدقائه ليست حميمة ويحس بوحدة تامة — ضد كلوديوس ومن يقف مع كلوديوس .

ويلاحظ انيكست أن عبارة « أكون أو لا أكون » لم تعد هنا مشكلة فلسفية ، وينتقل مفهومها من صيغة السؤال الى صيغة التعجب ويأخذ معنى حياتيا تماما : كيف أكون ؟ وكيف اناضل ضد كلوديوس والعالم الفاسد المحيط به ؟

ان الذى يفجأ فعلا فى تصوير شخصية هاملت ، هو أن الموضوعات الفلسفية الشكسبيرية منفصولة بعنف عن عالم هاملت الروحى .. انه يبدو مشغولا بالنضال ضد اعدائه فقط ، أما هذه الموضوعات فتوحى بها وتفسرها بابداع وحدة العرض كله والرموز الثلاثة التى سنأتى على ذكرها فى الديكور الغريب شديد الايحاء الذى صممه الفنان بوروفسكى .

فالرمز الاول هو القضبان على الارض ، ويضاء تحتها أحيانا ضوء أصفر باهت فتتراقص على وجوه ساكنى ايلسنور ظلال هذه القضبان .. ان هاملت حبيس « الدانمارك — السجن» البغيض الذى يحتوى على كثير من « الزنزانات والسراديب » والرمز يذكرنا طوال المسرحية هو والجدار المسلد الخشن العارى فى أقصى المسرح ، بهذا العالم الثقيل الذى يعيش فيه هاملت ومن حوله .

والرمز الثانى وهو أهم رموز المسرحية والذى أصبح محور العرض ومحدد ميكانيكيته هو تلك الستارة الثقيلة البنية الغامقة المصنوعة من الصوف الغليظ الحاك والتى تتحرك فى كل الاتجاهات على طول المسرح وعرضه تنفذ من خلالها الاضواء فتلقى بظلالها على الجدار فى أشباح مؤثرة فى الوقت المناسب . وهى تتحرك الى مقدمة المسرح تارة فيبدو عندئذ بولونيوس ، وحتى الملك والملكة فى مخادعهم الصغيرة « الزنزانات » فالدانمارك سجن كبير ، وهم أيضا سجناء القيود التى خلقوها بأنفسهم . وتارة تتحرك الى خلفية المسرح تاركة الخشبة عارية وكأنها صحراء قفراء لا ينبت فيها نبت ، وتتحرك طولانيا تاسمة الفراغ قسمين وعندئذ تهرول الشخوص حول هذا الجدار الاملس . كما تستخدم كحاجز يفصل بين الملك والشعب ، ولكنه حاجز غير متين . ففى أثناء الثورة التى يقودها لايرتس تحصر الستارة كلوديوس الى الجدار مهددة ، وعندما يقسم المسرح الى جزءين ، فمعنى ذلك أن هناك معسكرين فى أحدهما هاملت وفى الاخر الملك وأتباعه .

ونقتبس هنا العبارة التالية عن اهمية هذه الستارة من مقال الكسندر انيكست « الدراما والفانتازيا » :

« والستارة هذه ليست خلفية ، بل وجه فعال للتراجيديا ، وهو وجه عظيم جدا ، وهو قوة هائلة تعذب هاملت والملك أيضا . فهى تدافع عن البعض وتبعد البعض الاخر ، ويتم خلف الستارة الاختفاء والتصنت ، ويتمسك بها الشخوص ، كما يجدون فيها سندا يقيهم من السقوط ، وهى تقف كالمراقب أول الامر ، ثم تنغمر فى خضم الصراع كالاعمى ، وبلا روح .. وأولى ضحاياها بولونيوس ثم اوفيليا فهى « نزيحهما » من المكان ، وكذلك جميع المشاركين الاخرين فى التراجيديا . وفى النهاية تكنسهم جميعا من خشبة المسرح ومن الحياة .

ان الستارة تمثل رمزا كثير الابعاد للقوى التراجيدية للواقع الذى يسحق الاخيار والاشرار دون تمييز » .

والرمز الثالث الهام فى المسرحية هو القبر .. فمنذ الدخول الى المسرح يرى المتفرج فى مقدمة المسرح هوة محفورة وتلان من التراب الحقيقى على جانبيها . وتدور جميع الحوادث تقريبا عند القبر المكشوف . وتبدل وقت طويل من مصرع كل بطل فى التراجيديا فانه يرى ماذا ينتظره . ويتحول سرير الملكة الى تابوت ، تدفن فيه اوفيليا فيما بعد ، كما ويستخدم أيضا كمجرد مصطبة للجلوس . أما حفارو القبور فهم يتواجدون اما فى مقدمة المسرح ، يحفرون القبر ، واما فى القصر وهم يتحسون الباب الى مخدع الملكة ، كما يفتح الاخرون بوابة المقبرة .وتتناقل الايدى الجماجم فيجب على المرء أن يفكر بالنهاية التى يؤول اليها لحظة الموت .



لا شك أن شاعرية التراجيديا الشكسبيرية تقوم على التناقضات وتعدد المشاعر الداخلية ، ومن هنا جاء غنى تنوع الاشكال والاساليب فى العرض ، ولكن المبالغة فيها فى بعض الاحيان أفقد العرض تسلسله المنطقى لعدم الانسجام فى قرن الرمز بالطبيعة قد اصابه بشروخ كبيرة فى مشهد اللقاء العاصف بين هملت وأمه عندما تقتل بولونيوس ، فقد جعل لوبيموف الام تطلى وجهها بالمسحوق الابيض المعطر أثناء كلام هملت معها وهو عمل لا محل له هنا اطلاقا ولا تبرير له الا توجيه الظل على وجهها ليبدو كالجمجمة تعبيرا عن بشاعة تواطئها . وما معنى أن يأكل حفارو القبور البيض نصف المسلوق كما فى الواقع ويشربوا الفودكا ويتفلسفون حول القبر ؟

فاذا ما انتقلنا الى الاداء التمثيلى يتسع الشرح ، فهناك أساليب مختلفة فى الاداء ابتداء من الصرامة والاقتصاد بالحركة ورشاقتها عند هاملت مرورا بالسيكولوجية الرقيقة [ديميدوفا بدور أم هاملت جيرترود] والميلودرامية التى أغرق بها لايرتس المسرح تاركا وراءه دائما الفقاعات . وانتهاء بالمبالغة الفظة فى الاداء [شتاينرايخ بدور بولونيوس] .

ويظهر الممثلون المتجولون بصورة غريبة فهم يبدون وكأنهم أعداء هملت وليسوا فى صفه على أية حال ، وهم فارغون ، معجبون بأنفسهم ، ويمثلون بصورة غير طبيعية ومقصودة ، وهم واثقون من كمالهم . ان المبالغة الهزلية تحول هذا المشهد الى نوع من المحاكاة المسرحية من طراز « التفشات » فهى مضحكة بحد ذاتها وتبدو وكأنها لا علاقة لها بأحداث المسرحية فضلا عن أنها طويلة جدا .

الى جانب ذلك كله وقع لوبيموف — وهو الغنى الحركة والعميق الرمز دائما — فى مبالغات عدة ، وكأنه كان يخشى ألا تفهم الحركة فعمد الى تضخيمها فبدت وكأنها درامات صغيرة غير مترابطة بصورة كافية .فيلوى الحراس الشخصيون للملك يدى اوليفيا المجنونة من وراء الستارة . ويمسكون — عبر الجدار — بلايرتس عندما يتعطش للانتقام من هاملت ويمسك بسيفه . فى هذه اللحظة التى يكون فيها مختليا بالملك يتآمران على كيفية القضاء على هاملت ، ولا يمكن لاحد أن يراهما أو يسمعهما فالتدخل الرمزى هنا فى غير محله . ثم ان النهاية وهى مشهد المبارزة قد فقد جلاله ومأساويته باللجوء الى التكنيك حيث كان يجب اللجوء الى الواقع أو ظله على الاقل .

هذه بعض المآخذ على هذا العرض العظيم الذى اثار زوبعة من الغضب والاستحسان ولكن هذه المآخذ ، على جدية بعضها ، تعد من الجزئيات . ان هاملت مسرح « تاجانكا » ككل تعتبر عرضا ذا قوة تأثير كبيرة ويبعث على الحماسة والقلق .

بيت من لحم

مجموعة قصص

تأليف : د. يوسف ادريس
الناشر : عالم الكتب — القاهرة ١٩٧١

• اذا كان العالم الذى نعقله ، او بالاحرى الذى نريده ، هو عالم المنطق والعدالة والخير والحرية ، فان ثمة عالما آخر ملحق به هو عالم العبث والظلم والشر والاستبداد • عالم ينهض بداءة على مجموعة من الاستثناءات • ثم ما يلبث أن يحكم القوانين المنظمة لهذه الاستثناءات ويشيد منها بناء اكثر رسوخا واحكاما من العالم الذى نعقله • عند ذلك يبتعد العالم الطبيعي عن الواجهة ، تنحيه الاستثناءات التى اصبحت قواعد • وتظل تطارده حتى لا يتجسد في اكتماله المبهر الا فى الحلم وحده • ومن هذين العالمين المتعارضين ، عالم الكمال المهدر وعالم العبث المسيطر ، يتكون عالمنا بازدواجيته المعقدة وتوازناته المحيرة • التوازن بين الخير والشر ، وبين العدالة والظلم ، وبين الحرية والاستبداد ، وبين المنطق والعبث • ومن خلال اللعبة المعقدة لتبادل المراكز بين هذه الجزئيات المتعارضة المتصالحة معا ، يصوغ لنا الفنان عالمه الفنى ورؤاه •

وعالم يوسف ادريس فى مجموعته الاخيرة (بيت من لحم) واقع فى قبضة هذه الثنائية المريرة •• تحكم فيه الاستثناءات قبضتها على كل شىء ، فيتراجع العالم الطبيعى الى الهامش ، ويتحول الى حلم بعيد المنال • ويتحول معه الانسان الذى يرى أن قوانين العالم الطبيعى هى القوانين الحقيقية ويتصرف وفقا لها الى شخص عصابي فى نظر الجميع • لانه يتصور أن باستطاعته الافلات من اسار هذا العالم الاستثنائى المسيطر • وفى ظل هذا العالم المسيطر يصبح العالم مجرد (بيت من اللحم) البشرى الذى استعاض عن التحقق بالوقوع فى أنشوطة الخطيئة • وهى هنا خطيئة سافرة متفق عليها فى صمت •• والصمت فى هذه المجموعة صمت فعال ، لانه لا يعنى الكف عن الكلام بقدر ما ينطوى على نوع من التواطىء ، وعلى سلم شائه من القيم الاجتماعية • انه صمت غريب • يخفى فى طياته آلاف الاخطاء والخطايا • ويهدد بتناميه الحياة الهانئة فى (بيت من لحم) ولا يكف حتى يلتهمها كلية • وحتى يخرس ما بها من اصوات بريئة •• يشركها فى اللعبة الاثمة بين الاصبع والخاتم •• وكلما تحرك اصبع فى الظلام وانزلق فى قلب الخاتم أطفىء المصباح ، لان اللعبة لا تكتمل فصولا الا فى الظلام الكامل •• والظلام هو اللحن الاساسى الاخر فى المجموعة وهو ظلام معنوى •• يدهم الانسان فى رائعة النهار ، ويترك فوق عينيه فى (سنوبزم) كدمة كبيرة زرقاء ، هى نصيب العين التى تصورت انها خلقت لترى ولتفهم ولتتساءل • ولان صاحبها حاول أن يخدش جدار الصمت الرازح المشحون بالتواطىء •

وانسان (بيت من لحم) واقع فى قبضة قوة مخاتلة لا ترحم ، تتحرك بالاشياء بعيدا عن قبضته وهو يجالد للامساك بها • وتفك قبضته عن الاشياء التى تمكن من السيطرة عليها • ثم تتركه فى متاهة من عدم اليقين لا يعرف معها ان كان عليه المضى فى الطريق ام التوقف للبحث عن سبيل آخر • ويتحول العالم فى وجهه الى قفص كبير •• هو قفص العادة فى (على ورق سلوفان) وهو قفص الانصياع الاجبارى للتواطىء فى (سنوبزم) وهو قفص الخطيئة المتفق عليها التى تدور فى صمت والجميع فاهمون وصامتون فى (بيت من لحم) • وهو قفص الارتباط بتلك الجثة العفنة التى تزكم رائحتها أنوف الجميع ، ولكن صاحبها مشدود اليها بأواصر حميمة فى (الرحلة) وهو مطارق المياه الكثيفة الثقيلة المخادعة وهى تشد بكل (حلاوة الروح) الى القيعان •• وهو قفص الافتراض المسبق للكذب وعدم التصديق والمبالغة فى كل شىء فى (سورة البقرة) وهو قفص رهيب تصوغ الغواية قضبانه اللامرئية فى (أكان لابد ياللى لى) •• وهو قبل كل هذا وبعده قفص عالم الاستثناءات الذى أحكم قوانينه على كل شىء • والذى زحف فيه التشوه من الخارج حتى استكن فى اغوار انسانه • فقتل فيه الحلم والامل والمبادرة •

وانسان (بيت من لحم) هو انسان مرحلة التواطىء الجمعى والتحلل والخديعة •• وهو لهذا كله انسان عدم التحقق • أهدرت أجمل احلامه بعد ما استحال الواقع فى نظره الى كابوس طويل رازح • وشدته أنشوطة التواطىء والصمت الى دائرتها الحلزونية التى لا نهاية لها • فما أن يتصور أنه قد تجاوزها وتخطى عثراتها حتى يجد نفسه يدور فى مستوى آخر من مستوياتها • فوقع بطل (سنوبزم) فى احبولة عالم لا لائحة فيه ولا قانون • ووقع بطل (الخديعة) فى أسار تلك الراس الدخيلة الصبورة الملحة وهى تجبر الجميع على الاعتياد عليها ، وتفقدهم حس الدهشة او الاستنكار •• وما زال

(حمال الكراسى) رازحا حتى اليوم تحت ثقل الكرسى المعنوى الذى يبهظ كاهله منذ أيام بتاح رع حتى اليوم ، لا يصدق الدعاوى الكاذبة القائلة بانه صاحب الكرسى لانه وحده الذى يحس بالكرسى يثقل كاهله · ووقع المصلون فى (أكان لابد يا ليلى) فى قبضة لحظة لا يستبينون فيها الصدق من الخديعة والغواية من الهداية والضلال من الايمان · وضاق بطل (سورة البقرة) بذلك المناخ الذى أهدر فيه كل يقين واستشرى فيه الكذب والمبالغة والادعاء ، ووقعت شخصيات (بيت من لحم) فى براثن الصمت الخطيئة لان الصمت نفسه فى القصة كان الخطيئة او كان وجها من وجوهها · فقد أدار الكاتب بينهما لعبة تبادل مستمر للمراكز · ومع الصمت كانت الحياة تموت بالتدريج وتختفى معها الكلمات والضحكات · وبقية شخصيات المجموعة تتردى فى هذه الشراك وتعانى من هذا الصمت والتواطىء · لتصوغ بمعاناتها المتعددة الروافد ملامح اللحظة الحضارية التى تمارس فيها هذه المجموعة فعالياتها ·

(فبيت من لحم) من أحفل مجموعات يوسف ادريس اهتماما بالقضايا السياسية ، فى الوقت الذى تبدو فيه وكأنها أبعدها عنها · لان يوسف ادريس من أكثرفنانينا ايغالا فى الحسية · ومن أبعدهم عن التجريدات العقلية أوالمعادلات الذهنية الباردة · وهو يرى أن الصورة الكلية للواقع متحققة فى كل جزئية من جزئياته · وأن سبيل الفنان الحقيقى الى هذه الصورة العامة هو تلك الجزئيات البالغة الخصوصية والقادرة على الافضاء فى كل لحظة تاريخية بزاد جديد من الخبرات الحسية ومن التصورات العامة فى آن · ومن هنا فاننا نلمس خلف مأساة الدكتور عويس فى « سنوبزم » أطياف مأساتنا نحن ·· نلمسها فى صراعه المستميت من اجل لائحة أو دستور ينظم حياتنا ·· ونحسها فى جمهرة الاتوبيس وقد انعقد بينها تواطؤ صامت دارت فيه اللعبة القذرة تحت عيون الجميع ، او بالاحرى بموافقتهم · وبدا وكأن الصمت المشحون بالتواطىء هو القاعدة وأن أى خدش لجدار هذا التواطىء الصلب تمرد على عالم الاستثناءات وقد أحكم قبضته على كل شىء وأصبح ناموسا مقدسا لا يعترض عليه أحد · وأن الركب ـ أى الاتوبيس وربما الحياة نفسها ـ لا يمضى الا اذا تخلص من المتمردين على هذا الصمت المتواطىء أو الراغبين فى استكناه سره · وأن الدكتور عويس فى تمرده على هذا الصمت وفى اقتناعه بان فى امكانه ان يفرض قانونا أو لائحة تنظم بعض أجزاء هذا الواقع ، يلوح للجميع وكأنه شخص عصابى يثير الرثاء والسخرية ولم لا ؟ ·

ان السبيل كما يبدو فى قصتى (الرحلة) و (حلاوة الروح) هو الانفصال الكامل عن هذا العالم من خلال الصراع البطولى ضده · فبدون هذا الصراع لن نتمكن من التغلب على



د. يوسف ادريس

شد المياه الثقيلة الى القيعان · وسيولة هذا الماء الثقيل فى (حلاوة الروح) هى التجسيد الشعرى لكل ميوعة قوانين عالم الاستثناءات وثقلها فى نفس الوقت ·· فهى لا تنهض على اساس صلب ولكن لها برغم سيولتها تلك ثقل فادح · واذا كانت مجالدة بطل (حلاوة الروح) ضد الغرق تبهظ الانفاس ، فانها تمتد بنا الى مجالدة بطل (الرحلة) للتملص من هذه الاواصر الحميمة التى تشده الى تلك الجثة العفنة التى تزكم روائحها انوف الغرباء ، ولكن حميمية علاقته بها تمنعه من ادراك مدى عفنها وتعفنها · فالغرباء وحدهم هم القادرون على ادراك عفن هذا العالم والاحساس به · وانساننا الغارق فيه المستنيم الى قوانينه فى حاجة الى مجالدة كبيرة لادراك العفن وبالتالى للانفصال عنه ·· لانه ينطوى على سلم كامل من القيم البالية التى وقع فى شبكتها الانسان · ويدرك الفنان أن التضحية بالقيم البالية لا تكتمل دون تشييد سلم جديد من القيم البناءة · وأن الصراع ضد تيارات هذا الكون الهيولى فى (حلاوة الروح) لا يمكن أن يكلل بالنصر بغير لمسة التآزر الانسانى التى تنتشل بطلها من الغرق ·· ويكتسب هذا التآزر بعدا أعمق فى (الخدعة) حيث تواصل رأس الجمل اطلالها المزعج الملح لانه ليس ثمة احتجاج جمعى أو دهشة جماعية من ظهورها « ربما لو اندهشنا ، فقط اندهشنا ، كلنا اندهشنا كلما ظهر ·· لما ظهر » (ص ٩٦) فافتقاد انساننا لحس الدهشة افقده الكثير من روحه ومن انسانيته معا · وأى محاولة فردية لانتشال الذات من حمأة التردى فى مهاوى الانصياع المطلق لهذا العالم المختل عبث · لان صلابة قوانينه لا تتحطم بغير تآزر جماعى فى مواجهتها ·

وتقدم لنا هذه المجموعة تفاصيل هذا العالم وسبيلها الى تجاوزه من خلال بناء فنى تتحول فيه الاساليب والادوات البنائية الى وجه أساسى من وجوه الرؤية · تصبح فيه اساليب السرد التقليدية بافعالها المضارعة التى تجسد حضور العالم وتقاليده الراسخة وجها من وجوه فداحة ذلك العالم العبثى ورسوخه · وتصبح فيه أدوات الرؤية الكابوسية بمنطقها الغريب واحداثها غير المتوقعة جزءا من ملامح هذا الواقع الكابوسى الرازح ·· فالقصة لا تصور عندئذ الكابوس ولا تتحدث عنه · ولكنها تتحول بنفسها الى كابوس لا يفلت القارىء الا بعد أن يقتنصه فى شبكته · ويريه العالم عبر أحداقه ، فيخرج من التجربة مبهور الانفاس · ما زال فى اغواره من لغته الغريبة وملامحه الخاصة بصيص لا يبرحه · ويوسف ادريس يستخدم فى بلورة هذا التأثير المدهش مجموعة من الادوات البنائية المتعددة ·· بدأ من السرد التقليدى حتى أكثر الاساليب اللغوية غموضا وشاعرية وايحاء ·· يخلق تراكيب لغوية جديدة ، توازى استثنائيتها استثنائية هذا العالم الغريب · ويستخدم تكنيك الحلم أو الكابوس · ويعرب فى جمل المنولوجات المفككة والمبدوءة بالضمير الاول عن حنين انسان هذا العالم الى التحقق وتجاوز الاحباط · ويعكس الخروج فى رحلات البحث عن الذات وعن الاشياء توقا الى العثور على الذات المهدرة وعلى النحن الجماعية التى تتجاوز الانحراف عن الجوهر وتحطم جدران الصمت والخوف والنواية · ويشير ذوبان الزمن وتداخل الاحداث الى فقدان التتابع والاتساق · كما تؤكد الاحلام الخادعة آلا مهرب من الواقع لانه ما عادت لديها فراديس تعوض بها نقص الواقع أو تخفف من حدة عبثيته · ولا تكفى هذه المراجعة السريعة لتعرف دلالات على كل الادوات البنائية التى استعملها الفنان ، ولكنها فقط اشارة تؤكد وثاقة علاقة هذه الادوات بنوعية الرؤى التى تطرحها المجموعة ·· بصورة تثرى معها الادوات البنائية رؤى الكاتب وترهف عالمه وتشير الى تعدد مستويات المعنى التى تبوح لنا بها الاقاصيص بعد كل قراءة جديدة ·

وأخيرا لا يفوتنى أن اشير فى هذه المجموعة الى ذلك الحب الغامر لمصر ، والتوق العارم للارتداد الى جذورها الاولى ومنابعها الاصيلة · والى هذا التيار المتدفق من الخبرة بدقائق الشخصية المصرية وبمكنوناتها وأسرارها وملامحها النفسية ·· والى تلك الرغبة الواعية فى استكناه كل همومها ولمس مواطن الداء فيها · والتعرف على ملامح صورتها فى هذه اللحظة الحضارية من تاريخها · بصورة يمكننا معها أن نعتبر هذه المجموعة مصدرا من مصادر الحقيقة عند التعرف على طبيعة صورتنا وسمات مرحلتنا · بل هى مصدر لا يمكن الاستغناء عنه · لانها تلمس مجموعة من الاوتار الدفينة · وتضع يدها على مجموعة من التفاصيل الدقيقة التى تجسد المناخ العام الذى تدور فيه وقائع حياتنا وتتخلق عبره ملامح شخصيتنا الجديدة ·

صبرى حافظ

فكـــــرة النــقيض

فى أعمـــــال ثــــروت فخـــرى

ان محاولة اختراق الحصار القائم حول شخوص الفنان ثروت فخرى تدفعنا بالضرورة الى البدء فى حوار مع الفنان ذاته ... فمنذ عام ١٩٧٠ وفكرة النقيض تلح على عقله ووجدانه .. لكن الاداء التكنيكى كان عائقا له الى أن جاء معرضه الثالث فى ابريل ١٩٧٢ متناولا فكرة النقيض وفى هذا المجال يقول عن أعماله « انها محاولة لاستلهام علاقة للنقيض المحتوم القائم بين الانسان وذاته تارة ، وبين الانسان وواقعه تارة أخرى ، من خلال ما هو وجدانى وما هو عقلى بالدرجة الاولى » .

وانطلاقا من هذا المفهوم البيواعى لحساب شكل العلاقة بين الفنان ذاته وواقعه المعاش ، بدأ التصدى للمسطح الابيض المتماثل فى ابعاده بلا ايهامات .. ، فكانت مساءلة التجسيد او تحقيق البعد الثالث عنده غير مرتبطة بالمفهوم الرياضى ، وانما كان عنصر اللون وحجمه ومنطق توزيع العلاقات التشكيلية داخل الاطار .. هى البديل عن ذلك البعد الرياضى « المتمثل فى أعمال عصر النهضة » .

ومن خلال رموزه التشكيلية التى لا تخرج عن المربع الذى يمثل حالة من الاستقرار النسبى والمثلث الذى يعادل حالة الاقتحام ، والخط المذبذب الذى يعادل حالة اليقظة ذات الحركة العالية .. كل هذه العلاقات اما أن تتواجد منفردة او مجتمعة ولكنها دائما تلازم مشخصاته التى لاتخرج عن حدود المرأة فى حالة من الامتثال أو السقوط أو التوتر ... سواء منفردة بدور البطل داخل اطار المربع المحاصر لها أو تتعايش مع شخوص أخرى لنساء دائما تحمل دلالات متشابهة وعنصر المرأة عند ثروت فخرى يمثل حالة من الاغتراب داخل الاطار الذى يحمل عنده دلالات الواقع ، ونلحظ ذلك التناقض بين عنصر المرأة والاطار المحيط ، ليس فقط من خلال الادراك الواعى لمسلك الفنان فى تأليف علاقاته داخل الصورة ، ولكنه يتضح كذلك من خلال التناول التكنيكى ... فاننا نجد خلفيات الصورة مجرد حلول بلاستيكية تتميز بدرجة حادة من السكونين متمثلة بالحركة المنظمة لاتجاه الفرشاة التى تسعى الى صقل السطح وتقتل كل مظهر للتوتر عليه .

ونجد النقيض فى تناوله لعنصر المرأة «محور الاعمال دائما» كعلاقة تحمل مظهر الكتلة فى طريق تحولها الى طاقة ، فهى دائما ملتهبة ... أو يخفت منها اللهب وصولا الى حالة التفحم ، مضافا الى ذلك تلك الحالة الدافقة من التوتر على السطح بما يحمله من دلالات تؤكد رجعا يؤثر على المشاهد ويخلق عنده حالة من القلق لا يفقده توازنه ، انما يصل به الى محاولة لادراك دلالة هذه العلاقة فى تواجدها داخل مربعاته العشرين .

ومن ملاحظة خط النمو عند ثروت فخرى مرورا على أعماله فى معرضيه الاول والثانى اللذين أقيما بأتيليه القاهرة عام ١٩٧٠ ، ١٩٧١ يمكن أن نتلمس تصورا للخطوة القادمة مسبوقا بتحديد ايجابيات وسلبيات الفنان .. ففى المعرض الاول كانت تلح عليه فكرة الانسجام داخل علاقاته الخالصة المستلهمة من الفيثاغورثية المتميزة بمثالياتها الرياضية الخالصة ، وفى المعرض الثانى والثالث تناول فكرة النقيض ، ومن خلال التتابع كان هناك نموا لا يخطئه الوعى فى الاداء التشكيلى وتناول الاجروميات .

لكن فكرة النقيض وما تحمله من دلالات هى قائمة أبدا ، ونجد صداها فى العصر الحديث عند الفنان الانجليزى المعاصر فرانسيس بيكون .. وشكل التناول لها عند بيكون يتمثل بمنطق يقترب منه ثروت فخرى وان كان العنصر الانسانى عند بيكون أكثر تشوها وتفجرا ودموية ....

ولكى يصل ثروت فخرى الى الخلاص من دائرة الفنان الانجليزى يجب أن يحقق النقيض من خلال التباين اللونى المصاحب لتوتر السطوح ونمو ملامسها الى درجة تخرجها من جاذبية بيكون ... بالاضافة الى أن يترك للوجدان متنفسا الى الحد الذى يتوازن فيه مع العقلانية الخالصة .. فمن خلال هذه الحالة يمكنه أن يحقق تلك السمة التى تخلق عوالم خاصة تفسح له مكانا بارزا فى حركة التشكيل المعاصرة على اتساع رقعتها .

مصطفى مهدى

حول « التراث والمعاصرة »

عبد العزيز الدسوقي

افردت الطليعة ملحقها الادبي الثاني للتعليق على مؤتمر الادباء الثامن المنعقد في دمشق في أواخر عام ١٩٧١ ، وسأركز ردي حول تعليق الاستاذ الدكتور عبد القادر القط على الابحاث التي دارت حول موضوع « الاديب العربي بين التراث والمعاصرة » ، فهو تعليق ذكي احتشد له كاتبه ، وتناول الموضوعات في عمق ورحابة أفق واحترام شديد لاراء مخالفيه . وهذه حسنات تذكر للكاتب مهما اختلفنا معه بعد ذلك في وجهات النظر والاراء التي انتهى اليها .

بدأ الدكتور عبد القادر تعليقه بفكرة عامة حاول من خلالها أن يصنف الابحاث حسب مفهوم أصحابها الحضاري والفكري ، وانتهى الى تحديد مفهومين اثنين للابحاث الاربعة :

١ ـ مفهوم ثابت جامد وهذه اللفظة الاخيرة من عندي فلم يستخدمها الدكتور عبد القادر مباشرة ، لانه « ينسب الى التراث صفة الثبات والانتهاء في الماضي » .

٢ ـ ومفهوم متحرك متطور « لانه يضع التراث في اطاره الحضاري ، الدائم الحركة والتطور تطورا يجمع بين التلقائية ، والوعي بطبيعة الواقع الذي يعيشه الفرد ، ووجوده الاجتماعي والفردي عبر التاريخ » .

ووضع بحثي وبحث الدكتور حنفي بن عيسى ، في المفهوم الاول .

أما المفهوم الثاني فكان من نصيبه بحث الدكتور عباس الجراري ، وبحث الاستاذ أحمد يوسف داود . وكان من الطبيعي أن يخالف الدكتور عبد القادر المفهوم الاول « مفهوم الثبات » ويعارض رأيي ورأي الاستاذ حنفي بن عيسى لانهما لا يصلحان « نقطة بدء لعرض القضية » لانهما يفترضان على حد قوله ـ « وجودا مستقلا ثابتا للتراث غير متصف بالحركة والامتداد والتجدد » .

وأن يوافق على المفهوم الثاني « مفهوم التحرك والتطور » لانه هو المفهوم الصالح لعرض قضية التراث والمعاصرة . ومن العجيب أنني اتفق مع الدكتور عبد القادر القط في تصوره للقضية على هذا النحو ، بل يكاد يكون تحديده للقضية ، واردا بكلماته في بحثي .

والشيء الذي اختلف فيه مع سيادته ، أن يضع بحثي في « خانة » الثبات والجمود ، مع أنه يتفق مع وجهة نظره أكثر مما يتفق بحث الدكتور عباس الجراري كما سأوضح فيما بعد ، ومع أن كلمة الثبات ، أو فكرة الثبات لم تخطر لي على بال وأنا أكتب البحث ، ولم يرد شيء من هذا في أي جزء من أجزائه ، بل دار البحث حول فكرة التطور والتجدد الدائم للتراث العربي وكيف كان يمتزج بالحياة المعاصرة ويكون معها « مركبا جديدا » يجمع أكمل وأنضج ما في التيارين تيار الماضي وتيار الحاضر ، ولقد استعرضت بالتفصيل حركات التجديد الدائمة التي كانت تجمع بين الماضي والحاضر « وتحول قيم الماضي الصالحة ، بعد مزجها بقيم الحاضر الصالحة ، الى مركب جديد يثري الحياة ويطور الادب » .

وتصوري لقضية التراث على هذا النحو ، واستعراض حركات التجدد التي جمعت بين الماضي والحاضر في اطار جديد مشرق ـ يؤكد ـ دون لبس ـ انني بدأت من نقطة صالحة لعرض القضية ، وأن الدكتور عبد القادر هو الذي بدأ تعليقه بداية غير موفقة ـ من وجهة نظري ـ لانه انتزع كلمات من البحث قلتها في وصف تحديدي للتراث وقال « ان التراث عند الاستاذ عبد العزيز الدسوقي هو أكمل وأنضج ما ورثنا عن الاباء والاجداد في مجال الادب والفن والعلم والحضارة » وتصور أنني أعني من الاكتمال والنضج ، الانتهاء في الماضي ، مع أن سياق هذه الكلمات يخالف هذه الفكرة مخالفة تامة ، فقد جاءت بعد تعريفي للتراث لتؤكد أن التراث « لا يقف عند حدود الادب بل يتجاوز ذلك الى العلم والفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وسائر ضروب المعرفة الانسانية » وقبل هذه الكلمات مباشرة بينت ماذا أعني بالتراث وقلت « لقد كتب الاجداد والاسلاف كثيرا وأنتجوا بغزارة في كل مجالات المعرفة الانسانية . ولكن « بعض » هذا النتاج هو الذي صاغ عقل الانسان العربي وذوقه وضميره . وأثر على نحو ما ، في مسار التاريخ الانساني ، وألهم الحضارات الاخرى أجمل القيم وأنبل المعاني » . هذ « البعض » هو الذي انفلت من طوفان الزمن وكتب له البقاء وظل قادرا على الالهام والتأثير الى أيامنا هذه » .

هذا هو السياق الذي جاءت بعده كلماتي التي استند اليها الدكتور عبد القادر ، ولست أدري كيف أخذ منها هذا المعنى الذي انتهى اليه . مع انني حددت مفهومي للتراث تحديدا صارما .

ـ فهو ليس كل ما كتب الاباء والاجداد ، بل الجانب المضيء مما كتبوا ، والذي أثر في الماضي .

ـ والذي صاغ عقل الانسان العربي وذوقه وضميره .

ـ ولا يزال يؤثر في الحاضر ويلهم الانسان العربي الجديد .

ـ ولا يقتصر على الادب . بل يتجاوز ذلك الى العلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

فهل بذلك « افرض للتراث وجودا ثابتا غير متصف بالحركة والامتداد والتجدد ، كما يقول الدكتور عبد القادر » ؟ ، لا أظن أن في تعريفي ما يشير الى ذلك .

على أنني لم اقتصر على التعريف النظري . بل حاولت أن أتخذ ـ من حركات التجديد التي تمت في الحياة العربية عبر التاريخ ـ تطبيقا عمليا وتجسيدا للفكر النظري . واجتهدت عدة اجتهادات ، قد يكون جانبني فيها الصواب ، ولكنها على كل محاولة مخلصة في سبيل الكشف عن عملية التجدد الدائمة في الحياة العربية .

فاكدت أن الاديب والمفكر والناقد لا يقفون حائرين بين التراث والمعاصرة بل كل واحد من هؤلاء له « حاسة فنية » تمزج الماضى بالحاضر ، وتكون منهما مركبا جديدا ، وهكذا تتطور الحياة • وفرقت بين الاديب المبدع وبين الناقد والمفكر فى هذه العملية ، فافترضت أن الاديب المبدع « يتحدد موقفه بين التراث والمعاصرة بطريقة تلقائية وبدون تردد ، من خلال عملية معقدة يعمل فيها الانفعال العقلى الحار والادراك الوجدانى ،وبفضل ما أسميته « الحاسة الفنية » •

أما الناقد والمفكر : فلهما مثل هذه الحاسة الفنية التى يتمتع بها الاديب المبدع ، ولكن يحتاج كل واحد منهما بعد ذلك « الى مجموعة من العمليات العقلية والتحليلية التى يدرك بها العمل الادبى والظروف المؤثرة عليه ، ويدرسون من خلالها التراث :

١ ـ دراسة عميقة واعية

٢ ـ ويتفتحون على ثقافة العصر وتياراته واتجاهاته

٣ ـ ويصوغون من هذين مركبا جديدا يدفع الحياة الى الامام •

فهل بعد ذلك يتصور الدكتور عبد القادر انني أظن أن التراث شىء مستقل ثابت انتهى فى الماضى واكتمل ولا يؤثر فى الحاضر ؟

• هل يظن بعد ذلك اننى اتصور أن حركات التجديد ومزج الماضى بالحاضر تتم باللاشعور ومن خلال الحاسة الفنية والادراك عند المفكر والفنان ؟

ولهذا دهشت كل الدهشة عندما رايت الدكتور عبد القادر يوجه الى هذا الكلام • « والقول بأن مزج الماضى بالحاضر يتم من خلال حاسة فنية بطريقة لا شعورية قد يصح فى لحظة الابداع الفنى عند الاديب • ولكن الاتجاه الى التجديد نفسه والى خلق هذا المركب الجديد من التراث وروح العصر ، لابد أن يقوم على وعى بطبيعة التراث ، واختيار ما يصلح منه لطبيعة العصر الذى يعيش فيه الاديب بغض النظر عن وضع ذلك التراث وقيمته فى المرحلة التاريخية التى وجد فيها • أما هذا المزج اللاشعورى فقد يتحكم فيه مزاج الاديب • وطبيعة تعليمه وثقافته التى قد تقوده الى تأثر غير صالح بجوانب عتيقة من ذلك التراث » •

أجل دهشت لاننى لم أقل غير هذا الذى قاله الدكتور عبد القادر ولكن بصورة أدق وأشمل ، وكان أولى به أن يقدم هذا الاعتراض على تعريف الدكتور « الجرارى » الذى يقتصر فى « مزج الماضى بالحاضر » على « التلقائية » فهو يقول فى تعريفه للتراث « ليس كل



د • عبد القادر القط

الماضى أو ما صدر عن الاجداد دون تحديد ، ولكنه الجانب المضىء منه الذى يكشف عن الظواهر الثقافية والحضارية التى وصلت على مر الاجيال عبر فترات طويلة تطورية كانت تتجذر فيها وتتجدد وتتغير بخصوبة وتلقائية متأثرة بما تعانق أو يعانقها من ظواهر ثقافية وحضارية أجنبية » فواضح من هذا التعريف الذى يشبه تعريفى الى حد بعيد ـ انه يقتصر على الظواهر الثقافية التى « تتجذر وتتجدد وتتغير » بطريقة تلقائية بعد أن تعانق ثقافة العصر •• اما أنا فمن القائلين بالحاجة الى الحاسة الفنية واللاشعور ـ فى مزج الماضى بالحاضر وبعض الادراك والوعى للاديب المبدع • والوعى الكامل والادراك العقلى مع الحاسة الفنية للناقد والمفكر •• فى صياغة المركب الجديد • وأكدت ان الصراع بين القديم والجديد حسم فى الماضى « بانتصار هذه التيارات التى كانت تجمع بين الماضى والحاضر فى « مركب جديد » وانتهت تلك البدع الشاذة والنزوات المنحرفة • وتجمدت كل الدعوات التى حاولت وقف الحياة بكل مظاهرها الحضارية •• وسار الفكر العربى فى طريقه المتجدد وسارت الاداب والفنون فى طريق التطور الخلاق الذى قاده هؤلاء المبدعون والمفكرون الذين يتذوقون تراث الماضى ويدركون عمق ما فيه من كنوز ، وفى الوقت نفسه يقفون على ثقافة العصر ويدركون ما يجيش به من تيارات واتجاهات » فهل الذى يؤمن بكل هذا يمكن أن يوضع فى خانة « الثبات والجمود » ؟ فليسامح الله الدكتور عبد القادر القط ظلمه للصديق

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

بعد ذلك انتقل الى ملاحظة اخرى الدكتور عبد القادر هو الذى بدا تعليقه الخصومة بين القديم والجديد وهمية فقد أكد « أن الخصومة بين القديم والجديد حقيقية ، ومعركة تحتدم كلما اجتاز المجتمع مرحلة من مراحل تطوره الحضارية الحاسمة تتجمع فيها تيارات التطور الممتدة حتى تقف وجها لوجه أمام التيارات القديمة تحاول أن تكتسحها من طريقها » •

ولم انكر ان الصراع بين القديم والجديد يشتعل دائما ، وان المعركة بينهما « كالظواهر الموسمية يتجدد الصراع حولها باستمرار ، ولا تتجدد الحجج والافكار ، ذلك أنها خصومة وهمية بمعنى أنها لا تخضع للتحليل العلمى الصارم • فالحياة تيار متجدد دائم الجريان لا تتوقف • وما كان جديدا منذ لحظة يصبح قديما وماضيا وهكذا ولذلك فالحياة فى حاجة الى تلازم القديم والجديد وامتزاجهما فى عملية متوازنة وقد قلت « ان الحاضر ليس منفصلا عن الماضى وليس منقطعا عن المستقبل فالجميع تيار متدفق دائم الجريان » • ولذلك لا اتفق مع الدكتور عبد القادر فى أن هناك « مرحلة حاسمة » يتحول فيها التطور الى ثور هائج يجهز على القديم ويكتسحه من امامه « أو تتجمع فيها تيارات التطور الممتدة وتقف وجها لوجه امام التيارات القديمة » هذه صورة لا يمكن حدوثها أبدا لان التطور نهر دائم الجريان يمتزج فيه القديم بالجديد « والذين يقفون عند لحظة من لحظات الحياة يجمدونها ويعزلونها عما قبلها وما بعدها ، يموتون وينعزلون عن تيار الحياة • سواء أكانت هذه اللحظة فى الماضى أم فى الحاضر •• الذين يعيشون فى اللحظة الماضية يعيشون مع أكفان الموتى فى أضرحة باردة من الرخام •• ولكن الذين يجمدون اللحظة الحاضرة ويفصلونها عن الماضى والمستقبل هؤلاء يموتون وتبقى أجسادهم عارية فى طريقنا بلا أكفان » •

فالقول باللحظات الحاسمة التى تتجمع فيها تيارات الجديد وتقف وجها لوجه أمام تيارات القديم قول وهمى ، لان التيارات الاولى بعد لحظة تصبح قديمة • وتبزغ تيارات اخرى جديدة •• وانما التطور الحقيقى يأتى من امتزاج الجديد بالقديم •• قد تأتى لحظات تسود نزعة التجديد ، ولحظات تسود نزعة المحافظة ، هذا متصور ، أما لحظة التصادم . هذه فوهمية كالخصومة بين القديم والجديد لان الحياة النفسية والاجتماعية والفكرية فى حاجة الى تلازمهما ، لاننا ونحن نفكر فى الجديد فانما نفكر فيه بالادوات والخبرات التى اكتسبناها من الماضى • ولو تصورنا أن كل جيل يأتى يبدأ من جديد ، لظلت الانسانية حتى الان تعيش فى الكهوف ، لابد اذن من امتزاج الجديد بالقديم والتراث بالمعاصرة • واصطناع الخصومة بينهما وهم يقع فيه اناس نتيجة نقص فى ثقافتهم أو اضطراب فى ادراكهم لحقيقة التطور او خلل فى رؤيتهم الفكرية •

حول موضوع

الأداء الفني وحرية التعبير

خلدون الشمعة

ينطلق نقد الدكتورة « لطيفة الزيات » للبحث الذي تقدمت به للمؤتمر الثامن للادباء العرب من منطلق مغاير كليا للتصميم الذى ينهض عليه • فهى تفترض سلفا أن البحث « يبشر » بينما هو فى حقيقة الامر « يشخص » ملامح الحد الاقصى للظاهرة الادبية فى تجلياتها المحلية خلال العقد الاخير من الزمن • وبين التبشير والتشخيص فاصل عميق تلوى فيه أعناق الافكار عنوة فى اكثر الاحيان •

فالدكتورة الزيات تفهم من عبارة : « التوق الى استكشاف مدينة الادب العربى الحديث التى لا يبهظ روحها الفنى عسف المعايير التاريخية والسياسية والسيكولوجية ولا تمنح نفسها الا لمفاتيح الموهبة •• الخ » •• تفهم منها المطالبة بعزل الفنان عن بيئته • وهى فى ذلك لا تميز بين عملية « تقويم » وعملية « تكوين » الادب • ومن الواضح اننى انما أتحدث عن المعايير النقدية التى تعقب عملية « التكوين » • فمن البدهى أن الابداع الفنى هو حصيلة (التفاعل بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الموضوعية) •• وهذا يتصل بتجربة (التكوين) • أما مثار البحث فهو (عسف) المعايير : أى المغالاة فى اعتماد معيار من معايير العلوم الانسانية فى تقويم العمل الفنى وليس فى الكشف عن العناصر التى يتكون منها •

ان العلاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع ونقد العمل الفنى ، تطرح هذه الاسئلة الاولية الثلاثة (بلغة الناقد ديفيد ديتش) :

١ ـ هل العلوم الانسانية هى فى حد ذاتها علوم معيارية ، أم انها وصفية ـ هل تسمح لنا باصدار أحكام نسبية تتصل بالقيمة أم انها تخبرنا بما يحدث فقط ؟ ••

٢ ـ اذا كانت معيارية ـ أى اذا كان لدينا المقياس الذى يمكننا ان نصوغ على أساسه أحكام القيمة حول الاوضاع النفسية والاجتماعية للمجتمع ـ هل يمكن للاحكام التى نصدرها عن أوضاع أو أصول العمل الادبى ، ان تنقل الى العمل الادبى نفسه ؟ ••

٣ ـ اذا لم تكن معيارية فأية قيمة يمكن أن تمثل الفرضية التى تتصل بالاصول السيكولوجية والاجتماعية لعمل ما ، بالنسبة للناقد الادبى ، باعتباره يتميز عن المؤرخ الادبى ؟ •• »

واذا نحن تجاوزنا هذه الاسئلة التى تتصل بمعايير العلوم الانسانية وانتقلنا الى « العسف » فى استخدام هذه المعايير فى حياتنا الادبية ، أمكن أن تتضح الصورة المطلوبة •

اذ ليست المغالاة فى البحث عن الاشكال والتقنيات الجديدة من قبل أن تستهلك التقنيات التقليدية الا رد الفعل الطبيعى على العسف الذى شهدناه فى فترة الخمسينات فى الاعتماد على كل منهج من مناهج العلوم الانسانية على حدة (هذا اذا تجاوزنا مسالة ما اذا أمكن فعلا اثبات ان العلوم الانسانية هى فى حد ذاتها علوم حقا) •• كأساس ضابط لعملية التقويم الادبى • ثم الا تختلف ـ اختلافا زهيدا أو جسيما ـ القيمة السوسيولوجية أو السيكولوجية أو التاريخية ، عن القيمة الادبية ؟ ••

لو ان الدكتورة قرأت ثلاثة أسطر بعد هذه العبارة ، لادركت ما أعنيه بالضبط • فقد أوضحت أن : « التواشج بين الشرط الانسانى وبين الشرط الفنى فى عملية الخلق الابداعى وثيق حتى ليكاد يستعصى على الفصم •• وبالتالى فاننى سالجأ الى تصميم يشبه التحقيق فى سجادة : ان تتبع لون واحد يقترح تصميما وتتبع لون آخر يكشف عن تصميم آخر •• » •

وهذا يعنى أننى عندما أتتبع لونا معينا لا أنفى الالوان الاخرى التى تشكل الصورة وبالتالى فان التهم التى تكيلها الدكتورة من ان المدينة التى أدعو اليها (مستحيلة ولا انسانية) •• هذه التهم لا تصبح بدورها (مستحيلة ولا انسانية) فحسب ، وانما تصبح فارغة من المعنى •

وعندما أتعرض فى البحث لمغامرة الشكل واللغة لدى الشاعر العربى وكيف انها تذكرنا بالملامح التى رسمها (كانط) للمخيلة العربية ، ترى الدكتورة ان مجرد قولها : « كأنما رأى كانط فى المخيلة العربية يشكل الحجة التى لا تدحض » انما يشكل دحضا لا يدحض لهذه الفكرة •

والمشكلة ان الفكرة قد وردت بهدف الاشارة الى أن تراثنا ينم عن خصب فى المخيلة يؤكد على قدرة الكاتب العربى على الاسهام فى عملية صنع الاشكال والتقنيات العالمية • ولم ترد هذه الفكرة اطلاقا كحجة منفصلة مقطوعة الجذور فى بيان يلقيه الدفاع امام المدعى العام •

ومرة اخرى تحاول الدكتورة ادخال أقوالى قسرا فى عنق الزجاجة عندما تزعم اننى أرى ان الاسلوب : « لازم فى الفترة الانتقالية التى يمر بها ادبنا العربى ولا ينبغى أن تخيفنا العفوية المطلقة طالما لا تتحول الى التزام سياسى » •

واصل هذه الفكرة كما وردت فى البحث : « ويجب ألا تفزعنا هذه الكلمة مادامت مشروطة بشرطها الفنى الذى يجمع بين رقابة الناقد وحساسية القارىء وماضى الكاتب وقيم العصر •• غير أن الخطر يكمن فى أن يكتسب الالتزام معنى سياسيا صارما يدفع بالحساسية الجمالية

الى درجة من التوتر المشحون تتفاقم طردا مع ازدياد حدة القهر الاجتماعي والسياسي » .

وبصرف النظر عن سوء قراءة النص هذه ، فان هذا المقطع قد ورد في سياق وهو يعبر عن جانب من الصورة . ولا يجوز للناقدة الجليلة بأى حال أن تحاول استنباط المعنى الكلى من معنى جزئى .

ومرة أخرى اكرر انني لا أبشر وانما اشخص .. وما نراه الان من جموح في البحث عن أشكال جديدة ، والتأثر بأشكال جديدة وافدة ، انما يشكل الدلالة الاكيدة على أن التجربة الاسلوبية الراهنة (بنماذجها المتقدمة طبعا) للكاتب العربي المعاصر ، ثقافية أكثر منها حياتية . والتأثر بالاشكال والتقنيات الوافدة معزولة عن (مهادها التاريخي والاجتماعي) (١) أمر يجب الا يثير كل هذا الاعتراض من السيدة الناقدة . فهل تريد أن يتأثر الكاتب العربى بالتقنيات والاشكال الوافدة بالاضافة الى مضامينها ؟ من الطبيعي أن يتأثر الكاتب بالرمزية – مثلا – من خلال خصائصها التقنية وليس من خلال ملابساتها وظروفها التاريخية والاجتماعية . أم أن الدكتورة تصر على أن تتأثر بالاشكال مع مضامينها فيتصرف البطل الريفى في (مدينة بلا قلب) وكأنه العاشق (بروفروك) على سبيل المثال ؟

ولا ادرى كيف توصلت الدكتورة الى الجزم بانني (أحارب) نظرية الانواع الادبية على الرغم من أن هذه الكلمة لم ترد فى بحثى مرة واحدة .. لقد استخدمت كلمة أشكال عشرات المرات . ومن الطبيعي أن (هذه الاشكال) تعنى أن هناك أشكالا فى الرواية وأشكالا فى القصة وأشكالا فى القصيدة . وهذا لا ينفى أساسا ما تزعمه الدكتورة من أن فهمى للشكل (متخلف) فحسب ، وانما يؤكد على أن أحكامها متخلفة أو متسرعة فى هذا المضمار أكثر مما ينبغي . فانا حين أتحدث عن الشكل انما افعل ذلك باعتباره متجسدا فى أشكال كثيرة ضمن النوع الواحد وليس كفكرة مجردة عن تطبيقاتها فى الروايات والقصص والقصائد العالمية . وهى عندما تريد تلقينى درسا فى أن : « الشكل هو وسيلتنا الوضعية لاكتشاف وتقييم رؤيتنا الذاتية » تنسى أو تتناسى اعتراضها السابق على قولى بأن : « الاسلوب يصبح فى الفترات الانتقالية وسيلة لاكتشاف الذات ... ما دامت هذه الكلمة مشروطة .. الخ »

وحتى سؤالى : « من أين نبدأ » .. هذا السؤال الذى يشير الى بديهية استحالة التقدم فى الفنون انطلاقا من النتائج التى توصل اليها الاخرون ، اى تعذر وقوف الفنان العربى على أكتاف (دوستويفسكى) او (ديكنز) او (همنغواى) باعتبار أن عملية التطور فى الفنون لا تنفصم عن شرطها الاجتماعي والتاريخى ... هذا السؤال يصبح فى تفسير الدكتورة : دعوة للاسقاط الكامل للفن ..

ان هذه الطريقة الغريبة في التعامل مع النصوص قاصرة عن مستوى النقد الجاد . فاذا كان البحث كما تقول الدكتورة فى مطلع نقدها للابحاث : « يتناول علاقة الفنان بالعمل الفنى » فان من المؤسف انها تحاول دحض ما ليس فيه .. ومن المؤسف ايضا أنها تغفل أن وجود موضوع « الاديب العربى بين الالتزام والحرية » يفترض أن تتركز أبحاث « الاداء وحرية التعبير الفنى » على ساحة أخرى من الدراسة لا يحتاج الكاتب فيها الى رفع عقيرته بالكليشيهات الدوغمائية التى غوغاها الاستعمال حتى اصبحت كالليمونة المعصورة ..

ولكنها المزاودة الضريرة فى مناخ من الفكر لا أظن الا انه المعبر عن جانب من اشد عاداتنا الاجتماعية بؤسا وتخلفا وفقدانا لحس الاتجاه ..

تعقيب

فى تعقيبى على رد الاستاذ خلدون الشمعة على تعليقى على البحث الذى تقدم به الى مؤتمر الادباء العرب حول موضوع « الاداء الفنى وحرية التعبير » ساقتصر على الحديث عن الشكل ولن أدخل فى الموضوع .

فقد تباعدت الفترة الزمنية بين التعليق والرد على التعليق بحيث يستحيل على القارىء تبين وجه الحقيقة فى الخلاف بينى وبين الاستاذ الشمعه ، وبحيث تصبح مثل هذه المحاولة مجرد اهدار لوقت القارىء لا أرتضيه ، ودفاع عن النفس لا أحسب انى فى حاجة اليه .

لقد اختلفت ، وما زلت اختلف مع الاستاذ خلدون الشمعه . واعتقد ان الاختلاف بينى وبينه اختلاف مبدئى ، وقد حرصت على دراسة بحثه دراسة وافية ، بل أقول مضنية ، وخرجت بنتائج متكاملة ومتأنية من هذه الدراسة . وحرصت على ان احصر الخلاف فى الحدود العلمية والموضوعية وفى نطاق الاحترام الواجب توفره بين ذوى الرأى . وان اتهام الاستاذ خلدون الشمعة لى « بالتخلف » و « بالجهل » و « بالتعسف » و« باستنباط المعنى الكلى من معنى جزئى » و « بلوى اعناق الافكار عنوة » لا يهمنى فى كثير أو قليل ، فمرد الحكم فيما اكتب ليس للاستاذ خلدون الشمعه وانما للقارىء .

ولكن الاتهام الذى يهمنى ويهم القارىء فعلا ، هو الذى يرفعه خلدون الشمعه فى وجه كل ناقد يفهم الادب على انه صياغة جديدة للواقع ، ويرى للادب دورا ولو فى المدى البعيد ، فى تغيير العالم .

.. ان اتهام كل دفاع عن دور الادب فى تغيير الحياة بأنه « المعبر عن جانب من أشد عاداتنا الاجتماعية بؤسا وتخلفا وفقدانا لحس الاتجاه » واتهام كل من يفعل ذلك برفع « عقيرته بالكليشيهات الدوغمائية التى غوغاها الاستعمال حتى أصبحت كالليمونة المعصورة » انما هو اتهام يكشف بوضوح عن موقف صاحبه من مجتمعه وقضايا هذا المجتمع ، ولا ينعكس بحال على من يدافعون عن دور الادب فى صنع الحياة .

ولا يسعنى الا ان اقول : كفى ارهابا ! ان الاتهام بالغوغائية والدوغمائية لا يضيرنا . اننا نحترم الادب أكثر مما تفعلون ، ونحمى حريته ونقدر متطلباته كعالم مستقل بذاته أكثر كثيرا مما تفعلون . ربما لانكم تعتبرونه افرازا أو ترفا أو نتاجا ذاتيا بحتا . بينما نعتبره نحن نشاطا انسانيا فريدا فى وجوده ، وفريدا فى فعاليته ، وان كانت هذه هى الغوغائية والدوغمائية فمرحبا بالغوغائية والدوغمائية .

د. لطيفة الزيات

---

(١) بدلت الدكتورة عبارة (المهاد التاريخى والاجتماعى) التى وردت فى أكثر من موضع الى عبارة : (المهاد التاريخية والاجتماعية (وهى تظن ان كلمة مهاد جمع كلمة (مهد) ... والحقيقة انها جاءت فى صيغة المفرد وجمعها (مهادات) .

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

عدد خاص

٦

السنة الثامنة ـ يونية ١٩٧٢

الاتحاد الاشتراكى وقضية التحالف [٢]

مناقشات لجان العمل والدعوة والفكر
والادباء والفنانين والشباب
٠ ٠ وتعليقات على اتجاهات الرأى

« الوجدان الانسانى والحقيقة التاريخية بعد خمس سنوات من الهزيمة

د٠ محمد الخفيف « ملف خاص »

البرنامج السياسى للجبهة الوطنية للاوس « الوثائق »

مجلة
الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد السادس ـ السنة الثامنه ـ يونيو ١٩٧٢ ـ عدد خاص

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء لقاهره تليفون : ٤٦٤٢٦ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

سنة بالبريد العادى ج.ع.م دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شارك فى تأسيس « الطليعة »

وأسرة تحريرهـــا

ينـــاير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكى رأى حر ، وفى اعتقـــادنا ان تفـــاعل الاراء الحرة على اختـــلافها هو وحده الـــذى يســـتطيع أن يبلور ويستخلص وحـــدة فكرية إصيلة .

من هـــذا المفهـــوم تفتح « الطليعـــة » صفحاتها لكل رأى لـــديه كلمة يقولهـــــا — مؤمنة بشعار الحـــرية المجيـــد الذى أطلقـــه فولتير فى القـــرن الثـــامن عشر « قـــد اختلف معـــك فى الراى ولـــكنى على استـــعداد لان أدفـــع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

الافتتاحية

الوجدان الانسانى ·· والحقيقة التاريخية بعد خمس سنوات من الهزيمة

فى الوجدان الجريح لذات الانسان العربى ، يفور الشعور بأن « الهزيمة » لم تنزل بساحتنا الا أمس فقط · ومع ذلك فان الحقيقة التاريخية ، بنت الواقع الحى الخارج عن حدود ذواتنا الوجدانية ، تؤكد — بحساب دورة الزمن — أنه قد مضى على « الهزيمة » خمس سنوات بالتمام والكمال ·

هذا التناقض بين مشاعر الوجدان الانسانى ، وبين حقيقة الواقع التاريخية ، له — ككل تناقض فى حياتنا — ايجابياته وسلبياته ·

من ايجابياته ، أن « الهزيمة » بكل مرارتها ، ما برحت ساخنة دامية ، تنكىء بعنف جراح الكرامة الوطنية لذات الانسان العربى · ومعنى هذا أن « الهزيمة » بكل ثقلها ، لم تستطع أن تستوعب الانسان العربى فى قالبها ، أو « تستأنسه » لواقعها وقيودها · وذلك على الرغم من تعدد وتراكم محاولات الاستيعاب والاستئناس — المباشرة وغير المباشرة ، السلمية والعنيفة — ابتداء من قرار مجلس الامن بصياغته البريطانية المطاطة فى نوفمبر ١٩٦٧ حتى انتخابات الاحتلال الاسرائيلى البلدية فى الضفة الغربية فى ١٩٧٢ · مرورا بمبادرة روجرز ورحلاته السلامية الخادعة مع رفيقه سيسكو الى المنطقة ، وحملات الابادة الوحشية ضد المقاومة الفلسطينية ، ومشروع محادثات الفندق ، وأخيرا مشروع حسين — آلون الخاص بانشاء ما يسمى بالمملكة العربية المتحدة ·

بل يستطيع المرء أن يؤكد — فى موضوعية باردة — من خلال جولة فى أعماق الطبقات الشعبية العربية ، أن الوجدان العربى اذا كان قد أحس الى ما قبل ١٩٦٧ بأنه فقد قطعة من أرض وطنه وقعت تحت الاحتلال الاستيطانى الصهيونى ، فانه منذ عام ١٩٦٧ يحس بأنه فقد ذاته نفسها وأنه لن يستردها الا من خلال قهر الهزيمة والانتصار عليها ·

والانسان العربى ، يرى بكل حواسه ، صورته المهانة وهو يطرق جميع أبواب الدنيا ، متسولا استعادة أرضه المحتلة وكرامته الوطنية المنتهكة . ويتعطف عليه المجتمع الدولى بقرارات التأييد وبيانات المساندة التى تشيد بمواقفه السلامية . ومع ذلك فان كل القرارات وبيانات المساندة والاشادة تتكوم تحت أقدام المحتل الامبريالى — الصهيونى بلا نتيجة ·

والانسان العربى ، وهو يعيش واقعا متخلفا اقتصاديا يثور عليه حضاريا واجتماعيا ، يعى أن « الهزيمة » قد كبلت الى حد غير بعيد ثورته الحضارية

والاجتماعية ضد التخلف الاقتصادي ،وتغل يده عن الاستثمار المطلوب فى عمليات التنمية الضرورية . ففى مصر مثلا بلغ مجموع الانفاق على المجهود الحربى خلال الخمسة أعوام الماضية ٤٠٠٠ مليون جنيه . وذلك فى بلد ما يزال متوسط دخل الفرد السنوى فيه لم يصل الى ٦٠ جنيها بعد . ولولا الهزيمة كان يمكن أن يوجه ثلاثة أرباع ما خصص للمجهود الحربى الى عملية التنمية ذات الالحاح المتزايد . وهذا كله فضلا عن تجميد لطاقات أكثر من ٨٠٠ ألف شاب ، بينهم أكثر من ١٠٠ ألف من أصحاب الخبرات الفنية الجديدة فى خنادق الجبهة ،وكان يمكن لهذا الجهد الانسانى أن يثمر أرضا خضراء اضافية ومصانع منتجة جديدة .

من هنا فان الهزيمة — سيسيولوجيا — هى طعام العلقم اليومى للانسان العربى . يبيت ويصحو مع الهزيمة تحت سقف واحد ولكنه لا يقبلها ، يعانى مرارتها ومهانتها وامتصاصها لعرقه ولكنه يتكبر عليها ويرفضها . وهذا هو المصدر الجوهرى — وربما الخفى فى نفس الوقت — للصمود والمقاومة . بمعنى أن المقاومة هى الوجه الاخر للهزيمة نفسها . الارتباط بينهما حتمى . وايضا الصراع بينهما موضوعى لا مفر منه . ولا حل — بالتالى — الا بالانتصار الجذرى لاى منهما على الاخر . وبتعبير آخر فان الانسان العربى بخوضه معركة التحرير الشاملة لا يحرر وطنه فحسب بل ويحرر فى نفس الوقت ذاته ويستردها غير مهانة ويحرر طاقاته المقيدة ليواصل عملية بنائه لحياة انسان الثلث الاخير من القرن العشرين ، ماديا ومعنويا .

معركة التحرير — فى هذا الضوء — ليست نوبة من نوبات الحماس العاطفى وانما هى احتياج موضوعى ملح ، لا بديل له . وطالما أن الامر هو على هذا النحو فان التضحيات ، التى لا مفر منها ، تهون أيا كان حجمها ونوعها . ولقد ترجم « السادات » اخيرا هذه الحقيقة عندما أعلن استعداد الشعب المصرى للتضحية بمليون شهيد فى معركة التحرير . وهو الاعلان الذى رأى فيه بعض الذين اتخذوا « **مواقف المتفرجين** » — فى الساحة الدولية — على ما يسمونه أزمة الشرق الاوسط ، مبالغة واستهانة بالحياة البشرية .

ودائما ، المتفرجون على قضية من القضايا القومية التحررية ، يفشلون فى تلمس حقيقة أحاسيس وارادة أصحاب القضية أنفسهم .

يقول المثل العربى ، وله معان مشابهة فى التراث الانسانى كله : « **من يده فى الماء ، ليس كمن يده فى النار** » .

الانسان العربى ، يده فى النار منذ خمس سنوات . وليست هذه أول مرة يبدى شعب عربى استعداده من أجل تحرير بلاده بالتضحية بمليون من أبنائه . لقد سبق لشعب الجزائر أن ضحى بالفعل — على مدى سبع سنوات ونصف هى عمر كفاحه التحرير المسلح ضد الاستعمار الاستيطانى — بمليون شهيد .

والمسألة فى النهاية ، ليست الرغبة فى التضحية من أجل التضحية ، او ارتخاص الحياة البشرية . وانما المسألة ، أن طرد الاحتلال وقهر الهزيمة ، هما اللذان يفرضان فرضا ، التضحية وارتخاص الحياة . كذلك فان المسألة هى فى أن تكون التضحية منتجة ولها ثمن . ففى خلال سنوات الهزيمة الخمس ، ضحى الانسان العربى بعشرات الالوف من أبنائه ، وخاصة الفلسطينيين ، فى مذابح الاردن بلا ثمن . ذلك أن المخطط الامبريالى — الصهيونى — الرجعى ، يستهدف ضمن ما يستهدف استمرار حالة الارهاب عن طريق اشعال المذابح ضد الوطنيين والمناضلين العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، بين آن وآخر .

التضحية ، اذن ، واردة ومفروضة ، مع واقع استمرار الهزيمة ، فلا أقل من أن نقدم على التضحية خلال حركة تغييرنا لواقع الهزيمة . وبتعبير آخر فالانسان العربى يريد — الان — أن يكون لتضحياته ، التى لا مفر منها ، ثمنا يوازى حقيقتها .

بيد أن للتناقض بين مشاعر الوجدان الانسانى ، وبين حقيقة الواقع التاريخية ، سلبياته ايضا .

من هذه السلبيات ، بطء الحركة وتخبطها ، وأحيانا ترددها وعجزها عن عبور المسافة بين مشاعر الوجدان وبين حقيقة الواقع .

واذا حاولنا أن نحفر تحت هذه « الظاهرة » التى سيطرت على مسارنا طوال خمس سنوات ، وصولا الى الجذور التى تفرضها ، فسوف نواجه العديد من الاسباب . بعضها يتصل اتصالا مباشرا بمستوياتنا وأسلوبنا فى مواجهة قضايانا ، وبعضها الاخر تتقاسم بشأنه المسئولية مع الظروف ـ المحلية والقومية والعالمية ـ الشاقة والمعقدة بطبيعتها .

فهناك ـ تحت سطح الظاهرة ـ ذلك الاحساس الرهيب بالعجز والضعف الذى هاجمنا فجأة مع الهزيمة التى لم تكن متوقعة ، أو على الاقل ، بمثل هذا الحجم والاتساع والعمق ، وخاصة بعد أن عشنا أسرى لشعارات اعلامية مخدرة ، تبشرنا بدخول تل أبيب ـ بؤرة العدوان ـ فى زمن لا يتجاوز ثمانى ساعات . (ولا أدرى حتى الان على أى أساس أحتسب هذا الزمن) ولكن الذى حدث هو أن تل أبيب فى أقل من ست أيام بسطت احتلالها على سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية .

وكان رد الفعل الطبيعى أمام مفاجأة الهزيمة ووزنها الثقيل هو نوع من التقوقع ، مع محاولة ايقاف خطر امتداد الهزيمة ـ جغرافيا ـ الى أبعد مما وصلت اليه من ناحية ومحاولة تجنيد قوى الرأى العام العالمى والشرعية الدولية ـ من ناحية أخرى ـ لمساعدتنا ، بعد فقدنا قوتنا العسكرية ، لاسترداد ما اغتصب . وكان أن مضينا على الطريق الذى أطلق عليه اسم « الحل السلمى » . ومع سلوك هذا الطريق ، استبعد ـ فعليا ـ طريق حركة التحرير الوطنى الذى تسهم فيه القوى الجماهيرية المنظمة جنبا الى جنب مع ما يتوافر لدينا من قوى عسكرية نظامية .

وزاد ، يوما بعد يوم ، اعتمادنا على الحل السلمى ، خاصة بعد أن كسبنا عديدا من القرارات الدولية ومزيدا من تأييد الرأى العام العالمى . حتى بلغ الامر حد المراهنة على « الحل السلمى » بشكل جوهرى . مما رسب لدى « العدو » قناعة بأننا لن نحاربه . أو على الاقل مترددين فى مقاومة احتلاله بالقوة المسلحة ، فكان طبيعيا أن ينعكس ذلك فى موقفه تصلبا وعنادا . وغذى موقفه هذا طبيعته العنصرية التوسعية ، ومساندة الامبريالية الامريكية له ، وعدم قدرة المجتمع الدولى على فرض قراراته عليه .

ومرت سنوات « الحل السلمى المزعوم » . كل سنة تلعب دور « الطعم » للسنة التالية . وفى كل سنة تلوح فى الافق . « آمال الحل » . ولكن ما أن نقترب منها حتى نكتشف أنها مجرد « سراب امريكى ـ اسرائيلى » . ونصطدم فى النهاية بحقيقة المطلوب على طريق الحل السلمى : الاستسلام الكامل . سياسيا واقتصاديا ، محليا وقوميا للهزيمة . نرفض ، ولكننا ننظر الى الواقع فنرى المسافة التى تفصلنا بين الرفض وتنفيذ الرفض قد امتدت واتسعت وتشعبت . ونظل ندور فى هذه الحلقة المفرغة حتى يكسرها « السادات » ، باسم الشعب المصرى الذى يتحمل أكبر قدر من المسئولية القومية فى مواجهة الهزيمة ، فيعلن فى ١٦ سبتمبر ١٩٧١ وقف الاتصالات مع امريكا ، ويؤكد على ضرورة المعركة وقطع المسافة بين واقع الهزيمة ورفضها الشعبى ، وبين العمل على تغيير هذا الواقع وتنفيذ الرفض .

وتحت سطح الظاهرة ايضا ، نكتشف عاملا هاما وأساسيا ، يعتمد فى تكوينه ضمن ما يعتمد على عنصر الوقت ، واقصد بهذا العامل اعادة بناء القوات المسلحة العربية عامة ، والمصرية خاصة .

ليس فقط تعويضا لما فقد — وهو كثير — وانما بناء جديدا فى نوعيته القتالية والاجتماعية والسياسية والفنية بحيث يواجه الجيش العنصرى القوى الذى يمتلكه العدو، ومن هنا كان مصدر التردد فى خوض المعركة التحريرية ، التى يعتبر الجيش أداة صدامها الرئيسية ، قبل أن يصل البناء الى درجة الاطمئنان .

ولكن ، كيف نقيس درجة الاطمئنان المطلوبة ؟ من الطبيعى أن الجانب المهزوم يتطلب أعلى درجة ممكنة . بيد أن هذا الحذر ، وان كان مفهوما بل ومطلوبا ، الا انه من الخطر أن نصاب بمرض المبالغة ونتطلب الحد الاقصى من الاستعداد. فليس هناك أبدا فى مثل هذه الحالات حد أقصى . كل حد نصل اليه سيظل — فى اطار التقييم — أقل من الحد المتصور والمأمول فيه . وهكذا فان السير وراء نظرية الاستعداد الى الحد الاقصى ،يعنى الانتظار على المعركة الى أجل غير مسمى . وبالتالى زرع التردد والعجز فى قدرتنا على حركة عبور المسافة وتخطى الهزيمة . من هنا لابد أن نستبدل نظرية « الحد الاقصى » « بالحد الادنى » ، طالما أن المعركة لن تكون مجرد معركة تقليدية بل معركة شعب وجيش فى التحام عضوى نضالى ، وخلال خوض مثل هذه المعركة ، فقط ، يمكن أن نصل مع تفجر مبادرات الجماهير والقوات المسلحة الى الحد الاقصى عمليا .

ولا نريد فى هذا المقام أن نستعيد — من جديد — النموذج الفيتنامى . فليس من شك فى أن نموذج معركتنا يختلف بالضرورة عن النموذج الفيتنامى فى أمور عديدة تتصل بالواقع الجغرافى والسياسى والاجتماعى الذى لا يمكن تخطيه . ولكن ما نشترك فيه مع النموذج الفيتنامى ، أو على الاصح ما نستخلصه منه من درس ، هو أن فيتنام — موضوعيا — اكثر تخلفا منا ، وحجم ونوعية قوة العدو هناك اضخم من حجم ونوعية قوة عدونا . ومع ذلك فارادة القتال الواعية التى تلحم الشعب بقواته المسلحة فى فيتنام اثبتت قدرتها على انزال هزائم تكتيكية واستراتيجية خطيرة بعدوها .

وفى حالتنا ، فان هزيمة تكتيكية واحدة ، ذات وزن ، نلحقها بعدونا كافية لان تحدث تغييرا استراتيجيا فى علاقات القوى ، ينتج آثارا مدمرة على العدو .

وتحت سطح الظاهرة ، كذلك ، نواجه تلك الفكرة الخيالية التى اسرت حركتنا وهى ضرورة حشد « كل » العرب فى المعركة . ورغم كل الجهود الشاقة التى بذلت فقد ثبت ان من المستحيل مشاركة « كل » العرب فى المعركة ، ونحن نقول « المستحيل » بمعيار الفكرة الخيالية ولكن « المستحيل » فى واقع الحياة العربية حقيقة موضوعية .

صحيح لابد من تعبئة اقصى قدر من الطاقات العربية للمعركة . ولكن « اقصى قدر » لا يعنى « كل قدر » .

لماذا ؟

ان واقع الحياة العربية بتناقضاتها يكشف بوضوح ان ثمة قوى ليس من صالحها تخطى الهزيمة وقهر العدو . ذلك أنها ترتبط ارتباط وجود وعدم مع الامبريالية ومع اسرائيل كقاعدة معادية لحركة التحرر العربى فى المنطقة. والمثال الواضح على ذلك هو نظام الملك حسين والقوى التى يمثلها . لقد أثبتت الاحداث منذ ١٩٦٧ أنه لعب — لفترة طويلة نسبيا — دور الطابور الخامس فى الجبهة العربية . وحسر النقاب اخيرا نفسه واصبح امتدادا عضويا لجبهة العدو ، حتى أنه حارب لحسابها المقاومة الفلسطينية وجماهير الشعب الاردنى وارادة الصمود والتحرير للامة العربية .

ومن هنا كان — نظام الملك حسين والقوى التى يمثلها — منبع العجز الذى قيد ارادة التحرير العربى عن الحركة . ويصبح التخلص من العجز ، يستلزم أول ما يستلزم اسقاط نظام الملك حسين والقوى التى يمثلها فى الواقع العربى من حساب المعركة . بل واضافته — واقعيا — لحساب العدو . وهذا يعنى التحرر من فكرة « كل العرب » فى

المعركة والتوقف عن الحركة حتى يتم تجسيدهذه الفكرة . ولكن اذا لم تكن فكرة « كل العرب » ممكنة ومنتجة فما هـي الفكرةالبديلة ؟.

الحق أن معركة التحـــرير المعـاصرة وان ظل يحكمها قانون أن **التنـاقض الرئيسى** هو مع الامبريالية والصهيونية من ارضية وطنية اساسا ، الا أن ذلك لا يجب ان يغفل بصورة تامة **البعد الاجتماعى** ، ومن مواقع وطنية ايضا للمعركة . واقصد هنا **بالبعد الاجتماعى** فى المعركة ، ان العداء التحررى ضد الامبريالية والصـهيونية ـ قوميا ـ يعنى فى نفس الوقت العداء للقوى الرجعية المتخلفة عن العصر ومتطلبات الحد الادنى لمجتمع عربى انســانى عصرى .وتتمثل هذه القوى فى الاقطاع والرأسمالية الطفيلية غير المنتجة التى تتعيش عن طريق وكالتها للاحتكارات الاستعمارية ، وتغـدو بالتالى ذيلا لها ، وخادما لمصالحها .

وبهذا الفهم لتفاعل البعدين ، القـومي والاجتماعى ، فان معركة التحرير هى اولا واخيرا ، معركة القوى الوطنية والتقدمية العربية .

فالفكرة البـديلة ، اذن ، لفكرة « كل العرب » هى فكرة كل القوى الوطنيـة والتقدمية العربية ، والتى يندرج فى اطارها الرأسمالية الوطنية . ويصبح بالتالى الجهد المطلوب تحقيقه هو الدفع باستمرار نحووحدة العمل والحركة لهذه القوى .

والسؤال الذى يطرح نفسه اليوم ، بعد ٥ سنوات من الهزيمة هو: هل نستطيع الحركة لعبور المسافة بين مشاعر وجدان الانسان العربى وبين حقيقة الواقع التاريخية ؟

والحق ان هذا السؤال اذا كان يطرح نفسه من واقع الحياة ، فان السؤال الذى يجب ان نطرحه نحن على انفسنا ، بالمقابل: هل هناك بديل آخر عن الحركة ؟ .

« الحل السلمى » يقطع الطريق فيه ، على الراى العام العالمى والشرعية الدولية، التحالف الامريــكى ـ الصهيـونى ، حيث يمتهن خلاله كل قرار دولى .

واقع الاحتلال يزداد شراســة وعدوانا ، ويعمد الى تغيير الطبيعة العربية للارض والبشر .

الحد الادنى من بناء القوات المسلحة قد تم التوصل اليه .

الارادة القتالية للشعب العربى عبرت عن نفسها اكثر من مرة بحسم وجلاء .

الطابور الخامس فى الجبهة العربية يتحرك لصالح العدو ماديا ومعنويا .

الثورة الفلسطينية ـ بعد طول معاناة ـ تجمع فصائلها فى جبهة وطنية متحدة .

القوى الوطنية والتقدمية العربية ـ بعد طول تفكك وبعثرة ـ تجمع احزابها وتنظيماتها فى جبهة مشاركة للثورة الفلسطينية .

علام الانتظار اذن على عبور المسافة بعد خمس سنوات ؟ خمس سنوات .. يختزلها الوجدان الى يوم اسود ، وتمدها مشاكل الهزيمة وتعقيداتها ، وكانها قرن كامل من زمان ، الوقت فيه حضـارى القيمـة والحساب .

لطفى الخولى

الاتحـــاد الاشـــتراكى وقضـــية التحالف

قوبل نشر نصوص محاضر جلسات لجنة العمل واللجنة السياسية باهتمام كبير فى مصر والعـــالم العربى ، لمـــاتتضمنه من تعريف باتجـــاهات الفكر المصرى داخل المؤسسات القائمة وبين القوى الممثلة فى قيادة التنظيم السياسى . وهو أمر بالـــغ الاهميـــة فى ظروف تصطبغ فيها هـــذه التيارات بالوانهـــا المتميزة وتشق لنفسها قنوات واضـــحة المعالم . ومن ثم يصـــبح نشر الحوار المفتوح ــ لا الاكتفـــاء باعـــلان القرار النهائى وحده ــ منطلقا للوعى بالواقع المصرى وسبيلا للالمام باتجاهات حركته والقوى التى تتعامل داخل مؤسساته .

لذلك رأت « الطليعة » أن تتابع نشر النص الكامل لمحاضر جلسات لجنة العمل واللجنة الفرعية للدعوة والفكر واللجنة الفرعية للادباء والفنانين واللجنة الفرعية للشـــباب ، وخاصـــة وأنها تتميز بقدر أكبر من وضوح الاتجاهات وبلورة أدق لوجهات النظر من المحاضر التى نشرت فى العدد الماضى .

كمـــا تنشر « الطليعـــة » عددا من التعليقات التى تمثل وجهات نظر كاتبيها ، حـــول ما جاء فى محـــاضر الجلسات ، وتدعو الاصـــدقاء الى المساهمـــة فى التعليق على ما تتضمنه المحـــاضر من افكار ، عمـــلا على التوصل الى أكثر النتـــائج ايجابيـــة فى مجـــال العمل السياسى .

اجتمـــاع لجنـــة العمـــل

١٥ ابريل ١٩٧٢

اجتمعت لجنة العمل فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة من ظهر يوم السبت الموافق ١٥ ابريل سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية .

ولم يحضر الاجتماع كل من :

- المهندس أحمد عبد الاخر
- د . ابراهيم ابو النجا

وحضر الاجتماع من غير أعضاء اللجنة كل من :

● لطفى الخولى ، محمد السيد ايوب، د . محمد القاسمى الطرشوبى ، سعد الدين وهبة ، محمد حامد محمود ، سالم اليمانى ، عبد الفتاح عزام، د. زينب السبكى ، سيد زكى .

● **السكرتير الاول**

- لقد تم فى الفترة الماضية عقد كثير من اللجان الاستشارية حضرها بعض السادة الاعضاء وذلك بناء على القرار الذى اتخذ فى لجنة العمل ، وارجو أن يكون قد وزع عليكم ما أسفرت عنه هذه اللجان حتى تكونوا فى الصورة ، وقدتناولت نفس الموضوعات التى اثيرت فى لجنة العمل ، غير انها كانت متميزة بأن كل مجموعة كانت تناقش الامور من زوايا خاصة بها وليس بالشكل العام الذى كانت تناقش به فى لجنة العمل .

وقد رجونا السادة الاعضاء الذين لهم آراء خاصة أن يرسلوها الينا حتى يمكن أن نتقدم بالتقرير النهائى قبل ١٥ مايو ، وقد تفضل كثير منهم بتقديم شبه تقارير عن تصوراتهم للعمل فى الاتحاد الاشتراكى العربى .

ولتحقيق الترابط بيننا وبين أمناء المحافظات فقد عقدنا اجتماعـا معهم باعتبارهم فى حقل العمل ، واعطيناهم ملخصا لما يجرى عليه العمل فى اللجان الفرعية ، وقد جرى هذا أيضا بالنسبةلامناء المحافظات المساعدين وأمناء المراكز والاقسام وذلك حتى يكونوا فى الصورة ايضا .

وقد شكلت لجنة من بعض السادة امناء

المحافظات وهم السيد/ سيد زكى والسيد/ عبد الفتاح عزام والسيد/ مسعد التمامى ، والمفروض أن تتقدم هذه اللجنة بورقة فى هذا الشأن .

وقد قدمت بعض الاوراق المنفصلة من كل من السيد/ مسعد التمامى والسيد/ خالد محيى الدين والسيد / الدكتور كمال أبو المجد والسيد/لطفى الخولى والسيد / المهندس ابراهيم شكرى ، والسيد/الدكتور كامل ليلة والسيد / سالم اليمانى والسيد/ عبد الحليم الجندى .

ورأيى فى هذه الجلسة — بعد موافقتكم — أن نعطى لكل منهم الفرصة لمدة ثلث ساعة لعرض ملخص للتقرير الذى قدمه ، وذلك حتى تكون أمامكم عدة مشروعات .

ولقد قرأت المشروعات المقدمة لكن الوقت لم يسمح بطبعها وتوزيعها عليكم خاصة وأن بعضها يقع فى صفحات كثيرة ، واذا رأيتم ضرورة لتوزيعها عليكم فانه يمكن تحقيق ذلك ، كما يمكن تشكيل لجنة فرعية منكم تتولى دراسة هذه المشروعات وتقديم تقرير مختصر عنها .

● الدكتور محمد دكرورى

من الناحية التنظيمية اذا أعطينا كل عضو من الاعضاء الاثنى عشر ثلث ساعة لتلخيص مشروعه فان هذا يعنى أننا فى حاجة الى أربع ساعات لمجرد عرض المشروعات دون مناقشة رغم أن الامر — فى اعتقادى — فى حاجة الى مناقشة ، ولذلك فاننى أرى أن يعد ملخص لهذه المشروعات ويوزع على الاعضاء ، أو أن تشكل لجنة لدراستها ثم تقدم تقريرا الينا ليكون مدخلا للمناقشة .

● السكرتير الاول

كان هناك تصوران فى هذا الصدد ؛ الاول أن هناك حوالى عشر نقاط مشتركة بين جميع المشروعات ؛ وهى تتناول التعريف بالاتحاد الاشتراكى ، أغراضه واختصاصاته وشروط العضوية وتشكيل اللجنة المركزية وديموقراطية التشكيل .. الخ ؛ وكل هذا وارد فى جميع الاوراق ؛ وكان يمكن أن نتناول كل بند من هذا ونناقشه .

اما التصور الثانى فهو أن تعد ملخصات توزع ثم تناقش ، أو توزع التقارير كاملة .

وقد فضلت الطريقة التى ذكرتها لكم من قبل وذلك حتى يتاح لكل عضو قدم مشروعا أن يبرز أهم النقاط التى وردت فى مشروعه ، ويمكن بعد هذا أن يعد ملخص أو يعد تقرير خاص ثم يناقش .

وقد ترون أن التقارير متشابهة ، وهنا تشكل لجنة وتعد تقريرا عن جميع المشروعات ، ويمكن بعد أن يقوم كل عضو بتلخيص مشروعه فى هذه الجلسة أن يكون النقاش فى الجلسة التالية .

● عبد الحليم الجندى

أخشى ان نحن اتبعنا هذا الاسلوب الا نتمكن من تقديم المشروع النهائى قبل ١٥ مايو .

● السكرتير الاول

أعتقد أنه يمكن مد الموعد قليلا .

على أن يكون انعقاد لجنة العمل اعتبارا من يوم السبت القادم مستمرا لمدة أسبوع ، وهذا يقتضى أن يتفرغ أعضاؤها لهذا ، وهكذا يمكن الانتهاء من عملنا مبكرا .

● الدكتور محمد حافظ غانم

فيما يتعلق باستعراض أفكار كل عضو ، أعتقد أن العشرين دقيقة مدة طويلة اذ يهمنا أن يبرز كل عضو الافكار الرئيسية فقط على أنه اذا تكررت بعض الافكار فانه يجب عدم ذكرها ، وعلى ذلك فيمكن أن تكون المدة عشرة دقائق فقط .

● السكرتير الاول

اننى أوافق على هذا بأن يقتصر الاستعراض على الفلسفة العامة والنقاط الاساسية .

وبعد سماع كل هذا ، يمكن معرفة ما اذا كنتم تريدون الاوراق بالكامل أم تكتفون بملخصاتها .

ويمكننا الان أن نبدأ باستعراض تقرير اللجنة المشكلة من بعض السادة أمناء المحافظات وهم السادة سيد زكى وعبد الهادى ومسعد وعزام .

● عبد الفتاح عزام

معى الان ورقة عن تصور محافظة الجيزة .

● السكرتير الاول

المفروض أنكم لجنة منتخبة من أمناء المحافظات لتقديم ورقة واحدة وليس عدة ورقات .

● عبد الفتاح عزام

الورقة التى معى عن تصور الجيزة وليس عن تصورى الشخصى .

● السكرتير الاول

لماذا لم تجتمع مع الامناء الثلاثة الاخرين لاعداد الورقة ؟

● عبد الفتاح عزام

لقد عدت من سوريا منذ فترة وجيزة ، وقد تم اعداد ورقة مشتركة منا بالفعل ولكنها ليست معى الان .

● السكرتير الاول

انك مدعو لهذا الاجتماع عن الامناء وبناء على قرار سابق .

● عبد الفتاح عزام

أرجو تأجيل عرض ورقتنا لحين حضور السيد/ سيد زكى الذى سيتولى عرضها .

● السكرتير الاول

نبدأ بالسيد/ لطفى الخولى

● لطفى الخولى

يراعى التقرير الذى تشرفت بتقديمه أربعة مصادر أساسية وهى ورقة العمل التى قدمها السيد السكرتير الاول ، والمناقشات التى دارت فى اجتماعات لجنة العمل ولجانها الفرعية وعلى صفحات الصحف ، التجارب الماضية بايجابياتها وسلبياتها والخبرة الانسانية فى مسائل التنظيم .

وقد قسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولا : الهيكل التنظيمى المقترح للاتحاد الاشتراكى ولجنته المركزية ، وذلك لمباشرة العمل اليومى .

ثانيا : تنظيم اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية .

ثالثا : القواعد السياسية والتنظيمية لدليل .

وبالنسبة للنقطة الاولى المتصلة بالهيكل التنظيمى المقترح للاتحاد الاشتراكى فانه ليس هناك خلاف على ما قاله السيد السكرتير الاول من أن الاتحاد الاشتراكى هو صياغة للتحالف وليس حزبا ، وانه التنظيم السياسى الوحيد فى البلاد .

ومن هنا ، كان الاتحاد الاشتراكى مسئولا عن أن يوفر المناخ والمنبر والاداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين فى ممارسة العمل السياسى دون استثناء .

ومالم يتحقق هذا ، فاننا نتيح أرضية لكل من يرفضه الاتحاد الاشتراكى أن يقيم تنظيمات اخرى علنية أو سرية .

والمناخ المطلوب توافره ، لابد وأن يتحقق على جبهتين ، جبهة سياسية وجبهة تنظيمية .

وهذا المناخ على الجبهة السياسية يتمثل فى تحديد معالم خط سياسى ، تلتزم به قوى التحالف ويتضمن هذا الخط أساسا :

١ — المبادىء التى تلتزم بها فى التطبيق المصرى العربى للاشتراكية .

٢ — كما يتضمن هذا الخط اسلوب ممارسة وتطبيق هذه المبادىء آخذين فى الاعتبار التراث الروحى والنفسى والحضارى لشعبنا وأمتنا ، وهذه المبادىء فى مشروع القانون الاساسى .

وعلى الجبهة التنظيمية ، فان نقطة البدء لتوفير هذا المناخ هى تنظيم أجهزة العمل السياسى اليومى للجنة المركزية بحيث يتم التعامل من خلال اجهزة مسئولة وليس من خلال أفراد ، فيتوقف العمل اذا ما غابوا أو مرضوا أو تركوا مناصبهم .

ولما كان العبء الاساسى فى قيادة التنظيم يقع على عاتق السكرتير الاول للجنة المركزية ، فان ذلك يحتم أن يعاونه ويعمل تحت مسئوليته عدد من السكرتيرين المساعدين من ذوى الخبرة الاساسية ، على أن يحدد لكل منهم دور واضح .

بجانب هذه القيادة اليومية تشكل القيادة السياسية من نوعين من الاوعية السياسية ، لجان وأمانات ، اللجنة الاولى .. لجنة الشئون السياسية والعلاقات الخارجية ، وتختص بالشئون السياسية الداخلية والخارجية ، وتقوم بدراسة الاحداث السياسية العامة ومتابعة اتجاهاتها المحتملة ، وتعد الخطوط السياسية التى يتخذها الاتحاد ، وتمهد لهذه الخطوط وبعد صدورها تواليها بالشرح والمتابعة .

كما تقوم اللجنة بمتابعة تطورات مواقف وسياسات واتجاهات التنظيمات السياسية فى البلاد الاخرى ، وتنظيم الحوار معها .

اللجنة الثانية .. لجنة الشئون التنظيمية ، وتختص بمباشرة العمل التنظيمى فى الاتحاد بشقيه السياسى والتنظيمى ، فمن ناحية تعمل اللجنة على دعم مركز التنظيم فى مختلف المواقع الجماهيرية وذات الثقل الخاص وتوثيق ارتباطه بالمنظمات والنقابات المهنية والعمالية ، وتعمل على توسيع قاعدة العضوية من خلال النشاط السياسى للاتحاد وحركته وسط الجماهير .

وتباشر من ناحية أخرى الجوانب الفنية فى مسائل التنظيم مثل ضبط العضوية والاشتراكات، واجهزة الاتصال والسجلات العاملة ، والتسجيل الخاص بنشاط المستويات المختلفة والقيادات .

اللجنة الثالثة .. لجنة الدعوة والفكر والشئون الدينية ، وتختص باعداد ونشر البحوث والكتب اللازمة لتعميق وتأكيد المفاهيم الاساسية لمواثيقنا . وشرح ومناقشة القضايا الفكرية المثارة على المستوى العربى او العالمى من زاوية رؤيتنا وعلى اسس علمية ، وتتولى اعداد قيادات متخصصة فى الدعاية السياسية عن طريق الدورات ، كما تعمل على ابراز وتعميق الجوانب النضالية والقيم المتوفرة فى الدين وتعمل على تكوين دعاة دينيين متشربين بالوعى السياسى السليم .

وهناك لجنة يقترحها التقرير جديدة فى العمل السياسى وهى لجنة الرقابة المركزية وتسهر على حماية التنظيم السياسى من عوامل التحلل والتسيب وذلك بالمتابعة السياسية لقرارات الهيئات القيادية وأسلوب تنفيذها فى مختلف المستويات والتأكد من اتفاقها مع الخط السياسى والتنظيمى للاتحاد ، كما تسهر ايضا على تنفيذ اللائحة بشكل خلاق وحى ، وتتبع حالات الخروج على النظام او الانحراف أو الاضرار بمصالح الاتحاد ، وتقدم مثل هذه الحالات الى السكرتير الاول ولجنة النظام المركزية ، ولجنة النظام الان هى لجنة محاكمة وليست لجنة تقصى ، ويقترح التقرير أن يوجد على مستوى الاتحاد كله أمانات نوعية : أمانة الفلاحين ، أمانة العمال ، أمانة الرأسمالية الوطنية ، أمانة الحرفيين ، أمانة المهنيين .

كما يقترح التقرير ايضا وعاءين تنظيميين جديدين هامين فى العمل السياسى :

وحتى يمكن تعميق الارتباط بين النظرية والتطبيق فى نشاط الاتحاد الاشتراكى من ناحية ، والعمل من ناحية أخرى على تحصينه من خطر القوقعة الذاتية التى أصيب بها بدرجات متفاوتة فى السنوات الماضية ، وضمان انفتاحه المتجدد والمستمر على الحركة المادية والفكرية والروحية للجماهير الشعبية فى مجالاتها المتعددة .

على هذه الارضية يقترح التقرير تنظيمين وعائيين جديدين :

الاول .. مؤتمر دورى كل ثلاثة أشهر للكادر المسئول على جميع مستويات الاتحاد الاشتراكى يضم جميع امناء المحافظات والاقسام والمراكز والبنادر برأسه السكرتير الاول للجنة المركزية ويحضره السكرتيرون المساعدون لمناقشة المشاكل والقضايا العملية للنشاط السياسى التى يواجهها الكادر فى المواقع المختلفة وتبادل الخبرات وتقييم الموقف على مستويات التنظيم المتعددة بالنسبة لاحتياجات ومطالب الجماهير وترتيب أولوياتها ، ومتابعة الجهد العملى المبذول من أجل تنفيذ قرارات التنظيم القيادية .

ويجوز للسكرتير الاول عند الاقتضاء أن يوسع من هذا المؤتمر فيدعو اليه بعض أمناء الوحدات الاساسية فى مجالات الانتاج والخدمات والسكن ذات الوزن أو ذات الصلة المباشرة بالنسبة للموضوعات المطروحة على المؤتمر — وعند الاقتضاء — بعض السادة الوزراء أو المسئولين فى الاجهزة التشريعية والتنفيذية .

وينتخب المؤتمر عند انعقاده لاول مرة لجنة تحضيرية يرأسها أحد السكرتيرين المساعدين للسكرتير الاول تقوم بالاتصالات التنظيمية اللازمة لاعداد جدول الاعمال الخاص بكل مؤتمر على أن يخطر بها أعضاء المؤتمر قبل أسبوعين على الاقل من انعقاده .

وتستمر صلاحية اللجنة التحضيرية لمدة خمس مؤتمرات متتالية بما فى ذلك المؤتمر الذى انتخبها ، وتخطر اللجنة المركزية ولجانها وأماناتها المختلفة بقرارات المؤتمر .

كما يجوز لهذا المؤتمر ان يقترح موضوعات لادراجها بجدول أعمال الاجتماع التالى للجنة المركزية .

أما الوعاء الثانى المقترح فهو تطوير لفكرة اللجان الاستشارية النوعية التى شكلت لمساعدة

لجنة العمل وهو تكوين لجان رأى متخصصة تنبع من قطاعات الابداع المادى والفكرى فى الحياة اليومية . وتكون بمثابة نوافذ مفتوحة لتنظيم على مختلف الانشطة الجماهيرية واتجاهاتها وجسور لقاء وتفاعل بينها وبين المؤسسات النقابية والمهنية ذات التأثير فى مجالاتها .

وتجتمع هذه اللجان بصفة دورية مرة كل شهر على الاقل وتناقش القضايا التى تندرج فى محيط الاهتمام المشترك بين مؤسساتها وبين التنظيم وتقترح الحلول لها وتخطر بآرائها وقراراتها اللجنة المختصة المركزية المقابلة لها فى هيكل التنظيم السياسى ، كما تبحث ما قد تحيله اليها احدى اللجان التنظيمية او السكرتير الاول من مشكلات تتطلب رأيها ، وقرارات لجان الرأى استشارية ، ولكن يجب على اللجنة التنظيمية اذا ما رأت عدم الاخذ بآراء لجنة الرأى أن توضح أسباب ذلك .

ويمكن أن تتكون لجان الرأى فى مجالات التعاونيات الزراعية ، النقابات العامة للعمال ، النقابات المهنية ، اتحادات الكتاب والادباء والفنانين ، اتحادات وجمعيات العلماء ، اتحادات الطلبة ، الاتحادات والجمعيات النسائية ومشروعات القطاع الخاص والغرف الصناعية والتجارية .

وتتكون كل لجنة من رئيس وسكرتير الاتحاد أو النقابة أو الجمعية أو الغرفة بالاضافة الى خمسة أعضاء يعينهم السكرتير الاول ، وتنتخب كل لجنة مقررا ومقررا مساعدا .

ويشارك المقرر فى أعمال اللجنة التنظيمية المقابلة ، كما يشارك أحد المسئولين باللجنة التنظيمية فى اجتماعات لجنة الرأى المقابلة .

وينعقد كل ستة أشهر مؤتمر لكل لجان الرأى برئاسة السكرتير الاول يشارك فيه السكرتيرون المساعدون ومسئولو اللجان التنظيمية ، ويتكون من مقررى لجان الرأى لجنة تحضيرية دائمة لهذا المؤتمر تقوم بالاعداد لجدول أعماله .

والهدف من هذين المؤتمرين هو الا نتكلم فى مجردات ولكن نتكلم عن المشاكل الحقيقية للتنظيم كما يتصورها بعضنا من خلال تجارب وتكوين رصيد من الخبرة المشتركة ، لان الذى يحدث عادة هو أنه بعد مرحلة من فتح المناقشات والحوار تنقطع الصلة بين الاتحاد الاشتراكى والقوى الجماهيرية فى الخارج .

فكيف يمكن أن ننظم علاقة مستمرة مع كل العقول والطاقات المبدعة فى الحياة والتى لاتمكنها ظروفها انتكون فى مواقع قيادية فى التنظيم السياسى .

بالنسبة لتنظيم لجنة الشئون السياسية الداخلية والخارجية يقترح التقرير ان تشكل هذه اللجنة من خمسة مكاتب :

[أ] مكتب الشئون الداخلية :

ويتكون من شعبتين ، شعبة الشئون الداخلية وشعبة المتابعة لقرارات المؤتمر القومى العام ، فهذا المؤتمر يصدر قرارات وتوصيات كل ما يتخذ بشأنها أنها تنشر فى الصحف ، وليست هناك لجنة لمتابعة هذه القرارات والتوصيات ،ومعرفة العقبات التى تعترض التنفيذ .

[ب] مكتب العلاقات الخارجية :

ويختص بمتابعة تطورات ومواقف واتجاهات وسياسات التنظيمات فى بلاد العالم ، ويقترح التقرير أن ينقسم هذا المكتب الى أربعة شعب هى : شعبة للدول العربية ، وشعبة للدول الاشتراكية ، وشعبة لدول غرب أوربا وأمريكا واليابان ، وشعبة لدول العالم الثالث ، وحركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

[جـ] مكتب الخبراء المركزى :

ويتشكل من اربع شعب ، شعبة للمتابعة اليومية للاحداث السياسية وتقوم بعرض وتحليل الاحداث الجارية ، وتقترح الحلول لها ، وكذلك اعداد الدراسات الشاملة الرؤية للاحداث فى تطورها وترابطها .

والشعبة الثانية تكون نواة لبناء مركز علمى لقياس الرأى العام واتجاهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية حول مختلف القضايا .

والشعبة الثالثة للنشرات المركزية وتصدر النشرات التالية :

نشرة يومية اخبارية ، نشرة اسبوعية تحليلية لحركة الاحداث فى مصر والوطن العربى والعالم ، نشرة شهرية عن قضية دولية مثارة ، نشرة شهرية عن قضية عربية مثارة ، نشرة شهرية عن قضية داخلية مثارة ، نشرة تنظيمية أسبوعية عن أعمال وأخبار الاتحاد الاشتراكى ، ومجموعة من المؤلفات السياسية تعتبر بمثابة مراجع للعمل

والتثقيف السياسي ، ويكون للنشرات مجلس تحرير مشترك . تشترك فيه مختلف امانات الاتحاد الاشتراكي وذلك حتى يمكن عرض مايتم انجازه داخل الاتحاد الاشتراكي خصوصا في العلاقات الخارجية ، وحتى تتوفر المادة الحقيقية التي يمكن من خلالها أن تعرضها امانة الشئون الخارجية في علاقاتها ».

[د] مكتب الاتصال :

وتكون مهمته :

— الاتصال بالامانات النوعية ، اللجان الرئيسية للجنة المركزية .

— الاتصال بالمستويات التنظيمية عن طريق أمناء المحافظات .

— الاتصال بالمنظمات الجماهيرية والنقابية على أنواعها بواسطة لجان مشتركة .

— الاتصال بالجهاز التنفيذي عن طريق لجنة مشتركة من الجانبين .

— الاتصال بالهيئة البرلمانية عن طريق لجنة مشتركة من الجانبين .

ولضمان حيوية العمل وسرعة التحرك والمتابعة — يشكل « مجلس المكاتب » حيث تشكل اللجان السياسية مجلسا مشتركا للمكاتب ، من المسئولين عن المكاتب المختلفة .

وحتى تتوافر القيادة الجماعية للعمل في هذه المكاتب بخطة محددة يجتمع هذا المجلس دوريا ، ويختار مسئولا عن اللجنة السياسية من داخله — ويجتمع المكتب مع السكرتير الاول مرة كل أسبوع ويقدم له تقريرا شهريا بأعماله .

ولخدمة هذه المكاتب يلحق بها سكرتارية فنية وادارية خاصة .

النقطة الثالثة في التقرير هي في الحقيقة محاولة لرصد القواعد الاساسية أو القواعد الرئيسية للدليل سياسيا وتنظيميا .

فالقواعد التنظيمية للدليل حددها التقرير في خمسة نقاط هي :

أولا : ان الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي الوحيد في مصر . ومن هنا فانه مسئول عن أن يوفر المناخ ، والمنبر ، والاداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين في ممارسة العمل السياسي دون استثناء .

ثانيا : ان الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة التنظيمية لتحالف سياسي — اجتماعي بين ثلاث قوى اجتماعية محددة هي الفلاحين ، والعمال ، والرأسمالية الوطنية فضلا عن فئتين متميزتين بحكم طبيعتهما الخاصة ووزنهما ، بدور أساسي في حياة البلاد وتتمثل داخلهما القوى الاجتماعية الثلاث وهاتان الفئتان هما : المثقفون والجنود ».

ثالثا : التحالف السياسي — الاجتماعي بين قوى الشعب العاملة على أساس :

١ — حماية الاستقلال الوطني السياسي والاقتصادي .

٢ — تحويل المجتمع من مجتمع زراعي متخلف الى مجتمع صناعي — زراعي متقدم وذلك من خلال خطة تنمية شاملة ذات أسس وأهداف اشتراكية وترعى في نفس الوقت مصالح الرأسمالية الوطنية ، بشرط الا تتحول الى رأسمالية طفيلية غير منتجة أو كبيرة تصل الى درجة الاحتكار — لانه بدون هذا نكون وكأننا لانرى حقيقة المرحلة التي نمر بها — فمن حق الرأسمالية الوطنية أن تنمو دون أن تصبح رأسمالية احتكارية مستغلة تهدد استمرار التطور على الطريق نحو الاشتراكية .

٣ — الاعتراف من ناحية بالاختلافات والتناقضات الاجتماعية بين قوى التحالف المكونة للاتحاد الاشتراكي — والاتفاق من ناحية أخرى على أن الاسلوب لمعالجة هذه الاختلافات والتناقضات ، هو الاسلوب السلمي لا أسلوب العنف ، وذلك من خلال مناخ ديموقراطي ، وباستخدام أقصى ما يمكن استيعابه من وسائل العالم والتكنولوجيا الحديثة .

٤ — تأكيد الوزن الخاص بالفلاحين بنسبة ٥٠٪ على الاقل ، واذا كان هذا التأكيد يأتي ضمانا كميا لاستمرار التطور نحو الاشتراكية فانه يجب أن يكتسب بالترشيد السياسي وزنا نوعيا يمكنه من أن تكون ممارسته واعية ومدركة لمصالح الامة، وككل لا للمصالح الاقتصادية الفئوية الضيقة فحسب .

رابعا : الاتحاد الاشتراكي يحتضن أفكار واتجاهات جميع القوى المتحالفة وذلك بتنظيم الحوار فيما بينها ديمقراطيا وصولا الى الاتفاق على خطوة سياسية عملية واحدة يلتزم بها الجميع . ويتم على الاسس التي عرضتها وفي نفس الوقت يجب تحديد أهم المصالح الخاصة بكل قوة اجتماعية وترتيب أولوياتها بحيث لاتتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي

الشامل ، وبحيث لايكون فى تحقيق هذه المصالح انحراف عن طريق التطور نحو الاشتراكية بالطريق السلمى الديموقراطى .

خامسا : كذلك فاذا كان الاتحاد الاشتراكي هو الرأس المفكر فى العمل السياسى الا أنه لا يجب أن يصادر الحركة الذاتية للنقابات والمنظمات الوطنية فى مجالاتها الخاصة ، ولكنه فى نفس الوقت لابد أن يرتبط بها ويعمل على تنسيق حركتها مع حركته من خلال اعضائه المشتركين فى هذه النقابات ، ومن هنا جاء الاهتمام بلجان الرأى واللجان المعاونة للاتحاد الاشتراكى فى الخارج .

لذلك فاننى اقترح للدليل قواعد تنظيمية من ست نقاط :

أولا : ضرورة ان تكون العضوية بالاختيار .

ثانيا : الغاء العضوية المنتسبة فالانتساب يكون للحزب ولا يكون للتحالف ونحن نقول أننا لسنا حزبا .

ثالثا : ضرورة الاخذ بمبدأ العضوية الجماعية للمنظمات والنقابات التعاونية والجماهيرية على أن تنتخب كل منظمة من هذه المنظمات ممثليها مع ضرورة الاخذ فى الاعتبار الا تقل نسبة العمال والفلاحين عن ٥٠ فى المائة .

رابعا : تقبل جميع العناصر فى عضوية الاتحاد الاشتراكى بشرط قبولها لوثائق الثورة الاساسية والتزامها بالقانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى .

خامسا : ضمانات منح العضوية وسحبها يجب أن تكون سياسية وتتمثل فى الالتزام بمواثيق الثورة واتجاهاتها وقراراتها ، وقواعد القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى ، وأن يؤكد القانون الاساسى الذى يجب ان يعدل على حصانة المناقشات فى الاجتماعات التنظيمية ، وتنظيم اجراءات منح العضوية وسحبها .

سادسا : وفى الحقيقة ان النقطة السادسة ، تحاول أن تعالج الشكل الاساسى للتنظيم وهى تتمثل فى عدم تواجد اللجان التنظيمية التى تجمع الخبرات المختلفة وتكثفها وتعممها ، ومن هنا تأتى أهمية مؤتمر الكادر الذى تقترحه والذى يمكن على أساسه أن يكون عدد كبير من العناصر التنظيمية المناضلة لمواجهة الموجة البيروقراطية فى الاتحاد ، وهذه نقطة اساسية يجب أن نواجهها بصراحة وبشجاعة واننى قلت للسيد السكرتير الاول أن كميات الورق الموجودة فى الاتحاد الاشتراكى وكميات القوى البشرية المتراكمة فى الاتحاد الاشتراكى تعوق العمل السياسى .

وبالنسبة لنشاط الاتحاد الاشتراكى فى الريف فالملاحظ أن العمل السياسى ينتهى عند لجنة المحافظة أو عند بعض امناء الاقسام والبنادر ومن هنا تأتى ايضا اهمية المؤتمر الكادر الذى نقترحه — وأن علاج هذه المشكلة فى رأيى أنه يتطلب دعم الامكانيات المحلية بعناصر على درجة عالية من الكفاءة على أساس أن تكون هذه العناصر مختارة .. كذلك العمل على تخفيف العبء عن القيادات ، لانه ليس من المعقول أن يكون هناك عضو فى الاتحاد الاشتراكى لايحرص على حضور الاجتماعات التى يدعى اليها ومن هنا تبرز اهمية الالتزام وأن هذا ايضا يدعو الى ضرورة الاسراع فى تربية مجموعات من الكوادر المتفرغة ذات التخصصات النوعية المختلفة .
وهذا فى رأيى انه يبرز ضرورة بناء التنظيم الطليعى ، وكما قال السيد الرئيس وكما قال ايضا السيد السكرتير الاول للجنة المركزية فانه لابد من وجود عمود فقرى للاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى هو فى الحقيقة العمود الفقرى الذى يقصد اليه كلا من السيد الرئيس والسيد السكرتير الاول على أساس أن يكون تشكيل وبناء هذا التنظيم علنا واشراك اعضائه فى الاعمال والمهام التى تتطلبها طبيعة المرحلة التى نمر بها كالاعداد للمعركة .

هذه فى الواقع هى اهم نقط فى التقرير ، ثم ان التقرير يتعرض بعد ذلك الى كل من التنظيم النسائى والتنظيم الشبابى ، وهما تنظيمان مستقلان ذاتيا لكل منهما كوادره ولجنته المركزية ويمثلان فى نطاق المؤتمر القومى وداخل نطاق اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

أيها السادة الزملاء ...

لا أريد أن أطيل عليكم ، ولكن هذه هى النقاط الاساسية التى يركز عليها التقرير . وشكرا .

● السكرتير الاول

نشكر السيد الاستاذ لطفى الخولى على هذا العرض ونستمع بعد ذلك الى عرض من السيد/ خالد محيى الدين للتقرير المقدم منه .

● خالد محيى الدين

فى الواقع ... اعتقد أن الورقة المقدمة منى

قد وزعت على حضراتكم ولذلك فانني سوف اتناول في حديثي شرح جوهر الفكرة ..

في الحقيقة ، لقد بدأت هذه الورقة بموضوع اعادة تنظيم العمل في الاتحاد الاشتراكي باعتبار أن جو المعركة الذي نعيشه أو مرحلة الاعداد لهذه المعركة الحتمية هي أنسب وقت لهذاالعمل .
ان عملية اعادة تنظيم أسلوب العمل في الاتحاد الاشتراكي يجب أن تنبع في فكرتها من الواقعية .

الفكرة الثانية هي انه يقوم على أساس قبول مبدأ التحالف وهذه هي نقطة الانطلاق التي عرفت منها الهدف من التحرك لاصلاح بعض أوجه القصور في الاتحاد الاشتراكي .. ومن هذه الفكرة ، فقد وافقت على أنه تحالف ، كذلك فان هناك قضايا تلتقي فيها القوى المتحالفة وقضايا أخرى تختلف فيها هذه القوى المتحالفة وعلى أساس هذه النقاط تتحدد قوى التحالف ، وانني ذكرت عدة نقاط على سبيل المثال نابعة من اعتبار أن الاتحاد الاشتراكي هو تحالف يضم قوى الشعب العاملة ، وليس حزبا ، وهو ما جاء بالوثيقة التي قدمها السيد السكرتير الاول .

من هذهالنقاط كيف نجعلمن الاتحاد الاشتراكي تحالفا للقوى وليس تحالفا للافراد ؟ في الحقيقة لقداخذت هذهمنتجاربي الخاصةوتجارب أشخاص آخرين وتجارب البلاد الاخرى ، فقد لاحظت أن العلاقةتنتهي بهذاالشكلالقائم بينالتنظيمالسياسي وبين الجماهير في حين أن العلاقة موجودة في النقابات المهنية ، والمفروض أن يكون الاتحاد الاشتراكي قويا بقوة هذه الحركة الموجودة ولذلك فانني أقترح أن تكون العضوية .. عضوية من نوعين عضوية في محل السكن وعضوية في المنظمات أو النقابات وأقترح كذلك أن تمثل هذه المنظمات في لجنة المحافظة وفي اللجنة المركزية بنسبة الثلث .

أما السبب في أن يكون هناك نوعان من العضوية فهو لان بعض الناس منضمون الى منظمات والبعض الاخر غير منضمين الى هذه المنظمات ونحن نفترض دائما وباستمرار أن للجانب المنضم الى المنظمات حقوق كما أن للجانب غير المنضم حقوقا أخرى كذلك ، وهذه فيالحقيقة موجودة في كثير من البلاد ، مثل بلغاريا ويوغوسلافيا والمانيا الديمقراطية ، هذا مع عدم الاخلال بنسبة الخمسين في المائة الخاصة بالعمال والفلاحين .

النقطة الثانية .. هي اتاحة حرية التعبير

وفي الواقع أنني قدمت بديلا لما يسمى بالتنظيم السياسي فأنا اسميه « النوادي السياسية » والهدف من النوادي السياسية هو تجميع ذوي الراي الواحد لابداء آرائهم والتعبير عن وجهة نظرهم في القضايا الوطنية . وفي الواقع أنني لم أقترح كيف يمكن أن تكون هذه النوادي السياسية ولكن عندما تقبلون سيادتكم فكرة النوادي السياسية فانني اتقدم بورقة أخرى تشمل كيف يمكن أن تكون هذه النوادي وكيف يمكن أن تكون منضبطة ، وهذا يستتبع بالتبعية موضوع الصحافة فان هذه النوادي يصبح من حقها أن تقوم بعمل نشرات دورية توزع باذن بطريقة معينة .

النقطة الثالثة .. أنه مهما اتينا بالعمال الى هنا ومهما اتينا أيضا بالمنظمات الجماهيرية فلا يمكن ان نفعل شيئا الا اذا كنا نسير داخل الاتحاد الاشتراكي في الجو الديمقراطي .. لذلك فقد أوضحت في المذكرة المقدمة مني ضرورة الغاء كافة القوانين التي تجعل هناك قيودا على حرية الناس باصدار كافة الحقوق التي نص عليها دستورنا الدائم والغاء القوانين المقيدة التي صدرت قبل الثورة أو التي صدرت بعد الثورة في ظروف خاصة .

يستتبع ذلك بالتبعية حق المواطنين في دراسة القضايا الوطنية التي تمس مصير وطنهم وحثهم في التعبير عن آرائهم وعن وجهات نظرهم بالنسبة لهذه القضايا .

وفي الحقيقة انني ذكرت في التقرير اننا ننفعل بقضية معينة ، ومثل هذه القضايا هي التي يمكن أن تجمع اللجان لانها النطاق الذي يمكن أن تلتقي فيه الاحزاب ، ففي لبنان تجد هناك لقاء مثلا على تطبيق قرارات الامم المتحدة .

اننا نريد أن نجعل الاتحاد الاشتراكي تحالفا يعبر عن تيارات مختلفة في اطار ماهو مسموح به في المواثيق المعروفة .

وبالنسبة لموضوع العضوية .. فانني أرى انه لا يجب ان تكون العضوية اجبارية وبهذه المناسبة فهناك قضية يجب ان تراعى ، هي انه اذا ما اريد أن يرشح في موقع القيادة لبعض الامور الحساسة فانه يشترط لهذه القيادة ان تكون مشتركة في الاتحاد الاشتراكي ، فمثلا عضو مجلس الشعب لا يمكن أن يصبح عضوا به الا اذا كان عضوا في الاتحاد الاشتراكي ، وفي الحقيقة أن مثل هذا الموضوع اثير بالنسبة

لانتخابات مجلس الشعب وقال السيد الرئيس ان هؤلاء اشخاص منتخبون من جموع الجماهير فقالوا أن هذا الشرط لقبول الترشيح وليس خاصا بالعضوية .

أما بالنسبة للتفاصيل الخاصة بالتطبيق فانه يمكننى ان احددها اذا ما وافقتم سيادتكم على هذا التقرير . وشكرا .

● **السكرتير الاول**

شكرا للسيد / خالد محيى الدين على هذا العرض .

والان نستمع الى عرض السيد / ابراهيم شكرى .

● **المهندس ابراهيم شكرى**

فى الواقع أن أساس الورقة التى أقدمها هو فكرة أن التحالف هو الذى يمثل الصورة الصحيحة بحق ، لاننا فى الحقيقة دائما وباستمرار نحاول أن نبحث عن مضمون التحالف الذى نتصوره فى أنه تحالف يمثل وحدة القوى العاملة .. وانه مع ذلك يحتوى على تناقضات وبرغم أن هذا التحالف به تناقضات الا أنه يمكن باستمرار بحث هذه التناقضات عن طريق القوى الموجودة بداخلة من نقابات عمالية أو مهنية ، وهذه النقابات فى الحقيقة هى المسئولة عن بلورة مصالح أعضائها وتناقضاتها ، لذلك يجب الاسراع فى تشكيل نقابات أو منظمات لكل الفئات التى ليس لها منظمات مثل الحرفيين وبعض المهنيين كالتجاريين والراسمالية الوطنية .. الخ .

كذلك فقد وجدنا انه من خلال الممارسة ضرورة الربط بين لجنة الاتحاد الاشتراكى وبين اللجنة النقابية الفرعية المنشأة ومجلس الادارة .. وانه لابد من أن يتم الربط بينهما على مستوى لجنة القسم أو المركز أو المحافظة بين اللجان النقابية العامة وبين لجنة الاتحاد الاشتراكى كما تم ذلك فعلا بالنسبة للجان المعركة حيث ضمت اليها القيادات العمالية والمهنية والتعاونية على المستويات المختلفة لاكساب تلك اللجان الفاعلية المطلوبة منها .

وبالنسبة للقرية فانه يمكن أن يتم الربط بين مجالس الجمعيات التعاونية الزراعية واللجان النقابية على مستوى القرية للعمال الزراعيين أن وجدت والمسئولين عن الخدمات ومجالس القرى بتدعيم قدرات القيادات بالقرية على تبنى مشاكلها ، واحداث التغيير المطلوب فى أسلوب عمل لجان الاتحاد الاشتراكى .

ولذلك فاننى اقترح أن يكون هناك نوع من الربط باستمرار فى لقاءات جماهيرية سواء كان فى البندر أو فى القسم أو فى المحافظة .

وبالنسبة للنقابات ودورها كمنظمات معاونة للتنظيم السياسى فان هذه النقابات يمكن أن تمارس دورها على كافة مستويات التنظيم السياسى وفى كافة المحافظات وان ذلك يمكن النقابات من ابداء رأيها فيما يحقق مصالح اعضائها من فئات التحالف أو فى تعارض مصالحها لتؤكد صورة التحالف . ويمكن بهذا أيضا أن نستفيد من الخبرات الموجودة فى النقابات المختلفة خصوصا النقابات المهنية وما يماثلها من التنظيمات ، خاصة الخبرات الفنية التى يريدها الاتحاد الاشتراكى ، وهى فى هده الحالة تقوم بنوعين من الربط فهى تعبر عن مصالحها وتعبر عما يمكن أن يكون لها من رأى داخل الاتحاد ، وايضا يمكن للاتحاد أن يستشيرها ويعرف رأيها فيما يعن له من رأى خصوصا وأن الاتحاد أساسا مفروض أن يعرض جميع البرامج التى يتبناها على لجانه المختلفة ويجب ان يكون الرأى الفنى موجودا باستمرار داخل الاتحاد الاشتراكى .

بالنسبة لموضوع العضوية فنحن الان نحتم عضوية الاتحاد الاشتراكى لاى ترشيح فى النقابات المختلفة ، وهذا فى الواقع قضية يمكن أن تثير بعض المتاعب فى الاتحادات الدولية ، وأرى أن يكون العكس هو الاصح ، بمعنى أن عضوية النقابات والتنظيمات المختلفة سواء أكانت تعاونية أم غيرها تكون وسيلة لان يكون هناك سبيل التزكية لعضوية الاتحاد الاشتراكى .

وتصورنا أن يكون هناك عضوية عامة للانتساب ، بمعنى أن كل من ينطوى تحت نقابات أو تنظيمات أو تعاونيات هم فى الواقع اعضاء منتسبين فى هذا التحالف الكبير ، فاذا أردنا للفرد فى التنظيم السياسى أن يأخذ دورا اكبر وينطوى تحت الطليعة القيادية الموجودة فى قلب هذا التحالف فيجب ان يكون هناك تزكية من نقابته أو من تعاونياته على ان هذا الشخص أدى دوره فى التنظيم التابع له وانه يمكن أن يؤدى دورا فى التنظيم السياسى ، اى عكس ماهو معمول به الان لان هذا الشخص الذى يقدم على عضوية الاتحاد مختارا وفى نفس

الوقت يزكي من تنظيماته ، فان هـذا يؤدى هدفين :

ــ أن تحالف قوى الشعب هو الذى يقدمه .

ــ أنه هو الذى تقدم اختياريا ويزكى عن طريق عمله السابق .

وبذلك نحقق قول الميثاق أن نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التى تلتمس باصابعها مباشرة اعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

اذن كان المقصود باستمرار ان التعاونيات والتنظيمات النقابية تكون وعاء يمكن أن يمد الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه السياسى بالعناصر القيادية ، وما حدث هو العكس اننا فرضنا العضوية فى كل عمل نقابى وكل عمل مهنى بحيث ان هذه العضوية فقدت مضمونها من حيث ماهو الفرق بين شخص يريد فعلا أن يقوم بدور ويتقدم بعمل تطوعى عن شخص مفروضة عليه هذه العضوية ويحمل هذه العضوية لكى يؤدى دوره فى نقابته أو فى تنظيمه .

بجانب هذا فقد تصورنا ان هذا التحالف الكبير لا يمكن أن تكون له فاعلية فعلا الا اذا كان يوجد تنظيم طليعى بداخله ، فلابد من وجود هذا التنظيم الطليعى الذى اشار اليه السيد الرئيس فى برنامج العمل الوطنى وقدم له فى عدة نقاط وتصور انه من الضرورى ان يقوم هذا التنظيم ، وان يكون علينا وان تكون عضويته فعلا سبيلا لاظهار مدى كفاءة هذا العضو وان يكون تكوينه على أسس يعرفها الكل ، ويعرفون السبب فى اختيار اى عضو فى التنظيم الطليعى .

ان هذا التنظيم ضرورى ولا يمكن أن يكون هناك عمل فعلى فى هذا التحالف الواسع الكبير الا اذا كان بداخله هذا التنظيم .

بالنسبة للاتحاد الاشتراكى والسلطة ، فقد تناولتها هذه الورقة فى بعض النواحى ، فقد ورد فى الدستور انه يؤكد ان الاتحاد الاشتراكى العربى سلطة تحالف قوى الشعب العاملة عن طريق العمل السياسى الذى تباشره تنظيماته بين الجماهير وفى مختلف الاجهزة التى تضطلع بمسئوليات العمل الوطنى ، فاذا كان المبدأ الدستورى أن السيادة للشعب وحده وهو مصدر السلطات ويحمى الشعب هذه السيادة ، وأن الاتحاد الاشتراكى العربى يؤكد سلطة تحالف قوى الشعب العاملة فانه بذلك يمثل اعلى سلطة فى الدولة وبالتالى فهو مصدر السلطات والواقع فعلا ان الاتحاد الاشتراكى يمثل السلطة ويمكن اننا نلمس عدة نقاط فى هذا التقرير .

الصورة الاولى ان رئيس الدولة هو رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى .

الصورة الثانية بالنسبة للسلطة التنفيذية ، فقد اخذنا مبدأ ان اللجنة المركزية هى التى يعرض عليها اختيار اسم رئيس الحكومة لكى توافق عليه ، اذن هى بهذا تشارك فى اختيار من يقوم بقيادة السلطة التنفيذية ممثلة فى الوزارة .

● **السكرتير الاول**

هل تريد أن تقوم اللجنة المركزية باختيار الوزراء ؟

● **المهندس ابراهيم شكرى**

لا ، ولكنى اقول مبدأ ان يسمى رئيس الوزراء فى اللجنة المركزية وتوافق عليه فانها فى الواقع تشارك فى اختياره ، اى ان الاتحاد الاشتراكى ايضا بالنسبة لهذه الناحية مشترك فى اختيار رئيس الوزراء .

وحتى بالنسبة للسلطة القضائية وهى احدى السلطات بدانا نأخذ بان يكون هناك نظام قضائى يشترك فيه الاتحاد الاشتراكى باختيار عناصر شعبية تشارك فى القضاء .

بالنسبة للسلطة التشريعية فانه لا يجوز الترشيح لمجلس الشعب الا اذا كان المرشح عضوا عاملا فى الاتحاد الاشتراكى .

وبالنسبة للصحافة ــ وانا اعتبرها سلطة رابعة ــ فالمفروض ان الصحافة مملوكة للاتحاد الاشتراكى .

اذن فان الاتحاد الاشتراكى ممثل فى كل نواحى السلطات بل هو الذى يسميها بل يعتبر انه لا يمكن أن يكون هناك تصور لهذه السلطات دون رأيه .

كل هذا يؤكد أن مصدر جميع السلطات هو الاتحاد الاشتراكى ، ولكنه محظور فعلا أن يتحول الاتحاد الاشتراكى الى سلطة تنفيذية ،

فمع انه فى الحقيقة سلطة الا اننا لا نريد أن يتحول الى سلطة تنفيذية ، ولكن سلطاته تكمن فعلا وعملا فى تبنيه لحقوق الجماهير ، وفى توجيه السلطة التنفيذية ، وفى متابعة أعمالها وفى ضمان نقل سلطة الدولة الى الجماهير عن طريق المجالس الشعبية نقلا فعليا ، وان تكون هذه الجماهير مرتبطة بقواعدها ملتصقة باهدافها وآمالها عاملة على تحقيقها مع ضمان ديمقراطية العمل فى جميع مؤسسات الدولة والحفاظ على أن يتم العمل من خلال المؤسسات وليس من خلال افراد تحقيقا لجماعية القيادة ، وبالتالى فان سلطاته تعتبر كالاتى :

١ ـ تشكيل المجالس المتخصصة على المستوى القومى سياسيا وفنيا لكى تساعد على الحكم ، فانه الى جانب مجلس الدفاع القومى لابد من مجلس اقتصادى قومى يضم شعبا للتعليم والصحة وغيرهما مما يتصل بالخدمات ومجلس ثقافى قومى يضم شعبا للفنون والاداب والاعلام .

٢ ـ تشكيل المجالس الشعبية فى المحافظات بالانتخاب الحر المباشر والتى يجب ان تتأكد سلطاته باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية .

٣ ـ العمل على ان ينقل الحكم المحلى سلطة الدولة وتدريجيا الى أيدى السلطات الشعبية لانها اقدر على الاحساس بمشاكل الشعب واقدر على حسمها .

٤ ـ تجميع احتياجات الجماهير ومطالبها وضمان وضعها فى خطة العمل الوطنى مع اتاحة فرصة الشعب الكاملة للاشتراك فى وضع الخطة ومناقشتها تأكيدا لسيادته مع اثارة حماس الجماهير لتنفيذ الخطة بعد ذلك .

٥ ـ موقعه المتميز من السلطات الاخرى يجعله مصدرها طالما حازت هى على ثقته وثقة الجماهير ولا سبيل الى قيامها اذا فقدت ثقة الجماهير التى يمثلها .

٦ ـ انه جهاز للشعب ولكنه لصيق بالسلطة مما يجعل الاتحاد الاشتراكى موضع مساءلة الجماهير المستمرة عن مطالبها العاجلة أو الاجلة لقدرته على حسمها مع السلطة التنفيذية بما له من وسائل سبق ذكرها وهذا يضع عليه عبئا اساسيا بان يخطط لمشاكل الجماهير واحتياجاتها فى اطار زمنى ويتابع التنفيذ ليضمن سلامة التطبيق .

وقد انتهينا من هذا التصور ، وانه بالرغم من انه سلطة ، الا اننا لا نريد ان يتحول الى سلطة تنفيذية .

وبالنسبة لتخصصى فى أمانة المهنيين فان هناك نقطة اخرى خاصة بعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالنقابات العمالية والمهنية ، فأتصور الاتى :

١ ـ ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة .

٢ ـ ان القيادة الجماعية والقيادة السليمة تقوم على الاحساس الكامل بمطالب جماهير الشعب والتعبير عنها والعمل على حلها .

٣ ـ كذلك فقد جاء فى تقرير اصدار الميثاق :

« وطبيعى ان يكون الاتحاد الاشتراكى العربى اطارا يجمع فى داخله كل فئات الشعب وتنظيماته المختلفة ، وترتيبا على ذلك فان التنظيمات النقابية يجب أن يكون تشكيلها فى اطار هذا الاتحاد الاشتراكى العربى .

هذا ما جاء فى تقرير الميثاق ، وقد دار كلام كثير حول دور النقابات وصلتها بالاتحاد الاشتراكى ، هل هى تنظيمات معاونة ، هل هى تنظيمات استشارية ؟ كل هذه التعبيرات جاءت انما فى الواقع ان الميثاق وفى تقرير الميثاق جاءت عبارات محددة لدور النقابات وهى كالاتى :

ـ طبيعى ان يكون الاتحاد الاشتراكى العربى اطارا يجمع فى داخله كل فئات الشعب وتنظيماته المختلفة .

ـ اى تصور أنه أطار يجمع فى داخله جميع فئات الشعب وتنظيماته المختلفة ، وترتيبا على ذلك فان التنظيمات النقابية يجب ان يكون تشكيلها فى اطار هذا الاتحاد الاشتراكى العربى .

ـ لان هذا التصور الذى جاء فى تقرير الميثاق يجعل ان هذه النقابات والتنظيمات هى فى داخل وفى صميم الاتحاد الاشتراكى العربى ، وليست تنظيمات معاونة او استشارية أبدا ، ومن هنا نشأت فكرة الربط بين الاتحاد الاشتراكى والتنظيمات النقابية المختلفة على اعتبار أنهما

تمثل تجمعا ضخما لفئات الشعب ومن خلالهـا يمكن أن يدور الحوار حول مطـالب الجماهير واحتياجاتها .

٤ ـ كما أن تشكيل النقابات والذى يقوم على أساس من الاختيار الحر مع اتباعها أسلوب جماعية القيادة فى اطار ديمقراطى يجعلها قادرة على تجميع صفوف اعضائها والتعرف على حلول مشاكلهم .

٥ ـ تمثيل فئـات الشعب فى الاتحـاد الاشتراكى العربى يضمن نصف المقاعد للعمال والفلاحين حقيقة ولكنه لا يضمن تمثيل جميع نوعيـات العمـال والفـلاحين أو المثقفين والرأسمالية الوطنية حيث يمكن أن تكون مشاكل كل نوعية مختلفة عن نوعية اخرى مما يجعل تمثيل النقابات النوعية يعوض هذا القصـور والتمثيل .

وفى الحقيقة فهو يضمن نسـبة ٥٠٪ من المقاعد للعمال والفلاحين الا انه بالرغم من ذلك فقد تغيب بعض النوعيات وبعض الفئات عن هذا التمثيل ، واذا تصورنا على سبيل المثـال العمال الزراعيين أو ما نسميهم عمال التراحيل أو نقابات عمال الزراعة ، يمكن الا يتناسب عددهؤلاء العمال الكبير معءدد التعاونيين المنضمين تحت التعاونيات الزراعية ، بالاضافة الى أن التعبير عن كلمة فلاحين تتسع حتى تشمل من يملك عشرة افدنة ، ويمكن أن يتوه تشكيل قطاع كبير من العمال الزراعيين الذى اراد الميثاق وارادت الثورة أن تجعل لهم مكانا ، وضمانا لوجودهم يمكن أن يكون تمثيلهم عن طـريق تنظيمات النقابات الزراعية بطريقة أو بأخرى .

وأيضا بالنسبة للحرفيين الذين يجب علينـا تنظيمهم ، فمن المحتمل جدا ان جزءا من الحرفيين كعدد لا يمكن أن يصل الى المسـتويات التى تستطيع عرض وجهة نظرهم اذا تركنا هـذا للتمثيل العام .

أما اذا كان هناك نوع من التعـاون بين التنظيمات النقابية المختلفة وبين تنظيم الاتحاد الاشتراكى فيمكن أن نضمن ان هؤلاء سيكون لهم الفرصة الكاملة فى التعبير عن رأيهم داخل اطار التحالف الكبير ، ولذلك فاننا نقترح عدة اساليب بعضها جاء فى حديث الاخ خالد وبعضها جاء فى حديث سابق وتتلخص فى :

١ ـ طالما أن النقابات تمثل هيئات استشارية للاتحاد الاشتراكى العربى فانه يمكن تشـكيل مجلس استشارى من عدد من اعضاء مجالس النقابات العمالية والزراعية والمهنية يعـاون اللجنة المركزية ويمدها برأيه فى الموضـوعات التى تبحثها .

٢ ـ يمكن أن يتبع الاسلوب الذى اتبع فى تمثيل الوزراء والمحافظين وامناء المحـافظات الغير اعضاء باللجنة المركزية يضمهم اليها وذلك بضم النقباء لعضوية اللجنة المركزية .

٣ ـ يمكن ضم النقباء أو سكرتيرى النقابات المختلفة الى الامانة المختصة التى تمثل هـذه النقابات مثل ضم رؤساء النقابات العـامة العمالية الى امانة العمال والتنظيمات الزراعية ورؤساء الاتحادات التعـاونية الزراعية الى امانة الفلاحين والنقـابات المهنية الى امانة المهنيين .

٤ ـ يمكن تكوين جمعية عمومية من مجالس ادارة النقابات للامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى برئاسة السكرتير الاول وعضوية اعضاء الامانة العامة تجتمع لاخذ رأيها فيما يعرض على اللجنة المركزية من احداث سياسية هامة أو لمناقشة الخطة .

٥ ـ يمكن اتخاذ أكثر من أسلوب من الاساليب المذكورة ، والواقع ونحن نحـاول ان نناقش بعض الافكار لا أريد أن نرتبط بصورة معينة ، والطريقة العملية قد تفضل صورة عن صورة ، انما يجب ان نأخذ شيئا من هذا البحث يمكن أن يكون تحالف قوى الشعب موجـودة فعلا باستمرار ، وتكون هناك حيوية فى هـذا التنظيم الذى نريد أن يعبر باستمرار عن مصالح هذه الجماهير .

النقطة الاخيرة التى نبحثها فى هذه الورقة هى عضـوية الاتحـاد الاشتراكى فان لدينا صورتين هما :

ـ أن تفتح العضويةعلى أكبر تصور ممكن وهو مايحدث الان وفى نفس الوقت فان هـذه العضوية الواسعة تفقد العمل وتفقد اهميـة العضوية بحيث لم تكن النتيجـة التى حصلنا عليها فى السنوات الاخيرة لا تتناسب مع هـذا الاتساع الكبير ، بالرغم من الصورة الموجـودة فعلا بان عدد اعضاء الاتحاد الاشتراكى خمسة أو ستة ملايين .

ـ ما اتصوره أن تكون هناكعضوية عامة يمكن ان تكون كعضوية منتسبة ، هذه العضـوية المنتسبة يمكن أن يتمتع بها كل شخص منتظم فى

اى تنظيم يكون تحالف قوى الشعب ايا كان هذا التنظيم ، فيمكن أن يكون فى النقابات العمالية أو نقابات العمال الزراعية والتعاونيات الزراعية والنقابات المهنية ، ويمكن أن يكون فى الجمعيات التى تقوم بدور اجتماعى ، كالجمعيات الخيرية أو الانشطة المختلفة للشباب ، فكل هؤلاء يمكن أن يكون لهم صفة الانتساب فى الاتحاد الاشتراكى العربى كتحالف كبير .

ثم يأتى الدور الاخر وهو دور الطليعة والتنظيم السياسى الذى سيقود هذه التنظيمات كلها ، فيمكن أن يزكوا عن طريق هذه التنظيمات ويكتسبوا العضوية العاملة بطريقة محددة بان يتقدم العضو بطلب العضوية العاملة فيزكى من الجهة التى يعمل فيها عن العمل الذى يمكن أن ينسب اليه ليشرط به العضوية العاملة ، وفى نفس الوقت تكون هناك لجنة يمكن أن تبحث ظروف كل عضو يتقدم ، ويمكن بهذا ان نكون الاتحاد الاشتراكى ، ونجمع بين صورتين ، الصورة الواسعة الكبيرة وانه يجمع اعضاء منتسبين عددهم كذا وهو تحالف قوى الشعب ثم عدد اصغر بكثير جاء طواعية وتقدم فزكى ، ويمكن لهذا الجزء الاصغر أن تكون له الفاعلية الكافية لقيادة التحالف الكبير .

هذه نقط اساسية وسوف توزع الورقة التى تقدمت بها على السادة الاعضاء .

وشكر .

● محمد مهدى شومان

الواقع ان الصيغة الملائمة لتنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى هى تحالف قوى الشعب العاملة ، فالتنظيم السياسى ليس حزبا وانما هو تحالف لمجموع هذه القوى ، وقد اتناول الموضوع من جزئية بسيطة وليس فى الشكل العام كما تحدث السادة الزملاء ، هذه الجزئية هى التى نعيش فيها الان وهى القاعدة نفسها .

ان كل تصورى كان ينصب على التنظيم السياسى فى القاعدة نفسها ، لاننى اشعر ان التنظيم السياسى اذا نجح فى قواعده ، نجح التنظيم فى كامل مستوياته ، واذا لم ينجح التنظيم السياسى فى المستوى القاعدى فلن يكون هناك نجاح للتنظيم مهما كانت مستوياته وقوة اعضائه .

إذا ما أخذنا تصورا للقرية وشكل التنظيم السياسى فيها حاليا نجد انه تنظيم ليس له اى اثر بين القاعدة العريضة التى يمثلها ، وقد اكدت هذا التصور لان بداية نشأة التنظيم اساسا تنبع من القاعدة التى صعدت كل هؤلاء الاعضاء ووصلت بهم الى قمة التنظيم ، لذلك لابد ان يكون كل الايجابية وكل العمل الجاد للقاعدة نفسها حتى تشعر الجماهير بفاعلية التنظيم ، واذا لم يكن هذا الاحساس متوفرا فالتنظيم كما ذكرت ليست له اية فاعلية .

اذا ما نظرنا الى التنظيم السياسى فى شكله الحالى نجد أن جميع القواعد تشكو من التنظيم لانه متقوقع ومغلق على نفسه وليست له اية ايجابية ، وكما ذكرت قبل ذلك فان هذا مرجعه الى الفراغ الموجود بين التنظيم السياسى نفسه وبين التنظيمات المساعدة وبين الاجهزة التنفيذية ، لان التنظيم له أن يقود وان يوجه وان يشرف وأن يراقب ، لكن نتائج هذا كله ترتبط بالتنظيمات الاخرى ومدى تجاوبها مع هذا التنظيم ، وترتبط بالجهاز التنفيذى ومدى استجابته لقرارات التنظيم ، اذا لم يكن هناك تجاوب واستجابة فان التنظيم يدور فى مكانه وهذا سبب كبير جدا من اسباب فقدان الثقة مابين الجماهير وبين التنظيم .

ولهذا فقد اقترحت فى تصورى أن تكون لجنة القرية لجنة موسعة تضم كل القيادات التنفيذية والنوعية التى تمثل النقابات والتعاونيات ، كما اقترحت ان تكون لجنة العشرة ليست هى عشرة افراد فقط لان هذه اللجنة لا يمكنها باى حال من الاحوال أن تمثل الجبهة العريضة التى انتخبتها .

فمن بين الوحدات مايبلغ عدد اعضائها عشرة آلاف نسمة ، ولهذا فلا يمكن ان يمثل عشرة اعضاء هذا العدد ، لان المشاكل كسرة متجددة يوميا لاننا فى مرحلة التحول وهذه المرحلة تفرض علينا اعباء كبيرة وجديدة يوميا ، واذا لم يكن هناك حل للمشاكل فانها تتراكم وينظر للتنظيم على أنه تنظيم غير ذى فاعلية .

ان لجنة القرية لابد أن يكون حجمها اكبر من ذلك ، واذا ما بحثنا عما هى الخدمات التى تهم الفلاح فى القرية ، وما هى مشاكله التى يطالب بحلها والتى يتردد دائما على التنظيم السياسى من اجل حلها ، نجد أن هذه الخدمات هى الجمعية التعاونية والمدرسة والوحدة الصحية والوحدة الاجتماعية ومجلس القرية ، وجميع المنشآت التى ترتبط مصالحه بها .

أيضا العامل فى موقعه فى الحى أو فى المكان الذى يقيم فيه فى المدينة له خدمات تؤدى

له ، وارتباطه بالتنظيم السياسى لابد ان يحل له مشاكله فى داخل هذه الخدمات ، كيف تربط بين قيادات هذه الاجهزة وبين التنظيم السياسى ، خاصة وان عدم الربط بين هذه الاجهزة والتنظيم السياسى كان سببا كبيرا جدا من أسباب عدم فاعلية التنظيم السياسى .

اعتقد انه لابد أن تضم جميع هذه القيادات الى لجنة العشرة فى القرية ، بمعنى أن تضم رئيس الجمعية التعاونية الزراعية ، ورئيس مجلس القرية وناظر المدرسة ، ودكتور الوحدة الصحية ، وجميع القيادات الممثلين للنقابات ، ويمكن أن ينضم رئيس اللجنة النقابية لعمال الزراعة أو بالنسبة للعمال ، كل هؤلاء ينضمون الى لجنة القرية ، مع الاحتفاظ فى التصويت بنسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين فى لجنة العشرة ، لان اللجنة ستزيد عليها نوعيات أخرى لذلك لابد فى التصويت أن يحتفظ بنسبة لجنة العشرة فقط لانها تحتفظ بنسبة الـ ٥٠٪ .

اذا أمكن أن نضم كل هؤلاء للجنة العشرة نشارك معا فى مناقشة الخطط النوعية الموجودة للوحدة الصحية والمدرسة ومجلس القرية ، كل هذه الخطط لابد أن تكون فى التنظيم السياسى فى لجنة العشرة ، وتناقش فيها حتى نخرج بخطة موحدة ونلتزم جميعا بتنفيذها ، واعتقد أن هذا هو الاسلوب الذى يربط الاتحاد الاشتراكى بالاجهزة التنفيذية ويربط أيضا معنا التنظيمات المساعدة الموجودة على مستوى الوحدة نفسها .
هذا الربط يؤكد فاعلية التنظيم ، لاننا عندما نجد أن هناك جهازا من الاجهزة التنفيذية لم يؤد دوره فى أى موضوع من الموضوعات التى درسناها واتفقنا عليها ، فى هذه الحالة نجتمع جميعا ونحاسب هذا الجهاز ونرده الى الخط الصحيح .

لقد اقترحت فى تشكيل هذه اللجنة أن تشكل من اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى على مستوى القرية مع ضم رئيس مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية بالقرية ورئيس نقابة عمال الزراعة ورئيس المجلس القروى والمشرف الزراعى وطبيب الوحدة وناظر المدرسة وامام المسجد وعضوين من العناصر النشطة الواعية من الشباب ، وعنصر نسائى .

على أن يكون أمين لجنة الوحدة الاساسية هو أمين اللجنة القيادية ، ومن داخل هذه اللجنة الموسعة يشكل مكتب تنفيذى من ثلاثة أعضاء يتناوبون العمل اليومى فى هذا المكتب ، ولابد أن يكون للوحدة الاساسية مقر دائم وموجود اذ لا أتصور أن لايكون لاى وحدة من الوحدات مقر وتجتمع فى فصل من فصول المدرسة ، واذا كانت المدرسة مشغولة بالعمل فلا تجتمع الوحدة الاساسية لعدم وجود مكان لها فى القرية ، لذلك فلابد من وجود هذا المقر الذى يعمل من داخله المكتب التنفيذى ويتناوب العمل فيه الاعضاء الثلاثة السابق ذكرهم ، فيتلقى هذا المكتب شكاوى الجماهير ويجمع كل مشاكلهم ويتعرض للعمل اليومى ، ويجتمع المكتب التنفيذى كل أسبوع ليناقش كل هذه الموضوعات ويعد جدول عمل اللجنة الموسعة التى تجتمع كل خمسة عشر يوما .

ويكون اعضاء اللجنة القيادية فيما بينهم لجان فرعية لكل قطاع من قطاعات الخدمات والانتاج فى القرية ، أى أنه لابد أن تكون هناك لجان نوعية من خلال اللجنة الموسعة ، لجنة للزراعة والتعاون ولجنة للصحة ولجنة للتربية والتعليم ، وكل هذه الخدمات لابد أن يكون لها لجان متنوعة ومنبثقة من اللجنة الموسعة .

وكما ذكرت ان المكتب التنفيذى يعقد اجتماعا كل أسبوع يستعرض فيه حركة العمل السياسى خلال الاسبوع ويقيم الايجابيات والسلبيات ، وتعقد أيضا اللجنة القيادية اجتماعا كل خمسة عشر يوما تناقش فيه الموضوعات المعروضة عليها من المكتب التنفيذى ، ثم يعقد لقاء موسع مع جميع مجالس ادارات التنظيمات التعاونية والنقابية ومجالس القرى وغيرها من التنظيمات فى القرية كل شهر تدور فيه حلقة مناقشة تستعرض فيها مطالب ومشاكل الجماهير ، ثم يعقد لقاء مشترك بين اللجان القيادية والقرى ، ولجنة المركز لاستعراض انجازات ومطالب القرى .

لابد أيضا من توفير الامكانيات المساعدة للجنة مثل نفقات الانتقال أو الاستقبال ، ولابد أن يكون للتنظيم كل ما يعينه ويساعده على حركة التنقل لحل مشاكل الجماهير ، وأيضا لابد أن يتوفر الاثاث والادوات الكتابية .

هذا التشكيل على مستوى القرية واعتقد انه يمكن تطبيقه تماما على مستوى المركز ، اذ يوجد أيضا فى المركز مفتش الزراعة ومفتش الصحة والتموين وجميع الاجهزة ممثلة على مستوى المركز ، كما أن هناك لجنة الاتحاد الاشتراكى على مستوى المركز ، ويمكن أن تضم القيادات التنفيذية مع لجنة المركز مع القيادات النقابية أيضا على هذا المستوى ، وبنفس الاسلوب الذى يعمل على مستوى القرية يمكن أن يكون على مستوى المركز ، ويتم هذا بالتصعيد حتى نصل الى المستويات العليا .

اعتقد أن هذا الربط بين الاجهزة وبين التنظيم السياسى سيكون له أثره ويكون دفعة قوية للتنظيم السياسى والعمل السياسى فى جميع المستويات المختلفة ، وبهذا يمكن أن نقضى على الفراغ القائم لان المشاركة فى وضع الخطة وفى تنفيذها يختم انجاز كل قرارات التنظيم السياسى.

● **السكرتير الاول**

نشكر السيد مهدى شومان ويجب أن نهتم فعلا بما أشار اليه فى شأن الاهتمام بالوحدة الاساسية .

● **محمد حامد محمود**

بسم الله الرحمن الرحيم ... السيد السكرتير الاول ... السادة الزملاء ...

اسمحوا لى أن أعرض عليكم فى عجالة قصيرة ، واقعا عمليا لما هو جار فى محافظة البحيرة كتنظيم سياسى ، حورنا فى هيكله واسلوب عمله لغرض اسمى ، هو الانفتاح على الجماهير ، ليكون الاتحاد الاشتراكى وفقا لمواثيق الثورة ولنص المادة الخامسة من الدستور ، سلطة تحالف قوى الشعب العاملة لمتابعة العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الى أهدافه المرسومة ، محتضنا بين جناحيه السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية .

وبادىء ذى بدء يهمنى أن أوضح أساسا فكريا هو أن يكون تنظيمنا السياسى قائما على أسس من عقيدتنا الدينية ، وتراثنا الفكرى، وواقع مجتمعنا المصرى ويترجم هذا فى دليل فكرى يميز اشتراكيتنا المصرية المنبثقة من كل المعانى الانسانية الواردة فى ديننا ؛ وعلى لجنة العمل أن تقنن هذا وتوضحه لتحميه من انزلاقات فكرية قد ترمينا فى أحضان يسار حاقد مغامر .

ومن هذا المنطلق بدأنا فى البحيرة وعلى مستوى المحافظة بضم أعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية الى لجنة المحافظة وأصبح عليهم واجبات العضوية كاملة ولهم حق التصويت .. وبهذا ترتبط السلطة التشريعية ارتباطا عضويا بالاتحاد الاشتراكى ، ويكون نشاطها دائرا فى فلكه ، ونوصى بضم أعضاء مجلس الشعب للمؤتمر القومى العام ، ومن جهة أخرى أعطينا لاعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية كامل حقوق أعضاء المجلس الشعبى بالمحافظة من سؤال واستجواب ومناقشة ، فحرصوا دائما على حضور جلساته وشاركوا فى كل ما يدور بها .

أما المجلس التنفيذى وعلى رأسه محافظ الاقليم فقد اعتبرناهم أعضاء منضمين للجنة المحافظة يحضروا جلساتها ويشاركوا معنا بخبرتهم فى صنع القرار .

وتأكيدا لمعنى الانفتاح على الجماهير وضعنا اساسا جديدا لاجتماعات الهيئة البرلمانية بالمحافظة ، ذلك ، أن تجتمع الهيئة البرلمانية بحضور أمين المحافظة وفى اجتماع مفتوح كل اسبوعين يضم فئة من قوى الشعب العامل .. التجار مرة ، والعمال مرة اخرى ، والفلاحين ثالثة ليناقشوا معنا وبحضور المحافظ والاجهزة التنفيذية والمتصل عملها بهذه الفئة من قوى الشعب تناقش المشاكل والمقترحات فى اطار سياسى .

وبالامس القريب لم يكن قرار المجلس الشعبى عندنا بالغاء قرار وزارة الزراعة والمحافظ بحظر نقل وتداول محصول البطاطس الا ثمرة لهذا الانفتاح على الجماهير وقد أحدث هذا القرار ارتياحا كاملا وتأييدا مطلقا لدى عشرات الالاف من المزارعين .

● **السكرتير الاول**

لكن ليس لكم الحق فى الغاء قرار وزارى..

● **محمد حامد محمود**

لقد نفذناه .

أما النقابات المهنية والغرفة التجارية والادباء والفنانين .. فقد اعتبرنا نقاباتهم لجانا معاونة داخل الاتحاد الاشتراكى تجتمع من داخله وتعطى بعملها وفنها زادا ، نستعين به فى صنع قراراتنا ومن حسن الصدف أن المسئول عن هذه الانشطة بالمحافظة هو رئيس شعبة النقابات المهنية هنا فى الامانة العامة .

وبهذا نكون قد جمعنا فى اعتقادنا بين الحسنيين والتنظيم الافقى والرأسى . وعلى مستوى البنادر والاقسام والمراكز اتبعنا ذات الشىء بربط كامل بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية وعضوى مجلس الشعب .

ـــ حتى فى القرى ضممنا الى لجنة الوحدة ناظر المدرسة وطبيب الوحدة والمشرف الزراعى

ونظرا لانتشار مجالس القرى فقد انشأنا مستوى جديدا فى التنظيم يضم الامناء والامناء المساعدين للوحدات الواقعة فى نطاق مجلس

القرية يرأسه امين أكبر وحدة من هذه الوحدات ويضم رئيس مجلس القرية وأجهزته التنفيذية وفى هذا المستوى تصب المشاكل المصعدة من الوحدات لحلها أو لتصعيدها للمركز .

ومن هذا ترون حضراتكم أن التجربة التى نقوم بها فى محافظة البحيرة قد تستحق الدراسة لان بها يحتضن تنظيمنا السياسى دون عقد أو حساسيات أفكار القوى المتحالفة وينظم الحوار بينها دون مصادرة للحركة الذاتية للنقابات والاتحادات العمالية وتعاونيات الفلاحين .. بل ويتمكن أن ينهض برسالته وتحقيق اهدافه بمساعدة هذه التنظيمات ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● **السكرتير الاول**

نرجو أن تطبع هذه الورقة وتوزع . ويقوم الان السيد مسعد التمامى بعرض مشروعه .

● **مسعد التمامى**

وزعت على حضراتكم مذكرة لم استطع أن أوجزها ، ولهذا فاننى أرجو أن نستعرض صفحاتها بايجاز .

تعرضنا فى بداية المذكرة الى السلبيات التى تكلم عنها السيد السكرتير الاول ومنها أن بعض قيادات العمل السياسى كان لها تركيب ودافع اجتماعى جعلها غير مؤمنة فى داخلها بالخط الاشتراكى أو عاجزة عن استيعابه ، كما أن التنظيم السياسى ولد وهو يحمل بين طياته عوامل ضعفه ، وسيطرت مراكز القوى على التنظيم السياسى ، وانحرفت القيادات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى ، وضاع كل صوت للنقد الحر داخل التنظيم وبدأت عناصر طفيلية فى الظهور لتستفيد من جو النفاق الذى أحدثته مراكز القوى وتكونت داخل الاتحاد الاشتراكى طبقة عازلة حالت دون وصول مشاكل الجماهير .

ومن هذه السلبيات ايضا :

— عدم وجود كوادر ثورية داخل التنظيم .
— اضطراب العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى واجهزة السلطة التنفيذية .
— اتجاه الاتحاد الاشتراكى الى الاسلوب المكتبى .
— تعدد الاتجاهات الفكرية .
— انكماش ضمانات الديمقراطية .
— تعريف العامل والفلاح فتح الفرصة امام عناصر غريبة من غير الفئتين لتقتحم مواقع ليست من حقها .
— لم يستكمل الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى .
— نشأ الخلط بين النقد المخلص والنشاط المعادى .
— تقاعس كثير من قيادات التنظيم عن التصدى للانحرافات .
— لجأت بعض القيادات الى اسلوب الاسكات بدلا من اسلوب الاقناع .
— عملت بعض القيادات بمفردها بتجاهلها الكفاءات الموجودة حولها .
— لم تعط الفرصة لبعض العناصر الوطنية لدخول الاتحاد الاشتراكى .
— واجه أعضاء الاتحاد الاشتراكى قيودا داخل التنظيم .
— عدم وضوح علاقات الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات المساعدة .
— عدم وجود نشرة داخلية .
— عدم وجود نشرة نظرية تفتح أبواب النقاش الفكرى .
— عجز الجهاز السياسى الذى انشىء داخل الاتحاد الاشتراكى عن القيام بدوره .

وقد تعرضت المذكرة الى لجنة العمل ومهمتها التى تنحصر فى أربعة دوائر رئيسية :

— اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى بطريقة جذرية .
— اعادة النظر فى البناء الداخلى للاتحاد الاشتراكى .
— تحديد علاقة التنظيم بالمؤسسات والاجهزة التشريعية والتنفيذية والشعبية والجماهيرية .
— اعداد دليل عمل فكرى وتنظيمى للاتحاد الاشتراكى .

وقد أكدت المذكرة ان الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة الملائمة ، وأوردت مبررات هذا .. ونحن نرى أن يكون الاتحاد الاشتراكى تنظيما سياسيا والا يكون معبرا عن مصالح طبقة أو فئة بعينها .. وهو بهذا لا يأخذ طابع الحزب ، لكنه يجب أن يتبع فى حركته أسلوب الحزب بخلق وحدة تنظيمية قوية ترابط بها مستوياته المختلفة ، كما أنه يجب أن يظل مبنيا فى أساسه على كونه مزيجا متكاملا من وحدات العمل [الوحدات الجماهيرية] والوحدات السكنية ..

وقد تعرضت المذكرة لعلاقة الاتحاد الاشتراكى بجهازه السياسى ، ونرى فى هذا أن الجهاز السياسى يتميز بطابع الطليعة الثورية ، وقد أكد

الميثاق الوطنى ان الجهاز السياسى هو العمود الفقرى فى جسم التنظيم السياسى فقال : .

« ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

ثم تعرضت المذكرة للعلاقة بين الجهاز السياسى والتنظيم السياسى ، ثم تناولت موضوع مقومات الاتحاد الاشتراكى وهى اربعة :

١ — نظرية ثورية . الاساس فيها الميثاق تضم اليه الوثائق الاخرى .
٢ — اللائحة التنظيمية وهى هنا قانون الاتحاد الاشتراكى العربى .
٣ — برنامج العمل الوطنى .
٤ — الكادر السياسى .

ثم نطرح سؤالا هاما هو : ما الموقف بالنسبة لعناصر الاقلية ، ونرد على هذا السؤال باننا فى هذا المجتمع يجب أن نوسع الدائرة الوطنية بحيث تشمل كل المجتمع وتحشد كل القوى .

وعن موضوع التفرغ السياسى ، راينا انه مهمجدا لتنشيط الاتحاد الاشتراكى على المستوى العام وان الضرورة تستلزمه على أن يكون على اساس نوعى وأن يكون هو الاستثناء وليس القاعدة وألا يكون فى الوحدات الانتاجية ما لم يكن لها ثقل عمالى فيجوز أن يتفرغ عضو واحد حيث لا يتصور أن يكون هناك عمل سياسى فى مقر مغلق .

ولابد ان يكون للتفرغ نوعيات .. تفرغ سياسى يكون المتفرغون فيه من القيادات السياسية ، تفرغ سياسى فنى مهمته التخطيط والمتابعة ، وتفرغ ادارى للاعمال الادارية .

وفيما يتعلق بعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات المساعدة ، تناولت المذكرة علاقة الاتحاد بمنظمة الشباب بالتفصيل :

١ — ونميل الى اعتبار المنظمة تنظيما شبابيا مستقلا يقوده التنظيم السياسى وليس جناحا للشباب فى الاتحاد الاشتراكى .

٢ — واعتبار المنظمة منظمة ديمقراطية أى جماهيرية .

٣ — يجب أن يقوم أسلوب العمل فى المنظمة على المبادىء الديمقراطية .

٤ — يجب أن تقوم عملية التثقيف على أساسين : . الاول التمسك بأيديولوجية الاشتراكية العلمية .. وثانيا ربط المادة التثقيفية بالموقف النضالى والعملى المحدد .

وقد جرى العرف على أن عضو منظمة الشباب لا يزيد سنه على عشرين سنة على أن يكون هناك دائما التقاء هرمى .

كما تعرضت المذكرة لعلاقة الاتحاد الأشتراكى بالمنظمات بالاتحادات الطلابية عن طريق اشراك هذه الاتحادات فى اللجان النقابية ، وكذلك علاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيم النسائى ورأينا أن التنظيم النسائى يعتبر تنظيما سياسيا له استقلاله وشكله الهرمى الموازى للاتحاد الاشتراكى .. ونكون نقطة الالتقاء معه عند قمة الهرم .

كما تناولت المذكرة علاقة التنظيم بالتنظيمات النقابية .. ونحن نعلم جميعا مفهوم عمل النقابة والتنظيم النقابى فى المجتمع الاشتراكى .

وقد قارنت المذكرة اختصاصات لجنة الاتحاد الاشتراكى باللجنة النقابية ووجدنا الى حد ما أن هناك تداخلا فى العمل فيما بينهما ، ويجب تحديد هذه العلاقة بحيث تكون واضحة ، ويجب أن تكون علاقة من جديد تظهر فيها الرابطة بين عضو الاتحاد الاشتراكى والعضو النقابى ، كما يلزم التنسيق بين الاهداف على مختلف المستويات بين التنظيمين حتى المستوى المركزى حيث أمانة العمال ليتم الربط بين الاتحاد الاشتراكى والتنظيم النقابى أيا كانت صورته كالاتحاد العام والنقابات العامة المهنية والعمالية المحلية والعربية مع انشاء لجنة موسعة فى أمانة العمال تنظم العمل ككل ومهمتها مناقشة الخطط والاهداف للخروج بالقرارات والتوصيات التى يلتزم بها التنظيم السياسى والتنظيم النقابى ، كما يتم نفس الشىء على المستوى المحلى حيث يجرى ربط وتنسيق العمل فيتم تشكيل لجنة مساعدة من اعضاء الاتحادات المحلية ومختارين من أعضاء اللجان الفرعية فى المحافظات وعلى مستوى القسم والمركز تتم نفس الصورة .

وبهذا يتم انفتاح التنظيم السياسى ليضم التنظيم النقابى ويسيرا لتحقيق هدف واحد ..

وقد ورد بالمذكرة علاقة التنظيم السياسى بالسلطة التنفيذية ، فالاتحاد الاشتراكى هو تنظيم سياسى وشعبى تتمثل فيه ارادة الشعب وقوى التحالف الداخلة فيه وهو من هذه الناحية يعتبر بمثابة سلطة فوقية تعلو على سلطات الدولة المختلفة تنفيذية وتشريعية وقضائية .

فالسلطة السياسية سلطة تخطيط ومتابعة وتقييم ورقابة ، وهو الذى يوجه سير العمل الوطنى فى جميع الاجهزة والمؤسسات والتنظيمات فى الدولة بواسطة مؤتمره القومى العام وما يصدره من قرارات لكى يصل الى تحقيق الاهداف الكبرى التى حددها المجتمع .

ومن المعلوم أن اللجنة المركزية باعتبارها قيادة سياسية عليا هى التى تتولى متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر القومى العام والاشراف على العمل الوطنى فى جميع المجالات فيما بين أدوار انعقاد المؤتمر .

ومع ذلك فلا يصح ان تفهم العلاقة بين التنظيم السياسى والاجهزة التنفيذية والمنظمات الشعبية على انها فرضا للارادة ، وطريقا للتسلط بل يجب أن تفهم على أنها مشاركة فى المسئولية وتعاون فى سبيل تحقيق أهداف المجتمع ، وحتى يمكن تجنب ما قد ينشأ من تناقضات يجب العمل على توفير بعض الضمانات الهامة ومنها :

١ — ان يكون للجنة المركزية الرأى فى شغل المراكز القيادية والترشيح لها فى مختلف المجالات ضمانا لالتزام هذه القيادات بخط العمل الوطنى الذى يرسمه التنظيم السياسى لتحقيق أهداف المجتمع ويبدأ هذه القيادات من الوزارة الى المحافظين .

٢ — أن ترسم سياسة لاعداد العدد المناسب من الكوادر السياسية والفنية والادارية لشغل المراكز القيادية لتكون بمثابة قوى طليعية داخل أجهزة الدولة والمنظمات والمؤسسات المختلفة .

٣ — للجنة المركزية الحق فى مساءلة الوزارة والوزراء والمحافظين ومن ترى من القيادات التنفيذية العليا .

وللجنة المركزية عند تعرضها بالمناقشة لاحد الموضوعات العامة سواء المتصل منها بالسياسة الخارجية أو الداخلية أن تستدعى الوزراء المختصين لاستيضاح سياسة الوزارة فى الامر المطروح للمناقشة .

وعلى الوزارة ككل أو أحد وزرائها قبل اتخاذ أى قرار فى موضوع يمس مصلحة الجماهير او قطاع عريض منها — كأن تعتزم الوزارة مثلا اتخاذ اجراءات تموينية معينة أو اصدار قرارات وزارية تنفيذية تنظم مسائل للعاملين كبدل طبيعة العمل أو مناقشة مشروعات قوانين عمالية أو ماشاكل ذلك من أمور — أن يتم عرض الموضوع على اللجنة المركزية لمناقشته للوقوف على رأى التنظيم فيه ومن هنا تلم بأسباب القرار وأهدافه قبل أن تصدر الوزارة أو الوزير المختص القرار .

ويحقق ذلك هدفين :

الاول .. امكان اللجنة المركزية الربط بين السياسة العامة للتنظيم وما يصدر عن السلطة التنفيذية من قرارات تمس مصالح الجماهير .

ثانيا .. أن تحيط اللجنة بأسباب القرار وأهدافه وبالتالى تكون على علم بخلفيته فتستطيع قيادات التنظيم أن تبصر الجماهير بمضمون القرار وبواعثه .

وفيما يتعلق بالادارة فى المؤسسات فقد تناولت المذكرة ذلك بالقول بأنه لابد أن تمارس لجان الانتاج نشاطها فى الوحدات الجماهيرية حتى تستطيع أن تحقق الاهداف المطلوبة من ناحية الانتاج وتقضى على المعوقات ..

وتناولت المذكرة أيضا علاقة الاتحاد الاشتراكى بمجلس الشعب حيث قلنا أن مجلس الشعب ليس من منظمات الاتحاد الاشتراكى وأن العلاقة بينهما تتضح بما يقوم به أعضاء مجلس الشعب من تحقيق أهداف الاتحاد الاشتراكى بأسلوب العمل السياسى والجماهيرى للعمل على نقل آمالها ومطالبها ومشاكلها الى السلطة التشريعية

واعتقادى انه يمكن للقيادات التنظيمية بالاقاليم الاستفادة من لائحة المجلس فيما يختص باختصاصات المجموعات الاقليمية .

وكما قال الاخ حامد محمود فانه لكى يتحقق اشراك أعضاء مجلس الشعب فى العمل السياسى فانه يجب أن ينزلوا الى الاقاليم والى الجماهير ليمارسوا النشاط والمسئوليات المشتركة .

وعلاقة الاتحاد الاشتراكى بمجلس الشعب تتضح فى ضرورة توفر العضوية العاملة كشرط للترشيح لعضوية المجلس .. وكذلك الفصل من العضوية العاملة لعضو مجلس الشعب كوسيلة علاجية يتبعها التنظيم لحماية التنظيم السياسى والاجتماعى .

وكذلك اذا فقد العضو أثناء عضويته أحد الشروط أو الصفات التى نص عليها القانون احال رئيس المجلس الامر الى لجنة الشئون التشريعية لبحثه وتقديم تقرير عنه للمجلس .. للفصل فى عضويته .. وبوسيلة أخرى يستطيع التنظيم السياسى أن يصل الى نفس النتيجة

السابقة باستعمال عشرين أو أكثر من قياداته داخل المجلس لحقهم فى التقدم باقتراح طلب اسقاط العضوية عن أحد الاعضاء .

وقد تعرضت المذكرة الى أن الاتحادالاشتراكى يستطيع أن يجعل الغالبية العظمى لاعضاء مجلس الشعب ان لم يكن جميع أعضائه هيئة برلمانية حقيقية له ونحن نميل الى أن تكون الهيئة البرلمانية مكونة من جميع أعضاء مجلس الشعب انما فى بدايتها لابد أن تكون قاصرة على القيادات التنظيمية التى وصلت الى مجلس الشعب .. وبعد هذا يترك للاعضاء العاملين حرية التقدم بالطلبات حتى يكون الاعتماد على الكيف وليس على الكم وحده .

كما أن التنظيم السياسى يزيد من عدد أعضاء هيئته البرلمانية بجذب أعضاء مجلس الشعب الى مستوياته التنظيمية ، فقد يرى التنظيم أن عدد أعضائه القياديين الذين نجحوا فى انتخابات مجلس الشعب ، والذين يشكلون هيئته البرلمانية ليسوا بالعدد الكافى ليجعلوا من السلطة التشريعية منفذة للسياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى بالقدر المطلوب ، وهنا يمكن للتنظيم ان يزيد أعضاء الهيئة البرلمانية وذلك بقبول أعضاء المجلس كأعضاء قياديين فى المستوى التنظيمى الكائن بدوائرهم الانتخابية اذا ما رغبوا فى ذلك .

كما أن التنظيم السياسى يمكنه عن طريق هيئته البرلمانية التأثير فى أجهزة المجلس الرئيسية فيمكنه أن يتحرك بالنسبة لانتخابات رئيس المجلس والوكيلين .

كما يمكن للتنظيم السياسى استخدام سلطة مجلس الشعب فى تحقيق الرقابة الفعالة على سير العمل الوطنى فى خطه السليم ومحاربة الانحراف ، وذلك عن طريق استخدام الاستجواب وسحب الثقة .

كما يمكن للهيئة البرلمانية أن تتبنى قرارات المؤتمر القومى واستراتيجية العمل الوطنى التى تضعها لجنته المركزية داخل مجلس الشعب .

كما يستطيع الاتحاد الاشتراكى عن طريق هيئته البرلمانية أن يستعمل حق مجلس الشعب فى الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية ومساءلتها .

كما يملك الاتحاد الاشتراكى وسائل متنوعة أخرى فى التأثير على السلطة التشريعية ، فيمكن لرئيس الجمهورية باعتباره رئيسا للاتحاد الاشتراكى أن يعمل على توضيح سياسات التنظيم داخل المجلس ويمكن للمجلس الشعبى فى المحافظة أن يدعم عمل الاتحاد الاشتراكى وذلك بفرض كل مطالب الجماهير عن طريقه .

وتناولت المذكرة علاقة الاتحاد الاشتراكى بالصحافة ، ونقترح أن يكون الاشراف عليها عن طريق أمانة الدعوة والفكر باللجنة المركزية ، وأن تشكل الامانة العامة لجنة عامة للصحافة من جميع رؤساء تحرير الصحف ورؤساء مجالس ادارة المؤسسات الصحفية لمناقشة كافة الامور التى تعنى الصحافة وتضع اللجنة المركزية تفسيرات محددة عن أبعاد الأمن القومى والناحية العسكرية والقيم الاخلاقية والالتزام بها .

كما نقترح أن يكون للاتحاد الاشتراكى حق حل مجلس الادارة وحق تنحية رئيسه أو بعض أعضائه فى حالة وجود المبررات التى تدعو الى ذلك ، كأن توجد مخالفة من الصحافة لما يقره المؤتمر القومى العام أو السياسة التى نسير عليها ، فاذا كنا نتكلم عن الاشتراكية فلا يصح أن نسمح لها بأن تدعو للرأسمالية .

ويجب ان يقوم الاتحاد الاشتراكى بعملية مسح لكل الصحف والمجلات التى تصدر ، ويلغى الغث والمكرر والفاسد .

ونظرا للازمة الورقية التى تبرز من وقت لاخر .. نقترح أن يتم الغاء الصحف الاقليمية والتى لا تخرج عن كونها صحافة دعائية وشخصية ووسيلة كسب رخيص ..

ان الاعلانات أسلوب من أساليب الصحافة الراسمالية الا أنه موجود عندنا وهذا يهدد حرية الرأى ، وقد تكون هناك جريدة تحجم عن نشر نشاط الاتحاد الاشتراكى نتيجة وجود علاقات مادية مع الاجهزة التنفيذية أو انتماء هؤلاء المحررين اليها .

ولهذا نرى أن يكون توزيع الاعلانات عن طريق النقابة العامة مادمنا فى مجتمع اشتراكى والصحافة مملوكة فيه للتنظيم السياسى .

كما نقترح الاستعاضة عن أسلوب النشرات التى يصدرها الاتحاد الاشتراكى ، واعادة النظر فى اصدار نشرة الاشتراكى فى حجم كبير يليق بالتنظيم السياسى ويغطى نشاط الاتحادالاشتراكى فى المحافظات المختلفة .

وقد أفرد جانب خاص من المذكرة لذكرمجالات عمل التنظيم السياسى ، ويمكننا أن نحدد أساسيات هذا العمل فى النقاط التالية :

١ ــ تدعيم بناء العضوية .
٢ ــ تجديد القيادات .
٣ ــ دعم النظام الداخلي .
٤ ــ تطوير اساليب العمل .

تجديد قيادات كل مستوى مطلوب واكتشاف واعداد العناصر النشطة وهذه فى اعتقادى ينبغى أن تكون لها ضوابط ثلاثة هى المعيار الفكرى والحركى والتنظيمى بحيث يكون لها انفتاح على كل القواعد الجماهيرية .

وبالنسبة لتطوير اسلوب العمل فلابد أن يتم التطور بمعنى الا يرشح العضو الجديد لموقع قيادى الا بعد أن يمضى عاما كاملا فى موقعه .

وبالنسبة لتعديل قانون الاتحاد الاشتراكى فقد تكلمنا عنه بايجاز .

وأما بالنسبة للعضوية فقد ذكرنا أن تكون هناك عضوية عاملة وعضوية منتسبة تليها كوادر

فى ص ٧٠ منهج العمل ــ ويشمل عقد دورة من ثلاثة مراحل : المرحلة الاولى للعناصر النشطة عن طريق دورة مبسطة وهذه الدورة تصعد الى دورة تدريبية أكبر ، ثم بعد ذلك تدخل هذه العناصر النشطة فى دورة ثالثة .

فى ص ٧١ فاننا نتكلم عن الخطوات التنظيمية وفى ص ٧٢ تكلمنا عن الديمقراطية التنظيمية ونرى أن نبذل اللازم بوعى وحسم مع حفظ حق أصحاب الراى المخالف فيما يصدر بالأقاليم .

وفى ص ٧٣ النظام الداخلى للاتحاد الاشتراكى .. شبكة الاتصال داخل التنظيم .. التقارير الدورية .. طريقة الاستدعاء السياسى .

فى ص ٧٤ النشرات الدورية وما يجب ان تكون عليه .

فى ص ٧٥ الجانب التنظيمى .

فى ص ٧٦ ضرورة ايجاد منهج للتثقيف . وايجاد خطة متكاملة واعداد خطة جديدة للموجهين .. البدء باستثمار الجانب الدينى للجماهير .. اعدادالمدربين والموجهين السياسيين مع ارتباطهم بأمانة الدعوة والفكر .. وضع تخطيط يشمل الهيمنة على قصور الثقافة .. الاهتمام بثقافة الطفل .

فى ص ٧٨ عملية قياس اتجاهات الرأى العام داخل التنظيم السياسى واهميته وخطورته

فى ص ٨٠ الالتزام السياسى .. فتكلمنا عن وسائل العمل السياسى ومواقع الاتصال والتنظيم السياسى فى شتى المستويات المختلفة ووسائل الاتصال فى المواقع المختلفة منشرات واجتماعات ولقاءات ولاسيما المبدأ الاخير الذى سنه السيد السكرتير الاول ، وهو مبدأ اللقاءات الدورية ويمكن التوسع فى هذا وذلك بعقد اجتماعات مع مجلس الشعب واجتماعات مع التنظيم النسائى والتنظيم الشبابى والقيادات الاخرى مثل النقابات واتحاد العمال والتعاونيات على أن تتم هذه الاجتماعات برئاسة السيد السكرتير الاول .

فى ص ٨٢ مهام ودور الاتحاد الاشتراكى فى محو الامية وفى مجال رعاية اسر المجندين والمهجرين ، كذلك دور الاتحاد الاشتراكى فى التحرك الخارجى وعلاقته بالمنظمات وانه من الممكن أن نستفيد كاتحاد اشتراكى فى توضيح السياسة عن طريق هذه المنظمات وعن طريق المنظمات العمالية .

وفى النهاية .. اشكركم .

● السكرتير الاول

نشكر السيد مسعد على هذا التقرير وهو فى الحقيقة تضمن وجهة نظر جديدة .

والان نستمع الى كلمة صغيرة من الاخ الدكتور دكرورى ، ثم يتكلم الاخ كمال وهبة ثم الاخ الدكتور كمال أبو المجد .

● الدكتور محمد ابراهيم دكرورى

سأتناول فى حديثى نقطة واحدة هى بالنسبة لزيادة فاعلية العمل السياسى فى الاتحاد الاشتراكى من خلال واقع التجربة المصرية فى الواقع ، أن الجانب البنائى للاتحاد الاشتراكى فى صورته الموجودة الان لابد أن يؤخذ فى الاعتبار بشأنه أمران :

الاول : ماهو المطلوب من الاتحاد الاشتراكى ؟

الثانى : ما الذي يمكن ان يحققه ؟ .

وفى الحقيقة أن الاتحاد الاشتراكى فى الماضى لم تكن له اهداف محددة كما أن أسلوب العمل فيه لم يكن واضحا كذلك .. اللهم الا ما كان يقال من أنه يخدم ولا يحكم وانه سلطة للاشراف واعداد الدولة للحرب دون تحديد واضح لحدوده وواجباته وحقوقه .

وفى الواقع اننى لا اريد ان ندخل فى متاهات

فالنقطة التى أريد أن أركز عليها هى تحديد واجبات واهداف الاتحاد الاشتراكى تحديدا واضحا .

النقطة الثانية .. هى كيف يعمل الاتحاد الاشتراكى ؟

وفى تقديرى أنه يجب أن نركز على منطقتين : الاولى : منطقة الوحدة الاساسية وهى الخلية التى كلما كانت حية كلما نجح الاتحادالاشتراكى وفى تقديرى كذلك أنه لا يجب أن نخلط بين لجنة الوحدة الاساسية وبين العناصر التى تنضم اليها كناظرة المدرسة وطبيب الوحدة .. ولكن للجنة أن تدعو فردا أو أكثر على اعتبار انهم يمثلون الجهاز التنفيذى للقرية أو حكومةالقرية.

كذلك يجب أن يكون الوجود الاعتبارى أو الوجود القانونى معروفا ، ولها مقر هو الوحدة وانه من الضرورى أن يتواجد بهذا المقر شخص ما وهذا الشخص هل يكون أمين الوحدة أم الامين المساعد ، أم أى شخص آخر من أعضاء اللجنة، فيجب أن يكون متفرغا بحيث يحدد لهذه الوحدة وقتا معينا لحل مشاكل الجماهير .

كذلك فاننى استحدث مستوى هو بين الوحدة الاساسية وبين لجنة المركز ، هذا المستوى هو لجنة داخل مجلس القرية الذى يضم اكثر من قرية على ان يرأس هذه اللجنة قيادة مثقفة .

اما المنطقة الثانية .. فهى الامانة العامة .. قلت ان المنطقة الاولى هى الوحدة الاساسية ، والمنطقة الثانية هى الامانة العامة .. وفى تقديرى ان كل صور الامانة العامة التى شكلت فى الماضى كان من الممكن أن تنجح ولكن الذى كان يحدث هو أن الامانات الفرعية التى تتفرع من الامانة العامة ، كأمانة الفلاحين أو امانة العمال أو غيرها كانت تتواجد كاطار بلا مضمون ..وفى هذا فاننى أقول يجب أن تحدد لهذه الامانات أنشطة معينة تقوم بها مجموعة سياسية من اعضاء اللجنة المركزية المنضمون الى هذه الامانة يعاونها مجموعة من الخبراء المتخصصين فى المجالات المختلفة المتصلة بنشاطات الامانة .

وفى رأيى أن اللجنة المركزية ولجنة المحافظة هى أجهزة توصيل ، ولكن على مستوى الامانة ، قلنا ماذا تعمل لجنة الوحدة الاساسية وحددنا ذلك بأسلوب علمى ، وعلمناهم كيف يمارسون هذا العمل خاصة وأن — كما تعلم سيادتكم — جزءا كبيرا من أمناء المحافظات والمراكز لا يمارسون العمل السياسى كما يجب ، والمفروض أن أمين المحافظة هو المعلم السياسى للمحافظة أو للمركز.

وفى الحقيقة اننى أردت أن أركز على هذه النقاط لاننا كثيرا ما نخرج بفكر جديد وبقرارات مناسبة وسليمة وللاسف لم يكن ينفذ منها شيئا.

اذن فالمهم كله .. هو كيف نخرج بتحديد أهداف ، وواجبات محددة ؟ ثم كيف يمكن تحقيق هذه الاهداف ؟ وشكرا .

• السكرتير الاول

نشكر الدكتور دكرورى .. وبقى الان التقارير التى ستوزع للمناقشة .

فى الاستعراض السريع الذى تم بالنسبة للتقارير فاننا نجد نقط التقاء كثيرة جدا بين هذه التقارير ، فالاخ دكرورى ركز على الوحدة الاساسية كما أن الاخ شومان ركز هو الاخر على الوحدة الاساسية كل منهما بالاسلوب الذى يراه ، مع اشتراكهما فى الاشارة الى ضرورة تنشيط الوحدة الاساسية .

كذلك فانه يكاد يكون هناك اجماع على تحالف قوى الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكى ، كما انه يكاد يكون هناك اجماع أيضا على التنظيم النسائى والتنظيم الشبابى .

واننى أرى أن نعمل صياغة لجميع الاوراق التى قدمت والاوراق التى تقدم ، فنحن على استعداد لتلقى أية أوراق أخرى .

اننى اقترح أن نقوم بتشكيل لجنة تقوم بصياغة التقارير الموجودة ، على أن تعرض علينا فى اجتماعنا المقبل بمشيئة الله يوم السبت القادم.

ومن الان حتى يوم السبت هناك لجان فرعية تجتمع وبهذه المناسبة فهناك اجتماع مساء اليوم ومن يرى من حضراتكم أن لديه متسعا من الوقت ويرغب فى حضور لجنة اليوم فلامانع .

وستضع هذه اللجنة النقط الاساسية وهى محددة فى .. تعريف الاتحاد الاشتراكى، والدور الذى سيقوم به .. تشكيله ونظام العمل به ، السكرتير الاول وعلاقته بأجهزة الاتحاد ،اللجنة المركزية وصلتها بالحكومة والنقابات ، الامانة العامة .. اقسامها وفروعها ، ديمقراطية التشكيل .

بمعنى انها نقاط معينة تستطيع أن تدخل فى

بحثها اشياء كثيرة ، بحيث يكون التقرير ممثلا لكل وجهات النظر .

اذا كنتم موافقون على ذلك ·· فلنبدأ في تشكيل اللجنة · ؟

(وافق السادة الاعضاء على هذا الاقتراح مع تفويضهم للسيد السكرتير الاول أمر تشكيل هذه اللجنة) ·

سيكون تشكيل اللجنة ممن يكون عندهم وقت ·· وبهذا فانه سيكون لدينا في الجلسة القادمة صورة كاملة عن التقارير ، ثم اننا سنقوم بعرض هذه التقارير على المؤتمر الموسع الذي سيضم أمناء المحافظات وأمناء المراكز وكذلك على اللجان الفرعية ، ثم اقدم لكم بعد ذلك ملاحظات هذه اللجان لاقرارها بصورتها النهائية ·

وما يهمني ذكره قبل اختتام هذه الجلسة انني كنت سعيدا في الواقع أن اللجان الفرعية في جميع مناقشاتها لم تخرج عن النقاش الاول الذي جرى في لجنة العمل الاولى ، وقد وردت نفس التساؤلات ونفس الموضوع وكرر ، وهذا يجعلنا نبدأ خطنا بوضوح ·

الصورة التي نريد ان ننتهي بها في التقرير هو أن يكون لدينا تقريرين :

تقرير مطول ، وآخر عن الكلام الذي سنقوله للجماهير ، وهذا في غاية الاهمية لانى لا أعدو الحقيقة اذا قلت أن الجماهير تريد أن تفهم شيئا معينا عن الاتحاد الاشتراكي ، ولابد أن نعطيها هذا الشيء ، والا كان لموقفنا رد فعل غير مرض، بالرغم من الجهود التي بذلناها في الفترة الماضية ·

انى أقرأ حاليا كتابا سياسيا يقول ان عنوان السياسة السليمة هي الصدق والتطبيق والثقة تحت هذا العنوان الذي هو الصدق والتطبيق والثقة نريد أن نخرج بورقة ، ولو كانت هذه الورقة ملخصة وتضرب على الوتر الحساس في تفكير الجماهير فانى أعتقد انها سوف تكون ملائمة اكثر من التقرير الكلي ·

ان تصوري أن الرجل العادي ينتظر الآن ماذا سيفعل له الاتحاد الاشتراكي وسوف لا يهتم كثيرا بأننا وضعنا السلطة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية،وربما كانت النقطة التي اثيرت عن ربط النقابات المهنية باللجنة المركزية لها تأثير اكبر في طريقة تفكير الجماهير .

الاخ خالد محيي الدين في استعراضه أثار نقطتين أو ثلاث نقط يمكن أن تشد الجماهير الى الاتحاد الاشتراكي ، وايضا الاسلوب الذي قدمه الاخ حامد محمود ربما يشد ايضا الجماهير .

والواقع اننا نعاني من فترة عن كيفية جذب الجماهير بشيء من الثقة نحو العمل في الاتحاد الاشتراكي ، ولكثير من الناس ملاحظات على الاتحاد الاشتراكي كعنوان ، وتريد الجماهير أن تشعر بأن هناك تغييرا في هذا الكيان ·

وعلى سبيل المثال لقد تعرض الاخ مسعد التمامي في تقريره الواسع لموضوعات Grave كما انه أخذ بعض الامور Drastic ولا اوافقه على نقط كثيرة مما ورد في تقريره ، ولو انى في الواقع كنت مسرورا لانه اتخذ هذا الطريق لكي يبين فكرا معينا وهو أن الاتحاد الاشتراكي هو كل شيء في البلد ويجب على الجهاز التنفيذي أن يقوم بعمل معين وعلى الوزير أن يقوم بعمل معين ، وذهب الى اكثر من هذا فجعل الوزير مسئولا أمام اللجنة المركزية ·

● **مسعد التمامي**

على مراحل ·

● **السكرتير الاول**

الواقع انى لا انتقد تقريرك بل على العكس فانى مسرور جدا – وهذه وجهة نظر ·

وأيضا هناك نقطة في تقرير الاخ لطفي لا أوافق عليها ايضا ، ولكن في الواقع مسرور لانها تعطي وجهة نظر ولو أنك قدمتها Drastic ، هذا هو ما نريده بحيث نبحث الموضوع ·

هذه هي الصورة التي أمامنا حاليا وبها ثلاث نقاط ، وانى أطلب من الاخ الدكتور محمد دكروري والاخ محمد عثمان وقد رجوتهما في هذا الموضوع مرتين من قبل أن يعملا دراسة عن الوحدة الاساسية والتصور الذي ذكره الدكتور دكروري وما يأخذه على المجلس القروي تصور جديد ويهمني جدا حتى يمكن ان ننسق بينه وبين ما قاله الاخ شومان ، لان الوحدة الاساسية تمثل النشاط الحقيقي للاتحاد الاشتراكي ·

في نهاية الاجتماع أشكركم جميعا وسوف نخطركم بموعد الاجتماع القادم ·· وشكرا ·

« وانتهى الاجتماع حيث كانت الساعة الثالثة مساء » ·

اجتماع اللجنة الفرعية للدعوة والفكر

١٩٧٢/٣/٢٩

عقدت اللجنة الفرعية للدعوة والفكر اجتماعا فى الساعة ٤٥ر١١ من ظهر يوم الاربعاء الموافق ٢٩ - ٣ - ١٩٧٢ وذلك برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية ..

واعتذر عن الحضور كل من :

- احمد فراج
- د . رفعت المحجوب
- د . سليمان الطماوى
- د . طعيمة الجرف
- محمد عودة
- د . يوسف شوقى
- د . عائشة عبد الرحمن .

وتخلف عن حضور الاجتماع كل من :

- د . بدوى عبد اللطيف
- كرم مطاوع
- محمد توفيق عويضة

وقد حضر الاجتماع من السادة اعضاء لجنة العمل كل من :

- خالد محيى الدين
- عبد اللطيف بلطية
- ابراهيم نجيب
- عبد الحليم الجندى

وحضر الاجتماع من السادة اعضاء الامانة العامة كل من :

- د . جابر جاد عبد الرحمن
- م . ابراهيم شكرى
- محمد مهدى شومان
- السيدة/ كريمة السعيد

وحضر الإجتماع من السادة أعضاء مجلس الشعب بامانة الدعوة والفكر كل من :

- د . اهاب اسماعيل
- د . زكريا البرى
- د . محمد الخفيف
- محمد زيدان
- سعد زغلول .

كما حضر الاجتماع من السادة أعضاء اللجنة المركزية كل من :

- يوسف مكادى
- سعد هجرس
- د . زينب السبكى

وقد حضر الاجتماع من السادة اعضاء اللجان الفرعية الاخرى كل من :

- الفريق عبد الرحمن آمين
- د . محمد كامل ليلة

وكان الاجتماع كما يلى :

● **السكرتير الاول**

بسم الله الرحمن الرحيم ...

أبدأ كلمتى بالترحيب بكم فى الاتحاد الاشتراكى ، وفى الحقيقة ان لجنة الدعوة والفكر تعتبر من أهم اللجان التى ستساعدنا فى وضع أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى من ناحية ، ومن ناحية أخرى تساعدنا فى نقطة اساسية وهى رسم الخط الذى انتهى اليه قرار المؤتمر القومى فيما يختص بالتطور الاشتراكى الذى تم فى مصر ، وارجو أن أعرف رأيكم أولا فيما اذا كنتم ترغبون فى السماح للسادة الصحفيين بحضور هذا الاجتماع من عدمه .

[موافقة على حضور الصحفيين الاجتماع)

فى نقاشنا - كما هو وارد فى قرار المؤتمر القومى . من المفروض أن نضع دليلا لتنظيم العمل السياسى ، وهذه ناحية اجرائية تنظيمية يجرى فيها تحديد مهمة الامين على مستوى المحافظة والامين على مستوى الوحدة الاساسية ، وهى مهمة يمكن أن تتولاها أجهزة التنظيم عندنا ، ولكن قرار المؤتمر القومى تضمن أيضا اشارة الى ضرورة وضع بيان عن الخط الايديولوجى والمنجزات الاشتراكية التى تمت فى الفترة الماضية ، وما نعنيه بالنظم الاشتراكية .ورغم أن هذا الكلام بديهى ومعروف ، ولكن للاسف ، ففى الزيارات الاخيرة كلها ، وفى مقابلاتى مع زعماء الاحزاب الاشتراكية الذين زارونا من الخارج ، كان سؤالهم التقليدى لنا : ما هو الخط الاشتراكى الذى تسيرون عليه ؟ نرجو ايضاحه لنا ، وما هى الايديولوجية التى تتبعونها ؟ فنحن لا نعرفها .

ولهذا فان أول النقاط التى ستناقش فى هذه اللجنة ستكون عن الطريقة التى توصلنا الى تفسير وتوضيح خطنا الايديولوجى التى تسير فيه الاشتراكية فى مصر ، على أن يوضح بها جزء من المنجزات الاشتراكية لاننا نلاحظ أن النشء الجديد الذى نشأ وترعرع مع الثورة بدأ ينسى الخطوات التى اتخذت . لانهم نشأوا فوجدوا أن العمال ممثلون فى مجالس ادارة الشركات ولهم نصيب فى أرباح الشركات ، وان هناك قوانين مختلفة للاصلاح الزراعى ، والتى صدرت فى أوقات مختلفة تحدد علاقة المالك بالمستأجر وتحدد أجر العامل الزراعى ، وأن هناك نظام للتأمين صدر فى هذا البلد كل هذا من الامور التى نود أن نتناقش فيها حتى نصل الى الصورة النهائية المرجوة .

النقطة الثانية ، ما هى صلة الدعوة والفكر باللجنة السياسية ؟ وهذا سؤال أسأله لنفسى بصفة مستمرة ، وعلى يجب أن يكون للدعوة والفكر الخط الاول ،ثم تكون وظيفة اللجنة السياسية هى ملاحقة الاحداث سواء بالتحليل أو بالاخبار حتى تكون لدى قيادات الاتحاد الاشتراكى صورة متكاملة للاحداث ، أم أن تكون الدعوة والفكر مرتبطة بالاحداث السياسية بحيث تؤثر فى طريقة التفكير نفسها وبطريقة بث الدعوة والفكر . هذه نقطة أيضا تطرح للنقاش .

وهناك نقطة ثالثة أهم من هاتين النقطتين اللتين تعتبران من صميم عمل اللجنة لانها من صميم عمل اللجنة أيضا وهى : ان تعطونا رأيكم فى ورقة العمل التى وزعت عليكم والخاصة بأسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى .

وعندما نقول تغيير أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى لا نقصد بذلك العدول بأى صورة من الصور عن المكاسب الاشتراكية التى تحققت حتى الان بالعكس ،فمن المفروض أن تدعم هذه المكاسب، ولكننا نردد أن ندعمها ليس بالكلام فقط ولكن يجب أن ندعمها أيضا من الناحية العملية .

ولنأخذ يوغسلافيا مثلا ففى فترة من الفترات اعادت النظر فى استقلال المؤسسات وطريقة مباشرتها لمهمتها والمؤسسات الخاسرة والمؤسسات الرابحة وما هو مقياس الربح وما هو مقياس الخسارة وما هو المقياس الذى يوضع للمؤسسات بالنسبة للتصدير الى الخارج .

فى تصورى أنه من النقط الاساسية التى يجب أن تطرح للجنة السياسية وكذلك للجنة الدعوة والفكر لتدعيم الاشتراكية ، وعندما نقول ندعيم الاشتراكية نعنى انه يجب تدعيم أسلوب العمل فى المؤسسات التى انشأتها الدولة حتى يمكن أن تتغلب على البيروقراطية الموجودة بها ، وحتى يمكن أن تقوم هذه المؤسسات بدورها الفعال ، بحيث لا يكون مقياسها فقط هو الربح والخسارة بل يعتبر هذا من المقاييس التى يقاس بها العمل داخل المؤسسات . هذا الكلام ليس جديدا لانه فى فترة من الفترات جمع الرئيس جمال جميع المؤسسات وتناقشوا فى هذا الموضوع باتساع ، ولكن ما زلنا نشعر بأن كثيرا من المؤسسات لا تدار بالطريقة التى تؤدى الى نتائج ايجابية ، وانما نجد أن البيروقراطية ما زالت تتفشى ، وانه بالرغم من الشعارات التى رفعناها ضد البيروقراطية لم يتحقق منها شىء .

واعود فاكرر ان النقطة الثالثة هامة بالنسبة

لهذه اللجنة ، وانا أريد ان استطلع رايها بالنسبة للملخص ورقة العمل الذى وزع عليها هذا الملخص قد نوقش بتوسع فى اللجنة السياسية ولكن لابد أيضا للاسباب التى ذكرتها فى بداية حديثى ان يناقش فى لجنة الدعوة والفكر ٠

فى ختام كلمتى ملاحظة بسيطة أريد ان أقولها اننا نحس انه ضمن سلبيات الاتحاد الاشتراكى الكبيرة ــ انه بالرغم من المجهود الذى قامت به أمانه الدعوة والفكر ، والمجهود الذى حاول القيام به الدكتور جابر جاد عبد الرحمن الا اننا نجد ان هذا المجهود مازال منفصلا عن الجماهير ، اما منفصــلا لتأخير وصــول الاخبار السياسية الى الناس وتكون الناس قد جمعت فكرة معينة عن راى معين من أجهزة الاعلام أو من الصحف وبالتالى عندما تتحرك الدعوة والفكر واللجنة السياسية ــ واقولها ايضا ولا استطيع ان اضع حدا فاصلا بين اللجنتين ــ تصل الاخبار متأخرة ويكون الاتحاد الاشتراكى كجهاز سياسى لم يقم بمهمته فى الوقت المناسب هذه ناحية ، ومن ناحية أخرى تاتى لجنة الدعوة والفكر دائما وتاخذ موضوعا واحدا تحس به هى ، أو موضوعين تشعر بهما وتركز على ذلك ، بينما الموضوعات متجددة فى اذهان الناس ولا تقتصر على موضوع واحد ٠ فاحيانا تاتى وتركز على موضوع تركيزا كبيرا ، بينما تكون هناك موضوعات جديدة تهم الناس ومع ذلك نجد ان الاتحاد الاشتراكى لا يهتم بها ، والمثل على ذلك ــ بالامس شاهدت اوراقا صادرة من أمين دعوة وفكر فى احدى لجان الاتحاد الاشتراكى عن الصداقة المصرية السوفيتية ورغم ان الورقــة مكتوبة بطريقة جيدة الا انى استطيع القول أنها تقليدية بحتة لا تضيف للقارىء شيئا جديدا ، فكلنا يعلم أهمية الصداقة المصــرية السوفيتية فى هذه المرحلة ، وكلنا يعلم مقاومة الامبريالية لها فى هذه المرحلة ، وحينما تقرأ الورقة فانك لا تستفيد منها شيئا ولا تقنع القارىء ، ولم تأت بأى نقطة جديدة فى حين ان القارىء فى هذه اللحظة كان يفكر مثلا ، فى نتيجة زيارة وفد العراق لمصر وعن النتائج التى ترتبت على هذه الزيارة فالاذهان تفكر كيف ان دولة مثل دولة العراق كان لنا منها موقف معين ، وكان لها منا موقف معين ، ثم جاء وفد من العراق زار سوريا وزار القاهرة ثم سكت الاتحــاد الاشتراكى عن هذا تماما وتخرج منه ورقة عن الصداقة المصرية السوفيتية ، هذه الصداقة تكون ضمن خط عام ، وتكتب الورقة اذا كان هناك جديد تستطيع ان تقوله فى هذا ولا أقصد من هذا أننا ضد هذه الصداقة انما أود ان أكون موضوعيا فى هذا ٠

اذن لابد من تغيير اسلوبنا لانه من الخطأ ان لا يستطيع الاتحاد الاشتراكى ان يلاحق الاحداث ملاحقة كاملة ، والعذر فى هذا لنا فى الاتحاد الاشتراكى قد يرجع الى عدم استكمال الاداة التى تعمل بها ، وهذا صحيح أو أننا مازلنا نهاب التعليق على هذه الموضوعات كتنظيم سياسى بما نتصور ٠

كل هذه الموضوعات معروضة للنقاش ومنها ايضا الموضوع الاخير ، حينما نقــول أننا نتبنى سياسة الانفتاح على الجماهير ، وحينما نقول ان الجماهير يجب ان تبدى رأيها ، وان الاتحاد الاشتراكى يجب ان يمثل هذا الرأى لانه يمثل الجماهير ــ فيجب ان يقابل هذا الانفتاح ايضا انفتاح خارجى ضخم على جميع الاحــزاب الخارجية ٠

هذا الانفتاح كان موجودا مــع البـلاد الاشتراكية ، انما ملاحظتى عليه هى انه عندما التقيت ببعض القراء من الدول الاشتراكية علمت ان جميع الزيارات التى كانت تحدث ماهى الا للمجاملات ــ فهى زيارات مجاملة ونحن نود ان نغير أيضا من هذا الاسلوب ٠

والامر مطروح للنقاش ٠٠ فلا نريد عنــدما تسافر الوفود لمقابلة احزاب فى الخارج ان تكون زياراتها للمجاملات ، وانما نود ان تكون زيارات مبنية على حقيقة معينة لنقاش معين ٠٠ ماذا تقول الدول واحزابها ، وماذا نقول نحن ؟ وماذا يكون خطنا وماذا يكون خطهم ؟ وماذا استفدنا منهم اقتصاديا وسياسيا ، وماذا استفادوا منا اقتصاديا وسياسيا ٠

ففى الواقع اننا نستطيع بهذه الزيارات ان نحقق أكبر قدر من الروابط التى تتم بين الحكومات لان الحكومات يكون لها موقف معين ، فالوزير حينما يسافر يكون له عمل محدد بتكليف معين لا يستطيع ان يخرج عنه حتى فى النقاش ــ وهذا أمــر طبيعى ــ ومن الطبيعى ايضا انه اذا كنا نقول بسياسة الانفتاح مع الجماهير فيجب ان تكون هناك سياسة انفتاح خارجى وخاصة مع البلاد الاشتراكية بحيث تناقش الموضوعات الهــامة بوضوح ٠٠ ما الذى كسبناه ؟ وما الذى كسبوه ؟ وبالتالى سيرسخ فى ذهن رجل الشارع الفائدة التى تعود على الصداقة بمعناها العام وتتضح اهميتها للرأى العام ٠

وعلى ذلك ، ففى النية ايضا عقب عملية اعادة النظر فى الاسلوب هذا ، ان تسافر وفود من الاتحاد الاشتراكى وسيكون اساسها لجنة الدعوة

والفكر واللجنة السياسية لتجوب البلاد الاوربية وخاصة البلاد الاشتراكية وسوف يكون لها نظائر من الناحية الاخرى بحيث تناقش كل الموضوعات سواء كانت ايديولوجية أو اقتصادية ٠

نخلص من كل هذا فى أن أمامنا ثلاث أو أربع نقاط للنقاش :

أولا : ورقة العمل الموزعة عليكم ورأيكم فيها ٠

ثانيا : ماهى مهمة أوتصوركم لمهمةلجنة الدعوة والفكر ٠

ثالثا: ماهى الصلةبين لجنة الدعوة والفكر والشئون السياسية وطريقة ربطها ٠٠ وهل نكتفى بضم اللجنتين الى بعضهما أم يجب ان يكون هناك أمانتان أولجنتان ،اللجنة السياسية ولجنةالدعوة والفكر ٠

هذا هو محور النقاش وأى نقطة تريدونها فى البداية نحن على استعداد لمناقشتها ٠

الرجاء الاخير ان تكون المناقشة هنا بغير حدود وبغير حواجز ، وأى رأى يقال نحن على استعداد للاستماع اليه ، ونحن لن نكون رأيا فى أى شىء بحيث ندافع عنه والنقاش مفتوح ٠

وشــكرا ٠٠٠

● الدكتور محمد انيس

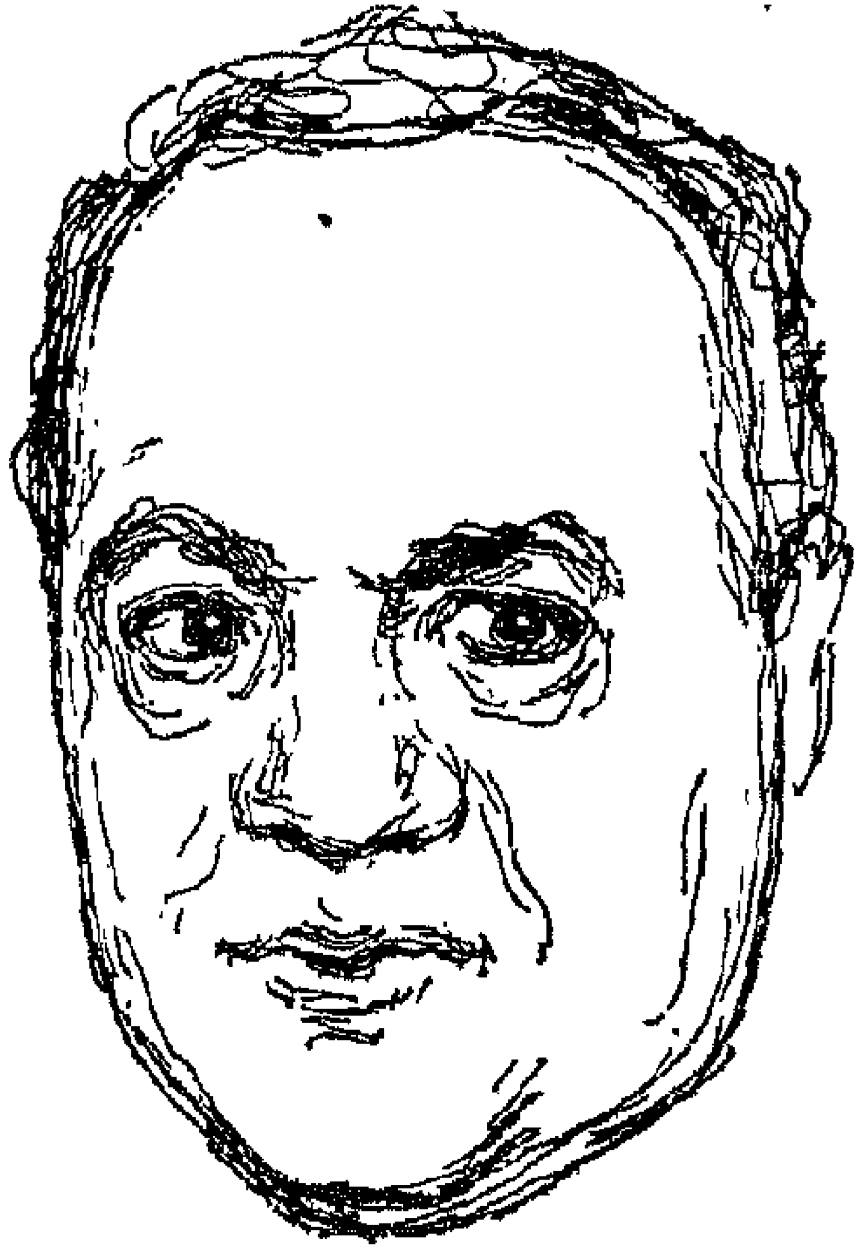
اقترح ان تدور المناقشة أولا حول ما يسمى تجاوزا بعجز امانة الدعوة والفكر عن تحقيق اهدافها بالامثلة التى ذكرتها سيادتكم ٠

اننا نريد ان نعرف من البداية ماهى العوامل التى جعلت أمانة الدعوة والفكر فى هذا الموقف، وهو عجزها عن الوصول الى الجماهير ـ ونسمع رأى الدكتور جابر عن الاسباب التى جعلتهــا متخلفة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لماذا كانت متخلفة ايضا عن تصور مهمتها ٠

كما أود أن أعرف رأى سيادتكم ورأى الدكتور جابر فيما يتعلق بمسألة المعهد الاشتراكى أو المعاهد الاشتراكية باعتبارها تابعة لامانة الدعوة والفكر ٠

وفيما يتعلق بالتنظيم أو الحزب الطليعى اذا كان هناك ثمة اتجاه او تفكير ، لماذا الرفض ولماذا الموافقة ؟

مع الشكر ٠٠٠



د. محمد انيس

● الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

فى الواقع انبثقت أمانة الدعوة والفكر والاعلام والشئون الدينية من التنظيم الذى اقيم للامانة العامة باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى صيف العام الماضى ، والقى على عاتق هذه الامانة مسئولية الدعوة والفكر والاعلام والثقافة والشئون الدينية ٠

هذه الامانة مكتبها الفنى يتكون من رؤساء الشعب الخمس مع بعض أساتذة الجامعة الذين تفضلوا مشكورين بالاشتراك فى هذا العمــل والاعداد له ورسم الهيكل ، ووضع الخطة اللازمة لهذه الامانة ، وانتهت الى تقسيم هذه الامانة الى الشعب الخمس وهى شعبة الدعوة ثم شعبة الفكر ثم شعبة الثقافة ثم شعبة الاعلام ثم شعبة الشئون الدينية واختارت لرئاسة هذه الشعب اساسا بعض الزملاء من أعضاء اللجنة المركزية وشعبة الشئون الدينية اختارت لها فضيلة الاستاذ الدكتور زكريا البرى رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق جامعة القاهرة ٠

وتنطلق عادة انشطة الامانة من شعبة الفكر اساسا ويرأسها زميلنا الدكتور محمد الخفيف وهو عضو اللجنة المركزية ٠

وشعبة الفكر تهتم اساسا بالتثقيف على ضوء نظريتنا وايديولوجيتنا ٠ اذن لابد ان تتحد هذه الايديولوجية حتى يمكن ان نعمق مفهومها لدى الطــلائع ، ولــدى الجماهير ، ولدى الموجهين السياسيين ٠

كما وان شعبة الفكر تختص بالتثقيف اساسا

على ضوء الايديولوجية المحددة وعلى ضوء الاشتراكية التى نسير عليها والديموقراطية التى نتصورها ، فهى ايضا تعنى بالتدريب والتثقيف على المستويات المختلفة .. فمنها تثقيف عام وتثقيف فى معاهد لهذا الغرض على مستوى المحافظات ، ثم فى المعهد الاشتراكى العالى الذى تحدث عنه زميلنا الدكتور محمد انيس •• وهذا المعهد كان يعمل من قبل ونجرى الان دراسة لافتتاحه من جديد بعد دراسة البرامج التى يمكن ان يعمل المعهد فى نشاطها . ثم الاساتذة الذين سيتولون التدريس ثم اختيار الدارسين الذين يتلقون التدريب والتدريس فى هذا المعهد العالى

. بجانب شعبة الفكر فانه يوجد أيضا شعبة الدعوة ويرأسها زميلنا السيد الاستاذ سعد زغلول نصار وهو عضو اللجنة المركزية ، وهذه الشعب تعنى بتكوين دعاة بالاشتراك مع شعبة الفكر والشئون الدينية ، ثم أيضا تعمل على الدعوة لفكرنا وتنظيم الندوات واللقاءات واصدار النشرات غير الدورية والعمل على اخراج مجلة الاشتراكى التى كان يصدرها التنظيم فى العهد الماضى •

وهناك شعبة ثالثة وهى شعبة الاعلام ويرأسها زميل لنا أيضا من اللجنة المركزية الاستاذ محمد ابراهيم زيدان وتعنى هذه الشعبة بمتابعة وسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وتليفزيون وصحافة ووكالات الانباء •• الخ ، حتى ترى ما اذا كان الخط السياسى الذى يتبعه التنظيم مطبقا من عدمه ، ومدى التزام هذه الوسائل الاعلامية لهذا الخط السياسى •

بجانب هذا توجد شعبة الثقافة وهى تضم الادباء والفنانين وتعنى بدراسة العلوم الاجتماعية والعلوم البحتة • لترى ما اذا كان فى الامكان الاستعانة بالادب والفن والعلوم فى تكوين خطنا السياسى وفى تجنيدهم من أجل المعركة ولخدمة المجموع على ضوء المفاهيم التى يؤمن بها هذا المجتمع •

يلى ذلك شعبة الشئون الدينية التى يرأسها الاستاذ الدكتور زكريا البرى ، وهذه الشعبة تعنى بدراسة الدين وتنقيته مما قد يعلق به من شوائب • والعمل على تكوين الدعاة الدينيين بالاشتراك مع شعبة الفكر ومع شعبة الدعوة ، ونشر المفاهيم والقيم الدينية ، اذ لا يخفى ان اشتراكيتنا وتنظيمنا الاقتصادى والسياسى يقوم على أساس التمسك بالقيم الروحية والقيم الدينية •

أما بالنسبة للمعاهد فهى حتى الان لم تنشط فى عملها وفى نظرى ارى أنه يجب بحث هذا الموضوع والعودة الى التثقيف ، وان يكون ذلك على ضوء تحديد مفهومنا • وايديولوجيتنا التى يجب أن تعتنقها الجماهير ، كما يجب على امانة الدعوة والفكر أن تعمقها فى نفوس الجماهير بمعنى أن هذه المعاهد لا تنطلق من فراغ ، انما تنطلق بعد تحديد هذه الايديولوجية وتحديد معالمها ، لان مهمة الامانة تبدأ بعد هذا التحديد ، وكل انطلاق لنشاط الامانة انما يتوقف على هذا التحديد بالذات •

لقد آثار السيد السكرتير الاول مسألة عدم ملاحقة الاتحاد الاشتراكى للاحداث ، واريد أن اقول أن امانة الشئون السياسية هى المسئولة بالدرجة الاولى عن المسائل والاحداث السياسية سواء فى الداخل او فى الخارج ، وان مهمة أمانة الدعوة والفكر والاعلام هى الاعلان عن أنشطة هذه الامانة والامانات الاخرى مثل أمانة العمل الوطنى وامانة المهنيين والعمال والفلاحين ، فهى تخدم كل هذه الامانات وتعلن عن نشاطها وتساهم معها فيما تقوم به من أنشطة تتعلق بالدعوة والفكر ، فاذا كانت أمانة الفلاحين تجرى دورة تدريبية للفلاحين فيما يتعلق بالشئون السياسية والتعاون . . . والاشتراكية الخ . . فينبغى أن تسهم شعبة الفكر فى أمانة الدعوة والفكر فى عمل هذه الخطط التدريبية •• ونفس الشئ بالنسبة للامانات الاخرى لتحقيق الاهداف التى يقوم بها التنظيم ككل ، ونقوم فى النهايه بمتابعه تنفيذ خطنا السياسى الذى ترسمه القيادة السياسية •

وشكرا •

● أبو سيف يوسف

اننى إقترح ان نبدأ مناقشة ورقة العمل حيث انها هى التى ستحدد الخط الذى ستسير عليه لجنة الدعوة والفكر •

● السكرتير الاول

الحقيقة اننا دائما نعتبر الجلسة الاولى كجلسة استعراضية ، وقد حدث ذلك بالفعل فى لجنة الشئون السياسية ، ولذلك فاننا نجد موضوعات كثيرة تتداخل ، ونحن نستفيد منها •

ورقة العمل معرضة عليكم وسوف نتكلم فيها ، والامر مفوض للجنة ، فاذا أردتم أن نناقش ورقة العمل فقط كموضوع ، فهذا ممكن •• ولكننى أرى اننا عندما نستعرض استعراضا عاما موقف

الاتحاد الاشتراكى ثم نتطرق الى العمل يصبح الموضوع اوسع ·· اما اذا شئتم ان نناقش ورقة العمل فقط ، فليس لدينا مانعا فى هذا ·

لقد اتجهت اللجنة السياسية فى اجتماعها السابق الى مناقشة موضوعات عامة كبيرة جدا - رغم اننى كنت أرى مناقشة ورقة العمل فقط - وانتهت فى آخر الجلسة الى ان تناقش ورقة العمل بندا بندا فى الجلسة القادمة ·

والان بعد بيان الدكتور جابر اتضح لنا طريقة تكوين امانة الدعوة والفكر ،وهذا التكوين قد يكون محل نقاش وهذا أيضا ضمن ورقة العمل ،لان الفكرة فى تكوين اللجان الفرعية اننا نستنير بكل لجنة فى مجالها الخاص ثم نجمع جميع الاراء التى تقدم للجنة ، بحيث انها فى النهاية يمكن ان تعدل فى ورقة العمل او تجيب على بعض التساؤلات الموجودة فيها والامر مفوض لكم ·

فاذا اردتم ان نبدأ بورقة العمل فليس لدى مانع ··

● صلاح طاهر

ما مدى فاعلية مقترحات اللجان الفرعية ؟

انها غالبا تقدم توصيات ومقترحات تتجمع بعد أن تكون قد فحصت الامر من زواياه المختلفة ، ونريد أن يظهر الى الوجود ويكون له نتائج ، ونريد أن نعرف الى أى مدى وصلت هذه اللجان وما مدى ما حققته من نتائج ؟

● السكرتير الاول

ان الطريقة التى شكلت بها اللجان توضح الاجابة على هذا السؤال ·· فحينما تم تشكيل اللجنة الاولى وهى لجنة العمل المكونة من عشرين عضوا قلنا أن هذه اللجنة لابد وأن تكون مشدودة بلجان اخرى فرعية حتى يكون تفكيرها منبثقا من أكبر قاعدة جماهيرية وأن أى قرارات تصدر من اللجان الفرعية ترفع الى لجنة العمل ، وستؤثر قطعا فى الورقة النهائية التى ستكتبها لجنة العمل ، بمعنى انه لو استقر رأى مثلا فى لجنة الدعوة والفكر - وهذه تعطى ميزة أننا نناقش فى الموضوع وليس فى ورقة العمل - لابد وأن يكون له تأثير فى القرارات النهائية الصادرة من لجنة العشرين ، بمعنى أن اللجان الفرعية ليست استشارية فقط وانما هى تؤثر فى ورقة العمل فى النهاية ·· بعد هذا المفروض أنه عندما تعد ورقة



أبو سيف يوسف

العمل فى صيغتها النهائية سوف يعقد اجتماع لجميع اللجان التسعة المتفرعة من لجنة العمل مع لجنة العمل نفسها ، ثم تعرض الورقة عليهم لابداء أى ملاحظات عليها لم يسبق ادراجها ، ثم تعرض بعد ذلك على اللجنة المركزية التى تعتبر السلطة العليا للاعتماد ·

● الدكتور محمد الخفيف

فى الواقع اذا سمحتم سيادتكم اننى أريد أن اتكلم فى لجنة الدعوة والفكر ، ولكننى لا أستطيع الكلام الا اذا تطرقت الى البناء الذى نجلس فيه الان والذى يسمى بالاتحاد الاشتراكى بوصفها لجنة من لجان الاتحاد الاشتراكى ، والا فسوف ندخل فى متاهات وتساؤلات عما قامت به لجنة الفكر والدعوة ، وعن التصور أيضا ·· الخ ·· يهيأ لى أنه من الطبيعى جدا عندما نتكلم عن مهام لجنة أو تصورنا لمهام لجنة ان نتصور أولا البناء الكلى الذى يشمل هذه اللجنة ، وهنا سأضطر لو سمحتم لى أن أعود الى ورقة العمل التى قرأتها فى الصحف ·

ان ورقة العمل فيها نقطة هامة وهى نقطة السلبيات ، واننى فى الحقيقة موافق على جميع السلبيات موافقة تامة مع اختلافى فى المسمى - اذا جاز التعبير لغويا - فاننى أسميها **طبيعيات** وليست سلبيات ، بمعنى أنها خصائص طبيعية بحكم طبيعة الاتحاد الاشتراكى من وجهة نظرى ، ويخيل لى أن البعض منا فى أحيان كثيرة عند تناول الاتحاد الاشتراكى سواء بالتحليل أو التقييم ·· فتناوله كحزب ، رغم اتفاق الجميع على

أنه ليس حزبا ٠٠ طبعا ٠٠ اتفاق الجميع على أنه ليس حزبا ٠٠ أيضا له أصول مختلفة ٠٠ البعض يفزع من كلمة حزب ، ويقول الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا ٠٠ البعض ينظر هذا ويقول أنه تحالف بين قوى ، والاصرح من هذا البعض يقول انه تحالف بين طبقات ، واننى فى الحقيقة فى مفهومى الخاص ومن تجربتى فى الاتحاد الاشتراكى منذ انشائه — ودليلى على هذا أنه منذ انشائه وتوجد هذه الطبيعيات فيه لمدة عشر سنوات — وبالرغم من كل ما بذل من جهود من تغيير وانتخاب وتعيين والدمج بين الانتخاب والتعيين ٠٠٠ الخ أقول أنه **ليس حزبا ولا اتحادا ولا تحالفا ، وانما هو مجرد منتدى سياسى (Political Plat Form) اذا صح التعبير باللغة العربية ، يتجمع فوقه أو فيه أفراد وليست طبقات وليست قوى ، لانه لو كان تحالفا فان معنى التحالف أنه يوجد بين تنظيمات سياسية تمثل كل منها طبقة معينة ، وهــذا ليس قائما فى الاتحاد الاشتراكى ، فهو ليس تحالف وليس جبهة ٠٠ انما فى رأيى مجرد تجمع أفراد ،**

وفى الحقيقة أن السيد السكرتير الاول قد صرح فى أكثر من مرة بأنه يجب أن تكون هناك قاعة مفتوحة فى الاتحاد الاشتراكى شبيهة (بالهايدبارك) يدخل فيها من يشاء ليعبر عما يشاء ، وكنت فى الحقيقة سعيدا لهذا ٠ لان هذا هو فعلا الشكل الطبيعى للاتحاد الاشتراكى القائد ، أما اذا كنا نرغب فى التغيير فان هذه مسألة يمكن أن نناقشها ٠٠ فاذا كان هو تجمع أفراد ، فاننى فى الحقيقة يحضرنى هنا وصف للرئيس عبد الناصر قاله على هيئة التحرير ، وهو ينطبق أيضا على الاتحــاد الاشتراكى فى رأيى ٠٠ لقد قال « انها اقتراب غير منظم لمجموعة من الامانى من غير منهاج تفصيلى واضح ، تلتقى عنده حشود الجماهير على أساس فكرى محدد ، لتصبح أو تسير ارادة شعبية عميقة ومؤثرة » ٠٠٠ هذا الوصف ينطبق أيضا فى رأيى على الاتحاد الاشتراكى ، وبمقتضى هذا الامـــر كذلك ، يصبح غير وارد على الاطلاق كثير من النقاط التى تثار فى الاجتماعات مثل المركزية الديموقراطية مثلا أو مثل الالتزام التنظيمى ٠٠ أو **مثل الوحدة الايديولوجية ، وأنا لا أتصور وحدة ايديولوجية أو حدا أدنى منها ، حتى من تجمـــع أفراد ٠٠ طبعا الافراد كل منهم يأتى وله انتماؤه الفكرى او أصله الايديولوجى ، أما تصور حدوث وحدة أيديولوجية حتى فى مثل هذا التجمع فانه يعتبر أمرا غريبا فى رأيى بعض الشىء ، وبعيدا عن التصور ، لا يرد أيضا حتى اقامة منظمة أو تنظيم سياسى للشباب ، لانه لا يمكن أن يوجد تنظيم سياسى للشباب أو منظمة سياسية لتجمع من الافراد ، بل حتى لا يمكن ان نقيمها لتحالف من التنظيمات ٠٠ المنظمة هى تنظيم سياسى شبابى**



صــلاح طاهر

لحزب محدد شئنا أو لم نشأ ، اما أن يكون تحالف أو جبهة أو تجمع وتكون منظمة ، فهذا يعتبر أمرا غريبا جدا ، وهو يصبح أيضا أمرا غير وارد فى مسالة أعداد الكادر ٠٠ كيف يكون هذا ؟ أتكون كادرا من تجمع أفراد ؟ اعد كادر تحالف ؟ وافتح معاهد لمن ؟ عندما جربنا المعاهد ما المقياس الذى كانت تقاس به ؟

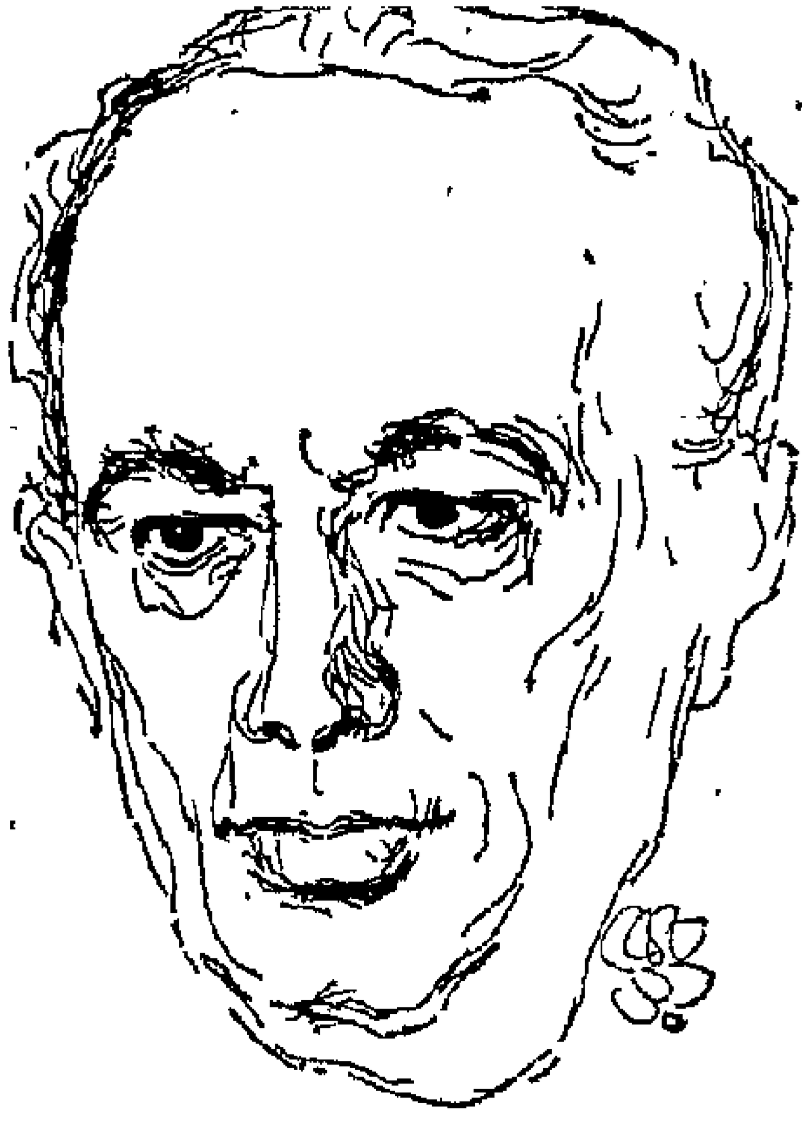
ان كل انسان من ذوى النفوذ كان يرسل الى وانا كنت أستاذا فى المعهد — يرسل « شلته » يختار بعض العناصر ويأتى الى ويقول صراحة فى المعهد هؤلاء رجالى ٠٠ ما أخبارهم ؟ ومـــاذا يعملون ؟ وكان الامر بمثابة اعداد افراد لخدمة أفراد آخرين ، وطبعا كانت لعبة مزدوجة وذات حدين لان أيضا من مشكلة الفكر أنه سلاح خطير لا يدخل (العقول)الا وبعضها لابد يتأثر به ، فطبعا من وجهة نظر من كانوا يشرفون على المعهد من وراء ستار ٠ فالمعهد الى حد ما قد خيب آمالهم وخرج أفرادا ليسوا منتمين الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وكانت هذه هى المشكلة التى واجهتهم ، لكن فى الاصل ، كان تكوين المعهد فى رأيى خطأ فلمن أعد الكوادر ؟ ، حتى الجهاز السياسى ، أو الجهاز الخاص الذى كون على أساس أنه تجمع افراد ذوى صلة قرابة أو نسب مثلا أو مصلحة معينة فى أن يسيطروا على الحكم وبالتالى أصبح المعهد لا يخدم هذا ٠

أما اذا قلنا بعد ذلك أن لجنة الدعوة والفكر لم تقم بدورها ، وأسمع ويتردد فى الاونة الاخيرة أن اشتراكيتنا وديمقراطيتنا وأشياء أخرى تنســب الينا ، لست أفهم معنى نسبة هذه الامور الينا ، ثم أسمع مرة أخرى نغمة الاشتراكية العربية وأشياء تعود للظهور مرة أخرى ، أنا أقول أن هذا أمر

طبيعي جدا لان هذه المسائل فعلا .. خلال العشر سنوات ، لم تحسم ، واذا كانت حسمت فلم تحسم الا بقرارات ادارية ، ولم تحسم بطبيعة تكوين الاتحاد الاشتراكي ، أنا شخصيا لا أتصور أن هناك اتحاد اشتراكي ومثلا يكون من قواه التي تبني الاشتراكية، ونقولها بصراحة ولو مرة في العمر ـ الرأسمالية الوطنية .. لماذا ؟ وليس هذا حقدا على الرأسمالية الوطنية وليس أيضا رفضا لدورها ، ولكن لكي تصبح الرأسمالية الوطنية نظريا ، يمكن أن تساعد في بناء الاشتراكية ، لكن لكي يصبح هذا الموقف النظري موقفا عمليا لابد فعلا من انتشار الافكار الاشتراكية خلال الطبقة العاملة والفلاحين في الريف ومن خلال تنظيم من خلال حزب ، ما الذي يكسب الرأسمالية الوطنية لبناء الاشتراكية ، لست متصورا هذا اطلاقا بمحبة أو تحالف ، وانها غير مستقلة .. الخ .

ومن الناحية النظرية فيمكن أن نكسب الرأسمالية الوطنية أو بعض قطاعاتها الى البناء الاشتراكي ،لكن هذه النظرية لكي تتحول الى عمل لابد من جهاز لقيادة هذا العمل ، وهذا الجهاز لا يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكي ، لا يمكن أن يكون تجمعا أو تحالفا أو اتحاد قوى الشعب بل لابد من جهاز آخر .. ويجب أن نفكر اذا كنا نريد اتحادا أو تحالف قوى فلابد من التفكير في أنه لكل قوة أو فلنسمها صراحة لكل طبقة ، تنظيمها السياسي المستقل .. فاذا كنا نخاف أو نخشى من كلمة حزب فيجب أن نفكر في تنظيم سياسي آخر .. لا أعرف .. قد يكون تنظيما سياسيا مستقلا داخل الاتحاد الاشتراكي . ومن هنا يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكي تحالف حقيقي بين تنظيمات مستقلة ـ وإلا نظل نتكلم ـ وكل قوة وكل طبقة لها حرية التعبير عن رأيها ، كما ورد في برنامج العمل الوطني ؛ ولكل فرد ولكل قوة من قوى التحالف أن تعبر عن رأيها .. كيف يمكن أن يتم هذا ؟ فكلمة المنبر المستقل لكل طبقة .. كلمة لطيفة جدا ولكن كيف تتحقق ان لم يكن من خلال تنظيم سياسي لها .. لست أعرف .. خلال صحيفة ؟ فمن الذي يصدر هذه الصحيفة ؟ من يسيطر عليها ؟ أنا أقول أيضا أنه في مثل هذا الجو يصبح غير وارد أيضا مسألة اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكي لكل المناصب الانتخابية الاخرى كالنقابات ومجلس الشعب لماذا ؟ على أي أساس نشترط عضوية الاتحاد الاشتراكي ؟ على أي أساس أحكم مجموعة صغيرة من الافراد يقرروا هذه العضوية ؟ .

ومن المفارقات الغريبة التي رأيناها أن بعض أعضاء اللجنة المركزية مثلا عجزوا عن الحصول



محمد الخفيف

على شهادات عضوية في الاتحاد الاشتراكي كي لا يرشحوا أنفسهم في مجلس الشعب .

فمن من الافراد يعطى له هذه الشهادة ،من من أفراد التجمع الذي له هذه السلطة فيقرر أن هذا يدخل الانتخابات وهذا لا يدخل ويكون عضوا في النقابة وهذا غير عضو ، وعلى أي أساس يتصرف هؤلاء وفي النهاية فهم حفنة من الافراد .

وهنا تثار قضية : ما هي علاقة الاتحاد الاشتراكي بالسلطة ؟ اي علاقة لم تكن الا علاقة مجموعة من الافراد على صلة بالسلطة .. التي تريد السلطة .. مهما قلنا ومهما وجهنا الاتهام الى الاتحاد الاشتراكي خلال العشر سنوات ، انه كان يعبر عن السلطة فهو بتكوينه هذا لابد أن يكون معبرا عن السلطة وتابعا لها لانني لا أستطيع أن أفصل بين السلطة ، ومجموعة الافراد القيادية والموجودة والتي لها بحكم مناصبها واتصالها بالسلطة التنفيذية أن تقرر من العضو الصالح ومن غير الصالح ومن المنحرف وغير المنحرف ومن يدخل مجلس الشعب ومن لا يدخل ومن الذي يدخل النقابة ومن الذي لا يدخلها ومن يسافر ومن لا يسافر ، وهذه الاشياء هي التي تكون العلاقة أو الشكل التنظيمي للعلاقة بين التنظيم السياسي والسلطة ، وسيظل قائما طالما أنه تجمع أفراد ، ولكن عندما يكون فعلا تحالف طبقات ويكون لكل طبقة تنظيمها السياسي المستقل داخل الاتحاد الاشتراكي الذي يعبر بصراحة وبنضال بما في ذلك الرأسمالية الوطنية ، وفي هذا يمكن الكلام عن دور الاتحاد الاشتراكي تحالف حقيقي بين تنظيمات يصبح أيضا كلام في الخيال أن نفكر في وحدة أيديولوجية . أنا قد أتفق مع ما جاء من أن هناك

مصالح عامة تربط الطبقات ومصالح خاصة لكل طبقة ، لكن لا اتفق انه حتى حجم المصالح العامة يمكن أن يكون وحدة ايديولوجية فليس هناك ما يسمى بوحدة ايديولوجية بين طبقات من طبيعتها أن لها مصالح خاصة تتعارض بعضها مع البعض ، ان الذى سيسود من حيث الفكر ايضا فكر المجموعة ذات الوزن المتميز من الافراد داخل الاتحاد الاشتراكى شئنا أو لم نشأ .

لقد اردت أن أعرض هذا الموضوع ـ لاننى أعتقد أن أمانة الدعوة والفكر لا تنشىء خطأ سياسيا وانما تخدم خطا سياسيا ، ولكن خط سياسى من ؟ فى تناول هذه المسألة يجرنا الحديث الى مسألة أخرى ليست فى نطاقى أو ليست فى نطاق شجاعتى لانها تتصل ـ بصراحة ـ بمسألة النظام السياسى فى البلد ككل ، ما الذى نريده من النظام السياسى ؟ يمكن الرئيس السادات أخيرا أراد أن يخطو خطوات أكثر فيجمع اللجنة المركزية ويعرض عليها كل شىء ، ولكن هذا قد لا يكفى لان طبيعة تكوين الاتحاد الاشتراكى نفسه لا تساعد على هذا فتضطر القيادة السياسية العليا بحكم الواقع وبحكم النظام السياسى القائم أنها تنفرد باتخاذ القرارات فى بعض الاوقات .

اذن فمناقشة دور الاتحاد الاشتراكى فى أنه يسبق الحوادث ولا يكون تابعا للسلطة ، كيف يسبق الحوادث ومن أين يسبقها ؟

السيد السكرتير الاول لا يلوم أمانة الدعوة والفكر بالمثل الذى استشهد به .. فكيف أصدر كأمانة دعوة وفكر بيانا عن زيارة وفد العراق ونحن نسبب فى الطرق منذ أكثر من عام بنظام العراق وبعث العراق ، وفوجئت بوفد آتى لاجراء مفاوضات معنا .. كيف أتحمل كدعـــوة وفكر أن أصدر بيانا عن الوفد العراقى برأى .. أنا والله ليس عندى هذه الجرأة ، ولا أمانة الدعوة والفكر كلها عندها هذه الجرأة ، لان الاتحاد الاشتراكى ككل ليس لديه الجرأة أيضا أو لم تكن عنده القدرة ليقول هذا ، أو عنده الجرأة ، وأن مثل هذا ليس من وظيفته أو تكوينه لا يسمح له أن يقول هذا .

فالمسألة اذن ـ وأنا موافق على كلام الاخ أبو سيف ـ أنه فى كلامنا نتعرض لكل المسائل ولكن علينا أن نبدأ فعلا بالمسائل الهامة التى طرحتها ورقة العمل واننى آسف أن أكرر اننى قرأتها فى الصحف ولم أقرأها فى هذا المبنى ولم توزع علينا قبل الاجتماع . وشكرا .

● **السكرتير الاول**

ألم توزع على حضراتكم ورقة العمل حتى الان ؟ وكيف لم توزع ، مع اننى أصـــدرت تعليمـاتى بتوزيعها على كل اللجان ؟

(رد بعض الاعضاء بأنهـا وصلتهم عن طريق البريد)

لى سؤال أوجهه للدكتور الخفيف حتى يتم هذا الاستعراض القيم ، وحتى نضـع النقط فـوق الحروف .

اذا كان الاتحاد الاشتراكى فى شكله العام لا يمثل قوى الشعب العاملة كما قال الدكتور الخفيف ولا يمثل الا مجرد تجمعات أفراد ، هل يرى مثلا أن تعود الاحزاب ثم تكوين جبهة منها هى الوسيلة المثلى .

● **الدكتور محمد الخفيف**

ممكن هذا فعلا .

● **السكرتير الاول**

هذا اذن رأيك الذى ترمى اليه .

● **الدكتور محمد الخفيف**

لا .. أنا لا أرمى اليه .

● **السكرتير الاول**

أقصد استنتاجا من الاستعراض الذى ذكرته .

● **الدكتور محمد الخفيف**

اننى أقول ذلك من أجل أن يكون صيغة مقبولة وصالحة ، لانه خلال عشر سنوات ثبت فعلا انه آن الاوان لاعادة التفكير فى هذه الصيغة ، لابد من تحالف بين تنظيمات سياسية .

● **السكرتير الاول**

معنى هذا انه فى تصورك أن تحالف قوى الشعب العاملة لا يتم الا بتكوين نوع من التنظيمات أو الاحزاب المتعددة ثم تنطوى جميع هذه الاحزاب المتعددة تحت جبهة واحدة والتى تسمى الاتحاد الاشتراكى .

● **الدكتور محمد الخفيف**

بشكل عام هذا هو تصورى .

● **صلاح طاهر**

فى تصورى فيما يختص بالالوان المختلفـة للتفكير من جميع عناصر الشعب كما قال الدكتور الخفيف اقترح ـ كمجرد موضوع جانبى ـ أن

تختار مجموعة من الشعب كل ثلاث شهور ليصبوا آراءهم وأفكارهم فى مكان ما ·· فى قاعة من القاعات ·· لانه لاشك أن هناك عناصر من الشعب لها تفكير خاص ولها وزن ولها تنوع قد لا يخطر على بال الاخرين ، فلو أن كل هذه الاراء تجمعت من حين لاخر ثم فتغيير مجموعة بأخرى من الافراد كل ثلاثة أشهر أو كل ستة أشهر ، أعتقد أن هذا يجدى كثيرا وعلى الاقل تحصل على الافكار التى لا يعلمها بقية الشعب ، وقد يحل هذا مشكلة الاحزاب ·

● **السكرتير الاول**

هل هناك تعليقات أخرى ؟

هناك نقطة نود أن نوضحها أيضا استطرادا لكلام الدكتور الخفيف ·

هل الاتحاد الاشتراكى بصورته الحالية يمكن أن يلعب دورا سياسيا أم لا ؟

ان الدكتور الخفيف استنتج أن الاتحاد الاشتراكى لا يمكن أن يلعب دورا سياسيا الا اذا مثل طبقات معينة فى شكل تنظيمات وسلم بأنه قد تكون هذه التنظيمات تنظيمات حزبية ، وهذا طبعا متناقض مع النصوص القائمة · ومع ذلك فيمكن أن نجنب هذه النصوص جانبا الآن ونتناقش موضوعيا ··

فى اعتقادى – وهذا هو رأيى الخاص – ان الاتحاد الاشتراكى يمكنه أن يقوم بدور أكثر فاعلية بكثير جدا ··

نريد أن نعرف ما هى الصورة ·· الصورة فى الاتحاد الاشتراكى الممثل فيه الطبقات العاملة كلها ، من فلاحين وعمال والرأسمالية الوطنية ، وتقال كلمة تناقضات بكثرة وانه لا يمكن للاتحاد الاشتراكى أن يحل هذه التناقضات لانها تناقضات موضوعية فى كلمتى التى ألقيتها أمام المؤتمر القومى أشرت الى هذا – بمعنى انه ليس جديدا – وقلت ان النقابات بالذات وهى تمثل تجمعات جماهيرية كبيرة يكون لها نوعين من الاراء نوع عام فى السياسة العامة للدولة ونوع فيما يختص بها كطائفة أو كطبقة مثل العمال حينما يتحدثون عن بدل طبيعة العمل، أو تحسين مستوى المعيشة أو الفلاحين عندما يتحدثون عن التعاونيات وكيفية تطويرها ·· الخ ·

انني أسأل نفسي دائما ما هو التناقض الموجود بين الطبقات العاملة ؟، هل هو تناقض موضوعى،أم هو تناقض مبنى على أساس حزبى داخل هذه التكوينات الجماهيرية ، فعندما ننظر الى الناحية الموضوعية ونرى الخط الذى سار عليه الرئيس جمال عبد الناصر فى الفترة الاولى كلها سواء بالنسبة للفلاحين او العمال ، وهم يمثلون الغالبية العظمى ونرى تطبيق هذا الخط ، فقد تكون من المميزات الاساسية للفترة السابقة من سنة ١٩٥٢ حتى اليوم ، اننا نجد أن التفكير السياسى كان مقرونا باجراء عملى ، فكثير جدا من الاحزاب السياسية الخارجية ، والتى تدعى انها تمثل نظاما اشتراكية تكتفى بلافتات أو يفط ثم تسير تحت هذه اللافتات فترة طويلة دون أن تطبق شيء والمثل على ذلك فى قوانين الاصلاح الزراعى المختلفة التى اتبعت فى بعض البلاد ولم تطبق أو اتبعت للانتقام من شخص معين ولم تتبع كقانون كامل منفذ كما حدث فى مصر ، أو كتمثيل العمال فى مجالس الادارة – أو حرية النقابات المهنية ، وان الثغرة التى كانت موجودة فى رأيى والتى كانت سببا فى عدم فاعلية الاتحاد الاشتراكى الفاعلية التى يتصور الدكتور الخفيف انها تأتى من طبيعة شكل التحالف أو طبيعة مهمته ، ومن الجائز التفكير فى هذا الكلام فقد كان هناك انفصال بين الاتحاد الاشتراكى والنقابات المهنية والنقابات العمالية ، هذا الانفصال فى جزئه الاكبر الذى أشار اليه هو على أنه بطاقة العضوية أو تدخل الاتحاد الاشتراكى لاملاء نقيب معين على نقابة معينة ، سواء كانت عمالية أو مهنية أو تعاونيات زراعية ·

الاسلوب السياسى عندما يصل الامر بالاتحاد الاشتراكى – هنا تأتى مجموعة الافراد التى اشار اليها – فمثلا فيها هى التى تزكى شخصا معينا لسبب أو لاخر ، وأن محصلة هذا النهائية تماما ، هى انفصال هذا التنظيم عن النقابة الموجودة · وتصبح النقابة فى هذه الحالة فى جمعيتها العمومية اذا جازت لنا هذه التسمية أو فى قاعدتها الجماهيرية منفصلة عن النقيب وبالتالى منفصلة عن الاتحاد الاشتراكى والامثلة على ذلك كثيرة جدا ·

وعندما نفكر فى أسلوب أفضل ، فان الاسلوب الافضل ليس فى تعدد الاحزاب فى الفترة الحالية على الاقل ·

والضرر الذى أمامى – وهذا رأى شخصى أيضا – قابل للنقاش بأى صورة من الصور التى تريدونها ، والضرر اننا سوف ندخل فى متاهات ضخمة جدا بالنسبة لتعدد الاحزاب ·

فليس من الممكن أن نقرر فى جلسة مثل هذه

خلق الاحزاب ولا حتى جلسة على مستوى اللجنة المركزية .

نقول اننا نريد خلق معارضة ، لان المعارضة لا تخلق من غرفة وكذلك الاحزاب ولكنها تخلق ببيانات معينة، ولها برنامج معين ، والمعارضة تخلق لموضوع معين أو لخط سياسي معين .

وان الثغرة الكبيرة التى كانت موجودة فى الاتحاد الاشتراكى بشعورى كرجل خارجى عن الاتحاد الاشتراكى - أنه - ومع احترامى للجميع وبدون التعرض لاحد ، ولكننى فقط ألمس الاسلوب - كان يقرر شىء من الاتحاد الاشتراكى فى داخل غرفة من الغرف من مجموعة من الناس ثم يتبنى هذا كسياسة وهذه المرحلة يستطيع الدكتور الخفيف ان يفسرها ، وظهرت التساؤلات والتعريفات ماهو الالزام وما هو الالتزام والفارق بينهما ، وكل يصف نفسه بالالتزام .

والشخص اذا جد الجد فنجده غير ملتزم باى أحد ابدا ، والنتيجة هى انفصال الاتحاد الاشتراكى عن الكل .. اذن ماهى الصورة البديلة لهذا ؟

فى رأيى ان الصورة البديلة لهذا هى الانفتاح الكامل على الجماهير .. نحن لانستطيع أن نقول اننا هنا نمثل الجماهير كاملة . بل اننا نمثل طائفة معينة ذات فكر من الجسائز ان يكون مختلفا .. ولكننا نتناقش من اجل ان نصل الى اسلوب معين . اذا تركت نقابة من النقابات ان تنتخب بحريتها من تشاء كنقيب ، ونجح نقيب معين .. هذا النقيب ومجلس ادارة النقابة يجب ان يعتبرا عاملا مؤثرا فى سياسة الاتحاد الاشتراكى ، ونحن لم نقل عليه انه فرع من فروع الاتحاد الاشتراكى ، ولكننى اقول انه عامل مؤثر فى طريقة تفكير الاتحاد الاشتراكى ، فعلى سبيل المثال .. ماالذى جعلنا نفكر فى تغيير اسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى ؟ هل هو اسلوب فردى « بمعنى ان سيد مرعى جاء لينشىء شيئا جديدا ؟ اننى اؤكد لكم ان هذا خطأ ولم يكن فى فكرى اطلاقا منذ أن استلمنا العمل هنا ان نبدأ بشىء جديد لغرض تكوين لجان فقط ، ولغرض اثارة نوع من المناقشات .. ابدا ليس هذا هو المقصود .. لقد جاء هذا العمل وليد حركة الطلاب وجاء وليد أكثر من ٤٥ اجتماعا عقدتهم فى الاتحاد الاشتراكى فى المدة القصيرة الماضية، لقد اجتمعنا مع النقابات المهنية ، وطلبنا منهم ان يقولوا ما يشاءون ، وتكلمت النقابات المهنية عن تود أن يكون فى الاتحاد الاشتراكى ، كما اجتمعنا دورهاوماتراه،وتودأنيكونفىالاتحادالاشتراكىكما اجتمعنابالطلاب .. والدكتور الخفيف على سبيل المثال لا تمثل شيئا .. ان هناك تنظيمات اخرى قائمة من الطلاب تمثل أيديولوجية معينة وفكرا معينا وهناك طائفة كبيرة من هؤلاء الطلاب لهم رأى فى هذه التنظيمات ، ولهم تفكير معين وقد يكون هذا التفكير منصبا على خط معين ، وهو ما أشار اليه الدكتور جابر جاد فى حديثه ، وهو الخط الاشتراكى الذى اتبع فى مصر .. كيف أمكن للاتحاد الاشتراكى فى فترة العشر سنوات الماضية ان تدار اعماله مع احترامى لجميع الامانات من شخص واحد هو فى موقع الامين سواء على مستوىالسكرتير اوامينامانة،لمجردتفكيره الخاص وليس لمجرد صلته بقاعدة جماهيرية كبيرة جداكى تؤثر فى تفكيره لكى ينقل صورة حقيقية عن احساس الجماهير .. هل هذا قد تم ؟ اننى اقول انه لم يتم .. ان ما تم ماهو الا تفكير نابع من السلطة بمعنى ان السلطة كانت تتخذ قرارا معينا سواء كان جماهيريا او غير جماهيرى باحساس السلطة ، والسلطة سلطة وطنية ، وسلطة ترى أن فى هذا مصلحة البلد ، وانا لا أشك فى هذا اطلاقا ، ولكن أيضا كان يجب أن يكون هناك رأى للجماهير فى هذا الاتجاه ..

اذن الصورة التى أتصورها للاتحاد الاشتراكى فى عمله فى مستوياته المختلفة .. فى اللجنة المركزية .. فى المؤتمر القومى هى صورة نقاش مفتوح .. فمثلا بالنسبة لاسلوب عمل اللجنة المركزية فى الماضى .. ندخل اللجنة المركزية وفيها اعضاء من الحكومة ، ويدخل السيد رئيس الجمهورية الى اللجنة المركزية ولا يعلم أحد ما الذى سيثار فى اللجنة المركزية .. كيف يكون هذا .. ماهو الموضوع الذى ستناقشه اللجنة المركزية .. غير وارد .. فقد يثار أى موضوع ثم يدور نقاش عام حتى يشمل عشرين أو ثلاثين موضوعا ، وكان اجتماع اللجنة المركزية ما هو الا ندوة من الندوات السياسية .. هل هذا اسلوب حزبى متبع فىاىحزب من احزاب العالم ؟ .. هل حدث تمهيد لدراسة أى نقطة معينة ، كما حدث مثلا فى برنامج العمل الوطنى .. هل قدمت دراسة قائمة موضوعية عن موضوع معين ثم يعرض على اللجنة المركزية ؟ لم يحدث هذا .. النتيجة أن اللجنة المركزية تكون فى واد والناس فى الخارج فى واد آخر .. اذن عندما اقول ان الاتحاد الاشتراكى يمثل قوى الشعب العاملة ، وان هناك تناقضات ولكن ليست بالحد الذى يدور فى أذهان الناس ، وليست كبيرة كما يخيل للبعض من أنها ستمزق قوى الشعب العاملة . وفى رأيى ان هذا الكلام غير صحيح ، فمثلا التناقضات الموجودة بين العمال والفلاحين .. ما هى هذه التناقضات ؟ هى تناقضات خاصة بمستوى المعيشة مثلا أوتناقضات خاصة بالاجور بالنسبة لزيادة اجر العامل الصناعى عن عامل الزراعة .. ماهى وسيلة

تحسين القطاع الزراعي حتى يصل الى مستوى يقارب المستوى الصناعي .. هل هذا هو تناقض ؟ انه ليس تناقضا ، انما هو تغيير في الاسلوب الاشتراكي الذي يجب أن نعمل به ٠٠ بمعنى آننا اذا رأينا ان طبقة العمال قد امتازت بامتيازات جديدة تزيد بكثير عن طبقة العمال الزراعيين مثلا ، فمن الواجب ان نواجه مشكلة عمال التراحيل .. وعندما نواجه مشكلة عمال التراحيل التي تهم الملايين من الفلاحين ٠٠ ما هو الدور الذي يلعبه الاتحاد الاشتراكي لمواجهة هذه المشكلة بدلا من أن يواجه مشكلات نظرية في أوراق لا أول لها ولا آخر . النتيجة هي انفصال الاتحاد الاشتراكي وانا في تصوري ان الاتحاد الاشتراكي في عمله لا يضاد السلطة الوطنية ابدا ولا يجب أن يضاد السلطة الوطنية ، لانه من المفروض ان هذه السلطة الوطنية تنبع في صورة من صورها من الاتحاد الاشتراكي . واذا كان هذا غير موجود حاليا او لم يحدث من قبل فهذه ليست مشكلة طالما اننا نعتقد ان هذه السلطة هي سلطة وطنية ٠٠ ولكن الاراء التي تبدى عندما نجتمع مثلا مع الفلاحين على انفراد ونسمع اسلوبهم في تغيير النظام التعاوني ، او نسمع ضجة عمال التراحيل والصورة التي يعيشون بها ، نتساءل ما هي الوسيلة الاشتراكية التي يمكن أن يتبناها الاتحاد الاشتراكي للتغلب على هذه المشكلة هل نسمى هذا تناقضا ، انني لا أسمى هذا تناقضا اطلاقا ، لان الاشتراكية متطورة بطبيعتها واللجنة المركزيةوجميع المستويات في الاتحاد الاشتراكي لابد أن تعمل في تطوير الاشتراكيةفي حدود استكمال اشتراكي معين لطبقة من الطبقات ، اقول هذا حتى لا أتوه في ورقة معينة قد تكون مطولة ولا يمكنني ان اخرج منها بشيء اتقدم به للجنة المركزية ٠

بالنسبة للجزء الاخير الذي أثاره الدكتور الخفيف حيث يتساءل فيه عن معنى الايديولوجية المصرية ، وما معنى خط مصري ، وما معنى خط عربي ، وما معنى اشتراكية عربية ؟

والسؤال المرادف لهذا ما هي الاشتراكية اذن التي تطبق في هذا الجزء من العالم ؟ هل يجب أن تكون مثلا هيالاشتراكية الماركسية كاملة هل هي الاشتراكية اليوغوسلافية بعد التغييرات في يوغوسلافيا هل هي الاشتراكية المجرية ؟ او هل هي الاشتراكية البولندية؟ لماذا نحن في مصر **عندما نتكلم عن الاشتراكية المصرية او الاشتراكية** العربية يقال لنا علىالفور ما هيالاشتراكيةالعربية، وما هي الاشتراكية المصرية ؟ **واذا استعرضنا البلاد** الاشتراكية مثلا هل الاشتراكية المطبقة في المجر ٠٠ أولا ، هل المجر دولة اشتراكية أم لا وهذا هو السؤال الاول ٠٠ واذا اجزنا ان المجر دولة اشتراكية بالفعل ، هل اشتراكيتنا تمثل الاشتراكية الموجودة في الاتحاد السوفيتي في تفصيلاتها وليس في عنوانها ، في عنوانها فان جميع البلاد الاشراكية تشترك في عنوان واحد وتتفق في هذا مصر ايضا وهو أنه لا استغلال لرأسمالية ، فتحت هذا العنوان توضع اشياء كثيرة جدا فيمكن ربط الاشتراكية في جميع البلاد الاشتراكية ٠. انما لو دخلنا في التفصيلات : فمثلا هل النظام الزراعي وأتكلم في هذا أكثر لدرايتي به المطبق في بولندا اليوم يماثل النظام الزراعي المطبق في الاتحاد السوفيتي ؟ الفارق كبير جدا فالاتحاد السوفيتي يسير الان الى نظام المزارع الحكومية البحتة ، ويرى ان هذا النظام من واقع الارقام التي يذيعها يحقق تحسينا في ناتج المحصول ، وتبين انهم استعملوا الميكنة الزراعية فيه واشياء اخرى ، وانا في زيارة للمجر قلت لهم لماذا لا تتيحوا نظام المزارع الحكومية — ذلكلانهم في الواقع لازالوا يتبعون النظام التعاوني ويميلون اليه رغم انه يعتبر الخطوة الاولى التي سيقف تكوين المزارع الحكومية في الاتحاد السوفيتي فقلت لهم لماذا لا تطبقوا هذا النظام ليكون هناك تماثل ووحدة في الايديولوجية بينكم وبين الاتحاد السوفيتي ، والاجابة كانت لماذا نعمل هذا طالما انه ليس هناك نوع معين من أنواع الاستغلال ٠

والمانيا الديمقراطية .. ماذا في نظامها ويوغسلافيا والمجر وبولندا ٠٠ حتى في الصناعة نفسها هناك اساليب مختلفة فكيف تضيف في مصر من الاسلوب الاشتراكي الذي يتمشى مع خطنا والذي نريده ولا نضيف بفكر ماركسي او تجربة من المانيا الدميقراطية او من بولندا ٠

والمثل على ذلك قائم في الاصلاح الزراعي المصري الذي أخذ في جميع المجمعات الدولية بما فيها الدول الشيوعية نفسها كأساس معترف به كنظام اصلاح زراعي في ظروف مصرية ويعتبر نظاما ناجحا .

فحينما أقول انه خط اشتراكي مصري ، فلم اخطأ في هذا او خط اشتراكي عربي لم اخطأ ، لانه خط اشتراكي . اما حينما نسأل ما معنى خط اشتراكي مصري وعربي ؟

فانه للاجابة على هذا السؤال علينا ان ندرك ما هو الخط السياسي الذي يمثل خطا اشتراكيا ؟

اذا كان تمثيل العمال في مجالس الادارة ، ونصيبها في الارباح ، وملكية الدولة للمصانع لا يعتبر خطا اشتراكيا ٠. فما هي الاشتراكية اذن في هذا الموضوع ، واذا كان تحديد حد أعلى للملكية ، وتغيير هذا الحد ففي أي وقت من الاوقات لان الدستور والقانون يسمح بهذا التغيير ٠. واذا

كان تحديد الحد الاقصى للملكية ثم توزيع الارض على المزارعين ثم جمعهم فى جمعيات تعاونية ثم جعلهم المسيطرون على أرضهم ونتائجها ٠٠ الا يعتبر هذا خطأ اشتراكيا ٠

فما هو الدليل لهذا ٠٠ قد يكون البديل لهذا هو المزارع الحكومية مثلا ٠٠ حينما نناقش هـــذا الموضوع اذا اقتنعنا به ٠٠ ولا أعتقد ان هناك من يقول اننا نريد ايديولوجية تجمع الكل ، واذا مــع الدكتور الخفيف فى هذه النقطة ، لانه ليس هناك ايديولوجية معينة تجمع الكل ، لاننا نقول اننا لا نضيق بالحوار ، ونريد أن يقول كل فرد رأيه فى اللجنة المركزية وفى داخل جميع مستويات الاتحاد الاشتراكى . انما هناك خط اشتركى معين فى مصر ، وهذا الخط الاشتراكى المعين يحتاج اما الى استكمال ، واما الى تدعيم ٠

وهذه النقطة قد طرحتها فى مقدمة حديثى ٠

فالخلاصة اذن أرى أنه كى يمثــل الاتحـــاد الاشتراكى فعلا تمثيلا نابعا من القاعدة أنه يجب ألا نهمل التكوينات الجماهيريه الضخمةالموجودة بناء على انتخاب بين هذه الطائفة ، بمعنى عندما أقرر شيئا خاصا بالعمال فيجب أن تشتـرك فيه اتحادات العمال نفسها لانها قائمة وكذلك النقابات أيضا ٠٠ لماذا لا أقرر هــذا الشىء بعد نقاش مع الاتحادات والنقابات ، وهذا أيضا بـالنسبة للنقابات المهنـية وكذلك الامر بالنسبة للمحامين والصحافة بنفس الاسلوب ٠

فى الواقع أن التجربة الماضية التى أعود اليها لكى اختم كلمتى ــ فى الفترة السابقة ــ قد افادتنى فائدة كبيرة ، لاننا اجتمعنا مع نقابة المحامين وكان لهم آراء بناءة طيبة ، كما اجتمعنا مع نقابة الصحفيين ، فأوضحوا لنا مشاكل الصـــحافة كما يرونها ٠

اجتمعنا مع تجمعات من الطلبة لا حصر لها ٠ وليست فى تنظيم من التنظيمات وسمعنامنهمآراء قيمة جــدا تمكننا من القيام بدور فعال ٠ ولكــن انعزال الاتحاد الاشتراكى عن جميع هذه الطوائف هو الذى يؤدى الى النتائج التى وصلنا اليها ٠

النقطة الاخيرة عن مـلاحقة الاحداث التى عبر عنها الدكتور الخفيف بأنه لا قدرة لاحد لملاحقة هذه الاحداث ٠٠ لماذا ؟ لانه لم توضع قاعدة معينة تبين سياسة الاتحاد الاشتراكى ٠٠ اذا كان الدكتور جابر هو الذى يكتب رأيه ، أو سيد مرعى هو الذى يكتب رأيه ففى هذه الحالة قد يتخوف سـيد مرعى من أنه يكتب رأيه وكذلك الدكتور جابر ، انما اذا كان الدكتور جابر أو سيد مرعى بعد هذه الجلسة ينقل الى أعلى مستوى فى مصر خلاصة نقاش هذه اللجنة ٠٠ فاعتقد أنه لن يضيق أحد بالمناقشة وأعتقد أيضا اننا ننير السلطة فى القرارات التى تتخذها ، ويجب أن تزول المحاســبة فى هذه الناحية لاننا فى هذه الحالة نعبر عن رأى عام ، فاذا وصلنا الى هذا فسوف نؤثر فى السلطة وطريقة تفكيرها ، ونؤثر فىالقر ارات التى تصدرها ، واذا لم نصل الى هذا فسوف نكون جهازا أو سلطة جديدة اسمها سلطة الاتحاد الاشتراكى كما ولدت فترة من الفترات حيث كانت تمثل سلطة معينة ٠ انا أقول ان الاتحاد الاشتراكى ليس سلطة ولكنه قد يكون سلطة بمعنى أنه يعبر عن آراء الشعب والجماهير ، ولكن نحن نتكلم فى حدود السلطة بمعنى الاملاء ، الاتحاد الاشتراكى فى فترة من الفترات كان هو الذى يملى ٠ هل هذه صورة الاتحاد الاشتراكى لكى يمثل قوى الشعب العاملة ؟

فى الواقع اننى لست متخوفا ، أمــا بالنســبة لتعدد الاحزاب ٠٠ فان الفترة الحالية بالاضافة الى تناقض الفكرة مع جميع المواثيق التى نسير عليها ، تكون غريبة جدا اذا ما ناقشناها فى الوقت الحاضر ٠

بالنسبة لليأس من الاتحاد الاشتراكى ومن أنه لا يمكن أن يعمل عمل أكثر فاعلية ٠٠ هذا اليأس على الاقل ليس موجودا لدى ٠

بالنسبة لابراز العيوب الموجودة فى الاتحـاد الاشتراكى ليس هذا للاستهانة بأحد بل هـــو كالدكتور الذى يكتشف أولا موضـع الداء لكـى يستطيع أن يقرر العلاج ، ولابد من معالجةالامور بصراحة وقوة ٠

بالنسبة للانفتاح على الناس والانفتاح على الجماهير هذا هو الواجب ويجب أن يكون انفتاح كامل على الناس والتكوينات والتنظيمات المنتخبة منهم ٠

أما القول بأن التنظيم الطلابى مثلا ٠٠ مـاذا يمثل : الاجـابة انه يمثل كثيرا جـدا مثل آراء الطلاب من الناحية السياسية والاجتمـاعية ومستقبلهم ، ولا يمكن أن يهمل هذا ٠٠ كيف يمكن أن يهمل شباب يتطلع الى مستقبل غير واضـح أمامه .. كيف يمكن أن يهمل شباب يعانى من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ٠.كيفيترك هذا الشباب على هذه الصورة من البلبلة ، ثم يكون الاتحاد الاشتراكى فى موقف المتفرج ٠

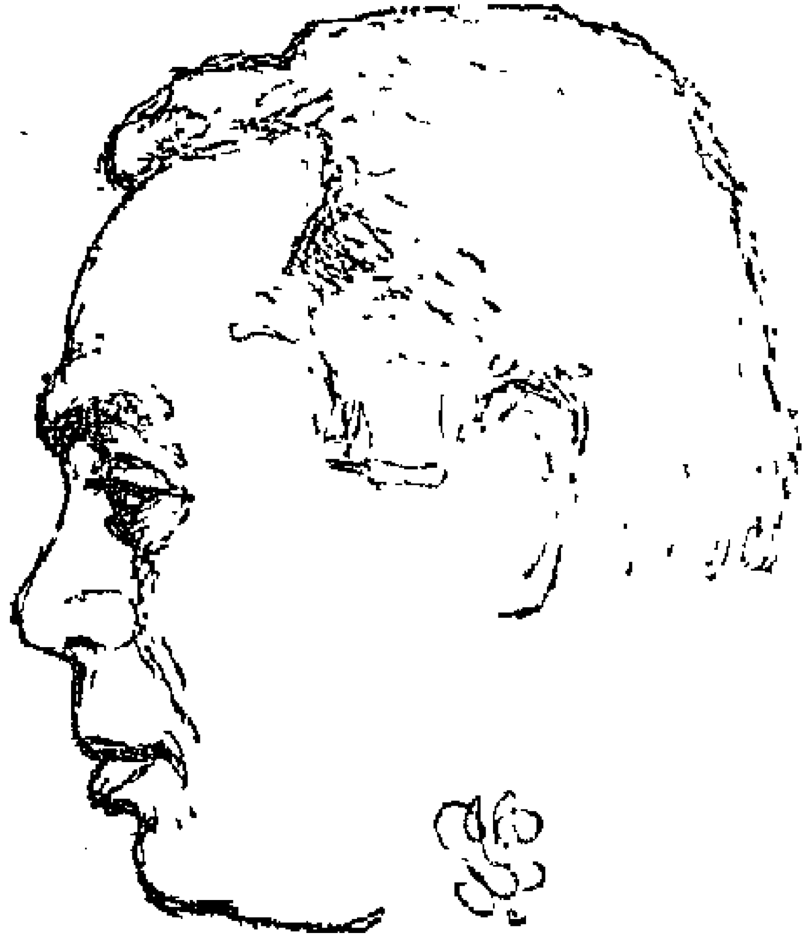
وعندما يقترب من هذه المجموعات من الناس يقال مثلا التنظيم الشبابى واجب أم غير واجب .. كيف ذلك اننا لا نقول تنظيما شبابيا بالاسلوب القديم ، ولا أى تنظيم لخدمة أى شخص معين ، وقد صرحت بهذا فى حلوان تصريحا واضحا اننا لا نريد خـــدمة شخص معين .. ولا الارتباط به على مستوياتنا ، انما نريد الارتباط بنظـــام والارتباط بخط .

وهذا ما أردت أن أعلق به على كلمة السيد الدكتور الخفيف .

● **الدكتور محمد الخفيف**

فى الواقع عندما أثرت **موضوع الاشتراكية المصرية** لم أثرها ضيقا بها ، لان العمل والسنين قد علمتنى ألا أضيق بشىء ولكن كمثال بعد عشر سنوات رغم أنه جرى كلام كثير فى هـــذه الموضوعات ومنها مثلا كلام الرئيس عبد الناصر عندما قرر وحسم بقرار من عنده أنه ليس هناك ما يسمى اشتراكية عربية ، **وانما هناك تطبيق عربى للاشتراكية** ، هذه المسائل تثار الان مـــرة أخرى ــ وهذا أمر طبيعى من وجهة نظرى لان هذه المســـائل لم تحســـم الا بقرارات وانما لو حسمت بسياسة وفكر .. لم أضق بها .

مسألة التنظيم الشبابى ، لا أتصـــور أن هناك تنظيما سياسيا للشباب داخل تجمع أو تحالف لان التنظيم السياسى للشباب وظيفته الاولى هـــى التطوير والتغيير وهذا يحتاج الى تنظيم سياسى معين ليس هو التحالف أو الجبهة أو التجمع .. ولكن لم أكن أقصد ألا ننشىء تنظيما ، لكن المقصود هو عن كيفية انشائه فى هذا الوضع الذى نحن فيه ــ والاتحاد الاشتراكى مازلنا نناقش فى صيغته فى ورقة العمل الموجودة معنا ، والمقدمـــة من سيادتكم .. كيف يمكن أن يقوم تنظيم شبابى ورغم نواياه الطيبة فلن ننتهى الا الى الوضع الذى كان عليه أولا ، من حيث ولائه لشخص معين رغم تصريحات السيد الرئيس وتصميمه على أنه لا يريد أن يحتوى الشباب .. كل هذا حق وجميل .. لكنه رغما عنا ، اذا بقى وضع الاتحاد الاشتراكى كما هو سيتطور التنظيم الشبابى الى تنظيم يحتوى .. لمن ؟ هذه هى النقطة الغريبة .. ولـــن يكون احتواؤه لنظام ولكنه سيكون احتواء لافراد . مشكلة فى الواقع علينا أن نتصدى لها .



سامى داود

● **سامى داود**

فى الواقع أريد أن أنطلق فى تعليقى الذى أقوله من نفس المنطلق الذى انطلق اليه السيد السكرتير الاول فى ورقة العمل ، وهو الالتزام بالوثائق الثورية الاساسية لدينا وبقرار المؤتمر القومى العام الذى أشار لاعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى .. وأن الدكتور الخفيف قد قال كلاما له قيمة كبيرة جدا من هذه الناحية ، لان الميثاق عندما وصف الاتحاد الاشتراكى بأنه تحالف .. وصفه بأنه تحالف لقوى الشعب العاملة ، ومعنى أن قوى الشعب العاملة تتحالف ، يعنى أن تكون هذه القوى هى صاحبة اليد فى ارسال من يمثلونها فى الاتحاد الاشتراكى ، بمعنى أنه عندما يكون هناك ضمان للعمال والفلاحين ٥٠ فى المائة وهناك فئات أخرى موجودة فى الاتحاد الاشـــتراكى ، وتكون هـــذه الفئات أو الممثلين أو الاعضـــاء القياديين المنتخبين يمثلون قوى الشعب ، فيجب على كل عضو من الاعضاء القياديين أن يعرف قاعدته بين قوى الشعب العاملة ، فهل العامل الذى يدخل الاتحاد الاشتراكى فى منصب قيادى يستطيع أن يقول ، أو هل نستطيع أن نقول نحن أنه حضر من قاعدة عمالية طبقا لقانون الاتحاد ، وهل الفلاح كذلك نستطيع أن نقول أنه حضر من قاعدة فلاحية ينطبق عليها وصف الفلاح السياسى ، وهل المثقف أو الرأسمالية الوطنية تستطيع أن تدعى لنفسها هذا الادعاء ؟ فى الواقع لا .. لان الفلاح والعامل والمثقف والرأسمالى الوطنى كل هؤلاء يأتون نتيجة لانتخابات عامة تحدث بين جماهير لا تتنوع بتنوع قوى الشعب العاملة ولا تتحكم فى ارسال مبعوثيها أو مندوبيها القياديين الى الاتحاد الاشتراكى ، من

هنا عندما تجتمع اللجنة المركزية أو المؤتمر القومي العام ، ويتكلم فيه أى عضو من الاعضاء فلا يستطيع هذا العضو أن يزعم انه يمثل قوة من قوى الشعب العاملة ٠٠ هو حقيقة ينتمى الى قوة من قوى الشعب العاملة بحكم عمله كعامل ولكن الفكر الذى لديه ليس فكرا تكون فى داخل تنظيم عمالى وهو يمثل به هذا التنظيم ويلتزم به التزاما حقيقيا نحو هذا التنظيم ، وينتج من هذا أن الاتحاد الاشتراكى بالفعل أصبح عبارة عن تجمع أفراد وليس تحالفا بين قوى الشعب العاملة لان قوى الشعب العاملة ليست هى المسيطرة على انتخاباته ولا على الاعضاء الذين ترسلهم اليه ٠٠

الواقع أن هذا قد اثر لانه ليس هناك قوة وراء كل عضو متميزة ومتنوعة ولها فكرها وأن الميثاق الذى نلتزم به (وأنا سعيد جدا لان ورقة العمل أكدت وجوب الالتزام بالميثاق وكل وثائقنا الثورية) يعترف بوجود صراع طبقى ، وأن هذا الصراع الطبقى طبيعى وحتمى ٠٠ اذن القوى العاملة عندما تتصارع داخل الاتحاد الاشتراكى بالحوار الديموقراطى والسلمى حتى تحل مشاكلها يجب أن تكون مدعمة بقواعد جاءت لتمثلها ، ولكن نظرا لان هذه القوى أو هؤلاء الممثلين الموجودين لا يرتكزون على فكر قواعد فلا دور لهم فى عملية الحوار السلمى لحل مشاكل الصراع الطبقى فى الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ونحن نقول أن هناك قوى مختلفة وهناك تنوع فكرى ولا يوجد وحدة فكرية ، وهذه حقيقة يجب أن نعترف بها رغم انه عندما ننظر الى نتائج أعمالنا القيادية فى الاتحاد الاشتراكى نجد أن جميع قرارات الاتحاد الاشتراكى منذ وجد حتى الان ، وجميع قرارات المؤتمر القومى واللجنة المركزية ٠٠ الخ ، كانت تصدر بالاجماع ٠٠ فأى وحدة فكرية أعظم من هذا ؟ اذا كانت كل القرارات تصدر بالاجماع كأنه لا يوجد تنوع أو صراع طبقى أو أفكار منظمة يحملها ممثلو قوى الشعب العاملة الى داخل الاتحاد الاشتراكى ، واننى لا أقول هذا الكلام وفى ذهنى دعوة الى تشكيل أحزاب سياسية ، كما أنه ليس لدى اقتراح جاهز ، ولكن لابد اذا كنا بصدد اعادة النظر فى قانون الاتحاد الاشتراكى بطريقة جذرية كما جاء فى ورقة العمل واعادة النظر فى البناء الداخلى للاتحاد الاشتراكى ٠ ، لابد أن نصل الى وسيلة تتحقق بها سيطرة قوى الشعب العاملة أو توجيه قوى الشعب العاملة ، وفكر قوى الشعب العاملة ٠٠ كل قوة على حدة لمن يمثلونها فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى القيادية ابتداء من الوحدة الاساسية وعلى الاخص بالنسبة الى المستويات الاعلى ٠٠ مستوى لجان المحافظات والمؤتمر العام ٠

وشكرا ٠



د. جمال الفندى

● الدكتور جمال الفندى

فى الواقع سوف أتكلم كلاما بسيطا جدا ٠ انى أتصور أن الاشتراكية ما هى الا ضمان لكل انسان لحياته ومستقبله ٠٠ لكل الفئات وكل الطبقات ٠٠ هذا هو تعريف الاشتراكية فى رأيى كما أفهمه ، والانسان لا يهتم بأى تنظيم الا اذا كان له فيه مصلحة ، فاذا لم يكن له مصلحة فلا يمكن أن يهتم به ، ونحن هنا فى مصر فى الواقع نجد أن هناك فئات مختلفة مثل العمال والفلاحين وغيرهما ، وهناك أيضا أغنياء ٠٠ كل هؤلاء يجب على الاتحاد الاشتراكى أن يرعى مصالحهم ، وأن لنا تراث ، فعندما نقتبس نظما من الخارج ففى رأيى أن الاتحاد الاشتراكى يجب أن يأخذ فى الاعتبار الاول صالح كل الطبقات بطريقة عملية بحيث يكون تمثيل الافراد يمثل صالح الفئات كلها ، وليست أفرادا معينة أو فئات معينة ، واذا تحقق هذا كان الاتحاد الاشتراكى دون شك مركز لاتحاد قوى الشعب العاملة ، لان الصالح العام ما دام ممثلا أو مرعيا يمكن أن نحقق الفائدة العامة ، هذا ما أردت أن أقوله باختصار ٠

● أبو سيف يوسف

اذا سمح لى بمناقشة ورقة العمل فأرجو أن يسمح لى بمناقشة النقاط التالية :

١ ـ المناخ السياسى أو المناسبة السياسية التى يبنى فيها الاتحاد الاشتراكى ٠

٢ ـ التنظيم السياسى أو الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى ٠

٣ ـ بناء الاتحاد الاشتراكي بالديمقراطية •

٤ ـ الاتحاد الاشتراكي كسلطة سياسية •

ففي النقطة الاولى وهي المناخ السياسي الذي يبنى فيه الاتحاد الاشتراكي ، القضية التي تركز عليها القيادة السياسية للبلاد والتي أشار اليها مشروع ورقة العمل هي بناء الاتحاد الاشتراكي ليكون حشدا لاوسع الجماهير في بلادنا • ومن الواضح أن تحقيق هذا الهدف ليس ولن يكون من المهام السهلة ، لا لان هذا التنظيم يبنى من مواقع السلطة فحسب ، بل وهذا هو الاساس لان صيغة الاتحاد الاشتراكي النظرية لم يتح لها أن ترتبط إرتباطا كاملا بحركات المد الثوري التي جرت في بلادنا في أكثر من مناسبة • وعلينا أن نستعيد تاريخنا القومي لنستخلص منه الدروس اللازمة •

فشعبنا قد عرف تجربتين لحزبين سياسيين استطاعا أن يحشدا أوسع الجماهير • الحزب الوطني الاول الذي قاد الثورة العرابية ثم حزب الوفد في ثورة ١٩١٩ • ان ما حدث بالنسبة لهذين الحزبين هو أنهما ولدا كحزبين جماهيريين في اللحظة المناسبة ، لحظة مد ثوري ، لحظة تدفق القوى الوطنية الى ساحة المعركة الوطنية المعادية للاستعمار •

ومن هنا تتحدد مشكلة تكوين الاتحاد الاشتراكي على النحو التالي :

وهو أن صيغته النظرية ـ رغم صحتها ـ لم تلتحم بحركة مد شعبي تجسد هذه الصيغة في اللحظة المناسبة وفي الشكل التنظيمي المناسب ، وذلك على الرغم من أن بلادنا شهدت أكثر من مرة أحداثا تاريخية تحركت فيها أوسع الجماهير أوسع حركة ممكنة نذكر على سبيل المثال هبة ٩ و ١٠ يونية ، والاحداث التي سبقت واعقبت بيان ٣٠ مارس وغيرها من الاحداث •

ان هذه الحقيقة كان قد تنبه اليها الزعيم الخالد جمال عبد الناصر عندما أشار في بعض أحاديثه الى أن ظروف المعركة تقدم للاتحاد الاشتراكي فرصة نادرة لكي يبنى نفسه كتنظيم تحتشد فيه أوسع الجماهير •

ومما تقدم نخلص الى هذه النتيجة وهي أنه لا طريق أمام الامانة العامة لبناء الاتحاد الاشتراكي كتنظيم وحشد لاوسع الجماهير ، الا اذا ربطت صيغة الاتحاد الاشتراكي ، وعملية بنائه **بالواقع الثوري الذي تعيشه البلاد** • هذا الواقع يدور حول محورين : محور رئيسي هو معركة التحرير ، ومحور ثان هو حركة الجماهير منذ ٥ يونيو واتجاهها الى تأكيد حقها في المشاركة في السلطة ، وفي الرقابة والتوجيه ، هذا الحق الذي أشارت اليه ورقة العمل •

ومن هذا أيضا نخلص الى هذه النتيجة العملية ، وهي أنه اذا كان الاتحاد الاشتراكي مطالبا بأن يضع دليلا مفصلا للعمل السياسي ، فان هذا الدليل يجب أن يركز في هذه المرحلة على المهمة الرئيسية مهمة تعبئة الجماهير من اجل تحرير الارض .. وتصفية العدوان الصهيوني الامريكي • هذا الدليل سيحدد الاهداف والوسائل اللازمة لاقامة وحدة وطنية صلبة تضم كل القوى الوطنية والتقدمية •

هذا عن النقطة الخاصة بالمناخ السياسي الذي يجب أن يكون المدخل والاطار الحقيقي لكل عملية تستهدف حل المشكلات التنظيمية المعقدة في بناء الاتحاد الاشتراكي •

النقطة الثانية ، هي قضية التنظيم الطليعي الذي ورد في الميثاق ، أنه لابد وأن يقوم داخل الاتحاد الاشتراكي • ان مشروع ورقة العمل لم يشر الى قضية التنظيم الطليعي • وربما كان السبب هو اقتناع قيادة الاتحاد الاشتراكي بأن هذه القضية يمكن أن تؤجل ـ لاسباب تقدرها ـ الى ما بعد تصفية العدوان • ومع ذلك فاننا نعتقد أن ورقة العمل كان لابد وأن تشتمل ـ على الاقل ـ على تصور أولي للتنظيم الطليعي ومكانه داخل الاتحاد الاشتراكي حتى وان كان الموضوع مؤجلا • وذلك لان نظرية التنظيم كما جاءت في الميثاق تستند الى دعامتين مترابطتين : التنظيم السياسي ، أو الطليعي وهو قيادة الاتحاد الاشتراكي وتنظيم الاتحاد الاشتراكي باعتباره تحالفا يجمع الطبقات صاحبة المصلحة في استمرار الثورة •

القضية الثالثة : قضية بناء الاتحاد الاشتراكي بالديموقراطية • وفي هذا يمكن التأكيد على بعض النقاط :

١ ـ تساءلت ورقة العمل هل يفتح الباب أمام العناصر التي لها نشاط سياسي أو عقائدي مخالف .. ونعتقد ان هذه القضية محسومة ، فمن ناحية نرى أن القوى التي يستبعدها الميثاق من الاتحاد الاشتراكي هي طبقات القوى الاجتماعية التي طبقت عليها قوانين الاصلاح الزراعي وقوانين يوليو ، وذلك بسبب أن مصالحها لا تتفق مع مصالح تقدم الثورة •

ومن ناحية أخرى : الاتحاد الاشتراكي يقبل كل العقائديين الذين يلزمون قولا وعملا بالمبادئ

الاساسية لثورة يوليو ، كما جاءت فى وثائقها الرئيسية • وهذا الالتزام يحتمل وجود اتجاهات عقائدية مختلفة ، تجتمع على حد ادنى من وحدة الفكر والعمل ، لكن هذا الالتزام لا يحتمل وجود نشاط سياسى مختلف اى معارض ومضاد لنشاط الاتحاد الاشتراكى ولاهدافه الاساسية •

٢ ـ فى بناء الاتحاد الاشتراكى بالديموقراطية لابد من ان يمكن الفلاحون والعمال وهم اغلبية هذا البلد من ان يحتلوا مكانهم وان يكون لهم وزنهم الحقيقى • لقد حدد الميثاق ان يكون لهم ٥٠ فى المائة على الاقل داخل التنظيمات الشعبية • لكن هذا التوجيه تعثر فى التطبيق بالتعريف الذى قدمته لجنة المائة للعامل والفلاح • ولقد صحح هذا التعريف عام ١٩٦٨ ، لكن لا يزال هذا التصحيح فى حاجة الى ان يستكمل نهائيا من اجل وضع تعريف دقيق وعملى للفلاح والعامل ، لا يسمح للفئات والطبقات الاخرى الداخلة فى التحالف ان تاخذ جزءا من نصيب العمال والفلاحين • (التعريف المقترح : الفلاح هو من يفلح الارض بيده ويدخل تحت هذا التعريف من يملك او يستاجر ٥ افدنة فاقل دون ان يستعين بعمل الغير ـ اما العامل فهو العامل اليدوى الذى لا يملك سوى قوت عمله •

النقطة الثالثة : تتعلق بدور الوحدة الاساسية • اذا اردنا ان نحدد احد الاسباب الجوهرية فى اصابة الاتحاد الاشتراكى بامراض البيروقراطية والسلبية أمكن ان نقول ان هذا راجع الى الوجود الشكلى للوحدات الاساسية وتدهور الحياة السياسية فى داخلها • فمع ان هذه الوحدات هى الحلقات التى تربط قيادة التنظيم بجماهير الشعب الا ان عملها لا يقوم على اسس ديموقراطية تمكن اعضاء الوحدة من التعبير عن ارائهم وتوصيل هذه الاراء الى المستويات الاعلى • يكفى ان نضرب على ذلك أنه لم يحدث فى تاريخ الاتحاد الاشتراكى ان عقدت مؤتمرات الوحدات الاساسية قبل انعقاد المؤتمر العام • واذا حدث ان عقدت فانها تعقد لا لكى تناقش جدول الاعمال المطروح على المؤتمر القومى العام بل لكى تصدق بطريقة شكلية على قرارات ومواقف المستويات الاعلى •

النقطة الرابعة : تتعلق بالعلاقة الصحية التى يجب ان تقوم بين الاتحاد الاشتراكى وبين المنظمات الجماهيرية (اتحاد العمال ـ التعاونيات ـ اتحاد الشباب ـ اتحاد النساء •• الخ) • هذه العلاقة الصحية تتمثل فى ضرورة ان تكون هذه المنظمات مستقلة تنظيميا عن الاتحاد الاشتراكى • وعلى الاتحاد الاشتراكى ان يوجهها سياسيا عن طريق اعضائه المنضمين على هذه المنظمات ، وليس عن طريق الالزام او الاكراه باى صورة من الصور • من هنا حان الوقت لالغاء الشرط الذى ينص على ضرورة عضوية الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للذين يرشحون انفسهم لمجالس هذه المنظمات الجماهيرية • وبالغاء هذا الشرط يحق للاتحاد الاشتراكى ان يكون له مرشحون فى انتخابات هذه المنظمات ولكن دون ان يفرض هؤلاء المرشحين بقوة القانون •

واخيرا فى موضوع بناء الاتحاد الاشتراكى بالديمقراطية اتفق كلية على ما جاء فى مشروع ورقة العمل من ان الحاجة ماسة الى تغيير القانون الاساسى الحالى تغييرا جذريا فى اتجاه تدعيم الديموقراطية الداخلية يكفى ان نقول ان القانون الحالى هو خليط من لائحة الحزب الطليعى ولائحة الجهة التى تضم عددا من الاحزاب •

وارجو ان اقدم وجهة نظر مفصلة فى هذا الموضوع •

القضية الرابعة والاخيرة : الاتحاد الاشتراكى كسلطة : السلطة فى اى مجتمع هى فى النهاية تعبير عن قوة أو طبقة أو طبقات اجتماعية • وهذا التعبير يتخذ شكله التنظيمى والسياسى فى شكل حزب او جبهة تضم عددا من الاحزاب • والاتحاد الاشتراكى وفقا للميثاق هو الصيغة التى تضم تحالف الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية • وبهذا يكون الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة التى تمثل السلطة السياسية العليا لتحالف هذه الطبقات •• وهذه السلطة هى التى توجه مجموع العمل الوطنى كله ، وهى بالتالى التى توجه السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية • وهذه القضية يجب ان تواجه بصراحة لان عدم الاعتراف بها يوقعنا فى اخطار شديدة فى مقدمتها فقدان او غياب القيادة السياسية مع ما يرتبط بهذا بالضرورة من ظهور مراكز سياسية موازية فى الاجهزة الادارية او التشريعية ، ومع ما يترتب على ذلك من انهيار حتمى لفكرة التحالف •

وعلينا فى النهاية الا نخشى من قيام الاتحاد الاشتراكى لسلطة حتى ولو أساءت التصرف لان البديل هو فقدان القيادة السياسية لمجموع العمل الوطنى ، وهذا اخطر • أما ان الاتحاد الاشتراكى قد يسىء استخدام السلطة فان هذا أمر وارد ولكن علاجه لايتأتى برفض سلطة الاتحاد الاشتراكى وانما يتم من خلال البناء الديموقراطى الصحيح للاتحاد الاشتراكى ومن تصحيح اخطائه ، ومن تعبيره المشروع (الدائم عن حركة القوى الاجتماعية الداخلة فيه • واما قيادته لمجموع العمل الوطنى ولكافة المؤسسات فهى قيادة

سياسية فى المحل الاولى لا تتطلب منه أن يتدخل تدخلا يوميا فى أعمال السلطة التنفيذية والتشريعية ، ولكنه يستطيع ان يوجه السلطة التنفيذية والتشريعية من خلال قدرته على تحريك أوسع الجماهير وتكوين رأى عام مستنير يستطيع ان يراقب ويحاسب • ان أى فكرة تذهب الى ان الاتحاد الاشتراكى لا يمثل السلطة السياسية العليا ، تنتهى بالاتحاد الاشتراكى الى تنظيم منافس للتنظيمات النقابية والمهنية ، وهذا الامر لا يخدم الاتحاد الاشتراكى ، ولا يخدم التنظيمات الجماهيرية •

● **السكرتير الاول**

لى تعليق بسيط على كلام الاخ أبو سيف لانه فى الحقيقة قد لمس المواضيع التى يمكن ان تؤدى فى النهاية للرد على السؤال الذى ساله الاستاذ صلاح طاهر بالنسبة لبعض النقاط التى يمكن ان نضمها لورقة العمل •

وليس لى رأى فى هذا ولكن لى سؤالين :

سيادتك أشرت الى مهمة الوحدة الاساسية والواقع ان هذه تسبب لنا مشاكل كثيرة واود ان نسمع منك لها تفسيرا لان الوحدة الاساسية على مستوى القرية تائهة ، ففى الانتخابات نرى اقبالا شديدا عليها من القاعدة الجماهيرية العريضة ، ويتم انتخاب الاصلح ثم يتلاشى كل هذا الاهتمام ، اننا نريد تصورا لعمل هذه الوحدة •وكماقلتبحق انه بغير تصور عمل الوحدة الجماهيرية فانه لا يمكن البناء فوقها والا سيكون البناء من فراغ الا اذا استكملت من النقابات وغيرها ، لان الوحدة الاساسية هى التى تمثل الاغلبية العظمى فى الوحدة السكنية والوحدة الجماهيرية • نريد تصورك فى هذا •

السؤال الثانى : هو نفس السؤال الذى اشار اليه الاخ سامى داود ، فهو يتكلم عن اللجنة المركزية وفعاليتها واشار الى أن الموجود قد يكون عاملا بالتعريف او فلاحا بالتعريف ايضا ولكنه لا يمثل ناحية جماهيرية فلاحية او ناحية جماهيرية عمالية : ويشتم من كلام الاخ سامى أنه يريد تمثيل بعض النقابات كنقابات داخل اللجنة المركزية عن ذلك ، اريد ان استمع الى تعليق لهاتين النقطتين، لان ذلك من شأنه ان يربط أو يوضح نقطتين غامضتين علينا بالنسبة لعمل الوحدة الاساسية على مستوى القرية بالنسبة للناحية السياسية والجماهيرية •

● **ابو سيف يوسف**

فى موضوع الوحدة الاساسية يمكن الاساس فى معالجته ، هو اننا ننظر الى العدد الضخم ويجب ان يكون عددها ضخم ممكن ان تكون الفين أو أكثر ولكن نعمل الى علاج هؤلاء الناس على اساس انهم كوادر حزبية منتقاة لانها تستطيع ان تصمد لكل متطلبات العمل •

نحن نطلب من الناس كثيرا فعلا ــ وهذا الخطأ الموجود فى القانون الاساسى الذى يحدد ١٥ واجبا على عضو الاتحاد الاشتراكى لو طبقناها على مجموع اعضاء الاتحاد الاشتراكى سوف يخرج من الاتحاد الاشتراكى ثلثى عدد الاعضاء •

لذلك نرى أن تجتمع الوحدة الاساسية اذا كان جدول اعمالها فيه ما يمس مصالح جماهيرها وما يثير اهتمام هذه الجماهير •

النقطة الثانية : يجب ان تجتمع الوحدة الاساسية بأكثر الصور مرونة ــ بمعنى ان هناك تجارب لبعض الاحزاب الجماهيرية فى موضوع الوحدات الاساسية فى مناطق متخلفة • أثير انه ليس من الضرورى ان تجتمع الوحدة كل أسبوع ، بل من الممكن ان تجتمع كل شهر ويعرض عليهم فيلم وثائقى ، أو فيلم عام ، ثم يتكلم احد الافراد فى الموقف السياسى، ثم تسمع مشاكلهم، ثم تجمع منهم الاشتراكات التى يمكن ان يدفعوها •

وهذا طبيعى جدا لاننا لا نستطيع ان نطلب من الشخص العادى فى الوحدة الجماهيرية ان يعطى اكثر من هذا وبعد شهرين ممكن ان تجتمع هذه الوحدة اذا وجدت امورا استلزمت ذلك •

وهناك فرق بين الوحدة الاساسية وبين مكتبها الذى يتولى العمل اليومى فيها •

بالنسبة لموضوع العمال والفلاحين فهو موضوع يحتاج الى دراسة وقد لا يكون لدينا تصور نهائى له ، ولكننى اعتقد انه من الممكن ان ابدأ فيه فهناك نوعان من العضوية :

أولا : عضوية عاملة يتقدم لها كل انسان اختياريا وفى أى وقت •

ثانيا : وعضوية اخرى من الفلاحين والرأسمالية الوطنية فهى عضوية جماعية لمنظمات جماهيرية •

● **السكرتير الاول**

اذا كان ممكن تعطى الورقة التى دونت فيها تصورك الى السكرتارية ، وشكرا •

● محمد محمود شعبان

مما جاء فى مشروع ورقة العمل ومما ورد فى كلام السيد السكرتير الاول فى الكلمة الافتتاحية ومما ذكر فى المناقشات التى دارت حتى الان يتضح ان هناك ثلاثة امور أساسية ليس لها وجود واضح :

الاول : فى الخط الايديولوجى الذى تسير فيه الاشتراكية فى مصر ·

الثانى : أسلوب الممارسة الديمقراطية ·

الثالث : العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والسلطات التشريعية والتنفيذية والتنظيمات الشعبية والنقابية والقطاع العام والتعاونيات الفلاحية وغيرها ·

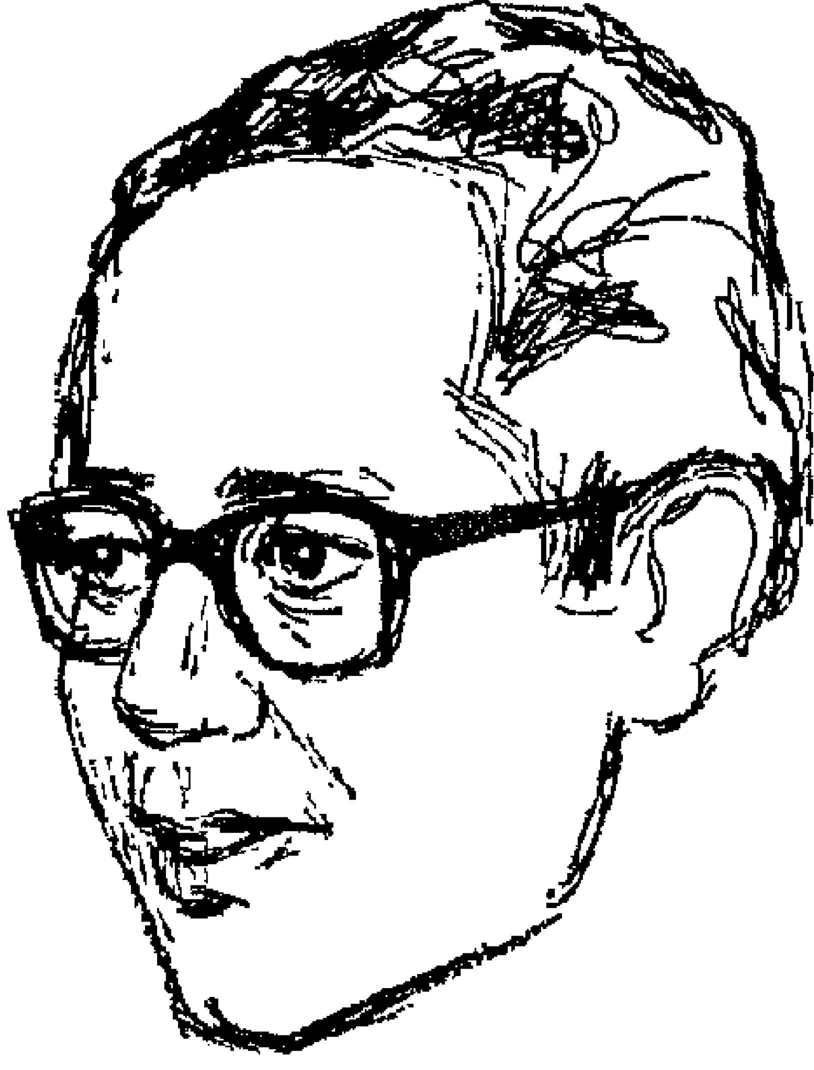
وفى رأيى فان هذه الاسس اذا وضعت فان الامانات واللجان قد لا تجد صعوبة فى عملها ، وفى رأيى أيضا أنه بدون هذه الاساسيات يكون عمل اللجان والامانات يدور فى فراغ فعلى حتى تعديل القانون الاساسى والذى أعتقد أنه لا يمكن اتمامه بدون ارساء هذه الاساسيات ·

وشكرا ··

● السكرتير الاول

فى الحقيقة فان الاخ محمد يثير نقطة تناقشنا فيها بالامس وأنا متفق معه تماما ، اننا لن ننظر فى تعديل قانون الاتحاد الاشتراكى الا بعد الانتهاء من جميع المناقشات، حتى نرى ما الذى يمكن تعديله فى هذا القانون ، وذلك سيكون آخر مرحلة ، فلو اتفقنا على النقط التى أثارها الاخ ابو سيف والاخ سامى الحاصة بتمثيل قطاعات معينة على مستوى اللجنه المركزية ونقابات معينة ، اذا اتفقنا على هذا فسوف نغير قانون الاتحاد الاشتراكى ، ولكنك تثير أربع نقاط ولم تقل لنا رأيك فيها مع أنها مثارة فى ورقة العمل فى الصفحة السابعة حيث تثير موضوع العضوية فى الاتحاد ، والتركيب الهرمى له ، وكلها اسئلة مفتوحة والتركيب الحالى نتيجة لمصدر الحركة وسرعة تبادل المعلومات من المستويات العليا وبالعكس ومشاركة القاعدة الجماهيرية العريضة فى اصدار القرارات ·· الخ ثم التنظيم الشبابى وهذا صادر بقرار من المؤتمر القومى ، ثم أسلوب العمل داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه ·

ثم تحديد العلاقة بين الاتحاد وبين السلطة التنفيذية والتشريعية ، فكل هذا مشار كنقط للايضاح ، ولابد من أن توضع لانها المحور الاساسى لعمل الاتحاد الاشتراكى ·



محمد محمود شعبان

● محمد محمود شعبان

هل معنى هذا ان هذه اللجان مطلوب منها وضع هذه الاسس ·

● السكرتير الاول

طبعا مطلوب من كل لجنة فرعية هذا وان كانت مهمة لجنة الدعوة والفكر أصعب بعض الشىء ، فبالنسبة للتنظيم الشبابى رفضت لجنة التنظيم الشبابى ان تضع نظاما للتنظيم الشبابى وحده وطلبت مناقشة ورقة العمل كلها ·

وفى لجنة الدعوة والفكر واللجنة السياسية لابد فى الورقة النهائية أن تقول رأيها فى النقاط الموجودة هنا حتى يمكن نقاش هذه الاراء لانه كما ذكرت أن لجنة العشرين لن تستبد برأيها لانها سوف تتأثر بآراء اللجان الفرعية النوعية المتفرعة منها ، والا لما كنا شكلنا هذه اللجان الفرعية ، فالنقط التى أثيرت كلها فى ورقة العمل كتساؤلات ونريد أن نتناقش فيها ويكون للجنة رأى معين فيها ·

● محمد محمود شعبان

والخط الايديولوجى أيضا ؟

● السكرتير الاول

والخط الايديولوجى ايضا ، فنحن نجمعه كله لان المفروض حسب قرار المؤتمر ان ننتهى الى امرين ذكرتهما ، فى بدء حديثى وهما : دليل العمل

التنظيمى ، وهذا أمر سهل لاننا عندما نعد دليل عمل تنظيمى للاتحاد الاشتراكى فانه يتم من خلال لجنة من داخل الاتحاد الاشتراكى .

أما بالنسبة للخط الايديولوجى ومنجزات الاشتراكية فانه سيعد كتاب يبين هذا الخط بيانا كاملا .

● احمد بهاء الدين

ليس عندى ما اقوله ، لكن قد أكون فيما أقول أعبر بنفسية معينة ، فمع تقديرى لكثير من الملاحظات التى قيلت ، اعتقد ان المشكلة قد تستدعى **تعديل قانون الاتحاد الاشتراكى** وهذه مهمة كبيرة ، ولكنها ضرورية فى اعتقادى لان المشكلة منذ تأسيس الاتحاد الاشتراكى هى أن قانونه بنصوصه كلها .. كانت حبرا على ورق ، واذا كان هذا هو الامر فى كل مناقشة أخرى فستكون غير مجدية فى الواقع .

فمثلا أنا حينما أود أن ادخل فى تنظيم سياسى له قانون ، فمفهومى ان هذا القانون ينظم حقوقى وواجباتى وينظم مشاركتى فى العمل السياسى وأشعر بهذا فعلا .. وأن يكون لى دور مهما كان .. فى لجنة صغيرة أم كبيرة وأن الاتحاد الاشتراكى هو طرف فى رسم سياسة ، والاعضاء العاملين فيه يتقدمون فى صفوفه بحكم تمثيلهم وخدمتهم وكفاءتهم الى اخر هذه الاشياء ..

فهنا يكون هناك فهم وايجابية من الناس تجاه الاتحاد الاشتراكى ، لكن اذا كان الاتحاد الاشتراكى مهما كانت نصوصه ـ وأنا فعلا أقرر هذا ـ فدساتير العالم فى الشرق والغرب جميعها قد تكون متشابهة ، ولكن هل هذه الدساتير تطبق أم لا ؟ هذا هو السؤال فى الواقع ، وهذا أيضا ينطبق على قانون الاتحاد الاشتراكى . فهل هو ديكور أم مجرد وعاء لاستنفاد طاقة الناس ، ام هو يشارك فعلا كطرف فى رسم السياسة العامة ويمثل رأى الناس تمثيلا حقيقيا وفى درجة من المناقشة والجدل ، وتتحدد المواقف تحديدا حقيقيا .

التجربة فى العشر سنوات الماضية شىء وما يحدث شىء آخر ، فالقرارات سواء كانت سياسية أو شخصية أو العادية تتخذ ـ بكل صراحة ـ بواسطة وبمسئولية القيادة العليا باستمرار ، فهناك سلطة تنفيذية تاريخية فى مصر قوية جدا جدا نشعر أنها تستطيع أن تتخذ كل القرارات ، وأن الاتحاد الاشتراكى يكفيه أن يبشر أو يبرر أو



أحمد بهاء الدين

يلم الناس ويجمعهم ، واننى ايضا أقول اننى أتكلم بنفسية معينة لاننى بكل صراحة حضرت مثل هذا الاجتماع مئات المرات حتى ٥ يونيو ، فقد قررت بعدها الا أحضر أى اجتماع لانه عبارة عن استهلاك للطاقة والنشاط دون أن يكون هناك مضمون حقيقى لهذا ودون اتخاذ قرار بأى شىء . ليس هذا بمنطق الفرد ولكن بمنطق الانفعالات ، فاذا كان هناك رغبة فى ان يكون الاتحاد الاشتراكى حقيقة مهما كانت نصوصه ، وعاء لتفكير الناس فاذا كان الاتحاد قوة ضغط وليس قوة تنفيذ وله رأى معين وهذا الرأى يوضع موضع التنفيذ ويكون مفهوما ولكن حينما يأخذ الموضوع على انه اجتماعات لجان أو سرادقات أو شىء من هذا القبيل فيكون كل هذا فى ناحية والقرارات الحقيقية شىء آخر ، وهذا هو سبب سلبية كثير من الناس .

بصراحة لا أستطيع أن أقول بتعديل القانون لاننى أزعم انه لم يوضع موضع التنفيذ وكذلك لا أقول انه صالح أو غير صالح .

نقطة أخرى هل أسلوب الاجتماعات الجارى سليم ، فمثلا فى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى الذى يعقد كل سنة هل يمكن أن نقول أن الصيغة التى يعقد بها هذا المؤتمر هى صيغة اعداد حقيقى لاتخاذ قرار أو خطة أو شىء من هذا القبيل ؟ طبعا لا .. فانا لا اتصور ان ينعقد مؤتمر يتكون من الفين من الاعضاء فى حجرة ويناقش مشاكل الارز والقمح وكل شىء .. كان يمكن هذا لو انه سبقه مؤتمرات كثيرة ومناقشة حقيقية .

أريد أن أقول انه من أجل هذا لم أطلب الكلمة

منذ البداية أريد أن أشعر بأن التنظيم جماهيرى . . ونابع من الجماهير . . وشكرا . .

● السكرتير الاول

مسألة مدى الجدية نسأل فيها فى كل اجتماع ، وهى نشأت من شيئين من تجارب عديدة فى الماضى ، ومما أشار اليه الاخ احمد بهاء الدين من أن قانون الاتحاد الاشتراكى لم يطبق وبيان ٣٠ مارس فيه اجزاء لم تطبق وكذا الميثاق نفسه .
فى الحقيقة هناك ثلاثة نقاط هـامة أود تحديدها :

الاول : ان التنظيم السياسى يجب أن يكون متحركا بصفة مستمرة ، بمعنى أن ما نعمله اليوم نحن جادين فيه وأملى أن يكون شعور الاعضاء هو اننا جادون فى اجراء هذا ، ومن أجل هذا فاننى أركز فى كلمتى دائما على الاسلوب العملـى للتطبيق ، وعندما أ ـال عن الوحدة الاساسيه يكون فى دهنى النتائج العملية التى تترتب على هدا التقرير ، لا أريد أن يخرج التقرير بنظريات فقط ــ لا لاننى ضد النظريات ــ ولكن لكى نستطيع التطبيق وهذا دليل على جديتنا فى العمـل والتفكير .

الثانية : كنا من وقت الى آخر نجرى تقييما للعمل السياسى ، ويجب أن يتم ذلك سنويا قبل انعقاد المؤتمر القومى بميزان قوى من الصراحة ، ما هى الايجابيات وما هى السلبيات ولا افتراض ان نظـم العمل سوف ينجح ١٠٠ ٪ فى المائة انما يستهدف هدف معين ثم نسير اليه بنسبة مئوية معينة الى أن تأتى ٥٠ أو ٦٠ فى المائة فنعتبر انفسنا تقدمنا انما اذا وصلنا الى ٢٠ أو ١٥ فى المائة فاننا نعتبر أنفسنا لم نتقدم .

النقطة الاخيرة : بالنسبة للمؤتمر القـومى وطبيعة عمله واللجنة المركزية وطبيعة عملها التى أشرت اليها فى حديثى ولم اتحرز من أن اشير اليها ، لان المؤتمر القومى عندما ينعقد انما ينعقد لظروف معينة نزل فيها أوراق الى اللجـان الاساسية فعلا ونوقش فيها بحرية وبالتالى يصدر المؤتمر قرارات فعالة لها قيمتها ، وليست هى الكشكول الكبير الضخم الذى تراه ، طبعا حينما نسأل أى انســان ونقول له هل انت جاد أم لا فسيقول انه جاد ولن يقول انه يهزل ، ولكن المهم أن نثبت أسلوب الجدية هذا أمام الناس . . لان الشعور العام بين الناس ان الاتحاد الاشتراكى يتكلم ولا ينفذ ، واننا بعد الفترة الماضية كلها نحاول ان نعمل شيئا نثبت به انفسنا أمام الناس .
واعتبر انه من الامور التى جعلت الاتحـاد الاشتراكى (اذا لم أكن مخطئا فى ذلك) يأخذ خطوة الى الامام هو انفتاحه على الناس واجتماعه فى لجنة مثل هذه اللجان واجتماعه مع النقابات . . وحضرت اجتماعات النقابات المهنية ، وقد كان النقاش يدور على أوسع نطاق فيها نقد للاتحاد الاشتراكى نفسه .

وعلى ذلك فاننى أقول ان الجدية يمكن أن تثبت بأمرين تثبت بطريقة الاسلوب العملى الذى سوف تنتهى اليه اللجان الفرعية ولجنة العشرين بحيث يمكن لاجهزة الامانات أن تطبقه ، ثم تنشأ أيضا من الانفتاح الكامل على الجماهير بمعنى ان يـكون هناك اجتماعات دورية مع النقابات المهنية .

وبالنسبة لما قاله الاخ من أنه يجب أن نحافظ على استقلال النقابات المهنية ، فنحن موافقون على هذا لان فى كلمتى قلت اننا لا نصادر الحركة الذاتية فى النقابات لانه كلما عقدت معهـا اجتماعات أكثر والتنظيمات أكثر كلما كان هناك متسع لعمل أكثر ولاراء أكثر ، تؤثر فينا وتقربنا من الجماهير .

● الدكتور عبد الملك عودة

لقد استمعت الى جميع الذين تكلموا وهناك أمور كثيرة صحيحة ولا داعى على الاطـلاق لتكرارها .

ولكنى اشير الى بعض الملاحظات الاخرى قد لا تمثل كل المشكلة ولكنها من الضرورى أن تطرح :

الملاحظة الاولى : خاصة بمجموعة القيم الاساسية الخاصة بالعمل السياسى فى البلد .

فى رأيى ان جزءا كبــيرا جـدا من الخلل فى أساليب العمل وفى التنظيم وفى التصـورات الادارية لادارة العمل فى الاتحاد الاشتراكى ليست قاصرة على الاتحاد ولكنها جزء من الاطار العام .

والخلل العام الذى يشمل المجتمع كله المتمثل فى الادارة الابوية وهذه موجودة فى المصـالح الحكومية وموجودة فى الاتحاد الاشتراكى وهى تعنى شعور مجموعة أو قلة من الناس بانهم يفهمون مصالح الناس أو انهم يعرفون كل شىء أو انهم عبروا عن كل شىء ، هذا الاسلوب يمارس فى الاسرة ويمارس فى الاداة الحكومية وعند السادة

الوكلاء والوزراء ، وعند قيـــــادات الاتحـــاد الاشتراكى ، وابتداء من العمدة حتـى رئيس الوزراء بصرف النظر عن اسم انسان معين .

هذا الخلل استشرى فى مصر وتمثل فـى مجموعات كثيرة من القيم ، فمن الامور الملاحظه أن حساسيه الناس قد وصلت الى درجة انهم يحسبون بداية الاجتماعات ونهايتها والتى أشار اليها الاستاذ احمد بهاء الدين فلا تجد اجتماعا يبدأ فى موعده وينتهى الى عمل فى موعد ملائم لعمل الناس وتفكيرهم .

واضرب مثلا فقد جاء فى الصحف من مدة ان هذه الاجتماعات كانت سوف تبدأ هذا الاسبوع تم أجلت وأجلت .. هذا يعطى الناس انطباعا بأن الامور لمنتغير ،ويجب أن تتغير ،وانني اقصد من هذه الملاحظة أن نلحق تغييرا فى مجموعات القيم والمبادىء التى تحكم العلاقات والعمل بيـن المؤسسات .

الملاحظة الثانية: خاصة بأدوات وانابيب الاتصال فانا لا أعتقد ان هذه الانابيب أو هذه الادوات أو مسارات الاتصال من أعلى الى اسفل أو من اسفل الى أعلى سليمة وسريعة الاستجابة لاراء الناس ، فهذا السيل الشديد من الشكاوى وتظلمات الناس دليل على وجود خلل ما بالحكومة أو الاتحاد الاشتراكى ، وحتى نحن حينما نتكلم فى التبرير لا نقنع الناس وهذه أيضا يجب أن تلاحظ وتدخل فى الاطار .

الملاحظة الثالثة : هـــو التركيز الشـــديد فى العاصمة حتى أكلت كل شىء حتى الاتحـــاد الاشتراكى ونشاطه اوموظفيه، والاسترزاق ايضا من حوله وأصبح مركزا فى العاصمة ولا يذهب الى الاقاليم ولا يقيم فيها ولا يتفاعل معها الا على الورق .

فاذا قلنا .. جاهدنا فى الله حق جهاده وادينا الواجب ثم انصرفنا .. هذه يجب أن نتعرض لها أيضا .

فهذه مجموعةقيممترسخة من خمسة آلافسنة منذ جلس فرعون الاول فى هذا البلد ، وحكمها حكما مركزيا .

النقطة التالية كما اشار اليها الاخ احمد بهاء هى **مشكلة المركزية فى مصر .**

فبالنسبة لعملية الحكم اللامـركزى فـى المحافظات ، وهى حتى الان لم تنجح لان تعيين محافظ أو أمين فى المحافظة لا يكفى ، انما يجب أن يتفق معه أو يتبعه اجراءات كثيرة خاصة باقامة



د. عبد الملك عوده

الناس والتأقلم بالبيئة والشعور شعورا نهائيا بأنه أمين ويعيش أمينا لمحافظة معينة . أما اذا كان فقط عبارة عن فترة رسوب أو تجهيز من اجل الوصول الى العاصمة أو منصب آخر فهذا هو باب الانتهازية وهـــو مستشر فى بناء الاتحـــــــاد الاشتراكى .

الملاحظة الاخرى على هذا هى **تعريف السلطة . وان كلمة أن الاتحاد الاشتراكى سلطة يلـزمه صدور تعريف شرعى رسمى** ، فمجلس الدوله عرف الاتحاد الاشتراكى كما ان الاتحاد الاشتراكى عرف نفسه ثم عرفته الحكومة ، ومع ذلك ما زال هناك تضارب بين حدود عمله ، فيجب أن يقال أنه سلطة سياسية أو راسم سياسة لا يتحمل مسئولية صياغة التشريع لان ذلك مسئولية غيره ولا يتحمل مسئولية تنفيذ لان هذه مسئولية غيره وكذلك لا يتحمل مسئولية اصدار حكم قضائى وانما هذه مسئولية غيره أيضا ، وانما هو يتحمل مسئولية رقابة ولكن ليس من خلال أجهزة الرقـــابة الموجودة .

هذا الكلام لا يوجه للسكرتير الاول واللجنة المركزية وانما يجب أن يوجه الى الاعضاء فى الوحدات وفى المصانع وفى الحكومة والمصالح الادارية لمواجهـــة ما يجرى يوميا من المشــــاكل والتعثر بين الصعوبات والشجارات بين اللجان وبين النقابات ورئاسات المصـــالح ومجـــالس الادارات وغيرهم . وحتى لا تلبس المصـــالح ويوضع فوقها الاتحاد الاشتراكى ثم ننقلب الى قضية ، وهذه النقطة ايضا يجب أن تتغير فى السلوك والاداء اليومى ولا يكفى لهذا بيان أو

(مانيفستو) وانما يجب أن نحاسب الناس على الاداء اليومى ، لان الاشياء الصغيرة مهمة قبل الاشياء الكبيرة لانها فى النهايه تتراكم وتسكون الصورة الحقيقية عند الناس .. وان المواطن العادى لا يرى سيد مرعى أو عزيز صدقى أو أنور السادات يوميا فى تعامله وانما يرى عضو اللجنة والجندى وصراف القرية ومأمور الضرائب .. كل هؤلاء هم الصورة المباشرة التى يجب أن يجد لها حلا .

ملاحظة أخرى هى أن الاتحاد الاشتراكى مصاب بنفس المرض المصابة به الدولة كلها وهو أن القيادات تتكلم دون ورق مكتوب ويعد سلفا ، ولا يوجد سياسى فى العالم يتكلم بدون ورق مكتوب ومعد سلفا . ولذلك يجب أن نتعود على أن نتكلم من ورقة مكتوبة ويكتبها غيرنا ولا يعتبر هذا عيبا أو نقصا فى كفاءة الناس أو اهانة لهم أو بابا للنقد أو التشنيع بأن فلانا يكتب له ولكن يجب أن تكتب الورقة وتورع سلفا حتى يكون للناس استعداد لما يقال بطريقة محددة وأسلوب عملى بعيدا عن الاسلوب البلاغى فالاسلوب الانشائى والبلاغى والذى ما زال مسيطرا من الثلاثينات على العمل السياسى رغم التقدم الذى حدث فما زال العمل السياسى يتحرك فى اطار انشائى عام يغرقنا فى كلام وشعارات تتخذها الناس مادة للسخرية والنكات ولا تجد وقتالجد تنفيذ اسلوب واحد سليم ينفذ ، مما يؤدى الى وجود مشاكل فى التطبيق وهذا يأتى أيضا من عموميات الشعارات والقرارات ، وهذه قد تكون وسيلة سهلة لهروب القيادات من المحاسبة حيث نجد أن اللغة العربية لغة ثرية تفرق الناس وتبسطهم والاذاعة أيضا تقول وتعيد فى أمور لا حصر لها ، أيضا .. كل هذا يجب أن يتغير .

ملاحظة أخرى خاصة بعلاقة الاتحاد الإشتراكى بالحكومة ، هذه العلاقة يجب أن تتحدد ، يجب أن يحترم الوزراء أماكنهم فوزارة الاعلام مثلا هى أداة لتنفيذ سياسة مرسومة فى قيادة الاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء والبرلمان ويجب أن تلتزم بهذه السياسات ، وتأتى الصعوبة هنا عند ترجمة هذه السياسات حيث أن الترجمة تتم لالوف التفصيلات اليومية ومن هنا يأتى الخلاف وهذه مشكلة صعبة . وهنا تبرز مشكلة الدعوة والفكر بصرف النظر عن هذه الامانة الصغيرة أو الاجهزة الكبرى من صحافة واذاعة وأعلام واتصال خارجى أو داخلى والتى تواجه يوميا بأشياء وتفصيلات لا أول لها ولا آخر . عندنا خط ارسال وعندنا خط اشتراكى وتمثيليات وتفسيرات ... الخ ولذلك فاننى اقترح انه يجب أن ينص على توسيع هذه المنطقة أو الدائرة فى رسم السياسة ، لان رسم السياسة قد يبدو سهلا بالنسبة للقضاء ، وذلك عن طريق خط سياسى بالنسبة للتشريع مثلا .. لكن رسم السياسة وتنفيذها فى دائرة الفكر والاعلام فهو أمر شاق ويجب أن يبسط فى تفصيلاته وفى اساليبه فأسلوب الوعظ والارشاد والدعوة الحالى أسلوب متخلف ، وأصبح لا يرضى أحدا ويثير السخرية والميكرفون من أجل ارضاء الناس لم يعد يأتى بأثر مطلقا أنا أدعو الاتحاد الاشتراكى ليغير هذه الوسيلة وليلغى عملية اقامة الشوادر والميكروفونات ويبحث عن طريقة أفضل يحقق بها نتائج ايجابية لان هذه العملية لها فئات تسترزق منها .

يجب أن نركز على تفصيلات واجراءات تنفيذ الخط السياسى للفكر والاعلام واعادة النظر فيه .

بعد ذلك تأتى ملاحظة خاصة بالوحدات الاساسية وبالمستويات واننى أدعو الى عمل تجربة وهى أن يعطى الناس حق المناقشة قبل اصدار القرارات وحق المساءلة بعد اصدار القرارات كتجربة فى جهة ما فالمسألة ليست فقط أن يقال لهم أو يطلب منهم أن يقولوا ، بل يجب أن نجرب ولو لمرة واحدة مثل وزارة الزراعة التى تقوم بتجاربها ، وقد نبدأ ذلك فى المحافظات ونقول للناس مقدما أننا نفكر فى صياغة قانون جديد للاحوال الشخصية مثلا أو مشكلة المخدرات وارجو أن تكون المناقشات فى نقطة معينة ثم نرفع من مستوى الى مستوى آخر ثم نناقش على أعلى مستوى ، ونعود بالملاحظات الى القاعدة مرة اخرى .

● **السكرتير الاول**

تعزيزا لما ذكرته أرجو أن أوضح أن هذا قد حدث هنا فعلا فى ثلاث موضوعات منها : قانون التعاون حيث استفدنا استفادة كبيرة عندماجمعنا الاراء من القاعدة عن قانون التعاون الزراعى ثم عرض القانون بعد ذلك على جميع الوحدات الاسسية ، ولذلك فانه عندما صدرالقانون وحتى فى مجلس الشعب درس دراسة مستفيضة واشترك فى ذلك الفلاحون وقد تكرر ذلك فى قانون العمل وقانون ايجارات المساكن .

● **الدكتور عبد الملك عوده**

لدى ملاحظتان اخريان : الاولى خاصة بالخط

السياسى والتصرفات السياسية ، فعندما أثير موضوع العراق كنت أعتقد أنه بمجرد أن قررت الدوله استقبال الوفد العراقى كان يجب ان يبلغ فورا السيد السكرتير الاول أو الامانة العامة وان يوزع تعميم داخلى على الناس ليعلموا هذا الخبر سواء عن طريق الاذاعة أو التليفزيون أو الصحافة . هناك خلل شديد فى العلاقة السياسيه بين القيادة السياسية ـ مع أنها هى نفس القيادة .

والقيادة السياسية تنظر بعينين فاذا نظرت الى السلطة التنفيذية ورئاسة الدوله فى رئاسه الجمهورية . أو فى الخارجية أو فى مجلس الوزراء تنظر بعين واذا نظرت الى الاتحاد الاشتراكى كى تكون العين الاخرى لا ترى .

انا أخشى ما أخشاه اننا نتوغل فى هذا المرض ونصاب بانفصام الشخصية ـ الجماهير يجب أن تعرف عن طريق التنظيم وليس عن طريق الاذاعه أو الصحف ، لانها تعرف أن صدام حسين يزور مصر انما كان يجب أن يتم هذا اما عن طريق لجنه الدعوة والفكر فهذه مسئوليتها التنفيذية انما يجب أن تعطيها بيان رسمى محدد وقد يكون ورقة سرية ... هذه ملاحظة يجب الاخذ بها لان جزءا كبيرا جدا من التصرفات لايقتنع الناس ،او جزءا من الناس يقتنع عن طريق الاذاعة والتليفزيون والصحافة، ولكن جزءا آخر من الناس يجب أن نتكلم معهم مباشرة عن طريق التنظيم وفى هذا مكاسب كثيرة .

الملاحظة الإخيرة الخاصة بالافراد واختيارهم فالواجبات والمواصفات الموضوعه للعضو فى الاتحاد الاشتراكى فى نظرى مواصفات مثالية لا تتحقق . وانا احوف ما اخافه اننا نكون مثل مواريثنا الفكرية التى تقول اننا نطلب الحاكم المستبد العادل الذى نصفه انسان ونصفه نحاس ، ونحن نطلب مواصفات فى مواطن غير موجود ولهذا ننظر أن الصورة الانتهازية هى التى تبدو عند اختيار الافراد .. كل واحد يلبس نفسه المواصفات المطلوبة ، فاذا جاز الاختيار يعود الى طبيعته حسب تكوينه الداخلى وبالطبع ، ولابد أن نقر أن المجتمع له أمراض اجتماعية وأن العاملين فى الحقل السياسى لابد أن يكون فيهم نسبة انحراف ويجب أن نقر بهذا وأن نتابعهم بالملاحظة والمتابعة وبالفصل اذا استلزم الامر .

ولكنى اطلب شيئا هو أنه حينما يفصل انسان أو يعزل يجب أن يصدر له قرار اتهام وهذا ليس عيبا ، اما بالطريقة العاطفية فهذا ليس من المصلحة فىشىء ويجب انيلاحق الناس ببيان عما فعله العضو ، ويعطى الحرية فى أن يناقش فاذا ادين فيجب ان يعرف الناس لماذا أدين ؟

● السكرتير الاول

لقد تم تشكيل لجنة النظام هنا برئاسة السيد حافظ بدوى لهذا الغرض بالذات ، ولم يصبح من حق السكرتير الاول أن يفصل أى شخص بقرار ونحن يعرض الأمر على لجنة النظام لان ذلك من اختصاصها .

● د. عبد الملك عودة

نقطة أخيرة أدعو للتفكير فيها وهى الاثقال الزائد علىهده القيادات ـ وقدضربت مثلابالسيد حافظ بدوى وهو رئيس مجلس الامة ورئيس هذه اللجنة وقد يكون لجان أخرى فانا الاحظ ان لدينا رغبة فىاستهلاك القيادات بمعدل كبير .. واما أن تكون رغبتنا فى هذا الاستحواذ علىالسلطة: أو اننا ـ وقد أكون سىء الظن فى هذا .. علما بانى لا أرى الا فى حدود ما أعلم ـ وأما أننا لا نحترم القاعده العلميه المطبقة فى العالم .. كل انسان له قدرة معينة على العمل ولابد أن يتمتع باجازة وراحة حتى يكون عنده طاقة فكرية متجددة،فاذا كان مثقلا بالاعباء من الصباح حتى المساء ، هذا الرجل يجب انيترك عمله .وانا اشكفىقدرتهعلى اصدار الاحكام الصحيحة أو قراءة الورق بعد مدة .

● السكرتير الاول

أنا أوافق على ما ذكرت حتى فيما يختص بالسكرتير الاول كاملا .

● د. عبد الملك عودة

انا لعدم الاحراج قد ضربت بسيادتك مثلا لان العامل يعمل ١٨ ساعة بدون ان يرى اولاده ، وليس هذا من الشجاعة بقدر ما هو الخوف من تكوين الصف الثانى .. هذه التهمة ايضا موجهة الى القيادات السياسية والادارية عموما، وهذا مرض عامفىالبلاد المتخلفة .. اننا لانرغب فى ايجاد صف ثان لكى يرثنا . انما التنظيمات فىكلالدنياتهدبذايجاد هذاالصفالثانىلكى يستريح الذين تعبوا ووصلوا الى سن الشيخوخة والذين يشكرهم الوطن على ما أدوه من عمل .

● الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار

فى تصورى اننا اجتمعنا كى نبحث أو نعيد النظر فى ورقة العمل التى قدمها لنا السيد السكرتير الاول ، ومن المناقشات البناءة التى استمعنا اليها ،فقد أوضحت كثيرا مما كان غامضا

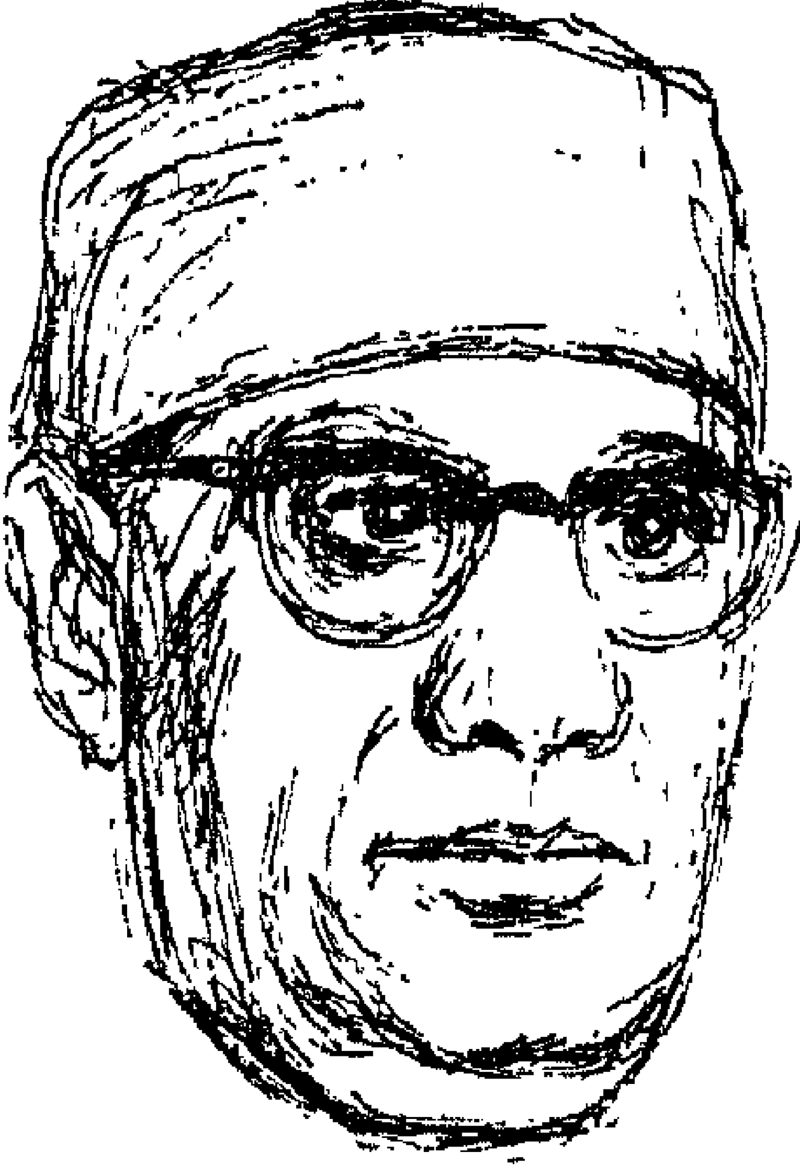
فى ورقة العمل ، كما فتحت أبوابا كثيرة للحوار الديموقراطية البناء الذى يقوم اساسا على نقد الذات قبل نقد الاخرين ، بمعنى ان ننقد أنفسنا أو اخطاءنا وتصرفاتنا فى الماضى لكى نعرف موقعنا من الصواب والخطأ ، وموقفنا من الصدق والحق فاذا ما تبينا ذلك كله استطعنا أن نسير بايمان وبقوة وباخلاص الى اهدافنا القومية والسياسية العليا ٠

والذى استوضحته الان انه لا تزال هناك كثير من المفاهيم غامضة غير واضحة ، لاننا نتحدث حول هذه المفاهيم ، بعضنا يتحدث فى جزئيات تفصيلية لا أظن اننا استمعنا اليها الان، وبعضنا يتحدث فى أشياء بعيدة عن تحديد المفهوم الذى وجدنا لنتحدث فيه ٠٠ هذه المفاهيم مثلا تتحدث عن الكيان العام للاتحاد الاشتراكى ، وعن الكيان العام للدعوة والفكر وتحالف قوى الشعب العاملة وانا أريد قبل ان نتحدث عن مفاهيم تكتب وتسطر أو توجه شفاهة ان نحدد بيننا هذه المفاهيم وما مدلولها وأهدافها وما الذى ينطوى عليه ؟ ومـــا الغرض منه ؟ ماهو الاتحاد الاشتراكى مفهوما وهدفا ؟ ونحن الان مختلفين حسبما سمعت هل هو عبارة عن ممثل لقوى الشعب العاملة أو هو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟ وانا افهم ان هناك فرق كبير بين ممثل لقوى الشعب العامل وتحالف قوى الشعب العاملة ٠ فى الاولى تكون سلطة الاتحاد الاشتراكى وفاعليته مستمدة من القاعدة الشعبية الحقيقية التى تمثل مجتمعنا ، وليست مستمدة من الدولة أو من مراكز قوى أو قيادات قفزت الى هذا المكان ثم بدأت تستخدم سلطانها ضد قوى الشعب العاملة ٠

كنت أود ان اعرف عندما نقول الاتحاد الاشتراكى ممثل لقوى الشعب العاملة هذا نوع فان الاتحاد الاشتراكى منفذ لخط اجتماعى معين وهنا يكون نوع آخر ٠

أريد تحديدا ٠٠ كيف يكون الاتحاد الاشتراكى ممثل لقوى الشعب العاملة وفى الوقت نفسه موجه لخط سياسى معين ؟ قد يكون لم يؤخذ فيه رأى هذه القوى أو يكون مفروضا على هذه القوى ٠

يسمح لى السيد السكرتير الاول لقد تحدث سيادته عن عدم وجود تناقضات وانا أقول ان هناك تناقضات فى هذه العلاقات ٠ الاتحاد الاشتراكى أما ان يكون ممثلا لقوى الشعب العاملة ومعبرا عن يكون عبارة عن أداة ضغط على هذه القوى يوجه امانيها وارائها وعن الخط السياسى الذى تختاره وكذلك الخط الاجتماعى ، واما يقوم بدور آخر بأساليب معينة وخطوط معينة فيعمل على ان تنفذ هذه الاساليب وهذه الخطوط رضيت بها ، ام لم ترض ٠٠



الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار

هذان اتجاهان متناقضان ، اننا نريد ان نحدد ماهى المهمة وماهى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين قوى الشعب ، وماهى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الدولة وكذلك بينه وبين مجلس الشعب لان ممثل مجلس الامة هو ممثل لقوى الشعب بكل طوائفه ٠ الاتحاد الاشتراكى أيضا ممثل ، قد يقال ان هذا فى مجال التشريع وهذا فى مجال التوجيه ولكن ٠٠ التوجيه لمن أهو التوجيه لقوى الشعب العاملة الذى يفترض أنه يتحدث باسمها معبرا عن آمالها وامانيها ، أم أنه عبارة عن توجيه من الدولة او توجيه لقوى الشعب نفسها أو الدولة نفسها لحساب مصالح قوى الشعب العاملة ٠٠ انا لا اقصد بهذا ان اضع حاجزا بين قوى الشعب العاملة وبين الدولة ، انما أريد ان أزيل اللبس الذى كثيرا ما يحدث ويدعو الى كثير من الاخطاء التى أشار اليها الاساتذة فى احاديثهم ، ففى الوحدات الاساسية التى تكلمتم عنها فى القرية تناقضات الوحدة الاساسية تنتخب انتخابا حرا ، وبنية بريئة من الفلاحين والعمال وتكون النتيجة ان الذى انتخب بعد ايام يصبح مركز قوى ومركز استغلال لهؤلاء الناس الذين انتخبوه ٠

نحن نعرف ان السيد السكرتير الاول يفهم جيدا وكثيرا من الاشياء ، كلنا نعلمها ان الرجل الذى ينتخب فى لجنة الاتحاد الاشتراكى الاساسية يصبح تاجرا ومستغلا ٠٠ الدولة تدعو للنظام وتضع القانون يقصد به خير المجتمع والقوى الشعبية العاملة وتكون النتيجة ان هذا القانون يفسر بوجه آخر ، وعلى سبيل المثال عندما يقال ان الفلاح الذى يستغل هذا الموقف ٠٠ انه ليس الفلاح ولكنه امين الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ورئيس الجمعية التعاونية

فينقلب بعد ان كان معبرا عن أمانيهم وحاميا لهم يصبح هو نفسه المستغل لهم .

التناقضات موجودة والثورة منذ نشأت ، نشأت على جهاز اعلامى قوى ، وان التوعية لازمة ولابد ان يؤدى كل منهم واجبه .

النقطة الثانية : اننا نريد ان تكون هناك ثقة بين القيادة وبين الشعب وبين كل الاجهزة الحاكمة ، والثقة بالنسبة للصحافة ايضا فقد قيل عنها انها ملك للشعب وملك للاتحاد الاشتراكى لكن اصبحت محتكرة لطوائف معينة ولا يستطيع اى شخص ان يعبر عن رأيه ولا أريد أن أدخل فى تفصيلات والا هناك عشرات الموضوعات التى يمكن ان تطرح .

اما بالنسبة للاشتراكية فاذكر كلمة للرئيس جمال انه قال انها ليست مستوردة ولكنها عربية وهى نابعة من طبيعه بلدنا ولهذا نستطيع ان نقول انها قومية عربية أو نقول أنها اتحاد قومى يعبر عن قومية الشعب .

اننا نريد ان نحقق خطا واضحا لمفهوم نحدده ونخلقه . اننا نتكلم كثيرا وأدوات الاعلام لم تتفق على رأى ولابد لنا من فكر موحد يجمعنا فى كل النواحى وعلينا ان نتمسك بالوثائق السابقة بجملتها حتى يتحقق هدفنا من وضعها .

وقد تكلم الدكتور عبد الملك عودة عن أسلوب الوعظ والتخلف وانا أقول انه تقدم نسبيا وان الذين يذهبون الى المساجد يشعرون بهذا من قيام السادة الوعاظ بواجبهم خير قيام ونرجو ان نوفق للمستقبل والنصر . وان يعمل كل منا جادا مخلصا على تصحيح هذا الخطأ واعتقد ان هذا واجبنا جميعا فى موقعنا هذا وفى مواقفنا المستقبلة ان شاء الله .

● د . محمد انيس

اننا لنرى ان هناك تصوران للمناقشة ، التصور الذى ذكره الدكتور الخفيف ، وهو ان نقطة البداية يجب أن تكون على هذا النحو ، **فمن أين بدأنا ؟** نحن بدأنا من انقطاع كما عبر الاخوان .. انقطاع النفه بين الجماهير والاتحاد الاشتراكى ، واظن ان السيد السكرتير الاول قال اننا لا نستطيع القول بخلق معارضة - هذا صحيح - ولكن المعارضة موجودة فى الشارع وليس فى الاتحاد الاشتراكى .

وهناك تصوران : التصور الاول طرحه الدكتور محمد الخفيف وهو ان علة هذا الموقف ترجع الى التركيب الاجتماعى والحزبى للاتحاد الاشتراكى .

التصور الثانى الذى طرحته سيادتك فى ورقة العمل ، **انا اقول انه يصح ان يوكل الى الدكتور الخفيف بكتابة بحث الى هذه اللجنة خاصا بفكرته وقد نقتنع اللجنة بهذا - واللجنة استشارية .**

● السكرتير الاول

هنا نقطة نظام يا دكتور انيس - اللجنة ليست اعلى من المؤتمر القومى واى بحث يخرج عن قرارات المؤتمر القومى يكون خارجا عن الموضوع واللجنة استشارية فى حدود قرارات المؤتمر والدراسة المطلوبة تتعارض مع جميع النظم المعمول بها وقرارات المؤتمر القومى .

وحينما نأتى فى هذه الفترة ونعدل تعدد احزاب **فهذا وضع يخرج عن سلطتى وسلطتك : فنحن مقيدون باسلوب عمل ونتناقش على مقررات معينة .**

هذه المقررات كيف تتفتح على الجماهير .. الخ

● **الدكتور محمد انيس**

نريد ان ننبه اللجنة الى انه قد يكون فى هذا الطرح حل قضية الاتحاد الاشتراكى ، اما الاقتراح الثانى الذى خاض فيه الاخوان فهو يدور حول مشاكل كثيرة عرضت علينا فى هذه الورقة ، واذا كان الاقتراح الاول مرفوضا من القيادة السياسية ومن المؤتمر القومى العام فعلى الاقل ، وحتى تكون المناقشه منظمة ، اننا نبدأ فى قراءة بند بند من هذه الورقة ، ثم نقول رأينا فيها ، ثم بعد ذلك اذا كانت هناك أية اضافة يمكن اضافتها .

وان كنت متمسكا بان من حق الدكتور الخفيف ان يطرح تصوره أمام اللجنة، ثم يرفع هذا التصور الى القيادة السياسية العليا متمثلة فى سيادتكم او اللجنة المركزية او المؤتمر القومى العام .. وشكرا ..

● صلاح طاهر

استفسار عن مفهوم الاتحاد الاشتراكى كما هو فى ذهنى .. هل هو بمثابة محطة ضخمة جدا من الارسال والاستقبال كحلقة اتصال بين الشعب والحكومة على اساس الا يكون هناك عزلة بين الشعب والحكومة ، وعلى اساس ان يكون هناك اتفاق فى السياسة والعمل بين الشعب والحكومة .

● **السكرتير الاول**

لا .. المفهوم أكثر من هذا المطروح ، هو كما أشار الاخ الدكتور انيس ، وهذا ما انتهينا به فى

اللجنة السياسية ، فعندما نستعرض ورقة العمل نجد ان بها اسئلة تركت للنقاش حتى لا تربط احد بنقاش .. ففى الحقيقة ان الموضوع اوسع من ذلك ، ولا نستطيع القول بان الاتحاد الاشتراكى هو جهاز ارسال واستقبال ، وقد يجوز أن تكون جزءا من مهمته هى النقل للجماهير وايضا النقل عن الجماهير .. لكن مهمته اشمل من هذا سواء كان بالنسبة لبرنامج العمل الوطنى او بالنسبة للخطة .. الخ ، وانه فى الجلسة القادمة بمشيئة الله سوف تتخذ نفس القرار الذى اتخذ فى اللجنة السياسية حيث ناخذ الورقة بندا بندا حتى نستطيع بحثها .

● **موسى صبرى**

اننى أرى أن هناك موضوعا اساسيا يرتبط ارتباطا مباشرا بلجنة الدعوة والفكر وهو موضوع الصحافة ، وهو أنه فى كل اللجان حدث حديث طويل عن الصحافة ، وفى الجامعة كان هـذا الموضوع الاساسى وفى الشارع وفى الحقيقة فى كل بيت .

لكن قبل ان اصل الى هذا الموضوع أريد ان اطرح جزءا من مشكلة عامة ..

اريد التعليق اولا على ما ذكره الدكتـور الخفيف .. لقد أشار انه خائف وهو لا يعلم أن هذا الكلام الذى ذكره وتفصيلاته سبق ان قيل فى لجنة العشرين ، وكلامه ايضا فى صورته العامة قلته فى اجتماع اللجنة السياسية ، قد يكون ذكره من موقع ماركسى وانا ذكرته من موقع غيـر ماركسى ، فالمسألة فعلا هناك اتفاق عام عليها ونحن لا نريد ان ندفع السيد السكرتير الاول الى اليأس ونحن نشعر انه فى هذا العمل يتحمل على عاتقه اكثر مما يتحمله بشر ، لانه يواجه بعد ان اخذ على عاتقه مسئولية ما يمكن ان يقال اعادة الثقة فى الاتحاد الاشتراكى ، وسيادته يواجه مسئـولية خطيرة امام الجماهير بحيث اذا انتهت هـذه الاجتماعات وانتهت لجنة العمـل واللجـان الاستشارية واللجنة المركزية والمؤتمر القومى .. الخ وعدنا من حيث بدأنا ستكون المسئولية اخطر ، فالمواجهة العامة فى الحقيقة هى اخطر من كل هذا وهى ازمة عدم الثقة .. ليست ازمة عدم الثقة فى الاتحاد الاشتراكى فقط وانما هى ازمة عدم الثقة فى النظام ككل ويجب ان نواجه انفسنا بهذه الحقيقة الخطرة جدا .

هذا هو الاساس ، واننى اذكر انه بعد الهزيمة وعدم الثقة التى ترتبت عليها بعد ان كان الناس يتوقعون النصر فى عدة أيام .. فى هذه الظروف قام الرئيس السادات بعد الهزيمة مباشرة ــ وكان فى ذلك الوقت رئيسا لمجلس الشعب ــ بدعوة عدد من الكتاب والصحفيين الى اجتماع للتشاور ، وقد كان افضل المتحدثين فى هذا الاجتماع على ما أذكر هو الاستاذ أحمد بهاء الدين حيث ركز فى حديثه عن الهزيمة على نقطة واحدة اعادها علينا اليوم لانها لا تزال قائمة ، وهى المشاركة فى المسئولية ، لانه اذا احست الجماهير واذا احس ممثلو الجماهير بأنم يشاركون حقا وفعلا فى المسئولية السياسية فسوف يتحملون نتائج هذه المشاركة ..

وان التجارب من بعد عام ١٩٦٧ حتى الان لم تنجح فى هذا ، وهذا يرجع فى الحقيقة للظروف العامة فى البلد التى زادت الامر بلبلة .. وان المثل البسيط على ذلك هو لجان المواطنين من اجل المعركة .. لقد شكلت لجنة عليا من خمسين عضوا مثلت فيها مختلف الكفاءات ، كما اعطيت لجان المواطنين من اجل المعركة فى المحـافظات اختصاصات لاعد لها ولا حصر ، قادرة على ان تعد افريقيا كلها للمعركة وليست مصر فقط ، ومع ذلك فقد اجتمعت هذه اللجان ثم انفضت .. ثم انفضت اللجنة كلها دون نتيجة .. وهناك امثلة عديدة على ذلك .

ان هناك موقفا خطيرا الان سببه هو حرب أو لا حرب .. هذا هو الاساس ، واننى أرى اننا نناقش مختلف الامور ساعات طويلة وقد نسينا فعلا الحقيقة الحاسمة الفاصلة فى الموقف كله ، ولقد قلت كلاما مشابها لما قاله الدكتور الخفيف فى اللجنة السياسية ، ولكننى لم أنته الى حل ، وقد راجعت نفسي كثيرا وأنا أفكر فى وسيلة للتجميع واعادة الثقة ، واذا فكرنا اليوم فى أيديولوجية الاتحاد الاشتراكى وفى كل هذه الجزئيات ، فاننا كأننا نفكر فى وقت سلام ووقت طبيعى ، ولكن الظروف أخطر من ذلك بكثير ، وهناك سبيل واحد أمام الاتحاد الاشتراكى كخط عام .. اذا استطاع الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة أن يكون تجمعا كبيرا بصرف النظر عن الخلافات التفصيلية .. تحالف أو حزب فهذه ليست مهمة ، ولكن اذا نجح الاتحاد الاشتراكى فى أن يكون تجمعا جماهيريا من أجل المعركة فان هذا سوف يوافق عمل اللجان الاستشارية وعمل لجنة العمل والخط الاساسى .. لان الجماهير لابد أن تتجمع حول شعار المعركة أو لا معركة ، ولقد ثبت فى خلال العشر سنوات الاخيرة أن الجماهير لم تتجمع حول شعارات الميثاق ، وقد يكون هناك اخطار فى التطبيق لا نريد أن نناقشها تاريخيا ، ولكننى أقول اليوم والظرف عصيب وخطير ، والجماهير لا تصدق شيئـا ،

وتأخذ التصريحات والخطب الرسمية مأخذ شك رغم أنفها ..

اذا نجحنا فى أن نجعل الاتحاد الاشتراكى يتحول فعلا الى تجمع جماهيرى يوجه كل جهوده وسلطاته وكل نشاطه الى أن يصبح الشعب كله بكل فئاته وطبقاته وتناقضاته على الطريق نحو الهدف ، وتكون مهمة الاتحاد الاشتراكى والاجهزة السياسية الاخرى مراقبة جدية التنفيذ يمكن القول اننا نسير فعلا فى طريق المعركة ، فالناس دائما تسمع اننا نعد للمعركة بينما ترى مظاهر تتنافى تماما مع الاعداد للمعركة ، ومرة يقال اننا نريد تقشفا وتضحيات ولا نريد مطالب ، ثم ترى الجماهير أشياء أخرى كأن يقال مثلا أن حل مشاكل الجماهير الاساسية يعتبر خدمة للمعركة وتصرف بدلات طبيعة العمل لفئات ، واننا لم نسمع فى حياتنا طلبات مثل الذى نسمعه فى هذه الايام ، كأننا نعيش فى حالة سلام ، فاذا حدث تجمع حقيقى نحو هذا الشعار (شعار المعركة) حتى ولو أدى الامر الى أننا ندخل المعركة بعد خمس سنوات ، ولكن يكون هناك ثقة فى هذا ، وأن يؤدى الاتحاد الاشتراكى هذا الدور بما فيه من تناقضات ..

ان الجماهير تريد أن تتجمع حول شعار ثقة ومعركة ، وأن الصحافة مجنى عليها فى هذا وملعونة ، وان كل الاخطاء تعلق على شماعة الصحافة .. لماذا ؟ .. أننى لا أقصد بهذا أن الصحافة ليس فيها أخطاء ، ولكن هناك أخطاء للعاملين فى الصحافة وهى أخطاء لها أسبابها ، ولكن حتى الان منذ أن أممت الصحافة أو منذ أن صدر قانون تنظيم الصحافة وعدل ، فمن المفروض أن يكون هناك علاقة ملكية بين الصحافة والاتحاد الاشتراكى ، ولكن هذه العلاقة لا توجد على الاطلاق .. ليس هناك حتى علاقة بين الصحافة والاتحاد الاشتراكى ، أو بين الصحافة والجهاز التنفيذى ولاتزال هذه المسائل خاضعة للتصرف الشخصى والاسلوب الشخصى ، وأن الصحافة هى الملومة أخيرا ، وهناك أمثلة عملية على ذلك .. فمثلا فى الفترة الاخيرة بالنسبة لمشروع الملك حسين .. أليس من المؤلم ألا يسمع المسئولون عن تحرير الصحف بتفاصيل هذا المشروع الا من اذاعة بغداد « حيث قامت اذاعة بغداد باذاعة تفاصيل المشروع فى الوقت الذى أرسل فيه الملك حسين مشروعه الى جميع الحكومات العربية ومنها مصر ، والى جميع العواصم بينما نحن فى أول يوم نذيع فى الاذاعة عن بيان خطير للملك حسين ثم استنتاجات من وكالات الانباء ، فهل يمكن لرئيس تحرير صحيفة أن يتصرف تصرفا شخصيا من وحى فكره الخاص فى أسلوب ابراز هذا البيان أو أسلوب عرضه ، وهل يعرض بلا تعليق ؟ أو يعرض عرضا هادئا ؟ أو يضمن اتهاما معينا ؟ لم يحدث شىء ، ولم يحدث اتصال سواء بين الصحافة والاتحاد الاشتراكى أو بين الصحافة والجهاز التنفيذى .. والنتيجة أن صدرت الاخبار وقد آثرت أن تتريث وعرضت الموضوع عرضا موضوعيا بلا تعليق .. أما الاهرام فقد عرضته وبه اتهام خفيف بالتواطؤ ، وفى ثانى يوم اعلن المشروع ..

وما يهم فى هذا هو أنه لم يسأل أحد رؤساء تحرير الصحف أو طلب عقد اجتماع لدراسة هذا الموضوع من جوانبه المختلفة .. لم يحدث شىء من هذا ، وانما الذى حدث هو أنه فى ثانى يوم بعد اذاعة المشروع تلقينا تليفونا بأنه اذا كنا نريد أن نهاجم المشروع فلا مانع من ذلك .

وكذلك موضوع الوفد العراقى ، وأيضا أثناء حرب الهند وباكستان حدث مثل هذا فى كل حدث سياسى أساسى مطلوب فيه رأى للقيادة السياسية وما يحيط بها من أجهزة سياسية ودستورية ، بمعنى أن تكون الصحافة فى جانب بينما يطلب من المسئولين عنها أن يتصرفوا أيضا فى نشر الرأى ..

واننا نسمع كل يوم الان من ينادى بحرية الصحافة ، بينما ليس معروفا الى أى مدى تكون هذه الحرية .. هل نستطيع الصحافة مثلا اذا أراد السيد رئيس الجمهورية استخدام حقه الدستورى فى تشكيل وزارة جديدة .. هل تستطيع الصحافة نقد هذا التشكيل الجديد وأن تقول انه ليس هناك داع لهذه الوزارة الجديدة ، أو اذا استخدم رئيس الجمهورية حقه الدستورى فى اخراج وزير من الوزارة ليصبح مستشارا لرئيس الجمهورية .

ان الناس تطالب أيضا بصورة غير محدودة لحرية الصحافة .. فمثلا قد حدث رأى عام فى تكوين لجنة العمل ، وقيل كيف تكون هذه اللجنة من مهمتها اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بينما يوجد فيها خمس وزراء خرجوا من الوزارة السابقة بحكم انهم غير صالحين للمرحلة القادمة .. مرحلة المواجهة .

كل هذه الامور تثار الان بين الناس ، والناس تطلب من الصحافة أمورا ليس من السهل أو الطبيعى تنفيذها ، الا من خلال ما نتفق عليه وأن يكون الرأى معقولا ، فمثلا عندما يكتب كاتب ما يفهم منه اننا غير قادرين على المعركة وأنا لا أشك فى اخلاص هذا الكاتب فيما يكتب لانه قد يكون مقتنعا بهذا الكلام ، أو قد يكون لديه من المعلومات ما يبرر هذا الاقتناع ، وقد يكون هذا الرأى يعبر عن شجاعة يفتقدها عنده، وقد تكون لدينا الشجاعة

ولكن ليس عندنا معلومات للنشر ، وفى نفس الاسبوع الذى تنشر فيه المقالة نقرأ حديثا للسيد رئيس الجمهورية لصحيفة « نيوزويك » وينشر على الناس أن المعركة أقرب مما نتصور ، وبعد ذلك يأتى كاتب آخر لكى يدفع الناس ويشحنهم الى المعركة ، وقد يتهم بأنه رجل سطحى وأنه ينافق السلطة وهكذا ٠٠

اذا كنا نريد أن يتحول الاتحاد الاشتراكى الى تجمع جماهيرى صادق ويواجه المرحلة الخطيرة وهى مرحلة عدم الثقة فعلينا أن نعقد جلسة خاصة لهذه اللجنة لدراسة شئون الصحافة وشئون الاعلام والاذاعة والتليفزيون ووسيلة ربطها ووسيلة عملها فى اطار يمكن به تحقيق الهدف الذى يسعى اليه الاتحاد الاشتراكى ، لاننا اذا وصلنا بالاتحاد الاشتراكى الى طريقة كما نأمل ، فلا تتخيل أنه ينجح فى هذا بغير صحافة واضحة الخطوط وواضحة التنظيم وواضحة المسئوليات والاختصاصات ، فما قد ينجح فيه الاتحاد الاشتراكى قد تفشله الصحافة ٠

● **السكرتير الاول**

أقترح عليكم الان أن يكون اجتماعكم القادم بمشيئة الله مع اللجنة السياسية ، لاننى أرى أن النقاش يكاد يكون سائرا فى نفس الخط الذى تسير فيه اللجنة السياسية ٠

كما أننى أقترح عليكم ضم هذه اللجنة الى اللجنة السياسية على الاقل فيما يختص بأسلوب العمل ٠

بالنسبة للجزء الخاص بحرية الصحافة ٠٠ فى الواقع هو محل دراسة الان مع الدكتور جابر جاد فى أمانة الدعوة والفكر ، لكن الموضوع أيضا يحتاج الى مناقشة على مستوى أكبر مثل مستوى اللجنتين مجتمعتين ويمكن أن نتناقش فيه عند اجتماع اللجنتين ٠

● **الدكتور ايهاب اسماعيل**

أستأذن السيد السكرتير الاول للجنة المركزية فى أن أبدى اقتراحا يتعلق بالعمل فى اللجان بوجه عام ٠

هناك واجبان ملقيان على عاتق أعضاء اللجان الفرعية ٠

الواجب الاول يتعلق بالتصور العام للاتحاد الاشتراكى ٠

والواجب الثانى يبدأ الى خصوصية اللجنة الفرعية المشكلة ، فقد تصادف أن حضرت اجتماع اللجنة الفرعية للشباب وجدت أن كثيرا من وجهات النظر والتساؤلات التى تطرح تكاد تكون متطابقة ، مما يجعلنى أسأل هل من المناسب أن يبحث الشق الخاص بالاسس العامة للاتحاد الاشتراكى مع كل اللجان مجتمعة ، أم أن هناك عائق يعوق مثل هذه الفكرة ؟

أعرض هذا الاقتراح ، وأنا أشير الى أن تفكيرى الخاص وتفكير المجموعة التى تجلس هنا أنها تدور حول نفس الموضوعات وربما تتفرع الى تفريعات تختلف عن التفريعات التى تتفرع اليها مجموعة من الزملاء فى لجنة أخرى ٠

وأقول انه من حسن التخطيط لهذه المناقشة اما أن نناقش جماعة فى صلب هذه المشاكل الواحدة التى تطرح على كل هذه اللجان أو على الاقل أن تكون محاضر اجتماعات اللجان الفرعية وهى تناقش هذه المشاكل مطروحة أمام هذه اللجان فى اجتماعاتها الفرعية ٠

وشكرا ٠

● **السكرتير الاول**

فى الحقيقة لقد فكرنا فى هذا وأن أسلوب العمل فى الجلسة الاولى عادة ما يكون أسلوبا استعراضيا كما حدث اليوم ٠

نحن لا نحب تقييد اللجان ولكن بمجرد أن تبدأ عملها سنهتم بالدخول مباشرة فى ورقة العمل ، لاننا فى الواقع نستفيد من النقاش الذى يجرى ويحمل وجهات نظر مختلفة ٠

والنية فى نهاية عقد جميع هذه اللجان كلجان متفرعة ، وأن توزع جميع محاضرها على جميع الاعضاء ٠

ثم نجتمع على هيئة جمعية عمومية لقراءة الورقة ٠

ورجائى للسادة الاعضاء أنه قبل انعقاد الجلسة القادمة والذى لن نتمكن من تحديده اليوم ، أن تكون ورقة العمل قد وزعت عليهم فعلا وهى تحتوى على أسئلة وتساؤلات ، وهذا اتجاه اتبعناه أيضا فى لجنة العشرين بأنهم يدونوا لنا آراءهم فيما يختص بالنقط المثارة فى ورقة العمل وترسل الى سكرتارية اللجنة قبل عقد الاجتماع ، والا سنجد اجتماعاتنا تكرارا لنقاش مستمر ٠

أما عندما تكون ورقة مكتوبة تحتوى على رأى العضو فى موضوع معين فستعرض هذه الورقة وتوزع ، وقد اتجهنا فى لجنة العشرين الى هذا ٠ بحيث تكون الجلسة القادمة محددة بمواضيع معينة من واقع مشروع ورقة العمل المقدمة٠٠

وفى النهاية أشكر الاخوة الذين ساهموا فى هذه المناقشة ٠٠ وشكرا ٠٠

(وانتهى الاجتماع حيث كانت الساعة الثالثة بعد الظهر) ٠

اجتماع اللجنة الفرعية للأدباء والفنانين

أول ابريل ١٩٧٢

اجتمعت اللجنة الفرعية للادباء والفنانين فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين من صباح السبت الموافق أول ابريل سنة ١٩٧٢ برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية . وحضور السادة الاعضاء وهم :

● سعد الدين وهبه ● ابراهيم الوردانى ● محمد ثروت أباظه ● السيدة امينة السعيد ● الدكتور حسين فوزى ● الدكتور محمد خلف الله احمد ● عبد العزيز الدسوقى ● السيدة سميحة ايوب ● السيدة فايدة كامل ● احمد رشدى صالح ● صلاح عبد الصبور ● الدكتور عبد العظيم أنيس ● أمير اسكندر ● نجيب محفوظ ● أنيس محمد منصور ● الدكتور لويس عوض ● صلاح أبو سيف ● بدر الدين أبو غازى ● الدكتورة سهير القلماوى ● عبد الحميد جودة السحار ● نبيل الالفى ● مدحت عاصم ● حمدى غيث ● أحمد حافظ مظهر ● أحمد عباس صالح

واعتذر عن الحضور كل من :

● سعد اردش ● الدكتورة سمحة الخولى ● السيدة سناء جميل ● كمال الملاخ ● يوسف السباعى ● محمود مرسى ● عبد الرحمن الشرقاوى ● الدكتور عبد العزيز الاهوانى ● الدكتورة لطيفة الزيات ● محمد زكى عبد القادر ● صالح جودت .

وقد حضر الاجتماع كل من السادة

- صلاح غريب وزير القوى العاملة
- الدكتور محمد دكرورى عضو لجنة العمل الوطنى
- المهندس ابراهيم شكرى عضو لجنة العمل الوطنى وأمين النشاط المهنى
- الدكتور جابر جاد عبد الرحمن عضو لجنة العمل الوطنى وامين الدعوة والفكروالاعلام
- الدكتور احمد كمال ابو المجد عضو لجنة العمل وامين الشباب
- السيدة كريمة السعيد عضو لجنة العمل
- عبد الحليم الجندى عضو لجنة العمل
- ثابت السفرى عضو لجنة العمل
- اسماعيل القاضى عضو اللجنة المركزية
- الدكتورة زينب السبكى عضو اللجنة المركزية

● السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم ..

اجتماعنا اليوم فى هذه اللجنة بالذات له مدلول معين وله أهمية خاصة بالنسبة للاتحاد الاشتراكى .

المعالجة التى سرنا فيها سواء فى ورقة العمل التى وزعت على حضراتكم أو فى تفكيرنا لتغيير اسلوب الاتحاد الاشتراكى ، وتغيير اسلوب الاتحاد الاشتراكى لا يعنى أبدا اعادة انتخابات أو تكرار انتخابات سابقة ولكنه يعنى أن الاتحاد الاشتراكى فى صورته النهائية يعبر فعلا عن آراء الجماهير ويتبنى آراء الجماهير على وضعها بحيث انه يأخذ من هذه الاراء أو يضيف اليها بحيث يكون ممثلا فعلا للقاعدة الجماهيرية .

ومن هنا جاءت قرارات المؤتمر القومى وما جاء بالكلمة التى ألقاها السيد الرئيس ، وكذلك الكلمة التى تشرفت بالقائها امام المؤتمر القومى أنه لن نصل الى هذه النتيجة الا بسياسة انفتاح كاملة على القاعدة الجماهيرية .

ولكى تحقق سياسة الانفتاح ولكى تكون الصوره كاملة امام الناس بشكل عملى وليس بشكل نظرى او بالكلام خاصة واننا جميعا نعلم أن الجماهير أصبحت تضيق بالكلام الكثير فى هذه الفترة واننى احس بهذا فعلا ، واحس كذلك فيما يختص بنا نحن فى الاتحاد الاشتراكى ولكن كان لا بد من نقل الكلام الذى قلناه وكان لا بد من عقد اجتماعات مختلفة مع قوى الشعب العاملة أو مع الاشخاص الذين لهم تأثير جماهيرى معين حتى يمكن أن نبلور السياسة التى ستصل الينا والتفكير الذى سيصلنا من مجموعة اللقاءات التى تتم والتى من شأنها تغيير اسلوب تفكيرنا وطريقة رسم السياسة بالنسبة للاتحاد الاشتراكى .

وعلى ذلك كونت لجنة العمل ، ثم اسرعنا بتأليف اللجان الفرعية حتى لا تحلق لجنة العمل ى آراء فلسفية بعيدة ولكى تكون على اتصال وثيق بالقواعد الجماهيرية .

ولقد شكلنا اللجان الفرعية وراعينا فى تشكيلها أن تشمل مجموعات متغيرة لها وزن لها اسم ولها تأثير على الجماهير .

والصورة التى وجدناها فى لقاءات اللجان المختلفة التى دعوناها وهى اللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر واليوم لجنة الادباء والفنانين وبعد ذلك لجان العمال .. الخ . هى انها تعطينا جملة آراء كثيرة جدا بها ردود على بعض التساؤلات فى المشروع المقدم الى لجنة العمل والذىأعتقد أنه وزع على حضراتكم .

وقبل أن ندخل فى هذا المشروع ، هناك جزء من السلبيات واننى أعتقد أن هذا الجزء وضع بالصراحة الكافية ليعالج الحالة القائمة الموجودة فى الاتحاد الاشتراكى ، ثم هناك جزء من التساؤلات مركز فى بعض الصفحات من التقرير الذى قدم بحيث أنه اذا أجيب عن هذه التساؤلات أو تم النقاش فيها فاننا نصل فى النهاية الى حصيلة تفكير مجموعات مختلفة هى فى نهايتها تمثل الراى العام فى مصر .

وقد نوقشت موضوعات كثيرة فى اللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر وهذه الموضوعات ليست مرتبطة ارتباطا وثيقا بورقة العمل ولكنها كانت فى مجال الاستعراض العام اكثر منها فى مجال الارتباط بما جاء فى الورقة التى قدمت اليكم ، وليس لدينا مانع من طريقة اللجنة عند النقاش بأن تدخل فى استعراض عام أو أنها تأخذ الورقة تفصيليا فالامر متروك تقديره الى اللجنة .

وقد فضلت اللجنتان السابقتان أن تدخلا فى استعراض عام ولكنهما انتهيا بعد جزء من الاستعراض العام الى العوده الى ورقة العمل، فاذا لاحظنا مثلا فى ورقة العمل فى الصفحة الثانية منها عن السلبيات « اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبى البيروقراطى » انكماش الضمانات الديمقراطية ؛ طغيان النواحى الشخصية ، ضعف الروابط التنظيمية ، الى آخره ؛ نجد أنها تمثل فى الواقع الحالة التى نقابلها ، بعد ذلك هناك تصور عام عن طبيعة عمل اللجنة .

وبالنسبة للاسئلة فانها تبدا من الصفحة الخامسة ،العضوية فىالاتحاد ،الترتيب الهرمى للاتحاد ،التنظيم الشبابى، اسلوب العمل داخل الاتحاد ، مهمة اللجنة فى تحديد علاقة الاتحاد والمؤسسات والاجهزة القومية والتشريعية الى آخره .

وفى الحقيقة ان لجنتى اليوم تتميز بصفة خاصة عن اللجنتين السابقتين وهى أنكم كأدباء

وفنانين تعتبرون حلقة الوصل ما بين السياسة التى تسير عليها الدولة ، وسياسة الاتحـــاد الاشتراكي أو سياسة الرأى العام ، واذا قلنا ان هذه القيادات جميعها تمثل الرأى العام فان حلقة الاتصال تكون نابعة من هذه اللجنة .

وبالنسبة لطريقـــة النقاش ، فالنقاش مفتوح بـــكل حرية وستوزع على حضراتـــكم قرارات اللجنتين السابقتين بعـــد الانتهاء منهـــا ، واستعراض عام ترون ان له أهمية واننا نستطيع أن نستفيد منه ، واننى لا اريد أن أتكلم أكثر من هذا خوفا من انه يقال أن المسئولين يتكلمون كثيرا أو غير ذلك ، وفى الحقيقة نريد أن نسمع لكم اكثر مما نتكلم .

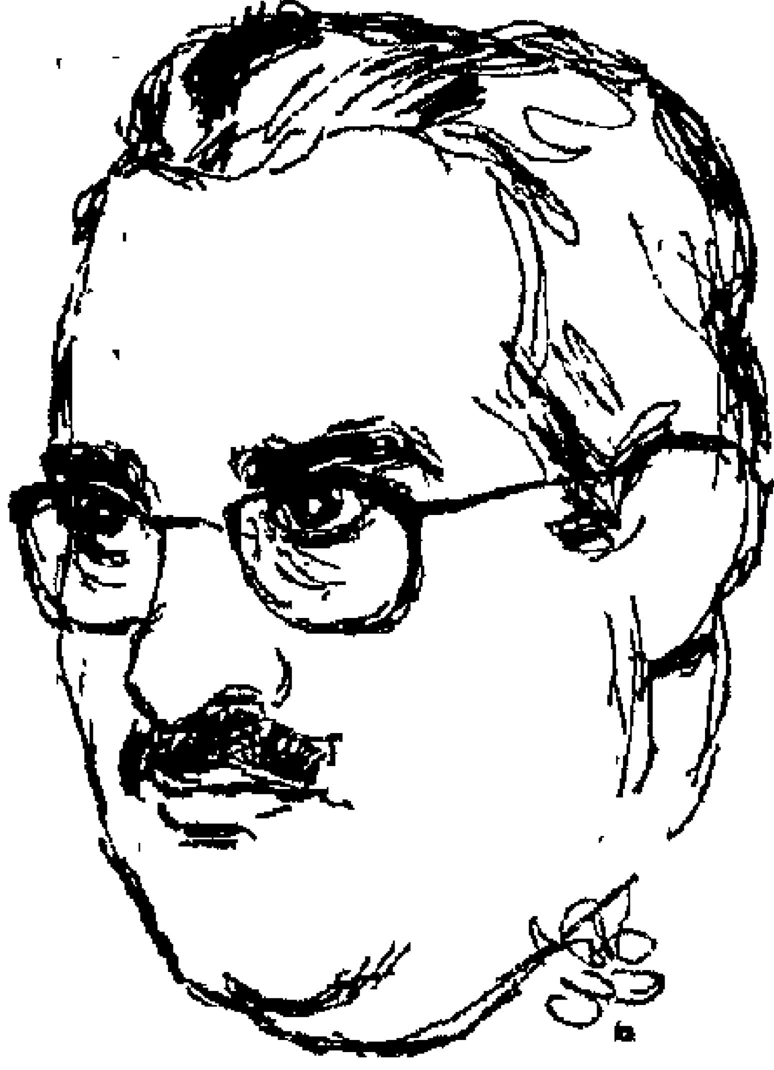
وفى ختـــام هذه الـــكلمة القصيرة ، فنحن لا نضيق بأى نوع من النقاش وأى شىء تريدون التعبير عنه ونحن على كامل الاستعداد للاستماع والصحفيون موجودون معنا والنقاش مفتوح .

ولكن هناك نقطة وحيدة أحب أن أشير اليها ولو أنى لم أنبه لها فى لجنة الدعوة والفكر ، وهى أنه توجد مواثيق معينة ، هى الميثـــاق ، وبيان ٣٠ مارس ، والدستور ، وفى ضوء هذه المواثيق الثلاثة نستطيع أن نتحرك كما نريد بما فى ذلك تغيير قانون الاتحاد الاشتراكى نفسه ، وان الخروج على هذه المواثيق فى هذه الفترة بالذات أمر يجرنا الى الوقوع فى متاهات وهذا ما حدث فى لجنة الدعوة والفكر ، ولكنه حدث مجازا أو كفترة انتقالية أو كيلا يقال اننا اقفلنا نقاشا معينا ، فنحن نفتح النقاش حتى فى خارج هذه المواثيق

فمثلا طلب فى لجنة الدعوة والفـــكر تغيير الميثاق ، وقد كان من المفروض أن يتغير سنة ١٩٧٠ ، كما طلب اعادة النظر فى بيان ٣٠ مارس ، بل طلب أكثر من ذلك من بعض الاعضاء النظر فى تحديد ما المعنى من قوى الشـــعب العاملة .

واننى أرى ان هذه المناقشات فى الحقيقة تخرجنا عن الاطار الموجود لان الذى يقرأ الميثاق لغاية اليوم والذى يقرأ بيان ٣٠ مارس لغـــاية اليوم والذى يقرأ الدستور يجد فعلا ان عنـــدنا وثائق لو أحسنا تطبيقها على الصورة الواردة فيها أو على الصـــورة العملية التى تجـــذب الجماهير لاخذنا خطوة الى الامام .

تصورنا بالنسبة للجان النوعية المختلفة هى انها لا بد وأن تنتهى بعمل فروع لها تماثل تماما النقابات المهنية أو تماثل نقابات العمال أو تماثل نقابات تعاونية الفلاحين ، بمعنى ان يكون الاتحاد



ثروت اباظه

الاشتراكى عنـــدما يتصرف لا يتصرف فقط من خلال الامانات الموجودة بل انه يتصرف فى كل امر من الامور بعد الرجوع الى قاعدة جماهيرية هى بطبيعتها جـــاءت بالانتخاب وهى بطبيعتها تمثل الرأى العام ، عند ذلك اذا وصلنا الى هذا نكون قد وصلنا الى انه عندما يتكلم الاتحـــاد الاشتراكى يكون قد اتصل قبل ذلك بالمجموعات المختلفة التى تمثل الرأى العام .

أعود وأقول ان هذه اللجنة بالـــذات تتميز بميزة كبيرة جدا وهى أن الادباء والفنانين هم القنـــاة الموصلة للحقيقة التى يمكن أن تعكس الاراء السياسية ، فأى رأى أو نقد فى جريدة من الجرائد يكون له اثر فى الرأى العام .

كذلك فان صورة كاريكاتورية بسيطة يـــكون لها اثر فى الرأى العام وكل رواية من الروايات التمثيلية يكون لها اثر فى الرأى العام ، وكل هذه الاثار قد تكون أكثر أثرا من كلمة يقولهـــا السكرتير الاول أو يقولها أى مسئول فى الاتحاد الاشتراكى .

وعلى ذلك فاننا نريدكم جميعا معنا بقلوبكم وتفكيركم وبالصراحة الكاملة حتى يمكننا أن نرى الطريق الذى لا بد أن نسير فيه .

وشـــــكرا .

● **ثروت اباظـــــه**

أعتقد ان القيمة الحقيقية لاى تنظيم لا يمكن ان تكون الا باشعار المسئولين بأن لهذا التنظيم قيمته ، واعتقد كذلـــك أن الادباء والصـــحفيين

يريدون أن يتكلموا أول ما يتكلمون حول حرية الصحافة وحرية النقد وحرية المسرح ، وحرية السينما فى الحدود التى لا تطغى على المصلحة العامة للبلاد فيما يتصل بالمعركة .

ولا شك أن هنـــاك قيودا كثيرة على هـــذه الحرية وأن هذه القيود لا ضابط لها بحيث اننا نحن الذين نكتب لا نعرف ماذا يمكن أن يقـــال وماذا يمكن الا يقال ؟

هذا بالنسبة للمقالة فاذا امتدت هذه الرقابة الى القصة وهى عمل فنى محض ووصلت الحال الى أن بعض المسرحيات تعد وتجهز ثم ترفض .. فلا شك اذن أن هذا يقيد حريتنا فى هـــذه المرحلة الحاسمة .

ليس ذلك فقط ، بل ان القيادات العليا تتخذ العديد من القرارات وتذيعها وتعلنها دون العودة الى أى جهاز شعبى كمجلس الشعب أو الاتحاد الاشتراكى .

واننى اقول انه اذا كان هناك قرار نابع من ارادة الشعب فانه لا بد لهذه الارادة أن تـــكون واضحة ملموسة فى تصويتها عليه ، فلا يعقل أبدا أن يصدر البيان فى مسائل عليا تتصـــل بحياتنا وبالمحتلين الذين يحتلون أرضنا وتـــكون الاسئلة فى مجلس الشعب عن السينما وانها خسرت ستة ملايين أو ثمانية ملايين .. هذه مسائل غاية فى التفاهة بالنسبة للمسائل العليا التى يتخذ فيها القرار فرديا .

واعتقـــد انه حين تشعر التنظيمات بمختلف أشكالها أن لها كيانا حقيقيا وأن لها كلمة مسموعة وأن المسئولين يأخذون برأيها فانها فى هـــــذه الحالة سوف تعطى أكثر وأكثر وسوف تنشط أكثر وأكثر ، وتحاول بجدية أن تشارك فعلا فى العمل الوطنى وفى هذه الحالة كذلك فان دورها يصبح دورا فعالا ومفيدا .

● السكرتير الاول

لى تعليق على كلام الاخ ثروت .. هو فى الحقيقة يمس ثلاث أو أربع نقاط وهو كذلـــك يمس النقطة المتعلقة بحـــرية الصحافة وحرية المسرح ، والرقابة على القصة وقرارات القيادات العليـــا كما سماها والتى يقصد بهـــا قرارات السلطة التنفيذية ، واننى أبدأ بالنقطة الاخيرة الخاصة بالقرارات .

ان الذى كان يحدث فى الاتحـــاد الاشتراكى انه بصفة مستمرة كان يترجم قرارات السلطة التنفيذية وكانت هذه الترجمة نابعة من فلسفة أن الاتحاد الاشتراكى هو الام وله جناحان هما السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، وبالتالى كان الاتحاد الاشتراكى يلاحق قرارات السلطة التنفيذية بالتفسير لدى الجماهير ، بمعنى أن الاتحاد الاشتراكى لم يصدر قرارات حتى الان ، وليس هذا مبدأ ، ولـــكنه يعتبر ضمن سلبيات الاتحاد الاشتراكى ولكننا لم نشأ أن ندخل فى هذا المضمار حتى نحدد تماما ما الصلة التى ستكون بيننا وبين السلطة التنفيذية ، وهـــذا ضمن المهام الاساسية فى مجال تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين السلطة التنفيذية وكذا تحديد الصلة بين الاتحاد الاشتراكى وبين مجلس الشعب .

وعندما تحدد هذه الصلة يمكن للاتحـــــاد الاشتراكى أن يترجم آراء السلطة التنفيـــذية طالما انه قد شارك فيها على شكل أو على آخر . والمثال على ذلك قائم فى قانون التعاون الزراعى وقانون ايجـــارات المساكن عنـــدما بدىء فى اصدارهما ، فكر جديا على أن هذه القوانين وهى تمس مصالح قاعدة كبيرة جدا من الجماهير فلا يجوز لوزارة الزراعة مثلا فى قانون التعاون أن تستأثر به بل يجب أن يطرح القانون على جميع القواعد الجماهيرية وهذا تم بالفعل وكان من الاسباب الاساسية لكى يكون التطبيق هو التطبيق الامثل .

وعلى ذلك فاننى أضع مسألة القرارات تحت عنوان « ما الحدود التى يجب أن تكون ما بين الاتحاد الاشتراكى وبين السلطة التنفيذية وما بين الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ؟ .. وتصورى فى هذا هو التصور الاول الـــذى أشرت اليه فى بداية حديثى وهو أنه اذا نجح الاتحاد الاشتراكى فى أن يمثل آراء الجماهير فى سياسة عامة ففى هذه الحالة فانه يعكس هذه السياسة سواء بطريقـــة ابداء الرأى أو بطريقة مناقشتها مع السلطة التنفيذية أو حتى مع مجلس الشعب هذا الى جانب ملاحظتين هامتين هما :

أولا : عدم مصادرة الحركة الذاتية الموجودة داخل النقابات لاننا لانريد أن نكرر صورة قديمة موجودة فيها وهى أن الاتحاد الاشتراكى يتسلط على نقـــابة من النقابات بصورة أو بأخرى . ولكننا نريد أن تتكلم النقابات ونريد أن توضح النقابات رأيها ونريد أن تكون هناك اجتماعات مستمرة بيننا وبين هذه النقابات حتى يمكن أن نستنير برأى النقابات فى عملية معينة وخاصة وأن هذه النقابات كلها تأتى بانتخاب مباشر وأن

النقيب يتغير وأن من تنتخبه القاعدة الجماهيرية فى نقابة من النقابات يعتبر فعلا ممثلا فى الاتحاد الاشتراكى نفسه .

الصورة بالنسبة للسلطة التنفيذية لم توضح بالكامل ولا بد فى هذا المجال أن نعالج بصراحة ما يوجد من حساسية بين الاتحاد الاشتراكى وبين السلطة التنفيذية وهذا مالا يجب أن يكون بل حتى اذا وجد فانه يعالج على الانظمة الثابتة الموجودة ، وهى ترجمة الرأى العام بالنسبة لمسألة من المسائل .

وبالنسبة لحرية الصحافة وهذا مطلب عام لهذا الموضوع ، درس دراسة تفصيلية واعتقد أن الدكتور جابر يستطيع أن يعطينا فكرة كاملة عن المراحل التى تم فيها دراسة هذا الموضوع والنتيجة شبه النهائية أو النتيجة التى وصلوا اليها بالنسبة لحرية الصحافة .

وبالنسبة لحرية المسرح فقد كان اعتقادى أنه ليس هناك تدخل كبير فى الرقابة على الاشياء المسرحية الى أن جاءت الروايتان الاخيرتان اللتان أعتقد أن الاخ ثروت يشير اليهما بالذات فى الفترة الاخيرة وهذه مسألة أرجو ان تترك مؤقتا ثم نعود اليها فى النقاش لا لشىء الا لانها مسألة متعلقة بموضوع معين ولكن لا شك أننا بعد أن نستمع الى الدكتور جابر فى الجزء الخاص بحرية الصحافة فانه من الممكن جدا معالجة موضوع حرية المسرح أو الرقابة على السينما بنفس الطريقة التى اتبعت فى حرية الصحافة .

● **الدكتور جابر جاد عبد الرحمن**

لعل السادة اعضاء هذه اللجنة الموقرة يتذكرون ما ابداه السيد الرئيس فى اجتماعه مع مسئولى الاعلام سواء فى الاذاعة والتليفزيون أم فى الصحافة من أن الدولة على استعداد كامل لان تقرر حرية الصحافة عندما يعلن ميثاق العمل الصحفى وعندما يشكل مجلس أعلى للصحافة .

وانطلاقا من هذا التصريح اجتمعت أمانة الدعوة والفكر والاعلام والشئون الدينية بنقابة الصحفيين التى قابلت هذا التصريح بالترحيب الكامل ، وقد اجتمعنا معهم عدة مرات كما انهم اجتمعوا مع السيد السكرتير الاول السابق والسيد السكرتير الاول الاستاذ سيد مرعى فى لقاءات عديدة وانتهينا فيها الى ان الصحفيين أنفسهم سيتقيدون بارادتهم بالتزامات معينة يعانونها بأنفسهم فى مشروع ميثاق العمل الصحفى وقد أعدوا هذا المشروع فعلا ، وقد نوقش مرة ومرات وانتهينا من صياغته الاخيرة وقدم للسيد السكرتير الاول ليتخذ الاجراءات التالية لاعلان هذا الميثاق .

والميثاق فى ذاته التزام بقيم معينة فى اطار الالتزامات العامة كما ورد فى ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، وكما ورد فى الدستور الدائم وفى برنامج العمل الوطنى . هذا الاطار العام يمكن أن تتحرك منه كل فئات الشعب وقد أعلن مجلس النقابة عندما قدم مشروعه لاول مرة اننا نطالب عندما نلتزم بالتزاماتنا السابقة بالتحديد الواضح للعلاقة مابين النقابة وبين الاتحاد الاشتراكى ، ونطالب بوضع لائحة للعمل الصحفى ، ونطالب بكذا وكذا ، ولكننا قلنا انه لا يمكن أن يعلن الميثاق بهذه الصياغة اذ أن آخره يبطل أوله وانتهينا الى صياغة الميثاق فى شكل التزامات هى فى جوهرها تتعلق بآداب مهنة الصحافة ، ثم اتفقنا على أن هذا المشروع يعرض على الجمعية العمومية للصحفيين لتوصى بما يريدون أن يشترطوه فى صلب الميثاق وهو تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الصحافة ، وهو ما ينادى به الاتحاد الاشتراكى فعلا ، كما توصى الجمعية العمومية للصحفيين بتشكيل مجلس أعلى للصحافة .

وفى يوم الثلاثاء السابق ليوم الخميس الماضى اجتمعت أمانة الدعوة والفكر مع مجلس نقابة الصحفيين ، ووضعت مشروعا مبدئيا للمجلس الاعلى للصحافة .

وستكون كل المشاكل الموجودة فى الصحافة موضع دراسة خلال هذا الاسبوع وقد تنتهى من كل ما يتعلق بالصحافة لتقرير حرية الصحافة كما قال السيد الرئيس ، فنعلن الميثاق ونحدد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الصحافة وغير ذلك من المسائل التى أشرت اليها الان .

ومن الطبيعى أن ما يمكن ان يتصور بالنسبة للصحافة يمكن أن يتصور ايضا بالنسبة لوسائل الاعلام المختلفة ، وقد سبق أن وضع ميثاق شرف للعاملين فى الاذاعة والتليفزيون وجاء هذا الميثاق فى اطار مواثيقنا القومية ، ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، والدستور الدائم ، وبرنامج العمل الوطنى ، وأننا نتشرف بعضوية أغلبية السادة الحاضرين ونحن نرحب بعضويتهم جميعا فى شعبة الثقافة التابعة لامانة الدعوة والفكر والاعلام ، فهم بلا شك اهل خبرة ودراية بهذه المسائل ولا بد أن نعترف بأننا لا نستطيع

ان نحيط بكل شيء علما وان نعترف باننا نضع الامر للمتخصصين فيه وكلنا نبتغى غاية واحدة وهدفا اسمى واحدا وهو مصر وخدمة مصر وخدمة المصالح العليا لوطننا العزيز .

● **ثروت اباظـــــه**

فيما يختص بحرية الصحافة فهذا مقنع ، ولكن هناك مسائل عليا . واسمحوا لى ان اضرب عن ذلك مثالا بمشروع الملك حسين الذى رفض دون أن يعرض على مجلس الشعب ، وقد يكون من غير المحتمل ان مجلس الشعب كان سيقبله ، ولكن الا يشعرنا عرض الموضوع على مجلس الشعب أنه مجلس ينظر فى اهم ما يتصل بحياة الناس ، وانه عندما يرفض موضوعا فانه يرفضه على اساس مبادىء مدروسة ومعروفة ، واذا لم يبحث مجلس الشعب مثل هذه المسائل ففيم يبحث اذن ؟ ان هذا الموضوع اهم ما يبحث فيه ، أن الديمقراطية والدستور والميثاق وكل ما يدعو اليه الحكم الان يوجب أن يكون رأى الشعب ممثلا فى مجلس الشعب وممثلا فى الاتحاد الاشتراكى وهذا المنبع والمبعث الذى يصدر عنه رأى الدولة . وشكرا .

● **فايده كامـــل**

الواقع اننى اقر زميلى الاستاذ ثروت فيما عرضه ولكن فى الحقيقة هذا الموضوع عرض فعلا على مجلس الشعب ونوقش ولكن بعد ابداء الرأى فيه ، وكان من الاجدر أن يعرض قبل البت فى الموضوع لانه فعلا كما ذكر الزميل موضوع حيوى وهام جدا ويهم الوطن كله أما من حيث عرض الموضوع على مجلس الشعب فقد عرضه السيد وزير الخارجية على المجلس ونوقش فيه .

● **الدكتور محمد دكرورى**

لدى توضيح لهذه النقطة ، فربما فى مرحلة ما بعد ١٥ مايو والاتجاه والامل فى العودة الى الاوضاع الطبيعية والدستورية والقانونية التى تحكم حياتنا كلها فقد تحتاج العلاقات والاختصاصات والواجبات الخاصة بسلطات الدولة الى توضيح .

وفى جميع النظم البرلمانية الدستورية ليس هناك اى الزام لرئيس الدولة او لاى وزير فى قطاع من القطاعات أن يعود فى كل قرار من القرارات التى يتخذها الى مجلس الشعب ،



فايدة كامل

ولكن مجلس الشعب من حقه ان يسأل وان يستجوب الوزير ، ولكنه ليس شرطا ان يرجع اى وزير فى اتخاذ قراراته الى مجلس الشعب لانه مفوض بأن يتخذ القرارات الضرورية اللازمة والتى تتمشى مع مصلحة البلاد فى الامور التنفيذية .

وفيما يختص بموضوع الملك حسين فاننى اقول انه ليس من حق مجلس الشعب دستوريا وليس هناك الزام دستورى للوزارة فى ان تعود الى مجلس الشعب ولكن من حق مجلس الشعب ان يسأل وان يستجوب من يشاء .

● **فايدة كامل**

فى الواقع هناك نقطتان اود اثارتهما :

النقطة الاولى : بالنسبة لاسلوب العمل فاننى ارى عرض مشروع ورقة العمل على اوسع قاعدة ممكنة من خلال الاتحاد الاشتراكى لانها تتضمن مسائل هامة وحيوية تمس الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة ، وهذا الاسلوب موجود فى نفس ورقة العمل ، واحد الاساليب المقترحة فيها عرض مشروع ورقة العمل على امناء المحافظات حتى الوحدات الاساسية نفسها .

ان تشكيل اللجان الاستشارية خطوة فعلية هامة ولكن لو امكن عرض هذا المشروع على اوسع نطاق من خلال الاتحاد الاشتراكى لوصلت كل لجنة من هذه اللجان الاستشارية الى فكر القاعدة العريضة وهو مايمكن ان نستفيد منه جميعا بالوصول الى الغاية المرجوة من التنظيمات الجديدة .

النقطة الثانية : بالنسبة لعلاقة الاتحـــــاد

الاشتراكي بالاجهزة التنفيذية فأنا ارى — وهذه تجربة ايضا في بعض البلاد الاشتراكية — انه لو كانت هناك لجان فنية متخصصة لمراقبة العمل واتخاذ القرارات في المشاكل التي تصعد لهـا عن طريق الاتحاد الاشتراكي ، وبعد مناقشة هذه القرارات تصعدها الى اعلى مستوى في الاتحاد الاشتراكي ، ويكون لها الحق في طلب الوزير المختص لحضور هذه المناقشة ، وفي هذه الحالة أعتقد أن مايتخذ فيها من قرارات يجب أن يكون ملزما للوزير لانها نوقشت في حضوره وبنـاء على مطلب جماهيري صعد من القاعدة ، وتمت الموافقة عليه من اعلى سلطة في الدولة وهي اللجنة المركزية ، كما يستطيع الوزير ايضا في هذا الاجتماع ان يطعن وان يناقش هذا القرار، وان يلتزم به بعد هذه المناقشة .

وشكرا ..

● **السكرتير الاول**

لقد اثارت السيدة فايدة كامل نقطتين هما :

عرض ورقة العمل على امناء والامناء المساعدين وهي ترى انه في هذه الحالة تكون الصورة عملية اكثر لانها ستكون نابعة ممن يمارسون العمـل فعلا .

ولكن في الواقع لايمكن عرض ورقة العمـل في صورتها الحالية على السادة الامناء لانها عبارة عن تساؤلات .

ففي الصفحة السادسة في الجزء الخـاص بالعلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والسلطة التنفيذية على المستوى القومي والمحلي نجد مايلي :

١ — البحث في صيغة يتمكن بها الاتحـاد الاشتراكي من ابلاغ الجهاز التنفيذي رأي الشعب في الامور المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية

٢ — التوصل الى اسلوب اكثر فعالية لضمان استجابة الجهاز التنفيذي لمطالب الجماهير كما يعبر عنها الاتحاد الاشتراكي .

٣ — ماهو نوع الرقابة التي يباشرها الاتحاد الاشتراكي على عمل السلطة التنفيذية وليـس المهم خلق جهاز جديد للرقابة يضاف الى الاجهزة العديدة القائمة حاليا ، بل المهم هو التوصل الى اسلوب لممارسة هذه الرقابة .

٤ — ماهو الضمان لان تشـعر الوزارات المختصة بما يدور في مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي في المحافظات ، وهل يتطلب الامر وضع نص صريح بحضور الوزراء مثل هذه المؤتمرات اذا دعاهم الاتحاد الاشتراكي للمحافظة للحضور .

٥ — تحديد العلاقة بين امانة الاتحاد الاشتراكي في المحافظة والجهاز التنفيذي والاداري بها .

فالصورة الموجودة بوضعها الراهن لاتمثـل ورقة عمل بالمعنى المفهوم بقدر ماتمثل مجمـوعة آراء عندما يرد عليها تكون شبه تقرير ، وهو ماسيعرض على امناء المحافظات ، ومع كل فهناك اجتماع مع امناء المحافظات يوم ٤—٤—١٩٧٢ ان شاء الله للمناقشة في معنى الموضوعات التي وردت هنا .

اما النقطة الثانية فهي تبين اللبس القائم مابين الاتحاد الاشتراكي كسلطة ومجلس الشعب كسلطة اخرى ، لان ماذكرته السيدة فايدة كامل ينطبق تماما على مجلس الشعب ، فاذا اردنا في الاتحاد الاشتراكي تجميع كل شيء في ايدينا ، كالنقابات ومجلس الشعب والحكومة .. الخ ففي هذه الحالة لانستطيع القيام بمهمتنا ، لكننا نريد للنقـابات ان تقوم بدورها ونريد لمجلس الشعب ان يقوم بدوره الوارد في لائحة المجلس الداخلية من حيث السؤال والمناقشة والاستجواب ، وعقد هيئة برلمانية .. الخ .

اما بالنسبة للجنة المركزية فهذا الدور غير واضح وهذا مايؤدي الى دخولنا في اللبس الكبير القائم ، فما دور اللجنة المركزية ؟ ومادور المؤتمر القومي ؟

اذا نظرنا الى تجارب الاحزاب المشابهة في الخارج وجدنا ان دور المؤتمر القومي او اللجنة المركزية هو تبني سياسات عامة ، لانه لايمكن بأي حال من الاحوال ان يكون الاتحاد الاشـتراكي مسئولا مسئولية تنفيذية ، والا يكون هناك تعارض بين عمل الحكومة وبين عمـل الاتحـاد الاشتراكي ، فلا يمكن القول بأن الوزير عندمـا يتخذ قرارا يجب عليه أن يستأذن الاتحـاد الاشتراكي ، لاننا في هذه الحالة نعطل الاداة الحكومية عن اداء عملها ، لكن لابد ان يكون هناك اطار عام لعمل اللجنة المركزية ، واطار عام لعمل المؤتمر القومي .

ولزيادة التفسير اقول انني اتصور مثلا في ظروف الحرب التي نمر بها حاليا ، نركز جميعـا على نقطة واحدة وهي تحرير الارض ، لكنني اتصور اننا نضع نظاما يستتب لفترة معينة ، ولم اقل يستتب الى الابد ، ومن النقاط التي تثار وتهمنا في هذه اللجنة .. هل نطور في الاتحاد الاشتراكي يوميا .. ؟

وفي الحقيقة انه اذا تجمد حزب سياسي على موقف معين انتهى هذا الحزب ، فالتطور واجب، وهو علامة صحية وليس علامة ضارة ابدا ،

فيجب التوقف بعد كل فترة من الفترات ، والنظر للوراء لمعرفة ماتم خلال هـذه الفترة وتحـديد السلبيات ومجابهتها بموضوعية حقيقية ، وتستمر المسيرة ، انما اذا تجمد حزب على نفسـه ولم يتطور فانه بذلك يقضى على نفسه .

اذن فالمجهودات التى تبذل فى الاتحـاد الاشتراكى من اولها الى آخرها سواء فى الفترة السابقة ــ فترة العشر السنوات الماضيـة بسلبياتها وايجابياتها ــ لابد وان تكون امامنا ، وبعد سنة ايضا لابد وان تكون امامنا وسـيكون فيها سلبيات وايجابيات أخرى ، اما التجمد فهو اننا حينما نضع قرارا معينا من اللجنة المركزية او من المؤتمر القومى يفهم منه انه سيكون خط سير الاتحاد الاشتراكى لفترة طويلة قادمة ، وهذا التصور فى الواقع تصور غير سليم .

ان ماذكرته السيدة فايدة كامل من ان الوزير يشترك ثم يناقش فى الاتحاد الاشتراكى ، يؤدى الى التساؤل عن مهمة مجلس الشعب ، لان مهمة مجلس الشعب هى السؤال . اما مهمة الاتحاد الاشتراكى فيما يختص بهذا الشأن فأنا ارى مثلا انه عند عرض خطة الدولة وتقرير نسبة ٢٠٪ للخدمات ، فمن حق المؤتمر القومى ان يقرر فيها مايخص المدارس والمستشفيات وتنتهى مهمة المؤتمر القومى عند هذا الحد ، وقد تجد السلطة التنفيذية بالاشتراك مع اللجنة المركزية تجـاوز بعض النسب حسب الحاجة وبعد ذلك يترك للسلطة التنفيذية ومجلس الشعب تنفيذ هـذه الخطة المتكاملة .

هذه ناحية ، اما الناحية الاخرى التى نعمل على تحقيقها فهى وضع لائحة داخلية للجنـة المركزية نفسها ، لاننا اذا نظرنا الى صورة العمل فى اللجنة المركزية نفسها ، وجـدنا ان رئيس الجمهورية وهو اعلى مستوى فى البلد يحضر الاجتماع ، ويقابل عددا كبيرا من الاعضاء ، كما يحضره عدد من الوزراء ، ولايعلم احد ما الذى سيثار داخل اللجنة المركزية ، قد يثار موضوع متعلق بالسياسة العامة وفى هذه الحالة يتولى السيد الرئيس او الوزير المختص الاجابة عنـه وقد تثار طلبات تمثل مشاكل جماهيرية وفى كلتا الحالتين لايكون الوزراء مستعدين لها ، بينمـا فى مجلس الشعب مثلا عندما يطرح سؤال يرسل للوزير قبلها بفترة حتى يعد نفسه للاجابة عنه اجابة مدروسة ، كذلك الامر بالنسبة للنقاش .

لكل هذه الاسباب نرى ضرورة وضع لائحـة داخلية للجنة المركزية ، ووضع اطار عام للمؤتمر القومى ، ولا نستطيع أن نقول وضع لائحـة للمؤتمر القومى ، لاننا لانستطيع تقييد المؤتمر القومى وهو اعلى سلطة سياسية فى البلد بشىء ما لكننا نضع اطارا عاما له .

فلو نظرنا للمؤتمر القومى بوضعه الراهن نجد ان عدد اعضائه كبير جدا ، فيجتمع هذا العدد فى شكل مؤتمر ثم تتفرع منه لجان تعمل خلال يومين فى مختلف الموضوعات ابتداء من دراسـة سعر القصب والاكثار من الثوم .. الى علاقتنا بالاتحاد السوفيتى والدول الاخرى ثم المعركة ، فهذه عملية ضخمة جدا لا يمكن فى ظرف يومين ان ينتهى من مناقشتها .

اذن فان التصور للمؤتمر القومى عند انعقاده يكون لامرين :

١ ــ استطلاع سـياسة عامة فى الفترة الماضية .

٢ ــ وضع سياسة عامة للفترة المستقبلة .

أما المسائل الاخرى التفصيلية فان لها الاجهزة التى تختص بالقيام بها .

وبالنسبة لما جاء بكلمة السيدة فايدة كامل فاننا لانريد ان نصادر الحركة الذاتية للنقابات او لمجلس الشعب ، او للجماهير ، ولـكننا نريد ان تمثل الجماهير ورايها تمثيلا حقيقيا ، ونريد من السلطة التنفيذية ان تتأثر بآرائنا ، كما نريد ذلك من مجلس الشعب ، انما لانريد ان نحتوى هذه الاجهـزة احتواء كاملا داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه بما فى ذلك التنظيم الشبابى ، بل ان فى نيتنا ان يحتوى الاتحاد الاشتراكى داخل هذه التنظيمات ولايعطى رايه فى سياسة عامة الا بعد مناقشـة هذه السياسة بحكم طبيعتها فى المناطق المختلفة .

ومثلا على ذلك موضوع بدل طبيعة العمل فلو كان قد نوقش على مستويات الاتحاد الاشتراكى المختلفة ، لكانت آثاره أفضل من آثار تطبيقه بقرار لانه كان سيدرس على الطبيعة وتبدى فيه مختلف الاراء ، وهناك امثلة كثيرة على ذلك .

● فايدة كامل

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكى فى الحقيقـة تنحصر فى انه لايجد الحل النهائى فى حل مشاكل الجماهير ، فبعد تصعيده لهذه المشاكل على اعلى المستويات لابد ان يوجد لها حل جذرى ، حتى يكون للاتحاد الاشتراكى فاعليته .

اما الان فان المشاكل تعرض ولكن لاتوجد لها حلول لان رأى الاتحاد الاشتراكى غير ملزم ، ولا اقصد بذلك الغاء مجلس الشعب نهائيا ، بل على العكس ارى انه اذا كانت هذه المشـاكل

تستلزم استصدار تشريع فان على مجلس الشعب ان يضع هذا التشريع ، وكل ماأهدف اليه ان يكون للاتحاد الاشتراكى فاعليته فى حل مشاكل الجماهير .

هذه ناحية ، والناحية الاخرى انه يمكن للاتحاد الاشتراكى ان يتولى مهام محددة لها قيمتها الجماهيرية مثل تنظيم الاسرة ومحو الامية ويكون مسئولا عن تنفيذها بالكامل ولايعتبر هذا اعتداء على السلطة التنفيذية او تدخلا فى عملها ، وانى اعتقد انه لو نجح فى مثل هذه المهام ذات الثقل الجماهيرى ، فانه يستطيع ان يتحرك بقدراته تحركا له فاعليته .

والاحظ ان فى مشروع ورقة العمل مسائل خاصة بالمجال التنظيمى والمجال التثقيفى والمجال السياسى ، وهى مسائل تناقش باستمرار فى الاتحاد الاشتراكى ، فمثلا من المعروف انللاتحاد الاشتراكى سلبيات ولكن المهم هو كيفية معالجتها وفى الحقيقة عندما ناديت بالعرض على القاعدة لم اكن اقصد بذلك علاقة الاتحاد الاشتراكى فعلا بالاجهزة التنفيذية على المستويات العليا ، انما هناك مسائل يهم القاعدة ان تبدى رايها فيها فعلا ولها آراء سليمة تماما يمكن الاستفادة بها ..

وشكرا ..

● **سعد الدين وهبة**

من خلال ماذكره الزملاء ، اتصور ان المشكلة الاساسية مشكلة نظرية تتفرع عنها كل هذه المشاكل وهى .. ماهو الاتحاد الاشتراكى ؟ فهل يحتاج مجتمعنا فى هذه المرحلة الى تنظيم سياسى بالشكل القائم حاليا فى شكل التحالف الذى تشير اليه وثائق ثورة ٢٣ يوليو الاربعة ؟ ام ان المقصود والمطلوب هو استكمال الشكل للدولة بوجود احزاب أو تنظيمات سياسية كما هو موجود فى الدول الشرقية او الغربية ..

وفى الحقيقة اريد ان اتناول هذا الموضوع بصراحة وانا اتكلمداخلالاتحاد الاشتراكىواتشرف بعضوية لجنة محافظة القاهرة ..

فعندما استرجع نشاط الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الماضية ، ارانى نادما على كل وقت اقضيه فى حضور اجتماعات الاتحاد الاشتراكى ، ففى السنة الاشهر الماضية عهد الينا فى الاتحاد الاشتراكى بمهمتين عاجلتين !!

المهمة الاولى استدعينا يوم جمعة من منازلنا بشكل استنفار سياسى وطلب منا حشد الجماهير



سعد الدين وهبة

فى محطة باب الحديد لاقامة وداع شعبى لاحد ضيوف القاهرة .

المهمة الثانية التى دعينا من اجلها دعوةعاجلة كانت لتحويل برنامج العمل الوطنى — معالتناقض الشديد بين الاستدعاء الاول والاستدعاء الثانى الى برنامج تنفيذى لجمع آراء الجماهير من مستوى الوحدات الاساسية لتصعيدها لوضع الخطة العشرية التى سينفذ من خلالها برنامج العمل الوطنى ، وطلب منا جمع آراء الجماهير خلال خمسة عشر يوما ، ولم يمثل ذلك مشكلة بالنسبة لنا لان الجماهير كانت تعلم بالضبط مشاكلها ، وفعلا احضرناها وجمعت فى اللجنة المركزية،وكان مقرر امانةالبرنامج فىذلك الوقت هو الدكتور فؤاد مرسى وهو عضو فى لجنة الخطة فى ذلك الوقت فى مجلس الوزراء ، وتصورنا فعلا ان الجماهير قالت آراءها فى مشاكلها ، ثم نجد الان ان السيد رئيس الوزراء يجد نفسه مضطرا للنزول الى الجماهير فى مواقعها بالمحافظات للتعرف علىالمشاكل من الجماهير مباشرة ، فاذا كانت الدولة قادرة على معرفة مشاكل الجماهير بهذه الطريقة ، فما جدوى اجتماعاتنا فىالاتحاد الاشتراكى ، وهل نجتمع كهواة للاجتماعات .

ان هذا ليس اول تنظيم سياسى منذ ثورة ٢٣ يوليو حتى الان ، وحينما نسترجع التاريخ البسيط خلال مسيرة التنظيمات السياسية فاننانضعايدينا على العيب فعلا ، لكننا لانصححه ففى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ صدر قرار حل الاحزاب ، وفى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ انشئت هيئة التحرير ورفع شعار كلنا هيئة التحرير ، وانضم اليها رؤساء مجالس الادارات جنبا الى جنب العامل ، ثمعجزت

وفشلت واعترفنا انها ادت مهمة لاننا دائمانتواضع ونطلق على الفشل عدم نجاح او تأدية مهمة فى ظروف معينة ، وهذا أيضا جزء من هروبنا من مواجهة فشلنا بصراحة .

ثم كونا الاتحاد القومى ، وانضمت اليه كل العناصر الموجودة فى المجتمع،وكانت فكرةالوحدة الوطنية موجودة فى ذلك الوقت،لكن بعد انفصال سوريا عن مصر سنة ١٩٦١ سقط الاتحاد القومى .. واعلن الرئيس جمال عبد الناصرعلى وجه التحديد ان اسباب فشل الاتحاد القومى هى :

اولا : عدم وجود ايديولوجية سياسية لقيادة الاتحاد القومى .

ثانيا : تسلل بعض العناصر الانتهازية فى الاتحاد القومى .

ثم بعد ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى وانتهينا الى تشكيل الاتحاد الاشتراكى ، ولو رجعنا الى الميثاق لمعرفة لماذا كون الاتحاد الاشتراكى نجد انه ينص على ان المجتمع كان به تحالف بين الراسمالية المستغلة والاقطاع ، ولكن يجب ان يحل محله تحالف الطبقات صاحبة المصلحة فى هذه الثورة، ولقد سميناها قوى لاننا لانرتاح لبعض الالفاظ كالطبقات والاحزاب ، فقيل انها قوى وهذه القوى تمثل تحالفا ، وهذا التحالف هو التحالف الحاكم الذى يقوم بكل شىء ، فهو صانع الاشتراكية ، وينفذ خطة المجتمع .. الخ .

ولقد ذكر فى كل من بيان ٣٠ مارس والدستور وبرنامج العمل الوطنى — موضوع كامل — ان التنظيم السياسى هو التنظيم الوحيد السائد الذى يحقق اهداف المجتمع فى الاشتراكية ، ولذلك قيل انالمؤتمر القومىهو أعلى سلطة فىالدولة.

فكيف يمكن القول بأن الحكومة لاتخضع للاتحاد الاشتراكى : كذلك عدم احتواء النقابات داخل الاتحاد الاشتراكى طالما انه بحكم الوثائق التى ذكرت فى أول الجلسة اننا ملتزمون بها ولن نخرج عنها ، هــو القوة صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى أى انه المجتمع كله .

وبناء على ذلك يجب ان تكون كل انشطةالمجتمع داخل الاتحاد الاشتراكى سواء كان نشاطا تنفيذيا تقوم به الحكومة ، او تشريعيا يقوم به مجلس الشعب ، وسواء كانت انشطة تقوم بها وحدات داخل قوى التحالف كالنقابات أو الاتحـــادات الزراعية او العمالية .. الخ .

وازاء هذه الحقائق مجتمعة لابد من الاتفاق على الفكر النظرى اولا لكى نرى المدى الذىيمكن أن يوصلنا اليه .

فهل التحالف هو تحالف بين طبقات . . لاننا اذا ذكرنا أنه بين طبقات، فبالتالى سيكون هناك جزء تنفق عليه هذه الطبقات ؛ كما ان هناك اعترافا بوجود صراع بينها الذى ذكر الميثاق انه لايجب ان يكون صراعا دمويا ، بل يجب ان يحل بالحوار وبالوسائل السلمية .

فهل نحن مستعدون للاعتراف بأن هناك صراعا بين قوى التحالف لان بينها تناقضا ، هذا هو السؤال الاول .

اما السؤال الثانى فهو ضرورة تحديد ماهيــة التنظيم السياسى وهل هو تحالف او انه تنظيم حاكم ؟ فاذا كان تنظيما حاكما فلابد ان تنبثق كل القوى التنفيذية والتشريعية وغيرها من داخله.

او انه تنظيم موجه .. وماحدود التوجيه ؟ هل توجيه ملزم او مجرد ابداء نصيحة ؟

فالحكومة قادرة الان على ان تعرف مشـــاكل الجماهير وتعمل على حلها فورا دون الحاجة الى التنظيم السياسى ، كما تستطيع النقابات ان تصعد مطالب العمال فى بدلات طبيعة العمل وغيرها ، كذلك يستطيع التنظيم الشبابى ان يعبر عن الشباب ، فهل التحالف مجرد تلفيق بين هذه العناصر او هو تنظيم له ايدلوجية معينة .

لكننا نجد فى ورقة العمل تساؤلا غريبا جدا هو [هل نفتح باب العضوية لمن يريد الانضمام للاتحاد الاشتراكى ؟] وانا ارى ان فى هـــذا التساؤل تناقضا مع الميثاق الذى ينص على ان ينضم للاتحاد الاشتراكى القوى صاحبة المصلحة، اى ان هناك افرادا لايصح ان ينضموا للتنظيم، والا فنحن بهذا نغير الميثاق ، ام اننـا نشكل تنظيما سياسيا جديدا شبيها بالاتحاد القومى لانه مرفوع حاليا شعار الوحدة الوطنية التى يمثلها الاتحاد القومى اقرب تمثيل ، لكن الاتحاد القومى الماضى فشل لانه لم تكن له ايديولوجية ، لكننا الان لدينا مواثيقنا الاربعة ، فاذا كنا ننوى اعادة الاتحاد القومى فلنعترف بهذا صراحة ، ونقول اننا سنغير الاتحاد القومى على ان يجمع جميع العناصر والقوى الموجودة فىالمجتمع فعلا ، بحيث لايكون هناك تناقض وتكون هناك وحدة فكرية ووحدة وطنية ملزمة بطريقة الديمقراطية المــركزية او غيرها .

وفى تصـــورى اننا يجب ان نرد على هـــذه التساؤلات اولا ، فاذا اتفقنا عليها فلن يكون هناك وجه للخلاف اطلاقا سوا فى علاقتنا بالحــكومة او علاقتنا بمجلس الشعب او علاقتنا بالصحافة او حرية الصحافة ، او مايتخذ بالنسبة للقرارات

الدستورية وهل تعرض على مجلس الشعب او من حق السلطة التنفيذية ان تتخذها اولا ؟

● **الدكتور كمال ابو المجد**

هناك عدة قضايا طرحت في هذا اللقاء وطرحت في لقاءات اخرى وهي تحتاج فعلا الى الصراحة، وسأشير الى ثلاث قضايا هي :
١ ــ قضية التحالف كصيغة .
٢ ــ فكرة الوحدة الوطنية .
٣ ــ قضية طبيعة الاتحاد الاشتراكي ككل .

واخيرا قضية العلاقة بين التنظيم السياسي والتنظيمات الاخرى .

فبالنسبة لقضية الصراع الطبقي نحن في عالمنا العربي ــ وآسف لاستعمال هذا التعبير ــ نتلف اكثر القضايا من خلال اللغة ، بمعنى اننا حينما نقول هل نقر الصراع الطبقي أو لا نقره ؟ فهذا تجاهل لطبيعة المشكلة ، لان بعض المشاكل الاجتماعية ما هي الا واقع اجتماعي لا ينتظر اقرار الناس له أو عدم اقرارهم له ، فهناك فرق بين الواقعية الاجتماعية والموقف السياسي او الاجتماعي ، اما وجود تجمع لاصحاب المصالح يشكل ائتلاف طبقة فهذه واقعية اجتماعية كذلك وجود صراع طبقي بين هذه الطبقات فهذا ايضا واقع اجتماعي لايحتاج للموافقة عليه او عدم الموافقة ، لكن الاختلاف بالنسبة للموقف السياسي والاجتماعي ، وكيف تتناول جماعة معينة في زمان معين هذه الظاهرة الاجتماعية .

وحينما تحدث الميثاق عن الصراع الطبقي تحدث عنه كواقعة تؤثر في سير المجتمعات،لكنني اذهب الى اكثر من هذا فأقول انه حتى الاسلام كنظام فكري يقر هذه الفكرة وان كان يسميها التدافع الاجتماعي ، انما الخلاف بين جماعة سياسية وجماعة اخرى يتمثل في الموقف الذي تقفه ، ويحدد هذا الموقف فكر الانسان ، كما تحدده مجموعة من الظروف الموضوعية التى تتبادل التأثير بدورها مع فكر الانسان .

والصيغة التى وافق عليها الميثاق عبارة عن موقف سياسي من ظاهرة اجتماعية ، وتقدير الميثاق ان التناقضات الموجودة بين الطبقات في مصر في اوائل الستينات تعتبر تناقضات ثانوية بالقياس الى تناقضات اخرى اكثر جذرية كانت موجودة في اوائل الستينات .

وفي تقديري شخصيا انها الان اكثر وجودا في السبعينات وهي التناقض بين هذه القوى مجتمعة والتخلف الحضاري الشديد الذي يحيط بهذه المنطقة ، ثم التناقض بين هذه الفئات كلها وبين الاستعمار العالمي والصهيونية .

اذن فالموقف الذي اتخذه الميثاق هو اقرار لواقعة اجتماعية وهي التناقض بين الطبقات واتخاذ لموقف سياسي معين واختيار صيغة التحالف .

وفي تقديري أنه من غير المعقول الان ان يعاد النظر في صيغة التحالف كموقف اجتماعي ، ولكن كشف عند تطبيقها سياسيا وتنظيميا عن صعوبات عملية هائلة .

ولذلك فالمطروح ــ وهذا مايفهم من قراءةورقة العمل ــ هو كيف نوفق بين اختيارنا لصيغة التحالف وبين الصعوبات الضخمة جدا والتى تواجه هذه الصيغة في العمل الداخلي .

هذه قضية ، أما القضية الثانية فهي انني اتصور ان المشكلة لا تنتهي باختيار صيغة التحالف ، وبالتالي عندما نتساءل أو يقول السيد السكرتير الاول أو تقول ورقة العمل أننا لا نريد ان نحتوى الناس ، فهذا ليس استدراكا لحق تحالف قوى الشعب في أن تكون حاكمة وانما هو التفات الى المفارقة التى وقعت بين هذه الصيغة التي تصور الامر كما لو كانت قوى التحالف حاكمة وبين واقع أقرره بغير مجاملة ، وهو أن السلطة الفعلية وخصوصا التنفيذية كانت حاكمة من وراء كل القوى الاجتماعية بل من وراء قوى التحالف مجتمعة والذى أعبر عنه أيضا في غير ترفق بأن السلطة السياسية الفعلية في مصر كانت منذ قيام الثورة اقوى من اطارها السياسي واقوى من اطارها القانوني ، وبالتالي لم تفترق كثيرا صيغة هيئة التحرير عن صيغة الاتحاد القومي عن صيغة الحزب الواحد لان القوى الفعلية كانت ستظل في يد مجلس قيادة الثورة الذي الغى قولا سنة ١٩٥٦ وظل فعلا يحكم .

ولكني أتصور أنه قد جد جديد عندما قال السيد الرئيس السادات رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكي انه يعتبر أن مجلس قيادة الثورة قد انتهى وأن اللجنة المركزية معبرة عن مستوى قممي عال من تنظيم سياسي يضم التحالف ــ أصبحت هي مركز السلطة حقيقة هذا يقال لكن في العمل جاءت قيادات الاتحاد الاشتراكي وأصدرت ورقة عمل باسم الاتحاد الاشتراكي التى حددت الجماهير موقفها منه ، ليس لانه التحالف وانما لانه الستار الذى تمتد من ورائه يد السلطة التنفيذية .

اذن لابد أن ندخل هذا فيحسباننا ، وأننتحرز وأن نتحفظ وأن نحتاط ، وعلى سبيل المثال عندما نقول الان أن التنظيم السياسي له أن يدخل الجامعة ؛ حساسية طلاب الجامعة ليست لانهم يرفضون صيغة التحالف وانما لانهم لا يزالون يعتقدون — وتغيير هذا الاعتقاد يحتاج الى وقت — من بين أمور أخرى انهم محتاجون الى أن يطمئنوا الى أن الذى يقدم اليهم هو تحالف قوى الشعب وليس السلطة التنفيذية البوليسية ذات الارادة الحاكمة وذات الطريق الواحد .

اذن جزء كبير مما تطرحه ورقة العملوتتحرك فيه كيف نحول المؤسسة المعبرة عن التحالف الى مؤسسة ذات ارادة متميزة عن ارادة ما اسميه تجاوزا لصعوبة تحديده بمجلس قيادة الثورة وكيف نقنع الجماهير بذلك ؟ .

تأتى بعد ذلك القضية الثالثة اذا اتفق على صيغة التحالف ، واذا أمكن علاج السلبيات المتمثلة فى أن جميع التنظيمات والمؤسسات — التى كانت الى حد ما تتفاوت — مؤسسات شبحية ليست لها ارادة ذاتية .

اذن من الطبيعي الان أن يعمل التنظيم السياسى وهو يعتقد انه على أبواب مرحلة جديدة يريد أن يكتسب فيها ارادة ذاتية ، من الطبيعى أن ما يعينه على هذا هو أن يشغل نفسه بضبط العلاقات بينه كتنظيم سياسى وبين المجلس التشريعى .

وحتى مع التسليم بأن صيغة التحالف تجعله حاكما فهذه الحاكمية لا تعنى الغاء المؤسسات الاخرى ، لان التنظيم السياسى المعبر عنالتحالف مع كونه حاكما فهو تنظيم سياسى ارادته التىيعبر عنها هى الارادة السياسية ، لكن لهذا التحالف ايضا بطريق فنى آخر ارادة تشريعية يعبر عنها فى المجلس التشريعى وله ايضا ارادة تنفيذية يعبر عنها فى الهيئة التنفيذية .

انى أقول هذا لانه حدث فى مناقشات عديدة تصور أن هذه الحلول يستبعد بعضها الاخر ، اما أن يكون حاكما فلا بد أن تكون قراراتهملزمة بغير حدود، أو أن نركز على بعض السلبيات ثم نتخلص من هذا التركيز الى التشكيك فى صيغة التحالف .

ووجهة نظرى شخصيا هى أنى أعتقد مع التسليم بأن الصراع الطبقى حقيقة الا أننى أعتبر أن هناك نكسة فكرية ، فاذا كنا نقبل صيغة التحالف فى الستينات ثم نرفضها فى السبعينات فهذا لتعبيرنا عن الوحدة الوطنية وليس خروجا عن صيغة التحالف بما تنطوى عليه ضمنا من اقرار التميز الطبقى الى صيغة هلامية كصيغة الاتحاد القومى، انما هو تأكيد لثانوية التناقضات بين قوى أو طبقات الشعب العاملة لمواجهة التحدى الذى يزداد جذرية واصالةوهو التناقض بين هذه الفئات مجتمعة وبين التخلف العلمى والحضارى وبين التناقض بين هذه القوى وبين الاستعمار العالمى والصهيونى .

وشكرا ..



د. حسين فوزى

● الدكتور حسين فوزى

الاحظ منذ بداية الجلسة الصعوبات القائمة ؟ وسيادة السكرتيرالاول هو أول منصورها بآراء سليمة ، الصعوبة اننا نبدأ بالكلمة وفى البدء كانت الكلمة وهى فى الكتاب المقدس تعنى كلمة الله ، انما البناء يجب أن يقوم على حقائق وعلى تجارب ، ويبدو أننا لا نريد أن نعمل بتجارب الشعوب بل نريد أن نبدأ من الفراغ .

سأتناول الكلام بمعناه وبما هو أمامى ، فبالنظر الى الصحيفة رقم ٣ تحت باب « لماذا شكلت لجنة العمل » ففى تقدير سيادتكم أن هذه السلبيات ترجع أساسا الى عاملين :

الاول : هل هو جهاز للسلطة ، ام جهاز للشعب ؟ .

الثانى : نظرة البعض للاتحاد على أنه حزب سياسى ، رغم أن الوثائق الشورية تنفى ذلك نفيا قاطعا وتعلن فى صراحة أن الاتحاد

الاشتراكي تحالف وليس حزبا .. الخ ، وسوف اناقش هاتين النقطتين :

بالنسبة للسؤال هل هو جهاز للسلطة أم جهاز للشعب ؟ فرأيى انه ليس جهاز للسلطة ولا للشعب ، ولكنه يجب أن يكون صورة صادقة لما يحدث بين الحجرات وبين النوادى وفى كل مكان وأيضا بين أفراد الشعب ، يجب أن يكون الاتحاد ممثلا لذلك وليس مجرد صورة لجمع من الناس يتكلمون فى الوقت الذى يوجد فيه آخرون فى حجراتهم أو فى نواديهم يتكلمون كلاما آخر بل يجب أن يكون الكلام واحدا .

اذن هو جهاز للشعب ويجب أن يكون صورة صادقة للشعب .. هذا أولا .

ثانيا : بالنسبة لما يقال عن الحزب السياسى ووثائق الكلمة أو الوثائق الثورية ونقول بعد ذلك ننفى .. ما معنى ننفى ونحن أمام حقيقة مهما أطلقنا عليها من أسماء ، فأوافق على أن يكون هذا الاتحاد الاشتراكى تحالفا وليس حزبا ، ولكنى وقد سمعت كلاما عن الصراع اقول أنه يجب أن يكون داخل هذا الاتحاد حزيبات — تصغير لكلمة حزب — ولا أريد أن أقول أحزابا ، لانه اذا لم نسمح داخل الاتحاد الاشتراكى بهذه الحزيبات ، فلن يقوم فى الاتحاد الاشتراكى الحوار الصريح الحر بين مجموعة من الناس تفكر تفكيرا ومجموعة أخرى تفكر تفكيرا مضادا ، ونطرح هذه المسائل بيننا كأننا فى بيوتنا لا علاقة لنا بسلطة الدولة ولا بسلطة الحكومة ولابمجلس الشعب .

وعلى سبيل المثال فى البلاد الديمقراطية — وأعلم أن الكلام عن البلاد الديمقراطية ذنب — ماذا حدث وماذا يحدث فى البلاد الديمقراطية ؟ يحدث أن هناك مجلسا للشعب ، وهذا المجلس يمثل السلطة التشريعية العليا والوزارة مسئولة أمامه ويمكنه أن يسقطها وبعض المجالس هى التى تعين الوزارة ويوافق رئيس الدولة عليها .

هؤلاء الناس الموجودون فى مجالس الشعب أو البرلمانات مندوبون عن الجماهير يعلمون جميع مشاكل الشعب ويتصلون به ، وعندما يذهب النائب الى بلده لا يخفى عليه الشعب شيئا ، لانهم سوف لا يقولون أنه متصل بالجهات الاخرى ، ولكن سوف تقول له الجماهير كل ما فى قلبها سياسية أو فيما يتعلق بالمعيشة أو فى أية مسألة .

فى هذه الدول الديمقراطية أهم شىء فيها ليس البرلمان أو مجلس الشعب وانما الصحافة فهى صوت الشعب قبل البرلمان وهى عنصر من عناصر نقل آراء الجماهير من منازلهم ومن داخلهم الى الاخرين ، ولمناقشة الجماهير وللصحافة هناك قيمة اعتبرها أعلى من البرلمانات ، فاذا قلت أن هناك برلمانا بلا صحافة فليس له قيمة ديمقراطية ، واذا قلت أن هناك صحافة حرة فيمكن الى حد ما الاستغناء عن كل هذه المظاهر البرلمانية ، هذا هو تصورى لما نسميه الاتحاد الاشتراكى ، ولتسموه ما تسمونه ، فهو فى رأيى حزب كبير أو الحزب الواحد ونعلن هذا القرار ، ولا نخشى أن يقال عليكم أنكم الحزب الواحد ، فليس هذا حراما ، ولكن داخل هذا الحزب يجب أن تقوم حزبيات ، أى أن يكون داخل الاتحاد الاشتراكى الصراع الحقيقى وليس صراع نفاق .

لقد ورد فى الصحيفة الرابعة تحت عنوان « مهمة اللجنة فى تحديد الاطار الفكرى للتنظيم» أنه يوجد نوعان من المصالح داخل الاتحاد ، مصالح موحدة لا خلاف عليها بين مختلف قوى التحالف ، مثل تحرير الارض وسيادة القانون « فبلا شك أن تحرير الارض واجب ولكن ليس معنى هذا الا نتحدث فى وسائل تحرير الارض ، يحتاج الى أن نقول اننا جميعا نشترك فى تحرير الارض ، نحن لا ننام منذ خمس سنوات من أجل تحقيق هذا الهدف ، نحن مرضى .. وهذا الشعب مريض الان .. مريض بكل ما رايتم عليه من العلل ، والعلل ليست العلل العصبية ، وانما العلل هى السرقة والغش والكذب ، هذه مجموعة أكاذيب ويجب أن تقضوا على هذه الاكاذيب ، الاتحاد الاشتراكى هنا يجب أن يكون مجلس الصدق ويجب أن يكون المجلس الذى يقضى على حياة الاكاذيب ونحن نعيش فى دنيا الاكاذيب هو والصحافة بلا شك .

وعندما تدخلون فى التفاصيل وتتكلمون عن حرية الصحافة ويقول الاخ جابر انه جار اصدار ميثاق شرف للصحافة ، وقد اشتركت فى عمل الميثاق فى الاذاعة مع المجلس الاعلى للاذاعة ولكن كل هذا ردىء .. وكل هذا تضليل وتعطيل .

ان المؤتمر القومى العام يجتمع بضعة أيام مرة أو مرتين فى السنة .. ماذا يعمل ؟ ان الحركة يجب أن تكون يومية لان الوقائع تسبقنا وقد عقدت عدة اجتماعات للمؤتمر القومى ومضى الان خمس سنوات ولم يحدث شىء وهذا لا يجوز .

هناك مصالح خاصة لكل قوى اجتماعية داخل

الاتحاد بحيث لا يكون فى تحقيقها انحراف عن التحول الاشتراكى والديمقراطى السليم ، وانا اقول التحول الديمقراطى والاشتراكى السليم — لان الديمقراطية يجب ان تسبق الاشتراكيةتاريخيا على الاقل لانها هى الكلمة التى سجلت وقدمت منذ جمهورية أثينا كالديمقراطية الاثينية والعالم يعيش التاريخ ولا يعيش اليوميات .

بعد ذلك المطلوب من صيغة التحالف أن تحول التنافس بين مصالح هذه القوى الى حوار سلمى هذا ما نريده ، ولكن لا يوجد لهذا البلد حوار الى اليوم ، كلنا نتكلم بمنولوج وكلنا نأتمر بأوامر فاذا أردتم أن تعالجوا مشاكلكم فعالجوها بالصدق والصراحة والشجاعة .. وشكرا .

● **السكرتير الاول**

من الصعب الرد على الدكتور حسين فوزى ولكن الواقع أننا متفقون معه فى آراء كثيرة وسوف أبدا بالجزء الاخير من كلمته وهو المعالجة بالحوار ، هذه نتيجة أتت لنا نورا بعد الحركة الطلابية ، فعندما جاءت الحركة الطلابية وكانت مفاجأة بالنسبة لى أو بالنسبةلنا عقدنا اجتماعات متوالية ، وفى الحقيقة لم تكن هذه الاجتماعات فى ذهنى عقب ان اسند الى منصب اللجنة المركزية ، ولكن الظروف اضطرتنا الى عقد اكثر من خمسة واربعين اجتماعا فى فترة صغيرة ، وكانت حصيلة هذه الاجتماعات فى حقيقتها هى الكلمة التى القيت فى المؤتمر وهى ورقة العمل التى قدمت اليكم .

ان الدكتور حسين فوزى فى اتجاهاته فى الحقيقة يمثل الفكر الموجود فى ذهن القائمين على الاتحاد الاشتراكى ، ولكن الدكتور حسين لم يجعلنا نضع يدنا على الاسلوب العملى لهذا ، انى أوافقه تماما على أن الاتحاد الاشتراكى يجب أن يمثل الاراء الخارجية ، آراء الجماهير عامة، وأعنى بذلك الاراء خارج الاتحاد الاشتراكى ، وهى التى تقال فى الشارع والنوادى والبيوت وفى كل مكان ثم لا تسمع فى قاعة الاتحاد الاشتراكى ، وهذا ضرر سياسى كبير جدا وهو من أسباب خلق السياسة الانفصالية التى توجد بين جماهير الشعب والاتحاد الاشتراكى ، نحن نتمنى أن نصل الى كل طائفة من الطوائف ولو استطعت لقلت الى كل فرد من الافراد ،واليوم الذى يستطيع فيه كل فرد أن يأتى الى هنا ويعبر عن رأيه هنا بصراحة وأن يسمع نعتبره اليوم الذى تغير فيه شكل ومدلول الاتحاد الاشتراكى .

وهذا أقل من آمالنا ، ولكن فى تقديرى حسب الواقع أن جميع الامال التى ترد الينا هنا وتترجم فى ورقة وتقرر من اللجنة المركزية لا يمكن أن تنفذ بنسبة ١٠٠ ٪ أو ٨٠ ٪ أو ٧٠ ٪ ، وكل مايمكن قوله انها تتحققتدريجيا حسب عنصرين :

[١] مدى تجاوب الجماهير معنا .

[٢] مدى سعة تفكير القائمين على الامر فى الاتحاد الاشتراكى .

فبالنسبة للامر الاول فلن تتجاوب الجماهير الا اذا تحققت النقطتان اللتان ذكرهما السيد الدكتور حسين ، وأنا اوافقه عليهما وهو أن نكون صادقين واضحين ، وفى نفس الوقت نكون على اتصال كامل بهذه الجماهير والا ننفصل عنها .

وعندما أقول صادقين وواضحين فمن الممكن أن نكون فى السياسة صادقين وواضحين لانه اذا طرأ أمر من الامور يحتاج الى ستار السرية فيجب أن نقول للجماهير ان هذا سر لا يمكن أن نتكلم فيه ، على سبيل المثال عندما يسأل مواطن ما قوة تسليح الجيش المصرى ؟ نقول أن هذا سر ولا يجب اذاعته ولا يضيق الانسان بهذا لانه ليس من المفروض أن يعرف المواطن العادى عدد المدافع الموجودة فى الجيش أو عدد الطيارات ، أيضا لا يهم أى فرد فى قيادة شعبية أن يعلم هذا وانما ما يهمه أن يعرفه هو هل الجيش مستعد أو غير مستعد فى الشكل العام دون الدخول فى التفاصيل .

كذلك عندما نسأل ما الاسلوب الخارجى الذى سوف تتبعونه فى مسألة معينة ؟ قد يكون هذا الاسلوب سرا فى وقت من الاوقات وقد لا يكون سرا فى الوقت الاخر ، وانما لايمكن أن تبنى سياسة لاى دولة من الدول أو لاى حزب سياسى أو لاى مجموعة الا على حقيقة ، ويتضح من التجارب السياسية الماضية فى التاريخ كله أن رجلا سياسيا يمكنه أن يكسب موقفا معينا بناء على كلام لا يستند الى حقيقة ولكنه قطعا سيخسر فى النهاية خسارة متوالية حتى يسقط نهائيا .

اذن اذا كان الاتحاد الاشتراكى فى أسلوبه فعلا يتكلم بوضوح وبصراحة ويستند الىحقائق موضوعية لا يخترعها بل يستقيها من الجماهير فانه فى هذه الحالة يتخذ الخط السليم وانى أتفق فى هذا مع الدكتور حسين فوزى .

النقطة الاخيرة فيما يتعلق بأنه شكل الحزب أو شكل التحالف ، أن التضارب الموجود فى بعض الاسئلة الواردة فى ورقة العمل هو لتفتيح

موضوعات بالنسبة لصورة التحالف وما سماه الدكتور حسين فوزى بالحزبيات الصغيرة داخل الاتحاد الاشتراكى لتمثل آراء معينة وحوارا معينا وأعتقد أن هذا من الممكن أن يرد ، بل نحن نرحب به ونرحب أن يحدث نقاش .

ولكن ما طريقة النقاش وما أسلوبه ؟ هل يكون على مستوى اللجنة المركزية بصفة مستمرة؟ وهل نرسم السياسة الخارجية فى خطوطها العريضة من اللجنة المركزية ؟ أو هل سنرسم السياسة من مستوى اللجنة السياسية ؟ واذا كانت سترسم من اللجنة السياسية كورقة تحضيرية .. هل يستعان بخبراء من خارج اللجنة المركزية أو المؤتمر القومى ؟ والمثل على هذا قائم بوضوح فى الاتحاد السوفيتى فان اللجنة السياسية فى الاتحاد السوفيتى أو أمانة الشئون السياسية أو المكتب السياسى كما يسمى غالبا ليسوا جميعا من أعضاء المؤتمر ولكن بعضهم خبراء من الخارج يبدون رأيا معينا .

والمثل على هذا ايضا قائم فى بلغاريا ، فكما تعلمون أن حركة بلغاريا بدأت بحزب المزارعين ثم تلا ذلك الحزب الشيوعى وتكونت الجبهة البلغارية منهما ، ونجد فى التكوين الوزارى نفسه فى وزارة بلغاريا أن عددا من الوزراء — وفى اعتقادى أربعة أو خمسة — لا يمثلون الحزب الشيوعى وليسوا أعضاء فى الحزب الشيوعى وليسوا أعضاء فى اتحاد المزارعين وانما اختيروا لخبرة معينة .

وبالنسبة لنا هل ترون أن نقوى اللجنة السياسية تقوية كبيرة حتى نستكمل ما سماه الدكتور حسين فوزى بملاحقة الاحداث بحيث يكون فيها أقسام مختلفة للشرق الاوسط والشرق الاقصى وأوروبا وكذا .. ؟ وهل نستعين بنظام الخبراء ؟ ثم ما التقرير الذى ترفعه اللجنة السياسية ؟ وهل التقرير الذى ترفعه هو الذى يناقش فى اللجنة المركزية ؟ هذا أمر من الامور التنظيمية سليم جدا ، وعلى سبيل المثال الاخ ثروت تكلم عن موضوع الملك حسين ، والدكتور دكرورى والسيدة فايدة كامل ردا من الناحية الموضوعية فيما يختص بمجلس الشعب .

أيضا يهمنا ما رأى الاتحاد الاشتراكى كتنظيم جماهيرى يعكس آراء الجماهير كما ذكر السيد الدكتور حسين فوزى فى موضوع الملك حسين لان الاسلوب الدستورى شىء وأسلوب شعور الجماهير شىء آخر ، وقد يكون أسلوب شعور الجماهير يناقض تماما القرار الذى اتخذ ، ونحن لا نضيق بهذا ، لان واجبنا أن ننقل هذا الرأى الى الجهات المسئولة .

وهذا يؤدى بنا الى نقطة أكثر دقة وهى كيف نقيس الرأى العام ، الى الان ليس لدينا وسيلة لقياس الرأى العام ، والوسائل الموجودة كلها وسائل اجتهادية ، اما مبنية على أجهزة الاستماع واما مبنية على مجهودات شخصية ومن الخطورة بمكان أن نقرر أن الرأى العام يعتنق رأيا معينا بناء على مجهود شخصى ، لان هذا المجهود قد يكون سليما وقد يكون غير سليم وقد يكون رأيا شخصيا وعبر عنه بأنه تعبير عن الرأى العام .

اذن لا بد أن يتكون فى الاتحاد الاشتراكى جهاز فنى كالمعاهد الموجودة فى الخارج فى البلاد المتقدمة لقياس الرأى العام ، بحيث يتولى هذا الجهاز قياس الرأى العام فى أية مسألة من المسائل، هنا يمكن أن يلعب التنظيم السياسى دوره الذى يمثل به الجماهير فعلا ، وبدون قياس الراى العام فلا نستطيع حتى نحن كمجموعة مجتمعين فى هذا الاجتماع أن نعبر عن الرأى العام فى مسألة من المسائل وسوف يكون ذلك اجتهادا ، وكل منا يعبر عن الرأى العام من موقعه ، وانما لا يعبر عن الرأى العام على نطاقه الواسع .

اذن يكون من مستلزمات اللجنة السياسية أو أى لجنة أخرى أو أى أمانة أخرى وجود جهاز علمى فنى لقياس الرأى العام ، كل هذه الامور مجتمعة والتى الخصها فى تنظيم العمل فى اللجنة المركزية فى طريقة ادارة الحوار المفتوح الذى تنادى به فى قياس الراى العام تجاه مسألة من المسائل ، فى اعداد رأى يمثل رأى الاتحاد الاشتراكى ، وفى هذه الحالة يمثل رأى القاعدة الجماهيرية كما ذكر السيد الدكتور حسين فوزى .

ومن هنا يكون هناك جهاز سياسى لتحالف قوى الشعب العاملة ولا نخاف من هذا أبدا ولا نخاف من أن العمال يبدون رأيا معينا والفلاحين يبدون رأيا آخر ، والدليل على ذلك عندما اجتمعت مع النقابات المهنية — ولنا أيضا اجتماع قريب معهم — جرى النقاش بيننا على أوسع مدى وفعلا سمعنا آراء كثيرة مضادة ، وليس هناك ما يضير الجهاز السياسى فى أن يسمع هذه الاراء ،بل بالعكس يضيره الا يسمعها لانها تسمع فى الشارع وفى البيت والنادى ومع أى مجموعة منكم ، ولا مانع لاى مجموعة منكم عقب هذا الاجتماع أن تجتمع وتقيم ما دار فى هذه الجلسة نفسها .

ان الاهداف تكاد تكون متفقا عليها بيننا وبينكم وبين اللجان الاخرى جميعا ، ولكن الحقيقة بعد اجتماع لجنة العمل وبعد ثالث اجتماع ما زال الاسلوب غير مركز حتى الان ، وما نطلبه أن يركز هذا الاسلوب بجدية بحيث اذا ما قرأه رجل الشارع والعامل والفلاح يقول ان هؤلاء الناس جادون ، لاننى حتى الان أعتقد تمام الاعتقاد — ولا يمكن أن أخدع نفسى — ان الجماهير تقول اننا لسنا جادين واننا ما زلنا نتكلم .

نريد أن نكون جادين فى مرة من المرات بحيث نعرض اللائحة الداخلية للجنة المركزية ومن هنا نبدأ فى جذب انتباه الجماهير بأن هناك تغييرا .

لقد اثير فى اجتماع لجنة الدعوة والفكر موضوع تغيير تمثيل اللجنة المركزية علىأساس أن تمثل فيها النقابات المهنية والمجموعات الجماهيرية كنقابات لا أفراد بحيث ننتقل من تمثيل الافراد الى تمثيل النقابات ، هذا الامر له مزاياه وله مضاره ، كل هذه المسائل يجب أن تركز والا سيكون من الخطر جدا على الاتحاد الاشتراكى أن نخرج بتقريرنا النهائى بموضوع انشائى، بل سيكون فىذلك نسف لكل ماعملناه .

ان الخطاب الذى القيته فى المؤتمر القومى لم يكن موضوعا انشائيا ، وتأليف اللجان بعد ذلك ووجودنا معا فى الحوار ليس موضوعا انشائيا ، وفى الحقيقة نريد أن نصفى كل هذه الاجتماعات فى ورقة موضوعية تتصف بالجدية وتتصف بالصدق وتتصف ايضا أن نشد انتباه الجماهير حتى تعود الثقة بيننا وبين الجماهير.

● **الدكتور محمد دكرورى**

لقد حضرت اجتماعات لجنة العمل الوطنى والاجتماعات الفرعية ، وبحق أريد أن أقول انى لم انفعل بكلمة مثل كلمة أستاذنا الدكتور حسين فوزى لانها صدرت عن ايمان حقيقى وببساطة عادية وعبرت تعبيرا حقيقيا عما يمكن أن نسميه كلمة شعب مصر .

نحن لا نريد أن ندخل فى متاهات فلسفية ، قد لاحظت منذ بداية اجتماعات اللجان الفرعية أن هناك كلاما من الطبقات وعن فائض القيمة وعن المراحل وخط فكرى يريد أن يصل الى مفهوم الصراع .

هل المشكلة التى تواجهها مصر اليوم صراع طبقات ؟ ما الذى يشكو منه الفلاح اليوم ؟ انه يشكو من أن الدولة لا تقدم له الخدمات والتسويق التعاونى الذى تقوم به الدولة يمثل اجحافا به ، العمال لهم مطالب فى المصانع التى يملكها الشعب والطرف الثانى هو الدولة هو الشعب ، المشكلة الحقيقية اليوم هى مشكلة الحرب ، ليست الحرب بمعناها التقليدى ولكنها الحرب على الفقر والحرب على التخلف .

ان مشكلتنا ليست مشكلة فلسفات والفاظ وشعارات سئمها الشعب وملها وكرهها ، الشعب يريد جدية وعملا وايمانا وصدقا ، وليست مهمة الاتحاد الاشتراكى — فى الصيغة التى حددتها المواثيق — مناقشة هذه المواثيق انما نحن نناقش كيف يمكن أن يكون الاتحاد الاشتراكى — كما ذكرت سيادتك — منبرا حرا للاراء الحرة يعبر بأمانة وجرأة وبصراحة عن الجماهير وآراء الجماهير ، نحن لا نريد التواء ولا نريد مداورة ولا نريد تكتيكات ، ولا بد أن نكون ببساطة هذا الشعب فى مواجهة مشاكل هذا الشعب .

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكى ليست مشكلة انشاء أحزاب للعمال والفلاحين ، ليست مشكلة طبقات وصراع طبقات ، انما هى مشكلة تنظيم الحياة فى مصر ، مشكلة تنظيم العلاقة بين السلطات ، مشكلة أن الالة الحكومية والشعبية لا بد أن يعاد تنظيم تروسها حتى يمكن أن نستفيد من الفقد الذى يفقده هذا الشعب ويزيد من تخلفه .

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكى — وقد عشت هذه التجربة — هى مشكلة الممارسة ؛ لقد سألتنى سيادتك يوما ما قبل أن تكون أمينا للاتحاد الاشتراكى — سألتنى عن رأيى وكيف يمكن أن نعالج القصور الموجود فى الاتحاد الاشتراكى واننى قلت لسيادتكم .. وهل يراد أن يكون فى مصر تنظيم قوى ؟ لانه لم يكن يراد أن يكون فى مصر تنظيم قوى .

ان دور الاتحاد الاشتراكى دور آخر ، وهو دور مواز للحركة التنفيذية ، وهو دور رقابة الحركة اليومية والعمل اليومى للجهاز التنفيذى حتى يصبح هذا الجهاز جهازا فعالا يلبى مصالح وحاجات الجماهير .

ان مشكلة الاتحاد الاشتراكى هى أنه يمارس دوره فعلا ولكن بأسلوب عقيم .. اذا كان على مستوى القرية فان الجهاز السياسى الموجود يمكن أن يعبر عن المشاكل وأن يحل ما يمكن حله وما لا يمكن حله يمكن أن يصعد حتى يصل الى اللجنة المركزية .

وكما ذكرت السيدة فايدة كامل فيجب أن يكون هناك نوع من اللقاءات حتى يكون هناك نوع من الالتزام .

وانني أنادى بأن يكون باللجنة المركزية جهاز لا يقل قدرة عن الجهاز التنفيذى ، وفى هذه الحالة يمكن أن يطرح هذا الموضوع فى اللجنة المركزية فى حضور السيد رئيس الجمهورية وهو رئيس الاتحاد الاشتراكى بحيث تصدر الدولة القرارات التى تلزم الجميع بالمحاسبة .

أعود بعد ذلك وأقول ان القضية ليست قضية أحزاب ولكن الامر يقتضى أن نعالج الموضوع بصدق وأمانة وجدية .

● عبد العزيز الدسوقى

السيد السكرتير الاول للجنة المركزية ..

أرجو الا تضيق بتساؤلاتى أو بمعنى أدق ، أرجو ألا تضيق بتفكيرى بصوت عال ..

يبدو أن الافكار التى أثيرت فى هذا الاجتماع تدور حول قصور الاتحاد الاشتراكى القديم ، وفى رأيى أن هذا القصور القديم قد سقط منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ عندما هزمنا وعندما كانت الاعلام تنكس فى سيناء وفى هذه الحالة كانت تنكس أعلام القصور السياسى فى هذه الفترة .

نعود الى هذه المواثيق التى أعادت الى الاتحاد الاشتراكى الحياة ، فكما جاء فى بيان ٣٠ مارس وفى هذه المواثيق يبدو أن المشكلة ليست هى كيف نعطى الفاعلية للاتحاد الاشتراكى بصيغة جديدة فما أكثر الصياغات التى وضعناها قبل ذلك فى هذه الفترة التى فسد فيها كل شىء .. ولكن المشكلة الان كما تصورناها هى أن الاتحاد الاشتراكى ظهر معزولا كل العزلة من افكار الناس فالمسألة اذن هى الاستفادة بآراء وأفكار الناس والمسألة كذلك هى فى قيمة هذه الافكار ، ومن ثم جاءت هذه الصراحة التى نشعر بها والتى نشكر عليها المهندس سيد مرعى حيث يتساءل هذا السؤال الذى لم يعجب الاخ سعد الدين وهبه وهو كيف ندخل اشخاصا جددا فى الايديولوجية .. ثم يستأنف السيد السكرتير الاول حديثه فيقول اننا لو أدخلنا هؤلاء فانه سوف يحدث صراع كبير ، وهذا صحيح جدا لانه نابع من التصور الحقيقى ، خاصة واننا فى سنة ١٩٧٢ وبعد عشر سنوات من هذه الشعارات التى نحملها على ظهورنا فلا تزال هناك أفكار تعيش فى هذا



عبد العزيز الدسوقى

الشعب تخالف هذه الافكار التى توجد فى الاتحاد الاشتراكى .

والقضية فى نظرى ليست كما يقول الدكتور الدكرورى أنها قضية فلسفات لاننا فى النهاية نأتى لهذه القضية ونأتى لها بفلسفات ، ولكن القضية هى كما قال الاخ سعد الدين وهبه بأن نضيف الى الاتحاد الاشتراكى حزبيات لاننا بلا شك فى حاجة الى تمثيلها .

وهناك تساؤل آخر .. لماذا نبقى على صيغة هذا التحالف وقد كانت فكرة هذا التحالف كما تصورها القائد الراحل جمال عبد الناصر انه خوف من أن تكون هناك أحزاب متعددة ، حزب رجعى وحزب يسارى وهؤلاء يتصلون بجهات خارجية وتضيع البلد .. فمن الافضل أن يكون هذا التحالف الذى يضم قوى الشعب العاملة ولكننا فى هذه الفترة وقد أصبحت الظروف مغايرة تماما للظروف السابقة وان هناك تيارات من شبابنا يخالفون كل المخالفة هذه التصورات الموجودة فى الاتحاد الاشتراكى ، فهل فى امكان هذه اللجان ان تنطلق فى فكرها بعيدا عن هذا التصور القديم وتطوره ؟ .

نحن نفكر على المدى البعيد وعلى المدى الذى لا تكون فيه معركة لان المعركة اذا بدأت واشتعلت نيرانها فمن الممكن أن يتوقف كل شىء

اذن فليست المشكلة هى أن آتى وأتحاور مع السيد السكرتير الاول للجنة المركزية ، وآخذ بعض الحريات للصحافة وغيرها لانه فى الحقيقة فى العشرين عاما الماضية تضخمت عضلات

السلطة التنفيذية وذبلت عضلات السلطة الشعبية ، ونحن فى الواقع نريد أن يتحول هذا التحالف الىجهاز سياسى ينظر الامور السياسية فقط فلا أريد أن يأتى الاتحاد الاشتراكى فيمحوا أمية بعض الناس أو أن يعطى بعض الناس خدمات معينة ولكننا نريد أن يتحول الاتحاد الاشتراكى الى مؤسسة سياسية تكون فى داخلها تيارات فكرية ومن الممكن أن تسقط بعض هذه التيارات الفكرية ، فقد سقط بعض هؤلاء وبعضهم حوكم دون أن يستفيد من هذه التجارب

اذن الافضل أن تكون هناك تيارات فكرية فى الاتحاد الاشتراكى واذا سقط تيار منها يأتى غيره .

● **نبيــــل الالفى**

اننى التقط الخيط من بعض الكلمات التى قيلت وفى الحقيقة أن أى سياسة لاى شعب من الشعوب ينبغى أن تكون مرتكزة أساسا على عدة حقائق وهذا فى الواقع يساعدنا كثيرا اذا ما التزمنا بالنسبة للجهاز الذى يمارس العمل السياسى .

الذى ألمحه والاحظه هو أن الجميع يتكلمون حول فكرة الصحافة وهذا فى الواقع يأخذنا الى حقيقة أهمية المعارضة فى أى بلد من البلاد بصرف النظر عن النظام القائم فيها .

المفروض أن نتفق أولا على حقائق ، ثم نضع على أساسها الخطوط التى نسير عليها .. هل المعارضة ضرورية لاى مجتمع انسانى ؟ ..

من وجهة نظرى فان المعارضة ضرورية جدا وذلك لانه دائما ما نلاحظ أن الاراء التى تدفعنا للتقدم ليست هى المتفقة معنا ولذلك فان المعارضة هامة جدا وليس من مصلحة أحد أن يبقى التنظيم السياسى كما هو لفترة طويلة .

اذن فالمعارضة مسألة ضرورية ، وكل نظام حكم لا يستطيع أن يستغنى عن نوع من المعارضة ولا بد وأن تكون هذه المعارضة متحققة .

كذلك فاننا نأتى الى حقيقة أخرى هى أننا اذا قلنا أن أى نظام حكم يترجم طموح الشباب فينبغى أن نتفق على هذه الحقيقة ونضع طموح الشباب فى مكانه ثم نبحث فى التطبيق ، وهذا التطبيق ضرورة كبرى بلا شك ، وفى هذه الحالة تتبلور عندنا حقيقة ثانية الى جانب الحقيقة الاولى التى أشرنا اليها وهى المعارضة وبعد ذلك نبدأ فى تجميع مثل هذه الحقائق وهى لا تزيد عن ست أو سبع حقائق .



نبيــل الالفى

نأتى بعد ذلك الى النقطة التى أثارها السيد السكرتير الاول وهى مرتبطة فى الحقيقة بقياس الرأى العام ، فنحن حتى الان ليس عندنا جهاز علمى لقياس الرأى العام ، فياحبذا لو كانت هناك أجهزة متخصصة ترى ردود الفعل امام الجماهير ، ومن خلال هذه الاجهزة المتخصصة سواء فى المسرح أو فى الصحافة نبدأ فى قياس الرأى العام ، وأعتقد أنه آن الاوان لان يكون بالجهاز السياسى عندنا مثل هذه الاجهزة حتى يكون الامر مبنيا على الحوار القائم بين الجماهير وبين الحركة السياسية .

● **الدكتور محمد خلف الله أحمد**

فيما يتعلق بما أثاره السيد السكرتير الاول للجنة المركزية بالنسبة لقياس الرأى العام فاننى أقول ان قياس الرأى العام هو عملية علمية ، ولكن قبل أن نسعى الى قياس الرأى العام فلابد أن يكون هناك رأى عام سليم مدرب وقوى حتى يصبح لجماهير الشعب وجودها . فهل هناك رأى عام فعلا ؟

فى الحقيقة فان هذه النقطة بالذات تدفعنى بالحاح الى تصور طبيعة الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة الحاضرة،وكلما أفكر فى تجاربنا السابقة التى مررنا بها وهى هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى،وكلما أفكر فى الفترة التى سرنا فيها فى تطبيقنا للحياة الاشتراكية التى ارتضيناها نظاما وفلسفة .. كلما أفكر فى هذه الاشياء جميعا أجد أن الوسيلة الاساسية للاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة هى أن يصبح مدرسة سياسية وأن يصبح برلمانا جماهيريا حرا

.. هاتان الوظيفتان تصوران بلا شك العمل الحقيقى الذى يمكن أن يكون فى الاتحاد الاشتراكى .

اذن فنحن لا نشغل أنفسنا بالبحث عن السلبيات وغيرها ، وللدولة مجالس شعبية وأجهزة تنفيذية وليس عندنا قصور فى هذه الناحية ، ولكن القصور هو فى الحقيقة فى الجهاز الذى يستطيع أن يتكلم منه الشعب بحرية وبأى رأى ، فلو أمكن للاتحاد الاشتراكى أن يحقق لنا هذه الوظيفة فان ذلك بصراحة هو عين النجاح .

اننا نريد أن يصبح عمل الاتحاد الاشتراكى هو العمل السياسى المحض ، فلا شك اننا باجتماعنا هنا اليوم وكل واحد منا يبدى رأيا ، وهذا الرأى يقابله رأى آخر أو فكرة أخرى تعدلها وبهذا الشكل يكون الاتحاد الاشتراكى موجودا وممثلا لجميع هيئاته ونقاباته المختلفة ومنظماته الموجودة ابتداء من الوحدات الاساسية الى أن نصل الى اللجنة المركزية والى المؤتمر القومى وفى هذه الحالة يصبح الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الام الذى وراء مجلس الشعب والذى وراء الجهاز التنفيذى وهو الذى يدرب لنا القيادات التى ستأخذ طريقها الى مجلس الشعب والى مختلف الاجهزة الموجودة .

كذلك فان المناقشات التى تدور فى وحدات الاتحاد الاشتراكى والتى تحدث بطبيعة الحال لا بد أن تسجل ولا بد أن تصل أصداؤها للرأى العام ولا بد أن تعرض اتجاهاتها العامة على المؤتمر القومى .

بهذه الكيفية يصبح الاتحاد الاشتراكى موجودا بالفعل ولا شك أن هذا الطريق سيؤثر تأثيرا قويا فى انجاح العمل بالتنظيم السياسى ، وعلى هذا الاساس فانه يلزم لزوما ضروريا أن تصبح عضوية الاتحاد الاشتراكى مفتوحة من غير حجر ومن غير حدود لجميع المواطنين دون استثناء حتى نستطيع جميعا أن يفهم بعضنا البعض وحتى تستطيع الجماهير أن تفهم اتجاهاتنا التى نحاول أن نظهرها .

● **السكرتير الاول**

الدكتور الفاضل يتساءل ويقول .. اذا كنا نريد أن نقيس الرأى العام ، فهل لنا رأى عام ؟

وهذه النقطة فى الحقيقة لا أستطيع ان اتركها



د. محمد خلف الله احمد

تمر بهذه السهولة ، ففى تصورى على مدى السنوات التى قضيتها فى السياسة وهى سنوات طويلة أن الرأى العام فى مصر قائم وموجود وقوى وليس هذا غرورا ، ولكن شعورى وخاصة فى الفترة التى تلت سنة ١٩٦٧ انه بعد الهزيمة صار الرأى العام واضحا منذ وقتها وحتى الان ، كذلك فاننى مقتنع بأن هناك رأيا عاما قويا يمكن أن توافق عليه القيادة السياسية .

● **الدكتور محمد خلف الله احمد**

الذى أقصده هو تدريب وموالاة تدريب الرأى العام وخصوصا عندما يشغل الرأى العام بالقضايا المصيرية ، ولا شك أن تنمية الرأى العام لا تأتى الا عن طريق الممارسة .

● **نجيب محفوظ**

يخيل الى أن الاتحاد الاشتراكى ليس هو المشكلة ولكنه قد يكون أحد أعراضها .. نحن نقول أن مهمة الاتحاد الاشتراكى أن يتعرف على آراء الناس ولكنه سيجد آراء متناقضة فماذا يكون موقفه ؟ .

من حيث الواقع هناك مصالح متضاربة وهناك أيضا اتجاهات متغايرة ومختلفة وهذا يقتضى قيام أحزاب .

الشكل الاساسى للاتحاد الاشتراكى أنه تحالف لقوى الشعب العاملة ، ولكنه تحالف

مفروض ، ومن هنا فانه لا يمثل التحالف ، وحتى الواقع لا بد أن تكون هناك أحزاب مختلفة .

اذن فاذا أردنا للشكل السياسى أن يكون على أفضل وجه ، فأمامنا حلان أن نرجع للحكم فى الاحزاب أو نرجع برأى الدولة الى الشعب ويكون الحكم اشتراكيا ونطبق النظام الاشتراكى بحيث يقضى على هذه التناقضات بالقوة ، ولكن كوننا نجلس ونتكلم ونقول ماذا نفعل بالنسبة للاتحاد الاشتراكى فاننى أرى أنه مهما عملنا فلن نصل الى شىء لان كل من هم بداخله متناقضون واننى أقول أنه يجب أن يحدث حوار حر بين الناس ، فلو حدث الحوار بين أناس متناقضين.

● **السكرتير الاول**

هل الحوار هو الخلاف الموجود الذى أشار اليه الدكتور دكرورى والدكتور سعد ؟

وهل التناقض أو الخلاف الموجود بين الطبقات العاملة يصل الى الحد الذى يمثل التناقض الجوهرى ؟

اننى أريد أن أتصور، هل هناك خط اشتراكى اتبع من سنة ١٩٥٢ الى اليوم ؟

اننى أرى قوانين تحديد الملكية ، وقوانين اشراك العمال فى مجالس ادارة الشركات كذلك أرى الاتحاد الاشتراكى بما فيه من سلبيات عندما أرى الطبقة الراسمالية او الطبقة الرجعية مبعدة وهى لا تتعامل ولا تمثل جبهة الان الا فى حدود الراسمالية الوطنية — اذا أردنا أن نسميها — وفى الحدود الضيقة .

وهناك بحث صدر فى جريدة الاهرام بهذا الخصوص فى الحوار الذى تم بين محررى الاهرام وأعضاء معهد الاتحاد السوفيتى وهو يبين عدد العاملين فى القطاع الخاص وعدد العاملين فى القطاع العام ، لكنه لم يوضح فى هذه النقطة بالذات قيمة الثروة ولا قيمة المعاملات الموجودة فى كل من القطاعين ، ورغم وجود هذا النقص فان الاتجاه العام لهذا الخط بين تناقضات ، فمثلا عندما تسألنى عما فعله الخط الاشتراكى بالنسبة لعمال التراحيل وهم يمثلون عددا ضخما من الجماهير فان الاجابة تكون سلبية مع أنه يجب أن تكون هناك خطة معينة لعمال التراحيل ، لانك اذا نظرت فى الاصلاح الزراعى مثلا تجد أن هناك فلاحا يمتلك فدانا ونصفا أو فدانين وله ابن أو اثنان بالتعليم الجامعى وآخرون بالتعليم الثانوى ، وتجد بجواره عامل التراحيل بوضعه السابق ، يعانى نفس المعاناة القديمة حتى من جاره الفلاح الذى يمتلك الفدانين ، لان المورد لشراء مايحتاجه فى بعض الاحيان هو الفلاح الذى تمتع بالاصلاح الزراعى .

وهنا تظهر مسألة أساسية ، وفى اعتقادى أن مثل هذه المسائل الاساسية لو وضعت فى جوهرها أمام الاتحاد الاشتراكى وأمكنه بلورتها تكون افضل وأجدى من غيرها .

ولا أعنى بهذا أن موضوع محو الامية أو تنظيم النسل ليسا ذوى أهمية بل هما موضوعان لهما أهميتهما القومية فعلا ، أما موضوع مثل حل مشكلة العمال الزراعيين فانه قطعا يعطى للاتحاد الاشتراكى نقطة من النقط السياسية التى يمكن الارتكاز عليها .

وحقيقة هناك تناقض أو خلاف ما بين مستوى معيشة العمال ومستوى معيشة الفلاحين ، وعلينا أن نجتهد لنوصل الفلاحين الى مستوى معين ، ولكن هل نتصور حقيقة أن هذا التناقض خطير جدا يصل بنا الى الحد الذى نتخوف منه ؟ وندأب على الحديث بشأنه فى مثل هذه الاجتماعات ؟ .

فى تصورى أن المسألة لا تصل الى هذا الحد فلدينا خط اشتراكى ولكن للاسف هذا الخط لم يفلسف ، ومع أننى ضد مبدأ الفلسفة الا أنه يجب فلسفته ، ونحن مقيدون بهذا الموضوع حيث أنه وارد ضمن قرارات المؤتمر القومى العام .

وقد رأينا عند زيارة السيد رئيس الحزب الشيوعى الايطالى أو رئيس الحزب الشيوعى اللبنانى أو أعضاء معهد الاتحاد السوفيتى أن أول سؤال وجه الينا هو ، هل لديكم أيدلوجية اشتراكية ؟ فنذكرها لهم ، فيقال وهل أنتم اشتراكيون حقيقة ؟ فنوضحها لهم ، ولكننى أسأل نفسى بصفة مستمرة عقب سماع مثل هذا السؤال عما وراءه ، ولقد اضطررت لان اقول لاحد أعضاء وفد الحزب الشيوعى الايطالى انك سألتنى أكثر من مرة عن أيدلوجيتنا الاشتراكية.. فما هى أيدلوجية الحزب الشيوعى الايطالى ؟ أرجو أن تشرحها لى لاننى لا أفهمها .

وبالتالى فان ما أتصوره — كما ذكر السيد الدكتور حسين فوزى — لا مانع اطلاقا فى داخل الاتحاد الاشتراكى من وجود آراء مختلفة بدون **الحاجة لتسمية حزبيات أو أحزاب صغيرة أو** شىء من هذا القبيل ، فيكون هناك رأى يمثل

رأى العمال فى موضوع معين ؟ وليكن مفهوما لدينا أن شخصا ما يتزعم رأى العمال فى اللجنة المركزية وآخر يمثل رأى الفلاحين ، وآخر للمثقفين .. الخ فما الذى يضيرنا من هذا ؟ بل انى اعتقد انه بدون هذا لا يكون هناك كيان فعلى للاتحاد الاشتراكى .

هذا هو تعليقى الذى أردت أن أوضحه فى هذا الخصوص ..

أما الصورة الاخرى التى أعرضها وقد سبقت اثارتها فى لجنة الدعوة والفكر باتساع فهى انه قد قيل انه لا داعى « للافتة » الاتحاد الاشتراكى هذه وان الافضل تعدد الاحزاب .

كما اثيرت نقطة أكبر من ذلك وهى أن الاحزاب فى مصر لا تحدد الا من خلال قوى الشعب العاملة فعلا ، وبدأنا نسمع لاول مرة كلاما آخر يقول بأن الطبقات العاملة فعلا هى العمال والفلاحون فقط ، أما ما عدا ذلك من طبقات فلا تعتبر طبقات عاملة بل تعتبر فئة من الفئات .

وفى الحقيقة اننا نستمع لكل ما يشار ولم أعلق على هذه النقطة فى الجلسة الماضية ، ولكننى ادخل فى متاهات ، لانك حينما تذهب الى بلغاريا أو المجر أو بولندا وهذهكلها بلاد شيوعية — الا اذا كان فى عرف البعض أنها غير ذلك — فهذا موضوع آخر يمكن مناقشته — ستجد النظام الموجود فى الجمعيات التعاونية فى بلغاريا يعتبر المهندس الزراعى أو مهندس الكهرباء أو رئيس مجلس الادارة أو المثقف عاملا وبهذه الطريقة أمكنهم حل المشكلة حلا جذريا ووضعوا حدا لما نتحدث عنه من أن هذا ينتمى الى طبقة المثقفين ، وذاك ينتمى الى طبقة العمال مما ادى بنا الى الدخول فى مثل هذه المتاهات .

وقد يصل تفكيرنا لمثل هذه النقطة — طالما كان المهندس رئيسا للجمعية التعاونية وهو الذى يديرها فى بلغاريا ، وهو المسئول عن انتاج المزرعة المعطاة للجمعية التعاونية أهدافا وتصديرا وكمية .. بحيث اذا لم يحقق هذه النتيجة يفصل فورا ، أما طبقا لاسلوبنا فان المهندس هنا لا يعتبر عاملا ، ولا يجوز أن يتقاضى من أرباح العمال كما لا يجوز أن يتمتع بمزايا العمال .. الخ فتكون النتيجة أنك وفقا لقانون الاتحاد الاشتراكى تعزل هذا المهندس عن انه قوة أساسية من قوى الشعب العاملة التى لا يفترق عنها فى شىء فهو ابن احد افراد هذه القوى ، تماما كالمثل الذى ضربته بفلاح الاصلاح الزراعى الذى أرسل أولاده الثلاثة للجامعة ليتعلموا ويتخرجوا مهندسين، وهؤلاء سينضمون بطبيعة الحال الى طائفة المثقفين،وربما يعودون للعمل فى العمل الريفى نفسه .



حمدى غيث

فاذا كنا نتكلم عن التناقضات الموجودة بين طبقات الشعب العاملة ، فلماذا لا ننظر بأفق واسع ونحدد من هو العامل ومن هو الفلاح ؟ وبالتالى نقضى على جزء كبير من هذه التناقضات فتكون الطبقة المثقفة فى تصور فى هذه الحالة — فيها أستاذ جامعة نظرى ، فى حين يصبح زميل آخر له — كان معه فى نفس الجامعة ولكنه يعمل فى الحقل — عاملا مع العمال ، فما الذى يضيرنا من هذا النوع من التفكير .

هذا الكلام مجرد رأى قابل للنقاش دون الزام اللجنة بشىء .

● **حمدى غيث**

فى الحقيقة أن الرأى الذى أردت عرضه الان يكاد يكون قد استوفى من كل من الاستاذين سعد الدين وهبه ونجيب محفوظ لكننى أود التأكيد على ماقالاه .

فعندما طالبنا بوضع فلسفة للاتحاد الاشتراكى أعتقد أن هذا طلب أساسى وجوهرى جدا ولا يعنى هذا أنهما يدعوننا أن نغرق أنفسنا فى الفلسفات ومتاهاتها ، بالعكس فقد سمعنا من السيد السكرتير الاول الان بأننا لا توجد لنا فلسفة ويجب أن نضع لانفسنا فلسفة وهذا شىء جوهرى جدا .. لان الفلسفة هى المؤشر

وهى المعيار الحقيقى الذى يصور كل خطواتنا وكل أعمالنا ، وهذه الفلسفة تنطلق من شىء بسيط جـدا ، فنحن نقول مثلا ان الاتحـاد الاشتراكى هو تحالف قوى الشـعب العاملة بمعنى أن هذا الاتحاد لا بد وأن يكون اشتراكيا وليس اتحادا بين أحد أيا كان أو أشخاصا أيا كانوا .

اننا أنفسنا نسميه الاتحاد الاشتراكى ، ولذلك فلا بد أولا من أن نقول ما الاشتراكية ؟ لانه لكى نقيم اتحادا بين القوى الاشتراكية فى مجتمعنا لا بد من أن نقول أولا ما اشتراكيتنا .. ومـا سماتها الاساسية والجوهرية ؟ وما وجه الخلاف بينها وبين الاشتراكيات الاخرى ؟ وما الـذى نريده بالضبط ؟ .

هذه هى الفلسفة التى لا بد من أن نضعها لكى نعرف بالضبط ما الاشتراكية ؟ .

بعد ذلك لكى نقيم الاتحاد الاشتراكى أو ننتقل الى قوى الشعب العاملة لابد كخطوة ثانية من أن نضع فلسفة معينة لنـا نحدد بها ما قوى الشعب العاملة التى يمكن أن تدخل فى نطاق هذا التحالف لتكون الاتحاد الاشتراكى .

وبخلاف هذا كله سنظل طوال العمر نجتمع لكى نقول نريد أن نصوب نفسية وتكوين الاتحاد الاشتراكى ..

لانه اذا كان قد ثبت من التجارب الماضية أن الاتحاد الاشتراكى عندنا يقـوم ويشكل ويظل سنة أو اثنتين أو ثلاث أو خمس يؤدى مهمته المطلوب منه تأديتها بعد ذلك نجد أن الاحداث والتطور الاجتماعى تتجاوزه فيدعونا الى اعادة التفكير فيه لكان هذا عملا صحيا جدا .

لكن ما يحدث بالفعل انه قبل أن يقوم الاتحاد الاشتراكى نجد أن الجماهير تذهب الى صناديق الانتخابات وهى فى شك من امكانية قيامه بتأدية مهمته ، فعنصر الشك وعدم الثقة موجودان منذ اللحظة الاولى لتشكيله ، نتيجة لعـدم معرفة الناس بالاتحاد الاشتراكى وبفلسفته ، ان فلاحى القرية مثلا حينما يدلون بأصواتهم فى الانتخابات فهم يدلون بها بحرية مطلقة وبدون تدخل من أى شخص ، لكنهم لا يعرفون بالضبط فى أى اتجاه يدلون بأصواتهم ولا لأى فـكر يعطونها ، فهم ينتخبون بمطلق حرياتهم وبكامل ارادتهم لـكن هذه الحرية حرية ناقصة لانها لا تعزز بالوعى الكامل ، ولا بفكر واضح فهى حرية عشوائية تعطى للجماهير لكى ينتخبوا من يريدون طبقـا للعلاقات الشخصية أو لقوة شخصية المرشـح وما الى ذلك ، وهذا ما أدى الى أن يتسلل الى التنظيم بعض أصحاب المصالح والتطلعات التى تتناقض تماما مع الفلاحين .

فكيف تتسلل هذه العناصر الانتهازية والرجعية الى صفوف التنظيم — كما هو وارد فى ورقة العمل — ان لم يكن التنظيم فى جوهره خلل ونقص ؟ فجوهر التنظيم نفسـه مختـل بحيث يسمح بتسلل مثل هذه العناصر تحت سـتار عضويتها فى تحالف قوى الشعب العاملة .

فلا بد من وجود فلسـفة — ولا بد من أن نعرف أولا كيف نصنع من هذا الاتحاد الاشتراكى قوة اشتراكية حقيقية ؟ ولا بد اذن من تحـديد ماهية اشتراكيتنا وجوهرها وحقيقتها . كذلك لا بد من تحديد ماهية قوى الشعب العاملة التى يجب أن تضم فى تحالف حقيقى ، وليس تحالفا بين أفراد لانهم لا يملكون أكثر من مائة فدان مثلا أو ينطبق عليهم بعض القوانين التى صدرت فى خلال مسيرة الثورة ، فهؤلاء هم الذين يمثلون تحالف قوى الشعب حاليا .

اننى أعتبر أن الاتحاد الاشتراكى بوضـعه الراهن عبارة عن جمعية أو مجتمع لافراد وليس لقوى شعب عاملة حقيقة ، انهم لا يمثلون قوى ولا فـكرا متناقضة تناقضا سلميا وغير هدام ، وقد يوجد هـذا التناقض داخل اطار الفـكر الاشتراكى نفسه وداخل اطار المفهوم الاشتراكى لمجتمعنا — كما قد يوجد مثل هذا التناقض وهو يمثل الرأسمالية الوطنية الحقيقية التى لاتتناقض مصالحها تناقضا هداما مع الطبقة العاملة لا فى التنمية ولا فى توزيع الملكية الزراعية البسيطة التى تتناقض مصالحها تناقضا هداما مع مصالح الفلاحين .

ويمكن من داخل الاتحـاد الاشتراكى نفسه تنمية قـوة الطبقة العـاملة بصفة مستديمة ، واذابة الفوارق بين هذه الطبقات بالطرق السلمية من داخل التنظيم السياسى الاشتراكى الحقيقى الذى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة ، كمـا تذبب هذه التناقضات بالعمل السياسى السلمى المستمر .. وشكرا .

• الدكتور أحمد كمال أبو المجد

لا بد أن أعتذر مقدما لان الحديث لا بد أن يكون فلسفيا فى اجتماع الكتاب الادباء والفنانين دون أن يخل هذا مطلقا بما أشار اليه السيد الدكتور دكرورى من أن الجماهير لا تحتاج الى أن تستمع الى الفلسفة .

فتاريخيا حينما وقع الاتفـــاق على صيغة التحالف كان مرده عدة أمور منها الحرج الشديد في كل اشتراكية غير ملتزمة بالماركسية التزاما كاملا سواء في التنظيم السياسي أو في تحديد الخط الاشتراكي ، ان قضية الاستغلال نفسها لا ترتبط بنظرية محددة ، فالامر سهل في الفكر الماركسي ، فالاستغلال يرتبط بفائض القيمة ، والنظام كله ينبغي أن يتجه للطاقة العـــاملة ، والتنظيم السياسي لا بد أن يعكس هذه القوى . وبذلك يكون حزبا للطبقة العاملة وتحل الامور بهذه الطريقة .

ولم يكن هذا هو اختيار الشعب المصري في الستينات عندما اختار صيغة التحالف ، فهو لم يربط فـكرة الاســتغلال مباشرة بنظرية فائض القيمة وحدها ، فسار مضطرا الى معايير مرنة واصبحت حاجته الى الديمقراطية أكثر من أي نظام يقوم على المـــاركسية ، لانه لا بد من أن يكون الشعب كله هو المعيار في تحديد أين ينتهي العدل ويبدأ الاستغلال .

فمثلا درس الســـنوات الاخيرة وخصوصـــا بالتحديد الفترة التي انقضت ما بين وفاة الرئيس عبد الناصر — رحمه الله — ومايو وما حدث فيه من تغيير ، وهو درس تبينته القوى كلها ، وهو أن التطبيق الاشتراكي أيا كانت فلســـفته وأيا كانت القوى التي تريد انجـــازه في خطر دائم بغير سيادة القانون وبغير الديمقراطية ، لان الذي حدث — كما ذكرت سيادتك — أن هناك تحولا اشتراكيا واجراءات اشتراكية كبيرة جدا فكان المفروض أو المتوقع أن تستفيد قـــوى التحالف من هذه القوى الاشتراكية فلا تأتي بعد مضي هذه المـــدة وتتساءل عن جـــدوى صيغة التحالف ، لانه كان المفروض أن تقتنع القوى كلها بأن هذا الاسلوب من أساليب الاشتراكية مفيد لها أو يحقق مصالحها لكن الذي حدث فعلا أن أكثر الطوائف وأكثر القوى لم تقتنع بهذا جيدا لسببين :

١ — أن العـــائد العملي من عملية التنميـــة الاشتراكية بدد الكثير منـــه ، اما تبديدا فيـــه مسئولية ، واما بدد لان المنهج لم يكن علميا في استخدام الموارد وفي توزيع العائد .

٢ — ان أكثر الاجراءات الاشتراكية واكثرها خطورة لم يصدر عن التحالف ، فنحن لم نر في تاريخ الاتحاد الاشتراكي انه أصدر قرارا مهما ، بل أن القيادة الثورية هي التي كانت تصدر هذه القرارات ، وجزء من هذا الواقع يصدق على سائر المؤسسات كالمجلس التشريعي، فالقرارات الهامة كلها اما انهـــا نبعت من القيـــادة أو من الحكومة لكنها لم تنبع من الاتحاد الاشتراكي .

فكانت محصلة هـــذا أن صيغة التحالف لم تستفد من الانجازات الاشتراكية فانتبه الفـــكر في قيـــادات الطبقة العاملة ولـــدى المفـــكرين الماركسيين ولدى المفكرين الليبريين في هـــــذه الفترة ، الى أن قضية الديمقراطية هي القضية لان كل ضمان لرغيف الخبز يزول اذا لم تـــكن هنـــاك ديمقراطية أو سيادة القانون ، وهـــذا ينعكس في كثير مما سمعناه في هذه الجلسة .

وأريد أن أتوقف عنـــد تعبير السيد الدكتور حسين فوزي لانني معترض على كلمة «الحزبيات» اعتراضا موضوعيا ، فهي فضلا عن صعوبتها فان المعروف أن الـــكلمة حين تدخل علمـــا من العلوم تنتقل مضمونها اللغوي ويكون لها معنى مصطلحيا .

فالمعنى المصطلح لكلمة الحزب هو أن جماعة من الناس — سواء صغرت فكانت حزبيا أو كبرت فصـــارت حزبا — يعبرون أساسا عن مصلحة اقتصادية واحـــدة ، والاحساس الذي ولـــدته السنين الاخيرة في الوقت الحاضر ، وخصوصا في الفترة ما بين وفاة الرئيس الراحل جمـــال عبد الناصر ومحاولة التغيير في مايو — باننا ندفع ثمن الواحدية في التفكير ، لاننا لا نسمع الا ناقوسا واحدا فلا نعرف الا نغمة واحـــدة وكثير جدا من آفات التجربة في التنظيم السياسي هو ثمرة الواحدية والافتقار الى الرأي الاخر أو المعارضة بمفهومها السياسي .

ففي تحفظي بالنسبة لاعادة النظر في صيغة التحالف هو انني لا أريد أن أربط الخروج من الواحدية الى التعدد ومن الفرد الى المبـــادرة ومن الرأي الواحـــد الى سماع الاراء كلهـــا ، بالتركيب الاجتماعي للاتحاد الاشتراكي لانني لو ذكرت انني أعمق الحــــزبيات وأن الطبقـــات الاجتماعية في الاتحـــــاد الاشتراكي هي التي تشكل خطوط المعارضة فانني أقع في خطأين :

الخطأ الاول : هو انني التزم بما لم التزم به من قبل من تصور وهو أن هذا التركيب الاجتماعي وهذه الخطوط هي احـــدى خطوط التقسيم ولـــكنها ليست الخط الوحيد فسوف تجـــد في داخل الاتحاد الاشتراكي مواقف لاشخاص منتمين لقوى مختلفة ، وفي تقديري أن هذا كان دائما صحيحا تاريخيا وهو الان صحيح موضوعيا ، فخط القوى والطبقات خط هام جدا ولكنه ليس الخط الوحيد فلا أريد اليوم — وأنا أعالج ضرورة — أن أتجاوز قدرها .

فالضرورة هي أننا نريد أن ننتقل من الواحدية

الى التعـــدد ، فلماذا التزم واحــدية معينة فى تصور التعدد وهى واحدية التصنيف الاجتماعى الطبقى .

الخطأ الثانى : هو أن صيغة التحالف تهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات ــ كمـــا هو وارد فى الميثاق ــ لكننى اخشى اننا لو جعلنـــا حدود المعارضة وحـــدود التميز هى الحـــدود الفئوية ــ كما ذهب البعض وقد اتفق معهم الى ان المثقفين ليسوا طبقة ــ فقـــد تصيب هـــذا التحالف بنكسة ، لان صيغة التحالف لدينا لو عمقناها فى هذه المرحلة فنحن ننتكس بالاحساس بأن قضية الاشتراكية وحدها لا تكفى وان كـــل تطبيق اشتراكى فيــه خطر ما لم يــكن مقترنا بسيادة القانون والديمقراطية .

واريد أن أضع الامر فى اطاره الصحيح الذى تكشفت عنه المرحلة ، كما لا أريد خلال هـــذه المرحلة أن أعمق التميز الطبقى تعميقا يهـــــدر التناقض الاساسى بين هذه الطبقات كلها وبين الاستعمار العالمى والصهيونية وقضية التخلف ويردنا الى عمليـــة صراع بين الطبقات هى فى رأيى مصادمة لحركة التاريخ وقراءته الحقيقية فى هذه المرحلة ومضيعة لاهـــداف التناقض الاساسى الموجود فضـــلا عن انها قد تضـــيع المكسب الذى بدأنا نتجه اليه وهو أنه لا اشتراكية بغير ديمقراطية ــ وانا فى هذا متفق مـــع الدكتور حسين فوزى .

ثم ننتقل الى قضية الرأى العام وهذه القضية انطلاقا من تصور السيد نبيـــل الالفى أن نبدأ بالاشـــياء الحقيقية ، فالانسان فى قضية الرأى العام يحتاج الى ثلاث أمور اتصور أنها تتدرج تصاعديا على النحو التالى :

١ ــ يحتاج الى أن يكون أمنـــا على حياته وعرضه ورزقه وكرامته .

٢ ــ يحتاج الى أن يعبر تعبيرا حـــرا عن نفسه وعن فكره .

٣ ــ يحتاج بعد هذين وفى مستوى اعلى ــ الى أن يشارك فى المسئولية .

ومن هنا فغير صحيح اننا كلما جئنا نتكلم عن حـــرية التعبير قيل لنـــا ان المسألة ليست « هايدبارك » وهى ليست كذلك فعلا ، ولـــكنها لن تكون برلمانا الا اذا كانت أولا « هايدبارك » .

فهناك حتمية منطقية لهذا التدرج ، فالخائف لا يعبر وبالتالى لا حديث عن حرية التعبير بل بسيادة القانون ، والخائف لا أرى له فهو لايتخلق ولا يتمذهب ولا يجرى عليه الكفر والايمان .

ويترتب على ذلـــك انه اذا آمن من خـــلال سيادة القانون فسيعبر وهذا التعبير فى الحقيقة هو الذى يجعل للرأى العام مضمونا لان المجتمع به نصف مليون ولا قيمـــة لتعبيرهم اذا كـــانوا محرومين من مصدر الرأى .

ولهذا نقول ان المسألة ليست حرية التصور فقط ، انما أيضا توفير مصادر المعرفة ، ففى قوانين الصحافة ومواثيقها تنص على انه لا يكفى أن تعطينى حرية التعبير فقط ، بل يجب أن توفر لى مصادر الرؤية أيضا ، لان تعبيرى ســـيكون عقيما اذا كنت محروما من هذه المصادر .

اذن فتصورى بالنسبة للرأى العام لا بد أن يمر بهذه الثلاثية ، الامن من خلال سيادة القانون ، التعبير من خـــلال ضمانات معينـــة للحقوق السياسية ، ثم فى النهاية فصل الى عمليـــة التنظيم السياسى التى تنظم المشاركة .

هذه فى الواقع بعض أفكار حول الموضوع ، انما جوهره فهو اننى أدعو دعوة محددة الى الا تكون هناك حزبيات بالمعنى المصطلحى الذى يربطها بالطبقات لان هـــذا أولا ســـــوء قراءة اجتماعية لواقع هذه المرحلة ، ولانه ثانيا نكسة عما تم اكتشافه من أن لا اشتراكية بغـــير ديمقراطية ولانه ثالثا غير صحيح تاريخيـــا أن خطوط الفكر لا تلتزم دائما بحدود الطبقة .

والامر الثانى أن الرأى العام يحتاج الى أن نظل نعدد ونؤكد أمن الانسان فى حياته وحريته وعرضه وكرامته ورزقه واحاطة هـــذا التأكيد بقدر من الضمان يتمثل ــ فى رأيى فى النهاية ــ فى الارتفاع بالضمانات الجنائية الى المستوى الدستورى لان حرية التعبير تؤول فى النهـــاية كما أزعم دائما ــ الى موقف فى محكمة أو فى سجن ، فلا قيمة اطلاقا للضمان السياسى ان لم يتخذ شكل الضمان الجنائى .

أما الامر الثالث وهو مهمة التنظيم السياسى فهو تحويل هذا الامن الذى يصعد من هايد بارك الى أن يكون اسلوب تغيير اجتماعى من خـــلال المشاركة .

وهذه هى الدراسات الفنية فى هذا الشأن وشكرا .

● **د. ســـهير القلمـــاوى**

ان كثيرا جدا مما كنت أريد أن أقوله قد قيل

بالفعل ، ولكننى ساضيف الى راي الزملاء هذه النقطة .

فى الواقع اننا لو نظرنا نظرة تاريخية بحتة لوضعنا فسنجد اننا أوجدنا فلسفة وأوجدنا مجتمعا واوجدنا تنظيمات بعد الثورة ، كلها فى الحقيقة — لا اقول ليست طبيعية — ولكنها لم تأخذ المسار الذى سارت منه بلاد أخرى ركزت فيها هذه المعالم وهذه التنظيمات لسبب بسيط هو أن الشعب هو الذى كان قد قام بالثورة فيها

أما الواقع بالنسبة لنا هو أن الضباط الاحرار قد قاموا بثورة ٢٣ يوليــو معبرين عن رغبـــة الشعب محققين آماله وأمانيه ، لـكن الشــعب نفسه لم يمحص فى تجربة ثورة وانما وجـــد الثورة معبرة عنه ففرح بها وشارك فيها بعد أن قامت ، ولا شك انه أحاطهـــا بكل ما يمكن أن تحاط به ثورة من حب واجـــلال وتضحية من أجلها .

فهذا الوضع — فى نظرى — هو مفتاح كل ما نحن فيه الان ، لاننا أحسسنا أن هناك أشياء جميلة جدا تعبر عن رغبتنا وعن أملنا ويمكن أن نحصل عليها وباستمرار دون مشاركتنا فيهـــا أو دون أن تبذل دماءنا فى سبيلها ، ودون حركة نكتوى بنيرانها حتى نشعر بقيمتها الحقيقية .

فنحن على أبواب معركة واخشى أن نخوض هذه المعركة ثم نخرج بالنصر لكن دون أن ننتهز الفرصة حتى فىهذا الموضوع بالذات، فالمعركة فى نظرى فرصة لتمحيص الشعب ، ومهمـــة الاتحاد الاشتراكى الان هى أن يعد الشعب لكى يمحص من خلال نيران المعركة ، وأرجو بعـــد النصر أن نكون فعلا قد اكتوينا بهذه النـــار وخرجنا أصلب عودا وربما أصفى معدنا وقـــد عرف بعضنا بعضا على حقيقته .

لقد عرفنا ، كم هى طاقة الشعب ، وكم هى معجزاته ومنجزاته ، وما يستطيع ومالا يستطيع وهذه فرصة أرجو أن تكون هى الشاغل الرئيسى للاتحاد الاشتراكى وهو أن يعد الشعب لخوض المعركة ، بهدف أيضا أن يكتوى هذا الشـــعب بنار معركة ألمت به كمصيبة لا شك فى ذلـــك ولكن رب ضارة لا بد أن تكون نافعة ، ولا بد أن نستفيد من هذا الظرف استفادة كاملة .

وهذا يتعين أن يقوم الاتحاد الاشتراكى فى الدولة التى أعلنا أنها دولة العــلم والايمان بأن يتعرف وأن يعرف بمعنى قيام أجهزة بعيدة عن الاتحاد الاشتراكى لها ثقة الشعب وثقة الاتحاد



د . سهير القلماوى

الاشتراكى فى الوقت نفسه لـكى نقوم بتقييم علمى لكل التجارب التى مضينا فيهـــا ومعرفة هل حقيقة التحرير فشلت ؟ .. وهل حقيقـــة الاتحاد القومى فشل ؟ .. وهل حقيقة الاتحاد الاشتراكى فى المراحل التى مر بها او فى دوراته المختلفة فشل ؟ .

كلنا نعرف النتيجة لكننا لا نعرف بدقة علمية ما هى الاسباب وكلنا يستطيع أن يؤيد ما جاء بورقة العمل هذه التى وزعت علينا وبها احصاء عن السلبيات ، ولكننى أشك كثيرا فى اى هذه السلبيات كانت مسئولة اكثر من سلبية اخرى ، فالتجربة لم تقيم تقييما علميا ينزل الى الشارع والحارة والقرية ويرصد علميا ويجمع هـــذه المعلومات لتـــكون تحت نظر أية لجنـــة واى مستشـــار واى خبير بحيث يســتطيع أن يرى حقيقة ما وقع فعلا .

يقول سيادة الامين العام مثلا بعد القضاء على مظهر الاقطاع لا يزال هناك نوع من الاقطاع يمـــارس فى نطاق أضـــيق .. لـــماذا ؟ لان هناك قيما معينة موجودة فى القرية لم تعمـــل هيئة التحرير ولا الاتحاد القومى ولا الاتحـــاد الاشتراكى لا أقول على اقتلاعهـــا انما على تحريرها ومحاولة توجيهها الوجهة التى يجب أن توجه اليها ، فلا يمكن أن يفرض على الشعب شىء من فوق ، ولا بد أن يخرج من القاعدة .

لكن لا يمكن ايضا لحاكم أن يترك الامر لمجرد القاعدة تقول ما تقول وتفعل ما تفعل لا بد أن يكون هناك نوع من الاطارات المعينة ونوع من الدراسات المعينة لاننا نعيش فى شـــعب فيه

ما يقرب من ٨٠ ٪ أو ٧٠ ٪ أميين ، فاذا عبرت القاعدة عن نفسها وكما تفضل السيد السكرتير الاول وقال ان هناك رأيا عاما ، نعم هناك رأى عام سليم ١٠٠ ٪ فى المشاكل العامة والمشاكل الجوهرية ورأى عام وجوهر نقى الى ابعد الحدود ، ولكن هل هذا الرأى العام فعلا وجه او اعطى مواد معينة واعطى التدريبات المعينة لتكون له عضلات أقوى من مجرد التفاعل فى القضايا الهامة .

وانى على ثقة انه بمجرد أن يدق ناقوس الخطر ويوم أن نشعر ان أول قنبلة ألقيت أو أول مدفع ضرب سيبذل الشعب الغالى والرخيص فى هذه المعركة دون اى تنظيم ودون الاتحاد الاشتراكى .

ولا شك أيضا أنى اذا عرضت مشروع الملك حسين على ريفى فى الارياف وفهمته ما هى القدس الخارجية دون تحيز لمجرد المعلومات سيعطينى رايا سليما ١٠٠ ٪ ، لكن هل هذا هو ما أطلبه من الرجل المكون للشعب المصرى ؟ .. أريد أن تكون له عضلات تفكير وعضلات وعى وعضلات انتباه وعضلات ترجمة آراء الى تعبير معين والى صيغة معينة ، فهو يتحسس حاجيات البيئة ولكنه عاجز عن أن يرسل للطريق الذى تلبى به حاجات هذه البيئة ، فليست حاجات البيئة ملايين من الجنيهات تعطى لبناء مدرسة أو تطوير مستشفى .. الخ ، ولكن الاهم من هذا هو لماذا لم نقم هذه المستشفيات للان وما الذى جعل هذه المسائل البدائية – بعد عشرين عاما من الثورة – مازالت هى احتياجات الشعب ؟ ما هو السبب الرئيسى ؟ .

اجد يوميا فى الجرائد محاكمة لرئيس مجلس ادارة شركة أو ابعاد مجلس ادارة شركة بأكمله ليست هذه أحوال فردية انما هى ظاهرة عامة ، فهل درست هذه الظاهرة على واقع الطبيعة ؟ هل درست أحوال الشركات ؟ هذا هو عمل الاتحاد الاشتراكى فى نظرى من الناحية العلمية ومن الناحية النظرية .

أما فكرة أن نبلور ما هى اشتراكيتنا وفكرة أن نفلسف أهداف وتخطيط الفكر الاشتراكى أو العمل فى الاتحاد الاشتراكى بحيث يكون له خطة علمية ، أخشى ما أخشاه أن نعود مرة أخرى الى شكل ربما ديمقراطى أكثر الى فرض من فوق لتحت ، مرة أخرى لا بد أن تكون هناك فعلا مشاركة شعبية لنتجنب فكرة اننا باستمرار نجد الامور جاهزة أو مسائل معدة نشارك فيها اما بالتصفيق أو بالسخط ولكن لا نصنعها أو نشارك فى صنعها .

وقبل أن يعرض مشروع الملك حسين وقبل أن تتحدث عنه الصحف كان يجب أن يكون الشعب كله مستعدا ، فهل طرح هذا الموضوع للمناقشة واستطلع فيه راى الجماهير ؟ لو كان تم هذا لكان هناك رأى جاهز أمام الحاكم .

بالنسبة لجهاز قياس الراى العام فهو مسألة فى غاية الخطورة كثيرا ما نقرنها بالمباحث العامة وبالمخابرات والاجهزة المماثلة ، وأرجو ان يكون ذلك بعيدا عن الاتحاد الاشتراكى ، اذ لا بد أن يكون مثل هذا الجهاز جهازا طبيا بحتا : جهازا علميا تماما لا يسيطر عليه أى جهاز له صلة بشكل رسمى وانما هو جهاز – كما هو موجود فى جميع البلاد – بعيد كل البعد عن صفة الرسمية بحيث يستطيع فعلا أن يقيس الراى العام .

لقد ذكرت سيادتك الان انك فوجئت بأحداث الطلبة ، ونحن أساتذة الجامعة لم نفاجأ بها اطلاقا وانما – واقولها الان – ستتفجر هذه الامور بين أوساط الطلبة ما لم تعالج المسائل جذريا ، هناك خطأ جذرى وأخطاء جذرية قد يستطيع الطلبة التعبير عنها وقد لا يستطيعون، خاصة وأن الطلبة جمهور يتجدد كل عام ويأتى جمهور جديد ، اذن هى مشكلة شباب اكثر مما هى مشكلة طلبة جامعة القاهرة أو الاسكندرية أو عين شمس الان ، هى مشكلة شباب بوجد تحت ظلم عوامل معينة وأنظمة معينة ، وقطعا – كما ذكرت – لم يفاجأ اساتذة الجامعة بهذا وانما كنا نتوقع ذلك .

اذن المسألة ليست ان جهة معينة انفجرت أو غالت فى الانفجار ، المسألة اننا ننادى بالحلم ولكن مجتمعنا للان لم يدرس علميا ، وهو مالابد من دراسته علميا ، ولابد من أجهزة تجميع المعلومات بحيث نستطيع أن نبدأ بها بداية علمية صحيحة ، ولنعود مرة أخرى الى الاتصال المستمر بين من هم فوق ومن هم تحت ولا يمتنع الاتصال من فوق الى تحت ولكن لا يكون هو الغالب وانما يكون الغالب من تحت الى فوق .

هناك أيضا مسألة فرعية وهى مسألة الحقيقة التى تقال للشعب ، الواقع أن هناك الان اتجاها كبيرا يلمسه الشعب فى أن الحقائق تقال للشعب انما بشكل أمانة واخلاص أقول ان الشعب خصوصا أوساط الطلبة يشعرون أن ما يقال

لهم ليس كل الحقيقة وهذا أيضا عيب هام ، اذ لا بد أن تكون الحقيقة وكل الحقيقة واضحة أمام الشعب .

وكما تفضلت سيادتك هذه نقطة تسألون عنها ولكن الرد عليها لا يمكن أن يكون علنا ولا يمكن أن يقال ، ولكن بكل وضوح كم ذا من الاشاعات كم ذا من الاخبار الداخلية والخارجية تتداول ويسمعها الناس وهى محظور الاشارة اليها فى الصحف الى الان وأخبار داخلية .

هناك أيضا مسألة هامة وهى فكرة أن الاتحاد الاشتراكى لم يعد يكسب ثقة الجماهير ، فلكى يكسب الاتحاد الاشتراكى ثقة الجماهير — الى جانب كل ما عرضه الزملاء — أرى أن يتحرر نهائيا من العمليات التى تدرس بأى تنظيم سياسى وهى حشد الجماهير — كما ذكر الاستاذ سعد الدين وهبه — لاستقبال أو لعدم استقبال أحد الضيوف فى أى ظرف كان ، ولا بد أن نجعل الشعب يحتفل بمن يريد أن يحتفل به ، ويمتنع عن الاحتفال بمن لا يريد أن يحتفل به ، واذا كان الزائر الكريم يأتى الى مصر ولا يجد الشعب على جانبى الطريق يستقبله بالتهليل وبالاعلام فلا بد أن يعلم أن الشعب مشغول بكثير جدا من الامور التى تمنعه من أن يقف فى أى مكان ليهتف لاى زعيم كائنا من يكون . وشكرا .

● **احمد عباس صالح**

فى الواقع أريد أن أتكلم فى نقطتين ، النقطة الاولى شكلية والنقطة الثانية موضوعية .

النقطة الشكلية .. هى أن تشكيل اللجان التى شكلت — وكنت من بين أعضائها — قام أيضا على فكرة الفئة ، بمعنى أن هناك لجنة للادباء والفنانين ولجنة سياسية ولجنة للدعوة والفكر .. الخ .. ، وفيما أعتقد أنه جزء من الخطة التى سرنا عليها بالنسبة لتجميع الفئات داخل الاتحاد الاشتراكى ، واذا لاحظنا المناقشات التى دارت فى هذه اللجنة فسنجد أنها لن تختلف عن المناقشات التى ستدور فى أية لجنة أخرى من اللجان المختلفة والتى أسست على الاساس النوعى .

وفيما يدور أيضا أن هذا التشكيل مضيعة للوقت ، لانى لاحظت أنه يبدأ من ٢٤ مارس أو ٢٦ مارس وتنتهى جميع اجتماعات اللجان كل على حدة يوم ٢٤ من أبريل أى أن كل لجنة على حدة تناقش لمدة شهر بالكامل نفس الموضوعات ولعلها تخرج بنفس النتائج .


احمد عباس صالح

لذلك فانى أبدى اقتراحا محددا وهو لماذا لا تجتمع اللجان على شكل مؤتمر ؟ ولو أن عبارة مؤتمر كبيرة الى حد ما ، ولكنه بشكل تنظيمى نسميه مؤقتا المؤتمر ، وأمامه مهمة لجنة العمل وهى محددة بأربع نقاط أو خمس منها النقطة الاخيرة وهى اعداد دليل عمل فكرى وتنظيمى .

وبعد الاجتماع الذى تجتمع فيه كل اللجان وتثار فيه الاراء فى مناقشة عامة حول الموضوع كما سماها السيد السكرتير الاول ثم ينقسم هذا المؤتمر نفسه الى لجان كل لجنة تختص بنقطة من النقط الفرعية الموجودة فى مهمة لجنة العمل .

أعتقد فى هذه الحالة انه يمكن أن تختصر مدة الشهر وأن نصل الى نتائج أسرع وأفضل ، هذا اقتراح أعرضه فيما يتعلق بالنقطة الشكلية .

وبالنسبة للنقطة الموضوعية فهى خاصة بالمناقشات القيمة التى دارت فى هذا الاجتماع ، فأولا هو أن هناك نوعا من المجاملة أو اكثر من مجاملة بمعنى أن تشكيل كل لجنة قد مثلت فيها بذكاء القيادات المختلفة الموجودة فى المجتمع المصرى ، وبالفعل ففى هذه اللجنة تيارات مختلفة ، وباستعراض أسماء أعضاء اللجان الاخرى تجد أن فيها تيارات مختلفة .

اذن هناك اعتراف واقعى باختلاف الاراء واختلاف وجهات النظر بدليل أننا عندما نشكل لجنة نراعى فعلا أن يكون هذا التمثيل موجودا وهذه خطوة ديمقراطية وعملية ، ولكننا نريد

أن نأتي الى مرحلة أبعد واكثر صراحة وهى فعلا أن يمثل الناس كتيارات .

وهنا أعود للنقطة الاولى الخاصة بالتنظيم ، فالاتحاد الاشتراكي يمثل بطريق فئوي ، وعلى سبيل المثـــال العمال والفـــلاحون والمثقفون والرأسمالية الوطنية ... الخ . هذا التمثيل قائم على الطبقة أو الفئة وهو فى الواقع تمثيل غير سياسى ، ونحن نريد تمثيلا سياسيا بمعنى أن التجمعات الشعبية تتجمع وراء فكر سياسي وأيدولوجية سياسية ، فكر معين متكامل له كل وجهة نظره وفلسفته من الممكن أن ينضم تحت هذا الفكر كل من يعتقد أو يؤمن بهذا الفـــكر سواء كان من طبقة العمال أو المثقفين أو أى طبقة أخرى .

على سبيل المثـــال نلاحظ فى الاحـــزاب الشيوعية أنه من الممكن أن يوجد فى الحـــزب مليونير ولـــكن له تاريخ فى النضال الشيوعى ويعتبر من أئمة القيادات الحزبية ، وعلى العكس فمن الممكن أن نجـــد فى تنظيم رأسمالى بعض الفئات العمالية ، أى أن التحديد الطبقى على أساس الفئة ليس تحديدا علميا فى الواقع انما هو افتراضى لنعترض .. ان طبقة العمال بشكل مطلق هى ممثلة بفكر عمالى معين ، وهذه مسألة أشبه بالتنظيم النقابى منه بالتنظيم السياسى .

من هنا فان ما طرحه الدكتور حسين فوزى وقال عنه جزيئات أعتقد أنه صحيح ، ولـــكننا نعمل تحفظا أعتقـــد أن السيد الدكتور حسين فوزى غير مخالف فيه وهو التحفظ الذى ذكره الزميل حمدى غيث ان التنظيم هو الاتحــــاد الاشتراكى واننا اجتزنا مرحلة كما يقول الدكتور كمال أبو المجد — مرحلة التوافق أو الاتفـــاق النسبى بين مصالح لا أقول طبقات أو فئـــات اجتماعية تمثل فى فكرة الاتحــــاد الاشتراكى وبصحيح العبارة يكون فيه الرأسمالية الوطنية والمثقفون والعمال والفلاحون .. الخ .

أى نفترض أن هناك مصالح معينة تنـــدرج تحت ما يسمى بالاتحاد الاشتراكى ، هذا الاطار الموجـــود من الافضـــل أن نحتفظ به بمعنى أن المرحلة الماضية تحددت أى أن يكون اتفاقا أو تحالفا بين هذه الطبقات المفترضة لانه فى الواقع لم يتـــكون كل تيـــار من هـــذه التيـــارات ، أو كل أيدولوجية ان صحت العبارة تكوينا طبيعيا انما افترضنا أن المجتمع الذى يقبل التطبيقات الاشتراكية التى سرنا فيها فى المراحل السابقة هم هذه الطبقات ونحن نريد أن نوافق على هذه الفكرة ، ولكن من تحويلها الى شىء مفترض الى شىء واقعى وحقيقى ، بمعنى أننا « نفك » الاتحاد الاشتراكى ، ومعنى « نفك » أننا لا نحله ولكن نعيده لاصوله بمعنى أن كل تيار داخل الاتحـــاد الاشـــتراكى يؤسس ويقـــام على الاســـاس الايدولوجي ، ثم يتم بين التيارات السياسية الفكرية التى سيسفر عنها هذا الاتجاه أن يتكون نوع من الجبهة أو الوحدة الوطنيـــة من فروع ثلاثة محددة .

واقول بصراحة أن هناك تيارا اشتراكيا علميا الـــذى يقول عليه الدكتور كمال أبو المجـــد الماركسية ، وهناك تيار آخر يمكن ان يقال عليه التيـــار الليبرالى على سبيل المثال ، ويمكن أن يكون بين الاثنين تيار وسط .

فما الذى يمنع أن ينشأ فعلا داخل الاتحـــاد الاشتراكى هـــذه التيارات وتتحقق بشـــكل ديمقراطى باتجاه معين داخل اطار الاتحـــاد الاشتراكى ، وأن الجماعة الذين يسمون أنفسهم « أيدولوجية ماركسية » يكون موقفهم من الحركة محددا فى نقـــاط معينة ، أيضا يـــكون موقف ما يسمى بالليبرالية محددا فى نقط معينة ، ثم تجتمع هذه التيارات لتضع شكلا متفقا عليه أو نوعا من التنازلات المشتركة بمناسبة الظروف التى نجتازها وهى ظروف قضية التحرر الوطنى .

وهذا سوف يحل لنا مشكلة حرية الصحافة اذ ما هى مشكلة حرية الصحافة ؟ هل بشكل مطلق ان الاتحاد الاشتراكى يملك الصحف ، كيف تدار الصحف ؟ وما الاراء التى تعبر عنها الصحف ؟ نحن بصراحة نجد أن الاهرام لا يختلف عن الاخبار ولا عن الجمهورية ولا عن المساء .. لماذا ؟ لانه نوع من الخوف أو الاتفاق الضمنى بأننا نكتب ونتكلم أو يحـــدث كما قال الدكتور حسين فوزى كلام فى كـــلام ، لكن اذا قسمت الامانات ونفترض هنااننـــا سمينا الجزيئات التى ذكرها الدكتور حسين فوزى أمانات ، وكـــل أمانة لها منبر ولهـــا صحيفة ، تختار صحيفتها والكتاب المعبرين عنها وتكون الجريدة لها لون ولها اتجاهات وليست فى حاجة الى ضغط من الخارج أو الداخل او أى خداع أو نفاق فى الحالة الاجتماعية التى نحن فيها .

بهذه الطريقة أيضا تحـــل مشكلة الصحافة لانها فى هذه الحالة تكون معبرة عن تيار واضح جدا وكل تيار له أهدافه ، وفى اطار الاتفاق بين هذه القوى على أساس أن أهم قضية وأخطر قضية نواجهها الان هى قضية الاحتـــلال ، اذ أننا حاليا لا يمكن أن نتحرك وعلى سبيل المثال

مسألة تعبئة الجماهير ، ان تعبئة الجماهير تحتاج الى علمية صريحة بأن نعبأ الجماهير على أسس وعلى برنامج ، لمن أنضم أنا ؟ انى موافق على صيغة الاتحاد الاشتراكى ككل بمعنى مطلق ، وموافق على التحولات الاشتراكية .. ولكن أين أنا ؟ لا بد أن يوجد شكل تنظيمى يمثل فيه الانسان ويتقدم الى الجهة التى يريد أن ينضم فيها الى هذا البرنامج ، وأن يكون عضوا منتظما فى هذا التيار وان يكون أيضا له رأيه وله سلطة الاشتراك فى اصدار القرار وهو ماعبر عنه الدكتور كمال أبوالمجد بالمشاركة فطالما ليست هناك مشاركة وطالما أننا نتكلم فقط ـ كما قال الدكتور حسين فوزى ـ اننا نتكلم فى الحجرات وفى كل مكان ، لكنى أريد أن أكون موجوداً بشكل ايجابى أعبر عن رأيى ثم تؤخذ الاصوات على هذا الرأى ويصدر بشأنه قرار .

نحن لا نعلم ما هى حدود اختصاصات لجنتنا للان ، فمن الممكن ان تصدر توصيات ، ثم ما هو الشكل التنظيمى الذى تصدر به التوصيات ، وبطبيعة الحال نحن نعلم أننا لجنة استشارية وأن التوصية تقدم الى الجهة المسئولة التى تعمل بها أو لا تعمل بها ، لذلك لا بد أن نكتشف طريقة لننتهى الى شكل عملى وهو كيف نصدر توصيات محددة وما هو مصير هذه التوصيات ؟

هذه خطوة عملية وينبغى مبدئيا أن نناقشها قبل الخوض فى المناقشات فى المجالات الاخرى .

اذن حتى لا يتشتت الكلام فالخطوة الاولى انى أقترح أن يعاد تنظيم اجتماعنا وهو أن نجتمع فى شكل مؤتمر وأن المؤتمر يناقش شكله التنظيمى وهل سيشكل على أساس ثلاث أو أربع لجان وما هى موضوعات عمل اللجان ؟

ثانيا أن المسائل الموضوعية التى ستطرح أعتقد أنى متنازل عنها لانه اذا تم التشكيل على أساس هذا الاقتراح التنظيمى فمن الممكن أن تطرح جميع القضايا التى طرحناها على أساس أن هذه القضايا ستنتهى الى توصية أو الى أوراق عمل نقدمها ، وتوصى بأن يكتب كلام ويعرض فى شكل اقتراح أو تقارير وتؤخذ الاصوات عليه فى النهاية . وشكرا .

● **السكرتير الاول**

أود أن أرد على النقطتين اللتين أثيرتا ، النقطة الاولى التى أشار اليها الاخ وهى أن اجتماع هذه اللجنة قد يكون تكراراً لمناقشات سابقة وهذا حادث الى حد ما وتصورى أنه حادث حتى الان ، لان اللجان الثلاث التى عملنا معها حتى الان تتشابه وهى لجنة الشئون السياسية ولجنة الدعوة والفكر ولجنة الادباء والفنانين وطبيعتها تتشابه .

والواقع أن الفكرة ليست جديدة فقد كانت هناك فكرة بأن تضم هذه اللجان الثلاث بالذات فى نقاش واحد ، ولكننا فضلنا هذه الطريقة لانها تجعلنا نستطلع العمق أكثر ، ثم بعد ذلك سنجمع هذه اللجان الثلاثة .

أما لماذا لا نجمع جميع اللجان فى شكل مؤتمر فذلك لاننا على سبيل المثال عندما نناقش صلة النقابات العمالية بالاتحاد الاشتراكى نحب أن نسمع رأى النقابات العمالية كما هو ، ولا أريد أن يكون العامل قد تأثر بمجموعة فى المؤتمر أو يخجل من أن يقول رأيه ، ومن هنا نجتمع بالعمال ، وأيضا نستمع الى الفلاحين فى التعاونيات ولكن فى النهاية سوف ينعقد المؤتمر هذه هى النقطة الاولى .

وبالنسبة للنقطة الثانية فرجاؤنا من السادة الاعضاء وهذا الرجاء قدم لاعضاء اللجنة السياسية وقدم لاعضاء لجنة الدعوة والفكر بأن يقدموا لنا آراءهم علاوة على الاراء التى قدمت اليوم ، لان هذه الاراء جميعها مسجلة وتفرغها فى النهاية كتفريغ مجلس الشعب ، ومن له رأى فليتقدم به مكتوبا ونحن نرحب بهذا الرأى ، وبعد ذلك سنجتهد فى اجتماع اللجان الثلاثة التى ستجتمع فى اجتماع واحد بعد أن ننتهى من اجتماعات العمال والفلاحين .

ونحن نريد أن نصدر توصيات كما ذكرت سيادتك تماما ، فاللجنة تملك اصدار التوصيات ولجنة العمل نفسها لا تملك الا اصدار التوصيات ولا أكثر من ذلك .. والسكرتير الاول مكلف باعداد تقرير لا أكثر من هذا ، وتقريره فى هذه الحالة يعد ممثلا لرأى الاغلبية التى اشتركت فى هذه اللجان ، وأعتقد أن هذا نظام يوافقك بأن ناخذ ثلاث لجان بدلاً من أن نأخذ المؤتمر .

● **سعد الدين وهبة**

بالنسبة لرأى الاخ عباس صالح يمكن أن يعود بنا هذا الرأى الى الحديث لبداية الجلسة وربما يكون أيضا فى هذا الرأى رد على الدكتور دكرورى الذى ضاق بالفلسفات ثم ثبت اثناء الجلسة انها ضرورية جدا حتى يكون هناك مسار .

ربما كانت كلمة فلسفات اكبر من اللازم والمطلوب ، أن فى أى تنظيم سياسى أو فى أى مجتمع ان يكون هناك اتفاق على هدف يوضع فى شكل نظرى ، وربما كانت كلمة نظرية ككلمة فلسفات كلمة عريضة الى حد ما ، نحن حقيقة لنا نظرية موجودة ، ونحن نقول أيضا دون تفريعات كثيرة اننا اخترنا طريق الاشتراكية لتحقيق أهداف المجتمع واخترناها أيضا اشتراكية من نوع خاص ، اشتراكية بالشعب أى من المفروض ان تشترك جميع الجماهير فى تطبيق الاشتراكية ، وربما اذا كنا قد اخترنا اشتراكية من نوع آخر كنا لا نحتاج الى تنظيم سياسى ، وبما أننا قلنا ان اشتراكيتنا يحققها الشعب ، اذن فنحن فى حاجة الى أن ننظم الشعب فى شكل معين يحقق الاشتراكية ، لان التنظيم بمعناه البسيط هو طريقة تحقيق أى هدف من الاهداف ، وقد اخترنا شكل التنظيم أيضا عندما قلنا بالشعب وليس بالحكومة ، لان هناك مجتمعات أخرى تختار بأن تحقق الحكومة لها الاشتراكية .

وربما كان السبب الاساسى فى كثير جدا من الاخطار التى أشار اليها بعض الزملاء والتى أشارت اليها الدكتورة سهير القلماوى فى تطوير أو تطبيق النظام الاشتراكى هو أن الشعب غائب عن التطبيق الاشتراكى أو التنظيم السياسي غائب غيابا كبيرا جدا ويترك العبء كله للحكومة ولذلك تقع الاخطاء الكبيرة فى عملية التطبيق .

وعندما نقول أن الشعب كله يشترك فى تحقيق هدف المجتمع الاشتراكى نقول ان الشعب عبارة عن قوى كما ورد فى الميثاق ، وفى التنظيم السياسى جابهنا هذه القوى وتجاهلنا وجود التناقضات التى تكلمنا عنها ، وهنا لا نريد أن نبالغ فى التناقضات ولا اقول انها تكون صراعا خطيرا وتهدد كيان المجتمع ، ولكن لا بد أن نعترف بوجود هذه التناقضات ، لا بد أن أعترف اننا عندما نجتمع ببعض النقابات المهنية يقول احد نقباء النقابات المهنية لا تمنحوا العمال والفلاحين نسبة الـ ٥٠ ٪ من مقاعد مجلس الشعب ، هذا معناه أن هناك رفضا لحق من حقوق قوى الشعب الموجودة ، أى أن هناك خلافا حتى فى المسائل الاساسية التى من المفروض أنها حسمت بالميثاق ووثائقنا .

اذن هناك خلاف وما دام هذا الخلاف موجودا فلا بد أن يكون هناك تعدد للاراء وبالتالى فلا تكون هناك طريقة الالزام التى سار عليها الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الماضية ، فلاتكون هناك ورقة تنزل من الاتحاد الاشتراكى تلزم جميع الاعضاء بالتنفيذ ... لماذا ؟ لان المفروض انه لا بد ان يكون هناك خلاف ، فعندما تنزل الاوامر من أعلى لكى تنفذ يكون موقفى أحد اثنين ، اذا كنت متفقا معها أنفذ واذا كنت غير متفق أكون سلبيا ، وجزء كبير جدا من سلبيات الجهاز السياسى فى الفترة الماضية ترجع الى أن هناك آراء فيها عنصر الالزام ، فاما أن أكون منافقا سياسيا وأسير مع كل رأى ينزل من قيادة التنظيم ، واما أن أتخذ موقفا سلبيا وأقف موقف المتفرج ، .. اذن اعترافى بوجود خلاف فى الرأى هو الذى سيؤدى الى قيام حرية حقيقية داخل التنظيم بحيث يستطيع كل انسان أن يعبر عن رأيه .

انى اقول هذا وأنا مقتنع بأن التحالف هو أحسن صيغة يمكن أن توصلنا لاهدافنا ليس فى هذه الفترة فقط ولكن منذ بداية العمل بالميثاق ومنذ اقامة التنظيم ، ان الخطأ الذى حدث هو خطأ فى التطبيق اذا افترضنا أن كل الناس على رأى واحد وافترضنا أن هذا التحالف قد تم فعلا

وبالنسبة لما ذكره السيد السكرتير الاول عن المجتمعات الاخرى التى اعتبرت المهندس الزراعى عاملا ولم تجد أن هناك تناقضا بين المهندس والعامل الزراعى والفلاح فان هذا قد نتج عن اننا لم ننجح حتى الان فى خلال هذه السنوات العشر أن نذيب الفوارق بين الطبقات فاصبح الفرق كبيرا جدا فى بلدنا بين العامل والمهندس أو بين الفلاح والمهندس الزراعى ، أى أن هناك اختلافا فى الحياة وفى المستوى المادى واختلافا فى المستوى الثقافى لاننا فعلا رغم وجود الانجازات الكثيرة لم نستطع أن نصل الى درجة اذابة الفوارق بحيث أن نقربهم فكريا أو ثقافيا لبعضهم البعض ، وربما يمكن معالجة هذا باقتراح الدكتور خلف الله وهذا عنصر اساسى أو مهمة أساسية من مهام الاتحاد الاشتراكى فى عملية تنمية الوعى ، أو أية تسمية من التسميات .

اذن من وجهة نظرى فالتحالف صيغة مناسبة جدا لمجتمعنا وفى خلال هذا التحالف لا بد من الاعتراف بأن بين القوى آراء متعارضة ، وبين الافراد أيضا داخل القوى الواحدة ، واذا اعترفنا بهذا يكون من حق كل قوى داخل هذا التحالف ان تعبر عن رأيها بوسيلة تعبير سواء بشكل المؤتمرات أو عن طريق الصحافة أو بأى شكل من الاشكال ، ولكن لا بد أن نعترف بذلك وهذا هو الذى سينمى حق الفرد واستطاعته أن يشعر بدور الحرية الذى يستطيع به أن يعبر عن نفسه ويعبر عن القوى الاجتماعية التى ينتسب اليها دون أن نضخم فى الصراع ودون

ان نتجاهل ايضا ان هنــاك تناقضا موجودا ، واذا كانت كلمة التناقض كبيرة الى حد ما نقول ان هناك خلافا بين القوى الموجودة داخـــل التحالف .

● **الدكتور محمد دكرورى**

انا مع الاخ ســعد فى انى ضــقت بكلمة الفلسفات ولو أن دراستى أصلا فلسفة ومبعث ضيقى ربما يكون من ثلاثة مصادر :

المصدر الاول : انى عشت صناعة هــذه الفلسفات وتطبيقها وأتكلم من واقع الممارسة .

المصدر الثانى : انى أشعر كابن من أبناء هذا الشعب أتكلم بصراحة وبصدق وباخلاص مايقوله غالبية هذا الشعب على المصطبة وفى الدوار وفى القهوة وفى النادى وفى المكتب .

المصدر الثالث : هو انه لم يكن هناك اخلاص ممن اشتركوا فى تنفيذ هذه الفلسفة بالنسـبة لما جاءت به هذه الفلسفات ، أنا اقول قليل من الفلسفة .

أنا لا اقول اننا نعيش بلا فكر يحكمنا وبــلا نظرية ، نحن لدينا جملة من الافكار تمثل حــدا أدنى من الاشتراكية ، أما الاختلاف فهــو الحــد الاقصى الذى يختلف من فكر الى فكر .

هناك أشخاص يقولون أن الاشتراكيةالعلمية معناها الماركسية وأن الاشتراكية الحاليــة هى مرحلة من المراحل حتى يمكن من خلال المسيرة بأسلوب أو بآخر أن تحقق الاشتراكية العلمية .

أن كلنا نعلم ان الصياغة الخاصة بالميثــاق صياغة مرنة ويمكن أن يفسرها كل منا حســب انتماءاته الفكرية وحســب ميوله واعتقــاداته وحسب رؤياه لمصلحة هذا البلد .

واخشى أن ننغمس فى متاهات الفلســفة ، التى نعلم كلنا أنه يمكن أن نظل فى الحوار فيها بدلا من الشهور سنوات ، خاصة مع الــذين صناعتهم الكلام أو الذين يعتقدون أنه من الممكن أن تأتى سعادة الانسان بالفكر فقط ولا يــكون تصورهم أن هناك واقعا يحكم وليس عقيــدة تقيد الناس ، فنحن لا نرضى أن تــكون لنــا عقيدة تقيدنا ، ولذلك فاننا نقول أننــا شعب به قطاعات كبيرة من الجماهير ، فما هو هدف هذه الجماهير ؟ اننا نريد أن نخلق حدا أدنى يمكن أن يعيش فيــه المواطن كمــا يعيشــه الحيــوان فى مجتمع متحضر ، الحيــوانات فى المجتمعــات المتحضرة تعيش أحسن ما يعيش الانسان المصرى .

اننا نريد أن يعيش المواطن المصرى عيشــة كريمة ويكون له حد أدنى من بيت يستره ويأويه ، حــد أدنى من لقمة العيش وحد أدنى من العلم والعــلاج .

كيف يتحقق كل ذلك ؟ هل نشــبعه بفتســه ؟ أو هل نعطى له فلسفة ؟ أو هل نعطى له عقيدة؟ هل ندخله فى متاهات ؟ اننا نقول أننا متفتحون بلا تعثر لكل فكر ولكل تجربة ولكن الذى يحكمنا هو واقعنا وهو أرضنا وطبيعة شعبنا .

ان شعبنا يريد عملا كثيرا وليس كلاما كثيرا، وقبل أن يموت الرئيس عبد الناصر قال اننــا نريد عملا كثيرا وكلاما قليلا وكذلك الــرئيس السادات قال أمس فى القاعدة الجوية كفــانا فلسفات ونحن أمام معركة .

نحن كلنا اخوة وكلنا مخلصــون لبلــدنا ، وكلنا نتناقش وكلنا نحــاول أن نصل الى أنسب الصور التى يمكن أن تحقق لمجتمعنا المســتقبل الذى يريده .

اننا فى هذه المرحلة محتاجون الى الوحــدة الوطنية ، فالمعركة قد نفاجأ بها فى أى لحظــة ولا يجوز من خلال الاختلاف فى بعض الافــكار أن تتفتت قوانا أو نزرع بعض الفكر ايحاء او تلميحــا أو تصريحا ممــا يؤدى الى زيادة من المشاكل التى نراها فى مجتمعنا اليــوم والتى بدأت تظهر فى بعض الفئات بصورة تلقائية أو بصورة موحى بها أو بصورة متدخل فيها بطرق كلنا لا نجهلها .

اننى أقول اننا لا يجب أن نغرق فى فلسفات تستغرقنا ولا بد أن يأتى اليوم بعد أن نجتــاز هذه المرحلة لنجلس سويا ونعيد النظر فى الميثاق فالميثاق ليس نظرية وهو مجموعة أفكار ، واننى اقولها مقدما أن شعب مصر لا يختلف فى الحــد الادنى للاشتراكية .

وبالنسبة لموضوع الطبقــات فاننى لا ارى الصراع بالصورة الملحة ، فالصراع الموجود اليوم هو بين الشعب ونفسه ، بمعنى أنه ليس ممثلا فى القوى الحاكمة ، ومهمة الاتحاد الاشتراكى هى عملية التحسين فى العــلاقة ، بمعنى أن مجتمعنا فى القرية ــ وكلنــا من الريف ــ لا يشكو من الاقطاع والتسلط ، فلم يعد هــذا فى مجتمع مصر ، بل بالعكس ان أكثر شكواه من

بعض الفئات التى نشأت فى ظل الخطالاشتراكى كذلك فانه يشكو من الرى ومن الوحدة الصحية ومن الجمعية التعاونية ومن المدرسة .

اذن فليست المسألة مسألة صراع طبقى ، فهذا غير موجود وأن المسألة كما قلت هى أن التنفيذ فى مصر يحتاج الى نوع من العلاج .

كيف يأتى العلاج ؟ .. العلاج يأتى عنطريق الاتحاد الاشتراكى وفى اعتقادى أن هدفالمرحلة الحالية من هذه اللجنة — وهى جزء من لجنة العمل الموسعة — أن تبحث عن الصيغة الممكنة حاليا لندفع بالاتحاد الاشتراكىفى صيغةالتحالف فى هذه المرحلة ، ليزيد من كفاءته حتى يمكن أن تدخل فى الهدف الاول وهو مواجهة الاحتمالات المقبلة .

فقد ندخل المعركة ، وقد نفاجأ بأن العدو يهجم علينا فى أى وقت من الاوقات ، لذلك فاننا نريد شعبنا متماسكا له قيادة تقوده بأكبر قدر ممكن ، وتحت خطوط كثيرة من الكفاءة .

النقطة الثانية .. هى أن صيغة هذه اللجنة فىهذه المرحلةليست اعادةالنظر فىالايديولوجية .. لماذا ؟ لانهذا لا يأتى فى اجتماعات تتم خلال أيام ولكنه يحتاج الى وقت طويل وتجهز له أولا دراسات تطرح ونقاش لا بد أن يبدأ من رجل الشارع فى القرية وفى المصنع وفى المقاهى وفى كل مكان ، وهذا ليس وقته .

نحن نقول « فى حدود المواثيق التى تحكمنا » نريد أن نعطى اكبر قدر ممكن من الفاعليةللعمل السياسى فى المرحلة القادمة ولذلك فلا أنكر الفلسفة ولكنى انادى بألا تستغرقنا وتأخذنا فى متاهات لان الفلسفات لم تطعم شعبا فى يوم ما ولم تسعد شعبا فى يوم ما ما لم تكن هذه الفلسفة مطابقة تماما لارادة الشعب وقابلة للتنفيذ .

● **خالد محيى الدين**

فى الحقيقة أن كلام الدكتور دكرورى صحيح وأن شعبنا يريد أن يعيش عيشة كريمة ، ولكن لكى نحقق له البيت والكهرباء وغيرهما فهذا يحتاج الى فكر ، فالمقصود بالفلسفة هى الفكر وعيبنا اننا حاولنا أن نبذل جهدا فى التطور المادى دون أن يصحب هذا التطور المادى تطور فكرى ، فلا بد أن يشغلنا فى هذه الاجتماعات الموضوع الفكرى ولا بد من أن نمحص الفكر ونتبادل الفكر حتى نصل الى مستوى المعيشة التى نريد أن نحققه لشعبنا .

فيما يخص الايديولوجية والميثاق، ففىالحقيقة أن الميثاق له مصادر فكرية مختلفة ، وهو برنامج عمل المفروض أن تقبله كافة الاطراف ولكنه فى الحقيقة بعد التجربة ثبت أن عددا من الطبقات لا تقبله ، فلو أننا بدأنا فعلا نعيد النظر فى قضية الايديولوجية فى المرحلةالحالية فاننا سندخل فى صراع لان هناك اتجاهاتفكرية مختلفة حتى الميثاق نفسه به اتجاهات فكرية مختلفة لان مصادره فعلا مختلفة .

لكن كما ذكرت الدكتورة سهير القلماوى فان القضية الرئيسية التى تحمى أى تنظيم فى العالم هى وضع هدف واضح ، فلو نظرنا الى جميع التنظيمات الموجودة فى العالم فسنجد أنها بقيت فى مراحل تحد ، فالحزب الصينى بنى فى مرحلة المسيرة الطويلة ، والاتحاد السوفيتى بنى فى مرحلة تطبيق الاشتراكية ، كما أن الاحزاب التى ظهرت فى أوروبا كانت فى معركة التحرر ضد الاحتلال النازى ، بمعنى أنه لا بد أن يكون هناك تحد ، ومثل هذا التحدى متوفر لدينا فى الوقت الحاضر ، فأمامنا قضية المعركة وهى القضية التى تطرح نفسها الان والتى تحتل الجانب الاكبر من تفكير الشعب المصرى ، فاذا لم يستطع الاتحاد الاشتراكى أن يعبىء الشعب للمعركة ويبين له هل هناك حرب من عدمه ؟ فاذا كانت هناك حرب فيوضح له كيف سنحارب ومتى وماذا نفعل لكى نحارب ؟ أو لماذا نحارب أصلا ؟ فهذه هى القضية التى تطرح نفسها بصورة عاجلة والتى تؤكد أن هناك صراعا طبقيا وهو موجود فعلا ولكن لا يشترط أن يتخذ مظهر القوة ، بل يمكن أن تكون له أشكال متعددة .

فالمشكلة التى تواجه مصر اليوم بعد مضى اربع أو خمس سنوات على العدوان هى اننا اذا قسنا قوتنا من الناحية العسكرية فسنجد اننا أقوى من سنة ١٩٦٧ ، لكننا أضعفسياسيا وسبب شعورنا بهذا الضعف هو أن الصراع الاجتماعى ينعكس على طريقة حل القضية الوطنية .

والمفروض فى الاتحاد الاشتراكى كقيادة سياسية أن يحاول حل قضية انعكاس الصراع الاجتماعى على القضية الوطنية ، وهذه هى نقطة البداية التى نريد أن تنطلق منها ، فالصراع الاجتماعى يمثل المصالح الطبقية المتعددةالموجودة

فى المجتمع ، لان وجهات النظر المختلفة الموجودة فى المجتمع منعكسة فعلا على القضية الوطنية، وهذا ما نشعر به جميعا وما نلمسه فى كافة المجالات العامة كالبيوت والنوادى والمقاهى .. الخ . وانا شخصيا كثيرا ما اسمعها .

● **السكرتير الاول**

هل هذا الاحساس بالنسبة للمعركة ؟ .

● **خالد محيى الدين**

نعم .. فهناك رأى يتردد فى بعض أوساط المتعلمين من الطبقة الوسطى والراسمالية الوطنية تقول بأننا يجب أن نعقد صلحا مع اسرائيل ، ويبررون هذا الرأى بقولهم ما الذى يخيفنا من الصلح ؟ والحرب قضية صعبة والظروف التي نمر بها كما هو ملاحظ لاتبين اننا سنحارب على الاقل فى المدى القريب ، فنحن ننفق على الاستعدادات الحربية سبعمائة مليون جنيه سنويا ولم يتضح شيء حتى الان وهذه وجهة نظر ولا أقول انها صحيحة أم خاطئة .

وهناك رأى آخر يقول بأن الاتحاد السوفيتي ليس حليفا حقيقيا بالنسبة لنا ، فهو يريد أن يتركنا هكذا — لا حرب ولا سلام — وبهذه الطريقة يمكن أن نتفاهم مع اسرائيل .

ورأى ثالث يقول بأننا يجب أن نبحث عن نزع سلاح مصر ونعلم للدول منذ الان أننا لا نريد ان يكون لدينا جيوش وتلتزم الدول الاخرى بالدفاع عنا لكى نخرج من هذه الازمة .

وهناك رأى رابع يرى ضرورة الحرب ولا بد من خوضها لاننا اذا لم نحارب فان مستقبل الاجيال القادمة سيكون ضائعا .

وهناك رأى آخر يقول هل نحارب ؟ فاذا لم نكن سنحارب فيجب أن نبحث عن طريقة سلمية .

ورأى آخر يقول لا داعى لان نحارب بل يجب أن نستعد بصورة جدية حتى نصل الى حل سلمى بصورة أكرم .

اننى أوضح هذه الصور متوسما الحقيقة ، لانه يجب على الاتحاد الاشتراكى أن يحل ويواجه ويقنع الناس بموقفنا الحقيقى بالنسبة للمعركة وهل نحارب أو نستعد استعدادا كاملا حتى اذا أردنا الحل السلمى نفاوض من مركز القوة ؟

فنحن لا نستطيع أن ننزع سلاحنا فى الفترة الحالية على الاقل .

ففى تقديرى أن هذه القضية هى القضية الرئيسية وهذا الموقف نتيجة لانعكاسات أوضاع اجتماعية ، وأنا أتحدث عن واقع رضا من اننى ابن الطبقة الراسمالية [البرجوازية] لكن فكرى مختلف واختلط بأوساط مختلفة .

هذه تساؤلات ليس فيها ما يعيب لكن المهم هو هل نستطيع الرد على هذه التساؤلات ؟ والدليل على هذا أن مشروع الملك حسين لقى استجابة فى أجزاء واسعة من الرأى العام وخاصة فى الطبقة الوسطى ، وجزء آخر من الراى العام ضد هذا المشروع لعدم ثقته بالملك حسين ، وهناك قلة تحلل الامور لان فى استطاعتهم ادراك الخطأ من الصواب خاصة وان بيان الحكومة الذى نشر خاصا بهذا المشروع عبارة عن مقالة — لا اكثر — فى جريدة لا تقنع وفى اعتقادى أنه لو نشرت مقالة الاستاذ أحمد بهاء الدين لكانت افضل .

لذلك ارى أن هناك فئة من الشعب خائفة من المعركة وترى أن المعركة تعنى الاستعداد لها بتسليح الشعب ، وهذا يؤدى الى ارتماء اكثر فى احضان المعسكر الاشتراكى،وبالتبعية سنصل الى اليمين الشرقى ، وهذا الرأى موجود .

ولكن يوجد رأى آخر يرى أننا حتى لو انضممنا للمعسكر الاشتراكى ، فان القضية الوطنية أخطر من أن يشغلنا الخوف من مثل هذه القضية عنها ، وكل هذه الاراء موجودة فعلا بين الشعب فاذا لم تستطع القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكى معالجة هذه القضية فما هى القضية التى ستتبناها اذن ؟

اننى أرى أن الصراع الطبقى يعكس أوضاعا معينة ، فعند مراجعة الموقف الاجتماعى والفكرى لمن يدلى بهذا الحديث أجد أنه يختلف عن موقف العامل والفلاح .. اذ ان غالبية العمال والفلاحين تريد أن تحارب وتقاتل ، لكنها أيضا تريد أن تتأكد من انها ستكسب هذه المعركة .

وبالنسبة لموقف الاتحاد السوفيتى منا ، فهو لا يعطينا كل ما نحتاج اليه ؟ فما هو الطريق البديل ؟ هل نهاجمه ؟ أو نحاول تحسين العلاقة معهم ؟ هذا رأى .

والراى الاخر يقول اننا سنكون ضحية الصراع

بين امريكا وروسيا .. وهذه كلها اراء موجودة ولكن يجب مواجهة كل هذه المسائل بصراحة .. وتحديد الاتجاه الذى نسير فيه ، كذلك تحديد موقفنا بالضبط بالنسبة للمعركة ، وكيف نواجهها وما هو استعدادنا بالنسبة لها ؟ لان الناس ترى مظاهر متعددة فى البلد لا توحى أن المعركة جدية ، فاذا وجدت الناس أن الاجراءات جدية فعلا فانها ستتحمل الانتظار حتى ولو طال الأمد ثلاثين سنة .

وبجانب هذا يوجد الرأى الاخر الذى يدعو الى التفاهم ، وليس لى اعتراض فى ان اجد نفسى فى لحظة معينة مضطرا للتفاوض مع العدو ، لكن يجب أن أتفاوض معه من مركز القوة .. هذه أمثلة ، لكن القضية الاساسية أن هناك انقساما فى المجتمع تعكسه ظروف الموقف والاوضاع الاجتماعية ، فيجب أن يكون الجزء الرئيسى الذى تركز عليه القيادة السياسية هو هذه القضية .. قضية الفراغ .. فاذا استطعنا أن نعبىء الشعب ونوحده فى هذه القضية فستظهر فى الاستعداد والعمل القوى والاتجاهات الحريصة على هذه المعركة .. ويمكن بعد ذلك أن تتضح حدود الوحدة الحقيقية فى المستقبل وأوجه اتفاقها واختلافها .

النقطة الاخيرة فيما يتعلق بما ذكرته سيادتك عن المهندس فى بلغاريا ، ففعلا فى المجتمعات الاشتراكية التى انتهى فيها الموقف الى الملكية يعتبرون المهندس كالعامل تماما ، لكن هناك قضية أخرى فى مجتمعنا حيث أن ٥٥ فى المائة أو ٦٠ فى المائة من الدخل ما زال يمتلكه القطاع الخاص ، فالقضية مطروحة والمصالح متعارضة وقد كان الهدف من فكرة الرئيس جمال عبد الناصر من تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ فى المائة هو تعويضهم لعدم وجود أحزاب عمالية تستطيع تمثيلهم ، فوضع هذه الشروط ضمانا لتمثيلهم فى كافة التنظيمات .

● الدكتور أحمد كمال أبو المجد

اننى اتفق تماما مع ما ذكره السيد خالد محيى الدين على أن هناك انقساما حول المعركة، لكننى أختلف معه فى نقطة أشار اليها كل من الدكتورة سهير القلماوى والدكتور محمد خلف الله ، فنحن نضطر أحيانا لغياب الوسيلة العلمية أن نقوم بعمل احصائى ضمنى .

فالسيد / خالد محيى الدين لم يتجاوز الحقيقة عندما أشار الى وجود مثل هذه التيارات لكنه يقول أنه راجع هذا الامر فوجد أنه يمكن تفسيره بالانتماءات الطبقية بينما اقول ان مثل هذه المراجعة لا يمكن أن تكون دقيقة فى غيبة القياس العلمى .

وفى تصورى انه يمكن أن يكون ادق عنها فى هذه الجزئية التقسيم الذى ذكره السيد/ أحمد عباس صالح ، وهو أن هناك انتماءات مذهبية واشعر ان هناك فئات اجتماعية تخسر بالمعركة ولا تكسب ، فى حين أن هناك فئات أخرى تكسب بالمعركة ولا تخسر او على الاقل ليس لديها ماتخسره اذا لم يصبها نفع من المعركة ، وكل هذا صحيح علميا أو مفهوم منطقيا ، ولكننى أخشى بصفة عامة أنه اذا ظللنا فى الاستمرار على التفسير الواحدى للامور وأن كل موقف لا بد أن يكون تفسيره فى الانتماء الاجتماعى ؛ فاننا نحجر على حرية الجماهير فى التعبير من حيث لا نشعر ، لاننى يمكن أن أكون مذهبيا وفقا للتصنيف الطبقى أو بما يخالفه — كما ذكر السيد / عباس صالح — فقد اكون عاملا وعندى انتماءات طبقية ، أو اكون كالاستاذ خالد من اسرة غنية لكن ولائى وفكرى يكون لطبقة معينة .

ومع هذا اريد ان اقول أن تعقيد القضية يجعل المواقف محصلة أمور كثيرة جدا ، فاذا كان الامر قبيل اتخاذ القرار أو بمناسبته فانه يؤدى الى المسارعة الى تفسير بأن يعكسه فى مواقف اجتماعية ، ويضاعف من هذه الخطورة غيبة جهاز اجتماعى راصد للقوى ومواقفها ، وأخشى أن يكون له ضرر بعض الشىء ، فقد يؤدى بى فى قضية ما — وسأفترض فرضا جدليا — اننى راض عن مشروع الملك حسين لاسباب او لاخرى ، وللقضية كلها بعد احجمت عن ذكره لان مجاله هو الشباب .

وأتصور أن من أكبر المعوقات الموجودة حاليا رغم التحليل الاجتماعى والسياسى أن الانسان المصرى والعربى المعاصر محمل بمجموعة من العاهات نتيجة اوضاع اجتماعية واقتصادية معينة تعوق جدا تنفيذ أية مشروعات ، ويمكن تسميته باختصار بتربية الجيل او باعادة صنع الشباب وما الى هذا الكلام العام ، وهذا كله مقصود به تدارك مثل هذه الامور .

لكن اليوم حينما تكون فى ذهنى فكرة من هذه الافكار فأتصور من موقع اشتراكي وليس سوفيتيا ، بل موقع اشتراكى صينى أو موقع اليسار الجديد — وله تصورات مختلفة عن موقف الاتحاد السوفيتى — وننظر اليه على أنه قوة لا تختلف كثيرا عن الولايات المتحدة ، مع

اختلافى شخصيا عن اليسار الجديد فى هـذا ، انما من الممكن جدا ان يكون موقفى من هـذه القضية أو مشروع الاردن أو من المعركة نفسها يكون صادرا عن رؤية مذهبية وليس بالضرورة عن انتماء شخصى .

وكل ما أريده من هذا التعليق أمرين:

احدهما يؤكد حاجتنا الى اجهزة راصدة .

والاخر هو خشيتى من أن يكون فى التزامنا بتفسير واحدى للمواقف ما يهدد بأن يأخذ الحوار مـداه .

● **عبد العزيز الدسوقى**

ردا على ما ذكره السيد / خالد محيى الدين عن ابناء من الفقراء والاجراء والعمال والفلاحين ومصادرى ليست كمصادر سيادته ، فانا اجلس على هذه المقاهى الشعبية واحتك بعامة الشعب واحب ان أوضح لسيادته أنه عندما تبدأ المعركة فعلا فانه سيجد أن الناس جميعا سيهرعون الى النضال والدفاع عن وطنهم .

ان ربط الاحساس بالمعركة وبمصير الـوطن مرتبط بالطبقة الاجتماعية غير صحيح ، وهـو نفسه يؤكد عدم صحة هذا التصور ، فالتـراب الوطنى معتدى عليه ونحن جميعا بكل طبقاتنا وبكل فئاتنا سنقوم لدفع هذا العدوان ، وعندما كان النازى يدوس التراب السـوفيتى لم يقف الجيش الاحمر يدافع عن روسيا وانما وقفت جماهير الشعب الروسى التى هى أعمق وأغزر من تصور فكرى معين يأتى فى زمان معين .

وشكرا .

● **خالد محيى الدين**

اننى لا أقصد الموقف الطبقى ، وانما اقول موقف الانتماء الاجتماعى والانتماء الفـكرى ، فلقد ذكرت الاتجاه ولم أذكر الطبقة ، لان الموقف الاجتماعى يختلف عن الموقف الطبقى بالدليـل الذى ذكرته ، وهذا رد عما قيل من ان المعركة الوطنية أكبر فعلا من الانتماء الطبقى ، ولذلك فنحن نريد أن نوحد فى هذا ، فلـو كانت الحرب الوطنيـة فى الاتحاد السـوفيتى قاصرة على الشيوعية فقط لانهزم الاتحاد السوفيتى .

لذلك فانى اقول فى هذه القضية انه كانت هناك براعة من القيادة السياسية فى الاتحـاد السوفيتى لانها رفعت شعار الحرب الوطنيـة العظمى واشتركت الكنيسة فى المعـركة رغم موقفها منها .

ان الوضع فى المعركة يختلف عنه فى الحياة، ففى الحياة يمكن أن يعيش الانسان تحت اى نظام لا يرتضيه ، انما بالنسـبة للاسـتشهاد والتضحية فى المعركة فلابد أن يستشهد الانسان تحت الراية التى يريدها .

وهذه القضية لا بد من وضعها فى الاعتبـار عند الاعداد للمعركة .

وشكرا .

« وانتهى الاجتمـاع فى السـاعة العاشرة والنصف مساء » ...

اجتماع اللجنة الفرعية للشباب

٢١ مارس ١٩٧٢

عقدت اللجنة الفرعية للشباب اجتماعا بقاعة الامانة العامة وذلك فى تمام الساعة الحادية عشرة صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من مارس سنة ١٩٧٢ وذلك برئاسة السيد المهندس سيد مرعى السكرتير الاول للجنة المركزية الذى أناب السيد الدكتور احمد كمال ابو المجد امين الشباب فى رئاسة الاجتماع بعد بدء الجلسة لارتباط سيادته بمقابلة مع السيد الرئيس •

وقد حضر الاجتماع من السادة اعضاء لجنة العمل :

- الدكتور أحمد درويش •
- الدكتور محمد ابراهيم دكرورى •
- الدكتور حسن اسماعيل •
- الدكتور عبد الحميد حسن •
- الدكتور اسماعيل غانم •

وقد تخلف عن الحضور من السادة أعضاء اللجنة :

- محمد حسن حلمى •
- الدكتور أسامة الباز •
- الدكتورة معتزة •

السكرتير الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

ان اجتماعنا اليوم يشمل نقطتين :

النقطة الاولى : خاصة بالشباب والتنظيم الشبابى والصورة التى طرحت على اللجنة بالنسبة للتنظيم الشبابى •

النقطة الثانية : وهى ورقة العمل المطروحة على حضراتكم وهى ملخص لتقرير لجنة العمل ، ليمكنكم أبداء الرأى فى كل ما جاء بها ، حتى فى المجالات التى تخرج عن مجالات الشباب ليكون هناك تآلف بين لجنة العمل واللجان المتفرعة الاخرى •

بالنسبة للجزء الاول سيحدثكم عنه الاخ الدكتور أحمد كمال أبو المجد وسيعطيكم ملخصا عن التنظيم الشبابى •

وفى رأينا أن الفترة الاخيرة قد أظهرت بوضوح وبعد الغاء التنظيم الطليعى أنه قد حدث فراغ كبير جدا لم يواجه بأى نشاط من جانب الاتحاد الاشتراكى ، وخاصة أنه تبع ذلك الغاء وزارة الشباب وتكوين المجلس الاعلى للرياضة ، فهذا المجلس حديث التكوين ، ولذلك نحن نتصور أن التنظيم الشبابى يشمل ثلاث نقاط هامة هى :

أولا : الناحية الاجتماعية •

ثانيا : الناحية الرياضية •

ثالثا : الناحية السياسية والتثقيفية •

وهناك عدد من التساؤلات تثار فى هذا الخصوص ، فأولا نرى أنه يجب المزج بين هذه النواحى الثلاث ، حيث أن الشباب لا يجب أن يعيش فى السياسة فقط،بل يجب أن يعيش فى كل هذه النواحى بما فى ذلك شباب الريف على مستوى الجمهورية ، واننا نأمل أن تشمل القرارات التى ستصدر جميع الجمهورية بما فيها المعاهد المختلفة أيضا ٠

ومن ناحية أخرى ، ما الصلة بين التنظيم الشبابى والاتحاد الاشتراكى ؟ ما تصورنا لها فى :

اولا : فى حالة اقامة وزارة الشباب ٠

ثانيا : فى حالة اقامة المجلس الاعلى للرياضة ٠

ثم هناك ناحية ثالثة ، وهى مجرد اقتراح وليست رأيا نهائيا ، وهى فى حالة اقامة وزارة شباب هل يمكن أن تعمل من خلال المجلس الاعلى للرياضة ، وكيف ؟

وبعد ذلك ننتظر أن تبدوا رأيكم فى كيف يمكن للتنظيم الشبابى أن يعبر عن نفسه باستمرار داخل الاتحاد الاشتراكى ؟

نقطة آخرى هى أنه من الضرورى أن يشكل التنظيم الشبابى من ممثلين حقيقيين لهؤلاء الشباب ، لاننا ليس لنا أشخاص معينون ، ولكن الشباب أنفسهم هم الذين يجب أن يختاروا من يمثلهم ٠

وآسف لانى مضطر الان لتركك بعد هذه الكلمة ، نظرا لارتباطى بموعد مع السيد الرئيس وسوف اعود اليكم ، وأرجو للجنة ان توفق فى مناقشة ما يعرض عليها لاننا نشعر فى الواقع بوجود فراغ كبير بيننا وبين الشباب دون أسباب ٠ والاتحاد الاشتراكى فى هذا ليس له سياسة معينة الا السياسة التى تقررونها أنتم ٠

استسمحكم فى أن اترككم وشكرا ٠،

● الدكتور كمال أبو المجد

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الحقيقة سأقوم بمهمتين رئيسيتين الان :

الاولى : وهى تقييم ووصف ما تم من خلال أمانة الشباب كجهاز للتنظيم السياسى من فكر وتخطيط ٠

والثانية : هى طرح ما جاء فى ورقة العمل ، ثم نرى كيفية تنظيم عمل هذه اللجنة فى تناول هذه الاشياء ٠

والحقيقة أنه كان من الواجب أن أسجل أن اللجنة فى تشكيلها تضم خبرات متعددة كل التعدد ، ففيها خبرات لها فضل مشهود به فى قطاع الرياضة وقطاع التربية الدينية بالاضافة الى خبرات فى مجال العمل مع الطلاب من السادة أساتذة الجامعات ومن الطلاب الى جانب خبرات تنظيمية عملت فى أمانة الشباب وقبل ذلك فى منظمة الشباب ٠

وبذلك فاللجنة بهذا التشكيل الواسع يمكنها ان تغطى جوانب القضية الشبابية برمتها ، كما ستتاح لنا الفرصة لنستمع الى رأى وخبرة كل فى مجال تخصصه ، ومهمتى الرئيسية أن أعرض ما تم من العمل فى أمانة الشباب منذ تكوينها ٠

كونت أمانة الشباب بعد انتخابات الاتحاد الاشتراكى وانعقاد المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو الماضى ، ثم حددت مهمتان لامانة الشباب فى تكوين الامانة العامة للجنة المركزية ، هاتان المهمتان هما :

اعادة بناء التنظيم الشبابى ، وتنشيط العمل الشبابى بالتعاون مع الاجهزة المختلفة التى تشرف على قطاعات الرياضة والتربية والتعليم والتعليم العالى وغير ذلك من الانشطة التى تتصل بالشباب ، وكان أصعب ما فى المرحلة عملية اعادة بناء التنظيم الشبابى ، فلم نكن نبدأ من فراغ ، ولم يكن ذلك ميزة مع طول الخط ، لان الماضى كان محملا بالتعقيد والظروف التى أحاطت به ، وقد اختلفت آراء الناس فى ذلك ، فكان الكثير من الناس يرون زاوية واحدة تحددت فى أذهانهم ومن خلال موقف معين ٠

وكان أول ما لاحظناه أننا ورثنا وضعا تمثل فى :

ـ منظمة شباب موجودة فعلا ولكنها مجمدة بقرار ٠

ـ وزارة شباب دار الحديث حول بقائها أو الغائها ٠

ـ تنظيمات مساعدة يثار الحديث حول حريتها وجديتها ٠

وبدأنا وكان هذا طبيعيا بمحاولة لتقييم التجربة الماضية ، ولم نكن بطبيعة الحال نقيم قطاع الانشطة ، لان ذلك لم يكن من اختصاصاتنا بحكم وجوده فى وزارة الشباب التى كانت موجودة ، انما عنينا عناية خاصة بالجانب السياسى المتمثل فى تجربة منظمة الشباب ، وكان هذا هو الثابت من التجربة ، وهو الثابت من التقارير وبرأى القطاعات العريضة التى اتصلنا بها ، سواء خلال المراحل الاولى من التجربة أو بعد أن نزلت الى ارض الواقع • وكان حصيلة هذا التقييم أن التجربة لها جوانب جدية ايجابية ولها أيضا عدة جوانب تحتاج الى مراجعة يمكننا أن نطلق عليها لفظ السلبيات •

وكان علينا أن نقرر أمرين معا لان المناخ النفسى كان يضار بالتركيز على أى منهما •

فقد كان هناك عدة آلاف من الشباب تم تدريبهم وتنظيمهم وخلق لهم نوع من الولاء لمنظمة الشباب وحرك فيهم التفهم للقضايا العامة ، وكان ذلك ايجابيا ولا يستطيع أحد أن يقرر غيره • وكون أن التنظيم يجذب الناس بالولاء فهذه فكرة جيدة .

ومن الناحية الاخرى كان هناك قطاعات عريضة من هذا الشباب بعيدة ، ولا تزال تشكل أفضل خبرات تنظيمية موجودة فى جمهورية مصر العربية •

ومن ناحية ثانية حصل اعتبار جزئى وهو حدوث اهتمام بالقضايا العامة سواء ما يتعلق منها بالقضايا الداخلية أو بأوضاع الصراع الاستعمارى ، وصراع الكتل العامة •

والامر الثانى من القضية هو السلبيات ، ان هذه المنظمة عانت من قضايا متعددة ، وفى مقدمة هذه القضايا أن أسلوب التربية والتكوين كان متعجلا وكان مشغولا بالكم عن الكيف • فلم تكن التربية كافية ولم يكن التثقيف تثقيفا ، ولم يدبر شىء مفهوم محدد ، وبدأ ذلك كله فى صورة تعالى بعض أعضاء المنظمة على غيرهم من الشباب ، ومن غير الشباب واصطدم الشباب فى مواقع عديدة من مواقع العمل فى المصانع والريف والجامعات والمدارس وفى سائر ادارات الحكومة •

ومن ناحية ثالثة ، فى بعض مواقع العمل فى التنظيم الشبابى لم يكن هناك التزام كامل بأخلاقيات العمل العام ، فشاعت فى بعض المواقع عمليات كتابة تقارير ثم عمليات ولاءات فردية وكذا ولاءات شللية ، ثم كانت هناك مشاكل تنظيمية خطيرة مازلنا نعانى منها أشد المعاناة وهى شق أساسى فيما هو مطروح على سيادتكم فى ورقة العمل منها :

ـ علاقة التنظيم الشبابى بالتنظيم الام ، وأريد هنا أن أعرض وجهة نظر أمانة الشباب فى هذه القضية فاقول ان التنظيم السياسى كان أقل كفاءة من التنظيم الشبابى وقد عانت من ذلك المنظمة •

فتصورنا فى أمانة الشباب أن انتخابات التنظيم السياسى فى كثير من الاحيان كانت تعبيرا عن ظواهر عديدة بحكم ان التنظيم قد استجاب له كثير من الناس فى مواقع كثيرة ، رغم انهم لا يؤمنون بالعمل السياسى وليست عندهم خبرة به •

فالنمو بالنسبة لاعضاء التنظيم الام فى مواقع عديدة كان متخلفا عن التنظيم الشبابى ، بحكم أن التنظيم الشبابى اقل عددا وأكثر انطلاقا بما له من اعتبارات شبابية وغيرها ، فكانت النتيجة فى فترة زمنية قصيرة ان التنظيم الشبابى يعلو ويتمرس ، وقد انعكس أثر هذا فى صورة مشاكل محددة فى مواقع العمل فكان الشباب من أعضاء اللجان فى المستويات المختلفة يشكلون أحيانا فكرا مختلفا فى تعاملهم مع القيادات غير الشبابية ، وقد وقعت منهم أخطاء لان أكثرهم لم يتعلموا آداب التعامل السياسى مما عقد الامور اكثر ، وتفاقمت المشكلات التى هى فى جزء منها تعبير عن صراعات وفى جزء آخر منها تعبير عن الفجوة ، بين جيلين لتنعكس اجتماعيا وسياسيا عند هذه القضية •

وفتح الباب على مصراعيه بالتساؤل هل يكون للتنظيم الشبابى قدر من الاستقلال والتكافؤ بأن يكون مستقلا عن اللجنة المركزية (التنظيم الام) أو يبدأ بتكوين هيكل للتنظيم الشبابى ، وهذا لا يمنع الشباب من حضور اللجنة المركزية والمؤتمر القومى ، وقد أصدر رئيس الاتحاد الاشتراكى ورئيس الجمهورية قرارا بأن يقوم تنظيم مواز ومستقل ولا يزال هذا القرار حائرا فى كيفية تطبيقه عمليا ، ولا يزال هذا الجزء اشد تعرضا للاخذ والرد والمناقشة •

واقترح أن يطرح على حضراتكم وأن يطرح على القواعد الشبابية نفسها وعلى مستويات عديدة فى الاتحاد الاشتراكى لتحسم هذه القضية •

وكان واضحا بعد ذلك ، اعتبار مرحلى ، أن كثيرين منا لم يسعدوا بأن يعمل معنا فى أمانة الشباب بعض الشباب القديم الذى درب فى

المنظمةوهذا مع الاخذ فى الاعتبار أن الشباب القديم الذى درب وثقف فى المنظمة كان أيضا مترددا فى قبول العمل معنا نظرا لما عاناه من التجربة الماضية من أن يرفع حينا ويخفض حينا آخر ، فيوعى ويجد ويعمل ويبنى ثم يقال له بعد حين أنه كان مرتبطا بعناصر من عناصر التنظيم الام ، وتكرر ذلك فى التنظيم الشبابى فى صورة هزات أكثر مما تكرر فى التنظيم الام ، وعلى ذلك فلابد من أن نحترم عواطف الالاف من الشباب فالعملية هى بناء المجتمع العصرى على العلم والايمان .

ان جوهر المشاكل هو كيف نحافظ على العناصر التى تم تخريجها من المنظمة مع فتح الباب لعناصر جديدة فقد كان من الضرورى أن يحتفظ بكثير من العناصر القديمةالتى دربتوالتى ارتبطت تنظيميا بمنظمة الشباب والتى لم يكن عليها اعتراض ، فهذه العناصر التى يبلغ عددها ٢١٩ الف شاب تم تدريبهم ، ولهم هياكل منتظمة فى ٢٥ محافظة كان من الخطأ الغاء كل هذا بجرة قلم كما كان يعنى استحالته ، ولقد احتفظنا بهذه العناصر وعقدنا سلسلة لقاءات مع العناصر التى سبق لها العمل فى منظمة الشباب ، ثم بدأنا فى تكوين مجموعات من الموجهين ، وجاء هؤلاء الموجهين من المحافظات معرضين وعازفين ولديهم حواجز نفسية ولذلك لم نكن نستطيع ان نفتح معسكرات لنواة من الموجهين استعدادهم مشكوك فيه الى حد كبير .

فبدأنا فى وضع خطة لاعادة بناء التنظيم الشبابى ، وكان حصيلة ذلك كله الاحساس بأهمية الاختلاف بين انتخابات التنظيم السياسى الذى يدخله الناس على علاتهم وبينها فى التنظيم الشبابى الذى كانت النية فيه أن يكون تنظيما تربويا كما تبين أنه لم يتم تحديد كاف للهدف من اقامة المنظمة ، حتى الذين اتصلنا بهم من الاخوة القدامى لم يكن لديهم وضوح كاف لهذا الهدف .

لقد كانت المنظمة فى الماضى ما هى الا تنظيم لتدعيم عناصر معينة فى الاتحاد الاشتراكى ولقد كان طبيعيا ان نلزم انفسنا بضرورة تجديد هدف للتنظيم الشبابى فما نتصوره أن مصر فى هذه المرحلة تواجه مشكلتين هما :

– مشكلة بناء دولة عصرية علمية جادة ذات مؤسسات لها أهداف ولها قدرات معينة ، وتتبلور هذه المشكلة فى هدف محدد هو اخراج مصر من التخلف عن هذا الطريق العلمى . وهو الهدف الذى يتحمل الشباب تبعاته الجسيمة ، لان هذه المشاكل لم تحل على يد هذا الجيل حتى الان .

– أما المشكلة الثانية ففى المواجهة مع العدو وهذا يحتاج الى اعداد وتربية سليمة .

فلم يكن مقصودا ان يكون تنظيم الشباب مجرد جناح سياسى للتنظيم السياسى يشغل نفسه بالحركة السياسية بل كان يجب ان يكون بيئة أو مكانا أو تنظيما يدخل فى حياة الشباب لاعادة بناء الخصائص الذهنية والسلوكية للشباب المصرى بالتعاون مع المؤسسات التى لها القدرة على هذا ، مثل التربية والتعليم والتعليم العالى والجامعات والمجلس الاعلى للرياضة وأى مؤسسات أخرى ، وبعد تحديد هذا الهدف يمكن أن نبدأ بعملية انتخابية ، فطالما ان منظمة الشباب هى منظمة أساسية تحقق نوعا من الارتباط العاطفى والنفسى الشديد للشباب لابد من أن يسبق اعادة بنائهاشىء من التدعيم ، وهذا التدعيم لابد أن تسبقه فترة تمهيدية سابقة لاعلان فتح باب العضوية السابقة لاى عمليات انتخابية . فمن الذى يحدد هذه الفترة ؟ وما الهدف منها ؟ وفى تقديرى ان الذى يستطيع هذا هو أمانة الشباب .

ان بناء هيكل التنظيم الشبابى فى صورته الكاملة يحتاج الى تدريب والتدريب يحتاج الى مدربين والمدربين يحتاجون الى قسط من الاعداد ولهذا فقد بدأنا باعداد دورة تدريبية لاعداد الموجهين بحيث يكون بعضهم من العناصر التى وضعت موضع المسئولية الجزئية فى موقع من مواقع الاتحاد الاشتراكى والبعض الاخر من العناصر التى لم تكن لها صلة تنظيمية بالتنظيم الشبابى فيما مضى .

وبالنسبة للعناصر القديمة فقد رجعنا للسجلات الموجودة بمنظمة الشباب وهى سجلات ممتازة وجيدة للغاية قد تفوق مثيلاتها فى كثير من أجهزة الدولة وكانت هذه السجلات أساسا للاختيار المبدئى بالنسبة لهذه العناصر .

الاسلوب الثانى أننا لجأنا الى التنظيم السياسى نفسه ممثلا فى السادة الامناء كما لجأنا الى أسلوب آخر وهو الاتصال بالسادة مديرى الجامعات ليرشحوا عناصر تضم الى العناصر المرشحة لتكون وعاء يختار منهم الموجهين . وقد وضعنا لهم برنامجا ، ودعى عدد من المحضرين .

وهنا أود أن أشير الى بعض النقاط وهى أن كثيرا من السادة المحضرين لم يكن اختيارهم خطأ فكثير منهم كان له سابق خبرة بالعمل مع الشباب والتنظيم الشبابى،وله كفايات جديدة،وفى

الوقت نفسه أعطينا لانفسنا الحق فى أن نحدد لهؤلاء تصورنا لما نريد وكان ذلك مقبول من جانب بعضهم وغير مرغوب من جانب البعض الاخر ، وقد اوضحنا لهم أنه ليس من حق أحد منهم أن يفرض تصوره الفكرى على الشباب . واتفق على أن ما يعطى لا يخرج عن مواثيق الثورة وميثاق العمل الوطنى . وقد تابعت تنفيذ ذلك بنفسى ، ووجد أن أكثر المحضرين قد التزموا بهذا الخط .

وبالنسبة لقضية الثقافة فى المرحلة السابقة فقد كانت كلها محدودة ولقد توقف كثير من الدارسين عند قدر معين وانحصر فهمه فى قضايا الكثير منها فقد قيمته فى الستينات ، ولابد من عرض فكر ومضمون يشد الموجهين أنفسهم ولا تنحاز الى الشرق أو الغرب لان الدنيا أوسع بكثير من هذا ، وفى هذا المجال طرحت ثلاث قضايا رئيسية :

الاولى : وهى التطورات التى حدثت عالميا .

الثانيه : مشكلات العلاقة بين الدول النامية والدول المتقدمة .

الثالثة : التكنولوجيا والعلم الحديث .

وهى كلها ثقافة أرحب تجعل الشباب أكثر انفتاحا على النظريات الجديدة المعاصرة والقضايا الوطنيه . وهذا جانب من مشكلة اعداد الموجهين، والتى تعتبر أصعب بكثير من عملية اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي كله من القاعدة الى القمة ، لان هذا الاعداد يحتاج الى عناصر لها صفات معينة كما يحتاج أيضا الى فترات يخلو فيها الشخص الى نفسه بعد معايشة التنظيم الذى يعمل معه .

وسنبدأ من يوم السبت القادم ٢٤ مارس فى اعادة بناء الهيكل بعد أن تم اختيار العناصر المرشحة لاعادة بناء هيكل المنظمة ، واستكمال بنائها فى المحافظات وقد بذلت فى ذلك أمانة الشباب جهدا كبيرا ، وستستغرق عملية بناء الهيكل ثلاثة أسابيع .

وحيث ان الموجهين لابد أن يكونوا على قدر معقول من التفاهم والتعاون لذا يجب أن يكون لامانة الشباب حق ابداء الرأى فى هذه العناصر حتى تستطيع ان تؤدى مهمتها المركزية ، علما بأنها ستختار من كل موقع .

أما عن الدورة الحالية فهى دورة تنظيمية وموضوعاتها فى هذا المجال ، وبعد ذلك سيختار من المحافظات مجموعات تتراوح ما بين ٨٠٠ ، ١٠٠٠ شاب لتسكن فى هذه المراكز والاقسام والوحدات الاساسية ، يعقب ذلك مرحلة اعلان قيام المنظمة وفتح باب العضوية وهذا الموضوع كما هو مطروح على حضراتكم نجده مطروح ايضا على لجنة العشرين وعلى القواعد الشبابية وقد استقر الرأى على عرض ما سيتم الاتفاق عليه على القواعد الشبابية فى المحافظات .

فبعد حوادث الطلبة كان لابد من اعادة بناء منظمه الشباب على اسس جديدة فقد كان واضحا ان التركيز فى طلب السيد الرئيس الذى صدر فى توصيات المؤتمر القومى ليس هو اعادة بناء التنظيم الشبابى ، لانه واجب فوضت فيه من اللجنة المركزية ولكن التركيز كان على كلمة (أسس جديدة) وهو ما لفت اليه الانظار نتيجة الحوار وتحرك الطلاب فى الجامعات .

ان التنظيمات الشبابية تعانى من انفصالها عن القواعد ، ولهذا فانى لا أريد للتنظيم الجديد هذا الانفصال ولابد أن يتم اعادة بناء المنظمة بناء على رأى واختيار القواعد الشبابية ، واننى لا أقصد شباب الجامعات فقط لانهم جزء من الشباب الموجود فى المصانع وباقى الشباب فى كل مكان من مصر ،وقد دعانى هذا الى مزيد من التمثيل للاسس الجديدة وهى ديمقراطية العمل وتوفير الحرية حتى ينطلق الشباب ، لان الاحساس السائد هو أن الجيل المعاصر جيل متعب ومقيد بقيود عجيبة لانه جيل غير منطلق فى البناء وفى العمل .

وليست هذه عملية تضارب نظرى فحسب بل عمل لان العمل الوطنى يحتاج الى جهود الشباب فى هذه الامور ، ونحن نؤكد التزامنا بالخط الفكرى لقوى الشعب العاملة ، ولا يجوز أن ننحرف عن هذا الخط فى ربط الشباب بمصادر القوة مثل التربية الدينية والتربية السلوكية ، وأن نميز بين جوهر الاسلام وبين بعض الافكار البالية السائدة عنه .

وهذه كانت الاسس التربوية العامة اما الاسس التنظيمية فلم نوفق ولم نصل الى صيغة لاننا نريد أن نتجنب ما كشفت عنه التجربة الماضية ، والصيغة هى كيف سيكون هذا التنظيم ؟ وهذا نطرحه على حضراتكم ولا نريد أن يحرم التنظيم الشبابى فى اطار التنظيم الفكرى والعضوى بالتنظيم الام فى أن تكون له حركة ذاتية مع نوع من الولاء .

فنحن لا نريد له أن ينفصل عن قوى الشعب العاملة ولا أن يظل محكوما برأى جيل سابق ، فليس هذا من مصلحة التقدم فى شىء .

وهذه الموازنة مطروحة عليكم فكريا وتنظيميا وبالنسبة لشق الانشطة فقد تقرر الغاء وزارة الشباب فى وقت من الاوقات وكان معروفا أنها تؤدى نشاطا فى ميدان الرياضة وقطاع خدمات الشباب ، وحينما الغيت الوزارة كان من السهل انشاء المجلس الاعلى للرياضة وبقيت خدمات الشباب موزعة بين جهات عديدة تختلف فى حركتها كل عن الاخرى ، بما ترتب عليه صعوبة اصدار اى قرار فى هذا المجال ، وفى رأيى ان خدمات الشباب لا تؤول الى منظمة الشباب وانما تؤول الى الجهاز التنفيذى ولابد أن أقولها بصراحة أن الغاء وزارة الشباب فى مصر قد مثل عقبة ، وترتب عليه ضرر جسيم للشباب ، وهذا أمر لا يجب السكوت عليه ، ولابد من وضع حاسم . والسيد عبد المنعم وهبى موجود . فكم من مرة نتصل به فى أمر كان المفروض ان يحول الى وزارة الشباب بالاضافة الى ذلك ظل اختصاص امانة الشباب محدودا الى يومنا هذا بسبب الظروف اليومية التى شغلتنا وشدتنا اليها مما ترتب عليه تأخر عملية البناء تأخرا ليس هينا .

ونحن الان لدينا ثلاث قضايا ،فيوم ٢٤ الجارى يفتح معسكر حلوان الذى تم قبول شباب حلوان فيه باعداد أكثر من المطلوب وذلك حتى يتم اختيار افضل العناصر نتيجة التقييم النهائى والتقييم فى المعاهد الاشتراكية سيتم بثلاث طرق : اولهاتقييم ذاتى يقيم به الشخص نفسه ، وتقييم من داخل المجموعة ، وتقييم يقوم به الموجهون له . والتقييم النهائى الناتج هو الذى يبقى فى سجلات امانة الشباب . وسيفتح المعسكر صباح يوم ٢٤ ـ ٣ وستكون فرصة طيبة ان تشرفوا الافتتاح .

وهناك عدة امور يجب بحثها هى :

علاقتنا بالتنظيم الام : قضية خدمات الشباب والجهات المشرفة عليها باعتبارها متممة للعمل السياسى .

ثم قرأ سيادته من صفحة (٥) من مشروع ورقة العمل التوصية التى صدرت من المؤتمر القومى العام بتكوين تنظيم شبابى يتبع ديمقراطيا من الشباب انفسهم ويصبح أحد أجنحة الاتحاد الاشتراكى .

هل تكون للتنظيم الشبابى كوادره القيادية ولجنته المركزية ؟ أم يكتفى بتمثيل الشباب ولجان الاتحاد الاشتراكى على المستويات المختلفة ؟ هل يكون جزءا من التنظيم الام أو سيكون موازيا له ؟

وما هو الاسلوب الامثل للبرنامج التثقيفى للشباب ؟

ونود أن نسمع الى آرائكم واقتراحاتكم بخصوص كيفية تدوين ورقة العمل .. فهل ترون عرض قضية الشباب أولا ثم نعرج الى باقى ورقة العمل ، او نبدأ بالنقطة الاولى فى ورقة العمل وندرسها بالتسلسل ؟
فلنستمع الى آرائكم :

● **حسام عطعوط**

فى الواقع انى اعتقد ان تكوين اللجنة بهذا الشكل ليس شبابيا مع انها لجنة الشباب ، فوجود الاخ كمال أبو المجد ، والاخ الدكتور عبد الحميد حسن فيها لا يكفى ، واقترح ان يمثل اتحاد طلاب الجمهورية فيها .واذا لم يمكن ذلكفاننى اقترحان تنزل اللجنة الى القواعد الشبابية واقترح أيضا أن تخرج اللجنة باختصاصات بوجهة نظر الشباب فى التنظيم الشبابى ككل ويجب أن يكون ذلك محل نظر .

● **الدكتور احمد كمال ابو المجد**

نناقش طلب السيد / حسام

● **محمد عقل**

بالنسبة لما أثاره السيد/ حسامفان التمثيل فى اللجنة ليس فئات،لان الطلابجزء من الشبابككل والموضوع ينحصر فقط فى اسلوب العمل الذى تتبعه اللجنة .

● **مصطفى كمال**

بالنسبة للتصور فهل نناقش قضية الشباب أم نناقش قضية التنظيم كله ؟ انا اعتقد ان قضية التنظيم الشبابى لا تنفصل عن التنظيم السياسى كثيرا ،بلبالعكس فانقضية التنظيم السياسىالام تؤثر كثيرا فى قضية الشباب . ولذلك ارى أن يتم تحديد دور التنظيم السياسى اولا مع تحديد هدفه وشكله واسلوب حركته وعلاقته بكل الاجهزة ثم نناقش بعد ذلك التنظيم الشبابى حتى نستطيع تحديد دوره فى اطار التنظيم الام .

● **د. عبد الحميد حسن .**

فى البداية فاننى اطمئن الاخ حسام انه اذا لم يكن الشباب اكثرية فى اللجنة فانه من الناحية العملية فان الشباب يمثلون ايضا فى لجنة العشرين ذاتها وفى الامانة العامة وقد قدرت هذا

الدور ، ولذلك لا يجب ان نفصل قضية الشباب عن قضية التنظيم السياسى ، لان الشباب هو الذى يمثل الاتحاد الاشتراكى ، بالتالى فاننى اقترح ان نقسم انفسنا الى لجان فرعية متخصصة لكى نخرج بقضية الشباب كاملة ويبرر هذا الاقتراح ان الشباب ممثلين فى جميع القطاعات والتنظيمات ، لذلك يجب ان تتخصص كل لجنة من اللجان الفرعية المقترحة فى قطاع معين .

● **كمال ابو الخير**

أؤيد الراى الذى طرحه الدكتور عبد الحميد حسن من ناحية تقسيم السادة اعضاء اللجنة الفرعية الى لجان ومناقشة ورقة العمل ككل مع اعتبار اننا نتحرك داخل القواعد الشبابية بالذات لاخذ رأيها ومنها شباب العمال والجامعات والفلاحين على ان نفرد لقاء لشباب المنظمة القدامى حتى نستفيد من خبرتهم فى المرحلة السابقة .

كما يجب التركيز على تجميع العمل الشبابى فى مصر فى اطار واحد ، والتركيز على العلاقات بين الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب والتنظيمات المساعدة الاخرى كاتحادات الطلاب ونقابات العمال .. الخ

● **احمد فراج**

الحقيقة ان اشتراك اللجنة ككل فى مناقشة ورقة العمل مسألة مفيدة،لان هذه الورقة تشكل الاطار العام الذى يمكن ان ننطلق منه لكى يبدو لى ان لجنة العشرين وقد وضعت ورقة عامة تشمل القضايا التى ينبغى ان تبحث بتوزيع جزيئات ورقة العمل هذه على اللجان الاستشارية وان لجنة الشباب قد تكون محتاجة اكثر الى التخصص فى دراسة الجانب المتصل بقضية الشباب فى ورقة العمل على اساس ان هذه اولوية اولى .

اما اذا قامت كل لجنة من اللجان الاستشارية بدراسة ورقة العمل ككل ثم انتقلت الى الجزء الخاص بها فقد تحتاج الى وقت طويل وقد لا تستطيع ان تتقدم فى العمل بالمعدل الذى يساعد لجنة العشرين على انجاز المهمة الرئيسية الموكولة اليها .

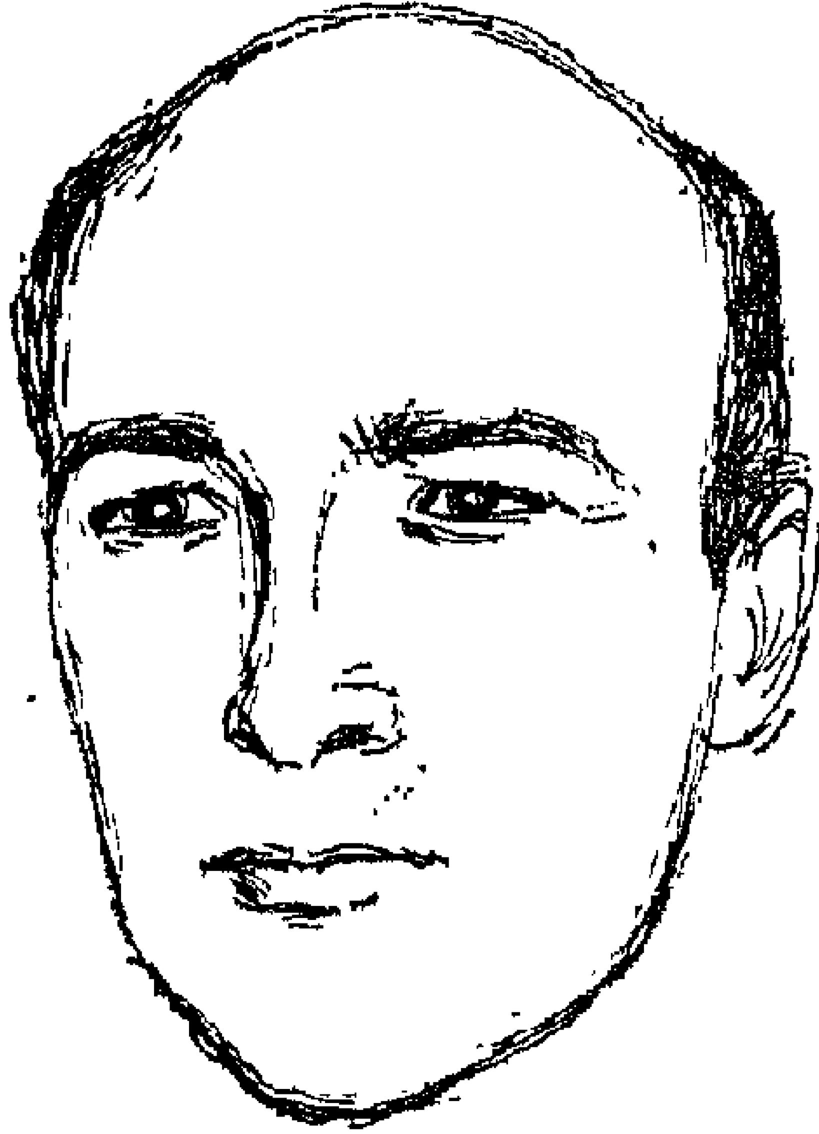
واذا كانت ثمة ضرورة فلا بأس من العرض العام السريع لورقة العمل ككل ، على ان يكون تركيزنا على الجزء الخاص بالشباب .

● **علاء قاسم**

اری ان نحدد أولا مدة عمل اللجنة فاذا كانت المدة طويلة يمكن ان نبحث ورقة العمل بتفاصيلها ونركز تركيزا خاصا على التنظيم الشبابى . واذا كانت المدة قصيرة ففى هذه الحالة يمكن ان نمر مرورا سريعا على ورقة العمل مع التركيز على التنظيم الشبابى .



د. عبد الحميد حسن



كمال ابو الخير

● **حسام عطعوط**

أرى أن نبدأ بدراسة التنظيم السياسى ككل على اساس انه لن يستغرق منا وقتا طويلا ثم نتفرغ بعد ذلك لدراسة التنظيم الشبابى .

ومن ناحية تقسيم اللجنة الى لجان فاننى ارى ان عدد اعضاء اللجنة ليس بالكثرة التى تسمح بتقسيمها الى لجان .

● الدكتور كمال ابو المجد

الواضح فى إختيار السادة اعضاء اللجنة أنه تمثيل لقطاعات الشباب المختلفة فى مجلس الشعب والمؤتمر القومى العام واللجنة المركزية والمجلس الاعلى للرياضة والتربية والتعليم والتربية الدينية والجامعات والتعليم العالى . وبالنسبة لقطاع الطلاب اقترح ان يمثله ثلاثة من اتحادات طلاب الجمهورية ، والعقبة فى هذا ان الوضع الطلابى بالغ التعقيد فهناك اتحاد طلاب الجمهورية القديم الذى اوشك أن تنتهى مدته ، وليس كل ما بينه وبين اتحادات الجامعات بهادىء .

ولعلى أبدى ملاحظة بسيطة وهى ان قطاع الطلاب مع احترامى له لا يمثل الا نسبة ضئيلة من الشباب وان هناك قطاعات شبابية عريضة فى مواقع العمل الانتاجى وفى الريف .

● احمد دمرداش تونى

فى الواقع لقد تفضل السيد امين الشباب بتلخيص ما يخص منظمة الشباب ، الا أن منظمة الشباب قد حصرت جهدها فى ٢٠٠ الف شاب ، وهذا العدد لا يمثل سوى ١٠ فى المائة من مجموع الشباب .

لا شك أن منظمة الشباب تقوم بدورهام لانها تقدم الكوادر السياسية والطلائع التى نحتاج اليها ، لكن اهم من ذلك هو ان نعنى بباقى قطاعات الشباب ،وعلى سبيل المثال وزارة التربية والتعليم اذ تضم ٥ ملايين شاب، اى ربع شباب الجمهورية

واذا رجعنا الى الاجهزة الخاصة بالشباب ولنبدأ من تاريخ قيام الثورة فى سنة ١٩٥٢ ، وكان من اهدافها ان تضع الشباب موضع الاهمية الكبرى فانشأت المجلس الاعلى لرعاية الشباب ويمكن سرد تاريخ السلبيات والايجابيات والمكاسب وما لم نستطع تحقيقه فى فترة عمل المجلس الاعلى لرعاية الشباب ، ثم تكونت وزارة دولة للشباب ثم تكونت وزارات متتالية للشباب وبعد الغاء وزارة الشباب الاخيرة انشىء المجلس الاعلى للرياضة وهو يختص بالناحية الرياضية .

وكعضو لجنة اوليمبية دولية استطيع ان اقول ان السبب فى عدم وصولنا الى المستوى المناسب هو انخفاض مستوى اللياقة البدنية بين الشباب . وقد لمس السيد السكرتير الاول نقطة جوهرية عندما قال بضرورة الاتجاه نحو الريف وشباب الريف ، والواقع يجب أن تعمم انشطة شبابنا على اوسع قاعدة .



احمد فراج



احمد دمرداش تونى

وباعتبارى مقررا للجنة الشباب فى مجلس الشعب اقول اننا قد درسنا هذا الموضوع فى مجلس الشعب ووضعنا بعض القرارات والتوصيات ورفعناها الى السادة المسئولين كما وضعنا بعض الدراسات لبدء النشاط الرياضى .

واخيرا انبه الى نقطة هامة وهى اننا لا ينبغى ان نجمد او نوقف نشاطنا فى انتظار نتائج ما ستسفر عنه دراساتنا، بل يجب ان ندعم كل نشاط قائم .

● الدكتور كمال ابو المجد

ان ما ينبه اليه الاخ الاكبر الاستاذ تونى من مراعاة عدم توقف النشاط بغرض البحث ، قد اثير فى لجنة العمل وكان توجيه السكرتير الاول فى

هذا هو ضرورة تدعيم العمل القائم حتى يقف على قدميه ما هو افضل منه .

ويبين من حديث الاستاذ التونى ، ومن الحديث عموما ان الهيئات التى تعمل فى قطاع الشباب لا تغطى كل قطاعات الشباب او انشطته ، وان هناك جزءا ساقطا من الاختصاصات الواجب تأديتها للشباب ولا تتولاه احدى هذه الهيئات وهذا الجزء يجب ان يتحول الى واقع يدعم حتى يعطى نتائجه ..

وارجو من الاستاذ التونى بصفته مقررا للجنة الشباب فى مجلس الشعب ان يضع بين يدى هذه اللجنة الدراسات التى تمت فى المجلس سواء منها ما يتعلق بقطاع الرياضة او القطاعات الاخرى .

وبالنسبة لمنظمة الشباب فان نشاطها لا يقتصر على اعضاء المنظمة فحسب بل ان نشاطها موجه نحو شباب مصر كلها .

ومما يذكر ان وزارة التربية والتعليم تمضى مع الشباب فترات اطول مما نمضيه معها ولابد ان يتم التنسيق بين الهيئات العاملة فى حقل الشباب .

● **السيدة سلوى رفعت**

اقترح ان نعطى الاولوية لدراسة ورقة العمل بالتفصيل ثم ننتقل الى التنظيم الشبابى فندرسه بتفصيلاته ايضا .

واذا كان للجنة حق اقتراح ضم بعض العناصر فاننى اجد ان اللجنة ينقصها تمثيل الاجتماعيين من العاملين فى حقل الشباب .

● **الدكتور كامل ليلة**

الاحظ ان العرض الذى عرضه السيد الامين ان المطلوب من اللجنة هو ان تبدى رأيها فى وضع التنظيم الكبير وهو التنظيم الام ، وهذه مسألة بالغة الاهمية ، ولا تستطيع اللجنة ان تبدى رأيا سليما فيها الا بدراسة التنظيم الام من جميع نواحيه .

اذن لابد ان تقوم اللجنة بدراسة ورقة العمل دراسة مفصلة حتى يتسنى لها الاجابة عن هذا التساؤل .

● **الدكتور كمال أبو المجد**

يقول الاستاذ كامل ليلة ، أن موضوع الشباب يرتبط بالتنظيم الام واتخاذ أى موقف فى شأنه يقتضى دراسة كاملة وكافية لكل أوضاع التنظيم الام الواردة فى ورقة العمل . هل هناك من حديث حول هذا الرأى ؟

● **مصطفى كمال**

فى تصورى أننا كلجنة شباب يجب أن ندرس تنظيما متكاملا من الناحية التنظيمية والفكرية والثقافية والسياسية . ونحن فى محتوانا — ونحن نناقش التنظيم الشبابى — نمثل جميع اللجان الاستشارية الاخرى ولارتباط التنظيم الشبابى فى قوته وفى عمله بقوة ومفهوم وعمل التنظيم الام أرى ألا يبدأ العمل داخل لجنتنا الا بعد أن تخلص جميع اللجان الاستشارية الاخرى الى وضع تصور محدد وتتفق جميعها داخل لجنة العشرين الى مفهوم عمل الاتحاد الاشتراكى .

وعليه أقول يجب أن يوضع أمامنا جميعا تصور لما تنتهى اليه لجان العمل الاستشارية بالتحديد وأولا بأول .

واننى لا ارى أن ننقسم الى لجان لنناقش ورقة العمل او لكى نتحرك فى ورقة العمل ، لان تحركنا داخل ورقة العمل يمثل فكرا استشاريا اما أن يؤخذ به واما لا يؤخذ به ، واذا ما أعطى لنا خلاصة ما تصل اليه اللجان الاستشارية استطعنا فى ضوئه أن نحدد مفهوم العمل داخل التنظيم الشبابى .

ان نقاشنا لورقة العمل ككل لا يفيد القضية اساسا لكن الذى يفيدنا هو أن توضع أمامنا جميع الدراسات التى تتوصل اليها اللجان الاستشارية الاخرى .

● **الدكتور كمال أبو المجد**

ان لجنة العشرين ستستمر فى عملها وستبدأ اللجان الاستشارية فى عملها تباعا فاذا أجلنا عمل لجنة الشباب هذه فستقوم اللجان الاخرى بعمل نفس الشىء .

الامر الثانى هو ضرورة أن تحاط اللجنة علما بما يجرى فى لجنة العمل واللجان الاخرى والواقع اننا لا نستطيع أن نتوقف لان اضافة فكرنا الى لجنة العشرين مطلوب .

والمطروح الان هو ثلاثة أمور هى :

● هل نبدأ بمناقشة ورقة العمل بما فيها من قضايا .

● أم نركز على دراسة موضوع الشباب .

● أم نقسم هذه اللجنة الى لجان فرعية تناقش كل منها موضوعا من ورقة العمل .

● **مصطفى كمال**

ان عدد أعضاء لجنتنا لا يسمح بتقسيمه الى

لجان ومن المعروف كلما قل العدد كلما كانت هناك زوايا غير مرئية ٠

ومن المطلوب عندما نناقش التنظيم الشبابى أن توضع أمامنا التصورات التى وصلت اليها لجنة العشرين أولا بأول ٠

● **عبد الواحد أحمد بصيلة**

اننا عبارة عن لجنة استشارية للجنة العمل فى قطاع معين هو الشباب وفى رأيى أن نهتم أساسا بالتنظيم الشبابى فيما يتعلق بعضويته وارتباط هذه العضوية بعضوية الاتحاد الاشتراكى أو التنظيم الام ٠

كذلك نستطيع أن نناقش أسلوب العمل مع التركيز على علاقة التنظيم الشبابى بالاجهزة التنفيذية والاجهزة المعاونة كالنقابات واتحادات الطلاب ثم دوره فى العمل الجماهيرى ٠٠٠ ففى رأيى ان نركز على موضوع الشباب ولا نضيع وقتنا ٠

● **الدكتورة آمال عثمان**

[كلية حقوق جامعة القاهرة] .

فى رأيى أن اللجنة اذا بدأت بمناقشة ورقة العمل تفصيلا ستستغرق وقتا طويلا مما يبعد اللجنة عن مهمتها الرئيسية التى هى أساسا مناقشة مسائل الشباب ، فى حين أن ورقة العمل تعرض قضايا عامة لا يمكن مناقشتها فى الزمن المطلوب ٠

لذلك أقترح أن تركز اللجنة عملها على مشكلة الشباب وتنظيم منظمة الشباب بوجه خاص على أن تتابع اللجنة ما انتهت اليه اللجان الاخرى فى باقى القضايا حتى يمكن أن تنتهى الى نتائج مقبولة فى هذا الموضوع ٠

● **الدكتور كمال أبو المجد**

من باب التنظيم هناك رأيان نسمع كل منهما ، الرأى الاول : اننا نتناول ورقة عمل مكتملة مع التركيز على موضوع الشباب ٠ والرأى الثانى : التركيز على الشباب ولا نمس أمورا أخرى فهل هناك أية اختصاصات لاى من الاقتراحين ؟

● **احمد فراج**

هناك اضافة للاقتراح الثانى وهو انه عندما نفرغ من قضيتنا الرئيسية وهى الشباب ليس هناك ما يمنع من ان نتناول بقية الامور ٠

● **عبد المنعم وهبى**

هناك ثلاث نقاط يجب مناقشتها وهى :

١ ــ تدعيم المنظمة ٠

٢ ــ تدعيم الجهاز الام ٠

٣ ــ خدمات الشباب ٠

واقترح ان نبدأ باستعراض ورقة العمل بشكل عام مع التركيز على انشطة الشباب ٠

وبالنسبة لخدمات الشباب فهناك اكثر من جهاز ، وأود أن أقول أن اللجنة الاولمبية بتشكيلها الحالى (غير سليم) وقد اقترحنا التعديل ، لان اللجنة تتكون من ٣٢ عضوا ، ومن ضمن اختصاصاتها انها مسئولة عن نشر الرياضة ، وهذا غير سليم ايضا لان اختصاص اللجنة الاولمبية فى اى مكان فى العالم يقتصر على النشاط الاولمبى وعدد اعضائها لا يزيد عن ١٢ عضوا فقط ٠

اما بالنسبة للمجلس الاعلى للرياضة فخدمات الشباب ما هى الا احدى الانشطة المتعددة التى وقعت على اللجنة العامة الرياضية مباشرة ، ولجنة الشباب والاتحادات الرياضية يقيمها قطاع يسمى قطاع البطولة ، وهناك قطاع آخر وهو التربية الرياضية ويتضمن التربية والتعليم والتعليم العالى ، ثم قطاع العمال والفلاحين وهناك قطاعات اخرى منها اعداد القادة فى شتى المجالات ثم قطاع الملاعب ٠

والمجلس الاعلى للرياضة عندما يباشر عمله فانما يهدف اولا الى نشر الرياضة على مستوى جميع افراد الشعب بما فيهم الشباب الذى يحتل حوالى ٦٠ فى المائة ــ ٧٠ فى المائة من المواطنين ويقتضى هذا ربطه بالبيئة او العاملين فى المصانع ٠

وقد اشار السيد السكرتير الاول الى موضوع الاندية الريفية فى الخطة العشرية فقد اقترح انشاء ثلاثة آلاف ناد ريفى ، وعندما نوقش هذا الاقتراح قبل ووفق عليه ، كما اعتمد مبلغ ٣ ملايين من الجنيهات بحيث يخصص لكل ناد ١٠٠٠ جنيه على أن توفر القرية الارض المطلوبة لهذا النادى ٠

وتبرز نقطة هامة وهى : هل خدمات الشباب يتولاها جهاز واحد ام جهازان ؟ وهذا الموضوع لابد ان يأخذ حقه من الدراسة لاهميته ٠ وشكرا ٠

● **الدكتور كمال ابو المجد**

هناك الان اقتراحان :

الاول : ان نناقش موضوع الشباب لانه جوهر عمل هذه اللجنة ٠

الثانى : ان نناقش ورقة العمل موضوعا موضوعا وبالتفصيل ٠

● الدكتور كامل ليلة

فى الحقيقة ان اللجنة التى نتشرف بعضويتها وضعها يختلف عن باقى اللجان الاستشارية الاخرى ، فهل نذوب فى اللجان الاستشارية او نستقل عنها لا ونبدأ مهمتنا .

● الدكتور كمال ابو المجد

نعتبر هذا كلمة فى جانب الاقتراح الاول ونستمع الى كلمة فى جانب الاقتراح الثانى .

● احمد تونى

اقترح ان ندرس موضوع الشباب وعلاقة منظمة الشباب بالتنظيم الام أولا ، ولا يمنع هذا من دراسة اى موضوعات اخرى حتى لا يضيع الوقت .

● الدكتور كمال ابو المجد

ارى ان نصوت على هذين الاقتراحين .

● احمد فراج

حتى يكتمل الاقتراح الاول وهو عرض ورقة العمل ككل . ارى ان يضاف اليه راى اخر هو ان تندمج هذه اللجنة فى سائر اللجان الاستشارية الاخرى .

ومن قضية الشباب لها الاولوية بالنسبة لنا على ما عداها من القضايا الموجودة فى ورقة العمل .

● الدكتور كمال ابو المجد

يشرفنا بعض السادة اعضاء اللجنة العامة فى هذا الاجتماع السيد الدكتور احمد درويش والسيد الدكتور محمد دكرورى والسيد الدكتور حسن اسماعيل . ونود ان نستمع الى ارائهم بالنسبة لهذه القضية .

● الدكتور محمد دكرورى

فى تصورى أن لجنة العمل واللجان الاستشارية مجتمعة وحدة واحدة ، فلولا ظروف المجتمع وصعوبتها .. لكانت هذه اللجان الاستشارية هى لجنة العمل ، واخلص الى ان لجنة العمل لها مسئوليات محددة فى انها تكاد تكون لجنة اللجان الاستشارية وهذا يعنى ان اللجان الاستشارية مهمتها ليست تخصصية فقط وانما لها اختصاص عام ولهذا فينبغى على لجنة الشباب مناقشة كل القضايا من خلال اللجان الاخرى لمحاولة الاتفاق على تصور عام لشكل الاتحاد يكون منطلقا للدراسة المتخصصة وهذا يكون اجدى .

ومعنى هذا انه فى البداية وفى المراحل الاولى تخصص اللجان الاستشارية بعض الوقت لدراسة التصور العام فى الموضوعات المختلفة فى ورقة العمل ، على ان يكون هناك باستمرار حركة صاعدة من اللجان الاستشارية الى لجنة العمل ، وفكر ينزل من لجنة الى اللجان الاستشارية حتى يتفاعل الكل ، بمعنى أن نسير فى خطوط متوازية لا متوالية ، وقد تفكر اللجنة فى تصور التنظيم الشبابى سواء فى درجة ارتباطه أو استقلاله قبل أن تتصور شكل التنظيم الام ، وهل هو تنظيم الكثرة أو هو تنظيم القلة المختارة ؟ .

كل هذه اسئلة اخشى ان يبذل فيها جهد يتكرر فى باقى اللجان ، بل يجب أن تتكامل الجهود فى الاطار العام للتنظيم السياسى ولتشكيل هذه اللجان .

● الدكتور احمد درويش

من مهمة هذه اللجنة ابداء الرأى فى العموميات وايضا فى الخصوصيات الخاصة بالشباب .

ولا يمكن ان نعنى بالشباب فقط دون العناية بمجريات الامور فى الوطن جميعا ، لان الشباب لا يمثل طبقة وانما يمثل قطاعا متداخلا فى جميع الطبقات . ويجب ان يقول الشباب كلمته بصراحة ، ومن هنا فان ورقة العمل تكون صالحة لان يصوت عليها للدراسة والتمحيص ولتأخذ فيها ما تشاء من وقت لان لجنة العشرين تعتمد على اللجان الفرعية لا لتنفيذ ما تقوله لجنة العشرين ، ولكنى على ما أعتقد أن الرأى منعقد على أن يكون عمل لجنة العشرين هو محصلة اللجان الاستشارية .

من هنا فان التصويت غير وارد لان من مهمة اللجان وتشكيلها ان تقول كلمة عامة فى الموضوعات المختلفة التى تمس جميع القطاعات .

● الدكتور أحمد كمال ابو المجد

هل نبدأ بالشباب أو بالقضايا الاخرى ؟

● الدكتور اهاب اسماعيل

اقترح ان تشكل لجنة صغيرة من داخل هذه اللجنة تجتمع مع السيد أمين الشباب وتقوم بوضع ورقة عمل فرعية نسير عليها ، حتى يمكننا ان نبدأ العمل .

● الدكتور كمال أبو المجد

هل يمتد عملنا الى دراسة كل القضايا الواردة بورقة العمل ؟

(موافقة بالاغلبية)

ويبرز سؤال الان هو كيف يتم هذا ؟
ان ورقة العمل الرئيسية حددت الامور التالية :

اولا ـ اعادة النظر في قانون الاتحاد الاشتراكي •
ثانيا ـ علاقة التنظيم السياسي بالاجهزة التنفيذية •
ثالثا ـ الانفتاح على الجماهير •
وهناك أسلوبان محددان :
أولهما : هل نقسم ورقة العمل ونناقشها بندا بندا بطريقة مسلسلة ؟
والثانية : هل نتناول القضايا قضية بقضية •
حيث أن اللجنة الرئيسية ستعرض لكل هذه المسائل ، وبذلك نكون فعلا محتاجين للجنة داخلية •

● **عبد المنعم وهبي**

أرجو عند اعداد ورقة العمل أننا نتناول الرد على التساؤل الذى تقدمت به لجنة العمل عن العلاقة بين اللجان الفرعية واللجنة العامة ، فهل تدرس اللجنة هذا ثم نأخذ حصيلة هذه الدراسة وتجمع وترفع الى لجنة العمل ؟

● **الدكتور كمال أبو المجد**

اذا تناولنا موضوع الشباب نجد أن لجنة العمل حددت قضايا عامة ويبدو أنها بحاجة الى معرفة رأى اللجان الفنية فى هذه القضايا •

● **علاء قاسم**

حتى تكون دراستنا جادة فاننا نحتاج الى فترة من الوقت للاطلاع والدراسة ، كما نطلب توفير ورقة العمل الكاملة •

● **الدكتور كمال أبو المجد**

بعد هذا الاجتماع سنوفر ان شاء الله ورقة العمل لكل الاعضاء ولكن الاجتماع المقبل كيف سيكون ؟

هل سيحاول السادة الاعضاء الاجابة عن التساؤلات المطروحة ؟

● **الدكتور عبد الحميد بصيلة**

فى رأيى أننا نبدأ بتشكيل لجنة صغيرة تفوض منا لعمل تصور لورقة العمل الكاملة حيث ان اللجنة تستمد عملها من هذه الورقة ، على أن توافى بما يجد من دراسات بحيث نستطيع ان نكون رأيا •

● **أحمد تونى**

أقترح أن ينحصر عمل اللجنة فى تخصصها ، وهو قضية الشباب فقط • وعلى كل منا ان يقدم تصوره عن هذا الموضوع •

● **الدكتور كمال أبو المجد**

ان هذه اللجنة بالاضافة الى أنها لجنة استشارية الا أنها جهاز متخصص فنى فى القضايا التى تتعلق بالشباب ، فالعملية ليست عملية دراسة دون حساب للوقت ، ولكن هناك عملا لابد وأن يتم ونحن كلجنة استشارية فى عمل الشباب فالقضية المطروحة الان هى توحيد قضايا الشباب فى مصر فما الوقت المخصص ؟ سؤال سنجيب عنه فى الاجتماع القادم ، ولكن عامة هناك عمل يجب أن يتم •

● **حسام عطعوط**

بالنسبة لتشكيل لجنة أخرى فى تصورى أن ذلك سوف يدخل حساسيات كثيرة ، والنقاش نفسه هو الذى سيحدد ورقة العمل الذى نسير عليها •

● **الدكتور كمال أبو المجد**

ان الموجود فى ورقة العمل هو الاتى :

وظيفة الاتحاد الاشتراكى وعلاقته بالاجهزة التنفيذية ، والتنظيم الداخلى وتعديل قانون الاتحاد الاشتراكى وموضوع الشباب ، واستقر رأى السادة الحاضرين على أن تشكل لجنة العمل من :

السيد / محمود مقلد •
السيد / د• اهاب اسماعيل •
السيد / د• على صادق •
السيد / حسام عجرود •
السيد / على قاسم •

وسوف نتصل بحضراتكم لتحديد ميعاد الاجتماع المقبل ان شاء الله •
وشكرا

وانتهى الاجتماع فى الساعة ٣٥ر١ •

تعليــــق
على المناقشات

التناقضــــات ..
بــين الكلمــــات المتشــــابهة

د . رفعت السـعيد

قد يبدو الامر غريبا بعض الشيء ؟ أن تمضى سنوات عديدة على قيام تنظيم سياسى والاتفاق على صيغته ، ثم نكتشف أن ثمة خلافات جوهرية حول كثير من المسائل المبدئية المتعلقة بشـــكل التنظيم وأهدافه وأساليب عمله ..

لكن الخلاف قائم ، وهو واقع موضـــوعى ، وما من جدوى لستره ، بل أن كل ما نعانى منه من تفاقم الاختـــلاف فى وجهات النظر نابع فى الاساس من محاولات ســـابقة لطمس أوجـــه الخلاف .. ولم يعد ثمة مناص من أن نواجـــه الموقف على حقيقته وبكل تناقضاته .

ويبتدىء الخلاف منذ النقطة الاســـاسية فى الموضوع كله .. ماهى طبيعة الاتحاد الاشتراكى كوعاء سياسى ، ويثور السؤال التقليدى حـــزب أم تحالف أم جبهة ؟

غير أن الخلاف اعمق من أن يبسط فى تساؤل كهذا ؟ فحتى هؤلاء الذين يقولون أنه تحـــالف يختلفون ، فالبعض يرى أن الصيغة الراهنة للتحالف غير صحيحة ، فانها « تحالف بين أفراد » ولابد أن تصبح « تحالفا بين طبقات — **ســـعد الدين وهبه** » . **والشيخ بيصار يجد فارقا كبيرا** بين أن يكون الاتحاد الاشـــتراكى « ممثلا لقوى الشعب العامل ، وبين أن يكون تحالفا لقـــوى الشعب العامل »

بينما يرى البعض الاخر « انه ليس حزبا ولا جبهة ولا تحالفا ، وانما هو مجرد منتدى سياسى ، ... ليس تحالفا وليس جبهة ، وانما فى رأيى انه مجرد تجمع أفراد .. — **د. محمد الخفيف** » . وينطلق **الدكتور الخفيف** من ذلك ليطالب بأن يكون الاتحاد الاشتراكى « تحالف طبقات ، ويكون لكل طبقة تنظيمها المستقل داخل الاتحاد الاشتراكى » بينما يكتفى آخر « بحزبيات وليس احزابـــا —

د. **حسين فوزى** » ، فى حين يطالب **خالد محيى الدين** بالاعتراف بوجود تيارات سياسية واتاحة الفرصة أمام تكوين « نوادى سياسية » تمثل هذه الاراء .

واذا جاز لنا أن نتتبع نقاط الخلاف بحثا عن الواقع الفعلى فثمة خلاف هام آخر حول طبيعة العلاقة بين قوى هذا التحالف ، .. فاذا قلنا ان التحالف يقوم بين طبقات « فبالتالى سيكون هناك جزء نتفق عليه .. كما أن هناك اعترافا بوجود صراع بينهما .. فهل نحن مستعدون للاعتراف بأن هناك صراعا بين قوى التحالف لان بينها تناقضا ؟ » [سعد وهبه]

وتتطور فكرة تأكيد وجود الصراع الطبقى ليستخلص منها **احمد عباس صالح** ، رأيا محددا فهو يقول « نريد تمثيلا سياسيا ، بمعنى أن التجمعات الشعبية تتجمع وراء فكر سياسى وايديولوجية سياسية ، فكر معين متكامل له وجهة نظره وفلسفته » .

ان فكرة التحالف رغم بساطتها ، ورغم انها تبدو بديهية ، الا انها تقودنا حتما — ومن خلال التحليل المنطقى — الى عدد من الضرورات يتلفت الكثير من المتناقشين بحثا عنها فلا يجدونها ..

فالتحالف بين طبقات .. اذن لابد له من ممثلين متميزين لهذه الطبقات ، ولكل طبقه فكر ورأى ومصالح .. اذن لابد من تنظيم علاقة حية ومتفاعلة بين آراء وأفكار ومصالح طبقات التحالف ..

والتحالف بناء سياسى يقوم على أساس اقتناع حر والتقاء اختيارى بين طبقات معينة لمرحلة محددة ، ومن أجل أهداف متفق عليها ، لكن **نجيب محفوظ** يلاحظ أن « الاتحاد الاشتراكى تحالف لقوى الشعب العاملة ؛ ولكنه تحالف مفروض ومن هنا فانه لايمثل التحالف »

لكن البعض يقبل التحالف ويرفض فكرة الصراع ربما تصوروا لان الصراع عمل أخلاقى بين أطراف تحالف واحد . **والدكتور محمد دكرورى** يرفض القول بفكرة الصراع الطبقى قائلا « أن مشكلة الاتحاد الاشتراكى ليست مشكلة طبقات وصراع طبقات ، انما هى مشكلة تنظيم الحياة فى مصر ، مشكلة تنظيم العلاقة بين السلطات .. »

كذلك يمتد الخلاف الى تحديد فئات التحالف **فالدكتور الخفيف** يتساءل بشكل عابر : هل يمكن اعتبار الرأسمالية الوطنية ، أحد قوى التحالف فى تنظيم يسعى لبناء الاشتراكية ؟ » وقد أوضح د. الخفيف انه لايعترض على ممارسة الرأسمالية الوطنية لدورها الوطنى والنضالى ، لكنه فقط يتساءل عن مدى رغبتها فى الاستمرار فى معركة البناء الاشتراكى .

والحقيقة ان هذا التساؤل العابر يثير قضية تستحق التأمل ، فالرأسمالية الوطنية التى أمكن جذبها تحت ضغط قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين الى تحالف ينشد الاشتراكية ، ليس من المتصور أن تبقى طرفا أصيلا فى هذا التحالف الاشتراكى الى الابد .. وهى لكى تبقى يجب أن تطرأ عليها تغيرات جذرية تمس تركيبها العضوى مساسا حاسما ، لقد تحددت قوى التحالف فى ظروف محددة ، وحصلت الرأسمالية الوطنية شكليا على جزء من سلطة التحالف لكنها استحوذت من الناحية الفعلية على اكثر مفاتيح السلطة الحقيقية ، ولعل هذا هو بالتحديد الذى يثير كثيرا من الشكوك والتساؤلات حول قيمة التحالف وجديته .

والتحالف أولا وأخيرا مسألة جدلية تخضع لعوامل موضوعية كثيرة ويتعين لكى تتعزز مسيرته فى اتجاه الاشتراكية ولكى يصبح قادرا بالفعل على انجاز مهام التحول الاشتراكى أن تزيد مشاركة العمال والفلاحين ، وأن يقل بنفس القدر ماتستحوذ عليه الرأسمالية الوطنية من نفوذ .

هكذا تتحدد المعالم الاساسية للخلاف فى وجهات النظر ، لكن الشيء الاكثر خطرا فى هذه الخلافات هو محاولة تبسيطها أو كما يقولون تسطيحها ، ذلك انه فى وعاء مثل الاتحاد الاشتراكى يضم قوى سياسية واجتماعية وفكرية مختلفة بل ومتناقضة ، نجد أن التعبيرات اللفظية قد تتلاقى فى بعض الاحيان ولكن من منطلقات ولاهداف مختلفة تمام الاختلاف . فعندما يطالب **لطفى الخولى** بأن يكون « الاتحاد الاشتراكى مسئولا عن أن يوفر المناخ والمنبر والاداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين فى ممارسة العمل السياسى » فانه يختلف فى الهدف والمنطلق عن شخص آخر يطالب « بأن توسع الدائرة بحيث تشمل كل المجتمع وتحشد كل القوى » أو عن شخص يطالب باتاحة الفرصة « لاى رأى أيا كان » .

وربما استطاع **حمدى غيث** أن يبين الفارق بين الفكرتين عندما أكد على حقيقة أن « هذا الاتحاد يجب أن يكون اشتراكيا ، وليس اتحادا بين أحد أيا كان أو أشخاص أيا كانوا » كذلك

يطالب **سعد وهبه** بالا ينضم للاتحاد « الا أصحاب المصـــلحة »

وهكذا فان الدعوة للانفتاح تنطلق من منطلقين مختلفين بل ومتناقضين : فالبعض يطرحها كسبيل لتصحيح الموقف المتخذ من بعض القوى ، بينما يردد البعض الاخر نفس الكلمات تقريبا فى محاولة لتناسى الحذر الطبقى المفترض تواجده دوما ضد اعداء الاشتراكية .

ولعل **موسى صبرى** قد أفصح — فى موقع آخر من النقاش — عن حقيقة التناقض بين الكلمات المتشابهة ؛ عندما أشار الى حديث **د. الخفيف** حول ضرورة تكوين احزاب فى اطار الاتحـــــاد الاشتراكى .

وهكذا فان الدرس الهام الذى يتعين علينا الانتباه له فى حرص ونحن نستعرض الاراء التى تتداول فى نقاش كهذا . هو ان الاتفاق اللفظى يجب الا يخـــدعنا ، فلنتأمل الكلمات والمواقف والمواقع الطبقية والفكرية فانها خير دليل يفسر المعانى الحقيقية للكلمات .

وثمة نقطة أخرى تركز حولها الجدل ، وهى علاقة الاتحاد الاشـــتراكى بالاجهزة المختلفـــة وبالســـلطتين التنفيذية والتشريعية على وجـــه التحـــديد ..

يقول **ابو سيف يوسف** « الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة التى تمثل السلطة الســـــياسية العليا لتحالف هذه الطبقات . وهذه الســـلطة هى التى توجه مجموع العمل الوطنى كله . وهى بالتالى توجه الســـلطة التنفيـــذية والســـلطة التشريعية » . لكن **المهندس سيد مرعى** السكرتير الاول للجنة المركزية يتساءل فى أكثر من موقع كيف ..؟ والى اية حدود ؟ .. وبأية ضوابط ؟ ان الحديث المجرد عن السلطة سهل للغاية لكن ممارستها فى مواجهة قوى أخرى أكثر استقرارا وأكثر رسوخا مسألة أخرى تماما .

كذلك فان النقيض لهذا الرأى يتطرف الى حد أن يصبح الاتحاد مجرد « محطة ضخمة جـــدا من الارسال والاستقبال كحلقة اتصال بين الشعب والحكومة » — **صـــلاح طاهر** . بينما يقـــول **د. حسين فوزى** انه يرى « أن يكون الاتحـــاد الاشتراكى صورة صادقة لما يحدث بين الحجرات وبين النوادى وفى كل مكان ، وأيضا بين أفراد الشعب » . **ويطالب د. محمد خلف الله احمد** بأن « يصبح الاتحاد مدرسة سياسية : وأن يصبح برلمانا جماهيريا حرا .. يتكلم منه الشعب بحرية وبأى رأى » **بينما يرى سعد وهبه** « أن الاتحاد الاشتراكى لم يكن يوما مركزا لسلطة فعلية ، ذلك أن السلطة الفعلية فى مصر كانت منذ قيام الثورة أقوى من اطارها السياسى وأقوى من اطارها القانونى ، وبالتالى لم تفترق كثيرا صيغة هيئة التحرير عن صيغة الاتحاد القومى ، عن صيغة الحزب الواحد » .. وذلك لان القوة الفعليـــة كانت مركزة فى مكان آخر .

وهذا فى اعتقـــادنا هو الجـــوهر الحقيقى للمشكلة .. ذلك أن أى تنظيم سياسى يستطيع أن يتخيل لنفســه ما شاء من سلطات ، غير أن الفارق بين الخيال والـــواقع تحـــدده عنـــاصر موضوعية يتعين مراعاة تغييرها قبل أى شىء آخر .. ذلك أن توزيع السلطة يتبع قـــانونا محددا يقول أن تمركز السلطة فى جانب يحجبها عن الجانب الاخر ، ولا سبيل مطلقا لمنح هذا الجانب الاخر أى قدر اضافى من السلطة الا بتقليل تمركزها فى الجانب الاول ، والنقـــاش قد يدور لاشهر طويلة حول البحث عن سلطات الاتحاد الاشتراكى وتحديد اختصاصاته وعلاقاته ، لكن الكلمات تبقى دوما فى اطار غيـــر مؤثـــر مالم تلتق بعناصر موضـــوعية تضعها موضـــع التطبيق .

واذا كانت هذه العناصر الموضوعية لم تتوفر بعـــد فـــلا ســـبيل الا بايجـــاد مهرب ، وتبحث **فايدة كامل** عن المهرب الامن فتطالب الاتحـــــاد الاشتراكى بأن يتولى « مهام محددة لها قيمتها الجماهيرية مثل تنظيم الاسرة ومحو الامية ويكون مسئولا عن تنفيذها بالكامل . »

والامر الان ينحصر فى البحث عن واجبـــات لشغل فراغ يشعر به التنظيم السياسى . ولسنا ضد أن يهتم الاتحاد الاشتراكى بمثل هذه القضايا بشرط أن تكون سبيلا لعمل سياسى محدد يستهدف كسب الجماهير للعمل السياسى ذاته .. والا تحول الاتحاد الاشتراكى الى جهـــاز بيروقراطى خال من السياسة .

لكن **عبد العزيز الدسوقى** يرفض فكرة **فايدة كامل** ويتجه سريعا الى النقيض قائلا « نحن فى الواقع نريد أن يتحول هذا التحالف الى جهـــاز سياسى ينظر الى الامور السياسية فقط ، فـــلا أريد أن يأتى الاتحاد الاشتراكى ليمحوا أميـــة لبعض الناس أو أن يعطى بعض الناس خدمات معينة ، ولـــكننا نريد أن يتحول الى مؤســـسة

سياسية » . وهذه محاولة للفصل الميكانيكى بين العمل السياسى المجرد وبين النشاط الجماهيرى لخدمة الاهداف السياسية . وهذا الرأى يريد أن يسلب الاتحاد كل ما يعن له من قدرة على الاتصال بالجماهير وعلى ممارسة دور فعلى فى صفوفها . كذلك فاننا اذا ما أسقطنا من حسابنا واجبات الكادر السياسى فى ممارسة العمل اليومى لخدمة الجماهير فاننا نفقد التنظيم السياسى مقياسا هاما وأساسيا لتقييم الكادر .. ولا يبقى لنا الا مقياس تالف هو القدرة على الكلام المنسق وترديد شعارات براقة شبعت منها الجماهير الى حد التخمة .

واذا كانت الخلافات قد احتدمت حول كثير من القضايا الاخرى ، فان نقطة واحدة تبقى محلا لاتفاق الجميع وهى « ضرورة الغاء كافة القوانين التى تجعل هناك قيودا على حرية الناس — خالد محيى الدين » .

.. « أعتقد أن الادباء والصحفيين يريدون أن يتكلموا حول حرية الصحافة وحرية النقد ، وحرية المسرح .. ولا شك أن هناك قيودا كبيرة على هذه الحرية ، وان هذه القيود لا ضابط لها بحيث اننا نحن الذين نكتب لا نعرف ماذا يمكن أن يقال وماذا يمكن الا يقال — ثروت أباظه » .

.. **ونبيل الالفى** يقول « المعارضة ضرورية ، وكل نظام حكم لا يستطيع أن يستغنى عن نوع من المعارضة » .

وهكذا تظل قضية الحريات محورا تتجمع حوله كافة الاطراف ، ومطلبا شاملا للامة كلها ، ذلك ان التجربة العملية قد أثبتت — بما لا يدع مجالا لاى شك — ان افتقاد الحريات السياسية والفردية هو عنصر أساسى فى كل ما نعانى منه من ضعف العمل السياسى وسلبية كوادره .. ذلك أن العمل السياسى هو فى جوهره عمل اختيارى وما لم يتمتع القائمون به بقدر كاف من الحرية والمشاركة والمسئولية والقدرة على النقد والتصحيح ، فان السلبية والعزلة ستكون المصير الحتمى الذى يتجهون اليه ان آجلا أو عاجلا .

واخيرا . تبقى بعض الكلمات المريرة ، تلخص كل صعوبة التجربة مثل عبارة **سعد وهبه** « عندما استرجع نشاط الاتحاد الاشتراكى فى الفترة الماضية أرانى نادما على كل وقت أقضيه فى حضور اجتماعاته .. » .

وتساؤل أشد مرارة يردده **د. محمد دكرورى** « هل يراد أن يكون فى مصر تنظيم قوى ! ؟ .. »

وبين مرارة الكلمات ومرارة السؤال تمضى تجربة الاتحاد الاشتراكى بحثا عن طريق .



عن قضية الديمقراطية والمشاركة فى السلطة

محمد حلمى ياسين

تعكس المناقشات الدائرة فى لجنة العمل ولجانها الاستشارية صورة حية لما يموج به المجتمع المصرى اليوم من أفكار وصراعات .

وهذا الحوار ليس الا جانبا من حوار أوسع وأكثر شمولا وأكثر التصاقا بالواقع تشهده الكثير من اجتماعات لجان الاتحاد الاشتراكى، فقد حصلت بعض لجان المحافظات والاقسام على ورقة العمل — وقامت بطبعها وتوزيعها وجرت حولها مناقشات .

وفى كل الحوار المنشور وغير المنشور — يمكن للانسان أن يجد العديد من النقاط الايجابية ، ولكن أغلبه يكشف المواقع الفكرية والولاءات الطبقية لاصحابه .

واذا استبعدنا ذلك النفر من ذوى المراكز السياسية أو الوظيفية — والذين لا خبرة لهم بقضايا التنظيم السياسى من قريب أو بعيد — وهم لا يزيدون خلال مشاركتهم فى أعمال هذه اللجان عن أى مواطن بسيط نسعى لقياس وجهة

نظره ومشاعره ازاء نشاط التنظيم الخارجي وسط الشعب ــ بل اننا قد نجد لدى المواطن الشعبى البسيط من الحس وصدق الشعور ما يجعل حكمه أكثر صحة من هؤلاء وربما كان أكثر فائدة على ضوء نتائج العمل نفسه لو وجد مكانهم فى لجنة العمل ولجانها الاستشارية عدد من قيادات لجان الاقسام .

وقد نتفق أو نختلف مع الافكار والمقترحات التى قدمتها مثلا اللجنة المشكلة من بعض امناء المحافظات ولكن الامر الذى لا شك فيه ، انها تعبير عن مشاكل ومعاناة حقيقية ووجود بعض امناء الاقسام النشطين فى اطار لجنة العمل وفى ذلك الوقت المبكر من المناقشات كان يغنى المناقشة من واقع التجربة الحية .

اذا استبعدنا هؤلاء النفر من التقييم ــ فسوف نجد ان المساهمين فى الحوار الجاد يمثلون عدة اتجاهات :

ــ اتجاه يحاول تمييع حدود كل شيء حققناه أو أكدته مسيرة الثورة وتحت شـــعارات« رفض النظريات » فانهم يطرحون شعار الوحدة الوطنية ودون أدنى صعوبة تكتشف انهم لا يتحدثون عن وحدة قوى الشعب العاملة ، وانما يتحدثون عن الوحدة الوطنية كما مثلها « الاتحاد القومى أقرب تمثيل » .

ان أصحاب هذا الاتجاه يريدون أن يتخذوا من قبول صيغة التحالف تكأة للعودة الى صـــيغة كالاتحاد القومى ــ بينما ان هذا القبول هو فى الحقيقة « تاكيد لثانويه التناقضات بين قوى الشعب العاملة لمواجهة التحدى الناجم من تنـــاقضها الاساسى مع الاستعمار العالمى والصهيونية ــ ولا يمكن أن يعنى باى حال العودة الى صيغة هلامية كصيغة الاتحاد القومى .

٢ ــ اتجاه يحاول وتحت جانب آخر مـــن الشعارات والجمل المكررة والرنانة عن الجماهير والالتحام بها وحل التناقضات ودعم القـــدرات يحاول هذا الاتجاه الاستمرار فى اسلوب الحلقة المفرغة ولا يأخذ فى اعتباره دروس السنوات الماضية وتجارب التنظيم السياسى خلالها .

فاقتراحات توسيع الوحدة الاساسية فى القرية بضم الطبيب وامين الجمعية والمأذون الشرعى ــ لن يؤدى الا لمزيد من التفكك والصراعات ــ وبعض هؤلاء يعرفه الفلاحون كمستغل لهم .

لقد خاض الاتحاد الاشتراكى من قبل خلال سنوات ٦٦ ، ٦٧ تجربة ما سمى باللجان القيادية ــ والتى تشكلت فى الوحدات الانتاجية من بقايا لجنة العشرين القديمة واللجنة النقابية ورؤساء الاقسام ورجال الادارة وتعثرت التجربة حتى تم تشكيل المكاتب التنفيذية .

وأى محاولة لادخال الاداريين والتنفيذيين بحكم وظائفهم فى لجان الاتحاد خطأ جسيم نتيجته الوحيدة المزيد من الشلل وسيطرة ادارية وروتينية والشكل الوحيد الممكن هو عقد الاجتمـــاعات الدورية المشتركة بين الجانبين .

ومن واقع التجربة فان صـــعوبات وتعقيدات شديدة تعرقل فاعلية الصلة بين لجنة الاتحاد والادارة ــ والاجتماعات الدورية المنظمة علـــى مستوى الوحدات يجب ان تعقد فى فترات متباعدة نسبيا (كل ثلاثة شهور مثلا) بينما يجب أن يتم على مستوى لجنة القسم اجتماع لرؤساء ادارات الوحدات التابعة للقسم مرة كل شهر وبانتظام ــ وفى هذا اللقاء تختفى الى حد كبير سلطة وهيمنة الادارات ويكون البحث والمناقشة ذات طابع سياسى وعام ولايسيطر عليه جو الصراعات الشخصية .

اما فى القرية فان تدعيم اللجان لن يكون الا عن طريق تنشيط العمل السياسى فى التعاونية وفى محو الامية وفى خدمة البيئة وفى الدفاع عن مصالح الفلاحين وحل مشكلاتهم ــ ومن يبرز فى هذه المجالات فان مكانه فى القيادة المحلية ــ يصبح أمرا طبيعيا .

٣ ــ اتجاه ثالث حاول بالاستناد الى التجارب الماضية بايجابياتها وسلبياتها والخبرة الانسانية فى قضايا التنظيم ــ حاول هذا الاتجاه ان يقدم افكارا ومقترحات لاعادة تنظيم المستويات القيادية وبشكل خاص اللجنة المركزية واجهزتها ــ وابتدع أشكالا تنظيمية تضمن الربط المباشر بين القيادة المركزية والقيادات الفعلية الوسيطة ، وكذلك مقترحات بشأن دعم دور الوحدات الاساسية عن طريق دورية مؤتمراتها ، وجدية هذه المؤتمرات وعلى اساس ان يوفر الاتحاد الاشتراكى للراغبين الامكانيات اللازمة .

٤ ــ اتجاه رابـــــع يرفض صـــيغة الاتحـــاد الاشتراكى من أساسها ويتجاوزها الى ضرورة قيام تنظيمات حزبية تتحد فيما بينها فى جبهة ــ وبالرغم من أن مهمة اللجنة محددة وملتـــزمة

بالمواثيق الاساسية للثورة وهى كلها تؤكد تحالف قوى الشعب العاملة ، وبالتالى فان هذه الفكرة خارج دائرة النقاش - بالرغم من هذا فان صوت هذا الاتجاه كان واضحا ومتميزا ، وفرض نفسه على المناقشات •

ولقد امكن الوصول خلال النقاش الى نقاط اتفاق عديدة وكلها نقاط ايجابية وبناءة - ولاشك ان اعادة تنظيم اللجنة المركزية ولجنتها السياسية والامانة وانشاء مؤتمر الكادر والعضوية الجماعية للنقابات والمنظمات الجماهيرية العمالية والمهنية والغاء الانتساب ، ودعم مؤتمرات الوحدات وتوفير امكانيات العمل للجان الوحدات كل هذه اقتراحات سوف تدمع العمل للامام ، وسوف تبقى ذات أثر محدود سرعان ما يتلاشى وتتجاوزه الحركة الشعبية ، ثم نعود لنطرح من جديد ما العمل للخروج بالاتحاد الاشتراكى من مشكلته ؟• اذا لم يحسم الموقف من قضيتين اساسيتين :

١ - قضية الديمقراطية بشقيها - توفير المناخ الديمقراطى العام فى البلاد وممارسة الديمقراطية داخل التنظيم السياسى ذاته •

٢ - قضية دعم العمل السياسى الجاد لنقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة •

ان صيغة الاتحاد الاشتراكى كاطار لتحالف قوى الشعب العاملة التى قدمها القائد الخالد **جمال عبد الناصر** فى الميثاق بعد نكسة الانفصال وفى مرحلة حضور شديد للحركة الثورية . والتى صدر بيان ٣٠ مارس فى الاساس من اجل نقل السلطة بالديمقراطية الى تحالف قوى الشعب العامل• ان هذه الصيغة ما زالت هى الصيغة الملائمة ولكنها تمتحن اليوم امتحانا قاسيا فى ظل حركة الجماهير المتدفقة نحو ساحة النضال السياسى والاقتصادى

لقد عبرت هذه الحركة الجماهيرية عن نفسها وبوسائلها فى كل موقف من خارج الاتحاد الاشتراكى ولم يستطع الاتحاد الاشتراكى ان يوفر للطلاب أو للعمال فرص النشاط أو التعبير السياسى والدفاع عن مطالبهم ودفعهم بعجز هذا للحركة من خارجه •

والحركة الجماهيرية تزداد اتساعا وتتميز بالاصرار على حرية التعبير والتنظيم للدفاع عن مكتسباتها .

ان الجماهير الشعبية لا تستطيع ان تعبر عن نفسها فى ضوء العلاقات ، والاسلوب السائد فى الاتحاد الاشتراكى • وليس من نقطة كانت موضع اتفاق عام بين معظم المتكلمين بصرف النظر عن الارضية السياسية التى ينطلقون منها •

لقد عبر الكثيرون عن « اننا كلنا نتكلم بموانع وكلنا نأتمر باوامر » وان رفض بعض المواطنين للاتحاد الاشتراكى يرجع الى أنهم محتاجون الى أن يطمئنوا الى أن الذى يقدم اليهم هو تحالف قوى الشعب وليس السلطة التنفيذية البوليسية ذات الارادة الحاكمة وذات الطريق الواحد » وانالاراء التىتقال فى الشوارع والنوادى والهيئات والبيوت وفىكل مكان لاتقال فى قاعة الاتحادالاشتراكى«وان القرارات سواء كانت سياسية او شخصية او عادية تتخذ بواسطة ومسئولية القيادة العليا باستمرار وتنال سلطة تنفيذية تاريخية فى مصر قوية جدا تشعر بأنها تستطيع أن تأخذ كل القرارات وان الاتحاد الاشتراكى يكفيه أن يبشر أو يبرر أو يلم الناس ويجمعهم •

وبينما تقف القوى الشعبية عاجزة عن القفز فوق الحواجز والموانع الموضوعة ، نجد أن قوى اليمين تندفع بكل شراسة مستخدمة فى اندفاعه كل المراكز السياسية والاقتصادية التى تحتلها فى الدولة والقطاع العام والخاص - تندفع من أجل تحويل الفرص المتاحة للحوار الديمقراطى فى ظل سيادة القانون - تندفع من أجل تحويل ذلك الى رده عن طريق التطور الاجتماعى والديمقراطى ونكوص عن المكتسبات الثورية ، واستطاعت هذه الفئات ان تكون اعلا الاصوات ضجيجا وجذبت اليها العديد من العناصر التى وصلت الى مراكزها فى التنظيم السياسى او فى مجلس الشعب بسبب خلو الانتخابات من العمل السياسى .

لقد اضطر الرئيس السادات أن يتدخل فى الحوار الدائر ليعيد التوازن بين مختلف القوى كما حدث فى خطابه يوم ١٠ يونيو وخطابه يوم ١٥ مايو .

ان التأكيد الوحيد المقبول الذى يستطيع ان يمنح صيغة التحالف ضمان الاستمرار والنجاح هو توافر المناخ الديمقراطى العام ، واتاحة حرية التعبير لكل القوى داخل التحالف حوار ديمقراطى •

ان الديمقراطية هى الوسيلة الوحيدة لدعم وتوسيع النشاط السياسى للجماهير من أجل نقل مركز الثقل داخل التحالف الى الطبقات والفئات الشعبية ، وهى السبيل لتمكين الجماهير الشعبية من أن تتصدى لهجمات عناصر اليمين التى تسعى للانقضاض علىمكتسبات الثورة ، وفرض ردهعن طريق التطور الديمقراطى والاجتماعى •

وبدون الديمقراطية سوف تتبدد كل المحاولات المبذولة لتنشيط الاتحاد الاشتراكي وسوف لا تستجيب الجماهير الشعبية اذ لم تجد في رحابه حرية التعبير دون خوف أو مساءلة ، وتوفير الحق المتميز لكل فئة داخل التحالف في أن تعبر عن مصالحها الخاصة في اطار المصالح القومية العامة المتفق عليها .

وهذه النقطة الاخيرة هي أكثر النقاط أهمية الان ، حيث يطرحها الذين ما زالوا يؤمنون بأن صيغة تحالف قوى الشعب العاملة في اطار الاتحاد الاشتراكي ، مازالت الصيغة الصالحة ـ وهي من أكثر النقاط التي قدمت فيها اقتراحات من أهمها :

- حق كل فئة في انتخاب ممثليها للمستويات القيادية .
- انشاء نواد سياسية لكل جماعة أو اتجاه
- الاتفاق الضمني على شخصيات تعتبر قائدة لاتجاه معين داخل مؤسسات الاتحاد .
- حرية النشر واصدار الصحف .



ترجيح المصالح المشتركة على المصالح المتمايزة

محمد سيد أحمد

لقد تشعبت مناقشات لجنة العمل واللجان الفرعية الى كثير من القضايا الفنية والتفصيلية حول اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي . وهذا لا شك مطلوب لتخطي الصيغ العامة وحدها ، والتوصل الى هياكل وأشكال تصلح للتطبيق . غير ان الذي أرى ابداء بعض الملاحظات حوله ، يتعلق بالقضية الاساسية ، قضية « صيغة الاتحاد الاشتراكي كتحالف لقوى الشعب العاملة » ، وهي قضية تناولتها المناقشات . ومع ذلك أرى أنها مازالت تحتاج الى تأكيد بعض المعاني بشأنها .

فأي تنظيم سياسي اذا أراد أن يشمل حركة المجتمع السياسية والاجتماعية ، وأن يتسع لكل أوجه نشاطه ، يضع كهدف أمامه أن يصل الى هذا الحد من الاكتمال بحيث يكون في التطبيق فعلا « تنظيما طليعيا » يقود حركة المجتمع ، وتحولاته السياسية والاجتماعية . ولكن اذا غضضنا النظر عن هذا « الهدف الاقصى » ومدى بلوغ التنظيم عناصر هذا الاكتمال في التطبيق ، **فهناك « شرط أدنى » لابد من توافره ، وبدون هذا الشرط الادنى ، يدل التنظيم على أنه لم يفلح في تبرير وجوده كتنظيم واحد يشمل كل حركة المجتمع ، وهذا الشرط الادنى ، هو أن للتنظيم من « وجود » على اتساع المجتمع ككل ، وبين الجماهير في كل مجالات عملها وحياتها ، على نحو لا يترك مجالا لان يزاحمه بديل ، أو على نحو لا تجد الجماهير حاجة الى اقامة بديل .**

وربما وفقت الثورة لعدد من السنوات في ألا تجعل من هذه الرؤية للقضية مشكلة تتسم بصفة الاهمية القصوى والالحاح ، خاصة بعد انجازات الثورة الكبرى ، وطنيا (في أعقاب حرب السويس) واجتماعيا (في أعقاب اجراءات يوليو ١٩٦١) . فقد استطاعت الثورة في ذلك الوقت أن تجذب أوسع الجماهير للالتفاف حول قيادتها ، حتى أن انبثاق « تنظيمات بديلة » لم يكن يشكل تهديدا جديا لصيغة التحالف التي وجدت تعبيرا مركزا لها في **الميثاق** ، وحاول « الاتحاد الاشتراكي » تجسيدها في التطبيق .

ولكن ظروف نكسة ١٩٦٧ اقتضت أن تولى هذه القضية ما تستحقه من اهتمام . وكان **بيان ٣٠ مارس** تعبيرا عن هذه الضرورة . وأثبتت التجربة أن **مراكز قوى** قد نشأت ، وكانت وسيلة « بالاكراه » للحفاظ على وجود تنظيم واحد فقط ، بدلا من ايجاد هذا التنظيم الواحد بأسلوب الاقتناع والارتضاء وحده . وفي وقت تقتضي سيرة الثورة تغليب « الديموقراطية » كأساس لاستمرار انطلاقتها ، وازالة العوائق التي صاحبت نشأة مراكز القوى ، أصبح من الاهمية بمكان أن تدرس صيغة التحالف بمزيد من التمعن ، خاصة في وقت دلت فيه مناقشات لجنة العمل على أن « وجود » الاتحاد الاشتراكي بين «القواعد» وبين «الجماهير العريضة » يكاد يكون أمرا منعدما ، وبرزت فعلا في التطبيق محاولات لاقامة « بدائل » .

وللعودة الى أساسيات القضية : أرى أهمية تركيز الاضواء على الحقائق التالية :

أولا : هناك تسليم بأن « قوة التحالف » تتسع لعدد من الطبقات الاجتماعية . ومهما بذل من جهود لازابة الفوارق المادية بينها ، فهي ما مازالت قائمة ، ولهذه الطبقات مصالح متمايزة ،

ومواقع متمايزة فى المجتمع وفى عمليات الانتاج ، ولها رؤية متمايزة ، وفكرية متمايزة ناجمة عن تمايز مصالحها ومواقعها : ذلك مع افتراض حقيقة أن ما لها من مصالح مشتركة يفوق فى الاهمية هذه المصالح المتمايزة • وترجيح المصلحة المشتركة هو الذى يعتبر حجر الزاوية فى امكان قيام تحالف ، وفى امكان قيام تنظيم واحد لها •ولكن أشارت كلمات المتحدثين الى وجود « تناقضات » أكيدة بين هذه القوى المتحالفة •

ومجرد التسليم بوجود « تناقضات » يتسلسل منه منطقيا التسليم بأن **الغلبة** لقوة من هذه القوى ، ولفكرية هذه « القوة » على فكريات القوى الاخرى • وقد أكدت وثائق الثورة — وبحق — أن الرأسمالية الوطنية — على سبيل المثال — ضمن قوى التحالف • **ولكن ينبغى الاشارة الى أن الرأسمالية الوطنية ، تتعارض فكريتها بداهة مع منطلق الاشتراكية ، ووجودها ضمن قوى التحالف رهن أن فكريتها ليست الفكرية الغالبة • بل لابد أن تكون فكرية الطبقات ذات المصلحة الاصيلة فى السير بعملية التحول الاشتراكى الى منتهاها ، هى الفكرية الغالبة ، والقوة الاساسية فى التحالف •** وقد أراد الميثاق أن تكون الغلبة داخل التحالف لهذه القوى ذات المصلحة الاصيلة فى الاشتراكية ، والكفيلة بالنضال من أجلها الى نهاية المطاف • وقد وضع الميثاق **مقياسا** من ناحية **الكم** لضمان الغلبة لهذه القوى ، بأن اشترط أن يكون للعمال والفلاحين ٥٠ فى المائة من مقاعد جميع الهيئات التمثيلية المنتخبة • ولكن هذا المقياس **الكمى** يتعين أن تصاحبه **ضمانات نوعية** • وهذه الضمانات النوعية رهن بتعريف العامل والفلاح ، ورهن أيضا بنوعية ممثليهم ، ومقدار قدرتهم على التعبير عن مصالحهم الأصيلة •

ثانيا : الطابع الوطنى للمواجهة مع اسرائيل ، وما يقف وراءها من قوى الامبريالية العالمية ، **لا يغير من أساس هذه المعطيات** • ذلك أن المعركة الوطنية لاسترداد الارض المصرية والعربية ، ولنصرة قضية شعب فلسطين العربي ، **وثيقة الارتباط بالمنطلق التقدمى للثورة المصرية ، ولحركة التحرير العربية عموما ، واتجاهها الى الاشتراكية ، والى توثيق صلاتها بكافة القوى العالمية المعادية للامبريالية** • ولم يعد ممكنا فى هذا العصر محاربة الاستعمار بصوره الجديدة ، من منطلق رأسمالى وطنى ، كما كان الامر فى بداية هذا القرن ، ذلك أن النضال ضد الاستعمار والامبريالية اكتسب فى عصرنا حتما طابع النضال ضد الرأسمالية ، ويحتم الانطلاق فى طريق ينبذ الرأسمالية كشرط للتنمية ، وكشرط لصون الاستقلال الوطنى واطراد دعمه •

ثم أثبتت التجربة أن الحشد الشامل لطاقات المجتمع ضد العدوان ، وتحمل التضحيات التى تقتضيها المعركة ، تقتضى الغلبة داخل المجتمع سياسيا وفكريا لقوى الشعب العاملة ذات المصلحة الاصيلة فى ازالة كل أوجه الاستغلال الرأسمالى ، صاحبة التصميم والمصلحة — فى السير بمعركة التحرير — وطنيا واجتماعيا — الى نهاية المطاف •

ثالثا : ان التنظيم السياسى قبل السلطة التنفيذية ، وقبل مؤسسات الدولة الاخرى ، هى أكثر القنوات قدرة على التعبير عن حركة الجماهير وتطلعاتها ، وهى الاداة الاولى فى ضمان سيطرة الشعب على مقدراته ، وسلطة الشعب العامل حقيقة بقدر ما يكون تنظيمه السياسى فعالا • وحيوية التنظيم السياسى وكفاءته واستقرار وازدهار بنيانه رهن اتصاله الوثيق بالمواقع داخل حركة الجماهير التى تتركز عندها تعبيرات عن « حالتها الثورية » قبل أن يكون رهن التفنن فى الاتفاق على وسائل فنية لتنشيط جهاز التنظيم بعيدا عن حركة الجماهير وعن « حالاتها الثورية » • وهى « وسائل فنية » تستمد ملامحها فى الارجح من الوسائل المتبعة فى الاجهزة التنفيذية •.

■ ■

نقطة البدء ..

تحديد طبيعة التنظيم السياسى

عبد اللطيف حنفى

اهمية المناقشات التى جرت اخيرا داخل اجهزة الاتحاد الاشتراكى العربى حول قضية الشباب انها أقرار جديد بتفاقم الازمة التى تعانيها حركة الشباب المصرى منذ مابعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، واهمية هذا الاقرار الجديد انه يأتى فى وقت يتساءل فيه شباب مصر كلها — وفى القلب منهم شباب الفئات والطبقات الكادحة — عن طريق يخرجون به من تلك الازمة الخانقة التى تقيد

حركتهم وتحيلهم الى كيانات فردية محاصرة وممنوعه من الفعل المؤثر لصالح الوطن وقضاياه .

وتكشف القراءة المتأنية لمحضر اجتماع لجنة الشباب الذى تنشره « الطليعة » فى هذا العدد ان ثمة احساسا عاما باهتزاز الثقة بين حركة الشباب المصرى وبين السلطة السياسية . وقد كانت اشارة السكرتير الاول للجنة المركزية الى هذا المعنى بالغة الوضوح حينما قال « اننا نشعر فى الواقع بوجود فراغ كبير بيننا وبين الشباب دون اسباب » ومع ذلك فمن غير المعقول ان يكون اهتزاز الثقة الى هذه الدرجة مجرد جزء من المزاج الحاد لعدد محدود — قل او كثر — من شباب مصر ، وانما هو فى التقدير الصحيح نتيجة حتمية للكيفية الغريبة التى عوملت بها حركة الشباب المصرى من جانب السلطة السياسية وبصفة خاصة خلال السنوات الخمس الاخيرة .

ويكفى ان نلقى نظرة سريعة على ما اصاب منظمة الشباب الاشتراكى وهى التى كانت تمثل حينذاك حجر الزاوية فى حركة الشباب المصرى لنعرف الى اى حد كانت تلك الحركة ضحية للازمات التى تعرض لها نظام ثورة ٢٣ يوليو ، والى اى حد اجبرت على ان تدفع الثمن من رصيد وجودها داخل المجتمع كما وكيفا . وطبيعى انه يستوى هنا فى النظرة الكلية ان تكون اسباب ما اصاب المنظمة قد اتت من داخلها او من خارجها او من الاثنين معا .

فقبل النكسة قدر للمنظمة التى ولدت رسميا يوم ٢١ يوليو عام ١٩٦٦ ان تنشأ فى مناخ تميز باحتدام الصراع بين اجنحة السلطة وان تتأثر بمقتضيات هذا الصراع الى درجة عرقلت اهتمامها بالاهداف التى كان من المفروض طبقا للوثائق الرسمية انها اقيمت اصلا لتحقيقها ، وتحولت المنظمة فى النهاية الى جزء من هذا الصراع ، ومن يومها ظل هذا هو القانون المسيطر على وجودها ، وبعد النكسة .. وبينما المجتمع كله يموج بدعوة التغيير ، انفجرت مظاهرات الشباب والعمال فى فبراير ١٩٦٨ تعبيرا عن هذه الدعوة ، وسرعان ما نشطت كل القوى والاجهزة والافراد الذين خافوا على مواقعهم وامتيازاتهم غير الطبيعية فى مجتمع يعانى مرارة الهزيمة ، ويطالب بالاستعداد الجدى للتحرير ، وتحالفوا جميعا لالصاق « تهمة ! » تفجير هذه المظاهرات بالمنظمة ونجحوا فى استصدار قرار بتجميد نشاطها على الفور .

وبعد ذلك بعام حينما جرى التفكير فى اعادة بناء المنظمة فى مارس ١٩٦٩ لم يكن الامر كله سوى اعادة صياغة لقرار التجميد تجعله — بعد الطلاء الجديد — اخف وطأة على النفوس ، وبشرط ان تخضع المنظمة لنفس القانون القديم كجزء من الصراع بين اجنحة السلطة ، ثم بعد وفاة عبد الناصر .. انتفض الشباب المصرى وقلبه مع قلب مصر كلها ينصبت الى بيانات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى وهى تؤكد ان البديل الموضوعى لجمال عبد الناصر هو تدعيم دور وسلطة المؤسسات السياسية والدستورية . ولم يكن كثيرا ان يأمل الشباب فى ان ينعكس هذا الامر على حجم الدور والامكانيات المعطاه لمنظمتهم . ولكن سرعان ما تبين ان هذه البيانات البديعة قد تمزقت اربا تحت وطأة الصراع على السلطة .

وفى ١٥ مايو عام ١٩٧١ حسم الرئيس انور السادات هذه الجولة من الصراع معلنا اتجاهنا الى تصحيح الاوضاع ، وصدر برنامج العمل الوطنى فى يوليو محيلا قضية الشباب مرة اخرى الى اللجنة المركزية مع مطالبتها بأن « تولى اهتماما سياسيا خاصا بهذه القضية وان تشرع على الفور فى تكوين المنظمة » وانشئت امانة جديدة للشباب وشرعت فى تكوين المنظمة من جديد ، وحتى الان — وكما هو واضح من المناقشات المنشورة — فليس حظ التجربة الجديدة بأفضل من حظ ما سبقها من تجارب . وهكذا تراوحت الكيفية التى عوملت بها حركة الشباب المصرى بين القمع والتمييع ، ومحاولات الاحتواء على امتداد سنوات ما بعد النكسة . فلم تكن القضية اذن هى غموض الهدف الذى اقيمت من اجله منظمة الشباب وانما القضية الحقيقية هى اننا لم نمكن المنظمة فى اى وقت من ان تتحرك باضطراد نحو الهدف الذى كان مفروضا ان تتحرك نحوه ، ومن المفارقات المريرة ان يحدث ذلك بينما يرى الشباب وطنه وقد تكالبت عليه مؤامرات الامبريالية والصهيونية من الخارج ومناورات الرجعية من الداخل بخبث وشراسة لم يسبق لهما مثيل . ولا اظن انه يكون غريبا — بعد ذلك — ان يفقد الشباب ثقته فينا وفى كل ما نلقى اليه من عقائد ونظم وشعارات ، ولا غريبا ايضا ان يظل فقدان الثقة سمة مسيطرة فى اوساط الشباب المصرى طالما اننا غير قادرين على ان نصنع من عناصر الواقع الموضوعى القائم حوله ما يولد الثقة فى نفسه من جديد ، اقصد صراحة وباخلاص شديد ان علينا ان نصحح انفسنا واساليبنا وان نختبر صدقنا فيما نرفعه من شعارات ومدى ملاءمتها للواقع القائم قبل ان نتصور للحظة واحدة امكانية الوصول الى جسر

من الثقة بيننا وبين الشباب ، وتقديرى ان هـذا هو المدخل الوحيد الصحيح — فى الظروف الراهنة — الى مناقشة جادة ومثمرة لقضية الشباب المصرى . ولعل ذلك يتفق — من زاوية محددة — مع الاتجاه الذى عبر عنه احد اعضاء لجنة الشباب حينما قال « ان قضية التنظيم الشبابى لاتنفصل عن التنظيم السياسى كثيرا ، بل بالعكس فان قضية التنظيم السياسى الام تؤثر كثيرا فى قضية الشباب ، ولذلك ارى ان يتم تحديد قضية التنظيم السياسى اولا مع تحديد هدفه وشكله واسلوب حركته ، وعلاقته بكل الاجهزة ، ثم نناقش بعد ذلك التنظيم الشبابى حتى نستطيع تحديد دوره فى اطار التنظيم الام » وهذا صحيح فاننا لانستطيع ان نبدأ من حيث يجب ان تكون النهاية .

وعلى أية حال فان هناك عددا من المسائل يتعين على العمل الشبابى فى بلادنا — لكى يكون عملا علميا — ان يضعها موضع الاعتبار .

المسألة الاولى : هى ان قضية الشباب داخل نطاق أى مجتمع مثلها مثل كل القضايا الاخرى لايمكن أن تطرح الا على أساس طبقى . وهذا — فى الواقع — هو ماتفعله السلطة السياسية الراسمالية وهو ايضا ماتفعله السلطة السياسية الاشتراكية رغم اختلاف المنطلق الطبقى فى الحالتين وبديهى ان طرح القضية على هذا النحو لايتنافى مطلقا مع ظروف مجتمعات الثورة الوطنية فى العالم الثالث بل انه يعد بالنسبة لها ضرورة لضمان استمرار الثورة وانتصار اهدافها . فرغم ان الصراع ضد الامبريالية العالمية يفرض نفسه هنا كتناقض رئيسى ، الا أن هذا الصراع نفسه من حيث الجوهر هو صراع طبقى خارجى لايمكن حسمه بنجاح الا بانتهاج سياسة طبقية واضحة فى القضايا الداخلية ، تقوم على تقليم اظافر المصالح الطبقية المحلية المتحالفة — فى كل مرحلة تاريخية — مع العدو الامبريالى . ذلك أن المشكلة تطرح نفسها دائما فى شكل التساؤل التالى .. اى الطبقات والفئات الاجتماعية هى المعبر الموضوعى عن المصلحة الوطنية فى هذا الصراع خلال كل مرحلة ؟ فليست هناك فى التحليل العلمى مصلحة وطنية صماء . لاترتكز على اساس طبقى محدد . وعموما فانه يترتب على هذا الفهم — بالنسبة لقضية الشباب — نتيجتان محددتان هما **أولا :** ان تجريد القضية من اساسها الطبقى وطرحها على انها عملية صراع بين الاجيال فقط هو تجريد غير علمى **وثانيا :** ان قضية الاغلبية من شباب العمال والفلاحين والفئات الكادحة بشكل عام تظل فى اى مجتمع رهن بحل قضية الطبقات التى ينتمون اليها . فطالما انه لم يتحقق لهذه الطبقات وجود حقيقى ومعترف به فى اجهزة السلطة فان البحث عن سياسة ثورية فى مجال الشباب يبقى مجرد امل عزيز تحول دونه اضخم العقبات .

المسألة الثانية ، هى ان الشباب ، ولنتفق على تحديدهم من حيث السن بأنهم افراد المجتمع الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ — ٣٠ سنة ، الشباب بهذا التحديد السنى ليسوا كتلة بشرية صماء متطابقة المصالح والاتجاهات اى انهم — بتعبير آخر — ليسوا قطاعا اجتماعيا أفقيا متجانسا داخل الهرم الاجتماعى ، وانما هم قطاع رأسى يمثل جميع القوى والفئات والطبقات على اختلاف مصالحها واهدافها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .. فكلمة الشباب بهذا المعنى تنطبق على ابناء الفلاحين والعمال جنبا الى جنب مع ابناء الاقطاعيين والراسماليين والتكنوقراطيين ، وتشمل المتعلمين مع الاميين ، والذكور مع الاناث والطلاب مع الخريجين والمتزوجين مع غير المتزوجين .. الخ وقيمة هذا التحديد أنه ينحى جانبا كل المفهومات المثالية التى تقترن عادة بكلمة الشباب ويجرنا مباشرة الى ارض الواقع اى الى حيث يجب ان تكون نقطة البدء .

ومما لاشك فيه أن ابناء هذه المرحلة السنية بمالهم من خصائص بيولوجية وسيكولوجية معينة هم اكثر فئات المجتمع تمردا على الواقع القائم ورغبة فى تغييره ، واكثرهم فى نفس الوقت تأثرا بما يعطى لهم من سياسات او قيم او افكار ، وهذا الامر يجعل منهم بالطبيعة قوة راديكالية هائلة « اى قوة راغبة فى التغيير الجذرى لما هو قائم » دون ان يجعل منهم بالضرورة قوة ثورية متجانسة ذات منهاج علمى موحد يقود خطاها على الطريق الصحيح . ومعنى ذلك انها يمكن ان تكون اداة للردة الى الخلف اذا ما استطاعت القوى المعادية للتقدم داخليا وخارجيا أن تنفذ اليها ، كما انها فى نفس الوقت يمكن ان تصبح ارادة تغيير ثورى اذا ماتم تسليحها عن طريق التربية السياسية المنظمة برؤية علمية للواقع الذى تعيش فيه وبرنامج ثورى لتغييره الى الامام .

ويترتب على ذلك مادمنا نعترف للشباب بهذه الخصائص المتميزة ان نعترف له ايضا بحقه فى بناء تنظيمه المستقل والموازى للتنظيم الام من القاعدة الى القمة فذلك هو المنطق والصواب . ولن يستعصى علينا بعد ذلك ان نضبط العلاقة

بين التنظيمين — بشرط الا يتم ذلك كما حدث في الماضي على حساب تنظيم الشباب . فقد آن الاوان ليتعين على الاتحاد الاشتراكي ان يثبت وجوده كتنظيم قائد باسلوب آخر غير اسلوب شل فاعلية وحركة مايحيط به من منظمسات جماهيرية .

المسالة الثالثة : هي ان عملية التربية السياسية المنظمة للشباب عملية شاملة وليست عملية جزئية . فاعداد الجيل الجديد مهمة تشترك فيها الاسرة ونظم التعليم السائدة واجهزة الاعلام والثقافة على تعددها ، كل ذلك تحت الاشراف الواعي لتنظيم سياسي شبابي محكم البنساء ، وتنصرف هذه النقطة بشكل مباشر الى قضية العلاقة بين تنظيم الشباب وبين غيره من الاجهزة العاملة في هذا الحقل . وتقديري هنا انه لابد من الاقرار بحق التنظيم الشبابي في الاشراف على تلك الاجهزة على اساس من التعاون في سبيل انجاز الهدف المطروح فلا معنى لان نقيم تنظيما سياسيا للشباب ثم نتركه بعد ذلك تائها وسط عديد من الظروف المعوقة لارأى له فيها ولاسيطرة له عليها من اى نوع . ان هذا التنظيم سوف يتحول مهما ادعينا الى تنظيم ورقي وحيد الجانب غير قادر على الاقناع، ومن ثم غير قادر على تجميع الشباب من حوله . ومما لاشك فيه ان الاقرار بهذا الحق للتنظيم الشبابي او عدم الاقرار به يرتبط كليا وجزئيا بمدى قدرة الاتحاد الاشتراكي على تاكيد وجوده عمليا كسلطة قائدة لجهاز الدولة باسم تحالف قوى الشعب العاملة ، ومن هنا تنبع صعوبة هذه المسالة وخطورتها في آن واحد باعتبارها قضية التنظيم السياسي في مصر كلها .

المسالة الرابعة : انه فيما يتعلق ببناء التنظيم الشبابي ذاته ينبغي ان نوقن بأن عملية التنظيم الناجحة ليست مجرد عملية حشد لبضعة مئات او آلاف من الشباب داخل عدد من الوحدات الاساسية واصطناع هيكل قيادي متدرج لهم ، وانما التنظيم في حقيقته عمل علمي متكامل يستفيد من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الادارة وعلم الاقتصاد السياسي ويوظف حقائق وقوانين هذه العلوم في ترسيخ وجوده داخل القطاع او الفئة او المجتمع الذي يعمل فيه ، كذلك فان التنظيم كما تعلمنا التجارب الثورية لابد ان تتوافر له اربعة عناصر متكاملة :

اولا : برنامج عمل محدد يتضمن الاهداف والخطوات التكتيكية والاستراتيجية وينبثق عن ايديولوجية ثورية واضحة .

ثانيا : كادر سياسي مدرب ومتمرس .

ثالثا : هيكل قيادي متدرج ومتناسب مع ظروف عمل التنظيم وحجم عضويته .

رابعا : لائحة او قانون اساسي يحكم العلاقات داخل هذا الهيكل القيادي على أساس من المركزية الديمقراطية .

ومن هنا فاننا لانستطيع ان نطلق على اى عملية حشد سياسي تتم لهدف او لاخر اسم التنظيم الا اذا اردنا ان نخدع انفسنا ، وعلى الجانب المقابل فان الالتزام الصارم بهذه الحقائق العلمية سوف يقودنا بالحتم الى حلول مناسبة لكل القضايا التى تبدو مستعصية مثل قضية الكم والكيف ،واسلوب التجنيد للعضوية ، والديمقراطية داخل التنظيم، وعلاقة التنظيم بالجماهير ، وغيرها من القضايا التى يطرحها العمل المستمر . كذلك فان هذا الالتزام نفسه هو الوقاية والعلاج الوحيدين من امراض التنظيمات الفاشية وفى مقدمتها الشكلية والارهاب الفكرى والبدنى على السواء، والشللية فى العمل .

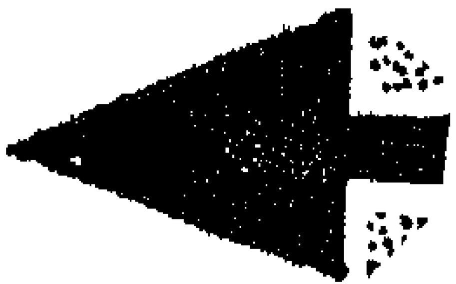
بقيت نقطة اخيرة .. ان موقف السلطة السياسية ازاء الشباب فى اى مجتمع هو معيار متكامل للحكم على طبيعة هذه السلطة ومدى قدرتها على الاستجابة لامال التقدم التى تتوق اليها الاغلبية الكادحة من جماهير الشعب . وقد قال **جمال عبد الناصر** يوما « ان المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب عيوننا فى المرحلة القادمة هى ان نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية .. واذا تأخر وصول هذا الجيل الى مواقع القيادة او اذا وصل بأقل من الاستعداد المطلوب للمهمة الكبرى فسوف تكون هذه مسئولية جيلنا الذى يسجل على نفسه انه عرف كيف يبدأ ولم يعرف كيف ينتهى » .

وتقديرى ان القضية فى تطورها لم تعد — منذ سنوات — قضية جيل يحكم له او عليه ، وانما تخطت ذلك لتصبح القضية هى انقاذ الوطنية المصرية المطعونة فى الصميم ، تلك الوطنية ذات الانتماء العربى والافاق التقدمية التى آن لها ان تخرج من المأزق .

٨٠ شهرا من حياة الطليعة

تقدم الطليعة فى هــذا العــدد آخر الموضوعات الاساسية التى تناولها كتابها خلال ثمانين شهرا منذ تأسيس الطليعــة ١٩٦٥ ، وتعرض فى هــذا العدد تطور رؤية كتابها ومواقفهم من « البورجوازية الوطنية » ـــ الطبقة المتوسطة والبورجوازية الصغيرة ، سواء فى المدينة أو الريف .. كما تعرض أيضا لاراء كتاب الطليعة ومواقفهم من « الطبقة الجديدة » والاثار التى نجمت عن وجودها ، على البنيان الاقتصــادى والسياسى للمجتمع . كما تعرضت الطليعة كذلك لقضية من أهم القضايا التى تتعلق بالتطــور القــومى عامــة ألا وهى دور البورجوازية الوطنيــة فى تحــالف قوى الشعب العاملة .

وبهذا الموضــوع تكون الطليعــة قــد اختتمت عرضها النقدى الشامل منذ بداية تأسيسها لاراء ومواقف كتابها من القضايا والمشاكل التى احتلت مكان الصدارة فى مجال التطور الحالى والمقبل لمجتمعنا نحو آفاق أكثر تقدمية ..



المـــواقف والاتجـــاهات [العرض العـــام]

الموقف من البورجوازية الوطنيـــة

عرض : خيرى عزيز

تناولت الطليعة موضوع « البورجوازية الوطنية ـ الطبقة المتوسطة والبورجوازية الصغيرة » فى ٢٢ مقالا موزعة على مختلف أعدادها • تعالج خمسة من هذه المقـــالات الوضـــع الطبقـــى للبورجوازية الوطنية ، وسيطرتها الاقتصـــادية ودورها فى تحالف القوى الوطنية •

تعريف الرأسمالية الوطنية

بالنسبة لتعريف الراسمالية الوطنية أوضحت « الطليعة » مفهومها عن هذه الطبقة ، وموقعهـــا الاقتصادى فى الانتاج القومى ، والمجالات التى يمكن أن تلعب فيها دورا ايجابيا • وابرزت حقيقة « أن أصحاب **الوحدات الإنتاجية المتـوسطة والصغيرة** التى تنتج فى ظروف ليست متطورة تكنولوجيا ولا اداريا ، **يكونون عادة أقدر على ادارتها** • ومن ثم **فدور الرأسمالية الوطنية له أساسه الاقتصادى** ولا تمليه فقط اعتبـــارات سياسية » (١) •

وطرحت « الطليعة » هذا السؤال :

« من هو الرأسمالى الوطنى ؟ واجابت : « انه الرأسمالى الذى تتوافر فيه الشروط الاتية » (٢) :

ـ العداء الاصيل للاستعمار والاســتعمار الجديد ، ليس فقط كموقف سياسى ، ولكن لان مصالحه الاقتصادية تتعارض مـــع مصـــالح الاستعمار وعملائه •

ـ الاسهام الفعال فى التنمية الاقتصادية ، وذلك بالابتعاد عن النشاط الطفيلى • (المضاربة على الاسعار ، التخزين ، الاقراض الربوى الخ) • والابقاء على النشاط الانتاجى فى مجالات الزراعة والصناعة ، والنقل ، والتوزيع ، فى اطار أهداف الخطة ، ومع احترام القوانين المنظمة لتـــداول السلع والمحددة لاسعارها •

ـ التنفيذ الامين لكل التشريعات العمالية بما يضمن للعمال حقوقهم التى يقررها لهم القانون كاملة غير منقوصة •

وتعرضت « الطليعة » فى نفس هذا الكراس للمجالات التى يمكن أن تلعب فيها الرأسمالية الوطنية دورا مفيدا • واشـــارت الى « ان الرأسمالية الوطنية تقوم على وحدات انتاجية صغيرة ومتوسطة • ولهذا فهى لا يمكن أن تحل المشاكل التى يبدو القطاع العام ـ فى نظـــر البعض ـ عاجزا عن حلها ، انها لا يمكن مثلا أن تقدم حلالا جذريا لقضية زيادة الصادرات ، لان الزيادة الجدية والمنتظمة للصادرات تفتـــرض دراسة شاملة للاســـــواق الخــــارجية ، وأذواق المستهلكين فيها ، واقامة علاقات مستمرة معها ، واغراقها احيانا بكميات ضخمة من السلعة محل التسويق ، وهذا كله لا يتيسر للـرأسمالية الوطنية ، ومن ناحية أخرى نبهت « الطليعة » فى الكراس ايضا الى انه « **يجب الا نساعد على نشأة روابط مصلحية بين رأسماليين وطنيين وشركات احتكارية كبرى لنجنب الرأسمالية الوطنيـــة مزالق الاستعمار الجديد ، كذلك لا يتصور أن تحل الرأسمالية الوطنية مشكلة الاسكان الشعبى ، كما أنها لا تستطيع زراعة الارض المستصلحة ، زراعة**

---

[١] كراس الطليعــــة : التعبئية الاقتصادية • مشاكل وحلول مقترحة عدد سبتمبر ١٩٦٨ •
[٢] نفس المرجع •

آلية متقدمةتكنولوجيا ، تنتج للتصدير وتصنع جزءا من منتجاتهـا ، وعلـى العكس تلعـب الرأسمالية الوطنية بالفعل ، دورا هاما في الانتاج الزراعى والحيوانى فى الاراضى القديمة • كما أنها يمكن أن تلعب دورا حاسما في الاسكان « فوق المتوسط » ، وفي عدد كبير من الصناعات التكميلية والخفيفة (التعبئة والتغليـف ، والصيـانة ، والاحذية ، والاثاث الخ ، ويجب أن تستمر فى دورها في تجارة التجزئة » •

وفى موضع آخر توجز « الطليعة » فى مقال لعادل غنيم تعريفها للرأسمالية الوطنية بقولها : « ان الرأسمالية الوطنية ، هى الرأسمالية المنتجة المعادية للاستعمار ، والتى تساهم فى البنـاء الاقتصادى ، فى التصنيع ، وفى بناء الاشتراكية ، طريق الوطنية الجديدة » (٣) •

الا أن الطليعة قدمت فى مقال لمصطفى طيبة (٤) نقدا للتعريفات الشائعة عن الرأسمالية الوطنية فى بلدنا ، وبدأ تحديدها لهذه الطبقة يتخذ طابعا أكثر عملية فاشارت الى أن « **تعريفات الرأسـمالية الوطنيـة فى بلـدنا ، لا تفـرق بين الرأسـمالية الصغيرة والمتوسطة** ، وتضع الاثنين فى كومة واحدة ، ويؤدى ذلك الى اخطار جسيمة • فحين نضع التاجر الصغير والحرفى الكادح جنبا الى جنب مع كبار التجار الجشعين ، فلا شك أن هذا الوضـــع يتيح للفئـــات الناميـــة من الرأسمالية فرصا ذهبية لاحكام قيادتها على قوى ثورية تتفق مصالحها مع كل خطوات الثـورة ، وهـى البورجوازية الصغيرة ، ومن جهة أخرى تجعل هذه التعريفات من مالك الـ ٢٥ فدانا ، فلاحا كادحا ، وتجعل من التاجر الصغير الفقيـر رأسماليا ، فى الوقت الذى تبلغ فيه ثروة الاول آلاف الجنيهات ، ولا يزيد رأس مال الثانى عن بضع عشرات من الجنيهات » •

ويستكمل د • **اسماعيل صبرى عبد اللـه** التعريفات التى قدمتها الطليعة وقدمها الكتاب الاخرون فيقدم حدودا واضحة للرأسمالية الوطنية كما يراها فى القطاع الزراعى ، يقـول د • **اسماعيل صبرى عبد الله : (٥)**

« من يحوز أكثر من خمسة أفدنة يعد ضمن الرأسمالية الوطنية » ويشير بعد ذلك اشارة لها مغزاها « وهنا يجب أن نؤكد أن صفة الرأسمالية الوطنية ليست عيبا • **فالرأسماليون الوطنيـون احدى قوى الشعب العامله ، ولهم مكانهم فى تحالف تلك القوى** ومن ثم فليس ما يدعو الى التهرب منها • كذلك لا ينبغى أن نأخذ بالمفهوم الساذج الرأسمالى ، فلا نعد من الرأسماليين الا كل ثرى واسع الثراء • فالتعريف العلمى للرأسمالى هو انه الشخص الـــــذى يملك من وســـائل الانتـــاج ما يزيد عن قـدرته على العمل بيديه ، وما يجعلـه بالتـــالى يعتمد على عمل الغير ، الاجير ، ويمكن بعد ذلك أن يكون الرأسمالى صغيرا ، او متوسطا ، او كبيرا على حسب مقدار ما يملك من وسائل الانتاج ، وهى فى الزراعة الارض أساسا ، **وقد دلت التجربه على ان تعريف لجنه المائه قد أدى عمليا فى أغلب الاحوال الى أن تكون المقاعد فى الهيئات المنتخبه عن الريف فى يد الرأسمالية الوطنيه وحدها تقريبا** • فنصفها بين من يحوزون ١٥ فدانا او أقل ، والنصف الاخر بين من يحوزون أكثر من ذلك • وهى مجلس الامة جاء ممثلو الفلاحين ـ فيما عدا ـ عـدد محدود من المنتجين فى مناطق الاصلاح الزراعى ممن يملكون أكثر من خمسة افدنة ، أى من الرأسـمالية الوطنية » •

وتعرض **ميشيل كامل** للظروف الدولية الجديدة التى احاطت وتحيـط بنشـأة « البورجوازيات الوطنية » فى البلدان حديثة الاستقلال ، والعوامل التى ابرزت جوانبها الايجابية فى بعض مراحل تطور هذه البلدان وأوضح (٦) :

« أن هناك فروقا اساسية بين بورجوازية بلدان الغرب والبلدان حديثة التحرر ، كما أن ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية ، والتغييرات التـى طرأت على توازن القوى على النطاق العالمى • والانتصارات التى أحرزتها القوى الاشتراكية ، كل هذه العوامل قد أبرزت الجوانب الايجـابية للرأسمالية الوطنية خاصة فى مرحلة المد الثورى وتصـاعد مستوى واتساع نطاق حـركة التحرر الوطنى » •

« وهناك عناصر أخرى ساعدت على تدعيم الجوانب الايجابية ، تتمثل أساسا فـى رفض الشعوب لطريق التطور الرأسمالى ، وانتشار الفكر الثورى والوعى الاشتراكى ، الى جانب تضاؤل فرص التراكم الرأسمالى للبورجوازيات الوطنية الجديدة بالاساليب التقليدية ، أى عن طريق السلب

---

[٣] « أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية » عادل غنيم ، يونيو ١٩٦٦ •
[٤] « الديموقراطية فى الميثاق بين النظرية والتطبيق ، مصـطفى طيبة ـ يونيو ١٩٦٦ •
[٥] حول تعريف العامل والفلاح : لكى نصون الدعامة الرئيسية لديموقراطية الشعب العامل مايو ١٩٦٨ •
[٦] مشاكل القوى الاجتماعيه داخل التحالف الوطنى ـ مايو ١٩٦٩ •

والنهب الاستعمارى أو بواسطة منافسة عمالقة الاحتكارات الغربية ، اذ أن تلك المنافسة تتطلب رؤوس أموال ضخمة للغاية نتيجة تمركز رؤوس الاموال فى الغرب ، ومستوى تكنيكى مرتفع وكلاهما غير متوفر » ٠

وأشار فى نفس المقال الى أن : « **السلطة كانت السبيل الى اثراء الرأسماليه الوطنية** ، ويعزى الى ذلك كثرة الانقلابات والصراعات الدموية على السلطة فى البلدان حديثة الاستقلال » ٠ وأوضح أنه « اذا جاز لنا ان نعتبر المعادلة التقليدية فى تطور الرأسمالية هى : « رأسمال + سلطة = مزيد من رأس المال » ، فانه يمكننا أن نقول أنه فى البلدان النامية أصبحت تحت وطأة الظروف المحلية والدولية الراهنة تتركز فى (السلطة + رأس المال = مزيد من رأس المال) أى **أن التراكم يتحقق من موقع السلطه** ٠ وتبرز هذه المعادلة فى أوضح صورها فى البلدان المتخلفة نسبيا فى تطورها الاقتصادى ، حيث كانت الراسمالية ضعيفة لا تمثل وزنا يذكر فى الحياة الاقتصادية والسياسية ، ولكنها تنطبق أيضا على البلدان التى سبق أن حققت تطورا رأسماليا واضح المعالم » ٠

أخطار التحول الى رأسمالية طفيلية

وقد اتفق كتاب الطليعة على التحذير من خطر تحول الرأسمالية الوطنية عن دورها الانتاجى الايجابى المتسق مع تطور الخطة ، الى رأسمالية بيروقراطية تشكل عاملا استغلاليا وظلما اجتماعيا من ناحيـــة ، وعامـــلا معرقـــلا لخطة التنمية القومية من ناحية أخرى ٠ وقد أشـــار الدكتور **عبد الرازق حسن** الى هذين النمطين فى صفوف « البورجوازية الوطنية » وحـذر مـن الاتجاهات الطفيلية المستغلة فقال : (٧) « لقد سار قسم من القطاع الخاص فى طريق العمل الجاد فى مجال الصناعات الصغيرة وتجارة التجـزئة والخدمات ، غير أن هناك قسما آخر استغل ظروف التنمية وما يرتبط بها من نقص فى بعض المواد ، وزيادة القوة الشرائية فى المجتمع ، واتخذ لنفسه سبيل الربح السريع ٠ عن طريق أعمال المقاولات من الباطن ، ومقاولات عمال التراحيل ، والمضاربة على المنتجات ، واستغلال نقص بعض السـلع وتصريف منتجات رديئة أو بيعها فى السـوق السوداء بأسعار عالية ، وقد اكتسب هذا البعض اسم الرأسمالية الطفيلية تفرقة له عن الراسمالية الوطنية » ٠

وأشار الى أنه « **من أهم مجالات الاستغلال** الجديدة التى فتحت لتشرئب اليها تطلعات بعض عناصر القطاع الخاص ، **هى الاسكان ، وتجارة قطع الغيار ، والخضر ، والفاكهة وصناعة الالبان والنقل باللورى ، وهى المجالات التى ما زال نشاط القطاع العام فيها محدودا** » ٠

ونبه الدكتور عبد الرازق حسن فى نفس المقال الى أن « **الخطر يكمن فى الرأسمالية المستغلة** ، الرأسمالية الطفيلية **التـى تتمسح فى الرأسمالية الوطنية** ، **ولهذا كانت فاعلية سيطرة القطـاع العام ، وتأكيد هذه السيطرة على أدوات الانتاج ، وعلى القطاع الخاص نفسه ، مسألة يجب أن تنال منا كل اهتمام ، حتى لا يصبح هذا القطاع عنصرا مناوئا للقطاع العام ومعرقلا لفاعليته** » ٠

وأكد نفس المعنى الدكتور محمد أحمد عجلان (٨) حين أوضح « **ان الرأسمالية الوطنية** التى لا تستطيع أن تطور نفسها كل يوم ، وأن تضيف للمستوى الانتاجى للمجتمع ، **لابد أن تنتهى** الى طريق مسدود يوم تبلغ التنمية فى المجتمع ، المستوى الذى **يجعل هؤلاء وما يملكون ، مخلفات** من عصر متخلف انتاجيا ، وبالتالى تتم مع الزمن تصفيتهم » ٠

وبهذا الصدد أيضا ، اشار **عادل حسين** فى مقاله بعنوان « الاستمرار فى **الثورة الاجتماعية** هو الحل الاساسى لمواجهة العـدوان » (٩) الى : « أن الانحراف الاكبر هو فيما يسمى بالطبقة الوسطى ، ابتداء من أعيان الريف ، الى التجار ، الى المقاولين ، الى بعض اصحاب المهن الحرة ، الى كبار المديرين والفنيين ورجال الدولة ٠ هذه الطبقة حصلت على دخل يزيد جدا عما نستطيع ، لقد حصلت على مستوى معيشى يقارب المستوى المقارن فى الدول الغربية ، مع أن متوسط الدخل عندنا منخفض جدا ، اذا قورن بمتوسط الدخل فى هذه الدول » ٠

وأضاف الكاتب : « لقد حصلت هذه الطبقة على الامتيازات الهائلة تحت شعار أن اشتراكيتنا لها وضع خاص ، وتحت شعار ان الاشتراكية عندنا لن تضحى بهذا الجيل ، على اعتبار انها وحدها هذا الجيل ٠ ويعلم الله أن مثل الاشتراكية ــ أى اشتراكية ــ من واقعنا أو غير واقعنا بريئة من هذا الكلام العجيب الذى فتح الباب على مصراعيه أمام

---

[٧] خريطة الاقتصــاد القومى بين القطاع العام والقطاع الخاص ٠ يونيو ١٩٦٦ ٠
[٨] دور القطاع العام فى التنمية ٠ يونيو ١٩٦٧
[٩] عــدد الطليعــة الصــادر فى سبتمبر ١٩٦٧ ٠

تطلعات المواطنين من كل الطبقات ، وأصبح التنافس المحموم من أجل الاثراء السريع غولا مخيفا يغتال أى محاولة لزيادة المدخرات القومية ، ولتحقيق تنمية اشتراكية جادة » •

وأشار عادل حسين فى نفس مقاله الى ما جلبته هذه الاخطاء على النموذج الذى اتخذته تجربتنا موضحا « أن هذه الاخطاء جعلت النموذج الذى اقمناه بعد يوليو ١٩٦١ ، لا يتطابق بالدقة مع النموذج المتكامل للتنمية الاشتراكية » وأوضح « أن النموذج المتكامل يقوم على عدد من الدعائم ومن أهمها **عدم وجود أقلية ثرية تتحكم فى مواقع الانتاج ، فتمنع التخطيط وتبدد جزءا من الفائض الاقتصادى فى مشروعات غير ضرورية ، أو فى استهلاك ترفى** »

واستكمل **ميشيل كامل** اشارات كتاب الطليعة المتعددة الى خطر تحول قطاعات فى الرأسمالية الوطنية الى النشاط الطفيلى فأوضح (١٠) : « أن الطبيعة المزدوجة للطبقة المتوسطة تجعلها تتأرجح فى مواقفها بين الارتباط بقوى الشعب العاملة ، وبين الانبدفاع وراء تطلعاتها الرأسمالية ، وهيمنتها على المواقع الرئيسية للسلطة ، يهدد بتحول قطاع منها الى فئة مستغلة تتعارض مصالحها مع مصلحة جموع الشعب وتخرج عن اطار التحالف الوطنى » •

وقد أشار **عادل غنيم** أشارة لها مغزاها ، اذ أوضح (١١) انه نظرا لان « الادارة ، او البيروقراطية هى التى تتخذ القرارات الاقتصادية ، وهى التى تتصرف فى الفائض الاقتصادى باسم المجتمع ، لذا تنشأ من هنا موضوعيا امكانية احتكار البيروقراطية للسلطة السياسية والاقتصادية ، وحصولها على امتيازات اقتصادية ، وعندئذ **تتحول البيروقراطية الى طبقة بالمعنى الكلاسيكى** ، بالرغم من عدم ملكيتها القانونية لوسائل الانتاج » •

ظهور الطبقة الجديدة
وتعريفها وخصائصها

وقد اتفق كتاب الطليعة فى التنبيه على خطر تحول الرأسمالية الوطنية الى رأسمالية طفيلية وتحول هذه بالتالى الى طبقة جديدة • وقد حلل كتابها مفهوم هذه الطبقة وماهيتها فأوضح **عادل غنيم** (١٢) : « ان الطبقة الجديدة هى تلك الفئات الاجتماعية التى تنشأ وتتشكل داخل البيروقراطية خلال عمليات التحول الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى (الاصلاح الزراعى ، والتأميم والتصنيع) ، وتضم الكوادر الادارية والفنية والعسكرية التى تحتل مراكز القيادة فى الدولة ، وفى الانتاج ، وتتمتع بدخل مرتفع بالنسبة لجموع العاملين ويسميها البعض « الصفوة » » •

واشار الى الظروف التى تهيىء المناخ الملائم لتفريخ ونمو الطبقات الجديدة بطرق طفيلية وغير مشروع فى المجتمعات النامية • وأوضح (١٣) « ان القاعدة الاقتصادية للمجتمعات النامية تتميز بوجود قطاع خاص رأسمالى واسع نسبيا ، وخاصة فى الزراعة والتجارة الى جانب القطاع العام ، ولهذا فالطبقات الجديدة فى تلك المجتمعات يمكنها ان تستثمر فى المشروعات الخاصة ، فائض دخلها المرتفع ما تحصل عليه من ثروات غير مشروعة ولذلك **يشكل القطاع الخاص فى اقتصاديات تلك البلدان ، الاساس الموضوعى لتحول الطبقة الجديدة فيها ، الى طبقة رأسمالية بالمعنى الكلاسيكى** » •

وأوضح نفس الكاتب « ان نتائج الصراع الطبقى ، هى التى تحدد فى النهاية طبيعة ودور رأسمالية الدولة فى تلك البلاد ، وما اذا كانت ستصبح اداة لتنمية الرأسمالية ، او طريقا الى الاشتراكية ، وفى هذه الظروف ، تكتسب قضية الطبقة الجديدة أهمية حاسمة بالنسبة لمسار الثورة الاجتماعية ذاتها ، نظرا للمركز القيادى الذى تحتله تلك الطبقات فى مؤسسات الدولة والانتاج » •

وفيما يتعلق بالريف اشار الكاتب (١٤) الى ان « البرجوازية الريفية تمكنت نتيجة لتزايد وزنها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى الريف من أن تدفع بأبنائها الى المراكز القيادية والادارية داخل مجالس القرى والمدن والمحافظات ، فضلا عن وحدات الاتحاد الاشتراكى والتعاونيات ، وهكذا **تكونت فى الريف طبقة جديدة قوامها الكادر الادارى والسياسى من ابناء أغنياء الفلاحين** » •

وبشكل أكثر تحديدا على الواقع المصرى أوضح عادل

---

[١٠] حماية وتعميق الثورة : مسئولية الشعب • يناير ١٩٦٨ •
[١١] فى مقال « حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر » فبراير ١٩٦٨.
[١٢] حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر • فبراير ١٩٦٨ •
[١٣] فى نفس المقال السابق •
[١٤] فى نفس المقال السابق •

غنيم فى مقالة : « حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر » (١٥) « ان الطبقة الجديدة فى مصر هى تلك الفئة الاجتماعية التى تتولى الوظائف العليا فى ادارة الدولة والقطاع العام والنابعة من أصول برجوازية صغيرة ومتوسطة ، والتى تكونت تاريخيا خلال عمليات التصنيع والتحول الاجتماعى ، والتى تملك سلطة اتخاذ القرارات الاقتصادية ، وهى تحصل لنفسها على امتيازات اقتصادية فى صورة مرتبات مرتفعة ، وبدلات تمثيل . ومزايا عينية متنوعة » .

وتشكل الطبقة الجديدة فى رأيه « القيادة الادارية والفنية الحقيقية للتنمية الاقتصادية فى المرحلة الراهنة ، وهى كفئة اجتماعية غير متجانسة ، لا فى تركيبها الاجتماعى ، ولا فى تكوينها المهنى والايديولوجى ، وان كانت لها علاقات متشابهة بوسائل الانتاج ، فى حدود الاطار القانونى للتأميم وملكية الدولة لوسائل الانتاج ، فهى التى تحدد طريقة التصرف فى الفائض الاقتصادى المتولد فى قطاع الدولة (بما تتخذه من قرارات استشارية أو قرارات تتعلق بالعمالة والاجور) وتحديد حجم الاجور وفئاتها . وتلعب دورا خطيرا فى اعادة توزيع الدخل القومى فهى التى تقوم بوضع الخطة الاقتصادية القومية ، وتتولى بعد ذلك مهمة توفير الامكانيات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذها ، وهى فى النهاية التى تتابع تنفيذها » .

وربط مصطفى طيبة فى مقاله « الديموقراطية فى الميثاق بين النظرية والتطبيق » (١٦) بين ظهور الطبقة الجديدة بتطلعاتها الطبقية ، وبين الثغرات القانونية التى تتيح لها النمو والتقدم والمتمثلة فى التعريفات غير السليمة للعامل والفلاح .

واشار فى نفس مقاله الى ان « ما حذر منه الميثاق حين قال : « ان القيادات الجديدة لابد لها أن تعى دورها الاجتماعى ، وان أخطر ما يمكن ان تتعرض له هذه المرحلة هو ان تنحرف متصورة انها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت اليها امتيازاتها » .

وقد تعرض عادل غنيم لكيفية نشوء الطبقة الجديدة فى مصر فأشار الى (١٧) ان نشاط الدولة بعد تمصير وتأميم الشركات والبنوك الاستعمارية لم يعد مقصورا على الخدمات ، بل أصبحت الدولة تملك جانبا هاما من وسائل الانتاج والتمويل ، واخذت تتدخل بصورة متزايدة فى العلاقات الاقتصادية ، وتسيطر على قسم هام من الفائض الاقتصادى ، وبهذا أصبح للدولة قاعدة اقتصادية مستقلة عن الرأسمالية . وقد أدت هذه التحولات الى تغيير فى تركيب ووظيفة البيروقراطية ، ونشأت بيروقراطية اقتصادية جديدة (بيروقراطية القطاع العام) وتتكون من اعضاء مجالس ادارات البنوك والشركات المؤممة . وتشكلت من كادر عسكرى وادارى ذى أصول برجوازية صغيرة ومتوسطة ، وأصبحت تتمتع بدخل مرتفع (المرتبات العالية ، والمزايا العينية والبدلات التى يحصل عليها اعضاء مجالس ادارات الشركات والبنوك) ويمكننا ان نقول : « ان هذه الفترة كانت البداية الاولى لتكوين الطبقة الجديدة فى مصر » .

وأوضح الكاتب مدى سيطرة واتساع البيروقراطية فابرز فى نفس مقاله حقيقة أن القطاع العام أصبح يملك ٨٥ فى المائة من وسائل الانتاج ، خارج الزراعة (فى الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٤) كذلك بلغ الانفاق العام للدولة فى ميزانية ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ على سبيل المثال ، ١٣١٦ مليون جنيه ، انفق منه فى الداخل ١٢٠٠ مليون جنيه ، تشكل ٦٠ فى المائة من الدخل القومى الكلى ، ويقدر بـ ٢١٠٠ مليون جنيه . وهكذا أصبحت الدولة عاملا جوهريا فى عملية تكرار الانتاج والتوزيع الاجتماعى ، ومن ثم أصبح للبيروقراطية كقوة اجتماعية وزن خطير فى حياة البلاد الاقتصادية والسياسية .

وقد أشار الكاتب أشارة لهامغزاها الهام وهى أنه « مع هذا لا تزال البورجوازية المصرية تلعب دورا هاما فى النشاط الاقتصادى ، فهى تملك ٩٠ فى المائة من الاراضى الزراعية وتسيطر على ٧٥ فى المائة من التجارة الداخلية فضلا عن دورها الاساسى فى قطاع التشييد » .

خصائص الطبقة الجديدة

وتركيبها الايديولوجى

وأشار عادل غنيم فى نفس مقاله (١٨) الى الاتجاهات الرئيسية داخل هذه الطبقة فأوضح « أنه يمكننا ان نتعرف داخل الطبقة الجديدة على أربعة اتجاهات رئيسية :

١ ـ الاتجاه الاول : ويرى ان العلم

---

[١٥] عدد فبراير ١٩٦٨ .
[١٦] عدد يونيو ١٩٦٦ .
[١٧] حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر . فبراير ١٩٦٨ .
[١٨] حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر . فبراير ١٩٦٨ .

والتكنولوجيا هما السلاحان الرئيسيان لقهر التخلف المادى والثقافى الذى تعانى منه البلاد ، ويؤمن بدور « الصفوة » من التكنوقراطيين والاداريين الحاسم فى اجراء التغيير الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى • وهذا الاتجاه لا يؤمن بالجماهير ، وبدورها فى صنع التاريخ ويهون من قيمة العمل السياسى الجماهيرى ولا يرى ضرورة لبناء حزب ثورى جماهيرى ويخشى الديمقراطية ويرى انها قد تعرقل عملية التصنيع والتنمية الاقتصادية التى ينبغى ان تعتمد فى انجازها على مركزية بيروقراطية قوية » •

وأوضح ان هذا الاتجاه يرفض الرأسمالية كطريق للتطور والتصنيع ، غير انه يرى الاشتراكية مجرد تأميم بلا ديموقراطية ، وهو لا يمانع فى توسيع القطاع العام دون اطلاق مبادرة الجماهير ، وحرياتها فى النقد والتنظيم • والاشتراكية فى نظر اصحاب هذا الاتجاه ، حل عملى لقضية تكنولوجية ، هى قضية تصنيع البلاد • وعماد هذا الاتجاه القيادات التكنوقراطية ، وهو فى مجموعه اتجاه محافظ ويفضى موضوعيا الى رأسمالية الدولة البيروقراطية •

والاتجاه الثانى : وهو وان كان يتفق مع الاتجاه الاول فى موقفه من الجماهير ، ومن قضية الديموقراطية وفى الايمان بدور جهاز الدولة الادارى فى انجاز التصنيع ، الا أنه يختلف عنه فى موقفه من تغيير العلاقات الطبقية القائمة ، فهو يرى الاكتفاء بما تم من تأميمات واصلاح زراعى ، ويرى تجميد الثورة ، وهو يؤمن بأهمية القطاع الخاص الرأسمالى ، ويعمل على تشجيعه وتوسيعه وتعزيز مواقعه ، ويحاول وضع القطاع العام فى خدمة القطاع الخاص ، فهو يعمل على خلق رأسمالية دولة بيروقراطية تخدم التطور الرأسمالى •

والاتجاه الثالث : ويؤمن بالاشتراكية العلمية وبالديمقراطية ، وباهمية وضرورة مشاركة الجماهير فى ادارة شئونها ، ويطالب باستمرار الثورة الاجتماعية وبضرورة تعميقها ، وهذا الاتجاه يمثل اقلية تافهة داخل الطقبة الجديدة التى تعمل على هضمه واستيعابه •

والاتجاه الرابع : ويضم العناصر البيروقراطية التقليدية وهو جناح متخلف لا يؤمن بالاشتراكية على أى صورة من الصور ، ويحبذ الرأسمالية ومثله الاعلى الرأسمالية الغربية ، وخاصة الرأسمالية الامريكية ، وليس لهذا الاتجاه وزن كبير داخل صفوف الطبقة الجديدة •

وبالاضافة الى كافة الخصائص السابقة اشار ميشيل كامل (١٩) الى ان قوى الرأسمالية الجديدة فى البلدان المتخلفة تتجه الى : « العمل على ابعاد الجماهير الشعبية عن السلطة وعزلها عن العمل السياسى • وهى تحت ضغط الجماهير الشعبية قد تلجأ الى استخدام شعارات ثورية تفرغها من مضمونها فى مجال التطبيق ، واقتباس عبارات متناثرة من قاموس اليسار ، بل والتقاط بعض افكار ومعطيات الفكر المعبر عن ايديولوجية نقيضها الاجتماعى ـ الطبقة العاملة ـ ومزجها بمفاهيم اخرى تفسد من فاعليتها وتستنزف قواها » •

الحجم الاقتصادى للبورجوازية الوطنية والطبقة الجديدة

فيما يتعلق بهذه النقطة اشار عديد من كتاب الطليعة ، وبصفة خاصة عادل غنيم (٢٠) الذى اشار الى اتجاه حركة هذه الطبقة نحو النمو المتزايد وبالنسبة للفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ أشار الى « ان البورجوازية المصرية نمت خلالها نموا سريعا وملحوظا » وأشار كذلك الى أن تلك الفترة شهدت أيضا « تفاقم الطابع الطفيلى للاستغلال الرأسمالى » واورد الكاتب اشارة الرئيس عبد الناصر الواضحة الى تلك التطورات السلبية والذى جاء فيها « ان الرأسمالية الوطنية وقطاع الرأسمالية الوطنية فى بلادنا كبر من ١٩٦٠ أكبر مما نتصور • ازاى كل التنمية وكل التجارة وكل الخطة قطاع الرأسمالية الوطنية بيزيد ويترك فى ايده فلوس كتير » (٢١) •

وأورد الكاتب مقارنة بين تطور استهلاك السلع المعمرة (التى تعد مؤشرا لاستهلاك الطبقات البورجوازية) واستهلاك السلع غير المعمرة (الشعبية) خلال الخطة الخمسية الاولى ، وذلك لايضاح مدى ما طرأ على دخل الفئات البورجوازية من ارتفاع خلال تلك الفترة ، فاوضح ان « استهلاك الثلاجات الكهربائية زاد بنسبة ٢١٥ر٥ فى المائة والغسالات بنسبة ٣٩٠ر١ فى المائة والسخانات بنسبة ١٥٤٣ر٩ فى المائة والبوتاجاز بنسبة ١١٧ فى المائة والراديوهات الكهربائية ٦٥٢ر٢ فى المائة (سلع معمرة) أما السلع غير المعمرة فقد زاد استهلاك القمح بمقدار ٢٩ر٤ فى المائة ، والذرة الشامية ٤٠ر٩ فى المائة والفول

---

[١٩] فى مقاله : مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطنى • مايو ١٩٦٩ •
[٢٠] فى مقاله : « اضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية » يونيو ١٩٦٦ •
[٢١] من خطاب الرئيس عبد الناصر فى السويس ١٩٦٦/٣/٢٢ •

بنسبة ٣٥ فى المائة والاقمشة بنسبة ٢٦٫٧ فى المائة والاحذية بنسبة ٦٠ فى المائة » .

ويصور ذلك تضخم الاستهلاك الترفى (استهلاك الفئات البورجوازية) ويشير بجلاء الى أن تلك الفئات هى التى لعبت الدور الرئيسى فى تفاقم مشكلة تزايد الاستهلاك خلال الخطة الخمسية الاولى .

نمو الرأسمالية الزراعية

واشار الكاتب الى أن نفس الفترة شهدت **نمو طبقة اغنياء الفلاحين** (الذين يزرعون الارض التى يحوزونها ملكا او ايجارا من ١٠ ـ ٥٠ فدانا زراعية راسمالية ، **واتساعها وتزايد وزنها فى الانتاج وفى المجتمع** . فتخفيض القيمة الايجارية ادى الى تخفيض الريع العقارى الذى يدفعونه الى ملاك الاراضى ، وادى ذلك الى توسيع استثماراتهم فى الريف ، كما تمكنوا بالتحالف مع كبار الملاك (قبل ١٩٦١) من السيطرة على الجمعيات التعاونية الزراعية .

واوضح أن « ابرز **مظاهر نمو الرأسمالية الريفية ارتفاع عدد الملاك من ٢٠ الى ٥٠ فدانا من ٢٢٫٠٠٠ سنة ١٩٥٢ الى ٢٩٫٠٠٠ سنة ١٩٦٤**. وزاد نصيبهم من ملكية الاراضى الزراعية خلال تلك الفترة من ٦٥٤٫٠٠٠ فدان الى ٨١٢٫٠٠٠ فدان، أى ١٣٫٣ فى المائة من مجموع الاراضى الزراعية واتساع المساحة التى تزرع على أسس رأسمالية (وانتشار الايجار والمزارعة) **وبلغت المساحة التى يستحوذها الرأسماليون الزراعيون ١٫٢ مليون فدان أى حوالى خمس الاراضى الزراعية** ، وتم ذلك على حساب صغار الفلاحين من المستأجرين. كذلك فان **المساحة المخصصة للحدائق والبساتين وهى زراعة رأسمالية من الدرجة الاولى قد تضاعفت تقريبا من ١٩٥٢ ـ ١٩٦٤ فارتفعت من ٩٤٫٠٠٠ فدان سنة ١٩٥٢ الى ١٧١٫٠٠٠ فدان سنة ١٩٦٤** .

كما ازدادت الارباح الزراعية التى آلت الى الرأسمالية الزراعية من ٣٠٧ مليون جنيه سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ الى ٣٦٠٫٩ مليون جنيه فى آخر سنوات خطة (١٩٦١ ـ ١٩٦٥) . وتملك الرأسمالية الريفية ١٢٫٦٧٢ جرارا أى حوالى ٨٢ فى المائة من مجموع الجرارات العاملة فى الزراعة المصرية (الجمعيات التعاونية لا تملك غير ١٠٨٠ جرارا) . (الطاقة اللازمة لميكنة الحرث فى مصر تقدر بـ ١٧٫٠٠٠ جرار) وما يحدث فى مجال الحرث ، يحدث أيضا بالنسبة لآلات الرى .

كذلك فضح الكاتب **لجوء الرأسمالية الريفية لكافة الوسائل التخريبية لتنمية مصالحها** . كاستغلال جرارات **الجمعيات** التعاونية فى زراعاتهم مستفيدين بالسعر الرخيص ، وتعطيل جرارات الجمعية اذا ما نافست جراراتهم .

مظاهر نمو الطبقة الجديدة

تناولت الطليعة هذه المظاهر فى الفترة من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ فأشارت **اولا** : الى « **تطور حجم الوظائف العليا** ، اذ قفز عدد الوظائف العليا فى قطاعى الخدمات والاعمال (بدون الشركات التابعة للمؤسسات العامة) فى ٤ سنوات من ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ، من ٩٦٧ الى ١٥٤٤ وظيفة عليا ، أى بزيادة قدرها ٩١ فى المائة ، كما ارتفعت الوظائف التخصصية المساعدة للوظائف العليا بنسبة ٤٥ فى المائة ، والفنية بنسبة ٣٨ فى المائة، والتنظيمية والادارية بنسبة ٤٥ فى المائة والكتابية بنسبة ٢٨ فى المائة فى حين انخفض عدد الوظائف العمالية بنسبة ٤ فى المائة خلال تلك الفترة » (٢٢) .

واشارت ثانيا الى أن دخل الطبقة الجديدة قد تضاعف خلال الفترة المذكورة . ففى قطاع الخدمات (باستثناء الادارة المحلية) **زاد دخل الطبقة الجديدة خلال الاربع سنوات المذكورة بنسبة ٢٥٠ فى المائة** ، وفى قطاع الاعمال الحكومى (المؤسسات العامة وحدها دون الشركات التابعة) زاد الدخل فى الفترة من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ بنسبة ٢١٥ فى المائة ، وزاد دخل افراد الطبقة الجديدة فى قطاعى الخدمات والاعمال بنسبة ٢٣٠ فى المائة » (٢٣) .

وأبرزت الطليعة بصفة خاصة مظاهر نمو الرأسمال التجارى والطفيلى على نحو أخص وهو الذى يعمل فى مجال التجارة الداخلية وتجارة الجملة الداخلية على نحو آكثر تحديدا فأشارت (٢٤) الى « أن القطاع الخاص الرأسمالى يسيطر على

---

[٢٢] حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر . عادل غنيم . فبراير ١٩٦٨ .
[٢٣] نفس المرجع السابق .
[٢٤] فى مقال « أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية » عادل غنيم . يونيو ١٩٦٦ .

تجارة الجملة ، والقسم الاكبر من تجارة التجزئة ، ويقوم رأس المال التجاري الخاص بدور الوسيط بين القطاع العام (الدولة) كمنتج ومستورد من ناحية ، والشعب كمستهلك من ناحية أخرى ، بل ويقوم أيضا بمختلف عمليات الوساطة بين وحدات القطاع العام ذاتها عن طريق عقود التوريد (المناقصات والمزايدات العامة . ومن المعروف أن جانبا هاما من المخزون السلعي (الانتاج + الاستيراد) يتركز في أيدى تجار الجملة الذين يلعبون دور الوسيط بين وحدات الانتاج والاستيراد من ناحية ،والسوق من ناحية أخرى ، ومن هنا كان دورهم الحاسم والمسيطر في السوق الداخلي ، وفى حركة الاسعار ، ذلك أن أحوال التجارة الداخلية تتوقف الى حد كبير على من الذى يسيطر على تجارة الجملة ، وفى أى اتجاه تسير .

«.. ويصل حجم التعامل في سوق الاقمشه فى الازهر والحمزاوى الى ١٢٠ مليون جنيه سنوى (فى شتاء ١٩٦٦) . ونصيب القطاع العام منها لا يتجاوز ٥ر٨ مليون جنيه ، هو حجم تعامل الشركة العامة الوحيدة للاتجار بالجملة فى قطاع المنسوجات . ولذا كان طبيعيا أن يقف القطاع العام عاجزا عن تحقيق التوازن فى السوق والسيطرة على الاسعار» .

واشار نفس المقال الى « ان **البورجوازيه التجاريه وخاصة فئاتها العليا (تجار الجمله) حققت أرباحا فاحشة خلال السنوات الاخيرة ، ليس فقط نتيجة للعوامل التى اشرنا اليها ، وانما أيضا وبالدرجة الاولى عن طريق عمليات المضاربة المحمومة فى السوق السوداء** » .

وقدم الكاتب بعض النماذج من السوق السوداء بالنسبة لمستلزمات الانتاج ، فاوضح أن « **سعر طن الصاج ارتفع من ٩٨ جنيها الى ١٧٠ جنيها ، والزنك الالواح تبيعه الدولة بـ ٣٢٥ جنيها للطن ويبيعه تجار الجملة فى السوق السوداء بـ ٧٠٠ جنيه للطن** » . كذلك أشار الكاتب الى أن « السوق السوداء كان لها آثار سياسية مخربة وانعكاسات ضارة على مجموع الاقتصاد القومى ، فهى تؤدى الى ارتفاع تكاليف الانتاج ، وارتفاع نفقات المعيشة وزيادة أعبائها على الطبقات الشعبية ، الامر الذى لابد وأن يؤثر على المكاسب الاشتراكية التى حصل عليها الشعب العامل » .

وابرز الكاتب التاثيرات السيئة للسوق السوداء على الحرفيين ، فأوضح «أن السوق السوداء جذبت عددا كبيرا من الحرفيين الى نشاطها ، فهجر الكثيرون العمل المنتج الشريف الى المضاربة غير المشروعة فى مستلزمات الانتاج التى يحصلون عليها وفقا لنظام الحصص والتراخيص » .

كذلك أشار الى ان « الراسمال التجارى لا يكتفى باستغلال جماهير المستهلكين ، وانما يقوم أيضا باستنزاف القطاع العام ذاته من خلال عمليات التوريد على اختلافها . **وقد بلغت توريدات القطاع الخاص للقطاع العام من مختلف السلع ٢٠٠ مليون جنيه خلال الخطة الخمسية الاولى» وتكمن المشكلة فى « ان القطاع العام يبيع ما ينتجه ويستورده بالسعر الرخيص فى السوق ، ثم يعود فيشتريه من القطاع الخاص بالسعر الغالى ، وكثيرا ما يضطر للشراء من السوق السوداء . وبنك التسليف يبيع البذرة وزكائبها الى تجار القطاع الخاص ، والتجار يبيعوها الى شركات الزيوت ومعاصر الزيوت فى القطاع العام ، وفروق الاسعار كبيرة** » .

واشار الكاتب كذلك الى « أن عمليات المضاربة والسوق السوداء ، ليست هى المظهر الوحيد لنشاط راس المال التجارى ، فهناك أيضا عمليات التهريب والتجارة فى السلع المهربة التى نشطت فى السنوات الاخيرة . وأن تجارة التهريب تعد احدى الثغرات الخطيرة التى ينفذ منها رأس المال التجارى ليخرب اقتصادنا القومى ، ويزيد من حدة مشكلة الاستهلاك » .

وقد أشارت الطليعة فى فبراير ١٩٦٨ (٢٥) الى انه قد برزت خلال الفترة من ٦١ ـ ٦٢ الى ٦٦ ـ ١٩٦٧ ظاهرتان رئيسيتان :

الاولى : اتساع ونمو الراسمالية الطفيلية وخاصة فى قطاعى تجارة الجملة والتشييد (مقاولى الباطن) . وقد قام القطاع الخاص بتنفيذ ٧٠ فى المائة من اجمالى عمليات التشييد التى تبلغ قيمتها ٧٠٠ مليون جنيه ، وتكون ٤٧ فى المائة من اجمالى استثمارات الخطة الخمسية ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ ، فى حين لم ينفذ القطاع العام سوى ٣٠ فى المائة من تلك العمليات .

الثانية : هى النمو المذهل والتوسع غير العادى لبيروقراطية الدولة ، والقطاع العام فى أعقاب التأميم ونتيجة للاسراف فى انشاء الهيئات

[٢٥] فى مقال « حول قضية الطبقةالجديدة فى مصر » عادل غنيم .

والمؤسسات العامة ، ومن ثم **تضخم عدد الوظائف العليا في قطاعي الخدمات والاعمال (الحكومي) وتزايد العبء المالي للادارة** · وشهدت تلك الفترة **حركة هجرة واسعة من الحكومة** (قطاع الخدمات الحكومي) الى شركات ومؤسسات القطاع العام سعيا وراء الامتيازات الاقتصادية (المرتبات المرتفعة وبدلات التمثيل ، والمزايا العينية على اختلافها ، وجريا وراء فرص الترقي السريع · كما نشطت خلال تلك الفترة العناصر الفاسدة داخل القطاع العام لتكوين الثروات غير المشروعة مستغلة مواقعها منه ، ومن خلال الصفقات التي يعقدها القطاع العام مع القطاع الخاص . واستخدام القطاع الخاص تلك العناصر في محاولته الدءوبة لنهب واستنزاف القطاع العام وتخريبه من الداخل .»

وسمي الكاتب هذه الفترة وهي الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ « **فترة النمو السرطاني للطبقة الجديدة** » كما أشار الى أن الترابط الجدلي لهاتين الظاهرتين يعكس تفاقم الطابع الطفيلي للرأسمالية · وأشار أيضا الى ما قاله الرئيس عبد الناصر أمام مجلس الامة سنة ١٩٦٤ حين أوضح : « أن البيروقراطية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ستعمل على أن تحصل بكل الوسائل على أكبر قدر من السلطة حتى تستطيع أن تقوم بدور حاسم في الانتاج وفي العلاقات الاجتماعية ، وأن تحتكر هذا الدور ، **وتستطيع البيروقراطية بفضل هذا الاحتكار أن تأخذ مكان الرأسمالية في المجتمع الرأسمالي** »

كما أبرز الكاتب (٢٦) أيضا **الاتجاه المتزايد نحو القيادة التكنوقراطية والتخصص الفني العالي للقيادات الادارية** ، وأشار الى أن الحاصلين على مؤهلات عالية ـ دكتوراه وماجستيراه في قيادة الجهاز التنفيذي (وزارة سنة ١٩٦٤) تبلغ نسبتهم ٧٥ في المائة تقريبا من مجموع القادة بالدولة في هذا المستوى » ·

وقد أشار عادل غنيم (٢٧) الي التأثير الذي يحدثه نمو الارباح التجارية على مستوى معيشة العمال والفلاحين ، فأوضح « أن الربح التجاري باعتباره جزءا من فائض القيمة ، لا يتولد من عملية التداول السلعي بل في الانتاج المادي من عمل العمال والفلاحين في الصناعة والزراعة ، ومن ثم فارتفاع الاسعار **وتضخم الارباح التجارية لابد وأن يؤدي الى انخفاض الدخول الحقيقية للعمال والفلاحين** ، والى استنزاف القطاع العام ويؤثر على حجم الاستثمارات في الخطة الاقتصادية ، وطالب الكاتب بضرورة تأميم تجارة الجملة واعادة صياغة تجارة التجزئة على أسس جديدة تعاونية » ·

وبنفس الصدد أشار الى قطاع التشييد (المقاولات) ، وأوضح « أن رأس المال العامل في قطاع التشييد رأس مال تجاري ، والسلعة التي يبيعها هي قوة عمل الحرفيين والعمال ، والشكل القانوني لهذا النشاط هو عقود المقاولات على اختلاف صورها ، وأشار الى « **أن عدد المقاولين يبلغ ٢٠٠٠٠ مقاول** » (٢٨) ·

وأوضح كذلك « انه برغم تأميم الحكومة لشركات المقاولات الكبرى ومساهمتها بنسبة ٥٠ في المائة في معظم شركات المقاولات ، **الا أن تأميم المقاولات لم يتحقق بصورة فعالة ، اذ تحول الى مجرد تأميم للمكاتب والموظفين ، ولم يكن تاميما لقطاع التشييد في واقع الامر** ، لانه أبقى على المقاولين من الباطن وعلى نشاطهم الواسع · وفي الخطة الخمسية من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٥ قام القطاع الخاص (كما ذكرنا) بتنفيذ ٧٠ في المائة من اجمالي أعمال التشييد ، **ولم ينفذ القطاع العام غير ٣٠ في المائة فقط** » ·

وتعليقا على كافة هذه التطورات اشار **ميشيل كامل** (٢٩)الي « ان هذا التراكم «المرضي» والنمو السرطاني يمثل خطرا على الثورة الاجتماعية ، ويهدد الجسد كله ، لانه يعني ان بعض مؤسسات السلطة ما زالت تتحكم فيها بعض القوى التي تخدم حركة النمو الرأسمالي نقيض التطور الاجتماعي الثوري وتنتمي اليها ، **وان قوى الشعب** العاملة الاصيلة ما زالت مبعدة عن التحكم في مسار الثورة » ·

اتساع قاعدة البورجوازية الصغيرة

واستكمالا لدراسة كافة شرائح البورجوازية الوطنية ، بحثت الطليعة وضع البورجوازية الصغيرة في اقتصاد البلاد الصناعي والزراعي ، واتساع قاعدة هذه الطبقة · فأشار الدكتور فؤاد

---

[٢٦] في نفس المقال السابق ·
[٢٧] في مقاله : اضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية · يونيو ١٩٦٦ ·
[٢٨] في نفس مقاله السابق ·
[٢٩] في مقاله : مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطني : مايو ١٩٦٩ ·

مرسى (٣٠) الى انه : « فى بلادنا توجد نسبة ٦٠ فى المائة من الاراضى الزراعية فى حيازة فلاحين يملك الواحد منهم خمسة افدنة فأقل ، ويمثلون ٩٥ فى المائة من عدد الملاك • وتشكل المصانع التى يعمل بها اقل من عشرة عمال ٩٣ فى المائة من مجموع المصانع،ويشتغلبها ٢٧ فى المائة من مجموع العاملين فى الصناعة،ويكشف تعداد ١٩٦٤ المنشور فى عام ١٩٦٧ عن ان عدد المنشآت الصناعية التى يعمل بها أقل من عشرة يبلغ ١٤٤ر٥٥٦ منشأة ، وتبلغ قيمة الانتاج فيها ١٤٢ مليون جنيه من جملة قيمة الانتاج الصناعى البالغة ٥ر١١٠١ مليون جنيه • اما التجار فنجد ان عددهم الاجمالى ٧٥٠ر٠٠٠ تاجر ، لا يدخل منهم فى عداد المولين من الناحية الضريبية سوى ٢٨٣ ألفا ، كما أن ٥ر٥٧٪ ممن يعدون من المولين يقل دخلهم السنوى المعلن عن ٢٥٠ جنيها ، اى ان حوالى ٧٤ فى المائة من مجموع التجار يدخلون فى عداد صغار التجار » • ومعنى هذا : « **ان البرجوازية الصغيرة تضم ٩٥ فى المائة من مجموع ملاك الاراضى ، و ٦٠ فى المائة من مجموع مساحه الاراضى ، و ٩٣ فى المائة من مجموع المصانع ، و ٧٤ فى المائة من مجموع التجار** • ناهيك عن ابنائها من المثقفين والمتعلمين ، العاملين فى اجهزة الدولة والقطاع العام » •

وقد حدد الدكتور فؤاد مرسى فى نفس مقاله الموقف الذى اجمع كتاب الطليعة على تحديده من البورجوازية الصغيرة فى مقالاتهم ، فأكد الدكتور فؤاد مرسى « ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية لا يتم الا تحت قيادة الطبقة العاملة ، وعلى البورجوازية الصغيرة بالذات ان تدرك هذه الحقيقة النظرية والضرورة العملية ، فلن يقضى على استغلال الملكية الخاصة الا بقيادة الطبقة الوحيدة المجردة من الملكية » •

« **وان انتصار الثورة الاشتراكية رهن بوحدة الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة ، وبخاصة الفلاحون** ، هذه الوحدة التى تشكل نواة التحالف الطبقى العريض للقوى الاجتماعية التى تقبل التحولات الاشتراكية ، ومثالها الاقسام المتقدمة من الراسمالية الوطنية » •

« **وفى هذه الحدود ، يمكن ان تلعب البرجوازية الصغيرة دورا حاسما فى التحول الاشتراكى ، ثم فى بناء الاشتراكية** : وعندئذ فان النجاح فى كسب البورجوازية الصغيرة الى قضية الاشتراكية ، يكون هو العامل الحاسم فى نجاح النضال من اجل الاشتراكية » •

البورجوازية الصغيرة والتحول الثورى الى الاشتراكية

وقد حددت الطليعة فى مقال « ميشيل كامل » مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطنى (٣١) موقفها من النظريات القائلة بامكانية قيام البورجوازية الصغيرة باعتبارها احدى اليسار الراسمالى بقيادة عملية التحول الثورى الى مجتمع اشتراكى ، على اثر انتشار وتصاعد حركة المد الثورى الوطنى على نطاق العالم بعد الحرب العالمية ، ثم نتيجة الطابع الاجتماعى الذى اتسمت به هذه الحركات • وقد أوضح ميشيل كامل ان تجربة الشعوب وخاصة خلال السنوات الاخيرة ، اثبتت فساد هذه النظرية وزيفها بعد الانهيارات المتلاحقة المفجعة للانظمة الوطنية التقدمية التى تولت البرجوازية الصغيرة والوطنية قيادتها فى آسيا وافريقيا ، فهى لم تعجز عن اداء مهام التحول الاشتراكى فحسب ، بل وحلقت من الثغرات وتسببت فى قدر من التفسخ مكن قوى الثورة المضادة من القيام بمذابح مروعة ضد شعوبها • والسبب فى هذا يرجع الى وضعها البينى المتناقض ضد الاستعمار والراسمالية الكبيرة وبقايا الاقطاع فى نفس الوقت الذى تخشى فيه الشعب وتستشعر الخطر منه وتعمل على عزله والاستئثار بالسلطة واحتكار القيادة وصياغة القرارات بما يتمشى مع مصالحها مما يؤدى الى تفتيت الوحدة القومية والقضاء على أى صورة فعالة للتحالف الوطنى •

واوضح ميشيل كامل ان هذه الطبقة بحكم وضعها الاجتماعى لا مجال لبقائها مستقلة او مستقرة ، اذ سرعان ما تتجه الى تحقيق امانيها وتطلعاتها الطبقية فى التطور لتبلغ منزلة البورجوازية الكبيرة ، أو تنقسم على نفسها ، وتتفتت بحكم حركة الاستقطاب الحتمية ، فتميل بعض فئاتها الى اليسار لتنضم الى موكب الثورة – فى حالة وجود قطب ثورى له وزنه – بينما تنحاز فئات أخرى منها الى اليمين وتعادى الثورة • وبطبيعة الحال فان اتجاه الحركة يتوقف على الظروف السياسية الخاصة بكل بلد على حدة ، بالاضافة الى موقع كل فئة من السلم الاجتماعى ، فالبورجوازية الصغيرة اكثر ميلا الى الالتقاء بالتيار الثورى من الرأسمالية الوسطى » •

---

[٣٠] فى مقاله : البرجوازية الصغيرة : الوضع الطبقى والموقف الفكرى – يوليو سنة ١٩٦٩

[٣١] عدد مايو ١٩٦٩ •

سيطرة البورجوازية الوطنية

على التحـــــــالف

وقد اشارت الطليعة منذ نوفمبر ١٩٦٧ بوجه خاص الى **خطر سيطرة الطبقة المتوسطة على التحالف**، فأوضحت فى كراس الطليعة فى نوفمبر ١٩٦٧ فى قسم « **نظرات فى الوضع الداخلى الراهن** » انه :

« بينما كانت قوى الثورة وقيادتها تؤكد على ضرورة نقل الســـلطة الى تحـــالف قوى الشعب العاملة جميعها بلا استثناء ، **فلقد ظلت قيادات الدولة والجيش والقطاع العام تنتسب فى غالبيتها على المثقفين والطبقات الوسطى والصغيرة ، بحيث كاد الاتحاد الاشتراكى نفسه وهو مجرد تجمع أو تحالف على المستوى الوطنى ان يتحول الى حزب لتلك الطبقات** . وفى الوقت ذاته ، لم تصل الجهود التى بذلت لتكوين حزب اشتراكى طليعى يوحد فى صفوفه كل القوى الاشتراكية الى نتيجة حاسمة بعد .

« **ان السلطة قد ظلت بايدى بعض الطبقات الثوريه لا بايدى كل الطبقات الثورية** . وتلـك الطبقات التى كان ابناؤها يمسكون بزمام السلطة لم تكن مقتنعة بالتحول الاشتراكى ولا متحمسة للدفاع عنه ، ولا معنية بانجازه » .

أما الدكتور **جمال العطيفى** فيعترف بالدور الذى يمكن أن تقوم به الرأسمالية الوطنية داخـل التحالف ولكنه يرفض قيادتها للتحالف . يقول فى مقـاله : « التحالف والحـزب » (٣٢) : « انشاء الحزب الطليعى المعتمد علـى طليعة الفـلاحين والعمال والمثقفين الثوريين لا يلغى الدور الهام الذى يمكن أن تقوم به فئات التحالف الاخرى فى بناء الاشتراكية . ان هذه الفئات ومنها الرأسمالية الوطنية ، تقوم بدور هام فى الانتاج وتؤدى خدمة هامة للمجتمع . **ولكن الذى نرفضه أن تسود ايديولوجية الطبقة المتوسطة ، وأن يصبح لها قيادة التحالف** ، وأن تصبح بذلك عقبة فى تطوير علاقات الانتاج فى المجتمع الى علاقات اشتراكية » .

وحلا لهذا الاشكال يقترح **ميشيل كامل** فى مقاله « حماية وتعميق الثورة مسئولية الشعب » عدد يناير ١٩٦٨ : « **أن تصبح الطبقة المتوسطة شريكا فى السلطة ولا تنفرد بها** ، وليس هذا الشرط ضمانا لقوى الشعب العاملة فحسب ، بل هو أيضا ضمان للبورجوازية الوطنية نفسها فى مستقبل أكثر استقرارا وأمنا ، وحياة أطول أمدا » .

وفيما يتعلق بالتاثير الذى تحدثه البورجوازية الوصية والقطاع الذى تحول منها الى طبقة جديدة على التنظيم الســـياسى أوضـــح **مصـــطفى طيبه** » (٣٣) فى مقاله « الديمقراطية فى الميثاق بين النظرية والتطبيق » « **ان هـذه الطبقة قـد اصبحت « طبقة عازلة » تحول دون تدفق العمل الثورى** ، وتجمد وصول نتائجه الى الجماهير التى تحتاج اليه » كما قال الميثاق . معنى ذلك أنها تعمل على ابعاد الشعب عن ممارسة حقوقه المشروعة التى نص عليها الميثاق . وتحتال على ذلك بأساليب متعددة ، فهى تغلب الاسلوب الادارى فى حل مشكلات الجماهير ، على الاسلوب السياسى . ذلك أن العمل السياسى يحفز الجماهير ويوعيها بحقوقها ، ويمثل ذلك خطرا على مصالح هذه الطبقة .

ومع تطور حركة البورجوازية الوطنية فـى المجتمع اقتصاديا وسياسيا أكد **ميشيل كامل** فى فبراير ١٩٧١ (٣٤) « **أن الرأسمالية الوطنيـــة حريصـة علـى الانفـراد بالسـلطة بحـكم طبيعتها « اللاديمقراطية » وبسبب موقفها البينى فى عدائها للامبريالية من جانب ، وخوفها من الجماهير المنظمة من جانب اخر** » . وقال « ان الاتجاه السائد بين البورجوازية الوطنية ـ طالما كانت لها اليد العليا فى السلطة ـ **هو استدعاء الجماهير وقت الشدة** لتناضل وتقاتل وتضحى من اجل حماية « السيادة الوطنية » ثم تسارع الى تسريح هذا الحشد عندما تطمئن لقدرتها على الاستمرار ، وهى بذلك تتجنب الاثار الاجتماعية والسياسية بعيدة المدى ، التى تترتب على تنظيم الجماهير خشية بلورة ارادتهـم الجمـاعية وممارستها ، مما يهدد بزعزعة نفوذها » .

وحاول د. **رفعت السـعيد** (٣٥) أن يذكر بعض وسائل الطبقة الوسطى فى فرض سيطرتها على تحالف قوى الشعب العامل فأوضح « ان بعض أفراد الطبقة الوسطى يريدون أن يفرضوا لانفسهم ما يمكن تسميته « **بازدواج الشخصية الطبقية** » اى أن يحصلوا على كل المميزات الاقتصـادية والاجتماعية التى تتيحهـا لهـم أوضـاعهم الاجتماعية ، وأن يحصلوا فى نفس الوقت على ما للـطبقة العاملة والفـلاحين من حقوق سيـاسية

[٣٢] نوفمبر ١٩٦٧ .
[٣٣] عدد يونيو ١٩٦٦ .
[٣٤] بعض ملاحظـات حول منهج العمل الوطنى لدعم الجبهة الداخلية .
[٣٥] فى مقاله : نظرية التحـالف بين الفكر والتطبيق . فبراير ١٩٧١ .

شرعتها الثورة ليس لمجرد منح هذه الجماهير حقوقها وانما ــ وفى الاساس ــ تحقيقا لفائدة مؤكدة لمسيرة الثورة » • وأوضح الكاتب أن « المسألة هنا ليست مجرد أنانية فردية أو حتى طبقية وانما هى أخطر من ذلك بكثير فهى تفرض على التحاليف شكلا لا يتسق مع طبيعته وتعزل عن اطاره القوى ذات المصلحة الاساسية فى استمرار الثورة ، ومن ثم فان الاطار التنظيمى للتحالف لا يتعرض فحسب لسيطرة قوى سياسية متخلفة ، وانما ــ وهذا هو الخطر الاكبر ــ يتعرض أيضا لتباعد القوى الاكثر ثورية عنه • وعلى أية حال فقد كانت نتيجة ما جرى من مناقشات ومساجلات أن وضع تعريف مطاط مكن احدى قوى التحالف من أن تحصل لنفسها بغير حق على الثقل الاساسى فى الاطار التنظيمى للتحالف » •

كذلك ففى الوقت الذى أوضح فيه د • رفعت السعيد فى نفس مقاله : « أن كبار الموظفين ورجال الادارة يستولون على الغالبية العظمى مما أتاحته الثورة من فرص أمام العمال ، كى يمارسوا مشاركتهم فى السلطة » أوضح أيضا بالنسبة للقرى : « أن الممثلين التقليديين للاسر الغنية ، واغنياء الريف قد حولوا النسبة التى يتيحها الميثاق للفلاحين ، الى غنيمة لهم » •

وقد أكد « ميشيل كامل » فى مقاله « بعض ملاحظات حول منهج العمل الوطنى لدعم الجبهة الداخلية » (٣٦) بعض النقاط النظرية فيما يتعلق بالاشكال التى تلجأ اليها البورجوازية الوطنية فى بلدان العالم الثالث لتأكيد سيطرتها الطبقية وأشكال هذه السيطرة ، فأوضح : « ان التجارب التقدمية جميعها أوضحت أن القوة القيادية فى الجبهة أما أن تكون البروليتاريا أو البورجوازية الوطنية ، والفارق الوحيد بين الحالتين هو أن البروليتاريا تعلن عن وضعها القيادى وتمسكها به ، بينما تحاول الرأسمالية الوطنية اخفاء موقعها القيادى بمسميات براقة • ولقد ظهرت صيغة جديدة للتحالف فى بلدان العالم الثالث تتمثل فى تنظيم « الافراد المجردين » لا الفئات الاجتماعية المتميزة داخل الوعاء التنظيمى الواحد ، وتتمسك بالسماح بالتعبير الفردى دون التعبير الجماعى لكل من القوى المتحالفة ، وهى الصيغة التى تنمو وتمهد لتحويل التحالف الى تنظيم حزبى » •

وأوضح ميشيل كامل : « ان صمام الامن ضد تحول الجبهة الى حزب طبقى يمثل فئة بعينها ، يحتكر السلطة و « يلحق » الفئات الاخرى به ببعثرتهم كأفراد مجردين ، الضمان الوحيد لحرية التعبير والصراع السلمى البناء بين قوى الشعب العاملة هو فى أن تتاح لكل فئة أن تعبر عن نفسها ــ فكريا وتنظيميا ــ داخل اطار الاتحاد الاشتراكى ، ملتزمة ببرنامج التحالف ــ الميثاق وبيان ٣٠ مارس وتحقيق أهدافهما » •

وأضاف « ان صياغة واقرار برنامج مرحلى مشترك ــ موقف وسط للتحالف ــ أمر ممكن وضرورى من أجل دعم التحالف الثورى للقوى الوطنية • أما التوصل الى أيديولوجية مشتركة فيتعارض مع أى منطق علمى أو واقعى • ان سيطرة طبقة على أخرى لا يتمثل فقط فى السلطة السياسية والاقتصادية ، بل فى عملية الاحتواء الفكرى الذى يضفى الشرعية على « ايديولوجية المجتمع كله » أو « الفكر الموحد » لجميع قوى الشعب العاملة » ! •

وانتقد ميشيل كامل « النظرة التى ترغب فى رفع « نسبة الاستغلال » عن قطاع من الرأسمالية أو اسلوب من الانتاج الرأسمالى ، وهى نظرة تتعارض مع الاشتراكية ، وتهدف الى تمكين الاسلوب الرأسمالى فى الانتاج » ، ذلك « ان كل ملكية خاصة لادوات الانتاج ، وخاصة المصحوب منها باستخدام العمل الاجير ، تحتوى على عنصر الاستغلال » •

كذلك أشار الى « محاولات اظهار التأميم فى حد ذاته أو مجرد وجود القطاع العام دليلا على الاشتراكية ، وتصوير الهيكل التعاونى فى أى شكل وجد عليه بأنه تعاون اشتراكى ، بينما هو يعنى الملكية المشتركة لادوات الانتاج أو وسائل الانتاج وتوزيع عائدها على أساس كمية العمل الذى يقدمه كل عضو بالتعاونية • وهناك الجهود التى تبذل لابراز التخطيط الموجه بما يوحى بأنه التخطيط الاشتراكى •• الخ •• وهى جميعا افكار أقل ما يمكن أن يقال عنها انها مثار للبلبلة ليست فى مصلحة التطور الى افاق ابعد من الثورة الوطنية الديمقراطية » •

الطبقة الجديدة والعدوان وتطور الثورة

وقد أوجزت الطليعة تحليلها لموقف الطبقة الجديدة من العدوان وتطور الثورة فى الكراس الذى نشرته فى نوفمبر ١٩٦٧ بعنوان « نظرات فى الوضع الداخلى الراهن » وقد جاء بهذا الكراس بصدد النقطتين المذكورتين ما يلى :

---

(٣٦) عدد فبراير سنة ١٩٧١ •

« ان الطبقة الجديدة هي المسئول الاول عن نواحي الضعف التي ادت الى الهزيمة » . بيد ان مشكلة هذه الطبقة مازالت هي كيف تعيش ، وكيف تحافظ على موقعها الممتاز على الرغم من الهزيمة . لكن الامور ليست بهذه البساطة فقد أدت الهزيمة الى شرخ في النظام بمعنى تحلل الطبقة الجديدة ، لقد انقسمت الى جناح يريد قلب النظام عسكريا محتميا وراء الدعوة للديمقراطية البورجوازية وتعدد الاحزاب ، وهو يريد الانتكاس اجتماعيا بالثورة وتلمس حل المشكلة بالتفاهم في نهاية الامر مع الغرب » .

« والجناح الثاني شعاره الاساسي هو الدولة الحديثة القائمة على العلم والتكنولوجيا والتي يحكمها بالطبع التكنوقراطيون والتي تقضي على التخلف الحضاري الصارخ بحيث تعيش الجماهير الشعبية داخليا في مستوى لائق دون تطلع الى مواقع القيادة ، وهذه الدولة الحديثة لابد أن يكون نظامها الاقتصادي هو رأسمالية الدولة البيروقراطية . ولذلك فليس المطلوب الغاء التاميمات جملة وتفصيلا وانما الغاء بعضها فقط ، والاحتياطي المباشر لهذا الجناح هو البورجوازية الوطنية الليبرالية ، وبصفة خاصة في المهن الحرة » .

« اما موقف هذا الجناح من العدو فانه أكثر تعقيدا . فهو يبدأ باتجاه يساري مغامر يريد استئناف القتال في أقرب وقت ، دون أن يستعد البلد والجيش استعدادا جديا ، ولكنهم في الواقع غير راغبين اطلاقا في جولة عسكرية جديدة يمكن أن تهدد مواقعهم ، ثم يبادرون بالقاء مسئولية استحالة استئناف القتال على الاتحاد السوفيتي بحيث يتسنى لهم أن يعلنوا أنه لا مفر بالتالي من التفاهم مع الغرب في اطار انقاذ حقوق مصر الاساسية ، ومن الطبيعي أن يكون هذا الاتجاه من أقل الاتجاهات ايمانا بالقومية العربية بل تشتد بداخله النزعة الانعزالية » .

« والجناح الثالث هو الجناح الذي يتخذ شعاره الرسمي المحافظة على الثورة وموقفه العملي هو العداء للطبقة العاملة ومعاداة الشيوعية ومهاجمة الاتحاد السوفيتي . وهو لا يفعل شيئا من أجل تعبئة القوى الشعبية الكفيلة بزجر المغامرين والانقلابيين .

كما اشار ميشيل كامل في مقاله « بعض ملاحظات حول منهج العمل الوطني لدعم الجبهة الداخلية » (٣٧) الى اتجاه البورجوازية الى التركيز على الجيش النظامي فقط لازالة آثار العدوان وقال : « ان بعض قوى التحالف – او بالاحرى البورجوازية الوطنية بالذات – حاولت أن تصور المعركة على أنها الحل العسكري وحده ، وان تحدد نطاقها على خط القتال ، وقواها بأنها الجيش النظامي دون غيره ، وكان هدفها من ترويج هذا المنطق الحرص على امتيازاتها خشية ان تمسها متطلبات التعبئة الاقتصادية الشاملة اذا ما امتدت المعركة الى « الجبهة الداخلية » .

وأشار الكاتب الى أنه « رغم أن الجماهير الشعبية قد رفضت هذا الاتجاه منذ اللحظة الاولى ، فقد تمادت البورجوازية في الدعوة له الى الحد الذي أصبح يهدد المصالح الوطنية ، فهو يؤدي الى فقدان اليقظة ضد احتمالات تطور الموقف بحصر نطاق الخطر في منطقة محددة صوروا استحالة تجاوزها » .

واشار ميشيل كامل في مقاله الى تجارب العالم الثالث ونواقصها في هذه الناحية فأوضح « ان تجارب العالم الثالث عامة اثبتت أن ادراك أهمية التعبئة الجماهيرية الواسعة والثابتة ، عادة ما يظل محصورا في دائرة الشعارات لا تنتقل الى مجال التطبيق العملي الا في ظروف تأزم الموقف ، وعندما تحدق الاخطار بالنظام القائم لتهدد كيانه كله ، وعندئذ تتم تعبئة عاجلة يعوزها الاستقرار ، طابعها معنوي اثاري أكثر من تنظيمي مخطط مستقر . لذلك فان هذه التعبئة سرعان ما يصيبها التفكك والتمزق بمجرد زوال الخطر المباشر او تصور زواله ، هذا الاسلوب من التعبئة اثبت قصوره عن القدرة على التصدي للتحديات ، وأدى الى سقوط انظمة وطنية تمسكت باتباع هذا المنهج في العمل » .

الموقف من البورجوازية الوطنية ومواجهة الطبقة الجديدة

حددت الطليعة في كراسها الذي نشرته في نوفمبر ١٩٦٧ بعنوان « نظرات في الوضع الداخلي الراهن » المبادىء التي تخدم العلاقات الطبقية داخل تحالف قوى الشعب العامل . وتعكس هذه المبادىء موقف الطليعة من الطبقة المتوسطة والصغيرة والطبقة الجديدة ، كطبقات تشكل جزءا من تحالف قوى الشعب العامل . وقد

أوضحت الطليعة موقفها فى هذا الكراس على النحو التالى :

« ان نقطة البدء فى الصراع الطبقى داخل تحالف قوى الثورة هى ضرورة التسليم بان هذه القوى ، قوى اجتماعية متعددة وليست قوة واحدة يمكن أن تنفرد بالثورة ، والنقطة التالية هى ضرورة التسليم ، بأن التحالف الذى يجمع قوى الثوره ينطوى بالضرورة على تناقضات يجب أن تتم معالجتها على أرضية الاشتراكية ، اى على أساس تذويب الفوارق بين الطبقات ، والنقطه الثالثة هى ضرورة التسليم بأن حل هذه التناقضات يجب ان يتم بطريقة سلمية ، أى على أساس الديمقراطية » .

وأوضحت الطليعة فى الكراس : « ان المرحلة الانتقالية تفترض تنازلات متبادلة من كافة الطبقات الثورية من أجل السير فى طريق الاشتراكية فى اتجاه خلق وتطوير علاقات انتاج اشتراكية وبالتالى :

١ ـ فلا يمكن أن ترفض طبقة تقديم التضحيات الضرورية والانفراد بالامتيازات الاجتماعية .

٢ ـ ولا يمكن أن تكون تضحيات طبقة فرصة نادرة لاثراء طبقة اخرى والتسلق على السلم الطبقى .

٣ ـ ولا يمكن أن تحتفظ الطبقة بمكانها فى التحالف الثورى سياسيا اذا تخلت عن دورها الثورى اجتماعيا .

٤ ـ ولهذا يمكن أن تفقد الطبقة مكانها فى تحالف قوى الشعب ، اذا فقدت وظيفتها الثورية .

ونبه محمد سيد احمد الى نقطة هامة فيما يتعلق بالموقف من الرأسمالية الوطنية فقد أشار (٣٨) الى أنه « ينبغى التنبيه الى أن انتهاج طريق العداء للرأسمالية ، لايعنى بالحتم تصفية فئة الرأسمالية الوطنية . وانما يفترض تطوير القطاع العام وتنمية كفاءته فى الانتاج بمعدل يفوق معدل تطور القطاع الخاص والعمل على تأكيد هيمنة القطاع العام على الاقتصاد القومى فى مجمله بصور متنوعة بما فى ذلك القطاع الخاص » .

لكن الطليعة حددت فى كراسها بعنوان « نظرات فى الوضع الداخلى الراهن » (٣٩) موقفا أكثر تحديدا حين أشارت فى نفس الوقت الى أن « مهمة الديموقراطية هى نقل البلاد أكثر فأكثر الى الاشتراكية ، ومعنى هذا الحد من تطور الرأسمالية باطراد لا تنميتها . ان مهمة الديموقراطية هى انهاء المرحلة الانتقالية بانجازها ، لا بالعدول عنها » .

وقد حددت الطليعة موقفها الاقرب الى التكامل بالنسبة لقطاع الرأسمالية الوطنيه فى « دوسيه للمؤتمر القومى » نشرته فى عدد يونيو ١٩٦٨ ، فقد أوضحت بالنسبة للقطاع الرأسمالى الوطنى :

« انه لا ينبغى أن تكون الدعوة لتشجيع القطاع الخاص ، ستارا للهجوم على القطاع العام . فالقطاع الرأسمالى ليس قادرا على حل مشكلات التنمية ، والا لما كان هناك داع للتأميم وللحديث عن حتمية الحل الاشتراكى . ولكن القطاع الرأسمالى الوطنى له دوره فى التنمية الذى يمكن أن يلعبه فى الصناعة والزراعه وتجارة التجزئه ، وذلك فى كل المشروعات الصغيره والمتوسطه التى لم تبلغ من الحجم ما يبرر تاميمها . كما يجب مقاومة اتجاه رأس المال الخاص نحو الربح السريع عن طريق النشاط الطفيلى الذى لا يسهم فى زيادة الانتاج (أعمال الوساطة وعقود التوريد ومقاولات الباطن ، والمضاربة والتخزين) ». كذلك :

ـ يجب تحقيقا للطمأنينة لدى الرأسمالية الوطنية ، تحديد المجالات التى يجب أن ينشط فيها رأس المال الخاص تحديدا واضحا .

ـ تأمين القطاع الرأسمالى ضد التأميم فى حدود رأس مال معين أو عدد معين من العمال .

ـ توفير قطع الغيار اللازمة له وتوفير الائتمان المصرفى .

ـ ربط وحدات القطاع الرأسمالى بوحدات القطاع العام بروابط تجارية منتظمه تضمن استمرار تشغيل كل الطاقات الانتاجية .

الا أن الطليعة نبهت فى « الدوسيه للمؤتمر القومى » الى أن : مطالب الرأسمالية الوطنيه فى القطاع التعاونى ، ينبغى ألا تغطى على مشكلات الالوف من صغار المنتجين فى الصناعة الحرفية ، وفى تجارة التجزئة ، وهؤلاء لا يمكن حل مشكلاتهم ، الا عن طريق الجمعيات التعاونية الانتاجية التى يقترن نجاحها بشرطين :

ا ـ الا تسيطر عليها عناصر الرأسمالية

---

[٣٨] فى مقاله : التنظيم السياسى والديمقراطى فى مجتمع متخلف يسير نحو الاشتراكية ـ عدد يونيو ١٩٦٧ م.
[٣٩] عدد نوفمبر ١٩٦٧

الوطنية ، وهذا ما يمكن ضمانه باشتراط حد أقصى لعدد العمال لدى من ينضم للجمعية (١٠ عمال مثلا) .

ب ـ الا تخضع لاجراءات بيروقراطية حكومية ، وهذا ما يتوافر اذا ترك لاعضائها فرصة ادارتها بشكل ديموقراطي » .

اما بالنسبة لمجابهة الطبقة الجديدة وتصفيتها فقد حدد عادل غانم في مقاله « حول تصفية الطبقة الجديدة في مصر » فبراير ١٩٦٨ عددا من النقاط الاساسية اوجزها فيما يلي :

اولا : « النضال من اجل استمرار الثورة الاجتماعية اى من اجل اذابة الفوارق بين الطبقات . وهذا يقتضى :

ـ اجراء اصلاح زراعى جذرى يقوض نهائيا أسس البيروقراطية والطبقة الجديدة في الريف .

ـ تاميم تجارة الجملة وقطاع التشييد .

ـ تصفية امتيازات البيروقراطية العليا في الدولة والقطاع العام بتخفيض المرتبات العليا والغاء بدلات التمثيل والمزايا العينية .

ثانيا : النضال من اجل تطوير سلطة الدولة : وهذا يقتضى اطلاق حرية النقد ، وتوسيع الديموقراطية ، اى تطوير السلطة بحيث تعبر عن الطبقات صاحبة المصلحة في الاشتراكية من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

ـ تطوير علاقات الانتاج داخل مؤسسات القطاع العام ووحداته بحيث تلعب الطبقة العاملة دورا متزايدا في ادارته ، والانتقال من المشاركة الشكلية الى صور ديموقراطية جديدة من المشاركة الفعالة في الادارة .

ثالثا : اتخاذ اجراءات تنظيمية » تتمثل في :

ـ اعادة النظر في الهيكل الادارى والتنظيمى القائم للقطاع العام (قطاع الاعمال) ولجهاز الدولة (قطاع الخدمات) والعمل على تبسيطه وتخفيض عبئه المالى على الانتاج .

ـ اعادة تخطيط القوى الوظيفية ، واعادة توزيعها على الانشطة المختلفة بحيث يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، وحتى نضمن الاستخدام الكامل للكفاءات الفنية التى تملكها .

رابعا : وفي المجال السياسى والايديولوجى :

ـ الاهتمام بالتربية السياسية والتثقيف الاشتراكى للكوادر الادارية والفنية العليا .

ـ تحقيق الاتساق والتكامل بين خطط التعليم على كافة مستوياته ، وخطط التنمية الاقتصادية .

ـ النضال من اجل محو الامية ، واعتبارها قضية قومية ملحة .

ـ **محاربة الإسراف وتبديد الموارد والسيطرة** على الانفاق العام .

ـ **ان يطبق قانون الكسب غير المشروع بطريقة سياسية تعتمد على مشاركة الجماهير** أكثر من الاعتماد على الاجهزة الادارية . فالجماهير اقدر دائما على كشف الانحرافات » .

وعلى وجه العموم ، فقد اجمع كتاب الطليعة بالنسبة لطبقة الجديدة على ضرورة النضال لمجابهتها وتصفيتها ، وقد استشهدوا عديدا من المرات في هذا الصدد بالموقف الذى حدده الرئيس « **عبد الناصر** » في ١٩٦٤ ، واورده مصطفى طيبه في مقاله « الديموقراطية في الميثاق بين النظرية والتطبيق » (٤٠) وقد حدد الرئيس عبد الناصر موقفه بكل وضوح بهذا الصدد حين أشار انه :

« لا ينبغى لنا مهما كان الثمن ان نسمح بظهور طبقة جديدة تظن ان الامتيازات ارث لها بعد الطبقة القديمة . وعلينا ان نقاوم مثل هذا الانحراف ونثور عليه اذا اقتضى الامر ، ونجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه ، فان هذا السلاح سوف يتجه لحظة تواتيه الفرصة الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة » .

---

(٤٠) عدد يونيو ١٩٦٦ .

ملف
الطليعة

د. محمد الخفيف

ذكرى المناضلين هي دوما ذكرى ملهمة معينها لاينضب من زاد الفكر والثورة والعمل • بهذا المعنى ودون التلفع بثياب رومانسية نقول انمحمد الخفيف لم يمت ، لان المثل الفذ الذى ضربه فى حياته لن ينتهى بوفاته •• وانما سيظل ابدا نبراسا يضىء الطريق الوعر الذى أسهم مع الكثيرين فى شقه بالاظافر ، طريقنا الوطنى نحو التحرر والتقدم الاجتماعى والسلام •

ان أبرز ما سيبقى فى مخيلة الاجيال المعاصرة لمحمد الخفيف ، هو تلك الوحدة العميقة بين فكره وسلوكه •• لقد كان نموذجا رفيع المستوى لهذا التكوين الثورى المنسجم ، يقول ما يعتقد انه الحق ، ويسلك وفق ما يقول • ودفع محمد الخفيف مع غيره من المناضلين الشرفاء ثمن هذه الرؤية للعمل السياسى ، دفعة على كافة المستويات ، الشخصية والعامة ، الروحية والجسدية • وليس من شك فى ان وفاة الخفيف فى هذه السن الباكرة وعلى هذا النحو المفاجىء وعلى أثر تعب القلب المزمن ، تعد تعبيرا تراجيديا داميا على فداحة الثمن الذى يمكن فى دنيانا أن يبلغ الذروة •

ان شخصية الخفيف ستكون ميدانا خصبا لدراسة المرحلة الثورية التى خاضها شعبنا وقد انعكست على حياة رجل شجاع ضحى من أجل مبادئه حتى النفس الأخير •• ارتبط بالجماهير فى واقعها اليومى وعانى معاناتها وعبر بلسانها واستشهد أخيرا وهو ينادى لها بالحرية فى صياغة مستقبلها وتنظيم حركتها • ولعل اروع احتفال بذكرى الخفيف هو أن نمضى فى تجسيد أحلام هذا الشعب المناضل وأن نقطع شوطا فى الطريق الوعر الذى اختاره لتحقيق هذه الاحلام •

وأسرة « الطليعة » التى كان الدكتور محمد الخفيف واحدا منأبرز مؤسسيها ، تشعر بخسارة جسيمة فى فقده لا يجدى معها العزاء •• وربما كانت سلوانا الحقيقية هى أننا نؤمن ايمانا عميقا بأنه اذا كان الصوت قد رحل فالصدى باق بيننا يذكرنا كل لحظة بخطورة المسئولية وشرف حملها والاستشهاد فى سبيلها •

الطليعـــة

قام باعداد الملف ● اسرة تحرير الطليعة ● د. محمود القويسنى



سـيرة نضـال

لقد حمل أول ابريل من هذا العام نبأ وفاة «الدكتور محمد الخفيف» ، ولم يرض الناس بقبول تصديق هذا النبأ ، وأصروا على نكرانه ـ ولكن الحقيقة كانت اقوى من مشاعرهم واصرارهم .. اذن لقد مات محمد الخفيف .. مات أحد الذين اسهموا في صنع تاريخ شعبهم وبلدهم بكل ما في العقل من فكر ، وبكل ما في القلب من عاطفة ، وبكل ما في النفس من جارحة .

تفتح محمد الخفيف وهو في سن السادسة عشرة وكان طالبا بالمدرسة الثانوية سنة ١٩٣٦ على تصريح السير صمويل هور وزير المستعمرات البريطاني ، يعلن أن مصر احدى مستعمرات التاج البريطاني . وانتفض الشعب المصرى يرفض هذا التصريح ، ويتظاهر الطلبة معلنين استنكارهم .. وينجذب صاحبنا لهذا التيار ، ويقف متعجبا لما كان يلقى عليه من دروس التاريخ وما كان يعرفه من أن مصر دولة مستقلة ، قد حصلت على استقلالها بعد ثورة ١٩١٩ على يد سعد زغلول . واندفع بين صفوف الطلبة والشعب يرفع صوته « الجلاء التام أو الموت الزؤام » .. « يسقط الاستعمار » .. « تحيا مصر حرة مستقلة » ويتابع أخبار مظاهرات الطلبة في القاهرة ، ويسمع انباء

استشهاد عبد الحكم الجراحى وعبد المجيد مرسى .. فينفعل بهذا المد فى الحركة الوطنية .. ويرى وهو فى مقتبل عمره تاريخ النضال لشعبه ، وينظر فيما حوله بين الاحزاب السياسية القائمة فى ذلك الوقت ، ويجدها تختلف على مفاهيم لم يستطع لها تفسيرا ، فالكل فى نظره لا يعبر عن مصالح أهل قريته وبلده .. وتفتر شفتاه عن ابتسامة ضعيفة من الامل فى تكوين ما أسموه « الجبهة الوطنية » بين هذه الاحزاب التى أجرت المفاوضات مع الانجليز بشأن الجلاء وانتهت الى علان معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكبر الخفيف وهو مازال يتأمل « هل يمكن أن تكون المفاوضات مع المستعمر سبيلا لتحقيق الاستقلال ؟ » « وهل يمكن لهذه القيادات السياسية أن تعبر عن مصالح الجماهير المصرية العريضة » .. ويشب مع الايام وتزداد معه هذه التساؤلات .. وينضج فكره فى أحضان الحركة الوطنية المجردة .. ويؤمن بضرورة جلاء القوات البريطانية عن أرض البلاد ... فليدافع عن أرض الاباء والاجداد .. ويستعرض تاريخ شعبه والحضارة التى خلقها على أرضه منذ فجر التاريخ ويتابع تطور الانسان المصرى منذ عهد الفراعنة حتى اليوم .

وفى الجامعة وقد التحق بها فى كلية الطب ، وأمضى فترة السنة الاعدادية بكلية العلوم بالعباسية أمام ثكنات الجيش البريطانى ، وكانت الحرب العالمية قد أعلنت .. وبدت القوات البريطانية أمامه فى غدوه ورواحه الى كليته .. وحلا له يوما أن يتعرف على أحد الضباط الانجليز .. واستمع اليه فى اهتمام .. لقد بعثت الصدفة اليه بهذا الضابط ـ الذى كان يكره الحرب ولا يقر منطق الاستعمار ـ لقد كان الضابط من المثقفين القلائل الذين تأثروا بالفكر الاشتراكى العالمى ... فأعجب صاحبنا بهذا الضابط وتوطدت أواصر الصداقة بينهما ، وتبادلا المناقشات ووجهات النظر وتفتح ذهن محمد الخفيف على فكر جديد يشكل لديه جنينا جديدا .. وأمده الضابط ببعض الكتيبات والمطبوعات التى تتحدث عن الماركسية ، وانقطعت الصلة بينه وبين الضابط الذى رحل الى جبهة القتال بالصحراء الغربية . ولكن الخفيف ظل يستعيد ما دار بينه وبين ذلك الضابط من أحاديث وما تناول من أفكار ، وعكف يعيد قراءة تلك الكتيبات والمطبوعات التى تركها له . وشغف محمد الخفيف بهذا المنهج الجديد فى تشكيل الفكر السياسى ، وفى تلك الفترة من الاربعينات التى دارت فيها الحرب وما بعدها ، ما لبث هذا الفكر أن وجد طريقه الى عدد من الطلبة والمثقفين ، وأصبحت المناقشات العلمية فيه ظاهرة سرت بين الشباب الذى كان يبحث لنفسه عن طريق للتعبير عن أفكاره وآماله .

لقد استعرض محمد الخفيف تلك الفترة التى لهثت فيها الجماهير وراء سراب القيادات الحزبية ووعودها لتتأرجح بين فئات الحرمان ولتحتجز عنها كل حرية ، الا حرية التصفيق والتأييد لخادعيها الذين حالوا بينها وبين فاعليتها فى النضال الوطنى الديموقراطى ، واستخدمتها مطية وسلما نحو كراسى السلطة ومقاليدها . ويلتفت محمد الخفيف مع الجموع حوله ليجد « الجبهة الوطنية » وقد تفتتت متكالبة على تخاطف الفتات الذى سمح به الاستعمار ، وبصرف النظر عن تفاوت قدر التكالب والخيانة وأحتفاظ حزب الوفد لمرحلة ببعض مظاهر وخواص الجبهة الوطنيه ؛ فلقد أضاع بافتقار قيادته الى الفاعلية وعجزها عن قبول تبعات ضرورة المجابهة الثورية وتخطى آثار كوميديا الكراسى الموسيقية وميع كفاح الجماهير ونضالها ، فضاعت جهودها لانفراده بالقدرة على ربط جموعها الى فترة أطول . ولكن سرعان ما استنفذت هذه القدرة ، وانكشف افلاس هذا التحالف الجماهيرى الرخو خلال الحرب العالمية الثانية .. وتأكدت الجموع من استحالة قيادته لتطوير ثورى تحريرى على المستوى الوطنى والاجتماعى .. فأقامت حركتها الجماهيرية بشكل تلقائى باهر وصلت الى قمتها تحت قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ ـ وكان محمد الخفيف من أبرز العناصر الشابة التى اشتركت فى نشاط دار الابحاث العلمية التى كان لها ولدار نشر الثقافة الحديثة والفجر الجديد وأم درمان دورا طليعيا وأساسيا فى الدعوة للفكر الاشتراكى العالمى ، لقد عمل الخفيف فى دار الابحاث العلمية فى هذه الفترة مع أبرز العناصر المناضلة من أجل الاشتراكية مثل شهدى عطية الشافعى ، هذه العناصر التى آمنت بالطبقة العاملة وبنظرتها ـ الاشتراكية العلمية .

لقد كان المكان الطبيعى للمناضل الذى صقلته تجربته الوطنية ، وانضجته ثقافته الماركسية ، وطورته ارتباطاته بالجماهير ، وعلاقاته الوثيقة بالطلبة والعمال ، والعمل بينهم .. لقد كان الموقع الطبيعى له أن يكون فى قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . وهكذا انطلق محمد الخفيف بكل ما يملك من قدرات ، وتفجرت امكانياته الواسعة .. يعمل فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، يسهم فى تنظيماتها ، ويخطط تحريكها ، ويفنى نفسه فى نشر الثقافة التقدمية بين أفرادها ، يلقى المحاضرات ، ويقيم الندوات ، وينتشر بين صفوف العمال والفلاحين ، يدعو للفكر الوطنى

الجديد ذى المضمون الاجتماعى ، يعتبر النضال ضد الاستعمار والامبريالية نضالا ضد كل أنواع الاستغلال ، يؤمن أن المضمون الوطنى لم يعد مجرد الدفاع عن أرض الاباء والاجداد ، وانما هو كفاح من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية للطبقات العاملة والمنتجة فى هذه الارض ، عرف طريقه الى التنظيمات الشيوعية السرية ، ولكنه فى ذات الوقت كان يعمل بنشاط فى العمل الجماهيرى العلنى ..

وفى أغسطس سنة ١٩٤٥ وقد استسلمت القوات النازية بالمانيا والفاشية بايطاليا . وتاهب العالم لسماع نبأ اعلان نهاية الحرب وبدء السلام ، اذا بالولايات المتحدة الامريكية تطلق أول القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكى فى اليابان ، ويفزع العالم أجمع من هول التخريب ومداه ، ويمسك الناس بأنفاسهم يترقبون نهاية هذا العالم وفناء الحياة كلها . ان هذا السلاح الرهيب هو اليوم فى يد أكبر قوة للعدوان بعد القضاء على الفاشية والنازية ، ان هذه القوة الجبارة التى أعلنت الامبريالية الامريكية امتلاكها كانت من أكبر الدوافع التى أكدت ضرورة النضال ضدها ووقف نشاطها وسيطرتها .. من هنا ، انطلق محمد الخفيف داعيا من أجل السلام ، مشاركا فى تجميع الرأى العام حول ضرورة النضال ضد الاستعمار من أجل تحقيق السلام على الارض .

على أية حال ، فقد كانت الفترة التى انقضت من حياته ، وهو بعد طالب بالجامعة زاخرة بالاحداث المحلية والعالمية التى أثرت فى فكره وعقله ، وانفعل بها وشكلت له منهجا علميا آمن به طول حياته ، وهو بعد طالب بالجامعة زاخرة بالاحداث الناس .. وعمل من أجلهم ..

وفى سنوات الدراسة التى قضاها بكلية الصيدلة ، كان الطالب محمد الخفيف منطلقا بين زملائه يداعبهم فى مرح وحبور .. لما تمتع به من خفة الروح وقدرة فائقة على اطلاق النكتة ، فلم يترك مناسبة تمر او حادثا الا ويعلق عليه بلفشته الساخرة التى لا تخلو من تعبير أو معنى .. ولقد أكسبته هذه السمة شهرة واسعة بين أقرانه وزملائه ، وجمعتهم حوله ، فأفاد من ذلك فى نشر فكره الجاد وفلسفته الماركسية التى تاثر بها الكثيرون .. وكان يجيد تقليد أساتذته فى الكلية ، وكثيرا ما ألقى نكاته ومداعباته فى المهرجانات والحفلات التى كان يقيمها الطلبة للترويح عن انفسهم ، كان محل حب الجميع وتقديرهم ، أساتذة وطلابا ، واشترك بقسط موفور فى نشاط اتحادات الطلبة ، وشهد اتحاد كلية الصيدلة نشاطا ملحوظا لم يعهده فى تلك الكلية من قبل ، وكان أول من اصدر مجلات للطلبة فيها . ولقد تجاوز نشاطه حدود كليته ، فكان ضمن طليعة الطلبة الذين أسهموا فى انشاء رابطة الطلبة المصريين التى لعبت دورا هاما فى الحركة الوطنية فى تلك المرحلة ، وكان أحد الذين أصدروا مجلتهم « الرابطة » ، التى كانت تعتبر منبرا للتعبير عن آمال الطلبة المصريين وأفكارهم السياسية التقدمية التى جمعت حولها لفيفا كبيرا من الطلبة . وفى مواجهة الارهاب الاستعمارى الملكى كان نشطا فاعتقل فى ١٩٤٨ فى الهاكستب والطور ولم يخرج من المعتقل الا فى آخر ١٩٤٩ .

وتخرج الدكتور محمد الخفيف من كلية الصيدله سنة ١٩٤٦ وعمل لفترة قصيرة بصيدلية مستشفى المنيل الجامعى .. وفى خلال تلك المدة المحدودة شاءت الاقدار أن تسوق له من الاحداث ما يطلعه على انهيار النظام الاجتماعى الذى كنا نعيش فيه ، فالمستشفى يموج بالاطباء والممرضات يفترض فيهن خدمة المرضى المترددين على المستشفى بعياداتها الخارجية فى كافة تخصصات الطب والجراحة ، وكانت هذه المستشفى الجامعية هى المنفذ الاساسى للمرضى الفقراء من هذا الشعب . ولقد أدرك بنفسه ومن خلال عمله مدى التفسخ والتدهور الذى وصلت اليه الحال فى هذه المستشفى . ورغم كل الاضواء التى كانت تلقى على هذا الوضع فى بعض الصحف والمجلات ، ورغم وضوح هذه الظاهرة لكل أبصار المسئولين فى الحكم الا أن شيئا جادا لم يحدث لانقاذ الموقف . وأيقن محمد الخفيف وهو يخطو أولى خطواته فى حياته العملية أن الانفصال تام بين الدولة وأجهزتها وبين طبقات الشعب الكادحة والفقيرة ، وأيقن بأن هذه الدولة ليست دولتهم ، وآمن بضرورة النضال والمثابرة من أجل تحطيم تلك الدولة ، وحلم بدولة تمثل ملايين العمال والفلاحين الذين سحقهم الاستغلال والسيطرة من الرأسمالية وبقايا الاقطاع المدعمة بقوى الملكية والاستعمار .

وذات يوم ، كان عليه أن يحضر الى المستشفى فى الصباح الباكر لاستلام اللبن الذى يوزع على المرضى ، وتقدم بكل نشاط وجد وقام باجراء التحليلات السكيماوية لهذا اللبن ، وأذهلته المفاجأة - اذ قد وجد انه لا يحتوى الا على نسبة ضئيلة من الدسم - فقرر رفض استلامه . هاج وماج ، وأخذ عينة منه لارسالها لمعامل وزارة الصحة لتحليلها ، وأخطر المسئولين بالمستشفى ، ولكنهم نصحوه باستلامه ، وأصر هو على الرفض . وكم كانت دهشته كبيرة عندما تلقى نتيجة تحليل معامل الوزارة بأن اللبن مطابق للمواصفات وأن نسبة الدسم فيه قد تجاوزت الحد المألوف !! وهنا أسقط فى يده ، فقد هالته الحقيقة ، كل شىء خرب ، وأن قدرة المتعهد المالية هى التى

تملك الارادة ، ان من يملك المال هو الذى يسيطر على كل شىء فى هذا البلد ، ان المحاولات الاصلاحية مهما بلغت من اخلاص وصدق لا تستطيع أن تحقق أملا أو تغير وضعا ، ان المحاولات الفردية والاجراءات الاصلاحية لن تكون طريقه فى نضاله ، ان الطريق الوحيد أمامه هو طريق الثورة الوطنية الديموقراطية ، ان تجميع الجماهير وتجنيدهم للكفاح الثورى هو السبيل الذى لا سبيل غيره لايجاد تغيير لنمط الحياة وعلاقات الانتاج فى هذا المجتمع ، لقد آمن بأهمية النظرة الشاملة واحداث التغيير الجذرى ٠

وهكذا سار فى الطريق ٠٠ ترك العمل بالمستشفى ليتيح لنفسه فرصة الانطلاق فى العمل السياسى وتقلب فى أعمال مهنية متعددة فعمل مديرا لبعض مخازن الادوية ، واشتغل لدى أحد وكلاء شركات الادوية الاجنبية « الفيترس » الذى كان معظم نشاطه التجارى فى استيراد سجاير « كرافن » ٠٠ وغيرها ، ولكنه كان يتشبث بتجارة الادوية رغم أنها لا تمثل الا فرعا عارضا من فروع نشاطه ٠٠ وتوقف لحظة ليجد تفسيرا لذلك ، واجتمع ببعض رفاقه من الصيادلة ليكونوا فريقا من الصيادلة الاحرار ، يناضلون من أجل تخليص مهنة الصيدلة من هذه الفئة القابضة من الوكلاء وأصحاب مخازن الادوية ٠ وتدارس تجارة الادوية والمسالك التى كانت تسير فيها ٠ ويظل يشارك فى جمع المعلومات والحصول على المستندات التى يمكن أن تدين هذه فئة ٠٠

لقد كان استهلاك الدواء فى بلادنا فى ذلك الوقت لا يزيد عن خمسة ملايين من الجنيهات يمثل الانتاج المحلى منها نصف مليون جنيه أى ما يعادل ١٠ فى المائة من مجموع الاستهلاك — وكان انتاجا هزيلا محصورا فى عدة مصانع قليلة ليس لديها القدرة الفنية ولا الطاقة الانتاجية اللازمة ٠٠ ونظر حوله فوجد أن الاعتماد الاساسى فى العلاج هو على ما تستورده حفنة المستوردين منه بغير رقابة أو اشراف من أحد ٠ وقد كان متوسط نصيب الفرد من الدواء سنويا لا يتجاوز ٢٢ قرشا وهو رغم قلته الواضحة ، فلم يكن يحصل عليه فعلا سوى القادرين على تحمل أعبائه المالية وظل السواد الأعظم من الشعب محروما منه ٠

تأمل الدكتور محمد الخفيف هذه الظاهرة ، وقرر أن يتعاون مع رفاقه من الصيادلة على النضال من أجل تصحيح هذه الاوضاع، ورسم الجميع خطة للعمل، قاموا بحصر شامل لوكلاء الشركات الاجنبية الذين ألفوا فيما بينهم« اتحاد مستوردى الادوية» ليزيدوا من قوتهم ويتمكنوا من فرض استغلالهم للمرضى من هذا الشعب ٠٠ عكفوا على دراسة كافة الادوية المستوردة وفصائلها وأسعار بيعها للجمهور ومدى ما تخضع له من رقابة علمية أو مالية ٠ واستمرت دراستهم طويلا ، وما أن انتهت هذه الدراسة حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠٠ فوجدوا فى هذا الحدث فرصة ليقدموا دراسة موضوعية لمجلس الثورة ٠ وعن طريق أحد صيادلة الجيش الذين شاركوا فى جماعة الضباط الاحرار ، وأحد رفاق محمد الخفيف فى طريق نضاله وفكره تمكن الصيادلة الاحرار أن يجدوا مجالا لنضالهم فى هذا الحقل ٠٠

لقد عرضت الدراسة صورة واقعية لتجارة الادوية فى البلاد ، وكيف انها فى أيدى حفنة من الوكلاء الكومبرادور الذين لا تمثل تجارة الادوية بالنسبة لهم الا جزءا يسيرا من نشاطهم الاستغلالى ٠٠ فسلفاجو من أكبر تجار القطن ، ثابت اخوان من أكبر تجار الاسمدة ، ومعتوق من أشهر تجار الخمور ، وريمون حمصى التى ذاعت شهرته فى المقاولات وأعمال البنوك ، وجرين تاجر الادوات الكهربائية ٠٠ وغيرهم ٠٠ كل هؤلاء كانوا أيضا يسيطرون على تجارة الادوية فى مصر ٠ وأوضحت الدراسة الاسباب التى دفعت بهؤلاء القوم الى الاصرار على الاتجار فى الادوية رغم أنها لا تمثل نشاطهم الرئيسى ، ذلك أن الادوية كانت احدى السلع التى تخضع للتسعير الجبرى ، ولذا عنيت الدراسة بمتابعة كيفية تحديد هذه التسعيرة عن طريق أجهزة الدولة ، فتبين أن لجنة التسعيرة العليا بوزارة التموين هى التى تقرر ذلك ، وكل مهمتها هى أن تطلع على الفاتورة الصادرة من الشركة الاجنبية والموثقة من الغرفة التجارية فى بلد المنشأ وتضيف اليها نسب الربح المحددة للصيدليات ومخازن الادوية والوكلاء ، وأن كل الجهود التى كانت تبذلها لتخفيض أسعار الادوية للجمهور كانت تنحصر فى تخفيض نسب الربح لتلك الفئات الثلاث ٠ وهنا أوضحت الدراسة التى شارك فيها الدكتور الخفيف بقسط كبير أن المشكلة كل المشكلة تتبلور فى قيمة الفاتورة الصادرة من الشركة المنتجة بالخارج ٠ وقد أثبتت الدراسة بالبراهين والوثائق أن المستورد كان يتفق مع الشركة الاجنبية بالخارج بارسال الفاتورة اليه بأضعاف قيمتها الحقيقية ، وكانت هذه الفاتورة تمر على لجنة التسعيرة كوثيقة لا تقبل الشك ، ويتم على ذلك تحويل قيمتها بالخارج بالعملات الاجنبية وتحصل الشركة الاجنبية على القيمة الحقيقية وتودع الباقى لصالح الوكيل فى البنوك الاجنبية ٠ وهكذا كشفت هذه الدراسة عن أوسع طريق

لتهريب الاموال خارج البلاد بكل شرعية القوانين وأجهزة الرقابة والمحاسبة فيها · وأوضحت الدراسة وسائل التلاعب فى زيادة الاسعار باستجلاب بعض الرسائل الصغيرة بالطائرة وتحميلها مصاريف كبيرة تضاف الى تحديد سعر بيعها للجمهور ، ويسرى هذا السعر على الكميات الكبيرة المخزونة لديه ·

من خلال الخبرة التى حصل عليها الدكتور الخفيف وزملاؤه ، والنظرة العلمية المتأملة أمكن عرض المشكلة بأسلوب علمى يحدد مظاهرها ويحصر بالتحديد أوجه القصور فيها ، ويقترح الحلول ، ولم يكن الحل المناسب غير تأميم استيراد الادوية ، وهنا تبرز خبرة التحريك الثورى لدى الخفيف فيوضح لزملائه أن رفع هذا الشعار الان قد لا يجد مجالا للتنفيذ ، فلنحقق هذا الهدف على مراحل · واقترح أن تعرض الدراسة أهمية الغاء فئتى المستوردين وأصحاب مخازن الادوية باعتبارهما فئتين دخيلتين على مهنة الصيدلة ، وقصر حق الاستيراد والتوزيع على الجمعية التعاونية لتوريد وانتاج الادوية ، على أن يتم الاستيراد بطريق المناقصات العلمية للاصناف بأسمائها العلمية وليس بشهرتها التجارية ، وأن تطرح هذه المناقصة على دول العالم المنتجة للدواء من الكتلتين الشرقية والغربيةمعا ، وأن يتم الحصول على احتياجاتنا منها طبقا لاقل الاسعار وأفضل الاصناف كما يظهر ذلك التحليل العلمى الذى يستلزم ضرورة احكام الرقابة على كل ما يسمح بتداوله من الادوية ··

وتم عرض الدراسة على الجمعية العمومية لنقابة الصيادلة وأقرته ، واستمرت دراسته فى لجنة مشتركة شكلت لهذا الغرض من وزارتى الصحة والتموين ومن أحد صيادلة الجيش وأحد قادة الثورة · ورغم كل الجهود التى بذلت فى الاقناع ، الا أن الظروف التى كانت تمر بها الثورة فى سنواتها الاولى لم تتح لها أن تقوم بالتنفيذ ، فلم يهدأ الدكتور الخفيف ورفاقه ، وظلوا فى كل مناسبة يذكرون بالمشروع ويطالبون بضرورة تنفيذه حتى أنه قد حصل على موافقة الجمعية العمومية للصيادلة ثلاث مرات متتالية ، وبرغم كل الحرب التى كانت توجه ضده من اتحاد مستوردى الادوية ومن بعض المحيطين بهم ··

ولذا كان أول قرار صدر لتأميم الاستيراد ذلك الخاص بالادوية سنة ١٩٦٠ وتبعه القرارات العامة سنة ١٩٦١ وما بعدها ··

وهذا يدل على ان الخفيف لم يكن من رافعى الشعارات ، ولكنه كان معنيا بالدراسة التفصيلية لواقع بلاده ، يضع الحلول الجذرية لها ويؤمن بمرحلية التنفيذ مع تطويع القدرات وبث الروح الثوريةفيها للقيام بها ··

وفى أثناء العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ، حددت ادارة التعبئة بعض مصانع الادوية المحلية ذات الصلة بالمجهود الحربى ، وعين الدكتور محمد الخفيف مديرا لاحدى هذه المصانع ، فعمل ما وسعه الجهد على اعادة تخطيط الانتاج فيها ، وقام بترشيد الاداء وزيادة الانتاج ورفع مستوى كفاءته ، واغتنم هذه الفرصة للبحث والدراسة الشاملة فى كيفية النهوض بهذه الصناعة الوطنية · ووضع جذور فلسفتها التى تعتمد على كيفية تنميتها وذلك بالسعى لمنع استيراد كل ما يمكن تصنيعه محليا بالكمية اللازمة والجودة المطلوبة وتحت رقابة علمية محكمة · وتعاون مع بعض زملائه من الصيادلة الوطنيين التقدميين الذين آمنوا بما آمن به ، وعملوا سويا من أجل تحقيق هذا الهدف الوطنى ··

وفى عام ١٩٦١ حينما أعلنت الثورة المصرية قراراتها التى اتخذت طابع تصميمها على السير فى طريق النمو غير الرأسمالى للتنمية كان الدكتور محمد الخفيف أحد الذين قدموا الثورة المصرية فى عهدها الجديد للعالم كنمط للثورات الوطنية الديموقراطية للدول النامية ، وسخر قلمه وفكره لشرح ميثاق العمل الوطنى والفلسفة الاشتراكية التى تبدو فى ملامحه ·· وأشهد أنى أحد الذين تأثروا بمقالات الرجل فى تلك الفترة ، فقد كانت ثقتى بفكره وأمانته مع نفسه دافعا لى أن أعيد التفكير فى تحليلى لهذه الاجراءات ، لقد كانت مقالاته فى صفحة الرأى « بالاهرام » مجالا كبيرا للنقاش ربما أسهمت فى معارضته فى البداية ، ولكن سير الحوادث بعدها وبعد قرارات أغسطس سنة ١٩٦٣ قد ساعدت على اقتناع معارضيه بالفكر الذى طرحه فيها من قبل ··

واستقر عمل الرجل المهنى عندما عين مراقبا عاما لجهاز التصنيع بالمؤسسة المصرية العامة للادوية ، فمن خلال هذا الموقع استطاع أن يسهم فى وضع تخطيط شامل لعملية صناعة الادوية فى بلادنا ، فلقد كان من الرعيل الاول لبناء هذا الصرح الذى نما وتطور حتى حقق اكتفاء وصل الى أن أصبح الانتاج المحلى اليوم يغطى أكثر من ٨٧ فى المائة من الاستهلاك ، وانكمش نصيب الواردات من استهلاكنا الى ١٣ فى المائة فقط ·· لقد تحقق الحلم الذى طالما داعبه فى مقتبل عمره ··

وهكذا ٠٠ فانني أكاد أحس أن كل مريض يحصل على دوائه ، وكل انتاج يتحقق في قطاع الادوية ، وكل نجاح تحرزه شركاتها انما هو محمد الخفيف ٠٠

كان محمد الخفيف احدى الخفقات الوطنية التي دبت في شعبنا منذ الثلاثينات حتى اليوم ٠٠ ان طرد الاستعمار والقوات البريطانية من أرضنا واقامة الصناعات كدعامة للاستقلال الوطني وبناء اقتصاد مستقل يملكه قوى الشعب والسعي لتحقيق الديمقراطية الاشتراكية ٠٠ كل ذلك وغيره من انجازات الشعب المصري العظيم ، هو ثمرة التضحيات الكبيرة التي بذلها جنود الفكر الثوري في بلادنا ، ومن بينهم هذا الجندي الباسل الذي وقف في ساحة القتال من أجل الحرية مناضلا حتى النفس الاخير .

محمد الخفيف

مناضلا في صفوف الفكر الثوري

لعل أبرز ما في حياة محمد الخفيف النضالية هو تلك الوحدة العميقة بين فكره وسلوكه ، ان تجربته الثورية ظلت دوما ثمرة متجددة الشكل والمحتوى لذلك التفاعل الحي الخلاق بين الفكر والعمل . ولقد شارك الخفيف في « صفحة الرأي » بالاهرام مشاركة ايجابية بناءة على جبهة الفكر الوطني والاشتراكي ابان مرحلة من أدق المراحل التي اجتازتها بلادنا .

كانت قوانين يوليو التي فتحت الافاق نحو التحول الاجتماعي في مصر قد صدرت ، وصاحب صدورها بالضرورة مد وجزر بين الافكار التقدمية والافكار الرجعية ، ذلك لان « خللا » في البناء الاجتماعي كان على وشك الحدوث بانهيار بعض الشرائح الطبقية وبزوغ قوى اجتماعية جديدة . وفي نقاط التحول دائما يحتاج المفكر الثوري الى أقصى درجات الانتباه واليقظة والصفاء العقلي ، حتى يتأتى لمساهمته بأن تفعل فعلها في اتجاه التقدم التاريخي .

العمل أثمن رأسمال

من هنا ، كانت نقطة انطلاق الخفيف عام ١٩٦١ أن يؤكد على قيمة « **العمل** » في حياتنا الجديدة ، بعد أن ظلت هذه القيمة مهدرة آجالا طويلة في ظل سيادة المنطق الرأسمالي على التفكير المصري العام . هكذا نراه ــ في ذلك الوقت ــ يقول : « ان قانون اشراك العمال والموظفين في مجالس ادارة الشركات يعد في نظري أخطر القوانين الثورية جميعا . ولئن عرفت ثورتنا في ميدان السياسة الخارجية بالحياد الايجابي وعدم الانحياز ، ولئن تميزت في المشكلة الزراعية بقانون الاصلاح الزراعي والجمعيات التعاونية الزراعية ، ولئن ارتبطت في عالم الاقتصاد بالتأميم والقضاء على رأس المال المستغل ، فانها دون شك ستعرف في ميدان العلاقات الانسانية بثورة اشراك العمال والموظفين في مجالس ادارة الشركات » [1] . ثم يرد على أولئك الذين يخشون اشراك العمال في مجالس الادارة بحجة انه رغم تدريب العمال مهنيا ، الا انهم يفتقرون الى فهم الادارة وأساليبها الفنية ، يرد على هؤلاء بأن العمال من أكثر فئات الشعب تفهما للعمل الاداري ، لانهم عانوا على مر السنين والاجيال من عنت الادارة وعسفها ، بل وخاضوا المعارك تلو المعارك ضد أساليب الادارة الرأسمالية ، فمن أحق منهم بالمشاركة في

---

(١) الاهرام ــ ١٩٦١/٨/١٢ م .

تولى المسئولية . ان ممارسة العمل من ناحية ، والاستفادة من خبرة الاعضاء الاخرين في المجالس من ناحية أخرى يؤمن للادارة الجديدة سيرا حسنا ويوفر لهذه الادارة مضمونها السياسي الجديد . ولا ينسى محمد الخفيف في هذا الصدد أن يحذر العمال المنتخبين لعضوية مجالس الادارات من الوهم الذى يصور لهم أنهم قد اعتلوا « مراكز » جديدة تميزهم عن غيرهم من العمال ، ان هذا الوهم كفيل بأن ينتكس بهم وبالكسب السياسي الذى حققته طبقتهم . انهم ليسوا فئة مختارة أو صفوة ممتازة ، وانما هم ممثلون لاحلام وآمال أوسع وأكبر من طموحاتهم الشخصية .

ويركز بعد ذلك على مشكلة اختيار المديرين في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، فالكفاية العلمية والفنية والخلقية كلها أسباب وجيهة في اختيار هذا دون ذاك ، ولكن يبقى المعيار الاساسي والحاسم هو الايمان بالاشتراكية ، فكرا وتطبيقا . ان الفكر والعمل وجهان لعملة واحدة ، فلا ينبغي أن نخطىء منذ البداية بخلق فجوة بين التخطيط والتنفيذ [٢] .

ويوالى محمد الخفيف على صفحات «الطليعة» اهتمامه بقضية توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة منطلقا من أن « الادارة » احد الميادين الواسعة للصراع الاجتماعى بين قوى الثورة والثورة المضادة ، لذلك فان انتصار قوى الشعب في هذا الميدان من الشروط الجوهرية لنجاح التحول الى الاشتراكية .. ذلك ان الانتاج هو مفتاح تحقيق اهداف التنمية ، وبالتالى فهو عملية سياسية وادارية معا ، ان ايجاد حل لكل مشاكل ومعوقات زيادة الانتاج ، هو من عمل الادارة ، ولكنه في نفس الوقت عمل سياسي بالدرجة الاولى . ان توفر الخبرة التكنيكية في الادارة الحكومية ، لم يكن مشكلة في مصر الرأسمالية الخاضعة للنفوذ الاجنبى ، ولكن المشكلة أن هذه الخبرة ظلت اسيرة المصلحة الاستعمارية والرأسمالية المحلية أمدا طويلا ، بحيث سادت عقلية تمجيد المال لا العمل . ومنذ أصبحنا مطالبين باقتصاد مستقل عن طريق التصنيع ، وجهازنا الادارى ليس مؤهلا بعد بقدر كاف لانجاز المهام الملقاة على كاهله ، وذلك لبعده التاريخى عن الرقابة الشعبية والبرلمانية .. فاننا — بعد الثورة — مواجهون بالمشكلة على نحو جديد هو سد نقص الخبرة ، وأن يكون جهاز الادارة في خدمة الجماهير . ان المستويات الادارية العليا في مؤسساتنا وشركاتنا لا تمثل سوى المثقفين أو الجنود ، والمنتخبون أنفسهم غالبيتهم من الجنود ، والنتيجة الطبيعية هى ضيق القاعدة الاجتماعية للادارة . ولعل الشكوى الدائمة من المديرين في حق العمال واتهامهم بالكسل والتمارض ، مردها الحقيقى ، هو أن العامل لم يشعر بعد بأنه مالك فعلى لوسائل الانتاج ، اننا نطالبهم بالواجبات دون أن نعمق في وجدانهم ماتمنحه لهم الملكية العامة من حقوق : المساواة في المعاملة ، حرية التعبير دون اضطهاد ، الاجر على قدر العمل كما ونوعا . والقضية — اذن — هى في توسيع القاعدة الاجتماعية للادارة بالعمل الديمقراطى الذى يضمن اشراك أكبر عدد من العاملين ضمانا للاستفادة من خبراتهم وطاقاتهم [٣] .

ويحدد الخفيف معالم هذا الشكل الديمقراطى الذى يسميه « جماعية القيادة » ويقترح صورة عملية لهذا الشكل بأن يعقد اجتماع عام لكافة العاملين بالشركة كل ثلاثة اشهر بدعوة من مكتب تحضيرى منتخب يمثل الادارات المختلفة . وفى كل اجتماع من الاجتماعات الاربعة على مدى العام ، تناقش انجازات الدورة الماضية ونواقصها وتنشر القضايا المطروحة والحوار الذى دار حولها في مجلة داخلية تكون بمثابة منبر للرأى وأداة للتثقيف والتنظيم [٤] .

ان هذا البرلمان الصغير للشركة أو المؤسسة هو الضمان الوحيد لرقابة شعبية حقيقية تحل مكان المفهوم التقليدى للرقابة الحكومية ، رقابة تمنع الاخطاء لا تتصيدها ، رقابة تتوحد في جهاز واحد ولا تتعدد في أجهزة بيروقراطية معوقة ، رقابة لايتكتل فيها المعينون جانبا والمنتخبون جانبا آخر [٥] . ولعل التنظيم السياسي هو صمام الامن القادر على توجيه الادارة في القطاع العام توجيها يمنع تحول المديرين والمسئولين بالشركات الى فئة مستغلة متعزلة عن الشعب تتكتل وتترابط حول مصالح فئوية خاصة [٦] .

ويركز الخفيف الضوء على احدى عينات الادارة المنحرفة ، وهى عينة شائعة الى درجة

---

[٢] الاهرام — ١٩٦١/٥/١ .
[٣] الطليعة — العدد ٢ — ١٩٦٧
[٤] الطليعة — العدد ٥ — ١٩٦٧ .
[٥] الاهــرام — ١٩٦٢/٤/٨ و ١٩٦٢/٩/١١ .
[٦] الاهرام — ١٩٦٤/٣/٢٤ .

الخطر وقد سماها « مرض الرشوة » ، انه يرى هذا المرض وليدا طبيعيا لتعقد الجهاز الحكومى وتراكم لوائحه ، الامر الذى يؤدى تلقائيا الى تعطيل مصالح الجماهير « التى لاتدفع » فالرشوة هنا هى المفتاح غير الصحى لفتح الابواب المغلقة على الاوراق والمصالح المرهونة بالروتين وقيوده البيروقراطية . والحل هو تعديل جذرى فى لوائح الجهاز الادارى للحكومة والقطاع العام جنبا الى جنب مع التربية الاشتراكية الحقة [٧] .

البنـــــاء الاشـــــتراكى

وحدة الفكر ووحدة التنظيم

لا ســبيل الى تربية اشــتراكية بغير تنظيم سياسى قوى وفعال يقيم الاشتراكية فى القلب والوجدان جنبا الى جنب قيامها المادى فى الاجهزة والمؤسسات ، ان تغيير العلاقات الاجتماعية بين البشر ، يصاحبه بالضرورة والحتمية تغيير فى القيم التى تحكم هذه العلاقات . هكذا ينتهى محمد الخفيف الى أن البناء الاشتراكى السليم يعوزه تنظيم قادر على توحيد الفكر ، كما يحتاج فى هذا الفكر الى التنظيم الذى يتجسد خلاله حركة حية فاعلة [٨] . وقــد كان انشــاء « المؤسسة الاقتصادية » ملهما للخفيف لان يوضح أن هــذه المؤسسة لا تهدف فحسب الى احلال الرأسمال الوطنى محل الرأسمالى الاجنبى ، ولا تهــدف فى الوقت نفسه الى عمل اشتراكى ثورى يملك فيه الشعب وسائل الانتاج ، وهى أيضا ليست شكلا من أشكال رأسمالية الدولة . انها مزيج مركب من العناصر الثلاثة ، تعكس فى طريقها بنائها الادارى والاقتصادى والسياسى طبيعــة الايديولوجية التى ســادت آنذاك والتى تمثلت تنظيميا فى « الاتحاد القومى » . وهى ايديولوجية تطمح للاستقلال الاقتصادى والصناعة الوطنية ، والسبيل اليهما وحدة كل القوى الوطنية . غير أن الخطأ الذى وقعت فيه هذه الايديولوجية ابان هذه المرحلة ، انها لم تحدد « العائد لمن ؟ » ، ومن ثم فازت الرأسمالية بنصيب الاسد [٩] . وأتبلت قوانين يوليو — يقول الخفيف — تستهدف صراحة ودون التواء سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، وأن تجنى الفئات الكادحة من هــذا الشعب ثمرة كدها الاقتصادى وكفاحها السياسى الطويل . ولقد أقبل الميثاق فى ٢١ مايو ســنة ١٩٦٢ صــياغة نظرية تعبر عن هذا التحالف السياسى الجديد ، تعبر عن مرحلة مختلفة كيفيا عن مرحلة « المؤسسة الاقتصــادية » [١٠] . والقطاع العام هو النواة الاقتصادية لهذا التحالف الجديد ، هو اداة قوى الشــعب العــامل فى السيطرة على وسائل الانتاج . لذلك لا ينبغى تحت أى ظرف من الظروف ، أن نسمح للرجعية أن تمارس نشاطها فى ظل القطاع العام ، كما انه لا ينبغى أن نتجاهل التفاعل الديمقراطى بين العاملين فيه [١١] .

ولما كان « الاتحاد الاشتراكى » هو الصيغة التنظيمية التى عبر عنها الميثاق فكريا ، والقطاع العام اقتصاديا ، فقد تابع محمد الخفيف هــذه التجربة الجديدة بالتأمل والدراسة والنقد ، هكذا نراه فى وقت باكر ، وتحت عنوان « الاســس الفكرية للاتحاد الاشتراكى العربى » يقول اننــا لسنا بعد فى مجتمع اشتراكى ، اننا فى مجتمع التحول والانتقال ، وفرق كبير بين المجتمعين ، على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصــادية والسياســية ، ســوف نــكتشف بين صفوفنا الكثيرين من الادعياء والانتهــازيين وأصــحاب المصالح الضيقة ، سوف نكتشف رواسب فردية ورجعية متأقلمة أو متكيفة لسرقة مكاسب الشعب . ولكن الهدف من تنظيمنا السياسى الجديد لا يحيد عن مستوى بصرنا ، انه الانتقال الى الاشتراكية ، وهذا يستدعى تجريد الرجعية من كافة أسلحتها ، خصـــوصا الفكرية منهـــا ، وذلك بالصراع الديمقراطى القادر على تثبيت التيار التاريخى المتقدم . الى أن يقول : « تنظيمنا اذن يجب أن يكون تنظيما جماهيريا يمتــد الى حيث تــكون الجماهير منظمة بحــكم طبيعــة عملها او بحــكم مواطن اقامتها ، بعيدا عن كل عناصر التفكك والطائفية والانقســام ، وبعيــدا عن الاجهزة الادارية بكافة أشكالها [١٢] .

وبعد أربع سنوات من صدور الميثاق وثلاث سنوات من التجربة العملية راح الخفيف يناقش الى أى مدى استطاع الاتحــاد الاشتراكى — بوصفه تحالفا لقوى الشعب العاملة — أن يجسد سلطة الشعب ، وما هى العقبات والصــعاب التى كانت بمثابة حجر عثرة فى وجه تنظيمنــا

[٧] الاهرام — ١٩٦٢/٤/٧ .
(٨) الاهرام — ١٩٦٣/٥/٢ .
[٩] الاهرام — ١٩٦٣/٩/١١ .
(١٢) الاهرام — ١٩٦٣/٩/٢٩ .
[١١] الاهرام — ١٩٦٣/٩/١٤ .
(١٢) الاهرام — ١٩٦٣/٩/٢٩ .

السياسي . وهو يقرر منذ البداية أن الاتحاد الاشتراكي ليس حزبا * وانما هو تنظيم جماهيري واسع ، وقد أدى هذا الاتساع لان يكون التنظيم مسرحا للتناقضات بين القوى الاجتماعية المختلفة ومجالا للانحرافات البيروقراطية واحتكار صفوة المثقفين للعمل السياسي ، وزاد الامر تعقيدا أن الاصول التاريخية لكل فئة قد لعبت دورا في تكوين التكتلات الضيقة الافق غير الممثلة لفكرة التحالف وجوهرها ، ومن ثم لم تتح هذه الظروف للاتحاد الاشتراكي أن يكون سلطة الشعب العامل كما أراد له الميثاق ، ويضع الخفيف يده على نمطين من العوامل التي ساعدت على تفكك التنظيم فكريا وسياسيا : النمط الاول تنظيمي ، وهو نجاح عدد كبير من الموظفين في الجهات الادارية والسلطة التنفيذية بحكم مناصبهم ، فقد انتقلت معهم الى التنظيم صيغة عملهم الاداري والتنفيذي من ناحية ، وغابت بمجيئهم الوجوه الحقيقية المعبرة عن أطراف التحالف . هذا بالنسبة للجان العشرين ، أما لجان المحافظات فقد « اختير » ممثليها ولم ينتخبوا . كذلك فقد تم تشكيل القيادة اليومية على أساس نوعي ، بينما بناء التنظيم يقتضي تشكيلها جغرافيا ، وهكذا جاء الوزراء وكبار المسئولين غير المتفرغين للعمل السياسي على قمة التنظيم دون دراسة عميقة لطبيعة الاتحاد وتكوينه ، أما النمط الثاني فهو فكري ويتمثل في عدم وضوح العمل السياسي أثناء فترة الانتقال حيث يتطلب التنظيم مضمونا فكريا جديدا للعمل السياسي ينتقل به وبالجماهير من الحركة العفوية التلقائية الى الحركة الواعية بأهداف الانتقال الى الاشتراكية . لقد أسهم غياب هذا المضمون في غياب الاهداف والمهام وتحديد قوى الثورة وقوى الثورة المضادة وما يستتبع ذلك من وضوح لقضية الوحدة الوطنية والصراع الطبقي لان عدم وضوحهما يطمس الحدود بين الشعب وأعدائه ومن شأنه أن يقود العمل الوطني الى متاهات .

وينتقد الخفيف بعد ذلك تعريف العامل والفلاح الذي وضعته لجنة المائة ويراه مناقضا للهدف ، ويدعو لان يقتصر تعريف الفلاح على من لا تزيد ملكية الواحد منهم على خمسة افدنة وهم يشكلون ٩٤٪ من ملاك الاراضي ، أما العامل فهو من كان يعمل عملا يدويا أو غير يدوي ، فنيا أو غير فني بشرط أن يكون هذا العمل مصدر دخله الوحيد .. وهذا لايعني اخراج الباقين من التحالف بل يعني ردهم الى قواهم الحقيقية كمثقفين أو رأسمالية وطنية ، ثم يشير الى تشكيل الامانة العامة وقضية التفرغ للعمل السياسي ويرى أن هذا الطريق هو الذي سيبرز العناصر القادرة على تكوين الجهاز السياسي ، وفي هذه النقطة يوجه الانتباه مركزا على العناصر الشابة ، سواء كانت عمالا او فلاحين أو طلبة أو مثقفين [١٣] .

وعلى اثر هزيمة ١٩٦٧ كتب الخفيف تحت عنوان : « ٩ يونيو يعني استمرار الثورة الاشتراكية » يقول أن الاصوات التي ارتفعت عام ١٩٥٦ بالتخلي عن الثورة الوطنية هي نفسها الاصوات التي ترتفع الان بالتخلي عن الثورة الاشتراكية ، بالرغم من أن أصحاب هذه الاصوات هم الذين أفادوا من الثورة لا لانهم أصحاب مصلحة حقيقية فيها ، ولكن لظروف خاصة يخشون معها أن استمرت الثورة ان تزول هذه الظروف فيقل ما حصلوا عليه من امتيازات ، ولعل أهم الدروس المستفادة من تجربة الهزيمة فيما يرى الخفيف أن نعيد مسح مجتمعنا طبقيا لنحدد بصورة بالغة الوضوح من تكون قوى الثورة والثورة المضادة . والمعيار الوحيد للتفرقة هو استمرار الثورة الاشتراكية ، وماتفرضه هذه الثورة من تضحيات على من يتصدى لقيادتها [١٤] .

ويستكمل الدكتور الخفيف تصوره التنظيمي لاستمرار الثورة الاشتراكية بقوله أن تحديد قوى الثورة لا يؤدي تلقائيا الى وحدتها ، ولايكفي أن تكون جميعا أصحاب مصلحة حقيقية في الاشتراكية . وانما يجب أن يجمعنا الحد المعقول من الوحدة الفكرية ، والوحدة الفكرية لا تبدأ الا من خلال الالتقاء حول خط سياسي واحد وبرنامج عمل واحد ثم الاشتراك في تنفيذه . ولكي يتوافر الشرطان لابد وأن يتوفر شرط ثالث هو الوحدة التنظيمية : الحزب . ومن يقف مع الاشتراكية حقا يجد نفسه بالضرورة الى جانب وجود

* في هذه النقطة يجب ان نورد رأيا للخفيف حول « الحزب والطبقة » نشره بصفحة الرأي في الاهرام [١٩٦٣/٥/١] يقول « ان كان الاصطلاح — حزب — من الوجهة التاريخية ومن الوجهة الاكاديمية ان جاز التعبير يعني القيادة السياسية لطبقة معينة دون باقي الطبقات في المجتمع الا انه لاسباب مختلفة منها تعدد أشكال الكفاح الوطني والسياسي وتعدد أساليب التحرر الاجتماعي وتأثر المثقفين بأكثر من تيار فكري وفلسفي أصبح يطلق في البلدان السائرة على طريق التحرر على اية جماعة من أصحاب الفكر الذين يربط بينهم تأثير فكري واحد وهي في أغلب الحالات لا تمثل طبقة معينة بل تمثل رأيا أو اتجاها سياسيا معينا ازاء حل مشكلات المجتمع أما بالتفاف الفئات الشعبية حول هذه الجماعات أو بشكل أكثر صراحة على الاقناع ومدى ما تظهره تطورات الاحداث من سلامة اتجاهها ثم مدى ما يتمتع به افرادها من منزلة شعبية نتيجة لمواقف اتخذوها في معركة الحرية والديمقراطية »

[١٣] الطليعة — عدد ٦ — ١٩٦٦.

(١٤) الطليعة — عدد ١٠ — ١٩٦٧.

الحزب .. حزب الثورة . والحزب هو الذى يكتشف عناصر القيادة ويحدد قوى الثورةويوحدها ويقود العملية الضخمة لاستيلاء الثورة علىأجهزة الدولة من أجل بناء المجتمع الاشتراكى [١٥] .

وعندما بدأت عملية تجديد الاتحاد الاشتراكى بواسطة الانتخاب ، كتب محمد الخفيف يقول ان « اعادة بناء » الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ، ليست كما يريد البعض أن يصورها مجرد عملية تطوير أو تدعيم أو اصلاح ، ان العملية يجب أن تكون نقلا فعليا للسلطة — كل السلطة — الى الشعب ، ووضعها فى يده وتكريسها لتحقيق مصالحه . انها عملية ذات شقين : أولهما الواجهة العريضة التى تضم قوى الشعب العاملة كلها ، وثانيهما اقامة التنظيم الطليعى القادر على قيادة التفاعل الديمقراطى نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات . ان الدعامات الاجتماعية والاقتصادية للتحول الى الاشتراكية تظل تائهة وسط خضم من التناقضات ، والديمقراطية أيضا تظل عرجاء بقدم واحدة ولا يضمن أحد أين يذهب عائد العمل الوطنى ولاكيف يوزع اذا لم يتم بناء الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الطليعى بهذا المعنى . واللبنة الاولى لاقامة هذا البناء هى الديمقراطية فى انتخاب ممثلى هذا الشعب ، ان الانتخاب نفسه يظل شعارا جميلا بلا جدوى اذا لم يتجسد فى شكله الديمقراطى السليم . أى أن تتم عملية الانتخاب فى ظروف صحية لا عنت فيها ولا تدخل ولا ارهاق ولا اكراه « ان حجر الزاوية فى الديمقراطية هو حرية الرأى ، وأولى فرص ابداء الرأى حرا هى فرصة الانتخابات » [١٦] . ان حشد جماهير الشعب لانتخابات حرة سوف يستلزم استخداما حرا لادوات الديمقراطية من الاجتماعات الىالملصقات الى المجلات والصحف والمنشورات العلنية .

أما التنظيم الطليعى — فى رأى الخفيف — فانه الثمرة الطبيعية لكفاح الطبقات الشعبية كفاحا ديمقراطيا عادلا داخل التنظيم السياسى ، ان هذه الطبقات وحدها ستفرز الكادر القائد لعملية التحول الى الاشتراكية ، هدفها الرئيسى . لذلك فان قيادات العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هم المرشحون بحكم الطبيعة الطبقية لتكوين الكادر الاشتراكى المرتبط ببناء الاشتراكية ارتباطا مصيريا [١٧] .

مريض القرية والفرسان الثلاثة

لم يقتصر محمد الخفيف بطبيعة الحال على معالجة القضايا السياسية العامة — فى الفكر والتنظيم — وانما كانت خبرته الطويلة فى حقل صناعة الدواء من اهم العوامل التى مزجتأفكاره السياسية بأرض الواقعالحى، وفى نقطة بالغة الحساسية ، هى حاجة المريض الى الدواء .

وقد كان الفلاح الفقير هو النموذج المباشر أمام عينيه لغياب الرعاية الطبية وحجبها عنالمواطنين غير القادرين على العلاج الخاص . هكذا راح يهاجم بضراوة وعنف ضياع المريض فى ريفنا على أيدى ثلاثة هم حلاق الصحة والتومرجى والصيدلى . وكشف أستار الصورة المفزعة الشائعة للعلاج الحر بالقرية ، وأيد اقتراحا بشأن « العلاج التعاونى » تقوم به الجمعيات التعاونيةالزراعية اذا لم يكن ميسورا للان [١٨] انشاء جمعيات خاصة بالخدمات الطبية . كذلك يمكن اقامة صيدليات تعاونية بالريف ، ثم طالب الاجهزة الحكومية أن تقوم بدورها فيما يتعلق بتنفيذ ما تصدره الدولة من قوانين لحماية المواطنين ، وحدد الدور الذى ينبغى أن تقوم به كل من نقابتى الاطباء والصيادلة فى الحفاظ على شرف المهنة ومعاقبة المستغلين الذين يسيئون اليها . ثم كتب تحت عنوان « دواء يستهدف الشفاء ولا يربح » [١٩] يقول ان الدور العاجل للمؤسسة العامة للادوية هو أن تعمل على أن يسير الاستيراد فى اتجاهعكسى مع التصنيع بحيث يقل ما نستورده بمعدل النمو فى الانتاج المحلى مما يستدعى وضع خطة سنوية تحصر احتياجاتنا فى عام وتحدد القدر الذى يمكن للصناعة المحلية أن توفره مع مراعاة معدلنموها ثم تقوم المؤسسة باستيراد القدر الباقى « ولا ينبغى أن يسمح الا باستيراد الاحتياجات الفعلية ومن المصانع المشهود لها بالدقة والكفاءة ، فالسبعة عشر الفا من أصناف الادوية التى نستوردها والتى ان نقص بعضها ارتفعتالالسنة بالشكوى من نقص الدواء يمكن بل يجب أنتتقلص الى مئات » . وطالب باستمرار رقابة الدولة فى شئون الدواء لانه من الخطورة أن تنتقل الرقابة الى أيدى من تستهدفهم الرقابة . ان رقابةالدولة يجب أن تظل تابعة لوزارة الصحة، رقابة فعالة منتجة لا رقابة تتصيد الاخطاء ، أو تعرقل سير الانتاج . وليس من المعقول — يقول الخفيف —

---

[١٥] الطليعة — العدد ١١ — ١٩٦٧
[١٦] الطليعة — العدد ٨ — ١٩٦٨
(١٧) الطليعة — العدد ١ — ١٩٦٩ .
[١٨] كتب المقال فى صفحة الرأى بالاهرام بتاريخ ١٩٦١/٥/١٣ .
[١٩] الاهرام — ١٩٦١/٨/٢٨ .

بل انه جريمة ترتكب في حق شعبنا أن تتولى الدولة قطاع الدواء ويظل الحال كما كان عليه من حيث العبث وارتفاع الاسعار « على مؤسسة الادوية أن تضع في المقام الاول من اهتمامها ملايين الفلاحين والعمال الذين ظلوا لسنوات طويلة يقاسون من استغلال تجار الدواء وصناعه، وعليها تقع تبعة كل مريض يحتاج الى دواء فلا يجده أو يجده ولا يستطيع شراءه لارتفاع سعره » .

الشباب : ضمان استمرار الثورة

من الاهتمامات « الواقعية » التى شغلت حيزا ضخما فى تفكير محمد الخفيف وعمله السياسى قضية الشباب ، وفى هذه القضية أيضا زاوج الخفيف بين الفكر والعمل ، فكان يستلهم آراءه النظرية من خضم التجربة العملية وسط الشباب سواء فى الاتحاد الاشتراكى أو فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية . هكذا نراه تحت عنوان « تنظيم الشباب سياسيا ضمان استمرار الثورة » [٢٠] يؤكد ان اتصال الاجيال فى النضال رغم تعدد مراحله هو سر التقدم الانسانى، وانه بغير استمرار النضال يتوقف التقدم .. ثم ينبه الى أن الوعى بأهمية اعداد الشباب كان ولا يزال وعيا طبقيا ، فالدولة أيا كانت رأسمالية أو فاشية أو اشتراكية تهتم باعداد الشباب اعدادا يتلاءم مع طبيعتها وايديولوجيتها . فالفرق هائل بين دولة تجمع شبابها حول أهداف عنصرية توسعية رجعية استغلالية وبين دولة تجمع شبابها حول هدف القضاء على كافة أشكال التوسع والاستغلال والعنصرية . ولكن الدولتين كلتيهما تجمعان على أن « الشباب » هو عصب حياتها السياسية ، وفى بلاد كبلادنا تجتاز مرحلة الانتقال الى الاشتراكية تزداد أهمية الشباب فى عملنا السياسى أضعافا مضاعفة . ويرى الخفيف بشكل حاسم أن عبء التحول الاجتماعى فى وطننا يقع عبئه الرئيسى على كاهل الجيل الجديد ، ومن هنا كان اعداده سياسيا لتحمل هذا العبء مهمة وطنية عاجلة وملحة ولا تحتمل التأجيل أو الاستخفاف . ان حجر الاساس فى توحيد هذا الجيل هو توحيده مع الجماهير ، توحيده مع الكتل البشرية العاملة ، وتوحيده مع مصالحها فى بناء الاشتراكية .. هكذا يكتسب الجيل الجديد همزة الوصل بين الفكر والعمل الثوريين همزة الوصل هذه هى الوعى والصلابة والقدرة الخارقة على النضال مهما كانت التضحيات . ان طبية القلب والرياضة البدنية ورحلات الكشافة لا تخلق فى مجموعها شبابا ثوريا ، لانه ينتقصها الحلقة الرئيسية فى تكوين هذا الشباب وهو الوعى السياسى الذى لا سبيل الى اكتسابه الا بالعمل المنظم ديموقراطيا ويستهدف اقامة الاشتراكية . حينئذ تصبح الرياضة والكشافة والحفلات وسائل لا غايات ، وهنا يشرح الخفيف لابناء الجيل الجديد وثبات الشباب المصرى قبل الثورة حتى يصل بين التراث الثورى للاجيال التى كانت شبابا يوما ما والأجيال الجديدة . بل هو ينقل اليهم خبرات الشباب فى بقية الدول ويشير الخفيف الى أن مراكز تجمع الشباب من الممكن ان تصبح بوتقة لانصهار الوعى الطبقى حين يضم هذا التجمع أبناء مختلف الطبقات وتصبح التربية الاشتراكية هى الاطار الذى يشيع بين الشباب رغم تباين انتماءاتهم الاجتماعية قيما جديدة من خلال العمل المشترك والقيادة الجماعية وممارسة النقد والنقد الذاتى .

ومن الطبيعى أن يركز الخفيف على « منظمة الشباب » كوعاء تنظيمى للجيل الجديد، له استقلاله وخصوصيته، ولكنه متفاعل ديموقراطيا مع الجهاز السياسى القائد للاتحاد الاشتراكى بوصفه أعلى شكل قيادى فى التنظيم . ولكى تمارس المنظمة دورها القيادى يجب أن يكون لها الاشراف الفعلى على كل نواحى نشاط الشباب وخاصة فيما يتصل بالاعداد العقائدى والتنظيمى «والا تعددت القيادات وانقسم الشباب فرقا تتصارع حول أفراد» . وفى هذا الصدد طرح للمناقشة بضع نقاط حول : تحديد المراحل العمرية التى تندرج فى خانة الشباب ، وهل يبدأ الاعداد بالنسبة لها جميعا فى وقت واحد أم يبدأ فى اختيار بعضها ، وما هى الاسس التى يتم بواسطتها الاختيار ، وكيف يتم الاعداد، ومن يقوم به ، وما مدته وتحدث الخفيف طويلا عن حالة الفراغ السياسى فى المعاهد والجامعات بحيث أصبحت «الاتحادات» مجرد واجهة شكلية تجر اليها الانتخابات بعض الوجوه الهاوية للمناصب ، ومن هنا لم يكن يصل الى المراكز القيادية للشباب سوى العناصر غير القادرة على تحويل النشاط الطلابى الى نشاط سياسى . وهو اذ يقترح أعمارا للشباب تتراوح بين ١٥ و٢٥ عاما ، فانه يقترح أيضا فكرة «الرواد» بين ٢٥ و٣٥ عاما وهم العناصر التى يمكن اكتشافها فى مجالات الانتاج حيث تستطيع أن تكون على اتصال بالشباب ، وأن تتعرف على عناصره القيادية . وقد وجه الخفيف العديد من الانتقادات الجذرية الى منظمة الشباب — وهو

فى أتون التجربة — ولكنه دوما كان يصطدم بالقوى المعوقة والمعادية لاى تغيير . لقد كان ايمانه الكبير بالشباب ، من أهم المحاور الفكرية التى شغلت وجدانه السياسى طيلة العمر ، وكان يود لو أنه استطاع أن يصنع شيئا عن طريق التنظيم السياسى ، ولكن المناخ المهيمن على كافة مراحل بنائه حال بينه وبين تحقيق هذا الامل .

المضمون التقدمى للوحدة العربية

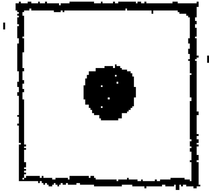
كان محمد الخفيف مناضلا مصريا ، ينتمى لمصر عقلا ووجدانا ومصيرا ، وينتسب لمصر حتى فى أدق التفاصيل التى تميز حياة المصريين فى احزانهم وأفراحهم وأشواقهم . ولكن هذا الاحساس المصرى ، لم يحل دونه واكتشاف الوحدة العربية كتيار تاريخى وكرؤية للمستقبل ، انه يرى فى آلام الكادحين العرب من الخليج الى المحيط ظهيرا لوحدة عربية تقدمية تتخذ من الاشتراكية مضمونا ، ومن أية أشكال قانونية ودستورية تتفق عليها الشعوب مجرد أوعية وشرايين تحمل هذا المد الثورى وتحميه . ينبغى أن تكون وحدتنا المقبلة أمرا مختلفا عن وحدة ١٩٥٨ ينبغى ان تكون وحدة اشتراكية [٢١] . ومن اجل هذا الهدف فهو يدعو الى تقوية ودعم الوحدة بين القوى التقدمية الطليعية فى الوطن العربى ، انها قوة الثورة التى ستصوغ بتجربتها على الصعيد القومى ملامح الوحدة القادمة ، وحدة كل الثوريين العرب [٢٢] .

• • •

وبعد ، فليست هذه الكلمات الا عرضا موجزا لمساهمة الدكتور محمد الخفيف فى تاريخ فكرنا الوطنى والاشتراكى ، وربما كان الزمن قد تجاوز هذه الفكرة أو تلك ، ولكن يبقى للخفيف هذه القدوة المشتعلة بروح الخلق والابداع ، الروح التى لم تنفصل لحظة واحدة عن حياة شعبنا ، ولم تتخل لحظة واحدة عن الارتباط بمصير أمته ، برغم كل المرارة والعناء والتضحية بالذات حتى النفس الاخير .

●

محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية



لعب محمد الخفيف دورا بارزا فى مجال التثقيف والتربية الفكرية والسياسية ، مما يصعب معه حصر كل أوجه نشاطه سواء بين الشباب فى المراحل التمهيدية لبناء المنظمة الخاصة بهم أو فى المعهد الاشتراكى ومئات المحاضرات التى القاها والندوات التى شارك فيها . ولذلك رأينا أن نقدم مجرد نموذج للجانب التثقيفى فى حياة د. محمد الخفيف فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ، ويشمل المنهج الدراسى الذى قدمه على دراسات فى **اعداد وتربية الكادر للجهاز السياسى ، وكيفية** اختيار اعضاء الجهاز السياسى والتلقائية **والمكتبية فى تكوين الكادر ، والقيادة السياسية والعلاقات التنظيمية** ، ومشاكل تكوين الكادر الاشتراكى ، **ومفهوم الديمقراطية** ، وقراءات من ابواب الميثاق ، وفى خطب الرئيس جمال عبد الناصر هذا الى جانب خمس محاضرات رئيسية تندرج جميعا تحت باب التنظيمات السياسية والجماهيرية .

وتنقسم المحاضرات الرئيسية الى قسمين : قسم يتسم بالطابع النظرى ، والاخر بالطابع التطبيقى ، اذ ترسى المحاضرة الاولى — عن **الدولة** ، والثانية عن **الثورة** من منطلق مادى جدلى — الاسس

[٢١] الاهرام — ١٩٦٣/٤/٩ . [٢١] الاهرام — ١٩٦٢/٤/١ م

النظرية التى يستحيل بدونها فهم مضمون التنظيمات السياسية كجزء لا يتجزأ من التنظيم الاجتماعى والاقتصادى ، نابع منه ومؤثر فيـــه . بينما تعرض المحاضرات الثلاث الباقية ، مستندة الى هذا الجانب النظرى **للتنظيمات السياسية ، وتحالف قوى الشعب ، والتنظيم السياسى الطليعى** فى محاولة للتصدى للواقع العملى ودراســة جوانبه ، والوصول الى تعريفات محددة لتنظيماته السياسية ،وتبين الاسباب والوسائل التى تضمن تطويرها وحمايتها ودفعها فى الطريق السليم .

وتعرض محاضرة **الدولة** لتعريف الدولة للرأى السائد لدى فقهاء القانون الدستورى فى الدولة الرأسمالية الذين يذهبون الى « أن الدولة **ضرورة اجتماعية** ، وأنها مجموعة من الافراد تجمعهم فى اقليم أو أقاليم معينة سلطة **مركزية ذات سيادة** وشخصية معنوية من أجل غاية واحدة هى حفظ **النظام الداخلى** والدفاع الخارجى » . وبالتناول التاريخى للمجتمع الانسانى البدائى ، وبالظروف الموضوعية التى اوجبت ظهور الدولة ، وللتطور التدريجى من دولة المجتمع العبودى ، الى دولة الاقطاع الى دولة رأس المال ، قد خص المحاضرة فساد هذا التعريف ، وتفضح هدف الرأسمالية من الترويج له ، وتبرز دور الدولة كجهاز قهر طبقى مهمته الابقاء على الاستغلال ، وتركيب الدولة الذى يقوم على تفرغ عدد من أفراد المجتمع لمهمه حكم الاخرين مســتخدمين مختلف الاجهزة والوســائل التى يمدهم بها المستوى الذى وصل اليه تطور العلم والفكر فى ارتباطه بتطور المجتمع ، وتوحد مضمون الدولة وان تعددت اشكالها منملكية الى جمهورية الى ديكتاتورية الى ديمقراطية وان كان الشكل الاخير أفضل من حيث يتيح فرصة أكبر للتغير ، وتعبير الدولة والنظم السياسية النابعة منها عن الاوضاع الاقتصادية السائدة فيهــا والمصالح المتحكمة فى هذه الاوضـــاع السياسية .

ويتوقف المحاضر عند مضمون الدولة فى مرحلة التحول نحو الاشتراكية . وشكل الدولة هنــا يختلف من بلد الى آخر وفقا للظروف الموضوعية لكل من البلدان ولكنه يتفق من حيث هو مضمون طبقى . وهذا المضمون يعنى « أنها أســاسا وبالدرجة الاولى اداة الطبقات الشعبية صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى ضد الطبقــات الاستغلالية التى تم خلعها من السلطة » . وهذه الطبيعة للدولة تواجه مهام خطيرة يلخصــها المحاضر فيما يلى :

أولا : سحق كل محاولة من جانب الطبقات الاستغلالية المخلوعة من أجل تقويض النظــام الجديد أو تخريبه أو التآمر عليه بهدف العودة بالمجتمع الى ما كان عليه من أوضاع اجتماعية استغلالية . ولقد أثبت التاريخ أن مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية يشتد فيها الصراع بين الطبقات المخلوعة وقوى الشعب العاملة على الرغم من وصول الاخيرة الى السلطة لان الطبقات الاستغلالية تعلم تمام العلم أنه كلما تدعم النظام الجديد ، وكلما أحرز نجاحا ، كلما التفت حوله جماهير الشعب وبالتالى تقل وتضيق فرص العودة بالمجتمع الى الوراء . ولما كانت الطبقــات الاستغلالية قد تم خلعها كطبقات من السلطة فأنها تلجأ الى وسائل أخرى .. التشكيك .. تخريب الانتاج .. تعطيل تنفيذ قوانينالدولة الجديدة ثم التآمر ، ثم التحالف مع القوى الرجعية العالمية والاستعمار .. وهى تعتمد فى ذلك على حقيقة موضوعية هى أنه فى مرحلة التحول تعيش القيم الجديدة جنبا الى جنب مع القيم القديمة التى تخدم النظام القديم .. والقيم القديمة أطول عمرا بكثير وأقوى رسوخا ، كما وأن الدولة فى مرحلة التحول مضطرة اضطرارا الى أن تعتمد على بعض الفنيين وذوى الخبرات الذيننشأوا أوتربوا فىظلالنظام القديم .. وتبرز أهمية هذه النقطة بشكل خاص اذا تذكرنا أنه الى يومنا هذا بدأت عمليا التحول الاشتراكى فى الغالبية العظمى من الحالات فى بلاد متخلفة اقتصاديا ، وبكل ما يتبع التخلف الاقتصادى من تخلف اجتماعى وثقافى وتخلف فى التكنيك والعلم .

ثانيا : تنظيمالحياة الاقتصادية للمجتمع وارساء اسس الاقتصاد الاشتراكى .. لانه قبل التحول الاشتراكى كان اساس العلاقات الانتاجية فى جميع مراحل المجتمع هو الملكية الفردية لوسائل الانتاج وان اختلفت صور الاستغلال المترتب على هذه الملكية ، وان اختلفت القوى المتصارعة من تنظيم اجتماعى الى آخر . ولكن العلاقات الاشتراكية تقوم على أساس نقيض تماما للملكية الفردية لوسائل الانتاج فهى تقوم كما نعلم على أساس سيطرة القوى الشعبية على هذه الوسائل عن طريق الملكية العامة لها وهو الامر الذى لا يمكن أن يحدث فى ظل المجتمع القديم لان حدوثه يعنى أنه قضى عليه . لهذا فان الدولة فى مرحلة التحول الاشتراكى تواجهها مهمة أساسية وجوهرية هى تنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع وارساء علاقاته الانتاجية على أساس سيطرة قوى الشعب على وسائل الانتاج .

ثالثا : تعبئة الجماهير الشعبية عن طـريق اجهزة الاعلام المختلفة ، عن طريق المنظمــات الثقافية والتعليمية لقضية الاشتراكية .

رابعا : حماية مصالح قوى الشعب العاملة التى

تبنى الاشتراكية والضرب على أيدى كل عابث أو متآمر عليها ٠

خامسا : تدريب جيل جديد من الفنيين والخبراء المرتبطين بقضية الاشتراكية ٠ هذا بالطبع الى جانب المهمة الكبرى ، مهمة حماية المجتمع الجديد من أى عدوان خارجى قد تشنه ضده الرجعية العالمية ٠ وليكن ماثلا أمام اعيننا باستمرار قول الميثاق :

« ان الرجعية تملك وسائل المقاومة ، تملك سلطة الدولة ٠ فاذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال ، فاذا انتزع منها لجأت الى حليفها الطبيعى وهو الاستعمار » ٠



وفى محاضرة **الثورة** ، يتعرض المحاضر تاريخيا للثورة كالوسيلة الوحيدة لاسقاط الدولة وانتقال السلطة من يد طبقة الى طبقة أخرى ٠ والدولة كهدف مسألة أساسية فى كل ثورة ، « كما وان الثورة تكون عملية استيلاء على الدولة من أجل هدم العلاقات الاجتماعية القائمة وانشاء علاقات اجتماعية جديدة تخدم مصالح القوى الجديدة التى قامت بالثورة » ٠ والثورة دائما فى أى مرحلة من مراحل التاريخ عمل تقدمى ، يتبدى فى تقدم اسلوب الانتاج والفكر ومستوى الانسانية بوجه عام وهى من حيث تهدم القوى القديمة والعلاقات الاجتماعية التى تخدمها من أجل اقامة علاقات جديدة تخدم قضية ، ويضرب المحاضر بالثورة الفرنسية مثلا ، فهى لم تقض على الاستغلال ، ولكنها حين قضت على العلاقات الاقطاعية واستبدلتها بالعلاقات الرأسمالية دفعت بعجلة التطور الى الامام ٠

وتتوقف المحاضرة عند تعريف الثورة ، فليست كل عملية استيلاء على الدولة ثورة فقد لا يخرج الاستيلاء على السلطة عن كونه انقلابا وأن تخفى تحت اسم الثورة ، والمحك هو تغير العلاقات الاجتماعية لخدمة قوى اجتماعية جديدة تدفع بالتطور التاريخى الى الامام :

« والانقلاب فى أساسه وسيلة من الوسائل التى تلجأ اليها الطبقات الحاكمة أو قواها لعرقلة حركة تغيير المجتمع ولكبت القوى الجديدة – وذلك عندما تحس أن الموقف السياسى قد تأزم الى درجة تهدد بالانفجار ٠ وأن نظام الحكم قد انفضح أمره أمام القوى الشعبية بحيث أصبح لابد من اجراء تغيير بأى شكل من الاشكال ٠ ولما كان تغيير أسس المجتمع أمرا لا يمكن أن يدور بطبيعة الحال بأذهان الطبقة الحاكمة فانها تسارع الى تغيير أشخاص الحاكمين محاولة ايهام الجماهير الشعبية بأن الخلل فى أشخاص الحكام وليس فى أسس الحكم ٠

الانقلاب اذن محاولة لمنع تجمع الجماهير الشعبية حول قضية تغيير العلاقات الاجتماعية ، محاولة لمنعها من الالتفاف حول القيادة الثورية التى تنادى بالثورة على المجتمع القائم .. وتتم عملية الانقلاب بطرق مختلفة تختلف باختلاف ظروف المكان والزمان ٠٠٠

ولكن الانقلاب فى جميع حالاته ، ومهما اختلفت أساليبه ووسائله ، مدنيا كان أم عسكريا ، وعلى الرغم من وصف القائمين به له بانه ثورة (فلا يعقل بطبيعة الحال أن يفصحوا عن حقيقته) يظل هدفه واحدا لا يتغير ٠٠٠ الابقاء على العلاقات الاجتماعية القائمة وبذل كل المحاولات لوقف تيار التغيير ، وهو فى جميع الحالات مؤيد من القوى الرجعية المحلية والعالمية على حد سواء » ٠

ويعرض المحاضر لتعريف الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية ويبرز القوى صاحبة المصلحة فى الحالتين ٠ وفى حالة الثورة الاجتماعية يحدد نوع التغيير الاجتماعى المستهدف نوعية القوى المنضمة الى الثورة ، اما الثورة الوطنية فيتسع اطارها لتشمل كل القوى الاجتماعية فيها عدا القلة التى ترتبط مصالحها ارتباطا مباشرا ببقاء الاستعمار بشكل من الاشكال ٠ والثورة الاشتراكية ثورة اجتماعية فى الاساس ولكنها تنفرد عن بقية الثورات الاجتماعية بمهام القضاء على جميع صور الاستغلال وأساليبه قضاء حقيقيا ، وبالبدء فور توليها السلطة بوضع أسس لعلاقات اجتماعية جديدة مستأصلة تماما للعلاقات القديمة ، والاستبعاد الفورى لكل الطبقات القائمة على الاستغلال ، وبالقيادة الثورية النابعة من صفوف الجماهير الواقعة تحت الاستغلال ٠

وينتقل الدكتور محمد الخفيف الى استعراض الظروف المهيئة لقيام الثورة ، ثم ينتقل المحاضر ، بعد أن ينتهى من هذا الاستعراض التاريخى الى المرحلة التى تلت الحرب العالمية الثانية ٠ والى التغييرات التى أدت الى ظهور النظام الاشتراكى كقوة عالمية صاعدة ، والى نمو حركة التحرر الوطنى العالمية وبروزها جنبا الى جنب كقوة ضاغطة على الاستعمار العالمى والى انفضاح الديمقراطية الغربية وانكشاف خضوعها الكامل للاستعمار العالمى ٠ والى تقدم العلم وانفتاح الافاق الواسعة للتقدم والانتاج أمام البشرية والى سقوط الحواجز بين بلدان العالم فعليا وفكريا نتيجة لتقدم المواصلات والاتصال ٠ الامر الذى

ترتب عليه التحام الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية :

« فهذه الظروف الجديدة جعلت من المحتم ان يطرح كل شعب يثور ضد الاستعمار هذا السؤال الهام : وماذا بعد طرد الاستعمار ؟

هل تنتهى القضية الى مجرد استبدال مستغل أجنبى بآخر قومى ، أم أن القضية هى فى الاساس القضاء على الاستغلال ؟

وكان حتما فى ضوء الظروف العالمية التى ذكرناها ، وفى ضوء ظروف التخلف القاسى التى يعانى منها كل بلد مستعمر ، أن تكون الثورة الوطنية ضد الاستعمار جزءا من الثورة ضد الاستغلال » .

وفى محاضرة التنظيمات السياسية يتناول المحاضر التعريف العلمى لكل من الجبهة والحزب . وهو يتبع صراع الطبقة العاملة ضد الرأسمالية فى مراحله المختلفة . ليخلص الى تعريف الحزب بأنه « التنظيم السياسى القيادى لطبقة من الطبقات يقودها فى كفاحها المستمر من أجل تحقيق هذه المصالح ثم الحفاظ عليها » . فبداية هذا الصراع بداية عشوائية أخذت شكل تدمير الالة ذاتها ، ثم تبلور الصراع ليوجه الى صاحب الالة لا الالة ، وخرجت الحركة النقابية الى حيز الوجود من نطاق المنشأة الى نطاق المجتمع ككل لتضم عمال جميع المهن ضد الرأسماليين بوجه عام ، ولا يلبث العمال ان يدركوا ان الحركة النقابية ، وان حققت بعض المكاسب ، قاصرة عن تحقيق كل المكاسب ما دامت الرأسمالية مدعمة بالدولة وأجهزتها وقوانينها . وتكتسب هذه الحقيقة وضوحا أكبر ، والمحاولة المريرة للحصول على حق الانتخاب والترشيح هدفها بالنسبة للعمال . فالرأسمالية بملكيتها لوسائل التأثير فى الرأى العام ، وبوعيها السياسى المتقدم على وعى العمال وبمنظماتها السياسية المتمرسة ، وبالقيود التى تضعها على عملية الانتخاب والترشيح تحول دون الطبقة العاملة والوصول الى المجالس النيابية وتحد من مدى هذا الوصول بحيث يصبح عديم الجدوى . وأخيرا يتوصل العمال الى حقيقة وجودهم كطبقة يتحتم أن يكون لها تنظيمها السياسى القيادى .

« ان العمال خلال كفاحهم الطويل وبظهور الفكر الاشتراكى اكتمل لهم آخر الامر وعيهم الطبقى فادركوا أن معركتهم مع الرأسمالية ليست معركة نقابية اقتصادية فى الاساس بل معركة سياسية وأن مصيرهم مرتبط بالقضاء على النظام القائم على الملكية الفردية وان هذا أمر لا يمكن أن يتم الا بوصولهم الى السلطة والعمل على الوصول الى السلطة عمل سياسى يستلزم قيادة سياسية خاصة ، يستلزم أن يكون لهم حزبهم الذى يوجههم من أجل تغيير علاقات الانتاج لمصلحتهم وذلك ازاء حزب الرأسمالية الذى يعمل من اجل الابقاء على علاقات الانتاج على ما هى عليه .

الحزب اذن هو تنظيم سياسى يمثل مصالح طبقة من الطبقات ويقودها فى كفاحها المستمر من اجل تحقيق هذه المصالح ثم الحفاظ عليها . ولكن هل يعنى هذا الكلام أنه يضم جميع أفراد هذه الطبقة ؟ كلا بطبيعة الحال فهو يضم منها فقط تلك العناصر الاكثر وعيا بمصالح الطبقة . والابعد نظرا والاوسع أفقا ، والقادرة على الحركة ، والعمل السياسى ، أى العناصر القيادية » .

وكون الحزب قيادة طبقة ، لا يعنى ألا تضم صفوف الحزب الا أفراد الطبقة التى يمثلها ، أو أن يقتصر نفوذه السياسى على هذه الطبقة دون غيرها ، فمصالح الطبقات المالكة (الرأسمالية الكبيرة والوسطى والصغيرة وملاك الارض) والطبقات الغير مالكة (عمال الصناعة ، والزراعة ، قد تتشابك احيانا ، وقد تتعارض أحيانا اخرى . ولا تتعدد الاحزاب ، والامر كذلك بتعدد الطبقات ، وانما تعددها رهين بوعى كل طبقة من الطبقات ، وبما تتمتع من قوة وتنظيم يتيح لهـا انشاء حزب . كما أن الحزب صاحب المصلحة فى التغيير لا يكتفى بتجربة الطبقة التى يمثلها ، بل يعمل على تعبئة جماهير من الطبقات الاخرى التى تعانى بدورها من النظام القائم ، فالرأسمالية عبأت عدد نشاتها الفلاحين ضد الاقطاع ، وعبأ الحزب الشيوعى فى روسيا فقراء الريف والحرفيين وهو ممثل الطبقة العاملة . ويحرص محمد الخفف على التحذير من مكمن الخطر الذى ينطوى على خديعة تحرف الجماهير الشعبية عن مسيرتها وتكرسها لخدمة مصالح متعارضة مع مصالحها :

« ان الاحزاب التى تمثل مصالح الطبقات المالكة مضطرة تحت ضغط الحركة الشعبية الى رفع شعارات تضلل بها جماهير الشعب والى القدام ببعض الاصلاحات عند وصولها الى الحكم لتحرف الجماهير عن طريق الثورة وهى عن هذا الطريق وعن طريق ملكيتها لوسائل الاعلام والنشر تنجح فى أن تحظى بتأييد بعض الفئات التى قد تتعارض مصالحها معها تعارضا أساسيا ، يساعدها على ذلك أن تكون الحركة الشعبية مفتتة ومنخفضة الوعى وغير منظمة تحت قيادة سياسية واعية » .

ومرد الحكم على هذا الحزب أوذاك ليس فى الاسم الذى ينتحله لنفسه ، أو الشعار الذى

يرفعه ، وانما في الطبقة التي ينتمي اليها ويقودها ، هل هي طبقة صاعدة أم هابطة صاحبة مصلحة في التغيير أو في تجميد الوضع على ما هو عليه . وما أكثر ما يكون الاسم مضللاً :

« ان اسم الحزب لا يدل على طبيعته دائما ، وانما الفيصل هو قيادته والى اية طبقة تنتمي ، فصدقي جلاد الشعب كان يسمي حزبه حزب الشعب ، ومحمد محمود الذى عطل الدستور كان يسمي حزبه الاحرار الدستوريين ، وهتلر كان يسمي حزبه الحزب الاشتراكي الوطني ، وحزب العمال البريطاني يضرب الشعب العربي في اليمن وعدن ، وحزب جي موليه الاشتراكي اشترك في العدوان علينا في سنة ١٩٥٦ » .

وبعد أن ينتهي محمد الخفيف من تعريف **الحزب** ، تعريفا علميا سليما ، ينتقل الى تعريف **الجبهة** ، وتتكون الجبهة حين« تجداكثر من طبقة أن هناك هدفا مشتركا لها وان تعارضت باقي الاهداف ، وأن من المصلحة لها جميعا أن تتحد في عمل مشترك من أجل تحقيق هذا الهدف دون أن يعني هذا بطبيعة الحال أن الاختلاف أو التناقض حول باقي الاهداف قد زال أو اختفى » . وقيادة الجبهة هي الشكل التنظيمي الذى ينظم العمل بين الاحزاب الممثلة لهذه الطبقات ويقود التحالف بينها . وهذا التحالف بالطبع تحالف مرحلي ينقضي بانقضاء الهدف المحدد المشترك الذى يقوم من أجله ، وقد ينتهي قبل انتهاء هذا الهدف ان لم تكن القيادة من الوعي بحيث تنظم التناقض والصراع الطبقي داخل الجبهة بصورة لا تؤدى الى تصدع هذه الجبهة والامر ليس بالامر السهل ، فالاتفاق حول الهدف لا يعني بالضرورة الاتفاق على الوسائل ، فكل طبقة محكومة بأسلوبها في التفكير وبمصالحها الخاصة :

« وهنا تبرز بشكل أكثر وضوحا الخلافات الطبقية لان أسلوب العمل وتحديد الطرق والوسائل يرتبط لدى كل طبقة بأفكارها التي هي في الاساس تعبير عن مصالحها الخاصة .. موقف كل منها من الدولة مثلا ، موقفها من الاسلوب ، الثورى أم الاصلاحي ؟ .. ما تريد أن يكون عليه الموقف بعد تحقق الهدف المشترك ، والى أى مدى يمكن أن يلعب طريق الوصول الى الهدف دورا في تشكيل الموقف بعده والى أى مدى بالتالي يخدمها هذا الطريق أو يضر بها » .

والجبهة التي تضم أحزابا تمثل طبقات شعبية تكون أكثر تماسكا واستقرارا من جبهة تضم طبقات مستغلة ومستغلة ، لان التناقضات هنا تصبح تناقضات ثانوية لا جذرية ، ولان الهدف المشترك لا يتعارض تعارضا جذريا مع بقية أهداف كل طبقة على حدة . فالتناقض حول باقي الاهداف و الخطر الحقيقي الذى يهدد جبهة من الجبهات .

وبعد أن يعرض محمد الخفيف لتعريف كل أنواع الجبهات التي يتغاير شكلها وأسلوب عملها بتغاير آهدافها ، وبعد أن يضرب الامثلة المستمدة من التاريخ العالمي والعربي التي تساند تعريفاته يختم محاضرته بتعريف مفهوم الرجعية والثورية في ارتباطها بالتنظيم السياسي المنطلق الجدلي المادى . ويرجع الى التطبيق كالمحل الحقيقي لقياس مدى ثورية تنظيم من التنظيمات . فثورية الرأسمالية ثورية مرحلية لا تلبث أن تنقلب الى رجعية ، وتوعية هذه الثورية كقضاء الى جانب ثورية الطبقة العاملة ، فموقف أى تنظيم سياسي من أى مشكلة تحدده أساسا موقف طبقته من قضية التطور . ويتخذ محمد الخفيف من قضية المرأة مثلا :

« لنأخذ مثلا قضية المرأة في بلد متخلف شبه اقطاعي .. لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون موقف الحزب الاقطاعي الذى يمثل كبار ملاك الارض من هذه القضية هو نفس موقف حزب الرأسمالية الناشئة . ان الاقطاعي ينظر الى المرأة من خلال علاقات الاقطاع ، من خلال عقلية الحريم . من خلال تبعية الارض ومن عليها له .. انه لا يمكنأن يفكر في أن تتحرر المرأةمنقيودها انهينكر ان يكونللرجل غيرالمالك حقوقا ،فهل يمكن انيفكرفي أن يكون للمرأة حقوقا ، على العكس من ذلك نجد الرأسمالي .. انه يرى التطور مرتبطا بكسر العلاقات الاقطاعية بكل ما تتضمنه من قيود .. انه يرى في المرأة قوة بشرية تمثل تقريبا نصف عدد القادرين على العمل .. ولقد أمكن للمرأة فعلا في ظل الرأسمالية أن تحظى بحقوقها كاملة . نحن اذن أمام موقفين من نفس القضية : موقف رجعي وموقف ثورى .. ولكن .. لنتناول نفس القضية في مجتمع رأسمالي متقدم .. ولنرى كيف يكون موقفكلمنالاحزابالرأسمالية بوجهعاموالاحزاب الاشتراكية .. ان القضية في هذه الحالة لم تعد قضية حقوق فقد حصلت المرأة فعلا في مثل هذا المجتمع على كل حقوقها ولكن القضية هي قضية النظرة الشاملة الى المجتمع كبناء متطور الى الاشتراكية والى المرأة كجزء أصيل من أجزاء هذا البناء جزء من كل لابد وأن يلعب دورهفي التطور .. ولن يمكن للمرأة أن تلعب دورها في التطور اذا ما ظلت رغم تحررها الاقتصادى تابعة للرجل معنويا .. اذا ما ظل المجتمع ينظر اليها رغم خروجها الى العمل على أنها أساسا وسيلة متعة وانجاب .. هنا يكون الموقف الرأسمالي رجعيا والموقف الاشتراكي ثوريا » .

وفي محاضرة **تحالف قوى الشعب** يذهب محمد الخفيف الى أن تحالف قوى الشعب ولد بصورة

جنينية على مدى التاريخ النضالي لمصر الحديثة ونما نموا ملحوظا في السنتين السابقتين للثورة ، ووجد هذا التحالف قيادات وقتية ، وان لم يجد التنظيم السياسي الدائم الذي يستوعبه ويقوده :

« لقدهبت الجماهير في١٩٣٥ تدعو الى الوحدة الوطنية من أجل الاستقلال ولكن الوحدة الوطنية انتهت الى أن تكون جبهة من الاحزاب وقعت معاهدة ٣٦ . وهبت الجماهير مرة أخرى في ١٩٤٦ تطلب طرد الاستعمار وتقف في وجه حلف صدقي - بيفن عن طريق الكفاح المسلح ،واستفادت من تجربة ١٩٣٥ فكونت « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال كقيادة مستقلة ، اثبتت فاعليتها لمدة ، ولكنها عجزت عن الاستمرار ، فمن ناحية تكتلت ضدها الاحزاب الرجعية وأجهزة الدولة من خارجها عن طريق التنكيل والارهاب والخداع ومن داخلها عن طريق التخريب بواسطة عناصرها التي تسللت الى صفوفها ، ومن ناحية اخرى ظلت اللجنة مجرد جهاز قيادي لا يرتبط بالجماهير بمستويات تنظيمية قوية ، قيادة موحدة وجماهير مشتتة وقد تميزت هذه الفترة بمحاولات متتابعة لتكوين تنظيمات وطنية سرية ، وكانت هذه « التنظيمات السياسية لا تعبر عن مصالح الطبقة الحاكمة ، لكن فاعلية هذه التنظيمات كانت في معظم الاحيان محدودة أو سلبية بسبب تحفظ الطبقة الحاكمة عليها من ناحية، ومن ناحية اخرى لان هذه التنظيمات حركتها دوافع انفعالية عاطفية » (مشروع التنظيم الشعبي ٢ يوليو ٦٢) .

ان السنتين السابقتين للثورة [١٩٥٠ - ١٩٥١] حافلتان بالاحداث التي تثبت عن يقين فقدان جماهير الشعب ثقته تماما في الاحزاب السياسية الرجعية كما تثبت احتدام الصراع الطبقي والتحام الصراع ضد الاستغلال الداخلي بالصراع ضد الاستعمار من أجل التحرر . لقد وقع خلال ١٩٥٠ وحدها ٤٩ اضرابا عماليا . عمال البيبسي كولا ، الشركة المتحدة للغزل والنسيج ، شل ، شبرا الخيمة ، العنابر ، الترسانة ، المطبعة الاميرية ، سائقو وعمال السيارات وتضامنت معهم ٤٢ نقابة تمثل جميع عمال النقل المشترك . ولم تقتصر حركة الاضراب على العمال ، فاضرب المعلمون والاطباء والصيادلة . بل اضرب الكونستبلات ، بل لم يقتصر الامر على المدن والعمال والموظفين ، بل بدأ الصراع ايضا في الريف . ففي يونيو ١٩٥١ بدأ الفلاحون في كفور نجم حيث كان يملك محمد علي ٧٠٠٠ فدان بالشكوى من ارتفاع الايجار فلم يستجب لهم أحد فبدأت حوادث حرق المحاصيل وماكينات الري ورد البوليس بحملة ارهاب ، كانت قمتها قتل زعيم الفلاحين « عناني احمد عواد » وفي بهوت وقد عجز الفلاحون عن سداد الايجار اقتحم رجال « البدراوي » بيوتهم ينهبون متاعهم وخزينتهم فتجمع أهل القرية حول قصر البدراوي يشكون مقتل أحدهم ، فثار الفلاحون وقذفوا القصر بالحجارة واشعلوا النار في اجران القمح .. وفي « أبو الغيط » طرد ٥٠٠ مستأجر من أراضي الاوقاف ليستأجرها صهر وزير التموين فنشبت معركة قتل فيها البوليس ١٢ فلاحا .

وفي ٨ اكتوبر ٥١ وتحت ذروة الضغط الشعبي المتزايد اضطرت حكومة الوفد الى الغاء معاهدة ٣٦ فانطلقت المظاهرات وارتفع شعار مقاطعة الانجليز وكان أول من استجاب للشعار عمال منطقة القنال والمعسكرات البريطانية ، وبدأ تنظيم كتائب التحرير ، وفتحت مكاتب التطوع ومراكز التدريب وتطوع بعض الضباط لتدريب الكتائب ومدها بالسلاح ثم ابتدأ نشاط الكتائب في معسكرات الانجليز بالقنال في أواخر اكتوبر .

أردنا بهذا العرض الموجز أن نوضح فقدان جماهير الشعب لثقتها في الاحزاب التقليدية وفي نفس الوقت عجز التنظيمات اليسارية السرية عن ان تكسبها الى صفها ، بالرغم من انها لعبت دورا أساسيا في انتشار الافكار الاشتراكية وطبع النضال الوطني بالطابع الاجتماعي لا بين المثقفين فحسب بل بين العمال والطلبة ايضا ، وعندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - التي تكونت قيادتها مستقلة وبمعزل عن دائرة الاحزاب - لم يكن أمام الاحزاب الا أن تقف مشلولة تفرك عيونها وقد أذهلتها المفاجأة أما الجماهير فقد اندفعت في حماس تلتف حول الثورة التي طردت الملك بعد ٣ أيام فقط من قيامها وهي تحس أنها لاول مرة في تاريخها أمام قيادة شعبية حقيقية . وكان ان شيعت الجماهير غير آسفة الاحزاب الى مثواها الاخير » .

على طول هذا التاريخ ، كان هناك تحالف طبيعي - وان كان بشكل جنيني - بين قوى الشعب العاملة ممثلة في الفلاحين والعمال والمثقفين والحرفيين وصغار البرجوازية يشترك - بكل قواه في أتون الحركة الوطنية والاجتماعية كتحالف يزداد بنمو المعركة تمايزا واستقلالا في مواجهة تحالف الاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار وبقيام ثورة يوليو انضمت قوة شعبية جديدة ، قوة الجنود ، كان انضمامها هو العامل الحاسم في بدء انهيار تحالف الرجعية ليقوم مقامه تحالف الشعب .

وقبل ان يعرض محمد الخفيف بالدراسة للتنظيمات التي تلت ثورة ١٩٥٢ وهي هيئة التحرير والاتحاد القومي ، والاتحاد الاشتراكي العربي ، يتطرق الى « ظاهرة التنظيم السياسي الواحد » في البلاد حديثة التحرر مرجعا هذه الظاهرة الى اسبابها في الظروف العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين ، وفي الظروف المحلية العامة للبلاد الافريقية ، ومحللا لطبيعة هذا

التنظيم السياسى الواحد من حيث تكوينه وطبيعته ، ومشيرا الى المخاطر التى تحيق بمثل هذا التكوين .

والاتجاه الى التنظيم السياسى الواحد جاء نتيجة لادراك الشعوب النامية بأن قضية التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى قد تلاحمت بحيث أصبحت قضية واحدة ، وأن التحرر الوطنى مرتبط ارتباطا لا ينفصم بالتنمية الاقتصادية وصولا الى المجتمع الاشتراكى ، وان عملية البناء الاشتراكية انما هى عملية تتسم بالمرونة ، تستفيد بالتجارب الاشتراكية السابقة ، ويتوقف نجاحها فى ذات الوقت على ارتباطها بظروف واقعها ، وتكتيلها لجهود جميع القوى صاحبة المصلحة فى الاشتراكية . وقد جاء هذا الإدراك تدريجيا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، نتيجة لتوطيد أركان النظم الاشتراكية فى العالم ، وتعدد طرق الوصول اليها باختلاف الظروف من بلد الى آخر . ولسقوط الحواجز بين الامم فعليا وفكريا ، وانفضاح ارتباط الديمقراطية الغربية بالاحتكار والاستعمار وممارستها للتفرقة العنصرية واهدار كافة الحقوق الانسانية .

وبينما مهدت الظروف العالمية لادراك حقيقة التحام الثورة التحررية بالثورة الاجتماعية كانت الظروف المحلية العامة للبلاد الافريقية ، تزيد من هذا الادراك وتشير الى ضرورة ايجاد تنظيم يستوعب المتناقضات ويدفع فى اتجاه تحقيق الثورية معا التحريرية والاجتماعية ، ويلخص هذه العوامل فى النقاط التالية :

١ ـ وجود بقايا من كافة المراحل الاجتماعية التى مرت بها البشرية وعدم تبلور الطبقات بالصورة المعروفة فى المجتمعات التقليدية ، واهم نتائج هذا الوضع هو ضعف الرأسمالية المحلية .

٢ ـ سيادة الروابط القبلية وما تسببه من اضعاف للتناقضات بين القوى الاجتماعية التى لم تتحدد كما قلنا أبعادها بعد ، واستغلال الاستعمار هذه الظاهرة فى تكوين أحزاب عميلة لم تلبث ان اتضحت خيانتها فانصرفت الجماهير عن فكرة الاحزاب .

٣ ـ نتيجة للقبلية ولضعف الرأسمالية ولانتزاع الاجانب للاراضى لم تتأصل روح الملكية الخاصة .

٤ ـ الاستغلال الاستعمارى فى أبشع صوره الى درجة ابادة السكان الاصليين .

٥ ـ التخلف الاقتصادى الاجتماعى الرهيب فى عصر تم للانسان فيه ارتياد الفضاء .

٦ ـ ظهور المثقفين المعتنقين للافكار الاشتراكية كاهم قوة اجتماعية الى جانب العمال فى الدول التى نمت فيها الصناعات الاستخراجية ، والفلاحين فى الدول التى انتزع فيها الاجانب الاراضى الخصبة بعد أن طردوا الوطنيين منها .

والتنظيم السياسى الواحد فى البلاد الافريقية لا هو بالحزب ولا هو بالجبهة لعدم تبلور الظروف الموضوعية التى تتيح وجود حزب أو جبهة احزاب تمثل كل منها طبقات تعى دورها وعيا كاملا ، وهو تحالف شعب يجمع الجماهير حول اهداف عامة او على الاصح حول هدفين أساسيين هما التحرر ثم التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم فهو « تنظيم مفتوح لجميع افراد القوى التى تريد التحرر السياسى والاجتماعى .. ملايين الناس من الفلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين وشيوخ الفلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين وشيوخ القبائل والطلبة » . وطبيعة هذا التنظيم بحكم ثقافتهم التى وفرت لهم فرص الاتصال بالتجارب الاخرى من ناحية وبحكم اهمية دورهم وعملية التنمية من ناحية اخرى ، وان كان هذا لا يمنع من أن تنازعهم القيادة فى بعض الحالات عناصر من العمال او الفلاحين او رؤساء القبائل حسب وزن كل من هذه القوى » .

ويشير محمد الخفيف الى المخاطر التى تلازم تنظيما سياسيا هذه طبيعته التكوينية ويلخص الوضع فيما يلى :

هذه الطبيعة التكوينية للتحالف الشعبى تجعله :

١ ـ منظمة جماهيرية واسعة أكثر منه تنظيم سياسى طليعى بمعنى الكلمة ، وهذا يعنى العمومية فى البرنامج والتساهل فى شروط العضوية . والاسراف يعنيان بالتالى غياب خط سياسى شامل وعدم الالتزام الحزبى الدقيق فيصبح هناك احتمال قوى أن يفتح الباب امام العناصر الانتهازية أو حتى عناصر من القوى المعادية لقوى التحالف .

٢ ـ مسرحا للتناقضات بين القوى الاجتماعية المختلفة ، فان لم يوجد « جهاز » يتحكم فى هذه التناقضات ويعمل على توجيهها وتصفيتها فان هناك خطر بأن يتحول العمل السياسى الى صراع حول المطالب الاقتصادية ، وان تتحول التناقضات الطبيعية من قوى التحالف (طبيعية بحكم المرحلة) الى تناقضات رئيسية أو صراع عدائى فيتفتت التحالف مما قد يعطها الفرصة للرجعية من جديد .

٣ ـ مجالا للانحرافات البيروقراطية واحتكار صفوة المثقفين للعمل اعتمادا على ضعف باقى القوى وعدم وعيها الامر الذى يهدد بظهور طبقة بيروقراطية جديدة تستأثر بأكبر قدر من ثمار النضال الشعبى على حساب باقى القوى .

ولا منجاة لمثل هذا التنظيم السياسى الواحد الا بتوفر تنظيم سياسى طليعى ، مكون من الثوريين الاشتراكيين من العمال وممن تخلوا عن اصولهم الطبقية الضيقة ليتبنوا قضية الاشتراكية . ولابد وأن يكون لهذا التنظيم الطليعى خطه السياسى المحدد وبناؤه التنظيمى المحكم ونظريته الاشتراكية الثورية :

« وليس هناك من سبيل لوقوف فى وجه هذه الاخطار جميعا الا بأن يكون للتحالف ، كجزء لا

يتجزأ منه وفى نفس الوقت متميز عنه ، **تنظيم سياسى طليعى له لائحته الخاصة وبرنامجه التفصيلى وخطه السياسى الدقيق وبناؤه التنظيمى ونظريته الثورية** ، تنظيم يقود التحالف ويوجهه كجيش واحد نحو هدف واحد ، **يكون الحارس ضد البيروقراطية والانحراف ، والمنسق للتيارات المختلفة ، والمجمع للتناقضات فى بوتقة العمل السياسى** ، والسيف البتار للمتسللين من الانتهازيين واعداء التحالف · وهو بهذا الوضع لا يمثل التحالف بين القوى الاجتماعية بل يمثل قيادة **هذه القوى بمعنى أن اعضاءه وان انتمى كل منهم طبقيا الى قوه من القوى الاجتماعية للتحالف الا انهم قد تخلوا عن اصولهم الطبقية الضيقة لينحازوا الى قضيه التطور الاشتراكى الرحبة ، تخلوا عن الخاص من اجل العام ، اننا لا نصف عضو هذا الجهاز بأنه ممثل الفلاحين أو العمال او المثقفين الخ** · بل نصفه بأنه أحد القادة الاشتراكيين ، أحد طلائع الاشتراكية ، أحد الذين ارتبط مصيره الخاص بل وارتبطت حياته بمصير الاشتراكية ، ومن هنا فليس شرطا أن يضم هذا الجهاز اعضاء من جميع القوى كما وأن من الطبيعى ان يكون اعضاؤه من أبناء القوى الاكثر استعدادا للبذل والتضحية من أجل انتصار الاشتراكية الى درجة التضحية بالحياة » ·

وبعد ان يتناول المحاضر بالتحليل تجربة التنظيم السياسى فى ظل الثورة مستعرضا لطبيعة تكوين هيئه التحرير ، والاتحاد القومى ، والاخطاء التى شابت هذا التكوين ينتقل الى تقييم تجربة الاتحاد الاشتراكى العربى بعد سنتين من انشائه ويرى أن غياب الجهاز الطليعى بالشكل الذى عرفه يفتح الباب امام احتمال طغيان المصالح الخاصة لكل طبقه من طبقات التحالف على المصالح المشترك لهذه الطبقات ، وان التعريف القائم لمن هو الفلاح ومن هو العامل ينذر بانفصال «التطبيق عن النظرية» ، فنجد أنه بينما ننادى نظريا بأن يكون المركز القيادى فى التحالف للفلاحين والعمال اذ بهذا المركز ، عمليا ، مشاع بينهم وبين غيرهم · ويشير فى هذا الاتجاه الى أن ٩٤ فى المائة من الملاك لا تزيد ملكية كل منهم على ٥ أفدنة · ويتساءل ان كان هذا الوضع يتفق مع تعريف الفلاح بأنه من لا تزيد حيازته ملكا او ايجارا ، على ٢٥ فدانا · ويضيف الا يكون الاقرب الى الواقع أن يعتبر حائزا أكثر من ٥ افدنة من الرأسمالية الوطنية » ·

وتعرض محاضرة التنظيم السياسى الطليعى لنوعية هذا التنظيم والطرق الكفيلة بارسائها على أسس سليمة ، ويبرز حرية المناقشة والنقد والنقد الذاتى كأساس للالتزام ثم يعرض لبعض التصرفات التى تهدد وحدة مثل هذا التنظيم ومنها الشللية والطائفية ، وتغليب الخاص على العام والمغامرة · وفى معرض التعريف بالتنظيم السياسى الطليعى أو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى يخرج المحاضر بالتعريف لطبيعة هذا التنظيم بتحديد نوعيته ونوعية المهام المناطة به ، فالتنظيم السياسى الطليعى ينتمى الى الاتحاد الاشتراكى ، ويتميز فى ذات الوقت عليه ، ويرجع تميزه الى ضرورة ضمه لاصلب « عناصر التحالف وأعلاها وعيا وأكثرها قدرة على الحركة بصرف النظر عن انتمائها الى هذه القوة أو تلك من قوى التحالف » · ولابد لمثل هذا التنظيم من أن يشكل وحدة تنظيمية لا تنفصم حتى يتمكن من القيام بدوره القيادى فى خضم المتناقضات ، وحتى يتاح له اخضاع المصالح الضيقة لكل قوة من قوى التحالف للمصالح الواسعة التى تتطلبها قضية البناء الاشتراكى · كما أن هذا التنظيم لابد بالضرورة وأن يكون اعلى جهاز سياسى منظم حتى يتمكن من ادراج نشاط مختلف المنظمات الشعبية فى مجرى واحد يخدم البناء الاشتراكى ·

ولذلك فالتنظيم السياسى الطليعى ليس حزبا بالمعنى النظرى للحزب ، ولكنه حزب من الناحية التنظيمية والعقائدية : حزب اشتراكى ·

يتضح مما سبق أن الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى بوصفه التنظيم السياسى الطليعى ليس حزبا بمعنى انه لا يمثل طبقة معينه ولكن فى نفس الوقت لكى يصبح هذا الجهاز جهازا قياديا طليعا بحق لابد ـ كما ذكرنا أن تتوافر له الصفات الثلاث الاساسية التى ذكرناها · **وهذه الصفات لا تتوافر عن طريق الصدفة ولا عن طريق النيات الحسنه بل لابد من أسس تنظيمية معينة ، لابد من مقومات ومن أسلوب عمل معين ·· اننا نريد جهازا موحد الفكر ، موحد العمل ، مرتبطا بالجماهير قادرا على قيادتها ·· اذن لابد من بناء تنظيمى معين ·· لابد من خط سياسى ·· لابد من أسلوب للعمل وأسلوب لتربية الاعضاء ·· لابد من لائحة لكى يصبح هذا الجهاز** « كتيبة » منظمة مترابطة ملتزمة ·· بهذا المعنى يمكن القول بأن الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى وان لم **يكن حزبا من الناحيه الطبقية الا انه حزب من الناحية التنظيمية والعقائدية ·· « حزب اشتراكى » كما سماه الرئيس فى مناقشات الامانة العامة »**

وكان الخفيف يقبل على النشاط العملى ، يوليه كل جهده ، ويمتلك قدرة خارقة على استخلاص النتائج من واقع الممارسة ، ويستخدم الجرأة والشجاعة التى يتحلى بها للاعلان عن رأيه ، لذلك نجده فى أيامه الاخيرة يقدم مقترحات هامة فى لجنة الفكر وينادى بضروره تعدد المنابر واتاحة حرية التعبير الفكرى والسياسى والتنظيمى لكل القوى الوطنية ، والسماح بتكوين « تنظيم سياسى لكل فئة من قوى الشعب العاملة ، على أن تنضوى هذه التنظيمات تحت لواء الاتحاد الاشتراكى فى صيغة قريبة من صيغة الجبهة الوطنية » ·

تقارير الشهر

● جمهورية مصر العربية ●

المؤتمر الرابع
للمجلس المصرى للسلام

● لبنان ●

المؤتمر الشعبى العربى

● اليمن الشعبية ●

مؤامرة بريطانيا :
القوى الرجعية
والجنرال « جراهام »

● المانيا الغربية ●

انتصار « لهجوم السلام »
السوفيتى فى أوروبا

● فيتنام الشمالية ●

سقوط « كوان ترى »
بداية النهاية
وسقوط « هوى »
النهاية نفسها

● الولايات المتحدة ●

اطلاق الرصاص على ولاس
يسهل له طريق الرئاسة

● تقرير خاص ●

● ماذا بعد أن قدم
الاتحاد العام للعمال
برنامجا للعمل فى
أول مايو ١٩٧٢ ؟

■ جمهورية مصر العربية :

نجـــاح في موســـكو
وفى العواصم العربية الثلاث

من أجل توفير أكبر قدر من الوضوح والتحديد في العلاقات العربية السوفيتية ، ومن اجل الوصول الى حد مشترك من الاتفاق حول عمل عربي موحد — قام الرئيس أنور الساداتبجولة واسعة زار خلالها **موسـكو والجزائر وتونس وليبيـا** .

وعلى كثرة ما قام به الرئيس السادات من رحلات وزيارات خارجية فان رحلاته الاخيرة قد حظيت باهتمام عالمى كبير وشـدت انتبـاه المراقبين والمعلقين .

فرحلة الرئيس السادات الى موسكو جاءت في ذروة حملة تشكيك واسعة قادتها وخططت لها الدوائر الاستعمارية ، وغذتهـا اسرائيـل والرجعية — وكانت هذه الحملة الشرسةتهدف الى ضرب العلاقات العربية السوفيتيةوتخريبها واشـاعة روح الشك والعداء لاكبر واقـوى واخلص اصدقائنا .

وركزت الحملة نيرانها فى عدة اتجاهات — فمن ناحية الاتحاد السوفيتي لا يعطنا السلاح وهو لايوافق على قيامنا بالعمل العسكرىلتحرير الارض المغتصـبة ومن ناحية اخرى فالاتحاد السوفيتى يؤيد حالة اللاحرب واللاسلم ، وهو فى سبيله للاتفاق مع أمريكا من خلال زيارةنيكسون للاتحاد السوفيتى ومن ناحية اخرى هناكجفوة بين قادة الاتحاد السوفيتي والرئيس السادات .

وجاءت وقائع زيارة الرئيس للاتحادالسوفيتي لتكشف عمقواصالة العلاقات العربيةالسوفيتية ولتوجهضربة قاصمة لحملاتالتشكيك المسمومة .

لقـد حرص الرئيس السـادات فـى أول كلمة عامة يلقيها فى موسـكو أن يرجع العـلاقات السوفيتية المصرية الى جذورهـا الحقيقيـة — جذور النضال المشترك نحو الاهداف المشتركة .

لقد اعلن الرئيس السادات فى مستهلزيارته الرابعة للاتحاد السـوفيتى « لم أكن استطيـع الحضور الى موسكو هذه المرات العديدة ، كما لم تكن حركات التحرير فى العـالم تتمـكن من النجاح،لولا المسئولية الكبرى التى يتحملها الاتحاد السوفيتى تجاه حركة التحرير العالمى — وانه لو لم تظهر الكتلة الاشتراكية بزعـامة الإتحـاد السوفيتى بعد الحرب العالمية الثانية فى مواجهة القوى الاستعمارية والامبريالية كعامل متوازن — لما كان للشعوب الصغيرة والدول المكافحة من أجل استقلالها وتقدمها — قدرة أن تشق طريقها تحت الشمس وتبنى مكانتها اللائقة بين الدول » .

ولم تكن المباحثات صعبة او متعثرة بل كان هناك اتفاق واسـع على كافة القضايا ، واكد **كوسيجين** فى خطابه أن العمل الذى انجـزته المباحثات فى ساعات قليلة يمكن أن يتم فى ظروف أخرى فى أقل من ثلاثة شهور .

وقد اثار البيان المشترك الذى صـدر عقب انتهاء المباحثـات ردود فعل حـادة وواسـعة وبشكل خاص داخل اسرائيل وفى الاوسـاط الرجعية والدوائر الاستعمارية .

لقد أكد البيان المشترك على « أن الوضـع فى الشرق الاوسط يتسم بتزايد مؤامراتالقوى الامبريالية التى تستهدف تقويض الحركةالتقدمية فى بلدان العالم العربى — والى فصل هـذه الحركة عن حلفها الطبيعى والامين وهو الاتحاد السوفيتى وسائر بلدان الاسرة الاشتراكية » .

وأبرز البيان أن هناك اتفاقا تاما حول « أن التطورات التى حدثت فى الشهور الاخيرةتظهر بجلاء أن الاوساط المعادية لحركة التقـدم فى العالم العربى وعملائها لم تتوقف عن ممارسة مخططاتها الرامية الى قهر ارادة الشـعوب العربية واحباط التسوية السياسية العـادلة واجبار هذه الشـعوب على الاستسـلام أمام المطالب الامريكية — وأن للدول العربية التى تعرضـت للعدوان كل الحق فى اسـتخدام مختلف الوسائل لاسترداد الاراضى العربيـة التى أغتصبتها اسرائيل » ، كما أكـد الجانبان «على ضرورة الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل نتيجة لعدوانها وتأمين الحقوق المشروعةللشعب فلسطين العربى » .

وعلى ضـوء ما قدره الجانبان رايا انه من الضرورى أن يستعرضا من جـديد الاجراءات الرامية الى الدفـاع عن الحقوق والمصـالح المشروعة للشعوب العربية وخاصة عن طريق الاستمرار **فى تدعيم القدرة العسكرية** لجمهورية مصر العربية — واتفق الجانبان على مواصلة تدعيم التعاون العسكرى بينهما .

واختتم البيان المشترك بتأكيد الجانبين على « أن الصداقة المتينة بين الاتحـاد السـوفيتى ومصر ليست عاملا مرحليا ، وانما هى عـامل

دائم يحدد تطـوير العـلاقات بين أول دولـة اشتراكية في العالم وجمهورية مصر العربيـة التى تتقدم على طريق التحول الاشتراكى » .

وقد ركز المراقبون الانتباه على فقرات بعينها من البيان المشترك ــ تلك التى تحدثت عـن **حق الدول العربية التى تعرضت للعدوان فى استخدام مختلف الوسائل** لاسترداد اراضـيها التى اغتصـبتها اسرائيل وربطها بالحديث فى البيان المشترك عن دعم قدرات مصر العسكرية ثم اغفال البيان المصرى السوفيتى لاى اشارة الى احياء مهمة يارنج ــ والتى كان الطرفان قد دعيا بعد زيارة الرئيس لموسكو فى فبـراير الماضى الى احيائها باستئناف يارنج اتصـالاته مع الاطراف المعنية .

ووصف البيان المشترك فى الصحف والاذاعة الاسرائيلية بأن نهجته تتسم بالتهديد وتهـدف الى الضغط على الولايات المتحدة مع اقتراب زيارة نيكسون لموسكو وان البيان كشف تأييد السوفيت لموقف اكثر تشدداً من جانب القاهرة.

وجاءت رحلة الرئيس السادات الى **الجزائر وتونس** لتبدأ صفحة جديدة من العلاقات فى نطاق تعميق التضامن العربى وتوفير افضـل ظروف ممكنة لكى يتحقق الهدف الـذى اعلنه الرئيس السادات وهو أن تكون كل الامة العربية فى المعركة .

وكان لقاء الرئيس السادات بالرئيس بومدين ــ أول لقاء لهما بعد تولى السادات رئاسـة الجمهورية ــ وجاء هذا اللقاء بعد فترة فتور سادت العلاقات الجزائرية المصرية منذ ما بعد العدوان عام ٦٧ .

وتحول اللقاء الى مؤتمر قمة ثلاثى باشتراك الرئيس الليبى **معمر القذافى** فى المباحثات .

وأكد الرئيس السادات فى الجزائر « اننـا قررنا وارتضينا المعركة ونحن نعلم انه لا سبيل سواها لان ماأخذه العدو بالقوة لن يسـلمه الا بالقوة . واننا نعلم اننا لم ولن نقف بمفردنا فى المعركة واخص هنا الجزائر التى وقفت الى جانبنا ابان العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ .

واعلن الرئيس الجزائرى **هوارى بومدين** ان مستقبل الامة العربية كلها يتوقف باديء ذى بدء على تحرير الارض المحتلة ولابد من أن تكـون المواجهة فى مستوى المعركة،وتكون القدرة المصرية بكل مالديها من امكانيات ووسائل مؤثرة فى الكفاح المشترك فتحرر الارض وتطهر المقدسات ويتمكن الشعب الفلسطينى من استرجاع بلده وديار » (٥)

وأكد الرؤساء الثلاثة فى بيانهم على أن كفاح الشعب الفلسطينى يمثل عاملا اساسيا فى كفاح الامة العربية ، ويعتقـدون بأن دعـم المقـاومة الفلسطينية ممثلة فى منظمة التحرير واجـب قومى ومسئولية تقع على عاتق الجميع وقرروا تعبئة كل الطاقات وتجنيد كل الامكانيات لخوض المعركة الحتمية المصيرية واعلنوا عن يقينهم بأن القوة الذاتية للامة العربية عندما تلقى بكـل ثقلها فى المعركة قادرة على مواجهة اعـدائها والتغلب على مخططـاتهم العـدوانية وتحقيق النصر .

وقد شد انتباه المراقبين اشـتراك قائـدى البحرية والطيران المصريين فى المباحثات مما اكد أن مباحثـات عسـكرية قـد تمت خـلال الاجتماعات ــ وهـذا ما أكده **عبـد العـزيز بوتفليقة** وزير خارجية الجزائر .

وفى تونس أكد الرئيس السادات على « ان الاخوة العربية تقتضى منا التباحث والتشاور وتبادل الراى والفكر لما فيه صـالح العـروبة جمعاء ولتنسيق الجهود من اجل تنمية العلاقات وتوثيقها بين بلدينا فى كافة المجالات .

واشار الرئيس **بورقيبة** الى الاراء التى سبق أن أبداها عام ١٩٦٥ بشأن حل قضية فلسطين ، وأضاف انه حدث منذ حرب ٦٧ أن تغير الوضع تغيرا كبيرا اذ لم تعـد القضية محصـورة فى تحرير فلسطين ومساعدة اخوان لنا امتهنـوا بأبشع انواع الاستعمار ، بل أصبحت القضية أكثر تشعبا باتسـاع جوانبها الى أرض عربيـة أخرى هى جزء من أوطان عربية مجاورة لفلسطين من حق كل الدول المعنية بالذات أن تعمل جهد طاقتها فى سبيل استخلاصها .

والمح بورقيبه الى انه كان يشك فى نجـاح الحرب الكلاسيكية لمعالجة هذه القضية الجديدة ، ومع ذلك فقد حرص على أن يؤكد « أن اهـل مكة ادرى بشعابها » ونحن معكم فى السراء والضراء نؤازركم ونبارك جهودكم ونقرر مساعيكم الرامية الى تحرير أرضكم المحتلة .

وحمـل بورقيبة الدولتين الاعظم المسـئولية وطالبهما بالتدخل والوساطة بعد أن بذلت مصر كل مافى وسعها لتسهيل الحل وخلق الجو الملائم .

وأكد **البيان المشـترك أن من مصـلحة وأمن الولايات المتحـدة الامريكية على وجه الاخص اقناع اسرائيل بضرورة الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة قبل حدوث ما من شانه أن يخلق أزمة حادة** (٥)

ولوحظ أن تركيز الرؤساء على قضية تصفية العدوان وبناء الجهد العربى المشترك لم يشغلهم عن تأكيد تأييدهم لحركات التحرر فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينيةوتاييدهم للمبادرات الرامية لعقد مؤتمر للامن الاوربىومساندتهم التامة للكفاح العادل الذى تخوضه الشعوب فى الهند الصينية **وتضامنهم مع جمهورية** فيتنام الديمقراطية .



تحذير لمثيرى البلبلة والفتن

استقبلت القوى الوطنية والديموقراطية فى مصر والعالم العربى ، بالترحيب ، خطابى الرئيس **السادات** فى عيد العمال ، وفى الذكرى الاولى لحركة التصحيح .

وسجل المراقبون — على اختلاف اتجاهاتهم — ان الخطابين اتسما بالقوة ، وبالمواقف والاجابات المحددة على الاسئلة والشائعات التى تشنها حملة التشكيك الضارية — تلك الحملة التى تخطط لها وتديرها الامبريالية الامريكية وتغذيها الصهيونية وتروج لها الرجعية العربية والمحلية — بهدف تقويض ثقة العرب فى أنفسهم وفى امكانية النصر ، وبهدف تخريب وضرب العلاقات العربية — السوفيتية .

لقد اكد الرئيس ان المعركة هى الاطار الوحيد الذى نستطيع ان نتحرك فى اتجاهه ، وحدد فى خطابيه ثلاثة مرتكزات أساسية للعمل من أجل المعركة .

- **الوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة .**
- **عمل عربى موحد ، مهما اختلفت الانظمة .**
- **العداء للاستعمار ، والصداقة مع كل الذين يؤازرون حقنا ، وفى مقدمتهم الاتحاد السوفيتى ،** الذى يعتبر دعمه تأكيدا حقيقيا للحصول على القوة اللازمة لتحرير أرضنا .

وحرص الرئيس السادات ، وهو يجسد للشعب ما يعنيه بالوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة — بأنها ليست وحدة الانتهازية ، ولا الاستغلال ، وانها لا تعنى امتيازات طبقية ، ولا امتيازات لفئة من الفئات — كما حرص على ان يدفع عن الوحدة الوطنية كل المحاولات الرامية للنيل منها ، تحت اى مزاعم او صور .

ووجه الرئيس فى خطابه ضربة عنيفة لمزاعم المتشككين والمتربصين — الذين استغلوا اتجاه الدولة لتصفية الحراسات — وراحوا يشنون هجوما شاملاعلى كل ماحققته الثورة ، ويشككون فى « التجربة الاشتراكية » ، ويحاولون تحميلها كل الاخطاء التى حدثت خلال مرحلة التطبيق ، وظنوا أنه تحت شعارات الديموقراطية والوحدة الوطنية ، فان الارض والمصانع والاسهم والسندات يمكن ان تعود لاصحابها .

واعلن الرئيس : « اذا كانت هناك اخطاء وقعت — وقد وقعت فعلا أخطاء — فقد كنا نصفى امتيازات طبقية ، ولم نكن نصفى كرامة الانسان .. التعويض أمر هام وممكن ، اما ان يتصور البعض انها ردة أو هجوم على تجربتنا الاشتراكية وان تعود المصانع ، وأن تعود الارض أو السندات فهو واهم .. اننا فى مجتمع لا يمكن ان تكون فيه قيمة الا للعمل وحده ، وليعمل من يريد أن يعمل فى ظل قوانين المجتمع ومبادئه .. ولكن ليعرف الجميع اننا لن نعود الى امتيازات الطبقة ، ولن نعود الى عصر يسيطر فيه رأس المال .. ولن يكون هناك رجوع فى سيادة الشعب على وسائل الانتاج » .

كما فضح الرئيس السادات فى خطابه ، تحرك بعض العناصر ، من الذين كان لهم دور سابق فى قيادة الثورة وتم اعفائهم من مراكزهم ، أو تجاوزتهم الثورة خلال مراحل تطورها المختلفة .. فضح تحرك هذه العناصر لهدم الوحدة الوطنية ، الممثلة فى تحالف قوى الشعب العاملة ، والغاء المؤسسات السياسية والدستورية .

وكشف الرئيس أسرار تحركين لهذه العناصر .. تحرك قديم قامت به عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر [خلال فترة الاعداد للانتخابات ، عندما تقدم السادة : **عبد اللطيف البغدادى ، وزكريا محيى الدين ، وكمال الدين حسين ،** بعريضة يطلبون فيها اعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة ، متجاهلين المؤسسات ، وعملية البناء الكاملة التى تمت بعد ثمانية عشر عاما .. وأكد الرئيس السادات انالبلد «فيها مؤسسات،وفيها نظام ماشى ، وفيها عملية بناء كاملة تتم خلال١٨ سنة » .. لا وصاية تفرض على البلد بأن يتشكل مجلس ثورة جديد] .

كما كشف النقاب عن تحرك جديد لهذه العناصر « بعد ان دوروا على شوية ناس يمضوهم معاهم » .. وهذه العريضة الجديدة التى قال الرئيس انهم يوزعونها سرا ، تتضمن ما تقوله امريكا واسرائيل عن الاتحاد السوفيتى .

وربط الرئيس السادات بين رفض مصر للعروض الامريكية ، التى لا تستهدف سوى تحقيق أهداف اسرائيل ، وارغام العرب على

الاستسلام ، وبين حملة التشكيك الواسعة ، التى بدأت منذ نوفمبر الماضى ، وبلغت ذروتها ابتداء من شــهر ينــاير من العام الحــالى ، وبين التحرك الداخلى الذى يقوم به بعض المتشــنجين ، الذين ابتدوا يركبوا الموجة ويتشنجوا .. وأعلن الرئيس « ان الدنيــا اتغيرت علشــان أعلنت انى قطعت الكلام مع أمريكا .. علشــان أعلنت انهم كدابين مخادعين ، غشــاشين » . وتســاءل الرئيس : « طيب انا أفهم ان الثورة والتشنج والانفعال يبقى على أمريكا ، اللى بلا حيــاء ولا خجل واقفة تقول بادى فانتوم ، وبادى تصنيع ، وتطلب فتح القناة واسرائيل قاعدة على الضفة الثانية ونفاوضها .. التشــنج يبقى على أمريكا ، مش على الصــديق الوحيد اللى واقف معانا ، ويبنى الســد العــالى وبنــاخد منه الســلاح ، ويســاعدنا سياسيا ، وعلاقاتنا شريفة « الند للند » .

وأشار الرئيس السادات الى ان وحدة البلد ، ومصــير البلد فوق كل فرد ، مهما كانت قيمته ، ومهما ادعى لنفسه ـــ وانه لا عمل الا من خــلال التنظيم الســياسى والمؤســسات ـــ وان أبواب الاتحــاد الاشتراكى ، ومجلس الامة مفتوح أمام الجميع ـــ وان الحوار الديموقراطى مع أى رأى مهما كان ـــ أمر حتمى ، ولابد ان يجرى دون أى خــوف » .

وفى مجــال العمــل العربى ، أكــد الرئيس **الســادات** على انتماء مصر العربى ، وان الوحدة هى المصير ، وهى المستقبل « والعدو يريد تمزيق العالم العربى ، فأمريكا والاســتعمار واسرائيل والصهيونية ، كلهم يريدون حصــار مصر وعزلها عن المشرق العربى ، حتى ينفردوا بها » .

واستعرض الرئيس التحرك الواسع الذى قام به فى العواصــم العربيــة ـــ خلال الاســابيع الماضــية ـــ مؤكدا ان هــذا التحرك ـــ هــدفه الاساسى كان ـــ ولا يزال ـــ ان نجد قاعدة صلبة واحدة لعمل عربى موحد ، فى هذه الظروف التى تجتازها أمتنا العربية » .

تعليق

لحســاب من يعمــل المشــككون .. ؟

من حق أى مواطن أن يسأل نفسه أو يسأل غيره هــذا السؤال :

لحساب من يعمل المشككون ..؟ ومن المستفيد من حملة التشكيك الخطيرة ، التى تقودها أجهزة الدعاية وادارة المخابرات الامريكية فى الخارج وتساندها مجموعة المتشنجين والموتورين فى الــداخل .. ؟ هل لحســاب مصر ومصلحة شعبها أن ينفذ المتشنجون والمشككون مخطط العدو الهادف دون أدنى ريب الى زعزعة ثقة جماهير الشعب المصرى فى قدرتها على النصر ، وقدرة قيادتها السياسية وقواتها المسلحة على تحرير الارض .

هل يستفيد الشعب المصرى حقا وهو يستعد لخوض معركة المصير . معركة الموت أو الحياة من حملة التشكيك المركزة فى هذه الايام بالذات بكل عنف وقوة ضد الاتحاد السوفيتى وصداقته الشريفة لنا وللدول العربية ؟.

أم تستفيد أمريكا واسرائيل وحدهما من هذه الحملة الضارية .. ؟

تلك هى القضية الرئيســية المثــارة اليوم باعتبــارها استراتيجية وسياسة خبيثة لقوى الاستعمار والرجعية العالمية تتبناهما بصدق واخلاص جميع القوى الاجتماعية التى قررت أن تتوقف عن المسيرة ، وأن تتراجع عن مسرح التاريخ .

هذه القوى هى التى عناها الرئيس انور السادات وخاطب فصيلة منها من فوق منصة مجلس الشعب يوم ١٤ مايو . بعد أن تولى بنفسه كشفهم أمام الشعب العربى حتى عراهم علنا من الملابس الوطنية الزائفة .

وكان الرئيس واضحا كل الوضوح فى خطابه عندما تساءل عن هدف امريكا واسرائيل من أول المعركة فى ١٩٦٧ كان ايه .. ؟ ثم اجاب سيادته على السؤال قائلا : « هدف أساسى لازالت اسرائيل وأمريكا تعمل عليه . ولازالت اسرائيل تحرص علنا وعالميا وفى الصحافة العالمية عليه . هو أن يوقعوا بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ويستفزوا أمريكا وحلف الاطلنطى علينا عشان يخوفونا ونقطع علاقتنا بالاتحــاد السوفيتى ليه .. ؟ »

الصديق الوحيد ، واقف معانا سياسيا وفى المحــافل الدولية ، واقف معانا اقتصاديا بنينا السد العالى فى عشر سنوات ، واللى عايز يتفضل يروح حلوان ، السد العالى كان بيشتغل فيه ٣٠ الف عامل . والسد العالى الثانى بيشتغل فيــه ٢٥ الف عامل ... مجمع الحــديد والصــلب فى هذه اللحظــة اللى باتــكلم فيهــا بيشــتغل ٢٥ الف عامل فى الموقع مين بيساعدنا فى هذا .. ؟ الاتحاد السوفيتى .. وقال ـــ كل هذا يمشى وحملة تشكيك فى صداقتنا بالاتحاد السوفيتى فى الفترة الاخيرة أمريكا واسرائيل بيثوا فى المنطقة حملة التشكيك ، الاتحاد السوفيتى مش عايزكم تحاربوا .. الاتحاد السوفيتى عايز لا حرب ولا سلم . الاتحاد السوفيتى عايز قواعد فى البلد . الاتحاد السوفيتى عايز امتيازات . الاتحاد السوفيتى عايز مش عارف ايه .

لقد وضع الرئيس فى خطابه الاخير مقياسا صحيحا لاختبار وطنية « المزايدين والمضاربين » فى سوق السياسة المحلية . وحدد ذلك المقياس باختصار وبساطة شديدتين ، فى موقف هؤلاء وأولئــك من الاتحــاد السوفيتى ، ومن أمريكا لان الاتجاهات المعادية لصداقة الاتحاد السوفيتى والموالية فى نفس الوقت للاستعمار القديم والجديد لم تعد مشبوهة فحسب بل أصبحت مكشوفة ومدانة .

وذلك يبدو واضحا من البيان المشترك الذى صدر عن قيادة الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ووفد الحــزب الشيوعى السوفيتى برياسة « بونو ماريوف » سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى أثناء زيارة هذا الوفد لمصر .

أعرب ممثلو الجــانبين عن ادانتهم لسيــاســة العــداء للشيوعية على أساس أن هدفها هو تقسيم القوى الثورية واضعافها . وانها سياسة لا تحقق مصالح الجماهير . وانما هى أداة للاستعمار والرجعية .

لقد ثبت من خلال الخبرات الذاتية والتجارب المرة للشعوب المنــاضلة من أجل حقها فى الحرية والحياة ، ان محــاولة وصف هذه العلاقات التى تقوم دائما وأبدا على قدم المساواة

وأكد الرئيس على أن السلام الامريكي الذي يمارس في فيتنام ضد مبادئنا ، والسلام الامريكي كما تنطق به اسرائيل ضد مبادئنا ، بل هو ضد حياتنا .

وكشف الرئيس آخر محاولة قامت بها أمريكا — وكانت تتضمن اقتراحين — مفاوضات مباشرة مع اسرائيل ، وفتح قناة السويس ، مع بقاء اسرائيل على الضفة الشرقية .

ونفى الرئيس المزاعم عن وجود قواعد سوفيتية أو شروط ، أو تدخل من جانب الإتحاد السوفيتي .

وحرص الرئيس السادات في حديثه ، بمناسبة مرور عام على حركة التصحيح — وتصفية مراكز القوى — على ان يركز على أهمية اقامة الديموقراطية السليمة .

وتابع الرئيس الصعوبات والمعوقات التي واجهت وضع هذا الشعار موضع التنفيذ الفعلي — معوقات طبيعية ومعوقات مفتعلة — « تحت زعم تعارض الاشتراكية مع حرية الفرد » .

وأبرز الرئيس السادات ان هناك بعض التجاوز خلال التطبيق في العام المنقضي ، ولكن علينا — منذ الان — ان نضع ضوابط للسلوك ، الى جانب نزاهة التصرفات ، ونزاهة النوايا :

أولا : تدعيم المؤسسات ، وتنمية دورها ، واتاحة الفرص لكل انسان ان يساهم بما يستطيع

ثانيا : عدم اجبار أحد على مواصلة المسيرة ، طالما انه قد تعب ، أو غير مقتنع بما تفعله الثورة

ثالثا : رسم الحدود الفاصلة بين مختلف المؤسسات ، وبشكل واضح .

بين الاطراف المعنية بأنها « احتلال روسى » ، هى محاولة لتغطية الاستعمار الامريكي الجديد وتحويل الانظار عنه الى خطر موهوم ، وهى محاولة سخيفة لتجميل وجه « الغولة » قبل زفافها على الضحايا في ثوب العروس . وانجاز تلك المهمة الغريبة من نوعها . وسط ضجة مفتعلة تطغى أثناءها دقات الطبول وصيحات الدراويش على أصوات الاستغاثة الصادرة من أفواه ضحايا الغولة . كما ثبت أيضا ان الرقص على نغمات حرب الارهاب الاحمر والانحلال والالحاد فى الاتحاد السوفيتي .

هذه المزاعم تكشف عن تبنى قاعدة فكرية تنطلق منهسا مصالح رأس المال الاحتكارى فى صراعها ضد حركات التحرر الوطني والديمقراطية والسلام .

واصحاب هذه المزاعم لا يستطيعون ان يقتلعوا من اذهان الناس مايقرأونه فى صحافتهم عن تقنين اباحة الشذوذ الجنسى بانجلترا ، وزواج الرجال بالرجال فى أمريكا . ونشوء الخنفسة وانتشارها من العالم الحر ! لقد قرر الاستاذ **محمد حسنين هيكل** — وهو ليس شيوعيا — فى رده على الرئيس معمر القذافى بندوة الاهرام الاخيرة [ان أمريكا نهبت قارة بأكملها هى القارة الامريكية وابادت سكانها الاصليين الهنود الحمر] ان موسولينى وهتلر وجونسون ونيكسون وغيرهم من سفاحى التاريخ ينتمون الى العالم الحر ولا ينتمون للعالم الاشتراكي .

ويحلو لدعاة الهزيمة والتردد من مزايدين ومشككين ان يتجاهلوا — مع أنهم لا يجهلوا — أن الثورة ليست بضاعة تصدر !

كما يحلو لهم ان يتجاهلوا أن الماركسيين عموما يعارضون تصدير الثورة من بلد الى آخر ، على أساس مفهوم علمى للقوانين الجدلية أنهم يؤمنون بأن اى ثورة اجتماعية انما تنبثق من داخل المجتمع نفسه بفعل « قوانين الحركة » الجبرية كما حدث فى ثورة أكتوبر المجيدة ، حينما انفجرت من أحشاء النظام القيصرى ذاته دون تدخل خارجي . حيث لم يكن فى العالم آنذاك دول اشتراكية يمكن أن يقال أنها لعبت دورا كبيرا أو صغيرا فى تصدير الثورة الى روسيا القيصرية وعلى عكس الماركسيين يؤمن الامبرياليون وفلاسفتهم بنظرية تفوق الجنس ! وحق سيادة الاجناس المتفوقة على الاجناس المتخلفة . كما أن النظام الاقتصادى والاجتماعى الغربى الرأسمالى « الحر » هو الذى يقنن حق استغلال الانسان للانسان . على عكس نقيضه النظام الاشتراكي الذى فجر ثورة الانسان ضد الاستغلال .

وانطلاقا من هذه النظرية أعطى الاستعماريون لانفسهم حق تصدير الثورة المضادة . والاطاحة بنظم الحكم الوطنية واستبدالها بانظمة ديكتاتورية عميلة . تعادى مصالح شعوبها بقدر ما تكنه من ولاء لمصالح الاستعماريين .

كل ذلك يتم تحت شعار حماية الشعوب من الخطر الشيوعى !!

لكن عالم اليوم يشهد تطبيق النظريتين فى الهند الصينية على أرض لاوس وكمبوديا وفيتنام . واندحار الثورة المضادة المصدرة من فرنسا سابقا والمصدرة من الولايات المتحدة لاحقا رغم ما تملكه أمريكا من امكانيات ضخمة وفوق الضخمة يؤكد صحة النظرية الماركسية العلمية كما يؤكد فى نفس الوقت فشل النظريات الاستعمارية وافلاسها .

لكن بعض الناس يتساءلون :

هل يتراجع المشككون عن اغراضهم ؟ الجواب عندى : ان المشككين لن يستفيدوا أبدا من دروس التاريخ ولن يتراجعوا عن تفكيرهم . لكنهم فى الغالب سوف يغيروا تكتيكاتهم . ويطوروا من اساليبهم وذلك لانهم ليسوا مجموعة من العصاة يمكن بالعقاب ردعهم . وليسوا مرضى يمكن علاجهم ولا هم مجرد مخطئين يمكن التأثير عليهم واقناعهم عن طريق المنطق والحوار . انهم فى الحقيقة أصحاب مصالح مشتركة مع القوى المعادية . وتلاحم القوى الوطنية مع القوى الاشتراكية العالمية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ضد القوى المعادية يمثل تهديدا مباشرا لمصالحهم الحيوية .

محمد على عامر

المؤتمر الرابع للمجلس المصري للسلام

في ١٧-١٨ مايو الماضي عقد المجلس المصري للسلام مؤتمره الرابع، وترأس الجلسة الافتتاحية **السيد صلاح هدايت** وزير الدولة الاتجسادي .

فالقى كلمة رحب فيها بالحاضرين ثم تقدم لهم السيد **المهندس سيد مرعي** السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي الذي القى كلمة هامة وجه في بدايتها تحيات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي الى المؤتمر والى المندوبين .

وقال **المهندس سيد مرعي** في كلمته : « ان النضال من أجل السلام هو غاية ما يشرف به الانسان من عمل وانبل ما يهدف اليه من غرض، ذلك أن الداعين للسلام والمدافعين عنه هم حراس على القيم الانسانية والتراث الحضاري»

ومضى **المهندس سيد مرعي** قائلا : « **ان سلاحنا الذى نحمله في أيدينا دفاعا عن وطننا وعن امتنا ، هو معركتنا التي نخوضها وسنظل نخوضها بكل الاصرار والعزم من اجل تحرير الارض ، وهذه المعركة هي في جوهرها نضال حقيقي من اجل السلام ذلك انه لاسلام ولا امن في ظل العدوان وفي اطار انتهاك حريات وحقوق الشعوب .**

وقال **المهندس سيد مرعي** « **ان شعبنا ليذكر لابنائه من انصار السلام واعضاء المجلس المصري للسلام انهم كانوا اكفاء ، وامناء على الرسالة النبيلة والمسئولية الكبيرة التي حملوا لواءها ، قدموا لقضية وطنهم وامتهم جهدا مشكورا وعملا جليلا بالغ الفائدة .**

ثم قدم **خالد محيي الدين** السكرتير العام للمجلس المصري تقريرا سياسيا للمؤتمر ناقش فيه باستفاضة تطورات الموقف السياسي العالمي والمحلي .

وتناول **خالد محيي الدين** في تقريره التطورات التي طرأت على الموقف العالمي فيما يتعلق بقضايا الامن الاوروبي والمشكلة الالمانية وقال : « ان قضايا الامن الاوروبي تهمنا هنا في مصر .. لان اقرار السلام في أوروبا وخلق المناخ الملائم لانهاء حدة التوتر فيها سوف يتيح الفرصة لخلق مناخ هادئ في الجناح الجنوبي لاوروبا وهو الجناح المطل على حوض البحر الابيض المتوسط »

ثم تحدث **خالد محيي الدين** في تقريره عن زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتي وقال : « ان لقاءات القمة كانت على الدوام مطلبا اساسيا لحركة السلم العالمية » ؟ وقال : « ان الاتحاد السوفيتي واسرة البلاد الاشتراكية في تمسكهم بسياسة التعايش السلمي بين المعسكرين لم يفرطوا قط في مصالح الشعوب المناضلة من اجل حريتها واستقلالها » .

وحيى **خالد محيي الدين** نضال شعوب الهند الصينية ونضال شعوب افريقيا وشعوب أمريكا اللاتينية المتصاعد ضد الاستعمار والامبريالية .

وبعد ... انتقل التقرير الى دراسة تفصيلية للوضع العربي وللمشكلات التي تواجهه والى القضايا الخلافية التي تثور بين قوى حركة التحرر العربية وقال : « اننا نعرب عن تأييدنا الكامل للجهود الايجابية الناجحة التي يبذلها **الرئيس انور السادات** في توحيد الصف العربي وحشد الجهود العربية في معركة التحرير ونعرب عن ارتياحنا التام لنتائج رحلته الاخيرة الى الجزائر وتونس وليبيا » .

ثم تحدث التقرير عن العلاقات المصرية - السوفيتية فقال : « اننا نلاحظ أنه بالرغم من كل المؤامرات وكل الشائعات المدبرة فان العلاقة المصرية السوفيتية تتعزز وتتدعم .. ان علينا أن نعي - من منطلق الاخلاص للوطن ، ومن منطلق التفهم الجاد لطبيعة المعركة التي تواجهنا - بضرورة تعزيز الصداقة المصرية السوفيتية وتطويرها وصيانتها من مؤامرات الاعداء . ولقد كان توقيع معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية خطوة هامة نحو تعزيز هذه الصداقة ووضعها في اطارها الصحيح .

وتحدث التقرير عن المؤامرات الاستعمارية والرجعية التي تحاك لشق الصف العربي وضرب الفصائل الثورية فيها وأشار الى محاولات تصفية المقاومة الفلسطينية فقال :

ان واجباتنا تتحدد من خلال مخططات العدو .. العدو يريد أن يقسم صفوفنا فلنوحد نحن صفوفنا على نطاق الامة العربية وعلى نطاق مصر .. العدو يريد أن يطيح بمنجزاتنا الثورية وأن يفقد مصر دورها الطليعي فلنتمسك بثورتنا وبثوريتنا وبدورنا .

ثم تحدث التقرير عن دعاوى بعض العناصر بالتقارب بين أمريكا تحت ستار اتخاذ موقف معتدل فقال ؟ ان أمريكا لا تريد منا موقفا معتدلا ولا تقاربا ، انها تريد اعادة مصر الى دائرة نفوذها ، تريد سلب استقلالنا وحريتنا ومواردنا واسواقنا ، تريد أن تتخلص من ثورتنا وانجازاتنا الاشتراكية وعزلنا وشل دورنا في تجميع الامة العربية على طريق النضال من أجل الحرية والاستقلال وتصفية مواقع المستعمرين » .

وبعد أن استعرض التقرير رصيد حركة المجلس المصرى للسلام خلال العام الماضى على المؤتمر اقرار برنامج عمل للعام المقبل ..

وبعد أن استعرض التقرير رصيد حركة المجلس المجلس العالمى للسلام ولجان السلام فى فرنسا والاتحاد السوفيتى والمجر وبلغاريا وايطاليا ، وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان واليمن .

وقد عبر المتحدثون فى كلماتهم عن تحيتهم للجهود الخلاقة التى يبذلها المجلس المصرى للسلام للدفاع عن قضايا الامة العربية وكسب الانصار والاصدقاء لها ..

واعرب المتحدثون فى كلماتهم عن تأييدهم للنضال العربى لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

ثم بدأت بعد ذلك أعمال لجنتى المؤتمر .. اللجنة السياسية واللجنة التنظيمية . وقد أعدت اللجنة السياسية سلسلة من القرارات تعلن عن وقوف أنصار السلام المصريين الى جانب نضال شعوب فلسطين وفيتنام والخليج العربى فى كفاحها من أجل حريتها . وادان احد القرارات المذابح التى تشن ضد مسلمى الفلبين ، وقد وافق المؤتمر على هذه الوثائق .

كذلك قرر المؤتمر ارسال برقية تحية وتأييد للرئيس انور السادات معلنا أن المجلس المصرى للسلام يؤيد قيادة **الرئيس السادات** « للشعب المصرى وهو يواصل طريقه من أجل تأكيد الحرية والديمقراطية وسيادة القانون ومواصلة التحول الاشتراكى » .

كذلك وجه المؤتمر برقية تحية الى قواتنا المسلحة بالجبهة معلنا وقوف أنصار السلام المصريين صفا واحدا الى جوارهم فى معركة التحرير .

ووجه المؤتمر أيضا برقية شكر للسيد المهندس **سيد مرعى** السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى على مساندته لحركة السلام فى جهودها .

وكانت اللجنة التنظيمية قد تبنت عددا من القرارات التنظيمية ضمنها فى تقرير تلاه أمام المؤتمر مقرر اللجنة الاستاذ **حسين فهمى** .

وقد وافق المؤتمر بالاجماع على توصية اللجنة التنظيمية باعادة انتخاب **خالد محيى الدين** سكرتيرا عاما للمجلس لمدة ثلاث سنوات أخرى ووافق بالاجماع على توصية اللجنة بانتخاب سكرتارية دائمة جديدة للمجلس ، وعلى ضم عدد من الاعضاء الجدد للمجلس .

وفى ١٩ مايو عقد اجتماع لممثلى حركات السلام فى كل من **مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين واليمن** . وحضر الاجتماع كمراقب ممثل **الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية بالمغرب** .

وقد جرت مداولات طويلة حول أهمية التنسيق والتعاون بين حركات السلام العربية من أجل مزيد من الجهد فى القضية المشتركة قضية ازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

وقد أسفرت هذه المداولات عن اتفاق وجهات نظر المجتمعين حول القضايا موضوع النقاش .

وقد اتفق المجتمعون على اصدار عدد من التوصيات من بينها توصية تؤيد **عقد مؤتمر العدل والسلام فى الشرق الاوسط** المزمع عقده فى ايطاليا فى نهاية هذا العام ، باعتباره « يخدم أهداف النضال العربى » ودعت سائر القوى السياسية العربية الى مضاعفة نشاطها لكسب المزيد من التأييد لهذا المؤتمر » .

واتفق المجتمعون أيضا على توجيه رسالة الى حركة السلم اللبنانية يعربون فيها عن تأييدهم لنضال الشعب اللبنانى « من أجل الحفاظ على حرياته الديمقراطية وتوسيعها » .

كذلك اعرب المجتمعون فى وثيقة خاصة عن تحيتهم للذكرى الاولى لتوقيع **معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية** « تلك المعاهدة ذات الأهمية الكبرى فى توطيد الصداقة والتعاون بين حركة التحرر الوطنى العربية وقوى التقدم والاشتراكية فى العالم وفى دعم الصمود العربى ومعركة التحرير » .

وايد المجتمعون أيضا الدعوة لعقد المؤتمر الشعبى لنصرة الثورة الفلسطينية الذى تقرر انعقاده فى بيروت فى النصف الثانى من سبتمبر ١٩٧٢ .

كذلك ناقش الاجتماع تطورات الموقف فى العراق على ضوء بيان الحكومة العراقية حول تصرفات احتكارات البترول ، ووجه الاجتماع برقية الى المجلس الوطنى للسلم والتضامن بالعراق يعربون فيها عن تضامنهم مع موقف العراق من شركات البترول الاحتكارية .

كذلك وجه الاجتماع برقية **للملك حسين** يستنكر فيها القبض على **عيسى مدانات** سكرتير لجنة السلم الاردنية ويطالب بالافراج عنه وعن كل المعتقلين السياسيين .

وناقش الاجتماع أيضا المؤامرات الاستعمارية والرجعية ضد جمهورية جنوب اليمن الديمقراطية

الشعبية واعرب عن تضامن أنصار السلام العربي مع كفاحها ضد هذه المؤامرات .



■ **بيروت :**

المؤتمر الشعبي العربي

فى الفترة من ٧ ــ ١١ مايو الماضى انعقد فى بيروت اجتماع تحضيرى حضره ممثلون عن الاحزاب والمنظمات الوطنية والتقدمية ، تنفيذا لقرار المؤتمر الشعبى الفلسطينى الذى كان قد انعقد فى القاهرة من ٦ ــ ١٠ ابريل ١٩٧٢ حول تنظيم مشاركة القوى الوطنية والتقدمية العربية فى الثورة الفلسطينية ومساندتها بمختلف الوسائل .

وقد اشترك فى هذا الاجتماع ، **سعد مجبر** عن الاتحاد الاشتراكى العربى (ليبيا) ــ **كمال ناصر** ، **تيسير قبعة** ، **نايف حواتمة** ، **عبد الوهاب كيالى** ، **توفيق الصفدى** عن منظمة تحرير فلسطين ــ **بكر القادرى** عن الكتلة الوطنية المغربية ، **محمود الروسان** عن الجبهة الوطنية الاردنية ، **محمد ناصر** عن الجبهة القومية باليمن الديمقراطية ، **وعبد الخالق السامرائى** عن حزب البعث العربى الاشتراكى بالعراق ــ **وفواز صباغ** عن حزب البعث العربى الاشتراكى بسوريا ــ وعن الاحزاب اللبنانية ، **نقولا الفرزلى** وبشارة وهج عن حزب البعث اللبنانى **وعاصم قلنصوة** عن منظمة حزب البعث ، **ونديم عبد الصمد** عن الحزب الشيوعى اللبنانى ، **وجوزف مغيزل** عن الحزب الديمقراطى ، **ومحسن دلول وخليل أحمد خليل** عن الحزب التقدمى الاشتراكى **وهانى فاخورى** عن الحركة اللبنانية لمساندة فتح **وهاشم على محسن** عن حزب العمل الاشتراكى العربى **ومحسن ابراهيم** عن منظمة العمل الشيوعى ونخلة مطران عن اتحاد الشيوعيين اللبنانيين **ولطفى الخولى** عن **الاتحاد الاشتراكى العربى** (مصر) ــ واعتذر **محمد شريف مسعدية** ممثل حزب جبهة التحرير الجزائرى لاضطراره للوجود فى الجزائر خلال زيارة الرئيس السادات لها ، وقد أعلن موافقته على كل نتائج الاجتماع .

وقد تقرر العمل من أجل ، **حماية القضية الفلسطينية ومقاومة كل مشاريع التصفية الصهيونية والاستعمارية والرجعية** والتى تستهدف **وجود الثورة الفلسطينية والحقوق القومية لشعب** فلسطين فى تحرير كامل ترابه الوطنى ، **ومقاومة وفضح كل المحاولات الرامية الى عزل المقاومة عن الجماهير الشعبية** أو مناهضة مبادرات القوى الوطنية والتقدمية الهادفة لدعم المقاومة فى مختلف الاقطار العربية . **الدعم الايجابى للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية** فى نضالها الوطنى الديمقراطى لاسقاط نظام الحكم العميل فى الاردن وتحويل هذا القطر الى قاعدة آمنة للثورة الفلسطينية ، على أن تناضل الجبهة المشاركة بالاضافة الى ذلك فى سبيل محاصرة هذا النظام وتضييق الخناق عليه من الخارج .

وأعلن البيان الختامى للاجتماع قراره بالدعوة لعقد مؤتمر شعبى عربى لنصرة الثورة الفلسطينية فى النصف الثانى من **سبتمبر** من العام الحالى فى بيروت ، تشترك فيه كافة القوى الوطنية والتقدمية العربية ، ويدعى اليه بصفة مراقبين عدد من الشخصيات العربية وعدد من الاحزاب والمنظمات الصديقة فى العالم ، وبذلك سيشترك فى المؤتمر حوالى ٦٥ حزبا وهيئة وتنظيم بالاضافة الى مراقبين من البلدان الاشتراكية ومن كل حركات التحرر ومن المنظمات العالمية ــ الاتحاد العالمى للنقابات ومجلس السلم العالمى واتحاد الصحافة العالمى .

وقرر الاجتماع التحضيرى مبدأ تكوين **الجبهة العربية** للمشاركة فى كفاح الشعب الفلسطينى على الصعيد القومى وفى مختلف الاقطار العربية ، وتشكيل **أمانة دائمة للجبهة** على أن يقرر المؤتمر ذلك بصورة نهائية وقد شكلت أمانة تحضيرية للجبهة ، تجتمع ببيروت كل أسبوعين .

وخلال انعقاد الاجتماع فى بيروت ــ وقع المشاركون على بيان استنكروا فيه تدابير نيكسون ضد فيتنام الديمقراطية ، وقد توجه وفد من الاجتماع لتسليم الاحتجاج للسفارة الامريكية ببيروت ، وقد جاء فى البيان : « **ان الاحزاب والقوى التقدمية العربية المجتمعة فى بيروت بمناسبة اللقاء التحضيرى للمؤتمر الشعبى العربى لدعم الثورة الفلسطينية ، تعبر عن استنكارها للقرار القرصنى الذى اتخذه الرئيس الامريكى نيكسون ، وتؤكد تضامنها المطلق مع شعب فيتنام البطل » وثقتها التامة ، بانتصاره فى نضاله من أجل قضيته العادلة** .

كما أصدر الاجتماع بيانا حيا فيه عملية اقتحام مطار اللد ... وقد جاء فى هذا البيان : « **ان**

الاحزاب والقوى التقدمية العربية المجتمعة في بيروت للتحضير للمؤتمر الشعبي العربي وبناء الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية . اذ تحمل العدو الصهيوني وحلفاءه ، خاصة ، الصليب الاحمر الدولي مسؤولية كل ما قد يترتب مستقبلا عن جريمة اقتحام الطائرة على ابطالنا الاربعــة تعلن اعجابها الحار بالانتصار الرائع الذى حققه الشهيدان علي طه وعبدالعزيز الاطرش والمناضلتان ريما عيسى وتيريز هلسه في غزو مطــار اللد ، والدخول فى معركة مكشوفة مع العدو ، رافعين راية المقاومة عاليا بكل شرف وبطولة ، واضعين العالم كله أمام عدالة قضية شعب فلسطين ، مؤكدين له أن هذا الشعب لن يهزم وفيه أمثال هؤلاء الابطال الذين وضعوا ، بعمليتهم الشجاعة هذه ، القضيـة الفلسطينية على حقيقتهــا فى الصراع الدائر بين أصحاب الارض الشرعيين وبين المغتصـبين المحتلين »

كما أصدر الاجتماع بيانا شجب فيه العدوان البريطاني على جمهورية اليمن الديمقــراطية الشعبية ــ : « ان الاحزاب والقوى العــربية التقدمية التي اشتركت فى اجتماعات اللجنــة التحضيرية للمــؤتمر الشــعبي للجبهــة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اذ تستنكر هــذا العدوان السافر على آراضى اليمن الديمقراطية وتندد بالمحاولات الاستعمارية والرجعية المستهدفة حرية وسيادة شعب عربي تهيب بكافة المنظمات العربية والصديقة فى العالم الى التضامن مــع شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى نضاله من اجل حماية استقلاله ومنجزاته والدفاع عن سيادته القومية » •

ويعتبر هذا الاجتماع ـ انتصارا هاما فى مجال تحقيق وحدة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فى العالم العربي ـ فمنذ ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر ـ مايو ١٩٦٧ ـ والملتقى الفكرى العربي بالخرطوم ـ مارس ١٩٧٠ ـ وكل هذه اللقاءات تنهي حــــوارها بمجرد بيان ختامي يدعــو الى الوحدة ، دون التوصل الى انشاء كيان عملي يجسد هذه الوحدة . ان الخطوة الكبيرة التى توصل اليها هذا الاجتماع باعلان قيام الجبهة العربية للمشاركة فى كفاح الشعب الفلسطيني ، وتشكيل أمانة دائمة لها ، تعتبر من أهم الخطوات الجادة والايجابية فى مجال توحيد القوى الوطنية والتقدمية فى العالم العربي فى نضالها ضـــد العدوان الامبريالى الصهيوني ، ومن أجل التحرر الوطني الديمقراطي • .

الحرية للمناضــلين فى الأردن

اذاعت وكالات الانباء أن السلطات الاردنية اعتقلت المناضلين الاردنيين عيسى مدانات وفايز الجبالى ، وكانا يستعدان للســفر الى القاهرة لحضور اجتماعات المجلس القومى للسلام •

ولقد أثار هذا النبأ شــعور الاستياء العميق فى صفوف جميع الوطنيين والتقدميين العرب ، الذين يقدرون لعيسى مدانات وفــايز الجبــالى كفاحهما الوطنى الطويل ودورهما الطليعى فى الحركة الوطنية الاردنية ، ضد الاستعمار الجديد وضدالصهيونية والرجعية ، ومنأجل الاستقلال والتقدم •

ولا يملك الانسان الا أن يربط بين هذا الاعتقال التعسفى وبين النضال المتزايد الذى تخوضــه القوى الثورية فى الاردن ضــد المشروع الذى عرف بمشروع الملك حسين ، هذا المشروع الذى رفضته أوسع الاوساط الشعبية والوطنية فى العالم العربى •

لذلك ، يحق لــكل من عرف مواقف عيسى مدانــات وفــايز الجبــالى فى الحــركة الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية ان يقلق أشــد القلق على مصير هذين المناضلين •

ان « الطليعة » وهى تحتج أشد الاحتجـــاج على اعتقال عيسى مدانات وزميله ، تطــالب بالافراج عنهما ، كما تطالب ــ فى الوقت نفسه ــ بتوفير طاقات الضمانات التى ينص عليهـــا ميثاق حقوق الانسان حماية لســلامة هــذين المناضلين فى معتقلهما •

وفى الوقت نفسه ، تؤكد الطليعة أن مثــل هذه الاجراءات التعسفية لن تحل أزمة الاردن الذى بات يتردى فى مصاعب وسلبيات شديدة خصوصا بعد أن سلك الحاكمون فيه مســلك التصفيات الوحدوية للمناضــلين الفلســطينيين وضرب كل القوى الوطنية والثورية فيه •

الطليعــة

■ اليمن الديمقراطية :

مؤامرة بريطانيا : القوى الرجعية والجنرال « جراهام »

يتابع المراقبون فى العالم العربى باهتمام كبير انبـاء الاعتداءات التى تشنها الطائرات البريطانية على حدود جمهورية اليمن الديمقراطية من داخل سلطنة مسقط وعمان ؛ والتى اخذت تتصاعد خلال الشهور الاربعة الاخيرة ، ثم محاولة انزال قوات المرتزقة فى اراضى اليمن الديمقراطية فى اوائل الشهر الماضى .

وكانت الحكومة البريطانية تحاول اخفاء وتكتم هذه الاعتداءات ؛ الا ان استمرار وتصاعد العمليات العسكرية وسقوط القتلى البريطانيين ، قد ادى فى النهاية الى انفضاح هذه الاعتداءات ، التى تستهدف اسقاط النظام التقدمى فى اليمن الديمقراطية ، وتجد فى نفس الوقت تأييدا وتشجيعا من جانب القوى الرجعية فى المنطقة .

وقد اعترفت بذلك اخيرا الحكومة البريطانية ، وذلك فيما اعلنته فى ٥/١٢ عن مقتل بعض العسكريين التابعين لسلاح الطيران البريطانى اثناء الغارات على حدود اليمن الديمقراطية ، مما دعا صحيفة « **الجارديان** » البريطانية فى عددها بتاريخ ٥/١٢ الى تحذير الحكومة البريطانية من خطورة التمادى فى الحرب فى جنوب الجزيرة العربية بقولها : « ان التورط البريطانى اعمق بكثير مما تكشفة علنا .. ويزداد الامر خطورة اذا كانت المسألة تتعلق بأراضى دولة اخرى ومجالها الجوى ، ومن المؤكد ان الامر كان كذلك فى يوم ٥/٦ الماضى .. »

وقد اتهمت حكومة اليمن الديمقراطية الطيران البريطانى المتمركز فى سلطنة مسقط وعمان بشن الغارات على اراضيها ، كما دعت الجامعة العربية الى عقد اجتماع لبحث استمرار العدوان البريطانى على اراضيها من داخل اراضى سلطنة مسقط وعمان ، كذلك تقدمت سلطنة مسقط وعمان احتجاجا الى الجامعة العربية ضد ماوصفته بأنه نشاط مضاد تقوم به حكومة اليمن الديمقراطية ، وقد اعربت المملكة السعودية عن مساندتها لاحتجاج سلطنة عمان ضد اليمن الديمقراطية .

وترجع اسباب الخلاف بين جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وبين سلطنة مسقط وعمان فى الواقع ، الى اختلاف النظام السياسى فى كلا البلدين ، وكانت حكومة اليمن الديمقرطية قد تقدمت بطلب الى الجامعة العربية فى مارس ١٩٧١ تعارض فيه انضمام سلطنة مسقط وعمان الى الجامعة العربية ، مستندة فى ذلك الى ميثاق الجامعة الذى يعطى الدول المستقلة فقط حق الانضمام للجامعة العربيـة ، « وترى اليمن الديمقراطية ان مسقط وعمان لاتزال منطقة خاضعة للاستعمار والنفوذ البريطانى وتنتشر فيها القواعد العسكرية البريطانية ضد سيادة وحرية البلاد العربية المجاورة ، وخاصة اليمن الديمقراطية وموجهة ضد حركة التحرر فى عموم الجزيرة العربية ، وان الاستعمار البريطانى لازال جاثما فى مسقط وعمان على صدر الشعب المناضل رغما عن القرارات العديدة التى اصدرتها الجمعية العمومية للامم المتحدة باعطاء شعب عمان المناضل حقه فى تقرير مصيره ، وادانة المحافل الدولية لاستمرار الاحتلال وسياسة قهر الشعب وزرع القواعد الاجنبية هناك ، وفرض الصمت على النضال المسلح للشعب فى مسقط وعمان وعمليات الابادة الوحشية التى تقوم بها الطائرات البريطانية والمرتزقة ضد السكان الامنين » . [صحيفة ١٤ اكتوبر العدنية ، ١٥ مارس ١٩٧١] .

وقد نشرت صحيفة « **الموند** » الفرنسية فى منتصف عام ١٩٧١ عدة تحقيقات لمراسلها **ايريك رولو** عن الوضع فى منطقة ظفار ذكر فيها : ان العاصمة صلالة معزولة تماما وتحيط بها الاسلاك الشائكة ، وتتولى القوات العسكرية حراسة مداخل المدينة ، ويخضع الخارجون منها والداخلون اليها للتفتيش الدقيق ، وتتعرض القرى الظفارية المنتشرة فى السهول بين الجبال لقصف وحشى بالقنابل بصفة مستمرة ، الذى تقوم به طائرات السلاح الجوى السلطانى التى يقودها ضباط بريطانيون ، وانه على الرغم من العمليات العسكرية الجوية والبرية المتصاعدة والحرب النفسية التى توجهها محطة الاذاعة البريطانية فى صلالة ضد الثوار الظفاريين ، وضد الشيوعية والالحاد ، **فان قوات الثورة تسيطر الان على ثلثى ظفار** ، بينما تسيطر قوات السلطان على المنطقة الساحلية فقط .

وقد اخذت بريطانيا فى تصعيد عملياتها العسكرية ضد ظفار منذ شهر اكتوبر الماضى ، وتكثيف الغارات الجوية على القرى والمدن المحررة ، وقتل النساء والاطفال والشيوخ ، بهدف ان يؤدى ذلك الى تخويف الاهالى ودفع الثوار الى ترك الاراضى المحررة ، الامر الذى بدأ يثير نوعا من الاحتجاج المستمر داخل بريطانيا نفسها ، فتقول **الاوبزرفر** البريطانية بتاريخ ١٩٧٢/١/٩ ، « وحتى الان فان بريطانيا وحدها هى المتورطة

فى عمان فى عمليات قتالية حقيقية ، فالبريطانيون يقدمون الاسلحة والضباط والجنود للتدريب وتقديم المشورة ، بل وقيادة القوات العربية المحلية ، وان وزير دفاع سلطان عمان **الجنرال جراهام** والضباط والموظفون البريطانيون يشكلون جزءا قويا من حاشيته » .

كذلك تتحدث صحيفة **الجارديان البريطانية** بتاريخ ١٩٧٢/٥/١٢ عن الوجود البريطانى فى عمان بشىء من التفصيل فتقول : « ان هناك اتفاق بريطانى مع سلطان مسقط وعمان يمنح بمقتضاه بريطانيا قواعد فى صلالة ومصيره فى ظفار مقابل تقديم بريطانيا مساعدات عسكرية وتدريب قوات السلطان ، كما توجد فى مسقط ثلاث فئات من العسكريين البريطانيين ، الفئة الاولى الضباط المتقاعدون المرتزقة وكانوا من قبل ضباطا فى القوات الملكية البريطانية ، والثانية من الضباط والافراد الذين يساعدون السلطان وفقا للاتفاقية ، والثالثة وتضم الذين يساعدون فى تدريب قوات السلطان ويخضعون لاشراف وزارة الدفاع البريطانية ، وتضم كتيبة القوات الجوية المكلفة بالدفاع عن صلاله كما تضم ايضا قوات جوية خاصة » .

ويعتقد المراقبون ان العدوان البريطانى ضد اليمن الديمقراطية من داخل اراضى سلطنة مسقط وعمان المجاورة هو محاولة لتوسيع نطاق الحرب التى تشنها ضد ثوار ظفار الى داخل اليمن الديمقراطية ، وذلك ضمن المخطط الامبريالى الرجعى لتصفية حركة التحرر الوطنى فى الجزيرة العربية ، وجر اليمن الديمقراطية الى معارك عسكرية واستنزاف قواها واعاقتها عن الاستمرار فى تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك بهدف اسقاط النظام التقدمى فى البلاد وارجاعها مرة ثانية الى حظيرة الاستعمار .



فيتنام :

سقوط « كوان ترى »
بداية النهاية
وسقوط « هوى »
النهاية نفسها

ازداد الاعتقاد لدى عديد من الدوائر السياسية والعسكرية فى العالم بأن الحصار البحرى الذى فرضته الولايات المتحدة الامريكية على فيتنام الشمالية لن يحول دون تقدم قوات التحرير فى الجنوب ، ولن يغير بحال الخط المضطرد لسير القتال فى الهند الصينية لصالح الشيوعيين منذ بداية هذه الحرب . وترى عديد من الدوائر الغربية نفسها أن الحصار والقصف الامريكى الوحشى قديؤثر ، ولكنه لن يمنع انهيار جيش سايجون فى نهاية الامر .

وقد أشارت صحيفة « **نيويورك تايمز** » الامريكية فى تقرير لها من هايفونج الى أن المسئولين الفيتناميين الشماليين صرحوا بأنه **تم تطهير ميناء هايفونج من الالغام الامريكية** ، وان حركة الملاحة قد استؤنفت فيه ، وأوضح مدير ميناء هايفونج « **لانطونى لويس** » مدير تحرير « **نيويورك تايمز** » « **أن نيكسون عاجز عن منع السفن الاجنبية من دخول هايفونج أو الخروج منها** » . ومن ناحية اخرى أكدت المصادر المحايدة فى هايفونج أن السفينة « فرايدين » التى ترفع علم المانيا الديموقراطية قد دخلت ميناء هايفونج فى الاسبوع الثالث من مايو الماضى . وكان قد أذيع فى سايجون قبل ذلك على لسان المصادر العسكرية **الامريكية أن الولايات المتحدة سحبت قوة العمل** البحرية الخاصة التى كانت تتولى الحصار البحرى لموانىء فيتنام الشمالية بعد تلغيمها ، وذلك برغم وجود وحدات الاسطول السابع فى المياه الفيتنامية عامة واشتراكها فى سير القتال . وفى نفس الوقت زادت الوحدات البحرية السوفيتية التى ترابط بالقرب من مدخل خليج تونكين فاصبحت ٨ سفن بينها ٥مدمرات وغواصة صاروخية . وآكد الدبلوماسيون السوفيت فى بكين تاكيدا له مغزاه حين صرحوا فى ١٩ مايو الماضى بأن الاسلحة الحديثة التى يزودالاتحاد السوفيتى هانوى بها ، تجد طريقها الى فيتنام الديموقراطية برغم الحصار الذى تفرضه الولايات المتحدة على الشواطىء الفيتنامية . وقالت رويتر أن قطارين سوفيتيين محملين بالمعدات العسكرية ، **وصلا الى هانوى عبر الصين فى الاسبوع الثالث** من مايو الماضى .

وفيما يتعلق بموقف الاتحاد السوفيتى من الحصار الامريكى البحرى لموانى فيتنام الشمالية ، نجد أنه وان كان قد طلب من واشنطون فى بيانه الحازم فك الحصار البحرى حول فيتنام فورا ، وعلم وقتذاك عن اتجاه كاسحات الغام سوفيتية بسرعة الى موانى فيتنام لتطهيرها ، الا أن الاتحاد السوفيتى لم يلجأ الى الاعمال الاثارية ردا على الخطوة الامريكية ، والحقيقة أن الاتحاد السوفيتى لا يحتاج الى عمليات مثيرة خطيرة كالمواجهة البحرية بينه وبين الولايات المتحدة فى جنوب شرقى آسيا ، فى الوقت الذى تحرز فيه الثورة الفيتنامية هناك الانتصارات تلو

الانتصارات ، خاصة اذا تبين عمليا أن الفيتناميين قادرون بفضل المساعدة السوفيتية على تطهير موانيهم من الالغام الامريكية ، فضلا عن امكانية امداد فيتنام بالمساعدات العسكرية عن طريق الجو وعن طريق الصين وهى امكانية أشارت وكالات الانباء العالمية الى أنها أصبحت حقيقة واقعة . كما ترى موسكو انها ليست بحاجة لان تدفع بالعسكر الشيوعى كله الى حرب مع الولايات المتحدة ، **فى الوقت الذى ظهر فيه أكثر من أى وقت** مضى أن فصيلة واحدة من فصائل الحركة الشيوعية العالمية الا وهى حزب العمال الفيتنامى وقواته المسلحة وقوات جبهة التحرير فى الجنوب اثبتت وتثبت قدرتها الفائقة على هزيمة الامبرياليين الامريكيين وعملائهم هزائم عسكرية منكرة ، وهكذا احبط الاتحاد السوفيتى محاولة نيكسون ايجاد مخرج من ورطته فى فيتنام ، بتحويل الحرب الدائرة هناك ، الى مواجهة امريكية سوفيتية ، قد تتضمن حلا سريعا له عن طريق تخويف العالم بخطر الحرب العالمية ، الامر الذى يدفع بالمجتمع الدولى الى التدخل لحل المشكلة . ذلك أن الاتحاد السوفيتى يرى أن عليه امداد هانوى وجبهة التحرير بالاسلحة وترك أمر المعركة لهما « **وعلى نيكسون مواجهة ذلك اذا استطاع** » على حد تعبير الصحفى الامريكى **جيمس رستون** فى ١٤ مايو الماضى .

وفيما يتعلق بخط السير العسكرى للقتال فمن الملاحظ ان الولايات المتحدة **قد استعاضت عن قتالها البرى فى فيتنام بحربها الجوية المكثفة** فى الاونة الاخيرة بصفة خاصة ، ولكن المشكلة التى لم تستطع الولايات المتحدة ان تدركها هى ان القوة الجوية تستطيع أن تحول لفترة دون فقدان الارض ، ولكنها لا تستطيع لهـا أى أرض قد تفقدها . والملاحظ بوجه عام فى الفترة الاخيرة ان قوات عملائها هى التى تفقد المساحات ، بل والمدن . وفى الفترة الحالية **يلقى الامريكيون كل اسبوعين قدرا من القنابل أكبر من الذى القى على بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية كلها** ، ومع ذلك يطالب المسئولون فى الحكومة الامريكية بضرورة تشديد القصف أكثر على فيتنام الشمالية فى الوقت الذى تركت الحرب الجوية وراءها ١٠ ملايين حفرة قنابل فى فيتنام الجنوبية ، ودمرت نصف غابات الصنوبر وأكثر من نصف غابات المنجروف . وعلى ذلك فقد أشارت « **الصنداى تايمز** » البريطانية فى ٧ مايو الماضى الى أن « **القصف الاستراتيجى لفيتنام الشمالية كان اكثر عجزا بالمبالغة العسكرية من القصف التكتيكى لفيتنام الجنوبية** » .

وهناك عدة أخطار تحدق بحكومة سايجون التى فقدت قدراتها الادارية فى مناطق عديدة ، اذ أدى عجز الحكومة الى فرار مئات الالاف من سكان فيتنام الجنوبية الذين يهيمون على وجوههم فى الطرق تحت وابل القنابل ، فهناك **خطر قطع الطرق المؤدية الى سايجون** سواء من **لوك** او غيرها ، ثم هناك خطر **شطر فيتنام الجنوبية الى قسمين** والذى تحقق جانب كبير منه ، ففى مرتفعات انام خلت مدن كونتوم وبليكو وغيرها من المدن حتى الساحل من سكانها ، وتصدعت الادارة وانسحبت الحاميات الصغيرة **وسيطرت قوات الفيت كونج على ثلث اقليم بنه دينه** ، وكان ذلك على حد قول الجنرال **ابرامز** رئيس البعثة العسكرية الامريكية **أخطر تهديد بالنسبة لفيتنام الجنوبية** . اما الخطر المباشر الذى يتهدد القوات الفيتنامية الجنوبية فيتمثل فى محاصرة مدينة هوى ومحاولة اسقاطها من جانب قوات التحرير . وهى خطوة بالغة الاهمية فى تطور سير الحرب ، فقد يعمد نيكسون بعدها الى تدمير سدود النهر الاحمر بمايترتب على ذلك من فيضانات وخسائر ضخمة فى أرواح المدنيين . وان يكن التأثير العسكرى لهذه الخطوة ضئيلا فى نظر عديد من المراقبين ، أو أن يقبل نيكسون استبعاد حكومة **الجنرال ثيو** من سايجون والتفاوض حول اقامة حكومة ائتلافية فى سايجون يشترك فيها الشيوعيون ، وذلك اذا فتحت له جبهة التحرير هذا « المخرج » فيما لو نجحت فى اسقاط هوى . وعلى أية حال فسيواجه نيكسون عندئذ بأصعب اختيار منذ بداية الحرب الفيتنامية ذلك ان اسقاط مدينة هوى العاصمة الامبراطورية القديمة لفيتنام ، والذى يبدو احتمالا قويا الان ، سوف يكون ضربة قاضية للمكانة السياسية والعسكرية لحكومة سايجون . ذلك ان كلمات احد مستشارى الرئيس **ثيو** نفسه ، قبل سقوط كوان ترى بثلاثة أيام لها مغزاها الكامل بهذا الصدد ، حين قال انه « **اذا ما تم الاستيلاء على « كوان ترى » فان ذلك يكون بداية النهاية ، ولكن اذا سقطت مدينة « هوى » فستكون النهاية** » .

●●●

■ **المانيا الغربية :**

انتصار « لهجوم السلام » السوفيتى فى أوروبا

اجتازت سياسة « الانفتاح على الشرق » التى بدأها **فيلى برانت** مستشار حكومة المانيا الغربية الازمة الحادة التى تعرضت لها خلال

محاولات الحصول على موافقة مجلس البرلمان الالمانى الغربى على معاهدتى نبذ استخدام القوة مع كل من الاتحاد السوفيتى وبولندا .

وباجتياز هذه الازمة الحادة وتصديق البرلمان بمجلسيه على المعاهدتين يكون الطريق قد فتح امام خطوات جديدة امام تطورات ملائمة لتخفيف حدة التوتر فى اوروبا ، والقضاء على المشكلات المعلقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهى المشكلات التى وقفت دائما حجر عثرة امام الامن والسلام فى اوروبا وحالت دون قيام تعاون مثمر بين الدول الاوروبية وخاصة بين دولتى المانيا ــ الاتحادية والديمقراطية .

وقد بذلت المعارضة اليمينية فى المانيا الغربية جهودا مستميتة حتى آخر لحظة ضد المعاهدتين الموقعتين مع الاتحاد السوفيتى وبولندا للحيلولة دون التصديق عليهما او للتوصل ــ على الاقل ــ لتعديل نصوصهما بما يتفق مع اغراض القوى التى تحكمها عقلية العداء للاتحاد السوفيتى والتى تتطلع للحظة الانتقام لهزيمة النازية الالمانية فى الحرب العالمية الثانية .

وقد شهدت المانيا الغربية فى الفترة التى سبقت التصديق على معاهدتى نبذ استخدام القوة صراعا حادا بين سياسة الانفتاح على الشرق التى يدافع عنها **الحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الحر الديمقراطى** المؤتلفين فى حكومة برانت ــ وسياسة الحفاظ على التوتر فى اوروبا التى يدافع عنها بوجه خاص الحزب المسيحى الديمقراطى ، والحزب المسيحى الاجتماعى ، وبصفة اخص جناح **فرانز شتراوس** [وزير الدفاع السابق] فى مقاطعة بافاريا . وقد لعبت عدة عوامل موضوعية دورها فى النتيجة التى انتهى اليها هذا الصراع ، وهى موافقة « البوندستاج » على التصديق على معاهدة موسكو بأغلبية ٢٤٨ صوتا ضد ١٠ اصوات وامتناع ٢٩٨ نائبا عن التصويت ، وموافقته على التصديق على معاهدة وارسو باغلبية ٢٤٨ صوتا ضد ١٧ وامتناع ٢٣١ نائبا عن التصويت . وأهم هذه العوامل ما يلى :

اولا : موقف غالبية الرأى العام الالمانى الذى مارس ضغطا حقيقيا على المعارضة بتأييده لسياسة خلق جسور مع الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية ، باعتبار ان ذلك هو السبيل الوحيد للخلاص من مؤثرات اوضاع مابعد الحرب العالمية الثانية ، والخلاص من احتمالات تجسدد الصراع وويلات الحروب فى القارة الاوروبية مرة خرى .

ثانيا : الموقف الصلب الذى اتخذه الاتحاد السوفيتى ، برفضه القاطع مناقشة اى تعديل لنصوص معاهدته مع المانيا الغربية .

ثالثا : تطلع القوى ــ داخل المانيا الغربية ــ الراغبة فى اقرار السلام وتخفيف التوتر فى أوروبا الى توسيع نطاق الوئام بعقد معاهدات مماثلة مع باقى دول أوروبا الشرقية ، وخاصة تشيكوسلوفاكيا . باعتبار أن تعويق التصديق على المعاهدتين مع موسكو ووارسو كان كفيلا بنسف الجهود للتوصل الى اتفاق مع براج وبودابست وباقى عواصم أوربا الشرقية .

على أن هناك ظاهرة ملفتة للنظر تؤكد وجود قوى يمينية متطرفة تريد أن تحتفظ بمواقفها التقليدية بما تنطوى عليه من عداء للاتحاد السوفيتى وباقى الدول الاشتراكية فى أوروبا ، ونعنى بها مفاجأة امتناع الغالبية العظمى من مجموعة المعارضة عن التصويت على المعاهدتين رغم أن زعيم المعارضة **رينر بارتزل** كان قد طلب الاقتراع بالموافقة بعد أن تأكد له عدم شعبية سياسة معارضة الانفتاح على الشرق ، بل ان ١٠ من أعضاء المعارضة ذهبوا الى حد التصويت ضد المعاهدتين خروجا على نداء زعامة حزبهم .

وقد أوضح **ولفجانج ميسفيك** زعيم المجموعة البرلمانية للحزب الحر الديمقراطى امام البرلمان أن الاحداث التى شهدتها أجزاء أخرى من العالم خلال الاسابيع القليلة الماضية [وكان يعنى التصعيد الامريكى للعدوان ضد فيتنام وما أثاره من توتر عالمى واحتمالات خطيرة للمواجهة] قد دلت على انه لا يمكن حماية السلام الا عن طريق الاستعداد للتعاون واعادة أسس التفاهم واكد ميسفيك أن اعادة التصالح والمصالحة بين المانيا الغربية ودول أوروبا الشرقية يعتبر فاصلا هاما وايجابيا . كذلك أوضح زعماء الحزب الاشتراكى الديمقراطى [حزب برانت] فى كلماتهم أمام البرلمان قبيل التصديق ، وخلال المناقشات مع زعماء المعارضة ــ أن المعاهدتين

مع موســـكو ووارســـو قــد خلقتــا الشروط والاحتياجات اللازمة للتعايش السلمي وامكانية التعاون بين الدول الاوروبية ، وفي مجال العمل من أجل اعادة العلاقات الى طبيعتها بين المانيــا الشرقية والغربية .

وقد أصبح في حكم المقرر أن يؤدي التصديق على معاهدتي نبذ استخدام القوة الى سلسلة من الاتفاقات والاجراءات المنتظرة التي تســـهم بدورها في تخفيف حدة التوتر في أوروبا وفي العالم .

١ ـ أن يوقع الاتحــاد الســـوفيتي على البروتوكول النهائي الخاص بالاتفاقية الموقعــة بين الدول الاربع الكبرى بشأن برلين ، وهو البروتوكول الذي يضمن الترتيبات الخاصـــة بتأمين المواصلات بين المانيا الغربيــة وبرلين الغربية والتي تقع داخل أراضي المانيا الديمقراطية

٢ ـ ان يوافق الاجتماع القادم لمجلس حلف الاطلنطي ـ الذي سيعقد في بون لاول مرة منذ ١٥ عاما ـ على الاستعدادات لعقد مؤتمر الامن الاوروبي ، الذي يعتبر اقتراح عقده مساهمة أساسية من جانب الاتحـــاد الســـوفيتي لاقرار السلام في القارة الاوروبية . وقد كان حلف الاطلنطي يضـــع كعقبة أمام عقد هذا المؤتمرشرطه الخاص بضرورة وجود اتفاقية بشأن برلين .

٣ ـ ان تسير بنجـــاح المفاوضات ـ التي بدأت مراحلها التمهيدية فعلا ـ بين المانيا الغربية وتشيكوسلوفاكيا لعقد معاهدة لنبذ اســـتخدام القـــوة بينهما . وهي خطوة يتوقع ان تتلوها خطوات مماثلة مع بلغاريا والمجر .

وعلى الرغم من التصريحـــات المواتية التي ادلى بها المسئولون الامريكيون على اثر التصديق في بون على معاهدتي موسكو ووارسو ، والتي اعتبرت هذا التصـــديق خطوة ايجـــابية لاقرار السلام في أوروبا ، الا أن هذه التصريحات الامريكية تخفي شعورابالمرارة نتيجةفقد الولايات المتحدة لما كانت تعتقد أنه « ورقة للمساومة » خلال محادثات نيكسون مع الزعماء السوفيت . ذلك انه لم يكن خافيا أن الولايات المتحدة كانت تعلق أملا على تأجيل التصديق على المعاهدتين الى ما بعد زيارة نيكسون لموسكو ، حتى تحتفظ بهذه النقطة لتساوم بها في المحادثات مع الاتحاد السوفيتي .

■ الولايات المتحدة :

اطلاق الرصـــاص على ولاس يســـهل لـــه طريق الرئاســـة

يبدو ان اطلاق الرصاص على **جورج ولاس** حاكم ولاية الاباما العنصري وأحد مرشحي الحزب الديمقراطي لانتخابات الرئاسة ، جاء لمصلحته تماما . ففي أثناء تواجده في المستشفى ، فاز في ولايتي ميريـــلاند وميتشجـــان على مـــاكجوفرن وهمفري وأعلن سكرتيره أنه سيخوض انتخابات الرئاسة ولو على كرسي متحرك ، وبالفعل فقد جذبت اليه اصابته بشلل نصفي تعاطف فئات جديدة من الامريكيين ، علاوة على من كان ولاس قد نجح فعلا في اجتذابهم اليه بوسائل متعددة ، في الانتخابات الماضية في ١٩٦٨ والتي صوت له فيها ١٠ ملايين ناخب ، وفي الحملة الحالية .

والواقع أن ولاس رجل دعاية ناجح فعلا ، وهو في سعيه لاكتساب الشعبية أشبه ببوجاد ذلك السياسي الفرنسي الذي كسب صغار دافعـــي الضرائب منذ سنوات بالتضليل أساسا ، فهـــو يتعمد أن يخطيء في قواعد اللغة ويستخدم الالفاظ السوقية ويروي النكت ، ويؤكد أنه يختلف مـــع « أولئك الناس جيدي التربية في المـــؤسسة الحاكمة » ، ويحاول اقناع الصغار انه « مثلهم » وأنه سيدافع عنهم ، في حين أن الاخرين يتخلون عنهم .

وولاس ابن مزارع من الاباما ، درس القانون . وعند اعلان الحرب في ١٩٤١ كانت سنه ٢٠ سنة ، فخدم في الطيران ، وبعد انتهائهـــا شرع يعمل بالسياسة ، وانتخب في ١٩٤٦ عضوا ببـــرلمان الولاية ، وفي ١٩٥٨ تقدم لانتخابات منصـــب المحافظ ، ولكنه فشل لان منافسه وهو عضو في **الكوكلوكس كلان** ، فاقه في عنصريته . واستخلص ولاس درس العمر ، وأكد لانصاره « لقد تفوقوا على هذه المرة في عنصريتهم ، ولكن هذا لن يحدث مرة أخرى » . وفي ١٩٦٢ أصبح حاكما لولايته ، وهي من أشد ولايات « الجنوب العميـــق » عنصرية . وفي هذا المنصب تاوم بالقوة أوامر الحكومة الاتحادية بقبول حفنة من الطلاب السود في جامعة توسكالوزا ، واستخدم قوات الولاية ضد المظاهرات المعادية للعنصرية . وفي ١٩٦٤ حاول التقدم لانتخابات الرئاسة ، ولكن **جولد ووتر**

فاته في عنصريته وعدوانيته ، وهو ما يعتمد عليهما ولاس بدوره .

وفي انتخابات الرئاسة في ١٩٦٨ ، بدأ حملته الدعائية قبل الاخرين بشهرين ، وجاب معظم الولايات لينظم ما أسماه « **الحزب الامريكي المستقل** » ، وكان كل يوم يزور عدة مدن ، ينظم له **أنصاره فيها لقاءات تعقد في قاعات كبيرة تعزف** فيها « **أوركسترا الحزب الامريكي المستقل** » مارشات عسكرية ثم تغنى الاختان تايلور ، مونا وليزا ، « فالس جورج ولاس ، الذي تقول كلماته : « **قفوا جميعا لامريكا ذات العلم الاحمر والابيض والازرق** » .

« **صوتوا لولاس الذي سيقاتل من أجلكم** » .

« **انه سيفلق بسيفه هام الشيوعيين واصدقائهم المستترين** » .

« ارقصوا فالس جورج ولاس يا أصدقائي الحلوين » .

ثم يصرخ أحدهم بصوت جهوري « هاهو الرجل الذي ستنتخبونه رئيسا للولايات المتحدة » ويتقدم هذا ليجلس خلف منصة مدرعة واقية من الرصاص ، لا تظهر منها سوى رأسه التي تغطيها جزئيا الميكروفونات . وفي كل مكان كان ولاس يكرر نفس الكلام ، فيبدأ بتهنئة رجال البوليس ، وانصاره كثيرون بينهم ، بل ويطالب بحكمهم للبلاد « لا ادري لماذا يحد رجال البوليس نشاطهم على أعمالهم الحالية . انهم اذا حكموا هذه البلاد لمدة عامين فقط ، فسيضعون حدا للمخربين » .

والمخربين المقصودين هم السود ودعاة السلام في فيتنام . وعندما كان هؤلاء يعترضون طريقه كان يعدهم بقوله « بعد ٥ نوفمبر — موعد اجراء الانتخابات . سأمنعكم من الصراخ . وعندما أصبح رئيسا أعدكم بأنه اذا رفع أحدكم علم الفيتكونج أو جمع النقود او الدم وغيره للعدو ، فسأضعه في الظل في سجن جيد . واذا نام احدكم امام سيارتي ، فأعدكم بأنها ستكون آخر مرة يفعل فيها ذلك » .

وكان ولاس يتباهى باحتقاره للمثقفين «المؤدبين اكثر من اللازم » ويقول « ان الاساتذة الجامعيين ذوي عقول فارغة ، لا يعرف الواحد منهم ما يفعله بدراجة . واي سائق بسيط للسيارات يعرف ما يفعله اذا شاهد حادثا ، ولكن خريج الجامعة يكتفي برفع ذراعيه الى اعلى ويسقط مريضا » . أما الموظفون فيعد بالقاء معداتهم في المجاري » .

وكان ولاس في بحثه عن الشعبية يهاجم مجموعة معينة من أصحاب الملايين ويسكت عن مجموعة اخرى . فكان يهاجم روكفلر وفورد وكارنيجي وميلون ويقول « انهم حققوا ثرواتهم من التهرب من الضرائب ، في حين ان الصغار تتحطم رؤوسهم في الحوائط وهم يبحثون عن الطريقة التي يدفعون بها مايستحق عليهم» ويسكت عن اصحاب الملايين في الجنوب الذين يمولونه .

وولاس حذر في المشكلة الفيتنامية ، لا يجرؤ على ادانة التفاوض ولكنه يؤكد « اذا كان العدو لا يرغب في التفاوض بروح طيبة ، واذا كانت حياة وأمن قواتنا مهددة ، فيجب البحث عن حل عسكري حاسم » ، اما نائبه لانتخابات الرئاسة فكان جنرال الطيران المتقاعد كورتس ليماي ، الذي يطالب بقصف هانوي وهايفونج وزيادة القوات العسكرية في فيتنام خاصة الطيران والبحرية ، وكان يؤكد انه ليس ضد استخدام الاسلحة الذرية ويتعجب من « فوبيا الخوف الذري » ويقول «ان الموت الذري افضل من الموت بطعنة سكين صدىء » وبالفعل وجد حزب ولاس مساندة كبيرة من الجماعات العنصرية والرجعية والمتطرفة مثل «**البيرشت**وغيرها»وحصل ولاس على أصوات انصار جولد ووتر ، وتوجد قاعدته الاساسية في ولايات « **الجنوب العميق** » كما حصل على أصوات كثير من الديمقراطيين الذين خابت توقعاتهم بالنسبة لجونسون ،بل وعلى أصوات العمال الذين سممتهم العنصرية ، ففي استقصاء تم في مصنع سيارات « بويك » في فلنت قرب ديترويف بين ٨٠٠ عامل ، حصل ولاس على ٤٩ في المائة من الاصوات وحصل همفري على ٣٩ في المائة ونيكسون على ١٢ في المائة . كما صوت لولاس الامريكيون الذين شعروا بالاحباط نتيجة لهزيمة بلادهم في فيتنام .

وفي الانتخابات الحالية رأى ولاس ان يرشح نفسه عن الحزب الديمقراطي ، مستغلا المشاعر العنصرية لدى كثير من الامريكيين ، ومشاعر السخط لدى الراغبين في الانتصار في فيتنام . واذا ما تدرنا ان قيادة الديمقراطيين لن ترضى بأن يمثلها رجل مثل ماكجوفرن في الرئاسة لميوله السلامية — حتى لو فاز في الانتخابات التمهيدية كما فعلت مع مكارثي في الانتخابات الماضية لادركنا أن فرص ولاس كبيرة جدا في مواجهة همفري ، الذي يعتبره كثير من الامريكيين «ممسحة صحون» وانه مسئول وشريك لجونسون في سياسته الماضية .

تقرير خاص

ماذا بعد أن قدم الاتحاد العام للعمال برنامجا للعمل فى أول مايو ١٩٧٢ ؟

فى الاحتفال بعيد أول مايو فى الاسكندرية قدم السيد / صلاح غريب بصفته رئيسا للاتحاد العام للعمال برنامجا للعمل ، التزم به الاتحاد امام جماهير العمال المصريين • وفى امكاننا أن نلخص هذا البرنامج فى مجموعة النقاط التالية :

أولا : أن النضال من أجل تحرير الارض العربية المحتلة مرتبط كل الارتباط بالنضال من أجل اتمام عملية التحول الى الاشتراكية .. فلا حرية حقيقية بدون عدالة اجتماعية ، ولا يمكن أن تبنى الاشتراكية الا فى مجتمع حر •

ثانيا : النضال ضد الرجعية العميلة والتى تهدف بتحركاتها الاخيرة فى نشر الاكاذيب وتزييف الحقائق والهجوم على كل المنجزات الوطنية التقدمية ـ أن تنال من تحالف قوى الشعب العاملة ، ومن وحدة الجبهة الداخلية التى هى درع النضال العسكرى ضد العدوان الامبريالى الصهيونى •

ثالثا : تحقيق المشاركة الايجابية لجموع العمال فى ادارة منشآتهم ، حتى تطلق كل طاقاتهم الابتكارية الخلاقة ، لزيادة الانتاج وتحسين نوعياته وخفض تكلفته مع التنفيذ الاكمل للخطط الاقتصادية ، وتدعيم الايمان بالملكية العامة لوسائل الانتاج ، والتخلص من بقايا العقلية الادارية القديمة ، والتمسك بتجربة اشتراك العمال فى مجالس الادارة باعتبارها جزءا أساسيا من عملية التحول الى الاشتراكية ، ودراسة ايجابياتها وسلبياتها لتأكيد سيطرة قوى الشعب على وسائل الانتاج وحماية لها من الانحرافات البيروقراطية وضمانا لحسن تطبيقها لخطط التنمية الاشتراكية •

رابعا : العمل من أجل أن تكون لكل وحدة انتاجية خطتها المعروفة جيدا لكل العاملين فيها ، من خلال مناقشة مستفيضة وواعية ، فى المنظمات الجماهيرية داخل الوحدة ، وأن يتم تقييم سنوى لنشاط الوحدة ، وأن يكون هذا التقييم أساسا للترقيات والعلاوات والحوافز المادية والمعنوية ، التى يحصل عليها جميع العاملين فى الوحدة من رئيسها الى أصغر عامل بها •

خامسا : تشكيل لجان مشتركة على مستوى الوزارات والمؤسسات بينها وبين النقابات العامة العاملة فى مجال اختصاصاتها ـ لتستطيع قيادات العمل الادارى والنقابى وأن تتدارس أولا بأول التطبيق السليم لقرارات القيادة السياسية والتنفيذية وأن تجد الحلول السريعة لجميع مشاكل الجماهير العمالية •

سادسا : العمل على زيادة الانتاج بنسبة ٥ فى المائة عن المستهدف فى الخطة لتكون زيادة الانتاج ودعمه كما وكيفا عاملا حاسما فى معركة المواجهة المصيرية مع العدو الامبريالى والصهيونى •

سابعا : دعم التنظيم النقابى وعضويته ، بتوفير حرية الحركة للتنظيم وتخليصه من كل القيود الادارية التى كانت تعرقل نشاطه ، وتحد من مقدرته التنظيمية على ادارة أموره ، وتحقيق استقلاله الذاتى • واستعادة لثقة جماهير العمال فى تنظيمهم النقابى •

ثامنا : دعم الديمقراطية النقابية ، بفتح قنوات الاتصال بين قواعد التنظيم وقياداته • ويتحقق ذلك عن طريق عقد مؤتمرات ثقافية تبحث قضايا الانتاج والثقافة العمالية والتأمينات الاجتماعية •

تاسعا : اقامة الاتحادات المحلية فى المحافظات ومناطق التجمعات العمالية الكبيرة •

عاشرا : العمل على رفع المستوى الفكرى لاعضاء التنظيم من خلال التثقيف العمالى ومحو الامية •

حادى عشر : الاهتمام بالتضامن العمالى العالمى فى النضال ضد الامبريالية والاحتكارات العالمية والصهيونية ـ ومضاعفة الجهود فى هذا المجال دعما لعلاقات العمال المصريين وارتباطاتهم بعمال العالم ومنظماتها النقابية •

ثانى عشر : دعم الوحدة والتضامن مع العمال العرب باعتبارها سلاحا فعالا فى النضال ضد المؤامرات الامبريالية والصهيونية وعملائها من الرجعيين العرب •

هذه هى المبادىء التى استخلصناها من خطاب الاتحاد العام للعمال فى عيد أول مايو ـ والتى طرحت كبرنامج عمل للاتحاد التزم به على الملأ من جماهير العمال • وهو برنامج يعكس تطلعا نضاليا من قبل قيادة الاتحاد العام للعمال ـ لتغيير

الاوضاع السائدة حيث السلبية والبيروقراطية فى التنظيم النقابى المصرى ، وانعدام استقلاليته ، وقصور حركته الاجتماعية والفكرية والسياسية •

وحول هذا البرنامج نبدى عددا من الملاحظات التى نرى أن توضع فى الاعتبار اذا ما قدر لهذا البرنامج أن يخرج الى حيز التنفيذ والتطبيق .

الملاحظة الاولى : ان البرنامج كان يجب وأن يتضمن التزاما حاسما بالعمل الجدى من اجل اصدار تشريع العمل الجديد ، هذا التشريع الذى ناقشته مؤتمرات عديدة منذ عام ١٩٦٨ ، والذى اوجبت ظروف تطور المجتمع المصرى منذ اجراءات يوليو ١٩٦٠ وصدور ميثاق العمل الوطنى فى ١٩٦٦ ضرورة صدوره ، حيث أن تشريع ١٩٥٩ لم يعد يتناسب مع مرحلة التطور تلك ، وهو لا يعبر عن علاقات العمل الجديدة التى نشأت بهذه الإجراءات ، وأصبح يمثل قيدا على التطور ذاته ، وحاجزا يحول دون ممارسة العمال ومنظماتهم النقابيه للدور الطليعى المنوط بهم فى مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، وصولا الى مرحلة التحول الإشتراكى •

الملاحظة الثانية : انه فى مجال دعم حركة النقابات ونشاطها وزيادة قدرتها التنظيمية وديمقراطيتها النقابية ـ فانه يجب العمل من اجل : ا ـ زيادة نشاط النقابات فى مجال الخدمات الصحية والإجتماعية والاسكانية الى جانب الخدمات الفكرية ، وتحويل اكبر قدر من المصروفات الادارية فى النقابات لينفق فى هذه المجالات • ب ـ محاسبة القيادات النقابية القديمة والتى لفظت معظمها جماهير العمال فى انتخابات العام الماضى ـ هذه القيادات التى بددت ممتلكات نقابات العمال وميزانياتها ، وأثرت ثراء فاحشا من القروش التى دفعت للنقابات من العمال ـ وان انجازهذا الواجب أصبح ضروريا حتى لا تتكرر المأساة ويجازى كل قائد نقابى افسد حياة نقاباتنا على ما قدمت يداه • وان تحقيق ذلك هو الذى يجعل حديثنا عن الديمقراطية النقابية حديثا جديا وليس مجرد شعار يردد وتلوكه السنتنا لإستهلاك محلى •

الملاحظة الثالثة : أن هذا البرنامج كان يجب وأن يتضمن تأكيدا على ضرورة العمل من أجل مساواة عمال القطاع الخاص والذين ما زالوا عنتا كبيرا ، واستغلالا شديدا بعمال القطاع العام فى كثير من الميزات التى حصل عليها هؤلاء بعد اجراءاتيوليو ١٩٦١ ، فى مجالات ساعات العمل ، والاجور ، والتامينات الاجتماعية ، وحماية حقهم فى العمل • وكذلك كان يجب وأن يتضمن البرنامج هدفا خاصا بعمال الزراعة والتراحيل من أجل حقهم فى أن يعيشوا كبشر فى النصف الثانى من القرن العشرين •

الملاحظة الرابعة : أنه فى مجال التضامن العمالى العالمى ـ كنا نتوقع أن تحدد قيادة الاتحاد فى مخططها طبيعة نشاطها القادم فى هذا المجال ـ على أساس ، أنه فى مجال النشاط الدولى هناك فرق دولية ـ عمالية مختلفة ـ نحن نعمل من أجل كسبهم جميعا نصف قضيتنا الوطنية ، ولكننا ويجب أن نفرق بين هذه الاتحادات الدولية • على أساس فى مجال الحركة العمالية الدولية توجد اتحادات ترتبط قياداتها مع الدوائر الإمبريالية والصهيونية ، وبالنسبة لهذه الإتحادات فنحن نسعى اساسا لكسب قواعدها الى جانب قضيتنا العادلة ، فتحركنا الدولى حيال هذه الإتحادات سيتطلب مخطط خاص • وهناك الإتحاد العالمى للنقابات والذى ينظم أغلب عمال العالم النقابيين حيث يضم تنظيمات تمثل حوالى ١٤٠ مليون عامل ـ هو اتحاد ديمقراطى معاد على أسس مبدأية ونضالية للامبريالية وللاحتكارات وللنظام الرأسمالى العالمى وللصهيونية ، وقد آن الأوان لان نحدد علاقتنا بحسم مع الإتحاد العالمى للنقابات ، وضرورة ارتباطنا بـه ، وخاصة وأن معظم الإتحادات العربية قد حسمت هذه القضية خلال السنين القليلة الماضية ، وأصبحت عضوة عاملة فيه ـ اتحاد عمال سوريا ـ اتحاد عمال العراق ـ اتحاد اليمن الشعبية ـ اتحاد عمال الاردن ـ الإتحاد الوطنى للعمال والمستخدمين بلبنان ـ اتحاد عمال السودان ـ اتحاد عمال اليمن الشمالية • وفى مجال التضامن العمالى العالمى نلاحظ ان قيادة الاتحاد العام فاتها الإشارة الى ضرورة تنشيط عملنا ونضالنا فى المجال الافريقى حيث ازداد النشاط الاستعمارى والاسرائيلى فى السنوات الاخيرة داخل الحركة النقابية الإفريقية وهو نشاط لم نواجهه بعمل جدى حتى اليوم ، اللهم الا بقرارات عظيمة وخطب رنانة •

وأخيرا ـ فانه اذ نحيى قيادة الإتحاد العام للعمال لطرحها برنامجا للعمل فى أول مايو تلتزم بالنضال من أجله ـ نقول ماذا بعد أن قدم الإتحاد هذا البرنامج هل من خطط عملية ، وجدية فى التنفيذ ، وممارسة يومية وصولا الى تحقيق هذا البرنامج • وذلك حتى يأتى أول مايو فى العام القادم فتقف قيادة الإتحاد العام للعمال لتقول لمن التزمتم أمامهم لقد أنجزنا ما وعدنا ، وحققنا ما اعلنا •

عبد المنعم الغزالى

وثائق



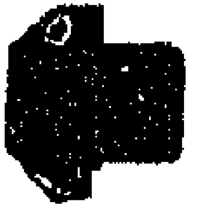
البرنامج السياسى للجبهة الوطنية للاوس

أقره المؤتمر غير العادى للجبهة الوطنية للاوس فى ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ بالاجماع

(نيولاو هاكسات)

البرنامج السياسى لجبهة تحرير لاوس ، نموذج رائع لمراعاة الخصائص القومية عند وضع خطط العمل الوطنى والاجتماعى ، بما يضمن استجابة صادقة لتطلعات واحتياجات الجماهير ، ومن ثم يكفل تحول هذه الخطط الى أهداف خاصة لكل مواطن من المواطنين على حدة ، وبالتالى ضمان مشاركته بوازع ذاتى فى العمل لتحقيق ما تحويه من أهداف وآمال

والطليعة اذ تنشر هذا البرنامج ، تدعو الى دراسته بتأمل وعمق ، لمعرفة الطريقة التى استطاعت بها الجبهة أن تكون خير معبر عن آمال شعب لاوس ، وأن تضمن التفافه حولها.



بعد النهاية الظافرة لمقاومة شعب لاوس بقومياته المتعددة للاستعماريين الفرنسيين وللتدخل الامريكي ، حصل شعب لاوس من جديد على الاعتراف بسيادته واستقلاله ووحدته وتكامل أراضيه . وكان لذلك الانتصار دلالته وأهميته التاريخية الكبرى ، اذ فتح أشد الافاق اشراقا ، لتشييد وطننا وشعبنا حياة جديدة ملؤها الحرية والسعادة .

ومع ذلك ،وبعد فترة قصيرة منتوقيع اتفاقيات جنيف ، وانتهاء السيطرة الاستعمارية الفرنسية ، جاء الامبرياليون الامريكيون بتدخلهم وعدوانهم الىبلادنا . وكان هدفهم الاساسى هو تحويل بلادنا الى مستعمرة لهم وقاعدة عسكرية تحت تصرفهم . ولكى يحققوا هدفهم هذا اشتروا ضمائر العملاء والدمى وسعوا لكسب مساندتهم ، وجعلوا من قوات وحكومة فينتيان أداتهم الطيعة ، وفى نفس الوقت استغلوا الطغمة العسكرية التايلاندية وأقاموا قواعدهم العسكرية فى تايلاند ليتخذوا منها نقطة وثوب يواصلون منها « حربهم الخاصة » ، ومطامعهم الاستعمارية الجديدة وعدوانهم ضد بلادنا . وخلال الاعوامالاربعة عشرة الاخيرة ، تسللوا عن طريق ما يسمى « المساعدة » الاقتصادية والعسكرية الى كافة انحاء بلادنا ، وحولوا المنطقة التى تسيطر عليها حكومة فينتيان الى مستعمرتهم الجديدة . وفى نفس الوقت جاءوا « بمستشاريهم » وأسلحتهم ، وحرضوا خدمهم واتباعهم على تنشيط عمليات التجنيد العسكرى ، وعلى أن يزيدوا « الجيش الوطنى » المزعوم ليستمروا فى حربهم العدوانية ضد بلادنا ، وليخمدوا حركة نضال شعبنا من أجل الخلاص الوطنى ، بطريقة تزداد شراسة وبربرية يوما بعد يوم . كما أنشأوا أخيرا وحدات «القوات الخاصة» التى يسيطرون عليهامباشرة ،واستخدموا قواتهم الجوية فى قصف القنابل واطلاق النيران على بلادنا بوحشية ، ناشرين الموت والدمار بينمواطنينا . لقد انتهكوا اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٢ حول لاوس ، وكذلك الاتفاقات التى عقدت بين الاحزاب السياسية فى لاوس ووطأوها بأقدامهم ، واستغلوا خدمهم واعوانهم فى نسف حكومات الاتحاد الوطنى والتى كان يشترك فيها ممثلو الجبهة الوطنية للاوس ، وممثلو القوى الوطنية المحايدة وشخصيات وطنية أخرى ، وخربوا تنفيذ سياسة الوفاق والتوحيد الوطنى وكذلك طريق السلام والاستقلال والحياد ، الذى نادت به الجبهة الوطنية للاوس .

وفى المنطقة التى تسيطر عليها حكومة فينتيان ، يدفع الامبرياليون هذه الاخيرة الى اتباع مختلف السياسات غير الوطنية والمعادية للشعب بطريقة يزداد ضررها واتساعها يوما بعد يوم . لقد داسوا بأقدامهم الحريات الديمقراطية للسكان . ويتعرض الوطنيون لاعمال القمع والاضطهاد والنظام والامن غير مكفولان ، أما حقوق الاستثمار التجارى فمركزة بين أيدى عدد قليل من الحكام . ويتناقص الانتاج ويتدهور ، ويفقد « الكيب » * قيمته ، كما أن مستوى معيشة السكان يتدهور أكثر فأكثر ، ويزداد تشجيع الفساد والتحلل ، ويمسخون اعدادا كبيرة من الشباب ويحرفونه عن الطريق السوى ، وينتهكون الدين البوذى انتهاكا خطيرا ويلحقون به كثيرا من الاذى ، وفى كثير من الاماكن تحولت المعابد الى أماكن للتجارة وللترويج لاسلوبالحياة الامريكى لقد داسوا بالاقدام على الميراث الثقافى للبلاد ، وكذلك على عاداتها وتقاليدها الجميلة والرائعة . ويزداد اتساع وانتشار ذلك المجتمع المضطربوالفاسد الذى تشيع فيه السرقة والبلطجة والسكر وتعاطى المخدرات وألعاب القمار والمراهنات السرية والبغاء .

ومن البديهى تماما أن الامبرياليين الامريكيين ، الذين اعتدوا عمدا وبسوء نية على بلادنا ، هم العدو الاشد خطرا على شعب لاوس بكل قومياته ، كذلك فان الحكام خدم الامبرياليين الامريكيين خونة أمتهم الذين باعوها ليكونوا لانفسهم ثروات وأموال ،والذين خانوا عمدا وبسوء نية وطنهم وشعبهم ، هم أيضا أعداؤنا الالداء .

ان شعبنا المحب للسلام والمتطلع الى أقصى قدر من الاستقلال والحرية ، لن يكف أبدا عن التمرد مرة ثانية على حياة العبودية .

ومنذ بداية عام ١٩٥٦ ، اعلنت الجبهة الوطنية للاوس أمام شعبها وأمام العالم كله هدفها السياسى الذى يتمثل فى بناء لاوس مسالمة ومستقلة ومحايدة وديمقراطية وموحدة ومزدهرة ، وهذا الهدف يتفق تماما مع المصلحة العليا للوطن ومع التطلعات والامال العميقة لكل فئات شعبنا ، كما انه يحظى بمساندة وبموافقة الرأى العام العالمى وتأييده الفعال .

ولقد حققنضال شعبنا ضدالامبرياليين الامريكيين وأتباعهم نجاحات كبيرة متعددة فى الاربعة عشرة عاما الماضية . اذ حررنا ٢/٣ الاراضى الوطنية ونصف سكان بلادنا ، وتتسع القوى الوطنية بلا انقطاع أو توقف ، وفى منطقتنا المحررة ، نواصل تنفيذ هدفنا السياسى المذكور عاليه بصورة مثمرة : اذ يتدعم ويترسخ التطور الاقتصادى والثقافى يوما بعد يوم ، وتتدعم وحدة مختلفالقوميات أكثر فأكثر ، ويقوى النظام والامن ، وتتخذ الحياة المادية والروحية للسكان وجهة جديدة ، ويترتب على كل هذا ازدياد وامتداد نفوذ وشهرة الجبهة الوطنية للاوس سواء فى داخل البلاد أو فى العالم الخارجى .

لقد أوقع النضال العنيد والباسل لشعبنا هزائم كثيرة بالامبرياليين الامريكيين وخدمهم ، هزائم عسكرية وسياسية على حد سواء . ومع ذلك فهم يكابرون ويصرون علىمواصلة مؤامراتهمفىالعدوان والخيانة الوطنية . وفى الوقت الحاضر ، وازاء قرب الاندحار والانكسار الكامل فى جنوب فيتنام والهزائم المتزايدة الوطأة فى بلادنا : يحاول الامبرياليون الامريكيون أن يدعموا اتباعهم وأن يزيدوا قوتهم ، وأن يقيموا بصورة محمومة ما يسمونه « خطهم للدفاع عن الميكونج »[*] ، ويحاولون أن يعتمدوا على الطغمة العسكرية التايلاندية لتوسيع حربهم العدوانية ضد بلادنا ، ويبذلون كل جهودهم للابقاء على التوتر فى الهند الصينية وفى جنوب شرق آسيا .

لقد حقق شعبنا بكل تأكيد انتصارات كبيرة متنوعة ، ولكن هذا لا ينفى أن وطننا وشعبنا يجد نفسه فى الوقت الحاضر فى موقف خطير ، يتطلب عملا عاجلا ازاء المناورات المذكورة عاليه للامبرياليين وخدمهم .

ولهذا السبب فان المهمة الفورية والعاجلة والمقدسة لمجموع شعبنا بكل قومياته ، ومعتقداته وانتماءاته السياسية هى ما يلى :

● الوحدةوالنضالمعا لالحاق الهزيمة « بالحرب الخاصة » وبالاستعمار الجديد الامريكى ، وللاطاحة بخائنى الوطن ، خدم الامريكيين ، بهدف بناء لاوس مسالمة ومستقلة ومحايدة وديمقراطية وموحدة ومزدهرة ، وللاسهام فى اعادة السلام الى ربوع الهند الصينية والى جنوب شرق آسيا والى العالم كله والحفاظ عليه .

وعلى أساس الخط السياسى«للخلاص الوطنى » وبناء البلاد الذى نادينا به ، مع وضع تطورات الموقف الحالى فى البلاد فى الاعتبار ؛ وضعت الجبهة الوطنية للاوس مختلف السياسات التالية تجسيدا للهدف السياسى المذكور عاليه .

النقطة الاولى :

● تدعيموحدةكلالشعب، والعملعلى دعم الجبهة الوطنية الموحدة وتوسيع

---

* عملة لاوس

* نهر ينبع من التبت ، وينسابعبرالصين وفيتنام وكمبوديا لبحر الصينالجنوبى

نطاقها وتعبئة كل قوى البلاد بحميـــة ونشاط لدحر عدوان الامبرياليين الامريكيين والاطاحة بالخونة خدمهم وأتباعهم .

● توحيد كل الفئات الاجتماعية ، كل القوميات ، وكل العقائد الدينية ، وكل الأحزاب السياسية ، وكل التنظيمات ، وكل القوى والشخصيات الوطنيـــة من أنصار السلام والديمقراطية والـــذين يوافقون ويؤيدون النضـــال المعـــادى للامريكيين ، بهدف بناء لاوس مسالمـــة ومستقلة ومحايدة وديمقراطية وموحـدة ومزدهرة .

● احترام العرش .

● توسيع وتدعيم كتلة التحالف النضالى بين الجبهة الوطنية للاوس والقـــوى الوطنية المحايدة .

● تحية وتأييد القـوى والشخصيات المختلفة ، من المثقفين والطلاب والضباط والجنود فى الجيش والبوليس ، والموظفين العاملين فى الادارات المدنية والعسكرية لحكومة فينتيان ، الذين يؤيدون النضال المعـــادى لامريكا من أجل الحـــرية والديمقراطية والعدالة .

● الاستعداد للتعاون بروح وعقـل متفتحين ، وعلى قدم المساواة ، مع كل القوى وكل الاشخاص الذين ينفصلون عن المنظمات التى يسيطر عليها الامريكيون وخدمهم ، لينضموا الى الجبهة الوطنية للاوس أو للقوى الوطنية المحايدة ، أو يوحدوا عملهم مع احدى هاتين القوتين بهـدف النضال ضد الامبرياليين الامريكيين وخدمهم .

النقطة الثانية :

● تحقيق المساواة فى كافة المجالات ، والتضامن والعون المتبادل بين مختلف القوميات بهدف النضال معا ضـــد الامريكيين من أجل الخلاص الوطنى وبناء حياة جديدة ملؤها السعادة المشتركة .

● القضاء على الكراهية والاحـكام المسبقة والازدراء والصراع الذى نشره الامبرياليون الامريكيون وخدمهم ، والقضاء تدريجيا على الهوة القائمة بين مختلف القوميات . كل القوميات ســواء فى الحقوق والواجبات فى كافة المجالات ، وعليها جميعا وبصفة خاصة واجب اقامة الوحدة بهدف النضال من أجل الخلاص الوطنى ضد الامبرياليين الامريكيين وخدمهم وأن يتعاونوا فيما بينهم ليتقدموا معـــا وليشيدوا معا وطنا موحدا .

● مساعدة مختلف القوميات بنشاط ، خاصة الاقليات القومية ، على تنميـة الاقتصاد القومى ، ونشر الثقافة وتحسين ظروف المعيشة المادية والروحيـــة ، والاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها الرائعـــة وبالاشكال السديدة لفنونها وآدابها ، ومساعدة مختلف القوميات ، خاصـــة الاقليات القومية ، على النضال ضـــد الامراض الضارة ، وعلى الحفاظ على النوع لكى يتاح لهم الاسهام فى زيادة عدد سكان الوطن .

● تدريب وتكوين عدد كبير من الكوادر ومن المثقفين من الاقليات القومية ، بهدف توفير الظروف التى تكفل لكل القوميات أن تحقق فى كل يوم تقدما جديدا ، وأن تسهم فى ادارة وتسيير الشئون الادارية والحكومية للبلاد .

النقطة الثالثة :

● احترام الدين البوذى والحفاظ عليه وتوحيد مختلف الاديان للاسهام فى تحقيق وحدة كل الشعب وفى دعم القـــوة الوطنية للمقاومة المعادية للامريكيين من أجل الخلاص الوطنى .

● مقاومة ومعارضـــة كل الدسائس المخربة والهادمة للامبرياليين الامريكيين وخدمهم ، ضد الديانة البوذية ، خاصة تحريفهم وتشويههم لمبـــادىء البوذية ، ومعارضة ومقاومة سيطرتهم على الكهنة الذين يجبرونهم على العمل فى سبيل غاياتهم الاجرامية ، ومعارضة تدنيسهم وانتهاكهم لحرمة المعابد البوذية والتى جعلوا منها أماكن للترويج لحضارة وثقافة منحرفـــة ومفسدة ، وعملهم على اشاعة الفرقـــة بين مختلف الطوائف البوذية . معارضة ومقاومة دسائس الامبرياليين الامريكيين وخدمهم التى تهدف الى بذر الشقاق بين مختلف الاديان .

● احترام الدين البوذى والحفاظ عليه ، والحفاظ على الطهارة والصراحة وعلى حرية ممارسة الكهنة لشعائرهم وقيامهم بالتبشير ، وصون المعـــابد البـــوذية ، ودعم الوحدة والعون المتبادل بين الكهنة البوذيين ، وكذلك بين أتبـــاع مختلف الطوائف البوذية ، ودعم وتقوية التضامن بين القسس وبين اتباع الاديان الاخرى .

النقطة الرابعة :

● ضمان الاحترام الكامل لحقوق السكان وحرياتهم الديمقراطية ، وتوفير الظروف التى تتيح لهم أن يطوروا كل يوم حقهم فى أن يكونوا سادة بلادهم ومصائرهم .

● ضمان حرية الانتخاب والترشيح لكل مواطنى لاوس من الجنسين ، وحرية عقد الجمعيات وتكوين الجماعات ، وحـــرية الاجتماع وحرية التظاهر ، وحرية الكلام وحرية الصحافة والنشر ، وحرية الاعتقاد وضمان حرمة الجسد لـــكل مواطن فى لاوس ، وحرمة أملاكه الخاصة ، وحرمة الاموال المنقولة والثابتة وسرية المراسلات وحرية الانتقال ، وحرية العمل وحرية السكن .

● مقـــاومة ومعارضة كل سياسات ومناورات خدم الامبرياليين الامريكيين ، التى تهدف الى اعتقـــال وسجن وقمع ونهب السكان ، خاصة سياسة التفرقة العنصرية والقمع والارهاب التى يمارسونها ضد المواطنين ، وسياسة تكديس واعتقال السكان بهدف انشاء ما يدعى « مراكز اللاجئين » وقرى الاتحاد ، ومنـــاطق التنمية » وغيرها ، وسياسة اجبـــار الناس على الانخراط فى الجيش لخدمة مناورات عدوان الامبرياليين الامريكيين ، ولحماية المصـــالح الشخصية لخـــدم الامريكيين واستئثارهم بالقدرات المـــادية والبشرية للشعب . المطالبة بتصـــفية كل « مراكز اللاجئين » وكذلك تصـــفية كافة أشكال الرقابة والتقييد على حريات الناس فيما يسمى « قرى الاتحـــاد ، ومناطق التنمية » وغـــيرها ، والتى تتناقض تماما مع مصالح الشـــعب . المطالبـــة باطـــلاق سراح الوطنيـــين المسجونين .

النقطة الخامسة :

● تحقيق المساواة بين الجنسين ، وتطوير دور وقدرات النساء فى كـــل مجالات النضال المعادى للامريكيين من أجل الخلاص الوطنى ، وفى بنـــاء البلاد .

● تحقيق المساواة بين الرجال والنساء فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وتشجيع ومساندة ومساعدة النساء على الاسهام فى مختلف نشاطات النضال من أجل الخلاص الوطنى وبناء البلاد ، وبذل اقصى اهتمام بحماية صحة النساء ، ووقاية النساء الحوامل ، والامهات المرضعات والاطفال .

● الغاء كافة المراسيم والقوانين التى تزدرى وتقهر النساء ومساعدة النســاء بصورة نشيطة وتشجيعهن بكل الطرق على التعليم الثقافى والسياسى وكذلـك فى دراستهن لمختلف الفروع المهنية الملائمة بهدف اتاحة الفرصة لهن للاسهام بجدارة فى النضال المعادى للامريكيين من أجل الخلاص الوطنى وبناء البلاد .

● بذل أقصى عناية بتدريب وتربيـــة الكوادر النسائية ، بما فيها كوادر الاقليات القومية ، بهدف تعبئة كل القوى النسائية فى العمل الثورى المشترك للامة جمعاء .

النقطة السادسة :

● تشكيل حكومة وطنية للاتحاد الوطنى تكفل السيادة الوطنية وتخدم مصـــالح الشعب .

● مقـــاومة ومعارضـــة اسـتيلاء الامبرياليين الامريكيين وخدمهم على الجهاز الادارى والحـــكومى لفينتيان ، والذى

حولوه الى جهاز لخدمة سياستهم الاستعمارية الجديدة العدوانية .

● تشكيل حكومة ديمقراطية للاتحاد الوطني ، تكون الممثل الحقيقي لمصالح شعبنا المتعدد القوميات بأسره وللاوس المستقلة ذات السيادة ، وتطبيق سياسة بناء البلاد عبر طريق السلام والاستقلال والحياد والديمقراطية والوحدة والازدهار

● انتخاب الهيئات الادارية على مستوى القرية والكوميون ، واختيار وتعيين الوطنيين الحقيقيين الذين نذروا أنفسهم للشعب في مختلف المستويات الادارية ، خدمة لمصالح الوطن والشعب .

● انتخاب برلمان حقيقي بالاقتراع الشامل ، ليمثل مصالح مختلف الفئات الاجتماعية لشعبنا المتعدد القوميات ، بمقتضى القانون الانتخابي الصادر في ١٩٥٧ .

● تعليم العاملين في الحكومة وبصفة منتظمة حب الوطن والارتباط بالشعب ، وروح المسئولية ، وكذلك تدريبهم على التخصصات المطلوبة في عملهم في كل المستويات والمصالح . ابادة واستئصال كافة أنواع سلب أموال الدولة واختلاسها ، وكل استبداد للسلطة ، وكذلك كافة أعمال القهر والاستغلال .

النقطة السابعة :

● انشاء قوات مسلحة وقوات أمن وطنية وشعبية حقا ، قادرة على الدفاع عن الوطن وعن أمن الشعب وسلامته .

● مقاومة ومعارضة وضع الامبرياليين الامريكيين وخدمهم لايديهم على القوات المسلحة وقوات البوليس في فيانتيان ، والتي حولوها الى قوات مرتزقة واداة للعدوان ضد بلادنا ، ومعارضة ومقاومة انشاء واحداث عصابات الكوماندوز « القوات الخاصة » التي تستخدم في نشر الاضطراب والنهب في صفوف شعبنا .

● انشاء قوات مسلحة وطنية مشكلة من قوات نظامية ، وفرق اقليمية ، وميليشيا ، وفرق « حرب العصابات » وقوات بوليس شعبي ، تنذر نفسها لخدمة الوطن ، وتحوز قوة قتالية كبيرة ، وتستطيع انجاز مهمتها في تحقيق الخلاص الوطني والدفاع عن البلاد .

● تعليم كوادر ومقاتلي القوات المسلحة وقوات البوليس حب الوطن والارتباط بالشعب ، وروح النظام وخدمة الشعب بطريقة منتظمة . السهر والاعتناء بالتدريب التكنيكي والتكتيكي وبالتثقيف للكوادر والمقاتلين وكذلك بظروف معيشتهم المادية والمعنوية ، والعناية بالجرحى ومشوهي الحرب ومساعدة اسر من جادوا بحياتهم.

النقطة الثامنة :

● اقامة وتطوير اقتصاد ومالية قوميين ومستقلين ، وتحسين مستوى معيشة الشعب وتحقيق ازدهار وتقدم بلادنا خطوة فخطوة .

● الغاء كافة أشكال التدخل والتقييد والاجبار التي يمارسها الامبرياليون الامريكيون ، وبصفة كافة اشكال الاحتكار والاستغلال الاقتصادي التي تقوم بها السلطات وخدم الامريكيين . الغاء نظام الاستيلاء على الاراضي والمياه والغابات وكذلك مخلفات نظـم « كوانج لام » [شكل من اشكال الاستغلال الاقطاعي] والقيام بحملة لتخفيض ايجارات الاراضي واسعار استئجار المواشي ومعدلات الفائدة .

● اقامة اقتصاد ومالية مستقلين ومزدهرين ، يشملان الصناعة والزراعة والغابات والتجارة والنقل والمواصلات والخزانة والعملة ، على اساس من تنمية الطاقات الكامنة لثرواتنا الطبيعية وبروح « الاكتفاء ذاتيا اعتمادا على قوانا الخاصة » ، في محاذاة البحث عن مساعدة خارجية لاتقترن بشروط سياسية ، بهدف سد احتياجات تحسين مستوى معيشة شعبنا وبناء بلادنا .

● تطوير الزراعة والغابات بثبات واستمرار ، وعلى الدولة ان تتيح للناس وان تساعدهم على البدء في تطوير الري الزراعي ، وتطوير اساليب الزراعة وتربية الماشية ، واستغلال منتجات الغابات مع حماية هذه الاخيرة ، ومساعدة الاقليات القومية في المناطق الجبلية على الاستقرار في أكثر المناطق ملاءمة لتطوير واستقرار الانتاج الزراعي .

● اقامة وتطوير الصناعة بصورة نشيطة ، وانهاض المهن الحرفية من عثارها وتوسيع نطاقها ، باستخدام الاشكال الثلاثة التالية : مشروعات الدولة ، وتشجيع المشروعات الخاصة او المختلطة .

● تطوير وتنمية التجارة الداخلية في محاذاة تطوير التجارة الخارجية ، وعلى الدولة تنظيم تداول وتوزيع السلع ، وتشجيع ومساعدة تجار القطاع الخاص ، خاصة في توسيع نطاق التجارة ومده الى الاماكن النائية والمتطرفة ، وفي نفس الوقت تطبيق سياسة جمركية سليمة وتنظيم التجارة الخارجية .

● اقامة اقتصاد ومالية مستقرين وعملة مستقلة ، وتطبيق سياسة عادلة ومعقولة للضرائب ، وسياسة توفير حازمة وسياسة سليمة للاسعار تتيح تحسين وتشجيع الانتاج ، وضمان تنفيذ ميزانية الدولة بما يكفل لها المساهمة في تحسين ظروف معيشة الشعب .

● تطوير طرق النقل والمواصلات في كل البلاد ، وبصفة خاصة زيادة انشاء الطرق وتوفير وسائل النقل في المناطق الجبلية . وعلى الدولة ان تستثمر وان تشجع المشروعات الخاصة على تنمية وتطوير النقل والمواصلات لتسهيل انتقال السكان وحفز الانشطة الاقتصادية والثقافية .

النقطة التاسعة :

● تطوير ثقافة وتعليم لهما طابع وطني وتقدمي ، ورفع المستوى الثقافي والعلمي وتطوير الصحة العامة وتحسين الحالة الصحية للسكان .

● النضال ضد الثقافة المنحرفة والمفسدة غير الاصيلة وضد التعليم المسموم ، الذي يهدف الى خدمة السياسة الاستعمارية الجديدة للامبرياليين الامريكيين

● حفز حركة تعليم الاميين بهدف الاستئصال التدريجي للامية بين السكان واقامة وتطوير مدارس التعليم الابتدائي والثانوي ، وافتتاح وتطوير المدارس التكنيكية والمهنية وانشاء مختلف فروع التعليم العالي خطوة بعد اخرى ، ووضع المواد والبرامج ذات الطابع الوطني والتقدمي على ان يكون التعليم بلغة لاوس في كل المراحل وفي كل الفروع ، وتوجيه التلاميذ والطلاب الذين يدرسون بالخارج وبصورة صائبة ليصبحوا عناصر صالحة قادرة بدورها على خدمة الوطن.

● تطوير أدب وفن لهما طابع وطني تقدمي ، والحفاظ على العادات والتقاليد الرائعة للاوس وكذلك على الاثار التاريخية لمختلف القوميات . والقيام بحملة لبناء حياة جديدة . ومساعدة بعض القوميات على خلق لغتها الخاصة المكتوبة مع ترويج ونشر لغة لاوس القومية بصورة نشيطة وشاملة . ومساعدة المثقفين والفنانين ورجال الادب على تطوير ملكاتهم وطاقاتهم لخدمة الوطن والشعب .

● تدريب وتثقيف الكادر الصحي ، في محاذاة اقامة نظام من المستشفيات والمستوصفات ، ودور رعاية الامومة ومراكز توزيع الادوية يصل حتى اقصى الاماكن النائية .

● القيام بحملة لتطوير حركة الوقاية الصحية ، والحماية الطبية ، والنضال ضد الاوبئة ، والتعليم الطبي والرياضة وفي نفس الوقت ، السيطرة على بعض الامراض الخطيرة [كالملاريا ، والزهري والبرص ، ووفيات الاطفال] ، وذلك للحفاظ على الجنس وزيادة عدد سكان البلاد .

النقطة العاشرة :

ضمان حقوق ومصالح الشعب ، والسهر بوعي ويقظة على ظروف معيشته ، ومساعدة ضحايا مختلف

الحوادث والكوارث ، وتحقيق العدالة والتقدم الاجتماعي .

● السهر على تمكين فلاحي مختلف القوميات من زراعة اراضيهم « مزارع الارز » وتقديم المساعدات من ادوات الحراثة وغيرها الى الفلاحين الفقراء والمعدمين ، وتقديم العون والارشاد لكل الفلاحين فيما يتعلق بزيادة الانتاج والارتقاء الثقافي ورفع مستوى المعيشة .

● كفالة حقوق العمل للعمال وللطبقة العاملة في المراكز الحضرية . ويتعين بالنسبة للعمال بصفة خاصة ، اصدار قانون العمل وتطبيق نظام للضمان والتأمين الاجتماعي ، وقبل كل شيء وضع نظام عادل للاجور ، وتقرير يوم عمل ذي ثماني ساعات ويوم راحة اسبوعية .

● زيادة وتطوير دور وموقف الشباب من الجنسين في النضال من أجل التحرر الوطني وبناء الوطن . وبذل اقصى اهتمام لضمان حقوق ومصالح الشباب من الجنسين في كافة المجالات ، حتى يستطيع ان يبذل كل جهوده ويقدم كل طاقاته في انجاز مهامه في خدمة الوطن والشعب

● تحديد عمل مناسب للموظفين والكوادر والمستخدمين لدى الدولة كما في المشروعات الخاصة ، وزيادة قدراتهم الثقافية والمهنية باستمرار ، ووضع نظام عادل للاجور .

● توفير العمل للضباط ورجال القوات المسلحة الذين تركوا الجيش ليتاح لهم ضمان حياتهم .

● القضاء على خطر القحط الذي يهدد بعض الاقاليم وتطوير العون المتبادل بين مختلف القوميات ، وفي الوقت نفسه على الدولة تنظيم الرعاية الاجتماعية لمساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية والقحط وبصفة خاصة ضحايا الحرب .

● بذل الرعاية والعون لضحايا الامراض الاجتماعية ، واتخاذ الاجراءات الوقائية الملائمة ضد الرذائل الاجتماعية ، اعادة تربية الاشخاص الذين اصيبوا بعدوى الثقافة المنحرفة ، ومساعدتهم على ان يكسبوا عيشهم ، وعلى العودة الى الطريق السوي والاسهام في بناء الوطن

النقطة الحادية عشرة :

● حماية مصالح مواطني لاوس في الخارج وضمان الحقوق المشروعة للرعايا الاجانب الذين يقطنون لاوس .

● حماية مصالح مواطني لاوس في الخارج من اي اذلال او قهر ، وضد اي مصادرة ليس لها ما يبررها .

● معاملة كل الرعايا الاجانب الذين يحترمون سيادة لاوس معاملة شريفة وعادلة ، وتوفير الحماية لمصالحهم المشروعة ، وتقديم العون والمساعدة لهم في حالة تعرضهم للصعاب ، وتقديم الشكر والعرفان لهم لمساهمتهم المحمودة في اقامة علاقات الصداقة مع بلادنا ومساهمتهم في الدفاع عن لاوس وبنائها .

النقطة الثانية عشرة :

● اتباع سياسة خارجية محبة للسلام ، مستقلة ومحايدة ، اقامة علاقات التضامن والصداقة مع الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدل في العالم .

● مقاومة وهزيمة كل محاولات التدخل والعدوان على بلادنا بكافة صورها ، من قبل الامبرياليين الامريكيين وقوى العدوان الاخرى .

● اتباع سياسة خارجية مستقلة تهدف الى صون السيادة الوطنية والاستقلال والوحدة والتكامل لاراضي لاوس .

● التعايش سلميا وفي اطار الصداقة واقامة علاقات دبلوماسية مع كل البلدان التي تلتزم باحترام استقلال وسيادة وتكامل اراضي لاوس .

● تدعيم وتقوية التضامن والصداقة والتعاون على قدم المساواة على المدى الطويل مع الامة الفيتنامية وأمة خمير* في النضال المشترك ضد الامبرياليين الامريكيين المعتدين من اجل الخلاص الوطني ، وصون الاستقلال والسيادة القومية وبناء الوطن .

● قبول المساعدات غير المقرونة بشروط من كافة البلدان دون تمييز بسبب نظامها السياسي والاجتماعي ، وفق مبدأ المساواة والفائدة المتبادلة .

● الاحترام والتطبيق الدقيق لاتفاقيات جنيف حول لاوس والمعقودة في ١٩٥٤ و ١٩٦٢ ، واحترام المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع كل البلدان والتي تتفق مع مصالح لاوس .

● الغاء كافة النصوص في المعاهدات التي لا تتفق مع مصالح امة لاوس .

● الابتعاد عن الاشتراك في اي احلاف عسكرية ، وعدم السماح لاي بلد باقامة قواعد عسكرية اجنبية على اراضي لاوس او استخدام اراضيها في العدوان على بلد آخر وعدم الاعتراف بحماية اي كتلة او تحالف عسكري عدواني .

● تدعيم التضامن والصداقة مع كل الشعوب المحبة للسلام في العالم . ومساندة ودعم حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

● مساندة وتدعيم كل حركات النضال من اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي لشعوب العالم .

ان الاهداف السياسية والسياسات الاثنتي عشرة الكبيرة المذكورة عاليه، تتفق تماما مع التطلعات الوطنية وتحمي وتصون بصورة كاملة مصالح الوطن ومصالح كل الفئات والقوميات في شعب لاوس بأسره .

والجبهة الوطنية للاوس تدعو كل الموظفين والكوادر والمثقفين في كافة الهيئات وتهيب بكل القوات والجيوش ، وكل فئات شعبنا المتعدد القوميات ، وتدعو كافة الشخصيات الوطنية والمحبة للسلام ، الى تدعيم التضامن فيما بينهم للنضال بحزم لاجبار الامبرياليين الامريكيين على وقف كافة اعمال التدخل والعدوان ضد بلادنا ، وسحب المستشارين والعسكريين والاسلحة ومعدات الحرب الى خارج لاوس وترك شعب لاوس يعيش حياة ملؤها السلام وبناء البلاد في طريق السلام والاستقلال والحياد والديمقراطية والوحدة والازدهار .

وطالما ان الامبرياليين الامريكيين وخدمهم لم يتخلوا بعد عن رغبتهم في العدوان والخيانة الوطنية ، وطالما استمروا في تخريب سلام واستقلال وديمقراطية ووحدة لاوس واصروا على سد الطريق امام تحقيق الاهداف والسياسات المذكورة آنفا على النطاق الوطني . فاننا مصممون جميعا بثبات وحزم على تدعيم التضامن الوطني فيما بيننا وجعله اشد قوة وتماسكا ، للنضال من اجل وتدعيم المنطقة المحررة وجعلها قاعدة ونقطة انطلاق اشد قوة وبأسا ، لتحطيم مناورات الامبرياليين الخبيثة وتحقيق النصر الكامل عليهم .

ان الجبهة الوطنية للاوس تدعو كافة الشعوب والحكومات المحبة للسلام والعدل في العالم ان يساندوا بنشاط النضال العادل لشعب لاوس ، وتهيب بهم ان يتخذوا الاجراءات اللازمة لوضع حد لكل اعمال التدخل والعدوان التي يقترفها الامبرياليون الامريكيون في لاوس ، لكي يتركوا لشعب لاوس يقرر بنفسه شئونه الداخلية الخاصة .

ان النضال العادل لشعب لاوس الذي يحظى بتأييد ودعم نشيط من الشعوب المحبة للسلام والعدالة ، سينتصر بكل تأكيد !

كما ان البرنامج السياسي للجبهة الوطنية سيتحقق حتما لاشك في ذلك !

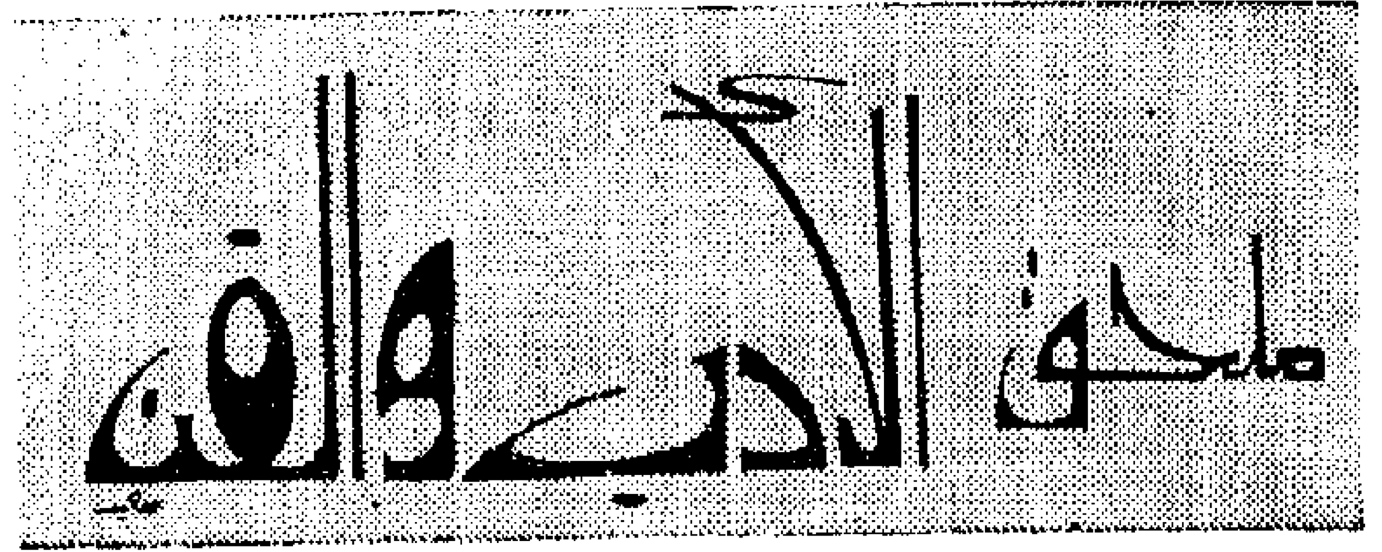
وعلى شعب لاوس ان يوحد صفوفه وقواه ليناضل بحزم ضد الامريكيين ، من اجل الخلاص الوطني وبناء لاوس محبة للسلام ومستقلة ومحايدة وديمقراطية وموحدة ومزدهرة ! .

---

* كمبوديا .

خوفاً من غد لا نريده
«رسالة بغداد»

الطليعة



العدد السادس — يونية ١٩٧٢

أدب الستينات (الحلقة الثانية)

٣ تعليقات زرقاء اليمامة على جبين العصر

٤ الوجه .. والقناع

يشرف على التحـــرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شـــكرى
ســـمير فريـــد
صـــبرى حافظ



صلاح عبد الصبور



أحمد حجازى

فى هــذا العــدد



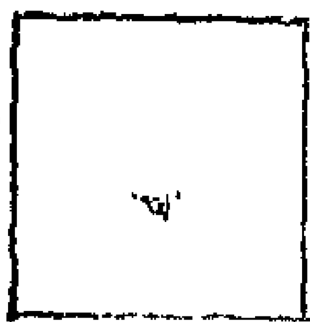
أدب الستينات

يواصل

الملحق فى هـــذا العـــدد دراسته التى بدأها فى العدد الماضى عن جيل الستينات ·· وهى دراسة تستهدف اكتشاف رؤى وتصورات هذا الجيل الجديد الذى قطع رحلته مـــع المعرفة والتكوين خلال الخمسينات ، ثم حاول مع بدايات الستينات أن يطرح معاناته ورؤاه فى أعمال متفرقة يتحسس من خلالها الطريق لاستكناه الذات القومية ·· فلما تجاوز منتصف الستينات أخذ يجمع هذه الاعمال المتفرقات فى دواوين شعرية أو مجموعات قصصية ، تطرح على أفق الادب المصرى استجابات جيل جـديد للحساسية الجديدة التى تخلقت خلال رحلة حلم الشخصية المصرية بالاستقلال وهو يجابه مشكلات التحقق ·

ويهدف الملحق من خلال هذه الدراسة الى تقديم رؤى هذا الجيل بـدراسته لاعمال « عينة » ممثلة لاغلب تيـاراته ومبلورة لاهم رؤاه وأبرز انجـازاته ، بدراسة تحليلية تؤمن بأن الادب مصدر من مصادر الحقيقة وشاهد رائع على النبض العميق للخطة الحضارية التى يصدر عنها · وتستطيع لذلك أن تستخلص منه صورة لملامح الشخصية المصرية فى هذه المرحلة الهامة من تاريخها وأن تتعرف على صبواتها وهمومها وأن تستشرف مستقبلها ·

واذا كانت هذه الدراسة قد قدمت فى عددها السابق تناولا نقديا لاعمال الشاعر محمد عفيفى مطر والقصاص يحيى الطاهر عبد الله فانها تقدم فى هذا العدد دراسة لاعمال الشاعر أمل دنقل والقصاص جمال الغيطانى لتضيف من خلالهما مجموعة جديدة من الملامح والابعاد للصورة العامة لرؤى هذا الجيل وانجازاته ، ولنستكمل بعدها الرحلة فى بقية أجزاء هذه الدراسة فى الاعداد القادمة .



ايتهـــا النبيـــة المقدســـة · ·
لا تســكتى · · فقـد سـكت سـنة فسنة
لكى أنال فضله الامان
قيـل لى « اخـرس »
فخرست · · وعميت ·· وائتممت بالخصيان

« أمل دنقل »



تعليقـات زرقـاء اليمـامة على جبـين العصـر

غـالى شـكرى

ما أيسر أن نقرأ شعره ونردده ونلتذ به أحيانا ، ولكننا ما لم نغض البصر عن صوره المثيرة ونلوى الاذن عن موسيقاه العذبة لن نحصد أنضج الثمار المخبوءة فى ثنايا اللفظة الطازجة وطوايا اللحظة العابرة · ان أمل دنقل شاعر خادع للوهلة الاولى ـ التى يتوقف عندها للاسف القطاع العريض من القراء والنقاد ـ فهو يبهرك بمجموعة ماثلة من التوابل الجاذبة للحواس الخمس ، ولكنك لو نجوت بعينك من الاحداث الحريفة التى اختارها ميدانا لابداعه الفنى لاستطعت أن تجتنى ما هو أروع من أزمة الضمير والاحساس بالذنب وغيرها من المشاعر التى يهلل لها البعض كلما قرأوه ، وهم بذلك يظلمون الشعر والشاعر ولا ينصفون أنفسهم من الوهج الذى يوقعهم فى المصيدة والغشاوة التى تجرهم الى الشباك ·· عنيت مصيدة المشاركة السطحية والتلقى الساذج · انها شعرة رفيعة حقا ، تلك التى تفصل شعر أمل دنقل فى غالبيته عن « نظم » النواح الحزيرانى المزيف ، ولكن تبين هذه الشعره والامساك بها هو الذى يحول بيننا وبين السقوط فى الفخ المنصوب سلفا ·· سواء من طريقة بناء الشاعر لرؤياه ، أو من طبيعة المناخ الذى يظلل حياتنا بغمامة ثقيلة لا تمطر ، أو من شدة اسرافنا فى استعذاب الالم على أيدى أشباه الشعراء ·

وطريقة الشاعر فى بناء رؤياه هى المدار الذى سنتحرك حواليه برفقة ديوانى أمل دنقل « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » (١) و « تعليق على ماحدث » (٢) ولعلنا لا نجانب الصواب اذا قلنا أن « التجربة » فى هذا الشعر من عناصره البارزة ، أى أنها من العوامل التى وجهت الشاعر نحو هذا الافق دون ذاك من آفاق الرؤيا الحديثة . والتجربة التى أركز عليها هنا لاعلاقة لها بما اعتدنا تسميته «القضية» او «الموضوع» ، وانما هى وثيقة الارتباط بالنسيج الذى تتشابك خيوطه من دورة الفن والحياة ، وهى الدورة السابقة على الابداع الفنى مباشرة وفيها تتلاقى جدليا كل ماندعوه بعناصر الموهبة والثقافة والبيئة والوراثة والتكوين النفسى والانتماء الاجتماعى . على ذلك أقول أن تجربة أمل دنقل تكاد تكون نقيضا لكلمات الانجيل فى معايرة اليهود « أن الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية » اشارة الى موقفهم من المسيح ، موقف الرفض الذى تطرف بهم واستدرجهم الى صلبه ، ولكن ها هو ذا يقوم من بين الاموات صاعدا الى أبيه الذى فى السماء ، وهاهى دعوته تبقى من بعده يلتف حولها المؤمنون رغم الاهوال حتى ليصبح اسمه شاهدا تاريخيا على ظلم أولئك الذين رفضوه . تجربة شاعرنا المعاصر تقف على الطرف النقيض من تجربة هذه الاسطورةالشعرية القديمة ، لان الحجر الذى رفضه البناءون — فى عصرنا الحديث كما يراه أمل دنقل — لم يصبح حجر الزاوية ، وانما ظل حجرا فقط منذ أصابته عينا ميدوزا بنظرتها السحرية ومنذ تحولت امرأة لوط الى عمود من الملح . الانسان « المرفوض » هو تجربة الشاعر حقا ، ولكن دون ذلك التفاؤل الخفى الذى قد يداعب المرفوض يوما بأن يصير أكرم الاحجار فى رأس الزاوية .

هذه التجربة هى التى وجهت الشاعر نحو افق محدد فى الزمان والمكان من آفاق الرؤيا الشعرية الحديثة . هذا الافق هو الترحل خارج الذات فى الفضاء المحيط بها ، وهو الفضاء الذى ينعكس مناخه — غياب الحرية — على الذات فتقيم حوارا مع العالم ، ولكنها تضع لهذا الحوار نقطة الانطلاق ونقطة الختام . لذلك كان حوار أمل دنقل فى جوهره حوارا مقطوعا ، يتناقض خلاله الحس الغنائى الذى تجسده الانا مع الحس الدرامى الذى يجسده الاخر . ولان الواقع الخارجى هو دنيا الشاعر ، فان أصوات هذا الواقع تتعدد تعددا مذهلا يكاد يجعله أغنى شعرائنا بالاصوات المتباينة ، ولان الواقع الخارجى هو دنيا الشاعر مرة ثانية ، فان صوره تخضع لشبح



امل دنقــل

انسجام العلاقات بينها انسجاما بصريا وسمعيا تعرفه الطبيعة وراء كل فوضى وعشوائية .

اصوات لها تاريخ

بالرغم من أن العلاقة الجدلية بين الرافض والمرفوض حلقتها الرئيسية هى الرفض ، فانه ليس من المحتم لهذه العلاقة أن تتناسب طرديا أو عكسيا بصورة جبرية . غير أننا على صعيد الجمال نتلمس اختلافاواضحا بين تجربة الرافض وتجربة المرفوض ، أيا كانت الاسباب التى تربط بينهما سلبا وايجابا . ولربما كانت تجربة المرفوض التى يتناولها شعر أمل دنقل بالتجسيد الفنى أكثر أو أقل دلالة على ماهية الرفض ، ولكن ما يعنينى هنا هو مدى وفاء الشاعر بالتزاماته الفنية نحو هذه التجربة التى اختارها — وعاشها ؟ — دون غيرها . اننا نصادف فى المقطع السادس من «يوميات كهل صغير السن» (٣) ذلك الذى يطرق باب صديقه فى منتصف الليل « كل الابواب ، العلوية والسفلية تفتح الا .. بابه » وكذلك فى المقطع الاول من « حكاية المدينة الفضية » (٤) يطرق باب المدينة يطلب ظلا «قيل كلا » . ربما كانت هاتان هما الصورتان المباشرتان لوضع « المرفوض » فى شعر أمل دنقل ، ولكن هذا الوضع يتخذ عديدا من الصور على طول هذا الشعر تتركز عادة فى « انعكاس » فعل الرفض على ذات المرفوض وتفاعلهما ، على غير النحو الذى كان يمكن أن تؤدى اليه تجربة « الرافض » حيث ينفرد صوته ويتضخم وتسيطر على أفقه موضوعات الرفض فى هيئتها المجردة ورؤاها الشيئية الطافية على سطح الواقع وايقاعها العالى الرنين غير المتصل بالنغمات الدفينة فى عمق الاعماق . شاعرنا يجسد « وقع » الرفض على الذات بغير انفصال عن الموضوع ، لذلك يقيم حوارا مع العالم ، تتعدد الاصوات فى شعره دون أن يفقد صوته ، حتى ولو كان هذا الصوت صمتا بين صوتين ، انه « حاضر » حتى فى غيابه . ولان « الذات » محور رئيسى فى قصيدة أمل دنقل فانها تجىء فى الاغلب قصيدة غنائية ، ولكن تعدد الاصوات فى عالمها يتحول بها من البساطة الى التركيب ، يتحول بها الى الدرامية ، ويزيد من قدرة الشاعر على الانسلاخ عن ذاتيته — لا عن ذاته — خلال عملية الخلق .. هكذا تتمتع قصائده بقدر من الموضوعية الفنية من شأنها تقليب الظاهرة موضع الرفض على كافة الوجوه ، والابتعاد — من ثم — عن النظرة الاحادية الجانب . هكذا ايضا يؤدى تعدد الاصوات بالضرورة الى تعدد الصور من مقطع الى آخر فى القصيدة الواحدة حسب الزاوية التى يرى منها الصوت المتكلم ، للدرجة التى يبدو فيها كل مقطع وكأنه قصيدة واحدة .. وهنا يبدأ الصوت الرئيسى دوره كخيط واحد ينتظم هذه الاصوات والصور جميعها فى نسق واحدهو الايقاع الشامل للقصيدة . ولان هذه الاصوات فى شعر أمل دنقل هى أصوات « الخارج » الذى تقيم معه الذات حوارها ، فهى أصوات واضحة ومتميزة ، انها ليست مرايا خارجية لصوت الشاعر الداخلى ، وانما هى أصوات مستقلة متكاملة الملامح والسمات ، لهذا فهى ليست أقنعة وان تبدت لنا فى شكلها ، كما أنها ليست أخيلة حلم فى اليقظة او المنام وان تشكلت أحيانا بوحى من فن الكاريكاتير أو من نسيج الكابوس (٥) . ولان الصورة فى شعر أمل دنقل تابعة فنيا لمصادرها الصوتية ، فاننا نلاحظ على كل صورة بمفردها بكل مقطع على حدة انسجاما يكاد يكون منطقيا ، يتسلسل عبر حدوته مروية بضمير الصوت المتكلم او الغائب أو المخاطب . زمن القصيدة له كينونته المستقلة اراديا عن ازمنة الاصوات التى تتحرك داخلها ، بل اود ان أقول ان حركة القصيدة تغاير حركة هذا الصوت أو ذاك ، انها حركة الوعى الذى يتولد خلال تلقينا للقصيدة كلمة كلمة ، وزمن القصيدة لذلك هو هذا التفاعل غير المرئى بين تكوين القصيدة والتجربة التى يتناولها الشاعر بالتجسيد . وتجربة الانسان المرفوض ، على شمولها ، هى

---

[١] صدرت طبعته الاولى عام ١٩٦٩ عن دار الاداب اللبنانية — بيروت .
[٢] صدرت طبعته الاولى عام ١٩٧١ عن دار العودة البيروتية .
[٣] من « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » .
[٤] من « تعليق على ما حدث » .
(٥) لا أقصد بالكابوس هنا ذلك النسيج الحلمى غير المترابط ، فالشاعر لا يستخدمه بهذا المعنى فى « بناء » قصيدته وانما هو يلجأ الى ما يثيره اللفظ من ايحاء الرعب المتواصل عبر الليل والنهار .

تجربة زمنية ، لا جدوى من اغفال « التوقيت » بين عناصرها الهامة • ولكن هذا لايعني مطلقا ان أمل دنقل يكتب مادرجنا على تسميته بشعر المناسبات (٦) • كذلك « النظم » الذي كتبه غيره غداة الهزيمة ، وانما المناسبة في شعره « حدث » يتصل أوثق الاتصال بتجربته وتجربة عصره العربي الحزين • غير أن هذا الحدث ، مهما كانت عظمته ، يحدد للقصيدة دائرة لا تتجاوزها ، ولا يعني هذا مرة أخرى أن الاثر العام للقصيدة مهدد بحدود هذه الدائرة • ان هذا الاثر يعتمد ـ قوة وضعفا ـ على المدى الذي تصل اليه بصيرة الشاعر ، أي على طبيعة الرؤيا التي ولدتها تجربته ، وطريقة بنائها •• وفي شعرنا المعاصر نعرف عددا من الشعراء « يتكلمون » عن المطلق والميتافيزيقا « كلاما » لا يتعدى اثره مجال دائرته اللفظية المحنطة ، كما نعرف عددا آخر من الشعراء الذين ينطلقون في شعرهم من حوادث جزئية ، مادية ومحسوسة ، ولكن اثرهم يتجاوز تلك الدائرة الضيقة الى آفاق أكثر رحابة وعمقا • وليس ذلك بالطبع قانونا ، فالعكس صحيح أيضا • بل ان مخاطر التعامل الشعري مع الحوادث العابرة هي الاكثر رجحانا • ومن هنا كانت الاهمية البالغة للتأكيد على أن شعر أمل دنقل في أغلبه الاعم قد نجا من هذا المزلق الخطر •

والاصوات التي يموج بها عالم الشاعر لها تاريخ ، ليست كلها بهذا المعنى اصواتا « تاريخية » وانما قصدت ان لها تراثا مع تجربة « المرفوض » عبر التاريخ الانساني عامة وتاريخنا القومي خاصة والتاريخ الشخصي على وجه أكثر خصوصية • ان أمل دنقل لا يحدثنا عن المرفوضين ، وانما هو يحدثنا عن نفسه بصفته واحدا منهم • هكذا تكتسب القصيدة في شعره بعدها العام من خلال ذلك الجدل الدائر بينه وبين خمسين اسما اسطوريا وواقعيا ، قديما وحديثا ، معروفا ومجهولا • وهي اسماء قد يجيء ذكرها عابرا وقد يجيء عنوانا فحسب وقد يجيء على شكل تعويذة أو على هيئة اللعنة أو من قبيل الارهاب أو الغواية او العشق • والحوار مع هذه الاسماء يتشكل وفق البنية الخاصة لكل قصيدة ، فهو حينا مناجاة أشبه بالصلاة ، وهو أحيانا مقاضاة أشبه بالادعاء ، تارة يعلو الصوت من فوق مئذنة وتارة ينخفض كأنه حساب الملكين في جوف مقبرة او هو يستتر بالهمس السحري كما في طقوس العبادات القديمة ، أو يندغم في غيره من الاصوات الملتهبة في مظاهره ، هو طائر يغني « صولو » وكورس يعلق عليه دون آن يراه ، هو سؤال وجواب او سؤال يجيب على سؤال أو جواب يسال الجواب • هذه الاسماء هي دون ترتيب خاص « مازن جودت أبو غزالة ـ سبارتاكوس الاسكندر ـ سيزيف ـ قيصر ـ هانيبال ـ الشيطان ـ الحسين ـ الحجاج ـ ابن سلول ـ زرقاء اليمامة ـ سليمان ـ زياد بن أبية ـ المعدان ـ بنلوب ـ أحمس ـ أوزوريس ـ هاتور ـ ايزيس ـ يوسف ـ زليخا ـ العزيز ـ أبو موسى الاشعري ـ المتنبي ـ كافور ـ سيف الدولة ـ خوله رجاء ـ أدهم ـ هيلانة ـ الله (أو الرب) ـ الحسن الاعصم ـ قطر الندى ـ خمارويه ـ أم كلثوم ـ رباب ـ شهر زاد ـ شهريار ـ مسرور ـ الشاه ـ ابن هند ـ الخنساء ـ أسماء ـ شجرة الدر ـ نجم الدين ـ لويس التاسع ـ صبيح ـ صلاح الدين ـ عبدالناصر ـ ابو الهول » ، ان هذه « الشخصيات » الخمسين لا ترادف عدد الاصوات التي تضطرم بها دنيا الشاعر او تجربة المرفوض ، فبعضها مجرد ظلال لشخصيات لا يأتي ذكرها علنا ، وبعضها الاخر يتكامل صوته مع الحدث والمكان والصورة والايقاع وغير ذلك من أدوات تجسيم «الحضور» • وانما هذه الاسماء مجرد اشارات الى مصادر الاصوات التي يحاورها الشاعر من موقع اللحظة التاريخية التي يعيشها في اطار تجربة « الرفض » • بعض هذه الاصوات يقف موقف الشاعر والبعض الاخر يقف على الطرف النقيض ، والبعض الذي يقف معه لا يصدر بالضرورة في وقفته عن نفس الالهام الذي يدفع الشاعر الى الرفض •

وتعدد الاصوات في شعر أمل دنقل يتخذ أشكالا أربعة رئيسية هي الحوار والاقنعة والتضمين والاستعارات التراثية • وتتخذ هذه الاشكال بدورها ستة أوضاع رئيسية هي : ● صوت من الداخل وآخر من الخارج في وقت واحد ● صوت من الامام والاخر من الخلف وثالث بينهما صامت • ● صوتان على جانبي صوت صامت ● صوت لغير الشاعر يتقمص لسانه وينطق به ● صوت رئيسي وأصوات ثانوية ● أصوات مدغومة تلهج في وقت واحد كسكان برج بابل • والعلاقة الجدلية بين أحد الاشكال الاربعة لتعدد الاصوات وبين أحد الاوضاع الستة التي يتخذها الصوت هي التي تحدد لنا حركة القصيدة ، زمنها الداخلي • هذا الزمن العاكس لطبيعة التجربة ومكوناتها الاساسية •

الرفض : لماذا وكيف ؟

في « بكائية ليلية » (٧) يتوحد الهدف بين صوت الشهيد وصوت الشاعر ، موت الاول كان جوابا على سؤال العمر الذي عاشاه معا ، رصاصته كانت سؤالا اجاب عليه الصوت الثاني بسؤال جديد :

« أسقط في عاري بلا حراك

أسأل أن كانت هنا الرصاصة الاولى ؟

أم أنها هناك ؟! »

هكذا تولد التناقض رغم وحدة الهدف ، وهما صوتان مستقلان ، ولكن احدهما ينبع من الداخل والاخر من الخارج ، بينهما « حوار » ولكنه حوار النقائض ، وهو في صميمه حوار مقطوع باستشهاد الصوت الاول وحيرة النبي الصارخ في البرية • كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٦٨ ولكنه قبل ذلك بست سنوات كان صوت شهيد آخر هو سبارتاكوس يتقمص صوته على نحو يضيء لنا حيرته وعذابه • ان وضوح الهدف البعيد قد يفضي الى الشهادة ولكنه بالقطع ليس حلا جاهزا او ضربا من المعجزات • انه في « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » [٨] يجسد لنا نيجاتيف الصوت ان جاز التعبير ، فهذه الكلمات تعلم ابنه «الانحناء» ، وهو هنا يستعير من الانجيل تطويب المسيح للودعاء لانهم يرثون الارض • ويضيف ما يقلب الاية فيما يشبه المعارضة الشعرية « لانهم لا يشنقون » • ان صوت سبارتاكوس الحقيقي هو القائل :

« معلق انا على مشانق الصباح

وجبهتي ـ بالموت ـ محنية

لانني لم أحنها •• حية !

وحين يصل بنا الشاعر الى « قرطاجة » التي كانت ضمير الشمس وتعلمت الان معنى الركوع ، نستبعد روما من خيالنا ويحل « الوطن » مكانها ، ويتلاشى تقمص الصوت القديم ليحل مكانه الصوت الجديد :

« فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد !

وخلف كل ثائر يموت : أحزان

بلا جدوى •• ودمعة سدى ! »

هذان الصوتان لابي غزالة وسبارتاكوس يفرقان بين ميدانين للنضال من اجل الحرية : أحدهما يقول بحرية الحدود والاخر بحرية الانسان ، وكلاهما يبلغ به وضوح الهدف درجة الاستشهاد ،

---

(٦) هذه التسمية تحتاج الى مراجعة شاملة ، فاذا كان المقصود هو ذلك « النظم » الذي غرق فيه جانب كبير من الشعر العربي ويتميز بقدرته الخارقة على الزوال السريع ، فان هذا ليس شعرا ، اما اذا كانت « المناسبة » هي الدافع النفسي أو الديكور الخارجي للقصيدة ، فان ما تولد عنها هو الجدير بالنظر فيما اذا كان شعرا ام لا بغض النظر عن هذا الدافع أو هذا الديكور .

[٧، ٨] من « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

ولكن صوت الشاعر المعذب بمعنى الحرية لا يتسق مع الصوت الاول ولا مع الصوت الثانى مكتفيا برسالة يوحنا المعدان غير ناس أن رأسه – مع هذا – قدمت على طبق !. المهم انه رغم أن قصيدة « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » تتقدم القصيدة الاولى بست سنوات ، فانها جاءت أكثر تركيبا ، فلربما كان تبادل الحوار بين صوتين في « بكائية ليلية » أحدهما داخلي والاخر خارجي أقل تعقيدا من حالة « التقمص » التى جاءت عليها القصيدة الاخرى . ذلك أنه ليس تقمصا تقريريا مباشرا ، وانما هي حالة يترك فيها القناع بصمته على الوجه بحيث يستوجب الامر تبين ملامح الوجه الاصيل من الوجه المستعار . ان كتابة هذه القصيدة له دلالته على أصالة الصوت الدامى فى باطن الشاعر ، ويتكامل عمق هذه الدلالة حين يكتب عام ١٩٦٦ « الارض والجرح الذى لا ينفتح » (٩) . حول تلك التى « لا النيل يغسل عارها القاسى .. ولا ماء الفرات » . وهو على طول هذه القصيدة يستجلب اصواتا ثانوية لا حصر لها من قيصر الى الحسين الى قريش والانصار ، ولكن أبرز الاصوات هو ذلك الصوت الذى يصادفنا ثلاث مرات فقط كأنه « موتيف » بين مقاطع القصيدة ، صوت الحجاج وقناعه المهزوز . وتكاد الخاتمة – مع ذلك – ان ترادف نهاية سبارتاكوس فى تساؤل الشاعر الذي يبدو لنا كصوت ثانوى « يا أرض ! هل يلد الرجال ؟ » . تتكامل دلالة القصيدتين فى أن الشاعر بعد هزيمة ١٩٦٧ لم يفتعل رؤياه بل كان امتدادا اصيلا وصادقا لتجربته قبل كارثة حزيران ، بل نتجاوز هذا المعنى القريب ونقول ان هذه التجربة تعكس خللا مزمنا فى كيان الوطن سابقا على الهزيمة وتاليا لها . لذلك كان صوت الشهيد وصوت النبى وصوت المستبد العادل وغيرها من الاصوات التى سنلتقى بها هى مجموعة من الاختيارات المرفوضة من جانب « الواقع » الخارجي بحيث « يرى » الشاعر – او لا يرى اطلاقا ؟ – سوى الظلمة الظلماء التى تعبر عنها وقفته العزلاء أمام زرقاء اليمامة «بين السيف والجدار» . والعزلة هنا هى الصمت بين صوتين ، احدهما امامه ينادى النبية المقدسة الا تصمت لان صمته الطويل كلفه أن يؤم بالخصيان ، والصوت الثانى من خلفه يجهر زاعقا :

« دعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقت لحم الضأن ..

أنا الذى لا حول لى ولا شأن ..



صلاح عبد الصبور

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتيان :

أدعى الى الموت .. ولم أدع للمجالسة » (١٠) .

هكذا تتضح تجربة المرفوض قصيدة بعد قصيدة ، فاستعارة عيني زرقاء اليمامة تدفع الشاعر لان يرى الهول قبل وقوعه ، ولكن صوته يتبدد فى هواء الذين لا يسمعون الا أنفسهم ، فهم يرفضونه وقت أن يكون ثمن القبول هو احتمال النصر ، وهم يقبلونه بعد أن صفوه من الداخل تصفية اليمة ثمنها المحتم هو الهزيمة . والهزيمة ليست تاريخا محددا بيوم ، وانما هى فى رؤيا شاعرنا تاريخ موصول قبل وبعد ، كما نلحظ في تلك المفارقة الصارخة بين « السويس » و « القاهرة » فى قصيدته التى دعاها باسم المدينة الاولى (١١) ، والمفارقة وحدها هى التى تحرك الموجة الدرامية في القصيدة رغم غنائيتها المسرفة .. على النقيض من « ايلول » (١٢) التى تندغم فيها الاصوات اندغاما يحتمل التناغم والتنافر كألسنة تبلبلت فوق برج بابل ولكنها تعزف في بلبلتها لحن الفجيعة المدمرة . وفي « يوميات كهل صغير السن » يتصدر الصوت الرئيسي قيثارة الشاعر ، ولكنه يفسح مكانا سخيا لمجموعة من الاصوات الثانوية التى بادلها الرفض حتى مات العالم فى قلبه . والتضمين ليس أقوالا مأثورة عن أصوات مضت ، وانما قد يلجأ الشاعر الى « التضمين » بأصوات لا يعرفها سواه كما فى « ظمأ .. ظمأ » (١٣) غير أنها تؤدى دورها فى تحريك الصمت الواقع بين صوتين على جانبى الشاعر ، وهما صوتان ندان لبعضهما البعض من زاوية الرؤية التى اختارها ، زاوية التساوى المطلق بين انتماءين ، بديلهما عنده هذا الصمت :

« أهلى الغرباء ..

عثروا بى مع الصبح ، أهذى

بغيبوبة الموت ، محتقن الوجه ،

خاوى الوفاض

يتفتت حلقى لقطرة حب ..

غير أن الينابيع جفت بعينى ،

والبحر غاض ..

والشطوط العراض ..

تتناءى ..

ويهوى البياض ! » .

وتتداخل الاصوات تداخلا مذهلا فى « العشاء الاخير » (١٤) ولكنا نميز من بينها اصوات أولئك الفرسان الذين غدوا مع أيام الرعب تماثيل مجوفة ينعق منها بوم الخوف حتى أن أوزوريس لم يعد قادرا ، كما أن ايزيس لم تعد قادرة ، على بعث الحياة فى المومياء التى جفت فى شرايينها ينابيع الحياة . وكما كانت « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » و « الارض والجرح الذى لم ينفتح » نبوءة بما كان ، تقمص فيها الشاعر صوت الشهيد الرومانى وارتدى قناع الحجاج ، فانه قبيل الهزيمة بثلاثة أشهر كتب قصيدته « حديث خاص مع أبى موسى الاشعرى » فيستعير وجهه تارة ويستعير نشيد الانشاد تارة أخرى ويأخذ فى تقليب وجهى العملة فلا يرى – أو لعله حينئذ يرى بوضوح – هذه الرؤيا : عام تحترق فيه السنابل والضروع ويلعق الاطفال الثرى وتنغلق العيون والافواه بصديد الصمغ وتأكل الامهات أطفالهن . لقد حاول الاشعرى أن يرد للمؤمنين الرأى والبيعة فخلع خاتمه وسيفه ، ولكن الخدعة كانت بانتظاره على يدى الطرف الاخر الذى ثبت خاتمه وسيفه . هكذا ينعكس صوت الاشعرى القديم على ذلك الذى شاهد « الجريمة » فى عصرنا ، ولكنه لم يعد قادرا على تحمل اعباء الشهادة ، فسار ولم يهتم ، لم يفتح الفم ! على غير هذا النحو تمضى « مذكرات المتنبي » (١٥) ولكنها

---

(٩) من «البكاء بين يدى زرقاء اليمامة »

(١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » .

(١٤ ، ١٥) من « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » .

تفضى الى النتيجة عينها ، فحالة التقبص التي نضبطفيهاصوت الشاعرمتلبسا بقناع المتنبي يتبادل فيها الصوتان حوارا مع عالمهما :

• « عيد بأيه حال عدت يا عيد ؟

بما مضى؟ أم لارضى فيك تهويد ؟

« نامت نواطير مصر » عن عساكرها

وحاربت بدلا منها الاناشيد !

ناديت : يا نيل هل تجرى المياه' دما

لكى تفيض ، ويصحو الاهل ان نودوا ؟

« عيد بأيه حال عدت يا عيد ؟ » •

ان هذه الاشكال الصوتية وأوضاعها فى ديوان الشاعر الاول لا يكاد يطرأ عليها أى تغيير فى ديوانه الثانى من حيث المنهج الفنى فى التعبير ، ولكنا سنحاول متابعة تجربة المرفوض حتى « نهاية المأساة » البارزة فى الديوان الثانى بروزا شديدا •

نهاية المرفوض..لا نهاية الرفض

بالرغم من أن أمل دنقل يقلب كافة أوجه الظاهرة بما يستضيفه من أصوات خارجية ، فان حواره معها مقطوع بتلك الظلمة الداجية على عالمه ، بحيث أنه رغم تحسسه ـ وتحسسنا معه ـ هذا الوجه أو ذاك ، فانه لا يرى ، ولا نرى معه ، سوى اللون الواحد لكافة الوجوه ، اللون الاسود الذى تبدو معه كما لو كانت وجها واحدا يطالعنا فى «صرخة الطفل الذى يفتح عينيه على مرأى الجنود » (١٦) ؛ وفى انتظاره خلف النوافذ الزجاجية يرقب عند المغرب الشاحب « طائرى الغائب » (١٧) والحيرة بين السيف والحيلة لانقاذ قطر الندى (١٨) ، والطراد الذى يلاحق الحمامة البيضاء فوق قبة الجامعة ورأس الجسر حتى يرى جناحها عند الفجر ملقى « على قاعدة التمثال فى المدينة (١٩) ، والجندى العائد بساق صناعية من ميدان لم يعرف الحرب (٢٠) والرسائل البديلة للقنابل « نبلغها اهلنا فى بريد الاذاعة » (٢١) • تلك هى النهاية التى يصل اليها المرفوض مع نفسه من ناحية، وبين نفسه والعالم من ناحية أخرى • لذلك كان الحوار الذى يتخلل القوام الغنائى للقصيدة حوارا مقطوعا ، لا يصل الى أقصى مداه ، سواء باللقاء بين النقائض أو الانفصال الكامل بينها • غير أن الشاعر كان أمينا حين جعل هذه الخاتمة ذات التنويعات المختلفة ، نهاية للمرفوض لا نهاية للرفض ، فالدورة الجدلية من هذه الزاوية تظل أبدا مفتوحة •

وربما كانت ثيمة « المرأة » فى شعر أمل دنقل من أقدر الثيمات التى بلورت هذه الرؤيا فى تجارب جزئية خصبة • اننا نخالط المرأةفىشعره حاضرة وغائبة فى حوالى ثمانى قصائد على الاقل • انها فى « يوميات كهل صغير السن »(٢٢) صوت مشروخ تتقاسمه الرغبة والرفض، فتحل مكانهما الوحدة المروعة التى يعانيها الكهل منذ انفردتبالغرفة • وفى « موت مغنية مغمورة » (٢٢) صوتمذبوح على مائدة اللقمة غير الميسورة • وفى قصيدة « الموت فى لوحات » (٢٢) لا تفاجئنا احدى ابنتى لوط بمضاجعته ، ولكنه يفاجئنا بعد أن « اختلجت فى طينها بشارة التكوين » بموته • وفى « بطاقة كانت هنا » (٢٢) لا تنجو الحبيبة من مدينة الخراب حتى اذا غابت واضاعت عنوانها ، لان طفلها قادم من أنقاض هذه المدينة • وفى « الحزن لا يعرف القراءة » (٢٣) يعود الصوت المذبوح ليرطب الندى المزيف حبالا انقطعت للابد • وفى « بكائية الليل والظهيرة » (٢٢) تتقاسم الصوت المرأة الافعى ووجه الراهبة ، والمفارقة تذوب مع طلاء عينى الاولى ومضاجعة الاخرى لصورة العذراء • و « فى الوقوف على قدم واحدة » (٢٣) تنكره دون أن يصيح الديك مرة واحدة ، وفى « رباب » (٢٣) تحرص عليه لدرجة الهرب منه • هذه المرأة ذات الالف وجه ، رافضة ومرفوضة ، هى ثيمة « عاكسة » لوضع المرفوض من مختلف الزوايا ، فهو ليس مرفوضا رفضا مجردا « من القيم » ـ وليس مرفوضا رفضا محددا « بالانتماء » ، وانما هو مرفوض رفضا شاملا من أكبر العموميات الى أدق الخصوصيات • ولعل هذا ما يفسر لنا طبيعة الصورة الشعرية عند أمل دنقل ، فهى صورة مطرزة بالصوت من ناحية ، وبالحدوتة من ناحية اخرى ،وبالفكرة من ناحية ثالثة ، لذلك تجىء فى غالبيتها صورة عقلية وممنطقة ، وبالتالى فجزئياتها مختارة من مستوى الوعى •

هكذا يبدأ الشاعر تركيب الصورة من الكلمات ذات البعد الواحد ، بل انه يجرد الكلمة اذا احتوى تكوين حروفها على أكثر من بعد من اية ايحاءات غير مباشرة ، يجردها من ثيابها الاسطورية أو التاريخية أثناء السياق • لهذا قلما يلجأ الى الصورة المكثفة المكونة من كلمتين مثلا ، وانما هو يعمد الى تعرية المفردات بقسوة بالغة ، تباشر القول حقا ، ولكنها تجرح بلا شفقة أو تردد • حينئذ تحتاج منه الصورة فى أغلب الاحيان الى بناء يشغل حيزا واسعا من الكلمات ، فهو لا يحتاج الى ايجاز الصورة أو اختزال تركيبها اللغوى رغم الطول المتوسط لقصائده • انه يكثر مثلا من استخدام أسماء الامكنة حتى يرتبط زمان الصورة المجسم فى خيالنا عبر الصوت أو الاصوات الحاضرة فى القصيدة بالمكان الذى تتحرك داخله • ان خمسا وعشرين مكانا على الاقل نلتقىبها فى المدن والاحياء والاقطار التى تتجول فيها أصوات الشاعر وقد اتسقت ذبذباتها مع صور هذه الامكنة : « القدس ـ الاردن ـ القناطر الخيرية ـ ارم العماد ـ بابل ـ دمشق ـ طيبة ـ المنصورة ـ حطين ـ النقب ـ القاهرة ـ روما ـ قرطاجة ـ المزة ـ باب زويلة ـ السويس ـ الاسكندرية ـ سدوم ـ الاربعين ـ طروادة ـ حلب ـ اريحا ـ بيزنطة ـ بور توفيق ـ السوق » • وسوف نلاحظ أن أسماء الامكنة كأسماء الشخصيات التى أشارت الى مصادر الاصوات ، تنتمى الىالواقع والاسطورة ،الى التاريخ الشخصى والتاريخ الوطنى والتاريخ الانسانى •وهى باعتبارها «مكانا» تختلف علاقتها بالقصيدةعن علاقة الشخصياتمن حيثأنها عناصرأولية فى تركيب الصورة، بينما أسماء الشخصيات عناصر اولية فى تركيب الصوت ، ولكنهما معا يشتركان فى سمة أساسية هى أنهما ليسا رموزا « الى » ولا كناية « عن » ، وانما هما حضور واع مستقل فى تجربة

[١٦] قصيدة « فى انتظار السيف »بديوان « تعليق على ما حدث » •
[١٧] قصيدة « فقرات من كتساب الموت » بديوان « تعليق على ماحدث »
(١٨) قصيدة « الحداد يلق بقطر الندى » بديوان « تعليق على ما حدث »
(١٩) ، (٢٠) قصيدة « صفحات من كتاب الصيف والشتاء » بديوان « تعليق على ما حدث »
[٢١] قصيدة « مبنه عصرية » بديوان « تليق على ما حدث » •
(٢٢) هذه القصائد كلها فى ديوان « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » •
(٢٣) هاتان القصيدتان من ديوان « تعليق على ما حدث » •

المرفوض ورؤياه للعالم • الصورة أيضا لها كينونتها النوعية المستقلة عن رؤية الشاعر وبصره ، وما يحيط به من مرئيات في الواقع المادى المباشر ، ولكنها تتكامل مع حركة القصيدة فى رؤيا شاملة لهذا الواقع تستكشفها بصيرته بعيني زرقاء اليمامة في لغة الاسطورة ، أو الاشعة في لغة العلم • وتلك هي المفارقة الاولى فى نظام الكلمات عند أمل دنقل ، انه يستخدم لغة الحياة اليومية على نسق مغاير لما تعارف البعض على نسبته الى الواقعية الاشتراكية ، وانما هو يستدرج بهذه اللغة الوجدان الاجتماعى العام الى أعماق أبعد غورا من الهتاف السطحى الساذج (٢٤) • هكذا لا يستنكف الشاعر أن يستخدم تعبيرات مثل « أقراص منع الحمل ـ الالة الكاتبة ـ شرائط التسجيل ـ اللفائف القطنية ـ الخزائن الحديدية ـ زجاجات الخمر الفارغة ـ مفارش الموائد ـ زجاج الباب ـ الحطام الخشبي » جنبا الى جنب مع تعبيرات تحتمل المجاز والاستعارة والتشبيه مثل « النهر الدموى ـ زناة الترك ـ الراية المنكسة ـ النبوءة الدموية ـ أروقة الاشباح المزدحمة ـ الرايات المنكودة ـ النبض الوحشي ـ مقبرة الصمت ـ حبال الصمت ـ كوب الصمت المكسور ـ الازمنة الهيشم ـ زمن السكتة ـ الزمن العنين ـ الزمن الضائع ـ بحيرة اللهيب ـ مركبة الزرقة اللهيبة ـ كوب اللهب ـ اللحظة الملتهبة ـ المنحدر الثلجي ـ رحلة السراب ـ محابر الضياع ـ مدينة الخراب ـ الوطن العدو ـ مجلس الاموات ـ أمراء المدينة ـ مبخرة الرعب ـ الخبز الحجرى ـ حرب تحت الجلد ـ الرغوة الجوفاء ـ فراش الوهم المخمور ـ الاميرة المغلولة ـ كبد الاشياء ـ بحيرة الزئبق » • هذه كلها ، كما قلت ، مجموعة من التعبيرات ، وليست صورا بحد ذاتها ، وانما قصدت أن الشاعر يستخدم التعبيرات المتداولة جنبا الى جنب مع التعبيرات غير المباشرة باعتبار أنه ليست هناك كلمة شعرية وأخرى ليست كذلك ، وانما نظام الكلمات في القصيدة هو الذى يكسبها طاقتها الشعرية • على ان هذا لا ينفي الدلالة الخاصة لاكثاره من استخدام هذه التعبيرات دون غيرها ، كذلك المحشد الموحى من المفردات « المذياع ـ الرصاصة ـ المشنقة ـ الجريدة ـ الموت ـ الفناء ـ الجمجمة ـ الصحراء ـ البحر ـ العنكبوت ـ الحبال ـ الدم ـ النياشين ـ السلطان ـ العار ـ الليل ـ الاعدام ـ الاطفال ـ السيف ـ الرمال ـ الجدار ـ الحمل ـ الجوع ـ الجيل ـ الدخان ـ الثوب ـ الخف ـ السم ـ الارض ـ



احمد عبد المعطي حجازى

الرماد ـ العجوز ـ القواقع ـ السماء ـ المقابر ـ الفقاقيع ـ العطش ـ الرياح ـ النباح ـ العواء ـ الجسد ـ الدوائر ـ الذراع ـ الشفاه ـ الذباب ـ الشرطى ـ الشهيد ـ المرأة ـ الفرسان ـ الخصيان ـ الحمامة ـ المسدس ـ الوطن ـ النيل ـ القنبلة ـ الجثث ـ المهزوم » • ان هذه المفردات لا تأتي هكذا مصادفة في القصيدة من قبيل التداعى أو الاضطرار الوزنى أو لزوم القافية أو استكمال حرف الروى ، انها تجيىء وفق تصور معاش لتجربة المرفوض الذى يتخذ رفض الواقع له «شكلا» عمليا هو اعتقال اللسان وحصار الامعاء في مواجهة الدعارة عقلا وبدنا ، حسدا وروحا • لذلك يجيىء العمود الفقرى لمعجم الشاعر من مفردات « الحرية » فى حضورها وغيابها والنضال معها وضدها والاستشهاد من أجلها والموت دونها وبلا ثمن ، على كافة المستويات والاوجه المجردة والمجسدة ، الفردية والاجتماعية •

ينهج الشاعر فى تركيب صوره نهجا موازيا لاسلوبه فى تركيب الصوت على نحو يهدد بعضا من قصائده بجو المعادلات الذهنية ، واحيانا يختفى هذا التوازى تماما مما يهدد بعضا آخر من القصائد بالغنائية الخالية من الحس الدرامى المركب •• وهو الحس الذى نستشعره فى معظم قصائده الكبيرة مثل « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » و « العشاء الاخير » و « حديث خاص مع أبى موسى الاشعرى » و « من مذكرات المتنبى فى مصر » و « يوميات كهل صغير السن » • وفى هذه القصائد وغيرها يبنى أمل دنقل صورته الشعرية بمنطق من يبحث عن قطة سوداء فى غرفة مظلمة : جثة الشهيد « تسقط فى ظلال الضفة الاخرى ، وترجو كفنا ! » (٢٥) و « البحر كالصحراء لا يروى العطش » (٢٦) والقاهرة ـ على النقيض من السويس ـ « تضىء فيها الواجهات فى الحوانيت ، وترقص النساء •• على عظام الشهداء » (٢٧) ويطرز الصوت بصورة المرفوض حين يموت ، بالحدوتة المروية بضمير المتكلم ، بالفكرة ، هكذا :

(•• واحتفظت باسنانه ••

كل يوم اذا طلع الصبح : أخذ واحدة

أقذف الشمس ذات المحيا الجميل بها ••

وأردد : « يا شمس ، اعطيك سنته اللؤلؤية ..

ليس بها من غبار •• سو نكهة الجوع !!

رديه ، رديه .. يرو لنا الحكمة الصائبة »

ولكنها ابتسمت بسمة شاحبه !) •

ان المرفوضين ليسوا جميعا من الرافضين ، ولكن الشاعر بتركيزه على عناصر الواقع الخارجى انما يركز فى الوقت نفسه على المرفوض الذى تصدر مكونات وضعه من خارجه ، فهو ليس مرفوضا لاسباب ذاتية (أخلاقية ، بيولوجية •• الخ) وانما لاسباب موضوعية كامنة فى البناء الاجتماعى والسياسى الذى يسكن داخله • وهذا هو الوجه الايجابى فى تجربته ، ولكن هذا المرفوض يكتفى بالتفسير دون التغيير (تغييره هو لا تغيير المجتمع فتلك مهمة غيره من المواطنين ، وان كان تغييره الداخلى غير معزول عن تغيير الواقع الخارجى) وهذا هو الوجه السلبى فى تجربته • والايجاب والسلب يتجاوران فى بناء الصورة الشعرية فيما يعرف بالمفارقة التى تقيم بدورها

---

[٢٤] هنا يجب أن نذكر الاثر الايجابى الفعال لشعر صلاح عبد الصبور الباكر ، خصوصا قصيدتيه الرائدتين « رحلة في الليل » و « الظل والصليب » .

[٢٥] من قصيدة « بكائية ليلية » بديوان « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » .

[٢٦] من قصيدة « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » بالديوان المذكور .

[٢٧] من قصيدة « السويس » بنفس الديوان .

حوارا – وان يكن مقطوعا – بين الذات والعالم •• وهذا مرة أخرى هو التوازى المحكم بين الصوت والصورة فى بناء القصيدة ، انهما يتآزران معا فى تجسيم الحيرة الضارية بين حرية الحدود وحرية الانسان ، بين حرية الفرد وحرية المجتمع • والشاعر يكاد يهجس بانه لا انفصال بين دائرتي الحرية ، ولكنه يحدس بغيابهما معا وضياع المرفوضين لا ثوريتهم •• فالضياع هو الثمرة المرة لتلك الحيرة المروعة •

ايقاع الرفض بين التعويذة والحكمة

يبدو شعر امل دنقل فى جملته « صرخة فزع » من هول الحلم الكابوسى المتحقق على أرض الواقع جحيما بغير مطهر ولا فردوس • والشاعر لا يجمع انقاض الارض الخراب ليبنى مدينة جديدة ، ولكنه يكتفى بالتحديق والتحريض على صرخة واحدة هى « لا » • هذا يفسر لنا انه يستخدم الكلمة ذات البعد الواحد فى بناء الصورة الشعرية ، وكذلك التعبيرات الدارجة على لسان الحياة اليومية ، والتعبيرات غير المباشرة ذات اللحن الجنائزى ، لكى يجسم ملامح الوجه الدميم الجدير بأن يكون هو الوجه المرفوض – وهو مرفوض بالفعل ! – لولا أن الانسان والمجتمع والحضارة قد هيأت له مكانا يرفض منه – هو ؟ – الاخرين الذين يجراون على قولة « لا » • ان الوجه القبيح الذى يجيد الشاعر تصويره ليس مقصورا على رمز بشرى بعينه(٢٨)، وانما هو يتجاوز هذا المعنى القريب الى دلالة أوسع تشمل خواء المجتمع ، و « بنائيه » الذين يهدمونه • تلك هى المفارقة التى يصوغها أمل دنقل بمهارة بالغة ، ان الحجر لم يرفضه البناءون ، وانما رفضه الهدامون ، فلم يصر رأسا – ولا ذيلا – للزاوية ، وانما ظل حجرا فى صمته – وصراخه – شهوة التحقق ، شهوة التخلق فى بناء ترفضه الانقاض • هكذا يصبح الحجر المرفوض طرفا والانقاض المتراكمة طرفا آخر ، والصراع بينهما هو ذلك « المشهد » المأساوى حقا ، ولكنه يحول دوننا والتطهير او التنوير ويبقينا على حافة « التمرد » ممزقين ضائعين •

من هنا (٢٩)يبنى الشاعر تجربته على وسائد الموت (عن بطولة أو نذالة بمستوى الامر) ، يبنيها أحيانا ديالوجا موحد الصور موحد الايقاع ، كما فى « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » حيث يسيل الصوت الذى تقمص الشاعر جاريا فى نهر تشتبك المرئيات على صفحته المنسابة مع ذبذبات الريح الملعونة فتهتز دوائر صغيرة أو كبيرة ، ولكن هذا الاهتزاز لا [illegible] المشنقة وسبارتاكوس والقيصر فى كافة المقاطع لا يتغير خلالها سوى ذلك الحوار المكتوم بين الشاعر والثائر حول مصير الراكعين والواقفين ، حوار ينهل ايقاعه من « الرجز » بسرعته المتمايلة ، ولكنه حين يبدأ المزج الاول :

« المجد للشيطان •• معبود الرياح

من قال « لا » فى وجه من قالوا « نعم »

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال « لا » •• فلم يمت ،

وظل روحا عبقرية الالم » •

فكأنما نبدأ رحلتنا معه بفاتحة جديدة مرنمة وفق الاثر العام لرحلة سبارتاكوس مع الشهادة ، بينما يجيء المزج الثانى « معلق أنا على مشانق الصباح » على نفس البحر الوزنى ولكن بعد أن نالت منه الصورة الجديدة « اهتزازه » نغمية « متفعلن » تتساوق مع طبيعة مشهد الموت • ان طبول الرقص التى تستفز النغم المقاتل ، تعود فترتخى أوتارها مع النهاية الفاجعة • وفى « الارض •• والجرح الذى لا ينفتح » يلعب الشاعر لعبة مزدوجة ، فالقصيدة كلها على بحر الكامل تتخللها ثلاث فقرات من مجزوء السريع ، ولكنك تستطيع اعادة ترتيب الابيات بحيث يمكن تنسيق الايقاع على وزن الهزج • وهكذا يحررك الشاعر من الانضباط النغمى فى أطار الصورة التى قد تختار لرؤيتها وضعا مختلفا عن الوضع الذى آثره الشاعر • غير أنك فى جميع الاحوال ستتلقى نفس الاثر العام للقصيدة • ولعل قصيدة « أيلول » من أبرز نجاحات الشاعر التى قابل فيها بين الصوت والجوقة الخلفية ، فالصوت يمضى فى كافة الفقرات على وزن المتدارك ، بينما تهتف الجوقة بمجزوء السريع ، فيما عدا الفقرة الاخيرة التى يتصل فيها الصوت بالجوقة على وزن المتدارك •• ذلك لان الحوار بين الصوت والجوقة قد « انتهى » بالاتفاق رغم كافة الذبذبات المتوترة التى دارت رحاها على طول القصيدة : الاتفاق ليس وزنيا فحسب ، انه التئام الصورة وتوافق الفكرة ، فالجوقة تنشد « هذا العام – أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من الانسام – وبقينا فى العهد المختنق المبحوح – لكنا من كل ضريح – ننتظر الريح » وفى مقابلها تماما يترنم الصوت « ننتظر الريح – من كل ضريح » (٣٠) •

وفى « يوميات كهل صغير السن » يتبادل المتدارك مع الرجز مقاطع القصيدة ، اتساقا مذهلا مع طبيعة الصور الشعرية المتغيرة من مقطع الى اخر •• انه هنا لا يبنى ديكورا موحدا ، وانما يبنى للمقطع الواحد ديكوره الخاص من جزئيات حياة – أو موت – ذلك الكهل الصغير السن ، داخله وخارجه • وتتزاحم الاصوات هنا وهناك ، ولكنها تتعاون فى استحضاره الصورة المواتية لحركة القصيدة من رخاوة المسجى على سرير الالام الى تلك الاحلام الراقصة فى عينيه المغمضتين او فى قاع الكأس • حين يبدأ المقطع الاول « اعرف أن العالم فى قلبى مات » يصبح المتدارك طيلة المقطع حتى « لا يتبقى منه سوى جمجمة وعظام » هو البحر الملائم • وحين يبدأ المقطع الثانى « تنزلقين من شعاع لشعاع » تفسح الرخاوة النائمة مكانا للحلم الراقص « الرجز » وهكذا فيما عدا المقطعين المتتالين (٣ ، ٤) حيث يتتالى معهما المتدارك ، فالمقدمة التى يتحسس فيها ذقنه الطافحة بثرا وجراحا تنتهى به :

« فى الشارع •

أتلاقى – فى ضوء الصبح –

بظلى الفارع :

نتصافح •• بالاقدام » •

ثم يبدأ الرجز نشاطه من جديد « حبيبتي فى الغرفة المجاورة » مع خطوات حلم جديد ، يستيقظ منه وهو يطرق باب صديقه فى منتصف الليل بلا أمل (متدارك) ، ويعود الرجز حين تدق اصابعها على الالة الكاتبة ، وهكذا يظل تبادل الايقاع مع تبادل الصور التى يلملم جزئياتها الصغيرة كلمة كلمة من مفردات معجم الانسان المرفوض ، معجم حياته اليومية ، الباطنية والواقعية معا • وحين يختفى الحلم الراقص من القصيدة كلها يسود المتدارك قصيدة « ظمأ •• ظمأ » بغير زحاف يلجأ اليه الشاعر كثيرا ، أو يسيطر الكامل كما هو الحال فى قصيدة « الحزن لا يعرف القراءة » حيث لا يختلف الحلم عن الواقع ، أو يستعصى على المرفوض كل شيء حتى الحلم الجميل • ان صرخة الفزع فى شعر أمل دنقل ليست فحسب نتيجة التضاد الفاجع بين الحلم والواقع ، انها أحيانا كثيرة رابضة فى « الحلم » الكابوسى » الذى

---

(٢٨) كما هو الحال مثلا فى قصيدة صلاح عبد الصبور الشهيرة « عودة ذى الوجه الكئيب » •

(٢٩) بالرغم من اننى رجو القارىء أن يرافق البحث منذ البداية مع دواوين الشاعر ، الا اننى أكرر الرجاء بالنسبة لهذا الجزء من البحث .

[٣٠] التقطيع هو اشارة الى تنظيم الشاعر للاشطر ، ولا علاقة له باكتمال البيت من عدمه .

يناظر الواقع • من هنا كانت بعض قصائده نبوءة وبعضها الاخر مواكبة وبعضها الاخير تسجيلا ، ولكنها جميعا قصائد تاريخية حميمة الصلة بالواقع الذى تعايشه تجربة المرفوض ، تبدو كلها قصيدة واحدة صحيحة المقدمات صائبة النتائج •• وان كانت الصحة والصواب هنا نسبيان فى علاقتهما بالواقع الخارجى ووجهات النظر الاخرى ، ولكنهما مطلقان فى علاقتهما ببناء القصيدة وتجربة شاعرها ، بمعنى اخر هى تحمل فى ثناياها صدقا فنيا لا غش فيه بغض النظر عن مطابقته أو معارضته للصدق الاخلاقى •

قلت ان الصورة الشعرية عند أمل دنقل فى جوهرها صورة عقلية ، أى أن عناصرها مأخوذة اساسا من مستوى الوعى ومرتبة وفق منطق محدد ، ولكن هذا الانسجام ينطوى بالضرورة على عنصر « المفارقة » الذى يجيء مثيرا للتوتر الدرامى ومحولا للتيار الغنائى الدافق الى صورة مركبة • فى قصيدة « الوقوف على قدم واحدة » يرشف صاحب الصوت من « كوب الصمت المكسور » ويطارد « فراش الوهم المخمور » أى أن المفارقة تبدأ من المفردة ذاتها ، ثم تتكامل مع المقطع بكامله حين يخفى « عورة هذا المتسول الامير — وهو يحاور الظلال من شجيرة الى شجيرة — يطالع الكف لعصفور مكسر الساقين » . هكذا تنسجم مفردات الصورة من خلال المفارقة التى تبدأ من ادق التفاصيل الصغيرة الى الهيكل الشامل للقصيدة ، موحيا بذلك التناقض الفاجع الصارخ فى قلب الواقع المحسوس ، المادى المباشر والمعنوى المجرد على السواء • هذه المفارقة لا تتخذ طريقها الى الصورة الشعرية عن طريق المفردات والتعبيرات المكونة للشطرة فالمقطع فالقصيدة فحسب ، وانما هى تتخذ طريقا موازيا لمجموعة المرئيات والجزئيات والدقائق المادية هو طريق الايقاع • والشاعر هنا يلجأ الى نافذتين أساسيتين هما : ● التقاطع الحاد بين النغم الرئيسى فى القصيدة والفقرات القصيرة التى تتخلل المقاطع على هيئة « حكمة » او « تعويذة » يتمتم بها أحد الاصوات كنوع من « الاصرار » أو « الترجم » أو « مصمصة الشفاه » أو « الغمغمة الدامعة » الى غير ذلك من أشكال الرفض الهامس أو الزاعق لما يقال أو ما لايقال • ● والنافذة الثانية هى استخدامه المتقن للقافية المتواترة والمترادفة التى تتيح للصورة الشعرية ايقاعا يشحن حركة القصيدة بقوة دافعة الى غايتها يساعدها حرف الروى الذى لا يستهين الشاعر بحيويته الدافقة (٣١) •

على لسان السكارى نسمع هذه الاغنية القصيرة التى تنتصف قصيدة « ظمأ •• ظمأ » ، وفيها يقولون « يا عيون النساء — امطرى امطرى — من ترى تشترى خنجرى — لتخبئه فى حقيبتها — ثم تبقر بطن غريمتها المومياء » ، والاشطر الخمسة تجيء صوتا ضمن أصوات أخرى أغلبها منفرد بضمير المتكلم • لهذا لايتكرر « الموتيف » مرة أخرى على طول القصيدة ، لان الشاعر لم يستهدف به تعزيما سحريا بقدر رغبته فى تلوين الاصوات المتداخلة مع صوته حتى لا تفقد استقلاليتها •• على النقيض من الفقرة الخماسية أيضا فى « بكائية الليل والظهيرة » حيث تتكرر مرتين — بمجزوء السريع — هكذا « يادقة الساعات — هل فاتنا •• ما فات ؟ — ونحن ما زلنا •• — اشباح امنيات — فى مجلس الاموات ؟ ! » ، ثم قبيل النهاية « يا آخر الدقات — قولى لنا من مات — كى نحتسى دمه — ونختم السهرات — بلحمه نقتات ! » • وتمضى قصيدة « من مذكرات المتنبى » على وزن الرجز الذى يتراءى لنا كالسريع ، فاحيانا « مستفعلن مستفعلن مفعولا » ، ثم تتغير التفعيلة الثالثة الى « فعلن » ، أو « فعل » ، وهكذا الى أن يتداخل صوت المتنبى مع صوت العصر والشاعر فيتحول الوزن الى البسيط « عيد بأية حال عدت يا عيد — بما مضى ؟ أم لارضى فيك تهويد ؟) • وفى « الحداد يليق بقطر الندى » ، تتقاسم الجوقة تعليقاتها مع صوت المغنى — مجزوء السريع — مرددة أقوالها أربع مرات تبدأ مولولة « قطر الندى يا خال — مهر بلا خيال » ، وتنتهى دامية « قطر الندى يا مصر — قطر الندى فى الاسر » ، وفى قصيدة « الموت فى الفراش » يبدأ البيان ببحر الرمل « أيها السادة لم يبق اختيار — سقط المهر من الاعياء ، — وانحلت سيور العربة — ضاقت الدائرة السوداء حول الرقبة — صدرنا يلمسه السيف ، — وفى الظهر الجدار » اما المقطع الاول فمن الرجز (وهو هنا يجسد رقصا حزينا كرقصة الموت) يليه المقطع الثانى بالمتدارك حيث مشهد الموت فى الحياة وقد آلت نهايتها الجنائزية السريعة فى ايقاعات « سرحان يا سرحان » وهكذا الى نهاية القصيدة فى المقطعين الثالث والرابع حيث يسودهما الرجز ويتخللهما مجزوء السريع • بل ان الشاعر يعمد فى « لا وقت للبكاء » الى تبادل الرجز « لا وقت للبكاء » مع السريع فى الشطرة التالية مباشرة « فالعلم الذى تنكسينه •• على سرادق العزاء » الخ

اما اسلوب امل دنقل فى استخدام القافية فلا يحتاج الى استشهادات بعينها ، انه يحاور بها ويداور لمجرد ان ينسق ايقاعها مع الصورة والصوت والفكرة • وهذا موقفه أيضا من حرف الروى (٣٢) • أن الشاعر بموهبته الفريدة يستغل هذه الادوات التراثية استغلالا حديثا يواكب تجربته ورؤياه ، ولا ينزلق الى نوع من الكلاسيكية الجديدة •• تماما كما هو شانه فى استعارة الاصوات والصور من معرض التاريخ الانسانى ، لا يرمز بها لشيء معاصر ، ولا يقصد بها العودة الى التراث ، وانما هو يستشعر فى حضور هذه الوجوه — قديمة أو حديثة — وجودا يناظر وجوده ، أيا كان التطابق او التضاد ، فالحوار بينه وبين العالم هو لب اللباب •

ان شعر أمل دنقل لا يعزينا بملكوت على الارض أو فى السماء ، انه لا يصوغ لنا بديلا من الواقع أو الوهم • وهو أيضا لا يستفز رغبتنا فى نهش الذات واستعذاب الالم ، ولاينحدر بنا الى هاوية اليأس • وانما هو يوقظ فينا غريزة التحدى لذلك الصراع الدامى فى عيوننا بين الاطلالة على الحدود والنظر داخلها ، بين اعداء الوطن والوطن — العدو ، لعلنا نعثر على ذلك التركيب الواحد العبقرى الذى يستطيع أن يحررنا منهما معا برصاصة واحدة قادرة على اصابة الهدف المزدوج •• حينذاك لايصبح الموت بلا ثمن ، وانما يمسى بديلا رائعا لضياع المرفوضين ، حينذاك ايضا تتبل النهاية الحقيقية للدمامة والقبح

[٣١] هنا يجب تسجيل فضل احمد عبد المعطى حجازى فى ريادته لاستخدام هذه الادوات التى تبدو فى مظهرها محافظة استخداما حديثا .

(٣٢) ارجو فى هذا الصدد مراجعة ماجاء فى بابى «الروى» و«مايلزم القوافى من الحركات» فى« كتاب القوافى » لابى الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش — تحقيق الدكتور عزة حسن — مطبوعات مديرية احياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية — دمشق — ١٩٧٠ .



الوجـــــه والقنـــــاع

فاروق عبـد القـادر

. انني افضل اعتبار جمال الغيطاني كاتبا من كتاب ما بعد ٦٧ • ليس مبعث هذا التفضيل أن الكاتب نفسه قليل الاحتفال بما كتبه قبلها ، ولا لان هذا الذي كتبه كان شيئا أشبه بالتخطيطات المبدئية أو تمرينات الاصابع « يسلط فيها الكاتب عدسته علي الجوانب المعتمة المتآكلة التي يعيش فيها البسطاء والمنسحقون في أسفل السلم الطبقي للمجتمع •• »(١)• ولكن لان ما حدث في تلك الايام من يونيو ، وما بعدها : كان الهم الرئيسي الذي شغل به جمال الغيطاني في معظم ما كتبه بعد ذلك ، وحتي الان • كـانت الهزيمة هي الكلمة الأولي في الصفحة الاولي من مجموعته الاولي ، منها يبدأ كل شيء واليها ينتهي ، هي زاوية الرؤية التي يشكل الكاتب مادته وفقا لها ، وهي نقطة انطلاقة لاستدعاء لحظات مشابهة من جوف التاريخ •

نشر جمال الغيطاني بعد مجموعته الوحيدة « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » ـ والتي تضم خمس قصص ـ ستة عشر قصة قصيرة وروايتين ، لكن هذه القراءة قاصرة على قصصه القصيرة فقط ، تستبعد منها واحدة لانها ترتبط ارتباطا وثيقا باحدى روايتيه فلا تمكن مناقشتها دون التعرض لهـا (٢) •

والناظر في هذه القصص يمكن أن يميز بين أقسام ثلاثة : القسم الاول يحاول فيه الكاتب أستحضار قناع من التاريخ أو المأثور (تاريخ مصر المملوكية بوجه خاص) : شخصية أو عصرا أو واقعة ، ومن خلال هذا الاستحضار يحاول الكاتب اسقاط هموم الحاضر على صورة الماضى (أو المستقبل) • يضم هـذا القسم أكثر من نصف ما كتبه جمال الغيطانى ، حتى كاد أن يرتبط به ويصبح سمة مميزة لانتاجه ، يضم قصص : اوراق شاب ، المقتبس من عودة ابن اياس ، هداية أهل الورى ، كشـف اللثام ، وكلها في مجموعته الاولى ، ثم اتحاف الزمان ، دمعة الباكى ، غريب الحديث ، أخبار حرب الكفرة ، المغول •

ويمكن ان نضم اليه كذلك قصتى بكاء الحزين ، وناطق الزمان • القسم الثانى يضم هذه القصص التى بدأ جمـال الغيطانى نشرها ابتداء من يوليـو ٧٠ ويحاول فيها أن يقدم لونا من التسجيل الفنى لبعض ما دار على جبهة القتال قبل وقف اطلاق النار فى الشهور الاخيرة من ٧٠ ، ويضم قصص أجازة ٧٢ ، عصفور الشتاء ، المهـاجر ، شكاوى الجندى الفصيح ، أرض ـ أرض ، مناجاة ليلية • القسم الاخير من أعماله هو ما اختار تجربته خارج هذين الاطارين ، ويضم قصصا أربعة : أيام الرعب ، منتصف ليل الغربة ، البلاد البعيدة ، الحصار من ثلاث جهات •

ولنبدأ بالقسم الاول :

الحـركة في الـزمن : من المستقبل للماضى

ان « اوراق شاب » تختلف عن بقية قصص هذا القسم فى انها ترتحل الى لمستقبل بدل أن ترتد للماضى ، لكن هذا فارق شكلى تماما ، مجرد تغيير فى اتجاه لحركة ، ويبقى قناع المستقبل واهيا رقيقا ، يقوم على تصور انسانى شامل يفتقد كثيرا من التفاصيل • يعثر الناشر على هذه الاوراق قرب مدينة صغيرة فى الصعيد « وتشير الى ان بلادنا كانت تعانى مشاكل مع دويلة صغيرة اسمها اسرائيل •• لم تصلنا عنها غير معلومات بسيطة •• وذلك قبل انتصار الاشتراكية فى كوكب الارض » • هذا تصور الكاتب للمستقبل في النصف الثاني من ٦٧ ،

[١] راجع : عبد الرحمن ابو عوف ، البحث عن طريق جـديد للقصة القصيرة المصرية ، القاهرة ، ٧١ ، ص ١١٧ •

(٢) مضبوطات الدكتور جعفر البيبانى ، مجلة « المجلة » ، يوليو ٧١ •

هذا ما يقوله الناشر ، فماذا تقول الاوراق نفسها ؟

شذرات متتابعات يكتبها شاب يعيش في مدينة بعيدة عن القتال ، ويتابع أخبار المعارك التي تدور على الارض المصرية ، يقرر بعد الهزيمة أن يأتي الى القاهرة ليرى ما يمكن عمله • يلتقي في القاهرة ببعض أصدقائه يثرثرون أثناء الشراب عن ضرورة النزول للناس،ويلوكون أخبار الثورة الثقافية البعيدة • في قمة عجزه يتمنى أن ينسحب من الحياة ، وأمام الفندق يلتقي بصديق يخبره أن صديقا لهما قد سافر الى الاسماعيلية ، فتحمس الشاب للسفر مثله : « بالتأكيد ستجيء ليالي مشحونة بما أنا في حاجة اليه •• » •

واذا كانت مذكرات الشاب لا تقول لنا عنه شيئا سوى أنه وحيد وعاجز ، يحس طعم الهزيمة مرا في فمه ولا يستطيع شيئا ، فان هذه الشذرات المتتالية التي يقوم عليها بناء القصة تضيف الى وعينا معرفة به وبعالمه • انها قصة لا تقوم على وحدة البناء قدر ما تقوم على وحدة الانطباع ، من هنا تصبح هذه الشذرات ضرورية بقدر ما تسهم في احداث هذا الانطباع الواحد : لا بمعنى ما ينطبع في نفوسنا منها بل بقدر ما نستطيع نحن - متلقيي القصة ومعاصري صاحب الاوراق - طبع انفسنا عليها • تضم الشذرات أشتاتا مختلفات : نشيدا لسيد درويش واغنية لام كلثوم وشكوى « الاله رع الى ايزيس » (لعلها شكوى ايزيس الى الاله رع) ، وفقرة من التاريخ (أغلب الظن أنها لابن اياس) ، وأخرى من أسطورة عن بناء الهرم ، وآية من القرآن وخطبة استسقاء وبعض ما نشرته الصحف في الايام الاولى من يونيو ومقطوعة من شعر سيد حجاب • صحيح ان الكاتب يريد لهذه الشذرات كلها أن تخلق لدينا انطباعا واحدا : ان مصر تمر بمحنة وشعبها قدير على اجتيازها • لكن قارىء القصة لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الاحساس بأن الكاتب لم يبذل عناية كبيرة في انتقاء التفاصيل واستبعاد تلك التي تختزل دلالتها في تفاصيل أخرى (ما ضرورة خطبة الاستسقاء وكثير مما نشرته الصحف في الايام الاولى من يونيو ؟)، رغم هذا •• فان قصة « أوراق شاب » تحوى الكثير مما يفصله جمال الغيطانى في أعماله التالية بعد : فيها هذا الحنين الطاغي للخروج من أسر واقع راكد ، وفيها هذه الوحدة العاطفية العميقة والتوق العارم الى الحب ، وفيها هذا الاحساس بالظلم الاجتماعي كما تعبر عنه صورة واحدة بعينها تتكرر دائما : الاب الذي يموت أو يرحل تاركا أسرته تواجه رياح الحياة وحدها ، ومن حيث البناء فيها هذه الطريقة التي ستلازم الكاتب في معظم أعماله بعد ذلك : الفقرات المتتالية التي تهدف لرسم انطباع واحد ، ومن


جمال الغيطانى

حيث الصياغة فيها هذا الاستبعاد شبه الكامل لحروف العطف ، والتركيز في خلق الحركة داخل القصة - في الوصف او في السرد - على التتابع المتوالي للجمل - القصيرة غالبا - سواء كانت تعكس تصعيدا لحالة شعورية ، أو تتابعا لجوانب الحدث الذي تقوم عليه القصة ، كانما تأخذ الجمل بعضها بخناق بعض ، وتتوالى ، مراكمة تأثيرها ، حتى تأتي جملة في النهاية كالتقاط الانفاس بعد شوط لاهث •

القصة التالية هي مقلوب القصة الاولى ، هي الصورة في المرآة المقابلة ، عودة الحركة الى الاتجاه الذي سيفضله الكاتب بعد ذلك ، ومحاولة لارتياد هذه الارض ، واللحظة التي يلتقي فيهما الزمانان وينطبق القناع على الوجه أتم انطباق هي أن يأتي الشيخ المؤرخ ابن اياس - شاهد دخول العثمانيين مصر ولعبهم بالسيف في رقاب أهلها - الى القاهرة ذات يوم من أيام يونيو . لكنه - ابن اياس لا الكاتب - يستدعي من التاريخ لحظة أخرى اكثر بعدا : خروج رجال مصر مع الملك المعظم قطز لمجاهدة التتار • الموضوع هو هو : مصر في مرآة الزمن ، في امتدادها عبر العصور ، عبر لحظات الانسحاق والهزيمة ونقص النيل ونزول الوباء وندرة الاقوات وهجوم الكفرة واللعب بالسيف في رقاب الامنين • ومن وراء القصة كلها يتردد - كاللحن الخافت - مأثور ديني آخر هو لقاء موسى والخضر وانطلاقهما معا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها ولقيا غلاما فقتله ووجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه • يقول الخضر - على لسان الشيخ القاعد امام الازهر يتلو من غير ملل - : « هذا فراق بيني وبينك » ، فمن ينبىء الشيخ ابن اياس تأويل ما لم يسطع عليه صبرا ؟

ومرة أخرى يرى الشيخ ابن اياس هموم بطل جمال الغيطاني : الحب الذي لا يكتمل نتيجة العجز او الخيانة ، فالفتى يحب الفتاة لكنه لا يستطيع أن يلقاها او يحدثها او يتزوجها فيكتفي بشكوى حبه البائس للشيخ ، والاسرة الفقيرة تترنح في مواجهة الحياة بعد أن رحل عائلها لغير عودة ، وتلك المشاهد الصغيرة التي تراها عينه في طرقات القاهرة ، حتى هذا المجذوب العجوز ، على رأسه الطرطور الاخضر يتهم الشيخ بأنه جاء يبغى بالحسين شرا ، سنرى هذا المجذوب مرارا حتى يتخلص منه جمال الغيطاني بان يفرد له قصة كاملة •

ومرة أخرى يبني الكاتب قصته من المقتبسات المتتالية كي تحدث انطباعها الواحد ، لكن القارىء قد يرى في بعض هذه المقتبسات تزيدا واضحا ،ويرى ان هذا يسيء الى بناء القصة كلها •• هذه « النبذة التي فيها عجائب وموعظة للمؤمنين » ، والتي يمكنك أن تلقاها كاملة في أي من كتب المأثور عن القيامة والشفاعة •• ما ضرورتها وماذا يراد بها ؟ ان يوما سيجيء يقتص فيه للمظلوم ممن ظلمه ؟ •• أم أننا خير أمة أخرجت للناس ؟ •• ولان ابن اياس هو الذي يتحدث بنفسه فسنعرف هذه الجمل التي تصحبنا طويلا في أعمال جمال الغيطاني، هذه اللازمات الاسلوبية مثل : « والله لو رآها واحد من أهل زماني لنشف جلده ومات رعبا وراح على نفسه » ، و « ارتجت البيوت رجا مهولا وكانت ضلوعي تنخلع من الخوف » و « الخمدة حولي كهواء بلدة نزل فيها الوباء » ••• الخ •

لكن « هداية أهل الورى » تخلو من عيوب هذه الطريقة في البناء • واذا تجاوزنا بداية الاوراق وتلك الشذرة الطويلة عن معنى السجن في اللغة ، فسنرى في القصة أفضل نموذج لما قدمه جمال في مجموعته الاولى ، ترسم لنا الاوراق قائد السجن الرهيب في احساسه بأهمية ما يفعل ، وتشفيه المخفي والمعلن في كل من يأتي الى المقشرة وممارسته القتل بهدوء كامل ولمطاردة لحظة ضجر عارضة ارتسم لنا جلادا لكنه ضروري في هذا العصر • ان القصة لاتقف عند تصوير نفسية جلاد من الجلادين « خلق منها اختيار هذا العصر دراسة لنموذج بشرى لا لمجرد فرد من الافراد » (٣) ان صورة الجلاد بالاحرى ، جزء من صورة العصر ، في احساسه الذي يؤكده دائما بأنه « لا يعلى انسان في بر مصر والعرب والعجم على المقشرة » ، وفي تتابع مجيء الفلاحين الى السجن بدل العربان المتمردين ثم هرب هؤلاء والقبض على جماعة من الباعة بدلهم ، وفي توالي سقوط الامراء وتتابع مجيئهم الى المقشرة •• في كل هذا مايوحي بأن الكاتب اراد أن يرسم صورة

[٣] صلاح عبد الصبور ، رحلة على الورق ، ٧١ ، ص ٢٩ .

عصر كامل ، واذا وضعنا فى الاعتبار ان هذه القصة كتبت بعد ٦٧ ،و «سقوط دولة المخابرات » التى اعتبرت مسئولة عن بعض أسباب الهزيمة رأينا كيف يتحقق الهدف الذى يسعى اليه الكاتب : الاغراب من أجل الاقتراب ، الارتحال الى التاريخ بهدف اسقاط صورة الحاضر على شاشته •

وقد تكون صورة الحاضر واقعا أو أمنية • وفى « كشف اللثام » يسقط الكاتب تصوره للثائر الذى يريده ان يقوم فى لحظات الهزيمة فيدعو الناس الى رفضها ومواجهة المحتل والعميل ، وماحدث لابن سلام عند دخول العثمانيين هو ماحدث لمصر كلها ، انه شاهد على مافعله العثمانيون بأهلها وانطلقت شهادته بالشعر فابكى الناس وأجرى الدمع لكنه لم يكتف بهذا بل واجه المحتسب — عميل العثمانيين بعد أن كان صاحب السلطان الغورى — وعنفه حتى شجع الناس على الوقوف ضده وضد رجاله ، واعدام ابن سلام يستمد جمال مادته — وكثيرا من جمله — من وصف ابن اياس لاعدام واحد من اشجع سلاطين المماليك وأتعسهم هو طومان باى (٤) ، لكن ابن سلام يلعب دورا آخر كذلك : انه الصورة الاولى لناطق الزمان ، وطيبغا منصف الشاكى والشيخ علاء الدين فى المغول • انه تجسيد أحلام المصريين المحبطة فى العدل والحرية •

والشخصية التى يختار الكاتب ان ينظر من خلالها صورة العصر فى قصته التالية (٥) هى شخصية جلبى (مزين) فقير ، والقصة هى صعود هذا الجلبى الى السلطة ثم سقوطه منذ أصبح جلبيا للسلطان الغورى ثم قائما عن حى الحسينية فمتوليا لحسبة القاهرة وذلك من خلال اشتراكه فى لعبة السلطة الدائرة حول السلطان وتآمره مع بعض الامراء ضد بعضهم الاخر حتى « علا نجمه وسطع سعده وقرب وعده ••• » لكن الدائرة تدور ، ويأتى من يدس له عند السلطان ولا يقول لنا القصاص ماحدث بعد ذلك لكننا نعرفه •

هذه القصة نموذج مصغر «ماكيت» لهذه القضية التى شغلت جمال الغيطانى أكثر من غيرها : الصراع الدائر على السلطة بين أمراء المماليك ومن يلوذ بهم «فوق رؤوس الناس وعلى حسابهم»وهذا الجلبى الفقير هو البذرة التى ستنمو بعد ذلك لتملأ صفحات روايته الطويلة « الزينى بركات » محتسب القاهرة الذى يرد باسمه واوصافه فى أعمال مختلفة للكاتب ، والاسلوب هو هو : ذلك النثر الذى عرفته الكتابة فى مصر المملوكية بمترادفاته المتوالية ولازماته ومفردات قاموسه ، لكن هذه القصة تفلح — اكثر من غيرها — فى تصفيته وتخليصه من الاخطاء والشوائب ، وتفلح كذلك فى ان تنقل لنا صورة للقاهرة القديمة بمآذنها ومساجدها وبيوتها وأسواقها وطرقاتها ، تلك المستلقية تحت اقدام قلعة يدور فيها ومن حولها ومن اجل الصعود اليها صراع وحشى بين الامراء المماليك يلقون لمن يلوذ بهم الفتات • أما الناس فيقع عليهم أثر هذا كله : زيادة فى المكوس ،وتضييقا فى الرزق ، ورءوسا معلقة ، او جثثا موسطة على ابواب القاهرة السبعة •

الاسلوب والبناء •• والغرائب••

فى تلك القصص كان الكاتب يحقق درجة من السيطرة على اسلوبه هذا الذى استخلصه لنفسه من كتابات مؤرخى مصر المملوكية (وابن اياس على نحو خاص) كان يسيطر على هذا الاسلوب — رغم بعض الهنات فى استخدام الالفاظ والتراكيب — لكنه لم يكن واقعا فى اسره •كان يستمد منه عناصر لتحقيق رؤيته ولم يكن يبتغيه لذاته أو طرافته •لكن القصص التالية فى هذا القسم تميل أكثر الى الوقوع فى أسر الاسلوب بخصائصه المتعددة : السجع المقصود والمترادفات والتقديم والتأخير وحين يقع الكاتب فى اسر أسلوبه ما يضيع منه الاقتصاد الضرورى لبناء قصة قصيرة ، ولعل هذا يتمثل فى قصتين من قصص هذا القسم أكثر من سواهما : « دمعة الباكى على طيبغا منصف الشاكى » (٦) ، و «أخبار حرب الكفرة » (٧)•

القصة الاولى تضم تيمتين من اهتمامات الكاتب : الصعود الى السلطة والتآمر من أجل المال والنفوذ من ناحية ، وشوق جماهير المصريين الى صياغة مثال يحقق آمالها فى العدل والامن من الناحية الاخرى • كان طيبغا فارسا من فرسان قلاوون ، استطاع أن يقود جنده لاقتحام قلعة من قلاع الكفرة • فجعله السلطان نائبا للسلطنة « يحكم فى المظالم الكبيرة ، ويكفل حقوق المؤمنين والايتام » ، لكنه لم يسر سيرة سواه من الامراء ، بل جعل يدفع الظلم عن المظلومين ويعمل على انصافهم • طبيعى أن تتعلق به العامة وأن يدس له الامراء والقضاة عند السلطان الجديد حتى يدس له السم ، اما العامة « فقد صنعوا له بعد موته تماثيل من السكر علقوها فى البيوت والخانات •• ولو حاقت بواحد منهم مظلمة صاح : والله انى ذاهب الى قبر طيبغا اشكو له الحال ، ولو كان بعيدا أرسل له الرقاع •• » •

لكن فى القصة وقوعا فى اسر هذا الاسلوب • انظر الى خصائصه كيف تجتمع فى فقرة واحدة : « وجفت الالسن بما جرى وكان ، صار العامة فى الاسواق • والذعر وأسافل العياق ، وأوباش الناس الشلاق لا يلوكون الا ما جرى •• وكلما قابلت انسان (كذا) بادرك بسؤال : هل دريت بما كان ؟ والحق معهم . فلم يحدث فى سالف العصور والازمان ، أن أميرا أقل رتبة من أمير عالى الشان ، يجبره على التراجع فى أمر كان ، ولم يعد فى حسبان » ، ونحن نجد كذلك : « ارتجفوا ، ارتعبوا ، تقهقروا ، استدركوا فارطهم •• » ، ونجد : «أما الجليد فبالقطن المندوف أشبه ، والى ريم الصابون أقرب » ، ولا يكتفى الكاتب بالسجع المتكلف واهالة المفردات والتقديم والتأخير دون ضرورة ، والركاكة البادية فى الاسلوب بوجه عام ، بل يعمد الى ايراد لغز لغوى منظوم ، تماما كما كان يفعل شيخه ابن اياس حين لاتخلو صفحات تاريخه من شعر سخيف ينظمه أو يحفظه ! •

فى القصة الثانية — بالاضافة لاسر الاسلوب — تعقيد فى البناء لا مبرر له ، يباعد بين القصة وهدفها وهو احداث انطباع موحد تحشد له الجزئيات وتساق التفاصيل ، وتكاد التجربة نفسها تختفى وسط تهويش المقاطع المتداخلة • هذه قصة تستطيع أن تجتزىء عنها بعنوانها : « أخبار حرب الكفرة ، وحديث سعيد بن واصل الشافعى ، مع ايراد احواله وآماله ، وكذا ما جرى له ، وهو من صغار العسكر المقيمين بالقلعة التى يحاربون منها الكفرة، وفيه هوامش عن كل ما وقع ودار ، وجاء عنه فى الكتب والاسفار » • بعد هذا العنوان « الموسوعى » تاخذ الفقرات عناوين أخرى مسجوعة كذلك ، وتتقاطع فقراتها وتتداخل ، ويمضى بناؤها على النحو التالى : فقرة تقطع استمرارها فقرة اخرى ، ثم نعود للاولى لتقطع مرة ثانية ، وهكذا حتى الفقرة الاخيرة وهى غير معنونة ، تقطع استمرارها فقرة معنونة ، وتعلق عليها فقرة اخيرة • اى تعقيد فى البناء لا مبرر له •• ولا يؤدى الا الى البعد بالتجربة وراء عقبات متوالية : من عناوين مسجوعة الى فقرات متقاطعة الى خروج عن السرد الى الاخبار وعن الوصف الى التعليق وعن الذكريات

[٤] راجع تفاصيل اعدام طومان باى على باب زويلة فى تاريخ ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، القاهرة ١٩٦١ ، الجزء الخامس ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

[٥] اتحاف الزمان بحكاية جلبى السلطان — المساء ، ٢٨ /٣/ ٦٩ •

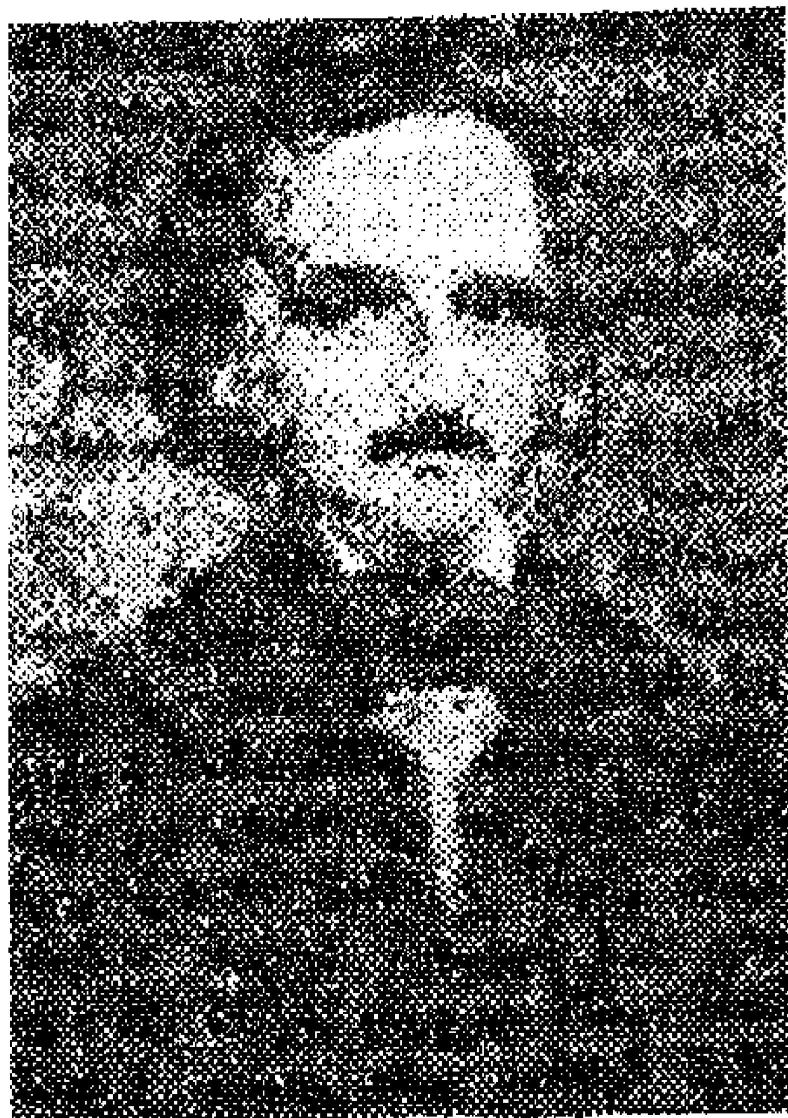
[٦] الهلال ، يونيو ١٩٦٩ .

[٧] الهلال ، أغسطس ١٩٦٩ .

الى الشرح والتفسير ؟ واذا استطاع القارىء متابعة هذه القصة المجهدة واعادة بنائها فى نفسه فسيجدها أهون من أن تحتمل هذا كله : مقاتل جاء القاهرة فى أجازة قصيرة ، يقضى وقته مع أمه وأصحابه ، ويزعجه أن أصحابه ـ والناس فى الاسواق كذلك ـ لاهون عن الحرب رغم أن بينهم وبين القلعة التى تحميهم من ويلاتها مسيرة نهار واحد . لكن هذه التجربة التى اختارها الكاتب لقصته تكاد أن تضيع ملامحها تماما تحت ركام التعقيد فى البناء والتزيد فى الاسلوب . هذه التجربة نفسها ستكون موضوع قصة تالية له ، ولعل النظر فى القصتين أن يكون هو النظر فى الوجه والقناع معا .

اغرى الاسلوب الكاتب مرة ، واغراه تعقيد البناء أخرى ، واغراه الولع بالغرائب والطرائف ثالثة . هذه الاخيرة تمثلت فى « غريب الحديث عن على بن الكسيح » (٨)، أن عليا بن الكسيح ـ القزم المقعد نديم الملوك ـ يطرف يومه كله بقصور الامراء والاسواق وبيوت العامة لا يوصد دونه باب ، على هذا الذى لا يستطيع الحركة الا محمولا على كتف خصى متين البنيان أهداه له أحد الامراء به شبق الى المعرفة : « أتمنى ان أوقف جميع الرجال والنساء فى شارع قصبة القاهرة صفا واحدا ، أطوف عليهم ، أسال كلا منهم عن حاله وماله ، خناقاته ومصالحاته ، أكله ، شربه ، نومه ، تفاصيل حياته مع امرأته .. » ، لكنه يستخدم هذه المعرفة للوقيعة بين الامراء ويلعب دورا ماكرا فى اثارة البغضاء بينهم ، ولا يقتصر شره على الوقيعة بين الامراء ، بل يتجاوزهم الى عامة الناس .. وحين أفرخت احدى مكائده الاضطراب فى المدينة هرع العامة الى بيته ، وخيل اليه انهم واقفون على سره وأنهم جاءوا للفتك به . لكنه اكتشف ـ لدهشته الشديدة ـ انهم ما جاءوا الا ليطلبوا اليه أن يتشفع لهم .

فى هذه اللحظة انفجر غلامه باكيا وظل بكاؤه يتزايد . لماذا بكى ركين .. هذا الشاهد الصامت على ما يجرى ؟ هذا الخصى الذى يشارك سيده حمولته العبث بأجساد الجوارى ؟ هل سئم اللعبة المرذولة ام ان له ضميرا يهتز رغم كل شىء ؟ وهذا الشر الذى ينضح من ابن الكسيح .. أهل تعويضه عن عجزه وتشوهه ؟ انتقامه من عالم وسمه بالعجز ؟ .. أهو قبح الخارج والداخل ؟ .. اهو رمز المعرفة العنينة حين تستخدم للشر ؟ .. تنجح القصة ـ رغم استغراقها فى سرد تفاصيل الخلاف بين الامراء حتى يكاد معناها يستغلق على القارىء ـ فى أن تثير هذه الاسئلة ،



ادجار آلان بو

وفى أن تقدم تصويرا لنموذج نفسى فريد .

مرارة الهزيمة .. والخلاص بالمقاومة ..

فى القصص السابقة كان جمال الغيطانى يختار القاهرة القديمة ـ فى الزمان والمكان ـ مجالا لاستحضار لحظات الماضى ، لكنه فى قصته التالية يمعن فى الرحيل فى الزمان والمكان كذلك ، فيختار مدينة تبدو ذات طابع اسطورى لكنها كانت موجودة يوما من أيام التاريخ . فى القصص السابقة كان الكاتب يختار قاهرة المماليك والعثمانيين ، لكنه هذه المرة يختار غزاة آخرين يمدون لهم بقربى وثيقة هم «المغول» (٩) . ويبدو أن الجو العام للقصة وتفاصيلها مستمد من المعارك التى دارت بين قوات جنكيز خان و (محمد) خوارزم شاه سنة ١٢١٨ م وما بعدها . (يبدأ أحد مقاطع القصة على هذا النحو محددا زمنها : بعد ستمائة عام من هجرة مولانا وحبيبنا محمد ، أى حوالى ١٢٢٠ على وجه التقريب) .

والتقط من هذه الفترة اسم مدينة « اوترور » ، وقتل خوارزم شاه لرسل جنكيز خان الثلاثة ، ثم فراره أمام قواته ، وكانت جيوش الشاه تعلم علم اليقين أن المغول لن يبقوا عليهم ، من هنا أبدت ثباتا وشجاعة فائقتين فى الدفاع عن الحاميات المفردة المختلفة .. » (١٠) . أختار الكاتب حامية مدينة « أوترور » ومقاومتها ثم سقوط المدينة فى أيدى المغول وما لقى أهلها من أهوال . والقصة مروية كلها فى مقاطع متتالية تراوح بين الماضى والحاضر : ماضى المدينة فى السلم وفى أيام الحصار ، وحاضرها المنتهك المستسلم ، كما يتبدى لوعى شاب من أهلها اشترك فى المقاومة وكان قريبا من قائدها ، الشيخ علاء الدين ، وهو الان صامد للتعذيب لا يبوح بما يعرف عن كنوز المدينة ومخابىء سلاحها . وملامح البطل هى هى ملامح سعيد بن واصل فى « حرب الكفرة » ، والشيخ علاء الدين صورة جديدة من ابن سلام وناطق الزمان ، لكننا نرى فى صمود البطل للتعذيب وفرار الشيخ من أجل استمرار المقاومة أملا فى الخلاص .

بقيت من قصص هذا القسم قصتان ، تضم كل منهما الحاضر والماثور الدينى فى اطار واحد . الاولى هى « بكاء الحزين فى مشهد الحسين » (١١) ، والثانية « ناطق الزمان » (١٢) . الاولى هى أخبار هذا الزاهد العابد « الواهب نفسه وعمره لمقام سيد الشهداء » . وهو الان يرى خطرا يتهدد مقام الحسين ، ثمة أغراب يلوحون فى الافق ينذرون بالخطر ولو أنهم نالوا الحسين بسوء فيستدفق الفساد ليغمر كل شىء . أصبح الحسين هنا رمز كل ما يتهدد مصرا بالضياع ، ونحن نرى هؤلاء الاغراب من خلال خيال الزاهد المضطرب الغارق فى ذكريات طفولته وحبه الخائب ، ومناجاته التى لا تنقطع لسيد الشهداء . (هذه المناجاة التى تتردد بعض جملها بالنص فى أعمال أخرى ، أخبار على بن الكسيح ، و « طبيغا منصف الشاكى ») .

والقصة تضم موضوعين أثيرين عند الكاتب : حى الحسين الذى يتردد كما هو فى قصص أخرى عديدة ، فى الحقيقة لا تخلو قصة من قصص جمال الغيطانى من ذكر الحسين ، حتى تلك التى تدور فى مدينة بالصعيد يرد فيها سؤال عنه ، والثانى هو دلالة الامام نفسه : الشهيد من اجل الحق ، لكن القصة تغرق فى هذه المناجاة الطويلة التى لا يفعل فيها الكاتب سوى أن يمدده فيستخلص بعض ما يردده المريدون فى الاناشيد والاذكار : « يانور العين ، ياغربتى فى الحوارى ، ياسامن عرفته وعرفنى ، يامؤنسى فى البلاد الغريبة ، ياابن أسد الله الغالب ، ياابن الصفا والمروة ، ياابن مكة ومنى .. » ، ولا يفلح الكاتب فى أن يرسم لنا ملامح هذا الزاهد فى خصوصيته وتفرده ، كما نجح فى أن يرسم ملامح ابن سلام او طبيغا أو على بن الكسيح ، وجاءت ذكرياته نسخة مكرورة من ذكريات الطفولة الضائعة لأبطال آخرين ، وجاءت هذه السيولة العاطفية المتدفقة لتشتت ـ بمترادفاتها المتتالية ـ

---

[٨] ملحق جريدة الاخبار ، ٦٩/٧/٦ .
[٩] روز اليوسف ، ٧٠/١/٢١ .
[١٠] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى ، الجزء الثانى ص ٢٦٦ .
[١١] المساء ، ٦٩/١٢/١٩ . [١٢] المجلة ، يوليو ٧٠ .

الانطباع الواحد الذى يهدف الكاتب اليه فى قصته كلها : الاحساس بوجود خطر يتهدد مصرا كلها لانه يتهدد مقام سيد الشهداء ٠

هذا المهدى المنتظر ، هذا الامام المستتر ، الذى سياتى الى الدنيا « بعد أن يبلغ أمرها حدا لا حد بعده ، فيملأ أيامها عدلا وسلاما بعد أن ملئت ظلما وجورا » ٠ هذا التجسيد لامل الانسان فى العدل والحرية ، سنراه الان نفسه بعد أن طوف الكاتب حوله طويلا ، فقدمه مرة فى صورة ابن سلام وثانية فى صورة طيبغا وثالثة فى صورة علاء الدين ٠٠ هذه المرة ياتى باسمه وصفاته : ناطق الزمان ٠ يلتقى به بطل القصة فيعرفه « والصباح يخطو طفلا واسع العينين » ، ويطلب اليه الامام أن يصاحبه ، من أجله اضاع الفتى ما اضاع ، وحين يختلى به فى حجرته الصغيرة يبوح له الامام بعذاباته طول السنين ٠٠ « الان وجب الحذر فقد كثر الاعداء » — كأنهم هؤلاء الذين رآهم الزاهد يتهددون ضريح الحسين ، ويتوحد ناطق الزمان بعذاب ابن سلام فيقول للفتى : « هنا فى مصر ، منذ أربعمائة وسبعين سنة قبض عليه العسكر » ، انه هو تاريخ دخول العثمانيين مصر ، وهو يقول كذلك انه قضى بمصر زمنا قبل مائة عام ، بالضبط قبل انكسار عرابى ، لا يضارع حزنه على هذا الانكسار سوى حزنه على قتل الحسين فى كربلاء ، واجتياح المغول لخوارزم والشام ، ودخول سليم الاول أرض مصر ولعبه بالسيف فى رقاب أهلها ٠ هذه أحزان ناطق الزمان ، وهى كذلك لحظات التاريخ التى دأب جمال الغيطانى على استحضارها واسقاط ملامح الحاضر على شاشتها ٠ لكن المطاردة تشتد حتى تضطر ناطق الزمان للتستر من جديد ، وتنتهى بلوعة حارقة من جانب الفتى الذى تضاءلت أحزانه الى جانب أحزان ناطق الزمان ، وما أحزانه — فى نهاية الامر — سوى تلك الاحزان التى يعرفها أبطال جمال الغيطانى بغير استثناء : الحب الخائب والاسرة المترنحة فى مواجهة الحياة ، والبحث اليائس عن طفولة ضائعة ٠

هل كان جمال الغيطانى يودع بهذه القصة عالمه التاريخى والاسطورى الذى صحبه طوال هذه الفترة من عمله الفنى ؟ (نشرت آخر قصص هذا القسم فى يوليو ٧٠ وفى الشهر نفسه نشرت أولى قصص القسم التالى) ٠ لكن فى هذه القصة الاخيرة تركيزا وتكثيفا لعالمه كله ، لكل اللحظات التى استدعاها من قلب التاريخ ، ولكل الرحلات التى قطعها أبطال آخرون على أرض مصر ، ولكل العذابات التى عانى منها بطله الشاب فى بحثه المضنى عن الحب والعدل والحرية ، أفاد هذا العالم جمال الغيطانى قدر ما تهدده خطر الوقوع فى اسره بحيث لا تخرج شباكه بصيد جديد ، وفى هذا القسم كله يتبدى لنا صراع الكاتب مع مادته كى يمتلكها بين يديه ، ويختار منها ، وينتقى بحيث ينتظم لقصته عالمها المحكم ، تتساوق فيه التفاصيل طبقا لتخطيط يخضع لارادته كل شىء ٠ كان الكاتب ينجح فى عمله أحيانا (هداية أهل الورى ، كشف اللثام ، اتحاف الزمان ، المغول) ، ويسقط فى أسر مادته أحيانا أخرى (دمعة الباكى ، أخبار حرب الكفرة ، غريب الحديث) ، واذا كان « كل اختيار يقوم به كاتب القصة القصيرة يحتوى على امكانية قالب جديد ٠ كما انه يحتوى على امكانية اخفاق كامل » (١٣) فان جمال الغيطانى قد استطاع — وراء النجاح والاخفاق — أن يستخلص لنا قاهرة قديمة ، تستلقى ما بين القلعة وباب الفتوح ، وتضم بين أبوابها السبعة هؤلاء الذين اضطربت بهم الحياة قبل أكثر من أربعمائة سنة من تاريخنا ، لكن ذلك لم يكن هدفه ، لم يكن هدفه استجلاء هذا العالم وبعث الحياة فيه قدر ما كان اخضاع تفاصيله لرؤية عصرنا ، وابرز ما فى هذه الرؤية عنده هو تلك اللحظات المثقلة بمرارة الهزيمة، الحبلى بأمل الخلاص بالمقاومة ٠

المقاومة ٠٠ على

ارض الواقع

واذا كان جمال الغيطانى يبحث عن دلائل المقاومة فى صفحات التاريخ ، فها هى تتفجر هديرا ودويا على أرض الواقع ٠ والحقيقة أن هذا الكاتب افاد كثيرا من عمله الصحفى الذى جعله يتردد على جبهة القتال ويشهد شيئا مما يدور فيها أثناء اشتعالها بالمعارك فى ٦٩ والشهور الاولى من ٧٠ ، وهاهو يبادر الى تقديم نوع من التسجيل الفنى لما يحدث على الجبهة ، ولمن يقاتلون فيها ٠ لازال بناء القصة عنده — بوجه عام — يقوم على محاولة خلق انطباع موحد من خلال المقاطع المتتالية ، لكن هذه المقاطع ستتردد — منذ الان — بين الداخل والخارج على نحو مزدوج ، فالداخل هو داخل الذات وداخل البلاد معا ، والخارج هو خارج الذات وأرض المعارك معا ٠

بعبارة أخرى ستقوم هذه القصص على التناقض بين الجبهة والمدينة من ناحية ، والتقابل بين ما هو داخل الذات من ذكريات وأفكار ومشاعر وما هو خارجها من تفصيلات وأحداث ووقائع من الناحية الاخرى ٠

فى « اجازة ٧٢ » (١٤) يرجع المقاتل من الجبهة فى زيارة قصيرة ثم يعود ٠ يعمق التقابل بين الحديث الذى يتبادله الاصدقاء فى المقهى والذى يتبادله الرفاق فى الملجأ ، بين الثرثرة والنزوات الصغيرة والشك وعدم اليقين واللا مبالاة من جانب ، والاخلاص الرجولى والامنيات البسيطة والارتباط بالارض والواقع وممارسة الحرب عملا يوميا من الجانب الاخر ، وحين يحدث الهجوم الجوى على جزيرة شدوان الصغيرة (هل كان الكاتب بحاجة لان يطلق البطل وزملاؤه على كل موقع من الجزيرة اسم مدينة مصرية كى تصبح الجزيرة تلخيصا لمصر كلها ؟) يذكر البطل ما رآه فى القاهرة : « الحياة تتواصل على نحو رخى هادىء ، ولقاء السحاب يتحقق ، وناصية سليمان عامرة ، والالوف تتدفق فى شارع الهرم ، والمدير يموت مع صاحبته فى البانيو ، والصديق يطلب مزيدا من البراندى » ٠ وتحت غطاء جوى كثيف تمكن العدو من انزال جنوده فوق الجزيرة ودارت معركة حامية ٠ صمت مدفع بطل القصة فاستسلم ، طلبوا اليه أن يتقدم نحو القنار ليرى ان كان بداخله أحد من رفاقه فيقنعهم بالتسليم ٠ بقية القصة ترويها برقية طيرتها وكالات الانباء : « عاد الجندى المصرى ليقول لهم انه وجد المبنى خاليا ، وعلى الفور توجه ضابط اسرائيلى وعدد من الجنود لاحتلال المبنى ، وما كادوا يدخلون حتى فوجئوا بالنيران تنهال عليهم من مدفع رشاش ، كان بالداخل جندى مصرى جريح آثر أن يقاتل حتى النهاية بعد أن رفض زميله خيانته » ٠ هذه البرقية الموجزة هى النواة الصلبة للقصة ، وحين حاول الكاتب أن يصوغها رجع الى ملامح بطله الدائم : بحبه الخائب ، وجولاته فى القاهرة القديمة ، ورجوعه — وراء شتى المعاذير — لتاريخ مصر المملوكى ٠ هكذا اضاع الكاتب خيوطا ثمينة من اجل ان يقدم ملامح بطله المألوف ، ولم نعرف عن المقاتلين الباقين شيئا بالكاد سوى أسماءهم ٠

الملامح نفسها أيضا نجدها عند بطل « عصفور الشتاء المهاجر » (١٥) تحاول القصة أن تجعل لكل من مقاطعها عنوانا نابعا من التجربة نفسها ، فالمقطع الاول عنوانه الرصد والاستطلاع ، والثانى بريد حربى ، والثالث قطاع ، والاخير أمر ٠ جندى رابض فى خندقه يرصد طفلة صغيرة تجرى بكل نزق العمر الصغير وفرحته فيرى نفسه فى طفولتها ، يرى — مثل بقية الابطال — طفولته

[١٣] فرانك أوكونور ، الصوت المنفرد — ترجمة د٠ محمود الربيعى ، القاهرة ، ٦٩ ، ص ١٦ ٠
[١٤] المساء ، ٧٠/٧/٢٤ ٠
[١٥] المجلة ، نوفمبر ٧٠ ٠

الضــائعة التــى يبحث عــن استردادها : « أوشك فى لحظات كثيرة هنا علي استرداد طفولتي ، ادنو منها مع يقيني أنها وهم لم أعشها ، والا قل لى ·· أين هى ؟ ! ، وهو يربط فى رسائله وذكرياته بين هذه الطفلــة وعصفورة وحيدة حومت حول الموقع عدة مرات من قبل ، وفتاة ضائعة فى قريته كانت آخر وجه فى وداعهم حين ارتحدوا عنها وأول وجه تذكره فى المدينة · وتصبح الصغيرة تميمة الموقع ويرى فيها القائد ملامح ابنه البعيد · المقطع الاخير من القصة « أمر » من الكاتب ـ الخالق الي عناصر الطبيعة كلها بأن تتوقف عن الحياة وان تــدور عكس دورتهــا المعتادة « لان ما ذاقته سـماء (اسم طفلة) ، ما رأته ، فيــه الام الكون المقبلــة لمــدة ألف ألــف عــام » ، اذن « لتقصف الكلمـات ، وتحجـب الشمس وراء غيوم ويفسح الطريق لحداد أبدى ·· مياه الانهار تصير بنية اللون ، جيرية القوام ، ترسل الى الفراغ عطنا ونتنا ·· أو احزان عشاق تبوح عن نفسها (كيف يستقيم ؟) ، فالنســاء جميـلات مسـتباحات والعيش نعيـم طري (مرة أخرى : كيف يستقيم ؟) ، لا فرحةبلقاء ولا بهجة بعودةالاسرى الى الديار بعد غيبة طويلة ، عيون البشر وسط رؤوسهم فلا يعرف الانسان امه من أبيه أو بنيه ، يخرج السجناء ، ترفع آلات التعـذيب ، تفتـــح عنـــابر المعتقـلات (مـــرة ثالثـــة : كيـف يستقيم ؟) ··

ان هذا المقطع الاخير زاعق جدا ، زائف جدا ، يحيلنا لرومانسية غريبة لا تتسق وبناء القصة الواقعى القائم على محاولة خلق الانطباع الواحد من خلال انتقاء تفاصيل الواقع والداخل وسوقها معا ، وقصة من هذا النوع « لا تبدأ من فكرة مثالية ، بل تبدأ من الواقــع الخارجى ، ولا ترى قيمة لاثــارة العاطفه ، بل تضبطها وتحكمها لتحولها الي موقف ناقد ، اما القصة الرومانسية فانها ، على العكس ، تخاطب خيـال القارىء وعاطفته أولا » (١٦)· ان هذا المقطع لا يتناقضمع بناء القصة فقط لكنه يتناقض في داخله أيضا ، فثمة بعض الجمل تفقد دلالتها تماما ، وأخرى تثير حالة شعورية مناقضة للحالة التى يحاول بقية المقطع اثارتها ، ويقع هذا الجزء من القصة فى الاضطراب والتنـاقض فيهتز البناء كله ، وتترك القصة عند القارىء شيئا بين الموقف النقدى المكتمل من ناحية ، ومحاولة اثارة الانفعال ، على نحو صارخ ومفتعـل ، مـن النـاحية الاخرى ·

وعلى النحو نفسه من البنـاء ذى المقاطع المتتالية الذى يقوم على التقابلبين أرض القتال وواقع المدينة التى جاء منها



سيد درويش

البطـل يقـدم جمـال الغيطـانى قصتيه التـاليتين : « شـكاوى الجنــدى الفصيح » (١٧) ، « مناجاة ليلية تحت هدير المدافع » (١٨) فى القصة الاولى تبلغ درجة استفادة الكاتب من أسلوب التقطيع السينمائى غايته ، ان بين هذين الفنين كثيرا من أوجه التشابه ، « فكل منهما فن حر لم تثقله بعد التقاليد ، وكل منهما يكشف عن وعى بالذات وعن قوانين داخلية تنتظمه ·· فقطعة الورق الصغيرة التى يحملها الهواء على طول شارع صباحى خال ، والفتاة المنكبة على شغل الابرة فى محطة قطار ، والام التى تنتظر عودة ابنهااللاهى بعد سهرته الطويلة ·· فى كل هذه اللحظات شىء لا يرى ، شىء دقيق ينزلق الى وعى القارىء حاملا اليه مـذاق الضـيـاع ، أو الفــراغ ، أو البــأس ·· » (١٩) وفــى شـكاوى الجندى الفصيح يحاول جمال الغيطانى أن يستفيد من تكنيك السينما فى التعبير بالصورة وفى تقطيع المشاهد المتتالية· ان المشاهد المتتالية هنا لا تحـاول ان تخلق انطباعا واحدا بقدر ما تحاول أن تسير بالحدث الذى اختارته فى خط واحد تتلو فيه النتيجة السبب · والمقدمة التقليدية فى قصص جمال الغيطانى تخلى مكانها لبداية الحدثالذى ستحملالمشاهد المتتالية على تطويره : مقاتل أوقفت الشركة التى يعمل بها صرف مرتبه بعد أن استدعى للجيش وهو يكتب شكوى لمدير الشركة ويرجو السكرتيرألا ينسى عرضها عليه · بعد هذا المشهد تتتابع المشاهد لتسير فى خطين مترابطين : رسائل المقاتل مــن الجبهة ولهجتهتعنف وتزداد حدة بقدر ما تتازم مشكلته الموضـوعية وأحاسيسـه تجاهها ، ثم هذه الرسائل نفسـها يستخدمها السكرتير مادةلنسج الشباك حول زميلتهالحسناء ، الخط الاول يسير فى اتجاهالازمة ، ويسير الخط الثانى فى عكس اتجاهه، يتباعد الخطاننماما فى النهاية ، فيصيح المقاتل بالمدير فى لهجة غيظ وحنق ، على حين يمرح السكرتير وصديقته فى مياه البحر على رمـال المنتزه ، وأغنية تتردد مـن الراديـو المفتوح : زى الهوا ·· زى الهوا ·

ومثل السينما المصرية ، لا تخلو قصة جمال الغيطانى ـ على احكام بنائها ـ من ميلودرامية وافتعال بهدف الالحاح على المشاعر · انظر الى هذه الجمل من خطاب المقاتل الاخير الى المدير : « أنت هجوم صاعق على نهاية عمر أبى ، انت طيران منخفض لا تنذر لكنك تحرق آمال اختى وتغير على البهجة فى عينى امى ، انت جنزير يدهس مراراتى،أعددت كمينا ناجحا لم يخطىء لحياتى ·· » ،ألست ترى فى هذه الجمل ـ ومثلها يتردد فى القصة ـ محاولة لصب التجربة فى قالب اصطلاحى تضيق به ويبدو الكاتب من ورائها ؟ ألن نستطيع نحن ان نتلقى تجربة المقاتلونشارك فىالاحساس بها لو خلت من اصطلاحات الحرب ؟ وبقدر ما يبدو المقاتل صادقا مقنعا وهو يحكى عن اسرته البعيدة بقدر مـا يبدو شـديد الاتضاع حين يضع نفسه فى مواجهة مديره : «لم أمش مع فتاة ترتدى جاكت شمواه فى محطة الرمل ، لم اجلس الى أنثى تدهن جفنيها باللون الازرق ، لم ادخل الفنـادق الكبيـرة ، لم احتفـل بالكريسماس فى شقق بها سـلالم داخلية ·· الخ » ·

فى القصة الثانية مزج بين خواطر الصحفى الذاهب لزيارة الجبهة وخواطر الضابط الذىقضى الليلبصحبته ، وجمل الحوار القليلةالمتبادلةبينهما ، وانعكاس ما يحدث فى الخارج على مشاعرهما المتبادلة · لم تفلح القصة فى وصف مشاعر الصحفى قدر ما افلحتفىوصف مشاعر الضـابط وخواطـره : فى أشد لحظات الخطر يرى الطفل الذى يحاول ركوب المصعد فتنهره السيدة ، وحين يموت رجاله الثلاثة يظل لديه احساس يقينى بأنه لابد سيلقاهم فى مكان ما ، وحين يتذكر أمه يندهش : كيف لا يذكرها كثيرا ساعة الخطر ؟ وحين يزداد دوى الانفجارات فى الخارج تزداد مشاعر الرجلين حميمية وتصاعدا ، وتأتى نتائج الاستطلاعات مبشرة فيبتهج الضابط لانه أنجز عمله ·

لقطـات متتـابعة ترسـم ريبـورتاجا قصصيا مكتوبا بتدفق وعذوبة ·

علىأن افضل قصص هذا القسم ـ وواحدة منأفضل قصص جمال الغيطانى على الاطلاق ـ هى قصـته « أرض ـ أرض » (٢٠) · فى التاسعة والنصف

[١٦] د. شكرى محمد عياد ، القصــة القصيرة فى مصر : دراسة فى تأصيل فن أدبى ، ٦٧/٦٨ ، ص ٤٤ .
[١٧] الهلال ، اغسطس ٧١ · [١٨] العمال ، ٧٢/٢/٢٤ ·
[١٩] عن : H.E. Bates, The Modern Short Story, A Critical Survey. p. 21
[٢٠] روز اليوسف ، ٧١/١٢/٧ .

من كل صباح تنقى تفاصيل الحياة فى دورتها المألوفة ، غير أن هذه اللحظة تقف عند بطل القصة وراويها جامدة ثابتة ، خارج الزمن · ماالذى حدث فى التاسعة والنصف فأوقف تدفق الزمن ؟ يقول مصطفى أبو القاسم انه كان فى الزقازيق ، وحين رجع الى السويس وجد أمه واخوته السبعة قتلى تحت أنقاض بيتهم نتيجة الضرب بصاروخ أرض — أرض · جارهم الفلاح الفقير عبد المنعم أبو العطا هو الشاهد الحى الوحيد على ما حدث ، لكنه منذ هذه اللحظة يعيش غيابا متصلاعن الواقع ، فقد أصبح أبكم وأعمى ، هذا الشاهد الوحيد الحى يجب أن يتكلم . الى المستشفى فى الزقازيق أخذه ، كشف الطبيب المتعجل على بطنه وظهره ، لم ينظر الى رأسه المكفنة بالاربطة ، قال : اذهب به الى مصر ، حاول أن يقابل مدير المستشفى فلم يفلح ، شكا لمأمور المركز فقال له : تعال بكره ، عاد بعبد المنعم الشاهد الحى الابكم واقاما معا فى بيت هجره أصحابه : « طوال الوقت حديثى الى عبد المنعم أبو العطا ، انظر الى عينيه المغمضتين ، هو لا يسمع ولا يرى ، انما أثق انه يرانى ويصغى الى ·· » ·

والقصة هى مونولوج مصطفى ، يرويه لنا بصوت محايد ، أخذ جمال الغيطانى عن أسلوبه القديم أفضل خصائصه : أن يروى أشد الحادثات هولا بأسلوب بسيط لا مبالغة فيه ولا احتفال ، ومونولوجه يسير متسقا ، هادىء المظهر لكنه يشى بنفس تتلوى وتحترق . انظر اليه حين صاح فيه الطبيب الشاب : « امشى يا ولد ، نحن فى مستشفى أميرى وليس مستشفى للامراض العقلية · وأنا مصطفى أبو القاسم لست ولدا ، أنا مدرس من كفر عامر ومعى دبلوم معهد المعلمين ، وأنا الذى أزعق فى وجوه التلاميذ : يا ولد ، وليس الطبيب ، غير أننى جئت ، فأنا وعبد المنعم بلا سند ، بلا غطاء » ·

وعن الخط الرئيسى للقصة يتفرع خط آخر مواز ، عن النجار الفقير الذى هجر المدينة ، ثم عاد اليها يلتقط رزقه من هنا وهناك ، جاءت زوجته وابنتاه لزيارته ، وجاء الصاروخ فى التاسعة والنصف وتطايرت شظاياه ، شطرت جسد زوجته شطرين وقتلت ابنتيه ، ظل الرجل صامتا يومين يدخن ، وقام مرة ليزور قتلاه ، قرأ عليهم الفاتحة ، ثم تمدد فى هدوء ومات ·

فى هذه القصة الممتازة لا افتعال ولا ضجيج ولا محاولة لاثارة العواطف ، الامر مروى بهدوء وحياد ظاهرين ، وبين الكاتب وقصته مسافة قائمة تتيح لها أكبر قدر من التأثير ، التفاصيل كلها خاضعة لتخطيط دقيق فلا تتدفق أو تفلت من سيطرة الكاتب · استطاعت هذه القصة أن تحقق هدفها الطموح فتكشف بشاعة الحرب وتعرض نماذج لهؤلاء الذين يكتوون نارها ، وأهم من ذلك انها استطاعت أن تبرز — وهذا أهم ما حاوله جمال الغيطانى فى هذا القسم من قصصه القصيرة — التناقض القائم بين العالمين : عالم الذين يكتوون نار المأساة وعالم الذين يقفون لاهين عنهم لا يقدمون لهم الكثير ·

الجماعة المقهورة ··
فى الحصار والرعب

أربع قصص فقط هى التى حاول فيها جمال الغيطانى أن يجد تجربته خارج صفحات التاريخ أو جبهة القتال · كل من هذه القصص الاربعة تقوم على شخصية مأزومة ، يلتقطها الكاتب فى قمة أزمتها ، ويرجع بنا لنضرب فى جذور تاريخها الخاص أو عالمها النفسى،ثم نرتد مرة أخرى للحظة الازمة · أبطال القصص الاربعة يشتركون فى ملامح واحدة : هم جميعا موظفون صغار ، يعيشون حرمانا عاطفيا قاسيا ، فى قلب كل منهم ورقة حب ذابلة ، ذبل الحب فى عالمهم ورحل الاصدقاء ، وكل منهم يعيش الحصار ، يطارده أعداء حقيقيون أو وهميون ··

فبطل «أيام الرعب» (٢١) يطارده ثأر قديم ، وقد جاء القاتل الى المدينة يبحث عنه ليقتله ، من هنا تبدأ أيام الرعب ، فيظل البطل لائذا بين حجرته الصغيرةفى احدى الحوارى الى جوار الحسين وبين المقهى والميدان والضريح ، منقطعا عن عمله ، مجترا ذكرياته ، وخواطره ، لا يعرف متى يباغته قاتله وكيف يقتله · الوحدة كاملة والرعب مطبق كقفص حديدى · والحياة تواصل مألوف ايقاعها لا مبالية بما يتهدده · فى وجه هذا العالم اللا مبالى ، فى وسطه ، لابد أن يوجد شخص ما يحميه ، انتبهى يا غابة الرؤوس السوداء ، يا معرض العيون المترجرجة الزجاجية ، تسلق النافورة ، وخلع جاكتته ملوحا ببطاقته الشخصية ثم قذفها ، فليأخذها عويضة ، خلع ثيابه كلها ، دفن رأسه فى صدره وانحنى حتى كاد جسمه أن يتقوس ، وسمع عويضة يشق الزحام واثقا ، ثقيل الخطى ، لا يوقفه أحد » ·

لكن المشكلة فى هذه القصة القصيرة (التى تتجاوز كلماتها الستة آلاف كلمة) أن الكاتب ينسج فيها ملامح بطله نسجا روائيا خالصا ، انه لا يكتفى بأن يحدد ملامحه فى صور قليلة موحية ، لكنه يحددها من خلال سرد التفاصيل ، مئات التفاصيل عن طفولته وأبيه وقريته البعيدة وحبه الخائب وصديقه الراحل وتجوله الى ضريح الحسين ومناجاته له طلبا للامن ·· الخ · ان هذا التفصيل كله قد يتقبله قارىء الرواية (وقد يطالب به) ، أما القصة القصيرة ·· فرغم كل ما أصابها — ويصيبها — من تطور فيبقى صحيحا ما قاله واحد من كبار كتابها هو ادجار الان بو : « فى بناء القصة كلها لا يجب أن تكون هناك كلمة واحدة لا ترتبط — على نحو مباشر او غير مباشر — بتخطيط القصة المسبق ·· » (٢٢) ، ان الافكار لا تتشكل وفقا للحوادث ، لكن الكاتب يعمد الى تأثير واحد يريد أن يحدثه ، ويروح ينتقى من الاحداث والتفاصيل ما يساعد على ايجاد هذا التأثير · لكن جمال الغيطانى فى هذه القصة بعيد عن مثل هذا التخطيط ، لذا تأتى النهاية نوعا من الاستسلام غير المبرر ، لان الكاتب لم يهدف منذ البداية لاحداث هذا التأثير ، لكنه كان ينسى مخططه تماما وهو ينساق الى تفاصيل حب البطل او سفر صديقه أو حياته فى القرية البعيدة ·

وملامح القاتل طالب الثأر أكثر تأثيرا من بطل أيام الرعب · ان هذا القاتل كما يتجسد فى وعى الضحية وفى كلمات أهل القرية يقف بين المستوى الواقعى والرمزى : هو القاتل الكاسر · قاتل الاطفال دون رحمة ، لا يفلت امرأة أعجبته ويمرغ رءوس الرجال فى الذل ، يعذب ضحيته قبل أن يمد يده لقتلها فى اللحظة التى يختارها ، انه يد قدر قاهر تمتد لتبطش بما تريد دون تردد · لو أن الكاتب ركز قصته حول هذا الخط الواحد وانتقى من التفاصيل ما يخدمه لجنب قصته هذا الترهل الذى أصاب بعض أجزائها ولاختار لها النهاية التى تتسق وملامح بطلها ·

سنلتقى بصورة هذا القاتل مرة أخرى فى القصة التالية « منتصف ليل الغربة » (٢٣) · فى مدينة صغيرة من مدن الصعيد يراوح البطل بين حياته الراكدة فيها وذكرياته عن مدينته البعيدة المليئة بالصخب والحياة والجميلات ورائحة البحر ، وتستخدم القصة كل وسائل القص : اليوميات والرسائل والمونولوج والوصف والمعلومات · فى يومياته يستعيد الفتى قصة حبه العبقة بأول أنفاس الشباب ، وكلما أوغل فى ذكرياته بدت له المدينة أكثر وحشة ورتابة وخمودا ، لا يعرف فيها سوى هؤلاء الموظفين الذين بادلهم عداءهم منذ اليوم الاول ، ولا يبقى له سوى أن يجلس على

[٢١] مجموعة : « أوراق شاب .. » .
[٢٢] راجع : د. شكرى عياد ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .
[٢٣] المساء ، ٦٩/٢/٢١ .

رصيف المحطة ، يرى القطارات والفتيات ويغرق فى ذكريات حبه •ثم يبدو لنا خفير الاستراحة التى يبيت فيها الفتى وحده : طويلا صامتا ، متجهما ، جامد النظرات ، من قلب الوحدة عرض عليه الفتى أن يبيت معه وسيؤجره على ذلك •• وفى قلب الليل وجد عبد المقصود « يلامس جسمه ، يده الغليظة الخشنة تسد فمه ، أنفاسه ساخنة لزجة تقشعر ما وراء أذنه ، واليد الاخرى تمتد الى بنطلون بيجامته ، الحجرة تغرق فى زيت لزج » ، بعدها تسلل عبد المقصود شيئا فشيئا حتى امتلك حياته كلها : تاريخه وخطاباته ونقوده وكتبه وخلجات نفسه ،خطاب حبيبته ظل الشىء الوحيد الذى يكتبه بعيدا عنه ، أرسل لها خطابا واحـــدا كصرخـــة غـــريق ثـــم كف ••« يخاف ان يرى سامية فجأة ، ستعرف كل شىء ، فربما آخذها من يدها وذهب بها اليه » • يقف الفتى أمام محل يبيع ادوات الحلاقة ، ربما ليشترى شفرة وربما ليشترى زجاجة عطر ، « صاحب المحل يقول له وعيناه محملقتان الى السماء : ان المطر لا ينزل هنا ابدا » •

قدكان يمكن لهذه القصة أن تكون ما أراده الكاتب : تعبيرا عن الوقوع فى قبضة قهر قوى شامل لا سبيل الى الهرب منه ، لولا أننا لا نستطيع أن ندمع عنا هذا التساؤل : هل اغتصب بطل القصة ام لبى نداءا كامنا فى اعماقه ؟ من البداية نرى فى حديثه عن نفسه عبارتين تلفتان النظر : « عند عبـورى حديقـة الاستراحة الجرداء تيقنت أن هناك من يرقبنى •• اقشعر ظهرى » ، وهو يقول فى ذكرياته عن حبيبته : « قلت لن أجد مثلها ، لو أنى خلقت بنتا لتمنيت أن أكون هكذا » ، ثم هو الذى يعرض على خفير الاستراحة أنيبيت معه ، وفى آخر ليلة « وكان عبد المقصود وحشا فاقد الوعى آلمه حتى صرخ » ، بعدها •• تمنى الفتى أن يوقظه ليجاذبه الحديث ، هذه القصة ليست وقوع فتى فى قبضة القهر قدر ماهى تصوير نفسية فتى يتمنى الاغتصاب وقد اغتصب • كان حائل الرجولة عبئا يثقله ويقف به دون اشياء كثيرة : دون أن ينقل لمديره ما يقوله عنه مرءوسيه ، ودون ان يحمل مسئولية حبه البعيد ، باختصار : دون أن يلقى عبء وجوده كله على الاخر (٢٤) • اننا نقف أمام نهاية القصة المراوغة ونحن لا نعرف : أهو جاد فى أن يضع نهاية لحياته أم سيقنع فى النهاية بزجاجة العطر ؟

لعلها هذهالمدينة نفسها التى عاش فيها هذا المدرس العجوز الذى لا نعرف له اسما ، بطل « البلاد البعيدة » (٢٥) قضى فى هذه المدينة الصغيرة خمسين عاما لم يبرحها : صغيرا يمشى الى جوار ابيه على رصيف محطتها ، وعجوزا فــى الخمسين لازالت تسليته الوحيـدة أن يراقب القطاراتويتأمل • اختاره الكاتب فى لحظة « نموذجية » بعد توديعه لهذا الرجل الذىالقى فى حياته الراكدة حجرا حين حدثه عن أسفاره العديدة ، ثم تركه وبه شوق لا يرتوى الى البلاد البعيدة •

ان هذا الحلم المتردد فى اعمال جمال الغيطانى تفتت بين يديه حين حاول أن يجعله فى قصة واحدة فدلقه دلقا على الورق : لا الشخصية مقنعة ولا اللحظة كذلك • هذا الرجل الذى يعيش أعزب فى الخمسين لانه يرتبك فى حضرة الفتيات فيكتفى منهن بالنظر العاجز ، هل عاش هذا الرجل خمسين عاما منعمره لايبرح قفصه الحديدى ثم انبعثت ازمة وجوده كله لان عابرا قال له عدة ملاحظات عن ساندوتش الشاورمة فى بيروت وحسناء أسبانية التقى بها فى سفينة ؟ ولان البطل (أو الكاتب ؟) لا يعرف هذه البلاد البعيدة معرفة كافية تتيح له أن ينتقى من التفاصيل ما يجعل حلمه بالارتحال صادقا ومقنعافان تصوره لهذا العالم يقع بين حدين : بقايا متلكئة لرحلات خرافية قام بها السندباد من ناحية ، وصور محدودة لتلك الحيـاة تتمثل فى بيوت محدبة السقف ونسوة جميلات مستباحات وزحافات فوق الجليد ومظلات ملونة على رمالالمصايف وفنادق معلقة فى الغابات الكثيفة ــ من الناحية الاخرى •

القصة الاخيرة التى كتبهـا جمـال الغيطانى « الحصار من ثلاث جهات » تشى باستفادته استفادة واضـحة مـن مجموع ما كتب • انها تكاد تخلو من عيوب هذا القسم منالقصص الذى تنتمى اليه • ان فارقا فنيا ملحوظا يفرق بين هذه القصة وسابقاتها • لكن طريقـة البناء هى الشذرات المتفرقة التى تبدو بلا معنى حتى تتكامل القصة كلها فتضفى المعنى على هذه الشذرات • واحد من هذه « الجماعة المغمورة » ــ على حد تعبير اوكونور ــ التى اختار جمـال الغيطانى أن يعبر عنها : صغار الموظفين المسحوقين بين قسوة الواقع وطمـوح الاحلام • يسكن حجرة دون مستوى الارض ، يعيش حياته وجها مع الناس يتبسط معهم • لكنه ان خلا الى نفسه عاش حلم عظمته بعد أن يعلن رسالته ويظهر للناس • (هل يرى نفسه ناطق الزمان الذى سيظهر بعد طول تستر واختفاء ؟) ، فى الليل يفكر فى أعدائه ويضع خططه ويكتب رسائله لـزعماء العالم ويحصون ما سيكتبه عنه مؤرخو سيرته بعد اعلان رسالته • لكن الحصار يشتد حوله ، فيتخلى عنه اقـرب أصدقائه • وقائد قواته فى المستقبل ، والشيخ صاحب البيت يطالبه باخلاء الحجرة التى لم يدفع ايجارها ، حوصر الزعيم من الجهات الثلاثة ولابد ان يقود المعركة الاخيرة بنفسه ، لابد أن يلجأ للجماهير : « يرفع الشيخ عاشور عصاه ويبدأ الهجوم المعلن ، لكنه يحيط قضبان النافذة بذراعه ، باليد الاخرى يفتح أول صفحات الملف الاحمر :

ــ اصغوا الىقراراتى •• اصغوا الى ما •••• » •

وتحار فى نهاية القصة : اتبسـم أم تحزن وعصا الشيخ تنهال على آخر صورة تتردد لناطق الزمان فى اعمال جمال الغيطانى ، هذا الموظف الصغير المسحوق ، لم يتجاوز مـرتبه عشرة جنيهات وأربعين قرشا « لهذا يملأ قلبه حب لمعذبى العالم » ، ومن أجلهم يحلم بهذه اليوتوبيا الجديدة ، يقضى فيهـا على « الفقـر والالام والمخـاوف » ، يضاعف اجور العمال ويجعل لكبار السن مكانا لا يتألمون فيه ، ان التناقض بين حياته الملقاة تحت الاقدام ــ فعـلا ومجازا ــ وبين رسائله الى زعماء العالم وقراراته وخططه هو ما يشيع فى القصة هذه الفاكهة القاتمة ،هذا الضحكالمندى بدموع العجز •• لشد ما قسا جمال الغيطانى على آخر صورة تبدت لامامه المستتر ، لبحثه عن نموذج يجسد أحلام الملايين فى العدل والحب والحرية !

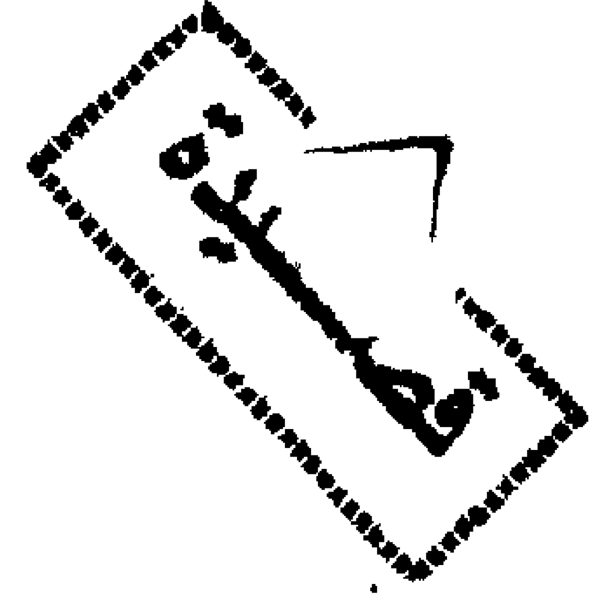
● ● ●

تلك قراءة فى قصص جمال الغيطانى القصيرة من ٦٧ الى الان ، لم تحلق فوق هذه القصص قدر ما حاولت أن تصحب الكاتب فى ابداعه عملا بعد آخر ، هدفها التعرف على ابعاد عالمه ، واسلوب بنائه الفنى ، وما يريد أن يقوله من وراء أقنعته المتعددة • لكن هذه القراءة تبقى ناقصة لسببين : الاول انها لم تتعرض لروايتيه : « الزينى بركات » قمة استحضاره لتاريخ مصر المملوكية ، وتصويره لهذا النموذج الذى فتن به وقدمه فى بعض قصصه القصيـرة ، و « الزويل » التى ارتحل فيها الى ارض أسطورية جديدة ليقول لنا من خلالها شيئا عن حياتنا المعاصرة • السبب الثانى أن جمال الغيطانى مشروعيتحقق مع كل عمل جديد ، بشرت رحلته مع القصة بعطاء وفير ومنوع ، ولعله يحرص على أن يظل دائما قادرا على العطاء ، وقادرا على ان يحتفظ بمسـافة قـائمة بين الكـاتب والقصة ، بين الذات والنموذج •

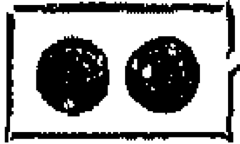
---

[٢٤] ربما يتفق هذا التفسير مـــــع تشبيهات البطل التى تعكس كلها طابعـا « فميا » ــ اذا استخدمنا تعبير التحليل النفسى ، فالعينان فى لون عسل النحل ، والشفتان كالفراولة ، والهواء له طعم القرنفل ،أقطف الفراولة والكمثرى واشرب عصير المشمش .. الخ •

[٢٥] المساء ، ٦/١١/٧٠ •



عن المــوت والطقــوس الأخـــيرة




فى بــلاط شــهريار



احمــد عنتر مصطفى

[١]

... وأنت ترقصين فى العراء
للمى الدثار ..
فهذه الرياح جامحه ..
ورقصك انتحار ..
. . . .
. . . .
ساقاك ، وانفراجة الاغراء ،
وانبثاقة الفجور من نهــديك ،
واســتكانة الضعاف فى عينيك
لا ترد جائعا ..
فلتحذرى عيون شهريار ..
ان اصبحت خناجرا ..
أو أنشبت فى لحمك الطرى
نظرة اشتهائه اظافرا ..
تهيج فى عــــروقك الانوثة
المحمومة ..
تفجر الزوابعا ..
فتسقطين دونما أراده ..
وتجهضين بالممات قبل لحظة
الولاده .
وتتركين وجــهك النبى فى
التراب ضارعا ..
. . . .
. . . .

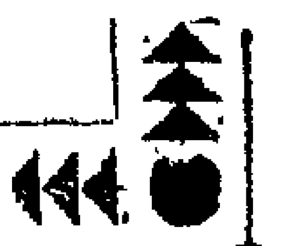
[٢]

يظل ذلك الاسى مقدرا ..
مــادام فى جبينك الشرقى
ينحت المكتوب والقدر ..
فترقصين .. ترقصــين ..
ترقصين ، والالم ..
يمد سيفه النارى فوق عمرك
الوردى ، والغناء متصله ..
وأنت فى تهويمة النغم ...
تعــانقين خفقة اللهيب فى
الوتر ..
تسامرين شهريار قصــة ،
ولا يصيد جفنه الرقاد ..
أواه شهر زاد ..
مايمنع الرجال والفرسان فى
بغداد ..
أن يضرموا الجحيم فى الرماد
ويتركوا الوقوف والذهــول
عند باب القصر ..
تتوجت اســواره بألف جثة
شعورها مهدله ..
مايمنع العيون أن تصير فى
بغداد ..
نوافذ الرصاص والمقاومة ..
فتحرق الدموع والمساومه..

مايمنع الفؤاد ..
ان يترك احمراره الوهمى ثم
يستدير قنبله ..
أواه شهر زاد ..
ايقاع رقصــك الابيح فى
العراء مهزله ..
طبولك الجوفاء لم تعد تطارد
الجراد ..
ولم تعــد تنــور الحقــول
سنبله ..

[٣]

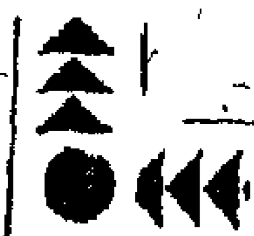
تمر الف ليلة .. وليله ..
والليلة الخمسون بعد الالف
قد تمر ياأميرتى الاسيره ..
يهلل البــلاط لارتعاشــة
الضفيره ..
ويقتلون بالسكوت غيله ..
. . . .
عيونهم تغوص فى الرياش
والوساد ..
ويحلمون كل ليلة أن يدرك
الصباح شهر زاد ..
ماذا اذا اخلف الصــباح
موعدا ..
وبح صــوت الديك فارتمى




على الفضاء مجهدا ..
ورددد الصدى ..
رنين وقع السيف أو تكبيرة
الجـــــلاد .. ؟؟؟
أواه شهر زاد ..
. . . .
الليلة الخمسون بعد الالف
قد تمر ، تنتهى هنـــــــالك

الطقوس ..
أخــاف أن تراق فوق ظهرك
الكئوس ..
أخاف من تثاؤب الاضواء فى
محاجر الشموع ..
فيجهد الشعاع لاهثا ..
على فم الشموس ..
ويستظل فى جبينك السواد

وينثنى متهقها — كالموت —
شهريار صارخا :
السيف ياجلاد ..
. . . .
. . . .
أواه شهرزاد ..
أواه شهرزاد ..
أواه شهرزاد ..





ايزنشتاين

سينما ايزنشتاين

رضوى عاشور

كان يدور في شوارع موسكو حائرا ، وغاضبا أيضا ، كان حبه ((عاصفا ومأساويا)) حبه الاول والذى ظل معه حتى مات . كان في الثانية والعشرين وكان يعمل في مسرح العمال الاول . وفى ليلة من الليالى سقطت تفاحة نيوتن التى كشفت له عن كل شيء : طفل فى السابعة ، ابن احدى العاملات بالمسرح يجلس يشاهد المسرحية ((نظرت اليه وصدمني التعبير الذى على وجهه . لم يكن يعكس فقط التعبيرات التى تظهر على وجوه شخصيات المسرحية واحداثها بل كل ما كان يدور على الخشبة في تلك اللحظة)) [مذكرات مخرج سينمائى ، موسكو ، ص١٢] ان الامر خطير ، بل انه فظيع ان الفن يستطيع بالخيال وليس بالفعل ان يجعل الانسان يعيش اعمالا بطولية ، ينفعل بشدة ، يتخلص من غرائزه الدنيئة ، يكون وطنيا ، لكن دائما بالخيال وليس بالفعل . ان هذا اكثر من خدعة ، فالمتفرج يرضى نوازعه عن طريق الفن [الخيال] ، اذن لماذا يقوم بأى شيء ان كان يستطيع فى مقابل مبلغ صغير ان يرضى نفسه دون التحرك من مقعده الوثير فى المسرح .

قرر ايزنشتاين ، الثورى الشاب الذى التحق بصفوف الثورة البلشفية منذ أيامها الاولى أن يهدم الفن ، أن يقضى عليه ، وكانت خطته أن يسيطر عليه أولا ، ان يكشف اسراره ويرفع عنه اقنعته ثم يوجه له الضربة القاضية ، ولكن فى الطريق ، تصادق مشروع القاتل ومشروع القتيل ! [انظر نفس المرجع]

ويذكر التاريخ ان الرجل الذى اراد ان يقتل الفن قدم اعمالا هى انضج نماذج المرحلة فى الفن السينمائى ، فلقد اكتشف الثورى الشاب اثناء متابعته ، تضحيته المتبلة ، ان الضحية من الممكن ان تلعب دورا صديقا للثورة وليست معاديا لها ، فبدلا من ان ((يسحب)) الفن من المتفرج انفعالاته و ((يطهره)) منها ، يوجه هذه الانفعالات نفسها الى الجهة المرغوب فيها ، ويتبنى ايزنشتاين كل الوسائل التى تجعله يحقق هذا الغرض ، وربما من اهمها ما اسماه فى بداية حياته الفنية ((بمونتاج الاثارة)) ثم أطلق عليه فيما بعد ((المونتاج الذهنى)) . وهو يكتب فى مجلة ليف LEF فى موسكو عام ١٩٢٣ : ((ان الاثارة .. هى كل لحظة شديدة العدوانية واقصد كل عنصر يثير فى المشاهد هذه الاحاسيس او الحالة النفسية التى تؤثر على تجربته . كل عنصر [يكون محسوبا بدقة رياضية ، ومؤكدا] يستطيع ان يؤدى الى صدمات انفعالية معينة ينتظمها شكل بالذات هو العمل الفنى فى كليته ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة التى نستطيع عن طريقها ان نجعل النتيجة الايدولوجية محسوسة)) [ايزنشتاين ، بقلم مارى سيتون ، نيويورك ، ١٩٦٠ ، ص ٦١] ، ويستخدم ايزنشتاين مونتاج الاثارة فى فيلمه الاول الاضراب [١٩٢٤] الذى يدور حول الصراع بين اصحاب المصنع وادارته

والسلطة من جهة والعمال من جهـــــة اخرى .

تكنيك ثورى

يبدأ الفيلم بكلمات للينين تقول : ان الطبقة العاملة بدون تنظيم لاتساوى شيئا وانها بالتنظيم تساوى كل شيء [ونلاحظ هنا ان العبارات المكتوبة التى تظهـر بين الحين والاخر فى افلام ايزنشتاين الصامتة تعتبر وسيلة مساعدة فى توصيل رسالته ، ثم يقدم لنا المخرج الاركـان الاسـاسية فى الصراع ، المـديرين ، والعمال والعملاء : المخبرين . يستخدم المخرج الاسلوب الكاريكاتورى فى التعامل مع اعداء الثورة ، المدير بدين ، ثقيل الحركة ، انه « نمط » يثير الضحك ، العمال ايضا صورة نمطية typical وجوه نحيلة نسبيا لكن قوية ، شـعور مهوشة .. الخ .. المخبرون يطلق عليهم اسماء : الثعلب ، الكلب ، القرد ، البومة . ويعبر عنهم بهذه الصور . انهم يختبئون هنا وهناك ، يلتقطون الصور ويبلغون عن كل تحرك للعمال . ينفجر الصراع حين ينتحر احد العمال احتجاجا على اتهامه بالسرقة ، تبدأ الدعـوة للاضراب .. ثم الاضراب ، ويحـرك ايزنشتاين مجموعاته بمهارة بالغة؛وترن التليفونات معلنة التوتر لدى الكبار : المدير ، اصحاب الاسهم ، البوليس .. الخ ، العمـال فى الجـانب الاخـر يجتمعون ويتناقشون ، يحددون مطالبهم : العمـل ثمانى ساعات ، زيادة الاجور بنسبة ٣٠٪ وأن تحترمهم الادارة وتعاملهم بشكل مهذب . المطالب يمسح بها المدير حذاءه .

.. وتبدأ السلطة فى الضرب . اولا بشكل غير مباشر عن طريق ترك العمـال للجوع وادخال عناصر مندسة ومخـربة بينهم ثم حين تفشل السياسة الاولى توجه عليهم خراطيم المياه اثناء تجمعهم، يلاحقون فى كل مكان ، خيول السلطة والبنادق تقتحم عليهم بيوتهم ، تضرب وبعنف ، جندى يحمل طفلة صغيرة فى يده ، ثم ، من الدور الثالث يلقى بها . وينتقل المشهد بين حركة الخيول والجنود وسط العمال ، وبين صورة بقرة تذبح .. السكين يحز فى رقبتها أكثر .. والجنود تحاصر الناس ، والدم يتسال غزيرا من البقرة المذبوحة ، وينتهى الفيلم بمشهد قتلى كثيرين جدا ، تتلوه كلمات تقول ان هذه الاحداث حدثت فى اكثر من مكان فى روسيا .. «أيها البروليتارى .. تذكر!»

ففى حين ان البروليتارى او المضطهد عموما الجالس فى صالة العرض سـوف يشعر بالتعاطف والانتماء لعمال الفيلم الذين يمثلونه فى نفس الوقت الـذى يقدمون له نموذجا يحتذى به فى طريقة القيام باضراب ويكشفون شعوره بالقهر، فان أناسا آخرين ينتمون لطبقات مختلفة سوف يجدون انفسهم متعاطفين مع هؤلاء العمال نتيجة للصدمات المتكررة التى يواجههم الفيلم بها .

فيـلم الثورة

كان فيلم المدمرة بوتمكين هو ماأراد ايزنشتاين ان يساهم به فى الاحتفـال بالذكرى العشرين لثورة ١٩٠٥ ، فكر فى بداية الامر ان يكون الفيلم عن الثورة « عموما » لوحة بانورامية من ثمانيـة اجزاء كتب السيناريو الخاص بها بالتعاون مع نينا اجازدانوفا ، ولكنه اكتشف كأى فنان اصيل ان التركيز على « الجزء » الممثل « للكل » يمنحه امكانية لفن افضل، وكان ان اختار حادثة واحدة من احداث الثورة هى انتفاضة بحارة المدمرة بوتمكين وصورها فى مدينة اوديسا ، المسرح الحقيقى لاحداث الانتفاضـــة ، وعلى « الحواريون الاثنا عشر » وهى المدمـرة المطابقة لبوتمكين لتلعب الدور الرئيسى فى الفيلم .. اختصر الممثلين الى اقل عدد ممكن ، ولم يكن هناك ستوديو على الاطلاق وباقل قدر من استخدام الماكياج والديكور ويعيد الفيلم بناء احداث الانتفاضة مقيدا بالوثائق التاريخية باستثناء نهاية الفيلم . ففى حين أن ثورة ١٩٠٥ انتهت بالفشل وسلمت بوتمكين للحكومة القيصرية واعدم بعض بحارتها وهرب البعض الاخر ينهى ايزنشتاين فيلمه وبوتمكين تشق عباب البحر ، ترتفع مقدمتها لتحتل الشاشة تماما ،موحية بالنصر ،ويقول ايزنشتاين « لقد كنا مبررين فى انهاء الفيلم بانتصار المدمرة لان ثورة ١٩٠٥ رغم انها غرقت فى الدماء ، الا ان التاريخ سوف يذكرها كحقبة منتصرة وبشير لانتصـــــار ثورة أكتوبر »] مذكرات مخرج سينمائى ، موسكو ، ص ٢٩] . ان ايزنشتاين وهو يعيد بناء احداث انتفاضة بوتمكين، وهو يعمل على المشاركة فى احتفال قومى بمرور عشرين عاما على ثورة سنة ١٩٠٥ لايقدم عملا دعائيا بل عملا فنيا يقـف وراءه فنان شديد الوعى بمتطلبات فنـه وبامكانياته ايضا . انه يؤمن «أن السينما تستطيع ان تقدم مساهمة اكبر وتأثيرا اقوى بتقديم المادة والشيء وليس بتقديم الاحاسيس . وبهذه الطريقة فان الانطباع يكون « فزيولوجيا » فلنأخذ مثلا مشهد القوزاق وهم ينزلون ببطء على سلالم اوديسا يطلقون النار على الجماهير . ان المزج الواعى للارجل والسلالم والدم والناس يؤدى الى تأثر بعينه . من أى نوع ؟ ان المتفرج لايتصور نفسه فى اوديسا سنة ١٩٠٥ ولكن كلما دقت احذية الجنود الثقيلة واقتربت فان المتفرج ينكمش جسديا . انه يحاول ان ينجو من دائرة الرصاص وكلما تدحرجت عربة الطفـل فان المتفرج يثبت فى مكانه لانه لايريد ان يسقط فى البحر » [من مقابلة مع ايزنشتـاين نشرت فى مجلة نيشــن nation فى نيويورك فى ٩ نوفمبر ١٩٢٧ انقلها من كتاب مارى سيتون ص ٧٨] ان مشهد سلالم اوديسا الذى يشير اليه ايزنشتاين يعتبر من النماذج الناضجة جدا للفن السينمائى..والرائع ان التـأثير الـذى يتركه فى المتفرج نتيجــة لتخطيط مدروس من قبـل المخرج ووعى حاد بالامكانيات الكامنة فى البناء الفنى يكتب ايزنشتاين فى مقـال بعنوان « الوحدة العضوية » « والتعاطف pathos فى بناء بوتمكين » سنة ١٩٣٩ موضحا استخدامه للحركة فى هذا المشهد «لنترك جانبا حالة الذعر التى تجتاح الجماهير فى هذا المشهد ولنر كيف تستخدم الحركة وهى احدى الوسائل البنائية والتركيبية فى الفيلم للتعبير عن ازدياد حالة التوتر .

اولا لقطة قريبة من الوجوه المندفعـة بشكل فوضوى ، ثم لقطات طويلة لنفس المشهد .. ان الحركة الفوضوية تتلوها لقطات تبين أقدام الجنود وهم ينزلون السلم بشكل ايقاعى منتظم ..

.. يسرع الايقاع

ثم ، فى الوقت الذى تصل فيه الحركة لاسفل الى نهايتها تنقلب الاية فجـأة وبدلا من اندفاع الناس هابطين نرى وجها وحيدا لام تحمل ابنها الميت ببطء وجـلال تصعد الدرج .. ثم مرة اخرى قفزة الى الاتجاه المعاكس ، حركة الى الاسفل

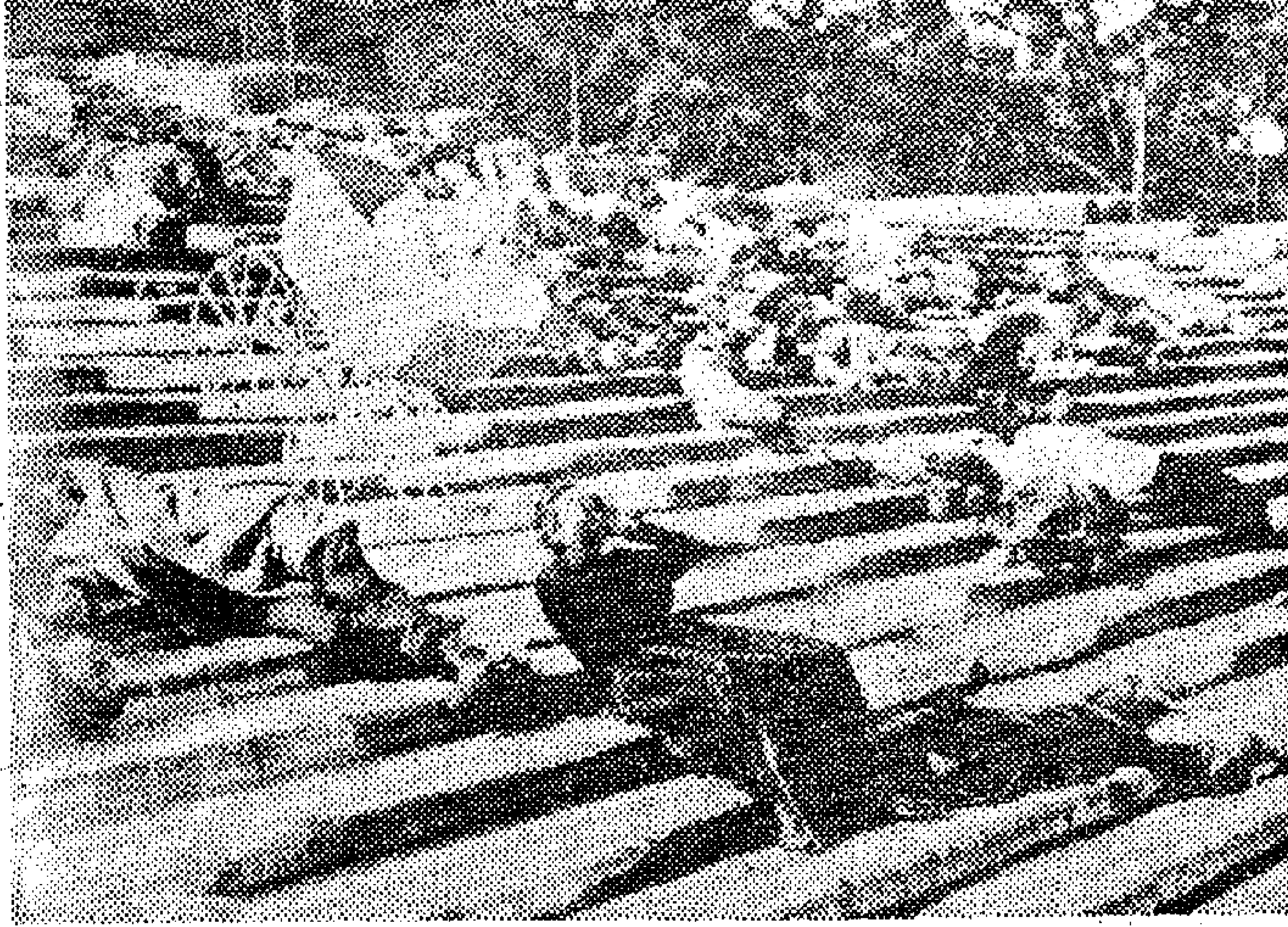
.. يسرع الايقاع

وفجأة لقطة للجماهير المندفعة تتلوها لقطة لعربة طفل تتدحرج على السلم ، ان الامر اكثر من مجرد ايقاعات مختلفة بل قفزة فى طريقة النقل من المجرد الى المجسد وهى تعطى مظهرا آخر من مظاهر الحركة لاسفل . ان اقتراب الكاميرا بالتالى يليه لقطات طويلة (الاندفـاع الفوضوى لجمهرة من الناس يتبعها خطوات منتظمة للجنود) . مظهـر من مظـاهر الحركة (الناس تركض ، تسقط ، تتعثر على الدرج] العودة الى عربة الطفـل وهى تتدحرج على السلالم ، النزول يتلوه الصعود . العديد من فوهات بنادق عديدة تتلوها طلقة واحدة من مدفع واحد من

مدافع المدمرة » [**مذكرات مخـــرج سينمائي** ، ص ٥٩] .

الموقف المنحاز

ان ايزنشتاين يعيد خلق الاشياء من وجهة نظر ماركسية وافلامه كلهـا بلا استثناء تنطلق من احدى المتولات الاساسية للجدل وهي صراع الاضداد. في **الاضراب** [١٩٢٤] يكون الصراع بين اصحاب المصنع والسلطة من ناحية والعمال من ناحية اخرى ، وفي بوتمكين (١٩٢٥) يكون بين البحارة واهل اوديسا من جانب والضباط على ظهر السفينة وعسـكر السلطة في الجانب الاخر . وفي **اكتوبر** [١٩٢٧] الذي اعده ايزنشـــتاين للمساهمة في الاحتفالات بالعيد العاشر للثورة يحتدم الصراع بين البلاشفة وبين الحكومة المؤقتة وكل من يساندونها . والصراع هو أيضا الثيمة الاساسية في **الكسندر نفسكي** [١٩٣٨] **وايفـــان الرهيب** [الجزء الاول ١٩٤٥ — الجـزء الثاني ١٩٤٦] ويعبر ايزنشتاين عن فكره الماركسي بحساسية ووعي فنان كبير فهو كما اشرنا من قبل من هذا النوع من الفنانين البعيدين كل البعد عن التلقائية، اذ يتبنى كل عمل من اعماله بوعي مهندس معماري ويخلق كل مشهد وفي ذهنه امكانيات ردود الفعل لدى المتفرج، وهو يهتم بالجماليات الى الحد الذي دعا بعض نقـاده في الاتحاد السوفيتي لاتهامه بالاهتمام بالشكل من اجل ذاته خاصة بعد فيلمه **اكتوبر** ولكن ذلك لم يكن صحيحا اذ كان يؤمن « بأن المضمون الايديولوجي كان وسوف يظل دائما أساس أية جماليات تضمن لنا السيطرة بالوسائل التكنيكية الجديدة، ان وسائل التعبير المتطورة ابدا سوف تخدمنا كوسيلة لتجسيد افضل وجهات النظر وهي الافكار السامية للشيوعية» ولقد حاول ايزنشـــتاين أن يســتخدم هذه الوســائل التعبيرية وصـولا الى المضمون وتوضيحا له اكثر من ذي قبل في فيلم اكتوبر (١٩٢٧) ولكن الفيلم استقبل بالبرود واتهم المخرج بأستخدام وسائل تعبير « ذاتية » وبأن فيلمـــه «صعب» ويتناول فيلم **اكتوبر** الاحداث العنيفة التي مرت بروسيا مابين شهر فبراير ١٩١٧، حيث تم اسقاط القيصر نيقولاس الثالث في شهر نوفمبر عنـدما استولى البلاشفة على الحكم . ويعتمد الفيلم اساسا على تسجيل الاحـداث



مشهد سلالم أوديسا من فيلم بوتمكين

الواقعية في هذه الفترة . يبدأ بعاملة تربط رأسها بمنديل ، تتسلق تمثـال القيصر الضخم وتربطه بالحبال والعمال الواقفون عند اسفله يشدونها فيسقط التمثال جزءا وراء جزء ، ويكون الحكم القيصري قد سقط في روسيا . وتملأ الجماهير — صانعة الثورة — الشوارع بالنصر وأيضا معهم البرجوازيون يضحكون فلهم في الخير نصيب ، بل انه النصيب الاوفر . تتشكل حكومة مؤقتة برئاسة كرنسكي ، حكومة برجوازية .

تمثال القيصر الذي حطمه العمـــال في أول الفيلم تعود له أجزاؤه جزءا وراء جزء فيعود كما كان . لا فرق حقيقيا بين القيصر والحكومة المؤقتة . البلاشـــفة يدعون الى مؤتمر . لينين يمسك بيده القيـــادة . يقرر أن يتم الاستيلاء على الحكم يوم ٧ نوفمبر . يرســـل البلاشـــفة رجالهم الى القصر الشـتوي مقر أعضاء الحكومة المؤقتة وحين يتم الاصطدام بين البلاشـــفة ومن وكل اليهم بحراسة القصر ويتضح أن الحكومة المؤقتة سوف تخسر المعركة يقرر أعضاؤها أن يتنحوا بكرامة . ومرة أخرى يستخدم ايزنشتاين اســــلوبه التعبيري الســــاخر فالحكومة المؤقتة معاطف خالية « تجلس » على الكراسي وقبعات على رؤوس غير موجودة .. ويسقط القصر الشتوي وتسقط الحكومة المؤقتة وتعلن أول دولة اشتراكية في العالم وعلى عرش القيصر يجلس طفل صغير ابن أحد العمال أو العاملات .. يضـــحك ...

وكما اســـهمت افلام الاضراب [١٩٢٤] **وبوتمكن** (١٩٢٥) واكتوبر (١٩٢٧) والخط العام *(١٩٢٩) في خدمة قضية الثورة فلقد اراد ايزنشتاين بفيلمــــه الخامس **الكسندر نفسكي** (١٩٣٨) أن يذكي روح النضال ضد الغزو الالماني الذي كان على الابواب .

وكان فيلم **الكسندر نفسكي** هو أول فيلم ناطق لايزنشـتاين ، وكانت أغنيات الكورال وموسيقى بروكفييف تلعب دورا محوريا في الفيلم . اذ «لم تكن تكتفي» كما قال ايزنشتاين عنها «بأن تكون ايضاحا مصاحبا للحدث بل انها تقدم صورة رائعة للحركة الداخلية للظاهرة وبنائها الديناميكي الذي يجسد الشعور الكامن في الحدث ومعناه» [المرجع السابق ص ١٦٣] ان الكورال في أول الفيلم حين تهب جموع الشـــعب الروسي للدفاع عن أرض الوطن يضيف للصورة القوة الكامنة في قومة شعب. يرتفع صوت الكورال : «قم أيها الشعب

* القديم والجديد ، أو الخط العـام يدور حول الصراع في القرية الروسية بين الحياة القديمة ، ورسـائل الحيـاة الحديثة ، وللاسف لم أشأ ان أتحدث عن هذا الفيلم لانه لم تتح لي فرصـة مشاهدته .

الروسي العظيم بـ الصراع مجيد حتى الموت». ثم يخفت الصوت تدريجيا ويصبح أكثر نعومة وحنانا يجسد الشعر الكامن في حب انسان لارضه ، انها الام ، وعروس هي الفتاة الروسية ذات العينين الصافيتين والجديلتين يتزوج منها أكثر الرجال شجاعة في ميدان القتال . والفيلم يتخذ شكل الحكاية الشعبية في بساطة حبكته . انها «حكاية» عن شعب روسيا يذهب الى القتال وحين ينتصر تنطلق الالات الشعبية ، المزامير والطبول سريعة راقصة كأنها بهلوانات واطفال تضحك

.. انه النصر .وطبعا للنصر ثمن ... الفتاة ذات الجديلتين تحمل مشعلا في يدها تبحث عن الأحياء بين شهداء الوطن وصوت امرأة يغني في البعيد قويا وهادئا : « من يموت يكون له المجد الابدي ـ ومن يحيا يكسب الشرف والفخر » وتستقبل نوفوجورود- أبناءها شهداء ، ورجالا منتصرين وتستقبل

اعداءها أسرى ونفسكي القائد يلمس بكفه رؤوس الصغار يحملهم على كتفيه وبين ذراعيه وتعود الموسيقى الشعبية مرة أخرى ضاحكة راقصة تقول بالنصر .. وينتهي الفيلم بكلمات نفسكي «أيها الشعب الروسي ان استسلمت لعدوك فنصيبك الموت . من يأت الينا بالسلام نستقبله بالسلام ، ومن يأت بالسيف يموت بالسيف ، من يأت بالسيف يموت بالسيف » . لقد اراد ايزنشتاين في هذا الفيلم أن يسهم بفنه في دحر غزو كان على الابواب ، ان فيلمه يذكي روح المقاومة ويعلمها فلقد اختار ايزنشتاين كما قال هو نفسه أن تكون « الوطنية هي موضوع هذا الفيلم » ونلاحظ أن الاسلوب الذي عبر به من موضوعه هذا يختلف عن أسلوبه في افلامه السابقة فهو يستخدم وسائل السينما التقليدية . فهناك حكاية ، وشخصيات ، وماكياج وديكور ، وهناك ايضا بطل فرد . صحيح أن البطل الحقيقي في الفيلم هو الشعب الروسي لكن البطل **الاوحد** في أفلام **الاضراب** و**بوتمكن** و**اكتوبر** كان الشعب ولم يكن هناك أي بطل فرد على الاطلاق ولا حتى شخصيات أساسية تلعب أدوارا محورية في الفيلم ، كانت الجماهير هي الاساس المحرك للحدث ولم يكن للفيلم قصة بالمفهوم التقليدي أو حبكة . ولكننا نلاحظ في نفس الوقت الاهتمام بالجانب التشكيلي الذي بلغ درجة مذهلة في هذا الفيلم



لقطات من فيلم
الكسندر نفسكي

والفيلم الذي يليه **ايفان الرهيب** .

ولقد رسم ايزنشتاين شخصية ايفان بتوفيق كبير ، فهو مزيج من وجود اسطوري وانسان يعاني الوحدة والعزلة وتهفو روحه الى رفيق . ان العنف المتجسد في قراراته التي يتخذها للوصول الى هدفه والتي ادت الى تسميته «بالرهيب» يتوازن مع ايفان الذي يضع رأسه على صدر انستاسيا ، أو يقف عاجزا أمام جسدها المسجى . أو ذلك المشهد الذي يحاول فيه أن يقترب من صديقه الراهب فيليب فيرفضه ، يحاول ايفان أن يظهر له المودة ، أن يحتضنه ، يكاد يتوسل اليه طالبا صداقته « انا لا أطلب كقيصر .. لا تتركني في وحدتي .. كن معي » يقول ايفان « لقد كانت لي صديقة غالية .. انستاسيا .. (زوجته) ولقد تركتني .. وكان لي صديق عزيز .. ولقد خانني » وينتفض فيليب ، ينتصب جسده في جمود يرفض التواصل « انك لا تريد أن تطيع راهبا .. اذن .. احكم وحدك .. ملعونا ! » ..

ايفان : من هو ؟

ان الفيلم يدور أولا وأساسا حول شخص ايفان مما جعل احد النقاد الفرنسيين يقول أن الفيلم يبدو وكأنه دفاع عن الحكم المطلق ـ حكم ايفان وحكم ستالين [أنظر : **ايزنشتاين** ، ليون موسيناك ، باريس ، ١٩٦٤ ، ص ١٦٦] ولقد كان فيلم ايفان حين عرض على الجمهور مثيرا للدهشة فعلا. اذ أن ايزنشتاين في أذهان الناس هو أحد آباء الواقعية في السينما الروسية، وهو في هذا الفيلم يقدم لهم جوا يقترب من أجواء الاساطير ، الشخصيات كلها ، وأولها شخصية ايفان يتجاوز حجمها حجم الانسان العادي ، وتقول ماري سيتون في هذا الشأن ان المواقف المحركة للشخصيات أقرب في طبيعتها الى المآسي الاغريقية والوجوه لها صفة الاقنعة في حين أن كل حركة من الحركات تحمل ايحاءات رمزية (ص ٤١٢)

ولقد حاول ايزنشتاين في هذا الفيلم أن يستغل كل الوسائل الفنية الممكنة للوصول الى تجسيد رؤيته . فالناحية التشكيلية متطورة الى حد مذهل والفيلم يقدم لنا نموذجا فريدا على التعاون بين ايزنشتاين ومصوره الذي قال عنه « لا أعتقد أن العالم رأى دليلا مماثلا على وحدة الرؤيا والاحساس والتجريب كالتي بيني وبين «تيسه» [أ **مذكرات مخرج سينمائي** ص ١٤٧] . كما تعمق موسيقى بروكوفييف دلالات مشاهد الفيلم على تنوعها ، كذلك كلمات الاغاني وبعض المقاطع المأخوذة من العهد القديم .

ان الفرق بين ايزنشتاين الشاب الذي راعته قدرة الفن على التأثير في الناس الى درجة الرغبة في تحطيمه وايزنشتاين مخرج ايفان الرهيب فارق ضخم .. ولكن دائما وعبر كل هذه التطورات كان ايزنشتاين يتمتع بخيال الفنان الجامح وبدقة العالم . يدرس وباسهاب كل صغيرة وكبيرة متعلقة بفنه في الوقت الذي يجرب من خلال تعامله اليومي مع مادته . ولقد ظل ايزنشتاين على مدى تعامله مع فنه صاحب ايديولوجية وفكر ثوري يؤمن بأن الفن أولا وأخيرا تجسيد لموقف ..



مغـــامرة « رأس المـــلوك »

بهـــاء طـــاهر

فى اثناء لقاء مع الكاتب الجزائرى مولود معمرى ، وكان يتحدث عن رواية جديدة له ـ طرأت على ذهنه فكرة ، فقال لى وهو يضحك ضحكة قصـيرة متعجبة أن مسرحيته الاخيرة ترجمتالى سبع عشرة لغة ، وقدمتها عدة مسارح اوربية [من بينها مسارح بوغوسلافيا] ولكنها لم تقدم أبدا فى أى بلد عربى • تطلع الى متعجباومستفهما فغيرت مجرى الحديث .

ماذا يمكن أن أقول ؟ .. نحن نعقد مؤتمرات ثقافية صاخبة فى مصر وفى سوريا وفى العراق وفى كل بلد عربي ـ تنفق عليها بسخاء ونتكلم فيهـا بسخاء عن الوحدة الثقافية ، وعن الفكر العربى الجديد ، وثقافتنا بين الوحدة والتنوع • الخ الخ • وبعد أن تنتهى هذه العناوين الضخمة والاسماء الثقافية يعود كلشىء الى أصله ، وانما بعد أن تتضخم ملفات الابحاث والدراسات التى لا يطلع عليها احد ولا يفيد منها المثقف العـادى . ولست أطالب بالطبع بنص المؤتمرات والندوات الثقافية العربية ذاتالشعارات الطموحة ، فلعل لها فائدة ما ، انمـا اتمنى أن تتم الى جانبها انجـازات أقل طموحا وذات فائدة مباشرة . أتمنى بالفعل أن تتبادل البلاد العربية ثقافاتها بدلا من [أو الىجانب] عقد المؤتمرات عن التبادل الثقافى .

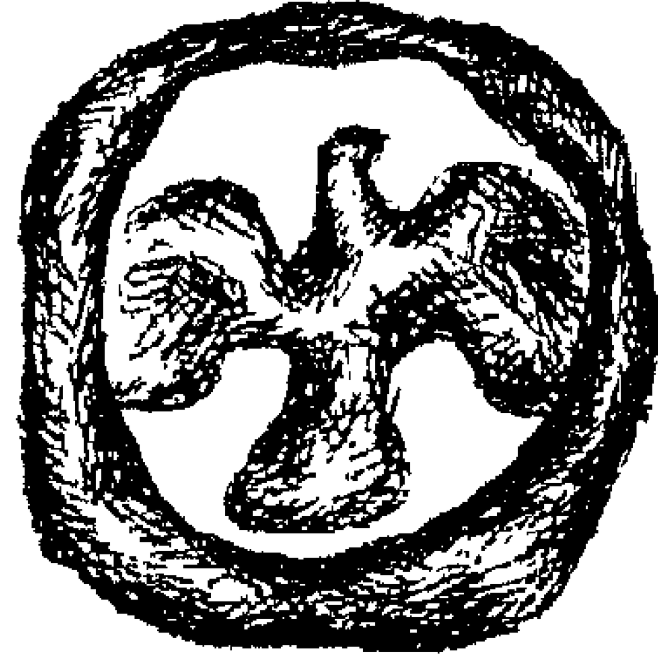
هذه بعض خواطر حددتها فى النفس قراءة مسرحية « رأس المملوك جابر » المسرحية الطويلة الثانية للكاتبالسورى ، الشاب سعد الله ونوس . وقد كتب كثير من النقاد هنا عن مسرحية «ونوس» الاولى [حفلة سمر من أجل ٥ حزيران] ـ هذه المسرحية المدهشة التى تعد دون جدال أهم عمل مسرحى ،كتبحتى الانعن مأساة ٥ يونيو . وقد مضت سنوات على كتابة هذه المسرحية ، ومضى أكثر من عـام على نشر « رأس المملوك » ومازال هـذان العمـلان ـ حتى فى صورتهما المطبوعة ـ بعيدين عن متناول المثقف العربى العـادل خارج سوريا • فهل هو مطلب مستحيل أن نتطلع لا الى نشرهما فقط ـ بل والى عرضهما على المسرح ؟؟ ...

هذا سؤال مطروح على من بيدهم أمور المسرح .. أما أقصى ما نستطيعه فى هذا الحيز فهو أن نتعرف معا على بعض ملامح « رأس المملوك » . وأود فى البداية أن اعطى تفسيرا سريعـا للتعميم الذى ذكرته عن حفلة سـمر : انها أهم عمل مسرحى عن المأساة ليس فقط لبراعة الحرفة المسرحية أو جرأة الموضوع الذى نقدمه وانما لانها أساسا مسرحية تحاصر الجمهـور بمسـئوليته المبـاشرة حصـارا لا سبيل الى التهرب منه . هى مسرحية لاتبرر ، ولاتفلسف ، ولا تتباكى ، ولا تبشر ، ولكنها بكـل بساطة تنقل واقع الهزيمة على المسرح وترفعه مرآة تكشف وتفضح مانود لو ننساه . ومن هنا يصبح التداخل أو بالاحرى الاشـتباك بين خشـبة المسرح والصالة ـ ضرورة حتمية وليس ضرورة تكنيكية . ففى نهاية [حفلة سمر] تنسى أنك تتعامل مع مسرحية وتسـتكتشف انك منغمس فى قلب تاريخ حى يواجهك بمسئوليتك المحددة . وهذا هو نفس الهدف الذى يسعى اليه سعد الله ونوس فى مسرحيته الثانية رأس المملوك !

« أحلم بمسرح تمتلىء فيه المساحتان. عرض تشترك فيه الصالة عبر حـوار مرتجل وغنى يؤدى فى النهاية الىهذا الاحساس العميق بجماعيتنا وبطبيعةقدرنا ووحدته » ولكى يحقق ذلك الحلم ـ كما يعبر عنه فى تقديم مسرحيته ـ فانه يبدأ عمله بدايةمغرقة فى الواقعية : مجموعة من الناس يجلسون على مقهى يلعبون النرد ، يدخنون النارجيلة ، يتبـادلون احاديث متقطعة ، يستمعون الى الاغانى فى الراديو ، ويحولون المؤشر الى مزيد من الاغانى حيـن يحين موعـد نشرة الاخبار .. جماعة واقعية نعرفها جيدا لانها نحن • ويصر سعدالله على ألا يبدأ العرض الا بعد أن تتوثق الالفة ويترسب ذلك الاحساس بالتوحد بين الصـــالة وجمهور المقهى على الخشبة . وبعد ذلك حين يبدأ العرض فسـوف نكتشـف أن هذا التوحد هـو المسـتوى الاول للاندماج وأن ثمة مستويات أخرى عديدة ستظرنا . فالعرض يبدأ حين يقبل [مؤنس الحكواتى] الذى طال انتظار روادالمقهى له . وهم يطمعون فى أن ينشد لهـم « سيرة الظاهر » ـ [أيام البطولات والانتصارات . أيام الامان وعز الناس] ولكن ذلك الحكواتى قصصه لا تأتى الا فى « أوان » ـ وترتيب حكاية الظاهر الباهرة لن يأتى الا بعد حكايات أخرى موجودة فى الكتاب . وحكاية الليلة هى حكاية المملوك جابر ـ ذلك الذكىالنهاز للفرص الذى عاش فى بغداد فى عصر فتنة واضطراب . عصر كان عامة الناس فيه « يتفرجون على مايجـرى لكنهـم لايتـدخلون فيما يجرى » ونحـن نرى هؤلاء الناس يعبرون عن ايمانهم حين انفجر الصراع بين خليفة بغدادووزيره . هم يتحركون بين رواد المقهى حين يأتى دورهم فى الحكاية يحملون قطع الديكور

والاكسسوار الخاصة بمشاهدهم ويمثلون أدوارهم • ونحن نسمعهم ونسمع أيضا تعليقات رواد المقهى على أعمالهم [وسوف يستمر هذا المنهج طوال المسرحية] نرى العامة يسعون الى تخزين مايكفيهم من الخبز خلال جولة الصراع بين الخليفة ووزيره لكي لايجابههم الموت فى الطرقات حين يبدأ الصدام . من بينهم صسوت يسأل عن سر هذا الصراع فيجيبونه انهم لا يعسرفون • وحين يقول لهم « أراكم تنسون أيها الناس الطيبون أنهما يتعاركان فوق رؤوسنا » يكون ردهم ولهذا خير مانفعله أن نخفى رؤوسنا بين اكتافنا .. ننتظر ونرقب النتائج .. ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا . »

وزبائن المقهى يتعاطفون تماما مع هذا الموقف « هذا والله عين الصواب .. هذا مقال من يريد راحة البال » وهذه الخضافة التي يجدها زبائن المقهى ليست غريبة بالطبع على جمهور الصالة المتوقع. وليس غريبا أيضا اعجابهم بما سيبديه المملوك جابر من براعة وفطنة . انــه مملوك الوزير ولكن ولاءه الاول لمصلحته فما أن عرف بأمر الصراع بين الخليفــة ووزيره حتى قال « لكل عملة وجهان . والمهم أن تميل فى الوقت المناسب الى الوجه الكاسب » • وهو يتحين الفرصة ليخرج من المحنة فائزا بأكبر المغانم ، وسرعان ماتواتيه هذه الفرصة فالخليفة واخوه قد حشدا كل قواهما لمواجهة الوزير وبعثا يطلبان المدد من ولاة الاقاليم ثم أغلقا كل ابواب بغداد ومنافذها مخافة أن يبعث الوزير بدوره طالبــا المدد • والوزير يريد بالفعل مددا من ملك العجم الاجنبى « منكتم بن داود » ـ ولكن كيف يطلبــه وأبواب بغداد يستحيل ان تفلت منها رســالة • هنا يتقدم جابر ويعرض خدماته وحيله على الوزير الحاصر : أن يحلق له رأسه ويكتب الرسالة التى يشاء ثم ينتظر الى أن ينمو الشعر مرة أخرى فيطلقه الى هدفه • ويسعد الوزير بهذه الحيلة ، ويعد جابر بما يشاء : جارية جميلة ومالا وفيرا ، ومنصبا رفيعا • وكما يسعد الوزير يسعد زبائن المقهى لمستقبل جابر الذى أحبوه ـ جابر بطل زمانهم وخلاصة عصرهم . وتتعــالى صيحات الحماس له كصيحات التشجيع لابطال أفلام المغامرات . ومثل هــؤلاء الابطال ينطلق جابر على حصانه مسرعا مسرعا ، ناجيا من حراس الابواب ، متفنيا بحظه الســعيد مصارعا الزمن ليصل الى حليف سيده فى موعده ، وينجح فى هذا . ويجز ملك العجم شعر



جابر ليقرأ الرسالة ـ ويفهم أن الوزير سيفتح له أبواب بغداد من الداخل ، ثم يجز بعد ذلك رأس المملوك جابر نفسه استجابة لحاشية كتبها الوزير على الرأس الحليق ، حتى يدفن معه السر .

ويتذمر زبائن المقهى لهذا المصير الذى أصاب بطلهم ، ويتذمرون أكثر حين يرون ما يحدث لرفاقهم عامة بغداد بعد اجتياح جيوش ملك العجم للمدينــــة وأعمالهم القتل وهدم البيوت وهتك الاعراض .

ويقول الحكواتى فى ختـــام قصته « انتشر الموت كالهواء ـ لقى كثيرون حتفهم دون أن يعلموا ما يجرى حولهم •• وفى ذلك اليوم هبط الليل على بغداد مبكرا ومثقلا بالويل والاهوال » وفى النهاية ينهض الممثلون القتـــلى ـ بين أيديهم رأس المملوك جابر ويخــاطبون الزبائن وجمهور الصالة :

من ليل الويل والموت والجثث
نحدثكم
تقولون فخار يكسر بعضــه
ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا
لا أحد يستطيع أن يمنعكم من
أن تقولوا ذلك
لكل واحد رأى وتقولون هذا
رأينا ..
لــكن اذا التفتم يوما ووجدتم
أنفسكم غرباء فى بيوتكم
اذا عضكم الجوع ووجــدتم
أنفسكم بلا بيوت
اذا تدحــــــرجت الرؤوس
واستقبلكم الموت على عتبة صبح
كئيب
اذا هبط عليكم ليل ثقيل ومليء
بالويل
لا تنسوا أنكم قلتم يوما :
فخار يكسر بعضه .. ومن
يتزوج أمنا نناديه عمنا .

ثم لا تنتهى المسرحية هكذا ـ يخرج الممثلون ويتأهب الحكواتى للانصراف ، أما زبائن المقهى فيفكرون قليــلا ثم يعلنون سخطهم على هذه القصة وعلى عم مؤنس الحكواتى . ما هذه الحكاية ؟ ـ واين هى من حكاية الظاهر بيبرس ؟ .. يجب أن يحكيها لهم غدا . فيرد « لا أدرى ـ ربما الامر متعلق بكم »

ولكن ـ هل نأمل أن جمهور الصالة قد أصبح يدرى ؟ .. ربما !

هذه اطلالة على عالم ســـعد الله ونوس فى رأس المملوك • ليس عرضا أو تلخيصا للمسرحية بل مجرد محــاولة لتبين تلك المستويات المتعددة التى يهدف من خلالها أن يقيم علاقة اشــتباك بين جمهور الصالة وبين العرض المسرحى . وهو يدرك كما يقول فى مقدمته للمسرحية أن هذا لا يمكن أن يتأتى بأى محاولات شكلية فى « التكنيك » وانما بعناصر أخرى جوهرية منها « ارتباط الموضوع بحياة المتفرج ومشاكله » .

ورغم أن تجـــربة العرض المسرحى وحدها ـ وليس القراءة ـ هى التى يمكن أن تثبت مدى نجاح هذه المحاولة ـ الا أننا نستطيع ان نجزم بأن المؤلف قد حقق على الاقل هــذا الهدف : ارتباط الموضوع بحياة أعرض قطاع من المتفرجين هناك ملاحظة أساسية واحدة أتمنى لو تداركها الكاتب عند عرض المسرحية أو طبعها طبعة ثانية ـ وأعنى بهــا أن الواقعة الرئيسية ـ واقعة حلاقة شعر الرأس والكتابة عليها انتهاء بجز الرأس ـ واقعة معروفة تماما لنسبة كبيرة من الجمهور لشيوعها فى التاريخ القديم . وبذلك فان توقع النهاية قد يفسد ما يرمى اليه من تدرج الادراك والتعرف . وهو يستطيع بشىء من التصرف وتحــوير التفاصيل أن يتدارك هذا كما قلت . ولكن مرة اخرى فان العرض المسرحى وحده ـ هو الذى يثبت مدى اهمية هذه الملاحظة . فلنأمل أن نرى هذا العرض •

رســـالة
بغـــداد

خوفــا من غــد لا نريده

حسن سـليمان

•• ومع مؤتمر الواسـطى الاول للفن التشكيلى ببغـداد ؟ ومعرض الفنـانين العراقيين ،تكشفت الاموربيساطة ووضوح. فمشكلة الفنان التشكيلى ببغدادلا تخرج عن مأزق وقع فيه زميله فنان القاهرة من قبل • وما دامت الامور قـد تـكشفت ببساطة ووضوح ، فلزاما علينا أنتحدثببساطة ووضوح •

ثرت وكان اجدى لى ان اصمت •••• لاكن ما اكون •• ولاتطلع الى قطع من الزبل وفتات الخبز تطفو ضائعة عـلى سـطح مياه دجلة الهادئة •

- ثرت •• فلا زال رغيف العيش بالنسبة للايين الملايين من البشر مشكلة • الفظاظة والقسوة والموت تدفعنا لمقاومتهـا ، وتزيد حماستنا لكل ماهو ضرورى ومهم كى نجعل الحياة أفضل وأعدل مما هى عليه • ونؤمن بالاشتراكية ، وبضرورة تطبيقها كنظام اجتماعى فى آسيا وأفريقيا ، وبالاحرى فى بلادنا العربية ، ونعرف ان الصراع من اجل التقدم بالنسبة للاجيال القادمة فى كلا القارتين معركة حيـاة أو موت •• ورغم ايمانى بأن الحيـاة لاتحدد بتحقيق الخبز والرعاية الطبيـة للمجاميع ، فلا زالت النقطة التى يجب أن تبـدأ منهـا مشـاكل السياسة ، ويناقشها الفكر والفن ـ بالنسبة لى ـ هى الجوع لا اكثر ولا اقل •

•• وفى رخائها نسيت أغلب الشعوب الغربية ان الفقر لازال موجودا ، فخلا الفكر الغربى من أى اثر لمناقشة لقمة العيش •• وبما ان الانتاج الفكرى للشعوب النامية والمتخلفة تقليد يتبع اساليب الغرب ، فلا غرابة ان نجد هنا ينـاقش الشذوذ والغرائز المكبوتة ولا نحس معه بالضغط الاقتصادى والاجتماعى ، هكذا كان نتاج فنانى مصر ، وهكذا رأيت اعمال فنانى بغداد اخيرا ••

لا وجود لفنان يحدد شخصيته الفنية اخلاصه مع نفسه وايمانه بضرورة ان يكون هناك طعام لكل فم ومكان لـكل مناضل •••• بل تلعثم وتلثم جانب الصدق والاخـلاص حتى كاد ان يختفى وراء افتعال المعاصرة ، مختلطا هذا الافتعال بالنعرة الكاذبة لاحياء التراث • وهـكذا وقع الفنان العراقى فى نفس الحفرة التى سبقه اليها زميله المصرى •

● وقد تردى ادعياء التجديد فى خطأ جسيم ، حين اقاموا حدودا ، تفصل بين النزعات الحديثة فى الفن وبين مظاهر ومقومات الابداع الفنى السابقة مدعين انها لاتمت الى المعاصرة • الفنان الحق فى اى مجتمع هو معاصر رغم أنفـه ومخلص لذاته ولمن حوله ولعشيرته ، فقضاياه قضاياهم ، بل هو مخلص كذلك للعالم أجمع وللتاريخ وللمستقبل ، هذا ان كان مخلصا وصادقا مع نفسه • الافضل ان يقام فاصل بين الفن الجيد والفن الردىء ، فاقامة حدود للمقاييس الفنية ليس امرا هينا فما بالنا بمن يتشدقون بأنهم مجددون ، يعتمدون على ظواهر تاريخية سطحية ، وغالبـا ماتنقصـهم الثقافة الفنية والحس المرهف •

ولماذا الافتعال ؟ اى فنان حقيقى بعد سنوات قليلة من ممارسته فنـه سيكتشف انه يبدع فنا معاصرا واقليميا وانسانيـا حتى بسعيه وراء الحقيقـة المجردة •

● يقولون ان من يتـذوق الحساب الدقيق فى العمل الفنى قلة قليلة من خاصة الخاصة • ومن الخطأ افتراض درجة كبيرة من الوعى الثقافى لـدى الطبقة الكادحة التى لم تتبلور بعـد ، لذلك يجب الارتباط بالفن الشعبى وبالتراث •••• لكن كيف يتأتى للرجل المثقف بتركيبته المعقدة ان يفتعل فنـا شعبيا بسيطا ، وشتان بين فن الرجل البسيط وبين فن يبدعه من هو خارج نطاق دائرته • ثانيا : اليس من الخطأ ان ننظر الى التراث وكأنه شىء متجمد ، عفا عليه الزمن ومنفصل عنا • التراث كأى شىء له دوام الاستمرار ويملك مقومات التطور والنمو •• نحن انفسنا جزء من ذلك الشىء الذى يسمى بالتراث •

وما دامت الجموع لم تتكون لها بعد وجهة نظر سليمة بالنسبة للفن ، علينا اذن ان نجد الاسباب ونعمل على تغيير هذه الحالة ، بأن نرفعهم الى مستوانا والا فسنضللهم بادعائنا الهبوط لمستواهم نحاول الارتفاع بهم تاركين لهم الفرصة والحرية كى يصوغون قيمهم ويبدعـون فنهم •

● بدلا من التقسيم المصطلح عليه من فن معاصر وفن متخلف اصر على كلمة فن جيد وفن ردىء • أوافق معه •• لكن اليس من السهل فى نطاق تقسيم مثل حديث ورجعى أن تتسلل كل القيم الزائفة والسطحية بواسطة الانتهازيين والمرتزقة ؟ بينما العكس بالنسبة لتقسـيم صريح وواضح ومحدد مثل فن جيد وفن ردىء •

اذا سئلت اتتكر الامكانيات التى يمكن ان يحققها فن يملك القضايا السياسية والشعبية ؟ اجيب بأن مثل هذا الفن آت لامحالة ، لكننا يجب الا نلح فى طلبه والبحث عن وسائل مفتعلة لتحقيقه •

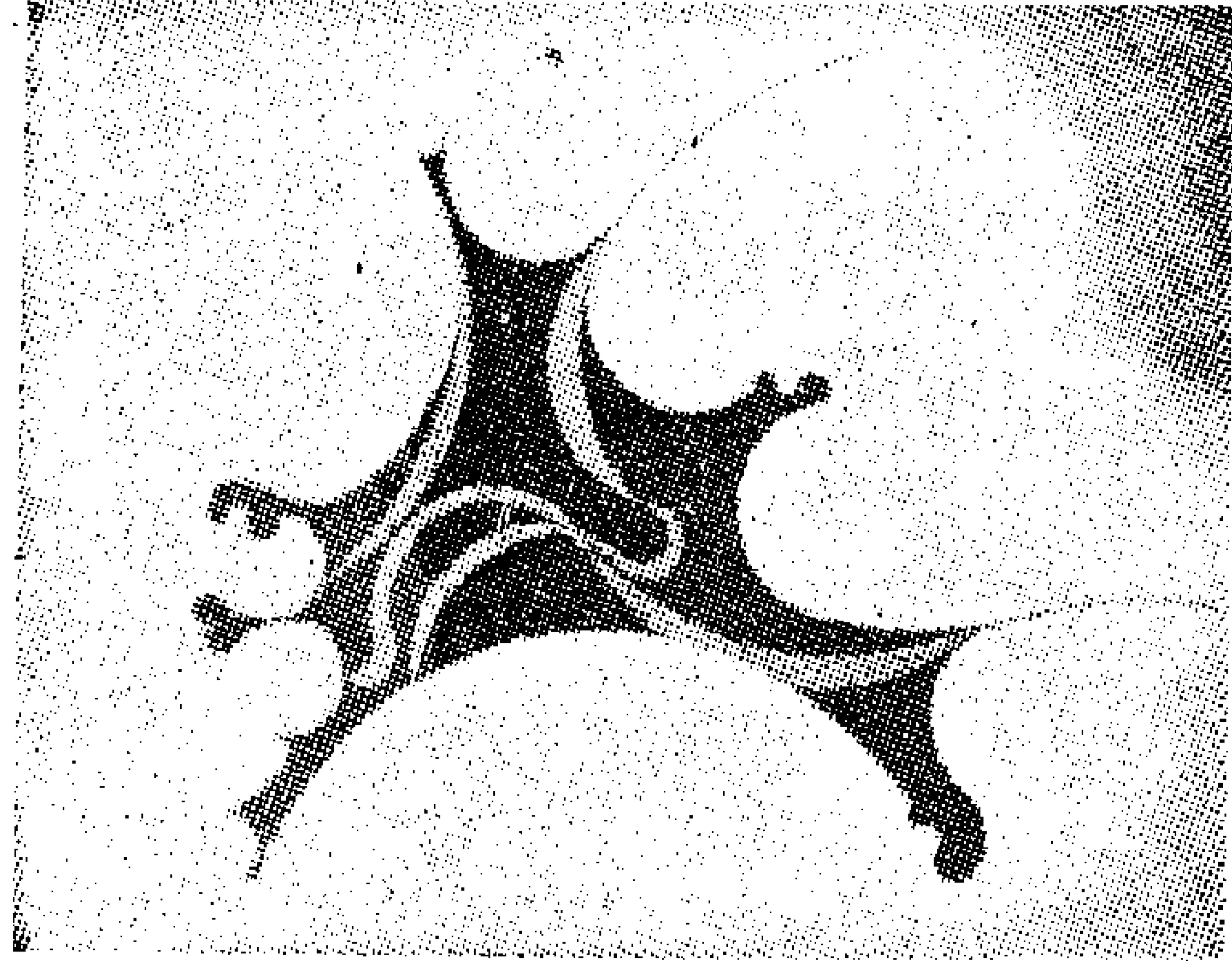
ان الفن الــذى تطالبون به الان ليس اشتراكيا او شعبيا او فن نضال ، بقدر ماهو فن يخضع لزيف وظروف الطبقــة المتوسطة الصغيرة — وهى الطبقة التى نبع منها أغلبيــة المسيطرين الان على الفكر بيننا . اذن انتم تطالبون بفن طبقى يعتمد على قيم زائفة ومشوهة ، ويرضى طبقة معينة ، ودون ان يمس بناءها النفسى او يقلقها . فلنغير الفنانين الى اشتراكيين . المشكلة تتركز فى الرجل نفسه ، وليس العمل الفنى ، المشكلة هى المغنى وليست الاغنية . فأى رغبة للتغيير فى حد ذاتها لاتستحق الكثير من الاهتمام ، مالم يدرك صاحبها كيف يتم ذلك ولصالح من سيكون التغيير. كما أن دفع الفنانين للاشتغال بالسياسة يزيد التناقض فى اعماقهم . والعكس كلما كان الفنان واعيا ومتفهما لمعالمــه السياسية كفنان لاكسياسى كلما قلت حدة التناقض فى اعماقه .

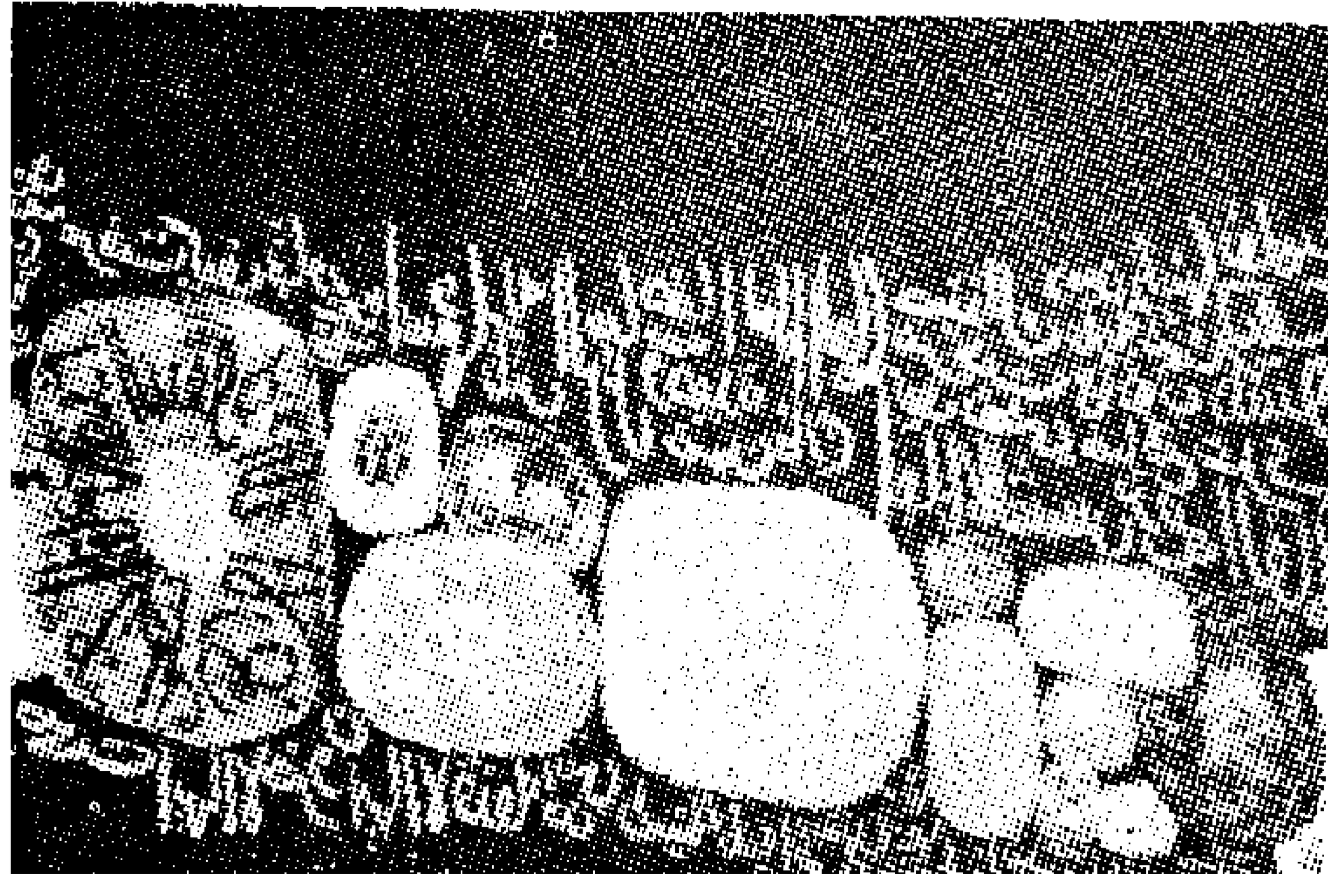
لذلك لم يكن غريبا ان يفتعل الرسام العراقى القضايا السياسية ومشــكلة الشرق الاوسط والتأزم الذى يعانيــه الانســـان الاوربى فى مجتمــع الالة ، ويدفن فى أعماقه انسان « تعبر على » والصراخ والتشنج بكربلاء والنجف عويلا وبكاء . فلم نشعر فى اعمالهم بالناس وبخصوبتهم وعتمنا دونهم وقوة ارتباطنا بهم ، أى بكلمات مقتضبة لم أشــعر بانسانية العمل الفنى .

نعيش فترةتحول ، والعالمكله يعيشها هذه حقيقة لاجدال فيها . فهمنا المادى للتاريخ سيمكننا من تغيير الحــاضر ، وانتزاع مستوياتنا من المستقبل الــذى سنخلقه ، لكن لاأستطيع كفنان ان أعمل وأعيش فى ضــوء يسلط على أحد ، لابد ان اعمـــل فى ضوء احاسيسى ومشاعرى انا وبالنسبة للفنان لايوجــد ما يسمى بمرحلة تحول — يمكن ان يتشدق بها غر او مدع — فهو فى بحثه وراء الكمال يواجه موضوعه كأنه خالد لازمن له . وكم خبر انصار التجديد لمجرد التجديد الكثير لعدم اعترافهم بهـــذه الحقيقة البسيطة ... فحتى فى مرحلة التحول تهرم الرجال وتموت ، وتولد اطفال ، وينمو نبات ويذوى آخر . تشرق الشمس دائما من نفس المكان الــذى أشرقت منه منذ آلاف السنين . السياسى احيانا ينسى مثل هذه الامور لكنى كرسام أبدا .. أبدا. اننا بتهاوننا فى أية قيمة من قيم الفن الحقة والخالدة وصفحنا عن انتاجنا الزائف والمفتعل بحجة مرحلة التحول ، اننا بهذا نتهاون فى انسانية الانسان نفسه ، وكم هو فى حاجة الى انسانيتنــا وتعمقــه ، ومع رســـام بمرحلة تحول ويخلق غدا .

اشياء بسيطة هى التى تكون صرح انسانيتناوتعمقه،ومع رسام الشرق الاوسط لم اشعر به بسيطا ونقيا وواضحا . لم اشعر فيه ومعه بابتسامة طفل وليد أو نضارة بنت صــغيرة . أو ضــغطة يد حبيبة،اوبشمسنا وهى تلهث فى وجوهنا وليلنا وهو يحنو علينا ، كيف اذن نستطيع ان نربط الانسان بأرضه ليصنع غــده ؟؟ ويتهاون الفنان فى موقفه القيادى خادما القوى المسيطرة من البرجوازية الصغيرة ومدعيــا فى نفس الوقت انه مخلص لقضاياه السياسية ومجدد ومحافظ على التراث ، هل لنا حينئذ ان نأمل فى هذا الغد ؟؟ لا .. لا واقولها بصراحة ان الموقف قد تحدد الان : بحتمية الصراع للقضاء على غد لانريده .


اسماعيل الشيخلى


قتيبة الشيخ نورى


ثريا النواب

قصة

المظلة

بقلم : سعيد حورانية

ذعر الغلام وقفز ؟ ولكنه نسي قدمه المشوهة فسقط سقطة أليمة ، فبهق مرسلا صوتا حيوانيا ، ثم رفعه بميلين دون اعداب ونظر بدهشة الي الثلاثة . رمقوه بسرور وفضول ... ومد احدهم مظلته فسحب رجله السليمة .

ــ وقف ياولى الله ... الغلمان ملائكة .

وطار عود كبريت ثان مشتعل فاصاب الرأس بدقة ، فهب مجنونا ولكن المظلة الممسكة بقدمه أوقعته مرة أخرى وامتدت اليه مرة ثالثة كحربة .

ــ قلت لك وقف ياولى الله ... قول الله ...

على رصيف القهوة الذى يعج بالناس اجال عينيه الهلعتين وارسل الصوت الحيوانى مرة أخرى .

هذه مملكته ... عشر سنوات يتسكع حول قهوة المرجة هذه ، أحلط ، أملط أخرس ؟ رجله ثقيلة مدورة كخف البعير ولم يمر مرة الا والنداءات تتدفق عليه

ــ كاس شاى للمبروك ... خذ لك ها الفرنكين ...

تحمس أحد الجالسين وقال بصوت ضعيف :

ــ حرام يا اخوان ... عطيل وصغير وعارف ربه ... حلوا عنه !!

ونظر اليه احد الثلاثة :

ــ اسكت انعل ابوك

واللهجة الغريبة بعثت الرعب فى القلوب ، وصبى القهوة وزع الشارات اللاسلكى المحذرة الي العيون المتسائلة برفع الحواجب والغمز ... وسكت الجميع وتحجرت الاراكيل .

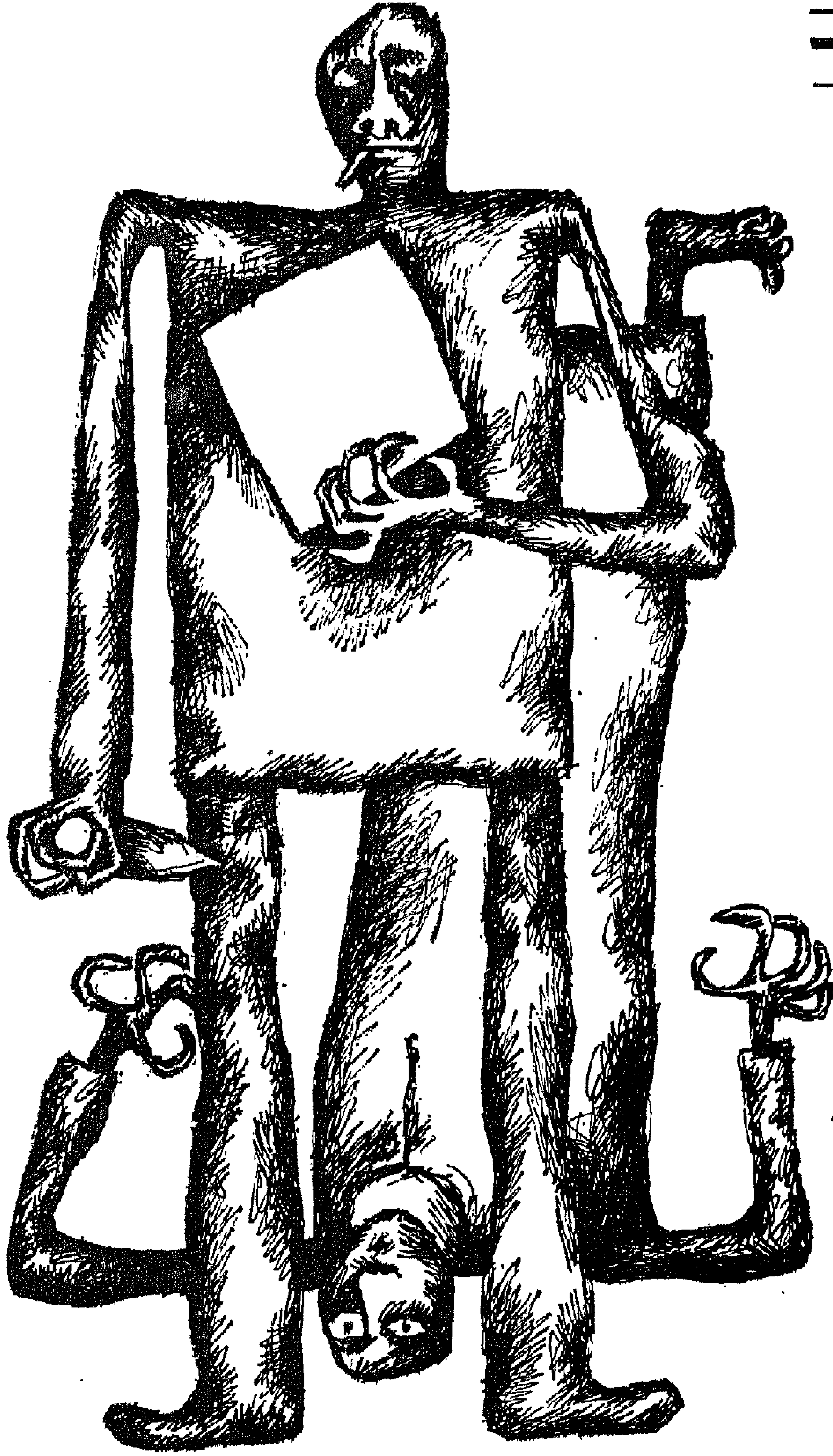
وعندما راى الغلام العاجز ان العالم قد تغير رغم أن الساعة هى الثانية عشرة ليلا والقهوة هى القهوة ، وصبى القهوة الذى يصاحبه دائما فى الساعة الثالثة ويسلمه لزبون سكران لا يدرى الطبخ من البطيخ يتجاهله ... وعندما رأى ان عودا ثالثا يشتعل .... زحف مبتعدا مرسلا ذلك الصوت العجيب الذى كان يثير فضول الثلاثة وسرورهم . قال صاحب المظلة :

ــ ولى الله يزحف... هذه معجزة .

ــ لقد عشت ورأيت الزحف المقدس

ــ هذه معجزة شعبية حقيقية ... النصر للشعوب .

وزحف الغلام غير بعيد واستند الى جدار القهوة واقعى يحلم فى سكون الليل بعينين مفتوحتين ... وسدر على نقطة مضيئة واحدة تبدو بعيدة ... وكان من الصعب أن تعرف أنه نائم أو صاح [بعض الحيوانات تنام مفتوحة العيون] لم تطرف عيناه ، لم تعبرا عن شىء ...



وملّ الثلاثة وصرخ احدهم
ـ الشاى يا حلو
ـ بتامروا امر
وطار بلا اجنحة كلاعب سيرك يحمل صينية تتراقص بمهارة
ـ فنجان مرة
ـ على رأسى
وفى مواجهتهم كان بناء ضخم مظلم تضىء منه عدة نوافذ تغبش زجاجهـا
ـ ماذا يفعلون هناك ؟
ـ يقراون اشعار الجواهرى
ودق براس مظلته ثقبا فى حـرف الرصيف .

●●●

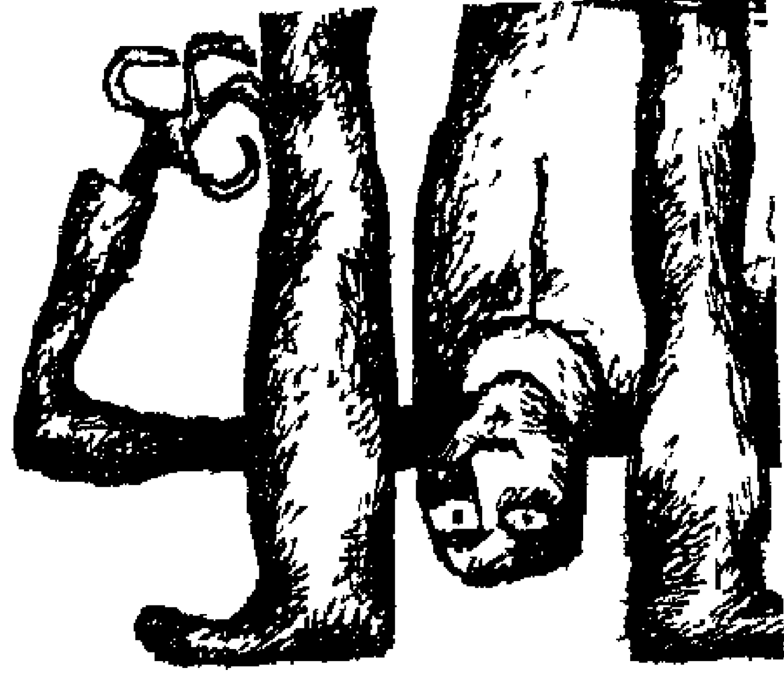
للسماء هنا معنى آخر ... لا زرقة تفترس العين ، ولا غيوم تضغط على القلب ... انها سماء حقيقيـة ... واسعة ... ليست مرسومة بين قضبان وليست شهية وبعيدة كامراة جاره . وحدق ماخوذا بما يشبه الذعر فى هذا البهاء الالهى المستباح ، فى هذا الكنز الذى اصبح له فجاة ... كانت حرية غيوم تمتد حتى نهاية الشوط ، ثم تكبو ،

لعبة أسهم نارية ؟ .. قيئ ؟ واستند على حائط القهوة هشا بحالة انعدام الوزن ، وبدت المرئيات دون هوية كفقاعات الصابون ... الحياة تولد ، الحياة تموت ، ولكنها لا تشعرك بالقيامة ... والعالم جملة واحدة فى الفم ، جملة تتحدى كل القواعد ولكن لها نكهة البكارة . واحس بأن يده ترتفع وأظافره تنغرس فى لحم العالم ... لم يكن طريا ، لم يكن قاسيا ، ولكنه كان ينزلق كالمرمر المصقول ... وكانت الاشياء تضحك ببرود ، والجدار يتضخم وسكين مرهفة الزرقة تمتد وتفصله عن الاخرين ... برفق .. برفق .. برفق . وتهاوى كأنه ضاجع مرات ... خرقة معقمة تتمنى اية عانس أن ترفعها بيرقا . وبدا له انهم لم يعطوه شيئا سوى هذه السماء ، وسوى المرور بين اشارات المرور عندما يشتعل الضوء الاخضر ، وسوى أمه التى ماتت ، واخته التى تزوجت دارا جعلتها تنضح بالنصائح ، وأبيه الذى اتم عدته ثلاثة أشهر بعد موت أمه واستعد لزيارة وراء القضبان كما يستعد للحج . هدايا عظيمة للجواد الشموس الذى شبع بجزمة من الحشائش وأخذ يمارس الثورة السرية كالعادة السرية ويرفس الهواء راسما قوسا من الاصوات المغبرة .

كيف يمكن للانسان ان يصبح قاسيا الى هذا الحد ؟ مم يهرب ؟ والى اين ؟ تحت أى لحم كانت مختبئة هذه البراثن؟ وكيف تطلع الا بقسامة انياب الذئب الكاسر ؟ تامل هذه الوجوه الشابة ، وهذه الشنبات الستالينية ، وتساءل عن المسرة التى أحسوها وهم يعذبون هذا الغلام العطيل . ولكنهم هناك كانوا يقتلون .. سلسلة جهنمية مسبوكة بالحقد الذى يأكل نفسه ، وبصق [البصقة الرخوة لا تصيب الا وجه صاحبها] كذلك قال ابوه .

انه يحب قهوة المرجه هذه ، قهوة اللوطيين والسياسيين وهواة النوم فى الهواء الطلق . أروع ما فيها أن الراديو يسعل بخفوت فى مكان ما فى زواياها فلا يسمع احد صرير الاسنان المنخورة ، ولا قعقعة طبول الرواد ، ولا أصوات السوبرانو الثورية المدربة ، قهوة شعبية اليس هذا عظيما ؟ وفى مكان من زواياها كان يجلس ذات يوم راوى عنترة وأبى زيد على دكة مطرزة بالاغانى .. ولكن العجوز مات ذات يوم فى التواليت بالسكتة القلبية بعد أن ترك عنترة فى الاسر ، وحفظ له المستمعون الجميل وتركوا مكانه فارغا بجلبته التاريخية الثقيلة وآمنوا بانه سيبعث ذات يوم ويقوم من بين الاموات ومن القهوة بالذات .

وعندما ينتهى وقت الخمارات ويلوح



الحراس بعصيهم المهذبة ويتنحنحون ناظرين بحذر وخوف الى السكارى الذين يعتبرون — شأنهم فى ذلك شأن العلماء والشعراء والاسكندر ونابليون — يعتبرون التفكير فى الوقت مضيعة للوقت ... يقطع الطريق الى القهوة فى الشوارع المظلمة .. ان سلوى ستنتظره دون ريب شأنها كل ليلة وهو لايريد أن يصل اليها سكرانا ... سيشرب الشاى والقهوة المرة مع الهيل ليصحو وليثبت لها انه فحل من الفحول وأن الرجولة لم تغادر نصفه الاسفل على الاقل .

تقول له بحيرة : اسكر معى .. ان الويسكى المعتق عندى أفضل من عرقك الوطنى اللعين ، لم يبق لك من الوطنية الا الاخلاص للصناعة الوطنية ... كيف تفهم انه يريد أن يسكر مع الاخر ذلك الذى كتب معه ذات ليلة فاوستيه عقدا أكثر أحكاما من الزواج الكاثوليكى ؟ .. ميزته العظيمة انه من المستمعين العظام ، وحينما يثرثر ويثرثر كان الاخر يجيب بحاجبيه وحركات وجهه استنكارا أو تذكيرا . الى الجحيم بكل المرايا ، المرئية واللا مرئية . وكان الشىء الوحيد الذى يقهره به هو أنه دوما يدفع الحساب .. وكان الاخر يصمت ويحدق فيه بعينين زجاجيتين .

●●●

لقد مرت سنوات ضوئية ... منذ أن كان يضع أمامه كأس العرق ويتأمل الحبيبات الحليبية بنوع من الوجد . كل قطرة كوكب ملىء بالاسرار يدور حول سعد الحياة ودفئها وعنفوانها ، كانت الطقوس فى اخلاصها اشبه بدين بدائى تدور حول بركان مشتعل ، وكان الرفاق حوله ، وكانت الدنيا حوله تضرب بكأسه فى رنين أشبه باجراس ترويكا روسية تنطلق فى سهوب ثلجية عاقدة حولها هالة من البخار وزخم افتراس الطبيعة وفتوة الرواد .

وكان الكأس تتويجا وتوافقا وسلاما مع الذات ، وكانت الجلسة كلها ريشة ملونة فى قوادم الكون .. كان الشجر شجره ، والارض التى يضرب قدمه

عليها ارضه وارض الاخرين ، يحس بصلابتها جزءا من اضلاعه ، وبامتدادها امتدادا لجسده ، كان قانونا يلذ له أن يكتشف كل يوم سرا من أسراره المستغلقة ... آه يا زمان الصبا الروحى !!

هوت مطرقة فوق سندان لم يصهر ولم ينق من الشوائب فتفتت ... أصبح الكأس حماما تركيا بخاره يغطى ولكنه لا ينظف ولا يدفىء ، كل الطرق تؤدى الى روما ، وكل جرعة تقود الى الهاوية وهو يستعجلها ويستعجلها ويدفع العربة التى ضلت الطريق بخيلها المذعورة المجنونة العيون ، ولكن النهاية تأتى بلا أى مجد ، كل القوى تتصاعد من بئر الذات المكرة آخذة مواقفها القتالية دون قفازات ، وعندما تأكل بعضها تتلفت باحثة عن الاخرين .

وحين يدلف الحارس بعصاه المهذبة ونظرته الحذرة الخائفة ، كانت الجثة المنتفخة من لسع السموم تسير وهى تمسح الارض ، لوقع اقدامها صوت اصم كصوت سقوط ثمرة نخرها الدود على أرض رملية ...

ويدلف الى القهوة متظاهرا بالتواضع ويجلس على كرسى منعزل ، وينتظر الصوت المرحب المبالغ فى الترحيب كما ينتظر بالضبط شهقة سلوى فى نرفانا لذتها :

— كاس شاى ثقيل للاستاذ ... أهلا أستاذنا .

— الشاى يا ورد

— بتأمروا أسيادى

●●●

عندما كان جسم سلوى يتكسر ويرتعش بين يديه ثم ينطفىء كموتسورات البيرة فى الزجاجة جارحة اثر جارحة ، أيقن ان هذا الجسد قد اجتاحته عواصف أخرى حينما كان حبيس القمقم ، ولم يسأل رغم أن من حقه أن يسأل ... أليس فارس الافكار التقدمية ؟ وانكمش فى عناد داخل قوقعة كبرياء مهلهل ، لم يبال حتى بمعرفة الشخص ... تمدد ممتقعا ... هذا زمن الخيانة فلماذا لا تخون ؟ والوحدة قتل مضن بطىء كعذاب الزنزانة ... ولكن جسدها كان أمامه حقيقة مجسمة ... كان جسد امرأة دافئا بكل ما فيه من خصوصية وألفة ، واشتعل فيه الغضب حتى رؤوس أظافره ، لقد كان ضياع هذا الجسد كضياع المبدأ ، لم يعد مصنوعا لاجل النور بل لليل ... أين قرأ ذلك ؟

— هل كانت المرأة الاولى التى عرفتها عاهرة ؟

— ....

— بم شعرت بعد ذلك ؟

ــ بالفخر
ــ بانك رجل
ــ باننى لست امرأة

اين قرأ ذلك أيضا ؟ .. ولكن باى حق يتهم ؟ ومن هو فى نهاية المطاف ؟ انه ما صنعه فحسب...مجرد متخاذل!. أى عقل مسيحى اخترع هذه الكلمة الرخوة ؟ فليغض النظر عن أمجاد الرجولة ، وليجد له ملجأ فى ملكوت الليل الذى لا يرحم عند شخص ليست فى عينيه تلك النظرة التى يطالعه بها وجهه كل صباح ... ولكن ... ولكن لم يكن قد حدث شىء بعد ... لم يكن قد حدث شىء بعد .. لم يكن قد حدث شىء بعد ... عندما كانت ...

عندما أرادت أن تقبله انتفض ... لم تكن تلك عادتها حينما ينطفئان . ترى هل أحست بشىء ؟ ان كل خلية من جسد المرأة تملك شك وحذر محقق ممارس ، انها تمتص الاحساس بمجرد الملامسة كتلك النباتات الاستوائية اللدنة .. ادار فمه ناحية الجدار واطبق شفتيه بعزم ، كل ما تبقى من قوته مجمع فى هاتين الشفتين المزمومتين ، وعندما كان جسمه يتهالك ، كان فمه مستعدا لان يبصق لعنة ، انه يدرك بشكل ما أن حياته وخلاصه متعلقان بهذا الفم ، بهذا الفم فقط الذى يمكنه ان يكفر ولكن أين الكلمات ؟ اين الكلمات يا يوحنا فم الذهب ؟ كيف يمكن ان تتحول كل كلمة الى تابوت يضم جثث الافكار القتيلة ؟

عندما جاءه صوتها فى التلفون فكر بذعر : حتى أنها لم تدهش ، لم تستغرب ... كأنها كانت تنتظر هذه المخابرة على موعد ، وكأننا افترقنا البارحة على أمل اللقاء فى الغد وكأنه لم يخطف منذ سنتين أمام عينيها بالذات ويحمل كتلة دامية :

ــ أهلا ... كيف الصحة... مشتاقة كثيرا ... انتظرك مساء ... ياحبيبى هل يمكن أن يتوقف الزمن ؛ حمد لها انها لم تسأل ... لقد شبع من الاستجواب ، ولو رأى فى وجهها أية بارقة تشير الى المعانى الممنوعة للبس معطفه بهدوء وغادرها الى الابد .

جلسا يتحدثان فى الحديقة الصغيرة وكانت الافكار تتطاير ثم تحط اشلاء كالفراش على ضوء المصباح الشاعرى. تأوهت وهى تذكر أحد الرفاق المقتولين ... تدحرجت من عينيه الدموع ثم تشنج كطفل . على هذه الصخرة ابنىكنيستى ثم قتلوه فى روما وذهب الزلزال بالصخرة ... ولكنها سترسو ،ولكنها سترسو فى مكان ما وستبنى عليها القلعة ... أتتصورين ؟ وغص ؟ أتتصورين ... البارحة فى طلعةالجسر التقيت بـ [...] وحينما رآنى .. وحينما رآنى ... تراجع كانما راى الشيطان نفسه ونظر فى كل الاتجاهات وقد اصبح كتلة من الحذر ثم استدار وركض ... نعم ركض واختفى فىاعماق الليل . كيف يمكن أن يصبح الدم ماء ، والتاريخ لحظة ، والانسان ظرباناًمنتناً؟

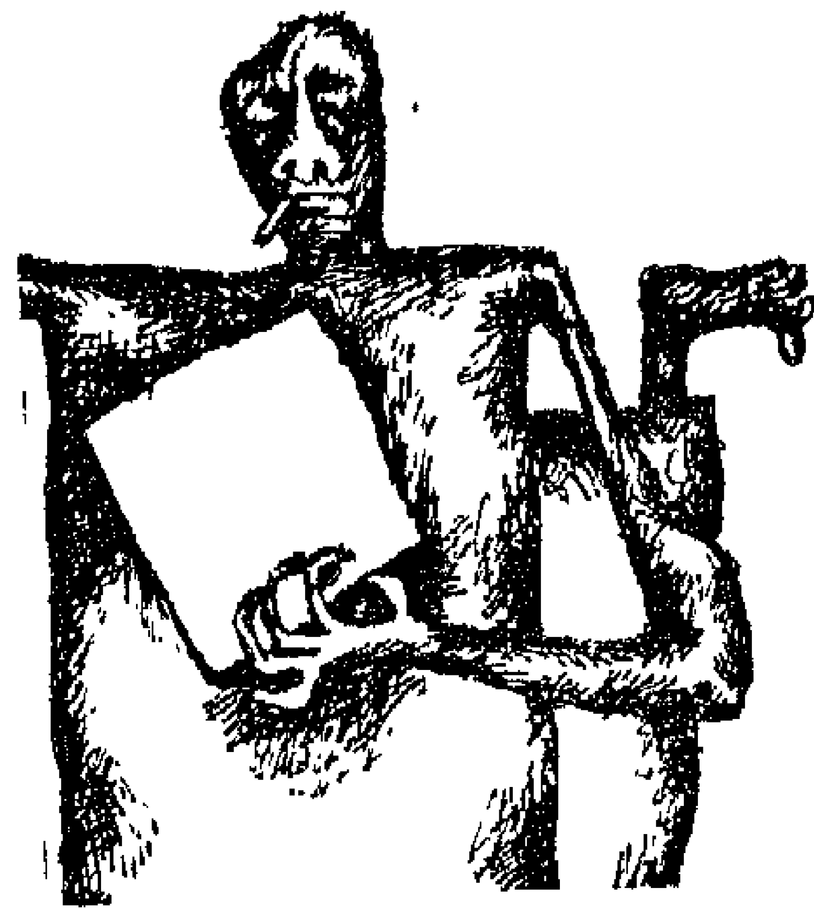
ارجوك يا حبيبى ... كفانا عذابا !! ونظر اليها بوحشية كأنه يستشف النفاق فى وجهها ، ولكن وجهها كان صادقا الى أعمق بحيراته ... كفانا عذابا قالت .. لم تقل كفاك عذابا ، وارتاح .. ولكنه فكر بتبرير اليم أنه ليس حزن شخص هوى ... انه حزن جماهير .. جماهير يتحدث الاوصياء الاوغاد بلسمها كل يوم .. جماهير ... يادوامة الحزن العظيم لفينى بردائك المخملى الاسود .. جماهير .. جماهير ..

والتفت كالملسوع ... وأمده اليأس بغضب مستميت وصاح بصبى القهوة:

ــ قل للممحون ابنالممحون أن يخفف راديو الترانزستور ويسمع وحده ... والتفت نحو الثلاثة ، والتقت عيناه بست عيون تقذف الشرر .

● ● ●

اسرع خطوه فاسرعت الخطوات وراءه ، تذكر الرعب الاسود نفسه منذ سنتين ، هل سيضربونه الان وفى عرض الشارع ؟ ليحذر الازقة المظلمة فقد تشق صدره موسى مرهفة ، ولن تبلغ صرخاته البيوت النائمة ، ولن تضاء نافذة واحدة من أجله ولن يطل رأس . وحتى الحراس تعلموا ألا يتدخلوا فيما لا يعنيهم ... فى الشوارع العريضة المضاءة يستطيع أن يلم السابلة وأن يصنع فضيحة . لو امكنه ان يصل الى أى تليفون ويتصل بسلوى ، ولكن أية دكان لاتزال مفتوحة ؟ نام الجميع نوما ثقيلا ماعدا مخافر الشرطة واقبية المباحث وسجون الدولة وسلوى سمع الصوت الحيوانى مرة أخرى . هل يلحق به الغلام الطيل أيضا ؟



انه لفال سىء . لقد مسح بيده على رأسه وهو يغادر المقهى ونفحه بليرة .. أهو تعويض عن قسوة القدر أم لؤم البشر ؟ وحدقت فيه العينان ولكنه لم ير فيهما معنى للشكر وانما للذعر . ولماذا يصرخ ؟ هل ضربه الثلاثة ؟ هل خلصوه الليرة ؟ ترى هل ارتكب بعمله هذا غلطة مجهولة ؟ .

اسرع من جديد فاسرعت الخطوات وراءه فى جلبة . ماذا ينتظرون ؟ هناك رجلان قادمان فليلتجىء اليهما ؛ معكم كبريت يا اخوان ؟ نحن لا ندخن يا أخ . الطقس حلو وبديع يا اخوان !! .. والعرق لذيذ يا اخ . لنتمشى معا ، ونتحدث يااخوان !! والعرق لذيذ ياأخ .. لنتمشى معا ونتحدث يا اخوان !! هذا شرف عظيم ، ولكننا ذاهبون للشغل ... بخاطرك يا اخ ...

كان التكسيات قد انقطعت ، طول عمرها اكثر من الهم على القلب ، ولكن الشارع لا يطالعه باى ضوء سيارة ....

الشارع العريض كاد ينتهى ، ولا بد له من أن ينحرف الى اليسار ويدخل فى الزقاق المظلم . ماذا يجرى لو أنه عاد ادراجه وظل يتسكع فىالشارع حتى انبلاج النهار ؟ الساعة الان الثالثة . ساعة ونصف وتمتلىء الشوارع بالعمال والباعة . انه لا يخشى الاعتقال ولكنه يخشى الغدر . وسيروح رخيصا دون فائدة ، وسينتهى خبرا فى الجريدة : تعرض جماعة من الاشقياء للاستاذ فلان . أو جريمة اخلاقية غامضة .. اللعنة ، لماذا يلحق به الغلام ؟ يجب أن يلتجىء الى حارس ولكن اينالحارس؟ هنالك كوخ فى منتصف الزقاق فاذا استطاع بلوغه نجا . بدأت خطواته تقفز ثم بدأ يركض وانفاسه تتلاحق . أصبح فى الزقاق الان ... مائة متر وسيصل الى الحارس ويطلب حمايته ... تقفزت الخطوات من ورائه وسمع الصوت الحيوانى وبدأت المطاردة ... وصاحت أصوات : وقف يا جواد . اصبحت كل قوته فى قدميه ، واخذ يجرى . وها هو الكوخ ولكن أين الحارس ؟ وهنت قواه عندما رأى القفل على الباب ... الحارس فى جولته الليلية المعتادة ، لعله يشرب الشاى فى مكان ما أو يسترق النظر من خصاص النوافذ المضاءة ؟ وسمع من ورائه صفارة فاستغرب ... هل يطارده الحارس أيضا ؟ وجاوبتالصفير صفارات اخرى ... صفير من كل مكان ما أروع التنظيم ! وكان قد انقطع نفسه عندما وقعت على رأسه خبطة ، وتدفقت الدماء فى فمه وغامت عيناه ،

وسمع أصواتا من هنا وهناك ، وامتدت اليه أيد كأنما لتعانقه وشعر بها تتحسس جيوبه وبدنه وأحس بأنه ينتفخ كالبالون . كان يتداول من يد الى اخرى وبحك كعملة زائفة . وعندما احتج أسكتته اصوات غاضبة ولوحت القبضات أمام وجهه وسمره الحارس من يده بحركة مدربة وأمسكه آخر من الثانية . واطمأن ... ماذا فعل في نهاية الامر ؟ سيعرف ضابط القسم تفاهة المسألة وظلمها عندما يرى هوية الثلاثة . هذه ليست المرة الاولى التي يقبضون بها على الناس بطريقة مزاجية . ولكن ماذا بهما على الناس بطريقة مزاجية . ولكن ماذا لو قالوا انه يوزع مناشير ؟ وسيمدون ايديهم الى جيوبهم ويسحبون منشورا مهيا لمثل هذه المناسبات . أو لعلهم دسوا شيئا في جيوبه ؟ لو يخفق هذا الحارس العملاق من قبضته ، انه يعصر يده كما لو كانت ليمونة قاسية ... عند ذلك لن يفعل ضابط القسم شيئا وانما يرفع سماعة التليفون بذعر ويدير رقما خاصا أمامه دوما عين ساهرة

الاسم فلان ... وتتسع عيناه عندما يسمع رد الفعل ... مفهوم سيدي ، نعم فلان ، توزيع مناشير . حالا سيدي .. لا ليس معه سلاح ... الآن فورا ... احترامي ... ويقف ويتحسس مسدسه فالامر خطير . والدولة بحالها تهتم بهذا الصعلوك الضئيل الجرم الذي يقف ساكنا كأنه لايعرف ماذا ينتظره .

لم يعد يسمع صوت الفلام . فهل شل وهرب عندما رأى المهمة ؟ وتمنى أن يرى هاتين العينين اللتين تجمد فيهما الذعر مرة أخرى . اذن لما أحس بهذا الثقل المرهق الذي يسحق جسده كله . وأصاخ ولكنه لم يسمع الا اللغة الغريبة والسباب الحانق .

وفكر ان سلوى ستنتظره اليوم وغدا وبعد غد . وبعد ان تذرف الدموع سيطالب جسدها الغارب بمن يخفف عنه الوحدة ويبعد شبح اليأس . قال له ابوه كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا مكتوب على ورق الخيار نصحو الليل وننام النهار . وكيف سيستقبله الرفاق بعد أن تركهم ؟ عندها يبدأ السجن الحقيقي... السجن الرهيب.. السجن الذي ...

ودفع دفعة كادت تطيح به لولا ان أدرك مسند كرسي فتشبث به ، كانت يده تعود اليه ويجرى دمها في الاوردة والشرايين كنهر حطم متاريسه ، ومددها على ذراع المقعد كجثة وسمع الحارس يقول :

ـ انا بذاتي ما رأيته لكن الاخوان..

وركز فكره متناسيا الالم ... عم يدور الحديث ؟ ولكن الاشياء اخذت تتراقص ، كان اثر الخبطة لا يزال يدوى بين صدغيه ويحرك فيهما أبخرة العرق ... حاول أن يجلس ، والتوت قدماه وتخاذلتا وهو يتهاوى على المقعد ، ولكن ضبحة عظيمة أيقظته وامسكته أيد عنيفة حاقده وأسندته ، وضربت قدم الكرسي بعنف فابتعد كانت كأنها تضرب كرسي المشنقة . والكاريكاتور ليس ضحكا خالصا ولا مأساة قاطعة ونظر أمامه الى الضابط.. ياالله ماأصغره! منذ عشر سنوات على الاقل كان تلاميذه أصغر منه ... وجه حليق رغم منتصف الليل كأنه يتهيأ لليلة حب . كيف يمكن لهذه الاصابع الرقيقة أصابع عازف البيانو هذه أن تمتد لتضرب انسانا ؟ ابتسم له فتحولت السحنة الناعمة الى وجه مفترس ... لن تخيف أحدا يا طفلي ، ولكن كيف أمكنك أن تحول كل هذا الجمال الى هذه البشاعة ؟ [كان الضابط النازي يعزف على البيانو وهو يأمر بحرق الناس] لا بأس .. ولكن ماذا يقول هذا الحارس اله القوة هذا ؟

ـ لاجل الشرف سيدى انا بذاتي ما رأيته ولكن الاخوان ..

أسكته أحد الثلاثة وتقدم من الحطام الواقف ونظر اليه نظرة مواربة ، وبحركة مسرحية مد يده الى جيوبه والقى على الكرسي بشيء ثم بآخر ، وتوالى التفتيش وتكدست الاشياء .

ـ انظر اى أفندى رائع ... لص ثياب .

ـ على حبل غسيل !

وأعادته الدهشة تماما الى الواقع وفتح عيونه على سعتهما ... ازواج من الجوارب رطبة مغسولة ناشفة رطبة ثياب وبياضات انتزعت من حبل غسيل في شرفة بيت .. شيء في معدته اخذ يصعد الى حلقه ... قوة لا تدافع اخذت تهز كيانه كله [رأيناه الواطى يقفز الى الشرفة] القوة تتصاعد وتتصاعد [صرخت المرأة حرامي] وصلت الى أقصى الفم [قفز وأخذ يجرى] انطلقت لا تقفها سدود وضحك وضحك وضحك .. ومن خلال دموعه فكر بارتياح .

ـ اذن ليست جريمة سياسية ... سأعامل اذن كانسان .

وفي تلك اللحظة ، سمع الصوت الحيواني مرة أخيرة يعوى ويعوى ، كأن أحدا ينتزع أمعاء بطنه .

محمود درويش

يعز على هيئة تحرير « الملحق » ألا يتيسر للزميل الشاعر محمود درويش استمراره في العمل معنا ، وذلك بانضمامه الى مركز الدراسات الفلسطينية في بيروت . واننا اذ نعتز بالفترة القصيرة التي أمضاها معنا نرجو له في عمله الجديد كل تقدم وازدهار .

« هيئة التحرير »

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش